الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
وزارة الثقافة والارشاد القومى

الادارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد – القاهرة

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد ١٠٤٢ – الخميس ١٧ شعبان ١٣٨٣ هـ – ٢ يناير ١٩٦٤ م • السنة الحادية والعشرون

الفهرس

الصفحة

لقاء الاسلام والمسيحية فى القدس

بمناسبة الزيارة البابوية لفلسطين

بقلم : أحمد حسن الزيات

كان للاسلام السمح فى لقائه النصارى ببيت المقدس موقفان كريمان لا يزالان فى فم الزمان أنشودة فخر وفى تاريخ الانسان آية كرم : احدهما يوم أخذه عمرو بن العاص من الروم البيزنطيين ، والآخر يوم استرجعه صلاح الدين من الفرنج الصليبيين .

كان من امر موقفه الاول ان المسلمين الفاتحين حاصروا القدس اربعة اشهر حصار استبقاء ورفق لانها اقدس البلاد عندهم بعد مكة والمدينة ، وان المسيحيين المحاصرين دافعوا عنها دفاع استبسال وعنف لانها موضع الآثار المقدسة والكنيسة العظمى. فلما كربهم الحصار ومسهم الضر ، خضع ارطبون الروم لارطبون العرب وظهر على سور المدينة البطريرك (سفرنيوس) يطلب الاستسلام والسلام ولا شرط له الا ان يكون المتولى لعقد الصلح امير المؤمنين عمر بن الخطاب بنفسه توكيدا للامان وتوثيقا للعهد . فسار الخليفة حتى نزل بالجابية من أعمال الشام ، فوجد فى استقباله يزيد وابا عبيدة وخالدا وعليهم الديباج والحرير فاستطير من الغضب واخذ يقذفهم بالحجارة وهو يقول : « سرعان مالفتم عن رايكم ! اياى تستقبلون بهذا الزى ؟! انما شبعتم منذ سنتين ! سرعان ما ندت بكم البطنة ! . . والله لو فعلتموها على راس المائتين لاستبدلت بكم

غيركم !... » فقالوا يا امير المؤمنين : انها يمالقة (١) وان علينا السلاح • فقال : نعم اذن » وجاءته رسل ايلياء يطلبون السلام فسالهم وكتب لهم هذا العهد :

« بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما اعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين اهل ايلياء من الامان : اعطاهم امانا لانفسهم واموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم ، ولسقيمها وبريئها وسائر ملتها ، انه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم **ولا من شيء من اموالهم** ، ولايكرهون على دينهم ، ولا يضار احد منهم

ولا يسكن ايلياءمعهم احد من اليهود. وعلى اهل ايلياء ان يعطوا الجزية كما يعطى اهل المدائن . وعليهم ان يخرجوا منها الروم واللصوص . فمن خرج منهم فانه آمن على نفسه وماله حتى يبلغ مامنه . ومن اقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على اهل ايلياء من الجزية . ومن احب من اهل ايلياء ان يسير بنفسه وماله ويخلى بيعهم وصلبهم فانهم آمنون على انفسهم وبيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مامنهم .... وانه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم ... وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا اعطوا الذى عليهم من الجزية ، وكتب وحضر سنة ١٥».

وبعد ان اعطاهم هذا العهد شخص الى بيت المقدس وسار حتى دخل كنيسة القيامة وحان وقت الصلاة فقال للبطريرك أريد الصلاة ، فقال له : صل موضعك . فامتنع وصلى منفردا على الدرجة التى على باب الكنيسة . فلما قضى الصلاة ، قال للبطريرك لو صليت داخل الكنيسة لاخذها المسلمون من بعدى وقالوا هنا صلى عمر ، وكتب لهم الا يجمع على الدرجة للصلاة ، ولا يؤذن عليها ، ثم قال : ارنى موضعا ابنى عليه مسجدا ، فقال على الصخرة التى كلم الله عليها يعقوب ، فوجد عليها ردما كثيرا . فاخذ يزيله بيده ويرفعه فى ثوبه واقتدى به المسلمون فازالوه لحينه وامر ببناء المسجد •

وكان من امر موقفه الآخر ان المسيحيين والمسلمين عاشوا فى ظلال العهد العمرى عيش الاخاء والرخاء حتى نقضه الناسك بطرس ومن استجر له من المستعمرين الصليبيين ، فاستولى الفرنسيون على بيت المقدس سنة ٤٩٢ هـ بقيادة (جودفروا دى بويون) بعد ما ذبحوا من المسلمين سبعين الفا ذبح الخراف حتى بلغت دماؤهم المسفوكة فى محراب داود ومسجد عمر ركبتى الفارس الصليبى كما قال المؤرخ الفرنسى (فنك برنتانو) . وظلوا ينشرون الفزع والجوع والذل فى فلسطين والشام احدى وتسعين سنة تبددت فى عواصفها اضواء الاسلام . وتطامنت فى زلازلها كبرياء العروبة . حتى تداركهما الله بالجيش المصرى فسحق الصليبيين فى (حطين) .

وانخلعت لهذا النصر المبين قلوب الامراء المستقلين بالمدن الساحلية من فلسطين وسورية ، فاستسلموا لصلاح الدين ونزلوا على حكمه ، وتطهرت فلسطين من رجس الدخيل فلم يبق فى ايدى الفرنج منها الا القدس وقد لجا اليها المنهزمون من المدن المفتوحة فسار اليها السلطان البطل من عسقلان ، وكان حريصا حرص عمرو بن العاص على ان يجنبها ويلات الحرب لقداستها المشتركة بين الاديان الثلاثة . فاستوفد اليه بعض زعمائها وطلب منهم تسليم المدينة فابوا الا القتال . فاقسم الا ياخذها الا بالسيف . وامر الجيش فسلط على اسوارها المنيعة قذائف الدمار . فلما استيقن (بليان) ان السور لا يمنع وان القتال لا يدفع ، طلب الامان فاجابه اليه بعد ان افتاه الفقهاء بأن ما وقع من القتال وراء السور كاف لابرار قسمه ، وان فى وسعه ان يعتبر من فى المدينة من الصليبيين اسرى حرب . فجعل الفداء عشرة دنانير عن كل رجل ، وخمسة عن كل امراة ودينارا عن كل طفل . واجلهم اربعين يوما يؤدون اليه فيها الفداء ، فمن وجد منهم فى المدينة بعد انقضاء الاجل المضروب أصبح مملوكا للسلطان •

(١) يمالقة : جمع يملق وهو القباء المحشو .

ودخل جيشنا المدينة دخول الفاتحين مكة : ذكر الله على لسانه ، وتقواه ملء قلبه ، فلا عين تمتد الى متاع ، ولايد تنبسط بمكروه ، وقام الجباة على الابواب ، فخرج (بليان) ومعه سبعة آلاف فقير أدى عليهم الفدية . واقبل فى عقبه البطريرك الاكبر ومعه كنوز الكنائس من جواهر وذخائر واموال فلم يعرض صلاح الدين لشيء مما معه على الرغم من اعتراض اصحابه ، وابى ان ياخذ الا الدنانير العشرة المقررة . ثم انقضى الاجل ولا يزال فى القدس آلاف من الفقراء لا يملكون الفداء فاصبحوا ارقاء قال المؤرخ الصليبى (ارنولد) : وكان فيمن شهدوا ذلك اليوم : « فتقدم العادل الى اخيه صلاح الدين وقال له : سيدى ، انى اعنتك والحمد لله على فتح هذه البلاد ، فهب لى الفا من ارقاء هذه المدينة . فلما اجابه الى ماطلب اعتقهم من فوره، وتقدم (بليان) والبطريرك الى السلطان بما تقدم به العادل فوهب كلا منهما الفا فاعتقاهم . والتفت صلاح الدين الى من حوله ، وقال : لقد ادى اخى صدقته وكذلك فعل بليان والبطريرك وبقى ان اؤدى ايضا صدقتى . ثم امر بان ينادى فى المدينة ان العاجز عن اداء الفدية حر لوجه الله وله ان يخرج فاستغرق خروجهم بياض النهار لكثرتهم كما قال ارنولد ! فاين ما فعل صلاح الدين مما فعل جود فروا ؟ اليس الفرق بين الفعالين هو الفرق بين الكفر والايمان ، او بين الوحش والانسان ؟

عادت مفاتيح القدس الى الايدى المؤمنة الامينة ففتحتها على عهد عمر وعدل صلاح ، حتى دها الارض زلزال الحرب العالمية الاولى فاسترقت قوى (الرجل المريض) وانفرجت اصابع الخليفة الاخير عن هذه المفاتيح فسقطت فى يد بريطانيا . وسميت هذه السقطة انتدابا على فلسطين فى (عصبة الامم) ووقعت ايلياء مرة اخرى بين براثن الاستعمار الصليبى فباعها الانجليز حفدة قلب الاسد الى اسرائيل التى صنعت صليب المسيح وجعلوها سادنة لقبره وكاهنة لكنيسته ! وعادت القدس مهد الانبياء ومقبرة الرسل الى استعمار (طيطوس) القاهر واستثمار يهوذا الجشع ، فاخرج الصهيونيون العرب من ديارهم واموالهم وتركوهم فى العراء مع الجوع والخوف ، يكابدون برحاء الهموم على وطن يستبيحه الغرب ، وشعب يتخطفه الموت ، وحق يتحيفه الباطل، ومستقبل يكتنفه الظلام ، وحال من اليؤس تقطع الرجاء وتوهى الجلد لولا ايمان المسلم وبسالة العربى واستماتة المظلوم وسيرى الحبر الاعظم ويعلم وهو يزور الاماكن المقدسة ان العرب وهم سدنة المسجد الاقصى الذى بارك الله حوله قد جعلتهم اسرائيل بتأييد الامم النصرانية كما كانت اليهود شرداء فى كل طريق ، طرداء فى كل بلد.

لقد قال السيد المسيح ، كما يعلم قداسة البابا لذلك اليهودى الذى منعه ظل جدار ، وهو مجهود، وحرمه قرى داره وهو جائع : « **ستظل تائها فى** الارض حتى اعود ! »

فهل عاد المسيح فى ثوب (بلفور) أم كذبت معاذ الله نبوءة (السيد) ؟

ان لعنة الله ودعوة المسيح لا تزالان تحرقان قدمى اسرائيل ، فلن تثبت له قدم فى ارض ، ولن تطمئن له نفس فى وطن ، وكان من اثر ضلاله البعيد فى الآفاق ان اكتسب خلائق العجز ، فهو يلص ليعيش، ويخدع ليغلب ، ويستوحش ليأمن ، ويتعصب ليدافع حتى تقطعت بينه وبين الناس وشائج النوع ، فاصبح خلقا آخر لا يألف ولا يؤلف فمحاولة اسكانه مع غير اهله وفى غير ارضه تكذيب لكلمة الله وتزوير لقانون الطبيعة .

ان فلسطين من البلاد العربية مكان القلب، ومن الامم الاسلامية موضع الاحساس ، وسيعلم الغافلون يوم يجتمع ملوك العرب ورؤساؤهم فى هذا الشهر استجابة لدعوة الرئيس عبد الناصر أن محنة فلسطين كانت سبيل المسلمين الى التعاطف ، وان صرختها كانت نداء العرب الى الوحدة ، وان اغاثتها ستتيح للاسلام تحرير القدس مرة ثالثة .

احمد حسن الزيات

أسئلة من بورسعيد

للدكتور محمد أحمد خلف

وتأبى بورسعيد الا أن تكون المدينة الباسلة . **المدينة المكافحة المناضـلة حتى فيما تعبر عنه من عواطف وانفعالات ، وما تعبر به من كلمات وشعارات، وما تستفسر عنه من قضايا ومشكلات .** ولقد رأينا ذلك كله بأبصارنا ، ووعيناه باسماعنا ، فى أسبوع الكتاب العربى بعامة ، وفى ندواته الثقافية بخاصـة ولا سيما فى أسئلة السائلين للمسئولين .

تأبى بورسعيد الا أن تكون ذلك كله . فأنت أين توجهت ، وأنى توقفت واجد من ذلك ما يثير عجبك واعجابك . ففى الفناء الداخلى لمحطة سكك الحديد تجد لوحات من الفنون التشكيلية يزينون بها المحطة، وكلها يشير الى وسائل المواصلات . وكلها يشير الى ما تتعرض له هذه الوسائل من عقبات ، وما تصطرع فيه من شدائد ، وماتتعرض له من اضطراب وهى فى ذلك كله تكافح وتناضل لعلها أن تصل بالحمولة الى بر السلامة والأمان .

من هذه اللوحات لوحة جميلة وقفت عندها طويلا . لوحة تصور عربة نقل عليها حمولة ثقيـلة ويجرها جوادان من الصافنات الجياد . جـوادان يمسك بزمامهما فتى طويل القامة ، سـليم البنية ، قوى العضلات ، تلمح فى وجهه معـانى الجد والصرامة والعناد . تراه ماسكا بزمام الجياد الشداد الاقوياء وهى تكافح وتناضل فى سبيل أن تتخطى بالعـربة هذه العقبات التى تعترض طريقها . وترى العـربة والى جانبها من الحمالين ما يسـند الحمولة ويحول بينها وبين أن تنفرط وتساقط على الارض من شدة اهتزاز العربة واضطراب الحمولة بسبب هذه العقبات التى تعترض الطريق . والحبال نفسها تكافح وتناضل فى سبيل الامساك بالحمولة والحيلولة بينها وبين أن تساقط على الارض .

ان كل ما فى اللوحة أو كل ما يقع عليه البصر من هذه اللوحة يؤذن بان الفنان قد استوحى فى فنـه موقف المدينة من العدوان الثلاثى وأنه قد كان معجزة بسبب عناد اهالى بورسعيد وما تحملوه من كيد ومكر وما قادوا به من كفاح ونضال فى سبيل استخلاص مدينتهم من العدو الغاشم حتى كتب لهم النصر وحتى عاد العـدو يجر أذيال الخيبـة ويلبس ثياب الذل والعار .

***

وأنت حين تمضى فى طريقك ميامنا أو ميـاسرا واجد حتما هذه الشعارات القـوية التى تكشف عن ذخيرة نفسـية لما يكنه البورسعيديون من العواطف القوية ومن الايمان العميق بمعانى البطولة ومعـانى الكفاح والنضال ومعانى التضـحيات مهما غلت فى سبيل الاهداف الكبيرة : أهداف الحرية والعدالة .

فمن شعاراتهم .

جنودنا ابطال فى كل مكان .

سلطة الشعب فوق سـلطة الدولة – يقصدون الحكومة .

الديمقراطية والاشتراكية هما جناح الحرية .

الاشتراكية العلمية هى المنهج السليم التقدم .

***

وأنت حين تستمع الى الاسئلة تجد هذه الالوان الدالة على التحدى والعناد ، والمواقف الجادة فى الاستفسار وملاحظة الظواهر .

من هذه الاسئلة هذا السؤال الذى تقدم به الشاعر حامد البلاسى الى الاستاذ يوسف السباعى :

« مكانكم البارز الخطير فى المجلس الأعلى للفنون والآداب يجعلنا نطمئن الى أن لادب يجد مكانه الرحب فى ركبنا الزاحف . فالقصـة والرواية والمسرحية والدراسات والبـحوث والموسيقى كلهـا قد استقر كيانها وهدأ خوفها فى ظل يد المجلس الرحيمة . .

الا الشعر فانه يضمحل رويدا رويدا .. ونكاد نحس ان حربا غير رحيمة ولا عادلة تسلط عليه . وعلى الشعر الحديث بالذات ـ بغض النظر عن مؤتمر الشعر فهو لم يحقق مجدا خالدا للشعر .

ثم لماذا يحارب الشعر الحديث بالذات محاربة غير مشروعة في المجلس وتحت شرعية كيانه ؟

ولماذا يحارب المجلس اصدقاء الشعر الحديث ويشخن كاتبيه والمؤمنين به ؟

وفى النهاية ـ ما هو موقفكم الصريح ازاء الشعر الحديث ، وما رايكم فيه .. بصراحة ؟ » .

وهذا السؤال الذى تقدم به الاستاذ محمد اسماعيل هانى للاستاذ يوسف السباعى ايضا :

« فى راينا ان المشكلة لم تعد مشكلة المؤلف او الكتاب او النشر .. ولكن المشكلة هى مشكلة القارئ .. ومن هنا يتوجب ان نخلق فى بلادنا العربية قارئين على مستوى المؤلفين والكتب .. فكيف يتم ذلك ؟ »

***

ومن هذه الاسئلة هذا السؤال الذى تقدم به الاستاذ السيد العربى محمد الى الدكتور عبد الحميد يونس باعتباره استاذ الادب الشعبى بكلية الآداب جامعة القاهرة :

« هل يخضع الادب الشعبى لنظام معين ، ومنهج محدد ، يلتزمهما الاديب كما كان الشأن فى الادب القديم الذى خضع لعمود الشعر ونهج القصيدة ـ مثلا ؟ » .

وهذا السؤال الذى جاء بدون توقيع :

« ما المقصود بالمراهقة الفكرية ؟ »

ثم هذا السؤال الذى جاء بدون توقيع ايضا :

« هل يستطيع الادب الشعبى ان يكون اداة صالحة لتعبئة الجماهير الشعبية بالشعور القومى والفكر الاشتراكى ؟ » .

***

ومن هذه الاسئلة تلك التى تقدم بها كثيرون للاستاذ الدكتور محمد طه بدوى باعتباره استاذ العلوم السياسية بجامعة الاسكندرية .

١ ـ فى امريكا بلغت الراسمالية أعلى مراحلها . وفى الاتحاد السوفييتى نشاهد الاشتراكية المتطرفة . والدولتان بلغتا من القوة والعظمة فى جميع الميادين مبلغا عظيما .

فما رايكم فى هذه الظواهر فى ضوء الحتمية التاريخية التى ابتدعهما ماركس ؟ .

٢ ـ لماذا تعتبر الدول الراسمالية اكثر تقدما ومدنية عن الدول الاشتراكية فى دول المجتمع الغربى ؟

٣ ـ هل من الضرورى ان يسبق التفكير الاشتراكى التطبيق الاشتراكى ؟

وما مدى وضوح هذا القول فى اشتراكيتنا العربية ؟ .

٤ ـ السياسة الخارجية عبارة عن تعبير عن الموقف الاقتصادى الداخلى للدولة .

ما معنى هذه العبارة فى حياتنا العربية المعاصرة ؟

٥ ـ نقرأ كثيرا عن الاشتراكية العربية ـ فهل هناك خلاف بينها وبين الاشتراكية العلمية ؟ ومامداه ؟

٦ ـ ماهو الحل الوحيد فى رايك لمشكلة فلسطين ؟

٧ ـ ما مفهوم النازية ؟ وهل هى تطرف فى القومية الالمانية ؟ وما الضمان لعدم تطرف اية قومية الى مثل النازية ؟

٨ ـ ارجو التفضل بتحليل تكوين الطبقات فى المجتمع اليهودى فى فلسطين ، ومدى اثر ذلك فى القضية الفلسطينية ؟ .

٩ ـ هل ترون ان اضطهاد النازية لليهود ـ وخاصة ابان الحرب العالمية الثانية وفى عهد هتلر ـ للتخلص منهم كان امرا حتميا ؟

وما السبب فى اتجاه النازية الى هذه الوسيلة ؟

وهل تتفق سياسة اليهود او تتشابه فى ذلك العهد مع سياستها الحالية ـ وخاصة بعد ان قامت دولة اسرائيل المزعومة ؟ .

١٠ ـ هل لكم ان تتفضلوا مشكورين بتوضيح معانى المصطلحات التالية والفروق فيما بينها بقدر الامكان :

(ا) الديمقراطية والثيوقراطية .

(ب) البلشفية والفاشستية .

(ج) الاوليجاركية والارستقراطية .

(ء) المذهب الاشتراكى والمذهب الاجتماعى .

***

هذه عينات من الاسئلة التى تقدم بها الشباب فى بورسعيد ، وهى فى جملتها صالحة لان يشغل بها الشباب العربى ، ودالة على نوع المعارف والمعلومات التى يبحث عنها الشباب العربى .

ان الاجابة عن هذه الاسئلة هى الثقافة الحية . الثقافة التى يجب ان يعمر بها كل قلب وكل عقل عربى .

ونحن حين نطرح هذه الاسئلة انما نقصد الى ان نوحى بالتفكير فيها ، والاجابة عنها . ونشكر اولئك الذين يتفضلون بالكتابة فيها من قراء هذه المجلة .

انا لا نريد ان نحتكر الاجابة بقدر ما نريد تنشيط الذهن العربى ، وايقاظ الوعى العربى بمسائل هى بنت الساعة . وانا حين نفتح هذا الباب انما نريد ان نفيد ونستفيد . نفيد اولئك الذين يقرءون ونستفيد من اولئك الذين يكتبون .

اما حين يتوقف الكتاب عن الكتابة فانا مجيبون عن هذه الاسئلة بالقدر الذى تسمح به ثقافتنا وظروفنا فى اعداد تالية ان شاء الله .

دكتور محمد احمد خلف الله

المادية الإسلامية وأبعادها

للأستاذ عبد المنعم خلاف

جناية التهويم الاجنبى على صحو العقل العربى — وضوح رؤية الكون فى ضوء القرآن — توجيه العقل الى منطق القرآن وحده — راى القرآن فى المادة والروح — المادة اكثر اثارة للعجب من الروح — العالم المادى هو مجلى ظهور الله وصفاته — العقل بين عالم الخلق وعالم الامر .

***

انتهينا من الحديث عن (البعد الأول) للمادية الاسلامية ، وهو التصور العقلى الاسلامى للبناء المادى للكون وصلته بالخالق المنشيء ، ودلالته على وجوده وارادته وعلمه وحكمته وقدرته ورحمته وكمالاته التى لا تتناهى ، وعلى وحدة المعايير والمقاييس للحق والباطل والخير والشر ، ووحدة الاتجاه وثبات السنن فى الكون كله ، وعلى الصلة بين العقل الاكبر الذى يحكم الكون ويدبره وعقل الانسان ، وعلى الارتباط والتطابق بين كلمات الكون وكلمات القرآن ، واثر ذلك فى ادراك الوحدة بين منطق الخالق ومنطق المخلوق ..

والآن ننتقل الى الحديث عن (البعد الثانى) من أبعاد المادية الاسلامية ، وهو ادراك تكوين الكائن الانسانى وتركيبه فى ضوء هذه النظرية الاسلامية .

وبطالعنا حديث القرآن عن نشأة الانسان وتكوينه بالعجب العجاب الذى يجعل العقل العلمى العصرى يقف مبهوتا مقرا بسبق هذا الكتاب وتبكيره الى ما وصل إليه العلم اخيرا بجهده واسلوبه وادواته .

وهذا الحديث عن تكوين الانسان وتركيبه يقتحم نطاق الوهم العجيب الذى ظل يسيطر على عقول المسلمين طوال القرون الماضية ، منذ أن تغيرت الداعة العربية التى تلقت القرآن بفطرتها السليمة ، وادركت مفاهيمه بعيدا عن المفاهيم الاجنبية التى وردت اليها فيما بعد من الاسرائيليات والصوفيات الهندية والخيالات والتهويمات البعيدة عن الصحو العقلى الذى يمتاز به الطبع العربى .

وانا اقدر أن هذا الحديث سيثير جدلا ولغطا ونكيرا من الذين — سيفاجئهم تميمزالحديث القرآن عن النشأة الانسانية .. اولئك الذين يعيشون على جدليات وفروض ما نزل بها القرآن ولا رضى عنها العلم بمعناه العصرى المحدد المؤسس على المشاهدة وادراك القوانين المادية .

وما كان أولى هؤلاء ان ياخذوا القرآن وحده ويعقلوه ويتبعوا ما انزل اليهم من ربهم لا ما تنزلت به اوهام الامم وشطحات الشعوب .. اذن لكان المسلمون قد وفروا من عمرهم بل من عمر الناس جميعا الذى ضاع فى تلك الشطحات والجدليات الفرضية والاوهام ، ولكانوا قد سلكوا الطريق العلمية الصحيحة قبل غيرهم من الامم بمئات السنين ، ولكان فى أيديهم الآن قياد الحضارة الثقافية المؤمنة غير الملحدة ولا المنكرة للصلة الواضحة بين الطبيعة وخالقها وما وراءها من عالم الامر والسر ...

وانى ، احاول كما قلت ، ان اقتحم بهذا الحديث معقل المادية الالحادية الشرقية والغربية ... اقتحمه بالمادية الربانية القرآنية العلمية البصيرة التى ترى الكون المادى رؤية واضحة ، وتحتفل به وتدرك اعماقه وتتذوق اسراره ، وترى ما فيه من الادلة والآيات البينة المتحدثة بما فيه من كلمات تستمد وحيها وتتلقى علمها من عبابه الزاخر ، وهى ترى يد الله البارىء المصور ، وقد وقفت وراء كل شيء وكل شأن فيه ، قائمة عليه هادية له .. لا كتلك المادية العمياء التى تقف عند حدود المادية الصماء وقواها وطاقاتها ولا ترى تلك اليد التى كونتها وبثت فيها القيم التى تقوم وتوزن بها .

واحاول كذلك التنبيه الى وجوب تحرير العقل الاسلامى من النظرات القاصرة عن مدى ما فى القرآن من تقرير وتقدير للبناء المادى للكون ، وما فيه من اسرار وعجائب .. تلك النظرات التى ظلت مسيطرة على عقول المسلمين المتأخرين وخدعتهم وجرجرتهم الى آفاق السراب ، واخذتهم بعيدا عن الفكر العلمى والعمل المادى لبناء الحضارة والثقافة ، وعن بناء تفكيرهم وفلسفتهم على القيم التى بنى الله الطبيعة عليها ، بجانب القيم الغيبية التى بنى عليها ماوراء الطبيعة ، على نحو ما يوحى به القرآن فى مثل قوله « وعنده مفتاح الغيب لا يعلمها الا هو ، ويعلم ما فى البر والبحر ، وما تسقط من ورقة الا يعلمها ، ولا حبة فى ظلمات الارض ، ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين » .

فهكذا كان يجب ان يكون تكيف العقل الاسلامي على نمط ما يشير اليه القرآن ويستعرضه فى مثل هذه الآية ، من علم الله واحتفاله بمفاتح الغيب ، مما يسمو فوق عالم الطبيعة والشهادة ، ومن علمه واحتفاله بكل ما وسعته مادة الارض من اشياء واحوال واسرار واعراض واطوار ، صغرت او كبرت ، اقبلت بها الحياة او ادبرت .. وكل أولئك قد سجل وصنف ورتب فى وضوح وابانة تنبىء عن عناية الخالق به ..

فكيف يحيط علم الله هكذا ويحتفل بكل صغيرة وكبيرة في مادة الطبيعة و « لا يستحى ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها » .. وكيفيتابع بعلمه وتدبيره كل شيء فيها ، ولو كان ورقة ساقطة ، او حبة نامية تدب بالحياة فى ظلمات الارض ، او شيئا رطبا لينا تقبل به الحياة ، او شيئا تدبر عنه وتتركه يابسا جامدا ... ثم بعد هذه الاحاطة الالهية بكل شيء فى المادة يترك العقل البشرى كل هذا ويدبر عنه ولا يسعى للاحاطة والاحتفال به وتلقى ما فيه من اسرار وتتبع ماله من احوال ..

اجل ، على هذا النمط من الايحاء القرآني كان يجب ان ينشا ويربى العقل الاسلامي ، وان يتلقى عن الخالق ذى العلم والطول وحى سننه فى الكون واسلوبه العلمى واحتفاله بالمادة وعنايته بتخليقها وتنويعها ومتابعة اطوارها ..

ولكن مع الاسف ، كما سبق القول ، لا يزال اكثر المسلمين المعاصرين يصدرون فى تفكيرهم عن افكار ليست من وحى القرآن ، وليست من طبيعة ايحاء هذا البناء المادي للكون ، ولذلك لم ينطلقوا برغم طول العهد على بدء اتصالهم بالعلم العصرى من تلك الاوهام التى قيدت انظارهم وحبستها على مقاطع نظر خادعة ..

والآن ننقل القول الى الحديث عن تكوين الكائن الانساني :

يقول العلم والفلسفة والدين ان الانسان مكون من مادة وروح . فما هى المادة وما هى الروح اولا ؟

ان المادة هى تلك العناصر الثلاثة والتسعون او الاربعة والتسعون التى تكون فى حالة جمادية او سائلة او غازية ، وتتكون منها الاجسام منفردة او مجتمعة بنسب متفاوتة .

ولم يكن القدماء يدركون المادة ومنشاها كما يدركها المحدثون الآن ، اذ لم تكن عناصرها قد ميزت وحددت بخصائصها هذا التحديد العلمى الدقيق ، ولم تكن القوى والطاقات الجبارة التى تنبثق منها او تتعلق بها كالكهرباء والمغناطيسية والجاذبية والطاقة النووية ، قد كشفت وحددت وميزت ودرست الدراسة المستوعبة .

ولم تكن الحدود بين العلم والدين والفلسفة قد وضحت كذلك ، بل كانت خليطا ، فكانت الفلسفة تدخل مداخل العلم ومداخل الدين ، وكان طالبو المعرفة يجمعون ما يعثرون عليه سواء كان علما ام حكما عقليا ام تاملا فلسفيا ام مذهبا اخلاقيا ام عقيدة دينية ام امرا علميا .

ومما ورثناه عن الاقدمين مختلطا لذلك كلمتا « روح ونفس » ، وقد تناولتهما بالبحث الفلسفة والدين والعلم .

وينبغى ان ندرك فى مبدا القول ان الروح الانساني سواء كان جوهرا مستقلا بذاته قبل اتصاله بالجسم ام كان عرضا من اعراض الجسم والتركيب المادى الانساني ، هو امر عجيب حقا على كلا الحالين ، وليس ينبغى ان يذهب بالعجب منه انه ناشىء من الجسم الانساني كنتيجة لتركيبه المادى وتطوره وكونه فىقمة الحياة العليا ، بل علىالعكس ارى ان انبثاقه من التركيب المادى للجسم الانساني هو اشد اثارة للعجب من كونه جوهرا مستقلا منزلا من العالم العلوى الذى نؤمن بأن له قدرات لاحدود لها ، فلا يستغرب اى شيء يصدر عنه مباشرة ..

كما ينبغى كذلك ان ندرك ان القرآن يقرر ان الآيات والاعاجيب التى فى خلق البناء المادى للكون، اكثر اثارة للفكر ولدواعى ايمانه ، من أعجوبة روح الانسان الذى حارت فى ادراكه الأفهام ، على نحو ما يقول ابو العلاء :

والذى حارت البرية فيه
حيوان مستحدث من جماد !

فتلك الآيات والاعاجيب المادية التى فى مادة الكون هى من الكثرة بحيث يعد جاهلا بحق وبليدا بحق من لا يرى فيها أسبابا مقنعة ودواعى للايمان واليقين بما وراءها من عقل وتدبير وحكمة وعلم وبصر وقدرة واحاطة ...

ولنقرا هذه الآيةمن سورة غافر «لخلق السموات والأرض اكبرُ من خلق الناسْ ، ولكن اكثر الناس

لا يعلمون » لندرك على الفور ، ان امر العجب فى الروح الانسانى هين بالنسبة للآيات والاعاجيب التى يكاد التفكير فيها يصعق العقل مما تحمله السموات والارض وما بينهما !!

ونشوء المادة ذاتها لايقل العجب منه عن العجب من نشوء الروح ، لذلك قال (ملكن) احد كبار علماء الكهرباء فى عصرنا هذا ، حينما سئل عن الروح : خبرونى ما هى المادة اخبركم ما هى الروح ...

والواقع البين ان ما فى التركيب المادى للعالم من مدارات الأفلاك والنجوم والكواكب والاقمار والنيازك والمشاهد والقوانين والقوى والطاقات والأحجام والانتقال والحياة والموت والجواهر والاعراض والتركيب والافراد والجمود والميوعة ، سيولة وغازية ، والاضواء والظلال والاشعاعات والظلمات ، والغيوم والاصوات والحركات والسكنات والهياج والقرار .. كل اولئك وغيره ، مما لا يمكن تعداده واستيعابه ، كان يجب ان يقنع العقل بدلالاته على ان ما وراءه من امور مجهولة لا يجوز ان يحول دون التسليم بان ذلك المجهول الذى لم يدركه العقل والعلم هو امر واحد عجيب من امور عجيبة كثيرة لا عدد لها قد ادركها العقل ، وانه لايجوز اتخاذه سببا للشك او التوقف والتردد او الانكار والانغلاق وعدم التفتح للايمان المطلق بالله الخالق وما عنده من اقتدار ..

والعالم المادى هو مجلى ظهور الله وعلمه وقدرته وحكمته ورحمتهللعقل البشرى ، لانه مجال عمليات الخلق والتقدير والتكوين والتشكيل التى تبدو فى (عالم الخلق) للادراك الحسى لدى الانسان ، وعمليات الخلق والتكوين هذه تصدر عن (عالم الامر) ويشير الى هذين العالمين قول القرآن « الا له الخلق والامر » ويشير الى عالم الخلق وحده قوله « وخلق كل شئ فقدره تقديرا » وقوله « اعطى كل شىء خلقه ثم هدى » ويشير الى عالم الامر وحده قوله « انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون » وقوله « انما قولنا لشىء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون » .

وفى الحديث التالى بيان مقالة القرآن فى تكوين الانسان وتركيبه .

عبد المنعم خلاف

الخصائص الفنية للأدب الصوفى

للأستاذ عبد الكريم الخطيب

مقام النبوة فى برزخ   دوين الولى وفوق الرسول

هذا البيت لمحيى الدين بن عربى .. الصوفى الكبير المعروف .. وقد سار هذا البيت مسير العاصفة الهوجاء ، تنطلق فى سعار مجنون ، وقد اشتملت على ابن عربى ولفته فى اطوائها ، تضرب به وجوه الأرض ، وتخط بدمه المراق المبدد بين مشارق الارض ومغاربها : الكافر .. الملحد .. الزنديق !

وماذا يكون لابن عربى من مصير غير هذا المصير، ومن جزاء غير هذا الجزاء ، وقد جاء بهذا البهتان العظيم ، وهذا الضلال البعيد ؟

ان ذلك اقل ما ينبغى ان يساق اليه من عقاب ، لقاء هذا التجديف الذى يتطاول به على مقام الدين ، ويتقحم به على حماه ، وينتهك حرمته ، ويستخف بمقدساته .

واى تطاول على الدين ، واى استخفاف به ، وانتهاك له من قلب أوضاعه ، وتشويه وجوهه ، وطمس معالمه ؟ فابن عربى فى هذا البيت — ودع ماله من كثير مثله — يجعل « الولى » — ولعله يعنى نفسه ، ومن كان على شاكلته ، وعلى طريقته — يجعل الولى فى منزلة فوق منزلة الرسول !

اليس هذا صريح قوله ، ومنطوق كلامه ومفهومه؟

مقام النبوة فى برزخ   دوين الولى ، وفوق الرسول

فالنبى فى مقام بين مقامين ، فى « برزخ » ..

فوقه مقام ، وتحته مقام .. فهو :

دوين الولى ، وفوق الرسول

انه — اى النبى — دون الولى ، وفوق الرسول!

او بعبارة اخرى ..يكون ترتيب المقامات الثلاثة .. هكذا ، مرتبة ترتيبا تنازليا :

الولى ، فالنبى ، فالرسول ..

فالولى يحتل المنزلة العليا ، ويتربع على المقام الاول من مقامات القرب من الله ..

ثم يجيء بعده النبي حيث يأخذ مكانا وسطا .. هو « البرزخ » ! ثم يجيء بعده الرسول فيأخذ أدنى المراتب في هذه المقامات وأنزلها .

ومرة أخرى .. أكثير على ابن عربي بعد هذا القول أن يتهم بالكفر ، أو يرمى بالحاد ، أو يوصم بالزندقة ؟

وشهد شاهد من أهلها !

فما جاء أحد بهذا القول يفتريه على الرجل ، أو يدسه عليه بين أشعاره .. فإن هذا « البيت » مشهور مثبت في قصيدة من قصائده المروية عنه ، والتي يتناقلها تلاميذه ، ويحفظونها فيما يحفظون من شعره ونثره !

ثم انه لم يحاول ابن عربي أن ينكر هذا «البيت» وهو حي ، ولو كان قد فعل لتولى تلاميذه ومريدوه هذا الأمر من بعده ، ولأسقطوه من مؤلفاته ، التي يحرصون على اذاعتها مخطوطة ومطبوعة !

نعم .. لم يكن هناك من افترى هذا القول على ابن عربي ، أو دسه في شعره ، أو خرج بألفاظه وعباراته عن مدلولها اللغوي . أو حرف كلمها عن مواضعه .

فالكلمات واضحة في مدلولها ، صريحة في مفهومها ، لاتحتاج الى ترداد نظر أو طول تفكير حتى تصرح بمكنونها ، وتدلي بما تحمل من معنى !

فما لصقت التهمة بابن عربي الأمر من هذه الأمور ..

وكيف ؟ وهو قائل هذا القول ، بشهادته ، وشهادة تلاميذه ومريديه ؟

وكيف ؟ والكلام صريح في معناه ، واضح في مفهومه ؟

ومع هذا ، فاننا نقول بأن الرجل برىء من تلك التهمة براءة مطلقة ، لاتشوبها شائبة من ارتياب أو شك !

ولكن هكذا أدين الرجل ، وأخذ بما لم يجن .. وكم في السجن من مظلوم ومظلوم !

ونعم .. ان ذلك كذلك ..

فلقد أدين الرجل عن سوء فهم لهذا البيت « المشئوم » ، ولا نقول عن سوء نية ، ولا تبييت كيد ، وتدبير سوء . !

فاننا ان كنا لا نبرىء كثيرا من الذين وقعوا في ابن عربي من أجل هذا البيت — ان كنا لا نبرىء كثيرا من هؤلاء من سوء النية ، ومن تبييت الكيد ، وتدبير السوء له — فاننا نجل اماما عالما جليلا كابن تيمية أن يتعمد المغالطة في فهم هذا البيت ، ويحتمي في التغافل أو الغفلة عن الوجه الصحيح لفهمه — كي يفتل من ذلك حبلا غليظا يجر به ابن عربي من رقبته ، ويقوده منه الى حيث الكفر والالحاد ، والزندقة .. ثم الى حيث اللعنة وسوء الدار ..!

نحن نجل هذا العالم الجليل أن يركب هذا المركب — مهما تداعت عليه من ملابسات الظروف والأحوال — وأن يدين ابن عربي بغير حجة قائمة بين يديه ، وأن يشهد عليه هذه الشهادة القاتلة بغير علم ومن غير أن يكون قد استقام لفهمه من هذا البيت هذا المفهوم الذي أشرنا اليه من قبل ، والذي يجعل « الولي » فوق النبي ، ويجعل النبي فوق الرسول .. !

ولقد فهم ابن تيمية هذا « البيت » على ذلك الوجه الذي فهمه أكثر الناس عليه ، بل ربما كان ذلك هو الفهم الذي يفهمه أكثر المتصوفة له !

وننظر في هذا « البيت » مع ما معه من أبيات ، تقدمته ، أو تأخرت عنه ..

يقول ابن عربي متحدثا عن الرسالة والرسول:

انا ترجمان اله السماء	وذلك أن قال لي ما أقول
مقام الرسالة عند السراء	ويظهر ذلك عند الرسول
ينادي به من مقاماته الـ	الهية الواضحات الفصول
لتمشي بها لعباد طغوا	وحادوا بها عن سواء السبيل
وبلغ اليهم رسالاتنا	فأنت الرءوف بهم والدليل
سماء الولاية علوية	تحيط بكل مقام جليل
سماء النبوة في برزخ	دوين الولي وفوق الرسول
فيا مؤمنا أن تكن عالما	تنعمت في علم قال وقيل
وبالضد ان كنت في ضده	ولو كنت في خفض عيش ذليل

وهذه القصيدة مثبتة فى كتاب ابن عربى : « لطائف الاسرار » ، وقد حققه وقدم له : الاستاذان: احمد زكى عطيه ، وطه عبد الباقى سرور : « ص ٤٩. » !

ولم يدع ابن عربى هذا الشعر لغيره أن يشرحه، ويكشف عن مضمونه ، بل قد تولى هو شرحه فى صلب الكتاب ، بعد القصيدة مباشرة ..

يقول ابن عربى فى شرح هذه الابيات على طريقته، واسلوبه :

« نزل الروح الامين على القلب ، فقال : الرسالة عرش الرب المربوب ، ومقام الرسول بينهما ! لانه طالب مطلوب .. فلو لم يناد الرسول من مقامه الالهى ما اجاب ، ولو سقى من غير مشربه ماطاب ..

فان قيل له فى ذلك الخطاب : بلغ ما انزل اليك من ربك ، فذلك الرسول .

وان زيد عليه : وقاتلهم ان ابوا القبول ، فذلك الخليفة الرسول .. فله ان يصول .

ثم يقول :

«الرسول وجه الى قومه ، والنبى تعبد فى نفسه الى يومه ، والولى ايقظه الرسول من نومه !

« فالرسول هو الامام .. والولى هو المأموم .. والنبى امام مأموم .. محفوظ غير معصوم .

« والرسول من هذا النمط هو المطلوب ، ومنه ، واليه يكون الهرب المرغوب .

« فالمؤمن به صدقه وانصرف ، والعالم قام له البرهان فاقر بصدقه واعترف ، والجاهل نظر فيه وانحرف ، والشاك تحير فيه فتوقف ، والظان تخيل وما عرف ، والناظر تطلع وتشوف ، والمقلد مع كل صنف تصرف ... »

ونقرا هذا الشرح — متصلا بالشعر ، او مقطوعا عنه — فنجد ان ابن عربى يجعل للرسول المقام الأول عند الله ، وانه امام يأتم به النبى والولى ..

وان الولى ، انما هو تابع للرسول ، يهتد بهديه ، سائر على طريقته : « والولى ايقظه الرسول من نومه » فالرسول هو الامام ، والولى هو المأموم والنبى امام مأموم !

هذا ما يقرره ابن عربى ..

ولو اخذنا بهذا القول لكان ترتيب المقامات هكذا .. ترتيبا تصاعديا ..

الرسول أولا .. فهو الامام

ثم النبى ثانيا .. فهو امام .. ومأموم .

ثم الولى ثالثا .. فهو مأموم وحسب .

ومن هذا ترى ان المقام الذى تحتله النبوة هو مقام بين مقامين ، او هو برزخ بين بحرين : الرسالة والولاية ..

وهذا ما اشار اليه ابن عربى فى بيته المذكور مقام النبوة فى برزخ » .

فهو فى صدد الحديث عن النبوة وتحديد مكانها ومقامها فى منازل الرحمة والقرب من الله .. يقول :

مقام النبـــوة فى برزخ
دوين الولى وفوق الرسول

فالنبوة فى مقام وسط ، فى برزخ
هذا ما ينطق به البيت فى صراحة صريحة ..

واذن فلا خلاف بين فهم وفهم فى هذا الشطر من البيت ..

وبقى الشطر الثانى .. وهو «جسم» الجريمة ، وشاهدا الاثبات على كفر ابن عربى ، والحاده ، وزندقته !

والرجل كما رايت ينطق بغير هذا فيما نطق به ، شرحا لهذا البيت ، وتحديدا لمفهومه ! ولم يترك المعنى فى بطن الشاعر — كما يقولون — ليتناوله المتاولون ، ويحرفه المحرفون !

فما تاويل هذا ؟

وكيف يقول الرجل شعرا يحمله معنى معينا ، ثم يتولى شرح هذا الشعر محملا هذا الشرح معنى غير المعنى الذى عناه فى شعره ؟

ايكون ذلك امعانا منه فى الكيد والدس ؟ او ايكون ذلك مكرا من مكره ، ليدفع عن نفسه بهذا الشرح تهمة الكفر ، ولينجو بجلده من السجن ، او القتل . ؟ حتى اذا افلت بهذا التدبير من العقاب ترك الشعر يسير فى الآفاق ، ويجرى على الألسنة طليقا محررا من هذا الشرح الذى لا يعلق بخاطر ، ولا يجاوز حدود الصفحة التى سود بياضها ؟!

ربما ذهب سوء الظن ببعض الناس فى ابن عربى الى هذا الحد ، والى ابعد من هذا الحد !

وندع هذا ..
ونرجع الى عجز البيت ..

واريدك ان تضع ضمة فوق النون من كلمة « دوين » .. ثم ضمة اخرى فوق القاف من كلمة « فوق » .. ثم اقرا عجز البيت ، او البيت كله ان شئت .. هكذا :

مقام النبـــوة فى برزخ
دوين الولى وفوق الرسول

ولا تنكر هذا ، ولا تقل : ان « دوين » « وفوق » ظرفان ، وحقهما النصب ابدا .. وانا لا اخالفك فى هذا ..

ولكن هيا بنا نرجع الى قواعد النحو واحكامه .. فى ظروف الزمان والمكان !

وهى قواعد واحكام لم يضعها ابن عربى ، ولم يشارك فى وضعها ، بل انه اخذ نفسه وادبه بها ، واخضع قلمه ولسانه لأحكامها .

والقواعد النحوية تقرر فى صراحة صريحة انه يجوز قطع ظروف الزمان والمكان عن الاضـافة ، فتعرب حينئذ ، او تبنى على الضم .

وعلى هذا جاءت القراءة فى قوله تعالى : « لله الامر من قبل ومن بعد » بضم اللام فى « قبل » ، وضم الدال فى « بعد » .. وهى القراءة المشهورة وعليها اجماع السبعة القراء . كما قرئت هذه الآية « لله الامر من قبل ومن بعد » بالجر مع التنوين فى الظرفين .. وذلك على نية قطع الظرفين عن الاضافة المقدرة : اى ولله الامر من قبل الغلب ومن بعده .

وعلى هذا ايضا جاء قول الشاعر :

فساغ لى الشراب وكنت قبلا
اكاد اغص بالمـــاء الفـرات

فلماذا ايستقام لنا هـذا الفهم فى ظروف الزمان والمكان — وهو مستقيم على اتم ما تحدث به قواعد النحو كان معنى بيت ابن عربى مطابقا تمام المطابقة فى معناه للشرح الذى شرحه به صـاحبه ، على ما نقلناه من قبل :

واقرا البيت مرة اخـرى على هـذا الضـبط النحوى له :

مقام النبـــوة فى برزخ
دوين الولى وفوق الرسول

ولا تنس ان الظرفين « دوين » « وفوق » مبنيان على الضم ، وان كلا منهما واقع خبرا للاسم الذى بعده : « الولى » و « الرسول » .. والتقدير : النبى دونه الولى ، وفوقه الرسول .

فهذا ما ينبغى ان يفهم عليه البيت ، وما يجب ان توزن به الفاظه ومعانيه . وهذا الفهم للبيت ، وهذا الوزن لألفاظه ومعانيه مسـتقيم كل الاستقامة مع افصح اساليب اللغة .. لايحتـاج الامر معه الى تاويل متكلف ، او تخريج متعسف !

وبعيد كل البعد ان يغيب عن ادبائنا ،بل وفقهائنا هذا الفهم للبيت على هذا الوجه ، لو انهم نظروا اليه نظرا بعيدا عن الهوى ، والبحث عن السقطات والعثرات ، والتماس السبيل اليها بأى ثمن ، ولو كان على حساب الحق والعدل .

والذين نظروا فى هذا البيت ، انما نظروا الى ابن عربى فيه ، قبل ان تتجاوز ابصـارهم الكلمات الأولى منه ..

ثم انهم حين وقعت ابصـارهم على الكلمات : النبوة ، والولى ، والرسـول ، ودوين ، وفوق — وقع لخواطرهم ان ابن عربى لابد ان ينحرف هنا وان ينزلق الى مهاوى الكفر والضـلال ، فأمسكوا بهذه الالفاظ يشدونها شدا الى هـذا المعنى الذى تصوروه .

وبهذا التصور ، وبهذا الفهم عاش الأدب الصوفى بين الناس على مدى الأجيال .. يلقونه حذرين ، ويلمون به متوجسين ، وينظرون اليه نظر متشكك مرتاب .

وغير هذا كان اولى بهذا الادب .. فاننا بهذا المنهج المضطرب المنحرف الذى درسـنا به الأدب الصوفى ، وخرجناه عليه — قد ظلمنا هذا الادب ، كما ظلمنا الأدب كله ، اذ قطعنا الصـلة بينه وبين مورد من اغزر موارده ، واصفاها .

ونعود فنقرر مرة بعد مرة اننا لا ندافع هنا عن قضية الصوفية او التصوف ، وانما ندافع عن قضية الادب الصوفى . فى جميع صـوره ، والوانه .. وذلك لنتهيا له دراسـة ادبية خالصة ، بعيدة عن المؤثرات المذهبية ، او الطائفية ، او السـياسية ، التى اساءت اليه ، والى الادب كله .

عبد الكريم الخطيب

الإنسان بين التقدم والسقوط

للأستاذ محيي الدين اسماعيل

فى الثامن عشر من شـــهر يوليو ١٧٩٣ أعلن فرانسوا شابو الكاهن الفرنسسكانى السابق بيانه الرجعى الشهير الذى ندد فيه بتعـــاليم المركيز دى كوندورسيه . ولقد اتهم الكاهن الســـابق تعاليم كوندورســيه بأنها تعاليم تدعو للتـآمر على سلامة الأمة الفرنسية ، وتدعو الى تمزيقهـا والقضــاء على وحدة الكيان الفرنسى .

ولقد كان هذا البيان تعبيرا عن الردة الفكرية التى عانتها فرنسا يومذاك ، اذ لم يكن الكاهن الســابق شابو سوى القوة الغاشمة التى كانت تطارد الفكر الحر ، فى صورة البطل الشقى .

كان الفكر الحر ، فى ذلك الحين ، وبعد تجارب دامية قاسية ، قد بدأ يرى فى الحياة « الصيرورة » و « التغير » و « التطور » . وكان شابو وما يمثله من فكر يرى فى هذه القيم والمفاهيم نسخا « للمطلقية » بل ازالة للوجود بأسره .

الاستحالة فنــاء .. التحول تمزق وتمزيق .. الصيرورة والتطور والتغير ، مفاهيم تفرزها ذهنيات مخربة هدامة ! ــ هكذا كان يصرخ الكاهن السابق شابو ــ !

وكان على كوندورسيه أن يهتف من أعماقه بصيحة الفرح ، بقدر ماكان قد استولى عليه من الذعر ، فقد هرب الى دار مدام فرنيه ، وهناك فى خلوته ، كتب كتابه الخطير البعيد الاثر « **موجز اللوحة التاريخية لتقدم الفكر الانسانى** » .

ان هذا الكتاب ، على ما فيه من غلو واسراف فى النظرة الاجتماعية التى تعجــز عن النفاذ الى آفاق الانسان الرحبة ، لتشرف على أبعاد روحه ، الا أنه على أية حال ، يعد انتصارا ضخما لفكرة التقــــدم الانسانى ، وتحديد آفاق التطور البشرى .

ولقد استقبل شباب العصر يومذاك هذا الكتاب ، بحماس شديد ، واعتبروه الراية التى تؤكد الانتصار الساحق الذى حققه كوندورسيه على شابو . لقد هز هذا الكتاب أعماق شباب العصر ، وأشعرهم بحرارة جديدة تسرى فى عروقهم . الانســــان لم يعد ذلك البطل الشقى الذى ينهزم دوما ، وان كانت هزيمته مجيدة تستحق اكليل الغار . لقد بدا الانسان فارسا يمطى صهوة الزمن ، وهو يتقد ، دون ما ونا ، الى أعماق المستقبل فى تقــدم راسخ ، كمــا يتقد النجم فى الأبعاد ضمن مجرى فلكه الأبدى .

فكرة التقدم هذه التى رفع مشعلها كوندورسيه ، كانت قد تناومت قبل قرنين من مولد كوندورسيه ، حتى اذا ما جاء هذا المفكر استطاع أن يمسك بيديه المحـــرات ليشق لها الطريق ، وبذلك أتاح للذهن الانسانى أن يفترض ــ افتراضا على الأقل ــ مولد صور شتى لا حصر لها من الحياة .

وهكذا شق كوندورسيه بمحراثه الجبار الطريق التاريخى لفكرة التقدم . أما صرخات الكاهن شابو فقد ذهبت بددا تحت قبة الجمعية العمومية الفرنسية وفى شوارع باريس .

على أن هذه الفكرة ، ما لبثت أن تطورت ، فأدخلت عليها مضامين جديدة لم تعرفها تعاليم كوندورسيه ومعاصريه أو الذين سبقوه ووطأوا لدعوته وتعاليمه

بيد أن فكرة التقدم هذه التى أخذت تتعين عـلى شكل قانون موضوعى تخضع له الحياة ، بدأت خلال عملية « التعين » هذه تواجه أسئلة واعتراضات عدة . كانت هذه الاسئلة والاعتراضات ترمى الى احراج فـكرة التقدم واسقاطهـا من المستوى الانسانى الى المستوى الآلى المحض .

أنى لك أيها الانسان أن تعلم بأن الغد دوما أفضل من اليوم ؟

ألست ترى بعينيك كل هذه الكوارث والفواجـع والنكسات التى تزحم مدرجة التاريخ ؟

أليس أفضـل ما فيك ــ أحيانا ــ هو ما ورثته عن أسلافك أى من الأمس الدابر ؟

لا مراء ، أن هناك ضربا من التقدم ، بيد أن هــذا التقدم ، بمعناه الحتمى ، لا يمكن أن يسود كقانون

موضوعى الا فى عالم الميكانيكا ، لا فى عالم الانسان! الآلة اليوم أفضل من آلة الأمس ، وآلة الغد أفضل من آلة اليوم . أفليس من العبث ، اذن ، نقل فكرة التقدم من عالم الميكانيكا الى عالم الانسان ؟

أليس فى مجرد اخضاع الانسان لقوانين التقدم الميكانيكية تشويه لحقيقة معنى الانسان وحقيقة المستوى الآلى فى آن واحد ؟

هذا ما يقوله الذهن المشكك فى فكرة التقدم ، ليوقع هذه الفكرة فى زاوية الاحراج . ولقد كتب أحد هؤلاء المشككين يقول : ان **فردريك شلر** فى لحظة من لحظات الصفاء ، قد أنكر فكرة التقدم ، وهو أحد كهانها . لقد أنكرها ثلاثا قبل صياح ديك الفجر !.. أليس هو القائل « **ألا ليت شعرى من الذى يأتينى بالنبأ اليقين عن المستقبل ؟ كل شىء تغلفه ظلمة الديجور .. متاهة تضل فيها الظنون .. لاخلاص .. لا نجم يهدى الانسان فى هذا الليل البهيم !** »

هكذا يقول الذهن المشكك ، بل وقد يقول أكثر من ذلك . قد يقول باستحالة تقدم أى شىء ، لان « الشىء » يصبح « غيره » عندما يتطور أو يتقدم . فالشىء المتطور وجود لاحق على وجود سابق . وان الوجودين يختلفان كيفا كما يختلفان فى الجوهرة ، ذلك أن كل شىء يصدر عن الانسان يموت فور مولده ويتحول الى هفوة تاريخية — على حد تعبير أحد هؤلاء المشككين ، انطونى ليجورن .

بيد أن فكرة التقدم مضت تتسلل فى مسارب الفكر الانسانى ، بالرغم من زحمة الاعتراضات التى واجهتها فى سياقها التاريخى المحتوم . حتى بدأ الانسان ، منذ نهاية القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر ، يطرح أمامه ، بكل وزع قضية المستقبل الانسانى على شكل معضلة يعانيها معاناة جدية حية وكان طرح قضية المستقبل الانسانى اى بشكل معضلة جديدة حية نقطة تحول فى موقف الانسان من وجوده اذ غدت قضية المستقبل الرفعد الجديد من ابعاد الوجود الانسانى .

كان الانسان ، الى ما قبل ذلك التاريخ ، اذ يطرح قضية المستقبل لا يطرحها باعتبارها قضية تشكل معضلة ذات بعد جديد ، تمتد الى صميم وجوده ، بل كانت تتخذ شكل تطلع أو ترقب خارجى . أما منذ ذلك التاريخ ، فقد طفق الانسان يحاول أن يجعل من ارادته قوة تتدخل تدخلا فعليا فى صوغ مستقبله .. اى فى صوغ مصيره ، أو تاريخ مستقبله — ان صح التعبير .

ان هذا البعد الجديد من أبعاد الوجود الانسانى .. البعد المصيرى — ان جاز لنا التعبير — قد تجاهلته أو جهلته الفلسفات المادية ، واعتبرته تخطيا لواقع الانسان الفعلى ، كما تجاهلته أو جهلته المثالية الغيبية ،، واعتبرته لا يتضمن أية قيمة نهائية أو مطلقة .

هكذا طرحت فكرة التقدم مشكلة هذا البعد الجديد من أبعاد الوجود الانسانى .. التاريخ لا يعرف الردة او النكوص .. ليست هناك من قوة تستطيع أن تدفع عقرب الساعة الى الوراء .. ذلك هو جوهر التاريخ!

بيد أن فكرة التقدم هذه قد خسرت كثيرا من أنصارها ، يوم أن رأوا الانسان ينكر العقل ويبطل الوجدان ، ويعمل على هدم ما بناه بالأمس .. يوم ان رأوا الفواجع تمتد فى كل الفجاج التى يرتمى فيها الطرف .. يوم أن رأوا الحضارة الغربية تصاب بصدوع رهيبة ، وتجنح للانهيار .

تلك هى زاوية الاحراج الكبرى ، التى تطبق على أمل الانسان فى التقدم والنماء . ومن هنا نسمع اليوم تلك الاصوات التى تصرخ لانقاذ كل ما هو جميل فى حضارة الانسان على انه يبدو ان جميع من ينادون اليوم بالانقاذ ، هم كمن يزعم اعادة الحياة لمحنطات دخلت التاريخ.. يبدو ان الحضارة الغربية ماتت ، ولكنها ماتت ميتة رائعة مجيدة ، ماتت ميتة استشهاد فروسى جليل — كما يقول جوزيه جاسين — ..

ولكن هل يعنى أفول حضارة ما ، عدما لفكرة التقدم ؟

لقد أفلت الحضارة الغربية ، اذ فقدت حسها الاخروى ذلك المنبع الثر الذى يلهم الانسان المتطور قواه لمعانقة مصيره . بيد أن الايمان بالانسان المتطور الصاعد يملى عليه أن يهتف اليوم ، كما يهتف دوما: « لقد ماتت الحضارة القديمة !.. فلتعش الحضارة الجديدة ! »

هكذا يهتف الانسان من هاوية السأم والسقوط أبدا ، وينهض مرة أخرى، من وسط الدخان والصروح المنهارة وعظام الموتى .. ويظل يهتف : الى الامام !

محيى الدين اسماعيل

في مهرجان الشعر الخامس

للأستاذ العوضي الوكيل

شوامخ المهرجان

٣

استطاع الاستاذ محمد التهامي في العدد (٢٢ من الرسالة) أن يقف ويستوقف وأن يبكي ويستبكي ، وأن يذكر النقد والادب في كلمة واحدة ، تماما كما فعل امرؤ القيس في مستهل معلقته الخالدة ٠

ولا رد لي على الصديق ، لان كلامه نفسه ينهض ردا عليه ، فهو ـ كرما منه ومنا ـ قد ناب عني في الرد على نفسه،اذ أخذ يدور ويلف حول جو القصيدة زاعما أني أقررت وأنكرت في وقت معا ٠ دون أن يدري أن الشيء الذي لاطعم له ، طعمه أنه بغير طعم والاستاذ التهامي عزيز على نفسي ولكن الحق عندي أعز منه وأنا لا أستجدي الرضاء بما أكتب عما أكتب كما يريد بعض الشعراء أن يستجدوا التصفيق حين ينشدون فيرتجلون أو لا يرتجلون ٠ وأخيرا أعتذر الى الصديق حين أفك أصابعه من ثيابي لأمضي فيما أنا فيه من نقد شعر المهرجان ٠

واليوم يجيء دور الحديث عن شوامخ القصائد في المهرجان ، تلك التي تستطيع واحدة منها أن تنهض وحدها بمهرجان ، لانها استطاعت وحدها أن تكون قمة من قمم الاعمال الفنية ذات الاعتبار ٠

وفي هذا المجال نذكر قصيدة « وقفة في قرطبة البيضاء» للشاعر عزيز أباظة ونذكرقصيدة «شاطىء الاسكندرية » لعبد الرحمنصدقي ، كما نذكرقصيدة محمود حسن اسماعيل ـ رغم ما أخذه عليها الاستاذ عدنان أسعد في بعض أعداد الرسالة الماضية ـ وكذلك نذكرقصيدة عادل الغضبان فانها منالشوامخ رغم تلك الحرب الزبون التي وقعت بين شاعرنا الفحل وقافيته السهلة ٠ والى جانب هؤلاء يستطيع طاهر الجبلاوي أن يقف بقصيدته وكذلك محمود عماد وعلى الجندي ، ومحمود غنيم ومحمد عبد الغني حسن ، والدكتور عمر الجارم لولا قواف خوارج على رقته وحلاوة نظمه ٠

وفي هذا المقام لا يمكن أن يخلو ديوان الشوامخ من قصيدة صالح جودت ، تلك التي ألهبت المشاعر وأثارت الثوائر ، ولا قصيدة باكثير .

ومن أسف أنني لم أستطع الحصول على نسخ من بعض تلك القصائد ، ولست من أئمة الحفاظ حتى أحفظها يوم كانت تتلى على الاسماع في المهرجان ، وحاولت الحصول عليها من الشعراء فأسعفني بعض ونكل بعض ٠ والمطبوع منها على الرونيو منطمس المعالم ضائع النقط في بعض الابيات ، مما يحول بين الانسان ومتابعة القراءة أو متابعة الاستمتاع ٠

وقصيدة عزيز أباظة من تلك القصائد التي أسعدتني الظروف بالحصول عليها وهي قصيدة تصبح شخصية عزيز أباظة الشاعرة في كل بيت من أبياتها ، وتقف الابيات جميعا في تناسق جميل لتتألف منها سيمفونية رائعة .

من حيث الصياغة فانك تلاحظ فيها فحولة عباسية، تستطيع أن ترجعها بسهولة الى الأصل الذى ترجع اليه أشعار البحتري والشريف الرضي ومهيار ٠ والقافية عصية ولكنها خضعت لقدرة الشاعر ، خضوعا عجيبا ٠ وندر أن تجد فيها كلمة نابية قلقة، لا ، بل انه حتى الكلمة المعجمية حين انخرطت في سلك النظم لتكون قافية لعزيز أباظة نفضت عنها ثياب الغرابة والحوشية ، ووقفت في الصف كأنها المغنى المأنوس لا الطلل الماحل :

لبس الأذان ولا الناقوس رمز هدى
اذا النفوس تردت في تجانفها

الناصر الطافر المخشى جانبه
في حيثما دب سماع في تنائفها

لهفي على حسنها الذاوي وزهرتها
وحاليات الحواشي من رفارفها

وعزيز أباظة ، شاعر صاحب ذوق ، في انتقاء ألفاظه ، ولكنه لا يختار الا وفق ما يتجه الهامه ، فثمت مطابقة بين ألفاظه ومعانيه ، فخامة لفظ ، في مقام فخامة المعنى ، ومثال ذلك تلك اللمحة التي وصف فيها لقاء الناصر لسفراء الدول الاجنبية ، يقول عزيز :

ذكرت يوم الوفود الضخم ، ساعية
للقصر ترفل في ضافي ملاحفها

تمشي فتمشي قلوب في صدائرها
فرابط الجأش فيها عدل واجفها

وحين أفضت الى أستار سدته
وأوقفت حلقات في مواقفها

أهـــل فى هـــالة من سروه ملك
من عبد شمس تدلى من غطارفهـــا

فخيم الصـــمت الا نبض أفئـــدة
يشد راعـــدها من عزم راجفهـــا

وقيل للقوم أدوا من ســـــفارتكم
الى الخليفة وامضـــوا فى شواغفها

فرف كل كبير من عواطفهـــا
وخف كل وقـــور من أساقفهـــا

ولعزيز أباظة غرام أى غرام باستقصاء المنـاظر والمواقف فى قصائده ، ويظهر أنذلك عدوى وصلت الى شعره العادى منشعره المسرحى ، فلا يكاديعرض مشهدا من المشاهد حتى تعمل ملكة الاستقصاء لدى الشاعر عملها ، ففى مشهد السفراء السابق ، يصف قدوم الوفود وتنظيمها ووقوفها حلقات فى مواقفها، ثم لا ينسى ما خيم على المكان منصمت رائع ، ثم يأخذ خياله بعد ذلك فى تصنيف الوافدين فمنهم من جاء خائفا يستأمن أمير قرطبـــة وملكها ، ومنهم من جاء طالبا العلم والمعرفة والتحضر :

بين الوفود ملوك غـــير آمنـــة
فجاورته لواذا من مخاوفهـــا

وبينهـــم أمم ذاقت حضــــارته
فأقبلت تتملى من لطائفهـــا

وغيرها لم ترد جنــــات قرطبـــة
الا لتنهل من صـــافى معارفهـــا

وقد يقـــال ان عزيزا يحذو حذو شـــوقى فى أندلسياته ، أو يعارضه ، ولكننا نرى ان شـــعر الاندلسيات أوسع مدى من أن يكون موضوعه فكرة يتلقاها لاحق عن سابق ، خصوصا وأن عزيز أباظة قد اشتهر بالرحلات ، وزار الاندلس أكثر من مرة ، وتملأ بحب هذه البـــلاد ، وبعصرها الذهبى ، حتى أوحى له ذلك بمسرحيةشعرية عظيمة ، يضعها بعض النقاد فى المرتبة الاولى من مسرحياته ، ويكونعجيبا أن نخص شوقى بالتأثر دون تلميذه عزيز ، على أن كلا منهما يتجه اتجاها يكاد يباين اتجاه صاحبه فى القصيد .

وفى القصيدة تشخيص جميل ، حين يســـمع الشاعر من قرطبة نفاثات مكتمة قد غالبتها،وحسرة ودموعا تستحيى فتجف فى مآقيها :

قالوا بلغتم ، فهـذا نور قرطبة
فقلت دل عليها نور .. سالفها

أجـــل ، ودلت نفاثات مكتمة
قد غالبتها فضلت فى مراشـــفها
وأدمـــع فى مآقيهـــا تدافعهـــا
لولا الحياء همى أسكوب واكفهـــا

وثمت لفتة جميلة من الشاعر الذى رأى مسـجد قرطبـــة وقد تحول الى كنيســـة ، استبدلت فيهـــا النواقيس بالأذان . فلا يرى فى هذا التبديل شيئا ذا بال ، لان النفوس هى النفوس مصيخة الى أذان أو مصغية الى ناقوس ، والهدى الحق فىالنفسوليس فى ناقوس ولا مئذنة . ولعل هذا المقطع من أكثر مقاطع القصيدة الشامخة تأثيرا فى نفوس سامعيه :

يا جارة المســـجد الباكى ومئذنة
الله كان ينـــاجى من مشـــارفها

ماذا دهاها فأمست وهى ناعـدة
فى غير ما عهـدته من معاطفهـــا

هذى النواقيس ان زين هامتهـــا
فقـد تحيفن شما من مراعفهـــا

الدين لله لولا أنهـــا غـــير
ترمى براعدها الدنيـــا وراجفهـــا

ليس الأذان ولا الناقوس رمز هدى
اذا النفوس تردت فى تجانفهـــا

والقصيدة ، وقد صاغها الشاعر المبدع على نمط عباسى من الفحولة والجزالة لم تفقد مع ذلك وحدتها وتماسكها ، وترابطابياتها ، حتى أبيات الحكمةالتى ساقها الشاعر خلال مشـــاهده ترتبط بمكانها من القصيدة ارتباطا متينا فبعد أن وقف الشـــاعر أمام دوارس الطلول ، وذكر ماضى قرطبة العربى الزاهر متحسرا متألما قال :

الدهـــــر يومان ، والأيام حاملة
خط الوجود جئينا فى لفائفهـــا

ما ذاك من عمد الدولات فانصدعت
كالخلف شب لظـــاه فى طوائفهـــا

وقد تصـــاب فتلقى حتفها أمم
لا من مخالفهـــا بل من محالفها !

العوضى الوكيل

الكلمة الطيبة

للأستاذ عبد الرحيم فوده

تصدق الكلمة الطيبة على كل كلمة نقية يرتاح لها الضمير . وينشرح بها الصدر ، لأن معنى « طاب » زكا . وطهر . وصار حلالا ، و « الطيب » كل ماخلا من الأذى والخبث ، وكل من تخلى عن الرذائل وتحلى بالفضائل كما جاء في المعجم الوسيط لمجمع اللغة . وفي المفردات للراغب الأصفهاني .

فمعنى الكلمة الطيبة يسع كل هذه المعاني ومن ثم فسر الكلم الطيب في قوله تعالى : (**اليه يصعد الكلم الطيب**) بأنه كل كلام يكون ذكرا لله . أو يراد به وجه الله . كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة . والعلم النافع كما فسر بأنه الكلام الحسن ، وقد أمر الله بحسن القول حيث يقول سبحانه : « **وقولوا للناس حسنا** » ومدح المؤمنين بأنهم كما يقول سبحانه : « **وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد** » وقد جاء في الحديث : أن الكلمة الطيبة صدقة . بل انها كما يقول الله « **قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى** » .

اما الكلمة الخبيثة ، فمعناها يسع كل ما يقابل هذه المعاني كالقبح والرداءة والزيف والكذب وما الى ذلك مما تستقذره الطباع السليمة . وتنبو عنه الاخلاق الكريمة وينهى عنه الله ورسوله ، وقد سأل معاذ بن جبل النبي صلى الله عليه وسلم : أنؤاخذ بما نتكلم به ؟ فقال عليه السلام : وهل يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصائد ألسنتهم ، ومعنى حصائد ألسنتهم ـ كما قال الازهري ـ ما قالته ألسنتهم وهو ما يقتطعونه من الكلام الذي لا خير فيه

لكن ما المراد بالكلمة في قول الله تعالى : **ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء . تؤتي أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون .. ؟**

وما المراد بالكلمة الخبيثة في قوله سبحانه : « **ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار** » ؟

ثم ما المراد بالشجرة الطيبة التي تجمع الى ثبات أصلها وسمو فرعها أنها تؤتي أكلها كل وقت ، فثمرها دائم وخيرها متصل .. ؟

وما المراد بالشجرة الخبيثة التي اقتلعت وانتزعت جثتها من فوق الأرض فليس لها بقاء عليها أو استقرار فيها .. ؟

رجعت الى كتب التفسير في هذا الموضوع . فوجدت حصيلة ما قرأته لا يستغرق بضع دقائق ، فالكلمة الطيبة عند بعضهم كلمة الايمان ، وعند غيرهم كلمة التوحيد ، وعند آخرين كل قول حسن والشجرة الطيبة عند بعضهم النخلة ، وعند غيرهم شجرة في الجنة ، وعند آخرين التين ، والحين على أساس أن الشجرة الطيبة هي النخلة ، سنة عند بعضهم وستة أشهر عند غيرهم . وشهران عند آخرين ، ولكل وجهة يتجه اليها ودليل يسترشد به .

وعلى هذا النحو من الاختلاف جرى الحديث عن الكلمة الخبيثة والشجرة الخبيثة فمن قائل انها كلمة الكفر ، وان الشجرة الخبيثة هي الحنظلة ، ومن قائل انها كل كلمة باطلة أو قبيحة ، وان المراد بالشجرة الخبيثة كل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل والكشوث وهو « بفتح الكاف وضمها » نبت يتعلق بالأغصان ولا عرق له في الأرض كما جاء في القاموس .. هذا مجمل ما قيل في تفسير الآيتين الكريمتين وقد رأيت ان اضع هذه الآراء في جو السورة وأن استرشد بالسياق واللحاق لمعرفة أي هذه الآراء أكثر ملاءمة للمقام فتألقت في ذهني هذه الخواطر والقرائن :

١ ـ ان هاتين الآيتين من سورة ابراهيم عليه السلام ، وابراهيم هو أصل لأسرة تمثل شجرة طيبة أسماها وأعلاها محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد وهب له الله على الكبر اسماعيل واسحق . وقد ولد له يعقوب وولد ليعقوب اثنا عشر رجلا كان منهم يوسف ، كما ولد لاسماعيل اثنا عشر رجلا ، وظلت هذه الشجرة تنمو وتزدهر وتثمر وتكثر فروعها ، فكان منها الأنبياء . ثم كان منها خاتم النبيين وامام المرسلين محمد عليه الصلاة والسلام ، وفي ضوء هذا التفكير بدا لي أنه ليس من الغريب أو العجيب ـ كما ظهر لي في بادىء الأمر ـ أن تكون الكلمة الطيبة هي المؤمن كما رأى بعض المفسرين . وذكروا في تأويل ذلك أن عيسى عليه السلام سماه الله كلمة حيث يقول : « انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه » ولعل مما يلتئم مع هذا الاتجاه ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوما : (ان من الشجر شجرة لا يطرح ورقها مثل المؤمن) فوقع الناس في شجر البوادي . ووقع

فى قلب ابن عمر رضى الله عنهما أنها النخلة ولكنه استحيا ـ لصغر سنه ـ أن يقولها حتى قالها النبى صلى الله عليه وسلم ، فقد شبه النبى المؤمن بالنخلة وان لم يذكر أنه كان بذلك يفسر الآية الكريمة .

٢ ـ لقد بدئت السورة بقوله الله : « **الر . كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد** » وختمت بقوله: **هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو اله واحد وليذكر أولو الألباب** » والمتأمل فى القرآن يجده كله كالشجرة المزهرة المثمرة التى تمتد اغصانها فى كل اتجاه ، وأقرب الامثلة لذلك هذه السورة وسورة الرعد وسورة هود ، قبلها وسورة الحجر بعدها ، فقد بدئت كلها بالحديث عن القرآن ، وهو المعجزة الباقية على الزمن الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهو كما يقول الله فيه «كتاب انزلناه اليك مباركا » فخيره متصل . وبركته نامية . وآياته كما يقول شوقى :

آياته كلما طال المدى جدد
يزينهن جلال العتق والقدم

وفى ضوء هذا الشعور والتفكير بدا لى انه ليس من الغريب ولا من العجيب ـ كما ظهر لى فى بادىء الامر ـ أن تكون الكلمة الطيبة هى القرآن كما ذهب الى ذلك بعض المفسرين . فان الكلمة تطلق وتصدق على الكلام . وورد ذلك فى القرآن نفسه حيث يقول الله تعقيبا على كلام فرعون: «**كلا انها كلمة هو قائلها** » .

٣ ـ ان المتأمل فى القرآن يجد كلمة التوحيد فيه بمثابة النواة من الشجرة ، بل لقد فسر بها حيث يقول الله فيه : « **كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير . الا تعبدوا الا الله انى لكم منه نذير وبشير** » والمتأمل فى دعوات الانبياء ورسالات السماء يجدها كلها تقوم على كلمة التوحيد كما يفهم من قوله تعالى : « **ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين ، ألا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم**» وقوله : «والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره » وقوله : « **والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره** » وقوله على لسان يوسف : **يا صاحبى السجن أارباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار** » وقوله لموسى : « **وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى انه أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى واقم الصلاة لذكرى**»

وقوله على لسان عيسى : « **ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم** ».

وقد كانت هذه الكلمة هى دعوة ابراهيم « **اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون** »

فالتوحيد دعوة كل نبى أرسل . وعمدة كل كتاب انزل . وفى ضوء هذا بدا لى كذلك أنه ليس من الغريب ولا من العجيب أن تكون الكلمة الطيبة هى كلمة لا اله الا الله كما اتجه الى ذلك أكثر المفسرين . بل لقد ظهر لى فى ضوء ذلك ضعف ما قيل من ان كل كلمة حسنة تعد كلمة طيبة ، كما يفهم من قول الله قبل ذلك فى هذه السورة : « **مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شىء ذلك هو الضلال البعيد** » كما يفهم من قوله تعالى لاحبار بطنى اسرائيل : « **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وانتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون** » وقوله سبحانه « **يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون** » .

٤ ـ والمتأمل فى قول الله بعد هاتين الآيتين : « **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء** » يستطيع ان يجد فيه كل ما سبق من الآراء فى الكلمة الطيبة ، فالمؤمن الذى يثبته الله فى الدنيا والآخرة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، والقرآن وقد تكفل الله بحفظه وقال فيه : « **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** » كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، وكلمة التوحيد وهى اصدق كلمة واثبت كلمة كما يفهم من قوله تعالى «شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم قائما بالقسط » كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، ويمكن أن تفسر الكلمة الطيبة بكلمة تسع كل هذه الآراء وهى الحق . وتفسر الكلمة الخبيثة بكلمة تسع كل ما سبق من الآراء وهى الباطل الشر والفناء وذلك بعض ما يفهم من قوله « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء » .

رثاء الإمام الراحل

للدكتور سعيد أبو بكر

شيعوه بليلة الاسراء ... علم الدين خيرة العلماء
نفد السهم ما لحى بقاء ... يتغيبه على ثرى الغبراء
هذه الدنيا من مباهج فخر ... ضحك ينتهى بفيض بكاء

***

لهف نفسى على فضيل تولى ... نابه الذكر فى جلال السناء
حائز السبق فى جميع النواحى ... لم يغير صباحه بمساء
روض علم ذوى ورمز تقاة ... كان نورا وشعلة من ذكاء
عزة فى تواضع واجتهاد ... فى اقتدار وهيبة فى حياء

***

يا ضياء ببلدة بك تاهت ... واستطالت على نجوم السماء
انها اليوم فى المصاب تعانى ... لوعة الثكل دون أى عزاء
كنت امام دينها وهداها ... فابتلاها الدهر فيك بالبرحاء
كنت غضبا على الشرور فقيها ... فى مبين وملة سمحاء

***

ان ظنى وليس ظنى اثم ... أن قبرا حواك قبلة الرحماء
مثلما كنت فى الحياة اماما ... للتقاة الهداة والحكماء
أيها النجم ما عهدناك تخبو ... بل عهدناك دائم اللألاء
ما فقدنا ذكرى الهداية لكن ... قد فقدنا الدليل فى الظلماء
ليس سهلا على النفوس رجاء ... قد تولى وكان كل رجاء
أنت عودتنا العزاء فعذرا ... ان فقدنا العزاء بعد الثناء
يا قوى الهدى عليك سلام ... وعلى سجاياك ألف ألف ضياء
وعلى الروح فى الجنان سحاب ... يمطر الطيب صباح مساء

دكتور سعيد ابو بكر

بقية الكلمة الطيبة

وهكذا وجدت نفسى مرة أخرى مع المرحوم فضيلة الدكتور محمد عبد الله دراز فى كتابه **«النبأ العظيم»** حيث يقول رحمه الله : (وتقرأ القطعة من القرآن فتجد فيها من الشفوف والملاسة والاحكام والخلو من كل غريب عن الغرض مايتسابق به مغزاها الى نفسك دون كد خاطر ولا استعادة حديث. كأنك لاتسمع كلاما ولغات ، بل ترى صورا وحقائق ماثلة ، وهكذا يخيل اليك أنك قد أحطت به خبرا • ووقفت على معناه محدودا ، ــ هذا ولو رجعت اليه كرة أخرى لرأيتك منه بازاء معنى جديد • غير الذى سبق الى فهمك اول مرة وكذلك ••• حتى ترى للجملة الواحدة أو الكلمة الواحدة وجوها عدة كلها صحيح او محتمل للصحة • كأنما هى فص من الماس يعطيك كل ضلع منه شعاعا فاذا نظرت الى اضلاعه جملة بهرتك بالوان الطيف كلها فلا تدرى ماذا تأخذ عينك وماذا تدع • ولعلك لو وكلت النظر فيها الى غيرك رأى منها أكثر مما رأيت) •

أما الشجرة الطيبة التى وصفها الله بأن أصلها ثابت وفرعها فى السماء وبأنها تؤتى أكلها كل حين، فالذى أراه وأرتاح اليه أنها ــ مع امكان وجودها ــ مجرد مثل ضربه الله ولعل هذا بعض ما يفهم من قوله تعالى : « وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتذكرون » •

عبد الرحيم فودة

الرّجال الطيّبون

للأستاذ ابراهيم عبد الحميد عيسى

« الى بورسعيد .. فى العيد السابع .. لانتصارها الخالد »

الشط نام على ذراع الليـل ... يستملى فتونه
عريان من صخب الضحى . . لـكن تلفعه السكينه
والموج يقظـان .. يوشوشه . . يبلغه حنينـه
والـريح متعبـة الخطى تشـدو بهمهمة حزينه
والليـل يعبث فيـه مصباح تارجح فى سـفينه
عرس الطبيعة فى الدجى ولديه قد نامت مدينـه
وقف الخلود حيالها .. يرنو .. لأمجاد سجينه

***

نشر الظلام غطـاءه الـداجى ونامت بور سـعيد
الا رجـالا طيبين سـعوا الى رزق جـديد
نقبوا جـدار الليل وانطلقوا الى البحر العنيد
ومضوا الى المجهول فوق زوارق حيرى تميـد
وعلى المدى طرحوا الشباك وفوقها أمـل وليد
وأتى الصحـاب .. فسامر يشدو .. وآخر يستعيد
والشاى يسكب دفـاه وكأنه قبـلات غيـد

***

لكن تمردت الرياح . . . كأنهـا وجـه الجراح
فاذا الرجال الطيبون هنـاك . . كالقدر المتـاح
وتفـرقوا . . وتجمعـوا يلوون اعنـاق الرياح
حتى اذا ذلت جبـاه الريح فى كف الـكفاح
وبلا سلاح .. كان نصر الكادحين .. بلا سلاح
جمعوا الشباك .. وهللوا للرزق فى وجه الصباح
واستيقظت شمس الحياة ودف فى العش الجنـاح

***

حتى اذا غسـل الصباح بنوره وجـه الظـلام
وتثاءبت أبوابنا الكسـل وأخرجت النيـام
انسـاب للمينـاء جيش الزاحفين الى الامام
يستقبـلون بواخرا بين الرحيـل أو المقام
وسعوا اليهـا حاملين الخـير .. زادا وابتسام
حتى اذا حـان الوداع ورف فى الأفق الحمـام
نثروا عليها من قـلوبهم المحبـة والسـلام

واذا صباح شـــاحب الأضواء ·· مصفر الجنى
والشمس حين تسللت كانت مطاطاة الســـنا
وصحا الرجال على عواء القـــدر يفتك بالمنى
بالدار .. بالأطفال .. موت من هناك ومن هنـا
وانساب قطـــاع الطريق على الربى والمنحنى
كاللعنـــة السوداء ·· كالليل المدنس ·· كالخنا
تعوى مجاعة حقدهم ·· وتجر أشباح الفنـا

❊❊❊

وهناك بين خرائب ثكلى ·· ودور معتمـــه
اشـــلاء ام مزقتهـــا دمـــدمات مجرمه
وحيـــالها طفل يناديها عسى أن ترحمـــه
وتلقفتـــه هناك قضبـــان الليـــالى المعـــدمه
وبكى الصغير وعلم الدمع المعذب موســـمه
فتـكاد تمسح دمعه تحت التراب الجمجمـــه

❊❊

وسعى الرجال الطيبون بخطو جبـــار كفر
عشقوا السلام ·· وآمنوا بالحب يحتضن البشر
لـكن لأجل كرامة الانســـان ·· والوطن الأبر
القوا شـــباك الثأر ·· ترتجل المنـون ·· وتعتذر
وانهار قطـــاع الطريق كعقـــد ذل منتثر
وتســـللوا كقطيع جرذان يطـــارده القـــدر
وغدوا بقـــايا قصـــة ملعـــونة بين البشر

❊❊❊

وأتت جموع الطيبين الصـــاعدين الى الشروق
تلقى بجيفة مجدهم لليـــل ·· للبحر العميق
كجنـــازة ما شيعتها دمعـــة ·· وبلارفيق
وانداح صـــناع الحيـــاة الى غـــد حـــر وريق
كالنحـــل يعصر عمره ليذوب في معنى الرحيق
وأتى مساء زركشته نجومـه بسنـــا البريق
وتبرجت بضـــيائها حتى مصـــابيح الطريق

❊❊❊

وآلشـــط نام على ذراع الليـــل ·· يستملى فتونه
عريان من صخب الضحى ·· لـكن تلفعه السكينه
والموج يقظان ·· يوشوشه ·· يبلغه حنينـه
والريح متعبة الخطى تشدو بهمهمـــة حزينـه
والليل يعبث فيه مصباح تارجح فى ســـفينه
وعلى جبين المجد نامت بورسعيد ·· بلا ضغينه
الحب مهد سريرها ·· والقـــاب اودعها عرينه

ابراهيم عبد الحميد عيسى

القصة عند العرب

للأستاذ عبد الحميد ابراهيم محمد

انطلق الاستعمار في العصر الحديث يتسلط على شعوب الارض ، معلنا ان الله قد انتدبه للنهوض بالبشرية ، وتعمير فاسدها .

وكان لابد ان ترادفه نظريات تؤيد وجهته ، فاندفع بعض الباحثين يقسمون العالم الى اجناس، فهذا جنس آرى ممتاز ، قد منحه الله الدهشة للعالم ، وافاض عليه العاطفة المشبوبة ، والخيال الواسع، فاخرج للانسانية القصص الرائع ، والمسرحيات المبتكرة ، وذاك جنس سامى ، لم يوسع الله عليه، فحرمه الخيال المبتكر ، والعاطفة الخلاقة ، فلم يبتكر قصة ، ولم يخلق مسرحية ، يقول ارنست رينان : « .. الشعر العربى الذى تمثله القصيدة يعبر عن احساس شخصى وعن حالة نفسية خاصة، والابطال فى هذا الشعر نفس منتشية ، وهذه الصفة الشخصية التى نجدها فى الشعر العربى والشعر الاسرائيلى ترجع الى خصائص اخرى من خصائص النفس السامية ، **وهى انعدام المخيلة الخالقة ، ومن هنا لانجد عندهم آثرا للشعر القصصى أو التمثيلى** » .

والحق ان نظرية الجنس هذه ، أو نظرية الحق الالهى التى تمنح جنسا وتمنع آخرين ، يدحضها الواقع العلمى وتبطلها الدراسة المقارنة للحضارات الانسانية ، ويفندها كثير من المستشرقين المنصفين، واخيرا يقضى عليها الواقع التاريخى للعرب .

فالواقع العلمى لم يثبت فروقا فطرية بين شعوب الارض ، فالكل لآدم ، والكل مشتركون فى الهبات الانسانية . ففى المادة ٩ من « بيان عن طبيعة الجنس والاختلافات الجنسية » الذى وضعه علماء الانثربولوجية وعلماء الوراثة بدار اليونسكو بباريس ، وقد نشر فى كتاب (ما هو الجنس) الذى ترجمه الدكتور يوسف أبو الحجاج استاذ الجغرافيا المساعد بكلية آداب عين شمس — جاء فى هذه المادة :

ب — لا تكفل المعلومات العلمية المتوافرة لدينا اى أساس للاعتقاد بأن مجموعات النوع البشرى تختلف فى مقدرتها الفطرية على التطور العقلى والانفعالى .

د — حدثت تغيرات اجتماعية هائلة لم تكن مرتبطة بتغيرات فى نوع الجنس ، وهكذا فان الدراسات التاريخية والاجتماعية تدعم الرأى القائل بأن الاختلافات الفطرية قليلة الاهمية فى تحديد الفروق الاجتماعية والثقافية بين مختلف مجموعات الناس .

والدراسة المقارنة للحضارات تثبت ان الحضارة قسمة بين شعوب الارض ، فقد كانت الحضارة عند المصريين الفراعنة حضارة مادية ومعنوية ، شيدت الاهرام ونادت بالتوحيد ، ثم انتقلت هذه الحضارة الى اليونان وهناك من اثبت بادلة يقينية ان اليونان فى دياناتهم وآدابهم تتلمذوا على المصريين القدماء ، واثبت أن هوميروس فى الالياذة اقتبس بل وأخذ كثيرا من القصص المصرية وأدخلها فى ملحمته . ومن هؤلاء فيكتور برارد الفرنسى مترجم الالياذة وشارحها . ثم كانت الحضارة الرومانية طبعة جديدة للحضارة الاغريقية ، ثم تمثلت الحضارة العربية الاسلامية نتاج الحضارات السابقة ، فكانت خلقا جديدا . واخيرا — وليس آخرا — جاء الدور على الاوربيين ، فظهرت الحضارة المعاصرة التى ساهم فيها التراث الاغريقى ، كما ساهم فيها التراث العربى ، لان الحضارة العربية كانت ، ولا تزال — كما جاء فى مقال لجورج سارتون نشر بالمجلة يوليه سنة ١٩٦٣ — الى حد ما قنطرة ، وقنطرة رئيسية بين الغرب والشرق، فعبرها أخذت طريقها الى اوربا ، الأعداد والجيوب الهندسية ، والشطرنج من الهند ، والحرير والورق والخزف من الصين .

على ان فريقا من المستشرقين المنصفين لم يسلب العرب حقوقهم الطبيعية ، فقد حاول المستشرق «جب» ان يظهر اثر الادب العربى فى الآداب الغربية ، وبخاصة فى أدب القصة فى القرون الوسطى ، فوفق الى ذلك توفيقا كبيرا فى بحثه القيم فى كتاب « تراث الاسلام » .

ثم ان الواقع التاريخى يظهر ان العرب قد عرفوا القصة فى مختلف عصورهم ، وانهم توصلوا الى انواع مختلفة من القصص ، وأفانين متنوعة من الخيال .

وربما انكر المنكرون معرفة العرب للقصة ، وفى ذهنهم تلك القصص الفنية فى العصر الحديث ، فحين بشر « بو » — كما جاء فى دائرة المعارف البريطانية — بنظريته عن الوحدة فى القصة القصيرة لم تلق آراؤه آذانا صاغية الا بعد مرور اربعين سنة .

على ان القصة ـ بمعناها الواسع ـ عرفها العرب في مختلف عصورهم ، فهناك مثلا أساطير كثيرة ترددت في العصر الجاهلي ، كتلك الاساطير التي نسجت حول « لقمان بن عاد » فقد تزوج نساء عدة ، كلهن خنه ، الامر الذي عقد سلوكه نحو النساء ، واخيرا ـ كما ذكر صاحب مصارع العشاق ص ٣٨ ـ تزوج جارية صغيرة لم تعرف الرجال ، ونقر لها بيتا في سفح الجبل ، وجعل له درجة بسلاسل ينزل بها ويصعد ، فاذا خرجت رفعت السلاسل ، حتى عرض للجارية فتى من العماليق ، وتحايل حتى استطاع أن يصل اليها وانتهى الامر بخيانة الجارية وانكشاف الامر للقمان .

ونزل القرآن بنحو خمسين قصة عبرة لأولي الألباب ، وقد أولع العرب بهذه القصص ، وانطلق المفسرون والقصاصون يرضون فيهم تلك العاطفة ، فأخذوا يفيضون في تفسير تلك القصص ، مستعينين بقصص أهل الكتاب وما تداوله الناس في العصور الماضية .

وفي العهد الاموي كثر في الحجاز نوع من القصص عبر خير تعبير عن الظروف السياسية والاجتماعية التي ابتلي بها الحجازيون في ذلك الحين ، وهي تلك القصص التي نسجت حول العشاق ، ولاسيما العذريين منهم من أمثال : المجنون ، وجميل ، هذا النوع أسميه « قصص العشاق النثرية » . وقد اتخذتها موضوعا لتحضير رسالة الماجستير في كلية دار العلوم .

وفي العصر العباسي حين انتشرت فلسفة ماني واباحية مزدك ، وسفر الفجور والظرف ، وطفح الشذوذ والانحراف ، شفت القصة عن تلك الحالة الاجتماعية ، فظهرت الوان من قصص الادب الصريح ، أو ما نسميه الادب المكشوف ، ونظرة يسيرة الى أسماء بعض الكتب ـ كما في فهرست ابن النديم ص ٤٢٥ ـ تكشف لنا عما تحتويه هذه الكتب ، ككتاب قصص النساء والباه ، وكتاب البغاء ولذاته ، وكتاب السحاقات ، وكتاب المخنث والفتاة التي عشقته .

وهكذا نجد ان القصة تواكب كل العصور العربية ، فالعرب لم يحرموا الخيال المبتكر في أي عصر ، ولم يكن خيالهم ضيقا محدودا ، بل كان متنوعا واسعا ، فالقصة اتخذت عندهم أمشاجا مختلفة ولبست مسوحا متنوعة فهناك القصة ذات الطابع الفلسفي ، كرسالة التوابع والزوابع لابن شهيد التي يعدها كثير من المستشرقين ذات بدرة فنية مبكرة ، وهناك القصص ذات الصبغة الحكائية ، كالحكايات الغنائية ، والحكايات الفخرية ، وقد جمع الاستاذ محمد احمد جاد المولى وزميلاه تلك القصص وصنفوها في كتاب من اربعة أجزاء ، سموه « قصص العرب » ، وهناك القصص ذات الصبغة الملحمية ، كقصة عنترة وسيف بن ذي يزن ، وهناك القصص ذات الاتجاه الاجتماعي كالمقامات ، وهناك القصص ذات المنحى الديني والغاية الهادفة كقصص القرآن .

بالرغم من كل هذا فان أدباء العرب أولعوا بالشعر ، وصرفوا اليه جل اهتمامهم ، وأشبع نقادهم فيهم تلك النزعة ، فطفقوا يتحدثون عن العروض والقافية ، ويؤلفون في الموازنات والوساطة ، ويكتبون عن الشعراء وطبقاتهم ، قال صاحب العمدة ١/٤ « وكل منظوم أحسن من كل منثور من جنسه في معترف العادة ، الاترى ان الدر وهو أخو اللفظ ونسيبه اذا كان منثورا لم يؤمن عليه ، ولم ينتفع به .. فاذا نظم كان أصون له من الابتذال واظهر لحسنه .. »

ولهذا لم يهتم أدباء العرب بالقصة اهتماما ملحوظا ، فانحصرت القصة الفلسفية في فئة معينة ، ولم يقصد من الحكايات الا التسلية وتزجية الوقت واحتقروا قصص عنترة وامثاله ، وانحرفوا بالمقامات الى المماحكات اللفظية والاستعراضات اللغوية ، وحشو القصص الديني بالاسرائيليات والمبالغات ، ولم يحاول نقادهم اثراء هذا الجانب ، او توجيه الادباء الى هذا المنحى ، فلم يتحدثوا ـ حديثا جديا واسعا ـ عن الفن القصصي وعناصره ، ولا عن القصاص وطبقاتهم ، ومن أجل هذا لم تصبح القصة عند العرب قالبا تقليديا يتوارثه الخلف عن السلف ، يفرغ فيه الأدباء شحناتهم ، ويستعرض فيه النقاد قرائحهم ، لم تصبح القصة قالبا تقليديا الا في مطالع هذا القرن حين اتصلنا بالغرب ، واطلعنا على مظاهر النهضة ، فانطلق الأدباء يكتبون ، والنقاد يقيمون ، وتعددت المذاهب ، وتنوعت السبل ، حتى كادت القصة ، أن تغطي على الشعر وتحجبه

وقد آن الأوان لكي يهتم نقادنا ، ويجد باحثونا في الكشف عن هذا التراث المطمور ، والعناية بهذا الجانب المغمور ، حتى تدفع قالة المتقولين ، وأرجاف المرجفين .

عبد الحميد ابراهيم محمد

خواطـر وآمـال

للمستشار أنور حجازى

- ٤ -

وحرص الحاكم اشد الحرص على أن يرتفع بمفهوم الوحدة الى مستوى الايثار والتضحيه والمعاونة ، وتمثل ذلك جليا فى زيارة له فى أقصى الشمال ، فى سوريا ، لما لمس حاجة الناس لمياه الشرب من جوف الآبار والعيون ، ولم يكن فى خزائن الاقليم السورى ما يوفر للقوم تلك الآبار ، فاستقطع الحاكم « رئيس الجمهورية العربية » مليونا من الجنيهات من خزائن الاقليم المصرى ، الذى خصص لمشروعات حيوية ولازمة ، ودون تردد او ابطاء ، فكان ايثارا كالافتداء سواء بسواء توارت به كل العوائق والعقبات .

جنيهات تقدم بها عرب الى عرب يفتدون بها اخوة مسهم الظما ، ومست الحاجة ، فاقتضى الامر معاونة وايثارا وتكريما ، ونضحت الآبار ماء طهورا سقى منه الظامئون ، وانبت الزرع ، واحيا الآمال فى النفوس المؤمنة المطمئنة .

وهكذا انبثقت ابان الوحدة امارات رائعة للايثار والافتداء والمؤازرة ، تجلت فى سلوك الحاكم ومعاونيه — وفى سلوك الأفراد والمواطنين العرب فى كل قطر وفى كل مكان ، فتقاربت نوازع الحس العربى فيما بينهم ، وتوثقت الالفة بالتعامل والتودد والمصاهرة ، وظل الاتحاد قويا وثيقا ، وان تعرض فى ثنايا الايام لما تتعرض له علائق الاخوة وذوى القربى من تنافر يسير فى وجهات النظر ، او الخلف اليسير فى الراى والفكرة احيانا ، مثل ذلك الذى يثور فى مجالات كل دولة وكل حكومة .

وانتكست الوحدة التى اقامتها القوى الشعبية الراغبة انتكاسا مهينا موقوتا ، يتعثر فى كل يوم ، وتخور قواه كلما تعرض لامتحان النزعات الشعبية الواعية ، التى صارعت قادة الانتكاس وصناعه حتى اهتزت مصاريع الزمام فى ايديهم اهتزازا عنيفا فلم يجدوا مفرا من مداراتهـا ومهادنتها بالزيف تارة والبهتان تارة اخرى ، ثم لبسوا مسوحا غير مسوحهم الحقيقية ايهاما وتضليلا لبوا ثاب الوحدة والعروبة فى زيف مفضوح فانكر عليهم ذلك المجاهدون الصابرون المخلصون ، وابوا ان تنطلى عليهم الفرية فراحوا يباغتونها فى كل مناسبة بكشف الستر وتحدى قوى الشر التى تحصنت بسلاح الدولة وجاه السلطان ، ولكن المجاهدين المؤمنين استرخصوا الحياة لتنتصر دعوة الحق التى آمنوا بها « وحدة العرب فى عصبة يتكامل بها قدرها واعتبارها لتكون حصنا حصينا ورجاء مأموما ، وسبيلا للعزة والفلاح » .

التقى هؤلاء البسلاء الاشداء بالحاكم الموقوت الذى نصب نفسه على شان الحكم فى ظلمة الضلال ، وتوسل اليه بالتضليل والتعمية والبهتان ، التقوا به فى صراع متتابع اقض مضجعه وارقه حتى تعطلت مقومات الحكم ومقدراته ، مما اضطره الى تحريم مناهل العلم على طلابها كما عطل كثيرا من النشاط الثقافى والتربوى بالنسبة للشعب السورى الحبيب

ولم يفزع الحاكم الغاشم لكل ذلك ، بل افزعه وروعه أن ترتد السلطة الى بنى الشعب المخلصين وصوان حقوقه ، كما افزعه واشتد به الفزع أن يتخلى عنه السلطان ومظاهر الجاه ، فانتفض كالمحموم وصار بسلوكه الى مصائر الظالمين وانطلق مسعورا يبطش وينتقم ، ويقاوم المؤمنين بالسلاح والنار حتى راح منهم نفر كثير ضحية النزق والتجبر والافتئات .

ولكنه كلما ازداد فى غيه اشتد الايمان لدى العرب بحقهم فى وحدة شاملة هى أملهم المنشود فى كل حين وفى كل البقاع ، ولم يقنطوا ولم يهنوا ، بل وطدوا العزم على نصرة ترتفع بها اعلام الوحدة وتلتئم العصبة ويجتمع الشمل .

لم تفزعهم الكوارث التى حاقت بهم ، ولم تجزع الام الثكلى او البنت التى فقدت عزيزا لديها . ولم تجزع الاسرة الواحدة التى فقدت فتيانها الثمانية وهم فى عمر الزهور وفى أحلى ايام الحياة « اسرة الاتاسى » تلك الاسرة الكبيرة فى عروبتها ، الكبيرة فى وطنيتها ، الكبيرة فى كل شىء حتى فى الاستعلاء بمستوى الوطنية العربية الى حد التضحية والافتداء

واى سمو فى التضحية ابلغ من هذا الايمان العميق الذى يفتدى بالارواح ، انما هو سمو ابلغ من المعجزة واقوى من القدرة القادرة ذاتهـا حين يستعان بكليهما فى مجال التدليل والبرهان على قوة الايمان : الايمان بالوحدة العربية ، والايمان بقداستها وما تطوى عليه من خير وفلاح ، ايمان استلزم جهادا ومجاهدة فقدموهما فى صورة من صور الافتداء بالروح والمال والولد ، قدمت كلها طواعية

واختيارا بلا خوف او تردد ، مثلهم مثل جند الله الذين نذروا انفسهم لنصرة دعوة الحق وتدعيم اركانها فى العالمين أو يهلكوا دونها .

وفى مناسبة ذكر الانفصال الموءود نذكر اياما لا تنسى ،اياما عشناها مع ذكريات بعض العائدين من سوريا الحبيبة يوم وقعت الواقعة واعلن الانفصال المشئوم ومن بينهم العامل والقاضى والموظف ، يوم اضطروا لمغادرة الاقليم السورى وهم فى سبيلهم الى مصر ، تلقاهم اللبنانيون فى رعاية بالغة ، وحفاوة صادقة ، وقدموا لهم العون والمؤازرة ، والطعام والشراب والعلاج دون مقابل او ارتقاب جزاء ، وتبارى الاهلون فى هذه الرعاية وانفردوا بها دون الرسميين ، سواء من حكومة لبنان أو سفارة الجمهورية العربية المتحدة ، وعاد الجميع بعد استضافتهم المزودة بالرعاية والحفاوة والتكريم شاكرين لاهل لبنان نبلا وكرما وحسن لقاء، اماط اللثام عن حب دفين بين العرب اجمعين تبدى جليلا جميلا حقيقا بالذكر والتنويه تسجيلا وحمدا وثناء

يحكى زميل ناشىء كان فى مهمة قانونية فى سوريا، يحكى انه عاد مع العائدين ، وعلم من بعض المستقبلين من رجال سفارتنا فى لبنان انهم أعدوا لهم بمعاونة الحكومة المأوى وكل ما يتيسر به امر الرحيل ، واذا بالمفاجاة تذهله عندما حملت حقائبه فى اصرار وتودع فى عربة خاصة مريحة ويحمل هو وزوجته الى بيت عربى كريم والداعى لهما واحد من اللبنانيين الكرام ، ونزلا على أسرته فى اعزاز وتكريم ، وتسابق اللبنانيون فى هذا الصدد حتى لم يبق للرسميين من العائدين عدد يستوجب الاهتمام وتكريس الجهود .

ويضيف الزميل الى قوله ان جيران الاسرة اللبنانية لما علموا بفوزها باسرة مصرية تكرمها فى بيتها دخلوا اليها واصروا على أن يسهموا معها فى هذا التكريم ولما ابت عليهم ذلك جاءوا اليها بعشائهم وتحولت بهم وبجمعهم الى عشاء حافل زاخر بالود والتكريم ، فنسيت الاسرة المصرية الصغيرة وحشة احست بها صباحا تحولت آخر اليوم الى ايناس جميل وسعادة غامرة واحست الاسرة المصرية الصغيرة أنها بين اهلها وعشيرتها بل وصفها الزميل الناشىء بأنها مظاهرة فى سمو التودد غير المصنوع طفرت بها نفوس العرب تعبيرا وتأكيدا لامارات الحب الخالد المفروض .

وحرص الزميل على الا ينسى عاملا لبنانيا ارتفع بمفهوم المساندة والمؤازرة والتكريم الى مستوى التضحية والنبل وانكار الذات ، هذا العامل الذى قام بوضع حاجياتهم فى غلافات خشبية وقطنية بذل لها من وقته يوما كاملا ، ومن ماله قسطا لا تطيقه قدرة الكادحين العاملين مثله ، ولما الحفوا فى اداء الثمن ابى عليهم ذلك واصر على ابائه راجيا ان يحسب ذلك قسط منه للاسهام فى تخفيف آلام محنة طارئة تعرض لها بعض العرب لعاصفةموقوتة من صنع اللئام الذين اجادوا الصيد فى الماء العكر مدفوعين بحقد دفين ولده فى نفوسهم حرصهم الشديد على صوالح ذواتهم وتشبثهم بالتخلف عن الركب العربى الصاعد .

وكان العامل العربى يتكلم بلغة المؤمن بما يقول ، فعدل الزميل ومن معه عن عرض المال ، وطلبوا اليه معرفة اسمه وعنوانه حتى يكتبوا اليه شاكرين وليوثقوا بينهم وبينه معرفة تتخلد على الايام صداقة ووصالا ، ولكن اذ لمح من خلال الحديث ، رغم سمو المعنى المقصود مجرد احتمال تقديم الجزاء ولو معنويا ابى ان يقدم نفسه اليهم حرصا منه على اسمى معانى الايثار والتكريم وقنع بقدر من التعريف فى نطاق نعتز به ونفخر وهو انه أخ عربى وكفى ، ادى واجبا مفروضا فى مجال يقتضيه ويستدعيه .

عقبت على ذلك وعقب الحاضرون بأن من وصم الانسانية الحديثة بالمادية ونبذ المثاليات فقد اثم فى حق هذا العربى وامثاله اثما عظيما ، ولا غرو فالرجل من منبت عربى أصيل ، مسه من الرحاب ومن الجوار وارض الرسالات ما طهره وفضله وصيره انسانا سويا عرف معنى الايثار والتضحية والاخلاص ، فى صورة مثالية حقيقية بالتنويه والاعجاب ، لان العمل الذى قام به وعلى النحو الذى رسمه يجعله فينا مثالا يحتذى ، واملا للنشأ والاجيال كى يترسموا المعنى الطيب فى سلوكه ، ولا يكفرون حين يتعثر من بين الناس من يتنكب سواء السبيل ويحيد عن جادة الحق ، فالخير والشر قسيمان مقسومان ، ورمزان مقدوران ، تتشكل منهما الحياة وتنطوى عليهما ، ويظل كلاهما فى صراع متتابع ، والامل كبير فى أن ينتصر الخير دائما لان الحق فى جانبه ولان الحق عنوان عليه .

انور حجازى

في موكب العلم

المساهمة الاسلامية في الطب

للأستاذ نير واسطي
أستاذ الطب اليوناني والعربي بجامعة باكستان

- ٢ -

قناة المعدة

استخدم الاطباء العرب قبل الجميع قناة المعدة لاجراء عملية تطهير المعدة في حالات التسمم . وكانوا يعرفون تمام المعرفة مبادىء علاج العضو بالعضو ، وهذه الطريقة في المعالجة ، نسبت للدكتور براون سيكوارد الذي مارسها منذ خمسين سنة فقط ، بينما كان العرب مطلعين عليها تماما قبل عدة قرون قبله .

وكانوا يستخدمون دماغ الحيوان لمعالجة الخلل العقلي والخصى للضعف الجنسي ، وقد ورد وصف مفصل في هذا الصدد في كتاب « حياة الحيوان » .

وقد شدد ابن الوافد على المعالجة بواسطة مراقبة الغذاء (اى الحمية) واوصى رضى الدين بالاغذية المغذية لمعالجة الضعف والهزال . وسجل بهاء الدولة السعال الديكي لاول مرة سنة ١٥٠٧ ، بينما اكتشفته أوربا بعد عدة قرون . وكان على ابن ربان يعتبر عرق الانسر مرضا عصبيا ويصف الكي لمعالجته . وكان ابو الحسن الطبري اول شخص اعلن ان السل هو مرض ينتقل بالعدوى وانه لا يصيب الرئتين فحسب بل الاعضاء الاخرى ، أما مرض ورم الكلية الذي أطلق عليه اسم برايت بعد اكتشافه على يد الدكتور ريتشارد برايت في القرن الثامن عشر فقد اكتشف في الحقيقة على يد نجيب الدين السمرقندي منذ عدة قرون قبله . وقد شرح أيضا ان الزلال الابيض ينتقل الى البول ويصبح الجسم متورما . وكان ابو المنصور الحسن القمري في كتابه «غنى ومنى» قد كشف النقاب قبل عدة قرون عن «قراد الجرب» .

الجراحة

ادخل المسلمون في الجراحة تبديلات جوهرية .

وقد اخترع ابو القاسم الزهراوي عدة ادوات جراحية شرحها في كتابه « التصريف » .

وفي القرن الخامس عشر استعان شرف الدين سابونكو أوغلو من تركيا بكتاب التصريف ، ثم زاد عليه من خبرته مستشهدا بصور العمليات التي اجراها والتبديلات التي قام بها على الادوات الطبية .

وقد قدم ابن زهر (القرن الحادي عشر) في كتابه « التيسير » وصفا كاملا لعملية قصبة الرئة، بينما لم يرد اى ذكر لذلك في كتب اليونان . وكان ابن سينا أول من شرح معالجة ناسور العين (القرب) وادخل المحراف الطبي في مكان الجرح . وقد كان المسلمون أول من طبق طريقة التبريد لوقف النزيف ، وتقطيب الجروح بخيوط حريرية، وقد كانوا هم الذين بداوا في معالجة الجروح بالكي .

وكان الرازي أول شخص عمد الى استخدام الكحول في الاغراض الطبية .

وقد ساهم المسلمون مساهمة قيمة في جراحة العين ، واجروا جميع العمليات التي تجرى في ايامنا الحاضرة . وكانوا يعرفون تمام المعرفة اظلام عدسة العين الذي ينتج عن الكمدة العدسية. وقد استخدموا النظارات لمعالجة اختلال النظر وكانوا يضعون لها عدسات ذات قوى مختلفة .

وكان الرازي اول من اعطى شرحا لعملية استئصال اظلام عدسة العين ولوصف عكس القرنية للضوء .

وقد شرح المعلق على كتاب « الاسباب » في الفصل المتعلق باظلام عدسة العين ، الوصف الكامل لكل هذه الامراض التي تصيب العين . ونصح ابن سينا عند بحثه مرض السرطان ، لاول مرة بوجوب استئصال جميع الاجزاء المصابة والاوعية المحيطة به كلها عند اجراء العملية . وقد تحدث الاطباء

المسلمون لاول مرة عند وصف عمليات الجمجمة واجزائها عن عملية اللهاة والنواسير الانفية . وقد اخترعوا طريقة لازالة اللوزتين واخراج السائل من طبلة الاذن ، ونصحوا في حالة سرطان اللسان استئصال اللسان بكامله . وفي حالة التهاب مخ العظام اقترحوا ازالة العظم المصاب . وكان الجراحون المسلمون هم أول من أجروا عملية غلاف الاحشاء المخاطي واستخدموا طريقة آلة تروكال وقصبة كانولا لاخراج المياه . وكان ان طبقت الطريقة نفسها في ما بعد على يد فولر وبوتن . وقد وصفها بهاء الدولة بالتفصيل .

فن الولادات

لم يصل الينا سوى النزر اليسير عن اليونان في صدد فن الولادات وكان العرب هم المخترعين الحقيقيين لهذا الفرع من فن الطب . وكان ابو القاسم الزهراوي أول من وصف في كتابه « كتاب التصريف » وضع الجنين . واخترع طريقة تكسير الجمجمة لتخليص الجنين الميت ، وقد اجرى بنفسه مثل هذه العملية . وقد صور كتاب « الآثار الباقية » الموجود في مكتبة أدنبره طبيبا عربيا وهو يقوم بعملية القيصرية .

اما المساهمات التي قام بها المسلمون باكتشافهم ادوية جديدة ووسائل علاجية فهي كثيرة في عددها وفي قيمتها . وقد خصص جرجي زيدان في كتابه « تاريخ التمدن الاسلامي » (الجزء الثالث) فصلا كاملا لهذا الموضوع .

وكان الرازي أول من طبق عملية تبريد الراس في معالجة داء السقطة ، واستخدام الماء البارد في معالجة الحمى المحرقة (التيفوئيد) . وكان ابن سينا اول من اوصى باستخدام فرش الماء للمريض بالتيفوئيد . وكان ان طورت هذه الطريقة في مابعد بشكل انابيب لبثل ، واكياس الثلج التي تستخدم في ايامنا الحاضرة .

فن الصيدلة

اما في ما يتعلق بفن الصيدلة فقد قدم العرب خدمات قيمة . فقد اكتشفوا الخواص الصيدلية لاصل الراوند والكافور والسنا . ومارسوا استخدام البنج في الطب . واستحضروا السكر واستخدموه في العسل ، وقد استعانوا بالاعشاب الهندية في علاجاتهم . واكتشفوا عددا من الاعشاب المفيدة التي لم تكن معروفة للاطباء اليونانيين . وقد اخترع الرازي مرهم الزئبق . وقد وضع اول كتاب عن الاعشاب اليونانية على يد ابن الموفق بالفارسية وعنوانه « كتاب الابنية عن حقائق الأدوية » يحتوي على وصف ٥٨٥ عشبة فقط . وقد رفع بعده ابن البيطار في كتابه « المفردات » هذا العدد الى ١٤٠٠ . وكان علم الصيدلة متطورا جدا عند العرب . وقد الفوا جميع أنواع الاشربة والمعاجين النباتية . وبدأوا باستخدام اقراص الطريفلات في المعالجات الطبية . وقد طبق العرب استخدام ورق الذهب والفضة عند لف الاقراص. وقد أدخل المسلمون لأول مرة طريقة دستور الأدوية (الاقرباذين) في العلم الطبي . وكان سابور بن سهل اول طبيب وضع دستور الادوية الذي لم يكن معروفا عند اليونانيين .

فن الكيمياء

اولى العرب اهتماما كبيرا للكيمياء . وفي الحقيقة هم مؤسسوها الحقيقيون ، وفي هذا العلم كانوا اول من شرح طرق الترشيح والتصعيد ، والتقطير والتبلر والتذويب

بل اصلحوا عدة نظريات يونانية قديمة . وكان يعقوب بن اسحق الكندي من احسن من محصوا الكيمياء اليونانية وانتقدوها .

كتاب الأدوية

يعتبر «كتاب الادوية» الذي الفه دسقوريدوس دليلا كبيرا على اهتمام العرب بالابحاث وتشوقهم للمعرفة في الادوية ، ويعتقد ان هذا الكتاب قد ترجم لأول مرة على يد استيفن بن باسيل على عهد الخليفة المتوكل بمراجعة حنين بن اسحق .

نظام الطب ونظرياته

اكتشف الاطباء العرب وقائع عديدة ثبت انها حقيقية في الابحاث الجرثومية الحاضرة . وان كل ما يتعلق بالعناصر والأمزجة والاخلاط والطبائع فقد حصرت باربعة وظل حصرها قضية لا يختلف عليها أحد بين العرب . وقد شرح ابن سينا بأن بعض الامور تتعلق بالنفسانيات بدلا من العلم الطبي ، ويتوقف الامر على الاطباء للتسليم بذلك او رفضه . وقد آمن الاطباء العرب بنظرية أن لكل شخص طبعه الخاص وهو يتأثر حسب ذلك . وقد

شرح ابن سينا هذه النظرية مفصلة . فقضية « الحساسية » فى العصر الحاضر تقوم فى الواقع على اساس هذه النظرية .

القوة الدفاعية

كان العرب عند معالجة احد المرضى يولون عناية خاصة للقوة الدفاعية عند الشخص . وكانوا يعتقدون عن حق ان الطبيب الحقيقى هو القوة الدفاعية الحقيقية للجسم ، وان مهمة الطبيب هى تقديم المساعدة لهذه القوة . وقد ايد ابن زهر الاندلسى هذه النظرية كل التأكيد .

وقد كان أهم عمل قام به العرب فى علم الطب هو تنظيم الفروع المختلفة لهذا العلم .

الآثار الأصلية

لقد قيل ان اهم مساهمة قام بها العرب هى ترجمة الكتب اليونانية على عهد الامويين والعباسيين ، وفى رأيى أن اعمالهم الاصلية التى تشكل الآن جزءا من مكتبات روما وباريس وانجلترا وتركيا هى مساهمات حقيقية . فقد بدأ العرب فى تصنيف كتبهم الاصلية فى مطلع العهد العباسى ، بينما كانت ترجمة الكتب اليونانية متقدمة فى بغداد باشراف حنين بن اسحق . وكان مؤلفو هذه الكتب ينتمون فى معظمهم الى مدرسة جنديسابور الفكرية . ومن ابرز هؤلاء المؤلفين سابور بن سهل وعيسى بن موسى ، ومن أهم كتب الأخير « كتاب من لا يحضره طبيب » . وهناك كتاب آخر لابن ماسويه هو « كتاب الحمية » المزود بالجداول والخرائط .

حرية التفكير

كان العرب مشهورين بصورة خاصة فى حرية تفكيرهم وبنظامهم التعليمى العملى فى علم الطب . وقد اعلن يوحنا بن ماسويه بصراحة فى كتابه « النوادر الطبية » انه لا يريد ان يتبع المبادىء القديمة لاسلافه دون وضعها موضع التجربة فى المعرفة والخبرة ، وان كل ما وجده مخالفا للتجربة والاختبار كان يرفضه .

الخلاصة لم يضع المسلمون فقط اسسا متينة لعلم الطب الحديث ، بل وضعوا ايضا بناء رائعا له . فهل نكون شرفاء ومنصفين اذا وصفنا هذه الفترة المجيدة فى « العصور المظلمة » ؟

نيرواسطى

تعقيبات

للأستاذ عباس خضر

السائقات الفاتنات لسن شاعرات

الاستاذ على الجندى شاعر مقتدر على التعبير الذى يمزج روح المأثور من الشعر العربى بأصالة الشاعر واكتسابه ، فينتج من ذلك قول ممتع ساحر .

وهو شاعر رقيق مرهف الشعور ، لا تفوته دقائق الحس ، وتسترعيه المواقف الشعرية الموحية .

ومن هذا الصور الطريفة التى جرى على رسمها من واقع الحياة العصرية ، كهذه القصيدة التى القاها فى مهرجان الشعر بالاسكندرية .

وهو انسان صافى النفس الى حد يأسرك بصفائه فلا تملك - ان كنت من أهل الصفاء ، وأنت كذلك - الا أن تكون له صديقا .

ولكنى ساضع كل هذا فى جانب واضع معه المعانى الجميلة ، والغزل الرقيق المشتمل على بعض المبتكر ، والصياغة التى تطوع وتستأنس النافر المستوحش من الكلمات ، والطرافة التى تجمع بين القديم والجديد فى مثل اعرابه لكلمة « تونس » - (ماركة السيارة) - وطرف وقعها على الاسماع فى المهرجان - **ساضع كل ذلك فى جانب ، وانظر الى جانب آخر ، هو المنحى القصصى الذى نحاه فى القصيدة .**

قدم لها بهذه المقدمة النثرية :

« كنت أسير فى بعض ميادين القاهرة ذات صباح مبكر ، فكادت تصدمنى سيارة تسوقها فتاة ممن تسميهم الصحف (السائقات الفاتنات) وقد سلمت من الموت ، لكننى لم أسلم من الفزع ، فقد سقطت على الارض وانا مؤمن اننى أصبت اصابة بالغة . وكانت مجاملة رقيقة من السائقة الفاتنة ان تطل من سيارتها (التونس) الجديدة فتطمئن على ، وقد تغمدت ذنبها بالصفح الجميل تكرمة لها ، وبخاصة اننى عرفت انها تنظم الشعر وانها تروى لى بعض الأشعار » .

والقصيدة نفسها تقص علينا الواقع ، وان كان واقعا شعريا غير مجرد السرد النثرى ، فلم تكن ثمة حاجة الى المقدمة الا ما يقتضيه الوقوف امام جمهور من آلاف الناس ذى مستويات مختلفة بعضها لايدرك الواقع من الشعر .

بدأ بسبعة أبيات اولها :

يا رقة الحسن أين رقته ... وأين اشفاقه ورأفته

لولا يد الله امسكت يده ... قضت على الغداة قسوته

ويبسط فيها المعنى المبتكر الذى يتركز فى هذا البيت :

من نقل الحسن عن سجيته ... أاصبحت قسوة سجيته

ثم يأخذ فى القص فيقول فى عبارة تردد مثلها فى القديم :

يامن رأى ما رأيت من عجب ... تبقى بقاء الزمان جدته

ولكنه يتبع هذا بهذا الوصف الطريف :

سيارة فوق متنها رشا ... تطغى على الناسكين فتنته

يغنيه لو سار فى الظلام بها ... عن نورها - ثغره وغرته

وستعرف مما يأتى ، وعرفنا من المقدمة ، أن هذا « الرشأ » فتاة شاعرة ، ولكن الشاعر يقول :

يسوقها سوق عابث مرح ... فى فزع الراجلين لذته

ونرى أن العبث بالمارة والشعور باللذة فى فزعهم تفاهة لا تتفق مع الصفة الشاعرية ، من قول الشعر ورواية الاشعار عن الشعراء المجيدين من أمثال شاعرنا .

وبعد ذلك يخاطب هذا الرشأ السائق :

أخفتنى فانثنيت مرتعدا ... تفديك ممن أخفت مهجته

من ذا يغنيك يا مليح اذا ... الموت بقيثاره منيته

أنا الهزار الذى ملاحنه ... تسبيحه ، والجمال أيكته

ويلى هذا ثمانية ابيات فى الفخر ، بالشعر ، وبالعفة ، وبالنسب الى البيت النبوى الكريم ..

وهو يخاطب « الرشا » بذلك كله ، وبعده يقول:

قلت لها لاهنا اعاتبها ... ومدمعى تستهل عبرته

والذى قاله لها هنا غزل أو قصيدة غزلية رقيقة أعقبت تلك القصيدة الفخرية .

والذى نتصوره فى موقف تصدم فيه سيارة رجلا ، فيقع على الارض ويبكى من الفزع - هو أن

يتجمع الناس ، وكل يقول كلمة ، ويأتي الشرطي ، ويطلب الاطلاع على (الرخصة) وما الى هــذا من الاجراءات ، فهل من متتفي هذه الحــال أن يقف الشاعر بين يدى السائقة الحسناء وينشدها فخرا وغزلا في قصيدة من نحو عشرين بيتا ٠٠؟!

ومن تمام تصورنا للموقف أن تجزع الفتاة نفسها خوفا من المحاكمة والقصاص ، أو على الأقل حزنا على الشاعر الذى تروى شعره وتقدره ، وبخاصة أنها من اهل فنه ؛ ولكن الشاعر يقول لنا بعد انتهائه من التغزل في حسنها وخوفه عليها من أن يقتص منها :

فهز زهو الجمال قامتهــا
كالغصن هبت عليه نسمته
واستضحكت والحياء يغمرها
وقد زهت في الخدود حمرته
ورف در حواه مبسمها
تكاد تعشى العيـون ومضته

الى آخر غزل آخر ٠٠٠ وأخيرا نطقت :
تقول :
هــذا الذى نطقت بســه
شعر كسجع الحمام رنته

وبقية ما قالته « الشاعرة » للشاعر « المصدوم المفتخر المتغزل » ـ ان هذا الذى تحاول أن تخلبنى به شعر فيه تمويه لا يؤثر فينا :

أقصر فليس النسيب يفتننــا
ما كل قلب تصاد حبته
وان تكن شاعرا فان لنا
شعرا الى البــابلى نسبته

وقالت له بعد ذلك ان الجمال له قانونه «المعتلى» فهو « يميت من شاء كيف شاء » ، وختمت قولها بأنه يجب عليه أن يموت في الغرام مثل « عروة » ٠٠!

ثم راحت « تستحث تونسها » أى سيارتها التى من « ماركة التونس » فوقف يستأنف الغزل بأبيات أخرى ٠

وهكذا نرى أن الصورة التى رسمها الشـــاعر للرشا ٠٠ أو للسائقة الفاتنة ، تنطق بانهــا فتاة تافهة لا يمكن أولا أن تكون شاعرة ولا تصلح لان تردى أشعار على الجندى ٠٠ ثم هى ثانيا غير جديرة بأن يفتتن بها شاعرنا الرقيق ٠٠

حكاية صديقى الاسود

وعلى عكس الاســـتاذ على الجندى نرى الشاعر الشاب محمد الجبار ٠ لا يزال هذا الشاب يعانى التعبير الشـــعرى مجتهدا ؛ يعمـــل على تطويعه لنا في احساسه من طاقة كبيرة وما لديه من ادراك **سليم لمقتضى البنـــاء القصصى فى القصــيدة ٠**

وأتوقع منه انتـــاجا أكثر نضجا وخاصة من ناحية الصياغة وعدم الاضطرار الى ما لا يحسن فيها ٠

ألقى محمد الجبار فى المهرجان قصيدته « حكاية صديقى الاسود » وتتلخص هذه الحكاية فى أن رجلا اسود مر بكوخ فرأى فيه فتى أبيض جريحا ، فضمد له جرحه ، فلمـــا افاق الابيض من غشيته ورأى الاسود بجواره زجره وسبه ، وجعل الاسود يحدثه حديث الانسانية التى تجمعهما ، وقص عليه من شقائه قصة ابنته الطفلة التى قتلها رجل أبيض رآها تلعب مع ابنه ٠ ولكن الابيض لم يزدد الا ازدراء له ٠ وجاء جماعة من البيض فقتلوا الاسود ٠ ولم يورد الشاعر سببا لقتلهم اياه ، أو بتعبير أدق لم يهيىء جوا لهذه الجريمة ؛ فان مجرد محاولة علاج الجريح لا يصلح دافعـــا الى القتل ، يصح أن يسخروا منه ويحتقروه ويطردوه ، أما قتله فلماذا ؟

وكذلك أربعة أبيات بعد هذه النهـاية عن ثورتنا العربية ومقاومتهـا للتفرقة العنصرية ٠٠ **ويبدو من هذا التذييل ـ بعد اكتمال القصة ـ أنه متكلف ، وان كانت له فائدة من حيث اســتدرار التصفيق فى المهرجان ٠٠**

ومن رائع ما قاله الاستاذ الجبار فى هذه القصيدة هذه الابيات التى يحدث بها الاسود الابيض :

ربما نلتقى بقبر صغير
فاذا راحتـــاك فى راحتيــه
فلمـــاذا تريد صلحا بقبرى
ثم لا ترتضيه والنفس حيه
تلك ماساة عصرنا يارفيقى
نحن نرثى معا خطى المدنية
أحرام على جنى حصاد الارض
ياءمن تبيــع أرضى اليه
لو تشهيت لقمـة فى مكان
انت فيـه عز الرغيف عليه

وان كنا نلحظ فى البيت الثالث أن خطى المدنية فى غير موضعها ، اذ لا تعد منها التفرقة العنصرية ٠

وبقية ما آخذه على القصيدة فيما يلى :

يقول الاسود للابيض :

هل ترانى استشرت أمى لما
كنت سرا مع الغيوب الخفية
ان لونى حداد ليــل طويل
من خطايا الورى وذنب البرية

هذا اقرار بان السواد عيب ، واعتذار منه . وكان شاعر الشعب ذو الربابة أكثر توفيقا ولباقة وهو يدافع عن سواد أبي زيد الهلال بقوله :

« لولا سواد العين ما كان نورها »

فتح الابيض الجريح عيونا

مجفلات من أعين زنجية

لكل من الأبيض والاسود عينان اثنتان فقط ، لا عيون ولا أعين ..

يقول عن الاسود :

وانحنى غاسلا جراح أخيه

بدموع بيض النوايا سخية

مسألة الدموع البيض النوايا مبالغة غير مقبولة ، ولاسيما اذا كانت « سخية » فحسب الرجل ان يضمد الجرح .

يقول الاسود للابيض :

يضمد الجرح .

يا أخي لاتخف فجرحي شقيق

وسنا الفجر يلتقي بالعشية

العشية آخر النهار أو أول الليل ، وسنا الفجر في آخر الليل ، فكيف يلتقيان !

النقد محروم من جائزته

كان في جوائز الدولة للآداب التي احتفل بتوزيعها في عيد العلم هذا العام ـ كان فيها مكان خال ، هو مكان النقد الادبي .

فقد فاز بجائزة الدولة التقديرية الاستاذ الكبير محمود تيمور تتويجا له على جملة أعماله الادبية ، وفاز بجائزة الدولة التشجيعية في التاليف المسرحي الأستاذ علي أحمد باكثير ، وفاز بجائزة الدولة التشجيعية في التاليف للاطفال الاستاذ محمد سعيد العريان . وكان مقررا مع هذه الجوائز جائزة تشجيعية في النقد الادبي ، وفحصت الكتب المقدمة لنيل هذه الجائزة ، وتمخض الفحص عن كتابين ، هما « المدخل الى النقد الادبي الحديث » للدكتور غنيمي هلال ، و «النقد الادبي عند اليونان» للدكتور صقر خفاجة . وانقسم أعضاء لجنة الفحص الى فريقين كل منهما يناصر كتابا ، **والذي لوحظ أن المشاعرة كانت تتجه الى شخص المؤلف من حيث علاقاته بالاعضاء أكثر من اتجاهها الى الكتاب نفسه :** ومن الوسائل في ذلك أن الفريق المناصر للدكتور صقر خفاجة كتب في تقريره أن كتاب « النقد الادبي عند اليونان » امتداد لاهتمام الدكتور طه حسين بالادب اليوناني القديم وأن المؤلف جرى على مذهبه في ذلك لانه من تلاميذه .. **والدكتور طه حسين هو مقرر اللجنة وهو الاستاذ الكبير الذين يدين له بالولاء والاستاذية عدد من أعضاء اللجنة .**

وكانت النتيجة أن الكتابين لم يظفر أيهما بالجائزة ، لتعادل الاصوات ، أو لعدم بلوغ النصاب عند الاقتراع ، لا أذكر أي الامرين كان بالضبط ..

على أن هذه مقدمة لما اريد أن اقوله ، اوردتها لاهميتها في الدلالة على ما يسود مثل هذه اللجان من الاعتبارات الشخصية التي يجب أن تسلط عليها الاضواء لكشفها ، عسى أن تختفي من حياتنا وخاصة في مجال القيادة الفكرية .

أما الذي أريد أن اقوله بعد ، فهو اني الحظ أن هناك اختلاطا في مفهوم النقد الادبي بين هذا النقد وبين الدراسات الادبية ، وقد أعطيت جائزة النقد فعلا في المرات السابقة ، أو بالاحرى في المرتين السابقتين ، لكتابين في الدراسات أحدهما للدكتور ابراهيم أنيس والآخر للدكتور عبد الحميد يونس . وهناك جائزة تمنح للدراسات في دورها غير جائزة النقد ، **فتكون النتيجة أن الدراسات الادبية تاخذ الجائزتين ولا ياخذ النقد شيئا ..**

وهذان الكتابان اللذان وقع عليهما الاختيار لترجيح احدهما في الحصول على جائزة النقد الادبي ، أحدهما وهو « المدخل الى النقد الادبي الحديث » انما هو دراسة للنقد المعاصر وتقرير لنظرياته ، والآخر وهو « النقد الادبي عند اليونان » انما هو دراسة تاريخية للنقد عند اليونان ، أي **أن كلا منهما دراسة للنقد لا نقد .**

وسيقال : ان دراسة النقد داخلة في النقد ، وأسأل: هل دراسة الشعر مثلا تعد شعرا .. وتصلح لنيل جائزة الشعر ؟! وكذلك يقال بالنسبة للقصة وباقي فروع الادب .

فاذا كانت دراسة الشعر أو القصة ليست شعرا ولا قصة ، فكيف تكون دراسة النقد نقدا ؟

اني أقترح على لجان المجلس الاعلى للفنون والآداب المختصة ، أن تضع حدا بين مفهوم الدراسة الادبية ومفهوم النقد الادبي . وأعتقد أن الاجدى على حياتنا الادبية أن يوجه الاهتمام بصفة خاصة الى النقد الادبي التطبيقي الذي يتناول أدبنا ـ وأخص أدبنا ـ بالتتبع والتقييم ، لان هذه الناحية في حياتنا الادبية يعتورها النقص وتسودها الاهواء والجهالات .

عباس خضر

خواطر الأسبوع

للأستاذ محمد عبد الله السمان

مع الفكر القانوني الاسلامي

ان كل دراسة عن أصول الشريعة أو تراث الفقه الاسلامي ، لها عمقها في البحث ، وأصالتها في التفكير السليم ، من حقها أن تجتذبنا ، وتشدنا اليها، وتفرض علينا أن نمنحها جزءا كبيرا من فراغنا وما أكثر ما ألف الكتاب الاسلاميون المحدثون في هذا الميدان من مؤلفات ضخمة تفوق الحصر ، مترسمين خطى تراث سلفنا من فقهاء المسلمين ومفكريهم ، ولا شك أن المؤلفين المعاصرين قد أدوا خدمات جليلة لتراثنا ، وكانت مهمتهم شاقة مضنية ، فهذا التراث ظل أمدا بعيدا كالمادة الخام في حاجة الى تصنيعها وكالمال المكنوز في حاجة الى تشغيله ، والى أوائل هذا القرن كان تراث الفقه الاسلامي منزويا في ركن ضيق الى أبعد حدود الضيق ، اذ كان وقفا في دراسته وتدريسه على أروقة الأزهر . والجامعات الدينية الاخرى في الهند وشمالي افريقيا ، وعلى أفراد معدودين في كل بلد اسلامي دأبوا على البحث والتحصيل فنشأوا تلامذة لهم وأعدوا روادا صاروا في الطليعة فيما بعد .

ان كتابنا ومفكرينا المعاصرين لم تكن مهمتهم قاصرة - فحسب - على تحريك تراثنا من الفقه وأصول الشريعة وبعث الحياة فيه ، بل عقدوا دراسات مقارنة بينه وبين غيره من شتى الشرائع وعلى رأسها شريعة الرومان ، واستطاعوا بذلك أن يضعوا تراثنا في المكان اللائق به .

فاذا وقع بين أيدينا اليوم كتاب يتناول أصول الشريعة وتراث الفقه الاسلامي ، ومؤلفه ممن نثق في علمهم وسعة أفقهم ، وقدرتهم على النظر والبحث واحتمال طاقتهم على التعمق والتدقيق ، كان من حقنا أن ننتظر منهم شيئا جديدا على الأقل ، وهذا الجديد اما أن يكون تناولا لجانب لم يطرق كثيرا من قبل ، أو القاء أضواء على مفاهيم لم تمحص بعد

هذه مجرد خواطر جالت بذهني وأنا أتهيأ لقراءة كتاب جديد يقع في أكثر من ثلثمائة وخمسين صفحة لأخي **الاستاذ فتحي عثمان** عن : **(الفكر القانوني الاسلامي بين أصول الشريعة وتراث الفقه)**

والمؤلف معروف لقراء الرسالة وقراء المجلات الاسلامية الواعية ، ومعروف بمؤلفاته العديدة التي سبق أن زود بها المكتبة الاسلامية والعربية ، وفي مقدمة هذه المؤلفات : **أضواء على التاريخ الاسلامي ، الدين للواقع ، الفكر الاسلامي والتطور ، آراء تقدمية من تراث الفقه الاسلامي ، الدين في موقف الدفاع .**

الاستاذ فتحي عثمان اتجه في أبحاثه وفي مترجماته الى الفكر الاسلامي ، على الرغم من أنه قد تخرج في كليتي الآداب والحقوق ، وقد استطاع بما ألف وكتب أن يثبت وجوده ، وهذا اتجاه طيب له تقديره ، **فما أحوج الفكر الاسلامي** ، الى مستنيرين تأثروا بالثقافة المدنية - وأفادوا من **طريقها الثقافة الاسلامية ولا سيما اذا كانوا على صلة - لا تنقطع -** بالثقافة الغربية **قديمها وحديثها** ، والحق أننا نحس ونحن نقرأ للأستاذ فتحي عثمان - بسعة اطلاعه على انتاج الفكر الغربي ، وبعمق تفكيره في تناوله لتراث الفكر الاسلامي .

ان من حق قراء الرسالة علينا أن نعرض عرضا سريعا لموضوعات هذا الكتاب الجديد الذي نشرته مكتبة وهبة - بعابدين - قبل أن نناقش مدى ارتباطه بالجديد الذي نبتغيه من أي من الكتب الجديدة التي تتناول أصول الشريعة وتراث الفقه الاسلامي .

المؤلف قدم لدراسته في أربع وثلاثين صفحة ، وذكر في تقديمه : **أن رسالات الله جميعها هدفت الى اقامة العدل ، وأن العقيدة في الله جاءت أساسا لاحقاق الحق واقامة العدل ، وأن شرائع الله جاءت أيضا تقيم الحق وتجري العدل بين الناس ، وتوافق ظروف الناس الزمانية والمكانية ومطالبهم في تلك الظروف** ، وبعد أن انتهى الوحي لم يبق مجال للنسخ ، ولكن الاسلام لم يترك الناس لمرونة الأصول والنصوص فحسب ، بل فتح لهم نافذة تبيح للعقل البشري مزيدا من الحرية ، جاء هذا الفتح في نظرية **(الضرورات تبيح المحظورات)** مع تقديرها بقدرها ، وفي قاعدة **(تغيير الاحكام بتغير الازمان)** .

ثم انقسم الكتاب بعد ذلك الى اقسام ثلاثة : شريعة الاسلام : فلسفة وأصول في زهاء سبعين صفحة ، ومن تراث الفقه الاسلامي في مائة وخمس وعشرين صفحة ، وأخيرا : المستقبل الرشيد في أربعين صفحة .

في القسم الاول : **(شريعة الاسلام : فلسفة وأصول)** تناول خصائص ومميزات الشريعة ، ومنها : الربانية ، الشمولة والمرونة . الأحكام

المجملة ، النصوص المرتبة ، والاجتهاد بالرأى ثم المشـــورة وناقش أسـباب الاختلاف التى تعم القرآن والسنة ، والتى تعم السنة وحدها : كما تناول فى هذا القسم الاول من كتاب مصـــادر وقواعـد التشريع ، والقى أضـــواء بمثابة دراسة مقارنة بين شريعتنا والفقه الرومانى .

وفى القسم الثانى وهو اكبر الاقســام الثلاثة وأوسعها : (**من تراث الفقه الاســلامى**) تناول السياسة الشرعية ـ القانون العام : الدسـتورى والادارى ، فعرض لسلطات الحكم ، الخلافة ، أهـل الحل والعقد ، وزارة التفويض ووزارة التنفيذ ، أجهزة الادارة ، الحكم المحلى ، التشريع المالى وغير ذلك . كما تناول القصــاص والحدود التعزير ويجمعهـا (القانون الجنائى) وتناول المعاملات أو (القانون المدنى والقانون التجارى) وتناول الأحوال الشخصية وأصول القضــاء أو (المرافعات المدنية والتجارية والاجراءات الجنائية) .

وفى القسم الثالث والاخير : (المستقبل الرشيد) اعتمد على فصلين من كتابه (الفكر الاســلامى والتطور) فدعا الى فقه متطور لمجتمعاتنا المعاصرة ، حيث كتب دراسة مركزة ، ذكر **أنه يعرض فى بحثه هـذا لتطوير الفقـه الاسلامى ، وهو الفهم البشرى للشريعة ، والفهم متطور بطبعــه ، يتأثر بظروفه وامكانياته الفكرية والواقعية ، أما الشريعة نفسها فمنها نصوص محكمة ثابتة محددة ، لكن يحتفظ العقل ازاءها بمجاله فى الفهم والتطبيق ومنها قواعد كلية تتعاقب عقول الافراد والاجيال على فهمها واعمالها فى الجزئيات المتجددة وفق الظروف المتغيرة .**

واشار المؤلف الى التعثر الذى صادفته الثقافــة العصرية ، وجزء كبير من أسباب هذا التعثر راجع الى المثقفين العصريين أنفسهم فى سطحيتهم وتحيزهم ـ ازاء هذا التعثر أتيحت الفرصة لكى يعود الناس الى مناقشة قضية الدين ، والفكر الدينى ، ما دام دعاة الانصراف عن الدين لم يأتوا بالبديل السـعيد المرغوب ، ووجـد دعاة الدين آذانا مصـغية وقلوبا مهيئة لاستماع دعوتهم فى الرجوع الى الله ، فاقبلوا يعرضون الاسـلام بما يوافق طابع العصر الفـكرى والعلمى .

بعد أن اشار الى هذا عرض لقضية بعض المتحمسين الذين أتوا بخلاصة ما انتهى اليه الفكر الغربى ـ نتيجة لاحتياجات واقع المجتمع الغربى ومطالبــه ـ ليضعوها تحت عنوانات ولافتات اسلامية تنتزع من آيات الله أو احاديث رسوله المتداولة ، وهذه قضية على جانب من الخطورة ـ بالطبع ـ مسها الاســتاذ فتحى مسة خفيفة ـ وقد كانت فى حاجة الى تفنيد ، وأية خطورة أكبر من محاولة اخضاع نصوص الاسلام لتواكب مفاهيم غربية لها ظروفها وبيئاتها ؟

ودعا المؤلف فى نهاية القسم الى أن نصنع فقهنا ، وأشار الى : **أن أعلام الفقـه الاسـلامى لم يعيشـوا فى قيود الحروف التى وردت بها النصوص ، وانما عاشوا مع النصوص فى واقع اجتماعى وفكرى يفيض بالحياة والنماء .**

***

وبعد ـ فهذا عرض سريع لكتاب الاستاذ فتحى عثمان : (الفكر القانونى الاسلامى بين أصــول الشريعة وتراث الفقــه) فهل أتى المؤلف بجديد له معالمه الواضحة ، وما أثار من أفكار وما تناول من مفاهيم فقد استوعبتها كتب التراث بالتفصيل ، وما عرض له أحيانا من مقارنات فقد تضمنتها دراسات فقهـاء معاصرين ، اســلاميين وقانونيين ، ولو قــدر للاســتاذ فتحى عثمان أن يعرض لاحدى نظريات الفقه الاسلامى ، ويستوعبها دراسة . ويحيط بهـا احاطة شاملة ، لكان من حقه أن يستلهم تراثنــا ودراســاتنا المعاصرة ، وما يؤخذ على المؤلف بعض الأحيان اسرافه فى النقل ، حتى ليستوعب نقل جزء من النص بضع صفحات ، وأرى ان نقل النصـوص مستساغ اذا كان فى مجـال ازالة شـبهة أو دحض فرية ، أما اذا كان فى مجال تجميع الآراء فى المعنى الواحد فاجمال المقصود يغنى .

ان المؤلف ذكر فى آخر تقديمه للكتاب: أن الكتاب اجمال لجوانب هذا الموضوع الهام ، وهو ان استطاع ان يجتذب قارئا الى أمهات مراجع الفقه الاســلامى من أمثـال : الأم للشـافعى والخراج لابى يوســف ، والمبســوط للسرخسى ، والمدونة لسحنون والمحلى لابن حزم ، والموافقات للشاطبى ، والاحكام السلطانية للماوردى والمغنى لابن قدامة ..

وان استطاع الكتاب ان ينشر حول شريعة الاسلام نورا من المعرفة وآصرة من الود .. فقد لقى نجاحا يحمد صاحبه ربه على التوفيق اليه .

والحق أن المهم فى الكتاب هو ما أشار اليه المؤلف فى نهاية تقديمه ، فقد شدنا الى تراثنا الاسلامى العريق ، وأكبر فى نظرنا قيمة الفقه الاســلامى ودوره فى صياغة الحياة فى كل زمان ومكان .

اما مادة الدراسة نفسها ، وما تناولتها من قضايا فقهية ، فلنا وقفات ارجو ان يتسع لها الوقت قريبا للمناقشة القائمة على الرأى الواضح والحجة القاطعة .

محمد عبدالله السمان

الكتب - عرض وتعريف

يقدمه : تحسين عبد الحى

الفيلم والجمهور

تاليف : روجر مانفل

ترجمة : برلنتى منصور

يقدم لنا المؤلف فى هذا البحث دراسة قيمة عن السينما وتطورها منذ ان بدأت بالفيلم الصامت الى ان اصبحت بهذه القوة والشعبية والعالمية ... وفى مجال تقديمه للافلام الصامتة اشاد بجهود المؤسسين الاوائل لهذا الفن امثال د . و . جريفث وتشارلى تشابلن - وتوماس انس - وماك سنيت - وابل جانس - ويرى المؤلف **ان افلام هؤلاء الاعلام السينمائية الاوائل انما قدر لها ان تقاوم الفترة العصيبة الحالية التى نمثلها نحن . فان مآلها فى الغالب سيكون اسهل لدى الأجيال القادمة لانها ستحتل لديهم قيما تاريخية بجانب القيم الفنية .**

وذلك رغم ان عالم الفيلم الصامت كان عالما مزدوجا - وكان بعيدا عن عالمنا فى صمته ، وفى نفس الوقت موحيا بالعالم الحقيقى دون ان يتصل به اتصالا مباشرا - وذلك لانعدام الصوت - وان ظلال التصوير الجميلة لافلام الابيض .. الأسود .. او الانتماء لعالم مغاير لعالمنا عن طريق الفيلم ذى اللون الواحد - كل هذا زاد من بعد الفيلم الصامت عن الواقعية - ولقد كانت معظم هذه الافلام تافهة رخيصة - وميلودراماتيكية الا انها فى احسن صورها كانت فتحا جديدا فى طريق سرد القصة الروائية مما جعلها بشيرا بفن شعرى غنى ..

ولقد حقق الفيلم الصامت فى الفترة ما بين « مولد امة » سنة ١٩١٥ والأرض سنة ١٩٣٠ درجة كبيرة من النضج تميز به وكان جزءا من هذا كامنا فيه فانتهى معه . بينما صار الجزء الآخر تراثا للفيلم الناطق ولقد كانت الخاصية الاساسية له - كما شاهدنا ، تصوير - بلا كلمات - لعالم آخر غير عالمنا ، يترك - كما يفعل الباليه - الشىء الكثير لخيال الجمهور - وهذا القناع من الغموض الصامت مزقه دون رحمة مقدم الصوت الفج ففر الآلهة الصامتون من المعبد حيث عبدهم العابدون ، لأن القلة منهم هى التى تمكنت من أن تنطق بكلمة واحدة من غير ان تقضى على الوهم الجميل .. **وقد اخرج الصوت - الفيلم من عالم الظلمة فى صمته الاول الى ميدان مفتوح من العرض المباشر الواقعية - فاذا كان الفيلم الصامت فرعا من الفن التمثيلى يهتم اهتماما كليا بالفكر الانسانى وبالعاطفة والحركة - فقد عاقه اضطراره الى الاعتماد على حاسة واحدة وكان كل ما لا يمكن تحقيقه فى شكل صورة مرئية يجب قراءته حديثا مطبوعا على الفيلم - الامر الذى ثبت انه عملية جد بطيئة لا تتناسب فى سرعتها وسرعة الفهم والادراك الطبيعيين لدى الانسان .**

اما العواطف الكامنة وراء المناظر المختلفة فقد كان لابد من التعبير عنها بالموسيقى التى يعزفها بحيوية عازفو بيانو عديدون او فرق موسيقية مختلفة القدرة والمهارة - ولقد كان واضحا منذ البداية ان الفيلم باعتباره فرعا من الفن التمثيلى فى حاجة الى وسائله الخاصة به فى انتاج الصوت ولا سيما بالنسبة للحوار - ، فلم يكن من الميسور لهذا الفرع الجديد ان يقف فى مرتبة واحدة مع التمثيل المسرحى الحسى الا بهذا وعلى الرغم من أن تعبيرات الوجه وحركات الجسم يمكن ان تعرب عن الكثير فان اكثر

وسائل الانسان مرونة فى التعبير هى الكلمات ..
وفى مجال المقارنة بين السينما والمسرح يرى المؤلف أن على ممثل السينما ان ينمى لنفسه موهبة جديدة لايعرفها المسرح ابدا — وهى احساس مرهف دقيق بالمسافات — فاذا كان وجهه على ارتفاع اثنا عشر قدما على الشاشة مثلا — فيجب ان يتمكن من التعبير عن افكاره فى دقة ليس لها اى اعتبار على المسرح — كما يجب ان تكون هذه الافكار صادقة بالنسبة الشخصية التى تلعب دورها — وليس عليه **ان يعبر عن الحقيقة فحسب — بل يجب أن يكون** متاكدا من أن دوره يبدو وكأنه حقيقة — والا فان مكتشفى الكذب الماكرين وهما الكاميرا والميكرفون لا بد وان يشيا به .

والمسالة مسالة اسلوب — والأسلوب يحكمه التعبير لدرجة بعيدة — وان اهم شيء فوق خشبة المسرح هو الصوت — اما فى استديو السينما فهو العين ، وان التحول من الاهتمام بالصوت الى العين ربما كان اكبر .

والاختلافات الفنية كلها ما بين التمثيل المسرحى والتمثيل السينمائى وفىمجال الانتاج العالمىللسينما يرى المؤلف ان اهم مايلفت النظر فىمختلف الخلافات العالمية الأفلام السينمائية هو الاتجاه الى تصوير الحب — ولا شك فى ان جميع البشر يعترفون بضرورة الحب — بيد ان معظم الدول تميل الى الاعتقاد بان اتجاه الدول الأخرى الى الحب يتعارض مع اتجاهها هى — وهىجميعا تنتج افلاما عنالحب — باستثناء المناطق التى تكون فيها قيود التقاليد الاجتماعية والرقابة الشديدة — كما فى الأفلام الهندية —بحيث تحل الاكاذيب الطريفة مكان الحقائق عن العلاقة بين الرجل والمراة — ومن ثم فان كل دولةتسهم بخبرتها بأكثر التجاربالانسانية عمقا وهى عالمة بذلك احيانا وجاهلة له احيانا اخرى ولقد انقضت خمسونسنة — تمخلالها جعل الفيلم العادى وسيلة قوية معبرة — ولقد اصبح التصوير سواء بالأبيض والاسود او بالالوان رائعا ، كما اصبحت له ميزة كثيرا ما توحى المراى بالعمق الكبير — بيد انالتركيز الدراماتيكى للفيلم ، وقوته الحتمية كوسيلة درامية — سيظلان كامنينفىطريقة شبك الصورة بالصورة فى عملية المونتاج الهامة ، مما يجتذب المتفرج الىالاتصال الوثيق منالناحيتين الجسمانية والروحية بأبطال الرواية — فان عملية المونتاج هى اساس الفن السينمائى كما عرفناه مقترنا باختيار الاصوات وتركيزها — اىبالتلاعب الضيق بالكلمات والاصوات الطبيعية والموسيقى بينما يزيد الاطار الضيق المحدود للشاشة العادية من حدة الأحساس مما يهيىء للمخرج السيطرة التامة على كل تفضيل يجب ان يشعر به الجمهور .

وان مهمة السينما هى الترفيه عن طريق التسلية — وهذا الترفيه يجب ان يخلق شيئا جديدا ، ويجب ان يكون له نزعة انسانية تبعث الحياة فى العواطف وتوقظ القلب من سباته كما يجب ان يقوى من توقف المرء ازاء الحياة وانيوسع من مدى انسانيته . وعلى اقل تقدير ان يكون وسيلة جيدة لتمضية الوقت .

وعلى احسن تقدير يجب أن يكون تجربة رائعة تبقى مع الأيام . ويجب انيمكنهذا الترفيه الناس من أن يغادروادور العرض الىمنازلهم **وهم يشعرون بسرور وقد جاشت عواطفهم — ويجب ان يدمج الشخص فى قصته سواء كانت جدية خفيفة أو هزلية — مثيرة او مضحكة — ميلودراما او تراجيدية ، ويجب ان يكون الاندماج تجربة تعيد — الى حدود مختلفة — تغيير تركيب تربة الشخص — وتسمح بخلق جديدة .**

ويجب التسليم بان هنالك من انواع التسلية التى تقدمها دور السينما ما يهبط بالروح المعنوية للشخص بدلا من ان يرفعها . وما يسبب الضعف بدلا من القوة — والهزال العاطفى بدلا من الاثارة — وهنا يساء استغلال العاطفة وتمتهن العقول فىقلة من المظاهر العصبية التى لا ترضى الا احط انواع الذكاء ، وهو ما لم تعد تستسيغه السينما اليوم او فى المستقبل .

تحسين عبد الحى

البريد الأدبي

دمعة وفاء

على فقيد العلم والرسالة « فوزى الشتوى »

بلغت من العلم حظا رفيعا
وجست بعلك ظهر القمر

ودرت مع الشمس انى تدور
وعدت ولم تلق ادنى ضرر

وخاطبت فى الناس حر العقول
واظهرت للناس وجه العبر

رايتك « فوزى » امير العلوم
وغيثا تجمع ثم انهمر

ملأت الصحائف بالمعجزات
يؤيد قولك شافى الصور

وتسهب فى الشرح حتى تبين
وحتى توضح سر الفكر

فاشرق للعين رسم بديع
كنور الصباح اذا ما انتشر

عشقنا لاجلك روض العلوم
ونلنا بجهدك حلو الثمر

رصدنا « الرسالة » عند الطلوع
كروض ترصد صوب المطر

فكيف وانت علوت الطباق
تطيق البعاد ويصفو الكدر ؟

رحلت ، فحلت هموم الفراق
وكاد الفؤاد اسى ينفطر

واجدبت الروض بعد الرحيل
وناحت عليك فروع الشجر

عرفتك « شتوى » كثير الأناة
رضي السمات حميد الاثر

وكنت لصحبك نعم الرفيق
وكنت لاهلك نعم الابر

وجددت للناس عهد السداد
وعهد الرشاد وبعد النظر

كانك « جابر » يزجى الدواء
ويرسي الشفاء ويمحو الضرر

كانك « موسى » واولاده
احاطوا بكل جليل الخطر

عجبت لعقلك بين العقول
وانت يزاهى الشباب النضر

وغبت فغاب السراج المنير
وكادت تذوب قلوب البشر

ففى الخلد مثوى الحجا والرشاد
ونعم الجزاء ونعم المقر

محمود شاور ربيع
المدرس بكلية دى لاسال

رد على نقد

ولا تقربوا الصلاة ... ! فويل للمصلين ... !

هكذا كان نقد الاستاذ العوضى لقصيدتى التى أختيرت لمهرجان الشعر الخامس بالاسكندرية وهى عن التفرقة العنصرية نقدا أبتر وهاكم الدليل :

١ ـ قال الناقد : « وشاعرنا يخونه التعبير أحيانا »

واقول : « أين الشواهد ؟

٢ ـ وقال : « وتدعوه القافية الى مالا يستحب من القول كتشبيه الرجل الاسود بالفلفل الاسود » .

واقول : « ان ذكر الفلفل الاسود جاء تعمدا للاضحاك فالاسود بعد أن دافع عن نفسه دفاعا جدليا قاسيا أراد أن يخفف من وقع هذه القسوة فقال يمازح الابيض :

اخي خذ ، نكتة » بيضاء تضحكنا لكى نسعد .

وتنعش صفوناكم .. طال نوم الصفو بالمرقد

اقتطـــــار من الملـــــح

كاقة فلفل أســـود ؟

أخي اضحك لا تكن صخرا

وقبلني ولا تجمـــد ..

فليس في الامر سوى « نكتة » مقصودة لتلطيف الجو فحسب ..

٣ ـ وقال : « ثم يبلغ التعبير غايته من الاسفاف حين يهتف الشاعر :

فسبحان الذى أنشأ وسبحان الذى أوجد

واقول : « اترك هذا القول المؤمن الساذج الذى خرج من قلب أبيض لرجل أسود اترك هذا القول لعدالة القارئ، ليبحث فيه عن هذا الاسفاف المزعوم.

٤ ـ وقال : « في أكثر من أربعين بيتا ردد الشاعر معنى واحد وفكرة واحدة واذن فان هذا القصيد الطويل يغنى عنه بيت واحد »

واقول : « الله . الله أمعقول هذا ؟ واين هذا « البيت » السحرى ؟ الديك يا سيدى هذا البيت الجامع المانع واين كانت لجنة الشعر التى اجازت هذهالقصيدة ، القصيدة مبنية على الجدل المنطقى وتتناول الموضوع فى وضوح لا لبس فيه كما قال السيد الناقد وبداهة ان الاسود الذى يدافع عن نفسه سيلجأ الى ضرب الأمثال المختلفة لاقنـــاع خصمه .

٥ ـ ويقول الناقد : « ان الشاعر يترسم خطى ايليا أبى ماضى » يقصد قصيدته «الطين» .

وأقول : لا ترســم هناك فكل مافى الامـر أن القصيدتين تتناولان فكرة متشابهة وتقوم على الجدل المنطقى .

وأخيرا ... أقول للاستاذ « الوكيل » حسبنا الله ونعم الوكيل وأذكره أن يتم الآية والسلام .

محجوب محمد موسى محجوب
اسكندرية ـ القبارى

الى الاخ السيد مرسى منصور :

بعثت الى الرسالة برسالة مطولة كنا نود أن تنشر لولا ضيق صفحات البريد ، وهى بحق صادرة عن نفس طيبة وتفكير ســليم ، وتقديركم للرسالة وأستاذنا الزيات وكتاب الرسالة نشكركم عليه ، نسأل الله أن تكون دائما عند حسن ظنكم بها .

لقد عتبتم على فى أسلوب رقيق فأوردتم بعض عبارات من مقالين سابقين لى ، فى الاول : « مما لا ريب فيه أن النقد من مقومات الانتاج الفكرى أيا كان لونه واتجاهه ، فليس هناك عقل معصوم من الخطأ ، ولا مفكر يزعم أنه فوق النقد ، فاذا لابس النقد طائف من العاصفة ، أو جانب من الهوى فقد قيمته وأخطأ سبيله » وفىالآخر رد على من نقدوا مقالى (الرسول غنى عن هذا الاســفاف) : لم يرزأ الدين بمثل هؤلاء الذين لازالوا يمنحون أنفسهم القوامة عليه فيحملون على أكتافهم هراوات غليظة يتعقبون بها كل من لا تتفق عقليته وعقلياتهم فى جمودها ، ويطاردون بها كل من لا ينزل بتفكيره الى مستوى تفكيرهم فى ضيق أفقه .. مثـل هؤلاء نفايات تنسب نفسها الى الاسلام زورا .. الخ » ثم عقبت بقولك : قل لى بربك ، كيف نؤمن لمثل هؤلاء أن يكونوا قادة لنا فى الفكر وأساتذة فى السلوك ، وأنت تراهم على مثل هذا الحال الذى يثير الحليم، لا يملكون أنفسهم وقت الغضب وينسون ما يكتبون بعد أسبوع واحد ..

كنت يا أخى اود أن تقرأ وتسمع ما كتبه أولئك الذين كتبوا أو خطبوا ردا على مقالى : « الرسول غنى عن هـــذا الاسفاف » لتدرك أنهم لم ينقدوا الموضوع بالمرة ، انهم ـ فقط ـ كالوا ألوانا من الشتائم والسباب ، وأكداسا من الاتهامات بالزندقة والكفر والالحاد ، ومثل هؤلاء لو أسعفتهم ثقافتهم أن ينتقدوا نقدا موضوعيا لرحبت به ووضعت آراءهم مهما كان خطلها فوق راسى ، وأنا لم أوجه المقال الى واحد منهم أو اثنين وانما الى كل من يثيرون الغوغاء باسم الدين .

وبعد .. فأرجوا أن أكون عند حسن ظن أخى بعد هذا التوضيح والسلام ..

محمد عبد الله السمان

سنوات الرسالة القديمة

● لازال كثير من قراء الرسالة يبعثون برسائلهم مستفسرين عن سنوات الرسالة القديمة وأثمانها ، ونحن نفيد بأن الموجود من هذه السنوات ، العشر الاخيرة من ١٩٤٢ ـ ١٩٥٢ ، وثمن السنة مجلدة هو جنيهان مصريان .

قصة العدد

هو وابنته

بقلم الاستاذ حبيب الزحلاوى

قال لى بعد ان تعارفنا ٠ ان الركون الى القهوة ، واعتياد تدخين النارجيلة ، والجلوس ساعة او اكثر من ساعة فى التطلع الى احتراق الطبـــاق ، وتقلب المياه فى عنق الزجاجة ، واختناق الدخان يتكاثف ثم يتبدد ، ان جلوسى فىالقهوة أتطلع الى وجوه الناس وكأنى اراهم اشباحا تتراءى أمامي، انما هو ياصديقى هرب من البيت ، وعلى وجه التحديد هرب منالزوجة المتاكفة التىيطيب لها اشعال ثورة تشويتى بنارها، لان أولادى شياطين مثل أبيهم ، ولان طباعهم ــ بنين وبنات ــ كطباعى أنا فى اتيان الامر ثم الهرب منه ، والتنصل من تبعته ، وترك المسئولية عن تربيـــــة الاولاد على كاهلها ، وحدها ، هذا هو سبب هروبى من البيت وليــــاذى بهذا المقهى وقد أسعدنى الحظ بالتعرف على رجل كريم مثلك ، واسع الصدر ، حلو الحديث ، هادىء الطباع ، فهل سبب مجيئك كل ليلة الى هنا تقضى اكثر من ساعتين فى هذا الركن بالذات هو ان طباع زوجتك تماثل طباع زوجتى ، وقد ذكرت لك الأقل القليل من نكفها وشجارها ولسانها ؟

قلت لهذا الصديق ــ صديق القهوة ــ الذى طرح فى البدء على صـــداقته وقد انست فيه الطيبـــــة ، ورضيت عن بساطته ، وصرت اطارحه الحديث الذى يلائم معرفته للحياة : قلت له ان بعض الخلائق التى ذكرتها عن السيدة زوجتك هى فضلا عن أنها أصيلة فى طباع النساء ــ الا أن زوجتى تمتاز عن بنـــات جنسها بالعناد ، فعناد زوجتى هو الذى جعلنى أنفر من البيت الذى أحبه ، ومن الزوجة التى أحبها ،ومن اولادى الذين أحبهم ٠ الا أن مسألة نفورى من بيتى ولياذى بهـــذه القهوة بالذات ، وتعـــودى تدخين النارجيلة ؟ واضاعة ساعة او ساعتين كل ليلةتذهب من العمر بدون فائدة انما يعود الى أمر واحد ، هو أن زوجتىتريد ما لا أريده أنا ، ولا تفعل الا ماتريده هى ، وكثيرا ما كانت تعود الى نادمة على عدم عملها برأيى ولكن بعد فوات ٠ وغالبـــا ما كانت تستأنس برأيى حتى لا تأخذ به ارضاء لعنادها !

ليت الأمر ياصاحبى وقف عند حد ارضاء عنادها وقد كنت أداويه بدواء شاف يعرفه الزوج فىزوجته، ولكن هذا العناد استشرى وتفاقم بانتقاله الى أولادى بالعدوى من أمهم ، وقد عجزت طبعا عن مداوات عناد أولادى ٠

ضـــحك وضـــــحكت لهذين الاعترافين الدالين على الوجيعة والالم ، بل ضحكت من نفسى كيف أفضى ــ وأنا الكتوم ــ بأسرار يجب أن تدفن فى الصدر وينهال فوقها السكوت حتى لاتفوح رائحتها المزعجة ، ولكن الوجع يوجب الأنين ، وان تشــــاكينا نحن الصديقين التى تقوم صداقتنا على معرفة عابرة ، انما هو أنة وجع لا يواريهـــــا عن أسماع الناس سوى الانفراد بالذات والتحدث اليهـــــا خــــلال تدخين النارجيلة ٠

سألته هل آراء كبار أولادك مستمدة من تعـــاليم امهم ؟ فأجاب :

قلت لك يا صاحبى ان زوجتى كزوجتك لا تأخذ برأيى أبدا وفى الحقيقة خجلت أن أقول بعبارة واضحة انها هى ربة البيت الآمرة ، وان الواجب على الزوج ، أعنى أنا ، تنفيذ الاوامر بغــير اعتراض ، وأن الاولاد أخذوا عن أمهم طريقتها فى فرض الرأى ، والتشبث فى التنفيذ مثال ذلك ٠

جاءت ابنتى الكبرى تقول انها عزمت علىالاشتغال فى مؤسسة حكوميـــة ، وأن الطلب الذى قدمته قد قبل ، والامتحان الذى اجتازته بنجاح عيالها مركزا ملحوظا فى المؤسســة ، وانها بدأت فى العمل منــذ أول الشهر ٠

قلت لابنتى انى أنفقت المــال فى سبيل تعليمك لتكونى فى المستقبل سيدة تعرف كيف تصير نفسها زوجة وربة بيت وأما لأولادها تعيش فى كنف رجل، لا أن تكون عاملة يفقدها عملهـــا طبيعتها النسوية ، خصوصا وأنكسبى المال من عملىيفيض على المطلوب، وان المدخر منه لك ولكل واحـــد من اخوتك يكفى للاستعانة به على شق طريقه بعد وفاتى ٠

ضحكت ابنتى من ضحالة تفكيرى وسذاجة رأيى وقالت ، لقد كان الصواب فى جانب أمى حين أوصتنى بكتمان الخبر عنك لانك مولع فى وضــع العراقيل ، ولكنى أقول الآن ان تعيينى قد تم من أربعة شهور ، وانى أجد الراحة فى عملى والرضى عنه ٠ وانى فى الحقيقة قد جئت لاقول لك انى وعدت شابا عرفتـــه بالزواج، وانه سيحضر اليك، طبقا للتقاليد، يطلبنى منك ٠

قلت كالملسوع : وعدت شابا بالزواج دون علمى وتقـــولين أنه سيحضر ليطلبك منى ٠٠٠ ولــكن هل استشرت أمك ؟

قالت ليس أمر استشارة والدتي بالمهم · بل الاهم هو تصميم الشاب على طلب يدى من والدى وفقا للتقاليد الرجعية ·

قلت من هو ذاك الشاب ··· ما اسمه ··· ما شأنه ··· من والده ووالدته ··· ما مركزه فى الهيئة الاجتماعية ؟؟

اجابت بتأفف وتململ : ما لك يا أبى ولهذه الاسئلة الطويلة العريضة ، لقد عرفت الشاب وعرفنى ، وتعاهدنا على الزواج ، ورضينا ان نتعاون على شق طريقنا فى الحياة بدون ما مساعدة من احد، ولكن مع الاسف ان خطيبى ما زالت فيه بعض رواسب عتيقة بالية من تقاليد سخيفة ، وكل ما اطلبه منك أن توافق على طلب الشاب متى حضر اليك · اما والدتي فقد عرفته ، وفرحت به ، وباركت خطبتنا ·

قال صاحبى وقد ترك خرطوم النارجيلة يسقط من يده ــ بلعت ريقى من الغصة المفاجأة وقلت لابنتى العصرية خريجة الجامعة أن تقول لامها انى لست بصاما ولا أوقع على بياض · لقد تنازلت لأمك يا ابنتى عن واجباتى كرب أسرة ، وعن حقوقى كرجل، اما ان أرضى بزواجك من شاب لا اعرفه ، ولا اعرف كيف جئت به ، وكيف رضيت به أمك ، فهذا ما لا ارضاه ولا اوافق عليه بتاتا .

اصطبغ وجه ابنتى بحمرة الخجل وقالت وهى تتلعثم : صحيح يا أبى انى اعمل بانشاص ، وانى وأمى اتفقنا على تلفيق هذه الحكاية لاعتقادنا بانك ألقيت عن كاهلك أمورنا كلها ، وانك بدافع من أنانيتك ، وتفردك فى حب ذاتك · ابتعدت عن زوجك وأولادك ، وصرت تترك البيت فى الصباح ولاتعود اليه الا بعد بأخذنا النوم ، ولكن لا علينا من هذه المسألة الخاصة بك وبأمى ، ولا من هذه الخصومة الأزلية الأبدية فى حياتكما الزوجية ، والتى سببت لنا نحن أولادك حالة نفسية تختلف عند كل واحد منا باختلاف مداركه ، والآن اعترف لك يا أبى بالحقيقة وهى أنى عرفت شابا اتفقت معه على الزواج · وانك سترضى عنه متى عرفته ، وسوف تحبه كما أحببتنى دون أن تظهر لى حبك الابوى ·

قلت لابنتى التى تتوهم أن شيخوخة قلبى تماشى شيخوخة عمرى، وأن التقدم فى السن يجعل الشيوخ ينظرون الى الوراء لا الى الامام ، يتكرون على الجيل الجديد توثبه وتقدمه ، قلت لها ان الخبرة المكتسبة من أحداث العمر الطويل تجعل الأحكام على الامور والاشياء أدنى الى الصحة واقرب الى الحقيقة ، وبرغم ذلك فانى اترك لك مطلق الحرية فى اختيار رجلك بشرط ان تعفينى من لقاء هذا الشاب ، وأن تتحمل انت وأمك عواقب هذا الزواج العصرى ، ثم وعدتها ــ وقد بلغت سن الرشد ــ باعطائها دفتر حسابها المدون باسمها فى مصلحة صندوق البريد فيه مبلغ من المال يساوى على التمام مبالغ أخوتها الذكور من حقهم فى ارث مالى المدخر لهم ·

قالت لى ابنتى بعد أن قبلتنى ــ وهى القبلة الاولى على ما أذكر ــ أبق هذا الدفتر معك يا أبى فانى سأعود اليك لآخذه وقالت سوف أعمل كل ما يرضيك وانصرفت بعد أن اكدت لى انها ستثنى خطيبها عن عزمه فى طلب يدها منى · وعاد يتحسس خرطوم النارجيلة يعيده الى فمه ·

كنت أنظر الى صاحبى بذهول ، وقد بلغت بى الدهشة والاستغراب من تصرفه فقلت أسأله ثم ماذا بعد انصراف ابنتك ؟

اجاب بعد أن سحب سحبة عامرة من نارجيلته ، كنت أتنسم أخبارها فى المختبر الذرى ، ولى فيه أصدقاء ومعارف · ولم يكن يحفزنى الفضول على السؤال عنها فى البيت لانى كنت اسمع اصوات من فيه وتهارجهم ولا أراهم لأنهم كانوا يتوارون عنى !

لست أدرى كم من الشهور مضت على حديث ابنتى معى ، ولا كم من الايام الطوال قضيت لياليها فى بيتى وكأنه الدير المهجور ، ولكنى ما كنت أتململ ولا أتضجر ولا أشكو الى احد · لقد حبانى الله يا صاحبى نعمة حب قراءة الكتب ، أقرا الكتاب مرة ثم مرة ثانية فثالثة وكنت أشعر فى المرة الثالثة بأنى أكثر فهما لروح الكتاب ومؤلفه من المرتين السابقتين·

لم يكن عملى يستوجبنى التعب أو العناء ، وصرت أقسم أوقاتى ، ومن هذه التقاسيم ساعة او أكثر من ساعة اقضيها فى هذا المقهى ، أدخن النارجيلة، أجعل كركرة مائها رهوة ، ودخان طباقها سحابا رقيقا ، وطعمه رطبا ، ونكهته طيبة ، وفعله منحدرا يتناسب مع التفكير الهادىء وسبحات الذهن فى التخيل ·

وحدث ذات مساء أن أقترب منى نادل القهوة يدل على شابا يسأل عنى · حيانى الشاب تحية باسمة وقال أنا اسمى جابر ابراهيم ، وأن فى السيارة قرب باب المقهى سيدة ترغب فى رؤيتك ، وكانت تود أن تدخل هى لتراك لولا ان هذا المكان خاص بالرجال، ولولا أن طفلها الرضيع معها ·

لا أدرى يا صاحبى أى دافع لو لبى دفعنى الى

النهوض ، او اى مس كهربائي جعلنى أقفز فأتقدم الشاب نحو الباب ... رأيت رأس سيدة يبرز من نافذة السيارة تناديني بابا تعال! وشعرت بيد كبيرة تدفعني برفق الى الدخول !!

وقفت كالمأخوذ ... لم أجفل فأتراجع ، او أتردد أو اندفع ... التفت الى الشاب الذى أسرع الى فتح باب السيارة أرجو منه أن يرفع كفه المبسوطة على ظهري ... لقد انجذبت نظراتي الى نظرات ابنتى الباسمة .... بابا تعال تعال .... شعرت بكل خلجة من خلجاتي تنفتح ، وبوجداني يفيض بالحنان على ابنتى .... صعدت الى السيارة .... قبلت ابنتي يدي وخدى .... فاضت الدموع من عيني وقد كفكفتها لأرى وجه الطفل فى حضنها .

لم أحس بالسيارة تدرج بنا الا حين وقفت الى جانب بناء شامخ ، لم نتوسل درجه بل رفعنا المصعد الى الطابق العالي ، دخلنا الشقة النظيفة تزين أركان مدخلها أواني الزهور وتتحلى جدرانها رسوم زيتية فنية .

صوبت نظرة استفهامية عرفت ابنتي مغزاها فقالت : لا تلم أمي يا والدى العزيز لانها تمثل جيل أمها وبيئة نشأت في وسطها لذلك ما فهمتك ولن تفهمك أبدا ، ولانك عجزت أنت عن تكييفها وطبعها بطابعك ، ولا تلمنى يا أبي لاني ملزمة بحكم غريزتي اتباع ارشادات أمي ، أما الآن وقد أصبحت مسئولة عن زوجي وولدى وبيتي ، قادرة على تمييز ما كنت تريده أنت ولا ترضى به أمي ، وعلى ما كنت تراه صوابا ، فتراه هي ونراه نحن معها الخطأ بعينه،فصار من الواجب على استغفارك يا أبي عن ماضى أقعدنى بانحيازى الى الجانب الذى يجافى الصواب ، وأن لا يغرب عن بالك أن زوجتك هي أمي .

كنت أستمع الى ابنتى ، بينما ارتد بي الفكر الى الوراء الى ثلاث وعشرين سنة ، الى يوم ولادة ابنتي، ابنتي هذه، التي تحدثني حديث منطق سديد، والتى كانت بلغت الثانية من عمرها ولا نسمع لها ، أنا وامها ، صوت بكاء أو تغريدة طفل ، وكنا نظن أنها بكماء ، وانها لما تجاوزت السنة الثانية أخذت تتكلم تتكلم كطفل فى سن الرابعة أو الخامسة ، تخرج الكلمة اخراجا سليما ، وتسمى الاشياء تسمية صحيحة ، وكنت أقول فى سرى أنها ظاهرة الجيل الجديد .

وراحت ابنتى تكلمنى عن زوجها ، وهو زميلها ورئيسها في معامل الاختبار الذرى ، وعن حياتهما في العمل وفى عش الزوجية ، وأنهما لا يشكوان الا من أمر واحد سوف يطلعاني عليه وان كانا يعرفان مقدما أن لا قدرة لى على مساعدتهما فى هذا الامر العسير ، وتكلمت أيضا عن المستقبل السعيد الذى يرجوان تحقيقه لصالح الأمة والوطن ، ولصالحهما الذاتي أيضا ، وقالت عن زوجها انه قفز من مقاعد العمال الى مجالس العلماء الباحثين ، واني بتآزرى معه ومساعدتى اياه على استيعاب النظريات من الكتب العلمية ، سوف نتوسل بمشيئة الله الى ما لم يصل اليه بعد علماء العالم .

لقد رطب هذا الخبر صدري وأيقظ بى كامن الفخار ، وكان زوجها دائم التطلع الى زوجته وهو يبتسم اما سيماء الحياء فقد كان باديا فى وجهه ، وعندها فقط أدركت معاني العمل وكفاءات العمال ، وقد باركت من أعماقى زوج ابنتي العامل . ولما هممت بالانصراف قالت لى ابنتي وهى تنظر الى زوجها ، ان الامر العسير الذى قلت لك انى ساطلعك عليه هو أني رجوت من والدتى أن تقلل من زياراتها لنا ، وأن تدعني وزوجي ندبر أمورنا بنفسنا ، وأن نصلح أخطاءنا دون تدخلها فى أخطائنا ، وألا تفرض علينا ارادتنا وقد هدمت بارادتها حياتك يا والدى المسكين .

صمت عند سماع شكاية البنت من أمها، واعترافها الضمنى بأنى لم أكن أبا أنانيا محبا لذاته ، وابتسمت ابتسامة من لا حيلة له ، عندها سمعت زوج ابنتي يقول : لقد قرأت في كتاب من كتب الادب أن ابتسامة المرأة هى سر جمالها ، وأن ابتسامة الشيخ هى سر حكمته، أما ابتسامة الطفل فهى السر الذى يفتح النافذة التى تطل على الحياة . قلت أن ابتسامة أخرى لم تذكرها يا صهرى العزيز وهى أن ابتسامة الرجل هى سر ثقته بنفسه . أما المخلوق الآدمى الذى لا يبتسم بل يكشر فهو والضوارى سواء .

فى هذه اللحظة سمعنا بكاء الطفل حفيدى ينادى امه بالبكاء فهرولنا كلنا الى مهده ، ولما رأى أمه ابتسم لها وهلل فعندها شعرت بأن الدنيا تبتسم لى .

قلت لابنتي وزوجها عند توديعهما : ليبارككما الله يا ولدى فقد فتحتما بابا جديدا يشرف على سماء حياتي الجديدة .

حبيب الزحلاوى

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
وزارة الثقافة والارشاد القومي

الادارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد ـ القاهرة

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد ١٠٤٣ ـ الخميس ٢٤ شعبان ١٣٨٣ هـ ـ ٩ يناير ١٩٦٤ م ـ السنة الحادية والعشرون

الفهرس

الصفحة

اذكروا يازعماء العرب

بقلم : أحمد حسن الزيات

اذكروا يا زعماء العرب رؤساء وملوكا وانتم تجلسون يوم الاثنين المقبل جنبا الى جنب فى قاعة (الجامعة العربية) لتنظروا فى أمر هذا السرطان الذى اصاب قلب الوطن العربى فى فلسطين ففعل فعله المميت فيه ، ويريدان يمدورمه الخبيث الى سائر نواحيه اذكروا أن الركن الاول من اركان دينكم هو التوحيد ، وأن العمل الاول من أعمال نبيكم هو المؤاخاة ، وأن ربكم الله يقول لكم فى كتابه الذى تؤمنون به وتجتمعون عليه : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » ان القرآن لم يرفع ، وان هذه الآية لم تنسخ ، وانما هى قوة الشيطان سلطها الله على بنى الانسان ليبلوهم أيهم أشد استمساكا لدى الغواية ، وأقوى استعصاما عند المراودة ، فهى توسوس فى صدور المعوقين منكم عن الوحدة بغرور الاستبداد بالامر والانفراد بالحكم والتدفق فى النعيم ، حتى لا يأتلف قلب وقلب ، ولا يجتمع شعب وشعب .

ولو ذكر هؤلاء الزعماء أن زعيمهم الاعلى محمد بن عبد الله آثر أن يكون نبيا عبدا على أن يكون نبيا ملكا ، وأنه جبى الجزيرة كلها وماداناها من العراق والشام وظل ينام على فراش من أدم حشوه ليف ،

ويبيت هو واهله الليالي طاوين لا يجدون العشاء ، ويلبس الكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على الناس اقبية الديباج المخوص بالذهب ، فاذا اقبل على اصحابه فقاموا له اجلالا قال لهم : (لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضهم بعضا · انما انا عبد ، آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد) او ذكر هؤلا الزعماء ذلك لفضلوا أن ينالوا الرياسة عن طريق الشورى ، ويمارسوا الحكم على مقتضى العدل ، ويعالجوا السياسة عن وحي الشعب، فان من يدين بزعامته لشعبه لا لحروبه كان حريا ان يساوى بين الناس فى عدله وفضله ·

***

اذكروا يازعماء العرب والوجوه تقابل الوجوه ، والقلوب تخاطب القلوب، ان آباءكم بوحدتهم اخضعوا فى ربع قرن ثلاث قارات ، وانكم بفرقتكم عجزتم فى نصف قرن عن تحرير ثلاثة بلاد · ولو ان الالوية السبعة التى خضتم تحتها غمار الحرب فى فلسطين المغصوبة كانت واحدا لما لوثت اقدام اسرائيل قدس الاديان الثلاثة قبلة الاسلام الاولى ! وهيهات ان تعود هذه الوحدة الا اذا اخفتنا فى نفوسنا صوت الأثرة ، وسكنا فى رءوسنا عصف الهوى ، وجددنا فى أذهاننا هذه المبادىء الاسلامية الصريحة : « انما المؤمنون اخوة» «وأمرهم شورى بينهم» «وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) .

فاذا قامت الزعامة على هذه المبادىء كانت اسلم وادوم واعم · تكون اسلم لانها تقوم على الايمان والعدل · والايمان يميت الحقد فى القلب فلا يعتدى عدو ، والعدل يحيى الاحسان فى النفس فلا يثور مظلوم ··· وتكون ادوم لانها تقوم على الحق والحب، والحق جوهر الشرائع فلا يذهب ، والحب اصل الطبائع فلايزول ... وتكون اعم لانها تقوم على الدين والانسانية ، والدين عموم لا يعرف الحدود ولا الخصوص ولا الزمن ، والانسانية أخوة لاتعرف الاقليمية ولا الحزبية ولا الاثرة ··· والزعيم الذى يبنى زعامته على هذه الاسس يظفر برضا الله وحب الناس وأمن العيش ، ويكون أجدر بما قاله ذلك السياسى الاجنبى فى امير المؤمنين عمر حين رآه نائما فى العراء نوم الخالى دون وقاية ولا حرس : (عدلت فأمنت فنمت يا عمر !!) .

***

اذكروا يازعماء العرب أن اسرائيل جيش لا دولة ، وحرب لا سلام ، ووباء ماحق اذا انتشر أهلك الناس وبقى هو كما تبقى الجراثيم بعد من يموت بها .. وان وراءها ذهب اليهود فى أمريكا ، وحديد الاستعمار فى أوربا · فاذا لم تقابلها متحدين مخلصين حاق بنا ما حاق بأهلنا فى فلسطين من تشريد وقهر وفقر ·

انها تتحدانا اليوم بتحويل نهر الاردن ، فاذا نجحت تحدتنا غدا بتهويد شعب الاردن · والله يعلم بعد غد ماذا يكون ·

ان موقفكم منها فى هذا المؤتمر الخطير حاسم ، فاما نجاح واما فشل · وان آذان الدول فى الشرق والغرب مصيخة لما تقررون فاما قول واما عمل ·

***

اذكروا يا زعماء العرب ان امتكم يثور اليوم فى دمها تاريخ ويزار فى صوتها مجد ! لم تعد قاصرة تستنيم لوصى ، ولا عاجزة تستكين لمستعمر ، ولا غافلة تستجن لزعيم · انها على اختلاف اقطارها لا تزال تحمل فى نفسها سر الجزيرة التى يعيش فيها الجمل الوقور الصابر والاسد الهصور المتوثب· لقد نضج وعيها واستقل رأيها حتى بدا ذلك واضحا فى هذا القلق الذى يساور كل نفس ، وفى هذا الامتعاض الذى يرتسم على كل وجه ، وفى هذا الانتقاد الذى يجرى على كل لسان . كل امرىء يريد التغيير وينشد الكمال ويطلب الافضل ، وكل امرىء يحاول أن يفرق بين رجل ورجل ويميز بين عمل وعمل ، ويوازن بين مبدا ومبدا ·

لم يكن هذا الوعى العام يقظان كل اليقظة قبل استعار الحرب العالمية الأولى · ولا عبرة باستيقاظه فى جماعة المثقفين ، فان من الخطأ أن نقيس وعى

أمة بما نشاهده من حالة السابقين منها أو المتخلفين عنها ، فان من سبق انما سبق باعجازه ، ومن تخلف انما تخلف بعجزه . والاعجاز والعجز من الشذوذ الذى لا يسبب حكما ولا يبنى قاعدة . انما يصح القياس بحال الكتلة التى ظلت متماثلة فى اللون والكثافة والحركة بعد أن انفصلت منها قطعة الى الأمام ، وانخزلت عنها قطعة الى الوراء ، لأن هذه الكتلة تمثل القدر المشترك من الشعور والادراك والوعى والقلق والطموح والاندفاع . فرأيها هو الرأى العام ، وامرها هو الدستور الحاكم ، ووحيها هو السياسة القومية ، وغضبها هو الثورة الوطنية ، ورضاها هو السلام الدائم .

فالحكم على الوعى العربى يجب ــ بناء على هذا الاساس ــ ان يكون قائما على أحوال كتلتها العجيبة التى مافتئت منذ معاهدة (فرساى) تتقارب وتتضام وتتماسك وتتحد ، على الرغم من الاسباب المفككة والعوامل المهلكة التى ابتليت بها من سفه الاحزاب السياسية فى الداخل ، وطمع الدول الاستعمارية فى الخارج .

كانت هذه الكتلة الممزقة فاقدة الوعى حين أراد محمد على احياء الامبراطورية العربية لحساب أسرته .

وكانت فاقدة الوعى حين ثار أحمد عرابى على العناصر الأجنبية لحساب جيشه ، وكانت فاقدة الوعى حين دعا مصطفى كامل الى الفكرة الوطنية لحساب أمته . ولكن وعيها القومى أخذ يتنبه حين زلزلت الارض قنابل الحرب العالمية الأولى ، فثارت الجزيرة وسورية والعراق على استعباد الأتراك ، وتمردت مصر على احتلال الانجليز ، واستجابت الأمة العربية جمعاء لدعاء الحرية هنا وهناك . وسارت وراء قادتها بخطى الواثق المطمئن فأضلوها السبيل وأوردوها السراب ، ولكنها استفادت من كلال المسير ووعوثة الطريق وسعار الظما بصرا فى الوعى وقوة فى الموازنة وصدقا فى التمييز وصحة فى الحكم ، فلم تكد الحرب العالمية الثانية تنطفىء حتى كانت أمام زعمائها ، تلهمهم فيقولون ، وتأمرهم فيفعلون ، وتوجههم فيتوجهون ، وتأبى على ولاة أمرها أن يدلسوا عليها الرأى ، ويموهوا لها الباطل، ويقنعوها بما دون الحق .

ــ لقد مضى الزمن الذى كان فيه الساسة المحترفون يفاوضون فى امرها ويعاهدون على مصيرها دون أن يحفلوا لها برأى ، أو يرجعوا اليها بخبرة ، ويدعون مع ذلك انها استشيرت فأشارت ، وخيرت فاختارت . وأتى الزمن الذى أصبحت الأمة فيه هى التى تضع المبادىء وتحدد المطالب وترسم الخطوط ، فليس لمفاوض أن يقولها ما لم تقل ، ولا لحاكم أن يريدها على ما لم ترد .

ولنا فيما يجرى اليوم فى الوطن العربى كله من حرص شعوبه على أن يكون أمرهم هو الأعلى ورأيهم هو الاولى شاهد مصدق ودليل مقنع .

لقد اجمعت هذه الشعوب على أمرين اجماعهم على كلمة التوحيد ، وهما تطهير فلسطين من اسرائيل ، واعادة الوحدة بين العرب . وليس فى مقدور ملك أو رئيس أن يخرق هذا الاجماع وان خرق الأرض بقدميه وبلغ الجبل بطوله ! ولا يغرن المستعين بالجهل على استذلال شعبه واستغلال وطنه فان غشاوة الجهل الى حين . وان القطيع من الغنم متى شعر أن له قرونا لا تقوى عليها عصا الراعى الفرد أبى عليه أن يسوقه الى المجزر .

ان الوحدة والاشتراكية والحرية أصبحت منذ احد عشر عاما من عقائد العالم العربى فلا يصده عنها الا خائن لوطنه أو كافر بربه . واذا استطاع احدهما أن يعوق العرب عنها فانه تعويق الى أجل ، ومتى جاء هذا الاجل كان كأجل الله لايؤخر ولا يرد . ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ويسعد المجاهدون بوحدة العرب .

احمد حسن الزيات

عناية الرسول وأصحابه بالقرآن الكريم

للأستاذ محمد محمد المدني

تبدو هذه العناية في مراحل تاريخية متميزة :

(أ) المرحلة الاولى : في حياة الرسول :

١ – كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على أن يتلقى نص القرآن كما انزله الله ، ويحفظه دون أن يعتريه اى تحريف أو تبديل .

والقرآن الكريم يدلنا على ذلك حيث يقول الله عز وجل مخاطبا رسوله صلوات الله وسلامه عليه « لاتحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه » .

ففي هذه الاية اشارة الى ما كان يفعله الرسول من ملاحقة جبريل ومتابعته بالقرآن حين يتلوه عليه، ومن تحريك لسانه بما يسمع منه ، كما يفعل المرء منا اذا سمع شيئا وكان حريصا على أن يحفظه ، فهو يعجل به ويخشى أن يتفلت منه ، والله سبحانه وتعالى صور هذه الصورة التي تنبيء عن شدة الرغبة في المحافظة على النص ، ثم نهى رسوله عنها نهى المطمئن له ، واعدا اياه بأنه هو سبحانه قد تكفل بجمع هذا الوحي الكريم وقرآنه ، أى بأن يلقنه الرسول ويحفظه مجموعا في قلبه لا يضيع منه حرف ، وأن يقرأه كذلك محررا مضبوطا لا يعتريه اى تبديل او تحريف .

فالرغبة الشديدة من الرسول متجلية في هذا الصنيع ، والوعد الكريم قاطع في تكفل الله بتحقيق هذه الرغبة ، والعبارة فيه قوية لانها تجعل هذا امرا اخذه الله تعالى على نفسه ، وقطع به للرسول عهدا ولن يخلف الله عهده .

٢ – وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه شيء من القرآن دعا اليه كتابه فامرهم بكتابة ما نزل اولا باول .

وكان له كتاب منهم زيد بن ثابت ، وعلى بن أبي طالب ، وعثمان بن عفان ، وعبد الله بن مسعود ، وانس بن مالك ، وابى بن كعب ، وغيرهم .

غير ان هؤلاء الكتاب لم يكونوا دائما مجتمعين كلهم ، ولكن ربما غاب منهم أحد وحضر غيره ، فيختار ممن حضر من يكتب له ما انزله الله عليه ، ويقول « ضعوا هؤلاء » الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا . فيكتبه احيانا على عسيب اى على قطعة عريضة من جريد النخل واحيانا على رقعة من جلد ، واحيانا على لخفة – بفتح اللام وسكون الخاء، وهي القطعة المسواة المرققة من الحجارة ، تشبه لوح الاردواز ، واحيانا على خشبة مما يوضع على ظهر البعير ليركب عليه ، وهي المعروفة بالقتب ، وهكذا كان القرآن يكتب أولا باول بامر الرسول واشرافه على العسب ، والرقاع واللخاف ، والاقتاب، وتلك هي الاشياء التي كانت يومئذ تستعمل صفحات يكتب فيها قبل أن ينتشر استعمال الورق .

٣ – وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الى جانب هذا ، يبلغ الناس ما أنزله الله من الكتاب اولا باول ، شفاها يسمعونه منه ، ويحفظونه عنه ، ومنهم من كان يكتفي بهذا السماع والحفظ الشفوى ، ومنهم من كان يحرص هو ايضا على أن يكتب لنفسه ، ويحتفظ بما كتب .

ولذلك كان بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفظ عشرات الآيات ، ومنهم من حفظ عشرات السور ومئات الآيات ، يتفاوتون في ذلك ، على قدر احوالهم وحظوظهم من الحفظ ، حتى كان منهم من حفظ القرآن كله ، ويذكرون من هؤلاء : ابا بكر ، وعمر وعثمان ، وعليا ، وطلحة، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، ومعاذ بن جبل ، وغيرهم .

وكان منهم من جمع الى الحفظ جودة الترتيل ، وحسن الاداء ، وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نوه ببعض هؤلاء فقال : (استقرئوا القرآن من اربعة : من عبد الله بن مسعود ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وابى بن كعب ، ومعاذ بن جبل) وقال (من احب ان يقرأ القرآن غضا كما انزل ، فليقرأه قراءة ابن أم عبد) يريد عبد الله بن مسعود .

ولذلك ايضا لم تكن الصحف التي يكتبها كتاب وحي النبي صلى الله عليه وسلم ، هي الصحف الوحيدة التي جمع فيها القرآن ، ولكن كان هناك غيرها مما كتبه الاصحاب رضي الله عنهم لانفسهم

ومن الواضح أن صحف الرسول التي كتبت بامره ، وباشرافه ، كانت هي الصحف التي عليها

المعول ، واليها المرجع حين جاء الدور الاخير لكتابة المصحف ، كما سنتبين .

٤ ـ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث من الحفاظ من يعلم المسلمين القرآن فى خارج مكة او المدينة ، فقد بعث مصعب بن عمير ، وعبد الله بن ام مكتوم ، الى المدينة قبل الهجرة ليعلما الناس القرآن ، ولما فتح مكة وخرج منها الى حنين أبقى فيها معاذ بن جبل ليعلم اهلها القرآن وشرائعه .

٥ ـ كان جبريل عليه السلام يجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم ويدارسه القرآن ، وقد صح فى ذلك انهما كانا يجتمعان لهذا الغرض فى رمضان من كل عام ، فيتدارسان القرآن مرة فى كل سنة، وانهما تدارساه مرتين فى آخر سنة من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم .

٦ ـ كان النبى صلى الله عليه وسلم ينهى الناس عن كتابة شىء عنه سوى القرآن ، وذلك لكيلا **يختلط القرآن بغيره ، وكان يقول (من كتب عنى سوى القرآن فليمحه) نعم قد ورد فى بعض** الروايات انه اجاز ذلك ، بل انه امر بكتابة كلام تكلم به صلى الله عليه وسلم ، لرجل اسمه ابوشاه، حين رغب اليه فى ذلك ، فقال صلوات الله وسلامه عليه (اكتبوا لأبى شاه) ، ولكن هذا لا ينافى ان الاتجاه والميل فى غالب الاحوال انما كان الى عدم كتابة ما سوى القرآن ، بدليل ان السنة حين دونت انما دونت من أفواه الرواة والحفاظ فى أكثر الاحوال ، لا من صحف كانت قد كتبت من قبل .

وينبغى ان يعلم أن حادثة كحادثة ابى شاه او مثلها ، لا تكفى وحدها فى ابعاد هذه الفكرة مع قيام كثير من الشواهد عليها .

وبهذا كله يتبين ان القرآن الكريم قد أخذ حظه من العناية به ، والمحافظة على نصه ، فى هذه المرحلة ، التى هى الاساس الاول ، وعليها تقوم الثقة والاطمئنان الكامل الى تحقيق هذا النص الالهى المقدس .

(ب) المرحلة الثانية الجمع البكرى العمرى :

١ ـ ظهر مما سبق ان القرآن كان مكتوبا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العسب واللخاف والرقاع والقتب ، وان ذلك هو الذى كان متيسرا يومئذ ، وان هناك اصحابا كتبوا لانفسهم على تفاوت فيما بينهم كثرة وقلة ، واصحابا آخرين حفظوا على تفاوت ايضا ، تلقيا بالمشافهة عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

٢ ـ وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم والحال على ما وصفنا ، القرآن مكتوب محفوظ ، والناس يقرءونه ويقرئونه ، لا يكادون يختلفون بعد ان توحدوا على حرف واحد من الاحرف السبعة التى كانت مباحة من قبل ، تيسيرا على الناس .

ولكن كبار القراء والحفاظ لهم اعمارهم المحدودة ولابد أن تأتيهم آجالهم قريبا او بعيدا فيفقد بفقدهم مصدر هام ، أو مرجع هام من مراجع تحقيق النص القرآنى ، ولا سيما وهم يشتركون فى الحروب والغزوات لنصرة الاسلام ، ورد الخارجين عليه الى الطاعة ، فلم يكن من الحكمة ان يترك هذا الاحتمال قائما مهددا بضياع القرآن او بعض القرآن .

ـ حاشا لله ـ وهو الذى وعد بحفظه .

لذلك وقر فى نفس ابى بكر وعمر رضى الله عنهما ، انه لابد من قرار حاسم سريع فى هذا الشأن ، فقرروا بعد التشاور كتابة القرآن الكريم وجمعه فى مصحف واحد بين دفتين ، حتى يكون معروفا لجميع الناس ان هذا هو كتاب الله تعالى.

يدل على ذلك مارواه البخارى وغيره : ان زيد ابن ثابت قال (أرسل الى أبو بكر ، فاذا عمر بن الخطاب عنده فقال ابو بكر : ان عمر بن الخطاب اتانى ، فقال : ان القتل قد استحر بقراء القرآن ، وانى اخشى ان يستحر القتل بالقراء فى المواطن ـ اى فى الغزوات وساحات القتال والحروب ـ فيذهب كثير من القرآن ، وانى أرى أن تامر بجمع القرآن ، فقلت لعمر : كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله ؟ قال عمر : هذا والله خير ، فلم يزل يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ، ورايت فى ذلك الذى راى عمر . قال زيد . قال أبو بكر : انك رجل شاب عاقل لانتهمك، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتبع القرآن فاجمعه ـ فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ماكان على اثقل مما امرنى به من جمع القرآن . قلت : كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قال هو والله خير ، فلم يزل ابو بكر يراجعني حتى شرح الله صـــدري للذي شرح له صـــدر ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فتتبعت القرآن اجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال – اي انه كان يجمع في سبيل التحقيق والوصول الى النص القرآني بدقة تامة ، بين قراءة ماهو مكتوب في العسـب واللخاف ، وبين استقراء الرجـال مايحفظونه ، فلايكتفي بواحد منهما حتى يؤازره بالطريق الآخر زيادة في الحيطة ووصولا الى اليقين – قال زيد : ووجدت آخـر سـورة التوبة مع ابي خزيمة الانصاري لم اجدها مع غيره : « لقد جاءكم رســول من انفسكم » حتى خاتمة براءة ، فكانت الصحف عند ابي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنها) .

ويؤخـــذ من هـــذا النص الصحيح المعتمد مايأتي :

١ – ان هذا الجمع كان بمشورة عمر ، عن راى واجتهاد له ، وان ابا بكر وافقه بعـد المراجعة ، وعهد بجمع القرآن الى زيد بن ثابت .

وقد يشـتبه الأمر على بعض الناس فيظن ان هذا الجمع كان في عهد عمر ، لا في عهد ابي بكر ، ولكن هذه الرواية الصحيحة واضحة في ان ذلك كان على عهد ابي بكر ، وان الذي اشار به وعاون عليه هو عمر . فيمكننا ان نسميه الجمع البكري العمري ، لان ابا بكر امر به بناء على اقتراح عمر وبمعاونته .

٢ – ان الفرق بينه وبين ماكان على عهدرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان المكتوب في عهـد الرسول كان مفرقا في العسب واللخاف وغيرهما، وليس صحفا مجموعـة بين دفتين ، اما الجمـع البكـري–العمـري فكان خطوة اخـرى ، حيث جمع القرآن من هذه الأشياء ومن صـدور الرجال الحافظين ، وكتب في صحف متلائمة يمـكن ضمها بين دفتين ، وقد اختلف العلمـاء في نقطة هنا ، وهي : هل كان الجمع البكري العمري على ورق اوعلى صحف من الاديم اي الجلد اوعلى القراطيس المتخـذة من ورق البردي ، وهـذا شيء لا يؤثر في الموضـوع ، فهو جمـع للقرآن على كل حال في صـحف متناسـبة يمكن ضمها واعتبارها كتابا ، وذلك يختلف عن كتابة القرآن على عهد رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، اذ كان على اشـياء غير متناسبة منها ما هو جلد ، ومنها ما هو خشب ، ومنها ماهو حجر .. الخ .

وفي ذلك يقول الحارث المحاسـبي : (كتـابة القرآن ليست بمحدثة ، فانه صـلى الله عليـه وسلم كان يامر بكتـابته ، ولكنه كان مفـرقا في الرقاع والاكتاف والعسب ؛ فانما امر الصـديق بنسخها من مكان الى مكان مجتمعة ، وكان ذلك بمنزلة اوراق وجدت مبعثرة في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيهـا القرآن منتشرا ، فجمعها جامع ، وربطهـا في خيط حتى لايضيع منها شيء) .

٣ – ان الغاية من هذا الجمع كانت المبـادرة بعمل حاسم يحفظ به القرآن من الضياع بعد ان اخذت الحوادث تنبـه الى الخطر بموت فريق من كبار القـراء في بعض المعـارك ، وتوقع ان يموت آخرون في معارك اخرى .

وقد يرد هنا سؤال خلاصته : الم يكن القرآن مكتوبا على عهد الرسول ، وكان محفوظا بهـذه الكتابة من الضياع ، فكيف يخاف عليه من موت القراء ؟

والجواب : ان المكتوب على عهد رسول الله ، كان هو نفسه معرضا لان يفسـد او يتـآكل او ينطمس بعضـه بطول الزمن ، فخـافوا ذلك ، فبادروا بهذا العمل وتحروا فيه أعظم التحـرى جامعين بين المكتوب وما حفظ في القلوب .

وقد يرد سؤال آخـر : كيف ثبتت قرآنيـة قوله تعالى « لقد جاءكم رسول من انفسكم » الى آخر سورة براءة ، مع ان زيد بن ثابت يصرح بانه لم يجدها الا عند ابي خزيمة الانصاري ؟

والجواب : انه قد ورد في غير هذه الرواية ان هذه الاية كانت أيضـا عنـد ابي بن كعب ، لذلك حملوا الكلام في رواية زيد على انها لم توجد مكتوبة الا عند ابي خزيمة الانصاري ، وان كانت قـد وجدت محفوظة عند سواه حفظا قلبيا .

هذه هي المرحلة الثـانية من مراحل المحـافظة على النص القرآني ، وهي تعتبر من حيث الجمـع المرحلة الاولى واما المرحلة السـابقة عليها فهي

مرحلة الكتابة والاثبات على عهد الرسول .

ولهذا ينبغي الا يشتبه علينا الامر اذا تحدث بعض الناس عن عهد الجمع البكري العمري فقالوا « الجمع الأول للقرآن » .

***

(ج) المرحلة الثالثة : مصاحف عثمان .

١ ـ لم يكن هدف الجمع البكري العمري الا المحافظة على بقاء القرآن كما قلنا ، خوفا من ان يعتري المكتوب في عهد الرسول فساد او ضياع او نحو ذلك .

وقد اهتم كثير من الصحابة رضي الله عنهم ـ يحدوهم هذا الروح نفسه ـ بكتابة صحف أو مصاحف خاصة لهم ، على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو بعده ، ولا سيما بعد أن عرف أن ابا بكر وعمر لم يريا باسا بجمع القرآن ، وان عدم فعل هذا في زمن الرسول لايدل على انه ممنوع .

لهذا اشتهر أن لأبي بن كعب مصحفا كان معروفا يقرأ به اهل دمشق وسوريا ، وان لعبدالله ابن مسعود مصحفا كان يقرا به اهل الكوفة ، وان لابي موسى الاشعري مصحفا كان يقرا به اهل البصرة ، وان للمقداد بن الاسود مصحفا منتشرا بين اهل حمص .

وكان في هذه المصاحف حروف من الاحرف السبعة التي كانت مباحة اول الامر ، مثل «ارشدنا الصراط المستقيم » بدل « اهدنا الصراط المستقيم » .

وكان في بعضها كلمات زائدة لم تنقل بالتواتر عن الرسول صلى الله عليه وسلم مثل «متتابعات» في مصحف ابن مسعود ، مما حمل على انه تقييد لقوله تعالى في القراءة المتواترة : « فصيام ثلاثة ايام » له حكم السنة المشهورة ، وليس له حكم القرآن المتواتر .

وكان مثل هذا الاختلاف ايضا باقيا في الناس حتى أن اهل المدينة انفسهم كانوا يختلفون على عهد عثمان ، فكان المعلمون الذين يعلمون القرآن ربما اقرءوا الغلمان بقراءات مختلفة وكان الغلمان الذين يتعلمون يتمسك كل منهم بقراءة من اقراه وينكر الاخرى .

ومن هذا وذاك اطلت بوادر خلاف يوشك ان يشتد ، وذلك لان صحف الجمع البكري العمري محفوظة عند حفصة ، ليست في متناول الايدي وليس لها مظهر فعلى نافذ يجتمع الناس عليه ، ويحول بين القراء المختلفين ومايختلفون فيه .

لهذا بدات مخاطر الاختلاف تطل براسها في عهد عثمان ، وكان لابد من عمل حاسم يقطع دابر هذا الاختلاف ويجمع الناس على النص المتواتر الثابت ثبوتا قاطعا عن رسول الله ، المحفوظ في الصحف وفي صدور الرجال بطريقة لايعتريها الشك ، وهذا مافعله عثمان رضي الله عنه .

٢ ـ فقد روى البخاري عن انس بن مالك انه قال : ان حذيفة ابن اليمان قدم على عثمان ، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينيه وأذربيجان مع أهل العراق ، فافزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين أدرك الامة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى ؛ فارسل عثمان الى حفصة أن أرسلي الينا الصحف ننسخها في المصاحف ، ثم نردها اليك فارسلتها اليه ، فامر زيد بن ثابت وجماعة فنسخوها في المصاحف ، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : اذا اختلفتم انتم وزيد ابن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فانما نزل بلسانهم ، ففعلوا ، حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة ، وارسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وامر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق) .

وهذا النص يفيدنا :

أولا : ان كتابة القرآن في المصاحف على عهد عثمان كان هدفها جمع الناس على مصحف امام حتى لايختلفوا اختلاف اليهود والنصارى الذين تعددت لديهم نسخ الانجيل والتوراة وصار كل فريق يتعصب للنسخة التي يعتمدها ، فلو بقي لدى المسلمين مصاحف متعددة ، كمصحف ابن مسعود ، وأبي والمقداد وأبي موسى وغيرهم لاختلفوا وتعصبوا كما اختلف اليهود والنصارى .

ثانيا : ان اعتماد عثمان ولجنته التي وكل اليها هذا العمل كان على صحف الجمع البكري العمري التي كانت محفوظة عند حفصة بنت عمر ، زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد علمنا أن هذه الصحف كانت تشتمل على القرآن ماخوذا

أسئلة من بورسعيد

للدكتور محمد أحمد خلف الله

ذكرت في مقالي السابق ان اخواننا البورسعيديين قد طرحوا الوانا من الاسئلة على السادة الذين حضروا ندوات اسبوع الكتاب العربي من المؤلفين ، واخترت من هذه الاسئلة الوانا تكشف عن احتياجات السائلين، واحتياجات الشباب العربي ، الثقافية . وطلبت في نهاية المقال ممن يقدر على الاجابة ان يتفضل ويجيب .
وها انذا ابدا الاجابة عن بعض هذه الاسئلة :

والسؤال الأول هو :

ـ لماذا تعتبر الدول الراسمالية اكثر تقدما ومدنية من الدول الاشتراكية ـ وخاصة في المجتمع العربي ؟ .

وبيدو ان السائل لم يفطن الى انه يخلط بين السبب والوسيلة ، فظن الوسيلة الى التقدم هي السبب في التاخر . او ظن ان الاشتراكية هي السبب في تخلف بعض الدول .

ان التقدم والتخلف انما يرجعان الى اسباب ليست الاشتراكية من بينها . فالتقدم انما يجيء من قدرة الشعب على السيطرة على مقدراته ـ المادية والمعنوية . السيطرة على الطبيعة واستغلال مواردها وحسن توزيع الوسائل التي يهيئها لنا استثمار الموارد الطبيعية والبشرية . والتخلف انما يجيء عن العجز في واحدة من هذه او فيها كلها . وهو عجز قد يجيء من ضعف الشعوب امام قوى الطبيعة او ضعفها امام شعوب اخرى اكبر منها قوة ، او اكثر منها عددا تسيطر عليها وعلى مواردها .

والدول الاشتراكية هي الدول التي عجزت

عما كتب في عهد الرسول مؤازرا بما حفظه اصحابه تلقيا عنه .

ثالثا : ان عثمان كتب عدة مصاحف وبعث الى كل افق بمصحف ، والرواية التي معنا لم تحدد عدد هذه المصاحف ، وقد اختلفت الروايات الاخرى في تحديد هذا العدد ، ورجح بعضهم انها كانت سبعة مصاحف .

رابعا : ان عثمان ولجنته قد اقروا منهجا معينا في رسم المصحف اي في كتابته ، وكان هذا المنهج هو ان يكتبوا القرآن بالرسم الذي يتفقون عليه ، فان وجد خلاف بينهم في كلمة كيف ترسم كتبوها بما يصور نطق القرشيين لان القرآن بلغتهم نزل .

ويفسر لنا ذلك ابن كثير حيث يقول ، ان هؤلاء النفر الاربعة ـ وهذا يفيد ان اللجنة كانت من اربعة ـ جلسوا يكتبون نسخا من القرآن ، فاختلفوا في «التابوت» ايكتبونه بالتاء او بالهاء ، فقال زيد بن ثابت : انما هو التابوه ، وقال القرشيون الثلاثة : انما هو التابوت ، فتراجعوا الى عثمان فقال اكتبوه بلغة قريش فان القرآن نزل بلغتهم » .

خامسا : ان عثمان أمر بما سوى ذلك من المصحف والمصاحف أن يحرق ، وهو عمل حسن وافقه عليه جمهور الصحابة ، وان عارض فيه بعضهم كابن مسعود ، فلم يكن راضيا عن ذلك اول الامر ثم روى عنه أنه اقره أخيرا .

ومهما يكن موقف ابن مسعود والاسباب الباعثة عليه ، فان الصحابة وافقوا على ذلك ، فلا معول على مثل خلافه الفردي ، ولم يكن يسعهم أن يعولوا عليه فان مصحف الجمع البكري العمري قاطعة ثابتة عن رسول الله بطريقة لا شك فيها ، مؤدية بما حفظه الاصحاب عن الرسول تلقيا بالمشافهة ، وليس من الراى ان يترك القاطع ، ويؤخذ بالرواية الاحادية . فالخير كل الخير فيما فعله عثمان وارتضاه المسلمون .

ولم يبق بعد هذا الا مصحف الجمع البكري العمري ، فقد ردها عثمان رضي الله عنه الى حفصة ، فبقيت عندها حتى توفيت ، ثم اخذها مروان بن معاوية من اخيها عبد الله بن عمر ، فحرقها او شققها ، وبذلك لم يعد في المسلمين الا مصاحف عثمان ، وسد الله بذلك باب الفرقة والاختلاف في شان القرآن الى يوم القيامة والحمد لله رب العالمين .

محمد محمد المدني

فيما مضى عن السيطرة على مواردها واستثمارها . عجزت عن ذلك قبل ان تكون اشتراكية . والتاريخ يدلنا على ان اكثر هذه الدول ، حتى الغربية منها ، كان فى حوزة الاستعمار . والدول الغربية منها ، واكثرها فى شبه جزيرة البلقان ، كان خاضعا للاستعمار التركى او استعمار دول وسط اوربا .

ان الاشتراكية ليست الا الوسيلة لتقدم هذه الدول من حيث انها تنادى باستثمار موارد الطبيعة واستخدام الوسائل العلمية فى ذلك . وتنادى بالعدالة فى توزيع الثروة ، وتعبىء الجهود البشرية فى سبيل كل ذلك ، وتصدر من القوانين ما يحقق كل ذلك .

انها تفعل ذلك كله ، وتحدده فى خطوات هى السنوات الخمس او العشر للتخطيط . لتصل الى التقدم والمدنية فى اقصر وقت ومن أيسر السبل.

الاشتراكية وسيلة للتقدم وليست سببا للتاخر كما ظن السائل الكريم .

والسؤال الثانى هو :

— فى امريكا بلغت الراسمالية اعلى مراحلها . وفى الاتحاد السوفييتى تشاهد الاشتراكية المتطرفة ، والدولتان بلغتا من القوة والعظمة فى جميع الميادين مبلغا عظيما .

فما رايكم فى هذه الظواهر فى ضوء الحتمية التاريخية ؟ ؟

والاجابة عن هذا السؤال ترتبط الى حد ما بالاجابة عن السؤال السابق من حيث ان روسيا قد اتخذت من الاشتراكية وسيلة للتقدم ، وان هذه الاشتراكية قد حققت لها بعض أسباب التقدم ، ووصلت بها الى هذه القوة ، وهذه العظمة ، التى يتحدث عنها السائل .

ان المشكلة فى السؤال انما تكمن فى الحقيقة فى تلك المشكلة التى تصورها السائل عن العلاقة بين الراسمالية الامريكية وما بلغته امريكا من قوة وعظمة وبين الحتمية التاريخية التى ذهب اليها ماركس واتباعه .

والمسالة هنا خطأ ذهنى كما هو الحال فى السؤال السابق .

ان ماركس حين اقام مذهبه انما اقامه على دراسات وابحاث قام بها فى المجتمع الاوربى ولم يقم بها فى المجتمع الامريكى . ومن هنا يصح القول بأن الحتمية التاريخية لا علاقة لها بالراسمالية الامريكية .

لكن السائل قد يقول لراسمالية هى الراسمالية، والطبقية هى الطبقية ، والاستغلال هو الاستغلال، وما ينطبق على هذا فى مكان ينطبق عليه فى مكان آخر ، والمشكلة قائمة هنا كما هى قائمة هناك .

ان هذا هو الخطأ الذهنى الذى اشرت اليه سابقا ، والذى يكشف عنه تدبر خصائص الطبقية والراسمالية فى المجتمعين الاوربى والامريكى .

ان الراسمالية فى امريكا لم تخضع للنظام الطبقى ومعتقداته وامتيازاته كما كان الحال فى الراسمالية الاربية .

ان الطبقية فى اوربا انما تعنى مجموعة من الناس تعتقد انها ممتازة عن بقية الطبقات ، وينتسب اليها الشخص لمجرد انه ولد من بينها ، واصبح واحدا من افرادها . وهى نتيجة للنظام الاقطاعى . انها موروثة وغير مكتسبة .

هذه الطائفة من الناس تفصل نفسها عن الطبقات الاخرى ، وتحرص على الا يزداد عددها بانضمام احد افراد الطبقات الاخرى اليها ، وترى ان شرفها يدنس ان هى رفعت الكلفة بينها وبين عامة الناس .

ان كبرياء هذه الطبقة وشرفها يتوقفان فى نظرها على ان افرادها اعضاء فى مجموعة خاصة — لا على اية كفاءة شخصية — ولذا تغار على هذا الشرف من كل دخيل .

ثم ان هذه الطبقة تعتبر العمل المتواضع مهدرا للكرامة ومذلا للنفس . ومن هنا تنظر الى الاعمال التجارية والصناعية باحتقار ، وترى الحياة المثلى فى حياة الفراغ والبطالة . ومن هنا كثرت المقامرة ، وكثر السكر والعربدة بين افرادها .

هذه الطبقة نشأت على انها تعيش على مجهودات الآخرين ، وتغنت بما تنعم به من امتيازات . ومن هنا كان حلالا فى عرفها السلب والنهب واستغلال جهود الآخرين .

هذه هى الطبقة التى حاربها ماركس ايمانا منه بان الامتيازات الطائفية من مستلزمات النظام الراسمالى ، وانها كامنة فيه . وايمانا منه ايضا بان الراسمالى لا يحوز على مكاسبه الا بالجمع بين النفوذ السياسى والتفوق الاقتصادى – اى بنفس الطريقة التى كان يتبعها الاقطاعيون والحكام الاقدمون .

والسؤال الذى يكشف عن الاجابة او عن الخطأ الذهنى هو هل الراسمالية الامريكية لها نفس الخصائص التى كانت فى المجتمع الأوربى الذى استمد ماركس من دراسة احواله ما وصل اليه من نظريات ؟؟

ان الاجابة لا . والسبب واضح . فالمجتمع الأمريكى عبارة عن جماعة من المغامرين هاجروا من كل بلاد أوربا فى سبيل الثروة ، وحققوا فعلا او حقق الكثيرون منه ما كانوا يصبون اليه من جمع المال ، ووصل بعضهم الى نفوذ ضخم حقق به اغراضه – ولكنهم مع كل هذا لم يستطيعوا تكوين نظام طبقى ، وظل الكثيرون منهم افرادا يجوز عليهم الفقر كما جاز عليهم الثراء . وكانوا جميعا يعاملون العمال على أنهم اجراء أو شركاء لا على أنهم عبيد راس المال .

ان المجتمع الأمريكى يمضى الآن على اساس ان الرجال الاحرار يمكنهم بمهاراتهم وبالتعاون ان ينتجوا الثروة التى تكفى الجميع وتزيد . وان العمل الناجح يجب ان يتفادى سلب اى شىء من اى انسان . وان كل صناعة او كل تجارة يجب ان تكون مربحة لكل من يشتغلون فيها والا فانها تعد فاشلة .

ان المخترعات الحديثة اصبحت تمثل الجزء الأكبر من الراسمال الأمريكى ، واستخدامها على افضل وجه هو الاساس الاول فى تنمية الثروات .

هذه الحقيقة جعلت اليد العاملة ليست الاساس الاول فى الانتاج ، وجعلت العامل الذى يدير الآلة شريك صاحب العمل ، او على اقل تقدير رفعت من شانه وجعلت له مركزا ممتازا عنده .

كل هذه الظواهر لم تكن تحت بصر ماركس وسمعه عندما دون نظريته . ثم انها أيضا لا تشبه تلك الظواهر التى كانت تحت سمع ماركس وبصره عند دراسته للمجتمع الأوربى . ومن هنا تكون خارجة عن نطاق تلك الحتمية التاريخية .

انى لا اقصد ان انفى عن المجتمع الامريكى عيوب الراسمالية ، وانما اقصد فقط الى ان ماركس لم يقصد الى هذا المجتمع عندما تحدث عن الطبقية والراسمالية والحتمية التاريخية .

والسؤال الثالث هو :

– نقرا كثيرا عن الاشتراكية العربية – فهل هناك خلاف بينها وبين الاشتراكية العلمية ، وما مداه .

وفى الاجابة عن هذا السؤال اذكر هذه الفقرات لأحد اخواننا الاشتراكيين العرب :

١ – الاشتراكية القومية مقصودة بذاتها وليست جزءا من فلسفة عامة تكون وليست جانبا لنظرية أكبر – أى أن الاشتراكية القومية لا تخدم غير قضية الشعب العربى فى التحرر والوحدة والتقدم .

٢ – الاشتراكية القومية **مثالية اخلاقية تؤمن بالروح وتعمل على تقوية الانسان وجعله فى وضع يستطيع به ان يسيطر على الظروف والمادة وقيود الفقر والحاجة – اى انها تسعى لتقوية الأخلاق العامة ومنع الرذيلة والتفسخ والكفر والتطرف والتمرد على العرف الانسانى .**

٣ – انها انسانية تؤكد على الانسان وتعمل لرفع قيمته وحفظ كرامته وتجعل منه كائنا مستقلا منتجا يشعر بمكانته فى المجتمع . فالانسانية لا تتسق وتتفتح الا اذا تفتحت انسانية الفرد وتغلبت على الجانب الحيوانى فيه .

فالانسان ليس مجرد وحدة اقتصادية مادية تتحدد قيمتها بمقدار ماتنتج بالنسبة لكلفة الانتاج .

٤ – انها متطورة مرنة لا تتقيد بقواعد ازلية مطلقة بل تفتح صدرها لكل التدابير العملية والتنظيمات الجديدة التى تكفل المحافظة على مبادئها – أى أنها متفتحة على خبرة البلدان الأخرى وتجارب التنظيمات الاقتصادية فى العالم .

٥ – الاشتراكية القومية تتوجه لمجموع الشعب وتعمل لرفع مستواه وتقويته فى الدفاع عن نفسه وتحقق له الوحدة والتماسك الاجتماعى .

دكتور
محمد أحمد خلف الله

الأدب بين الأثرة الفردية والروح الجماعي

للدكتور عبد الرحمن عثمان

لهذا البحث صلة قوية بتحديد اثر المجتمعات على اختلاف أنظمتها في الاديب ورسالته ، فمثل هذا التحديد سيوضح لنا نوع العلاقة التي تصل الاديب بمجتمعه ، وهو يرسم لنا بالتالي سبيل التعرف على الألوان الفنية ، والمناهج الفكرية في الانتاج الادبي على اختلاف العصور وتباين المجتمعات ·

ولا ريب في تأثر الاديب بمجتمعه ، وانفعاله باحداثه الكبرى ، وقضاياه العظام ، والنتاج الادبي يحمل بالبداهة طابع العصر من عادات ، وتقاليد ، وأخلاق ، والا كان أدبا غريبا عن البيئة ومعبرا عن شيء لا يتصل بها ، فلا جرم أن يبدو كالنغمة النشاز في اللحن الجميل ·

ولكن ، هل هذا التأثير الذي تحدثه المجتمعات في نطاق الأدب ، يعتبر الرسالة التي ينبغي أن يحمل لواءها الاديب في عالمه ؟ ، أم أن للاديب مثل هذا التأثير على المجتمع الذي يعيش فيه ، بما يستحدث من مناهج ، وما يدعو اليه من مبادىء ، هي في جلتها قريبة الشبه بنتائجها بنهج علماء النبات في تلقيح الفاكهة والزهور ·

ولست أريد أن أقسم الادب الى : موجه ، وغير موجه ، لان التوجيه جزء من حقيقة الآداب ، لا تتم الا به ، ولا تتحدد قسماتها الا على هديه وارشاده ، فرسالة الفن انسانية تجمع بين المتعة وبين تهيئة عالم يعمر بالسعادة والخير للمجتمعات البشرية ، ومن هنا نشعر ان أدب اللذة ذاتي صرف ، لانه خلا من العنصر الانساني الذي يقوم على التوجيه الممتع للنفوس نحو آفاق روحية ساحرة ، أو حياة مادية أسمى وأفضل ، واذا كانت بعض نماذج هذا الادب تعمر بالجمال وتزخر بالفتنة ، وتتحقق بهما المتعة الفنية ، فان ذلك سيظل في نطاق ضيق بين الخاصة من أهل الذوق ، ولكنه لن يتصل بالشعور الجماعي على كل حال ·

والشأن في الادب الخالد أن يصعد بالحياة دائما ، وأن تتخذ منه المجتمعات الانسانيـــة رائدها الذي لا يكذبها أبدا ، ولئن ضلت به السبيل ، أو عميت عليه المسالك في بعض الفترات ، فذلك لاسباب خارجة عن مفهومه ، وغير لاصقة بطبيعته الاصيلة ، فان اختلال الموازين ، واضطراب القيم في مجتمع من المجتمعـــات ، يلف بعض النفوس من ذوي الادب بأغشية قاتمة من اليأس أو الأسى ، فتربن على الافئدة والخواطر ظلمات تشيع فيها القلق مما يزعزع ايمانها بالمثل والقيم جميعا ·

والاديب الانساني يشعر في أعماقه شعورا قويا أن لمجتمعه عليه حقوقا واجبة الأداء ، ومملكته العتيدة التي يرف تاجها على جبينه تضم المظلومين والمضطهدين وضعاف الحيلة ، فينبغي أن ينافح بأدبه عن حقوق المستضعفين والاجراء ، وان يعزف لهؤلاء وأولئك في كثير من التنوع ألحان الحرية ، والعدالة ، والمساواة ، بحيث يشجيهم اللحن ، وتستثيرهم النغمة ، ولاتزال تلك رسالته حتى يتحرر بها الأرقاء والمستعبدون ، ويستشرف اليهـا الجاثي فينهض ، واليائس فيؤمل ونجاح الاديب في رسالته تلك يقاس بمقدار ما يثير من خواطر ، وبما يجدد من عزمات ، وما يذيق من حلاوة الحرية ، وجمال العدل ·

والاديب المؤمن برسالته لا يمكن أن يتحول عن هذا النهج ، ولا يطيق أن يتنكر له حتى في احلك أيامه ، وأشدها عليه مرارة ، لان ايمانه بجلال رسالته يزيده بها استمساكا على استمساك ، فالايمان وحده يشد مأســـاته ــ ان كانت له مأســـاة ــ بمآسي خلطائه ومواطنيه ، وبهذا يتسع قلبه الكبير الى آلام الضعفاء ، وربما التمس شفاء نفسه من آلامها في اعداد الدواء لتلك النفوس الذابلة من أوجاعها ، وهي مع ذلك قد لا تملك حتى أن تئن أو تتوجع !! ·

وخليق بمجتمعنا الاشتراكي أن يعتز بالادب ، ويكرم الاديب ، لان الاتجاه الاشتراكي جزء هام من من الرسالة الادبية التي تعتز بالحرية ، وتنشدها في العدالة والمساواة بين جميع الطبقات العاملة ·

فاما اتخاذ الادب حرفة فهو مجاف لمجد رسالته الانسانية ، ولكن قد تدعو اليـــه ضرورة ملحة من ضرورات الحياة من فاقة ، أو مضى في رغبات النفس وأهوائها ، مما يزين للاديب الانحراف عن ســـنن الجادة استجابة لالحاح لا هوادة فيه من ضنك العيش ، أو عرامة الشهوات ، وليس من الانصاف في شيء أن نتخذ من مثل هذه الظاهرة الشاذة قاعدة نجري عليها

أحكامنا في هذا الصدد ، فالاديب نفسه ، وان نزل على حكمها القاهر ، يحس في أعماقه بالالم الذى قد يتحول الى سخرية عميقة كما نرى ذلك عند الشاعر ابن الرومى ، وتصويره الدقيق لهذه الظاهرةالغريبة يهدينا الى طبيعة الاديب ووفائه لهذه الطبيعة ، فقد غضب ابن الرومى غضبة الاديب الذى أحس بانه امتهن نفسه ، حين يقول لمن تملقه لينال عطاءه ، ولكنه لم يظفر منه بطائل :

ان كنت من جهل حقى غير معتذر
او كنت عن رد مدحى غير منقلب
فاعطنى ثمن الطرس الذى كتبت
فيه القصيدة ، او كفارة الكذب

ولكنه حين يرتد اليه طبعه يشعر شعورا كريما بعزته التى لا يجدر به أن يرخصها فى سوق المطامع والرغبات ، وكأنه يشرع لمن هم على شاكلته من الشعراء حتى لا يتورطوا فيما تورط فيه ، قال :

واذا امرؤ مدح امرأ لنواله
وأطال فيه فقد أراد هجاءه
لو لم يقدر فيه بعد المستقى
عند الورود لما أطال رشاءه

وسواء أكانت تلك النظرة الفنية أحبولة من أحابيل ابن الرومى فى استعطاف ممدوحه ، أم كانت تشريعا للابقاء على العزة الادبية ، فانها لا تريق من كرامة الشعراء على كل حال .

وهذا الاتجاه الذى اذهب اليه ، قد تصوره فى الشعر العربى مواقف لشعراء آخرين درجوا فى مجتمعات لا تؤمن بما يقوم عليه مجتمعنا الاشتراكى وهى مواقف اشبه ما تكون بومضات نفسية تتألق فى كيان الشعراء ، ولكنهم يجاهدون فى اخفائها حتى لا تفضح ايمانهم بها أمام حاكم لا يرى الا نفسه ، أو فى مجتمع مريض بالنفاق والملق ، والشاعر حريص على سترها حتى لا تكون سببا فى انتقاص العطايا ، أو وسيلة من وسائل النبذ من المحيط الذى يعيش فيه ، فنحن نعرف حياة شاعر العربية ابى الطيب المتنبى وما كانت تحفل به من طموح وكبرياء فتى ، الى جانب الابتذال الذى عرف له فى سبيل المال وجمع الثروة ، ومع هذا التناقض الواضح فى نزعاته نجده يفىء فى بعض أحواله الى دوحة الادب وحدها يستظل بها حين تلفحه حرارة مطامعه ، ويستشعر من نفسه الصغار والهوان ، وتلك فلسفة فى باب السخرية اشتهر بها المتنبى من بين شعراء العربية ، اذ يقول فى مدح كافور الاخشيدى :

ولله سر فى علاك ، وانما
كلام العدا ضرب من الهذيان

ثم يمضى فى القصيدة نفسها ليقول :

فمالك تختار القسى ، وانما
عن السعد يرمى دونك الثقلان
ومالك تعنى بالاسنة والقنا
وجدك طعان بغير سنان ؟
ولم تحمل السيف الطويل نجاده ؟
وأنت غنى عنه بالحدثان

والسخرية فى البيت الاول ظاهرة لا تحتاج الى تعليق ، ومع هذا التعرض الجارح ينفلت الى غايته حيث تقوده مطامعه فيقول :

أرد لى جميلا : جدت او لم تجد به
فانك ما أحببت فى أتانى

وظاهر هذا السياق البارع يفصح عما فى نفس المتنبى من يأس وألم ، فالامور عنده تجرى على غير قاعدة ، ومقاييس الحكم فيما يرى مختلة اختلالا شديدا ، حيث ترفع كافورا وتتخطى ذوى الهمة من أمثاله ، وقد بين ذلك حين يئس من كافور ، فى قصيدته التى مطلعها :

اريك الرضا لو أخفت النفس خافية
وما أنا عن نفسى ولا عنك راضيا
ولولا فضول الناس جئتك مادحا
بما كنت فى سرى به لك هاجيا

والامل معقود فى الابقاء على كرامة الادب واهله على النظام الاشتراكى الذى يوفر السعادة لكل مواطن يعمل للجماعة ، ويدعو الى الحرية ، والعدل ، وبهذه العناية وحدها يختفى الملق والمدح الكاذب ، وتتلاشى النماذج الادبية ، تلك التى تدور حول الذات ، وتحطب فى حبل الأنانية ، ولن نسمع بعد ذلك من المتنبى قوله :

أنا فى أمة تداركها اللـ
ـه ، غريب كصالح فى ثمود

ولن نسمع كذلك من أمثال الشاعر البائس عبد الحميد الديب قوله :

وطال حنينى للغنى ، ولو اننى
حننت الى وجه الاله بدا لى

دكتور : عبد الرحمن عثمان

فى العلاقة بين الناقد والنص الأدبى

للدكتور أحمد كمال زكى

فى مقال سابق راينا ان الحديث على المؤلف لا يخلو من اشارات الى النص فى ذات الوقت ، وهذا يدل على ان بين الفنان واثره وشائج ليس من السهل تطعها . ولكن النص مع ذلك يظل له شخصيته الفنية التى قد تختلف عن شخصية المؤلف ، فالأبله مثلا لا يمكن ان يكون دوستويفسكى، وهاملت ليس شيكسبير الا اذا جعلنا روميو او جولييت او ماكبث او عطيل الشاعر الانجليزى بعينه .

النص — من الناحية النظرية — شيء والمؤلف شيء آخر ، لكنه على اى حال مادة التجربة ، والنقطة التى يختلف عندها النقاد ، فقد يناقشها ناقد كعز الدين اسماعيل مناقشة سيكلوجية ، وقد يبحث فيها لوبس عوض عن المضمون الاجتماعى ، وقد تدفع مهنة الطب رمزى مفتاح الى ان يأخذها اخذا بيولوجيا ، واذا كان الناقد احد المدرسين الشكليين اغرقنا فى نظرية النظم كما خطط لها عبد القاهر الجرجانى او فى تطبيقات العلوى صاحب«الطراز».

والاحكام الى هنا قد تكون صحيحة فى جملتها الا ان الاكاديميين لا يطمئنون اليها قبل عمليات التمحيص ، ولا سيما اذا كان النص لاديب قديم . وفى هذه الحال يحاول هؤلاء ان يتأكدوا من صحة نسبة النص الى صاحبه ، ويناقشوا اختلاف الروايات فيه ، ويرصدوا للانحرافات التى طرأت عليه قبل دراسته .

اما هذه الدراسة — وهى ليست وقفا على القديم فقط — فمتشعبة ، غير ان الدكتورة سهير القلماوى فى كتابها « دراسات فى النقد الادبى » تحصرها فى الاداة والصور ، والاداة هى اللغة بطبيعة الحال بالاضافة الى ما يصاحبها من ايقاع واخيلة ، واما الصور فهى الاشكال الفنية التى يصدر بها النص .

ونقطة الخلاف بيننا وبينها شكلية ، اذ طالما كانت ترى ان الصور التى تعنيها هى الملحمة والقصة والمقالة والمسرحية والقصيدة ، فمن المستحسن جمع هذه تحت ما نسميه بالضروب او الاجناس الادبية.

وفى هذه الحال يكون « اصطلاح » الصورة مما يدخل فى بحث الاداة ، والصورة هى التى يسميها البلاغيون قديما تشبيها واستعارة ونحو هذين مما يندرج تحت المجاز .

وبوسعنا ان نستخلص من كل مايدور حول النص انواعا من الاسس يسهل على الناقد ان يقيم عليها تحليله وتفسيره ، ولكن مشكلة النص اكبر من ان يلفق لها الحلول ، فهى تضرب فى صميم اللغة ، وفى الوقت نفسه تمتد امتدادات بلاغية ، كما انها تشترك مع الموسيقى فى الايقاع ، وتثير ايضا فى معرض العبارات قضية المضمون .

الامر ليس سهلا اذن ، ومن اكبر ما يدل على الصعوبة فيه اختلاف الآراء حول طبيعة الكلمة الادبية ، فهذه ان كان لها ان تؤدى وظيفة التعبير عن القضايا الموضوعية ، فسوف تظل على صفة بدائية اذا قورنت باللغة العلمية المتطورة تطورالحياة نفسها . ان رغبة الفنان فى اختيار « الانسب » وليس « الموضوعى » فى مجال الاستحضار او الاستدعاء — وهو تصوير خالص — توقعه فى اسر الذين سبقوه الى التجربة نفسها . ومن ثم نرى كيف يلجأ الشاعر — مثلا — الى اللغات القديمة او العبارات التقليدية ذات المفردات المتشابهة فى الموضوع الواحد ؛ فالفتاة الجميلة عند امرىء القيس هى هى تقريبا عند المتنبى ، ولا يحاول شوقى ولا ناجى ولا طه المهندس ان يخرجوا — تقريبا — من دائرة الشاعرين القديمين . وربما يكون القمر والغزال والعيون التى فيها حور ، التاسم المشترك عند الجميع !

وقد يكشف فقه اللغة عن تطور فى معانى بعض الالفاظ او يضع ايدينا على الفروق التى يهتدى اليها فى الصفات المختلفة ، غير ان صنيعه يظل تسبيبا بعيدا عن صنيع الناقد العادى . فان كان هذا على حظ من الذكاء نحى جانبا كل شيء واستعاض عنه برصد « فكرة » النص بدلا من تقييم الصورة او قياس المدلول المحسوس .

والحقيقة ان الكلمات — وهى مجموعة رموز صوتية — حينما تنمو وتتطور تصبح « فكريتها » صارمة. ويكون دور الاديب شاقا فى ايجاد قاموسه الخاص ، وبقدر ماينجح فى تصفيته من الموروث التقليدى يجب ان ينجح فى اعادة البعد الصورى له؛ ومعنى هذا ان يدخل المعركة فى ميدانين : احدهما

ميدان التخلص من القوالب القديمة ، والآخر ميدان التخلص من اصطلاحات العصر الفكرية وما يتبعها من أساليب أقرب اليها عبارات الجمهور القارىء بوجه عام .

نحن نؤمن بأن اللغة العصرية ارقى من لغـة الاولين ــ على الاقل فى مدلولاتها المجتمعية ــ ولكن الاديب يعيش باحساسه اكثر مما يعيش بعقله ، بمعنى انه يفسر حياته تفسيرا قائما على الوجدان، وفى هذه الحال يتخلص كثيرا عن هذه اللغـة الراقية . فان عجز امتلأت آثارم بالهتافات المبتذلة والشعارات التى يرددها الفاهم وغير الفاهم ، وما اكثر من ضاع من شعراء الشباب وهم ينقلون لغة الحياة اليومية الى قصائدهم !

ولو قد يتسنى للناقد ان يراعى هذا فيواجه تلك المشكلة الجديدة التى توجدها قاعدة ان مقدرة الفن على التعبير ــ كما وكيفا ــ رهينة بامكانيات الاداة، لفتح امام احكامه ابوابا عديدة تنفذ منها الى حيث ظاهرة السقوط نثرا لبعض الاعمال الادبية .ولقد طالما قرانا قصـائد فأحسسنا أن طاقة الشـاعر اللغوية اصغر منهـا خياله ، وكم زهدنا فى حوار مسرحية احسسنا ان لغتها لا ترتفع الى مستوى الافكار !

ان الاديب الذى يختار قاموسه يستطيع ان يطوع مادته بحيث يكون كل يوافق كلا .. بلا فضـول ، ولا ضيق ، ولا تعسر . وعلى ذلك تصـبح قضية ملاءمة النص للتجربة موضوع سجال خصب ، ويرتفع الاديب فى نظر الناقد ما كان قد عبر بقدر ما احس .

ولكن هذه المطابقة تستلزم شيئا آخر هو موسيقية الكلمة . وخطر الموسيقية يظهر فى الشعر خاصة بغض النظر عن العروض ، اذ يتاح فى هذه الحال لون من البحث فى الايقاع الداخلى للكلمات وهى تتسق فى البحر العروضي بأكمله . ولكن الاحداث المنتظمة ذات الايقاع الرتيب فى الشعر ، تظل سمة العبارة فى الاعمال الادبية الاخرى ، والا افتقدت هذه الاعمال كثيرا من قيمها الجمالية الغامضة !

والحقيقة انه لا وجود للدلالات اللفظية بغير التعرف على جرس الكلمات فيها ، ولكن النقد الادبى يذهب الى ابعد من ذلك فيرى ان فى الامكان الوصول الى اقصى آفاق الجمال بتتبع جرس الالفاظ دون معانيها، واكثر مايكون ذلك عند الشعراء الرمزيين . ويعتمد كثير من الشعراء المحدثين اليوم على هذه الظاهرة، ومن ابرزهم سعيد عقل ونزار قباني وخليل حاوى .

ويرى الاخير ان الشاعر المعاصر فى التفاته الى « اللغة المحكية » انما يدخل فى الشعر ايقاعات جديدة مستمدة من طبيعة الحياة والعصر .

واذا كان التلازم قائما بين الكلمة وجرسها فلا شك ان المعول فيه هو المعنى ، ودعك من هـذه الكلمات التى غامت معانيها فى دوامة حكايتها على مر العصور .. فهذه يختلف دورها من موضع الى موضع ، فالشاعر الذى يقول اليوم : بخ بخ ! فى معرض التهليل ، او : حيطقطق حيطقطق ! ليحكى صوت الخيل وهى تعدو ، قد يثير عليه من السخرية ما لا يثار على قاص او خطيب ، لان للشـعر موسيقيته التى ترتبط بمدلولات الالفاظ !

على ان العلاقة بين الجرس والمعنى تظل بعد ذلك علاقة صوتية ، ويستطيع الناقد العادى ان يسفر عما نبا منها وجفا وعما رق وقبل ، ويقـاس نجاح الاديب من ثم بالبعد عن الغريب والحوشي والمهجور . فان كان ثمة تقديم وتأخير وحذف وذكر وما شابه ذلك ، فلأن موسيقية العبارة تريده بقدر مايريده المعنى .

وهكذا نرى الكلمة المفردة والجملة كاملة والتناسق بين الالفاظ فيها وما يتردد فيها من ايقاع .. نرى كل اولئك مجالا ينشط له الناقد فى النص ، وهو يستطيع ــ بالنسبة لناحن العرب ــ ان يستعين بآراء قيمة خلفها لنا عبد القاهر الجرجـانى فى النظم ، ولامثاله من البلاغيين لفتات اخرى لا تقل ذكاء عن لفتات ريتشاردز وغيره من التحليليين فى اوربا وامريكا .

ومهما يكن من شيء فقد بقى امامنا الحديث عن الصورة ، وفى هذه الصورة التى يشترك فى تكوينها الالفاظ ، والايقاع الذى يفرضها صوتيا على المتلقى، والخيال الذى يسهم فى اعطائها جمالياتها .. فى كل اولئك يبتعد النص عن الارتباطات الدارجة ، وينتقل الى مضمار الفن ، والحقيقـة ان الكلمة المبتذلة ــ ولا اعنى المستهجنة ــ يجب ان يجعل لها ارتباط غير مألوف لتصبح غير عادية ، ويتم هذا عن طريق التشبيه الذى يجرى كثيرا فى كلام العرب « حتى لو قال قائل هو اكثر كلامهم لم يبعد » .

والتشبيه يذكرنا بالاستعارة ، لأنها منه وان تكن اقوى اثرا حتى قال ارسطو : « التشبيه استعارة ، والفرق بينه وبين الاستعارة طفيف » وقد عرف

الامام محمد عبده والاقتصاد

للأستاذ أحمد الشرباصي

كان الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده علما من اعلام الأزهر الشريف ، واماما من ائمة الدين فى العصر الحديث ، وكانت له جهوده الكبيرة فى العلوم الدينية والعلوم العربية ، وتتمثل هذه الجهود فى تدريسه بالازهر وبدار العلوم ، ووجوه نشاطه فى تحرير الوقائع المصرية ، والقضاء بالمحاكم الشرعية ومنصب الافتاء للديار المصرية ، وفى تفسيره للقرآن الكريم ، ودفاعه عن الاسلام ، ورده على المنتقدين للدين أو للمسلمين .

ومع هذا فقد كانت للشيخ عناية واضحة بالموضوعات الاقتصادية ، يتعرض لها فى فتاويه احيانا ، ويشير اليها فى مقالاته احيانا اخرى ، ويخصص لها بعض المقالات المستقلة التى تدور كلها على الأمور الاقتصادية ، ولو رجعنا الى مجموعة المقالات والبحوث التى نشرها السيد رشيد رضا فى « تاريخ الاستاذ الامام » لوجدنا بينها مقالة اقتصادية طويلة كتبها سنة ١٨٨٠ بعنوان « حب الفقر وسفه الفلاح » ، ومقالة ثانية بعنوان « فلسفة الصناعة » ، ومقالة ثالثة بعنوان « ما هو الفقر الحقيقى » ، ومقالة رابعة عن «وخامة الرشوة» الى غير ذلك من المقالات .

وعلى الرغم من ان الامام محمد عبده قد كتب فى الاقتصاد منذ وقت مبكر وقبل أن يصبح للدراسات الاقتصادية كيان ومنهاج وكتاب ، فقد كانت له فى هذا المجال نظرات وخطرات تدل على سعة الافق ، وعلى روح العالم الذى يريد ان يربط الدين بالدنيا ، وان يقرن المادة بالروح . وان يبين ان التدين ليس معناه السلبية او الانعزال عن الحياة بما فيها من طاقات وخيرات .

فلننظر اليه مثلا وهو يعرف « الاقتصاد » فيقول :

« الاقتصاد هو فضيلة منفضائل الانسان الجليلة بل هو من اهمها ، مدحته جميعالشرائع وبينتفوائده وهو كغيره من الفضائل مركب من امرين : بذل وامساك ، اعنى ان الاقتصاد هو التوسط فى الانفاق ، بحيث لا يبسط صاحب المال يده كل البسط حتى لايبقى فيها شيئا ، ولا يقبضها كل القبض حتى لا يخرج منها شيئا ، بل ينفق من ماله حسب حاله ، يقدم الأهم فالمهم ، فيدفع الضرورة ، ويقيم البنية ، على قدر ما يناسب درجة غناه وفقره ، مع حفظ بقية من كسبه يعدها للعوارض غير المنتظرة التى قلما ينجو الانسان من ورودها عليه بغتة من حيث لا يشعر .

الاستعارة فى « الخطابة » بانها نقل اسم شيء الى غيره ، وعرفها ابن المعتز بانها استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها . وجعلها العرب بعد أو قبل من صميم البيان ، فدارت حولها من المناقشات والتقسيمات ما جعلها نشاطا عقليا من الممكن تقنينه ، وكان ارسطو قد توسع فيها فجعل منها المبالغات والامثال .

وسواء اكان النص استعارة أم تشبيها ، فالمعول فيهما وجه الشبه . ويرى الناقد حقيقة التجربة من خلالهما ، ومن خلال صور المجاز كافة . بل هو يناقش جزئيات الصورة — ان عدل المؤلف عن اى نوع من انواع المجاز — فى اشكاله الاخرى كان يصطنع أسطورة أو يستخدم مثلا او رمزا .

ومع توفر عنصر الجمال الشكلى الى جانب ما تقدمنا يصبح النص وكأنه اجيز فنيا ، فالصورة واضحة لا تمثل خللا فى السياق ، والتجربة سليمة الجوانب قوية الدلالة ، والكلمات موحية موفقة . فما على الناقد بعد هذا الا ان يصدر حكمه اذا اراده والا فهو يجيب بـ « نعم » اذا سأل : هل نجح المؤلف فى التعبير بهذا النص ؟ .

غير ان هذا العمل بخطواته تلك لا يتم الا على الصعيد الاكاديمى ، لأن النقاد الذين تستهلكهم الصحافة لا يكلفون انفسهم مشقة هذا الضرب من المحاولات . بل لعل كثيرين يرون ان كل نظريات الجرجانى والآمدى — وحتى ارسطو — عبث لا طائل وراءه او مراوغات يتقنها المدرسيون .

دكتور
أحمد كمال زكى

فاذا جمع الشخص بين الامساك عما لايلزمه ، والبذل فيما هو احوج اليه ، فقد حاز فضيلة الاقتصاد التى قال فيها نبينا صلى الله عليه وسلم : « الاقتصاد نصف المعيشة » والمعنى ان المعيشة تقوم بأمرين : الكسب والاقتصاد ، فان لم يحز الآخر وهو حسن التدبير فقد فقد نصف معيشته ، اى فقد انهدم احد ركني المعيشة ، فان حاز الأمر الاول والثاني وهو الاقتصاد ، فقد تمت له المعيشة » .

ويتحدث الامام محمد عبده فى هذا المقال عن اتساع رقعة التوزيع للثروة ، وانه كلما اتسعت هذه الرقعة كان ذلك دليلا على تحقق العدالة الاجتماعية والديمقراطية الاقتصادية وتكافؤ الفرص ، فيقول فيما يقول : « ان اغنى البلاد واسعدها هى البلاد التى توزعت ثروتها على غالب اهاليها ، ويزداد الضرر اذا وقعت الاملاك والمبيعات فى أيدى الغرباء والاجانب الذين لا يسرنا ان نراهم واضعى أيديهم على غالب الاملاك العظيمة والاراضي الواسعة التى كانت فى ايدى البلاد ، بل هذا امر يحزن كل ذى عقل وادراك ، ولا يغفل عنه الا غبى دنىء محب للفقر والفاقة ، واننا لنخجل من حكاية هذه الاحوال عن اهالي بلادنا » .

ولنتذكر انه كتب هذا سنة ١٨٨٠ م ، ولو اراد متحدث باسم الاقتصاد أن يتحدث اليوم فى هذا الموضوع لما خالف الامام فيما قال .

وفى بحثه عن « فلسفة الصناعة » نراه يقرر ان الصناعة هى قوام النوع الانسانى ، وعليها مدار بقائه وبهذه الصناعة يستطيع الانسان ان يسود غيره من الاحياء ، ويسخر ما امامه من الموجودات ، ثم يقول الامام عن الانسان : « انه فى جميع مراتبه لم يكن ليقيم ظهره بين الموجودات الا بدعائم الصنائع التى هدته الى اختراعها تلك القوة العاقلة الكلية ، لتكون له عوضا عما سلبه من اللوازم الضرورية والحاجية والكمالية التى منحت لغيره من الحيوانات باصل الفطرة .

وليس ذلك بخاف على ذى شعور ، فان صناعة الحياكة مثلا قائمة مقام القوة السالكة للجلود الغليظة المفرزة للاشعار والاوبار ، الواقية لما احاطته من صولة البرد والحر بل القائمة مقام ترس يحفظ جوهر بدنه من تمزيق عادية غيره ، وصناعة الحديد والاسلحة منزلة منزلة القوة المولدة للمخالب والبراثن والانياب للسباع والضباع وعوادى الطيور وكذلك بقية الصنائع ، وما لم يقم منها مقام ضرورى او حاجي قام مقام كمالى » .

ويؤكد الامام محمد عبده المبدأ الذى نؤمن به وهو ان العمل شعار الأحياء ، ولذلك يقرر ان الشخص القادر على العمل ثم لا يعمل عضو اشل يلزم بتره وقطعه ، وان الذين لا يعملون ثم يريدون ان يسطوا على اموال غيرهم بلا وجه حق ، هم كالامراض الخبيثة ، والاوبئة المهلكة ، ولذلك يقول :

« من لم يكن ذا عمل حقيقى يفيد المجتمع الانسانى ويعين على انتظام الهيئة الكلية . فهو كالعضو الاشل ، لافائدة منه على البدن ، الا تكلف حمل ثقله مع عدم التألم من ازالته ، فالاولى ابانته وقطعه :

بل ان كان لا يعمل ، ويسعى الى بقية الافراد فى عدم العمل ، كالاباحية الذين يعتقدون انه لا ملكية لاحد فى مال ولا عرض ، حيثما جاعوا اكلوا ، او شبقوا واقعوا ، ويبثون افكارهم بين افراد النوع ليقتدوا باعمالهم ، ويسيروا مثل سيرهم ، فيتركون الاعمال اتكالا على ما بيد الغير حيث انه مباح لهم ، فان تغلبت افكارهم بطلت الصنائع ، وذهب ما بيد الغير وما بايديهم ، فيحتاجون الى الضرورى من الاقوات وغيرها ، ولا يجدون فيهلكون .

فاولئك كالامراض السارية مثل الجذام والزهرى . لا بد من قطع العضو المئوف (المصاب) ، بها والقائه فى النار ، لئلا يتعدى ضرر مرضه الى سائر البدن » .

وفى اواخر مارس سنة ١٨٨١ يكتب الامام محمد عبده بحثه : « ما هو الفقر الحقيقى فى البلاد » ويصور فيه الحالة الاقتصادية المؤسفة التى كانت موجودة فى بلادنا ، والتأخر الذى اصاب الزراعة والصناعة والتجارة حينئذ ، فيقول فيما يقول :

« الزراعة على حالها القديم ، لم يوجد منا من يضع طريقة لزيادة الحاصلات او تسهيل العمل وتخفيف المشقة ، بل حصل فيها النقص بفقدان كثير من الانواع التى كانت تزرع فى الازمان البعيدة كالكتان والسمسم وغيرهما ، والاقتصار على بعض اصناف قليلة .

والصناعة قد انحطت درجتها عما كانت عليه من نحو ستين سنة ، واظن هذا لا يحتاج الى البيان . والتجارة لم تتغير حالتها عما كانت عليه يوم صارت

بمصر مصرا ، وبيوت التجارة الواســعة من ابنائها قليلة جدا ، ان لم نقل مفقودةبالنسبة لبلادأخرى » .

ويطالب الامام لاصلاح ذلك بنشر العلم ، وتقوية الروح القومية حتى يشعر الفرد بأن الضرر للوطن كالضرر لنفسهتماما ، ومقاومة المتسلطين علىالثروة بلا حق مشروع ، والحيلولة دون اســتلاء الاجانب على الثروة ، وتوسيع دائرة الصناعات والفنون ، ومطالبة الاغنياء بالاسهام فى خدمة البلاد واداء ما عليهم نحوها .

ويقرر الامام الشيخ فى هذا البحث مبدأ اقتصاديا هاما ، وهو ان الدولة من واجبها أن تيسر وســائل العمل للافراد ، ثم يجب على الافراد بعد هــذا ان يقدموا على العمل ، وان يواصلوا الانتاج .

ويجب عليهم ان يطلبوا من الدولة ان تعمــل كل شيء ، وان تنهض بكل أمر . يقول الامام :

« ان شأن الحكومة ليس الا ان تطلق للناس عنان العمل ، فيعملوا لانفسهم ما يعلمونه خيرا لها ، فان اية حكومة قيل انها عادلة حرة لم يكن لهــا الا انها اباحت للناس انيدخلوا فى اى باب منأبواب المنافع ويطلبوا الخير الحقيقى بكل وسيلة صحيحة ، فاذا لم يكن فى الناس ــ خصــوصا الكبراء من يهمه أمر مصلحته ، وبقاء شرفه وناموســه ، فسفه منه أن يطلب من الحكومة مالا يطلبه هو لنفسه من نفســه وهذا الواجب الحكومى هو ما نعبر عنه اليوم بتهيئة الفرص المتكافئة التى يجد فيها كل قادر مجــالا لكى يعمل وينتج ويكسب ويمتلك بأسلوب شريف نظيف .

ويرى الامام أن « الرشوة » هى « الداء المميت لروح العدل ، المفســد لمزاج النظام » وان دفعها للمرتشي « يعد من سفه الرأى ، وقلة العقل ، ودناءة الطبع » ، ويعرض علينا الشيخ صورة أليمة منصور الرشـوة فيقول عن بعض الناس فى مجتمعه وعلى عهده :

« ومن الناس منتكون حقوقه بينة ، جلية الثبوت خالية عن عناد خصم ، أو تدليس محتال ، ولا يكتفى بذلك فى اقتضائها . فيسارع الى الرشـوة يدفعها لمن يرجع اليه تخليص حقه غنيمة باردة ، وقد ينهى الحاكم العفيف ولا يرضي بقبولها ، وهو من سفهه يتوســل ويتضرع اليه فى قبولهــا منه ، لظنه انه لانجاح بدونها ، وليس ذلك الا لرسـوخ تلك العادة الشنيعة المضرة بالدنيــا والدين فى طباع ادنيــاء الهمم ، تقربا لذوى المناصب ، وتذللا خبيثا لا يجوزه الشرع ولا قانون البــلاد ، وتنفر منه نفس كل ذى احســاس انسانى .

مع أن حفظ الاموال من الضياع فيما لا ينبغى ، وصرفهــا فى وجوههــا الضرورية كالمطالب الميرية والنفقات اللازمة ، اليق بفعــل العقلاء ، واصــون لحرمات القانون ، وابعد فىطريق السلامة منالوقوع تحت أعباء المعاقبة والتهلكة ، واحسن طريقة لردع ارباب الشره والخسة ، اذ لو كف كل ذى حق عن اداء الرشوة ، واعتصــم بالطريق الأقوم ، وخضع للاحكام الحقة ، لتحصل على حقه بدون أن يرىمن خصمه ادنى محاولة او مراوغة الا بالحق » .

ويعتبر الامام محمــد عبده « الاسراف » سوءا خطيرا ينخر فىهيكل الثروة القومية وجرثومةخطيرة تشيع فى كيان الأمة الاقتصادى الضعف والخور ، ويصور لنا كيف يلقى المسرفون بأيديهم الى التهلكة وكيف يدفعهم حبهم للتظاهر الكــاذب والتبــاهى الخادع الى اسوأ العواقب ، فيقول عنهم انهم فتحوا على انفسهم بابا آخر من الفقر ، يلجونهباختيارهم وارادتهم ، بدون قاسر ولا قاهر ، وهو باب السرف والتبذير والاكثار من لوازم الرفاهية والزينة ، وما يكسب الظهور الكاذب بلا طائل فرأيناهم يتفاخرون فىاعداد الولائم ، واتقان اشكالالزينة ، ويتنافسون فى تشــييد الابنية ، ويتكاثرون فى الملابس وانواع الملاذ ، لا يقفونفيها عند حد ، ولا ينتهون الىغاية .

ثم يتحدث عن الكوارث التى يسببها الاسراف عن طريق الاســتدانة بالربا الفاحش ، أو عن طــريق الرهن المؤدى الى الغبن وهضــم الحقوق وضياع الممتلكات الى آخر هذه المهلكات .

سـلام الله على الامام الشيخ محمــد عبده الذى كان احد الائمة الاعلام البصراء بشئون الدين والدنيا سلام عليه فى الخالدين .

احمد الشرباصي

الزيات مدرسة ورسالة

للأستاذ سمير ندا

تربع المنهاج القديم التقليدى على عرش الأدب حتى مطلع هـذا القـرن ، تطبعه بطابع التظرف والتأنق وقيده بأغلال أصـول فنية نخرة كأعجاز نخل خاوية ، وعلى نفس الدرب التطورى الذى سلكته آداب الغرب فى القرنين السابع عشر والثامن عشر درج أدب الشرق ، فكمـا كانت الرومانتيكية ردا منطقيا على الكلاسيكية هناك ، ظهرت عندنا طائفة تتسلل الى حيث الجمال والعاطفة والخيال ، وتتنكر على القدامى تجمدهم وتخلفهم ، وتسعى ظاهرة الخطرات حثيثة الخطـوات تفتح آفاقا جديدة فى تاريخ الأدب العربى ، وكان الاستاذ الزيات واحدا من هذا الرعيل الذى واعد قدر أمته على مشارف نور فجرها فكان بعضا من هذا النور ·

وان كان الأسـتاذ الـزيات ينتمى الى طائفة الرومانتيكيين العرب ـ ان جاز أن نسميهم بذلك ـ ، الا أنه اكثر اعتدالا واتزانا من غيره ، فقد اتصـل بأسـباب الأدب العربى القديم فى غير ما تعصـب ولا تشدد ، وعكف على مناهل الفكر الغربى دون ما اسراف أو تبذل ، أما الذين اسـتهوتهم بهرجة الفرنس والافرنج فقد اصبحو كالمنبت لا أرضـا قطع ولا ظهرا أبقى ·

وقد بدأ الزيات جهاده الأدبى والفكرى قبل أكثر من نصف قرن ، فعمل بمجلة الجديد التى كـان يصدرها محمد حسن المرصفى ، ثم انتقل الى زميلتها السفور واتصل جهاده بجهاد مصطفى عبد الرازق ومحمد تيمور ومحمد فريد أبو حديد ، كان ذلك وقت اشـتغاله بالتعليم وفى نفس الحقبة توفر على تصنيف ـ تاريخ الادب العربى ـ فكان هذا الكتاب للناشئة والحاذقة على السـواء ملاذا يلاذ به وحمى يحتمىّ فيه وكعبة تشد اليها الرحال **وان المرء ليلمح فى ثنايا هـذا السـفر الجليل أمانة المؤرخ ودقة الباحث واصالة المفكر وابداع الاديب · ثم اقتحم أدب الغرب ليعود بخلاصته وعصارته فترجم عام ١٩٢٠ آلام فرتر لجيته وفى عام ١٩٢٥ ترجم روفائيل للامارتين · واعتبرت ترجمته لهاتين الدرتين خلقا جديدا لهمـا وبلغ بذلك الزيات ارفع مسـتويات الاديب الذى يصـفه ا· س · مونتجيـو بانه « ··· هذا المستوى الرائع من التكوين الانفعالى لصور الاشياء فى ذهن الفنان يصعد اليه الكاتب على سلم فنى من التداخل بين الدربة الفنية على ممارسة فنـه ـ الدربة على تنسيق الكلم ومعاناة الكتابة ـ وبين الجهد الخيالى فى النفاذ الى أعماقها البعيـدة ولبابها الخالص وقلبها النابض** » ثم أصدر الرسالة وحملها على كاهله رحمة مهداة الى الناطقين بالضاد من الخليج الى المحيط · وسافر الى العراق أسـتاذا للادب بجامعة بغداد ولنا عود الى هذا الموضوع فيما يتقدم من الكلام · وتساوقت بعد ذلك مؤلفاته منها (محاضرات فى أصـول الادب) ودفاع عن البلاغة وآخرهما « وحنا الطبع وعما » عبقرية الاسـلام من الناحية الجمالية » و « ذكرى عهود » الذى يؤرخ حياة الزيات العاطفية ·

من هذا الاستعراض الموجز يتضح أن الزيات انطلق يطوف واثقا بشراعه فى محيط الكلم يرتاد ما استعصى على الكثيرين كشفه أو استغلق عليهم ادراكه وفهمه ، فهو مفكر أديب وهو الى ذلك لغوى أريب فى أدبه رومانتيكى وفى فـكره عربى اسلامى وفى لغويته معتدل منطقى · أما فلسفة الزيات مفـكرا وأديبا فتتضح من قوله بصدد قانون تفرغ الأدباء : « ان الكاتب الحـر الموهوب لاينتظر أن يكلف أو يعان حتى يكتب » ولا مشاحة فى أن ذلك الاتجاه يحفز الـكاتب على الصـقل والتهـذيب ، والابداع والتجديد · وان كنت لا أذهب مع الاستاذ الزيات فى تعميم هذه النظرة للادب لانها لا تغنى ولا تسمن من جوع الكثرة الكاثرة من كتابنا · فالادب عنـده اذن غاية مقصودة لذاتها وهو أصداء رنين الوجدان لا رنين الذهب · وأما منهاجه فى ميدان الفكر والادب فقد ألمعنا اليه فيما تقدم الا أننا نزيد الامر ايضاحا باستعراض رأيه فى بعض مذاهب الادب التى يسعى اليها جانب من الكتاب فيقول : « ··· حتى الرمزية وهى بنت الافق الغائم والنفس المعقـدة واللسـان المغمغم يريدون أن تتبناها العربية بنت الصحراء المكشوفة والشمس المشرقة والطبع الصريح ، وحتى الوجودية وهى بنت الخلق المنحل والذوق المنحرف والغريزة الحرة يحاولون أن تتقبلها العربية لغة الرسـالة الالهية » ولكى يؤكد الزيات مذهبـه ويدعم فكرته يستعرض موضوعية الادب فى اعجاز وايجاز فيردف : « ليس الامر فى الادب كالامر فى العلم ، **الأدب للنفس والعلم للناس ، الادب مواطن والعلم لا وطن له ، الادب روح وجسد ودم فى العروق يكون شخصية الفرد فيحيا مستقلا بنفسه ويبرز شخصية**

الشعب فيحيا متميزا بأفراده ، الادب جنس ولغة وذوق وبيئة وعقلية وعقيــدة وتاريخ وتقاليد . والعلم غير أولئك كله ، فاذا جاز طبعا أن نأخذ من غيرنا ما يكمل نقصنا من العلم فلا يجوز قطعا أن نأخذ من هذا الغير ما يمثل أنفسنا من الادب » ..
والاستاذ الزيات لا يقصد بذلك أن نتقوقع ونتعزل، وانما يسـتهدف الى خلق أدب عـربي ذي شخصية متميزة قائمة بذاتها ولن يتسنى لنا ذلك طالما درنا في فلك الادب الغربي نهتبل منه الصالح والطالح والغث والسمين ، وانما يقصد أن نلتصق بأدبنا العربي القديم فيما غبر ولا يمنع ذلك من الوقوف على أدب الغرب الجديد المبتكر .

أما الزيات اللغوي فكان للـكلمة العربية ملاذها وغيابها فوقاها شر التمـزق على صـخر المتفرنجة والمتفرنسة وحال بين أنوار هذه الكلمة من أن تتبدد في قفر الجهل باللغة ، ومع ذلك فهو لا يغالى فيأخذ بأسـباب الفصـحى حتى يشـق على المرء تبيانها ويستعصي عليه استكناهها ، كما أنه لا يتسـاهل ويتخفف الى الحد الذي يختلط فيه الخسيس بالثمين فيطويه أو يتمكن الباطل من الحق فيرديه ، وانما اختط لنفسه مذهبا وسطا يقول فيه « ... ومذهبي في مجمع اللغة العربية امداد الفصحى بما تزخر به العامية من ألفاظ الحضارة وتراكيبها التي دخلت في الحياة العامة حتى تضيق مسافة الخلف بين اللهجتين وينتهي بهما الامر الى لغة واحدة عامة فيها من الفصحى السلامة والجزالة والبلاغة والسـمو وفيها من العامية الدقة والطبيعية والحيوية والتجدد والوضوح » .. والاستاذ **الزيات حين يدعم اللغة انما يدعم ركنا أساسيا من أركان القومية العربية ، وانا لنلمس أثر نضاله هذا وقد خلفه حيث عاش بالعراق ردحا من الزمن ، نلمس أثر هذا النضال الفكري اللغوي في قول ثائر العراق ــ عبد السـلام عارف ــ اذ يعترف في سعادة وحبور واجلال ... « لقد تلقينا معـاني القوميــة العــربية عن الزيات ورسالته » . اذن فقد لعب الزيات في ثورة العراق العربي دورا حافلا يشبه من وجوه الادوار التي قام بها روسو في الثورة الفرنسية وتوم بين في الثورة الامريكية وجوركي في الثورة الروسية ،** فليس من المستغرب بعد ذلك أن يحتل أدب الزيات جانبا كبيرا من دراسات المستشرقين حتى يقال فيه « ان أدب الزيات يعتبر ركيزة متينة للادب العربي الحديث » .

بقي أن أشير الى أسلوب الاستاذ الزيات ــ مفكرا وأديبا ولغويا ــ فقد وصف أسلوب الزيات فيمـا وصف بالرشاقة والاناقة والسهولة والوضـوح. وظن البعض أن الرشاقة والاناقة ، ضعف وخور ، وأن السهولة والوضوح تخاذل ووهن . حتى قيل في شأنه انه زعيم الاسلوبيين فقط .

وليس لي أن أدافع عن الزيات وأنافح ، فليس ثمة سـبة تتطلب دفاعا أو منافحة . ولـكننا اذا تناولنا الامر في شيء من الجد والعمق لادركنا أن الجملة التي تقرأ في سهولة ويسر ، شديدة الصعوبة في كتابتها لانها كما يقول شريدان « ... تم صقلها وتحويلها الى أدب حقيقي ، جملة ذات كلمات مختارة، كلمات نقيت وصفيت ثم نسقت ورصفت وأخذت مكانها من النغم العام والموسيقى السائدة ، واصطبغت بلون جميـل من الانسجام فاصبح الوصف مجسما في صورة حسية نشم فيها تنفس الانسان ونسمع جرس الاصوات ، ونحس حركة الحياة .. » وهكذا الزيات عبـاراته معتادة ، ولكنهـا منتقـاة مصطفاة رتبت ونسقت ، فتــلاءمت وتنـاغمت كقوله مفسرا قوة الاسلام في الاندلس خلال القرون الاربعة الأولى من دخوله اياها « ... انه كان ينبثق من مصدر متحد ويشرق في صحو شامل فلا غيوم كانت تحجب ضوءه ولا عواصف كانت تبدد سناه ... » أو كما يصور موقف الغرب المزري من اقدام فرنسا على سفك دماء الجزائريين فلا يحرك سـاكنا « .. كمـا يتفرج الأطفـال بصراع الدمى على مسرح العرائس .. » وهكذا دواليك ، يســتغل الاستاذ الزيات كل الامكانات الفنية للكلمات فينشر أضـواءها ويوزع ظلالها وينسق ألوانها لتخرج في النهاية لوحة تأخذ بمجــامع القلوب وتأسر مقلات العيــون حــين يعتصرها الوجدان مستقطرا منها رحيق الجمال .. ذلكم أن طريق الابداع الادبي ــ كما يقول مونتجيو ــ يخضع لعمليتين يبلغان به الكمال الفني أولاهما : أن تنقى كلماته وتصــفى وثانيتهما : أن تلقح هـذه الكلمات بلقاح وهاج يجعل الكلمات خارقة القوى ، لقاح من التعبير المثير والجمال الأخاذ .

فان صح أن توصــف بسـاطة الزيات وأناقته ورشاقته فانما يصدق عليها التوهج والتألق . هذا هو الأدب .

واخيرا وليس آخرا ! فان الزيات مفــكر اديب ولغوى . يصعب على القلم أن يحيط به كل الاحاطة فيحقه حقه ويقدره قدره وينزله منزلته .

سـمير ندا

أغنية للثوار

للأستاذ محمد أحمد العزب

الليل دموع ودماء .. والأفق الغـارب انواء
ووراء الكوخ ..وخلف جدار الليل .. انين وبكاء
اطفال جوعى اذرعهم للخصـب دعـاء ونداء
اعينهموجه سحاب قاتم ..وغابت فيه الاضواء
وخطاهم عبر اللامأمول خطى عمياء وشـلاء
والفجر الواعد حلم غد غشاه مساء ومسـاء
لكن الفارس جاء ..وخلف الفارس فرسان جاءوا
ركبوا للفجر جواد الليل ..   اباء يحدوه اباء
عصروا احداق الظلمة فانطفأت ..وتهادى اللألاء
طلعت شمس ماكانت تطلع .. ذاب جليد وشتاء
وانبجس الدفء ..ورفت في الشطآن مروج خضراء
وتعانق تحت سماء البعث الهادر ناى وغناء
وصباح البعث رؤى حلم غنى لضحاه الشهداء

***

الفارس سار ..وخلف خطاه استبسل شعب بناء
والفارس في بلدى .. امل .. صنعته قرون سوداء
احلام ابى نسجته لنا بطلا جبهته سمراء
تحمله غيمات ربيع اذرعها وعى .. وذكاء
فى ليل غرد من يوليو زفته لشعبى الأنباء
تتمطى فى اعماق الناس .. رجاء يحدوه رجاء
صنع التاريخ .. جبين ضحى تترقرق فيه الأنداء
فابى ما عاد رقيق الأرض يهد صباه الاعياء
واخى .. ما عاد اخى «شيئا» تذروه الريح العمياء
وحقول القمح لكل الناس .. لكل الناس الاعطاء
وبلادى جبهة اعصار ان دمدم فى الأفق عواء
لا تحنى هامتها ابدا .. لا تبخل ان لاح فداء

***

يازحف بلادى .. ياحبى .. خطواتك خصب وثراء
برعم فى كل حقول الارض شذاك تغنى الاجواء
أنا عندى لضحاك المأمول اغان نشوى خضراء
اغنية للفجر الموعود بلون جبينك .. بيضـاء
فاستبسل فى زحفك .. اقدم .. فدروبك شوق وحداء
وحناجر ملء فضاء الكون تدوى فيها الأصداء
«مجدا للخصب» «لترتفع الرايات» سلام واخاء

محمد احمد العزب

جراح قلب

للأستاذ محمد بدر الدين

انا يا اخي في الغـار لن انسي هناك
فاخي الشهيد على الثرى... ملقى هناك
والثار يوما سـوف يجمعنا هنـاك
انا من هنـا ... لكن جرحي من هناك

***

قد غاب عمري في الظلام . وفي العذاب
حتى نسيت الدمع من هـول المصـاب
ونسـيت افراحي ... واحلام الشـباب
حتى ضـياء الوهـم غشي بالضـباب
وارى امامي هـول اشـباح الخـراب
اطـلال شـعب تائه بين الشـعاب
وسـطور عار اسـود .. ملء الكتـاب

***

عـار سنغسـله بأنفسـنا هنـاك
فالثار يوما سـوف يجمعنـا هنـاك

***

سـتثير احقـادي مـرارة ذلتي ..
وتعيد في افقـي خيـال النكبـة ..
هي نكبتي ... فالقـدس كانت قبلتي
ان لـم اكـن منهـا ففيهـا امتي
وبلادكـم وطنـي وانتـم اخـوتي
يوما سـاكتب في ثراكـم .. قصـتي
بدمي .. وانسـف قيدكـم بعـزيمتي
فاذا سـقطت اخي فوسـدني هنـاك
انا من هنـا .. لكن جـرحي من هناك

***

لاتبكنـي وازار كليـل عاصـف
وانهـض اليهـم كالبـلاء الزاحـف
واقـذف رصاصـات الفناء الخـاطف
من مدفع عـات .. حقود .. قاصـف
واحصـد به حشـد العدو الواجـف
والخـائنين ذوي الاخـاء الزائـف

***

فاذا تحققت المنى ... فاذكـر اخـاك
ذاك الـذي اهـدى الحياة الى ثـراك
وسـعى ليشـهد بعث امته هنـاك

محمد بدر الدين

قادة فتح العراق والجزيرة

للأستاذ قاسم الخطاط

هذا هو عنوان المجلد الاول من سلسلة « قادة الفتح الاسلامى » الذى تعمل فى طبعه الآن « دار القلم » بالقاهرة ، وتتألف هذه السلسلة من سبعة مجلدات تتحدث عن :

قادة فتح ارض الشام ومصر
وقادة فتح المشرق
وقادة فتح المغرب العربى والاندلس
وقادة فتح اوربا
وقادة فتح البحار

ويجىء المجلد السابع ليتحدث عن الفتح الاسلامى .

مؤلف هذه السلسلة ، هو اللواء الركن الحاج محمود شيت خطاب ، عضو المجمع العلمى العراقى، ووزير البلديات الآن فى العراق .

ولابد لمن يتحدث عن اثر من الآثار الادبية او الفنية ، ان يبدا بالحديث عن صاحب الاثر وصانعه. لهذا سابدا بمقدمة موجزة عن الرجل الذى وضع هذه السلسلة القيمة ، تضع امام اعين الجيل الصاعد من شبابنا ، صفحات مشرقة لرجال خرجوا حفاة أميين من جزيرة العرب ، ليحطموا امبراطوريتين عريقتين هما امبراطورية الفرس وامبراطورية الرومان .

المؤلف ولد بمدينة الموصل عام ١٩١٩ والتحق بالكلية العسكرية بعد اكماله الثانوية وتخرج فيها، ثم تخرج فى كلية الاركان عام ١٩٤٧ ، وقد عرف بالتقى والصلاح وكانت هوايته المفضلة بعد انتهائه من اداء واجباته العسكرية الشاقة ، هى القراءة والبحث والتأليف وقد اصدر كتابه القيم « الرسول القائد » ، فنفذت طبعته الاولى والثانية ، وتقوم دار القلم بالقاهرة الآن بالعمل على اصدار طبعته الثالثة ، كما ترجم عن الانجليزية كتاب « فون رونشتد » ومن مؤلفاته العسكرية : « القضايا الادارية فى الميدان » و « التدريب الفردى ليلا » وهما من الكتب التى تدرس فى كلية الاركان العراقية .

وكان برتبة عقيد ركن ، عندما طغى المد الشيوعى الاحمر فى العراق ، وحين ثار الشهيد الشواف فى الموصل على الانحراف والشعوبية والمد الشيوعى ، كان هذا الرجل من بين من القى القبض عليهم ، واعتقل فى معتقل الدبابات الرهيب ، ولاقى من زبانية قاسم الشيوعيين عذابا وحشيا ادى الى اصابته باثنين واربعين كسرا فى عظامه ، ولم يكن احد يتصور ان هذا الرجل سيعيش ، ولكن الله حفظه .

وامر عبد الكريم قاسم باطلاق سراحه ، ثم دعاه وعرض عليه ان يتولى منصب وزير التربية والتعليم، ولكنه اعلن بصراحته المعهودة انه يشترط لقبول هذا المنصب ان تطلق يده فى العمل على تنظيف تلك الوزارة من العناصر الشيوعية والشعوبية ، وعلى ان تكون له حرية العمل فى رسم سياسة التعليم بحيث تتجه اتجاها عربيا . وكان يعلم ان عبد الكريم قاسم سيرفض هذا الشرط ، ورفضه فعلا ، ولم تنفع المداورة ووسائل الاقناع مع هذا الرجل الصريح المؤمن بعروبته وباسلامه .

وهكذا رفض منصب الوزارة غير آسف ، واعتكف فى بيته يؤلف سلسلة قادة الفتح الاسلامى .

وفى الوقت الذى كان فيه بعض الاغبياء يظنون ان محمود شيت خطاب قد ضاع الى الابد ، وان عبد الكريم قاسم قد فاز بالمجد والسلطة . فى ذلك الوقت نفسه كان عبد الكريم قاسم يسير الى نهايته المخزية ، بينما كان محمود شيت خطاب يقوده ايمانه الى الخلود .

كان راتبه التقاعدى (معاشه) مائة وعشرين دينارا ، ولكن هذا الرجل المؤمن الانسان ، كان يوزع ثمانين دينارا على عائلات اخوانه من الضباط المعتقلين ، ويكتفى باربعين دينارا يعيش بها عيشة الكفاف هو واسرته .

وفى اليوم الذى خرج فيه من المعتقل الى مكتب عبد الكريم قاسم ، ثم غادر مكتب الطاغية بعد ان رفض منصب الوزارة ، عاد الى بيته ، وكان ذلك فى شهر رمضان ، حيث كان فطوره مع اسرته قاصرا على الحمص المسلوق ، والخبز المنقوع بماء الحمص المسلوق .

ولم يكتف بتوزيع ثلثى راتبه التقاعدى على عائلات المعتقلين من اخوانه الضباط ، بل كان يدور على معارفه ومن يثق بهم ليجمع منهم التبرعات حتى يوصل الى عائلة كل واحد من الضباط المعتقلين

مايكفيهم لنفقات معيشـــتهم ، فى الوقت الذى كان يعجز فيه عن دفع اتعاب الطبيب اذا ما مرض احد افراد اسرته ، فيتركه يصارع المرض معتمدا على الله ، لانه لا يملك ما يعطيه للطبيب وما يشـــترى به الدواء .

وكان يعمل خلال ذلك على الاتصال بالمخلصين لاعداد الخطة للقضاء على الحكم الفردي الشعوبي الذى خيم على العراق .

وفى صبيحة يوم ١٤ رمضان ، كان واحدا من عشرين ضابطا تولوا قيادة القطاعات التى هاجمت وزارة الدفاع ، وقضـــت على حكـم عبد الكريم قاسم .

وعندما جيء بعبد الكريم قاسم الى دار الاذاعة ذليلا اسيرا ، هاجمته مجموعة من الجنود لضربه واهانته ، وكان محمود شيت خطاب واحدا من القلة الذين امتدت ايديهم لحمايته من الضرب والاهانة ، وأمر الجنود ان يبتعدوا ، فاطاعوه . ان مالقيه من ضرب وتعذيب بأمر عبد الكريم قاسم ، كان يجب أن يدفعه الى التشفى بترك الجنود يضربون من أمر بضربه ، ويهينون من أمر باهانته ، ولكنه كان يحمل نفس القائد الذى لا تدفعه الهزيمة الى اليأس ، ولا يدفعه الانتصـــار الى الغرور . وكان يحمل نفس الانسان التى تابى انتقاتل الاعزلوتنتقم من الضعيف المخذول .

اظنني نجحت فى القاء بعض الاضواء على جوانب من شخصية صديقى الحاج محمود شيت خطاب ، مؤلف سلسلة « قادة الفتح الاســـلامى » ، الرجل الصادق الامين ، الذى لا يغره منصب ، ولا تفتنه عن عروبته ودينه سلطة زائلة ، ولا تغريه بهرجة كاذبة . واســـال الله الا يكون لمحبتى له اثر فيما كتبته عنه قاصدا الحق والصدق .

واعود الآن الى الجزء الأول من هذه السلسلة « قادة فتح العراق والجزيرة » .

قال احد اعضاء المجمع العلمى العراقى عن هذا الكتاب :

« والمؤلف قد حرر فصول كتابه تحرير فاحص متثبت يزن الاقوال ويعارضها ثم يدونها مطمئنا الى النتائج التى توصل اليها مع ميزة ظاهرة فيها هى فقهه الحربى الذى تخلل نظراته التاريخية ، ثم ميزة اخرى هى ايمانه المطلق باقدار هؤلاء العظماء الذين يدون سيرهم الخالدة ، وامتزاج روحه بارواحهم العالية التى بعثتهم على البذل والتضحية وتحمل المشاق واقتحام الصعاب فى سبيل نشر رســـالة الاســلام الانسانية ، وهاتان الميزتان : ميزة الفقه الحربى وميزة الايمان ، مضافتين الى البحث التاريخي ، قلما تتوافران فى شـــخص يبحث فى التـــاريخ الاسلامى .

وهذا الكتاب يرمى فى جملته وتفاصـــيله ، الى احياء عظائم البطـولات العـــربية ، ومزايا حملة الرسالة الخالدة من بناة الاسلام والقومية العربية الاصيلة ، والى ايقاظ الشعور القومى الحى النظيف المؤمن البناء » .

مصادر الكتاب

وقد رجع المؤلف وهو يعمل فى كتابه هذا الى سبعة وستين مصدرا من مصادر الكتاب والســـنة والسيرة والفقه والانساب والجغرافية. والى تسعة واربعين كتابا عربيا بين قديم وحديث ، والى ستة من المصادر باللغة الانجليزية .

اقسام الكتاب

ويتالف هذا الكتاب : « قـــادة فتح العـــراق والجزيرة » من ثمانية اقسام :

القسم الأول : تحدث فيه عن القادة العـــامين ، حيث درس شخصياتهم والمعارك التى خاضوها ، وهؤلاء القادة هم : المثنى بن حارثة الشيبانى وخالد ابن الوليد وابو عبيد مسعود الثقفى وسعد بى ابى وقاص .

القسم الثانى : قادة فتح محور العراق الاوسط وهم : خالد بن عرفطه العذرى وزهرة بن الحوية التميمى .

القسم الثالث : قادة فتح محور ديالى من المدائن الى حلوان ، وهم : هاشم بن عتبه بن ابى وقاص والقعقاع بن عمرو التميمى وجـــرير بن عبد الله البجلى .

القسم الرابع : قادة فتح محور دجلة من المدائن حتى الموصل ، وهم : عبد الله بن المعتم العبسى وربعى بن الافكل العنزى وعـــرفجة بى هرثمة البارقى .

القسم الخامس : قـــادة فتح محور الفرات من الرمادى حتى ملتقى الخابور بالفرات وهم : عمر بن مالك الزهرى والحارث بن يزيد العامرى .

القسم السادس : قادة فتح جنوب العراق وهم : عتبه بن غزوان والمغيرة بن شعبة الثقفى .

القسم السابع : قائد فتح المنطقة الجبلية من شمالى العراق وهو : عتبة بن فرقد السلمى .

القسم الثاني قادة فتح الجزيرة وهم عياض بن غنم الفهرى وسـهيل بن عدى الخزرجي وعبد الله بن عبدالله بن عتبان الانصارى والوليد بن عقبة بن ابى معيط الاموى وعمير بن سعد الانصارى الاوسي .

وتلى هذه الفصول خاتمة الكتاب ، وفيها يتحدث المؤلف عن تعاليم الفتح الاسلامى ، حيث يعطينا من خلال تلك التعاليم ، صورة مشرقة للطابع الانسانى العميق الذى كانت تحمله تلك التعاليم والمثل العليا التى لم ترتفع اليها ارقى الحضارات الانسانية التي عرفها تاريخ العالم منذ بدء تدوينه .

«والرسـالة » التى تبنت الدعوة الى القـومية العربية والى الوحدة العربية الكبرى ، وحملت راية الاسلام منذ عام ١٩٣٣ ، وتغنت اقلامها بلمجـاد العروبة يوم كانت الاقلام تلوذ خوفا لتحتمى وراء اردية السلطان ممجدة متملقة ، لابد ان تتقدم على صفحاتها صورا من البطولات التى ابدعها قلم المؤلف وضمتها صفحات كتابه هذا ، ليجد فيها هذا الجيل من الشباب الصاعد ، القدوة الرائعة ، والاعتزاز بما ترك لنا الاجداد من تراث عظيم .

قاسم الخطاط

النثر الفنى عند ابن زيدون

للأستاذ مصطفى الرئيس

يحس المتتبع لتاريخ الادب العربي في الاندلس ظهـــور الحركة الادبية الكبرى منذ القرن الرابع الهجرى حتى تبلغ اقصى نشاطهـــا في عصر ملوك الطوائف ، اذ يحيط كل ملك بلاطه بالادباء والشعراء ليناقس بهم من حوله من الملوك والامراء .

وفي هـذا العصر ـ عصر ملوك الطوائف وبداية الفتنة ـ يستمر نقل نماذج الفكر العربي بانماطه وصوره المختلفة من المشرق الى بلاد الاندلس ذلك أن اهل هذه البـلاد كانوا يرون في تقليدهم للنماذج المشرقية واتقانهم اياها بمعارضتها ومحـاولة التفوق عليها اثبـاتا انهم مبقون على عروبتهم ولغتهم على الرغم من اختـلاطهم بالحضـارة الغربية وامتزاج دمائهم بدماء غير عربية . وهكذا نرى أنه ما لبث أن ظهر مذهب ابن العميد في الكتابة بالمشرق العربي حتى سارع الى نقـله الى الاندلس كتابهـا وجعلوا يسيرون على نهجه فهذا ابن شهيد مثلا ـ وهو من أبناء هذا العصر ـ وقد تاثر بالمقامة الابليسية لبديع الزمان تاثرا كبيرا يؤلف رسالته المعروفة (التوابع والزوابع) في نفس الموضـوع اذ كلاهما وصف لرحلة في عـالم الجن ، ثم ابن زيدون الذى تاثر باتجاه ابن العميد في النثر الفنى كغيره من الناثرين من أبناء عصره فكتب رسالتيه « الهزلية والجدية » .

ويقول ابن بسام صاحب الذخيرة في هذا المعنى « أبوا الا متابعة أهل المشرق يرجعون الى أخبـارهم المعتـادة رجوع الحديث الى قتـادة ، حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب أوطن بأقصى الشـام والعراق ذباب لجثوا على هذا صنما وتلوا ذلك كتابا محكما» .

وعلى هذا النحو عمل أهل الاندلس على نقل كل كتاب ادبي او رسالة نثرية أو ديوان الى بلادهم فور ظهوره بالمشرق العربي ومحاكاته مع محاولة التفوق عليه .

واليوم نتعرض لأحد شعراء عصر الفتنة وظهور ممالك الطوائف كتب له الذيوع والشهرة كشاعر فذ ملك جوانب هذا الفن وأبدع فيه فبلغ مبلغ القمة واعتلى منزلة التفوق بازاء معاصريه من شعراء وأدباء، ولكننا لا نعرض لهذه القيمة الفنية التي طار اسمه بها بل نقف عند جانب النثر الفني في حياته لنلقي بعض الضوء على هذا الاتجاه الادبي وما أنتج فيه من آثار حفظها التاريخ لنا تجلو صورا من حياته لا تقل عن تلك التي يفيض بها شعره .

فواقع الامر أن الصفة الغالبة التي اقترن بها اسم ابن زيدون شاعر الاندلس الكبير في الادب العربي هي شـاعريته الفذة التي رفعته الى مصاف فحول الشعراء الخـالدين . وليس من شك أن شعر ابن زيدون قد توفر على دراسته كثير من الباحثين العرب والمستشرقين ولكن الصفة الادبية الثانية التي كانت لهذا الشاعر وهي نثره الفني لم تنل نصيبها الأكمل من الدرس والمعـالجة لتغلب الشعر في حياة ابن زيدون بصفة عامة .

ومن المقرر أن ابن زيدون كان ذا ثقـافة أدبية واسعة ، شب على القراءة والدرس وحفظ الكثير من مسائل العرب كما كانت له ذاكرة متقدة فامتلات نفسه بما قرأ من معاني وأفكار منذ حداثة عمره .

وحين ظهر اتجاه ابن العميد في الكتابة بالمشرق العربي تأثر به ابن زيدون وسار على نهجه من حيث اتباع الصناعة اللفظية والشعر المنثور ولكنه خالف هذا الاتجاه بعض الشيء حيث لم يعبأ بالسجع كثيرا أو لم يكن يقصده هـدفا بل كان يقع في كتاباته موقع متطلب التعبير لانه لم تتملكه ـ كأبناء هـذا الاتجاه ـ الرغبة في التأنق اللفظي بل كان مدفوعا الى الكتابة بتأثير الاحداث في حياته ·

وآثار ابن زيدون في النثر الفني تتـجلى في رسالتين أدبيتين أسمى احداهما (الهزلية) والاخرى (الجدية) وقد دفعته احداث انفعالية ملكت احساسه الى كتابة كل منهمـا ، والدافع لكتابته الرسـالة الاولى ـ الهزلية ـ انه بعـد أن وقع في حب ولادة بنت المستكفي اذكى فوزه بهـا حسد منافسين من طلابها فسعوا لافساد هذه الرابطة وكان على راسهم الوزير ابن عبـدوس فتقرب الى ولادة حتى ظفر برضاها وهنا تولد الدافع النفسي الذي أهاج مشاعر ابن زيدون وجعله يكتب رسالته الهزلية التي صيرها على لسان ولادة موجهة الى ابن عبدوس هذا حيث أشبعه فيها تقريعا وسخرية لكن ابن زيدون الى جانب هذا الموضوع الرئيسي لرسالته قد ضمنها كثيرا من الملح في الادب والتـاريخ مع مقتبسات في الحكم والامثال والاشعار فجاءت رسالة طريفة جمعت بين أفانين التهكم وضروب المعرفة وساق فيها طائفة من الابيات المنثورة مع ذكره لكثير من الاحداث والاعلام وأسماء الرجال التي وردت بالتاريخ · أما دافعه الى كتابة رسالته الثانية « الجدية » فلما نبه شأنه بين شعراء قرطبة وكتابهـا اتصل بأبي الوليد بن جهور احد ملوك الطوائف فحظي عنده حتى صار لسـان دولته ، فنقم عليه حاسدوه ووشوا به عند مليكه فاعتقله وأودعه السجن فظل في محبسه مدة جعل ابن زيدون خلالها يستشفعه بكثير من بديع قصائده ثم برسالته هذه التي اسـماها (الجدية) حيث استنفد فيها جهده في الاستعطاف والتقرب واظهار الندم دون جدوى فلم يلن له قلب ابن جهور فما كان منه الا أن أعمل الحيلة في الهرب خلاصا من سجنه واذلاله ·

ورسالتا ابن زيدون تكشفان عن جوانب شخصيته في جلاء ، فمن المقرر انه كان طموحا في كل مراحل حياته يسعى الى المجد والمنزلة الرفيعة لدى بلاط الأمراء أينما كانوا فتراه اذا ما ضيق عليه حاسدوه وافسدوا ما بينـه وبين أميره لم ييأس ويركن الى الذلة بل يسعى الى أمير غيره حتى يأخذ لديه مكانة مقربة ترضي مابنفسه من طموح وحب للرفعة · ومثال ذلك حين نزلت به غضبة ابن جهـور فانه أوسع الحيلة في الهرب من سجنه فارا الى بني عباد حيث المعتضد ثم ابنه المعتمد فعـاش في رحابهما ناعما بمنزلة كبيرة في بلاط كل منهما لا تقل عما كان له في بلاط ابن جهور · وعلى ذلك فنفسية ابن زيدون تنطوي على شخصية فذة لا تعرف الاستكانة والرضى بالقليـل يفيض اعتزازا بنفسه لا يلبث بين الحين والحين أن يفخر فخر الابطال زاهيا بنفسه وباجداده ويقول الدكتور احمد ضيف في كتابه « بلاغة العرب في الاندلس » في هذا الصدد ··· أثر ذلك الشقاء الذي لقيه في سجنه وصورة من صور البؤس الذي حرك شعوره وفتق لسـانه وأثار في نفسه عواطفه الشعرية المظلمة الملوءة هما وغما ولكن أسلوبه في الشكوى والاستعطاف واحد في نظمه ونثره وماأشبه قصائده في ذلك وما فيها من المعاني برسالته الجدية وكأنما كان فكره سـجينا مثله من شدة تألمه في السجن فانه لم يخرج عن عادته في ضرب الامثـال والفخر بنفسه وانه أفضل انسان وأكرم من دب على وجه الارض ·· » وهكذا كانت نفسية ابن زيدون المعتد بذاته المترفع عن الذلة أوضـح ما تكون في رسـالته الهزلية حيث يرتفع بنفسـه على منافسة الوزير ابن عبدوس ولا يرى فيه انه أحق منه بحب ولادة فهو اكفا منه وأعظم ثم يحقر من شأن هـذا الوزير الى الحد الذي يصفه فيه بأبشـع الصفات وارذلهـا في الوقت الذي كان لابن عبدوس هذه المكانة الكبيرة التي تجعـل من يسبه عرضة لفقـد حيـاته ، ونراه من عبـارة لأخرى لا يفتأ يذكرنا بعلمه وسعة اطلاعه فيحكي لنا ضربا من حكمة العرب وامثالهم وقصص بطولتهم ورجالهم ثم علمه بعلوم الدين والفلسفة والمنطق وغـيرها فمن أمثلة تهكمه وتقريعه لابن عبدوس قوله : « هجين القذال ، أرعن السـبال ، طويل العنق والعلاوة ، مفرط الحماقة والغباوة ، سيىء الجابة والسمع ، بغيض الهيئة ، سخيف الذهاب والجيئة ، ظاهر الوسواس ، منتن الانفاس » · ومما يصـور ولعه باستعراض علمه وسعة اخباره قوله في الرسـالة الهزلية أيضـا : وما احسبك الا قد تهيأت للتهنية وترشحت للترفيه ، ولولا أن جرح العجمـاء جبـار للقيت من الكواعب مالاقى يسـار فما هم الا ببعض ما به هممت ولاتعرض الا لأيسر ما له تعرضت أين ادعاؤك رواية الاشـعار وتعاطيك حفظ السير والاخبـار أما ثاب اليك قول الشاعر :

بنو دارم اكفاؤهم آل مسمع
وتعقد في اكفائها الحبطات

والبيت للفرزدق في هجاء حي الحبطات .

وبطبيعة الحال لا يتسع مجال هذا المقال لذكر الكثير من الشواهد التي تكشف عن هذا الجانب من شخصية ابن زيدون الحقيقية في اعتزازه بنفسه وطموحه وترفعه . اما النقيض الذي يلوح لنا من اول وهلة ، كما تصوره الرسالة الجدية وهو التذلل والاستعطاف والندم الى حد اراقة ماء الوجه فاظن ان ابن زيدون انما اكرهته ظروف حبسه أن يتزلف الى مليكه ابن جهور ويستعطفه على هذا النحو ولكننا نراه من آن لآخر يسترد شخصيته الاصيلة فتصور عنه بعض عبارات الفخر والاعتداد بالذات فيقول مثلا : « واني لأتجلد وارى الشامتين اني لريب الدهر لا اتضعضع ، فاقول : هل انا الا يد ادماها سوارها ، وجبين عضه اكليله ، ومشرفي الصقه بالارض صاقله وسمهري عرضه على النار مثقفه » .. فلا ريب ان شخصية ابن زيدون الحقة تتضح لنا بين هذه السطور فبالرغم من استعطافه وتقربه الى أميره ليعفو عنه فانه لا يلبث أن يضفي على نفسه ـ طبقا لاحساساته الداخلية ـ تشبيهات الجبين الذي أضر به تاجه أو السيف الاصيل الذي احط صانعه من قدره ..

ومن أمثلة اعتزازه بنفسه حتى في محبسه قوله بالرسالة الجدية : « وذكرت أني علق لا يباع ممن زاد ، وطائر لا يصيده من أراد ، وغرض لا يصيبه الا من أجاد .. » .

كذلك تصور الرسالتان خصائص أسلوب ابن زيدون في النثر ومذهبه الادبي في الكتابة كما كشفتا لنا عن نفسيته وشخصيته ، فيتضح جليا في أسلوبه خصائص أهل عصره الذين تاثروا بطريقة ابن العميد والصاحب بن عباد والخوارزمي وغيرهم ، التي وردت الى الاندلس بعد شيوعها بالمشرق العربي وهي الصناعة اللفظية والتأنق في العبارة والزخرف والجرس وكل ما يبين عن براعة الكاتب وتمكنه من استخدام اللغة في المترادفات الكثيرة والفقرات المسجوعة التي قد تخرج بالمعنى الى الثرثرة والاستطراد بما لا يخدم موضوع القول أو فكرة العبارة . لكن ابن زيدون لم ينتهج المحاكاة التامة لهذه المدرسة اللفظية في كتابته لرسالتيه الهزلية والجدية فنراهما مفعمتين بذكر الاعلام والاحداث التاريخية وحكم العرب وامثالهم مع كثير من الشعر المنثور الذي يأتي فيه باشطار أبيات لشعراء لايذكر اسماءهم ذلك كله مع تضمينات من الحديث النبوي الشريف واقتباسات من القرآن الكريم ليخدم بما يجيء به من استشهاد فكرة العبارة التي يقصدها توكيدا واثباتا .

ولعل هذه الفقرة من رسالته الهزلية تبين اسلوبه في الكتابة :

ذكر الأنام لنا فكان قصيدة
كنت البديع الفرد من ابياتها

(لابي الطيب) فكرمت في غير مكرم ، واستسمنت ذا ورم ، ونفخت في غير ضرم ولم تجد لريح مهزا ، ولا لشفرة محزا ، بل رضيت من الغنيمة بالاياب ، وتمنيت الرجوع بخفي حنين ، لاني قلت : « لقد هان من بالت عليه الثعالب » . ومن امثلة اقتباساته من القرآن الكريم قوله بالرسالة الهزلية ايضا : « ... حتى خيلت أن يوسف عليه السلام حاسنك فغضضت منه وان امرأة العزيز رأتك فسلت عنه ، وان قارون أصاب بعض ما كنزت ، والنطف عثر على فضل ما ركزت ، وكسرى حمل غاشيتك ، وقيصر رعى ماشيتك » .

وجملة القول أن أسلوب ابن زيدون في نثره جزل من ناحية البناء اللغوي واستخدام الوفرة من مترادف الالفاظ وان كان لا يقفز بصاحبه الى المستوى الذي مكنه له الشعر بل خلده بين أساطين الادب العربي .

وقد قال ابن نباته في حكمه على نثر ابن زيدون : « أما نثره ، فانه أكثر فيه من استعمال أمثال العرب وحل اشعار المتقدمين والمتأخرين » ، الى ان قال : « ان رسالته أشبه بالمنظوم منها بالمنثور وعلى ذلك فقد دل على اطلاع معجب ، واستحضار معجز » .

أما الدكتور احمد ضيف في كتابه (بلاغة العرب في الاندلس) فيرى في نثر ابن زيدون انه قد عرف كيف يأتي في كتاباته بالتناسق في المعاني والالفاظ وكيف يتصيد كلام غيره ويرصفه رصفا جميلا كما امكنه أن يرسم لنفسه منهجا جمع فيه كل معلوماته واختار منها ما يناسب حاجته وموضوعه فكانت رسائله أنيقة جميلة ، فكان كالمهندس الماهر الذي يعرف كيف يجمع الحجر والحجر ، والمصور الفنان الذي يؤلف بين اللون واللون » .

بقي أن نقول اننا اذ كنا لا نشعر عند قراءة رسالتي ابن زيدون بمايحرك مشاعرنا ويملأ أخيلتنا بالصور الرائعة التي تشيع في شعره لا نستطيع آخر الامر الا أن نعجب بهذا النثر لما يبدو فيه من جزالة وعلم واطلاع ويبقى ابن زيدون في النهاية شاعرا أكثر منه ناثرا .

مصطفى الريس

في عالم الفن

مسرحية الخال فانيا

للأستاذ عبد الفتاح البارودي

وايضا ماذا استفدناه من عرض مسرحية تشيكوف (الخال فانيا) على مسرحنا ؟ ! ان لسلى بلاتون المخرج الروسى الذى اخرجها للمسرح القومى عندنا وصف مسرحيات تشيكوف بأنها تعبير رائع « للدراما الحقيقية » ، وهذا وصف فى غاية الأهمية بالنسبة لنا ، لان كثيرين من المشتغلين بالمسرح عندنا كانوا يشيعون ان تشيكوف خرج على قواعد المسرح ... والواقع أنه لم يخرج على هذه القواعد ، وليس فى الدنيا ولا فى تاريخ الفن المسرحى كله كاتب كبير خرج على القواعد الجوهرية للفن الذى يكتب فى نطاقه ، وانما اشاعوا ذلك لمجرد تبرير خروجهم الخاطىء على القواعد بسبب الجهل بها طبعا

هذه النقطة وحدها من اهم المكاسب التى كان جديرا بنا ان نكسبها من عرض هذه المسرحية لو اننا ناقشناها .. ولكننا لم نناقشها .. الحقيقة التى تدعو للأسف أننا ناقشناها على طريقة (يا سلام على الرواية .. يا سلام على تشيكوف .. يا سلام على المخرج الذى يعتبر تلميذا مخلصا للمخرج ستانسلافسكى) .. وهكذا

ان المسرحية بمجرد عرضها انهالت عليها كلمات « التقريظ » بينما كان الأكثر الادة لنا أن نحاول تقريبها للأذهان ... هؤلاء الذين قرظوها هل يعرفون ان تشيكوف ليس فى حاجة الى تقريظ بل فى حاجة الى فهم ؟ ! وما الدليل على انهم فهموا رواية « الخال فانيا » ؟ ! ان دليلى على مدى « فهمهم » هو انهم عندما قرظوا المخرج قالوا انه اتبع اسلوب ستانسلافسكى مع انهم لم يشاهدوا أى عمل من أعمال ستانسلافسكى ، فكيف قرظوه ؟! مجرد تقريظ عميانى !!

كان الأجدر بنا أن نحاول تناول الرواية تناولا فنيا .. لو فعلنا ذلك لأدركنا ان المسرحية ارتفعت الى المستوى العالمى لأسباب كثيرة جدا ، ومن أهمها انها احتفظت بالمواضعات الفنية ، وبالقواعد الجوهرية للفن المسرحى

انظر اليها من أى زاوية .. ناقشتها من أى ناحية .. ستجد انها اولا « مسرحية » .. حلل فكرتها وكيف عالجها تشيكوف .. حلل شخصياتها وكيف رسمها ، ستجد انه قدم اولا عملا مسرحيا .. خذ مثلا شخصية « استروف » ... ان هذا الطبيب الذى كان يتولى معالجة « سربرياكوف » العجوز وقع فى غرام زوجته الشابة « يلينا » ، ووقعت فى غرامه الفتاة الصغيرة « سونيا » التى كان خالها « فانيا » يشعر نحوه بمرارة ، لأنه هو ايضا ـ فانيا ـ كان يعشق فى قرارة نفسه « يلينا » ، بينما هى لا تكترث بعواطفه نحوها ... ان « استروف » رغم انه جاء الى الضيعة كطبيب فان تشيكوف ببراعته المسرحية استطاع ان يربطه بجميع الشخصيات بعلاقات وثيقة جدا دون ان يفتعل اى علاقة ، بل بالعكس كانت العلاقات كلها فى غاية الاحكام ... ثم ان شخصية « استروف » ظلت فى المجال الدرامى تنمو وتتطور بحيث لم تشعر فى اى وقت انها خرجت من هذا المجال ، او تعارضت مع منطق الأحداث ، بل بالعكس كانت الاحداث تتدافع تدافعا فى غاية الاقناع .. وكذلك شخصية « فانيا » .. ان عواطفه الجامحة والمكتومة فى نفس الوقت تحركه فى خلاء ، فهو يتحرك ولا يفعل شيئا ولا يصل الى نتيجة .. انه فى البداية عمل فى الضيعة كثيرا ثم وجد انه لا شيء ، وهو منذ البداية كانت لديه فرصة الزواج من « يلينا » ثم ضاعت منه الفرصة ، ولم يشعر بضياعها الا بعد ان تزوجها العجوز المريض « سربرياكوف » ، وهو يحاول ان يقترب منها عاطفيا ثم يجد أنها لا تبادله اية عاطفة ، بينما كانت تبادل الطبيب عاطفة الحب بحرارة ، بل انه فوجىء بهما وهما يتعانقان فى قبلة ملتهبة ... ان هذه الشخصية الضائعة استطاع تشيكوف ببراعته المسرحية ان

يجعل من ضياعها محور ارتكاز في غاية القوة ، ورغم الخلاء العاطفي الذي كانت تتحرك فيه فانها ظلت تنمو وتتطور داخل المجال الدرامي حتى وصلت الى ذروة الاحتدام وانفجرت في نهاية الفصل الثالث ·

خذ أمثلة أخرى من الشخصيات التي تبدو في ظاهرها ان الاحداث هي التي تصنعها كشخصيات مسرحية ... خذ مثلا « سربرياكوف » ... انه يسير في الرواية وكأنه يتفرج عليها ... ان « استروف » هو طبيبه الذي جاء ليعالجه ، ومع ذلك فهو يضيق به وبعلاجه ... و « يلينا » هي زوجته ، ومع ذلك يشعر بالفوارق الضخمة بينه وبينها شعورا قويا ، ثم لا يفعل شيئا لمواجهة هذه المشكلة ... انه ليس فقط لا يقوم بدور ايجابي، بل أكثر من ذلك أن الأحداث التي تمسه مساسا شديدا تدور حوله وهو لا يدري بها ... فهو لا يدري ان « استروف » و « فانيا » يتصارعان حول زوجته « يلينا » .. ولا يدري أن زوجته هي محور هذا التصارع ... شخصية عجيبة في ذاتها وفي تصور تشيكوف لها .. فربما يبدو انها شخصية الزوج المغفل أو الزوج المستسلم لمصائره بحكم ظروفه وشيخوخته ، ولكن تشيكوف ببراعته المسرحية صنع من هذه الشخصية نموذجا متماسكا في هذه الغفلة وهذا الاستسلام ، ورغم ذلك يحتفظ لنفسه بكبريائه لانه يتوهم انه في مستوى ارفع من مستوى الآخرين علما وفهما ، لدرجة أنه يتهم الجميع بكراهيته ·

شخصية أخرى مثل « سونيا » ... ان هذه الفتاة الصغيرة يبدو انها غير ذات اهمية ايجابية في الأحداث .. انها فقط تشعر بالحب نحو « استروف » الطبيب ، وتلجأ الى « يلينا » لتعرف رأى الطبيب فيها ... وربما يبدو من ذلك ان تشيكوف وضعها كمجرد حيلة مسرحية تكشف غرام الطبيب بالزوجة الحسناء « يلينا » . وهذا منطقي ، لان « يلينا » وجدت في التجاء « سونيا » اليها فرصة للاقتراب نحو استروف ، وكذلك انتهز استروف هذه الفرصة وصارح سونيا بعواطفه ... وربما يبدو ذلك ، ولكن براعة تشيكوف المسرحية كانت ابعد من ذلك ، فان شخصية سونيا في الوقت الذي عبرت فيه عن عواطفها الصغيرة كانت ذات اثر ايجابي في تنمية الاحداث ... ان تشيكوف وضعها في الوقت الملائم بكل دقة ، اي في الوقت الذي احتدمت فيه العلاقة بين « استروف » و « يلينا » احتداما كامنا في قلبيهما ، وفي قلب « يلينا » بالذات .. ان استروف سبق « يلينا » في الجهر بغرامه ، ولم تسمح مكونات شخصيتها بأن تجهر مثله بغرامها ، والا تحولت الى شخصية ساذجة ، ومن اجل ذلك وضع تشيكوف احداث سونيا في بؤرة الاحتدام لتنمية الأحداث في المجال الدرامي ·

والشخصيات التي تبدو فرعية مرسومة أيضا بنفس البراعة المسرحية ·· ان « مارينا وتاييجن وماريا » وان كانت شخصيات غير رئيسية ، الا انها القت أضواء غزيرة على الشخصيات الرئيسية، وساعدت في كشف نوازعها وخفاياها ودوافعها .. ان مارينا مثلا رسمت الصورة الخلفية للأحداث ، و « تاييجن » كشف نزعات ونزوات « استروف» ، و « ماريا » كشفت نزعات ونزوات « فانيا » ، فضلا عن ان هذه الشخصيات كانت ركائز لتشيكوف استطاع ان يظهر بها مرور الاحداث في المجال الدرامي

واذن فتشيكوف سواء في شخصياته الرئيسية او الفرعية التزم القواعد الجوهرية في المسرح ، وكان من اللازم أن نناقش هذه النقطة لندرك كيف يرسم المؤلفون العالميون شخصياتهم . . . وبديهي انه لم يكتب هذه الرواية ليستعرض براعته في رسم الشخصيات ، وانما المهم ان نقتنع باهمية التزام قواعد المسرح ... وبديهي ايضا أنه لم يكتب هذه الرواية ليعطينا صورة لطبيب يقع في غرام زوجة شابة ، او صورة لمأساة رجل عجوز يتزوج زوجة شابة ، او مأساة فتاة صغيرة تعشق طبيبا ... طبعا هذه تصورات ساذجة، ومع ذلك فان كثيرين تصوروها ... لماذا ؟ لان الذين يتحدثون عن المسرح لم يكترثوا بتقريب الرواية الى أذهان المتفرجين ·

ان تشيكوف المسرحي العملاق قدم صورة فنية لمأساة الانسان في مجتمعه الذي كان يعيش فيه ... مأساة الانسان متمثلة في الخال فانيا وسربرياكوف والطبيب استروف وكل الشخصيات التي خلقها في روايته خلقا فنيا في واقع معين... ومن اجل هذا ، اي من اجل براعته الفنية في خلقها ، لا تزال شخصياته حية في روايته بعد ان

تغير المجتمع الذى صوره .. هذه ايضا نقطة كان من اللازم أن ندرسها لنعرف معنى خلود العمل الفنى ، ولندرك أن الفنان الكبير هو الذى يستلهم الواقع المحلى ويعمقه حتى يؤكد مواضعاته بالمفهومات العالمية عن طريق ربط المعنويات بالماديات .

اننا نرى فى رواية الخال فانيا نقدا فنيا لمواضعات الحياة فى المجتمع الروسى فى عصر تشيكوف ، وبتعميق مآسى شخصياته فى قسوة ظروفها امكن ان ندرك مأساة الانسان عندما تلغى قسوة ظروفه كيانه ووجوده كانسان ...

ان شخصيات هذه الرواية تتحرك وتتصرف وتحب وتسكر وترقص ، ومع ذلك فانها كلها واقعة تحت وطأة « الانانية » .. ان « فانيا » مثلا يتحطم بقسوة ، لأنه بعد ان تصبب منه العرق ضاع جهده هباء ، ووجد نفسه يعانى الحرمان بكل معانيه ، ومن اجل هذا انفجر ، وانفجرت من يده طلقات الرصاص ليقتل ويخرب ، ومع هذا فشل فى أن يقتل احدا ، وفشل حتى فى أن يقتل نفسه ... بديهى ان الرصاصة اذا انطلقت قتلت، وانما اراد تشيكوف ان يعبر عن مأساة فانيا ، اى مأساة الانسان فى مثل ظروف « فانيا » ... حياة ضائعة ، لأن المجتمع الذى عاش فيه يهدر وجود الانسان ، فقد كان مجتمعا سادت فيه سيطرة الذين أهدروا القيم ... وليس معنى ذلك ان « فانيا » كان شخصية مثالية ، فان تشيكوف لم يكن يرسم شخصيات مثالية ، بل ان « فانيا » نفسه — فى رأى بعض النقاد — تتمثل فيه الانانية ايضا ، وانما انفجر فى اللحظة التى شعر فيها بأنه فشل فى السيطرة ...

الواقع اننا فى حاجة شديدة الى مناقشة دقائق هذه الرواية لنفتتى بفن تشيكوف ... والواقع ان تشيكوف من المسرحيين القلائل الذين لا يزال خبراء المسرح يحاولون تفسير اعمالهم دون ان يصلوا الى آراء قاطعة ... والواقع كذلك ان الفنانين العالميين لا يمكن الحكم على اعمالهم باحكام قاطعة ، وانما يفيدنا جدا ان نناقش هذه الاعمال بوعى ، فمتى نناقشها اذا لم ننتهز فرصة عرض مسرحياتهم ؟ !

يهمنا جدا أن نعرف ان رواية الخال فانيا رغم اختلاف الخبراء فى تفسيرها فانها من الوجهة الفنية البحتة عمل فنى متكامل .. ان المخرج الروسى لسلى بلاتون ومعاونه المخرج العربى كمال ياسين نجحا فى ابراز روعة الاطار الفنى والبناء الدرامى ... ان الاحداث ظلت تنمو حتى وصلت الى الذروة فى الفصل الثالث ، الذى كانت نهايته من أقوى المشاهد التى عرفها مسرحنا ، ثم جاء ما يسميه المسرحيون «بالمصالحة» فى الفصل الاخير ، وهذا يؤكد ان مسرح تشيكوف رغم انه من احدث المسارح الفنية فانه فى البناء الفنى ايضا يلتزم بالقواعد الجوهرية ... انها بالطبع ليست « مصالحة » فى مشاجرة مثلا ، وانما هى رؤية فنية للصراع بين الانسان والمقدورات عندما يصل الى مداه ... وفعلا استطاع الممثلون ان يقدموا صورة فنية للصراع ومداه بشكل واضح .. ان سميحة أيوب وعبد الله غيث ومحمد الدفراوى وشفيق نور الدين حاولوا تجسيد مأساة « يلينا وفانيا واستروف وسربرياكوف » ، ومع ان كثيرين من النقاد يرون ان مأساة سربرياكوف اعمق من مأساة فانيا ويلينا ، فان هؤلاء الممثلين برعوا الى حد كبير فى الأداء حسب الرأى الغالب فى مسرح تشيكوف ، باعتباره احد الفنانين القلائل الذين لم تتبلور مآسيهم فى شخصيات معينة دون شخصيات اخرى ... ونحن نظلم بقية الممثلين اذا لم نذكر أنهم احسنوا الأداء ، ولكن المؤسف اننا ظلمنا تشيكوف نفسه ، فعرضنا احدى روائعه دون أن نحاول تقريبها للأذهان ، وكأنه لا فرق عندنا بين الروائع والتوافه ! !

عبد الفتاح البارودى

الرسالة فى ثوب جديد

ابتداء من العدد القادم تصدر « الرسالة » فى تخطيط جديد يهدف الى تقوية الارتباط بحاضر الواقع الادبى فى الوطن العربى . مع التنويع والتركيز والاحتفاظ بطابع الرسالة المميز ومستواها الادبى المعروف .

تعقيبات

للأستاذ عباس خضر

نجمك - لماذا هو مفضل ؟

برنامج « نجمك المفضل » الذي يقدمه التليفزيون العربي - فكرته جيدة ، ويمكن أن يحقق أغراضا ثقافية هامة لو اتبعت في اخراجه وتقديمه وادارة الحديث فيه طريقة أجدى من الطريقة المتبعة .

مثلا .. عندما يستضيف اديبا كبيرا يركز على اتجاهه ومؤلفاته وتجاربه في معاناة التحصيل والكتابة ونشر كتبه ... الخ ، فتلتفت الاذهان الى الكتب ويتطلع بعض الشاهدين الى قراءتها ، فتتعاون الوسيلة التليفزيونية بهذا مع وسيلة الكتاب في تنمية الوعي الثقافي ، على عكس ما يخشى بعض الناس من منافسة الوسيلة الاولى للثانية وصرف الناس عن القراءة .

وبذلك أيضا يستفيد الناشئون المتطلعون من تجارب الكبار . ومن لم يكن من المتطلعين أو الراغبين في الاطلاع لا بد أن يصل اليه شيء يفيد عقله أو يفتح مداركه .

ومثل ذلك يقال في اى « نجم مفضل » في مجال فنه أو علمه .

واقصد بذلك ان تكون نقطة الانطلاق في البرنامج التي تسلط عليها الاشعة الكاشفة .. هي **لماذا يفضل الناس هذا « النجم » ؟**

والذي يحدث الآن لا يتجه هذا الاتجاه وان كان يشير اليه بطريقة عابرة ، وساذجة في بعض الاحيان **فالناس لا يفضلون هذا الاديب الكبير ، أو ذلك الفنان العظيم ، لانه يقول لهم نكتة .. أو يحكي أطرف ما وقع له مما لا يثير غير الضحك ..**

في هذا الاسبوع جلسنا ساعتين أمام شاشة التليفزيون نشاهد ونستمع الى خمسة من كبار الأدباء والصحفيين والممثلين والممثلات ، هم كامل الشناوي ومصطفى امين وأحمد مظهر ولبنى عبدالعزيز ونادية لطفي . قبل ذلك سمعنا وقرأنا دعايات مختلفة الاساليب تبشر بمفاجأة سارة مدهشة .. وبدأ الحديث بالتهاني بعيد رأس السنة الميلادية ، وبالسؤال عن اهم شيء حدث للنجم في عام ١٩٦٣ وعن اهم أخباره . **فحدثنا بعضهم عن أمراضه ، ونظرت جارة مصطفى امين اليه تستنجد به .. كي يلقنها في لحظة انتقال « الكاميرا » الى الآخرين ..** ووجهت أسئلة الى « النجوم المفضلين » مثل : لو كنت في موقف تحتاج فيه الى النجاة ، وكانت الوسيلة الوحيدة هي مركب لا تسع غير ثلاثة .. فمن تأخذ معك من زملائك « النجوم » طبعا ومن تدع .. وأجاب احمد مظهر بأنه يترك المركب للسيدات أما هو فيعرف العوم ، وأجاب كامل الشناوي بمثل ذلك ولكنه سيغرق لانه لا يعرف العوم ..

وأراد مخرج البرنامج أن يشغلهم بشيء يقطع الوقت الطويل .. فبعث ببدء قصة ليكمل كل منهم ما بعده ، ففتح الله على بعضهم بجملة ، وأغلق على بعض .. وعدل عن السير في القصة .

ويظهر انهم « صعبوا » على صديقهم محمد عبد الوهاب ، فبعث اليهم في التليفون بسؤالين ، نسيتهما ونسيت الاجابة عليهما لعدم الجدوى ..

كان ينقصهم شيء واحد .. أن يقترح عليهم أحد الحاضرين ، أو القائمين بالتليفون ، أن يلعبوا لعبة « الثعلب فات فات .. وفي ديله سبع لفات ! »

ألمثل هذا يجمع خمسة من كبار كتابنا وفنانينا ويوضعون أمام الناس ساعتين ..؟!

وبعد فاني لا أدعو الى منع التسلية والفكاهة ، ولكني أسأل : لماذا لا يبث خلال الفكاهة والمرح ما يقنع بأن الضيف الكبير ليس مجرد وسيلة الى التسلية **وانما هو أديب أو فنان أو عالم ، له أدب أو فن أو علم ، أو باختصار : هناك شيء هو مفضل من أجله .**

ولا أظن التخطيط لذلك يصعب على القائمين بالامر اذا جد الاتجاه .

من وحي الاسكندرية

كان الاستاذ عادل الغضبان قد ألقى قصيدة في مهرجان الشعر بالاسكندرية ، عنوانها « من وحي الاسكندرية » وقد بدت عند الالقاء مهوشة ينتقل فيها الشاعر من الزمن القديم الى الوسيط ثم الى الحديث وعدها بعضهم من القصائد المختلطة التي تنقصها وحدة الموضوع .

والواقع أن الذي ألقاه الغضبان في المهرجان كان - على كثرته - أجزاء من قصيدة طويلة جدا على قافية واحدة ، أصدرها أخيرا في كتيب أنيق محلى بالرسوم يقع في أربع وخمسين صفحة .

والقصيدة عبارة عن ثماني عشرة قطعة ، كل منها ذات موضوع واحد ، يجمعها اطار عام هو - كما قال في المقدمة - « **قصة عروس البحر من الاسكندرية الى عبد الناصر** » ، وكل قطعة منها لقطة شعرية من

تاريخ البلد المجيد الجميل .

وعادل الغضبان شاعر تقليدى (كلاسيكى) متمكن من القريض العربى أنيق التعبير . تبدو (كلاسيكيته) فى بدئه بهذه الابيات :

عشت طول الدهر يا اسكندرية
أفق الحسن ومجلى العبقرية
قسما لو صور الخلد لما
كنت الا صورة الخلد البهية
قبة من لازورد وثرى
من عقيق ورمال عسجدية

ولكنه لا يلبث أن ينجلى فى تعبير مفصل على قد العروس التى جلاها أهل «عبقر» واهدوها الى الانس كما تخيل فى قوله :

بلد أعجب به من بلد
وهبته الجن للانس هدية
بل بنته معجزا من فنها
امة بالعلم والفن غنية
سكن الاعجاز فى اهرامها
وحباها الدهر سر السرمدية

ويتحدث عن « الاسكندر » وشأنه مع هذا البلد العبقرى يقول :

أيها الغازى الذى دانت له
أمم الارض ملوكا ورعية
لا الصبا الغض ولا سمر القنا
دفعا عنك أظافير المنية
عدت للشاطىء لكن جسدا
كفنوه بالحواشى الذهبية

ويصل عقب هذا الى بيت القصيد :

ما استبيحت مصر الا اصبحت
جدث الغازى ، وظلت مصرية

وفى مقطوعة « سيف عمرو » يصور فساد الروم فى مصر وسرقتهم من حضارتها وآثارها لتزويد « روما » وعسفهم فى حكم البلاد ، الى أن يجمع ذلك فى قوله :

محن لم تجتنب فى مصر بهما
جذوة الثأر ولا نار الحمية

حتى جاء الفتح العربى فاجلى عن مصر الظلام :

طال ليل الظلم حتى شقه
سيف عمرو والسيوف العمرية

زهت مصر بالعرب عدالة وفنا وعلما ، ولكن الترك محوا نهضتها وعاثوا فيها ، وظلت الاحداث والمحن تتعاقب ، وتفاقمت بالاستعمار والمستعمرين الذين :

زيفوا الحق الى ان جاءهم
ناصر الحق سليل المضرية
فاسترد النيل من غاصبه
وطوى منه البنود الاجنبية

ولا تقتصر لقطات الشاعر على الامجاد التاريخية والقومية ، بل تراه يجول فى مجالى الحسن بالثغر وشاطئه وحسانه . ويصف غروب الشمس فوق البحر هذا الوصف :

هل شهدت الثغر والشمس به
غربت خلف الغيوم الأزلية
قرص البحر حشاها فجرى
فى ثناياه خيوطا دموية
وانحنى الأفق على نعش السنا
وهو يبكى بدموع قرمزية

وقد أحسست أنه يفسد علينا جمال هذا المنظر : منظر القرص الذهبى فى أفق البحر .. اذ جعله أثرا لجريمة البحر واعتدائه على الشمس بقرضها فى حشاها حتى دميت وحزن عليها الأفق فبكى وتكون من دموعه ذلك القرص .. هذا الخيال الدموى لا يتفق مع شعور البهجة الذى يداخل المرء ازاء ذلك المشهد الجميل . ولا يجدى فى اصلاح هذا الافساد قول الشاعر عقب ذلك :

متعة للعين فى دنيا الورى
وأسى يغشى الديار الفلكية

وقد يكون ذلك هو شعور الشاعر وتعبيره الصادق عنه ، ولكنى أدافع عن شعورى كمتلق للشعر ...

الصراع فى « الخال فانيا »

استمعت من البرنامج الثانى للاذاعة الى برنامج « مع النقاد » الذى نوقشت فيه مسرحية « الخال فانيا » المترجمة عن تشيكوف والتى مثلتها فرقة المسرح القومى واستدعى لاخراجها فى مصر المخرج الروسى الذى أخرجها هناك ، وساعده فى الاخراج المخرج العربى كمال ياسين .

والذى استرعى سمعى فى تلك المناقشة ما قاله كمال ياسين فى تقديم المسرحية ووافقه عليه بقية المتناقشين ــ وهم الدكتوران لويس عوض وعلى الراعى ونبيل الالفى ــ **من أن هذه المسرحية ليست كسائر المسرحيات المألوفة التى لها حدث يدور عليه الصراع الدرامى ، فهى تفتقد ذلك .**

وكنت قد قرأت مثل هذا عن هذه المسرحية فيما كتبه النقاد بالصحف وعلى رأسهم الشيخ الاكبر .. الدكتور محمد مندور ، وشيخ النقاد يقول فى كل مناسبة ان مسرحيات تشيكوف مسطحة ليس فيها

صراعات درامية .

وأنا لا أتصور مسرحيـة بلا صراع درامى الا أن تكون هكذا :

الفصل الاول : « السلام عليكم ٠٠ عليكم السلام »

الفصل الثانى: «أشرقت الانوار ٠٠٠ زارنا النبى»

الفصل الثالث : « مع السلامة ٠٠ »

وامامنا الآن مسرحية « الخال فانيــا » فهل هى كذلك ؟! هل هى خالية من الصراع الدرامى ؟ ولماذا هى اذن مسرحية ؟ وماذا نعرض اذن ؟

الذى أدركته من مشاهدتى للمسرحية ، باجتهادى المتواضع الضعيف ، انها ذات صراع يدور على حدث كسائر المسرحيات ، وان كان صراعها هامسا ٠٠ كما يعبر شيخ النقاد فى بعض نقده .

« الخال فانيا » رجل يعمل ويكد وينفع الآخرين بثمرات عمـله ، وهـو الطرف الأول فى الصراع . والطرف الثانى هو أستاذ الجامعة صــهره القديم ووالد ابنة أخته المتوفاة ، وهو نوع عقيم من المثقفين يستغل كد « فانيا » فى ترفه هو وزوجته الصغيرة التى تزوجها بعد وفاة الاولى .

والصراع يدور بين قيمة العمل المثمر وبين الثقافة الجوفاء المستغلة التى تحيط نفسها بهالة كاذبة تريد ان تفرض نفسها على عرق العاملين . وهـذا يشبه عندنا ماكان فى الريف ، وما قد يكون شىء منه لا يزال ، من استغلال مشـايخ الطرق الصوفيــة للفلاحين . ووجه الشبه انما هو من ناحية الاستغلال وتحقيق الترف « للمقدسين » على حساب الكادحين

هذا ، وقد أعجبتنى حملة الاستاذ نبيل الالفى على استخدام المخرج الروسى ، واستخدامه فى مسرحية تمثل باللغة العربية التى لا يعرفها ، واللغة هى أهم وسائل التعبير على المسرح ، **ومن العســير بل من المستحيل ان يلحظ المخرج الاجنبى كيفيــة النطق ومخارج الحروف وما الى ذلك مما تتطلبـه المواقف التمثيلية المختلفة .**

وقد فند الاستاذ الالفى كل ما قيل عن فوائد نقل الاعمال المسرحية كما أخرجت فى بلادها ، وقال ان جمهور المشاهدين لايستفيدون شيئا من ذلك ، اما الفنيون فهم يسافرون الى الخارج فى بعثات ويرون هذه الاعمال هناك .

والحق ان المسالة ليست مجرد ان نفرح بالنقل ونتباهى به ، بل العبرة بالفائدة التى يجب أن تساوى ما نتكبده فى هذا النقل من مئونة ونفقات .

تغطية أنباء المؤتمر

تغطيــة الشئ ستره ، ويستعمل المعـاصرون الآن كلمة « التغطية » ومشتقاتها فى تعبيرات مجــازية بعضها مقبول ، ولكن ما تكتبه الصحف بمناســبة مؤتمر القمة العربى ، من مثل « تغطية أنباء المؤتمر » ـ يؤدى عكس المعنى المقصود . **فالمطلوب هو النشر والاذاعة ، لا التغطية والستر .**

عباس خضر

.. وفى هذا العدد — **وكل ثلاثاء**

- الاشتراكية وفلسفة التصنيع — للدكتور راشد البراوى
- القومية والاشتراكية — عبد الكريم احمد
- تراثنا الشعرى — للأستاذ محمد فريد ابو حديد
- الفلسفة والتخصص العلمى — للدكتور فؤاد زكريا
- اللغة والشعر والحضارة — عبد الفتاح الديدى
- المسرحية بين الاخراج والتمثيل — للدكتور لطفى فام
- برتولد بريشت — رأفت الدويرى
- حول الانسان الافريقى — عواطف عبد الرحمن
- عناصر مهملة فى الموسيقى الشعرية — للدكتور محمد النويهى
- حكايات صغيرة ثلاث (قصة) — ثريا جودت
- الصقر (قصة مترجمة) — عبد الحميد عبد العزيز البشرى
- التقاليد الشعبية خلقت الموسيقى الروسية — محمود مصطفى الجسطينى
- التلفزيون والشعر — فايز البهجورى
- عصر الحوار — للدكتور ريمون فرانسيس

خواطر الأسبوع

للأستاذ محمد عبد الله السمان

هذه الشعرة المقدسة

نشرت الصحف في اليوم التاسع والعشرين من شهر ديسمبر الماضي خبرا صغيرا : عن مظاهرات صخمة وقعت في كشمير من أجل شعرة قيل انها من شعر الرسول صلوات الله عليه ، وكانت هذه (الشعرة) مربوطة في بندول مصنوع من الفضة ، وموضوع داخل انبوبة زجاجية محفوظة في صندوق من الفضة أيضا ، والصندوق موضوع في دولاب باحد المساجد في مدينة (سريناجار) عاصمة ولاية كشمير الهندية ، وقد سرقت هذه الشعرة ، مما أدى الى هياج المسلمين هناك .

وتوالت الاخبار بعد ذلك ، فذكرت أن التوتر في كشمير بسبب شعرة النبي المسروقة ما يزال يهدد عاصمة كشمير ، وان الناس تحدوا امر حظر التجول واخذوا يطوفون بالشوارع هاتفين باعادة الشعرة المقدسة، وقد تولى بوليس الولاية والمليشيا المسلحون بالبنادق والمسدسات والهراوات حراسة المراكز والمواقع الاستراتيجية ، اما رئيس الوزراء فقد أنشأ مركزا جديدا للبوليس مهمته المحافظة على الامن واستعادة الشعرة .

لقد استغلت وكالات الانباء العالمية هذا الحادث استغلالا له أهدافه ومراميه ، فابرزت للعالم المتحضر كيف يعيش المسلمون في اسفاف ، وقدمت نماذج لعقليات منهم تحيا في أضيق افق ، هذه الوكالات التي أهمها الامر الى درجة استطلاع رأى المستشرق المجرى عبد الكريم جيرمانوس ، فاعلن أن النبي توفى عام ٦٣٤ ميلادية ، وان ستة من أسنانه واحدى شعرات رأسه محفوظتان في مدينة استانبول بتركيا منذ ذلك الحين ، اما الشعرة المسروقة فخاصة بمن يدعى ميرزا غلام احمد المتوفى عام ١٩٠٨ ، وكان يعتبر نفسه خليفة النبي .

والعجيب ان صحفنا بالقاهرة أدلت بدلوها في هذه المسألة (الخطيرة) متأثرة بوكالات الانباء العالمية التي تسيطر عليها - بالطبع - أصابع الاستعمار ، فجريدة الاهرام تملأ صفحة باكملها ، باحثة عن حقيقة شعرة النبي ، واستطلعت آراء كثير من المؤرخين والعلماء .

وكان ممن استطلعت الاهرام آراءهم واجهدوا اذهانهم مستجيبين لها ، الاستاذ **محمود محمد شاكر** الذي ذكر أنه من الجائز أن تكون هذه الشعرة منسوبة الى الرسول ، واعترف بان هذه الدعوى ليس لها اي اصل تاريخي معروف ، ولكن من جهة اخرى من الثابت تاريخيا ان بعض الصحابة قد عثر عندهم على بعض شعيرات من رسول الله ، وظلوا محتفظين بها الى أن انقضت الدولة الاموية .

وذكر الشيخ **محمد شبانه مدير المعاهد الدينية** : انه قرر ان يبدأ على الفور تحقيق الموضوع من اوله ، ثم تساءل : ولكن على أي أساس سوف يعتمد بحث مثل هذه الموضوعات الشائكة ؟ وأجاب : إن البحث سوف يعتمد على أكبر عدد ممكن من كتب التاريخ وسيرة الرسول ، وذلك لمعرفة ما اذا كانت هناك آثار منسوبة الى رسول الله نقلت بعد وفاته أو بعدها .

وجاء دور **الدكتور محمد ضياء الدين الريس أستاذ التاريخ الاسلامي في كلية دار العلوم** ، وكان له رأى آخر ، مؤداه : ان هناك اعتقادات كثيرة قد لا يكون لها أى أساس من الصحة ، لكن الناس يصرون على التمسك بها ، وهذه الشعرة قد تكون مجرد شعرة أحيطت باعتقاد معين ، وبدا اولئك الناس في كشمير يعتزون بها على هذا الاساس .

اما لجنة **الفتوى بالأزهر الشريف** - عفا الله عنها - فقد أعلن رئيسها فضيلة الشيخ **السبكي** ، ان لجنة الفتوى قد اجتمعت على أثر نشر الخبر ، وسوف تصدر خلال سبعة أيام فتوى رسمية .

هكذا تحولت سرقة شعرة منسوبة زعما الى شعر رأس الرسول - صلوات الله عليه - الى قضية كبرى تثير الرأى العام العالمي بوجه عام ، والرأى العام الاسلامي على وجه أخص ، فتجتذب أنظار المحققين من أساتذة التاريخ في العالم الاسلامي ، وكبار المستشرقين في العالم الغربي ، وتشحذ همم لجنة الفتوى فتقرر عقد اجتماع يستغرق سبعة أيام لاصدار فتوى رسمية في هذه القضية ، ووكالات الأنباء العالمية الاستعمارية انتهزت هذه (الجنازة) لتشبع لطما ، ولم يبق الا أن تتفتق احدى عبقريات هوليود لاخراج فيلم عن هذه المهزلة المبكية المضحكة!

اما الحقيقة الضائعة وسط هذه الضوضاء وذلك الصخب ، فلم يكن لها موضع تبرز منه ، ولا ذكر يعلن عن صرخاتها المكبوتة ، **وهذه الحقيقة لها جانبان : سياسي وآخر ديني** :

اما الجانب السياسي فيتمثل في التوتر القائم بين الهند والباكستان ، والذى يلعب الاستعمار فى اشعاله دورا ملموسا ، ويلعب عدوان الهندوكية على المسلمين دورا لخطورته ، وسرقة الشعرة (المزعومة) لون من الوان تحدى شعور المسلمين هناك ، وليست هذه المرة الاولى والاخيرة من التحدى ، فهناك عشرات المرات أبرزها الكتاب الذىصدر بالهندعام ١٩٥٦ م وقدم له (كانيالال منشى) حاكم ولاية (اتربرديش) وكان سببا فى قتل مئات المسلمين وتشريد الآلاف من عائلاتهم ، اما عنوان الكتاب فهو (تراجم الزعماء الدينيين) وفى الفصل الخاص بالرسول عرض المؤلف بشخصيته ـ صلوات الله عليه ـ تعريضا مفزعا هيج الجماهير المسلمة هناك .

وليست الباكستان وحدها فى قصة سرقة الشعرة المزعومة هى التى اتهمت الهندوك بسبق الاصرار على تحدى شعور المسلمين لاثارة الفتنة، فان **نهرو** نفسه بلباقته المعهودة أذاع أخيرا حديثا بالراديو قال فيه : « **ان اللص الذى سرق هذا الأثر الاسلامى المقدس لا يمكن أن يكون صديقا لكشمير ولا للهند كلها** . »

وما هو ظاهر الى الآن ان القضية اخذت شكلا ينذر بالشر ، فقد تقرر حظر التجول فى المدينة ، ونزلت بعض فرق الجيش الى الشوارع ، كما تقرر فرض رقابة على الرسائل والبرقيات الصحفية التى تخرج من سرينا جار ، وقالت (**رويتر**) أن اجتماعا عقد أخيرا عند ضريح محمد على جناح مؤسس باكستان ، اتخذ المجتمعون فيه قرارا أعلنوا فيه : « أن ماجرى فى سرينا جار كان محاولة متعمدة لاثارة المسلمين فى كشمير ، حتى اذا ما احتجوا أمكن للهند أن تجد عذرا للقضاء على حركة التحرر » .

اما الجانب الدينى فى الموضوع فيختبىء بين جوانب مأساته المهزلة ، فلو ثبت ان هذه الشعرة من شعر رأس الرسول ، فاى وجه من وجوه الدين يبرر تقديسها والحج اليها والمحافظة عليها ؟ هل تدهورت رسالة محمد ـ مع عظمتها ـ الى حد الاهتمام بشعرة من شعر الرسول ، لتقنع بعض العقليات الاسلامية نفسها بأنها قائمة على صيانة تراثه ـ صلوات الله عليه ؟ وهل كل تراث الرسول : **بضع شعيرات من شعره ، وسنة من أسنانه ، وقميص من قمصانه ، وحجر أسود عليه أثر قدمه ، ومكحلة ومسواك ؟** .

ان السلاطين الذين قيل انهم نقلوا بعض آثار الرسول الى دولهم ، انما كانوا يهدفون الى الافادة من جذب عواطف الشعوب المسلمة نحو حكمهم ، والا فان جل هؤلاء السلاطين أهدروا التراث الحقيقى للاسلام متمثلا فى كتاب الله وسنة رسوله .

كنا ننتظر من لجنة الفتوى الموقرة أن تبادر فتعلن أن تقديس المسلمين لشعرة من شعر الرسول يضع الاسلام ومفاهيمه موضع الهوان ، وأن وحدانية الاسلام وسلامة عقيدته تأبيان أن يحن المسلمون الى مثل هذه العاطفة الممتزجة بارهاصات الوثنية ، ولكن لجنة الفتوى رأت أن تستهلك اسبوعا من وقتها (الثمين) لتحقق عما اذا كانت الشعرة منسوبة الى شعر الرسول أم لا .. وليتها آثرت الصمت .

ان **عمر بن الخطاب رضى الله عنه** . حين رأى المسلمين يقصدون الشجرة التى بايع الرسول المسلمين تحتها بيعة الرضوان للتبرك بها ، بادر بقطعها حتى لا يسمح للوثنية أن تتسلل برفق الى العقيدة الاسلامية ، ومع أن البيعة كان لها خطورتها اذ بايع الرسول تحتها المسلمين على بذل دمائهم ، ولها مكان فى تاريخ الاحداث الاسلامية ، واشاد بها القرآن بقوله : « **لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة ، فعلم ما فى قلوبهم فانزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا** » **مع هذا كله آثر عمر سلامة العقيدة على الحفاظ على أثر من آثار هذه البيعة ، وحسبنا فعل ابن الخطاب رضى الله عنه** .

وبعد أفليس للمسلمين اليوم مايشغلهم ، ولازال معظم بلادهم يئن تحت مخالب الاستعمار الصليبى والوثنى والالحادى على السواء ؟ وهل ضياع شعرة من شعر الرسول يهز كيان الاسلام ، ولم يهز كيانه ابعاده كلية عن حياة المسلمين فى جل بلاد المسلمين؟

لا زلت اذكر قصة الذين سفكوا دماء الحسين حين سألوا عبد الله بن الزبير عن دم البرغوث أحلال هو أم حرام ؟ فاجابهم ابن الزبير : ويحكم ! استحللتم دم ابن بنت الرسول وتسألون عن دم البرغوث .!

محمد عبد الله السمان

الكتب - عرض وتعريف

يقدمه: تحسين عبد الحي

الحقيقة والدبلوماسية فى امريكا اللاتينية

تاليف: ادولف (ا) بيرل

ترجمة: محمد نبيل موسى علام

والكتاب هو احد المؤلفات التى يقوم على نشرها واصدارها مجلس العلاقات الخارجية بمدينة نيويورك، قصد ايضاح وتحليل عوامل السياسة الخارجية الامريكية ودراسة ميادين عملها المختلفة فى النواحى الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية على حد سواء .. وهو قبل كل شيء تعبير عن رأى الكاتب فى علاقات الولايات المتحدة التاريخية وسياستها المختلفة تجاه جمهوريات امريكا اللاتينية ..

ويرى المؤلف ان هناك صراعا ذو ثلاث زوايا يسود جميع انحاء امريكا اللاتينية الآن . . **ففى جانب من الجوانب يوجد المحافظون وهم اسر امتلكت الارض والمزارع تدعمها جماعة جديدة أكثر قوة خرجت الى الوجود فى كثير من البلدان نتيجة للتنظيمات الصناعية والمالية .. اما القوة الثانية فيمكن تسميتها بانها « تحررية » - اى انها ليست ماركسية وان كان من الممكن ان تصبح** كذلك - وهذه يطلق عليها فى بعض الاحيان اسم « اليساريون غير الشيوعيين » وتتركز اهتماميا الحقيقى فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى البلاد بطريقة تشابه الى حد كبير الكيفية التى تغيرت بها الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى الولايات المتحدة نتيجة للدور الجديد الذى قام به الرئيس فرانكلين روزفلت. والمجموعة الثالثة او مجموعة الشيوعيين ليست لها فائدة بالنسبة لاى من المجموعتين السابقتين وهى تميل الى تدميرهما معا ولكنها تتبع تكتيكات تتضمن فى الغالب قيام « جبهات مشتركة » - تضم عناصر من أى من المجموعات الأخرى التى يظن ان وجودها يعود بالفائدة على الشيوعيين ، وهذه التكتيكات لا تستبعد بل غالبا ما تحبذ قيام تحالفات مؤقتة مع اكثر القوى مناواة لها . .

واوضح المؤلف : **ان الثورة الكوبية فى عامى ١٩٥٧ ، ١٩٥٨ لم تكن شيوعية بحال من الأحوال وقد قامت بها الطبقة المتوسطة والجناح اليسارى غير الشيوعى فى الجماعات العمالية .. وقد كان نجاح هذه الثورة يرجع على وجه التحديد الى ان دكتاتورية باتستا فى كوبا كانت قابلة للاصابة عند الهجوم عليها بصورة فريدة فى نوعها ، لذلك استطاعت الجماعات الشيوعية التى وصلت الى الحكم عام ١٩٥٩ ان تدمر بسرعة فائقة اية حركات تحررية .**

ويرى المؤلف انه لما كانت الوان الصراع السياسى تقوم بصورة متزايدة على اسس اقتصادية فى نطاق كل دولة من دول امريكا اللاتينية فان موقف الولايات المتحدة يشتمل على جانب مثير . وهى تتخذ موقفا ثالثا لأنها من ناحية تعارض جماعة السياسيين فى امريكا اللاتينية الذين يدعون للحرب الطبقية أو يدبرونها ويدعون للفكرة القائلة بان السبيل الوحيد لتحقيق الامكانيات الاقتصادية للبلاد هى تحطيم الراسمالية او الغاؤها عن طريق الشيوعية .. وهى من الناحية الاخرى تدعو الراسماليين فى امريكا اللاتينية الى عقيدة تبدو لهم اشتراكية ان لم تكن شيوعية ايجابية - فهى تقول لهم .. اكتفوا بعائد معقول لأموالكم ، وادفعوا نسبة اعلى من الضرائب ولاتمتلكوا مصادر هائلة معطلة من الارض فى نفس الوقت الذى لا تدفعون فيه سوى القليل او لا شيء للدولة انتظارا لجنى الارباح الطائلة التى لا يقابلها اى

عمل لاينجم عن الزيادة التي تحدث في قيمة الارض كلما ازداد عدد السكان - ولا تحولوا اموال الرأسمالية المتجمعة لكم الى اموال سائلة ترسلونها الى الخارج في اسواق باريس ولندن ونيويورك او تحفظونها سائلة في بنوك سويسرا ، واعلموا ان الثمن الذي تدفعونه لكي تؤمنوا اموالكم هو ان تفهموا الحقيقة الحديثة وهي ان بقاء راس المال الخاص او استمرار بقاء الراسماليين لابد وان يكون له مبرر على الدوام ، هذا المبرر هو الانتاج المتزايد والتوزيع الأفضل والدليل الملموس .. على ان البلد بأسره يستفيد من ذلك ..

ويرى المؤلف كذلك .. ان ملايين عديدة من ابناء امريكا اللاتينية يجب ان ينالوا حظهم من الدخول في حياة القرن العشرين وارتفاع مستوى حياتهم المادية ، وبصرف النظر عن السياسة فان المشكلة هي كيفية ربط هؤلاء بموارد امريكا الشمالية وامريكا اللاتينية .. حتى ينالوا الفائدة والشعور بجنى ثمارها على السواء ..

فالحقيقة ان اكثر من نصف القوة العاملة في كل بلدان امريكا اللاتينية باستثناء الارجنتين وشيلي وارجواي - تتكون من العمال الزراعيين - وتوزيع الارض في امريكا اللاتينية غير متكافيء الى حد مؤسف للغاية .. ففي اورجواي التي يوجد بها افضل توزيع يمتلك ٢ر٤٪ من ملاك المزارع ٤ر٥٦٪ من الارض وتاتي بعدها البرازيل حيث يمتلك ٦ر١٪ من اصحاب المزارع ٥١٪ من الاراضي الزراعية والتوزيع اسوأ من ذلك بكثير في البلدان الاخرى.

وما يزال الاساس الواقعي للدبلوماسية في نصف الكرة الغربي في عام ١٩٦٢ يشتمل على الكثير مما كان عليه في عام ١٩٣٨ وما زالت هناك الآن كما كانت في ذلك الوقت حركات في امريكا اللاتينية تعارضه وترفع الشعارات المعادية له وتحاول ان تجعل حكوماتها ووزارات الخارجية فيها تتخذ اتجاهات دبلوماسية مشابهة ... وتتخذ احدى هذه الحركات من الاستقلال شعارا لها ويستهدف السياسيون من «الاستقلال» ان يكون معناه القدرة على القيام بعمل يتناقض مع مصالح الولايات المتحدة وان كانت قاما تفسر علنا على انها كذلك .. ويمكن تفسير مفهوم الاستقلال ايضا بانها رغبة مشروعة في الا يكون رأى الحكومات المعنية مجرد صدى لرأى الولايات المتحدة . ولقد كان - جانيو كوادروس - الرئيس السابق للبرازيل ممن يستخدمون ذلك بقوة - ولكنه لم يوضح مايقصده بالدعوة الى ان تسير البرازيل على سياسة خارجية مستقلة - ولكنه اوصى بمضمونها باشارته الى الرئيس جمال عبد الناصر والرئيس تيتو ..

غزو الفضاء
تاليف : عبد المنعم ابو السعود

يحتوى الكتاب على دراسة علمية لرحلات الفضاء ومتطلباتها من الصاروخ الذي ينطلق بالرحلة .. والمركبة التي ستسافر بالانسان .. وكل مطلب من هذه المطالب احتل مركزا مماثلا من الاهتمام به . واستنفد مجهودا متواصلا حتى تبلورت فكرته وامكن تنفيذه بشكل سليم .. وهذا المعنى واضح بالنسبة للصاروخ والمركبة ولكنه بالنسبة للانسان يحتاج للتفهم بمعنى آخر .. فبينما عكف العلماء على وضع تصميم للمركبة يضمن تحمل الضغط ودرجة الحرارة والنيازك .. الخ ..

عكف كل من كلف ببحث المطلب الثالث « الانسان » من مطالب الرحلة على بحث من نوع آخر - وهو كيف يختارون الانسان الصالح وكيف يدربونه على تحمل الظروف غير الملائمة التي تختلف عما يصادفه في معيشته على سطح الارض بل وكيف يزيدون من قدرة احتماله ..

وهكذا يسير الكتاب في دراسة رحلة الفضاء - من شرح للدراسات النظرية - ودراسة ديناميكا الرحلة - وطرق تفادي الخطر والمحافظة على الحياة - وكذلك - الرحلات شبه المدارية - والرحلات المدارية .

ويختتم المؤلف بحثه بدراسة وافية للفوائد العلمية التي سوف تستفيدها البشرية من ابحاث الفضاء ..

تحسين عبد الحي

البريد الأدبي

بين رفض الحياة ورفض الموظف !

كل من على الحياة معرض لويلاتها .. بديهة ! فاذا مرضت ـ حفظك الله ـ وطال بك المرض ، فليس هذا أمرا شاذا .. انما هو من سنن الحياة .

ولكن الذى ليس من سننها ، ان تحرم من مرتبك لانك لم تستطع البرء من مرضك خلال مدة محددة ـ اسماها مشروع قانون التوظف الجديد الذى نشر اخيرا ، اجازة مرضية ، وحددها بثلاثة شهور بمرتب كامل ، وثلاثة شهور اخرى ، بثلاثة أرباع المرتب .. وذلك كل ثلاث سنوات !

وعلى المريض اذا طال به المرض حتى تخطى هذا الحد الا يمرض .! او يبحث له عن مورد رزق آخر نعم ... وهو مريض .!

ان ماكسبته ايانا الثورة من وعى يجعلنا ندرك أى مشاعر يشعر بها هذا الموظف المريض وأبناؤه الصغار تجاه مجتمعهم الذى يحرمهم القوت والحياة لاسباب ليست فى مقدور بشر أن يمنعها !

واذا كانت هناك قرارات جمهورية سابقة حققت لمرضى بعض الامراض من موظفى الدولة استقرار الحياة واسبابها حتى يتم العلاج .. ومهما طال .. واخرى قضت على التعطل قضاء اكيدا بعد ان ثبرت لائحة « القومسيون » باخرى ، وليدة حياتنا الاشتراكية ، ونظمنا الثورية ، فاى باس فى أن يعيد المسئولون النظر فى هذه المادة من هذا المشروع الجديد .. حتى نضمن الا يحرم الموظف ـ لاسباب مرضية ـ من مرتبه ومن الشعور برعاية الدولة له ولاولاده واسرته ، مهما كان المرض .. ومهما كانت مدته .

وهل تقل دولتنا عطفا ورقة قلب عن امثال هذا الكريم الذى يرسل للاستاذ انور المعداوى ـ شفاه الله ـ مرتبه الشهرى ، حتى لا يشعره بالقطيعة بينه وبين الدولة ، فتزداد صحته سوءا !!

احسب ان الدولة اقدر واولى بالمسئولية من امثال هذا الكريم ! والمشروع لم يصدر به قرار بعد .

محمد محمود شمس

بيرم التونسى

كان المرحوم بيرم التونسى شاعر الشعب الساخر بشعره طيلة حياته ، وفيلسوفه الكبير الذى يبحث عن الفكرة الحرة ، لايرهب سلطانا ، ولايطمع فى جائزة ، ولايبالى بتهديد او وعيد . بل همه هو الحرص على القضاء على الظلم الاجتماعى ، ومطاردة خونة الوطن ، اينما كانوا ، ومهما تكن حيثياتهم وقد هاجم الاسرة الحاكمة السابقة ، فنفاه الملك فؤاد الى باريس .

والمعروف عن بيرم التونسى أنه كان يقول الشعر زجلا ، ولكن زجله هذا بالرغم من استعماله بعض التعابير العامية فيه التى يلجا اليها كل زجال شعبى الا ان هذا الشعر الزجلى كان افصح بكثير من بعض الشعر العربى الخالص ، واهم مايمتاز به شعره هو الجرأة فى الهجوم على الأوضاع التالفة فى حياتنا كلها ، ولاسيما حياتنا الاجتماعية التى دخلها اغنياء وتجار الحرب ، حتى أطلق عليه بعض النقاد والكتاب « موليير مصر » . وهو فى السخرية من حياتنا الاجتماعية والتهكم من الاوضاع الفاسدة فيها بشعره الزجلى نظير عبد الله النديم فى ذلك بالنثر ، وهو ايضا فى نظرى امير الشعر الزجلى فى تاريخ الزجل العربى على الاطلاق ، فقد استوفى فيه كل غرض ، وكان بارعا فى استعمال الكلمات القوية التى تصيب هدفها بدقة واحكام . وانا اتساءل :

لماذا تخلو مكتباتنا العربية من ديوان كامل لبيرم التونسى يضم آثاره الخالدة التى تعتبر تراثا فنيا لايقدر فى حياتنا الفكرية ، وتاريخنا الادبى ويقرؤه كل قارىء عربى من عشاق بيرم التونسى . انى اتوجه بالنداء الى الدكتور عبد القادر حاتم وزير الثقافة والارشاد ، وحامى التراث العربى والثقافة العربيـة أن يكلف الدار القومية التابعة لوزارة سيادته بجمع شعر بيرم التونسى ، وطبعه فى ديوان كامل خدمة للعربية وقرائها ، وتخليدا لذكره .

مصطفى محمود مصطفى

● رسالة من الاديب : **نبيل احمد مصطفى** بالمنيا يذكر فيها : ان الرسالة وحدها المسئولة عن تلك المواهب الناشئة ، واخراجهم من طوفان التزاحم الادبى الذى يكاد يجرفهم ، لانها القادرة على تيسير الطريق لهم ، وتهيئة الميدان الادبى لانتاجهم ، وهو يذكر استاذنا الزيات بوعده هؤلاء الناشئين بالاهتمام بهم .

وتود ان تقول للاديب : ان الرسالة لم تزل عند وعدها للبراعم اذا ما اجادت فى انتاجها ولم تتعجل الثمر قبل الا تبذل جهدا .

● رسالة عتاب من الاديب : **محمد جاد البنا بكلية الدراسات العربية** — جامعة الازهر ، يعتب فيها على الرسالة — بما لها من عراقة الأصل الصحفى ، واصالة النسب الادبى — ان تحذو حذو المجلات الاخرى فى خنق الافكار الحرة وقتل الآراء الجريئة ، وهى التى طالما شجعت الثقافة العربية فى اطارها الصحيح ، والفكر الاسلامى فى ثوبه الناصع ، فما كان يظن ان صفحات (بريدها الادبى) تضيق بكلمة موجزة بعث بها الأديب — كما يقول منذ شهر ، ولم تنشر حتى اليوم

والبريد الادبى المتهم سبق ان نشر بعض آرائكم فلا داعى لهذا التشاؤم ، ويظهر ان الاديب لم يقدر ان عشرات الرسائل ترد الى البريد الادبى اسبوعيا وصفحاته لم تزل محدودة .

● رسالة من الاديب : **السعيد بيومى الورقى المدرس بفاسوق** ، يعقب فيها على ما نشر على صفحات البريد الأدبى حول قصيدة شوقى عن عرابى والتى جاء فى مطلعها :

صغار فى الذهاب وفى الاياب
أهذا كل أمرك يا عرابى

ولما كانت هناك رسائل عديدة حول هذه المسألة آخرها رسالة الأديب ، فقد رأت الرسالة الاكتفاء بما نشر وقد كان فيه الكفاية .

● رسالة من الاديب : **محمد سمارة عضو جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين** . يحيى فيها الرسالة على الكلمة التى سبق نشرها على صفحاتها تحت عنوان : « **ماساة أديب ومكرمة وزير** » ويذكر الرسالة بمحنة الشاعر **محمود ابو الوفا** الذى نالت من عطف السيد **الدكتور عبد القادر حاتم** وزير الثقافة والارشاد القومى فى العام الماضى ما ناله الأديب الناقد **أنور المعداوى** هذا العام .

ويذكر الاديب العراقى ان ماساة الاديب فى العراق لا تقل عن سواها فى البلدان العربية ، ويخص بالذكر الاديب الشاعر **بدر شاكر السياب** الذى اصيب بشلل اقعده ، والاديب **نديم الاطرقجى** الذى أودى الفقر بحياته وهو فى ريعان شبابه ، اذ توفى فى الثالثة والعشرين من عمره فى مستشفى لمرضى السل .

والرسالة ترجو فى القريب العاجل أن تكون هناك نقابة للادباء ، فى كل بلد عربى المحافظ على كرامتهم وانقاذهم من أية محنة يتعرضون لها ، وهى على اتم استعداد باقلامها للاسهام فى اخراج هذه الفكرة الى حيز الوجود ان شاء الله .

● رسائل عديدة من الشعراء فى ذكرى عيد النصر ، وقد جاءت الى الرسالة متاخرة ، فرأت الرسالة الاشارة الى بعضها .

تحت عنوان « **أعياد النصر** » قصيدة للشاعر : **طلبه محمد عبده وكيل مدرسة بورسعيد الثانوية جاء فيها :**

ذكريات النصر قد فاح شذاها
فاخر التيل بها الدنيا وتاها
انها ذكرى كفاح باسل
حققت مصر به كل مناها

وتحت عنوان « **ذاك شعبى** » **قصيدة** للشاعر : **محمد جمعه الشايب مفتش اللغة العربية بالمنصورة جاء فيها :**

كتب التاريخ يوما صفحة
من حروف النور فى سفر الخلود
تسميه الدنيا لها لو تليت
ويظل الكون منها خير عيد
هذه صفحة شعب خطها
يوم افنى خصمه فى بورسعيد

(م٠ ع٠ س)

قصة العدد

الذى انكسر !!

بقلم : عاشور عليش

كانت دميمة .

الا ان هذا لم يكن سببا كافيا يحول بين قلبها .. وبين ان يحب .

واحبته بكل وجودها .

كانت ترى فيه كل الحياة ، فوهبته حياتها .

اتاها الحب فجاة ...

لم تحس به الا وهو يعتصر قلبها ، ويأكل من فكرها .

كانت تجهل كل شيء عنه حتى اسمه !!

ولما بدت اعراضه عليها ، قالت لها اقرب المقربات اليها :

« ... هذا هو الحب . »

وحارت « هى » ماذا تفعل به !!

نشأت يتيمة ، ولم تعرف من دنياها سوى امها العجوز ، هذه السيدة التى حملت عبء الجهاد بعد زوجها كيما تمهد لها اسباب الحياة ..

كانت تشقى من اجلها ، وكانت فى كفاحها صامتة، لم تشك الى مخلوق ، ولم تسأل احدا معونة .

شيعت زوجها الى مقره الاخير وعادت الى بيتها لتبدأ صفحة جديدة .

ومنذ اليوم التالى لوفاته عرفت الطريق الى البيوت ، تغسل عن سيداتها الاثواب .. شيء واحد كان يبعث الحياة الى نور عينيها ، ويضيء قلبها حتى لتدب الحركة فى سكونه ، هو «محبات» ابنتها وآخر ذكرى للرجل الوحيد الذى عرفته طيلة حياتها ».

لم يترك لها شيئا سوى هذه الابنة ، واوصاها بها خيرا وهو يجود بأنفاسه الاخيرة ، فى طريقه الى السماء .

اخذت « محبات » تنتقل مع امها من بيت الى بيت، تدور فى فلكها وهى لاتدرى لماذا تدور .

وكانت فى كل بيت تدخله ، تخرج منه وقد اصاب قلبها الطفل ، سهم جديد .

كان الاطفال ينفرون منها لدمامتها ، وكانت ربات هذه البيوت يحلن بينها وبين اللعب مع اطفالهن لا لسبب الا لأنها « ابنة الغسالة » .

ولم تجد فى هذه السن الصغيرة من يشاركها طفولتها اليتيمة ، فانطوت على نفسها ، وقد انطوى قلبها على جرح دام يقطر مرارة .

وانزوت عن الاعين ، تخفى عنها هذا الوجه القبيح الذى تتأذى من مرآه ، وارهفت الوحدة احساسها حتى اصبحت تقرأ النظرات وتجيد الاستماع الى حديث السكون !!

وكبرت محبات ، وكبر معها الالم ، وكانت كلما اينع الشباب فيها ، اينعت معه الحسرة ، حتى زهدت الحياة ، وتمنت لو فارقتها .

وكانت ذكريات الطفولة تلاحقها ، فتبكى فى صمت .

ولم يغب عن قلب الأم ما تعانيه ابنتها ، فلم تضن عليها بحنان ، واجهدت نفسها ما وسعها ، لتبعد عنها هذه الاشباح التى تؤرقها ، فلم تبخل عليها بطلب ، وقلما طلبت محبات شيئا !!

***

واتاها ما اتاها فجاة ..

لم تحس به الا وهو يعتصر قلبها ، ويأكل من فكرها ..

كانت تجهل كل شيء عنه .. حتى اسمه ..

وحارت هى ماذا تفعل به ؟

احست به فى انشغال فكرها وفى شروده ، فى نبضة قلبها وفى حنينه ، فى بكائها دون ما سبب ، وفى فرحتها التى لاتدرى كنهها .

فى اشراق الحياة من حولها ، وفى عبوس وجهها .. فى يقظتها الحالمة وفى صحوة نومها .. واحست به ، حتى اصبح فى حياتها كل شيء !!

ولم يكن من تحب بعيدا عنها ، بل كان قريبا منها، لايكاد يفصلها عنه سوى باب واحد ، وبرغم هذا ، فقد كانت تحس بعده عنها ، كما لو كان هو فى السماء وهى فى الارض !!

كانت تحبه ، وتحب رؤيته ، ورغم هذا قد حرمت نفسها منه ، خشية ان تقع عيناه على وجهها ، فيزور عنها ، وبهذا يغيب آخر شعاع لشمس الامل فى افق وجودها .

احبته فى صمت ، فى خشوع فى رهبة .. فى عبادة ، كانت تذكره فى صلاتها فيشرق قلبها بالدمع،

وترفع اكف الضراعة الى الله ان يحفظ لها هــذا الحب .

***

كان « محمود » يعمل فى مصلحة التنظيم ، وكانت طبيعة عمله تقتضي منه السهر طول الليل فاذا ما اقبل الفجر ، عاد الى بيته ، وهي غرفة تجاور غرفة « محبات » على سطح احد المنازل،ويستسلم للرقاد، بعد مجهود شاق .

ولم يكن محمود يتمتع بمرتبه الضئيل منفردا بل كان عليه ان يعول اما له واخوات فى البلدة ، فكان يقتسم مرتبه معهم ، ويقتنع بالكفاف ..

وشغله هذا الكفاح عن كل شيء فى الحياة .. عن شبابه وآماله .. وعن وجوده كانسان !! تحق له الحياة !!

واقبل رمضان ..

ووجــدت « محبات » فيه فرصـــتها التى طالما انتظرتها ..

انها تريد ان ترطب وجودها بسماع صوته ..

كانت كل ما تتمناه هو ان تتحدث معه ، أن تقف امامه ، أن تبادله النظرات .

وفكرت كثيرا .. فكرت فى هذه الوسيلة التى تشبع بها هذا الجوع ، الى ان جاء رمضان ، وجاء معه بما عز على سائر الأيام .

صامت عن كل شيء الا عن التفكير فيه ..

وشغلت صيامها باعمال المنزل ، الا ان هذا ايضا لم يصرفها عنه .

انه صائم هو الآخر ، ولابد لها من أن تجعله يحس فرحة الافطار .

وراودتها فكرة جريئة ، اسلمت قلبها الى فرح مجنون ، ونفذتها فى الحال ..

لماذا لا تصنع له دورقا من شراب « قمر الدين؟» واودعته اسرارها .

واودعت الشراب كل ما وسعه قلبها من حب ، واودعته اسرارها التائهة ، آمالها اليتيمة ، وكانت كلما تذكرت مرارتها ، اضافت اليه قطع السكر بلا وعى منها ، وهى تدعو الله له من قلبهـــا ان يجنب حياته المرارة . ويجعلها حلوة امامه دائما ..

وجاء المساء ..

كانت تعد على الشمس اشعتها وترقب مغيبها بقلب طالما استعجلت الفرحة فيه للمغيب واستاذنت امها فى أن تحمل اليه الدورق ، فأذنت لها وهى تدعو الله لها ان يجبر خاطرها كمـــا جبرت بخاطر هذا الشاب المتكسر الوحيد .

وحملت دورقها وهى تكاد تميد به من الفرحة ، وطرقت الباب .

وبعد لحظات خالتها دهورا ، انفرج الباب عن وجهه ، فتوقف قلبها ، واحتبس الكلام فى فمها ، ولم تشعر الا وهى فى فراشها تتقلب عليه وليس لها من رغبة فى هذا الوجود الا ان يتركها العالم وشانها ... حتى امها .

كانت تحتضن طيفه والدمع يترقرق فى عينيها .

انها لاتستطيع ان تبعد هذا الطيف عنها ، انها لاتدر ماهو لون عينيه ، وما هى تقاطيع وجهه .. وكانت كلما امعنت الفكر فى استذكارهما ، غاب عنها الفكر ، وانفلتت منها الى عالم آخر تحسه ولا تدركه .. عالم لا تعرف عنه شيئا الا انه عالم جميل .

ومع السحور ...

جاء من عمله مهدود القوى ..

وكانت « هى » ترقب حضوره بلهفة لم تدع للنوم سبيلا الى عينيها .

وقامت تطالبه باعادة الدورق الفارغ ..

وفتح لها الباب ..

وغاب قليلا فى الداخل ، ثم عاد اليها يحملّ الدورق ..

كان كما هو ، كآخر عهدها به ... لم يمس ..

ونظرت الى الدورق ، والى عينيه ، ورددت النظر، واستطاعت اخيرا ان تهمس بصوت غير مسموع : —

« لماذا لم تشرب قمر الدين ؟ »

فكان جوابه لها ، والحياء يتعثر على شفتيه ، انه لا يحب هذا الشراب ، وشكر لها فضلها .!!

وفى الطريق بين الحجرتين ..

بين احضان الليل ، وفى سمع السكون ...

بكت من قلبها ...

ولم يستطع الدورق الذى اودعته حبها ان يصمد طويلا لهذا البكاء ...

فانفلت من يدها لينسكب الشراب تحت قدميها !!

كانت تحس ان قلبها هو الذى انكسر .!!

عاشور عليش

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
وزارة الثقافة والارشاد القومي

الادارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد - القاهرة

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد ١٠٤٤ الخميس - غرة رمضان ١٣٨٣ هـ - ١٦ يناير ١٩٦٤ م السنة الحادية والعشرون

الفهرس

الاشتراكية الروحية ورمضان

بقلم : أحمد حسن الزيات

ان الاشتراكية المادية التى ندعو اليها ونعمل لها ونعيش فيها لا يمكن أن تقوم ولا أن تدوم الا على ركن شديد من الاشتراكية الروحيـــة . ذلك لان الروح هو سر الله فى كل حى وفى كل نظام وفى كل مجتمع .. به يحيـا الهـامد ويتسق النافر ويجتمع المتفرق . هو الذى نسميه حبا أو جاذبية أو وحدة .. وهو الذى يجمع قلوب المواطنين على عبادة اله واحد ، وحب وطن مشترك ، وتقديس شعار متحد ، وطاعة زعيم قائد .. فاذا ضعف فى النفوس هذا الروح ، واحتجب عن الاذهان هـذا السر ، تناكرت المعارف وتدابرت الاخوة ، فلا يتشاركون فى خير ، ولا يتعاونون على بر ، ولا يتناصرون فى شدة . واذن تصبح القوانين الاشتراكية والانظمة التعاونية كلاما لا معنى له وعملا لا رجع منه !

ان المجتمع الانسانى اذا خلا من هـذا الروح الالهى أصبح مجتمعـا حيوانيا لا يعطف الفرد فيه الا على وليده مدفوعا بغريزة حفظ النوع .. فاذا بلغ الوليد أشده واستوى تقطعت الرحم وتباعدت القـرابة وانقلب الولد ندا لأبويه ، يدافعهما عن نفسه ، ويصارعهما على قوته ؛ وصار الاشتراك أو الايثار الذى انبثق من الامومة والأبوة فردية باغية وأثرة شديدة وقطيعة متصلة .

على أن هذه الغريزة تتهذب فى بعض أمم الحيوان كالنمل والنحل فتنمو وتسمو وتدوم حتى تصبح اشتراكية مثالية تنتظم فضائل المجتمع الانسـانى

المرجو من فناء الفرد في الجمع ، وجهاد الكل للكل، وما يحقق ذلك من تضامن وتعاون واخلاص وايثار وتضحية حتى بلغ من سمو الاشتراكية في هاتين الأمتين أن النحلة أو النملة تعمل لنوعها كله لا لنفس دون نفس ، ولا لطائفة دون طائفة ... وهذا السمو الاجتماعي فيها لا تجد له نظيرا في مجتمع الذئاب والقرود والناس ! فلكل فرد من أفراد الانســـان وهو أرقاها شأنه الذي يعنيه ورزقه الذي يكفيه ، فاذا فضل شيء منه عن حاجته فلزوجه وبنيه ! أما علاقته بغيره وغير أهله فهي علاقة الصائد الخاتل أو اللص القاتل : يحتال ويغتال ويغتصب ويستأثر ، ولا يبالي أن يهلك العالم وتخرب الدنيا ما دام بدنه معافى وداره عامرة !

❋ ❋ ❋

هذا السمو في الاشتراكية المادية لم يجعله الله أصلا في جبلة الانســـان ، وانما جعله في الشرع الذي أوحاه وفي الكتاب الذي أنزله .. فمن يرد اصلاح الفاسد من حال المجتمع دون أن يبث في أعضائه هذا الروح ، وينشر في جوانبه هذا النور، أخطأ الطباب الناجع لهذه العلة ، وضل الســـبيل الجامع لهذه الغاية .

ان دين الله اشـــــتراكي بحكم طبيعته ومقتضى رسالته . شرعه الله نظاما للدنيا وسلاما للناس على أساس من علمه وتقدير من فضله ومنهاج من هداه، فالملك ملكه ، والمال ماله ، والفقراء عياله ، والاغنياء عباده ، والمصير كله اليه .

على هذا الاتصال الروحي بين الخالق والمخلوق اجتمع الشمل في الأسرة الاسلامية الكبرى فكان الناس فيها سواسية والحكم شورى والايمان أخوة والرزق شركة والجماعة وحدة .

واذا تدبرت الاركان التي بني عليهـــا الدين ، والاحكام التي جاء بها الشرع ، تجلت لك من مطاويها ومراميها تلك الاشتراكية التي تؤلف القلوب بالفة الروح ، وتجمع الشعوب بجمعة الحب ، وتفـرض على الحائز معونة العائز ، وتوجب على الجميع نصرة الفرد ، وتجعل من المسلمين جسما واحدا اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى كما قال الرسول الاعظم .

❋ ❋ ❋

خذ مثالا واحدا من ألف : صوم رمضان ! أليس هذا الشهر المبارك الذي احتفل برؤية هلاله المسلمون في جميع أقطار الارض هو مظهر الاشتراك الروحي بينهم ؟ انهم يصومون في وقت واحـد ، ويفطرون في وقت واحد ، ويكادون يتفقون على طعام واحد . ثم ينصرفون عن الملذات الحسية والنفسية ليتجهوا بالتأمل والتعبد والخشوع الى الله ، فيغضوا أبصارهم عن المنكر ، ويكفوا ألسنتهم عن الفحش ، ويصموا آذانهم عن اللغو ، ويغلوا أيديهم عن الأذى، ويصدوا أهواءهم عن السوء ، ثم يسمتون جميعا صائموهم ومفطروهم سمت الصالحين ، فيمســكون السبحة ويتقون الشبهة ويصنعون المعروف ، ويتقـــلدون تقاليد رمضان ، فالسكير يهجر الكأس ، والمقامر يترك الورق ، والشرير يؤجل الشر ، والمجرم ينسى الجريمة ، ثم يشركون المســـاكين في طعامهم تكافلا ورحمة ، ويؤتون الفقراء من أموالهم تعاطفا وصدقة، ويولمون الولائم لاخوانهم تواصلا ومودة ، ويشعرون ان أجسادهم المتفرقة المختلفة يسري فيها روح واحد يصـــدر عنه هـذا الوجود المتحد وهذا الشـــعور المشترك .

❋ ❋ ❋

هذا الروح الالهي انما أبقاه وقواه في نفـــوس الصائمين عقيدة ووراثة وسنة . فلو أنه وجـد في الوطنية ما وجد في العقيدة من الايمان ، وفي النشأة ما وجد في الوراثة من العمق ، وفي القدوة ما وجد في السنة من الصلاح ، لشاع في نفوس المسلمين وجعل منهم مواطنين اشتراكيين يعمـل كل امرىء منهم لوطنه كما يعمل لبيته ، ويحب لمواطنه ما يحب لنفســـه ، ويكون لدولتـــه كما يكون الانجليزي لامبراطوريته : يخلص لها اخلاصه لعقيدته ، ويبر بها بره بأمه ، ويفنى فيها فناءه في أسرته . ويومئذ ترى العربي كما ترى الانجليزي يقذف بنفسه في المطرح البعيد والمنزل النابي ليعمل لقومه أو ليكدح

لنفسه فلا يضـــع أمام عينه ولا طي صـــدره الا جمهوريته : يمثلها أحسن تمثيل ، ويخدمها أخلص خدمة ، ويدعو اليها أصدق دعوة . يدعو اليها بفعله قبل قوله ، وبقلبه قبل لسانه ، وبخلقه قبل علمه. ويومئذ لا تعود ترى أو تسمع ان العربى يعيش فى الغربة مقطوع الاسباب عن بلده وقومه . لا يعرض عن وطنه على الناس الا صورة الباطل ، ولا يتكلم عن أخيه فى الغيب الا كلمة السوء. ذلك لان الروح الوطنى الاشتراكى الذى يستمد سناه وسناه من روح الله اذا سرى فى نفس ابن آدم جعل فرديتـــه قومية ، وأنانيته غيرية ، وعصبية انسانية ، وخاصته من الخير لله وفى الله عامة !

أحمد حسن الزيات

مما نشرته الرسالة

لابد من رمضان بعد أحد عشر شهرا قضاها المرء فى جهاد العيش مستكلب النفس مستأسد الهوى ليوقظ رواقد الخير فى نفسه ، ويرهف احاسيس البر فى شعوره ، ويرجع روحه الى منبعها الأزلى فتبرأ من أوزار الحياة ، وتطهر من أوضار المادة ، وتتزود من قوى الجمال والحق والخير ما يمسكها العام كله على فتنة الدنيا ومحنة الناس .

فرمضان رياضة للنفس بالتجرد ، وثقافة للروح بالتأمل ، وتوثيق لما وهى بين القلب والدين، وتقريب لما بعـــد بين الرفه والمسكين ، ونفحة من نفحات السماء تغمر دنيا المسلمين بعبير الخلد وأنفـــاس الملائكة ! ورمضان ثلاثون عيدا من أعيـــاد القلب والروح تفيض أيامها بالسرور ، وتشرق لياليهـــا بالنور ، وتفتر مجالسها بالأنس ، ويغمر الصائمين فيض من الشعور الدينى اللطيف يجعلهم بين صحوة القلب ونشوة الجسد فى حال استغراق فى الله ، يتأملون أكثر مما يعملون ، ويستمعون أكثر مما يتكلمون . فاذا أمسى المساء وفرغوا من الطعـــام والصلاة انتشروا فى المدينة بالبهجة والزينـــة . فالرجال يحضرون مجالس القرآن فى البيـــوت أو محافل السمر فى المنتديات . والنساء يوزعن الوداد على منازل القريبات والصديقات والاطفال يفرحون بأناشيدهم ومصابيحهم الميادين والطرقات ، والدور الباقيا على العهد تتقرب الى الله بالذكر والصدقات، والمساجد المقفرة طول العام تعج بالوعظ والصلوات والمآذن الحالية بالمصابيح الشادية بالتسابيح ترسل فى أعماق الابد نور الله وكلمته .

ورمضان مظهر قومى رائع ؛ يعيـــد الى القاهرة عز القرون المواضى ، فيصبغ لونها الاوربى المـــائل بصبغة الشرق الجميلة ، ويرفع صـــوتها الخافت بشعائر الصوم الجليلة ، ويبرز شخصيتها الضائعة فى زحمة الاجانب بالمظـــاهر الرســـمية للحكومة والتقاليد العرفية للشعب .

وما أروع القاهرة فى سكنتها عند الافطار وجلبتها عند السحور وهزتها عند انطلاق المدفع

ورمضان بعد أولئك كله رباط اجتماعى وثيق ، يؤكد أسباب المودة بين اعضاء الأسرة بالتواصـــل والتعاطف ، وبين أفراد الامة بالتزاور والتآلف ، وبين أهل الملة بذلك الشعور السامى الذى يغمرهم فى جميع بقـــاع الارض بأنهم يســـيرون الى غاية الوجود قافلة واحدة ممتزجة الروح متحدة العقيدة متفقة الفكرة ، متشابهة النظام متماثلة المعيشة ..

(الزيات)

تصويبات

وقعت فى افتتاحية العدد الماضى أخطاء مطبعية ، فيما يلى تصويبها :

فى الصفحة ٢ العمود الاول

فان من يدين بالزعامة لشعبه لا لحروبه
والصواب لا لحزبه
الاديان قبلة الاسلام الاول
والصواب وقبلة الاسلام الاولى
وعيات
والصواب وعيهات

فى الصفحة ٢ العمود الثانى

تستجن لزعيم
والصواب تستجر
وفى هذا الانتقاد الذى يجرى على كل لسان
والصواب الانتقاض

شاعر ملتزم

بقلم : الدكتور محمد احمد خلف الله

هو شاعر عربى ، يؤمن بالقومية العربية ، ويلتزم فى شعره التبشير بها ، والدعوة اليها ، والدفاع عنها . وهو فى ذلك لا يصدر عن مجاملة او نفاق ، وانما يصدر عن ايمان عميق . ويعبر عن ايمانه هذا فى قوة وصراحة ، وعن دعوته تلك فى الفاظ رنانة ، تسمع من فى اذنيه صمم ، وتكشف الحقيقة امام بصيرة من فى قلبه مرض او على بصره غشاوة .

والشاعر الملتزم هو الشاعر رشيد سليم الخورى المعروف باسم الشاعر القروى ، وهو الذى يقول :

وانى لصداح العروبة طاب لى
شدوى على سرواتها وتنقلى

ووقفت الحانى على المجد الذى
ابلى الزمان مع العظام وما بلى

* * *

ويقول

من ينبىء الملا الذين احبهم
فيكافئون الحب بالعدوان

انى على دين العروبة واقف
قلبى على سبحاتها ولسانى

انجيلى الحب المقيم لاهلها
والذود عن حرماتها فرقانى

ارضيت احمد والمسيح بثورتى
وحماستى ، وتسامحى وحنانى

يا مسلمون ويا نصارى دينكم
دين العروبة واحد لا اثنان

بيروتكم كدمشقكم ودمشقكم
كرباطكم ، ورياضكم كعمان

ستجددون الملك من يمن الى
مصر الى شام الى تطوان

وستكفلون حضارة الدنيا كما
كفل الجدود حضارة اليونان

فاجروا الى الغايات جرى جيادكم
أيقصر العربى عن حيوانى

لا تيأسوا ان لم يطر بعوبكم
قبل اكتمال وسائل الطيران

لله اذ يرعى القطيع مشيئة
ان يدفع الذؤبان بالذؤبان

كبش النبوة كبشكم فتريثوا
حتى يدر لراسه قرنان

لا تكفروا . انما بعثتم مرة
لم لا يكون لمؤمن بعثان

* * *

والتزام الشاعر للدعوة العربية لم يكن ابدا على حساب الحرية الفنية ، فالشاعر يقدرها حق قدرها ، ويراها ضرورة حتمية للخلق وللابداع . انها عنده من انفس ما يجب ان يحرص عليه الفنان، اذ الفن الصحيح لا يحتمل القيود ، ولا يخضع لاوامر خارجية تجيئه من ذى نفوذ أو من صاحب سلطان . انه لا يحيا ولا يزدهر الا اذا فاض حرا طليقا من منابع النفس البشرية . انما يصدر الالتزام عند شاعرنا من طبيعة العمل ، ومن مسئولية الفنان ــ مسئوليته امام نفسه . ومسئوليته تجاه المجتمع وما يجيش فيه من اضطرابات ، وما يصطرع فيه من ارادات .

ويفسر الشاعر مذهبه فى الالتزام تفسيرا واضحا فى جدله مع اولئك الذين يختلفون معه فى المذهب الشعرى فيقول مرة « **ولقد يقول الناقدون ، ما شان السياسة فى الشعر ، ان الشعر لارفع من هذه الأباطيل .. انه تنكب عن اغراض الدنيا ، واعراض عن سفاسف الحياة ، وتلمس للمثل العليا . ثم يقولون من ناحية اخرى : الشعر الحقيقى هو ما مثل الحياة اكمل تمثيل . والشاعر العظيم هو صورة محيطه الناطقة . هو دليل أمته الذى يتقدمها كعمود النور فى ليالى محنتها رافعا لواء الحق ، هو بشيرها فى الشدة ينعشها بالرجاء ونذيرها فى الرخاء يقيها مزالق البطر .**

فنقول لحضرات الناقدين : انا اذا واياكم

لجد متفقين . ولا خلاف بيننا الا ان ما نسميه نحن وطنية اخطائم انتم فدعونموه سياسة .

اننا في هذا الشعر لم نخض معارك انتخاب ، ولا تدخلنا في احزاب ، ولكنا جهرنا بالحرية ، وناديتا بالاستقلال ، وطالبنا بالحق ، ونشدنا العدل ـ والحرية والحق والعدل ليست من اباطيل الحياة . انها من اشرف مبادئها ، وانبل غاياتها .

ولقد عبرنا في شعرنا عن اعمق جراحات امتنا المطعونة في صميم عزتها وابائها ، واعربنا في صيحاتنا عن اسمى ما تغامر بلادنا في سبيل استرداده من شرف مروم كان فوق النجوم فبات سحيقا تحت اقدام الغزاة وسنابك خيل الغاصبين ...

ان صراخ سوريا وعويلها يكاد يقض مضاجع النائمين في المريخ ، ودخان غيظها يوشك ان يبطن القبة الزرقاء بقبة سوداء ، افتريدون منا ان نجترح المعجزات فنسمعكم همس الازهار وسط هذا الضجيج ، ونصور لكم الوان الشفق وراء هذا القتام ...

وهبوكم لا تؤمنون بغير الارض وطنا وغير الانسانية عشيرة ، افتعتقدون ان الارض قد صارت جنة والناس فيها ملائكة ينعمون ؟

واذا كنتم ولا شك تشعرون بفقرها الى الاصلاح ، فلماذا لا تباشرونه من اقرب اقطارها اليكم ؟

ان الذى يغضب لحق هضم في الصين ، اولى به ان يناضل لدفع حيف نزل ببلاده . والذى ينفر لنصرة مظلوم في آخر الدنيا ، لحرى بأن يذود عن ضعيف يصرعه البغى بين شماله ويمينه .

ان الحرية هى الحياة بمعناها الشريف ، وهى اول حقوق الانسان ، فهل من شروط حبكم للانسانية ان تنكروها على اقرب ابناء الانسانية اليكم ؟ ؟

الا فاشتروا براقع لوجوهكم ايها المراؤون ، او فاستروها باكفكم خجلا .

ان الذى لا يستطيع ان يحب نفسه واهله لا يستطيع ان يحب من الناس احدا . » .

ويقول في مرة ثانية : « ما كدت انهض بقادمتى حتى صكت مسمعى انات امتى ، ولفحت وجهى زفراتها ، فطويت جناحى عند سريرها مخفضا خيالى لواقعها الاليم ، مقدما واجب تمريضها على التغريد في الخمائل ، والتنقير بين الحقول . ولو انى ادركت امتى صحيحة قوية لحلقت مع الاسراب في الف سماء بعد سمائها .

لقد سلب اللصوص نصيب امتى من خبز الحرية والعدالة والحق ، وغادروها في وطاء الذل مدنفة تدميها القيود . والحرية والعدالة والحق اسمى المعقولات التى ينشدها الانسان الراقى ، بل اغلى الجواهر الروحية المشعة من صدر الرحمان. لا يحيا قلب نبيل الا بقطر نداها ، ولا يمكن ان يتصور خير ، ولا جمال ، ولا سعادة ، في هذا الوجود الا بانعكاس نورها ..

وما الشاعر الوطنى الحمى في امة مستعبدة الا الشاعر الانسانى قبل اى شاعر سواه ـ لان هذه المبادىء التى يسبح لها ، ويصلى في محرابها . ويجاهد في سبيلها . ليست معبودة وطنه فحسب، بل هى معبودة الاوطان جميعا .

ولعمرى ! اية قيمة ، واى سرور ، واى فال يجد المتبجحون بانسانيتهم المتخدرة ، في عالم لا حرية ولا حق ولا عدالة فيه » .

❋ ❋ ❋

ويقول ثالثة : ولعمرى ان ما حاق بالبلاد العربية عامة من البلاء في العقدين الاخيرين ، وما توالى على وطنى خاصة من ضربات لخليق بأن يخلق لها شاعرا بل شعراء تشكو بهم ضيمها ، وتفصح عن حقها ، فينفسون بصيحاتهم كروبها ، ويخففون آلامها ، ويبعثون آمالها ، ويستنهضون همتها ، ويشددون عزيمتها . على انى لا ادرى والله لندرتهم بل لانعدامهم سببا . فالبلاء ما خص بالحوادث الجسام ، تنتابها الخطوب عدد انفاسها . وابناؤها بين متهافت على وظيفة يخسر نفسه ليربحها ، وعابد بغيا يسفح شبابه على اقدامها ، وعلاك اوزان تمر به قوافل الحياة قطارا تلو قطار ، رازحة بعبر الدهر وعظات الاجيال وهو واقف ازاءها وقفة الفر الابله، يتلهى بتشطير وتخميس، او يباهى في وصف ساعة معلقة على جدار . كان ليس فيما يجرى

الإسلام والعروبة

للدكتور طه الحاجري

العروبة ــ فيما نعرف ، وفيما نحس به جميعا هي الوصف العام للعرب ، الدال على خصائصهم المشتركة بينهم ، المعبر عن حقيقتهم الشائعة فيهم ؛ فهي بهذا تعني الصلة التي تربط بعضهم ببعض ، افرادا وشعوبا . وقوة هذه الكلمة في شيوعها وتغلغلها ، وفي قدرتها على اثارة مشاعر الترابط والتعاطف والتآزر ، انما تصدر في حقيقة الامر عن قوة هذه الصلة ، او قوة الاحساس بها .

اما هذه الصلة التي تعبر عنها هذه الكلمة فانها ترجع في كيانها الى مجموعة الصفات المشتركة بين العرب والعناصر الأصيلة في تكوينهم ، فهي اذن صلة قديمة عريقة اصيلة ، لا امر طارىء ، او عاطفة مختلفة عابرة ، استحدثتها بعض الظروف ، او اثارتها بعض الشخصيات ، كما يحلو لبعض خصوم العروبة أن يرددوه أحيانا . واذا كان الاحساس بهذه الصلة قد اتخذ صورة واضحة قوية في هذه السنوات الاخيرة ، فليس معنى ذلك أن هذه الصلة انما نشأت في هذه السنوات ، فهناك امران متميزان لا يجوز الخلط بينهما ، وهما : وجود هذه الصلة ، والاحساس بها أو وعيها ــ كما يقال ــ فالذي نشأ في هذا العصر ثم قوي واشتد وعنف انما هو الاحساس بهذه الآصرة ، بعد ان ظلت كامنة فترة غير قصيرة ، خلال القرون الاخيرة التي امتحن فيها العرب بما ضرب عليهم من الضعف والوهن والاستكانة ، وماخيم عليهم من الظلمات التي جعلتهم يعيشون في عالم مقصور على حاضرهم الذليل المهين ، حتى اذا اخذت هذه الغياهب تنجلي عنهم ، وتنكشف صورة الحياة الحقة لهم ، وتتبين لهم حقائقهم التي ظلت مطوية دونهم ، واخذوا يعرفون في هذا العالم مكانهم ، فقد جعلوا يحسون بهذه الصلة ، لانها جزء من كيانهم ، مشتق من العناصر الاصيلة فيهم . وكلما كثرت العوامل التي تثير حميتهم ، وتقوى ايمانهم بانفسهم ، قوي هذا الاحساس واشتد تجاوبه بينهم ، حتى بلغ اخيرا هذا المبلغ الذي نراه رأي العين : قويا عنيفا جارفا

هذه هي حقيقة الامر في العروبة ، فهي اذن شيء اصيل قار ثابت ، لا ينفصل عنا ، لانه جزء من كياننا ، وان كمن حينا من الدهر ، كما كمنت جميع قوانا وفضائلنا .

وبنا الآن ان نلقي نظرة سريعة على المراحل الكبرى التي مرت بها العروبة ، وما تعرضت له خلال هذه المراحل ، ففي ذلك ما يدلنا على عناصرها التي كونتها ، كما يرسم لنا خطوطها الرئيسية البارزة

***

كانت العروبة ــ قبل الاسلام ــ هي الرابطة التي تربط بين سكان الجزيرة العربية ، ومن تجاوزها منهم الى ما وراءها . وكانت تقوم على وحدة الجنس ووحدة اللغة ، وان اختلفت لهجاتها واتسع هذا الخلاف احيانا . ولكن هذه الرابطة

****

خلفه وبين يديه من ساعات الهول ، واهوال الساعة ، ما يحرك له خاطرا ، او يهيج شاعريه ؟ او ليس من الغبن الفاضح ومن دواعي اليأس القاتل ان يموت في الامة شاعر فتصبح الامة باسرها شعراء تبكيه وترثيه ، وتموت الامة باسرها فلا تجد لها شاعرا يرثيها ؟ ؟ »

ونخلص من كل ما تقدم الى القول بان واجب رجل الفن في أوقات الأزمات أن يكون شاعرا بما يجيش به المجتمع من قوى ، وما يصطرع فيه من ارادات . وأن تتأثر نفسه بكل هذا ليخرج فنه صورة صحيحة للحياة كما هي .

يجب الا يعيش رجل الفن على هامش الحياة بل في صميمها . والا يهرب رجل الفن من الحياة وانما يجب ان ينزل الى ميدانها ، فتضطرب نفسه بما يرى ويحس ، ويصدر فنه قوة تفتح مكامن النفوس ، وتكيف سبل الحياة . وعند ذلك يكون الشعور بالتبعة لا قيدا خارجيا يضغط ويقلص ، بل قوة داخلية ترفع وتنمي ، فتزيد من ادراك الأديب للحياة وقدرته على تصورها أولا ثم تصيبه في توجيهها وتحريرها ثانية .

دكتور محمد أحمد خلف الله

كان يشوبها ويوهن منها ما كانت حياة البداوة تفرضه على اهل الجزيرة من عصبية قبلية، وماكانت تثيره بينهم من خصومات وحروب ، فما تكاد صلة العروبة تجمع بينهم حتى تأخذ العصبيات القبلية فى توهين هذه الصلة ونقضها انكاثا ، اذ تفرقهم الى يمنيين وعدنانيين ، والى ربعيين ومضريين ، والى بكريين وتغلبيين ، والى تميميين وقيسيين ، والى عبسيين وذبيانيين ، الى غير ذلك مما لم يكد يقف عند حد ، وكان من شأنه ــ لو انه استمر على تلك الصورة ــ ان يقضى على عربية أهل الجزيرة العربية ، ويبدد هذه الرابطة الطبيعية التى تربط بينهم ، لتحل محلها روابط جزئية، قبلية وعصبية، تتحلل هى بدورها الى روابط أصغر منها ، كل منها تحارب الاخرى ، وهكذا .

ولكن الرابطة الكبرى «رابطة العروبة» استطاعت ان تغالب عوامل التحليل ، وان تظل كامنة وراء هذه الخصومات والخلافات والعصبيات ، حتى اتيح لها ان تخرج من مكمنها ،وان تحقق وجودها، وان تنتصر على تلك العوامل المفرقة المبددة، وذلك بظهور الاسلام ، فقد اتاح لها ان تنتصر على ماكان يهددها من هذه الخصومات والعصبيات ، كما امدها بقوة جديدة آزرتها ومكنت لها ومدت من سلطانها .

وضع الاسلام للعرب هدفا كبيرا وغاية عليا ، والزمهم ان يولوا هذه الغاية وجوههم ، وان يصرفوا اليها قواهم ، لا يميل بهم عنها شىء ، وفى سبيل ذلك يجب ان يجتمع امرهم ، تلك هى الدعوة لهذا الدين الذى سيطر على نفوسهم ونشره بكل وسيلة واقراره فى ضمير الانسانية ، حتى تخلص مما هى مرتكسة فيه .

وفى سبيل هذه الغاية الكبرى ، تزول المآرب الصغرى .

وعند هذه الوحدة الشاملة لا سبيل لتلك العصبيات القبلية .

وبذلك حرم الاسلام العصبية القبلية تحريما صريحا قويا جازما ، أخرج دعاتها والمستجيبين لها عن حدود الاسلام ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « ليس منا من دعا الى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية » ، وسميت بدعوة الجاهلية ، فقد كانت هذه العصبية القبلية التى كادت تقضى على العروبة قبل الاسلام تتعارض تعارضا صريحا مع المبادىء التى جاء بها الاسلام ، والتى قامت الدولة الاسلامية على اساسها .

وبهذا نرى ان قيام الاسلام قد عصم العروبة من آثار تلك العصبية ، وما كاد يحيق بها من تحلل وانهيار بسببها .

***

لم تلبث هذه الدولة الجديدة التى نشأت فى الجزيرة العربية ، ووحدت كلمة العرب فيها ، واعتصمت بها العروبة ، ان امتدت أطرافها واتسع سلطانها ، واشتملت على كثير من الاقطار المتاخمة والنائية ، ودخل فى طاعتها كثير من الشعوب المختلفة فى اجناسها ولغاتها ونوازعها ، على أساس الايمان بهذا الدين ، والأخذ بتعاليمه ومبادئه .

فقد كان هناك اصل واحد قامت عليه هذه الدولة ، وامتدت هذه الفتوح لتحقيقه ، وهو نشر الدعوة الاسلامية ، واخراج الانسانية مما كانت مرتكسة فيه من ضلالة وحمق وجهالة .

تلك كانت الرسالة التى غمرت نفوس العرب ، وسيطرت عليهم فى الفتوح التى خرجوا لها، فأينما بلغت بهم هذه الفتوح فان نشر الاسلام والتعريف باصوله ومبادئه وآدابه ، كما جاء بها القرآن، كان غايتهم الاولى وهدفهم الاكبر ، لا يلفتهم عنه شىء، ولا يصرفهم عنه صارف . وتقبلت الشعوب المختلفة هذا الدين بنفوس راضية ، اذ وجدت فيه حاجتها الروحية التى كانت تفتقدها ، واقبلت على مبادئه وتعاليمه، دراسة لها وتفقها فيها ، وجعلت تلتمس الوسائل المختلفة التى تقتضيها هذه الدراسة ، فى نشاط وحمية ، لم كانت الظروف الاجتماعية الجديدة مما مضى بهذا الاتجاه قدما ، حتى بلغت هذه الشعوب فى هذه الدراسات مبلغا مذكورا وشأوا بعيدا .

وهكذا نشأت عن هذا الدين ، وعن كتابه العربى المبين ، ثقافة اسلامية عربية ، كانت ثقافة هذه الشعوب المختلفة ، منذ اتخذت الاسلام دينا لها ، وقد طبعتها هذه الثقافة بطابعها ، ووحدت سبيلها

وبذلك لم يكن الاسلام دينا فحسب ، ولكنه كان دينا وثقافة وحضارة معا ، وقد ربط بين هذه الشعوب المختلفة بهذه الروابط التى تناولتهم من باطنهم ، اذ وحدت مشاعرهم العليا ، وحياتهم العقلية ، فتكونت بذلك وحدة واسعة قوية وثيقة

وهنا نرى انفسنا ازاء وحدة جديدة تختلف عن الوحدة التى رأيناها قبل فى الجزيرة العربية ، فهى وحدة كبيرة تشمل عالما واسعا فسيحا، يمتد ما بين المشرق والمغرب ، وازاء رابطة جديدة لاتقوم على اساس العرق العربى الذى يتمثل فى سكان الجزيرة العربية ، وانما يقوم على اسس جديدة متعددة متشابكة ، من الدين واللغة والثقافة والحضارة والتاريخ ، الى جانب العرق الذى انبث فى هذه الشعوب .

ما هى العلاقة بين هذه الرابطة والرابطة التى سبقتها ،وهى رابطة العروبة العنصرية المحضة ؟

اهى رابطة جديدة تختلف كل الاختلاف عنها ؟ ام هى امتداد وتطور لها ؟

لا ريب عندنا فى ان الاسلام لم يجىء ليكون دينا محليا او قوميا ، وانما هو دين انسانى عام ، وانه قد احدث انقلابا واسع المدى فى الحياة الانسانية عامة . ذلك امر لا سبيل الى الخلاف عليه او الجدال فيه . ولكنه لا يعنى ان الاسلام منقطع الصلة بالعروبة ، فان صلته بها فى نشاته الاولى، وفى امتداد رسالته واتساعها ، اوسع واظهر من ان تكون موضوع خلاف او مثار جدل .

وقد راينا ان الاسلام هو الذى مكن للعروبة التى كادت تتهاوى وتنفصم عراها وتذهب فى غمرة العصبيات القبلية فى الجاهلية ، فهو الذى دفع عنها هذه المحنة . وقد خرج بهذه العروبة من نطاق الجزيرة العربية حين خرج العرب ينشرون الدين، ويحملون الى الدنيا كتابه العربى المبين ، ثم كان ذلك النشاط الثقافى الاسلامى العربى الذى اشرنا اليه ، والذى جعل الاسلام منذ اول امره دينا وثقافة معا ، لا يكاد الواحد منهما ينفصل عن الآخر .

وقد كان هذا الارتباط الوثيق مما وثق الصلة بين الاسلام والعروبة ،خارج الجزيرة العربية ، الى جانب العوامل الجديدة التى اتاحها الاسلام ، والتى مكنت للعروبة اشد تمكين ، وبسطت من سلطانها فى الاقاليم المختلفة التى تكون منها العالم الاسلامى ، حتى لقد اصبح من الممكن أن يوصف هذا العالم بانه عالم عربى ، كما يوصف بانه عالم اسلامى ، فالعربية لغته واداة ثقافته التى هى ثقافة اسلامية عربية معا .

وهكذا كانت الرابطة التى تربط بين شعوب هذا العالم رابطة ذات وجهين :اسلامى وعربى . فسواء قلنا انها رابطة العروبة ام قلنا انها رابطة الاسلام ، فليس بين القولين تعارض او اختلاف ، على هذا النحو الذى بينا .

وقد ظلت هذه الرابطة بوجهيها قوية وثيقة، كما ظل الاحساس بها يغمر نفوس المسلمين ، بل ومن لم يتخذ الاسلام دينا ، فقد كانت ثقافته اسلامية عربية ، وان لم يكن مسلما ، انطبع بها عقله ، وتاثر بها سلوكه ، فالمسلمون وغير المسلمين ، والعرب وغير العرب ، كانوا سواء فى الانضواء تحت هذه الرابطة ، وفى عمق الاحساس بها ، لانها رابطة اتحدت عناصرها حتى لا انفصام لها .

وقد حاولت بعض النزعات الشعوبية ، وهى النزعات القومية المتطرفة ، ان تفصل بين الاسلام والعروبة ، فلم يغن عنها ما حاولت من ذلك شيئا .

وقد ظل الامر على ذلك ما بقى المفهوم الثقافى للاسلام ماثلا فى النفوس ، حتى اذا اطبقت ظلمات القرون المتاخرة على العالم الاسلامى ، فاستسلمت الشعوب الاسلامية لعوامل الركود ، وضعف لذلك الاهتمام بالناحية الثقافية ، فضعف تبعا لذلك هذا المفهوم الثقافى للاسلام ، فقد ضعفت هذه الصلة بين الاسلام والعروبة ، وبذلك صح لقائل ان يقول: ان الاسلام شىء والعروبة شىء آخر ، كما اصبح القول بجامعة اسلامية يخالف القول بجامعة عربية، ولم يكن لشىء من ذلك معنى فى عصور الازدهار ، وانما هو اثر من آثار عهد الانحطاط الذى منى به العالم الاسلامى ، وجريرة من جرائره . وذلك ما ينبغى ان نراجع فيه انفسنا ، وننظر فيه نظرة جديدة متحررة من هذه الجرائر .

وحين اخذت الامة العربية تستيقظ من تلك الغفوة الطويلة التى قطعت اوصالها ، اذ فقدت فيها الاحساس برابطة العروبة، استيقظ معها الاحساس بتلك الرابطة ، وقد اخذت تتمثل بوجيهها : الاسلامي والعربي جميعا .

وكان من ذلك ان الدعوة الى تطهير الاسلام مما ران عليه وتكر حقيقته فى ظلمات العصور المتأخرة ، والرجوع الى ينابيعه الصافية الاولى ، كانت مقترنة بالدعوة الى استحياء تراثنا العربى واصلاح اساليبنا العربية ، واسترداد مجدنا الاسلامي العربي فى وقت معا ، لا تفرقة بين هذا وذاك . انما هما جميعا شيء واحد .

وكان هؤلاء الدعاة يمثلون القوة اللغوية العربية الى جانب الحماسة الدينية والبصيرة الاسلامية ، سواء فى ذلك من خرج من بيئة عربية كالاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، ومن نشأ فى بيئة اعجمية كجمال الدين الافغانى

ولم تقتصر هذه الظاهرة من ظواهر النهضة على الشرق العربي ، فهى فى حقيقتها ظاهرة عامة فى الشرق العربي والمغرب العربي جميعا ، اذ الامر فيهما واحد . ولا عبرة بما يقوله بعض الاجانب ، ويرددونه فى كل مناسبة ، ويلحون عليه تقريرا وتوكيدا ، من التفرقة فى هذا بين المشرق العربي والمغرب العربي ، وذلك كالذى يقوله « لوثروب استودارد » العالم الامريكى ، فى كتابه الذى ترجم الى اللغة العربية سنة ١٩٢٥ باسم « حاضر العالم الاسلامي » ، وان يكن هذا الكتاب فيما اشتهر عنه وما تدل عليه بعض فصوله ـ من اقرب كتب القوم الى الانصاف ،وادناها الى تحرى الدقة ، « توخى صاحبه العدل فى الحكم ، والاعتدال فى الوصف ، والوقوف عند اعتراض الشك » ، كما يقول شكيب ارسلان فى مقدمة طبعته الاولى . ولكن الرجل ـ بالرغم من ذلك كله ـ قد وقع فيما يبدو تحت تأثير التكرار والترداد الذى ما زال علماء الغرب وساسته يأخذون به فى هذه القضية ، قضية الشرق العربي والمغرب العربي ، حتى يبدو ما يزعمونه فيها كأنه الامر البديهى الذى لا ينبغى ان يثير جدالا او يخالف عليه احد ، فكان من العسير ان يستعصم الرجل من هذه الفتنة ، وكان ما ذهب اليه فى الفصل الخامس الذى عقده للكلام عن العصبية الجنسية ، يعني القومية ، فى سياق كلامه عن روح العصبية ، او القومية ، فى الاقطار الافريقية الشمالية ، وانكاره وجود هذه الروح ، ونفيه ان يكون شعب من شعوب هذه الاقطار سائرا فى سبيل يصير بها امة صحيحة ، لان معظم سواد هذه الشعوب من البربر . وذلك اذ يقول :

« .. ويخالط البربر فى الاقطار الافريقية كلها العرب الذين جاءوها من آسيا مخالطة على اقدار مختلفة ، فالعرب قد استطاعوا حقا ان يستعمروا افريقية الشمالية كلها عند الفتح الاسلامي ، اى منذ اكثر من اثنى عشر قرنا ، وان يجعلوا البربر يدينون بالرسالة الاسلامية ، ويستعربون تهذيبا واخلاقا ، ولكنهم لم يستطيعوا تصيير شمال افريقيه قسما من العالم العربى » .

وانا لا ادرى ايخادع القوم انفسهم ام تخدعهم بعض الاعتبارات السطحية التى لا يستطيعون ان يتعمقوا ما وراءها ، حين يزعمون ان الفتح الاسلامي استطاع ان يجعل من بلاد شمال افريقية بلادا اسلامية ، ولكنه لم يستطع ان يجعل منها بلادا عربية .

وتلك هى الخدعة الكبرى التى جعل القوم يبنون عليها تفسيراتهم ، ويخطون عليها سياستهم .

والحق انى لا استطيع ان اتصور ان باحثا علميا ـ ايا كانت منزلته ـ يستطيع أن ينكر على هذه البلاد عروبتها ، لان جماعات من البربر فيها استطاعت ان تحتفظ باللغة البربرية ،، تستعملها ـ الى جانب اللغة العربية ـ فى حياتها الخاصة .

***

لقد مضى الاسلام والعروبة معا ، لم يفترقا الا عندما اخذت عوامل التفكك والانحلال تسيطر على العالم الاسلامي ، ولم تفقد بعض الاقطار ـ كايران مثلا ، على شدة عصبيتها وقدم النزعة الشعوبية فيها ـ عروبتها ، الا حين وقعت الشعوب الاسلامية تحت وطأة التأخر والخمول والانصراف عن الحقائق العليا .

وكما فقدت هذه الشعوب عروبتها التى جاءتها مع الاسلام ، فى هذه الفترة ، ففى هذه الفترة

الشعراء السكندريون الأوربيون

بقلم : نيقولا يوسف

عاش معنا فى هذه المدينة الشاعرة ، جمع من الشعراء الأوربى الأصل السكندرى المولد او النشأة ، ممن احبوا بلادنا ، وتغنوا فى شعرهم بمحاسنها ، وكانوا لها الأوفياء الصادقين .. ولهذا فنحن نبادلهم الوفاء ، ونذكرهم راحلين واحياء — شعراء سكندريين واصدقاءمواطنين .. مهما نازعنا غيرنا هؤلاء الموهوبين ، وعدوهم من الشعراء العالميين .

وكانت الاسكندرية ولمتزلوطناولئك الشعراء— يقلبونه آماله وآلامه ، ولا يذكرون غير اسمه بين الاسماء .. فهنا منولد منهم وعاش عمره ، وربطته به ذكريات الطفولة ، ورفقاتالآباء ، ومغانىالشباب ومنهم من جاء طفلا او صبيا ، وشب به وشاب .

وكان الكثيرون منهم من الشعراء الموهوبين ، فما لبثوا ان اضرمت الصور السكندرية شاعريتهم ، بقدر ما اضرم حبها قلوبهم .. وعهدنا بهذه المدينة الساحرة — منذ ان ولدت فى هذا المكان — تلهم اهلها على مختلفاجناسهم ، الفنون فى شتى انواعها وبخاصة الشعر .. وهل يعود ذلك الى ما حبتها به الطبيعة من جمال فى البحر والصحراء والزرع ؟ أم الى جوها البلورى ، وصفاء سمائها ، وسناء حسناتها ؟ أم الى موقعها الفريد بين قارات ثلاث — عريقة فى حضاراتها وفنونها ؟ أم الى رخائها الاقتصادى الناجم عن هذا الموقع الممتاز ؟

لعل هذا كله مجتمعا ، ما ساعد على بقاء هذه الشجرة الثقافية ، عميقة الجذور ، مديدة العمر ، وارفة الظل — منذ ان غرست فى القرن الثالث قبل الميلاد ..

ومنذ أواخر القرن التاسع عشر ايضا شهدت الاسكندرية موكب الشعراء الاوربيين ، من ابنائها والمستوطنين .. وعلى رأسهم الشاعران الكبيران : اونجريتى الايطالى ، وكفافى اليونانى .. ثم فشتر السويسرى ، ولويس فليرى المالطى ، وهنرى تويل الفرنسي وزملاؤهم . وكان لكل لغة جماعة من شعرائها وصحيفة او مجلة لادبها .

وسرعان ما تزاملالشعراء الاوربيون السكندريون مع مواطنيهم من شعراء العرب ، ممن كانوا ينظمون الشعر بالفرنسية ، امثال : احمد راسم وعبد المنعم الخضرى ، وجوريس شنوده وربنيه طاسو ، وميشيل زغيب ، وجاستون زنانيرى ، وشارل ثابت .. والشاعرات : جان ارقش ونيلى زنانيرى ، وسيلين اكسلوس ، وجوزيه صيقلى — ومن هؤلاء المصرى ومنهم اللبنانى — وكثيرا ما كانت تتجاور قصائد هؤلاء واولئك على صفحات المجلات الفرنسية المحلية ، ثم تجتمع قصائد كل منهم فى ديوان من الشعر يحمل اسمه ، وتستطيع اليوم ان

****

ضعفت عروبة الشعوب الاخرى التى لم يكن فى عروبتها شبهة ولم تشبها شائبة ، حتى اذا انقضت هذه الفترة راجعت هذه الشعوبعروبتها، وكان الاحساس بها من اظهر مظاهر نهضتها ، فى الشرق العربى والمغرب العربى جميعا

اما تلك الشعوب الاخرى التى فقدت عروبتها ، فقد اخذت العروبة تدب فيها ، وان يكن فى وثبة وفتور ، ولكن شعورها بالحاجة الى استعادة مجدها الادبى العربى اخذ بداخلها ، ويترك بعض مظاهره فى حياتها ، كما نرى ذلك فى صور النهضة العربية فى الهند وباكستان وافغانستان وتركستان وما اليها . ونحن نعلم مدى عناية الهند بالعربية واحياء آثارها ، كما نعلم الخطوات المباركة التى اخذت باكستان تخطوها نحو تعليم ابنائها العربية، وما نزال نذكر الاقتراح الذىتقدم به مجلس نوابها، ان تتخذ اللغة العربية لغة رسمية لها .

واكبر الظن اننا على ابواب نهضة عربية تصل حاضر هذه الاقطار بماضيها ، كما تجدد الصلةالتى كانت تربط بينها وبين الشعوب العربية برباط وثيق ، وبذلك تسير العروبة والاسلام فيها جنبا الى جنب ، كما كان الامر فى النهضة الاسلامية العربية التى شملت الشعوب العربية عامة ، منذ القرن التاسع عشر .

طه الحاجرى

تحصى العشرات من تلك الدواوين ..

والشعراء السكندريون الاوربيون الذين لمعت اسماؤهم منذ اواخر القرن التاسع عشر ، وما زال بعضهم يعيش بيننا حتى الساعة ، كانوا ينظمون اشعارهم ويصدرون دواوينهم فى لغات اوربية اهمها الفرنسية واليونانية والايطالية .. واذا كانوا قد نظموا الشعر فى لغات اجنبية بحكم نشأتهم الاولى ، فلا ننسى اولا ان اللغة بالنسبة للشعر ، اشبه بالرداء للجسد . والجسد لا يتبدل بتغيير الملبس فى غير ناحية المظهر والشكل . واننا اذا احسنا ترجمة شاعر كبير الى غير لغته ، بقى شعره محتفظا بروعة جوهره وطبيعته كما نرى مثلا فى شعر تاجور المترجم الى مختلف اللغات .. وثانيا — ان هؤلاء الشعراء الذين نظموا بلغة غير عربية لسبب ما ، كانوا سفراء لدولة الادب خارج بلادنا . فأطلعت الأمم الأخرى على صور حسنة كثيرة — من أرضنا وتاريخنا ومشاعرنا — وليس اقوى من الشعر رباطا بين القلوب البشرية ...وكثيرا ما ترجم هذا الشعر فى سهولة من لغة الى اخرى ، ومن السهل ايضا ترجمته الى العربية .

وحدث لأسباب تاريخية وجغرافية — ان كان اليونانيون السكندريون اكثر الجاليات الاوربية عددا ، واشدها اندماجا فى العرب ، واسرعها تعلما للغة العربية ، وانشطها اسهاما فى الميادين الثقافية والاقتصادية فكان من الطبيعى ان تظهر لهم منذ القرن الماضى صحف يومية فلمعت بينهم أسماء كثيرة من الشعراء والكتاب ..

ويقف على رأس الشعراء السكندريين الاوربيين الذين نظموا بالايطالية : الشاعر الكبير « يوسف اونجريتى » احد شيوخ الشعراء المعاصرين فى اوربا .. وقد ولد بشارع منشه بحى محرم بك فى الاسكندرية يوم ١٠ من فبراير عام ١٨٨٨ ، وتعلم بمدارسها ، وتأثر ببيئتها واستلهم شاطئها بواكير شعره ، وتردد على ندوات شعرائها وبخاصة صومعة الشاعر « هنرى تويل » بناحية «العجمى» وذلك قبيل الحرب العالمية الاولى ، وقبل ان يرتحل الى باريس ليدرس فى جامعتها ، ويتزوج من زميلته الفرنسية هناك ثم يستقر بروما — وهناك على احدى رباها السبع ما برح يعيش شاعر الاسكندرية — اونجريتى — صاحب الدواوين التسعة . وكتاب فى النثر ، ومازال ينظم المبتكر من الشعر الرومانتيى ، ويحب الجديد ولا يقلده ، يهيمن عليه سحر الشرق ، وذكريات النيل والصحراء والبحر .. ولما زار مسقط رأسه عام ١٩٥٩ شيخا فى السبعين ، فى طريقه ليحاضر بالمركز الثقافى الايطالى بزمالك القاهرة ، كان يتحدث عن ذكريات صباه ، وعن صداقته للشاعر احمد شوقى ، واشتراكه فى مهرجان شوقى بروما واقامة تمثاله هناك ، وعن ناجى المصور السكندرى ، وعن غيرهما من الفنانين .

ويرى السائر اليوم فى «طريق الحرية» بالاسكندرية — وهو شارع كانوب « البطلمى بالامس — رافدا متواضعا يخرج من ذلك النهج الكبير ، على مقربة من حى « كوم الديماس » او « كوم الدكة » ، يسمى «شارع ليبسيوس» ويتوسطه بيت قديم عليه رقم (٤) وعلى بابه لوحة من الرخام كتب عليها بالعربية وباليونانية هذه العبارة ، « فى هذا المنزل قضى الخمس والعشرين سنة الأخيرة من حياته : الشاعر الاسكندرى قسطنطين كفافى ١٨٦٣ — ١٩٣٣ » .

وهكذا مر على مولد الشاعر السكندرى الكبير كفافى مائة عام ، وعلى وفاته ثلاثون ، فانه ولد بالاسكندرية فى ١٧ من ابريل سنة ١٨٦٣ ، وتوفى بها فى ٢٩ من أبريل ١٩٣٣ ، ولم يزل قبره فى مدافن الشاطبى هناك — ولهذا احتفل بعض الاوساط الادبية بمصر والخارج بهذه الذكرى المئوية والثلاثينية هذا العام .

وكان ديوانه قد طبع بالاسكندرية عام ١٩٣٥ متضمنا مئة وتسعين قصيدة ومقطوعة فى لغتها الاصلية — اى اليونانية الحديثة — ثم ترجم الى الايطالية عام ١٩٥٧ ، والى الفرنسية عام ١٩٥٨ ، والى الانجليزية فى طبعتين مختلفتين نشرت احدثهما منذ عامين .

وكان كفافى سكندرى المولد والنشأة والطابع ، يونانى الابوين ، عالمى الفكر ، غير انه ظل متشبثا بمسقط رأسه لايعرف غيره ولا يحب أن يبرحه .. وكان يحب مصر واهلها بقدر ما يحب الاسكندرية .. وله قصيدة سماها « مصر الحلوة » ، وقصائد مستلهمة من الاسكندرية القديمة والحديثة ، وعاصر ضرب الاسطول الانجليزى لمدينته ورأى فى ذلك ضربا من البربرية ..

وكان أبوه « بترو كفافيس » تاجرا ميسورا ، استوطن الاسكندرية عام ١٨٤٥ ثم تزوج احدى بنات القسطنطينية ، وانجب منها تسعة اطفال ، أصغرهم شاعرنا هذا . فكان موضعا لتدليل امه وحبها ، متعلقا بها طيلة حياته .. فلما أن توفى الأب عام ١٨٧٠ بعد أن تدهورت حاله المالية ، وترك الارملة الشابة مسئولة عن اولادها ، وشاعرنا طفل فى السابعة ، اضطرت الام الى الانتقال بأطفالها الى حيثيقيم بانجلترا شقيق زوجها ، تاجر المنسوجات .. وهناك فيما بين ليفربول ولندن ، اتقن الشاعر الصبي اللغة الانجليزية على أساتذة بالمنزل ، وقرأ الكثير من ادبها ، وما ترجم اليها من آداب الامم حتى عاد مع امه الى مسقط رأسه عام ١٨٧٩ وكان قد بلغ السادسة عشرة .

وعاد الشاعر الناشيء يعيش فى كنف البحر ، ويطوف بطرقات المدينة العجوز ، باحثا حوله عن عصرها الذهبى وماضيها السحيق .. ولم يدر أن جوها الساكن ، وبحرها الغاضب ينذران باقتراب العاصفة الهوجاء ، والحريق المدمر ، والغزو الغادر وها هى الأم الارمل تعود عام ١٨٨١ فتحمل اولادها عبر البحر الى بيت أبيها فى استنبول ، وكانت لم تره ولم يرها منذ سنين .. ويجد شاعرنا الصغير نفسه فىعاصمة البيزنطيين القديمة ، ويعودالتاريخ ليعبث بخياله .. وهو هنك فى رعاية جده السرى لا عمل له غير الطواف بدور الكتب ، واماكن الآثار ، والملاهى .. وتخشى الام على ولدها من تيارات تلك المدينة الكبرى ، وتعود الى بيتها بالاسكندرية عام ١٨٨٥ ، وتظل على رعايتها له حتى وفاتها عام ١٨٩٩ .

وكان على الشاعر عندما عاد الى الاسكندرية شابا فى الثانية والعشرين ، ان يجد عملا يرتزق منه فاشتغل مترجما عن الانجليزية التى يجيدها فى تفتيش الرى قسم ثالث » ، ثم فى مصالح اخرى ، حتى عام ١٩٢٢ فاعتزل الوظائف وعاش بقية حياته معتكفا فىتلك الشقة بشارع ليبسيوس ، ينظمالشعر ويقرأ الكتب .

غير أن كفافى — الشاعر العزب المنطوى على نفسه — كان يشعر انه فى هذه المدينة العظمى المحتلة — اسيرة ملاكها وغزاتها ، اشبه بالطائر الحبيس فى القفص — فهو ايضا اسير الحاجة ، اسير الضجر ، اسير الرغبات الجسدية والندم ، فيصور نفسه ومدينته يومذاك فى قصيدة بعنوان « المدينة » .

«تقول لنفسك» سوف اذهب الى ارض اخرى — الى بحر آخر ..

الى مدينة اجمل من هذه بكثير ..

— قد توجد او يرجى أن تكون ..

فها هنا كل خطوة تزيد العقدة احكاما ..

والقلب مدفون فى جسد مستهلك ..

.. الى ان يقول :

— ما من ارض جديدة يا صديقى .. ما من بحر جديد ..

فالمدينة سوف تتبعك !

ولسوف تطوف دون غاية بالشوارع ذاتها ..

وفى الاحياء نفسها ، تنحدر من الشباب الى الشيخوخة .

وفى البيت نفسه تشيب فى النهاية ..
واخيرا يقول :

— انك ما دمت قد حطمت حياتك فى هذه البقعة من الارض ، فقد حطمتها بالمثل فى كل مكان على الارض قاطبة !

ويعيش بيننا الآن فى الاسكندرية شاعر يونانى قبرصي فى السادسة والستين من العمر يوقع قصائده ودواينه ومقالاته باسم : غلافكوس اليترسيس ..

ولد فى ليماسول بقبرص فى ٧ يناير عام ١٨٩٧ ، واتم تعليمه الثانوى بأثينا عام ١٩١٥ كما تخرج فى كلية الحقوق بها عام ١٩١٩ . ثم جاء الىالاسكندرية ليعلم فى مدارسها التربية الرياضية ، وما زال يطلق عليه هنا لقب « المعلم » .. وبدأ منذ عام ١٩١٩ ينشر شعره فى الصحفويطبع دواوينه .. ففى عام ١٩١٩ نشر « الخواتيم الزرق » وفى عام ١٩٢٠ طبع « ورد البحر » .. وفى عام ١٩٣٧ « برج بابل » «وعام ١٩٣٩ » اروذا فينوسا وفى ١٩٤٤ « خميس العهد » .. وشعره متنوع الاغراض والموضوعات .

ويزامله اليوم الشاعر الشيخ المعاصر «جورج بريسيميزاكيس» وقد ظهرت معظم دواوينه اليونانية والفرنسية فى اعقاب الحرب العالمية الأولى .. ومن اليونانية « اغانى الفلاح »و«الثورة الفردية » ومن الثانية الفرنسية : « صيحات متوحد» ١٩١٩ و « رباعيات الحياة » ١٩٢٠ .. ويجمع شعره بين العاطفة والفلسفة ، وتضمه نحو عشرة دواوين ، كما ان له اكثر من خمسة مؤلفات فرنسية نثرية ذات افكار فلسفية ونفسانية ..

وثمت شاعران مجيدان ينظمان باليونانية شعرا رقيقا ، احدهما : « نيقولا فيلاس » صاحب ديوان « من اعماق الليل » صدر عام ١٩٣٩ ، والآخر « قسطنطين قسطنطينيدس » وقد نيف اليوم على السبعين ، وله مؤلفات نثرية ودواوين ..

وبيت الشعراء السكندريين اليونانيين الذين نظموا شعرهم باللغة الفرنسية يشمخ اثنان ، الاول والاسبق عهدا هو « الك سكوفى » الذى ولد بالاسكندرية عام ١٨٨٦ وتوفى بها عام ١٩٣٢ . وكان قد كرس حياته لفن الغناء والمسرح ، ودرسه فى ايطاليا ، وغنى مع كاروزو فى اوبرا «ريجوليتو» بمدينة موناكو ، غير ان الشعر عاد فاستهواه فراح ينظم بالفرنسية كما فعل جان موريا ، وينشر شعره فى « المجلة الأسبوعية المصرية » بالقاهرة ومجلة « عطارد » بباريس . وظهرت مجموعته الشعرية الأولى عام ١٩٠٩ والثانية عام ٢٤ والثالثة عام ٢٩ والرابعة عام ١٩٣٢ ، واعتاد ان يطبع تلك الدواوين الفرنسية بباريس ، كما نشر بها عام ١٩٣٢ رواية باسم « مركب ومرساة » ترجمت الى بعض اللغات ، واستهوته الحياة الباريسية فعاش بتلك المدينة فى بيت على شكل هيكل بيزنطى ومات هناك عام ١٩٣٢ .

واما الشاعر الآخر الذى نظم بالفرنسية فهو « الوا تروفير » واسمه الحقيقى«جان خريستوفولو» وكان قد ولد بالزقازيق وتركها الى الاسكندرية صبيا فى العاشرة ، حيث تعلم فى مدارسها ، واتخذها موطنا ولم يبرحها بعد ذلك ، وكان شعره الباكر فجا ولكنه اصبح متحررا متدفقا كما نرى فى قصيدته « نهر صباى » عام ١٩٢٥ والقصائد التى نشرها عام ١٩٤٢ .

وفى قصيدة : « نهر صباى » هذه يقول : —

«نهر صباى ! ايها النيل الصامت .

او تذكر يوم وقعت من اعالى « زحل » فحملونى اليك كى تجلى عينى وتجعل قطرات السماء تستقر على شعرى ؟

وكانت الثيران الجسيمة تخور ، والجمال تتبختر.. والهداهد ترقص عند الماء ..

وفوق المروج كان اخوتى — الحمير الصغيرة — تقفز فى خطى ضئيلة ، فرحة بالأرض ..

وقرب شاطئك ، شببت احلم فى تطلعى الى المراكب وهى تحرك موجاتك الراقصة ..

ومن بين احضانك كانت البدويات البيض يملأن جرارهن من مائك النمير ..

وانسان صغير ، شاعر ، مولود منذ عهد قريب .. يحس بألف نغمة تملأ وجوده ..

لطالما خلت تيارك الهادىء يخفى كنوزا عن عيون الصغار ..

وان هنك حلوى .. وهنك تصورا .. وهنك عروس البحر البيضاء — تخرج من الماء ..

وقرب مجراك عرفت السعادة كما عرفت الموت — راضيا منتظرا ..

ولكن فى يوم بغيض — يوم حزين من ايام الخريف.. وكان الفلاحون ينشدون اغنية حزينة ..

حملونى بعيدا الى مدينة معربدة ..

وحاولوا حملى على نسيانك .

ولكنى يانيلى اخفيت خرير موجاتك فى اذنى كيما استمتع بها فى سهرتى وحدى !

نيقولا يوسف

الدكتور عبد الوهاب عزام

بقلم : عبد المنعم خلاف

سلام على الطلعة الجليلة المهيبة الوادعة الجادة التى كانت تغمر القلوب بسيالات روحها واشعاعات محياها !

سلام على الراس الضخم الفخم الذى جمع الثقافات والديانات ولمعات البروق العليا فى الصوفيات ولمحات الخواطر المثلى فى العلوم والآداب والاسلاميات !

سلام على عبقرية الفكر والتعبير بالنظم والنثر ، خطابة وكتابة ، بداهة ورؤية ، فى معالى الحياة واشراف الامور وحقائق الايمان والخير والحب والحرية والقوة والجمال من غير دعوى ولا مزاعم ولا خيلاء ولا تشدق ولا متاجرة !

سلام على عبقرية الخلق العظيم الذى وعى سنن الآداب النفسية الرفيعة ، وصفوة المحامد والمكارم الانسانية ، ثم حولها فى نفسه مناهج عمل ، ورياضة طبع ، وسداد قول ، وحكمة حياة ، فلم ير الناس فيه ذلك التناقض البغيض بين حكمة القول وطيش العمل ، وعلم الدرس وجهل العيش ، بل رأوا دينه وعلمه وثقافته كالماء فى الشجرة الطيبة ، يحييها ويجرى فيها عنصرا اصيلا غاليا ، تتحول به عناصرها الاخرى لبابا حيا واغصانا موروقة ندية ، وزهرا حريريا شذيا ، وثمرا شهيا ، لا كالماء فى شجرة الحنظل ، يتحول الى مر زعاق !

سلام على من كان جليسه يتقلب فى نعيم عجيب ومتاع أخاذ من قسمات وجهه السمح ، ونفحات قلبه الرحب ، ولمحات خاطره الفياض ، ورقة صوته الحنون ، ودعابات طبعه المعتدل السليم المتفائل ، وعجائب مايورده من نوادر وطرائف واسمار فى شئون الحياة المختلفة ، مما اختزنته ذاكرته الواعية ، وواتت به بديهته المسعفة ، فكان لصحبه كروض الورد ، فى العين بهاؤه ورواؤه ، وفى الأنف عبيره ، وفى اليد حريره ، وفى النفس وحيه وتعبيره !

سلام على العربى الاصيل الفارس بقوامه الفارع العابد الراهب بحياته واغضائه وسكينته وتواضعه وسمته ووقاره وعفة لسانه وحكمة منطقه ومشيه على الأرض هونا كانما هو فى صلاة دائمة !

سلام على من جمع الله فى لسانه السنة العرب والفرس والترك والهند : اعظم امم الحضارة الاسلامية ، فكانت داره ناديهم ، وموائده قراهم ، وكان موضع ثقتهم واعزازهم وسفير بعضهم الى بعض ، وترجمان التعارف والأخوة بينهم ، كالرحم الواصلة فيهم وكالفكرة الموحدة لهم ، فى زمن اصاب المسلمين فيه داء الاقوام من النعرات القومية والوثنية الاقليمية ، والمنافرات الشعوبية والمنازعات على اشبار الأرض من وطنهم الاسلامى الواحد بعد ان كان الاسلام قد اطفأ فى قلوبهم جمرات العصبية الجاهلية ، واحيا فيها روح الوحدة الانسانية !

فكانت رسالة الفقيد العزيز هى السفارة الادبية « والدبلوماسية » لتجديد التعارف بينهم ، عن طريق تعلم بعضهم لغات بعض ، وتبادلهم ترجمة المأثور النفيس من آدابهم ، والتقريب بين مذاهبهم وآرائهم ، وتكوين الجماعات المشتركة التى تجمعهم على القرآن الكريم الذى بلغ من حرص مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الوحدة حوله ان يقول فى صحيح حديثه (اقرؤا القرآن ما ائتلفتم عليه فاذا اختلفتم فقوموا عنه) !

سلام على من كانت حياته سياحة مستمرة بالروح الواعية فى عوالم الفكر ، وبالجسم الرحال فى فجاج ارض العروبة والاسلام ، يصل بينها العلاقات المقطوعة ويثبت فيها الركائز المزعزعة ، ويوقظ الغافين وينبه الغافلين ، ويعلم الراغبين ، ويأخذ لنفسه زادها من المعرفة والأخوة ، ثم يعطيه لامته دروسا ومقالات وخطبا وقصائد وترانيم وكتبا فى ادب البعث العربى للنهضة الاسلامية الحديثة!

سلام على الصوفى الصفى ، والمجدد السلفى ، والداعية الأدبى الربانى الذى تماسكت ذاته وتوازن فكره على سنة الاسلام الواضحة ومحجته البينة ، فلم تأخذه شطحات بعض الصوفيين الى المتاهات والتهويمات وانسلاخ القوى وتجسيم الاوهام ، بل صاحب بفكره اشدهم شرودا وغموضا واوضحهم

رايا وبيانا كالحلاج والعطار وجلال الدين الرومى والشيرازى والسعدي والجامى وعاكف واقبال وغيرهم من علية القوم اولى المعارج الصاعدة فى سموات الفكر ومقابلات العشق وسبحات الروح من غير ان يشرد به شارد منهم !

وما اظن ان افكار مفكري الاسلام وخواطر شعرائه وكتابه قد التقت فى ذهن كما التقت فى ذهن الفقيد وبيانه .

ومن هنا كان الراى فيه انه صورة فذة فى هذا العصر على الاقل للمفكر الاديب الاسلامى ذى الثقافات الجامعية والحرة والآثار العلمية والادبية فى جوانب الفكر الاسلامى .. فلم ار مثله من صبت فى عقله روافد الآراء والمذاهب الاسلامية ،وجداول المعرفة العربية اللغوية والادبية ، والتقت فى ذهنه الصور الذهنية والوجدانية لجميع العرب والمسلمين المعاصرين والاقدمين فى خواطرهم وبوادرهم ..

ووا اسفاه ! على اننا فقدنا فيه اماما من ائمة الحفظ والرواية والتعليق والنقد والراى كان يمكن ان تكون احاديثه ومجالسه مادة سفر ضخم من كتب الامالى التى تأتى عفو الخاطر فى المجالس فى كل علم وفن ، لو اننا تنبهنا الى هذا الجانب العظيم فيه جانب الرواية والحفظ لنصوص اللغة ومفرداتها والقرآن والحديث وعلومهما والآداب العربية والفارسية والتركية والاوردية بل والانجليزية والفرنسية .. اذن لكان لنا من ذلك محصول وفير وعلم غزير بجانب مؤلفاته الكثيرة الاخرى التى جاءت بعد الاعداد والتحضير والتحرير .

لقد صحبه الله دائما بتوفيقه وحباه بالطافه فوضع شخصه الصحيح فى مكانه الصحيح ، ومضى به الى غايته شعيدا مسعدا متنقلا به فى الجامعات والجماعات والمجامع والسفارات والمؤتمرات ، حتى ناجاه باختياره الى جواره الكريم وهو فى أوج صحته وعزه فى اشرف ميدان واكرم جوار : جوار محمد ! بعدما ان اخذ من الدنيا افضل مافيها وتزود للآخرة بأحسن مايؤهل لها ..

فسلام على جثمانه الذى كتب الله له استشهاد الهجرة للعلم والتوجيه فى ارض النبوة المحمدية والأبوة العربية ، ثم جاء به مكرما ليركزه علما للطهر والفكر فى مسجده الذى يحيط به اشراق عجيب ، على تلك الربوة المباركة فى تلك البقعة الساحرة من ارض حلوان الطيبة أمام داره وتحت انظار اولاده وعشيرته ومحبيه ، ليجعله حاضرا فى عيونهم كما هو خالد فى قلوبهم ، وليعزه ميتا ويعزى أهله، وليكون مجلسه فى مسجده عامرا دائما بروحه من بعده ، كما كان فى حياته عامرا بقاصدى فضله وطالبى رفده .

لقد عرفت اسم الفقيد لأول مرة فى سنة ١٩٢٥ حين قرات تعريبه مع صديقه الراحل الأستاذ حمزة القازانى التركستانى رحمهما الله ، كتابا عن الاسلام لمؤلف تركى اسمه (جلال نورى) على ما اذكر ، ثم توجه اليه فكرى عقب تأسيس جمعية الشبان المسلمين سنة ١٩٢٧ كاصلح من يتولى سكرتاريتها العامة بما له من معرفة بلغات اكبر الشعوب الاسلامية وبآدابها واهلها .

وقد ابتدات صلتى بالفقيد تتوثق ومعرفتى بغرر صفاته وشمائله تشيع وتعمق ويسر الله من جواره بحى المنيل فى سنى الحرب الثانية ومن مخالطته فى خط حلوان ومن قراءاتى لمؤلفاته وسماعى احاديثه ومحاضراته ومن تبادل الزيارة والمودة ، ماجعلنى من مريديه ومحبيه وعارفى فضله عن كثب، وما جعل روحى تنزى الما وحسرة من هول الفجيعة فيه ، وتتلوى من جراح انتزاعه الفجائى واختفاء شخصه الحبيب الذى كان يملأ جوانب القلب والفؤاد !

فيا ايها الاخ والأستاذ الصديق الصفى الكبير ! ما ارى اننى استطعت ان ارسم بهذه الكلمة العاجلة الصورة التى تملأ نفسي باضواء شخصيتك وظلالها ومعانى عبقريتك الفكرية والخلقية التى كنت اشرف منها على صورة باهرة من صور الاسلام والعروبة والجهاد المبرور والعلم النافع والخير العميم والانسانية الرفيعة التى رفع الله اقباسها المطهرة المضيئة فى معشر اقاموا حياتهم وبيوتهم على دعائم ثابتة من الدين والعلم والمروءة والبر والاعتزاز بمواريث حضارة الاسلام النفسية التى ، وا أسفاه! تختفى معالمها من حياتنا وتغمرنا بعدها ظلمات وفتن تجلبها الينا قرود ممسوخة وببغاوات تثرثر من غير وعى وتردد آراء ونظما عن امم شقية اكلتها مادية الأرض واستغرقتها حضارة الآلة بقسوتها وشهواتها

وضيقها ، واخذتها ضلالات الحياة بعيدا عن سبيل الله !

ولكن من عزائنا فيك ايها الاخ الحبيب والاستاذ الصديق انك رصدت لمقاومة هذا البلاء النازل بالمسلمين من « القردية » « والببغاوية » مؤلفاتك ودواوينك ومسجدك ، خطوط دفاع واعلام هدى على طريق المسلمين والعرب يحتمون فيها ويهتدون بها فى معركتهم لضرب الشر بالخير ودفع الباطل بالحق وبناء العقول والقلوب للحياة الرشيدة فى الدنيا والسعيدة فى الاخرى ، كما كنت تنصب نفسك وأخلاقك وشمائلك الغراء قدوة واسوة

اجل هذا هو سبيل العزاء عن المصاب الجلل فى فى حياتك !

نفقدك المفاجيء الذى احدث فراغا هائلا فى دنيا المسلمين والعرب عامة ودنيا أهلك وتلاميذك ومحبيك خاصة ..

فرضي الله عنك وقدس سرك وروح روحك فى الرفيق الاعلى !

وسلام الله لنا سلاما يكون بردا وسكينة ورضا بقضائه فيك

واختتم هذه الكلمة بالآيات التى تلوتها فى آخر زياراتك لى قبيل سفرك الاخير الى السعودية وانت تحدثنى عن كتابك الذى بدات تأليفه عن الاسلام وتوجه فكرى الى مغنى تلك الآيات من روعة الحق والهدى وبلاغة التعبير ويسره . ولا يزال رنين صوتك الحنون فى اذنى وانت تتلو « والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم . للذين احسنوا الحسنى وزيادة ، ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة ، أولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون » الى آخر ذلك السياق من سورة يونس ، لبشرى بمقامك فى دار السلام ان شاء الله .

وانها لدعوة الى دار السلام لبيتها سريعا !

وانها لحساسية من شفافية روحك الملهم اوانها لبشرى بمقامك فى دار السلام ان شاء الله .

عبد المنعم خلاف

الخصائص الفنية للأدب الصوفى

بقلم : عبد الكريم الخطيب

تحدثنا من قبل عن بعض الظروف والملابسات التى عزلت الادب الصوفى عن الحياة ، وجعلت منه أدب متاحف .. يلم به الدارسون الماما ، كلما بدا لهم أن يكشفوا من التصوف وجها يعرضونه على الناس ، فى مجال التشهير به والزراية عليه ، أو فى مقام التنويه به ، والحمد له .. الامر الذى أصبح به أشبه بتلك الشواهد التى توضع على القبور .. ينظر فيها الناظر ، فلايرى وراءها الا ترابا ، ووحشة وفناء !

وقد قلنا : ان هذا الادب قد دخل عليه ضيم كبير بسبب هذا الوضع الذى صار اليه ، كما ان هذا الوضع قد أضر بالادب العربى كله ، اذ عزل عنه رافدا من اغزر روافده ، وأصفاها ، واكثرها مادة ، وأقواها عاطفة !

قلنا هذا ، أو نحوه

وبقى بعد ذلك : أن ننظر فى الخطة التى تختطها لمعالجة هذا الانحراف فى النظرة التى ينظر بها الى هذا الادب ، وفى الغايات التى يدرس لها ، وفى الموازين التى يوزن بها .

ولعل اول ما يبدو لنا من ملامح هذه الخطة امران:

اولهما : ضرورة التفرقة بين نوعين من الادب الصوفى ..

فهناك ذلك الادب الذى يتساقط من فم الصوفى فى أول الطريق ، وعلى الخطوات الاولى فى عالم التصوف ، وهذا الادب ـ كما أشرنا اليه من قبل ـ يغلب عليه العنصر الشعرى ، ويكثر فيه الخلط ، والشطح ، وتشيع فى أوصاله رعشة المتصوف ، وبلبلته ، وتلجلجه !

وهناك أيضا ذلك الادب الذى يجيء من المتصوف بعد أن تذهب رغوة غليانه ، ويسكن فوران نفسه ، وجيشان عواطفه .. وهذا الادب يغلب عليه الاتزان والمنطق فى معانيه ، كما يغلب عليه القصد والايجاز

فى ألفاظه ، فيخرج مخرج الحكمة والمثل ، مع شيء من الغموض والرمز ، الذى لا يخلو منه أدب صوفى ، سواء ما كان منه شعرا أو نثرا ٠

هذا عن الامر الاول من ملامح الخطة ٠٠

وأما الامر الثانى ، فهو ما ينبغى من ضرورة التفرقة ـ أيضا ـ بين حالين من أحوال المتصوف ٠٠ حاله قبل أن يدخل هذه التجربة ، ويعانى أحوالها ٠٠ وحاله بعد أن يصبح فى المتصوفة ، ويلبس رداء التصوف ، ويعيش فيه بوجوده كله ، وبعقله وقلبه جميعا !

ذلك أنه اذ كان الادب ـ فى حقيقته ـ تصويرا ناطقا لما يقع فى مرصد النفس الانسانية من خواطر ، وتصورات وأفكار ، واذ كانت تلك الخواطر وهذه التصورات والافكار خاطئة فى وجودها ، وفى قوتها وضعفها ، وفى استقامتها وانحرافها ، لظروف الانسان وأحواله التى يتقلب عليها أو تتقلب عليه ـ اذا كان ... كذلك فان أدب المتصوف وهو فى هذه التجربة غيره وهو بعيد عنها ، حيث يحيا حياته مع الناس ، ويتقلب فيما يتقلبون فيه ٠

وانه لمن الانحرافات الحادة المؤدية الى الخطأ فى دراسة الادب الصوفى أن ينظر اليه على امتداد واحد ، فى حياة تناوحت عليها أنماط مختلفة من المواقف والتجارب ، التى تتغير بها مشاعر الانسان وعواطفه ، وأفكاره ، ونوازعه ، وسلوكه ، حتى ليبلغ الامر فى أحيان كثيرة حد التناقض والتضاد ، بين هذه الاحوال التى يتقلب فيها الانسان ، وحتى لينكر أوله آخره ، ويرجم بعضه بعضا ٠٠

والتجربة الصوفية نقلة كبيرة يتحول بها الانسان من عالم الى عالم ، وينتقل بها من وجود الى وجود ، وهيهات أن يكون فى الحياة موقف يتحول بالانسان هذا التحول ، وينتقل بكيانه كله من وجود الى وجود مثل ما تفعل التجربة الصوفية فى صاحبها ، اذا هو صدقها النية ، وأوفى لها بالعهد ٠

ولك أن تتصور ـ مثلا ـ عمر بن أبى ربيعة ، أو أبا نواس ، أو بشارا ، أو مطيع بن اياس ، أو حماد عجرد ، أو غيرهم من شعراء الغزل الماجن ، وأرباب الخلاعة والتهتك ـ لك أن تتصور أيا من هؤلاء وقد أصبح فى المتصوفة ، وقد صحبه الشعر فى وجوده الجديد ـ أكنت ترى من الممكن الجمع بين شعر الشاعر منهم أولا ، وبين شعره ثانيا ، ثم لا يكون بين هذين الشعرين من اختلاف أشبه بالاختلاف الذى بين شاعر وشاعر ؟ ان يكن ذلك ممكنا فانه لا يكون الا اذا كان الرجل غير جاد فى تجربته الصوفية تلك ٠ وأنه قد دخلها باسمه وجسمه ، ولم يخلطها بشيء من روحه ووجدانه ٠٠ !

ومالنا نذهب بعيدا ٠٠ ؟

وهذا « أبو العتاهية » ـ مثلا ـ وقد عرفته الحياة فى مراحل شبابه : واحدا من أولئك « النواسيين » الذين استبد بهم التهتك والمجون ، ثم زهد فى هذا اللون من الحياة ، وتحول الى الزهد والعبادة ٠٠ وكان فى كلتا حياتيه شاعرا ٠٠ وكان شعره : ترجمانا صادقا لاول حياته وآخرها ٠٠ فللحياة الاولى شعرها ، وللحياة الثانية شعرها ٠ وبين الشعرين من تضاد واختلاف ما بين الحياتين من تباعد وتناقض !

دخل « **على بن الجهم** » الشاعر العباسى يمدح الخليفة ، فلقيه بهذا البيت :

أنت كالكلب فى حفاظك للـ
ـــود وكالتيس فى قراع الخطوب

فانكر عليه بعض من فى المجلس هذا القول فى خليفة المسلمين ، وحق لهم أن ينكروا ـ كما ترى ـ ولكن الخليفة التمس للشاعر العذر ، اذ كان وافدا عليه من البادية ، اعرابيا جلفا جافيا ، ولم يكن فيما رأى شيئا يضربه للوفاء مثلا غير الكلب ، كما لم يجد غير التيس مثلا مضروبا للقوة ومصادمة الاحداث ٠

ثم ان الخليفة أجرى على شاعره رزقا يضمن له الحياة الطيبة فى بغداد ٠٠ وتنفس الشاعر أنفاس المدنية والحضارة فى عاصمة الخلافة ، وانسكبت تلك الانفاس الندية العطرة فى كيانه ٠ فصفت نفسه ، ورقت طباعه ، ودق حسه ، ولانت ألفاظه ، واستأنست معانيه وأخيلته ٠٠ ثم ما لبث أن وقف بين يدى الخليفة يمدحه بمثل قصيدته التى مطلعها :

عيـــون المها بين الرصـــافة والجسر
جلبن الهـوى من حيث أدرى ولا أدرى

وأنت ترى فرق ما بين الكلامين ، وهو يعـــادل تماما الفرق بين الحالين اللذين تقلب فيهما الشاعر بين البادية والحاضرة ٠

فاذا كان هذا هو شأن الانتقال الحسى ، وتلك هى

آثاره في وجود الانسان النفسي والروحي والعقلي، فكيف بما يفعل الانتقال الروحي ، وما يقع منه من آثار في تصورات الانسان ، وفي آرائه وأخيلته ؟

والحق ان أية حركة يتحركها الانسان نحو الجانب الروحي - مهما صغرت - يكون لها أصداء بعيدة الامداء ، عميقة الاغوار في مجريات حياته كلها ، ظاهرها وباطنها جميعا بما لا يمكن ان يقاس بها ما يقع في الحياة المادية من انتقالات وتحولات ، مهما اتسع محيطها ، وامتد طولها وعرضها !

وانظر كيف يدرس الادب الصوفي ؟ وكيف يجمع الدارسون بين أخلاطه ؟ وكيف يخلطون بين بعيده وقريبه ، ويسوون بين المتناقضات من صوره ؟

فالصوفي محسوب على التصوف في جميع أطوار حياته ، سواء منها ما كان بعيدا عن حياة المتصوفة او كان متلبسا بها .. هكذا ينظر الناظرون الى كل من عرف بالتصوف .. انهم يحسبون حياته كلها بهذا الحساب ، ويضيفون أعماله وأقواله كلها اليه في حساب التصوف ، من مولده الى مماته ، ولو كان قبل أن يدخل التصوف فاتكا او ماجنا !! وطبيعي أن ذلك يؤدي حتما الى الخطأ في جميع الاحكام التي تصدر على هذا الانسان ، وخاصة ما يتصل بآرائه ومقولاته ، اذا كان ذلك خارجا عن مراعاة المبدأ القائل : « لكل مقام مقال » حين يسوى بين مختلف المقامات ، وجعلها بمنزلة المقام الواحد، ومن أجل ذلك ظهر التناقض بين مقولات الشخص الواحد ، ولم يكن لهذا التناقض من شفيع يجيء من الاعتراف بوجود المقامات المختلفة !.

واقرب شاهد هنا لهذه الحال هو «ابن الفارض» الصوفي والشاعر المعروف ..

فهذا ديوانه يجمع بين دفتيه جميع ما أثر عنه من شعر ..

وهذا الشعر أخلاط مختلفة ، وأنماط متباينة.. لانه نتاج حياة اختلفت بها السبل ، وتحولت بها الاحوال ..

فالمعروف عن ابن الفارض أنه لم يولد « صوفيا » وانما ولد كما يولد الناس ، وعاش فيما يعيش فيه الناس ، في عصره ، وتقلب معهم في جدهم وهزلهم، وفي استقامتهم وانحرافهم .. وكان لهذه الفترة من حياة ابن الفارض شعر يمثلها على نحو ما .. ثم انتقل الشاعر الى حياة الصوفية ، وقطع فيها أشواطا بعيدة حتى وافاه أجله ، وهو على الطريق .. وكان للشاعر طوال هذه الفترة شعر يمثل حياته تلك على نحو ما أيضا .. وهذا الشعر ليس على حال سواء .. فما كان منه على أول الطريق غيره بعد أن سلك الشاعر مسالك ودروبا في هذا الطريق ..

ولكن مع ذلك فقد نظر الى شعر ابن الفارض كله على أنه شعر « صوفي » وان الرجل لم يكن له قبل التصوف لسان شاعر يعبر به عن نبضات قلبه ، وخلجات صدره ..

ومن هنا كانت تلك الاحكام الباطلة التي انتزعت « جيشانها » انتزاعا من شعر لم تتلبس به خالجة من صدر المتصوف ، ولم تعلق به نفثة من نفثات روحه ، ثم رمي بهذه الاحكام في وجه الصوفية والمتصوف .. وكان أن قيل فيما قيل : ان أدب المتصوفة مع الله أدب وقاح ، فيه جرأة واستخفاف بجلال الله سبحانه ، حين يخاطبونه - سبحانه - بهذا اللون من الغزل المجسد في صور خليعة متهتكة حتى لكأن اله الصوفي فتاة في مرقص ، تتداولها الأيدي ، وترعى جسدها العيون !.

والحق من وراء هذا كله ..

فلو أن الناظر في الادب الصوفي أخذ بواقع الحياة عند المتصوف، ففرق بين حياته قبل التصوف وبعدها ، ثم وزن أدب كل فترة بما يلائم طبيعتها ، فجعل شعر التصوف للتصوف ، وشعر الحياة للحياة - لو أنه فعل ذلك لسقطت كثير من هذه الاحكام الباطلة التي أدين بها الادب الصوفي ، في أكثر من وجه !

ونظرة في ديوان ابن الفارض يمكن أن تتبين بها في وضوح ثلاثة أنماط من شعره تمثل ثلاث مراحل من حياته ..

فهناك شعر شاعر يهيم في كل واد ، ويخوض في كل شان .. وهذا ما كان للشاعر قبل أن يدخل في تجربته الصوفية ..

وهناك شعر شاعر وضع قدميه على أول طريق الحياة الجديدة في عالم التصوف .. فيه اضطراب، وقلق ، ولهفة ، ودخان أشبه بالدخان الذي يسبق عملية الاحتراق !

ثم هناك الشعر الذى قاله الشاعر بعد أن قطع المراحل الاولى فى طريق التصوف ، وبعد أن أنس الى حياته الجديدة ، وعرف كثيرا من وجوهها ..

ولا نريد هنا أن نقف عند كل حالة من هذه الاحوال مع « ابن الفارض » ، اذ ليس همنا دراسة شاعر صوفى بعينه ؛ وانما نظرتنا متجهة الى الادب الصوفى كله ، لنرى ملامح وشواهد منه ، لا أن نستقصيه ، ونتفحصه ، قصيدة قصيدة ، وشاعرا شاعرا !!

وحسبنا أن نقرر أن « ابن الفارض » ــ وذلك شأن كل صوفى غيره ــ لم يكن فيما صدر عنه من شعر الا واحدا ، من أولئك الشعراء الذين تتبدل بهم حياتهم الروحية أو النفسية فيتبعهم شعرهم حيث كانوا ، ويكون شعرهم فى كل حالة محسوبا بحسابها ، ومقدرا بقدرها .

استمع الى قول ابن الفارض :

ما أطيب ما بتنا معا فى برد
اذ لاصق خده اعتناقا خدى
حتى رشحت من عرق وجنته
لا زال تصيبى منه ماء الورد

أترى هذا القول يصح أن يكون ترنيمة من ترنيمات الحب لله سبحانه ؟ وهل يليق بعاقل أو بعض عاقل ان يصف الله ــ سبحانه ــ بهذه الاوصاف ، التى تنزل بالخالق الى هذا المستوى ، وتجعل منه كائنا بشريا ، يعانق ، ويلف فى برد ، ويرشح عرقا صبيبا ؟

ولم لا يكون هذا غزلا حقيقيا تغزل به ابن الفارض ، وذكر به أحوالا من أحواله مع من يحب من البشر ، ومن بنات البشر ؟ سواء كان ذلك عن واقع أو عن خيال !

وهل ارتفع ابن الفارض عن أن يتغزل كما يتغزل الشعراء ؟ وأن يحب كما يحب الناس ، حتى وهو فى سلاح المتصوفة ؟ فكيف قبل أن ينزل الى هذا الميدان ، ويخوض ذلك المعترك ؟

واستمع الى قوله أيضا :

أهوى رشأ كل الأسى لى بعثا
مذ عاينته تصبرى ما لبثا
ناديت وقد فكرت فى خلقته :
سبحانك ، ما خلقت هذا عبثا

أهناك أصرح من هذا القول دلالة على أن الشاعر انما يتغزل فى مخلوق من مخلوقات الله ، وأنه يهيم به ، ويبهر بحسنه ، فلا يملك الا أن يهتف بجلال الحق وعظيم قدرته : « سبحانك ! ما خلقت هذا عبثا » ناظر فى ذلك الى قوله تعالى : « ربنا ما خلقت هذا باطلا » . ومن هذا الباب أيضا مواقف كثيرة يقف فيها ابن الفارض حالفا بالله ، أو مستعينا به .. كقوله :

أهواه مهفهفا ثقيل الردف
كالبدر يجل حسنه عن وصف
ما أحسن واو صدغه حين بدت
يا رب عسى تكون واو العطف

وكقوله وقد خلط بين العامية والفصحى :

ما بال وقارى فيك أصبح طيش
والله لقد عزمت من صبرى جيش
بالله متى يكون ذا الوصل متى
يا عيش محب تصليه يا عيش ؟

وبعيد غاية البعد أن يتجه انسان ــ أى انسان ــ الى الله ، ثم يطوف بخاطره شىء من تلك الصور العربيدة ، أو يشرد به الخيال الى هذه المراعى البهيمية النهمة !

أفيراد للصوفى اذن ــ وهو فى حال الوجود أو الشهود ــ : أن يتحول الى بهيمة قد استبدت بها الحيوانية ، ثم لا يوقف به عند هذا الحد فيأخذ الهه معه ، ويقرنهما معا فى قرن .. يصخبان ويعربدان ، ويتناطحان ؟

واذا كان فى مجال التعسف والمماحكة متسع لادخال مثل هذا الشعر فى الادب الصوفى ، واذا كانت مذاهب المهاترة لا تضيق بالمهاترين أن يقولوا فى مثل هذا اللون من الشعر قولا يجعلون فيه هذه المقولات هى الوجه البارز فى الادب الصوفى ، والنغم الحلو المردد على أفواه الصوفية ، وفى مجامع أذكارهم ــ فكيف يجد هؤلاء المهاترون المتعنتون مذهبا للرأى فى مثل قول ابن الفارض هذا الذى يقول فيه :

خبرونى عن اسم شىء شهى
اسمه ظل فى الفواكه سائر
نصفه طائر ، وان صحفوا ما
غادروا من حروفه فهو طائر

عبد الكريم الخطيب

مؤتمر القمة العربى

بقلم : حسن جاد حسن

أهاب بهم الى الجلى فهبوا ... فتى متوقد العزمات ندب
هم العرب الأباة ، اذا استثيروا ... أثاروا كل شعواء وشبوا
حمائم فى السلام ، أسود حرب ... اذا حميت غداة الضيم حرب
وأنسام الربيع اذا اطمأنوا ... أعاصير اذا ما ناب خطب
نماهم فى الحمية طهر أرض ... على أقداسها درجوا وشبوا
وأرضعهم اباء الذل مجد ... تشع بنوره صحف وكتب
تساموا فوق كل هوى الى ما ... يجل من الوئام ويستحب
وجد الجد فالتأموا جراحا ... مجابهة الخطوب لهن طب
تلاقوا فى الملمة بعد صدع ... ورب ملمة للصدع راب

❊ ❊ ❊

سلاما أيها الأقطاب فامضوا ... الى أمل اليه الشرق يصبو
هو الاقدام يفرى كل صعب ... فما استعصى على الاقدام صعب
وفلوا بالعزائم كل عضب ... فليس يفل للعزمات عضب
وسيروا نحو غايتكم ، وأنتم ... يد فى الخطب واحدة وقلب
لقد دعت العروبة فاستجيبوا ... وناداكم اباء الضيم فأبوا
وضجت فى فلسطين جراح ... بفاغرها دم ينصب ، رطب
أنين ما يزال للاجئيها ... يمض ، ونار ثأر ليس تخبو
وما هى للعروبة غير قلب ... رماه من فلول الغدر خب
جرى بالطهر ماء النهر فيها ... فكيف يعيث فى مجراه ذئب ؟
وكيف يرنق المكروب منه ... مشارع ماؤها الدفاق عذب ؟
مياه اليمربى لكم بأرض ... منابعه عليها .. والمصب
خذوا — صفا — على يد غاصبيه ... ولا تدعوا عقاربهم تدب
وفضوا ناب اسرائيل واقضوا ... على الأفعى التى فى الشرق تحبو
أتنهض دولة فى ظل ملك ... دعائمه مخاتلة ونهب ؟
وكيف يروم أرضكمو بغاث ... وأنتم من يوازى الشرق غلب ؟
فلول عن رحاب الأرض زيدوا ... فآواهم بها غصب وسلب
أقطاب العروبة اشعلوها ... على صهيون نيرانا تشب

❊ ❊ ❊

وخلوا النادبات من التوانى ... فليس يرد حقا ضاع ندب
وخطوا فى ائتماركمو مصيرا ... تطلع نحوه شرق وغرب
ففى أعناقكم دين كبير ... يطالبكم به رب وشعب
رعى الله اجتماعكم المرجى ... ووطد شملكم ود وحب

حسن جاد حسن

الشوق إلى يافا ...

للشاعر عبده بدوى

قد طال شوقى للطيور الراجعات الى الشمال
لمواكب الاحرار تزحف .. ثم تزحف فى نضال
لصبية لم يتعقد فى ثغرها كرد التلال
فانامل الرسام فى الهدب المصفق لا تزال
واصابع النحات ما زالت تغرد فى ابتهال
.. اترى على صدرى تثرثر بالاناشيد الطوال
وتقول « ما وطنى ؟ » فاهتف « انه سرى الخيال
هو هذه العزمات تورق فى الحقول وفى الرجال
هو فى السفوح الاغنيات ، وفى الروابى البرتقال ! »

* * *

فى ظل « يافا » كان لى بيت يخبئه الشجر
قد وقعته يد الجمال ، وطرزته يد السحر
.. فقفزت به ايامى الخضراء قرب المنحدر
جدرانه كانت مطرزة باقدام الزهر
وعلى نوافذه ستائر من اغاريد السحر
.. اترى سيوقظنى به سرب الطيور ! اذا عبر ؟
اترى يكون القمح فى قمصانه الخضر اظهر ؟
.. واحر قلبى للنسيم يهز فى القلب الذكر !

* * *

العود للصبح المزقزق فى جفون المزرعة
واغادر القمح الخجول مع الطيور المسرعه
وانام فى حقل رضيع تحت هدب طيعه
.. يجرى به طفلى الصغير ويشتهى ان اتبعه
فاذا رنا نحو الديار ، وود أن أعدو معه
سابقته وعليه اشواقى الحرار مجمعه
فندق بابا زاهيا ، ويرد صوت فى دعه
واذا بنا فى فرحة ، فى ضحكة مستقطعه
فى عالم يمشى السلام على رباه المسرعه
سأعود للأرض الجريحة فى صباح مضرم
بالشعب .. بالشعب الذى لم ينكسر .. لم يهزم
.. فاعيد ارضى للظلال ، وللطيور الحوم
لسنابل خضراء تجرى فى الحقول وترتمى
للمسجد الاقصى الذى قد كان قبلة مسلم
.. للبعث فى اطفالنا ، ولالف جيل مقدم !

شعر المهرجان ليس حجة على ناقدى العصر الحديث

بقلم : عبد الحى دياب

تساءلت عقب الانتهاء من مهرجان الشعر الخامس ونحن فى الاسكندرية عن مدى تقدم فن الشعر بعد قيام حركة مدرسة الديوان ، التى يعد العقاد اماما لها ، وهو الآن مقرر لجنة الشعر فى المجلس الأعلى للفنون والآداب .

حقيقة ما هو المدى الذى قطعناه من التقدم فى الفترة التى مضت على قيام هذه المدرسة ، التى قامت بحركة هزت جمود الشعر وضحالة الشعراء فى فهم الحياة هزا عنيفا لا يتطرق اليه لين أو هوادة ، وتقدم الشعر على اثر قيامها خطوات وخطوات تجاه الشعر العالمى ..

وتباد رهنا فنقول : ان الذى اوحى الينا بهذا التساؤل هو ما جاء فى يوميات استاذنا عباس محمود العقاد فى جريدة الأخبار بتاريخ ٢٧ نوفمبر الماضى ، حين وصف المهرجان بانه كان حجة قائمة للشعر العربى فى هذا العصر بين سائر عصوره الذاهبة ، وانها الحجة التى تحفظ للشعر المصرى مكانته المرعية عند المقارنة بينه وبين الشعر فى عصور اللغة العربية من ماضيها الى حاضرها ، وتدفع عنه كل ما يحتج به المحتجون عليه من ناقديه والمنتقصين لأدب هذا العصر وآداب العصور الأخرى على عمومها ..

ومعنى العقاد يقول « فقد القيت فى المهرجان بضع عشرة قصيدة على الأقل ترتفع فى فن الصياغة الى الذروة العليا من طبقات النظم التى ارتفع اليها القصيد العربى فى تاريخه العريق ، منذ اقدم عهود الجاهلية . وتنهض هذه الحجة على ناقدى الشعر المصرى او ناقدى الشعراء المعاصرين عند النظر الى الموضوعات التى احاطت بها قصائدهم » .

وفى اعتقادنا أن هذا القول من العقاد يعد خطيرا وعلى جانب كبير من الاهمية ، لانه لم يقف عند اعتراف العقاد بشعر المهرجان ، وانما جاوزه الى انه حجة على الشعر العربى فى سائر عصوره الزاهية ، وحجة كذلك على ناقدى الشعر العصر ، او ناقدى الشعراء المعاصرين ..

وآية الخطورة فى هذا القول من وجهة نظرنا اننا بعد دراساتنا لنقد العقاد قرابة خمس سنوات او تزيد على ذلك ، ووقوفنا على مبادئه وارائه النقدية فى الشعر ، ورفضه لشعر احمد شوقى واعتباره انه لم يصل الى الدرجة التى نال من اجلها هذه الشهرة ، لانه غدا لا يوائمه مدرسة العقاد التى قامت لتعترف بحاجات العصور واصحابه فى مطلع هذا القرن ، ومن ثم كان العقاد على حق حين رفض شعر مدرسة الاسلوب التى كان يتزعمها شوقى متخذا من زعيمها وهو احمد شوقى غرضه الذى يصوب اليه رميته حينما يقول : « اعلم ايها الشاعر العظيم ، ان الشاعر من يشعر بجواهر الأشياء لا من يعددها ويحصى اشكالها والوانها ، وان ليست مزية الشاعر ان يقول لك عن الشيء ، ماذا يشبه ، وانما مزيته ان يقول ما هو ، ويكشف عن لبابه وصلة الحياة به » .

فالشعر على هذا فى تصور العقاد ــ حقيقة الحقائق ، ولب اللباب ، والجوهر الصميم من كل ما له ظاهر فى متناول الحواس والعقول ، وهو ترجمان النفس والناقل الامين عن لسانها ، ومعنى هذا أن الشعر ليس لغوا تتلقاه العقول فى ساعات الفتور والضعف ، لانه لو كان كذلك لما كان له فى حياة الناس اية قيمة ، بل على الشاعر ان يسمعنا اصداء النفس الآدمية ، فى جهدها ونجواها ، وفى شوقها وانقباضها ، وحين ترتفع فى معارج الخير ، وحين تتردى فى مهابط الشر ، ويردد لك ما تضج به من الآلام ، وما تحلم به من الآمال ، ويترجم لك الغازها وكناياتها ..

فأين شعر المهرجان من هذا الكلام ــ كلام العقاد نفسه ــ الذى لم يرض عن شعر شوقى وعن شاعريته يوما ، ودارت المعارك الطاحنة حول هذا النوع من الشعر .. وهل يوجد فى شعراء المهرجان من تمثلت فيه نظرية العقاد للشعر ، وبذلك يصبح اكبر من شوقى ، وفى مستوى شعراء مدرسة الديوان .. أى فى مستوى العقاد والمازنى وشكرى رحمهما الله . مع انه كان لابد أن يكون شعراء المهرجان اكبر من شوقى بخمسين عاما ، كلها ثقافة وحضارة وتقدم فى مناص الحياة على اختلافها . والذى يجب أن نلتفت اليه هنا هو ماتعودناه من استاذنا

العقاد من المهارة والذكاء في معالجة القضايا على سبيل التعميم ، وذلك حينما يوازن شعر المهرجان بالعصور الغابرة في الأدب العربي ، مع اعترافنا بان الشعر العربي مر بادوار منها الترفيه عن الملوك والمنادمة لهم وغير ذلك من الأدوار التي يندى لها جبين الأدب العربي ومع التسليم لأستاذنا العقاد بهذه الموازنة فاننا نزعم أن من شعراء العرب من لا يستطيع شاعر من المهرجان ممن تمرسوا بصياغة الشعر نصف قرن أو يزيد أن يصل الى مرتبته ٠

وفي مقام التمثيل نخرج بأحمد رامي الذي وقف على معبد ابي سنبل ، وقفة المترجمين الذين اعفتهم الدولة من خدماتهم للسياح من سوء ما يصنعون بتاريخنا وآثارنا وحضارتنا التليدة الطارفة ، فقال في قصيدته :

أيها المعبد المطل على النيل منيفا على الضفاف جليلا
طالما راوحتك امواجه السمر ومدت شفاهها تقبيلا
وجرى تحت جانحيك يحييك ويرنو اليك جيلا فجيلا

أين رامي وشعره من البحتري في وقوفه على « ايوان كسرى » في سينيته منذ ألف عام حينما قال :

حلم مطبق على الشك عيني
أم أماني غيرن ظني وحدسي
وكأن الايوان من عجب الصنعة
جوب في جنب أرعن جلس
يظنني من الكآبة اذ يبدو
لعيني مصبح أو ممسي
مزعجا بالفراق عن أنس الف
عز أو مرهقا بتطليق عرس

تظلم البحتري اذا وضعنا قصيدة رامي ازاء قصيدته التي قيلت في العصور الغابرة ، وتظلمك أنت حينما نضع قصيدة رامي ازاء ما قلته أنت في العصر الحديث في وقفتك أمام أبي الهول ، تحت عنوان « سر أبي الهول » :

أكرهونا على هواك وقالوا
انت يا عالم الشقاء حبيب
ان يكن فيك يا أبا الهول سر
فهذا هو الهدى الخفي العجيب

ونتساءل في هذا المقام ، أين تضع قصيدة رامي بين القصيدتين ، على شريطة ألا تظلم عباس العقاد الشاعر ، من باب المجاملة لصديقك ، وعلى شريطة الا تختصم مبادئك النقدية التي رفضت أندلسية شوقي على أساسها ٠٠

على اننا نقول ان أستاذنا العقاد قد تجلى ذكاؤه حينما وازن بين شعر المهرجان والعصور الادبية في في اللغة العربية الغابرة ، لاننا نؤمن بأن شعر المهرجان أكبر ممن شعر هاتيك العصور وأجود ، لكننا نتساءل عنا ، هل تتفق هذه المقارنة ومذهب العقاد في النقد الذي أعلنه في كتابه « الديوان في الادب والنقد » حينما ذهب الى أن مذهبه في النقد « أن اقامته حد بين عهدين ، لم يبق ما يسوغ اتصالهما والاختلاط بينهما واقرب ما نميز به مذهبنا أن مذهب انساني مصري عربي : انساني ، لانه من ناحيته يترجم عن طبع الانسان خالصا من تقليد الصناعة المشوهة ، ولانه من ناحية أخرى ثمرة لقاح القرائح الانسانية عامة ، ومظهر الوجدان المشترك بين النفوس قاطبة ، ومصري ، لان دعاته مصريون تؤثر فيهم الحياة المصرية ، **وعربي** ، لان لغته العربية، فهو بهذه المثابة أتم نهضة أدبية ظهرت في لغة العرب منذ وجدت ، اذا لم يكن أدبنا الموروث في أعم مظاهره الا عربيا بحتا ، يدير بصره الى عصر الجاهلية » .

واذا صح أن هذا كلامك يا أستاذنا الجليل ، فلماذا توازن بمهارة بين شعر المهرجان والشعر فيما قبل مدرسة الديوان ، لقد كنا نتوقع أن توازن بين شعر المهرجان وشعراء مدرسة الديوان ، مع ادخال عامل الزمن الذي يحمل بين طياته تقدما في التفكير والثقافة وسائر ضروب الحياة . . أو على الاقل كنا نتوقع من استاذنا أن يقول لنا الى أي مدى استفاد شعراء مدرسة الديوان من نقد مدرسة الديوان ؟؟

على أنه يحس في هذا المقام أن نسائل العقاد ليخبرنا عن عدد القصائد التي تظل على جودتها من شعر المهرجان الذي هو حجة على العصور الغابرة ، وعلى نقاد الأونة الراهنة ـ اذا ترجمت الى اللغات الاخرى ٠٠ لان سيادتك قد قلت في نقدك : ان الجيد في لغته جيد في غيرها ، في عام ١٩٤٧ في مجلة « الكاتب » ولسنا ندري الآن ما هو موقفك من هذا المبدأ النقدي ٠٠ الست مؤمنا به ؟ واذا صح هذا فنعود الى تساؤلنا كم قصيدة جيدة في المهرجان في لغتنا واللغات الاخرى اذا أصابتها الترجمة ٠٠

والحقيقة التي لا تخفيها يا استاذنا الكبير أن شعر المهرجان لا يرتفع أكثره الى مستوى مدرسة الديوان ، بل لا أغالي اذا قلت الى مستوى شوقي ٠

عبد الحي دياب

مشكلة لم تحل !

بقلم : محمد عبد الله السمان

ان كون القاهرة ملتقى الاضواء فى المجالات الثقافية والادبية يشكل مشكلة لم تحل بعد ، ومن الخطأ ان نغض أنظارنا عن هذه المشكلة ، ومن المكابرة أن لا نبحث لها عن حلول سريعة عاجلة .

والذى يقدر له أن يطلع على السيل الجارف من الانتاج الادبى الوارد على مجلاتنا الادبية والثقافية بالقاهرة يدهشه أن يكون أكثر من تسعين فى المائة من هذا الانتاج قادما من الاقاليم البعيدة عن العاصمة ، محاولا أن يناله ولو جانب طفيف من الاضواء المسلطة على الادب والثقافة عندنا . فالمشكلة اذن مشكلة المواهب الناشئة القابعة فى أقاليم الجمهورية بأسرها ، لا مشكلة المواهب الناشئة المقيمة بالقاهرة ، لان أصحابها يسهل عليهم الزحف الى الصحف والمجلات ، وييسر لهم أن يجدوا من أدبائنا المبرزين شفعاء ووسطاء ليأخذ انتاجهم مكانه من الذيوع بشتى وسائل الاذاعة والنشر . **أما أبناء الاقاليم من ذوى المواهب الناشئة ، فلا يملكون من الوسائل غير البريد ، وهيهات أن يسعف البريد ــ رغباتهم المكبوتة ، أو يحقق شيئا من آمالهم الممتزجة باليأس ..**

* * *

ولا أظن ان مشكلة هؤلاء قد تحل فى غير القاهرة ، ما دامت القاهرة مركز الاشعاع الفكرى ، وما دامت وسائل الاذاعة والنشر لا تتركز الا فى القاهرة ، وما دام كبار الادباء لا يستقر بهم المقام الا فى القاهرة ، بعد ان قطعوا كل صلة تربطهم بأقاليمهم وبراعمها المتفتحة .

* * *

ان أى تفكير فى ايجاد حل للمشكلة عن طريق اصدار مجلات أدبية اقليمية ، أو انشاء أندية ثقافية لرعاية المواهب الناشئة ، لا يأتى بخير ، لان أية مجلة اقليمية لا يمكنها أن تتخصص فى الادب ، ولو تخصصت لما طال بها العمر ، ونحن نرى أن معظم المجلات الادبية بالقاهرة ، لولا أن الجهات الرسمية تشد أزرها ، وتدعم كيانها ، لتعثرت عشرات المرات ، بل مئاتها ، ولوقفت العقبة المادية تعترض طريقها وتهدد حياتها ، ولأن انشاء أندية ثقافية ــ وان أشبعت هوايات الناشئة من الادباء ، فلا تحقق مطامع المواهب المثابرة المناضلة التى لاتعرف الملل ، ولاتفقد الثقة فى نفسها .

* * *

وليس معنى هذا اننا لا نرحب باصدار المجلات الادبية ، وانشاء الاندية الثقافية فى الاقاليم ، فان هذه المجلات وتلك الاندية الاقليمية أمر لا مفر منه ، والعناية بهما بتشجيعهما من المسئولين أدبيا وماديا ضرورة لتثبيت وجودهما واعلاء شأنهما ، ولكنا نقصد أنهما لا تحلان المشكلة ، وقد تكونان جزءا من الحل وليس الحل كله ، ومن الممكن أن تسهما بنصيب موفور من الحل ، لو أصبحت المجلات الاقليمية موضع عناية الصحف اليومية ، ورعاية المجلات الادبية المعروفة بالقاهرة وتوجيهها لها .

ان بعض المجلات الادبية مثلا ، قد خصصت بابا واسعا يتناول ما فى الصحف الادبية العربية فى المنطقة العربية ، وخصصت بابا واسعا آخر يتناول ما فى الصحف الادبية العالمية ، فكيف تضيق بتخصيص باب يتناول الانتاج الادبى فى مجلاتنا الاقليمية ؟

وكذلك الاندية الثقافية الاقليمية قد تسهم بنصيب موفور فى حل المشكلة ، لو أصبح لها ارتباط بأندية القاهرة الادبية ، فمكنت أدباء الاقاليم بين الحين والحين من ابراز مواهبهم ، وتقييم انتاجهم وتوجيهه .

* * *

انه ليس من الممكن ، بل وليس من المعقول ــ ونحن نعرض لهذه المشكلة المعقدة ــ **أن نتجاهل الدور الذى يمكن أن تلعبه دور النشر عندنا ، الا أن دور النشر الحرة لاسلطات عليها لأحد ، وهى ــ كما سبق أن قلت ــ تقيم الاسماء ولاتقيم المادة الادبية ،** وتؤثر أن تنشر مائة مرة لأديب لامع فى التأليف ، على أن تنشر مرة واحدة لأديب ناشىء مهما بلغت مادة انتاجه من القوة ، فهى تريد أن تحقق أرباحا ، لا أن

تخدم معرفة او ثقافة، فقد اصبحت تماما كمؤسسات الانتاج السينمائى تجرى وتلهث خلف نجم لامع ، وتسير بخطى متثاقلة عندما تفكر فى تقديم وجه جديد ، ولكنها تفضل دور النشر بتقديمها وجوها جديدة ولو كل اعوام ، هذه الدور التى تضن دائما بتقديم وجه جديد ولو كل ربع قرن من الزمان ، وقد تعجب حين تعلم ان بعض دور النشر فى القاهرة اصبح وقفا تقريبا على نشر مؤلفات أديب كبير او اديبين كبيرين ، ولا شك أنهما جديران بهذا ، ولكن حسبنا من الاثم ان يكونا سببا فى اغلاق الباب دون عشرات من المواهب الادبية الاخرى ، مما هى فى المتوسط وفوق المتوسط .

* * *

ولكن اى عذر لدور النشر شبه الرسمية ، والتى هدفها نشر الثقافة مع رعاية المواهب المخبوءة ، وهى فى الوقت التى تنشر فيه عشرات الكتب كل شهر لا تكاد تعثر على كتاب واحد لاديب مغمور ، ولعل القراء يذكرون ما نشر على صفحات البريد الادبى بالرسالة ، لاديب من دسوق يعانى المشكلة نفسها ، اذ قال : **ان دارا كبرى للنشر تتمتع برعاية الدولة ، حولت قصته الى أديب معروف فكتب عليها : « المؤلف غير معروف فى الاوساط الادبية ، ولم يسبق له تعامل مع الدار »** وقد كتب الاديب **فاروق زرقا غبريال** يعقب قائلا : « **ان الاديب المعروف المشار اليه سبق أن كتب يقول : انه مشغول بعدة أعمال فكرية فى الوقت الذى يطلب فيه أن يبدى رأيه فى عديد من القصص** » ويبقى بعد ذلك سؤال : **لم تحول الدار الكبرى الانتاج المقدم اليها الى أدباء ليس لديهم من الوقت ما يسمح لهم بتقييمه ؟ ولم قبل الاديب المعروف عملا ليس متفرغا له ؟؟**

ان القضية ترتبط ارتباطا وثيقا بضمير الدار والأديب المعروف معا ، فمن العقوق للأمانة الادبية أن تقبل الدار انتاجا ولا تفحصه ، وأن يقبل الاديب عملا أدبيا ولا يؤديه على وجهه الاكمل !!.

* * *

وليس من الممكن أيضا أن نتجاهل دور المسابقات الادبية التى تعقد من حين لآخر ، وهى لاشك جديرة بأن تسهم فى حل المشكلة ، وذوو المواهب من أدباء الاقاليم لا تفوتهم مناسبة دون أن يزحفوا بانتاجهم، ولكنهم يعللون عدم بروزهم فى هذه المسابقات بمزاحمة اخوانهم بالقاهرة ، فهم أقدر منهم على الصلات الودية بالمسئولين عن المسابقات ، وهذه الصلات ذات أهمية فى الموضوع ولقد رأيت بنفسى أديبا قادما من محافظة المنيا الى مجلة الرسالة ، يتأبط انتاجين له ، ليتقدم بهما الى احدى المسابقات، ولما سألته : لم لم يرسل بانتاجه عن طريق البريد ، ويوفر الوقت والنفقات ؟ أجاب بأنه عازم على الاتصال ببعض المسئولين هنا ، وهو واثق بأن هذا الاتصال مما يساعد على اجازة انتاجه ، **وازاء هذا يجب أن نضع القضية فى اطار من الأمانة الأدبية التى يجب أن تتوافر فى المسئولين عن تقييم الانتاج الأدبى المقدم الى المسابقة ، ولن يكونوا جديرين بهذا الشرف الكبير ما لم يكونوا ــ على الأقل فى درجة القضاة النزهاء ..!**

بقيت كلمة يجب أن نقولها ــ ونحن نقف الى جانب ذوى المواهب الأدبية باقاليم الجمهورية فى مشكلتهم بكل احاسيسنا ومشاعرنا ــ وهذه الكلمة تتلخص فى أن بعضا من انتاجهم جدير بالاهمال الى درجة الازدراء ، هذا البعض يسارع الى الشهرة بسرعة الطائرة النفاثة ، دون أن يبذل جهدا فى تثقيف نفسه وتزويدها بالمعرفة يؤهله لمسابقة السلحفاة ..

* * *

ولكن هذا البعض يجب أن لايكون عائقا فى طريق حل المشكلة الاساسية ، وهى فتح الآفاق الواسعة امام ذوى المواهب الادبية الذين يبذلون جهدا وعرقا ودموعا ، وينتجون ما هو جدير بالتقدير من ألوان الادب ..

* * *

ان رسائلهم التى يحملها البريد الى **الرسالة** وغير الرسالة ، تفيض حنقا وغيظا ، واتهاما للقاهرة ــ لصحافتها الادبية وادبائها ــ بالانانية المستحكمة ، ونحن يجب أن نرثى لهم ، ونعطف عليهم ، فانما يدافعون ويناضلون ، ويزاحمون ويلحون ، ولا يضجرون ولا يملون ، ولا يتريثون ، ولا يتوقفون ، ولا يفكرون فى أن يتنازلوا عن ايجاد حل لمشكلتهم التى لم تحل بعد .. !!

محمد عبد الله السمان

فوانيس تأليف نعمان عاشور

بقلم : علاء الدين وحيد

تحتوى مجموعة « فوانيس » لنعمان عاشور على اثنتى عشر قصة وصورة ، ولم يعمد المؤلف فى وضع كل قسم منهما على حدة ، كما فعل يحيى حقى مثلا فى « عنتر وجوليت » .

القصة الاولى « فوانيس » . بطلها الاول رغم وجوده فى الظلال ، صبى صغير نام فى غفلة عن عينى ابيه فى جانب من دكانه الذى يصنع فيه الفوانيس ، ويغلق الاب المتجر بعد منتصف الليل ويعود الى بيته ويفاجأ بغياب محمد . وتقوم مشادة عنيفة بينه وبين زوجته التى تلقى عليه مسئولية اختفاء الابن ، ويتقاطر الجيران لتهدئة الموقف بين الزوجين ، ويبلغ قسم الشرطة ويقوم « منادى » بالبحث عن الطفل . وقبل ان يقوم الاب بمحاولة ثالثة ، يصدم بكارثة أخرى . ان متجره يسرق وقد حوصر السارق بداخله . وعندما تجىء الشرطة مهاجمة ، يتضح انه الابن الغائب الذى استيقظ من نومه .

والقارىء لا يحس ان المؤلف افتعل شيئا غير حقيقى ، فعنصر الاقناع والتبرير يواكب أحداث القصة جميعا . ونعمان عاشور يهتم هنا بالموقف والشخصية معا . فهو لا يعنى — كما فى بعض قصصه الاخرى — بأحدهما على حساب الآخر . ومن شخصياته المتكاملة فى هذه القصة ، شخصية ام احمد الزوجة ابنة البلد وامراة الاسطى شفيق فهى نموذج لبنات جنسها فى الاحياء الشعبية ، ففى حادث ابنها الذى لم يرجع الى المنزل بعد أن حمل الى ابيه العشاء ، يرسمها المؤلف وقد ذهب تفكيرها كل مذهب واختارت أسوأ الاوضاع ، فالابن لم يته فحسب بل اختطفه أولاد الحرام اختطافا ! وهى اذ تبكى ولدها وتحض زوجها على البحث عنه ، تفعل ذلك بطريقة انانية اى بأسلوب يوحى بأن الطفل فلذة كبدها هى فقط وليس كذلك بالنسبة الى ابيه ايضا . انها لا تحب أن يتأخر زوجها فى عمله . فهذه فرصة لاتهام العمل الذى تغار منه وطموح الاسطى الذى يضطره الى البقاء مدة اطول فى دكانه ليصنع ويبيع فوانيس أكثر . وهكذا فلولا هذا العمل الذى اخره حتى الثانية صباحا ، لما بقى امر غياب الطفل مجهولا حتى تلك الساعة المتأخرة ، وبالتالى لما تاه او اختطف !

ويخيل الى ان هناك موقفا من مواقف القصة اراد الكاتب ان يبرزه ولكنه لم يوفق فى ابرازه . ربما لان بقية هذه المواقف او اكثر يملك كل منها صوتا صارخا يحدثه ، أعلى من صوت الآخر الهامس بطبيعة الحال . واعنى بذلك موقف الطفل النائم والفانوس فى أحضانه . لقد طغت على هذا الموقف الانسانى — وهو خاتمة القصة — الاحداث التى سبقته من اختفاء الطفل فجاة الى اكتشاف بوليس النجدة انه هو وليس السارق من كان فى الدكان . فهذه جميعا عملت على جذب القارىء وشد انتباهه كله ، حتى انها لم تترك بصيص ضوء تلقيه على هذه اللمسة الانسانية من حب الصغير لفانوسه .

وبالنسبة الى القصة الاخرى الجيدة « معلهش يازهر » لست ادرى . لم لا اوافق المؤلف على على هذه التسمية وافضل لها عنوانا آخر مثل .. الفة ، التى تكاد تظلل كل حرف فيها ، وربما لان الالفة هى العاطفة جمعت قلوب اعضاء الشلة فى المقهى حول بهية بائعة اوراق اليانصيب ، وجعلت لوجود هذه الفتاة ضرورة فى حياتهم . ولقد نجح القاص فى أن ينقل الينا قطعة من الحياة التى تتسلل اليها هذه العاطفة التى ليست حبا او صداقة ، لانها لا تعرف الحدة ولا العنف انما السكينة والسلام ، الى نفوس جماعة من الاصدقاء، فتنعش لحظاتهم التى يجلسون فيها الى المقهى ويلعبون الطاولة . وجسد نعمان عاشور هذا الشعور الذى أحس به كل منهم والفتاة تنشر عليهم ظلا من الرحمة وفق قاصنا فى اعلان أصالته وعدم التقيد بالصورة التقليدية لفتاة مثل بهية تبيع أوراق اليانصيب فى المقاهى نظير ما تقدمه معها من همسات أو لمسات واستجابة لغزل خفيف او ثقيل او من عرض جسدها . كما تدل أيضا على أن اديبنا يرفض أن ينضوى تحت لواء من ينظرون الى الحياة والاحياء من خلال منظار جنسى . فنحن لا نأكل او نتنفس جنسا فى كل لحظة من الليل والنهار . ومن هنا كانت «معلهش يا زهر» بألفتها الانسانية . ان الالفة تبعد القذارة وتمنعها من الظهور ، وهذا لا يعنى انكار احلام جنسية تداعب

اعماق الشلة ،فربما كانت بائعة اليانصيب بطلة لاكثر من حلم يقظة من احلامهم . ولكن هذه الامانى الخافتة التى لا تلفظها الشفاه لم تتعد أبدا منطقة احلام اليقظة التى لا ضير منها مادامت الالفة تمنعها من ان تتحول الى حالة مرضية .. الى شهوة عارمة ٠ ان أكثرهم متزوج وبهيــة لا تأخذ مكان الزوجة او حتى العشيقة ،ولكنها ترمز الى الانسان والتعاطف الانسانى فى أبسط صورة بلا ضجيج ولا ادعاء . وعندما انقطعت بائعة اليانصيب عن التردد على المقهى فقدت اللعبة سحرها وبدت الجلسة كئيبة . وعندما عادت وقد ابلت من مرضها ، عادت الى الشلة روحها المرحة الطليقة .

وقصة « حكاية كل يوم » يخيل الى ان نعمان عاشور لم يكتبها تحت وطأة الحاح وحى فنى ، بل استجابة لرغبة فى التشفى ومهاجمة مشكلة ازدحام المواصلات ، وتهور سائقى الاوتوبيس وتصوير هذا كله فى قالب القصة .. من خلال احتفال راكب بكرامته وبحقه فى خدمة ممتازة من مرفق المواصلات ، مهما لقى فى سبيل ذلك من تعب وتعرض للمهانة وسرقة نقوده . وحتى عندما لا يأتى اديبنا بجديد فى مضمون هذه القصة ، فان عمله العادى لا يغفل من لمسة انسانية سريعة هنا وهناك . كما عبر عن احساس الاستاذ عبد الفتاح عندما وجد مقعدا خاليا لاول مرة فى الاوتوبيس ، فالقى بثقل جسمه كله عليه فى ارتياح تام ، وبذلك نقل الينا المؤلف فى لقطة خاطفة تشوف الراكب الى مقعد خال ــ وكأنه الكبريت الاحمر ــ فى السيارات العامة !

ويبدو ان القصتين الاخيرتين « عم عثمان والمجنونة ، الفاتحة لسيدى عواد » متقدمتان فى تاريخ كتابتها عن بقية القصص للضعف الواضح الذى يثقلهما ، ففى القصة اولى ، يتساءل القارىء وربما للمرة الوحيدة فى هذه المجموعة ، عما يعنيه الكاتب بعمله هذا . ولا يعود ذلك الى ما يوحى به تندفع سيدة منفوشة الشعر ترتدى ثوبا أبيض من العنوان من حتمية غموض عالم الأوهام . فالقصة من هذه الناحية واضحة وضوحا لا لبس فيه . بوابة مدرسة ابتدائية للبنات ، وتوقع عم عثمان البواب أرضا ، وتتوسط الفتيات فى الفناء ، وتمسك بواحدة منهن وتجرها جرا . وتضطرب المدرسة حتى يستطاع الامساك بهذه المرأة ويدخلونهاحجرة الناظرة وتتابع الاحداث وتعرف ان هذه السيدة مجنونة وهاربة من مستشفى المجاذيب ، وان هذيانها ناجم عن وفاة ابنة لها كانت فى هذه المدرسة تلميذة ، فأثرت الصدمة على عقلها ورفضت ان تصدق حكاية موت وحيدتها ، ولهذا فقد جاءت لتنقلها الى مدرسة أخرى ٠ وفى النهاية يعود بها رجال المستشفى .

يتحول القلم فى يد القاص نعمان عاشور فى فى أحيان كثيرة الى فرشاة فى يد رسام كاريكاتورى ساخر ، كرسمه لركاب الاوتوبيس فى قصة «معلهش يا زهر » (ص ٣٥) « الناس يتجمعون .. دفعة واحدة يتجمعون حول سيارة الاوتوبيس حتى تقبض بهم ، ثم تسير وكأنهم يحملونها على اكتافهم كما يحمل النمل هيكل صدر عظام الفرخة بجوار الحائط » !

وقريب من هذه المقدرةالبارعة ، نجد نعوته الدالة على فهم للنفس البشرية وثقافة واسعة أيضا ١٠ يصف احدى شخصياته الذى يحاول ان يقترض قدرا قليلا من المال .بقوله « دايخ دوخة نبى وسط القوم الضالين » ! (ص ٧٣ ــ سبوبة شم النسيم) ، وفى موضع آخر يقول على لسان احد ابطاله «نظرت فى عينيه فرأيت الدموع لاتزال تغرق مآقيه . وقد تجمدت داخلها تجمد البالوظة فى طبق البنور » ! (ص ٤٤ ــ مقالب ابو العطا) .

ويتميز كاتبنا فى كثير من قصصه ببراعة فائقة فى الوصول الى خاتمة جيدة لقصته وليس أدل على هذه البراعة من ادراك القارىء ان اديبه يستطيع ان يخلق خاتمة أخرى وتكون نابعة أيضا من داخل القصة ذاتها . وهذا دليل على ثراء أحداث وشخصيات القاص ، وقدرتها على الايحاء باكثر من مغزى واحد . ولنأخذ احدى قصص هذه المجموعة، ولتكن « مقالب ابو العطا » نموذجا .

هيكلها العام لا يخرج عن محاولة شقيقين ريفيين بمساعدة بلدياتهما الموظف فىالمدينة عطا أفندى ، اخراج جثة شقيقهما الثالث من المستشفى التى مات بها . وتبدأ سلسلة من المساومات . المرض يزعم ان الجثة ستشرح ولكنه امام الجنيه الذى يقدمه الاخوان المذعوران يقدم يد المساعدة . وسائق التاكسى يوقف سيارته فى منتصف الطريق الى القرية ويطالب بعشرة جنيهات اخرى مهددا انه

اكتشف حقيقة الراكب الصامت « الميت » ورجال الصحة فى الكفر لا يوافقون على اعطاء تصريح الدفن الا بعد تقديم المعلوم من الهدايا ! هكذا مساومات وراء مساومات . وعند ماياتى نعمان عاشور بنهاية تواكب هذا النقد وتشير الى تخلخل فى بنائنا الاجتماعى ، والى المدى الذى يصل اليه المواطن فى مقاومة استبداد السلطة سواء بممثليها الكبار والصغار ، او بمن هم اكثر فهما وتجربة منه ، فانها تبدو خاتمة طبيعية لم تستعر من خارج العمل الادبى بل ولدتها خلاياه . ولكن هذه النهاية التى اشرنا اليها لم يكتبها قاصنا ! فخاتمة « مقالب ابو العطا » ليست كذلك ، لقد جعلت احداث القصة كلها فى خدمة شخصية ابى العطا نفسه او عطا افندى كما يطلق عليه الريفيون . وابان نعمان عاشور فى نموذج هذا الموظف ، التكوين النفسى الذى يطرأ على المرء الذى يهجر الريف ويسكن المدينة ، ويحصل من تأقلمه هذا على خبرات معقدة يحتال بها على سذاجة من يتصل به من اهل قريته لقد القى المؤلف بخاتمته ضوءا جديدا على القصة ، وجعل القارىء يدرك جيدا حقيقة هذا الجهد الذى بذله ابو العطا فى خدمة زواره من ابناء بلدته ، وانه لم يكن لوجه الله ، فقد سرق حافظة المريض الميت .

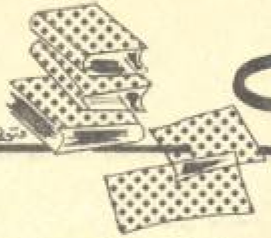
وتعد خاتمة هذه القصة الممتازة من اغنى النهايات لقد نجح نعمان عاشور بخفة دمه وقدرته على اللمسات الساخرة من اول القصة الى ما قبل السطور الاخيرة فيها ، ان ينتزع الضحكات والانطلاقات المنشرحة من قلب القارىء ، وخاصة عندما تصل العقدة الى قمتها وركاب السيارة ينطلقون الى الحقول ويختفون فيها تاركين ميتهم للسائق الجشع قائلين له « .. خذ الميت خليهولك « مش لازمنا » ! ولكن قدرة المؤلف وصلت الى مداها الاكبر ، عندما حول هذه الضحكات والقهقهات نفسها الى حزن صارم والخاتمة تنبض بنذالة عطا افندى الذى سرق الرجل الميت .

فى اكثر الاحايين ينتقل نعمان عاشور بسرعة من موقف الى آخر بلا تمهيد كاف ، بل احيانا بلا تمهيد بالمرة ، حتى ليشعر القارىء بوجود فجوة لا يمكن ان يجتازها بسهولة ، فلا مناص له من التعثر فيها مضطرا ، مهما حاول الاستعانة بالخيال والاغراق فى الاندماج وادخال شخصه فى اطار القصة ذاتها . ففى قصة « فوانيس » مثلا يقف القارىء على مادار بين الاسطى شفيق وبين شريكيه فى المحل ، بعد ان جاءا من تطوافهما فى القرى لبيع بضاعتهما من الفوانيس ، واخذ كل منهما مبلغا من المال تحت الحساب . وغادراه ليعودا ثانية بعد عشاء سريع . فيتهيأ الاسطى شفيق لغلق دكانه والعودة الى بيته . وفجاة نقرا « وارتد عائدا الى المنزل .. لكن ام احمد لم تكن تتوقع اوبته بهذه السرعة وخافت ان يكون قد اصابه مكروه . » (ص ٩) . لقد القى المؤلف الجو النفسى المسيطر على شفيق سواء اكان ذيولا لما حدث فى الدكان او احاسيسا تطوف به حول ما هو مقبل عليه ، وكذلك الاحساس بشخصية الزوجة «ام احمد» ووجودها . واكثر من ذلك ، لا يكتفى نعمان عاشور فى هذا المجال بين موقفين بالقاء الحالة المعنوية لبطله ، بل يمتد الى الفعل المادى ايضا . ففى اللقطة التالية مباشرة عندما تعلق الزوجة بنت البلد فزعها لعودته مبكرا على غير العادة ، لا يجيبها باكثر من تقديم ورقة تحتوى على رطلين من اللحم ! فهل اشتراها الاسطى شفيق وهو فى طريقه الى منزله ، ام انها كانت فى دكانه واخذها معه ؟ تساؤل لا يمكن للقارىء الاجابة عنه او استيضاحه من القصة . لانه ازيل تماما فى انكار المؤلف للتمهيد للموقف !

ولا يعنى هذا القول اننا ننكر ان يلجأ الكاتب الى تغطية كلماته او لسانه ، لحاجة الفن الى مزيد من اشتراكا فعليا فى خلق القصة ونفث الروح فى شخصياتها ، وتحوله الى عامل ايجابى فى هذا الخلق ، وحتى لا يتحول الفن من ناحية اخرى الى كائن مكشوف يعمل على اصابة فكر متاقبه بالشلل لانه بوضوحه التام يلغى وظيفة العقل او اكثرها فى التفكير ، ويهضم له مايجب ان ياخذ دورته الكاملة فى التمثيل والاستساغة فى نفس القارىء . ومن هنا ايضا يداب كمتلق للعمل الفنى على تنشيط حركة الخيال لتضيف ما تركه لنا المؤلف ناقصا ـ بارادته ـ غير كامل . كما فعل قاصنا نفسه فى قصة « فوانيس

علاء الدين وحيد

تعقيبات



بقلم : عباس خضر

الحركة العربية الواحدة
فى اللغة والأدب

الحركة العربية الواحدة التى يدعو اليها اليوم ويقودها الرئيس جمال عبد الناصر ، ذات جذور عميقة فى حياة الامة العربية ، وهى تعنى – فى اجمالها – العمل المنبثق من حاجة واحدة مشتركة ، المتجه نحو غاية واحدة مشتركة .

واذا كانت قد انتكست فى نواحى كالسياسة والاقتصاد ، بفعل التدخلات الأجنبية ، فانها ظلت متصلة فى مجال اللغة والأدب . وقد اتسعت رقعتها فى عصور الازدهار العربى ، فلم تقتصر على ما بين الخليج والمحيط ، بل عبرت الى البحر الابيض المتوسط وعاشت أزمانا فى جزره فى الاندلس . شملت المشرق (كالعراق والشام) والمغرب (الاندلس وشمال افريقية) **وكل اديب او عالم او فيلسوف نبت فى اى من تلك البلاد هو جزء من تراث العربى فى اى بلد آخر .**

استمرت الحركة العربية الواحدة فى مجال اللغة والأدب ، ضعفت أحيانا وتعثرت أخرى ، ولكنها لم تنقطع ، برغم العواصف التى هبت عليها من الخارج . وكان الامر كما جاء فى مقال **الدكتور محمد عبد القادر حاتم** بالعدد الماضى من **الزميلة « الثقافة » اذ قال : « ومن الثابت تاريخيا ان محاولات الحكم العثمانى لابادة الثقافة العربية ، ومحاولات الحكم الاستعمارى الغربى لاذابة هذه الثقافة وسط تيار الثقافة الغربية قد باءت كلها بالفشل لاسباب من أهمها أصالة الثقافة العربية نفسها واستنادها الى قيم عظيمة افتقدها الحكم العثمانى وافتقرت اليها الحضارة الغربية » .**

وفى مطلع نهضتنا الحديثة راح قوم ، بتعبئة الاستعمار الغربى الذى يعلم قوة اللغة العربية فى ربط أجزاء الوطن العربى ، يعملون وينتظرون .. يعملون على تمزيق اللغة العربية وقتلها باحلال اللهجات المحلية فى كل قطر محلها كما حدث فى أوربا ابان نهضتها ، وينتظرون نتيجة هذا الذى زعموه تطورا طبيعيا ..

وكان الهدف قتل الحركة العربية الواحدة فى مجال اللغة والثقافة ، كما قتلت او عوقت فى السياسة » .

ولكن كان هناك شىء أقوى من كل شىء ، كان هناك الشعب العربى نفسه فى كل مكان حتى فى امريكا .. انه شعب واحد ، ليس كشعوب أوربا المتعددة ، فاذا كانت اللغة الاوربية القديمة قد تمزقت وحلت محلها اللغات المحلية ، فان الأمر بالنسبة الى اللغة العربية مختلف جدا .. لانها لغة شعب واحد . اما شعوب اوربا المختلفة فقد كان كل شعب منها فى حاجة الى لغة خاصة .

وكانت اعتى المحاولات فى الجزائر على يد الفرنسيين الذين حاولوا أن يحولوا الشعب العربى فى الجزائر الى شعب فرنسى لا ينطق بغير الفرنسية ، ولكن شعور الشعب الجزائرى بأنه عضو من الجسد العربى الحى النابض هدم كل ما بناه الاستعمار

« وفى اقل من عام واحد ، عقب اعلان الاستقلال ، اندفع الشعب الجزائرى ، فى حماس رائع ، فى حملة من أجل التعريب والعودة الى الثقافة العربية التى توهم الاستعمار الفرنسى أنه انتهى من امرها فى الجزائر الى الأبد » كما قال الدكتور حاتم .

وفى تاريخنا الحديث نشب صراع « درامى » عنيف بين محاولات الاستعمار الغربى لتمزيق « حركة اللغة والأدب الواحدة » وبين هذه الحركة وظل الصراع ينمو ويتطور ، والحركة تكتسب من

كفاحها اياه قوة ونماء ، حتى بلغت ذروتها على ايدى رواد الادب فى نهضتنا الحديثة .

وقد حملت مجلة « الرسالة » لواء هذا الكفاح الذى اجتمع حوله ادباء ومثقفو العرب على اختلاف اوطانهم قرابة ربع من هذا القرن . وصار كل كاتب وشاعر من امثال ساطع الحصرى والزيات والرافعى والمازنى والعقاد وطه حسين واسعاف النشاشيبى وعلى محمود طه ومحمود حسن اسماعيل وفدوى طوقان ووداد سكاكينى وابراهيم الوائلى وشاكر خصباك وغيرهم — صار كل واحد من هؤلاء يذكر على انه « عربى » لا يكاد الذهن يلتفت الى بلده الخاص .

معوقات للحركة الواحدة

ومن المفارقات العجيبة ان نرى الآن فى ميدان الحركة العربية الواحدة متناقضين من اغرب المتناقضات .. هل هما مد وجزر ؟

اما المد الذى لا شك فيه فهو فى السياسة ، وقد وصل الى القمة .. فى مؤتمر القمة العربى المنعقد الآن فى القاهرة ، لم يصل الى هذه القمة الا بتفاعله المضطرم فى القاعدة العريضة .. قاعدة الشعب العربى .

واما الذى تحلق فيه علامة الاستفهام .. فهو فى اللغة والادب .. هل هو جزر أم هو ليس الا عوائق مد .. ؟

انه يتمثل فى اقلام هزيلة لم تمنحها العربية سرها .. لانها — أعنى الاقلام — بعدت عنها وراحت تستمد مقوماتها من الكتابات الصحفية واشباهها .

و « سر العربية » عطر يكتسب من طول المعاشرة لروائع اللغة ، يمتصه القلم ، ثم يشبعه فيما يكتب ، فيحس به القارىء ويتشممه فى نشوة .

لافتقاد « سر العربية » فيما تكتب هذه الاقلام ، لم تستطع ان تتخطى الحدود الاقليمية ... لم يشعر القارىء فى الوطن العربى الشامل بأن احدا من كتابها هو كاتبه الذى يحبه ، كما شعر بالنسبة لعمالقة الكتابة العربية المشبعة بالعطر العربى .

تحاول هذه الاقلام الهزيلة المستعجمة ان تضع الحوائل فى سبيل الحركة اللغوية الثقافية العربية الواحدة ، ولها فى ذلك افانين ومفرزات تظهر احيانا وتختفى عندما ترى تيار الحركة جارفا . فمرة تظهر فى صورة « الفرعونية » تحاول أن تحول بها الانظار عن العروبة ، وهذه صورة قديمة طالما غزاها الاجانب الذين أرادوا أن يشغلونا ببريقها عن مواصلة الزحف العربى .

ومرة تظهر فى صورة الحداثة والثقافة المعاصرة مدعية ان التراث العربى لا قيمة له ، والاشتغال به ضياع وعبث ، كأن الثقافة الحديثة والتراث العربى امران متناقضان !

واخيرا هذه الدعوى المريضة التى تقول بان جماهير الشعب لا تفهم اللغة العربية الفصيحة ولا تتقبلها . فيجب لهذا أن تترجم المسرحيات العالمية الى اللغة العامية .

ومعنى هذا انه يجب عزل هذه الجماهير عن اللغة العربية وان يؤدى لها كل شىء بالعامية ، ويجب — عملا بمنطق هذه الدعوى — منع تعليم اللغة العربية فى المدارس والجامعات لكى تتخرج الاجيال القادمة عامية بحتة !

فى الاذاعة والتليفزيون

وتتسع تلك الدعوى وتصل الى درجة الخطورة فى الاذاعة والتليفزيون .. ان القاعدة الأساسية فى هذين الجهازين الخطيرين أن الأداء يكون باللغة العامية ، وأن ما يؤدى باللغة العربية استثناء .. لأن جماهير المستمعين والمشاهدين لايفهمون العربية الفصحى ..

وهذا كلام لا يمكن التسليم به . اذكر على سبيل المثال انى استمعت امس الى برنامج «طبيب العيلة » وهذه التسمية نفسها مركبة من كلمتين واحدة فصيحة غير متداولة فى الحديث العادى ، وما اظن احدا يقول انها غير مفهومة .. والثانية عامية ، وما اظن بديلتها الفصيحة « الاسرة » اقل قابلية للفهم من الاولى .. استمعت امس الى حديث فى هذا البرنامج يبدأ هكذا :

« بتختلف عيوب النطق عند الاطفال اختلاف كبير » ويستمر فيقول : « وبالمناسبة دى اول » ونسال : « ماذا لو أن المتحدث قال بدل ذلك « تختلف » بدون الباء ؟ هل هذه الباء هى التى

جعلت الـــــكلام مفهوما .. ؟ وماذا لو انه أعرب فقال « اختلافا كبيرا » هل تقف الالف حاجزا دون الفهم ... ؟ وماذا اذا قال «وبهذه المناسبة اقول» ؟ هل هذه لغة غريبة لا تفهم .. ؟

ونحن لا نعارض ان تؤدى بعض البرامج باللغة العامية ، ولكن على ان يكون ذلك هو الاســـــتثناء للضرورة ، ولا يكون القاعدة الأساسية . ولا أدرى اية ضرورة تلجىء الى ان تقدم التمثيليات العالمية مثلا فى الاذاعة باللغة العامية .

والأمر لا يقف عند البرامج العـــــادية ، فانه يستفحل حتى يبلغ « البرنامج الثانى للاذاعة » وهو موجه بطبيعته الى الخاصة والمثقفين .. فالندوات فيه تجرى مناقشاتها بالعامية .. كذلك برنامج « مع النقاد » الذى يتمثـــــل فيه العى وتسـوده الفأفاة والتأتأة .. نتيجة لاسترخاء الالسنة وعدم العناية بأخذها بالتعبير الفصيح . وهذا البرنامج هو اجدر شىء بأن يكون قدوة فى المجال التعبيرى .

ويبدأ البرنامج الثانى كل يوم بما يسمى « كتب عالمية » تعرض وتلخص .. الملاحظ اولا انها كلها ذات لون معين هو لون السياسة ، كان الكتب العالمية لا تؤلف فى غير السياسة .. ونعبر هذا الى المقصود فى موضوعنا ، فنقول ان **معظم الذين يلقون هذه الملخصات لا يحسنون النطق العربى ، انما يقرأون بطريقة لا ترتفع عن مستوى التلاميذ فى المدارس الاعدادية ، مع فارق واحد ، هو ان التلميذ يراقبه المدرس ويصحح له .. هـــــذه الطريقة فى الافتتاح اليومى لبرنامج هو قمة الثقافة فى اذاعاتنا .. مهزلة كبيرة .. يجب القضاء عليها وعلى بقية المظاهر العامية فيه قبل ان نفكر فى تقوية «الموجة» حتى تصل الى سائر أجزاء الوطن العربى .**

واذكر مرتين اشتركت فيهما فى برامج ومواد ادبية تعد للعرض على شاشة التليفزيون . المرة الاولى كانت فى نادى القصة وجمعية الادباء حيث حضر رجال التليفزيون لتسجيل ندوة ادبية .

والمرة الثانية فى مناقشة ادبية بالبرنامج الثالث الثقافى .. كان المشرفون فى كلتا المرتين «**يوجهوننا**» قائلين : « **بلاش اللغة العـــربية !** » فكان منا من «**يتوجه**» ومنا من يستعصى على «**التوجيه**» فيعبث المشرفون بالتليفزيون ..

تلك كلها عوائق لتيار الحركة العربية الواحدة فى مجال اللغة والثقـــافة ، لا تتفق مع الجهود الكبيرة العظيمة التى نراها فى مجـــال العمـــل السياسى العربى الكبير العظيم الذى بلغ القمة فى مؤتمر القمة المرموق ..

عباس خضر



لقد اعتدنا في لقائنا الاسبوعى على صفحـات الرسالة ان نقدم بعض الكتب الجديدة — في باب الكتب — بعرضها والتعليق عليها حينا ثم . بعرضها فقط حينا آخر .. وسوف يتجـدد لقاؤنا من الآن فصـاعدا مع موضـوع اعم واشـمل — هو — الفكر فى أسـبوع » محاولين من خلاله — ان نقدم بعض ما يدور فى اندية الثقافة والأدب بالقاهرة .. بما فى ذلك المناقشات التى تظهر فيها احيانا بعض الاجتهادات الفكرية — ولن يترك — الفكر في أسبوع — الكتاب — على اساس ان كل كتاب جديد يصدر هو بلا شك يمثل اضافة جديدة — الى فكرنا العربى المعـاصر .. **فالكتـاب الجيـد الذى يتفق فيه — الشكل مع المضمون — يلعب دوره القيادى فى ذهن الانسان وخاصة عندما يخاطب فيه العقل والوجدان — ليعمق المفاهيم والمشـاعر ويقومها ومن هـذا المنطلق سوف تقدم كتابا كل اسبوع .. باعتبار انه عمل فكرى ..** **والى اللقطة الأولى من الفكر فى اسبوع ..**

ثمن الحرية ..

كانت زيارتنا هذا الاسبوع لنادي القصة — الذى اجتمع فيه الادباء للمناقشـة والاسـتماع الى — دراسة ونقد وتحليل قصـة الاستاذ على شلش الجـديدة — ثمن الحرية .. واشـترك فى هذه المناقشة الاستاذان يوسف الشارونى وعبد العاطى جلال .

وقد ناقش الاستاذ يوسف الشارونى — القصة موضوع الندوة وهى قصـة ثمن الحرية — وهى قصة تاريخية تدور حول هزيمة لويس التاسع ملك فرنسا فى معركة المنصورة عام ١٢٥٠ م . ويرى الاستاذ الشارونى — ان اهم خطر تتعرض له قصص تتناول موضوعات البطولة التاريخية — هو الاسلوب الخطابى — وهذا هو ما نجح مؤلف ثمن الحرية فى تجنبه — والخطابية فى مثل هذه الاعمال قد لا تأتى من الجمل الانشائية والكلمات الحماسية — فهذا ما يتنبه اليه اى اديب يعرف الاصـول الاولية للعمل القصصى — انما هى تأتى من خطر تصـوير فريق بالخير المطلق والفريق الآخر بالشر المطلق وبذلك تفتقد العنصر الانسانى فى الفريقين على السواء — وبالتالى تفتقد الصدق والاقتناع الفنيين .

وقد صور مؤلف ثمن الحرية — حماس المصريين فى الدفاع عن وطنهم واستعدادهم لبذل ارواحهم — حتى قدم بعضـهم حياته وبعضهم قدم عضـوا من اعضاء جسده — وبعضـهم فقد ثروته — لكنه ذكر خيانة البعض عندما دل الجيش المحتل على مخاضة يخوضون منها القناة التى كانت تفصـلهم عن مدينة المنصورة — وما نتج عن هذه الخيانة من خسائر فى الارواح والاموال .. كذلك صور المؤلف الفرنسيين صورة المعتدين المتهالكين على شهوة الجنس والمال لكنه حرص على ان يذكر — ما ذكرته كتب التاريخ — من رفض لويس التاسع وهو فى اسره — هدية من سلطان مصر — وكذلك دعوته الى الطعام معه وهذه النظرة الانسـانية التى لا تجعل من الفـرد شرا خالصا — ولا من الصديق خيرا خالصا هى التى تقنع القارىء بصدق العمل الفنى ..

ولقد حرص الاسـتاذ على شـلش على تقـديم تفسير تنعكس فيه روح القرن العشرين خلال روايته للاحداث التى ادت الى هزيمـة لويس وأسره فى المنصورة منذ اكثر من سبعة قرون .

« انتم المسئولون »

نشرت – الزميلة – مجلة الكاتب – فى عددها الأخير **مقالا تحت عنوان – كلمة الى المثقفين العرب – للاستاذ احمد عباس صالح .. وبعد نشر هذا المقال علق عليه الاستاذ احمد بهاء الدين فى الاخبار – موضحا – انه يوافق على كل ما نشر فى المقال ولكنه يضيف ان الثورة مسئولة هى الاخرى عما وصل اليه الحال بالنسبة للمثقفين – وليس المثقفون انفسهم .. الخ ..**

والواقع ان هذه القضية – وان كانت فى حاجة الى بحث شامل الا اننا نود ان نوضح شيئا هاما يشكل فى اعتقادنا مفتاح الموقف ..

فمقال الاستاذ احمد عباس صالح – رغم قيمته ومستواه – قد سار على النهج الذى سار عليه غيره فى تناولهم للكثير من مشاكلنا – وهى طريقة – العرض – والعرض فقط .. وان شئنا الصراحة – اللف والدوران حول القضية – دون التعمق الى دقائقها البسيطة والتى تكون فى مجموعها لب الموضوع .

اننا نجتاز مرحلة تاريخية تتسم بالانشائية والتجديد .. والتجديد فى حاجة دائما الى خلق ومن ثم فلا يكفى الكاتب ان يعرض موضوعا ما – وانما لا بد ان يقترح ما يراه مناسبا من الحلول حتى يستطيع ان يرتفع الى مستوى الموقف الذى يمكن ان يتخذه – :

والرأى عندى ان الثورة لم تكن فى يوم من الايام مسئولة عما يسمونه بازمة المثقفين – ولا جموع المثقفين انفسهم مسئولون عن ذلك ..

ولكن المسئولية تقع وبالدرجة الاولى على عاتق اولئك الذين يتصدرون معظم القيادات الفكرية فى وطننا .. فعندما قامت الثورة فتحت صدرها – ومدت يدها لكل طبقات الشعب على اختلاف طبقاتهم ونوعياتهم .. واستطاع الكثيرون ان يصلوا عن طريق الثورة الى مراكز قيادية فى اكثر وسائل الثقافة والاعلام – التى تشكل الراى العام – ولا نستطيع ان ننكر انه كان لبعضهم قبل ذلك مبادىء وقيم وافكار – وربما مثل عليا – ولكنهم عندما وصلوا فى غفلة من الزمن الى ما وصلوا اليه .. اصبحوا يشكلون طبقة جديدة هى اخطر من طبقة الاقطاعيين القدماء .. انهم يشكلون اقطاعا فكريا جديدا .. ورجعية ذكية فى نفس الوقت ..

لقد خرج بعضهم من القاعدة – وبوصوله الى ما يريد اصبحت له تطلعات طبقية جديدة – وانفصل انفصالا كليا عن زملائه واخوانه – بل وعن كل وسطه الاجتماعى .

وعندما احست هذه الطبقة الرجعية الذكية المثقفة – ان مركزها يمكن ان تصيبه اية نكسة – خرج فى حياتنا الفكرية والادبية معنى جديد للعلاقات الفكرية – وهو علاقة الشلل – فهذه شلة فلان وهذا من شلة علان – الخ واذا ماتعرض احدهم لاى شىء فى مكان ما – فسوف يكون من المسلم به ان تجد زملاءه وقد اثاروها حربا شعواء فى مقالاتهم وفى الصحف والمجلات التى يعملون بها ولمحاولة هؤلاء حماية انفسهم – تجدهم – **ينظرون الى كل جديد – ولكل من يحاول ان يعمل لصالح المجتمع نظرة شك** – وتربص .. وليس اسهل على هؤلاء من تحطيم كل عمل فكرى انشائى وذلك باختراع تعريفات جديدة ومقاييس ملفقة – مثل – **ان هذا ليس اشتراكيا – وذاك منحرف وغيره – ليس ميثاقى وخلافه – عميل – ولا قومى – الخ ..**

واصبح استعداء السلطات – فى سوق الفكر والادب من السلع المتداولة فى حياتنا .

ان مجتمعنا وامتنا العربية احوج ماتكون فى هذه الفترة الى طراز جديد من المفكرين العرب يؤمنون بالاشتراكية العربية كحياة يحيونها لا كسلعة يساومون عليها وبالوحدة العربية مطلبا يوميا جماهيريا وبالحرية البناءة مجالا لتباين وجهات النظر المتعددة لكى تخرج متمثلة فى حياة الانسان العربى الفرد – قولا وعملا – ولن يتأتى لنا ذلك الا بالقيام بثورة ثقافية حقيقية – واول مبادىء هذه الثورة الثقافية هو منع التسللات الثقافية الفارغة والقضاء على حياة الشلل والايمان بالمجتمع ككل وبالامة العربية كمجال للعمل البناء .

ان المسئول عن هذا كله .. ليست الثورة ولكنهم اولئك الذين تسللوا من خلال الثورة لكبت كل فكر وتحطيم كل جديد محاولين تشكيل الراى العام على اساس من الوهم الكبير – انه انتم ايها السادة ..

ابحثوا فى نفوسكم عن الحقيقة – وعندما تجدونها .. فسوف تستطيعون ان تبدأوا معنا الطريق واذا صعب عليكم ذلك فتأكدوا انها مسألة وقت فقط .. وسوف ترغمون على الاعتراف بها .. وانتم المسئولون ..

تحسين عبد الحى

البريد الأدبي

رد .. وتعليق ... عن مهرجان المنصورة

كتب الاستاذ محمد عبد الله السمان مقالين عن مهرجان المنصورة ، احب ان اوضح بعض النقاط التى غشاها بعض الضباب ، فقد ذكر ان احسن قصيدتين من الشعر النسائى كانتا للشاعرتين : جليلة رضا ، وروحية القيلنى ، والواقع ان الشاعرة جليلة لم يدرج اسمها فى برنامج المهرجان ، ولم تحضر أو تشارك بشعرها ...

وتناول الاستاذ السمان نقطة أخرى عن المتطاولين على المهرجان ، ومنهم المخرجان حسن الامام ، وعاطف سالم ، والحق يقال عنهما انهما تحدثا عن الاهداف الفنية المأمولة لمحافظة الدقهلية ، كما اقترحا انشاء فرقة للفنون الشعبية بالمنصورة ، تلتقى بها كل الطاقات المحلية المطمورة فى مناجمها ... حيث ينتقى المعدن الخبىء من اطاره الترابى ، الشناوى بالنيابة عنه ..)

وقال الاستاذ الناقد : (... ثم موقف الشاعر محمد الجبار ، الذى رضى لنفسه أن يلقى فى كل ليلة قصيدة ، بالاضافة الى قصيدة الاستاذ كامل

ودفاعا عن هذا الموقف الحساس ، اقول اننى لم الق شعرا فى اليوم الثانى الا تلبية لرغبات الجمهور ، الذى طلب من الاستاذ عقيل مظهر ذلك ، وكان لابد أن استجيب الى رغبات الحاضرين ، ولقد اعلن الاستاذ مجيد جميل غازى هذا وهو يقدمنى فى ايام المهرجان ، ولقد كنت حريصا على نجاح هذا المهرجان ، باعتباره تجربة أولى ستتبعها تجارب اخرى ، كما كنا حريصين جميعا على تنفيذ المخطط المرسوم ، وهو تجميع الطاقات الفنية فى المنصورة ، ولم يكن من الناجح أن نبدأ بمهرجان له لافتة محلية ، يعالج قضية اقليم واحد ، وانما كان الهدف أولا هو خلق اللقاء الفكرى الجذاب بين كبار رجال الفكر والادب والصحافة الذين انجبهم هذا الاقليم ..

وبين اهل المنصورة ، مما يحدث انتعاشا فى الحياة الثقافية ، يفتح الاذهان الى ما يلى هذا من مهرجانات قادمة . وذكر ايضا الاستاذ السمان ان المهرجان لم يرع الادباء المحليين ، والواقع اننا استمعنا فيه الى نماذج جيدة منه ، وستكون الخطوة الثانية هى رعاية الملكات الفنية فى كل بلدة وقرية ، وسيسافر كبار ادباء المنصورة لاضاءة كل قرية بنور الكلمة ، حيث تبحث مشاكل المجتمع الريفى وتسمع الاعمال الادبية التى لا تجد لها صدى فى حياتنا الادبية ، فتجد لها اطار الضوء والحياة ..

وفى المقال الاول للاستاذ الناقد ايماءة الى ان قصيدة الشاعرة لورا الاسيوطى كانت واضحة المعانى ، الا ان المقال الثانى تجاهلها تماما ، كما تجاهل الناقد قصيدة الشاعرة ملك عبد العزيز عن مأساة التميز العنصرى ، والواقع انها قصيدة انسانية ناجحة ..

محمد الجبار

نجيب محفوظ والدين والعلم

قرأت للاستاذ انس داود مقالته الاولى فى العدد رقم ١٠٣٦ عن «مفهوم الثقافة عند نجيب محفوظ» وكانت مصادفة سعيدة أن جاء هذا البحث فى وقت كنت عاكفا فيه على قراءة كتب نجيب محفوظ ، ولذا انتظرت تتمة الحديث حتى نشر فى العدد رقم ١٠٤١ فوجدت نفسى أختلف مع الاستاذ انس فى رأيه حول «مفهوم» الدين عند نجيب محفوظ .

وأبادر فأقول : اننى أكاد اتفق مع الكاتب فى كثير من افكاره القيمة حول ثقافة نجيب محفوظ ونشأته واتجاهه القيم للتعبير عن أجيال الضياع والاضطراب التى عانت من جراء وقوع حربين عالميتين ووقعت فريسة لتغيرات هائلة قلبت موازين الفكر وموروث العقائد فى النفوس .. لكننى اختلف معه حول تفسيره لمفهوم نجيب محفوظ عن الدين ودوره فى تشكيل الحياة .. ولنسمع أولا رأى الاستاذ ... يقول :

ان احمد ـ ويقصد احمد شوكت احـــد افراد السكرية ـ وهو يمثل الاتجاه الذى يعطف عليـــه نجيب محفوظ وينتصر له يستنكر على الدين اشياء كثيرة ، ويعتبره حلا مرحليا في تاريخ الانســانية مضى أوانه ببزوغ عصر العـــلم والايمـــان بالخبرة والتجربة الانسانية ، ثم يقول !

(الدين كما يعتقد ـ احمد راشد احد شخصيات خان الخليلى ـ وكما يعتقد بالتالى نجيب محفوظ لم يعد كافيا لحل مشكلات البشر في هذا العصر وتمثل آلامهم وأحلامهم ٠ ٠

ثم مضى يقول الكاتب : واذا كان موقف نجيب محفوظ من الدين قد أخذ شكلا حادا في روايته التى لم تنشر بعد في كتاب «أولاد حارتنا» ، فان هـــذا الموقف لم يكن انفجارا فجائيا بل كان تعميقا لمجرى قديم في تكوينه وتأكيد البعد من أبعاده الجذرية ٠ قديم ٠

وفي هذا القدر كفاية لندرك تماما وجهة الكاتب التى يراها في ثقافة نجيب محفوظ من هذه الناحية ٠٠ واسارع فاقول : ان لكل انسان حرية الاستنباط والعمل الفنى ، ولا سيما اذا كان يمثل تســجيلا لوجدانيات الشعب وعقائده وشكوكه في مرحـــلة سابقة ، ملك لنا جميعا يرى فيه كل مايعتقد على شريطة ان يكون الرأى ـ الذى نرى ـ مواكبا للعمل الفنى مقدرا ظرف الفترة التى يعبر عنها وواضح أن الاستاذ أنس دواد يرى ان نجيب محفوظ يستبعد الدين كحل لمشكلات البشر ٠ ٠ لماذا ؟ «لانه حل مرحلى في تاريخ الانسانية مضى أوانه ببزوغ عصر العلم» ٠٠ كما يقول ٠٠ ولا ندرى كيف ســاغ له ـ وهو الشاب الواعى الذى بدأ حديثه بكلام قيم فيه سمة العقل الفياض ـ أن يرى هذا الرأى ولا يكتفى بذلك بل يعتبره من مكونات نجيب محفوظ الفكرية الاصيلة ٠٠ وواضح ـ أيضا ـ أن الكاتب استنبط ذلك من عدم ايمان احمد راشد ، واحمد شوكت ، بالدين ومن هنا فيجب ان يكون هذا ـ أيضا ـ هو ايمان نجيب محفوظ ؟

وحقا ان احمد شوكت لايؤمن بالدين ، وقريب منه احمد راشد لكن هل معنى ذلك أن نجيب محفوظ لايؤمن بالدين هو الآخر ، كما يرى الكاتب الفاضل

ونود الا نطيل في حيادية الفنان أو استهدافه

وهل من الضرورى أن يؤمن الفنان بمعتقدات أبطال رواياته .. فتلك قضية ان كانت صادقة أو غــير صادقة .. فليس لها مجال في موضوعنا هـــذا وخصوصا عندما ندرك أن نجيب محفوظ يعبر عن اجيال ـ حكمنا عليها سلفا ـ كما فعل السيد الكاتب بالشك والضياع ٠

ونعود مرة أخرى لنناقش الكاتب في رأيه عن الدين ٠٠ ان من بسائط المعلوم أن أوربا ـ كمثل ـ قد نبذت دينها واحلت محله العلم ، فهل استطاع العلم ـ بالائه وسحره ـ ان يقدم للبشرية كافة الحلول ؟ **وان كان الجواب بالايجاب فما هذا الانحلال والضياع والتمزق الذى يعانى منه «الشباب هناك ؟ نعم ان العلم قد ارضى غرور الانسان وكفل له الراحة المادية لكن هل ملأ فراغ نفسه الخاوية .. كلا .. ثم كلا** وكم سمعت من صيحات للمصلحين عندهم تنادى بالعودة الى الدين ٠

فهل معنى ذلك (ياأستاذ انس) أن نجيب محفوظ يريد لنا مجتمعا خاليا من الدين كمجتمعات اوربا ؟ ومن الذى قال ان الدين يناق العلم حتى تقول : ان نجيب محفوظ يؤمن بالعلم ـ هكذا ـ مجردا وكان الدين نقيض للعلم ؟ امامنا سفر التـــاريخ وتحت بصرنا سير علمائنا الافذاذ الذين لم يمنعهم دينهم من أن يكونوا أساتذة لاوربا نفســها طوال قرون وقرون ٠

ثم ماهو الدين الذى يهاجمه احمد راشد ـ واحمد شوكت : انه الدين الذى يوحى بالجمود ويصم أبناءه بالبلادة ويصرفهم عن متابعة الافكار الجريئة ويصدهم عن استغلال طاقات الحياة ، انه دين العهود العثمانية عهود الظلام والغباء ، انه الدين في صورته التى كان معروفا بها حين كان يعيش احمد راشد واحمـــد شوكت في مجتمعنا القديم بمنع الانعزال والانكماش وما ابعد ديننا عن هذا كله ٠

واخيرا فان اتجاها ـ مهما كان مصدره ـ يبعـد الدين ، واعنى ديننا الاسلامى بالذات ، عن الحياة ليعد اتجاها خطيرا ومشكلة كبرى ويكون الاحساس بالخطر اشد حينما تأتى من فئة الشباب في مجتمع آمن بالقيم الروحية ونص على جدواها في ميثـــاقه الوطنى ٠

محمد عادل خلف
مدرسة النهضة بالمنيا

بريد القراء

فى القصة

يقدمه : صبحى الجيار

* « قصر نظر » محمد امين توفيق المطاعنى بليسانس آداب عين شمس :

هى قصة شاب يطل من شرفة الفندق فى احد المصايف . يرى فتاة فى الشرفة المقابلة . يعجب بها ، ويفكر فيها كنموذج للزوجة التى كان يبحث عنها . يلوح لها بذراعه فترد الاشارة . ثم يتضح اخيرا انها ضريرة ، ويعرف ان اشارتها ما كانت الا لتبعد الذباب عن وجهها . ويصدم فى امله .

● الفكرة ساذجة عموما . ولا يعقل ان يفكر رجل فى الزواج من فتاة يراها لاول مرة فى الشرفة المقابلة . كما ان موقفه غير الانسانى ، عندما اكتشف عاهتها ، اضعف كثيرا من فكرة القصة . فاصبحت مجرد فكاهة .. اخلقت فى ماتم . اما اسلوبك فلا باس به .

* « الموكب » محمد فتحى عبد الوهاب :

طفلة تقف امام واجهة احد محلات الحلوى ، وليس معها غير قرش تعريفة ، تشير الى صنف من الحلاوى وتسال عن ثمنه . ولما تعرف انه اغلى من التعريفة تشير الى صنف آخر ، ثم ثالث . وصاحب المحل يجيبها باقتضاب ، وهو منصرف بنظره الى عربة معونة الشتاء القادمة عند اول الشارع . ثم يتقدم بلفافة كبيرة الى العربة . وتندفع الطفلة مع المتبرعين . فتتبرع بالقرش التعريفة ، فينفعل التاجر بموقفها النبيل ، ويهديها قطعة كبيرة من الحلوى ، ما كانت لتحصل عليها بقرشها التعريفة .

● الفكرة انسانية طيبة ، وتصويرك لشخصية الطفلة والتاجر كان جيدا ، والحوار يناسب نفسية الطفلة . نعدك بنشر القصة عندما يسمح المجال .

* « رحم الله روحك » معاوية احمد سالم بام درمان السودان :

قصة صديقين يقيمان معا فى مسكن واحد . يتخلف احدهما عن المدرسة ، فيقلق زميله ، ويسرع الى البيت ، فيجد فى احضانه حسناء . فيقع هو ايضا فى هواها . وتبدا المنافسة بينهما على قلب الغانية ... الى آخر ست صفحات طوال

● الفكرة بدائية جدا ، تعبر عن أحلام المراهقة ، ولا يستغرب هذا ممن كان فى مثل سنك . فانت — كما ذكرت طالب فى مدرسة ثانوية . وتنفس عن غرائزك المكبوتة بمثل هذه التصورات ، التى هى اقرب الى أحلام اليقظة منها الى القصة بمفهومها الفنى . كما ان اسلوبك يحوى كثيرا من الكلمات الغريبة المعقدة ، التى لا محل لها من اللغة العربية .

ردود سريعة :

* قصة « ادارة » ليوسف الاسيوطى :

● اعترف بانى لم افهم تماما الفكرة التى اردت ان تبرزها فى هذه القصة فرداءة الخط مع التخبط فى طريقة السرد ، قد ضيعا كثيرة من تسلسل الفكرة وبالتالى لم يتبين لى القالب الذى صُبت فيه احداث قصتك ، هل هو قالب قصة ام مسرحية . ارجح انها خليطا من الاثنتين . ولكن حوارك لا باس به

* « المولد » لمؤلف نسى أن يكتب اسمه :

● اسلوبك جميل رشيق ، لقد وصفت صورة صحيحة ساخرة المولد ، و « المطربة صاحبة اجمل غازيتين » و « والراقصة ذات الجسد الكاوتشوك » و « زوجها الذى يتشاغل بمداعبة الطفل حتى لا يفقد آخر بقايا الكرامة وملامح الشرفاء » . ولكننا فى النهاية لم نخرج بقصته ذات احداث أو بناء درامى انها اقرب الى الصورة الادبية منها الى القصة بمعناها المفهوم

صبحى الجيار

في المقال .

● رفقا بالقوارير :

تحت هذا العنوان كتب الشاعر **عبد البارى أبو العينين** المدرس بوزارة التربية مقالا ضافيا زعم فيه أن الرفق بالقوارير أصبح شعارا للمجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب ، واخذ عليه : اسرافه في حسن ظنه بالشواعر والمتشاعرات ، ودأبه على تشجيع أدب الاناث حتى لو ظهرت الانثى بقصيدة من الشعر مستعارة ، ولا يعنيه بعد ذلك نقد الناقدين أو سخرية الساخرين .

ثم يقول الكاتب : ان المجلس لو ناقش هؤلاء الشواعر المتسلقات فيما ينشدن لظهر له الحق ، ولتأكد له وجود روح الرجولة ممثلة فيها بأجلى معانيها ويزعم : ان الشاعرة التى فازت بالجائزة الاولى لشعر الشباب في المهرجان الخامس ، ألفت قصيدة من نظم والدها ، وقد تقدم بها الى المجلس ليقبله شاعرا من شعراء المهرجان ، ولما فشل أعارها ابنته حيث فازت بالقدح المحلى .

وختم الكاتب مقاله : بأن اهاب بالمجلس ان يشجع الناحية الفنية الاصيلة في الشعر أنى وجدت دون تحيز لفتى أو فتاة .

ونحن نرى أنه اذا ثبت ماقاله الكاتب لكانت هناك قضية جديرة بالنظر ، فلا شك أن المجاملة أيا كان لونها في مجال التقدير لأى انتاج أدبي ، تضيع بجانبها حقوق وتتحدر مقاييس ، ولا نملك الا أن نرجو أن يكون الكاتب قد بالغ بعض المبالغة في اتهاماته ، والا فالمجلس الأعلى لرعاية الفنون أقدر منا على الدفاع عن نفسه .

***

● حول الأدب الافريقى :

كتب الاديب **محمد محمود الهو** بالهيئة العامة لمشروع السنوات الخمس مقالا استعرض فيه المناقشة التى عقدتها رابطة الادب الحديث لكتاب الاستاذ على شلش «من الادب الافريقى» ثم سجل الكاتب في مقاله رأيه في الكتاب ، حيث رأى أن المؤلف اوجز الى درجة تضائل المادة العلمية في بحثه ، كما اخذ عليه ابرازه لروح الافريقى ـ في معاداته لتسلط الرجل الابيض عليه ـ بالعنف الذى يدفع به الى الاحتكام الى السلاح واراقة الدماء ، مع أن الرجل الاسود مسالم صبور يكره العنف ، الا أن المستعمر يقيم دعايته على اعتباره شريرا يستمرىء الانتقام ويتعطش الى الدماء .

ليت كاتب المقال سلط أضواء على مناقشة الكتاب فابدى رأيه فيها بدل استعراض ماذكر فيها دون تعقيب ، أما ماأخذه على المؤلف من الايجاز فلا مبرر له ، وهو يعلم أن الكتاب صدر ضمن اعداد سلسلة (اقرا) المحدودة الصفحات ، واما دفاعه عن عنف الرجل الافريقى ، فليس له مايبرره أيضا ، فموقف الرجل الافريقى موقف المدافع عن كيانه ووجوده ضد مستعمر طاغية لاتردعه غير القوة ، والقوة وحدها أصبحت في مجال الكفاح هى اللغة التى يفهمها المستعمر ويحنى لها رأسه .

***

● مدرسة أبولو وصاحبها :

وتحت هذا العنوان كتب الاديب السودانى **بشرى أمين** مقالا عرض فيه لمدرسة «أبولو» وصاحبها المرحوم الدكتور احمد زكى أبو شادى ، الذى كان كتلة من النشاط الواعى الخلاق ، فلم يعرف فتورا أو سكونا ، حيث كان عضوا عاملا في عدة هيئات ثقافية وصحية وزراعية واقتصادية واجتماعية ، وعندما اختار أبو شادي لمجلته الشعرية اسم «ابولو» وهو اله الشعر عند قدماء اليونان ، استثقله كثير من النقاد حتى طالبوه بتغييره ، ولم تخف حدة النقد الا بعد قصيدة شوقى المشهورة التى رحب فيها بالمجلة والمسهمين فيها ترحيبا له دلالته :

أبو لو مرحبا بك يا ابولو
فانك من عكاظ الشعر ظل

عكاظ وانت للبلغاء سوق
على جنباتها رحلوا وحلوا

كنا نود الا يكتفى الاديب السودانى بسرد المعلومات السطحية عن مدرسة ابولو وصاحبها ، ويسلط أضواءه على قابلية هذه المدرسة للتجاوب مع المجالات الادبية ، وعلى الاثر الذى تركته ولا زال له فاعلية في حياتنا الادبية ، ويظهر أن الاديب كان يعتذر للقارىء وهو يبدى أسفه لانه ليس تحت يده من اعداد مجلة ابولو ما يساعده على تقييم مدرستها

في الشعر

● **الشعر السوداني في معركة بورسعيد :**

في مقال للاديب السوداني : خضر الطيب **الشافرابي** ، تحدث عن دور شعراء السودان في معركة بورسعيد ، وكيف استطاعوا بشعرهم أن يخلدوا بطولة شعب جعل من القناة مقبرة للغزاة ، وعرض الاديب نماذج مطولة من الشعر السوداني لعدد قليل من الشعراء ، فالشاعر احمد محمد علي قال :

حسبوا القناة غنيمة صفت موائدها لفاجر
خسئوا فما أرض القناة سوى اللظى وسوى المقابر

والشاعر عبد الله عبد الرحمن الامين تغنى بأمجاد بورسعيد من خلال ديوانه «العروبة» وقد اختار له الكاتب طرفا من احدى قصائده :

واذا لم نكن من الجند انا
مستعدون أن نمد الجدودا

هي في الحق ثورة من جمال
أنت للعرب ظلها المنشودا

والحق ــ كما نرى ــ أن القصيدة مفككة مهزوزة معنى ولغة .

واستشهد الكاتب بقصيدة للفيتوري يخاطب التاريخ ويطالبه بأن يقف عند باب مدينته بورسعيد طويلا ليسجل مفاخر أبطالها .

ويختتم الكاتب مقاله بقصيدة الشاعر المرهف الاحساس : ادريس محمد حجاج :

نازلت يامصر من راموك واعتسفوا
ونحن بين شديد السخط والعجب

كل العروبة نا مس اخوتهم
بأس المغير سعوا في نخوة العرب

عروبة وحدة الاحساس تجمعها
كما التقت في اتحاد الاصل والنسب

كنت أود أن يعرض الكاتب لعديد من شعراء السودان الذين أسهموا في المعركة ، بدل الاسراف في الاستشهاد ، حتى يقدم صورة واضحة المعالم لدور الشعر السوداني في معركة بورسعيد الخالدة .

● **عذراء تتحدى الطغيان :**

في ذكرى الميلاد وتحت هذا العنوان ، كتب الشاعر محيي الدين البزرى من صيدا بلبنان

اربع مقطوعات من الاولى :

اي عزم لدى البتول تحدى
فتنة البغي والضلال وأردى

اي امر أتته في الحق يمضي
من سنا البدر في الحوالك أهدى

ومن الثانية :

اخت هرون والعقول حيارى
في الذي جئت جهرة ونهارا

اخت هرون واليهود بلاء
كيف أبعدت عن عفافك عارا

ومن الثالثة :

قهرت مريم البتول بصمت
فاق غر البيان صمتا وعذبا

يوم زاغوا فأرسعوها اتهاما
بئس ما افتروا وسحقا وتبا

فاشارت اليه فانبرى عبقريا
فاسألوا الدهر كيف قال ولبى

ومن الاخيرة :

فاسمعوا الحق من رضيع صراحا
ليس افصاحه الفريد صياحا

ان يصب خدك الظلوم بذل
فاحتمله ولا تزده اجتراحا

الحق أن شعر الشاعر جدير بهذه المناسبة الكريمة لولا خلوه من اثارة قضية السلام التي ترتبط بالمناسبة ، ولولا استعمال بعض الالفاظ في غير موضعها ، فليس الصمت من مقومات البيان ، والتاريخ هو الأحق بالسؤال لا الدهر ، وليس احتمال الذل اسلوبا مجديا في حياتنا اليوم ، والاجتراح معناه الاكتساب ولا موضع له في البيت الاخير .

ابن المقفع

لقاء الحبيب

ترجمها عن الألمانية : لؤى طه الراوى

قال عامل المناجم الشاب ، لخطيبته الصغيرة الجميلة ، بعد ان طبع على شفتيها قبلة حانية :

ــ فى يوم « سانك لوجيا » سنذهب الى الكنيسة ونقف بين يدى القس ، ليعقد زواجنا ياحبيبتى ، وسوف نبنى بيتا صغيرا يكون عشا لسعادتنا ، وحبنا .

ورفعت الفتاة الجميلة وجهها البرىء وعلى شفتيها ابتسامة ملائكية ، وتطلعت بشغف الى عينى خطيبها الطافحتين بالحب وقالت :

ــ انك ياحبيبى كل دنياى ، ولن افارقك الا الى القبر .

كان ذلك فى مدينة فالون بالسويد ، وقبل خمسين عاما ..

وجاء عيد « سانك لوجيا » ووقف القس يسأل الحاضرين عن الخطيبين السعيدين ليعقد زواجهما . وسكت الحاضرون ، وكان الموت هو الذى اجاب على سؤال القس .

قبل يوم واحد ، وفى الصباح الباكر ، مر عامل المناجم الشاب ، بملابس المناجم السوداء ، ملابس الموت ، واقترب من شباك خطيبته ، وهو فى طريقه الى المنجم ، فرآها مكبة تضع اللمسات الاخيرة على الوشاح الاسود الذى طرزته بحاشية حمراء قانية ، ليضعه خطيبها على كتفه عندما يقفان غدا بين يدى القس ليعقد قرانهما .

ونقر الخطيب الشاب على نافذة خطيبته فرفعت رأسها الصغير الجميل لتستمع بسعادة الى صوت خطيبها يقول

ــ صباح الخير

ثم لوح بيده باسما سعيدا وسار الى عمله .

واكملت الخطيبة الجميلة الوشاح الذى صنعته لزوجها ، ووضعته بجانبها ، وجلست امام النافذة تنتظر عودته لتتلقى منه تحية المساء ، ولتريه الوشاح

ولكن الخطيب الشاب لم يعد من المنجم ابدا . لقد انهار المنجم ودفن العمال كلهم فيه .

وظلت الخطيبة المفجوعة ، تنشر الوشاح الذى صنعته لحبيبها ، وتجلس امام النافذة صباح كل يوم ، لعلها تسمع تحية الصباح من الحبيب الذى لن يعود ، حتى اذا فات موعد مروره ، حملت الوشاح وطوته بعناية ، وبعد ان تطبع عليه قبلة حانية ، تضعه بعناية فى دولابها .

ولم تكف الكرة الارضية عن الدوران ، وراح الزمان يسجل الاحداث بعد انهيار ذلك المنجم . فتحطمت مدينة ليزابون بالبرتغال عندما داهمها زلزال عنيف ، وانتهت حرب السنوات السبع ، ومات فرانس الأول ، وتقسمت بولندا ، وماتت الامبراطورة ماريا تيريزا ، وتحررت امريكا ، وعجز الاتحاد الفرنسي الاسبانى عن غزو جبل طارق ، ووضع الاتراك الجنرال شتاين فى كهف فيتوانر بهنغاريا واغلقوه عليه ، وتوفى القيصر جوزيف وغزا جوستاف ملك السويد فنلندا القيصرية واشتعلت الثورة الفرنسية والحروب الطويلة ، وذهب القيصر ليوبولد الثانى الى القبر ، وغزا نابليون بروسيا ، وضرب الانجليز كوبنهاجن بالقنابل ، وظل المزارعون يزرعون ويحصدون ، والطحان يطحن ، والحداد يضرب على الحديد .. وجماعات عمال المناجم يهبطون كل يوم الى باطن الارض يبحثون عن عروق المعادن ..

وفى صباح احد الايام ، بعد انهيار ذلك المنجم بخمسين سنة ، كان عمال المناجم فى مدينة فالون يحاولون ان يفتحوا ثغرة توصل بين منجمين ، على عمق ثلاثمائة باردة ، عندما عثروا بين الصخور ، على جثة شاب قد غطتها مادة اوكسيد الحديد . كانت الجثة تبدو وكأنها تمثال من الحديد اصابه الصدا ، كانت الملامح كاملة ، ملامح شاب يبدو وكأنه مات منذ ساعة واحدة فقط ، بل كان يبدو وكأن سنة من النوم اخذته وهو يعمل .

واخرج العمال الجثة الى النور ، لم يكن هناك احد يعرفه ، لقد مات ابواه وكل اصدقائه ومعارفه منذ سنين .. لم يكن احد يعرف شيئا عن هذا الشاب المسجى ، او عن الحادثة التى اودت بحياته .

وبينما كان العمال وعدد من اهل فالون يقفون

حول الجثة يسألون انفسهم عن صاحبها ، جاءت سيدة احنت قامتها الشيخوخة فراحت تستعين على سيرها بعصا ، وجلال الشيب راسها المحنى الى الامام ، وتقدمت من الناس تستطلع سبب وقوفهم ، واندست بينهم حتى اشرفت الجثة التى كانوا يحيطون بها .

وبغتة راى الناس هذه السيدة العجوز تلقى بنفسها على الجثة المسجاة على الارض تحتضنها وتغمر الوجه الذى يغلفه صدا الحديد بقبلاتها ودموعها .

وانقطعت فجاة عن البكاء ، وراحت تمر بيدها على وجه الشاب المسجى وكانها تهدهد ، ومرت بخاطرها احزان خمسين سنة ، ثم راحت تحدث نفسها بين دهشة الناس واستغرابهم قائلة :

ـ هذا هو خطيبي .. حبيبي الذى ظللت انتظره خمسين عاما .. لقد اعاده لى الله لاراه قبل نهايتى .. قبل يوم واحد من الزواج ، ابتلعته الارض ، وحفظته لتعيده الى مرة اخرى .

وخيم الصمت المريب على الواقفين وترقرقت الدموع فى عيونهم وهم ينظرون الى هذا الشاب المسجى الذى اضاء المشعل الذى وضعه فى صدر هذه العجوز منذ خمسين عاما ، وها هو ينام بهدوء والشباب يتدفق من ملامحه الصامتة . ان هذا الفم المطبق بقوة ، لن يبتسم ثانية ، وهذه العين المطبقة لن تفتح مرة اخرى لترى الحبيبة ثانية .

وحمل العمال الجثة وساروا وراء السيدة العجوز الى بيتها ، وبيدها غسلت جثة خطيبها والبسته بدلة العرس ، وعندما جاء العمال لحمل جثمانه ، تقدمت السيدة العجوز وهى تحمل الوشاح الاسود الذى طرزت حشيته الحمراء القانية منذ خمسين عاما ، ونشرته على صدر حبيبها وخطيبها .. وسارت وراء جثمانه ، ومن ورائها سار سكان مدينة فالون كلهم .

وبعد ان اهيل التراب على قبره ، قالت السيدة العجوز تودعه :

ـ نم على بركة الله ، ولا تدع للملل سبيلا اليك .. ما تزال هناك حاجات لا بد لى من قضائها ، ولكننى ساعود اليك .. لنقضي هنا معا ، شهر العسل الذى حرمنا منه يا حبيبى ..

لؤى طه الراوى

من هنا وهناك ..

● انشىء بالاسكندرية نادى للقصة ـ يعقد ندواته بدار الثقافة ويدير هذه الندوات ـ فتحي الابيارى .

● رشحت لجنة النشر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب الاستاذين محمد فريد أبو حديد ـ وعزيز اباظة لنيل جائزة الدولة التقديرية فى عام ١٩٦٤ .

● يبحث الآن المجلس الأعلى للفنون والآداب موضوع انشاء مسابقة لخريجي الجامعات وطلبة الدراسات العليا فى الانتاج الادبى والثقافى ـ وذلك الى جانب المسابقة الحالية الخاصة بطلبة الجامعات ..

● تقرر منح التفرغ للاديبين الفريد فرج ويعقوب الشارونى ..

● الفنون الشعبية واستيحاؤها فى الادب والفن ـ موضوع المناقشة فى ندوة الاربعاء القادم ـ بنادى القصة يقدم الندوة ـ صالح جودت ويشترك فيها .. الدكتورة سهير القلماوى ـ واحمد رشدى صالح ـ واحمد عثمان ـ وزكريا الحجاوى ـ وعبد الحليم نويرة ـ والدكتور عبد الحميد يونس ـ وفوزى العنتيل ..

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
وزارة الثقافة والإرشاد القومي

الإدارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد ـ القاهرة

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٤٥ ـ الخميس ٨ رمضان ١٣٨٣ هـ ـ ٢٣ يناير ١٩٦٤ م ـ السنة الحادية والعشرون

الفهرس

الصفحة

كيفَ استقبلَ المسلمونَ رمضانَ

بقلم : أحمد حسن الزيات

استقبل المسلمون في استهلال رمضان ليلة الخميس الماضي اشراق الارض بنور السماء ، وربيع القلب بروح الله ، ورياضة النفس بمجاهدة الهوى ، فصاموا عن المنكر كله ، لايلغون ولا يبغون ولا يجدون في أنفسهم الا الصيام والقيام والنسك لله ، والا السلام والوئام والحب للناس ، حتى كان لهم من هذا الشهر حياة خاصة تميزت على سائر الحيوات بسكينة الرضا الخالص ونعمة الايمان المشترك .

واذا كان في دنيا الاسلام من يستقبل شهر القرآن بالوجه الكالح والصدر الضيق واللسان الطويل والغيظ الحانق فهم المسلم الكاذب والشيطان الرجيم والخمار الرومي !

فالمسلم الكاذب يجد في رمضان فطاما لشهواته ولجاما لغرائزه وقيدا لحريته ، فهو يرميه بما يرميه به الماديون من قلة الانتاج وكثرة الاهلاك وشل الحركة واضعاف الصحة فيشيح بوجهه عنه ويستبدل به رمضان آخر رقيق البدن خفيف الظل واسع الأفق يبيح النظرة الآثمة والكلمة العارية والأكلة الدسمة والكأس الدهاق والسيجار الغليظ . ولا يكلفه الا أن يجعل عشاءه من باب المجاملة عند الغروب وبعد طلقة المدفع !

واذا كان في بيوت المحافظين قارىء يقرأ القرآن

وذاكر يذكر الله ، وساق يقدم المرطبات ، فليكن فى بيت هذا الصنف من المسلمين أجهزة ترجع الاحـين الغناء وتردد أهازيج الرقص .

وهكذا نجد الليالي ونحن نلعب ، كأنما كتب علينا أن نأخذ الحياة من جانبها الفضولى العـابث فنتأثر بها ولا نؤثر فيها !

وكأنما همنا أن نعيش صعاليك على تقاليد الامم دون أن تميزنا خصيصة من قومية ولا شـعيرة من عقيدة ، وكأنما الشعائر التلمودية القاسـية عاقت أشتات اليهود عن المغامرة والتقدم . وشتان بين نظام لاقليم ونظام لدنيا ، وبين شرع لأمة وشرع لعالم ..

ان هذا المسلم الكاذب على الرغم من تعلمه وتقدمه قد بعد عهده عن الاسـلام الصحيح حتى ارتد الى عقلية ذلك الاعرابى الذى أسلم فى أول الاسلام ثم قدم على ابن عم له فى بعض المدن قبل أن يذوق حلاوة الايمان ويفقه حقيقة الدين فادركه شهر رمضان .. فقيل له يا أبا عمرو : لقد أتاك شهر رمضان قال : وما شهر رمضان ؟ فقالوا : الامساك عن الطعام .. قال أبالليل أم بالنهار ؟ فقالوا لا ، بل بالنهار .. قال : أفيرضون بدلا من هذا الشهر ؟ فقالوا لا .. قال: فان لم أصم فعلوا ماذا ؟ فقالوا : تضرب وتحبس فصام يوما ثم لم يستطع .. فتحول عنهم وجعـل يقول :

يقـول بنو عمى وقد زرت مصرهم
تهيأ أبا عمرو لشهر صيـام
فقلت لهم هـاتوا جرابى ومزودى
سلام عليـكم فامكثوا بسـلام
وبادرت أرضا ليس فيهـا مسلط
على ولا مناع أكل طعـام !

هذا البدوى الشاعر لا يزال يعيش فى اهاب أكثر المتمدنين من أهل الحضر ، فهم يستقبلون شهر الصوم لا باعتباره ركنا من أركان الدين الخمسـة يقيم الدين من أقامه ويهدمه من هدمه ، ولا باعتباره طهورا للنفس ونورا للقلب وجلاء للمشاعر ، ولكنهم يستقبلونه باعتباره تقليدا من التقـاليد الموروثة وعيدا من الاعياد المقررة ، فيتمتعون فيه بنعيم العيش يتفننون فى الطعام والشراب ، ويتأنقون فى الزينـة والثياب ، ويتدفقون فى الأنس واللهو ، ويسرفون على بطونهم بالاكل حتى تمرض ، وعلى جيوبهم بالبذل حتى تفرغ ، وينفقون على هذا الشهر وحده ما يكاد يقرب من نفقة العام كله ! وفى الافراط فى اللهو والاكل والنوم ، تضيع حكمة الله من فريضة الصوم .

***

اما الشيطان الرجيم فيستقبل فى رمضان حصنا من الخير لا يدخله الشر ولا تقتحمه الرذيلة، فاذا حاول أن يدنو منه رده الذكر بالنهار وصده القرآن بالليل ودوى فى مسمعه النارى قول الله تعـالى له : «ان عبـادى ليس لك عليهم سـلطان الا من اتبعك من الغاوين» .. فيظل كما يعتقد القرويون مصـفدا فى الاغلال مقيدا بالسلاسل حتى ينطلق من اساره فى آخر يوم من أيام رمضان .

وأما الخمار أو صاحب القهوة فانه يستقبل فى رمضان الكساد المحزن ، لان القهوة فى النهار يكثر فيها الجلوس ويقل الطلب ، والحان فى الليل تهجره الكئوس ويفارقه الطرب ، ورمضان هو المسئول لان السكير فى رمضان لايشرب ، والمقامر فى رمضـان لايلعب .. وصاحب القهوة مضطر بحكم الصنعة ان يقدم الى الصائمين أدوات التسلية بالمجان حتى المغرب وأن يقـدم الى المفطرين أكواب الماء المثلوج طول السهرة حتى السحر !

اما رمضـان القرية فلا يزال يحل من أهلها محل النور فى العين والبهجة فى القلب ، تجسمت فى خواطرهم صورته حتى جعلوه رجلا له حياته وعمره وأجله ، يذكرونه على شهرين من مقـدمه فيحسبون حسابه ويهيئون أسبابه ، حتى اذا دب اليهم من غيوب الآباد سلسلت الشياطين وأرسلت الملائكة وعبقت الارواح ودرت أخلاف الخير واغدودقت أصول النعم .

هنالك يملك القرية شعور نقى هادىء خاشـع فلا تعود تسمع لغوا فى حديث ولا عنفا فى جـدل ولا بغيا فى خصومة ، فاذا أذهل أحـدهم الغضب فرفع صوته ندم عجلان واستغفر ثم قال : اللهم انى صائم . ذلك لان رمضان يرجع الفلاح نقيـا كقطرة المزن ، طاهرا كفطرة الوليد ، فلا يقتل ولا يسرق ولا يشـهد الزور ولا يقول الفحش ولا يأتى المنكر .

***

وما أجمل أن ترى فاتك الامس ناسك اليوم .. يمشى من البيت الى المسجد فى ثوبه النظيف وئيد

من أسوان

للدكتور محمد أحمد خلف الله

وفى أسوان أقيم اسبوع الكتاب العربى ـ أقيم فيه معرض للكتاب ، واقيمت فيه ندوات ثقافية .

واسبوع الكتاب فى اسوان يختلف عنه فى اى بلد أقيم فيه من قبل ، يختلف عنه فى مصر ، ويختلف عنه فى الاسكندرية ، ويختلف عنه فى بورسعيد يختلف فيما يخص المعرض ويختلف فيما يخص الندوات الثقافية . والاسباب فى ذلك يسيرة ويرد معظمها الى ظروف البيئة والى بعض الظواهر الاجتماعية .

ان اسوان عاصمة لاقليم وليست مدينة مستقلة بنفسها كما هو الحال فى كل من مصر والاسكندرية وبور سعيد . ثم هى عاصمة لاقليم فى أقصى الجنوب وليست تملك من وسائل الترفيه والتثقيف ومن وسائل الاكتفاء الذاتى ما تملك المدن الكبرى السابقة . لذا لم يكد معرض الكتاب يقام ويعلن عن تخفيض أثمان الكتب حتى أقبل الناس على الشراء اقبالا عظيما .

لقد أثبت أسبوع الكتاب فى أسوان ان مستقبل الكتاب لا يزال بخير . وأن الكتاب لا يزال المصدر الثقافى الأول لكل معرفة يريدها الانسان . وأن أجهزة الثقافة الاخرى لم تستطع ان تصرف الناس عنه ، وأن المشتغلين بالتثقيف ، فى أى جهاز من أجهزته ، لاغناء لهم عن الكتاب بحال من الأحوال . من الاستاذ الجامعى الى الكاتب الصحفى ، ومن الاذاعى الى الممثل المسرحي والمخرج السينمائي وما اشبه . ان كل هؤلاء لاغنى لهم عن الكتاب والا كانت ثقافتهم سطحية لا تصل منهم ، ولا من الناس الى الأعماق ـ والثقافة حين تكون سطحية لا تؤثر فى حياة الناس الأثر المطلوب . انها لا تخلق القيم الدافعة التى تؤثر فى سلوك الناس وفهمهم للحياة ، ومن هنا يظلون كما هم جهلة متخلفين لايدركون من أمور الحياة ولا من أمور انفسهم شيئا .

الخطو غضيض الطرف ، لا تترك المسبحة يده ، ولا يفتر عن التسبيح لسانه ، فاذا قابل القروية الجميلة وعلى رأسها الجرة اتحد جمالها فى عينه بجمال الخير فى نفسه ، فأمعن فى التسبيح واستغرق فى الله ؛ لان ابليس فى رمضان سجين وباب الغواية مغلق .

يقضون صدر النهار فى تصريف أمور العيش ، ثم يجلسون على المصاطب فى أشعة الاصيل الدافئة يستمعون القصص أو الوعظ حتى اذا مالت الشمس الى الغروب جلسوا فى الطريق أمام بيوتهم ، فمدوا الموائد على الارض المفروشة بالحصير ودعوا اليها عابرى السبيل وطالبى الصدقة ، ثم لايلبث الاخاء المحض أن يجعل الموائد المتعددة مائدة واحدة يصيب منها من يشاء مايشاء .

اما ليلهم فاجتماع للقرآن واستقبال للاخوان ومسامرة مشتركة ساذجة تجمع افنانا شتى من شهى الحديث ، وكلما تقضى نهار من رمضان تغضن سرار من وجوه القوم . حتى اذا لم يبق الا ربعه الاخير تمثلوه محتضرا يكابد غصص الموت فندبوه فى البيوت والمساجد ، ورثوه على السطوح والمآذن ، وبكوه يوم (الجمعة اليتيمة) أحر بكاء .

فاذا كان المغرب الاخير ولم يبق من رمضان الا بقية روح ، خامرهم الخوف من انطلاق الشياطين السجينة فيجلس الصبيان على أبواب الحجرات يكررون البسملة ويضربون حديدا بحديد ، ليحفظوا البيت من دخول شيطان مريد .

***

ذلك رمضان كما تدركه الفطر السليمة والقلوب المؤمنة .. وهو وحده الباقى لفلاحنا من غفلات العيش **ولحظات السعادة** ، فليت شعرى أباق هو فى القرية على عهدى به أم أدركه ما أدرك رمضان المدينة من شر العلم الجاهل والدين الكاذب والتقليد الأعمى والتمدن المشوه ، ففقد هذه الروحية التى تتجلى فى الصوم ، وتلك الغيرية التى تتمثل فى الصائم .

أحمد حسن الزيات

وأثبت أسبوع الكتاب فى أسوان شيئا آخر هو أن الناس تقبل على الكتب التى ترى أنها فى حاجة اليها بصرف النظر عن قيمة الكتاب وارتفاع الأثمان .

ان هذه الظاهرة جديرة بأن نقف عندها لانها التى تملى علينا الموضوعات التى يجب أن تهتم بها ونؤلف فيها ، ان قيمة الكتاب عند هؤلاء الناس تقدر بما فيه من مواد ثقافية حية يشعر الناس بأنهم فى حاجة اليها ، ولا تقدر أبدا بثمنه مهما انخفض ، وهذا يدفعنا فيما نعتقد الى أن ندعو دعوة صادقة مخلصة بالاهتمام بالمواد الثقافية المختارة لهؤلاء الناس أو المنتقاة لهم .

ان الاعتماد على احتياجات الناس الثقافية فى انتقاء الموضوعات ، والتأليف فيها بأسلوب يلائمهم هو الذى يخلق الى جانب السعر المنخفض ثقافة حية ملائمة لظروف الحياة عندنا ، ثقافة يمكن أن نسميها بحق بالثقافة الاشتراكية .

وقد اثبت اسبوع الكتاب ايضا أن تصريف الكتاب يتوقف الى حد كبير على حسن توزيعه .

ان كل المشتغلين بتصريف المنتجات يفكرون أول مايفكرون فى سبيل ايصالها الى المستهلك فى أى مكان يكون ، وهذه الحقيقة قد غابت عن عقول المنتجين للكتاب ، وأهملها الناشرون للكتاب ، ثم راحوا بعد ذلك يتحدثون عن أن الكتاب فى أزمة .

لقد رحل الكتاب الى اسوان فاقبل الناس عليه ، وأبطلوا بذلك دعوى الناشرين الذين يحمون أنفسهم بالقول بان الكتاب فى أزمة . ولقد طالب الناس هنالك بفتح مكتبة تبيع الكتب للقراء ، واستجابت وزارة الثقافة ؛ وقامت الدار القومية بفتح فرع لها هناك فى السوق السياحى الذى افتتحه الدكتور محمد عبد القادر حاتم وزير الثقافة والارشاد القومى منذ أيام ..

اما الندوات الثقافية فقد كان لها شان آخر يرجع هو الآخر الى البيئة الاسوانية والى الظواهر الاجتماعية .

ان أسوان تشهد اليوم تحولات حضارية خطيرة فى كل مرفق من مرافقها ، وفى كل جانب من جوانب الحياة فيها . انها تتحول الى مدينة صناعية يكثر عدد العمال فيها ، ومدينة سياحية يكثر ارتحال الاجانب اليها ونزولهم فيها ، وهذا كله يدفع الى ارتقاء الحياة واخذ الناس بالاساليب الحديثة .

ظاهرة التحول هذه لم تستكمل كل مقوماتها بعد ومن هنا رأينا المجتمع فى أسوان مجتمعات متفرقة لامجتمعا واحدا ، فهناك المجتمع الخاص المستقل للذين يعملون فى بناء السد العالى من عمال أو مهندسين وموظفين ، وهناك المجتمع الخاص المستقل بالذين يعملون فى شركة كيما للسماد ، وهناك المجتمع الخاص باستخراج الحديد الخام ، وهناك المجتمع الخاص بموظفى الرى والمهندسين الذين يعملون فى الخزان حتى ليسمى الاهالى المنطقة بمستعمرة الخزان .

ان الذين يعملون مع الاهالى ويكونون معهم مجتمعا واحدا هم رجال وزارة التربية ووزارة الصحة والذين كانوا يعملون من قبل ، أى من قبل أن تنشأ هذه الوحدات الاجتماعية الجديدة التى يسميها الناس بالمستعمرات .

هذه الظاهرة كانت لها نتائجها أيضا فى الميدان الثقافى ، فهناك أيضا وحدات ثقافية مستقلة ظهرت آثارها فى التقاء القارئين بالمؤلفين ، وجعلت الاسئلة الموجهة الى مؤلفى الكتب متفاوتة فى المستوى الثقافى تفاوتا عظيما .

والسؤال الذى تردد كثيرا من الاهالى ، بمناسبة ومن غير مناسبة ، هو الذى يتعلق بالاستاذ العقاد ، فقد سالوا عنه كاتبا ، وشاعرا ، وناقدا ، وقصاصا ، ومؤرخا ، وحكيما فيلسوفا . ولقد أرضى الدكتور زكى نجيب محمود السائلين ، كما أرضى نفسه ، حين تحدث عن العقاد هذا الحديث الممتع الذى ألم بكل جانب من جوانب العقاد والذى وضع العقاد فى موضعه الصحيح من قادة الفكر فى جيلنا هذا .

ان أهالى أسوان يعتزون بالاستاذ العقاد اعتزازهم بمجد قومى حققته بلدتهم – أسوان . ويرون فيه

علما من أعلام الامة العربية يستضاء به في كل جانب من جوانب الوطن العربي ، ولهم الحق كل الحق في هذا الاعتزاز ، فالاستاذ العقاد كاتب له موقف من الحياة ، موقف يتفق ومذهب الاستاذ العقاد في الحياة ، موقف لم يتغير ولم يتبدل ، ومن هنا لم يحشر الاستاذ العقاد في موكب النفاق في أي يوم من الايام .

والسؤال الذي يشغل بال الاهالي هو ذلك الذي يتعلق بمصير العمال في سد أسوان ، ويظهر ان ادارة المشروع تساعد كثيرا على البلبلة التي تصيب أذهان الاهالي من جراء مستقبل هؤلاء العمال . انها تعلق لافتة تكتب عليها كل يوم عدد الايام الباقية على تنفيذ المشروع وفتح أبواب المياه ، ان ادارة المشروع انما تقصد الى أن تحث العمال حتى يتم المشروع في الموعد المضروب له ، ولكن العمال لايلتفتون الى هذا بقدر التفاتهم الى مصيرهم .

ان عدد الايام الباقية معناه في عرفهم التخلص منهم ، لذا يجب على ادارة المشروع ان تلفت أذهانهم الى ان الدولة بحاجة اليهم في مشروعات أخرى ، ولا بأس من أن تذكر الادارة أسماء بعض المشروعات الاخرى التي يصير اليها مستقبل هؤلاء العمال .

ونختتم هذا المقال بهذه العبارات التي تتفق واهداف أسبوع الكتاب وندواته الثقافية .

ان سبيل المجتمع العربي الأفضل هو الثقافة ، الثقافة المنبثة في صفوف الشعب ، المتجاوبة وحاجات المجتمع ، القائمة على احترام الحقيقة ، المتاصلة في ماضيها الايجابي ، المشاركة في الحضارة الانسانية ، المعطية لهذه الحضارة .

بهذا النوع من الثقافة الحية الفعالة يتكون المجتمع العربي الحي الفعال . المجتمع العربي القادر على البقاء ، الحري بالبقاء ، الباقي فعلا في الارشاد الانساني المشترك .

المجتمع العربي الافضل .

دكتور
محمد أحمد خلف الله

كلمات

من حق الثقافة على المثقفين الجد في طلبها والسعي الحقيقي لاستكمالها .

هذه حقيقة اولية تغيب عن ذهن مدعي الثقافة عندنا . ماأشد كسلهم وما أرخص الوقت عندهم ، في حين أن الثقافة تتطلب الجد المستمر والجهاد العقلي الدائم لتظل حية نامية ..

وقديما كان العلماء العرب يضربون في الآفاق ويقومون بالرحلات الطويلة المضنية طلبا للعلم .

يروى عن الخطيب التبريزي انه حصلت له نسخة من كتاب التهذيب في اللغة لابي منصور الازهري في عدة مجلدات لطاف وأراد تحقيق مافيها واخذها عن رجل عالم باللغة ــ فدل على المعري فجعل الكتاب في مخلاة وحملها على كتفه من تبريز الى المعرة ولم يكن معه مايستاجر به مركوبا .. فنفذ العرق من ظهره اليها .. فاثر فيها البلل واذا رآها من لايعرف صورة الحال فيها ظن انها غريقة وليس بها سوى عرق الخطيب المذكور .

أين نحن من هذا السعي وأمثاله من وجوه الجد والتضحية التي تذخر بها سير الآباء .؟

وأين نحن مما نعرف من صبر علماء الغرب وثباتهم والحاحهم في سبيل غايتهم ؟

حقا ان ثقافة اية امة هي خلاصة سير مثقفيها ، ونتاج اخلاصهم وتشوفهم لرؤية الحق والاغتباط به ، مهما كلفهم ذلك من العناء ومجاهدة النفس .

أبو حيان التوحيدى

عالم النفس

ليس اسم ابى حيان التوحيدى غريبا على عارق التراث العربى : فان صاحبه قد اشتهر بثقافته الادبية الواسعة ، ودراساته النحوية العميقة ، وبحوثه الفقهية الممتازة، وآرائه الفلسفية النفاذة ، وتأملاته الصوفية المشرقة ... الخ . ولكن الكثيرين منا قد لايعلمون انالتوحيدى ايضا عالم نفسانى مدقق ، تمرس بأحوال الناس، ووقف على امور معاشهم ، وادرك حقيقة نوازعهم، فاستطاع ان يقدم لنا فى ثنايا رسائله ومؤلفاته الكثير من الملاحظات السيكولوجية الهامة التى لم يعرفها العالم الا بعد ظهور علم النفس الحديث . ولسنا نزعم ان ابا حيانقد سبق فرويد وادلر يونج الى الكشف عن حقيقة اللاشعور ، والاهتداء الى طبيعة العقد النفسية ، والتعرف على اساليب العلاج النفسانى ، وانما كل ما نحن حريصون على تقريره هو ان هذا المفكر العربى الكبير قد فطن الى الكثير من الحقائق النفسية الاساسية التى تضعه فى الصف الاول بين الفلاسفة النفسانيين الذين اهتموا بتعمق اسرار النفس البشرية .

وقد عاش التوحيدى قرابة تسعين عاما ، كما زار كثيرا من بلدان العالم العربى ، فاستطاع ان يكون كثيرا من الصلات ، كما تمكن من التردد على الكثير من المجتمعات . وقد اكسبته هذه الحياة الخصبة الطويلة خبرة واسعة بأمور الناسوطبائع النفوس ، فجاءت كتبه الفلسفية والاخلاقيةشاهدة على حسن فهمه للطبيعة البشرية ، ناطقة بمقدرته الهائلة على النفاذ الى اعماق النفس الانسانية . فالتوحيدى — مثلا — يعرف ان الناس يذمون البخل مع غلبة البخل عليهم ، ويمتدحون الجود مع قلة ذلك فيهم ، وهو يعلم أن الانسان حريص على مامنع ، وان الرخيص مرغوب عنه ، والغالىمرغوب فيه .. الخ . وهو يروى فى كتابه « الذخائر والبصائر » نقلا عنالحسن البصرى ان « ذم الرجل نفسه فى العلانية مدح لها فى السر » ، كما انه يلاحظ ان الشرير يؤثر فى الخير بأسرع مما يؤثر الخير فى الشرير ، ويتعجب كيف ان الانسان قد يستشعر الخوف بلا مخيف ... الخ . وكل هذه الملاحظات — وغيرها كثير — دليل ناطق على دقة ملاحظته لسلوك الناس ، وشدة ولعه بتأمل احوال البشر . وحسبنا ان نرجع الى كتاب التوحيدى المسمى باسم « الهوامل والشوامل » ؛ لكى نقف على تلك الاسئلة السيكولوجية العديدة التى عنى ابوحيان بتوجيهها الىصديقه الفيلسوف مسكويه ، طالبا اليه التفضل بالرد عليها .. ففى هذا الكتاب نراه مثلا يسائل صديقه مسكويه عن السر فى سهولة تكوين الاعداء وصعوبة اكتساب الاصدقاء،كما نراه يسائله عن السبب فى محبة الناس للرياسة وحرصهم عليها ، وعن السبب فى سهولة زعزعة اليقين وصعوبة القضاء على الشك ، وعن السر فى ضيق الانسان بالراحة اذا توالت عليه ، وبالنعمة اذا حالفته .. الى آخر تلك الاسئلة العديدة التى اثارها التوحيدى ، وحاول مسكويه الرد عليها . ولكن المهم ان المشكلات التى عنىبها ابو حيان باثارتها هى — فى الغالب — مسائلنفسية واخلاقية هامة تدلنا على عمق فهم التوحيدى للناس ، وحسن ادراكه لطبائع البشر ، وقوة بصيرته فى الحكم على مبررات الافعال الانسانية .

والحق ان ابا حيان الذى عاشر طوائف مختلفة من الناس ، وتردد علىاشكال متباينة من المجتمعات، قد وجد نفسه مدفوعا بحكم خبراته البشرية الطويلة الى الكلام فى النفس الانسانية ، وتصرفاتها الخارجية ، وامراضها الباطنية ، وعلاجها النفسى، وصلة العقل بالجنون ، ومبدأ التعويض ، ودعائم الصحة النفسية ... الخ . ولئن كانت بعض مصطلحات ابى حيان قد تختلف عن الاصطلاحات السيكولوجية الحديثة ، الا انها لا تكاد تختلفعنها كثيرا من حيث المعنى او المضمون . فالتوحيدى مثلا يقرر بصريح العبارة فى احد المواضيع ان « للنفس امراضا كامراض البدن ، الا ان فضل

امراض النفس على امراض البدن في الشر والضرر تفضــل النفس على البـــدن في الخير » . بينما نراه يروى لنا في موضع آخـر بعض مظاهر هـذا السلوك المرضى ، فيحدثنا عن رجل ازهق روحـه بيده ، ويفسر لنـا واقعة انتحـاره بأنهـا نتيجة لاصابته بمـرض نفسـاني . ولا يغيب عن ذهـن التوحيدى ان هذه الامراض النفسـانية وليدة تعقد اسباب الحياة في المجتمعات المتحضرة ، فنراه يشير في كتابه « الهوامل والشوامل » (ص ٢١٠) الى توازى الالم مع التحضر ، والفرح مع البـداية ، وكانما هو يريد ان يرجع الجانب الاكبر من الشرور التى ترزح تحتهـا النفس البشرية الى تلك الآلام المتنوعة التى تقترن بها الحياة المتحضرة في المجتمعات المترفية . وعلى الرغم من ان التوحيدى يعلم تمام العلم اننا كثيرا مانميل الى كتمان اسرارنا والعمل على استبقائها مكنونة في صدورنا ، الا اننـا نراه يلاحظ في الوقت نفسـه ان كل سر يميل الى الظهور ، وان صـــاحب السر نفسه قلما يقوى على كتمانه حتى النهاية . وهو يعبر عن هـذا المعنى الدقيق بعبارته الجزلة فيقول : « ان الخواطر والسوانح ، على لطفها ودقتها ، وشدة حقائقها ، وعموم مشاربها ، تبدو وتظهر ، وتقوى وتكثر ، حتى يعـرف فيهـا الشىء بعـــد الشىء ، باللحظة والســحنة والتلفت وضروب اشكال الوجه ، فكيف ما ابتذله اللسان ، ونسجته العبـارة ، وظعن من مكان الى مكان ؟ » (« المقابسـات » ، رقم ٧ ، ص ١٤٦) . وكان التوحيدى يريد أن يقول ان الوقائع النفسية لا يمكن ان تظل احداثا مطوية في ثنايا شـعورنا ، بل هى لا بد من أن تـستحيل الى ظواهـر خارجيـة ، عن طريق التعبير اللغوى والسلوك الحركى ، فتصبح ظواهر موضـوعيـة تصلح للمعالجـة العلميـة . والتوحيدى هنا يكشف عن عقلية سيكولوجية ممتازة ، لانه يفهـم ان الظاهرة النفسيـة لا تبقى مكنونة في في طوايا النفس ، بل هى تظهر في العالم الخارجي على شكل تغير يلحق السلوك .

واذا كان علم النفس الحديث قد اثبت انه ليس ثمة شخص سوى او طبيعى بمعنى الكلمة ، وان الانحـراف النفسى يكاد يكون ظاهرة شـائعة بين الغالبية العظمى من الناس ، فان التوحيدى ايضا يحدثنا في مقابسـاته عن الطابع النسبى الذى يتميز به « العقل » لدى البشر ، فيقـول : « ان العقل بأسره لا يوجد في شخص انسى ، وانما يوجد منـه قسط بالاكثر والاقل ، والاشـد والاضعف .. » (مقـابسة رقـم ٥٤ ، ص ٢٣٤) . ثم يستطرد أبو حيان فيقول ، انه قد تسمع من المجنون الحكمة بعد الحكمة .. ولكن المجنون بقـدر ما يدر منـه لا يكون عاقلا ، والعاقل بقدر ما يدر منه لا يكون مجنونا » (المقابسـات ، ص ٢٣٧) . والظاهر ان التوحيدى قد اخذ هذه الفكرة عن احد الفلاسفة المعاصرين له ، فاننا نراه ينسب الى ابن زرعة انه قال : « ان المجنون مشـــارك للعاقل فى الجنس ، فاذا كان من العاقل ما يحسب ان يكون من المجنون كره ذلك له ، واذا كان من المجنون ما يعهـد من العاقل تعجب منـــه . والعقل بين اصـــحابه ذو عرض واسع ، وبقـدر ذلك يتفاضلون التفاضـل الذى لا سـبيل الى حصره . وكذلك الجنون بين اهله ذو عرض واسـع ، وبحسب ذلك يتفاوتون التفـاوت الذى لا مطمع فى تحصيله . وكما انه قد يبدر من العاقل بعض ما لا يتوقع الا من المجنون ، كذلك قد يبدر من المجنون بعض ما لا يتوقع الا من العاقل ، ولا يعتد بذلك ولا بهذا ؛ اعنى ان العاقل بذلك المقدار لايرى مجنونا ، والمجنون بذلك المقدار لا يســـمى عاقلا . » ولكن التوحيـــدى لا يقف عند حـد القول بوجود امتزاج او اختلاط بين العقل والجنون ، بل هو يفسر العقل بسيادة مبدا الوحدة على الكثرة او التعدد ، كما يفسر الجنون بسيادة مظاهر التعـدد او الكثرة على مبـدا الوحـدة او التكامل . واذا كانت الغالبية العظمى من النـاس لا تكاد تتمتع باى تكامل نفسى ، فذلك لان الكثرة تتوزعها ، والاهـواء تتقاسـمها ، دون ان يكون في وسعها الامسـاك بزمام نفسـها . ولا غـرو ، فان « الانسان وان كان واحدا بوجه ، فانه كثير بوجه آخـر .. » وهـذه الكثرة التى تتوزعه هى التى تحول بينه وبين الثبات على حال ، او الوصـول

الى أى استقرار • ولهذا يقول التوحيدى ان الانسان فى تغير مستمر ، وهو لا يكاد يتلاءم مع نفسه مطلقا • (« المقابسات ص ٣٦٠) • وربما كان الاصل فى معظم الامراض النفسية التى يقع الناس ضحية لها، أن الانسان قلما ينجح فى الاتساق مع نفسه ، بحيث تتحقق فى باطنه تلك الوحدة الضرورية لكل اتزان نفسانى •

واذا كان علماء النفس المعاصرون يتحدثون اليوم بكثرة عن « الصحة النفسية » ، فاننا نجد لدى التوحيدى اهتماما كبيرا بالحديث عما سماه باسم « شفاء النفس » ، فنراه يقرر فى أحد المواضع بصريح العبارة انه لا نجاة للنفس الانسانية الا بتوافق الظاهر والباطن ، وتلاؤم الشكل والحال ، وتكامل الفعل والانفعال ... الخ . والتوحيدى لا يفصل النفس عن البدن ، بل هو يؤكد أن سلامة النفس من سلامة البدن ، وأن تحقق « التكامل النفسى » لا يمكن أن يتم الا فى داخل جهاز عضوى متزن . وحينما يتحدث التوحيدى عن «السكينة» فانه يشير بهذا اللفظ الى ما أصبحنا نطلق عليه اليوم اسم « التوافق النفسى » ، أو « التكامل النفسى » . وهو يشرح لنا هذه الحالة النفسية المتزنة التى تقوم على التكيف والانسجام بين سائر قوى النفس ، فنراه يقول : « انما يشع من هذه السكينة على قدر ما استودع صاحبها من نور العقل ، وقبس النفس ، وهبة الطبيعة ، وصحة المزاج ، وحسن الاختبار ، واعتدال الافعال ، وصلاح العادة ، وصحة الفكرة ، وصواب القول ، وطهارة السر ومساواته للعلانية ، وغلبته بالتوحد ، وانتظام كل صادر منه ووارد اليه » • (« الامتاع والمؤانسة » ، الجزء الثانى ، ص ٢٠٨) . وكل هذه العبارات انما تدلنا على أن التوحيدى قد فطن الى أن الدعامة الاولى للصحة النفسية انما هى الاتزان العاطفى ، وتوافق الظاهر مع الباطن ، وتحقق ضرب من الانتظام العضوى فى صميم بناء الشخصية . ولعل هذا هو السبب فى ايمان التوحيدى بضرورة تحقيق شفاء النفس « من الداخل » ، ما دامت الاضطرابات الباطنية العميقة هى الاصل فى كل انحراف قد يطرا على السلوك . وهذا ما عبر عنه ابو حيان بقوله : « اعلم فى الجملة انك داؤك ، ولكن فيك دواؤك ، فاذا تسلط داؤك على دوائك غار داؤك بدوائك ... الخ » (« المقابسات » ص ٢٥١) .

تلك هى أهم الافكار السيكولوجية التى قدمها لنا أبو حيان التوحيدى فى تضاعيف دراساته الفلسفية . ولئن كنا قد ضربنا صفحا عن الكثير من ملاحظات أبى حيان فى مواضيع سيكلوجية أخرى عديدة ، كالعادة ، والانفعال ، والعاطفة ، والاحساس ، والتعويض ، والادراك الجمالى ، والتذوق الفنى ... الخ ، الا اننا ندعو القارىء الراغب فى الاستزادة من البحث الى الاطلاع على مؤلفات التوحيدى نفسها ، فانه لا شك واجد فيها الكثير من الملاحظات السيكولوجية القيمة . وكم كنا نود أن نضع بين يدى القارىء بعض النماذج الرائعة لتحليلات التوحيدى النفسانية العميقة ، خصوصا فى « الاشارات الالهية » حيث نراه يعبر عن معانى « الاغتراب عن الذات » بأسلوب مشرق نفاذ ، ولكننا لا نستطيع — مع الأسف — فى هذه العجالة (القصيرة) أن نأتى على كل تلك النصوص وإذن فحسبنا أن نقول ان فى تراثنا العربى صفحات خالدة فى علم النفس ما أحرانا بالعودة اليها والاهتمام بها والعمل على دراستها . واذا كان الباحثون فى علم النفس عندنا قد جهلوا حتى الآن معظم ما كتبه العرب فى هذا المضمار، فقد أصبح لزاما علينا اليوم ان نعمل على تعريف شبابنا بالانتاج الفكرى الهائل الذى خلفه لنا فلاسفة العرب فى مضمار الدراسات النفسية ، والاخلاقية ، والتربوية ••• الخ وعسى ان تلقى كلمتنا هذه استجابة سريعة من جانب المشتغلين بأمثال هذه الدراسات عندنا فى شتى الجامعات العربية وغيرها ...

دكتور
زكريا ابراهيم

صفحة من تاريخنا العربي

الإسلام والمسيحية يلتقيان

بقلم: محمود الشرقاوي

كانت زيارة الحبر الاعظم بابا روما ورأس العالم المسيحي الغربي للبلاد المقدسة في فلسطين مطلع هذا العام، وكانت بعض تصريحاته وتلميحاته عن القربى او التقارب بين الاسلام والمسيحية في عالمنا المعاصر تذكيرا لمن يتذكر بما كان للاسلام والعرب من تقدير لمشاعر المسيحيين وسماحة وكرم في معاملتهم حين فتحوا بيت المقدس في عهد عمر بن الخطاب فترك لهم كنيسة القيامة، واقام الى جوارها مسجدا على صخرة يعقوب . وحين استردوها على يد البطل صلاح الدين . وهذه صورة عرضها فاوفى واحسن واجاد أستاذنا الزيات في « الرسالة » في أسبوع قريب .

وفي تاريخنا العربي صورة أخرى عملية واقعية رائعة كريمة لحياة طيبة عاشها أهل وطننا العربي في تناسق وانسجام وتعاطف وحسن ادراك، حيث كانوا يعيشون متجاورين متحابين لايشعر فريق منهم نحو الآخر الا باكرم ما يحس به الأخ لأخيه من الود وحسن الجوار وكرم المعاشرة . كما هي المسيحية الحقة، وكما يأمر الاسلام السمح : لهم ما لنا وعليهم ما علينا، ما داموا يلتزمون الحق ويخضعون للقانون .

ونجد في رحلة « ابن جبير » الأندلسي، التي قام بها في بلاد الشرق العربي في الربع الأخير من القرن السادس الهجري : (الحادي عشر ميلادي)، سجلا رائعا لهذه الاواصر المتينة وروابط الحب والمودة التي جمعت بين المسلمين والنصارى في بلادنا العربية، وتلك الحياة المثالية التي عاشها أصحاب الديانات على الصفاء في عصر كانت الخصومات والاحقاد هي التي تسيطر فيه على عواطف أهل الغرب الصليبي وقلوبهم، وتسير جحافلهم كقطع السحاب ليعتدوا على وطننا العربي يريدون تخريبه واستعباده، وعلى ديننا الاسلامي يحلمون بمحوه واطفاء نوره، توجههم أو تسوقهم الى ذلك تلك الصيحات المجنونة الحمقاء التي كان يصيحها بطرس الراهب، والمطامع والشهوات والدسائس الخسيسة التي كان يدبرها ملوك أوربا وأمراؤها المتعصبون الطامعون .

وهذه صورة مما سجل ابن جبير عن حياة المسلمين والنصارى في بلادنا العربية كما شهدها بينهم .

ثلاثة مجتمعات مختلطة من المسلمين والنصارى وصف حياتها ابن جبير حين زار سوريا ولبنان وبعض جزر البحر الابيض المتوسط، ومن وصفه هذا ندرك قوة تلك الوشائج المتمكنة العريقة التي جمعت ووحدت بين سكان هذه المنطقة : المجتمع الاول كان مشتركا بين المسلمين والنصارى من أهل المنطقة أنفسهم . والثاني كان مشتركا بين المسلمين والمسيحيين الذين وفدوا مع رجال الحرب الاوربيين في الحروب الصليبية . والمجتمع الثالث كان مسيحيا كله، اتصل به ابن جبير بطريق المصادفة في أثناء رحلته فسجل فيها بعض المظاهر الشائقة لهذا المجتمع .

وهناك ظاهرة نريد أن نسجلها قبل أن نعرض هذه الصفحة من ابن جبير في وصف هذه المجتمعات هذه الظاهرة هي الكثرة التي نجدها - واخشى أن اقول الاسراف - في ذكر الازهار والغصون والشموع ووصفها بافاضة وتفصيل فيما تحدث به ابن جبير يصف فيه حياة الناس في تلك البلاد، بما يدل على ما كان للغصون والشموع والازهار من أثر في حياتهم، كثرة وحبا واستعمالا، فهو يذكر ما يرفع منها للزينة في الحفلات والكنائس ومايضاء من الشموع فيها وفي المساجد أيضا . وقد وصف حفلا أقيم في مسجد كبير فقال ان ثريا عظيمة من الشموع اقيمت فيه على هيئة الاغصان وثمار الفاكهة، ودقت مسامير الحديد في المحراب كله و « غرزت » في المسامير الشموع الكثيرة، فلما اضيئت كان من يقف على المنبر لا يستطيع ان يرفع بصره ولا أن يرى الناس امامه في ضوء هذه الشموع وسطوع نورها أمام عينيه . وكان هذا الحفل في رمضان .

نصارى الشرق والمسلمون

يصف ابن جبير المجتمع الاول - المختلط من المسلمين ونصارى الشرق - بكل ما يمكن أن يوصف به مجتمع من التناسق واليسر والمودة، بل المحبة، فيقول أن من يقصد الشرق - وكان حديثه عن سوريا

ولبنان ـ يجد جميع البلاد والقرى تفتح له أبوابها، وتستضيفه، وتكرمه حتى يطيب عيشه وينعم بالحياة الرخية مهما اقام فيها واطال من الزمن · وأن نصارى لبنان : (اذا رأوا به ـ اى بالجبل ـ احد الزهاد المنقطعين المتعبدين جلبوا له القوت، واحسنوا اليه ويفرحون قائلين : ان هؤلاء القوم من عباد الله الذين انقطعوا له، فنحن نحب أن نكرمهم ونعينهم على العبادة. فاذا أراد هذا الغريب أن يرحل عن المدينة أو القرية بعد طول الاقامة فيها وودعه اهلها أكرم وداع ، انتقل الى أخرى فتلقاه أعلها بكل ترحيب ، ولقى منهم مثل ما لقى من القرى الاخرى فيقيم بين أهلها يعمل أى عمل يحسنه أو يريده)·

مسجد نصفه كنيسة :

ووصف ابن جبير وصفا مؤثرا مظهرا من أعمق مظاهر التفاهم والود والصفاء والمحبة بين المسلمين والنصارى فى سوريا ، قال انه شاهد فى « عكا » مسجدها الكبير قد جعل قسم منه كنيسة · ففى مكان واحد كان يقوم محرابان ، واحد للمسلمين والثانى للمسيحيين ، ثم يقول : (··· فالمسلم والنصرانى يجتمعان فيه، يستقبل هذا مصلاه وهذا مصلاه ·) وكان الموضع كله ، مسجدا وكنيسة ، فى رعاية النصارى وهو : « معظم محفوظ » كما يقول ·

ونستطيع أن ندرك من هذا الوصف المدى البعيد لما كان يسود هذا المجتمع المختلط من مشاعر التصافى والمسالمة والتسامح والحب بين المسلمين والنصارى من أهل وطننا العربى · ونستطيع أن ندرك أيضا ، من هذه الكلمات النابضة المؤثرة التى وصف بها ابن جبير هذا المشهد ، أثر هذه الروح السمحة الخيرة فى نفسه ·

ويذكر ابن جبير أنه زار بلادا فى سوريا كانت اكثرية سكانها من المسيحيين وكان من يقيم بينهم من المسلمين يعيش فى أمن واطمئنان : (على حالة من الترفيه) قد لا يجدها غيرهم فى بلاد أخرى : (مساكنهم بايديهم وجميع أحوالهم متروكة لهم) · وبساتينهم وقراهم ومزارعهم وضياعهم لا يتعرض لها أحد · كما لا يتعرض أحد لشئون العقيدة التى يعتقدونها أو العبادة التى يؤدونها · وقال انه زار ضيعة قريبة من « عكا » ، كانت أغلبية أهلها من النصارى ، ولكن « ناظر » الضيعة كان من المسلمين

وكان ابن جبير حين زار هذه الضيعة يسير فى قافلة كبيرة من المسلمين ، فاستضافهم «الناظر» جميعا واكرمهم أعظم اكرام وكرمهم أبلغ تكريم وأحضرهم صغيرا وكبيرا فى غرفة واسعة بمنزله واحضر لهم الوانا من الطعام فشملهم بكرمه · وكان معهم ابن جبير · ثم انتقل بعد ذلك وصحبه الى « بانياس » (برفق وتؤدة) كما يقول ، فنزل فى بيت استأجره من سيدة نصرانية ·

فى جزيرة صقلية :

وقد زار ابن جبير جزيرة صقلية ووصف حياة المسلمين والنصارى فيها ، فذكر كنائسها الفخمة الرائعة وما فيها من الصلبان الذهبية · وذكر مساجد المسلمين الى جوارها وأنهم يذهبون اليها يصلون ويقيمون شعائر دينهم، وكان حاكم الجزيرة مسيحيا يعرف اللغة العربية ويتكلمها ، (يقيمون الصلاة باذان مسموع ولهم أحياء قد انفردوا بسكناها عن النصارى والاسواق معمورة بهم وهم أصحاب التجارة فيها ، ويدعون فى صلاة العيد لخليفة المسلمين العباسى ·) ولهم قاض يحكم بينهم على شريعة الاسلام · ولهم مساجد كثيرة يحفظ فيها صبيانهم القرآن ·

وكانت زيارة ابن جبير لصقلية فى شهر رمضان فوصف الشعائر الاسلامية التى كان يباشرها مسلموها · وجاء عيد الميلاد فى الوقت نفسه ، فوصف احتفال المسيحيين به وصفا شائقا يقول فيه ان الرجال والنساء والصبيان كانوا يشتركون فيه فى أبهى زينتهم وأجمل ثيابهم · وكانت نساء المسيحيين يلبسن مثل نساء المسلمين ويضعن على وجوههن النقاب ، ويتحدثن العربية · (ويبرزن لكنائسهن حاملات جميع زينة نساء المسلمين من التحلى والتعطر والتخضب) ·

زفاف مسيحى :

وفى مدينة «صور» شهد ابن جبير زفافا مسيحيا شائقا اشترك فيه الرجال والنساء ، وشهده الرجال المسلمون ، يتفرجون على « البوقات والمزامير وجميع الآلات اللهوية حتى خرجت العروس ، تتهادى بين رجلين يمسكانها من يمين وشمال وهى فى أبهى زى وافخر لباس تسحب أذيال الحرير المذهب » ويصف بعد ذلك سير العروس واكليلها وحملة ذيلها كما

الفنان

بقلم : دكتورة نعمات احمد فؤاد

(لابد للانسان من فلسفة كبيرة ليلاحظ ما يراه كل يوم) .

حكمة لا أتذكر الآن اسم قائلها وان كانت تفتح عينى كلما مرت بخاطرى على أشياء كثيرة ، لااقول انهــا ترقى الى الفلسفة ، ولكنها صورة من صور الحياة يلتقى فيها التأمل بالشعور ... الحياة التى ننسى أننا فيهــا يكمل كل منا الآخر ، ثم يتعــالى بعض أو يسخر قوم من قوم أو يتفاضلون .

ولو تعمقنا المعانى والأعمال لعثرنا على قيم كثيرة عزيزة ما أحرانا ان نتأملها ... ففى المهن مثلا نجد الوانا من الدلالات والمضامين .. والنماذج ..

هناك الفنان..ولكن هل الفن مهنة ؟ حاشاه.. انه متعة وعذوبة وخير ومبــاهج وافراح ودنيــا خضراء ... الفنان خالق صغير أو انسان كبير .. كبير ... حتى القلق فى الفن يحــلو ... انه ارهاص ... بشير ميلاد جديد والفنــان لا يعدم صديقــا ولو جحده الناس وأضمره زمانه .. انه صــديق الأشــياء ... المعــانى .. الأفكار .. الكلمات .. الكائنات جميعا لا بل قــد يكون مــع صديق أو فى جمع من الصحاب فــلا يعيرهم الا بعض سمعه .. بعض يقظته لانه يعيش مع فكرة ، أو يسبح مع ذكرى أو يحلم بصورة أو يتمنى .

ويفتح الناس عيونهم فلا يتجاوزون فى الرؤية حدود الأشياء وينظر الفنان فيرى كثيرا .. يرى ماوراء الأشياء ... كل ما حوله يسر اليه حديثا ويروى له قصــة ... ويطــول السرار ... والحوار ... فاذا عرف النــاس تعجبوا ولعلهم يتساءلون...اين كنا ؟ او ليس منا ؟ فلا يخرجهم من حيرتهم الا ان يقولوا ... « فنان » .

يعيش النــاس حياتهم بالطول ويعيش الفنــان حيــاته بالعرض ، .. ويقطعونهــا فى وناء وبطء وبطوبها وثبا وقد يحســبهم الجاهل اطول اعمارا فى حساب السنين والايام ومادرى أن الفنــان وان ذوى ابقى اثرا واخلد ذكرا واســير اسما واغلى حياة .

وقد يكسب الاغمار والأوساط المال ويجمعون منه الذخائر والقنى ويعيش الفنــان يومه فحسب بل قد يضوى جســمه حين تتوهج روحه وهــو وادع كالشــمعة رقيق مثلهـــا فــداك على اسلوبها ... فاذا احترق خلف ما يخلفه الشماع

تعرفه الآن فى زفاف المسيحيين . ثم يقول ان أهل العروس اقاموا « سماطا » جمع أهل الحى كلهــم واشترك فيه جيرانهم المسلمون .

وعيد الميلاد :

وقد ترك ابن جبير بلاد الشرق الاوسط على ظهر سفينة ملاحها وقائدها مسيحى من جنوا – وكانت امارة بحرية معروفة فى ذلك العصر – وركبها معه كثير من المسلمين . ويصف الحياة على ظهرالسفينة وصفا لا يشعرنا بشىء من الغضب او الحقــد او التعصب . كما يصف يوم عيد الميلاد المسيحى فى كنيسة احتفل به فيها الرجال والنساء ، وامتلات الكنيسة بالاشجار والزجاج الملون الذى يخطف نوره الابصار فى ضوء الشموع الباهر .

هذه الحياة السمحة بين المسلمين والمسيحيين فى شرقنا العربى ، كما شــهدها ابن جبير . ووصفه لكنائس النصارى وحفلاتهم وأعيادهم وصفا لايشعر كما قلنا ، بشىء من الحقد والضغينة ، سجل مشرف ودليل قائم على أنه ، عندما يسير الناس فى سياج العقل والحكمة ، ويباعدون بينهم وبين عواطف الشر والخصومة والتعصب والجهالة . عند ذلك يعيشون فى وفاق وأمن وسلام ومحبة كما يعيش الاصفياء ، ولكل دينه وقبلته .

الدين لله والوطن للجميع .

محمود الشرقاوى

القارب من أثر وذكر ومتاع ... يظل الفنان يعيش ويحيا نغمة سارية أو قصيدة مدوية أو كتابا ذائعا .. او عملا رائعا .. ويعيش الناس فى فنه وفى سيرته وهو نائم ملء جفونه حيا او ميتا . انهم ، سواء اتفقوا أم اختلفوا ... متذوقون .. وهو الفنان .. ما اكرمها صفة وما أكرم صاحبها . قد ينبغ المهندس او الطبيب او المحاسب فلا يبلغ مدحه أقصى مداه الا اذا قيل فنان ...

ان الهندسة وحدها أو الطب وحده أو الاقتصاد مهنة مرموقةفى دنيا الناس ولكنهاحين يكون صاحبها فنانا فى عمله تفتح له السماء أوسع أبوابها فقد منحه الفن سحره ونفعه بعطاياه ومضات ولمسات وطاقات خالقة صناع .

ان الفن هبة يحظى بها السعيد ثم ترفد الموهبة الغالية قواعده وخصائصه ولا يغنى عن الموهبة فى الفن تعلم مهما بلغ .. انها الاصل والمنبع هيهات ان تتاتى بالتقليد او التلقين او التمرين مما يدخل فى باب الصنعة او الحرفة حين يختلف الفن عن عاملية العامل مصعدا الى سماوية الفنان .. وقديما كان الفن يهول الناس فينسبونه الى وادى عبقر ويحسبون صاحبه أخا للشياطين يوحون اليه او العرائس يهدينه بدائع الالهام .. انه أكبر من هذا .. انه نفحة من السماء ولمحة من نور الله .. ومن هذه الحقيقة استمدت .. الفنون رسالتها ، ورسالتها كما يقول أستاذنا الزيات « أن تجمل الحياة وتهذب الحضارة وتسمو بالانسان . واذا كانت الفنون الآلية قد اخترعت لتخدم الجسد فان الفنون الادبية قد اصطنعت لتخدم الروح فهى اذن ضرورة وحاجة لاكمال ومتعة . ولايتسنى لها أن تؤدى هذه الرسالة الا اذا احتفظت بالجزء الالهى الذى يقرب الادب من الدين ويربط الارض بالسماء ويدنى الانسان من الملك . هذا الاتصال الروحى أو الالهام الذهنى او الاستعداد الفنى متى اوتيه الانسان سما بملكاته على الناس فلا يفكر تفكيرهم ولا يشعر شعورهم ولا يعبر تعبيرهم ولو اكرهناه على أن ينزل اليهم ويندمج فيهم لنفر نفور الجنس الغريب وتميز تميز الكائن المستقل » .

الفن له أصوله المتميزة وفنونه وقدراته وما أصعبها على غير الكفء ؛ وقليل الوسائل ولن تخدع العارفين الدعاوى العريضة والتمسح بالشعب فى هذا المجال ؛ فالفنان الصادق رادار يسجل أدق خلجات شعبه بل خلجات الانسان أيا كان وكم من اعمال فنية خالطت الناس فى الاسواق والاكواخ وتواكبت فيها صور الفضيلة والرذيلة .. وهى على حالها واوصافها مجلى للفن ومظهرا له على اختلاف الموضوع والمادة والامثلة كثيرة فى كل امة تسهم فى حضارة الانسان .

ولكن الفنان بقدر ماتضاعفت رهافة الحس عنده ؛ الرؤية والفرح بالجمال فى كل شىء ؛ فان هذه الرهافة نفسها تزيد احساسه بالحرمان وشقاءه به ؛ واظهر مايكون هذا فى الممثل والمغنى ان الاديب فنان مختار يستطيع أن يتخفف ممايؤوده من انفعالات بالتورية وبالسخرية .. بالقصة .. بالصورة .. بالمسرحية .. بالرمز .. يستطيع الاديب أن يقول كل شىء دون أن يؤخذ بشىء.. يستطيع أن يتحايل بالتاريخ او يختفى وراء الفن .. ما اكثر مايستطيعه الاديب . وهو فى هذا أطول باعا من الرسام والموسيقى واكثر فنونا وابرع وسيلة .. ما اكثر مايستطيع الاديب .

ولكن الممثل فنان ومتلق معا فهو يعطى الدور وعليه أن يحسه .. بحياة كل امرىء يعيش حياته يعيش الممثل حيوات كثيرة متنوعة بل متباينة ومتناقضة .. يؤديها كلها على اتفاق فى الحرارة والصدق .. والاقناع او هكذا يجب ان يكون .. وقد يهزل أعنى يمثل هزلا فيضحك المشاهدون ؛ وقد يبكى فيأسى النظارة؛وقد يستخف أناس قائلين ليس الا تمثيلا كان بالقليل أن تغدو الكلمة المكتوبة او المسموعة حقيقة أو كالحقيقة تحرك مشاعر الناس فتسعدهم أو تبكيهم .. ان الممثل فى الحالين يعطى الكثير من نفسه ليصل الى هذه الذروة .. وقديكون واقعه على النقيض من دوره فيضحك وهو يبكى ويمثل السعادة وهو حزين معنى وما اقسى مهمته عندئذ وما اشقها ولو لم يدر الغافلون .. وشبيه به المغنى الذى يهدهد العواطف ويناغى القلوب وقلبه خاو ذاو لا يجد الحبيب .

وهكذا الفن فى أوجه الأعلاو فى حياتنا اليومية ضرورة يجدب بدونها العيش وتقفر بغيرها الحياة حتى الترف فيه ميزة ترفع صاحبها فى رأى العين لفضل الذوق والاحساس والتعبير .

دكتورة
نعمات أحمد فؤاد

في الجنة العذراء

بقلم : الدكتور أحمد كمال زكي

اذا قرأنا رواية كالسقطة من تأليف كامي أو رواية أخرى كالطريق من تأليف نجيب محفوظ ، فان انطباعنا الاول ان واحدا من هذين لا يريد أن يخبرنا بكل شيء . ولقد يبدو انه يتعمد الا يكون عطاؤه كاملا ، غير اننا من غير أدنى شك نحس أنه يجذبنا اليه وان يكن يثير فينا - في آن واحد - الاحساس بالتعاطف والغيظ معا .

ولكننا اذا قرأنا لعبد الحليم عبد الله اعماله نحس انه يقص علينا الحكاية بالتفصيل ، ويلح بالأحداث الحاحا موضوعيا قد تنعدم فيه الذاتية أو يخفت صوتها ، وتتصور ابطاله مقيدين بقوى مفروضة لا تجعلها تخرج عن طريق رسم لها بذكاء .

ومما يمكن ان يضاف ايضا ان عبد الحليم عبد الله - كممثل لاتجاه في الرواية يخالفه فيه نجيب محفوظ - يقدم لنا قرائن واضحة عن الموقف ولا يتكىء الا على ان العواطف هي في ذاتها محور القيمة الفنية ، أو تكاد . ومن ثم لا ضرورة لوجود مضمون معين أو ليس من المقرر أن تثار احدى القضايا التى تشكل لونا من الوان الاحتجاج .

هذا وبينما يظهر عبد الحليم واضحا مستقيم الطريق ، يصور نجيب محفوظ عن قفزات اللاوعى فى التواءات يمثلها تردد عباراته بين الأنا والهو ، فيلغى بعفوية كل فاصل بين الانسان الذى يفكر والانسان الذى يحس .

ومن الخطر بعد ذلك ان نمضي فى تعداد الفروق ، كذلك لا ينبغى ان نضع اية قوانين تفرض بها منهجين متباينين فى القصة المعاصرة ، فلا يزال قاصونا يعتمدون القديم الى حد التقديس ، ويأخذون بجانبه أشياء من الجديد الذى يطلق عقال التعبير الى خارج الشكل المألوف . ومن ثم لا نزعم أن نجيب محفوظ ترك نهائيا تقاليد القدماء ، ولا ان عبد الحليم عبد الله لا يزال عند النقطة التى بدأ منها كتابة « لقيطة »

يدل هذا على ان النزعة السائدة فى اتجاهات القصة والرواية - طيلة السنوات العشر الأخيرة - هى التخلى عن بعض التقاليد التى تجمد الحياة . وعبد الحليم عبد الله نفسه وهو الذى ينتمى الى مدرسة المقامات - كما يلاحظ ذلك فاروق خورشيد بحق - يطرح جانبا كثيرا من تقليديات الاسلوب فى روايته الأخيرة « الجنة العذراء » فيكون اقرب الى الواقعيين ، ومع ذلك فلا ازعم انه يتخلى نهائيا عن الرومانسية التى شهر بها فى النقطة التى بدأ منها كتابة « لقيطة » .

واذا كان للكلمتين « واقعى » و « رومانسى » اى معنى ، فانه لا يخل مطلقا بتحديد خط السير كما رآه قصاصو القرن التاسع عشر العظماء . ومن هنا ينتمى عبد الحليم عبد الله الى المدرسة الكلاسيكية سواء صدر عن حس واقعى أو تهويم رومانسى ، وسواء تمسك ببلاغية المقامة أو اصطنع الاسلوب المرسل .

(٢)

والاشارة السابقة الى « الجنةالعذراء » تضعها فى اطار الأعمال التى لا تزال بعيدة عن نفوذ الوجوديين ، وهو مستشر اليوم ، وذلك لوقوف الحقيقة الفنية فيها موقفا عقلانيا متزنا . ومن ناحية أخرى فان عبد الحليم عبد الله يختار لها « موضوعا » تقليديا ، فلم يكن بد من أن يجابهنا فيها بشكل الرواية المألوف ، أو هذا ما فرضه الموضوع التقليدى . وانه لأمر يدعو الى الملاحظة حقا أن يدور عبد الحليم عبد الله حول فكرة ابتذلت فى اعمالنا الفنية ولم يبتذل هو بها ، مما يدل على خصوبة يمكن استغلالها عنده فى موضوعات اكثر خطورة وأكثر طرافة .

والرواية تحكى حكاية « الحق المغتصب » أو قل هى ترصد للظلم الذى يواجه به الانسان بلا مبرر . فرضا ابن « بهية » القروية من زوجها الثرى « الحاج ماضى » يقع ضحية أخيه « حمودة » غير الشقيق . ولقد دبر حمودة تدبيرا اطاح بالأم وابنها رضا ، فصحبته الى اخيها بالقاهرة - وكان عامل قهوة - فوجدته يعيش فى بحبوحة ومعه زوج لعوب كانت امرأة لصاحب القهوة قبل أن يدخل السجن .

كانت حياة شائلة فهمت بهية منها امورا معينة، ولكنها وضعت آمالها فى ابنها فعلمته، وتفوق هو ، واصبح مطبعيا ماهرا يفهم كل شيء .. حتى حكاية طرده ، ورغبة اخيه فى الاستئثار بارض ابيه المريض ، وهى الجنة العذراء !

وفى سنة ١٩٣٩ تقع الحرب العالمية الثانية ، فلا يحزن لها رضا بقدر ما يحزن على وفاة ابيه بعد صرع كانت نوباته تعاوده بين حين وحين . ولقد علم أن حمودة انتهز فرصة تعرضه لاحدى هذه النوبات ، واخذ بصمات ابهامه على صك بيع كل ارضه له . وهنا يعلن انه سيحارب اخاه حربا دونها الحرب التى تطحن البشرية طحنا ، ويجعل صديقه « حسن » الجندى همزة وصل بينه وبين « البلد » التى فيها الجنة العذراء ، كما عقد اتفاقا مع « البتانونى » المحامى الأفاك الذى يعرف اخاه كل المعرفة كما يعرف أنسباءه الاثرياء .

وبينما كانت الاستعدادات للمعركة دائرة يقع هو فى حب « ثريا » بنت عم جابر جاره ، وتبادله هى الحب وتعاهده على الزواج . ولكن الانجليز يختطفونها ذات امسية فلا يراها ابدا . ومن جانب آخر تنطلق رصاصة مجهولة تودى بحياة اخيه وينتهى كل شيء ، او تضع الحرب اوزارها .

تلك هى الرواية باكبر خطوطها ، وقد تعمدت أن اسقط منها كثيرا من المواقف لا تنمى — فى رايى — الاحداث ولا تطورها ، ولكن تشارك فى ايجاد عنصر الاثارة والتشويق . واذا كان هذا فى حد ذاته مقياسا تقاس به الاعمال الجيدة ، فانه لا يمكن أن يكون مقبولا على طول الخط ، والا كان علينا أن نقدم روايات « موريس لى بلان » و « روفائيل ساباتينى » على اعمال « ديكنز » و « هاردى » و « دوستويفسكى » .

ومعنى هذا ان « الجنة العذراء » يتوفر عنصر الاثارة فيها — ولا سيما فى قصة الحب الذى نشب بين رضا وثريا وفى مواقف البتانونى كلها — لاتقدم شيئا . فلا الحب كان له أدنى اثر فى تعقيد المواقف وحلها ، ولا المحامى اضاف اضافات ذات مغزى فنى مجدد ، بل كان عبد الحليم عبد الله بغيرهما يبدو طبيعيا بسيطا .

ومن ناحية اخرى فان عم جابر كان كشقيق بهية تماما . كلاهما مقحم يتحرك وفق مخطط مفتسر ، وهما داخل الاطار التقليدى اشبه بالنكرات التى يقدمها المسرح احيانا دون ان يرى احد بوضوح انها تكشف عن اى رابط عضوى بينها .

ولقد يمكن لعبد الحليم عبد الله ان يجاهر بانه يعرف الرابط ، بل يمكن ان يقيم الدليل على وجوده وتفاعله ، غير أنه لا يستطيع قط أن يدعى ان امثال عم جابر اذا اسقط يسقط ركن من اركان الرواية .

(٣)

ولكن هل « الجنة العذراء » حقا بلا مضمون ؟
فى تحليلنا لعناصر الشكل الروائى ظهر لنا فى وضوح أن الحس التراجيدى عند عبد الحليم عبد الله — وان يكن مرتبطا بحس الطبقة التى ينتمى اليها — كان من الوهن بحيث لم يضعه فى مستوى ازمة الثلاثينات التى عاشتها مصر هذا القرن . لقد استطاع ان يخلق البطل الذى يبحث ويبحث — والبحث احدى قضايا الانسان المعاصر — غير انه ضيع فى الطريق جدوى البحث. ومن الطبيعى ألا نطالبه بايجابية ما ، كان يهتدى الباحث بأحد الحلول ، ولكن الطبيعى ان نطالبه بالا يجعل الصدف اليد الطولى فى وضع نهاية للبحث . وانا اذكر هنا — على سبيل المقارنة العارضة — أن نجيب محفوظ فى روايته القصيرة « الطريق » لم يشا ان يكون حاسما فى وضع النهاية لبحث بطله عن ابيه ، ولكنه وضع النهاية لحياته هو فى ماساة ضاع فيها كل شيء .

اما عبد الحليم عبد الله فقد قضى على المضمون الكبير فجاة عندما قدر ان يقتل الأخ — ولم يعرف قاتله — ويطلع فجر كاذب . مع انه ضيع قلب البطل كما ضيعه أبوه او اخوه سنين طوالا وكان من الممكن أن يجعل هذا الضياع ضياعا الى الأبد فيزداد الحس المأسوى عنده ، ويزداد بالتالى المضمون تحديدا .

انا لا ازعم أن ما اراه هو الاصوب ، فالكاتب صياغته واسلوبه فى ايصال التجربة الفنية لأى متلق . ولكنى أرى انه كان من الممكن أن يفعل اى شيء آخر ليخرج بروايته عن النهايات المتبعة ،

ولا يظل باسم « القاعدة » و « المألوف » يهدر حق الابطال فى ان يعيشوا بمنطق الفن كما يشاءون ، وينتهوا فى معركة المقاومة والصمود .

وارجو الا يفهم احد انى ادعو الى الانهزامية او انى متشائم — فمن الواضح ان قضية الانسان المعاصر لم يعد من السهل القطع فيها ، وهذا محزن حقا — ولكنى ارجو ان يكف عبد الحليم عبد الله عن التظاهر بأى تفسير تعسفى حتى يجعل الشمس تشرق وتأتى ساعة الخلاص . كلا، فليس بالتفاؤل نقضى على طغيان الزمن ، ونجابه الموت ، ونصل الى المعرفة واليقين . وانما بالتحدى والاحتجاج نجرب لحظات السلام والسلام ، ثم نموت بعد ذلك فى هدوء عندما يحين لنا ان نموت .

والاحساس بالموت نفسه تجربة انسانية رصد لها عبد الحليم عبد الله ، ولكنه لم يبلوره بحيث يكشف عن العجز البشرى ازاءه . وقد يكون عنده ما يبرر مروره بهذه التجربة مر الكرام ، غير ان اقترانها بالبحث كان من الممكن ان يجعل المضمون اكثر خصوبة واسمح عطاء ، فالبحث والموت جزء من كيان الانسان ، وكذلك هما جزء من حضارته التى يبنيها ، وما من احد يستطيع ان ينكر ان حياة اليوم يمكن ان تتخلص من المصير الزائل .

اجل .. لم يفعل ، وكان يرى الموت فى كل مكان وفى عين كل انسان .. الاب يموت ، وحمودة يموت ، ومعلم القهوة وثريا والجنود الذين يصطرعون — كلهم يلعبون لعبة الفقد ، بينما ليل القدر ينسحب على القرية وعلى الميدان وينعقد فوق السطح وداخل المخبأ .

ان فيض الظلام يطبق على الارض ، ويطبق على نفس « رضا » وعلى امه وشقيقها ، ولكن عبد الحليم عبد الله مع ذلك لا يريد الا ان يستمتع بشروق الشمس الكاذبة . انه يدفع بطله ليبحث عن مصيره وهو لا يكتشف — فنيا — ان الموت يلازمه ، وهو يحس به، وبراه يغشى قريته والمدينة وبلاد العالم المتحارب .

واذن فقد كان هناك مضمون، ولكنه كان غائما ، وافتقر دائما الى الحس التراجيدى من ناحية ، والى الحركة الذكية من ناحية اخرى .

دكتور
احمد كمال زكى

الرّؤيــــة

بقلم : الدكتور حسين نصار

كنا صغارا ، ومرت اعوام . وكان رمضان ذا معنى ، فمر له معنى وثان . ولكنه — على تعدد معانيه وتغايرها — بقى شهر الذكريات ، بقى الشهر الذى يجتمع فى مطلعه اهل بلدتنا ليبحثوا عن هلاله الوليد ، والذى تجتمع فى كل ايامه العائلة فى افطار وسحور ، وتجتمع فى لياليه العائلات فى سمر وحبور . ذكريات كلها حلو ، وكلها تحب النفس أن تستعيده .

وأول ذكريات رمضان « يوم الرؤية » او « الريا » كما اعتدنا أن نتلفظ بها فى تسهيل للهمزة ووقف على هاء التأنيث .

والرؤية ليست من ذكريات فرد ، ولا جماعة ، بل من ذكريات المجتمع الاسلامى كله ، فى تطلعه لاثبات مستهل شهر الصوم . ولكن المجتمع المصرى خاصة احتفى بها احتفاء عظيما ربما فاق غيره من المجتمعات .

وابتدأ الاحتفال بالرؤية بسيطا ساذجا ، اذ قيل ان الناس طلبوا الهلال فى أثناء قضاء عبد الله بن لهيعة الحضرمى على مصر (١٥٥ — ١٦٤ هـ) فلم يروه . ولكن رجلين أتيا فزعما انهما رأياه . فبعث بهما موسى بن عيسى والى مصر الى القاضى ، وسأله عن عدالتهما فلم يعرفهما احد . واختلف الناس فى رمضان وشكوا . فلما كان العام المقبل خرج عبد الله بن لهيعة فى جماعة يعرفون بالصلاح . فطلبوا الهلال بالجيزة ، فهو أول قاض خرج فى البحث عن الهلال .

ثم تعدى القاضى هاشم بن ابى بكر البكرى (١٩٤ — ١٩٦) الجسر ، وارتقب الهلال فى جنان ابن ابى حبشى . وبقيت القضاة على ذلك الى ان تولى القضاء ابن أبى الليث (٢٢٦ — ٢٣٠) فارتقبه فى أصل المقطم .

ثم خضعت مصر للفاطميين . فجعلوا همهم فى الاعياد والمواسم ابراز مظاهر عظمتهم وترفهم . فعنوا بها اعظم العناية ، واحتفلوا فيها اكبر الاحتفال ونال يوم الرؤية من ذلك ماناله غيره . فكان الخليفة الفاطمى يركب فى موكب مماثل لموكب الاحتفال بأول العام الهجرى .

وكان الاعداد لهذا الموكب يستغرق اياما ، يأمر الخليفة فيها باخراج الاسلحة والاعلام والطبول والخيل والبغال والسروج والهوادج وغيرها ، وتفريقها على كبار رجال الدولة ، مع مراعاة قدر كل منهم فى هيئة ما يعطى له وعدده ، لاستخدامها فى اثناء الموكب ثم يردونها .

ويتم الاحتفال فى يومين ، يطلق على اليوم الاول اسم «عرض الخيل» . وهو شبيه بالاعلام بيوم الاحتفال بعده . ويبدأ الاحتفال فى صباح اليوم الاول ، بمن يسمى « صاحب الرسالة » يبعثه الخليفة الفاطمى على حصان سريع لاستدعاء الوزير من بيته . فاذا ماعاد من رسالته ، واعلم الخليفة ، انتقل هذا راكبا الى دهليز باب الملك ، فينزل فى الموضع المسمى بالشباك ، وقد ارخى عليه ستر يحجبه عن عيون الرعية . ووقف الى يمينه زمام القصر ، والى يساره صاحب بيت المال .

ويركب الوزير من داره ، ويسير فى موكب من الأمراء ، الى ان يصل الى باب القصر ، فيترجل الامراء ، ويدخل الوزير راكبا من باب العيد ، فاذا بلغ أول باب من الدهاليز الطوال ، نزل وسار وحوله حاشيته الى الشباك ، فيجد كرسيا كبيرا وواطئا فيجلس عليه . فيرفع زمام القصر وصاحب بيت المال الستر الذى يحجب الخليفة ، فيقف الوزير ويسلم ويخدم بيده الى الارض ثلاث مرات او خمسا . فيؤمر بالجلوس .

ويستفتح القراء بالقراءة بآيات لائقة مقدار نصف ساعة ، ثم يسلم الامراء ويبدأ عرض الخيل التى اعدت لركوب الخليفة ، فيعرض نحو مئة منها ومن البغال ، وقد بولغ فى تزيينها ، فصيغت مراكبها من الذهب والفضة ، أو الذهب المنزل فيه المينا ، ورصعت باللؤلؤ ، وغطيت جلودها بالديباج الملون ، وطوقت اعناقها بالذهب وقلائد العنبر ، وحليت ايدى اكثرها بالخلاخل المموهة بالذهب . فتسير الدواب هادئة فى ايدى سواسها كأنها العرائس .

وبعد انتهاء العرض يأمر الخليفة بعشر من الدواب للوزير وخاصته . ثم يعود القراء الى التلاوة . وعند الفراغ منها يرخى الستر على الخليفة ، فيقوم الوزير ، ويدخل عليه ، ويقبل يده ورجله ، ثم ينصرف الوزير راجلا الى موضع دابته ، فيركب ويسير حوله من الى معه الى باب القصر فيمتطون دوابهم ، ويعودون الى دار الوزير بالهيئة التى أتوا عليها .

وبعد صلاة الظهر من اليوم نفسه ، يجرى فى القصر احتفال مختصر آخر ، اذ يجلس الخليفة لتعرض عليه خزانة الكسوة الخاصة ، ليعين مايلبسه فى موكبه ، وكان يتحرى فيه البياض غير الموشح . فيعين بدلة ومنديلا خاصا لشد التاج شدة غريبة تسمى شد الوقار . ويختار المظلة اللائقة بهما ، وعمودها من الزان الملبس بأنابيب الذهب ، ويعلو الجزء الاعلى منه كرة صغيرة من الذهب المرصع بالجواهر ، الى جانب مافيها من زينة اخرى . وتطوى المظلة فى منديل دبيقى ، من الحرير الخاص ، فلاتكشف الا فى الموكب ، ثم تعرض على الخليفة اليتيمة ، وهى جوهرة عظيمة ، موضوعة فى هلال من ياقوت أحمر ليس له مثال ، وحولها جواهر دونها . فتنظم فى قطعة من الحرير احسن مايمكن من تظم ، ثم تخاط فى التاج بخياطة خفيفة ، ليضعها الخليفة على جبهته ، وقد استدار بها قصب الزمرد العظيم القدر . ويصدر الخليفة آخر اوامره بالاستعداد للموكب .

وفى اليوم التالى يبدأ الاحتفال الكبير . فينقسم الناس الى قسمين . يبكر الامراء الى دار الوزير ، فيركب من غير استدعاء ، ويقصد القصر فى موكب عظيم . يتقدمه تشريف الوزير ، ويتألف من الامراء والجند الذين أعطوا الرماح الملبسة بأنابيب الفضة المنقوشة بالذهب ، سوى ذراعين منها شد فيها قطع من الحرير الملون ، وبرأس كل واحد كرات من الفضة وأهلة مجوفة ، فيها جلاجل تصدح عند

تحركها ، ومائة هودج ملبسة بالديباج الاحمر والاصفر ومحلاة بالفضة والبنود الديبقي المرقوم الملون برماح ملبسة بالانابيب على رءوسها الكرات، وعشر من الخيل المزينة . ثم يسير لواءان على رمحين ملفوفين غير منشورين ، ثم الوزير ، في ابهة عظيمة من الثياب الفاخرة ، وادار عمامته بحنكة ، وتقلد سيفا مذهبا .

فاذا بلغ الوزير القصر ، وجد ارباب الرتب والسيوف والاقلام مصطفين بين القصرين. فيترجل من حوله عند باب القصر ويدخل هو راكبا الى دهليز العمود . فيترجل على مصطبة هناك ويمشي الى القاعة ويجلس بها .

وعند ذلك يؤتى بدابة الخليفة وتسند الى الكرسي الذي يركب منه . فتخرج المظلة وتعطى الى حاملها

ثم يخرج السيف الخاص ، وجلبته ذهب خاص مرصعة بالجواهر ، في جراب مرقوم بالذهب ؛ لا يظهر سوى راسه . ويحمله امير عظيم القدر .
ثم تخرج الدواة الخاصة ، وكانت من الذهب، المحلى بالمرجان ، ملفوفة في منديل من الحرير الابيض المذهب . فيضعها حاملها بينه وبين قربوس السرج .

ثم يتقدم الوزير ومن معه فيتقدم الى جانب دابة الخليفة . فيرفع صاحب المجلس الستر ، فيبرز الخليفة مرتديا ما اختار من لباس ، وهو محنك ، مرخي الذؤابة على الجانب الايسر ، متقلد سيفا عربيا ، وبيده صولجان الملك ، من العود المكسو بالذهب ، المرصع بالجوهر ، وطوله شبر ونصف .

فيسلم قوم مرتبون للسلام على الوزير ثم على اهله ثم على الامراء . ثم يخرج اهل المجلس من القصر جماعة بعد اخرى ، وفي مؤخرتهم الوزير . فيقف امام باب القصر الى ان يخرج الخليفة، تمشي دابته على البسط ، وتحيط به حاشيته . فعندما يقرب من الباب ، ينفخ رجل بوقا معوج الراس من الذهب ، فتجيبه ابواق الموكب . وينشر المظلة حاملها بمعونة جماعة من الصقالبة ، ويركزها في آلة من حديد على هيئة القرن ، مشدودة في ركاب حاملها الأيمن . ويخرج الخليفة من الباب ثم يقف مقدار ما يركب أرباب الرتب الذين كانوا بالقاعة . ويبتدىء الموكب .

فيتقدم اجناد الامراء واولادهم واخلاط بعض العسكر ثم الاماثل ثم ارباب القصب الفضة ثم ارباب الأطواق ثم الاستاذون المحتكون ثم حاملا لواءى الحمد ، وهما رمحان طويلان ملبسان بانابيب الذهب الى نصفهما ، وبراسهما لواءان من الحرير الابيض الموشي بالذهب ، ملفوفان على رماحهما ؛ ويحملهما اميران .

ثم ينقسم الموكب الى قسمين في الجانب الايمن اهل الوزير ، وفي الجانب الايسر حامل الدواة ثم حامل السيف .

ثم ياتي الخليفة الذي يحيط به من جميع الانحاء صبيان الركاب ، الذين لايتركون غير فرجة صغيرة لراس دابته ، يسيرون في الف رجل ، عليهم وفي اوساطهم المناديل ، يشهرون من السلاح السيوف المصقولة المذهبة ، والدبابيس الملبسة بالجلد الاحمر والاسود ذات الرءوس المدورة المضرسة ، والفئوس المستطيلة الرءوس ، والعمد الحديد المربعة ذات المقابض المدورة المسماة بالمستوفيات ، وغيرها . ويقرب من راس الدابة صقليان يحملان مذبتين كالنخلتين . والى اليمين صاحب المقرعة ، وهو الذي يؤدي عن الخليفة أوامره . والى اليسار صاحب المظلة .

يليهم قوم آخرون من صبيان الركاب ، يحمل كل واحد سيفا في خريطة من الديباج الاحمر والاصفر بشراريب ، يقال لها « سيوف الدم » . ثم صبيان السلاح الصغير ، وهم ٣٠٠ من الشباب من رقيق السودان ، يحمل كل منهم حربتين مفضضتين في شرابة واحدة ، ودرقة .

ثم ياتي الوزير في موكبه المؤلف من نحو ٥٠٠ من صبيان الزرد الاقوياء ، ثم الطبول التي تسير ثلاثا وراء ثلاث ، والصنوج والصفافير . ثم ياتي حامل

الدرقة المذهبة المنسوبة الى حمزة بن عبدالمطلب ، يحملها امير مميز فى غشاء من حرير ، وحامل الرمح اللطيف ذى السنان المختصر الحلية ، الموضوع فى غلاف منظوم باللؤلؤ .

ثم طوائف من الجند : المصامدة ، والفرنجية ، والوزيرية ، والركابية ، والجيوشية . ثم اصحاب الرايات ثم ارباب القسى ثم الاتراك ثم الديلم ثم الاكراد ثم الغز والمتطوعون وغيرهم .

ويطوف بالموكب كله لافساح الطريق ، وحث الجند ، وحفظ النظام : والى القاهرة ، وقائد الجيش ، وصاحب الباب الذين اعطى كل منهم عشر قصبات ، وعشر هوادج ، وبنودا من الحرير ، وخيلا محلاة .

ويبدأ الموكب سيره من باب القصر الى باب النصر ثم باب الفتوح ثم يعود الى القصر ثانية . وكان الخليفة اذا وصل الى موضع جامع الاقمر وقف ، وبقى الموكب على سيره . فاذا مر به الوزير اشار اليه بالسلام اشارة خفية . ويدخل الوزير القصر على عادته . ثم يأتى الخليفة وقد ترجل الجميع، فيحدقون به ويدخلونه ثم ينصرف الوزير فى موكبه الى داره . وينتهى الاحتفال العظيم ، الذى لم تر البلاد له مثيلا فيما اتى من عصور .

وتغير اسم اليوم فى القرن الثامن الى « يوم الركبة » لما يكون فيه من ركوب . وقد وصف ابن بطوطة احتفال احدى المدن المصرية الصغيرة بذلك اليوم ، وهى أبيار ، من الوجه البحرى . فابان ان الفقهاء والوجوه يجتمعون بدار قاضى المدينة ، بعد العصر من اليوم التاسع والعشرين من شعبان . وقد وقف على باب القاضى من يسمى «نقيب المتعممين» ، وهو ذو شارة وهيئة حسنة . فكلما اتى احد الفقهاء او الوجوه ، تلقاه ذلك النقيب ، ومشى بين يديه ، واعلن مجيئه بصوت عال ، فيقوم القاضى ومن معه تحية له ، ثم يجلسه النقيب فيما يليق به من مكان .

فاذا تكامل العدد ركب القاضى ومن معه وتبعهم جميع من بالمدينة من الرجال والنساء والصبيان. وساروا الى موضع مرتفع خارج المدينة ، يرتقبون الهلال منه ، وقد فرشوه بالبسط . وظلوا به الى صلاة المغرب . فاذا ما عثروا على الهلال ، اوقدوا الشمع والمشاعل والفوانيس . ثم عاد القاضى فى موكبه الى منزله ، فاذا ما ادركه انفض الموكب ، وانتشرت الاضواء فى الحوانيت احتفالا بمقدم الشهر الكريم .

واستمرت هذه الصورة فى الوجود المصرى . فقد اعطانا المستشرق الانجليزى ادوارد وليم لين صورة لما كان يحدث فى مطالع العصر الحديث ، لا تختلف كثيرا عما رأيناه . فقد كان يبرز نفر من الناس عصر اليوم السابق او قبله ، ليقضوا بضع ليال فى الصحراء ، حيث يصفو الجو ، لترقب الهلال . وفى يوم الرؤية يسير موكب المحتسب ومشايخ الحرف المتعددة : الطحانين ، والخبازين، والجزارين .. ومعهم بعض اعضاء حرفهم ، وفرق من الموسيقى ، وعدد من الفقراء . ويتقدمهم او يتخللهم فرق من الجنود ، يمتطون خيولا مسرجة باجمل السرج . ويبدءون السير من القلعة الى مجلس القاضى ، فينتظرون هناك عودة احد المرسلين لرؤية الهلال او شهادة غيرهم برؤيته .

وتغيرت الصورة قليلا امام لين الذى عاش مدة بيننا . فقلب مشاة النظام على الموكب ، وصارت فرقهم هى التى تقوم به ، يتقدم كلا منها ويتبعها حاملو المشاعل لانارة الطريق عند العودة . ثم يأتى بعدهم شيوخ الحرف ، ثم عدة فقراء يصيحون : «الصلاة ، الصلاة ، صلوا على النبى عليه السلام» ويفصل بين كل فرقة واخرى نحو ٣ دقائق. ويختم المحتسب وتابعوه الموكب .

وعندما تتأكد رؤية الهلال فى مجلس القاضى ، ينقسم الموجودون الى عدة فرق ، تعود احداها الى القلعة . ويتجول الآخرون فى الاحياء المختلفة مبشرين صائحين : « يا امة خير الانام ، صيام ، صيام ».

مهرجان الشعر الخامس

بقلم : العوضي الوكيل

- ٤ -

في المقال السابق تحدثت عن شامخة واحدة من شوامخ المهرجان ، هي تحفة عزيز أباظه ، ولقد كانت شوامخ المهرجان كثيرة ، كما قلت ، ولنمض الآن في النظر الى بعضها في ايجاز لعلنا نبلغ بذلك غاية من غايات النقد ، أو سببا من أسباب الاشادة والتنويه ٠

قصيدة الشاعر المفتن عبد الرحمن صدقي ذات جهد فني وهمس ، وذات خيال رحيب وفكر ، وفيها الشاطئ الساحر كما تجلوه الطبيعة فتصوره العدسة القوية الراصدة ، عدسة الشاعر الواعي المتأمل ، وانى لأجد لشعر صدقي نكهة لاأجدها في كثير من الشعر ، وأكاد أستدل على صاحبه من قوافيه ، فعل مقاطعه بصمات روحية واضحة الخطوط ، على أن هذا الشاعر تلتقي في سلوكه صوفية المتصوف واستزادة محب الحياة من صنوف مفاتنها والوان متاعها :

على سواحل بحر الروم ، قد شهدت
ميلاد فينوس في أبهى مجاليهـــا
يهتز كل كيان عنـــد رؤيتهـــا
فليس يحيا بغير الحب رائيهـــا

والشاعر — من فرط وعيه ودقة تركيزه — لاينسى حتى في هذا الموقف ذكرى فقيدة حبيبة :

كفرت بالحب ، لـــولا أن في خلدي
ذكرى التي لست مهما عشت ناسيها

أما قصيدة صالح جودت ، فقد استجمع فيهـــا صالح كل طاقاته الفنية ، فلم يتخلف عن قصيـــدته شيء منها ، صياغة لايحسن مثلها الا شـــاعر قدير موهوب ، وخيال وأفكار تروع باتساعها ورحابتهـــا وجمالها وفتنتها ، وريشـــة صالح قادرة على رسم الترف — قدرتها على رسم الفاقة ، ففي قصيدته من هذه ومن تلك لمع ٠

واذا انت تلوتها لم تستطع الا أن تنفعل بما انفعل به الشاعر في سائر أجزاء قصيدته ، والا أن تشاركه الاعجاب أو التعجب من جمال بلقيس وأبهتها ، ثم مما بقي الآن في اليمن من آثارها :

هــدي المليكة من خطـــا
ها يبـــدأ التاريخ سيره
خلعت حضارتها عليـــ
ـــه ووشحت بالنور فجره
بلقيس من وهبت حديث الـ
جنس رونقـــه وسحره

وقد حاول بعض النقاد أن يهاجموا صالحا ، فادعوا أنه أدخل في قصيدته تلك ما ليس منهـــا بطبيعته ، وذلك كذكر سيدى بشر ، والشعر الجديد ولست أرى في ذلك ما يريبونه ، فان حرية الشاعر في مسار التفكير والشعور تقتضيه أن يذكر ما يريد في شعره على شريطة واحدة : أن يكون هنـــاك اتساق وتماسك فني شعري — لاذهني عقلي — وهو ما تحقق لدى صالح ٠

ونتحدث بعد ذلك عن الشاعر المتـــانق عادل الغضبان ، وملحمته «من وحي الاسكندرية» والحديث عن ملحمة في مثل هذه المقالات الاستعراضية — ان صح هذا التعبير — لانراه ملائما ، ولعلنا نجد فرصة قريبة لمثل هذا الحديث الواجب ٠

لهذه الملحمة العظيمة دلالة تجيء في أوانها ، فقد أثبت عادل — بما لايدع مجالا لاى شك — ان القافية ليست غولا يقف في طريق الشعراء ، فقد طوعهـــا الشاعر لعدد ضخم من الابيات ، بلغ المائتين ، ولانت في يده ، حتى رقت في المستهل وفي الخاتمة على حد سواء ، وبذلك اقام الدليل امام دعاة الشعر المرسل على أنهم ليسوا على حق حينما زعموا أن القافية تحد من حرية الشاعر وتغل قدرته على الابداع ٠

وثمة ملحوظة ذات دلالة ، فقد ألقى عادل في المهرجان نتفا من ملحمته ، فلم نستطع حينذاك أن نتبين ملامحها الفنية ، ولم نقدرهـــا يوم ألقيت حق قدرها ولكننا لما قرأناها كاملة استبانت ملامحها ، وبدت كيانا فنيا متكاملا لاسبيل الى نكران قيمتـــه الرائعة ٠

والملحمة تقص تاريخ الاسكندرية الطويل الحـــافل منذ بناها الاسكندر الاكبر ، حتى شب في روابيها رائدنا البطل جمال عبد الناصر ، وكان فيها أول السير

البقية على صفحة ٢٢

من وحى المؤتمر

للشاعر محمود غنيم

من هؤلاء بدار الندوة اجتمعوا ؟ ... الدهر ينتظر والتاريخ يستمع
سادات يعرب قد حطوا رحالهمو ... فى دارهم والى أوطانهم نزعوا
كل البلاد بلاد العرب ابرجهم ... فى أيها نزلت اجرامهم سطعوا
ان لم تسعهم بوادى النيل أربعه ... ففى الصدور وفوق الهام متسع
ياسادة العرب حيا الله مقدمكم ... وباركت يومه الآحاد والجمع
الأمر جد ونعم الناهضون به ... أنتم ومن غيركم بالامر يضطلع ؟
ان كان للخصم أقوام تشايعه ... فالحق والملأ الأعلى لكم شيع
ان الذين سكتنا عن مظالمهم ... لما سكتنا عليهم حقبة ضبعوا
لقد مددنا لهم حبل الرجاء ولو ... لم نمدد الحبل فى أوكارهم قبعوا
تصرف القوم فى الاردن حين غدا ... لهم مصيف بشطيه ومرتبع
ان تطلقوا يدهم فى نهركم طمعوا ... من بعد فى غيره واستحكم الطمع
منوا بملك سليمان نفوسهمو ... ولو تحقق هذا الحلم ما قنعوا
لو يشربون دماء العرب ما نهلوا ... او يأكلون لحوم العرب ما شبعوا

***

بالله هل نسى الأشرار أنهمو ... يوم القناة على أقفائهم صفعوا
اذ أقبلت دول العدوان زاحفة ... زحف الافاعى وهم فى ذيلها تبع
جاء الثلاثة والشيطان رابعهم ... يحدوهمو حاديان الحقد والجشع
وغرهم من سبيل الغدر ما سلكوا ... وسرهم من جنود البغى ماجمعوا
حتى وقفنا لهم صفا فما كسبوا ... شيئا ولكنهم بالخزى قد رجعوا
شادوا من الوهم آمالا فحين بدت ... شمس الحقيقة فى آمالهم فجعوا

***

ان الضباب الذى غشى مرابعنا ... من خمس عشرة كاد اليوم ينقشع
هم حركوا فتنة كنا نتوق الى ... يد تحركها والخير ما صنعوا
مؤجج النار تصلاها جوارحه ... وحافر البئر فى أعماقها يقع
فلينقلب سائل الاردن السنة ... من اللهيب على شطيه تندلع
وما لهم ومياه النهر فى بلد ... لا النهر يعرفهم فيها ولا الترع ؟

***

الارض تلعنهم من تحت أرجلهم ... والافق ينظر شزرا كلما طلعوا
والشمس تطلع فيهم وهى كاسفة ... والنجم يبدو عليهم وهو ممتقع
من هؤلاء وما تلك الوجوه ومن ... أى الخلائق هذا المنظر البشع ؟
من أى وكر ببطن الارض قد زحفوا ... من أى مستنقع فى جوفها نبعوا ؟
سبحان من زين الدنيا وشوههم ... ان الخليقة ثوب هم به رقع
قد أضحك الكون أن الذئب جار على ... سبع الفلاة ولم يفتك به السبع
وان أجبن من فوق التراب على ... أسد الشرى من بنى عدنان قدشجعوا
وان شذاذ أهل الارض قد نزلوا ... جنات عدن وفى أفيائها رتعوا
من قال : ان الشرى ـ والليث داخله ـ ... للابقين وللشراد منتجع ؟

لا تمنـــع الظلم اقـوال منمقـــة ... الظلم بالنـــار والفولاذ يمتنـــع
وبالوقوف أمـــام الخطب محتـدمـ ... صفا قلوب المنـــايا منه تنخلع
حتى كأن قلوب العرب قاطبـــة ... قلب واضلاعها من حوله ضـلع
لا يحســب القوم أن الخلف بينكمو ... فى الراى معناه أن الشمل منصدع
بالضـــد وتق رب العرش الفتنــا ... هيهـــات هيهات حبـــل الله ينقطع
لن تردعوهم بغير السيف منصلتــا ... ان اللئيم بحـد الســـيف يرتدع
وكيف تردع شـــعبا ماله خلق ... يصـــد عن منكر او شرعة تزع ؟
المـــال عنـدهم دين يدان به ... هو التقى وهو الايمـــان والورع
يكاد يسجد للشيطان ساجدهم ... فى القدس ان كان بالشيطان ينتفع
دقوا طبول الوغى فاكل ملتثم ... شاكى السلاح ليوم الزحف مدرع
العرب أجمـــع قوات معبـــأة ... ان قلتم اندفعوا للغـارة اندفعوا
أبناء يعرب حب الحرب فى دمهم ... على الحفيظة والاقدام قد طبعـوا
من كل أروع يلقى الموت مبتســما ... فى ســـاحة الروع لا خوف ولا فزع
الروح يسلمهـــا طوعا كأن له ... فى الحرب روحا سواها حين تنتزع
ان يفعـــلوا فتراث عن أوائلهـــم ... ساروا على هديهم فيه وما ابتـــدعوا
ليست الى العرب الامجـــاد نسبتنا ... ان نحن لم نخترع فى المجد مااخترعوا
همو أوائل ســـنوا المكرمات لنـــا ... لله والمجـــد ما سنوا وما شرعوا
وللعـــلوم من الاســـفار ما كتبوا ... وللفنون من البنيـــان ما رفعـــوا
شادوا الحضارة بنيانا على اسس ... والدهر فى المهـــد لا كهل ولا جذع
ان قيل سلم فهم فى السلم قد نبغوا ... او قيل حرب فهم فى الحرب قد برعوا

***

ياسادة العرب امر العرب فى يـدكم ... ان تنطقوا سمعوا أو تأمروا صدعوا
ادعوا تلب فتاة الحى دعوتـــكم ... قبـل الفتى ويلب الشـــيخ واليفع
ان تقدموا فبنوا الاقدام نحن وان ... قلتم سلاما فبـــالاكراه نقتنع
اللاجئون لهـــم يا قوم مظلمـــة ... قد خطهـا قلمان الحزن والجـــزع
كأنني بهمـــو اذ هـــان أمرهمـــو ... ودوا لو انهموا قبل الهـــوان نعـوا
سيموا الخضوع فعافوه وكيف به ... وهم لغير جناب الله ما خضعوا ؟
تملكت عصبة الاشرار ما رفعـــوا ... من البنى وجنت فى الارض ما زرعوا
لهم على الارض أكباد تذوب أسى ... غير الهوان وغير البؤس ما رضـعوا
تحت القبـاب قباب العز قد نشئوا ... لكنهم فى خيـــام الذل قد وضـعوا
عاشوا على فضلات المحسنين بهـا ... الســـم ما أكلوا والمـــر ما جرعوا
اللاجئون بظهر الضاد قاطبـــة ... جرح عميق وهم فى قلبهـــا وجع
وكيف يجفو لذيذ النوم أعينهـــم ... وفى المضاجع اخوان لهم هجعـوا ؟
بالله لا تقبلوا فيهـــم مســـاومة ... مع الخصوم فما أعراضنـــا ســلع
الشرق يرقب ما يمليـــه جمعكمو ... والغرب ينظر ما يأتى وما يـدع
وروح كل شهيد فى الجنان على ... قـــراركم من وراء الغيب تطـــلع
الســاجدون لكم يدعون ان سجدوا ... والراكعون لكم يدعون ان ركعوا
حتى المساجد كادت وهى من حجر ... مع المصلين تدعو الله والبيـــع

محمود غنيم

(بقية المنشور على صفحة ١٩)

الى ثورته الكبرى ، التى ملأت الدنيا اصلاحا وسلاما وشغلت الناس تقديرا واعجابا ، وبين هذين العهدين يذكر ماتوالى على البلاد من العهود فى سياق شعرى يسمو على السرد التاريخى ، ولعادل ديباجة وفن يذكراننى باستاذه خليل مطران ، ولا عجب ان يجىء القصص الشعرى عند عادل فى مثل هذه القوة الفنية ، فان مطران كان رائدا فذا من رواد الشعر القصصى :

هلل الثغر ، وغنى موجه
حين لاحت فيه رايات اميه
وتوالت بعدها الوية
كلها نسج المعالى القرشيه
اقبلت تخفق عباسية
فى رباها فبنودا فاطميه
ثم ماست فيه أيوبيه
رف فيها شوق أخت حلبيه

وانظر الى عادل حين يصف الشاطىء الفاتن فى عروس البحر ، ولوصفه ما ينبغى ان يكون للوصف من ملاءمة تعبير مع الموصوف :

بأبى الشطآن فى الفجر اذا
أيقظتها قبلة الفجر البريه
أشرقت وردية الخد كما
أشرقت وجنة حسناء حييه
وصحت ترشف صهباء الندى
حملتها السحب للريح الرخيه
وتبث الشوق زوار النقا
تخذوا منه وسادا وحشيه
كلما لامس جسما ناعما
هزهزته رعشات كهربيه

هذا الى ماجاء بعد ذلك من وصف مصرع الشمس وحسان الثغر وقمراته مما يجعل لهذه الملحمة مقاما مرموقا فى شعر المهرجان .

ويتلو ذلك الكلام عن قصيدة شاعرنا القصاص على احمد باكثير ، وهى قصيدة عظيمة المضمون ، ولكن الحركة المسرحية فيها كانت أكثر مما يجب ، وموضوعها الانسانى يشفع لما شاب صياغتها من شوائب ليست معهودة فى شعر باكثير ، وليست منتظرة من مثل قدرته على الصياغة ، تلك القدرة التى ترفدها الثقافة والموهبة معا .

وفى مثل قصيدة باكثير نجد الدليل على أن تعدد القوافى أمر مستحب متى كان الموضوع فى مثل هذه الصورة القصصية ، فان النقلة من صورة الى صورة ومن موقف الى موقف يهيىء لتمامها ولا ريب نقلة موسيقية من قافية الى قافية ، وهى فائدة ذات قيمة استفادها باكثير الشاعر الفنان من باكثير المسرحى المبدع . وقد تناول الصديق عباس خضر هذه القصيدة فى الرسالة بما نرى أن نكتفى به استشهادا وتعليقا .

وتصل بعد ذلك الى الشاعر محمد طاهر الجبلاوى لنقول ان قصيدته ذات مقاطع مختلفة القوافى ، كل مقطع منها من اربعة أبيات ، وموضوعها «قصة شهيد» وقد صوره الشاعر فى المقاطع الثلاثة الاولى ذا وطنية صادقة وعزوف عن اللهو والفراغ ، وإباء لايحنى رأسه :

ما سبا الكأس لاغتنام سرور
او رأى اللهو والفراغ سبيله
أو حنا رأسه لنيل مراد
من كبير يبغى اليه الوسيله

والسياق القصصى جميل ولطيف ، يوائمه نظم قوى متين .

اما الشاعر محمود غنيم ، فكان موضوع قصيدته «الوحدة الكبرى» وقد استهلها بقوله :

أيها العرب أرهفوا الآذانا
هل سمعتم كما سمعت الأذانا
هاتف علوى الدعاء الى الوحـ
ـدة من عالم الخلود دعانا
أيها الهاتف السماوى أذن
فى البهاليل من بنى عدنانا

والقصيدة فى واحد وسبعين بيتا ، عليها كلها ماعلى شعر غنيم كله من الطلاوة وجودة النسج .. ويطرق الشاعر فى مطولته معانى سبقه اليها شوقى والجارم فى كثير من قصائدهما ، ولكنه بين الحين والحين يتفرد بمعان لم يسبقاه اليها كقوله :

يغفر الشعب كل ذنب ولا يمـ
ـنح عرشا أذله غفرانا
عصف الدهر بالعروش وولى
عهد كسرى وقيصر لا كانا
ليس فى كف عاهل صولجان
حمل الشعب وحده الصولجانا

ولا نستطيع بعد ذلك ، وقبل ذلك ، الا ان نقرر ان القصيدة نمط كريم من انماط البيان العربى المشرق الديباجة .

العوضى الوكيل

خطباء مفلسون

بقلم : محمد عبد الله السمان

قدر لي منذ اسبوعين ان استمتع بخطبة الجمعة في احد المساجد الشعبية ولم يكن هناك ادنى ريب في ان الشيخ لن تفوته مناسبة انعقاد مؤتمر القمة ليهيىء الاذهان اليه ، هكذا كنا ننتظر ، فاذا لم يكن الخيب مستعدا لهذه المناسبة فلا اقل من خطبة محددة في موضوعها واهدافها تتناول مشكلات المجتمع او قضايا الشعوب المسلمة المكافحة .

ولكن خطيبنا — سامحه الله وغفر له — صعد الى المنبر بوجه متجهم ، ولا يحمل في جعبة تفكيره غير عبارات مسجوعة منفرة ومتشعبة حتى لا تكاد تسمع عبارتين يضمهما معنى واحد او هدف واحد ، وفي صوت مجلجل اخذ — بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسوله — يلعن فساد المجتمع وانحدار الاخلاق ، وانهيار القيم ، وكان لابد ان تلتقط اذناي ، ويعي سمعي من عباراته الغضبى طرفا مما وجهه الينا :

« اياكم وهؤلاء المبتدعين الفجرة الاسافل ، الذين يهدمون سنة سيد الاواخر والاوائل — اياكم وهؤلاء الرجال التيوس ، الذين يسمحون لنسائهم ان يخرجن عاريات الصدور والافخاذ والرءوس — اياكم والمتهتكات من النساء ، اللائي تلعنهن الملائكة كل صباح ومساء — احذركم ونفسي من الدنيا هذه العدو اللدود ، التي لعنها سيد الوجود » كنت اعتقد ان هذا الخطيب من القلائل الشواذ ولكن اديبا معروفا قال لي منذ ايام : ان خطيب مسجدنا في حلوان شر من خطيبكم ، لقد تعود ان يشتمنا في خطبته وتعودنا ان نتلذذ بشتائمه ، حتى اصبحنا من كثرة ما تعودنا ان نمل خطبته اذا لم يشتمنا فيها ، واصبح هو يضيق بوجودنا في صلاة الجمعة اذا لم يمطرنا بشتائمه .. !

اذا كان المعهود في كل مؤمن — كما يقول الرسول — انه ليس بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء ، فان المؤمن المتصدي لعظة الناس ، وتوجيه المجتمع والسمو بالقيم والمثل ، اجدر واحق بالترفع عن الفحش في القول ، الفحش الذي قال عنه الرسول : **ما كان في شيء الا شانه »** .

ان ابرز مقومات الخطبة باجماع الفقهاء ذكر الله تعالى ، والدعاء لعامة المسلمين بالهدى والكمال الاخلاقي . ولذلك قال الامام ابن حزم رضي الله عنه: **« ان ادخل الخطيب في خطبته ماليس من ذكر الله تعالى ، ولا من الدعاء المأمور به ، فالكلام حينئذ مباح »** اي من حق المصلين الا ينصتوا لمثل هذا الخطيب ، مع تشديد الرسول في منع الكلام اثناء الخطبة حتى قال صلوات الله عليه : **اذا قلت لصاحبك والخطيب يخطب « صه » فقد لغوت ، ومن لغا فلا جمعة له »** .

روى ان الشعبي وابا بردة بن ابي موسى الاشعري رؤيا يتكلمان والحجاج يخطب حين قال : لعن الله .. ولعن الله .. فقيل لهما : اتتكلمان في الخطبة ، فقالا : لم نؤمر بان ننصت لهذا .

والعجيب ان مثل خطيبنا المفوه لو اوجز في الخطبة ، لكان هينا واحدا امكن للمصلين احتماله ، ولكنه وغيره احيانا يتوهمون انهم اوتوا بلاغة سحبان ، واسلوب الامام كرم الله وجهه ، فينسون انفسهم فوق منابرهم ، ليلوكوا العبارات بأفواههم ، يعينهم سجع ممجوج اتقنوا حفظه ، وتكلفوا تنسيقه ، وليس عليهم ان يسلم المصلون او ينفروا ، فهم ضحايا واسرى حتى يقضي الله امرا كان مفعولا .

ان مثل هذا البعض من خطباء المساجد يتمثل فيهم قول الرسول واضحا : « ان الله يبغض البليغ من الرجال ، الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة » ولو ادركوا فقه الاسلام في عباداته ، لفهموا ان خطب الرسول لم تكن تستغرق احداها الا دقائق معدودة ، وان من السنة قصر الخطبة واطالة الصلاة ورضي الله عن ابن مسعود اذ يقول : « احسنوا هذه الصلاة ، واقصروا الخطبة » ورضي الله عن عمار بن ياسر ، اذ يروى عنه احد السلف فيقول : خطبنا عمار بن ياسر فاوجز وابلغ ، فلما نزل قلنا : يا ابا اليقظان ، لقد ابلغت واوجزت ، فلو كنت تنفست ؟ فقال : اني سمعت رسول الله صلوات الله عليه يقول : **ان طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة — اي علامة — من فقهه ، فاطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة ، فان من البيان لسحرا . »**

اذا نحن اعتقدنا ان للمسجد في الاسلام رسالة

القومية العربية فى الشعر الحديث

بقلم : سمير وهبة

نادى الشعراء زمنا طويلا بالوحدة العربية .. وسبقوا أهل السياسة فى هذا المضمار .. ولا عجب فى ذلك لان الشعراء لهم بصيرة تجعلهم يستشفون المستقبل ويستجلون خفاياه ، واذا برؤياهم تتحقق عندما تواتيها الظروف، وفى هذا المعنى قال الشاعر على الجارم :

لقد كان حلما أن نرى الشرق وحدة
ولكن من الاحـــلام ما يتوقع
اذا عـــددت راياته فهى راية
وان كثرت أوطانه فهى موضـــع

وعندما شد الاستعمار عصا الترحال عن القطر المصرى ، اقترب اليوم المرتقب وأصبح تحقيق الحلم سهلا يسيرا ، لان الاستعمار هو الذى فرق بين دول شقيقة ، وجعل بينها الحدود والفواصل فلما ذهب الى غير رجعة زال السبب الذى باعد بين الاشقاء وجعلهم شيعا . فالاستعمار هو الاسفين الذى دق فى بلاد

يجب ان تؤدى دورا فعالا فى صـــياغة المجتمع فى قالب من الوعى الدينى اولا ، والارتقاء بسلوكه ثانيا فيجب ان تكون اكثر واعمق اعتقادا بان خطبة الجمعة من اهم مقومات رسالة المسجد ، لأنها الوســـيلة الفعالة فى تحقيق رسالته ، ومن البديهى ان الخطبة تحتاج الى خطيب معد لا مســتعد . وعلى وزارة الأوقاف تقع المسئولية اولا وآخرا .

كثيرا ما نقرا فى الصحف شبه اعلان يتضمن ان وزارة الاوقاف عينت بضع مئات من خريجى الازهر ائمة وخطباء لمساجدها فى انحاء الجمهورية . وهؤلاء قد نجحوا فى اختبار المســـابقة التى اجراها ديوان الموظفين ، وهكذا يخيل الينـــا ــ بل هى الحقيقة المؤسفة ــ ان مهمة ديوان الموظفين تنتهى عند عقد امتحان لاختبار معلومات المرشحين ، وليس لتقييم قدراتهم ازاء هذه المهمة الدقيقة ، وان مهمة الوزارة تكاد تقف عنـــد توزيع الناجحين على مســـاجد الجمهورية ...

ولكن هل قدرت وزارة الاوقاف ان هـــذه المهمة الخطيرة تحتاج الى اعداد المرشح لها اعدادا شاملا قبل ان يبدأ مهمته ؟ الواقع ان شيئا من هذا لايحدث على الاطلاق ، واذا كانت الدولة ســتتحمل مرتبات هذا العدد الضخم من الائمة والخطباء الى ما شاء الله فلمـــاذا تضن وزارة الاوقاف بمرتباتهم بضـــعة شـــهور ، يظلون خلالهـــا تحت التمرين والاعداد . ويختار لهم موجهون من كبار رجال الفكر الاسلامى واســـاتذة التربية ، ولا اظن ان الائمة المرشـــحين سيتجهمون لهـــذا الاتجـــاه ، وهم يحفظون حديث الرسول : **« لا يزال المرء عالما ما طلب العلم، فاذا ظن انه قد علم فقد جهل »** .

ان عددا من خطباء المســاجد ، يلقى على مسامعنا كل جمعة كلاما لا يرتبط بمفاهيم الاسلام الصحيحة سمعت واحدا يخطب فى المسلمين ويقول لهم : ان ابراهيم بن ادهم ذكر له احد اصحابه انه ســـمعه يردد بلسانه وهو يذكر سبحانى ، فقال له ابن ادهم خذ هذا السيف فاذا سمعت شيئا من هذا فاضربنى به وفعلا نفذ التابع ما امر به ولكن السيف لم يؤثر فى ابراهيم بن ادهم ، فآمن بأن شـــيخه فى درجة من المعرفة لايطمع فيها غيره .وسمعت آخر باذنى يقول : ان الرسول ــ وهو يدفن ابنه ابراهيم ــ شوهد دامعا ثم مبتسما ، ولما سئل فى ذلك ، قال عن سبب ابتســـامته : انه سمع الملكين يناقشـــان ابراهيم ويسألانه : من نبيك فأجابهم : اتسألوننى عن ابى ؟ ولست ادرى كيف غاب عن الخطيب ان صغار السن معفون من السؤال والحساب .

نحن لا ننكر ان هناك خطباء يســتريح المصلون اليهم كثيرا ، بل يقبل عدد غير قليل على مساجدهم من اماكن بعيدة فتصغى قلوبهم وآذانهم الى كلماتهم ويعبرون عن اعجابهم بهم باحاسيسهم ومشاعرهم ، ولكن لم نترك الكثرة الساحقة ــ ولا سيما خطباء الريف يلقون قصصا مثيرة لا تهذب نفســا ، ولا تسمو بعقل ، ولا ترتفع بمجتمع بل كثيرا ما تشـــوه جمال الاسلام وتسىء الى مفاهيمه العظيمة .

نحن فى حاجة الى خطباء ممتعين مشـــوقين ، أعدوا انفسهم للاحسان الى دعوة الاسلام ، ولسنا فى حاجة الى خطباء مفلسين منفرين يسب احدهم المجتمع ويقذفه بالحجارة ، ثم يطلب آخر الخطبة من المصلين ان يستغفروا الله ويعزموا على الا يعودوا الى معصية ابدا .. !

محمد عبد الله السمان

العرب ليعمل على تفريق كلمتها وتمزيق شملها وهو الذى حل فى جسد الامة واضعف من شأنها ، حتى اذا ما رحل ، سارعت الامة الى التماثل والشفاء .. وفى هذا المعنى أنشد احمد شوقى يشيع رحيل اللورد كرومر :

لما رحلت عن البلاد تشهدت
فكأنك الداء العياء رحيلا

وبديهى أن البلاد العربية الاولى التى اتحدت هى البلاد التى نالت استقلالها كاملا ولا تربطها بالاستعمار اية معاهدة أو التزامات . وهذه البلاد هى مصر وسوريا ، ومن الطبيعى أن البلاد الاخرى تنضم اليها تباعا ، ذلك لان البلاد العربية لها امانى مشتركة وهدف واحد يجمعها ، ولها امل واحد راودها فى ماضيها المجيد . البلاد العربية كانت تلاقى الهزيمة حينما كانت تنقسم على نفسها ، وحينما تتفرق وتسيطر عليها الحزازات والاطماع . ويروى لنا التاريخ انها استطاعت أن تهزم اعتى الدول حينما تتحد وتتضامن ، وهذه البلاد التى تعيش فى المنطقة العربية كلها أخوات وان فرقها الاستعمار ووضع بينها الحواجز الصناعية ، هى تكمل بعضها البعض سواء اراد لها المستعمر هذا المصير او لم يرده .. وقد ظل الأمل يراود الشعراء زمنا طويلا فى أن يروا الوحدة تجمع شمل الشقيقات وفى هذا المعنى أنشد الشاعر العراقى الكبير عبد المحسن الكاظمى قصيدة رائعة جاء فيها :

انما الشام والعراق ومصر
أخوات وان تفرقن حينا
سينال الجميع بعد قليل
ما رجاه لخيرنا الراجونا
فليقم كل طالب عربى
وليقل عند دعوتى آمينا

وهذه الابيات ، رغم انقضاء ثلاثين سنة على نظمها حية تتسمّ بالواقعية حتى ليخيل الينا أنها نظمت بالامس القريب ، الامر الذى يدل على أن رغبة الاتحاد متأصلة بين أفراد الشعب العربى الواحد . والشاعر كالنبى الذى يخترق ببصيرته حجب المستقبل ويبشر بالدعوة الصادقة .

وثمة رغبة جياشة كانت تلازم صدور الشعراء فيعبرون عنها لأنهم وجدوا أن عزة العرب سوف تتحقق اذا تمت الوحدة . ينادى الشاعر الياس فرحات (احد ادباء المهجر) بلده لبنان لينضم الى الدولة العربية التى اقيمت فى سورية سنة ١٩٢٠ قائلا :

فان لم ترض بالعرب اتصالا
فلا تجعل جزاء الخير شرا
ولا تطلب لاوربا انتصارا
على الشعب الذى ولاك نصرا

ثم يتوعد الاستعمار الذى كان قد اظهر نياته السيئة وضرب بوعوده عرض الحائط ، فيقول :

وان تفشل ويغشى الشام ضيم
جعلنا الشام للافرنج قبرا

وجدير بالذكر أن اليقظة العربية قد غذاها ظلم الاتراك العثمانيين وطغيانهم ، حتى بشر الشعراء بيوم الخلاص القريب ، وكانت النتيجة أن استعذبوا الظلم الذى سوف يقربهم من يوم الخلاص .

ويقول فى هذا المعنى الشاعر فؤاد الخطيب ، وهو أحد الشعراء الوطنيين الذين عاشوا قبل الحرب العالمية الاولى :

يا آل جنكيز ان تثقل مطالبكم
على الشعوب فقد كانت لهم نعما
فالظلم أيقظ منهم كل ذى سنة
ما كان ينهض لولا أنه ظلما

ويمضى الشاعر يستحث العرب ويبشرهم بالآمال العريضة يوم يتخلصون من نير الاتراك فيخاطب قومه بقوله :

ايه بنى العرب الاحرار ان لكم
فجرا أطل على الاكوان مبتسما
لستم بنيهم ولستم من سلالتهم
ان لم يكن سعيكم من سعيهم امما
الى الشام الى أرض العراق الى
أقصى الجزيرة سيروا واحملوا العلما

والشعب العربى كما هو معلوم منتشر من الخليج العربى الى المحيط الاطلسى . وقد عبر عن هذه الحقيقة الملموسة أحد الشعراء العرب يوم انشد بدمشق (سنة ١٩٢٠) يستحث همم العرب بقوله :

هبوا فأمتكم أمست على خطر
جارت عليها الاعادى جور مغتنم
حتى تسيل ربوع الشام مفعمة
دما يسيل الردى فى سيله العرم
وذمة العرب والايام شاهدة
لننشرن الوغى فى السهل والعلم
حتى يخلوا بلاد العرب أجمعها
من ساحل الروم حتى ساحل العجم

سمير وهبى

تعقيبات

بقلم : عباس خضر

اصبح الطريق ممهدا

ويجب ان يعقد فورا

مؤتمر ادباء العــرب

اسفر مؤتمر ملوك ورؤساء العــرب عن نتيجــة هامة ، هى انهاءالخلافات بين البلدان العربية وتنقية جو العلاقات بينها من جميع الشوائب .

وعلى ذلك ستعود العلاقات الودية ويزول ماكان موجودا من قيود وحواجز . وهذا يهمنا فى مجــال الثقــافة والادب ، ويهم ما اســميناه فى الاســبوع الماضى **بالحركة العربية الواحدة فى اللغة والادب .**

وقد قلت ان هذه الحــركة لم تنقطع ابدا ، بل ظلت متصلة ، تقوى عندما تخلو الامة العربية الى نفســها ، وتضعف بالتــدخلات الاجنبية ، وقــد سادها فى الســنوات الماضيــة التى غام فيها جــو العلاقات بين الحكومات ـ سادها فتور كاد يؤدى الى التمزق والتفكك ، اذ فرضت قيود على تبادل الكتاب وقامت مشكلات تتصل «بالعملات» وغيرها ومنعت الصحف والمجــلات من الدخــول فى بعض البلاد ، ووهنت الصلات بين ادباء العرب فى مختلف اوطانهم .

والآن ـ وقــد عــادت الســماء الى صحوها ـ نستبشر خيرا فى المستقبل القــريب ، ســواء من ناحية الاهداف العربية العامة او من ناحية الحركة الثقــافية فى الوطن العــــربى الكبير ، ولاشك ان الناحيتين متفاعلتان ، فكل منهما تؤثر فى الاخرى، وقد كانت حركة الثقافة الواحــدة دائما من اقوى الدعائم للحركة العربية العامة ، بل كانت الركيزة الوحيدة التى اتصلت فى مختلف العصور وكونت وجدانا عربيا مشــتركا .

وقد آن للقوى الثقافيةالمزدهرة الآن فى الجمهورية المتحدة ان تتصــل باصــدائها ومثيــلاتها فى بقيــة البلدان العربية . فلابد ان ترفع الحواجز وتكسر القيود ويتسع التجاوب الثقافى حتى يشمل الرقعة العربية من الخليج الى المحيط . **والهدف المأمول هو ان يشعر كل اديب او فنان فى اى بلد عربى بانه مواطن عربى لايقف تعبيره ولاينحصر صداه فى مجال محلى اقليمى .**

ونطالب الآن بالعمل على ان يجتمع مؤتمر ادباء العرب فى اقرب وقت وفى اى مكان .

نطالب بان يصحوالمكتب الدائم للمؤتمر فى القاهرة من نومه .. من الغفوة التى اخــذته منذ انعقــدت الدورة الرابعة لمؤتمر ادباء العرب فى الكويت سنة ١٩٥٨ .

والمفروض ان يجتمع المؤتمــر ســنويا ، ولكن ها قد مضى اكثر من خمس سنين دون ان يجتمع ، واعتقد ان هذا يرجع الى اليأس من امكانيات عقده فى جو الخلافات الماضيــة ، وكان اتحاد الادباء بالقاهرة قد اجتمع فى اواخر العام الماضى وقرر عقد مؤتمر الادباء فى شهر مارس القادم على مســتوى الجمهورية فقط .. واظن انه لاداعى الآن لهذا المؤتمر المحلى ، او لا ينبغى ان يعقد على انه بديل لمؤتمر ادباء العرب العام الشــامل .

والآن لا عذر للمكتب الدائم بالقاهرة فى ان يستمر فى نومه .. فالنتيجة التى اسفر عنها مؤتمر القمة العربى تشرق وتؤذن بانتهاء الليل .

وثمة عديد من القضايا الادبيــة العربيــة التى تنتظر مؤتمر ادباء العرب ، واعتقد ان فى مقدمتهــا الحركة العربية الواحدة فى مجال الثقافة ، فحى على العمل .

الأدب الشعبي واللامعقول

كان الاستاذ توفيق الحكيم قد كتب في مقدمة مسرحيته اللامعقولة « ياطالع الشجرة » ان في ادبنا الشعبي مابعد من اللامعقول مثل :

يا طالع الشجرة هات لي معاك بقرة
تحلب وتسقيني بالمعلقة الصيني

وكأنه يريد ان يقول انه يستوحي روح ادبنا الشعبي ، او يوحي الى النقاد ان يقولوا بان لامعقولية توفيق الحكيم امتداد لادبنا الشعبي .. وفعلا تلقى بعض النقاد هذا الوحي وكتبوا ان كاتبنا الكبير يستمر في استلهام الادب الشعبي كما فعل في احلام شهر زاد ..

ولم يقل لنا الحكيم ولا النقاد لماذا يعد ذلك الكلام الشعبي من اللامعقول . ويظهر انه من اللامعقول ان يقال في اللامعقول انه لامعقول !!

حتى جاء الدكتور محمد مندور اخيرا يقول لنا في مقال بالجمهورية : « وكما ان هذا الموال (يقصد نشيد ياطالع الشجرة) لايمت الى اللامعقول بصلة فكذلك جاءت مسرحية (ياطالع الشجرة) فالموال انما يرمز رمزا شعبيا لطيفا الى الرجل الذى طلع الشجرة اى اسباب الثراء فاخذ الرجل الفقير يستعطفه لكى يعطيه او يأتيه ببقرة تسقيه لبنها الذى يشربه في ملعقة متواضعة من الخزف الذى يسميه الشعب بالصيني . وكذلك مسرحية توفيق الحكيم فهى الاخرى من رمزياته الذهنية التى عاد فيها الى معالجة مشكلته المزمنة مع المراة وانحاول بدهائه الفذ ان يضلل النقد والنقاد كما حدث فعلا عندما نشر تلك المسرحية » .

وهذا الكلام ليس فيه من الصواب الا ان الحكيم حاول ان يضلل النقاد ، حتى هذا ليس دقيقا ، لانه ضللهم فعلا ..

فاولا ــ نشيد ياطالع الشجرة ليس موالا ، انما هو من الاناشيد التى يتلهى بها الاطفال ، والموال له طابع آخر معروف . وليس هناك ملعقة من الخزف ولعله يقصد الملعقة الخشبية التى رأينا اهلنا بالريف يأكلون بها ، كما يأكلون من اطباق «الفخار» البدائية غير المطلية والتى لايسميها الشعب « بالصيني » .

ثانيا ــ مسألة الرمز في النشيد الطفلي .. مسألةعجيبة .. فالدكتور مندور اخذهذه الفقرات من النشيد وجد في تفسيرها ، ولاول مرة نرى من يجد لايجد ! فاى رجل هذا الذى استعطف وطلب بقرة .. ؟ ان النشيد من اوله يقول :

ابوح يا ابوح كلب العرب مدبوح
وما عليه بتنوح
بتقول يا ولدى يا لابس الزردى
يا طالع الشجرة هات لي معاك بقرة

... الخ . فالذى يقول هو « ام الكلب » التى تنوح على ولدها المدبوح ..

وايقل لنا اذن شيخ النقاد : من هو ابوح ؟ وما هو كلب العرب ؟ ومن ذبحه ولماذا ذبح ؟ والى اى شيء يرمز ابوح وكلب العرب وامه وذبحه ؟.

الواقع ان هذه الاناشيد الشعبية الطفولية انما يقصد بها مجرد التوقيع ولاترمى الى التعبير عن اى شيء لامعقول . ولا غير معقول . ويقول الاستاذ احمد رشدى صالح في كتابه « الادب الشعبى » ــ ص ٢٣٩ ــ : « ولكن اغانى الاطفال من ناحية البناء قد امتازت بالتبسيط والاغراب في الخيال لتشويقهم » .

وعلى ذلك نقول بان ادب توفيق الحكيم اللا معقول لايمكن ان يكون امتدادا او استلهاما للادب الشعبى الا اذا كان لايعبر عن شيء .. **واظن ان النقاد قالوا لنا كثيرا من الاشياء التى عبرت عنها مسرحية يا طالع الشجرة .. وان كنا لم نخرج منها بشيء .. فالدكتور لويس عوض مثلا كتب في هذه الاشياء مقالين كبيرين جدا بالاهرام ، فسر في أولهما ما تقوله المسرحية ، وفي المقال الثانى قال انه يفسرها تفسيرا ثانيا ، ووعد بانه سيأتى بتفسير ثالث في مقال ثالث اظن انه لم يكتبه !**

ورأى الدكتور مندور في مسرحية ياطالع الشجرة من حيث انها رمزية وليست من اللامعقول ، رأى غريب .. وهل يتنافى الرمز مع اللامعقول ؟ اعنى هل يمنع كون الشجرة رمزا للفن وقتل المراة واتخاذها سمادا لشجرة الفن ــ كما قال ــ هل

يمنع ذلك أن تكون المسرحية من اللا معقول ؟

الظاهر ان النقــاد هم ايضــا يكتبون نقــدا من اللامعقول !

ادباء الاقاليم والمسابقات والمجلات

تناول الزميل محمد عبد الله السمان فى العدد الماضى من الرســالة ــ مشــكلة ادباء الاقاليم بروح طيب يهدف الى مانرجوه لهم من الرعاية والعناية ، وقد صور هذه المشكلة المزمنة على حقيقتها وطــالب بفتح المجــالات الواســعة لذوى المواهب الادبيــة الواعــدة ، فعبر بذلك عمــا نريده لهؤلاء المواطنين والابناء وما نبتغيه من شــمول الحــركة الادبيــة ونهضتها فى سائر البلاد .

ولكنى وقفت عند نقطتين فى مقال الاستاذ السمان فاردت أن اعقب عليهما بمــا يزيل اللبس الذى صاحبهما .

النقطة الاولى خاصة ببعض المجلات الادبية ــ كما قال ــ التى خصصت ابوابا لعرض بعض ماق الصحف الادبيــة العــربية والعــالمية ولاينبغى أن تضيق بتخصيص باب يتناول الانتــاج الادبى فى مجلاتنا الاقليمية ..

والذى اراه هو ان توجد اولا الصحافة الادبية الاقليمية ، ثم تهتم بها بعد ذلك صحافة القاهرة . ولو كانت الاولى موجودة بالصــورة التى تجعــل مجلات القاهرة الادبية تعنى بهــا لما كانت هنــاك مشكلة . وانا اعتقد ان اول الطريق امام ادباء الاقاليم هو التجربة فى حقل المجلات الاقليمية اولا . **وعلى المحافظات أن تهتم بانشائها كما تهتم بالمهرجانات ، والا يشغلها بريق هذه المهرجانات ومايكون لها من** صدى و « دعاية » فى صحافة القاهرة ــ عن رعاية ادبائها وتهيئة مجالات النشر لهم .

النقطة الثانية ماذكــره الاســتاذ السمان عن المسابقات الادبية ، وما نقله عن بعض ادباء الاقاليم من تعليلهم لعدم البروز فى المسابقــات بمزاحمــة اخوانهم فى القاهرة ، لان هــؤلاء اقــدر منهم على الصلات الودية بالمسئولين عن المسابقات . وقــد قال احدهم انه حضر الى القاهرة كى يقدم انتاجه بنفســه ويتصل بالمسئولين « وهو واثق بأن هــذا الاتصال مما يساعد على اجازة انتاجه » ..

لست ادرى كيف يســاعد هــذا الاتصال على اجازة الانتاج ، او فوزه بالجوائز .. اذا فرضنا ان المسئولين تعوزهم النزاهة والعدالة .. فهل مجرد ان ياتى اليهم احد المتسابقين ويسلم عليهم يجعل كل شىء على مايرام ؟ اللهم الا ان يكون قــد احضر معــه لهم بعض الفطير « المشلتت » كم يطعم الفم وتستحى العين .. !

انى اعلم تماما أن هذه المسابقات تجرى بمنتهى الدقة والعدالة . ففى نادى القصة مثــلا يفحص الانتاج بطريق السرية الذى يشبه تصحيح اوراق الامتحانات العامة ، ويقرأ كل انتاج ثلاثة من النقاد والادبــاء المعــروفين يراعى فى تشكيلهم ان يمثلوا مختلف الاتجاهات . ثم تقوم لجنة اخرى بالمراجعة لضمان العدالة التامة .

الواقع أن مايقال من الطعن فى هذه المسابقات انما مرجعه الى الحقيقة النفسية التى تقول بانه تبرير للعجز والاخفاق .

عباس خضر

في عالم الفن

نحو مسرح عربي

بقلم عبد الفتاح البارودى

كيف نخلق مسرحنا الحقيقى ؟! وهل مسرحنا الحالى ليس حقيقيا ؟ هل صحيح انه مسرح اوربى ومهما غيرنا فيه او بدلنا او طورنا فستبقى طبيعته اوربية ؟! واذن فكيف نخلق المسرح النابع منا ومن طبيعتنا

هذه الاسئلة الهامة جدا ، الصريحة جدا ، اثارها الدكتور يوسف ادريس فى بحث قيم بمجلة الكاتب ، ومع انه سبق ان اثيرت اسئلة مماثلة ، فانه واجه بها كل المشتغلين بالمسرح فى وقت مناسب جدا لمواجهتها

فنحن اولا اصبحنا نمارس الفنون المسرحية كضرورة فنية ، بمعنى انها لم تعد مجرد ترف او تسلية .. ونحن ثانيا نلمس نشاطا مسرحيا ضخما وقائما على تخطيطات فنية ، بمعنى انه لم يعد ارتجالا او اعتباطا ... ونحن ثالثا نرى الشغف المسرحى يزداد بين الجمهور ، بمعنى ان التفكير المسرحى بدأ يتأصل فى الوجدان والأذهان..الخ..

كل هذا يدعونا الى بحث مشكلاتنا المسرحية بعمق لارساء قواعد المسرح ارساء سليما فى بيئتنا التى لم تعرف المسرح اطلاقا قبل ان ينقل اليها نقلا فى اواخر القرن الماضى ، ولكن ما هى هذه المشكلات اولا ؟!

* * *

ان يوسف ادريس وضعنا فى مفترق الطرق ، بل فى مفترق طريقين محددين : (هل لم يعد هناك سوى طريق واحد على المسرح المصرى ان يمضى فيه ، وذلك بقبول الاساس « المعرب » والمضى فى تطويره الى ان يتلاءم مع طبيعتنا ام لكى نكتشف مسرحنا الحقيقى الخاص بنا علينا ان نسلك طريقا مختلفا تماما ، بأن نكتشف انفسنا ، ونكتشفها فى نقطة يكتنفها غموض كثير ، هى طبيعتنا الدرامية وكنهنا المسرحى ؟)

هذا تحديد للمشكلة كما تصورها ، وكما يتصورها كثيرون ، ولكن فى رايى ان هذه المشكلة ليست مشكلتنا الجوهرية ... ولكى نعرف مشكلتنا يجب ان نسأل انفسنا ببساطة: هل عرفنا التفكير المسرحى ؟ ! واذا كنا لم نعرفه فما هى الأسباب ؟ ان القاء الضوء على هذه الأسباب هو الخطوة الأولى لتحديدها تمهيدا لمعالجتها ، واذا عالجناها فسننتقل حتما من مرحلة التكهن الى مرحلة « المعرفة » ... انني لا ادرى لماذا لانحاول بحث هذه النقطة ، مع ان بحثها هو الأساس الأول لادراك اسباب عدم ظهور المسرح فى بيئتنا

وهنا نواجه نقطة اخرى : هل عندما نقول « المسرح » نتصوره حتما بشكله الاغريقى فقط ؟! ولماذا لا نعترف بوجود اشكال اخرى ؟ !

بديهى أن « التمثيل » والتعبير به من خصائص الانسان .. فكل انسان يمثل باشارات مختلفة وباصوات مختلفة وبتكييف كلامه تكييفا معينا ، وباداء حركات معينة ، للتعبير عن احساساته ومشاعره ، ولابلاغ هذا التعبير للاخرين . . . وبديهى ان هذا كله لا يعتبر — فى ذاته — فنا ، ولكنه تطور الى فن بعد أن مر بمراحل كثيرة نضج فيها ، وتكونت له مواضعات معينة ... لا خلاف فى هذا بين انسان فى الشرق وانسان فى الغرب او فى أى مكان ، وانما حدث الخلاف نتيجة لاختلاف درجة النضوج ، ووصل النضوج الى ذروته ، اى الى مرحلة اطلق عليها اسم « دراما » عند الاغريق بالذات ، وفى القرن الخامس قبل الميلاد بالذات.. لماذا ؟ الاسباب كثيرة جدا ، وساحاول الاشارة اليها ، وانما المهم الآن ان نعرف ان الدراما مرحلة « ناضجة » من التعبير ، وهذا النضوج له اسباب

ومكونات معينة لا عـلاقة لها بالبيئة بمعنـاها الجغراف ، ولا بالاجناس كاجنـاس ، بمعنى انها اذا توافرت فى اى مكان وبين اى شـعب ظهرت الدراما ... لو كانت الدراما شـكلا من اشـكال التعبير عند الاغريق فقط فلماذا لم تظهر عنـدهم بمعناها المتكامل الا فى القرن الخامس قبل الميلاد ؟ ثم لماذا امكن ان تظهر فى شعوب أوربا ؟! العبرة بتكامل التفكير الفنى فى اى شعب وفى اى عصر ، فاذا تكامل ظهرت الدراما . وحينما يتكامل يكون ظهورها بالشـكل الذى ظهر به عند الاغريق من حيث الجوهر والخصائص الرئيسية

* * *

ونحن من اجل ذلك لا نستطيع ان نطلق كلمة دراما على التشكيلات التعبيرية او الفنية او حتى التمثيلية التى ظهرت عند الفراعنة فيما يسمونه احيانا المسرح الفرعونى ، وكذلك المسرح اليابانى القديم والمسرح الصـينى القـديم او غيرها من التشكيلات التى تشبه المسرح ، وهى ليست بمسرح اطلاقا ، لأنها تفتقر الى التفكير الدرامى القـائم أسـاسا على « الصراع » بالمعنى الذى ادركه الاغريق لأول مرة فى تاريخ الادب والفن .

وطبعا ، ومن اجل ذلك ايضـا اخالف يوسف ادريس فى تصوره وجود اشـكال مسرحية غير الشكل الاغريقى ، او فى تصوره أن « التجمع » الذى يحدث فى حياتنا اليومية فى الافراح والمآتم يمكن ان يعتبر لحظات مسرحية ، او فى تصـوره أن « القافية » شكل مسرحى بدائى ، او ان السامر الريفى مسرح شـعبى ، او ان لحظات السـمر والونس لحظات مسرحية .. الخ .. واذن فعندما كان على الكسار يقطع المسرحية « ويدخل قافية » مع المتفرجين لم يكن يؤدى عمـلا مسرحيا ، بل بالعكس كان يخالف طبيعة المسرح ... ولا ادرى لماذا استشهد به يوسف ادريس ، مع أن الكسار لم يخترع حكاية القافية، بل سبقه فى ذلك اسلاف كثيرون .

* * *

اننا لم نعرف المسرح لاننا لم نعرف التفـكير المسرحى ... ونحن الآن نحاول معـرفة المسرح لأننا نحاول معرفة التفكير المسرحى ، واذن فالأجدر بنا ان نتعمق فى هذا التفكير بمعرفة خصـائصه ومكوناته ... ان غريزة المحاكاة غريزة فطرية عامة لا يتميز بها شـعب دون آخر ، وقد تجلت منذ القدم فى انفعالات الانسان الاولى فى شتى اشكالها ... والاحساس التراجيدى عام ايضا ... انه عند اسكيلوس مثلا ، هو فى جوهره نفس الاحساس التراجيدى عند شـيكسبير وابسن وكل مؤلف تراجيـدى ، وكذلك روح الكوميـديا عند اول كوميدى تتفجر من نفس الينبوع الذى تتفجر منه عند كل كوميدى ... وانما من المهم أن نعرف ان المسرح لم يصبح ادبا وفنا فى ٢٤ ساعة ، وهو قبل كل شىء تركيب فنى متشعب العناصر والأصول، ينمو ويزدهر اذا توافرت ، ويضمر او ينحرف ويموت اذا ضمرت او انعـدمت كلها او بعضها . وهى لا تتـوافر الا فى ظروف معينة ، وبكيفية معينة ... كيف ؟

للبحث عن هذه العناصر والأصول نلاحظ اولا تشابه قوالبه الرئيسية التى تشكل فيها، والمراحل الاساسية التى تطور خلالها فى جميع العصور التى نشأ او تطور فيها .. فقد بدا عند الاغريق فى نشـأته الأولى تعبيرا روحيا خالصا ، اى مجرد عبـادة للآلهة ، او تمجيد للأبطال الذين كانوا يتصورونهم انصاف آلهة ، ثم استحال ـ كما يقول الدكتور طه حسين ـ من طفولة وسـذاجة الى شباب ونضوج ، فاصبح غير مقصور على ما يقوم به من واجب دينى ، بل تطور الى تمثيل الحياة الانسانية وما يبعث العمل فيها من عواطف مختلفة ، واصبح قصة هى مرآة تظهر فيها صورة من صور الحياة وما عمل فى تكوينها من عاطفة او هوى ، واصـبح الجمهور يرى نفسـه على مسرح التمثيل ، واصبح يبعث فى النفوس ثقة تحمل على الجـراة والاقدام

والشغف بجلائل الأعمال ، او رحمة تدعو الى البر والاشفاق ، كما اصبح يحرص على ان يمثل للجمهور الجمال فى ابدع مظاهره حتى لا ينحط ويفسد ، والقضاء فى اشد ما يكون قوة على الانسان وعبثا به حتى لا يفتر ويطغى

كذلك ، او على نحو قريب من ذلك نشأ نشأته الثانية فى اوروبا ، وتطور ... فمثلا فى فرنسا نشأ المسرح دينيا اول الأمر ثم ظلا يمتد الى « الدنيويات» بقدر ما ينقطع عن الكنيسة ، وعندما جاء عصر النهضة وظهر الاتجاه الى الآداب الاغريقية . ولد ادب جديد يستمد دوافعه وعناصره من الانسان وطبائعه وتفكيره ...

وفى انجلترا نبتت جذور الدراما فى الدين المسيحى خلال العصور الوسطى .. وقتئذ كانت الكنيسة هى كل شىء كانت مكان الدين والعلم والاجتماع والفن، ومكان البهجة ايضا .. ان ديانة العصور الوسطى ـ كما يقول الاردايس نيكول ـ وان كانت خطيرة وغامضة ، الا انها كانت رحيبة الصدر من حيث اتساعها للمسرات وتقبلها ، وكأنما قد انتهزت فرصة اقبال الجماهير عليها ، وشغفهم الذى اخذ يتزايد برؤية مضمون القصص المقدسة رؤية مجسمة او ممثلة ، فعمدت الى اظهارها وعرضها على هذا النحو ، وبهذا حاولت من جهة اخرى أن تتفادى ما كانت تخشاه من ضرورة ترجمة النصوص المقدسة الى لهجاتهم العامية ..

ان هذا العرض كان يشير اشارات « رمزية » الى الموضوعات الدينية ، وفىالقرن التاسع اضيفت نصوص الى الموسيقى الكنسية ، واصبحت تعرض مع غيرها من النصوص فى شكل «حوار» ، وسرعان ما تطور هذا كله « بشكل معين » ، فاصبح « دراميا » بالنضوج فى التعبير ، لأن الحوار نما واغتنى ، والحركة تنوعت ، ودخلت اللهجات المحلية ، وهكذا اقتربت الدراما الدينية نحو الناس ونحو الموضوعات الدنيوية ، وانتقلت من المجردات الى الاختلاط بشخصيات فى عالم الواقع الى حد كبير .

* * *

كل هذا شبيه بما حدث فى فرنسا وفى اى بيئة نشأ فيها المسرح .. والى جانب هذا التشابه فى الموضوع نجد تشابها آخر فى نوع التعبير ... ان التطورات التى حدثت فى التعبير الادبى فى خلال ظهور الاداب الاوروبية ، هى فى جوهرها نفس التطورات التى حدثت خلال ظهور الاداب المسرحى عند الاغريق ، من شعر غنائى وهجائى وتعليمى وقصصى ، الى ملاحم تحكى اعمال البطولة ، الى دراما .. ونفس التطورات حدثت فى الادب الرومانى ، وفى الأدب الاوربى بنفس التسلسل .

* * *

ان هذا كله يؤكد لنا أن المسرح فن له مقومات ومظاهر معينة ومحددة ، بمعنى انه « كائن حى » يتطور فى قوالب معينة لا تختلف فى جوهرها فى اى بيئة ، ولا فى اى عصر ... فهل معنى ذلك اننا اذا اردنا انشاء الادب المسرحى الخاص بنا وبطبيعتنا علينا أن نلزم انفسنا باحتذاء نفس التطورات : وهل المسألة مسألة محاكاة لمجرد المحاكاة ؟ ان فرنسا حينما حاكت الأنماط الكلاسيكية ازدهر فيها المسرح فى القرن السابع عشر مثلا ، بينما فشلت فرنسا فى المحاكاة فى القرن الثامن عشر مثلا .. ومعنى ذلك أن احتذاء الاغريق ليس مجديا ولا ممكنا ... ثم ان وظيفة المسرح لم تعد بالضبط نفس وظيفته الأولى لا عند الاغريق ولا فى أوروبا .. اننا الآن اهتدينا الى نظريات مختلفة فسرت العلاقة بين الشعر والطبيعة ، وشرحت التصور الشعرى على ضوء ما استفادت البشرية من تجارب خلال احقاب طويلة .

واذن فلا يكفى ان نبحث تطورات الاشكال والقوالب المسرحية ، بل من المهم ان نبحث اسباب ازدهار الفن التمثيلى فى عصر ما دون عصر آخر وفى شعب ما دون شعب آخر ... علينا أن نعرف بعمق مكونات ومقومات المسرح ليمكن توفيرها او تدعيمها فى بيئتنا ... علينا ان نعرف العوائق التى عاقت دون ظهور المسرح فى ادبنا القديم ، الى ان نقلت بعض الوان الينا نقلا زائفا ... علينا ان نعرف لماذا كان هذا النقل زائفا

باختصار ان بحث وسائل تكوين وتطوير مسرحنا بالمعنى العلمى يحتاج الى دراسات عميقة، ويجب ان يتحمل كل المثقفين مسئوليتهم عن هذه الدراسات .

عبد الفتاح البارودى

الفكر في أسبوع

يقدمه : تحسين عبد الحي

فلسطين بين الادب السطحي
والنماذج المهجورة

عاشت الأمة العربية اياما خالدة ـ ارتفعت فيها قياداتها الى مستوى مسئولياتها ووجودها القومي ـ عندما اجتمع ملوك ورؤساء الدول العربية لبحث القضية الفلسطينية .. في مؤتمر القمة العربي .

ولا شك انه سوف يؤرخ لتاريخنا القومي على اساس ما قبل المؤتمر وما بعده لما كان له ولما سوف يكون من آثار بعيدة المدى على حركة النضال العربي الواحد ضد الخطر الصهيوني على الوجود القومي العربي ..

ونحن هنا لانود ان ندخل في بحث الصلة بين السياسة والادب .. **الا ان الأدب في صورته البسيطة ـ تعبير عن الحياة ـ في بساطتها وتعقيداتها وفي اهدافها وتطلعاتها ـ وهو كذلك مرتبط بالتحركات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ـ للمجتمع ـ فالسياسي عندمايخاطب الفرد يخاطب فيه العقل ومصالح وطنه وأمن امته ومستقبل ابنائه .. ويخاطب الأديب في الفرد شعوره ووجدانه وانسانيته** ـ ومن ثم ـ فلا بد للأدب من ان يعمق المفاهيم العقلية والمصلحية ـ في شعور ووجدان الانسان وذلك لكي تتساوى ـ دوافع ـ الشعور والاحساس مع دوافع العقل والمسئولية .. نقول ذلك لأن ادباءنا قد عزلوا انفسهم عن ركب النضال القومي لامتنا في كثير من معاركها ـ وخاصة معركة العودة الى الوطن السليب ـ فلا يستطيع المرء الا ان يشعر بقصور الحركة الادبية العربية في هذا المجال اللهم الا بعض الاعمال المتناثرة هنا وهناك واكثرها في ميدان الشعر .. والشعر الانفعالي بالذات ـ الذي يملأ الدنيا ـ نواحا وصفيرا ـ

ووقف ادباء القصة ـ موقفا يتسم بالجمود وعدم الحركة ـ **فنجيب محفوظ مثلا عندما أرخ لمصر في الثلاثية ـ قدم لنا من خلال نماذجه البشرية العادية كثيرا من الاحداث التي ربما لايعيها القارىء العادي عندما يقرأ كتب التاريخ التي تعتمد على سرد الاحداث السياسية بل ربما لايستطيع ربط هذه الاحداث وتطوراتها ..**

ونكبة فلسطين ـ وطرد اللاجئين العرب من ديارهم محتوى كبير ملىء بالنماذج والمآسي الانسانية المهجورة والتي اذا ما احكم وضعها في عمل فني فسوف يكون لها من الأثر مايعادل مئات الكتب السياسية المدعمة بالخرائط والحقائق الموضوعية .

ان مشاعر اولئك الذين يعيشون في الخيام وسط ثلوج الشتاء والحرمان ـ تحتاج الى ان تحشد في عمل فني بدلا من تصوير بعض ادبائنا لقلقهم الجاف واحاسيسهم الصبيانية .. وشجرة الزيتون المزروعة في القسم العربي والتي تتدلى بعض فروعها في القسم اليهودي ـ والبعض الآخر في القسم العربي ـ وفي وقت الحصاد ـ ـ يجني العربي فرعا ويجني اليهودي فرعا آخر ـ ما هي مشاعر العربي الذي يرى غيره يقاسمه في شجرة زرعها بيديه . ؟

ان اللاجيء اشبه بغريق يائس معلق في خيط من الرجاء بين شقي مقص الفناء ـ يفتح له الوهم بين كل قطرتين بحرا ـ وبين كل موجتين قبرا ..

اين هذا اللاجيء في أدبنا .. ؟

والام التي فقدت فلذة كبدها والاسرة التي فقدت عائلها وسط مذابح قبية ودير ياسين ـ اين هم في عقول ادبائنا واعمالهم الأدبية .

اين ضياع هؤلاء الاخوة العرب في حياتهم .. اين .. اين .. **انها كلها نماذج مهجورة تنادي الاديب الفنان ليخلق منها حقيقة في مشاعر واحاسيس قرائه ـ بدلا من الصيحات التائهة في**

شعاب اللامعقول .. استيقظوا أيها السادة قبل أن تدينكم امتكم .

« مع الأمناء »

اجتمع الامناء حول رائدهم هذا الاسبوع رغم البرد والصقيع الذى اجتاح القاهرة

وكان موضوع المناقشة الذى اشترك فيها الحاضرون من موضوعات الساعة وهو ــ موقف الادباء الناشئين ــ من الحركة الادبية ــ وموقف الصحافة الأدبية منهم .. وصلة هؤلاء ــ كجيل ــ يجب ان يثبت وجوده بالنضال الذاتى ــ بلااحساس باية ازمة ــ ثم الادب الغربى واثره فى حياتنا ..

وكان راى الاستاذ امين الخولى يتلخص فى ان القضية تتلخص وببساطة فى ان الكثير من شيوخ الأدب عندنا قد اغفلوا عنصر الزمن فى التطور الثقافى والأدبى .. ومقاييس هؤلاء البعض ــ مازالت مرتبطة بما اخذوه من الثقافة الغربية فى المرحلة التى تذوقوا فيها الأدب والثقافة الأوربية.. ومن ثم فهم يقفون أمام التطور الجديد للثقافة الانسانية موقفا صلبا .

فكل تطور ثقافى ــ فى اى مكان ــ انما هو ــ بمثابة تجارب انسانية تقام فى معامل الحياة ــ لكى يستفيد بها ومن نتائجها البشر فى جميع انحاء المعمورة ــ ولهذا يجب الا نقف امام اى عمل جديد متطور موقف الشك بحجة انه يمثل مرحلة معينة من التفكير والحياة ــ وانما يجب ان نراه ونتذوقه ــ قبل ان نحكم عليه .

أما الأدباء الناشئين ــ **فلا يجب عليهم .. ان يعتقدوا انهم اليوم فى ازمة ــ وانما يجب ان يعترفوا ان فرص اليوم تزيد كثيرا عن الفرص التى كانت متاحة لغيرهم منذ جيلين على الأقل ــ فادباؤنا الكبار اليوم ــ ناضلوا فى ظروف اصعب بكثير ــ فقد صنعوا عناوينهم بانفسهم وكانت اضافاتهم الثقافية بمجهودهم الخاص .** ولهذا فان التأزم والشعور بالضياع أشياء قاتلة تحد من الامل الواسع العريض فى المستقبل الذى يجب ان يشيدوه هم بانفسهم .

ايران
وحتمية التاريخ
تاليف : جاد طه ..

ويحتوى الكتاب على دراسة لايران كبلد اسلامى من الناحية الجغرافية والبشرية .. وكيف ان ارضها الجبلية الوعرة قد خططت الى حد ما لبعض فصول تاريخها القديم ..

وأوضح المؤلف ــ اتفاق معظم المؤرخين ــ على ان الفتح العربى لايران ــ هو اهم فترة فى تاريخها على الاطلاق لأن الدين الاسلامى ليس دينا فحسب بل هو دين وثقافة وحضارة وهو تشريع ونظام للحكم ..

واشار الكتاب الى اهمية ايران فى مجال التنافس الدولى ــ وكيف انها تشغل حيزا هاما فى الصراع العالمى بين القوى الكبرى .

وذلك لانها الحاجز الطبيعى بين روسيا وباقى قطاع العالم الخارجى ــ ولانها تقع على اهم طرق الاقتراب الرئيسية لبريطانيا الى الهند والشرق الاقصى ــ ولانها كذلك تنتج كميات كبيرة من البترول وبين الكتاب ان ايران تسير بخطى واسعة فى طريق الثورة ــ فالشاه محمد ابن رضا شاه بهلوى هو نفسه الذى يعد النفوس لهذه الثورة ــ فهو يشايع الاجانب على مصلحة اهل البلاد الوطنيين ويناوىء الحركة الوطنية ويضع الاحرار فى السجون ــ ويحول ايران الى سجن كبير فيه كل ابناء الشعب ــ بل وتمادى الى اكثر من ذلك فاعترف باسرائيل ــ دولة الاجانب والعصابات التى اغتصبت فلسطين العربية متناسيا الصلات الوثيقة بين العرب والايرانيين منذ صدر الاسلام الاول ..

كل هذه العوامل مجتمعة سوف تودى بلا شك بحكم الشاه فى ايران ــ ليعود وجه ايران الوطنى الاسلامى

الاخ والصديق للعالم العربى ..

تحسين عبد الحى

البريد الأدبي

رد على رد

حاول الاستاذ العوضي الوكيل في العدد ١٠٤٢ من الرسالة القراء ان يرد على محاولتي الهادئة لرد بعض شططه فيما سبق ان كتبه عن مهرجان الشعر العربي الخامس وتناول فيه قصيدتي (الى ولدي) وأول مالفته واثاره اني كنت هادئا موجز القول وسمى ذلك (بكاء واستبكاء في كلمة واحدة) ناسيا أن الهدوء سمة الواثق وان الايجاز حكم الصحيفة.

ولو كان الامر يتعلق بي لما حاولت ان ارده ، ولكنه تناول مسائل عامة يفوق الحديث فيها كل مايحاول الناقد ان يحشو به صفحات المجلة من مترادفات للثناء ، قال سيادته ـ في مجال مايسميه نقدا ـ « ان الشيء الذي لاطعم له ، طعمه انه بغير طعم » وقد تكفل شوقي رحمه الله بالرد على هذا حين قال (ومن يك ذافم مر مريض ...) و (وماضر الورود وما عليها ...؟) .

ثم قال «انا لاأستجدي الرضا بما أكتب عما اكتب كما يريد بعض الشعراء أن يستجدوا التصفيق حين ينشدون فيرتجلون أولا يرتجلون » وفي هذا القول ادعاء مردود ، وغمز مستور . اما الادعاء فرده انه لم يحدث أن تعمد كاتب استجداء الرضاء كما يفعل صاحبنا وآية ذلك ـ في ايجاز شديد ـ انه تناول في مقاله بالعدد ١٠٤٠ شواعر المهرجان ، فأثبت للاولى « قدرتها على الصياغة الشعرية الرصينة » والثانية « قصيدتها متكاملة الفكرة تدور على محور واضح في ذهن الشاعرة » والثالثة قصيدتها تمتلىء بحرارة الصدق وتعينها تلك الحرارة على اجادة الصياغة ، والرابعة ، وفقت كل التوفيق في الجمع الذهني لعناصر موضوعها ». والخامسة « الفاظ قصيدتها وثيقة الصلة بموضوعها » والسادسة ولها قصيدتان فقال عنهما « كلتاهما رفيعة المستوى سواء من ناحية المضمون ومن ناحية النظم » وهكذا يجهد الناقد ـ الذي يزعم انه لايستجدي الرضاء ـ نفسه في تكييف أسلوب الثناء ليلائم الشاعرات على اختلافهن ، قاصرا عن ادراك انه يغضبهن جميعا من حيث لايدري لانه يسوي بينهن .

اما الغمز فهو في الاشارة الى استجداء التصفيق وهذا يثبت ان قصيدتي قد اهتز لها جمهور السامعين فصفقوا لها كثيرا ، ولعل هذا هو ماأثار صاحبنا ، وذوق الجمهور في كثير من الأحيان يفضل راى الناقد مهما كان .

والغمزة الاخرى في الاشارة الى الارتجال يقصد بها الناقد ماحدث في المهرجان من ان دوري في الالقاء كان عشية ان اطاح الشعب العراقي بشرذمة البعثيين الشعوبيين وبدت في الافق العربي اعلام الوحدة ، فالقيت أبياتا في تحية بغداد كانت الشهادة ممن اعتز بشهادتهم من كبار النقاد ـ وهم كثيرون ـ شيئا جادا له وزنه في المهرجان ، وقد نوهت بها صحف كثيرة منها الرسالة والثقافة ، جاء من هذا ان القصيدة ربطت المهرجان بالاحداث وكانت دليلا على فاعلية الفن وانطلاقه في معايشة الجماهير .

محمد التهامي

رد على نقد

قرأت نقدا للسيد عدنان أسعد لبعض كلمات وتعبيرات في قصيدة لشاعرنا الفيلسوف الكبير الاستاذ محمود حسن اسماعيل نشرها بالرسالة (العدد ١٠٣٦) بعنوان : «وراء الوجوه المستعارة وهي تزيف حقيقة الانسان» .

ولقد انتقد على الشاعر استعماله لكلمة (الستار) بدل (الحجاب) بحجة ان (الحجاب) اقوى من (الستار) في كشف الغيوب ، والحقيقة ان الشاعر لم يقصد كشف الغيوب ، وانما اراد كشف الغموض في حقيقة الوجوه الانسانية التي يطلب من اجلها لقاء الله ، سيما وان الشاعر يدعي انه لاتستعصي عليه معرفة الوجوه التي ملها ، ولو سكنت غاب الغيوب المنيعة ، فيقول :

عبرت فضاء الله صياد أوجه
ولو سكنت غاب الغيوب المنيعة

فالمناسب (الستار) لا (الحجاب) لكشف هذا الغموض لان الامرلو كان من الضخامةبمكان لاستعمل الشاعر وهو الفيلسوف العليم بأسرارالكون والنفس الانسانية كلمة (الحجاب) . ولقد تطورت كلمة (الستار) في التعبير فأصبحنا نسمع كلمة (الستار الحديدي) وأصبحت تؤدي تقريبا المعنى الذي يريده الناقد بكلمة الحجاب . ولكن في غير مكان القصيدة .

وانتقد على الشاعر استعمال الواو في (وأعزف) ظنا انها زائدة ، ولكن الحقيقة أنها غير زائدة لانها دخلت على جملة اسمية حذف المبتدا منها ، والتقدير قبل الحذف ، وانا أعزف .. الخ في بيت شعره :

وهو توالت والرباب على يدي
وأعزف للانسان . . . الخ

خصوصا وان الشاعر بدا العنوان بحرف المبتدأ فالواو هنا لازمة لانها دخلت على جملة اسمية تعرب حالا .

وعاب على الشاعر استعمال (زوايا) بدلا من (طوايا) النفس أو (خبايا) النفس ، والشاعر موفق في تعبيره حين قال :

ودرت حواليها وطرفي ساكن
يجوب زوايا النفس في كل نظرة

لان كلمة (يجوب) تدخل على الامكنة بدون حرف بخلاف (طوايا) و (خفايا) فهما اسما مفعولين تتعدى اليهما بواسطة مثل (في) ، ولا شك أن الزوايا من الأمكنة وكان الشاعر من الممكن ان يقول (نواحي) ولكنه آثر (زوايا) لانها محل الخفايا ، وهو معنى يقصده الشاعر ، وكان يعاب على الشاعر هذا الاستعمال لو انه تلاعب به تلاعبا بديعيا ، وأخذ على الشاعر استعماله (والها) في بيته :

ولا من أتاني والها متذللا
ويخنق في عينيه ظل المكيدة

فهو يقترح (ضارعا) بدلا منها ، والحقيقة أن تعبير الشاعر أروع لان فيه تنويعا بين الوله والتذلل ، والوله الذي يقصده الشاعر هو الادعاء والتحايل ، وهو مناسب لقوله (المكيدة) ، قالوا له في نظر الشاعر مجنون ، لان محاولاته لاتجدي فتيلا مع نظرة الشاعر الفراسة بخلاف (ضارعا) لانها في معنى (متذللا) واعترض على الشاعر في قوله :

تناقض حتى خلت عدة أوجه
توالت لعيني زمرة اثر زمرة

وقال ياحبذا لو استعمل (صورة) اثر (صورة) بدلا من (زمرة) اثر (زمرة) لان تلك الوجوه بطبيعتها تأتي فرادى ولا مفر .

والحقيقة ان الشاعر فطن وبليغ في تعبيره ، لان (زمرة) المكرر يلائم قوله (تناقض) و (خلت) فهو يدعي أن هذا الانسان تناقض في أموره حتى انه لم يعرف الحق من الباطل ، فهو لم يعدله وجه واحد وانما له وجوه زمر أي جماعات ، لا يعرف أيها الحق وايها الباطل .

وينتقد على الشاعر قوله (بحر بلا ماء) في بيته :

وبحر بلا ماء وموج بلا صدى
يغمغم شيء فيه من كل وجهة

فالناقد يقول : (والبحر ماسمي بحر الالوجود الماء فيه) .

وهو على حق لو ان الشاعر قصد هذا المعنى القريب ، ولكن الشاعر أراد معنى أعمق ، على حد قوله تعالى : «كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ما ، حتى اذا جاءه لم يجده شيئا» .

والشاعر يقصد أن اوجه الناس تغيرت وتناقضت حتى أصبحت على غير شيء ، وانما هي اوجه جوف ليس فيها اي غناء .

بريد القراء

فى القصة

يقدمه : صبحى الجيار

* « لا بد ان تشرق الشمس » عنتر عبد السلام مخيمر

قصة وطنية تحكى مأساة سجين جزائرى ، يحاول الفرنسيون ان ينتزعوا منه اسرار جيش التحرير ، لكنه يصمد فى شجاعة نادرة امام تعذيبهم له باسلاك الكهرباء ، ولا يملك الا أن يبصق على السجان الفرنسى ، الذى يثور غاضبا ، ويهوى عليه بسوط غضوب فى ضربات عشواء حتى يغمى على السجين الجزائرى ، دون أن يعترف بكلمه واحدة . وينهار الجندى الفرنسى فى اعياء وهو يقول : ان شعبا فيه مثل هذا الرجل لا بد ان ينتصر .

● هذه صورة أدبية اكثر منها قصة بمفهومها الفنى . فليس حدث أو صراع نفسى ، أو حتى رسم واضح للشخصية الرئيسية وهى السجين الجزائرى . والصورة كلها وصف من الخارج لعملية تعذيب مالوفة وباسلوب خبرى .. لكنه جيد .

* « نهاية المطاف » مراد صبحى بدمنهور

تبدأ القصة بشاب تكالبت عليه احداث الحياة حتى أدت به الى الجنون . وراح يهيم على وجهه فى الطرقات . ثم يعود بنا المؤلف الى طفولة هذا الشاب ، فنرى أباه يموت وهو مازال بعد طفلا صغيرا ، فتصارع امه الحياة حتى تكفل له حياة كريمة يتم فيها تعليمه حتى يتخرج فى الجامعة . ثم تموت الأم فجأة وتتركه بلا عائل . ويساعده أهل الخير على الالتحاق بوظيفة ساع . ثم يدرس للحصول على شهادة تحسن مركزه . وعندما يحين موعد الامتحان ، لا يصرح له رئيسه باجازة . وتحتدم بينهما المناقشه، فيثور ويعتدى على رئيسه حتى يسيل دمه . ومن ثم يطرد من عمله بعد محاكمة تأديبية ، ويهيم على وجهه فى الطرقات .

● يميل المؤلف كثيرا الى المبالغة والتهويل ، وقد لجأ الى افتعال الاحداث القدرية حتى يخلق لنا فى النهاية نموذجا لشاب محطم مجنون . وارى ان التسلسل المنطقى لاحداث القصة كان يجب أن يتخذ اتجاها آخر يطابق شخصية بطل القصة التى رسمها المؤلف على انه شاب مكافح عنيد ، متفائل فى اقسى الظروف ، طموح الى اعلى الدرجات العلمية، يبنى مستقبله من نقطة الصفر ، حتى أصبح على أبواب الشهادة الثانوية ، التى يعبر منها الى الجامعة .. هدفه الأعلى . هذه الشخصية القوية لا يمكن أن تنهار الى درجة الجنون لمثل هذا السبب، الذى كان من الممكن تفاديه ، ولو بشىء من التضحية .

* « ابنة الشهيد » عبد المنعم حسن صالح

قصة تصور حالة نفسية لفتاة تسمع خبر نجاحها فى الثانوية العامة فبدلا من أن تفرح ، تراها تصعد درجات السلم فى «ضعف الشيخوخة اوتثاقل المحزون » على حد تعبير الكاتب . وتلجأ الى سريرها ، فتخرج من بين حشياته صورة ابيها الضابط الذى استشهد فى معركة العدوان الثلاثى . وتأخذ فى البكاء وهى تقبل الصورة . ثم تدخل عليها امها ـ التى تزوجت بغير ابيها ـ حاملة كوبتين من الليموناده ، فتمسح الفتاة دموعها .. وتنتهى القصة .

● لا أريد أن الوم المؤلف الذى أبكى الفتاة يوم نجاحها . فاحيانا يتذكر الانسان احباءه يوم فرحته، ويتمنى لو انهم كانوا يشاركونه هذه الفرحة . ولكن المؤلف لم يتغلغل بقلمه فى اعماق الفتاة ، ليصور لنا احاسيسها المتضاربة بين حاضرها السعيد وذكرياتها الحزينة . ثم يقول المؤلف فى نهاية قصته ان الأم قد اطمأنت الى نجاح حيلتها ولا أدرى ماذا يقصد بهذا الا أن تكون فكرة الليموناده هى الحيلة المقصودة . وهى فكرة ضعيفة كخاتمة للقصة .

* « موتى خارج القبور » مصطفى السيد الجبرينى .

قصة أم من لاجئى فلسطين ، تشرح لابنها ـ لاول مرة ـ قصة طردهم من ديارهم . وان عليه ان يسترد الارض المسلوبة ، بأن يثابر على تحصيل دروسه .. الخ .

● القصة عبارة عن خطبة منبرية طويلة ، تعالج قضية فلسطين فى قالب ساذج . والاسلوب يحتاج الى مزيد من الصقل .

فى المقال ١٠

● **الشريعة والتطور :**

للاديب : **محمد الطاهر الصفتى أمين سر نيابة سوهاج الكلية** ، مقال حماسى تحت هذا العنوان ، فهو يدهشه أن يفكر البعض فى الغاء بعض القوانين والاحكام والشرائع بمجرد أن يصاب أناس بضرر نتيجة تطبيقها ، او يسيء أناس استعمالها .

ويضرب الاديب مثلا ببعض الصيحات التى تلح فى الغاء بعض الاحكام المتعلقة بالاحوال الشخصية كالطلاق وتعدد الزوجات ، ويرى اننا لو بذلنا جهدا فى توعية المواطنين لامكن التغلب على سوء استغلالهم للطلاق وتعدد الزوجات ، ثم يختتم مقاله قائلا :

« اننى لا أعنى بذلك أن نقف جامدين ازاء القوانين والتشريعات ، وانما اعنى أن لا نقدم على تغيير قانون او تعديل تشريع الا عندما يتأكد الضرر ويعم الفساد » .

واود ان أذكر الاديب المتحمس ، بانه ليس هناك من يقوى على التفكير فى الغاء نص من نصوص الشريعة المتعلقة بالاحوال الشخصية ، والمسألة تنحصر فى تطوير افهامنا تجاه نصوص الشريعة بما يدفع الضرر ويحقق المصلحة ، وحيثما كانت المصلحة فثم شرع الله كما يقول الاصوليون ، ولا يجهل مثقف أن لولاة الامور التدخل اذا أساء البعض استغلال نص شرعى ، ولعل أقرب الامثلة ما حدث من عمر بن الخطاب حين رأى الناس يسرفون فى استعمال الطلاق الثلاث فاقره ثلاثا ، وكان يقع واحدا فى عهدى الرسول وأبى بكر وطرفا من عهد عمر نفسه .

● **من محاولات اغراق التراث :**

وهذا مقال للاديب : **عبد الفتاح بركات المدرس بمعلمى فاقوس** ، كتب تحت هذا العنوان يقول : « على يد «هولاكو» أحد المخربين أغرقت مكتبة بغداد، ومع كل هذه المحنة العاتية بقيت المدنية وانتصرت الحضارة ، ولم يفد من الجريمة أهلها بقدر ماجعلتهم احدى القصائل غير الشريفة فى موكب الانسان .. ومنذ تسع سنوات حاولت جماعة أن تجعل من كل تراثنا كومة من رماد ، واعتبرت اللغة ــ وهى أهم أوعية القومية ــ أمرا هامشيا لا دخل له فى العمل الادبى ، فصورة الادب ليست هى اللغة بل هى عملية داخلية فى قلب العمل الادبى لتشكيل مادته وابراز مقوماته » .

ويختتم الاديب مقاله بقوله : « حين كانت تجدى القوة الغاشمة وضعت الكتب تحت حوافر الخيل ، وعندما سيطرت « المذهبية » برزت أقلام ترتدى ثياب الكهنة لتمزق التاريخ وتلوث الذوق تحت أستار كثيفة من المناهج المستعارة » .

الحق مع الاديب فيما كتب ، وكنت اود أن يكون أكثر وضوحا ، فلم يقدم نماذج لها سندها من الكتابات كما ذكر ، بل قدم رموزا مقتضبة ، ونحن لا ننكر ان المحاولة التى آثارها قائمة بيننا ، ولكنها لن تكون سوى محاولة فاشلة ، اللهم الا اذا اردنا أدبا لا يمت الى مفهوم الادب الصحيح بصلة .

● **وداعا لحيتى :**

تحت هذا العنوان بعث الشيخ **محمد سعيد الزواوى الامام الاول بالجامع الحنفى بالجزائر** ، بمقال ، يحكى فيه قصته مع لحيته التى لجأ اليها مضطرا سبعة أعوام كاملة ، فارا مع غيره من المكافحين الجزائريين من بطش الاستعمار الفرنسى ، ولم يجد الكتابات كما ذكر ، بل قدم رموزا مقتضبة ، ونحن فرنسا ، وهو الذى كان يبغض اللحية وينفر منها منذ وطر شاربه ، ووهى أبغض اليه ، واكثر نفورا منها فى عرمه .

والكاتب اذ يودع لحيته بعد أن نالت الجزائر استقلالها ، لم ينس لها فضلها : « **ما وجدت ملجأ الا اليك ، ولا منجى الا بك ، ولا مخلصا الا فى حماك المنيع .. لقد فررت الى جحرك فرار الارنب الضعيف من الذئب المسعور ، فآويت وسترت ، وان فضلك على لن أنساه ما بقى فى حياتى منزع ، ساذكرك بكل جميل ، واثنى عليك بما أثنى به كل حر كريم** » .

الواقع أن : المقال قطعة أدبية جاءت باعثة حينا ، ورائعة أحيانا ، ولا سيما وهو يذكر أنه ليس وحده الملح على فراقها ووداعها ، فهناك زوجة وأم أولاده الخمسة ، ورفيق حياته منذ ربع قرن ، ترى اللحية العن ضرة معها ، وهو لذلك لا حيلة له فى أن يطلق الضرة طلاقا لا رجعة فيه ، بعد نكاح متعة عاش سبعة أعوام .

في الشعر

● **مؤتمر القمة :**

بعث الاديب الشاعر الاستاذ **محمود جبر** بهذه الابيات **تحية لمؤتمر القمة :**

يا صفوة من جنود الحق هل لكمو
من موقف سوف يبقى فى غد لكمو
الفخر يذكره والدين يشكره
والكفر يحذره والشعب يبتسم
فبايعوا الله ان الله بايعكم
واعلنوها ... فان الله منتقم
ضياغم العرب هذا موقف عجب
تحنى له الهام اجلالا لكم أمم
يا صفوة الخير صهيون طغوا وبغوا
وشردونا ... فردوا كيد من ظلموا
سبحانك الله قد أعليت قدرهمو
فاجمع بفضلك يا مولاى شملهمو

● **العزة والكرامة فى شعر هاشم الرفاعى :**

وتحت هذا العنوان كتب الاديب : **محمد الخضرى عبد الحميد** مقالا ضافيا ، ترجم فيه لسيرة الشاعر ومسلكه وقدم نماذج من شعره الثائر فى اطار من العزة والكرامة ، فهو يقول على لسان شهيد تحت المقصلة فى قصيدته « ليلة التنفيذ » :

هذا دمى سيسيل يجرى مطفئا
ما ثار فى جنبى من نيران
وفؤادى المؤار فى نبضاته
سيكف فى غده عن الخفقان
والظلم باق لن يحطم قيده
موتى ولن يودى به قربانى
ويسير ركب البغى ليس يضيره
شاة .. اذا اجتثت من القطعان

ان مقال الاديب جيد لولا أن الرسالة سبق لها أن نشرت قريبا منه عن الشاعر الفقيد ، وكان من الممكن أن يجد مثل هذا المقال طريقه الى النشر كاملا لو اختار الكاتب زاوية محدودة من شعر هاشم الرفاعى ، فابرز خصائصه ، وأقل من اسرافه فى الترجمة له ترجمة عادية لم تأت بجديد .

● **يا أمى الشهيدة :**

تحدث هذا العنوان كتب الاديب **طاهر نبهان بالمعهد العالى التجارى بالمنصورة** قصيدته، على لسان لاجئة عربية وهى واقفة امام أحد القبور :

أمى وداعا آه يا أمى الحبيبة
أمى طواك الموت فى أرض غريبه
أمى وداعا فى تراك هنا بعيده
عن أرضنا عن أرض آبائى السليبه
يا أم عهدا ان رجعت الى بلادى
ان أنصفونى اخوة لى فى العروبة
ساعود احمل من رفاتك ما تبقى
وهناك أودعها بمقبرة قشيبه
ويحيطها الزيتون فى أعلى الروابى
وتظلها من ادمع الفرح سحابه

تناول الشاعر معانى عظيمة فى قصيدته ، غير أنه تهاون كثيرا فى قواعد اللغة ، كما هو واضح فى أبياته الاخيرة ، وما فى الابيات التى لم تنشر ما هو أعظم ، مع أنه كان فى استطاعته التخلص من كثير من أخطائه ، فالفعل أحاط مثلا ومضارعه يحيط يتعدى بالباء ، والفعل حاط ومضارعه يحوط يتعدى بنفسه ، ولو جعل مكان يحيطها ، يحوطها لما اختل المعنى أو الوزن ، ولسلمت اللغة .

● **مقتل مزارع فى انجولا :**

وتحت هذا العنوان كتب الشاعر **يوسف محمد يوسف بأم درمان** قصيدة طويلة جاء فيها :

مات الذى ذرف العروق لأرضه
والناس من محرانه تقتات
جبل الذهول على يديه محطم
فتحررت من كهفه اليقظات
ويسيل نهر النار من كلماته
فتشب من وهجاته الساحات
كفان غللها الردى لكنما
فى كل انسان لها طفرات

الشاعر لم يستطع تصوير قضية الاستعمار فى انجولا ، واكتفى بمأساة مزارع قتل ، وأهمل قواعد اللغة فى كثير من ابياته ، كما هو واضح فى كلمتى (العروق وغللها) ، وبالغ فى تشبيهاته كما هو واضح ايضا من قوله : يسيل نهر النار من كلماته .

ابن المقفع

شباب اليوم

بقلم : الدكتور نجيب الكيلانى

قالوا لها : « لقد جاء عباس الصفطاوى ليخطبك وقد وافقنا . اجل .. وافقنا لأنها فرصة العمر بالنسبة لك ، فلا يعقل ان تجود الأيام برجل فى مركزه وثرائه ، ثم انك تعرفين بالطبع أن أحدا لم يتقدم اليك برغم انك قد جاوزت العشرين من عمرك يا « فوقية » .. لا شك انك موافقة .. »

وجرعت « فوقية » نصف كوب من الماء على غير ظمأ ، كان النبأ مفاجاة حقيقية لها ، لكنه لم يثر فيها شيئا من الانفعال ، لم يجعل قلبها يدق فى عنف ، او يلون وجنتيها البضتين بحمرة خفيفة ، او يبث فى حركاتها ولفتاتها اى نوع من الارتباك والاضطراب .. حتى خيل لعمتها — وهى فى مقام امها التى ماتت منذ زمن بعيد — أن فوقية كانت تتوقع هذا النبأ ، بل ساورت العمة الشكوك فى انه لابد ان علاقة ما كانت تجرى فى الخفاء بين فوقية وعباس .. اما الاب ، فقد ظل على مقعده ينفث دخان سيجاره دون مبالاة ، بينما اخذت الجدة تسعل فى وهن سعلات متقطعة ..

واستطردت العمة قائلة :

— انه ابن اختى وانا اعرفه .. لهذا فستكونين فى يد امينة ترعاك وتهيىء لك الحياة السعيدة ..

ووثبت صورة عباس الى ذهن فوقية ، كانت سمنته المفرطة ، وصوته الرفيع ، وبطنه المتكور تحت طيات الشحم ، وغطيطه اذا نام ، ونفوره من اى عمل مهما كان ، كل هذا كان مقترنا فى ذهنها بنهمه الذى لا يبارى فى التهام الطعام وتجرع المشروبات ، والعرق الغزير الذى يغرق جبينه كلما قدم اليهم فى زيارة ..

وهتفت عمتها وقد احنقها صمتها :

— ماذا قلت ؟ ؟

— امركم ..

قالتها فوقية فى نبرة ذليلة كسيرة ، وتطلعت الى والدها الأعزب الذى يدخن فى جمود ، وتحولت عنه الى جدتها التى تهز راسها دون معنى مفهوم، ثم بلغت عمتها وتلاقت نظراتها التائهة مع نظرات العمة التى يبدو على وجهها الاصرار والثقة ، وقالت العمة :

— هذا ما قررناه .. نحن ادرى بمصلحتك منك .. انه يملك خمسين فدانا وعربة وعمارتين ... انه حلم تحقق ..

وكان واضحا أن ليست هناك مشكلة على الاطلاق ، فالعريس مقبول شكلا وموضوعا ، ماضيه معهم حافل بالاحسان والعطف عليهم ، اما فوقية فهى فتاة طيبة ، لم تعرف التمرد او العصيان فى حياتها ، ولم تفكر فى العبث كما يحلو لمثيلاتها من الفتيات اللائى يحلمن بالحب والمغامرات العاطفية المثيرة ، لقد عاشت بلا ام .. لم يداعب احلامها سوى احضان أمها الدافئة ، وكلماتها الحلوة الحنونة ، وابتسامتها الوادعة .. وكانت العمة العانس هى السيد المطاع الذى لا راد لمشيئته ، اما الاب فكان وقته موزعا بين المقاهى والسهرات الغامضة والعمل بادارة المعاشات فى وزارة الاوقاف ، ثم النوم بضع ساعات آخر الليل فى حجرته ..

وخفق قلب فوقية خفقات متلاحقة ...

واخذ الارتباك يغزوها رويدا رويدا ، ان شعورا دافقا حلو المذاق ، شهى النكهة يلامس قلبها .. شعورا كالنغمة الحنون .. كالاغنية الدافقة بالمنى والرقة .. لقد تذكرته الآن .. تذكرت «حسنين» .. شقيق احدى صديقاتها .. ان حسنين ليس شيئا مذكورا بالمعايير التى تقيس بها عمتها الرجال.. مجرد شاب فقير .. تخرج من مدرسة ميكانيكا الطيران .. كان فى نظراته اليها دائما شىء يفهمه قلبها .. وبريق يهتز له قلبها وجسدها .. كان يعود كل مساء من عمله متعبا ، لكن دلائل الثقة والأمل ترقص على محياه .. كان يحييها — عندما يراها — فى ادب ، ويبتسم فى وداعة ،

وكانت أخته تحـــاول ان تحـــدث فوقية عنه فى تواضع .. ثم .. ثم لا تجد الشـــجاعة الكافية لتستمر فى الحديث .. اكان يحبها ؟ ؟ ان قلبهـا يقول نعم ..

وافاقت فوقية على صوت العمة :

ـ ان عقد القران بعد شهر ..

ـ هكذا بسرعة ؟؟

ـ هـــكذا قررنا يا ابنة اخى .. عباس بك متعجل .. ثم انها فرصة يجب اقتناصها ..

ما دار بحلم احـــد منهم قط ان فوقية قد تعترض ، الاعتراض معناه الجنون .. ومع ذلك فقد تضايقت العمة بعض الشىء ، كانت تنتظر من فوقية أن تختطف يدها وتشـــبعها لثما وتقبيلا اعترافا بالجميل ، ولم تكن تدرى ان فى قلب الفتاة ســحبا وظلمة لانطـــاق ، وان الفتاة عاجزة عن النطق ، عن التمرد الذى ليس من طبيعتها ، وكما يهمر المطر فجاة فى جو عاصـــف ملبد بالغيوم انسابت دموع فوقية ، وابتسمت العمة لاول مرة وهى تقول :

ـ دموع الفرح

واردفت الجدة :

ـ لا يتزوج الناس كثيرا .. انها لحظة العمر .. مزيج من الدموع والبسمات ..

وصرخت فوقية :

ـ كفى .. لن اتزوجه ..

انصب حديثها كالصـــاعقة ، وران الصمت العاصف ، لم يصدقوا آذانهم بادىء الأمر . لقد اصاب فوقية مس من الجنون لا شك .. لم تكن كذلك يوما ، ما عرفت الاعتراض او الثورة قط . هى تهذى .. وقهقهت عمتها دون أن تزايلها ثقتها بنفسها :

ـ لماذا يا فتاتى الغالية ؟ ؟

ـ انا لا أتزوج كرة من الشحم .. هذا الفارغ الابله الذى يعيش كقطعة من اثاث قصره ..

ـ فمن تتزوجين اذن ؟ ؟

ـ لا يهم ..

ودوت على وجهها صفعة قوية ، تردد صداها فى الصالة الواسعة ، لم يلتفت ابوها ، لكانه وقع فريسة سنة من النوم ، وغمغمت الجدة : « فوقية مسكينة لا تعرف مصلحة نفسها .. حذار ان تكون قد وقعت فى حبائل شيطان من شباب اليوم .. »

وانسحب فوقية دامية العينين ، وقلبها يتنزى المـا ، ومع ذلك فقد كانت تشعر ان نوعا عجيبا من الايمـــــان يغمر روحها ، ان مجرد تذكرها لحســنين يهبها قوة خارقة ، قوة خرجت بها عن طبيعتها واستسلامها وانصـــياعها لاوامر عمتها العانس ، هى نفسها استغربت لما حدث ، كانت تتصرف وكانها بلا ارادة ، لكنها تبينت الان ان تصرفها الجـــديد كان ايذانا بمولد ارادتها .. ارادتها كانسانة تحب .. وتبغض .. تقبل هـذا وترفض ذاك ، وكان سلطان عمتها القديم قد ذاب أمام حرارة الثقة وامتلاك مصير ذاتها ومشاعرها ..

وتحت جنح الظلام تسللت الى هنـــاك .. الى حســـنين .. وخرجت من ظلام البيت وجموده وضيقه الى الشارع الرحب الذى تغـــرقه الانوار الكهربائية ..

وفى اليوم التالى عقد قرانها .. وتزوجت حسنين دون حضور اهلها .

وارتمت عمتها مهزومة متشنجة تصرخ فى غيظ وعذاب ..

. وابوها يدخن سيجارة فى هدوء ظاهرى وانامله ترتعش ارتعاشة خفيفة ..

وجدتها تسعل سعلات متقطعة ، وتتمتم :

ـ لا حول ولا قوة الا بالله .. اللعنة على عصر الشيطان .. ورحم الله ايام زمان ..

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

تصدرها
وزارة الثقافة والارشاد القومى

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الإدارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
القاهرة

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٤٦ الخميس ١٥ رمضان ١٣٨٣ هـ – ٣٠ يناير ١٩٦٤ م السنة الحادية والعشرون

الفهرس

من أيام رمضان الخوالد

بقلم : أحمد حسن الزيات

خص الله شهر رمضان من بين الشهور بقيام الركن الرابع من أركان الاسلام الخمسة فيه وهو الصوم ، وميزه بيومين من أيامه كان لهما فى تاريخ العالم أرفع الشأن ، وفى مصير الانسان أبلغ الاثر يومه السابع عشر من السنة الحادية والاربعين من مولد الرسول وهو يوم القرآن ، ويومه السابع عشر من السنة الثانية لهجرته وهو يوم الفرقان !

فاما يوم القرآن ففى ليلته المباركة تجلى الله لجبل النور كما تجلى من قبل لجبل الطور فانزل الروح الأمين بالاشراقة الاولى من كتابه الكريم على قلب نبيه العظيم ، فاستعلنت منذ تلك الليلة معانى الحق ، واستبانت سبل السلام ، واستقامت موازين العدل وخرج الناس من ظلام حالك كانوا يعمهون فيه ، الى نور ساطع أصبحوا يهتدون به .

***

ولقد كان لصباح هذا اليوم المسفر تباشير كانت تلوح فى حياة محمد صلوات الله عليه فى هذا الشهر من كل عام .. كان كلما اقبل شهر رمضان هجر المهاد اللين، وفارق الزوجة الحنون وتزود الزاد اليسير ثم صعد جبل حراء على ألف وخمسمائة متر من شمال مكة ، ليستعين بالصوم والاعتكاف والتأمل على استجلاء الحقيقة الالهية التى خفيت بين جاهلية العرب ووثنية قريش ... وهناك على قمة الجبل

المخروطي الشاهق ، وفي صمته الملهم الرائع ، وفي غيابة الفضاء الرهيب ، كان يفكر في الملكوت الدائم ويسبح للجلال القائم ، ويفنى في الوجود المطلق فاذا جنه الليل أرسل نظره وفكره في أشعة القمر أو في أضواء النجوم يستطلع المجهول ويستجلي الغامض ، ويرقب انبثاق النور عن الخالق ، وانكشاف الستور عن الحق . حتى اذا أجهده التفكير وأرهقته الحيرة ، أوى الى الغار الموحش النابي فيستلقى على صخره سويعات ثم يستيقظ قبل أن تغور النجوم فيتعبد ويتجه بروحه اللطيف الصافي الى الملأ الأعلى حتى تهيأ بطول الرياضة والعبادة والخلوة لتبليغ الرسالة .

***

ففي الليلة المباركة وهي ليلة القدر راى وهو في الغار رجلا جاءه بنمط من ديباج فيه كتاب وقال له اقرأ . وكيف يقرأ محمد الأمي ولم يتل من قبل كتابا ولا خطه بيمينه ؟ قال للرجل بعد أن راعه ما سمع منه وآذاه ما صنع به : ماذا اقرأ ؟ قال له : « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » فقراها ، وانصرف الرجل عنه وقد انتقشت في لوح قلبه .

***

وأما يوم الفرقان فهو يوم التقى الجمعان : جمع المدينة وجمع مكة في بدر . وكان المسلمون على فقرهم وضعفهم ثلث المشركين ، وكان المشركون على كثرتهم وعدتهم صفوة قريش . فكان موقف الاسلام من الشرك يومئذ موقف محنة .. كان بين العدوتين الدنيا والقصوى من وادى بدر مفرق الطريق ، فاما أن يقود محمد زمام البشرية في سبيل الله فتنجو ، واما أن يردها أبو جهل الى مجاهل التيه والضلال فتهلك ، وقفت مدنية الانسان بأديانها وعلومها وراء محمد على القليب ، ووقفت همجية الحيوان بأصنامها وأوهامها وراء أبي جهل على الكثيب ، فكان طريق وعقبة ، ونور وظلمة ، واله وشيطان ، فاما أن يتمزق تراث الانسانية على هذا الصخر ، ويتبدد نور الله في هذا القفر ، واما أن تتم المعجزة فتفيض الحياة على الناس من هذه البئر ، ويتصل الماضي بالمستقبل من هذا الطريق ، ويبدأ التاريخ عهده الجديد من هذه الموقعة .. وما هي الا خفقة من خفقات الوحي حتى نزل الوعد بالنصر وجاءت البشرى بالجنة . فغاب البدريون في اشراق عجيب من الايمان لا يرتسم في أخيلتهم الا الحور ، ولا يصور في أعينهم الا الملائكة وقذف الله في قلوب المشركين الرعب فانهار السد الغليظ أمام النبع النابض من صخور بدر ، وانجاب القتم الكثيف عن النور الوامض من ربوع يثرب . وانكشفت المعجزة الالهية عن انتصار ثلثمائة على قرابة الف !

ان موقعة بدر الكبرى لا تذكر بخطتها وعدتها ونفقتها في تاريخ الحرب ، وانما تذكر بنتائجها وآثارها في تاريخ السلم ، لانها كانت حكما قاطعا من احكام القدر غير مجرى التاريخ وعدل وجهة الدنيا ومكن للعرب في دورهم أن يبلغوا رسالة الله ويؤدوا أمانة الحضارة ويصلوا ما انقطع من سلسلة العلم .

***

ثم ترادفت على توالي الاعوام نعم الله على العرب في هذا الشهر المبارك حتى كان أقربها حدوثا تلك النعمة الجليلة التي أتمها الله على خير أمة أخرجت للناس باجتماع رؤسائها وملوكها بالقاهرة استجابة لدعوة الرئيس جمال عبد الناصر ليتشاوروا في امر اسرائيل وما تبيت للعرب من عدوان وما تضمر لهم من شر . وكان تفرق الكلمة وتوزع القوة وتصدع الوحدة قد أوهم بني صهيون أن الماء قد تعكر وأن الصيد قد تيسر ، فهاج العدوان وتنشط السرطان وبدأ الهجوم بتحويل ماء الاردن الى صحراء النقب لتكون ماوى لشذاذ الآفاق ونفايات الأمم من يهود الارض فيزداد بهم العدد وتجتمع لهم العدة لوثبة جديدة ومحنة أخرى .

وكان هناك في رياسة الجمهورية العربية المتحدة رقابة لا تغفل وعين لا تغفو فسمت على الاحداث ، وكبرت عن الصغائر ورأت من ضرورة الساعة أن تدعو الى هذا المؤتمر . وما هو الا بلوغ الدعوة حتى ثار الدم وغلب الحفاظ وحنت القربى ومات الحقد وصفا الجوهر وتلاقى الزعماء على صعيد الصالح المشترك والخير العام وأدركتهم رحمة الله في شهر الصفاء والاخاء والتجرد والبذل فخرجوا من الخلاف الى الوفاق ومن العصبية الى القومية ومن القول الى العمل ، وقرروا بالاجماع أن يبددوا بالحق والقوة أوهام

الاستعمار وأحلام اسرائيل . واذا اجتمعت قوى ثلاث عشرة دولة على أمر وكان فى قلوبهم الايمان والعزم، **وفى أيديهم المال والسلاح ، مضت الى غايتها مضى الصاروخ لا يصده عن هدفه صاد ولا يعوقه عن مداه عائق . لقد قال السيد جمال الدين الافغاني لزعماء الهنود وقد امره الانجليز بالرحيل عنهم :**

« **وعزة الحق وسر العدل، لو أن ملايينكم مسخت براغيث لأخرجت الانجليز بلسعها من الهند . ولو** أنها انقلبت سلاحف وخاضت البحر الى الجزر البريطانية لجذبتها الى القاع ! ، فكيف اذا اجتمع اثنان وثمانون مليونا من أبناء الفاتحين وأباة الذل وسقاة الحتوف على مادون المليونين من سلالة يهوذا وحثالة الامم ؟ » .

***

ان رأيى فى اليهود المحتلين لايزال هو رأيى فيهم يوم كتبت فى ٢٣ يوليو من سنة ١٩٤٨ أقول :

« من علامات الساعة أن يتشجع اليهودى فيحمل سلاحا ويشهر حربا ويحرز نصرا ويحتل مدينة ! ومن علامات الساعة أن يخرج اليهودى من البنك الى الثكنة ، ومن الدكان الى الميدان ليحارب العرب على فلسطين . ويثأر للفرنج من صلاح الدين !

ومن علامات الساعة أن يكون لليهود جيش ينتصر على العرب فى حيفا ، وعلم يرفرف على المسجد فى يافا ودولة تريد أن تقوم فى القدس !

كذلك من علامات الساعة أن ينهزم العربى أمام اليهودى ولو ظاهرته مادية الامريكان وخديعة الانجليز ، فان الثعلب يكفيه أن يشم ريح الاسد من بعيد ليجحر . وان الفأر يكفيه أن يبصر الهر من فوق الجدار ليسقط . يا لله ! ماذا نرى ؟ نرى الألوف من نساء العرب وأطفال العرب يخرجون من ديارهم مشردين فى البر والبحر . يلتمسون فى الشام المأوى ، ويطلبون فى مصر الأمن ، وأهلوهم مصرعون على ثرى الوطن الحبيب السليب بعد أن قذفوا فى صدر العدو آخر رصاصة ، ودفعوا غائلة الجوع بآخر كسرة ، وافتدوا وطن الآباء بآخر رمق! يالله ماذا نسمع ؟ نسمع أن تل أبيب تحكم يافا ، وأن راية صهيون تخفق على مسجد (حسن بك) ، وأن بنى اسرائيل يذبحون الابناء ويستحيون النساء فى (دير ياسين) !

***

لقد سمعنا أن اليهود يحتلون البلاد بالنساء والذهب ، ولكننا لم نسمع قبل اليوم أنهم يحتلونها بالرجال والحديد ! ماذا جرى حتى استجملت الناقة يا يهود ! وماذا جرى حتى استنوق الجمل يا عرب ! جرى أن اليهود يعملون ونحن نقول ، ويجدون ونحن نهزل ، ويبذلون ونحن نبخل ، ويتعاونون ونحن نتخاذل ، ويتكلون ونحن نتواكل !

للجامعة العربية فى كل شهر مؤتمر ، وفى كل أسبوع مجتمع ، وفى كل يوم قرار ، وفى كل ساعة تصريح ، وفى كل دقيقة خطبة ، وكل اولئك يحمله الهواء الى المجاهدين المجهودين أصواتا لاتدفع سيارة ، ولا ترفع طائرة ، ولا تحشو مدفعا ، ولا تملأ بطنا ، ولا تبعث قوة . فاذا جاء يوم العمل نظر بعضهم الى بعض فاذا الأول واقف لأن (ترومان) لم يتقدم ، واذا الثاني ساكت لأن (بيفن) لم يتكلم ، واذا الثالث متأرجح لان الآخر لم يستقر على رأى !

***

كنا قبل أن تنشأ (الجامعة العربية) أهواء متشعبة وآراء متضاربة وقوى متفرقة ، فكنا نجد عذرا فى هذا الانقسام ، ونعزو فشلنا الى هذه الفرقة ، ونهدد خصمنا بأن فى مجتمعنا الخلاص منه، وفى وحدتنا القضاء عليه ، فلما أذن الله لأوطاننا أن تتصل ، ولدولنا أن تتحد ، ابتلانا بمحنة فلسطين ليعلم العدو المتربص ماوراء العربى اذا تجمع شمله ، وما غناء الاسلام اذا تجدد حبله .

فالجامعة العربية اليوم فى ميزان الأقدار وامتحان الشدائد . فاذا رجحت كفتها على اليهودية رجحت فى كل أمة . واذا ثبت معدنها على المحك فى هذه الأزمة ثبت فى كل أزمة » .

ولكن (مؤتمر القمة) غير مجلس الجامعة وجمهورية جمال غير ملكية فاروق ، وعروبة عبد السلام عارف غير شعوبية نورى السعيد، وحسب العرب أمانا وايمانا أن يقول لهم الرجل الصادق الواثق عبد الناصر : ان سنة ٤٨ لن تتكرر !

احمد حسن الزيات

مؤتمر القمة العربى

بقلم الدكتور : محمد أحمد خلف الله

واجتمع رؤساء الدول العربية ـ الجمهوريون منهم والملكيون ـ على ما بينهم من خلاف واختلاف ـ خلاف فى الرأى ، واختلاف فى المذهب السياسى ، والمذهب الاجتماعى ، والمذهب الاقتصادى .

اجتمع رؤساء الدول العربية لان هناك خطرا يتهدد الكثيرين من ابناء الامة العربية . خطرا مبعثه ان اسرائيل تعمل جاهدة على ان تحول مياه نهر الاردن لتستفيد منها فى توليد الطاقة الكهربائية ، وفى تحويل مساحات كبيرة من اراضى الصحارى لتصبح ارضا زراعية ، ولتستوعب اعدادا جديدة من الصهيونيين .

***

اجتمع رؤساء الدول بعد أن أدركوا هذا الخطر، وبعد أن أذن مؤذن فيهم أن تعالوا تتناسى الاحقاد ولنتدارك الخطر قبل وقوعه ، ونحل المشكلات قبل تفاقمها . واستجاب الجمهوريون والملكيون على حد سواء . وأقبلوا الى القاهرة عاصمة الجمهورية العربية المتحدة ، وواسطة العقد فيما بين العواصم العربية ، ومقر جامعة الدول العربية . وكان الاجتماع الذى انتهى الى مقررات .

واجتماع الرؤساء على هذه الشاكلة له دلالات كثيرة أهمها ـ فيما نرى ما يلى :

أولا : أن هذا الاجتماع قدضم المشارقة والمغاربة من رؤساء الدول . وهذا حدث لم يقع من قبل وخاصة فى القرن العشرين . وهذا معناه أن العقيدة القومية قد باتت تظل الجميع ، وان هذه النعرات الاقليمية قد توارت ، **وان هذه المشروعات التى كان يطرحها المستعمر تعويقا للفكرة القومية من مثال مشروعات سوريا الكبرى ، والهلال الخصيب ، قد اختفت الى الابد .**

ان رؤساء الدول العربية قد باتوا يشعرون بأنهم ابناء امة واحدة هى الامة العربية ، وأن لهم وطنا واحدا هو الوطن العربى الكبير الذى يمتد من المحيط الى الخليج ، وأن الخطر الذى يتهدد أى شعب عربى فى اية بقعة من بقاع هذه الارض العربية انما يتهدد فى الواقع الوطن العربى بأكمله .

ان العقيدة القومية التى كانت تقف أول الامر عند حدود القسم الآسيوى من الوطن العربى ، ثم صارت تقف عند حدود مصر ، قد أصبحت اليوم تتسع لكل أجزاء الوطن العربى ، وتقف حدودها عند حدود اللغة العربية .

ان هذه الظاهرة جديرة بالتسجيل فى هذا الموقف الكريم .

***

ثانيا ـ أن هذا الاجتماع قد أثبت أن الضمير العربى يستيقظ، ويهب ، ويتوثب ، عندما توقظه الاحداث ، وانه قادر دائما على أن يرتفع الى مستوى الاحداث مهما يكن شأنها . وانه متسامح كريم يتناسى الاحقاد والضغائن فى سبيل المصلحة الكبرى مصلحة الامة العربية .

لقد جاءت الدعوة الى الاجتماع ورؤساء الدول متخاصمون متنافرون ، ولكنهم ـ فى سبيل المصلحة

ارتفعوا فوق التناحر والتباغض ، واجتمعوا لينظروا فى أمر هذا الخطر الذى يدرك الكثيرين من أبناء الامة العربية .

ان هذه هى الاخرى ظاهرة جديرة بالتسجيل .

ثالثا: **أن هذا الاجتماع قد اثبت أن ضمير الامة** العربية لم يعد يخشى هذه الدول المستغلة التى كانت تستعمره ، وتربط مصالحها بمصالح الرجعيين **والراسماليين .**

لقد أدرك رؤساء الدول ان مصالح الامة العربية هى الهدف الذى يجب تحقيقه . اما مصالحهم الخاصة ، ومصالح المستعمر المستغل فلم تعد فى الحسبان ـ ومن هنا آثروا الاولى على الثانية .

وراحوا يدرءون الاخطار غير حاسبين حسابا لسخط المستعمر او غضبه .

انهم ابناء امة واحدة ، وبعضهم اولى ببعض في كتاب الله .

رابعا : ان هذا الاجتماع قد اثبت ان الضمير العربي يؤمن بالمثل العليا مثل الحق والخير والجمال .

لقد اختار رؤساء الدول من الحلول اقربها الى الكمال . ففضلوا السلم على الحرب ، وفضلوا التعمير والبناء على التدمير والخراب .

لقد كان في وسع هؤلاء الرؤساء أن يثيروها حربا شعواء في سبيل أن يمنعوا اسرائيل من تحقيق هذا الذي تهدف اليه من سرقة مياه الاردن ومنعها عمن هم بها أحق واولى من أبناء فلسطين الابرياء الشهداء، ولكنهم فضلوا أن يمضوا مع خلقهم العربي الكريم الذي يفضل السلم على الحرب ، ولا يلجأ الى هذه الا مضطرا ، وفي نهاية المطاف .

ولقد رأى رؤساء الدول أن يكون الحل للمشكلة هو التعمير والبناء فاختاروا أن يصرفوا هذه المياه في تعمير الاراضي العربية في فلسطين والاردن ، وفي سوريا ولبنان . وفي هذا المقام .

تحدث متحدث عن روح العروبة فقال :

ماكانت قط اعتداء اثيما ولا حقدا لئيما .

نشأت رسالة تكبير وتوحيد ، ودعوة تعاون على البر . ومشت في أحلك العصور في يمينها قسطاس العدل وفي يسارها نبراس الهدى . وما زالت تعطي باختيارها اضعاف ما أخذت بانتصارها حتى ملأت دنيا الناس حكمة ، وفنا ، وعمرانا ، ورفاها . وعادت طيبة الخبر ، جليلة الاثر ، مبكية في تاريخ من فارقت ، مشكورة من أعقاب من حكمت .

وهاهي ذي في صحوها الجديد نهضة من كبوة ، واصلاح من فساد ، واستعداد للجهاد ـ تأديبا للسفاحين ، واستردادا للسلب ، وارضاء للاباء واطمئنانا للعزة . فكف بعد ذا وعفة ، ونسيان للخصومة ، ومصافحة للمغلوب . وعود الى المعروف . وضرب المثل الأعلى في مكارم الاخلاق .

تلك روح العروبة . وهذه تقاليدها .

سلمها أمن وايمان وخير عميم .

وحربها شجاعة نادرة ، وفروسية باهرة ، وتقدير للبطولة ، وعفو عند المقدرة ، ورفق بالجرحى ، ورحمة لليتامى ، وتأمين لمن ألقى السلم .

حرب أشبه بالمباراة الرياضية منها بالعداء .

وفي قديم تاريخنا وحديثه أمثلة للجاهلين وحجج للجاحدين .

اما وقد جاوز اجرام الأبالسة في حربهم وسلمهم كل حد ، فانصح أن تكون حيل الناس في قمعه بقدره . وأن يرحموا أنفسهم من عدو يرحمون ..

***

وتحدث نفس المتحدث عن مقياس الوطنية فقال :

للمحبة الوطنية ميزان حراري هو حب المرء نفسه .

اذا أهانك جارك الخباز رحت تشتري الخبز من فرن بعيد لانك تقدم كرامتك على راحة قدميك .

واذا اعتللت استدعيت الطبيب لان صحتك أعز من جني يديك .

واذا سطا اللئام على دارك استقبلت الموت بصدرك لأن عرضك أغلى من النسمة التي بين جنبيك .

وقد أنزل الأعداء هذه الضربات جميعا على أشدها بوطنك فالى أي مدى بلغت غيرتك عليه بالنسبة لغيرتك على نفسك ؟

قس تعلم رتبتك في جدول المجاهدين . وتكتشف درجة حرارتك في ميزان الوطنية .

من الالتزام في محبة الوطن واهله ما يقـوله الشاعر القروى مخاطبـا فتـاة انجليزية يبدو أن جمالها السـاحر قد حرك أوتار قلبه ولكنه صحا واقصر عن الاسترسال في احاديث الهـوى وراح يقول :

ولـو لم تكوني فرنجية
لكنت سـعادي قبل سعاد

ولـكنني عـربي المنى
عربي الهوى عربي الفؤاد

فلا تعذ لي شاعرا زاهدا
وكم هـام بالحب في كل واد

فاني حرام على هـواك
وفي وطني صيحة للجهاد

وبهذا الهيام ايضا يتغنى شاعر آخر ويعلن هجره للحب الا حب وطنه ·

يا بـلادي لا تنكريني فعندي
لك حب مخلد يا بلادي

لست ذا عـدة ولا ذا عـديد
قلبي كل عدتي في جهـادي

انت في يقظتي حديثي واشعا
ري وأنت الاحلام عند رقادي

ما تغزلت في سـعاد وهند
أنت هنـدي وزينبي وسعادي

دكتور
محمد أحمد خلف الله

اخبار أدبية

● يقيم شعراء العروبة ندوة الشعر الشهرية بدار جمعية الشبان المسيحية - وذلك في مساء الجمعة ١٤ فبراير ويشترك فيها كل اعضاء رابطة شعراء العروبة ..

● ديوان قال المساء للشاعرة ملك عبد العزيز - سيصدر خلال الشهر القادم ..

● نفدت آخر اعداد مجلة الشعر ..

● سيصدر خلال شهر رمضان - ديوان - وعلى الارض السلام - للشاعر محمد الجيار ·

● يقيم الاتحـاد الاشـتراكي العربي بالزيتون مهرجانا بمناسبة نجـاح مؤتمر القمة في السـاعة الثامنة مسـاء الجمعة ٣١ يناير - يشـترك فيه الاساتذة - علي الجندى - د· عفيفي محمود · عبد الله شمس الدين - ابراهيم عيسى - محمدالجيار ومن الشاعرات شريفة فتحي - ونجاة شاور ·

● تقرر زيادة عدد النسخ المطبـوعة من مجلةالقصة بنسبة ٢٥٪ والمعروف انها نفدت بعدصدورها بساعات ..

العجز في الدنيا خذلان للدين

بقلم : الشيخ محمد الغزالي

تجديد الاسلام وتيسير نفع العالمين به يقتضي النظر الصائب المرن في اختيار الوسائل العادية التي تحقق اغراضه وتثبت مبادئه ..

واغلب هذه الوسائل من شئون الدنيا التي وكلها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى علمنا وترك لنا حرية التصرف فيها .

وهذه الشئون تحتاج الى ذكاء نافذ ، وخبرة واسعة ..

ثم ان العلم بها ليس وقفا على الامة الاسلامية وحدها ، فان قارات الارض مشحونة باجناس الخلق ، وهم يحيون فوقها كما نحيا .

وقد يتساوون معنا او يتخلفون في الاحاطة بهذه الشئون الدنيوية .

وقد يسبقون دون عائق ! فمادام العلم بشئون الدنيا مقترنا بحرية العقل ، وقدرته على التصرف والابتكار ، فلن يتوقف الناس عن الاجادة في هذا المضمار !! وما الذي يمنعهم ؟

وقد يبدو الأمر تافها او غير مثير لقلق !! غير اننا اذا علمنا مدى توثق الروابط بين التفوق المدني واغلب المبادىء لمسنا مكمن الخطر ..

فالامة التي تعيش في دنيا من بقايا العصر الحجري لن تغني عنها ارفع المثل ولا أشرف المبادىء اذا دخلت في صراع مع امة أجادت فنون السلام والحرب !!

والعجزة في فهم الحياة من المسلمين عبء على دينهم في الحقيقة ، وربما كانوا مصدر شر عليه ، وادمانهم للصلاة والصيام لايغني عنهم فتيلا امام الله يوم الحساب . ولاينقذهم في الدنيا من هزائم تسحق ايمانهم على ظهر الارض وترغمه على التواري او التلاشي عاجلا او آجلا .

فان سنن الله في كونه لاتحابي جاهلا بها ، ولا مقصرا عنها ..

وينبغي ان يعرف المسلمون معرفة اليقين ان التفريط في شئون الدنيا ، والقصور في خبرات الحياة ازراء بالدين ، بل ازهاق لروحه ، فضلا عن السقوط الادبي الذي يلحق هؤلاء المفرطين القاصرين بتقلبهم في مستوى من العيش موسوم بالتأخر والعناء .

ان الجهاد لابقاء الحق مرفوع الراية جزء من عمل الامة الاسلامية ، وركن من رسالتها والدين قد يتدخل بوضوح لتصحيح النية المصاحبة ، وغسل القلوب من الاثرة والشره والبغي والاستعلاء .

اما وسائل القتال ، واسلحة النضال ، فهذه ليست له فيها تعاليم ، لأنها من شئون الدنيا التي يتنافس اهل الارض على اختلاف مذاهبهم في تجويدها وتطويرها ولايتدخل دين ما في عددها واحصائها .

الدين قد يامر بالتداوي من العلل الوافدة .. ولكنه لايتدخل في صناعة الادوية ولا في تركيب عناصرها وتحديد مقاديرها ، لان هذه من شئون الدنيا التي يدعها للفكر والتجربة ، والاختبار والاختيار ..

ان الميدان مفتوح امام النشاط الانساني الحر يخطىء ويصيب ، ويتقدم ويتاخر في هذه الاعمال المدنية العادية .

واقحام الدين في هذه المجالات بالخطر والاباحة ضرب من الجنون ، وغاية ماترجوه الانسانية المهذبة من هذا النشاط الطبيعي ان يسخر حصاده الاخير في الخير لا في الشر ..

وقد كان المسلمون الاوائل على بصيرة من هذا الامر ، فتركوا لطبائعهم — او طبائع الحياة فيهم وفي غيرهم — ان تبتكر وتجيد ، وتوسلوا بما أفادوا في خدمة دينهم دون تكلف .

وافتى العلماء باتفاق ان اقامة الحرف

والصناعات فريضة على المجتمع كله ، يأثم بتركها ، وعلى الافراد الصالحين لهذه الفنون بمواهبهم ورغائبهم ان يجودوا فيها ، ويخدموا امتهم ورسالتهم بها ..

وصحيح أن العرب طلعوا على العالم بالاسلام ، وكان الناس فقراء الى العلم به والدخول فيه ، لكن العرب ماكان عليهم من حرج ان يتعلموا من الناس انواع الخبرة التى لم تهدهم اليها مطالب الصحراء ومجامع البادية .

وقد مهروا فيما وقفوا عليه ، واستغلوه فى نشر الاسلام وحرب اعدائه .

من أين لابناء الرمال صناعة السفن وقيادة الاساطيل وحرب البحار ؟

ان العرب بالفطرة الصافية ، والانبعاث العادى لخدمة الاسلام اتقنوا هذا كله ، وراوا دون انتظار نص موجه أن كتابهم لايعلو فى عالم يجهلون شئونه البحرية ، فعبدوا الله بالسيطرة على الأمواج ..

يقول ابن خلدون : كان الروم مهرة فى ركوب البحر ، والحرب فى أساطيله ، ولم يكن العرب اول الامر مهرة فى ركوبه ، فلما استقر الملك لهم ، وشمخ سلطانهم صارت امم العجم تحت ايديهم ، وتقرب كل ذى صنعة اليهم بمبلغ صناعته ، فاستخدموا فى حاجتهم البحرية كثيرا من هؤلاء وانشأوا السفن وشحنوا الاساطيل بالرجال والسلاح . واسسوا دارا لصناعة الآلات البحرية بتونس .

ومنها كان فتح صقلية ايام زيادة الله بن الاغلب على يد اسد بن الفرات شيخ الفتيا .

ثم يقول ابن خلدون : ان المسلمين تغلبوا على لجة بحر الروم — البحر الابيض المتوسط — وان اساطيلهم سارت فيه جائية وذاهبة من صقلية الى تونس . والرومان والصقالبة والفرنجة جميعا تهرب اساطيلهم — امام البحرية العربية — ولاتحاول الدنو من أساطيل المسلمين التى ضربت عليهم كفراء الاسد على فريسته .

ويقول ابن هانىء الاندلسى يصف اسطول العرب فى البحر الابيض :

اما الجوارى المنشآت التى سرت
لقد ظاهرتها عدة وعديد

قباب كما تزجى القباب على المها
ولكن من ضمت عليه اسود

عليها غمام مكفهر صبيره
له بارقات جمة ورعود

اناقت بها اعلامها وسمالها
بناء على غير العراء مشيد

من الراسيات الشم لولا انتقالها
فمنها قنان شمخ وريود

من الطير الا انهن جوارح
فليس لها الا النفوس مصيد

من القادحات النار تضرم للصلى
فليس لها يوم اللقاء خمود

اذا زفرت غيظا ترامت بمارج
كما شب من نار الجحيم وقود

فأفواههن الحاميات صواعق
وانفاسهن الزافرات حديد

لها شعل وفوق الغمار كأنها
دماء تلقتها ملاحف سود

تعانق موج البحر حتى كأنه
سليط له فيه الذبال عتيد

فليس لها الا الرياح أعنة
وليس لها الا الحباب كديد

ولله مما لايرون كتائب
مسومة تحدو بها وجنود

اطاع لها ان الملائك خلفها
كما وقفت خلف الصفوف ردود

وما راع ملك الروم الا اطلاعها
تنشر اعلام لها وبنود

ولو أن عقلية المسلمين فى القارات الثلاث بقيت على تألقها القديم لضمت الى سبقها فى البر والبحر سبقا آخر فى أجواء الفضاء، ورحلات الكواكب .

ولو ان قومى انطقتنى رماحهم
نطقت ، ولكن الرماح اجرت

والامر الذى نريد فتح الابصار والبصائر عليه مثنى وثلاث ورباع ، أن العناية بهذه الوسائل المادية والشئون الدنيوية علما وتطبيقا ، عبادة لله ، وحياطة للدين ، وأن من الخيانة للثقافة الاسلامية اهمال هذه الآفاق الخطيرة .. لقد وقر فى أذهان العامة أن استدبار الحياة دلالة اقبال على الآخرة وأن الجهل بها ضرب من الزهد ، وتخفف من الاثقال ، وبعد عن اللغو . وهذا تفكير ساقط ، وجهالة مبينة ، وطعنة نافذة الى صميم الاسلام وغيم كثيف ينتشر فى مستقبله ، ويهدد بقاءه ..

ان الاسلام لايستعيد امجاده الاولى الا اذا استعادت امته فقهها فى علوم الارض كما تستعيد فقهها فى علوم السماء ، والا اذا جودت شئون العمران كما تجود التفسير والحديث ..

ان هذه المعارف الضرورية لبناء الامم ، واقامة الحضارات فرائض مؤكدة اسبق فى حياة المسلم من نوافل الاذكار ، والقراءات ، فان الله لايقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة ..

والرجل الذى يشغله ورد ما عن اتقان صناعة او زراعة ، او تجارة ، او يغريه بالتقصير فى هندسة او طب أو كيمياء ، رجل جهول بالاسلام .

وقد ينطبق عليه المثل : عدو عاقل خير من صديق جاهل ..

اما الذى يقصد بجهده فى هذه المجالات خير الدين والناس فهو العابد حقا ، وان صمت لسانه وطال منامه ... !!

ان البراعة فى الشئون المدنية والمعارف الكونية لتقرب بصاحبها من مصادر اليقين الحق ، وصدق المعرفة بالحياة وبارئها الاعلى ، فان الاسلام عقد عروة وثقى بين الايمان بالله ، والتأمل فى ملكوته والافادة منه .

والمسلمون عندما تزداد خبرتهم بفنون الحياة المختلفة يتجاوبون مع منطق دينهم وهم لم يهبطوا دون منزلتهم الا عندما استسلموا للخمول والاوهام .

ان من الضروريات الدينية الماسة ان يبرع المسلمون فى الدراسات الكونية ، ماظهر منها ومابطن وان يسابقوا غيرهم الى الاحاطة بالمادة وخصائصها وقوانينها ، والا يكون حظهم من ذلك الوقوف على مابلغته البشرية فحسب ، بل يجب ان يتحسسوا ابواب المجهول ويعالجوا اغلاقه حتى تنفتح لهم ويستأنفوا سنة آبائهم فى خدمة المعرفة وكشف الحقائق ونفع الكافة ..

على ان المهم جعل هذه السيادة العلمية فى خدمة المثل السماوية الرفيعة وتسخيرها لنفع العالمين بوحى الله ، فالتقدم العقلى ليس هدفا ذاتيا وانما هو اداة لقيام الناس بحقوق رب الناس ..

ونحن نريد بناء حياتنا على قواعد رسالتنا العتيدة والا يخدعنا ما يلقاه الالحاد من نصر موقوت فى بعض الميادين ، كما لا يخدعنا ما يقارن التقدم الغربى احيانا من مذاهب شاردة وآراء فاسدة ..

ويعجبنى قول الدكتور محمد حسين : لا يبلغ العرب درجة الاستاذية فى هذه العلوم الجديدة ـ التى أذلهم عدوهم بتفوقه عليهم فيها ـ الا اذا أصبحت هذه العلوم ملكا لهم . وهم لا يملكون هذه العلوم ولا يحسون أنها علوم عربية الا اذا قرءوها بالعربية وكتبوها بالعربية .

وسيظلون يحسبون أنهم غرباء عليها ومتطفلون على اصحابها طالما ظلوا يقرءونها ويكتبونها بغير لغتهم ...

الخصائص الفنية للأدب الصوفي

بقلم : عبد الكريم الخطيب

هناك ثلاثة أنماط من الادب الصوفي ، اختلط بعضها ببعض، فصارت هي الوجه الذي يواجه الناس من هذا الادب ، على حين أن الادب الصوفي الخالص منها لا يمثل في هذا الوجه الا بعضا منه ، على حال لا تعرف أين حدوده في هذا الوجه ، ولا أين مكانه منه !

ودراسة الادب الصوفي في تلك الصورة فيه تشويش على هذا الادب ، وتلبيس على طالبه ، وعلى الدارس له، ثم فيه مجافاة للحق ، حين يوزن الادب، ويحكم له أو عليه بهذا الميزان ·

وانه لكي يعرف الادب الصوفي على حقيقته ، ولكي تعرف منه مذاهب المتصوفة وآراؤهم، وحقيقة معتقدها ، ينبغي أن نعزل هذه الاخلاط من الادب بعضها عن بعض ، وأن نخلص بالادب الصوفي الخالص من بينها ، فننظر فيه على الوجه الذي سواه اصحابه عليه ·· وبغير هذا لا يستقيم ميزان العدل أبدا في شأن الصوفية والتصوف، ولا ينتفع بشيء من هذا الادب على الوجه الصحيح الذي له !

والامر في هذا سهل ميسور - بادي الرأي - لا يحتاج الى كثير من الجهد والمعاناة ·· وذلك بعمليتين صغيرتين ·· يقطع بأولاهما العمل الادبي الذي كان للاديب المتصوف قبل ان يدخل التصوف، فلا يحسب هذا الادب في أدبه الصوفي ، ولا يضاف اليه ·

واما العملية الثانية فيوكل بها التفرقة بين الادب الصوفي الذي كان ثمرة المراحل الاولى للمتصوف في حياته الجديدة هذه والادب الذي جاء بعد هذه المراحل .. اي بعد ان ثبتت قدم المتصوف في الطريق، وبعد أن انس بحياته الجديدة ، وسكنت نفسه اليها ·

هناك اذن ثلاثة أنواع ، او أشكال من الادب لرجل التصوف ، الذي يكون في الوقت نفسه رجل ادب ·· شاعرا او ناثرا ··

فهناك الادب الذي كان له قبل أن يتصوف ، ثم هناك لونان لادبه الصوفي بعد أن طرق باب التصوف ، ودخل في اهله ·· أدب كان منه في أول الطريق ·· ثم الأدب الذي كان نتاج تجربته الصوفية، وثمرة حياته في التصوف ، بعد أن رسخ فيه ، وأصبح من رجالاته ·

كما أشاركه الأسى لانشغال هيئاتنا - بدل ترجمة هذه العلوم - بترجمة بعض الفلسفات والآداب والافكار التي ان حسن اختيارها - ما تجيء الا في المرحلة التالية ، قال :

ولو أنصف كل القائمين على الترجمة في هذا البلد مثل ادارة الثقافة بوزارة التربية ومجلس الآداب وغيرهما لجعلوا كل همهم مصروفا الى نقل العلوم التجريبية والرياضية وحدها لا يشتغلون بترجمة غيرها حتى نستكمل نقصنا فيها، لأن الاشتغال بنقل كتب الأدب والفلسفة والتاريخ والتربية والاخلاق وما شاكلها من الثقافات الانسانية على هذا النحو الذي تسوده الفوضى وسوء الاختيار - بل سوء القصد في كثير من الاحيان - يضر مرتين ، يضر بافساد أذواق شبابنا وتدمير كياناتهم ، وتحويل شخصيتهم بحيث يصبحوا غرباء بين قومهم ، ثم يصبح قومهم بعد قليل هم الغرباء بينهم حتى يكثر عددهم ويكثف جمعهم ، ويضر مرة ثانية بتبديد الجهد والمال في غير وجهة ،وصرف العرب عن الطريق الصحيح الى تحررهم ثم سيادتهم · ولو كان لي ان أقترح على اللجان الثقافية والهيئات الجامعية على اختلافها ، لاقترحت أن يبدءوا بترجمة كتب المراجع في الطب والهندسة والعلوم والزراعة التي يدرسها طلاب الجامعات العربية· فهم بذلك يصيبون غرضين أنهم ييسرون سبل العلم للطلبة العرب ويخففون عن آبائهم بعض الأعباء باغنائهم عن الطبعات الاوربية الباهظة الثمن ، والتي لا يتيسر وجودها في كثير من الاحيان ، لان اصحابها يستطيعون أن يمنعوا تصديرها الينا حين يشاءون · وهم في الوقت نفسه يخطون بهذا العمل خطوة واسعة نحو تعريب هذه العلوم التي لا تزال تدرس في جامعات مصر باللغة الانجليزية ·

ومن السهل الميسور ـ كما قلنا ـ أن نضع يدنا على أدب كل مرحلة من المراحل الثلاث تلك فى حياة رجل التصوف ٠٠ حياته قبل التصوف ، وحياته فى اول طريق التصوف، ثم حياته بعد هذا ، ولا يحتاج الامر الى أكثر من النظر فى «ترجمة» حياة الصوفى ومعرفة خط سيره فى الحياة ، ومتى تحول الى التصوف ، ومتى لبسته أحوال المتصوفة ٠٠ وعلى ضوء هذه النظرة يمكن أن نتعرف على أدب كل مرحلة من هذه المراحل الثلاث ، وأن نضيفه اليها ٠٠ اذ هى فى الواقع « حيوات » لا حياة واحدة لكل حياة أدبها ، واللون الغالب على هذا الأدب فيها ٠

***

ولكن أينتهى الامر هنا عند هذا الجو ، وهل اذا استطعنا بهاتين العمليتين أن نظفر بالادب الصوفى الخالص ـ أيضمن ذلك لنا فهما صحيحا للادب الصوفى ، وحكما عادلا فيه ؟

وهذا السؤال يسلمنا الى سؤال آخر هو : اذا كان من الممكن الميسور أن نضع حدودا بين معالم « الحيوات » الثلاث للاديب الصوفى ، ثم اذا كان من الممكن الميسور أيضا أن نضع حدودا مميزة فاصلة للنتاج الأدبى لكل مرحلة من هذه المراحل الثلاث ـ فهل يمكن أن نجعل كل مرحلة منها وحدة قائمة بذاتها ، فى ذات الاديب الصوفى وفى أدبه معا ؟٠ بمعنى أن يكون هذا الاديب ثلاثة أدباء ، لكل واحد منهم أدبه منقطعا عن غيره ؟ ٠

والجواب على هذا السؤال يضعنا أمام « قضية » يدخل فيها الادب كله ، ومعه الادب الصوفى !!

وتصوير هذه القضية ـ فى ايجاز ـ هكذا :

المعروف أن العمل الادبى ينظر اليه على أنه فن من الفنون الجميلة ، الرفيعة ٠٠ مادته الكلمة التى يشكل منها الاديب صورا تتجسد فيها المشاعر ، والعواطف ، والافكار ٠٠ مشاعر الاديب ، وعواطفه، وافكاره ، التى تصبها الحياة فى كيانه ، بأحداثها وموحياتها ٠

وهذه النظرة الى الادب ـالصوفى وغيرالصوفىـ هى النظرة الى الفنون الجميلة كلها ، وان اختلفت مواد بنائها . فكانت لحنا فى الموسيقى كلها ، وصوتافى الغناء ، وحجرا فى النحت ، ولونا فى الرسم ، وحركة فى التمثيل ٠٠ وهكذا ٠٠! فليست المادة فى ذاتها شيئا ذا بال فى المحتوى الجمالى للعمل الفنى،

وانما يرد ذلك كله الى تلك الانطباعات التى ينفضها الفنان على مادة فنه ٠٠ وهذه الانطباعات هى ذوب وجدان الفنان ، وهمس خاطره ، ووسوسة رؤاه ، ونفثة روحه ، ونبضة قلبه !! فليس العمل الفنى شيئا الا اذا نفخ فيه الفنان من روحه ، والا اذا كان فى نفخته تلك من القوة ما يندس فى العمل الفنى ، ويمده بطاقات حيوية ، تقيم منه كائنا حيا ، تموج فى كيانه الحياة ، وتترقرق على قالبه أو « هيولاه » سيما الحياة وأمارات الاحياء !

والفنان ـ أديبا ، كان ، أو مصورا ، أو موسيقيا، أو نحاتا ، أو ممثلا ـ يجىء الى عمله الفنى بدعوة من أعماقه، يستجيش لها وجوده كله ، ويجمع لها كيانه جميعا ٠٠ فاذا وصل الى عمله الفنى ، واتصلت بينهما الاسباب ، عاش مع هذا العمل ، وغذاه من ذات نفسه الى أن ينضج ويتم خلقه، فلا يملك حينئذ الا أن يدفع به الحياة ، كما تدفع الحياة بمواليدها ، بعد أن تستكمل وجودها ، وتستوفى خلقها ٠

ذلك هو العمل الفنى ٠٠ فى أبسط صوره ، وفى أكملها ٠٠ فى حال معا ٠

وتلك هى صورة المسالة قبل ان تكون قضية !

ثم هى لا تكون قضية حتى ينفصل العمل الفنى عن صاحبه ، ويسعى فى الحياة مع الناس ٠٠ اذ الحقيقة الفنية ملك لصاحبها ما دام ممسكا بها فى كيانه ٠٠ فى قلبه ، أو عقله ، أو بين يديه أو فى فمه ٠٠ أما اذا انطلقت من هذه المجالات الذاتية لصاحبها ، وتحركت فى واقع الحياة ـ فقد أصبحت منذ يومها هذا شأنا من شئون الحياة ، فى مواجهة الناس جميعا ٠٠ يقبلون عليها أو يعرضون عنها ، ويرضون أو يسخطون ، ويعجبون أو يسخرون ٠٠ وبهذا يدخل العمل الفنى فى دائرة القضايا التى يختلف فيها الناس ، ويختصمون حولها !

واذن فالقضية التى بين أيدينا ـ حسب هذا التصوير ، وعلى هذا الفهم ـ هى :

اينظر الى العمل الفنى فى ذاته ، منقطعا عن صاحبه « الفنان » ، وعن كل شىء يتصل به ، وغير منظور الى ظروف الزمان ، وأحوال المكان ، التى لابست هذا العمل واحتواه زمانها ومكانها ؟٠٠ ثم أيكون الحكم على العمل الفنى ـ بعد هذا ـ مقيما بقيمته هو فى ذاته ، بعيدا عن أى شىء سواه ٠٠

حتى صاحبه الذي نشأه ورباه على عينه ! فمثلا — هل يعنينا من القصيدة أولا وبالذات ما ضمت عليه من معان ، ومشاعر وصور ·· فلا نعرف قائلهـا ، ولا نتبين وجهه ، ولا نتعرف الى ملابسات الاحوال والظروف التي دفعت بها الى الحيـاة ، واطلقتها من كيان صاحبها ؟

وهـل نرضى من اللحن الموسـيقى ما يشـعه من اصداء يرسلها عبر الفضاء ، فتتشكل أنغاما ، تناجى الارواح ، وتناغى الضمائر ، وتهدهد القلوب — دون أن نتمثل صاحب اللحن وخالقه ؟

هل يكون بحسـبنا من التمثـال انه ينطق وهو جماد ، وينبض بالحياة بلا روح ، فنقرأ فى قسمات وجهه ، وأوضاع جسده — المعانى التى يجسـدها ، الكائنات التى يمثلها ·· مسفرة عن وجهها مبينة عن حقيقتها ، مهمهمة بسرها ؟

اهكذا يكون بحسبنا من العمل الفنى ما أودع فيه الفنـان من قوى خالقـة — ضعيفة كانت أو قوية ، دميمة أو جميلة ، باهتة أو واضـحة — أذلك هو حسبنا من الاعمال الفنية ؟ وهل اذا وقفنـا بالعمل الفنى عند هذا الحد أيمـكن أن نراه رؤية كاشفة ، وأن نرى ما انطبع على وجهه من همسات ولمسات ، وما اندس فى كيانه من خفقات وخلجات ؟

فى الاجابة على هـذه الاسئلة رأيان متقابلان ·· بل متناقضان ··! نعم ، ولا ·· وللقائلين بأى من القولين منطق وحجة !

فهناك من يرى — وفى اصرار — أن العمل الفنى ، والادب بالذات — لايمكن أن تتضح الرؤية الصحيحة له الا اذا جاء محمولا بيد صاحبه ، موسوما بميسم مولده ، زمانا ومكانا .. فاذا امكن أن يجيء الى الحياة ويعرض على النـاس مستقبلا بذاته ، مجهول النسب ، مقطوعا عن الزمان والمكان — اذا أمكن أن يجيء عمل فنى على هذا الوجه — فهو عمل ضائع ، لا بد أن يضل طريقه فى الحياة ، وأن يحياغريبا فى الحياة · وكثيرا ما يذهب البـدد البلى ، وان كان فى حقيقته عملا طيبا ناضجا !

وذلك أشبه بالزهرة الندية الناضرة ، تظل هكذا حيةفواحة بالشذى العطر مادامت متصلة بشجرتها، فاذا انفصلت عنها لاتلبث طويلا حتى تذبل ،وتجف، وتتحلل !

والعمل الفنى — فى حقيقته — كائن حى ،نفخ فيه الفنان من روحه، وغذاه بعاطفته ووجدانه، وعواطف الفنان ووجداناته ان لم تكن ينابيعها قد تفجرت من أحداث عصره ، وأحـوال مجتمعه ، فلا أقل من أن تكون هذه الاحداث وتلك الاحوال قد حملت هـذه الينابيع ، وجعلت لها مسالك ومسارب فى محيطها، فتأثرت بهذه الاحداث والاحوال ، واصطبغت بقليل او كثير من الوانها ..

فانفصال العمل الفنى عن صاحبه ، وعن المؤثرات التى تأثر بها هو عملية بتر عضـو سليم فى جسد سليم ·· اقل ما فيها أنها تشوه الجسد ، ولاتخلص بالعضو المبتور حيا نافعا !

والنظرة الاخرى لعمل الفنان ، وهى التى لايعنيها من العمـل الفنى الا ما اشتمل عليـه فى كيانه من قوى ذاتية ، تمسك وجوده ، وتحفظ عليه حياته ، وتضمن له البقاء بقدر ما فيه من طاقات الحياة هذه النظرة تذهب فى اتجاه مضـاد للنظرة السابقة ·· فلا تنظر الا الى العمل الفنى فى ذاته ، بعيدا عن كل ما يتصل به من قريب أو بعيد ·

وأصحاب هـذه النظرة يحتجون لنظرتهم هـذه بحجج ·· منها : أن العمل الفنى الذى يستحق أن يحمل هـذا الاسم — فى نظرهم — وأن يأخذ مكانه فى موكب الفنون ينبغى أن يحمل فى كيانه من قوى ذاتية ما يستغنى به عن اى حامل يحمله بين يديه ، كمـا تحمل السلع ، وينـادى عليها فى الاسواق ، ويدلل على صفاتها بنسـبتها الى صـانع بعينه ، او بلد بذاته ، وان تكن هى معطوبة ، او فاسـدة ! ثم ان أصحاب هذه النظرة يستشهدون بالواقع — واقع الفنون الجميلة ذاتهـا ·· فيقولون : كم من آيات الفنون الجميلة وروائعها من آثار النحت والتصوير مثلا قد خلدت على الزمن، وقد حوتها متاحف الفنون، واقامتها فى اكرم مكان فيها ، ثم هى مع هذا مجهولة النسب لا يعرف صاحبهـا ، ولا يسـتدل على زمان مولدها او مكانه ؟

فالعمل الفنى — فى حدود هذه النظرة — من شانه ان يسـتقل بوجوده ، وذلك فى مقام تقييمه من الناحية الفنيـة الخالصة ·· اما ان يدرس لغـايات خاصة غير التذوق الفنى كالتعرف على مظاهر الحياة فى عصر ما — فهذا ليس من صميم العمل الفنى ، ولا من مقاصده .

هذان هما الرايان المختصمان فى العمل الفنى··

موصولا بصاحبه ، وببيئته في زمانها ومكانها ، أو منقطعا عن كل أولئك ، مستقلا بوجوده ، مستغنيا بذاته ٠

وكلا طرفى قصد السبيل ذميم !

فالذين يرون اضافة العمل الفنى الى صاحبه ، وعرضه على ملابسات الحياة التى كان يعيش فيها ، ويتقلب عليها ـ هؤلاء يبالغون كثيرا فى البحث عما وراء العمل الفنى ، والاستغراق فى استجلاب كل ما يتصل به من قريب او بعيد ، حتى ان الذى يريد ان يتصل بالعمل الفنى ـ أى عمل فنى ـ على حسب هذا المفهوم ، لا يلتقى به لقاء مواجها ، ولا يسمح له بالنظر فيه ، ومطالعة آياته الا بعد أن يدور حوله دورات طويلة مرهقة ، والا بعد ان يخوض اليه هذه اللجج المتدافقة من أحداث الحياة التى أحاطت به ، وبصاحبه يوم مولده ، وما قبل يوم مولده بجيل أو أجيال ٠٠٠ وهذا من شأنه ـ بلا شك ـ أن يذهب بكثير من القوى الروحية والنفسية التى كان ينبغى أن تحتشد فى « حرم » العمل الفنى فى تأملات ساجية ، وفى سبحات خاشعة ، تستنزل من سماواته العلا ما يحمل فى كيانه من فرائد الحسن ، وعرائس الجمال !

وكذلك الذين ينسلخون عن هذا المذهب انسلاخا كاملا ، فيلقون العمل الفنى وحده ، مجردا من كل شىء يصله بالحياة ، منقطعا عن ميراثه من أهله ومن عصره ـ وهذا من شأنه أيضا أن يضفى على العمل الفنى ظلالا من الوحشة حين ينظر اليه وهو ملقى فى هذا التيه الذى لا حدود له !

والرأى هو أن يكون للعمل الفنى ذاتيته وشخصيته على أى وجه من وجوه النظر تنظر بها اليه ، شأنه فى هذا شأن الكائن الحى الذى يظل ـ مادام حيا ـ محتفظا بمشخصاته ومقومات وجوده ، وان حمل ما حمل معه من ميراث بيئته ، ومؤثراتها فيه ٠٠ »

فجوهر العمل الفنى وصميمه هو ما ضم عليه القالب المحسوس المحدود الذى يحوى هذا العمل ٠٠ ثم ما كان وراء هذا القالب مما صحبه وتلبس به فهو أشبه « بالترجمان » الذى يطوف بك بين تلك الآثار الفنية الخالدة ، ويكشف لك عن وجه كل أثر منها ، ببضع كلمات ، حفظها ورددها على الاسماع ٠٠ آلاف المرات ٠٠ ولربما كان قليل من هذه الكلمات قد ينتفع به فى هذا المقام وقد يرفع لعينى الناظر فى هذه الآثار آفاقا من الرؤى والخيالات ، تتحرك فى مجالها هذه الآثار الصامتة ، وتتبدل حالا بعد حال فى لمحات خاطفة ٠٠ ومع ذلك ، فان الثرثرة الكثيرة هنا قد تفسد على « الزائر » اجتماع خاطره ، وجلال صمته ، فيفوته من معطيات تلك المشاهد أضعاف ما حصل من هذا الحديث التاريخى الطويل !

ونستطيع الآن بعد هذه الوقفة القصيرة مع العمل الفنى ـ نستطيع أن نجيب على سؤالنا الذى سألناه آنفا ٠٠ وهو :

« اذا كان من الممكن الميسور أن نضع حدودا بين « الحيوات » الثلاث للاديب الصوفى ، ثم اذا كان من الممكن الميسور كذلك أن نضع حدودا مميزة فاصلة للنتاج الادبى لكل مرحلة من هذه المراحل الثلاث ـ فهل يمكن أن نجعل كل مرحلة منها وحدة بذاتها ٠٠ فى ذات الاديب الصوفى ، وفى أدبه ٠٠ معا ؟

والجواب الذى نراه ، ليس « بنعم » وليس « بلا » وانما هو نعم ، ولا ، فى حال معا ٠

« فنعم » لان حياة رجل التصوف حياتان متغايرتان ٠٠ حياته قبل التصوف وحياته فى التصوف ٠٠ وشأنه فى أى منهما غير شأنه فى الاخرى ٠٠ فى وجوده العقلى ، والنفسى ، والروحى ، فضلا عن وجوده المادى .. فهو وان عاش فى جسد واحد الا أن هذا الجسد لبس شخصيتين مختلفتين أشد الاختلاف ٠٠ ولكل حياة من هاتين الشخصيتين ثمارها ومحصل غرسها فى الحياة ٠٠

واذن فنحن ان صح لنا أن نحسب أدب الصوفى حال تصوفه أدبا واحدا ، فلا نجعله أدبين ـ فانه لا يستقيم معنا أن نجعل أدبه كله ـ ما قبل التصوف وما فى التصوف ـ عن منزع واحد ، وشخصية واحدة !

هذا ، وليس من معنى هذا القول ان نسقط ـ فى دراستنا للادب الصوفى ـ وجود المتصوف كله قبل التصوف ، وان نجعل تاريخ ميلاده هو يوم خرج من عالمه الذى كان فيه ودخل مع المتصوفة ، وعاش فى عالمها ـ لا ، اننا لا نريد من هذا القول أكثر من أن نرصد حياة رجل التصوف ، وان نجعل لادبه قبل التصوف حسابا ، ولادبه فى التصوف حسابا أو حسابين ! وهذا أقل ما فيه أنه يضع بين أيدى الدارسين أدبا صوفيا خالصا يتبين منه دارس هذا الادب الوجه الصحيح له ٠٠ فى هذا المجال يستطيع الدارسون أن يردوا موارد هذا الادب ، وأن يرزقوا منه رزقا كريما طيبا ٠

فن التراجم، تاريخه وأصوله
تاريخ التراجم في أوروبا

للدكتور ماهر حسن فهمي

ترجع فكرة التراجم الى البحث عن الخلود . ومنذ خمسة آلاف سنة ترك الملوك المصريون القدماء في مقابرهم تذكار شهرتهم مع رموز ثروتهم ، ليضمنوا مرورهم الى عالم الخلود . وطبيعي ان ذلك لا يدخل في فن الترجمة حسب المفهوم الحديث ، لانهم لم يحاولوا وصف شخصياتهم أو مراحل حياتهم ، ولكن هدفهم له صلة بالتراجم ، لانهم ارادوا ان يصونوا في الارض وفي السماء ، مجد أفراد معينين . ومما لاشك فيه أن التراجم الاغريقية ذهبت الى ابعد من حيوات البابليين والمصريين ، ولكن الاغريق لم يهتموا بكتابة التراجم ، بالرغم من اقتناعهم بقيمة الفرد ، وأهمية تطوير مواهبه ، فقد كانوا أيضا مقتنعين بفكرة عجز الانسان أمام قوة القدر الغامضة ، وقراءة شعرهم تؤكد ذلك . وكانت أول مدرسة تهتم بفن التراجم هي المدرسة المشائية (اتباع ارسطو) التي اسسها ثيوفراسطوس المتوفي عام ٢٨٧ ق.م ، فقد أشاعت الوعي بالنسبة لهذا اللون من الاعمال الادبية ، وتقدمت بالمنهج وصقلت الاسلوب ، ولكنها لم تلتفت الا قليلا للحقيقة .

وكان انتصار الرومان على عالم البحر المتوسط ، يعني بالطبع انتشار الثقافة الاغريقية ، ولكن الرومانيين كانت لهم تقاليدهم الخاصة ، التي أثرت في كتابة التراجم . فالعائلة الرومانية كانت تمجد الأسلاف ، وحب الرومانيين للشهرة قادهم الى كتابة حيوات ذوي السلطان بواسطة عبيدهم أو من أعتقوهم في كثير من الاحيان . وبعض هذه التراجم صورت لدوافع من السياسة أو الخلق أو القدوة . فما كتب بلوتارك كتابه في سير عظماء اليونان والرومان ، وما كتب سويتنيوس كتابه ، حياة الاثنى عشر امبراطورا رومانيا ، الا لتكون نماذج واقعية للحياة التي ينبغي ان يكون عليها رجل السياسة .

وانتشرت التراجم كما لم تنتشر من قبل لدى الأباطرة المتأخرين ، ولكنها فقدت أصالتها وحيويتها بعد ذلك في أعماق العصور المظلمة . وكما قال دون في كتابه التراجم الانجليزية : « كانت الكنيسة واعمالها هي الامور الهامة في تراجم العصور الوسطى ولما كان هدف المؤلفين رغبتهم في بث الورع ، فقد كان مجهودهم محدودا في البحث عن الحقيقة » .

ويستطيع المرء أن يرى روح عصر النهضة بعد ذلك في تراجم القرن السادس عشر . فكتاب « تاريخ الملك ريتشارد الثالث » الذي الفه توماس مور ، يتضح فيه محاولة البحث عن داخلية الشخصية وان كانت تراجم ذلك العصر ، لا تكاد تختلف عن التاريخ بوجه عام . وعندما ظهر والتون في القرن السابع عشر ، كان اشبه بقنطرة بين الفن القديم والحديث في التراجم ، فقد طور فن التراجم وأثر في كتاب القرن الثامن عشر ، حين احتضن اهتمام العصور الوسطى بالاخلاقيات واهتمام المحدثين بالفن والأمانة وعرض الشخصية . وحين مات عام ١٦٨٣ ، ولد عصر جديد في فن التراجم . يقول ستوفر في كتابه فن التراجم (ان النظريات القديمة ونظريات العصور الوسطى عن النظام الاجتماعي والديني الثابت ، الذي كان فيه الفرد جزءا ثانويا ، قد تغير تماما بالمذهب الفردي الاستبطاني الذي جاء على أيدي الرومانتيكيين ... ومن تفاعل التصور القديم والحديث ، برزت تراجم القرن الثامن عشر في حيويتها وتنوعها) . وقد بالغ ذلك المؤلف عندما ذهب في كتابه الى أن العصور الحديثة لم تطور تراجم القرن الثامن عشر ، ولكن من المؤكد أنه ما من فترة حديثة توازي هذا القرن في الكم والكيف بالنسبة لكتاباتها التي تتعلق بفن الترجمة .

لقد أصبح كل فرد موضوعا ممكنا لكتاب ، واتخذت الترجمة اشكالا أدبية أخرى مثل المسرحية والقصة ، في نفس الوقت الذي اثرت فيه في هذه الفنون نفسها . ولاول مرة ظهر النقد الادبي للترجمة ، كذلك ظهرت الترجمة القصصية ذات الاصل التاريخي ، التي ملئت صفحاتها بالخيال . وقد علم المسرح كتاب التراجم قيمة الحوار في

تصوير الشخصيات والتمثيل الحى ؛ وامكانية القصاصين فى خلق أناس حقيقيين ، حثتهم على أن يدققوا فى تسجيل المعالم الشخصية • وكانت الملاحظات النفسية لكتاب القصة ، أكبر نجد لهم • يقول فولتير : « ينبغى أن تذهب الى الاعماق ، بينما حسب المؤرخ فى العصور السابقة أن من المهم كشط السطح • » وقد حاول كتاب التراجم الممتازون أن يقتدوا بصناعة بلوتارك فى البحث عن الحقيقة الداخلية ، وذلك بتجميع كثير من الحقائق الصغيرة فى وحدات منطقية ، وللوصول الى الحقيقة الداخلية، دون فقد الصلة بالواقع ، حاول المترجمون زيادة الاستفادة من الوثائق الشخصية •

***

وتميز القرن الثامن عشر أيضا باهتمامه بالاسلوب والترتيب • لقد كان هناك طراز خاص بالتراجم الكلاسيكية شكل بعناية ، وبمقارنة تراجم القرن الثامن عشر بها ، نجد أنها معدومة الشكل ، ولكن هذا النقص فى البناء كان نتيجة اهتمامهم بالطبيعة الفردية للشخصيات ، فلم يخططوا قواعد عامة ، ولكنهم حاولوا بكل قواهم أن يكونوا ممتعين ، وأن يصوروا الشخصيات ، وأن يسجلوا الحقيقة ، وكان الاسلوب والترتيب وسائل لهذه الاهداف • وكثير من الكتاب أثناء تشلهم للاحتفاظ بهذه الاهداف متوازنة ، قدموا أعمالا فاسدة ، وبعضهم ضحى بكل شىء فى سبيل الامتاع وانتهى بكتابة قصص لاتراجم • ولكن «بوزويل» وحده فى كتابه عن «حياة جونسون» قدم عملا فنيا عظيما ، يعتبره النقاد أعظم ترجمة فى القرن الثامن عشر ، جمع فيها «بوزويل» محاولة الباحث والفيلسوف والقصاص • ومنذ أيامه حاولت الترجمة أن تبدو أكثر صقلا ، وان لم تستطع أن تتقدم كثيرا بعده • ومؤرخ التراجم فى القرن التاسع عشر ، يستطيع أن يسجل قليلا من علامات التطور • فقد كان هناك تغير فى الصناعة الفنية ، وربما تحسن فى المستوى العام لكتابة التراجم ، ولكن الاعمال البارزة كانت نادرة • فلم يكن هناك تطور منهجى حتى أول القرن العشرين • والرومانتيكية بتركيزها على الاستبطان ، وحبها للحرية والفردية ، وطموحها وتعاطفها ، ربما يتوقع منها الناقد أن تضيف بعدا جديدا لفن التراجم •

ولكن الواقع أن أحدا لم يقترب من مستوى «بوزويل» خلال الثلث الاول من القرن التاسع عشر ، عندما كانت الحركة الرومانتيكية فى قمتها ، وان أضاف الرومانتيكيون مادة أساسية لكتاب التراجم اللاحقين • فقد كتبوا الخطابات المليئة بالايحاءات الذاتية ، وفتشوا الماضى من أجل اذاعة يومياتهم • وكثيرا ماعاشوا حياة شاذة ألهمت الاجيال التالية ، ولكنهم أنفسهم أضافوا القليل لفن التراجم •

وفى نهاية القرن التاسع عشر ، كانت زيادة الاهتمام بالموضوعية العلمية فى كتابة التاريخ ذات أثر ضار على التراجم . وقد كان نقاد العصر الفكتورى يتجادلون حول الموضوعية ، ولكن العلماء ودوا لو أزالوا من كتاباتهم كل التحفظ وحتى التعاطف . وكان تأثير هيجل بنظريته حول قيام وسقوط الحضارات ، و « داروين » بفكرته أن البيئة تبدى ضبطا مترمتا لتطور الانواع التى زادت بالتدريج حتى تسلطت تماما أواخر القرن الماضى ، « وكارل ماركس » بتحديده الاقتصادى ، كل هؤلاء كان تأثيرهم كبيرا ، وكانت نظرياتهم تسلب الفرد قيمته وأهميته • فاذا كان الفرد مجرد رهينة عاجزة ، أو مجرد حيوان أنانى مدفوع بلذاته المادية ، فان من العسير أن يستحق الدراسة التفصيلية للتراجم • ولكن لا ينبغى أن ننسى أن حتمية العلم التى رفضت عنصر الصدفة ، وكشفت القوى الغيبية ، قدشجعت على دراسة الفرد وجهوده • والاستثناء الوحيد لهذه الدراسات الناشئة كان علم النفس الذى تفاعل مع التراجم • واتجه علماء النفس الى دراسة الشخصية باعتبارها حالة متفردة ، واستفادوا من التراجم • وكان تأثير « أصل الانواع » لداروين شديدا فى كل معسكرات علم النفس • فقد أضاف بعض علماء النفس أن البيئة هى العامل الثابت فى تكوين الشخصية ، بينما أرجع بعضهم العامل الفعال الى الوراثة • وكان الجدال حارا ، واستخدمت كل المدارس التراجم فى حججها . حتى لقد قال «اليس» « ان الترجمة هى فرع من علم النفس التطبيقى » •

***

ومع بداية القرن العشرين ، ألف « فرويد » كتابه « تفسير الاحلام » ، وقد استطاع هذا الكتاب أن يسقط الحائط المتداعى لتحفظ الفكتوريين • وكانت نظرة فرويد النفسية للفرد ، باهتمامها باللاوعى

والجنس قد قوبلت بمقاومة شديدة حتى بين علماء النفس ، وقد كان اعتمـــاده على التراجم قليلا اول الامر . ولكن بقيام الحرب العالمية الاولى بدأ فرويد يطبق نظرياته على فن التراجم . وقد قدم مع بعض مريديه ما يعتبره نقـاد التراجم ، أول تطور جديد هام فى كتابة السير منذ القرن الثامن عشر . اختار فرويد ليناردو دا فنسى ميدانا يطبق فيه تحليله النفسى . والمؤرخون يعرفون حياته العملية ، ولكنهم يجهلون شخصيته . وقد كانت دراسة فرويدمختلفة تماما عن أية ترجمة سابقة . فهو يخصص اكبر قدر من كتابه ليبحث فى طفولته عما يســـميه الشذوذ الجنسى المثـالى ، ولا يهتم فرويد بآثار ليوناردو ، الا لكى يكشف عن مزيد من الشهادات حول الحياة النفسية للفنـــان . وقد كانت الموضوعية العلمية الجـــديدة ، وصراحة النفسيين الفرويديين بمثابة ضربة قاضية للتراجم الفكتورية ، وتشـــييد لمسرح ستراتش ، وعصر جديد للتجربة ، ونمـو لفـن التراجم .

***

قدم « ستراتشى » ما عرف بعـــد ذلك بالتراجم الجديدة . فالترجمة عنده شكل متفرد من الاشكال الادبية تحتاج معالجة خاصة ومهارات كبيرة . وقد كان متأثرا أيضا بعلم النفس الجـــديد . وككتاب السيرة القصصية حطم أسلوب الاستناد الى النصوص والقيود الصلبة التى يحملهـــا الباحث عن الحقيقة العلمية . يقـــول ستراتشى : « ان الواجب الاول للمؤرخ أن يكون فنـــانا ، وليس التاريخ تجميعـا للحقائق ، ولكنه الصلات بين الاحداث . ان الحقائق التى تتصـل بالمـاضى اذا ضم بعضهـا الى بعض بغير منه فانها لا تعدو أن تكون جمعـا وتصنيفا . والتصانيف بغير شك قد تكون ذات نفع ، ولكنهـا لا تســـمى ترجمة الا اذا استطعنا أن نسـمى مواد الزبدة والبقدونس والبيض طبقا من العجة . » وهو لم يقصد بالصلات كتابة قصة ، ولكنه قصد تشييد ذاتية فنية . ومنذ عام ١٩١٨ حتى وفاته عام ١٩٣٢، كان دون شك أكبر كاتب سيرة له مكانته . كانت كتبه قليلة فبعد « الامجاد الفكتورية » كتب « الملكة فكتوريا » و « اليزابيث » وبعض المقالات النقدية . ولكن صنعته الفنية قـد أثرت فى كثيرين من كتاب التراجم المعروفين . وقد كانت تراجمه مؤسسة على ســـعة الاطلاع وعمق الدراسة ، ولكن ينقصه عنصر حيوى ، هو احترام الحقيقة . كما فعل - على سبيل المثال - عندما أراد أن يظهر « الجنرال جوردون » بمظهر الغافل ، فاستند الى مصادر معروفة بخداعها، وكما اخترع مادة يظلل بها صورته للملكة فكتوريا. ومن هنا رأى النقاد أن قيمة أعماله فى نظريته اكثر مما فى تطبيقه .

***

وكثيرون من الذين تأثروا به مثل آندريه موريس الفـــرنسى ، بيرســــــون الانجليزى ، برادفـورد الامريكى قد اتخـــذت تراجمهم أشـــكالا مختلفة ، فبعضهم اخترع حوارا ووصف احداثا دقيقة ربمـــا وقعت وربما لم تقع ، وزعموا تسجيل افكار وكلمات وافعال نســـبوها للذين يترجمـــون لهم . ولكن اكسفون نفســه - وهو تلميذ سقراط - لم يكن فى استطاعته أن يتذكر محادثات سقراط التفصيلية فى كتابه وقد كان بلوتارك أستاذا فى هذه الصنعة الفنية ، ولـكن هذه الصـنعة الفنية اذا ما احتكمت للمنهج العلمى ، كان من الصعب الادعاء بأن هذه الأعمـــال من التراجم . وكما يقول جارتى الناقد الأمريكى : « كثير من الكتاب يحتمون بتسمية أعمالهم تراجم قصصية ، ولكن الخط الفاصل بين القصـــة والترجمة ليس واضحا فى اذهانهم » .

وغيرهم ممن أســـموا أنفسهم بأصحاب المدرسة الحدسية ، رأوا أن كل شخصية بسيطة طالما أمكن العثور على مفتاح تلك الشخصية . وربما استدعى ذلك وقتا طويلا، ولكن عندما يمكن العثور على المفتاح يظهر ضـــوء داخلى ينير جميـع أحداث الموضوع . والترجمة الحدسية لم تكن مجهولة من قبل ، فالناقد الفرنسى « ســـانت بيف » الذى عاش فى القـرن التاسع عشر - على سبيل المثال - كان يحبس نفسه مع اعمال الشـخص الذى يريد ان يتحدث عنه ، يقرأ

ويتأمل ، حتى تظهر فجأة له « العلامة الكاشفة » . والى هذا اشار حين قال : « الصورة تتكلم ، لقد وجدت الرجل . » ولا باس عند هذه المدرسة أن تمتلىء الفراغات التى فى جوانب الشخصية بألوان الخيال .

***

وقد نسى القصاصون والفرويديون والحدسيون فى سعيهم وراء التشخيص الحى ، ان التراجم فن يهدف الى وصف ماصنع الرجل وما يميزه شخصيا، وان الترجمة شكل غير قصصى فى الاصل ، يقوم على الحقيقة والتسجيل الموثوق به . ومن هنا هاجم النقاد هذه الاشكال من التراجم، كما هاجموا التراجم النفسية لاستنتاجاتها غير الموثوق بها ، ووصفوا تلاميذ فرويد بأنهم يزحفون كالحيات على كل فن جميل فى الحياة . ويقول دى : فوتو : « ان التحليل النفسى ليس له قيمة كمنهج للوصول للحقائق فى التراجم ، وليست هناك ترجمة اعتمدت على التحليل النفسى يمكن أن تؤخذ جديا كحقيقة واقعة . » وبالرغم من أن أحدا لم يستطع ان يقيس تأثير كل هذه الهجمات على ذوق الجماهير ، فمن المؤكد أن النقد المحافظ قد أسرع بسقوط هذه الاشكال من التراجم . وحوالى عام ١٩٤٠ كانت أكثر الاشكال المتطرفة قد استنفدت أغراضها ، وظهرت مدرسة جديدة عند نهاية الحرب ، حاولت أن تركب المناهج المتطرفة وتجمع اليها البحث المتسع . وهذا الاتجاه تسمية (المنهج الروائى) . والتراجم التى من هذا النوع يتخللها أيضا التحليل النفسى لكشف المشاعر الداخلية ، وان كان من المعتاد الا تكون فرويدية فى تنظيمها . واهتمت بالوصف الدقيق للمشهد ، مع جهد ضخم يبذل من أجل ابراز التفاصيل الصغيرة . وهم فى الوقت نفسه يعتبرون أنفسهم علميين لان استشهاداتهم مبنية على الحقيقة دائما . والفرق بين هذه التراجم والقصص أن القصاص يكتب الافكار والحوار الذى كان سيحدث لو كان هو بطل القصة ، اما كاتب الترجمة الروائى فيكتب الافكار والحوار الذى يعرف أن بطل الترجمة أداره من خلال الاثباتات التى فى مفكراته او خطاباته . والفرق بينها وبين التاريخ أن الترجمة تهتم بالمعضلات الجذرية لوصف الشخصية،لابمجرد عرض أحداث الحياة . ولعل من أحسن التراجم التى تمثل هذا اللون ، ترجمة « جين جولد » للقصاص الامريكى هرمن ملفيل ، الملاح الصغير .

فى معركة المصير العربى
تأليف طاهر أبو فاشا
بقلم : عبد العزيز الدسوقى

كثرت فى هذه الايام المؤلفات التى تدور حـول فكرة العروبة والقومية العربية ، ولا شك ان معظم هذه المؤلفات مفيد بما يحمل من الكثير من المعلومات التاريخية والقضايا القومية والفكرية . ولكن حركتنا القومية المعاصرة ستظل تفتقر الى المزيد من لون آخر غير هذه الكتب .. لون يحمل الى العقل القضـايا والافكار ، ويمتع القلب ويغذى المشـاعر ، ويغذى النفس ويترك فيها اثرا عميقا خصبا . وهذا اللون من التاليف لا يقـدر عليه الا هؤلاء المفكرون الذين يملكون الى جوار علمهم ــ ذوقا مرهفا وقلبا خصبا وبيانا عذبا وايمانا عميقا بما يكتبون .... ولذلك سعدت كل السعادة وأنا اقرا كتاب « فى معـركة المصير العربى » الذى صدر على ابواب هذا العـام للصديق الفنان الاستاذ طاهر ابو فاشا ، فهو من هذا اللون الثانى .

وطاهر ابو فاشا مرتبط فى الاذهان بالعمل الاذاعى الكبير الذى يستمع اليه الناس منذ عشرين عاما او نحوها وهى (الف ليلة) . وقد لا يعرف الكثيرون انه مؤلف لكثير من الكتب السياسية والاجتماعيـة والقومية ، وابرز مؤلفاته تلك التى تناولت فى شمول واستيعاب ملامح نهضتنا المعاصرة بعد ثورة ٢٣ يوليو سنة ٥٢ ، وهى حوليات صدر منها حتى الآن سبعة اجزاء بعنوان « الجمهورية العربية فى عام » .

وعندى ان كل هذه الاشياء لا تمثل طاقة « طاهر ابو فاشا » الحقيقية ، لان طاقته تلك تبرز بوضوح وجلاء فى الشعر . وقد اصدر عدة دواوين شعرية فى الثلاثينيات من هذا القرن . أذكر منها «القيثارة» و « الاشواك » الى جانب عديد من القصائد التى نشرها فى الرسالة ولم تطبع بعد فى ديوان .. اذكر كل هذا التاريخ الفنى للمؤلف ليعرف القارىء ، لماذا كان الكتاب الذى نقدمه اليوم بكل هذه العذوبة والخصوبة ولا شك ان المؤلف يملك ــ الى جوار هـذه الموهبـة الفنيـة ــ طاقة كبيرة فى البحث والاستيعاب ولهذا حمل كتابه قضايا الانسان ، منذ كان الى الآن ...

والكتاب أشبه برحلة طويلة فى التاريخ ساح فيها المؤلف سياحة طويلة عبر الازمان وشـاهد هذه الاحداث وعاشها ونقلها الينا نابضة بالحرارة والحياة ولهذا نحس اننا لا نقرا تاريخا وانمـا نعيش هذه الحياة ونعانى تلك التجارب . والمؤلف مؤمن ايمانا عميقا بالنضال العربى ، الى جوار ايمانه « بطبيعة الخير فى الانسـان مهما كان » لذلك يبدا رحلته التاريخية من الماضى ويتلبث عند الحاضر ، ويتنبا بالمستقبل ، فالماضى ــ كما يقول ــ درس . والحاضر عمل . والمستقبل امل ...

وليس يكفى هذا الانطباع العام بل لابد من تقويم دقيق واحصاء لما فى الكتاب من قضايا وابواب . بدا المؤلف كتابه بتمهيد عن تاريخ النضال العربى بصورة عامة ثم فصل هذا الحديث « فى المعركة » ، وكشف عن استراتيجية الاستعمار التى لا تتغير بالنسبة للوطن العربى منذ القرن الحادى عشر الميـلادى حتى اليوم واوضح دور مصر فى النضال وكيف انها لم تنعزل عن الصف العربى ابدا لان تاريخ الوطن العربى كان تاريخا واحدا منذ كان ...

ثم تكلم بعد ذلك ــ فى دقة واستقصاء ــ عن مفهوم القومية العربية بعد ان اوضح معنى القومية وتناول نشوء القوميات وتعرض بالدراسة والتحليل لكل النظريات التى سادت منذ القرن التاسع عشر حتى اليوم عن نشـوء القوميات ... وانتهى الى تاصيل عميق لقوميتنا العربية واشتراكيتنا واكد انهما ينبعان من تيارين اثنين « أولا : الواقع العربى الذى ينتظم وحدة التكوين النفسى والشعور المشترك بالالام والآمال .. ثانيا ــ التراث المشـترك الذى ينتظم وحدة اللسان والتاريخ .

وبعد ان افاض المؤلف فى شرح مقومات القومية.

من وحدة الجنس والوحدة الجغرافية ووحدة التاريخ ووحدة اللغة ناقش أصحاب نظرية المشيئة والنظرية العضوية وفند اقوال هؤلاء المفكرين بعد ذلك اكد ان اهم مقومات العربية شيئان هما وحدة اللغة ووحدة التاريخ .. وقاده هذا الامر الى استقراء احداث التاريخ خلال مراحل ثلاث خاضتها القومية

**

المرحلة الاولى :

عهد الاستقلال القديم الذى نشأت فيه منذ فجر التاريخ وانتهت عام ٥٢٥ ق‌م عند الاحتلال الفارسى لبلادنا

***

المرحلة الثانية :

مرحلة الاحتلال الطويل الى استمرت نحو ١١٥٠ عاما

***

المرحلة الثالثة :

مرحلة النضج القومى التى استكملت فيها امتنا العربية مقوماتها كاملة واحدة وقد بدات هذه المرحلة عند المؤلف فى القرن السابع الميلادى عند ظهور الاسلام وظلت حتى اليوم ... وهذه رحلة مضنية حدثنا فيها المؤلف عن احداث الامة العربية منذ هذا التاريخ الى اليوم وموقفنا من العالم والظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التى جعلت الوطن العربى فى قلب الاحداث .

تناول المؤلف كل هذه الاحداث فى صفحات كثيرة تشع بالبساطة وتفىء بالعذوبة ... ولم ينس أن يحدد فى وضوح وجلاء اوجه التشابه بين كل جزء من اجزاء الوطن العربى ويحدد معالم النضال المشترك الذى ظل مشتعلا عبر الاجيال ، ضد المستعمر الذى تمكن فى نهاية المطاف من تفتيت الوطن واقامة الفواصل المصطنعة بين اجزائه .

***

سبيل الوحدة العربية كهدف قومى

وهنا ينتقل المؤلف الى نضال العرب الحديث فى الميدان الاجتماعى كطريق لاسعاد الانسان العربى على أرضه وذكره الصراع الذى دار بين العرب والاستعمار ثم يقف قليلا عند تجربة الوحدة ٥٨ بين مصر وسوريا كامل فى امكان الوحدة ..ولم ينس أن يشير الى مأساة الانفصال ثم سقوط هذا الانفصال والعودة من جديد الى محاولات الوحدة ... وينتهى الكتاب باعلان ١٧ أبريل سنة ١٩٦٣ الذى يدعو الى الوحدة الثلاثية .

***

والكتاب بهذا الشمول والخصوبة مرجع هام من مراجع النضال العربى يثرى وجدان الشباب العربى ويدفعهم الى العمل

غير اننى فى النهاية لابد ان اشير الى بعض المواطن التى اختلف فيها مع المؤلف :

أولا : المؤلف يعتبر الوحدة الجغرافية مقوما للوحدة العربية ، وانا لا ارى ذلك للوطن العربى متعدد الوحدات الجغرافية ، فيه السهول والوديان والجبال ، فيه المواطن الجافة والصحارى ، وفيه الاماكن الممطرة والقيعان ، ومع ذلك فهو امة واحدة على رغم تعدد وحداته الجغرافية .

ثانيا : المؤلف يرى وحدة الارض تستلزم وحدة البيئة ، وانا اعتقد ان الارض الواحدة تضم مجموعة من البيئات

ثالثا : المؤلف يظلم « ارنست رينان » عندما يقول انه فى نظريته المشيئة لا يتكلم فى القوميات وانما فى التكوينات السياسية وارى ان (رينان) كان يتكلم فى معانى القومية ويحاول التأصيل لها فى محاضراته بالسوربون .

رابعا : المؤلف يعتقد ان الدولة تقوم بدون اقليم معين ، بينما يرى كل رجال القانون وعلماء الاجتماع أنه لايدلقيام الدولة من اقليم معين ... كما احب ان اشير الى ان الرقم الذى ذكره المؤلف الجيش الذى فتح مصر (٤٠٠٠) لا يتفق مع اجماع علماء التاريخ فهم يرونه نحو خمسة عشر الفا من الرجال ونصف الالف .

على ان هذه الملاحظات التى آخذها على الكتاب لم تقلل ابدا من استمتاعى به وتاثرى ، ولهذا فاننى ارجو ان تتاح قراءته لاكبر عدد من الشباب والشيوخ

وراء الستر

للشاعر محمود حسن اسماعيل

كل سر غير هــذا السر ، مزقت حجابه
وعرفته !

وطـوى قلبي دجـــاء في يديه ، وأذابه
فشربته !

وجرى لحنـا يدق الشوق للمجهول بابه
فعرفته !

وسواء كان حقـا
أم ضلالات وحمقا ،

انمـا كان طريقـا . . نور الله ترابه
. . فسلكته !

ومحا الغيب من الاشراق والنـــور سرابه
. . فاقتحمته !

واذا السر الذى يعثر فى التيـــه ضبابه
قد وصلته !

غـــير سر لاح برقا
رف بالموت ودقـا

ففتحت الباب . . فاندك ، وأعطاني خرابه !
. . فتركته !

مثلما يخطف حادى الريح فى البستان زهره
مثلما يسرق شيطان الرؤى فى الحلم فكره
مثلما ينهب صمت الليل فى الصحراء نبره
مثلمـــا تختلج العين ، فـــلا ترتد نظره

وكمـا يمرق طيف ،
وكمـا يهتز طرف ،

وكما تنسل فى سـهو عن الانفاس زفره . .
. . رحل العطر! واخفى عن وداع الكون سره
عن قريب وبعيد ، وتديم عب ســحره ،

وهو فى الآفاق يطفو ،
وعلى الاعماق يغفو ،

ســاكبا كل أمانيه ، ودنياه ، وعمــــره !
طائر للحب والفرحة لم يعرف خميـلة
انمــا كان مزامير من الروح الاصـــيله
وصدى يطلق للايام نجواه الجميــــله
فتشق الغيب والابعاد . . لا تبقى وسيله

تحمل الاشواق زهرا
وتسوق الحب عطرا

وتساقى كل ظمـآن . بمـا يروى غليله
وتلاقى كل حيران بما يهدى سـبيله
وترى الهم فتغتـال من النفس فلوله

لم يكد يمعن سيرا ،
وترى دنياه فجرا . .

. . واذاه، فى حرير النعش، رؤيا مستحيله !
قال لى طير رأى النعش على الدرب يسير :
ذلك السر . . الذى ذابت بشطيه الدهور ،
وتلاشت دونه الاوهام ، والعقل الضرير !

من يزيد النور . . نورا
فجره يلقى المصيرا !

والذى أيامه عرس ، وزهـر ، وعطـــور ،
وحياة ، لحياة النـــاس تســقى وتدور
ورحيق ، بصفاء الروح يجريه الشعور . .

كالصدى يمضى قصيرا
كالشذا يفنى العبيرا ،

قبـــل أن ترشف رؤياه الصــدور !

قلق

للشاعرة روحية القليني

قد قال لى بالامس عذبني مع الليل الارق
فقضيت يومي كله حيرى يمزقنى القلق
ياليته عن سر ما يخفى تكلم وانطلق
فله أنا ولغيره والله قلبى ما خفق
لكنه لزم السكوت وعن جواه ما نطق

***

وقضيت يوما مظلما عانيته نهب الخواطر
لما لمحت جفونه تطوى على الدمع المحاجر
فى كبرياء رجولة والقلب رغم الصمت ثائر
لم لم يبح لى بالهوى ؟ لم لم يبح لى بالمشاعر
انى اقدس صمته ولو انه بالصمت حائر

***

فحياته أغلى على من الحياة ومن عيونى
وأخاف من طول السكوت عليه من نار الشجون
والصمت فيه عذابه وعذابه يدمى جفونى
لو باح بالسر العميق لهان كل شجى دفين
انى أضل بحيرة يطويها فى قلق حنينى

***

ورجعت للقلم الصديق أبثه شجوالصديقه
احكى له ذوب الفؤاد حكاية تبدى الحقيقه
فلعله يحنو على دمعى ويبحث عن طريقه
لكنه التزم السكوت مقلدا فيه رفيقه
وسهرت فى لجج الغموض بحيرتى لهفى غريقه

***

انى على السر العميق بحق قلبينا أمينه
قل ما تشاء كما عهدتك فى أحاديث رزينه
سأصون سرك فى ضميرى فى قرارات دفينه
لا تخف عنى حيرة لا تخف أنات حزينه
افلا تهزك لوعتى مزجت بدمعاتى السخينه

تصوير الشعر الحديث
للفقر فى المجتمع العربى
للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

الغنى والفقر ظاهرتان من ظواهر المجتمع فى كل العصور ، وقد لمسهما القرآن الكريم فى غير موضع : فى معرض التعبير عن الافتقار الى الله فى قوله تعالى : « يأيها الناس انتم الفقراء الى الله » وفى موضع الاستغناء بفضل الله فى قوله : « ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله » وفى معرض الاستعفاف عن اموال اليتامى فى قوله تعالى : « ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف » . وفى معرض الامر باطعام البائس الفقير فى قوله تعالى : « واطعموا البائس الفقير » وفى غير ذلك من المواطن التى ليس هنا مجال حصرها .

ولقد تناول الشعر العربى فى مختلف العصور ظاهرة الغنى والفقر فى المجتمعات العربية الاسلامية تناولا يختلف حسب احساس الشاعر وشعوره ورايه فى المال والثراء ، وميله الى الزهد ، وقدرة المال على ستر العيوب ، وتغطية الذنوب ، واقبال الدهر وادباره وغير ذلك من المسائل المتفرعة التى تجدها منثورة فى كتب الاخبار والطرائف والنوادر فنجد قوما يمدحون الغنى لانه سبيل الحياة الهنية الوادعة ، على حين نجد قوما يمدحون الفقر لانه يخلى صاحبه من هموم الحرص والقلق على الموجود فليس لدى الفقير ما يحزنه على فقد المحبوب . حتى لقد حكى ان البصرة قد غرقت يوما فاخذ الناس يستغيثون ويصرخون اسفا على ضياع اموالهم الا حكيما قيل انه « الحسن » رضي الله عنه خرج وما معه غير قميصة وعصا وهو يقول : نجا المخفون .

وهل نظرة الزهد الى المال والغنى هى اثر من آثار الايحاء بالرضي والقناعة التى كان لبعض الجهات الحاكمة والمالكة مصلحة فيها ؛ حتى يصرفوا الأنظار عن تكوين الثروات وتحويل ذلك الى جهاتهم والا فان الغنى مطلوب ومرغوب فيه ، فكيف نجد عند بعض الشعراء دعوة الى الزهد فيه والانصراف عنه وعدم تعنية النفس بطلبه ! هنا نجد الشعراء يختلفون فى التعليل لرفض الغنى وطلب الفقر ، فالشاعر محمود الوراق يرى ان المال هو سبيل الى عصيان الله او ان العصيان هو سبيل الى الغنى ، فيفضل من اجل ذلك الفقر على الغنى قائلا :

من شرف الفقر ومن فضله
على الغنى لو صح منك النظر
انك تعصي لتنال الغنى
ولست تعصي الله كى تفتقر

والشاعر عبد الله يرى من مزايا الفقر على الغنى ان الفقير لا يموت بحسرة على فقد نعمة ، فيقول :

تبين فضل الفقر عندى على الغنى
بواحدة فيها عزاء لذى حجر
متى مت لم آسف على فقد نعمة
يود الغنى من اجلها المد فى العمر

والشاعر ابو تمام لا يرى ان الفقر هو عدم المال ، بل الفقر هو عدم المروءة ، وهذه نظرة خلقية الى الفقر تعلى من شان ارباب المروءات ، فيقول :

لا يحسب الاقلال عدما ، بل يرى
ان المقل من المروءة معدم

اما الشاعر ابن الرومى فيعلل لمزية المعدم والحرمان بانه ليس معه الخوف من الفقدان . ويقول فى ذلك :

ومن سره الا يرى ما يسوءه
فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا . .

على ان الشاعر الجاهلى عروة بن الورد قد عرف الفقر وخافه وعرف منزلة الفقر فى المجتمع ، من اقصاء عن الندى ، وازدراء من الحليلة ، وانتهار من الصغير ، على حين يضفى الغنى على صاحبه جلالا ، ويقلل من ذنبه ولو كان جما ، فيقول :

دعينى للغنى اسعى ، فانى
رايت الناس شرهم الفقير
وابعدهم واهونهم عليهم
وان امسي له حسب وخير
ويقصيه الندى ، وتزدريه
حليلته ، وينهره الصغير
ويلقى ذو الغنى وله جلال
يكاد فؤاد صاحبه يطير . . .
قليل ذنبه ، والذنب جم
ولكن للغنى رب غفور

واذا كان تصوير الفقر والغنى فى شعرنا العربى القديم لم تكتمل فيه الصورة من كل نواحيها ، بل

كان يكتفي الشاعر باللمحة الخاطفة من هنا وهناك للتعبير عن رأيه في الفقر والغنى ، فان الشعر العربي الحديث والمعاصر قد التفت الى هذه الناحية ووفاها ما تستحق من العناية والاهتمام والدقة في التفصيل . فنجد صورا للفقر والفقراء في المجتمع العربي الحديث نكاد نفتقدها بهذه الاحاطة والالوان والظلال في الشعر القديم .

ومن الشعراء المحدثين من كان تصويره للفقر عن تجربة ذاتية عاناها هو بنفسه وكابد آثارها ، ثم ينتقل بعد ذلك الى تصوير الفقر في امته التي هو احد افرادها ، والتي يشيع الفقر فيها على الرغم من خصب ارضها ، وثروة ثراها . ويمثل هذا الفريق من الشعراء حافظ ابراهيم الذي نجد هذه الصور عنده حافلة في فترة بؤسه التي بلغت بضعة عشر عاما الى ان وجد له وظيفة في دار الكتب سدت حاجته فانقطع عن الشكوى وترديد الحان الفقر وصوره . وقصيدة شاعر النيل البائية خير تصوير لفترة الهيمان على الوجه في سبيل العيش . وفيها يقول :

كم همت في البيد والآرام قائلة
والشمس ترمي اديم الارض باللهب

وكم لبست الدجى والترب ناعسة
والليل اهدا من جاشي لدى النوب

والنجم يعجب من امري ويحسبني
لدى السرى ثابتا للسبعة الشهب

لكنني غير مجدود ، وما فتئت
يد المقادير تقصيني عن الارب

ويستمر الشاعر في تصويره لبؤسه وفقره حتى يخلص من ذلك الى حالة الفقر العامة في بلاد تدر الذهب ولكن لغير اهلها ... بل للأجانب ، فيقول :

ايشتكي الفقر غادينا ورائحنا
ونحن نمشي على ارض من الذهب

وتذكرنا ابيات حافظ ابراهيم هذه بقصيدة « حياة بشقات » التي وصف بها الشاعر المهجري الكبير الياس فرحات سوء حاله في المغترب :

واستعرض الايام : يومي الذي مضى
دليل على يومي الذي اترقب
طوى الدهر من عمري ثلاثين حجة
طويت بها الأصقاع اسعى وادأب
اغرب خلف الرزق وهو مشرق
واقسم لو شرقت كاد يغرب !

ونجد عند الشاعر السوداني « التيجاني يوسف بشر » بعض صور للفقير لعلها كانت تصورا ذاتيا لحاله هو ، فقد عانى الحرمان والفقر ، ولكن الاباء كان يجلله . وكان على تمام اليقين بان آهة الفقير اقرب الى الله واسمى من ضحكات الغني الخليع ، وابياته التالية تعد من اصدق الصور للفقير الكسير الفؤاد ، وفيها يقول :

بنفسي من هان حتى تواضع
في نفسه كل معنى رفيع
مشي خاشع الطرف رث الثياب
كئيبا كثير مرائي الخشوع
تأكله حسرة في الضمير
وتسحقه خيبة في الضلوع
يبين عليه انكسار الفؤاد
ومسكنه المستذل الوضيع
وفي نفسه ظمأ للمطور
وفي روحه حرقات وجوع
فيا آهة ملء دنيا الفقير
ويا انة ملء دنيا الوجيع
لانت لدى الله اسمى وانبل
في الأرض من بسمات الخليع ...

وله ابيات اخرى في تصوير الفقير يقول فيها :

مغداك في حجر الآباد مغداه
وفوق دنياك في الايام دنياه
اظل من جبل الاحقاب محتملا
سفر الحياة على مكدود سيماه
عاري المناكب في اعطافه خلق
من العطاف تفني الا بقاياه

ومن الشعراء الذين التفتوا الى مفارقات الفقر والغنى الشاعر اللبناني بشارة الخوري « الاخطل الصغير » ولم يترك الاغنياء دون ان يسلط عليهم سهام لومه لتركهم الفقراء مع انهم هم منبتو الزرع ، وحالبو الضرع ، والكادحون في الأرض وفي المصنع فتراه يوجه الخطاب الى الاغنياء قائلا :

ايها الاغنياء ان غناكم
شيدته سواعد الفقراء
القصور التي تقيمون فيها
من بناها لكم سوى الفقراء ؟
والطعام الذي تلذون من هم
صانعوه لكم سوى الفقراء ؟

والرياحين فى الجنائن من هم
غارسوها لكم سوى الفقراء ؟

والحليب الذى رضعتم صغارا
كان من صدر معظم الفقراء !

وفى قصيدة اخرى يكرر الاخطل الصغير هذه المعانى ويحمل على الأغنياء الذين يحاولون قتل الفقراء ، ويسأل : من يتولى اصلاح الارض وغلتها لو مات الفقير ، فيقول :

ايها الناس الألى خاطوا الكفن
لفقير كى يفوزوا بالثراء

هب ورثتم بعده الأرض فمن
يصلح الأرض لكم يا أغنياء ؟

ولعل اعجب ما قرأناه من شعر الأخطل الصغير انه مزج الغزل بتصوير الفقير فى بيتين يصف بهما فتاة فقيرة حسناء تبكى ، فقال :

شكت فقرها فبكت لؤلؤا
تساقط من جفنها وانتثر

فقلت وعينى على دمعها
افقر وعندك هذى الدرر ؟!

والصورة هنا غزلية اكثر مما هو تصوير للفقر الجميل ..

على ان الصورة الجامعة بين الفقر والجمال قد لجأ اليها بضعة من شعرائنا المحدثين ، والقصد من ذلك استدارر العطف واستجلاب الاحسان — فنجد الشاعر خليل مطران يصور فتاة جميلة فقيرة كانت عرضة للضياع والسقوط فانقذتها مبرة انشاها احد الخيرين ، فيقول :

من هى ؟ بنت من بنات الأسى
معروضة للصفقة الخاسرة

يطمع فيها حسنها والصبا
والفاقة المضناضة الكافره

اباس ما سارت باطمارها
لم تك الا بهجة سائره

تحس للابصار فى نفسها
وقع الندى من نبتة ناضره

ويح الفقيرات الجميلات من
حبائل القناصة الماكره

كالورد لا يعصم شوكه
اذا دنت منه يد جائرة ..

ومن شعراء العرب المحدثين من جمع فى القصيدة الواحدة بين صورة الغنى الواسع الثراء ، والفقير المعدم الذى يبيت على الطوى ويتلفف فى الاسمال حتى تكون المقابلة بين الصورتين المتناقضتين ادعى الى استدرار العطف ، واثارة الرحمة والاشفاق ، ونجد مثل هذا فى شعر لعلى الجارم يقول فيه :

ايها الوادعون يمشون زهوا .بين جبرية وبين اختيال
ينفقون القنطار فى ترف العيش ولا يحسنون بالمثقال
ويرون الاموال تنثر فى اللهو فلا يجزعون للاموال
ان فى بلدة المعز جحورا ، مترعات بادمع الاطفال
كل جحر بالبؤس والفقر مملوء ولكنه من الزاد خالى
بسقت فيه للجرائيم افنان تدلت بكل داء عضال
لو رايت الاشباح من ساكنيه ، لرايت الاطلال فى الاطلال

ولم يحجم الشعر الجديد المتحرر من قيود الوزن والقافية عن الاسهام فى حركة تصوير الفقر والبؤس فى المجتمع العربى ، الحديث . وقد اعانه الانطلاق من الوزن والبحر والقافية على الانطلاق فى الوصف التفصيلى لدقائق الصورة ، كما نرى فى قصيدة للشاعر السودانى « جيلى عبد الرحمن » بعنوان « اطفال حارة زهرة الربيع » يقول فيها :

وفى البكور يخرج الرجال
اقدامهم منهوكة وصمتهم سعال
يدعون للاله فى ابتهال
يا اله ! افتح لنا الأبواب ، وسهل لنا الأرزاق
وتختفى اقدامهم فى زحمة الحياة

ولم يخل شعر شاعر من امثال احمد محرم ونسيم ومصطفى الرافعى واحمد الكاشف وعباس محمود العقاد وعلى محمود طه وعبد الرحمن شكرى ومحمد الاسمر واحمد زكى أبو شادى من تصوير للفقر والفقراء ودعوة الى الاخذ بيد الفقير واليتيم ولكنها صور خاطفة وخطرات سريعة لم تتأصل حتى تكون مذهبا يدعو الى الاصلاح الاجتماعى والاشتراكية التى يجد فيها الفقر احسن علاج .

مع النفس الانسانية

بقلم : محمد عبد الله السمان

هل يمكن ان نستخلص الاسلام نظرية شاملة عن النفس الانسانية ؟

ان الاستاذ **محمد قطب** يعتبر كتابه الجديد « **دراسات فى النفس الانسانية** » محاولة فى هذا السبيل .. ويقول :

« هى مجرد محاولة .. انحمل مسئوليتها وحدى ، فالاسلام ليس مقيدا بما اقول ، وما ازعم ان هذه هى « النظريةالاسلامية » وانما اقول فقط انها « نظرية » اسلامية ، اجتهدت فيها بمقدار ما فتح الله على من طاقة المعرفة » .

هذه المحاولة ـ كما يشير المؤلف فى مقدمة كتابه ـ سبقها ارهاصات فى تفكيره ، **فقد** خطر له وهو فى مبتدأ دراسته للقرآن وللاسلام ، أنللاسلام نظرية معينة فى النفس الانسانية ، وأن هذه النظرية لابد ان تكون موجودة فى القرآن ، وفى احاديث الرسول ، اذ كان الرسول هو التفسير الواقعى للقرآن .

وحين قام المؤلف بتاليف كتابه « الانسان بين المادية والاسلام » كان فى نفسه هذا الخاطر .

وفى كتابه « فى النفس والمجتمع » عالج بعض الخطوط فى النظرية الاسلامية ، معالجة خفيفة .

اما فى كتابه « منهج التربية الاسلامية » فقد احتاج فى وضع فكرة الكتاب الى تخطيط صورة للنفس الانسانية ، اذ كان قد تبين له أن منهج التربية الذى وضعه الله فى كتابه مطابق تماما للنفس التى خلقها منزل الكتاب ، وان ابرز ما فى هذا المنهج هو التطابق الكامل بينه وبين النفس .

ثم جاء فى كتابه الذى بين ايدينا يحاول ان يستخلص للاسلام نظرية شاملة عن النفس الانسانية ، بعد أن ارتسمت خطوطها بين يديه فى ثنايا السطور ..

قبل ان نناقش هذه النظرية الشاملة عن النفس الانسانية ، ارى لزاما علينا ان نعرض خطوطها وابعادها كما رسمها المؤلف .

المؤلف يذكر ان هدفه من استخلاص نظرية شاملة عن النفس الانسانية هو معرفة مكونات النفس ، بقدر ما تيسر لنا المعرفة ، لنعرف بعد ذلك كيف تكون فى صحتها ومرضها ، واستوائها وانحرافها ، ونفيد من هذه المعرفة فى معالجة هذه النفس على اساس سليم ، اذن فمعرفة النفس هى الخط الاول فى نظريته ، وفى هذا الخط ناقش حقيقة الانسان : **ما الانسان اولا ؟ ما وظيفته ؟ ما دوره فى الحياة ؟ ما طاقاته ؟ وما حدود هذه الطاقات ؟** ويرى المؤلف ان الاجابة عن مثل هذه الاسئلة كامنة فى قوله تعالى : « **واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة** » كما يرى أن الدراسات النفسية الغربية تحاشت هذه الأسئلة بدعوى انها من مباحث الفلسفة التى لا ينبغى ان يخوض فيها علم النفس ، لان علم النفس يبحث الواقع النفسى الذى يجده امامه غير ناظر الى اى هدف آخر خارج نطاق هذا البحث ، وهذا ادى الى عيبين كبيرين فى تلك الدراسات :

الاول : أنه جعل هذه الدراسات على غير وعى بالانسان المتكامل ، الانسان الواقعى ، والآخر أنه جعل الدراسات لا تميز كثيرا بين الحالات السوية والحالات المنحرفة ، لأنها فقدت القياس الذى ترجع اليه لمعرفة الاستواء والانحراف .

اما الخط الثانى فى نظرية المؤلف ، فهو الطبيعة المزدوجة فى الانسان ، وابرز ما فى الكيان البشرى انه كيان مزدوج الطبيعة ، وهو بهذا الازدواج كائن منفرد فى كل ما نعلم من مخلوقات هذا الكون التى تمثل طبيعة واحدة ذات جهة واحدة ، فالحيوان من جانب والملك من جانب ، والحيوان ذو طبيعة واحدة تتحدد بحدود الجسد والغرائز ، والملك مخلوق ذو طبيعة واحدة ايضا ، لانه يعيش فى نطاق روحه ويطيع توجيهاته بلا ارادة ذاتية .

اما الخط الثالث فى نظرية المؤلف فيتمثل فى الخطوط المتقابلة فى النفس البشرية ، وكل خطين متقابلان فى الخلقة ، وفى نفس الوقت متضادان فى الاتجاه .

اما الخط الرابع والاخير الذى استغرق اكثر من نصف البحث ، فهو الدوافع والضوابط فى النفس البشرية ، **والدوافع** كلها يمكن تلخيصها ـ على حد تعبير المؤلف ـ فى كلمة واحدة هى حب الحياة ، ولكنها بعد ذلك تتفرع وتتشعب فى اكثر من اتجاه بل فى كل اتجاه ، فتصبح دافعا لحفظ

الذات ، ودافعا لحفظ النوع ، ودافعا للقتال عن الذات او القتال عن النوع ، ودافعا للملك ، ودافعا للتميز والسرور ، وكلها مظاهر لحب الحياة والتشبث بها والذود عنها والاستحواذ عليها .

والضوابط هى صمام الدوافع بعد ذلك ، ولكنه صمام يناسب طبيعة الانسان ، صمام يتمثل فيه ما فى طبيعة الانسان من وعى وعلم وارادة وحرية واختيار . فالضوابط اذن قوة فطرية تولد مع الانسان كامنة فى كيانه ، ولكنها لا تظهر فى مبدأ الأمر كما تظهر الدوافع .

ولست ادرى لم يؤكد المؤلف سبق الدوافع على الضوابط فى نظرة الانسان ، مع أنه لا سبق لاحداها عن الاخرى ، والله خلق الانسان وهداه النجدين — اى طريقى الخير والشر — والخير والشر كلاهما قد يكون دافعا وضابطا ، وكلاهما أيضا قد يكون ضابطا للآخر ، والانسان الأول آدم ابو البشر وزوجه حين امرهما الله بالطاعة الهمهما ضبط النفس حين قال : **« يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما .. ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . »** .

وبعد — فهذه الخطوط الواضحة فى نظرية المؤلف ، التى أراد أن يستخلصها للاسلام نظرية شاملة عن النفس البشرية ، **ولسنا** بصدد مناقشة هذه الخطوط كما اوضحها القرآن ، وهى فى مجملها لا تحتاج الى كثير نقاش ، لأن المؤلف وضع اصابعه على آيات من القرآن لا سبيل الى الاعتراض عليها ، ولكننا بصدد مناقشة القضية باكملها ، **فهل استطاع المؤلف أن يستخلص النظرية الشاملة عن النفس الانسانية للاسلام ، ويسبق هذا سؤال : هل الاتجاه الى استخلاص نظريات شاملة من القرآن فى أى من الجوانب اتجاه سليم ؟ .**

انى أدع المؤلف يجيب عن هذا السؤال الاخير ، فهو يتفق معنا — كما يشير فى مقدمته — فى ان القرآن ليس كتاب نظريات نفسية او علمية او فكرية ، ولكنه يحوى التوجيهات الكاملة الكافية لانشاء هذه النظريات ، انه — كما يقول : ، كتاب تربية وتوجيه .. وفى سبيل هذا التوجيه يكشف للانسان عن بعض اسرار نفسه واسرار الكون من حوله ، ويدعوه الى دراسة هذه وتلك ليعرف ويتعلم ، ومن ثم يتجه الاتجاه الصحيح . .

اذن فكيف حاول المؤلف ان يستخلص للاسلام نظرية شاملة عن النفس البشرية ، وهو موقن بأن القرآن — مصدره الاول — ليس مصدرا للنظريات ايا كان لونها ؟ افلم يكن الأجدر به ان تكون محاولته منحصرة فى القاء أضواء من الاسلام على النفس البشرية ، والقرآن ألم بالنفس البشرية الماما دقيقا لم يسبق اليه ، اما استخلاص نظرية واجبة التطبيق وذات قواعد راسخة الثبات فى رأى واضعها ، فهى قابلة للأخذ والرد ، ونصوص الاسلام فوق كل اخذ ورد الا فى حدود اختلاف المفاهيم نحوها .

ثم كيف يمنح المؤلف نظريته سمة الشمول ، وهو لم يستعرض كل آيات القرآن وكل احاديث الرسول التى تتصل بالنفس البشرية . فاكتفى بأن يلتقط لكل خط من خطوط نظريته آية او اكثر من القرآن ، وتارة حديثا او اثنين من احاديث الرسول ؟ .

ولست ادرى بعد ذلك : كيف أغفلت دراسة المؤلف مجهود اساطين الفكر الاسلامى فى دراسة النفس البشرية ، وفى مقدمتهم **حجة الاسلام الامام الغزالى** الذى كان اول من وضع اسس علم نفس اسلامى بمعنى الكلمة — كما يقول **الدكتور احمد فؤاد الاهوانى** فى تقديمه لكتاب « **الدراسات النفسية عند المسلمين** » والرئيس **ابن سينا** الذى جاءت براهينه على اثبات جوهرية النفس وانفصالها عن البدن من البراهين التى تأثر بها فلاسفة غربيون ومنهم **ديكارت** ، كما يذكر الدكتور أيضا ، وكيف أغفل المؤلف بعد ذلك آراء المتصوفة وهم كما يذكر الدكتور الاهوانى — قد حللوا النفس البشرية تحليلا عميقا ، ونزلوا الى اعماقها وأغوارها ؟! .

هذه مجرد ملاحظات ، ليس المقصود منها غمط المؤلف قدره فى دراسته عن النفس البشرية فى اقل من اربعمائة صفحة فى ضوء الاسلام ، **وحسب** هذه الدراسة من التقدير انها ناقشت علماء الغرب وفلاسفتهم مناقشة اتسمت بالجدية والعمق دون تهيب او تردد **كالكسيس كاريل** فى كتابه « **الانسان ذلك المجهول** » **وفرويد** فى نظرية « **العقل الباطن** » **وعالم « اللاشعور »** وغيرهما من زعماء المدرسة السلوكية ، والمدرسة التجريبية والمدرسة الميكانيكية وما اليها من مدارس علم النفس الغربية فى خلطها العجيب المعيب ، بسبب نظرتها الجزئية واصرارها على ان تفسر الكل الانسانى بالجزء الذى تهتدى اليه .

تعقيبات

للأستاذ عباس خضر

لولا هذا الذى نشر فى صفحة الوفيات باحدى الصحف من احتفال أبناء الدكتور زكى مبارك بذكراه الثانية عشرة فى منزلهم بمصر الجديدة فى يوم ٢٣ يناير الحالى – لولا هذا ما ذكرنا فقيد الادب الذى رحل عنا الى الدار الآخرة فى شهر يناير سنة ١٩٥٢ لما اشد جحودنا لرجل كان يملأ حياتنا الادبيــة ، ويمثل فيها الخصب ، ويشيع فيها الحركة والنشاط .

كانت حياة زكى مبارك تتلخص فى كلمة واحدة جامعة هى « الصراع » كان يصارع فى معترك العيش وكان يصارع فى ميدان الادب . وقد ظل يصـــارع حتى نال منه الجهد فى سنواته الاخيرة ، فادمتـــه اشواك كان يبدى لها الجلد ، فيضمد جراحه ويحاول أن يمضى فى كفاحه ، ولكن كان يغلبه الترنح الذى أسلمه الى التفكك .

كان زكى مبارك يمثل فى صراعه الفلاح المصرى أتم تمثيل . جاء من قرية « سنتريس » الى القاهرة يطلب العلم فى الجامع الازهر . ولم يكن مثل سائر الطلبة الازهريين فى ذلك الوقت ، المقبلين على العلم المأثور الذى يقدمه لهم المعهد التليد ، العاكفين على التحصيل بالطرق الموروثة ، **بل كان من الفئة القليلة مثل زملائه المتمردين من امثال طه حسين واحمد حسن الزيات** . أولئك الذين خرجـــوا من بين تلك الجدران يتلمسون الادب والثقافة الحديثة هنـــا وهناك ، وجدوا الادب أولا فى الازهر على يد أستاذهم الاول الشيخ سيد المرصفى الذى كان يقرأ لهم كتب الادب القديمة ويدنى كنوزها من قرائحهم وأذواقهم المتطلعة . ثم راحوا ينشــدون المعرفة فى المجــال الواسع .

لم يكن زكى مبارك فى الازهر بالطالب الخامل . فان فاته الظهور فى الدراســة الازهرية المأثورة فقد نفته الصيال فى مجال الشعر والادب . فكان خطيب المحافل وشاعر المجامع . **وقد خاض الثورة فى فجر النهضة الوطنية سنة ١٩١٩ وقذف بنفسه فى أتونها المستعر وعانى الاهوال فى السجون والمعاقل .**

اتجه الطالب الازهرى الفلاح .. زكى مبارك .. صوب الجامعة المصرية القديمة ، فوجد فيهـــا افقا أرحب وموردا أعذب ، فعب منها ونهل ، وجاهد حتى استطاع أن يتم دراسته بها . وكان فى خلال ذلك يكتب فى بعض الصحف مثل « الجريدة » التى تخرج فيها رواد الفكر الحديث فى مصر .

وبعزيمة الفلاح وقدرته على التقشف رحل الى طلب العلم فى باريس ، فكان يعيش هناك على النذر اليسير الذى يظفر به أجرا لمقالاته ورسائله الى بعض الصحف المصرية . يحدثنا عن كفاحه فى تلك الفترة يقول :

« **كنت أشطر العام شطرين ، أقضى شطره الاول فى القاهرة ، حيث أؤدى واجبى ، واجنى رزقى . وأقضى شطره الثانى فى باريس كالطير الغريب ، أحادث العلماء ، وأستلهم المؤلفين ، الى ان ينفــد ما ادخرته أو يكاد ، ثم صممت على أن انقطـــع الى الدرس فى جامعة باريس حتى انتصر أو أموت** » .

وانتصر الفلاح المصرى فى باريس ، وحصل منها على درجة « الدكتوراه » وعاد الى مصر ، فتلقفته الجامعة وضمته الى أحضانها ، فاشتغل بالتدريس فيها ردحا من الزمن . ثم خرج منها فى ظروف وملابسات من صراعه المتصل وبدافع من طبعه القروى العنيف الذى أبى أن يتلاءم مع ما يراه من أوضاع فاسدة وأمور لا يرتضيها ذلك الطبع الذى يصوره الاستاذ الزيات بقوله عنه : « **انه لو اســتطاع ان يتملق الظروف** ويصانع السلطان ، ويحقق شيئا من فن الحيــاة لاتقى كثيرا مما جرته عليه بداوة الطبع وجفاوة **الصراحة** » ويعبر عنه بقوله « وانا لم انجح فى شئ من ذلك لان استقلال ارادتى حال بينى وبين الاندماج التام فى هيئة من الهيئات ، أو حزب من الاحزاب ، **فانا بين المؤمنين ملحد ، وبين الملحدين مؤمن ، وانا بر عند الفجار ، وفاجر عند الابرار ، وانا فى كل بيئة اجنبى ، وفى كل أرض غريب** » .

وراح يتنقل بين الاعمال والوظائف حتى استقر به الامر أخيرا مفتشا للغة العربية بوزارة المعـارف (وزارة التربية الآن) وتشعبت جهوده ، فكان يعمل فى كثـــير من النواحى ، ويتنقل بين التـــدريس والصحافة والتأليف ، أو يجمع بينها جميعا .

شق زكى مبارك الأديب الفلاح طـــريقه بقلمه حتى وصل الى الصـــدارة فى عالم الأدب العـــربى الحديث ، كما يشق الفلاح الارض بفأسه كى يستنبط منها رزقه . وكان زكى مبارك يحرث حقله فى الادب ليقيم خطوطه ، والويل لمن يعترض طريقه ، أو يقترب من حدوده ، ولم يفته طبع الفلاح أحيانا فى الجور

على حدود جاره وقتاله اذا استدعى الأمر ، ويتجلى هذا فى صياله مع الأدباء ، ذلك الصيال الذى كان يحمل فيه القلم كما يحمل الفلاح « النبوت » .

يحدثنا الاستاذ الزيات عن محاولته ترويضه وهو يكتب فى الرسالة ، ويصفه‌هذا الوصف المحدد اذ يقول : « **ان زكى مبارك لون من الوان الادب المعاصر لابد منه ولا حيلة فيه ، وهو الملاكم الادبى فى ثقافتنا الحديثة ، والرياضة - كما تعلم-ضرورة من ضرورات الحياة اللازمة للعقل والجسم . اما عنفه وشماسه فهما الصنيع المميز للونه . على انه أول الشاهدين على أن صفارتى قد بحت من طول ما اهابت به وهو فى قفازه السنتريسى يهدر فى المجال بين الحبال مفضيا بعض الاغضاء عن قواعد الملاكمة** » . ويصور زكى مبارك صنيعه هذا وفلسفته فيه ، بهذا التصوير اذ يقول : « **الشجرة لا تحفظ الأيدى التى تتعهدها بالرى والعناية ، واصلاح التربة ، والصيانة من العواصف واضرار الرياح ، ولكنها تحفظ اليدالممتدية التى‌تاخذ خنجرا وتحفر اسم صاحبها على ساقها بالنحت والتكسير من غلافها والسطو عليها** » .

ولم يأسف زكى مبارك على مافاته مما يحظى به المنافقون ، ويعبر عن ذلك فيقول : « ... فليظفر من شاء من طيبات الحياة تحت ستار التقى والدين فتلك حظوظ سافلة لا يفرح بها الا الضعفاء الذين يعرفون أن مصارحة الجمهور عبء ثقيل لا ينهض به غير الاقوياء » .

ولكنه يشعرنا بالمرارة والأسى له اذ يقول : «**لو كنت اتجرت بالتراب لصرت من كبار الاغنياء،ولكنى شغلت نفسى بما لا يفيد ، فذرعت فضاء الله فى فرنسا الى ان سبحت فى بحر المانش،وذرعت فضاء الله فى العراق الى ان سبحت فى شط العرب ، والفت الثين وأربعين كتابا ، واشتغلت بالتدريس عشرين سنة ، وكانت صراحتى تقطع رزقى** » .

وهكذا كان زكى مبارك حرا فى ابداء رأيه‌عنيفا فى معاركه ، وكان لا ينتظر حتى يثنى عليه غيره فيتطوع هو بالثناء على نفسه ، ولعله‌كان يذهب هذا المذهب لاعتقاده‌الجحود فى الناس ، فيعوض بنفسه ما ينقصه منهم ، وكان يلطف عنفه ويسوغ استعلاءه روح خفيف ودعابة مستملحة .

والواقع أن زكى مبارك الكاتب العظيم كان قد انتهى قبل وفاته بسنوات ، اذ ناء بأعمال الكفاح وضعف أمام القوى التى يصارعها . ويحدثنا هو عن هذه النهاية ، يقول : « وانا الآن برم ضيق الصدر ، لانى أريد مواصلة البحث والدرس،ولكنى لا أجد لدى قدرة على ذلك . وماذا يكون الكاتب أو المفكر اذا كف عن الانتاج ؟ هل يكون شيئا أكثر من ذبالة (بضم الذال) انسان ؟ وهل أرضى بمثل‌هذه المكانة ؟ اذن فليكن لى فى الخمر ملجأ وملاذ أقضى فيه ما بقى من ثمالة العمر دافعا ثمن العلم الذى حصلته » .

وكان يردد فى كتاباته الاخيرة المفككة عبارات قاسية‌بالنسبة‌للمرأة ، فأثار ذلك‌الكثيرين‌والكثيرات، وسخر منه وحمل عليه بعض الكتاب . **واستمر هو فى عناده وعنفه حتى كتب مرة يقول : « لقدكان‌ابى يجرب نعله الجديد على راس كل زوجة من زوجاته».**

وكأنه كان هوكذلك يجد لذة فى أن يجرب‌قلمه على رءوس الساخطين عليه ..

وبرغم ذلك ظلت روحه الخفيفة فى الكتابة تجذب الكثيرين من قراء حديثه ذى الشجون فى جريدة البلاغ الذى لم يكف عن كتابته حتى انتزع الموت القلم من يده المرتعشة ..

قضى الدكتور زكى مبارك ، بعد حياة عريضة ، أغنى فيها حياتنا الادبية بثروة كبيرة من المؤلفات‌فى مختلف الفنون الادبية من نقد ودراسات وشعر ووجدانيات .

كان كثير الترديد لكلمة « الخلود » فيمايكتب، فان كان قد فاته مالدركه سواه من عرض الدنيا فقد نال ما تغنى به طول حياته من الخلود .

فى ركب البعث العربى

كتبت فى مقال‌بالرسالة (٢٩ يناير سنة ١٩٥١) ما يلى :

« اننى لم أياس ولن أياس ، من هذه الامة العربية ، بل اقول ان كل شىء يدعو الى التفاؤل ، وكل ما منيت به هو سحب لابد أن تنقشع . **لقد كنا قبل مايو سنة ١٩٤٨ لا شىء ، ثم صرنا بعدذلك شيئا .. لم نكن قبل موجودين لاننا لم نكن نعمل ، ثم تحقق وجودنا لاننا عملنا واخفقنا ..** ولا بأس أن

رسالة العلم

ضرورة التقارب بين الأدباء والعلماء

للدكتور: محمد محمود غالى

ان التطور الحادث فى العالم فى البحوث العلمية الجديدة ، وما حققه الانســان فى العصر الذى نعيش فيه — عصر الذرة والاقمار المصنوعة — يدفعنى وانا المشتغل بالعــلوم ان ادعو ادباءنا للاطلاع على هذا التطور الجديد الذى تأثر به ادباء العالم .

كما ان ما يكتبــه اهل الأدب والاجتمــاع والسياسة من الكتاب المحــدثين امثال سارتر الفرنسى وبرتراند رسل الانجليزى وليتولى الافريقى من الكتاب الذى حاز جائزة نوبل للسلام العام الماضى يحفزنى أن ادعو العلماء فى بلادنا للاطلاع على المؤلفات الجديدة فى الفلسفة والفكر فيقترب الطرفان بعضهم من بعض ، وتقترب من العــالم الصــاعد فى تفهم المواضيع الجديدة علمية كانت أم ادبية .

هذا التقارب موجود فى أوربا وروسيا وامريكا ، وهذا التجاوب واضح فى الكثير من مؤلفاتهم بل وفى اذاعاتهم ، ولدى أمثلة كثيرة أذكر البعض منها :

بين يدى ترجمة فرنسية لكتاب لهانس ريشنبخ الفيلسوف الالمانى ، وهذا الكتاب القيم هو سلسلة اذاعات بلغت الاربعين اذاعها هذا العــالم من راديو برلين فى شتاء ١٩٢٩ ، ١٩٣٠ ، وقصد بها فريق الادباء الغير ملمين بالعلوم الطبيعية الحديثة وما جرى فيها من تطورات ، وفى هذه الاذاعات سلط الضوء على تطور العلوم الطبيعية ، وأعطى فكرة عن النتائج التى وصل اليها الباحثون سواء فى الناحية النظرية او النواحى التجريبية ، وبين كيف ان النظريات الطبيعية الحديثة والتجارب المعملية تعطيك اقرب الصور لهذا العالم الذى نعيش فيه .

لقد اقتنيت هذا الكتاب سنة ١٩٣٥ ، وعشت بين صفحاته الممتعة الساعات تلو الســاعات ، وفهمت منه أحيانا ما تعذر على وانا فى صــفوف الدرس ، وهاأنذا اعيش فيه مرة أخرى ، وليس

نخطىء ونحقق ، على أن ننهض وننفض الغبــار ونستعد ، وانما اليأس كله أن نتفــكك ونتوانى ونتنام .

« ان هذه الامة العربية أمة واحدة ، وهى جسم واحد ، لا ينبغى أن يفرق بين أعضائه ما يتــد من ايذاء بعضها لبعض ، **فقد تعض الاسنان اللسان فلا تخلع الاسنان .. وسينتهى الم اللسان !** ولو اننا جعلنا مثل هذه الامور سببا الى التفرق لما ابقينا على البلد الواحد ، بل الاسرة الواحدة ، فلو اخــذنا بما يحاجنا به المبطلون فى الوحدة العربية ، مما حدث فى الظروف الاخيرة التى لابست الحركة العربية ، لما أبقينا على مصريتنا ، لما يلابسها فى بعض النواحى من بغى وفساد » .

والآن يسرنى ، كرجل نافح بقلمه مع المنافحين باقلامهم فى سبيل العروبة الخالدة ، أن يصل البعث العربى الى ما وصل اليه أخيرا من جمــع الكلمة وانتهاء الم اللسان !

كان الكفاح يسرى وينبض فى القاعدة العريضة للشعب العربى دون أن يجــد قادة ، فتعثر وأخطأ الهدف . **والآن ما أسعدنا بالقــادة يرفعون الراية متحدين، وما أسعدنا بما نحن مقبلون عليه من عظائم الامور !**

وقد تفاءلنــا ايام التفكك والانخــذال ، والآن .. ما اعظم تفاءلنا !

المجال هنا لأسرد ما بين صفحاته من أحداث مثيرة وعبارات رائعة ووصف يعجز عنه القلم

من ذلك تعلم كيف ان اكبر العلماء والفلاسفة يقومون باذاعات هي في صميم العلوم المبسطة ، ويتابعها الأدباء في كل العالم مثل هذه الاذاعات صدرت في كتب شتى وترجمت لمعظم اللغات الحية في العالم هذا مثال من تتبع الأدباء لجهابذة العلماء وفي المثال الآتي أبين كيف أن العلماء بدورهم يتابعون في شوق كبار رجال الفكر من الأدباء المعاصرين وعلماء الاجتماع ويقبلون على سماعهم ، وهو مثال حي أسوقه للقارىء عاصرته ولا أنساه :

أذكر يوما في السوربون ومنذ اكثر من ثلاثين عاما دعت رابطة الطلبة بكلية العلوم وجمهرة من الاساتذة الطلبة للاستماع الى محاضرة للعالم الفذ « لانجفان » ، أستاذ الفيزياء بكلية فرنسا ، واختاروا لهذه المحاضرة أحد المدرجات الكبيرة في السوربون ، وفي الساعة التاسعة مساء الساعة المحددة لبدء المحاضرة كان المكان غاصا بالمستمعين حيث بلغ الحاضرون حسب تقديري حوالي الالف ، وكان عنوان المحاضرة « بعض نواحي الكشوف العلمية الحديثة » ، وكان من الطبيعي ان يكون الجمهور الذي حضر من العلماء والمشتغلين بالعلوم فالكل يعلم أن من داخل معامل «لانجفان» تم الكشف عن موضوع نقل الحركة باللاسلكي ، فكان هو وتلاميذه من أوائل العلماء الذين كان لهم الفضل في امكان تسيير باخرة من الشاطىء مثلا دون أن يتحكم في سيرها او ايقافها انسان من الداخل ، او تحريك طائرة من حجرة على الارض دون ان يكون بها طيار ، وقد حدث عندما كانت تعمل شركة القاهرة للمنتجات المعدنية بامبابه في صناعة قذائف للطائرات للجيش المصري لحماية مصر من الطائرات المغيرة أن أصعدنا في الاسكندرية نماذج من الطائرات الصغيرة التي تكبر قليلا عن لعب الاطفال وسيرناها فوق البحر الابيض بوسائل لاسلكية وكنا نأمرها وتغير اتجاهها كما نريد ونعيدها الينا في الزمن الذي نريده ، عدة مرات بنجاح لا يتطرق اليه أي خلل ، ولايفوتني ان أذكر أن الفضل في هذه العملية كان لمهندسي وضباط الجيش المصري الذين زودونا بكل ما يلزم لهذه العملية ٠

وكنت أعلم قبل محاضرة « لانجفان » أن أحد الباحثين ممن هم حوله وفي داخل معامله الشهيرة أثبت أن كرة من النحاس وليست من الحديد تكتسب خواصا مغناطيسية عند دورانها بسرعة كبيرة ، وكانت هذه الكرة الخطيرة التي في حجم البلية التي يلعب بها الاطفال تدار بتيار هوائي قوي ، تلك كانت أخبار معامل «لانجفان» نتنسمها ونعرفها تارة من الاوراق العلمية المنشورة وتارة من احاديث الاصدقاء او من زياراتنا لهذه المعامل ٠

ثم ان «لانجفان» فوق ما تقدم محدث من الطراز الاول ، فالطبقة التي تسعى لتستمع اليه طبقة من نوع معين ، وغالبيتهم يمتون للعلوم بصلة وللحديث منها على الخصوص ٠

وفي الساعة التي كانت محددة للمحاضرة ، وعندما اكتملت هذه المئات من المستمعين وأخذوا اماكنهم واذا باحد المشرفين على هذا الحفل العلمي الكبير يصعد المنصة ليعلن أن العالم « لانجفان » مريض وأنه سوف لا يحضر لالقاء محاضرته ، ولكنه أعلن في الوقت ذاته أن البروفسير « بابيه » ، استاذ علم الاجتماع قد تطوع لالقاء محاضرة عن « عظماء الرجال » موضوع بعيد كل البعد عن المحاضرة العلمية التي كان سيلقيها «لانجفان» وعن دائرة الفكر التي حضرت من اجلها هذه المئات ٠

أذكر تماما انه لم يخرج من هذا الجمع الحافل اكثر من ثلاثة او اربعة، وظل الباقون وهم كما ذكرنا حوالي الالف يستمعون في اعجاب للاستاذ « بابيه » كيف يعرف الرجل العظيم وكيف يستعرض أعمال عظماء الرجال ، ولماذا هم عظماء في التاريخ ٠

ولم تجتذب باريس الصاخبة بمقاهيها المنتشرة في كل مكان ، وكباريهاتها الموجودة في جميع الاركان ومسارحها ومطاعمها هذه الجموع من العلماء وطلاب العلم وهذه الصفوة من المتطلعين للمعرفة ، بل ظلوا في صمت يتابعون «بابيه» ، ذلك القطب الاجتماعي الذي تتلمذ عليه بعض اخواننا المصريين واستفادوا وأفادوا ، أذكر منهم صديقي الدكتور يوسف مراد أستاذ علم النفس في جامعة القاهرة وصديقي الدكتور مصطفى زيور العالم والطبيب النفساني المعروف الذي درس الآداب كاملة والعلوم والطب ٠

أذكر انني وقد كنت مهندسا ناشئا أغرق في

الحجارة وفي مياه النيل وطالبا في العلوم أقترب سنة بعد أخرى من علوم الذرة ، وبعيد كل البعد في ماضي وحاضري عن علم النفس والعلوم الاجتماعية ، ولا أمت لهما بصلة من قريب أو من بعيد ، أذكر التي تابعت « بابيه » في شوق ، وتعمقت معه حيث تعمق وسرت معه حيث سار ، وكانت فائدتي في هذه الليلة مما زاد في ثقافتي بل شوقني لزيارة معمل علم النفس التجريبي الذي زرته في ذلك الحين والذي تابعته بعد ذلك بثلاثين عاما في بعثتي الثانية في باريس عندما كنت مديرا عاما لمصلحة النقل وعندما مارست كيف يمتحنون سائقي الاوتوبيس باجراء امتحان دقيق كهربائي لقوة اعصابهم الشيء الذي لم أستطع لظروف كثيرة أن اطبقه في مصر ، وغير هذا مما يخرج بنا عن هذا المجال .

المهم في كل ما ذكرت كيف حرصت طائفة من العلماء وقد حضروا بغرض الاستماع الى اسطوانة علمية من كبير من العلماء المعاصرين فاستمعوا عن غير قصد الى قصة أخرى من قصص الآداب والاجتماع بعيدة كل البعد عن الموضوع الذي حضروا من أجله .

كذلك الحال في كثير من محاضرات الاجتماع ـ (الآداب أو الفلسفة) ، كم من مرة دخلنا نحن طلبة العلوم قاعة « ليار » نستمع الى عرض رسالة من رسائل الدكتوراه في الفلسفة أو نتابع حقبة من حقبات التاريخ ، وقد يدوم العرض وتدوم المناقشة خمس أو ست ساعات تتخللها استراحة ، ولا نمل الاستماع ولا نعرض عن الموضوع ، وهي دراسة لا تخصنا ولا نحن ملزمين بها ـ كذلك كم شاهدت من أصدقائي من طلبة الآداب يحضرون في كلية العلوم على « فابري » في الضوء وكوتون في الكهرباء وجيبيه في الذبذبة ، هذه الدروس الفريدة التي وان تخللتها المعادلات والمتساويات والدوال فانها لا تخلو عند تعليق الاساتذة عليها من تلك الجمل الرنانة والعبارات الساحرة التي قد تدخل في صميم الحياة .

لذلك لم أدهش عندما سافر من مصر الاستاذ لالاند عضو المجمع الفرنسي ، وكان يقوم بتدريس الفلسفة في كلية الآداب بجامعة القاهرة أن طلب من مجلس الكلية أن يضيف مادة جديدة لطلبة السنة الثانية قسم الفلسفة سماها « مقدمة الرياضة والطبيعة لعلم الفلسفة » .

وقد استدعتني الكلية بعد سفره في سنة ١٩٣٩ لتدريس هذه المادة الجديدة التي تربط الآداب والفلسفة بالعلوم البحتة ، وقمت بتدريس هذه المادة عامين متتاليين ، وانقطع هذا الحبل العلمي بسبب سفري للعراق وندبي هناك أستاذا للفيزياء ، وكان الذي نقل الى رغبة لالاند ومجلس الكلية الاستاذ الدكتور ابراهيم بيومي مدكور الذي كان استاذا بالكلية وعضوا بمجلس الشيوخ وهو الآن سكرتير عام المجمع اللغوي ، وهو الذي استمتعنا منذ أكثر من ثلاثين عاما بالاستماع الى رسالته في دكتوراه الدولة عن « الفارابي » في قاعة « ليار » التي ذكرتها ـ وكان مسيو لالاند نفسه رئيس المحلفين .

تلك هي الروح في أوربا ، وهي الروح التي أرجو مخلصا أن تحل بيننا في مصر أم المدنيات وفي بلاد الشرق ، فتسري بين علمائنا وأدبائنا ، ويتأثر بها الطلاب في الجامعات وفي المعاهد ، وهذه أمثلة مما عاصرته وأنا في سن الشباب لم أدخل دور الكهولة أو الشيخوخة بعد ـ أما اليوم فهذا التبادل الثقافي بات الزم من أي زمن مضى ، ذلك أن الطفرة التي حدثت في السنين الاخيرة سواء في ناحية الاقمار المصنوعة أو في ناحية الذرة ، والكشف عن القنابل النووية الخطيرة التي يتعلق عليها مصيرنا جميعا تجعل لزاما على المشتغلين بالآداب أن يتابعوا عن كثب التطورات الجديدة والكشوف الحديثة ليتأثروا بها في كتاباتهم والا فسيكونون في عالم غير عالمنا .

لقد كانت هذه التطورات متتابعة وهذه الكشوف مفاجئة وهي التي أنوي قدر استطاعتي أن اتناولها على صفحات الرسالة .

ان الوطن العربي دعامته الاساسية مجموع ما يعرفه الفرد من علم ومن ثقافة وما يتصف به من أخلاق فليقبل العلماء والطلبة وأفراد الشعب على ندوات الادباء ومحاضراتهم وليقبل الادباء وأهل الفكر والمثقفون على ندوات العلماء ومحاضراتهم واحاديثهم ولتكن احاديثنا هذه ضمن ما يتخذه المثقف لنفسه من عدة وما يضيف به الى معارفه ولو القدر اليسير .

الفكر فى أسبوع

يقدمه : تحسين عبد الحى

الفنون الشعبية

تستضيف الجمهورية العربية المتحدة الآن فرقا كثيرة من شعوب مختلفة وذلك فى المهرجان الدولى الاول للفنون الشعبية .. وتقدم هذه الفرق فنونها الشعبية ـ التى تعبر عن القطاعات المختلفة لجماهير شعوبها .. كل حسب الطريقة التى يمارس بها حياته ..

ولما كان هذا الأسبوع ـ هو اسبوع الفنون الشعبية .. بالقاهرة فقد توجهنا الى ندوة نادى القصة الاسبوعية التى اشترك فيها الاستاذ صالح جودت والاستاذ ابراهيم الحضرانى الاديب والشاعر اليمنى المعروف الذى يشغل فى نفس الوقت منصب نائب وزير الاعلام فى اليمن ـ واشترك فى الندوة كذلك الاستاذ عباس خضر والاستاذ فوزى العنتيل .. وكان موضوع المناقشة ـ هو «الفنون الشعبية» .

وقد افتتح الاستاذ صالح جودت المناقشة بكلمة عن الفنون الشعبية مبينا ـ أن مصر ـ من أولى الامم التى قامت فيها هذه الفنون ـ وذلك لان الفن الشعبى يقوم دائما على الاساطير الدينية ـ وقد اخذ الاغريق هذا الفن عن مصر وتلاهم فى ذلك الرومان ـ واستمر الفن الشعبى الاسطورى كذلك الى أن بدا الناس يشكون فى الفكرة الدينية ـ ومن ثم ـ بدات الملهاة وغيرها من الفنون كالشعر التمثيلى ..

ويرى الاستاذ صالح جودت ـ أن الفن الاسلامى ـ قد اخذ الكثير من الفن المصرى القديم .. وهو استطراد له ـ فالفن المصرى القديم الذى عرف بالفن العمودى ـ تراه فى الفن الاسلامى يأخذ طابع العمود فى صورة المئذنة .

ثم انتقل الاستاذ صالح جودت الى الادب الشعبى ـ وحاول أن يضع له تعريفا محددا ـ فذكر تعريفين وفضل الثانى منهما ..

أولا ـ ان الادب الشعبى هو الذى يكتب بلغة الشعب .

ثانيا ـ انه هو الذى يكتب من أجل الشعب .

وقد عارض الاستاذ عباس خضر هذين التعريفين للادب الشعبى ذاكرا أن أى تعريف للادب الشعبى يحتوى على ثقوب كثيرة يجب مناقشتها ـ فكون الادب الشعبى هو ذلك الذى يكتب بلغة الشعب يتنافى ذلك مع ادب نعرفه جميعا مثل ادب عنترة ـ وأبو زيد الهلالى وقصص الف ليلة وليلة وهو فى مجمله أدبا فصيحا ..

واذا عرفناه بانه الادب الموجه الى الشعب ـ فكل الادب موجه الى الشعب ـ سواء أكان موجها للشعب ليقراه أو انه تعبير عنه .

وتساءل الاستاذ عباس خضر : اذا كان الامر كذلك فما هو الادب الشعبى اذن ؟

انه هو كل ما ليس له مؤلف معروف .. وهو فى نفس الوقت أدب جماعى .

بمعنى أنه وضع بذرته فرد مجهول ـ ولا يكون أدبا شعبيا الا اذا تداوله الناس وتوارثوه وتداوله فى حد ذاته يكسبه اضافات جديدة فكل جيل يضيف اليه من عنده حسب البيئة التى يردد فيها الادب الشعبى .. فشاعر الربابة مثلا .. يتناول من الادب الشعبى ما يرضى ذوق مستمعيه .. حاذفا منه ومضيفا ..

وأوضح الاستاذ عباس خضر أن ادباء مثل بيرم التونسى وصلاح جاهين والابنودى ليسوا شعراء شعبيين ـ وانما يجب أن نطلق على اعمالهم الادبية ـ انها أدب باللغة العامية فقط .. لان هذه الاعمال ـ أعمال أدبية ذاتية ـ من حيث كونها منسوبة لاشخاص معينين ..

وتطرق الاستاذ عباس خضر الى أعمال ادبية معروفة . مثل أحلام شهر زاد ـ للدكتور طه حسين وعنترة وجحا فى جنبلاد ـ للاستاذ محمد فريد أبو حديد . وسيف ابن ذى يزن للاستاذ فاروق خورشيد .

واوضح أن هذه الأعمال مستوحاة من الأدب الشعبى ولكن مؤلفيها ـ أعطوها بناءا جديدا وهم فى نفس الوقت لم يلتزموا بالأصل .. وهذا النوع من الأدب ـ بعد التطوير ـ والبناء الجديد ـ

لا نستطيع ان نطلق عليه اسم ادب شعبي ــ ولكنه ادب ذاتي ينسب للأديب الذي كتبه . .

اما الاســـتاذ فوزي العنتيل . . فقد راى ان اصطلاح فنون شعبية في حد ذاته يستخدم للدلالة على فنون متعددة كالرقص الشـــعبي والغنـــاء الشعبي . . الخ . .

فالرقص مثلا لا يمكن ان يؤدى الا اذا كانت له مقومات اخرى كالملابس مثلا ــ فصانعوا الملابس ــ لا نستطيع ان نطلق عليهم اسم فنانين شعبيين ــ لأن الفنان الشعبي ــ فنان ومبدع في نفس الوقت ــ ولكن صانع الملابس هذا ليس مبدعا ولكنه منتفع ــ وبمعنى آخر فهو حرفي ــ ومن ثم تستطيع ان تقول ــ فنون، وحرف شعبية ــ بدلا من فنون شعبية فقط .

اما عن الأدب والموســــيقى وغيرها من الفنون الشـــعبية فيمكن ان نطلق عليها اســـم تراث شعبي ــ وهذا التراث الشـــعبي يمكن ان يكون مجالا خصبا للاســـتيحاء والابداع الفني وذلك بالاضافات الجديدة .

وحدثنا الاســـتاذ ابراهيم الحضراني ــ نائب وزير الاعلام اليمني ــ عن الفن الشعبي اليمني . . وكيف ان اختـــلاف العادات والتقـــاليد وطرق المعيشـــة والحيـــاة في أجزاء اليمن المختلفة ــ قد اثرت مجتمعة في الفن الشعبي اليمني . . **ولـكن هناك رقصة شعبية مشهورة في اليمن وهي رقصة « البالة » وهذه الرقصة عبارة عن صفين متوازين من الرجال والنساء . . وتبدا دائما بالشـــعر . . ويبدا الشاعر فيرتجل حوالي خمسة ابيات ــ وتكون على شكل المساجلات ــ يفخر فيها بقبيلته ــ ويردد الراقصون بعده آخر بيت قاله . . ثم يبدا الرقص ــ وهو دائما هادىء في البداية حسب ترديد بيت الشعر ــ ثم يبدا الراقصون في ترديد هذا البيت بسرعة اكثر ــ ثم اكثر فاكثر . . وهكذا الى ان يحتدم الرقص ويتخذ صـــفة السرعة والعنف .**

وكثيرا ماتقوم الحروب بين القبائل بسبب هذا البيت من الشعر . .

اما عن الشعر الشعبي في اليمن فان لكل جزء في اليمن طابعه المميز في هذا الشعر ــ من ناحيـة المعنى والأداء والاسلوب . فشعر المدن ــ يكون دائما باللغة الفصحى .

وهو في بعضها كصنعاء شـــعر رقيق .

ولمناطق الشمال الجبلية شعر ينبع من طبيعة الجبال الوعرة وتنحصر معانيه في الأنفة واباء الضيم وغير ذلك من مظاهر الحياة القبلية ــ فقبائل شمال اليمن لا تجيد وسيلة من وسائل الحياة غير الحرب صناعة وحياة ــ وولاء الفرد لقبيلته في اليمن مضرب الأمثال ــ فهذا شاعر من قبيلة مراد يصور ــ صبره على القبيلة وولاءه لها فيقول :

وانا حمول الســـفه للجار وابن العم
اصبر على البينة وادحق على الهـــامي

وهو يريد ان يقول . . انني اتحمل السفه الذي يصـــدر على من جاري او ابن عمي ــ أصبر على ما يظهر منه وادوس على ما يخفى .

« مع فرقة الفنون الشعبية البلغارية »

وامتدت جولتنا في تتبع الفنون الشعبية هـــذا الأسبوع الى مسرح الأوبرا حيث تقدم فرقة الفنون الشعبية البلغارية رقصاتها وفنونها .

والمرء لا يستطيع ان يخفي اعجابه وتقديره لهذه الفرقة فقد بلغت رقصاتها درجة عالية من التناسق وسرعة الحركة ما جعلهـا جديرة بالاعجاب الذي نالته ــ ففي بعض الرقصات كان على المسرح مايقرب من خمسين راقصا وراقصة ــ كلهم ــ كآلة واحدة تتحرك ــ **ولم يحاول بعضهم مثلا ان يستحوذ على اعجاب المشاهدين وانما كلهم متضامنون في اخراج عملهم الفني المتكامل في اروع صـــورة يمكن ان يشاهدها الانسان ــ ومع فرقة الفنون الشـــعبية البلغارية ــ يستطيع المرء ان يخرج بصورة متكاملة لحياة شعب بلغاريا الصديق** ــ فهذه رقصة عرس ــ وتلك رقصة الرعاة ــ وغيرها رقصة الحصاد . . الخ . . الخ . .

وفي الغناء الشعبي البلغاري تجد مخارج الصوت واحدة من حوالي ثلاثين مغنية وبموسيقى بسيطة خالية من اية تعقيدات آلية ــ يمكنك ان تشعر انك هناك في صوفيا ــ او في مراعي بلغاريا . . اننـا اذا اعتبرنا الفن بوجه عام معنى ســـاميا جميلا وانسانيا في نفس الوقت ــ غير مقيد بحدود او نظم معينة للحكم ــ فالراي عندي ان الفن الشعبي ــ فن اكثر صدقا وشمولا من اي فن انساني آخر لانه فن الحياة ــ فن التجارب والانطلاق هو فن البشر كل البشر في اي ارض كانوا .

ان الطبلة ــ والناى ــ ورقصة البذر ــ ورقصة الحصاد ــ هي كلها اشياء يمارسها الانسان في كل مكان ولن تجد فرقا كبيرا في غير بعض وســـائل التعبير **فتحية الى فرقة الفنون الشعبية البلغارية .**

البريد الأدبي

برقية نقدية

جاء فى قصيدة « من وحى المؤتمر » للاستاذ محمود غنيم التى نشرت فى العدد الماضى هذا البيت ..

ان تقدموا فبنو الاقدام نحن وان
قلتم سلاما فبالاكراه نقتنع

وقد جاءتنا البرقية النقدية الآتية .
من الاستاذ احمد السقاف وكيل وزارة الثقافة بالكويت ..

«بلغوا محمود غنيم فلا والله نقتنع »
فهو يرى أن يكون البيت هكذا :

ان تقدموا فبنوا الاقدام نحن وان
قلتم سلاما فلا والله نقتنع

***

حول « أسئلة من بور سعيد »

استاذنا الدكتور محمد احمد خلف الله .

جميلة جدا هذه اللفتة التى صدرت منكم فى « اسئلة من بور سعيد » وهذه كلماتى مجرد راى القارىء من الزاوية التى يطل عليها بدون ان انتمص شخصيته من وجه اليه السؤال .

١ — عن المراهقة الفكرية : ربما كانت هذه الجملة بصياغتها السابقة . تبدو للوهلة الاولى او للنظرة العاجلة كانها نظرية معقدة . ولكنا لو بسطناها لبان وضوحها . فالطفل وافعاله وتصرفاته بكل ضروبها والوانها تكون منه طبيعية حتى ولو كانت لا معقولة . والسبب انها صادرة عن طفل لا يعى ما يصدر عنه ولا يعرف كنهه . يقابل هذا : تصرف العاقل الرشيد وفعاله . فهو مسئول وملتزم . ان سلك سلوكا غير طيب او مجانب للصواب . فهو يعرف سلوكه . قد يتصيد له المبررات او يلتمس له المعاذير . ولكن النتائج على اى حال مقرونة بفعاله وملزمة له . المهم انه عارف لموضع خطوه واماكن سيره : وبين هذين المراهق الذى يضفى على كل ما يراه نظرة عاطفية بحت . التفكير لاهف يقطر شهوة . والخيالات والاحلام التى يرتادها لا تخطر على بال وليس لها من الحقيقة والواقع اى ظل والاندفاع وراء اى بارقة تلوح فى تهويم وضبابية بدون تقدير او حسبان لاى شىء : البيت المراهقة فى دنيا الفكر مطابقة لهذا .

٢ — « القصة والرواية والمسرحية والدراسات والبحوث والموسيقى كلها قد استقر كيانها وهدأ خوفها من ظل يد المجلس الرحيمة » .

فالقصة والرواية والمسرحية وايضا الدراسات والبحوث بالمعنى الشامل الموجود الآن اى بالطريقة الاكاديمية التى تخطط للبحث والدراسة داخل اطار موحد . وكذا الموسيقى كلها فنون مستحدثة ليس لها سند من تراث ماضينا . فهى وليدة سنين غير بعيدة . حتى سند الموسيقى ما زال فى انتظار شمبليونه ليفك طلاسمه ورموزه الراقدة بين دفتى كتاب الاغانى . الا الشعر بلبلاسي فانت شاعر وتعرف ان كل معاركنا الفكرية فى الجديد والقديم لم تقم الا على الشعر وليست معارك : الشعر الجاهلى . ووحدة القصيد . والشعر المهموس . والسرقات الادبية . والموازنات والوساطات والبحور من رمل الهزج . وغير هذا كثير . ليس بعيدا عن اذهان المتابعين للفكر والأدب . انبعد كل هذا التاريخ الطويل العريض الضارب فى اغوار الماضى تحمل المجلس الاعلى قضية حسم مشكلة الشعر .

السؤال حقيقة غريب وعجيب من شاعر فالشعر الحديث الكثير مما نشر منه لايشرف أن يكون شعرا بل اننى استطيع ان اقول ان اجمل واحلى ما فى الشعر الحديث هو الدفاع النثرى عنه . فى قضايا الشعر المعاصر لنازك ومقدمات ديوانى الناس فى بلادى ومدينة بلا قلب وكتابات ادونيس ولويس عوض ويوسف الخال ومندور وبدر ونشأت والنقاش اما موقف استاذنا العقاد معروف من قديم فهو رائد للشعر واول داع لوحدة القصيدة . الا ان اللقاء الحقيقى بين العقاد والشعر الحديث . شابته شوائب كثيرة . ودع صالح جودت فهو مبتوت الصلة بالعقاد فكريا حتى ولو ادعى غير هذا .

محمد الشاذلى
شركة شاهر : القاهرة

نقد في قصيدة

في العدد ١٠٤٠ من الرسالة الغراء الصادر في ١٩ ديسمبر ١٩٦٣ م . قصيدة تحت عنوان «أصابع يد واحدة» للاستاذ محمد الجيار لي عليها التعليقات العابرة التالية :

١ ـ قال الشاعر في مطلع القصيدة :

«صـــمودا» فان ذرا الميعــــاد تقترب
«صمودا» ولا تخش شيئا النـــا عرب

فحرف الصاد في «صمودا» لامحل له في تفعيلة البحر البسيط الذي نظم الشاعر عليه قصيدته .

٢ ـ وقال الشاعر في بيت آخر :

قسيبون يا قبضــة للارض ترفعهـــا
الى غد ما طوته في المـدى « الحجب »

فـ «الحجب» هنا بضم الحاء والجيم جمع حجاب وفعلها حجب يحجب بضم الجيم . وكان من الافضل لو استعمل «الحقب» لان الحقب هي التي تطوى في المدى ، والحجب تحجب ولا تطوى .

٣ ـ وفي بيت آخر قال :

قد عدت يابردى «فاســـكب» على ظمئى
نشيدك الحلو .. «يشدو» في فمي الادب

فالفعل المضارع (يشدو) واقع في جواب الطلب الذي فعله «فاسكب» مما يجعله مجزوما بحذف حرف العلة «الواو» من آخره . وفي هذه الحال لا يجوز للشاعر أن يحطم اللغة في سبيل الحفاظ على الوزن.

***

٤ ـ وقال في بيت آخر أيضا :

(ضم) الفرات ذراع النيل في (وله)
(على) ذراعـــك .. حتى (هزني الطرب)

وفي الواقع معنى هذا البيت غير متناسق ، اذ استعمل الشاعر كلمات في معان لاتمت لها بصلة ، فالفعل الماضي (ضم) بمعنى (جمع أو أخـــذ الى) والذراع لاتضم على الاخرى وانما تضم الى الاخرى، والصواب هو أن يبدل الشـــاعر حرف الجر (على) بحرف الجر (الى) وهذا يعني التعاضد والقوة .

واستعمل ايضا كلمة (وله) بمعنى (شــوق) . وهذا يفسد جمال المعنى وتذوقه ، فالوله هو الهيام في الشيء وليس الشوق اليه .

وكذلك استعمل عبارة (هزني الطرب) ، وهنا في معنى هذا البيت لايجوز اســتعمال معنى الطرب ، فالطرب ينتج دائما عن الاستماع بالاذن وليس الرؤيا بالعين ، والشاعر هنا يرى بعينيه الانهار تضـــم الذراع الى الذراع ، وليس يستمع الى نشيد أو غناء فيهزه الطرب .

الكويت ـ يوسف حيمور

***

جائزة شوقي

الاستاذ الفاضل عباس خضر

انا من المعجبين بتعقيباتكم التي تتسم بالشجاعة والجراة في كثير من الاحايين ، وان تعقيبتكم الاخيرة « النقد محروم من جائزته » اثارت في نفسي أسى ولوعة مدارهما «أن المناصرة كانت تتجه الى شخص المؤلف من حيث علاقاته بالاعضاء أكثر من اتجاهها الى الكتاب نفسه» ، وفي ذلك مايهز الميزان الادبي ويجعله غير قويم .

وبهذه المناسبة اذكركم ايضا بجـــائزة شوقي الشعرية التي حجبتها لجنة الشعر بالمجلس الأعـلى هذا العام ، وذلك دون ذكر الاسباب أو المبررات .

فهلا تقصيتم ياأخي السر الكامن وراء هذا الحجاب اللطيف الذي وضعته لجنة الشعر على النتاج المقدم الى الجائزة ، وكله دراسات نقدية وادبية لشـعراء معاصرين .

أنا في انتظار تعقيبة من تعقيباتكم تجلو الغامض وتكشف السر عن هذا الحدث الادبي العجيب حتى لاتردد في أسى ولوعة مرة أخرى هـــذه العبارات البريئة الجريئة «أن المناصرة كانت تتجه الى شخص المؤلف من حيث علاقاته بالاعضاء أكثر من اتجاهها الى الكتاب نفسه » ... والسلام .

احد المتبارين

بريد القراء

❊ «نوفل الاكبر» عبد البديع عبد الله بآداب عين شمس :

قصة رمزية تصور ثورة شعب ضد ملك طاغية حيث تبدأ حركة المنظمة داخل القصر ، فيستولي خدم القصر على كميات الاطعمة الضخمة ، وينطلقون بها الى الصحراء ، حيث كان الشعب يتكتل هناك على هضبة عالية ، تبدأ الاستعدادات لحرب اهلية بين حرس الملك وقوات الشعب الثائر ، تلجأ قوات الشعب الى الحرب النفسية بأن تلقى على قوات الملك بالمنشورات التى تشرح سبب الثورة ، وتنتهي القصة بانتصار الشعب ، ويجد الملك نفسه وحيدا وسط الصحراء .

● قصة لابأس بها ، اسلوبها جيد وان كان لا يخلو من غرابة وليس مألوفا تماما ، لكنه يتمشى مع موضوع القصة التى عولجت فى قالب رمزى . الموهبة المتفتحة تبدو واضحة بين سطورك ، وتنتظر منك مزيدا من الاجادة .

❊ «لحظة قاتلة» سعدى أمين حسن بالاقصر :

«سالم» يترنح ثملا على الطريق الزراعى ، ويمر ببيت عمه ، فيدفع الباب ويدخل ، يرى «زكيه» ابنة عمه مستغرقة فى النوم ، فراح يتأمل تقاطيع جسمها الملفوف فى القميص الوردى المنقوش . . واغرته ساقاها البيضاوان الناعمتان ، فتحرك الحيوان الكامن فى أعماقه ، فهجم عليها واغتصبها ، ولم تقو هى على الاستغاثة خوفا من الفضيحة ، وفى الصباح ، قامت تعد الفطور وحملته الى أخيها فى الغيط ، وهى تتجنب عيون أهالى البلدة ، ولما وصلت الى أخيها ، وجدته يندب ويضرب راسه العارية . . وحوله الاهالى محتشدين .

تقدم أخوها نحوها بعيون جاحظة ، ورفع يديه نحو عنقها ، واقتربت اليدان المرتجفتان ، فأغمى عليها من الرعب ، بينما صرخ أخوها باكيا :

ـ البقية فى حياتك يازكيه . . سالم مات .

وكانت زكية أيضا قد فارقت الحياة ، فلم تسمع كلماته الهالعة .

● قصة لابأس بها، وان كانت فيها بعض المصادفات القدرية والالفاظ المكشوفة، كما ان شخصية المؤلف تتدخل بين السطور حينما يقول بالفاظ تقريرية ، «وخرج الشيطان الوقح السافل . .» وهذا خطأ فى السرد ، والواجب أن يدع القارىء يستنتج هذه الصفات من خلال تصرفات الشخصية نفسها ، كما أن الاسلوب عموما لايخلو من عثرات لغوية لايجوز ان تخفى على أديب ، يتخذ الكلمة كأداة للتعبير عن افكاره . على المؤلف أن يقرأ كثيرا بالفصحى حتى يستقيم أسلوبه ، وما عدا هذا فموهبته تبشر بخير .

❊ « حدث ذات ليلة » ياسين خليل الهيتى ببغداد :

قصة شاب يعيش مع أفكاره ، فيسير بها من الطفولة الى الشباب الى الساعة التى سيؤدى فيها الامتحان ليضع به حدا لايام التلمذة ، ويتوظف ليسعد امه ، وفجأة سمع بكاء وصراخا من أخيه الاصغر ، فيحاول أن يوقظ الام لترضعه ، لكنه يجدها قد فارقت الحياة ، فيقوم هو مرتبكا ليرعى الطفل المسكين الذى يذعن ويستكين ليد أخيه .

● الفكرة غير منطقية ، فان المؤلف لم يذكر أسبابا مبررة لموت الام المفاجىء ، لكنه أجاد رسم شخصية الشاب ، والاسلوب لابأس به .

❊ « الشتاء لا يرحم » محمد نديم بالقامشلى

غلام فقير يصف مشاعره حينما يرى زملاءه فى المدرسة يشترون الفطائر الساخنة ، وهو لا يجرؤ على الاقتراب من بائع الفطير رغم معدته الخاوية . . فجيوبه أيضا كانت خاوية ، ويمر بمخزن الحطب فيفكر فى امه واخوته الذين يفتك بهم البرد . . ويخطف بعضا من هذا الحطب الكثير ، لكنه يضبط ويضرب ويهان ، وعندما يعود الى داره ، يرى أخاه منطويا على نفسه فى صمت ، ويعلم منه ان امه فى المقبرة . . ذهبت لتدفن اخاهما الصغير .

● صور ممتعة ، اجاد المؤلف فى تحليل شخصية الغلام المحروم ، وهى ليست قصة مترابطة الاحداث او ذات حدث متطور ، بل هى صور منفصلة تحكى يوما فى حياة صبى بائس ، وعلى العموم فهى قطعة أدبية جيدة الاسلوب والفكرة ، ستنشر قريبا .

صبحى الجبار

● **حول الأدب الجزائري :**

هذا مقال من الأديب : **فاروق يوسف اسكندر بملوى** ، يعرض فيه قضية جديرة بالاثارة والمناقشة فهو يذكر **أن مئات من الدراسات النقدية والترجمات عن الأدب الغربي ، التي تصدر في العالم العربي اليوم ، لا نكاد نلمس بينها دراسة حقيقية عن أدباء الجزائر** ، ويتساءل الأديب فاروق : هل نغض الطرف عن أدباء الجزائر لأنهم يكتبون بالفرنسية ؟ وهل نضيف الى ماساة اللسان المفقود والرطانة الغربية ماساة أخرى هي اعمالنا نقل أدبهم الى اللغة الأم؟ اذن فلماذا لا تفكر وزارة الثقافة عندنا في مشروع كبير لتغطية أدب الجزائر الذى أثبت انه ينهل من بيئة عربية ؟

ثم ضرب الأديب مثلا بشاعر الجزائر **مالك حداد** الذى ترجم ديوانه (الشقاء فى خطر) الى العربية أخيرا .

واود ان اقول للأديب **فاروق يوسف اسكندر :** ان اللائمة تقع أولا على المتصلين عندنا بالثقافات الغربية . ولا نظن أن وزارة الثقافة تقصر فى الاهتمام بالأدب الجزائرى ولا سيما بعد ان اصبحت الجزائر لبنة قوية فى بناء الأمة العربية ، واذكر ان اديبا من علماء الجزائر هو الأستاذ **مالك بن نبى** قدم الى القاهرة منذ سنوات ، وترجم له زعماء بضعة وعشرين كتابا فى القاهرة ودمشق وبيروت ، وقد طبعت مؤلفاته قبل ذلك فى باريس ولقيت رواجا هناك ، ولو لم يقدر للأديب الجزائرى الحضور الى القاهرة بنفسه لظل أدبه أسيرا الى الأبد فى فرنسا .

● **جولة مع عبد القاهر الجرجاني :**

تحت هذا العنوان ، جالت الأديبة : **مديحة عواد سلامة** فى مقالها جولة مع الجرجانى فى كتابه (أسرار البلاغة) فتحدثت عن عكوف المؤلف — قبل تاليف كتابه — على كتب البلاغة والأدب ، وعن مميزات أسلوبه ومنها : الاتجاه العلمى ، والسجع بدون تكلف ، والاعتدال فى استخدام الصور البيانية، والتقسيم المنطقى للعبارة وتجنب الاستطراد ..

أن فى مقال الأديبة جهدا على الأقل ، ولكن منهجه مدرسى وليس فيه جديد لم يكتشف فى عبد القاهر الجرجانى ، والحديث عن مولده ونشأته وبيئته اضافة مكررة على موضوع المقال .

● **الاسكندرية تستعيد غابر مجدها :**

كتب الأديب : **السعيد بيومى الورقى — ليسانس آداب — بدسوق** ، مقالا تحدث فيه عن النهضة الأدبية والفنية فى العاصمة الثانية ، فقد أنشىء هناك ناد للقصة يضم كتاب الثغر ، ومن اهدافه تشجيع المواهب الناشئة ومناقشة انتاجها ، وقبل ذلك أجريت تجارب ليأخذ مسرح التليفزيون الطابع الاقليمى ، وكان أن اختيرت فرقة من شباب الاسكندرية مثلت بنجاح مسرحيتى الخضيض لجوركى ، والقطرفات لتوفيق الحكيم ، وكيف ننسى مهرجان الشعر الذى يقام كل عام فى الثغر

ويذكرنا الأديب بما للاسكندرية من ماض مجيد يوم أن كانت بجامعتها ومكتبتها القديمتين ملتقى الثقافات فى العالم بأسره ، ويوجه الأنظار الى ضرورة العناية بالبراعم التى تفتحت والتى سوف تتفتح على السواء من أبناء الثغر ، ويقترح المبادرة الى اصدار مجلة أدبية ترعى هذه البراعم أولا ، وترعى شئون الأدب والأدباء بالعاصمة الثانية ثانيا .

الحق أن هذا الكلام له وجاهته ، والمهمة ملقاة على أدباء الاسكندرية أنفسهم ، وعليهم أن يكافحوا من أجل كيانهم ، وأن يقدموا من الانتاج الأدبى ما يكفل كفاحهم بالنجاح .

● **سيرة الرسل وطباعهم فى القصص القرآنى :**

وتحت هذا العنوان كتب الأديب : **عيسى متولى وكيل مكتبة بنك مصر** مقالا ضافيا ، تحدث فيه عن أن القصص القرآنى يكشف لنا عن قوة موسى البدنية فحين استغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه وكزه فقضى عليه ، كما يكشف لنا عن ضعفه فى النطق ، وذلك حين قال : وأخى هرون هو أفصح منى لسانا .

ويكشف لنا القصص القرآنى عن جمال يوسف وعفته ، وعن اجادة سليمان صناعة المهمات الحربية ، وعن براعة نوح فى صناعة السفن ، وعن بر وعطف ابراهيم ، أما محمد فيكشف القصص القرآنى عن سمو خلقه ورفيع مثاليته .

الحق أن ما تناوله مقال الأديب المثابر عيسى متولى ، واعتبره كشفا ، انما دلت عليه ظواهر الآيات القرآنية، وكنت أود أن يتعمق الأديب فى أبعاد القصص القرآنى حتى يكتشف سمات أخرى للرسل — صلوات الله عليهم — وذلك يحتاج الى التحليل والتعمق فى البحث .

● **الشعرة البيضاء :**

تحت هذا العنوان بعث الأديب : **يعقوب حنا يعقوب بالادارة العامة للجمارك بالاسكندرية ، قصيدة مطولة جاء فى أبياتها الأول :**

شعرة بيضاء لاحت
من مسام فى ذراعى
نظرت عينى اليها
فى امتعاض وارتياع
تنزعها اى انتزاع
وبدى الموت بها
يا ترى ماذا عرانى
ما دهانى ما الدواعى
ما الذى هيج سخطى
والذى أذكى التياعى
هذه الشعرة فى رأسى
لها ألف اجتماع
أنجم حفت بليل
وغزته فى ابتداع
كصباح فى شروق
أو كنار فى اندلاع

على الرغم من ان القصيدة ليست أبياتها سليمة من اختلال الوزن فى بعضها ، الا أنها مترابطة هدفا ومعنى ، والتشبيهات بعيدة نوعا عن التكلف ، وقد شابها بعض الأخطاء اللغوية ، فمصدر نزع نزع وليس انتزاعا ، وليس الزماع مصدرا لزمع بمعنى ثبت على الأمر وقد استعمله فى غير موضعه ، والمسام بتشديد الميم لا بتخفيفها .

● **شاعر من العراق :**

هذا مقال كتبه تحت هذا العنوان الأديب **شاكر البرمكى سكرتير نقابة المعلمين بالنجف بالعراق** يلقى أضواء على الشاعر العراقى (**الحبوبى**) « الذى اختزن فى أغوار نفسه كل ما وعى وأدرك من ارتياده نوادى الأدب ومحافل العلم ، حيث كانت مدينة النجف تزدهر بالمعارف ، وصار فيما بعد شاعرا فذا رقيق المشاعر ملتهب العواطف »

كان الشاعر — **على حد قول الأديب — ذا رئاستين :** رئاسة العلوم الدينية ورئاسة الشعر العربى ، وقد تزعم المجاهدين واشترك فى نضال الاحتلال الانجليزى للعراق ابان الحرب العالمية الأولى ، وكان بارعا فى صناعة الشعر ، ذا باع طويل فى التريض ، وله ديوان طبع مرتين بالنجف وبيروت ، ويرى الأديب الكاتب أن الشاعر لم يهتز للأحداث التى أصابت دنيا العروبة والشرق مع انه قد شارك فى بعض هذه الأحداث كما لم ينظم فى الشئون الاجتماعية والاصلاحية والسياسية ، فاقتصرت أغراضه الشعرية على الغزل والنسيب والمديح والرثاء .

الواقع أن فى مقال الأديب شاكر البرمكى — بالاضافة الى بعض الأخطاء اللغوية الواضحة — اضطرابا وتناقضا ، أو هكذا كان شعره المنسى ، فأى شاعر هذا الذى لم يعش — باعتراف الأديب — أى تجربة شعورية حقيقية فى نظم الشعر ، لأنه عاش فى بيئة دينية محافظة ، لم يعرف واحد من أفرادها بشائنة ، ثم يقصر شعره على الغزل والتسيب ، ثم يقود المجاهدين ولا يتفاعل مع الأحداث السياسية ؟

● **آهة زنجى :**

وهذه قصيدة للأديب : **عبد الصبور منير بدسوق** تناول فيها قضية التفرقة العنصرية ، ومأساة السود فى هذا العالم المتحضر ، من هذه القصيدة :

أخى الام يطول المسير
بنا وهذى الجموع تجور
سنخرج منها كما قد أتى
أخو الأعراب بشروى نقير
أخى سوف تذوى كما قد ذوت
زهور الربيع ولسنا زهور
فهلا قطعنا الحياة معا
ونمضى سويا تجاه القبور

الحق أن اضطراب الوزن يكاد يشمل معظم أبيات القصيدة ، والتركيب اللغوى لم ينل شيئا من دقة الشاعر ، ولعل شعر الشاعر محاولة نرجو أن يبذل لها جهدا أكبر فى مستقبله .

● **ذكرى :**

وتحت هذا العنوان بعث الأديب **عزت حماد منصور** بقصيدة معدودة الأبيات جاء فيها :

ذكرتك فانسابت دموعى على الخد
وذاب فؤادى من صدود ومن وجد
سأبكيك بالدمع الهتون واننى
لأسكب من قلبى الدماء عسى تجدى
أنوح على الماضى السعيد ومابه
واندب أياما ذهبن بلا عد

ليست معالم الذكرى واضحة فى قصيدة الشاعر ، واختلال الوزن قد تسلل الى بعض أبياتها ، واذا كنا نشتم من القصيدة هجرا قد وقع ، فان فى أغراض الشعر اليوم ما هو أسمى وأجدر بالاهتمام .

ابن المقفع

قصة العدد
المنقذة

بقلم : حبيب الزحلاوي

« يوسف الحسن » اسم أطلقته جماعة من الأدباء والفنانين على زميل لهم ليس له من الحسن الا اسمه، ولا من روح الادب والفن الا الكلمات والمعاني التي تدور على السنة هذه الجماعة التي كانت تضمها قهوة متواضعة قريبة من دور المسارح والصحافة والمشارب .

لم تكن هذه الجماعة كلها من الجنس الخشن بل كانت الممثلات والراقصات يؤنسن المجلس بأنوثتهن، ويحلينه بجمالهن ، ويفرحنه بضحكاتهن ، ويشاركن في الحديث الذي كان اكثره يدور حول المسرح والتاليف المسرحي .

وكان يخيل لمستمع كلام هذا اليوسف الحسن بصوته العالي وكيف كانت العيون تنجذب اليه ان رايه هو الصواب ، وقوله هو القول الفصل ، ولكن صوته العالي لا يكاد يتكلم حتى تنفجر الضحكات والقهقهات وتعلو الصيحات وانت لا تدري أهل هي ضحكات استهانة واستخفاف أو استحسان وتوقير، اما الجنس الناعم في الجماعة فقد كنت تراه مشرأب الاعناق ، منجذب النظر ، مأخوذا بحركات حاجبي هذا اليوسف الحسن ، وبحدقتي عينيه تميلان شمالا ويمينا ، وبجفونه تغمض وتفتح وفق ضرورة الكلام، وبعنقه الذي يطول ويقصر للتاكيد والتاثير وبأنفه الضخم الذي يصعب معرفة عرضه العريض من طوله الطويل وورمه وانتفاخه .

كانت لهذا المخلوق مكانة عند هذه الجماعة ولكن تقديرها يختلف عند الجنسين الناعم والخشن .. كان يوده الرجال لخفة في روحه ، وحضور ذهنه ، واطلاقه النكتة بارعة بالذكاء والفهم ، ولمعرفته الواسعة باكثر ما في كتب الادب القديم من مفارقات ادبية وملح طريفة ونواسيات مكشوفة ، ولحفظه جميع ما ورد في قصص شهر زاد في كتاب ألف ليلة وليلة غير المهذب . أما السيدات فقد كن يستلطفنه وينجذبن اليه لسبب آخر من به ادرى واعلم ؟!

لقد عز على الذكور من هذه الجماعة التقيد باسم اطلقه الجنس اللطيف على هذا المخلوق البعيد عن الحسن ، القريب من الدمامة فاسميه «سيرانو» وقد رضي المسمى بالاسم لدلالته على ما فيه من تشابه ببطل رواية «سيرانو دي برجراك» الفرنسية المشهورة صاحب الانف الضخم .

وكان اذا خلا مجلس الجماعة من الجنس اللطيف كنت تسمع من السيد «سيرانو» العجيب من احاديثه، والغريب المستهجن من حكايات مغامراته وغزواته الغرامية ، وكان يعز عليه تسميتها بالغزوات لانه هو كان المغزو بمطلق ارادته وبمحض اختياره ، وكانت الجماعة تضحك من عريض ادعائه وترميه بالمغالاة . ولكنه ثبت للطلعة منها بأن اخباره صحيحة وان للنساء المحصنات كما للممثلات والفنانات ميولا بعيدة عن منطق الرجل في فن الجمال وعن تقديراته للامور الجنسية والذوق النسوي .

كان ذواق المعرفة من الجماعة يفلسفون مغامرات السيد سيرانو واحداثه الغرامية فيقولون مثلا ان الرجل القصير القامة يميل الى المرأة المشوقة البادية الطول يتمم به قصره الظاهر ، وانه على هذا القياس تميل المرأة المليحة ومتوسطة الملاحة الى رجل دونها تمتع نفسها بالتباهي الذاتي بملاحتها نسبيا، ومنهم من كان يرجع الامر الى انفه الضخم العريض الطويل وما يلابس تلك الضخامة من المعاني ؟

اخذت زيارات « سيرانو » لندوة الجماعة تقل تباعا ، وبدت الجماعة من الجنسين تتفقد اخباره وتستطلع اسباب انقطاعه عنها ، وكان الجنس اللطيف فيها اكثر قلقا على غيابه واوفر رغبة في السؤال عنه والوقوف على امره .

وحدث ذات ليلة ان حضر صاحبنا وكانت الندوة خالية من الجنس الناعم ، يعلو وجهه الشحوب وتنبيء نظراته عن معاني الكدر والهم ، فأخذت الاسئلة تنهال عليه والاستفهام منه عما اعتراه حتى ضعف وهزل وغاضت ضحكاته فأجاب بقوله «لا أراكم الله مكروها » .

لم يمت أبوه ولا امه ، ولم يصب اخ له أو اخت بما يكره ، ولا هو يشكو من مرض أو علة ولا نكب بضياع مال او افلاس،انه أصيب بحب فتاة لا تبادله هذا الحب ، وهي ترضى بصداقته فقط ، لا لانه دميم متفريل لانه ظريف بضحك يسلي النفس بتفاهاته ويفرحها بنكاته السخيفة ، وهي على كل حال لا تنكره اطلاقا ولا تشجعه على حبه الجنوني .

في حين ان اختها ، وهي اصغر منها سنا ، واوفر فتوة ونضجا وأبهى طلعة تتصدى له تصدي الراغب،

وهي تعتب على أختها تصرفها القاسي في معاملتها الظالمة لشاب يحبها ، وكان المسكين يتنهد بحرقة ويبكي .

طاب للبعض من الجماعة ان يسخر من حبه وان يذكره بمغامراته ونزواته ويعيب عليه الزلاقه في مهاوي الحب وصدور المحبين ، وهو الحظي لكل ممثلة وفنانة ، فكان يردهم عن الكلام برفق ويرجو منهم احترام الحب والرفق بالقلب العاشق ويقول : ان الحب العابد كالقدمين الصغيرتين تخبان في حذاء واسع ومن الظلم ان يسمى حبا ، وان الرجل الذي تقتنصه امرأة ، والمرأة التي يقتنصها رجل انما هما سيجارة يقتسمانها ويلقيان بها في الارض ، اما الحب المقدس فهو شعور بتحقيق الذات ، واحساس بالرجولة ، ورغبة في بناء أسرة ، وسعادة برفيقة عمر ، وبه تتم الغاية من الوجود .

طال عذاب هذا الحبيب غير المحبوب ، واحتمل المسكين كل ما يقاسيه العاشق من قلق وسهاد ومن ذل الحب وانكسار النفس .

وفي ذات ليلة اقبل السيد « سيرانو » على ندوة الجماعة التي كادت تنساه لطول غيابه فاستقبلوه بالتهليل والترحاب وفرحوا بمقدمه خصوصا وقد زال شحوب وجهه وهزال جسمه وراحوا يمطرونه بالاسئلة ويلحون عليه بالاجابة فقال : أولا لا اراكم الله مكروها وهل ثمة يا أصحابي من مر كربه اشد من مرارة الحب ولكن ... اي حب تظنون ؟

الحب في ذاته على تعدد أنواعه سعادة وغبطة ، اما الحب الجارف المجتاح الذي يقبل فجاة ، ينقض كالصاعقة ، يداهم المرء أو المرأة ، مرة واحدة في العمر ، ان في سن الشباب أو سن الكهولة والشيخوخة ، هذا الحب الجارف هو الحب الذي يحمل اللذة موشاة بالالم ، والسعادة مغلفة بالشقاء، والغبطة مبتلة بالدموع ، هذا الحب الرحيم الرجيم يعيش ، إن عاش ، ويموت فهو هو الحب القاتل وكثيرا ما يدفع المبتلى به الى هاوية الانتحار .

كانت الجماعة تصغي لكلام هذا المجرب الخبير بمسارب الحب ومسالكه . منجذبة نحوه راغبة في سماع كل مايقال فيه لانه يمثل الحياة ، وقد تنبهت اذهانها وتفتحت عيونها حين سمعته يقول ، لقد رفعت زجاجة السم بيدي وكدت افرغ السائل القتال في حلقي لولا يد كريمة افسدت اندفاعي نحو الموت بقوة فاقد الارادة مسلوب اللب .

كيف تم ذلك ؟؟ سؤال انقذف من أكثر من فم دفعة واحدة أجاب عليه بقوله :

لقد غصت في حمأة حب تلك الفتاة الى العنق ، كنت أحس اني كغريق الرمل ، كلما تحركت للخلاص يزداد غوصي ، تذللت للحبيبة . وقعت على يديها فردتني عنها بقسوة وعنف ، أنشدتها قصائد الحب منسوجة من خيوط قلبي مكتوبة بدمائه فكانت تضحك من تفاهتي ، لقد اغرقتها بالهدايا والقول الحسن فكان لا يرضيها مني سوى اني مسخرة ضحاك ، قلت اني سافرحها بحديثي ونكاتي وافعل كل ما يدخل السرور على قلبها ويفرحها فكانت تقول اني لا اصلح الا لاضحاك الناس ، قلت لها اني ساشرب السم نخب حبي لها ، الحب الذي لا يماثله او يساويه سواه فقالت وهي تفرك كفيها « افعل . افعل ، ان هذا المنظر جميلا يريني كيف تتلوى من الالم وتتمرغ في الارض فعندها قد أتصدق بنظرة عطف عليك ، كنت استمع لكلامها يذل كبريائي ، ويدوس كرامتي ويقطع نياط قلبي فاستعذبه لانها هي قائلته .

كيف أجبن عن تجرع كاسي وهو سم زعاف يوردني هلاكا يسر ناظر حبيبتي ويفرح قلبها ؟! لقد رفعت يدي وقد لمس فم الزجاجة المليئة بالسم فمي ... في تلك اللحظة هوت يد من الوراء على يدي فاطاحت بزجاجة السم ... وفي تلك اللحظة سمعت في آن واحد شهقة حادة وضحكة حادة ايضا ، اما الشهقة فقد كانت من اخت من كنت متيما بحبها وهي التي هوت بيدها الكريمة على الزجاجة فاسقطتها وقد تطاير منها بعض نقط كوت كفها واصابعها . اما الضحكة الحادة فقد كانت ضحكة الفتاة التي شفيت من داء حبها ونجوت في اللحظة الاخيرة من حبها القاتل .

ان لابتسامتك الخفيفة يا سيد سيرانو تخفي وراءها معنى ان حكاية حبك لم تبلغ نهايتها بعد فيحسن الا تكتمها عنا أيها الهارب من الحب والموت .

صدقت في قولك هذا يا صديقي فاني بما كدت اصحو من سكرة الحب وانجو من الموت ، واحس برجولتي كانسان له ارادة وقوة ومعرفة ، ادركت ان الحياة اغلى من ان يهدرها حب طارئ، حتى عزمت على الزواج من فتاة جمالها في قلبها لا في وجهها وقدها وقد وجدت الفتاة التي دفعتني عن الانتحار ووهبتني الحياة والحب .

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
وزارة الثقافة والارشاد القومى

الادارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد - القاهرة

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد ١٠٤٧ الخميس ٢٢ رمضان ١٣٨٣ هـ - ٦ فبراير ١٩٦٤ م - السنة الحادية والعشرون

الفهرس

اشتراكية الثقافة

للدكتور محمد احمد خلف الله

من العادى ان تختلط المفاهيم فى اذهان سواد الناس الذين نسميهم بعامة الشعب ذلك لانهم لا يملكون من وسائل المعرفة . وادوات التثقيف ما يمكنهم من ادراك المسائل ادراكا يحدد الحدود ويوضح الفروق · انهم يمتصون الثقافة كما تجهز لهم دون ان يكون لهم عليها تعليق وفيها راى .

ومن غير العادى ، بل من الغريب النادر ان تختلط المفاهيم فى اذهان الكتاب والعاملين فى ميدان الحقل الثقافى - ذلك لان هؤلاء يعتبرون انفسهم من حملة رسالة الفكر ، ومن القادرين على نقد الحياة ، وعلى توجيه الحياة . واقل ما يقال فى شانهم ان مما يعيبهم ، ويسقط من قدرهم ، ان تختلط مفاهيم الاشياء فى اذهانهم - وبخاصة حين تكون المفهومات مفهومات ثقافية .

***

وقد يسوءنى وانا بصدد الحديث عن اشتراكية الثقافة ان اقول ان مفهوم هذه العبارة يختلط فى اذهان العاملين فى الميدان الثقافى من الادباء ورجال الفكر بعبارات اخرى تحمل مفاهيم مختلفة حتى لنراهم يظنون ان الوسائل التى تحقق هذه هى بعينها الوسائل التى تحقق تلك . او يظنون انهم ماداموا قد حققوا مفهوم هذه العبارة فقد حققوا مفهوم تلك . ولا يدرون ابدا ان هذا الخلط يفسد عليهم اعمالهم ويشوش من الناس اذهانهم ويجعل

الحقيقة حائرة مضطربة ، وغامضة مبهمة ، تضل الناس ولا تهديهم سواء السبيل ٠

لقد ورد في الميثاق عبارة ــ الثقافة للجميع ــ وهي عبارة نعدها جميعا شعارا من شعاراتنا في ميدان الحقل الثقافي . وانا لنعمل جاهدين على تحقيق مفهومها بتعميم الثقافة ، ونشر المعرفة ، وتيسير سبل اقتناء جميع الأجهزة الثقافية من : كتاب الى مجلة الى أجهزة للراديو والتليفزيون . رجاء أن يتحقق هذا المفهوم في اقصر وقت وباقل كلفة ــ **ولكن الكتاب ومعهم بعض العاملين في الحقل الثقافي يظنون ان هذا الذي نفعل هو تحقيق مفهوم تلك العبارة التي يرددونها كثيرا ــ اشتراكية الثقافة .**

ان تعميم الثقافة وجعلها للجميع حق من حقوق كل مواطن ٠ حق نابع من حقوقه الانسانية ، وهو حق لا يستلزم أبدا ان تكون هذه الثقافة ، ثقافة اشتراكية ــ فقد تكون راس مالية اقطاعية ، وقد تكون شيوعية ، وقد تكون اشتراكية ٠

ولناخذ مثالا نفسر به هذا الصنيع ٠ تأخذ كتاب الأغاني ، ذلك الذي يطبع في أجزاء قليلة الحجم صغيرة المساحة . وينشر في أوسع مجال باخراج العديد من النسخ وبيعها بثمن زهيد ليتمكن كل انسان من الحصول عليه واقتنائه ٠ وكل ذلك حسن فيما نرى . وكل ذلك من قبيل تعميم الثقافة ونشر المعرفة . وكل ذلك يدخل في تحقيق مفهوم ــ الثقافة للجميع ــ ولكنه لا يدخل أبدا في تحقيق مفهوم اشتراكية الثقافة في قليل او كثير . انه على العكس من ذلك قد يباعد بيننا وبين تحقيق الثقافة الاشتراكية ، ويضع العقبة تلو العقبة في سبيل تحقيق هذا اللون .

ان كتاب الأغاني انما يصور الحياة في مجتمع طبقي ، ويصور العلاقات الانسانية ، في مجتمع طبقي راسمالي ، هو مجتمع الخلفاء والأمراء ، والكتاب والوزراء ، واصحاب الثراء الواسع والجاه العريض من كبار رجال الأعمال ، وهو بهذا يثبت القيم الاجتماعية التي نحاول القضاء عليها ، ويخلق في نفوس بعض القراء تطلعات الى حياة مثل هذه الحياة .

ومثل كتاب الاغاني في هذا الموقف كتب كثيرة مما نعدها للنشر ، ومثله في ذلك أيضا قصص عالمية عديدة ، ومسرحيات شهيرة ، تترجم وتنشر وتؤدى خدمات لقيم اقطاعية راسمالية .

انا نعمل بدون وعى وهذا اصل البلاء .

يجب ان يكون اختيارنا لكل ما نقوم به من عمل قائما على أساس انه من الأعمال الايجابية في بناء المجتمع الجديد الذي نفخر بتحقيقه وهو المجتمع الاشتراكي . والا كنا كمن يقدم رجلا ويؤخر اخرى ، أو كالمنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى .

ان الثقافة الاشتراكية انما تتحقق بخلق نوع من القيم يلائم المجتمع الحديث مجتمع الكفاية والعدل وتكافؤ الفرص وذلك انما يتم على أيدى الكتاب والمفكرين الاشتراكيين .

وهنا قد يقول قائل وما العمل في هذا التراث القوى الضخم الذي نعتز به والذي تريد منا أن نهمله او نلغيه ؟

وهنا أجيب لا الغاء ولا اهمال وانما تصحيح للأوضاع وتوعية بما نفعل .

ان هذا التراث صالح جميعه للأساتذة المتخصصين ، ويحسن ان يبقى جزء منه ــ وهو الجزء الذي يعارض الفكرة الاشتراكية ، ويقيم العقبات في سبيل تحقيقها ــ وقفا عليهم لأنه بهم أولى من حيث انهم به أدرى ــ ولا خوف في ذلك على الثقافة الاشتراكية من هؤلاء المثقفين المتخصصين .

ان الذي نعارضه من التراث ليس الا لونا واحدا هو ذلك الذي يثبت القيم الاقطاعية الراسمالية ويمكن لها من ارضنا الاشتراكية . انهذا هو اللون الخطر الذي يجب ان نتفادى اثره في عامة الناس .

ان ثقافتنا يجب أن تظل على ارتباط بماضيها لكن ماضيها الايجابي الذي يسند ويفيد .

ان الثقافة الحية، ثقافة متطلعة دائما الى الامام . مغامرة أبدا في ميادين العقل والروح . تاخذ من الماضي القوة والايمان وما ينمى فيها ذلك الارث الذي ورثته عن الاجيال .

ان موقفنا من تراثنا هو موقف ثقافتنا الماضية مما سبقها من ثقافات ٠ لقد نمت تلك الثقافة وازدهرت عندما غامرت واقتحمت وسعت الى الحق حيث كان . **اما حين قعدت عن هذا السعى واكتفت بما انتجت ، وغلب فيها الحرف على الروح ، والنص على العقل ، فقد ضعفت وانحلت واصبحت عاملا هاما من عوامل ضعف المجتمع وانحلاله .**

ان ارتباطنا بماضينا ، وتاصل ثقافتنا بتراثنا ، يجب ان يظل قائما ولكن على أساس مما ذكرنا . وهو ان يكون ذلك التراث ايجابيا فعالا يقدم خطوات الى الامام ولا يحول بيننا وبين الثقافة الاشتراكية التي تخلق الوانا من القيم الصالحة كل الصلاحية لمجتمعنا الحديث .

المعـــلّم

بقلم : الدكتورة نعمات أحمد فؤاد

المعـــلم : تتسرب الأيام من بين يديه والخطوط تجرى حوله وهو هو . باق على حاله .. يبدىء ويعيد ... من جديد ...

قد يضيق بتعابث الظرفاء أو عبث الأشقياء او ظلمة الأغبياء أو بلاهة المتخلفين ولكنه كثيرا مايحاول ان يخفى ضيقه فى صدره فاذا استعلن فان غضبته سحابة صيف سرعان ما تنقشع ويعود الى نفسه صفاؤه ويثوب الى فصـــله عطاؤه فاذا به يبدىء ويعيد ... من جديد ...

ويرقى التلاميذ من فصل الى فصل ويكبرون . ويتخرجون .. ويشقون طريقهم فى الحياة صعدا .. ويلمعون .. والمعلم ينظر ويبتسم وما اسعده يوم يقبل عليه تلميذه الناجح ذاكرا شاكرا .. لا شىء يعدل عنده كلمة العرفان وهل حياته الا (كلمة) ؟ بها يعلم وعليها يعيش ولها يطرب اذا كانت شـفة تترسل من ســـماء الفن ، او عفة تنبع من قلب الانسان . هنا يتجدد ويتزود على الطريق فيبدىء ويعيد .. من جديد .

ولا أرى بين تقاليد الانسان تقليدا يلتزمه مثل **تبجيل المعلم** ، فالتلاميذ بعد ان يكبروا ويتخرجوا يحسون فى أعماق نفوسهم عاطفة هـادئة وقورا **للمعلم** عاطفة يمتزج فيها الوفاء بالحب .. وهذا الشعور يستوى فيه التلاميذ القدامى الخامل منهم والنـــابه .. قد يتفوق التلميذ على استاذه كما تتفوق البذرة على الشجرة التى تنتمى اليهـــا وقد يبزه علمـــا وثراء وجاها ومكانا فى الحياة وبين الناس ولكنه يقف منه موقف الصغير من الكبير بكل ما لهذا الموقف من حرمات .. يدين له بالعلم الاول وكل (اول) له فى نفس الانســـان حرمة وقداسة ..

وحسب المعـــلم عزاء أن يكن له تلاميذه مهما كبروا هذا الشعور ، ان الانســـان فى حياته قد يقف وراءه الكثيرون وقد يدفعه البعض الى الامام .. والى فوق فيعرف لهم فضلهم ثم يمضى فى طريقه ويشغل عنهم أو يتشاغل ولكن واحدا فقط لا يملك تجاهله بل لا يملك حياله الا العرفان والتبجيل . ذلكم هو .. المعلم ، والمعلم يعرف هذا حق المعرفة فيزداد ايمـانا برسالته ويمتـــلىء ثقة بنفســه فلا يفتأ يبدىء ويعيد .. من جديد ...

وكل انسان فى حيـــاته معلم أو اكثر .. بين جدران المدرسة أو خارجها .. قد يجلس الانسان الى معلم لم يره ، ويلتقى عليه ويفنى منه ويشرف فى نفســه وتفكيره وهذا المعلم قد يكون اديبا قد قرا له وعاش معه فى كتبه وقد يكون سيرة فى سجل التاريخ وقد يكون قدوة فى الحياة والدا أو رائدا .. او سيدا . وكل من هؤلاء له حرمة المعلم .. حقوقه .. والهالة ...

والمعلم من بين أصـــحاب المهن جميعـا اكبرهم جمهورا واكثرهم أعوانا ، فالطبيب يعيش فى ذاكرة مرضـاه والمحامى فى ذاكرة عملائه أو خصومهم وكل ذى مهنة يعيش فى بيئته الخاصة وهى مهما اتسعت دائرتها محدودة ولكن المعلم يعيش فى ذاكرة هؤلاء جميعا ملبى النداء اذا دعا ، .. مستجاب الرجاء اذا أهاب ... انه كالبحر ما ذهب منه ، اليه يعود فلم لا يبدىء ويعيد .. من جديد ...

وغير المعلم ، هناك الطبيب والقاضى ونظراؤهم من أصحاب المهن المرموقة ، وهناك غير هؤلاء وهؤلاء ، أصحاب المهن الصــــغيرة والثقيلة ، ولنا مع كل وقفة .

فالطبيب يهب الصحة وهو يعيش بين الأمراض فهو لا يفتح عينه الا على مريض يلتمس على يديه الشفاء أو مأزوم يرى فيه الرجاء او مشفق يطلب عنده المعجزة .

ترى ما شعوره حيـــال هؤلاء جميعـا هل هو العطف . أم الحنان أم المرثية لهم ؟ مسكين انه دائما فى معركة يشهد صراع الحياة والموت معركة يناصرها هو فيها الحياة دائما ويمد لها ما وسعه العلم والجهـــد والحيلة وما أبأســـه يوم ترتجيه الحياة فلا يملك لها عونا فى حرب البقاء ولايستطيع أن يرد عنها غائلة الموت وكم فى جعبة الطبيب من قصص الغروب .

والجراح ... هل يؤلمه منظر الدماء تسيل أو أن الأمر غدا مألوفا عنـــده ؟ والطبيب الشرعى ،

ومهمته بشمة كريهة .. كيف يعامل الجسد هل تسقط لديه كل المحرمات..أم يباشر عمله متقززا

والطبيب النفساني ، الذي يعالج مشاكل الناس وجراحات النفوس هل خلا من الهم أو سلم على الأذى ؟

واذا كان الطبيب مريضا فكيف يمنح الصحة الآخرين هل فاقد الشيء يعطيه ؟ .. واذا كان مرضه خطيرا فكيف الحال ؟ ويله ويعرف نهايته ، ان الجهل هنا ارحم .. حسب المريض العادى انه لا يدرى ليعيش على أمل .. اهون على الانسان ان تستل منه الحياة ولا يراها تتسرب منه أمام عينيه اشد ما يكون تشبثا بها وحبا فيها .

طبيب يصف الدواء وطبيب يهب الحنان أملا أو كلمة فيأسو من جراحات النفس والجسم ما قد يعيى عنه نطس الاطباء ..

اما **وكيل النيابة** فانى اعجب له كيف لا يغدو كاتبا ، ان عمله يمده بمادة حياة لا تنفد ...قصص كثيرة للحوادث والحزازات والمطامع والأهواء والضعف والقوة .. كيف لا يغدو كاتبا ؟ ولأمر ما كانت (يوميات نائب فى الأرياف) (خليها على الله) من خير ما كتب الاستاذ الحكيم والاستاذ يحيى حقى ..

والقاضي فى قدس قضاءه تتعلق بالكلمة تخرج من فمه العيون والأنفاس أتراه على جلال يحف به واحترام يكن له ، راضى النفس ، مرتاح الضمير ؟ انه انسان قد يخطىء وقد يصيب .. وما أشد عذابه يوم يتوهم الخطأ فى الحكم ولو لم يرتفع الوهم الى مرتبة اليقين ..

والمحامي هل يعتقد ما يقوله .. اعرف أفذاذا لايتسترون على الظلم ولا يتواطئون معه ... ولكن هناك آخرين لا يتورعون عن الدفاع عنه وتبريره هل هى لقمة العيش أم أزمة الضمير ؟

والمهن ككل شيء فى الحياة اقدار وأرزاق فمهن يذهب شأوها بعيدا ومهن يشقى بها اصحابها فماسح الاحذية فى جلسته القابعة فى انكسار نظره معقود بالارض بل بما هو اقل .. بالحذاء ! اى مدر للمقومات الانسانية على صندوقه .. اى فروق صارخة .. انسان وانسان واحد يعلو كرسيا مرتفعا ويمد رجله بالحذاء والآخر يتلقى الحذاء ، ويتولى تنظيفه ويعيش من هذه التفاهة .. أى حياة تلك التى تستمد بقاءها من هذا الرخص والامتهان ..هل يستطيع مثل هذا المخلوق ان يحب عمله.. وقبل هذا هل ما يؤديه راضيا او كارها يصح ان يسمى .. عملا ؟ مقابل اى شيء ؟ انى لا استطيع ان انظر اليه .. جزء من انسانيتى احسه يهدر مع انسانيته المراقة على الصندوق العتيق العتيد ... ولا اقوى حتى على التفكير فيه .. اننى اهرب عمدا من افكارى .. ربما لشعور غامض بالمسئولية نحوه ... انى مسئولة مع المجتمع الذى نعيش فيه عن ذله النفسى .. عن حرمانه الأسود .

ولكن هؤلاء البائسين من المشتغلين بالنظافة .. نظافة الأحذية أو الشوارع أو البيوت هم شركاء حقيقيون للسعداء من اهل المهن الاخرى فهم أصحاب اوقاتهم وما نحوها حين يحملون عنهم الاعباء الثقيلة وغير المحببة .. انهم يبيعونهم اغلى الأشياء بأرخص الثمن حين يعطونهم الراحة والشعور بالترف ترف الجسم وترف الاحساس والفراغ للتفرغ ... وهنا تبدو قيمة هؤلاء التعساء ، الحقيقية ... التى نحسب ان قروشنا القليلة لها كفاء ، ما أهون الجزاء .

وهذا الوضع مؤذن بزوال . فيوم يرقى المجتمع وتتوسع امكاناته ويتأصل التصنيع فيه ، تنتفى حاجة هؤلاء الى اللقمة الذليلة .. انهم فى المجتمع الجديد سيشرئبون الى العيش الكريم .. ويشرئب معهم رفقاؤهم من الباعة المتجولين يحملون الأشياء التافهة يدورون بها حول انفسهم وحول المارة من اجل ملاليم أو قروش معدودة يصيبونها بعد طول الحاح . ترى بائع اليانصيب وافر الطول والعرض ظافر الجسم قوى البنيان يطوف يومه بوريقات واهمة خائبة .. هذه القدرة على الطواف والجعجعة لماذا تعيش بيننا سائبة تمتهن اعمال القاصرين والعجزة والضعفاء لا الاصحاء اليس فى هذا اهدار للقوة العاملة البناءة ؟ ان هذه الاجسام القوية ليست ملك اصحابها وحدهم . انها ايضا ملك المجتمع واهدارها فى التفاهات اهدار للمجتمع ولرأس مالنا كامة .

هل هذه قصة ؟

للدكتور أحمد كمال زكي

(١)

قرية ما بلا اسم ، يروى طرفا من حياتهـا راو بلا اسم أيضا وان يكن يمتاز بذكاء خارق وحكمة مثقفة • ويبدو أنه برغم تظاهره بالسلبية والكسل على حظ كبير من الدهاء بحيث انه عندما كان يمكر يتقبل أهل القرية مكره بالرضا ، بل ربما طالبوه بالنصيحة واستفتوه في بعض أمورهم •

ومن هؤلاء الأهلين فئة وقف عندها مرتين «مرة في أمس القرية ، ومرة أخرى في حاضرها • وبين الأمس والحاضر تتحرك هذه الفئة — أمام عيني الراوي طبعا — في أنحاء القرية ، تفعل ما تريد وتعيش على النحو الذي يختار ، ثم تلتقي في حانة على شراب يسخط له نساء القرية •

وقد اختار الراوي من هذه الفئة خمسة أشخاص لم يسمهم كما لم يسم القرية ، وسجل في يومياته جوانب من حياتهم ربما تبدأ من ساعة مولدهم ولا تحتشم عن طروق مخادعهم مع نسائهم • وهؤلاء الخمسة هم الخمار صاحب الحانة ، وجزار القرية الطيب ، وقزم يبتز نقود زوجته الثرية ، ورجل لا صفة له الا انه زوج عرجاء ، وفنان موسيقي أبوه أغنى تجار الحبوب •

وبجانب الخمسة خوذي وواعظ ، وكلاهما لا يعني به الراوي الا بمقدار ما يسعفه الأول بتلقط بعض حوادث الطريق وما يسعفه الثاني به من تقديم نموذج للوصوليين المنافقين •

ولقد حرص الراوي وهو يروى من مذكراته حيوات هؤلاء على أن يشعرنا بفساد ما يضطربون فيه ، وأظهرهم لنا وكأنهم في سبات لا يريدون أن يتركوه • وكان من الممكن أن يستمر حالهم على هذا النحو من السلبية والتقاعد ، لولا أن هبط القرية « الأستاذ » فكان عصا سحرية قد مست الجميع فبعثوا من بعد موت •

ولم يرو لنا الراوي كيف تمت الصحوة ، لأنه لسوء حظنا مرض واضطر الى السفر خارج مصر للعلاج ، وبسفره ينتهي الأمس المظلم • وعندما يعود الراوي بعد سنة يجد القرية قد تغيرت ، فقد أنشئت بفضل الاستاذ محطة للسكة الحديدية فتمكن « القطار » من أن يمر بالقرية ويغير معالمها حتى يقتل بعض سكانها وبهائمها أو يهدم ما تداعى من مساكنها • ولقد لفت نظره أنه لم يجد الحوذي على عربته ، ولكنه وجد بدلا منه جندي المطافيء • كذلك وجد للمحطة كناسا ، وعلم أن الاستاذ أمر بهدم الحانة فتفرق روادها •

وبشيء من التحري عرف أن الخمار يعمل في العهد الجديد تربيا ، وأن المتعطلين — من أمثال القزم والفنان وزوج العرجاء وجدوا لهم عملا أقبلوا عليه برضي عجيب ، وأما الجزار فقد هدته كارثة من الكوارث التي اعتادت أن تلاحقه •

لقد غير الاستاذ معالم الحياة ، واستطاع بالقطار وبمساعدة جماعة من شبان القرية — لا يتصور أحد أنهم كانوا يقدرون في أمسهم على عمل أن يربط القرية بالحياة • فلم يكن بد من أن يسعى الراوي اليه ، فيلقاه ويسمع منه في نهاية اللقاء قوله :

— اني انتظر أن تقوم بواجبك !

(٢)

تلك خلاصة « صح النوم » التي كتبها الاستاذ يحيى حقي ، وقد حرصت على أن أودعها كل حركات العمل الاصلي لأرصد بها في أمانة عملية تحويل المواقف والمشاعر الى أضدادها ، ووقوع النماذج التي قدمت بلا أهداف عن طريق الراوي — في القسم الاول من الكتاب تحت طائلة تأنيب الضمير بحيث تكتشف فجأة — في القسم الثاني — السبيل الى مجتمع صالح قويم •

ومن الممكن أن نرفض هذه القسمة الثنائية بادىء ذي بدء باعتبارها غير طبيعية وان تكن مقبولة من الناحية النظرية ، ولكنها لما كانت من مخططات الاستاذ يحيى — وهو كاتب قصة كبير وناقد كبير أيضا — فلا بد أن يكون هناك ما يبررها ، أو لا بد أن يكون هو قد وفر لها الحيثيات بطريقة أو بأخرى ، فكيف كان ذلك ؟

للاجابة نحاول ان نسبق بسؤال آخر لنكون اكثر تمشيا مع المنطق ، هذا السؤال هو : اين توضع « صح النوم » وسط الاعمال الادبية ؟

ان النقاد الذين سبقونى الى تناولها سلكوها فى القصة ، والمؤلف نفسه قدمها كقصة طويلة او كرواية قصيرة . واتفق الجميع على أنها بشكلها هذا – تمثل نمطا من القصص الفنى الجاد ولكنه لم يلق من القبول ما لقيته « قنديل أم هاشم » .

وفى رأيى ان « صح النوم » ليست قصة ولا رواية ، بل هى عبارة عن صور ذات وجهين يختلف لون كل وجه منهما على مساحة مكانية وبشرية واحدة . وبعبارة أخرى نقول ان لكل شخص من شخصيات الكتاب فصلين فيه ، ولما كان الفصل الثانى يقع فى القسم الثانى وهو « اليوم » فان القارىء يواجه فيه بطل الفصل نفسه وقد تعمق حاجات العقل الجديد بشجاعة وتحول الى طاقة لم يكن من السهل معها أن يظل نائما أو مسلوب القوى دائما .

أنا شخصيا لا اعترض على هذا التخطيط ، ولكن فى حدود فهمى الخاص للكتاب ، وبهذا الفهم اسلكه فى أدب الخاطرة – ذهنية كانت أو وجدانية – فيلحق من ثم بكتابه الجميل الذى أصدره عام ١٩٦٢ بعنوان « فكرة فابتسامة » .

النمطان متشابهان ، مع عدة اختلافات ربما كانت مما حدا بالدكتور لويس عوض الى أن يقرر فى سماحة ان « صح النوم » قصة ولكن ليس بالمعنى المألوف . لقد تصور هذا الناقد أن حانة القرية هى وحدة المكان بمفهوم أرسطو ، وأن الراوى شىء يشبه الكوراس عند الاغريق ، وبذلك تجتمع لصح النوم وحدة فنية تامة . وبغض النظر عن خطأ المقارنة من حيث ان «صح النوم» ليست مسرحية ، فان الوحدة الفنية نفسها لا تخلق وحدها قصة .

ويمكن ان نسوق عشرات الامثلة لاعمال قصصية كبيرة افتقدت هذه الوحدة . يستوى فى ذلك ماكتبه عمالقة القص فى القرن التاسع عشر كتولستوى وديكنز واميل زولا ، وما كتبه قصاصو القرن العشرين من امثال بروست وجيمس جويس وهنرى ميلر ونابوكوف .

ان للقصة جوانب مهما يختلف الفنانون فى تقييمها فانهم يجتمعون على بعض منها تعتبر أساسية ، وليس من الضرورى أن تكون العقدة والحبكة من بينها . هناك التفاعل بين الشخصيات، وهناك المشاعر التى تنمى الحدث ، وهناك تيارات اللاوعى ، وما يجرى هذا المجرى . وكلها تشكل الواقعية الجديدة التى نجدها اليوم عند واحد كنجيب محفوظ ، لا الواقعية التى وجدناها عند اميل زولا ثم انحطت أو آلت الى العقم .

ماذا أقول ؟

اقول ان « صح النوم » حتى بسماحة الدكتور لويس عوض لا تدرج الا مع أدب الخاطرة ، وأشخاصها الذين يلتقون فى حانة القرية لم يشكلوا عملا له امتداداته الجذرية . لم يكونوا مثلا كرجال « الحرب والسلام » تختلف بهم السبل ويجمعهم تولستوى فى نزعات عدمية تفرض موقفا انسانيا محددا ، ولم يكونوا كأبطال « لوليتا » يصارعون لغرائزهم ويجمعهم نابوكوف على ازمة الايمان ، ولم يكونوا من نوع الاشخاص التى يخلقها كامى فى « الغريب » أو فى « السقطة » .

كلا .. لم يكونوا كهؤلاء ، وانما كانوا أشباحا يظهرون أمامنا متى رآهم الراوى ويختفون عندما لايقع بصره عليهم ؟ وكانوا يتحركون كدمى الكارتون – بلا ايجابية ذاتية – مفتقدين روح القصة . ونحن حين نجد المؤلف يجبرهم بعقله على شىء لا يدل فى الواقع على مقدرة فنية – كما ذهب بعض النقاد – بقدر ما يدل على أنهم افتقدهم الروح القصصى . حقا كان يحاول أحيانا بث الحياة فى بعضهم ، الا انها الحياة القاصرة التى تبدو كما لو كانت غريبة لا يعرفها هو ولا يمكن أن يكون قد تفاعل بها قط .

ومع ذلك فقد أقبل أن تكون حياة القرية سوداء ثم ابيضت بالصور التى رسمها الاستاذ يحيى حقى لشخوص مذكراته – وكل له سلوكه الخاص – فهل يصنع هذا قصة ؟

.انا اقول لا ، واقولها لان الاستاذ يحيى حقى صدر عن مضمون اجتماعى لا يمكن ان تكتمل جوانبه – ولو فنيا – الا بعد سنوات طويلة من العمل والصبر . ولكن المؤلف الذى عالج حياة القرية أو قريتنا – وهى مصر كلها بلغة الرمز – تصور أن مجرد مرور القطار بها كشف له عن مستقبلها الابيض . وليكن القطار رمزا للثورة ،

فان الثورات لاتوقظ النوام بين يوم وليلة ، ولاتبني بلدا بين عام وآخر .

ان ثورتنا دلت بوعي على اننا لا نزال حتى هذه اللحظة نتحسس طريقنا ، ولم تحاول قط أن تزعم انها فرغتمن هدم الماضي واقامت المستقبل المشرق كلا ، ولم تقرر أنها وصلت الى مرحلة يصح معهـا ان يقال ان مهمتها انتهت ؟

فكيف بعد هـذا يصوغ الاسـتاذ يحيى حقى مضمونه على ذلك النـحو الذي ظهر به في القسم الثاني من الكتاب ؟

كان اولى به ان يتخلى عن هـذا القسم ، فليس احد يجرؤ قط على مطالبته باطلاع الشمس . بل ربما وجد ألف ناقد يقرر في ثقة ان « الوضع » لم يتبلور بعد ، وأن الاصلاح لا يمـكن أن يتم الا بعد تعرف واثق لمعالم الماضى كله . والامر بالنسبة للفنان أعقد من هـذا ، لانه يرتبط اساسا بنفسية الاهلين ، وهذه تقوى روحية تحتاج الى وقت أكثر مما تحتاج اليه الماديات في حركة التطور الحتمى .

اننا نشعر احيانا ان الاستاذ يحيى حقى يريد أن يصنع شيئا ، ولكن بعده عن الموضـوع من ناحية وأخذه هذا الموضـوع من ناحية أخرى بعقلانية - دلت عليها لغته كمـا سنرى - لم يهيئا له حياة طبيعية نبصر فيها ونفكر بارادتنا ونحس على النحو الذي تقرره الطبيعة ، لا على النحو الذي يقرره هو . وكذلك يستعمل أسلوب الحكماء لاقناعنا عن طريق الراوي انه يملك القوة ، وانه يستطيع بها أن يرسم طريقا للخلاص .

قال سقراط « ان الحياة التي لا مجال فيهـا للاختيار ليست جديرة بان يحياها احد » ولم يجعلنا الاستاذ يحيى حقى نختار ، فهل ترى حيـاته التي اقترحها جديرة بان نحياها ؟

لا اظن .

- ٣ -

اذا اخذنا بتقسيم الاسـتاذ يحيى حقي للقصة بالطريقة التي صدر عنها في كتابه « فجر القصـة المصرية » ، وضعناه في المدرسـة الحديثة مع طاهر لاشين وتوفيـق الحكيم . والعجيب انه لم يذكر المازني في هذا الكتاب مع انه من المدرسة نفسها ، وقد ترك بصمات يده على فن كثيرين اولهم يحيى حقي .

وليس يعنيني الآن ان اقـارن بين الرجلين . فكلاهما تحـول باسلوبه من الشكل الى الجوهر ، وكلاهما عرب العامية على حظ شـارك فيه توفيق الحكيم بنجـاح مذهل ، وكلاهما يحرص على ان يجعـل وضوح الفـكرة وذكاءها قاعدة للجمـال المنشود .

ليس يعنيني ذلك ، وانما يعنيني اسلوب « صح النوم » كنتيجة لخبرات طويلة في معالجة التعبير ومحاولات لغوية استهدف بها يحيى حقي ان تكون اكثر تركيزا واكثر تكثيفا لأحاسيسه . وقد يبدو غريبا لأول وهلة أن يميل بي النقد هذا الميل ، الا أن الاسـتاذ يحيى حقي وهو الذي يرفض أساليب البـلاغيين ويحـاسب غيره من القاصين على لغتهم يغرينـا بمناقشة عبـارته لنرى الى أي حد يلتزم بدعوته كاديب وناقد .

فماذا فعل في صح النوم ؟

انا شخصيا اومن بان محـاولاته اللغوية سيظل مردها الى الذوق الشخصى ، ولكنى في الوقت نفسه لا انكر أن توفيـق الحكيم قدم نمطا من العربية السهلة اتسع للحياة بكل مفارقاتها ، بل قدم نمطا من الممكن أن يقرأ معربا وادراجا بلا مشقة ولا كد في كثير من الاحيان . وفي مسرحياته الاخيرة مثلا نرى نماذج من الحوار تكشف عن دواخل المتكلمين بلغة اشبه ما تكون بلغة الصحف ، واقرب الى أن تكون عامية ، ولكنها من غير جدل صحيحة لا عجمة فيها ولا لحن .

اما يحيى حقي فلا يفعل ذلك ، بل هو يصطنع أسلوب البلغاء من أمثال ابن المقفع فطالع ، ويتصنع فيه بين الحين والحين اسلوب العـامة من أمثـال الجزارين فتنازل . وفي بعض الاحيان يعرب الدارج كان يقول « لا تمشى بطنه الا اذا وقف القطار » و « تطير من الفرح » و « ينقطع لسـانك » و « عادت ريمة لعادتها القديمة » و « هـذا يوم مفترج » و « ثوب مفصل على قدنا » وهكذا ...

هى مشكلة بحق ، وتبدو اكثر لفتـا للنظر حين تقحم العبـارات المعربة والالفاظ السوقية وسـط

إتقانُ الفصحى عُدّة الأديب

بقلم: الدكتور مظهر سعيد

عندما كتبت مقالي عن – أسطورة اللغة العامية – الذي تفضلت بنشره مجلة « الرسالة » الغراء في عدد سابق ، كنت أقصد مجرد دق ناقوس الخطر ، تاركا الميدان للحريصين على سلامة الفصحى ، لغة القرآن الكريم والحديث الشريف والثقافة العربية والحضارة الاسلامية . ولكن بعض أساتذة اللغة وأعلام الادب طالبوني بالعودة لهذا الموضوع الخطير . وذكروني بأن الحملة الاستعمارية المتنكرة والسافرة ، التي بدأت في عصرنا هذا ، ضد الدين واللغة ، ماهي الا صورة مصغرة لما حدث في صدر الدولة العباسية ، في القرنين الثاني والثالث الهجري . فقد كان العرب قبل الاسلام يعتزون بلغتهم الأصيلة . وكانوا يتبارون في التنقيب عن الالفاظ والتراكيب الفصيحة من مظانها، ويشدون الرحال الى البادية التي بقيت لغتها محتفظة بخصائصها . ولما جاء الاسلام ونزل القرآن ازدادوا اعتزازا بلغتهم ، وحرصا على سلامتها من رطانة الاعجام ، الذين اعتنقوا هذا الدين ، وانضووا تحت لواء الدولة الاسلامية ، بعضهم عن ايمان ، فاتخذوا العربية الفصحى لسانا لهم ، وبعضهم كانوا في ظاهرهم مسلمين ، وفي باطنهم حاقدين على هذه الدولة الحديثة التي ذهبت بدولهم العريقة وأمجادهم العتيدة . وما دامت الفصحى هي لغة الاسلام ، فقد زعموا أن في افسادها اضعافا لهذا الدين .

وفي هذا يقول ابن قتيبة – ان العرب ، لما تفشى اللحن في اللغة العربية بسبب اختلاط العرب بغيرهم من الاعاجم، أشفقوا على القرآن أن يستغلق فهمه على الناس، وعلى السنة أن تطمس معالمها ، فهبوا لمحاربة هذا الوباء بالحض على التعلم وتدوين علوم اللسان من لغة ونحو .

وشرح ابن خلدون هذه الظاهرة في مقدمته ، فقال – لما كان اللسان العربي من شعائر الاسلام ، هجر الامم الداخلة في الاسلام لغاتهم وألسنتهم في جميع الامصار والملل ، وصار اللسان العربي لسانهم ، حتى رسخ ذلك لغة في جميع أمصارهم ومدنهم . وصارت الألسنة العجمية دخيلة فيها وغريبة . ولما تملك العجم ، فسد اللسان العربي وكاد يذهب لولا ماحفظه من عناية المسلمين بالكتاب والسنة . وذهبت أساليب اللغة العربية من الشعر والكلام الا قليلا ما يقع تعليمه صناعيا، وللقوانين المتدارسة في كلام العرب ، وحفظ كلامهم لمن يسره الله تعالى لذلك .

نصوص يقول فيها صاحبها «وجه حر أشم العرنين» و « عليها وداعة الشيحوخة وازوزارها » و « يلبس ثوبا قشيبا لم تعرك بعد خشخشته » و « نعم العمل عملك » و « نعوا عليه حماقته وأفن رأيه » كما يقول مذكرا ايانا بالمنفلوطي رحمه الله « أما هي فكانت تنام بالليل في فراش من حرير تهدهدها يد العز ، فتمضي نوما هنيئا تحدوه أحلام جميلة ، وبالنهار تتفتح فتنتها كالزهرة يندبها التحبب اليها ويؤرجها » .

ولم يبلغ استعمال الركائز الصوتية وعبارات «حبذا» و «نعم» و «ويح لك» من الانتشار في عمل قصصي معاصر ما بلغه في «صبح النوم» . ومع ذلك نلتقي معه بهنات نحوية أرجح أن تصنع المؤلف للدارج ورطه فيها ، من هذه تأنيثه الرأس وتذكيره البئر (ص ٧٧ ، ١١١) والعكس هو الصواب . ومنها قوله في صفحة ٤٨ «اليس أمامه باب الطلاق فسيح» وقوله أيضا « هما نعم **الزوجين المتحابين** » وفي صفحة ٥١ قال : « ان لها في بعض الاحيان نزوات لا نفهمها **وعناد** يغيظ » وفي صفحة ٧١ قال « أوجز قولا **مقمض** » وغير ذلك مما يطول التعرض له بغير غناء ، لاني أعلم أن الاستاذ يحيى حقي بطاقته اللغوية يستطيع أن ينقي عباراته من هذه الشوائب .

وعلى الرغم من ذلك كله – على رغم التعريب والتخطئة – فان أسلوب الكتاب لم يكن « على قد » للموضوع تماما . وظهر ثمة انفصال بين ريفية الحدث وعربية الادباء ، وكان من الصعب جدا أن نتصور واحدا كالجاحظ أو أبي حيان – ولا أقول بديع الزمان – يكتب عن قرية مصرية بكل هذه البلاغة التي يهاجمها الاستاذ حقي كناقد من نقاد القصة المعاصرة .

دكتور أحمد كمال زكي

وانما دفعت العناية بلسان مضر، عما فسد بمخالطتهم الاعاجم ، وكان القرآن متنزلا به والحديث النبوى مقولا بلغته، وهما أصل الدين والملة فخشى تناسيهما وانغلاق الافهام عنهما ، بانغلاق اللسان الذى تنزلا به، فاحتيج الى تدوين أحكامه ووضع مقاييسه واستنباط قوانينه ، وصار علما وأصبح فنا محفوظا وعلما مكتوبا ، وسلما الى فهم كتاب الله وسنة رسوله وافيا .

وفى موضع آخر يقول ـ لما غلب العرب على الامم فخالطوهم ، وتداولت بينهم فى لغاتهم الاكرة والفلاحين والسبى وفسدت لغتهم حتى انقلبت لغة أخرى تخالف لغة مضر ، ويخالف أيضا بعضها بعضا .

وقد سبق أن أدرك الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه أثر الفتوحات الاسلامية فى اللغة ، فكتب الى عامله بأذربيجان يقول : تعلموا العربية فانها تثبت العقل وتزيد فى المروءة . وقد فزع الخليفة المعتصم، وكان قليل الالمام باللغة ، عندما قرأ كاتبه أحمد بن عمار عليه كتابا ، جاء فيه : وامطرنا مطرا كثر عنه الكلا ، وسأله المعتصم عن هذا الكلا . فلم يعرفه ، فقال : انا لله وانا اليه راجعون . خليفة أمى وكاتب عامى .

وبدافع الحفاظ على الدين والفصحى وضعت العلوم اللسانية ونهضت فى العصر العباسى نهوضا حثيثا . فوضع الخليل بن أحمد فى سنة ١٧٠ هـ . كتاب « العين » وهو أول قاموس لغوى ، وتلته المعاجم اللغوية التى اكتملت فى القرنين الرابع والخامس الهجرى، ووضعت علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة وبيان . وكان الهدف من كل هذا ضبط اللغة وتنقيتها من الشوائب ، متوخين الفصيح من كلام القبائل التى لم تختلط بالعجم ، مثل قريش وهذيل وكنانة .

وقد لحظ ابن قتيبة أن كثيرا من الادباء والكتاب قد أهملوا النظر فى اللغة وما يتصل بها لقلة حصيلتهم وجهلهم بالكثير من مسائلها ، وانصراف من تابعهم عن النظر فى الكتاب الكريم والحديث الشريف وآثار السلف والصحابة ، وخشى على اللغة أن تنحرف أو تنحدر، ويقل ادراك الناس لوقائعها والفاظها وتراكيبها، فوضع كتاب ـ أدب الكاتب ـ ليرشد الكتاب الى مواطن الصواب ويجنبهم اللحن والخطأ . وكذلك فعل الجاحظ وابن المقفع والقلقشندى وغيرهم من فحول اللغة والادب .

وقد ساير هؤلاء الاعلام تطور اللغة بتطور الحياة العربية من البداوة الاصيلة الى الحضارة المختلطة ، فلم يتعصبوا للقديم لمجرد انه قديم ، ولو كان عربيا صحيحا ، وانما حاولوا توحيد اللغة وتنقيتها ، حتى تصبح مستساغة لجميع الطبقات والاذواق مع الاحتفاظ بفصاحتها ، وخاصة فى الادب . وهذا ابن قتيبة ، رغم شدة حرصه على توحيد اللغة وتعصبه للفصحى ، كما وردت على السنة القدامى ، يقول : ان الادب لا ينهض ولا يرقى الا اذا أطلقت مقاييسه الحرفية بأوسع معانيها . وكان ينفر من وحشية البداوة وغلظة الاعراب وينهى المتحدث عن أن يقلد استعمال اللهجات العربية القليلة الشيوع أو الشاذة، حتى ترقى اللغة وتتوحد وتتخلص من الطفيليات التى تبدد شملها . وقال الجاحظ : من الخطأ أن يجلب (الكاتب أو الاديب) ألفاظ الاعراب والعوام وهو فى صناعة الكلام داخل .

ومع أن النحو هو ميزان اللغة العربية ، والقانون الذى تحكم به، فى كل صورة من صوره، والميزة التى تتفرد به العربية عن غيرها من اللغات ، فان القلقشندى يرى أن التعمق فى النحو والمبالغة فيه امر مستكره، كالتعمق فى غريب القول والمبالغة فيه .

ويصح ان اشير الى ان الخطر الذى هال العرب فى ذلك العصر كان مجرد اللحن ، اى الخطأ فى نطق بعض الالفاظ ، وقواعد النحو ، مع احتفاظ الالفاظ ببنيانها العربى الاصيل ، فما بالنا بانتشار العامية وتغلغلها فى أدبنا الحديث .

ويقول بعض أنصار العامية من الادباء الناشئين، الذين يستعجلون الانتاج الادبى قبل أن يستكملوا أدواته ووسائله ، ان كل ما يطلب من الاديب قدرته على التعبير عن أحاسيسه وتجاربه وأفكاره بالاسلوب الذى يعتقد أنه يفهم به السامع أو القارىء ، ما يقول او يكتب . ولكن اللغة هى الوسيلة الاولى والاخيرة للتعبير الادبى ، وليس من شك أنه كلما ارتفعت الوسيلة ارتقت الغاية . ولا يستطيع اى مكابر الا ينكر الفرق الهائل بين مستوى الموال البلدى والزجل والاغنية العامية من جهة ومستوى المقامة والقصيدة الفصيحة من جهة أخرى والأديب الناشىء

بطبيعة الحال يبدأ في المستوى الأدنى ، وكلما ازداد اطلاعا وبصرا باللغة الفصحى اقترب رويدا رويدا من المستوى الأعلى • وكل فن يتطلب ممن يحاول ممارسته جهدا متواصلا ، ودأبا جادا في الاعداد والتدريب والممارسة، حتى يصبح فنانا • وهذا طريق وعر شائك دون شك ، ولكن قدامى أعلام الادب العربي ، رسموا الخطة المثلى للاديب الناشيء ، وأناروا له معالم هذا الطريق •

ففي رسالة عبدالحميد بن يحيى الكاتب: تنافسوا معشر الكتاب في صنوف الآداب • وتفقهوا في الدين وابدأوا بعلم كتاب الله عز وجل ، وارووا الاشعار واعرفوا غريبها ومعانيها ، أيام العرب والعجم واحاديثها وسيرها ، فان هذا معين لكم على ما تصبو اليه هممكم • وذكر القلقشندي أن الكاتب الاديب يحتاج الى علوم اللغة من النحو والصرف والبلاغة والبيان والبديع ، والقرآنالكريم والحديث الشريف وخطب الخطباء ورسائل البلغاء وقصائد الشعراء وأمثال الحكماء •وقال الجاحظ في كتاب يستحسن كلامهم : ما رأيت مثل طريقة هؤلاء الكتاب ، فهم التمسوا من الالفاظ ما لم يكن متقعرا وحشيا ولا ساقطا سوقيا • وقال ابن الاثير : يفتقر الكاتب الى ثمانية أنواع من الآلات ، منها : معرفة علم العربية من نحو وتصريف ، وما يحتاج اليه من اللغة وهو المتداول المألوف في فصيح الكلام ، غير الوحشي الغريب ولا المستكره المعيب ، ومعرفة أمثال العرب وأيامهم ، والاطلاع على تاليفات من تقدمه من ارباب الصناعات ، والحفظ للكثير منه ، وحفظ القرآن الكريم والتدرب باستعماله وادراجه في مطاوي كلامه ، وحفظ ما يحتاج اليه من الاخبار الواردةعن النبي صلى الله عليه وسلم ، والسلوك بها مسلك القرآن الكريم في الاستعمال • وقال ابن قتيبة : لا تكتمل ثقافة الاديب ما لم يتزود بقدر صالح من المتخير من كلام البلغاء وفطن الشعراء وآثار السلف، ليروض نفسهعلى الأخذ بما فيها من سنةحسنة وسيرة قويمة وأدب كريم وخلق عظيم ، ويصل بها كلامه اذا حاور ، وبلاغته اذا كتب•وقال ابن خلدون ، في باب التربيةوالتعليم : ينبغي لمن يرومتحصيل اللغة الفصحى ونقل ملكتها ، أن يأخذ نفسه بحفظ كلام العرب الجاري على أساليبهم في القرآن والحديث وكلام السلف ، وحفظه لكلامهم فيالمنظوم والمنثور، معرفة من نشأ فيهم ولقن العبارة عن المقاصد منهم ، ثم يتصرف بعد ذلك في التعبير عما في ضميره على حسب عباراتهم وتاليف كلماتهم ، وما وعاه وحفظه من أساليبهم وترتيب الفاظهم ، فتحصل له هذه الملكة وبزداد رسوخا وقوة • وعلى قدر المحفوظ وكثرة الاستعمال تكون جودة القول نظما ونثرا •

***

وليس من شك أن الجهد شاق والمطلب عسير والبصر بدقائق الفصحى أمر صعب ، ويزيد الامر صعوبة أن حركة التحضر والتأثر بالثقافة الغربية ، حملت المشرفين على شئون التربية والتعليم في بعض البلاد العربية على اقتباس أساليب بعض البلاد الغربية في تعليم لغاتها ، متجاهلين الفروق الكبيرة بين طبيعة العربية الفصحى وغيرها من اللغات • ومع هذا فان اتصال الثقافة العربية ، في صدر الدولة العباسية، بالثقافات الفارسية واليونانية والهندية ، لم يحل دون الاحتفاظ بسلامة العربية الفصحى ، بل على العكس ، تعربت هذه الثقافات واندمجت في الثقافة العربية ، فاتسع افقها وتعددت ميادينها ، ومع ذلك بقيت لغتها هي هي ، العربية الفصحى الاصيلة النقية •.

***

وما دام أهل هذه الثقافات الاعجمية ، قد اقبلوا على دراسة اللغة العربية ، وهي غريبة عليهم، بعيدة عن لغاتهم الاصلية ، فحذقوها وأتقنوها ، وألفوا فيها، وصاروا من أئمتها وحملةلوائها ، ومنهم من العجم : حماد الراوية وخلف الاحمر وسيبويه والكسائي والفراء وبشار والجاحظ وابن قتيبة ومن الهنود أبو نظام وأبو معشر ، ومن المحدثين اميرالشعراء الكردي أحمد شوقي ، والشاعر التركي الفحلمحمود سامي البارودي،فاحرى بالكتابوالادباء العرب الناشئين ، الذين ولدوا ونشأوا وتربوا في بيئة عربية ، وكانت العربية الفصحى وسيلةتعليمهم وتربيتهم ، أن يقبلوا على الفصحى ، ينهلون من معينها الصافي، ويغترفون منبحرها الطامي ، وبشيء قليل من الصبر والدرس والتحصيل ، يحققون ما يصبو اليه طموحهم من انتاج عريق قيم ومستوى ادبي رفيع ، ويصبح أدبهم قوميا مذكورا في العالم العربي كله ، لا ادبا عاميا محليا لا يتعدى حدود البيئة التي يتناولها ، ولا يكتب له البقاء والخلود •

على أى أساس نبنى ثقافتنا ؟

للدكتور عبد الرحمن عثمان

جاشت فى نفسى خواطر شتى حول موقفنا من الثقافة الانسانية ، ونحن نبنى لبلدنا مجدا يقوم على خلق مجتمع جديد يفيض بالحيوية والنشاط ، ويتسم بالوعى المثقف ، ذلك الوعى الذى ينبغى ان يخالط الكيان العربى كله ، بحيث تصبح وسائله شركة بين الأفراد والجماعات ، فيصيب منها العالم والاديب ، كل على قدر طاقته واستعداده ، وينال منها الفلاح والعامل الأنماط التى يألفها فى محيطه، ولا ينكرها أسلوب عيشه وطريقة تفكيره فى القرية والمصنع .

ولأن الثقافة تعتبر للانسان ضرورية كالماء والهواء ، احسست بشعور قوى من الابتهاج لذلك التخطيط الرائع الذى تضمنه مقال الاستاذ الدكتور عبد القادر حاتم وزير الثقافة والارشاد ، والمنشور بالعدد الخامس والعشرين من مجلة « الثقافة » بعنوان : « ثقافتنا القومية ، والثقافات العالمية » ، فهو الى جانب ما رسم من اتجاه واضح لثقافتنا القومية وما ينبغى أن تقوم عليه ، عنى بالنظر فى الماضى ، ووقف عند الحاضر الذى نلمسه ونراه ، واستشف المستقبل الاشتراكى فى نطاق الثقافة التى يراها للشعب العربى كله .

ولهذا جاشت الخواطر فى نفسى حول الكيان العربى المتماثل وما يتهيأ له بطبعه من ثقافة مادية وروحية ، فالعلوم والفنون متضافرة كلها فى خدمة الانسان ، والسمو بحياته كما وكيفا .

***

وغنى عن البيان أن نعرف الثقافة ، بأنها ثمرة الفكر الانسانى — على اختلاف العصور — فى مجالاته المختلفة ، ويعجبنى ما عرفها به « رالف منتون » : من أنها « كل » تتداخل أجزاؤه تداخلا وثيقا ، ولكن من الممكن ان نتصرف فيه على شكل بنائى معين ، اى نتعرف فيه على عناصر مختلفة

هى التى تكون « الكل » ، وهى ثمرات الأفكار » .

وهى بهذا الاعتبار تكاد تكون اقدم رحالة عرفه العالم ، فقد ذرعت الأرض شرقا وغربا ، وجابت رقعتها شمالا وجنوبا ، واختلفت الى ما نعرف من الشعوب منذ القدم حتى عصرنا ، على انها فى هجرتها الدائبة لم تأنس بجنس واحد ، ولم تعاهد امة بعينها على أن تقيم بين ظهرانيها الى الابد ، وانما تأنس الى الذكاء وبشاشة الاستقبال من الجنس او الأمة ، بحيث يضيف الذكاء الى مادتها شيئا جديدا تزدهر به ، وتكفل لها بشاشة الاستقبال ذيوعا وتمكنا فى العقول والعواطف ، وانعكاسا واضح القسمات فى السلوك العام للحياة الاجتماعية ونظامها السياسى الذى يجب ان يتفاعل مع الثقافة تفاعلا يحقق ما تهدف اليه من العدل والمساواة والحرية للمواطنين على السواء ، فأما حين يتحلل الجنس وتتخاذل الأمة ، فان الثقافة عندئذ تنكر وطنها ، وتتحول عنه الى مستقر آخر تراه حفيا باهدافها حفاوة تشجعها على الرحيل اليه فى عجل واغتباط .

ومعروف أن الثقافة قد هاجرت من مصر القديمة ، والصين الى اوربا فى ، وبابل ، وآشور اثينا ، ثم فى روما ، فلما عرض لها فى أوربا مثل ما عرض لها فى الشرق عادت اليه مرة ثانية فى بغداد كما يعود الغريب الى داره بعد غيبة طويلة شاقة ، فأنست به ، وانس لها ،ثم صحبها العرب الى اسبانيا فكانت فجرا للنهضة الاوربية الحديثة .

***

واذا كان العلم بهذه الدورة الثقافية يعتبر من قبيل البدهيات المسلمة لدى الباحثين ، فان صلة ذلك بكياننا العربى الحديث تحتاج الى دراية ذكية فى انتخاب الانماط التى تدعم الأسس فى هذا الكيان المتناسق ، والاختيار فى هذه المرحلة بالنسبة لمجتمعنا يفتقر أيضا الى كثير من الحذر والفهم ، حتى لانقحم على قوميتنا العربية ماقد يبدو متنافرا مع مقوماتها الاصيلة ، تلك المقومات التى يرتكز عليها الكيان العربى كله .

فاذا وضعنا نصب اعيننا اننا نبشر بثقافة جديدة تنهض بمجتمعنا الاشتراكى العربى ، وجب

علينا أن نرسى قواعدنا الثقافية على أسس من تقاليد عروبتنا ،وأمجاد قوميتنا ، ومطالب حياتنا ، فى أوسع اطار يضم الوسائل والاهداف لبناء كيان قوى للأمة العربية كلها .

واجتلاب الألوان الثقافية المتنافرة فى بناء الصرح الثقافى القومى ، لا يقتصر ضرره على مجرد « الترقيع » الذى تتقذى به الأنظار من رؤية بناء متنافر فى جوهره وشكله ، وانما سيتعدى ذلك الى الاسراع بتقوض الصرح من قواعده ، وذلك لعدم الانسجام فى تركيب المواد الأساسية ، مما يفقدها قوة المقاومة والتماسك امام الاحداث التى قد تعرض فى فترة من فترات الشدة .

***

ومما لاجدال فيه ان هناك ثقافات عالمية قد استفادت منها ثقافتنا القومية ، او هى على شرف أن تستفيد منها ، فاننا الآن نتخذ مكان الاوربيين ، حينما تتلمذوا للتراث العربى فى الاندلس وذلك قبيل عصر النهضة فى اوربا ولكنهم — والحق يقال — كانوا جديرين بما استحدثت ثقافتهم من حضارة اذهلت العقل البشرى فى تألقها منذ تسعة عشر عاما ، وهى فى كل عام او أقل تطالعنا بالمعجز الذى يدق علينا فهمه ، وانما تم لهم ذلك حينما استطاعوا أن يطبعوا الثقافة بطابعهم الخاص ، بما لهم من ذكاء واقبال أتاحا لهم أن يستحدثوا فيها أنماطا جديدة ، وأن يضيفوا اليها ثروة فكرية أمدتهم بمصادر القوة والتسلط ، فطوعوا العلم لحياتهم ، وراضوا وافتونه على ما يشتهون ، وكذلك صنع العرب فى القرن الثانى من الهجرة بما قبسوا من ثقافة اليونان .

ولن يضير الكيان العربى فى شىء أن يقتبس الملائم من الثقافة الانسانية ، ولكن لا بأسلوب المتهالك الغافل عن وظائف الخصائص الذاتية ، والمقومات التى تتحكم فى الكيان كله ، فان اختيار ما يوافق الخصائص والمقومات امر ضرورى فى هذا المجال .

ولا مبرر للفزع من طائفة تدعو الى الاقبال على الثقافة الأوربية جملة فى دعم قوميتنا ، فهذا التصايح الذى يرتفع الى آذاننا حينا بعد حين من كتاب عرب — حسنت نياتهم أو خبثت — مصدره العجلة الى تثقيف مواطنيهم حين تحسن بهم الظن ، ولعل الاعتذار عنهم يكون اقرب الى الصواب حين نقول : انهم كانوا فى دعوتهم تلك بعيدين كل البعد عن فهم حقيقة التطور الثقافى فى العصور المختلفة بل كانوا غافلين عن التعرف على المصادر الاصيلة التى يتجمع منها الوعى الثقافى فى الامم على مر العصور وتعاقب الأزمنة ، واعتقد انهم لو فطنوا الى هاتين الحقيقتين وتأملوهما بامعان ويقظة لكان لهم فى الدعوة الى الثقافة رأى آخر لا يبعد عما ينادى به كل عاقل حصيف فى مجتمع اشتراكى عربى يراد له نوع ثقافى يشد وسائله الى غاياته الانسانية النبيلة برباط من المشاعر والافكار متجانس لاتنافر فيه ولا عوج .

***

وعلى هذا فكياننا العربى يجب ان ينهض على اصول ثقافية قومية ، بحيث تضرب جذورها فى تربة عربية صميمة ، وتستمد فيه البراعم حياتها ونضارتها من غذاء تكمن أنواعه فى بيئة قومية ، تلك البيئة التى نراها للوطن العربى كله وفى اوسع معنى نعرفه لها ، وذلك هو الأصل الذى قصدنا اليه من كتابة هذا المقال .

ولا بأس — بل من الخير — أن نعمد فى أمر ثقافتنا الى الاخذ بنظرية « التلقيح » فيما يعود على هذه الثقافة بالنماء والازدهار ، لأننا لا نؤمن بنظرية الانكماش والعزلة ، فالثقافة من حيث هى ثقافة ليست ملكا لأمة دون امة ، ولا تراثا لقارة دون اخرى على نحو ما بينا فى صدر الحديث ، فان الأخذ من ثمرات الافكار الانسانية لا يعتبر ضربا من « القرض ، أو الاستيراد » ، وانما هو أسلوب مشروع من أساليب التبادل الفكرى ، لا ينجم عنه ان يكون الآخذ بسببه مفضولا ، والمأخوذ منه فاضلا ، اذ لا يتحقق معنى الاعارة هنا ، لأن التعبير باستنشاق الهواء امر لم يقل به احد .

***

واليوم ، وقد صحت العزائم القوية فى الشباب العربى ، واتجهت الى تشييد الكيان القوى للامة كلها ، ورسمت لذلك منهجا قويما فى ظل النشاط والوعى ، وفى حياطة العدل والحرية والتساند ، فى هذه الفترة من حياتنا الاشتراكية يجدر بنا أن نبشر بثقافة تنبع من تقاليدنا وعاداتنا ، وتمثل طموحنا وآمالنا فى المستقبل ، وان نهيىء الشباب فهم الطبيعة التى يرتكز عليها المجتمع العربى بهذا

الشواعر السكندريات الأوربيات

بقلم : نيقولا يوسف

تحدثنا فى المقال السابق عن الشعرا، السكندريين الاوربيين ، وفى هذا المقال نتحدث عن الشاعرات السكندريات الاوربيات · اشهرهن : « بتروندو باليولوغو » و « اليزابيث بـــاراس » .. ثم الشاعرات الثلاث : مارى بنول ، واوبى باباستامو ، واماليا نيقولائيدى ..

وولدت كبيرة شاعرات الاسكندرية ـ بتروندو باليولوغو عام ١٩١٨ ، وتوفى والدها وهى طفلة .. فادخلت بالقسم الداخلى من مدرسة اليتيمـــات « بيناكيو » بالاســكندرية ، ثم بالمدرســة الثانوية بالشاطبى ، وارسلت عام ١٩٣٧ فى بعثة تعليمية الى كلية المعلمات بأثينا وعادت الى الاسكندرية لتمارس التعليم · ثم عينت فيما بين ١٩٣٩ ـ ١٩٤٤ ناظرة لمدرسة البنات الابتدائية «كاميليادس» ، ثم لمدرسة « افيرون بالثغر » ·

وفى عام ١٩٤٤ انشات « بتروندو » مدرسة خاصة لتعليم الاطفال وسمتها «ليسيه الاسكندرية» فما لبثت ان اصبحت مدرسة نموذجية فى نظامها وتعليمها ··

وفى عام ١٩٥٠ سافرت فى بعثة الى جامعة السوربون بباريس ، وبمعهـد التربية هناك ، وعـادت الى الاسكندرية لتدير مدرستها على احدث النظم · · وظلت تشـتغل بالتعليم هنا حتى عام ١٩٦٠ حين ارتحلت مع زوجها المدرس الى قبرص للعمل بمحطة الزراعة هناك ـ بعد ان اشتغلت بالتربية والتعليم زهاء ثلاثة وعشرين عاما ··

وكانت الشـاعرة الثائرة « بتروندو » فيما بين ١٩٣٩ ـ ١٩٥٨ قد طبعت باللغة اليونانية تسـعة دواوين من الشعر ، واربعة كتب تربوية ··

وصدر ديوانها الاول عام ١٩٣٩ بعنوان « قطرات الندى » ، واعقبته عام ١٩٤١ بديوان سمته « واغان اخرى » .. ثم بمجموعتين نشرتا عام ١٩٤٢ احداهما باسم « الخلاص » والاخرى « اغنيات للاطفال » نظمتها لتلاميذها ، واعيد طبعها عام ١٩٤٨ وبها اغان عن : النيل : والقطن ، والنخلة ، وطفـــل عربى ، وقارب الصيد ، والبحر ، والعامل ، والآلات والصحة ··

النوع المنبثق من صميم عروبتنا ، والذى يسـتمد قوته من نبعها الهادر الثر ، على أن يقوم ـ قبل كل شىء ـ كما اسلفت على التقاليد والعادات الاصيلة ، وذلك هو دورنا فى تدعيم ثقافة تصـــدر عن كياننا الاصيل ، فتدرســـها جامعاتنا فى عمق وتحليل ، حتى يضاف اليها الجـديد فى كل باب من أبوابها عاما اثر عام ، ولتمتد جذورها فى كل قرية من قرانا الظماى الى المعرفة ، ولتجد طريقها الواضح فى جو المصنع الذى يغشيه الدخان والضجيج .

فاما واجبنا فى هذه الفترة حيال ما نقبس من الثقافات العالمية ، فواضح كل الوضـــوح ، لانه لا يقتصر على مجرد الاقتباس او الترجمة ، فذلك هين لمن يحذق لغة أجنبية ، وانما يمتد أثره الى بذل كثير من الجهد والفهم فيما نقتبس ، ويقتضـينا ـ بعد هذين ـ شيئا من الملاءمة بين تقاليدنا وبين الوافد الجديد ، فاذا أنسنت به ، أخذ مكانه الذى لا يقلق به أبدا ، واذا انكرته ، نزل كما ينزل الضيف غير محجوب عن القـــرى ، وان كان محجوبا عما سواه .

وبعد ، فهل لى ان أؤكد : ان تقدمنا الحضارى فى منطقة لها خطرها فى العالم اجمع ، يتوقف الى حد بعيد على تحديد اتجاه معين تصنعه افكارنا الوافدة من البيئـــة العربية التى نؤمن بها ايمانا لا يخالطه شك ، ولن يتأكد ذلك فى مجال الثقـافة العربية الحديثة ، الا اذا استطعنا صياغة الجوهر الثقافى العالمى فى شـكل جـــديد من اللون العربى الصرف ، ولا يكفى فى هذا الصدد ان نزيل الطلاء الذى يخفى وراءه الجوهر ، لأن اعادة التشكيل من جديد ، امر ضرورى لا محيد عنه ، فاذا صـــار سبيلنا الى هذا ، تحدد كياننا العربى اتم تحديد ، وتميز عما سواه بأصالة تنزع الى الواقع فى مجتمع عربى ، تحب له الاستقلال الثقافى ، كما استقل فى سياسته واقتصاده .

دكتور
عبد الرحمن عثمان

وفى ١٩٤٥ نشرت ديوان « نحو النسور » وفى ١٩٤٦ : « الشرق الاوسط » وفى ١٩٥٠ « سيمفونية الحب » وفى ١٩٥٦ : « اهداء » ..

وكان آخر ماطبعته بالاسكندرية عام ١٩٥٨ من مجموعاتها الشعرية التسع ديوانا باسم « نطاق الحب » قسمته الى ابواب يدخل من كل منها نوع من الحب ، حب الأوطان ، وحب الناس ، وحب الفن .. وما أشبه ، وتضع للباب الثانى هذا العنوان « أوطاننا أرواحنا » وفيه تتغنى بحب مصر وقبرص، واليونان .. وبه قصائد عن: الاسكندرية، والعرب البدو ، وحاملات الجرار (فلاحات مصر) وصور من الاقطار التى زارتها ، وكانت قد طافت بعدد من بلاد أوربا وامريكا ..

وتختص قبرص فى كفاحها من أجل الحرية بالباب الثالث ، ومن قصائدها : « الى قبرص فى ثورتها » و « أغنية الحرية » و « الى قبرص الباسلة وشعبها الشهيد » و « افلاس المتمدينين فى قبرص ».

فقد ثارت الشاعرة لما رأته من قمع الاستعمار الانجليزى للحركة الوطنية بقبرص ، وكفاح الوطنيين بها من أجل الحرية ، ثم اهتزت لانتصار شعبها ؛ ولزيارة مكاريوس لمصر .. ففاضت شاعريتها ؛ ونظمت تلك القصائد الثائرة كما نظمت مثلها عن مصر من قبل ..

وها هى « بترونده » تخاطب بلدتها الحبيبة — الاسكندرية فى احدى قصائدها اليونانية :

« اسمك موفور . يا وطن روحى
يا عروس الفنون — يا اسكندرية ..
ها أنت تهبين من سبات السنين ذات المرتقيات والمهابط .
وتطلين على البحر بعين اكثر من عين مشارتك سطوعا ..
يا اسكندرية البطالمة ، والرومان ، والبيزنطيين ،
يا اسكندرية العرب ..
كم سفين تهادت على رمال شواطئك ..
ومراكب التجار ، وجروم القرصان ..
وتقدمات شكر كثيرة — كانت تملأ هياكلك ..
ونساك جياع ... وملوك شباع ..
.. وحكماء ، وفلاسفة ، وهرطوقيون ..
— مؤمنون ، وملحدون ؛
كانوا عن « حجر الفلاسفة » يبحثون
وشعبك كان كعبة الاهم المجهول
وتكر الاجيال .. وتسطع مشاعل الحرية —
وها هى ذى طرقاتك ودروبك تضج فى عهد « عرابى » بالتهديد والوعيد .
وبالسفك .. وبالمشانق ..
وسفن القرصان (الانجليز) ترسو فى مرفاك ..
وتملأ الفضاء بالبارود ..
وتبدأ المساومة — وتباعين فى سوق العبيد ..
والاصفاد فى ساقيك ..
وتحن روحك الى الانطلاق —
الى ايام آمون .. ايام الاسكندرية !

***

اسكندرية !
يا وطن روحى !
لطالما حنوت اليك ..
احببتك من اعماقى ..
وكلما رحلت عنك ، عدت اليك —
فى شوق وحنين .
لم تكن المحاسن الصارخة ، محاسنك ..
— فلا شوامخ الجبال ، ولا وعر الوديان ، ولا كثيف الغابات ..
ولكنها البساطة فى مراطك المستقيم .
— امتداد فى استواء ... والأفق مكشوف ..
وتحيات بنفسجية (من لون البحر والسماء) —
من جارتك — يونان ..
يحملها اليك البحر المتوسط —
كما تحمل اليك ريح الجنوب قبلة استوائية حارة .

***

اسكندرية !
يا وطن روحى !
كل ركن فيك له عندى ذكريات .
وكل طريق قصة .. ووقفة فى حياتى ..
وفى جوك الثرى ، نشأت وترعرعت ..
وعرفت الجزع .. والمرارة .. والحلم .. والامل ..
وذقت التعس .. والسعادة ..
والعمل المضنى والكفاح ..
فليباركك الله — اسكندرية !

***

وتقيم اليوم بالاسكندرية الشاعرة اليونانية المولد، السكندرية النشأة — اليزابيث بساراس — وقد ظهر لها حتى عام ١٩٦٠ ، أربع عشرة مجموعة شعرية ،

منها اثنتان بالفرنسية ، والباقي باليونانية ـ الى جانب محاضراتها واقاصيصها ومقالاتها ، التى تنشرها من حين لآخر في الصحف والمجلات، وبخاصة بجريدة « تشيدروموس » اليومية السكندرية التى تشتغل محررة بها منذ عام ١٩٤٢ .

وكانت قد جاءت الى هنا طفلة من مسقط رأسها في احدى قرى « البلوبونيز » اليونانية مع والدها الاستاذ بساراس المحامي ، وأمها المدرسة بمدارس استانبول ، وتوفي الوالدان وبقيت الشاعرة بعدهما تواجه الحياة وحيدة ، واشتغلت بالكتابة والتصوير .

وهي في جل ما تنظم وما تنثر ، تعيش بمشاعرها في هذا الجو السكندرى العربي الذى نشأت فيه ..فهي شديدة الارتباط ببلدتها الاسكندرية بخاصة، وبالاقليم المصرى والشرق العربي بعامة ، وتعد اليونان شقيقة البلاد العربية في التاريخ والكفاح . ولطالما طوفت بالمدن المصرية تستلهمها الشعر ، فزارت اسوان ، والاقصر ، وسيوه . وسقارة .. وغيرها من البقاع .. ولم تبرح مصر منذ صباها غير مرة واحدة زارت فيها بلاد اليونان عام ١٩٥١ .. فنظمت القصائد عن النيل ، وحقول القطن والقصب ، والفلاح ورمضان ، ومريوط .. كما نظمت عن الاسكندرية في حاضرها وماضيها .. ثم افردت ديوانا خاصا بشعراء العرب القدماء والمحدثين ، نشرته عام ١٩٥٤ ، وترجمت فيه الى اليونانية نظما عددا من قصائدهم العربية .

ومن اقاصيصها التى اربت على المائة ، نشرت مجموعة عام ١٩٤٣ بعنوان « الاسكندرية المكافحة » استلهمتها من أحداث الحرب العالمية الاخيرة ..

وكان ديوانها الاول قد طبع بالاسكندرية عام ١٩٣٥ بعنوان « ورد ولهب » وبين قصائده اغنيات عن النيل ، ورمضان وشجر الأرز ..

وتلاه ديوانها الثانى عام ١٩٤٠ بعنوان : « على اجنحة النصر » استلهمت قصائده من أحداث الحرب العالمية الثانية ، وكفاح الشعوب من أجل حريتها ..

وما لبث أن أعقبته عام ١٩٤٢ بديوان ممائل آخر سمته « اذهب الى المعركة وعد منتصرا ــ أو لاتعد» وهي العبارة التى كانت الام الاسبرطية في القديم توصى بها ابنها في طريقه الى الميدان .. وتضم هذه المجموعة سبعا وعشرين قصيدة ثورية منها : « الليل في المعسكر » و «ربع الساعة الاخير لجندي» و « متى يعود السلام » ؟ .

وفي عام ١٩٥١ عادت مطابع الاسكندرية تصدر للشاعرة مجموعة باليونانية بعنوان : «طيور البحر» وأخرى بالفرنسية باسم « ورود متناثرة » وبه قصائد وجدانية واخرى من وحى الحرب العالمية..

ثم ظهر ديوانها : « الفراشات » عام ١٩٥٣ وبه ثمانون قصيدة بينها ، الاسكندرية ، مريوط ، فيضان النيل ، اكتوبر بالاسكندرية ، وغيرها ..

وفي عام ١٩٥٤ صدر للشاعرة بساراس خمس مجموعات سمتها : « الجنادب » و « رعود الحرب »، و « البلابل الغريبة » و « المزامير العربية » و «باقة صغيرة » ــ وكلها باليونانية ماعدا الاخيرة فهي بالفرنسية ..

واما مجموعتها السالفة الذكر : «المزامير العربية» فقد اختصته بشعراء العرب القدماء والمحدثين ممن ترجمت اشعارهم الى اليونانية نظما ومنهم المتنبى، وابن الرومى ، وابن زيدون ، وعنترة ، وامرؤ القيس ، والخنساء ، ومجنون ليلى .. وهم نحو عشرين شاعرا عربيا .. ومن المحدثين : أحمد شوقى ، ومطران ، وأحمد راسم ، وغيرهم ..

كما ضمنت هذا الكتاب ثلاث محاضرات عن « الاغانى المصرية الشعبية » و « الشعر المصرى القديم » و « الشعر العربى القديم والحديث » ..

ثم نشرت عام ١٩٥٧ ديوان : « ليال معطرة » ومن قصائدها « الشتاء في الاسكندرية » و «شهداء الحرب» .. وظهر لها عام ١٩٦٠ مجموعة باسم « البحار » ، ومن قصائدها : « مريوط » و «منارة الاسكندرية » و « بنات بحرى » و «قصب السكر» و « الملدين » ..

وتتغنى بساراس بالاسكندرية فتقول :

« البحر الأبيض ــ اللازوردى ــ يقبلك ..
والنيل العظيم فى رقة ، يعانقك ..
والتاريخ يشيع مجدك ..
وابنة افريقيا تدعين ..
ووليدة يونان تسمين ..
مليكة عظيمة ذات تاجين ..
وطفلة جميلة ذات أمين .
أمامك تسجد العصور ..
وعند كل غروب شمس ــ
تخلفين صورة متأججة ،
في سمائك الذهبية المتوهجة .
اسمك الاغريقى المجيد ..

يشير الى افريقيتك ..
ولكن الخماسين يسطع على محياك .
ويضفي عليك جمالا لوحته الشمس ..
فأمك الثانية افريقية !

وكانت الشاعرة « ماري ينولي » قد اصدرت ديوانها الأول امسيات شاحبة عام ١٩٣٣ يوم كانت في العشرين .. ثم كانت تنشر بعد ذلك أشعارها في الصحف والمجلات ، واتخذت من الاسكندرية موطنا والهاما .. وتطبع الشاعرة « أوبي باباستامو » ديوانا يجمع أشعارها عن الاسكندرية الحديثة والقديمة ، وعن الثورة العربية الحديثة ، وكفاحها من أجل السلام العالمي وحرية الشعوب المستعمرة .. ونشرت الشاعرة « أماليا نيقولائيدي » ديوانها الأول عام ١٩٥٢ ، ولها قصائد عن الفلاح المصري والقاهرة ، والاقصر والآثار المصرية .. كما ترجمت الى اليونانية الكثير من شعر أونجريتي الشاعر السكندري المولد ..

***

ونذكر هنا ثلاثة من الشعراء السكندريين الذين نظموا بالفرنسية وحدها ـ ولد اثنان منهم بالاسكندرية ونشأ الآخران بها ، وقضى جميعهم معظم العمر ، كما نظم شعره بهذه المدينة وتأثر بحياتها وصورها .

فقد ولد الشاعر « لويس فليري » بالاسكندرية عام ١٨٨٢ من والدين مالطيين ، وتعلم بمدرسة الفرير بالثغر ، وبعد أن جرب حظه في التجارة ، تركها الى الصحافة ـ هوايته ـ وكان عام ١٩٠٣ رئيسا لتحرير جريدة «لاريفورم» اليومية الفرنسية. وطبع بالاسكندرية عام ١٩٠١ ـ مجموعة شعرية باسم « اشعار الفجر » ، وفي عام ١٩٠٣ مجموعة ثانية بعنوان « القلق المصطنع » .. ويقول أحد نقاده : ان في اشعار لويس فليري الاولى أثر بودلير وفرلان ولكنها تصطبغ بالرقة السكندرية ، والسلاسة اللتين لازمتاه دائما .. وكان يبتكر في شعره ويتفنن ويجدد ، وينظم الشعر الحر وله أغنيات عاطفية وصور مصرية ..

كما كانت له جهود في تنظيم المحاضرات الادبية ، والقى منها عددا في أندية الاسكندرية ـ وتوفي بالقاهرة عام ١٩١٨ .

وكذلك ولد الشاعر راءول لكنسون بالاسكندرية عام ١٨٦٢ وعاش ٨١ سنة وتوفي سنة ١٩٤٤ . ونظم الشعر بالفرنسية ، ولكنه لم يجمع بعد ، وان كان قد نشر بعضه في كتب المختارات الشعرية . ويمتاز شعره بالكيف لا بالكم، وبالاضافة والرشاقة .

وكان الشاعر « هنري توبل » فرنسي الأصل ، ولد عام ١٨٨٥ وجاء الى مصر عام ١٨٩٥ طفلا في العاشرة اذ كان والده مهندسا في السكة الحديدية المصرية وتلقى الصبي تعليمه الأول بمصر ثم ذهب ليتم تعليمه الهندسي بجامعات فرنسا وعاد عام ١٩١٠ مهندسا بمصلحة الموانى والمنائر بالاسكندرية .

وهناك في بقعة خلوية بين المكس والعجمي ، اتخذ الشاعر مسكنه ، وكان في الأصل بيتا بنته شركة قناة السويس ثم هجرته اربعين عاما ، فأصلحه وجعل منه محرابا للشعر والفن ، وكان يستقبل في الآحاد اصدقاءه في تلك الصومعة ـ وكان منهم المصور السكندري محمد ناجي، والشاعر أونجرتي، والقصاص « أنريكو بيا » ، وهناك زارهم مرة « بيرينو » وقرا عليهم قطعة من مخطوطته : « بئر يعقوب » ..

وفي خلال أعوام طوال كان ذلك الخليج المنفرد في العجمي وصحراء مربوط بين البحر والنخيل ، مهبطا لوحيه الشعري . فجمع من اشعاره يومذاك ديوانه الأول « مصباح الارض » الذي طبعه بباريس عام ١٩١٢ ، كما طبع بعد ذلك عام ١٩٢٠ كتابه : « ادب وشرق » الذي يتضح فيه حبه للاسلام ، والشرق وروحانيته ..

وكتب ناقد لشعره في مجلة فرنسية يقول : « تمتاز اشعار هنري توبل بحرارة شرقية ، وسلاسة هيلينية ، ونكهة اسلامية ، تجتمع معا في شكل عجيب »

ثم نشر بباريس عام ١٩٣٢ ديوانا آخر سماه : « لعبة المرج » ..

ولهذا الشاعر ايضا ، شرح لأطلس الاسكندرية التاريخي طبعه بالقاهرة عام ١٩٢٢ وفي عام ١٩٢٧ .

الصدق الشعوري والشعر المعاصر

بقلم : عبد الحي دياب

ان المتتبع لما ينتجه شعراؤنا المعاصرون فى هذه الايام من شعر يأسى لما آل اليه ذلك الفن الرفيع على يد هؤلاء . حتى كان ذلك سببا فى هروب جمهورهم المثقف الواعى الى عالم القصة والمسرحية . لان الشعراء فى نظره لا يعبرون عن الحياة بمعناها الصحيح، فهم يمدحون الشيء ويذمونه فى آن واحد، ويهنئون الانسان ، فى الوقت الذى لم ينفضوا ايديهم من تراب الميت . الى غير ذلك من الأشياء التى باعدت بينهم وبين جمهورهم الذى آلى على نفسه الا يجعل نفسه نهبا مشاعا للترهات والاباطيل التى يرسلها هؤلاء الشعراء صيحات تنفر من الشعر وتباعد بين الناس وبين تكوين الذوق السليم ، نظرا لما يلقى عليهم من شعر غث ، يختصم الجودة والاصالة ، بينما تظهر فيه آثار الصنعة التى ترفدها تلك الملكة « العضلية » التى تكمن فى الوزن والتقفية، والتوشية بالمحسنات البديعية التى ذهب ريحها فى الشعر الاصيل .

ولكى ندعم حديثنا عن غثاثة الشعر وركاكته ، اللهم الا القليل الاقل الذى لا يكون حكما ، سنعمد الى الحديث عن احدى الظواهر الشعرية التى استخلصناها من الشعر المعاصر ، وتتمثل تلك الظاهرة فى **« افتقاد الصدق الشعورى فى الشعر »** اى افتقاد التجارب بين الوجود الخارجى المثير للانفعال ، وبين الوجود الداخلى الذى ينصهر فيه هذا الانفعال ، وبتعبير آخر افتقاد التوافق بين التجربة الشعورية ، وبين مصدر الاثارة العقلية فى مجال الرصد الامين للحركة الجائشة فى ثنايا الفكر والوجدان . وميدان الصدق الشعورى هو الاحساس ، اذ هو منطلق الشرارة العاطفية التى تندلع من التقاء تيارين :احدهما نفسى متدفق من اعماق النفس ، والآخر حسى منطلق من آفاق الحياة ..

ويتضح افتقاد الصدق الشعورى فى شعرنا المعاصر فى عدم تجانس الاحساس فى القصيدة الواحدة ، وهذا يؤدى بدوره الى دوران الشاعر حول نفسه ، وتخبطه فى اكثر من موضوع بحيث تفقد القصيدة وحدة الموضوع ، والوحدة العضوية معا .

ولا ادل على ذلك من قصيدة لاستاذ جامعى ممن يضطلعون بمهام قيادة الدراسات الادبية فى جامعة الاسكندرية ، آثرنا التمثيل بها لتطابق بين عمق ثقافة الاستاذ وبين انتاجه الشعرى ، وذلك لتكون دليلا على ظهور تلك الظاهرة فى شعرنا المعاصر ، لانه اذا تحقق ظهورها فى شعر استاذ نابه ، كان ظهورها فى شعر غيره اظهر وابين .. والقصيدة تحت عنوان « الحذاء الصغير » ويقول فى مطلعها :

راقنى ذلك الحذاء الصغير
وهو يرنو الى الورى ويشير
فتوقفت عنده فى خشوع
يغمر البشر مهجتى والسرور
وتوالت فى خاطرى ذكريات
طعمها كالزلال عذب منير
نقلتنى من عالمى وحياتى
لحياة ساعاتها لا تسير
لحياة فيها البراءة والطهر ،
وفيها الانسان برشكور

فنقطة الانطلاق الفنى لدى شاعرنا توحى الينا بان نفسه قد اهتزت لذلك الحذاء واحسه احساسا خلق فى نفسه اللذة ، وبث فى ذلك الحذاء الروح بحيث جعله صالحا لأن يقال فيه الشعر ، لانه تصوره ، وخلع عليه من احساسه ، وافاض عليه من خياله ، وتخلله بوعيه ، وبث فيه خواطره وهواجسه .

وكل هذا تصوره فى حذاء ، غدا وجودا خارجيا مثيرا الانفعال الشاعر ، ومن ثم كان منطق التجربة لديه ، يقوم على غير اساس من الفهم الصادق لماهية الشعر الصحيح ، الذى هو عنوان النفوس الصحيحة على ان الصور فى هذه القصيدة قد اهتزت اهتزازا نستبعده على شاعر مثقف مثل الدكتور برهام ؛ ذلك انه يحدثنا فى البيت الاول بان الحذاء الصغير قد راقه ، وانه ينظر ويكرر النظر مع استدامته الى الخلق ويشير الى الناس ، ولم يقل لنا شاعرنا، بم كان ينظر الحذاء تلك النظرات الخالدة ... هل كان ينظر بعينين مجردتين ؟؟ ام كان على عينيه منظارا مثلا ؟ ام ان خيال شاعرنا هو الذى خلق للحذاء عيونا لكى يرى بها رأفة به وشفقة ، ولم يقل لنا كذلك بم كان يشير على الخلق ؟ هل كان

يشير عليهم بلحاظ عينيه اللتين خلقتاله ، ام كان يشير بيدين صنعتا له على طريقة العينين .

ثم يكمل الصورة حينما يخبرنا في البيت الثاني انه وقف في خشوع عند الحذاء البشر والسرور يغمران مهجته .. وهكذا ينتقل الى بيت ثالث دون ان يقول لنا لم خشع .. لم يقل لنا مثلا ما بواعث الروعة والجلال التي من اجلها وقف خاشعا ، فقد تكون بواعث الرهبة في نوع الجلد مثلا ، وقد تكون في الصنعة .. ولم يقل لنا ايضا اي خشوع اصابه ، هل هو مثل الخشوع الذي يعترينا بالنسبة لله .. أم انه خشوع من نوع آخر لم يعرفه الشاعر فخاف أن يتخرص بالحديث عنه فيقع في الكذب .

على ان الصورة بالشطر الاخير قد اهتزت ، لانه لا يجوز ان تكون النفس خاشعة وهي في الوقت نفسه مسرورة متبشرة ، الا في حالة واحدة وهي واقفة بين يدي الله وحده ، فان في الخشوع له لذة وسرورا ..

وبعد ذلك يتحدث شاعرنا عن الذكريات التي توالت على خاطره ، هذه الذكريات التي احس طعمها فوجده كالماء العذب النمير .. وهنا نقول ان الذكريات لاتوصف هكذا وصفا حسيا ، وانما توصف بأوصاف معنوية لتشبع حاجة النفس لا حاجة الجسم ..

على ان الخطأ الذي لا يغتفر لشاعر مثقف مثل الدكتور برهام هو قوله ان الذكريات نقلته من عالمه وحياته لحياة « ساعاتها لا تشير » ، فهو في البيت الرابع ، يجعل مقياس الوقت في الاحساس الساعة المركبة من حديد ونحاس ، وهذا خطأ صراح ، لان مقياس الوقت في الاحساس وفي الشعر الذي هو صورة من الاحساس هو النفس المركبة من خيال وشعور .

وهذه الابيات بفقدها للصدق الشعوري الذي ترتب عليه اهتزاز صورها وضحالتها ، فقدت الصدق الفني الذي يكمن في التعبير عن واقع احساس الشاعر تعبيرا خاصا يبرزه في صورته التي تهز منافذ النفس ، وذلك لما في تعبيره من نثرية شائهة لا تدل بحال من الاحوال ان مبدع القصيدة هو الدارس للاداب على ذلك المستوى الجامعي الرفيع ..

فاذا ما انتقلنا الى الجزء الثاني من القصيدة وجدنا الشاعر يتحدث عن الحذاء كذلك ، ويصفه بانه رفيقه الذي رافقه ابان طفولته .. ثم بعد ذلك وبلا تمهيد شعوري او فكري ينتقل الى موضوع آخر لا يربطه بما سبق خيط نفسي ، ذلك انه يتحدث عن القائد المظفر واعماله بطريقة تدخل في صميم عمل مصلحة الاحصاء والتعداد ، مستخدما معلوماته التاريخية عن ازدشير ورعمسيس وكبير المغول ، وموقعة عين جالوت ، حتى انتهى في مطافه الى الاعتداء الثلاثي ووصفه بينو بانه كان يرغى كما يهيج البعير .

وفي تصورنا ان افتقاد القصيدة للصدق الشعوري قد كان سببا في افتقادها لوحدة الموضوع، وبالتالي الوحدة العضوية .

ومما يدل على عدم تجانس الاحساس كذلك ، وانتقال الشاعر في قصيدته الى اكثر من موضوع ، بحيث تفقد القصيدة وحدة الموضوع والوحدة العضوية معا ، قصيدة « بلقيس » لشاعر نال جائزة الدولة التشجيعية على شعره ، هو صالح جودت ، ويقول في مطلعها :

لمن العيون الحالمات المغريات بالف نظره ؟
لمن الشفاه الحاليات المسكرات بغير خمره ؟

فيتحدث في هذه القصيدة عن بلقيس ، ملكة اليمن ، من حيث جمالها الحسي الذي احب به سليمان الحكيم ، الذي جعله صالح جودت انسانا مفضوح الاعماق ، لانه خر صريعا امام جمال بلقيس، فباع حكمته بنظره .

سحرت سليمان الحكيم فباع حكمته بنظره
قالوا له جنية مرناشة الساقين وعره

الى آخر ما وصف شاعرنا بلقيس بأوصاف حسية ، لانه لم ير فيها الا انها الانثى التي يرغبها الرجال حتى ولو كانوا انبياء مثل سليمان الحكيم ، أو اولياء الله كسيدي بشر الذي بعثه الى الوجود مرة اخرى ، ليصون سر ذئاب الله ، والبغايا اللاتي يركضن في الطريق ، تحت ستار ما أسماه الحبق هذه القصيدة .

ويقرب المحبوب من محبوبه ، ويصون سره او كأبي العباس الذي جعله في قصيدة اخرى رقيبا على النساء الجميلات ، ومن ثم فان جودت يلتجىء الى قبره لياخذ نصيبه منهن .

او انني في اشتهاء الحسن مابرحت نفسي تمور
وقلبي ليس ينطفىء .

وانت حارس على الحسن تنثره على الضفاف ولديه لمن هنوا

امضى الدنب ، لكن لم ازل كلفا به ، فجئت الى مثواك النجىء

وبالرغم من افتقاد هذا الشعر للصدق ، لما فيه من تربيه وتعريريه ، وعدم قدرة الشاعر على التعبير عن واقع احساسه مهما كان تافها — تعبيرا خاصا يبرزه فى صورته التى تهز منافذ النفس قبل ان تهز منافذ الحس كما فعل جودت . لانه ظل يتنقل فى قصيدته من موضوع الى موضوع ، حيث تحدث عن الدر مملكة سبا ، وعن بؤس الشعب اليمنى ، وعن ملوك اليمن السابقين ، وعن الثورة اليمنية ، وعن موقف مصر منها ، وعن الاسكندرية حيث سيدى بشر ، كما تحدث عن الشعر القديم ، كما اسماه جودت ، لانه سمى فى مقابلته الشعر الحر ، بانه الشعر الجديد المستبيح لكل عورة .

ولسنا ندرى ايه عورة يقصدها .. ربما تكون العورة هى العورة الفنيه لا الحقيقية ، واذا صح هذا فانه يكون فريدا فى هذه التسمية ، لاننا لم نر ناقدا أو شاعرا يسمى المآخذ الفنية عورة .. وفى تصورنا ان الهامه للشعر الجديد بالتقصير نظر فيه الى قول هاشم الرفاعى فى قصيدته « صور وذكريات .. التى هاجم فيها الشعر الجديد ، والتى قال فيها :

ليس شعرا ، وانما هو شىء
فوقه الشعر رتبة ومكانه
ذهبت عنه روعة للحون
يرهف الدهر عندها آذانه
وخلا من اصالة وجلال
بهما اظهر الزمان افتتانه
انما الشعر ما تدفق عذبا
فى بناء فاحكموا بنيانه
فاذا شقت القيود عليكم
فدعوه لمن يصوغ جمانه
جددوا ما استطعتم فى المعانى
وقفوا لا تحطموا أوزانه
ليست الفكرة الجديدة تابى
عرضها فى جزالة ورصانه
البسوها من القوافى خلودا
ومن الوزن قوة ومتانه

ومن هنا نرى أن جودت صاغ افكار هاشم الرفاعى ومعانيه مرة اخرى حينما نقرأ قوله :

الشعر .. لا الشعر الجديد المستبيح لكل عوره
لا ما يقول العابثون بكل قافية وشطره
من كل مغمور يهب بغير موهبة وخبره
الشعر .. ان الشعر الهام وانغام وفكره
الشعر ان الشعر ميزان وبنيان وقدره
الشعر .. ان الشعر ايمان وبرهان وعبره

على اننا اذا رجعنا الى مهاجمة على الجارم للمجودين فى الشعر فى النصف الاول من هذا القرن لعرفنا كيف استفاد الرفاعى وجودت معا من قول على الجارم :

اسمعونا برغمنا فصبرنا
ثم ثرنا غيظا على الآذان
جلبوا للقريض ثوبا من الغر
ب ، ولم يجلبوا سوى الاكفان
واحتفظوا اللفظ والاساليب والذو
ق ، وهاتوا ما شئتم من معانى
مالسان القريض من عربى
كلسان القريض من طمطمانى
انما الشعر قطعة منك ليست
من دماء اللاتين واليونان
كل فن له مكان واهل
ان العلم ماله من مكان
وجهة الشرق غيرها وجهة الغر
ب ، فانى وكيف يلتقيان !؟

وبعد ذلك نعود فنقول : ان انتقال جودت فى قصيدته بحديثه عن هذه الاشياء كلها يؤكد لنا عدم صدقه شعوريا ، والا فليقل لنا اى قارىء له ادنى صلة بالشعر وتذوقه ، ما الصلة الشعورية والفكرية بين بلقيس والاسكندرية ومهرجان الشعر ، والشعر الجديد ، وما صلة هذا كله بسيدى بشر رضى الله عنه ..

ونود ان يتقرر فى اذهان القراء ان الشعر حينما يفتقد الصدق الشعورى ، يكون صنعة واحترافا ، وملهاة وتسلية ، فليس الشعر مسالة فصاحة لغوية ، والنسج على منوال من تقدم فى الفكر واللفظ ، وبذل الجهد فى محاكاتهم حتى يتسنى لشعر المحدثين أن يكون كشعر سابقيهم . ونظرتهم الى الحياة كنظرتهم ، متناسين التعبير عن نفوسهم فى افراحها واحزانها ، وصحتها ومرضها ، وهدوئها وصخبها ، ووجدانهم وزمنه وواقعه ..

كعك العيد

للشاعر: على الجندى

حوار حول كعك العيد بين شاعر رقيق الحال وزوجته التي تصر على صنع الكعك ، مستنجدة بكلامها المعسول ودموع التماسيح !! حتى تم لها الانتصار كما عودتنا حواء .

قالت العيد قد أطل ، وللعيـ — ـد جمال ، وبهجة ، وجلال
حقه واجب الأداء . وماذا — بعد حق يحق الا الضلال
وتكاليفه ثقال ، ولكن — أنت قطب لمثلهنا حمال
كل عيد عليك بالسعد والغبـ — ـطة يوفى ، ويقبل الاقبال
وأطال الاله عمرك فى يسـ — ـر ، ونعمى يسل عليها الزوال

***

قلت : عاشت أم العيال ، ونالت — كل ما تبتغ ى! ! وعاش العيال
وحمى الله بيتها ، ورعى زو — جا من الرزق حظه الاقلال
شاعر كنزه الخيال وهل يجـ — ـدى على المرء فى الحياة الخيال
وقواف سوائر تسبق الشمـ — ـس ، ولكنها له أغلال
وخلال لو أنها تبتنى السؤ — دد ، والمجد سودته الخلال
وهو لو كان ذا ثراء لسارت — بنداه فى العالم الأمثال
ولجاءت لك الامانى حبوا — صاغرات ، ودانت الآمال
ولحفت بك الرفاهة اشكا — لا كثارا تحدو بها أشكال
ولكانت «صاجاتنا» من لجين — فوقها الكعك وهو (خاء) و (دال)

***

وهنا استضحكت وقالت : سؤال — لى ، تجلد ولا يرعك السؤال
اترانا فى العيد نغفل صنع الـ — ـكعك ؟ ياللهوان !! هذا محال
انه للبيوت مظهر الثرا — ء ، وللعيد زينة وجمال
وهو مسك الختام يربو به الصو — م ثوابا ، وتقبل الاعمال
وبه نعتلى ، ونسمو ، ونختا — ل دلالا ، وحبذا الاختيال
وتباهى به الاقارب والجيـ — ـران أن هم به علينا استطالوا
وبه ينتشى الكبار ، ويزهى — خادمونا ، ويفرح الاطفال
كل (صاج) ذ ى النفس يفعل مالا — تفعل البابلية الجريال
وبه فخرنا على أغنياء الـ — ـحى ، والفخر للمقل حلال
ليت شعرى ماذا يقولون عنا — ولهم السن حداد طوال
ايقولون : اننا حاش لله — شقينا ، وساءت الاحوال
وعدمنا الدقيق والسمن والسـ — ـكر !! هاتيك عثرة لاتقال ؟

دجـلة تحيّي النـيل

للدكتورة عاتكة الخزرجي

دجلة تحيي النيل

يا مصر أغرقتنا برا وانعـــــاما ... وفاض نيلك فيضـــا ليته داما
حتى غدت دجلة نشوى كأن بهـــا ... ســحرا يحول فيها الموج أنغاما
وقلبهــا هائم يشـــدو بحبكم ... يا أهل مصر فهل ترعون من هاما
انا ليجمعنـــا نطق وما اختلفت ... منا الدماء ودين بالهدى قاما
ومبدا الوحـــدة الكبرى يقربنـــا ... قربا تخال به «الايوان» «أهراما»
أحييتم العلم حتى عاد منتشيا ... من القبور وكم فيهن قد ناما
وعاد فيـكم هزار الشعر منطلقا ... يشدو فيلهم صم الصخر الهاما
فشعركم ضـوء الدنيا وعلمــكم ... ربى العقول وكانت قبل أيتاما !
يا مصر حيتك روحى وهى ظامئة ... لان تعيش بقرب «النيـــــل» اياما
وان أبى الدهـــر الا أن يخيبهـــا ... فلا تجورى واهدى الروح أنســاما
أهواك مصر وما كانت تحولني ... بغداد عنك ولا والله من لامــا
أهواك مصر هوى كالروح خــالطني ... وقد غمـــرت به نعمى واكراما

كعك العيد بقية

قلت : ما الكعك ـ ان أحطت به خبـ ... ـرا سوى محنة لهـا أذيال
وهو في الحق ـ لو رجعت الى الحقـ ... ـــقام تدنو به الآجـــال
كم صحيح بات يشكو الضني منـ ... ـه ، وذو مرة عراه الكلال
وخــراب البيوت يمحى به الفقـــ ... ـــر عليها ، والهم والاوجـــال
وطلاق النســـــاء ! ! كم من زواج ... كل عيد تبت منه الحبـــال
كيف نختار أن يساورنا البؤ ... س ، وتجتاحنا الديون الثقال
ما علينـــــا اذا ادخـــرناه مالا ... في زمــان به الفقير مـــذال
نحن نحيا ـ فدتك نفسي ـ بدنيـــا ... ليس فيها للمعدمين مجـــال
ولقد يجمل التجمـــــل ، لكن ... يشهد الله ليس عندى مال

***

فاجابت : أخشى النحوس فقد قيـ ... ـل قديما : «قطع العوايد قال»
قلت : أمرى لله !! لاخــير يرجى ... من جدال وهل يفيد الجدال ؟
عيل صبرى ؟! وضقت صدرا وذرعا ... وشجا القلب دمعك الهطـال
فلتبيعي أثاثنـــا ، ومبــاح ... وحلال ملابس الأســـــمال
واصنعي الكعك كيف شئت وان طا ... ل شقائي ، وشف جسمي الهزال
ليس فينـا من يستطيع لحــوا ... ، خلافا ، وهي العلا والكمال
أبدلت (آدما) من الخـــلد أرضـا ... ومشت فوق رأســـه تختـــال

مفتاح النفسية اليهودية

بقلم : عبد الحميد ابراهيم محمد

التاريخ يعيد نفسه ...

لا تصدق هذه الجملة على قوم ، بقدر ما تصدق على اليهود ، فالجملة هنا أشبه بالقانون الحتمى الذى تكونه المشاهد المحسة ، والتجارب المتكررة .

هؤلاء القوم يعيدون أنفسهم على مر التاريخ، فكل جيل يأتى طبعة جديدة للجيل الذى سبقه، لايختلف الا بمقدار ما تختلف الطبعة الجديدة لكتاب قديم ، فقد تزيد بعض التفصيلات ، أو تتوسع فى بعض الشروح ، ولكن روح الكتاب ما زالت كما هى ، والهيكل العام ما يزال كما هو .

ولا عجب فهم جنس ، مقفل ، لا يسمح للدماء الغريبة أن تتسلل اليه ، ولذلك انتقلت صفاته من جيل الى جيل ، دون أن يخالطها عنصر من غريب ، او تشرب فيها ميزة من أجنبى .

ومفتاح نفسية اليهود،الذى أشبه بمفتاح المدينة الكبير ، يسلمه حاكم المدينة السابق الى الحاكم الذى يليه – يتلخص فى جملة واحدة ، وهى « الاحساس بالهوان » .

وهذا الاحساس تصدقه البيئة الطبيعية ، والظروف الاجتماعية ، ويصدقه أيضا التاريخ البشرى وأيضا الكتب التى فى أيدى اليهود ، والتى لم تقصد التنبيه الى هذا الاحساس ، أو اللفت الى تلك النفسية وانما هى اللمحات التى تقتنص ، والاشارات التى وراء السطور ، والتى لها من الدلالة الصادقة ، أكثر مما يكون للكلام المقصود ، والفكرة المرادة ، ويصدقه أيضا الكتب التى تتحدث عنهم ، والتى قد تنازعهم فى كثير من الامور ، ولكنها تتفق على هذه الصفة ، واتفاقها هذا دليل على صدقها ، وعلى أنها أمر بلغ من الشيوع حدا ، يتفق عليه أصحاب الشيء .. ومن هم بعيدون عن هذا الشيء .

وهذا الاحساس هو المنبع الذى تتفرع منه جميع الجداول ، أو المصب الذى تصب فيه جميع الروافد فمهما تنوعت صفات اليهود ، او اختلفت خصائصهم، فيمكن ردها الى هذا المنبع ، واعادتها الى هذا المصب.

فهذا الاحساس بالهوان قد عقد نفوسهم ، وحفر فيها مسارب ومغاور ، فلن تستطيع أن تجد لديهم الصراحة أو تلتمس عندهم الوضوح ، ولن تركن اليهم فى وعد ، أو تعتمد عليهم فى أمر . وانما تجد عندهم اللف والدوران والتلكؤ على الحجج والمعاذير ، والاعتماد على أوهى الاسباب ، وأدنى العلل .

وهذا الاحساس لم يغذ فيهم تلك الطاقة الروحية الكبيرة التى تعتمد على أمر وراء الحس ، وتثق فى شيء وراء المشاهد ، وانما لهم طبيعة منهارة ، لابد أن تستند على أمر مادى ، وتتعلق بشيء حى ، مهما بلغ هذا الامر من الضآلة ، ومهما كان من التفاهة .

وهذا الاحساس جعلهم يلتمسون مناطق القوة فى مصادر أخرى ، ويفتشون عنها فى أمور ثانية .. فهم قوم قد برعوا فى التجارة وادارة الشئون المالية ، والمعرفة بالاحوال الاقتصادية ، ما ان يحلوا ببلد حتى يحاولوا جهدهم على أن يضعوا أيديهم على شئونها الاقتصادية ، ويتحكموا فى مواردها المالية، تماما .. كما تفعل الاقلية المستذلة فى اى بلد ، اذ أنها تلجأ الى استمداد النفوذ من هذا المصدر ، والتعويض عن هذا الطريق .

وهذا الاحساس قد غرس فى نفوسهم الجبن والضعف ، فليس لديهم قدرة على مناوأة العدو ، ولا رغبة فى التمرد على الظلم ، وفيهم ما فى الجبان من الصفات ، فهم لا يستمعون لامر ، أو يخضعون لميثاق ، الا تحت القوة والتهديد ، كنفوس الاطفال التى تخضع لعامل « الترغيب والترهيب » .. وهم متى تمكنوا من انسان – ولو كان من جنسهم – فانهم يذيقونه الحسرة والالم .

وهذا الاحساس غرس فيهم صفات الصبر والاحتمال ، ففيهم قوة عجيبة على الاحتمال ، وطاقات مدهشة على الصبر ، وقدرة مرنة على ابتلاع الظلم ، وامتصاص الذل ، لم تتهيأ لأى شعب غيرهم ، ولم توجد لدى اى قوم آخرين .. تماما كنفوس النساء فى العصور الغابرة ، حيث استهلكها الذل ، وأفسدها الهوان .

وغالبا ما تجد الشخص الذى يحس بالهوان فى أعماقه ، وبالذلة فى لاوعيه ، أن يلجأ الى الاستعاضة عن ذلك ، فيتعلق بالاوهام ، ويتمسح بالاحلام ، فيوحى الى نفسه أنه أفضل خلق الله ، وأحسن العالمين ، واذا سألته عن الاسباب والمؤهلات ، فلن تجد عنده سببا منطقيا ، الا أنه أهل لذلك ، ومستحق له ، وكفى هذا غناء عن غيره من الاسباب .. وكذلك يفعل اليهود ، فهم شعب الله المختار ،

والاثيرون لدى الاله ، لا لسبب الا لانهم أبناء اسرائيل وكفى !

انهم بصفاتهم تلك التى تفرعت عن الهوان، جنس تميز عن غيرهم ، ويكاد يكون نسيجا وحده بين الاجناس البشرية ، وحق هذا التصوير الادبي الرائع الذي يصوره القرآن « فلما عتوا عن ما نهوا عنه ، قلنا لهم : كونوا **قردة خاسئين** » ... ففيهم من صفات الجنس « القردى » الكثير ، فيهم لف القرود وبهلوانيتهم ، وفيهم صبر القرود واحتمالهم ، وفيهم نفخة القرد حين يمثل قدامك هيئة السلطان ... الخ ..

هذا كلام لا ألقيه فى الهواء ، بل هو أشبه — كما قلت — بالقوانين العلمية ، والتى تجمع على صحتها حوادث التاريخ وتصدقها الكتب التى تمجد اليهود، والكتب التى تتحدث عن اليهود .

فاليهود قوم نشئوا فى جنوب بلاد العرب من الشرق ، ويدل استعمالهم للحمار كوسيلة للانتقال، تلتمس عند المسافات القريبة ، التى لا تحتاج الى صبر الجمل ، ولا قوة احتماله على أنهم قد نشئوا فى تخوم الصحراء ، لم يتوغلوا فى البادية ، ولم يتفرغوا للاقامة فى الحاضرة ... ونشأتهم تلك بين البادية والحاضرة فرضت عليهم بأن يقوموا بأعمال السمسرة والوساطة بين البادية والحاضرة ، يسمسرون لدى اهل البادية بما يحتاجونه من الحاضرة ، ويتوسطون لدى اهل الحاضرة بما يتطلبونه من البادية .

ومهنة السمسرة تفرض على أصحابها التزلف والخضوع ، والمحايلة والمكر . وعدم الاستمساك بالعهود فهم قوم نشئوا بين بين مذبذبين ، لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، فهم أمام أهل البادية يحسون بالهوان ، لانهم ليسوا بدوا خالصا ، وهم أمام أهل الحاضرة يحسون ايضا بالهوان ، لانهم ليسوا حضرا خالصا .

يضاف اذن الى حتمية التاريخ ، وكتب الاولين ، حتمية البيئة الطبيعية ، وفرضية الظروف الاجتماعية .

بقى أن نلتمس صدق هذا من كتب اليهود ، وفى مقدمتها التوراة .. ثم من الكتب التى تحدثت عن اليهود ، وفى مقدمتها قصص القرآن .

وأبادر فأعتذر للقارىء عن ارجاء الحديث عن قصص التوراة ، الى فرصة أخرى ، ولقاء قريب .

أما القصص القرآنية ، فانها تفصح عن عقدة هؤلاء القوم ، وهى الاحساس بالهوان ، فقد ضربت عليهم الذلة والمسكنة لذلك لم يمكنهم الارتفاع الى مستوى التجربة التى أرادها لهم موسى ، ولم يطيقوا ضريبة الحياة الكريمة ، لذلك تمنوا أن يستبدلوا الحياة الادنى وما فيها من بقل وقثاء ، بحياة الحر وما فيها من مسئولية وخير معنوى فقالوا « ياموسى لن نصبر على طعام واحد ، فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها .. قال أتستبدلون **الذى هو أدنى بالذى هو خير** ، اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم .. **وضربت عليهم الذلة والمسكنة** » . وفى سورة أخرى أن مثل هؤلاء مثل انسان ، أراد الله أن يرفع من نفسه ويعلى من وجدانه ... ولكن قد هبطت به طبيعته ، وانخفضت به نفسه ، فأخلد الى الارض ، واتبع هواه ، وما ركب فيه من تخاذل وانهيار لا يجعلانه أهلا لتحمل مسئولية ، بل ان المسئولية لا تغير من حاله شيئا ، فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث : « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا ، فانسلخ منها ، فأتبعه الشيطان ، فكان من الغاوين·ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه ، فمثله كمثل الكلب ، ان تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث » .

ويبدو لك فى القصص القرآنية ضعف انفسهم ، وحبها للارتخاء والتواكل ، وميلها للتقاعس والتعود واستهانتهم بأنفسهم ، وذلهم لغيرهم ، فحين امرهم موسى أن يدخلوا الارض المقدسة « قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين ، وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون ... قالوا يا موسى انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها ، **فاذهب أنت وربك فقاتلا : انا ها هنا قاعدون** » .. وانظر الى هذه الكلمات التى تكشف خبيئتهم والى التعبير « ان فيها قوما جبارين ، ثم الى التعبير . انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها »على الرغم من أنها الارض التى وعدهم بها موسى ، وعلى الرغم من تأكيدات الذين يخافون الله وقولهم لهم «ادخلوا عليهم الباب، فاذا دخلتموه فانكم غالبون ، وعلى الله فتوكلوا » .

وانظر الى تخاذلهم ، وطرحهم للمبادىء فى سهولة، فى قوله « اذهب أنت وربك » فكان الرب — فى تلك اللحظة الحرجة — هو رب موسى فقط ، وليس هو رب اسرائيل الذين يزعمون أنهم شعب الله المختار.

وعادة أن النفوس الضعيفة المريضة لاتقبل الاوامر عن اقتناع داخلى ، أو انبعاث ضميرى ، وانما تتلقى الاوامر تحت ضغط القوة ، ووقع التهديد .. فهى

لم تصل الى مرحلة النضج التي تخاطب فيها الضمير، وتخضع فيها للمنطق ، بل وقفت عند فترة المراهقة ، التي تخضع للترغيب والترهيب ، ولذلك – كما في القصص القرآنية – حين أخذ الله ميثاقهم ، أخذه تحت ظروف القوة والتهديد « واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة ، وظنوا أنه واقع بهم ، خذوا ما آتيناكم بقوة » .

وضعف نفوسهم يظهر ، متى أتيحت لهم فرصة، فاذا وقع انسان تحت أيديهم – ولو كان من أقرب المقربين– وتمكنوا منه ، فان عقدهم تطفح، ويحاولون أن ينهشوه ، يصور هذا القصص القرآني ، حين يذكر استفرادهم لهارون ، بعد غياب موسى ، فحين استضعفوه لم يرحموه ، فانظر الى شكاية هارون لأخيه موسى من صنيع هؤلاء « ابن أم : ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء ، ولا تجعلني مع القوم الظالمين » .

وتتحدث القصص القرآنية عن شغف هؤلاء القوم بالماديات ، وعبادتهم للذهب ، وتضحيتهم في سبيل ذلك بكل القيم والمعنويات « واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار » .

وفي سورة البقرة محاورة بين موسى وقومه ، صادقة التعبير عن نفوس هؤلاء القوم ، التي أضنتها العقد ، وعقدها الذل فحين يخبرهم موسى بأن الله يأمرهم أن يذبحوا بقرة ، لا يصدقون نبيهم ، ويحسبون أنه يهزأ بهم « أتتخذنا هزوا » فيستعيذ موسى من هذه التهمة من بني جلدته .. ومع ذلك لا يصدعون للأمر ، فيذبحون أية بقرة ، بل يتلكئون ويحاورون ويقولون « ما هي ؟ » ولا يكتفون بهذا ، بل يتهربون ويسألون « ما لونها ؟ » ثم يخشون من مغبة الاقدام على هذا الأمر ، فيترددون ويقولون للمرة الثالثة « ما هي ، ان البقر تشابه علينا » ، وأخيرا .. وبعد لأي يعرفون أن ما جاء به نبيهم الحق ، وكأنهم في مبدأ الأمر لا يثقون به ، ولا يعتقدون أنه يقول الحق ، بل يتخذهم هزوا « الآن جئت بالحق فذبحوها **وما كادوا يفعلون** » .

ان حالة هؤلاء القوم في تلك القصة تستحضر في ذهني صورة لموظف عجوز ، قد أرهقه الروتين ، وامتصت ارادته الأوامر .. ثم يطلب منه رئيسه أن يتحمل مسئولية أمر ، فيتلعثم ويحاول التهرب ، ويحاول أن يحمل هذا الأمر محمل العبث ، ولما تبين في رئيسه الصدق والتصميم، أخذ يحاوره ويداوره، وقد شلت حركته ، ووقع في حيص بيص .. وأخيرا وبعد لأي يستجيب لرئيسه على مضض ، وبدون اقتناع .

والشخص الضعيف ، الذي ليس له من الأمر حول ، ولا في حياته طول ، يمتلىء قلبه حقدا ، ونفسه غلا على هؤلاء الناجحين المحظوظين ، انظر الى القرآن يعبر عن هذه المرارة والحسد في نفوس اليهود « بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله **بغيا ، ان ينزل الله من فضله على من** يشاء من عباده » .

وغالبا ما تجد الشخص المريض المغلوب على أمره أن يستعيض عن انتصاراته الحقيقية بالتعلق بالوهم، وسرد حكايات « الفشر » ، واللجوء الى أحلام « كيشوت » .. وكذلك فعل اليهود ، فقد اجتروا الاحلام ، وادعوا أنهم شعب الله المختار ، وأنهم ليسوا كخلق الله ، فلو مستهم النار ، فستمسهم أياما معدودة وكفى ، وأن الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس ، وقد أراد القرآن أن يجبههم بالواقع ، ويصدمهم بالحقيقة ، فقال لهم « ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس، فتمنوا الموت ، ان كنتم صادقين » .

وانك لتجد الفرق شاسعا لو تأملت شخصية قوم آخرين – تصورهم القصص القرآنية – كانوا في غاية الوضوح مع أنفسهم ، والمنطق مع حياتهم .. انهم السحرة من قوم فرعون ، فقد اتهموا موسى بالسحر واجمعوا امرهم على غلبته ، فلما تبين لهم صدق موسى كانوا في غاية الاستقامة والوضوح، فلم يحتاجوا الى تكرار معجزات ، أو الى رفع صخرة ، أو الى تلكؤ بالحجج والمعاذير ، أو الى طلبهم رؤية الاله ، بل آمنوا بموسى وتحملوا مسئولية ايمانهم ، ولم يخضعوا لتهديد أو يستجيبوا لضغط ، وانما هو الدافع الذي يرضي نفوسهم ، وما طبعت عليه من كبرياء ، وما جبلت عليه من نضج لم يفسده الذل . انظر الى صدق العبارات الآتية : « قال آمنتم له قبل أن آذن لكم ، انه لكبيركم الذي علمكم السحر ، فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ، ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى . قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض ، انما تقضي هذه الحياة الدنيا . انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى » .

لا ضمير بدون دين

بقلم : محمد عبد الله السمان

نشرت صحف القاهرة فى الايام القلائل الماضية الاستعداد لأكبر حملة للتوعية الدينية ، يشرف على تنظيمها اتحاد المعلمين العرب ، ونقابة المعلمين، ومحافظة القاهرة ، وقد اجتمع لهذا كثير من المهتمين بالشئون الدينية من الازهر ، ورجال الجامعات ، والتعليم العالى ، وتقرر فى هذا الاجتماع الاهتمام بالتربية الدينية ، باعتبارها اساسا للتربية الشعبية اما المنهج الذى تقرر فى الاجتماع ، فهو اقامة ندوات لتوضيح العلاقة بين الدين والمجتمع واشاعة الروح الدينية فى المدرسة وخارجها ، وشرح الطريقة المثلى فى تدريس التربية الدينية فى المدارس على اختلاف مراحلها ، ولقد ذكر الاستاذ سعيد العريان أمين عام اتحاد المعلمين العرب ، أنه قد تقرر أن تقوم نقابات المعلمين فى كل الدول العربية بعقد ندوات مماثلة ، لأهمية الدراسات الدينية فى مقاومة الافكار المنحرفة ، ومما هو جدير بالذكر انه تقرر أن يكون شعار حملة التوعية الدينية : « لا نهضة بدون ضمير ، ولا ضمير بدون دين . »

هذا اتجاه له تقديره وله خطورته ايضا . ولا شك ان الكثيرين استقبلوا هذا النبأ بمزيد من الغبطة من ناحية ، ومن الدهشة من ناحية اخرى. اما وجه الغبطة فلأننا أمة مسلمة يهمنا ان يأخذ الدين مكانه من العناية – عناية المسئولين بالذات، ولا سيما حين يكون المشرف على ندوات التوعية نقيب المعلمين العرب ، ونائب رئيس الجمهورية ، واما وجه الدهشة ، فلأنه لأول مرة نلمس هذا الاهتمام بالدين كمقوم من مقومات بناء الامة ، وعنصر من أبرز عناصر ثقافتها ، هذا الاهتمام الذى تبدو فيه مظاهر الجدية الى درجة المبادرة بتنفيذ الخطة المرسومة بمجرد اعلان البيان .

مثل هذا الحدث الخطير يجب الا يمر سريعا بدون تعليق، والفكرة فى اساسها ليست مثار جدل او نقاش ، لانها فكرة تقوم على الواقع، وتمس كيان المجتمع وعقائد الشعب ، وقد احسن المسئولون اختيار شعار للفكرة « لا نهضة بدون ضمير ولا ضمير بدون دين » هذا الشعار نفسه يجب ان ينال حقه من الشرح والتفصيل ، فلا زال كثير من المثقفين يعزلون الضمير عن النهضة ، ولا زال كثير من المتحذلقين يعتقدون انه من الممكن أن يغنى الضمير عن الدين ، وهؤلاء ليسوا من القلة بحيث نستخف بهم ، ولا نلقى لهم بالا ، وهم كثيرا ما يتقايأون افكارهم فى كتاباتهم ، ويزعمون اننا نعيش مرحلة العلم والمصنع ، ولا مكان بعد لمرحلة الايمان بالاساطير ، والمقصود بالاساطير الدين .. والدين وحده .

لا يكفى بالطبع ان نقيم ندوات تلقى فيها محاضرات ، بل لا بد ان يكون هناك تخطيط دقيق لهذه الندوات ، يشمل هذا التخطيط اولا وقبل كل شيء مادة الندوة التى تعرض للمناقشة ، ولن تؤتى الندوة ثمرتها الا اذا كانت الافكار المعروضة حية يتجاوب معها المستمعون ، والمحاضرات الاكاديمية ضياع للوقت دون فائدة ، ان هناك افكارا ساذجة الصقت بالدين ، ولها مكان فى تراثنا الفكرى ، يجب أن يصفى الدين منها ، وخطورة هذه الافكار المتزمتة الخرقاء على اية نهضة مما لا يختلف فيه اثنان ذوا عقل وبصيرة ، وان هناك افكارا اخرى متطرفة تحاول أن تمسخ الدين نفسه يجب أن ترفع ايديها عن الدين ، ومجاملة عواطف المتزمتين او المتطرفين يجب الا يكون لها موضع فى منهج خطة التوعية .

وموضوع تدريس الدين فى مدارسنا ومعاهدنا على اختلافها ، موضوع جدير بالمناقشة ، والذى لا شك فيه أن المنهج المدرسى للدين على حالته الراهنة فى مدارسنا لم ولن يبشر بخير ، ومع أن الدين اصبح مادة اساسية يعوق الطالب عن النجاح اذا رسب فيه فى سنى الدراسة ، الا ان ذلك لم يكن علاجا للمشكلة من اساسها ؛ لان المطلوب ازاء هذا المنهج الحالى من الطالب ان يحفظ عن ظهر قلب الآيات والاحاديث وابواب الفقه المقررة ليجتاز الامتحان ، **مع ان الهدف الاساسى من تدريس الدين هو أن يفيد الطالب من الثقافة الدينية بما ينير ذهنه ، ويهذب سلوكه ، ويسمو باخلاقه ، ومدرس الدين هو المسئول الاول والاخير عن ربط تلاميذه بالدين ربطا سلوكيا متينا ، بأن يشرح** صدورهم له ، ويمزج احاسيسهم ومشاعرهم به ، ويمتع اذهانهم بمفاهيمه السليمة الواعية . واذا كانت الشكوى تتكرر دائما من انحراف سلوك

التلاميذ ، واعوجاج اخلاقهم ، فليس لان الدين قد فشل فى تقويم سلوكهم واخلاقهم ، بل لان الطريقة المتبعة فى تدريس الدين هى المسئولة عن هـــذا الفشل .

وليس من الحكمة فى شىء ان يتجاهل دور المسجد فى الاسهام فى تنفيـذ خطة التوعية الدينية ، لان المسجد اصلح جهاز من اجهزة التوعية الدينيـة .
والذى لا شك فيه ان رواد المسجد اقرب النـاس الى التأثر بالدين والتجاوب مع مفاهيمه ، ولـكن المشكلة تتجسم فى امام المســجد نفســه ، الذى لا زال فى واد واحتيـاجات المجتمع فى واد آخر ، ويمكن ان تحدد الخطوط البارزة فى منهج التوعية ليرتبط بها امام المسجد ارتباطا وثيقا . ولن تكون مهمته ــ بالطبع ــ هى التلقين كما يتوهم ، لانه ســيتلقى رءوس موضـــوعات ، وعليه ان يصوغ الموضــــوعات نفسها فى قالب دينى بأفكار حيـة واسلوب سهل لا تعقيد فيه ، ولا ملل منه .

ولا اظن ان التوعية الدينية لاتحتاج الى اكثر من محاضرات وخطب ومواعظ ، فمنذ مئات السـنين تلقى المحاضرات والخطب والمواعظ فى المســاجد والاندية فى شتى المناسبات الدينية وغيرها ، ومع ذلك فاننا نشــعر دائما بأن المجتمع فى الشــعوب الاسلامية يفقد القيم والمبادىء والمثل ، وتنحـدر الاخلاق فيه الى درجة لا تطاق ، ونحس ايضا بأن مكانة الدين نفســه فى نفوس الناس آخذة فى التلاشى والتدهور ، وليسـت المدنية مسئولة بالطبع عن شىء من هذا ــ **لان المدنية تساير تطور العقل ، وليست مفاهيم الدين السليمة تقصر دون مسايرة العقـل فى تطوره ، فقد عرف المسلمون الحضارة فى ازهى عصورها ، وتعاملوا معها وتجاوبوا ، ولا زلنا نتغنى ونفخر بتلك الحضارة التى اغدقها المسلمون منـذ آلاف السنين على العـالم ، يوم ان كان يغط فى سبات عميـق ، ويخبط خبط عشــواء فى دروب التاخر ومتاهات الجهل ،** ولكن تعطل عقولنا عن ان تهضم الدين ، وتبلد اذهاننا تجاه مفاهيمه الناضجة الواعية ، جعلنا لا نحس بقدرة الدين على تشـكيل حياتنا ، وتنظيم سلوكنا ، ودفع بالبعض من المنتمين الى الاسلام ممن لايمنعه الحياء الى ان يجاهر بعزل الدين عن الدولة ، وابعاده عن حياتنا . وذلك لان الدين اليوم لايقدم الى الناس نماذج حية تثير اهتماماتهم وانما يقـدم نصـوصا جافة لا حركة فيها ، وافكارا مشوهة لا تصل الى اعماقنا ، واســاليب ممجوجة لا تقنع عقولنا .

وازاء هذا كله يجب ان يدرك المسئولون عن حملة التوعية الدينية ان هــذه المهمة الخطيرة لا تنهض بغير لـسان ، يمثله دعاة مســتنيرون ينتشرون فى الارض ، وصحف دينية تجتذب عقول الناس قبل ان تثير عواطفهم .

والدعاة المســتنيرون يجب ان يحــسوا بواقع الحياة التى نعيشــها ، وان يتفاعلوا فى مشــكلات الناس التى يجتازونها ، ومآسيهم التى تحيط بهم ، والامهم التى تنغص عليهم حياتهم ، هؤلاء ليســوا فى حاجة الى من يقـول لهم : ان الحيـاة الدنيـا لا تـستحق ان تهتم بها ، لان الآخرة خير وابقى ، وان الصابرين سيعوضهم الله جنة عرضها السموات والارض ، ولكنهم فى حاجة الى من يؤكد لهم واقع الحياة ، ويعينهم على ايجاد حل لمشكلاتهم ، وعلاج لمآسيهم وآلامهم .

والصحف الدينيـة يجب ان تكون واقعيـة فيما تنشر من دين ، جادة فيما تكتب من ثقـافة ، لاتلتمس مواضع الجدل فتصبح ساحة للمناقشات البيزنطية التى تستهلك الوقت ولايفيد منها العقل ، يجب أن ترتبط كل الارتباط بمخططات التـوعية الدينية لانها لسانها ، فليس المطلوب أن تكون صحف دينية ، وانما المطلوب ايجاد صحف تسـير جنبـا الى جنب مع خطة التوعية .

وبعد ــ فان فكرة التوعيــة الدينيــة فكرة لها دلالتها ، ولكن هناك سؤالا يجب ان يكون ماثلا امام اذهان المسئولين عنها والمشرفين عليها : هل اجهزة الاعلام مستعدة لان تتعاون مع هذه الفكرة الحيــة العظيمة ؟ ان الدلائل الى هــذه الساعات لا تبشر بخير ، لان الصحافة اقـوى اجهزة الاعلام اكتفت بمجرد الاشارة الى فكرة التوعية الدينية ثم اغلقت اعينها ، والاذاعة والتليفزيون لم يحسا بعد بشىء .
ان الصحافة اليومية والاسبوعية التى تخلق من الحبة قبة لتنشر كلاما لا جدوى منه ، وتخصص صفحة للرياضة كل يوم ، وتفسح صدرها لتنشر فى اكثر من صفحة آخر تحركات نجوم الســينما وادق أسرار مغامراتهم ، يجب ألا تضيق بتخصيص جزء من صفحة للتوعية الدينية .

رسالة الفن

٢ - نحو مسرح عربي

بقلم : عبد الفتاح البارودي

لايمكن أن نصل الى تكوين وتطوير مسرحنا بلا ثقافة ٠٠ والثقافة المسرحية ليست مجرد معرفة قوالب المسرح وأشكاله ، بل لابد من معرفة مكونات التفكير المسرحي ٠٠ راجع تاريخ المسرح في العالم ستجد أن وجوده مرتبط بوجود هذا التفكير ، وستجد أن ازدهاره أو انحداره مرتبط بازدهار او انحدار هذا التفكير ٠٠ هذه بديهيات ٠٠ ومن أجل ذلك نجد أن المسرحية التي بلغت ذروتها الفنية عند الاغريق في العصر الهليني ، ضعف مستواها عند الاغريق أنفسهم في العصر الهلينستي ، وزادت ضعفا في العصر الروماني ، واحتضرت وماتت في العصور المظلمة ، ثم أخذت تنهض حتى بلغت الذروة في عصر النهضة في أوربا، وظلت تتفاوت مستوياتها الى أن ازدهرت في العصر الحديث ٠

من خلال هذا كله يجب أن نبحث كيف ولماذا اختلف التفكير المسرحي ، والمسألة ليست سهلة ، فمن الضروري ان يتناول البحث التيارات الفكرية والتراكيب الاجتماعية والعوامل الاقتصادية أيضا ، لان المسرح يؤثر ويتأثر بالافكار والمجتمعات ، وبديهي ان وراء كل حركة ثقافية حركة اقتصادية كيفتها أو نبهت اليها على الاقل ، لان الطريقة التي يرتزق بها مجتمع ما تكيف طريقة العيش وأسلوب الحياة ، وما يؤثر في العيش يؤثر في كل الأوزان والقيم ٠

ان البحث على هذا النحو يفسر لنا المشكلات الفنية ويساعدنا أيضا على فهم التراث المسرحي ٠٠ اننا لايمكن أن ندرك مثلا معنى التراجيديا من مجرد الاطلاع على تفسيرات خبراء المسرح ، وانما من اللازم أن نعرف كلمة تراجيديا لها صلة بمعناها الحرفي اي «اغنية الجدي» ، وكان الاغريق في ماضيهم البعيد يؤمنون بعالم غير عالم الحس ، عالم خفي يعتقدون أنه قادر على التصرف في مصائرهم ، ولهذا كانوا يسعون لاسترضائه ، وخيل اليهم ان الحيوانات مخلوقات تنطوى على قوى غامضة ، وكان كل واحد منها يمثل - فيما توهموا - احدى هذه القوى ، وكان « الجدي » يمثل قوة الاخصاب ، ولهذا لبس كاهن المعبد القديم جلد جدي وصار الممثل الاول ، وسميت المسرحية اغنية الجدى ٠٠ وكان من معتقداتهم أن في الكون قوة تعطى الخير كما تعاقب من يصاب بالزهو والغرور ، وظهر هذا في التراجيديات الكبرى ٠٠ ثم لما تغلبوا على الفرس شعروا بنشوة النصر ، وكانت قد زالت من اثينا دولة الطغاة عام ٥١٠ ق ٠ م ٠ وقامت فيها ديمقراطية نتيجة لاحساس الشعب الأثيني بوجوده ومطالبته بحقه ، ووفدت الى الاغريق وفود مختلفة ، واتصلوا هم بغيرهم من الشعوب ، وكان من أهم الاحداث ادخال عبادة ديونيزوس في اثينا ، اذ انه اله الخصب وكان العقل اليوناني قد ارتقى ، ونما التفكير الفلسفي هذه العوامل كلها زادت ثقة الاغريق بأنفسهم في الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، وأثر هذا كله في الحياة الادبية والعقلية والفنية ، ونتج عن ذلك أن اتصف الادب بصفات الابتكار والابتداع وحرية الرأى وتجلى ذلك في الادب التمثيلي، فظهرت روائع المسرح الاغريقي في القرن الخامس قبل الميلاد ، اى في العصر الهليني ٠

ولكننا اذا تأملنا بعدذلك فى الحرب البيلوبونيزية ونتائجها واسبابها التى كان من أهمها العامل الاقتصادي ، فان هذه الحرب امتدت سنوات طويلة بين أثينا (فى صف الشعب) واسبرطه (فى صف الاغنياء) وكان من نتائجها أن انهارت الحضارة الاثينية والاسبرطية ٠٠ واذا تأملنا فى صرخة ديموستنيز ، فيليب على الابواب ، وما أعقبها من سيطرة المقدونيين على اليونان . واذا تأملنا فيما أعقب ذلك من انقلاب فى عالم التفكير واستسلام المفكرين الى الراحة ، مما كان له أثره فى تحطيم قوة اليونان المعنوية ٠٠ اذا تأملنا فى ذلك كله عرفنا كيف ولماذا انحطت المسرحية الاغريقية فى العصر الهلينستى بتحلل عنصر «الصراع» الذى قامت عليه اساسا ٠

***

اما فى العصر الاغريقى السكندرى حيث وجدت الثقافة الهلينستية عاصمة لها فى الاسكندرية أيام البطالسة ، فلم يكن من الممكن ان تظهر المسرحية بالمعنى الفنى ٠٠ لان الادباء كانوا يصطنعون المداهنة لسلطان البطالسة ورجال البلاط ، وكانوا يكتبون بلغته اليونانية ، اى أنهم كانوا منفصلين عن الشعب وعن البلد الذى يعيشون فيه ، ولا يمكن أن تظهر المسرحية فى أدب متصنع ٠

كذلك فى المسرح الرومانى عاش الادباء مقلدين متطفلين على التراث اليونانى ولم يخلقوا مسرحا أصيلا ٠٠ لماذا ؟ حاولوا أحيانا تأليف موضوعات تدور فكرتها الاساسية حول التاريخ الرومانى والاساطير الرومانية ، وحاول هوراس تحديد قواعد للدراما الرومانية ، ولكن لماذا انحطت الدراما عند الرومان ؟ أسباب ذلك كثيرة . واهمها أن البيئة الرومانية بتركيبها الاجتماعى الاستبدادى لم تكن تسمح بالحرية والانطلاق الفكرى ، ومن هنا انحصر التفكير الفلسفى فى المحسوسات وفى فلسفة تعد استمرارا للرواقية أو الأبيقورية ؛ وهى فلسفة تدور حول السلوك فى الحياة العملية والاقبال عليها أو الادبار عنها ؛ ولهذا كانت الدراما لديهم اخلاقية بمفهومهم ،وتعليمية بمنهجهم ؛ وغالبا ما تستمد قيمتها مما تتضمنه من خطابة ، ونتيجة لذلك فقد الادب عندهم سلطانه على النفوس تدريجيا ، وعندما جاء عصر أوغسطس كان الانتاج الأدبى قد انزوى بين جدران صالونات أدبية حرصت على حماية الفنون على أساس الأناقة والترف ، وليس على أساس الاحساس بقيمتها الانسانية ، ومن هنا انحرفت عناصر الدراما عن طبيعتها وعن وظيفتها ، فنجد مثلا ان عنصر الرقص الذى كان عند الاغريق فنا رفيعا أصبح عند الرومان مجرد خلاعة ٠

وصحيح أن فى المسرح الرومانى أعلاما مثل بلوتس وتيرنس وسينيكا ، فكيف تفسر ذلك ؟ الواقع أن الرومان عندما قلدوا المسرح الاغريقى لم يقلدوه الا فى الفترة التى انحدر فيها نسبيا ٠٠ لم يأخذوا عن الكوميديا القديمة التى كانت تتناول مسائل فكرية ونقدية فى جد وجراة ، ولم يأخذوا حتى عن الكوميديا المتوسطة التى كانت تعالج بعض الاساطير ، وانما أخذوا عن الكوميديا الحديثة التى تحلل نماذج من البشر ، ومع ذلك كله لم يحاولوا ان يتناولوها تناولا فنيا أصيلا ٠٠ ان بلوتس مثلا احتفظ باطار اغريقى وشخصيات اغريقية ليتجنب مجافاة الذوق الرومانى فى تصوير ما كان يصوره من سلوك الشخصيات الرومانية ٠٠ وكذلك تيرنس يلتزم الأصل الاغريقى ٠٠ وتراجيديات سينيكا شوهت بالاطناب واضافة حكم اخلاقية وحكم مأثورة ٠٠ الخ ٠٠ وعلى العموم فان المؤلف الرومانى لم يتفاعل مع الحياة حتى لايتعرض لبطش الطبقة الارستقراطية التى كانت مسيطرة على الحياة الرومانية ومن أجل ذلك تقل عن الاغريق رغم أن الافكار الاغريقية لايمكن أن تجتذب الجمهور الرومانى ، ونتيجة لذلك هرب الجمهور من المسرح ٠

***

والمسرح الذى أصابه الهزال فى العصر الرومانى بسبب هزال التفكير الفلسفى ، احتضر فى العصور المظلمة بسبب احتضار التفكير الفلسفى ٠٠ لم تبق منه غير جزئيات رددها الرواة الشعبيون ، واختفى المسرح كجهاز فنى ٠٠ لماذا ؟ لان المسرح لا يمكن أن يعيش بلا تفكير ، ولان التفكيرالفنى لا يمكن أن يعيش فى الاقطاع الزراعى الذىكانت تعيش فيه أوربا٠٠ ان الاقطاع لايؤدى فقط الى تدهور الشعوب ماديا بل يؤدى بالبداهة وبالضرورة الى الفقر الفكرى والفنى ؛ فكيف يمكن أن يوجد مسرح فى شعوب اوربا التى كانت عبارة عن جموع فى حكم المفقودة ؛ لانها لاتتمتع باى اهلية بين سادتها ٠٠ ان المسرح الاوربى لم يوجد الا بعد أن افاقت تلك الجموع من

غفوتها الطويلة وتنبهت وتكون وعيها شيئا فشيئا ، واسترد الفرد اعتباراته ، واستردت الحرية مقوماتها فى عصر النهضة ، وعندئذ ظهر عنصر الصراع فى الحياة ، وبالتالى ظهر الادب المسرحى كتعبير فنى عن ذلك الصراع .

***

ان العصور الوسطى تعطينا مثالا واضحا يصور لنا كيف يموت المسرح وكيف يستعيد الحياة ، نتيجة لموت التفكير الفنى ثم احياء التفكير الفنى .. لم يكن من الممكن ان يظهر المسرح فى بيئة اقطاعية ، ولكن فى عصر النهضة الاوربية تغيرت وسائل الحياة ، فلم تعد زراعية غيبية ، بل فتحت أبواب التجارة ، ونشأت حضارة المدن ، وبدأ الناس يطالبون بالحرية الفردية ويكافحون الارستقراطية والرجعية الدينية ، وكان لهذا أثر كبير فى الادب والفن ، فرجع الادباء والفنانون الى التراث الاغريقى فى نظرتهم الفنية وفى تعبيرهم الادبى ، وشيئا فشيئا صارالادب المسرحى أدبا انسانيا طليقا يصور الصراع بين رغبات الفرد، وقيود التقاليد ، وبين الانسان والقضاء .. وحدثت نكسات كثيرة ، ولكن المهم أن ندرك أن المسرح فى تقدمه وتمجده ونكسته مرتبط بالمجتمع وبالتفكير، فمثلا كان المسرح فى العصر الاليزابيثى مسرحالجمهور من شتى الطبقات ، وكان الادباء يحاولون ارضاء شتى الطبقات ، ثم لما صار المسرح لرجال البلاط اتجه المؤلفون نحو ارضائهم ، وفقد المسرح جمهوره، فقد الشعور القوى والاحساس المتدفق ، واحتله الارستقراطيون باحساسهم المتبلد ، فاتجه المؤلفون الى ايقاظهم بالاثارة ، والى ارضاء نزعاتهم ومجونهم ، وترتب على هذا أن خرجت المسرحيات عن نطاقهاالفنى وأصبحت سلاسل متصلة من الحوادث المثيرة والمفزعة ومجالا لالهاب الغرائز والانفعالات المنحطة .

***

حدثت نكسات كثيرة فى المسرح بسبب النكسات الفكرية ، ولكن بعد ان توطدت مكوناته الفكرية توطدت دعائمه .. ولا داعى للاستشهاد بالامثلة ، فانها تحتاج الى سرد تفصيلات كثيرة ، وانما يهمنا أن يتوافر المفكرون على بحث هذه الدقائق لنعرف حقيقة المكونات الفكرية للمسرح .. فمثلا (البيوريتانز) فى انجلترا انتصروا على الطبقة الارستقراطية ولكن المسرح لم يجد مجالا بينهم بسبب تزمتهم ، ولهذا أغلقوه ، ولعلهم كانوا يعتبرونه من وسائل الارستقراطيين فى الترف والخلاعة ، ثم عندما عاد شارل الثانى عادت معه هذه الوسائل ، وعاد المسرح ، ولكنه كان اداة غير فنية ، لانه كان معبرا عن ثقافة الارستقراطيين ، ولهذا تدخل هذه الفترة فى فترات انحطاط الادب المسرحى ، لان المسرح كان فيها مصنوعا ومتكلفا ، وضئيل الصلة بالحياة وبالجمهور ، ولهذا لم تظهر غير مسرحيات تعبر عن الاحساسات الارستقراطية المتكلفة أو تعبر عن أدب الصالونات بتقاليدها الشكلية .

***

كذلك فى فرنسا حدثت نكسات مماثلة وان اختلفت الظواهر والقوالب .. فبعد أن بلغ مسرحها الكلاسيكى ذروته فى القرن السابع عشر تهافتت قيمته الفنية .. والسبب أن التفكير الاقطاعى لم يزل من فرنسا وقتئذ ، وانما تشكل باشكال اخرى الى ان اطاحت به ثورة ١٧٨٩ وكان للاتجاه العقلى أثر واضح فى اشعالها . لكن هذا الاتجاه الذى ساند رجال الاصلاح لم يساند المسرح .. وطبعا ليس معنى ذلك أن المسرح يتعارض مع الاتجاه العقلى ، ولكن معناه أن المسرح ـ وهو أدب وفن ـ له مواضعات خاصة ينبغى التزامها ، ولكن مؤلفى المسرح الذين استخفهم منطق العقل لم يهتموا كل الاهتمام بهذه المواضعات .. وهذا الذى حدث فى فرنسا وان كان يختلف عما حدث فى انجلترا فى القرن الثامن عشر الا أن النتيجة بالنسبة للادب المسرحى تكاد تكون واحدة أو متشابهة ، وهى تهافت القيمة المسرحية ، كانت مهمة الادب فى القرن الثامن عشر فى فرنسا هى المعرفة، أو صياغة الافكار الجديدة ليعرفها الناس بينما نجدها فى انجلترا مهمة أسلوبية أو شكلية تعنى بالصياغة أكثر مما تعنى بالافكار .

***

لاداعى للاستطراد .. فالمهم أن ندرك أن المسرح كائن حى ، ولابد لايجاده وتطويره من توفير أسباب حياته ، ولا بد من معرفة هذه الاسباب .. ولا بد لكى ندعم الجهود التى تبذل الآن فى مسرحنا من تعميق التفكير المسرحى .. كيف ؟

سؤال يجب أن يواجهه كل المثقفين .

الفكر في أسبوع

يقدمه : تحسين عبد الحي

القرآن والعلوم الحديثة

لا شك ان العلاقة المباشرة ـ تحقق الى حد كبير ـ التضامن والتكامل بين العاملين فى مجال واحد ـ وعلى هذا الاساس كان اجتماع أسرة نادى المعلمين فى برنامجهم التوجيهى الخاص بالتربية الدينية . **والذى بدأ فى الخامس والعشرين من الشهر الماضى والذى سوف يستمر الى اليوم العاشر من هذا الشهر .. ونقصد هنا بالعلاقة المباشرة وجود نقيب المعلمين ـ السيد كمال الدين حسين ـ نائب رئيس الجمهورية وعضو مجلس الرياسة والسيد وزير التربية والتعليم ـ وكذلك وكلاء الوزارة ومديرى مناطقها الى جانب جميع المدرسين وأعضاء النقابة ـ وخاصة الراغبين منهم فى الحضور على اساس أن الدعوة عامة .**

وكان التقاء رجال التربية والتعليم هذه المرة فى ندوة فكرية مفتوحة موضوعها القرآن والعلوم الحديثة ـ وكما هو متبع دائما ـ فقد بدأت على صورة محاضرة ألقاها الدكتور محمد وصفى ثم تبعتها مناقشات متعددة الاطراف .

وقد افتتح الاستاذ على مختار خيرى ـ مدير عام منطقة شمال القاهرة واشرف على اعداد هذه الندوات وتوجيهها ـ الندوة ـ منوها بضرورة الالتقاء المباشر بين رجال التربية والتعليم ـ وخاصة فى مثل هذه الندوات ذات الطابع الدينى .

وذلك لكى يساعدوا على تعميق وتجسيد مبادىء الدين الاسلامى فى عقول النشىء ـ وخاصة فى هذه المرحلة التى يهتز فيها كثير من المفاهيم والقيم تحت الضغط المتزايد لعناصر الحضارة الحديثة المتضاربة .

ثم بدأ الدكتور محمد وصفى فى القاء كلمته ـ مبينا أن الدين الاسلامى هو الدين الوحيد الذى دعا العالم الى العلم .

فقد ظهر الدين الاسلامى فى مرحلة كانت تعانى فيها اوربا أقسى أنواع الهمجية من قتل وتخريب شامل ـ وظهر القرآن فى هذه الفترة وآيته الاولى تقول :

« **اقرأ باسم ربك الذى خلق** » .

فآية القرآن الاولى تأمر بالقراءة وتحصيل العلم ـ واستشهد المحاضر ببعض الآيات التى تحث على طلب العلم وقال ان الله سبحانه وتعالى عندما امر ابليس ان يسجد لآدم ـ كان امر السجود ـ للعلم ـ لآدم العالم وليس لآدم ـ المادة ـ وذلك لان ابليس نظر الى آدم على اساس مادى ..

اذ قال « **خلقتنى من نار وخلقته من طين** » ، ومن ثم يخرج الدكتور وصفى الى القول بأن كل نظرة مادية الى الاشياء هى نظرة غير سليمة ـ ويرى المحاضر ان معنى الآية القرآنية هو الحقيقة العلمية ـ سواء اكانت سياسية او اقتصادية او اجتماعية فآيات الله حقائق علمية قبل كل شىء ..

واورد المحاضر بعض الآيات العلمية فى القرآن ـ ـ موضحا صلتها بالعلوم الحديثة ـ فذكر قوله تعالى :

« **خلق الانسان من صلصال** » والصلصال كما هو معروف يتكون من عناصر مختلفة ناتجة من الارض ـ والعلم الحديث يذكر لنا اليوم ان الانسان عنصر من عناصر القشرة الارضية ..

ثم قوله تعالى : « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة ـ الى آخر الآية ..

وتنطبق هذه الآية الكريمة على فرع من فروع علم الطب الحديث وهو علم الأجنة ـ

ثم قوله تعالى : « **والوالدات يرضعن اولادهن** » .

والعلم الحديث يذكر لنا ـ انه كلما امتص الطفل اللبن من ثدى أمه رجعت الاعضاء التناسلية عند الام الى مكانها الطبيعى ..

ثم قوله تعالى : « **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين** » .

وهذه أيضا آية علميه تجنب ارهاق الجسم بالاكثار من الطعام ..

وقوله تعالى : **« ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة »** وتنطبق هذه الآية على المقرر في علم الطب الوقائي من أن « الوقاية خير من العلاج » .

وفي قوله تعالى : « **حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير** » .

فلماذا حرم القرآن أكل الميتة .. ؟

يرجع ذلك الى ان الموت غالبا مايكون بسبب داء أو وباء – وبعد الموت مباشرة يبدأ التعفن – بطريقة سريعة وذلك بسبب الامعاء التي تتكاثر فيها الجراثيم – وهذه الجراثيم تغزو انسجة الجسم – ثم ان افرازات هذه الجراثيم نفسها سامة – فكيف تؤكل الميتة بعد ذلك .. ؟

وينسحب موضوع الجراثيم كذلك على الدم – فمن المعروف ان الدم تتكاثر فيه الجراثيم بسرعة مذهلة .. فوجود الجراثيم بالاضافة الى افرازاتها يجعل الدم ضارا بالانسان ..

اما لحم الخنزير – فمعروف علميا ان هناك مرضا خاصا بالخنازير وحدها في صورة – دودة من الديدان موجودة بين ثنايا خيطان عضلات الخنزير ولا يمكن تحديد مكانها فيه . فاذا اكل الانسان لحم الخنزير فان هذه الديدان تنتقل الى معدته ثم تغزو عضلات الجسم وتنتشر فيها **– ومن ثم يصاب الانسان بالمرض المعروف باسم – « الترخينة » والمصاب بهذا النوع من المرض يشعر بآلام مفزعة عند تحريك اي عضلة من جسمه ..**

وانتقل المحاضر بعد ذلك الى قوله تعالى : ..

« **ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل الى آخر الآية** » .

والمقصود هنا – بجنة بربوة – هو الارتفاع عن مستوى سطح الماء في الارض – فالمعروف علميا – انه كلما كان مستوى الماء منخفضا – فان ذلك يساعد النبات على ان تتعمق جذوره في باطن الارض فينبت قويا .. – سليما – اما اذا كان مستوى الماء في الارض مرتفعا فان ذلك يقف حائلا دون تعمق الجذور في باطن الارض – ومن ثم يخرج النبات ضعيفا هزيلا ..

ثم ما هو الفرق بين الوابل والمياه العادية ؟ ..

من الحقائق العلمية الثابتة ان قوة ارتفاع الوابل تساعد كذلك على تعمق الجذور في باطن الارض – أما المياه العادية فهي تسطح الجذور على مستوى منخفض من باطن الارض – ويلجئون الآن في الولايات المتحدة الامريكية الى ري النبات بطريقة الرشاشات المرتفعة عن سطح الارض .

تحديد النسل

وبعد المحاضرة دارت المناقشة حول اهم موضوعات الساعة .. وخاصة موضوع تحديد النسل – وكان رد المحاضر حاسما .. فذكر قوله تعالى ..

« والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين »

وفسر ذلك بقوله – لقد وضع القرآن الحد الادنى لتحديد النسل – فجعل الفرق الزمني بين الوضع والحمل عامين – بدلا من عام واحد فلنفكر اذن في الحد الأقصى – لأن الدين الاسلامي لم يحرمه ..

« بنك لبن الأمهات »

ثم دارت مناقشات متفرقة وذلك بعد انتهاء الندوة كان اهمها موضوع انشاء بنك للبن الأمهات واختلفت الآراء في ذلك – اذ من المعروف انه اذا رضع شخصان من أم واحدة – كانت هناك اخوة الرضاع ولا يحل احدهما للآخر فكيف يكون الحال من خلط اللبن من امهات مختلفات ؟

وبعد مناقشات عنيفة – **اشترك فيها الاستاذ احمد حسن البحطيطي مفتش قسم الساحل** اتفقت الآراء على أن الرضاع المحرم هو ما بلغ خمس مرات مشبعات متيقنات في حولين متتاليين – والشبهة هنا تلغي التحريم – وذكر الجميع رأي المفتي الذي افتى أن خلط لبن الأمهات – لا يدعو الى التحريم لأن الطفل يرضع من لبن مختلط – **وذلك ما يدخله في دور الشبهة ولا يوصله الى درجة التيقن – ومن ثم فلا حرج في انشاء مثل هذا البنك ..**

تحسين عبد الحي

البريد الأدبي

رد على نقد

نشرت مجلة الرسالة الغراء لي في العدد ١٠٤٥ قصيدة بعنوان « من وحي المؤتمر » وقد ورد فيها البيتان التاليان :

يا سادة العرب امر العرب في يدكم
أن تنطقوا سمعوا أو تامروا صدعوا

ان تقدموا فبنو الاقدام نحن وان
قلتم سلاما فبالاكراه تقتنع

وقد عقب السيد احمد السقاف وكيل وزارة الثقافة بالكويت على البيت الثاني ببرقية يقول فيها : « بلغوا محمود غنيم (فلا والله تقتنع) » .

فسيادته يرى ان يصاغ البيت على هذا النحو :

ان تقدموا فبنو الاقدام نحن وان
قلتم سلاما فلا والله تقتنع

وقد سرني - والله - هذا النقد أو التعديل لما فيه من ايثار الجانب الحماسي على جانب التادب في خطاب زعماء العرب ؛ الامر الذي يتفق مع السياق العام للقصيدة ، وان كان البيت الاول يستدعي ورود البيت الثاني على النحو الذي اوردته به ، والا كان في البيت الأول تسليم القياد الى الزعماء وفي الثاني اعلان التمرد عليهم تمردا مؤكدا بالقسم .

وبعد ، فهل يوافق السيد السقاف بان نخفف قليلا من حدة هذا التمرد فنورد البيت على هذا النحو :

ان تقدموا فبنو الاقدام نحن وان
قلتم سلاما فمن بالقول يقتنع ؟

وللاستاذ مني خالص الشكر والتحية اولا وآخرا .

محمود غنيم

حول الكاظمي

قرات كلمة للاستاذ احمد الشرباصي في (الرسالة) الغراء العدد ١٠٣٧ ، تحدث فيها عن رسائل الكاظمي التي كان وجهها الى صديقه الأوفى ، المرحوم السيد رشيد رضا ... وقد عثر عليها الاستاذ الشرباصي بخط الكاظمي نفسه ..

ذكر الاستاذ الشرباصي ، حول ولادة الكاظمي انه ولد « في (محلة دهنه) بالعراق سنة ١٢٨٩ هـ - ١٨٧٠ م » .

وهذا القول لا يتعين منه للقارىء مسقط رأس الشاعر الكاظمي بالتحديد ، نعم ان (دهنة) بالعراق .. ولكن في أي شبر منه ، يا استاذ ..؟

ان المحلة التي ولد فيها الكاظمي تسمى «الدهانة» بتشديد (الدال والهاء) .. وهي محلة من محال الرصافة من بغداد ..

ثم يشير الأخ الشرباصي الى ديوان الكاظمي فيقرر أنه طبع في جزئين عام ١٩٣٩ م ... ولو كلف الاستاذ نفسه بالرجوع الى الديوان نفسه لوجد ان الجزء الاول من الديوان طبع في دمشق بمطبعة ابن زيدون عام ١٩٣٩ م والجزء الثاني طبع في مطبعة دار احياء الكتب العربية في القاهرة عام ١٩٤٨ .

عبد الله الجبوري
امين مكتبة الاوقاف العامة ببغداد

***

التصوف والادب الصوفي

قرات مقالات الاستاذ الفاضل الاديب عبد الكريم الخطيب بالرسالة عن الأدب الصوفي وقد عن لي ان اناقشة في بعض ما كتب قال محيي الدين بن عربي مقام النبوة في برزخ ؛ دوين النبي وفوق الرسول

ومعناه كما فهمه الادباء منه منازلهم (١) الولى (٢) النبي (٣) الرسول وقد فسر الاستاذ عبد الكريم الخطيب هذا الشعر الصوفي على أساس أن دوين طرف مبني على الضم وكذلك فوق قياسا على قبل وبعد حين قطعهما عن الاضافة وجعل دون خبر

مقدم والولى مبتدا مؤخر وكذلك فوق الرســـول والذى اعلمه عن القانون النحوى ان قبل وبعد وهما الظرفان اللذان قيل عنهما انهمــا يصح قطعهما عن الاضافة ولم اسمع بدون ولا فوق .

ولقد بنى الاستاذ الخطيب على هذا التفسير نتيجة هى (١) الرسول هو الامام (٢) النبى امام ومأموم (٣) الولى مأموم وحسب . وبذلك يستقيم المعنى كما يفهم الاسلام والمسلمون وفى ظنى ان ذلك تحايل على طريقة الصوفيين حين يلوون أعناق النصوص ليا عنيفا بجعلها جسما بلا روح على قاعدة واصل بن عطاء – القول بالمنزلة بين المنزلتين – وكذلك قال الاستاذ الخطيب النبوة – مقام بين مقامين او برزخ بين بحـرين – ليخرج بمحيى الدين بن عربى من سقطته وكم له من سقطات !! وماذا يقول الاستاذ الخطيب فى قوله – انا الحق سبحانى ما أعظم شانى !!!؟

وفى المقال الثانى قال الاستاذ الخطيب (التجربة الصوفية نقلة كبيرة يتحول بها الانسان من عالم الى عالم وينتقل بها من وجود الى وجود وهيهـــات ان يكون فى الحياة موقف يتحول بالانسان هذا التحول كالتجربة الصوفية فى صاحبهـــا) فلست أريد ان أناقش هذه العقيدة ولا هذا التحول سوى أن أقول ان هذا ليس من شأن الدين الاسلامى ولا من مناهجه وانما هى رهبانيات قديمة وحديثة ابتدعها الناس ماكتبها الله عليهم . ويلوح لى من هذا القول رائحة تصوف الاستاذ الخطيب لذلك ينافح عن العقيـــدة بالقول الخصيب ولو انه اول الأمر نحاها وخص نفسه بالحديث عن الادب الرغيب قال ابن الفارض الشاعر الصوفى :

ما اطيب مابتنا معـــا فى برد
اذ لاصق خده اعتناقا خدى
حتى رشحت من عرق وجنته
لا زال نصيبى منه ماء الورد

ثم قال الاستاذ الخطيب : « أترى هذا القول يصح أن يكون ترنيمة من ترنيمـات الحب لله ؟ وهل يليق بعاقل أو بعض عاقل ان يصف الله بهذه الاوصاف التى تنزل بالخالق الى هذا المستوى وتجعل منه كائنا بشريا » هذا كلام حق جميل نشـــكر عليه الصديق الكريم وقد نافح عنه الاســـتاذ قائلا « لم لا يكون هذا غزلا حقيقيا لابن الفارض سـواء كان ذلك عن واقع أو عن خيال وهل ارتفع ابن الفارض عن ان يتغزل كما يتغزل الشعراء وان يحب كمـا يحب الناس حتى وهو فى سلاح المتصـوفة » هذا كلام جميل أيضـا ولكنى أنقل له بيتا لابن الفاضـل من كتاب المدخل فى التصوف الاسلامى للاســتاذ الفيض المنوفى قال :

لغيرى ما صلى سواى ولم تكن
صــلاتى لغيرى فى أدا كل ركعة

وقد دافع عنه الاستاذ المنوفى وهو صوفى وعن غيره من الشـواذ دفاعا آخر فى كتابه صفحة ١١٤ قال « نحن لا ننكر ان بعض شواذ الصوفية الاسلامية المتاخرين قالوا بالحلول او الاتحاد وقد استعاروه من المتكلمين الذين نقلوا فلسفة اليونان والافلاطونية الحديثة وهذا لا يخرجهم عن أن يكونوا من المتصوفة المعدودين ومما لا يكدر اعتقادنا فيهم كالحلاج الذى غلبه الحال فقال ما فى الجبة غير الله وكقـــول محيى الدين بن العربى أنا الحق سبحانى ما أعظم شـــانى وكقول ابن الفارض (البيت السـابق) واذا صح ما قاله الأولياء (ان ســـيئات المقربين حسـنات الابرار) فالويل الاعظم لمن لم يكن فى هؤلاء او هؤلاء لم قال وحـــول أولئك المصــابيح المملوءة بالانوار والاسرار كثير من الضباب والغبـــار لانه اذا جن الليل فقال انقضى الحديث عن كلام النهار » .

هذا هو دفاع الاستاذ المنوفى وهو الاستاذ الصوفى فماذا يقول فيه الاستاذ الخطيب ؟؟ وهو وان اتسم بالصراحة فى غير فصاحة الخطيب الا انه لجأ الى قاعدة صوفية أخرى « ان سيئات المقربين حسنات الابرار » وهى قاعدة الصوفية الاحـــرار وليست قاعدة المؤمنين الابرار وهى نفسها قاعدة الاسماعيلية حين تولى الامام الســـابع من الاثنـا عشرية وهو اسماعيل بن أبى جعفر الصادق الذى نصبه أبوه اماما وكان يأتى المنكرات جهارا وينغمس فى الشهوات ليلا ونهارا ولم يحاول الاسماعيليون الا أن يزعموا أن الامام مباح له أن يفعل كل شىء لانه مطهر عند الله ومعصوم من الخطأ ومايراه الرائى فى الظـــاهر منكرا محرما هو فى الباطن للامام حلالا محللا وحسبى فى الختام ما روى الحسن بن على رضى الله عنهمـــا عن أبيه انه قال يقول الله عز وجل : يا ابن آدم اذا عملت بما افترضـت عليـــك فأنت من أعبد الناس واذا اجتنبت ما نهيتك عنه فأنت من أروع الناس واذا اقتنعت بما رزقتك فأنت من أغنى الناس .

محمد مجاهد
مفتش بوزارة التربية والتعليم سابقا

لنا الله

تحت عنوان «مشكلة لم تحل» كتب الاستاذ محمد عبد الله السمان مقالا ضافيا عن مشكلة ادباء الاقاليم وبقدر ما مس فينا المقال مكامن الوجيعة والالم بقدر ماسرنا وأثلج صدورنا ٠٠ وربما لاننا ولاول مرة نرى ان المشكلة قد لقيت آذانا مصغية ونفوسا راغبة فى ايجاد الحلول الملائمة بحيث ان هذه المسالة اصبحت مسالة الساعة وقضية جيلنا المعاصر باكمله لان القضية خطيرة ٠٠ خطيرة جدا ٠٠ القاهرة التى لايمثل عدد سكانها الا عشر الجمهورية تستاثر بكل شيء وتلتهم كل شيء ولا تبقى الا النذر اليسير ٠٠ بقعة مضيئة هادرة وما حولها من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب يخب فى ظلام ماله نهاية ٠

وأحب أن أقول ان المسالة ليست مسالة حماسة وليست مجرد حقد وليست مجرد وسيلة للصراخ وشد الشعور ٠٠ ولكن الاقاليم زاخرة فياضة بالشعراء والقصاص والفنانين بل أؤكد ان كثيرا من الشباب ـ وأعرف بعضهم شخصيا ـ قد ركن الى الدعة واستنام الى الخمول بعد أن راينا وقرانا له انتاجا وادبا رائعا صافيا ٠٠ وكل ذلك كان مآله النسيان ولو أن أمثال هؤلاء الادباء وجدوا العناية والرعاية لوجدنا أن هناك عددا وفيرا يصل الى مرتبة بعض من ينشر لهم ونحن تسلط حولهم هالة الاضواء ٠

والاستاذ السمان ـ اكرمه الله ـ كان موفقا جدا فى عرض المشكلة واظهارها بهذه الصورة الحزينة ولكنه ـ ربما لانه مضطر أو لايجد الوسيلة ـ لم يعطنا حلا ايجابيا وفعالا وحاسما لهذه المشكلة ، بل زادتنا كلماته احساسا بوطاة المشكلة ، او وطأة الذنب الذى لم نقترفه لمجرد أننا وجدنا ونشأنا فى الاقاليم ٠ وهو ايضا يصرح بالحقيقة حين يقول: «ولا اظن أن مشكلة هؤلاء قد تحل فى غير القاهرة» اذا ما الوسيلة وما العمل وكيف السبيل الى الربط بين القاهرة وبين الاقاليم ٠

محمد يونس عبد العال

بريد القراء

فى القصة

يقدمه صبحى الجيار

※ «أول عائد» عبد المنعم حسن صالح بآداب القاهرة :

شاب فلسطينى ، استشهد أبوه على ارض فلسطين وقتلت أمه ، وهتكوا عرض اخته الكبرى ، فآثرت الانتحار على الحياة مع العار . ثم نزح هو واخته الصغرى الى لبنان ، حيث عين فى حرس الحدود وذات ليلة وقف بسلاحه يتطلع الى الارض السليبة وضياء القمر يغمرها ، وسبح بافكاره فى مسقط راسه حيث البحيرة وأشجار البرتقال والبيارة ، ورفاق الصبا ، وخدرته نسمات رقيقة تهب من وطنه المغتصب ، فتقدم مسلوب الارادة ، وتعدى الحدود وراح يمشى مزهوا على أرضه ، وعصابة النجمة السداسية تتبعه من بعيد لتطبق عليه من الخلف . فاذا ماوصل الى البحيرة واغترف من مائها فى نشوة انطلقت رصاصة اليهود ، فسقط يتخبط فى مياه البحيرة ، فارتفعت على سطحها بقع من الدم لتقول : هنا يرقد أول عائد .

● الفكرة جميلة فى مجملها .. فكرة الشاب المتحمس الذى تتكاتف عوامل الطبيعة مع احقاده الدفينة على تخديره ، فيصمم على العودة الى وطنه السليب ، وبارادته الفردية يحقق الأمل الكبير .. ويكتب اسمه منقوشا بدمائه على صفحة البحيرة .. مسجلا أنه أول عائد ، لولا الشعارات الهاتفة ، والالفاظ الرنانة ، لاخذت قصتك طريقها الى النشر كاملة ، ولكنى اكتفيت بنشر أجمل ما فيها . وهى الفكرة .

※ «لم يعد عاطلا» صالح يوسف الاحمر ليسيه الحرية بالاسكندرية .

يهدىء القطار من سرعته ، ثم يقف فى المحطة مع انبثاق شعاعات الفجر ، ويفتح نبيل عينيه على الفجر الجديد ، ثم يتذكر طفولته المدللة ، واهماله لعمله كمهندس ، لعدم احتياجه اليه .. ثم حياته الصاخبة فى «البنسيونات» ، ووفاة أبيه المحامى الذى جمع ثروته من قضايا الساقطات ، واختاه اللتان تزوجتا من تربين مات احدهما .. ثم تنتهى القصة بان المحطة التى يقف فيها القطار كانت «أسوان» . حيث سيبدأ نبيل عهدا جديدا كمهندس نشيط فى السد العالى .

● الاطار الخارجى للقصة جيد ، خاصة البداية عندما يصل الى المحطة ، ويفتح عينيه على فجر جديد الفجر الجديد بمعناه الواسع ، ويتأكد هذا المعنى فى خاتمة القصة عندما نعرف أن المحطة التى رسا بها القطار هى أسوان .. النبضة الحية فى مجتمعنا الجديد البناء ، ولكن القصة تحوى تفاصيل كثيرة جانبية ليست ضرورية فى بناء القصة ، والقصة القصيرة بالذات لا تحتمل أية تفاصيل لا تخدم المحور الرئيسى فيها .

※ «بين عهدين» شحاته عبد الرحمن شوقى بسمالوط :

حسين الشاب الريفى يفكر فى قلق ، عندما عاد والده متجهما ، وكان قد ذهب ليخطب له بنت الحاج حامد ، ويتذكر حسين يوم ان شاء والده أن يصاهر الشيخ همام والد الحاج حامد ، فطرده فى ازدراء ورفض مصاهرة خادم الاسرة الذى يجب أن يكتفى بهذا الشرف ، وها هو لا يعيد الكرة بعد أن تغير العهد ، ومات الشيخ همام الجبار ، وأصبح الحاج حامد كبير العائلة ، ويتساءل حسين دون أن يجرؤ على مفاتحة أبيه فى نتيجة المقابلة ، ترى .. هل تكررت المهزلة القديمة ؟ ولكن يتضح أن والد حسين كان متجهما لسبب آخر ، وان الحاج حامد مقتنع بمفاهيم العهد الاشتراكى الجديد ، وقبل زواج ابنته من حسين .

※ «صبى الاسكافى» عبد المنعم محمد شلبى :

الاسكافى مندمج فى رتق حذاء ، وصبيه واقف امامه يتأمل رأسه بعقليه الطفلية ، فيرى فيها أشياء عجيبة ، تصرفه عن تتبع نصائح الاوسطى وتعليماته ثم يقدم الصبى على حماقة تجعل الاسكافى يرميه الى الطريق .

● القصة لطيفة ، اسلوبها شيق ساخر ، فيها تصوير بديع لافكار الصبى الصغير التى تطورت حتى أدت الى الموقف المتازم فى القصة .

فى المقال

لقاء فى نجد :

مقال مسهب للاديب : **محمد السيد ،مدير الزراعة باسوان ،** تناول فيه قصة المراة فى الجزيرة العربية التى لم تزل : **« سر الأسرار .. سر فى جسمها المختفي تحت طيات الملابس الثقيلة .. سر فى عمرها .. سر فى افكارها وخواطرها ، فهى ان تطارحك الكلام ، وان تتبادل معك النقاش حتى لو كنت اليفها وزوجها تراكمت عليها عبر القرون عوامل الكبت والضغط والحرمان والاحتمال . »**

وبعد ان خص الاديب فتاة نجد بما تلقاه من اهمال تحدث عن حواء الجزيرة العربية التى شاركت من قبل فى صنع تاريخ امة ثم ران عليها حمل من الدهر اهملت فلم تكن شيئا مذكورا .. لقد وادها اهل الجاهلية حية من تحت الرمال حفظا للعرض وصونا للشرف ، ثم قدر لها ان تتبوا مركزها عندما اشرق الاسلام بنوره على الجزيرة ، فلما عاد الجهل اعادوا واد المراة حية بنظام جديد .

الحق : ان المقال تصوير اليم لحال المراة فى الجزيرة العربية ، ولكن ليس بالصورة التى علقت بذهن الاديب ، ففيها ملامح المبالغة وان لم تجانب الحقيقة كثيرا ، فمدارس البنات آخذة فى الانتشار هنك ، وكثيرات من فتيات الاسر تنزح الى عواصم الدول العربية لياخذن قسطا وافرا من التعليم العصرى .

ثورة محمد :

مقال للاديب : **عبد الرءوف القل ببيروت ،** تحدث عن ثورة محمد صلوات الله عليه — التى كانت اعظم صرخة خاطبت العقل والقلب معا ، لتصنع اعظم ثورة عرفتها البشرية ، فتحت امام الانسانية آفاقا لا تحد ، وشملت كل نواحى الحياة وهزت الاوضاع الاجتماعية فى العالم ، وسدت الفراغ الفكرى الذى كان يعيش فيه .

ويقول الأديب : **« ان ثورة محمد الاسلامية لم تعالج جانبا واحدا من الحياة ، بل كل جوانبها لانها نظرت الى الحياة ككل لا يتجزأ عالج العبودية بالحرية ، والجهل بالمعرفة ، والفقر باقرار العدالة لاجتماعية » .**

ويختتم الأديب مقاله مؤكدا ان العالم المعاصر الذى تحكمه العقد النفسية والخوف والحيرة والهوى فى حاجة الى ثورة محمدية تاخذ بيده الى طريق النجاة .

ان معالم العاطفة واضحة فى مقال الاديب ، ولو امعن النظر لايقن ان المسلمين انفسهم هم احوج ما يكونون اليوم الى ثورة محمد من جديد ، فهم الذين اضاعوا امجاد الاسلام بايديهم ، واطفاوا مشاعل قيمه العظيمة بافواههم .

ماضي ومستقبل الصحافة الادبية

مقال شاف للاديب : **فاروق لوقا غبريال ، مثقف عمالى ،** تناول فيه الصحافة الادبية فى ماضيها ، وخص منها مجلتى **الرسالة والثقافة ،** وعقد مقارنة بين ماضيهما حيث عانتا كثيرا من العقبات حتى توقفتا ، وحاضرهما حيث تولتهما وزارة الثقافة والارشاد واصبحتا لا تخافان فقرا ولا تخشيان مستقبلا .

قد يكون وجه المقارنة فى هذا الجانب قريبا من الصحة ، الا ان الاديب يرى ان اقبال القراء على **الرسالة والثقافة** آنفا مثلا تغير بدرجة ملحوظة فى عهدهما الجديد حيث كثر الاقبال فى الحاضر عن الماضي ، واعتقد ان الاديب ليس تحت يديه من الاحصائيات مايؤكد وجهة نظره ، وان كان يسرنا ان يكون الوعى الادبى قد تقدم هذا التقدم الملحوظ ، كما اود ان الفت نظر الاديب انه من الخطا ان نقرن الرسالة بالثقافة فى ماضيهما لان محنة توقفهما كانت فى وقت واحد .

ابن عقيل العالم النحوى المصرى :

بحث مركز للاديب : **خميس سلمونه — ادكو — بحيرة .** ترجم فيه للعالم النحوى المصرى ابن عقيل ، القرشي الهاشمى العقيلى الهمدانى الاصل ، الذى استقر فى مصر وكان قاضي قضاتها ، وقال عنه ابو حيان : **«ما تحت أديم الارض انحى من ابن عقيل»**

يذكر الاديب ان لابن عقيل يدا طولى فى علوم العربية وله مصنفات كثيرة ، منها التفسير الذى قد وصل فيه الى سورة آل عمران ، ومنها مختصر الشرح الكبير والجامع النفيس فى الفقه ، ولا شك ان شرحه للالفية فى النحو اشهر من ان يذكر .

الواقع ان المقال ترجمة مقتضبة اعتمدت على معلومات سهلة التناول ، وليس فيه تقييم لشخصية ابن عقيل الفكرية .

فى الشعر

ابعثوها للوجود — انها بين اللحود
وانشروها فهى نشر — من عصارات الجهود
انها تبغى خروجا — من مجالات الركود
يا ابن رشد ابعثنى فيـ — ـنا كما كنت وعودى
ما حسبنك تظلـ — ـين طويلا فى حدود
يا هواة الفكر فى المه — ـد كونوا كالاسود
اكتبوا فيها وعنها — واملأوها بالردود
اقرأوها تجدوا فيـ — ـها سنا الرأى السديد

هذه ابيات اخترناها من قصيدة طويلة للاديب التونسي : محمد السويسي القرقني ، بتونس العاصمة ولقصيدته مناسبها ، اذ تقرر ان تصدر مدرسة ابن رشد » الثانوية مجلة ، والقصيدة تحية لهذه المجلة الادبية الوليه .

الشاعر امام التزامه بالقافية الواحدة ، تساهل فى اختيار الالفاظ التى تسعف قافيته وحسب ، ولو كانت غير منسجمة مع البيت فى لفظها ومعناها ، كذلك يلاحظ ان القصيدة لم تلتزم الهدف ، وانما تشعبت كثيرا هنا وهناك .

الفيلسوف :

صاغه الله من قلوب واحسـ
ـاس وروح تميز الاشياء
فيه عقل من الضياء مشع
جاء الوحى فارتقى احياء
ليست فيه من حماة التراب ولا فيـ
ـه ما ليس من جوهر الحقائق جاء
يجمع الناس فى امتداح لشيء
ويحط الفيلسوف منه الثناء
اذ يمدح الفيلسوف شيئا قلاه
جمع الناس لا يبال العداء
كل شيء يوافق الناس قد كا
ن فى منطق الفيلسوف خواء

اخترنا هذه الابيات من قصيدة للشاعر بشرى امين عضو جماعة الادب المتجدد بالخرطوم — السودان .

على الرغم من ان موضوع القصيدة موضوع حى ، وابراز معالم شخصية الفيلسوف ليس من الصعب على اى مثقف ، الا ان الشاعر اضفى على الفيلسوف فى قصيدته كثيرا من الخيال الذى لا يمت الى الحقيقة بصلة ، فليس معقولا ان لا يكون الفيلسوف من حماة التراب ، ولا ان من طبيعة الفيلسوف ان يخالف اجماع الناس ، وان يعتبر كل ما يوافقهم خواء فى منطقه لا مدلول له .

اذا تغاضينا عما اصاب بعض الابيات من اختلال فى الوزن ، فكيف نغض الطرف عن الارتباك اللغوى الذى بدا واضحا فى بعض الفاظ القصيدة .

الشاعر المنسي :

هذا الشاعر المنسي الذى يلفت انظارنا اليه الاديب : **سعد توفيق حمدى** ، هو الشاعر المرحوم **الدكتور عزيز فهمى** ، الذى كنا نقرا له قصائد : فى **الرسالة والاهرام وغيرهما** ، هذه القصائد التى كانت عباراتها — كما يقول الاديب — تمتاز بالرصانة وكانت الفاظها تمتاز بالجزالة . **اما الشاعر الذى** افل نجمه الساطع على غير انتظار . فطالما تغنى بالعذاب كما يتغنى العشاق بالحب ، وينشد لحان الموت كاعذب ما يكون الانشاد ، ويجعل من مآسيه وذكريات عذابه الحانا رائعة ترددها الشفاه فى كل مكان .

ويشير الاديب ان الشاعر — وقد ترك ديوانه الوحيد الذى طبع بالقاهرة — منذ ان فارقنا ، لم يظفر بدراسة واحدة لناقد من نقاد الادب ، يتناول فيها شعره بالتقييم والتحليل ، اذ استثنينا كلمة استاذنا **الدكتور طه حسين** ، وهى ليست بالمعنى المفهوم للنقد ، وانما كانت مجرد رثاء رقيق .

الحق مع الاديب ، فكيف ننسى شاعرا عظيما كالمرحوم الدكتور عزيز فهمى الذى عاش انسانا رقيقا ، ووطنيا غيورا ، وشاعرا له قدره فى دنيا الشعراء .

الى الاديبة زينب حسنى — بدر توفيق :

قصيدتك التى عنوانها « **لقيط** » قضية معقدة فى مجتمعاتنا ، وشعرك فاض بالمعانى المتصلة بهذه المشكلة ، ولكن اضطراب الوزن الذى ساد بعض ابياتها اضاع معانيها ، كذلك الاخطاء اللغوية والالفاظ التى لا تحتملها معانى القصيدة ، كانت اكثر وضوحا .

ابن المقفع

قصـــة العـــدد

محطة الوصول

بقلم : عباس خضر

انا رجل مستقيم ، وانا فى الوقت نفسه مقامر العب القمار .. أليس هذا عجيبا ، وجدت مرة فى الطـــريق محفظة تحتوى على خمسين جنيهـــا ، فعزمت على أن اذهب بها الى قسم الشرطة ، وقال لى احدهم : «انت عبيط» وفى القسم رفضت أن آخذ العشر المقرر لمن يجد شيئا ويسلمه .. فقـــال لى الضباط أيضا : «انت عبيط» ، وأنا راض بينى وبين نفسى ، وماذا أريد ؟ ان مرتبى يكفينى انا وزوجتى ويفيض ، وربنا يغنينا بالحلال .

أريد فقطأن يهبنى الله ولدا أو بنتا، يستويان.. اننى أتحرق شوقا الى طفل يصرخ فى البيت ويقتل هذا السكون الممل الذى يتراءى لى كشبح يدفعنى الى الخارج ، فاذهب هنا وهناك ، ثم أعود فاجد زوجتى مستسلمة لنفس السكون الممل .. تبتسم لى وانا ادرك ما وراء ابتسامتها .. واحيانا تهم بالثورة على ولكنها تضبط نفسها كأنها تريد أن تقلد جارتهـــا التى تصرخ فى زوجها وتهدده بأن تترك بيتهوأولاده وتمشى .. لانها «خلاص طهقت» ، وكان زوجتىتعلم ان جارتها سيشدها الى البيت والى الزوج أولاده .. وهى ليست كذلك فتخشى أن تشد الحبل فينقطع فتسكت وتقتل ثورتها فى المهد . وبمناسبة هـــذا التعبير الاخير الذى يوجد فى كتب الادب والتاريخ أقول انى أقرأ أحيانا فى الكتب ولكنى أمل بسرعة.

أعود من عملى الى البيت فى الثانية بعد الظهر واتغدى وأنام ، ثم أقوم وأشرب الشاى وابتداء من الخامسة احتار كيف أقضى وقتى .

لم أتعود الجلوس فى المقاهى بل أنا اكره ذلك ربما لان أبى كان يكثر التردد عليها ويسهر فيها ، وكانت أمى تسخط عليه من اجـــل ذلك فارضعتنى كراهية هذه العادة ، وأنا أحب البيت ، ولما أخرج منه الف وادور وأعود اليه سريعا . ولكنى عند ما أعود أجد زوجتى عند احدى جاراتها ، أو عنـــدها واحدة منهن أو اكثر ، أو أجدها وحدها تتطلع الى وكأنها تسألنى لماذا عدت مبكرا .. فأقول فى نفسى سبحان الله .. كانت امى تلوم أبى على أنه يتأخر ، وزوجتى لايعجبها انى لاأتأخر .

وقد تنسجم ، وقد تسر من الاعماق ، ولكن ذلك يكون فى أحيان قليلة . وفيما عـــداها أرى الملل يخرج من غرفة الى غرفة ولا يخرج من باب الشقة .

ليست لى هواية تستغرقنى ، وان كنت أهـــوى الموسيقى، وقد تعلمت العزف على العود ولكنى عندما اعزف أمام الناس أو أغنى مقلدا محمد عبد الوهاب أسمع عبارات مجاملة من الأفواه وأرى النظرات تقول لى : لا تصدع رءوســـنا . واذا عزفت أمام زوجتى تقول : أليس هناك غير الـ ... تن ... تن ... تن؟ واذا دندنت بياجارة الوادى مثـــلا تسكت . وأرى نظرتها تقول : قسمتى كده .

سألت عن عمل اضافى فى المســـــاء ، فكانت النظرات تقول لى : وماذا تحسن أنت وما عســـاك أن تعمل .

***

واقترحت زوجتى ذات مرة أن نزور جيراننا .. مراد وزوجته بهية .. كانت زوجتى وبهية صاحبتين تتزاوران ، وكأنهما أرادتا أن نتزاور نحن أيضا .. أنا ومراد . وفعلا أصبحنا نتبادل الزيارة ، زوجتى وصاحبتها تنتحيان ركنا وتستغرقان فى أحـــاديث لانهاية لها . «عن الجيران .. عن الموضات والمحلات التجارية .. الخ .. ويظهر أن النساء جميعا عـلى اختـــلاف مستوياتهن يستطعن الاندماج فى هــــذه الأحاديث التى تتناول الاهتمامات النسوية المشتركة اما الرجال فاذا لم يكونوا متقاربين فى العمــــل أو الثقافة او الميول .. فان الحديث بينهم لايتصل الا بالتحيات والتعبير التقليدى عن الفرصة السعيدة.. وكان الامر كذلك بالنسبة لنا ، أنا ومراد . وأخذنا نتسلى بلعب الورق وفى المرات الاولى كنا نتصرف من عند جيراننا مبكرين ، وعند الانصراف وقبيله أرى اشخاصا من الجيران وغيرهم يأتون ويعاملهم مراد من غير تكليف ، ويبدو أنهم يستعدون للسهر .

قال لى مراد مرة :

— ابق معنا ، تسل.. نحن نلعب الورق لنتسلى.

بقيت معهم . انهم يخرجون نقودا ويضعونها على النضديجانب ورق اللعب..فهم اذن يلعبون القمار آه .. هذا هو السبب .. كنت الاحظ البرود فى تسليمهم ان سلموا ، وفى حديثهم المتقطع ، يدخل الواحد منهم وليس عليه سيماء الصديق أو الزائر ، كأنه طالب حاجة اكثرهم عابسون .. وان كانوا يمزحون بتبادل الشتائم التى تظفر الام منها بالنصيب الأوفر .

انقبضت أولا ، وشعرت بالرغبة فى الفرار ، ولكن كلمات مثل .. تسلى .. تفرج .. الى أين تذهب .. أتنام من الآن .. اقعد ياشيخ اقعد .. تعال الاعبك «كده تسالى» .

جعلتنى اقعد والعب من غير نقود . ثم قالوا لى كلمات أخرى مثل - أنت تلعب جيدا .. حظك بمب هذه أشياء بسيطة ليس فيها شىء .. الا ترى الشيخ على طالع نازل زى المنشار ؟

تسللت هذه الكلمات الى نفسى برغم مقاومة داخلية ..

كسبت .. وعرفت بعد من أصول التكتيكات فى مثل هذه الحال ان يكسب من يستدرج لاول مرة حتى يتشجع .

لم أنم بقية الليلة الاولى الا لماما .. هل انا فرح بمكسبى ؟ هل أنا خائف من الخسارة بعد ؟ وماذا بعد ذلك ؟ هل العب ؟ لا .. نعم .. ولم .. ولم نعم ؟ ..

قلت : لا ، وقمت فاستعذت بالله من الشيطان ، وصليت الفجر ولكن لما عدت الى الفراش عاد الشيطان الى فى صورة «الشيخ على» .. لا ادرى بالضبط ماذا يعمل هذا الرجل ، سمعت من شواهد الحديث انه يأتى من العباسية .. شكله يدل على أنه يقرأ فى المآتم .. لابد أنه يعانى الفراغ فى الفترات التى يهادن فيها عزرائيل أهل الحى .. رأيت مرة فى مأتم واحدا يشبهه .. لحيته يلوك فى فمه شيئا وهو يتناول فنجان القهوة السادة .

- ولكن هل مثل هذا الشيخ يعد قدوة ؟

لاتدقق .. تتسلى وتكسب . والله غفور رحيم .
قال الشيطان لى ذلك وقد ثقل رأسى وغفوت قبل أن أرد عليه .

فى الليالى التالية لعبت واندمجت مع الشلة ، وذهب الملل ، ولكن حل محله دافع جنونى الى اللعب ان كسبت أريد المزيد ، وان خسرت أريد ان أعوض الخسارة . وحلت محل الملل كذلك أشياء أخرى .. اضطراب المعيشة وسهوم زوجتى ، وصراع فى نفسى هل أستمر فى لعب القمار وما يجره من أزمات .. أم أمتنع عنه وأعود الى .. لاشىء ؟ وتعلمت التدخين قدم لى أحدهم سيجارة وقال لى «عفره» .. وعفرت وسعلت .. ثم راحت أصابعى تتسلل الى السجاير دون أن أشعر ، واندمجت فى التدخين كما اندمجت فى اللعب .. وعند الخسارة اشعل السيجارة من السيجارة ..

***

مسكينة زوجتى .. انها لابد نادمة على علاقتها بزوجة مراد ، تلك العلاقة التى جرت الزيارة وما بعدها . انها تكبت فى نفسها ثورة عارمة .. أحيانا تفضفض ، وأمسكت أنا لشعورى بالاثم وبالشفقة ، لا أثور عليها الا عندما تعارض فى بيع شىء من أثاث المنزل لتسديد الخسارة أو محاولة تعويضها ، وتبرأ منها اهلها لما علموا أنها اعطتنى حليها كى أدفع بثمنه «دين الشرف» .

دهشت أولا من كلمة الشرف التى يتعامل بها المقامرون عندما يكون احدهم مفلسا ويخسر فلا يدفع ماعليه فى الحال ويلزم بالشرف ان يدفعه . ولكن جدية الامر فيما بيننا جعلتنى اشعر بمسئولية هذا الارتباط .

ولم أكره نفسى مثل ماكرهتها يوما لعبت فيه على قفص دجاج كان أحد أقاربى فى الريف قد اتى لنا به فى زيارة .. وخسرته .. وتسللت الى منزلى .. لم أشعل النور حتى لاتستيقظ زوجتى .. وجعلت ألتمس طريقى فى الظلام الى الشرفة التى بها الدجاج وحملت القفص برفق حتى لايستيقظ الدجاج فيصيح وشعرت انى أسرق بيتى .. واحتقرت نفسى .. وخجلت من زوجتى فى الصباح .. الم أقل لك انها مسكينة . قالت وهى ممتقعة تضع يديها فى حجرها :

- ماذا أفعل ؟ هكذا قسمتى .

كانت تمثالا للمسكنة .

حاولت ان أفيق بعد هذا الحادث .. ولكن الرجل

الذى كسب القفص وأخذ الدجاج تمثل لى فى فكه المائل وشفته المتدلية ، وأحسست بدافع قوى الى أن أظفر به ، فاما أغلبه وأعوض الخسارة وأكثر منها. أو أضربه .. ولكن لما قلت فى نفسى : أضربه .. تذكرت «شرف اللعب» . وسخرت من التناقض بين الشرف والقمار .. ثم سخرت من نفسى لانى أتقيد بهذا الشرف ، وانا العب القمار .

واندفعت الى اللعب أكثر مِنْ ذى قبل ، ولعبت اول الشهر بالمرتب كله .. وضاق زملائى ومعارفى باقتراضى منهم حتى امتنعوا . .وقالت زوجتى :

ـ كفى .. طلقنى .. انا كرهتك .

انا استحق أكثر من ذلك .. أكثر من أن تكرهنى انا استحق أن تحتقرنى .. ومع ذلك فقد زاد حبى لها .. شعرت أنها المنقذ مما أنا فيه .. وان كانت لاتستطيع ، فانا مندفع كالقطار الذى لايستطيع سائقه أن يوقفه عند الخطر فى معبر غفل عنه الحارس المكلف به . ولكن القطار له محطة وصول وانا لاأعرف لى محطة أقف فيها .

وأخيرا لاحت لى محطة الوصول .. اقتربت منى زوجتى وقالت انها تريد أن تحدثنى فى أمر هام .. وتوجست خيفة ، ورأيت الشقاء يبدو على وجهها ، وفى نبرات صوتها :

ـ اريد أن أكلمك فى مسالة مهمة .

ـ خير ان شاء الله .

قالت فى سخرية وتعاسة :

ـ خير ! .

ـ تكلمى .. ماذا هناك ؟

ـ أنا حامل ..

أحسست بفرحة تجتاح مخاوفى وهتفت :

ـ حامل .. ماأكرمك يارب ! الف مبروك .

ـ مهلا .. مهلا .. لم كل هذا ؟

تضايقت من عدم مشاركتها فرحتى ومن طريقة كلامها ، فقلت فى شبه تأنيب :

ـ ما قصدك ؟

وانتبهت الى انها تحمل طفل .. فاستدركت متلطفا :

ـ أنت غاضبة ؟

ـ هه .. وماذا يهمك ؟

ـ ماذا يهمنى !

ـ اسمع لما أقول لك .. أنا سأسقط نفسى .

فعدت الى الغضب وصحت فيها :

ـ تسقطين نفسك ! انت مجنونة !

ـ لماذا يجىء ....؟

ورجعت الى تلطفى وقلت فى حنان :

ـ يجىء لبابا .. و .. ماما .

وكان كلمة «ماما» رققت قلبها فقالت فى شىء من اللين والمسالمة :

ـ وهل قادران على اسعاد نفسيهما ؟

ـ خليها على الله .

ـ ونعم بالله .. لكن ...

ـ اسمعى .. لعل قدومه يكون سعدا واكسب ! الحق انى بعد مانطقت بذلك أحسست بالخزى من نفسى .. وقالت محتجة فى سخرية :

ـ أ ... اتربيه بالحرام ؟

سكت وانا اشعر بالبؤس واضافت :

ـ وقل لى..مسالة انك ستكسب .. ما آخرتها حتى الذى تكسبه يطير من يدك كما تطير العصافير.

اطرقت فى دوامة من الهم والتفكير ، ولمحتها مستريحة الى مابدا على من تعاسة .

وساد صمت قطعته بعد هنيهة بصوت خفيض كأنى اناجى به ولدى القادم :

وسأمتنع عن اللعب .

وأصغيت الى صوت ينبعث هامسا متانيا من أعماقى :

الآن صار لك ما تهتم به .

عباس خضر

***

التعقيبات : تخلفت هذا الاسبوع لوعكة خفيفة، والى اللقاء فى الاسبوع القادم .

ع . خ

● **أضواء على السير الشعبية تاليف فاروق خورشيد ـ سيكون موضوع مناقشة ندوة ناجى يوم الاثنين القادم ويشترك فى المناقشة الدكتور محمدأنيس والدكتور عبد الحميد يونس ـ والدكتورة نبيلة ابراهيم ـ يقدم الكتاب ويلخصه الاستاذ جمال عبد المقصود**

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
وزارة الثقافة والارشاد القومي

الادارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد - القاهرة

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد ١٠٤٨ الخميس ٢٩ رمضان ١٣٨٣ هـ - ١٣ فبراير ١٩٦٤ م - السنة الحادية والعشرون

الفهرس

الصفحة

لِمَ لا نظلُّ رمضانيّين بعدَ رمضان؟

بقلم : أحمد حسن الزيات

في مساء هذا اليوم يوم الخميس يغرب مع الشمس شهر رمضان فيترك من ورائه ليلا طويلا يغمر النفوس المؤمنة بالظلام والوحشة فلا يعود الى عيونهم النور والى قلوبهم الأنس الا بعودته اليهم من قابل •

والمسلمون في توديعه جد مختلفين ، فمنهم المتقون والقرويون والذين لم تقس قلوبهم على جفاف المادة ، وهؤلاء قد ودعوه وعلى وجوههم غشاوة من الأسى على بركات انقضت بانقضائه كأنما يعتقدون أن باب السماء في سائر الشهور مغلق ، وأن وجه الارض في بقية الفصول جديب !

ففي ربعه الاخير تمثلوه محتضرا يكابد غصص الموت فتفجع عليه الصائمون في البيوت ، والمصلون في المساجد ، والمؤذنون فوق المآذن ، والمنشدون في الاذاعة ، والمسحرون على الابواب ، وكلهم يقولون سرا وجهرا : لاأوحش الله منك يا شهر البر والذكر والفكر والرجاء !

ومنهم الخلعاء والمجان والذين في قلوبهم مرض وفي ايمانهم ضعف ، وهؤلاء قد ودعوا فيه قيدا ثقيلا غلهم عن شهوات الجسد ونزوات النفس ، وفرحوا بوداعه فرح السجين اذا أطلق والمحروم اذا نال • ومن هؤلاء أكثر الشعراء • وتمردهم على رمضان معروف وابتهاجهم بشوال مأثور • ولعل أقدم شعر سمعناه في التبرم بشهر الصوم قول الفرزدق على قرب عهده بعصر النبوة :

اذا ما انقضى عشرون يوما تحركت
أراجيف بالشهر الذى أنا صائمه
وطارت رقاع بالمواعيـــد بيننـا
لكى يلتقى مظلوم قـــوم وظالمه
فان شال شوال نشل فى أكفنـا
كئوسا تعادي العقل حين تسالمه

ولأبى نواس وأمثاله فى هذا الباب حماقات نذكر منها على سبيل الفكاهة قوله :

منع الصوم العقارا
وذوى اللهـو فغارا

وبقينا فى سجون الصو
م للهـم أســارى

غير أنا ســـتدارى
فيـه من ليس يدارى

نشرب الليـــل الى
الصبح صغارا وكبارا

نتغنى ما اشتهينـا
من الشــعر جهارا

فاسقنى حتى ترانى
أحسب الديك حمارا

والخليفة ابن المعتز الذى يقول عن نفســـه فى استقبال رمضان :

ونهـاها الصيام عن سفه الكأ
س فردت على السقاة المداما

يقول فى استقبال العيد :

أهـــلا بفطر قد أتاك هلاله
فالآن فاغد الى المـــدام وبكر

وكتب على بن جبلة الى أبى دلف يستهديه نبيذا فى يوم الفطر فوجه اليه ما كفاه ومائتى دينـــار فقال فيه :

وابيض عجلى رأيت غمامه
وأســـيافه تقضى على الحدثان

رددت اليه ذمتى فاجارها
واغنى يدى عن غيره ولســانى

شربت ورويت النـديم بماله
وادركت ثار الراح من رمضـــان

ومن الشعراء من كان يحب رمضان لشرابه وطعامه لا لصيامه وقيامه . قال أبو الحسين الجزار المصرى فى الكنافة وقد امتنعت عليه :

ومالى أرى وجه الـكنافة مغضبا
ولولا رضاها لم أرد رمضـــانها

عجبت لها من رقة كيف أظهـرت
على جفـا قد صـــدعنى جفافها

ترى اتهمتنى بالقطايف فاغتدت
تصد اعتقـادا أن قلبى خانهـــا

وقد قاطعتنى ما ســـمعت كلامها
لان لسانى لم يخالط لســـانها

***

لا أحب أن أوغل فى حديث هؤلاء المجان فانهم ليسوا من رمضان ولا من أهله . وستجدون شـيئا من هذا السخف فى مقال آخر من هذا العدد . وأعود الى حديثكم ايها الصائمون القائمون الذين ودعتموه بالحسرات وشيعتموه بالدموع فاسألكم : هل أنتم يوم ودعتموه ، خير منكم يوم اســـتقبلتموه ؟ هل تشعرون بعد أن اديتم فريضة هذا الركن القوى من اركان الاسلام أن نفوسكم اصبحت أطهـــر ، وأن أخلاقكم صارت أكرم ، وأن أهواءكم غدت أرفـع ؟ وهل تحسون اثر أولئك كله فى دنياكم الخاصـــة والعامة ، فأنتم اليوم أشد قربا من الله وأوثق صلة بالناس وأطيب نفسا بالحياة ؟

اسألوا أنفسكم هذه الاسئلة ثم أجيبوا عنهـا ، وأنا معتقد أن أجوبتكم ستكون بالايجاب ، والا لما حزنتم على انقضاء رمضان وأسفتم على انقطاع الخير فيه ، فان المرء لا يحزن الا على عزيز ، ولا يأسف الا على نافع . فلماذا اذن لا تظلون رمضــانيين بعد رمضان ؟ .. لماذا لا تستمرون فى الصيام عن ظاهر الاثم وباطنه ، فتغلوا إيديكم عن الأذى ، وتصونوا السنتكم عن الكذب ، وتطهروا قلوبكم من الرجس ، وتنزهوا مكاسبكم عن الحرام ، وتبرئوا أعمالكم من الغش ، وقد جربتم ذلك فى رمضان فنفعت التجربة وحسنت العاقبة ؟؟

لماذا لا تضيقون الكلفة فى القهوة لتوسعوا النفقة فى البيت ، وتقتصدون قليلا من الانس بالاصدقاء

لتوفروا كثيرا من الأنس بالاسرة ، وقد فعلتم ذلك في رمضان فاعتدلت الحال وطابت المعيشة ؟

هذا السكير الذي استطاع أن يفطم نفسه عن رضاع الكأس ثلاثين يوما وثلاثين ليلة ، فزكا عقله وامتلأ جيبه وصح بدنه ، لماذا لا يواصل العيش بعد رمضان على هذا المنهاج وقد علم بالاختبار أن هذا الفطام قد نفعه ولم يضره ، وتيسر له ولم يتعسر عليه ؟

وهذا المدخن الذي ترك التدخين ثلاثين يوما فاراح صدره وسكن أعصابه وقوى شهيته ، لماذا لا يستمر صائما عنه ليله ونهاره وقد رأى أن في طاقته الاستغناء عنه والحياة بدونه ؟

وهذا القوي الذي كان وهو صائم يمر باللغو كريما، فيقابل الذنب بالمغفرة والسيئة بالحسنة والقطيعة بالصلة ، فوصل السلام بين قلبه والأمن ، وقرب الوئام بين نفسه والسعادة ، لماذا لا يحرص على هذا الخلق وهو مفطر بعد ما جنى من خيره في أربعة أسابيع ما لم يجنه من غيره في العام كله ؟

وهذا التاجر الذي راضه الصوم على أن يقف نفسه عند حدود الله في التجارة ، فلم يطفف الكيل ولم يخسر الميزان ، ولم يقارف الاحتكار ، ولم يغش البضاعة ، ولم يرفع السعر ، ثم تحقق من جدوى ذلك عليه في رضا ربه وراحة ضميره ومصلحة وطنه، لماذا لا يلزم نفسه ذلك في كل وقت بعد أن استمرأ طعم الحلال وأدرك لذة الحق ؟

وهذا الغني الذي ذاق في رمضان ألم الجوع وكابد مشقة الحرمان ، ثم استطاع بالصدقة أن يخفف عناء الفقر عن فقير ، ويدفع شر الحاجة عن محتاج ، لماذا لا يشعر دائما ان الجوع بعد رمضان باق،وان العوز في أكثر الناس قائم ، وأن للسائل والمحروم حقا لا يتقيد أداؤه بيوم ، ولا يتخصص قضاؤه بصوم ؟

ان رمضان شهر رياضة وموسم استشفاء . نروض فيه أنفسنا على الخير لنمرن عليه ، ونعالجها به من الشر لنبرأ منه . وليس الغرض من هذه الرياضة وهذا الاستشفاء أن يحدثا أثرهما الطيب في حياة المرء في شهر بعينه ، فان ذلك يخالف حكمة الشارع من الصوم ، ويناقض منطق الاشياء في الواقع . والمريض الذي يطلب العافية في مدينة من مدن المياه الطبية لا يطلبها للمدة التي يقضيها في المصحة ، وانما يطلبها لتكون عمادا قويا لما وهن من جسمه ، وزادا صحيا لما بقي من عمره . وما أبعد المسلم عن الاسلام اذا كان يعتقد أن الصلاة لا تنهاه عن الفحشاء والمنكر الا وهو في المسجد ، وأن الصوم لا يعصمه من اللغو والأذى الا وهو في رمضان، وأن الزكاة لا توجهه الى المعروف والخير الا وهو في العيد !

اما أنتم معاشر الذين خرجوا من رمضان بزاد من التقوى للقلب والروح ، وذخيرة من الخير للوطن والامة ، وعدة من الصبر للجهاد والعمل ، فانكم أحرياء في آخر يوم منه أن تهتفوا بحزنكم في توديع شهر الصوم ، وبفرحكم في استقبال يوم الفطر ، فان الحزن على رمضان تقوى وبر ، لانه حزن على خير مضى وأنس فات ، وان الفرح بالعيد عبادة وشكر لانه فرح ببشرى نزول الوحي وذكرى يوم بدر !

أحمد حسن الزيات

***

أخطاء لغوية شائعة

لا تقل : وحدة بكسر الواو وقل : وحدة بفتحها .

لا تقل : حصل على كذا بضم الصاد وقل حصل عليه بفتحها .

لا تقل : قبول الطلاب في الجامعة بضم القاف وقلها بفتحها .

لا تقل : جدة للمدينة الحجازية بفتح الجيم وقلها بضمها .

لا تقل : الرباط للمدينة المغربية بفتح الراء وقلها بكسرها .

لا تقل : أسرة الصباح في الكويت بتشديد الباء وقلها بتخفيفها .

نظرات في الثقافة

بقلم : الدكتور محمد أحمد خلف الله

« ١ »

خـــرج الأوربيون من ديارهم مرتين : الأولى مستكشفين ، والثانية مستعمرين ، وكانوا في المرة الاولى يبحثون عن طرق للتجارة ، وفي المرة الثانية يبحثون عن الأسواق لتصريف المنتجات واستيراد المواد الخام .

والأوربيون في ســبيل استكشافهم لطرق التجارة استكشفوا قارات بأكملها عرفت فيما بعد بالدنيا الجديدة ـ بأمريكا واستراليا ... الخ .

كان يســكن هذه القــارات أقوام لهم عاداتهم وتقاليدهم ، ولهم ثقافاتهم المميزة لهم . ولقد حير شأن هؤلاء الأقوام بال المستكشفين من الأوربيين ، وراحوا يسألون أنفسهم السؤال تلو السؤال عن هذه الجماعات وعن سلوكها ، وعن طقوسهــا ، وعاداتها ، وتقاليدها .

كان الهنود الحمر الشــغل الشــاغل لهؤلاء المســتكشفين ، ولمن خلفهم من الاوربيين ممن كان هؤلاء المستكشفون يرسلون اليهم بأبناء الغزو وأبناء الاستكشاف .

كان المستكشفون ، وبخاصة الاسبان ، يسألون أنفسهم هذه الأسئلة :

هل هؤلاء من البشر ؟ واذا كانوا فهل هم أهــل للهداية وللتحول الى الدين المسيحي ؟ .

ان التوراة والانجيل لم يشيرا ولو اشارة عابرة الى هذه القارات الجديدة ، والى من يسكنهــا من البشر . ومن هنا كانت هذه الأســئلة التي وقف عندها المستكشفون .

كان من السهل عليهم ان ينتهوا الى ان هــذه الجماعات من الهنود انما هي من نسل اسرائيل . انها من القبائل العشر التي حكم الله عليها بالتيه ـ فضلت طريقها ، ولم تصل الى ديارهــا في أرض كنعان . ولم ينبههم الى ما في هذا التفسير من خطأ الا اكتشافهم لقارة أخرى هي استراليا . ان التفسير الأول قد استهلك ولم يعد صالحا لهــذه الأرض الجديدة ، ولهؤلاء الأقوام المنتشرين فيها من سكان استراليا الأقدمين .

ومرة ثانية أسعفهم الكتاب المقدس بالتفسير . ان هؤلاء الأقوام من نسل نوح . من نسل أبنائه الذين تفرقوا في الارض وتكاثروا وتناسلوا وعرفوا بالساميين أو الحاميين . وارتضوا هذا التفســير طبعا ومضوا عليه في حياتهم بضعة قرون .

غير أن المسألة لم تقف عند هذا الحد ، فقد كان عليهم أن يفكروا في هؤلاء الناس ، وكيف يجب تسخيرهم والتعاون معهم . وهنا نشأت مشكلة التقاء الثقافات ، والتفاعل فيما بينها ، وكيف يتم التفاعل ؟ والى أين تنتهي النتائج .

« ٢ »

لم تكن العلاقة بين المستكشفين والمستعمرين من جانب وبين سكان البلاد المستكشــفة أو المستعمرة من جانب آخر الا علاقة انتفاع واستغلال وتسخير . فالملاحون البرتغاليون وكولومبوس ما كانوا يبحثون الا عن طريق للتجارة ـ طريق يشقونها ويستخدمونها جريا وراء الكسب المادي والمتعــة النفســية . والمســتعمرون الأوربيون كانوا يبحثون عن أراض بكر يعمرونها ويستغلونها ، وعن أسواق يصرفون فيها منتجاتهم ، ويســتوردون منها المواد الخام اللازمة للصناعة .

ولم تكن العلاقة بين أولئك وهــؤلاء قائمة على أسس انســانية تدفع الى حسن الجوار وحسن التفــاهم ، بل كانت قائمة ، وبكل اسف ، على أساس من عدم المعرفة ومن الجهل الثقافي ومن هنا أدت الى العداوة والبغضاء ، أو الى تحطيم الشعوب والقضاء على مقوماتها .

وتبين المستعمرون انه يتعــين عليهم أن يفهموا أساس سلوك هذه الشعوب المغلوبة على أمرها اذا أرادوا نجاحا في حكمها ، وفي توجيه عملها الوجهة التي تحقق مصالح الاستعمار .

وأدرك المستعمرون أن ســلوك تلك الشعوب محبوك ومرتبط وملائم للنمط الثقافي ، وأن وسائل التــدخل القسري الغليظة ، ووســائل القمــع

والاعتساف ، تدفع دائما الى المقاومة ، وتؤدى دائما الى عدم تحقق الاهداف — غير أن هذا الادراك جاء متأخرا فيما يتعلق باستثماره فى تحقيق أهداف المستعمر ، ونجاح الاستعمار ٠

ان تجاهل الاعتبارات الثقافية واغفال أمرها فى اقامة العلاقات الانسانية هو الذى تسبب فى انكار الاستعمار ، وتحطيمه تحطيما ٠

يقول أحد الكتاب الاستعماريين : **ان من أخطر الأمور التى تواجهنا الصعوبة المستمرة أمامنا لفهم ثقافات غيرنا فى عالم زاخر بالحساسية القومية ، وبالصراع من أجل السيطرة ، وبالروح المتخلفة من ذكريات الاستعمار ٠ ولكى نمضى قدما بنجاح فى عالم كهذا ، علينا ان نزود انفسنا بالفهم الأساسى للقوة الجبارة التى تمثلها الثقافة ، ثم نقرن ذلك بالبصيرة التى تمكننا من الاستجابة المستنيرة لما تحويه فى طياتها من حيل وافانين ٠**

« ٣ »

ان بقاء ثقافة ما — اذا ما تعرضت لأخطار الاستغلال — يتوقف على مستوى تطورها الآلى الفنى ، وعلى كثافة سكانها ٠

ان كثافة السكان هى التى تزود القوم بنوع من الحصانة ، وهى التى تكون أبدا ضمانا ضد الانقراض ٠

ان كثافة السكان هو الذى يفسر لنا الفروق الشاسعة بين استعمار الدنيا الجديدة ، والعالم القديم ٠

ان المستعمرين لم يستطيعوا العيش الدائم ، والاستقرار فى المناطق التى استعمروها فى العالم القديم لسبب بسيط جدا **هو أن تلك المناطق كانت فعلا كثيفة السكان ، وأن السكان لم يذعنوا لوطأة الضغط الاوربى ، وانهم بذلك لم يزودوا المستعمر بالمساحة غير الآهلة بالسكان اللازمة لمشروعات الاستقرار — ومن هنا لا نجد أقاليم تقتصر سكناها على الاوربيين ، لا فى الهند ولا فى جنوب شرقى آسيا ٠**

أما فى الدنيا الجديدة فقد كانت الاراضى الواسعة سكنا لجماعات قليلة العدد تعيش على الصيد وجمع الثمار ٠ جماعات متفرقة لا تشكل أبدا ، فى أية منطقة من المناطق ، عددا كثيفا من السكان — ومن هنا لم تتمكن هذه الجماعات من المحافظة على اقتصادياتها ، وطرز معيشتها ، واسلوب حياتها ، وبذلك ذابت وانقرضت ، وحل محلها الأوربيون ٠

« ٤ »

هناك ظاهرة تثقيف تلقائى هى ثمرة طبيعية لأى مجتمع فى أى وضع يكون — وذلك واقع اجتماعى حتى فى المجتمعات البدائية ٠

هذا الواقع الاجتماعى ظل زمنا طويلا دون تحديد — اى انه ظل مجرد شىء عار عن التسمية ٠ وبذلك لم يتح له أن يصبح فكرة من الأفكار او معنى من المعانى ٠

ان المصريين واليونانيين والرومان الاقدمين كانت لهم ثقافاتهم وحضاراتهم — ولكن لا العبقرية المصرية ، ولا العبقرية اليونانية ، ولا العبقرية الرومانية استطاعت أن تبتكر لفظا تطلقه عنوانا على ثقافتها ٠

ان فكرة ثقافة فكرة حديثة ابتكرتها العبقرية الأوربية بعد أن خرجت من ديارها باحثة عن طرق للتجارة وأسواق لها ، وبعد أن اكتشفت قارات جديدة واقوام جدد ما كانت تعرف عنهم شيئا ٠

ان الفضل كل الفضل فى ابتكار لفظة ثقافة واطلاقها على ظاهرة التثقيف أو على هذا الواقع الاجتماعى انما يرجع فى الحقيقة الى ما قام به الرواد الأولون من كشف بقاع كانت مجهولة لنا ، وما كنا نعرف شيئا عن نشاط مجتمعاتها ، وأساليب حياتها ، وتنوع تقاليدها ٠

ان هذا الكشف هو الذى زاد من وعينا الثقافى بغيرنا وبانفسنا ، وجعلنا ندرك أهمية الثقافة فى المجالات الدولية وفى العلاقات الانسانية ٠

ان فهم كل مجتمع لتراثه ، ومعرفته بتراث ثقافات الشعوب الأخرى هو الوسيلة الفعالة فى تقارب الشعوب ، وقيام علاقات حسنة فيما بينها ٠

دكتور
محمد أحمد خلف الله

القرآن وشهر رمضان

بقلم: الدكتور طه الحاجري

التقليد الذى جرى عليه المسلمون من احياء شهر رمضان بالقرآن تقليد من أكرم التقاليد التى جروا عليها ، واستمسكوا بها ، والتى يجب أن يحرصوا أشد الحرص على استبقائها .

ذلك أن الصلة بين شهر رمضان والقرآن صلة وثيقة عريقة .

قال الله تعالى ، فى الآيات التى شرع بها الصوم، صوم هذا الشهر :

« شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » .

فكأن اختيار هذا الشهر لهذه الفريضة كان لهذه المأثرة التى اختص بها .

ولا نريد أن نعرض هنا لبيان المراد بنزول القرآن فى شهر رمضان ، وهل يعنى ذلك أن القرآن أنزل أول ما أنزل فيه ، اذ كان انما انزل منجما ، فالمراد بنزوله فيه نزول اول سورة منه ، أو ان تأويل ذلك ما يحكى عن ابن عباس — على سبيل الرمز — من «انه نزل جملة واحدة الى سماء الدنيا ، فجعل فى بيت العزة ، مكتوبا فى الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة ، ثم نزلت منه الآية بعد الآية ، والسورة بعد السورة ، فى أجوبة السائلين والنوازل الحادثة » .

لا نريد أن نعرض لشىء من هذا ، فايا كان الامر فشهر رمضان مرتبط ارتباطا قويا بالقرآن ، فى نزوله ، حتى ليمكن اعتبار هذا الشهر عيد الاسلام الأول ، اذا نحن أخذنا فى استقصاء الأحداث الكبرى والمشاهد العظمى والتواريخ الفاصلة فى الاسلام ، فلا ريب أن شهر رمضان يقع من هذه التواريخ فى راسها ، اذ كان هو تاريخ الاشراقة الاولى لهذا الدين، واذ كان القرآن هو أساس الدعوة ، ومبدأ هذا التحول الخطير الذى انتقل به العرب ، والانسانية عامة ، من طور الى طور .

ذلك هو مكان هذا الشهر من تاريخ الاسلام ، بل من تاريخ الانسانية عامة ، وتلك هى المنزلة التى يجب أن يكون المسلمون على ذكر دائم منها ، وتقدير دائم لها ، فيمجدوها وينوهوا بها ، ويتخذوا لهذا التمجيد والتنويه كل وسيلة .

وهذه المنزلة انما اتيحت لهذا الشهر بفضل القرآن ، فينبغى أن يكون القرآن محور الاحتفاء بهذا الشهر ، والاحتفال بهذا العيد الأول ، وذلك بقراءته وترتيله وتامله ، والنظر فى أحكامه ، ودراسته من نواحيه المختلفة ، واستخلاص أصوله ومبادئه وامداد النوازع الروحية منه بما يقويها ويرهفها ، وامداد الذوق اللغوى منه بما يهذبه ويصقله ، الى غير ذلك مما لا سبيل الى استقصائه هنا .

والواقع ان كتابا من الكتب لم يتح له ما اتيح للقرآن من دراسات تداخل شتى نواحى المعرفة ، فيما كتب من ذلك فى رواياته وقراءاته ، وكانت دراسة القراءات مجالا واسعا ظفرت فيه دراسة اللهجات وعلم الاصوات بنصيب موفور ، وفى تفسيره وتاويله ، وكانت كتب التفسير مجالا رحيبا للفكر الاسلامى بنوازعه المختلفة — كما نرى صورة من ذلك فى تفسير الفخر الرازى من المتقدمين ، وفى تفسير جواهر القرآن للشيخ طنطاوى جوهرى بين المعاصرين — وفى أحكامه وتشريعه ، وفى بلاغته واعجازه ، الى غير ذلك مما يعتبر القرآن مبدأه ومثاره ، فى العصور المختلفة .

فالقرآن هو الذى فتح للمسلمين الآفاق الفكرية المختلفة التى برزوا فيها ، كما كان فى أول امره هو الذى فتح للعرب باب الاسلام الذى ولجوا منه الى ذلك المجد الخالد ، وتبوءوا به ذلك المكان الشامخ فى تاريخ الانسانية .

فهذا الكتاب هو معجزة الاسلام الدعية اليه : به قامت الدعوة ، كما تمثلت فيه الرسالة الجديدة . وقد استطاع أن ينفذ فى نفوس العرب الاولين ، ويتغلغل الى أعماقهم ، باسلوبه وصوره ومعانيه جميعا ، فقد نبه فيهم الحاسة البيانية — وهى من أدق حواسهم وارهفها واشدها سيطرة عليهم وتوجيها لهم الى مافيه من جاذبية فنية لم يملكوا الا التسليم لها والاذعان لقوتها، كما نبه العاطفة الدينية العامة الكامنة فى قرارات نفوسهم الى مثله الدينية العالية ، وبذلك كان منذ عهد الرسول ، صلوات الله عليه وسلامه ، الاصل فى الدعوة ، وأساس هذه الرسالة التى جاء بها .

فمنذ أخذت آيات القرآن تنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم — وهو يتلوها ويرتلها ، ويقيم بها صلاته ، ويدعو الناس بها الى الاسلام — أخذت تثير فى جو العرب طائفة مختلفة من المشاعر والأحاسيس سيطرت عليهم وتملكت نفوسهم ،

اذ كانت هذه الآيات قد أخذت تتسلل الى اعماق قلوبهم ، فتصل الى أقصى مواطن الاعجاب لديهم ، فتكاد تملك عليهم أمرهم ، لولا ما يعترضها من الف وعصبية . فهم منه بين الاعجاب به والاذعان له ، وبين الخوف منه والفزع من آثاره . انه يستميلهم أشد الميل ، ويجتذبهم نحوه في قوة لاتكاد تقاوم ، ولكن الخوف لا يلبث حتى يعترض نفوسهم ، ويقف بينهم وبينه .

هذا التأثير البياني القوى ، وهذه الروحانية البليغة النفاذة ، كانا من اقوى ما ملك على العرب امرهم لقاء هذا الدين الجديد ، كما نتمثله فى كثير من المشاهد التى تحكيها كتب السيرة ، كقصة ابى الوليد عتبة بن ربيعه ، حين بعثه قومه ، بعد اسلام حمزة ، الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، يحاول ـ بزعمه ـ أن يخدعه عن أمره ، ويصرفه عن سبيله ، ويصده عن غايته ، فمضى اليه ، وأخذ يحدثه بكلام زوره فى نفسه ، وأعده لهذا الموقف ، فقال له : « يا بن أخى ، انك منا حيث قد علمت من البسطة فى العشيرة ، والمكان فى النسب ، وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، وسفهت به احلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم . فاسمع منى أعرض عليك امورا تنظر فيها ، لعلك تقبل منها بعضها » . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « قل يا أبا الوليد أسمع » فقال أبو الوليد : « يا بن أخى ، ان كنت انما تريد بما جئت من هذا الأمر مالا ، جمعنا لك من اموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وان كنت انما تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع امرا دونك ، وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وان كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه اموالنا حتى نبرئك منه ، فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه » .

حتى اذا فرغ عتبة من هذا الحديث ، وظن عند نفسه انه قد بلغ من نفس محمد ، صلى الله عليه وسلم ، ما يريد ، قال رسول عليه السلام : « أقد فرغت ؟ اذن فاستمع منى » . فماذا رد به الرسول عليه ؟ انها آيات من سورة فصلت جعل يتلوها عليه :

« حم ، تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون ، بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون ، وقالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه ، وفى آذاننا وقر ، ومن بيننا وبينك حجاب ، فاعمل اننا عاملون . قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد، فاستقيموا اليه واستغفروه ، وويل للمشركين ، الذين لا يؤتون الزكاة ، وهم بالآخرة هم كافرون ... » .

ومضى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم يتلو آيات الله ، وعتبة منصت لما يسمع ، مأخوذ به ، وقد مثل فى هيئة المستسلم ، فجعل يديه وراء ظهره معتمدا عليهما ، كما تصوره كتب السيرة . ثم رجع الى قومه بوجه غير الوجه الذى ذهب به ، لما كان يعتمل فى نفسه . فلما سئل عما وراءه ، قال : « ورائى انى قد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط . والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ... » .

وفى هذه الآيات التى تلاها الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، على عتبة بن ربيعة ما يصور الحالة النفسية التى استبدت بالعرب لقاء هذه الروعة البيانية ، كقوله تعالى : « وقالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه ، وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب » فمثل هذا القول لا يكاد يصدر الا عن نفس مأخوذة قد غلبت على أمرها ، فهى تحاول أن تقمع حسها وان تكبت مشاعرها ومن ذلك أيضا ما يحكيه جل شأنه عنهم . تصويرا لمغالبتهم هذه الجاذبية البيانية : « وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون » .

ولكن هذه الروعة البيانية التى جاء بها القرآن كانت أقوى من أن تغلب ، كما كان الحس اللغوى عند العرب أشد سلطانا عليهم وامتلاكا لزمامهم وقيادة لهم من أن يخضع لهذه المحاولات التى كانوا يحاولونها فرارا بانفسهم من تأثير تلك الجاذبية ، كالذى تراه فى قصة هؤلاء النفر الذين كانوا يسمعون فى خفية واستحياء الى حيث يستمعون الى الرسول، صلى الله عليه وسلم ، وهو يرتل القرآن فى جنح الليل ، فاذا أطلع بعضهم على أمر بعض ، فجعلوا يتلاومون ويتقاسمون الا يعودوا الى ما أقدم عليه كل منهم من هذا المنكر ـ زعموا ـ لم يملكوا أنفسهم ازاء هذه الجاذبية البيانية ، ولم يستطيعوا مقاومة هذا الاغراء الشديد ، فجعلوا يعودون ثانية وثالثة فى خفية وتنكر واستحياء .

وهذه القصة حكاها ابن اسحاق عن الزهرى : « ان ابا سفيان بن حرب ، وأبا جهل ابن هشام ، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفى حليف بنى زهرة ، خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وهو يصلى من الليل فى

بيته ، فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى اذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا ، فلو رآكم بعض سفهائكم لاوقعتم في نفسه شيئا ، ثم انصرفوا . حتى اذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم الى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ، ثم انصرفوا . حتى اذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى اذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض : لا نبرح حتى نتعاهد الا نعود . فتعاهدوا على ذلك ، ثم تفرقوا » .

هكذا كان موقف بعض العرب من هذه الجاذبية البيانية والروحانية القوية التي كان يمثلها القرآن ، واضطرابهم بين الاصغاء اليها والنفور منها ، وبين الميل نحوها بدافع ذلك الحس البياني القوى عندهم ، والاعراض عنها حسدا وبغيا وخوفا على ما كانوا يتمتعون به من مكانة في العرب ورياسة عليهم .

على ان هذه الجاذبية وتلك الروحانية كان لهما أكبر الاثر في اسلام من اسلم من العامة والخاصة . ونحن نعرف بعد قصة اسلام عمر بن الخطاب ، فليس اسلامه في كلتا الروايتين اللتين ترويان في صفة اسلامه وملابسات اعتناقه هذا الدين الا مظهرا من مظاهر طواعية الحاسة البيانية عنده لما في القرآن من جاذبية وروحانية .

فأما أولى هاتين الروايتين فتذهب الى أن عمر دخل على أخته وختنه وعندهما خباب بن الأرت ومعه صحيفة فيها صورة طه ، يقرئهما اياها ، فلما سمعوا حس عمر ، تغيب خباب في مخدع لهم ، أو في بعض البيت ، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها ، ... ولكن عمر استطاع ان يأخذ الصحيفة ويقرأ فيها ، فاذا نفسه تهش ، واذا قلبه ينشرح ، واذا هو يذهب الى الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، فيعلن اسلامه .

وأما الرواية الاخرى فتذهب الى ان عمر مر بالكعبة ، وهو في طريقه الى خمار كان يشرب عنده ، يريد أن يطوف بها ، فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي ، فأنصت اليه وهو يقرأ القرآن ، فرق قلبه ، ثم لم يلبث — بعد ان مضى الرسول صلى الله عليه وسلم الى بيته — أن مضى اليه وأعلن اسلامه .

ومثل ذلك قصة اسلام أبي عمرو الطفيل الدوسي ، وكان رجلا شريفا شاعرا لبيبا ، وكان قد قدم مكة ، فاستقبله رجال قريش ، وأرادوا أن يصدوه عن لقاء محمد ، وقالوا له — فيما قالوا — : « يا طفيل ، انك قدمت بلادنا ، وهذا الرجل الذى بين اظهرنا قد أعضل بنا ، وقد فرق جماعتنا ، وشتت امرنا ، وانما قوله كالسحر : يفرق بين الرجل وأبيه ، وبين الرجل وأخيه ، وبين الرجل وزوجته ، وانا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا ، فلا تكلمه ، ولا تسمعن منه شيئا » . وبمثل هذا أرادوا أن يحولوا بين الطفيل وهذه الجاذبية البيانية التي لابد أن تفعل فعلها ، اذا ما أتيح للطفيل ان يتعرض لها .

ومع تأثر الطفيل بما سمع من رجال قريش ، وعزمه على أن يبتعد عن محمد ويمتنع من الاستماع اليه ، فان آيات القرآن التي كان الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، يرتلها وهو في المسجد ، لم تلبث أن اقتحمت أذنيه ، ومضت الى قلبه ، فاذا عزيمته تتحلل ، واذا هو يحدث نفسه قائلا : « واثكل أمي ! والله اني لرجل لبيب شاعر ، ما يخفى على الحسن من القبيح ! فما يمنعني من ان اسمع من هذا الرجل ما يقول ، فان كان الذى يأتى به حسنا قبلته ، وان كان قبيحا تركته ؟ » .

وهكذا مضى الى الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، في بيته ، فتلا عليه الرسول القرآن ، فاذا هو لا يملك أن يصد نفسه عن الاذعان له : والايمان به ، واعلان اسلامه .

ذلك كان اثر القرآن الأول في الدعوة الى هذا الدين الذى أحدث ذلك التحول الخطير في حياة العرب ومكانهم وتاريخهم ، ثم في تاريخ الانسانية عامة .

وظل القرآن ماضيا في اداء هذه الرسالة الكبرى ، في نواحي الحياة المختلفة ، مما أشرنا الى طرف منه في أول هذه الكلمة . وما زال هذا الكتاب الكريم في مكانه من اثارة حوافز التقدم والتطور ، واحياء مثل الخير والكمال الانسانى .

واذ كان شهر رمضان هو التاريخ الذى يرتبط بالقرآن ارتباطا وثيقا ، على النحو الذى بينا ، فما أجدره أن يكون عيد الاسلام الاول ، وان تجعل منه المحافل والمجامع والهيئات المختلفة موسما للدرس والتدارس في القرآن ، وفي شتى نواحي الحياة الاسلامية ، في صوره التي تتفق مع مناهج الدرس العلمي . وبذلك يكون احياء هذا الشهر احياء حقيقيا لنا ، ووسيلة مثلى من وسائل النهوض بكياناتنا ، وتحقيق أهدافنا .

طه الحاجري

الروح صاعدة من المادة
لا هابطة إليها

بقلم عبد المنعم خلاف

مقالة القرآن في خلق الكائن الانساني بجسمه وروحه من طين الأرض وعناصرها واخلاطها ، مقالة واضحة صريحة لا لبس فيها ولا غموض ... ومع ذلك قد مضى هذا الدهر الطويل على العقل الاسلامي بعد بداهته الفطرية وصحوه العربي وقت نزول القرآن وقبل أن تلحقه تهويجات الأمم وشطحات الشعوب الأخرى ، وهو غافل عن تلك الحقيقة الواضحة التي يقررها القرآن ، تاركا للعقل العلمي الحديث أن يصل الى ما كان يجب أن يصل اليه هو قديما قبل غيره ، فتزيل أسباب الشك والجدل الطويل الذي ثار بين العقل الديني بوجه عام والعقل العلمي جدلا قد ينتهي بالثاني الى الالحاد والانكار لأصول المعتقدات الدينية ، بحجة أن ذلك الراى المزعوم للدين في الروح ووجودها المستقل قبل اتصالها بالجسم ، راى يخالف راى العلم ولا يتفق مع سنن التركيب المادي لأجسام الأحياء ، والنشأة الفطرية الظاهرة لها ولا مع طبيعة نشوء الانسان ونموه وخروجه من ذهول الطفولة وجهل الصبا وطيش الشباب وعقل الرجولة الى الدور الأخير من حياته ، دور الهرم والتهدم والارتداد الى ارذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا .. فضلا عن أنه يضيف الى نطاق الغيبيات مالا ضرورة لدخوله فيه ، وما لم يأت به علم أو كتاب وحي الهي مبين .. اذ أن نشأة الانسان والحيوان والنبات هي من عالم المشاهدة والصحو العقلي الذي اعتمد عليه القرآن في اثبات علاقة الآيات والعجائب الظاهرة التي تملأ جنبات الحياة ، بالخالق المنشيء وفي اثبات دلالتها القطعية على وجوده وعلمه وقدرته وارادته ..

ولا بأس أن نعود فنستطرد الى التنويه بصحو العقل العربي الفطري وعدم تهويمه وانسلاخه كثيرا وراء البدوات والخرافات التي سادت عقول الشعوب الأخرى ، وخاصة فيعصور ما قبل الاسلام ، كالهند والفرس واليونان والرومان ، وجعلتها تعيش في عالم وهمي ، تمتزج فيه الأساطير والخرافاتوالأوهام حول آلهة مزعومة فيها طيش البشر ونزقهموحقدهم وضغينتهم وصغاراتهم وشهواتهم وعلاقاتهم المختلفة في الحب والبغض والخطأ والنسيان ، وبها بطولاتهم التي لا تبلغ حدود ما يوحي به الكون من عظمة وكمالات لا تتناهى في الذات الالاهية الواحدة .

وأحسب أن صحو العقل العربي وعدم شروده كثيرا الى عالم التهاويل والتكاذيب والخرافات كان أكبر ميزة رشحته لان ينزل عليه القرآن بذلك النسق الاثباتي الجميل الذي أثبت حقائق الكون ووضح معالمه وجعل العقل البشري يرى كل شيء فيه بوضوح ..

ولئن كان بعض النقاد المحدثين يعيبون على العقل العربي في مجال الشعر والفن أنه محدود الخيال ضعيف الجناح ضيق التصور للأوهام الجميلة والاشباحالمستحيلة التي تبدو في أكثر «الميثولوجي» والأساطير الشعبية في الأمم الأخرى ، فاننا نرى أن تلك الظاهرة جعلت العقل العربي أقرب الى أن يكون عقلا علميا رشيدا صالحا لأن يتلقى القرآن من لدن حكيم عليم فيواجه به عصر العلم والرشد ويؤهل الناسللعيش فيهوالوصول بمنطقه واسلوبه الى ادراك أسرار الله في التكوين المادي والى تأويل مالم يحيطوا بعلمه .

ولكن العقل العربي ، بعد أن تسربت اليه أوهام الأمم والشعوب الاخرى في العصر العباسي ، أخذ يفقد هذه الميزة الكبرى ويقول مقالات تلكالشعوب في امور خطيرة ، كخساسة المادة وشرف الروح ، واستقلال جوهرها ، ووجودها القديم ، وعلمها وحكمتها وطهارتها ، وهبوطها من العالم الأعلى وانطلاقها منفصلة من ذات الله سبحانه وحلولها في الأجسام ، وتناسخها وتنقلها في درجات الانسانية والحيوانية مرة بعد مرة على نحو ما ذهبت اليه بعض الفلسفات والصوفيات مما أدخل العقل العربي والعقل الاسلامي في « جحور الضباب الخربة » المظلمة التيليس فيها ذلكالوضوح في رؤية معالم الكون وحدوده كما يجليها القرآن للعقل الصاحي والفؤاد اليقظان .. فاذا أبو العلاء المعري ، مع أنه من العقليين ، يقول :

تجاوز هذا الجسم والروح برهة
فما برحت تأذى بذاك وتصبدأ

واذا بشيخ الفلاسفة والأطباء الاسلاميين (ابن سينا) يرسل رأيه في الروح وجوهرها واستقلالها وادراكها وعلاقتها بالجسم وسجنها فيه وتبرمها به ، في تلك القصيدة الدينية المشهورة :

هبطت اليك من المحل الأرفع
ورقاء ذات تعزز وتمنع

محجوبة عن كل مقلة عارف
وهي التي سفرت ولم تتبرقع

وصلت على كره اليك وربما
كرهت فراقك وهي ذات تفجع

انفت وما انست فلما واصلت
الفت مجاورة الخراب البلقع

واظنها نسيت عهودا بالحمى
ومنازلا بفراقها لم تقنع

حتى اذا اتصلت بهاء هبوطها
في ميم مركزها بذات الأجرع

علقت بها ثاء الثقيل فأصبحت
بين المعالم والطلول الخضع

تبكي اذا ذكرت عهودا بالحمى
بمدامع تهمي ولما تقطع

وتظل ساجعة على الدمن التي
درست بتكرار الرياح الأربع

اذعاقها الشرك الكثيف وصدها
قفص عن الأوج الفسيح المربع

الى آخر تلك القصيدة التي هي أوضح تعبير عن الذي شاع بين المسلمين عن (الروح) في العصور التي تلت عصر الفطرة والبداهة التي نزل عليها القرآن والذي ظل مسيطرا على أغلب الأفكار منذ تلك العصور للآن .

وامثال معاني هذه القصيدة تسربت الى العقل الاسلامي من فلسفة أفلاطون والاشراقية الحديثة عن وجود « عالم المثل » ومن الآراء الهندية الهائمة التائهة في الوثنيات ، والتي صاحبها اختلاف التفكير وغيام الذهن من أثر الرياضة العنيفة التي تلجأ اليها سعيا وراء الخلاص والانطلاق من منطق المادة .

وقد ظل العقل الاسلامي أسير هذه التخليطات البعيدة عن منطق العلم ومنطق القرآن ، وذهبت عقول كثيرة ضحايا لهذه التخليطات ، كعقل (الحلاج) الذي هو أوضح مثل لاعتناق مذهب « الحلول » وكعقل محيي الدين بن عربي في الحديث وهما من امثلة اعتناق مذهب « وحدة الوجود » .

وقد كان مبعث هذه الأوهام التي تسربت الى عقل الانسان في جميع العصور فصرفته عن الفطرة ومنطق العلم في ادراك شأن الروح ، هو ذلك الشعور بالفارق العظيم ومدى الانتقال بين حالة المادة وجمودها وكثافتها وعماها وعدم ادراكها وبين حالة الانسان الحي مثلا بعد أن تلبسه الحياة فتجعله ينمو ويتحرك ويتنفس ويشعر ويدرك ويتفتح عن كائن معنوي عاقل خصيم مبين يتطلع الى ما وراء عالمه المادي ويتناول المادة بالتنقيح والتهذيب والتوليد ، بما أودع فيه من قوة الخلق والابتكار واكتشاف المجهول واكتناه الأسرار ، مما جعل عقل الانسان نفسه يحار ويتساءل : عن نفسه وعن الحياة وكيف استحدثت الروح والعقل من هذه المادة الجامدة الصماء العمياء !!

وحق للعقل أن يقف هذا الموقف ويحار هذه الحيرة ويتلمس أسباب التفسير لهذه الظاهرة العجيبة ويرتمي في سبيل الوصول الى ذلك في مرامي الظنون والفروض البعيدة والغريبة بين فلسفة اليونان وصوفية الهنود .. فان العقل ما خلق الا لهذا التساؤل والاستهداء وتلمس تأويل قصة الحياة وقصة منشئها ! وكذا العقل العلمي الحديث لا يزال واقفا امام لغز الحياة ونشوئها نفس موقف التساؤل والحيرة وتلمس أسباب نشوئها ، على طريقته وأسلوبه .. ولا يزال عاجزا عن تفسير هذا اللغز ، وقد ذهب بعضه في تعليل ظهور الحياة على الأرض الى أن جرثومة الحياة ربما تكون قد سقطت الى الأرض عالقة بجسم قد هوى اليها من السماء ، ثم نمت وتكاثرت وتعددت في أطوار

النشوء والترقي حتى وصلت الى الحيوانات العليا .

وهكذا عدنا الى هبوط للحياة والروح من عالم أعلى ولكنه هبوط من نوع آخر غير ذلك الذى ذهب اليه افلاطون وابن سينا وغيرهما ... وكان مادة السماء لم يثبت العلم ذاته انها هى نفس مادة الارض بعناصرها وخصائصها ، فنشوء الحياة منها هى أيضا يحتاج الى مثل هذا العناء والخلط والخبط والفروض التى ذهب اليها العلم والفلسفة والتصرف ... وان هذا الأمر فى غاية البساطة اذا استهدينا بضوء الحقيقة التى سبق أن وجهنا الأنظار اليها ، وهى أن ظهور الحياة والروح ليس أعجب من ظهور المادة ، وأن خلق الانسان والحيوان ليس أكبر من خلق السموات والأرض ، حتى نحار فيه ، واذا ما استهدينا كذلك بضوء حقيقة أخرى هى أيسر الوسائل للوصول الى حل جميع ما نلاقيه فى الحياة من ألغاز وأسرار ، الا وهى تصوير القرآن لقدرة الله الخالق تصويرا مأخوذا عن المدى اللا نهائى للصنع الدقيق والجليل والهائل فى التركيب المادى للكون ، وان ليس شىء أمام قدرة الله بمستحيل اذا أراده وقال له كن !

وحسبنا ان نذكر من القرآن هذه الآيات « لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون » « أو لم يروا ان الله الذى خلق السموات والأرض قادر على أنه يخلق مثلهم ؟! » « فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا ؟ انا خلقناهم من طين لازب» «أأنتم اشد خلقا ام السماء بناها ؟! » « انما قولنا لشىء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون » « وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر » « ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة » « فانما هى زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة » « ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض الا من شاء الله» . «وماقدروا الله حق قدره ! والارض جميعا قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه » « وسع كرسيه السموات والأرض » .

فلا داعى اذن لتوقف العقل الدينى المنحرف وشروده من العقل العلمى هذا التوقف الطويل للتساؤل عن المعبر الذى عبرت عليه الحياة الى المادة فكان الحيوان والانسان بعد أن علمنا أن أى وجود مهما عظم لا يعدو أن يكون استجابة حتمية « لأمر » من الله الخالق يصدره اليه أن يكون فيكون .. وبعد أن علمنا كذلك أن نشوء الكائن الانسانى بجسمه وروحه من المادة وحدها لا يجوز أن يزرى بقيمته أو يقلل من شأن الصنعة فيه ، بل على العكس ان نشوءه من المادة هو أعظم ما يثير العجب ويأخذ بالألباب الى التفاعل والاستغراق فى التفكير والاسراع الى الاقرار بقدرة الخالق التى تخرج من الطين اللازب والحمأ المسنون والماء المهين هذا الكائن السميع البصير الخصيم المبين الذى علمه الله الأسماء كلها مما فى غيب السموات والأرض وأسجد له الملائكة تكريما وتشريفا ، وفتح له أبواب الطبيعة ومغاليق اسرارها ؟!

فيجب أن يزول من الأذهان ذلك الوهم والزعم القديم بأن عالم المادة عالم خسيس ، لا يليق بشرف الروح أن ينبثق من ظلماته وكثافاته وامشاجه وأخلاطه ، وذلك الزعم بأن الروح جوهر مستقل عن الجسم قد هبط اليه من العالم الأعلى ليسجن فيه ويتعذب ويشقى بجواره برهة من الزمن ، ثم يتناسخ بعدها ويتقمص أجساما أخرى انسانية وحيوانية .. الى آخر تلك الشطحات ..

والأمر قبل ذلك وبعده أمر نصوص قرآنية صريحة متواترة فى تكوين الانسان وانشائه من طين الأرض وحدها ، وللعلم بعد ذلك أن يحاول بأسلوبه وادواته تفسير ذلك النشوء باجتماع حالات كيمائية وحيوية (بيولوجية) وعضوية (فسيولوجية) ومناخية ، وبترتيبها ترتيبا بتوجيه و « أمر » من الخالق الذى (أعطى كل شىء خلقه ثم هدى) .

وموعدنا الحديث التالى لبيان مزيد من تلك النصوص القرآنية القاطعة فى نشأة الانسان من المادة .

عبد المنعم خلاف

المنهج الدراسي للأدب الصوفي

بقلم : عبد الكريم الخطيب

انتهينا في نظرتنا الى الأدب الصوفي الى نتيجة اعتبرناها حكما لازما لدراسة هذا الأدب .. وهذه النتيجة هي عزل الأدب الصوفي الذي نشأ ، ونما ، ونضج في أرض التصوف أو في سمائه – عزله عزلا تاما عن الأدب كله . وذلك باعتباره أدبا مستقلا – بذاته ، وبخصائصه ومقوماته عن الأدب العربي ، شعرا ونثرا .. بمعنى أنه يناظر هذا الأدب ويقابله ، ويلقاه على مستوى العصور الأدبية عصرا عصرا .. قوة وضعفا ، علوا واسفافا .

واذا كان قد ساغ لنا أن نقسم شخصية رجل التصوف الى ذاتين : ذاته قبل التصوف ، وذاته في التصوف ، ثم سوغ لنا ذلك أن نجعل لكل ذات من ذاتيه هاتين أدبها الذي نجم في ظلها – اذا كان قد ساغ لنا ذلك فانه يسوغ لنا أيضا أن نجعل أدب التصوف: أدبا قائما بذاته ، مستقلا بوجوده ،منفردا بألفاظه ، ومعانيه ، وأخيلته ، وتصوراته ، وصوره.

فالأدب العربي اذن أدبان : أدب عام ، وأدب خاص أو أدب غير المتصوفة ، وأدب المتصوفة :

وهنا يلقانا هذا السؤال :

اذا استطعنا أن نخلص الأدب الصوفي من الأدب العام ، وأن نفرد له ديوانا خاصا ، يجمع أشتاته ويضم بعيده وقريبه ، وشعره ونثره – فما هو المنهج الذي يدرس به هذا الأدب ؟ وما المعايير التي تضبط بها شوارده ، وشطحاته ، وما المفاتيح التي تفتح بها أغلاق طلاسمه ، ورموزه ، ومعمياته ؟ . وهل للأديب – غير الصوفي – أن ينظر في هذا الأدب ، وأن يصدر أحكامه عليه ، ثم يكون لهذه الأحكام مستندها من الحق والعدل ؟ .

وندع الجواب على هذا .. وننظر في الأدب الصوفي ، ونتعرف على طبيعة الدوافع التي دفعت به الى الحياة ، ففي هذا نجد الجواب على سؤالنا هذا ، وما يتفرع عنه !

ونظرة في حياة المتصوفة ، وفي الطريق الذي يسلكونه في هذه الحياة ، وفي المنازع والخواطر المسلطة عليهم في حياتهم تلك ، وفي الرؤى والتطلعات المستولية على وجودهم في هذا الطريق – نظرة الى هذا كله تريتا أن المتصوف انما ينزع بوجوده كله نحو « المطلق » .. وهو لتحقيق هذه الغاية يحاول جاهدا أن يتفلت من قيود الزمان ، وحدود المكان ، وأن « ينجذب » بعيدا عن دائرة الوعي اليقظ الذي يحاول أن يقيده بأحكام المنطق ويجمده في قوالب « الأشياء » التي صنعها العقل بمقاييسه ، وبحدود معارفه .

فالصوفي – بهذا المعنى – منخلع عن عالم الحس بباطنه –على الأقل– ان لم ينخلع عنه بباطنه وظاهره جميعا .

واذن فهو لا يأخذ عالم « الأشياء » بالمقاييس التي ألفها الناس ، وتواضعوا عليها ، ولا تبدو لعينيه هذه الأشياء على الصورة التي تتصورها . ولا يقيسها بالمقياس الذي نقيسها به .. ومن أجل هذا كان له عالمه ، وله أشياؤه التي تختلف اختلافا ظاهرا عن عالمنا وعن أشيائنا .. فما نراه عظيما معجبا قد يراه هو حقيرا تافها ، وما نراه حسنا جميلا قد يعده هو رذلا سخيفا .. !

ومن هنا يجيء الأدب الصوفي في صور تتحدى – من غير قصد – العرف العام كله في جميع مواضعاته ومفاهيمه – الذهنية ، والمادية – فلا يحفل هذا الأدب بشيء من هذه المواضعات وتلك المفاهيم ولا يقف عند حدودها ، وانما ينزل الى واقع الحياة ويتحرك بين الأحياء بصورته التي انطلق بها من فم « المتصوف » كما أحس به وتصوره وصوره ! ولهذا يبدو غريبا خارجا خروجا صارخا على مألوف الناس وعلى طبيعة الحياة التي يحيونها ، فينكرونه ، أو يرجمونه ، بشأن الناس مع كل خارج على ما ألفوا وما اعتادوا .. وفي قصة أصحاب الكهف اشارة بليغة الى هذا الطبع المندس في كيان الناس ، حيث يقول سبحانه وتعالى على لسان أصحاب الكهف في وصاتهم لصاحبهم ، وقد بعثوا به الى المدينة ليأتيهم بطعام : « فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة ، فلينظر أيها أزكى طعاما ، فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا ، انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ، ولن تفلحوا اذن أبدا » .

هذا ، واستمع الى قول ابن عربي :

توضأ بماء الغيب ان كنت ذا سر
والا تيمم بالصعيد وبالصخر !!

وقـــدم اماما كنت أنت امامه
وصل صلاة الفجر فى اول العصر ؟!
فهذى صـــلاة العـــارفين بربهم
فان كنت منهمفانضح البر بالبحر !!

فهل تستقبل النفس هذا الـــكلام الا فى دهش وعجب واستغراب ، دونه هـــذا العجب والدهش والاستغراب الذى قوبل به صاحب أصحاب الكهف حين طلع الناس من أحشاء الزمن بعد ثلاث مئـــة سنين وتسع ؟ ٠

ان الانســـان ــ غير الصـــوفى ــ حين يقف فى مواجهة هذا القول تطلع عليه منه صـــور الحقائق مقلوبة ممســوخة ، فلا يكون له معه شأن الا على احد أمرين : فاما ان يعده هذيانا من الكلام ، ولغــوا من القول ، وباطلا من الحديث ، فلا يقف عنده ، ولا يحدق النظر فيه ، واما أن يتخـــذ منه مادة للرياضة الذهنية ، يحاول أن يضرب صفوه بكدره، وحقه بباطله لعله أن يمسك منه بشىء يقبله العقل وتستريح له النفس ٠٠ وهيهات هيهات ! واما أن يجرى هذا القول على ظاهره ، ويأخذه كما هـــو بدلالة الفاظه اللغوية فينتهى به ذلك الى نتيجـــة لازمة ، والى حكم قاطع بأن محاصيل هذا الكلام هى الكفر الصراح ، والتجـديف الوقاح ، والعبث بالدين ، واللغو فى الشريعة ، والتلاعب بأحكامهـــا وذلك هو الوجه الغالب الذى يفهم عليـــه الأدب الصوفى ، ويحاسب به ! ٠

وانظر ٠٠ كيف يتوضأ المسلم بمـــاء الغيب ؟ وكيف يصلى الفجر فى أول العصر ؟ وكيف ينضح البر بالبحر ؟ ولــكن رجال التصوف اذ يستمعون لهذا القول يطربون ، ويتواجدون ، وتغشاهم أحوال من الوجد والهيام ، كأنما هم فى حفل عرس ، قد دارت فيه الراح ، فدارت معها الرءوس فى نشـوة غامرة ، وسكرة صاحبة معربدة !٠

ولا نحسب أن الصوفية جميعا يستقيمون عـلى وجه واحد فى فهم أدبهم ، وفى تأويل مقولاتهم ٠٠ اذ كل منهم يذهب مذهبا فى الفهم ، ويأخذ طريقـا فى التأويل ٠٠ ولكن هذه المذاهب المختلفة ، وتلك الطرق المتعددة تنتهى بهم جميعا الى ما تنتهى به كئوس الخمر بشاربيها ، ينتشى بها قوم ، ويسكر منها قوم ، ويعربد ويصخب أناس ، ويحجم ويسكن آخرون ٠٠ ولكنهم جميعا يسلمون انفسهم الى عالم « اللاوعى » ويخضعون وجودهم لحكم « اللامعقول » الذى هو غاية لازمة أو غالبة لشارب الخمر ، وان يكن مادارت به الكأس ــ باسم الخمر ــ شرابا ليس من شأنه ان يسكر ، فى غبوق أو صبوح ! ٠٠

كذلك « الصوفية » مع اى كلام يدور عليهم باسم التصوف ، وفى مجالس أذكارهم ، وحضرات أورادهم ــ فكل كلام سواء كان واضحا أو غامضا ، جادا أو هازلا ــ يدفعون به دفعا الى عالم التصـــوف ، ويحملونه من عالم « اللاوعى » أحمالاكثيرة من صور «اللامعقول» وخيالاته ! فيتواجدون منه ، ويسكرون كما يسكر المخمور من قدح ماء ، أو جرعة دواء ! ٠٠

ومن هنا تكثر تأويلاتهم ، وتتناقض وتتضارب مقولاتهم حول الحقيقة الواحدة ، التى يسجلها أدبهم فى قالب من الشعر أو النثر ٠٠ ومن هنا أيضا ساغ لغير المتصوفة أن يكون لهم فى هذه الحقائق قول ، فكثرت لذلك الأقوال ، واتسعت شقة الخلاف فى مفهوم الحقيقة الواحدة ٠ ولا تخلى الصوفية أنفسهم من حمل النصيب الأوفر من هذا الخلط الذى دخل على الأدب الصوفى ! ٠

ولعلنا نذكر بيت ابن عربى ، الذى تحدثنا عنه فى مقال سابق ، وفى هذا البيت يقول ابن عربى :

مقـــام النبـــــوة فى برزخ
دوين الولى وفوق الرســـول

وقد ذكرنا مع هذا البيت أبياتا من القصيدة التى قيل فيها ، وهى ــ بدهيا ــ من وزن البيت ورويه ، كما ذكرنا مفهوم هذا البيت عند صاحبه ــ من أقواله هو ، شرحا وتعقيبا عليه ــ كما أننا جعلنا لهذا البيت مفهوما يستقيم مع قواعد اللغة ومدلول كلماتها ، وهو مفهوم يلتقى مع فهم ابن عربى ، مع خلوه من التعسف فى التخريج والتأويل ! ٠

ولكن هذا البيت يجىء فى طبقات « الشعرانى » هكذا :

مقـــام النبـــوة فى برزخ
فويق الرســـول ودون الولى

ثم يعلق عليه « الشعرانى » بهذا الشرح ، نقلا عن أبى الحسن الشاذلى ــ الصوفى المعروف ــ يقول: « وشرح هذا البيت : يعنى أن مقـــام النبوة يعطى الأخذ من الله بواسطة وحى الله ! ومقام الرســـالة يعطى بتبليغ ما أمر الله به للعباد ، ومقام الولاية الخاصة يعطى الآخذ من الله بالله من الوجه الخاص ! »

ولا شك أن هذا الشرح هو فهم خاص للشارح ، وهو كما ترى أشد تعقيدا وغموضا من البيت نفسه ولا عجب فهو « صوفى » يتكلم بلسان التصوف ! ٠

ونعود الى الأبيات الثلاثة السابقة لابن عربى ،

وما فيها من الغاز ومعميات ! واذ كنا ازاء عجز ظاهر عن حل رموزها ، وفك طلاسمها ، فها هو ذا أبو الحسن الشاذلي ـ يتولى هذا الأمر ، فيقول : « المراد بالوضوء طهارة أعضاء الصفات القلبية من النجاسات المعنوية ! ٠٠ و « ماء الغيب » هو خلوص التوحيد ، فان لم يخلص لك بالعيان ، فتطهر بصعيد البرهان ! ٠

« وقدم اماما كان امامك في يوم الخطاب ، ثم صرت أنت امامه بعد سدل الحجاب ! ٠

ثم يقول في شرح عجز البيت الثاني : « وصل صلاة الفجر التي هي صلاة نهار كشف الشهود ، بعد حجاب كلية الوجود ـ في أول العصر الذى هو اول زمان انفجار فجرك ، ولا تتاخر لآخر دورك ، لان الحكم للوقت والتاخير له مقت !٠٠ » ٠

وفي شرح البيت الثالث يقول : « فهذه صلاة العارفين بربهم ، وهم الذين لم يخرجوا من متابعة الاحكام الشرعية في جميع مشاهدة الربوبية ، فان كنت منهم فانضح ، يعنى اغسل بماء بحر الحقيقة ماتدنس من بر الشريعة ! » ٠

وهذا الشرح كما ترى لم يقترب بنا كثيرا نحو الأبيات ، ان لم يكن قد سد الطريق علينا الى فهم خاص لها ، ربما نتلقاه عن ظنون واوهام ! ٠٠ او ناخذه عن حدس وتهويم ! ٠٠

وطبيعى أن يكون شرح الصوفي للمقولات الصوفية ـ من مقولاته هو أو من مقولات غيره ـ على غير الشرح المعهود في الأدب العام ، لان الصوفي هنا انما يخاطب أبناء الطريق من الشيوخ والمريدين وهو لهذا يتحدث اليهم هذا الحديث المغلق المشحون بقدر كاف من الرموز والألغاز ، ليسبحوا فيها مع خيال المتصوفة ، ولينطلقوا بها أو تنطلق بهم الى ماشاء الله من عوالم وموارد ! ٠

وهنا امر يجب أن ننتبه اليه ، وهو أن مقولات المتصوفة انما صدرت في أحوال غلب الوجد فيها عليهم ، فكان معظمها صادرا عن « لاوعى » كما كان الوصف الغالب عليها انها خارجة عن المعقول ٠٠ كما أنه ـ من جهة أخرى ـ لم يكن من هم المتصوف حين ينطق بما ينطق به أن يكون ذلك جاريا مع منطق الناس ، واقعا في مفهومهم ٠٠ فهو لا يضع في حسابه أنه يتحدث الى أحد ، وانما هو « قيثارة» استولى عليها قلبه ، ليوقع عليها ما يشاء من مواجد واشواق ، ولواعج ، وشكوى ، وانين ، فيجرى على لسانه كل مايطرق قلبه من خواطر وخطرات ٠٠ ولا عليه أن يفهم الناس عنه شيئا أو لايفهمون ٠٠

انه يفكر بصوت عال ـ كما يقولون ـ فلا يكتم لسانه شيئا مما يجري في خاطره ! ٠

لهذا كان من الخطأ أفدح الخطأ أن نحاسب الصوفي على قول لم يقله لنا ، ولم يتجه به الينا ٠٠ فان كان ولا بد من محاسبته فلتكن على ما يقضي به ذوق المتصوفة ،وتتسع له طريقتهم ! ٠٠

وفي هذا يقول « ابن عربي » : نحن قوم يحرم النظر في كتبنا على من لم يكن في مقامنا ! » ويعلق « الشاذلي » على هذا بقوله : « فخوض غير العارفين له ، مثل ذلك ضرر عليهم في دينهم وعقائدهم ، فلا يليق ذلك الا بالعارف المتمكن٠٠لأن القوم كانوا محبين ٠٠ كل منهم يتكلم بلسان محبته وذوقه ، فهو كلام لا يحصر ، ولا يحصى ٠٠ لأن هذا البحر غرق فيه كثير ، ولا وصل أحد الى قراره أو ساحله !

ويقول ابن عربي أيضا : « أصل منازعة الناس في المعارف الالهية ، والاشارات الربانية كونها خارجة عن طور العقول ، ومجيئها بعيدا من غير عقل ونظر ، ومن غير طريق العقل ، فتنكرت على الناس من حيث طريقها ، فانكروها وجهلوها ، ومن انكر طريقا من الطرق عادى أهله ضرورة ، لاعتقاده فسادها ، وفساد عقائد اهلها ! » ٠

ولكن لنا ان نسال : أيفهم الصوفي عن الصوفي ما تحمل عباراته من خطراته وتصوراته ؟ والجواب على هذا هو أن ذلك ممكن على سبيل التجوز المطلق ٠٠ فالصوفي حين يسمع كلمة صوفية ينفعل لها كيانه كله ، فيلقاها بوجدانه وذوقه ، ومعارف طريقه ، ثم لا يزال بها حتى تستجيب للحمل الذى يحملها عليه ، من اصطلاحات المتصوفة ، وتصوراتها ٠٠ ولكن كل هذا لايعدو أن يكون مجرد تاويل شخصى للعبارة الصوفية اشبه بتاويل الأحلام ٠٠ كل يذهب في التاويل كيف يرى ، وكيف يقدر ٠

يقول ابن الفارض في بعض شطحاته ، او سبحاته :

فقلت لزهدى والتنسك والتقى
تخلوا ، وما بينى وبين الهوى خلوا
تمسك بأذيال الهوى ، واخلع الحيا
وخل سبيل الناسكين وما حلوا

والمعاني التي يحملها هذان البيتان واضحة لا تحتاج الى بيان ، ففيهما دعوة صريحة الى اطراح أثواب الزهد والنسك والتقوى ، ثم الانطلاق في مراتع الخلاعة والمجون ! ٠٠ هذا صريح ما تنطق به كلمات البيتين ٠٠

عبد الكريم الخطيب

نقد اليوم

بقلم: مصطفى عبد اللطيف السحرتي

ما أعجب ما نقرأه · في هذه الأيام ، من نقدات نتاجنا الأبي ، واتجاهاتنا الادبية المعاصرة ، فاغلبها نقدات غير جادة ، لم ينفق النقاد فيها جهدا ملموسا ولم يهبوا قلوبهم وأذهانهم لها · ولم يعايشـوا أعمال خالقيها ، ولكنهم مروا عليها مرور القرافير دون تعمق ، وامتصاص للبابها ·

ولهذا كانت أكثر هذه النقدات فطيرة نيئـة ، لاتعطى صورة صادقة لعمل المنقود ، ولا حقيقية ، بل ان طائفة منها تشوهه ، وتعمل على ايذاء مبدعه كما تعمل الزنابير بخلايا النحل ·

وما كان هذا السلوك المتعجل في النقد ، ولا كان هذا النزوع المؤذى للاعمال الادبية ، من خليقـات النقد ولا وظيفته النبيلة ، فالنقد أمانة ، وايمان عميق يحب الحقيقة ، والنقد زمالة وصداقة ووداعة يكشف عن جهـود المنقـود وحسناته ، وقدراته ، ويوجهه في ادب ولطف الى هفواته أو هناته ، وهو في الوقت ذاته يكشف عن ثقافة النـاقد ، وعمق تفكيره ، وتوازنه النفسى ·

فاذا تجافى النـاقد عن هذه الخلقية ، ولم يعبأ برسالة النقد الشريفة ، فلن يحترم انسان سوى نقده ، ولن تجد نقداته من القارئ المثقف أى تقدير وقد تعود عليـه في بعض الاحيـان بالزراية والامتهان ·

لقد قرأت كثيرا من النقدات عن كتب جادة ، ودواوين شعرية جيدة لطائفة من نقادنا ، فاذا بها نقدات متعجلة طائشة ، أو نقدات متعالية متعـالة او نقـدات مشوهة مؤذية ، وأخرى خبيثة هادمة ، وكلها تخلت عن خلقية النقد ووظيفته ، ورسالته الحضارية المنصفة ، فتولانى اسى بعيـد الغور ، واشد ما كان اساى من نقدات بعض الكتاب الذين نالوا بسطة فى التعليم ، ونالوا القابا علمية رنانة ، ففى نقدات بعض هؤلاء وجدت تعاليا على المنقود ، وحسما بالرأى ، وفى نقـدات أخرى وجدت آراء مقبوسة من هنا وهناك ومصطلحات غريبة ، وغموضا وابهاما ، لم أتبين فيها فكر كاتبها ، ولا شخصيته الادبية ، وفى نقدات غيرها ، وجدت النقدات كومة من سيئات المنقود ، وهفواته ، مجتمعة دون ذكر اية حسنة من الحسـنات ! وهـكذا خيل لهؤلاء المدرسيين النقد تعاليا ، أو ابهاما ، أو تعييبا للاعمال الأدبية ، والنقد الحقيقى البناء ينفر كل النفور من امثال هذه النقدات .

بل يبرأ منها براءة مطلقة .

فلقد قرأت لأحد الجامعيين نقدا لكتاب اديب اعرفه عن النقد « النقـد الأدبي » كان كل همه وقصاراه أن يبحث عما يراه سيئا فيه ، ويحاول أن يمسك بيده ذرات الغبار ، دون ان يذكر له حسنة أو ينصف ناحية من نواحيه ، وكأنما الكتاب مذنب بين يديه يتلمس له التهم ، أو يلفقها اذا عز عليه الدليل !

وقرأت مؤخرا ، نقدا لنـاقد شاب عن ديوان شاعر من شعرائنا الغنـائيين المبدعين ، قرأيته ينحو هـذا النحو ، لم يجد فى الديوان تجـربة شعرية ، ولا موسيقى باطنية هامسـة ، ولكنما سمع فى الديوان ، دقات الصـاجات ، ووقفت مبهوتا أسائل نفسى ، أحقا لا يوجد بالديوان تجربة شعرية ، أو قصيدة جيدة ؟ وأنا اعرف أن الناقد البناء ، اذا اراد أن يفتح قلبه وذهنه لقصـائد الديوان ، وجد ، واذا لم يجد ناقدنا الشاب مايريد فلم هذا العنف فى العبارة ؟ ولم هذا الايذاء ؟ ولماذا يسعى الناقد لتسميم علاقاته بالمنقودين ؟

واذا كانت الحقيقة التى يراها عزيزة عليه ، فلم لا يعرضها فى ثوب محبب ؟ وغامت آراء النـاقد فى مخيلتى ، واختفت من ذهنى ، وتحولت اسائل نفسى عن دوافع الناقد وحوافزه لهذا النقد القاسى . واعرف ان الكثيرين من الأدباء تسـاءلوا مثلى ، لماذا ؟ لماذا ؟ . لماذا هذا الايذاء لشاعر كبير ؟ وماذا يفيد النيل من حرمة شعره . ؟

ولست احجر على حرية الناقد فى ان يسـجل آراءه فى كبير أو صغير ، ولكن أعيذه من انحراف اسلوبه وعنفه ، اعيذه من ساديته ومن تعاليه على المنقود ، وحسبانه ان آراءه آراء نهائية .

فللناقد كل الحرية فى ان يبدى آراءه التى يؤمن بها فى شجاعة وصراحة ، له ان ينقد ادباء الجيل الماضى دون رهب من الوهج الذى يطوف بهم ، ولكن عليه ان ينقدهم فى ادب ولطف وتواضع ، كى

لا يتجمدوا ، ويعتقدوا انهم بلغوا الكمال . كما له ان ينقد الجيل الحاضر ، ويقوم اعمالهم ، ويربطهم بالتجــارب والقيم الجديدة ، فى رصانة ورزانة واعتدال .

أقول لهذا لما لمست من وقوع التصــادم بين الجيلين ، لا بل من نشوب المعارك بينهما ، فأدباء الجيل الماضى اذا ابدوا آراءهم فى اعمال ادباء الجيل المعاصر ، يطلقون آراءهم فيهم فى تأله وحسم ، بل فى زراية واســتخفاف فى كثير من الأحيان ، متخلين عما ينبغى عليهم من التحلى بالوقار والكياسة والسماحة . مما يضطر الجيــل المعــاصر الى مقــابلتهم بالمثــل ، وغمط آثارهم ، بل بانكارها انكارا ، وما دفعهم الى حــدتهم الا الدفاع عن حقوقهم المهضومة ، فى شدة وعنف .

واقرب مثال على ما نقول ، المعركة القائمة حول الشــعر الحر ، فقائل انه نثر ، وقائل انه كلام فارغ ، وقائل ان اصحابه لهم لون بعينه ، وانه يقطع الخيط الذهبى الذى يصلنا بتــراثنا العــريق ، ولا يكتفون بذلك ، بل انهم يشنون على هذا الشعر حربا شعواء فى المهرجانات الرسمية ، حملات لدودة تثير الحنق والغيظ ، فأديب كبير يحمل الهراوة لشعراء هذا الشعر ، وشاعر مرموق ، يتحدث فى قصيدته عن بلقيس ، ولا يقف عند موضوعه ، بل يوزع تجربته . ووحدة قصيدته ، مفردا ابيــاتا للحملة على هذا الشعر ، غير حافل بفنية القصيدة ، ولا بالســماحة الواجبة فى المهرجان الذى يضم طائفة من احرار الشعراء ، ولكنه يبغى أن يشــعل العداوة ويؤجج النيران ، ولو أحرق قصــيدته !

ولست ادافع عن هذا الشعر ، فالجديد النامى يدافع عن نفسه ، ويشق فى وثوق طريقه ، ولكنى ادافع عن حرية الفنــان وعن طريقته فى التعبير ، والوقوف فى وجه من يحاول الحجر على هــذه الحرية التى اعدها مقلة من مقل العيون .

وادافع فى الوقت ذاته عن حرية النــاقد الذى لا يروقه هذا الشعر ، على الا يلقى برايه ، دون قراءة مستوعبة لهذا التيار الجديد ويقرأ للمجيدين فيه ، فى جميع البلاد العربية ، من امثال نزار قبانى ، وخليل الخورى بسوريا ، وخليل الحاوى بلبنان ، ونازك الملائكة ، وهلال ناجى وعدنان الراوى بالعراق ، وفدوى طوقان بفلســطين ، ومحيى الدين فارس والفيتورى ، ومحمد عثمان صالح بالسودان ، وحمزة شحاتة ، وناصر ابو حميد بالحجاز ، وناجى علوشى بالكويت ، ومحمد الرقتعى بليبيا ، وغازى القصيبى بالبحرين ، وكمال نشأت ، ومحمد ابراهيم أبو سنة ، وحجازى وعبد الصبور فى مصر وغيرهم من الشعراء ، الذين قرأنا لهم ووجدنا فى كثير من قصائدهم الايقاع والنغم الشعرى المحبب ، والدفقات الشــعورية السيالة ، واثبتنا ذلك فى كتابينا « شعر اليوم والنقد الادبى » .

وسوف يرى المحاربين لهذا الشعر ، ان الخيط الذهبى الذى يصــلنا بالماضى لم ينقطع ، وان الشــعراء الذين ذكرناهم لا لون لهم الا اللون القومى ، فاذا لم يزك لهؤلاء المحايين هذا الشــعر بعد ذلك . فلهم رأيهم فى عدم قبوله ، اما الرفض البات دون قراءة ، فهذا مما يؤخــذ عليهم ، ولا يستساغ بأى حال .

ونحن لا يهمنا الاتفاق ، او الاختلاف على شعر بعينه ، ولكن يهمنا بالدرجة الأولى ، الابتعاد عن اللدد فى الخصومة ، واشعال نيران الموجدة ، بلا مبرر ، ونرى أنه جدير بالنقاد البصراء أن يطفئوا هذه النيران . وان يعملوا على حض الشعراء أن ينجبوا ويكشفوا عن انفسهم فى اصــالة ليبدعوا شعرا ، حقيقيا ، يعبر عن حساسية العصر وقيمه الجديدة .

والى هاتين الظاهرتين السيئتين فى نقد اليوم ، ظاهرية السادية النقــدية . والغض من الانتــاج الأدبى ، وظاهرة الخصومة اللدودة بين النقاد فى القضايا الأدبية ، ومن بينها الشعر الجديد ، فهناك ظاهرة اكثر سوءا هى ظاهرة تكتل بعض النقاد فى الصــحف والمجلات ، لمجــاهدة فريق من الأدباء لا يمتون اليهم بصلات شخصية أو أيدلوجيــة ، والثناء على فريق آخر ممن يوالونهم ، ولو أخرجوا اعمالا ادبية لا طعم لها ولا قيمة ، وهــذه الظاهرة الاليمة ، تدعو ، فى الحق الى النفور والامتعــاض ، وقد شــعر بالمرارة من ذوقها طائفة من الكتاب الشرفاء ، ومن بينهم نذكر الدكتور طبانه فى كتابه

نزعة الايلام فى أدب يحيى حقى

بقلم : سمير أحمد ندا

على الرغم من الحفاوة التى استقبل بها النقاد كتاب « فكرة فابتسامة » آخر مؤلفات الأديب الكبير يحى حقى فقد خرج واحد منهم على اجماعهم ، واعتبره سقطة لا تغتفر للمؤلف • وضرب لحكمه هذا أمثلة تدل عليه ، منها صورة للسيجارة رسمها الأستاذ يحى على هذا النحو :

« هذه المخلوقة الضئيلة الحقيرة • التى لولا ضعف الانسان وحماقته لما قامت لها سوق رائجة تتعزز فيها ، وتتبغدد علينا • هذه الدودة الغليظة المفرومة المصارين ، المحشوة خبثا ، تتلفع بطرحة بيضاء وفى قلبها اقتل السموم •••• »

ويعلق الناقد المذكور على ذلك بقوله : « فلم كل هذا العناء مجافاة الذوق وايذاء ••• القارئين ؟! » • والحق أن هذه النزعة الى الايذاء والتى عدها سقطة فى تاريخ يحيى حقى الأدبى • هى الطابع الذى يتميز به انتاجه • من يوم أن كتب «قنديل أم هاشم » وحتى آخر مجموعة قصصية أصدرها تحت عنوان « عنتر وجولييت » •

فى القصة الاولى ـ قنديل ام هاشم ـ نلتقى ببطلها الدكتور اسماعيل عقيب عودته من الخارج • استبدت به الثورة على بلده واهله واخذ العنف منه كل مأخذ • فنراه يقول :

« هؤلاء المصريون جنس سمج ثرثار ، اقرع امرد ، عار حاف بوله دم • وبرازه ديدان يتلقى الصفعة على قفاه الطويل بابتسامة ذليلة تطفح على الوجه ••• ••• ••• ومصر قطعة مبرطشة من الطين أسنت فى الصحراء تطن عليها أسراب من الذباب والبعوض ويغوص فيها الى قوائمه قطيع من الجاموس نحيل •• » ••

أليست هذه السطور أشد ايلاما ، من النماذج التى استحضرها ذلك الناقد ! ! بل ان هناك بين تضاعيف مجموعاته القصصية ما هو أبعث على الايلام من تلك السطور أيضا • مثال ذلك قصة (عقرب أفندى) من مجموعة (أم العواجز) وهى تتناول مدرسا كان يقسو على تلامذته • وبعد حقبة من الزمن آلمته أسنانه ، فالتمس علاجها ، لدى طبيب كان لسوء الحظ أحد تلامذته ، ولنتركه يروى لنا طرفا من هذا اللقاء :

« ••••• لم أتمالك نفسى من تذكر أيامه السود ، وما قاسيته على يديه من الأهوال ، وتعذيبه ايانا بلا ذنب جنيناه وقلت ان قدومه الى برجليه لدليل على أن هذه الدنيا ـ مهما قيل فيها ـ لا تخلو أحيانا من العدالة • وليصبر المتهم المظلوم فان الزمن سيسير دورته فاذا به يحاكم من حكم عليه من قبل• وحمدا لله ! اذ قسمت لى مهنة طب الاسنان ••• ولكننى ترددت قليلا أأنتقم أم أصفح ؟ ! وأخيرا قلت ان الصفح يتاح فى كل وقت أما الانتقام فلا يتاح الا مرة واحدة ، وهذه مرتك فلا تدعها تفلت من يديك ••• »

القيم « الاتجاهات المعاصرة فى النقد الأدبى » فدعا الى مجاهدتها والى العمل على تنقية الجو النقدى من شوائبها .

وما احب الينا من مشاركته فى دعوته النبيلة لمجاهدة هذه التحزبات البغيضة ، ومجاهدة « السادية النقدية ، والحملات الظالمة القاسية الموجهة الى دعاة التجديد لمسايرة الروح التعاونى الاشتراكى الجديدة ، التى نمت فى المجال السياسى والاقتصادى ، ومن الواجب ازدهارها فى المجال الأدبى والنقدى .

مصطفى عبد اللطيف السحرتى

ويبدأ الطبيب انتقامه فيدعي لأستاذه السابق - كذبا - ضرورة خلع أسنانه ويوافق هذا تحت وطأة الألم · ويتلقف ذلك الطبيب هذه الموافقة ويباشر عمله ·· فلا يضع له المخدر اللازم ويظل يتلقل ضروسه فى اللحم الحى فترة طويلة قبل انتزاعها وهكذا انتقم ·

بل وتبلغ نزعة الايلام عند أديبنا الكبير الى حد دموى رهيب فى قصة (سوسو) من مجموعة (عنتر وجولييت) وهى تدور حول طفل (سوسو) يصفه راوى القصة بقوله : « وهكذا حل فى دنيانا مسخ غريب قطعة من اللحم تنمو وتكبر وتتلوى ولا شيء غير ذلك » وتلح عليه فكرة قتله ، وفى مناسبة عيد ميلاده ، يسقط من بين يديه - سهوا - الى الشارع ممزقا ، وتضيع المسئولية بين الراوى وصديقه والد القتيل · ربما تساءلنا أليست هذه قسوة ؟ ! فيجيبنا نيتشه فى كتابه « الحكمة الرائعة » وبصدد موضوع مماثل « الا يكون الأمر أشد قسوة أن تسمحوا للطفل بأن يحيا ؟ !···»

ويشارك يحيى حقى الى جانب نيتشه أكثر من أديب ، فى هذه النزعة الايلامية منهم مثلا دستويفسكى وجان بول سارتر · يصور اولهما الثوانى الأخيرة من حياة محكوم عليه بالاعدام على لسان الامير موتشكين فى رواية الأبله لجترىء منها بهذه السطور كقوله :

« ··· هناك مسألة لا يمكن أن ننساها هى أنك لا تستطيع الاغماء · وحول هذه المسألة يدور كل شيء · ولنتصور أن هذه الحال تستمر حتى آخر ربع ثانية · وعندها يمر الراس من الطوق وتنتظر وتعلم ، ثم فجأة تسمع السكين تنزلق فوقه· لاشك أنها تسمع ولو أنني كنت شخصيا ممدودا على الخشبة لارهفت اذنى ولسمعت الصوت وهو ربما لا يصدر الا لجزء من البرهة · ولكننا لا يمكن الا أن نسمعه ولنتصور أننا لا نزال الى اليوم نود أن نعرف هل الراس لا يدرك فى الثانية الأولى بعد قطعه أنه قد فصل عن الجسد ؟!»

وعلى الرغم من بشاعة هذا التصوير فقد اعتبرت هذه السطور من أصدق ما كتب فى المطالبة بالغاء عقوبة الاعدام ·

ولجان بول سارتر نماذج كثيرة فى هذه النزعة نذكر منها مسرحية ··· موتى بلا قبور التى تدور حوادثها أثناء فترة الاحتلال النازى لفرنسا وتروى طرفا من المقاومة السرية · ولنتأمل هذه المحاورة التى دارت بين جان وحبيبته لوسى بعد أن عذبها الألمان وانتهكوا عرضها ·

« جان - انني ألمح الجفاف فى عينيك · وأدرك أن قلبك يحترق ولكن لا يبدو عليك أثر للألم أو قطرة من الدموع · لقد استحال كل شيء فيك من فرط التوهج الى بياض · ينبغى أن تتألمى لكونك لا تحسين بالألم !!!

لوسى - قطرة من دموع ؟ ! اننى لا أتمنى غير شيء واحد أن يأخذونى · مرة أخرى ويضربونى حتى السوذ بالصمت وأسخر منهم والقى فى قلوبهم الرعب » ·

ان استمراء لوسى للألم على هذا النحو يذكرنى باحدى قصائد وليم بليك التى يقول فيها : « كنت أتنقل بين نيران الجحيم مغتبطا » ولعل تجسيد سارتر للألم على هذا النحو ، هو الذى دفع جابريل مارسيل الى اتهامه بالسادية ·

وهنا يبرز سؤال عام عما اذا كانت نزعة الايلام عند يحيى حقى ودستويفسكى ترجع الى نفس السبب الذى زعمه مارسيل ؟ ! المعروف أن السادية حصول على اللذة الجنسية عن طريق ايلام كائن بشرى أو حيوانى · فاذا اتفقت نزعة الايلام تلك مع السادية مظهرا فانها ولا شك تختلف عنها جوهرا ؛ وما ذلك الا لأن تلك النزعة لا تقصد الايلام للذة الجنسية وانما سعيا وراء غايات أسمى

وأنبل هي عند دستويفسكي تحطيم أسباب النفاق الاجتماعي وهي عند سارتر تاكيد معنى الحرية كجوهر للوجود الانساني . وأخيرا هي عند يحيى حقي كـما يقول كاتب فاضل « أن يصلح الناس احوالهم وأن يطهروا نفوسهم » وتفسير ذلك نجده في طبيعة اللامنتهى الذي يقـول فيـه (كولن ولسن) :

« ان رؤيته للعام ، رؤيا العـذاب والمرارة والشقاء ولاشك أن هذه الرؤية المتشائمة تقود الى العنف والقسوة... فاللامنتهى يكـافح من أجـل تركيز الادراك بواسطة الألم لأنه يمثل لديه الاقتراب من الواقع والترياق ضـد الحماقة الانسانية .... » .

وعلى ضوء هـذا التفسـير تنزاح غواشي مظهر العنف ويبرز الجوهر نقيا نبيلا صـادقا وكذلك نستطيع أن نفهم على مدى انتشـار ذلك الضـوء التفسيري قول الاستاذ يحي حقي في شأن الفاظه المنفرة العنيفة التي يبثهـا في ثنايا قصصه : « انه لا يقصد منها الا أن يشعر الناس بقيمة الجمال » .

ورجل هذا منهجه لا يقـال عنه أبدا انه مجاف للذوق الرفيع .

سمير ندا

موسيقى من أرض المعراج

تكبيرة الزحف

للشاعر محمود حسن اسماعيل

سيظل ينهش في عروقي ثارها ... حتى تكبر للصباح ديارها
حتى يعود النيل فوق ترابها ... أشلاء ليل ، شب فيه نهارها
حتى تذوب مع الظلام خيامها ... وتعود تكتسح الدجى أسوارها
حتى يداهمها الضحى بيمينه ... ويفك من لهب القيود اسارها
حتى يراق دمي على جنباتها ... وبه من التاريخ يغسل عارها
حتى يهلل فرحة شهداؤها ... للنور يخه ل فجره أحرارها
حتى يبيد الغاصبون بأرضها ... وتبيد فوق رفاتهم أوزارها
حتى تزمجر بالفيالق حومة ... عربية لا يستريح اوارها
حتى تعود الى الديار ، غريبة ... لكتائب الابطال نظما نارها
ويكبر الجبل الجليل لموكب ... تهفو اليه سهولها وقفارها
ويد العروبة في السماء كأنها ... بشرى من الرحمن عاد مزارها
فيها مع الاقدار موعد أمة ... غضبت وحقق ثارها ثوارها
فيها جزاء الغاصبين ، وانه ... لنهاية للظلم حان قرارها
فيها فلسطين الجريحة أجهشت ... بقضية في البغي طال حوارها
فيها ليوم الزحف غضبة مارد ... أبلى أساطير الطغاة شرارها

***

قل يا جمال ، ونحن شلال اللظى ! ... نحن المنايا جددت أعمارها !
الوحدة الكبرى طريق نضالنا ... للنصر .. مهما كابدت أسفارها !
سنسير نقتحم العواصف والدجى ... مهما تكاثف حولنا استارها
سنسير نخترق السدود ، ونبرى ... حتى كهوف الكيد نحن دمارها
وغدا لاسرائيل غضبة زاحف ... بالهول يفهق بالجحيم سعارها
غصبت تراب الانبياء برجسها ... وهي التي أغرى بهم أشرارها

***

أرض النبوات التي لولا الضحى ... من كفها ، طمس العقول غبارها
كانت مصابيح الوجود . لظلمة ... في الغرب يصخب كالخضم مدارها
كانت نهارا عالما .. من حوله ... ليلات جهل ما يزاح ستارها
غذت الحياة ، ونورت أرجاءها ... وعلى الضياء تفتحت ابصارها
دار الزمان بغدره وببطشه ... وطغى الدجى وتألب استعمارها !
وأتى الصباح .. وتلك آية فجره ... للعرب يسطع كالنهار نهارها
بقيامة قومية عربية ... بالوحدة الشماء شع منارها
يحدو مقالدها وتحدو خطوه ... عين السما ، وتصونه أقدارها !

محمود حسن اسماعيل

بعد مؤتمر القمة

للشاعر محمود عماد

اوعى صيارفة الكلام ما قد عناه العم سام ؟
العالم المتمدين الدا عى الى سبل السلام
لما راى العرب اهتدوا بعد الخصام الى الوئام
وتعاهدوا أن يدفعوا عن مائهم دفع الكرام
قال اغتصاب الماء حل والدفاع هو الحرام
ولقد رآهم يغصبو ن الارض قبلا والخطام
ويشردون الاهل عنها وهو يمعن فى ابتسام
ويمدهم بالرأى والما ل المكدس والحسام
من يذبح الاحياء يا بى أن يبيل لهم أوام
انما أبى يوما علينا الرى من سد يقام ؟
سطى يفوتها عليه بمصر كافلها الهمام !
وأحال أمواج القنا ة حجارة صلدا تقام !
فاذا لنا سدان لا سد وملك لا يرام !

***

هى شرة فى العم سام تزداد عاما بعد عام
ماذا جنى الزنجى حتى فى مواطنه يضام ؟
ماذا جنى الشرق البعيد فبات عنه لا ينام
اعو الوصى على شعو ب الشرق من دون الأنام ؟
قد كان يتبع رأى (منرو) فى اعتكاف واعتصام
أيام كان المال يعو زه ويقعده السقام
أما وقد أثرى وصح فلى تخوم الارض هام
وعلى كنوز الشرق مثل سحابه فى الغرب حام

جئتم بالعصى ثم قلتم فى مخادعكم تنام
وعليكمو أن تمنحو ها الماء وفرا والطعام
ومتى تعضكمو فلا تستغضبوها بالملام
بل طامنوا أجسادكم لتعمها منها السمام
كرم على الرقطاء منكم أيها الكرماء دام
لكن علينا لا عليكم لرمته فهو اجترام
من يكرم الاضياف فليكر مهمو انى اقام
فاسترجعوا الرقطاء او ستری غدآ بين الرمام

اليوم داوينا الجرو ح فكلهن الى التئام

محمود عماد

رمضان في الأدب

بقلم: محمد ابراهيم الجيوشي

رمضان في حياة المسلمين ظاهرة فريدة لها أثرها النفسي والروحي ، وسلطانه على السلوك والاخلاق واضح ملموس .

وأثر رمضان ينتظم كل أفراد المجتمع الاسلامي ، فالناسك يستقبله بالاقبال على نسكه ، والنشاط في عبادته والاكثار من صلاته وسجوده وقراءته ، والمقصر يجد فيه فرصة يعوض فيها ما فات ، ويصلح ما أفسد ، ويقوم ما اعوج من سلوكه ، ويجدد ما بلي من تقواه ، ويحفظ من لسانه ما انطلق ، ويستقيم فيه من جوارحه ما نبا ، ويشف من أحساسه ما غلظ ، ويصفو من روحه ما علق به من شوائب الاثم والخطايا .

واذا كان الكبار يملئون المساجد بالصلوات ، ويرفعون أصواتهم بالتهليل والتكبير ، يعمرونها ويجددون لها البسط ويزيدون في الاضاءة ، فان الصغار يزحمون الشوارع بالفوانيس غادية ورائحة ، وينتظرون الأذان انتظار الملهوف ويرفعون أصواتهم بالبشرى عندما تتلقف آذانهم صوت المؤذن يعلن انتهاء الصوم ، وبدء الافطار .

وربات البيوت يستقبلن رمضان استقبالا حافلا ، ويهيئن له من ألوان الاطعمة والحلوى ما ينطق بحذقهن ومهارتهن في تدبير المنزل والقيام على شئونه .

ورمضان بايحاءته الروحية ومظاهره المختلفة له في نفوس الشعراء أثر في وجدانهم ومشاعرهم ظل محبب أو كريه ، وعلى قدر ما تحمل نفس الشاعر من عاطفة نحو رمضان يعطينا صورة من فنه تعبر عن عاطفته تعبيرا صادقا سواء رضينا عن مسالك هذه العاطفة أو كرهنا .

ومن هنا كان للشعر موقف في استقبال رمضان وآخر في وداعه وموقف يصور رسومه ومظاهره ، ويتفنن في وصف موائده وحلواه ، وكل ذلك تجد فيه المستقبل الفرح الباش ، والبرم المستكره الملول .

ولابن الرومي أبيات يذكر فيها قدوم رمضان ، ويراه شهرا مباركا ما لم يأت في الصيف ، وهو يقبل على صومه خشية العذاب الذي يحل بمن يقدم على الافطار فيه ، فكان صومه هذا موقعا له في العذاب الذي فر منه وخشي من آلامه ..

شهر الصيام مبارك
ما لم يكن في شهر آب
خفت العذاب فصمته
فوقعت في نفس العذاب

ويأتي بعده من يرى نهار رمضان في طوله يوم الحساب ، ويرى ليله بسماره وندواته ليل تواصل وعتاب بين أحباب فيقول :

واليوم فيه كأنه
من طوله يوم الحساب
والليل فيه كأنه
ليل التواصل والعتاب

أما الصاحب بن عباده فقد وقف يرد عن الصوم اتهامات المتطلقين الذين يرون فيه قيدا يحول بينهم وبين شهواتهم ، ويكشف عما فيه من تصفية للنفس ونقاء للضمير في النهار يجعل الصائم بعيدا عن الريبة وينظم عقد الصائمين في الليل في رحاب بيوت الله حين يقول :

قد تعدوا على الصيام وقالوا
حرم الصب فيه حسن العوائد
كذبوا في الصيام للمرء مهما
كان مستيقظا أتم الفوائد
موقف بالنهار غير مريب
واجتماع بالليل عند المساجد

وفي أيام الدولة الفاطمية كان لخلفائها اهتمام بالمواسم والأعياد الاسلامية ، وكانوا يجلسون للتهنئة ويتلقون مدائح كلما جاء رمضان أو ودع ، وكان طبعيا ان يمزج الشعراء مدائحهم بالاشادة بشهر الصيام والدعاء للخليفة بالاقامة على صيامه واعلاء شعائره ، وهذا الامير تميم بن المعز يمدح الخليفة العزيز بالله ، ويهنئه باقبال شهر رمضان فيقول :

ليهنك أن الصوم فرض مؤكد
من الله مفروض على كل مسلم
وانك مفروض المحبة مثله
علينا بحق قلت لا بالتوهم
فهنئته يامن به الله قابل
من الخلق فيه كل نسك مقدم
ولا زلت منصورا على فرض صومه
ومعتصما بالله من كل محرم

وكثير من الشعراء قد ودعوه بفرحة أشبه بالشماته وان تواروا خلف الفرحة باستقبال العيد وتحية هلاله ، ويمثل هذا الاتجاه قول الجزار الشاعر :

أن هـلال الفطر لما بدا
مستحسنا في أعين الناس

وددت أن الشمه عندما
راح يحاكي شفة الكاس

بل ذهب الطغرائي ليرى الى أبعد من ذلك فتخيل هلال الفطر منجلا يحصد شهر الصيام ، ولهذا دعا أصحابه الى الاقبال على اللذات واحياء مجالس الانس على نغمات العيدان ورنين أكواب المدام حين ينادى أصحابه بقوله :

قوموا الى لذاتكم يا نيام
ونهبوا العود وصفوا المدام

هـذا هـلال الفطر قد جاءنا
بمنجل يحصد شهر الصيام

وقد تنقل هذا المعنى على ألسنة الشعراء حتى تلقاه شوقي في العصر الحديث فاضفى عليه من موسيقاه العذبة وجرسه المشجى وبيانه الخلاب في أبياته المشهورة :

رمضان ولى هاتها يا ساقي
مشتاقة تسعى الى مشتاق
ما كان أكثره على الافها
واقله في طاعة الخلاق
الله غفار الذنوب جميعها
ان كان ثم من الذنوب بواقي

وقد ارتبط مجيء رمضان في أذهان طائفة من الشعراء ـ خاصة في العصرين المملوكي والعثماني في مصر ـ بالوان الحلوى التي تكثر فيه عند الناس كالكنافة والقطايف ، فاخذوا يتسابقون في وصفها ويتفننون في بيان محاسنها ، ويصوررون شوقهم اليها حتى يستحب أن شهر الصوم ما هو الا شهر الحلوى والأطعمة الفاخرة ، واصبح استقبال رمضان مقرونا بما يقبل عليه الناس فيه من الأطعمةوالحلوى فهذا ابن هبة الله المصري يقول :

واني الصيام فوافتنا قطائفه
كما تستمت السكثبان من كثب

أهلا بشهر غدا فيه لنا خلف
اكل القطائف عن شرب ابنة العنب

من كل ملفوفة بيض الى أخد
حمر من القل تشفى جنة السغب

وقد أكثر شعراء العصرين المملوكي والتركي من الحديث عن حلوى رمضان وأداروا حولها كثيرا من قصائدهم وحسبنا أن نشير الى قصيدة لابن نباتة المصري قالها لما أهدى اليه نوع من الكنافة يسمى (كنافة محتقة) قال :

يا سيدى جاءتك في صدرها
كانهار روحي في صدري
كنافة بالحلو موعودة
كما تقول العسل المصرى
قد خنقتني عبرتي كاسمها
وبادرت من خلفها تجرى
ما خرج الفستق من قشره
فيها وقد أخرجت من قشرى
ونشرها من طيها لم يفح
فاعجب لسوء الطى والنشر
فهاك حلوا قد تكفلته
ولا تسل عنى وعن صبرى
كانها الدمية لكنها
لا نفحة العرف ولا القطر
لا زلت في الدهر كما تبتغي
وفوق ما تبغى من الدهر

وكما حظيت حلوى رمضان بنصيب وافر من اهتمام الشعراء في العصرين المملوكي والتركي كذلك حظى فانوس السحور باهتمامهم وجذب انتباههم حتى ليروى على بن ظافر أنهم اجتمعوا ليلة في جامع عمرو بعد صلاة العشاء وقد أوقد فانوس السحور فاقترح بعضهم على ابى الحجاج يوسف بن على أن يصنع فيه شعرا فقال على البديهة :

ونجم من الفانوس يشرق ضوءه
ولكنه دون الكواكب لا يسرى
ولم ار نجما قط قبل طلوعه
اذا غاب ينهى الصائمين عن الفطر

قال ابن ظافر : فعبت عليه البيت الثانى لعدم دقة معناه فأنشد ثانية :

هـذا لواء سحور يستضاء به
وعسكر الشـهب فى الظلماء جرار
والصائمون جميعـا يهتدون به
كأنه عـلم فى رأسـه نار

واقبل عدد آخر من الشعراء على الانشـاد فى فانوس السحور ومقال سـائر لا يتحمل عرض ما أنشد فيه :

وفى رمضان يصعد المؤذنون على المآذن ينادون النوام أن يستيقظوا للسحور ويوشون نداءهم هذا باشعار يرددونهـا فى نغم شجى فى وقت السحر وهذا هو ما يعرف بالتسحير .. ومما يقـال فى ذلك :

ايها النـوام قوموا للفـلاح
واذكروا الله الذى أجرى الـرياح
ان جيش الليـل قـد ولى وراح
وتدانى عسـكر الصبح ولاح
اشربوا عجلى فقد جاء الصـباح

وهناك بعض المنظومات الأخرى كتبت لتنشـد فى العشر الأواخر من رمضـان يرددها المؤذنون والمسحرون .

أما فى العصر الحديث فلم أعثر لغير شوقى عـلى قصائد فى رمضان الا للأستاذمحمود حسن اسماعيل وجدت له قصيدة بعنوان « ناسك » الزمن .. لهـا طابعها الخاص جمع فيها الشاعر كل خلجاته ازاء هذا الشهر الكريم ولم يفته ان يسـجل مظاهر الافراد وحياة المجتمع فى رمضان .

بداها بحوار بينه وبين رمضان يسأله ويعجب من شانه فيقول :

أضـيف انت حل عـلى الأنام ؟
واقسم ان يحيـا بالصـيام
قطعت الدهر جـوابا وفيـا
يعود مزاره فى كل عـام
تخيم لا يحـد حمـاك ركن
فـكل الأرض مهـد للخيام
نسـخت شـعائر الضيفان لما
قنعت من الضـيافة بالمقـام
ورحت تسن للأجـواد شرعا
من الاحسان علوى النظـام
بان الجـود حرمان وزهـد
اعز من الشراب او الطعـام

ثم يصور ترقب الصائمين لصـوت المؤذن يعلن انتهاء النهار لا يقدر واحد منهم أن يسبق النـداء أو أن يرفع صوته . بل ينتظم الجميع فى خشـوع فيقول :

جعلت الناس فى وقت المغيب
عبيـد ندائك العاتى الرهيب
كم ارتقبوا الأذان كأن جرحا
يعـذبهم تلفت للطبيب
واتلعت الرقاب بهم فلاحـوا
كركبـان على بلد غريب
عتاة الأنس أنت نسخت منهم
تذلل أوجه ، وضـنى جنوب

وفى مقطوعة ثالثة يصور المآذن ، وما يتلألأ فوقها من أضواء كأنها نور من الوحى يذكر بالهـداية ، ويبث فى النفس الاشراق ويعمر القلوب باليقين ، ويبعث فيها ما غفا من دوافع الخير :

تلفت للمآذن حاليـات
كحوريات خلد سـافرات
تفوح مباخر النساك منهـا
فتحسـبها غصونا عاطرات
تلالا حولهـا اطـواق نور
مضيئات بحبك هائمـات
كأنك حامل وحيـا اليها
وقفن لسحره متلهفـات
اذا صاح الأذان بها أرنت
بالهـام كموج البحر عات
يذكر بالهـداية كل ناس
ويوقظ كل غاف للحيـاة

محمد ابراهيم الجيوشى

تعقيبات

بقلم : عباس خضر

كان ظهور الاستاذين الكبيرين طه حسين والعقاد على شاشة التليفزيون مادة طيبة لزملائنا الصحفيين .. اذ جعل الكتاب يعلقون على ما تحدثا به من آراء، وراح المندوبون يجمعون الاقوال المؤيدة والمعارضة لوجهات النظر التي أبدياها في مختلف الشئون .

والواقع أن كل ماتحدث به الاستاذان لا جديد فيه الا ما قاله الدكتور طه حسين من أن التعليم الازهري أصبح سطحيا.. وكل ما قالاه عدا هذا معروف عنهما، كتباه وأدليا ببعضه في أحاديث صحفية . فكثيرا ما قال طه حسين ان الشباب لا يتعمقون ما يقرءون واتهم الادباء منهم بالخطف .. خطف المسائل والمناقشات دون التريث والتفهم ، وأعرب عن رأيه في مسرح اللامعقول وما كتبه فيه توفيق الحكيم في حديث مع أنيس منصور ، وقال مرة في حديث مع كامل الشناوى انه لا يسمع الموسيقى العربية ولا الاذاعة العربية ولا يحضر الا المسرحيات الاوربية ، وكان حريصا دائما على موسمها في الاوبرا .

وكذلك العقاد..كل ما قاله على شاشة التليفزيون وأثار الصحافة والكتاب الصحفيين .. كتبه وردده حتى أصبح معروفا عنه .. رأيه في المرأة ووجوب لزومها البيت وتربية الاطفال ، ورفضه للادب الجنسى الذى يقصد به الاثارة ، ومعارضته للادب الجنسى ومسرحيات توفيق الحكيم التى كتب في تفنيدها والسخرية منها عدة مقالات في الاخبار ..

كل ذلك معروف لا جديد فيه ، ولكن الصحافة دائما تجذبها الشهرة وتحرص على اشباع الفضول لدى الجماهير ، الفضول الذى يجذبه بريق القشور ولا يجد شهية للباب .

وهذا الاهتمام الكبير بالاستاذين الكبيرين ، أو بالاحرى ظهورهما وحديثهما بالتليفزيون له دلالتان الاولى تدعو الى الارتياح والاغتباط ، وهى التفات جماهير الناس وممثلتها الصحافة الى الادب والادباء والى أن في هذا المحيط ما يمكن ان يكون موضع الاهتمام ، لا نجوم المسرح والسينما وأبطال الرياضة فقط ..

أما الدلالة الثانية فتدعو الى عكس الارتياح والاغتباط .. لانها تدل على أن الادباء وكتاباتهم وافكارهم في واد وهذه الكثرة من الناس وممثلتها الصحافة في واد آخر ..

يكتب الادباء ما يكتبون في الكتب وحتى في الصحف فلا تكاد كثرة الناس تلتفت الى شيء مما يقولون الا اذا كان معركة سلاحها السباب والنيل من الاشخاص ، أو كان غريبا يسترعى الانظار كاللامعقول والهجوم على المرأة العاملة .

فاذا ما أتى الادباء على شاشة التليفزيون امام الجماهير عرفت آراؤهم واخذت على أنها أشياء جديدة تستحق الاهتمام والترديد واخذ الاحاديث حولها من كل من يعنيهم الامر ..

وهناك أمر ثالث دلالته أسوأ .. فليست الجماهير فقط هي المعزولة عن الادب والادباء أو تكاد .. بل ان الاستاذين الكبيرين يرفضان كل مظاهر التقدم في مجتمعنا الحاضر .. المرأة العاملة يجب أن تعود الى البيت لتقاسم زوجها جنيهاته وتشتبك معه كل يوم في « مصاريف البيت » وتجتمع بجاراتها وصواحبها للحديث والبحث عن آخر أخبار الزواج والطلاق والعلاقات الاخرى .. هذا اذا رضى الشبان أن يتزوجوا من قعيدات يستنفدن جنيهاتهم المعدودة .. ولن يرضى أكثرهم بهذا ، **فتكون النتيجة أن تعود المرأة الى البيت فلا تجد البيت !**

والتعليم الازهرى سطحى .. لانه تحرر من قيود « الحواشى » وتقديس أقوال لا توائق العصر ولا تعبر عن روح الدين الحقيقى ، **وتحرر من العزلة التى ثار عليها قديما الطالب القديم الشيخ طه حسين .. وانطلق يجدد حياته بما يلائم العصر !..**

وجيل الادباء التالى لاولئك الاســـاتذة الكبار سطحى وجاهل ويكتب الادب الجنسى الذى يعرف (بضم الياء) انه أدبجنسى من غير أن يقرأ ٠٠ لان هؤلاء الادباء يكتبون عن الاساتذة الكبار مالا يرضيهم وينتجون الوانا من الأدب ترفضها أذواقهم وقس على ذلك بقية المسائل ٠

النقد ٠٠ وهل له قواعد ؟

هذا ، ولم يكن كل ما عقب به فى الصحف على هذا الموضوع خاليا من الفائدة ، **فقـــد عنى انيس منصور بالمسألة عناية موضوعية جدية ،** اذ تتبع أهم النقط التى أثيرت واتصل بالعقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم يسألهم التفسير ورأى بعضهم فيما قاله به الآخر ٠ وأتى من ذلك بمحصول لا بأس به

ومن أهم تلك النقط ما دار حـــول النقد : قال العقاد فى التليفزيون ان طه حسين لم يقدم قواعـد جديدةللنقد الادبى ٠ وقالطه حسين لانيسمنصور: انا لا اومن بقواعد النقد ، فالنقد هو الذوق ، وقد اعلنت هذا الرأى فى مقدمة كتابى (الادب الجاهلى) وسأل انيس توفيق الحكيم عن رأيه فى ذلك ،فقال: النقد يعتمد على الاثنين ٠٠ على القواعد وعلى الذوق، ونحن نريد من الناقد عادة أن يقول لنا ان كان يحب هذا العمل الادبى أو لا يحبه ٠٠ فاذا لم يحبه يجب أن يفسر لنا ذلك ، واذا احبه يجب ان يشرح لنـــا الاسباب ٠

والواقع أن هذا موضـوع جدل قديم جدا ثار فى أوربا وأمريكا منذ أكثر من قرن ، وهو موضـــوع الخلافبين مذهبينمن مذاهب النقدة : المذهب الذاتى أو الانطباعى ، والمذهب الموضوعى ٠

كان نقاد المذهب الاول يقيسون العمـــل الادبى بمجرد تأثرهم به ووقعه فى نفوسـهم ، ويرون من الحذلقة الفارغة البحث فى القـواعد والاصول التى ينطبق عليها أو لا ينطبق هذا العمل ٠ فجاء بعدهم « الموضـــوعيون » وثاروا على الذاتيين قائلين بأن « الموضوعية » تقضى بأن يقيم العمل بطريقة علمية تعنى بوضعه فى موضعه من مذاهب الادب ، وتفسر وتدلل على ما تقولكما يعنى القاضيبحيثيات احكامه، وغالت ثورة الموضوعية على الذاتية حتى كادت تنكر الذوق والتأثر ٠٠

وشيئا فشيئا ، وبعد ما ذهب ما يكون عادة من غبار الثورات الفكرية ، استقر الامر بين النقاد على ان النقد المتكامل هو الذى يجمع بين مزايا كل من المذهبين ، فالتأثر والتذوق أولا، ثم التعليل والتدليل بالمقاييس الموضوعية ٠

وبذلك حسم الخلاف حسما عمليا بين التأثرية والموضوعية فى النقد الادبى ، واصبح الخلافبينهما كالمناظرة بين السيف والقلم ٠٠

أول صحفية فى مصر

استمعت الى الاستاذ **مصطفى امين** يتحدث فى برنامج « خطوة عزيزة » باذاعة صوت العرب،ويقول **ان امينة السعيد كانت أول صحفية تباشر العمـل الصحفى فى مصر** وأن اللائى كن قبلهـا يكتبن فى الصحف انما كن يفعلن من منازلهن ٠

وكثيرا ما نسمع ونقرأ مثل هـــذا الحكم الذى يخالف الواقع الماضى ، مما يدل على انقطاعنــا عن تاريخنا الصحفى والادبى ٠

كمصحفيا او كم أديبا أو ناقدا عندنا يعرف شيئا عن « لبيبة هاشم » الكاتبة الصحفية والقصصيـة العربية التى بدأت تكتب وتترجم فى أواخر القرن التاسع عشر ٠٠ ؟

كان ذلك أولا فى مجلة « الضـــياء » التى كان يصـــدرها أستاذها ـ أســـتاذ لبيبة ـ ابراهيم اليازجى ، وقد نشرت بها عدة قصص قصيرة مؤلفة ومترجمة ، أولها قصة « حسنات الحب » ـ نشرت سنة ١٨٩٨ ـ وهى قصة فتاة جميلة فىثياب راهبة طرقت باب احدى الأسر ٠ ففتح لها البواب الذىفتن بجمالها ، وقالت لصاحبة القصر انها راهبـــة من أخوات المحبة فى مصر أرسلتها رئيسة الدير لبعض الاغراض فى تركيا ، وقدجاء عليها الليل فىالطريق فلجأت الى هذا القصر لما سمعت عن أهله من كرم الأصل والاخلاق ، وتريد أن تبيت الليلة ،فرحبت بها صاحبة القصر ، وانزلتها فى احـدى غـرفه ، **واستبد بالبواب الشوق الى رؤية الفتاة التى وقع حبهـــا فى قلبه أول ما رآها فتسلل الى غرفتهـــا ونظر من ثقب الباب فرآها مدججة بالسلاح ٠٠ وقد خلعت ثياب الرهبنة ، وتتدلى من حزامها سلسلة مفاتيح ٠٠ ورآها تشير بالمصباح الى آخرين فى الخارج ٠٠٠ وكشف أمرها لسادته ٠ وقبض عليها**

رجال الشرطة هى وافراد العصابة . وكان كشف امر هذه القصة من « حسنات الحب » .

ثم نزلت لبيبة هاشم الى ميدان العمل الصحفي المباشر في مجلتها « فتاة الشرق » التى صدر أول عدد منها سنة ١٩٠٦ وقد عنيت فيها بشئون المرأة، واستمرت فى كتابة القصص بها ، الى جانب المقالات الصحفية . وقد نشرت فيها قصتين طويلتين لهافى حلقات مسلسلة ، ثم جمعت كلا منهما فى كتاب ، وهى « قلب الرجل » و « شيرين » . **وقصص لبيبة هاشم القصيرة والطويلة من أوائل الاعمال القصصية العربية فى العصر الحديث .**

وقد دعيت لبيبة هاشم الى المحاضرة فى الجامعة المصرية القديمة ، فالقت عدة محاضرات ، ثم سافرت الى سوريا سنة ١٩١٩ وتولت التفتيش هناك فى مدارس البنات . ثم هاجرت الى جمهورية شيلى بامريكا الجنوبية سنة ١٩٢١ وانشات فى مدينة شيكاغو مجلة « الشرق والغرب » ولكنها عادت الى القاهرة سنة ١٩٢٤ فتابعت اصدار مجلة « فتاة الشرق » الى أن توفيت سنة ١٩٤٧ .

وكان باب القصص فى هذه المجلة - كما كان فى مجلة « الضياء » - هو باب « الفكاهات » ومما قدم فى هذا الباب « الفكاهى » قصة لخليل (افندى) مطران عنوانها « نايف وصالحة » قال فى أولها :

« اكتب لقراء فتاة الشرق قصة عاينت وقائعها لهم كما شاهدتها بلا ترتيب ولا تحلية ولا التماس حيلة مما يراد به فى القصص زيادة التاثير»

ولكنا نرى المجلة - فتاة الشرق - تنشر فى سنة ١٩١٩ **قصة لمنصور فهمى** بعنوان « التوبة » وتكتب تحت العنوان « بقلم حضرة الكاتب الاجتماعى القدير الدكتور منصور فهمى » **وقد نشرت هذه القصة فى غير باب « الفكاهات » المخصص للقصص ..** ولعل ذلك لان القصة لم تكن على غرار القصص التى كانت تنشر فى ذلك الوقت وما قبله ، فنشرتها على أنها مجرد مقال .. كانت قصة « التوبة » قصة واقعية بالمعنى الحديث للمذهب الواقعى فى الادب. ثم نشرت المجلة بعد ذلك بثلاثة أشهر قصة أخرى للدكتور منصور فهمى نشرت فى باب القصص أو باب الفكاهات .. قد يكون ذلك تصحيحا للوضع بناء على اعتراض الكاتب ، وقد يكون لسبب آخر . **والقصة الثانية عنوانها « ابن الحاج نصر » وترسم شخصية ابن الحاج كنموذج لعزيز قوم ذل رسما واقعيا مبكرا فى حياتنا القصصية** ، وتعبيرها رائد فى التعبير الادبى الذى يدنى العامية من الفصحى أو يرفعها اليها . تبدا القصة هكذا على لسان البطل

« **وانا ذا ابن الحاج نصر .. الله .. الله .. ما الذى حل فى الدنيا ؟** »

ولم يمض الاثنان - خليل مطران ومنصور فهمى - فى الكتابة القصصية ، وقد احسن الاول بتحوله عن القصة الى الشعر ، فقصته لا يمكن أن تكون قصة .. أما منصور فهمى فقد انصرف الى نواح أخرى من الكتابة والنشاط الثقافى ، **ولو أنه ثبت فى ميدان القصة لكان لنا منه كاتب قصصى من الرواد .**

وبعد فهل كانت لبيبة هاشم أول صحفية باشرت العمل الصحفى فى مصر ؟ لا اريد ان اجازف كما جازف الاخ مصطفى امين بقوله مثل ذلك عن امينة السعيد .. وبين عهدى السيدتين أكثر من ثلاثين سنة ..

لا اريد ان أجازف .. فقد يكون هناك من سبقتها .. وكم فى تاريخنا من خبايا ودفائن تحتاج الى من ينبش عنها !

الرقص ورمضان

« سهير زكى ترقص فى مسلسلة (القط الاسود) التى يخرجها عادل صادق واذيعت منها حلقتان حتى الآن ، رقصة سهير فى الحلقة السادسة .. ولذلك تأخر بدء اذاعة الحلقات حتى منتصف رمضان،حتى يوافق موعد اذاعة الحلقة السادسة (وبها الرقصة) بعد العيد ، **تطبيقا لقرار منع الرقص الشرقى فى رمضان .** الرقصة ترقصها سهير فى فيللا القط الاسود .

هذا ما نشر فى احدى الصحف من أنباء التليفزيون ويهمنا منه **منع الرقصة المذكورة فى رمضان واباحتها بعد العيد ..** اريد ان اسال : اذا كانت الرقصة المذكورة غير منافية للدين فلماذا تمنع فى رمضان ؟ واذا كانت منافية فلماذا تباح بعد العيد ؟ **هل نحن مسلمون مكلفون فى شهر رمضان فقط .. فاذا ما ولى رمضان سقط التكليف واصبحنا محررين من قيود الدين ؟!**

عباس خضر

الأدب في أسبوع

يقدمه : محمد عبد الله السمان

● **عمالقة الادب والشاشة الصغيرة :**

ليست هناك أديب عربي لم يغتبط حين أعلن التليفزيون العربي انه سيدعو عمالقة الادب ليقضي كل منهم ساعة يواجه جمهور المثقفين خلالها . بخلاصة أفكاره وتجاربه ، ويعرض آراءه في صراحة في القضايا الادبية المعاصرة ، التي لم تزل مثار اخذ ورد ، ومادة دسمة للجدل والمناقشة ، وكان ان حرص الادباء والمثقفون على أن يجلسوا ساعة امام الشاشة الصغيرة ، ليستمتعوا بحديث استاذنا الدكتور طه حسين ، وساعة أخرى للاستمتاع بحديث استاذنا العقاد .

والذين شاهدوا العملاقين واستمتعوا بحديثهما دهشوا من خلوهما من جديد كانوا يتوقعونه : فالآراء التي عرضت في قضايانا الادبية معروفة عن الاديبين الكبيرين . وسبق ان دونت في مؤلفاتهما ، واثيرت في كتاباتهما ومحاضراتهما . .

واذا كان الحق الى جانب الذين اخذوا هذا على الحديثين ، الا انهم لن ينكروا ان جلوسنا وجها لوجه امام أديبين كبيرين منظر تاريخي يسجل للاجيال القادمة ، هذا المنظر التاريخي وحده هو في حد ذاته فكرة جديرة كل الجدارة بالتقدير ، فقد تعودنا ان نقرا لهما ، ونستمع اليهما ، ولكنا لم نتعود الجلوس أمامهما عن كثب ، وهما يسردان ذكريات كفاحهما في مجال الثقافة في أكثر من نصف قرن من الزمان ، ويعرضان اراءهما في عدد من القضايا الادبية والثقافية ، ليعلنا اعتزازهما بآرائهما ، وثباتهما على مبداهما .

وهناك نقطة جديرة بالنظر ، فالأديبان الشامخان لم يكن لهما حق الاختيار في حديثهما : فالاسئلة اعدت لهما ، وقد اجابا عنها ، والمعروف ان الاستاذ سامي داود قد اعد الاسئلة للدكتور طه حسين ، والاستاذ انيس منصور قد اعد الاسئلة للاستاذ العقاد ، ولو انهما استشاراهما في جديد لما تواثيا او قصرا ، فالتبعية اذن ـ دون مجاملة ـ تقع على الاديبين : سامي داود وانيس منصور ، وكان الأحرى ان تترك فرصة لجمهور الادباء ليناقش العملاقين ، دون الاكتفاء باديب يعد الاسئلة بمفرده ، ويظهر ان استاذنا العقاد قد احس بما احسسنا به من ان الحديث لم يتضمن شيئا جديدا كان متوقعا ، فاعلن استعداده للذهاب الى التليفزيون ، بشرط أن يتولى توجيه الاسئلة اليه ادباء ونقاد ، وأن يكون تسجيل الندوة على الهواء .

على ان الحديثين وان خلت آراؤهما من جديد ـ فليس معنى هذا تجريدهما من الفائدة ، فحسبنا هذه المناقشة على صفحات الصحف ، والتي اثارها الكتاب والنقاد اثر كل حديث ، فقد عقب على حديث استاذنا الدكتور طه حسين الاستاذ زكي عبد القادر والدكتور زكي نجيب محمود ، والشيخ محمد فرج السنهوري الوزير السابق ، والموسيقار محمد عبد الوهاب ثم الاستاذان توفيق الحكيم وكامل الشناوي كما عقب على الحديثين معا الكاتب الكبير الاستاذ احمد بهاء الدين والناقد المعروف الاستاذ عبد الفتاح البارودي وغير هؤلاء كثير .

وليس من اليسير ان نعرض لهذه المناقشة بالتفصيل في هذا الحيز الضيق ، الا ان من الضروري ان يثير اهتمامنا رأي الاستاذ زكي عبد القادر في تعقيبه على الاستاذ الدكتور طه حسين ، وخلاصته ما اخذه على حكمه المطلق على جيله السابق والجيل اللاحق : **ان ابناء جيل من الاجيال ليسواهم قضاته الصالحين لوزنه وتقييمه ، فهم لا يستطيعون ـ على الاغلب ـ ان يتخلصوا من هواهم معه ، وكيف يستطيعون ، وهم ابناؤه ، قضوا فيه زهرة العمر والجهاد ، واقترن في اذهانهم ووجدانهم بذكريات عزيزة ، اخفى عليها مرور الايام مايشبه القداسة ، وما يقال عن ابناء جيل سابق في هذا الصدد ، يقال**

ايضا عن ابناء جيل لاحق ، فليسوا هم الآخرون القضاه الصالحين للحكم عليه . » ولا اظن ان الاستاذ زكى عبد القادر يقصد بتعقيبه هذا ان يحرم كل جيل من الدفاع عن كيانه ، لان هذه الفرصة الوحيدة لبعث الحياة والحركة فى قضايانا الادبية ، وانما يقصد ان التعصب فى كلا الطرفين لا يسمح بوجود قضاة نزهاء . »

ومن الضرورى ايضا ان يثير اهتمامنا رأى الاستاذ احمد بهاء الدين فى تعقيبه على الدكتور طه حسين والعقاد معا ، ومؤداه : **انه لم يعجبه فى الحديثين على السواء موقف الرفض لكل الاعمال الجديده والاتجاهات سواء فى مصر ام فى الخارج ، وموقف الرفض يختلف عن موقف عدم الموافقة ، فنحن نستطيع ان نناقش مسرحيات اللامعقول التى كتبها توفيق الحكيم مثلا ، ثم لا نوافقه عليها ، اما الرفض فهو شيء آخر ، هو اقفال باب المناقشة قبل ان تبدأ ، هو اصدار حكم بدون حيثيات كافية »**

ونحن مع الكاتب فى ان موقف الرفض لكل الاعمال الجديدة دون مناقشة هو اصدار حكم بدون حيثيات ، ولكن الأديبين الكبيرين ليسا من هذا المذهب فى شيء ، فلقد ابديا رأيهما فى الاتجاهات الجديدة وافاضا ، ولا سيما فى اللامعقول والشعر الحر وقدما حيثياتهما التى رأيا فيها مايكفى ويقنع .

وبعد ــ فهذا البرنامج فكرة حية ما فى ذلك شك، ومهما نختلف حول آراء طه حسين والعقاد فى القضايا الادبية والفنية كما سمعناها ، فان هذه الاراء ــ كما يقول الاستاذ البارودى ــ تلقى الضوء على مشكلات أدبية وفنية جديرة بالبحث والعمق ونحن نتمنى معه ان تواصل الكاميرات والميكروفونات هذه الرسالة الثقافية ، بدلا من استدعاء الادباء والنجوم للدردشة التى تنتهى عادة بالسؤال التقليدى : تحب تسمع ايه ؟

● لماذا الفصل بين العروبة والاسلام ؟

فى مقدمة كتاب (الكندى فيلسوف العرب) للدكتور احمد فؤاد الأهوانى ، وهو الذى صدر منذ أيام ضمن سلسلة : أعلام العرب ، التى تصدرها وزارة الثقافة والارشاد القومى ، تساءل المؤلف :

فيلسوف العرب أم فيلسوف الاسلام ؟ ثم عقب بقوله : قضية اختلف القدماء فى شأنها عند اختيار اللقب الذى ينعتون الكندى به ، فسماه بعضهم فيلسوف العرب ، ومنهم ابن النديم والقفطى .. وسماه البعض الآخر فيلسوف الاسلام ومنهم ابن نباته المصرى .

ولست أدرى لماذا يحاول الدكتور الأهوانى ان يجعل من أوجه الاختلاف فى تلقيب الكندى بلقب حجة للفصل بين العروبة والاسلام ، وهؤلاء القدامى الذين استدل بأقوالهم لم يقصدوا هذا الفصل، واغلب الظن انهم منحوا الكندى هذين اللقبين دون أن تمر بأذهانهم هذه الفكرة ، وما ذكره المؤلف من أن ابن حجر اضطرب فى وصف الكندى : أهو فيلسوف العرب كما فى الجزء السادس من كتابه «لسان الميزان» أم فيلسوف الاسلام كما جاء فى صفحة أخرى من نفس الكتاب ، يؤيد الا فصل بين العروبة والاسلام ولا يقوم دليلا على القطيعة بينهما .

ويبدو أنه من توارد الخواطر ان أثار هذه القضية الدكتور أحمد زكى رئيس تحرير مجلة العربى فى افتتاحية العدد الاخير ، وهو يجيب عن سؤال وجه اليه من أحد القراء : أأنت تكتب عن أمجاد العرب أم أمجاد الاسلام ؟ وقد رد الدكتور قائلا :

« ان هذا السؤال سؤال خطير ، ولم يكن صاحبنا السائل أول سائل له ، والفرنجة لقى الكثير منهم هذا المعضل ، وهم يكتبون عن العرب سألوا أنفسهم: عن العروبة هم يكتبون أم عن الاسلام ؟

ورأى الدكتور أن المجدين امتزجا، فما يكاد يفرق بينهما ، وان الدولة العربية دولة دينها الاسلام ولسانها عربى ، فهى اسلامية عربية معا ، على الرغم من خلاف نجده عند مطابقة نجريها بين العروبة والاسلام فليست العروبة اسلاما كلها، وليس الاسلام عروبة كله .

أقول ليس من مصلحة العروبة أن نعزلها عن الاسلام ، وقد نشأت فى كنفه ، ونمتها رعايته ، وليس من مصلحة الاسلام أن يتخلى عن العروبة وهى مهده ، وأرضها مطلع شمسه ، ومن خلاصة ابنائها خرجت الجيوش المؤمنة تنشر نوره فى الآفاق .

اذن فهل هناك مصلحة لمن يحاولون التشكيك فى الارتباط الوثيق بين الاسلام والعروبة ؟

***

● مجلة .. ومنهاج :

الفكرة العامة عن المجلات الادبية التى اخـــذت طريقها الى حياة الناس ، هى العمل على ايجاد نهضة ثقافية ذات أثر ، ولكن اية مجلة يقدر لها الظهور يجب أن تعلن عن منهاجها وطابعها المميز ، ولا يعقل أن تترك قراءها الى ماشاء الله ليدركوا بأنفسهم فى أى الاتجاهات تسير ؛ وفى أى اطار تتحرك .

وحين صدر العدد الاول من مجلة الرسالة لم يفت أستاذنا الزيات ان يوضح الخطوط التى تحدد منهاجها: **«عادت الرسالة اليوم الى قرائها ومعها ماكانت تحمل من اقباس النبوة وانفاس العروبة وآمال الشرق ، والاسلام والعروبة والشرق هى الاطار الذى يحيط بالصورة العامة لمنهاج الرسالة . اما أجزاء الصورة وملامحها ودقائقها وألوانها وظلالها ، فهى تمثل تطبيق الدين على أصح وجه ، وتجديد اللغة على أوفى دلالة ، وتطوير الادب على أسلم وضع ، وتوجيـــه الاصلاح الى خير غاية ، وجمع العرب على أوثق وحدة وربط الجديد بالقديم على احكم بصيرة ، ووصـــل الشرق بالغرب على أهدى طريقة»** .

أما حين صـدر العدد الاول من مجـــلة الشعر ، ورحب بمقدمها القراء ، فقد كنا نتوقع أن تعلن عن منهاجها ليكون الحكم فى تقييمها ، والتمسنا هذا فى مقال الدكتور عبد القـادر القط الافتتاحى ، ولكنه جاء خلوا مما كنا نتوقع ، انه عرض لأزمة الشعر فى مصر والعالم اجمع ، والحملات الظالمة التى وجهت اليه ، والمعركة بين الجديد من الشعر وقديمه ، ولا شك أن المقال من المقالات الجـديرة بالتقـــدير فى موضوعه ، ولكن كان أحرى به أن يتخـذ مكانه فى الاعداد القادمة ، لا أن يكون افتتاحية العدد الاول الذى يتوقع القراء منه الا يغفل توضيح منهاج المجلة وطابعها، للحكم عليها أو لها فيما بعد .

واذا تخيل المثقفون والادباء العرب أن يكون من ابرز خطوط مجلة الشعر تسجيل الانتاج الشعرى وتقييمه ، والدراسات فى الشعر العربى وغير العربى فالحق أن هذه الخطوط وضحت فى العدد الاول ، وكل مانرجوه أن تحافظ هذه المجلة الوليد على الطابع العام الذى اتخذته شعارا لها ، وهو «انها مجـــلة للشعر العربى» .

من اخبار الادب

● صدر للاديب السودانى : **عز الدين احمد حسن » عضو رابطة الادباء السودانيين بالقاهرة** كتاب جديد عن **الادب الشعبى فى السودان** ، الذى يعتبر محاولة لاحياء التراث الشعبى فى السودان ، وجزءا متمما لكتابه الاول «من روائع أدبنا الشعبى» .

● **من** المنتظر خلال الايام القلائل القادمة أن يتقرر اقامة اسبوع للغة العربية فى الجزائر لتنشيط اللغـــة العربية وشكلت لجنة لهذا الغرض وستعمل اللجنة على توثيق الصـــلات الثقافية بين الجزائر والدول الاعضـــاء فى الجامعة العربية من جهة وبين المغرب وسائر الدول العربية من جهة اخرى .

● **سلم** الشـــاعر « فرمين استريلا » رئيس اتحاد كتاب الارجنتين الذى زار القاهرة منذ ايام ، سلم الى الدكتور طه حسين رئيس المجمع اللغوى رسالة من رئيس الاكاديمية الارجنتينية ، يبدى فيها الرغبة فى تبادل الصلات الأدبية والثقافية مع مجمع اللغة العربية ، وقد وافق المجلس بعد عرض الرسالة عليه ، فى جلسة شهدها الضيف نفسه .

● **قامت** مكتبة المثنى ببغـداد بطبع « **كتاب المصاحف** » للحافظ **السجستانى** المتوفى عام ٣١٦هـ. اشرف على طبع وتحقيق هذا الكتاب ـ الذى يعتبر اساسا لبحث جديد فى تاريخ تطورات القرآن ـ الدكتور آرثر جفرى ، وقد اعتمد على نسخة خطية وحيدة محفوظة فى المكتبة الظاهرية بدمشق .

● **سيظهر** قريبا للاستاذ **عبد السلام هارون** « **مجموعة رسائل الجاحظ** » وهى طبعة جديدة عنى بضبطها وتحقيقها تحقيقا وافيا .

● **أصدرت** مؤســـة فرانكلين الاشـــتراك مع المكتبة الاهلية ببيروت للكاتب الكندى جفرى برون « **الحضارة الادبية فى القرن التاسع عشر** » **قامت** بترجمة الكتاب « عبلة حجاب » .

محمد عبد الله السمان

رسالة العلم

نداء لأهل الرأي

بقلم : الدكتور محمد محمود غالى

عرضت فى مقالى السابق كيف ان العلماء فى أوربا يتابعون رجال الأدب وجهابذة الفكر ، وكيف ان الأدباء بدورهم يتابعون العلماء ويطلعون على أعمالهم ، وذكرت أمثلة واقعية من الندوات العلمية او الادبية التى عاصرتاها هناك ؛ وقلت ان هذا التبادل الثقافى بات فى ايامنا هذه الزم من أي زمن مضى ، ذلك انه حدثت طفرة علمية فى السنين الأخيرة فى ناحية الأقمار المصنوعة وفى ناحية الذرة والكشف عن القنابل الذرية وأثرها على الكائن الحى مما يجعل لزاما على الأدباء فى بلادنا ان يتابعوا هذه التطورات فى كتاباتهم كما يفعل زملاؤهم فى الخارج كما أنه استجد من المذاهب الاشتراكية فلسفات جديدة تجعل لزاما على العلماء ان يتابعوها بدورهم.

والواقع أن هذه التطورات العلمية كانت متتابعة وهذه الكشوف مفاجئة ، ولنعد بالذاكرة الى ماضى ليس ببعيد ، فالصعود من الأرض موضوع شغل الانسان منذ سنين ، والطائرة جسم تزيد كثافة عن الغلاف الجوى المحيط بها ، وهى بذلك يجب أن تسقط وهذا الطفل البرىء الذى تركته أمه جوار النافذة ، لاتتصور المسكينة انه يستطيع السعى اليها ، فلما سعى سقط ومات لساعته ، هذا الطفل سقط بفعل الجاذبية وفق آراء نيوتن وبفعل تقوس الحيز وفق اينشتاين ، وعلى أية حال فان القوانين الطبيعية المعروفة تحتم عليه السقوط فسقط ، كذلك الطائرة اذا ارتفعت عن الأرض يحتم عليها أن تسقط ، ولكن الانسان استطاع بميكانيكا معينة أن يجعلها تطير ، واستعان فى ذلك بالهواء ذاته ليرفعها دائما .

وليس تاريخ الطيران ببعيد ففى سنة ١٩٠٨ تمكن « بليريو » الفرنسى من الارتفاع بطائرته وعبور المانش لأول مرة بين كاليه ودوفر والمسافة بينهما حوالى ٣٥ كيلو مترا .

وفى سنة ١٩٢٧ وبعد عبور المانش بعشرين سنة تمكن « لندبرج » الأمريكى من الطيران من امريكا الى فرنسا فوق المحيط الأطلسى دون توقف فى طائرة لاتتسع الا لشخص واحد ولقطته التى احضرها معه. وهى الطائرة التى سماها روح « سانت لويس » من اسم بلدته ، وقد انتظره فى مطار أورلى بباريس حوالى المليون شخص عندما وصل فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، وقد عرف باريس او مدينة النور كما يسمونها من برج ايفل وعليه المليون مصباح كهربائى التى تكون اعلان السيارة ستروين ، ذلك البرج المعروف بجماله فى الليل .

كانت ليلة مثيرة لا لأهل باريس فحسب بل للعالم أجمع ، فقد هلك فى هذا الطريق الطويل كثرة من المحاولين الشجعان كان آخرهم الطياران « تانجسير » و « كولى » والأخير ظلت والدته المسكينة تنتظر ان يجدوه حيا بضعة شهور دون جدوى ، وهما اللذان أنشد الشعب الفرنسى أغنية شعبية ردد فيها اسميهما ، كنا نسمعها فى الليل خلال المذاكرة أيام الشباب .

قال « لندبرج » عندما وصل الى باريس بعد طيران ٣٦ ساعة « لقد وصلت أيها الصحاب » ، وكان لهذه الجملة رنة فى ذلك الزمان الذى ليس ببعيد . وعندما أطل فى اليوم التالى من فندق كارلتون الذى يطل على ميدان الكونكورد ، هذا الميدان الذى تتوسطه المسلة المصرية الرائعة المنقولة من معبد الأقصر كانت تموج مئات الألوف من البشر فى هذا الميدان والشوارع المحيطة به تتطلع اليه والى قطته ، وقد ذهب بعدها الى ضاحية فرساى حيث تناول الغداء بدعوة من « بليريو » الذى عبر بطائرته المانش قبله بعشرين سنة .

تلك كانت ذكريات عاصرتها بنفسى منذ أكثر من

٣٥ عاما وقد شاهدنا منذ اسبوعين على شاشة التليفزيون فى مصر فيلما رائعا عن قصة لندبرج المثيرة عندما ودعه الناس فى امريكا قبل رحيله وعندما استقبلوه عند عودته الى وطنه ، كما أتى على الحادث المروع الذى جرى لأبنه الوحيد الذى اختطفه اللصوص نظير أتاوة كبيرة يدفعها الوالد المسكين وقد دفعها كاملة ، ولما ذهب الى المكان الذى عينوه له وجده للأسف ميتا ، وكانت هذه القصة الواقعية من الحوادث الهامة والمثيرة التى عرضها تلفزيون الجمهورية العربية المتحدة .

هذه حقبة أولى من التاريخ الحديث ، وبعد ذلك تطور فن الطيران واكتشفت الطائرات النفاثة لتستطيع ان تتناول طعام الافطار فى القاهرة والغداء فى لندن والعشاء فى نيويورك ، واصبح السفر بالطائرات النفاثة التى تتسع لمائة وخمسين شخصا أمرا عاديا لا احتمال للخطر على الحياة فيه أكثر من احتماله فى القطار أو السيارة ، ففى سنة ١٩٥٥ فى مؤتمر الخريجين صعدت الطائرة ٦ مرات ، وفى سبتمبر ١٩٥٧ سافرت الى سيلان عن طريق الهند وعبرت الى القاهرة عن طريق الباكستان ، وفى سنة ١٩٥٨ صعدت الطائرات ١٨ مرة فى مدى ٣٣ يوما فى رحلة الى السويد والى الاتحاد السوفيتى ، وعدت سالما معافى ، لأرى أولادى واستمتع باحفادى .

ودارت الأرض حول الشمس ثلاثين دورة بعد حادث « لندبرج » الذى ذكرناه ، وليست ثلاثون سنة فى الزمن بكثير ، وظل الانسان هذا الكائن الحى العجيب يشتغل ، ظل هذا الحيوان الاجتماعى المتنقل وفق تعريف الفيلسوف « برجسون » ، هذا الحيوان القائم على رجليه وفق تعريف « جان روشيه » ظل يكافح ويفكر فاذا به يفاجئنا بعهد جديد عهد هو اقرب الى الخيال ، عهد لا تعتمد فيه المركب على الوقود او الآلات ، وانما تصبح أقمارا أو كواكب فى المجموعة الشمسية ، هذه الاقمار الجديدة أو الاقمار المصنوعة يمكن أن تدور حول الارض أو حول القمر او حول الزهرة أو الشمس ، وعشنا لنشهد عصر الاقمار المصنوعة .

وفى ٤ اكتوبر سنة ١٩٥٧ أطلق الاتحاد السوفيتى أول قمر مصنوع أمكن ان يدور حول الارض عدة مرات وكان وزنه حوالى ٨٠ كيلو جراما وكان مفاجأة مذهلة للعالم اجمع ، فالقمر المصنوع ليس به محرك يقوم بتسييره فى فلكه ، وتختلف الفكرة فيه عن الطائرة كل الاختلاف ، وكل مافى الأمر أن الانسان استطاع أن يضعه فى المجال الذى يجب أن يدور فيه ، وهو غير محتاج للهواء كما هو الحال فى الطائرة ، بل ان وجود الهواء يعوقه ويعمل فى آخر الأمر على احتراقه من احتكاك جسم صلب بذرات الهواء ، ومن المعروف أن أى جسم يقذف من ارتفاع بقوة بحيث تكون محصلة القوة الطاردة فى الاتجاه المضاد لقوة الجاذبية وتساويها فانه يبقى دائرا حول الارض .

ولم يراود هذا الحلم جهابذة العلماء حتى وقت قريب ، فقد تتلمذت على الاستاذ الكبير « جيبه » من سنة ١٩٢٥ حتى سنة ١٩٣٥ وهو الذى اخترع اول سينما فى العالم قبل « لوى ليمير » المعروف باختراعه للسينما التجارى ، و « جيبه » هو الذى هذب نقل الصور باللاسلكى مع أدوارد جيلان مكتشف البلانوجرام المنسوب لاسمه ، وقد قاس « جيبه » الزمن لأقرب واحد على خمسة مليون من الثانية ، وقد أرانى ذلك عدة مرات فى معمله بالسوربون ، وطالما جلست الى هذا العبقرى الذى أشهد اننى لم أر له فى الخليقة مثيلا ، وطالما تحدثنا فى المستقبل العلمى للبشرية ، ومع ذلك لم يذكر لى ولا ذكرت له الى أن مات سنة ١٩٣٩ أنه فى يوم قريب سيرى الانسان اقمارا من صنعه تدور حول الارض وحول القمر وتصطدم بالقمر اذا أراد الانسان ذلك . لم يأت ذكر لامثال هذه الحوادث الجسام أبدا وأعترف ان العلم قد تقدم تقدما كان لاينتظره جهابذة العلماء وليته عاش ليرى هذه المعجزات .

كان هذا القمر الروسى أول قمر مصنوع أو كوكب سيار صنعه الانسان ، وطبق عليه نظام الاقمار الطبيعية والكواكب السيارة .

وفى ٣ نوفمبر من نفس السنة ١٩٥٧ كان القمر الروسى الذى اطلقوا عليه سبوتنك ٢ وكان به الكلبة « لايكا » التى ماتت بعد اربعة أيام من اطلاقه وفى سنة ١٩٥٨ أطلقت ثلاثة أقمار مصنوعة ففى ٣١ اكتوبر اطلقت امريكا قمرها الأول المكتشف وفى ١٧ مارس اطلقت قمرها الثانى « فانجارد » وفى ١٥ مايو أطلقت روسيا قمرها الثالث سبوتنك الثالث .

وتوالت الاقمار بعد ذلك من أمريكا ومن الاتحاد السوفيتى ، ولم يمض أربعة أعوام على أول قمر مصنوع حتى اطلقت روسيا أول رائد للفضاء « يورى جاجارين » ودار فى سفينة فضاء حول الأرض دورة واحدة فى حوالى ساعتين قطع فيها حوالى ٤٥

الف كيلو مترا ونزل في المكان الذي عينوه له من قبل سالما وكان ذلك في ١٢ ابريل سنة ١٩٦١ ، وفي ٦ اغسطس من السنة ذاتها أطلقت روسيا رائدها الثاني « تيتوف » الذي ظل يدور في الفضاء ٢٥ ساعة دار خلالها حول الارض ١٧ مرة ·

وبعد ذلك بستة شهور وفي ٢ فبراير سنة ١٩٦٢ أطلقت أمريكا رائدها الأول « جون جلاين » حيث دار حول الأرض ثلاث دورات ، وفي الشهر ذاته أطلقت أمريكا رائدها الثاني « كاربنتر » فدار حول الارض ثلاث دورات أيضا ·

واخيرا وفي ١٢ اغسطس سنة ١٩٦٢ دار « نيكولايف رائد الفضاء السوفيتي الثالث حول الأرض ٦٥ مرة ومكث حوالي أربعة ايام ، كما دار زميله « بوبوفتش » رائد الفضاء السوفيتي الرابع حول الأرض ٤٨ دورة وقد صعد بعد زميله بيوم واحد ، ولكنهما نزلا في بقعة واحدة قريبة من بحر قزوين ، وبينها فارق في الزمن لم يتجاوز خمس دقائق ، وكان تتابعهما واقترابهما الواحد من الآخر تارةوابتعادهما تارة أخرى ، ورؤية العالم لكل منهما داخل قمره المصنوع على شاشة التليفزيون حالة وجودهما في الفضاء ـ هذا بوبوفتش يسبح داخل القمر يبحث عن القلم السابح ايضا ، فقد فقد كل منهما الوزن ، ليكتب مذكراته ، هذه أمريكا يراها بعينه وهذه افريقيا يراها ولم يمض على رؤية امريكا سوى ١٣ دقيقة ، وهذه أجهزة دقيقة وضعها العلماء بجوار العين ليسجلوا حركاتها ، وهذهاقطاب كهربائية وضعت على جبهة كل منهما في أعلا الوجه وعلى الرأس من الخلف يسجل العلماء وهم في معاملهم ما يدور برأسيهما من انفعالات او افكار ، كل ذلك والسفينتان تدوران حول الأرض تطلع الشمس على كل من السفينتين وتغرب في خلال ساعة واحدة ، ويمر الليل عليهما كله في ساعة واحدة أخرى ـ هذان الرائدان أصبح النهار عندهما ساعة واحدة والليل عندهما ساعة واحدة ـ هذان الرائدان يعيشان اذن في عالم يختلف عن العالم الذي نعيش فيه ، وهما يتخاطبان احيانا بالأجهزة اللاسلكية ، ويسمع العلماء أصواتهم وهم في معاملهم ، بل ويراهم الجمهور على شاشة التليفزيون في موسكو وفي ليننجراد ، وهذه تنقل صورهم وحركاتهم وحياتهم الى كل تلفزيونات اوروبا ، كل ذلك يجرى في وقت واحد ·

وفي ٣ اكتوبر من السنة ذاتها أطلقت أمريكا رائدها الثالث « والترشيرا » الذي دار في سفينة فضاء حول الارض حوالي ٦ مرات ، وكانت تتابعه محطات الارصاد الأمريكية ويقدرون الذين كانوا يديرون هذه السفينة ويتابعونها من الموظفين حوالي اربعين الف شخص ، ونزل هذا الرائد سليما في المحيط الهادي ، وامكن للعالم كله رؤيته على شاشات التليفزيون بواسطة القمر التلستار الامريكي الذي خصصوه لهذا الغرض ·

وفي سنة ١٩٦٣ استمر اطلاق الاقمار المصنوعة وسفن الفضاء وسمعنا عن رحلة كوبر الامريكي وعن رحلة بيكوفسكي في سفينة فضاء روسية ، ثم لأول مرة في التاريخ سمعنا بانباء الآنسة « فالنتينا » التي تزوجت حاليا من زميلها تدور حول الارض ، وتسمع هذه الأيام بذلك القمر الصناعي الامريكي الذي اصطدم عمدا بالقمر الطبيعي في وادي السكون وكان الغرض من ارساله ان يرسم ثلاثة الاف صورة لسطح القمر في الربع ساعة الأخيرة قبل الاصطدام ولكن أجهزة التليفزيون تعطلت للأسف ·

ولا يفوتنا ان نذكر القمر السوفيتي الذي دار حول القمر الطبيعي وسجل لجانبه الآخر الذي لانراه صورا بعث بها لاسلكيا وأوتوماتيكيا الى الارض دون ان يكون بداخله رائد ، واصبحت هذه الصور الفريدة ضمن الخرائط التي يمتلكها الانسان ·

هذه الاحداث الاخيرة تحتاج منا الى تأمل ، وتحتاج من معشر الأدباء والمفكرين والكتاب في بلادنا الى تذوق جديد وأسلوب يتأثرون به في كتاباتهم عندما يكتبون لأبناء هذا الجيل ·

هذه خلاصة لما حدث في الاقمار المصنوعة وسفن الفضاء، اما ماحدث في عالم الذرة فهو أعجب بكثير وهو قمة العلم واعظم ما وصل اليه الانسان ، ولقد كتبت في الرسالة عن الذرة مقالات عديدة في الرسالة منذ ربع قرن ، ولكن الدنيا تغيرت ، وتغيرت بقدر كبير وسيكون لي مع القارىء في هذا الباب من العلم جولات قادمة ، وللعلم تاريخ طويل وهو منهل عذب ويلزمك ايها الأديب ثقافة علمية أرجو أن أستطيع تبسيطها هنا على صفحات الرسالة كما يلزم لي وأنا من المشتغلين بالعلوم ثقافة ادبية فأطالع الادباء منكم واطالع من الكتاب المحدثين في الشرق والغرب بما يجب الالمام به وما يجب أن أعرف ·

دكتور محمد محمود غالي

الكتب نقد وتعريف

يقدمه
تحسين عبد الحي

الطريق إلى بئر سبع

بقلم : ايثيل مانين
ترجمة : الدكتور نظمى لوقا

لقد هز ضياع فلسطين ـ وخروج العرب من ديارهم لكى يصبحوا لاجئين بلا وطن ـ الضمير الانسانى بعنف ـ وكانت اثيل مانين مؤلفة هذه الرواية احدى أولئك الذين تأثروا وانفعلوا بقضية اللاجئين الانسانية . وقد أهدت كتابها اليهم قائلة:

الى اللاجئين الفلسطينيين ومن أجلهم .. أولئك الذين قالوا لى فى كل الاقطار العربية التى استضافتهم ـ لماذا لا تكتبين قصتنا نحن ، قصة الخروج الآخر ـ خروجنا نحن ..

وقد صورت اثيل مانين خروج اللاجئين بقولها :

« لم يدرك الفلسطينيون على وجه التحقيق المدى الذى صمم مغتصبو أرضهم على الوصول اليه فى اذلالهم ـ الا بعد أن وجدوا أنفسهم فى البرية ـ فهناك جرد هذا الشعب الأبى الكريم من كل خصائص الانسانية ـ وثمة ظروف لا يحتفظ المرء فيها الا بشىء واحد هو تصميمه على البقاء ـ وفى تلك الظروف تتخلى الامهات عن أطفالهن لتلتهمهم بنات آوى لانهن عجزن عن حملهم خطوة أخرى ـ وفى هذه الظروف عينها يترك الشبان ذويهم المسنين ليموتوا

وكانت أغلبيتهم الساحقة لا تملك الا الثياب التى ترتديها وايمانها بالله الذى لا يغفل ولا ينام .. وجميعهم قد خلفوا وراءهم الاراضى التى كانت عائلاتهم تزرعها منذ قرون لا تحصى ـ فهم جميعا ـ رجالا ونساء ـ أناس كادحون يتجه كل كفاحهم لمقاومة الفناء تحت الشمس المحرقة ـ ومع هذا يتحرك سوادهم الأعظم متعثرين فى كل خطوة يخطونها فينهضون فى صمت ويواصلون التقدم فى عناء كأنهم تماثيل آلية صماء .. لانهم يعلمون ان البديل الوحيد للتقدم الى الامام هو الموت المحقق ـ وارادة الحياة تلازمهم الى آخر نفس من أنفاسهم اللاهثة ..

وكان ضمن آلاف النازحين من اللد ـ بطرس منصور ـ الثرى الفلسطينى الذى خرج من وطنه ذليلا جريح الكرامة مطعونا فى شرفه ـ اذ اغتصب جنديان من جنود اليهود بعض نساء منزله ـ قبل الرحيل .. وهما نادية وروندا وكان بطرس متنبها للناس من حوله فى جمود وعدم مبالاة بالذين يقومون منهم ـ رجالا ونساء ـ على ضم راح أيديهم ليجمعوا فيها بولهم كى يشربوه ـ بل يجمعوا أيضا فى راحهم بول غيرهم الذين راحوا يقاتلونهم عليه ليظفروا بقطرة من ذلك السائل الثمين الذى أصبح دنسه مرادفا للحياة .. !!

ورأى أنطون ـ ابن بطرس ـ وهو فى شبه دوار ـ امرأة تلقى فجأة بالطفل الذى كانت تحمله الى بطن حفرة حيث استقر صارخا ـ ومضت فى طريقها قدما .. فالجميع يسيرون الى الامام والشمس تنهال عليهم بشواظها تريد أن تقتلهم .. والطائرات السوداء تحوم كالصقور تتربص الفرصة للانقضاض عليهم من السماء التى صهرتها الحرارة والارض التى لا ترحم ولا تلين تعكس ما تتلقاه من حرارة الشمس وتصليهم به فى وحشية ..

أما نادية التى اغتصبت قبل الرحيل ـ فقد كانت تعانى من الصدمة ـ وينتابها الدوار وهى سائرة ـ اشبه بحيوان مصعوق ، غارقة فى تعاستها الى درجة لا يمكن أن تشعر معها حتى بالحر او العطش ـ وقد استحوذ عليها الرعب الى درجة تعجز معها عن الشعور حتى بالخوف ..

وواصل بطرس منصور ـ وهو رجل مسن ـ وابنه أنطون وزوجته ـ ونادية وروندا ـ المسير ـ رغم انه لم يتح له أن يتزود ولو بقطرة ماء من وطنه قبل الرحيل المفاجىء ..

فهو مازال يذكر كيف تبول اليهود فى «صهاريج» المسجد الكبير الذى احتمى به وهم يقهقهون ويدعونهم لكى يشربوا منه بعد ذلك .. وظلوا على حالهم من الجوع والعطش الى أن وصلوا مع غيرهم الى مكان

بئر قديمة، لم يبق منه سوى بعض الطين المبلل بالماء. **فعلوا كما فعـل الآخرون ـ اذ عقدوا منـاديلهم وجزازات من ثيابهم بعضها ببعض وادلوها في جوف البئر ـ ثم اخرجوها وقد تلوثت بالطين ـ الا انه طين بليل ـ وتقاسموها فيما بينهم وامتصوها ـ وهم راضون بترطيب حلوقهم وشفاههم الجافة بذلك البلل المبارك غير منتبهين الى طعم الطين الممجوج ..**

وظل حشد النازحين من اللد في تقـدمه الى أن وصل الى رام الله ـ وذهبت أسرة بطرس منصور الى منزل كانت تملكه في أريحا ..

ويبدأ بعد ذلك نوع جديد من العـلاقات ـ اذ يتعرف أنطون الصغير على زميل له في المدرسة يدعى وليدا ـ ويبدأ أنطون (ووليد) في التفكير لاعداد خطة للتسلل داخل اسرائيل ـ وذلك لكي يستعدا للعودة الى وطنهم السليب .

والقصة في مجموعها **تصوير رائع لمأساة خروج عرب فلسطين من ديارهم واستعراض لظروفهم وآلامهم** ـ أما محاولة أنطون ووليد ـ وهما ما زالا طفلين ـ دراسة الطرق والسراديب المؤدية الى داخل اسرائيل ـ **فتمثل تطلعات الجيل الجديد من شباب فلسطين في العودة الى ديارهم ..**

وقد وفقت المؤلفة الى حد كبير في تصوير طبيعة العلاقات النفسية والأسرية وارتباط ذلك بالعادات والتقـاليد العربية الاصيلة ـ فمنى أخت بطرس منصور المسيحية متزوجة من خليل داود المسلم ـ **واعتقد أن المؤلفة قد قصدت هنا أن تبين ان صلة المسلمين والمسيحيين من عرب فلسطين لم تكن فقط صلة الجوار والاقامة في أرض واحدة وانمـا كانت بالاضافة الى ذلك ـ صلة دم ـ ومصاهرة .**

وارتفعت المؤلفة الى مستوى الفهم الكامل الواعي للنفسية اليهودية المتمثلة في حقد اليهود على جميع الشعوب بل على البشر جميعا ـ وعقد النقص التي جعلتهم يعتقدون أنهم شـعب الله المختار ـ فجعلت زوجة بطرس منصور الانجليزية ـ ماريان ـ تتعرض هي الاخرى لذلك الظلم والاضطهاد الفادح من جانب اليهود المعتدين ولم تشفع لها جنسيتها الانجليزية في تلافي الاضطهاد والتعذيب .

ولمست المؤلفة ببراعة مكونات الشخصية العربية الانسـانية وما تتحـلى به من كرم وكبرياء .. في ذلك الحوار البسيط الذي دار بين نادية وخادمتها **رندا عندما طلب الجنديان اليهوديان الماء من وراء قضبان باب منزلهما المقفل . تقول ـ رندا ـ لسيدتها نادية .. ولكنهما من اعدائنا ـ فترد نادية على ذلك بقولها ولكنهما طلبا ضيافتنا ـ وهما عطشانان ..**

وعلى الجانب الآخر من الصورة تبرز المؤلفة خسة اليهـود بشكل عام في صـورة هذين الجنديين اللذين لم يراعيا حرمة الضيافة ـ **فيتنكرا لسـيدة البيت وخادمتها ويغتصباهما عنوة .**

وفي ثلاث كلمات ـ تذكرهما المؤلفة على لسان احد الجنديين عندما كان يخاطب نادية ويحدثها عن زميله ـ بقوله : « **انه لبناني امريكي** » نراها تؤكد قضية هامة وهي ان اليهود هم اليهود في كل مكان ـ قـوم لا يرتبطون بوطن ولا جنسية .. الا ولاءهم لعصاباتهم التي حاولت أن تأخذ شـكل الدولة في صورة اسرائيل ـ أي انه ليس هنـاك اليهـودي والاسرائيلي ـ **ولكنهم كلهم سواء في خستهم ونذالتهم في اي مكان كانوا من العالم .**

وبطرس منصور ذلك الثري العربي المسن والذي يعاني من مرض القلب ـ يمثل الكبرياء العربية الى ابعد مدى **فهو انسان عربي عظيم لا يلحقه الفناء ـ وعظماء الرجال لا يسقطون على الارض ويموتون ـ قد يهانون ويذلون وتغتصب املاكهم ـ وقد يطردون الى البرية ولكنهم اذا ماتوا بسبب ذلك فمعناه أنهم تقبلوا الهزيمة وانفتهم وكبرياؤهم لا تسمحان لهؤلاء العظام من الرجال بتقبل الهزيمة .. فمقاومة بطرس منصـور للعطش والحر والطريق الطويل ـ هو في الاساس صراع في نفسه عميق .**

فهو يعتبر سقوطه على الرغم من علة قلبه اعتراف بالهزيمة ـ **ولانه لا يريد ان يشعر بالهزيمة ـ فقد أمده كبرياؤه بطاقة جبـارة لمواصلة السير الطويل الشاق** وهنا نسجل للمؤلفة ـ بكل اعجاب توفيقها في تصوير عنـاصر الصراع الداخلي عنـد بطرس منصور ـ وكذلك عناصر الصراع عند نصري عجاني وزوجته نادية عندما التقيا في ظروف حمل نادية من ذلك الجندي اليهودي الأفاق ..

وبعد .. **فما رأي روائيينا الكبار** !! ـ فقـد احست ايثيل مانين « الانجليزية » بقضية اللاجئين وانفعلت بها وكتبت عنها ..

ترى ألم يحس بها بعضهم بعد .. ؟ ولن اقول هنا سوى ما قلته على صفحات الرسالة والثقافة في الاعداد الماضية وهـو أنه لا بد من بذل المزيد من الجهد ـ في سـبيل خلق ادب النكبة وتطويره ـ وذلك لاهميته على الصعيدين القـومي والعالمي ـ وما زلت أكرر قولي :

استيقظوا ايها السادة قبل ان تدينكم أمتكم ..

تحسين عبد الحي

البريد الأدبي

رد على نقد

نشرت « الرسالة » في العدد ١٠٤٧ كلمة للاستاذ الفاضل « محمد مجاهد » المفتش بوزارة التربية والتعليم سابقا ٠٠ وكان ذلك تعقيبا منه على بعض المقالات التي نشرتها « الرسالة » لي عن الادب الصوفي ٠

وقد وقف الاستاذ مجاهد عند قول ابن عربي :

مقام النبوة في برزخ دوين النبي وفوق الرسول

واخذ علينا الفهم الذي فهمناه له ، والتخريج الذي خرجناه عليه ٠٠ قال الاستاذ : « وقد فسر الاستاذ عبد الكريم الخطيب هذا الشعر الصوفي على أساس أن « دوين » ظرف مبني على الضم ، وكذلك « فوق » قياسا على « قبل » و « بعد » حين قطعهما عن الاضافة ، وجعل دون خبر مقدم (كذا) والولي مبتدأ موخر (كذا) ، وكذلك فوق الرسول»٠

ولا انكر أني فعلت هذا ، استنادا الى قواعد اللغة العربية الصحيحة التي يعرفها الاستاذ حق المعرفة ، وان يكن قد خانه عمله في هذا الموقف ، ولا أدري كيف حدث ذلك له ، كما لا أدري كيف يصدر هذا الحكم المطلق القاطع ، مخالفا به ما أجمع عليه علماء النحو ، وما قامت عليه اساليب اللغة منذ نطق بها أهلها الى اليوم ٠

يقول الاستاذ مجاهد في يقين الواثق ، وثقة المتثبت : « والذي أعلمه عن القانون النحوى أن «قبل» و «بعد» هما الظرفان اللذان قيل انهما يصح قطعهما عن الاضافة ، ولم أسمع بدون ، ولا فوق !؟»

هكذا يصدر الاستاذ هذا الحكم القاطع ، وهو يصطنع لغة القانون ، فيتحدث عن القانون النحوى ، لانه يجلس مجلس القضاء ليقول الكلمة الفاصلة في هذه الجزئية من جزئيات النحو ٠٠

واني لأخجل ـ والله ـ ان أشير للاستاذ مجاهد الى المراجع النحوية التي يمكن أن يرجع اليها ليصحح حكمه هذا على الوجه الذي يستقيم مع مقررات النحو وقواعده ، اذ ليست هذه المراجع مما يخفى على الاستاذ ٠

ولو كان الامر بيني وبين الاستاذ مجاهد لسكت وامسكت ، وتركت الامر يمضي على انه من قبيل السهو أو الخطأ ٠٠ ولكن الامر مشترك بيننا وبين الالوف من قراء الرسالة ، فحقهم علينا في هذا المقام اولى واوجب ٠٠ والحق احق أن يتبع ٠٠

تقول ـ سيدى الاستاذ ـ في يقين قاطع : «والذي أعلمه عن القانون النحوى أن «قبل» و «بعد» هما الظرفان اللذان قيل انهما يصح قطعهما عن الاضافة ، ولم اسمع بدون ، ولا فوق » !! أحقا انك لم تسمع بدون ولا فوق ؟

الا فاسمع ـ سيدى الاستاذ ـ من يقول لك ويسمعك :

« واذا بنيت الظروف على الضم تسمى غايات ٠٠ ومنها ـ أي من الظروف ـ غير قبل وبعد ـ «أول» و «دون» وأسماء الجهات الست : كيمين ، وشمال ، ووراء ، وأمام ، وفوق ، وتحت ٠٠ وهي على التفصيل المذكور في قبل وبعد ، من أنها اذا اضيفت لفظا اعربت على الظرفية ، وخفضا بمن ، واذا لم تضف لا لفظا ولا تقديرا أعربت الاعراب المذكور ونونت ، واذا حذف المضاف اليها فان نوى لفظها أعربت الاعراب المذكور ولم تنون ، وان نوى معناه بنيت على الضم ٠٠ قال الشاعر :

لعن الاله تعلة بن مسافر لعنا يشن عليه من «قدام»

بالضم ، والاصل : « من قدامه » فحذف المضاف اليه ، ونوى معناه فبناه على الضم » اهـ٠ أتذكر ـ سيدى الاستاذ ـ الآن انك قرأت هذا الكلام وحفظته منذ سنوات طويلة وانت طالب لهذه اللغة ، واستاذها ، ومفتشها ؟

لعلك نسيت ٠٠ ولا بأس ٠٠ فاذكر انه النص الحرفي لكلام ابن هشام في كتابه : «أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك » وفي ص ٥٠ من الجزء الثاني من هذا الكتاب !!

واحسب أن ليس لك ولا لي بعد هذا ما يقال ٠٠ فقد قطعت جهيزة قول كل خطيب !

بقي بعد هذا ما ردده الاستاذ عن الصوفية والتصوف كمذهب وعقيدة ، ولا رد لي عليه في هذا ، فاني قد عزلت هذه القضية من أول الامر عن موضوع بحثي الذي جعلته بحثا خاصا خالصا للادب الصوفي ، كفن من فنون القول ، بعيدا عن مجال العقيدة والدين ٠

عبد الكريم الخطيب

من وحي مؤتمر الذروة العربي

لاحت لي القاهرة بالأمس وكأنها بيت انفتح على مصراعيه ليستقبل بنيه بعد طول غياب ، وتراءت لي الارادة العربية تفازل الاهرام في مستوى الشموخ ، والانطلاقة العربية تنافس ابا الهول في مجال الثبات والصمت البليغ !

وراح القواد والزعماء يهرولون الى ارض الكنانة كما يهرول الحجيج يطوف حول الركن ، ويتدافع من امام الحطيم !

والعروبة اعتادت ان تلتقي في ماضيها حول اقداسها خيما يحدو بها الواجب ، وعند قواعدها خيما ينالها التهديد !

لقد لاذت منذ القدم بجدار مكين راسخ الاساس انبعث منه الهدى فشع بالدين ، ونبت منه الوحي فأورق بالرسالة ، وشب فيه الاسلام فأينع بالحضارة ، وشيد فيه بيت الله فأخصب به الايمان !

وتلوذ اليوم بجدار شبت منه ثورة فوطد القومية ، ونبت فيه الوعي فلم شمل العرب ، وخلق فيه القائد فاعلن عن مولد الحريات !

ولاحت لي القومية العربية تتدافع بمنكبيها تلبي نداء اعلنته السماء ، وتوفي بنذور قطعتها الامة ، تسدد دينا عليها وفاء وبرا بالاجداد !

ثم لاح لي الشعب العربي بأكمله وكأنه مارد خرج من قمقم في اندفاعه من صنع القدر ، ووثبة من عمل المعدن الاصيل ، وانتفاضة كانتفاضة جناح العقاب تلطم الريح فتغدو ذلولا ، وتضرب الجو فيصبح طيعا فسيحا ،

تبارك النداء الذي هتف بالاذان فانسكب فيها كمثل التكبير ، والهتاف الذي هفا بالقلوب فتنزل فيها كالوحي ، انه صوت القائد الذي لمح البرق يتخطف في جوانب الأفق ، والعواصف الهوج تزمجر فوق حواشي الصحراء ، والنذر السود تهبط على ارض العروبة كأنها قطع من الليل :

ان العروبة فيها قوة دفاعها اصيلة لاتنبو ، ومقومات بأسها مخزونة لاتبلى ، وهبة شبابها كاسرة كذوات المخالب !

كسبت مرانها من جفاف الصحراء فاستقوت على الشداد ! وتعلمت حروبها منذ ايام الفتح فتغلبت على الضيم ، وارفقت نصالها فطبعت على الطعان !

انها تهتدي الدرب وتسلك السبيل ، فالفؤاد البصير يقود الى الهدف ، والرؤيا اللماحة تتعرف الى الغاية والايمان الراسخ يقوى على تذليل الصعاب !

ذهب الروم وبقي غبار حروبهم يعكر جونا حتى اليوم ، وراح الروم وبقيت فلول الثارات تزمجر في الجو ، وتهدر وراء التخوم ، وتلوح في اقاصي الأفق .

يوم كان العرب همل من غير وازع ، وعددا من دون قائد ، كان الغاصبون يدخلون دارنا من غير اذن ، ويلجون حمانا من دون حق ، ويبتزون خيراتنا بغير مبرر ، يوم جردنا الدهر من مذاكينا فلم تلحق بالركب ، وكسر نصالنا فلم تقو على الحرب ، وشرد جموعنا فلم نصمد للدخيل !

اما اليوم ، فقد بعث القائد ، ووجد الرائد ، وتجمع الشمل ، واتضحت الغاية ، واستعيدت النصال وتحدد الهدف .

اليوم ، يشهد النيل موكب العروبة في حلة من ازهى حلل التاريخ ، وفي خطر من اثبت خطرات الزحف ، وفي تصميم من اعند وابسل الارادات !

اليوم تشهد الوادي العروبة من محيطها الى خليجها ، وتشهد الشعار الذي كان يهتف به بالامس الملايين ، فاذا به حقيقة لا حلما ، وعيانا لاشعارا ، وقوة مدرعة مدججة حققها الزمن ، وشحذتها الاحداث واعدتها الليالي .

ما اجتمع العرب مرة في التاريخ الا وكان اجتماعهم مدعاة اعجاب ، وتضامنهم مثار فخر ، واتحادهم موضع جد وخلق وابداع واريحيات !

اجتمعوا مرة حول قائدهم الأول فدوخوا العالم ، ونشروا الرسالة ، وتبوءوا اعظم مرتبة في التاريخ !

ثم تمزق الشمل ، وتفرق الأهل ، وقسم الوطن، وجزئت القوة ، فتعطلت عضلات من الحضارة ، ووقف قلب نابه عن العمل ، وشل فكر خلاق عن الخلق !

ان وحدة العرب امر مصيرى وحياتى ، انه شريان رئيسى يوزع الدم فى الكيان ويروى النبات بالرفد، ويمنح الحياة للجسم الهزيل ، والكيان النحيل ،

سوف يقول التاريخ فى الغد ، ويشهد العالم فى القريب ، أن العروبة ثابتة ثبات الزمن أصيلة أصالة الشمس ، مبدعة ابداع الناموس ، مشعة فى وهج ومتعادية فى كبرياء ، وخالدة كالأزل امام وجه الغد والتاريخ !

حسن محمد عبد الله شرارة
بنشب جبيل — لبنان الغربى

زكى مبارك فى ذكراه

تخطت روحه عتبات السماء ومضى من هذه الدار وهو يحمل بين قلبه الما دفينا وغصاصة مرة . ولعلها كانت النهاية المنتظرة لرجل عاش جل حياته يحمل « قنار الملاكم الادبى » زهاء ثلاثين عاما او تزيد فيبعث الروح والنشاط فى حياتنا الادبية .

مات الدكتور او الدكاترة — كما كان يحلوله — زكى مبارك فى الخامس والعشرين من شهر يناير عام ١٩٥٢ بعد حياة خصبه مليئة بالكفاح والجهاد عامرة بالانتصارات والامجاد .

ولا شك أن الدكتور « زكى مبارك » يرحمه الله كان مثالا حيا للطموح الدائب والكفاح الجلو والآمال العريضة التى يجب ان يتخذها الشباب نبراسا يهديه الى الطريق .

فلاح فقير يأتى من قريته « سنتريس » من اعمال المنوفية الى الازهر الشريف — حصن اللغة والفقة على مر العصور — ثم يبرز فيه غاية البروز حتى تطمح به همته الوثابة فيسافر الى فرنسا لينهل من ينابيع النور والعلم فيها . بدأ الدكتور حياته الادبية بالعنف فى اسلوب البحث العلمى حتى انه اختلف مع اللجنة التى عقدت لمناقشته عام ١٩٢٤ فى رسالته « الاخلاق عند الغزالى ولكنه رغم عنفه ورغم خلاف اللجنة معه استطاع ان يظفر من بين ايديهم بالدكتوراه الاولى . وهو لم ينس ان يحمل معه الى باريس اسلوبه فى النقاش وطريقته فى التفكير والبحث حينما سافر اليها لنيل دكتوراه ثانية — وفى عام ١٩٣٧ تقدم الى الجامعة المصرية ببحثه الممتع العميق « التصوف الاسلامى فى الادب والاخلاق » ونال عليه الدكتوراه الثالثة بعد جهاد دام تسع سنوات قضاها فى بطون المراجع والكتب فى العربية وغيرها من اللغات الحية .

ثم يلوذ الى قلمه او يلوذ قلمه به فيلهب به الجو الادبى فى صحافتنا العربية هنا فى القاهرة وهناك فى بغداد عندما دعته الحكومة العراقية لالقاء المحاضرات بدار المعلمين العليا من هنا كان كتابه الممتع « ليلى المريضة والعراق » وكتابه الاخر « من وحى بغداد » بمثابة همزة الوصل فى درب القومية العربية التى طالما تغنى بها ودعا اليها مع الاستاذ الزيات والمرحوم عبد الوهاب عزام

لقد عاش الاديب الفنان زكى مبارك يصارع الحياة والناس لانه كان يعشق الكلمة ويقدس مهنة القلم مهما حمله ذلك من اهوال وفجر فى طريقه من الغام مضى زكى مبارك بعد ان ترك مكتبة حافلة من مؤلفاته فى الادب والفلسفة والفن فضلا عن آلاف المقالات والتعليقات فى صحافة القاهرة وبغداد نذكر منها « الرسالة » و « البلاغ » .

نعم ياسيدى الزيات لقد كان الدكتور — رحمه الله — من ابرز كتاب الرسالة القديمة ومن العاملين على انجاحها ورواجها فهل تذكرته الرسالة العائدة فى يوم ذكراه ؟

الرجل ياقوم لم يتمتع باشراقة النور الثورية والا كان احتضنها واحتضنته ولكن فى وزارة الثقافة والارشاد عيونا ساهرة ترعى تراث من مات مجاهدا فى سبيل عروبته ولغته ووطنه .

محمد جاد البنا
كلية الدراسات العربية
جامعة الازهر

« الرسالة » :
كتب الاستاذ عباس خضر كلمة فى هذه الذكرى فى (تعقيبات) بالعدد (١٠٤٦) .

قصة العدد

جناية أبوين

للدكتورة عاتكة الخزرجي

كانت تسكن واياه في بنسيون واحد ٠٠٠ فلفتت نظره واسترعت اهتمامه ٠٠ لقد كان كل شيء فيها كأنما وضع ليستوجب عنايته ويثير تفكيره٠٠ فقد كان وداعتها وهدوءها واتزانها وحدة ذكائها ورقة احساسها مما يدفع الفتى الى الاعجاب بها ٠٠ وكان شذوذها وميلها الى العزلة وتجنبها الناس مما يدفع الفتى الى التفكير فيها ٠٠ وكان جمالها ولطفها وخفتها مما يدفع الفتى الى الافتتان بها ٠٠وهكذا ظل الفتى من امرها بين معجب ومفكر ومفتون ٠٠٠

واوشكت السنة الاولى ان تمر والفتى حيران لا يدرى كيف الى فتاته يكون السبيل ٠٠ لأنها كانت تحيا في عزلة او شبه عزلة ارتضتها لنفسها بل وفرضتها عليها فرضا ولعلها كانت في ذلك مغتبطة سعيدة ٠٠ وانتهى العام الدراسي وباعدت العطلة ما بين الفتى وبين صاحبته فحرمته من رؤيتها قريبة منه تروح وتغدو كل يوم خفيفة نشيطة فياضة بالحياة ٠٠

واحس الفتى أن في حياته فراغا لا سبيل الى سده ، وان فيها نقصا لا سبيل الى تمامه ٠٠ فادرك عند ذلك انه معجب بالفتاة كلف بها محب لها وادرك ان حياته لن تستقيم الا بها وسعادته لن تكون الا بقربها ٠٠٠ فاعتزم في نفسه الا يتخذ له شريكة للحياة دونها وقطع بذلك على نفسه عهدا ولم يبق عليه الا أن ينفذ عزمه ويبر بعهده ٠٠٠

واستقبل الفتى عامه الثاني خفيفا نشيطا يندفع الى الدرس بأمل ونشوة ويتلقى الحياة بعزم وقوة كأنما كانت الفتاة تنفخ فيه من روحها الوثابة ونفسها الطموح أملا وثباتا وقوة ٠٠

لقد كان صاحبنا ينظر الى فتاته فيرى فيها الها يستمد منه معاني السمو وينشد به سبل الخير لا جسدا يستفز فيه معاني الغريزة ويثير فيه مواطن الشهوات ٠٠ ومن هنا كان حبه لها أشبه ما يكون بالعبادة وتفكيره فيها أشبه ما يكون بالتسابيح ٠٠ وظل الفتى يتحين الفرص للتعرف بالفتاة والتحدث اليها ولو ساعة من زمن عساه يعرفها وتعرفه من قرب ويدرسها وتدرسه عن فهم ليصح له ولها ان يتعارفا ويتفاهما ليتفقا على الحياة من بعد ٠٠

وكان ان حدثت المعجزة ذات يوم اذ حضرت الفتاة حفلة كبرى من الحفلات ولم يصدق الفتى عينيه بادىء بدء الا أنه اغتنم الفرصة أخيرا فكان ان حيا صاحبته في أدب وجلس منها قريبا يجاذبها الحديث ٠٠ وطال بينهما الحديث فقد آنست فيه الفتاة دعة ورقة طالما طمئت اليها واتزانا وهدوءا طالما بحثت عنهما ووجدت فيه الرجل الذي يستحق أن يظفر باعجابها واكبارها وأن يستأثر بعطفها واخلاصها ٠٠ فتعارفا وتفاهما بل كأنما كانا متعارفين متفاهمين منذ زمن ٠٠ !

وخرج الفتى مسحورا مبهورا كأنما نفثت فيه الفتاة من سحرها وخرج الفتى من الحفل منتشيا مسرورا كأنما هو سائر على موسيقى رقيقة خفيفة حتى انه ليكاد من فرح النشوة يطير ٠٠ لقد أحس الفتى أن فتاته تبادله اعجابا باعجاب واكبارا باكبار وعطفا بعطف ٠٠ فليس عليه الا أن يخطو الخطوة الحاسمة فيفاتحها بعزمه ليخط واياها السطر الاول في صحيفة المستقبل ٠٠

وكانت المقابلة الثانية ففاتحها الفتى بالأمر فاربدت وصمتت واجمة لا تكاد تحير قولا وعجب الفتى لها واذهله امرها فسألها عما بها فقالت انها كانت هي الأخرى معنية بهذا الذي فاتحها به بعد مقابلتها الاولى له الا أنها ترى أن من الخير له الا يفكر في الزواج من فتاة دونه في الاجتماع مكانة واقل منه في الحياة ثروة ٠٠

ومن الخير لها كذلك الا تفكر في الزواج من فتى صير منه المجتمع سيدها وجعل المال منه اميرها ٠٠ قالت ذلك في لهجة يخنقها الثائر المكتوم والثورة الحبيسة !

فذهل الفتى ووجم صامتا لا يكاد يبين ٠٠٠

لقد هاله لهجتها الصارمة وعزمها الأكيد ٠٠ هاله أن ترفض هذه التي وقعت في نفسه ذلك الموقع وكان لها في حياته ذلك الأثر فثار ثائره وغلى الدم في عروقه فرد عليها يقول :

ومن قال لك ان المكانة الاجتماعية والثروة المادية

هي التي تقرر مصـــيري ومصيرك ويكون لهـا في حياتنا الكلمة الاخيرة ؟ أيكون شأننا نحن المثقفين شأن الجهلة الخاطئين ندع المادة الحسيسية تتحكم في مصائرنا وتباعد بين قلوبنا وتحل رباط أرواحنا ؟

والا ما الذي يمنع الفتى الذي ينحدر من اسرة نابهة أن يتزوج من فتاة تنحدر من أسرة خاملة ؟ بل ما يمنع الغني المترف ان يتزوج من الفقـــيرة المعدمة ؟ أترى الزواج عندك تلاؤم أسرتين وانجذاب ثروتين أم انه تفاهم روحين وارتباط قلبين ؟

وردت عليه تقول الفتاة في مرارة :

بل المجتمع هو الذي قرر ذلك وحرم على الفقيرة الزواج من الغني لانه يضعها أبدا في الدرك الاسفل وان كانت حقيقتها عالية والمجتمع هو الذي يضع الغني في الدرك الأعلى حتى ولو كان حثالة البشرية دناءة وضعة وفسولة .. !

فقاطعها الفتى قائلا :

وما يعنينا من مجتمع تسممت آراؤه وفســـدت معتقداته فاخطأت مقاييسه واضطربت أحكامه ؟

فردت عليه الفتاة قائلة :

وكيف لا تعنى بكائن نضطرب أبدا بـين يديه نصابحه ونماسيه ؟ أفلا يعنيني اذا تزوجت منك ان أراه يســـخر مني ويهزأ بي وينظر الى نظرة الاستخفاف والازدراء ؟ افلا يؤلمني اذا رأيته ينظر الى نظرة من رأى نشازا فانكره واشماز منه ؟ افلا تأخذني عند ذاك سورة الندم فاود أن لو تزوجت من فتى مثلي فلم أستوجب ســـخرية ولم أستفز انكارا ؟

وأمضى الفتى سنى الدراسة وتخرج يحمل شهادة القانون بامتياز ورقص قلب الفتى لهـذه النتيجة السارة فجاء يحمل نبأهـــا يبشر به أبويه وجلس الفتى الى أبويه ذات ليلة وفاتحهما في شأن زواجه وأخبرهما انه عازم على الزواج من صاحبته تلك.. فثار ثائرهما وغلى الدم في عروقهما ورمياه بالغفلة وفســـاد الذوق وسوء التدبير .. ووقف الفتى صامدا متشبثا برأيه حتى اســـتبد الغضب بأبيه فاقسم ليبران منه وليحرمنه حقـــوقه وليفعلن به الافاعيـل ان أصر هو على الزواج من الفتـــاة .. وانصرف الفتى من مجلسه محنقـا مغضبا وقرر ان يمضي في عناده الى النهـــاية مهمـا كلفه عناده من تضحيات ..

وذهب الى فتاته غداة غد يطلب يدهـا فانكرته ورفضت مقابلته ولم يعبأ الفتى بمغالطتها فقابلهـا وحادثها وظفر أخيرا باقناعها دون أن يعلمها بامر أبويه وكان اعلان الخطوبة صبيحة اليوم التالي ...

وجاء الفتى الى خطيبته ذات يوم فلم يجدها انما وجد رسالة منها تنتظره .. فعجب للأمر ففضها فاذا بها خاتم الخطوبة وكلمة تعلن فيها الفتاة فصم خطوبتها دون أن تشير الى سبب ذلك ولو بكلمة !

وظن الفتى بصـــاحبته الظنون وثارت ثائرته وتشنجت أعصابه ولم يدر كيف يصنع ! أخيرا قرر العودة الى أبويه .. !

وخيل اليه وهو في ثـــورة الغضب وحمى الألم انه نسى الفتاة الى الابد وانه مستطيع الحياة بدونها فرضخ لاغراء أبويه وتزوج من الغنية التي وضعاها نصب أعينهما ...

وثاب الفتى الى نفسه أخيرا فاحس أن حيـــاته فارغة وان روحه ضيقة وان قلبه يتصدع.. والتفت الى زوجه فرآها كلفة بامرها معنية بنفسها مقبلة على زينتها ولهوها وعبثها لا تكاد تدرى أن لها زوجا وأن من ورائها بيتا .. وتمثلت له صاحبته تلك وقابل بينها وبين هذه فهاله ذلك وانصدعت نفسه بين جنبيه واظلمت الحياة من حوله فلم يعد يرى في مظاهر الثراء التي تكتنفه غير أكفان قديمة عبثت بها يد الفناء ..

والقى البريد ذات يوم اليه رســـالة من رئيس مستشفى العزل يقول له فيها أن مريضـــا بمرض خطر يلح في مقابلته .. وأحس كأن قلبه يغوص بين جنبيه وشعر كأن مأساة تنتظره خلف جدران المستشفى .. وخف الى المستشـــفى مسرعا وطلب مقابلة المريض ..

فاذا به الفتاة التي أحبها منذ زمن ومازال يحبها الى اليوم !؟ .. لقد أنهكها المرض ولم يبق فيها غير نفس يتصاعد خلف الأغطية ببطء وخفوق .. وما ان رأته حتى حاولت النهوض وهي تصعد فيه نظرا ضئيلا .. ووصل الى أذنيه صوتها وكأنه آت من وراء الأزل ...

ها أنت ذا قد جئت أخـــيرا يا حبيبي لأقول لك كلمة الوداع ولأباركك وادعو لك ولتعلم انني لم أخنك ولم أنســـك انما نزلت عند رغبة أبويك وحرصت على اســـعادك وخشيت عليك غضـــب الوالدين ولعنة الناس وحرمان الجاه ...

الدكتورة عاتكة الخزرجي
كلية التربية ــ جامعة بغداد

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
وزارة الثقافة والارشاد القومي

الادارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد - القاهرة

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد ١٠٤٩ الخميس ٧ شوال ١٣٨٣ هـ — ٢٠ فبراير ١٩٦٤ م — السنة الحادية والعشرون

الفهرس

الصفحة

بين جيلين من الأدباء

بقلم : عباس خضر

يسرني ويسعدني أن آخذ — هذا الاسبوع — مكان أستاذي احمد حسن الزيات في صدر « الرسالة » وهو الآن يفسح لي هذا الصدر بعد رحلة طويلة قطعتها الى جانبه وفي رعايته ، فيضرب بهذا المثل لما ينبغي أن يكون بين السابق واللاحق في مضمار التعبير بالقلم .

ولا اريد ان اصطنع التواضع الذي يغلف الكبرياء عادة .. فاقول انى لست اهلا ، فيقال لى : لا ، انك اهل .. فارد بالتعبير عن خجل تواضعى ... الخ .

ومهما يكن من شيء فليس الامر الذي اتصدى له هنا امر العلاقة بيني وبين استاذي .. **انما هو قضية عامة ، هي قضية العلاقة بين جيلين من الادباء اردت ان ابداها بصنيع استاذي معي وعرفاني لفضله ، كمثال لما نرمي اليه وما نحب ان يكون في حياتنا الادبية .**

ولنخرج بعد الى القضية العامة ...

شاهدنا في الاسبوعين الماضيين استاذينا الكبيرين طه حسين وعباس محمود العقاد يتحدثان على شاشة التليفزيون في كثير من المسائل التي سئلا فيها ، **وكان من بينها السؤال عن الراى في ادب الشباب ، والواقع ان كلمة « الشباب » هنا فيها** تجوز فالمقصود هم الادباء التالون للاساتذة الكبار الرواد وفي هؤلاء التالين من جاوز الشباب **والواقع كذلك ان الادباء عندنا الان — من حيث**

الاعمار — ثلاثة : شـــيوخ ، وكهول ، وشـــباب . والملحوظ ان النوعين الأخرين اكثر اتصالا وتقاربا ، وهناك ايضا بعض الشيوخ الذين يدخلون مع هؤلاء وهؤلاء فى الاتصال والتقارب ، مع التفاوت فى ذلك من شيخ الى آخر ...

والذى يهمنا من ذلك هو تحـديد الموقف الذى يبعد فيه جيل عن جيل بعدا يصـــول فيه كل من الفريقين حيث يقذف كل منهما الاخر بما يعن له ، وبالحق وبالباطل ..

ونستطيع ان نعين الفريقين بانهما :

(١) طه حسين والعقاد ومن يذهب مذهبهما من لداتهما وان كان لا يجهر كما يجهران .

(٢) التالون لهم ، **ولا بد من اطلاق « التالين » لان جيليهما فى موقف واحد من الفريق الاول .**

سـمعنا الاستاذين الكبيرين يقولان رأيهمـــا فى « التالين » وهو ماردداه قبل مما يجتمع عند الرفض المطلق للجيل التالى فهـــو — كما يريان — جيل ســطحى جاهل يخطف الثقافة خطفا ويجنــح الى التفاهة والاثارة بالجنس احيانا ومما قاله الدكتور طه حسين انه لا يقرأ لهم الا ما يرسلونه اليه لكى يعلق عليه ولكنه يجده ضحلا لا يستحق التعليق .. ومما قاله الاستاذ العقاد فيجواب السؤال عن ادب الشباب انه لا يقرأ الادب الجنسي ..

والحق ان موقفهما من الادباء « التالين » انما هو جزء من موقف الرفض العام .. فلا موسيقى عربية ولا مسرحيات عربية ، ولا امراة تعمل ، ولا تعليم فى الازهر ، ولا عمق فى الجامعة .. ويمتد الرشاش حتى يصيب زميلا من الشيوخ ، هو توفيق الحكيم ، فى لا معقوله او عبثه .

وهو موقف يتسم بالتحدى المطلق العام .. وليس هذا ايضا جديدا فى حياة الاستاذين الكبيرين ؛ فقد نشآ وظلا ولا يزالان يتحديان ما حولهمـــا ؛ **يتفقان فى ذلك وان كان طه حسين قد اكتســـب الرقة الباريسية ولكنها قشرة ظاهرة تتكشف كثيرا عمـــا تحتها من عنف « ابن الصعيد » الذى قاوم وكافح بشدة ما اعترض نشأته وما لابس هذه النشأة من ظروف قاسية** ، وقد شغف بالتحدى منذ الصغر ومنذ ان كان طالبا بالازهر اذ كان يذهب الى المسارح والملاهى ويكتب عنها فى الصـــحف مبديا اعجابه بالمغنيات والممثلات ، لكى يغيظ البيئة الازهرية ؛ فلما تحول الى الجامعة انعكس الامر واخـــذ فى الجد وتعلق بابى العلاء المعرى وعزم على ان يحيا مثله حياة متقشفة منعزلة ، ولم يخرجه من هذا الا باريس .

والعقاد تحدى اكبر رأس فى البلد يوم ان كانت الذات الملكية مقدسة لا تمس .. وهذا هو يحدثنا بالتليفزيون فيقول انه يتحدى التشاؤم فيسكن منزلا رقمه « ١٣ » ويضـــع على مكتبه تمثالا للبومة .. ومن قبل لم يعبأ بما قيل عن تشاؤم ابن الرومى واقبل على دراسته بعزيمة المتحدى ..

ذلك التحدى حقق لنا خيرا كثيرا لاشـــك فيه ؛ وقد شاركهما اياه زملاؤهما الذين كافحوا مثلهم فى نفس الظروف القاسية ، وغرسوا جميعا بذورا جنينا ثمراتها ، **فكان تحديا تقدميـــا على عكس ما نراه الآن .. فان مواصـــلة الهجوم على الجيل التالى ،** وسلبه كل شيء ، ووصفه **بكل نقيصة ، لا تؤدى الى طريق التقـــدم ، بل على العكس .. تنتج المقاومة والمعاملة بالمثل ..** فكثيرون من هذا الجيل يندفعون — فى حماس الدفاع — الى الهجوم على الاساتذة الكبار ويرتكبون فى هذا السبيل حماقات تدعى انهم يمثلون عقليـــات جامدة وتدعو الى ان ينـــزاروا وينفســـحوا لهم الطريق فلا ادب ولا ثقافة الا ادب الشباب وثقافة الشباب .. الى آخر الهراء الذى يقلب الوضع وينكر النضج وتجارب الزمن الطويل وكفاح العمر ومعاناة التحصيل فى الزمن المديد .

هذا عقوق ، وتلك قسوة ، وبين العقوق والقسوة تضيع الحقيقة .

والحقيقة ان اساتذتنا **اعطونا كثيرا ، ولا يزال عندهم الكثير مما يعطونه ، ومازلنا فى حاجة الى الاستفادة من ثقافتهم وتجاربهم ، وما نحن الا امتداد لهم وفروع من جذوعهم فاذا نحن اهوينا بالفئوس الغاشمة على هذه الجذوع فقـــدنا ما تمدنا به من الغذاء وصرنا معلقين بالهواء .**

والوجه الآخر للحقيقة ان « التالين » ليســـوا كلهم — كما يصف الاســـاتذه — سطحيين جهـــلاء يخطفون القشور ويعجزون عن الوصول الى اللباب **بل ان منهم من يجد ويقرأ ويتعمـــق وينتج ويقـــاوم التفاهات بطريقة اكثر جدية وجدوى ممـــا يفعل الشيوخ** الآن نعم هناك تفاهات وضحالات ؛ ولكن ليس كل شيء تافها وضحلا ، وفى كل زمان ومكان يكون الجيد القليـــل والردىء الكثير والزمن ينخل ويختار ، فلا يبقى الا على الجيد القوى الصالح للبقاء والخلود . وقد عانى الاســـاتذة من السطحيين والأدعياء الذين عاصروا نشأتهم واعترضوا سيرهم

من مذكراتى

للدكتور محمد أحمد خلف الله

فى الثانى والعشرين من هذا الشهر نحتفل بعيد قومى هو عيد الوحدة او عيد قيام الجمهورية العربية المتحدة .

وفى الثانى والعشرين من هذا الشــــهر **يخطب الرئيس جمال عبد الناصر فى ابناء الأمة العربية ممن يؤمنون بالقومية العربية ، ويهــدفون الى تحقيق مبادئها السامية ـ متحدثا اليهم عن تجربة الوحدة . ومتخذا من هذا الحديث نقطة انطلاق جديدة فى تاريخنا القومى .**

ونحن هنا نشارك فى الاحتفال . نشارك باسلوب لنا خاص . وبطريقة لنا تتمثل فى عرض الوان من الاحداث سبقت الوحدة . وهيأت لها . وجعلت قيامها امرا فريدا فى بابه يختلف عن كثير مما شاهدناه فى تاريخ الحركات القومية . فقد تمت برضى وقبول ، وبعقد ليس فيه ضغط او اكراه .

والاحداث التى نعرضها فى هذا المقام نلتقطها من بين احداث كثيرة وعتها ذاكرة التاريخ ، وسجلتها مذكرات المؤرخين ـ نلتقطها نحقق بها ـ الى جانب هذا الاحتفال بعيد الوحدة ـ امرين .

الاول : ـ الكشف عن التحولات التى حدثت فى تاريخ بعض الرجال الذين حققوا الوحدة وحققوا بذلك هدفا اصيلا من اهداف الامة العربية .

الثانى : ـ الكشف عن بعض العوامل التى كانت ـ ولا تزال ـ حية فعالة فى نفوس ابناء الامة العربية ، والتى عليها قام ذلك البناء الذى قيــل فيه فى يوم من الأيام :

ان قيام الجمهورية العربية المتحدة يدل دلالة قاطعة على ان العرب يعون تاريخهم حقا ويفهمونه جيدا . ونحن لو احصينا الفترات التاريخية التى وجدت فيها ســورية متحــدة مع مصر لوجدناها اطول بكثير ، وبمــا لا يقاس ، من الفترات التى وجدت منفصلة عنها . .

ان عرب الاقليمين الشقيقين ـ سورية ومصر ـ يشعرون فى قرارة أنفسهم باستمرار تاريخهم مع الزمن وان اعترته فترات تجزئة وانقطاع بفعل الاستعمار وعمل المصالح الاجنبية .

انه لم يمض طويل وقت على استقلال كل من سورية ومصر ، وجلاء المستعمر عن أراضيهما ، الا وقد نســفت الحواجز القــائمة والحدود المصطنعة وكل ما شاد المستعمر من عقبات فى سبيل الوحدة .

ان الوحدة هى الاصــــل بين العرب ، وليس بالعجيب ان تتحد الامة العربية او تتوحد . انما العجب كل العجب ان نبقى على فرقتنا وانقسامنا كما أراد المستعمر لنا .

ان العرب الذين كافحوا الاستعمار بجهود مبعثرة ، وفى قطاعات جغرافية محدودة صــــغيرة ، يريدون

****

وتقدمهم ، ولكنهم تغلبوا عليهم ، وسقط العاجزون وتخلفوا عن السير فى الركب الزاحف الجاد . **وفى هذا الجيل مثل ما كان فى الجيل السابق من التفاهة والسطحية ، بل اكثر . وكذلك فيه الجادون المتجون بل اكثر كذلك . . والزمن سينخل كما نخل . .**

على أن المسألة ليست مفاضلة بين جيل وجيل ، بل اننــــا نعتقد ان ازدهار الجيل التالى ونديه وخصبه انما هى ثمار من فضـــل الاساتذة الكبار ونتيجة غرســـه ورعايته واذا بدت الفـــروع ذابلة والاوراق صفراء فان هذا يدل على ضعف الجذوع وعجزها عن امداد الفروع بما يبعث فيها النضارة ويساعدها على النماء .

والمسألة كذلك ليست مسألة حرب وتنازع على البقاء بين جيل الاساتذة والجيل التالى ، بحيث يتوهم كل من الفريقين ان الآخر يعوقه ويعمل على ابعاده عن الميدان ، وعلى اساس هذا الوهم الضال يشمر كل عن ساعده ويرمى الآخر بمالا يثمر ولا يحقق الا القطيعة والتنافر والتباعد : **انما هى حركة تتقــدم بجهود الفريقين معا ، على ان ينظر كل منهمـــا الى الآخر باعتباره مكملا لا منافيا ، ومتحدا لا منافرا . ولكل سماته وخصائصه التى يكتسبها من زمنه .**

ولا بد من الخلاف ، ولكن لا ينبغى على «اللحاف» بل يجب ان يكون على الحــركة التى تبعث الدفء والنشاط والخلاف المتحرك يكون فى الآراء والقضايا ومن الحتم ان تختلف وجهات النظر بل ان التقدم لا يكون الا بالاحتكاك والاختـــــلاف . اما النزاع على « اللحاف » فهو تكوم تحته . . وشد وجذب لأطرافه حتى يتمزق ولا ينفع احدا .

عندنا من الاغطية ـ والحمـــــد لله ـ ما يكفى الجميع ، والمجال متسع لكل الجهود ، والعمل المثمر هو الذى يبقى على الزمن فى « نخله » المستمر . .

عباس خضر

ان يلتفوا حول قوة جامعة تنتظم قواهم ، وتعودهم الى الحياة الحرة الكريمة .

ان دولة هدفها السلام ، وغايتها المحبة والوئام، تحمي ولا تهدد ، تصون ولا تبدد ، توحد ولا تفرق ، تسالم ولا تفرط ، لجديرة حقا بان تكون قبلة انظار العرب اجمعين ، وقوة استقطاب لهم .

ان السياسة التى انتهجتها الجمهورية الناشئة، هذه السياسة الصريحة الواضحة المنبعثة عن الذات العربية ومصلحتها العليا هى التى فرضت احترامها على الدول وعلى العرب ـ وذلك لأنهـا لم تتعين بالمصلحة الطبقيه ، او المنافسة الحزبية ، او الانانية الشخصية . بل بالسمو الى الصعيد القومي الذى يلتقى عليه الجميع ، ويعود فيه الخير على الجميع .

يوليه ١٩٥٧

اتخذ مجلس النواب السورى قرارا اعرب فيه عن رغبته ورغبة سورية فى الاتحاد مع مصر . وهذا نص القرار :

تنفيذا للدستور الذى ينص على ان الشعب السورى جزء من الامة العربية يؤيد المجلس قرار الحكومة الذى اعلنه رئيس مجلس الوزراء فى الجلسة ، ويتمنى ان توفق الحكومة فى السير فى هذا الطريق المقدس ، وان تاتينا فى القريب العاجل بالنتيجة التى تنتظرها الشعوب العربية فى جميع اقطارها .

ورحب الرئيس جمال عبد الناصر بهذا القرار ، **واعلن : تلقيت بترحيب بالغ قرار مجلس نواب سورية الشقيقة باقامة اتحاد بين جمهوريتى مصر وسورية ، ففى تحقيق هذا الاتحاد امنية يهفو لها قلب كل عربي يؤمن بالقومية العربية ويعمل من اجلها . وقيام الاتحاد بين جمهوريتى مصر وسورية انما هو تحقيق للمادة الأولى من دستور جمهورية مصر التى تنص على ان « مصر دولة عربية ، وأن الشعب المصرى جزء من الامة العربية » .**

سبتمبر ١٩٥٧

قام الجيش التركي بمناورات على الحدود السورية التركية . واتهمت حكومة دمشق الطيران التركي والامريكي بخرق حرمة الفضاء السورى وبدا التراشق بالاتهامات بين المعسكرين .

توالت فى القاهرة ودمشق الاجتماعات لتوحيد الخطط بعد أن اصبح واضحا ان الغرض من عملية الحشود هو الضغط على سوريا لعزلها عن مصر التى لم تتهاون فى القيام بدورها الفعال فى هذه الآونة . ولقد أعرب السيد الرئيس جمال عبد الناصر عن ذلك كله بقوله :

ان موقف مصر واضح لا يحتاج الى تحديد جديد. الا انى اريد ان اعود فأؤكد ان مصر ستقف بجانب سورية الى غير حد ، وبدون قيد او شرط . ومهما تكن تطورات الضغط على سورية فان شيئا واحدا لا يجب ان يغيب عن الاذهان ـ ذلك ان جميع امكانيات مصر السياسية والاقتصادية والعسكرية كلها تسند سورية فى معركتها ـ بل معركتنا نحن . معركة القومية العربية كلها .

اكتوبر ١٩٥٧

رفعت الحكومة السورية شكواها للامم المتحدة ، وطلبت عقد جلسة عاجلة ، وعبر وزير الخارجية السورية عن وجهة النظر العربية بقوله :

ان النشاط العسكرى الذى قامت به تركيا على حدود سورية والحوادث التى ترتبت عليه ليست حوادث متفرقة او منفصلة .

ان اهداف الدول الغربية الكبرى وسياستها فى هذه المنطقة تتركز فى مقاومة القومية العربية والحركات الوطنية ، والاحتفاظ بمنطقة الشرق الاوسط كمنطقة للنفوذ الغربى ، واقامة حكومات موالية فى سياستها للغرب .

اكتوبر ١٩٥٧

نزلت القوات المصرية المسلحة فى ميناء اللاذقية لمساندة القوات السورية فى مواجهة الخطر التركى. واعلن قائد الجيش السورى يـوم وصول القوات المصرية الى اللاذقية :

ان هذا اليوم يشبه ما قبل معركة اليرموك ـ يوم توحدت الجيوش العربية بقيادة بطل واحد .

ووصفت محطة اذاعة دمشق وصول القوات الى سورية بانه الخطوة العملية الأولى لتحقيق وحدة العرب . وقالت :

ان الجيش المصرى جاء ليقول للعالم اجمع ان مصير سورية ، ومصير مصر ، مصير واحد . وان اي عدوان على احدى الشقيقتين سيكون عدوانا على الشقيقة الأخرى

نوفمبر ١٩٥٧

دعا مجلس النواب السورى أعضاء مجلس الامة المصرى لزيارة سورية . لبى مجلس الامة الدعوة واوفد اربعين عضوا من اعضائه برئاسة السيد انور السادات .

وفى جلسة مجلس النواب السورى التى عقدت فى ١٨ من نوفمبر بالاشتراك مع وفد مجلس الامة المصرى اتخذ قرار باعلان رغبة النواب السوريين والمصريين بالموافقة على الاتحاد بين سورية ومصر ، وتوصية الحكومتين السورية والمصرية باتخاذ

الخطوات الايجابية الى تحقيق ذلك .

فبراير ١٩٥٨

انتقل رئيس الجمهورية السورية واعضاء حكومته الى مصر واجتمعوا مع رئيس الجمهورية المصرية واعضاء حكومته فى قصر القبة فى القاهرة واتفقوا على الميثاق التاريخى لمولد الجمهورية العربية المتحدة الذى يضم البلدين لبعضهما كخطوة أولى فى سبيل تحقيق الوحدة العربية الشاملة .

انتهى المجتمعون الى أن عناصر قيام الوحدة بين الجمهوريتين السورية والمصرية واسباب نجاحها قد توافر - وخاصة بعد ان جمع بينهما فى الحقبة الاخيرة كفاح مشترك زاد معنى القومية العربية وضوحا ، واكد انها حركة بناء وتحرير ، وانها عقيدة تعاون وسلام .

لذلك أعلن المجتمعون اتفاقهم التام ، وايمانهم الكامل ، وثقتهم العميقة - فى وجوب توحيد سورية ومصر فى دولة واحدة اسمها الجمهورية العربية المتحدة .

كما أعلنوا اتفاقهم الاجماعى على ان يكون نظام الجمهورية العربية المتحدة ديمقراطيا رئاسيا يتولى فيه السلطة التنفيذية رئيس الدولة يعاونه وزراء يعينهم ويكونون مسئولين امامه . كما يتولى السلطة التشريعية مجلس تشريعى واحد .

والمجتمعون اذ يقرون وحدة البلدين يعلنون أن وحدتهم تتوخى جمع شمل العرب . ويؤكدون أن باب الوحدة مفتوح لكل بلد عربى يريد أن يشترك معهما فى وحدة او اتحاد يدفع عن العرب الاذى والسوء ، ويعزز سيادة العروبة ويحفظ كيانها .

والمجتمعون اذ يعلنون قراراتهم هذه يحسون باعمق السعادة وأجمل الوان الفخر اذ شاركوا فى الخطوة الايجابية فى طريق وحدة العرب حقبة بعد حقبة ، وجيلا بعد جيل .

فبراير ١٩٥٨

جرى الاستفتاء على وحدة البلدين وشخص الرئيس وكان المرشح الوحيد هو الرئيس جمال عبد الناصر . وكان ذلك فى يوم الجمعة ٢١ من فبراير ١٩٥٨ .

وافق الجميع فى كل من مصر وسورية ، وقامت بذلك الجمهورية العربية المتحدة . وأعلن يوم ٢٢ فبراير عيدا وطنيا .

تحدث الدكتور حاطوم استاذ التاريخ الحديث بجامعة دمشق قال : ان الحماس الى الوحدة ، وهى هدف العرب الاول ، قد طغى ودفع رجال الحكومتين فى كل من سورية ومصر الى حرق المرحلة الانتقالية ، وهى الاتحاد ، والوصول راسا الى الوحدة . ويرجع ذلك الى عدة أسباب . منها :

١ - ان سورية كانت متعلقة بالوحدة منذ ان تفتحت عينا القومية العربية فيها للنور ، وانها كانت فيما بين الحربين العالميتين تعيش خارج حدودها السياسية وتتطلع الى اليوم الذى تتحقق فيه الوحدة العربية الشاملة .

هذا التفكير القومى كان ، ولا يزال ، عنصرا اساسيا وثابتا ومستديما فى سورية ، وفى سياسة الحكومات السورية التى تعاقبت على كراسى الحكم .

٢ - ان كلا من سورية ومصر - وقد استقلتا - قد سلكت كل منهما سياسة عربية سليمة نابعة من الذات العربية الكامنة فى شخصية كل منهما - وهى سياسة عربية تحررية بعيدة عن الانحياز او الارتباط برباط دولى يشل فعاليتهما ، ويقيد حريتهما .

٣ - ان النظام الجمهورى يسود فى كل منهما . وان التضامن بينهما قد تجلى اثناء العدوان الثلاثى على مصر ، واثناء الحشود التركية على الحدود السورية .

٤ - ان ضغطا سياسيا كان يقع على كل منهما ، وان مؤامرات سياسية كانت تحاك لكل منهما بقصد الايقاع باستقلالهما ، وعزل كل واحدة عن الاخرى ، وعزل مصر عن بقية العالم العربى .

٥ - ان خطر اسرائيل يجثم على الحدود السورية .

٦ - هذا الى جانب شخصية سيادة الرئيس جمال عبد الناصر السحرية واشعاعها العظيم فى الجماهير العربية التواقة الى الحرية والوحدة ، والتى الفت فى شخصية الرئيس وفى اقواله وافعاله ما يجسد آمالها وامانيها .

وفى الحقيقة ان العواطف القومية فى سورية كانت تلقى صداها الحبيب فى مصر .

سئل الرئيس جمال عبد الناصر : هل هناك ما يمنع قيام اتحاد بين سورية ومصر يكون نواة لوحدة عربية شاملة يؤمن العرب بها ويتطلعون اليها؟

فاجاب الرئيس المصرى : ان مصر تفتح قلبها لكل تعاون عربى باى شكل كان - وحدة او اتحادا - والامر متروك للشعب السورى ان يقرر ما يشاء ، ويختار ما يريد . وسيجد منا الصدى الايجابى لكل رغباته وامانيه .

دكتور

محمد أحمد خلف الله

التقاء القمة

بقلم : الدكتورة نعمات أحمد فؤاد

ترددت هذه اللفظة اخيرا ، كثيرا ، والمقصود بها التقاء ام كلثوم وعبد الوهاب في اغنية (انت عمرى) للاستاذ احمد شفيق كامل .

وقد احيطت هذه الأغنية قبل اذاعتها وبعدها بهالة اقتربت بها من الاساطير .. قالوا (اكثر من رائعة) فقلنا نعم ... قالوا (اطول اغنية عربية) فقلنا نعم .. قالوا (اوقفت المرور) ، (سهر الشعب عليها) فقلنا نعم .. واعتقد ان سر هذا التهليل والتهويل هو عنصر (الطرافة) في الموضوع ... فنحن قد تعودنا ان نتحدث كل بضع سنوات في موضوع تلحين عبد الوهاب لأم كلثوم ثم نسكت ونمضى في شئوننا لنعود الى الحديث نفسه بعد سنوات اخر وكأننا نذكرنا شيئا نسيناه ..

وتناولنا للموضوع على هذه الصورة اعطاه طابعا خاصا من البعد والاستحالة او صعوبة التحقيق على الأقل . ونسى الناس في هذا الصدد اعتبارات كثيرة منها ان ام كلثوم وعبد الوهاب كانا من عشرين سنة في طريق القمة وفي قمة الكفاح ، وكان عبد الوهاب مطربا وملحنا معا بل كانت صفة الطرب هي الغالبة وفي جو كهذا تحتدم المنافسة التي تحجب الثقة الكاملة او يتوهم معها انتفاؤها ... واعتبار آخر ، غنى ام كلثوم في هذا المجال برياض السنباطي وداود حسني والقصبجي وزكريا احمد هؤلاء الذين نشئوا صوتها تنشئة موسيقية وعرفوا طاقاته وابعاده واعماقه وعملوا على كشفها وجلائها ... فمن حق ام كلثوم وسط هذا الاعزاز الفنى — لو صح هذا التعبير — الا تتجاوز بالموضوع حدود (الاقتراح) العارض .

اما الآن وقد بلغا القمة واطمأنا الى مكانيهما واصبحا في حياتنا ظاهرتين لا تغنى احداهما عن الاخرى ، هذه الطمأنينة النفسية هي العامل الأول في تقريب المسافة وتحقيق اللقاء .

والتقيا ... ام كلثوم هي ام كلثوم في تدفقها وجلجلتها وتمكنها وقدرتها على تقييد الاسماع والانفاس والمرور ايضا ... وعبد الوهاب هو عبد الوهاب (جواهرجى) صائغ بارع الصياغة او بستانى رائع التنسيق . وقد كانا ... عبدالوهاب وام كلثوم ، متجاورين في الأغنية أم كلثوم تملأ السمع والبصر وعبد الوهاب لا يخطىء موسيقاه الذوق او الاحساس . وكيف واللحن يختلسنا لحظات الى « الجندول » و « قالوا لى هان الود عليه » و « موش انا اللى ابكى » . فاللحن كان مالوفا نعرفه معرفتنا لأبناء عبد الوهاب . ولا اعنى هنا التقليل من جماله واطرابه او التهوين من عبد الوهاب فأكبارى له هو الذى يطمعنى منه في الخلق على غير مثال وهو اعلى مراتب الفن واغلى امانى الفنان .

« انت عمرى » او اغنية اللقاء القممى قد تكون اطول ما غنت ام كلثوم واكثره ، لهذا السبب ، اشباعا ولكنها ليست اجمل ما غنت ام كلثوم ... فالأغنية اسعدتنى وروت احساسى بالجمال والطرب بل انى زهدت في طعامى بعدها حتى لا اخلط مادة بنور ولكنها لم تعطنى شعور « التفرد » في بابها كما اعطتنيه اغنية « جددت حبك ليه » عندما غنتها ام كلثوم لأول مرة . في كل مقطع من « جددت حبك ليه » بل اكاد اقول في كل كلمة نغم فريد ومعنى عجيب وندية فذة بين المعنى واللحن وقدرة في الانتقال بين اجزاء الأغنية تزيدها جمالا وتكاملا .

يصعب على اقول لك كان
والحب زى ما كان واكتر
وافكرك بليالى زمان
واوصف في جنتها واصور

او

انا لو رضيت اللى كان
وهان على الهوان

اقدر اجيب العمر منين
وارجع العهـد المـاضى
ايام ما كنـا احنا الاتنين
انت ظالمنى وانا راضى

او

باللى هواك عايش فى الفـ
ـــؤاد فى ظل الوداد
انت الحيـاة والروح
وانت سـمير الامل
يجى الزمان ويروح
وانت حبيب الأجـل

كل كلمة من هـذه المقاطع ... كل حـرف فى كلمة لون من النغم يوشـيه الاداء ثم يجـلو اللحن والغناء معا التجربة العميقة الصادقة التى خاضها الشاعر وكان الملحن كان رفيقه فيها وشريكه فجاء لحنه كفاء للمعنى فى وقدة الشعور وصدقه ولوهجه

انا لااريد ان احلل (جـددت حبك ليه) حتى لاانزل بها الى مقـام الوصـف والتحليل ولااريد ان احلل احساسى بها حتى لايتشمع وانا اهوى ان اظل ممتلئة به روية منه مكتنزة له .

اغنية (انت عمرى) جميلة رائعـة ولكن اجمل منها واروع (جددت حبك ليه) اقولها فى غير تردد وسـط الزفة الكبيرة التى نعيشـها احقاقا للحق واعترافا بجميل الذين اسعدونا ونوروا ايامنا ..

اغنية (انت عمرى) جميلة رائعة ولكن اجمـل منهـا واروع (رباعيـات الخيـام) باعمـاقها .. بسبحاتها .. برؤاها .. بتحليقاتها ..

كلما علت الضجـة واختلطت الاصـوات رن فى سمعى لحن (هجرتك) (انا لن أعود اليك) ، (هلت ليالى القمر) ، (فاكر) ، (رق الحبيب) ، (غلبت اصالح فى روحى) ، (عودت عينى) ، (دليلى احتار) وخل عنك الآن قصيدة النيل بلحنها الفنى الـثرى الزاخر ذى الالوان وقصيدة (ولد الهدى) اى الهمزية ولمـا القـاك قـريب منى
واقـول البعـد تاه عنى

اشـوف عينك تـراعينى
وقلبى من لقـاك **فرحـان**

كلما علت الضجة واختلطت الاصـوات تذكرت ترامى الصوت الحساس بهدى اللحن طبعا ، فى لفظة (تاه) عنى التى اودعها الشاعر قبلا شحنة من ماضى صبره وعذابه واحتماله ... تذكرت رقصة الصوت ومرحه وهناءه ، بهدى اللحن طبعا مرة اخرى فى لفظة (فرحان) .

ياريتـك حـلم فى جفـونى
انـام والقـاك واعيش وياك
واخر طيف اشوفه انت
يا ريتك فجـر فى عيـونى
انـام واصـحا على فرحـه
واول صـورة اشوفها انت

هل تذكرون هذا المقطع ؟

كلما علت الضـجة واختلطت الاصـوات رن فى سمعى لحن (أهل الهوى يالبل) ، (الامل) ، (انا فى انتظارك) ، (حبيبى يسـعد اوقاته) ، (هوا صحيح الهوى غلاب) .

ماأجمل ان نبارك المحسن ولكن ما انبل ان نذكر جهود الآخرين .. ان عـذر المبهورين وانا منهم ـ هو **الطرافة** كما اشرت فى التقاء ام كلثوم وعبدالوهاب ... بعد تباعد وتباين . واللقاء من هذا النوع عادة يبهر الناس ويثير فضولهم وحماستهم معا سـواء اكان لقاء تعاون او تصادق كما حـدث بين تاليران ونابليون وبين تاليران وفوشيه وبين فولتير وفردريك الاكبر ، ام لقاء تصادم كالذى يحفظـه التاريخ من صراع بين ابى جعفر المنصور وابى مسلم الخراسانى .

حسبى ان تكلمت عن لقاء عبد الوهاب وام كلثوم فقد تكفل بالباقى الأستاذ على ادهم فى كتابه القيم (تلاقى الأكفاء) .

دكتورة
نعمات احمد فؤاد

لا رمزية ولا غموض فى الشعر العربى

للدكتور عبدالرحمن عثمان

من أخص صفات الشعر فى كل لغة ، ان يحيل صمت الطبيعة وهمهمة المشاعر ، الى افصاح مبين ، وجهر واضح النبرات ، وأن يهب صوره حياة كاملة بحيث تعيش مستقلة ، أو متفاعلة داخل النفس التى تعشق الفن الشعرى ، وتكلف بابداعه وجمال تصويره ، ومن ثم كان الشعر من أدق الفنون الكلامية مسلكا ، ومن أشدها طلبا للبراعة والحذق، لانه يقدم الحياة فى شتى أحوالها الى النفس ، ويصل أسرارها الدقيقة بالوجدان والشعور .

وسفارة الشعر بين الانسان والحياة ، تحتاج الى ذكاء وعمق فى فهم ما احتجب من أسرارها ، وتفتقر كذلك الى نسق من الافصاح ، يجمع بين الوضوح الذى يستميل الفكر ، وبين السحر الذى يملك برقاه زمام العواطف والاحاسيس .

وتلك هى الميزة الكبرى لهذا الفن الناطق ، عمق وجلال فى الفكرة ، ووضوح وجمال فى الصياغة ، وما سوى هذين يعتبر اسرافا وتزيدا فى فهم الحقيقة الشعرية ، او التماس لجمال مصنوع ، او مجتلب .

فتأثير الشعر ، مرتبط ببيانه الخلاب للفكرة التى تبنى عليها القصيدة ، وهو تأثير يعد من جوهر الشعر على نفسه على نحو ما بينا ، فحاجة المنطق — كما يقول الجاحظ — الى الطلاوة والحلاوة ، كحاجته الى الجلال والفخامة ، فذلك من أكبر ما تستمال به القلوب ، وتنثنى اليه الاعناق ، وتزين به المعانى ، وليس فى البيان فى حقيقته الا دلالة ظاهرة على المعنى الخفى .

***

وقد فطن نقده الشعر العربى فى القديم الى هذا الاصل الهام ، حينما عرضوا للفصل بين المجددين والقدماء فى القرن الثالث والرابع من الهجرة ، فقد اداروا الحديث حول ما سموه « عمود الشعر » ، مما نجده فى كتابى : « العمدة لابن رشيق ، ومقدمة الحماسة للمرزوقى » ، وقد عابوا جانبا من شعر ابى تمام ، لانه جنح فيه الى الاسراف والتزيد ، فى غرامه بالبديع ، والاتكاء على الصنعة دون الطبع ، ولم يرضوا كل الرضا عن منهج ابن الرومى فى الالحاح على الفكرة ، وكذلك كان موقفهم من عبد الله ابن المعتز .

والنقاد حينذاك لم ينكروا على هذا النوع أن يجيء عميقا فى أفكاره ، أو رفيعا شريفا فى معانيه ، ولم يصدفوا عنه لمجرد التوشية بقصد التجميل ، وانما مجنوا الغامض من الشعر ، وكرهوا التكلف من الشاعر ، لأن العمق فى تقويم الفكرة ، وترتيبها ، وضبطها ، لايتناكر مع استوائها فى أسلوب سمح ، وبيان واضح أخاذ .

وقد يكون عمق الفكرة الشعرية سببا من أسباب الجودة ، وسبيلا مفضيا الى الجمال فى القريض ، بشرط أن تظاهره صياغة بارعة ، وحذق مصور ، لأن قسمات الفكرة انما تظهر واضحة فى التعبير الذى يكون بينه وبينها نسبا والفا ، بحيث ترتسم على صفحته المشرقة فى وضوح لا خفاء فيه ولا لبس .

***

ومهما التزم الاقدمون فى نقدهم التطبيق الدقيق «لعمود الشعر» ، فلا أظن ناقدا يحترم عقله — قديما كان أو محدثا — يجترىء على القدح فى روائع ابن الرومى ، أو يعيب ما استقام من فرائد ابى تمام وغيرهما ، لمجرد أنهم قد بذلوا جهدا شاقا فى تتبع المعنى ، والانصباب على الفكرة من جميع اقطارها ، فالفن فى حقيقته انفعال طاغ ، ينتظم النفس والفكر ليؤلف منهما عاطفة مشبوبة ، تمضى الى غايتها مبصرة ، لتخلق عملا فنيا على غير مثال .

ولا شك أن الفنان يبذل خلال كل ذلك الكثير من ذات نفسه ، وذوب وجدانه ، وهو بذل قد نتصوره مضنيا ، ولكن الفنان يحس به فى أعماقه أنسا غامرا ، ونشوة معربدة ، لأنه بمثابة « المركز » الذى تدور حوله الدائرة فى العمل الفنى المتخلق فى وجدان الاديب .

ولا ينبغى أن نستهين بالجهد الذى يبذله الفنان الجاد ، ليبدع لنا فنا يصدر عن وعى بصنوف الجمال، ومراتب الحسن ، سواء كان ذلك فى نطاق الافكار، أو فى مجال الصياغة ، أو فيهما جميعا ، لأن هذا

الاتجاه من جانبه ، يفسر لنا مقدار حرصه على بلوغ الغاية في نماذجه ، استجابة لنوازعه الفنية من جانب واحتراما لجمهوره المعجب به من جانب آخر ، فليس الفن وسيلة من وسائل التسلية ، أو حديثا من أحاديث الفراغ والتبطل ، وانما هو روح تطعمه الروح ، ويغذو الوجدان والقلب .

***

وعلى هذا النسق عرفنا البيان العربي في الشعر ، وعلى هذا السمت عرفت الفكرة سبيلها في الشعر القديم ، وعلى هذا النمط أيضا ينبغي أن تختط طريقها في المحدث من الشعر المعاصر ، فمن عمق الفكرة وجلالها ، ومن سماحة التصوير ووضوحه ، سيجول ماء الحسن في نماذجه ، فأما الغموض الذي يغشى صفحة الشعر ، فهو مذهب للجمال الذي هو غاية من غايات الشعر ، فالبيان ايضاح ، والغموض تعمية ، ورمز أخرس .

وعلى قدر ما يلتزم الشعر المعاصر بهذين الاصلين أو يتحلل منهما ، يكون نصيبه من المدح والذم في ميزان النقد العربي ، ذلك الميزان الذي سيظل دائما راجحا بالذوق الخالص الذي يقدر المعنى قدره ، ويجعل لوضوح الصياغة حكمها في هذا الباب .

وأغلى أمنية أتمناها للشعر الحديث ، أن يستجيب للطبع العربي الصرف ، وأن يستقيم على جادة البيان ، وأن يصدر عن الاصالة الفنية التي تنكر التقليد وتنفر منه ، وأن يبرأ من مرض « الرمزية » الاوربية ، وأن ينطلق الى النور من كهوف الغموض الداكنة ، لأنه اذا ساغ لنا أن نزجي الفراغ بتأليف «الفوازير» فانه لايسوغ لنا بأي حال أن نجرى مثل هذه الأحاجي في أشرف الفنون وأرقاها في تراثنا القومي كله .

والاحتطاب في حبل « شارل بودلير » واليوت » لا يحقق للشاعر العربي بلاغة ، ولا يخلطه بقلوب قراء العربية ، لان نمط هذين الشاعرين مستمد من البيئة التي تعرف رمزية بودلير في فرنسا ، وغموض اليوت في انجلترا .

***

ولست أزعم انني أوجه الشعراء في عصرنا الى ما يجب أن يتجهوا اليه بدافع من الفطرة ، والذوق ، والعروبة ، والبيئة ، فلست أدعى هذا ، لان الكثير مما أقرأ لهم ، ينبىء عن اصالة ووعي ، وبعضه غني بالمعاني الانسانية ، ونابض بالاماني القومية ، وهو في نهجه يتناول الفكرة تناولا عميقا ، ثم يجذب أطرافها البعيدة الى القلب بواضح من العبارة ، أو ناطق من خفي الاشارة .

ولكن الرحمة من صفات الانسان ، وهي الصفة التي شعرت بها نحو قلة من شعرائنا – ان جاز اطلاق اللقب عليهم – سلكوا بالفكرة الجليلة سراديب الغموض ، وأوغلوا باللفظ المبين في متاهات تشابهت فجاجها ، فاذا نظرت في شعرهم أخذتك الحيرة ، وربما رجعت بك الذاكرة الى طفولتك وأنت تسمع أحاجي جدتك في القرية ، فتذكرت فيما تتذكر جملتها التقليدية التي كانت تختتم بها أقاصيصها : « حرز ، فزر ، تبقى ايه ؟ » .

والرحمة بهؤلاء ، هي التي بعثت في قلبي كثيرا من الأسى والاسف ، لأنهم يستثمرون مواهبهم في « بنك » مفلس من المواهب ، وان كان غنيا برأس ضخم من الدعاوى التي لا « رصيد » لها فيما يتعامل به العقلاء من أفكار ، وساظل راحما لهذه القلة التي تبعثر جهودها في مجال فني متوهم ، حتى تعرف – دون ارشاد – : أن دمعة الراحم لا تختلف في شيء عن ابتسامة الساخر ، فاذا عرفت ذلك – دون ارشاد أيضا – ساغ لي حينئذ أن أقول لشعرائها في كثير من الجد والحزم : انكم غرباء عن أنفسكم ، فارجعوا اليها ، ولا تبحثوا عنها في التيه ، لأنها تعيش معكم وبكم ، ان حضارة أوربا خطفت أبصاركم ، وهي حضارة عتيدة دون أدنى ريب ، فلو فهمتم الفرق بينها وبين ما قامت عليه من ثقافة ، لأدركتم أن الثقافة تراث انساني مشترك ، ومن لبنات هذا التراث الضخم تبني كل أمة حضارتها على النمط الذي يلائم تقاليدها ومقوماتها الاصيلة فيها ، ومعنا لا يحتاج الى برهان عدم جدوى التقليد في هذا النطاق .

***

واذا شاء شعراء الغموض أن يفسحوا في صفوفهم المضطربة مكانا لزملائهم الذين يهذون بالافكار الشعرية في قالب نثرى مرتعش ، وهم أصحاب « السايب » ، على حد تعبير أستاذنا العقاد ، اذ شاءوا أن يتحدوا ليشارك بعضهم بعضا في الثورة على القديم ، وليتسابقوا معا في اصطناع التجديد لهدف أو لغير هدف ، فان لي عندئذ أن أحذرهم جميعا مما يلفقه جهلاؤنا من دعاوى باطلة تجرى على ألسنة بعض المتشرقين من يهود ، واستعماريين ، وصليبيين ،

وصرفنا عن الادب العربي ، بالغض منه ، والطعن عليه ، فهم يقررون مثلا : أن الشعر العربي شعر بداوة ، وأدب زنوج ، لانه يقوم على البساطة الساذجة في عرض الأفكار .

وأكاد أجزم : أن الأذكياء من المستشرقين - فضلا عن سوادهم - لا يفهمون بيتا واحدا من شعرنا على النحو الذي ينبغي أن يفهم ، لان الشعر ذوق ، واحساس ، وتمثيل للبيئة التي يعيش فيها الشاعر ، والأدلة على ماذهبت اليه في شأنهم مبثوثة فيما كتبوا عن الشعر العربي ، على أن ثقة من المستشرقين حدثني بأنه لا يفهم الشعر العربي كما يفهمه العربي المتذوق .

والعجيب في هذا ان افرادا من العرب ، خدعوا بهذيان المغرضين من أهل الاستشراق وأضاليلهم ، فآمنوا بها ، وذهبوا بها أبواقا في كل صقع عربي ، وفي هذا دليل حاسم على سوء القصد ، والانسلاخ عن البيئة التي صنعتهم على مثالها ، فاذا أضفت الى ذلك ضآلة حظهم من البيان العربي ، عرفت أسباب الانحراف وأهدافه المدمرة .

ولست أتهم المستشرقين جميعا بسوء القصد ، فان منهم المنصف الذي لا يذهب به الهوى كل مذهب ، فمن هؤلاء الدكتور « جستاف لوبون » ، الذي مجد الشعر الجاهلي في كتابه « حضارة العرب » واتخذ من تأملات الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد في الحياة والموت ، مثالا يقف عنده الفلاسفة والمرتابون وقوف الذي لا يجد شيئا ذا بال يضيفه الى تأملات طرفة .

***

فالرمزية ، وما تستتبع من غموض وتعمية ، غريبة عن الادب العربي حتى في مجال التصوير لأدق الافكار وأشدها خفاء ، لأن البيان في وضوحه يستطيع أن يكتشف عن دقائقها ، ويميط اللثام عما يختبيء خلفه ؛ فلا حاجة بنا الى مثل هذا الشعر الغامض الذي يسلمنا الى شيء لا نعرف عنه شيئا .

***

وقد قيل لحكيم : متى يكون الأدب شرا من عدمه ؟ فأجاب : اذا كثر الأدب ، ونقصت القريحة .

دكتور
عبد الرحمن عثمان

تخطيط لجمع التراث

بقلم : الدكتور حسين نصار

يتفق الباحثون في الدراسات العربية على أن العلماء العرب عنوا بالتراث العربي واحيائه في السنوات المائة الاخيرة ، ولكنهم يتفقون أيضا على أن المحاولات التي بذلوها كانت - ولا تزال - فردية وعفوية ، وأن الاشتغال بالتراث في حاجة الى تنظيم وتخطيط ، لا اعني بالتنظيم جمع الهيئات العامة على احيائه في هيئة واحدة ، فقد يتم ذلك ، وتبقى الجهود فردية عفوية ، انما اعني التنظيم في الخطوة التي لابد أن يقوم بها كل متعرض للتراث ، ولا يستطيع فرد بل ربما لا تستطيع هيئة واحدة ان تنظمها على النحو الذي لابد منه للاستيفاء ، أعني جمع التراث تمهيدا لفهرسته . فالتراث العربي مفرق مبدد على مكتبات العالم من شماله الى جنوبه ، ومن شرقه الى غربه ، ما كان منها في بلاد عربية اللغة وما لم يكن ، وما كان منها مكتبات عامة وما كان مكتبات خاصة بل توجد آثار منه في مواضع لا يخطر على البال وجود أثر عربي فيها .

ولن نستطيع المفاضلة بين ما يستحق الاحياء وما لا يستحقه من هذا التراث ، الا بعد استقصاء جمعه ولن نستطيع أيضا المفاضلة بين ما نراه جديرا بالاحياء لنحقق ما عظمت قيمته أولا ، الا بعد استقصاء الجمع أيضا . فذلك هو النهج السليم للمفاضلة .

والمقصود من تحقيق اى مخطوط اخراجه على الناس في الصورة التي أخرجه فيها مؤلفه . فان لم نهتد الى نسخة المؤلف ، فلا سبيل الى هذا المقصود غير جمع ، جميع ، النسخ الباقية منه ، في أي مكان كانت ، ثم تصنيفها ، وتطبيق المنهج العلمي للتحقيق عليها . بل قد يكون جمع ، جميع ، النسخ في بعض الحالات التي نعثر فيها على نسخة بخط المؤلف ضروريا أيضا ؛ لان كثيرين من المؤلفين كانوا دائمي التنقيح لكتبهم والحذف منها والاضافة اليها ، كما فعل ابن خلدون في مقدمته وابن جنى في سر صناعة الاعراب مثلا .

واحسب أننا بازاء طريقين ، لاستقصاء ، التراث

العربى : طريق عملى ، وآخر نظرى . أما الطريق العملى فيؤدى الى استقصاء ، ما بقى فعلا ، من المؤلفات العربية . على حين يؤدى الطريق النظرى الى استقصاء ، ما أصدره ، المؤلفون العرب ، سواء ما قاوم منه عاديات الزمن فوصل الينا ، وما تقطعت أنفاسه واختفى من الطريق .

وليس من اليسير أن نحقق أى واحد من الهدفين السابقين . ولكننا نستطيع أن نقسم العمل فيهما على مراحل ، كما يفعل أصحاب التخطيط . فلكى نسير فى الطريق العملى ، ونستقصى ما بقى عندنا من التراث يجب أول ما يجب أن نحصر المكتبات العامة والخاصة المنتشرة فى ارجاء العالم ، ولا استثناء فى حصر المكتبات ، لأى علة من العلل . وواجب مؤكد علينا أن نبدأ بذلك الحصر فى القطر المصرى وقد كانت وزارة الثقافة شرعت فيما يشبه ذلك العمل ، ولكنها لم تواصله فلعلها تجعله من المشروعات المعتمدة فيها .

وحين نفرغ من حصر المكتبات ، وهو اهون خطانا ، نبدأ فى حصر ما تحتوى عليه من مخطوطات . وربما اكتفينا فى هذه المرحلة ـ للسرعة ـ بالحصر المجرد ، اعنى وضع قوائم بعناوين ومؤلفى ما فيها من مخطوطات . ولا استثناء فى هذه الخطوة لأى كتاب ، لتفاهة فيه ، لما سبق أن قلت ، أو لسبق طبعه ، فلسنا ندرى كيف طبع ولا كيف حقق ولا مدى ما تستحقه النسخة التى اعتمد عليها عند الطبع من ثقة . لا استثناء لأية علة من العلل .

وقد روعى عند انشاء معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية ان يقوم بمثل هذين العملين . فقد نص فى المادة الحادية عشرة من نظامه الداخلى الذى وضع فى سنة ١٩٥٦ على أن : « تؤلف فى المعهد مكتبة خاصة تضم جميع الفهارس (فهارس المخطوطات العربية) المطبوعة ، وصورا عن الفهارس المخطوطة ، والمراجع الهامة التى تساعد على اعداد البطاقات » . .

ولم يقصد المعهد الفهارس وحدها بما قال فى المادة السابقة ، بل قصد قوائم الكتب أيضا ، يبين ذلك من المنهج التالى الذى أراد أن ينفذ به تلك المادة : « يحصر المعهد المكتبات الخاصة والعامة غير المفهرسة ، فى كل بلد من البلاد ، ويعد قائمة لها » .

وافلح بعض من كتب فى مجلة معهد المخطوطات العربية فى الوفاء بهذه الخطوة . فقد قدم الاب ديبور كوى قائمة كاملة بالمخطوطات العربية الموجودة بمكتبات رئاسة المطبوعات ، والمعارف ، ومتحف هراة ، بأفغانستان ، فى عدد مايو ١٩٥٦ من المجلة ، وان لم يتيسر له الاستقصاء الشامل فى مكتبة جلالة الملك ، فكتب عن « معظم بل أهم ما فيها » . ولسنا نبغى بديلا عن الحصر الكامل . وقدم الاستاذ عبد الرحمن عبد التواب فى عدد نوفمبر ١٩٥٦ قائمة شاملة بمخطوطات دار الكتب بشبين الكوم ، وقدرها ١٩٩ مخطوطا ، وفى عدد مايو ١٩٥٧ قائمة شاملة بمخطوطات دار الكتب بالزقازيق ، وقدرها ٢٣٣ مخطوطا ، وفى عدد نوفمبر ١٩٥٧ قائمة شاملة بمخطوطات دار الكتب بطنطا ، وقدرها ٢٩٢ مخطوطا . وفى عدد نوفمبر ١٩٥٨ قائمة شاملة بمخطوطات دار الكتب بالمنصورة ، وقدرها ٣٣٨ مخطوطا ، أما بقية من كتب عن المكتبات فى المجلة فآثروا الاختيار فضؤلت الفائدة من عملهم .

ولابد أن يساير احصاء المخطوطات المنثورة فى ارجاء العالم تصويرا لها كلها ، دون ابطاء ولا تعلل ولا استثناء . وتوضع هذه المصورات جميعا فى مركز واحد ، لتكون تحت بصر الراغبين وفى خدمتهم .

ومن حسن الطالع أن اليونسكو أخذ على نفسه ما يشبه ذلك العمل . فصور بعض المخطوطات من المغرب ، ويقوم فى هذه الايام بتصوير بعض المخطوطات الموجودة بدار الكتب المصرية ومكتبات الجامعة الازهرية . ولكننا اذا أسأنا فهم عمل اليونسكو كان ضرره أكثر من نفعه . فقد سلك القائمون عليه نهجا اختياريا لا يقوم على أساس معين . فاكثر المخطوطات التى صوروها عن مكتبات المغرب غير ذات قيمة ، أو ضئيلتها . والواجب استقصاء التصوير ، وعدم ترك شىء .

فاذا ما قمنا بذلك الحصر ، والتصوير ، والجمع ، مع الاستقصاء التام ، أدى بنا ذلك الى الخطوة الاخيرة فى الطريق العملى : الا وهى فهرسة تلك المخطوطات او الصور التى حصلنا عليها . وقد صارت هذه الخطوة ـ بعد أن قمنا بما قمنا به ـ خطوة سهلة ، وخاصة اذا تنبهنا الى ان كثيرا من هذه المخطوطات ـ التى تضمها مكتبات اوربا خاصة ـ قد وضعت لها فهارس دقيقة ، تصفها وصفا شاملا جليا .

دكتور
حسين نصار

رجال فى الشمس

- ١ -

بقلم الدكتور أحمد كمال زكى

هل انحسر مد القصة الجاد ؟

أنا لم أقرأ بعد « دنيا الله » فى غير ميادين الرواية ما يمكن أن يكون قصة حقيقية ، هذا فى مصر · وأما خارج حدودنا فنرى أسماء جديدة تحلق الآن فى سماء القصة، **تريد أن تكسف نور ادريس والشارونى وفاروق خورشيد · وفى الوقت نفسه تصر جماعة ـ منها نجيب الكيلانى ونجيبة العسال وفلان وفلانة ـ على أن تقف عند بنت الجيران الغنية وحبيبها الموظف الفقير ، أو تجتر ذكريات الزوجة التى تذهب الى الشاطىء لتستعيد لذات الحبيب الذاهب او تلقاه فى نجوة عن الزوج المسكين ·**

وبقايا الجيل الرائد من امثال ابراهيم المصرى والسحار لا يزال يكتب عن « الحاج رضوان » العجوز المريض الذى يعصف بشباب الصبية المتفتحة ، او يكتب عن « المعلم ابراهيم » صاحب الشبابيك المغلقة التى يحرسها ومن ورائها تتسلل ابنتاه لتعبثا ما شاء لهما العبث ·

اجل ·· وكانه لا يريد الا ان يحكى عن شلوذ عصر لم يعدلنا به الا صلة التاريخ، ويلغ الاعتبارات الانسانية التى تشكل قضايا المصير ، منكرا ان ادب الاقطاع بدا يتقشع او انقشع فعلا فى اكثر البلاد ·

والعجيب أن هؤلاء وهؤلاء ـ بقايا الجيل الرائد واصحاب بنت الجيران والزوجة فى المصيف ـ لا يؤمنون بسنة التطور ، ويجهلون مثلا ان المرحلة التى وقف عندها كامى وسارتر وسيمون دى بوفوار ـ ولا يمكن أن يزعموا أنهم وصلوها ـ لم تعد تلفت فى فرنسا الا نظر المدرسين بينما احتل الشباب المجدد قلب الصورة باصرار ·

انا لا اقارن ولا احاسب احدا ، ولكنى اسجل ظاهرة فى مجالات القصة القصيرة · واخشى اخشاه ان يكون اختفاء الجادين من امثال خورشيد والشارونى وادريس ـ وهذا يمثل فى نظرى عمقا فنيا ويتيح لغيرهم فرص الظهور ـ اعترافا ضمنيا بقصورهم عن متابعة الحياة وعن فهم مشكلات العصر، والا فاين منهم ما يتجاوب مع قضايا المصير بكل اعماقها وابعادها ؟

اجل لا اقارن ولا احاسب احدا ، ولكنى اشفق ان يكون قصاصونا عاجزين عن العطاء الخصب ، فيتنزل عنهم روائى كنجيب محفوظ كل ما كان حتما عليهم ان يتولوه !

- ٢ -

لقد ذكرت أننا خارج حدودنا نرى أسماء جديدة تحلق فى سماء القصة ومن هذه الأسماء ع · مطيع ودريس الشرايبى وغسان كنفانى ، وهم من الذين يعبرون عن قضايا حضارية من خلال أزمتهم وفلسفتهم · وعلى بعد المسافة بينهم ـ فأحدهم فى المغرب وثانيهم فى الجزائر وثالثهم فى لبنان ـ فانهم يبحثون عن عالم رحب خصب لايفقدون فيه الايمان، ويظفرهم بالمعرفة ، وعن طريق المعرفة توضع الحلول او تتبلور مشكلة المصير ·

وليس من قبيل المصادفة انهم يشتركون فى تحطيم الاطار التقليدى للقصة، كذلك ليس من قبيل المصادفة أنهم يمتازون بالقدرة على مصادرة المنطق المألوف باعتباره لا يحسم كل شىء، وعلى رصد اللاوعى باعتباره يصدم القراء بانفسهم ·

ان ثقافة العصر ومشكلاته تقدم لونا جديدا من القصص نعتبر « رجال فى الشمس » مثلا له ، وقد كتبها غسان كنفانى يريد أن يرتفع بها الى مستوى قضية العرب فى فلسطين ·

وربما كان من الضرورى أن ننبه الى ان هذا العمل الادبى ليس قصة بالمعنى الدقيق لهذا الفن ، وانما هو رواية قصيرة حرص فيها المؤلف على ان يناقش المصير مناقشة عملية عميقة · وقد أوجد بها ما يمكن أن أسميه أدب الكارثة الحقيقى ، وكأنه يريد ان يقرر أن هذا الادب يجب أن يقوم فى نفوسنا ما قامت الرغبة عندنا فى أن نعود !

واحساسه بالعودة ـ فيما أرى ـ بمغزاه الاصيل والوحيد ، يرتبط دائما بالرحلة ، وعن طريق هذه الرحلة يتحقق الخلاص ·· ولكن اى خلاص ؟

ان القصة تبدأ فى البصرة بنفر من المهاجرين

ـ يمثلون أعمارا متفاوتة ـ وهم يحاولون أن يساوموا « الرجل السمين » الذي يعمل في تهريب المهاجرين الى الكويت . كان الثمن الذي يطلبه الهرب باهظا وكانوا هم فقراء . أبو قيس المعلم العجوز ، وأسعد الشاب الذي يريد عمه أن يشتريه لابنته ، ومروان الصغير الذي يريد أن يلحق بأخيه في أرض الثراء .. كل واحد من هؤلاء لا يملك المال الكافي للهرب ، وكان الرجل بعد أن يساوموه يطردهم من دكانه واحدا بعد واحد .

وفي الطريق يلتقي بهم رجل طويل نحيل غريب الاطوار ، واسمه أبو الخيزران . هذا الرجل يعرض عليهم أن يهدم ـ بشكل رائع ـ كل سدود العجز واليأس ، وكان الثمن ضئيلا فضلا عن أنه لا يدفع الا في الكويت . لقد أعلن أنه قادر على تهريبهم في سيارة ماء يملكها رجل ثري معروف ويقودها هو ، على أن يختبئوا في خزانها اذا اقتربوا من احدى نقط المراقبة في الصحراء بين البصرة والكويت .

وبدأت رحلة السيارة في شمس لا ترحم ، وفي جو قائظ كأنه لفح الجحيم . اثنان فوق الخزان الملتهب ، والثالث بجانب السائق الطويل النحيل . فاذا اقتربت القافلة من احدى نقط التفتيش أسرع الثلاثة يدخلون جهنم الخزان ، بحيث لا يستمر بقاؤهم في الداخل الا دقائق يتم خلالها ختم الاوراق بسرعة .

كان أبو الخيزران معروفا تماما بفضل تردده على الصحراء ، اذ كان صاحب العربة يخرج دائما للقنص ـ أو هكذا يشاع ـ وكان يحتاج الى امدادات ماء تصله عن طريق سيارته تلك التي تحمل الثلاثة في جوفها أحيانا وفوقها أحيانا أخرى .

وعند آخر نقطة تفتيش يموت الثلاثة مرة واحدة ، فقد طالت مدة ختم الأوراق أكثر من المعتاد قليلا ـ لمجرد أن رجال النقطة أرادوا العبث بالسائق بعض الوقت ـ فلما فتح أبو الخيزران باب الخزان على الثلاثة وجدهم جثثا هامدة .

كان هذا في المرحلة الأخيرة للرحلة ، ففكر أبو الخيزران في أن يحفر لهم ثلاثة قبور . ثم تقلص العدد الى واحد ، وانتهوا الى أن ألقوا في « مقلب » القمامة خارج البلد . وقبل أن يتركهم أخرج النقود من جيوبهم ـ فهذا ثمن الرحلة ـ والتزع ساعة مروان لنفسه ورجع الى عربته وهو يصرخ كالمذهول :

ـ لماذا لم تدقوا جدران الخزان ؟ لماذا لم تقرعوا جدران الخزان ؟ لماذا .. لماذا .. لماذا ؟ .

- ٣ -

كان لقواعد القصة نوع من الاجتهاد العلمي .. على الفنان أن يخلق عدة شخصيات ، ثم يروح يفرض عليها أحداثا متسقة ـ يحكمها المنطق بطبيعة الحال ـ على أن تقترن بكل شخصية اقترانا يصلها بالعقدة ! ومن الضروري في الوقت نفسه أن يمر « البطل » بأزمة ما ـ عاطفية كانت أو فكرية ـ يكون من غاياتها الوصول بالقارىء الى النهاية المرسومة . وليس من شك في أننا نرى الأعمال القصصية كلها ـ قبل الاحساس بمأساة الانسان المضيع في هذا العالم ـ تقوم بهذا التخطيط على نحو يضمن لها رسوخا في حدود المتفق عليه من كيان الأشياء الموضوعي ، والمتفق عليه أيضا من النظرات الاجتماعية والسياسية .

واليوم تغير موقف الأديب ، لأن موقف الانسان كله من العالم قد تغير . تضخم احساسه بالضياع ، ولا أقول وجد لأنه قديم ، ودلت عليه أغاليطه التاريخية المختلفة . ومن ثم صار من الواضح أن يتنكب المحدثون طريق الرواد الكبار حتى وان كانوا دوستويفسكي وفلوبير وموباسان ، ثم بروست وجيمس جويس ، وأشفق أن أذكر من بعدهم اللامعقوليين من أمثال كامي .

حقا نحن لم نصل في اخلاص وتمثيل صادق الى ما وصل اليه واحد ممن ذكرنا ، غير أن شبابنا الواعي ـ وهو يدرك هذه الحقيقة ـ **يحاول أن يكون في مستوى الاحداث الكونية ، حتى في ارتداداته الى عصر الاسطورة من أجل أن يتصيد بعض ما لا يسعفه العلم من تفسير وتبرير .**

ومن هذه النقطة ـ فيما أرى ـ رصد غسان كنفاني لرجاله وهم في الشمس . انه هو نفسه لا يشير الى شيء من ذلك ، ولكن لبنائه الفني ومضمونه جميعا دلالات عليه ، وأكثر ما نلقاها في شخصية السائق لا سيما وهي تستقبل مصرع الثلاثة بهدوء وتعب في أول الأمر ثم باحتجاج يضيع كما ضاع كل شيء على أيدي اليهود .

لقد مرت عشر سنوات على حادث اخصائه أو اسقاطه ، ولكنه لا يريد « أن يعترف ببساطة بأنه قد

ضيع رجولته في سبيل الوطن ، وما النفع ؟ لقد ضاعت رجولته وضاع الوطن وتبا لكل شيء في هذا الكون الملعون » .

وكان له ان يلعن، لأن اللعن في ذاته وسيلة سلبية من وسائل الاحتجاج . ولكنه لم يصل الى مرحلة الكفر كله ، حقا كان يعيش في شبه مطاردة مع القانون ــ وقد بدا كما لو كان يضمه خصما آخر بعد اليهود ــ وحقا كان يسخط على مقاومة اهله في المعركة ، الا انه كان لا يملك الا أن يساعدهم ويرثى لضياعهم .

واما ابو قيس المعلم العجوز فقد كان لا بد ان تمر سنوات قبل أن يفيق من هول الصدمة ، ويدرك ان اليهود اغتصبوا ارضه وشجراته العشر ، وان عليه أن يرتاد عالما يشبه ذلك العالم الذي حدثنا عنه السندباد .

ومثل هذا يقال عن اسعد، ومروان. الاول متآمر على الدولة وعلى عمه ، وتآمر عليه صديق لوالده ، اذ تركه ليواجه المجهول فوق عدة وهاد صفر فيحس « انه وحيد في هذا العالم » . والثاني يتركه ابوه الى زوجة مشوهة لأن لها دارا ، فيجد نفسه في العراء ، ويفكر في أخيه الذي لا يمكن أن يجتمع به الا برحلة طويلة تشبه رحلة اوديس .

وهكذا تتحدد معالم الضياع ، وتكون الرحلة نتيجة طبيعية له . ومن ثمة تتهيأ امام غسان كنفاني فرص النجاح لتصوير القضية العربية ــ في اطارها الانساني ــ وان يكن يبدو فيها أقرب الى التأمل والتشاؤم .

وقداتضح ان المؤلف قد وصل في نهاية الامر الى حقيقة كبيرة هي « عالمية » الفقد وقدمه ، وهو يؤكد من خلاله او بواسطته ان وراءه جدوى ، قد تكون جدوى المعرفة وقد تكون جدوى الموت وقد لا تكون الا جدوى الفقد ذاته . فلو اردنا دراسة اجتماعية أصيلة او تمثيلا ما لأزمة العصر ، امكن أن نجعل هذا الفقد ــ بكل ما ينجم عنه من احساس بالغربة والوحشة والالم والعذاب ــ في مقدمة مايغرى بالطرح والفحص .

ونلاحظ أن المؤلف في كل هذا كان أشد اطمئنانا الى انه يلقى أفئدة تهوى اليه ، ولهذا لم يجابه أحدا بتقريرات دعائية ممجوجة . وكانت هناك نتيجة أخرى ظفر بها دون مشقة، هي ان نجاحه في تحديد معالم المعركة المتزايدة ووصفه لاتساع قضية النزاع ، لم يضعا اية عراقيل في طريقه ، فكان بعيدا عن أن يتهم بأنه يفرض رأيا ما .

ونستطيع أن نتبين الفارق بينه وبين يحيى حقي ــ وقد تحدثنا عنه في صح النوم من قبل ــ اذا ذكرنا انه لم يفترض أن مرارة المعركة يمكن أن تزول فجأة ولم يحاول أن يضخم من عمليات الصمود في وجه اليهود ، ولم يذم قط ماضيه لتبرق يوطوبياه بريقا خادعا . لا لم يفعل ذلك ، في حين فعله يحيى حقي أو فعل مثله حتى أصبح وكأنه داعية لاشتراكية غامضة أو مبشر برخاء وهمي .

ومحصلة هذا كله اننا لا نجد في « رجال في الشمس » الفكرة المسبقة ولا نستطيع أن نزعم انها من قبيل أدب الرأى ، بل نحن نحس لها بعفوية برغم ما قد تبدو به عند بعضنا من غموض وتعقيد . واذا جاز أن نعتبرها من أدب المقاومة ــ بعد ذلك ــ ففي يقيني أنها تفضل كل ماأقراه في أدب الرومانسية والواقعية الكاذبة .

واخشى أن ثمة نقادا يختلفون معي في هذا ، ولكن مجرد مقارنة بسيطة بين هذه وبين قصة « الشبابيك المغلقة » تكفى لازالة اوجه الاختلاف أو لتخفيفه على اقل تقدير .

ان غسان كنفاني الذي تخلى عن كثير من تقليديات القص ، اعطانا مضمونه في تجربة حية اعتمد فيها على المونولوج الداخلي اعتماده على تتبع خطوات الرحلة حتى الموت . وفي الوقت نفسه تجاوز تلك المرحلة التي نسميها بالمراهقة الفنية ، ووقف عندما يميز عصرنا الراهن دون ان يتعمد التقرير او يتقدم بالتفسيرات التي تخرج به من نطاق الفكر الى مجالات الهتاف والصخب .

دكتور
احمد كمال زكي

أثر القراءة في الذوق الفني

للأستاذ علي العماري

ربط ابن خلدون بين نوع المحفوظ من الكلام ، وبين ماينشئه الشاعر او الكاتب ــ كما ذكرت في ختام الفصل السابق ــ وضرب بنفسه المثل فذكر انه كان مع صديقه لسان الدين بن الخطيب ، الكاتب الاندلسي الكبير ، والوزير الخطير ، فقال ابن خلدون « اجد استصعابا على في نظم الشعرمتى رمته مع بصري به ، وحفظي للجيد من الكلام من القرآن والحديث ، وفنون من كلام العرب ، وان كان محفوظي قليلا ، وانما اتيت ــ والله اعلم ــ من قبيل ما حصل في حفظي من الاشعار العلمية ، والقوانين التأليفية ، فاني حفظت قصيدتي الشاطبي الكبرى والصغرى في القراءاتوتدارست كتابي ابن الحاجب في الفقه والاصول ، وجمل الخونجي في المنطق ، وبعض كتاب التسهيل وكثيرا من قوانين التعليم في المجالس ، فامتلا محفوظي من ذلك ، وخدش وجه الملكة التي استعددت لها بالمحفوظ الجيد من القرآن والحديث ، وكلام العرب فعاق القريحة عن بلوغها ، فنظر الي ساعة معجبا ، ثم قال : لله انت ، وهل يقول هذا الا مثلك » .

وقد ايد ابن خلدون نظريته هذه بشواهداخرى في المقدمة ، ولكن قبل ان نستطرد الى حديثه في هذا المجال نقف قليلا عند كلمة ابن الخطيب ، فهذا الرجل كان من اعلام الادب العربي ، وهو ــ كما يقول عنه ابن خلدون ــ الصدر المقدم في الشعر والكتابة ، وان شاوه لم يكن يلحق ، وانه علم الائمة وفخر العلماء الجلة ، وكان ابن الخطيب كذلك ،وقد تشعر كلمته بان ابن خلدون ابو عذر هذه الكلمة ، وان الربط بين المحفوظ والمنشأ من ابتداعاته ، ولكن يبعد ان يكون ابن الخطيب يجهل اثر الثقافة ونوعها في اسلوب الاديب وافكاره ، ويجهل ان القدماء قبل ابن خلدون قد تنبهوا الى هذا الامر ، وكيف ومن اوائل ماقيل في فضل الشعر قول عائشة ــ رضى الله عنها ــ : «رووا اولادكم الشعر تعذب السنتهم» وما اظن انه خفي على ابن الخطيب ما كثر دورانه في الكتب من التفرقة بين اشعار العلماء واشعار غيرهم فربما كان هذا اراد مجاملة صديقه ابن خلدون ، وربما كان قد اعجب بالبيان الواضح الحاسم في تقرير هذه النظرية .

ثم نعود الى ابن خلدون لنرى انه مايفتا في تلك الفصول التي كتبها في المقدمة عن الادب يكرر هذا المعنى ويؤكده ، ويجيء له بالشواهد والامثلة ، فهو يرى ان حفظ الجيد العالي في طبقته من الكلام هو الذي يخلق ملكة البلاغة العالية ، وهنا نرى ابن خلدون يرجع القدرة البيانية الى نوع الثقافة ، متجاهلا كل ماعدا ذلك من مؤثرات في الملكة البلاغية وهو نظر ضيق محدود ، فملكة البلاغة العاليةوليدة عوامل اخرى كثيرة غير الثقافة ، على ان هذه الملكة لاتحصل بمجرد وجود هذه العوامل ، بل لابد من استعداد فطري هو مانسميه بالموهبة ، وهي فضل من الله يمنحه من يشاء ، نعم ، لايمكن احدا ان ينكر اثر الثقافة في تكوين الملكة ، ولكن من الخطا الواضح ان يقول قائل ان هذه الموهبة انما تحصل بحفظ العالي في طبقته كما قال العلامة ابن خلدون . فهذه الثروة من ماثور الكلام الجيد انما هي احد الاسباب وليست كلها ، وقد اصاب صاحب المقدمة حين ارجع قصور الفقهاء واهل العلوم في البلاغة الى مافي محفوظهم من القوانين العلمية ، والعبارات الفقهية، فهذه كلها خارجة عن اساليب البلاغة ، وهو يقص عن احد كتاب السلطان بالمغرب وكان ــ على حد تعبيره ــ المقدم في البصر باللسان لعهده ان احد جلسائه انشده مطلع قصيدة ولم يشبها ، وهو :

لم ادر حين وقفت بالاطلال
ماالفرق بين قديمها والبالي

فقال الكاتب على البديهة : هذا شعر فقيه ، فقال له صاحبه : ومن اين لك ذلك ؟ فيقول : من قوله : (ما الفرق) اذ هي من عبارات الفقهاء ، وليست من اساليب كلام العرب ، فقال له صاحبه : لله درك ، انه ابن النحوى .

وقد وردت في حديث ابن خلدون عن نفسه ، وان الشعر قد يصعب عليه لما سبق الى حفظه من الاشعار العلمية ، وردت اشارة الى (الملكة) ، وفي هذه الاشارة يقرر الكاتب انه كانت له ملكة ادبية سليمة ، وانه كان بصيرا بالشعر ، حافظا للجيد من الكلام ، ولكن حفظه للاشعار العلمية (خدش

وجه الملكة) ، وفى هذا التعبير ما يشـعر ان اثر هذه المحفوظات العلمية لم تؤثر تأثيرا بالغا فى ملكته مع ان ما قاله ابن خلدون من شعر بعـد اكتمـال محفوظه من القوانين العلمية كان ظـاهر التكلف ، وان انقطاع ابن خلدون عن الشعر بعد ذلك اكبر دليل على ان هذا الاثر كان كبيرا .

وربما كان الواقع مؤيدا لهذا الفهم ، فان الشاعر المجيد حين يتحول عن جو الشعر الى دراسة العلوم الدينية او العربية او العقلية يظهر اثـر كل ذلك بوضوح فى شعره فيفقد ماءه ، وتذهب روعتـه ، ويلحق باشـعار العلماء التى تبعد بعـدا كبيرا عن الشعر المطبوع .

ثم نعود الى الملكة وحديثها ، وهى ـ كما عرفها العلمـاء ـ كيفية راسخة فى النفس تصـدر عنهـا الافعال والاقوال بسهولة ، وقد عنى ابن خلدون عناية فائقة فى حـديثه عن النثر والشـعر بهـذه الملكة ، بل جعلها اسـاسـا للتجويد فى كل عمل .

وعنده ان الصناعة ملكة ، والتجارة ملكة ، وان من حصلت له ملكة فى صناعة فقل ان يجيد بعـد ذلك فى ملكة اخرى ، ومثال ذلك الخياط اذا اجاد ملكة الخياطة واحكمها ، ورسخت فى نفسـه فانه لايجيد من بعدها ملكة النجارة او البناء الا ان تكون الاولى لم تـستحكم بعـد ، ولم ترسخ صـبغتها ، والسـبب فى ذلك ـ كما يقول ـ ان الملكات صـفات للنفس ، والوان فلا تزدحم دفعة واحدة .

ثم يـرى ان من كان على الفطـرة كان اسـهل لقبول الملكات ، واحسن استعدادا لحصولها ، فاذا تلونت النفس بالملكة الاخرى ، وخرجت عن الفطرة ضعفت فيها الاستعداد باللون الحاصل من هـذه الملكة فكان قبولها للملكة اضعف .

فالفارسى ـ مثلا ـ الذى خالط العرب بعـدان تكونت عنده ملكة فى لغته لايمكن ان تكون له ملكة عربية سليمة ، وهذا امر مشـاهد ملحوظ فى كل دخيل فى امة من الامم ، غير ان الفارسى اذا نشأ بين العرب ، وربى بين أصحاب هذه الملكات العربيـة فانه يصبح من أصحاب الملكات العـالية كمـا هو الشأن فى الأئمة سيبويه والفارسى والزمخشرى فانهم وان كانوا أعجاما فى النسب الا أنهم نشئوا بين ذوى الملكات العربية فاستولوا بذلك من الكلام على غاية لا شىء وراءها ـ كما يقول ـ وكانهم فى اول نشأتهم من العرب الذين نشئوا فى أجيالهم حتى ادركوا كنه اللغة ، وصاروا من اهلها .

اما الفارسى نسبا الذى سلم من مخالطة اللسان العجمى بالكلية ، واخذ نفسه بدراسـة العربيـة لتحصل له ملكتها فربما تحصـل له ، ولكن ذلك نادر .

ومعنى هذا ان ابناء يعرب الذين يدرسون اللغات الاوربية وآدابها لاتحصل لهم ملكة فيها مهما بالغوا فى هذه الدراسة . وان المستشرقين الذين يقضون اعمارهم فى دراسة العربية وآدابها لايحصلون ايضا على ملكة فيها ، ومن هنا يمكن ان ندرك سر الاخطاء الكثيرة التى يتردى فيها هؤلاء حين يحكمون على الادب العـربى ، او على القـرآن الكريم باذواقهم الخاصة ، وان كان فريق من ابنائنا المفتونين بكل ماهو غربى يؤمنون بكل مايقول اولئك المستشرقون وفاتهم ان العلم بقوانين اللغة غير العلم بها .

ولايكتفى ابن خلدون بتدافع الملكات الادبية ، بل يزيد على ذلك ان من حصلت له الملكة فى علم من العلوم ، واجاده فى الغاية قل ان يجيد ملكة علم آخر على نسبته ، بل يكون مقصرا فيه ان طلبه الا فى الاقل النادر من الاحوال .

وهذا نظر نافذ ، له وزنه ، ويؤيده ماذهبت اليه احدث الآراء من ضرورة التخصص فى انواع العلوم ، بل وفى فروع العلم الواحد .

وقد اشار الجاحظ اشـارة خفيفة الى هـذه المسـالة ممـا يؤيد رأى ابن خلدون ، ويؤكـده ، ولانبعد ان يكون ابن خلدون اطلع على كتاب البيان والتبين فانه عده نقلا عن شيوخه فى مجالس التعليم من اصول فن الادب واركانه ، وان كنت لااجد اثر هذا الكتاب واضحا فى المقـدمة ، قال الجـاحظ : « ومن القصاص موسى بن سيار الاسـوارى وكان من **اعاجيب الدنيا** ، كانت فصاحته بالفارسـية فى وزن فصاحته بالعربيـة ، وكان يجلس فى مجلسه المشهور به فتقعد العرب عن يمينه ، والفرس عن يساره ، فيقرأ الآية من كتاب الله ، ويفسرها للعرب بالعربية ، ثم يحول وجهه الى الفرس فيفسرها لهم بالفارسـية ، فلاندرى بأى لسان هو ابين ، واللغتان اذا التقتا فى اللسـان الواحد **ادخل كل واحدة منهما**

الإمام الماوردي

بقلم : أحمد الشرباصي

اشتهر الماوردى فى باب الاقتصاد بكتابه « الأحكام السلطانيه » الذى يبحث فى وجود العمران والاقتصاد التى تلزم للمجتمع ، والحقوق المختلفة لأفراد المجتمع ، والواجبات المتبادلة بين الحاكمين والمحكومين .

ولم يكتف الماوردى فى كتابته ذات الصبغة الاقتصادية بهذا الكتاب ، بل هو يؤلف كتابا يجعل عنوانه « قانون الوزارة » حيث يبحث فيه واجبات من يقوم بهذه المهمة الخطيرة ، وما ينبغى له من صفات لكى يحسن خدمة امته ودولته ، فى المجالات العمرانية والاجتماعية والاقتصادية المختلفة .

ثم هو يضع كتابا ثالثا يجعل عنوانه « سياسة الملك » ، يبحث فيه الأمور المتعلقة بالدولة كيف تنشأ ، وكيف تساس ، وكيف يتوافر لها الخير ، وكيف تتجنب وجوه الشر ، الى غير ذلك من الموضوعات .

بل يبدو الحديث عن النواحى الاقتصادية لم يكن يبعد عن الماوردى حتى فى كتبه الأخلاقيه التهذيبية، فهو يؤلف كتابا مشهورا اسمه «أدب الدنيا والدين» وهو كما يلوح من عنوانه يتجه اتجاها تربويا يراد منه تحقيق الاستقامه الأخلاقية فى الحياة ، ومع ذلك لا ينسى الماوردى ان يحدثنا فى الكتاب عن مسائل تعد من صميم الموضوعات الاقتصادية ، فهو يتكلم فيه عن وجوه الكسب ، ويذكر انها الزراعة والتجارة والصناعة وتنمية الحيوان (اى الثروة الحيوانية) .

ويقول عن الزراعة انها « اعم نفعا واوفى فرعا »، ويستشهد بقول الرسول : « التمسوا الرزق فى خبايا الأرض » ، ثم يقول عن التجارة انها فرع لمادتى الزراعة وتنمية الحيوان ، ويتكلم عن قول النبى :

القيم على صاحبتها الا ما ذكرنا من لسان موسى بن سيار الأسوارى » .

ويوضح ابن خلدون مسالة اخرى على جانب كبير من الاهمية ، وهى أن العلم بالصناعة غير الملكة فيها ، وكذلك الامر فى العلوم ولمرتها ، ويضرب المثل بالخياط الذى حصل له العلم بالخياطة ، ولم تحصل له الملكة ، فهو يستطيع ان يقول ان الخياطة ان يدخل الخيط فى خرت الابرة ، ثم تغرز فى لفقى الثوب مجتمعين ، وتخرج من الجانب الآخر بمقدار كذا ، ثم ترد الى حيث ابتدىء بها ، وتخرج قدام منفذها الاول بمطرح مابين الثقبين الاولين ، ثم يكرر ذلك الى آخر العمل ، فاذا طولب بأن يعمل ذلك بيده لايحكم منه شيئا .

كما يضرب المثل بالنجار الذى يعرف النجارة علما ، ولايحكمها عملا ، ثم يصل الى تفسير ظاهرة يحار كثير من قصار النظر فى تفسيرها ، ذلك أن من العلماء من يجيد علما حفظا ودرسا فاذا وصل الى التطبيق ادركه الضعف ، فالعلم بقوانين الاعراب – مثلا – لايتيح للعالم تجويد الكتابة ، وقد حدثوا عن (الشلوبين) أنه كان امام اهل زمانه فى العربية – وهو عالم اندلسى – وكان لايقيم لسانه جملة واحدة صحيحة .

ويعلل ابن خلدون مثل هذه الظاهرة ، وهى متكررة فى كل جيل وكل مكان ، بأن العلم بقوانين الاعراب انما هو علم بكيفية العمل ، وليس نفس الكيفية ، ولذلك كما يعجز العالم بالنحو الذى لم تحصل له ملكة ادبية ، كما يعجز عن النطق الصحيح فى بعض الاحايين يعجز كذلك عن كتابة سطرين الى صديق او فى شكوى ظلامة ، فيكثر فيهما من اللحن ، وتعوزه العبارة الانيقة التى تصل به الى مقصوده .

والعكس صحيح ، فقد يجيد انسان فنى النظم والنثر ولكنه لايحسن صناعة الاعراب ، ولايجيد شيئا من قوانين البلاغة .

ومن هنا كانت الطريقة المثلى فى تعليم العربية الجمع بين القاعدة والتطبيق ، وأن تدرس القواعد فى ظلال النصوص الادبية الجيدة ، وهو ماسارت عليه معاهد التعليم منذ حين .

علي محمد حسن العماري

« تسعة اعشار الرزق فى التجارة » ، ثم يقسم الصناعة الى ثلاثة اقسام : صناعة فكر وصناعة عمل وصناعة مشتركة بين الفكر والعمل ويتحدث عن كل قسم بفهم وتبصر ، ويقرر اهمية الثروة الحيوانية ، ويعبر عنها بكلمة « نتاج الحيونات » ، ويذكر انها عماد الذين لا يستقرون فى المدن .

وقد برز الماوردى فى العلم وسبق ، حتى قال فيه ياقوت الحموى : « كان عالما بارعا متفننا ، شافعيا فى الفروع ، ومعتزليا فى الأصول » . ولقد جاء احد العلماء يوما الى الماوردى وقال له : ايها الشيخ ، اتبع ولا تبتدع ، فاجابه قائلا : بل اجتهد ولا أقلد . وهذه اجابة تدل على استقلال شخصية الماوردى ، واعتماده على العقل والتفكير ، فهو لا يريد ان يكون تابعا لسواه بلا تدبر ، بل يفكر ويقرر ما يقتنع به ! .

ولا شك ان منصب القضاء حيث تولاه فى بلاد كثيرة قد اتاح للماوردى صلة وثيقة بالمجتمع ومشكلاته الدنيوية والمدنية والاقتصادية ، كما اتاح له ان يكسب بين الناس مكانة ملحوظة ، بل ارتفعت مكانته ايضا عند الخلفاء فكان مسموع الكلمة لديهم وكانت له مكانة خاصة عند سلاطين « بنى بويه » ، وكانوا يجعلونه سفيرا بينهم وبين من يناوئهم ، ويرتضون وساطته ، وياخذون برايه .

ولقد الف الماوردى – غير ما سبق – طائفة من الكتب ، منها كتاب فى تفسير القرآن الكريم يسمى « العيون والنكت » ، وكتاب « الاقناع » فى الفقه ، وكتاب نصيحة الملوك وكتاب أعلام النبوة ، وكتاب الأمثال والحكم ، وكتاب معرفة الفضائل ، وكتاب تسهيل النظر وتعجيل الظفر ، وكتاب الحاوى فى الاحكام الفقهية ، وهو فى ثلاثة وعشرين مجلدا .

وكان بارعا فى التأليف حتى انه كان يتناول الموضوع فيؤلف فيه مطيلا مسهبا ، ثم يعود الى الايجاز فى الموضوع نفسه فيأتى بالعجب العجاب . قال مثلا : « بسطت الفقه فى اربعة آلاف ورقة ، واختصرته فى اربعين » . وهو يقصد بالمبسوط كتابه « الحاوى » ، وبالمختصر كتابه « الاقناع » .

وبعد حياة طالت فامتدت ستة وثمانين عاما توفى الامام الماوردى فى ربيع الأول سنة ٤٥٠ هـ (مايو ١٠٥٨ م) ، ودفن بمقبرة باب حرب ببغداد ، عليه رضوان الله .

وبعد ان عرفنا لمحة عن حياة الامام الماوردى يحسن بنا ان نعرف لمحة اخرى عن كتابه الجليل « الأحكام السلطانية » ومنهجه الاقتصادى فيه .

لقد طبع هذا الكتاب بمصر وفيه من القواعد الشرعية ما لا يجده الباحث فى غير هذا الكتاب ، فقد بحث فى شئون الخلافة ، والوزارة ، والصدقات ، والفىء ، والغنيمة ، والخراج ، وبيت المال ، والدواوين ، وغيرها من الأمور .

ويذكر لنا الماوردى فى صدر كتابه الداعى الذى دعاه الى تأليفه فيقول : « لما كانت الأحكام السلطانية بولاة الأمور احق وكان امتزاجها بجميع الأحكام يقطعهم عن تصفحها ، مع تشاغلهم بالسياسة والتدبير ، افردت لها كتابا امتثلت فيه امر من لزمت طاعته ، ليعلم مذاهب الفقهاء فيما له منها فيستوفيه ، وما عليه منها فيوفيه ، توخيا للعدل فى تنفيذه وقضائه ، وتحريا للنصفة فى اخذه وعطائه، وانا اسأل الله تعالى حسن معونته ، وارغب اليه فى توفيقه وهدايته ، وهو حسبى وكفى » .

ويرى الماوردى فى هذا الكتاب ان الذى يشتغل للدولة فى الأمور الاقتصادية وكان يسمى « كاتب الديوان » يجب ان يتوافر فيه شرطان اساسيان ، وهما العدالة والكفاية ، فيقول عنه ما نصه : « فالمعتبر فى صحة ولايته شرطان العدالة والكفاية»، ثم يرى انه يلزم له ان يكون حافظا للقوانين ، عارفا للحقوق ، يجيد محاسبة العمل ، ويتقن بحث المظالم والمشكلات المالية بين الناس .

ومن الموضوعات الطريفة التى يبحثها الماوردى فى كتابه موضوع العلاقة بين العامل وصاحب العمل، ومدى تدخل الدولة فى هذه العلاقة ، فيذكر ان « المحتسب » – وهو رجل شبيه بالمراقب الذى يتبع أعمال الناس وتصرفاتهم ، ليزيل المنكر ، ويصدهم عن الانحراف ، ويدعوهم الى الهدى – له الحق فى التدخل لاصلاح العلاقة بين العامل وصاحب العمل .

ويتحدث الماوردى عن حكم الأراضى التى يستولى عليها المسلمون ، ويقسمها ثلاثة اقسام ، قسم يؤخذ عنوا بلا قتال ، وهذا يكون وقفا للمسلمين ، اى ملكا عاما لهم – اى مؤمما بلغة العصر – وقسم يؤخذ صلحا ، هذا ينفذ فيه ما اتفق

عليه الطرفان ، وقسم ثالث وهو ما اخذه المسلمون بالقوة فى معركة ، ومثل هذه الأرض « اختلف الفقهاء فى حكمها بعد استيلاء المسلمين عليها ، فذهب الشافعى رضى الله عنه الى أنها تكون غنيمة كالأموال تقسم بين الغانمين ، الا ان يطيبوا نفسا بتركها ، فتوقف على مصالح المسلمين ، وقال مالك : تصير وقفا على المسلمين حين غنمت ، ولا يجوز قسمها بين الغانمين . وقال ابو حنيفة : الامام فيها بالخيار بين قسمتها بين الغانمين ، فتكون ارضا عشرية ، او يعيدها الى ايدى المشركين بخراج يضربه عليها ، فتكون ارض خراج ، ويكون المشركون بها اهل ذمة ، او يقفها على كافة المسلمين ، وتصير هذه الأرض دار اسلام ، سواء سكنها المسلمون ، أو اعيد اليها المشركون ، لملك المسلمين لها ، ولا يجوز ان يستنزل عنها للمشركين ، لئلا تصير دار حرب » .

وتحدث الماوردى عن « الحمى » ، وهو ما يشبه به التاميم فى العصر الحاضر ، فذكر ان الرسول حمى ارض « النقيع » ، وان ابا بكر حمى ارضا فى « الربذة » ، وان عمر حمى ارض « السرف » ، وذكر الماوردى الحديث الذى يقول : « لا حمى الا الله ولرسوله » وشرحه بقوله :

« فاما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا حمى الا لله ولرسوله ، فمعناه : لا حمى الا على مثل ما حماه الله ورسوله للفقراء والمساكين ، ولمصالح كافة المسلمين لا على مثل ماكانوا عليه فى الجاهلية من تفرد العزيز منهم بالحمى لنفسه ، كالذى يفعله كليب بن وائل » .

وهذا يقرر مبدأ هاما ، وهو ان التاميم حين يبيحه الشرع وتقتضيه المصلحة ، لا يكون للفرد ولو كان حاكما ، ولا للدولة واجهزتها ، بل التاميم حق الامة التى يهديها ربها تبارك وتعالى ، ويقودها رسولها صلى الله عليه وسلم .

ويتحدث الماوردى عن نشأة « الديوان » وهو الجهاز الخاص بحفظ حقوق الدولة وصيانة ما لها من اعمال واموال والنظر فيما يجب عليها من واجبات مالية نحو الافراد ، وتحديد من يقوم بمختلف الاعمال من ولاة وجنود وعمال ، فيقول فيما يقول: وعمال ، فيقول فيما يقول : «واول من وضع الديوان فى الاسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، واختلف الناس فى سبب وضعه له ، فقال قوم : سببه أن ابا هريرة قدم عليه بمال من البحرين ، فقال له عمر : ماذا جئت به ؟ . فقال : خمسمائة الف درهم ، فاستكثره عمر فقال : اتدرى ما تقول ؟ . قال : نعم مائة الف خمس مرات . قال عمر : اطيب هو ؟ . فقال : لا أدرى . فصعد عمر المنبر فحمد الله تعالى ، واثنى عليه ، ثم قال : ايها الناس قد جاءنا مال كثير ، فان شئتم كلنا لكم كيلا ، وان شئتم عددنا لكم عدا . فقام اليه رجل فقال : يا امير المؤمنين ، قد رايت الأعاجم يدونون ديوانا لهم ، فدون انت لنا ديوانا » .

يريد أن ينشىء جهازا تكون مهمته أن يسجل المعلومات المتعلقة باموال الدولة ودخلها ومصروفاتها، وان يعين واجبات كل فرد وحقوقه فى هذه الناحية، وان يحصى الناس ليعرف مكانة كل واحد فى المجتمع، حتى تبنى حقه على قدر واجبه ، فاستجاب لذلك عمر .

والماوردى يطالب فى كتابه بالعدل فى اخذ الضرائب من الافراد ، وفى اخذ الأموال المستحقة للدولة عندهم ، ويقرر انه اذا حدث واخذت الدولة من الفرد ضريبة او مالا اكثر مما عليه ، كان واجبا على الدولة أن ترد هذا المال الى صاحبه ، واذا حدث وأخذ جامع الضرائب او الأموال الأخرى شيئا من الفرد بغير حق ، وختلسه لنفسه ، كان على الدولة ان تنتزع منه هذا القدر ، وتعيده الى صاحبه ، والماوردى يعتبر وقوع هذا التعدى قسما مستقلا من اقسام المظالم التى يلزم دفعها وسد الطريق عليها ، ويعتبر ايضا نوعا من انوع الجور التى يرتكبها بعض عمال الأموال ويعنى بهم جامعى الاموال المستحقة من الافراد .

يقول : « والقسم الثانى اجور العمال فيمايجبونه من الأموال ، فيرجع فيه الى القوانين العادلة فى دواوين الائمة ، فيحمل الناس عليها (يقصد الوالى) ويأخذ العمال بها ، وينظر فيما استزادوه ، فان رفعوه الى بيت المال امر برده ، وان اخذوه لأنفسهم إسترجعه لأربابه » .

وهكذا مضى الماوردى فى كثير من صفحات كتابه يعرض علينا ملامح مختلفة من النظم الاقتصادية التى شرعها الله لعباده ، وجاء بها الاسلام ليمهد الطريق امام مجتمع فاضل يحسن الجمع بين قوة المادة وقوة الروح .

احمد الشرباصى

بحيرة لامرتين

للدكتورة عاتكة الخزرجي

الى اديب العرب الكبير

الى الاستاذ احمد حسن الزيات لانها منه واليه

أهكذا الله يقضى أن نخوض ولا … نرسى على مرفأ فى لجة الأبد ؟
فالعام قد شب قد عاد مكتملا … ومنية النفس لم ترجع ولم تعد !
واننى انا وحدى فوق صخرتها … أعلل النفس والتعليل لم يفد
فاذكر الامس حيث الريح عاصفة … تذرى على قدميها ثائر الزبد
أتذكرين .. اذ الأكوان صامتة … بكماء صماء لم تنقص ولم تزد
ونحن نجدف فى صمت وفى دعة … فيحدث الجدف انغاما بلا عدد ؟
واذ تدافع صوت شق هدأتنا … والريح والماء فى صمت وفى سهد
يا أرض مهلا قفى .. لاتعجلى .. فهنا … قلبان .. هذا صدى يرتوى بصدى
فى مربع من ربا الحب قد غرقا … بلجة من شباب زاهر وندى
ويابحيرة صونى ذكر ليلتنا … وجدديه ليبقى آخر الأبد
صونيه فى هدأة او طى عاصفة … او فى الهضاب التى ترفض عن برد
وفى الصنوبر .. فى وعر الصخور … وفى النسيم فى الموج فى الضفات فى الزبد
صونيه فى الكوكب الفضى قد عكست … أنواره البيض فوق الماء والبلد
ولتهتف الريح وليشد النسيم وما … فى الكون من مرهف أو جامد صلد
كانا محبين .. هذ مهد حبهما … يضم أصداء حب خالد أبدى !

الدكتورة عاتكة الخزرجى

كلية التربية جامعة بغداد

من أغانى الصباح

للشاعر محمد مصطفى المليجى

ساشارك الدنيا ابتسامتها الجميله
ساعيش كالعصفور أشدو فى الخميله
ساعيش للامال ، للقيم النبيلة

ساعيش كالازهار أنفح بالعطور
ساعيش مثل الروض أشرق كالزهور
أمضى الى الآفاق اسرع كالنسور

ساشارك الدنيا فانى مولع بجمالها
بطيورها ، بزهورها ، بجبالها
بنسيمها .. بصفائها .. بجلالها

واظل بالآمال أشدو كالبلابل
أشدو أغنى فى الرياض وفى الخمائل
اشدو أغنى للصباح وللاصائل

محمد مصطفى المليجى

أيام وأيام

للشاعر محمد ابراهيم نجا

عشت بالوهم والخيـــال مهنا ... حين كان الزمان ينساب لحنا

حينما كنت فى ربيع حيـاتى ... وحياتى ربيعهـــا ليس يفنى

وشــباب الايام غض ، وفيه ... تدرك النفس كل ما تتمنى

ان جفتها حقيقة الحب نالتـــ ... ـــه خيـــالا ، فكان أكمل حسنا

كنت فى ذلك الشـباب أغنى ... لحيـــــاة أيامهـــا تتغنى

كنت ، والكون فى الشتاء غريق ، ... ألمس الدفء فى دمى مستكنا

واحس الربيع ينهـــل بشرا ... حين كان الخريف يقطر حزنا

والهوى لذ لى على القرب والبعـــ ... ـــد ، ولذ الوصـــال خوفا وأمنا

ودموعى أحببتها ، وسهادى ... كان أحلى من المنـــام وأحنى

وعـــذابى ، وما أرق عذابى ، ... حين يبدو فى الشـــعر لفظا ومعنى

كان شـــعرى رسول قلبى اليهـــا ... وشـــفيعى اذا الزمان تجنى

ولقد كنت جذوة من شـــعور ... لم يدع فى مســـارب النفس ركنا

فاذا مر عطر انثى بقربى ... رفرف القلب فى الضـــلوع وحنـــا

هـــكذا كنت فى زمان قريب ... كان أبهى من الربيع وأسنى

فلماذا غاضت ينابيع احـــلا ... مى ، وما كان فيضهــــا يتأنى ؟

ولــماذا أصبحت لا يستثير الحســـ ... ـــن قلبى ، مهمـــا تألق فنا ؟

ولمـــاذا ترنو الى عيـــون ... كحلت بالفتون هدبا وجفنـــا

فأرانى أغضى وامضى كـــأنى ... لم أكن بالعيون صبا معنى ؟

الأنى ألفـــت كل مثير ... فى حياتى ، فهـــان بالالف شأنا ؟

ورأيت الحياة بالفـكر حتى ... ضاع سحر الحياة منها ، وضعنا ؟

وتمعنت فى اليقين بعقـــل ... فوجدت اليقين قد صـــار ظنـــا ؟

وغزت نفسى الشـــكوك فضاعت ... راحة النفس ، وانثنى القلب مضنى؟

الآن المشيب بكر فى عمــ ... ـــرى ، فاصبحت فى الشباب مسنا ؟

ليت انا لم نعرف الشـــيب يوما ... وبقينـــا مـــع المنى ... ليت انا

كان قلبى يصير السجن افقـــا ... بالأمانى ، فصير الأفق سجنا

كان قلبى روضـــا ، فجف غديرا ... وذوى ربوة ، وصـــوح غصنا

كم نعمنا بالعمر وهو شباب ... ورجعنـــا نشقى ، وقـــد غاب عنا

وركضنـــا مع الحيـــاة طويلا ... ثـم عدنا نمشى الهـــوينى الهوينى

هذه سنة الحيـــاة ، فدعنا ... من عتاب الحياة يا قلب .. دعنـــا

وانس ما كان فى زمان تولى ... لا تقـــل نحن فيه كنا وكنا

وتجمل بالصبر ، فالصبر أولى ... من أسانا على الذى ضاع منا

وخذ الأمر فى الحيـــاة كمـــا يأ ... تى ؛ تعش راضيا بها مطمئنا

ابراهيم محمد نجا

حول مشروع المكتبة العربية

للدكتور سليمان عطية

اختلفت آراء المعنيين بالتراث العربي من المعاصرين في كتاب كشف الظنون هل يعاد تحقيقه ونشره أو لا ؟ فواضعو مشروع المكتبة العربية يجعلونه في قائمة الكتب التي استقر رأيهم على تحقيقها ونشرها ، في حين ترى الدكتورة بنت الشاطىء أنه لا داعي الى ذلك ، لان وزارة المعارف التركية نشرته في طبعة بالغة الدقة والضبط والاتقان . ويقسم أستاذنا أمين الخولي الكتب التي تضمنها المشروع الى عدة أقسام ، ويجعل كشف الظنون في القسم الخاص بالكتب القديمة العهد والحديثة بالطبع المحقق في الخارج ، ثم يتساءل : هل يراد اعادة طبع هذه الكتب ؟ وهل تحتاج هذه المشهورات الى تخطيط ؟ مع أن مشروعا لطبع مطبوعات أوربا بالصور ينفذ في بلد شقيق بجوارنا !

وكأي مشتغل بتاريخ الفكر العربي أتيح لي الرجوع الى كشف الظنون لمعرفة شيء عن بعض المؤلفات التي لم تكن في متناول يدي بل ان هذا الكتاب كان لمدة طويلة من المراجع الاساسية لرسالتي الماجستير والدكتوراه اللتين أرخت فيهما التعليم في فلسطين من الفتح الاسلامي الى الفتح العثماني ، وحرصت على وصف الكتب التي كانت متداولة في المعاهد الفلسطينية ، والآثار العلمية والادبية للمعلمين من أهل فلسطين والوافدين عليها في تلك العصور .

وكتاب كشف الظنون مطبوع حتى الآن اربع طبعات : الاول طبعة ليبزج بين عامي ١٨٣٥ و ١٨٥٨ بعناية العلامة فلوجل ، والثانية طبعة بولاق سنة ١٢٧٤ هـ ، والثالثة طبعة الآستانة على ذمة حسن الكيلي بين عامي ١٣١٠ و ١٣١١ هـ ، والرابعة طبعة وزارة المعارف التركية بين عامي ١٩٤١ و ١٩٤٣ م بتحقيق الاستاذين محمد شرف الدين المدرس بجامعة استامبول ، ورفعت بيلكة الكليسي ، وهي الطبعة التي أشارت اليها الدكتورة بنت الشاطىء وفي هذه الطبعة الاخيرة اعتمد المحققان في تصحيح الكتاب على نسخة المؤلف ، وأخرجاه مجردا من الزيادات عدا الاشارة الى التصحيفات التي وقعت في طبعة ليبزج .

ومع تقديري للجهد الذي بذله محققو الطبعات الاربع في المحافظة على أصل الكتاب ، فاني أرى أن هناك أسبابا قوية تستدعي اعادة تحقيقه ونشره على أسس تكفل الانتفاع به . فمن هذه الاسباب أننا لا نجد في اي طبعة من طبعاته الأربع مايشير الى الاختلافات اللفظية بين نسخه الأصلية في نصوصه المختلفة ، مع أن وجود ذلك ضروري لأنه يوفر على الباحث مشقة الرجوع الى هذه النسخ في كل نص يريد تحقيقه . ومنها أن فيه كثيرا من الأوهام التي لابد من التعليق عليها ، كنسبة الكتاب الى غير مؤلفه أو موضوعه أو فنه . وعلى الرغم من اعتراف المحققين للطبعة الأخيرة في كلمة التصدير بأن الكتاب لا يخلو من اغلاط في الوفيات وأسماء المؤلفين والمؤلفات لم يعمد الى تصحيحها لان ذلك خارج عن مهمتها . ومنها ثقة الباحثين بهذا الكتاب مع وجود هذه الأوهام فيه ، حتى ان واضعي فهارس المكتبات العامة في بلادنا ينصرفون عما تحت أيديهم من نسخ خطية ومطبوعة للكتب التي يكلفون وصفها وينقلون ماجاء عن هذه الكتب فيه نقلا آليا ، وبذلك تنتقل الاخطاء منه الى تلك الفهارس ، ومن تلك الفهارس الى مالا يحصى من المؤلفات التي تعتمد عليها . كما أننا كثيرا مانجد ناشري الكتب يحلون اغلفتها بما أورده مؤلف هذا الكتاب في وصفها . ومنها مرور عشرين عاما على آخر طبعاته ، وفي هذه الأعوام العشرين ظهر بعض المؤلفات التي يمكن أن تلقى أضواء قوية على مادته وتساعد مساعدة فعالة في تصحيح أخطائه . ومنها حاجته الى بعض الفهارس التي لا غنى للباحثين عنها . وأخيرا نفاد طبعاته وصعوبة حصول الباحثين على نسخ منها لمكتباتهم الخاصة .

ولما كان المقام لا يسمح باستقراء الأوهام التي تضمنتها مادة هذا الكتاب ، فانني سأكتفي بالكلام عن ثلاثة مؤلفات نسبها حاجي خليفة خطأ الى أحد العلماء ، وهو القاضي شهاب الدين محمد بن أحمد ابن الخول المولود سنة ٦٢٦ والمتوفى سنة ٦٩٣ هـ ، وبالتعليق على ما ذكر في كشف الظنون عن « رسالة الشافعي » ليكون بمثابة نموذج للتعليقات المقترحة ، وسيرى القارىء كيف أن حاجي خليفة قد وهم فأضاف الى شراح هذه الرسالة خمسة من شراح رسالة أبي زيد القيرواني في فقه الامام مالك . ولنبدأ الآن بالكتب الثلاثة :

١ — كتاب أقاليم التعاليم :

نسب حاجي خليفة هذا الكتاب الى الشهاب ابن

الخولى ، وقال انه فى الفنون السبعة : التفسير والحديث والفقه والادب والطب والهندسة والحساب ، وان أوله الحمد لله خالق الأشياء وواضع الارض ورافع السماء ٠

وقد تبينت الخطأ فى نسبة هذا الكتاب الى الشهاب ابن الخولى عندما رجعت الى نسخه الخطية الثلاث المحفوظة بدار الكتب المصرية ، فاذا بى أجدها متفقة على أن المؤلف هو قاضى القضاة شمس الدين احمد بن خليل بن سعادة الخولى ، والد شهاب الدين ، وأن تاريخ التأليف هو الحادى والعشرون من شهر رجب سنة ٦٣٠ هـ ٠

وتاريخ التأليف يقطع بأن شهاب الدين لم يؤلف هذا الكتاب ، والا جاز لطفل فى السنة الرابعة من عمره أن يؤلف كتابا فى سبعة فنون منها الطب والهندسة ، وأن يعد القارىء فى مقدمته بأن يتناول فى كل فن اربع عشرة مسألة ، منها سبع سمان وسبع عجاف ٠ وليس هناك مايمنع ان يكون شمس الدين هو المؤلف لهذا الكتاب لأنه كان عند تأليفه فى السابعة والأربعين من عمره ، ولأن مستواه العلمى كان يؤهله للكتابة فى هذه الفنون السبعة ٠

ومن العجيب أن تكون هذه النسخ تحت أيدى واضعى فهارس دار الكتب المصرية والمكتبة التيمورية الملحقة بها ومع ذلك ينسبون الكتاب الى الشهاب بن الخولى ناقلين عبارة حاجى خليفة بنصها ، بل ان واضع فهرس المكتبة التيمورية قد عمد الى النسخة التى بين يديه من هذا الكتاب فسجل تلك العبارة على الورقة الاولى منها ٠ وأدهى من ذلك أن ينقل واضع فهرس دار الكتب من آخر النسخة التى تحمل الرقم (٣٨٢ معارف عامة) تاريخ كتابتها وهو السابع والعشرون من شوال سنة ٧٤٦ هـ فيجعله سنة ٦٤٦ ، وغنى عن البيان أن منح هذه النسخة من الاقدمية مائة عام يزيد من قيمتها فى نظر الباحث ، لانها تكون فى هذه الحالة قد كتبت فى حياة المؤلف ، مع أنها فى الواقع لم تكتب الا بعد وفاته بتسع وخمسين سنة ٠ وليست هذه هى المرة الوحيدة التى يخطىء فيها فهرس دار الكتب المصرية بل اننا لنجد عددا لا يحصى من الاخطاء مثبتا فى فهارس هذه الدار ، وفهارس غيرها من المكتبات العامة فى بلادنا ، ولعل وزارة الثقافة والارشاد تقدم اعظم خدمة للتراث العربى اذا هى أدخلت فى مشروع المكتبة العربية اعادة النظر فى فهارس هذه المكتبات التى أخذت منذ أكثر من مائة عام تتحول الى مراجع عالمية يعول عليها المعنيون بجمع تراثنا الفكرى ودراسته فى خارج بلادنا من أمثال فلوجل ، ووستنفلد ، وبروكلمن ٠ لذلك لم ادهش عندما وجدت الاستاذ خير الدين الزركلى فى كتابه الاعلام يعتمد على فهرس دار الكتب المصرية فى نسبة كتاب أقاليم التعاليم الى الشهاب بن الخولى (٦/٢١٩) ٠ لوجود شبه بين المؤلف الحقيقى وابنه فى كل من الوظيفة والتأليف ، فكلاهما اشتغل بالقضاء الى أن لقب بقاضى القضاة ، وكلاهما ألف كتابا فى مجموعة من العلوم ، فالوالد ألف هذا الكتاب الذى نحن بصدده ، والابن ألف كتابا كبيرا يتضمن كما يقول السيوطى فى حسن المحاضرة ١/٢٣٤ عشرين فنا ٠

٢ ـ كتاب نظم التوضيح :

ويتحدث حاجى خليفة عن الألفية فى النحو فيقول : « نظم جمال الدين عبد الله الطائى الجيانى المعروف بابن مالك المتوفى سنة ٦٧٢ » ويستمر فى حديثه الى ان يقول : « وممن نثر الألفية الشيخ نور الدين ابراهيم بن هبة الله الأسنوى المتوفى سنة ٧٢١ وله شرحها أيضا ، وبرهان الدين ابراهيم بن موسى الكركى المتوفى سنة ٨٥٣ وله شرحها أيضا ، والعلامة جمال الدين عبد الله بن يوسف المعروف بابن هشام النحوى المتوفى سنة ٧٦٢ فى مجلد سماه أوضح المسالك الى الفية ابن مالك ، ثم اشتهر بالتوضيح ٠٠٠ » وبعد أن يسرد اسماء الحواشى التى وضعت على كتاب التوضيح يختم كلامه بكتاب « نظم التوضيح للقاضى شهاب الدين محمد بن احمد بن الخولى المتوفى سنة ٦٩٣ » ٠

ووجود كتاب عنوانه نظم التوضيح (توضيح ابن هشام) مشكوك فيه ، ذلك انه اذا كان كتاب التوضيح ـ كما يقول حاجى خليفة ـ نثرا للألفية فما الفائدة من اعادة نظمه ؟ وهل الألفية فى يدى كل من ابن هشام وابن الخولى لعبة تقوم على الحل والتركيب ، ذاك يحلها وهذا يعيد تركيبها ، لا لشىء الا لمجرد الشعور بلذة الحل والتركيب ؟ ويزيد هذا الشك تأكيدا أن حاجى خليفة لم يذكر فى كتابه نظما للتوضيح ولا لغيره من الكتب التى اعتبرها نثرا للألفية سوى هذا النظم الذى نحن بصدده ثم لو سلمنا بأن هناك كتابا يحمل هذا العنوان فكيف ينسب تأليفه الى الشهاب بن الخولى مع العلم أن ابن

هشام ولد سنة ٧٠٨ أي بعد وفاة ابن الخولي بخمس عشرة سنة ؟ فاذا قدرنا ان ابن هشام ألف كتابه وهو في الخامسة والعشرين من عمره على الاقل انتهينا الى أن ابن الخولي عاد الى الحياة بعد وفاته بأربعين سنة لينظم كتاب التوضيح لابن هشام .

ويحل جلال الدين السيوطي هذا الاشكال حين يذكر لشهاب الدين بن الخولي في بغية الرعاة ص١٠ نظم التوضيح ، لا توضيح ابن هشام بل توضيح ابن مالك . ولو أن حاجي خليفة تنبه الى هذا الخطأ لما اورد كتاب ابن الخولي هذا في معرض كلامه عن كتاب الجامع الصحيح للبخاري ، لان ابن مالك تناول في كتابه تسعة وتسعين حديثا من احاديث الجامع الصحيح وأثار في كل حديث مسألة نحوية أجاب عنها وأتي بالشواهد المختلفة التي تؤيد اجابته ، ولذلك يطلق على هذا الكتاب اسم آخر هو (شواهد التوضيح لمشكلات الجامع الصحيح) وبهذا الاسم طبع هذا الكتاب بالله آباد سنة ١٣١٩هـ ، وتحلت صفحته الاولى بما ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون عنه .

أما سبب وقوع هذا الخطأ في كشف الظنون فهو عدم تحليل المؤلف النصوص التي بين يديه عن اسماء الكتب والمؤلفين ، فلو أنه وازن بين تاريخ وفاة ابن الخولي وتاريخ ميلاد ابن هشام ، أو لو انه تساءل عن الفائدة من نظم ابن الخولي توضيح ابن هشام لأمكنه أن يكتشف الخطأ وأن يسعى بعد ذلك الى اصلاحه بالرجوع الى الكتب التي ترجمت لابن الخولي ومنها بغية الرعاة .

٣ - كتاب كفاية المتحفظ :

جاء في الطبعة الاخيرة لكشف الظنون : « كفاية المتحفظ في اللغة - للقاضي شهاب الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الخولي المتوفى سنة ٦٩٣ . ونظمها ابن جابر محمد بن أحمد الأعمى وسماها عمدة المتلفظ كما مر في العين وفرغ منها في سنة ٧٧٠ . ونظمها عماد الدين ابي الفداء اسماعيل بن محمد البعلي المتوفى سنة ٧٦٤ أوله الحمد لله رب العالمين الخ . ولابي اسحق ابراهيم بن اسماعيل بن أحمد الأجدابي الطرابلسي الاديب أوله الحمد لله رب العالمين الخ . وهو مختصر فيما يحتاج اليه من غريب الكلام ، بدأ من صفات الرجال المحمودة » . ويقول في حرف العين : « عمدة التلفظ في نظم كفاية المتحفظ في اللغة لمحمد بن أحمد بن جابر الأعمى الطبري المتوفى سنة ... نظمها للملك المظفر يوسف بن عمر » . وهذا النص يتضمن أخطاء لابد من التنبيه عليها :

فاول هذه الاخطاء ادعاؤه ان لابن الخولي كتابا عنوانه كفاية المتحفظ ، والصحيح انه لا يوجد كتاب في اللغة يحمل هذا العنوان سوى كتاب ابن الأجدابي الذي عرف به في آخر الفقرة الاولى من النص . اما كتاب ابن الخولي فهو نظم لكفاية ابن الأجدابي ، ذكره حسن المحاضرة للسيوطي (٢٣٤/١) والأنس الجليل لمجيد الدين الحنبلي ٤٦٦/٢ وغيرهما من الكتب التي ترجمت لابن الخولي . وقد عثرت على نظم للكفاية في نسخة خطية بالمكتبة الازهرية تحمل الرقم ١٩٨ لغة لم يكتب عليها اسم الناظم مما جعل واضع الفهرس ينسبها الى مجهول . وفي أول هذه المنظومة تصريح لصاحبها بانه بدأ نظمها بعد ان أتم نظم الفصيح لثعلب . ولم ينس واضع فهرس المكتبة الازهرية أن يرجع الى كشف الظنون في كلامه عن هذه النسخة اذ يقول : « نظم الكفاية - لم يعلم ناظمه - نظم فيه (كفاية المتحفظ في اللغة) للعلامة القاضي شهاب الدين أبي عبد الله محمد بن احمد بن الخولي المتوفى سنة ٦٩٣ أوله ... » كذلك نجد في الصفحة الاولى من النسخة هذه العبارة : «هذا الكتاب هو نظم كفاية المتحفظ للقاضي شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الخولي المتوفى سنة ٦٩٣ كما في كشف الظنون» . ونحن لانستطيع تعيين صاحب المنظومة ، فقد يكون ابن الخولي او ابن جابر الاندلسي أو غيرهما ممن نظم كلا من الكفاية والفصيح .

والخطأ الثاني في هذا النص قوله ان ابن جابر محمد بن أحمد الأعمى نظم كتابا لابن الخولي والصحيح أنه نظم كتاب الكفاية لابن الاجدابي ، وقد أشارت الى هذا النظم الكتب التي ترجمت لابن جابر كالدرر الكامنة لابن حجر ٣٣٩/٣ ، وبغية الرعاة ١٤ .

والخطأ الثالث وصف ابن جابر بالطبري وهو ما انفرد به كشف الظنون في طبعته الاخيرة ولم يذكر في أي من الكتب التي ترجمت لهذا الأديب ، اذ لم تعرف له اية صلة بطبرستان .

دكتور

سليمان عطيه

فليكس فارس

بقلم : حارث طه الراوي

يعد الاديب فيلكس فارس من اركان أدبنـــا المعـــاصر ومن الرواد القوميين الذين جاهدوا في سبيل خلق النهضة العربية بالمفهوم النقدي الذي تتآخى فيه الاديان وتتهاوى الحدود والأسوار ، فضلا عن أنه كان من الخطباء القلائل الذين هزوا أعواد المنابر وكهربوا أعصاب الجماهير بما وهبهم الله من قدرة على التأثير بالبلاغة الصافية والحجة القوية والايمان الصلب ..

في قضاء المتن الاعلى من الجنة اللبنانية ، حيث يتكاثر الصنوبر ويتعانق ويتعالى . هناك حيث تمد القمم أذرعها الطويلة الرهيبة الى الســماء ، ولد فيلكس فارس في الســابع والعشرين من شــهر ديسمبر سنة ١٨٨٢ م بقرية « صليما » . ونشأ في عائلة لها نصيب من الثقافة والادب ، فقد كان والده حبيب فارس كاتبا وشاعرا وكان ســكرتيرا خاصا لمتصرف الجبل رستم باشا ، ثم اعتزل الخدمة وشرع بمعارضة أساليب الحكم بجبل لبنـــان ، واضطر ، بطبيعة الحال ، الى النزوح عن لبنان وآثر الاقامة في مصر حيث اصدر صحيفته «صدى الشرق» ليواصل معارضته لأســاليب الحكم العثماني في لبنان ، مما حدا بمتصرف جبل لبنان واصا باشــا الى اضطهاد عائلة حبيب فارس المقيمة في لبنان . شهد الصبي فيلكس فارس هذا الاضطهاد الذي ترك في نفسه أثرا اليما بذر في قلبه الفتى حب الحرية والعدالة والمساواة ...

ولعل الكثيرين لا يعرفون أن والدة فيلكس فارس سويسرية الأم وهولندية الأب ، ذلك لان نزعة فيلكس العربية صافية لا تشوبها شائبة وحماسة للعرب وتاريخهم الحافل بالتراث المجيد ، لا يحده حد . فهو عربي النزعة والعقيدة وان كانت امه غريبة في العروبة ...

وقد استهل فيلكس فارس دراسته بمدرسة « بعبدات » ، ودرس اللغة العربية على والده الكاتب الشاعر والفرنسية على والدته ، وقد شــــغف في مستهل حياته باللغة الفرنسية وآدابها شغفا عظيما ، ثم تضاءل هذا الشغف فيما بعد عندما اتجه أديبنا للأدب العربي والتراث العربي اتجاها قويا صادقا .

ولقد تعاونت الطبيعة الجميلة مع الثقافة الواسعة على توسيع مخيلة هذا الأديب والهاب شاعريته ، فبعد أن كان مع عائلته في قرية « صليما » المعلقة فوق كتف جبل شاهق ، انتقل مع العائلة الى قرية « المريجات » القائمة على منحدر « ظهر البيدر » . وكان منزلهم مطلا على « سهل البقاع » ـ السهل الذي يبهج العيون ويسكر القلوب ويشرح الصدور بمزارعه الزاهية واشجاره الباسقة ..

ولفت فيلكس فارس الانظار اليه عام ١٩٠٨ م عندما صدر الدستور العثماني واعتلى عو المنـــابر ليخطب في الامـــور التي تمس الحــرية والاخــاء والمساواة ، فساهم في التأليف بين القلوب والتقريب بين المتباعدين في معتقداتهم ونزعاتهم ومشاربهم ، فأحبه مواطنوه ولقبوه بخطيب الحرية ..

وحن أديبنا وخطيبنا الى الصحافة فاصــدر في الثامن من شباط « فبراير » عام ١٩٠٩ صــحيفة اسماها « لسان الاتحاد » وظل يوالي اصدارها الى الرابع من آب « اغسطس » عام ١٩١١ م . ثم عين استاذا للغة الفرنسية في المكتب السلطاني بحلب عام ١٩١٠م فمكث في حلب الى اواخر الحـــرب العظمى الماضية . ولما دخلت الجيوش العربيـــة الى سوريا التحق بها وعين سكرتيرا لجعفر العسكري . ثم ذهب الى بيروت واتصـــل بحكومة الانتــداب وبالجنرال غورو بالذات الذي اسلمه مع الفنان جان دبس الى الولايات المتحدة الامريكية ليتصلا باللبنانيين والسوريين في مهجرهم لمؤازرة فرنسا في مهمتهــا في الشرق !!

وقد أدى فيلكس فارس المهمة التي عهدت اليه .. فعرض عليه الجنرال غورو منصبا آباه فيلكس وفضل الاشتغال بالمحاماة ..

وتعليقا على هذه الحادثة اقول ان لي وجهة نظر في موقف بعض اخواننا اللبنانيين في قضية تحرير سوريا ولبنان من النفوذ العثماني وقضية تعاونهم مع الفرنســيين بهذا الامر وغيره ، سبق لي أن ذكرته في كتابي « امين الريحاني ـ جوانب شــخصيته وأثره في نهضة العرب ص ٣٥ ـ ص ٣٩ » . فقد هاجمت أديبنا الريحاني على تقربه المشبوه من فرنسا في سبيل قهر النفوذ العثماني ، ولكني ذكرت أن الريحاني ندم ، فيما بعد ، على هذا التقرب وهــذا

التعاون وذكر في كتابه « انتم الشعراء » ما نصه :

« هو ذا الانتداب وربقته أمام عيوننا وغدا تصير في رقاب ابنائنا • هو ذا الانتداب ونيره التخيل علينا كلنا اجمعين • على تدمر ودمشق وعلى الارز وصنين ، فهل نظل أبدا منقسمين متنابذين متخاذلين؟ وهل نداوي أدواءنا القومية بالبكاء والأنين ؟ وهل يجب علينا ان نسهل لابنائنا في الاقل سبل الجهاد لانقاذ البلاد وتحريرها من الاستعباد » .

ولكن فيلكس فارس لم يظهر ندمه على ذلك التعريج بمساعدة الشعوب على تحررها، حتى بعد ان ارتكبت فرنسا افظع الجرائم اثناء الثورة العربية السورية الكبرى عام ١٩٢٥ م ، وهذا ما يؤاخذ عليه فيلكس بشدة ، وهذه نقطة ضعف فيه لا تبررها حتى الظروف التي أرسل خلالها الى الولايات المتحدة ..

اذ ان سفرته الى الولايات المتحدة لم تخل ، على اي حال ، من حسنات ، ولعل خير حسنة من حسنات هذه الرحلة تعرفه على جبران خليل جبران ومرافقته له في نيويورك وسبره لاغوار جبران . فقد قويت الرابطة الروحية الاخوية بين الأديبين العربيين الشهيرين ، واعجب جبران بفيلكس اعجابا كبيرا ..

وما دمت بصدد الحديث عن علاقة فيلكس بجبران فيجمل بي ان أتطرق الى البحث الطويل الذي كتبه فيلكس عن كتاب « جبران خليل جبران » تأليف ميخائيل نعيمة والذي نشر في كتابه « رسالة المنبر الى الشرق العربي ص ١٥٣ ـ ٢٢٥ » • ففي هذا البحث الشامل القيم يرد فيلكس بأسلوب منزه عن التجريح على ما ورد في كتاب نعيمة من مآخذ • ومن الحق أن أقول ان فيلكس أورد في نقاشه بعض الحجج الصحيحة المفحمة وان كان قد اورد أيضا بعض الحجج العاطفية التي لا تصمد أمام النقاش الموضوعي • ولعل خير ما كتب عن كتاب « جبران خليل جبران » هو بحث فيلكس فارس ورسالة أمين الريحاني « المفتوحة » الى ميخائيل نعيمة • لان هذين البحثين تضمنا مناقشة صريحة ومخلصة وعميقة ودقيقة لهذا الكتاب الذي أثار ضجة كبرى وحسب هاتين المناقشتين ان تصدرا عن مفكرين كبيرين تربطهما صداقة وثيقة بجبران خليل جبران

لقد استهل فيلكس فارس بحثه بتعاونه مع جبران في نيويورك عام ١٩٢١ م اثناء اقامته سبعة اشهر في الولايات المتحدة ، حيث امتزجت روحيهما امتزاجا . وقد صور ذلك بقوله :

« تعانقنا أخوين ، وتحادثنا ببيان التلميح، فكانت كل اشارة منه تصريحا وكان كل ابهام مني لديه قولا فصيحا » • الى ان يقول :

« وقد يستغرب البعض اذا قلت ان مقابلاتي العديدة لجبران كانت تمر وكلانا يسبر اقاصي فكر الآخر وأعماق شعوره ، دون ان يخطر لاحدنا ان يتفهم شيئا عن حياة رفيقه ومركزه وعلاقاته » •

ويقصد فيلكس بذلك ما معناه ، أن صداقته الحميمة لجبران لم تتح له أن يتعرف على خصوصياته فكيف أتيح لنعيمة أن يعرف خصوصيات جبران ، فيتحدث عنها كما يتحدث الخبير الواثق من رواياته كل الوثوق !

وانا اؤيد الاستاذ فيلكس فيما ذهب اليه كل التأييد لا لان رأيه مما يستسيغه العقل ويقره المنطق فحسب ، بل لان الوقائع تدعم هذا الرأي أيضا • وحسبي ان اذكر ما قالته الشاعرة الامريكية « بربارة يونغ » الى الاستاذ فؤاد افرام البستاني عند ما زارت لبنان لمشاهدة بلدة جبران وضريحه عام ١٩٣٩ م فقد قالت هذه الشاعرة

« وبعد وفاة الفقيد ، اتاني ميخائيل نعيمة ـ واضطربت الست بربارة ممتعضة ـ فطلب مني ان اطلعه على حياة جبران السرية • فابتسمت ، على رغم انفعالي الداخلي وقلت :

ـ لم يكن لجبران حياتان • عاش جبران ومات في وضح النهار • فانظر واحكم •

ولما أعاد الكرة وأخذ يداورني كي أطلعه على شيء مما يريد ان ينسبه الى جبران ، قلت له : انا رفيقته ومعاونته مدة سبع سنوات لا أعرف له الا حياة الشغل الدائم، والجهاد المضني، والمعيشة الروحانية• فان لم تعجبك هذه الحياة ، فاطلب غيري .

فذهب ، ولا أعرف ماذا نشر في كتابه • غير ان اللبنانيين والسوريين المهاجرين ، اظهروا سخطهم على هذا الكتاب عند ما اطلعوا عليه في نيويورك » •

وقول الشاعرة يؤكد ان الاستاذ نعيمة لا يعرف عن حياة جبران الخاصة شيئا يعتد به ، ولهذا كان فليكس محقا عند ما قال :

« ••• ولكني ، كلما صدمني من هذه الصفحات كلام يعزيه المؤلف الى جبران في مخاطبته الناس أو

مناجاته ضميره : كنت اشعر بثورة في نفسي فأمد اناملي لاقبض على السطور والحروف اقتلعها كأنها اعشاب غريبة ألقت بذورها الرياح الهوجاء في هذه الحقول الزاهية بالازهار الاصيلة فيها .

ان ما يكون جبران قد فكر فيه ، وما يفترض افتراضا انه قاله للآخرين ، لا يمكن للمطالع ان يقبل عليه كأنه حق ، اذا لم يكن مكتوبا بقلم جبران نفسه . فان الطريقة الروائية اذا صحت في الاساطير والاقاصيص عن اشخاص مجهولين او مختلقين اختلاقا فانها لا تصح مطلقا في سرد الواقع عن رجل معروف ملك البيان باطرافه وليس لسواه ان يتولى الكلام عنه في أي موقف من مواقفه تجاه ربه او تجاه نفسه او تجاه أي كان ... » .

ولا شك أن كل ناقد منصف يؤيد فيلكس فارس في ايراده هذا المأخذ الجوهري . لان حياة العبقري ان كانت باحداثها المادية الواقعية تصلح ان تكون رواية تقرأ او تمثل ، الا انها لا يصح أن تصبح مادة روائية في مجال دراسة سيرة العبقري بلا زيادة ولا نقصان ...

وفليكس فارس يعزز هذا المأخذ بادلة كثيرة منها: « ص ٣٠ يقول جبران لامه : مالك ولابي واخوتي ، عندك جبران وكفى . ويعلق على هذا القول بقوله : « ما كان جبران ليقول هذا ، بل انه كان ليدافع عن ابيه واخوته . ولا يتحفز ليحتل مكانهم من قلب امه » . ويقول فيلكس : « صفحة ٣١ يقول نعيمة بلسان جبران الولد : ومع من العب ؟ مع اولاد الصينيين ام الارلنديين أم السوريين ؟ ما اكثر السفهاء بينهم يا اخي حتى بين البنات ... » . ويعلق الاستاذ فيلكس على هذا بقوله : « انفس هذا الطفل الذي يحتقر أبناء جنسه هي نفس العبقري التي استعلت بحبهم فارتفعت نورا لهدايتهم ؟ » .

ولا يتجاهل فيلكس فارس فضل وعبقرية نعيمة في كتابه عن جبران وانما يعترف في الصفحة ١٦٧ ان وصف نعيمة لاحتضان جبران ووصفه للمدنية ومساوئها « من أبدع ما ينشيء كاتب وهي تتمشى بلا تصور الى جنب طرائف جبران وبدائعه » .

الا أن فيلكس فارس ان كان موضوعيا ، كما ينبغي أن تكون الموضوعية في المواضع التي ذكرتها ، الا انه كان ذاتيا عاطفيا في المواضع الاخرى . فهو يكاد ، لفرط حبه واعجابه بجبران ، أن يستبعد عنه الهفوات والزلات وأن يعصمه عن كل ما يشينه ...

وفي نقد من هذا النوع تتغلب صفة الشاعر عند فيلكس على صفة المفكر الناقد ...

لنرجع الآن ، بعد هذا الاستطراد الذي لابد منه ، الى حيث وصلنا في تتبع سيرة الاستاذ فليكس من رفضه للوظيفة التي عرضها عليه الجنرال «غورو» وايثاره الاشتغال بالمحاماة . ومن الجدير بالذكر انه كان من المحامين الممتازين المشهورين بتفوقهم في المرافعات أمام محكمة الجنايات . وبعد ذلك انتقل الى الاسكندرية عام ١٩٣١ م ورشح نفسه لمنصب رئيس قسم الترجمة ببلديتها ففاز بهذا المنصب الذي يتلاءم مع كفاءته في الترجمة وتفوقه في التعريب ، واتيح له ان يتصل بكبار ادباء الكنانة ، حتى ذاع صيته واشتهر بينهم بخطبه ومحاضراته وقصائده .

لقد تناول فيلكس فارس القضايا الكبرى الهامة من الحياة الانسانية فحللها تحليلا دقيقا وعنى عناية فائقة باظهار روح الشرق وحضارته الروحية الضيئة . ولانه فكر في نهضة الشرق العربي تفكيرا جديا وعالج مشكلاته بالخطب الطويلة ، لم يتفرغ — والحالة هذه — للادب الانشائي والماكرس جهوده القلمية للادب الخطابي . وادبه الخطابي غني بالتعابير الشعرية ، ولا غرو ، فهو شاعر مبدع له في مجال القريض قصائد مشحونة بالعواطف المتاججة والافكار الفلسفية ، وانك لتجد مجموعة نفيسة من نثره وشعره في كتاب « رسالة المنبر الى الشرق العربي » . وحسب هذا الكتاب ومؤلفه أن يقول فيه المرحوم مصطفى صادق الرافعي : « قرأت كتابك (رسالة المنبر الى الشرق العربي) فما احسن ما ابدعت وما أبدع ما احسنت ، لكأن الشرق هو ألقى حكمته في فمك وارسل كلمته من قلمك ، ثم نصب لك منبره العالي وقال لك — قم فتكلم .

لم أرك انحرفت عن الحقيقة ولا ملت عن وجهة الراي ولا نزعت الى تقليد ولا جنحت الى متابعة ولا اسرك اسم فيلسوف ولا خدعك اسم كاتب ، بل كنت كالسيف لا يعمل الا عمل حده القاطع ضاربا في كل مرة ضربته في كل مرة .

وفي كتابك آنات هي رعد قلبك الحر ، وفي بيانك اشراق هو نور نفسك القوية ، فلا جرم كان ماكتبته من الكلام الروحي البليغ الذي يقرأ بالعين ويسمع في النفس في وقت واحد الخ ... » .

وبعد ، فلا يخفى على القاريء أن هذا الرجل الاديب كان من رعيل مبارك من الأدباء بقي منه القليلون وذهب منه الكثيرون الى رحمة ربهم ، وجدير بناشئة الادب ان تترسم خطوات هذا الرعيل الادبي الرائد الذي مد الطريق وانار ظلماته بمشاعل العقول والقلوب .

حارث طه الراوي

رسالة الفن

٣ – نحو مسرح عربي

بقلم : عبد الفتاح البارودي

ان مسرحية «حلاق بغداد» التي يعرضها المسرح القومي الآن تفيدنا جدا في هذا البحث الذي نحاول فيه معرفة مكونات التفكير المسرحي .. ان الفريد فرج مؤلف هذه المسرحية استمد احداثها من حكايات الف ليلة وليلة ، ، ومن ادب الجاحظ ، وحاول مسرحة هذه الاحداث ، فلماذا لم يحاول أن « يمسرحها » احد من اسلافنا القدامى رغم ما وصلوا اليه من مستوى ادبي رفيع في فترات كثيرة ؟!

ان مناقشة هذا السؤال تفيدنا جدا في معرفة الفرق بين الحكايات والمسرحيات .. وصحيح ان كثيرين بحثوا هذه النقطة ، ولكننا للآن لم نبحث بعمق مكونات التفكير الذي يخلق الحكايات ، والتفكير الذي يخلق المسرحيات ، وهذا يؤدي بنا الى معرفة العوائق التي عاقت « التصور المسرحي » في بيئتنا وبالتالي معرفة كيفية تاصيل هذا التصور .

بالمقارنة بين انتاجنا الادبي القديم والانتاج المسرحي سنجد في المسرحيات عناصر رئيسية مفقودة في ادبنا ، ومن اهمها عنصر « الصراع » بالمعنى الدرامي .. اولا : يجب ان نحدد معالم هذا العنصر حتى لا نتورط في توهم وجوده في انتاجنا الادبي القديم ، كما توهم كثيرون من الذين تحدثوا عن مسرحية حلاق بغداد ... وثانيا اذا سلمنا بضرورة وجوده في كل مسرحية ، فلماذا تتفاوت قيم المسرحيات ومستوياتها في مختلف العصور ؟! لقد سبق ان اشرنا الى فترات ضعف فيها المسرح أو انحدر أو احتضر في نفس البيئة التي ازدهر فيها او بلغ الذروة ، فما السبب ؟ وكيف لم ينقذه وجود الصراع من الانحدار او الاحتضار ؟!

لكي نواجه هذه الاسئلة احب اولا ان اذكر ان للمسرح – اساسا – وجهين رئيسيين : التراجيديا والكوميديا . . انه يصور في التراجيديا – كما يقول تشارلتن – القوانين الكونية العليا التي تتحكم في اقدار البشر ، ويضع الفرد . على محك الابدية المطلقة ليرى ان كان متفقا مع روح الكون باسره ... ويصور في الكوميديا مجتمعا بشريا خالصا كما نشاهده ونمارسه ، ويضع الفرد على محك الادراك الفطري والبديهة السليمة ليرى هل يتصرف بما يتفق مع اوضاع المجتمع ، او يشذ وينحرف فيكون مثيرا للضحك ... هذه معلومات اصبحت شائعة منذ ان ترجمها الدكتور زكي نجيب محمود ، وهي تفيدنا في معرفة مفهوم عنصر الصراع الدرامي ببساطة ، وهذا يعطينا فكرة عامة عن مدى ارتباط قوة او ضعف المسرح بقوة او ضعف هذا العنصر ... وبتطبيق هذا المفهوم على المسرحيات نفسها في مختلف العصور ، سنجد ان المسرح يضعف لاسباب كثيرة جدا ، منها ضعف الوعي والادراك والنضوج الفردي والجماعي .. ومنها ابتعاد الفكر عن تفهم الحياة والاستغراق في معتقدات صورتها الاوهام .. ومنها عدم انفساح البيئة الفكرية لظهور الاختبارات البشرية بحرية .. ومنها انحراف المسرح عن وظيفته الفنية كان يتجه الى عرض معلومات او نظريات تعليمية ... الخ .

بديهي ان هذه كلها اسباب مرتبطة بالتفكير المسرحي ، وبديهي أنها في نفس الوقت مسببات لضعف الاحساس بالمسرح ، او ما يسمى بالاحساس الدرامي ، وهو احساس لا ينشأ الا نتيجة الوعي الفردي والجماعي بالحياة ، سواء بقوانينها الكونية او بواقعها الاجتماعي .

واذن فوجود الاحساس الدرامي مرتبط بوجود الصراع الدرامي وجودا غير ملفق ولا متكلف ولا منحرف ، وهذا يتوقف على وجود البيئة الفكرية التي

تسمح به ، وتثيره ، وتخلقه ايضا .. ان هذا يفسر لنا قول برنارد شو : اذا لم يوجد الصراع فلا وجود للدراما .. ويفسر لنا قول برونتيير : ما تطلبه من المسرح هو اظهار ، ارادة ، كافحة نحو هدف ، واعية بالوسائل التي تستخدمها في الوصول الى ذلك الهدف. .ويفسر لنا قول وليام ارتشر : الدراما هي اظهار ارادة انسان يصارع القوى الغامضة او الكونية ، او التي تحده وتقلل من شأنه ، انسان — وليكن احدنا — يلقى به حيا على المسرح ، وهناك يناضل ضد مقدوراته ، او ضد نفسه ان لزم الامر ، او ضد مطامع وشهوات ومعتقدات وحماقات واحقاد الذين يعيشون معه او يعيش معهم .

هذه وغيرها ليست « تعريفا » للصراع الدرامي ، وانما هي تفسيرات تساعدنا في فهم طبيعته في مختلف التشكيلات الفنية .

فمثلا عند الاغريق كانت الموضوعات التي تتناولها المسرحيات معروفة للجمهور ، لانها كانتتتخذ مادتها من اساطير معروفة ، ولذلك لم يكونوا يتشوقون مثلا الى رؤية شيء جديد او غريب ، ومن هنا كانت اهمية الصراع في عمق الاحساس به ... ان البطل الاغريقي يتغير نتيجة للصراع كما يتغير كل ابطال المسرح بالضرورة ، ولكنه لا يتغير بالشكل الذي يتغيرون به .. انه لا يتغير مثلا بالشكل الذي تغير به (مكبث) عند شكسبير ، من قائد باسل الى سفاح متعطش للدماء ، وانما يسير البطل الاغريقي ويعمل بافضل الدوافع وانبلها ، ثم تؤدي به هذه الاعمال الى مصير يكتشف انه يختلف تماما عن المصير الذي كان يتوقعه ويسعى اليه .. ان هنا تناقضا بين الاعمال والنتائج ، والمؤلف التراجيدي يظل يضغط على هذا التناقض حتى يثير شعور الرعب والأسي والخوف والرأفة .. لماذا ؟ لان مسببات هذا التناقض اقوى من ارادة البطل ، بل خارجة عن ارادته ، وهي ما كانوا يسمونه القضاء الذي يتحكم في المصائر تحكما جبريا .

بهذا الشكل ندرك معنى الصراع في التراجيديا الاغريقية ، وكيف ولماذا توافر فيها جلال الموضوع نتيجة لرهبة الصراع ، ومن اجل ذلك التزمت صورة معينة ، دون ان تتجمد في هذه الصورة كما يتوهم كثيرون ، بحجة استحالة تغيير الاقنعة والازياء ، او تغيير الموضوع والمكان والزمان .

هذا يختلف عن الصراع في ادب العصور الوسطى مثلا ... ان الناس وقتئذ لم يفهموا فكرة القضاء على النحو الاغريقي ولا على اي نحو آخر ، ولهذا لم ينتجوا مسرحيات بالمعنى الصحيح ، لان الصراع الدرامي كان منعدما عندهم بانعدام البطولة الدرامية التي تقضي بأن يصارع البطل قوة جبرية ، وانما كانوا يصورون الرغبات المتعارضة والدوافع المتعارضة بعقلية ساذجة ترى هذا التعارض بين رغبات خيرة ورغبات شريرة ، وبين عالم الدنيا وعالم الموت ، وبين متطلبات الجسد ومتطلبات الروح ، بنفس السذاجة التي نلمسها في كثير من مسرحياتنا وافلامنا .

وطبعا ليس في هذا صراع درامي ، بعكس ما حدث بعد ذلك في عصر النهضة ، والمقارنة بين الانتاج المسرحي في العصرين تهمنا جدا في معرفة معالم التفكير الدرامي ومظاهره ... ان عصر النهضة في اوربا يسمى في تاريخ المسرح عصر « العظمة البشرية » ، لماذا ؟ لان في هذا العصر شعر الانسان بكيانه نتيجة لتغيرات جوهرية في المجتمع وفي التفكير وفي الحياة كلها ، ونتيجة لنمو الفردية وبروز الفلسفة التجريبية وغنى المعرفة وتوسع العقل ، ولهذا اصبحت الدراما تعنى بالحياة البشرية ... ان الصراع الدرامي هنا يختلف عن الصراع الاغريقي ، ولكنه صراع درامي فيجوهره .

كان الصراع الدرامي عند الاغريق بين الانسان والقوى الخارجية ، ولكن في عصر النهضة لم يكن الصراع فقط بين الانسان والقضاء ، بل كان هناك ايضا صراع داخل عقل الانسان ، حيث كانت تتصارع فيه القوى التي تتحكم فيالتصرف البشري ، ولهذا نجد ان « مارلو » مثلا صور فيمسرحياته آمال الانسان ومطامعه ، وكذلك شكسبير وزملاؤه ، انهم جميعا عبروا عن عظمة الانسان في صراعه ، وصوروه « فردا كبيرا » ناضج العقل والحواس والعاطفة والوجدان ... لقد كان ايمان الاغريق بالقضاء شيئا واضحا جدا في كل مسرحياتهم ، اما في العصر الشكسبيري فلم يكن هذا الايمان بهذه الصورة ، ولكن عنصر الصراع الدرامي ظل واضحا

فى المسرحيات بصورة مختلفة ، وهذا هو السبب الرئيسي فى اختلاف المسرح الشكسبيرى من المسرح الاغريقى ، وليس صحيحا أن هذا الاختلاف تمثل فى زيادة عدد الشخصيات او تغيير المكان والزمان .. هذه مسائل فرعية .. ولكن الاختلاف الحقيقى تمثل فى مفهوم القضاء نفسه ... ان القضاء الذى كان يظهر على مسرح الاغريق وكانه ممثل رابع الى جانب الثلاثة ممثلين الذين يؤدون ادوارهم ، هذا القضاء اصبح يظهر عند شكسبير فى صورة معدلة بدخول عنصر آخر يمكن ان نطلق عليه اسم « الحظ » ، وان بالتفكير الانسانى بالحياة فى العصر الشكسبيرى . وانما نستدل عليه من تحليل المسرحيات نفسها ، وعندئذ نجد أن العنصر الجديد لا يخفف « حتمية » بالتفكير الانسانى وبالحياة فى العصر الشيكسبيرى .

فمثلا فى مسرحيات شكسبير لانستطيع القطع بايمانه او عدم ايمانه بالقضاء ، فهو يصور شخصيات مؤمنة به وشخصيات غير مؤمنة ... وهو ولو انه احيانا يضع الاقوال التى تدل على الايمان بالقدر على لسان الشخصيات التى اصطلح على تسميتها « بالأنذال » ، الا ان هؤلاء الانذال احيانا يكونون فى تصرفاتهم ارجح عقلا واكثر حذقا من شخصيات ابطاله المؤمنين بالقدر .. فمثلا اذا حللنا شخصيات ادموند وياجو وبرتس وغيرها من الشخصيات التى تبدو ذات تصرفات شريرة او تصرفات ضد ابطال مسرحياته ، وجدنا أن هذه الشخصيات اقل ايمانا بالقدر من شخصيات ابطاله ... الواقع ان شكسبير يواجهنا بمشكلات فكرية كثيرة ويصيبنا بحيرة شديدة عندما نحاول المقارنة بين عقليات ابطاله وعقليات انذاله ... انه يستخدم الاحساس بالقدر ولكنه لا يتدخل اى تدخل مباشر فى التصرفات البشرية لحساب الآلهة باعتبارهم مظهر القدر ، ولا يصرح علنا باعتقاده فى نفوذ خارق للمألوف .

المهم هو ان وجود عنصر الصراع الدرامى ضرورة فى المسرح بمعناه الفنى ، ومهما تختلف المفهومات بالنسبة لتحديد معنى القدر ، فلا خلاف على ضرورة توافر الصراع والحتمية سواء فى مسرحيات الاغريق او عصر النهضة او سائر العصور التى ازدهر فيها المسرح ، بما فى ذلك العصر الحديث .

ان مؤلفى العصر الحديث لم تعد تصورهم لمعنى القدر او الحتمية هو نفس تصور الاغريق او شكسبير فان الافتراض المباشر للقوى الخارقة تغير مدلوله بعد الانقلاب الصناعى الذى أدى الى استخدام العلم فى تفسير الظواهر والبحث عن الحقائق ... لم تعد فى العصر العلمى خرافات او اعتقادات جزافية لم يعد الانسان فى الحياة الحديثة مرتبطا بآلهة جبل الأوليمب .. تغيرت أساليب التفكير بتغير وسائل الحياة ... ونتيجة لذلك اتجه المسرح نحو الحياة والواقع ، ونحو المجتمع ، ونحو المجاميع ... ان بعض المؤلفين تصوروا فى مؤلفاتهم ان الحياة كلها عبارة عن مجاميع يسير كل منها فى اتجاه معين وتحت أسمى معينة ، ولو انها قد تجد التعبير عنها فى نابغة بارز ، فأين يكون « الصراع الدرامى » ؟

ان الصراع موجود بين هذه الاتجاهات وبين هذه المجاميع .. ان البطل اصبح يمثل فئة معينة ويعبر عن مثلها العليا ويناضل من أجل تحقيق هذه المثل .. ان « الدكتور ستوكمان » فى مسرحية ابسن « عدو الشعب » ، مثلا ليس مجرد انسان عادى او دكتور عادى ، بل انه فى الحقيقة يمثل عقيدة لم تتكون بمكونات غيبية او سلفية ، بل تكونت بتفكير عميق يظهر على المسرح فى صراع عميق ، ولهذا فان احداث المسرحية تدور فنيا فى مجال اوسع من المدينة النرويجية التى تجرى فيها ، وبذلك تكسب المسرحية العنصر الكونى ، وهو العنصر الذى يشترط توافره فى المسرحية الرفيعة المستوى ، بمعنى انها تتناول احداثا محلية وتعمقها حتى تكتسب هذا العنصر الذى يعمق الصراع الدرامى .

باستقراء مختلف المسرحيات فى مختلف العصور نكتشف أن الصراع المسرحى فى اى بيئة هو تعبير عن حيوية التفكير وحيوية الصراع فى الحياة فى تلك البيئة ... وهذا يساعدنا على معرفة أسباب عدم وجود مسرح فى ادبنا القديم ، ولكننا فى مجتمعنا الجديد نعيش فى مجتمع تغير تغيرا جوهريا ، وفعلا بدأنا نمارس المسرح بعقلية جديدة ، ولكن لا يزال فى تفكيرنا المسرحى شيء من الرواسب المترسبة من تقاليدنا الأدبية القديمة ، فكيف نزيل هذه الرواسب ؟ وكيف نصحح مفهوماتنا الفنية ؟ سؤال يجب ان يواجهه كل المثقفين .

عبد الفتاح البارودى

الأدب في أسبوع

يقدمه: محمد عبد الله السمان

● النقد .. وعصا الارهاب

لن يكون من فضول القول ان نقول : **انه لاوجود على الاطلاق لاديب او فنان فوق النقد ، واذا توهم احدهما او كلاهما ذلك ، فقدا قيمة الاصالة فى الادب والفن .**

اذن فلم نحاول نحن ان نسبغ القداسة لاديب او فنان ، ونقنع انفسنا بانه يعلو على النقد ؟ واذا جرؤ ناقد أن يمسه ولو بمنديل من حرير شهرنا فى وجهه عصا الارهاب ، واتهمناه بالمروق والتصور وتنابز الاحقاد ، وعدم احترام عاطفة كل شعبنا العربى ، وكاننا اوصياء على هذا الشعب ، ثم نؤيد حججنا باوهام تبلغ حد الكمال من المبالغة .

هذه مجرد كلمة عابرة قبل الدخول فى موضوع العمل الفنى الكبير الذى التقى فيه اثنان كبيران من عمالقة الفن هما **السيدة ام كلثوم والاستاذ محمد عبد الوهاب** ، وهما - لاشك - موضع تقديرنا التقدير اللائق بماضيهما وحاضرهما فى حياتنا الفنية ولكنا بجانب هذا يجب ان نحترم راى النقاد المتخصصين فى اى لحن ولو كان يجمع بين العملاقين الكبيرين ، هؤلاء أجمع معظمهم مثلا ، على ان اللحن أقل من المستوى الذى كانوا يعتقدونه فى محمد عبد الوهاب ، وكان من الأجدر ان يترك الموسيقار الكبير ليدافع عن نفسه وهو اقدر من غيره ، لا ان ترفع عصا الارهاب على هؤلاء الناقدين ، ولم يكن من الذوق فى شىء أن يعتبرهم أحد محررى مجلة الاذاعة **والتليفزيون مجرد اصوات خافتة مغرضة ، تتصور ان التصدى لاى عمل ناجح يمنحهم الاحساس بوجودهم، والحقيقة انهم ينطحون رؤوسهم فى الصخر** ثم يتابع المحرر كلامه ويقول : **هناك فرق كبير بين النقد والحقد .. وهل هناك اسهل من الكلام الأجوف الذى ان كان له اثر .. فانما هو نفس الأثر الذى تتركه ضربة عصا فى الماء او طلق فى الهواء .**

والعجيب أن محرر (راى الاهرام) سمحت له نفسه -وهو يعترف بانام كلثوم ليست فوق النقد- ان يقرر : **أن ماوجه الى مطربة الشرق لم يكن نقدا ، لأنه تجاوز النقد ومنطقه وقواعده .**

وبعد - فاذا كان العمل الفنى الكبير يفرض نفسه دون حاجة الى طاقة من المبالغة والتهويل التى تجاوزت حد المعقول ، فان نقد هذا العمل الفنى الكبير يجب ان يكون له احترامه ، لا أن ترفع عليه عصا الارهاب لتلجئه الى أحد الجحور حتى يلقى مصرعه .

***

● **دائرة معارف الأهرام :**

انتهت الحلقة الاولى من دائرة المعارف التى نشرتها الاهرام مرتبة ترتيبا أبجديا ابتداء من اليوم السادس من شهر يناير الماضى واستغرقت زهاء شهر ، وقد تناولت ثلاثة عشر علما من مفكرى وساسة وقادة الشرق والغرب ، كان نصيب أعلام الشرق اربعة ليس الا ، كما تناولت علوم : الآثار والطبيعة والكيمياء والجيولوجيا والفلك والاقتصاد والقانون والطب والنبات والاجناس والفنون التشكيلية .

ودائرة المعارف هذه ليست سوى ترجمة تلقى على الاعلام والموضوعات أضواء سريعة خاطفة ، ولكنها على اية حال بداية طيبة لعمل دائب ، وليس من الانصاف تقييم هذا العمل الآن وهو لم يقطع بعد الا مرحلة صغرى من مراحل أخرى ستتلوها ، ولكنا كنا نود فى هذه الحلقة الاولى الا يهضم جانب أعلام الشرق ولا سيما العرب فتكون نسبتهم ٤ : ٩ ،

ونرجو أن يتدارك هذا مستقبلا الاستاذان : د ٠ لويس عوض وصلاح عبد الصبور ، المشرفان على هذا العمل الذى اختير له من الكتاب من لهم أقدارهم فى ميدانى الادب والفكر ٠

***

لا تغمطوا الناس اقدارهم :

كتب الاستاذ صلاح عبد الصبور فى ملحق الجمعة لجريدة الاهرام فى العدد الاخير ، مقالا تحت عنوان : « **اجعلوها لجنة اهلية** » يعلق فيه على انضمام اربعة أعضاء جدد الى لجنة الشعر بالمجلس الاعلى لرعاية الادابوالفنون ، هم الاساتذة: **العوضىالوكيل وعامر بحيرى‌ومحمود غنيم ومحمود حسن اسماعيل»** ويقول: **سيجلس هؤلاءالاربعة على منصة التشريع والتحكيم» لمستقبل الشعر العربى وحاضره» الى جوار الاساتذة العقاد وجودت وعلى الجندى وطاهر الجبلاوى وعماد وغيرهم من كبار الشعراء ، «سيقول العقاد: ان الشعر الحديث حرام وخطيئة ، وسيقول الاعضاء الوافدون: نعم : بارك الله فيك ، وربما تطوع احدهم كما تطوع جودت ، فافتى للاستاذ العقاد بأن من يتولون هذا الشعر قرامزة وبرابرة وهمج وصبايئة وشياطين لا ينقصهم الا ان تغلق عليهم القماقم فلا يخرجون منها الا اذا شاء الله ٠**

وللاستاذ صلاح‌عبد الصبور أن يطالب‌بجعل هذه اللجنة أهلية ، وله أن يتكهن ويتشاءم وهو يستقبل هؤلاء الاعضاء الجدد ، وله ان يستثنى منهم الاستاذ محمود حسن اسماعيل ويبدى ابتهاجه لانضمامه للجنة ، "ويراه الوحيد الجدير بالعضوية ، **الا انه يراه أحق من الاستاذ العقاد برئاسة اللجنة ، فقد يكون العقاد حكيمافيلسوفا ناقدا» ولكنه ليس شاعراكبيرا بحال من الاحوال ، أما محمود حسن اسماعيل ، فالشعر هو حياته» وله فيه اجتهاد خاص يعطى‌لشعره مذاقا خاصا وقد ترك آثره فى جيلين من الشعراء من بعده ،** فهنا موضع النظر ، ولا اظن أن محمود حسن اسماعيل يرضى لنفسه هذا الحكم الجزافى من أديب متثبت كصلاح عبد الصبور ، يلغى بجرة قلم ماضى عملاق كبير فى‌ميدان النقد والادب، هذا الماضى الذى يربو على نصف قرن من الزمان ٠٠٠

كيف يفهم صلاح عبد الصبور أن كون الشاعر شاعرا كبيرا مما يؤهله للجلوس على منصة الحكم على الشعر ، وهو يعلم أن المهمة مهمة تقييم ، ولها استعدادها وتجاربها وخبراتها ٠

اننا لا ندافع عن العقاد ولا غيره ، ولكننا نود الا تدفعنا المعركة القائمة بين العقاد والشعر الحديث الى غمط احد من الادباء الكبار قدره ٠

***

الشمعة رقم ٣٠ :

تحت هذا العنوان اجرت‌مجلة **(الاذاعةوالتليفزيون)** أحاديث مع ثمانية من الكتاب ، وهى تضىء تسعا وعشرين شمعة من عمر كفاحها فى طريق الصحافة الطويل ، وهؤلاء الكتاب هم : **الدكتوران القط، ورشاد رشدى والأساتذة : احمد رشدى صالح وانيس منصور وكامل الشناوى ومصطفى محمود وكمال الملاخ واحمد رجب ٠**

والمجلة حين استكتبت هؤلاء الكتاب ، انما كانت تهدف الى الافادة من توجيهاتهم فى آراء صريحة ، وكان ابرز ما أخذ معظمهم على المجلة ، أنها لا تعنى كثيرا بافساح مجال أوسع للمادة الثقافية المذاعة ، وخاصة أن المجلات العالمية التى تصدر عن هيئات الاذاعة تتخصص فى نشر المواد الثقافية الاذاعية ٠

ورأى الدكتور مصطفى محمود أنه يجب أن توجه المجلةعناية أكثر الى‌المواد وبشكل خاص‌أن‌تتخصص فى نقد البرامج ، فانها الحقل الوحيد الذى يستطيع أن يفصل ذلك، ويكون الواسطة الفعالة بين مايسمع فى الاذاعة او ما يشاهد فى التليفزيون وبين الجمهور ، **وأضاف الدكتور رشاد رشدى** : أن من الواجب على المجلة أن تبتعد عن الموضوعات التى لا تتصل باختصاصها حتى لاتفقد طابعها الاساسى ، وهوطابع المجلة الاذاعية فى العالم أجمع ، بحيث لا تتعرض الا للمادة المذاعة ٠

ونحن نرجو هنا مع تهنئتنا للمجلة فى عيدها التاسع والعشرين ان تتخلص نهائيا من بعض

الاسفاف التي يزاحم صفحاتها احيانا ، بملاحقة بعض الفنانين في شئونهم الخاصة التي لا تتصل بفنهم ولا يفيد منه القارئ شيئا .

انما نريد لها أن تكون مرآة تنعكس عليها كل اعمال الاذاعة والتليفزيون، ولا سيما الاعمال الادبية، فهي لا تكاد تحس بأن البرنامج الثاني بالاذاعة والمتخصص في الادب المحلي والعالمي ذو وجود على الاطلاق ، وحسبنا ان نذكر أن مجلة أخبار الادب بهذا البرنامج وهي تقدم اسبوعيا في ساعة خلاصة الادب والفكر باقلام نخبة من خيار أدبائنا وكتابنا ، هذه المجلة الاذاعية ليس لها نصيب في مجلة الاذاعة الا في الحيز الضيق في مؤخرة أبواب الاعلان عن برامجها .

***

لمسة .. !!

ان المرحوم الدكتور محمود السعران ، الذي كان أستاذا مساعدا للدراسات اللغوية بجامعة الاسكندرية ، ترك رسالته التي نال بها الدكتوراه من جامعة لندن معدة للطبع بعد أن قررت جامعة الاسكندرية منذ سنوات القيام بطبعها ، عنوان الرسالة : « **دراسة نقدية للملاحظات الصوتية عن اللغويين العرب** » ولا زالت مهملة تحت سمع وبصر جامعة الاسكندرية ، واذا كان العالم الراحل لم يستطع بنفوذه - وهو حي - ان يستحث الجامعة التي كان أحد أعضاء هيئة التدريس بها - لانجاز ما وعدت ، فلا يعتقد ان تكون أكثر اهتماما بهذه الرسالة العلمية بعد ان فارقها المؤلف الى الأبد ، ولو من قبيل الوفاء ليس الا ..

ان هذه الدراسة من الدراسات النادرة ، واذا لم يكن في نية جامعة الاسكندرية أن تتحرك نحوها ، فلا أقل من ان تتكرم وتحولها الى وزارة الثقافة والارشاد لتجد طريقها الى الحياة . **فحرام أن يضيع هذا المجهود العلمي سدى ، والف حرام الا يجد العلماء تقديرا في حياتهم ، ولا وفاء بعد مماتهم !!**

من اخبار الأدب :

● ستصدر القناة رقم ٩ بالتليفزيون العربي « مجلة الفنون » في برنامج اسبوعي يستغرق خمسا وأربعين دقيقة ، يتناول الوان الفنون من نحت ورسم وموسيقى وأدب وقصة

ترجو ألا يضيع الأدب في هذه الزحمة !

● اصدرت المكتبة التجارية بالقاهرة طبعات جديدة محققة من : يتيمة الدهر للثعالبي ، ومعارك القدس للغزالي ، واسرار البلاغة للجرجاني ، والعمدة لابن رشيق ، وأدب الكاتب لابن قتيبة .

● ستظهر خلال الأيام القلائل القادمة طبعة جديدة لحديث عيسى بن هشام التي كتبها المويلحي، وقد كتب مقدمة لها الأستاذ علي أدهم .

● سيصدر المجلس الأعلى لرعاية الآداب والعلوم والفنون ؛ قصة ليالي سطيح للشاعر حافظ ابراهيم مع مقدمة للاستاذ عبد الرحمن صدقي ، والمعروف أن الدكتور محمد كامل جمعة سبق أن نشر هذه القصة منذ شهور وقدم لها .

● نوقش في ندوة ناجي الثقافية كتاب « الفكر الاسلامي والتطور » لفتحي عثمان . عرض الكتاب السيد / فوزي عبد المقصود واشترك في المناقشة الأستاذ الدكتور عثمان امين والأستاذ الدكتور احمد كمال ابو المجد والأستاذ جمال البنا والسيدة الأستاذة عنايات الحكيم . وعقب مؤلف الكتاب .

● أعلن المتحف البريطاني في لندن أنه حصل على أقدم نسخة خطية من القرآن الكريم ، يرجع تاريخها الى عام ٣٤٠ هـ - ٩٥١ ميلادية ، وكان المعتقد أن أقدم نسخة خطية من القرآن يرجع تاريخها الى عام ٣٦١ هـ ، وهذه النسخة موجودة في مكتبة جامعة استانبول ، وكلتا النسختين مكتوبة بالخط الكوفي الجميل .

* اوصت لجنة النشر بالمجلس الأعلى للآداب والفنون لدى جميع الهيئات الثقافية بالجمهورية العربية المتحدة ، بالتعاون مع المجلس في عمل فهرس بتراث الجمهورية العربية اليمنية ، باعتبارها دولة ذات حضارة وتراث عريق .

● ستصدر خلال الشهر القادم للأستاذ يحيى حقي رئيس تحرير مجلة (المجلة) مجموعة قصصية عنوانها (نها) ومن الجدير بالذكر أن (نها) هو اسم ابنة الأستاذ يحيى حقي الوحيدة والتي تبلغ من العمر سبعة عشر ربيعا .

محمد عبد الله السمان

الكتب نقد وتعريف

يقدمه
تحسين عبد الحي

نهر الاردن ..
والمؤامرة الصهيونية
تاليف : على محمد على

منذ ان قامت اسرائيل .. على الأشلاء الممزقة لعروبة فلسطين .. الضائعة .. فى مدنها وقراها المحتلة .. تحاول دولة العصابات والأفاقين الصهاينة ان تثبت أقدامها فى أرضنا المقدسة بمختلف الوسائل والحيل .. يساعدها فى ذلك أولئك الذين أوجدوها .. كجزء متقيح ـ تفوح منه رائحة الغدر والخيانة والتربص ـ لطعن آمال جماهير شعبنا فى الوحدة والتحرر ..

وتمارس العصابات الصهيونية فى فلسطين حياتها على الأسس التقليدية لمعيشة رجال العصابات .. بمعنى أن يقيم فى أرض فلسطين المحتلة جزء من مجموع افراد العصابة والآخرون ينتشرون فى جميع أنحاء العالم يسرقون ويضاربون باقوات الشعوب ودمائها ومن ثم يقدمون سرقاتهم وحصيلة عرق معظم شعوب الارض وكفاحها الى مركزهم الرئيسى فى فلسطين المحتلة فى صورة مساعدات وهبات .. متخذين فى سبيل ذلك اشكالا متعددة مثل الصندوق اليهودى او الوكالة اليهودية او المؤتمر الصهيونى العالمى .. او .. او الخ ..

والكتاب الذى نقدمه اليوم ـ هو دراسة مستفيضة لمحاولة دولة العصابات هذه تغيير اسلوب حياة بعض افرادها .. بصرف النظر عن عددهم .. فجميع شعوب العالم تعرف اليهودى يمارس فى حياته اى شىء الا الفلاحة والزراعة .. لكن دولة العصابات التى اتفق على تسميتها باسرائيل ـ تحاول الآن ايجاد طبقة يهودية تقوم بالفلاحة وما يترتب على ذلك من ايجاد الرجال والنساء المستعدين لأن يهبوا انفسهم ماديا وروحيا للحياة الزراعية ..

وتمشيا مع هذا المخطط تحاول اسرائيل الآن تحويل مجرى نهر الأردن .. ونهر الأردن ـ هو **النهر الرئيسى فى فلسطين ويبلغ طوله ٢٥٢ كم منها ١١٨ كم فى الاراضى المحتلة « فى اسرائيل » وتمتد من منابعه فى سوريا ولبنان الى جنوبى بيسان عند خط الهدنة الاردنية الاسرائيلية ـ وتتجمع مياه نهر الأردن من مصادر وروافد فى الاراضى اللبنانية والسورية وتنحدر سيولها الى الاراضى الفلسطينية شمالى سهل الحولة المتاخم للاراضى اللبنانية السورية ومن تجمع هذه المياه فى المنطقة المذكورة سابقا يتشكل نهر الأردن الذى يشق طريقه عبر سهل الحولة مخترقا بحيرته « التى جففتها اسرائيل الآن » متحدرا الى بحيرة طبرية ثم يخرج منها فى قسمها الجنوبى على مقربة من سمخ بفلسطين فيلتقى بنهر اليرموك المتدفقة مياهه من الاراضى السورية فتنصب فى الاردن الذى يستمر منحدرا عبر اراضى الغور الى البحر الميت ..**

وتحاول اسرائيل الآن أن تحول مجرى هذا النهر العربى الذى ينبع من أرض عربية الى صحراء النقب ـ وذلك عن طريق استخدام بحيرة طبرية كمستودع لمياه النهر .. ومن ثم تسحب المياه من بحيرة طبرية بواسطة الضخ فى أنابيب ضخمة الى النقب ـ وتعلق اسرائيل أهمية قصوى على هذا المشروع ـ ويذكر بن جوريون فى مقدمة كتاب اسرائيل السنوى لعام ١٩٥٦ ـ أن النقب هو اليوم نقطة الضعف فى اسرائيل ومصدر الخطر على مستقبلها ـ الا أن النقب ترسم أيضا أعظم آمال اليهود ـ ثم يقول ـ ان « دولة اسرائيل » الصغيرة لا تستطيع الصبر طويلا على وجود صحراء النقب على وضعها الحالى والتى تشكل نصف مساحة أراضيها ـ ذلك أن هذه الدولة ان لم تستغلها فان هذه الصحراء ذاتها سترسم النهاية الواضحة لاسرائيل .. » .

ويرى اليهود أن الفراغ فى النقب عنصر مساعد للقوى العربية فى حالة الاشتباك الحقيقى ـ اذ انه

يسهل عملية هجوم القوات العربية ويجعلها تخترق صحراء النقب بسرعة لتقف راسا أمام الحشود اليهودية في جنوب يافا وفي بئر سبع وهضاب القدس ومن ثم كان اعمار النقب بالمستعمرات اليهودية أمرا استراتيجيا عسكريا بالنسبة لاسرائيل ..

وقد زار ـ لودر ميلك ـ الخبير الأمريكي فلسطين عدة مرات ودرس مسالة المياه وفي عام ١٩٤٤ اصدر لورد ميلك كتابا بعنوان ـ « فلسطين أرض الأمل » ضمنه عدة آراء ومشروعات عن مسائل المياه وكيفية استغلالها وكانت خلاصة مشروعاته تتلخص في النقاط التالية : ـ

(أ) الاستيلاء على مياه نهر الأردن ومصادرها .

(ب) تجفيف بحيرة الحولة وفتح قنوات واسعة تجرى فيها مياه الأردن لري بعض الاراضي في منطقة بيسان ثم نقل الفائض الى النقب لري أراضيه ..

(ج) الاستيلاء على الأنهار العربية « اللبنانية ـ السورية » وتحويل مياهها الى بحيرة صناعية تنشأ عند سهل قرية البطوف ـ في شمال الناصرة ثم نقل تلك المياه الى الجنوب لري النقب ..

وقد اختتم « لودر ميلك » مشروعه بقوله .. « من الواضح أن هناك أدلة كثيرة تؤيد ما أكدناه في الفصل الخاص بمشروع وادي نهر الأردن من أن استغلال منخفض وادي الأردن استغلالا كاملا ـ سيجعل من المستطاع استيعاب أربعة ملايين يهودي من أوربا على أقل تقدير » واهمية مشروع لودر ميلك تنبع من أن هذا المشروع بجميع تفاصيله العدوانية ـ كان ـ أساس كل المشروعات التي قدمت عن طريق لجان مختلفة وباسماء متباينة ـ وبخاصة مشروع جونستون الذي تبنته الولايات المتحدة ورفضه العرب ..

وأشار الكتاب الى محاولات الدول الاستعمارية المتعددة ومخططاتها الهادفة الى تصفية قضية اللاجئين العرب ـ وخاصة مشروع « بلاندفورد » ومشروع كين ومشروع جوردن كلاب ـ ومشروع باروخ ـ وكيف أن جميع هذه المشروعات تهدف الى نقل اللاجئين العرب الى سوريا والعراق وليبيا وغيرها من الدول العربية .

وأوضح الكتاب كذلك ان تحويل مجرى نهر الأردن يشكل اعتداء سافرا على سيادة وحقوق لبنان وسورية والاردن حيث ان روافده ومصادر مياهه تنبع كلها من أراضيها ، ولا شك ان العرب لا يستطيعون السماح بان تكون مياههم سببا لحياة اعدائهم .. وبخاصة أن نصوص القانون الدولي تؤيد العرب في استغلال مياه أنهارهم وذلك اذا أخذنا بوجهة النظر القائلة ـ بالسلطة المطلقة للدولة على أراضيها ـ ويخول هذا الراي للدولة حق التصرف في المياه التي تجري في اراضيها بمحض ارادتها ـ ولكن لا يحق لها أن تطلب من الدول الأخرى التي يمر فيها نفس النهر أن تسمح باستمرار جريانه .. أو بمعنى آخر انها حرة تفعل ما تشاء في الجزء الخاص بها من النهر ـ ومقابل ذلك فان الدول الأخرى التي تشترك في نفس النهر لها مطلق الحرية في التصرف في بقية النهر .

ولما كان من شروط الهدنة مبدأ عدم السماح لقوات اي من الطرفين بالحصول على فائدة عسكرية .. فان اسرائيل بتحويلها مجرى نهر الاردن وما يترتب على ذلك من تهجير وتوطين ملايين اليهود الجدد في راضي النقب حيث مستعمرات اليهود التقليدية التي تعتبر في حد ذاتها حصونا عسكرية تعتبر مخالفة لشروط الهدنة لان ذلك يعطيها ميزة عسكرية ، ومن ثم فانه يجب أن تسحق فورا كل محاولة من جانب اسرائيل للفوز باية ميزة عسكرية ـ استعدادا لليوم الموعود يوم العودة الى وطننا السليب ..

شواين لاى
وقفزة الصين للامام
تاليف محيي الدين فوزى
ابراهيم عارف كبرة

يحتوى الكتاب على دراسة لحياة وأعمال شواين‌لاى وتاريخ الصين منذ حرب الأفيون الأول حتى حرب التحرير واعلان الجمهورية الشعبية في اول أكتوبر عام ١٩٤٩ ـ وكذلك حركة الاصلاح الزراعي في الصين وكيف قضت هذه الحركة على نظام الاقطاع وحررت خمسمائة مليون صيني من العبودية والاستغلال ثم تناول الكتاب أيضا القفزة الكبرى للصين في كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وبرامج التنمية وما حققته هذه البرامج من تقدم وتحسين لمستوى معيشة الشعب .

هذا بالاضافة الى نبذة عن مشكلتي الحدود الهندية الصينية والخلاف السوفيتي الصيني .

تحسين عبد الحي

البريد الأدبي

الأدب الشعبي واللامعقول

في العدد ٢٧ من الرسالة العائدة تحت عنوان (الادب الشعبي واللامعقول) عقب الاستاذ عباس خضر على ماقاله الدكتور محمد مندور من تفسير لنشيد الاطفال الشعبي الذي أثبته الاستاذ توفيق الحكيم في مقدمة مسرحيته (ياطالع الشجرة) :

بقوله : (الواقع أن هذه الاناشيد الشعبية الطفولية انما يقصد بها مجرد التوقيع ، ولا ترمي الى التعبير عن أي شيء لامعقول ، ولا غير معقول) ثم يستشهد بقول الاستاذ احمد رشدي صالح : (ولكن اغاني الاطفال من ناحية البناء قد امتازت بالتبسيط والاغراب في الخيال لتشويقهم) .

ونحن نتساءل كيف تنشد أشياء لاترمي الى التعبير عن شيء ؟» .. وهي اناشيد .. الفاظ ومفردات لمعان معينة محدودة .

ان هذا النشيد ، وأمثاله العديدة لتزخر بالكثير من المعاني التي نستطيع أن نستشفها من خلال النص وفي هذا النشيد بالذات اذا حاولنا تفسير ما جا فيه من معان فسوف نرى أنه صورة لعالم رحب ، يعيش فيه الطفل ويعيشه .. بأحلامه .. بأوهامه بمخاوفه .. عالم يزخر بالاماني والآلام .. وبالمنى بما يوده .. مايتمناه وما يطمع في الحصول عليه وهو في ذلك يتنقل بين الافكار المتعددة .. موضوعات عديدة في وقت واحد ، يفكر فيها ، ومن ثم نقلما نلمح في تلك الاناشيد الطفولية وحدة الموضوع ، ولنتامل هذا النشيد من جديد :

ففي الجزء الذي ذكره الاستاذ معقبا على صورة لبعض تلك الاحلام .. صورة لنوع من التفكير المعين في سن معين .. التفكير في عالم الراحة حيث يظل في مكان لايبرحه .. حيث البقرة التي «تسقيه» حيث الملعقة «الصيني» ... رمزيات محدودة لعالم الحياة ووسيلتها .. البقرة رمز الحياة .. الحياة المحصورة في عالمه في المآكل .. المآكل هو وحده القادر – من اعتقاده – على بث الحياة .. ثم الملعقة الوسيلة التي بها يقتات .. عالم الاسى المحدود .. بكاء الام على صغيرها المذبوح .. انطاق الأعجم .. بكاء الكلبة الام .. ثم عالم التيقظ من الاحلام .. حيث كسرت الملعقة .. وسيلة نقل مطالب الحياة .. مطالب العيش .. كيف يعيش ، ويحيا بعد ذلك ، يكتفي الصغير بهذا الحد ليدخل في عالم آخر وتفكير آخر .

ثمة شيء آخر في تعقيب الاستاذ الفاضل ، وذلك في استشهاده على صدق رأيه بقول الاستاذ احمد رشدي صالح ، ولاول مرة يستشهد أحدهم بما يخونه أو بمعنى أدق كما يقولون ، عبادته شماته ، ففرق واضح بين مايقوله الاستاذ الفاضل ، وبين مايقوله الاستاذ احمد رشدي صالح ، الاستاذ عباس خضر يقول : « ان هذه الأناشيد لاترمي الى التعبير عن أي شيء لامعقول ، ولا غير معقول» .

والاستاذ رشدي صالح يقول في لهجة العالم المتاكد من صدق قوله ومطابقته لمنطق الاشياء وواقعها ، ولكن اغاني الاطفال من ناحية البناء قد امتازت بالتبسيط والاغراب في الخيال لتشويقهم «فرق واضح بين القولين ، فالاستاذ العالم يقصد من قوله ان البناء في الاناشيد الشعبية الطفولية يمتاز بالتبسيط .. اى مايتناسب وادراكهم ، ولم يقل الاستاذ انها خالية من المعنى أو انها لاتعبر عن شيء . كذلك قال بالاغراب في الخيال ، وهوماقصدته من تفسيرنا بذلك العالم الخيالي عند الطفل حيث الاوهام ، والاحلام ، حيث المخاوف ، والمنى .. الخ

والأغرب من هذا أن يرتب السيد الاستاذ نتائج على مقدمات يخيل الى من أسلوبه انه نفسه غير مؤمن بها ، فبعد تلك المقدمة قال :

(وعلى ذلك نقول بأن أدب توفيق الحكيم اللامعقول لايمكن أن يكون امتدادا أو استلهاما للادب الشعبي الا اذا كان لايعبر عن شيء) ، والاستاذ لم يات بهذه النتيجة كرأى وانما كنوع من «التريقة» ، ولكن لما بطلت المقدمة كانت النتيجة هي الاخرى لاتستحق الاشارة اليها أو ليس كذلك ؟ .

السعيد بيومي الورقي

نحن نعيش في فراغ فلسفي

كل كتاب وقراء «الرسالة» القديمة لاينسون ابدا المقالاتالفلسفية القيمة التي كان يكتبها الاستاذ ابراهيم بيومي مدكور على صفحات الرسالة سنة ست وثلاثين وتسعمائة والف ، ولقد كانت فتحا في الكتابة الفلسفية في العصر الحديث ، فشجعت اساطين الفلسفة العرب ء فيالكتابة فيها ، فرأينا عرضا شائقا على صفحات الرسالة أيضا للفلسفة الالمانية بقلم الاستاذ خليل هنداوي ، وخص الاستاذ فليكس فارس على صفحاتها الحلقات الفلسفية القيمة للفيلسوف الالماني القدير «نيتشه» بعنوان : «هكذا قال : زرادشت» وكتب في الرسالة الدكتور محمد غلاب عرضا وافيا للفلسفة الشرقية ، والحقيقة ان هذه الكتابات الفلسفية التي ظهرت في مجلة الرسالة هي الحلقات المشرقة في سلسلة كل ما كتب عن الفلسفة التي ظهرت في هذا العصر الحديث بالعربية سواء في الكتب أو في المجلات ، فلقد كانت معلمة لجيل كبير من قراء وكتاب الفلسفة . واني كقارىء قديم كنت مواظبا على قراءة الرسالة وأشهد انني انتفعت بالمقالات والكتابات التي كانت تنشر على صفحاتها صقلت بها فكري ، واستندت مطالعتي ، وقويت عقيدتي ، فقطعت عليها كل طرق الشبه والزيغ والشكوك التي كانت تهاجم بأعاصيرها الشباب في تلك السن الناشئة التي تكون ملتقى لمجموعة تيارات ثقافية متغايرة تهب عليه من جميع الجهات ، ولم يخل بعض منها من ريح الفرضية والالحاد ، واللعب الخفي بأصابع المستعمر التي كانت ترسم برامج التعليم داخل المدارس .

ولقد صدر الاستاذ ابراهيم بيومي مدكور كتابته بتقديم بارع هو تقرير المرحوم الاستاذ مصطفى المراغي ، شيخ الجامع الازهر الأسبق بانه لا يمانع في نشر المقالات الفلسفية ، ولقد كان الشيخ المراغي ذكيا في هذا التصريح ، فالاسلام قوى بأفكاره ، ولا يخاف عليه من تصادم أو تعارضمع غيره من العقائد والافكار ، سواء كانت فلسفية أم غير فلسفية .

ولو عارض الشيخ المراغي لذهبت الظنون كل مذهب في قوة الاسلام الذي كان يقف في مسافة وسط بين الثقافة الغربية التي تحاول الابتعاد عنه والثقافة الشرقية التي تحاول الاقتراب منه ، وكان الشيخ المراغي يفهم دقة موقف الاسلام ، فكان يقوده قيادة تجنح به دائما الى الشاطىء الذي يرى فيه الناس الأمان ، وكان يعرف أنه يعيش في عصر الافكار الحرة ، فأبت عليه فطنته وحدة ذكائه اللتان اشتهر بهما ، أن يقف بالاسلام موقف المعارض من الافكار الفلسفية الحرة ، فتحية لهذا الرجل المفكر العظيم في هذا الموقف من المواقف التاريخية الاسلامية الخالدة الفاصلة في حياة الاسلام . وأعود فأقول : ان هناك فراغا كبيرا في حياتنا الفكرية لاتملؤه الا الفلسفة ، فالفلسفة هي الطريق الحر والفكر المستنير الذي تلتقي فيه الافكار الحرة من مختلف الجنسيات ، وشتى المذاهب والعقائد ، فعن طريقها اذن تلتقي الانسانية ، وتذوب القيم والافكار المتخلفة ، والرواسب من العقائد الخرافية المتخلفة عصور الجهالات القديمة ، والمنحدرة الى البشرية من طريق غامضغيرمفهوم ، والفلسفة التي أريدها هي الفلسفة الصادرة عن العقليات الكبيرة ، والعقول الناضجة التي قرأت كل الفلسفات القديمة والجديدة المهمة ، واستوعبتها ، وهضمت تجاربها المتعددة ، فاحتفظت باللباب ، ولفظت القشر ، والتي تقدر على عمل التحليل والقيام بالموازنة ، واستخلاص النتائج الحقة ، وتقديم الابتكار ذي القيمة اذا طلب منها تقديمه في أي وقت نشاء ، حتى تكون لنا فلسفة حقيقية ، يطلبها منا العالم ، كما نطلب نحن فلسفته الآن ، فلسفة ترسم ملامحنا وتنطق بصبغتنا ، فنحن لانحب أن نعيش دائما ملحين على غيرنا في طلب فلسفته القديمة والنهل من فلسفته الجديدة ، ثم الوقوف عند هذا الحد ، بل يجب أن نبتكر ، ونسبق غيرنا في الابتكار الفلسفي ، وبهذا تقدم الفلسفة زادا فكريا للشباب المتعطش الى المعرفة ، والراغب في البحث عن مصادرها ، مادامت ترقيه ترقية فكرية ، وتساعده على الوقوف على قدميه وقوفا فلسفيا ، وبهذا نبني جيلا جديدا بناء ، يقبض بيديه على عجلة القيادة في بلاده .

ولست في حاجة الى القول بان التفكير الفلسفي العميق على طيلة العصور هو الاصل في كل العلوم والمخترعات الجديدة ، التي يتمتع بها أبناء العصر الحالي ، وان ملء حياتنا الفكرية به يؤدي الىالتوازن في حياتنا الفكرية ، فلا يحدث فيها تفريغ يؤدي الى صدام ، واننا بحاجة اليه لاننا في عصر الافكار المتقدمة .

مصطفى محمود مصطفى

قصة العدد

غموس.. لحامد

بقلم : احمد هاشم الشريف

الحمى مرض مؤلم جدا والموت ارحم بكثير من هذه الرعشة ، والرصيف مكان مناسب للنوم ومريح فى نفس الوقت ، الرصيف الدافىء المجاور للمخبز ..فالليلة ليلة شتاء ، وحامد لا يعرف من اين جاء ، العربات لاتصل الى هذا المكان ، ولا توجد محطة سكة حديد ، وليس من المحتمل ان تحمله البواخر او الطائرات .

وحامد لا يعرف كيف ينام ، لا يملك الآن شوالا يفرشه كما اعتاد ، وذراع يثنيها بطريقة تحولها الى مخدة مريحة ، فذراعه وبقية أطرافه تجمدت تماما ، الدليل على ذلك انه لم يعد يحس بها ، والهواء البارد يلسع أنفه ، ويجعل عينيه تدمعان باستمرار .

وحامد جوعان ، لكن أين المخبز ودكاكين البقالة المجاورة له ، والمطاعم التى لا تهدأ الحركة فيها من صلاة الفجر حتى آخر الليل ، وقت اغلاق المخبز .

لقد سمع حامد فى بداية حياته عن اطعمة شهية لا يحصيها عد ، ثم رآها بعد ذلك بالفعل أثناء عمله بالمخبز ، تخرج من الفرن فى صوانى ، وشم رائحة البخار المتصاعد منها الى انفه مباشرة ، كذلك سمع حامد عن أنواع اللحوم والفواكه ، ورآها أيضا عند البيه الكبير الذى كان يعمل عنده فى حى العباسية، كان ذلك فيما مضى ، وحلم بعد ذلك بزوجة تطبخ له هذه الاصناف ، وتدس له فيها قطعة كبيرة من اللحوم وبخاصة اذا كان ابوها جزارا أو تاجر خضار ، لكن هذا الحلم تبخر كباقى أحلامه ، وتصاعد فى الجو ثم تحول الى سحابة .. يراها ولكن لا ينالها ..

وحامد نفسه لا يعرف كيف جاء الى هذا المكان، ولماذا ترك المخبز الذى يعمل فيه . صحيح انه استيقظ هذا الصباح وهو يتحسس ورما فى رأسه ربما نتج من اصطدامه بالارض وهو نائم على الرصيف وربما نتج عن اصطدامه بقدم احد العابرين)

فبكى اولا بلاصوت وهو يعض على شفته السفلى ، ثم بكى بعد ذلك بصوت مرتفع (لأنه ادرك ساعتها ان سماع الناس لبكائه او عدم سماعهم له غير مهم عنده) ثم صرخ قائلا :

– ملعون أبو الشوال ونومة الرصيف وملعون ابو الرغيف الحاف ...

وهب واقفا

كان حامد متضايقا من الرائحة العفنة التى تملا فمه ، كما يحدث كل صباح ، ويود لو شرب كوب شاى ، لكن سورة الغضب انسته عادته اليومية وجعلته يخرج من حى الباطنية وهو يسب الدين ويلعن كل من يصادفه ، ولعل هذا جعله يشعر بقليل من الراحة وهو يمر امام مسجد الشيخ العينى ثم على رواق الصعايده والرواق العباسى ورواق الشوام حتى وصل اخيرا الى ميدان الازهر، وهناك وقف برهة وهو يهرش قفاه متجاهلا كمسارى الترام حتى يركب دون أن يشعر به ...

وأخذ حامد يثب من ترام الى آخر حتى وصل الى ميدان العتبة الخضراء ، فوجىء بالزينات معلقة فى كل مكان ، زينات لم يشهد حامد مثلها فى حياته ، الناس يتزاحمون على باعة الحلوى ، والصغار يقضمون الشطائر ويتخاطفونها ويعدو بعضهم وراء بعض فى سعادة ، والشمس تلمع على اسنان الاطفال مؤكدة فرحتهم بالهدايا ، ورائحة الشواء تطوق الشوارع وتتصاعد الى البيوت ، وتتسلل اليها من خلال الابواب والنوافذ ، وراح حامد يتأمل كل ذلك وقد واتته فكرة مدهشة ، جعلته يصفر ويغنى ويفرقع باصبعين ، فكرة مفيدة وجميلة للغاية ، لماذا لا يذهب الى العباسية ، الى البيه الذى كان يخدم عنده فيما مضى ، ربما يراه، ويعطيه « عيدية » وربما تراه الهانم الكبيرة فتغرف له اداما فيه لحم ، وتحشو جيوبه بالكعك والحلوى ..

لماذا لا ينفذ هذه الفكرة ؟ ركب حامد الترام فى طريقه الى العباسية ، ستراه الهانم الكبيرة ، وعندما ينكمش جسمه النحيل امام كتلة اللحم الهائلة ، ثم يتضاءل ويتكوم امامها كالحشرة ، ستشهق وهى تقول له : « حامد . انت بردان واسنانك تصطك اما عندى لك حتة بالطو سيدك القديم » وتتبع ذلك بضحكتها المجلجة ، وسيقول لها فى لهفه : « لا ياست هانم . لا يهمنى

البرد . عايز الغموس عايز اللحم ، وحتما سيضيع كلامه ويمضى بعد ذلك وقت ما قبل أن تنتهى من الضحك . وعندما تنظر الى قدميه سوف تهمس فى استعجاب ،وبداها فى وسطها : « انت كمان تدوس حاف . والجزم عندنا تملأ المقاطف ! » سيكون جوابه هتافا صارعا « لا . لا . انا جعان . الاكل قبل كل شىء يا ست هانم ، » وعندئذ تترك يديها تهبطان ، لتسحباه الى ركن من اركان المطبخ ، وستعطيه لحما وطبقا يثقل بما فيه من غموس ، أما اذا أعطته رغيفا فيقول لها « لا اريده . انا اعمل فى مخبز ليلا ونهارا واكره رائحة الخبز . انا عايز غموس اشرب منه حتى ارتوى » .

وسوف لا يرى زكيه الخادمه التى كانت تحول بينه وبين الست الكبيرة ، والتى كانت تعايره دائما بأنفه الضخم وشفتيه الغليظتين وعينيه اللتين تدمعان باستمرار ، والتى تسببت فى طرده من البيت فلا بد انها سافرت لتتزوج فى الريف كما كانوا يقولون ، وفى هذه الحالة يخلو له الجو مع الست الكبيرة ويقسم لها انه برىء ، وان زكيه كذابة ، وأنه ما سرق لحما ولا فاكهة من الثلاجة ، وسوف تنصت الست الكبيرة لكل كلامه وهى تربت على كتفيه ، ثم تبتسم فى حنان ، وتقول له : « انا عرفت كل حاجه ياحامد بعد طردك عرفت ان زكيه كدابه وملعونه وتستاهل الحرق بنار الفرن . شفتها بنفسى فاتحه الثلاجة وغارت فى داهيه ، واحنا دلوقتى عايزينك ياحامد » ويرد حامد وهو غير مصدق » انا ياست هانم ؟ انا «ويقول لنفسه» هل سأترك الفرن والعيش الحاف ونومة الرصيف وهل سيوافق البيه الكبير ؟ وهل ستعطينى غموسا ولحما وفواكه » ؟.

نزل حامد من الترام ، وقطع الشارع اكثر من مرة دون أن ينتبه الى مكان العمارة واخيرا اهتدى اليها ، وعندما ضغط على زر الجرس ، احس كما لو كان التيار يسرى فى جسمه والجرس يدق فى داخله ، وفكر فى أن يهبط سريعا ويعود الى حيث كان ولكنه تماسك ، ومرت فترة قصيرة ولكن قلقه اطالها ، وأخيرا انفتح الباب ، فوجد نفسه أمام زكيه ..

ــ زكيه ..

نطق اسمها فى دهشة المفاجأة ، ولكنه هتف بها وهو يدخل الشقة .

ــ انت هنا وحدك يا زكيه ..

ــ ايوه .. وسيدى وستى بره .. راحو يزوروا القرافه ..

وشجعه ذلك على الاستمرار فى الدخول ، وسمعها تقول له وهو فى وسط الصالة :

ــ أخرج من غير مطرود ..

تجاهل حامد الانذار ، وبدأ يطوف فى الشقة ، حقيقة انه أحس بخوف من هذا الانذار ولكن حنينه الجارف لكل مكان فى الشقة تغلب على خوفه ، ولم يصدق انه استطاع أن يدخل جنته القديمة مرة اخرى ، وأن يرى حواء التى طردته منها . ليملأ عينيه من كل مكان فيها . ماذا ينتظر ؟ الثلاجة التى كان يسرق منها هو وزكيه ما زالت فى مكانها فى الصالة ، والارفف فى المطبخ عليها الاوانى كما هى ؛ وكل شىء يستعد لولائم العيد و ..

ــ حامد اخرج والا ساصرخ ..

وتجاهل حامد الانذار الثانى .. قواه بدأت تخور ولم يعد صالحا لتلبية أى نداء ..

وصرخت زكيه ..

واحس حامد بقوة أخرى غير قوته ، قوة هائلة تحركه بسرعة ، ويد أخرى غير يده المتخاذلة تطبق على فم زكيه لتمنعها من الصراخ مرة أخرى ، ربما هى قوة الخوف او الحقد أو الغضب الذى يغلى الآن فى قلبه : فها هو ذا قاب قوسين أو أدنى من تحقيق احلامه وتأتى زكيه لتفسدها عليه .

وظل حامد مطبقا بيده على فمها وانفها حتى لا تخرج أى صوت ، وزكيه لم تقاوم كثيرا الا فى البداية ، تماما كالدجاجة ، عندما نذبحها تقاومنا اولا وتضربنا بجناحيها وتزعق بأعلى صوت ، ثم تستسلم لمصيرها عندما تلامس السكين رقبتها ، وهكذا كان دور زكيه عضت حامدا فى راحة يده ، ثم افرزت من فمها لعابا لا نهاية له ، ثم سكنت حركتها ، واتسعت عيناها ، وغار سوادهما وتقلص الى الوراء ، وتركها حامد تسقط وهو مذهول ..

دخل حامد المطبخ ، ورفع الغطاء عن أوانى الطعام ، وكانت ما تزال ساخنة يتصاعد منها بخار صعد الى انفه ، لكن حامد تركها الى الصالة وفتح الثلاجة دون ان يمد يده اليها ، لقد كان منذ لحظات يرغب فى كل هذه الاشياء ويشتهيها ، اما الآن فرغباته ماتت ، ولم يعد يشتهى شيئا فى هذه الدنيا ..

وتهاوى الى أقرب مقعد وجده بجانبه ..

حامد الآن سلطان ، ذهب القضاء وذهب الصقيع ،

وهو الآن جالس في شرفة قصره وتحته ناس كثيرون في أحجام صغيرة يهتفون وفي أيديهم صحون، وحامد لا يكاد يسمعهم أو يراهم ..

قال حامد : ماذا تريدون ... لا اسمعكم بوضوح واكاد لا اراكم ..

وفجاة تحول الاقزام الى عمالقة في حجم الافيال ، ووضعوا على افواههم ميكرفونات وحامد يسد أذنيه من الدوى الذى يسمعه : « الغموس » ..

حامد الآن قاضي كبير ، فوقه ميزان وأمامه محامون ومتخاصمون في انتظار كلمته دخل عليه رجل هزيل ممزق الثياب : له أنف ضخم وشفتان غليظتان وعينان ضيقتان تدمعان باستمرار .. نظر حامد في ورق أمامه وقال في غضب : « تقتل من أجل غموس .. يا لك من مجرم ! » قال الرجل في استكانة ، اسمع قصتي أولا يا سيدى . انا فران تعبت من نومة الرصيف وكرهت العيش الحاف ، وتاقت نفسي الى الغموس .. » نظر حامد الى الرجل الواقف أمامه في حيرة ، وكلما تأمل فيه ازدادت حيرته وأخيرا نطق في صعوبة « ماذا أرى . هل أنت حامد الفران . هل أنت أنا » . وأمسك رأسه حتى لا تنفجر .

أحمد هاشم الشريف

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الإدارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد - القاهرة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
وزارة الثقافة والإرشاد القومي

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٥٠ الخميس ١٤ شوال ١٣٨٣ هـ - ٢٧ فبراير ١٩٦٤ م - السنة الحادية والعشرون

الفهرس

الصفحة

أنا ورءوف "بك" والأطباء

بقلم أحمد حسن الزيات

استطابت السكنى في جسدي الضعيف طائفة من امراض الشيخوخة وأبت أن ترحل ؛ وحاولت أن أحملها على (الاخلاء) بالحيلة أو بالدواء فلم تفعل . وآل الامر بيني وبينها الى قبول (التعايش السلمي) فلا اسعى لاخراجها من جسمي ، ولاتعمل هي لاخراجي من دنياي ، وتركنا تطبيق هذا المبدأ لحكمة السادة الاطباء .. ولكن أى الاطباء أصلح لهذا التطبيق ؟ أهم الاطباء المتخصصون أم الاطباء العامون ؟ أأذهب لعلاج كل منها الى الطبيب الذى تخصص فيها فقرأ أكثر ماكتب عنها ، وفحص أكثر من أصيب بها ، وجرب أكثر ماوصف لها ، أم أذهب لعلاجها جميعا الى طبيب باطني واحد يستطيع بخبرته العامة أن يصالح بين الأدواء ويوفق بين الادوية حتى لايطغى داء على داء ، ولايتعارض دواء مع دواء ؟

انا من انصار التخصص لانه النظام الذى يلائم طبيعة العصر ويوائم حقيقة العلم ، ولايرضيني من الطبيب اليوم ان يكون كما كان ابن سينا طبيبا في كل فروع الطب ، حكيما في كل فنون الحكمة ، عالما بكل ضروب العلم ، فان العلم وان ضاق أوسع من ان يحيط به عالم ، والعمر وان اتسع أضيق من ان يكمل فيه علم . والذى يأخذ من كل شيء بطرف هو الأديب ، لا العالم ولا الطبيب . لذلك كان لى عند كل طبيب متخصص ملف ، وكان عندى لكل مرض معين تذكرة . ومعذلك فان جسمي ـ والحمد

لله على كل حال - يتوب ولايتوب ، وصحتى تتاخر ولاتتقدم !!

ستقول لى وعلى لسانك لهجة الانكار : (لعلك قصرت فى تعاطى الدواء ، او خرجت على نظام الغذاء ، او خالفت عن امر الطبيب) فاقول لك وعلى لسانى يمين الله : انى لم اغفل الدواء يوما ، ولم اشذ عن النظام ابدا . وانما كنت اطوع لكل طبيب واتبع لكل نظام من رءوف بك) .

وللسيد رءوف بك مع السادة المتخصصين قصة طويلة قرأتها او سمعتها منذ بعيد ، وساقصها عليك وان لم يبق فى ذاكرتى منها الا الهيكل :

كان رءوف بك من ابناء الذوات فى عهد الاقطاع ، وكان له كهؤلاء المترفين المتعطلين بالوراثة حظيرة للسيارات من كل طراز ، واصطبل للخيول من كل سلالة ، ومطبخ لاتنطفىء مواقده فى نهار ولا ليل ، **ولكنه كان كسولا لايمشى ولا يركب ولا يرتاض .. وكانت هوايته المفضلة أن يدمن الاكل ادمان النعاج، فهو يستيقظ لياكل ، وياكل لينام ، حتى تراكب اللحم عليه ، وتراكم الشحم فيه ، وبلغ وزنه الصافى مائتين وسبعين رطلا ! ثم تنبه من طول ماتداعب الرفاق على بدانته الى ان الارستقراطية تستوجب الهندام المحكم على القد الرشيق ، وان الرقص يتطلب البطن الضامر والخصر الهضيم ، ففزع الى ابن ذوات من اصحابه هوايته ان يعرف جميع الاطباء المتخصصين باسمائهم وعناوينهم ، لا لأنه سقام** متنوع العلل ، ولكن لانه ارستقراطى ، ولكل ارستقراطى هواية ما ؛ فهذا هوايته ان يقتنى الثعابين او القطط . وذاك هوايته ان يجمع الطوابع او الامضاءات ، وذلك هوايته ان يحفظ طرز السيارات او انواع الخمور . وكل ارستقراطى يستعين بأخيه فيما تخصص فيه .

قال رءوف لصاحبه . اريد ان (اخس) فدلنى من فضلك على الطبيب المختص .

فقال له صاحبه وهو يربت بحنان على كتفه الضخم : عظيم !! اذهب الى الدكتور طاهر فى شارع عماد الدين رقم كذا تر منه مايرضيك .

ذهب رءوف الى ذلك الدكتور ففحصه ، ثم سن له نظاما علاجيا اظهر مافيه ان يمشى كل يوم ساعتين فى الصباح وساعتين فى المساء . وكان العلاج شافيا . فقد نقص وزنه فى ستة اسابيع خمسة وعشرين رطلا • غير انه أحس فى آخر المدة ان قدميه اخذتا تضعفان حتى عجزتا عن حمله ، فلجأ الى صاحبه الخبير يشكو اليه وجعه الجديد ، فدله على الدكتور عزت ، وهو متخصص فى علاج هذا النوع من الامراض بحمامات قدمية يجعلها من الطين الحر المخفف بالماء .. وظل رءوف ثلاثة اشهر يضع قدميه فى هذا الوحل كل يوم حتى زال الوجع وذهبت العلة وعادت الى القدمين قدرتهما الاولى على حمل الجسد الشحيم • وذهب رءوف الى صاحبه يشكره ويحمد اليه الله الذى شفى قدميه من هذا الداء الثقيل الذى ربطه بالسرير تسعين يوما ، ولولا ان به الما فى حلقه لما كان لديه مايشكوه .

لقد اصابه من طول ما غمس قدميه فى الطين الرقيق الم فى الحنجرة • ورأى صديقه الطبيب ذلك فقال له : لاباس ! ان زيارة واحدة للدكتور شوقى المتخصص فى امراض الانف والاذن والحنجرة كفيلة بان تمسح مابك .

وفحص الدكتور شوقى بدقته المثالية حنجرة رءوف فراى ان اكثر امراض الحلق انما تنشأ من ضعف الدورة الدموية فى الحلقوم فقرر ان يقويها بجلسات كهربائية . واستمر المسكين يكابد هذا العلاج الممل بصبر المؤمن وتفويض المتوكل شهرين كاملين سكن فيهما الالم وزالت البحة ، ولكنه كان وا أسفاه من اسرة تتوارث علة عصبية خاصة ساعدتها الكهرباء على ظهورها فيه ، فاعترته نوبات شديدة كاد بعضها يهجم به على الخطر ، واخذت تتمادى هذه النوبات المزعجة حتى زاره صديقه فقال

له متعجبا : ماالذي يحبسك من العلاج ؟ اراضيات من هــذه الحال ؟ هلم باخي الى الدكتــور وديع المتخصص في الامراض العصبية تفرج عنك هــذه الأزمات في اسرع مما تظن .

ورآه الدكتور وديع فوصف له عقــار البرومور – والبرومور – كما يقول علماء الاقرباذين ليس بينه وبين المعدة وفاق : هو يضعفها ويتلفهــــا ، وهي لاتتحمله ولاتقبله . لذلك اصبح رءوف بعد شــهر من العلاج ممعودا يشكو عسر الهضم وفقد الشهية وفــساد الجوف . والممعود لابد ان يذهب من تلقاء نفســه الى الدكتور فوزي المتخصص في امــراض المعدة من جامعة برلين ، ولاتجد اكولا من عشـــاق الطعام الدسم المتبل لايعرف عيادته .

استلقى رءوف على ظهــره فوق سرير الفحص واسلم بطنه المتنفخ الى يدى الطبيب فجعل يجس وينقر ويتسمع ويسال . ثم كتب له تذكرة بمـــا يشرب ويستحلب ويبلع ويحقن . واوصاه ان يقال من اكل اللحوم ومن شرب السوائل ، وان يجعــل قوام غذائه النشويات المهروســة كعجائن البطاطس والفاصوليا والبسلة ، وان يلزم هذا العلاج شهرا . فكانت النتيجة الحســنة لهــذا النظــام الدوائي الغذائي ان عادت لمعدته قوتها الطاحنة الاولى . اما النتيجة السيئةفكانت امتلاءبدنه بالشحم ، وانتفاخ بطنه من السمن ، حتى زاد وزنه على ثلاثة قناطير وذلك من افراطه في التهــام النشــويات المعجونة ليعوض بها ماحرمه من سائر المواد ، فعــاد رءوف يفكر في تخليص جســمه من ثقل ماتراكم عليه ،فلجأ الى صديقه الناصح يستفيد من خبرته مرة اخرى فيما فكر فيه . ولم يكد يفضى اليه بما شغل باله من فحش سمنه ورهل بدنه حتى قال له : اطمئن يارءوف ! ساذهب بك الى متخصص آخر يجعلك في زمن قريب اشبه بلوريل لا بهاردي . فقال له : اخشى اذا انا عــدت الى الطبيب ان يعود هــو الى العــلاج بالمشي الطويل فتنتقل قــدماى ، ثم تلتهب حنجرتي ، ثم تضطرب اعصابى ، ثم تفــسد معدتي ، ثم يزيد وزني !

فقال له الصديق : لاتخش ان يتكرر ماوقع . فان الطبيب الذي ســنذهب اليــه اليوم متخصص في عــلاج السمن بالركوب لا بالمشي : يعــالجه بركوب الخيل . ولاتظنه كالمتخصصين الآخرين يكتفي بأن يقول لك : خذ اى فــرس من الاصطبل واركبــه شوطا أو شوطين في طريق الاهــرام أو في طــريق الماظة . لا ، لا . انه يكتب لك تذكرة في اثنتى عشرة صفحة من القطع الكبير يدون فيها النظــام الذي يجب ان تتبعه : يبدأ بشكل اللباس الذي ترتديه . وبوصف الحصـــان الذي تنتقيه . ثم يحــدد لك ســاعة الخروج ومدة الركوب ومسافة الشــوط . ثم يذكر على وجه الدقة متى تنتقل من السير الى الهملجة ، ومن الهملجة الى العدو ، ومن العدو الى الحضر . وكل ذلك في شرح بين وتفصيل محكم .

وذهب رءوف مع صــديقه الى عيــادة الدكتور الهامي ورجع من عنده بتلك التذكرة .

***

وفي صباح اليوم التالي دخل غرفةالثياب فاختار اللباس المناسب ، وانتقل الى اصطبل الخيل فانتقى الحصان المطلوب ، واخذ يزاول التمرين علىالوجوه التى رسمتها التذكرة . **ولم يمض على ركبته الاولى ثلاثة ايام حتى كان وزنه قد نقص اربعــة وثلاثين رطلا !**

نتيجة مدهشة ، وعلاج ناجح ونجاح عظيم !!

ولكن أتدرى كيف نقص وزنه هذا النقص الكبير في هذا الزمن القصير ؟

لم يكد رءوف ينطلق بالجواد حتى سقط من فوق صهوته سقطة شديدة كان من جرائها ان بترالجراح ساقه ، وهي تزن اربعــة وثلاثين رطــلا بالتمــام والكمال !!

احمد حسن الزيات

الإيمان بالله قوة دافعة موجهة

للأستاذ محمد محمد المدنى

إن أساس الروحية فى الاسلام ليس هو انكار الجانب المادى فى الانسان ، او مقاومته ، او اضعافه ، فما كان الله ليخلق هذا النوع البشرى مكونا من المادة والروح ، ثم يأمر بهدم احد جانبيه ، أو يرمى الى اضعافه .

ولكن الروحية فى الاسلام اساسها وعرضها سياسة الانسان سياسة توجيهية من قبل الجانب الروحى فيه ترمى الى الموازنة بين عنصرى تكوينه ، فهو يعطى الروح حقها ، ويعطى المادة حقها معدلا بينهما تعديلا به تصلح الحياة ، ويستطيع الانسان ان يؤدى رسالته فيها .

وسياسة الانسان ، او قيادته ، من جانب الروح فيه ، هى سياسة ناجحة ، ودائمة ، وفعالة ، اكثر من سياسته من جانب المادة .

ان الانسان ليس حيوانا يقاد بالخطام او اللجام ، ويغرى بالشراب والطعام . ولو حاول محاول ان يقيم سياسته على هذا الاساس ، فربما ينجح الى حين ، ولكنه نجاح لا يدوم ، وانما النجاح الدائم حين يتجه به الى جانب الروح دون أن ينسى الجانب المادى .

وهذا هو السر فى انجميع الروحيات فى الاسلام لها قوة توجيهية مؤثرة فى جوانب الحياة ، باعثة للانسان ، غير مثبطة ولا معوقة ، وفى ان مادية الانسان فى نظر الاسلام لا تنفك عن روحيته ، وروحيته لاتنفك عن ماديته ، وفى ان الاسلام واقعى فى مثاليته ، مثالى فى واقعيته .

***

والجانب الروحى فى الانسان يرتكز على دعائم ، لكل دعامة منها فلسفتها ، وتوجيهها ، وايحاؤها ، ودورها التهذيبى . .

ومن حق هذه الدعائم ان نقف عند كل منها وقفة تحليلية :

« الدعامة الأولى — الايمان بالله »

● تدل الدراسات النفسية على ان الارادة تخضع الى حد بعيد للقوة العقلية ، وتصطبغ فى الناس بصبغتها ، فاذا اقتنع العقل بشىء وآمن به ، وجه الارادة اليه ، وبعث الرغبة فيه ، فكان هذا الاقتناع هو القوة المحركة العاملة على وجود هذا الشىء أو على بقائه ، ولذلك يحرص اصحاب الدعوات دائما على مخاطبة العقول واقناعها بما يريدون ، لانها متى اقتنعت استجابت ،ومتى استجابت كانت العزيمة ، فالارادة ، فالعمل ، ولا تجد الحذاق منهم يرمون الى التسلط بالقوة ، والاعتماد عليها ، فان القوة قد تفلح فى فرض شىء ما ، ولكنها لا تستطيع ان تكفل له بقاء مستقرا مثمرا مهما كان مداها وتأثيرها .

ومن ثم كانت الاديان ذات تأثير قوى لا يغالب ، ذلك بانها تصل بعقائدها وما تبثه فى العقول والقلوب الى تكوين ايمان قوى تثير به العزائم اثارة قوية فعالة مكتسحة .

وعلى العكس من ذلك : اذا فرضنا ان شيئا ما ، لم يظفر بالعقيدة القلبية ، والاقتناع النفسى ، فانه لا يجد الارادة الصادقة ،، ولا العزيمة الثابتة ، فاما ان يظل فى طى العدم ، واما ان يبرز عن طريق غير المؤمنين به ، فيكون ضعيفا او ضئيلا ، ولا يكون له الرسوخ والقرار .

واذن فالمجتمعات التى يتقرر فيها مبدأ « الاعتقاد» هى المجتمعات التى تأخذ باهم ركن من اركان الجدية والعمل المثمر ذى القيمة الذاتية التى تجعله نافعا ، وتجعله ثابتا باقيا .

هذا شأن العقيدة ايا كانت ، لا نقصد العقيدة الدينية ، بل نقصد كل عقيدة يعتقدها الانسان فتدفعه الى العمل ، وتجعله قوة فاعلة ، بعد أن كان قوة قابلة ، او صالحة ، او كامنة .

اما اذا انتقلنا من نطاق عقيدة ما ، الى نطاق عقيدة دينية ، فاننا نقول : **ان الانسان محدود فى**

عقله وعلمه ، ان عقـــله يكتشف كل يوم جـديدا ويكتشف فى كل يوم انه قاصر محدود ، ويعرف ان هناك اشياء كثيرة لا يدركها ولا يستطيع ان يحلق فى جوها ، او يخوض غمارها .

والعلم ايضا شأنه هو هذا الشأن : له فى كل يوم جـــديد ، وهو كل يوم فى تقلب وتحول ، فكم من مقررات علمية آمن بها الناس ثم عادوا فكفروا بها ، وكم من مقررات كانت تظن ثابتة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، ثم نقضت من اساسها ، وكان الذى قررها هو العلم ، والذى نقضـــها هو العلم .

ولا اريد بذلك ان اهون من شأن العقل والعلم ، ولكن اريد ان اكون مع العقل والعلم الى ابعد حد. فاقول : **ان العـــلم والعقل كليهمـا يدلان على ان الانسان محدود ، وانه محاط بالمجهــولات الكثيرة التى لم يستطع ان يقتحمها** ،فاول عقيدة يفرضها العقل والعلم على العالم العاقل هى ان يعتقد ذلك ، فاذا اعتقد انه محدود ، وان علمه محـدود ، آمن ايمانا قويا — لا يناق علمـه ولا عقله — بـان وراء حدوده علوما اخرى ، وحقائق اخرى ، ولم يستطع ان يقف مما يدعو اليه الدين الا موقف الانصاف.

* * *

واول مايدعو اليه الدين **هو الايمـــان بالله . الايمان بخالق ومبدع لهذا الكون العجيب الذى لا يمكن ان يوجد على سبيل المصادفة والاتفاق** ، لان تفاصيله الدقيقة ، وتراكيبه التى لا تقف عند حد ، تعلو على المصادفة وتجعـل القول بها امام العقول خرافة من الخرافات

● والاسلام له فى تعريفك بالله ، اســلوب عملى ذو توجية ودفع :

— فهو يقول لك : **لا تحاول ان تعرف الله من** ناحية ادراك كنهه ، والكشف عن حقيقة ذاته لأن ذلك (اولا) غير ممكن ولا هو فى طاقتك كانسان و (ثانيا) من شأنه ان يشغلك ببحوث نظرية كثيرة لا تكاد تنتهى ، فيضيع وقتك وجهـدك ، دون ثمرة تجتنيها .

— وانما عليك ان تأخذ فى شأن الله جل وعلا بهذا القانون الوقائى الذى وضعه هو : **«ليس كمثله شيء»** وان تقول كلما حاول واصف ان يصفه بما لا يليق **« سبحان ربك رب العزة عما يصفون »** .

— ثم عليك ان تعرف الله من جانب صـــفاته وتصرفاته ، وان تحدد صلتك به من جهة ما يجب عليك ان تفعله او ان تتركه فى حياتك ، باعتباره الهك وخالقك ومعبودك ، وباعتبارك عبده ومخلوقه وعابده .

— انك بذلك تعرف ربك حقا ، وترتب على هذا العرفان مقتضياته العملية فى حياتك ، وفى صلتك به ، وتنقى عن نفـــسك كل ما هو وهم او تخيـل لا اساس له من الصحة .

* والاسلوب الذى وصفناه فى التعريف بالله ، هو اسلوب القرآن الكريم والسنة المطهرة : فانه لم يرد فيهما اى حديث فيه تحديد للذات الالهية بل ان فيهما نهيا عن التفكير فى الذات ، وامرا بالتفكير فى آثار قدرة الله وصفاته .

وقد قص الله علينا ما كان من نقاش بين موسى عليه الســـلام وفرعون حين اعلنه بانه مرسل من رب العالمين : **« قال فرعون ومارب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين . قال لمن حوله الا تستمعون ، قال ربكم ورب آبائكم الاولين ، قال ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون ، قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون قال لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين »**

لقد اراد فرعون ان يمكر بموسى ، وان يوقعه فى ورطة لاخلاص له منهـا ، **« قال فرعون ومارب العالمين »** سال عن حقيقة رب العالمين ، لان السؤال بما لطلب الحقيقة ، فلو حاول موسى ان يجيبه عما سأل لحاول محالا ، واثار على نفسه نقاشا وجدالا، ولو سكت عن الجواب لبان عجزه ، ولقال له فرعون: انت رسول لمن لا تعرفه ، ولكن موسى رد على فرعون ردا حكيما : **« قال رب السموات والارض ومابينهما** ان كنتم موقنيـــن » فكأنه قال له : ليس لك ان تسال عن ذات الله وحقيقته ، فذلك فوق عقلك وفوق ادراكك وفهمك ، ولكن سل عن آثاره تعلم

انه رب كل شيء في السماء والارض وما بينهما خلقا وتصريفا وحكما وعلما ، وهذا هو الجواب الحق ، **لان ذات الله تعالى يستحيل ان تعرف بالماهية ، فلم يبق الا ان يعرف الله بآثاره وافعاله** ، وقد تناسى فرعون ذلك لانه لا يريد الا المجادلة بالباطل : « **قال لمن حوله الا تستمعون ؟** » يعني فلتعجبوا له ، انا اسأله عن حقيقة رب العالمين وهو يجيبني بنسبة الآثار اليه خلقا أو تصريفا ! وعندئذ عدل موسى الى جواب آخر : « **قال ربكم ورب آبائكم الاولين** »وفيه ايضا لفت لعدم امكان السؤال عن الذات مع انتقال الى بيان اثر آخر من آثار القدرة الالهية هو اقرب وضوحا من الأول ، لأن امر السموات والارض ربما اشكل على بعض العقول ، اما شعور العاقل بانه مخلوق متناسل من مخلوقين فهو اقرب قبولا وليس من السهل انكاره ، ولكن فرعون اصر على ان الجواب غير السؤال واشتد في هذه المرة ما لم يشتد في المرة السابقة : « **قال ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون** » أي فهو لا يفهم فضلا عن أن يجيب ، وهنا اجابه موسى بأثر آخر من آثار القدرة الالهية هو اشد الآثار وضوحا وجلاء : « **قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون** » فالمشرق يشير الى طلوع الشمس ، وظهور النهار ، والمغرب يشير الى غروبها ومجيء الليل وهذان أمران دائمان مستمران لاشك انهما عن تدبير وقدرة من مدبر قادر .

وهنا عجزت حيلة فرعون في استدراج موسى ، فخرج عن المناقشة الى التهديد بالقوة : « **قال لئن** اتخذت الها غيرى لأجعلنك من المسجونين » ..

في هذا كله يظهر لنا مبلغ اصرار فرعون ، وهو المتكلم بلسان اهل الباطل والاضلال ، على اقتحام مالا يقتحم ، ومحاولة البحث عما لا سبيل الى معرفته ، ليتخذ ذلك سبيلا الى الفتنة والشك والقاء الريب في النفوس المستعدة لذلك ، ويظهر لنا اصرار موسى وهو المتكلم بلسان اهل الحق والهداية على صرف الحديث عن ذلك المقتحم الصعب ، والاكتفاء بمعرفة الله عن طريق آثاره وآياته ، وهذه ولا شك سبيل المؤمنين ..

والخلاصة ان موقف الاسلام في التعريف بالله ، يعتمد على التيسير ونفي التعقيد ، والبعد عن الفلسفات ، واحترام العقل الانساني والسمو به عن ان يتورط فيما لا يفهم ، وتوفير جهده ووقته لما يصلح عليه امره ، وهو التفكير في آثار القدرة ، والانتفاع بها عملا .

واذن نرى ان هذا الامر الروحي قد وجه الانسان من اقرب الطرق توجيها عمليا ، ولم تكن الغاية منه مجرد تقرير نظرية ليس لها اثر ايجابي .

***

وحين يتعرف الانسان الى الله عن طريق صفاته، سيجد أن القرآن يصفه بمجموعة من الصفات هي المعبر عنها بالاسماء الحسنى « **ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها** » ويقول النبى صلى الله عليه وسلم « **ان لله تسعة وتسعين اسما ــ مائة الا واحدا ــ من احصاها دخل الجنة** »

ومن هذه الاسماء ما ورد في ختام سورة الحشر : « **هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، سبحان الله عما يشركون ، هو الله الخالق البارىء المصور** »

ومن تتبع القرآن الكريم استطاع ان يأخذ منه كثيرا من الاسماء الحسنى مثل الرحمن . الرحيم . القدير . العليم . الحكيم . العظيم . الحليم . الودود . الحميد . المجيد . الوهاب . الباسط . القابض . الرقيب . الحسيب . وغير ذلك

وواضح ان قوله صلى الله عليه وسلم « **من احصاها دخل الجنة** » ليس معناه : من عدها ، او من حفظها ، أو من تلاها ، ولكن معناه :

من وعاها وعى المؤمن بها ، المصدق بثبوت معانيها لله تعالى على وجه الكمال ، وهذا يقتضي درسها والتأمل فيها ، وتتبع مظاهر كل صفة منها في هذا الكون ، والتخلق باخلاق الله فيها ، ولا شك ان من عنى بذلك ، ووفق اليه يصل به الى مرتبة من الايمان ومنزلة من اليقين تدفعه الى سلوك الصراط المستقيم الذى يفضى به الى الجنة ، كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهكذا نجد المؤمن البصير بربه يتعلق باسمائه ، ويتعشقها ، ويرى فيها سلواه وهداه ، ويستمد من التأمل فيها قوة في حياته ، تيسر له الصعاب ، وتهون عليه الشدائد ، وتدفعه الى القيام بما اقامه الله فيه دون تبرم أو تسخط أو ضعف .

ويلاحظ ان هذه الصفات ، او الاسماء الحسنى، مرتبط بعضها ببعض فى مهمة التعريف بالله ، فلا ينبغى أن ينظر الى كل منها منقطعا عما عداه ، بل يجب اعتبارها خطوطا ونقطا متكافلة على بيان صورة لا يتم ادراكها الا اذا تضامت وتعاونت – والله اعلى واجل من أن يكون متصورا بصورة كالمخلوقين ، ولكنا نقول ذلك تقريبا للمعنى وبيانا للمراد .

وقد يدل على ذلك مجيء الاسماء الحسنى فى القرآن الكريم متتابعة دون حرف عطف غالبا : **« وهو الغفور ، الودود ، ذو العرش المجيد » « الملك، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر » ... الخ**

فكان كل اسم هو قيد فيما قبله ، مقيد بما بعده ، وكأنها كلها صفة واحدة مندمجة من صفات .

* * *

وحين يتعرف الانسان الى الله عن طريق تصرفه فى الكون ، يجد انه هو الخالق ، الرازق ، المنعم ، المحيى ، المميت ، المدبر ، ويجد القرآن الكريم يتحدث كثيرا عن مظاهر تصرفه وقدرته وحكمته ومشيئته ، فيقول :

« خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون ، خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين ، والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون، وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرءوف رحيم ، والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون ، وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم اجمعين ، هو الذى انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ، ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون ، وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون »

● **« وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين، ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون ، واوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ، ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون »**

● **« قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير »**

● **« والله جعل لكم مما خلق ظلالا ، وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم باسكم ، كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون »**

● **« أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ، والارض مددناها والقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل زوج بهيج ، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ، ونزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد ، والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج »**

وبذلك يؤمن الانسان بربه عن طريق مشاهداته لتصرفاته ، وبدائع آياته ، واطراد قوانينه فى الكون، ولهذا يتبع القرآن عادة كل مجموعة من هذه المظاهر والتصرفات بالاشارة الى خالقها ومصرفها ، وانه هو الذى يستحق أن يعبد ويوحد « ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل »

* * *

وحين ينظر الانسان الى تحديد العلاقة بينه وبين ربه ، يجد أنه لا يكلفه الا بما فيه مصلحته ، وبما يكفل سعادته فى الدنيا والآخرة ، وأنه يشرع تكاليفه فى دائرة طاقته ، والرحمة به ورعاية مقتضيات بشريته ، وبذلك يحبه ، ويحترم تكاليفه التى لا تخالف منطقه البشرى ، ويجتهد فى تنفيذها راضيا

* * *

ومن هنا كله نجد ان الايمان بالله ، وهو الدعامة الاولى فيما تستقيم به حياة الانسان ، ليس مجرد نظرة قلبية عرفانية لا آثار لها فى الجوانب المادية الواقعية ، بل هو عقيدة توجيهية ايجابية فعالة .

محمد محمد المدنى

التضخم الثقافي

للدكتور محمد أحمد خلف الله

سأل سائل عن هذا الانتاج الضخم الهائل الذى تنتجه المطابع كل يوم فى ميدان الكتاب ، وعن مدى تأثيره فى عمليات التثقيف ، وسير الحياة .

واجاب مجيب ممن نعرف فيهم الدقة فى الفهم والعمق فى التفكير بقوله : ليس يكفى ابدا ان ننتج الأعداد الضخمة الهائلة من الكتب ليكون مصيرها التكديس فوق ارفف مكتباتنا . فانما الذى يجب : ان تصل هذه الكتب الى القراء ، وان يقرأها هؤلاء فعلا ويتأثروا بما فيها من افكار وآراء — والا كانت نتيجة عملنا هباء منثورا ، وكنا لاهين وعابثين فى اعمالنا .

وليس يكفى ايضا أن ننتج افكارا وأن نكدسها فى عقولنا ، فانما الذى يكفى ان نحول هذه الافكار الى حركة دائبة ونشاط مستمر، وأن نوجه هذه الافكار طبقا للاعمال الاجتماعية وللأهداف القومية — والا كنا هنا ايضا عابثين وغير جادين .

***

ونحن لا نستطيع أن نعتبر عدد الكتب التى تخرجها المطابع فى عام دليلا على الصحة العقلية فى بلدنا ، كما أنه لم يصح أبدا اعتبار الورم دليلا على الصحة البدنية. وان هناك لأوراما عقلية ، واجساما اجتماعية مريضة ومثقلة بالأفكار .

ان الذى ينقصنا حقا ليس منطق الفكرة الذى قد يجىء عن الكتاب ، وانما هو منطق العمل والحركة . فنحن نقرأ لنلتقط افكارا . ونحن نلتقط الافكار لا لنعمل وانما لنقول كلاما — اى نتمشدق بالفاظ وعبارات .

ان العقل التطبيقى الذى يتكون فى جوهره من الارادة والانتباه هو الذى يكاد يكون معدوما عندنا .

ان الواحد منا يتصرف كل يوم فى اربع وعشرين ساعة ، فتعالوا نتدبر كيف يتصرف ؟

إنه قد يكون من الموسعين عليهم فى الرزق ، او من القابضين على زمام الأمور ، لأنه صاحب حظوة او صاحب جاه وسلطان ، او من الحاصلين على الدرجات العلمية والشهادات الجامعية — لكن كيف ينفق ماله ان كان صاحب مال ؟ وكيف يسير اموره ان كان صاحب جاه وسلطان ؟ وكيف يستغل علمه ان كان من الجامعيين الذين يشار اليهم بالبنان ؟

انا نرى فى حياة كل اولئك جانبا كبيرا من اللافاعلية فى حياتهم العملية . فان جزءا كبيرا من نشاطهم يذهب فى العبث وفى المحاولات الهازلة .

***

ان العلة — فى حياة هؤلاء جميعا — تكمن فى شىء واحد : فى العجز عن الامساك بالخيوط الدقيقة التى تربط بين الأشياء ووسائلها ، وبين الأشياء واهدافها .. فثقافتنا لا تعرف مثلها العليا ، وافكارنا لا تعرف طريقها الى التحقيق .

انا نجهل او نتجاهل ان الفكرة هى المنوال الذى تنسج عليه ضروب النشاط الاجتماعى . واننا نجهل او نتجاهل أن النشاط الانسانى يصاب بالشلل عندما يدير ظهره للفكرة — كما ان الفكرة تصاب بالشلل اذا ما انحرفت عن النشاط الانسانى — انها فى هذه الحالة تمضى فى طريق اللهو والعبث .

لقد شرعنا فى بناء نهضتنا — ذلك هو مكاننا — اى تلك هى اللحظة الخاطفة التى تسجل نهاية الظلام فى ضميرنا ودبيب الحياة فى ذلك الضمير — انها اللحظة الفارقة بين عهد الفوضى وعهد التنظيم والتوجيه .

وان تنظيم المجتمع وحياته وحركته ، بل فوضاه وجموده وركوده ، ذات علاقة وظيفية بنظام الأفكار المنتشرة فى ذلك المجتمع ، فاذا ما تغير هذا النظام بطريقة او باخرى ، فان جميع الخصائص الاجتماعية الأخرى تتعدل حتما فى نفس الاتجاه .

ان الأفكار هى التى توجه اهم جزء من ادوات التطور فى المجتمعات . وان مختلف مراحل التطور فى المجتمعات ليست فى الحقيقة الا الأشكال المتنوعة لحركات التطور الفكرى . فاذا ما كانت احدى هذه المراحل تنطبق على ما يسمى بالنهضة ، فان معنى ذلك :

(١) ان المجتمع فى هذه المرحلة يتمتع بنظام رائع من الأفكار .

(ب) وأن هذا النظام يتيح لكل مشكلة من مشكلاته الحيوية حلا مناسبا .

***

بعد هذه المقدمة التى طالت بعض الشىء ، والتى ما كنت استطيع الاستغناء عنها ما دمت قد عقدت العزم على ان اشرك القارىء معى فى الحكم على الأشياء التى يتناولها هذا المقال من حيث ان هذه المقدمة قد وضعت بين ايدينا الوانا من القيم الثقافية تصلح اساسا فكرية للحكم على الأشياء .. اساسا فكريا لتقييم الأشياء ، وتقويم الاشياء .

بعد هذه المقدمة اعرض قضية التضخم الثقافى فى بيان موجز ، وفى نقاش نرجو ان يكون مفيدا :

ونبدأ باعلان عن بيع بالمزاد العلنى . اعلان يعلن فيه الخبير المثمن السيد — سيد جبشى — عن بيع مجموعة من الكتب يبلغ تعدادها حوالى المليون ونصف المليون كتاب . وقد حدد المعلن مكان البيع وزمانه ، وكان الزمان الساعة الثانية عشرة من ظهر الاثنين الموافق عشرة من فبراير سنة ١٩٦٤ .

مليون ونصف مليون كتاب هى فائض انتاج مؤسسة واحدة من المؤسسات التى تعمل فى ميدان الكتاب .

والكتب المعروضة كتب قيمة من غير شك ، ويكفى ان اذكر لك اسماء الكتب السبعة الأولى حتى تتبين تلك الحقيقة ، وتتبين الى جانبها فائض الانتاج من كل واحد من هذه الكتب السبعة :

والكتاب رقم ١ هو صحيح البخارى . ويقع فى ثمانية عشر جزءا ، ويبلغ فائض انتاجه ٢٢٦٠٢٥

والكتاب الثانى : دائرة المعارف . وتقع فى واحد وثلاثين من الأجزاء ، ويبلغ فائض الانتاج ٤٤٥٦١٥

والكتاب الثالث : تاريخ الجبرتى . ويقع فى ثمانية اجزاء ، ويبلغ فائض الانتاج ١١١٨٥٧

والكتاب الرابع : المعجم المفهرس . ويقع فى سبعة اجزاء ، ويبلغ فائض الانتاج ٨٧٢٥٢

والكتاب الخامس : بدائع الزهور . ويقع فى احد عشر جزءا ، ويبلغ فائض الانتاج ١٣٠٧٠٥

والكتاب السادس : اساس البلاغة . ويقع فى تسعة اجزاء ، ويبلغ فائض الانتاج ٥٢١٦٤

والكتاب السابع : الفقه على المذاهب الأربعة . ويقع فى أربعة أجزاء ، ويبلغ فائض الانتاج ١٥١١٦

هذه عينات لم اخترها اختيارا لأدلل بها على قيمة هذه الكتب ، وانما نقلتها نقلا عن الاعلان بدون حذف أو تغيير .

والسؤال الآن هو : **هل اقامت هذه المؤسسة دراستها فى عملية انتاج هذه الكتب على أساس من التخطيط الذى اتخذناه لنا نظاما ، أو هى لم تدرس شيئا على الاطلاق ، أو درست واكتفت من الدراسة بمعرفة قيمة الكتاب فى نفسه بصرف النظر عن تعبيره عن فلسفة الدولة الاجتماعية أو تلبيته لاحتياجات ورغبات القراء ؟ ..**

اعتقد ان عمليات انتاج هذه الكتب كانت ارتجالية والأسباب فى ذلك واضحة ونجملها فيما يلى :

أولا : ان المؤسسات الخاصة التى تعمل فى ميادين صناعة الكتب لم تجرؤ فى يوم من الأيام أن تتجاوز فى الانتاج ٥٠٠٠ نسخة لأى مؤلف مهما يكن شأنه ، وكان على هذه المؤسسة العامة ان تضاعف هذا العدد ولكن لا الى الحد الذى يبلغ فيه فائض الانتاج ربع مليون او نصف مليون مجلد كما ترى فى صحيح البخارى ودائرة المعارف .

ثانيا : ان عدد قراء المجلات — ونعرف جميعا أن عدد قراء المجلات اكثر بكثير من عدد قراء الكتب — كان يجب أن يتخذ اساسا فى عمليات الانتاج بالنسبة للكتاب .

كان على القائمين بامر الانتاج فى هذه المؤسسة ان يسترشدوا بعدد النسخ فى ارقى المجلات ، وان يقفوا عند هذا العدد ، ولو فعلوا لما وصل فائض الانتاج عندهم الى هذا العدد الضخم الذى بلغ حوالى المليون ، ونصف المليون كتاب .

ثالثا : ان القائمين بأمر هذه المؤسسة فعلوا فى التعرف على ميول القراء ما فعلوه فى التعرف على عدد القارئين . لقد اكتفوا بالفرض والتخمين . والا فكيف يطبعون مثل هذه الكتب باعداد ضخمة ؟ . ان فائض انتاج كتاب جان كريستوف هو ٣١١٨١ ، وفائض انتاج كتاب طبقات صوفية هو ٢٢٣١٨ ، وفائض انتاج كتاب خامس الراشدين هو ٣٨٣٠٤ .

وليس يخفى ان اى كتاب من هذه الكتب لا تبلغ احتياجاتنا اليه الى هذا الحد الذى يبدو فيه فائض الانتاج ـ فضلا عن أصل الانتاج ـ ضخما ضخامة هائلة .

رابعا : ان القائمين بامر هذه المؤسسة قد اغفلوا اغفالا تاما الفلسفة الاجتماعية للدولة ، فليس من كتبهم كتاب واحد يصح أن نعتبره صورة صادقة وواضحة لفلسفة الدولة الاجتماعية .

ولعلنا نستطيع الذهاب الى العكس ، ونقول فى صراحة تامة ان بعض هذه الكتب من شأنه ان **يحول بين فلسفة الدولة الاجتماعية وبين ان تزيد او تنمو .. انها تمثل الوانا من العقبات فى وجه هذه الفلسفة .**

***

وسؤال آخر نساله القراء : هل حققت هذه المؤسسة هدفا قوميا او ثقافيا حين باعت كتبها هذه فى المزاد ؟ او هى بصنيعها هذا قد ردت الأمور الى اعقابها ، وعكست الآيات البينات ؟

من المسلم به ان الدولة قد حاولت أن تحد من جشع الذين يعملون فى صناعة الكتاب حين اقامت مؤسسات عامة واعانتها بالأموال الطائلة لتمكنها من القيام بالعمل المجدى فى تحقيق تقديم الغذاء الثقافى لكل مواطن من أبناء الأمة العربية .. تقديمه بأيسر الأثمان .

ومما لا شك فيه ان هذه المؤسسة حين عادت فباعت انتاجها بأبخس الأثمان لتجار الكتب ، انما تعكس الآية وتباعد بين نفسها وبين الأغراض التى ما قامت الا لتحقيقها .

لقد اشترى تجار الكتب هذه المجموعة الضخمة بعشرة آلاف من الجنيهات ، ومعنى ذلك ان المجلد الواحد قد بيع باقل من قرش واحد ـ بيع بمليمات .

وهنا نستطيع ان نتصور مقدار الربح الذى سيربحه هؤلاء التجار ـ وهو ربح يجىء أولا واخيرا من جيوب القراء الفقراء .

ان المؤسسة بصنيعها هذا قد مكنت تجار الكتب من القراء ، ومكنت لهم من الاستغلال ومن الربح الذى يجىء بدون كد او عناء .

وان هذه المؤسسة بصنيعها هذا قد قلبت الأوضاع مرة ثانية . وخرجت من صناعة الكتب على انها رسالة وردتها الى أعقابها لتعود كما كانت تجارة .. وتجارة تدر الربح الوافر ، والمكسب العظيم .

***

انى اخشى ان تكون هناك مؤسسات أخرى تنتج بغير حساب ، ويتوفر لها من فائض الانتاج العدد الضخم من الكتب الذى يصل الى المليون ونصف المليون من الكتب والمجلدات .

وانى اخشى ان تصنع هذه المؤسسات صنيع سابقتها وتقدم على بيع الكتب بالمزاد العلنى ، وتحقق المعنى الذى يريده أصحاب المكتبات من ان صناعة الكتب تجارة لا رسالة ، وان الكاسبين فيها هم التجار وأن الخاسرين هم المواطنون من القراء .

ورحم الله امرءا عرف قدر نفسه . وقدر لرجله قبل الخطو موضعها .

بقى ان تعرف عنوان هذه المؤسسة التى حدثتك عن افعالها .

انه كما جاء فى الاعلان : ٩٢ شارع القصر العينى .

دكتور

محمد احمد خلف الله



دفاع عن الفلسفة

للدكتور مظهر سعيد

ليس من شك فى ان مدنيتنا المعاصرة توافرت لها كافة الوسائل التى تجعل الناس أكثر امنا ، والحياة أكبر سعادة • وقد اعطاها العلم الحديث قوة آلية جبارة ولكنها تستخدم امكانيات هذا العلم فى الترف أو الحرب ، وكلاهما يقضى على المدنية بالحقد ، ويجعل حياة الناس أكثر قلقا وشقاء • أجل ، لدينا القوة ولكن تعوزنا الحكمة •

والسر فى اضطراب حياتنا فى هذا القرن العشرين قرن الحضارة المادية اننا نعيش فى دنيا كلها قلق فى الحاضر وخوف من المستقبل ، وتوقع لحرب طاحنة مهلكة او ازمة اقتصادية خانقة •

فقد تزعزت العقائد الدينية ، وتصدعت النظريات السياسية ، واختلت الموازين الدولية ، والقيم الانسانية ، والعلم الحديث جعل الحرب أكثر تدميرا ، والنظريات الاقتصادية المتطرفة قلبت الأوضاع وأشعلت الثورات •

لقد اصبحت حضارتنا سطحية ، واحكامنا عن قيم الحياة خاطئة ، وآراؤنا فى معتقداتنا مبلبلة • نحن اغنى ما نكون الآن فى الأدوات والآلات والوسائل ، وسائل النعيم والجحيم على حد سواء ، ولكنا بعد فقراء فى الاهداف والغايات •

والمدنية المعاصرة فى أشد الحاجة لدراسة الفلسفة ، وفروعها ، من جديد • فبغير الفلسفة ، بغير نظرتها الكاملة المتكاملة للحياة ، التى تحدد أهدافنا ، وتوجه رغباتنا ، وتضبط أهواءنا ، نبدد تراثنا الاجتماعى وتتخلى عن مثاليتنا المسالمة ، ونسوق انفسنا بأيدينا الى انتحار الحرب الجماعية والصراع الاقتصادى والأيديولوجى القاتل •

نحن نزرع الأرض ونجوب الفضاء بسرعة جنونية، ليس لها مثيل من قبل ، ولكنا لا ندرى الى اين تذهب ، وهل سنجد هناك ، عندما نصل ، السعادة التى تعوضنا عما بذلنا من مال ، وعما انفقنا من جهد . أن علمنا الحديث يهلكنا ، ونحن لا نأبه ، وقوتنا المادية المتزايدة تستعبدنا ، ونحن لا ندرى، فلا نجاة لنا الا بالحكمة ، اى الفلسفة .

ان الناس جميعا ينادون بالحرية وحقوق الانسان وتقرير المصير ، ويحاولون أن يكونوا أحرارا بالفعل، فى افكارهم وعقائدهم ، وسلوكهم وحياتهم ، مؤمنين بالضمانات القانونية والمواثيق الدولية ، ولكن قلعة الحرية التى يتوهمون أنهم يحرسونها ، خاوية على عروشها ، لأن حياتهم ليس لها فلسفة ، وتفكيرهم ليس فيه منطق ، وسلوكهم ليس له ضابط .

فعلينا أن نجد طريقا لاسترداد ثقة الناس فى صحة المبادىء السليمة التى كنا نؤمن بها ، فتطمئن النفوس من جديد ، وتصبح المدنية بحق اكثر رفاهية ، والحياة أكبر سعادة ، **ولا سبيل لكل هذا غير الفلسفة فهى التى تعلمنا السياسة النزيهة ونظام الحكم السليم وصفات الدولة العادلة ، وتبصرنا بعناصر القوة فى شخصياتنا وكيف ننميها ، والحياة الصالحة وكيف نحياها ، وتجلو لنا القيم الأخلاقية التى تسمو على القيم المادية تعلمنا كل هذا ، بفكر رصين، ومنطق صحيح ، واشباع وامتاع ، وتجعلنا فى آخر الأمر كاملين ، بقدر ما يمكن أن يصل اليه البشر من كمال •**

وقد تربعت الفلسفة على عرش الفكر البشرى ، قرابة الفين من السنين ، وكانت مصدر الكشف فى العلوم ، والابداع فى الآداب والفنون • ولكن ما أن تحكم العلم الحديث فى قوى الطبيعة ، وسيطرت المذاهب المادية على حياة الأفراد والجماعات • والشعوب والدول ، حتى اختلفت أحكام الناس على الفلسفة وقيمها ، وأهدافها ومثلها ، حتى ظنوا أنها بدأت تفقد مكانتها وتتخلى عن ميدانها ، لأن العلم المادى يتقدم فى اطراد متزايد ، فى هذا العصر ، عصر السرعة والمادة ، والفلسفة لا تساير هذا العلم المادى ، وموضوعاتها كالخير والشر ، والجمال والقبح والفضيلة والرذيلة ، والشك واليقين ، والحرية والاستبداد ، والحياة والموت ، لا تخضع لمقاييس العلم ، المحسوسة الملموسة • وهم فى نظرتهم هذه ينسون أن الحضارة كلها مدينة للفلسفة بكل ما فيها

من علم وفن وأدب . فهى التى رسمت على يد سقراط للعقل البشرى طريقا واضحا وسط الأساطير والمذاهب الدينية البدائية ، والتقطت دور الحضارات القديمة وصاغت له اطارا منطقيا منظما . وعلى يد افلاطون ربطت بين سائر العلوم والفنون ، وجعلت منها مذهبا فلسفيا كاملا ، وقدمت شرابا سائغا لجميع العقول والأذواق ، واعطت الانسان المفكر أسلوبا جديدا ، يساعده على الادراك الواضح للأشياء والمواقف ، والتحليل المنطقى ، والترتيب المنظم لأصول الحقائق . وربطها وردها الى أسبابها وعللها الأولى ، ومبادئها وبديهياتها ونظرياتها ، ومن ثم كانت الفلسفة الحجر الأساسي للمعرفة فى جميع العصور ومشعل النور الذى يهدى الانسان الى طريق الحقيقة والحكمة ، ولذلك سميت «فلسفة» أى حب الحكمة .

ويكفى الفلسفة فخرا أن « جمهورية افلاطون » ظلت مرجع العلماء فى السياسة والتربية والمنطق عشرين قرنا كاملة ، وأن كتاب « عزاء الفلسفة » لمؤلفه الوثنى « بوتيوس » كان له اكبر الأثر فى ادب القرون الوسطى المسيحية الى عهد الأحياء ، وأن مقدمة ابن خلدون نشأت عنها طائفة كبيرة فى العلوم الحديثة فى الاجتماع وفلسفة التاريخ .

وليس من شك فى أن طريق الفلسفة وعر شائك كالجبل ، وصاعده يتعرض للكثير من المزالق والمخاطر ، ولكنه يجد فى المثابرة لذة التغلب على الصعاب ، فاذا ما وصل الى القمة السامية ، من مرتفعات العقل والمنطق ، استمتع بالجمال السابغ والهدوء النفسى الشامل ، واستعرض آفاق تجارب البشرية ، وادرك قيمة الانسان ومكانته فى هذا الكون .

وتاريخ الفلسفة سجل للاجابات المنطقية الرصينة ، عن مسائل العقل والمعرفة والحقيقة ، تطالعنا منه نظرات عميقة لطبيعة المجتمع والخلق والحق والخير والجمال ، بل وحياة الانسان ومصيره . وهى من ثم ترشدنا وتبصرنا بمشكلات الحياة ، والحلول التى تتلمسها العقول الفذة لها . وكبار الفلاسفة يقفون عبر التاريخ فى وديان الحضارة ، كالمعالم البارزة التى ترشد المفكرين فى رحلتهم العقلية الطويلة .

ما هى الحياة وما الموت وما الخلود ، ما النفس والروح والعقل ، ما أنا وما الله ، ما الخير وما الفضيلة ، ما الصلة بين الفرد والجماعة ، ما هو الواجب وما الحق ، ما الحرية وما الارادة ، وما الهدف الأخير لكل هذا ، هذه أسئلة تخرق ستر الغامض المجهول ، وتلقى عليه بصيصا من نور المنطق ، فيدرك الانسان الشيء الكثير عن حقيقة الوجود . وقيمة الفلسفة تتجلى فى هذه الأسئلة التى تسألها ، وليس فى صحة الاجابات التى تعطيها . فالجواب الفلسفى يقيم صرحا من الحقائق ولكن الأسئلة تضع الاطار الذى يبرز صورة هذه الحقائق .

والفلسفة تعنى بالثابت الدائم النهائى ، وبالحقائق الكلية والمعانى المجردة ، وليس بالجزئيات المتغيرة المحدودة بحدود الزمان والمكان . وهى اتجاه عقلى نحو الحياة كلها ، يسبغ عليها الثبات والاستقرار ويوضح ما ترمى من أهداف وغايات . وما دامت هى حب الحكمة ، والحكمة رائد العمل فان المفكر الذى يعرف كل شيء ولا يستفيد من عمله ، ويفيد الناس بالعمل المتتبع ليس فيلسوفا .

وهى كذلك أسلوب للحياة ، وليست مجرد ترف عقلى أو مران على التفكير المنطقى . وهى من ثم تعنى بدراسة حاجات الناس الواقعية ، وتساعد على تعديل سلوكهم ، وتوائم بينهم وبين البيئة التى يعيشون فيها ، على وجه افضل . وقد لا تستطيع الفلسفة ان تقطع برأى فى طبيعة الكون والوجود والحياة، ولكنها ــ على الأقل ــ تستطيع ان ترشدنا الى افضل اهداف الفرد والجماعة ، ان كانت حقيقة الحياة والكون كالمظهر الذى يبدوا لنا منهما . وهى تنسق نواحى طاقتنا الحيوية ، بتقييد رغباتنا ونقدها وضبطها وتعديلها وانسجامها . والطاقة المنظمة المنسجمة هى آخر ما تسعى اليه علوم الأخلاق والسياسة والمنطق وما وراء المادة .

ولأجل ان يكون الانسان فيلسوفا ينبغى أن ينشد الحكمة ، ويحيا وفق تعاليمها حياة البساطة والثقة والأريحية ومكارم الأخلاق .

والفلسفة ليست علما ، وانما هى أسلوب لدراسة غايات جميع العلوم . ولقد غزا الفلاسفة من قديم

ميادين العلوم والمعرفة بسلاح الفكر والمنطق وبرغم انفصال بعض العلوم عن أمها الفلسفة ، واستحداث البعض الأخر ، فان العلوم لا تلبث بين حين وآخر ان تستلهم وحى الفلسفة ، وتستعين بمنطقها واسلوبها على حل مشكلاتها الكبرى . وهكذا تبدأ الفلسفة من حيث ينتهى العلم . وستظل الفلسفة قائمة ، ما دام الفيلسوف باقيا ، كناقد للفكر البشرى ومحلل لنتائجه .. والخلاصة ان الفلسفة روح العلم ، والعلم بغير فلسفة حقائق بغير قيم .

ويتساءل الناس عن مفهوم الفلسفة ، وما التغير الذى طرا على معناها ومرماها ، وماذا نفيد منها .
والجواب عن هذا ، ان الكسب الرئيسى هو صياغة نفس الاسئلة القديمة ، وانما على نحو أوضح وادق . وبهذا يزداد فهمنا لحكمة اعمالنا وسلوكنا ، وتوفر على العلماء والمفكرين والباحثين ، الذين لم يتصلوا بالفلسفة ، بدء التفكير من جديد فى أمور تناولتها الفلسفة بحثا وتنقيبا ، واثبتوا خطأها او تفاهتها .

وليس من شك فى أن العلم يتلقف الافكار المنطقية من الفلسفة ، ثم يتولى بحثها وتحقيقها ، واثباتها أو نفيها ، بملاحظته وتجربته ، واجهزته وادواته وقياسه واحصائه حتى اذا ما تبين صدق الرأى الفلسفى ، جعله قاعدة ونظرية وقانونا ، ونتجت له مشكلات أخرى أكبر وأهم فيعود الى الفلسفة ، يستلهمها من جديد .

والمذهب الواقعى الجديد لا يحاول ان يثبت الحقائق او ينفيها ، وانما يحاول توضيح الافكار الاساسية التى تعرضها العلوم الحديثة ، وترتيب الحقائق فى مجموعة كلية واحدة ، تلتقى فيها جميع وجهات النظر . فالفلسفة الحديثة تحاول ان تضع اطارا ، ينتظم الافكار العامة على نحو منطقى متماسك وبلغة تترجم كل عنصر من عناصر خبرتنا المادية .

والفلاسفة اليوم لا يعيشون فى ابراج عاجية ، ويفكرون فى الفراغ وانما هم يرون المشكلات العامة ، فى تطور العصر الذى يعيشون فيه . والمشكلات الفلسفية تثير الاهتمام الآن ، كما كانت منذ بدئها ، فهى دائما فى شباب متجدد . وما المدارس الحديثة فى الفن والأدب ، واصطناع التعابير الجديدة والرموز الا محاولات فلسفية .

ان العلم المادى ، فى هذا العصر بالذات ، وبعد حربين عالميتين قد زلزل اصول جميع النظم والعقائد والمعانى ، التى قدستها البشرية واعتزت بها . واصبح من واجب الفلسفة والعلوم الانسانية ان تبحث اصول هذه الظواهر واسبابها وتتلمس لها علاجا ، وان تدرس اثر الثورة الفكرية للعلم الحديث فى مستقبل البشرية . وكما اتقن الفلاسفة القدامى وسائل البحث العلمى ، فعلى المعاصرين واللاحقين أن يتقنوا وسائل البحث الخلقى لبناء الانسانية من جديد . وتوجيهها نحو نظام اكمل ، وحياة أفضل ، مما ألفه الناس .

وعلى الفلسفة الحديثة اذ تعالج المشكلات التى تنجم عن التغيرات المتزايدة السرعة على مقياس انسانى متزايد الاتساع وبقدرة اكبر على التعمق والنفاذ . وسيزداد تقدير الناس للفلسفة وثقتهم بها ، بقدر واقعيتها بالنسبة لعصرنا ومشكلاته . وبهذا تؤدى من الخدمات ما ادته الفلسفة القديمة لعصورها .

اجل . ان على الفلسفة ان تعيننا على اجتياز مرحلة الانتقال المضطربة ، وتكشف لنا عن حركات العلم الحديث ، وظروف الانسان الصناعية والاقتصادية والسياسية التى نبحث عنها ، وان تعالج هذه الفوضى الفكرية والخلقية ، وتضع لنا دستورا خلقيا جديدا ، يدفعنا الى طريق الكمال .

الدكتور

محمد مظهر سعيد

عميد الفلسفة وعلم النفس والاجتماع
بوزارة المعارف سابقا

الجانب الإنساني في الأدب الصوفي

بقلم : عبد الكريم الخطيب

يعتبر الأدب الصوفي في جملته من الأدب المتفائل ، الذي يدعو الى التعاطف مع الوجود ، والى التحاب والتواد مع الموجودات . لا فرق في ذلك بين موجود وموجود .. اذ كل ما في الوجود يقع لعين الصوفي جميلا ، رائعا معجبا ، يشيع في نفسه رضى وبهجة، ويغمر وجوده انتشاء ووجدا ، واذا هو طائر غرد ، وقع على روض اريض ، في زمن الربيع ، فنفض ماق كيانه على لسانه ، نغمات صادحة مشجية ، تذهب الحزن ، وتستجيش الصبابة والهوى .

ففي الادب الصوفي تحتشد كلمات الحب ، والشوق ، والوجد ، والمحبة ، والحبيب ، والمحبوب، والوصل ، والخمر والكاس .. الى امثال كثيرة لهذه الكلمات التي تتحدث عن العشق واحواله ، والحب ولوعاته ، والهوى ومواجده ، والخمر وخمارها .. فيتصور من هذا كله موكب بهيج من مواكب الحياة ، قد جمعت له الوان المسرات والمباهج وسيقت اليه صنوف اللذاذات والمتع !

هكذا يرى الصوفي هذا الوجود الذي تقلنا ارضه وتظلنا سماؤه ، وهكذا يتصوره خياله ، ويصوره لسانه .

فالصوفي ينظر الى هذا الوجود نظر العاشق الواله ، المفتون بكل شيء فيه ، المأخوذ بكل سانحة منه ، الدهش المبهور بكل موجود فيه .. فلا يرى في الوجود الاجمالا خالصا ، والا حسنا متفردا ، والاجلالا مهيبا تعنو له الجباه ، وتخشع القلوب!..
ومن هنا جاءت فتنة كثير من المتصوفة ، اذ اختلط عليهم الخلق بالخالق ، حين غمرتهم نشوة هذا الجمال والجلال الذي يسفر لهم عن وجهه في كل كائن ، فخشعوا له ، وسجدوا بين يديه ، وعبدوه في « الذات » ــ ذات الآله ــ وعبدوا « الذات » فيه !
والحب ــ كما يقولون ــ يعمى ويصم ! فانه اذا احب الانسان شيئا وتمكن هذا الحب من قلبه ملك عليه أمره ، واخذ منطقة وعقله ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ! واذ هو وقد اسلم للحب قياده ، فلا يجد . الوجود كله الا فيه ، ولا يرى الحياة حياة الا به ومعه ، ولا عليه بعد هذا اذا فاته من الحياة ما يتنافس فيه الناس ويقتتلون عليه من مال اوجاه او سلطان ، ان لم يكن محبوبه المعبود هو المال او الجاه او السلطان !! فابو «نواس» ــ مثلا كان دينه الخمر ، ومعبوده الكاس .. فهو لا يرى الوجود الا دن خمر ، او رشفة كاس :
والشعراء العذريون يحسبون الوجود كله عندهم مجتمعا في محبوباتهم : لا يفتحون عيونهم على شيء الا اطلت عليهم منه تلك المحبوبة المعبودة !

فهذا مثلا « كثير عزة » قد جمع الوجود كله في « عزة » صاحبته ، ومعبودته ، واستغنى بالنظر اليها عن كل مطلب في الحياة ، وزهد في كل جميل غيرها ، وعمى عن كل حسن سواها .. بل لقد استغنى عن الناس جميعا ، وود لو تنقطع بينه وبينهم الاسباب ، فلا يلقاهم ولا يلقونه ، ليفرغ لعبادة معبودته ، بل انه جاوز ذلك الى ان تمنى ان يخرج من عالم الناس الى عالم الحيوان ، حيث لا يشركه في عبادة معبودته احد ، ولا يشرك هو في عبادتها احدا !

واستمع الى احدى امانيه :

الا ليتنا يا عز ــ من غير ريبة ــ
بعيران نرعى في الخلاء ونعزب
نكون لذي مال كثير مغفل
فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب
كلانا به عر ، فمن يرنا يقل :
على حسنها جرباء تعدي واجرب
اذا ماوردنا منهلا هاج أهله
الينا ، فلا ننفك نرمى ونضرب !

فهو يركب وصاحبته هذا المركب الوعر ، ويرمي بامانيهما الى هذا المرمى البعيد ،المظلم ، المخوف ليخلو لكل منهما وجه صاحبه ، وحسبهما بذلك سعادة ورضى ، وان تكن الحياة كلها حربا عليهما ، ترميهما بالجرب والتيه ، والضياع ، والحرمان ، بعد ان رمتهما من قبل بالمسخ ، والتنكيس في الخلق !

والصوفي اشد حبا للوجود كله ، وللموجودات جميعها من هذا الحب العذري ، الذي يقصره المحب على محبوبته ، حيث لا يرى شيئا غيرها ،ولا يحفل بموجود سواها .. على حين ان قلب الصوفي يسع هذا الوجود كله ، فيخفق لكل نسمة منه ، ويفتتن بكل ظاهر وخفي فيه .

فالجمال فى عين الصوفى ليس موقوفا على المرأة الفاتنة ، او الزهرة الناضرة ، او الفجر الضاحك او الشفق الباكى ، او غير ذلك مما يتعشقه الناس ويميلون اليه ، وانما الجمال عند الصوفى شائع فى كل شىء سار فى كل كائن ، موجود فى كل موجود ، وان عميت عنه عيون ، وزهدت فيه عيون !

يقول ابن الفارض متحدثا عن الذات الآلهية :

وصرح باطلاق الجمال ، ولا تقل
بتقييده ، ميـلا لزخرف زينة
فكل مليح حسنه من جمالها
معـار له ، او حسن كل مليحة
بها «قيس لبنى» هام ، بل كل عاشق
كمجنون ليلى ، او كثير عزة
فكل صبا منهم الى وصف لبسها
بصورة حسن لاح فى حسن صورة
وماذاك الا ان بدت بمظـاهر
فظنـوا سـواها ، وهى فيها تجلت
بدت باحتجاب ، واختفت بمظاهر
على صبغ التلوين فى كل برزة
وتظهر للعشـاق فى كل مظهر
من اللبس فى اشكال حسن بديعة
ففى مرة لبنى ، واخـرى بثينة
وآونـة تدعـى بعـزة عـزت
ولسن سواها ، ولا كن غيرها
وما ان لها فى حسنها من شريكة

فابن الفارض ينظر الى الذات الآلهية من خلال هذا الوجود كله ، فيرى جمال « الذات » منثا فى الموجودات جميعها ، ناطقها وصامتها ، ماتراه اجمل جميل ، وماتحسبه اقبح قبيح ! فنحن الذين نزن الجمال والقبح بموازيننا ، اما الحق فمن وراء ذلك، اذ ليس فيما خلق الله من قبيح : « الذى احسن كل شىء خلقه » .. « ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت » .. « فتبارك الله احسن الخالقين » !!

فالجمال ــ كما يرى الصوفى ــ يلبس الوجود كله ، ويجمل الموجودات جميعها .. فهو مطلق لا يمسكه مكان ، ولا يستأثر به زمان .. انه فوق الزمان والمكان ، فلا ينخدع المرء بظواهر الاشياء ، وما عليها من زخارف والوان ، فيجعل لها ــ دون غيرها ــ مكان الحب من قلبه ، وموضع العجب والاعجاب من عينه ، ويضرب صفحا عما عداها ، مما لم يكتس بهذه الاثواب المفوفة المزخرفة .. فانه ان يكن فى هذه جمال ظاهر ، فان فى تلك جمالا خفيا مستورا ، لايقل بهاء وروعة عن هذا الجمال الواقع فى مجال الحس ، وفى معرض النظر !.

وندع الجانب العقائدى من هذا الشعر الصوفى وما يدور فى فلكه ، فما من همنا فى هذه الدراسة أن نناقش عقيدة المتصوفة ، ولا ان نشق عن قلوبهم لنعلم ما يدينون به للديان ، فذلك امره الى الله .. « كل امرىء بما كسب رهين » .. وانما نحن بصدد التقييم الفنى للأدب الصوفى ، لمعرفة مكانته فى الأدب ، وآثاره فى الحياة ، كفن من الفنون التى لها آثارها ، وثمراتها فى الناس !

واذ ندع الجانب العقائدى من هذا الأدب الصوفى فاننا نجد فيه أنغاما شجية حلوة من التعاطف والحب والتجاوب مع الحياة وموجودات الحياة !

ففى الأدب الصوفى ــ شعره ونثره ــ دعوة قوية الى التعامل مع هذا الوجود ، والى مداناته ومخالطته مخالطة مودة ، وألف ، ومحبة ، وعشق ، وهيام !

فحيث يكون الانسان مع الأدب الصوفى ــ قارئا او دارسا ــ فهو فى مواجهة عالم فسيح رحيب ، تبدى فيه الحياة بموجوداتها معرضا من معارض الحسن ، ومسرحا من مسارح الجمال ، تتغاير فيه الصور ، وتتخالف عليه الأشكال ، وليس فيها غير الحسن والجميل من كل ما يظهر او يختفى !

***

وانه لطبيعى أن تبدو الحياة من خلال هذه النظرة ، وعلى أضواء هذا الأدب وفى أجوائه وأنفاسه ــ طبيعى أن تبدو حياة طيبة يمكن أن يعاش فيهـا ، وان يسكن اليها ، او انها ــ على اقل تقدير ــ حياة محتملة، لا يهرب الانسان من وجهها ، ولا يضعف عن احتمال تبعاته فيها .

فالأدب الصوفى ــ من هذا الجانب ــ يؤدى وظيفة حيوية فى الحياة ، حيث يقوم بعملية مصالحه ــ بين الناس وبين ما يلقاهم فى حياتهم من مآسى وفواجع ، وما يهجم عليهم من تصورات مهولة مفزعة ، لهذا المصير المجهول الذى سيصيرون اليه ، والذى تدفع بهم الحياة دفعا قاهرا قاسـيا نحوه ، ليخطفهم ، وليلقى بهم فى جوفه ، الذى يبتلع ما يبتلع من اجيال الناس ، دون ان يشبع او يمتلىء ابدا !

ونظرة الى ما يعـــانيه الغرب اليـوم من قلق ، وما يعالج من هم ويأس ــ تكشف لنا عن مأســـاة الإنسان ، وعن مصابه الفادح ، وحظه الأسود الذى رماه به القدر ، حين أقامه هذا المقام بين الكائنات : فجعل منه ذلك الانسان الذى يرى بعقله مصــيره المشئوم الذى هو صــائر اليه ، وان مد له العمر وبسط له فى الرزق ، والجاه والسلطان !

ولقد بلغت مأســاة الانســانية غايتها فى هذا العصر ، حيث بلغ العقل من القوة بحيث استعصى على الانسان أن يمسك زمامه أو يلوى عنانه ، أو يقف به عند الحــد الذى ينبغى ألا يجاوزه .. وكان من هذا أن سلك العقل وحده مسالك ودروبا فيما وراء الحدود المقدور له أن يتحرك فيها .. كان أن عميت عليه السبل . وسدت فى وجهه الأبواب ، فجعل ينطحها فى اصرار وعناد ، يريد أن يفتح له ، ليقع على الجواب لما ظل يسأل عنه أبد الدهر : من نحن ؟ وما الحياة ؟ وما الغاية التى ترمى بنا اليها وما القصد الذى تقصد اليه من هذا التقابل المكرور لما تلد من مواليد ، وما تبتلع من أموات ؟

ولم يكن الجواب الذى رجع به العقل بعد هــذا الجرى اللاهث ، وهذا العناء الطويل الا أوهاما وظنونا والا خيالات وحبالات . ملأت قلب الانسان يأســا قاتلا ، وهما مزعجا .. وكان من هذا ان أسلم كثير من أرباب العقول عقولهم الى الخبل والجنون ، كما أسلم كثير منهم نفسه للموت العاجل بيده ، خنقا أو شنقا ، أو رميا بالرصاص ، أو ترديا من شاهق .. وذلك ما تنطق به أرقام الاحصائيات التى تعنى بتسجيل هذه الظاهرة التى لم تشهد لها الانسانية مثيلا من قبل فى كثرة عدد الهاربين من الحياة عن طواعية واختيار ، والمندفعين فى جنون وهوس الى ساحات الانتحار !

ان مأساة الانسان الغربى اليوم ، كما يقول هنرى باربوس فى قصته « الجحيم » لا تنحصر فى ان انسان اليوم : « يرى أكثر وأعمق مما يجب » .. وان هذه الرؤية ليست واقعة فى المجال الذى ينبغى ان يتحرك فيه العقل ، ويقف عند حدوده ، وانما هى فيما وراء هذا المجال ، وخارج حدوده .. فكان طبيعيا ان تجىء معطيات هــذه الرؤية مضطربة مختلطة ، لا تخرج الانسان عن طريقه المألوف فى الحياة وتزلزله عن موضعه بين الأحياء [illegible]

[illegible] العصر قد [illegible] الذى قام عليه

الوجود الانســــانى ، تخرج عن مجاله ، وبعد عن مواطن السلامة والأمن ، تماما كما ينظر الانســـان بعين تبلغ قوة ابصارها قوة « المجهر » ! .. فهــل بمثل هذه العين يمكن ان يعيش الانســـان الذى يحملها : عيشة طبيعية فى حياته ، وأن يتعامل بها مع الناس ، وأن يأمن الزلل والعثار ؟ انه لا يمكن لانسان أن يحتمل الحياة بهذه العين ليوم أو بعض يوم دون أن تســلمه المفارقات التى تقع بينه وبين المجتمع ، الى الجنون أو الانتحار !

وما العقل الا حاسة للادراك كما أن العين حاسة للنظر ، والأذن حاسة للسمع ، والأنف للشم ... وهو بهذا القياس محدود المجال ، لا يعمل الا فى دائرته المقدور له العمل فيها ، فاذا جاوزها ضل ، وشقى ، وشقى معه من يصحبه .

ولا تحسبن أننا نزرى بالعقل ، ونمسك به عن أن ينطلق الى أقصى غاياته ، وأن يبلغ ما وســـع جهده من سعى فى آفاق العلم والمعرفة .. فذلك ما لم يدر بخلدنا ، أو يقع فى تفكيرنا ، وانما نحن نســـجل ظاهرة من ظاهرات الانحراف العقلى حين يخرج العقل عن حدوده ، وينفلت من مداره عنـــد الفلاسفة والمفكرين فى حال أشبه بهـــذا الانحراف الذى يقع فى محيط البله والمعتوهين .. فكلا الحالين خروج بالعقل عن حد الاعتدال الذى انتظم به شأن الناس مع الحياة ، واستقام على ناموسها .. هـــذا خروج الى أعلا ، وذلك انحدار الى أسفل !

وهذا الداء الذى يخامر الغرب اليوم من هـــذه الفلسفات المريضة المتشـــائمة ، والتى تطوى بين جناحيهـــا جماهير غفيرة من المقلين والمثقفين ، الذين استبدت بهم عقولهم فرأوا أكثر وأعمق مما يجب .. هذا الداء انما يكمن دواؤه فى التصالح مع الحياة ، وفى التعاطف مع الوجود وهذا لا يقع الا لمن فتح قلبه للحب .. الحب الذى يعانق كل كائن ، ويصافح كل موجود ، ويناغى كل صامت وناطق ، على نحو هذا الحب الصوفى الذى تغنى به المتصوفة فى كل أمة ، وفى كل جيل من أجيال الحيـــاة على اختلاف المذاهب والديانات .

بهذا الحب ، وبه وحده ، تشفى جراحات أولئك الذين أصابتهم سهام عقولهم ، تلك الرميات الطائشة من وراء الحدود المتصورة للعقل البشرى !

عبد الكريم الخطيب

فن التراجم : تاريخه وأصوله

تاريخ التراجم عند العرب

للدكتور ماهر حسن فهمي

ظلت أوربا عقيما في كتابة التراجم منذ عصور الظلام التي خيمت عليها في القرون الوسطى ، على حين أخذ التاريخ الاسلامي مكانه في الوجود ، وأخذت التراجم تظهر منذ القرن الثاني للهجرة ، وتتوالى بعد ذلك ، حتى بلغت من الكثرة والتنوع في التراث العربي حدا هائلا . وتعد السيرة النبوية أوسع ما في التراجم الاسلامية، واقدمها ظهورا . ولم تستأثر بلدة اسلامية واحدة باخراج مؤرخين لسيرة الرسول ، فقد اشترك في ذلك العمل طائفة من المدن الاسلامية الكبرى . فنرى من مؤرخي السيرة في المدينة موسى بن عقبة المتوفى سنة ١٤١ هـ ، ومحمد بن اسحق المتوفى سنة ١٥٢ هـ والواقدي المتوفى سنة ٢٠٧ هـ ، ونرى من مؤرخي السيرة المكيين ابن شهاب الزهري المتوفى سنة ١٢٤ هـ كما نرى من البصريين محمد ابن سعد صاحب الطبقات ، وابن هشام صاحب « السيرة النبوية » المتوفى سنة ٢١٨ هـ ومن الكوفيين زيادا البكائي المتوفى سنة ١٨٣ هـ . وقد انتهت الينا سيرة الرسول في كتاب عبد الملك ابن هشام ، الذي انتهت اليه السيرة التي كتبها ابن اسحق . ونلاحظ في كتاب السيرة النبوية ومؤرخيها الأولين أن اغلبهم كان من اهل مدينة الرسول ، وقد اتاح لهم قربهم من عاصمة الاسلام ـ بعد مكة ـ أن يرووا الأحداث كما سمعوها من اقرب الناس اليها ، وان تنقل عنهم هذه الأخبار ـ عن طريق الاسناد . والحق أن ابن هشام كان اكثر بصرا وحذرا من استاذه ابن اسحق . كان امينا في الرواية عنه ، لكنه كان يعلق على هذه المرويات ويصحح الفاظا وقعت في عبارة ابن اسحق أو يذكر رواية أخرى مخالفة للأصل .

وقد أخذ مؤرخو المسلمين بعد ذلك وعلى تتابع العصور الاسلامية يكتبون في السيرة النبوية من نواح عدة ، فمنهم من يفيض الحديث في غزواته ومنهم من يطيل القول في شمائله ، ومنهم من يتحدث عن أولاده وحفدته . كما صنع القاضي عياض في كتابه « الشفا في تعريف حقوق المصطفى» **وكما صنع ابن سيد الناس اليعمري في كتابه « عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير »، وكما صنع شهاب الدين القسطلاني في كتابه «المواهب اللدنية في المنح المحمدية » . وغيرهم . ولما جمع** العرب الحديث، وكثر رواته ، ابتدأ الناس يضعون الأحاديث خاصة أصحاب المذاهب السياسية ورواة القصص . واحتاج الناس الى أن يدققوا في معرفة تاريخ رواة الحديث فوضعت تراجم لهم ، خدمت المشتغلين بالحديث وخدمت في الوقت نفسه فن التراجم ، وتنبهت الأذهان الى أن توضع تراجم أخرى لطبقات من الرجال تتفق في لون واحد من العلم أو الفن . وأول من ألف في طبقات الصحابة البخاري في « التاريخ الكبير » وابن سعد في « طبقاته » . ويقع كتاب ابن سعد في ثمانية أجزاء . الجزآن الأولان للسيرة النبوية والأجزاء الباقية في تراجم الصحابة والتابعين ورواة الحديث ويبدأ الجزء الاول بحوار وينتهي بأخبار الرسول وزواجه وقيامه بالدعوة والجزء الثاني يتناول غزوات الرسول وينتهي بحجة الوداع ثم وفاته . وهو يعني بذلك لأنه رجل يخدم السنة . اما بقية الكتاب فيفرد فيه لكل من الصحابة والتابعين فصلا لنسبه وتاريخ حياته وسنة وفاته . والتراجم فيه مقسمة الى طبقات حسب الأقطار ، ثم حسب سلسلة الرواية فهو يذكر مثلا احد الصحابة ممن عاشوا في المدينة ثم من رووا عنه ممن عاشوا في نفس المدينة . وقد خصص المؤلف الجزء الثامن من كتابه لتراجم النساء مقسمات ، فبدأ بنساء النبي ثم قسم الباقيات الى طبقات حسب قبائلهن .

وفي القرن الخامس الهجري كتب **ابن عبد البر « الاستيعاب في معرفة الأصحاب » وقد رتب**

أسماء الصحابة فيه ترتيبا هجائيا ، ويشتمل على ثلاثة آلاف وخمسمائة ترجمة . وفى القرن السابع الهجرى انفرد المؤرخ عز الدين بن الأثير - صاحب الكامل - بمعجمه الكبير فى تراجم الصحابة، وقد اربى عدد التراجم فيه على ضعف عددها فى كتاب الاستيعاب ، واسم كتابه « أسد الغابة فى معرفة الصحابة » . وما جاء القرن التاسع الهجرى حتى كانت تراجم الصحابة قد بلغت اوجها على يد ابن حجر العسقلانى فى كتابه « الاصابة فى تمييز الصحابة » . وقد رتب الأسماء فيه على حروف المعجم ، وجمع فيه بعض كتب الصحابة السابقة مثل كتب ابن منده وابى نعيم الأصفهانى وابن عبد البر النمرى وغيرها ، ولكنه زاد عليها كثيرا واستدرك ، ودفع كثيرا من الوهم فيما وقع فيه كتاب التراجم ، وافرد فى احد اجزائه قسما خاصا للصحابيات ، اما الصحابة المعروفون بكناهم فقد جعل لهم جزءا مستقلا فى كتابه الضخم .

وشهد القرن الثالث الهجرى أول كتاب الف فى طبقات النحاة للمبرد ، ولكنه اقتصر فيه على رجال مدرسة البصرة . وفى القرن الرابع ظهر كتابان فى تراجم النحاة ، أولهما للسيرافى وهو « اخبار النحويين البصريين » والثانى للزبيدى وهو « طبقات النحويين واللغويين » وترجم فيه لاعلام النحاة واللغويين منذ أيام ابى الأسود الدؤلى حتى عصره . وقد استفاد من هذا الأصل فى تراجم النحاة واهل اللغة كثير ممن كتبوا فى التراجم بعد ذلك كياقوت والقفطى والسيوطى وغيرهم . وفى القرن السابع الهجرى ظهر كتاب « انباه الرواه على أنباه النحاة » للقفطى ، وهو معجم شامل لتراجم علماء النحو واللغة حتى عصر المؤلف . وقد تضمن أيضا تراجم كثيرة للأدباء والمؤرخين والفلكيين والمتصوفين، ممن كانت لهم أية مشاركة فى اللغة والنحو ، وبهذا اجتمع فيه قرابة الف ترجمة . ولم يختص هذا الكتاب باقليم دون اقليم ، بل شمل كل الأقاليم العربية من الأندلس الى فارس ومن أرمينية الى اليمن . واعتمد المؤلف على مصدرين فى تاليفه . أولهما الكتب المؤلفة قبله فى التراجم والسير والأخبار ، وثانيهما معارفه الخاصة التى استمدها من أساتذته فى القاهرة وقفط أو شاهدها فى أسفاره بين مصر والشام أو أفادها من مجالسه فى حلب ، أو كاتبه بها العلماء من مختلف البلدان . وكثير من الحقائق التى أوردها فى كتابه قد انفرد بها أو نقلها من كتب لم تصل الينا ، فهو بذلك يختص بقيمة علمية تاريخية كبيرة . وليست للمؤلف فى تراجمه طريقة خاصة أو منهج محدد ، وهو فى الغالب يذكر الذين يترجم لهم بأسمائهم ثم يتبع ذلك بشهرتهم ، ويستطرد فيذكر أخبارهم ويعدد كتبهم وسنة وفاتهم والأقاليم التى عاشوا فيها . ولا يقف فيما يذكره عند حد الرواية أو النقل ، بل يتجاوز ذلك الى النقد والتحليل . والكتاب وان كان موضوعا على حسب حروف المعجم الا أنه لم يرتب ترتيبا دقيقا ، فهو يكرر بعض التراجم مرة بالاسم ومرة بالكنية أو الشهرة ، ولكن ذلك وقع فى الكتاب على قلة . وقد انتهت بعد ذلك الترجمة للنحاة الى المؤرخ السيوطى فى « كتابه بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة » . وقد أطلع المؤلف كما يذكر هو على أكثر من ثلثمائة كتاب حتى يجمع مادة كتابه هذا . **ويبدأ الكتاب باسم محمد ثم احمد تبركا باسمى الرسول ، ثم يرتبه بعد ذلك ترتيبا هجائيا . وفى نهايته يسهل مهمة الباحث حين يذكر باب الشهرة والالقاب ويذكر امام كل الاسم الحقيقى لصاحب الترجمة . ويهتم السيوطى بالجانب الأدبى ، فهو يذكر كثيرا من الشعر لمن يترجم لهم ، مما يشيع الحياة فى مؤلفه** ولقد سبق ابن سلام الجمحى المتوفى سنة ٢٣١ هـ كتاب الطبقات والتراجم حين الف « طبقات الشعراء » . ولعل كتابه كان ردا أو تصحيحا لوضع المؤرخ محمد بن اسحق وموقفه من الشعر العربى ، فقد اتهم هذا الرواية المؤرخ بانه ممن أفسد الشعر وهجنه على علمه بالسير ، وكان هو يعتذر منها فيقول : « لا علم لى بالشعر انما أوتى به فاحمله ، ولم يكن ذلك له عذرا ، فكتب فى السير من اشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرا قط ، واشعار النساء فضلا عن أشعار الرجال ، ثم جاوز ذلك الى عاد وثمود ، أفلا

يرجع الى نفسه فيقول من حمل هذا الشعر ومن اداه منذ الوف من السنين ؟ » فأراد ابن سلام ان يحمل الذين يدونون الشعر على الا يتركوا للأجيال اللاحقة الا الثابت الصحيح ، ولذلك اقتصر كتابه على الشعراء الجاهليين والاسلاميين أما شعراء عصره فلم يتصد لهم لانهم يدونون اشعارهم . وقد قسم الجاهليين الى بدو وحضر ، وجعل البدو عشر طبقات كل طبقة تتألف من أربعة ، وجعل مخضرمى الجاهلية والاسلام كالحطيئة وحسان فى عداد الجاهليين . وكثيرا ما كان له راى فيما يروى، وقد يحكم على الشاعر حكما ربما لا يتفق مع ما رآه بعض من سبقوه .

ولم يكن ابن سلام اديبا اكثر مما كان مؤرخا وراويا للشعر ، الا ان ناحية الادب تظهر لنا بوضوح عند الأديب المؤرخ ابن قتيبه فى كتابه « الشعر والشعراء » الذى يحتوى على « تراجم المشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جل اهل الادب ، والذين يقع الاحتجاج باشعارهم فى الغريب وفى النحو وفى كتاب الله » كما يقول فى مقدمته وفى القرن الرابع الهجرى اتجه الامام ابو عبد الله محمد بن عمران المرزبانى الى الترجمة للشعراء بحسب جماعات الأسماء ، فهناك مثلا جماعات الشعراء المسمين باسم عمرو ، وهناك المسمون باسم عماره ، وهناك المسمون باسم موسى ، وهكذا . وهو مرتب على حروف المعجم الا أنه جمع الأسماء المتشابهة فى باب واحد . والحق ان فى هذا الكتاب من التراجم مالا نجده فى مصدر آخر . وفى ذلك القرن بالذات نجد شعراء القرن الرابع فى جميع اقطار الاسلام يترجم لهم وتجمع اخبارهم واشعارهم فى كتاب ألفه الثعالبى ، وهو « يتيمة الدهر » ، وهو صورة صادقة لتطور الشعر العربى فى ذلك الوقت ، وللأبواب الكثيرة التى طرقها . ولم يرتب الثعالبى كتابه حسب الأسماء ، بل رتبه حسب الأقاليم الاسلامية العربية . وجمع فيها « من بدائع أعيان الفضل ونجوم الأرض من أهل العصر ومن تقدمهم قليلا وسبقهم يسيرا ، تتضمن من طرفهم وملحهم لطائف امتع من بواكير الرياحين والثمار » وقد بدأ بشعراء الشام ثم شعراء مصر والمغرب وبنى بويه وشعراء العراق واصبهان والأهواز وجرجان وطبرستان وخوارزم وخراسان ونيسابور وغيرهم . **وقد يقال ان الثعالبى قد تألق فى صوغ عبارات الكتاب وأكثر السجع فى تراجمه مما قد يكون على حساب المعنى والدقة فى الترجمة وعذر الرجل انه كان صدى لعصره ، وما ظنك بكاتب يعاصر الخوارزمى والصابى والصاحب بن عباد وبديع الزمان الهمذانى وغيرهم من ائمة السجع فى النثر العربى ؟ وقد يقال ايضا ان الثعالبى لم يهتم بمواليد الشعراء ووفياتهم ، واهمل تلك الناحية الهامة فى الترجمة ، الا ان الرجل كان منشئا اكثر مما كان مؤرخا ومترجما ، فغلبت عليه صفته ، ولكن ذلك لا ينقص كثيرا من قدر كتابه القيم .** ومن كتب التراجم للشعراء كتاب « الأغانى » لأبى الفرج الأصفهانى المتوفى سنة ٣٥٦ هـ ، ويقع هذا الكتاب فى عشرين جزءا . والأصل فى تأليفه هو جمع الأغانى أو شعر الغناء ثم التعريف بمؤلفى هذه الأغانى ، فنتج هذا الفيض الضخم من اخبار الأدب والغناء وتراجم الشعراء حتى عصر المؤلف . وهو اغنى كتاب فى المكتبة العربية من ناحية أخباره الأدبية وتراجمه للشعراء ، فقد استطاع بصبره الطويل على البحث ، مدة خمسين سنة ، أن يجمع بل أن يستقصى الاخبار والروايات حول الشعراء الذين ترجم لهم . وهو فى الحقيقة موسوعة عربية ضخمة رجع فيها مؤلفها الى مراجع يضيق عنها الحصر ، وخلفها من بعده لتؤكد ما كان عليه المؤلفون الاسلاميون من وفرة فى التحصيل والانتاج واصالة فى التأليف . وربما اخذ على هذا الكتاب انه لم يرتب على نحو خاص ، وان كانت الفهارس قد أغنت عن ذلك الترتيب .

ولا نستطيع أن نغفل بعد هذا طبقات الفقهاء، وطبقات المفسرين وطبقات الصوفية وطبقات القضاة، وطبقات الأطباء وطبقات الفلاسفة والحكماء ؛ **كما لا نستطيع ان نغفل فى مجال التراجم العربية كتب التراجم العامة مثل « نزهة الالبا فى طبقات الادبا » للأنبارى ، و « معجم الأدباء » لياقوت ووفيات الأعيان لابن خلكان ، وغيرها ، مما يزرى بتراث أمم كثيرة فى هذا المجال ، كما يقول الأستاذ عبد الغنى حسن فى كتابه القيم عن التراجم .**

دكتور ماهر حسن فهمى

قصّة إنسانيّة

للشاعر علي أحمد باكثير

الرفيقـــان كيف يفترقان بعد خمسين حجـــة وثمان
قضياها معـا كأحسن ماعا شي على الحب والرضا زوجـان
وكان الصحراء اذ قطعاها واحة من رضاهما الفينـــان
كيف يأتى يوم يودعها فيـ ـه الى حيث ليس يلتقيـــان
حيث يقضى كلاهما باقى العمـ ـر بمنأى عن الفه وهو دان
هى فى ملجأ العجـــائز لكن هو فى منجأ الشيوخ الفوانى

***

يا ماريكا هذا جواب من الملجأ صاحت : بالرفض أم بالقبول؟
قال: بل بالقبول · قالت:ترفق بنـــايوتى بعقلى المذهـول
كيف نختار ان نسير الى المو ت ولما يؤذن لنـــا بالرحيـل؟
لو أتى الموت عندنا لاحتملنـاه وقلنا أهلا به من نزيل
بنايوتى أقد مللت ؟ وما كنت مـــلولا ولست بالمـلول
أو حقا عشنا معا نصف قرن ؟ آه ! مرت كضحوة وأصيل

***

يا مريكا تجلدى : غير مجـد عند وشك الفراق قـولك آه
أو لم استشرك قبلا فكان الملـ ـجأ الحل ليس حـــل سواه ؟
كيف يحيا من هدت السن مثلى دون مال أو عائل يرعاه ؟
اتريدين ويك ان نسأل النـا س؟ فأين الأيدى وأين الشفاه؟
وهبى أننا أطقنا ســؤالا اى عيش يبقى لنا معناه ؟
أو ترضين أن أمد يدى للنـــا س بعد العيش الذى عشناه ؟

***

بنايوتى فـداء نفســك نفسى خل عنك السؤال فالموت أرحم
كيف ارضاك فى الطريق قد الكـ ف بعد العيش الكريم المنعم ؟
اهلى عقبى الكفاح الذى كافحـ ت منذ الشباب حتى تصرم ؟
منذ ركبنا ظهر السفينة من (بير يه) مثل السردين أو هى أزحم
ونزلنا نواجــه الغيب والغر بة حتى استنار ما قد تجهـم
منذ كنا نبنى المنى فى أثينـا ثم حققناها بظل المقطم !

***

بنايوتى لو اقتصدنا قليلا لادخرنا لليوم مالا كثـــيرا
ولكنا كغيـرنا من بنى اليونا ن نحوى أرضا ومالا ودورا
ياماريكا لاتأسفى فلقد عشـ ـنا رغيدا وما ألونا سرورا
قد ملكنا من أهل مصر قلوبا ان يكن غيرنا امتلك قصـــورا
أو ماتبصرين جــيراننا يبكو ن من أجلنـــا بكاء مريرا ؟
كم أرادوا عونا لنا لو قبلنـــا لاجزاء يرجونه أو شــكورا
غير أنا على الاباء درجنـــا فرأينـــا حمل الجميل عسيرا

يا ماريكا لقد كتمتك شيئـا … امس، قالت: ماذا كتمت وفيمه؟
مالك البيت قال لي : ابق في البيـ … ـت ولا تدفعن لي أي قيمـه
قلت والدمع حائر في عيوني … كيف اجزي يـدا على كريمه ؟
قال : صه قد غدوتما لصغاري … والدا حانيا وأما رحيمـه
بنايوتي صدقت. هذا الوداد الخا … لو اغلى من القصـور العظيمه
ان فيــه العزاء اى عزاء … عن منى اخدجت واخرى عقيمه

❋❋❋

فاستعدي اذن لنمضي في الصبح … الى الملجــا الكريم الأمين
حيث نحيا بغير كد ولا هـم … ولا دائــن ولا مـــديون
بنايوتي قل بالحرى: الى السجـ … ـن الى المنزل الـكئيب الحزين
حيث نحيا بلا غد . قد دفنا … غدنا الحي في رماد السنين
يامريكا لو كان لي ولد منـ … ـك لكان الفراق قطع الوتين
فاحمدي الله اننــا ما بلينا … ببنــات يثقلننا او بنين

❋❋❋

بنايوتي لو كان لي ولد منك … لـكنا في ظلهم آمنينـــا
ولكانوا لنا عزاء اذا الداعـ … ـي دعانا لنلحق الراحلينـــا
اذ ستبقى بهم على الارض ذكرانا … فنغدو فيها من الخــالدينا
يا ماريكا الخلود في الارض وهم … كل من فوقها من الهالكينا
ان اردنا الخلود فلنلتمســه … في الحياة الاخرى مع الصالحينا
ولنا في الايمان اقوى رجـاء … ان جوف الفناء لا يطوينــا

علي احمد باكثير

من أغاني الحب

للشاعر محمد مصطفى المليجي

ياحبيبي قد سجا الليــــل وفاضت عبراتي
يا حبيبي اطل النظرة في عيني وترجم نظراتي
ياحبيبي ضـل قلبي ذاهلا في نبضـاتي
وشرود الذهن يبـدو ظاهرا في حركاتي
حرقة القلب سطور ظهرت في قسماتي
ياحبيبي انت آمـــالي وروحي وحيـاتي
ها هو الزورق بالشـط يناديـنا فهيـا
وخرير المـاء يسري نغما في اذنيـــا
وبدا البدر مضيئا مشرقا طلق المحيـا
يرقص المجداف شـوقا وسرورا في يديا
اطل النظرة في عيني وهل شوقا اليـــا
واشرب الخمر سلافا عتقت في شـفتيا

اسماعيل مظهر صاحب رسالة

بقلم : محمود الشرقاوى



عرفت أستاذنا اسماعيل مظهر قبل خمس وثلاثين سنة منذ اصدر مجلته (العصور) فى سبتمبر ١٩٢٧ عندما بدأت أكتب لها ، ثم تعرفت اليه فوجدت فيه رجلا واسع الثقافة جم النشاط متوقد الذهن متعدد نواحي التفكير موسوعى المعرفة يكتب فى الادب العربى ويكتب فى النقد ، وفى العلم والتاريخ ويترجم اصل الانواع لداروين ، والدين والعلم لاندرونكسون وايت ، ويترجم قصص تاغور وشعره ، ويضع كتابا فى سيرته ، ويؤلف كتابا علميا عميقا عن حياة الحيتان فى البحار والمحيطات ، وعن الحضارة الحديثة وازماتها ، ويكتب عن الاسلام كتابا يدل على فهم واخلاص عميقين ، هو كتابه : « الاسلام لا الشيوعية » . وهو فى ذلك كله كاتب ممتاز مخلص مجيد . ثم يضع قاموسه الانجليزى العربى متضمنا مائة الف كلمة فى ٢٥٠٠ صفحة .

ومن قبل ذلك كان يشتغل بالسياسة الوطنية على عهد مصطفى كامل وسعد زغلول ، حتى اذا رأى انحراف السياسة الى الذاتية ، ومتاجرة الزعماء بالوطنية ، تركهم جميعا وانصرف عنهم الى التبشير بالاصلاح الاجتماعى وانصاف الفلاح والدفاع عن حرية الفكر وتحقيق الخير للطبقات الكادحة الفقيرة المطحونة . وهو فى ذلك كله يكتب لغاية ويحرص على هدف ويدعو الى رسالة : رسالته فى الوطنية استقلال مصر وان تحكم نفسها حكما شريفا نزيها. ورسالته فى الادب تثقيف النفس والبعد من السطحية والترخص والابتذال والنفاق . يكتب فى ذلك الى ولده جلال مايجب ان يكون درسا لكل مفكر وكاتب واديب ، وبخاصة فى ايامنا هذه ، يكتب لولده فيقول :

(اذا اردت الاشتغال بالادب فلا تشغل نفسك الا بالرفيع منه ، وحذار أن تتدنى فيه ، فان اشتغالك برفيع الادب يخلق من حولك عالما انت فيه السيد ، واشتغالك بخسيس الادب يخفضك الى عالم انت فيه العبد الرقيق . الاديب الصحيح خلاق للمثل وللمعانى ، فاذا ما استطاع أن يخلق من حوله عالمه المستقل الخاص به ، اصبح للناس مثلا يحتذى وقبلة يأتمون بها . وفى اعتقادى أن ذلك منتهى مايصل اليه الاديب من نجح فى حياته الادبية) .

فهو اذن من أولئك العباقرة من الادباء الذين يرون أن أعظم مؤلفات الاديب هى حياته .

وكانت رسالته فى الصحافة تلك التى جعل شعارها ماصدر به العدد الاول من « العصور » : (حرر فكرك من كل الاساطير الموروثة ، حتى لاتجد صعوبة ما فى رفض راى من الآراء ، او مذهب من المذاهب ، اطمانت اليه نفسك وسكن اليه عقلك ، اذا انكشف لك من الحقائق ما يناقضه) .

وكانت رسالته فى المجتمع العربى هى الخروج به من ظلمات العصور الى نور الحياة المعاصرة ، فى الفكر والعلم والصناعة ، على أساس من تقاليدنا السليمة وثقافتنا الصحيحة التى لاتصد ولاتعوق ، وهو فى هذه الثقافة يقول : (... وما كان لشعب من الشعوب ان يحاول الافلات من اقطار ثقافته التقليدية الا باء بالفشل المحقق فيما يحاول . ذلك بأن الثقافة التقليدية هى الاصل الذى يرتكز عليه الطبع الماثل فى اخلاق الامم وطرق سلوكها فى الحياة وماقولك فى ثقافة يرتشفها الطفل مع مايرتشف من لبن امه وهو رضيع ، ويشب مكتنفا بها اذا ايفع ،

ويفتن بفنونها اذا صار فتيا ، ويغرم بها اذا اكتهل ، ويموت وهى مرتسمة فى تصوراته جميعا اذا هرم ..) ص : ١٩ من كتابه : « فك الاغلال » .

وكان فهمه للدين انه دعوة لفضائل النفس وتربية الضمير وصفاء الروح والتجرد عن الشر والحرص على المثل الاعلى .

ورسالته فى ذلك العمل على غربلة العقيدة من الزوائد والشوائب التى دخلت الاسلام وهى ليست منه ، بل هى منافية لروحه مجافية لمقصده ، حسبها الناس منه بسبب الجهل وسوء الفهم عند كثيرين من رجال العقيدة . ثم اتخاذ الاسلام بعد ذلك منهجا للسلوك الفردى وحياة الجماعة .

كانت رسالته الحضارية لشرقنا العربى هى اشاعة التفكير العلمى . وكان ادراكه لذلك مبكرا جدا حتى انه اصدر ، وهو طالب ، صحيفة علمية توجيهية . كما كان اصراره على ذلك مستوعبا حياته كلها حتى انه - على كثرة ما كتب من فصول العلم وألف فى العلوم اشتغل فى سنواته الاخيرة بتأليف معجم علمى سماه : « معجم مظهر الأنسكلوبيدى » وأصدر منه ثلاثة أجزاء ، وترجم فى كتابه : « سير ملهمة » لطائفة كبيرة من العلماء العرب ، تذكيرا لجيلنا العربى المعاصر بما كان لاسلافنا من مجد علمى ، وحفزا لنا على أن نستأنف ، رسالتهم فيه .

وكما كان ادراكه العلمى مبكرا فى بدئه ، كان احساسه الاجتماعى وكانت دعوته الى الاشتراكية كذلك . دعا ، قبل خمس وثلاثين سنة ، لتأليف حزب اجتماعى سماه : « حزب الفلاح » . ونجد فى حديثه عن هذا الحزب أن الفلاح « أصل الثورة » . كما نجده يضع لهذا الحزب برنامجا مفصلا تضمن كثيرا من المبادىء التقدمية الاصلاحية . وهذه بعض مبادىء حزبه :

١ - التسوية بين الناس فى فرص الحياة .

٢ - الغاء الامتيازات الاجنبية بلا قيد ولا شرط .

٣ - سن قوانين لتحديد هجرة الاجانب الى مصر .

٤ - قيام الحكومة باصلاح اراضيها البور وتوزيعها على صغار المزارعين .

٥ - فرض ضرائب متدرجة على الدخل والميراث .

٦ - حماية العمال والفلاحين بقوانين تحدد أجور وساعات العمل وتحتم على اصحاب المزارع والمصانع بناء منازل صحية مريحة للعمال .

٧ - جعل التعليم مجانا بجميع درجاته .

٨ - حق كل من العامل والفلاح فى التعويض عند الاستغناء عنه ، وحقه فى الاعانة عند البطالة مع التامين ضد الاصابة والشيخوخة .

٩ - تنظيم نقابات واتحادات طائفية ومركزية للعمال والفلاحين فى جميع الصناعات والدوائر الاقليمية .

١٠ - المساواة بين المراة والرجل فى الحقوق السياسية والاجتماعية .

١١ الغاء الرتب والنياشين . « مع انه كان سليل اسرة عريقة النسب يحمل ابوه وجده ارفع الرتب والنياشين » .

١٢ - تحريم ملكية الاراضى الزراعية على الاجانب

١٣ - منع تعدد الزوجات .

١٤ - تحديد الملكية الزراعية . « وقد كان يملك الفى فدان » .

١٥ - غرس روح الاخاء بين الامم .

عددى شهر اكتوبر ويونيو من سنة ١٩٢٩

١٩٣٠ من مجلة « العصور »

وكانت رسالة اسماعيل مظهر للفكر هى الحرص على الحرية المطلقة ، لا يقبل قيدا لها ولا حجرا عليها ولا استنقاصا منها من اية سلطة او قوة ، مادام رائد المفكر هو الاخلاص والتجرد والعمل للخير العام . فاذا الير شك فى ذلك فليس لاحد أن يتهم ولا أن يحكم ولا أن يحاكم ، بل هناك القانون الحريص على حرية الفكر وتماسك المجتمع معا . نجد هذا الحرص على حرية الفكر واضحا جدا فى تلك الآلاف الأربعة التى تكونت منها مجلة العصور فى سنواتها الاربع .

وفى الدفاع - بل الاستماتة فى الدفاع - عن حرية الكاتب وقف معى موقفا رائعا كريما فى قضية من قضايا الفكر هذه ، ونصرنى على طائفة تسارع الى

الاتهام وتسرع في الحكم ، بل الجور في الحكم ، وتقيم سلطانها على التسلط . وفي تثبيت هذه الحرية والدفاع عن قضاياها كتب يقول :

(... ان حرية الفكر كانت بردا وسلاما على كل مايصدر عن العقل الانسانى من آثار ، سواء في ذلك الدين او الادب او العلم او الفن او ايما شيء يكون للعقل اثر فيه . ذلك بان الكلام في ذلك امر مفروغ منه ... ان الدين النصرانى لم يكن في عصور الكبت الفكرى الذى فرضه رجال اللاهوت على المفكرين ، باثبت اصولا منه في عصر حرية الفكر . واذن فلم يكن الكبت اللاهوتى للفكر الا خسارة كبرى حاقت نتائجها بالدين والعلم معا .

... ومن قبل كتب « فولتير » لواحد من خصومه : « حقيقة انى اخالفك في الراى ، ولكنى على استعداد ، مع هذا ، للتضحية بحياتى في سبيل ان يكون لك الحق في نشره بين الناس » ... ان بعض الهيئات انما تستمد سلطانها من نزعة الجور والتعسف والاعتداء على الحق لا اكثر ولا اقل) .

وكانت رسالة اسماعيل مظهر للكرامة الانسانية يمثلها هذا الشعار : (خير لى ان اكون عبدا اطالب بحريتى من ان اكون حرا لا اساوى العبيد) .

اما اعظم رسالاته فهى صفاته واخلاقه ، تلك الصفات والاخلاق التى جعلت من حياته قصيدة رائعة وملحمة شريفة ، في الشمم والشجاعة والاخلاص للفكر واحترام القلم والنفس ، والتجرد من الشهوات والنزوات ، والعلو بالذات والكرامة ، مهما تدل الآخرون .

بسبب هذه الصفات والاخلاق خسر اكثر ماله ، ولقى الخصومة والعنت من فؤاد وفاروق وحكوماتهما . ولم يجد لقلمه المخلص ولا لفكره الخصب مجالا اكثر من عشرة سنين - بعد ان ترك رياسة تحرير المقتطف - حتى عضوية المجمع اللغوى لم ينلها الا بعد الثورة . واراد كبير من رجال القصر أن يمتحنه ويغريه بأن يقدمه إلى الملك فينال عنده مايرجو ومايستحق . فسخر منه اسماعيل مظهر وزجره ، وبقى كما كان : يبذل ماله كله وجهده كله وحياته كلها في محاربة الظلم والظلام ، ومعاندة اصحاب السطوة والصولجان ، وارباب الصولة والتيجان . وفى تثبيت دعائم الحرية : حرية الفرد من الاستبداد ، وحرية الفكر من دعاة الرجعية وعبدة الاوثان .

في هذه الفترة الطويلة من انقطاعه ، وبعد عجزه المادى عن متابعة العمل لرسالاته هذه ، رحل الى الريف فعمل فلاحا يفلح الارض ، ويسقى الزرع ، ويجلس في ضوء القمر فوق « المصطبة » ويمشى وراء « النورج » ، ويلبس «الجلابية» : استاجر جزءا من ارضه التى نزعت منه ملكيتها ، واشترى عددة جواميس ، وبنى برجا للحمام ، يسرح الى « الغيط » ويغنى او ينشد الشعر . ولم يك بهذا شقيا ولا مبتئسا .

لقيته في ختام هذه الفترة يوما في حجرة الصديق الاستاذ عزيز ميرزا ، رئيس تحرير جريدة «الاهرام» يوم ذاك ، ففرحت بلقياه ، وبادرته سائلا : ماذا عندك يا اسماعيل بك بعد هذه الغيبة الطويلة من اعمال الادب والفكر ..؟ فقال ، وهو يضحك من كل قلبه : ليس عندى سوى ان اقرا واربى الفراخ الانجليزى في العزبة ..! وكان في ضحكته الخالصة القوية وفى جوابه الساخر هذا عظيما قويا شامخا كأنه قائد منتصر .

كذلك كانت نفسه القوية وروحه .

حتى جاء المساء لليوم الرابع من فبراير سنة ١٩٦٢ فانتهى اسماعيل مظهر بعد صراع الحياة وصراع المرض وصراع قوى الشر والجبروت اكثر حياته .

لقد سكن العقل النافذ المتوهج ، وتوقف القلب الكبير الرضى ، واستراح الروح المفتون بالحق والخير والايثار والتضحية والنفع ، في عالم نهاز سطحى الثقافة زائغ التفكير .

محمود الشرقاوى

تعقيبات

بقلم : عباس خضر

الحاجات الثقافية في الاقاليم

هذه الاصوات المنبعثة من زملاء لنا يعيشون في الاقاليم وعواصم المحافظات ، تعرض مشكلاتها وتعبر عن حاجات ثقافية هناك ، لا ينبغي ان نضيق بهـا ونزور عنها، فهي دليل الحيوية والخصوبة في شعبنا، والمطالب الثقافية دليل كذلك على التطلعات الروحية **في مجتمعنا الاشتراكي الجديد الذي لايقصر همه على المطالب المادية اليومية ، بل يريد ان يصنع الحياة على ارضه لا بالمادة والصناعة فحسب ، بل كذلك بالثقافة والتكون الروحي .**

حقا ان بعض المطالب تشتمل على كثير من التطلع الخاوي والصراخ المبطل .. كهـذا الذي بعث الى برسالة يعتب فيها ويشكو مر الشكوى لانه ارسل الى رئيس التحرير مقالا لم ينشر ، **والمقال عن «ابن عقيل ودوره في النحو» والرسالة التي بعث الى بها كاتب المقال الباحث عن دور ابن عقيل في النحو .. مملوءة بالاخطاء النحوية .**

ليست المشكلة الثقافية الاولى في الاقاليم هي النشر في صحف القاهرة ومجلاتها وخطف الشهرة من عاصمة الجمهورية في لمح البصر .. انما هي في الحقيقة مشكلة الزاد الثقافي الذي يكون المثقف ، ويتلمظ له لعاب الاديب الصادق الذي يعمل بجد على تكوين نفسه واستكمال عدته قبل ان يكتب وينشر . هذه المشكلة يعرضـــها علينا الناقد المنصوري الشاب « علاء الدين وحيد » كما يلي :

ارجو في السطور التالية ان اعرض عليكم مشكلة عامة ــ استباحل الوقوف لبحثها ــ اراها اكثر حدة واهمية من رغبة الناشيء خارج القاهرة في نوال بعض والمتعلقة العاصمة عن طريق الاذاعة والصحف والمجلات رغم انني لا اتجاهل رغبة الانسان الطبيعية في الشهرة والسطوع ، الا انى اظنها من الشهوات الصغيرة التي يمكن كبتها بلا ضرر كبير او صغير ، وبالتالي لا حاجة ملحة الى هذا «الصيت» من العاصمة الضخمة ، مادام قد تم لذلك الفنان تكوينه الثقافي ، وانما المشـكلة التي اعنيها واجدها من الخطورة التي تئد ظهـــور المواهب الجديدة، فهي حاجة الناشيء الى أدوات الثقافة التي تسهم في تكوينه ، وبلفظ آخر حاجته الى اعداد نفسه فنيا للقيام بدوره الذي يقدره لغده .

الاقاليم فقيرة جدا في أجهزة الثقافة ، واذا بدأت قصور الثقافة في الانتشار ، فهي البداية فقط ، نعم انها ستكون التمهيد الطيب لاصحاب المواهب .. ولكن هؤلاء الذين خطوا الخطوة الاولى في الطريق الطويل ، واعنى بها ادراكهم الفطرى انهم يستطيعون ان يمسكوا بقلم . هؤلاء الذين بدءوا الكتابة وظهر اسمهم مرة او اكثر متواضعا في الاركان المعتمـــة والصفحات الاخيرة في بعض المجلات ــ دليل عـلى رجاء بعض الامل من ورائهم ــ هذا الفريق هل يطلب منه ــ بل هل يطلب من نفسه ــ أن يقف عند حدود الخطوة الاولى بلا دراسة أو بعض عناية من اساتذة وينتظر ساكتا صامتا حتى تكتمل مختلف الاجهزة الثقافية التي سوف ترعاه في اقليمه ؟

واني اقدم من عندى نموذجا .. اني احاول مثلا منذ وقت طويل ان اكتب عن احمد امين ، ولقد قرأت كتبه جميعا اكثر من مرة ، ولكني كنت اعود في كل مرة وارمي بالقلم . لماذا ؟

ان كتب احمد امين ليست كل المراجع لمن يريد ان يكتب عنه . وهذه المراجع لاوجود لها في مدينتي لقد اردت على سبيل المثال أن أعرف جيدا ــ اكثر من مستوى المعلومات العامة بالطبع ــ من هو عاطف بركات الذى تقاسم معه احمد امين كثيرا ، ولكنني لم

أجد فى اعداد بعض المجلات المتناثرة فى المكتبة العامة عندنا ، الا كلاما خفيفا لاأستطيع ان أعتمد عليه او اقدمه الى القارىء .

هذا قليل من كثير يواجهه الناشىء خارج القاهرة الذى يريد أن يكتب وخاصة فى البحث والنقد .. اننى اذا استطعت ان احصل على النص، فأين اعثر على «ما حول النص» وخاصة اذا كنت من هؤلاء الذين يعلقون اهمية ضخمة فى فهم النقود على ماحول النص .

الواقع ان الجهود الكبيرة التى تبذل لتوصيل الكتاب الى الاقاليم لاتزال فى اوائلها ، مثل قصور الثقافة ومكتباتها واسابيع الكتاب العربى .. الخ.. ولا شك انها ستتسع وتثمر اكثر .. وهى ولاشك تلبى حاجات التزود من المعرفة بطريقة فعالة ، وان كانت محدودة فى اولها .

ولكن هناك حاجة الباحثين والدارسين الذين يتطلبون المراجع الكبيرة والدوريات القديمة ، مثل مايطلب الاخ علاء الدين وحيد الذى عرض المشكلة ولم يقترح لها حلا .

الحل — فى رايى — عند دار الكتب ومؤسسات النشر الكبيرة فى القاهرة ، اما دار الكتب فعليها ان تزود فروعها فى الاقاليم بما يمكن من المراجع والدوريات .

ومؤسسات النشر ، كالمؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والنشر ، والدار القومية للطباعة والنشر ، تقوم الآن بطبع ونشر كتب التراث وغيرها التى تضمنها مشروع المكتبة العربية الذى اختطه المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب . هذه الكتب يجب أن تزود بها المكتبات فى الاقاليم ، سواء فى فروع دار الكتب او فى دور الثقافة او فى النوادى والجمعيات المختلفة .

اهداءات مؤسسة التاليف

وينبغى ان يكون مفهوما أن دور هذه المؤسسات ليس تحقيق الارباح، انما مهمتها اولا وقبل اى شىء هى الخدمة الثقافية . ولهذا يجب أن تهدى مطبوعاتها الى مكتبات الهيئات والنوادى بسخاء وعلى نطاق واسع .

هذه مؤسسة التاليف والترجمة مثلا .. تهدى كتبها ومطبوعاتها لافراد معينين كلهم او معظمهم من الصحفيين . وقد رأيتها مكدسة عند أحدهم لم يفتح منها كتابا واحدا ، وقد ضاقت بها أوعية الكتب عنده فصارت اكواما بجانب الجدران .

هل تريد المؤسسة بذلك ان تكسب زملاءنا الصحفيين لانهم يملكون اقلاما تشيد بها ؟ هل هذا هو الخلق الاشتراكى الذى نسعى اليه ونرمى الى التخلق به .

وهناك الى جانب مايهدى الى الصحفيين او الذين رضيت عليهم ورغبت فيهم المؤسسة منهم .. عدد كبير من النسخ مخصص لاعضاء مجلس الادارة والرئيس والمدير العام يقدمون منه لاصدقائهم .. وزوارهم كما يقدمون السجائر .

أليست حاجات الشعب الثقافية فى مختلف القطاعات أولى بكل ذلك خاصة القطاعات المحدودة الامكانيات فى الاقاليم وعواصم المحافظات ؟

انى اقترح أن ينشأ جهاز فى كل مؤسسة نشر يتعرف الهيئات والجمعيات والنوادى الجادة المنظمة فى أنحاء البلاد ، ويرسل اليها كتب المؤسسة ومطبوعاتها بصفة منتظمة ، حتى يتحقق بذلك جانب من اشتراكية الثقافة ، وتلبى الحاجات الثقافية المختلفة فى هذا المجتمع الذى يسرنا ويسعدنا أن نرى تطلعاته الروحية ومطالبه الثقافية الى جانب مايزخر به من وسائل النهوض المادى والاقتصادى .

انت عمرى ... والاشتراكية

صحيح ان كثيرا من الناس — وفيهم المتعلمون — لايدركون دقائق الاشتراكية.. وصحيح ان الضجة التى أثيرت حول أغنية «انت عمرى» زادت عن حدها بعض الشىء وأخذت من الاهتمام أكثر من اللازم .

ولكن هل معنى هذا أو لهذا «يجب أن تتوقف الحياة فى مصر لا من اجل الاحتفال باغنية ولكن من اجل تعليم شعبنا اشتراكيتنا وما تعنيه وتعريفه بها » .

ذلك هو منطق الاخ يوسف ادريس فى مقال بالجمهورية عنوانه «لنؤجل الاحتفال بالاغنية .. ولينضم معنا عبد الوهاب وام كلثوم » .

وعلينا طبقا لذلك المنطق ان «نكف عن الاستماع الى الاغانى ثلاثة أشهر فقط ، فلن نموت ، لتتوقف

الصحف عن نشر الحوادث والاخبار فلن يفوتنا الكثير ، ليكف التليفزيون عن تمثيلياته التى ربما افادنا توقفها صحيا » .. الخ ..

اوامر مثل أوامر الحاكم بامر الله : يجب الا **ناكل الملوخية ! علينا ان ننام بالنهار ونستيقظ ونعمل بالليل !**

كيف تتوقف الحياة ياأخ او تسجن ثلاثة اشهر فلا يكون الا تعليم الاشتراكية؟ ولنفرض انك ستكتب مقالات عن الاشتراكية ، **فالى م تدعو عبد الوهاب** وام كلثوم ؟ هل يسير كل منهما فى الشارع ويقف فى حلقة كحلقة «الحاوى» يعرف الناس بالاشتراكية.

ثم قل لى : من يعلم الناس الاشتراكية اذا كان المثقفون ـ كما تقول انت ـ لايفهمون الاشتراكية مستدلا بالمحامى الذى كتب اليك يناقشك فى مسالة تمليك الشقق فاعتبرت هذه المناقشة انحرافا عن فهم الاشتراكية ؟

ثم تعال ·· لننظر فى اغنية انت عمرى الا فى سماعها وما فيـه من خطر على الاشتراكية ·· أنا شخصيا عندما اسمعها احس بانى اريد ان اعمل ·· يدى تتحرك لتمسك بالقلم ، والفن النابض يحرك دواعى الفن ويبعث الرغبة فى العمل ، اليس العمل قيمة اشتراكية ؟ واحس كذلك بنفسى تصفو وتسمو وتميل الى أن تصفح عن كل خطأ وان تتعاطف مع الجميع وتسالم كل الناس ، اليس هذا من الخلق الاشتراكى ؟

وعندما يسمع العرب فى كل مكان ام كلثوم ويطربون جميعا فى «وحدة شعورية» الا يكون ذلك من دواعى الالتقاء الروحى بينهم » ؟.

ثم تعال أيضا ·· أليس من أهداف اشتراكيتنا تحقيق المتعة والسعادة والبهجة للفرد ؟ وماذا فعلت غير ذلك أغنية انت عمرى ؟

هل اقول لك كما قلت للمحامى ظلما : انك لاتفهم الاشتراكية ؟ وعلى هذا يجب ان تتوقف عن كتابة المقالات ثلاثة اشهر ·· لتغنى وتلحن مثل ام كلثوم وعبد الوهاب ... حتى تحقق معانى واهدافا اشتراكية مثلهما ..

لا ، لن أقول هذا ، فلكل عمله ، ولكل ميدانه ، والاشتراكية لاتطلب من احد ان يتوقف عن عمله ليعلم او يتعلم الاشتراكية ، **لأنها انما تتضح وتفهم من خلال العمل وبالممارسة الطويلة ·**

ثم لماذا عدت فى مقال تال وتحدثت عن أغنية انت عمرى بالذات ، فاشتركت فى الاثم الذى نهيت عنه ؟

اتريد الجد ؟ انا افضل لك ان تكتب قصة مضمونها اشتراكى بدلا من هذه المقالات ، زاول فنك كما يزاول عبد الوهاب وام كلثوم فنيهما ، هذا أجدى على الاشتراكية من الصراخ والتعالم على المحامين والمثقفين ورميهم بالجهل فى مسالة كمسالة تمليك الشقق تختلف فيها وجهات النظر ، فاذا كنت ترى تمليك الشقق لايتفق مع الاشتراكية فغيرك يراها من صميم الاشتراكية، وبدلا من أن تقسو على المحامى الذى كتب اليك ولا يملك مساحة صحفية يرد فيها عليك كان يجب أن تناقش زميلك عبد الرحمن الخميسى الذى كتب فى تحبيذ المشروع وقال انه من تطبيقات الاشتراكية ·

كان هذا هو الأليق بك ككاتب اشتراكى يدين بمبدأ تكافؤ الفرص ·

عباس خضر



رسالة العلم

دنيا الذرة

للدكتور محمد محمود غالى

عرضت فى اول مقال لى فى الرسالة بعد عودتها موضوعا بعنوان « **ضرورة التقارب بين الادباء والعلماء** » ، **وذكرت ان التطور الحادث فى العلوم وما حققه الانسان فى عصر الذرة والاقمار المصنوعة من نجاح يحتم على الادباء ان يطلعوا على هذا التطور الذى تاثر به ادباء الغرب ، كما انى دعوت العلماء فى بلادنا للاطلاع على المؤلفات الجديدة فى الفلسفة والادب كما يفعل علماء الغرب .؟**

وتمشيا مع هذه الرغبة عرضت فى مقالى الثانى بعنوان « نداء لاهل الرأى » نبذة عن تاريخ الطيران فى الستين سنة الاخيرة ، وتطرقت الى الاقمار المصنوعة وسفن الفضاء واحداثها لم تتجاوز سبع سنوات .

واعتقد انتى ساعود الى هذا الموضوع وعلى صفحات الرسالة كلما جد فيه جديد فالعالم يترقب انتصارات مقبلة فى هذا الباب مثل احتمال وصول الانسان الى القمر والعودة منه ، واحتمال رحيله الى الكواكب القريبة كالزهرة والمريخ .

هذا ما حدث وما ينتظر حدوثه فى موضوع الاقمار المصنوعة ومركبات الفضاء . **اما ما حدث فى دنيا الذرة فهو اعجب بكثير ، وهو اعظم ما وصل اليه الانسان من معرفة فذرة العنصر ولكن الهيدروجين او الاكسجين او النيون او اى عنصر من العناصر المائة واثنين المعروفة اليوم تتكون من عالم كامل ولكنه متناه فى الصغر** . بحيث انه اذا امكن وضع عشرة ملايين من هذه الذرات الواحدة جوار الاخرى فاننا نكون قد بلغنا فى الطول ملليمترا واحدا ، اى ان قطر الذرة هو واحد على عشرة ملايين من الملليمتر ، وهى مع ذلك عالم كامل كعالمنا الشمسى . فهى تتكون من نواة وسطى كالشمس يدور حولها كهارب اى الكترونات ، وهذه الالكترونات التى تشبه الكواكب فى عالمنا الشمسى تدور حول نفسها ايضا كما تدور الارض والمريخ والمشترى حول نفسها مع ادارتها حول الشمس واذا اردت ايها القارىء الآن ان تتخيل حجم او قطر هذه النواة فاتعلم أن قطرها يساوى واحدا على مائة الف من قطر الذرة ، بمعنى أن هذه النواة تشغل فى الطول مسافة قدرها واحد على مليون المليون من الملليمتر — اى اننا اذا تصورنا مسافة فى الحيز مقدارها فى الطول واحد على مليون من الملليمتر فاننا نستطيع ان امكن لنا ذلك ان نضع فى هذه المسافة المتناهية فى الصغر مليونا من النوى الواحدة جوار الاخرى .

اما وقد تصورت النواة وضآلتها فاتعلم ان علماءنا المعاصرين اقتحموا باشعاعاتهم وجسيماتهم الضئيلة هذه النواة وعرفوا رغم ضآلتها انها بدورها تتركب من جسيمات صغيرة ، وان علماءنا اخرجوا منها ما شاءوا ان يخرجوا من جسيمات وادخلوا فيها ما شاءوا ان يدخلوا — اظن انك تعجب معى لهذا النوع من التقدم الذى فاق كل خيال .



شكل (١)

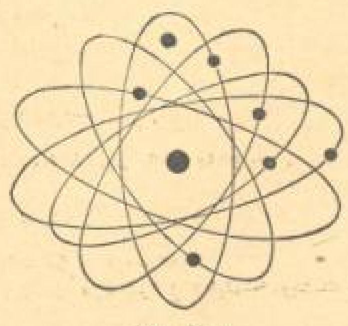
ذرة الكربون

وفي الشكل (١) صورة لذرة الكربون ، وتتركب هذه الذرة من نواة وسطى — لا تدخل في تفاصيل تركيبها الآن — يدور حولها وبعيدا عنها ستة كواكب .

وفي الشكل (٢) صورة لذرة « النيون » وهو ذلك الغاز الاحمر الجميل الذي يزينون به في انابيب خاصة الاعلانات ليلا وواجهات المحال التجارية ، وتتكون هذه الذرة من نواة وسطى يدور حولها الكترونان قريبان منها ثم يدور في مدارات أخرى بعيده عنها ثمانية الكترونات .

أملي اذن أن يتطلع الاديب الى ذلك وان يحاول التعرف على هذه الكشوف الحديثة والا سيكون كذلك الرجل الذي وقف امام القاطرة فلما رأى العامل يحمل الفحم اليها عرف انها تسير بالحرارة التي يولدها الفحم ، ولما رأى العامل يحمل البنزين الى السيارة عرف مع شرح بسيط ان البنزين هذه المرة هو الذي يحترق ، وميكانيكا معينة تسير بوساطته السيارة ، ولما تطلع الى الترام يسير دون وقود من الخارج وسألوه كيف يسير الترام فكر كثيرا ولم يهتد واخيرا قال لمحدثه « هذا الرجل يقصد السائق لا بد أن يكون فيه شيء لله » .

ولو انه صادف من يشرح له الكهربا وكيف تولدت ويشرح له قصة العالم « فرداى » الخالدة لفهم السر في سير مركبة الترام في الشوارع وصعود المصاعد في العمارات والمنازل .



شكل (٢)
ذرة النيون

كل شيء هنا له سبب وله تفسير وله نتائجه المحتومة — القمر المصنوع يدور حول الارض او حول القمر ثم يعود بالطريقة ذاتها التي تدور بها الارض حول الشمس ويدور بها القمر حول الارض ، وهل يوجد في الارض او في القمر محرك يعمل على دورانه أم ان القوانين الطبيعية هي التي تتحكم في هذا الدوران ، كذلك الالكترون يدور حول نفسه ، ويدور في الوقت ذاته حول نواة الذرة بسرعة عجيبة ، وهذه السرعة أصبحت معروفة وفقا لقوانين الطبيعة .

هذه لمحة سريعة عن دنيا الذرة وسنعود اليها في مقالاتنا القادمة لنستعرض اعظم ما ورثه الانسان من معرفة .

واذا كنت ايها القارىء والكاتب الاديب مولعا بقراءة بعض التراجم لرجال عاشوا في زمان مضى ، ولعل من احسن هذه التراجم « وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان » لابن خليكان ، وقد ترجم الى الانجليزية والى الفرنسية وقام بترجمته « دى سلين » وكذلك ملحقه فوات الوفيات لابن الكتبي فهل استطيع اقناعك حتى لا يفوتك القطار ان تطالع بعض التراجم والكتب الحديثة باللغة العربية او باللغة التي تشاؤها عن علماء معاصرين هزوا العالم هزا امثال « البرت اينشتاين » الذي كشف النسبية الخاصة والنسبية العامة « وجان بيران » الذي قاس شحنة الالكترون « وماكس بلانك » الذي وضع نظرية الكم « ونيلز بور » الذي فسر خطوط الطيف بالرجوع الى فكرة الكم (وباولى) الذي يقرر أن هذا الالكترون الدائر الحائر لا يمكن وجوده في حالة كم معين ووجود غيره في حالة الكم ذاته ، « وهيزنبرج » وغيره ممن غيروا نظرتنا لحقائق الكون الذي نعيش فيه ، ولعلي قصدت هنا بتراجمهم اى اعمالهم — اذ ماذا تعني التراجم دون الاعمال .

واني أؤكد للقارىء ان كل هذه المسائل العويصة في العلوم من الممكن تبسيطها للقارىء والاديب وهو ما سأحاوله هنا على صفحات الرسالة ارجو الا تمضي ياسيدي الكاتب والاديب زهرة شبابك وشطرا من كهولتك او شيخوختك في الاطلاع على القديم وعلى القديم وحده فكتاب « الضوء اللامع لاهل القرن التاسع » للسخاوي ، وكتاب « الكواكب السائرة في اعيان المائة العاشرة » للنجم الغزي ، وكتاب « خلاصة الأثر في اعيان القرن الحادي عشر » للمحبي ، وغير ذلك من الكتب التي لا اشك في قيمتها وان كانت لا تغنيك كثيرا عن معرفة العالم الحديث الذي نعيش فيه ودنيا الاقمار والذرة .

صدقني ايها الاديب انه مع احترامي لكل هؤلاء ومع تقديري لمصنفاتهم فقد انتقل العالم الذي انت فيه الى حيث يجب أن تنتقل معه وتتابعه ولا تدع الفرصة تفتك دون التعرف عليه ، وقد أصبح لدى

الناس من الحقائق العلمية ومن اخبار العلماء المحدثين ما يجب ان نعرفه ونفكر فيه .

واذا كان كتـــاب نفح الطيب فى غصن الاندلس الرطيب ووزيرها لســـان الدين بن الخطيب من لم يقراه ليس بالاديب .

هكذا اضافوا على اسم الكتاب كلمات « من لم يقراه ليس بالاديب » وهو كتاب قيم لابن المقرى — اذا كان هذا الكتاب الذى من لم يقراه ليس بالاديب فاسمح لى ايها القارىء العزيز ان اذكرك ان من لم يطلع على العلوم الحديثة وعلى احداثها المثيرة وعلى مواضيعها الفلسفية وعلى اخبار المعامل ويظل دائما فى القديم فانه لايكون اديبا بالمعنى الكامل لهذه الكلمة

هذه لمحة خاطفة دعانى الى الخوض فيهـــا تلك الاحداث العلمية الاخيرة — الاقمار المصنوعة ودنيا الذرة والتفجيرات النووية — ذكرتنى دنيـــا الذرة بالشمس والكواكب التســـعة التى تدور حولها — وذكرتنى التفجيرات المؤسفة والتى ســـنخوض فى تعريفها وكنهها قريبا بنواة الذرة العجيبة ودنيا هذه النواة ، ثم ماذا تكون هـــذه وتلك فى ذلك الـــكون العجيب ـــ هذا الكون الشاسع وما الشمس وكواكبها التسعة الا كحبة رمل من رمال الشاطىء ، ثم تاملت الليلة بعد ذلك فى الانسان ، **هذا الكائن الحى الذى يسمى جهد طاقته المعرفة والذى استطاع ان يعرف الكثير عن هذا الكون الفسيح .**

دكتور محمد محمود غالى

الأدب في أسبوع

يقدمه : محمد عبد الله السمان



● **مسرحيتان :**

عشت ساعات طوالا مع مسرحيتين جديرتين بكل تقدير للاستاذ : محمد طاهر ، هما : « **رئيس مجلس الادارة** » ، « **وعلى راى المثل** » .

يقول المؤلف عن مسرحيته الأولى : هذه المسرحية عن عالم الشركات ، وعالم الشركات كان ولا يزال – الى حد ما – حتى بعد أن دخلت الشركات فى مجال التطبيق الاشتراكي عالما مليئا بالغموض والأسرار ، فلايعرف خباياه الا قلة تملك فيه السيطرة والتوجيه ، والصورة التى رسمتها المسرحية صورة مجسمة لما كان يحدث بشكل أو بآخر من بعض مجالس الادارة » .

المسرحية محددة الأشخاص ، وهم بضعة باشاوات مع أحد أفراد البيت المالك ، تجمعهم المصلحة المشتركة ، **محمد باشا الفاخورى** « البطل » ، كان مدرس حساب ، ومقاولا متواضعا فى نفس الوقت ، استطاع باتقانه عملية حساب الارقام ، أن يكون رئيسا لمجالس ادارات عدة شركات كبرى تتعامل بمئات الألوف من الجنيهات ، وأن يستغفل الأعضاء ليثرى ثراء فاحشا على حساب جهلهم تارة ، وارضائهم تارة أخرى بشتى الوسائل . ثم **سيد باشا أبو المعاطى** رئيس الوزراء السابق ، **وطلعت باشا أحمد** الصحفى ، **واحمد باشا فهيم** المهندس والوزير السابق ، **والأمير ممدوح** ، والباشا الريفى **ابراهيم** ، **وعبد الستار بك** المقاول ذو الزى البلدى ، والأستاذ **شاكر** السكرتير الخاص للفاخورى ، ثم **أحمد** الشاب ذو الضمير الحى مدير حسابات الشركة ، الذى جمع الحب بينه وبين ابنة الفاخورى ، ولكنه حين يكتشف اختلاس الفاخورى ستين الف جنيه فى عملية واحدة ، يضحى بحبه وقلبه ، ويفاجىء الفاخورى بذلك ويهدده تهديدا أودى بحياته .

الحق أننا لم نر من قبل مسرحية كاملة عن مهازل الشركات ، وكل ما شهدناه ، اقحام بعض رجال الشركات فى مسرحيات تحكى مهازل العهد السابق ، وهذه المسرحية جعلتنا نظل الوقت كله مع مجلس الادارة حتى قدمت المأساة مجسمة فى اطار واحد ، ومع أن الجانب العاطفى لم يتسلل الا خافت الضوء فى هذه المسرحية ، حين أعجب أعضاء مجلس الادارة **بسميحة** السكرتيرة ، الا أن المسرحية جذبتنا اليها وجعلتنا نعيش كل لحظة مع حوارها وأحداثها .

أما المسرحية الأخرى « **على رأى المثل** » فهى تعالج – كما يذكر المؤلف – بعض أمراض العصر المادى الذى يطبق علينا بكل قواه ، وفكرتها فى غاية البساطة والايجاز معا : انسان يعيش فى مستوى أعلى من دخله ، ثم يهرب من ماضيه ، وتفشل بالطبع خطة الهرب .

حميدة البطل حلاق القرية يطرده طبيب الصحة بعد أن أخطأ فى اعطاء حقنة لمريض وكاد الخطأ يودى بحياته ، ويستقر به المقام فى حى شعبى بالقاهرة الى جوار شقيقه **صميدة** صاحب صالون متواضع ، يكافح حميدة من أجل تعليم ابنيه **حسن وحسين** ، حتى يصبحا موظفين محترمين ، ويشتغل حسن الموظف باحدى الشركات الكبرى ، ويرفض أن يلتصق بماضيه ، فيفرض ديكتاتوريته على والدته **نبوية** ويحملهما على أن يرتديا ثيابا زائفة تتفق والمدنية ، وعن طريق الاقساط يشترى قطعة أرض باحدى ضواحى القاهرة ، لتقام عليها فيللا أنيقة ، وتؤسس بأفخر الرياش ، ويغادر الجميع شقتهم المتواضعة بايجارها المتواضع الذى لم يزد على الجنيهين ، وبعد شهور

معدودة يعجز دخل الأب المكافح ، ومرتب حسين الساخط ، ومرتب حسن نفسه عن مواصلة تسديد الاقساط التي بلغت خمسة آلاف جنيه يجب أن تسدد على عشرين عاما ، افتعل حسن كل هذا ليظهر أمام خطيبته **سعاد** ابنة دكتور الشركة **حمادة** بالمظهر اللائق ، متوهما انه من الممكن ان يهرب من الماضي ، ووسط القلق الذي ساد الأسرة بسبب توقيع الحجز على الفيللا من شركات متعددة دائنة ، يذهب حسن ووالداه الى منزل الدكتور ليخطبوا ابنته سعاد ، ووسط هذه الفرحة التي لم تتم ، تقع المفاجأة ، فقد كان الدكتور حمادة ، هو نفس طبيب القرية الذي سبق أن طرد حميدة الأب الحلاق من قريته ، وتقف سعاد على المفاجأة فتترقرق في دموعها ، ويتهالك حسن على كرسيه دون ان ينبس ببنت شفة ، ويهرول الأب والأم الى الخارج ، ليعودوا الى الحي الشعبي الذي جاءا منه ، قبل أن يصم آذانهما صوت جرس المزاد العلني في الفيللا الأنيقة المعروضة للبيع •

لا شك أن المسرحية دليل على أن العمل الفني المتكامل بدون عناصر المبالغة والمصادفة والاثارة العاطفية جدير بالتقدير ، بيد أن المنظر الثاني من الفصل الاول أقحم اقحاما على المسرحية ، وهو منظر يكاد ينحصر في تقديم صورة صادقة عن متاعب طبيب القرية ، وتبقى المسرحية بعد ذلك متضمنة كل مقومات المسرحية الأصيلة ، والكاتب يمتاز بالاقلال من شخصيات المسرحية ، ليتمكن من تسليط الأضواء عليها جميعا ليبعث فيها الحركة والحياة •

***

● **تقاليدنا •• والأدب المكشوف :**

ان الأدب المكشوف هنا لم يزل بخير وعافية ، يخرج لسانه لتقاليدنا ، ويتهافت عليه الشباب المراهق من الجنسين ، وتتهالك عليه شركات الانتاج السينمائي لتبعث فيه الحياة المتحركة على الشاشة ، وتدفع فيه الألوف من الجنيهات ، حتى اذا حاولنا أن نحصي أفلامنا التي بلغت المئات في السنوات العشر الماضية ، لأربى رصيد الأدب المكشوف على ٩٠٪ ، ولا أظن أن كتاب هذا اللون من الأدب — ان جاز له ان يسمى أدبا — قد عملوا أي حساب لبيئتنا الشرقية وتقاليد ديننا ، وهم واثقون بأنه من الممكن أن تتصدى لهم بعض الاقلام — لحاجة في نفس يعقوب — وبعض الخطب المنبرية ، التي لا يعتد بها ولا يعول عليها ، ولذلك يسيرون في طريقهم غير عابئين بصرير الأقلام أو ثرثرات الخطب والمواعظ •

وما حدث في انجلترا أخيرا جدير بالوقوف عنده كثيرا ، فقد صادرت الرقابة هناك كتابا صدر منذ مائتي سنة بعنوان « ماني فيل » أو « مذكرات امرأة الملذات » ، من تأليف الكاتب الانجليزي « جون كليلاند ١٧٠٩ — ١٧٨٩ » ، وقد صدرت طبعة جديدة منه منذ شهور وبيع منها أكثر من ثمانين ألف نسخة في أمريكا وأوربا ، وحاول الدفاع عن الناشر الانجليزي أن يقنع القضاء بالافراج عن الكتاب مستندا الى نفس الأحكام التي أباحت نشر كتاب « عشيق الليدي تشاترلي » بعد مصادرة دامت ثلاثين عاما ، ولكن القاضي الانجليزي لم يقتنع بوجهات نظر الدفاع ، وأيد المصادرة غير مستسيغ نشر مذكرات احدى بنات الليل أيا كانت الأسباب •

اذكر أن الاذاعة منذ سنوات وجهت سؤالا الى أديب عراقي كبير ، عن أعظم كاتب في مصر ، فأجاب ، ان أقوى كاتب هو الأستاذ **احسان عبد القدوس** ، الذي استطاع أن يكتب قصتي : « **الوسادة الخالية** » و « **لا أنام** » في بلد فيه الأزهر والمؤتمر الاسلامي •• !

وبعد — فالأدب المكشوف عندنا لم يزل يتسلل الى بيوتنا ، ويغزو قلوب شبابنا المراهق وشاباتنا المراهقات ، ولكن ما هو أدهى وأمر ، انه سريع التحول الى الكلمة المسموعة في اذاعتنا ، والصورة المتحركة في التليفزيون ، وهذا موضع الخطورة ، حتى أصبح هذا الأدب العاري يمثل مكانا مرموقا في مسرحياتنا المذاعة أو المصورة ، والوعي لا يحرك ساكنا ، والتقاليد والآداب مغلوبة على أمرها ، والرقابة الفنية قد ترتدي أحيانا عمائم شيوخ الحنابلة ، ولكن هذه العمائم سرعان ما تهتز أمام نفوذ المرتزقة والمتنفعين ، وهم أصحاب الحول والطول •

● **مع مجلة الشعر • •ايضا :**

ظهر العدد الثاني من مجلة الشعر ، كتب افتتاحية الدكتور **عز الدين اسماعيل** المدرس بكلية آداب عين شمس ، فقدم بحثا مستفيضا عن « **النسيب في**

مقدمة القصيدة الجاهلية » ، وكتب **الأستاذ فاروق خورشيد** بحثا جيدا عن « **الشعر والسيرة الشعبية** » وكتب الأستاذ **عبد الفتاح غبن** بحثا مستوفيا عن : « **بيرم التونسى الشاعر** » ، وكتب الأستاذ غالى شكرى بحثا تحليليا عن قصيدتى الشاعر صلاح عبد الصبور : **رحلة فى الليل** » و « **الظل والصليب** » ونشر فى هذا العدد من الشعر العربى قصائد : **للعوضى الوكيل ، وعبد العليم القبانى ، ومحمد الحديدى** ، ومن الشعر الحر أو الحديث ، قصائد : **لفتحى سعيد ، وفرج صادق** مكسيم ، وعزيزة كاتو ، ومجاهد عبد المنعم مجاهد ، **وابراهيم عزت ، ومدحت قاسم** ، وأخيرا قدم مكتبة الشعر : توفيق حنا عن **رباعيات صلاح جاهين ، وكمال نشأت عن ديوان ديلان توماس ، وعفت الشرقاوى** عن ديوان **عادل الغضبان** « **من وحى الاسكندرية** ، ثم **صبرى حافظ** عن ديوان « **فى شمس دوارى** » **لفواز عبيد** .

هذا مجرد عرض لمحتويات العدد الثانى من مجلة الشعر ، لنخرج من هذا العرض السريع بملاحظتين : **الأولى** أن كمية الشعر الحديث أو الشعر الحر تكاد تطغى على الشعر العربى ، والنسبة كما هو واضح ٣ : ٦ ، أى أن الشعر الحديث ضعف الشعر العربى ، وليس معنى هذا أننا نضطهد هذا الشعر الحديث ونغلق دونه الأبواب ، بل نود الا يصل طغيانه على الشعر العربى فى مجلة للشعر العربى الى هذا الحد من الافتعال .

والملاحظة الأخرى تتصل بالأبحاث ، فاذا جاز لبحث متصل بموضوع أصيل أن يقتطع من صفحات المجلة بضع عشرة صفحة ، كأبحاث الدكتور عز الدين اسماعيل ، وفاروق خورشيد ، وعبد الفتاح غبن ، فلا يجوز بحال من الأحوال أن يقتطع من صفحات المجلة المعدودة مقال غالى شكرى عن قصيدتين من الشعر الحر للأستاذ صلاح عبد الصبور ست عشرة صفحة ، اللهم الا اذا كان الافتعال أيضا سمة من سمات مجلة الشعر .

من اخبار الأدب

● ستظهر سلسلة اقرأ التى تصدرها دار المعارف منذ زهاء عشرين عاما فى ثوب جديد ابتداء من شهر يوليو القادم ؛ سيكون الكتاب الأول بقلم الاستاذ العقاد بعنوان : القراءة فن .

● ستصدر يوميات الأستاذ العقاد فى اربعة أجزاء خلال هذا العام ، صدر الجزء الأول فى ٤٥٠ صفحة .

● صدر للأستاذ محمد مجاهد المفتش السابق بوزارة التربية والتعليم كتابا عنوانه « الأيام والليالى فى قرية الاقطاعى مع قصة حياتى » .

الكتاب مذكرات سياسية وتاريخية عن فترة ما قبل الثورة وجاءت فى صور أدبية مؤثرة .

● بدأت الدكتورة بنت الشاطىء فى كتابة موضوعات مسلسلة عن مؤتمر المستشرقين فى ملحق الجمعة لجريدة الأهرام ، كتبت الحلقة الأولى فى عدد الأسبوع الماضى .

● ستصدر قريبا للدكتور محمد غنيمى هلال « النماذج الأدبية فى الدراسات المقارنة ، كما سيصدر أيضا للأستاذ أحمد حمروش كتاب عن تاريخ المسرح ، تناول فيه أبرز الشخصيات التى ظهرت على المسرح المصرى .

● صدر للأستاذ العوضى الوكيل ديوانه الجديد « ناشات ونور » يضم الديوان مائة قصيدة تتحدث عن الطبيعة والحب والحياة .

● سيقيم نادى القصة بالقاهرة ندوة شهرية ابتداء من أول الشهر القادم ، يحضرها واحد من كبار أدبائنا ، سيكون ضيوف الندوات فى الأشهر الثلاثة القادمة على التوالى الدكتور طه حسين وتوفيق الحكيم والعقاد .

محمد عبد الله السمان



الكتب نقد وتعريف

يقدمه تحسين عبد الحي

نفوس ثائرة ..
مجموعة قصص جزائرية ..
تأليف : عبد الله ركيبي ..

ما اروع الأدب .. عندما يكون تعبيرا عن واقع الحياة والمجتمع بتحولاته وتحركاته النضالية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية .. عندئذ يكون الأدب - والقصة بالذات - هي تلك المرآة الصافية الصادقة التي تنعكس عليها الأبعاد الحقيقية لنفسية الجماهير وتطلعاتها .. الذاتية منها والجماعية، اما ان تكون القصة كأداة للتعبير - كل همها التسلية واثارة غرائز المراهقين والتخبط في الآفاق المظلمة الباهتة ، فانها تفقد بذلك عنصر العمق والشمول الانساني ، ولا نستطيع ان نصف كاتبها الا بانه عاق للفن وللواقع معا .

اننا نود لقصتنا ان تكون تعبيرا حيا عن عواطف الشعب واحاسيسه وان تكون فنا للحياة النابضة الجديدة .. حياة التطلع والأمل وبالتالي نود أن تكون رمزا لليقظة والتطور لا رمزا للتخدير ، للسكون والموت .

هذه رسالة القصة - كما افهمها - رسالة انسانية صميمة ، « رسالة تصف الداء وتقدم العلاج في الوقت » رسالة تفتح العيون لتطل على عالم الخير والحق والجمال ، وتبعث الامل والحياة في نفوس عذبها الالم واضناها الشقاء وقتلها اليأس ، فهناك شعب كامل باحلامه وآماله طرد من وطنه واصبح جائعا لاجئا مشردا في الوقت الذي يتمتع فيه الصهيونيون بارضه واشجار زيتونه .. اين هو في ادبنا ؟ .. هناك وطن اكبر .. وطن العروبة بماقيه من ملايين تحن الى الوحدة وتصبو الى الرفاهية والغد الافضل .. كل هذا جدير بان يحرر روائيينا من اوهام عششت في نفوسهم وعقولهم حتى اصبحوا يعيشون في حلقة مفرغة .

ان الفن ثورة قبل اي شيء آخر .. ثورة على القيم البالية العتيقة .. ثورة على القوالب الجامدة المتحجرة ، فعليهم ان يكونوا ثوارا في كتاباتهم - لا نسخا مكررة من اناس لم يعيشوا ظروفنا وتجاربنا ، ان الذين لايفهمون الفن الا انه تأوهات وعبرات وهمسات وتنهدات خرساء ، لا يعرفون حقيقة الفن وقيمته وايجابيته ، وهم في الوقت نفسه سلبيون في تفكيرهم وكتاباتهم .. يعيشون في قواقع لا تعرف الثورة ولا الحياة بما فيها من الم وحرمان .. الم الجوع والتشرد من ارض الوطن السليب .

وكتاب اليوم ، هو مجموعة قصص جزائرية للاديب الثائر المناضل - عبد الله ركيبي - نموذج لما ينبغي أن تكون عليه القصة العربية النضالية .. فان قصصه جميعا تدور حوادثها أثناء الثورة الجزائرية ، وتصور شخصياتها جميعا ثوارا جزائريين ، وهي قصص أناس عاديين ، مشغولين بمعاشهم وأبنائهم وأعمالهم وهم يثورون من أجل ذلك كله ..

ان عبد الله ركيبي لا يقدم لنا في هذه المجموعة شخصيات ولا احداثا خارقة - فهو يدرك أن تصوير الانسان لايكون الا بتصوير انسانية البطل ، وهو يدرك ان ابطال الجزائر هم كل شعب الجزائر . والانسان الذي عاشر الثورة سنين عدة تصبح الثورة عنده جزءا من نسيج الحياة .. ولا نجد في هذه القصص دعاية او ملقا او تطبيلا ، وانما نجد افرادا عاديين ، فهذا رابح شقور الفلاح بيقرته وحرمانه ، وذاك عمار راعي الغنم وهذا مرابط الدليل ثم علي الذي كان يعمل سائقا للقومندان الفرنسي والذي اصبح ضابطا من ضباط جيش التحرير .. كلهم افراد عاديون .. يحبون الحياة ويقدسون المثل والقيم الانسانية .

وقد استطاع الكاتب ان يقدم لنا من خلال قصصه صورة واضحة لمراحل الثورة الجزائرية وان كان قد قدمها لنا عن طريق نماذج مختلفة .. فهي تبدأ

عندما أحس رابح شعور بالحرمان من ارض وطنه المحرمة عليه والمحتلة للمستعمر الفرنسي (فرانسوا) فيقول – ص ٢٩ – محدثا نفسه « لم لا يكون لى ثوران أحرث عليهما هذه الأرض فتدر على خيراتهامن قمح وشعير .. ! ثم يقبض الفرنسيون على رابح بتهمة مساعدة الثوار لتبدأ مرحلة جديدة فى قصة « وجود ولكن » وهى مرحلة التفكير فى الثورة نتيجة لهذا الحرمان والشعور بالكرامة المهدورة فيقول بطل قصة « وجود ولكن » – ص ٣٩ – .

انهم يذكروننى بوجودى الناقص – وبانسانيتى المقيدة .. بحياتى المبتورة .. بكيانى الذى يحتاج الى شىء آخر .. شىء غير الحياة والحركة والتنفس .. شىء يعطينى المعنى الحقيقى لوجودى .. لذاتى كانسان .. اننى احتاج الى الحرية .. الى هذا الشىء الذى لامعنى لوجودى من غيره ولا قيمة لانسانيتى بدونه ..

لم تبدأ مرحلة العمل فى قصة راعى الغنم عندما يتحول عمار الراعى الى مقاتل – يحلم احلاماجديدة ويفكر فى غيره بعد ان كان يفكر فى نفسه » ص ٥٢

وتأتى قصة المغارة لتبين مرحلة العمل والنضال ضد الاستعمار وضراوته ويؤكد المؤلف فى « قصة لم تتم » وحدة العمل الوطنى مبينا دور المثقفين فى معركة التحرير الجزائرية .. فيقدم لنا الأديب الذى قبض عليه بتهمة كتابة القصص الثورية .. واستطاع المؤلف ان يتجرد من الحدود الاقليمية الضيقة ليقدم لنا فى « قصة لم تتم » **لمحة تنم عن شمول نظرته وحساسيته القومية العربية ، فيقول – ص ٧٢ – مصورا القبض على الأديب بقوله ..**

« كانوا خمسة جنود معهم شرطى يهودى يعرفه جيدا لأنه يسكن بجواره » واعتقد ان المؤلف اراد ان يؤكد هنا تضامن اليهود فى الجزائر وتحالفهم مع فرنسا لضرب الحركة الثورية وذلك لايمان اليهود ، ان بقاءهم فى فلسطين يكمن فى تجزئة الوطن العربى واذلال اجزائه المختلفة بكل الطرق . ومن ثم كان تعاونهم مع فرنسا فى ضرب حركة التحرير الجزائرية وما موقفهم من الجيش السرى الفرنسى وغاراته الرامية على المواطنين العرب فى الجزائر ببعيد عن اذهاننا .

وفى قصة « وجد نفسه » يصور لنا الكاتب الجزائر كلها فى شخص البطل .. فعلى سائق عربة القومندان الفرنسى – وجد نفسه – فى اللحظة التى كان فيها ضابطا فى جيش التحرير، ووقع القومندان الفرنسى وابنته أسيرين فى يديه .. لقد خاطبه القومندان برجاء واستعطاف معتذرا عما كانت تقترفه ابنته ضد « على » من مضايقات أثناء عمله كسائق ..

« انها طفلة طائشة يا حضرة الضابط » .

فعلى – هو الجزائر – والقومندان هو فرنسا – لقد بدأت فرنسا تستعطف بعد ان كانت تأمر ..

وهكذا تسير قصص المجموعة كل قصة فيها لها معنى ومضمون كبير – ففى قصة « الانسان والجبل » نرى فاطمة – الفتاة الجزائرية – تحمل بندقيتها فى قلب الجبل جنبا الى جنب مع شباب الجزائر العرب .. وعلى الرغم من طبيعة الحرب القاسية فقد تلاقت العواطف والمشاعر الانسانية بين فاطمة وزميل كفاحها « رضا » **كتعبير عن المطالب الذاتية** للانسان ، فهم يحاربون ويقاسون واكثرهم يقتلون **الا انهم يحبون – بلا زخارف او تزييف وانما هو حب الجبل والطبيعة فى صورته النقية الطاهرة .**

ولنعش لحظة مع احد افراد قصة « صرخة فى الليل » عندما يسأله زميله ..

– هل أنت سعيد بما تحمل من قنابل وبارود ؟

فيرد عليه قائلا :

هذه وسيلتى الوحيدة .. اننى لست وحشا ولكنى انسان له كرامته – اننى لا أحب الحرب – ولكنى امارسها لأنه لامفر منها – انها الطريق الوحيد الذى استرد به انسانيتى .. فهل ترانى مجرما .. »؟

اما قصة الوادى الكبير وهى آخر قصص المجموعة فهى تذكرنا بقصة مولد انسان لمكسيم جوركى – فكل من القصتين تصور ولادة طفل بين جماعة تكافح الظلم والشقاء ، على ان اشتراك القصتين فى هذا الموضوع لايجعله موضوعا مكررا – فلكل منها جوها الخاص وان كانت الدلالة متقاربة فى الاثنتين وهى انتصار الحياة – وولادة الطفل هنا – وفى هذه **الظروف الصعبة ، انما تصور مولد جزائر اليوم – فقد تكون نضالها وكفاحها من ابناء شعبها مجتمعين .. من خلال الراعى .. والفلاح .. والعامل .. والمثقف. واعتقد ان وحدة العمل الوطنى خلال المعارك المسلحة ، وتشابك الافراد وتلاحمهم فى علاقاتهم الانسانية .. هو حجر الزاوية فى بناء الجزائر العربية الحرة الآن ..**

وخاصة ان اسلوب التسيير الذاتى المعمول به فى الجزائر حاليا لايمكن ان يمارسه الا شعب منظم مؤمن بنفسه وبوطنه وبامته .

تحسين عبد الحى

البريد الأدبي

نقد فى قصيدة

تحت هذا العنوان قرأت للسيد / يوسف حيمور فى العدد ١٠٤٦ من الرسالة نقداً فى قصيدة « أصابع يد واحدة » للاستاذ محمد الجيار

يقول الناقد ان استعمال كلمة الحجب غير مفضل هنا ، وكان من الافضل لو استعمل كلمة الحقب لان الحقب هى التى تطوى المدى ، والحجب تحجب ولا تطوى .

ويجاب عن ذلك بأن الشاعر أراد بالحجب الغيوب ، وما ينسب الى الغيوب أقوى مما ينسب الى الحقب ولعل الشاعر رأى أن استعمال كلمة الحقب هنا استعمال سطحى لا يتناسب مع جلال الموقف فلهذا كان استعمال الحجب أعمق وأروع .

يقول الناقد فى البيت الآتى :

قد عدت يا بردى فاسكب على ظمئى
تشيدك الحلو يشدو فى فمى الادب

ان الفعل المضارع «يشدو» يجب ان يكون مجزوما بحذف حرف العلة الواو لانه وقع جوابا للامر .

ويلوح لى أن السيد الناقد لم يدقق فى دراسة قواعد اللغة العربية فان النحاة أجازوا جزم الفعل المضارع فى جواب الامر ولم يوجبوا ذلك اطلاقا مستدلين بقوله تعالى «فهب لى من لدنك وليا يرثنى» فالفعل يرثنى مرفوع بالضمة ولم يجزم فى جواب الامر . لقد اتهم الشاعر بتحطيم اللغة فى سبيل الحفاظ على الوزن مع ان السيد الناقد هو الذى خالف القاعدة النحوية التى طابقت الآية الكريمة ، وكان مشتطا فى نقده الواهى وان شاء زيادة فى البيان فليرجع الى قول الشاعر العربى الذى لم يحذف حرف العلة بعد لم الجازمة :

الم يأتيك والانباء تنمى بما لاقت لبون بنى زياد ؟

قال الناقد فى البيت الآتى :

ضم الفرات ذراع النيل فى وله
على ذراعك حتى هزنى الطرب

ان الشاعر استعمل كلمات فى معان لا تمت لها بصلة فكان معنى هذا البيت غير متناسق . فالذراع لا تضم على الاخرى وانما تضم اليها وحرف الجر الى اوجب من حرف الجر على لان الفعل ضم معناه «جمع»

وانا اقول للسيد الناقد انا اعتبر هذا البيت بيت القصيد فان ما فيه من عمق فى المعنى يثبت أنه اقوى بيت فى القصيدة وأرى أن استعمال حرف الجر «على» اقوى واعمق من استعمال حرف الجر « الى » فلو قلت : جمعنا الله على الخير لكان اقوى من قولك جمعنا الله الى الخير ثم يقول : ان الوله معناه الهيام فى الشىء « وليس معناه الشوق كما يرى الشاعر » .

وأنا أقول له : من قال لك ان الشاعر استعملها بمعنى الشوق ؟

ان الوله أقوى من الشوق الملتهب ولا يصدر الا عن حب عميق وشوق شديد تمكن من القلب فشغله عما سواه واللقاء فى هيام أقوى من اللقاء فى شوق فلذلك كان الشاعر موفقا فى هذا الاستعمال البليغ

ثم يقول : « ان الشاعر استعمل كلمة الطرب فى غير موضعها لان الطرب لا يكون الا بالاستماع بالأذن »

وأنا أرد عليه فاقول : ان الاساليب البلاغية العربية مكونة من الاستعارات والمجازات والتشبيهات فلماذا لا يكون الشاعر استعار كلمة الطرب للفرح والبهجة ؟

عبد البارى ابو العينين يوسف

دفاع عن صاحب الموطا

كتب الاستاذ محمود الشرقاوى فى عدد الرسالة رقم «١٠٤٠» مقالا تحت عنوان «الصفحة الفنية من حياة الامام مالك » ابان فيه عن ناحية هامة من حياة هذا الرائد . اذ دلنا على أن الامام كان صاحب موهبة أصيلة فى الغناء ونقده . هذا الى جانب أنه كان الدعامة الكبرى فى تاريخ الفكر الاسلامى ، وإذا كان

لنا أن نبحث عن شيء من الدلالة وراء هذه الصفحة فان أبسط الدلالات التي تطالعنا توحي بأن الامام كان يمثل الفهم العميق الواسع لفلسفة الاسلام وأن الاسلام هو الدين الحضاري الذي أتاح للنفس الانسانية أن تأخذ نصيبها من الحياة بما يرتفع بمشاعرها واحساساتها .. وليس من شك في أن الاستاذ الشرقاوي أكد هذا المعنى بمقاله الشيق .. ولكنني أعتقد أنه وهو يلتقط هذه الصورة قد أضاف اليها من « الرتوش » بما أوشك أن يغير من معالمها، بحيث أن القارىء غير المتريث ربما يسبق الى فهمه أن الغناء كيفما كان أداؤه وتعبيره مما أقره فقهاء الاسلام . وليس هذا من الصواب في شيء ، فمثلا حينما أورد الاستاذ الابيات التي غنتها « غزال » علق عليها بما يفيد أن هذا الشعر كان محل اعجاب مالك .. ولست أدري كيف قرر هذا ؟ مع أن كلمات مالك لا تحتمله . اذ كل تعليقه في هذا المقام « انها لفصيحة اللهجة حسنة الغناء » أي مجرد اعجاب بالأداء وكيفية الالقاء فحسب .. أما ذاك الشعر من حيث كونه « أكثر امعانا في الترخص - أو التذلل » الخ . فلا يمكن أن يكون من متناول اعجاب الفقيه العظيم ، ولو كان أعجبه لخصه بالثناء كما خص الغناء .. ولعل ما ساقه الاستاذ من خبر مالك حينما سمع مغنية المدينة وقوله تعبيرا عن اعجابه ، لو غنى بهذا حول الكعبة لجاز ، أقول لعل هذا يشير الى مذهبه في النقد . وهو من الوضوح بالدرجة التي لا تسمح بتعليق لمعلق .. أقول هذا حرصا على أن تكون الصورة الفنية مطابقة للحقيقة . ودفاعا عن صاحب الموطأ .

عاطف محمد عيسى - سوهاج

تأملات في أصابع يد

نشرت مجلة الرسالة الغراء في عددها ١٠٤٠ قصيدة للاستاذ محمد الجيار بعنوان (أصابع يد واحدة)

والقصيدة في هيكلها العام تنبيء عن موهبة عند الشاعر ولكنها موهبة بينها وبين التجربة التي حاول أن يعيشها مسافات وأبعاد ثم بينها وبين اصالة البناء اللغوي منحدرات وهضاب ، وكان الأجدر بالشاعر - على الاقل - أن يعالج النشاز الموسيقي الذي يقلق الاذن الشاعرة في قوله في مطلع قصيدته:

صعودا فان ذرا الميعاد تقترب
صعودا ولا تخشى شيئا انا عرب

فالقصيدة من البحر البسيط وتفعيلاتها الموسيقية :

(مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن) مرتين

مع طواعيه مستفعلن الى متفعلن بحذف الثاني الساكن وطواعية فاعلن الى فعلن بحذف الثاني الساكن ... والقصيدة كلها خاضعة لهذا الاصل الموسيقي ولهذه الطواعية ما عدا البيت الاول في (صعودا فان) (صعودا ولا)

وكان الاجدر بالشاعر أيضا أن يدقق النظر في قوله :

قد عدت يا بردى فاسكب على ظمئي
نشيدك الحلو يشدو في فمي الأدب

ليعلم أن الفعل (يشدو) واقع في جواب الطلب فلماذا لم يجزم ؟ أم أنها ضرورة والضرورة تبيح المحظورة كما يقولون ؟ انني أربأ بالشاعر أن يتعلق بهذا الخيط العنكبوتي الواهن !

واذا اقتنع الشاعر بهذه الهفوة سهل عليه أن يدرك الهفوة نفسها في قوله :

(ترحب الارض بي أنى أسير بها)

(فأنى) أداة شرطية جازمة لفعلين وقد جاء فعل الشرط وهو (أسير) مضارعا غير مجزوم ولا أرى لذلك سببا لان ترحيب الارض مشروط بالسير !

وبعد . فأرجو من الشاعر أي شاعر أن يغار على ممتلكاته الفكرية فيجيل فيها النظر قبل أن يعرضها في صور ...

الاسكندرية **علي الصياد**

من شعر المتنبي لا شوقي

قرأت في البريد الأدبي من العدد ١٠٤٥ تحت عنوان رد على رد كلمة للأستاذ محمد التهامي جاء فيها :

وقد تكفل شوقي رحمه الله بالرد على هذا حين قال :

ومن يك ذا فم مر مريض
يجد مرا به الماء الزلالا

وأرجو عملا بحرية الكلمة وصراحة النقد أن تأذنوا للرسالة الغراء أن تبلغ الأديب الشاعر أن شوقي لم يقل هذا البيت - وأنه من شعر المتنبي من قصيدته في مدح بدر بن عمار ومطلعها :

بقائي شاء ليس هم ارتحالا
وحسن الصبر زموا لا الجمالا

والناقد البصير هو الذي يجمع الى الدقة والتحري حسن الاطلاع .

طلبه محمد عبده
وكيل مدرسة بور سعيد الثانوية

قصة العدد

على ما يرام

بقلم : سمير أحمد ندا

عندما غادرت ثكنات الهايكستب ظهر ذلك اليوم لم أتصور أنني سأعود اليها قبل انتهاء اجازتي الاسبوعية ، لم تمض منها سوى بضع ساعات ، حتى الغيت فجأة في المساء ، صدرت الى الاوامر من القيادة بضرورة التوجه الى وحدتي الساعة ستمائة صباحا ، تأزم الموقف على الحدود ، أهلي لم يصدقوا ، حين ادركوا أن الحكاية جد ، بكوا ، أردت أن أقول لهم لم التحق بالكلية الحربية لأتبغدد بالبدلة الكاكي ٠٠ بالنجمتين ، لكن الطبيب لايضع يده على الجرح مباشرة ٠ هو يقترب بها منه رويدا رويدا ، يدور حوله دورة ، دورتين ٠٠ ثلاث ، حتى يشعر الجريح أن حركة يده عادية ، فلا يشعر بمباغتة تفقده وعيه ان توجهت يد الطبيب الى الجرح مرة واحدة ، رحت ادور حول الموضوع .. انقطع نفسي .. لم تبد منهم بادرة اطمئنان ٠٠ تضاعف خوفهم ٠٠ ازداد الهم ٠٠ هم يرون أكثر من علامة خطر حمراء على طريقي الذي بدا لهم مظلما ، خاليا ٠٠ صامتا ٠٠ قررت ان اكف عن محاولاتي معهم ٠٠ اعتزلتهم ٠٠ خلوت الى نفسي على ان اقرر مصيري ٠٠ استطيع ان اعثر على طريقة ما تمكنني من البقاء في القاهرة ، استطيع كذلك أن اذهب الى ارض العمليات الحربية ٠٠ حرت احسست بلوعة مضنية ٠٠ ليس امرا هينا ان يدرك المرء أن مصيره انتهى اليه وحده ، بمطلق حريته ٠٠ باختياره ، يستطيع ان يقرره ويلزم الآخرين بقراره هذا ، فكرت كثيرا ٠ قلبت الامر على كل وجوهه المختلفة ، ثم قررت مع خيوط النهار الاولى ٠٠ لمعت دموع ابي ٠٠ حبست امي نفسها في غرفتها ٠٠ يصلني نشيجها متقطعا ٠٠ مزقني كالسونكي ٠٠ هي لم تفكر منذ خرجت الى الدنيا ان وليدها قد يتعرض لتجربة ربما أودت بحياته ذات يوم ، مادام يضحك ٠٠ يبكي ٠٠ يلقم ثدييها ٠٠ يحرك يديه ورجليه ، كمن يسبح في محيط واسع يراه هو بينما هي لاتراه ٠

كانت سعيدة تطلق آمالها مع الغد البعيد ٠٠ تعيش مع فارسها الصغير ٠٠ ليس من السهل اذن ان تفرط لي ٠٠ اخذ شقيقي الاصغر ينط مزهوا ٠٠ يجري ٠٠ يدق الارض برجليه ٠٠ يضرب الحائط بيديه ٠٠ ان أخاه سيضرب بالمدفع ٠٠ ربما حسبه كمدفع العيد ٠٠ امتدت نظرات بقية اخوتي كأذرع واجفة تحتضنني في رجاء تغلب عليه اليأس ، أخذت شقيقتي سعاد تزجر الصغير اللاهي المبسوط ٠٠ تسرف في ذلك شيئا فشيئا لتنسى أنني ذاهب لتهرب من الحقيقة الوشكية الوقوع ٠

حلت اللحظة الحاسمة ، جفت دموع أبي ٠٠ أراد ان يودعني .. فقط كرجل .. انقطع نشيج امي .. حبست أنفاسها ٠٠ كانت الأذرع الممتدة من عيون اخوتي لاتزال تحتضنني .. في هذه المرة ابت ان تتركني ٠٠ تشبثت ٠٠ الحت ٠٠ اصرت ٠٠ تداعى زجر سعاد لشقيقنا الاصغر ٠٠ جمدت يداها ٠٠ سكن صوتها ٠٠ حاولت ان تنظر الى ٠٠ اخفقت ٠٠ احست بفشلها ٠٠ اندفعت الى حجرة امي هاربة ٠٠ نسيت انها اغلقتها على نفسها بالداخل ٠٠ اصطدمت بالباب صدمة عنيفة كانت كطلقة مدفع مكتومة ٠٠ ذكرتني بحقيقة الوضع انطلقت من بينهم الى السيارة الصفراء الواقفة بالباب ٠٠ صعدت اليها ٠٠ حشرت نفسي بين بعض الزملاء ٠

كان عددنا يربو على الثلاثين ضابطا ، ومع ذلك فشلت أنفاسنا في تدفئة جو السيارة المقفلة علينا بغطاء سميك ، أعمارنا في مجموعها تتراوح بين العشرين والثانية والعشرين ، اكبرنا سنا الصول عبد التواب ، جاوز الاربعين من عمره ، تناثرت شعيرات بيضاء بين شعره الاسود .. كان خالفا تبعته ٠٠ خالف الاوامر العسكرية ٠٠ اننا جميعا لم نفكر فيها ، ربما نسيناها ، ربما لم نجد مبررا لاتباعها فمن العبث أن نطلب من الجندي الذاهب الى ميدان القتال أن يراعي اصول الاتيكيت ٠

راح كل منا ينظر الى الآخرين فى ضيق ، كنا كالغرباء .. مع ان معظمنا من دفعة واحدة ، لكننى رايتهم وقد تضاعف احتمال موتهم أكثر من سائر الناس .. قانونهم الذى يوشك أن يحكمهم قريبا يا قاتل يا مقتول .. صحيح فرص الحياة متاحة لهم الا ان حظهم منها ــ دون شك ــ قليل ، هم لذلك يبدون غرباء .

اشتدت البرودة عن ذى قبل مع انه قد مضت فترة كانت تكفى ــ فيما سبق ــ لأن يدفىء هذا العدد منا جو السيارة ، كما لو تشبث كل منهم بأنفاسه يخاف أن تذهب ولا ترتد الى مكانها من الصدور ، فلم اجد بدا من معانقة نفسى .. رحت أبتعد .. ابتعد ، وما لبثت ان بدت السيارة تحت ناظرى خالية ، وحدى استطيع ان افكر .. أرتجف ، وربما ابكى ، أما مع الآخرين فاحس كما لو كنت عاريا من دونهم جميعا .

توقفت السيارة .. رفعت غطاءها القماش . . رايت المعسكرات كخلية نحل .. الجنود يسرعون .. يتجمعون .. تنتظمهم طوابير تتحرك .

تشحن فى اللوريات الضخمة واحدة بعد الاخرى تنطلق بهم الى هناك حيث العدو . . ظهرت النجوم على صفحة السماء السوداء ثم تساقطت عند الأفق .. برز جسم مصفر يلمع .. يضىء كل ماحولنا اشبه مايكون بأرض مهجورة موحشة معلقة فى فضاء بعيد . . الشمس ..!؟ هى لا تعنى شيئا ذا قيمة بالنسبة لانسان قد لا تقع عيناه عليها مرة اخرى . مضت علينا اربع وعشرون ساعة منذ تحركت وحدتنا الى (ابوعجيلة) السيارات تزمجر تهتز بعنف ، فالصحراء مليئة بالمطبات ، زاخرة بالرمال الخادعة حين تطبق على السيارة تترنح . تختلج كطائر جريح ، تأخذ بعد ذلك فى مقاومتها .. احيانا تفشل .. احيانا أخرى تتخلص من براثنها ، على مرمى البصر يقف جبل ضخم يميل لونه الى الاحمرار .. يقوم العدو خلفه بتحركاته .. اقترب الجبـــــل .. اتضحت نتوءاته .

قبيل الغروب انتشرت اللوات على رض الصحراء تزحف فى دقة ونظام .. الانفاس تحتبس .. النظرات الزائغة تستقر على الهدف .. هو يبدو كقطعة من ظلال الجبل .. بقيت على ساعة الصفر لحظات . . رفعت راسى . . الصحراء من حولى مظلمة واسعة . . الجبل الضخم يترقب .. كل شىء يوحى بالتوتر كبالونة منفوخة الى اقصى حد .. مجرد شكة دبوس يحدث الانفجار . .يتحول الصمت الى ضجيج .. والظلام الى اضواء تلمع على فوهات البنادق .. تحمل الموت .

سرت برودة فى أوصالى .. نبتت حبات عرق على جسدى .. راحت تنزلق فوقه ببطء فتشعرنى بالحياة التى تكاد تتسرب منى بين لحظة واخرى . هو امر يوجب الأسى أن يفقد المرء شيئا عثر عليه قبل ان يتبينه . لقد بدأت قصتى مع الحياة قبـل اثنين وعشرين سنة فقط .

اجتمع نساء العيلة حول امراة تصرخ بين الحـين والآخر ، لتفرغ شحنتها من الالم ، توسطت ذلك الجمع حكيمة بدينة ، رايتها لما كبرت ، عجبت كثيرا تساءلت فى نفسى : كيف استطاعت ان تخرجنى الى دنيا الناس ؟ هى فيما يبدو تحتاج الى ونش يحركها قيل لى ذات مرة انها خفيفة كالريشة حين يبدأ العمل الجد كما بدا لى ذلك الصباح البعيد .. اخضر شاربى . . كبر . . اتضحت شعيراته السوداء . . تكاتف تماما .. وقتها تقريبا وضعت نجمة ذهبية على كل من كتفى .. نظرت اليهما .. خف بريقهما كثيرا ، فقد تركتهما فى القاهرة مكتفيا بنجمتين من قماش أبيض تراكم غبار الطريق فوقهما ، ادرت بصرى فى السماء ، كانت النجوم تلمع ، هى كذلك منذ الأزل ، لم تخب ، لم تسقط ، لم تدفن فى طيات الزمن ، سرت من حولى همهمة مبهمة فنظرت الى الهــــدف امامى مرة اخرى ، تحول الى كتلة سوداء داكنة .

احسست أننى ساواجه الكتيبة المعتدية بمفردى ، ان التراجع الآن امر عسير ،بل مستحيل . . والبقاء هكذا مكانى محفوف بالمخاطر ، فالنهار سوف يطلع بعد ساعات فيفتضح امرى . لم يبق الا ان احتمل تبعات الموقف الذى ارتضيته لنفسى . . ضغطت على المدفع الرشاش ، دفعته . . وقفت على قدمى .

انطلقت في نفس اللحظة أجسام ملتهبة من بين يدى .. اهتز الرشاش .. ارتفعت حرارته .. التحمت أصوات متنافرة .. اصطكت أجسام لا معة بعضها ببعض .. تناثرت قطع اللهب من حولى .. بعضها يتدفق من خلفي والبعض الآخر يتداعى من امامى .. مر جسم منها الى جوار اذنى .. احدث طنينا عاليا .. راحت قدماى تغوصان في الرمال وتخرجان لتغوصا .. حسبنا لازلت أجرى ..

اشتد الصراخ من حولى ، في هذه المرة .. امتزج بحشرجة رهيبة . .ملأ احتكاك الاجسام اللامعة اذنى لحت مرة أخرى أحد الأجسام الملتهبة ؛ اصطدم ببطنى لسعة أخرى .. تدفق الدم الحار بعدها .. غاصت قدماى .. لم تخرجا .. هدأ الرشاش .. خمد تماما .. سرت البرودة فيه .. ارتفع أنين يبدو انه صدر منى .. لف الظلام كل شيء .

وفجأة لاح بيت عن قرب .. يبدو انني قد عدت .. انبعثت منى رائحة صبغة يود ..أثير..كلوروفورم.. راسى ثقيلة .. عيناى ملتهبتان كأنهما مملوءتان بحبات رمل ناعمة .. جفونى مشدودة بأحجار .. اين انا .. ؟ اسير ؟ .. عبثا يحصلون منى على اية معلومات .. واردت أن اتبين موقعى ، انفرجت جفونى بعد محاولات شاقة .. كانت الدموع تملأ عينى .. اخذت تتسرب منها .. صفت الرؤيا امام ناظرى ، ورأيت جدرانا بيضاء ناصعة .. أدرت بصرى .. ارتفع أنين متقطع .. كان والدى يقف على مقربة منى .. اذن فقد عدت الى البيت .. هربت .. تخليت عن اصرارى .. لم انفذ قرارى الذى سبق لى أن اتخذته .. هو يشعر بالخجل .. يكاد يختنق بالعار الذي جلبته له ، للعيلة كلها .. تحرك والدى مبتعدا .. لم اختفى . وفجأة سقطت عيناى على وجه اعرفه تماما .. الصول عبد التواب يجلس نصف جلسة على فراش مجاور لى اراح نظراته على فى حنان ابوى .. قلت له :

ـ احنا فين يا صول عبد التواب ؟

تبين لى ان هذه الكلمات ماتت قبل ان تخرج من حلقى ، حاولت مرة أخرى ، ثالثة ، رابعة ، جاءتنى اخيرا من ناحيته كلمات بينت لى انني نجحت في محاولاتي .

ـ بلاش تتكلم كتير ياحضرة الضابط علشان النزيف . حقول لك على كل حاجة .. احنا دلوقت فى المستشفى .. فى مصر .

كانت كلماته كفتحة النور والهواء حين تنفرج الظلمة التى تطوى سجينا تحت الانقاض ، تقيد حركته الأتربة تحبس انفاسه بقية من هواء مشبعة بغبار كثيف ، لم اهرب اذن .. لم اضعف .. سقطت في المعركة .. وترامى الى صوتى كانما ينبعث من اعماق سحيقة واهنا متقطعا .

ـ ايه .. ايه اللى .. حصل ؟

أغمض الرجل عينيه .. زوى مابين حاجبيه .. راح يحكى ...

ـ لماقربت من الكتيبة اليهودية شعرت انى حواجه اليهود وحدى .. جريت عليهم بالرشاش .. هات ياضرب فيهم ..

لست انا فقط الذى احس بوحدته .. انطلق كل منا من داخله .. ومضى وحيدا منفردا .. ومع ذلك فقد كنا وحدة مترابطة فى المعركة ، سكت الصول عبد التواب .. او اننى لم أعد أنصت اليه تماما .. اذ تسلل الى سمعى صوت ضعيف يأتى من قريب هامسا :

ـ كنت زى ما اكون وحدى .. قدام كتيبة العدو ... و ...

عاد ابى مرة اخرى ، فى عينيه مسحة من هدوء البال ، لم يكن وحده ، اصطحب الجميع .. على شفتى امى ابتسامة حانية .. اخيرا خرجت من سجنها الانفرادى بحجرتها .. راحت الاذرع الممتدة من عيون اخوتى تحضننى فى شوق وامل . واجهت شقيقتى سعاد الموقف بشجاعة ، لم تهرب منه بضرب شقيقتنا الاصفر الذى راح يتصفح العنبر فى دهشة انكمش .. لبد فى سعاد .. سوف يضرب الحائط بيديه .. يدق الارض برجليه .. ينط مزهوا حين أعطيه رصاصتى المدفع اللتين استقرتا فى جسدى عندما اعود قريبا ، ويصبح كل شيء على ما يرام.

سمير احمد ندا

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
وزارة الثقافة والإرشاد القومي

الإدارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد - القاهرة

الاشتراكات
١٥٠ قرشاً سنوياً
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٥١ الخميس ٢١ شوال ١٣٨٣ هـ - ٥ مارس ١٩٦٤ م السنة الحادية والعشرين

الفهرس

الصفحة

عيد الوحدة

بقلم : احمد حسن الزيات

احتفلنا في الاسبوع الماضي بعيد الوحدة واحتفلت به معنا الأمة العربية جمعاء ، بعضها في العلن وبعضها في السر ، لان يومه وهو الثاني والعشرون من شهر فبراير كان مجتمع الوحدة الشتيتة ومنطلق القوة الكامنة ومنبعث الروح الجديدة . فالاحتفال به كان احتفالا بالوجود الوطني بعد ضياعه ، واتصال المجد العربي بعد انقطاعه . وما كان لعربي صريح النسب الى العروبة ، خالص الدين لله أن ينكر اخاه ويعق وطنه وهو يرى الاستعمار الغربي يتواثب على جوانبه ، والسرطان الصهيوني يتفاقم في احشائه ، فلا يشعر بما شعرت به الشاة الشاردة من القطيع ركبها الغرور والضلال ساعة من الزمن فنسيت ان قرنها الحاد لايقوى على الناب الاعصل ، وان عيشها مقيدة مع الراعي الامين خير من عيشها حرة مع الذئب العادي ، ثم تنبه فيها الوعي الطبيعي فهداها الى طريق السلامة فعادت الى قطيعها لتأمن واتحدت بجماعتها لتقوى .

كذلك تيقظ اخيرا هذا الوعي الطبيعي في كل عربي فوجدت أمته نفسها الضائعة وأدركت وجودها المتميز ، فنهضت تجمع اطرافها وتصل اجزاءها

وتسال عن صلة القربى الواشجة كيف قطعها الدخيل وعن رقعة الوطن المتصلة كيف مزقهـا المستعمر ، وعن هذه الاسماء المتعددة لهذه الامة الواحدة كيف افتعلها الدخلاء والعملاء ايكون لكل اسم منها دخيل في يده اصابع قرد ، ولكل دخيل فيها عميل في اصابعه مخلب قط ، ثم نضج هذا الوعى وقوى حين انضوت مصر وسورية تحت علم واحد ذى نجمين . ثم اتسع هذا الوعى واكتمل حين همت مصر وسوريه والعراق ان تستظل بعلم واحد ذى ثلاثة نجوم ، ثم صار هذا الوعى للوحدة عقيدة حين رغبت الجزائر واليمن ان تضيفا نجميهما الى هـذه النجوم . ثم تجلت قوته وروعته حين اجتمع مؤتمر القمة للرؤسـاء والملوك بالقاهرة فصفت النفوس وصـفت القلوب وادرك الناس ان الحوائل العارضـة التى كانت تحول بين الفرع واصله ، وتفصل بين الجزء وكله ، قد زالت او كادت ، وان الوحدة فى الوطن ستتم وان بعدت فى بعض ارضه الشقة ، وان النجوم الثلاثة عشر ستبزغ فى علمه وان تراكمت فى بعض سـمائها السحب ! .

***

ان الوحدة العربية قائمة بالطبيعة والضرورة . قائمة بالطبيعة لان المشـاركة فى اللغـة والجنس والوطن والتاريخ والمجد والشعور والمصير والامل والالم ترفع هذه الوحدة فوق الخلاف الذى يقوم بين فرد وفرد او بين نظام ونظام او بين قطر وقطر .

وهى قائمة بالضرورة لان الضعف الذى اصابنا من انقسام الراى وتوزع القوة واحتلال الوطن يجعل من فوق الطاقة ومن وراء الامكان ان نقاوم به القوى المسلحة فى العدو المتربص والاستعمار المتحالف ، فكان مما لابد منه ان نعالج هذا الضعف بما عالجت به الطبيعة ضعف النمل والنحل والقردة وهو التكتل والتعاون . وقيام هذه الوحدة ابين واتم فى الشعوب منه فى الدول ، لان الشعوب تنفعل بمخلفات الوراثة والدول تتاثر بموجهات السياسة . وقد تجلى ذلك على اكمله فى اجماع الشعوب العربية على الاحتفال بعيـد الوحدة ، بالعيان او باللســان او بالقلب فشهدت او هنت او تمنت او تظاهرت تبعا للاحوال التى تقتضيها سياستها الداخلية ، فبعضـهم اوذى فى نفسه فصبر ، وبعضهم امتحن فى يقينه فاستعصم

ولقد كان اشـتراك العراق بالحضور الرسـمى فيه ، ومظاهرة الجزائر واليمن بالشـعور القومى عليه ، مظهرا من مظاهر الوحدة الجامعة سيكون له ما بعده فى الزمن القـريب . وما دام رائد الوحدة العظيم يريدها على اى صورة وفى اى لباس فان شـكلها الدسـتورى لا يؤخر تحقيقهـا وان تاخر تحقيقه .

***

ان الوحدة العربية الكاملة الشاملة آتية لا ريب فيها ، فان ينبوعها الذى انبثق من مسجد الرسـول بالمدينة فانعش المهاجرين والانصار بالاخاء والمحبة ، ثم انطلق الى بوادى الجـزيرة فاحياها بالسـلام والمـودة ، ثم مضى مع الدعوة الى سـائر الارض فقواها بالوئام والالفة ، قـد تعترض مجراه الدافق الجنادل الصم ، وتزحم ماءه الصافى الجثث الميتة ولكنه لا يلبث بفضل ما اوتى من قوة الله وسر الوحى ان يفتت الصـخور فتزول ، ويحلل الرمم فتذوب ، ويظل هو يجرى صافيا بين الشعوب والقلوب يحمل اليها الحياة والقوة والخصب . وان زماننا هذا من الازمنة التى عوقته بالجنادل والرمم ، ولكن الابطال الثلاثة الذين اصـطفاهم الله من مصر والعراق والجزائر للقيام عليه والعناية به جديرون بان يرفعوا من طريقه ما سده او صده حتى يبلغ باذن الله مداه ويسبغ على العرب ماحرموه طويلا من فيضه ونداه.

أحمد حسن الزيات

****

مشكلات التثقيف

للدكتور محمد أحمد خلف الله

سأل سائل عن امكانية وضع خطة للتثقيف - خطة خمسية أو عشرية - تشبه تلك التى وضعت للتصنيع ، أو للاسكان ، أو للتنمية الاقتصادية : من حيث الدقة العلمية فى وضع الخطة ، ومن حيث تمثيل الخطة للفلسفة الاجتماعية للدولة ، ومن حيث تحقيقها للاهداف القومية للامة العربية - مع الذهاب الى ان الثقافة لاتقف عند قضايا الفكر وانما تتجاوزها الى ماهو اعمق غورا ، وابعد الراء، الى اسلوب الحياة فى المجتمع ، والى السلوك الاجتماعى الذى يطبع تصرفات الفرد فى ذلك المجتمع ؟

اى مع الذهاب الى ان الثقافة مجموعة من الصفات الخلقية ، والقيم الاجتماعية ، التى تؤثر فى الفرد منذ ولادته ، وتصبح لا شعوريا العلاقة التى تربط سلوكه باسلوب الحياة فى الوسط الذى ولد فيه ، ويعيش فيه ؟

واجاب مجيب : نعم ، ولكن دون ذلك عقبات يجب ان تتخطى ، ومشكلات يجب ان تحل .

ولقد ادرك الرئيس جمال عبد الناصر ، بنافذ بصيرته ، ذلك عندما وضع بيده بذرتين من بذور عمليات التثقيف ، فلقد كان يدرك وهو يضع البذرة ان هناك عقبات يجب ان تتخطى ، وان هناك مشكلات يجب ان تحل .

(أ) كانت البذرة الاولى عندما افتتح العيد الذهبى لجامعة القاهرة فلقد قال يوم ذاك - موجها الخطاب الى مستمعيه من رجال الجامعة ، اساتذة وطلبة - انى جئت لأضع على كاهلكم مسئولية المستقبل .

ان هذه الجملة حين قيلت - لهؤلاء المستمعين بالذات ، لم تقل عفوا ، وانما قصد منها الى تحريك هذا الجهاز الضخم الذى يشمل ملايين السواعد العاملة ، والعقول المفكرة .. تحريكها فى احسن ظروفها الزمنية والانتاجية ، وتوجيهها نحو الهدف المنشود

ان هذا الجهاز الضخم ، حين يتحرك ، مدفوعا بفكرة معينة ، وموجها نحو هدف منشود، يستطيع بحق ان يغير ، وان يحدد من جديد مجرى التاريخ

ان مشكلة المشكلات ، فيما يخص عمليات التثقيف ، انا لانزال نجهل طريقنا نحو غايتنا ، ونعيش فى عمه وضلال بالنسبة الى هذه الغاية .

ان هناك قوى وطاقات لم تستخدم بعد لاننا لم نعرف كيف نكتلها .

وان هناك طاقات وقوى قد ضاعت ولم تحقق هدفها لان هنالك قوى اخرى قد زحمتها - قوى صادرة عن نفس المصدر ، ومتجهة نحو نفس الهدف

يجب ان نعلم ان التخطيط فى مجال التثقيف ليس الا القوة فى الاساس ، والتوافق فى السير ، والوحدة فى الهدف .

ويجب ان نعلم ان التخطيط الثقافي يوجه الانسان نحو فكرة معينة يكتسب منها معنى الجماعة، ومعنى الكفاح فى سبيل هذه الجماعة .

(ب) وكانت البذرة الثانية يوم انشا وزارة الثقافة . فلقد كان يدرك - بنافذ بصيرته - ان التثقيف غير التعليم . وان الخلط بينهما يصيب التثقيف باضرار جسام وانه لا بد من الفصل بينهما حتى يكون لكل جهازه الخاص الذى يخطط ، وينفذ ، ويقوم بعمليات التنمية فى مختلف قطاعات الحياة . ومن هنا انشأ وزارة الثقافة اذ لعلها ان تقوم بوضع خطة علمية دقيقة للتثقيف . وان تقوم بالتنفيذ او متابعة التنفيذ فى مختلف القطاعات .

وانشئت الوزاره ولكن المشكلات ظلت قائمه ، والعقبات لا تزال تحتجز معظم الطريق .

ان الاجهزة الثقافية تعمل بجد ونشاط ، وتعمل فى الليل وفى النهار - ولكن ينقصها . الخطه المحكمه الدقيقة . وينقصها الهدف الواضح البين .

وينقصها ان تدرك فى يقين ان الافكار وحدها لا تكفى فى هذا الميدان . وان التثقيف نظرية فى السلوك وليس نظرية فى المعرفة كما هو التعليم .

ان الثقافه تتدخل فى شئون الفرد ، وفى بناء المجتمع . وتعالج مشكلة القيادة ، كما تعالج مشكلة الجماهير .

وان السلوك الاجتماعى للفرد يخضع لاشياء أعم من المعرفة وأوثق صلة بالشخصية منها بجمع المعلومات — وتلك هى الثقافه .

وان الثقافة لا تضم فى مفهومها الافكار فحسب وانما تضم أشياء أعم من ذلك .

وواجب المخطط الثقافى ان يدرك هذه الحقائق جميعها حتى لاتختلط الأمور فى ذهنه ، وحتى لا يفسد عليه عمله . عليه أن يدرك أن دور الافكار فى التثقيف ليس كل شىء وأن التثقيف غير التعليم قطعا وان التثقيف أهم من التعليم لأنه الحياة أو أسلوب الحياة فى المجتمعات .

وضرب المجيب تلك الأمثلة يوضح بها قوله .

١ — من الملاحظ ان الطلبه الذين يذهبون لتلقى علومهم فى الغرب ، والذين ينتسبون الى أمم مختلفة وشعوب متباينه ، يجلسون الى جانب زملائهم فى الجامعة ، ويتسابقون جميعا فى تحصيل المعرفه وفى نيل الدرجة . وقد يفوز بعضهم على من هو من اهل الدولة التى تقوم فيها الجامعة فيحصل على درجة أعلى وترتيب مرموق . ولكنهم جميعا يختلفون فيما بينهم فى الفاعليه — اى فى التصرف أمام مشكلات الحياة . فقد يبدو ان لكل منهم اسلوبه الخاص فى معالجة المشكلة ، وطريقته الخاصة فى حلها .

ان هذا الاختلاف لا يقوم ابدا على المنهج الدراسى وكمية المعلومات التى يحصلها كل منهم — فهم فى ذلك سواء لانهم ابناء كلية واحدة ، وقد تلقوا التعليم على اساتذة الكلية — وحصلوا من المعلومات على قدر واحد — انما يقوم على شىء واحد هو ثقافة كل منهم — اى اسلوب الحياة فى المجتمع الذى ولد فيه ، وعاش فيه ، واكتسب لا شعوريا قيمه فى الحياة . ان اختلاف اساليب الحياة فى المجتمعات التى ينتسب اليها كل منهم هو الذى يسبب الاختلاف فى السلوك وفى التصرف امام مشكلات الحياة .

٢ — يؤيد هذه النظرة مثال آخر يعتمد فى هذه المرة لا على اختلاف الجنسيات وانما على المستويات فى المعرفة والمعلومات . فطبيب او مهندس وعامل بسيط او مزارع لا يمكن أن يكونا فى نفس المستوى من حيث الدرجات العلمية وكمية المعرفة التى يحصلها كل منهم . ولكنهما أمام مشكلات الحياة — كالحزن والفرح او فى أى موقف انسانى — يسلكان مسلكا واحدا لانهما ينتميان الى ثقافة واحدة .

حين ولى عمر بن الخطاب أمر المسلمين صعد المنبر ، وخطب فى الناس قائلا : « **أيها الناس من رأى منكم فى اعوجاجا فليقومه** » .

وكان الرد على هذه الكلمة ما تفوه به أحد الحاضرين من البدو البسطاء : « **والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا** » .

هذا الحوار الفريد هو الذى يكشف عن طابع الثقافة العربية فى ذلك المجتمع الاسلامى الاول وهو مجتمع اتحدت فيه حركات الفكر ، والعواطف ، ودوافع العمل . مجتمع اتحد فيه شكل السلوك عند الخليفة وعند البدوى البسيط . وليس ذلك الا لان جذور شخصيتهما تغور فى ارض واحدة هى المجال الروحى للثقافة الاسلامية .

ان مشكلة التثقيف لا تقف عند حدود الافكار وانما يجب ان تغوص الى الأرض التى يجب ان تمد فيها الثقافة جذورها — فى أعماق الفرد وفى ذاتيته .

محمد احمد خلف الله

إختبار الدعاه

للشيخ محمد الغزالى

يتطلب تجديد الاسلام نظرة اخرى الى الرجال الذين يحملون علومه ، وينصرون فى الحياة مبادئه، فان الطريقة التى يتكونون بها ، والمستويات التى لايجوزون حدها ، تظلم الاسلام وتقف بنجاحه عند آفاق دانية .

ان الله اختار المبلغين عنه من اكرم البشر عرقا ، والقهم فكرا ، وازكاهم معدنا وارجحهم طاقة . واستنبتهم فى بيئات تحفهم بالاكبار ، وترمقهم بالتجلة وربما عادتهم هذه البيئات بعد ان يبلغوا رسالات ربهم وكرهت اشد الكره مايجيئون به من وحى . بيد ان اشد خصومهم لددا لايستطيع ان يجرح اشخاصهم ، ولا ان يغمز اخلاقهم ، ولا ان يلمح فى سيرتهم الماضية او الحاضرة مايخزيهم به ... ولقد كان ابو سفيان حامل راية الحرب على محمد زمانا طويلا . فلما علم انه تزوج ابنته بعد اسلامها وممات رجلها لم يشعر قط باثارة من غضاضة . بل احس انها صارت الى الرجل الذى يشرفها كنته وتشرفه هو مصاهرته . وقال : هو الفحل لا يجدع انفه ...

وصدور الدعوة الدينية عن رجال تلك مكانتهم الشخصية وضع للامور فى مواضعها فان العظائم كفؤها العظماء .

وتعريف الناس بالله وسياستهم بهداه وفك آصارهم النفسية والاجتماعية بشرعه ذلك كله ينتقى له السادة من البشر . السادة بمواهبهم وكفايتهم . لا بالزعم والدعوى .. ولذلك قال ابن مسعود : لايزال الناس بخير ما اخذوا العلم من اكابرهم . فاذا اخذوه عن اصاغرهم وشرارهم هلكوا ..

والاكابر ليسوا أصحاب الجثث الضخمة ولا الاسنان المتأخرة ولا الثروات العريضة ولا الوظائف المهيبة ..ان الاكابر فى فهم ابن مسعود هم اصحاب الهمم البعيدة والمروءات العالية والعفة الظاهرة والابصار السديدة والافئدة الزاكية .

وقد يكونون امراء او لايكونون . وقد يكونون اغنياء او لايكونون . فتلك اعراض لاتمس قيمهم الخاصة ولا تؤثر فيها علوا او هبوطا .

ومن سلامة الاوضاع الاجتماعية فى الامة انيكون قادتها اولى العلم فيها على اختلاف تخصصهم وخبراتهم فان ذلك يجعل الجماهير لهم تبعا .

ويروى عن عمر بن الخطاب : عامت متى يهلك الناس ؟

اذا جاء الفقه من قبل الصغير استعصي عليه الكبير !!

واذا جاء الفقه من قبل الكبير تابعه الصغير فاهتديا .

والحق انه مما يزرى بالاسلام ان يكون حملة المصحف فيه طوائف مغموصة الشأن وقد جهد الاستعمار — بعد استمكانه من الاقطار الاسلامية — ان يهون من قيمة العلم الدينى والاوعية الحاملة له. وان يجعل الصدارة لالوان اخرى من المعرفة وصنوف اخرى من الناس. تاركا الكلام فى الاسلام والاشتغال بتوجيهاته لاقوام فى مؤخرة الحياة تقذفهم على شروراتها ويقاتلونها على طلب البقاء ... وحسب. ويستحيل ان يصلح الاسلام . او تستقيم اموره ، او يصح عرضه . او يعم نفعه الا اذا عاد التاريخ سيرته الاولى . واصبح رجاله مصنوعين من المعادن التى صنع منها اسلافهم الاوائل نفاسة ومجادة . وتبوءوا فى مجتمعاتهم — بمحض كفاءتهم — اماكن التوجيه والقيادة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الناس معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا »

وقال :

ستاتى على الناس سنوات خداعات يصدق فيها الكاذب . ويكذب الصادق . ويؤتمن فيها

الخائن ... ويخون الامين . وينطق فيها الرويبضة فى أمور العامة .

قيل : وما الرويبضة ؟

قال : الرجل التافه .

واستطاعة التافهين أن يوجهوا الجماهير مصيبة

واشد منها وأفدح أن ينحصر التوجيه الدينى — بفعل الاستعمار — فى طوائف لامكان لها فى الحياة. ولا فى الانفس . اذا قالت لم يسمع منها . ولم يلتفت اليها . او يكفى أن يستمع اليها العوام التائهون . وان يستفتوهم فى شئون تكون اولا تكون . اما القضايا الكبرى للحياة فان زمامها بايد اخرى وافكار اخرى ...

هناك فرق بين ذينك العنوانين — رجال الاسلام . وعلماء الاسلام !! فرجال الاسلام كل عامل فى حقل من حقوله . كل قائم على ثغرة من ثغره . كل مشتغل القلب واللب بخدمته ونصرته فى اى ميدان وقفه القدر فيه وهيأته مواهبه له . وبديهى ان يكون ادى هؤلاء نصاب من المعرفة الدينية يكفيهم فى مرضاة الله واتقاء محارمه ولا يعنيهم ان يتزيدوا من فنون الثقافات الدينية الكثيرة فذاك شأن له رجاله ورجاله . اما علماء الاسلام فقوم متخصصون فى العلوم الدينية ووسائل غرسها فى المجتمعات مستبحرون فى اصولها وادلتها وطرق الدفاع عنها ...

والحاجة الى ذلك التخصص العلمى لا تنقطع فى عصر من العصور لان هؤلاء هم الذين يتوفرون على تنشئة الاجيال الجديدة ويوصلون هدايات الله الى كل ناحية تحتاج اليها .

هم الذين يصنعون النفوس ويرسمون الاهداف ويقومون مقام الانبياء فى التزكية والتقويم وبيان الحلال والحرام ويتعهدون سير القافلة حتى تبقى اواصرها بالسماء متينة .

فيذكرونها اذا نسيت . ويقوونها اذا وهنت ...

ومن هؤلاء العلماء من يعدو مرتبة التعليم النظرى الى مرتبة الكفاح السياسي والقيادة الاجتماعية فيصير من رجالات الاسلام الكبار .

والواقع أن الاعلام من ائمة الفقه الدينى لم يبلغوا مكانتهم المرموقة بالدراسات النظرية المجردة — على جلالة ما ادوا فيها — وانما بلغوا هذه المكانة بصدق اخلاصهم فى خدمة الاسلام عن طريق الاصلاح العلم والنصح للامة وارشاد حكامها والزامهم حدود الله ماوسعهم الجهد .

ولم يكن احد هؤلاء يرى نفسه بنة دون امراء المؤمنين او امراء الاجناد فضلا عن رجال السياسة من الوزراء واضرابهم !!

ولم تكن الأمة ترى فيهم مايحطهم عن هذه المكانة. بل قد تراهم ارفع قدرا واجمل عقبى !!

اعجبنى فى وصف جمال الدين الافغانى قول الاستاذ ضياء الدين الريس :

كان متأثرا بالامام الغزالى . يعد نفسه احد تلاميذه فى نزعته الصوفية العلمية . وكانت قوته تصدر عن ايمانه بنفسه وثقته بمبادئه واعتداده بشخصه الى حد انه يرى نفسه كفاء للشاه ناصر الدين . او السلطان عبد الحميد حينما يحدثهما . بل يرى نفسه اكبر منهما !!

ايده فى هذا كله جنان جرىء . وفهم عميق للثقافة الاسلامية ويقين ثابت فى مستقبل الاسلام .

ولماذا يكون جمال الدين اقل من الشاه او السلطان ؟

بل لماذا لايكون ارجح كفة منهما فى موازين الحقائق النفسية والكفايات الذاتية ؟ ان هذا او ذاك جاءته قيادة المسلمين ارثا فى مجتمع تفاوتت فيه الفرص . وسادته فوضى التقديم والتاخير فاذا برز رجل بخصائصه العقلية والنفسية الغلابة. واراد استنقاذ المسلمين من هذا العوج فلن يضع فى حسابه ابدا انه امام وثنية سياسية تستحق الانحناء !! ولو كانت حظوظ المسلمين ارفع واشرف لكان جمال الدين حاكما يعان . بدل ان يكون مصلحا يطارد . وعالما يقتدى به بدل ان يكون امرءا يرده هذا ويصده ذاك ...

على ان اعداء الاسلام مازالوا يعكرون المنابع التى يسيل منها تيار الدين حتى اصبحت قراءة المصحف حرفة متسولين ووظيفة متأكلين .

ثم مضوا فى كيدهم حتى جعلوا الطبقات العليا

والمتوسطة تأنف من الحاق اولادها بالتعليم الديني ـ الا من عصم الله ـ لان خريجيه حرمت عليهم المناصب الكبرى بل حرمت عليهم الرواتب الكافلة للكرامة الصائنة للوجوه ...

وغرض الاستعمار من ذلك الحاق الهوان بالدين نفسه لانه سيذل بذلة اهله . وكتابة الصغار عليهم .

قال سفيان الثورى :

كان العلم فى العرب . فى سادات الناس . واذا خرج منهم وصار الى السفلة تغير الدين . وقد كان يتغير وجهه اذا راى النبط يكتبون العلم ..

وقال مكحول : تفقه الرعاع والسفلة فساد الدين ..

وهذه الكلمات تحتاج الى بيان . فان الاسلام لا يقر بين الناس نظام الطبقات ويرفض رفضا حاسما ان يوصف البعض بانهم سوقة . والبعض الآخر بانهم سادة .

واذا كانت هناك دركات للضعة ودرجات للرفعة فهى فى الاقبال على هذا القرآن او الصدود عنه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ان الله يرفع بهذا الكتاب اقواما ويضع آخرين»

والآثار السابقة تستنكر وضعا لايزال سائدا الى اليوم فان توجيه اولى الذكاء والقدرة والوسامة والتفوق الى خدمة الفنون المدنية وتوجيه من عداهم الى خدمة الدين . وعرض الدعوة الاسلامية شيء لايليق .

وجامعة الازهر تاخذ الناجحين الاوائل لكلية المعاملات والادارة وترمى بالمتاخرين الى الشريعة . والدعوة .

بل ان جامعة الازهر كلها لايتوجه اليها الا من يئس من الالتحاق باحدى الجامعات الاخرى .

والمجتمع الاسلامى لا ينشىء قادته فى الفقه والخلق والدعوة والتربية بهذا الاسلوب ويوم يخص التعليم المدنى بالكفايات . ويرمى التعليم الدينى بالتفايات فالويل للدين ومستقبله .

ان تعليم الدين يحتاج الى عقل فيلسوف ، وعاطفة اديب ، ودقة مشرع ، وشجاعة فارس وبر والد ، وايناس صديق .

ومن ذا الذى يصلح للخلافة عن المرسلين فى اداء وظائفهم ، وتمهيد طرقهم ، وايضاح غاياتهم ان لم تكن النخب الممتازة والخلاصات المختارة ؟

وايا ماكان الامر ، فان القرآن ، وهو كتاب العربية الاوحد ، ونسق بلاغتها الاسمى لا يمكن ان يتجاوب مع معانيه واهدافه الا رجل اديب شاعر الفؤاد وان لم يقل الشعر ، طلق العبارة وان لم يزور القول ، يتذوق الجمال الادبى ، ويقول مثل ما قال صاحب الرسالة « ان من البيان لسحرا » .

اما البكم الذين يظلم القرطاس بكلماتهم ، ويغيض الرونق من عباراتهم فما لهم وللكلام فى الاسلام ؟

والقرآن وحى يفطم النفوس عن الهوى ،ويسوق الامم الى الحق ، ويسرد قصص الاولين ، ويصف مشاهد الجزاء الاخروى كى يخلق انسانا على حظوظ وفيرة من التربية والسمو ، فليس يصلح لخدمته عبيد الشهوات من اصحاب العزم الفاتر،والاشتهاء الفائر، وانما يصطفى له اولو الشرف فى سيرتهم ومعاملاتهم .

والقرآن كتاب تشريع يحارب الجريمة فى المجتمع، ويرسل الاحكام صارمة لاجتثاث جذورها ، واشاعة الرهبة فى افئدة المائلين اليها وهو يضبط العقود بين شتى الاطراف حتى لا يضيع حق ، ولا تفلت مصلحة ، ثم يمزج بين هذه التوجيهات القانونية وبين ماينشره لبنى آدم من عودة الى الله وتوبة نصوح اذا اخطئوا .

ومن ثم لا يصلح لدراسة احكامه وتطبيقها الا عارفون باسرار التشريع واقفون على طبائع الخلق وعلى الجماعات .

اما الاجلاف السطحيون فهيهات ان يقيموا احكام السماء ، او يصلحوا بها عوج الخلائق . والقرآن دعوة عامة ، تجابه دعوات مضادة ، وتلقى خصوما للحقيقة مايخلو منهم جيل ، وتلقى كذلك اقواما استكانوا الى ماورثوا من عقائد ومذاهب ، ماتكشف لهم عوارها ، ولا بان لهم بطلانها . والدعاة الى الله اذا لم يجمعوا بين عمق العلم ولباقة التصرف فهم فاشلون يقينا ان انصبتهم من العام بالدين والدنيا يجب أن تكون ضخمة .

ثم ليس كل انسان يصلح بخلقه وسمته للسفارة عند الآخرين ، ولا لاستلانة المعاندين . لابد من استعداد شخصي يجعل صاحبه شجاعا فى مواطن الجراءة ، رفيقا فى مواطن التلطف ...

والغريب ان اقسام الدعوة فى الجامع الازهر الشريف ، ثم فى جامعة الازهر لم تكن تضم الا من زهد فيهم الازهر نفسه .

لكى يتجدد الاسلام وتشرق من جديد شمسه ينبغى ان تصطفى له كفايات فارعة تصلح لابلاغ رسالته ، وخدمة عقيدته وشريعته .

اما ان يكون العلم بالدين حرفة يأنف الوزراء ، والكبراء ، واصحاب الصدارة فى المجتمع من الحاق اولادهم بها ، فتلك حالة خلقها الاستعمار الصليبى لبلاد الشرق الاسلامى ، ثم استبقاها بما غرس من تقاليد غريبة بلا شك على الامة الاسلامية فى شتى اعصارها . لقد كان تعلم الاسلام ، والبروز فيه شرفا للخاصة ، وتاجا اسنى من تيجان الملوك ، فكيف يتحول العلم بالدين الى حرفة فقراء ؟

وكيف يزدرى النابغون فيه . وتؤخر مكانتهم مهما استحقوا من اعظام ؟

ان الاستعمار كما اشرنا هو الذى صنع بالازهر — القديم — ما صنع .

لنقرأ العبارة الآتية من تقرير **اللورد لويد — المندوب السامى البريطانى السابق فى مصر — فى كتابه (مصر فى عهد كرومر) .**

« ان اهمية الازهر — بوصفه مركزا من مراكز الدعاية المعادية لبريطانيا — كبيرة متعددة الامكانيات .

هذا ما يصف به الازهر احد دعاة الاستعمار لتاييد مآربهم . وترتب على ذلك نمو روح المعارضة الشديدة لسيطرة الانجليز على التعليم » .

وهذا ما يصف به الازهر احد دعاة الاستعمار فكان لابد للاستعمار ان ينال منه . وكان لابد ان يعوقه عن تادية رسالته . ولابد ان يحاول هدمه .

ولكن فى اية صورة ؟

لندع اللورد لويد نفسه يقص علينا الاسلوب الذى يجب ان يتخذ لتعويق الازهر او لهدمه .

يقول — فى المصدر السابق — :

ان التعليم الوطنى — عند ما قدم الانجليز الى مصر — كان فى قبضة الجامعة الازهرية الشديدة التمسك بالدين . والتى كانت اساليبها الجافة القديمة تقف حاجزا فى طريق اى اصلاح تعليمى .

وكان الطلبة الذين يتخرجون فى هذه الجامعة يحملون معهم قدرا عظيما من غرور التعصب الدينى . ولا يصيبون الا قدرا ضئيلا جدا من مرونة التفكير والتقدير .

فلو امكن تطوير الازهر عن طريق حركة تنبعث من داخله هو لكانت هذه خطوة جليلة الخطر .

فليس من اليسير ان نتصور اى تقدم طالما ظل الازهر متمسكا باساليبه الجامدة ولكن اذا بدا مثل هذا الامل غير متيسر تحقيقه . فحينئذ يصبح الامل محصورا فى اصلاح التعليم المدنى الذى ينافس الازهر حتى يتاح له الانتشار والنجاح وعند ذلك سوف يجد الازهر نفسه امام احد امرين :

فاما ان يتطور . واما ان يموت ويختفى .

على ان الخطة الاولى — التى تقوم على اصلاح الازهر من داخله — لها نتيجة عظيمة الاهمية والفائدة . وان لم تكن نتيجة مباشرة .

— فى اللقاء مع المستعمر الغربى — وهى انها تؤدى بالتدريج الى اختفاء التعصب الدينى الذى اخر تقدم مصر زمنا طويلا !!

اما الخطة الثانية — وهى اصلاح التعليم المدنى — فان تاثيرها المباشر (فى اللقاء مع الاستعمار) اقوى فى ايجاد ما نحن فى اشد الحاجة اليه من اقامة العلائق الانجليزية المصرية على اساس من التفاهم والتعاطف المتبادل .

هكذا رسم الانجليز خطتهم ايام الاحتلال السافر والمقنع وصابروا الزمن لتنفيذها فى اناة ودهاء .

ولعل هذا التقرير . وما تضمنه من معان ذات بال يكشف الكثير من نيات الاستعما تجاه الاسلام ودعاته .

محمد الغزالى

الحـــلاق

بقلم : الدكتورة نعمات أحمد فؤاد

من المهن التي غدا لها شأن اليوم مهنة التجميل فعند الحلاق (الكوافير) نماذج كثيرة .. فسيدة تغسل شعرها .. وسيدة تفرده .. وسيدة تصففه .. وسيدة تصبغه .. وسيدة تقصه .. وسيدة تطيله بالاقتباس فتضيف الى رأسها ضفيرة من شعر مستعار .. وسيدة تفعل هذا كله مجتمعا أو أغلبه . تحدثت الى سيدة في الساعة الثامنة صباح ذات يوم فوجدتها قد ذهبت الى الحلاق مغتنمة هدوء الزحام عنده في بكرة الصباح .

وهذه السيدة شعرها جميل من عند الله.. شعرها فاحم مخمل قيم كالقطيفة السوداء وسرحت .. وتعجبت بيني وبين نفسي .. لماذا ؟ انها تصبغه باللون الأصفر وما درت أن سمرته الخمرية تحلو في « الليل » .. ناسية وزر الأكسجين ومواد الصبغة الأخرى على الشعر لاسيما حين تكون له مندوحة عنها ..

وفي الخامسة من مساء ذلك اليوم طلبت السيدة مرة أخرى فاذا .. بالجواب لم يتغير . لقد اتصلت ببيتها لتوها لتبشر بقرب عودتها من عند الحلاق !! يا الهي لم تغادر بعد .. هل أزمعت الاقامة الدائمة هناك ؟ ولكني حين تفحصتها وجدتها قد تغيرت وتبدلت فالشعر اصفر كما أرادت والحواجب مزججة والأظافر مطلية و ... كثير من وسائل التطرية.. ولكنها بعد هذه التحسينات أو المحسنات ، .. والاضافات لم تزد في عيني بل لعلها راقتني على سجيتها أكثر .. كانت صنعة الله أجمل وأرق .. على كل حال انها حرة فيما تريد لنفسها أو تريدها عليه ولكن الذي قفز الى ذهني في تلك اللحظة ولا يزال عالقا بها هو ! الوقت .. كيف أمضت يوما كاملا عند الحلاق ؟؟ كيف !! .

وأخرى تحب محل الحلاق نادي القصة فتدخل ومعها مجموعة من قصص حياتها لتفرغها في سمع اقرب جارة في المرآة أو في ركن الانتظار أو لتلقى بها بين يدي الحلاق نفسه .. وتظل تثرثر وهي تلوك اللادن وكأن فمها صنبور بلا (جلدة) فهي (حنفية) متدفقة بلا توقف ..

وأخرى تتمتع بشعر جميل طيع تستطيع أن تصففه بنفسها في سهولة ولكنها تذهب أيضا الى الحلاق ..

انه نوع من الشعور بالترف .. بالراحة بتسخير الغير .. انه مظهر دلال .. ولذة الانفاق عند بعض الناس وكأنهم موكلون باثبات حقيقة المثل القائل (اذا اشتريت مالا تحتاج اليه بعت ماتحتاج اليه) .. وقد يكون عن شعور بالفراغ .. فراغ الوقت والنفس .. وقد يكون تغطية لقلق وتزجية لوقت لا يجد ما يملاه ... مسكينة لو درت وضوحا وكأنها تتحداها ... مسكينة لو درت لحاولت التعويض بنضج العقل ومتعة الحديث وعمق التفكير ووسامة الشخصية .

وسيدة تذهب الى الحلاق ولاء لتطورات (الموضة) فهي تغير لون شعرها كما تغير لون ثوبها أو تفصيله .. طفولة ألوان .. بعض الناس طفل أمام كل بويق . .وقد تكون المسألة شيئا آخر أعني عمى ألوان فيحدث كثيرا أن تختار سيدة لشعرها لونا لا يتلاءم مع لون بشرتها ولكنها لا ترى .. لا تفطن .. ان كل الذي يعنيها هو (التغيير) .. تغيير من الخارج فحسب ..

وعند الحلاق تجرى عملية مسخ في الطبائع والخصائص فالحلاق من طول اختلاطه بالنساء تغلب عليه الكثير من لازماتهن في الحديث والتصرف والمرأة المشهورة بالحرص تعتريها موجة سفه عند الحلاق فتنفق باليمين وبالشمال ما بين أجور ومنح سخية قد تضن بنذر منها على بائع متجول القرش عنده معناه الطعام وغاية المطاف .

وكل ما يهدر عند الحلاق من وقت ومال يذكرني بالدعوة الجديدة الى عودة المرأة الى البيت سواء هنا أم في الخارج ويشهد واقع الحال أن المرأة العاملة التي تتمرس بالمسئولية وتقدر الكفاح في سبيل لقمة العيش وكسب المال تضن بوقتها ـ لو

تبقى لديها وقت ـ أن تنفقه عند الحلاق الا ما دعت اليه ضرورة المظهر لأنها تلتقي بالناس وتتعامل معهم وهي تضن بالمال أن يبعثر في غير ما شرع له فهي تنفق بحساب وتتصرف بحساب ⋅⋅ كل شيء عندها بقدر ⋅⋅ وهي بعد هذا مرهقة وتعلقها بالبيت اكبر لغيابها عنه صدر اليوم ⋅⋅ أما المتفرغات لأنفسهن فهن يتفقن جهد الغير وماله !! ... انا لا انكر على المرأة أن تتجمل عاملة أو غير عاملة فان رواج مهنة التجميل تؤكد أصالة حب المراة .. للجمال وشدة أسره لها وأثره عليهـا ⋅⋅⋅ ولن يباعد بينها وبين الحلاق حق العلم أو المنصب ان المرأة هي المرأة ⋅⋅ الجمال عندها كسب كبير من حق المرأة أن تعتني بمظهرها ⋅⋅ بجمـالها ولـكن حين تغـدو المسألة تضييعا للوقت وملهاة فان الحكم يختلف ⋅

كانت المـــرأة في عهدها الاول تتزين في بيتها لبيتها فلما خرجت من البيت خرجت الزينة معهـا وانقلبت الأوضاع فتركت اختصاصاتها للرجل حين تعلقت نفسها وهواها وكبتها الطويل باختصـاصاته هو ⋅⋅ ويبدو ان الطرفين قد رضيا التبادل تماما فأصبح الحلاق مثلا يعنى بالشـــعر بل بالوجه واليدين والرجلين من مانيكير وبديكير حتى آخـر القائمة الطريفة ⋅⋅

واشهد ان الرجل فنان وذكي معا فهو يعرف ان حواء يستهويها التغيير والتحوير والتبديل والتجديد والمباهاة والتقليد فهو يبتدع لها كل يوم في ثيابها وزينتها وتسريحتها (موضة) جديدة وكم له في هذا المجال من أسماء يخلعها على الأشياء والصور ⋅⋅ والحـــلاق بين هؤلاء (المخترعين) له باع طويل فتسريحاته تحمل من الأسماء طرائف شتى فتسريحة (شـــنيون) وتسريحة (البجعـــة) وتسريحة (كليوباتره) وتسريحة (قرح ديبـــا) وتسريحة (التويست) ⋅

وعبثا يحاول المجمع اللغوي ملاحقة الحلاق في هذه الأسماء فان معجم الحضارة لم يخص بالذكر الا الشعر **المزوفن** اي البوكليه **والزوافين** اي البوكل، **والجدائل والخصـــائص** اي الشـــعر المضفور وغير المضـــفور **والعقـــائص** اي الشـــنيون ، وادوات التطريف اي ادوات المانيكير **والمطرف** اي المانيكور **والدهان** اي الكريم **والنضاحة** اي السـبراي .. وحتى هذه الاسماء التي قدمها معجم الحضـــارة الى الحـــلاق ، لا احسب انه سيتنازل ويستعملها فان وقته الثمين لا يتسع للـكشـف في المعـــاجم والقـــواميس فضـــلا عن أن عميـــلاته المتطرفات المترفقات سوف يفزعن ان لم يصبن باغماء ، اذا انبأهن انه سيقوم لهن بعمل **(زوافين)** أو (عقيصة) ⋅

ويلجأ الحلاق الى طريقة أخـرى غير أســـماء التسريحـــات ليروع ويبهر فيقسم عملـه وكأنه فيلسوف يصنف الأشـــياء ، تقسيمات كثيرة فتمر التسريحة بمراحل متعددة طويلة تنافس مراحـــل التعليم ، فغسيل وحمام زيت ولف وتجفيف ونشر (وهذا بالطبع غير اللف والنشر المعروفين في البلاغة) وتثبيت ⋅ ومن ذكاء الحلاق انه لا يتواضع في هذا المجال فيسمي الاشياء باسمائها البسيطة المألوفة بل ينطقها في صوتهـــا الاجنبي وان كان اميا ، ليهول من شأنها في سمع غير العارف ، فمراحـــل التسريحة التي أشرت اليها يدعوها الحلاق (بانديو) (وميـــزانبليه) و (سشـــوار) و (كريباج) و (سبراي) ⋅⋅ واريد ان اقف قليلا عند الأخير اي الـ (ســـبراي) هـــذا ⋅⋅ انه اولا مادة لزجة لحوح تمسك التسريحة في اصرار فلا تدعها تتحلل من قيودها ⋅⋅ وهذا الـ (سبراي) أنواع منه العادي ومنه ما يعطي انعكاسات ملونة للشـــعر او للجزء العلوي منه على الاقل فهو احيانا يعطي لونا ذهبيا واحيانا لونا احمر واحيانا لونا فضيا ⋅⋅⋅⋅ ومن فنون الحلاق في هذه الايام انه يرسم على شعور المليحات بـ (البرونز) وهــو رذاذ فضي براق ـ نجوما او اهلة او ماشاء الجمال ⋅

ومن الطريف ان الرجـــل الذي خلق الحلاق من أجله في الأصـــل ، يعد الذهاب اليه ضرورة وواجبا ثقيلا وهو ينفس عن ضيقه منه بالسخرية من الحلاق والتندر عليه ونعته التقليدي له بالبرود والثرثرة ⋅⋅ هذا حين تعد المرأة الذهاب الى الحلاق متعة لاذة ⋅⋅ بل تتهافت عليهـــا أحيانا كثيرة !! ⋅⋅⋅ وكم في الحياة من مفارقات ⋅⋅

دكتورة
نعمات أحمد فؤاد

مسرحية يا طالع الشجرة

دكتور أحمد كمال زكى

انا احس ان توفيق الحكيم عندما شرع يكتب « ياطالع الشجرة » وسوفوكليس ويوريبديس الى **بيرانديلو وانوى ويونسكو . وادرك انه فيما كتب قبل كان دائما يستوحي الميثولوجيا ليجد فيها ـ مثل مايجد فى المعرفة العلمية تماما ـ تفسيرا لما يثير من قضايا تدور حول موقف الانسان من الكون .**

ولم يكن يعدم النظر فى اساطير بلده ، كذلك لم يكف عن التعامل برموزها المختلفة . واستطاع فى اغلب الاحيان عن طريقها ان يبلور ازمته ـ التى هى ازمة انسان العصر ـ على نحو يؤذن دائما بالصدام بين ماهو واقع وما هو حقيقة .. بين مايتحكم فيه المنطق الموضوعى ومايرفضه منطقه الداخلى !

وقد وقع الصدام فعلا فى « ياطالع الشجرة » وظهر توفيق الحكيم فيها ـ وهو يستعين بالفولكلور ـ انه يريد أن يعرف معنى الحياة ، أو معناه هو كذات تبدو كما لو كانت تعيش عبثا وتعمل عبثا .. كما ظهر فى الوقت نفسه انه لم يكن يطمع فى ان تمده الأساطير القديمة بشىء ذى بال لان كل ما فيها رآه يصور مأساة البطل الذى يهزمه الكون ، وهو يريد تصوير مأساة البطل الذى يهزم الكون من أجل ان يعرف سر الوجود ، ويكشف عن تناقض الحياة ولا سيما فى علاقة الروح بالمادة .

اجل ، انتقل توفيق الحكيم فى تصوره للمأساة من مرحلة الى مرحلة ، وكان من الضرورى تبعا لذلك ان تتغير رموزه وتتغير اداؤه . اختار التراث الشعبى ، أو وجد فى هذا التراث كل ما تصور ان العلم لم يقل فيه كلمة جازمة ، قال فى مقدمة كتابه « احب ان أرى وأن استخرج كما حدث عندى فى شهرزاد من فننا الشعبى اساسا فكريا ، حتى عندما لا يريد الفن الشعبى ان يقول شيئا ، بل وعلى الأخص عندما لا يريد أن يقول شيئا ».

وعندما استبطن اعماقه وربطها بتيارات الباطن الجماعى جامعا بين الواقعية الفكرية واللاواقعية الشعبية ، انتهى الى ما انتهى اليه من سميناهم بأعداء المسرح ـ وسماهم هو بأصحاب المسرح الجديد فى تحرره من الواقعية ـ وذلك ان طابع اللامعقول فى كل شىء . واللامعقول هو المحال اوما لايصح فى المنطق الأرسطى ، وليس هو الجنون ولا الهذيان ؛ فهو حقيقة وان تكن مخالفة لما هو مألوف وعادى .

ومن الظواهر اللافتة ان توفيق الحكيم وقد ضرب بعرض الحائط كل قواعد المسرح التقليدى باعتباره لا يريد محاكاة الطبيعة ولا الواقع المنظور ـ لم يتحلل التحليل الكامل من الكيان الموضوعى للأشياء ، وظل مرتبطا به حتى فى أشد لحظات التناقض حدة وشدة . بل اعتبر هذا التناقض حالا من احوال الوجود الممكنة ، ومن ثم وصل الى آفاق حيوية جديدة يجد المرء فيها مجالا لنشاطه وتامله .

ولست ادرى الى اى حد يتفق مع يونسكو وبيكيت وآداموف ، هؤلاء الذين يدعون الى التناقض وحده ـ لأن الوجود فى جوهره بلا منطق ـ ولكنى أرى انه انتهى فى « **ياطالع الشجرة » الى بعض ما يؤمنون به ، وهو ان ابراز العالم الباطن يخلط بالضرورة بين الواقع والخيال لتكون الحقيقة فقط!**

ويمكن على ضوء هذه المسلمة ان نضيف ان توفيق الحكيم ـ الذى يستلهم المنبع الشعبى فى اطار موضوع عصرى ليقدم التفسيرات الحقيقية لكيان العالم الموضوعى ـ لا يعتمد فحسب على حركات الممثلين وحدهم فيهمل الموضوع بحجة ان الحوار يقوم ببسط أطراف القضية ـ وهذا ما فعله يونسكو ـ وانما يعتمد ايضا على ايجاد علاقات تركيبية بين أشخاص المسرحية ومواقفهم وأزمتهم وأصواتهم بحيث يتداخل كل هذا فى كل هذا كما يقول الفلاسفة . ولعل ذلك كان يوحى اليه بحل ما لمشكلة الروح والمادة التى طالما شغلته ، اذ استطاع فى آخر الأمر ان يلغى الفاصل بينهما .

ويكفينا هذا القدر من التمهيد لندخل الى المسرحية ذاتها . فنرى أول ما نرى انها قسمت

قسمين بلا فصول وبلا التزام بأى بعد زمنى ولا مكانى . ونحس من هنا ان توفيق اكد بالتطبيق العملى ـ الذى نادى به فى المقدمة ـ ان المنهج القديم للمسرحية لم يعد مناسبا للحقيقة التى يرصدها ، وان هذا يحتم الا يكون هناك حادث معين ولا صراع يشبه الصراع الذى نعهده فى المسرحيات التقليدية . ونلحظ بعد قليل من قراءتنا أن ثمة رفضا لتسلسل الافكار ـ وذلك لاهتزاز الخط بين الحلم والواقع ـ مما يترتب عليه الا يكون هناك صلة ظاهرة تجمع بين الاشياء ، بل ان اى شىء من هذه الاشياء ليس أكثر احتمالا من غيره .

وفى القسم الأول نرى دارا ذات حديقة صغيرة فيها شجرة برتقال تقيم تحتها سحلية ، ولقد فتن بمراقبة تلك السحلية « بهادر » مفتش القطار المتقاعد فتنته بمراقبة أن تثمر الشجرة ، وفى الوقت نفسه كانت « بهانة » زوجته وهى فى الخمسين من عمرها مفتونة بحلم أن تضع بنتا تسميها بهية . ونحن لا نرى هذه المرأة فى اول الأمر لأنها كانت قد خرجت لتشترى خيطا أخضر لثوب بهية المنتظرة ، ولم تعد ! ومن حديث المحقق مع الخادمة نعرف أنها كانت قبل أن يعقد عليها بهادر زوجا لرجل آخر شاء فقره أن يجهضها قبل أن يموت منذ اربعين عاما ، وانها كانت تبدو للخادمة متفاهمة مع بهادر برغم أنهما كانا متباعدين . وبطريقة الاستدعاء نرى مع المحقق صفحات من حياة الزوجين ، فبهادر ينتظر السحلية ـ وقد سماها الشيخة خضرة ـ ويتساءل عما يسقط البرتقال عن فروعه ، وتجيبه بهانة اجابات تعنى بها بهية ولا تعنى شيئا آخر . وينتهيان الى أن النمو المطرد ضمان لبقاء الثمر ، ومن ثمة فهو يرى أن السماد الجيد ضرورى ، وترى هى أن الغذاء ضرورى . وبهذا الغذاء كان من الممكن أن تعيش بهية التى اجهضت بها ، ومن الممكن أن تعيش بهية التى لم تخلق بعد ، فترفل فى ثوبها الأخضر الذى تنسجه بيدها . ولكن الزوج عندما يرافقها تكون الشيخة خضرة فى مخيلته ، وهكذا !

ويمثل بهادر امام المحقق بعد ذلك ، وعندما يواجهه بالأسئلة نعلم ان الشيخة خضرة اختفت باختفاء بهانة ، وانه حزين ودهش . وبتداخل الأزمنة والأمكنة يتجه حديث الرجل الى السحلية فى حين ان أسئلة المحقق تنصب على « حالة » بهانة ، وينتهى الأمر باتهامه انه قتل زوجته واخفى جثتها تحت الشجرة ، لأنه اشار فى حديثه الى امكان أن تصبح جثة الآدمى سمادا للشجرة من نوع جيد . ويحاول بهادر ان ينفى عنه التهمة مؤكدا أن المحقق لا يفهمه او هو يفهم ما يراه مفهوما له ، وفضلا عن ذلك فانه لا يستطيع ان يعطيه اجابات محددة عن اسئلته المحددة .

وبتشعب الحدث ثم فى حركة مهد لها التمهيد الذهنى الكافى نرى بهادر فى زيه المصلحى يحاسب مساعده حسابا عسيرا **يتخلله صفير القطار وصياح تلاميذ مدرسة ابتدائية فى الدرجة الثالثة .**

يا طالع الشجرة

هات لى معك بقرة

ويعلم من المساعد أن أحد الدراويش امتنع عن تقديم تذكرته له ، فلما جىء به كشف التحقيق معه عن سر خطير ، هو تفكيره فى سماد آدمى يصلح غذاء للشجرة بحيث تطرح البرتقال فى الشتاء ، والمشمش فى الربيع ، والتين فى الصيف ، والرمان فى الخريف . وكان هذا بمثابة نبوءة بقتل بهانة ، أو اشارة الى المحقق بأنه قتلها . وهنا يتأكد الاتهام ويساق بهادر الى مخفر الشرطة ، على أن يحفر تحت الشجرة فورا .

وفى القسم الثانى يتم الحفر حول الشجرة ، ثم تظهر الزوجة لا من تحت التراب وانما من الخارج . فلا يملك المحقق الا أن يأمر باطلاق سراح بهادر فيأتى الى بيته ليصافح زوجته ، وفجأة يقع بصره على الحديقة فيرى الشيخة خضرة فيتساءل أين كانت اذ لابد أن مكانا ما أواها ، تماما كما أوى أى مكان زوجته طول أيام غيبتها الثلاثة . ويعن له أن يسأل بهانة عن هذا المكان فلا تجيبه ، ويلح بالأسئلة عليها فلا تخرج اجابتها عن لا ، فيستشيط غضبا ويحدث التصادم ، اذ يطبق بيديه على عنقها ولا يتركها الا وقد لفظت أنفاس الحياة .

يفكر بهادر على التو فى تسليم نفسه للشرطة ولكن المحقق ـ بفهمه الخاص ـ لا يعتبر أن بهانة قتلت ، وانما هى عادت الى الاختفاء كالمرة السابقة تماما . وعندما يشرع فى دفن الجثة تحت الشجرة يفاجأ بشيئين : أولهما ظهور الدرويش من لا مكانه ليؤكد أنه عارف بكل شىء ، وأن القانون لن يأخذه لأن قضيته ـ فى سبيل انتفاع الناس بأثمار الشجرة طوال العام ـ ستحفظ للمنفعة العامة ، هذا هو

الشيء الأول ، وأما الثاني فهو اكتشافه أن جثة زوجته اختفت ، وأن جسم الشيخة خضرة الذى فارقته الحياة كان ملقى فى الحفرة التى أمر المحقق بحفرها ·

وهكذا يكون الختام ، وقد أنهاه المؤلف بالاغنية التى كانت بهانة ترددها « برجلاتك برجلاتك » وبصفير القطار ، وبنشيد تلاميذ الرحلة المدرسية :

يا طالع الشجرة

هات لى معك بقرة

هذه هى خلاصة المسرحية ، وقد حرصت على أن أودع تلك الخلاصة أغلب حركاتها ، ومعظم ما فيها من تداخل ومن شتى محاولات لقصر الزمن — بأبعاده الثلاثة — على بعد واحد كأسلوب جديد فى التعبير الدرامى ·

ونلحظ بادي ذى بدء تسلط الحيرة على شخوص المسرحية ، وقد كان بهادر — وهو الحكيم من غير شك — فى مقدمة هذه الشخوص سخطا على تلك الحيرة ، واستطاع فى آخر الأمر أن يبقى لها وحده متطلعا الى ميلاد جديد ، أو قل استطاع ان يبقى متحديا العالم بجريمة ارتكبها ·

ونستطيع ان نرصد الكثير لأسباب تلك الحيرة ، غير أننا نرى أن أهم سبب هو أن الناس لا يتفاهمون حول علاقاتهم فى وجهيها المادى والروحى ، حتى لكأن كل فرد منهم له عالمه · فبهادر له شجرته وسحليته ، ويستنيم الى نبوءة الدرويش — ولعله اللاشعور عنده — فيحلم باخصاب غريب ، ويسمع مع صفير القطار — ولعله قطار الزمن — انشودة البقرة · وبهانة لها بيتها وخيطها الذى اعتادت أن تخرج لشرائه ، وتحلم برؤيا واضحة — ولكن غير مؤكدة — هى أن تنجب بهية ، فأنشودتها المفضلة « برجلاتك برجلاتك » · وهى اذا حادثت زوجها اجابها عن رؤياه ورؤيته فتظن انها تتفاهم معه ، وزوجها عندما يخاطبها يحسب انه يشاركها ما يجول فى ذهنها · كلاهما فى الحقيقة بعيد عن الآخر ، وكان المحقق بدوره أكثر بعدا عنهما من نفسيهما ، لأنه بمنطقه الموضوعى يرتبط بالواقع المحسوس وهما غير مرتبطين به نفسيا ولا فكريا كما رأينا ولا سيما فى القسم الأول من المسرحية ·

هذا هو السبب الرئيسى فى الحيرة التى تستبد بأبطال « يا طالع الشجرة » · كل منهم يتحدث ويجادل ويسأل ، وكل منهم لا يسمع الا صوت نفسه · ومن هنا اختلف الواقع فى نظرهم واصبحت الحقيقة — وهى نظر فرد أو ذاتية خالصة — وقد بددها الحوار والرغبة فى التفاهم والفهم ·

بل يبدو أن هذا التمزق ليس واقعا بين الناس بعضهم وبعض ، وانما بين الانسان ونفسه · ومن ثم كانت الأزمة أعمق وأعقد ! فالكون نفسه نهب بين المادة والروح ، والانسان يفكر ويحس ليعرف هذا الكون بناسه ويعرف فى الوقت عينه حقيقته · ولقد كان دور توفيق الحكيم فى المسرحية أن يعبر عن الموقف الانسانى المتارجح بين هذا كله وبين رغبته فى أن يعيش عيشة مخصبة أبدا ·

ويتفرع عن هذه الحقيقة الرهيبة حقيقة أخرى ربما يجتمع حولها أكثر الوجوديين أو مدرسة اللامعقول كلها ، هى أن ضياع الواقع فى توكيد الحقيقة الفردة لا يعنى أن هذه الحقيقة جامدة مكتفية بنفسها حتى وان أثارت الغثيان أو الاشمئزاز — كما يؤكد سارتر — وانما هى كالدوامة تدور بنا وتتحرك لتعوق حركتنا ! فالزوج يسمع صفير القطار فيحس كأنه لا يزال يركبه — مع انه تقاعد وفرغ لحديقته وسحليته — يجرى فيجرى هو فيه ، واذا توقف تطلع من خلال النافذة ليحصى كم شجرة تهرب منه فى أثناء اندفاعه · والزوجة تخرج من أجل الخيط كل يوم أو تخرج بين حين وحين — مع أنها عجوز — لتنسج وتنسج ، حتى يخطفها اللازمكان — فهى لم تكشف عن مكانها الذى اختفت فيه ولم تعرف أن اختفاءها استمر ثلاثة أيام — ثم تعود ليخطف زوجها روحها ويجعل جسدها سمادا لاخصاب عجيب !

وفى القسم الثانى من المسرحية — وهو الذى رأينا فيه بين الزوجين تقاربا ما فاختل المنطق المألوف أكثر جوانبه — يتجلى لنا الاحساس بقسوة الحقيقة ، كما يتجلى نشاز الحياة و لامعقوليتها اذ يصل بها الأمر أن تتهم بهادر فى جريمة قتل أعدت هى تفصيلاتها من قبل — وقد اتهم فى الفصل الأول بالجريمة قبل أن تقع — ولما تمت اختفت معالمها باختفاء الجثة · وكان هذا الاختفاء وموت السحلية بلا مبرر الى جانب الاختفاء الأول مبررا لهلاك أكيد واعلانا عن الزوال المؤكد لمادة الحياة بحيث لا يبقى فى الكون شيء أو يبقى الوهم كمقابل للمادة التى تشيخ وتذوى ثم تزول ·

وهنا نصل الى قضية الموت كمعطى فنى يستغله اللامعقوليون ــ واستغله الحكيم فى المسرحية ــ فى التعبير عن أن الانسان الذى تنقطع فيه كل روابط الوجود لا يمكن أن يبقى . بل ان بقاءه عشوائى لأن الموت قد يأتيه بعشوائية أيضا فيضع نهاية لأزمته . واذن يكون الموت نهاية النشاز المقرر أو آخر حركة يحسبها الحى وهو فى الدوامة التى تتحرك وتحركه وتنبعه من حركته الخاصة التى تعبر عن حريته .

ولقد نرى عند يونسكو استسلاما لهزيمة الانسان أمام كل عـــــدا ، وقد نرى الكلمة الأخيرة تكون للموت . الا أن توفيق الحكيم وهـــو يحرك ابطاله المتخبطين فى عوالمهم والمقيدين بمادية الكون لايجعل لهذه القـــوة حق التصرف المطلق . لقد اعترف به مرتين . مرة عندما قتل زوجته ومرة أخرى عندمـا رأى سحليته مسجاة فى الحفرة بلا سبب معقول . غير أنه حاول بأنشـــودة « السبوع » و « يا طالع الشجرة » وصفير القطار أن يعلن عن ميلاد انســان جديد ليواجه الموت ، وهو يســـعى لفهم الحياة من جديد .

واذن فهناك بعث ، أيضا فكان الحكيم لم يشأ أن يكون عدميا ، وفرض بمنطقه دوام الآثار أو دوام الحياة برغم الموت . وهو من هنا يتطلع من غير شك الى رموز الأساطير عن دورة الحياة وتجددها ، وكان استخدم ــ فيما رأى ــ توارى يوريديس فى عـالم الظلمات فى غياب بهانة فى اللازمكان طوال ثلاثة ايام .

والخلاصة ان الحكيم فى عرضه لضياع الانســان بين المادة والروح ، يضيع أمنه واستقراره ، ويثور فيه الشك فيمضى سائلا منقبا عن الحل . وهو فى كل ذلك يشـــعر بالغربة والتبرم والفقد ، ويحس بالقـــوى التى تحد من حريته فيدمر كل شىء حتى الدين والعلم .

وأيا ما كان مضمون « يا طالع الشجرة » فلا مفر من الاعتراف بأن توفيق الحكيم قد نجح فى التعبير فى مأساة الانسان . ولم يكن هذا الانســـان عنده الانسان المصرى فقط ولا انسان العصر وحده ، وانما هو انسان الوجود كله منذ كان .

دكتور
أحمد كمال زكى

لقاء بين الشعر الصوفي والشعر الحديث

بقلم : عبد الكريم الخطيب

لكل زمان جديده وحديثه من كل مخلوق ومصنوع .. اذ كلما خطا الزمن خطوة في سيره نحو الأباد خلف وراءه قديما ، وقدم بين يديه جديدا .. هكذا دواليك ، لحظة بعد لحظة ، وآنا بعد آن .. جديد يخلف القديم ، وقد يزايل مكانه للوليد الجديد .

وكلمة حديث أو قديم تعنى بهذا الاعتبار صفة زمنية لا وصفا موضوعيا لكل ما يطلق عليه حديث او قديم .. فكان اطلاق لفظ حديث أو قديم على الشعر مثلا يعنى دائما هذا المفهوم الذى تواضع عليه الناس ، حيث جعلوا منه وصفا زمنيا ، لا شأن له بالجانب الموضوعى من الشعر .. كان ذلك كذلك الى ما قبل هذه الأيام التى ظهر فيها ما يسمى « بالشعر الحديث » الذى يدور حوله هذا اللغط الكثير الذى نسمعه ونقرؤه فى هذه الأيام .. مصبحين وممسين . اذ قد اتخذ هذا الشعر أو اتخذ له صانعوه من وصف « الحديث » وصفا ذاتيا كاشفا له ، يتجه الى موضوعه لا الى زمنه .. فهو عند أصحابه ليس شعرا جديدا أو حديثا بالمعنى الذى يقابل « القديم » ويجيء بعده فى الزمن ، وانما هو حديث بمعنى مستحدث ومبتدع على غير مثال سابق له .. فهو عمل لا يتصل بنسب قريب أو بعيد بما سبقه من شعر ، على نحو ما تتصل الأنساب بين كل حديث وقديم من مواليد الحياة ومحدثاتها .. وهو لا يحسب ــ بهذا المفهوم عند أصحابه وفى واقع أمره ــ حلقة فى سلسلة الشعر ، تمثل طورا من أطواره ، وعصرا من عصوره ، وانما هو تجربة جديدة فى الحياة ، لا يدرى أحد ماذا سيكشف الغد عنها .. أيقدر لها أن تعيش فى الحياة ، وتتجدد لها أعمار مع الزمن ، أم أنها ستمضى لغدها القريب ، غير مخلفة وراءها أثرا ، أو معقبة بعدها ذكرا ؟ فذلك علمه للعليم الحكيم .. رب العالمين .

لقد قام هذا الشعر منذ قام على هدم كل المعالم الحديث هذا ، فى هذا المقام الذى جعلناه لقاء عابرا بين الشعر الصوفى وهذا الشعر ، ذلك اللقاء الذى لم يكن عن قصد أو تدبير ، وانما كان عن دعوة قوية من هذا الشعر الحديث نفسه ، اذ كان يطل علينا بوجهه من أكثر من جهة كلما تجدد لنا نظر فى الشعر الصوفى فى حال القراءة أو الدرس .

وأول ما يلقانا من وجوه المشابهة بين الشعر الصوفى وهذا الشعر الحديث بالصفة التى عرفناه عليها ــ هو هذا الجو الانعزالى الذى يعيش فيه كل منهما فى الحياة ، فلا يتعامل به ــ فى الأعم الأغلب ــ الا أهله ومن يتصل بهم ، أو يسكن اليهم .

فالشعر الحديث ــ وكذلك الشعر الصوفى ــ عمل مغلق على أهله ، بل انه مغلق على أفراده فردا فردا ، فى حدود العمل الفردى لكل شاعر من شعراء هذا الشعر .. فما لهذا الشعر من يفهمه ، ويفك طلاسمه ومعمياته الا صاحبه الذى أخرجه على الوجه الذى رآه .

على أنه اذا كان بين الشعر الصوفى وهذا الشعر الحديث من شبه فى هذا الوجه الانعزالى فهو شبه مع الفارق البعيد بينهما .. ذلك أنه وان كان فى الشعر الصوفى شيء كثير أو قليل من الخفاء والغموض، أو الاشارة والرمز ــ فانه مع ذلك لم يخرج على مواضعات اللغة ولا على أصول الفن الشعرى ، بل انه جرى على التزام قواعد اللغة ، وأحكام نحوها وصرفها ، وأوزان شعرها ، وضروبه وقوافيه دون أن يخرج فى شيء من ذلك على القواعد والأصول المتعامل بها بين أبناء اللغة .. شعرا أو نثرا .. فهو من هذا كله فى صميم الشعر العربى ، يسير مع عصوره عصرا عصرا ، ويجرى مع تطوره طورا طورا .. وكل ما فيه هو هذه « الرمزية » التى يرمز بها الصوفية الى الحب الالهى ، والمواجد والأشواق الروحية فى صور وقوالب من الحب الجسدى أو العذرى وما فيهما من مواجد وأشواق !

أما هذا الشعر الحديث فأمره جد مختلف عن الشعر الصوفى فى كل هذا .. فلقد خرج هذا الشعر خروجا مطلقا عن دائرة الشعر العربى ، واصطنع له وجودا خاصا ، واتخذ له وضعا جديدا تحت هذا الاسم الجديد ..

ونحن فى هذا البحث لا نناقش قضية الشعر

التى قام عليها فن القول ، وخاصة الشعر ، وما اتصل به من أوزان ، وقواف ، واخيلة ٠٠ بل لقد تجاوز أصحابه هذا كله الى محاولة اصطناع لغة جديدة لهم ، لا تنتسب الى اللغة العربية ، ولا تقف عند قواعدها وأصولها ٠٠ لغة ــ كما يدعون ــ تصور عواطف الشاعر ، وانفعالاته ، واخيلته ، ولو كانت مجرد أصوات وهمهمات ٠٠ فكما يكون الصراخ تعبيرا عن الألم ، والضحك أو القهقهة تعبيرا عن السرور ، يمكن كذلك أن ينقل الشاعر الحديث عواطفه وانفعالاته على أى حرف أو أية كلمة يراها هو جارية على لسانه ، وذلك هو الشعر بالمعنى الصحيح عنده !!

ان الشعر الحديث ــ هذا ــ لا يحفل كثيرا بدلالات الألفاظ ، كما انه لا يحفل أبدا بالقيمة الشعورية للوزن والقافية ، اذ ليست هذه جميعها عنده الا قشورا يقف عندها أسرى التقاليد ، وعباد الرسوم والقوالب !

ويفلسف شعراء هذا الشعر نظرتهم تلك بدعيات كثيرة من البهت المتلبس بكثير من المنطق ، وقليل من الحق ، فتراهم يقولون مثلا : ان الرمز والغموض هو آية هذا الوجود ، وسر جماله وجلاله ، ولو أن أسرار هذا الوجود بدت عارية لكل ناظر لما كان للوجود ولا للموجودات هذه الروعة ولا هذا الجلال الذى يطلع على الناس من وراء الحجب والأستار بين الحين والحين فيخلب الألباب ، ويملك الأسماع والأبصار ٠٠ لو أن الوجود كان هكذا عاريا مكشوفا لتحول فى أعين الناس الى كتلة جامدة باردة ، لا تثير وجدانا ، ولا تحرك تفكيرا ٠٠ وكذلك الفن ٠٠ ينبغى ــ لكى يكون ملهما مسعداــ أن يكون له حرم وحمى، وليس يحمى حماه ، ولا يصان حرمه الا اذا أقامت دونه هذه الأستار من الرموز والأسرار ، ترد عنه أعين الدهماء والمتطفلين !!

وفى هذا القول شىء غير قليل من الحق ، ولكن على أن يكون هناك الى جانب هذه الأستار آذن يأذن بالدخول الى حرم الفن ، وأن يكون بين يدى هذه الرموز مفاتيح تفتح المغالق لمن يرد عليه ، ويطرق أبوابه ٠٠ أما أن يكون العمل الفنى مصمتا مغلقا ، لا تراه عين ، ولا تسمعه أذن ، ولا يتعامل معه أحد ، فهو والعدم سواء ٠٠ والا فكيف يستدل عليه ، وبم يعرف وجهه ، وكيف يتوسم المتوسمون ما فيه من جمال وجلال ؟

ان الوجود مع أسراره المحجبة ، وآياته المتخفية لا يضن أبدا بما يحمل فى أطوائه وما يطوى فى أحشائه من معالم الروعة وآيات الجمال والجلال ٠٠ فهو أبدا يسفر عن آياته المعجبة ويكشف عن أسراره المذهلة ، لكل متشوف اليه ، مصغ بعقله وبقلبه الى ما يخفى ويضمر من عجائب وغرائب !

ولو كان للشعر الحديث وجه يعرف به ، وصورة يتصوره الناس عليها لكان له حساب فى اللغة ، لغة التفاهم والتخاطب ان فاته حظه من العلم والفن، ولكنه ليس لغة معروفة أصلا ، وانما هو كلمات وانصاف كلمات متهالكة متكسرة ، تجتمع وتتفرق على غير نظام ، وتتحرك وتقف لغير قصد ، يرسلها أصحابها من أفواههم فى لعب وعبث كما يعبثون ويلعبون بأنفاس الدخان المنطلق من بين شفاه عابثة لاهية !!

***

قد يكون فى هذا شىء من القسوة على هذا الضرب من الشعر الحديث ، ولكنه هو الحق الذى ينبىء عن حقيقة هذا الشعر ، ويكشف عنه ، وبغيرهذا الوصف لا يمكن أن يستدل عليه ، ولا أن يعرف أين هو فيما يقول الناس وما يسمعون من كلام !!

ولا يخدعنك هذا الضجيج المصطنع الزائف الذى يزف به هذا الشعر الى الحياة ، ولا تتخدرن أعصابك بهذا البخور الكثير الذى يحرقه حملة المباخر بين يدى هذا الشعر ومن خلفه ، فتحسب أن وراء الأكمة شيئا ، وما هو الا العدم والجدب والخلاء الذى يلمع عليه ما يلمع من سراب !

فاذا رأيت بعض حملة هذه المباخر ومحرقى هذا البخور يحدثك عن هذا الشعر الحديث ، ويحاول أن يلقى على مسمعك أنا شيد الغزل فى هذا الشعر وما يحمل من خوالد الفكر ، وذخائر الفن ، وأن ماتراه عينك ، وما تسمعه أذنك ليس مجرد كلام ، بل هو كائنات تضم فى أحشائها تجربة انسانية عظيمة عاشها « الشاعر » بكيانه كله ، ثم اداها اليك فى أمانة وصدق ، ونقلها اليك فى اخلاص وجلاء !! ــ أقول : اذا رأيت أو سمعت شيئا من هذا فاعلم أن محدثك هذا لا يحدثك عن هذا الشعر الحديث الذى يعرضه عليك ، وانما هو يسمعك شيئا مما حفظ أو نقل من دروس الأدب وأصول النقد ، وانه انما سرق هذه الأثواب الثمينة من خزانة الأدب ، ثم خلعها على

هذا السخف ، ليدارى بها عواره .. تماما كما يرتدى القمىء القزم حلة عملاق طوال فلا يزيده ذلك الا قماءة ، ومسخا ، وضياعا !!

نحن لا ننكر أن يقوم فينا شعراء محدثون مجددون ، نجد فى شعرهم ريح عصرنا ، وصدى أحاسيسنا ومشاعرنا ، فيما تطرقنا به الحياة من مشكلات وأحداث ، فلقد تنقل الشعر مع الأمة العربية ، وتتبع خطوها حينا ، وسبق سيرها احيانا ، وكان معها حيث كانت ، فى صعودها وهبوطها .

ولكن الذى ننكره هو هذا الشعر الذى يخرج فى سوق الادب باسم الشعر الحديث .. وانه شىء لا مفهوم له .. كلمات مبهورة لاهثة ، متكسرة ، لينة ، متهالكة ، تتردد فيها انات المرضى ، وزفرات الزمنى والموجوعين ! فى غير وضوح ولا افصاح !

ولسنا نحن وحدنا الذين ننكر على هؤلاء الشعراء هذا الذىيسمونه شعرا ، فلقد سبقنا الى انكاره كثير من الشعراء الجادين من المجددين ، وكان انكارهم فى حقيقته دفاعا عن الشعر الحديث الجاد من أن يدخل عليه هذا الزيف ، ويفسد على الناس وجه الراى فيه!

فهذه الشاعرة المجددة « نازك الملائكة » تفزع اشد الفزع من هؤلاء المتطفلين على الشعر ، المتهالكين على أن يحسبوا فى الشعراء ، وأن يتصدروا حركة التجديد التى تقتضيها سنة الحياة ، ومقتضيات التطور فى هذا العصر .. تقول الشاعرة : « يظهر أن الحركة ــ حركة التجديد فى الشعر ــ بدأت تبتعد عن غاياتها المفروضة ، ولا نظن هذا غريبا ، ولا داعيا للتشاؤم فلو درسنا الحركة من وجهتها التاريخية لوجدناها لاتختلفعن أية حركة للتحرر ، وطنية كانت او اجتماعية ، أو أدبية ، وفى التواريخ مئات الشواهد على ثورة الجماعات ومبالغتها فى تطبيقمبادىء الثورة ، وسقوطها فى الفوضى والابتذال قبل استقرارها الأخير » . ثم تقول : « ولهذا نحن نحس بالإطمئنان الىسلامة الحركةرغم مظاهر الرخاوة التى تلوح بوادرها اليوم .. ومع أن التنبؤ بما ستنتهى اليه الحركة لا يمكن أن يكون قاطعا ، الا أننا نحس أنها ستتقدم فى السنين القادمة حتى تبلغ نهايتها المبتذلة ، فهى اليوم فى اتساع سريع صاعق .. » ثم تستطرد قائلة : « ولا أحد مسئول عن أن شعراء نزرى المواهب ، ضحلى الثقافة ، سيكتبون شعرا غثا بهذه الأوزان الحرة ، فليس على الشعر العربى خوف من هذا .. ولابد أن ينتهى التطرف الى اتزان رصين بعد انصرام سنوات التجربة .. أما الشعراء الذين سيذهبون ضحايا ، فحسبنا انهم سينقذون الشعر من الهاوية حين يكونون نماذج للرداءة والتخبط وفقدان الشخصية .. انهم خلاص الشعر الحديث دون أن يعلموا ! » .

هذا ما قالته الشاعرة منذ أكثر من عشر سنوات، وهى ترقب حركة الشعر الحديث، وترصد مجرياته ، وتتنبأ لمستقبله ! ولعل أصدق قولة لها هنا هى قولتها : ان هؤلاء الشعراء الدخلاء سينقذون الشعر من الهاوية حيث يكونون نماذج للرداءة والتخبط وفقدان الشخصية .. انهم خلاص الشعر الحديث دون أن يعلموا » ! ولكن يظهر أن نبوءة الشاعرة كانت عن حسن ظن بهؤلاء الشعراء ، وعن شهادة منقولة عن التاريخ من غير تقدير لأحداث العصر ودوافعه .. فان اللغة العربية فى وجه عاصفة مجنونة تريد أن تقتلع جذور هذه اللغة ، لا لأنها لغة امة كبيرة ، تتحدث بها ، وتجتمع عليها ، وانما لانها ــ وهذا فى المقام الاول ــ لغة عقيدةحاول الغرب محاولات كثيرة يائسة فى سبيل القضاء عليها فى حملاته الصليبية ثم الاستعمارية فما نال من هذه العقيدة منالا ، فكان مما اصطنع لذلك هو افساد هذا اللسان بافساد اللغة وتضييعها .. ويومئذ ــ لا كان هذا اليوم ــ تنحل تلك الرابطة الوثيقة التى تربط العربى بالعربى ، وتشد العربى الى العقيدة الاسلامية ، وكتابها الكريم ، وفى هذا ــ ان وقع ولا قدر الله ــ الضربة القاصمة للعروبة وللاسلام جميعا .

وليس هؤلاء « الشعراء » ــ اياهم ــ بالمتهمين فى الاخلاص للغتهم ولعقيدتهم ، وانما هم صغار يلعبون بالنار ، وقد يتطاير منها شرر يحرق الدار ومن فى الدار عن غير قصد ، وبلا سبق اصرار !

هذا استطراد ما كنا على نية له ونحن نكشف عن ظاهرة فى الشعر الصوفى رأينا مشابه لها فى بعض صور الشعر الحديث ، ولكن القلم جرى بما لم نستطع السكوت عليه ، والصبر على حبسه فى الصدر من مرارة وألم ، لما نشهد من مظاهر الاحتفاء البالغ بهذا اللون من الشعر ، الذى ضلل كثيرا ، وخدع كثيرا ، فاجتمع عليه طلاب الشهرة الكاذبة ، الذين يتبعون اول ناعق ، وهم يحسبون أنهم فى السابقين الأولين الى هذا الصيد الثمين ، ولو قدروا لعرفوا أنهم يسيرون فى موكب غزاة زاحفين الى ديارهم ، يحملون اليها البلاء والدمار .. ورحم الله امرأ سمع فنظر واعتبر .

عبد الكريم الخطيب

الانحرافات في النقد الحديث

للدكتور عبد الرحمن عثمان

مما يزيد النقد الأدبي رسوخا وصلابة ، احتفاله الشديد بما تمده به الأذواق المرهفة من اشارات وانطباعات ، وترحيبه بما يصل اليه العقل البشري في ريادته الدائبة لعالم الافكار المتجددة دائما ، تجدد الحياة نفسها ، خضوعا لما يتفاعل فيها من عوامل التطور والتغيير ، فالذوق المرهف ، والعقل النافذ الى الاعواء المحجبة في النفس الانسانية - هما كل شيء في مجال النقد الادبي النزيه .

فلو عرف الناقد مكانه من الموهبة الادبية الخالقة، واستطاع ان يصعد في درجاتها على بصيرة ، وفي ذكاء ، ولو أنه عرف كيف يلائم بين قوانينه العقلية التي يؤمن بها ، وبين ما يشير به الذوق الادبي السليم ، لا ستطاع ان يقدم الى قرائه شيئا ممتعا له قيمته في باب النقد الادبي .

والناقد حين يصل نفسه بالبيئة التي تصنع الأديب ، ويشاركه فيمشاعره ، ويتتبع وقع عواطفه الهائجة ، ويندماج في فكرته التي هي عمود عمله الادبي كله ، حينئذ سيقدم الينا فنا نقديا جديرا بالقبول ، وسيفسر لنا سر الجمال في هذا النتاج ، بما يضيف من آراء كاشفة قد تخفى علينا في النص الذي يمتعنا ، ولا ندري سر هذه المتعة .

ولكل أديب بيئته التي تصنعه على مثالها ، ومهما تنوع ادبه أو اختلف ، فهو مشدود على الرغم منه الى ارادتها وصنيعها .

والنقد في حقيقته انطباعات ذوقية قبل كل شيء ومن حق الناقد المتأثر بثقافة اجنبية ان يسجل مشاعره فيحرية كاملةتجاه ادبنا العربي ، لانحريته تلك ، ربما توجه الادب العربي الى آفاق قد تهديه بما برعت فيه هذه الثقافة من كشف له خطره في عالم النفس والاخلاق الى شرح التراث العربي على ضوء ما وصل اليه المفكرون من اصحاب التجربة والاستقراء .

والحرية من حق كل ناقد ، ليعبر بها عن رأيه السياسي او الاجتماعي في خلال ما يعرض له من ادب ، هو الصورة الصادقة للحياة في فترة مضت بخيرها وشرها ، أو في فترة يعيش فيها الناقد والاديب .

ولا اظن ان الناقد المتصف سيستفيد كثيرا من هذه الحرية في نقد ادب الماضين ، لانه مهما اجهد نفسه فلن يصل الى حقائق الماضي واحداثه ، فذلك واقع قد عاش فيه الاديب وانفعل به ، فسجل كل ما احاط به في امانة واستجابة ، ثم جاء التاريخ فحكى الماضي كما شهده ، أو كما يراد منه أن يشهده ، وقد يطمس معالمه ويزيفها اذا كان ضالعا مع صانعي التاريخ من ذوي البأس والصولة ، واذن فالتاريخ وحوادثه « كذب في كذب » كما يقول الامام احمد بن حنبل صاحب المحنة في خلق القرآن على عصر الخليفة المأمون ، والتاريخ « أدنى مرتبة من الأدب » كما يقول الفيلسوف «ارسطو» في دفاعه عن الشعر ، واحسب ان الناقد الفرنسي « سانت بيف » آمن ، بعد جهاد عقلي جبار ، بهذه النظرية التي لم تنسخهاحقيقة مقبولة حتىعصرنا هذا .

وكذلك ان يستفيد الناقد الجاد من حريته تلك في نقد نتاج الاديب الذي يعيش معه في عصر واحد ، فالآراء السياسية والاجتماعية التي يبثها الاديب في اعماله الادبية قد لا توافق مزاج الناقد، ولا تلتقي مع آرائه في هذا الصدد ، فاذا اتجه الناقد الى النص الأدبي متأثرا في نقده بآرائه الخاصة ، اصبح في نظر القراء « مشرعا وقاضيا » في وقت واحد ، والواجب عليه حينذاك ان يقضي في جمال النص او قبحه بما يرى من ذوق وفكر ، وليس له ان يقترح الموضوع او الفكرة ، او يلزم الاديب برأي خاص .

والناقد حين يجد انحرافا في الادب ان ينبه اليه ، ويقيم الحجة على بطلانه او ضرره ، فذلك من خالص حقه لا ينازعه فيه منازع ، ويصير نقده — عندئذ — عملا مستقلا عن الانتاج الادبي ، ولا يمكن ان تدعى له اية صلة بالابداع الفني الذي يحمل طابع الاديب ، ويفصح عن طريقته ومشاعره .

ان للنقاد المحدثين أن يتمتعوا — اذا شاءوا — بالحرية في النقد الحديث ، ولن يصبحوا أهلا لهذه الحرية اذا استعملوها في جذب الادب العربي الى ما يتعارض وخصائصه التي رسمت له طريقه ،

وبصرته باهدافه ، ولهم كذلك ان ينقدوا ادبنا على هدي علوم : النفس ، والاخلاق ، والاجتماع ، والتاريخ ، ولكن على ألا يذهبوا به بعيدا ، بحيث يضل طريقه ، وتختلط في الظنون والأفهام ·
وليس معنى هذا ان ادبنا يجد في طريق مرسوم لا يحيد عنه ، كما يردد بعض الجهلاء ، بل معناه : ان الحياة العربية في قلقها وطمأنينتها ، وثباتها واضطرابها ، هي وحدها التي تصلح ان تكون تفسيرا للأدب العربي ، لأنه لسانها الصدق ، ورائدها الذي لا يكذبها إبدا .

فاما الزج به في متاهات لا عهد له بها ، فهو الانحراف الخطير في فهم الحرية ، وفي تطبيقها في النقد · وسيظل فهمي للحرية النقدية وثيق الصلة بما بسطت من مقدمات ، هي في رايي بمثابة « تحفظات » صارمة ، واسس ثابتة ينبغي ان تسند الحرية النقدية وتدعمها .

وانا اسجل هذا ، بين يدي ما اناقش به المنحرفين عن سنن القصد ، والخارجين عن فضيلة الاعتدال، تحت ستار خادع من التجديد ، والتوجيه للناشئة الادبية ، فعند هؤلاء ان التحرر من القديم امر لامحيد عنه ، اذ هو أدب سطحي لا عمق في افكاره، وحين يجهر بهذه السطحية يتخذ من الصخب والخداع وسيلة للتاثير على القلوب والاسماع !! .

ولهذا يؤثرون عليه « الادب المهموس » ، لانه ادب : انساني ، واليف ، ومثقف !!

وهؤلاء المتحررون من نقادنا يظلمون انفسهم ظلما كبيرا حين يبشرون باتجاهات ادبية هي في حقيقتها لا تعني شيئا ، وكل ما نجده فيها ، هو اختلاط لا يستقل فيه اتجاه عن آخر ، ولا يظهر منه معلم « واحد ظهورا يحدد لنا فكرة ، او يسير بنا الى هدف له وزنه في عالم الشعور او الفكر .

ان الأدب المهموس أو الرمزي ، لا يمكن ان يكون صادرا عن ثقافة محيطة ، كما يزعمون ، وهو بالتالي ، ليس دليلا على ثروة فكرية وشعورية تكمن في ذات الفنان الهامس ، لان هذا الاتجاه الادبي يدل على افكار مضطربة لا تعرف سبيلها الى التجمع ، والتناسق ، لتؤلف افكارا بصيرة بغاياتها ، بحيث تنطلق متآخية الى مداها في نسق آسر ،، ونظام رتيب .

واذا اوحى لنا الادب الهامس بشيء ،فانما يوحي بحشد متنافر من الصور المجاف التي انطفا لونها ، مهومة من بعيد ، خلف ضباب ينشر عليها جهامة وقطوبا ، ويشيع في اطارها وجوم المكدود ، وصفرة الموت ، فاذا سألت عن الجمال في هذا الحطام ، جهلوك بما لا يفهمون من حجة ، وحسبهم دليلا على جهلك انك لا تفهم الهمس في الفن لانه ادب « انساني » وانت متوحش ، ونسق من التعبير « اليف » وشعورك خشن ، ثم هو تغريدة الفن الاروبي التي يطرب لها صانعو الحضارة الحديثة ، فليس من عجزهم في الاقناع الا يطرب مثلي ومثلك ، فان أوربا تحب الادب المهموس وكفى !.

وبمثل هذا يظنون انهم بلغوا الغاية في الاقناع ، والتوجيه لادباء العرب من خلال النقد ، وبالاساءة في استعمال الحرية النقدية ، ولكنهم لا يدركون : انهم ظلموا انفسهم ظلما كبيرا ، فان فيهم ادباء ومفكرين كنت ازعم لهم — في يوم ما — الذكاء ، والفهم ، والاقناع بما تطمئن اليه العقول والاذواق على السواء .

ان ما يدعونه لهذه النماذج الهزيلة من جمال وخلود ، مرجعه الى شيء آخر غير النقد الواعي ، والترويج له في بيئتنا العربية المبينة ، فنحن بحمد الله لا نؤمن بان « التنجيم » يعين الناقد العربي على تفسير الاعمال الادبية وتحليلها ، ثم الحكم عليها او لها بالتجامة التي هي اخص صفات الأدب المهموس او الرمزي ·

واذا شئنا تمييز المسميات باسمائها ، جاز لنا ان نطلق على هذا الاتجاه الادبي الهامس ، انه ادب : الحشرجة الفكرية ، والارتعاش العاطفي ، وهما وباءان يصاب بهما من تغمض الفكرة الادبية في خاطره ، ومن تنتشر العواطف الفنية في كيانه انتشار الزبد على سطح الماء في يوم عاصف ·

ومن العجيب المثير في هذا الانحراف ، ان يصبح وسيلةمنوسائل الغمز الشديد للغة العربية وادبها ، وان يصير ضربا من ضروب الاعلان الرخيص لادب اوربا ، ولهذين الأمرين ، ولما لهما من خطورة قد تمتد الى عقول الناشئة العربية ، كتبت هذا المقال .

الدكتور
عبد الرحمن عثمان

الليل والمرآة

للشاعرة جليلة رضا

عندما يرخي الدجى استاره ... فوق انفاس الوجود الهادئه
ويموت اللون الا واحدا ... يتحدى النظرات الهازئه
ويضيف الهمس حينا طيره ... ويضم ابحر حينا شاطئه
هل ترى يدرك يوما رجل ... ما الذى يحكيه ليل لا مراه . ؟

***

انه يحكى لنا سر الوجود ... ويبث الضعف فينا والاراده
وهو انسان وشيطان مريد ... ينسجان الوقت كفرا وعباده
وهو طير بجناحيه يشيد ... قمة الاحزان حينا والسعادة
وهو كون قابع فى عقل انثى ... مستريح فوق شبر من وساده

***

اى ماض قد حملنا عبئه ... من قديم نحن والليل توائم
عرفت حواء معنى ليلها ... قبل ان يدرك ما معناه آدم
كانت الافكار تغزو راسها ... وهو ثاو هادىء الاعصاب نائم
ضيعت جنتها لكنها ... صنعت فى الغد للابناء عالم

***

فترة الحمل واسقاط الجنين ... من حشا دنيا امانينا السقيمه
عندما يولد فجر وبين ... هذه الساعات ساعات اليمه
نحن نحياها مع الليل الحزين ... بينما يطوى على ذل نجومه
نحن نحياها بجهد وانين ... مثلما نجتاز ادوار الامومه

***

نحن نسقى الليل من كاس الوصال ... عاطفات مفعمات بالرغائب
وهو يهدينا على متن الخيال ... عربات مسرعات وحقائب
ومعا نعلو بها فوق الجبال ... نتخطى الافق حينا والسحائب
ثم نجثو فى خشوع وابتهال ... تحت اقدام المعانى والمواهب

***

نحن نسقى الليل من كاس الدموع ... ما يذيب الدمع فى ارض الحقيقة
ونمد اليد فى غور الضلوع ... حيث لا نخشى دياجيها السحيقة
اى اننى فى دجى الصمت الوديع ... لا تخوض الليل صماء غريقه
اننا نحياه اعمارا تضيع ... وهو يمشى عابرا فينا طريقه

جليلة رضا

سراب

للشاعرة روحية القليني

يا قلب ما هذا الوجوم وتلك ايام تمر
وتعيش فى خدع المنى ومن المآسى كم تفر
تتبادل الناس ابتساما خلفه حلو ومر
وتود لو تحيا طويلا فى الحياة وتستقر
فسرابها يغرى النفوس وليس فيها ما يسر
لكننا نبقى عليها كالامين يصون سر
صور تروح وتغتدى بالخير يوما او بشر
وبها تهيم نفوسنا والقلب يسعد والنظر
ونحبها رغم التناقض ان تسر وان تضر
حب الحياة طبيعة ولو انها ليست مقر
مهما انطلقت مع الحياة فانت فيها غير حر
جسر سنعبره الى حيث المقام المستقر
هل نحن نملا كاسنا الكاس يملاه القدر
وعلى الظماء يديرها عند العشي وفى السحر
مهما يكن من مرها او حلوها لا ننتظر
وبلهفة المشتاق نشربها اذا الساقى امر
ولردها لا نستطيع وهكذا يمضى العمر
وانا اضل بحيرتى ويدور راسى بالفكر
قدر يكيف امرنا وعلى هوانا ينتصر
فلم التكبر والغرور لم الرياء لم البطر
ولم التكالب فى الحياة فيا لاطماع البشر
يومان او يوم نقضيه ويعقبه السفر
كل سيمضي فى الحياة وان تطل فالى الحفر
لم لا نعيش حياتنا بالحب نملؤها صور
ونحب كل الناس من يحنو علينا او غدر
بالحب نظهر من يسىء ودائما فى الحب سر

روحيه القلينى

إلى عينيها

للشاعر محمد أحمد العزب

حبيبتى .. عيونها تنام فوق مزرعه
تهيم خلف هدبها فراشة مروعه
حبيبتى عيونها بحيرة مفزعه
شراع لهفتى يلوب عبرها .. انا معه
اغازل المدى البعيد لا اهاب الزعه
فخلفه حديقة غنية ومزرعه
والف قصة بلون لهفتى موزعه
حبيبتى .. فراشتى .. صبيتى الممنعه
رسائلى اليك : اغنياتى الموزعه
ودمعة تلوب فى محاجرى مقنعه
وقبلة تهم ثم تستفيق مسرعه
خجولة .. وطفلة .. وحلوة .. وطيعه
حبيبتى .. فراشتى .. حمامتى المرجعة
تلفت الحنان فى دمى وهز افرعه
وعاد يمطر الفراغ شوقه وادمعه
لرحلة العيون تغزل الفتون والدعه
وتسالين انت فى ابتسامة موقعه :
تراه من يكون؟ من على الضفاف اوقعه ؟
اتسالين من انا ؟ سفينة مضيعه
على مرافىء الرياح . والجراح . مقلعه
سفينة شراعها رسائل مقطعه
ملاحها الجريح شاعر هواك لوعه
اضاع منه لونه .. وظله .. وموضعه
وتسالين من انا ؟ انا انفلات زوبعه
اجرح المساء فيك .. استبيح مصرعه
فان سالت : من انا ؟ انا رماد موقعه
اضاعنى الذى استباح خافقى .. وضيعه؟

محمد احمد العزب

تفسير الظواهر الأدبية

بقلم : علي العماري

الادب فى جملته صورة للحياة التى يعيشها الأدباء ، وهو فى الامم المبتدئة صورة صادقة طبيعية ، لاتزوير فيها ، ولا تكلف فى تمثيلها للعواطف والأخلاق ، ومظاهر البيئة المختلفة ، حتى حين يأخذ الشعراء - مثلا - فى تنقيح قصائدهم ، وتهذيبها ، فانهم لا يتجاوزون اختيار اللفظ ، وتفضيل صورة على اخرى من صور الأداء :

نظر المثقف فى كعوب قناته
حتى يقيم ثقافة منآدها

اما العواطف والاحاسيس ، والخلجات النفسية والصور الخارجية الواقعية ، فلامحيد عنها ، ولا اغراب فيها ، ولا اغراق فى تصويرها الا بمقدار مايجىء به تشبيه دقيق ، او كناية بارعة ، او مجاز مصيب .

نعم ان وضع لفظ مكان لفظ ، وإيثار عبارة على عبارة قدبغير المعنى ، او يحوره ، ولكنه - مع ذلك - يبقى المعنى فى دائرة الصدق لايتعداها ، وفى مجال الخيال القريب لايطير به التحليق فى آفاق بعيدة عن دنيا الواقع .

فاذا اخذت الامة نصيبا من الحضارة ، وشاعت فيها الوان من الثقافة ، ابعدت فى الخيال ، واصابتها - فى ادبها - رذيلة التكلف ، والصنعة ، والغلو ، وربما تركت الواقع جانبا وخاضت فى الباطل خوضا ، وبقدر نصيبها من الثقافة ، والعلم ، والفلسفة يكون نصيبها من البعد عن الفطرة ، ويقل فيها - حينئذ - الشعراء المطبوعون .

وكل تفسير لظاهرة أدبية ينبغى ان يعتمد اساسا على هذه الحقائق ، فاذا غفل عنها ، او اغفلها جاء تفسيرا متعسفا ، مغرقا فى الفلسفة ، او تفسيرا ارتجاليا ، مسرفا فى السذاجة ، وكلاهما بعيد عن الصواب ، متجن على الحقيقة .

طافت بنفسى هذه المعانى عندما فرغت من قراءة فصل كتبه الدكتور عز الدين اسماعيل فى العدد الثانى من مجلة الشعر ، وعنوانه « النسيب فى مقدمة القصيدة الجاهلية » .

فقد حاول الكاتب ان يفتسر تفسيرا لهذهالظاهرة الادبية ، فامعن فى النظر العقلى ، واغفل جوانب من النظر كانت جديرة - لو تاملها - ان تقفه على الصراط القويم .

وقبل ان نناقش هذا التفسير نحب ان نقف مع الكاتب الفاضل قليلا فى بعض القضايا التى اوردها .

يرى الكاتب ان النسيب (يعد الجزء الذاتى فى القصيدة) ومعنى هذا ان الشاعر الجاهلى كان يضمن قصيدته اجزاء مختلفة ، وكلها اجزاء موضوعية ماعدا النسيب فهو الجزء الذاتى فيها ، وهذا حكم جد غريب ، فالأجزاء الذاتية فىالقصيدة الجاهلية كثيرة ، فالحماسة والفخر والمنافرة والاستعطاف ، والرثاء الذى يكون تعبيرا من الشاعر عن فجيعته فى المرثى ، وحرقته على فراقه والهجاء الذى يشيع فيه معنى الكراهية والبغض ، والاحتقار للمهجو .. كل هذه اجزاء ذاتية فى القصيدة جاهلية او غير جاهلية ، بل ان الوصف والمدح اذا شاعت فيهماعواطف الشاعر واحاسيسه كانا أقرب الى الذاتية .

***

وقد قرات لبعض الدارسين ان الادب العربى فى عهد الجاهلية ، وحقبة من الاسلام كان اغلبه ذاتى الصبغة ، بل يبالغ هذا الدارس فيصوبمن يقول : أن الاديب لايزيد مدى حياته على أن يعرض نفسه على قرائه مهما تباينت موضوعاته ، وتعددتاشكال ادبه ، وينقل فى هذا الموضع عن اناتول فرانسقوله. اننا لانكتب الا عن انفسنا ، ولانقرا - حين نقرا - الا انفسنا . هذا مع ماهو معروف من ان الشعر يستاثر بالجانب الاكبر من الذاتية ، والنثر يتعلق غالبا بالادب الموضوعى .

فان كان الكاتب يريد ان قطعة النسيب فى القصيدة الجاهلية نوع خاص من الادب الذاتى هو النوع الذى يعبر فيه الشاعر عن موقفه من الحياة والكون من حوله فلماذا خص النسيب بهذه الميزة ؟ اليس فى الرثاء الذى يتحدث فيه الشاعر عن الحياة والموت - وقد تشيع حيرته فيه - مايمكن أن يكون تعبيرا عن هذا الموقف ، بل الا نجد ذلك فى مثلقول طرفة بن العبد .

الا ايهذا الزاجري احضر الوغى
وان اشهد اللذات هل انت مخلدي

فان كنت لاتستطيع دفع منيتي
فدعني ابادرها بما ملكت يدي

ارى العيش كنزا ناقصا كل ليلة
وما تنقص الايام والدهر ينفد

لعمرك ان الموت ما اخطا الفتى
لكا لطول المرخى ، وثنياه باليد

وبخاصة اذا وضعنا بازاء هذه الابيات حديثه عن رغبته في الحياة في ابياته التي مطلعها (ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى) .

اليست هذه اجزاء ذاتية في القصيدة الجاهلية يعبر فيها الشاعر عن موقفه من الحياة والكون من حوله ، ام لابد ان يكون شعوره بالتناقض خفيا مبهما في نفسه ، يرمز اليه رمزا على طريقة (فرويد) حتى يكون تعبيره سليما معترفا به علميا !!

***

وقد فرق الكاتب بين النسيب والغزل فجعل **(الغزل) حديثا عن شعور البهجة والاستمتاع ، وجعل النسيب يجمع بين النقيضين البهجةوالحزن او المتعة والألم .**

ولاادري من اين جاء الكاتب بهذا الفرق ، فربما كان قدامة بن جعفر اول من حاول التفرقة بين النسيب والغزل ، فقد جاء في كتابه (نقد الشعر) : النسيب ذكر خلق النساء واخلاقهن ، وتصرف احوال الهوى به معهن ، والغزل هو المعنى الذي اذا اعتقده الانسان في الصبوة الى النساء نسب بهن من اجله ، فكان النسيب ذكر الغزل ، والغزل المعنى نفسه ، وانما هو التصابي والاستهتار بمودات النساء ، ويقال في الانسان انه غزل اذا كان متشكلا بالصورة التي تليق بالنساء ، وتجانس موافقاتهن .

ويجيء بعده ابن رشيق فلايفرق بين الالفاظ الدالة على هذا اللون من المعنى فيقول : والنسيب والتغزل والتشبيب كلها بمعنى واحد ، ويوافق قدامة في تعريف الغزل فيقول : واما الغزل فهوالف النساء ، والتخلق بما يوافقهن ، وليس مما ذكرته في شيء ، فمن جعله بمعنى التغزل فقد اخطأ .

ويؤيد ذلك ماورد في كتب اللغة ، ففي اللسان : الغزل حديث الفتيان والفتيات ، وفيه : نسب بالنساء ينسب : شبب بهن في الشعر ، وتغزل ، وشبب بالمراة قال فيها الغزل . وفي القاموس المحيط مثل ذلك .

ولاباس ان نلجا الى المجاز فنطلق الغزل على النسيب ، ولكننا لانستطيع – حينئذ ان نجعل له معنى غير معنى النسيب .

***

ويقول الكاتب ان الالتزام بهذا التقليد – يريد بدء القصائد بالنسيب – كيما يؤدي وظيفته التي نص عليها بن قتيبة قد جعل هذه المقدمة شيئا ممجوجا ، ومن ثم كان من الطبيعي ان نجد شاعرا صادق الحس مثل ابي نواس يشعر بتفاهة هذا التقليد لتفاهة الغرض المطلوب منه الذي حدده ابن قتيبة .

وفي هذا النص مايشعر بان ابن قتيبة كان سابقا او معاصرا لأبي نواس ، وان تحديد ابن قتيبة له اشاع هذا التفسير بين الناس فجعل ابا نواس يشعر بتفاهته ، مع ان ابا نواس توفي في سنة ١٩٩ هـ ، وابن قتيبة ولد في سنة ٢١٣ هـ وتوفي سنة ٢٧٦ هـ فمن المقطوع به ان ابا نواس لم يدرك ابن قتيبة .

فاذا كان الكاتب اراد ان يقول ان التفسير الذي ذهب اليه ابن قتيبة – فيما بعد – كان معروفا في الاوساط الادبية على عهد ابي نواس ، او كان ابو نواس يشعر بأن هذا هو التفسير لبدء القصائد الجاهلية بالنسيب ، ولكنه لم يعجبه فثار عليه ، اذا كان الكاتب يريد ذلك ، فان العبارة قاصرة ، وهو يحتاج حينئذ الى التدليل على ما أراد .

وقد غاب عن الكاتب ان ابن قتيبة جعل ذكر الديار والدمن والآثار ، ومخاطبة الربع ، واستيقاف الركب ، والبكاء والشكوى منها ولها غير النسيب بدليل قوله بعد ذكر هذه الاشياء : (ثم وصل ذلك بالنسيب ، فشكا شدةالوجد ، والمالفراق ، وفرط الصبابة والشوق) فقال الكاتب في الصفحة التالية: (فقد استقر في نفوس الشعراء فيما يختص بمطالع

القصائد ضرورة البدء بمقدمة فى النسيب تبدأ بالوقوف على الاطلال ، وتمتد الى حديث الحب) فجعل النسيب ــ عند الشعراء ــ شاملا للوقوف على الاطلال .

وابن قتيبة علل بكاء الديار برغبة الشاعر فى ذكر أهلها الظاعنين ، لأن الظعن والاقامة ، وتكرر ذلك فى بيئة بدوية تنزل الخيام امر كثير الوقوع ، وعلل ابتداء القصائد بالنسيب برغبة الشاعر فى ان يميل اليه القلوب ، ويصرف نحوه الوجوه لأن التشبيب قريب من النفوس ... اما الكاتب فقد ادمج بكاء الطلل فى النسيب ثم فسر هذه الظاهرة ــ فى حد ذاتها ــ بصرف النظر عن ابتداء القصائد الجاهلية ، بها فتفسيره يصدق على كل نسيب من هذا النوع ، ولو كان نسيبا مستقلا ، وبقى عليه ان يفسر سر لزومه فى مطلع القصائد .. واذن فقد رد تفسير ابن قتيبة ولم يأت مكانه بتفسير ملائم ... ولا التقاء بينه وبين ابن قتيبة لان الجهة منفكة ــ كما يقول المناطقة ــ .

وتفسير الكاتب يقوم اساسا على ان الشاعر الجاهلى كانت تنطوى نفسه على عناصر خفية احسها احساسا مبهما ، ومن ابرزها (التناقض) بين الحياة والفناء ، وهو ليس تناقضا لفظيا ، وانما هو تناقض وجودى يتمثل فى واقع الحياة ، وان الشاعر الجاهلى كان يشعر بالقلق من جراء هذا التناقض الذى لم يجد له تفسيرا فهو ــ اذن ــ تناقض فى عالمه الباطنى ، وفى عالمه الخارجى ، وهو أمر خفى جعل الشاعر الجاهلى لايشعر باى اطمئنان ازاء الحياة .. هكذا يقول الكاتب ، ثم نطوى صفحتين من المقال فنجد الكاتب يقول : اننا ندرك خطأ ان الحياة والموت نقيضان ينفصل احدهما عن الآخر ، لكن الشاعر الجاهلى كان صادق الحس حين ادرك ــ حينذاك ــ ماادركه (فرويد) بعد ذلك بمئات السنين من أن هاتين الغريزتين تعملان على الدوام معا ، وان الموت بذلك ليس فعلا يحدث عند انتهاء الحياة ، وانما هو فعل يبدأ منذ اللحظة الأولى التى تبدأ فيها الحياة .

ونحب أن نذكر الكاتب بما يقوله المناطقة ــ وهو الحق ــ ان النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان ، ونحب أن يفسر كلامه على ضوء هذا القول ، أولا ، وآخرا ، ثم اذا كان الجاهلى ادرك فى هذا الامر ماادركه العالم العلامة (فرويد) الذى جاء بعده بمئات السنين ، فكيف يكون ادراكه غامضا ، وكيف تبنى تفسيرا على امر لاوجود له ؟!

***

خلاصة نظرة الكاتب ان الشاعر الجاهلى **جاء بقطعة النسيب ليجمع فيها بين عنصرين احدهما يذكر بالفناء وهو الاطلال ، والآخر يذكر بالحياة وهو الحب ، وانما فعل ذلك لانه لم يجد تفسيرا واضحا لمايشعر بازاء الكون من معميات ، والنسيب من الناحية النفسية انعكاس لذلك الصراع الأبدى فى نفس الانسان وفى الحياة بين حب الحياة وغريزة الموت . وان الاسلام قد حل لاتباعه كثيرا من هذه المشكلات الوجودية المغلقة ، ونتيجة لذلك حكم بأن كل شاعر غير جاهلى يبكى الاطلال فى بدء القصيدة مقلد للجاهليين .**

فاولا : ماذنب الشاعر الاسلامى الذى مر على ديار احبابه فوجدها خرابا فبكاها ، ماذنبه حتى ترميه بالتقليد ؟ ان الجاهليين بكوا موتاهم فهل كل من يبكى موتاه بعدهم يكون مقلدا ؟ ان ذا الرمة الشاعر الاسلامى اطال القول فى ربع مية ، وقد كان صادقا فى بكائه وشكواه ماق ذلك شك ، فهل هو كاذب فى بكائه ، ومجرد مقلد للجاهليين لان الاسلام فسر له معميات الكون ؟ وهل هذا الكاتب الكبير الذى بكى تاريخه فى الازهر معنونا لمقاله (بربع مية) مقلد للجاهليين ايضا ، ولاشك ان أربعة عشر قرنا عاشها الاسلام فى الحياة ساقت لهذا الكاتب تفسيرات كثيرة لمعميات الحياة ، بل ان الفلسفة التى اخذ منها بنصيب اعانته على حل هذه الالغاز ؟ وهذا الشاعر المصرى المعاصر المرحوم الدكتور ابراهيم ناجى ، وقد بكى (الطلل) فى قصيدة عنوانها (العودة) وهى من عيون الشعر الحديث ، هل هو مقلد ايضا ، ان مما جاء فى هذه القصيدة :

آه مما صنع الدهر بنا
او هذا الطلل العابس انت ؟!

والخيال المطرق الراس انا
شد ما بتنا على الضنك وبت

والبلى ابصرته راى العيان
ويداه تنسجان العنكبوت

صحت يا ويحك تبدو في مكان
كل شيء فيه حي لايموت

وهي ابيات لا تقل روعة واسى وحزنا ، وفناء وحياة عن اى قطعة من نسيب الجاهليين .

ان الشاعر الحديث يقول عن بكاء الاطلال :

سنة تلك سنها شعراء
مابهم من زمانهم غير مابي

انا صب بها وكل محب
تتصباه اربع الأحباب

فبكاء الطلل ـ بحرارة وصدق ، ووصل ذلك بالنسيب ـ ليس قصرا على الشاعر الجاهلي وليس الباعث عليه القلق النفسي الذى ينشأ عن جهل حقيقة التناقض في الحياة .

وثانيا : لم يكن كل الشعراء الجاهليين ـ على فرض تسليمنا للكاتب ـ يشعرون بهذا الغموض ، بل ان كثيرين منهم ادركوا حقيقة التناقض بين الحياة والموت ، بل اهتدى بعضهم الى انه سيجيء يوم يحاسب فيه الناس على اعمالهم ، والجاهليون لم يعيشوا في تماقم ، بعيدين عن كل الاضواء العقلية والنفسية ، بل عاشت بينهم المسيحية ، واليهودية وكان فيهم الحنفاء الذين يتعبدون على ملة ابراهيم ، وكان فيهم اصحاب العقول الراجحة والشعراء الذين اتصلوا بالمناذرة أو الغساسنة وقد كان عند هؤلاء نوع من الرقى العقلي بسبب اتصالهم بالفرس او بالروم ، ولاشك ان كل ذلك هداهم الى بعض الحلول ، ان كانوا يطلبون حلولا لهذه المعميات ، اليس من كبار شعراء الجاهلية الذى يقول :

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم
ليخفى ، ومهما يكتم الله يعلم

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر
ليوم حساب او يعجل فينقم

وهو الذى بكى في اول المعلقة التى منها هذان البيتان ، بكى (دمنة ام اوفى) .؟

وثالثا : يقول الكاتب ان هذا القلق ليس مجرد شعور فردي يعتمل فى نفس انسان دون آخر ، وانما هو شعور مشترك يمثل موقفا انسانيا مشتركا ، ثم يقول ان قطعة النسيب كانت تقوم على عنصرين اساسيين هما الوقوف على الاطلال وذكر المحبوب حتى ترمز الى شيئين ، حب الحياة ، وغريزة التخريب ، ومعنى كل هذا ان كل قطعة نسيب جاهلية كانت تشتمل على هذين العنصرين ، بكاء الطلل والحب ، وهذا لايؤيده الواقع ، فبعض النسيب الجاهلي في بدء القصائد لايتعرض لبكاء الطلل ..

واخيرا ، اليس نسيب الاسلاميين ادل على هذا القلق النفسي ، لأنه امعن في شكوى تباريح الحب ، ولواعج الغرام ، وفيه تشيع النغمات الحزينة ، وبخاصة عند العذريين ، اما الشاعر الجاهلي فكان يستهلك اكثر غزله في ذكر الاوصاف الحسية في جسم المراة ، فهو مغرم بشعرها الفاحم ، وثغرها الباسم ، وصدرها الذى يشبه المرآة الصقيلة ، وجيدها الطويل ، وخصرها النحيل .. وهكذا . وهذا ان دل على شيء فانما يدل على انه شاعر لاينظر كثيرا في نفسه ، وانما يتغزل بعينيه ، ويصدر في هذا التغزل عن حاجته الحسية للمراة .

***

(وبعد) فانى لم اكتب هذا المقال لافسر ظاهرة ابتداء القصائد الجاهلية بالنسيب ولا لأعرض التفسيرات التى ارتآها الباحثون ، ولا لادفع عن تفسير ابن قتيبة ، وانما كتبته لاناقش الكاتب في تفسيره الذى ابعد به ، واغرب ، فالشعر الجاهلي شعر فطرى ، اوحت به حياة فطرية فاحرى بنا ان نلتمس تفسيرات فطرية ايضا لما نرى فيه من ظواهر ادبية ، اما ان نطوى الاجيال ونلتمس عند (فرويد) حلا لمشكلة ، لم تعش في نفس الجاهلي وحده ، وانما عاشت في النفس الانسانية في كل عصر ، وقد وجد الجاهلي لها نوعا من التفسير كما وجد غيره ، فذلك اغراق في النظر الفلسفي الذى لاتؤمن نتائجه ، ولاتسلم مقدماته من ضعف وتناقض .

ولاحرج ان اقول هنا ان بكاء الطلل في كل عصر ، وفي كل مصر امر طبيعي لاغبار عليه مادام الباكي قد وجد الدافع القوى من نفسه على هذا البكاء .

وللكاتب الفاضل تحيتى وتقديرى .

على العمارى

قليلاً من التواضع يا معلمي الفلسفة

بقلم : عبد الحي دياب

صدر العدد التاسع والعشرون من مجلة الثقافة ، وفيه مقالة تحت عنوان « محاولات لا تنقصها الشجاعة » للاستاذ عبد الفتاح الديدي ، وهو من شبابنا الأصلاء الذين يتمتعون بالدأب والمثابرة في هذا الميدان الذي نحن بصدد الحديث عنه اذ انه انتهى من رسالته للحصول على درجة الدكتوراه في المانيا منذ سنين،ولا زالت رهن المناقشة ،وموضوعها « تداخل الذوات عند هوسرل » ، وذلك عدا الابحاث الفلسفية التي تجعلنا نعتقد بحق انه في صف اخوانه الذين تحدث عنهم ، إن لم يزد على بعضهم. **غير ان هذا لا يعفينا من القول بان مقالته تحمل في طياتها دعاوى عريضة لا يمكن السكوت عليها ، اذ انه قام بتوزيع لقب فيلسوف على معلمى الفلسفة عندنا ، وكثير منهم قد حاضر له ، ابان طلبه الفلسفة على أيديهم بعد تقييد اسمه لدراستها ، وراح يلبس ذهن كل منهم تيارا فلسفيا خاصا ، واعتبر انتماء أو تشيع بعضهم لبعض المذاهب الفلسفية وتمثيله لها محاولات جريئة في ميادين المعرفة ، التي جعلت بدورها ارضنا الفكرية على جانب من الخصوبة بحيث جعلها مركزا ثقافيا وروحيا عالميا ..**

وهنا آن لنا ان نقول ما أضمرناه في نفوسنا ، وسكتنا على مضض من الخوض فيه ، اما وقد تحدثوا وخلعوا على أنفسهم الألقاب والمحاولات فلنتحدث نحن ايضا عسانا نقرهم على ما يزعمون . أو نجردهم من زعمهم وخيلائهم في آن واحد .

على أنه يجدر بنا أن نلم بأصول الفلسفة الرئيسية في ايجاز غير مخل ، ليتسنى لنا بعد ذلك التعرف على موقف أصحابنا من تلكم الاصول .

وخلاصة الخلاصات في هذا الصدد أن المذاهب الفلسفية ترجع الى أصلين شاملين يحيطان بمذاهب الفلسفة جميعا .. وهما الفلسفة المادية ، والفلسفة الالهية ..

والفلسفة المادية تتمثل في زعم اصحابها **أن مادة العالم في غنى عن من يديرها من خارجها، لانها قديمة متحركة بذاتها مشتملة على العناصر التي تنشيء منها الحياة والعقل حسب الطبيعة المستكنة فيها . وفي هذه الفلسفة تجتمع الأضداد ريثما يتغلب ضد منها على ضده بغير انقطاع لهذه المغالبة الدائمة ، ومن هنا يفسر أصحاب الفلسفة المادية ظهور الحياة من المادة العمياء التي لا تشبهها،وكذلك ظهور العقل في الحياة كلما تطورت فيها الكميات والكيفيات ، أي نحو الانتقال بين الضد والضد،والتحول من صفات الكمية الى صفات الكيفية ..**

وعلى العكس من ذلك يذهب أصحاب الفلسفة الالهية ، فالحركة الأزلية مستحيلة لديهم ، لانها تتمثل في الانتقال من مكان الى مكان ، أو من حالة الى حالة .. وهذا يعني أن الحركة توجد الحالة أو توجد المكان ، وليس قبل الأزل سابق يسبقه في المكان او الزمان ، لانه لو صح هذا القول بان المكان سابق للحركة الأولى لصح أن يقال اذن : ان المكان زمان قبل الزمان .

ولسنا بصدد ايراد رد دعاة الفلسفة الالهية على أصحاب الفلسفة الثنائية قدر ما نحن بصدد ايراد المشكلات التي يدورون حولها بعرضها وتفصيل حلولها وتأويلاتها،ولاسيما وأنها لم تغلق الباب ، بل تركته مفتوحا لمن يبتغي الوصول من طريق التامل او طريق الرياضة الروحية او طريق الاستشراف للكشف والالهام .

وخلاصة ما نقوله في مشكلات الفلسفة الالهية أنها تتضمن مسائل أربعا ، وجود العالم ، ووجود النفس، ووجود الشر ، وحرية الانسان ..

وحول هذه المسائل الاربع يتسم التساؤل عن كيفية ايجاد العالم ، هل هو حادث من العدم ؟؟ واذا كان حادثا من العدم فأين محل العدم مع وجود الله سبحانه وتعالى وهو كلي الوجود،الى آخر تساؤلاتهم واجاباتهم ، وتفريعاتهم على الاجابة والتساؤل .

كما يتم تساؤلهم عن النفس أهي جوهر مجرد ام جسد من الاجساد،فاذا ما كانت جوهرا مجردا فكيف تدبر الجسد ، وأين تحل فيه بالعرض الذي هي منزهة عنه الى آخر ما يقال في هذا الموضوع ..

اما مسالة الشر ووجوده في العالم ، فهي موضع تساؤل عن كيفية وجوده في العالم على اختلاف معانيه

ولاسيما اذا عرفنا أن وجود العالم من وجود الله ، ووجود الله منزه عما يأباه . وحتى لو قيل ان وجود العالم من العدم ، فان العدم ينعدم فيه الخير والشر على السواء ، ولا يكون اذا كان الا بارادة المريد الى آخره ..

وعلى الرغم من أن الحرية الانسانية ليست من محض المسائل الفلسفية التي تعضل على بعض المفكرين ، وانما هي من مسائل الفلسفة الدينية الكبرى ، لانها تربط بينها وبين حساب الانسان على اعماله وما يستحقه في الحياة الاخرى ، او في الحياة الدنيا من الثواب والعقاب .

وعلى الرغم من هذا فان الفلاسفة الدينيين يسألون عن مدى نصيب الانسان من الحرية في أعماله ؟ فهل هو حر في عمل الخير والشر كما يريد ؟ وهل يكون حرا في أعمال الحياة من خلقت له الحياة . الى حيث لا تنتهي أسئلتهم في الحرية الانسانية ، وفي المسائل الثلاث السابقة والفلسفة المادية التي حاولنا عرضها مما ترسب في نفوسنا من قراءتنا لما كتبه الاساتذة الأجلاء الذين نقف عند آرائهم في هذه الموضوعات . واننا وان كنا قد عرضناها في ايجاز ، فاننا نرجو أن يكون هذا الايجاز غير مخل بماهيتها ، لاننا لم نقصد الى تقريرها تقريرا مفصلا قدر ما قصدنا الى الاشارة الى الاصول لنرى موقف معلمي فلسفتنا منها والحلول التي قدموها في هذا المجال ..

والدارس لما كتبه هؤلاء ، يخرج بذهن مضطرب مشوش يختصم التركيز والقدرة عليه ، لان هؤلاء السادة قد تفرقوا شيعا وأحزابا ، وانتمى كل منهم الى مذهب يلوذ به يقرره ويفسره ، ويتعصب له ويقدسه ، وهو في هذا كله ينحي باللائمة على اخوانه الذين لم يدركوا ما أدرك ، ولم يهتدوا الى ما اهتدى اليه من مناهل الفكر الانساني كما يتوهم .. ومن ثم تقوم المعارك والخصومات على نحو ما قامت في الميدان الادبي **ابان المراهقة الفكرية في مجلة الرسالة العدد الثاني منها وما بعده في عام ١٩٣٣ ، تحت عنوان « لاتينيون وسكسونيون » وكان ابطالها آنذاك الاستاذ العقاد والدكتور طه حسين ..**

وهذه المعارك وتلك الصراعات في ميدان الفلسفة حول هذه المذاهب التي نشأت في مناخ علمي خاص ، له مبرراته الاقتصادية والسياسية والعلمية ، بين **اناس يثقون كل الثقة في العلم وفي حله لمشكلات** الانسان ، وآخرين يفتقدون فيه الثقة ويلوذون بالرياضة الروحية والالهام ولكن هؤلاء وهؤلاء ، وبتعبير آخر ، ولكن المثاليين او الوضعيين كما يقول معلمو الفلسفة لا يمثلوننا في شيء ، لان لنا ظروفنا الخاصة ، وتقاليدنا وقيمنا ، ومن هنا فلا يصح اذن أن نلحق تفكيرنا بتفكير أصحاب هذه المذاهب الفلسفية كالحاق بعض اللواحق الى الكلمات في اللغات الاوربية .. ومن هنا أيضا فان شخصيتنا الفكرية غدت مهزوزة ، ولم تتبين معالم الطريق منذ كان يقوم بتعليم الفلسفة الاستاذ أحمد لطفي السيد في أول هذا القرن ، اي منذ كان يقول عن ارسطو : سيدنا أرسطو عليه السلام ، الى وقتنا هذا ، ونحن نفتقد اتجاها فكريا فلسفيا كنا نأمل في ايجاده من العدم ، او بعثه الى الوجود ان صح أن لنا اتجاها فلسفيا يتمثل في فلسفة أفلوطين المصري صاحب الافلاطونية الحديثة .. ولكن الذي حدث غير ذلك تماما ، فلم يوجد هذا الاتجاه أو يبعث ، على يد معلم نابه استطاع أن يلم بأصول الفلسفة ، وأن يوائم بينها وبيننا كشعب وكأمة ، ليحدد لنا اتجاها فلسفيا نصدر عنه ، ونكتشف فيه أنفسنا ، ولكن هذا لم يحدث على الرغم من كثرة ما كتب في هذا الميدان الذي لو ترجم ما كتب لا اكتسبت مصر فضيحة علمية لا تحسدها عليها جميع البلاد المتخلفة حضاريا وفكريا ..

ومن ثم فاننا نرى أن مهمتهم في تدريس الفلسفة تتمثل في اشاعة الكساد العقلي في أذهان الطلاب ، واهتزاز الرؤية الانسانية دون أن تتحدد معالمها وملامحها ، لانهم يحصرون ابناءهم في هذه الكتب التي تنقلهم من عالمهم هذا الى عالم لا وجود له في أذهانهم واحساسهم بدعوى الوضعية حينا والوجودية ، والظاهريات أخيرا .

والسؤال الذي يبرز في أذهاننا الآن ولعله يبرز في ذهن القارئ كذلك هو لعل المناخ العربي لا يتسع للفلسفة والتفلسف ، وهذا السؤال يدلف بنا الى بدعة الساميات والآريات ، والشرق الفنان والغرب العالم ، وما الى ذلك من الدعاوى التي تقوم على بدع وأهواء لارضاء حاجة في نفس يعقوب ..

والاجابة عن هذا السؤال لا تقتضينا أكثر من أن نرجع بأذهاننا الى الوراء حيث عام ٢٠٤ من الميلاد ، وأن نيمم وجوهنا صوب اقليم أسيوط ، حيث ولد أفلوطين امام الافلاطونية الحديثة ، فانه وان لم يعد في طبقة ارسطو وافلاطون في العبقرية الفلسفية ، الا انه يضارعهما في بعد الأثر واتساعه بين المشغولين بالفلسفة الالهية ، لانه ادخل كثيرا من العناصر الفلسفية في مذهبه حين تصدى لحل مشكلات

الفلسفة المختلفة التى عرضت لطوائف الفلاسفة وفقهاء الاديان ..

واذا ما اجتزنا هذا العصر ، وجدنا انفسنا نقف وجها لوجه امام الفلاسفة الاسلاميين الذين وان كانوا قد خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا كما يقول صاحب « خصائص التصور الاسلامي ومقوماته » لانهم ظنوا ان الفكر الاسلامي لا يستكمل مظاهر نضجه واكتماله الا اذا ارتدى زى الفلسفة والتفلسف ، فحاولوا انشاء فلسفة اسلامية كالفلسفة الاغريقية ، وحاولوا انشاء «علم الكلام» على نسق المباحث اللاهوتية مبنية على منطق أرسطو ، مع اغفالهم لطبيعة الفلسفة الاغريقية وعناصرها الوثنية العميقة وعدم استقامتها على نظام فكرى واحد مما يخالف النظرة الاسلامية ومنابعها الأصيلة .. على الرغم من هذا كما يقول سيد قطب في كتابه السابق ص ١٢،١١ ، فاننا نعتقد أن عملية التوفيق هذه بين النظرة الاسلامية قد خلقت اتجاها فكريا الى حد ما ، اتسم بالطابع الاسلامي ودارت حوله المعارك والمنازعات الفقهية والفلسفية على نحو ما نراه فى « تهافت الفلاسفة » للغزالي ، و « تهافت التهافت » لابن رشد ... ومن هنا فان القول بالمناخ الفكرى والعقلية السامية أو الآرية لا تصلح تعليلا لافتقادنا لمذهب فلسفي ، أو على الأقل اتجاه فلسفى ..

واذا صح هذا فما السبب فى ذلك .. ؟

وفى اعتقادنا ان السبب يكمن فى نظم التعليم التى تختار لدراسة الفلسفة اسماء على حسب مجموعات اصحابها لا على حسب عقولهم وميولهم ، ومن هنا نرى الباعث على البحث الفلسفى والمنطقى والرياضي معدوما لدى هؤلاء جميعا ، اللهم الا القليل الأقل الذى لاينقض حكمنا ، وذلك مع أن دراسة الفلسفة على الرغم من مراعاة طبيعة العقل الذى يدرسها فانه لابد لها من بواعث تحرك العقل وتذكيه واذا عرفنا ان افلوطين قد درس منطق ارسطو ومبتدعات افلاطون فى الفلسفة ، ووقف على آراء طاليس وفيثاغورس وبارمنيدس وهيرقليطس ، وفلسفة العارفين التى شاعت فى عصره ، اذا عرفنا ذلك وعرفنا أيضا انه تعلم فى الاسكندرية ورحل الى البلاد الفارسية ، واقام بروما وهى على حالة من القلق الرهيب للضمائر الانسانية ، التى تحاول طلب القرار فى عالم الايمان .. اذا عرفنا هذا وذاك ، عرفنا أن دراسة الفلسفة تعتمد على طبيعة العقل أولا والبواعث ثانيا ، والداب والثبات فى الدراسة ثالثا ، وهذا ما لا يتوافر لكثيرين من دارسى الفلسفة عندنا .. واذا أضفنا الى ذلك توجيه افلاطون لطلاب جامعة أثينا عقب عودته من زيارته لجامعة هليوبوليس بمصر ، بأن يعكفوا على دراسة الرياضة التى تقوم عليها الفلسفة كطلاب مصر عرفنا أننا نعرف حينئذ أن دراسة الفلسفة فى مصر القديمة كانت تقوم على أسس علمية صحيحة ، ولها ادوات لا توجد لدى دارسينا فى هذا العصر . على أننا لا نغمط معلمى الفلسفة عندنا حقهم ، لانه يوجد هناك أناس يتمتعون بالاصالة لدراسة الفلسفة والبواعث ، ولكنهم تعثروا فى منهجهم فى الدراسة حيث التزم كل منهم فيلسوفا معينا ، لا يبرح تفكيره ، واقام بينه وبين الفلاسفة الآخرين سدا منيعا يضارع سد مارب والفرات خشاة أن تلج الى ذهنه فكرة أحد الفلاسفة الآخرين .. وهؤلاء هم متخصصون فى التخصص ، فمنهم من وقف عند باب « جبريال مارسيل لا يريم ، ومنهم من وقف لدى باب هيدجر وياسبرز وهوسرل . ومنهم من وقف على باب مور وتجنشتين وآير .. ومنهم .. ومنهم حتى سمعنا أن بعضهم كان يزور قبر من وقف على بابه ابان دراسته فى ألمانيا يوم الخميس من كل أسبوع ويترحم عليه ويقرأ له الفاتحة ويوزع الصدقات على روحه جريا على عادتنا مع من ماتوا لنا .. وذلكم هو صديقنا الاستاذ عبد الفتاح الديدى صاحب نظرية « تداخل الذوات عند هوسرل » . ولكم كان يسعدنا لو اتجه هؤلاء وهؤلاء الى دراسة الفلسفة دراسة شاملة تتخطى الافراد والحدود لتسفر عن اتجاه نصدر عنه فى ثقافتنا وفنوننا ..

ونود أن يتقرر فى أذهان القراء اننا لا نهدف الى غمط معلمى الفلسفة عندنا حقوقهم لاننا بصدد البحث عن اتجاهات فلسفية وسياسية واقتصادية وأدبية ، وسنمضى فى البحث عنها لدى كل طائفة من دارسى السياسة والاقتصاد والادب ، لاننا نحاول الكتابة فى هذه الاتجاهات منذ سنتين ، لنتبين معالم الطريق ونروز الارض التى نسير عليها فى تقدمنا المطرد .

على أنه قد يدعى بعض دارسى الفلسفة أن له اتجاها لا يشركه فيه غيره ، وهنا نقول له .. لتقل ما تقول ، غير أننا نطلب منك أن تبرز لنا هذا الاتجاه ، على صفحات « الرسالة » ، وسنمهلك شهورا ستة ، يكون حكمنا بعدها سارى المفعول . وسنقول لك ولاخواتك .. ما قلناه الآن .. قليلا من التواضع يا معلمى الفلسفة ...

عبد الحى دياب



نحو مسرح عربي

بقلم عبد الفتاح البارودى

— ٤ —

ان البحث عن وسائل خلق التفكير المسرحى فى بيئتنا يستلزم حتما بحث أسباب عدم ظهور هذا التفكير ... كثيرون يتوهمون مثـــلا ان الأديان عندنا منعت « التجسيد » أو حرمته أو كرهته ، فما الراى فى أن المسرح الاغريقى نشا فى عصر الجاهلية الاغريقية ، أى عصر الوثنية الاغريقية ، واذن فلماذا لم ينشا فى عصر الجاهلية العربية ؟! مسالة أخرى : ان المسرح الأوروبى الحديث يعتبر المسرح الدينى (المسيحى) من اهم أسسه ، فلماذا لم يوجد مسرح دينى فى بيئتنا ؟ مسالة ثالثة : ان المسرح المسيحى فى أوربا استمد موضوعاته من طقوس وتراتيل منقولة أصلا من الكنيسة الشرقية ، كنيسة أورشليم ، فى القرن الرابع ، فلماذا تطورت الى مسرح فى الغرب ، ولم تتطور على هذا النحو فى الشرق ؟!

مثل هذه الأسئلة تثير مشـــكلات فنية فى غاية الأهمية ... ان المشكلة الكبرى هى : لماذا لم ينشا مسرح فى بيئتنا ؟! طبعا بعض الأراء تقول مثلا : اننا فى العصر الفرعونى عرفنا أدبا قصصيا بل مسرحيا يمكن أن يقاس الى الأدب الاغريقى واللاتينى ، ولكن هذه الآراء ينظر اليها العلماء المتخصصون باحتراس شديد ... وحتى اذا سلمنا بوجود هذا الادب فلماذا لم يتطور كما تطور الادب الاغريقى ؟! ولماذا اختفى المسرح فى بيئتنا منذ العصر الفرعونى الى ان نقل الينا نقلا فى أواخر القرن الماضى ؟

كثيرون بحثوا هذه المشكلة الشائكة ... بعضهم يقول : ان الجاهلية العربية مرحلة انسانية لم تستكمل أسباب نضجها من حيث التقدم والحضارة ، ومن حيث الابتداع الذهنى فى عالم الأدب والفن ، ولو كانت قد نضجت لتطورت وسلكت نفس الطريق التى سلكته الوثنية الاغريقية ... وبعضهم يقول — ومنهم الفنان زكى طليمات — ان العرب فى الجاهلية لم تتجاوز وثنيتهم المراحل البدائية ، وكان من المحتمل ان ينشأ عنها فن مسرحى لو قد تجاوزتها ، واما فى العصر الاســلامى فقد حالت العقيدة الاسلامية دون ظهور المسرح باعتبار انه فى أصوله الاغريقية الأولى وثيق الصلة بالوثنية ، بينما قام الاسلام على مناهضة الأوثان ... ومن جهة أخرى كانت وسيلته التعبيرية مستندة الى مخاطبة العقل ومقارعة الحجة بالحجة المنطقية ، أى لم تكن به حاجة الى تعبير تمثيلى يفسر كنهه أو يفصح عن جوهره وتفاصيله وطقوسه ... وبعضهم يقول — ومنهم الفنان توفيق الحكيم — ان الأدب العربى يحتفل بالقصيدة ولا يعترف بالرواية التمثيلية حتى وان كانت شعرا ، لان القصيدة هى ميراثه منذ القدم ، كما أن الشعر التمثيلى هو ميراث الأدب الغربى منـــذ القدم ، وما من شىء أقوى من الميراث ... والعرب لم يعـــرفوا المسرح لأنهم فى عهدهم الوثنى لم يكونوا مستقرين فى مكان معين ، بل دائمى الانتقال ، فلما استقروا بعد ذلك فى العصر الأموى والعباسى اقتبسوا من الحضارات المختلفة كل فن الا فن الشـــعر ، لانهم لم يحتاجوا اليه ، فقد اعتقدوا أنهم بلغوا الغاية فيه منذ القدم .. الخ ..

❊❊❊

انني احترم كل هذه الآراء ، ولكنها ليست مستوفية لعناصر الاقناع ، ولم تتعرض لبحث المكونات الحقيقية للتفكير المسرحي ، ولا تغنينا عن التعمق في بحث الأسباب التي منعت ظهور المسرح في بيئتنا ٠٠٠ ولعل اسهل ما يؤدي بنا الى هذا ان نبحث مدى قدرة تلك البيئة على الخلق الفني ، عن طريق تأمل الفنون التي انتجتها ، سواء في عهد البداوة او عهد الحضارة ٠

ان مؤرخي فنون العرب يستدلون على خصائصهم الفنية مما أنتجوه بعد أن استقروا في الأمصار ، بمقارنتها بالخصائص الفنية عند الغربيين ٠٠٠ ففي الفن المعماري مثلا وجدوا أن الفنان الغربي «يقتطع من الفضاء جزءا محدود الأبعاد ، بينما الفنان العربي يعطي احساس « اللامحدود » نتيجة شعوره باللانهائية الصحراء ٠٠٠ وفي الفن الزخرفي يتجه الفنان الغربي الى الطبيعة والكائنات الموجودة في الواقع ، بينما الفنان العربي يتجه الى الزخرفة المجردة ٠٠٠ الفنان الغربي يصور موقفا فيه حركة وتفاصيل ومعنى محدد ، بينما الفنان العربي يرمز بخطوط لا معنى لها الى معان غير محسوسة الا في أعماقه هو ، ولا تعبر عنها هذه الخطوط ٠٠٠ من اجل ذلك يعتبر كثيرون ان الفنان العربي هو أساس « فن التجريد » الحديث ليس لأنه أقام رسوماته على فلسفة التجريديين ، بل لأن رسوماته تجردت من المواقف والاوضاع ٠٠٠ من هنا أصبح (الخط) هو العنصر الرئيسي في زخرفته ، دون أن تكون للعلاقات بين خطوطه صلة بالعلاقات بين اوضاع الحياة ٠٠٠ انها رمز مجرد فيه ـ بمفهومه ـ معنى الخلود ، ويصور ـ بمفهومه ـ معنى اللانهائية ٠٠٠

***

في الحياة الصحراوية لم يكن من الممكن أن تتطور وثنية العرب كما تطورت وثنية الاغريق ، لأن الصحراء اشعرت الفنان بضآلته في الفضاء الذي يحيط به ، كما اشعرته الأخطار التي واجهها او توهمها بنفس الضآلة ، ولهذا لم يكن « الانسان » موضوعا لانتاجه الفني ، فالانسان عنده ضائع وضعيف الشخصية ، ولهذا أيضا كان « الحيوان » أساس وحداته الزخرفية ، باعتبار أن الحيوان هو الكائن الذي يرى فيه القيمة والفائدة ، ومع ذلك كان يحوله في زخارفه الى خطوط مجردة أيضا ٠٠٠

قارن هذا بما فعله الفنان الاغريقي في بداوته ٠٠٠ انه حاول تجسيد قوى الطبيعة التي رآها مؤثرة في حياته ، وأضفى صفات البشر على كل الأشياء ، وحتى على آلهة الأوليمب ٠٠٠ شعر بالحياة الخارجية مليئة بالصور والاحساسات البشرية ، فتصور خصائص الانسان في الوجود كله ، وأصبح يتحدث عن آلهة الاوليمب وكأنهم من بني البشر ، ولهذا كان يخاطبهم كانسان يخاطب انسانا آخر ، وبذلك تحول الحديث الى « حوار » ٠٠٠ اننا نلمس هذا بكل وضوح في الأدب الاغريقي وفي الاساطير الاغريقية ٠٠ نلمس العنصر البشري في الأخيلة والمعاني وفي تجسيد هذه الأخيلة والمعاني ، وبذلك أضفى الفنان الاغريقي على الحياة وعلى الطبيعة وعلى آلهة جبل الأوليمب تفكير الانسان وتصرفات وسلوك الانسان ٠

والنتيجة أن الفنان الاغريقي عرف في ادبه وفنه عنصر الحوار وعنصر الصراع وعرف في ذاته عنصر « الشخصية » ، وعرف في حياته عنصر التفكير الحاضر المرتبط بواقعه وظروفه ، بينما لم يشعر الفنان العربي في بداوته بشخصيته البشرية وأقام حياته وتصرفاته على أساس « غيبي » ٠

***

وكما أن الحياة الصحراوية لم يكن من الممكن ان ينشأ فيها تفكير مسرحي في مرحلة البداوة ، فكذلك لم يكن من الممكن أن ينشأ فيها هذا التفكير في حضارتها ، وأيضا لم يكن من الممكن أن ينقل اليها الانتاج الفني القائم على مثل هذا التفكير ٠٠٠ لماذا ؟ لأن حضارتها امتداد لبداوتها من حيث انها لم تواجه احداثا تهزها بمعنى أن تغير من تفكيرها وايديولوجيتها ٠٠٠ كيف يتغير التفكير او الأيديولوجيات ، وهي تعيش في تراكيب اجتماعية معينة لم تتغير من البداوة الى الحضارة الا تغييرات مظهرية ، بمعنى أن هذه التراكيب لم تكن تتيح حرية « التفكير الفني » الا في نطاق المعتقدات الراسخة والنظم الموضوعة ٠

ومن أجل ذلك ظل التجريد في الفن ليس بالمعنى المتعارف عليه الآن ، بل بمعنى الابتعاد عن الانسان وتقويم الحياة بقيمه وتصويرها بصورته ، وبمعنى انطماس الفنان في الكون وفي غموضه نتيجة الجهل به من جهة ، وانعدام الشخصية ذات الكيان المحدد فيه من جهة اخرى ... والى جانب التجريد نجد التكرار في الوحدات الزخرفية ، وهذا التكرار يماثله

تكرار القافية فى الشعر والنغمة الرتيبة فى النثر ، وهكذا ؛ وكل هذه مظاهر للكبت الذى كان يعانيه الفنان نتيجة قسوة ظروفه ، ولهذا كان يعبر بها عن هذا الكبت ، كما كان يعبر بها عن محاولة هروبه من هذه الظروف الى عالم آخر أو حياة أخرى يجد فيها تنفيسا لذلك الكبت أو تعويضا عن شقائه على أى نحو من الأنحاء .

فى مثل هذه البيئة لا يمكن أن ينطلق التفكير المسرحى ، بل لا يمكن ان يجد له مجالا فيها .

ان هذا يفسر لنا أو يساعدنا على تفسير أسباب عدم نشوء التفكير المسرحى فى بيئتنا ، وأيضا عدم تطور التفكير الأدبى الى تفكير مسرحى ، وكذلك عدم تطور الطقوس والتراتيل كما حدث فى أوربا ... أى أن المسرح بعبارة أخرى لم يكن من الممكن أن ينبت فى بيئتنا الفكرية نبتا طبيعيا كما حدث عند الاغريق، ولذلك لم يكن من الممكن أن يستنبت استنباتا سليما كما حدث فى أوربا ... والدليل على ذلك هو المسرح الدينى .

***

ان الطقوس الدينية التى تطورت الى فن مسرحى فى الغرب هى نفس الطقوس التى لم تتطور على هذا النحو فى الشرق ، رغم أن الموضوعات التى كانت تدور حولها تلك الطقوس ، والتى بدأت الكنيسة الغربية تعطيها تعبيرا مجسدا فى صبغة فنية منذ القرن الثامن الميلادى ، هذه الموضوعات كانت منقولة أو مقتبسة من تراتيل أعياد كنيسة اورشليم .

فمثلا فى عيد الميلاد ، وهو من أهم الأعياد أثرا فى المسرح الدينى لأن موضوعاته حافلة بالحركة والأحداث ، كان يحتفل به احتفالا دينيا خالصا ، ثم تطور التعبير عن موضوعاته تطورا فنيا .

ففى الحلقة الأولى (يوم البشارة) قبل الميلاد بتسعة شهور كان من طقوسه ان يمسك أحد الشمامسة بغصن شجرة ويرتل بعض الأناشيد ، فى حين يبدو (جبريل) هابطا من السقف ــ رمز السماء ــ مبشرا بالمولود المقدس .

وفى الحلقة الثانية (يوم الميلاد) يردد القساوسة (الأنشودة الملائكية) ، فى حين تقف (مريم) و (يوسف) بجوار المذود الذى وضعت فيه العذراء مولودها العظيم ... مثل هذه الطقوس ظلت طقوسا كما هى للآن فى الكنيسة الشرقية ، بينما كانت النواة الأولى للمسرح الدينى فى الكنيسة الغربية... كيف ؟

أولا تداولتها من الناحية التصويرية عدة تطورات، صاحبتها وأثرت فيها وتأثرت بها تطورات ذهنية واجتماعية فى الناس ، واهتم رجال الدين وقتئذ بالتعبير عنها تعبيرا يقربها للناس فى نطاق جدران الكنيسة أولا ، ثم فى رحاب الكنيسة ثم خارج الكنيسة ... وقد بدأت التطورات التعبيرية بادخال « حوار بدائى » ، ثم اغتنى هذا الحوار حتى أصبح فى النهاية حوارا فنيا .. كذلك بدأت التطورات التصويرية بتمثيل الرموز والتعبير عنها تعبيرا يجسد مدلولاتها ، ثم اتجه هذا التجسيد اتجاها فنيا ملحوظا فى حادث هام جدا من الناحية الفنية ... خلاصة هذا الحادث أن أحد رجال الكنيسة فى مدينة جريشيو بايطاليا أدخل فى الاحتفال بعيد الميلاد ثورا حقيقيا وجحشا حقيقيا ، ليعطى صورة حقيقية للمشهد الأخير فى ذلك الاحتفال ... حدث هذا فى عام ١٢٢٣ وبدأت بذلك « مشاكلة الموضوع للواقع » فى الاحتفالات الدينية . وهذه نقطة تحول ضخم فى طريق التعبير الفنى . وهذا التحول خدم الفن المسرحى خدمة ضخمة .

وهكذا يمكن أن نستدل على سائر التطورات التى حدثت للطقوس الدينية وانتهت آخر الأمر الى المسرح الدينى ، الذى كان حلقة لها أثرها الهام فى الفن المسرحى .

***

ان من واجبنا ونحن نحاول خلق التفكير المسرحى فى بيئتنا أن نتوسع ونتعمق فى بحث أسباب عدم ظهور هذا التفكير ، فى الماضى طبعا ... ان ظروفنا تغيرت وبيئتنا تغيرت فكريا واجتماعيا واقتصاديا ... الخ ، ولكننا نطالب كل المثقفين بمواجهة هذه المشكلة .. أى مشكلة عجز بيئتنا الماضية عن خلق التفكير المسرحى لنقيم هذا التفكير فى بيئتنا الجديدة بوعى وفهم ... ان بيئتنا تغيرت ولكن ليس لدينا تقاليد مسرحية ولا تراث مسرحى، فماذا نفعل لننشىء تفكيرا مسرحيا سليما فى بيئة لم تتأصل فيها قواعد المسرح ؟!

عبد الفتاح البارودى

تعقيبات

بقلم : عباس خضر

هل احسان عبد القدوس مفترى عليه ؟

كثيرا ما سألت نفسى هذا السؤال بعد أن أفرغ من قراءة قصة للاستاذ احسان عبد القدوس أو فى أثناء القـــراءة .. ماسر هذه الحملات التى يشنها بعض النقاد على هذا الكاتب ؟ ان مبعثها - ولا شك - ما تحتوى عليه قصصه من مواقف وأفكار جنسية ، **حتى ليسميها الاستاذ العقاد « أدب الفراش » ويفسر استنكاره اياه بانه الذى يقصـــد به اثارة الغـــريزة وجلب جماهير القراء عن طريق هذه الاثارة ، ويفرق بينه وبين الأدب الجنسى الذى لا يستنكره بان هذا الأدب يعالج الجنس كظاهرة حيوية لدى الانسان تعد فى جملة الظواهر التى يتناولها الأدب بالبيان والتحليل الجاد .**

وتنعكس تلك الحملات على الجماهير ، أو قل ان الجماهير نفسها تلحظ ما فى القصص من جنس ، فتهتم به وتفكر فيه وتحتار .. ما من ندوة يمثل فيها كاتب أمام جمهور ، مثل ندوات أسابيع الكتاب العـــربى وغيرها ، الا كان احســـــان عبد القدوس وقصصه - تصريحا أو تلميحا - موضع الأسئلة ومثار الاهتمام .

حتى وزارة التربية والتعليم ، أو قسم « الألف كتاب » الذى كان بها وصار الآن فى وزارة التعليم العالى ، هذا القسم حذف من كتاب أصدره موضوعا نقديا لرواية من روايات احسان .. برغم أن هذه الرواية بالذات لا شىء فيها مطلقا مما فى قصصه ورواياته الأخرى من الجنسيات ، وهى رواية « فى بيتنا رجل » ، وبرغم أن روايات أخرى مكتوب عنها فى نفس الكتاب تشـــتمل على جنسيات ، وبعضها مقرر فى مكتبات المدارس .. ولكن اسم « احسان عبد القدوس » .. الاسم فقط يثير الريبة ويدعو الى الاجفال !

وكان موقف وزارة الثقافة مختلفا ، فقد مثلت الرواية - بعد مسرحتها - على مسرح التليفزيون ، وشاهدها من تلاميذ المدارس أضعاف من يقرأون الكتب منهم .. ونشرت مؤسسة التأليف كتابا نقديا آخر لمؤلف « الألف كتاب » يشتمل على الموضوع الذى حذف من الكتاب الأول والمكتوب عن « فى بيتنا رجل » .

هذا وذاك وذلك .. يدل كله على موقف عجيب من الكاتب - احسان عبد القدوس - لا ينبغى أن يظل معلقا أو غامضا أو داعيا الى الحيرة والتردد ، ولا سيما أنه كاتب مقروء على نطاق واسع فى مصر وفى البلاد العربية ، ولعله أكثر كتابنا رواج مؤلفات فى الوقت الحاضر .

أشعر ازاء ذلك أن واجب النقاد ، لا نحو الكاتب نفسه ، بل نحو الجماهير القارئة ، أن يجلوا ذلك الموقف وألا يكتفوا برميه بالأحكام المطلقة والتهم التى تشبه القذف بالطوب !

وسأحاول هنا شيئا من ذلك ، فأعود الى سؤالى الحائر الذى بدأت به .. **هل احسان عبد القدوس كاتب يتخذ من الشئون الجنسية وسيلة الى جذب الجماهير القارئة ولا شىء وراء ذلك .. أم أنه مفترى عليه وأن أعماله الأدبية تستكمل عناصرها الفنية وتهدف الى غايات جدية فى حياتنا ؟؟**

هذه روايته الأخيرة « لا شىء يهم » يمكن أن نأخذ منها الجواب . انها تعرض علينا نماذج حية من مجتمعنا الحاضر ، وتجســـم مشكلة خطيرة يكافح الشعب والدولة فى مقاومتهـــا ، ثلاثة أصـــدقاء : أحدهم ايجابى سديد الاتجاه نحو الأهداف العامة ، والثانى منحرف لا يؤمن بغير منفعته الشخصية ويحطم كل القيم فى سبيل تحقيقهـــا ، والثالث سلبى لا يهمه شىء . وهذه هى المواقف الثلاثة التى تسود مجتمعنا الحـــاضر ، فيدفع به أحدها الى التقدم ، ويحاول الثانى جذبه الى الوراء ، والثالث يتفرج .

ويدور الصراع في القصة بين القوى العاملة الجادة في بناء المجتمع وبين القوى الأخرى المعوقة ، وتجرى المعالجة بطريقة صريحة تكشف الحقائق وتجلو المواقف التي تغيم وتغمض على كثير من الناس ·

وقد خرج احسان عبد القدوس بموضوع هذه القصة عن ما لا يزال معظم كتابنا القصصيين يبدئون فيه ويعيدون من فساد ما قبل الثورة . **وقد شبع هذا الماضي كتابة وتصويرا حتى اصبح ينطبق عليه المثل الدارج « القتل في الميت حرام » وانا كواحد من القراء والمواطنين أقسم بالله العظيم انى مقتنع كل الاقتناع بالفساد الماضي ولست محتاجا الى تصوير او ابراز له ، ولا اشك في أن جميع المواطنين مثل في ذلك حتى الرجعيين انفسهم ·· فهم مقتنعون بسوئه ولو حنوا اليه !**

انما المجال الجدير بالابداع الآن هو الحاضر وما يشرف عليه من مستقبل مأمول · واعتقد أن في حاضرنا كثيرا مما يحتاج الى التناول الأدبي بطريقة المهمة الأساسية للأدب وهي الاحتجاج ·· فلسنا نحتاج الى تصوير الشخصيات الايجابية ومواقفها التقدمية فحسب ، **بل نحن كذلك في حاجة اشد الى ابراز العناصر المعوقة لتقدمنا والأخطاء التي تقع في تطبيق الاشتراكية وتكاد تزلزل الايمان بها ·**

وذلك هو ما فعله احسان عبد القدوس في قصة « لا شيء يهم » وأعطانا اياه من خلال تصويره ورسمه للشخصيات والأحداث بطريقة تجمع بين الامتاع والاستهداف ، وان كان أحيانا يميل الى سياق الأفكار وشرحها أكثر مما يحتمل السياق الفني ·

عندما أنظر الى هذه الناحية الموضوعية في قصص احسان ، والى مايهدف اليه فيها من غايات اجتماعية وانسانية ـ **أقول في نفسي انه مظلوم وان الحاملين عليه متحاملون متجنون ·**

ولكني لا ألبث أن أعود فأنظر الى الكفة الأخرى من الميزان ·· ماذا فيها ؟

فيها نوعان مما يؤخذ عليه ، ويظهر أني سأضطر هنا الى الترتيب والترقيم المدرسي ـ بحكم المهنة القديمة ـ كما يلي :

أولا ـ بنات يطالبن بالحرية في الزواج والحب ، وبحق العمل الذي يحقق لهن الكيان الاقتصادي ، واخفاق وخيانات في الحياة الزوجية التي لا تقوم على أساس الحب ، ودعوة الى الصداقة بين الجنسين ··· الخ · وهذا كله من أهداف المجتمع المتقدم التي اخذنا بها فعلا في حياتنا الحاضرة ، ولا يعارض فيها الا القلة الواقفة ، ومعارضتها تعجز عن ملاحقة الركب في سيره الحثيث ·

ثانيا ـ وهنا طبقا للترقيم المدرسي أيضا نرى نوعين :

(أ) القبلة المعمقة ، والرغبة الصادقة ، والجسد المشتعل ··· الى آخر الأوصاف والصور الحسية المثيرة ، التي ترفع مستوى توزيع « روز اليوسف » عندما تنشر حلقات القصة ، والتي تجعل الناشرين يتهافتون على المؤلف ويهتمون بصورة الغلاف حتى تبدو فيها « البنت » في منتهى الاغراء المباح ··

(ب) افكار خطيرة لا يمكن التسليم بها ، وهي فكرة واحدة رئيسية يلح عليها ، وهي تجيء في موقف بقصة « لا شيء يهم » ، عندما تتردد الزوجة على خليلها في شقته ، ويجرى بينهما الحوار المبرر لعلاقتهما **على أساس أن المهم هو الحب ، وأن الحب وحده يبيح كل شيء ·· اما عقد الزواج فهو أمر** شكلي ! وتتفرع من هذه الفكرة الرئيسية صور مختلفة في قصص احسان عبد القدوس ، منها صورة الزوجة التي تستدعى في خيالها صورة الحبيب وهي مع زوجها ·· وتتغلب بهذا التصور على النفور من الزوج !

عندما أنظر الى كل ذلك أرجع عما قلته في نفسي **اولا واقول : لا ، انه ليس مظلوما وانه يستاهل الحملات التي تشن عليه ··**

ثم أقول للمرة الثالثة والأخيرة : **انه مظلوم ومفترى عليه ·· ولكن من الظالم والمفترى ؟ انه هو الكاتب نفسه الجاني على نفسه ·· هو الذي يظلم فنه القصصي الممتاز بتلك العناصر الجنسية التي لو استبعدت منه ما ضر استبعادها شيئا من الناحية الفنية · وانا اعتقد أن احسان عبد القدوس كاتب جذاب بدون هذه الجنسيات وانه بصوره الحية وسياقه الفني الممتع وأفكاره الاجتماعية السديدة يجذب قراءه ، والدليل على هذا قصته الوطنية** « في بيتنا رجل » التي لا تشتمل على قبلة واحدة ولو بريئة ! وقد نجحت نجاحا جماهيريا كبيرا في مختلف الأشكال التي ظهرت فيها : كتابا ومسرحية وفيلما ·

ولا انفى أن بعض القراء يجذبهم الجنس ، ولكن ماذا لو نقص هؤلاء من عداد القراء الكثيرين في سبيل أن يخلص فن الكاتب من تلك الشوائب ؟

عباس خضر



● **هذه العامية المتطاولة :**

اذا كانت العامية تمثلها الاغلبية الساحقة من الشعب ، فهل يجب أن نغض الطرف الى الأبد عن العربية الفصحى مجاملة لعيون هذه الاغلبية الساحقة ؟ .

وعلى هذا القياس : اذا كانت الامية لم تزل متفشية فى غالبية الشعب ، فهل تقف حركة مكافحتها امتثالا لارادة هذه الاغلبية أيضا ، وتوفر للدولة هذه الالوف المؤلفة من الجنيهات التى رصدت لهذه المهمة الخطيرة الدقيقة ؟ .

أم أن العقل والمنطق يحتمان علينا ، أن نرتفع بالعامية الى مستوى الفصحى ، ونرتفع بالشعب الأمى الى المستوى اللائق بالآدمية فى القرن العشرين من الثقافة والعلم ؟ .

وأنا أتساءل : حين اعتبرنا اللغة العربية أول مقومات الوحدة العربية الشاملة من المحيط الى الخليج ، هل كنا نقصد اللغة العامية الركيكة ، أم اللغة العربية الفصحى التى تؤرخ لكياننا الأدبى والسياسى والفنى على السواء ؟ .

ان الذين يتحمسون للدفاع عن العامية ، ويريدونها تتطاول على اللغة العربية الأصيلة ، يسيئون أكبر اساءة الى تاريخنا الحاضر والمستقبل والماضى أيضا ، فتراثنا بأسره قد أرخ له بالعربية الفصحى ، الا ما كان من لون الادب الشعبى المتمثل فى السير الشعبية وفى مقدمتها سيرة أبى زيد الهلالى وغيرها ، ولا أظن ان أديبا من دعاة العربية يحاول بجرة قلم أن يلغى هذا الجانب من تراثنا .. وليس معنى هذا أن نسمح لهذا اللون الركيك من الألفاظ المتراصة ، أن يعبر عن أحاسيسنا ومشكلاتنا ، وندعه متطاولا على اللغة العربية ليلجئها الى جحور تستقر بها الى الأبد .

وان تعجب فعجب لكاتب لامع يرتدى (روب) الدفاع عن هذا اللون الركيك ، على صفحات احدى الجرائد اليومية ، محتجا بان طاغور ، استطاع بلغة بدائية أو شبه بدائية ـ يقصد بها البنغالية ـ أن يحمل فى فنه وشخصيته رسالة انسانية جديدة يجب أن يتعلم الغربيون منها ، ويجب أن يقفوا امامها متواضعين مؤدبين كالتلاميذ الصغار كما يذكر « رومان رولان » .

كنت أود أن يفصح الكاتب عما اذا كان (طاغور) ملتزما قواعد لغته وأصولها ، أم تحلل منهما ، والا تجانبه الحقيقة فيتجاهل أن معظم مؤلفات طاغور التى أثارت مفكرى الغرب ، انما كان باللغة الانجليزية ، وليس باللغة البنغالية « البدائية أو شبه البدائية » كما يقول الكاتب الاديب .

لقد استمعت منذ أسابيع الى أحد مؤلفى الاغانى باللغة العامية ، وهو يقول فى برنامج تليفزيونى : انه يكتب الاغنية شعرا عربيا أصيلا ثم يترجمه الى اللغة العامية ، وعندما سئل عن رأيه فى اللغة العامية ، قال :

ان اللغة العامية لغة أغلبية الشعب ، وما دمنا فى عهد اشتراكى ديمقراطى فالواجب أن تسود اللغة العامية .. وليته ماقال :

ويمكننا قياسا على هذا المنطق الاعرج أن نطالب الصحافة أن تتحلل من اللغة العربية الفصحى ، لتحل محلها اللغة العامية لغة الشعب ، ويومها لن يملك الشعب الا أن يخرج لها لسانه ، لا أن يمد اليها يده ، هذا الشعب الذى نصر على أن يبقى الى الابد فى حضيض الامية ، لانه غير جدير بالنهوض .

● **مع العدد الثانى من «القصة» :**

هذه جولة سريعة فى العدد الثانى من مجلة القصة التى تصدرها وزارة الثقافة والارشاد القومى ويرأس تحريرها الكاتب الكبير الاستاذ محمود تيمور .

في هذا العدد ست قصص من الانتاج المحلي ، بلغت صفحاتها زهاء اثنتين واربعين صفحة هي : الدنيا بخير لمحمد القرش ، والمرأة والأسد لأمين يوسف غراب ، وصدى السنين لصوفي عبد الله ، ولأنه يحبها لثروت أباظه ،وانت قاس لجاذبيةصدقي ثم الهروب لمحمد السباعي .

أما القصص المترجمة فكانت ستا ايضا ، وبلغت صفحاتها زهاء ست وخمسين صفحة : « مصير الانسان » من الادب الروسي لريكيو وترجمة حسين القباني ، و «صرت ملاكا » من الادب الجواتيمالي لكارلوس وايلد وترجمة خيري حماد ، و «الطريق الى المقبرة» من الادب الالماني لتوماس مان وترجمة محمود ابراهيم الدسوقي ، و «الزفاف» من الادب الروسي لمكسيم جوركي وترجمة مصطفى الريس ، و «الصمت الصادح» من الادب الفنلندي لايفارليس وترجمة ماتيلدا حليم فهمي ، ثم « سرقتني ليلة عيد الميلاد» من الادب الانجليزي لماسون وترجمة بديع عزيز حنا .

وغير هذه القصص وتلك بحثان ، الاول عن القصة في الادب الانجليزي للدكتور طه محمود طه والآخر عن اتجاهات جديدة في الرواية الاوربية للدكتورة سهير القلماوي ، ثم بعد ذلك حديث ممتع اجراه الاديب القصصي محمد عبد الحليم عبد الله مع استاذنا الكبير الدكتور طه حسين ، وكأنما كان الاديب وهو يعد أسئلة الحديث يستوحي قصة الدكتور «الايام» هذه القصة التي طبعت للمرة الثامنة والعشرين ، وسر هذا النجاح هو سهولة الاسلوب العربي وتحرره من قيود السجع والبديع .

الحق أن الاستاذ محمد عبد الحليم عبد الله امتعنا بهذا الحديث مع عميد الادب العربي ، فأثار كثيرا من القضايا الادبية التي لم تزل موضوع الساعة على الرغم من قدم أحداثها ، ولعل أكثر ما يثير اهتمامنا من أسئلة الاديب سؤاله للدكتور :

هل الشخصية الادبية العربية لم تصل بعد الى حد النضج الذي يمكنها من ارساء مدرسة ادبية عربية مستقلة ، كالرومانسية والواقعية التي وردت من الخارج ؟

وكان رد الدكتور : السر في ذلك هو اننا نتعلم الفصحى ولا نتكلمها .

وبعد أن سرد الدكتور التجديد الذي ساير تطور الادب العربي في شتى مراحله ، ولا سيما الشعر ، قال مندهشا :

تصور أننا لا نتكلم الفصحى حتى لو جلست أنا والعقاد !

من اخبار الادب

- اختار المجلس الأعلى لرعاية الفنون والاداب بالقاهرة اثنين من كبار المفكرين العرب للاحتفال بهما خلال عام ١٩٦٥ ، هما محيي الدين بن العربي والمقريزي ، وذلك بناء على طلب تقدمت به هيئة اليونسكو .
- سيصدر قريبا في بيروت ديوان « موشحات مهجرية » للشاعر الياس فرحات ، كما سيصدر ايضا كتاب في جزءين للعلامة الاستاذ محمد جميل بيهم عنوانه : « عالم حر جديد في آسيا وافريقيا » .
- صدر أخيرا كتاب جديد للاستاذ يعقوب العودات عنوانه : « ابراهيم طوقان في وطنياته ووجدانياته»
- صدرت قصة طويلة بعنوان « الطبيب الصغير » للاديبة اللبنانية جريد يني شيبوب ، كما صدر كتاب عن التراث اللبناني للاستاذ يوسف غانم .
- القي عدد من البحوث في مؤتمر مجمع اللغة العربية المنعقد الان برياسة الدكتور طه حسين . من هذه البحوث : « مراحل القياس في تاريخ اللغة العربية » للدكتور عمر فروخ (لبنان) و « صيغة فعيل » بكسر الفاء وتشديد العين للدكتور ابراهيم أنيس (القاهرة) و « السليقة عند العرب المحدثين » للاستاذ عبد الله كنون (المغرب) .
- صدر للاستاذ العقاد بحث جديد عنوانه « جوائز الادب العالمية : مثل من جائزة نوبل » كما صدر له الطبعة الثامنة من كتابه (أبو الشهداء) .
- عكف الاستاذ احمد حسين المحامي على اخراج الحلقة الثانية من قصته الطويلة « ازهار » والمتوقع أن هذه القصة الطويلة ستكون في اربع حلقات .

ومن الجدير بالذكر أن الطبعة الثانية من الحلقة الأولى صدرت منذ ايام بمقدمة مسهبة للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد .

- انتهى الاستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم من تحقيق كتاب « شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون » من تأليف ابن نباته المصري ، وهو من أمتع كتب التراث وأدقها وأوسعها .

محمد عبد الله السمان

الكتب نقد وتعريف

يقدمه تحسين عبد الحي



اسرائيل والدول الكبرى
تاليف : الدكتور يحيى عويس

يرى المؤلف ان العالم يعيش فى مجتمع دولى طبقى تتميز فيه دول على أخرى رغم المساواة النظرية بينها فى السيادة والحقوق ، وفى هذا المجتمع الطبقى تستأثر الاقلية القوية بالنفوذ - تماما كما تستأثر الأقلية فى المجتمعات اللاديموقراطية بنفوذ الحكم والسيطرة . فالدول الكبرى تملى سياستها على بقية دول العالم وتسيرها كما يتراءى لها ، وقد تختلف تلك الأقلية القوية بين قرن وآخر كما كان الحال خلال قرون التاريخ - ولكنها موجودة دائما فى صورة أو أخرى ، رغم اختلاف « القائمة » ، ورغم اختلاف القوى النسبية لكل منها .

ومشكلة فلسطين خلال مراحلها المختلفة ومنذ انتهاء الحرب العالمية الاولى لم تخرج عن كونها مشكلة تسببت فيها سياسة بعض الدول الكبرى . بان سلبت الأمة العربية حقا مشروعا - ثم تدرجت الى اقرار هذا السلب وتمادت فى سياستها بعد ذلك - فادعت انتفاء هذا الحق - وتذرعت بوجود حقوق اخرى للجانب الصهيونى - وطالبت العرب بالاعتراف بحقوق اليهود . فلما وجدت منهم مناهضة ورفضا ، راحت تنادى بوجود مشكلة فلسطينية قوامها صعوبة التوفيق بين وجهات نظر متناقضة ، فمنذ أن صدر وعد بلفور وبريطانيا تساعد الهجرة الصهيونية غير المشروعة الى فلسطين ، فكان آلاف الارهابيين ينزلون الى الأراضى الفلسطينية مدربين مسلحين ومعدين لحرب العصابات وأعمال التخريب والقتل وذلك تمهيدا لطرد العرب من ديارهم ، وقد شن هؤلاء الارهابيون أعنف سلسلة من جرائم الارهاب عرفتها فلسطين فى تاريخها ، ففى ١٦ يونيو سنة ١٩٤٦ دمرت عصابات الارهاب الصهيونى تسعة جسور من بينها أربعة جسور حديدية ونسفت فندق الملك داود متسببة فى قتل مئات الأبرياء ..

وتمادى الصهاينة بعد ذلك فى اقامة المذابح العامة للمواطنين العرب العزل - فدبرت عصابتا الأرجن وشترن مذبحة دير ياسين التى ذهب ضحيتها المئات من النساء والأطفال - وقد شهد مندوبو الصليب الاحمر فى فلسطين - « رغم تهديدات الصهيونيين ومنعهم لهم من مشاهدة آثار تلك الجريمة الشنعاء - » بأن مذبحة دير ياسين كانت مجزرة بشعة تنم عن وحشية متعمدة لا مبرر لها على الاطلاق سوى الزهو بالقتل والتنكيل بالعرب الآمنين .

وفى الوقت الذى كانت تدبر فيه هذه المجازر البشرية كانت انجلترا تدلل هذه العصابات وتشجعها ، وتضطهد المواطنين العرب .. اما الولايات المتحدة الأمريكية فقد تمادت فى تأييدها لاسرائيل وتحمست لقيامها - ولم تكن سياستها مدفوعة بدوافع انسانية او اخلاقية ، بل كانت مدفوعة بدوافع سياسية محضة أملتها الحاجة الداخلية بالنسبة للحزبين اللذين كانا يتصارعان من اجل كرسى الحكم .

وخلاصة الموقف على مسرح السياسة الداخلية الأمريكية ان الصهيونيين يستخدمون نفوذهم المالى والسياسى ويستميلون ساسة الحزبين الديمقراطى والجمهورى ويصورون لهم المكاسب السياسية التى تتحقق بمؤازرتهم للصهيونية ، والدعاية الصهيونية تلهب الرأى العام مستغلة النواحى الانسانية والنفسية فى تقديم صورة مشوهة لمحنة اليهود المشردين . وزعماء الحزبين الرئيسيين فى الولايات المتحدة يحلمون بالأصوات اليهودية فى الانتخابات ، وبالمال اليهودى الذى يحقق لهم النصر بتنظيم حملات الدعاية الانتخابية .

وبدأ تنافس الحزبين الجمهورى والديمقراطى فى كسب تأييد الناخبين اليهود منذ الحملة الانتخابية لعام ١٩٤٤ اى قبل انتهاء الحرب العالمية .

وقد قال ترومان مرة فى احدى حملاته الانتخابية : .

« ان مرشح الحزب الجمهوري يتكلم عن فلسطين قبل ميعاد الانتخابات بعشرة أيام ، وكنت آمل أن تجرى سياستنا الخارجية على أسس لاحزبية ،ولكن اشارة المرشح الجمهورى الى فلسطين تجبرني على الكلام .

« أنني أؤيد اسرائيل بكل قواى » .

وقد قدمت الولايات المتحدة المساعدات التى كانت تستخدم في الانفاق على تهريب الارهابيين اليهود من أوربا الى فلسطين . وقد زادت هذه **المساعدات عن مليون ونصف المليون من الجنيهات سنويا في الفترة مابين ١٩٣٩ ، ١٩٤٤ الى ان اصبحت اربعة ملايين جنيه سنة ١٩٤٥ ، ثم وصلت الى ستة ملايين من الجنيهات سنة ١٩٤٦ .**

واستعرض الكتاب بعد ذلك دور كل من بريطانيا والولايات المتحدة فى خلق اسرائيل مدعما ذلك بالحقائق والأرقام .

وتساءل المؤلف عن الهدف أو المصلحة التى فى سبيلها اتبعت انجلترا والولايات المتحدة تلك السياسة التى تنصلت فيها من القيم العليا وتنكرت لمبادىء العدل والتى من أجلها ضحت بحقوق الشعب العربى فى فلسطين وأهدرت كرامته اين هى تلك المنفعة التى عادت عليهما .. ؟ وأين هى تلك المصلحة التى رأى ساستها أن يبرروا بها كل وسائل الضغط والكبت وتأييد الارهاب ومساندة العدوان فى سبيل تحقيقها .. ؟ أهى مصلحة انشاء دولة صهيونية فى قلب الامة العربية ؟ أهى خلق مشكلة شائكة فى الشرق الاوسط ، أهى ايجاد جو من عدم الاستقرار وايجاد عنصر قلق وسط الامة العربية حتى لاتصبوا الى التكامل والوحدة التى تسعى الاقاليم العربية جادة الى تحقيقها - أم هى ايجاد دويلة عدوانية المذهب تحاول اثارة قلق الدول العربية المجاورة حتى لاتنصرف الى تقوية أنفسها اقتصاديا وسياسيا .

أم أن الهدف هو ايجاد جسر تعتمد عليه لاستغلاله كقاعدة حربية بعد أن يئست فى محاولاتها كبت الشعور القومى العربى المناهض للاستعمار الغربى .

وبعد ..

لقد اهدرت انجلترا كرامتنا واذلت الولايات المتحدة كبرياءنا على ارض فلسطين الشهيدة ، ولم ترع كل منهما لنا مواثيق ولا عهودا ، واستغلت هذه الدول ومعها الصهيونية العالمية تصدع الكيان العربى المتمثل فى حكوماته القابعة فى اطار القومية المحلية الضيق ، والتى كانت تنهك قواها فى خلافات داخلية وتركز جهودها لتحقيق المآرب الشخصية لافراد الطبقات الحاكمة . والتى كانت على استعداد لأن تبيع المصلحة العليا للامة العربية فى سبيل تحقيق هيبة محلية أو نصر حزبى .. تلك الحكومات التى لم تستطع أن ترتفع الى مستوى الموقف القومى فاتخذت - قبل النكبة وبعدها - تصدر التصريحات الجوفاء المجردة التى تلهب الشعور وتثير الحماسة .

ان نضالنا اليوم فى أمس الحاجة الى العمل المنظم والحماسة معا .. فالحماسة والوطنية لازمتان لصون الحقوق والذود عن الأوطان . ولكنهما وحدهما لاتكفيان لتحقيق النصر على عدو غادر يستعمل كل الوسائل الدنيئة لتحقيق مآربه واطماعه ويستغل سياسة القوى التى تستخدمها الدول الكبرى فى الميدان الدولى ، مثل هذا العدو لا يقف عند حده ، ولا يلقى جزاء غدره وعدوانه الا بالسلاح والاعداد والتدبير المحكم .

ان الايمان والعزم قوة ، ولكنها تلك القوة المعنوية اللازمة لتسخير القوة المادية التى هى الحكم الفاصل فى مجتمع دولى تقوم العلاقات فيه على السياسة المادية .

ان معركتنا القادمة معركة وجود ومصير ووجودنا القومى باكمله مرتبط تماما بسيطرة شعبنا من المحيط الى الخليج على اراضيه حتى يستطيع أن يامن كيد اولئك الذين اهدروا كرامتنا واذلوا كبرياءنا فى فلسطين .

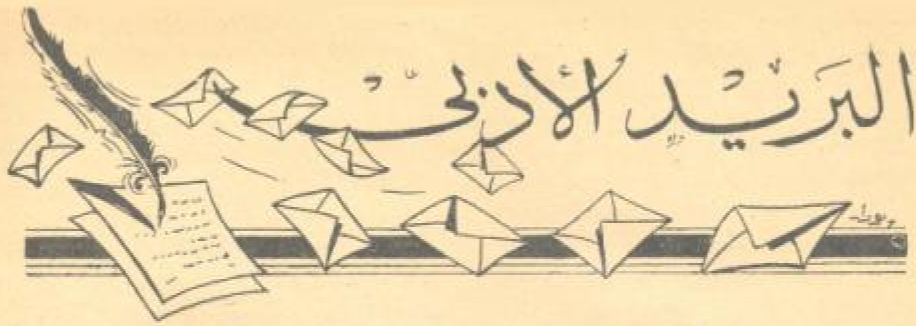
واذا كان زعماء الصهيونية امثال وايزمان وغيره قد ساوموا بريطانيا والولايات المتحدة على قيام دولتهم المزعومة . فقد أصبح من المحتم علينا - ونحن نستعد لخوض معركة وجودنا القومى - أن ندخل فى حسابنا ذلك العنصر الهام ، ومن ثم يجب ان تتطور لغتنا الدبلوماسية والدولية من الآن فصاعدا لتتكلم بلغة المصالح العليا لامتنا .

ان التمسك بالقيم الاخلاقية والمثل العليا ثم التعلق باهداب المواثيق والعهود والمناداة باننا أصحاب حق - مغلوبون على أمرنا .. كل هذه المفاهيم بالاضافة الى انها لم تجد فى الماضى ، فان العالم والدول الاستعمارية بالذات لاتعرف سوى منطق الضغط والمساومة المدعمة بامكانيات العمل السريع الحاسم .

ان نضالنا القومى فى سبيل العودة واسترداد الوطن السليب اصبح اليوم يتسم بالمرونة وسرعة الحركة لمواجهة المواقف القومية الحاسمة .

ولا شك ان نضالنا القومى وقد بلغ هذا المستوى سوف يكون مستعدا فى اية لحظة لاستعادة وطننا السليب .

تحسين عبد الحى



تحية وتهنئة ودعاء

طلعت علينا الرسالة الحبيبة فى هذا الاسبوع ، وصدرها متألق بمثالية اخلاقية ، تكبرها النفوس ، وتحمدها القلوب . وهكذا يكون عظماء الرجال فى سلوكهم .

هذه المثالية الرفيعة ، لا تستغرب ابدا من اديب كبير ، كاديبنا الزيات ، وهو صاحب القلم العف ، الذى دبج لنا فى بلاغة لا تبارى ، ما ينبغى ان يكون عليه الانسان الراشد فى الحياة من عبادته لربه ، ومعاملته للناس .

كانت مقالة الزيات هى اول ما اقرأ من الرسالة، ولما وجدت غيرها فى مكانها ، تراجعت النفس ، وبدأ الهم يغزوها ، ولكنى اسرعت فاستفتحت ، فكان الفتح الذى سرنى واسعدنى !!

واى سرور ، واية سعادة اجمل واحلى من التجاوب بين استاذ له فضل ورعاية وتلميذ يعترف له بالفضل والرعاية !!

فاهنأ يا سيدى الخضر فانا مشاركوك فى سرورك وسعادتك ، وادعو الله تعالى ان يبارك فى رحلتك مع استاذنا واستاذك ،حتى تطول وتطول ، لتهب علينا نسمات الادب من لدنكما معطرة بالنفحات من من جمال الصحبة وصدق العمل .

وهأنذى أقف وفى يدى يراعى محيية أديبنا الزيات القائد ذا الأريحية ، ومهنئة الأديب القصاص الناقد عباس خضر على تلك الثقة التى أولاه اياها اديبنا الكبير ، وهى ثقة غالية تطمئن اليها ، وتعتز بها ، وانك لاهل لها يا أستاذ خضر . فهيا هيا كن قويا على حمل الامانة والراية !!

سدد الله خطاك ، وبلغك فى الحياة مناك .

بديعة محمد سبع الله

رجال المستقبل !

عندما هبطت السلم بعد انتهاء المحاضرة الى « دورة المياه » . فوجئت بشاب طويل القامة يرتدى زيا انيقا وقد القى الكتب جانبا « على البلاط المشبع بالماء المتساقط ... واخذ ينهمك فى تصفيف شعره . وامامه مرآة صغيرة الحجم « كالتى يستعملها الجنس الآخر » وبجانبها « حق فازلين » ... وهذا كل المنظر ... !!

ثم وقفت اتأمل « البطل » الذى لن ينتهى كما خيل الى . وبعد ان صال وجال . واستعرض كل ما فى جعبته من فنون المهارة يستعرضها فى تأن مره وفى عجلة مرة اخرى . الى أن وقف به هواه ومزاجه على « تسريحة » وافقت منه ارتياحا وسرورا اخذ يصفر صفيرا عذبا « كأنه صرير الجنادب فى ايام الصيف الشديد » . كل ذلك وهو يطوى « حق الفازلين » فى ورقة احضرها من جيبه خصيصا لذلك حتى يخفيه عن الاعين . وكذلك صنع بالمرآه ثم انطلق الى الخارج . كالظافر المنتصر وكالطاووس نافشا ريشه .

ولم ادر كيف انطلق لسانى خلفه يستمهله ويستعطفه على تلك الكتب .. !!

مضى وهو سعيد سعيد . الحياة امامه كلها عطر وريحان . وفازلين وصفير . وحب ومتعة .

ووقفت وانا سعيد الحياة امامى كلها تبتسم لى ابتسامة الرضا والفخر والاعجاب ... شعرت بذلك الحماس الذى طالما عاودنى فى مثل تلك المواقف التى مرت بى — وانا فى مراحل التعليم المختلفة — فلم تكن تترك فى نفسى اثرا الا الحماس والعزيمة .

ما اعذب الكفاح . وما اشهى الصراع . الصراع بين النزوات والمثل . صراع العقل والعاطفة صراع الفقر والحاجة والطموح .

فلا عجب .. ان اقف مكاني – بعد ان توارى البطل – شارد الفكر . اذ مر بخاطرى صـورة الشباب المكافح المناضل . الذى آلى على نفسـه العمل والجد فى سبيل بناء المستقبل . مستقبل الامة والوطن . فى سبيل الوصول الى المجد والتقدم وسط هذا الركب الزاحف . «انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى »

لطفى سلام

حول الكندى فيلسوف العرب

صدر اخيرا لأستاذنا الدكتور أحمد فؤاد الاهوانى كتاب « الكندى فيلسوف العرب » من سـلسلة «أعلام العرب» وتناول موضوعات عامة درج الباحثون فى «الفلسفة الاسلامية على درسها وتمحيصها دون البت فيها حتى تهيأ أخيرا لاستاذنا ان يشفى غليلنا ويجيب على كثير من الأسئلة التى ظلت غامضة ردحا من الزمان ، الا اننى لا حظت أمرا أود تسجيله حتى يضيع وهم علق بالنفس من ذكره واعنى ذلك ان استاذنا ذكر من تلاميذ الـكندى فى آخر الكتاب .. « ابازيد البلخى » واعتقد – بعد تمحيص – أن تلميذ الكندى المنسـوب اليه ليس هو « ابازيد البلخى » ، وانما هو « أبو معشر جعفر بن محمد بن عمر البلخى » عالم أهل الاسلام باحكام النجوم « كما يقول صاعد فى طبقات الامم » ، والدليل على ذلك ان جميع مؤرخى الفلسـفة يذكرون «أبا معشر البلخى» باعتباره تلميذ الكندى ولا يذكرون « ابازيد » فابن النديم عندما يذكر « ابازيد البلخى » يقول « انه بأهل الادب اشبه واليهم أقرب » فابوزيد – اذن – أديب أو هو أشبه بأهل الادب منه بالفلاسفة . بينما يجمع الذين يذكرون « ابا معشر » على انه هو تلميذ الكندى لعدة أسباب منها .. انه معاصر للكندى والدليل على ذلك تلك القصة المشهورة عن حسد ابى معشر للكندى حيث يقول ابن النديم « كان يشاغب الكندى ويغرى به العامة ويشنع عليه بعلوم الفلاسفة ، فدس عليه الكندى من حسن له النظر فى علم الحساب والهندسة فدخل فى ذلك فلم يكمل له فعدل الى علم احكام النجوم وانقطع شره عن الكندى بنظره فى هذا العلم لانه من جنس علوم الكندى » ويقول الاستاذ : ت.ج.دى بور فى كتابه « تاريخ الفلسفة فى الاسلام » ترجمة الدكتور محمد عبد الهادى ابو ريدة «واكثر من السرخسى ذكرا بين تلاميذ الكندى أبو معشر المتوفى عام ٨٨٥م ويرجع الفضل فى شهرته الى علم أحكام النجوم » وهكذا نستطيع ان نستنتج ان ابا معشر البلخى هو تلميذ الكندى ، لا ابازيد كما ورد فى كتاب أسـتاذنا الجليل .

فوزى عرفه

– حول « الصفحة الفنية » من حياة الامام مالك –

بعد ان لخص الاستاذ محمود الشرقاوى فى مقاله « الصفحة الفنية » من حياة الامام مالك » ما كتبه الاستاذ امين الخولى عن مالك والفن فى كتابه (مالك تجارب حياة) ، ذكر أن عالما كبيرا كان شـيخا للازهر ، قال ان نشاط الدعوة يجب أن يتجـه للشعوب البدائية فى افريقيا والا يتجه الى الشعوب المتحضرة .. وذكر الاستاذ الشرقاوى ما نتج عن ذلك من تشهير صهيونى استعمارى بالاسلام وبدائيته ثم هدى فقال : « ولو ان القوم ومنهم العالم الكبير شيخ الاسلام ، استوعبوا الصورة المتكاملة لشريعة الاسلام ، واستشرفوا أبعادها ، وتأملوا مثل هـذه الصفحة الفنية ، من حياة مالك ، وغيره لجنبوا شريعة الاسلام قيلة البهتـان والزور ، ... الخ ما قال . »

ولقد تعجبت من فعل التامل فى تلك الصفحة الفنية ، وما يجنبنا والشريعة ! وساءلت نفسى ابعد هذه القرون الطويلة ،لم يقدر لنا ان نستوعب نحن المسـلمين وشيخنا الصـورة المتكاملة لشريعة الاسلام .. ! وعمر الازهر اكثر من الف عام .. ! ان هذا وحده اكبر مما يردده أشد الاعداء . ! ، حقا اننا لانعيش شريعة الاسلام ، ولكننا نعلمها ، ونعلمها ، ونستوعبها ، وتلك هى آفتنا الكبرى التى كنت أود أن تكون الموضوع الذى يكتب فيه ، فهو سر تخلف العالم الاسلامى ، وسيطرة الاسـتعمار عليه .

ولم يقل احد منا قط ان الغنـاء حرام .. ! فلنرجع الى راى مالك !! ، ولنـظر فى ذلك مقالة ؛ ولقد حكى ، شيخ الادباء ورئيس تحرير مجلتى الازهر والرسالة فعل الصوت الساحر فى وجدانه فقال : « ... فاحسـست ان الصوت السـاحر ينسكب فى مسـمعى نقيا ، كرنين الفضة ، نديا كترجيع البلبل ، تقيا كتسبيح الملائكة ، فاعترتنى حال من الصوفية الشاعرة ، فيها الحب والشوق ، وفيها الفناء والعبادة ..» .

محمد محمود شمس

إعلان

تعلن محافظة الاسكندرية عن وجود الوظائف الخالية الآتية لمن يرغب في شغلها وفقا للشروط المبينة امام كل منها .

الوظيفة	الدرجة	الكادر	الشروط المطلوب توافرها	طريقة التعيين
١ ـ وكيل قسم العامل الشئون البكتريولوجية	الثالثة	الفنى العالى	ان يكون المتقدم طبيبا بشريا حاصلا على دبلوم البكتريولوجية ولاتقل درجته عن الرابعة .	بالنقل الى المحافظة بالحالة التى يكون عليها .
٢ ـ طبيب الباثولوجيا الاكلينيكية	الخامسة	«	دبلوم تخصص في الباثولوجيا الاكلينيكية	بالنقل الى المحافظة بالحالة التي يكون عليها
٣ ـ طبيب وقائى	السادسة	«	بكالوريوس الطب والجراحة من احدى جامعات الجمهورية العربية المتحدة وامضى مدة الامتياز قبل نهاية هذا الاعلان ولم يمض عليه اكثر من ثلاث سنوات بعد انتهاء خدمته كطبيب امتياز .	اختبار شخصي
٤ ـ طبيب جراحة العظام	«	«	دبلوم تخصص في جراحة العظام	«
٥ ـ كيماوى		«	بكالوريوس الزراعة (تخصص اغذية) او بكالوريوس صيدلة ويفضل الحاصلون على دبلوم تخصص في الاغذية او بكالوريوس العلوم شعبة الكيمياء والنبات)بدرجة جيد على الاقل .	«
٦ ـ طبيب بيطرى	السادسة	«	بكالوريوس الطب البيطرى دفعة ٦٢ و ٦٣	«
٧ ـ طبيب جراحة مسالك بولية	«	«	دبلوم تخصص في جراحة المسالك البولية .	اختبار شخصي
٨ ـ مسجل تسجيل الماشية	الثامنة	فنى متوسط	شهادة الزراعة المتوسطة نظام جديد دفعة ٦٢ و ٦٣ .	اختبار تحريرى وشخصي
٩ ـ صانع اسنان	الثامنة	فنى متوسط	خبرة سبع سنوات على الاقل في مصلحة حكومية وحاصل على ترخيص من وزارة الصحة .	اختبار عملى وشخصي

فعلى من يرغب في التعيين يكون مستوفيا للشروط الواردة بقانون موظفى الدولة رقم ٢١٠/١٩٥١ ان يتقدم شخصيا بطلب استخدام على الاستمارة رقم ١٦ ع.ح باسم السيد محافظ الاسكندرية (المراقبة العامة لشئون الموظفين والعمال) في ميعاد غايته يوم الخميس الموافق ٢٦/٣/١٩٦٤ ويشترط لقبول الطلبات اداء رسم قدره مائة قرش صاغ بالنسبة لوظائف الدرجة السادسة ، خمسون قرشا بالنسبة للوظائف الاخرى يسدد لخزينة ديوان محافظة الاسكندرية ويلزم ان يكون الطلب مصحوبا بالمستندات الآتية :ـ

١ ـ شهادة الميلاد او مستخرج رسمى منها

٢ ـ الشهادة الدراسية وتاريخ الحصول عليها وبيان درجات النجاح

٣ ـ خمس صور فوتوغرافية مقاس ٤ × ٦ سم

٤ ـ بيان واف عن الاعمال التى مارسها الطالب من تاريخ تخرجه حتى الآن وعما اذا كان له خدمة سابقة او حالية بالحكومة

٥ ـ اذا كان سن المتقدم مابين الحادية والعشرين والثلاثين فعليه ان يقدم احدى الشهادات المنصوص عليها بالمادة رقم ٥٠ لسنة ١٩٥٥ في شان الخدمة العسكرية والوطنية .

٦ ـ شهادة حسن السير والسلوك

٧ ـ شهادة الجنسية

٨ ـ صور البطاقة الشخصية

هذا وستطبق المادة ٨٢ من قانون نظام الادارة المحلية رقم ١٢٤/١٩٦٠ ولن يلتفت الى الطلبات السابق تقديمها قبل الاعلان او التى تقدم بعد التاريخ المحدد او التى لم تستوف الشروط المشار اليها .

محافظ الاسكندرية

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
وزارة الثقافة والارشاد القومي

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

الادارة
٢٧ شارع عبدالخالق ثروت
ت ٧٥١٤٩٠ - القاهرة

العدد ١٠٥٢ الخميس ٢٨ شوال ١٣٨٣ هـ - ١٢ مارس ١٩٦٤ م السنة الحادية والعشرون

الفهرس

بين هرم خوفو وسدّ عبدالناصر

بقلم : أحمد حسن الزيات

معجزتان من معجزات الدهر صنعتهما مصر أم الدنيا وبلد العجائب ومهد الحضارة كانتا سمتين في وجه الزمان على مجدها العريق وعزها الباذخ : أولاهما الهرم الاكبر في عهدها القديم ، واخراهما السد العالي في عهدها الجديد!!والباد الذى تنشيء عبقريته هذين العملين الخارقين لا يعجزه عمل وان استحال ، ولا يفوته امل وان بعـد ، متى كان امره منوطا بيده ، وسلطانه مبسوطا على ارضه ، فان الهرمشاده وهو حر ، وان السد يشيده وهو سيد . وما كان ذلك الخمود الذى غيبه عن الشعور بذاته ، وعوقه عن النهوض بنفسه ، في الفترة التى دامت خمسة وعشرين قرنا الا نتيجة حتمية لخروج امره من يديه ، ، ودخول الاجنبى بالعدوان والسلطان عليه ، فكان شعبهطوال هذه القرون منقيام قمبيز الفارسي الى سقوط فاروق الالباني خاضعا لحكم الغريب الواغل ، يحارب وهو يغنم ، ويحرث وهو يسوق ، ويزرع وهو يحصد ، وينتج وهو يستفيد ،ويعمل وهو بوجه ، حتى نسي أن فوق أرضه سماء فيها الروح والرفعة ، وان وراء حدوده فضـاء فيه الطموح والامل ، الى ان مسه روح من الله فانبعثت نخـوة الفراعين والعرب في نفوس بنيه فانتفضوا انتفاضة

العزة وثاروا ثورة الكرامة فحطموا الاغلال وطردوا الدخيل والقوا بمقاليد الحكم الى ايدى الفلاحين والعمال من بنى مصر . وآن لفرعون الذى قال : « أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى افلا تبصرون » آن له آن يطمئن فى تابوته الذهبى الى ان ملكه قد عاد الى بنيه من جديد ، بعد هذا الدهر الداهر الذى عاشوه فى أرضهم عيش العبيد ! .

حينئذ شعر المصرى لاول مرة فى تاريخه ان ارضه له وان حكامه منه وان ما ينتجه يدخل فى داره وان ما ينفقه يعود الى بلاده ، فاستورى ما خبء من قواه ، واستثار ما كمن من مزاياه ، وهب يصنع المعجزة الثانية مستعينا بقوة العلم وقوة الفهم وقوة العزم وقوة المادة على ان يزيل الجبال الصم الشم الرواسي من طريق النيل الخالد ويقيم فوقها السد العالى ليحجز من ورائه ماء الحياة ويجريه بامره كيف شاء وحيث يشاء الى الصحارى القاحلة والاراضي العطاش ، فتتسع الرقعة وتستفيض النعمة ويكون لمصر بالوجهين اللذين يخلقهما السد فى شرقى النيل وغربيه اربعة اوجه لا وجهان ، واربعة اقاليم لا اقليمان ! ويصبح مجرى النهر للمرة الاولى فى حياته مقرا للماء حيث يبقى ، لا ممرا الى البحر حيث يموت .

ان العالم كله يشهد اليوم قيام هذه المعجزة بالنظر المشدوه واللب الحائر ويقول الذين عاينوه بعد الخبر أن مصر لو أرصدت لبناء هذا السد كل ما فى امكانها من المال والرجال والخبرة لما كان ذلك بدعا من البدع ولا عجبا من العجب ، فكيف وهى تجعل بناءه فضلا من قوتها وفصلا من ثورتها وجزءا من خطتها فلا يطغى العمل فيه على كل عمل ، ولا يعوق الجهاد فى سبيله اى جهاد ، ولا يمنع هذه العجيبة الكبرى أن يقوم بجانبها عجائب اخرى فى الاقتصاد والاجتماع والثقافة والسياسة ؟ ويعترف الكتاب الذين شاهدوه ان ابراز اعجازه لمن لم يشاهدوه محال ، لانهم اذا ارادوا ان يصوروه بالرسم لايجدون اللون الدال ، واذا ارادوا ان يصفوه بالقول لايجدون اللفظ المعبر ، وكيف يصورون الصراع الهائل بين الانسان والطبيعة ، ويصفون الواقع الماثل بين الخيال والحقيقة ؟ انه كسائر المعجزات سيقف التاريخ منها موقفه من معجزة الهرم الاكبر ، يرويه ولا يدركنهه ، ويراه ولا يعرف سره ، لان سر هاتين المعجزتين كامن فى طبيعة هذا الشعب العظيم لا يظهر اثره ولا ثمره الا فى الحين بعد الحين !

على ان الفرق بين هرم خوفو وسد عبد الناصر شديد بعيد فى الفكر والعمل والغرض : الهرم قام للموت والسد يقوم للحياة . الهرم كان قبرا لجثة بالية وثروة فانية وحرية قتيل ، والسد سيكون مهدا لحضارة جديدة وحياة سعيدة ورزق مشترك . والعمال المائة الالف قد سخروا ثلاثين سنة فى بناء الهرم لم يجازوا الا بالسوط ولم يكافاوا الا بالحرمان حتى ذهبت نفوسهم رهقا وجوعا وخوفا بين الجلاويد وفوق الرمال من غير منة نالوها على الارض ولا رحمة رجوها فى السماء ؛ اما عمال السد العالى فينالون الاجر الوافى ويعيشون العيش الرغد ويسكنون المسكن المكيف ويشجعون بالثناء الطيب ويتمتعون بالمقام الكريم ، ويوازنون بين يومهم وأمسهم فيجدون العمل بعد البطالة والغنى بعد الفاقة والعزة بعد الذلة والسعادة بين الجبال الجديبة . بعد الشقاء بين الحقول الخصيبة ، ويشعرون انهم بما يعملون ينشئون لامتهم مجدا وتاريخا وحضارة .

واوضح الفروق واعظمها بين الهرم والسد ان الهرم كان فاتحة لسلسلة متصلة الحلقات من المجاعات والطواعين والغرق والشرق والاستعباد والاضطهاد والاضطراب والسخرة والفوضى ، وان السد سيكون باذن الله خاتمة لاولئك كله .

احمد حسن الزيات

ألوان

● زعم الشيخ والشيخة او الشيخان او الشيختان على التغليب فى كلمة كتباها معا فى مجلة اسمياها (الادب) ! ان الرسالة كانت مجلة المعلمين الالزاميين والابتدائيين . يريدان الغض من قدر الرسالة . ولعل مبعث هذا الزعم فيهمـــا بعد ضربان الدمل الخبيث القديم ان طه حسين والعقـــاد والرافعى والمازنى وشكرى واحمد امين والبشرى وعزام و(امين الخولى) كانوا من كتابها ، وهؤلاء وامثالهم لا يجوز فى رايهما ان يكتبوا للجامعيين !! . وليس بدعا من اخلاق الشيخ والشيخة أن يصدر عنهما هذا القول وما اشبهه ، فقد زعم من قبلهما مسيلمة وسجاح ان ان رســـالة محمــــــد كاذبة ، وان رسالتهمــــا هى الصادقة !! لارحم الله صاحبهما الذى قال :

ياضفدع بنت ضـــفدع ، نقى ماتنقين ، فلا الماء تكدرين ، ولا الشارب تمنعين !!

● رأى مالك بن دينار يوما حمامة مع غراب ، فعجب من اتفاقهما وليسا من شـــكل واحد ، فلما مشيا اذاهما اعرجان ، فقال : من ههنا اتفقا !

● شاع فى اساليب الكتاب اليوم قولهم : (وضع النقط على الحروف) يريدون توضيح الابهام وازالة اللبس . لان الحروف من غير النقط يلتبس بعضــــها ببعــض فلا تفرق بين الباء والتاء ولا بين الزاى والراء . والمعروف ان هذا الاستعمال ماخوذ من قول الفرنسيين : وضع النقطة على الحرف (اى) ولكن ابا العلاء سبق هؤلاء جميعا بقوله .

كلامك مستغلق لايبين   كالخط اهمله الناقط

● قصر الفقهاء فى المدن والوعاظ فى القــرى قولهم فى الشريعة على العبادات من صلاة وصوم وما يلابسهما من غسل ووضوء حتى فهم المسلمون ان هذه الشعائر هى الاسلام كله . فهم يصـــلون ويصومون ويحجون ويحســـبون ان ذلك كاف لاقامة الدين . اما المعاملة وهى التى ورد فيها القـــول الماثور : الدين المعاملة وفسرها البيت المشهور :

والدين انصافك الاقوام كلهم
واى دين لابى الحق أن وجبا

فقد ظلت فى رايهم خارج حدود الدين

ابن عبد الملك

الايمان بالنفس من أهم دعائم القوة

للاستاذ الشيخ محمد محمد المدنى

من الدعائم الاساسية التى يقيم عليهـا الاســلام بناءه الــروحى ويعمــل على تركيزها فى الفـــرد والجماعة : الايمان بالنفس .

فان فردا من الافراد مؤمنا بنفســه ، شاعرا بقوة شخصيته ، وبانه موجود له كيان مستقل ، ورسالة فى الحيـــاة ، اجدى على المجتمع من ألف شخص لايعرفون لانفسهم قيمة ، ولايؤمنون بانهم مخلوقون لغاية ، ولا بأن وجودهم فى الحياة ليس مجرد مرور او عبور .

وما يقال عن الفرد يقال عن الامة وعن المجتمع : فالامة التى تفقد الثقة بنفسها ، وتنظر دائمــا الى غيرها نظرة التقليد والتبعية ، وتحرص على أن تتمثل وتتشبه بسواها ، وتجتلب مثلها ومقاييسـها من آفاق غير آفاقها ، لايمكن أن تكون امة حية ، ولايمكن ان يكون لها أثر فى قيادة أو توجيه او اصلاح .

لذلك يحرص الاسلام على أن يكون الافـــراد فى الامة أقوياء بمـــا يرسمه لهم من منــاهج فى الخلق والسلوك ، ويحرص فى الوقت نفسه على أن يشعروا بقوة أنفسهم، ويثقوا بأنهم مخلوقون لغايات سامية، لا لمجرد العيش والمتاع وتمضـــية العمر يوما بعـــد يوم وعاما بعد عام ، بدون اهداف تقصد .

كما يحرص على أن تكون الامة مؤمنة بنفســـها ، واثقة بأن لها اهدافا ، وانها ليست تكرارا لغيرها .

ان الاسلام يقول للمؤمنين فى كتاب الله الكريم :

« كنتم خير امــة اخــرجت للناس ، تامــرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » .

ويقول لهم :

« ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ، ويأمــرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، واولئك هم المفلحون»

ويقول لهم :

« وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شـــهداء على الناس » .

وبهذا كله يغرس في نفوسهم انهم امة «اخرجت» اى ابرزت من الله عن قصد وتدبير واحكام وتهيئة ، وانهم يفوقون في هذا الابراز وفي هذه التهيئة كل امة اخرجت وان ذلك يرجع الى كونهم امة واعية يسودها راى عام قوى مهيب لايروج فيه الا « المعروف » وهو ماتعرفه العقول السليمة ، والفطر المستقيمة ، ولا يزدرى فيه الا « المنكر » الذى من شأنه ان يفسد المجتمعات ويقوض بناءها .

وبهذا ايضا يشعرهم بأنهم هم الامة «الوسط» ، الى الخير ، وليسوا مجرد امة مدعوة ، اى انهم اصحاب قيادة ، واهل فكرة ومبادىء ينادون بها ، ولاينطوون على انفسهم مكتفين باعتناقها .

وبهذا ايضا يشعرهم بأنهم هم الأمة « الوسط » ، اى الخيار المفضل ، وانهم هم « الشهداء » على الناس ، اى ان مثلهم هى المثل التى يجب ان تحتذى واحكامهم هى التى يجب ان تكون الفاصلة بين الناس ومقاييسهم هى المقاييس المثالية التى يجب ان تعدل بها كل المقاييس فى العالم ، فبدل ان يكونوا امة تابعة تتلقف مايورد اليها ، وتعتنق كل مايجلب لها ، يكونون امة تقلد هى ، وتؤخذ عنها الاوضاع السليمة والأفكار الصحيحة ، والمبادىء الحقة .

ولاشك ان هذا كله تركيز لثقة الامة بنفسها ، وتوطيد لوجودها الحى المثمر النافع ، مع بيان ان هذه الافضلية ، وهذا المركز القيادى انما يرجع الى المبادىء والخصائص الخلقية والنفسية ، من كونهم مؤمنين بالله ، آمرين بالمعروف ، ناهين عن المنكر ، داعين الى الخير ، شهداء على الناس ، اى مثلا لهم ، وقدوة فى مختلف شئونهم .

والاسلام فى سبيل تدعيم الايمان بالنفس فى قلوب المؤمنين يطلب اليهم الا يستسلموا لعوامل الوهن والضعف النفسى ، فيقول لهم :

« ولاتهنوا ولاتحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين » .

« ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ».

« ولاتهنوا فى ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون » .

« فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم » .

وبهذا كله يؤكد لهم انهم قوة ، وان قوة أعدائهم لايمكن ان تتحدى قوتهم ، لانهم اهل الايمان ، والايمان ثبات وصبر وتضحية ، واعداؤهم اهل الكفر ، والكفر تزلزل وهلع وشح فى النفوس .

والاسلام يعلم المؤمنين عدم الركون الى العجز والكسل كما يعلمهم عدم الاستسلام الى الهم والحزن ، وكل ما من شأنه ان يضعفهم ، وما ابدع مايوحى به الدعاء الذى كان يدعو به رسول الله الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول :

« اللهم انى أعوذ بك من الهم والحزن ، واعوذ بك من العجز والكسل ، واعوذ بك من الجبن والبخل ، واعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال » .

ولو اننا تأملنا هذا الدعاء لوجدنا فيه لونا من الوان التربية والتقوية والايحاء للمؤمنين بأن يعرفوا قيمة أنفسهم ، وغاية حياتهم .

انه يستعيذ بالله من ثمانية اشياء كل منها يهدم قوة الانسان ، ويبطل ثمرته ، ويؤدى به الى الانهيار وخسران النفس ، وقد جاء بهذه الثمانية مقسما اياها اربعة اقسام ، كل قسم قد انضم فيه مثيل الى مثيله :

فالهم والحزن اخوان متشابهان ، لان الهم هو ورود الالم على النفس من جانب شىء يتوقع حصوله ، والحزن هو ورود الالم من جانب شىء قد وقع فعلا ، والانسان بين شىء قد حدث له فاحزنه وشىء يخشى أن يحدث له فهو فى هم منه وكرب ، فاذا استسلم لهذا او ذاك انتهى امره الى الضعف والتزلزل والانهيار ، ففقد نفسه ، وخسر نشاطه وسعيه وقوة قلبه ، فالنبى صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله منهما ، ويوحى الينا بهذه الاستعاذة انهما امران مكروهان ، لاينبغى للمؤمن ان يقع فى براثنهما ، لكى تبقى له قوته وفاعليته واقدامه وثبات سعيه .

والعجز والكسل اثنان متشابهان ايضا ، لان عدم الانتاج يرجع الى واحد منهما ، فاما ان يكون المرء عاجزا فهو لايستطيع ان يثمر ، واما ان يكون قادرا ولكنه كسلان لايحب العمل ، ولاينبعث اليه ، وكلاهما ضعف فى الانسان ، وتعطيل لثمرته ، والغاء لوجوده وان عاش آكلا شاربا ، فالنبى صلى الله عليه وسلم

يستعيذ بربه منهما ، ويوحى الينا بذلك أنهما أمران يجدر بالمؤمن ان يعمل على وقاية نفسه منهما ، حتى يكون لحياته قيمة .

والجبن والبخل كذلك : أحدهما الركون الى عدم التضحية بالنفس فى سبيل معالى الامور ، والآخر الركون الى عدم التضحية بالمال حين ينبغى ان يضحى به ، وكلاهما بمثابة بطلان الوجود ، فانما يراد المرء ليجود بنفسه جودا كليا حين يجاهد ويقاتل ، او جودا جزئيا حين يبذل جهده فى سبيل معاونة الآخرين بالسعى لهم ، والمساعدة لمن يحتاج الى مساعدته منهم ، أو يراد للجود بالمال فى مواضع الجود به ، فمن انكمش عن هذا او ذاك ، فقد ألغى بنفسه وجود نفسه ! فاذا استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منهما ، فلأنهما عاملان من عوامل هدم الشخصية .

ومثل ذلك يقال فى الاستعاذة من غلبة الدين التى هى ذل للنفس من قبل تصرفات النفس ، ومن قهر الرجال الذى هو ذل للنفس من قبل تصرفات الآخرين ، وكل منهما اذلال للنفس وهدم لكيانها ، فاستعاذة النبى صلى الله عليه وسلم منهما ايحاء بأن يحتفظ الانسان لنفسه بما من شانه ان يصون عليه عزته ، باستقلاله المالى دون ارتطام فى دين يفقده اياه ، وبسلوكه الشخصى الذى يجعله ابعد من ان يقع تحت سلطان الذل من قاهر يقهره .

وهكذا نرى كل فقرة من فقر هذا الدعاء النبوى توجيها الى الاحتفاظ بقوة النفس ، والبعد عن كل ما يهدم كيانها ، او يعطل رسالتها ، أو يضعف ثمرتها .

ولقد انتفع المسلمون بهذا المبدا : مبدا الايمان بالنفس ، فكان لهم دولة وصولة ودعوة وتوجيه وقيادة فى كل مجال : فى العلم والبحث ، فى النظر والتفكير ، فى الانشاء والاختراع ، فى السياسة والحكم ، فى فقه الحياة ووضع الحلول السليمة لمختلف المشكلات ، فى معالجة النفوس وسياستها الروحية ، فى اقامة موازين العدل ، فى وضع قواعد التعامل الدولى بين الأمم بعضها وبعض .

وهكذا اثمر الايمان بالنفس مدنية وحضارة ازدهر بها العالم ازدهارا ، بل لم يعرف العالم ازدهارا علميا حقيقيا الا فى ظلها ، حتى العالم الحاضر الذى لاتسيطر عليه دولة الاسلام ، تسيطر عليه امهات مبادىء الاسلام وان زعموها من صنعهم ومن ثمرات تفكيرهم ومدنيتهم .

ثم دار الزمان دورته حين فقد المسلمون ايمانهم بانفسهم : دار عليهم فاصبحوا تابعين بعد ان كانوا متبوعين ، وموجهين بعد ان كانوا موجهين ، وصارت المقاييس والمثل مقاييس غيرهم ومثل غيرهم .

واذا كان التاريخ قد مر بالمسلمين حلوا تارة ، ومرا تارة أخرى ، فاننا الآن فى دورة جديدة ، ولقنا فيها بانفسنا ، وادركنا قيمتنا ، وعرفنا اننا امة حية يجب ان يكون لها راى ، وان يكون لها قيادة وتوجيه ، وان تعود كما كانت امة دعوة ورسالة ، فلذلك التفت العالم الينا كرة أخرى ، واصبح يلقى بآذانه لكل ما نقول ، ويدرس ويحلل ما يصدر عنا من بيانات او قرارات .

ولقد أصبحت عدوة العرب اسرائيل تدعو بالويل والثبور ، وتتوقع الشر بل الفناء والزوال منذ عرفت اننا اكتشفنا انفسنا ، وعرفنا مصادر قوتنا ، وعناصر شخصيتنا ، بعد أن كانت تضربنا الضربة بعد الضربة فلايكون منا الا الصراخ والعويل والشكوى والانين .

فواجبنا الآن ان نحرص على ايماننا بانفسنا ، وان نعلم علم اليقين ان اعداءنا ليس لهم مثل قوتنا ، وانهم لايمكن ان يعيشوا بيننا اذا حزمنا امرنا ، واحترمنا وجودنا ، وحرصنا على توطيد كياننا . وان الذين يخوفوننا بهؤلاء الاعداء ، او بانهم سيساندونهم ، لايمكن ان يفتوا فى عضدنا ، ولا ان يزلزلونا عن ايماننا بانفسنا ، فقد استجبنا لله ، واتبعنا امره ، وعرفنا سنته ، والله يقول وقوله الحق :

« الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح ، للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم ، الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم ، انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين » .

محمد محمد المدنى

مشكلات التثقيف

للدكتور محمد أحمد خلف الله

\- ٢ -

ثم قال المجيب :

حدثتك منذ ايام عن البذرتين اللتين القى بهما الرئيس جمال عبد الناصر في الفكر العربي ،
وقلنا لك ان احدى البذرتين كانت تهدف الى خلق مستقبل حضارى جديد للانسان العربي من حيث ان الرئيس المصرى قد القى بهذه التبعة على رجال الفكر حين قال للجامعيين منهم ، اساتذة وطلبة ، جئت لأضع على كاهلكم مسئولية المستقبل • وان البذرة الاخرى كانت تهدف الى انشاء وزارة للثقافة تقوم بعمليات التخطيط وبتنفيذ الثقافيين ، وتشعر الناس فى الوقت ذاته بأن التثقيف غير التعليم ، وان التثقيف أهم من التعليم من حيث أنه دستور الحياة فى المجتمع • وأنه من هنا ذهب المفكرون الى ان التعليم نظرية فى المعرفة وان التثقيف نظرية فى السلوك •

واليوم اريد ان احدثك عن أثر هاتين البذرتين فى الفكر العربى ، فهل لعب الجامعيون دورهم بعناية ، وتصوروا مستقبل الامة العربية فى دقة ؟ وهل قامت وزارة الثقافة بالتخطيط الكافى للعمل فى كل الميادين الثقافية ، وفى خلق المواطن العربى المثقف الواعى ؟ •

لقد نمت البذرتان من غير شك • فأنشئت وزارة للثقافة وانشىء الى جانبها مؤسسات اخرى خاصة وعامة • وتحرك المثقفون وتعاونوا مع الوزارة ومع المؤسسات الاخرى •

وأخذ الكل يعمل فى ميدانه الخاص يعمل بجد واجتهاد - وفوق طاقته فى كثير من الاحيان • وكانت النتيجة انتاجا ضخما - كما وكيفا • ولكن بقى مع كل هذا سؤال حائر يتردد على الألسنة هو : هل هناك خطة علمية دقيقة لكل جهاز ؟ وهل هذه الخطة موضوعة على اساس ان هناك اجهزة ثقافية عديدة ومؤسسات ثقافية مختلفة ولكنها جميعها تستهدف غاية واحدة هى تحقيق الاهداف القومية للامة العربية فى اطار من الفلسفة الاجتماعية للدولة تلك الفلسفة التى حدد خطوطها الرئيسية العريضة الميثاق القومى ؟ •

اننا نستهدف من غير شك خلق الانسان العربى الواعى لحقوقه والمدرك لواجباته • ولن نستطيع ان نفعل ذلك الا عن طريق الثقافة - لانه من اجل تغيير الانسان يجب ان يتغير وسطه الثقافى من حيث ان الثقافة هى المحيط الذى يتحرك الانسان فى حدوده فيغذى الهامة وطاقاته الخلاقة ويقوى تصوره ، ويلهم عبقريته ، ويطبع حياته على اتجاه خاص واسلوب خاص •

ان اجابتنا لن تكون سليمة الا اذا كانت مستمدة من الفقرة السابقة المستمدة من واقعنا ومستقبلنا• اننا انما نعمل لتحقيق أهداف معينة عن طريق المؤسسات الثقافية والاجهزة الثقافية ، وتقييم هذه المؤسسات وهذه الاجهزة هو الذى يمنحنا الاجابة •

لنقف اليوم عند جهاز بعينه • وليكن الكتاب ، ولنبحث عن مدى فعاليته •

ان الكتاب انما يستهدف نقل الافكار والاحاسيس الى القراء ولكى يتحقق ذلك لا بد من :

١ - ان يصل الى ايدى الجمهور المقصود والا ظل الكتاب مجرد حبر على ورق •

٢ - ان يصل فى الوقت المناسب •

٣ - أن يكون مشوقا •

٤ - ان يكون ملبيا لاحتياجات الجمهور المقصود وميوله •

٥ - أن يقرأ ، وان يفهم ، وان يصدق •

٦ - ان يؤثر الى حد ما فى السلوك الباطنى والظاهرى للقارىء • ان الكتاب لن يصبح درجة من درجات السلم التثقيفى الا اذا توفرت فيه أول كل هذه الشروط •

والآن ننظر فيما يلى :

• ان عندنا مؤسسات كثيرة تنتج الكتاب • وتنتجه بكميات هائلة ، تنتجه مترجما وتنتجه مؤلفا • ونستطيع أن نسلم بأن هذا الانتاج الكمى يرضينا أيضا من ناحية الكيف ، وانه يصل الى جمهور القراء عن طريق اسبوع الكتاب او باى طريقة أخرى

ـ لكن يبقى بعد ذلك سؤال هام هو : ما الاهداف التي تعمل المؤسسات المنتجة للكتاب على تحقيقها ؟ وهل هي أهداف واضحة محدد ؟

ان النظرة الاولى تكشف عن ما يلي :

أولا ـ عندنا مؤسسات تمضي على أن صناعة الكتاب تجارة لا رسالة • وهذه المؤسسات تستهدف الربح من غير شك • ومعنى ذلك أنها تجعل تلبية الرغبات الجامحة اهم من تحقيق الاهداف القومية • ان علاقة هذه المؤسسات بالقراء يجب أن يعاد النظر فيها ، وأن يهتدى في حل الموقف بالقيم الثقافية المنتجة المفيدة النابعة من العلاقات الانسانية التي تبشر بها فلسفتنا الاجتماعية وأهدافنا القومية •

ثانيا ـ عندنا مؤسسات تمضي على أن صناعة الكتاب رسالة ـ ورسالة انسانية لها خطورتها • انه الجهاز الذي يخرج الانسان من الظلمات الى النور ، ويهديه الطريق المستقيم ، بفضل ما يقدم في ذهنه من معان جميلة وقيم ثقافية رائعة •

هذه المؤسسات هي مؤسسات القطاع العام ، ومؤسسات القطاع الخاص التي توفر لهذا الانتاج عقول ورؤوس أموال أجنبية • وأخص بالذكر هنا مكتبة الشرق ومؤسسة فرنكلين •

والسؤال الآن هل تتعاون هذه المؤسسات جميعها على تحقيق أهداف بعينهـا أو أن لكل منها هدفها الخاص ؟ •

قد نجيب بأن مؤسسات القطاع العام تعمل على تحقيق أهداف واحده ـ ونكون في ذلك مبالغين بعض الشيء ، أو متجانين الحقيقة الكبرى الواضحة• ولكن هذه الاجابة لا يمكن أن تنصب ـ حتى مع المغالطة ـ على المؤسسات الخاصة الاخرى •

ان المؤسسة التي تنفق على انتاج الكتاب أموالا امريكية ، وتترجم في الانتاج عن ثقافة امريكية ، لا يمكن بحال من الاحوال أن تستهدف غاية تسعى الى تحقيقها مؤسسة أخرى تنفق على الانتاج أموالا روسية ، وتترجم عن ثقافة سوفيتية •

ان الاموال الامريكية انما تنفق في سبيل اعطاء صورة عن انماط من الحياة معينه . انماط عن حياة المجتمعات الاقطاعية أو الرأسمالية • تعطي صورا عن المؤسسات القائمة التي تعمل ليل نهار ، وصورا عن الافكار السائدة ، وأنواع السلوك الشائعة في هذه المجتمعات ، وصورا عن الاقتصاد الحر والصناعات القائمة هناك ، وصورا عن التطورات الخاصة التي تصيب تلك المجتمعات في لحظات بعينها •

وبعبارة اخصر وادق تعطينا صورة واضحة عن الحياة الامريكية والحضارة الامريكية ، وتحاول تلتيحنا بالثقافة الامريكية •

اما الاموال الروسية فتنفق لتعطينا صورة عن القسم الآخر من العالم ، وعن حضارة مغايرة تمام المغايرة للحضارة السابقة • وتحاول هي الاخرى أن تلتحنا بثقافة تختلف عن الثقافة الاولى في مفهومها وفي مضمونها وفي عناصرها •

ان التيارات التي تحدثها هذه المؤسسات في حياتنا تجعلنا غير قادرين على تحقيق أهداف بعينها• انها تخلق في ثقافتنا نتوءا بارزة أو جزرا طافيه تحول بيننا وبين الوعي الكل بذاتيتنا ، وثقافتنا ، وتحول بيننا وبين تحقيق أهدافنا •

انها تخلق فينا قلقا ، وانزعاجا ، وفكرا مضطربا، وفي هذا من الاضرار ما فيه •

ان الحقيقة التي يجب الا تغيب عن بالنا اننا في حاجة الى تجديد ثقافتنا لنتدارك تخلفنا • ونؤدي دورنا في العالم بصورة فعالة ، وهذا يفرض علينا أن نتجنب الطرق الطويلة طرق الارتجال والاستهواء والغايات الشخصية ، والاذواق الفردية •

يجب أن نوجه الذكاء في اتجاه الحضارة ، وأن نعمل جادين على وضع سياسة دائمة للتثقيف •

ان الواجب انما يفرض علينا أن نرعى واقعـا جوهريا هو أن ميزانية التاريخ ليست رصيدا من الكلام بل كتلا من النشاط المادي ومن الافكار التي لها كثافة الواقع ووزنه •

ان الثقافة التي نهيىء لها يجب أن تكون مكونة من صنوف النشاط الايجابي الذي ينبع أولا وأخيرا من مجموعة من القيم الثقافية الحية الدائمة •

قال السائل : وما السبيل الى ذلك ؟

قال المجيب : لتلك جلسة أخرى قد تطول بعض الشيء •

دكتور
محمد أحمد خلف الله

المعلقون في الفضاء

بقلم: الدكتور عبد الحميد يونس

يفاخر اصحاب العلم التطبيقي بأن العصر الذي نعيش فيه من صنعهم ، فهم الذين يعيدون صياغة البيئة المادية ، ويفجرون الطاقات الكامنة التي تجاوزوا بها جاذبية الارض . وهم يذهبون الى ان التطورات التي يشهدها العالم اليوم اعظم واخطر من جميع ما حققه الانسان منذ سكن الكهوف والتحف الاشجار، الى ان توسل بالبخار والكهرباء. وكان من الطبيعي ان يتقاسم هذا التفاخر اصحاب العلم التطبيقي في اوروبا وامريكا ، وان يردوه الى نظم اقتصادية واجتماعية معينة . وتساءل احد كتاب العرب الذين ينفعلون بالاحداث ، ويحاولون استشفاف أبعادها في الزمان وفي المكان : وأين تراث الانسان الذي يمتاز من غيره من صور الحيوان بتراكم الثقافة بالتجربة والخطأ والنقد والتأمل ؟ ... ولم يقف احد عند هذا السؤال الذي يجمع بين طرفيه التاريخ الثقافي والحضاري للانسان على اختلاف الوانه وادبانه ولغاته ... وهل كان اصحاب العلم التطبيقي في اوروبا او في امريكا يستطيعون ، مفاجاة وبلا تراث طويل متراكم ، أن يحصلوا على هذه الطاقة الهائلة ، وان ينفذوا من جاذبية الارض ، وان يعودوا اليها سالمين ؟ ... ما نظن ان الانسانية انما تحققت بالبخار والكهرباء والذرة ، وان التراث الذي كان قبل البخار والكهرباء والذرة فصل ختامي للتاريخ الطبيعي ، وان فجر التاريخ الانساني انما يبدأ بعد منتصف القرن التاسع عشر !!

***

من حق علماء اوروبا وامريكا ان تدق لهم الاجراس ، وما حق الآحاد الذين دربوا على الانطلاق من جاذبية الارض والعودة عليها ، ان تزف لهم البشائر ، ولكن من حق كل انسان ... في كل مكان وعلى مدى التاريخ ، أن يأخذ نصيبه من الفخر بما يحققه اصحاب العلم التطبيقي اليوم . ولعل الجنود المجهولين الذين اكتشفوا النار ، واتخذوا رسوم والرموز وسيلة لتسجيل المعرفة والتجربة والخبرة ، والاحتفاظ بها مدى الأحقاب ، احق بالفخر والعرفان بالجميل من سواهم ، وليس الذي يتابع السير ، او يعطي مؤرخ الحضارة الانسانية الجديرة بها اللقب ، مطالب بأن يصور الطريق الطويل العريض الذي قطعه الانسان ، وأن يتبين معالمه الصحيحة الموثقة ، لكي يبرهن للآحاد العاديين ان انتصار العلم حلقة واحدة من سلسلة طويلة متصلة ، ولا يملك احد ان يسدل الستار على مشهد من مشاهد العمر الانساني ، او ان يكتفي بفصل واحد او فصول لا يتجاوز عددها اصابع اليد ... وليس في سلطة احد ان يوجه الانوار الكاشفة الى بيئة واحدة او جيل واحد من البشر.

مراحل التراث الانساني

ولقد جمع الكاتب الانجليزي « هـ . ج . ويلز » الذي مات في العقد الخامس من هذا القرن بين ملاحظة العالم الطبيعي ، وبصيرة الاديب النفاذة ، والتقت في فكره تأملات القرن التاسع عشر ، وتطلعات القرن العشرين ، فتأثر الفيلسوف الطبيعي « شارلس داروين » الذي حاول الكشف عن اصل الانواع بين مختلف صور الحياة ، وادت به المحاولة الى استشفاف العلاقة بين الكائنات الحية والبيئات المادية ، ومراقبة التغير في اشكالها وصفاتها. وآمن « ويلز » بفكرات « داروين » التي جعلت الانسان جزءا من النظام الطبيعي يخضع لنواميسه وقوانينه. وله مع ذلك خصائص تميز نوعه ونظر مثله الى حضارة الانسان على انها تطور طبيعي ، ثم ركز انتباهه ، وهو الذي درس العلوم الطبيعية قبل ان يكون اديبا ، على انسانية الانسان ... اي على المزايا التي حققت هذه الانسانية ، وشرع يقص اثر الحضارة ليكتب معالم تاريخها ، وهي المعالم التي تحدد في نظره مراحل التراث الانساني على طوله وتشعبه .

***

واذا كانت هذه المراحل ، في واقعها الذي كانت عليه ، كثيرة يخطئها الحصر ، فان « ويلز » اجملها بين خمسة معالم هي : الكلام الذي جعل الانسان يعي ذاته ، ويحقق انسانيته ، وينزع به الى العيش في اطار اجتماعي ، ثم قدرة الانسان على انتزاع البقاء

لفكره وخبرته ونبضات قلبه بالتدوين والكتابة ٠ وايا كانت الرموز التى اصطلح عليها فى مختلف البيئات والعصور ، فانها تتسم ، على ما فيها من اصطلاح ورمز، بوحدة المعرفة التى تجمع فى أعطافها العقل والقلب واليد ، أو بتعبير آخر تجمع بين التامل النظرى ، والخبرة التطبيقية ٠ وأثمر انتزاع البقاء السيطرة على المكان وعلى الزمان ، واضحى تراكم الثقافة حظا مشتركا بين الاجيال المتعاقبة ، والبيئات المتجاورة ٠ أما المعلم الثالث الذى أشار اليه «ويلز فهو امتداد لما سبقه ٠٠٠ انه الطباعة التى يسرت المعرفة ، وأعانت على انتشارها ، وهبطت بها من طبقات المتمازين الى سفح «الكيان الاجتماعى» وتحول المؤرخ الاديب بعد هذه المعالم الثلاثة ، الى البخار والكهرباء باعتبارهما وسيلة من وسائل الاتصال بين الافراد والجماعات ، لا باعتبارهما طاقة فحسب، وجعل « الراديو » هو المعلم الخامس والاخير الى عهده ٠ لانه يتجاوز الرمز التصويرى ، الكامل والمختزل ، الى الاصل الانسانى للكلام ٠٠٠ وهو الاصل الذى يقوم على الجهر والتبليغ ، ويعكس السلوك قبل أن يعكس الفكر والتامل العقلى ٠

الانسان اذن ارادة مفكرة شاعرة ، وضمير اجتماعى ، ولم يخطىء « ويلز » عندما جعل أربعة من المعالم الخمسة التى يحدد بينها تاريخ الحضارة ، تدور حول محور واحد ، هو المنطق الذى اكتشف به الانسان مغاليق الوجود ، وجعل حياته أشرف من حياة العجماوات والجمادات ، وصاغ به سلوكه صياغة معقولة منظمة تناقض الآلية والعشوائية ، وخط تاريخه فى سياق يستوعب الماضى بأسره ، ويعى الحاضر بتبعاته ، ويستشرف المستقبل بآماله وأهدافه ، فكانت الحضارة على الرغم من قساوة التجربة ، وألم الخطا تقدما وصعودا ٠٠٠ أما البخار والكهرباء ، فقد نظر اليهما ويلز من حيث علاقتهما بالمحور الرئيسى ، وهو الفكر والضمير ، فقد أسهما فى نقل العلوم والآداب والفنون بما أكسبا به الكتابة والطباعة من قدرة هائلة ، فتم ، أو كاد يتم، توزيع الثقافة الحرة بين الناس توزيعا لا يعرف امتياز الوراثة والطبقة والثروة ٠

وسواء أكانت للانسان حضارة واحدة متواصلة تختلف أزياؤها ، ومراحل عمرها ، مع الاحتفاظ بملامحها وقسماتها ، أم كانت له حضارات متعددة تختلف فى الروح والمظهر ، باختلاف العصور والبيئات ، فان الذى لا شك فيه أن الأمة العربية من اطول الامم عمرا ، وأوسعها وطنا ، ولقد شهدت فجر الضمير ، وأسهمت به فى التحول بالتاريخ الانسانى من الخضوع المطلق لسلطان الضرورة المادية ، الى تعقيل الحياة ، وتنظيم السلوك ، وتحقيق الحضارة ٠ ولم تكن جزيرة بشرية لا تتاثر وتؤثر ، وانما كانت تنتشر من قديم ، راجلة وراكبة ، مسالمة ومحاربة ، فى هذا الوعاء الجغرافى المتسع ، الذى نعرفه اليوم بالوطن العربى الكبير ٠ وعرفت الاعتدال فى المزاج وفى الارادة ، حكاية لاعتدال المناخ الذى عاشت — ولا تزال — تعيش فيه٠ وأريد لها أن تتوسط المشارق والمغارب من العالم العريض، فاخذت وتمثلت وابتكرت وأعطت ، ومارست ، عن وعى ، تحقيق الوجود والنزاع المعابر ، كابدت التجربة والخطا ، ولم تستشعر تناقضا ما بين الدين والعلم ٠

ولسنا نلقى بهذا القول على عواهنه ، أو نصدره عن عصبية تمليه علينا ، فلقد هدأت المناظرات الحادة التى عقدت بين شعوب العالم القديم حول أولية الحضاره وابتكاراتها ٠ فان الكشف عن الآثار القديمة فى القرنين الاخيرين قد استتبع بالضرورة تنابذا بالالقاب بين مختلف الوارثين ، بل ان فروع الامة العربية قد استهواها التفاخر بالفرع ، فتغافلت عن حدود تراثها ، ووحدة أصله ٠

***

وكان من الطبيعى ، بعد أن تداعت الحواجز الجغرافيه أن تبرز وحدة الفكر العربى ، والوجدان العربى ، وان تدرك شعوب هذه الأمة انها جميعا فروع من أرومة واحده ، وأعظم من هذا كله ، انها تملك لسانا واحدا ، احتفظ لها بقسماتها النفسية ، ومزاياها العقلية ، وسجل لها فى مفرداته ابتكاراتها العظيمه ، فى الفن والادب والعلم وسائر مقومات

الحضارة ، وهى مفردات تركت بصماتها على عقول أمم أخرى وقلوبها ، فما من معجم من معاجم القارتين اللتين تتنازعان الفخر بالخروج من جاذبية الارض ، الاوفيه رموزنا الرياضـــيه ، وهى محــور التنظيم والتصنيف والحصر والقياس ، وما من معجم من هذه المعاجم ، الا وفيه مصطلحاتنا فى الفلك والفيزياء والطب وغيرها من العلوم ... والنهضـــة الأوربيه التى احتكمت الى العقل ، واعانت على رصد النواميس الكونيه ، والقوانين الطبيعيه ، حفـز اليهـا الفكر العربى مع تطلعات الانســـان الغربى الى المعرفة . وفحول الادب فى بواكير تلك النهضة تأثروا بالادب العربى فى الشعر والقصص ، وهم الذين تحولوا من قوالب القرون الوسطى الى الطابع القومى لكل شعب جرمانى أو لاتينى .

ولقــد أخذت الامة العربية الغذاء الصــالح من الثقافات السابقة والمعاصره وتمثلته ، أخذتمن الصين والهند وفارس واليونان والرومان وتركيا، كما تأخذ الآن منــاهج العلوم الطبيعية والتطبيقيه من أوربا وامريكا ، لتتمثلها بدورها .

المعلقون فى الهواء ...

ولو أراد أديب فنان أن يلخص المنــاظرات التى احتدمت فى العالم العربى بوحى من الدخيل المستعمر، فلم يجد رموزا أدق من معركة تحتدم بين الازياء . بين العمامة والطربوش والقبعة . وهى أزياء قد تحمى الرؤوس من الشمس أو المطر، ولكنها ليست الرؤوس نفسها . لقد تبددت الفتنة بالزى القديم او الجديد، وبطل السحر الذى نفثه الدخيل بالايحاء النفسى ، وبرز الى الوجود المواطن العربى العادى الذى أثمرته حضارة الانسان. واذا كان آباؤه وأجداده قد أسهموا بتصيب موفور فى تمهيد أرضها ، واقامة أساسها ، واعلاء بنيانها ، فمن حقه أن يواصل السير فى طريق الابتكار والتجديد ، مع الاحتفاظ عن وعى بالصالح من تراثه العربى المكين .

اما هؤلاء الآحاد الذين يتنكرون لتراثهم القومى ، وهم خلية حية من خلاياه ، لما أشبههم بأجسام تفقد جاذبيتها وتظـل معلقة فى الفضــاء ، ويبقى أن ينتصر العلم باعادتهـا الى الارض ... الى التراث الانسانى والقومى !! ..

عبد الحميد يونس

تخطيط لتاريخنا الثقافي

بقلم : الدكتور حسين نصار

يؤثر عن أبي عمرو بن العلاء انه قال : ماانتهى اليكم مما قالت العرب الا أقله ، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير .

وما كان صادقا على العلم والشعر العربيين في القرن الهجري الثاني ، أعظم صدقا – ان كان للصدق مراتب – في أيامنا هذه . ولا يقتصر صدقه على ما عرفه أبو عمرو من علم وشعر ، بل يعم التراث العربي عامة .

فقد تعاقبت القرون على الاقطار العربية ، وتغاير ما حملته من أحداث ، واختلف ما واجهه تراثنا بين محافظة ، وعناية ، واحياء ، وانماء ، وبين اهمال ، واطراح ، وسرقة واغتصاب ، ثم تبديد واهلاك .

فانفصل مابين ما أصدر العرب من تراث وماغالب الاحداث، وبقي على الازمان، ووصل الينا. واتسعت الهوة بين النوعين مع الايام حتى كادت الصلة بينهما تنبت .

فلو قدر لجهودنا النجاح في جمع هذا المتبقي المتناثر في أرجاء العالم ، وفهرسته ، فلن نكون قد جمعنا التراث العربي كله ، أو ما أصدره العرب من تراث وقدموه للانسان ، بل ما قاوم أحداث الزمن وتغلب عليها وحده .

ونستطيع أن نكتفي بهذا الذي جمعنا ، ان أردنا الفخر . ففيه كل الفخر ، ولكننا لا نريد الفخر ولا المباهاة ، ولا شيئا منهما أو قريبا منهما . نحن طلاب حق ، وحق مجرد عن كل شائبة . نحن نريد أن نعرف : أين يضعنا الحق بين اخواننا من البشر؟ ماذا قدموا لنا؟ وماذا فعلنا فيما قدموا؟ وماذا قدمنا لهم ؟ نريد أن نؤرخ لانفسنا ، أو ان تحريت الدقة ، لثقافتنا .

اننا نسمع دعاوى كثيرة ، ورفيعة الصوت ، تعلن عن حاجتنا الى اعادة تدوين تاريخنا الحديث ، وان ما كتب منه كان زائفا ، وانه يجب التخطيط للتاريخ الحديث ، وجمع وثائقه ، والحفاظ عليها . ولكنني لم اسمع بينها دعوى – لا رفيعة الصوت ، ولا خافتة تتصل بتراثنا العربي . واحسب ان

هؤلاء الدعاة يظنـون ان التراث العربي قد لقي ما يستحق من تاريخ

انني لا أدعي أن تاريخ التراث العربي قد شابه التزييف ، أو التشويه ، وان كان قد حدث ذلك على أيدي جماعة من المستشرقين واشباههم . ولكنني أدعي أنه شابه النقص بل النقص الشديد في بعض الانحاء . لان ما كتب من تواريخ لم تعتمد على ماأصدر الاجداد بل لم تعتمد على كل ما بقي مما أصدروا .

فاذا كان تاريخنا الحديث يحتاج الى بحث عن وثائقه ، وجمع لها ، ومحافظة عليها ، وتخطيط لكل ذلك ، فتاريخنا العربي ليس أقل حاجة اليها ، بل ربما كان أعظم حاجة ، لان العروبة هي اللواء الذي نرفعه ، والمصير الذي نسعى اليه .

واذا كنا نبحث جاهدين عما ضاع او اختفى من تاريخنا القديم : نقلب بطن الارض سعيا وراء آثاره ، فان تاريخنا العربي ليس أقل حاجة الى البحث الجاهد عما ضاع أو اختفى من آثاره ، أو بعبارة أخرى عما « لم يبق » لدينا من هذه الآثار

ربما تبادر الى الذهن أنني ادعو الى الحفر والتنقيب عن الآثار العربية في الاقطار العربية . وانني لافعل . غير أنني أعرف أن معظم الآثار العربية على ظاهر الارض لحداثة سنها ، الا في شبه الجزيرة العربية .

ولكنني أدرك أن الدعوة الى التنقيب عن الآثار في باطن الارض ربما لا أحسن التعبير عنها ، لانها في حاجة الى « أهل الآثار » . وانما أدعو الى تنقير في بطون أخرى غير بطن الارض : بطون الكتب . فاننا اذا أحسنا القيام عليها منحتنا نتاجا رائعا يعوضنا عن كثير مما ضاع من تراثنا ، ويكمل مابقي منه .

وتراثنا ثري بالكتب التي تجعل الحديث عن الكتب هدفا لها : ثراء في قدرها ، وغاياتها ، ومناهجها . فلدينا الكتب التي حاولت أن تعرف الكتب لذاتها ودون غاية وراءها واتخذت ما في المكتبات مادة لها . واتخذ بعضها من العلوم اساسا لتصنيفه ، فجمع الكتب تحت العلوم التي تنتمي اليها . ومثالها الفهرست لابن النديم ، الذي جعل

كتابه في عشر مقالات (اللغات والخطوط وعلوم القرآن ـ والنحو ٠) ويشبهه في أساس التصنيف مفتاح السعادة لطاشكبرى زاده ، الذى جعل كتابه في سبع لوحات (الخط ـ العلوم اللفظية) ٠ ورتب بعضها الآخر عناوين الكتب على الألف باء ٠ واشهر من فعل ذلك حاجي خليفة في كشف الظنون ومن حاول تكملة كتابه والتذييل عليه مثل اسماعيل باشا بن محمد أمين البابانى في ايضاح المكنون ، ومحمد محسن الشهير بالشيخ آغا بزرك الطهرانى في الذريعة الى تصانيف الشيعة ٠

ولدينا الكتب التى تعرف بالكتب لغاية وراءها، وهى ما يسمى بالبرامج أو الاثبات أو الفهرسة أو المعاجم أو المشيخة ٠ وكان المؤلف يسجل فيها ما قرأه من كتب ، والعلماء الذين قرأها عليهم ، فيذكر عنوان الكتاب ، واسم مؤلفه ، والشيخ الذى قرأه عليه أوتحمله عنه ، وسنده الى المؤلف الاول٠ وربما ذكر خلال ذلك المكان الذى كان موضعا للدرس ، والتاريخ الذى بدأ فيه الدراسة أو ختمها ٠

واختلفت الطرق بمؤلفى هذا النوع من الكتب في تبويب كتبهم وتقسيمها ، وفي مدى العناية بالكتاب المروى ، وبالشيخ الراوية ، وتفاوتت أحجام كتبهم ايجازا واطنابا وانحصارا في موضوعها واستطرادا ، على طرائق أربع :

فالطريقة الاولى تتخذ من الكتب أساسا للتقسيم، وترتبها حسب موضوعاتها ٠ وأشهر من اتبع هذه الطريقة محمد بن خير في فهرسته ، وابن مسعود الخشنى ، وابن حجر العسقلانى في برنامجيهما ٠

والطريقة الثانية تتخذ من العلماء أساسا للتقسيم ٠ ويندرج تحتها ثلاثة أقسام : أورد القسم الاول أسماء العلماء دون ترتيب ملحوظ ، ويغلب على ظنى أنه راعى في ايرادهم تاريخ التقاء المؤلف بهم ٠ ويمثل هذا النوع عبد الحق بن غالب المحاربى ٠ وصنف القسم الثانى العلماء حسب العلوم التى اشتهروا بها ، ويمثله على بن محمد الرعينى ٠ ورتب القسم الثالث أسماء العلماء على الألف باء مع البدء أحيانا بالمحمدين مراعاة لاسم النبى صلى الله عليه وسلم ٠ ويمثله القاضى عياض ٠

وتجمع الطريقة الثالثة بين الطريقتين الاولى والثانية ، فكان المؤلف يجعل كتابه في جزءين : يتخذ في احدهما من اسماء الشيوخ أساسا للتصنيف، ويتخذ في الثانى عناوين الكتب أساسا له ٠ ويمثلها محمد بن جابر الوادياشى ٠

وكانت الطرق الثلاث الماضية تلتزم الاختصار ، وفيه خالفتها الطريقة الرابعة، التى يمثلها ابوالحسن ابن مؤمن ٠ اذ اطال في كتابه ، وعرف أحوال رجاله الذين روى عنهم ، وذكر أخبارهم ومناقبهم وسيرهم وأخلاقهم ، وأسند عن جمهور منهم أحاديث وحكايات وأناشيد وأدعية وطرفا ٠ فجاء كتابه ـ كما وصفه القدماء ـ في ١٨ جزءا ، يقع كل منها في ٤٠ ورقة ٠ ثم اختصره في ٨ أجزاء ٠

ونستطيع ـ اذا أردنا أن نيسر على انفسنا وان نقسم العمل الى مراحل ـ أن نبدأه في هذه الكتب ، التى يمكن أن نطلق عليها اسما جامعا « كتب الفهارس »

ونجعل المرحلة الثانية لكتب التراجم فقد عنى اكثر المؤرخين بذكر عناوين الكتب التى الفها من يترجمون لهم ٠ بل من المؤلفين انفسهم من ترجم لنفسه واورد عناوين كتبه ، ومنهم من دون قوائم منفصلة بها ٠

فقد كتب الصوفى المعروف ابن عربى فهرستا لمؤلفاته ، ذكر فيه ٢٤٨ كتابا له ، ونشره الاستاذ ابو العلا عفيفى في المجلد الثامن من مجلة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية ١٩٥٤ م ، والاستاذ كوركيس عواد في المجلد ٢٩ من مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق في السنة نفسها ٠

كذلك دون المؤلفون عناوين كتبهم في الاجازات التى كانوا يمنحونها لطلبتهم لتشهد بأنهم أذنوا لهم بروايتها عنهم ٠ ومثالها الاجازة التى أعطاها الشريف المرتضى لتلميذه محمد بن محمد البصروى في سنة ٤١٧ هـ ، وذكر فيها ٥٩ كتابا ٠

وممن ترجم لنفسه محمد بن على بن طولون الدمشقى ، الذى فعل ذلك في كتاب مستقل سماه « الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون » ، ختمه بنحو عشرين صفحة ملأها بعناوين كتبه التى رتبها على الألف باء ٠

وترجم ابن الجزرى والسخاوى والسيوطى لانفسهم في التواريخ التى الفوها ، كما ترجم ابن الهيثم وابن الجوزى وأبو شامة لانفسهم في فصول احتفظ بها مؤرخون آخرون ٠ وكل هؤلاء عنوا بايراد عناوين ما الفوه من كتب ٠

ويغلب على الظن أن هذه القوائم التي دونها أصحابها أوفى القوائم وأحراها بالثقة ، الى التواريخ التي دونت فيها . ولذلك قدمت الحديث عنها .

ويكمل ما بها من نقص كتب التراجم المختلفة . ولدينا منها الكثير المتنوع : كتب خاصة بفرد واحد، وأخرى خاصة بفئة واحدة من الناس مثل طبقات الصحابة ، وطبقات المفسرين ، وطبقات القراء ، وطبقات المحدثين، وطبقات الفقهاء ، وطبقات اللغويين والنحويين ، وطبقات الاطباء ، وطبقات الحكماء وغيرها ، وخاصة بأهل قطر من الاقطار كتاريخ بغداد للخطيب ، وتاريخ دمشق لابن عساكر ، والمقفى (في المصريين) للمقريزى ، ونفح الطيب (في الاندلسيين) للمقرى وغيرها ، وخاصة بأهل قرن من الزمان كالحوادث الجامعة لابن الفوطى (ق ٧) ، والدرر الكامنة لابن حجر (ق ٨) ، والضوء اللامع للسخاوى (ق ٩) .. وكتب عامة كوفيات الاعيان لابن خلكان ومعجم الادباء لياقوت.

ولاينتهى بحثنا عن التراث العربى بانتهاء تنقيبنا في كتب « الفهارس » و « التراجم » بل يبقى امامنا عمل أشد عسرا وأعظم تفرعا ، هو التنقيب في بقية كتب التراث التي وصلت الينا، مطبوعة ومخطوطة، لان كثيرا منها يذكر عناوين كتب ، ويصفها ، ويقومها ، ويقتبس منها . فلابد من البحث عن مثل هذه الاشارات . وانه واجب لا يغنى عنه بديل ، لاية علة من العلل .

فكيف الطريق اليه ، مع تشعبه وكثرته وسعته؟ اعتقد أن السبيل الوحيد اليه هو ما سلكه معجم اكسفورد الكبير عند تأليفه . قيل في مقدمته انهم حين صمموا على تأليفه عزموا بادىء ذى بدء ان يقتبسوا الشواهد النموذجية من جميع الكتاب العظام في كل العصور ، ومن جميع الذين كتبوا في موضوعات خاصة ، وقد تصور آثارهم تاريخ الكلمات المستعملة في معان خاصة ، ومن جميع الكتاب السابقين على القرن السادس عشر مهما كانت طبقتهم ، ومن اكبر عدد ممكن من ابرز كتاب العصور المتأخرة . فأشركوا مئات كثيرة من القراء في اختيار مثل هذه الشواهد ونسخها . وتعهد كثير من الدارسين البارزين بتنظيم هذه المادة التي جمعت بهذه الطريقة . وذكر المعجم أسماء عشرين منهم فقط . واستمروا في الجمع حتى اصبح لديهم ما ينيف على مليوني شاهد .

وعندما جمعت هذه الشواهد في مكان واحد ، ورتبت على الالف باء ، وفحصت فحصا دقيقا ، تبين انها غير كافية . فنشروا دعوة جديدة للقراء ليتطوعوا بجمع مقتبسات أخرى من كتب خاصة كانوا يصدرون بها قوائم من حين لآخر لتوجيه القراء . فاستجاب لهم أكثر من ٨٠٠ قارىء أغلبهم من بريطانيا ، وعدد كبير منهم من الولايات المتحدة الامريكية ، وغير قليل من المستعمرات البريطانية (عندئذ) والاقطار الاجنبية . فوصل اليهم في ثلاثة أعوام مليون شاهد آخر ، وارتفع المجموع العام الى قريب من ٣ر٥ مليون ، اختارها ١٣٠٠ قارىء ، من كتب لاكثر من ٥٠٠ مؤلف من جميع العصور . وساعد في ترتيبها أكثر من ٣٠ دارسا ، منهم جماعة لم تكف عن العمل اطلاقا .

لا سبيل غير هذا .

حقا ، حاول جماعة من العلماء أن يحققوا مايشبه ما اطالب به من حصر واستقصاء لآثار فرد أو فئة من الناس . فقد أخرج الاب جورج شحاتة قنواتى في سنة ١٩٥٠ كتابا عن « مؤلفات ابن سينا » بمناسبة مهرجانه . واخرج الاب بوالو كتابا عن عن « مؤلفات البيرونى » في سنة ١٩٥٥ ، والدكتور عبد الرحمن بدوى مقالات في أعداد متتالية في مجلة معهد المخطوطات العربية منذ سنة ١٩٥٥ عن « مخطوطات أرسطو في العربية » ، وكتابا عن « مؤلفات الغزالى في سنة ١٩٦١ ، ثم آخر عن « مؤلفات ابن خلدون » في سنة ١٩٦٢ . ويعتمد كثير من هذه الكتب على محاولات سابقة ، ليس هنا مجال تتبعها .

واتخذ الاستاذ كوركيس عواد من الفهرست الذى وضعه محيى الدين بن عربى ركيزة ، ضم اليها عناوين ما عثر عليه من مؤلفات لابن عربى غير مذكورة في الفهرست ، فكانت ٢٧٩ كتابا .

وحاول بعض الباحثين أن يلحقوا بتراجمهم لحياة من ترجموا له فصولا خاصة بمؤلفاتهم حاصرة لها ، كما فعل الاستاذ محمد صالح الزركان في رسالته « الرازى وآرائه الكلامية والفلسفية » .

وكان بعضهم اكثر طموحا ، فحاول أن يستقصى الكتب التي الفت في لون من الوان التراث العربى لا مؤلفات فرد واحد . واكمل ما أعرف من هذا اللون كتاب « مصادر الموسيقى العربية » الذى جمعه المستشرق الاسكتلندى هنرى جورج فارمر .

الجانب الانسانى فى شعر ابى ماضى

بقلم : كمال نشأت

عرف شعر المهجر بخصائص مميزة تعتبر فى الوقت نفسه من طلائع التجديد فى شعرنا العربى الحديث . ومن اظهر هذه الخصائص ظهور الاتجاه الانسانى فى شعر مدرسة الرابطة القلمية · وهو ظاهرة مطردة عند شعراء المهجر الشمالى لها مبرراتها واسبابها .

اما شعرنا العربى القديم فقد جانب هذا الاتجاه وان ظهر ، فلمع هنا وهناك لا تطرد فى شعر الشاعر ولا تأخذ اتجاها شعريا عاما مثلما نرى فى نتاج الرابطة القلمية ، ومرجع هذا أن **الشاعر العربى القديم شاعر قبلى ، يعيش للقبيلة وتفنى شخصيته فيها وقد ظلت هذه الروح القبلية المحدودة مسيطرة عليه ، تسد امامه منافذ الاحساس الانسانى الشامل، فكان الخير فى نظره ما يصيب القبيلة دون سائر الناس والمجد ما ناله قبيلته دون القبائل الأخرى ·**

ولذلك ظل الشاعر العربى القديم محصور المشاعر داخل هذا النطاق القبلى الضيق فلم تمتد عواطفه خارج نفسه وقبيلته لتشمل الناس جميعا ، ولقد ظلت هذه القبلية دفينة فى النفوس حتى الدولة الاموية فعادت العصبيات القديمة كما عرفتها الحياة القبلية فى العصر الجاهلى باشد مما كانت عليه بعد أن قضى عليها الاسلام مبينا ان العرب جميعا امة واحدة والمسلم سند المسلم واخوه . ومن هنا ظلت مادة الشعر الاحاسيس الفردية التى نمت فى ظلال القوة والغلبه فى بيئة لا تقوم الحياة فيها الا على القوة والغلبه ، فكان الفخر بالنفس والقبيلة والنسب والشجاعة والكرم وما الى هذه الاحاسيس الفردية القائمة على الرغبة فى التفوق والقهر وحب النفس .

وظل هذا النهج الشعرى سائدا حتى **شوقى وحافظ واضرابهما ، فقد ظلت هذه المثل نبراسا يسير فى هديه شعراء العربية على الرغم من اختلاف البيئة وتقدم الحياة ورقى الحضارة ، والأمثلة على**

وتختلف مناهج هؤلاء الباحثين فى تصنيف كتبهم، وفى الايفاء والاختلال ، والاطالة والايجاز · ولكننا نستطيع أن نقول ان النموذج الامثل الذى كانوا يسعون وراءه يقوم على العناصر التالية : حصر مؤلفات من يكتبون عنه أو جمع عناوين اكبر قدر من كتبه · التمييز بين المطبوع والمخطوط والمفقود منها ، تتبع طبعات ماطبع منها وتقويمها· تتبع اماكن المخطوط منها، وذكر ارقامه، ووصفه · ذكر المراجع التى ذكر فيها المفقود ووصفه ، ثم عرف بعضهم بالكتاب تعريفا كاملا أو ناقصا ، وتتبع ترجماته الى اللغات الاخرى ، وما دار حوله من دراسات شارحة أو مختصرة أو معلقة أو ناقدة أو دراسة · وفحص بعضهم صلة الكتاب بالمؤلف موثقا أو مزيفا أو مشككا

وهو منهج سليم واف ــ عند تمام اتباعه ــ ربما لم تمكن الاضافة اليه · لكن عيبه الوحيد تطبيقه فى هذه المرحلة المبكرة التى لا نقتنى فيها فهارس بل قوائم جامعة وافية لاكثر المكتبات العربية · فان ذلك يجعل حصرنا غير حاصر ·

ولكن هذه الكتب تبين لنا الهدف الذى نسعى اليه ، والنهج الذى يجب علينا أن نسلكه ، فى تنقيبنا فى الكتب التى ذكرناها آنفا · فما نريده هو عناوين الكتب ، وما يكشف عن كنهها وقيمتها ، من أسماء مؤلفيها ، وموضوعاتها ، وصفاتها ، وموضعها الجدير بها بين كتب العلم أو الفن الذى تنتمى اليه ·

وحين نفعل ذلك ونفرغ منه على الوجه الصحيح، يكون بين أيدينا المواد التى تيسر لنا التعرف الحق على الكتب، وعلى الفنون والعلوم، وعلى ألوان النشاط الثقافى الذى أسهم فيها الدرب ، فيتيسر لنا التاريخ الحق لها ·

وحينئذاك وليس قبله· اما ما كتبنا وما نكتب الآن من تواريخ لهذا النشاط ، فان هو الا فروض قاصرة معلقة فى الهواء ، لا ندرى الام كتب لها البقاء ·

الدكتور

حسين نصار

ذلك كثيره منذ البارودي باعث النهضة الشعرية الحديثة .

اما الشاعر المهجري فقد انتصر على فرديته وارتفع فوق الطائفية وانتسب الى الانسانية متخذا موقف المناهض المعارض لهذه الاتجاهات فهاجم الكبر والفخر بالنسب والتمدح بمزايا اخلاقية او اجتماعية داعيا الى الاخوة والتسامح والمحبة والتواضع .
وشعراء المهجر في اتجاههم هذا يأخذون وضعا جديدا معارضا لاتجاه الشعر القديم .

يقول جبران :

ليس في الغابات حر
لا ولا العبد الذميم
انما الامجاد سخف
وفقاقيع تعوم
فاذا ما اللوز القى
زهره فوق الهشيم
لم يقل هذا حقير
وانا المولى الكريم

فالمساواة هي القاعدة ، فلاحقير ولا مولى كريم فالحياة لاتعرف هذه التقسيمات السخيفة التي انشأها الانسان .

وميخائيل نعيمه يطلب ان يكون قلبه واحة تسقى القريب والغريب :

كحل اللهم عيني بشعاع من ضياك
كي تراك
واجعل اللهم قلبي واحة تسقى القريب
والغريب
ملؤها الايمان اما فرشها
فالرجا والحب والصبر الطويل
جوها الاخلاص اما شمسها فالوفا والعدل والحلم الجميل .

وندره حداد يهتف في نبرة انسانية حلوة قائلا :

ياأخي الساعي لنيل المجد خفف عنك «جمحك»
انت لا ترضى سوى نفسك ان احرزت فتحك
سر معي في الأرض تنس المال والجاه وطمحك انا راضى بالعصا يا أيها الحامل رمحك وسارضى خبزك الأسود في الحب وملحك وسانسى جرح قلبي كلما وسانسى جرح قلبي كلما ابصرت جرحك .
واري ليلك ليل واري صبحي صبحك واذا اخطأت نحوى فانا الطالب صفحك

هو ذا قمحي الذي احسبه ما عشت قمحك
لا تقل مدحا وقله للذي يطلب مدحك
رب يوم بعد ان نستبدل الكوخ وصرحك
فيه ياتي شاعر يقرا ما قلنا ويضحك

ويطول بنا الحديث ان رحنا نتتبع هذا الشعر الانساني النزعة عند شعراء المهجر فهو ظاهرة مطردة واتجاه يشمل شعراء المهجر الشمالي جميعا وخصوصا شعراء الرابطة القلمية وعلى راسهم جبران وابو ماضي .

ولقد كان ايليا ابو ماضي اكبر شاعر مهجري تبلور في شعره هذا الاتجاه الانساني بعد ان مر بفترة كانت هذه النزعة الانسانية في نفسه غائمة مبهمة ولكنه وجد نفسه اخيرا فوقع على منبع هذا الاتجاه الخير ، فهو في هذه الفترة الأولى يتأذى من منظر العجائز في الفندق الفخم ويعنون القصيدة التي وصف فيها هؤلاء العجائز بـ (موميات) :

لمن يضوع العبير
لمن تغنى الطيور
لمن تصف القناني
لمن تصب الخمور
ولا جمال انيق
ولا شباب نضير
بل موميات عليها
اطالس وحرير
راحت تقعقع حولى
فكاد عقلي يطير
هذى العصور الخوالي
تطوف بي وتدور
من كل شمطاء ولى
شبابها .. والغرور
كانما الغم منها
مقطب مزرور

كأنما هو جرح
مرت عليه شهور

هن السعالى ولكن
سعالوين كثير

حديثهن انتفاض
وضحكهن هرير

وله قصيدة اخرى قالها حينما زار فلوريدا ، فقد اعجب بها وتخيلها جنة حالمة ولم يعكر صفوها ـ فى رأيه ـ الا السحن السود التى فيها :

ياجنة قبلما حلت بها قدمى
احببت قصتها واشتقت راويها

كانت لها صورة فى النفس حائرة
مثل القصيدة لم تنسج قوافيها

وددت لو انها تمت فيبصرها
غيرى وتسكره مثل معانيها

وكيف تكمل فى ذهنى ولم ارها
وما تصورتها شيئا يحاكيها

لما رايت الجمال الحق ادركنى
زهد بكل جمال كان تمويها

كل الذى لاح لى فى ارضها حسن
واحسن الكل فى عينى اهاليها

الاذوو السحن السوداء واعجبا
اجنة وذباب فى نواحيها

انى ليكبت روحى ان الاحظهم
بمقلة ابصرت فيها غوانيها

الا ان أبا ماضى وقع بعد ذلك على النبع الانسانى المختفى فى نفسه وفى رأيى ـ وأن خالف اتجاهه هذا نزعته الانسانيه الواضحة فى شعره بعد هذه الفترة ـ انه محاولة للتطرف ، فهو فى قصيدته ، موميات ، يحاول ان يرسم صورة فكهة لهؤلاء العجائز ، ولعل هذا الغرض قد صرفه عن المعنى اللاانسانى الذى يبدو فى أبياته . الا أن أبا ماضى حينما تبلور مفهومه الاجتماعى ونضجت شخصيته الفنية ابتدا مرحلة جديدة ظهر فيها اتجاهه الانسانى الصادق ، فهو يتالم لاضطهاد الزنوج بعد ان لمس هذا الاضطهاد بيده ، وهو يعيش فى أمريكا حيث تقع المأساة كل يوم ، فترجم أنشودة من أناشيدهم ، وكأنه بهذه الترجمة يفسح المدى امام صرخات هؤلاء المعذبين :

فوق الجميزة سنجاب
والأرنب تمرح فى الحقل

وانا صياد وثاب
لكن الصيد على مثل

محظور اذ انى عبد

والديك الابيض فى القن
يختال كيوسف فى الحسن

وانا اتمنى لو انى
اصطاد الديك ولكنى

لا اقدر اذ انى عبد

وفتاتى فى تلك الدار
سوداء الطلعة كالقار

سيجى، وياخذها جارى
ياويحى من هذا العار

افلا يكفى انى عبد

وهو يقف بقصيدة (الطين) أمام الانسان المزهو بثروته وقوته ، وهو فى هذا المجال يلجأ الى الطبيعة ويعقد مقارنة بينها وبين الانسان وينتهى باظهار عجزه امام غناها وقوتها فيبدو الانسان بعد هذه المقارنه عاريا من كل امجاده التافهه ، فهو يقول له :

الك القصر دونه الحرس الشاكى
ومن حوله الجدار المشيد
فامنع الليل ان يمد رواقا
فوقه والضباب أن يتبلد
وانظر النور كيف يدخل لا يطلب
اذنا فماله ليس يطرد
مرقد واحد نصيبك منه
افتدرى كم فيه للنور مرقد
الك الحقل ؟ هذه النحل تجنى
الشهد من زهرة ولا تتردد
وارى للنمال ملكا كبيرا
قد بنته بالكدح فيه وبالكد

انت فى شرعها دخيل على الحقل
ولص جنى عليهـا فافسـد

لو ملكت الحقول فى الارض طرا
لم تكن من فراشة الحقل اسعد

وقد وقف ابو ماضى نفس هذه الوقفة فى قصيدته (الشاعر والملك الجائر) فهو يلجأ الى الطبيعة ليضعها امام الانسان المتجبر المزهو ليحس بضعفه وعجزه فيتراجع عن معتقداته الخاطئة ويعرف التواضع الجميل ويحس انه فرد من الناس لا ميزة تفرده عنهم او ترتفع به فوقهم وهو يهاجم فى قصيدته « التينة الحمقاء » الانانية والغرور ، فشجرة التين تعرف انها جميلة وانها تسخو بهذا الجمال . وتكلف نفسها ما فوق طاقتها حتى تكون فى هذا الجمال الذى تتمتع به الطيور والانسان فتسول لها انانيتها أن تمد ظلها لتستر نفسها فقط ، وانهـا لن تثمر الا على ثقة أن ليس يطرقها طير ولا بشر ..

الا أن صاحب البستان حينما رآها بلا ثمر اجتث جذورها فهوت (فى النار تستعر) ويصل أبو ماضى من هذه الحكاية الى حكمة يختم بها قصيدته فيقول :

من ليس يسخو بما تسخو الحياة به
فـانه احمـق بالحـرص ينتحـر

وهو فى قصيدة (الضفادع والنجوم) يحارب خداع النفس والاحساس بالغرور أيضا ، وفى (الحجر الصغير) يظهر قيمة التعاون والمشاركة فى ابسط الاشياء فالحجر الصغير فى السد يظن نفسه تافها لا فائدة فيه وحينما يهوى من مكانه يغشى المدينة الفيضان .

وابو ماضى ينكر نفسهولا يراها تجود من ذاتها ، فادمعه ادمع الناس وشعره منهم فهو يقول لمواطنيه الذين اقاموا حفلا تكريميا له .

رفعتم مقامى واعليتموه
لما قد صنعت ولم اصنع
احـق باكرامـكم طـائر
يغرد فى الروض والبلقع
واولى به كوكب طالـع
على سـهد وعلى هجع
انا واحد منكم يا نجـوم
بلادى متى تسطعوا اسطع

فمن قام يمدحنى بينكم
فقد تمدح الكف بالاصبع

وما الغيث غير الخضم ولي
س القدير سوى السحب الهمع
فلولاكم لم اكن بالخطي
ب ولا الشاعر الساحر المبدع

وتتبلور هذه النظرة الانسانية فى قصيدة (الفاتحة) وهى التى جعلها مقدمة ديوانه (الجداول) :

يا رفيقى انا لـولا
انت ما وقعت لحنا

كنت فى سرى لمـا
كنت وحدى اتغنى

ربمـا كنت غنيـا
غير انى بك اغنى

يارفيقى انت انراعي

ت فجرى صار اسنى
واذا طفت بكرمى
زدته خصبا وأمنا

وهكذا يقف ابو ماضى شاعرا انسانيا كبيرا هو وبقية مدرسة المهجر الشمالى ، ولا ريب أن ثورتهم على الظلم الاجتماعى والاضطهاد الذى صبه عليهم الاتراك من الاسس التى قام عليها اتجاههم الانسانى الى جانب انهم مسيحيون ، والمسيحية دين التآخى والسلام والمحبة ، وقد ظهرت اتجاهاتها فى شعرهم . فقد تأثروا بالكتاب المقدس وامتد هذا التاثير من المضمون الى الشكل كما يقول نقادنا اليوم .

ولا ننسى هاهنا ان احساس المهاجر بغربته وحاجته الى التساند والتآخى بينه وبين الناس كان من هذه الاسس القوية التى قام عليها هذا الاتجاه الانسانى ، فالمهاجر يود لا شعوريا ان يستعيض بمواطنيه الجدد فى بلده الجديد عن قومه واحبابه العائشين وراء المحيط ، **وهو يريد منهم ان ياخذوا من كيانه الوجدانى منزلة هؤلاء الاحباب فهو فى حاجة الى التآخى والتعاطف والمحبة ، ليحس انه لبنة متجانسة فى بناء هذا الوطن الذى هاجر اليه باختياره .**

كمال نشات

في مسجد قرطبة

بقلم : فاضل خلف

رأيت وأنا أمشي وئيدا في طريق صاعد نحو مسجد قرطبة ، مباني لا اعتقد انها اختلفت كثيرا عن تلك المباني الأندلسية القديمة في أيام العرب. وكان هذه المنازل التي تحيط بالمسجد الجامع تريد ان تبرهن للعصور المتعاقبة والأجيال المختلفة - في قرطبة - على انها تحرس هذا المسجد وتحميه من صروف الأيام وعاديات الزمان .. هذا المسجد الذي اقيمت فيه الصلوات وتليت فيه الايات ، وتخرج فيه كثير من اهل العلم ، الذين ما زالت آثارهم العلمية والادبية تدرس في جامعات الشرق والغرب .

وعندما دخلت صحن المسجد الجامع ، وكنا في أحد ايام رمضان المبارك من عام ١٩٨٠ ، تمثل أمامي تاريخه وامجاده ومآثره بأجلى مظاهرها .

لقد وجدت المسجد ولكن اين المصلون ؟ اين الذين عمروا هذا المسجد ، ونشروا الاسلام في ربوع الاندلس ، واقاموا حضارة تحدث بها التاريخ بفخر واعتزاز ؟ اقضيت الصلاة فانتشر المصلون في قرطبة ؟ أم جئت انا بعد المصلين بسبعة قرون ؟

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا
انيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فابادنا
صروف الليالي والجدود العواثر

ولفت انتباهي قبل أن أدخل المصلى لوحة رخامية وضعت على الجانب الأيمن لباب النخيل وكتبت بخط كوفي جاء فيها :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، امر عبد الله عبدالرحمن امير المؤمنين الناصر لدين الله اطال الله بقاه . ببنيان هذا الوجه واحكام اتقانه ، تعظيما لشعائر الله ، ومحافظة على حرمة بيوته ، التي اذن الله أن ترفع ، ويذكر فيها اسمه ، ولما دعاه على ذلك ، من تقبل عظيم الاجر ، وجزيل الفخر ، مع بقاء شرف الأثر وحسن الذكر ، فتم ذلك بعون الله ، في شهر ذي الحجة سنة ست واربعين وثلاثمائة ، على يد مولاه ووزيره وصاحب مبانيه عبد الله بن بدر ، عمل سعيد بن يعقوب . »

اجل هذه لوحة ، تاريخية ، كتبت منذ الف عام ، في أيام عبدالرحمن الناصر وفي عهد الاندلس الذهبي ، وهي تؤرخ بناء واجهة المسجد . ولا يستطيع السائح العربي ، ان يتجاوز هذا المكان دون أن يقف وقفة اجلال واكبار ، لعبد الرحمن الناصر ، الذي نصره الله فبلغ بالأندلس الى ربوع المجد ، ورفع رايات الاسلام عالية خفاقة في قلب أوربا ، حتى خافته الدول والملوك ، وطلبت رضاه . ويقف السائح كذلك اجلالا واكبارا ، لصقر قريش ، عبد الرحمن الداخل ، الذي تسلم زمام الأمور بالأندلس وكانت على وشك الانهيار المبكر ، فاقام فيها دولة عربية اسلامية عظيمة دامت عدة قرون .

ووقفت عند باب المصلى ، وقبل أن أدخله ، قلت بصوت لم يتجاوز القلب ، (السلام على مسجد قرطبة) فخيل الى أن المسجد يهتز بأعمدته وعقوده ومحرابه في الرد على التحية كما خيل الى أنني أسمع جواب التحية مدويا ، من ملايين الأرواح الحزينة الحائمة في جنبات هذا المسجد الحزين . ثم دخلت المصلى ... دخلته كمصل يقف بين يدى الله ، في بيت من بيوت الله بخشوع وتبتل ، كما كان يدخله المسلمون الأولون رحمهم الله . وما وقعت عيناي على أعمدة المسجد المتشابكة ، وكانها غابة من الاعمدة ، حتى هاجت بي الذكريات المثيرة وغالبت الدمع وهو أغلب ، وأخذت أتمسح بأعمدة المسجد وحيطانه ومحرابه ونقوشه الاسلامية ، وأعانق أرواح المصلين الذين كانوا في المسجد في شباب زمانه وأردد مع أميرالشعراء أحمد شوقي قوله الخالد في هذا المسجد ، من قصيدته الأندلسية :

ورقيق من البيوت عتيق
جاوز الألف غير مذموم حرس

اثر من محمد وتراث
صار للروح ذي الولاء الأمس

بلغ النجم ذروة وتناهى
بين (ثهلان) في الأساس (وقدس)

مرمر تسبح النواظر فيه
ويطول المدى عليها فترسى

وسوار كأنها في استواء
الفات الوزير في عرض طرس

فترة الدهر قد كست سطريها
ما اكتسى الهدب من فتور ونعس

وكنت في حالة نفسية لا يعرفها الا كل شاعر حساس ، مرت عليه مثل هذه المواقف الحزينة وعاش مع ذكرياتها الملتهبة ٠

ولم يكن موقفي غريبــا فقد وقف قبلي الغزال الفاسي سفير سلطان المغرب الى ملك أسبانيا كارلوس الثالث ، منذ قرنين من الزمان ٠ وقد وصف لقاءه الحزين مع هذا المسجد فقال :

« ومذ عبرنا هذا المسجد ، لم تفتر لنا عبرة ، مما شاهدنا من عظمته وتذكرنا ما كان عليه عهد الاسلام ، وما قرىء فيه من العلوم ، وتليت فيه من الآيات وأقيمت فيه من الصلوات ، وقد تخيل فى الفكر ان حيطان المسجد وسواريه تسـلم علينا ، وتهش الينا من شدة ما وجدنا من الأسف حتى صرنا نخاطب الجمادات ، ونعانق كل سارية ، ونقبل سوارى المسجد وجداره » ٠

لقد كانت لى ـ مواقف حزينة مع كثير من المساجد الاسلامية القديمة ، ولكن هذه المساجد برغم ان بعضها أصبح مهجورا ، ومقفرا من المصلين كمسجد البصرة ، ومسجد سامراء ، الا انها ما زالت فى بلاد عربية اسلامية ، يتعالى بالقرب منها صوت المؤذن يوميا ، وللعرب فيها ملك وسلطان ٠ أما فى قرطبة فيختلف الأمر تمام الاختلاف ٠

مدارس آيات خلت من تلاوة
ومنزل وحى مقفر العرصات

ودخلت المحراب ٠٠ محراب مسجد قرطبة فماذا وجدت ؟ وجدته وكان المسلمين خرجوا منه بالأمس القريب ، وقرأت الكتابة العربية المنقوشة فيـه ، وهى تؤرخ انشـاء هـذا المحراب من قبـل الحكم المستنصر ، وهذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، حافظوا على الصلوات والصلاة الوسـطى ، وقوموا لله قانتين امر الامام المستنصر بالله الحكم ، أمير المؤمنين اصلحه الله بعد عون عون الله فيما شيده من هذا المحراب ، بكسـوته بالرخام ، رغبة فى جزيل الثواب ، وكريم المآب ، فتم ذلك على يد مولاه وحاجبه جعفر بن عبد الرحمن رضى الله عنه بنظر محمد تمليخ وأحمد بن نصر ، وخالد بن هاشم اصـحاب شرطته ، ومطرف بن عبد الرحمن الكاتب فى شهر ذى الحجة من سنة اربع وخمسين وثلاثمائة ومن يسلم وجهـه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ، والى الله عاقبة الأمور » ٠

أجل ٠ أيها المسلمون حافظوا على الصـلوات والصلاة الوسطى ، ولكن :

قفا نسأل الدار التى خف أهلها
متى عهدهـا بالصـوم والصلوات

أجل ٠٠٠ ان هذا المسجد الجامع ، منذ أن سقطت قرطبة فى عام ١٢٣٦ ميلادية ، وهو قفر من الصلوات والمصلين لأن الأسبان حولوا المسجد الى كنيسـة عظمى أى كاتدرائية ٠ ولعل أول صلاة اقيمت فيه منذ ان غابت شمس الاسلام عن قرطبة ـ كما يقول المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام ، هى صـلاة شاعر الهند الكبير محمد اقبال ، الذى زار قرطبة فى سنة ١٩٣٦ فهاجت به الذكريات الحزينة وهـو يجول فى ربوع المسجد الحزين وطلب من المسئولين أن يصلى فى البقعة التى صلى فيهـا قبله ملايين المسلمين فى قرطبة ٠

ومسجد قرطبة اليوم ليس فى هيئته الأولى كما تركه المسلمون لأن الأسبان أخذوا فى تشويهه منذ أن استولوا عليه وأقاموا هيكلا عظيما فى وسـطه فى أواخر القرن الثالث عشر الميلادى ٠ وأزالوا جانبا كبيرا من سقف المسجد ٠ وقد استهدف هذا التشويه نقدا شديدا من علماء الأسبان ، الذين اسـتنكروا أشد الاستنكار ما قامت به يد التعصب فى تشويه هذه التحفة الاسلامية والدرة الأندلسية ٠

وقد بدأ فى انشاء هذا المسجد العظيم ، عبدالرحمن الداخل ، واتمه ولده هشام ٠ ثم أخذ حكام الأندلس يتعاقبون على اصلاحه وتحسينه كعبد الرحمن بن الحكم ، ومحمد بن عبد الرحمن وابنـه عبد الله ، وعبد الرحمن الناصر ، والحكم المستنصر ثم جاء الوزير الاندلسى العظيم محمـد بن أبى عامـر ، المعـروف بالحاجب المنصور ٠ فوسع فى المسجد وزاد فى اعمدته حتى بلغت اكثر من الف ومائتى عمود ، اما اليوم فلم يبق منها سوى ثمانمائة عمود بعد تشويه المسجد ٠

وقد وقفت فى مسـجد قرطبة وقفـة اجلال وتقدير ، لمحمد بن أبى عامر ، هذا البطل الأندلسى العظيم الذى استطاع بقوة شـخصيته وطموحه واخلاصه ، أن يعيد الى الخلافة الاسلامية فى الأندلس ، هيبتها بعد أن طمع فيها البعيد والقريب ٠ واستطاع بشجاعته النادرة ، أن ينتصر على الأسبان فى أكثر من خمسين واقعة ، حتى امتدت حدود الاندلس الى أبعد ممـا كانت عليه قبل أن يتولى زمام الأمور فيها ٠

فاضل خلف

من وحي صورة

للأستاذ محمد بهجة الأثري

كتبت هذه القصيدة لصديق ذهب الى « وادى الملوك » بقلبه ، واستولى جمال « النيل » على لبه ، فطار من « بغداد » الى « القاهرة » بعزيمة ماضية وارادة نافذة ، يبنى هنا لك عشه الهانىء ،وسناده قلمه وصدق رايه ولطف مداخله وحسن لقاء اهل « مصر » ...

...وقد بعث الى ببطاقة مصورة ، استورى بها زناد قريحتى وهى خامدة ، واثار فى نفسي جلائل الذكريات لمناظر « النيل » وهى راكدة .. وقد قرنوا باماليه الطيبة فى الموسم المجيد ، وتحية من « النيل » السعيد .

حييتنى بالمنظر الفتان   فهززت نفسي واستثرت بيانى
ما كان ابدع ما اصطفيت لناظرى   سبحان بارى الحسن فىالاكوان !
« النيل » يخترق الخمائل سادرا   فى كبر مرموق الجلال معان
متالق الاوضاح ، تحسب وجهه   قسمات ابلج عبقرى الشان
تزهو بزينته البقاع ووشيه   زهو الربيع بحسنه الفتان
متدفق ، متدفع ، متموج ،   متكسر ، متعرج الشطآن
والفلك بالشرع الحسان تخالها   زمر الطيور تهم بالطيران
يسلكنه حينا صواعد عكسه   وحوادرا حينا مع الجريان
وكانما الشرع الحسان حوانيا   اكباد عشان ترق حوان
وكانما رعشاتهن خوافقا   رعشات قلب دائب الخفقان
والنخل فى الشطين شبه عرائس   يزهو هناك بحسنها الشطان
قامت تناجى كالأوانس موقفا   فى مجمع السمر اللطيف الهانى
هل بين نخل الشاطئين تغازل   كتغازل الفتيات والفتيان
طال الوقوف ، فما التناجى ينتهى   حتى يفرق بينهما الملوان
وعلى حفاف النهر قامت كالدمى   خودان تحت النخل تستقيان
احداهما فى الماء تغمس جرة   بارق كف رخصة وبنان
مدت به ساقا ، ومالت فوقها   كالام ترضع طفلها بحنان
وحيالها الاخرى ، فديت وقارها ،   تطا الثرى بترفق وليان
صدرت بجرتها وقد عطفت لها   جيدا اتيلع شبه ظبى البان
كلتاهما ظماى الوشاح ، وانما   تروى بفض جمالها العينان !
هو مشهد فى العين يبعث روعة   لكن له فى القلب وخز طعان !
من للقوارير اللطاف يصونها   فى الشرق منعنت ومن اهوان ؟
والام هذا الشرق يضنى اهله   ويعيش فى شظف وفى اشجان ؟
لا عذر للملا الالى قد اترفوا   حتى يفيضوا الخير فى الاوطان
ولقد اثارت من شجونى قرية   قامت عليه فى المحل الدانى
ترنو اليه مساكنا ومنافذا   نظر المجوس مواقد النيران
ليست بباذخة الذرا ، لكنها   هى اصل كل بواذخ العمران
حملت الى اهل الحضارة يمنها   وهما على طول المدى صنوان
برت ، وعقوها..ولو هم انصفوا   لاستقبلوا الاحسان بالاحسان
ياليت لى فيها هناك منزلا   يناى بنفسي عن هموم زمانى
ارعى ، اذا طلع النهار ، سوائمى   فيها ، ولا ارعى بنى الانسان

الحافة

للشاعر عبده بدوى

ادرك تماله نور بين ايماني ... واردد على احاديثي وقرآني
انى توغلت فى صحراء فارغة ... تظل تنداح فى اعماق نسيان
واصبحت روحى الحيرى بعالمها ... كشمعة تتوارى بين نيران !
لا الفجر اورق فى عمرى بهدانه ... ولا تزحزح تحت الافق طغيانى
ولا مددت يدا — والدهر ينهشنى — ... كى ارتجيك فقل بات يغشانى
احسست ان فؤادى صخرة رسبت ... ولن تحركها فى الارض كفان !
هلا رجعت بايامى الى حقب ... خضراء تزهر فى عمرى ووجدانى
ايام كنت على شفتى اغنية ... وكنت خفقة الهام بفنان
اراك فى الليل ، فى الآفاق ، فى صور ... ملء الحياة ، وفى اعماق انسان
واسمع اسمك فى نبض البذور وفى ... عطف يولده بالشوق قلبان !
فقد عرفتك فى فجرى بقريتنا ... وفى المدينة والاحزان تلقانى
وقيل « .. فى كل شيء سرت تلمحه ... تحسه بين فجار ورهبان
وفى الزهور تشم الروح نفحته ... وفى الخريف يرى من غير اغصان
وفى الاعاصير تلقاه بغضبته ... وفى النسيم كما يلتف خدان ! »
لكن شيئا باعماقى يزلزلنى ... كاننى اتدلى بين بركان
مذ صرت شيئا يجوب العقل عالمه ... اسلمت يومى لاطراقى ، واحزانى
ما كان اسعدنى طفلا بما عرفت ... نفسي وراء جهالاتى وقضبانى
واليوم اخشي على المصباح قد ذبلت ... اضواؤه ، وتوارى بين اجفانى :
عقلى يغوص لقاع الشك محتشدا ... والقلب يرفع نجواه بشطآنى
قد مزقانى : فهلا قد مددت يدا ... خضراء ترجع لى انوار ايمانى

اغدو الى « الغيط » الجميل مبكرا ... واروح منه براحة وامان
شبابتى بفمى تذيع محبتى ... وتجيء لى بالانس والسلوان
واذا اندجى جن الانام ظلامه ... واووا ، اويت الى جنيب مكانى
متهجدا (لله) حتى ارتوى ... انسا ، ويغنى فى بهاه كيانى
واجيء خلقا لا تنافر بينهم ... غسلت قلوبهم من الاضغان
مالى وللعيش المعقد فى الورى ؟ ... ماذا جنيت من الزمان الفانى ؟
اين الثلاثون التى اسلفتها ... للدين والدنيا والاوطان ؟
ذهبت كامس ، وانكروا عرفانها ... اترى الجهالة غاية العرفان ؟
كانت عواقبها التى ادركتها ... ظلم السجون وشقوة الحرمان !
وجنيت من ود غرست نباته ... ما بات يجنى غارس الشنآن
ولطالما مذق الوداد منافق ... واسر لى كيد العدو الشانى
وعثير ازمان صدقت ولاءه ... قد كان اسبق من بغى فرمانى
قد حرت ، اونغصت حياتى حيرتى ... ما اولع الانسان بالعدوان !
وعلام يقتتل الانام ، وكلهم ... فان ، وكل وجود شيء فان ؟
اصبحت اغبط راعيا فى قرية ... يقضى الحياة مرافق الحيوان
لم يدر ما الدنيا وما اوطارها ... فى العيش من وصل ومن هجران
قتل المتاعب بالسلو عن الورى ... واصاب منها الربح فى الخسران!!

مع ديوان الشاعرة عاتكة الخزرجي

بقلم : روحية القليني

لم يسعدني الحظ بلقاء الشاعرة العربية دكتورة عاتكة الخزرجي عندما كانت بالقاهرة تطبع ديوانها وعندما ظهر الديوان قرأته في شوق ولهفة ، وعشت بين دفتيه لحظات ممتعة حقا٠٠ التقيت بين سطوره بالشاعرة المبدعة عاتكة الخزرجي ٠

وشعر عاتكة الوان من الشعر الوطني والعاطفي والصوفي والاجتماعي وقد خلا من الهجاء كمعظم شعر المرأة ، فالمرأة الشاعرة قلما تهجو ولبعض الشاعرات ـفعلاـ شعر في الهجاء الا انه قليل ، فليس عندنا مثلا شاعرة هجاءة كالفرزدق والأخطل وجرير ،وسر ذلك أن المرأة حريصة على ألا تمس أو تخدش بكلمة نابية ، فعليهـا اذن ألا تهجو حتى لاتتعرض لـما لاتحبه من الهجاء ٠

وليس لعاتكة شعر في الهجاء الا قصيدة واحدة ، تهجو فيها المرحوم الدكتور زكي مبارك حيث تقول :

ألم تره هيمـــان يهذي بغـاده
عراقيـــة ســمراء ذات مفـــاتك
ســـقته بعينيها المدام فاسكرت
فتى تاه في ليل من السحر حالك

الى آخر هذه القصيدة التي ليس لها غيرهـا في الهجاء ٠

شعرها الوطني

وعاتكة شاعرة عربية تعيش في الاحداث الوطنية بكل نبضة عرق وخفقة قلب، مخلصة لوطنها الصغير٠٠ العراق ، ووطنها الكبير العالم العربي، تحب بغداد وتتغنى بها في كثير من الابيات حتى لتتصور نفسها وبغداد ، كقيس وليلى حبا وهياما تقول :

أنا أهـواك فوق ماعرف الحـ
ـب فانا في الحب قيس وليـلى

وهي مع حبها الكبير لبغداد وذكرها لهـا دائما في غربتها عندما كانت تدرس في فرنسا ، تعيش في أحداث الجزائر وتتغنى بها ، وتثور لفلسطين في عروبة أصيلة فتقول :

لقد جمعتنا يا فلســـطين نكبة
كمـا تجمع الاحزان شمل يتامى
فليس بنـــا الا نفوس غضــوبة
تثور لتحيـــا او تمـــوت كراما
فلسطين حتام السكوت عليهم
وقد حسبونا لا نطيق كـــلاما
فلسطين هيـــا ثورة عربيـــة
تعــــير ابراج الطغاة ركاما
فاما حياة تحت راية وحــــدة
واما ترويـــا الطعون زؤاما

فعاتكة تعيش في الاحداث ولا تسعد الا بوحـــدة تضم شمل العرب وتجمع كلمتهم فتقول :

علموا الايام انا امـــة
تثقل الخطو عـــلى وحي نبي
وحدوا الصف ولا تنقسموا
وانحروا ياقوم كيــد الاجنبي
وحـدوا الصف ففي وحدتـكم
عـودة المجـــــد وعز العرب

ومن خلال قصائدها الوطنية أقدر فيها الفتـــاة العربية الاصيلة المضطرمة نارا ووطنية صادقة ٠٠ العربية الواعية التي تعيش في الاحداث ولا يرضيها أن تعيش على هامش الحياة كامرأة مدللة ناعمة ، ومع ذلك فهي في شعرها الوجداني تكاد تذوب رقة وعذوبة وتبدو عاتكة الانثى بما يحويه هذا اللفظ من معنى الرقة والعذوبة ، وانثى شرقية عربية جمالهـــا في وداعتها وخفرها وحيائها الجميل ٠

تحب فتعطي الحب كل شعورها وصدق عواطفها ولكنها بعيدة كل البعد عن التبذل والاسراف ٠٠ تصب المعنى النبيل في قالب ولفظ فني بديع ٠٠ ويضم الاثنين نغم موسيقى ساحر ٠

كل مالاحظه في شعرها الوجداني أنها تخاطب صاحبها بكلمة سيدي وتكاد تكررها في كل قصيدة وفي كل بيت بعد الآخر ، وتبدو صورة الولاء بارزة فيه ٠

تقول

ومتى تعــــود متى أراك فنلتقي
الشوق يفنني والتصـــبر لايقي
(ياسيدي) عد لي فديتك انهـــا
كبـــد تذوب فلا تجر وترفق

اني اخاف على من هـذا النوى
افلا ترى الا تخـــاف وتتقى
(ياسيدى) عونيت من هـذا الهوى
وضنيت ويذهب هـواك بما بقى
وفي قصيدة اخرى بعنوان (كن من تشاء) تقول :
اموت الا يوم هجـــرك
والنــــــار الا نار غـدرك
(ياسيدى) هـدى فتـاتك
تـشتكى لذعات جمـــرك
رحمـاك هـدى طفـله
اولى بعطفـك او ببرك
بك تستجير من الزمان
فكيف تفجؤهـا بغـدرك
اليوم تسقيهـا السمـوم
وكنت تسكرها بخمـرك
واليوم تبخـل باللقـاء
على التى خضعت لأمرك

فهى فى هذه القصيدة بالذات كلها ولاء واستكانة وخضوع، فى هذه القصيدة تمثل صورة حدائنا وهن ينظرن للرجل كسيد وحام لا صديق وزميل، وتصور نفسها طفلة محتاجة للرعاية والعطف وتفنى فناء تاما فى المحبوب •

وشعر النساء فى الغزل بالذات يختلف عن شعر الرجل ، فالرجل فى شعره الغزلى عادة يتغنى بمفاتن المرأة الجسدية من صدر وقوام وشفتين الخ •• أما المرأة فغزلها فى الغالب محتوى يدور حول اللهفة والحنين والفراق والهجر، وشعر عائكة من هذا النوع الاخير •

شعرها الصوفى

وشعر المرأة فى التصوف قديما كان او حديثا قليل فالخنساء على كثرة ماقالت فى الرثاء فى أخويها صخر ومعاوية قصائد تزيد على السبعين ليس لها نصيب من شعر التصوف رغم أنها أدركت الاسلام ، وكان الرسول عليه السلام يقدر شعرها ويناديها دائما (بيا خناس) •

وعائشة التيمورية لها بعض القصائد الصوفية ورابعة العدوية ربما تكون الوحيـدة التى انفردت بالشعر الصوفى، وكذلك لبعض الشاعرات المعاصرات شعر صوفى جميل الا أنه قليل اذا قيس بشعر الرجل فى التصوف •

ومن ألوان الشعر الصوفى عند عاتكة تلك القصيدة (يثرب) :

هبينى جناحاكى كى اطير ليثرب
عسى ان اداوى ما بقلبى المعذب
حمامة هـذا الدوح رفقا بخافق
يحن لترب عاطـر الروح طيـب
يلج به شـوق ويحدو به الهوى
ويعرى به الاحباب فى كل مـذهب
حمامة هذا الدوح ردى لى المنى
بلقيـا حبيب فى التراب مغيب

وتمضى عاتكة فى قصيدتها الصوفية تخاطب فيها روح الرسول الحبيب بحب المراة وشعورها وولائها وبديها بيمن تحب ولا تنسى ان تذكر حال الناس وهم فى شغل عن الاخرة والخلود بمال ورقص وخمر فتقول :

تلاهت عن القرآن بالعزف والغنا
وبالرقص والايقاع عن كل مأرب
وعادت بيوت الله خلوا واصبحت
مراقصها مـلاى بكهـل واشهب

فعاتكة التى عاشت بباريس لم تنسها ملاعيهـا ولا زخرفها دين الحق والخلق العربى الاصيل الذى يستمد هديه من القرآن الكريم •

وتناجى عاتكة أمها فى أكثر من قصيدة فتقول : فى قصيدتها أنت ياأماه

أنت معنى الحب بل معنى الحياه
انت نـور فاض من نـور الاله
أنت بعـد الله رمـز يعبـد
تفتـديه مهـج بـل اكبد
أنت يا أماه فقت الامهـات
فيك يا أم يحـلو غزلى

فغزل عاتكة حب كبير من نبع فياض ، وولاء لمن تحب سواه كان الاها او رسولا او اما او صديقا .

الغزل مادة غنائها ووحى شعرها فهى تعيش بالحب الطاهر العفيف •

وتخاطب أمها فى قصيدة (بعد الرحيل) فتقول :

أواه لو تدرين ما أقسى الحياة على الغريب
كأداء موحشة يشيع بجوفها الصمت الرهيب
كم قد فزعت من الظلام بوجهك الحلو الحبيب
أماه أنت هواى أنت هداى أنت لى النصيب
فى حجرك القدسى لقنت المحبة والنسيب

فعاتكة فى باريس بين الجمال والسحر ، ولكنها تنسى كل هذا ويهزها حنينها الى بلدها وأمها الحبيبة وترى باريس موحشة كئيبة لانها خلت من الاصدقاء والأحباء •

ميخائيل نعيمة يحكي قصة حياته

للمستشرق الروسي **كراتشكوفسكي**

ترجمة محمد منير مرسي

يمكننا أن نحكم على مدى صعوبة الحصول على معلومات مضبوطة عن الأدب العربي الحديث من مثال كتابنا للقراءة . فقد حدث لنا ان توجهنا أكثر من مرة الى الدوائر الادبية في البلاد العربية لمجرد معرفة بعض المعلومات عن ميلاد أدباء لم يزالوا على قيد الحياة وعلى الرغم من وجود الرغبة الصادقة لدى هذه الدوائر لم تتمكن من مساعدتنا. وترتب على هذا ان بقيت شخصيات مشهورة من ممثلي الأدب الحديث دون معلومات عنها . وواجه خميري وكاميفمير نفس هذه المشكلة في محاولتهم الجديدة التي تستحق الثناء واعني بها كتابهما عن: «قادة الأدب العربي المعاصر» . فبعض الكتاب الذين جمعناهم في كتاب القراءة لم يكن لهم هناك أيضا سوى حياة عام دون معلومات تاريخية اكيدة .

ولقد شعرت بحزن خاص بالنسبة لميخائيل نعيمة الذي اثار اهتمامي منذ عدة اعوام . ولم يكن مبعث هذا الاهتمام قاصرا على ان نعيمة من ممثلي الادب العربي المشهورين وانه يحتل مكانا مرموقا فيه الى جانب الريحاني وجبران . فمنذ فترة بعيدة كنت قد عرفت من المصادر العربية أن نعيمة تخرج من مدارس الجمعية الفلسطينية الروسية في سوريا وفلسطين ثم سافر الى روسيا ليدرس في المدرسة الدينية بمدينة بلطافا . وكانت كل محاولاتي في الحصول على معلومات عنه من بلطافا بدون فائدة . الا انني عرفت فيما بعد من أحد زملائه في الدراسة انه كان معروفا هناك لا باسم نعيمه وانما باسم ابيه « يوسف » . واحسست من اعماله الادبية لا سيما مقالاته النقدية بأثر الادب الروسي وبخاصة اثر المدرسة النقدية لبلينسكي . الا ان هذا كان مجرد احتمال لم اقرر من قبل انه بعد اكتشافا .

وكان خروج كتاب « القادة » الى النور دافعا للدخول مع نعيمة في مراسلات . فبعد خروج هذا الكتاب وبناء على طلبي سرعان ما تسلمت منه خطابا في ٢٧ مايو سنة ١٩٣١ يحتوى على معلومات هامة عن حياته ونشاطه الادبي . وتعطى هذه المعلومات تفسيرا لكثير من لحظات الحركة الادبية عند العرب وتستحق أن تنشر لصالح كل من يدرس الادب العربي الحديث . والخطاب يقول :

عزيزي الاستاذ كراتشكوفسكي .

لما كنتم قد تركتم لي الاختيار في الكتابة اليكم بالروسية او العربية او الانجليزية فانني افضل ان اكتب اليكم باللغة الاخيرة . ذلك لانه يوجد عندي بالصدفة آلة كاتبة بالانجليزية . والخطاب المكتوب على الآلة تسهل قراءته عما لو كتب باليد . والى جانب هذا فانني لم استخدم اللغة الروسية منذ سنة ١٩١٧ ولا اسيطر عليها الآن بطلاقة كالانجليزية .... انني اعتقد انكم احد العلماء الاوربيين الاوائل الذين اولوا اهتماما جديا نحو الادب العربي الحديث وهو اهتمام لا يمكن تجاهله أو اغفاله . لقد وصلت اليقظة اخيرا حتى العالم المتكلم بالعربية . وان الدليل القاطع على هذا يمكن ان نلمسه في القوى المخلصة الكتاب والشعراء المعاصرين الذين يعبرون في كلماتهم عما في نفوسهم وعما في حياتكم المحيطة بهم . ومنذ عشر أو عشرين سنة كانت هذه النواحي منعدمة

وهي تؤكد في بيتها الاخير انهـا قد لقنت الحب والتسبيب من أم حانية رءوم سقتها الحب ، فسقته الشاعرة بدورها لمن تحب ، كلمة حلوة ، وانغاما رائعة .

وهكذا نتجول في ذلك الروض المبهج لنطالعنا أزاهير من كل لون تحكي كل زهرة فيها قصة ممتعة فيصعد بك الخيال الى سماء الفن فيسحرك بروعته كل ذلك في لفظ جميل وعبارة مسبوكة ، وروح عالية كلها ايمان بالله وبالحب وبالوطن والعروبة . أنغام لشاعرة مثقفة تبدو الثقافة واضحة في كل قصيدة بل في كل بيت .

وثقافة الشاعر لازمة له كلزوم موهبته وجمال أسلوبه وسعة خياله وصدقه .

روحية القليني

تماما . وكان ادباء هذه الفترة ضحية للنماذج التي تقتفي آثار القدماء حتى العصر الجاهلي . وكان ذلك انهيارا فظيعا للروح والفن . وكان الادب - اذا جاز تسميته بذلك - منعزلا تماما عن الحيـاة خاليا من الروح مهتما بتنميق العبارة .

وعندما تركت روسـيا تمثل في عيني بوضوح الانحطاط الادبي في كل العالم العربي . وكان لهذا وقع بالغ على نفسي . بل وكان بالغ الايلام لانسان تربى على الفن الرفيع لبوشـكين وليرمانتـوف وتورجنيف والضحك عبر الدموع لجوجول والواقعية لتولستوي والمثل الادبية لبلينسـكي والانسـانية الرفيعة لدستيوفسكي بعمقه واصالته التي تميزه وسط كل الكتاب الروس ومن هنا يمكنكم ان تفهموا بسهولة السر في كون اولى تجاربي الادبية ذات طابع نقدي بصفة خاصة . وفي تلك الفترة التي بدات فيها الكتابة اي حوالي ١٩١٣ لم يكن هناك ادب يستحق النقد . هذا الادب لم يولد الا حديثا وكان يجب ان تعد له ارضية . وكان قد وجدت حشائش ضارة يجب ان تجتث قبل ان تتمكن بذرة الادب العربي الحديث من تثبيت جذورها .

ولحسن الحظ ان هذه الجهود لم تكن عديمة الجـدوى . فقد سار آخرون على هذا الدرب وهانحن اولاء شهود ميلاد الادب العربي الحديث : واذا كان السالفون منذ عدة عشرات من السـنين يعتبرون ان الادب العربي يشغل مكانا محترما بين الاداب العالمية الاخرى فان هذا الادب حاليا يخوض تجربة تاثير الغرب بقوة عليه . لكن سياتي اليوم الذي يصـبح فيـه لهذا الادب قوة التاثير على الغرب . فانني أومن بعبقرية اللغة العربية واومن ايضا بالموهبة الخلاقة للشعب العربي .

انكم تريدون ان تعرفوا تاريخ حيـاتي . وما استطيع ان اعطيكم هو عرض سريع فقط وهيكل عظمي للتواريخ والحوادث . اما مايتعلق «باللحم» الذي يجعل من الهيكل العظمي شيئا حيا ويعطيه القيمة الانسانية التي تملأ معاني التواريخ والحوادث فانني اخشى ان يتطلب ذلك اكثر من خطاب .

كان مولدي في ٢٢ نوفمبر سنة ١٨٨٩ في مدينة « بسكنته » على جبال لبنان . ووالداي من الكادحين البسطاء . انا ثالث اسرة تتكون من خمسة اخوة واخت واحدة .

حوالي سنة ١٨٩٥ قامت الجمعية الامبراطورية الروسية الفلسطينية بفتح مدرسة في بسكنته . والتحقت بها واخوان اكبر مني . وفي سنة ١٨٩٩ هاجر اخي الاكبر الى الولايات المتحدة الامريكية واقام في اقصى الغرب هناك في ولاية واشنجتون . وفي سنة ١٩٠٢ اختارتني المدرسة للالتحاق بمعهد المعلمين في الناصرة الذي كان تابعا للجمعية الفلسطينية ايضا . وفي روسيا حددت لي المدرسة الدينية في مدينة بلطافا للالتحاق بها . ولم يكن هدفي ان اصبح في يوم ما شخصية دينية وانما كان هدفي ان اعود الى الناصرة لاكون معلما او انهي المدرسة الدينية ثم التحق بالجامعة .

وفي الناصرة كان الادب مادتي المحببة بل وكتبت شعرا في تلك السنين المبكرة . و في الفترة التي قضيتها بالمدرسة الدينية غرقت في الادب الروسي . وانفتح امام عيني عالم جديد ملىء بالعجائب . واخذت اقرا منهم زائد وتعطش شديد . ولم اترك كاتبا روسيا او شاعرا او فيلسوفا الا وقرانه . وكنت في اقل من عام ، قد سيطرت على اللغة الروسية لدرجة انني كنت اكتب بها شعرا .

وكان هذا الشعر موضع تقدير من بعض اساتذتي الجديرين . ولقد حدث في بداية السنة الرابعة من وجوده بالمدرسة الدينية اي في نهاية سنة ١٩٠٩ ان اضرب الطلبة وكلفوني بالقاء كلمة جعلتني في نظر ادارة المدرسة من « المشبوهين » . وكانت النتيجة ان فصلت وكل تلاميذ فصلي لمدة عام . وفي خريف سنة ١٩١١ تقدمت بطلب اداء امتحان خاص عن كل السنوات الاربع الاولى . ووفق على طلبي . واديت الامتحان بنجاح وحصلت على دبلوم عن هذه السنين الاربع . وفي مارس سنة ١٩١١ رحلت الى لبنان حيث مضيت الصيف في الاستعداد للالتحاق بجامعة السربون . وفي نهاية الصيف عاد اخي الاكبر من امريكا ليزورنا بعد ان عاش هناك احد عشر عاما واقنعني بالسفر معه الى امريكا .

وفى ديسمبر سنة ١٩١١ نزلت بمدينة صغيرة تسمى « والا والا » بولاية واشنجتون . واخذت بسرعة فى تعلم الانجليزية . وفى اكتوبر سنة ١٩١٢ كنت قد سيطرت عليها بالدرجة التى امكنتنى بها الالتحاق بجامعة واشنجتون . وفى يونية سنة ١٩١٦ حصلت من كلية الفنون الحرة والقانون على درجة علمية فى الفنون والقانون . لكننى لم امارس مهنة المحاماة لاننى لم اكن اهواها بل ولم تكن محببة الى نفسى لتعارضها مع تطلعى الى العدل والصدق . وفى اكتوبر سنة ١٩١٦ وصلت الى نيويورك لأساعد فى تحرير المجلة العربية « الفنون » التى اسسها نسيب عريضة زميلى فى مدرسة الناصرة . وكان لهذه المجلة اعمال عظيمة، وأوجدت حياة جديدة فى الادب العربى ورسمت له طريقا جديدا . الا ان قوتها لم تكن كافية كمصدر للرزق لنا نحن الاثنين .

ولذلك تركتها والتحقت بخدمة احدى اللجان الروسية فى نيويورك التى كانت تقوم فى ذلك الوقت بشراء أسلحة للجيش الروسى . ومكثت هناك حتى فبراير سنة ١٩١٨ .

وبصرف النظر عن كراهيتى للحرب وكل التنظيمات ذات القوانين الصارمة فانتى التحقت بالجيش الامريكى فى مايو من هذا العام ، شاعرا بان كل العالم فى لهيب وان حياتى مع حياة الملايين يمكن ان تساعد فى ايقاف هذا الحريق الكبير . وفى يونيه بعث بى الى فرنسا . وهناك من ١ الى ٨ مارس سنة ١٩١٩ كنت موجودا على خط النار عند خط هجوم « ماس — ارجون » . وفى مارس سنة ١٩١٩ كنت ما ازال فى الجيش فى فرنسا وبعث بى الى جامعة « رين » الفرنسية .

وكانت الحكومة الامريكية قد ارادت ان تثبت نواياها الطيبة وعلاقتها الخيرة مع فرنسا فاختارت حوالى ٤٠٠٠ طالب من اكثر من مليونى جندى فى الجيش ووزعتهم على الجامعات الفرنسية المختلفة للدراسة حتى نهاية العام الدراسى . وفى يولية سنة ١٩١٩ رجعت الى الولايات المتحدة . وفى ذلك الوقت توقفت طبعة مجلة الفنون التى كنت اعمل فيها بكل قوتى وجهدى . ولم يكن هناك من وسيلة اخرى معقولة للنشر سوى جريدة « السائح » التى اسسها عبد المسيح حداد زميلى فى الدراسة بالناصرة . وكانت هذه الجريدة تصدر مرتين فى الاسبوع . وفى سنة ١٩٢٠ تأسست « الرابطة العلمية » برئاسة جبران وسكرتاريتى . وجميع اعضائها عدا ثلاثة منهم لم يحملوا فى الواقع اى جديد الى الادب العربى ، وكلهم تجمعوا حول طبعة « السائح » للحداد . ولقد حولنا هذه الجريدة الى ما يشبه الجريدة الرسمية للرابطة . ولم تكن الرابطة فى يوم ما منظمة بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة . لكنها ضمت مجموعة من المفكرين ذوى اتجاهات فكرية واحدة ، لا يخشون من التعبير عما يريدون ، بل واكثر من هذا ان لديهم مايقولونه .

واخذت روح الرابطة يتسع انتشارها فى البلاد العربية . اما بخصوص مؤلفاتى فاول كتاب مطبوع لى هو مسرحية « الاباء والبنون » المطبوعة سنة ١٩١٨ . وكتاب « الغربال » المطبوع فى مصر سنة ١٩٢٣ . وطبعت بعض اشعارى فى كثير من الجرائد العربية والمطبوعات الدورية . لكنها لم تطبع بعد فى صورة كتاب مثلها مثل بعض مقالاتى وقصصى . وفى الفترة الاخيرة كتبت موادا كثيرة بالانجليزية معظمها مؤلفات شعرية . وظهرت بعض اشعارى فى « نيويورك تايمز » لكننى لم آخذ على عاتقى مهمة الكتابة من آجل اصدار كتاب ، ذلك لاننى لا استطيع ان اعتمد على اعمالى الادبية من اجل الحياة والعيش ومن هنا كنت مضطرا لان اخصص جزءا كبيرا من وقتى للاعمال التجارية وخدمة الآخرين .

والى جانب هذا فقد تغير ذوقى الادبى بدرجة كبيرة . وما يجذب انتباهى الآن قاصر على المؤلفات التى تبحث بعمق عن حقيقة الحياة . وكلما ازددت هرما كلما اصبحت غير مهتم بالجوانب العرضية التى تتغير من يوم ليوم ومن قرن لقرن . اننى مازلت غير متزوج ... مع عظيم الاحترام .

م . ى . نعيمة

ترجمة : محمد منير مرسى
اخصائى التربية الاساسية



في طريق المعرفة

للدكتور محمد محمود غالي

ستعلم وأنت تتعرف على الذرة من خلال هذه المقالات أن البشرية قد خطت مع بكارل الفرنسي في أواخر القرن الماضي ومنذ ٦٨ عاما على وجه التحديد ومع أوتهان الالماني منذ ربع قرن خطوتين حاسمتين : فاما مدنية فوق التصور تصبح فيها كالملائكة نستطيع مالا نستطيعه اليوم ، واما مفاجأة محزنة قد ينمحي معها الكوكب الوديع الذي نعيش عليه . وأيا كان المصير فساحاول جاهدا ان تكون مقالاتي على صفحات الرسالة مبسطة يفهمها الاديب بقدر العالم . ويقيني أننا نستعرض أعظم ما ورثه الانسان من معرفة يتعلق بها كيان الجنس البشري .

ادرك الكهنة من قدماء المصريين متنقلين بين معابدهم في الليل البهيم على ضفاف النيل الخالد ، ان للنجوم حركة تستمر طول الليل ، وأنها تتكرر من ليل الى آخر ، ويقيني أدرك هؤلاء القدماء أن للكواكب حركة تختلف عن هذه الحركة للنجوم .

ادرك رعاة الغنم من مضطجعين حول اغنامهم في الليل الساكن على نهر الفرات ، يرقبون السماء بعيونهم ويتأملون الكون على حد عقولهم ، الكلدانيين هذه الحركات للنجوم وللكواكب .

***

وفي الساعة الزمنية التي يخيل الى انها لاتنتهي ادرك هؤلاء وهؤلاء ان هذه الحركات للنجوم وللكواكب لا تتبع في سيرها المصادفة العمياء ، وانما تسير وفق قوانين ثابتة لاتتغير ولا تتبدل . هذه القوانين لم تتضح بطريقة لاتقبل الجدل الا بعد الأعمال الخالدة التي خطها « كوبرنيك » البولندي منذ خمسة قرون ، تلك القوانين التي اثبت فيها ان هذه الحركة للنجوم التي نراها ليلا من الشرق الى الغرب ما هي الا حركة للأرض حول محورها من الغرب الى الشرق ، وأن الأرض التي نعيش عليها ليست مركزا للكون ، انما هي تابع لاحدى نجومه (الشمس) ، فهي تدور حول نفسها وتدور حول الشمس .

ومر الزمن وكر وتوالت القرون وتتابعت المدنيات وأتى الفرنجة ورثة الاغريق فادركوا أمرا آخر له خطره ، ذلك أن المادة صلبة كانت أم سائلة ام غازية تتركب من ذرات ، وهذه الذرة التي كانت في نظر العلماء الى عهد قريب جزءا لايتجزأ ، باتت في نظر العلماء المحدثين عالما شمسيا كاملا ، فهي تتكون في جميع العناصر التي يبلغ عددها اليوم ١٠٢ عنصرا من نواة وسطى كالشمس يدور حولها سيارات متناهية في الصغر يسمونها الكترونات ، وهذه الالكترونات تدور حول نفسها وتدور حول نواة الذرة ، كما تدور الارض حول نفسها وحول الشمس .

***

ولقد أعطينا في مقالنا السابق في الرسالة بعنوان « دنيا الذرة » رسما لذرة عنصر الكربون ورسما آخر لذرة عنصر النيون ، وفي الكربون يدور حول النواه ستة الكترونات وفي غاز النيون يتبع النواة عشرة الكترونات .

ولعل وصفنا للذرة عالما شمسيا يتكون من شمس وسطى يدور حولها جسيمات هو اول وسائل التبسيط فى هذا العرض . فهذه الجسيمات سواء الموجود منها داخل النواة أو الدائر منها فى افلاكها ليست جسيمات فحسب ، وانما جسيمات وموجات فى الوقت ذاته ، فهى على حد تعبير « دى بروى » صاحب الميكانيكا الموجية واستاذ الفيزياء الرياضية فى السوربون والحاصل على جائزة نوبل ، جسيمات تستصحب أمواجا ، وانى أعيد الى ذاكرة القارىء ضآلة هذه النواة والجسيمات الدائرة حولها ، فقطر النواة يبلغ واحد على مليون المليون من المليمتر ، وانى لا أشرح هنا وفى هذا المقال بالذات الفكرة عند « دى بروى » ، كما لا اشرح هنا الآن مبدأ « باولى » الذى صادفناه فى مؤتمر الجسيمات المتناهية فى الصغر المنعقد فى باريس فى المدة من ٢٣ الى ٣٠ ابريل سنة ١٩٥٠ والذى كنت عضوا فيه ، وهو من جهابذة العلوم الذرية ، ويقرر أن هذا الالكترون الدائر لايمكن وجوده فى حالة كم معين ووجود غيره فى حالة الكم ذاته ، ولا اشرح فى هذا المقال أيضا فكرة الكم عند « ماكس بلانك » ، بل سوف لا اشرح ما يسمى عدم التعيين عند « هيزنبرج » الذى يقول اننا لا نستطيع كما اعتدنا فى الميكانيكا أن نبين موضع هذا السيار وسرعته فى آن واحد ، فان نحن حددنا موضعه فاننا لا نحدد سرعته الا باحتمال معين وان نحن حددنا سرعته فاننا لا نحدد موضعه الا باحتمال معين ، بمعنى اننا لا نستطيع أن نتكلم عن الموضع والسرعة لهذا السيار الصغير داخل المادة بالدرجة ذاتها من التعيين .

انما أذكر ذلك حتى لا ننظر لهذا الكوكب الصغير نظرتنا للاجسام التى اعتدناها من حيث هى اجسام مادية ومن حيث التعرف على مواضعها وسرعتها ، وهكذا نبتعد حاليا عن بعض المواضيع العويصة مكتفين بالاشارة اليها .

وانما أذكر ذلك ليعرف القارىء أن موضوع المادة ووصفها ليس من السهل الخوض فيه . جمعنى هذا الاسبوع مجلس من الأصدقاء بينهم مدرس الجامعة والطبيب والقانونى ، وساقهم الحديث الى عدة أسئلة غاية فى الصعوبة وللقارىء امثلته من تلك الأسئلة : هل الكون محدود أم غير محدود ؟ بمعنى هل للكون بداية وهل له نهاية ؟ ثم قصة الزمن هل الزمن أزلى ؟ وما معنى ازلى ؟ . وهل له بداية وهل له نهاية ؟ ثم قصة المادة التى اتينا على ذكرها فى هذا المقال . والغريب فى مثل هذه الجلسات أن الكثير منهم يجيب على أصعب أنواع الأسئلة بشيء من اليقين ، وهذا النوع من اليقين فى الاجابة هو الذى لا احمده فى غالبية شبابنا المتعلم .

***

ولنعد الآن الى حديثنا عن الذرة وهو الحديث الذى بدأناه فى مقالنا السابق ، ولنبحث الفكرة عنها عند الأقدمين ، فنجد أنها قد ذكرها الهندوس فى كتابهم المقدس الفيداس ، ونجدها فى تفكير « لوبسيب » وديموقراط سنة ٤٥٠ قبل الميلاد . هذا الذى وصف الكون سدما كما وصفه «لابلاس» فى القرن الثامن عشر .

وقد اطلق الأغريق على الذرة كلمه اتوم والحرف الأول الألف يعنى النفى اى لا واللفظ «تموه» معناه يتجزأ ، بحيث أن مجموع اللفظين أتوم معناه الذى لايتجزأ .

***

ولقد طالبت منذ حوالى عشرين عاما فى كتاب من الكتب التى صدرت فى أمريكا لمؤلفه « جون فى » ذكرا للذرة فى أقوال نسبها المؤلف لسيدنا على حيث قال « اذا فتحت الذرة تجد فى قلبها شمسا» وقد ذكر مؤلف هذا الكتاب أن سيدنا على هو خليفة المسلمين ، ولم أعثر على اقوال لسيدنا على خاصا بالذرة فى اى كتاب آخر ولا أعرف أى المراجع كانت عند المؤلف الأمريكى ليذكر ما ذكره عن على ابن ابى طالب .

واننا لنجد شيئا شبيها بذلك فى شعر العطار، وقد اورد ذلك الاستاذ المرحوم عبد الوهاب عزام فى كتاب له عن هذا الشاعر الفارسى .

على أن أرسططاليس هو الذى قسم المواد الى اربعة : الماء والنار والتراب والهواء ، أما العرب فقد زادوها ثلاثة الكبريت والزئبق والملح ، ولست هنا لأسرد تاريخ الكيمياء عند الاوربين وغيرهم خلال القرون الوسطى ، حيث طغت الشعوذة ، وحيث ظل العالم قرونا عديدة لا يتقدم تقدما محسوسا فى هذا الباب .

***

ولكنى اذكر مثالا من الادعاء الكاذب الذى عم فى اوروبا خلال هذه العصور ، من ذلك ما ادعاه « جيمس برايس » سنة ١٧٨٢ فى انجلترا من انه

توصل الى تحويل المعادن الى ذهب ، واهدى الملك جورج الثالث نماذج من هذا الذهب ، وأراد العلماء في ذلك العهد التحقق من صحة دعوى « برايس » هذه ، فدعاء فريق من العلماء بالمجمع العلمى الانجليزى ومن علماء اكسفورد ليقوم بعمل التجارب فى حضورهم ، وبعد أن ارجأ التجربة مرات عديدة حضر امامهم ، وطفق يقوم بتجاربه والكل بين يقظة ولهفة ، وأخيرا شرب برايس من بودقة كانت بين يديه ، وعوضا عن أن يرى العلماء الذهب الرنان شاهدوا الرجل وقد سقط ميتا بينهم ، وهكذا انتحر برايس أمام المجمع العلمى تخلصا من عار الادعاء ، وهكذا اتضح أن الموضوع الذى ادعاه من تحول العناصر بعضها الى بعض كان فوق مقدوره ومقدور زمانه .

واليوم انقضى عصر الفوضى العلمية والادعاء الكاذب ، بل انقضى عصر كان العلم فيه سرا فى الصدور ، ولم تنفع هؤلاء المدعين طوال القرون الوسطى بوادقهم العديدة ونارهم الموقدة وجماجمهم المعلقة فى الاديرة والمعامل ، والتى ظلوا خلفها لا يعرفون الحقائق التى نعرفها اليوم ، وهكذا يتنافى عصر عرفنا فيه الكثير مما كانوا يجهلون ، عرفنا أن هذه النيران التى كانوا يوقدونها الليل يتلوه النهار ما كانت لتعمل الاعلى ابتعاد أو اقتراب الالكترونات الدائرة حول النواة ، بل يتنافى زمان ايقنا فيه أن عملية التحول من عنصر الى عنصر آخر من العناصر المائتين واثنين المعروفة تلزمنا اقتحام النواة ذاتها ، هذه النواة التى ذكرنا أنها تبلغ واحدا على مليون المليون من المليمتر لم يدر بخلد كيميائيى القرون الوسطى أن يدخلوها ، ولا عرفوا وسائل الدخول فيها ولا تفتيتها كما عملنا على تفتيتها ولا انشطارها كما نجحنا فى شطرها ، هذه النواة دنيا جديدة لنا ظلت مقفلة دونهم طوال القرون الغابرة ، وانتظرت فيزيائيي هذا العصر ليدخلوها فاتحين ويقتحموها ظافرين .

***

ومع ذلك ومع ان هذا التحول للعناصر بات امرا معروفا واضحت وسائله واضحة ، ومع اننا نعرف اليوم كيف يتحول اليورانيوم الى بلوتونيوم بفعل الانسان ، وكيف يتحول اليورانيوم من تلقاء ذاته الى راديوم بتعديل فى نواته الوسطى ، ويتحول هذا الاخير الى رصاص بتعديل جديد وتلقائى فى شمسه الوسطى ، ومع أن الانسان صنع لنفسه مواد مشعة جديدة ، غير المواد الطبيعية ، بل صنع لنفسه عناصر جديدة لم تكن فى جدول العناصر ، فانه مازال فى مصر وفى الشرق بيننا اناس يوقدون النيران تحت البوادق ، ويصرفون المال فيما لا ينفع وهم بذلك يحاولون تحويل العناصر بعضها الى بعض بطرق نعلم اليوم انها معوجة وغير ذات موضوع هؤلاء الناس يعيدون الحقيقة ، وكان الدنيا لم تخط امامهم هذه الخطوات الموفقة وكانهم لم يسمعوا بالاقمار المصنوعة أو لم يسمعوا بالتفجيرات الذرية ـ هؤلاء الناس نأسف عليهم ونرثى لسلوكهم وهم فى واد ونحن فى واد .

هذا مقالى الثانى فى «دنيا الذرة » ، ولى مع القارىء جولة فى هذه المواضيع التى تحاول أن تفهم من خلالها حقيقة الكون الذى نعيش فيه ـ المادة ـ الطاقة ـ الحيز ـ الزمان .

ولم تكن هذه المسائل التى أتينا على طرف منها اليوم من قبيل الترف العلمى الذى لا طائل منه ـ فهذا الترف لا أعرفه كثيرا .

ولا أدين به ، فقد مضيت فترة عمرى فى المعامل اقوم بالتجارب العلميه وأشاهد وأتامل ، وامضى البقية الآن من العمر فى المكتبة اطالع وابحث واكتب لك ، ولكنى متاثر بما قمت به من تجارب فى المعامل وما شاهدت ، وقد يسائلنى القارىء مالى ومال « دى بروى » أن يكون الالكترون هذا الكوكب السيار الدائر الحائر جسيما أو يكون جسيما مستصحبا موجة ؟ ماذا أفدنا من هذا الذى تظن أنه ترف علمى ؟ وماذا أفدنا من رضيايات « دى بروى » ؟ ولكن أرد القارىء الى النتائج العملية لهذا الذى نحن بصدده ، فاقول : ان هذه الرياضيات التى لم تتجاوز المعادلات والمتساويات على الورق ومن قبل « دى بروى » هى التى اتاحت للعالمين « دافيسون » ، « جرميه » أن يكتشفا الميكروسكوب الالكترونى الذى تفوق درجة التكبير فيه مئات المرات الميكروسكوب العادى ، الذى يعرفه الطلاب فى صفوف الدرس فى كليات الطب والعلوم وهو الذى اتاح لنا أن نرى « الفيروسات » وغيرها من الدقائق التى كنا والى وقت قريب نعجز عن رؤيتها بالميكروسكوب .

لعلك معى أيها القارىء العزيز الذى تتبع هذه المقالات أننا نستعرض معا أهم صفحات الانسان .

دكتور محمد محمود غالى

تعقيبات

بقلم : عباس خضر

ملحمة عمر لباكثير

« ملحمة عمر » هى العمل الادبى الذى تفرغ له ـ من وزارة الثقافة ـ الاستاذ على احمد باكثير لمدة سنتين ، منح اولا سنة فلم تكف لتمامه ، وطلب سنة اخرى فأجيب الى طلبه ، لانه عمل كبير احتاج الى جهد ووقت ملائمين . وقد اتمه وقدمه الى الوزارة لنشره . وهو يقع فى نحو الف صفحة من القطع الكبير ..

ما هو هذا العمل : اولا من حيث شكله الادبى ، ثانيا من حيث الموضوع ؟

من المعروف أن العمل الادبى يتشكل طبقا لموضوعه ومضموناته . وملحمة عمر ليست مسرحية وان كانت فى صياغة مسرحية ، كلها حوار تنتظمه فصول ومشاهد : تسعة عشر فصلا ، وكل فصل يشتمل على عدة مشاهد . ليست مسرحية تتناول جانبا من حياة ، ولها بداية ووسط ونهاية يربطها خيط من حادثة رئيسية تبدأ وتنمو وتتعقد ثم تحل ... انما هى غرف كثيرة ممتدة على مدى بهو كبير ..

***

لابد اولا من الوقوف على ماهية الموضوع ، انه باختصار القضايا الاسلامية والمجتمع العربى من خلال شخصية عمر وباقى الشخصيات فى المدة التى استغرقتها خلافة عمر بن الخطاب .

لماذا اخترت هذا الموضوع ؟

اجاب باكثير :

ـ شخصية عمر شخصية خارقة لا مثيل لها فى التاريخ ، انه يبلغ منتهى العظمة حتى فى ضعفه البشرى ..

ـ مثال ذلك ؟

ـ احس مرة احساسا يرفعه الى مستوى هاله ان يتصور نفسه فيه ، وجزع من نفسه ، فقصد الى المسجد واعتلى المنبر يخطب فى الناس ويحكى نشأته قال انه كان يرعى الغنم لخالاته من بنى مخزوم وانهن كن يعطينه لقاء ذلك ما يعطينه .. وبادر اليه ـ بعد ان نزل ـ من ساله : ما اردت الى ذلك ؟ فقال : اردت ان اعرف نفسى قدرها !

وعلى احمد باكثير يشعر شعورا عميقا منذ نشأته بالفكرة العربية الشاملة ، وقد اتجه انفعاله الادبى نحو عهد عمر **لانه العهد الذى تكون فيه العالم العربى الذى نعيش فيه اليوم اذ معظمه ، تم فيه فتح العراق ومصر والشام وليبيا والسودان ، واكتمل بعيده الزحف العربى غربا الى المحيط .**

وفى عهد عمر وضعت كل الاسس التطبيقية للاسلام فى مجال المجتمع العربى من الخليج الى ما يقرب من المحيط .

قضايا كثيرة فى مختلف شئون الحياة .

نظم بيت المال ووضع نظرية « المال مال الله ولكل مسلم حق فى بيت المال »

صودرت أموال الولاة والحكام ، ولم تمنع منزلة بعضهم وسابقاتهم فى الاسلام والجهاد من ذلك .

هذا خالد بن الوليد يعود من الحرب مظفرا الى « قنسرين » فيدخل عليه الاشعث بن قيس الكندى ـ وكان من ملوك العرب فى الجاهلية ـ ويمدحه ، فيعطيه خالد عشرة آلاف درهم ، ويبلغ ذلك عمر ، فيبعث اليه محمد بن مسلمة ليحاسبه ويقاسمه ماله لصالح بيت المال ، وكان محمد هذا يقوم بعمل كعمل المفتش العام .. وعزل خالد عن ولاية قنسرين .

ومن الحوار الذى أجراه باكثير فى هذا الموقف ما يأتى :

محمد بن مسلمة للاشعث : ... فهلا ذدوت أعز على نفسك اليوم بعد ما أكرمك الله بالاسلام وجعل الناس سواء لا ملوك ولا سوقة ؟

الاشعث : لقد كان الشاعر يمدح احدنا اذا انتصر على قبيلة أو استولى على عير ، افلا نمدح خالدا وقد انتصر على جموع الروم وادرب فى أرضهم وكاد يطوى ملك هرقل ؟

أبو عبيدة : يا ابن قيس . ان الله قد ابطل فخر الجاهلية وخيلاءها ، وانا انما نجاهد فى سبيل الله لا نريد علوا فى الارض ولا فسادا ، وانك ان تمدح ابا سليمان (خالد) بما ليس فيه فقد كذبت عليه ، وان تمدحه بما فيه فانه فى غنى عنه .

الاشعث : لو كنت اعلم أن أبا سليمان مثلك ما مدحته .

ويلى ذلك بقية الحوار فى تكسب الشعراء ووجوب أن يترفعوا عنه فى الاسلام وفى مهانة الاستجداء الذى لا يتفق وكرامة الانسان .

وقضية المرأة المسلمة ومشاركتها الرجل فى العمل والجهاد ، وما كان للنساء الصاحبات لجيوش المسلمين من فضل فى انتصارها . كانت نساء فارس يرفلن فى الحرير بالمدائن والجيش الفارسى يخوض معركة القادسية ، ويخلف قتلاه وجرحاه فى الميدان ، فاذا أصبحوا ونزلوا الميدان جزعوا لمرآهم وخارت قواهم .. **أما المرأة العربية فكانت فى اثناء الليل تنقل جرحى الجيش العربى وقتلاه ، فتدفن هؤلاء وتضمد جراح اولئك ، فيغدو جنود المسلمين الى الميدان اقوياء العزائم لا يعتور معنوياتهم شىء .**

كل ذلك وغيره صاغه باكثير فى « ملحمة عمر » صياغة فنية بما عرف عنه فى ادبه المسرحى من امتاع وتنوير .

***

والملحمة لا ينتظمها صراع درامى واحد كأية مسرحية عادية ، **ولكن هناك صراعات مختلفة تجرى فى المواقف المختلفة بحيث يتكون منها جميعا صراع كلى عام بين القيم الاسلامية والقوى التقدمية وبين ما يحاول اعتراض سبيلها من بقايا الجاهلية أولا ، ومن المؤثرات الاجنبية التى لا تتفق مع القيم والروح الاسلامية العربية .**

***

واحيانا يأتى الصراع من تسلسل المشاهد وترتيبها ، فمثلا منظر كسرى وزوجته فى ابهتهما وفخامة مظهرهما وهما يرتعدان من عمر ويهربان منه حتى لا يقعا فى اسر جيوشه ، يعقبه منظر عمر فى تقشفه وزوجته تحاوره فى هذا التقشف وتشكو قلة المال والنفقات ..

وبعد فهل يمكن تمثيل هذه الملحمة ،وكيف يمكن التغلب على صعوبات ، مثل زمن تمثيلها ، فهى تحتاج الى نحو خمس عشرة ليلة ، وكيف يتابعها المشاهد هذه الليالى المتصلة ؟

يقول باكثير: لو أن سائحا نزل بالمدينة ورأى عمر وسمع ما يدور فى مجلسه وحوله ، الا يخرج من هذا بما يستقل به عن بقية الايام ؟ كذلك كل فصل من الملحمة يعطى المشاهد للحفل الذى يمثل فيه ما يستقل به عن غيره ، فلا يحتاج الى مشاهدة بقية الفصول اذا لم تمكنه ظروفه من ذلك .

ــ ومسألة ظهور الصحابة ــ وفى مقدمتهم عمر ــ على المسرح ؟

ــ وأى بأس فى ذلك ؟ لقد ظهر بعض الصحابة على شاشة السينما مثل خالد وبلال وابو عبيدة ، والاخيران أسبق من عمر فى الاسلام ، وفى اى شىء يختلف عمر عن هؤلاء من حيث تمثيلهم على المسرح؟

ويسكت الكاتب المسرحى العربى المستغرق فى أهداف العروبة والاسلام ، ثم يقول :

« امنيتى أن تطوف فرقة تمثيلية بهذه الملحمة العالم الاسلامى »

امنية عظيمة يحقق تحقيقها كثيرا مما نهدف اليه فى حياتنا الحاضرة التى نبنى طريقها على أسس من تليدها ، وهو تليد كما تعلمون عظيم .

و « الرسالة » يسرها أن تشارك فى تحقيق تلك الامنية بنشر بعض مشاهد من « ملحمة عمر » فى الاعداد القادمة فى حدود الحيز الذى تسمح به مساحة المجلة .



الأدب في أسبوع

يقدمه : محمد عبد الله السمان

● **بداية الحل :**

ذكرت الاخبار منذ أيام ، أن المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب سيجتمع برياسة الدكتور عبد القادر حاتم ، ومن الموضوعات التى سيناقشها : مشروع بانشاء نادى ثقافى أدبى للموهوبين من الشباب ، والتوصية لدى اتحاد جمعيات الادباء باحتضان الفائزين فى مسابقات المجلس ، بقبولهم أعضاء منتسبين يتمتعون بشروط العضوية ، وتتاح لهم فرصة لقاء كبار الادباء .

ازاء هذا الخبر المهم ، لعل القراء يذكرون مقالا كتبته على صفحات الرسالة منذ أسابيع تحت عنوان : « مشكلة لم تحل » وهى مشكلة الموهوبين من أدباء الشباب ، ولا سيما المتفرقين فى الاقاليم ، الذين لا تمكنهم ظروفهم من الاتصال بالحركة الادبية ، سواء فى مجال الصحافة الادبية ، أو النوادى والجماعات الادبية ، والحق أن المقال المذكور استرعى انتباه كثير من الشباب ، ووردت الى والى الرسالة عديد من الرسائل للتعقيب على المقال ، فالأديب **موسى محمود الفلكى من قرية بنبان محافظة أسوان** بعث يقول : هذا الاسبوع وجدت نفسى — وكانت تائهة وسط الضباب والعواصف التى تكتنف حياة أدباء القرى — وجدتها فى مقال : مشكلة لم تحل .. هذا المقال الذى جاء صورة واضحة لما تعانى ، ومنذ اربعة عشر عاما ، وأنا أكتب المقال، وأنظم القصيدة ، دون أن أظفر من الصحف الا باشارة عابرة أو كلمة خاطفة . وليس فى هذا عجب ، فوسيلتى لم تكن الا البريد ، والبريد كما يقول الكاتب لا يحقق شيئا من آمالنا الممتزجة باليأس .

والاديب : محمد محمود الهو بالهيئة العامة لمشروع السنوات الخمس بالقاهرة : كتب يقول : اقتنعنا أن مشكلة الضمير والامانة الادبية التى هى عقدة يسيرة الحل عند المهيمنين على الحركة الادبية فى مسيرها ، والذين لا يهتمون كثيرا بالمواهب الناشئة ، فاذن لن يكون أمامنا سوى المجلات الاقليمية ، ولكن هذه المجلات قل أن تعنى بالادب ، لانها تساير الصحف القاهرية فى اهتمامها بالموضوعات العامة ، والواجب أن يكون هناك تدخل من وزارة الثقافة لتوجيه هذه المجلات الاقليمية لتعنى بالادب وأدباء الاقاليم أولا » .

انني لا أملك بعد ذلك الا أن أقول : ان مانشر عن تفكير المجلس الاعلى لرعاية الآداب والفنون فى مشكلة الموهوبين الناشئين ليس الا بداية الحل ، بشرط ان لا تتعثر هذه البداية المتواضعة ، واخشى ما أخشاه أن تنتهى البداية بانتهاء المناقشة .

بقى أن تحل عقدة الصحافة الادبية بالقاهرة تجاه المواهب الناشئة ، فلم تزل تلهث وراء الاقلام المشهورة ، وتضرب صفحا عن الاقلام الجديدة ، ولا زالت الوساطة والمجاملة وتبادل المنافع قائمة على قدم وساق ، ويظهر أن بعض المسئولين يحرص على توفير الوقت ، فالمقالات الواردة تقرأ من اسفلها حيث يوجد توقيع الكاتب ولا تقرأ من اعلاها حيث يوجد عنوان الموضوع ومدخله ، وياحبذا لو استنت مجلاتنا الادبية سنة مجلة القصة فى عددها الثانى ، فقد قدم رئيس التحرير أديبا ينشر لاول مرة ، بهذا نفتح المجال أمام المواهب الناشئة ، ونستحثها على الانتاج الطيب اللائق بالنشر .

ان المجلات الادبية ملك لوزارة الثقافة والارشاد ، وهذه الوزارة ملك للشعب بأسره ، وليست ملكا لفئة من الادباء يحتكرون مجلاتها ، ويغلقون الابواب فى وجه المواهب الناشئة لتظل مشكلتهم الى الابد بدون حل .

● **مع ندوة شعراء العروبة :**

قضيت زهاء أربع ساعات فى مساء الجمعة الماضى مع شعراء العروبة فى ندوتهم الشهرية التى تعقد

فى قاعة الشاعر المرحوم خالد الجرنوسى بدار الشبان المسيحية تحت اشراف الشاعر عبد الله شمس الدين ، وكان ضيف الحلقة الدكتور **محمد مظهر سعيد** ، وقد القى كلمة موجزة تحية للندوة معلنا فيها انضمامه اليها عضوا عاملا بها ، ثم قصيدة قصيرة فى الموضوع نفسه .

بعد ان افتتح الشاعر **عبد الله شمس الدين** الندوة مرحبا بضيف الشرف القى الشاعر **احمد عزمى ابوشريعة** قصيدة عن مؤتمر القمة ، وتلاه الشاعر **حسن بغدادى** بقصيدة عنوانها : رحلة الى ريفى ، والشاعر **سعد منصور** المعيد بكلية دار العلوم بقصيدة عنوانها : الشاعر والكلمة ، والشاعر **عبد الحميد عيسى** بقصيدة عنوانها : غريب ، والشاعر **الربيع الغزالى** بقصيدة عنوانها : حكاية والشاعرة **علية الجعار** بقصيدة عن طفل لقيط ، والشاعر **خليل جرجس خليل** رئيس تحرير مجلة صوت الشرق بقصيدة عن الام فى ذكرى عيدها ، والشاعر الحجازى **على الحسن الغسانى** ، والشاعرة **شريفة فتحى** بقصيدة عنوانها : دموع الشيطان ، وهى اشبه ما تكون بالملحمة ، ثم تلاها الشعراء والشاعرات : **عبد البارى ابو العينين ، والدكتور عفيفى محمود ، والآنسة وفاء وجدى ، ومحمد الجيار ، ومحمد المصرى ، ومحمود شاور ربيع ، ومحمود صلاح الدين ، وكان آخر الشعراء الشاعر محمود بدر الدين** ، الذى القى قصيدة بلغت القمة معنى والقاء ..

الحق ان مثل هذه الندوة الشعرية من الندوات الناجحة ، فالساعات الاربع التى قضيناها لم يصبنا خلالها شىء من الملل ، والشعر الذى القى كان من الشعر الجيد المنتقى ، والتنويع واضح فيه ، وان كان الشعر العاطفى قد طغى على الندوة ، الا أنه كان من الرقة والعذوبة ما جعله جديرا بالتقدير . ولا سيما ملحمة الشاعرة شريفة فتحى التى صورت لنا صراعا بين حواء والشيطان ، انتهت باستسلام الشيطان ، وكذلك المقطوعات الثلاث التى القاها الدكتور عفيفى محمود ، حوار مع خطيبته ، وفتاة على جانب من الجمال تعمل جزارة ، ومغنية . اما حد الروعة ، ولا سيما القاء الشاعر نفسه .

كل ما يلاحظ على الندوة أنها فرصة لتسجيل الانتاج الشعرى الجديد وحسب ، ولو أتيحت الفرصة لنقد هذا الانتاج وتقييمه ، فى نفس الندوة ، واتاحة الفرصة أيضا للمناقشة العامة ، لتلافت الندوة هذا النقص .

من اخبار الأدب

● تحتفل محافظة الدقهلية فى مدينة المنصورة بذكرى المرحوم الاستاذ أحمد لطفى السيد ، وذلك فى يومى الثامن والعشرين والتاسع والعشرين من هذا الشهر .

سيشترك فى هذا الحفل بكلماتهم وقصائدهم كل من : **الدكتور طه حسين ، والعقاد ، ومحمد عوض محمد ، والزيات ، والدكتور السعيد مصطفى ، وعزيز اباظه والجيار والشناوى ورامى ، والدكتورة سهير القلماوى والدكتورة بنت الشاطىء وامينة السعيد ، والدكاترة : عثمان امين وعبد الرحمن بدوى والاهوانى ، ولويس عوض ومحمد كامل حسين .**

● اقر مؤتمر المجمع اللغوى نموذجا من « المعجم اللغوى الكبير » ومجموعات من المصطلحات العلمية فى القانون الدولى الخاص ، والتأمين والجيولوجيا والاحياء والزراعة والفاظ الحضارة ، والتاريخ والجغرافيا وعلم اللغة العام وعلم النفس.

وقد قام بعرض المصطلحات من غير اعضاء المجمع الدكاترة : عز الدين عبد الله ، ومحمد **سامى مدكور ، ابراهيم فرج ، واحمد حماد الحسينى ، وابراهيم رزقانة ، والباز العرينى ، والاستاذ حسن حسين فهمى .**

● يتنافس فى جائزة الدولة التقديرية فى الفنون سبعة من مختلف فروع الفن هم : **احمد عثمان ، وراغب عياد ، وزكى طليمات ، والمهندس محمود رياض ، وسعيد حامد الصدر ، ومحمود كريم ثم المهندس محمد خالد سعد الدين**

● صدر للاستاذ **عباس خضر كتابان جديدان** : « **صحفيون معاصرون** » مصطفى امين وعلى امين ، والتابعى ، واحسان عبد القدوس ، وكامل الشناوى ، جلال الحمامصى ، ومحمد زكى عبد القادر ، ويوسف السباعى .

والكتاب الثانى : « **كتب فى الميزان** » وهو عرض ونقد لبعض مؤلفات الدكتور سهيل ادريس ويوسف السباعى ، وعبده بدوى ، وعبد الحليم عبد الله ، وبنت الشاطىء والخميسى والشرقاوى وتيمور .

الكتب نقد وتعريف

يقدمه تحسين عبد الحي



الطريق الى بئر سبع
« الجزء الثاني »
تأليف : ايثيل مانين
ترجمة : الدكتور نظمي لوقا

لقد كتبت ايثيل مانين قصتها الطريق الى بئر سبع على جزءين .. ومن خلال احساسات ونفسيات جيلين متواليين من أبناء فلسطين .. فبطرس منصور بطل الجزء الأول من القصة لم تستطع الايام المتوالية أن تنسيه بيته المغصوب ووطنه المسلوب وكرامته القومية والانسانية التى داسها اليهود بالأقدام ولم يستطع بطرس أن ينسى طعم الهزيمة والمهانة وضياع الشخصية القومية ولم يستطع أن ينسى بمرور الزمن ـ أنه فلسطيني ـ ولم يستطع فى أى وقت من الأوقات أن يدعو نفسه أردنيا ـ وفى النهاية غلبه القهر على أمره ومات كسير القلب محطم الروح .

أما انطون ـ ابن بطرس منصور ـ الذى عرفناه فى الجزء الأول صبيا صغيرا وقد خرج من وطنه (فلسطين) مع من خرجوا ، فقد قدمت المؤلفة من خلال أحاسيسه وتطلعاته الجزء الثانى من قصتها فبعد ـ موت بطرس منصور ـ دخلت زوجته الانجليزية ماريان الى وطنها مصطحبة معها ابنها انطون لكى يعيشا هناك معا ، ولم يكن انطون راضى النفس بذهابه الى انجلترا وطن أمه ، فهو يشعر بعروبته وبأنه عربى فلسطيني وأنه من سلالة شعب مظلوم مضطهد ـ شعب أبيه المنكود ـ وهو موقن ايضا ان حقيقة مأساة شعبه الفلسطيني التى أدت الى قتل أبيه وقتل مئات الألوف من مواطنيه، انما ترجع أسبابها الحقيقية الى ذلك الموقف الغادر الذى وقفه الحكام الانجليز من العرب عموما ومن الفلسطينيين على وجه الخصوص . وكان انطون وصديقه وليد متفقين تماما على العمل والجهاد من أجل فلسطين ـ هذا الجهاد الذى وضعا أسسه معا فى صورة التسلل الى بئر سبع وتنظيم حركة المقاومة العربية داخل اسرائيل . ولم يذهب انطون مع أمه الا بعد ان اقنعته بأن ذهابه الى انجلترا هو للدراسة فقط . وخاصة ان هذه كانت رغبة والده قبل أن يموت ـ وعاش أنطون فى انجلترا حتى صار يافعا ، وقد أخذ على عاتقه طوال تلك الفترة أن يشرح لكل من يصادفه قضية بلاده العادلة وهو فى كل ذلك منصرف الى الدراسة الجادة والاضطلاع الدائم بمساعدة صديقه ـ جير العجوز ـ الذى يؤمن معه بعدالة قضية قومه

وكان المفروض بعد انتهاء أنطون من المدرسة الثانوية الا يدخل مدرسةالعلوم الاقتصادية الا بعد قضاء سنة فى التمرين العملى على الخدمة الاجتماعية فقرر أن يقضى تلك السنة من التمرين والخبرة فى المملكة الاردنية بين مواطنيه اللاجئين ـ كى تكون تلك السنة فرصة له للاجتماع بصديقه وليد ولعلهما يستطيعان فى غضون تلك السنة التسلل الى بئر سبع .. وشاء القدر أن يتعلق أنطون بفتاة فرضت عليه نفسها عندما كان يقرأ فى احدى الحدائق العامة ، واستطاعت بأنوثتها الطاغية وبروز صدرها الناهد بروزا غير مألوف فى بيئته تحت صدار ثوبها الضيق أن توقعه فى حبائلها ـ وقد قدمت له نفسها تحت اسم ـ روزا روزادو ـ وأخذ أنطون يطارحها الغرام مندفعا فى هذه العلاقة لأنها كانت اول تجربة له مع النساء ـ واحبت ـ روزا ـ أنطون حبا ملك عليها نفسها ، فقد وجدت فيه شابا يختلف عما اعتادت أن تعرفهم من الشباب الا أن أنطون سرعان ما اكتشف أن اسم فتاته الحقيقى هو ـ روزا روزنبرج ـ وهى يهودية ولها أخ يدعى «لين» وهو صهيونى متعصب .فقرر على الفور ان يقطع علاقته بها ، برغم توسل الفتاة له بالا يهجرها ، **لقد اصبحت كلماتها الرقيقة التى كان يود سماعها دائما قبل أن يعرف حقيقتها ـ اشبه بالبصقات ـ تلك البصقات التى رمت بها المرأة الاسرائيلية المجندة أباه يوم الرحيل المشئوم عن اللد ـ لقد كانت الحقيقة صدمة عنيفة أعادت الى وجدانه المأساة الكبرى بكل ما فيها من مرارة وقسوة وعذاب ، فلم يعد يحس الا بأن تلك الفتاة واحدة من ذلك الجنس الذى اغتصب أرضه وقتل**

اباه والقى وجود وطنه وشرده بلا رحمة ،وبلا حق، وبلا ضمير ، واخذ انطون يستعجل الايام والليالى ليغادر انجلترا التى كانت وما زالت تشكل بالنسبة له منفى اختياريا ليعود الى ارض وطنه الحقيقى .

وعاد أنطون الى الجزء الباقى من فلسطين لكى يمضى فيه عام التدريب ، والتقى بأفراد أسرة أبيه وبصديقه وليد ، واستقبلته فى المطار مع أفراد أسرته - زميلة طفولته - ثريا - التى وقع فى حبها من النظرة الأولى .

وجاء اليوم الموعود الذى قرر فيه وليد وزميله فى النضال - طالب حماد وأنطون . ان ينفذوا ما اتفقوا عليه . وكان طالب حماد وهو اللاجىء الفقير المثقل بكثير من المسئوليات العائلية لا يثق بالطبقة الغنية من الفلسطينيين لأن الظروف لم تقس عليهم الى الحد الذى يتضورون فيه جوعا ويعيشون على فتات الصدقة كما يعيش ذووه مع الوف من نظرائهم فى الخيام . ومن ثم فقد كان لايثق كثيرا فى أنطون الا أن وليدا اقنعه بصدق عروبة أنطون وتحمسه لوطنه السليب .

وعند ساعة الصفر تردد أنطون - فهو يحب ثريا . وتوترت أعصابه . فلم يجد بدا من اخبار صديقه وليد بتردده امام طالب حماد .

وانصرف وليد وطالب حماد الى تنفيذ ما اتفقا عليه بدون انطون . ولكن انطون سرعان ماتمزقت نفسه وبدأ فى داخله صراع عنيف بين ايثار السلامة وبين المضى فى الكفاح الوطنى كما اتفق عليه مع صديقه وليد - ولم يدم ذلك الصراع طويلا . لأن حمية الشباب ونخوة القومية أشعرتاه بالخزى لموقفه المتخاذل - ولم يأت الأصيل حتى كان قد غير رأيه وحاول اللحاق بصاحبيه - الا أن الوقت كان متأخرا . فوليد وطالب - يعرفان منطقة التسلل تماما ويجهلها هو ، ومع ذلك فقد ظل يتقدم . زاحفا حينا . ومتسلقا الصخور حينا آخر ..

ومزقت سكون الليل طلقات مدفع رشاش .. ومات أنطون قبل أن تسقط جثته الدامية على أرض الشقة الحرام .

وبعد بضع ساعات طلع الفجر على وليد حسين وطالب حماد وقد دخلا بئر سبع - وعلى طائرة - ماريان - والدة انطون وقد جاءت لتبارك خطوبة ابنها أنطون لثريا .

وعلى ثلة من الرجال يسلمون جثة شباب فلسطينى الى حرس الحدود الأردنى .

وتجمع حشد من الناس صامتين - انه شهيد آخر ولن يكون الأخير على الطريق الى بئر سبع .

وبهذه السطور أنهت ايثيل مانين قصتها الرائعة - الطريق الى بئر سبع - مقدمة لنا من خلالها كثيرا من القضايا الهامة - لقد استطاعت ان تتعمق فى نفوس أبطال روايتها ببراعة فائقة . موضحة ميولهم وارتباطات هذه الميول ببيئتهم وطبيعة علاقاتهم الاجتماعية . فوليد حسين صديق انطون هو رمز المستقبل بالنسبة لفلسطين.فوطنه السليب هو شغله الشاغل ، وهو غير متعلق بأية اهتمامات اخرى سوى وطنه . ولا يعنى أن كونه مازال شابا فى مقتبل العمر ان يفكر بطريقة انفعالية .. ولكنه فكر فى الهدف واخذ يدرس ويخطط لهذا الهدف . ومن ثم نجح فى العبور الى بئر سبع . اما طالب حماد فهو مثل وليد تماما -التقيا على طريق واحد- هو طريق العودة الى ارض الوطن . وعندما لايثق طالب فى الطبقة الغنية من أهل فلسطين فانه بذلك لايذكر الا الحقيقة .

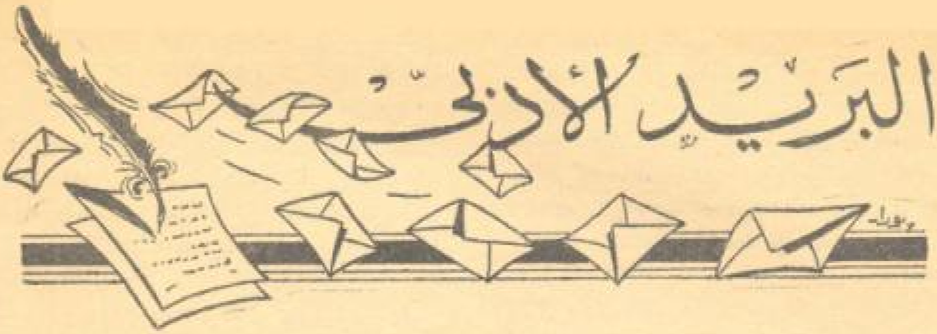
اما انطون فان تردده قد أورده الهلاك . ثم ان تردده هذا انما يرجع الى انه مختلف.فعلا عن زميليه فى طريقة ممارسته للحياة فحياة وليد خالية تماما من النساء . فهو يحب بعنف ولكنه يحب وطنه فقط اما طالب حماد فهو مازال يذكر والده الذى اودى سوء التغذية وبرد الشتاء ضآلة الكساء بحياته على اثر التهاب رئوى . فى ثانى شتاء قضته الأسرة فى ذلك المعسكر الرهيب .

ثم ان حياة طالب نفسها هى حياة الذل والحرمان اما انطون فقد مارس حياته بطريقة مختلفة فانه على الأقل يجد الغذاء الوفير والمسكن الصحى وسبل الدراسة الراقية . بل ويستطيع ان يذهب الى فرنسا ليتمتع بمناظرها الطبيعية-كل هذه الأشياء قد جعلته فى وضع يستطيع منه أن يحب حبين مختلفين - حب حسى - وحب عاطفى .. اذن فقد كان فى قلبه متسع آخر لنوع ما من الحب غير حبه لوطنه .

وهكذا استطاعت المؤلفة ان تقدم لنا تشريحا دقيقا للنفس البشرية . ولذلك الخيط الدقيق الذى يربط بين المطالب الذاتية للفرد كانسان وبين واجبه القومى .

وعندما قدمت لنا المؤلفة مستر - «جيرالد جونز» مؤيدا لقضايا العرب العادلة . قدمته رجلا مثقفا ثقافة عالية ولكنه مشلول - وهو هنا يمثل الحقيقة المقعدة لدى بريطانيا - هى حقيقة - ولكنها غير مؤثرة . ومن ثم فليس لها أى تقدير فى حساب السياسة البريطانية ؟

تحسين عبد الحى



كلمة الباب :

ترحب الرسالة بكل الافكار التي ترد اليها، ذلك لانها تؤمن بان المتلقى اصبح الآن طرفا فى كل ما يكتب من فن وأدب ، وأن « الكلمات » لم تعد زهورا مترفة تشم ، ثم تذبل ، ثم تموت ، ولكنها كيان ، وحدث ، واضافة ذكية ، ثم اخيرا اسهام حقيقى فى اثراء الحياة ، وفى أن تصبح جديرة بأن تعاش قطرة قطرة . ونبضة نبضة !

ومن اجل ان يتفاعل القارىء مع الرسالة، ستكون مهمة هذا الباب هى تجميع قطرات الماس المتفجرة التى تدق النوافذ، وفتح الباب للنضارة الفكرية التى لا تكف عن التدفق ، على ان كل هذا لن يكون قاصرا على عمليات النقد البناءة التى تصل الى الرسالة ، وانما ستتعداه الى استقبال لهفة البراعم الجديدة التى تريد ان تاخذ دورها فى اقامة المعمار الجديد ، وفى عمليات «التشابك» مع النباتات الاخرى التى لايزال يغنى فيها الاخضرار ، ويغرد النمو، ويغزل المستقبل.

وما نريد ان نؤكده هنا أن كل رسالة ستاخذ دورها فى التوجيه من السيد رئيس التحرير، فنحن فى حاجة الى مزيد من « الحوار » بيننا وبين القراء ، والى مزيد من « الالتفاف » حول كل فكرة جديدة ، وتجربة خصبة

على ان ما نلفت اليه النظر هنا ، هو ان يضع القارىء فى ذهنه أنه مسئول عن مستوى « البريد الادبى » ، وأن كل قضية تثار ، وكل بذرة تلقى ، يجب أن تكون حبلى بالمستقبل ، ومثقلة بالخصب ، وممتلئة بالنور وبالاهداب !

واذا كان لا بد من توجيه يقال فى هذه الكلمة ، فسيكون خاصا بهؤلاء الذين يقفون عند حد الخطا النحوى والصرفى والعروضى ، وليس معنى هذا انا نغفل هذا الجانب ـ فستظل الرسالة وصية عليه ـ ولكننا نريد ان نضيف اليه الجانب الاخر من الخصب، فى العقيدة ـ مثلا ـ يجب ان يكون هناك مجال لخصوبة العقيدة ، وطريقة بنائها ، ومدرستها ، وصلتها بالشاعر والقارىء والزمن والموت والنشوة والانتماء . الخ هذه المفاهيم التى تضىء القصيدة من الداخل ، كما يضيئها الحانك على القاعدة الرنة من الخارج .

ـ والى هنا ننتهى الى ما اردنا ان نقول فى هذا الباب، وسيظل فى نفوسنا ان هذه المساحة المخصصة للبريد الادبى ستزدحم بالافكار العملاقة ، وستبلور بالمضامين النامية ، وستتناغم مع بقية الابواب الاخرى فى الرسالة، والآن الى حصاد هذا الاسبوع.

عبده بدوى

رسالة من العراق :

من السيد شاكر البرمكى تلقى البريد رسالة تدور حول سعادته بكل ما تكتبه المرأة العربية ، ويربط بين ما تكتبه وبين المناخ الصحى الذى تعيشه العروبة فى هذه الايام ، وهو يمهد بهذا ليصل الى قصيدة « قلق » المنشورة بالعدد ١٠٤٦ للشاعرة روحية القليني ، التى يراها ـ القصيدة لا الشاعرة ـ موزعة بين القلق ، والحيرة ، والخوف ، والتربيت على « السر » الذى يلف القصيدة، ثم يظهر على هيئة دموع فى ختام القصيدة ، وان كان هذا

يعفيها من أن في القصيدة خللا في الوزن ، وبخاصة في المقطع الثالث .

رسالة من اليمن :

ومن السيد عبد الله بن يحيى العلوى جاء تصحيح لمقال «الاستاذ عبد المنعم خلاف عن الروح فقد لاحظ أن بضع أبيات من عينيــة ابن سينا ، قــد كتبت محرفة ، وخطت مصحفة ، فقد جاء في المقال البيت الآتي :

وصلت على يده اليـك وربما
كرهت فراقك وهى ذات تفجع

والصواب : وصلت على كره اليك .. الخ

وجاء البيت الآتي :

حتى اذا اتصلت بهاء هبوطهـــا
فى ميم مركزهـــا بذات الأجرع

والصواب :

حتى اذا اتصلت بهاء هبوطهـــا
عن ميم مركزها بذات الأجرع

والبيت الآتي :

تبـــكى اذا ذكرت عهودا بالحمى
بمـدافع تهجي ولمـــا تقطع

والصواب :

تبكى اذا ذكرت عهـودا بالحمى
بمــــدامع تهمى ولم تتقطـــع

وهناك تحريف فى الآية الكريمة « أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والارض قادر على أنه يخلق مثلهم» وصوابا : حذف الضمير من أنه .

ثم يختم رسالته بأنه اعتمد فى قصيدة ابن سينا على ماجاء فى شرح العينية للسيد نعمة الله الجزائرى الشوشترى .

رسالة من السـودان ..

ومن الخرطوم يكتب السـيد بشرى أمين رسالة غاضبة لان بعض أبياته قد نالها التحريف في العدد ١٠٤٧ ، ولا ينسى أن يقول « ان الرسـالة الغراء قد عرفت من قديم لدى القراء فى كل الاقطـار العربية التي يصل اليها نورها السـاطع ، بالعناية الفائقة بالتصحيح ، وبالأمانة الصحفية ، والمستوى الرفيع » .

ثم ترتفع رنة غضبه الى حد القول بأن «ابن المقفع» الذى حرر هذا الباب كان يقصد الى هذا التحريف ، ليرتب عليه أن فى القصيدة اختلالا موسيقيا .

ونحن نرتفع به عن هذه القضيـة ، ونؤكد له بعد البحث أن اللوم يقع على المطبعة ، وأننا فى انتظار رسائله وفى الوقت نفسه نحمل اليه تحية واعجاب «ابن المقفع» ونرجو أن يسلم اسمـه من الخطـــأ المطبعى .

قصيدة :

وتلقينا رسالة من الطالب جمال ابراهيم أبودف بآداب القاهرة ، وقد كان يودى أن أقدم عنها بعض الملاحظات ، ولكنه حذرني بهذه الكلمات « القصيدة بعنوان الجزاء ، ورجائي ان لم تنشر فانني فى غنى عن كلمة : استمر فى التأليف ، وكلمة عاوزه تنقيح أو أى كلمة مشجعة اعتبرها محرجة » .

وانا ياصديقى الشاعر لايسعنى الا ان اضعك امام القراء وجها لوجه فى بعض أبياتك (كما وردت) لاتعمدا فى احراجك ، ولكن ليكونوا الحكم حين نقول لك : انه لم يوجد بعد الشاعر الذى لم يمـارس ، ولم يخطىء ، ولم «يحرج» على حد قولك .

وجعلت من روحى ملاك حــارس
وبعثت انفاسى اليـــــك حنيه
ونسيت أن القط يخدش صاحبا
أهدى الحبيب مدامعـا فيضيه
فشرعت فى قصف الهوى بمســـدس
خلتيه يحمى خطـــة عمجيه

الدين والاطفال :

وتحت هذا العنوان كتب السيد محمد عبدالرحمن السحرتى :

يولد الطفل وفى نفسه بذور الخير الاصيلة ، ومن هنا يبدأ فى القاء أسئلته المحيرة المعقدة مثل : أين الله ؟ لماذا لانراه ؟ الى أين نذهب اذا متنا ؟ ولعل هذا مادعا بعض الباحثين الى أن يطلقوا عليهم اسم « الفلاسفة الصــغار » .. ثم ينتهى الى القول بأن الطفل يخضع لنا بدافع من غريزتى الخوف والانقياد ومن هنا يستطيع أن يدرك أن مقدرة الله هى فوق مقدرتنا البشرية ، واننا جميعا نخضع له باجلال وهيبة ، وهذا مايمكن تسميته «الشعور الدينى» ونحن ننشر هذه الرسالة عملا بحرية النشر ، وفى الوقت نفسه نذكر بأن علماء التربية والنفس قد انتهوا الى عدم القول بالغرائز ، الى الدوافع ، وان تربية الطفل يجب الا تقوم على الخوف والانقياد ، وانما على أسـباب عديدة منها الارتفـاع بالمستوى السلوكى لمن حوله ، واعطائه صورة ذكية عن حقائق الحياة ، وتركه يمارس قدراته ، ثم يعدل الخطأ منها فى رفق وسط المناخ السلوكى الصحى الذى يجب أن يحيط به .

خاطرة ورجاء :

وبهذه اللمسة تعرض السيد/محمد عبد الغفار حمزه لمأساة الزوج الضائعة التى أذيعت من برنامج على الناصية ، ثم ينتهى الى القول : بأن علاج هذا الامر هو تربية الضمير بالدين والقانون والسلوك ، وادراك معنى الانسان بالوعى والتعليم والحس ، فاذا تحقق هذا وكان لنا الانسان الذى يقف عند حدود الله فلا يتعداها ، وعند رهبة القانون فلا يساومها وعند السلوك العام فلا يخرج عليه ، واذا استشعر الانسان معنى الانسانية فيه بالتعليم والوعى عاش لبنى جنسه كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، وكالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى» .

***

وتلقت الرسالة هذا التعليق من الاستاذ على العمارى :

هل تدخل (مهما) على الماضى ؟

وقع خلاف فى ندوة الرسالة حول قولهم : (مهما قيل فى فلان فهو رجل مخلص) فرأى فريق أن العربى الصحيح لا يقره ، لأن من حق مهما أن تدخل على المضارع فقط ، وايدوا ذلك بما نقله ابن هشام فى (المغنى) عن الزمخشرى ، فقد ذكر ابن هشام ان من معانى مهما الزمان والشرط ، فتكون ظرفا لفعل الشرط ، وقال ان ابن مالك ذكر هذا المعنى ، وزعم ان النحويين اهملوه ، ولكن ابن مالك لم يسبق الى هذه المقالة بل له فيها سلف ، ثم قال ابن هشام: « وشدد الزمخشرى الانكار على من قال بها ، فقال: هذه الكلمة فى عداد الكلمات التى يحرفها من لا يد له فى علم العربية ، فيضعها فى غير موضعها ، ويظنها بمعنى (متى) ، ويقول : مهما جئتنى اعطيتك وهذا من وضعه ، وليس من كلام واضع العربية » .

ومع أن انكار الزمخشرى متجه الى جعل متى ، يتضمن ـ نظرا للمثال ـ انكار دخول مهما على الماضى .

وقال فريق ثان ان هذا التعبير سائغ عربية ، وان الشواهد العربية الصحيحة تقره ، واوردوا فى ذلك قول الشاعر يرثى اباه او اخاه :

أذا سدته سدت مطواعة
ومهما وكلت اليه كفاه

وهو من جملة ابيات قال عنها احد العلماء انها من حر الشعر ، واجزل القول ، ومنها هذا البيت المشهور :

ابو مالك قاصر فقره
على نفسه ، ومشيع غناه

وقد اثبت هذه الابيات الاصفهانى فى الاغانى ، وابن قتيبة فى الشعر والشعراء ، والمرتضى فى اماليه، والحصرى فى زهر الآداب ، والبغدادى فى خزانة الأدب .

وبيت الشاهد اينسب تارة الى المتنخل الهذلى، وتارة مع تغيير صدره الى ذى الاصبع العدوانى . وكلاهما شاعر جاهلى .

كما اورد هذا الفريق قول الشاعر :

له حق وليس عليه حق
ومهما قال فالحسن الجميل

وقد كان الرسول يرى حقوقا
عليه لغيره وهو الرسول

نسبهما المبرد فى (الكامل) لعبد الله بن مصعب الزبيرى يقولهما فى عبد الله بن حسن ابن حسن بن على بن ابى طالب .

وقال المرصفى فى « رغبة الآمل » : وقد ذكر كثير من الرواة ان البيتين لابى عاصم محمد ابن حمزة الاسلمى يهجو بهما الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن ابى طالب قبل ان يلى المدينة لأبى جعفر المنصور .

وكلا الشاعرين محمد يحتج بشعرهم ، لان عبد الله ابن حسن الذى قيل فيه البيتان ـ على الرأى الاول ـ توفى سنة ١٤٥هـ ، وابا جعفر المنصور الذى قيل البيتان فى احد عماله ـ على الرأى الثانى ـ توفى سنة ١٥٨هـ . ومن المشهور ان آخر من يحتج به من الشعراء بشار بن برد المتوفى سنة ١٦٧هـ .

على العمارى

قصة العدد

نسمة هواء

بقلم : سعد حامد

دخل السيد عباس شقته عائدا من الخارج ، وكانت الساعة العاشرة مساء ، فرأى زوجته وأولاده مجتمعين أمام التليفزيون ، فألقى عليهم تحية المساء ثم وجه حديثه الى أكبر أبنائه قائلا :

ـ ما زلت حتى الآن يا فريد جالسا أمام التليفزيون . هيا قم لتستذكر دروسك .. ودخل الى حجرة المكتب وجلس هناك ، واشعل سيجارة واخذ يدخن وهو شارد الفكر .

وبعد لحظات دخل ابنه الحجرة ، وجلس الى المكتب وتناول كتابا فتحه أمامه ..

وقام السيد عباس من مكانه ، وفتح النافذة المطلة على الطريق ، فقد كان الجو حارا .. وهبت نسمات لطيفة ، وبدت أنوار الطريق ، وسمعت اصوات السيارات المنطلقة .

وعاد الى مقعده .. ثم تطلع الى ابنه قائلا :

ـ أحوالك لا تعجبنى أبدا يا فريد ، أنت الآن طالب جامعي ، وقد وضعت قدمك على أول السلم . ومع ذلك فأنت لا تهتم بدراستك .. من السينما الى اصدقائك الىمشاهدة التليفزيون.. وقتك كله يضيع فى عبث لا طائل من ورائه . ولا أدرى ماآخر كل هذا !!.

استمع الفتى الى حديث ابيه بلا اهتمام .. ثم قال :

ـ ولكن يا أبى أنا مستواى جيد . وسأنجح باذن الله .

فقال الأب :

ـ هذا كلام غير مقنع . أنا لا أراك تفتح كتابا فكيف تنجح . هذه الكتب الضخمة لم ارك يوما تفتحها . يا بنى لا نجاح بدون تعب . يجب أن تعمل لتنال ما تريد . أنا يابني تعبت كثيرا وشقيت وكافحت حتى وفرت لكم هذا الرخاء الذى تعيشون فيه .

وبدت على شفتى الفتى بسمة ، لمحها الأب ، فبدت فى عينيه نظرة غضب وصاح :

ـ الشىء الذى يغيظنى منك هو أنك تأخذ الامور دائما بلا اكتراث ، يا بنى هذا مستقبلك فلا تستهن به ، أمامك طريقان.. طريق يوصلك الى مركزعظيم وراحة طول العمر .. وطريق يوصلك الى شقاء وتعب وفقر . فأيهما تختار ؟ .. هل اسدل طيش الشباب على عينيك حجابا قاتما فلم تعد تبصر الطريق السوى .

ـ يا ابى أنا لم ارتكب اى خطأ .. انا لا اعمل الا ما يفعله كل زملائى .. فى وقت فراغى أحاول الترفيه عن نفسى .

فصاح الأب فى انفعال :

ـ ليس هذا أوان الترفيه .. هذا فيما بعد .. عندما تنتهى من دراستك ، أو على الاقل عندما تفرغ من امتحانك .

ـ يا ابى الم تكن تفعل مثلى وأنت شاب . الم تكن تذهب الى السينما . الم تكن تلهو مع أصدقائك .. ؟

ـ لو كنت افعل مثلك لما وصلت الى ما وصلت اليه . انا حقا لم اتعلم تعليما عاليا بل نلت شهادة متوسطة لكننى كافحت حتى وصلت الى ما وصلت اليه . لقد عشت في القاهرة بعيدا عن أسرتي وحيدا فى حجرة بايجار زهيد . وكافحت كثيرا ، ولولا كدى وكفاحى لكانت حياتكم الآن حياة شقية ، وكنتم تعيشون فى ضنك وفقر اما الآن فانتم تسكنون فى شقة فاخرة وترتدون افخر الثياب وتملكون سيارة وثلاجة وتليفزيون .

واطرق الفتى برأسه ، وبدت على وجهه مسحة من الحزن .. وكأنه يوشك أن يبكى .. ثم قال فى صوت مضطرب :

ـ ولكن يا أبى انني كنت أفضل أن نعيش حياة كغيرنا من أبناء طبقتنا . نعيش حياة فقيرة .

ـ كيف تقول هذا . أأنت مجنون . كيف تكره الراحة والحياة المستقرة وتتمنى الفقر . أنت لاريب مجنون . أنا لا أفهمك .

وقال الشاب فى انفعال :

ـ لا تغضب يا أبى . اننى شخصيا كنت أفضل تلك الحياة . لقد سمعت يوما كلمات من احدزملائى فى المدرسة الثانوية .. وهو ابن زميل لك بالشركة .. كلمات طعنتنى فى الصميم ولن انساها ما حييت .

وبدا الأب مضطربا ·· لكنه تمالك نفسه وقال :

ـ قل ما سمعت يا فريد · ولا تخشى شـيئا · انا أعرف أن هناك أناسـا يحقدون على بدافع الغيرة منى ·

فاطرق الفتى برأسـه ·· وقد بدا كنموذج للتعاسة ، ولم ينطق بكلمة ·· فأردف الأب قائلا :

ـ تكلم يا فريد ·· تكلم ·· انني اريد أن أعرف كل ما سمعت ·

فرفع الفتى رأسه وقال فى صوت خافت وفى عينيه نظرة حزينة :

ـ حدثت بينى وبين ذلك الزميل مشادة ، فسبنى وتطاول على وقال لى : من أين لكم كل هذا الثراء وأبوك موظف صغير · وقال كلمات عن المال الحرام وأكل أموال الناس·وكانت كلماته كسكين انغرست فى صدرى ·· وما زالت تنخر فى عظامى كالسوس واسودت الدنيا أمام بصرى ··

ولاذ الفتى بالصمت ·· واطرق ··

وقال الأب وقد بدا شاحبا وعلى جبينه قطرات من العرق :

ـ اسمع يا بنى · أنا اعلم ما سمعته··ان أعدائى يزعمون أننى استولى على المال بطرق غير مشروعة من التجار الذين يتعـاملون مـع الشركة · انهم يكرهوننى ويشوهون سمعتى بدافع الحقد والغيرة· وزملائى يحقدون على لأننى محبوب لكفاءتى وذكائى، صدقنى كل ما سمعت باطل وكذب · وقد قلته لك بنفسى لتستريح · اننى لا اعير هذه الأقاويل أدنى اهتمام لأننى واثق من نفسى ·

ونظر اليه ابنه فى ارتياب ·· ثم هز رأسه ·· وركز عينيه فى ابيه فى تساؤل ثم قال فى صـوت واضح ثابت :

ـ ولكن يا أبى ·· لقد تعودت فى الجامعـة ان اناقش أساتذتى ·· وألا أقتنع الا بالمنطق السليم الذى يقبله عقلى · هل تتكرم يا أبى وتقول لى كيف استطعت أن توفر لنا كل هذا ·· عربة فخمـة وشـقة فاخرة وأثاث ثمين و « تليفزيون » وجهاز تسجيل وثلاجة وغسالة كهربائية و ·· كل هـذا ومرتبك يا أبى خمسة وعشرون جنيها ·

وقال الأب وهو ينظر الى احدى الصور المعلقـة على الحائط :

ـ ولكن أنت تعلم يا فريد ان لى أعمالا أخرى سوى عملى بالشركة · أعمالا خارجية أكسب منهـا كثيرا ·

وكأنما استعذب الابن الحديث ·· فقال فى نبرة ساخرة :

كنت أظن ـ وبعض الظن اثم ـ انك يا أبى تقضى وقت فراغـك فى المقهى · وكثيرا ما رأيتـك تلعب الطاولة مع أصدقائك ··

وفقد الرجل أعصابه وصاح فى غضب :

ـ كفى عبثا يافريد · انتبه لدروسك ودع عنك هـذا الكلام الفارغ · الناس دائمـا يحقـدون على الشخص الناجح ···

ثم سكت لحظة وأردف قائلا وقد احتقن وجهه :

ـ أنت ما زلت طفلا ، فلا تتدخل فيما لا يعنيك· وقال الفتى لنفسه :

ـ ان أبى يكابر · ان منطقه غير سليم · والحقائق تدينه ·

وصاح وهو ينتفض واقفا :

ـ انا لست مقتنعا بكلامك يا أبى · انا لست مقتنعا به · أنت تتصورنى طفلا وتعاملنى كطفل · ولكننى كبرت وفهمت الحياة · اننى أكره هذه الحياة أكره حياتنا · واتمنى لو لم أكن قد جئت الى هـذه الحياة ·

واندفع خارجا من الغرفة ·

وقام الأب من مكانه وقال :

ـ اسمع يا فريد · تعالى يا مجنون· الى أين أنت ذاهب ·

وصاح الفتى وهو يلتفت الى ابيه حانقا :

ـ دعنى · اننى أحس باننى أختنق · ان الغرفة خانقة · والشقة كلها خانقة · ساخرج الى الطريق اننى أبحث عن نسمة هواء ·

وسمع الأب باب الشقة وهو يغلقه فى عنف ، فتهالك على مقعده وهو يتنهد ·

ومد يده يتناول سيجارة ·· لكنه سمع صوت فرامل سيارة تحتك بأرض الطريق فى صوت رهيب مزعج ·· فقفز من مكانه واندفع صوب النـافذة المفتوحة ، ونظر الى الطريق مرتاعا ·

سعد حامد

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الإدارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد - القاهرة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
وزارة الثقافة والإرشاد القومي

الاشتراكات
١٥٠ قرشاً سنوياً
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٥٣ الخميس ٥ ذو القعدة ١٣٨٣ هـ - ١٩ مارس ١٩٦٤ م السنة الحادية والعشرون

الفهرس

عباس محمود العقاد

بقلم : احمد حسن الزيات



قضى الله الذى لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ان يسكن العقل المفكر ، ويقف القلب المحرك ، ويجف القلم السيال ، ويموت العقاد الانسان ، بعد ستين عاما قضاها فى سبيل الفكر العميق الصافى لا يفتر

فى ليل ولا نهار ، ولا يكل فى صحة ولا مرض ، ولا يهن فى رخاء ولا شدة .. وسنة الله فى خلقه ان يشيخ الشاب ويصفر الزرع ويجيء الاجل ويموت الحى . ولكن الايمان بيقين الموت ، والاطمئنان الى نهاية الحياة ، لم يستطيعا ان يحبسا فى العين دمعة الحزن ، ولا ان يخففا عن القلب لوعة الفراق .

والحزن على نوابغ الشيوخ هادىء ولكنه عميق ، لان مبعثه فكرة والفكرة ولود . اما الحزن على نواضر الشباب فهو ثائر ولكنه ضحل ، لان مبعثه عاطفة والعاطفة عقيم .. الحزن على فقد الشاب الجميل حزن على زهر ذوى وزرع آف وامل خاب وسند تحطم ، ولكن الحزن على الشيخ العظيم حزن على ثروة ضخمة من الأدب والخلق والمواهب والتجارب والمرانة عملت فى تكوينها مع الطبيعة الحرة والزمان الطويل عوامل جمة واحوال مختلفة حتى اصبحت قوة فى طاقة الانسانية وقطعة من ثروة العالم يحدث فقدها فى سير الحياة ما يحدثه فقد الضرس الصغير فى الدولاب الكبير . واذا قال ابو تمام :

ان الفجيعة فى الرياض نواضرا
لاشد منها فى الرياض ذوابلا

فقد صور الحزن العاطفى على جميل فقد ، ولم يصور الحزن العقلى على نافع ذهب .

ان فى كل ساعة من ساعات النهار والليل الوفا من الانفس تبتلعهم القبور فلا يعقب فقدهم فراغا ولا دهشة ، ولكن فقد عظيم واحد فى العلم او الادب او الفن او السياسة او الاصلاح يحدث فى العالم من الخسران ما عبر عنه عبدة بن الطبيب فى قيس ابن عاصم :

فما كان قيس هلكه هلك واحد
ولكنه بنيان قوم تهدما

نعم انا جزعنا على العقاد بعقولنا اكثر مما جزعنا عليه بقلوبنا ، لانه لم يترك من بعده من نرثى له ونشفق عليه من زوجة كان يكفلها وولد كان يربيه وعش كان يحميه وحب كان يشغفه ، وانما ترك عقولا كان يغاديها بالمعرفة ويراوحها بالحكمة ، وشيعة كان يسددها بهديه ويوجهها بوحيه : ولغة كان يحييها بدراسته ويجددها بكتابته ، ونهضة كان ينفخ فيها من روحه ويفيض عليها من عقله ، واسرة من الكتب الباقية تجاوزت السبعين كانت ترجو المزيد من عمره لتنال المزيد من فضله ، وسمعة خالدة على وجه الدهر بالفهم الثاقب والاطلاع الواسع والعلم المحيط والعمل المثمر والاباء الاشم والحفاظ المر والخلق الصريح .

كان العقاد قوة فكرية من قوى الأمة العربية . بنى مجده الأدبى الاصيل من ذات نفسه ، وشق طريقه الصخرى الطويل بسن قلمه ، فلم يعتمد على منصب ، ولم يستند الى (درجة) ولم يأوالى ركن وانما القى بنفسه فى زحمة الحياة وغمرة العيش ولا زاد الا صبره ولا عدة الا باسه ، فجاهد وكابد وغالب وواثب وذاق الفقر وعانى المرض ودخل السجن . واعترضت طريقه الوعر عوائق من الخصومات السياسية والادبية فازالها بالقلم اللاذع وصمد لخصومه الكثر صمود جرير للشعراء الثمانين الذين منى بهم ومنوا به .

وربما كان لحدة طبعه واعتداده بنفسه واشفاقه على مجده أثر قوى فى نشوب هذه المعارك ، والامر كان طبيعيا من رجل يريد ان يثبت لاقرانه (المؤهلين) ان التفوق بالعلم لا باللقب ، وان الدرجة الجامعية وحدها لا تنفق فى سوق الادب . وما كان العقاد الطيب القلب لينال احدا بسوء القول لو ان الاحدين تركوه لشانه وخلوه لفطرته . ولا ننس ان الصحافة الحزبية التى كانت تقوم على الهجاء ، والمنافسة الادبية التى كان يفرضها داء الضرائر على الادباء كانتا من العوامل المساعدة على ذلك .

***

كان الفقيد العظيم باحثا جرىء الراى ، ناقدا نافذ البصيرة ، جدليا دامغ الحجة . وبهذه المزايا الاصيلة فيه اضاف الى المكتبة العربية ثروة من

الكتب القيمة فى شتى الاغراض ، وبذر البذور الصالحة الاولى للنقد العربى فى جيل كان النقد فيه طمسا للحقائق ونهشا للاعراض ، واقام للكلمة المكتوبة ميزانا لا يثقل ولا يخف الا بالحق ، وجعل للاسلوب قانونا لا يبرم ولا ينقض الا بالمنطق وربما كان الحق عنده غير الحق الذى يعتقده الناس،والمنطق الذى يراه غير المنطق الذى يصححه القياس . ولكنه على كل حال لا يقول الا ما يعتقد ، ولا يعتقد الا ماصح فى رايه . وما علمت ان العقاد نال شيئا وراه فوق ما يستحق الا مرة واحدة ، فقد كتبت كلمة فى (الرسالة) عن كتابه (عبقرية محمد) فلما قراها كتب الى يقول : لقد اعطيتنى فوق ما استحق . فان كنت عادلا فقد عرفتنى بنفسي ، وان كنت مجاملا فقد عرفتنى بك .

اما اسلوبه فصريح لا رغوة فيه ، جلى لا غبار عليه ، مستقيم لا التواء به . يتصل فيه اللسان بالعقل فلا يلغوا ، ويعتمد فيه القلم على القريحة فلا يهن . وهو اسلوب رجل مؤمن بالعقل والرجولة . فاذا قرانه او حللته على ضوء هذاالايمان تكشف لك عن منطق قوى لا يتناقض فى الراى ، ولا يتعثر فى الاداء ، ولا يتكثر بالحشو ، ولا ينزل عن طبقته حتى فى المقاصد المبتذلة والمعانى المطروقة .

***

عرفت العقاد منذ خمسين سنة فما ذممت المعرفة ولا مللت الصحبة.كانت صداقتنا قائمة على الاحترام والمودة فلم يقل احدنا فى الآخر ما يكره . وكان من الممكن ان يكون شانه مع سائر الكتاب كشانه معى او لم يتحرشوا به ويتعالوا عليه . وكثيرا ما سفرت بالسلم بينه وبين من خاصموه كشوقى والرافعى وشكرى والزهاوى ، ولكنه رضوان الله عليه كان صايب الراى يعييك ان تحمله على ما لا يريد .

كان اول ما عرفته يوم دخلنا المدرسة الاعدادية الثانوية معلمين سنة ١٩١٥ . وكان يومئذ لا يزال يعانى مرض الصدر والم الفقر . وكنت اراس جمعية الخطابة فى هذه المدرسة ، وكان يحضرها فيتكلم فى كل موضوع كلام المطلع الواثق . وجرى يوما فى الندوة ذكر العلامةداروين ورايه فى تسلسل الانسان من القرد ، وكان قد درس هذه النظريةبحكم اتصاله بالدكتور شبلى شميل فقام فصحح خطا الناس فيها وذكر ما يعرفه عنها فكان هذا التعقيب العابر محاضرة فى تسلسل الانواع استفدنا منها ما لم نستفده يومئذ من كتاب (النشوء والارتقاء) وتوثقت بيننا الالفة واستمرت على توثقها حتى لقى الله .

ثم ترك التعليم فى المدارس الى التحرير فى الصحف ، فزاملته فى تحرير (الرسالة) وفى (مجلة الازهر) . ومتعت بهذه الزمالة الكريمة سبع عشرة سنة فى مجمع اللغة العربية . فلما عادت الرسالة طلبت اليه ان يعود اليها ، قال : « ان صحتى ساءت وان همتى ضعفت واعدك ان اعود متى عوفيت » ثم ضحك وقال ملمحا الى شدة الهجوم عليه : « ولكننى اذا عدت فساكتب بالعصا لا بالقلم » فقلت له وانا ارد على ضحكته بضحكة : ان عصاك كعصا موسي ، تعين على الاتكاء ، وتهش على القراء ، وتلقف مايافك السحرة . وكان بيننا شخص ثالث غير منظور ضحك هو ايضا ضحكة ثالثة ! كانت ضحكة القدر !

لم يعد العقاد الى الرسالة ولم يكتب لمجلة الازهر ولم يشهد مؤتمر المجمع . لقد اختلى به المرض فى داره ، ونزلت به صرعة الموت فوق سريره وذهب العقاد الكاتب الشاعر الاديب العالم كما يذهب المطر ويبقى الربيع !

وستظل كتبه على تعاقب الاجيال ملء الافواه وشغل الاذهان ما دام فى الارض ناطق بالضاد وطالب للمعرفة ، فاذا بكينا فانما نبكى علينا لاعليه ، واذا سالنا الله العوض منه فانما نساله لنا لا له . وكل ما نملك، للفقيد العظيم ان ندعو الله ان يتغمده برحمته ، وان ينزله منزلة الابرار فى نعيم جنته .

احمد حسن الزيات

ألوان

● قال مسيلمة لسجاح : مالنا كلما رشحتني لجائزة تقدير ، او رشحتك لاجازة تفسير ، سقطنا سقوط الفارس من فوق الحمار ، وانحططنا انحطاط اللص من اعلى الجدار ؟!

قالت سجاح لمسيلمة : لقد اوحى الى يا اخا حنيفة ، ان مابنا (عمل) من اعمال نعمات او شريفة .. وخير لنا ان نستريح من الترشيح والحط ، ريثما نفك السحر او نفك الخط !

● قيل : ان قلم الحبر اخترع فى القرن الثامن عشر الميلادى . وقيل ان الامريكيين كانوا اسبق الناس الى ابتكاره .

والحق ان الذى اخترعه هو المعز لدين الله الفاطمى ، فقد جاء فى كتاب المجالس والمسايرات على لسان القاضي ابى حنيفة النعمان المتوفى سنة ٣٦١ هـ .

قال : ذكر الامام المعز لدين الله القلم فوصف فضله .

ثم قال : « نحن نريد أن نعمل قلما يكتب به بلا استمداد من دواة منه يجعله الكاتب فى كمه او حيث شاء فلا يؤثر فيه ولا يرشح شيء من المداد منه . ولا يكون ذلك الا عندما يبتغى منه فيكون آلة عجيبة لم نعلم أنا قد سبقنا اليها فقلت : او يكون هذا يامولانا عليك سلام الله ؟ قال : يكون ان شاء الله .

فما مر بعد ذلك الا ايام حتى جاء الصانع الذى وصف له الصنعة ومعه قلم من ذهب فأودعه المداد وكتب به فكتب . وزاد شيئا فى المداد على مقدار الحاجة وأمر باصلاح شيء منه فأصلحه وجاء به واذا هو قلم يقلب فى اليد ويميل الى كل ناحية فلا يبدو منه شيء من المداد واذا اخذه الكاتب وكتب به كتب احسن كتاب ماشاء أن يكتب به ثم اذا رفعه من الكتاب امسك المداد .

ابن عبد الملك

العقاد فى أسوان

للدكتورة نعمات أحمد فؤاد



غدا يزور الناس أسوان ليشاهدوا السد العالى ويطوفوا بسد أعلى وأغلى .. سد سامق لبناته فكر وفلسفة وعلم وأدب وشعر .. سد رفيع لايقوم بمال لأنه من ذلك النوع الذى يدخل فى التراث الغالى للأمم تستمد منه ذخيرتها المعنوية .. تستمد منه ثقتها بنفسها .. بقدرتها على الخلق.. باصالتها فى الفن .. بطاقة الابداع فيها والبناء .

سد عال لبناته أشياء عزيزة .. معان غالية تعين الامم على البقاء الحضارى فما بالقليل أن يصنع الانسان بحياته المحدودة ما صنع العقاد . وما بالقليل أن يكتب الانسان فى سنيه المعدودة ماكتب وسطر وحبر العقاد .. وما بالقليل أن يكون الفرد جمعا متنوعا وقبيلا مبدعا كما كان العقاد .

كان العقاد شاعرا وكان كاتبا وكان ناقدا وكان قصاصا وكان مفكرا وكان عالما بالفلسفة والنفس والحياة كان كل هذا وكان أكثر منه .

كان العقاد راهبا فى محراب الادب والعلم ... عملاقا وهب نفسه للكتابة ووهبت نفسها له هى صاحبته والولد .. لايكاد يخلو الى نفسه او الى الناس الا وهو على موعد معها يعود اليها فيه على أنه فى خلوه الظاهر لايخلو حسه وشعوره منها فهو مع

الناس تعيش معه فكرة فى عقله ، أو صورة فى عينه ، أو مسئولية فى ضميره ، أو خاطرا فى خياله او خجلة فى شعوره .. لايذكره الناس ـ وما أكثر ما يذكرونه ـ الا مقترنا على لسانهم بكتاب جديد او رأى جديد او فتح جديد فى عالم الكتابة .. عالمه .

وكانت وحدته كحياته ظاهرة عجيبـــة تثير من التفاسير الوانا .. هذا الرجل المتوحد الشـــامخ المترفع كيف يعيش ؟ .. ويذهبـــون فى الجواب أشتاتا كما قلت . يراه قوم هاديا كالشعاع .. عاليا كالمنار .. وارفا كالظل .. زاخرا كالنهر .. عميقا كالبحر .. حاليا كالروض .. رحبا كالأفق .. خصيبا كالوادى .. مترفعا كالأسد .. مصعدا كالنسر .. مهيبا كالعلم .. عتيدا كالجبروت .. لايرجو ولا يخشى اذا تكلم أسمع ، وان حاجى اقنع وان عادى أفحم . كثير بنفسه ســـلاحه لايفل ، وصبره لا يمل ، وجده لا يكل ، وطاقته لا تنضب ، كان وراءها مددا يرفدها من سر الخلود أو من روح الله . ويفرض عليـــه آخرون برود الوحدة وكآبة الوحشة وفراغ البيت حوله من انســـان يعيش له ويرتجيه .

ماكان أعظمه الكاتب العملاق فى توحده .. نخلة سامقة وسط الحجر .. ارتكازه على شخصه فقط حين يرتكز كل واصل على ظروف محيطة .. ووضعه كان وضعا نادرا فى الدنيا .. لقد بلغت الفردية عنده مداها او لعلها قد تجاوزته ومن ثم كان حديثه كعود القصب مستقيما صلبا وان لم تحجب صلابته مافيه من سكر وكتابته كحديثـــه صلبة هى الاخرى دقيقة حتى الفكاهة جعل منهـــا موضوعا للجد فى كتابه (ساعات بين الكتب) .

وعملاق الادب العربى خير من تتمثل عنده دقة اللفظ العربى ومطابقته للفكرة ... الكلمة عنـــده (قفاز) محبوك ولو أنه امد له فى الاتساع نصف نمره لأراح بعض الناس ولـــــكنه يابى ويصر لان المسألة تتصل عنده بطاقة القدرة ، ولهذا لا يتذوقه الا متخصص .. فاذا تصدر للســـؤال أو الجواب الفيته موسوعة جامعة تتطوع الأسئلة ولا تعييه ، وتستعصى ولو فى نظر قائليها ولا تعـــــدم عنده الجواب ! كيف اجتمعت له حقائق العلوم مع لطائف الادب ولاســـيما فى عصر التخصص الذى غـــدا الامتياز فى مادة واحدة كسب يزدهى صاحبه ويعليه كيف تهيأ له هذا كله ؟ هل هـــو سر العبقرية ؟ هل هو سر العصامية أم سره وحده ؟ .

غدا تكتب عن العقاد الفصول والكتب والمجلدات فلا ينفد القول عنه مهما كتب الـكاتبون وتشعبت الدراسات . وهكذا يمتد عطاء العقاد فى الحيـــاة وبعد الحياة .

وتشاء أسرة العقاد أن يكون الدفن فى مقـــابر العائلة كأنه بضعة منها وحدها .. وحســـنا فعل محافظ أسوان ببناء مقبرة للجسم .. جسم العقاد فحتى هذا الجزء منه القابل للفناء له حرمة ومن حقه التوقير والتعظيم فليس العقاد عضوا فى أسرته او فردا فى وطنه انما العقاد حقبة من تاريخ مصر .. ريادة من رياداتها .. معلم من معالمها ...جامعة من جامعاتها .. جامعة يتطلع اليها خريجو الجامعـــات فيشرفون بالانتســـاب اليها ويكبرون بالتلقى عنها ، ويثرون بالتزود منها والعطاء .

كان العقاد وسيظل سفارة لمصر لايحدها زمان أو مكان سفارة فريدة تجمع فى وقت واحد البلاد كلها شرقا وغربا فى جيلنا وما يعقبه من أجيال .

فيا اسوان يامدينتنا العظيمة لقد صرت اليـــوم كعبة مصرية بما ضممت من أعظم عطرات .

ويا أسوان يامدينتنا العظيمة لقد صرت اليوم مزارا عربيا يحج اليه « الانسان » ويطوف .

ويا اسوان يامدينتنا العظيمة لقد صرت اليـــوم أكبر من مدينة لها ارض وفضاء وبيوت واسواق.. لقد دخلت تاريخنا الحديث بعد أن شغلت تاريخنـــا القديم .. انك الآن (قيمة) من قيمنا .. قيمـــة تجمع فيها قيما وافكارا وآثارا وامجادا ومعـــانى كريمة علينا وعلى الحياة والناس . انك الآن مثـــوى عظيم الحياة والموت عباس محمود العقاد .

دكتورة نعمات احمد فؤاد

مشكلات التثقيف

للدكتور محمد أحمد خلف الله

- ٣ -

ثم قال المجيب :

لا تستطيع اية حكومة من الحكومات مهما اوتيت من قوة ، ومهما تملك من ارادة قوية ، ومن اجهزة ثقافية ـ ان تثقف الناس بمفردها . ومن هنا كان واجبها الاول ان تحفز الهمم ، وان تضع الخطط ، وان تقدم التوجيه .

وعمليات التثقيف لا يمكن أن تنجح الا اذا أدرك العاملون فى الميدان مهمتهم على خير وجه ، والا اذا عرفوا كيف تتم عمليات التثقيف تلقائيا . انهم عن طريق المزاوجة بين التنظيم والتلقائية ، وبين برامج الحكومة وجهود المؤسسات والمنظمات المعنية بالتثقيف يستطيعون تحقيق أهدافهم فى أقرب فرصة ، وبأقل نفقة .

والأهداف التى ينشدها العاملون فى الميدان هى رفع مستوى الشعب ، وتحقيق الروح الثورية التقدمية ، وتنمية النشاط الفكرى لصالح التقدم الاجتماعى الذى يعود بالخير والنفع على كل من الفرد والمجتمع .

وعمليات التثقيف تنشد التغيير الى أفضل فى أسلوب حياة كل فرد ، كما تنشد تدريب الفرد على طريقة استخدام المعلومات المكتسبة لرفع مستوى المعيشة ، وجعل الحياة أفضل ، ومن هنا تكون المشكلة الرئيسية فى التثقيف هى كيف تربط عمل الناس بالأسس العلمية التى يعرفها الناس فى المجتمعات المتقدمة ، ويجرون فى حياتهم عليها .

وعمليات التثقيف تفشل فشلا ذريعا اذا اعتمدنا فى تحقيقها على تلك المعلومات التى يحصل الناس عليها من المدارس والجامعات . ان التعليم لا يخلق الرجل المثقف وانما الذى يخلقه حقا هى الحياة . هى التجربة التى يعانيها والمشكلة التى يقف عندها . هى الصلة الشخصية التى تقوم بينه وبين الماديات والمعنويات فى هذه الحياة ـ ان تأثير الحياة وحده هو الذى يضطر الكثيرين من الناس الى تعلم أساليب جديدة فى الحياة وهذا هو التثقيف . وحصيلة تلك الأساليب هى الثقافة .

قال السائل : لقد شفقت علينا ، فمعنى كلامك هذا أن عمليات التثقيف لا يمكن أن تقصد قصدا . انها تتم تلقائيا ، وبفعل الحياة نفسها .

قال المجيب : نعم . لقد كان الأمر كذلك عند النشأة الأولى للثقافات ، وفى جميع الامم . وان الأمر كذلك عند الأمم التى نسميها اليوم بالأمم المتقدمة .

ان هذه العملية تتم تلقائيا ، وبصورة عادية ، فى المجتمعات التى تواصل تطورها الطبيعى .

ان التطور هو الذى يؤدى الدور الاول فى عمليات التثقيف ، وفى خلق الثقافة الحية النافعة . يؤدى ذلك بصورة تلقائية .

لكن ليس معنى ذلك أن الامم النامية التى تريد اللحاق بالامم المتقدمة لا تستطيع ابدا أن تحدث تركيبا مقصودا من عناصر ثقافية بعينها ، تستطيع بمقتضاه أن تغير أسلوب حياتها وتخلق مجتمعا مثقفا ثقافة جديدة .

ان هذه الامم تستطيع أن تفعل ذلك ولكن بشرط أن تواجه هذه المشكلة على أساسين .

الاول : أن تدرس حصيلتها الثقافية كدراستها لواقع اجتماعى تحاول أن تتعرف فيه على أسباب التخلف ، وعلى تشعب القيم الثقافية المتخلفة ، فى الانفس وفى الاشياء .

كما تحاول أن تتعرف على القيم التى يمكن أن تعتبر من خمائر المصير ، ومن جذور المستقبل .

الثاني : أن تخطط للتثقيف على أساس من المناهج التثقيفية التى تحقق اهدافا قومية ، وتلبى احتياجات شعبية ٠

ان هذه الاعمال ضرورية جدا ٠ انهـــا لا تتصل بمظاهر الترف العقلى لطائفة من الناس وانما تتصل اتصالا مبـــاشرا وقويا بتكييف حالة امة ، وتقرير مصيرها ٠

ان من اول واجبات العاملين فى الميدان الثقافى ان يقوموا بتصفية عاداتنا وتقاليدنا ، واطارنا الخلقى والاجتماعى ، مما فيه من عوامل قتاله ـ حتى يصفو الجو لعوامل الحياة والداعية الى الحياة .

وان التصفية المطلوبة لن تتأتى الا بفكر جديد ٠ فكر يحطم ذلك الوضع الموروث عن فترات الانحطاط والتدهور ، وينير الطريق لمجتمع يبحث عن وضع جديد هو وضع النهضة ٠

يجب على القـــائمين بامر التثقيف ان يحـــددوا الاوضاع بطريقتين ٠

الاول : سلبية تفصلنا عن رواسب الماضى

والثانية : ايجابية تصلنا بالحياة الحرة الكريمة ٠

***

والآن ما هو موقفنا من كل ما تقدم ؟

ان الفكر الجديد الذى يمكن ان نتخذ منه أساسا نحطم بمقتضاه الوضع الموروث عن فترات الانحطاط، والذى يمكن ان نتخذ منه منوالا ننسج عليه حياتنا الجديدة، وأعمالنا المقبلة ، هو الميثاق ٠

ان الميثاق القومى هو الوثيقة التى تحدد خطوات العمل فى سبيل بناء نهضتنا ، ومجتمعنا الجديد ـ لكن هل كل أعمالنا فى الميادين الثقافية صادرة حقا عن تلك الوثيقة أو ان هناك من يصدرون عن الوضع الموروث الذى نعده من علائم الانحطاط والتدهور ؟

ان الاجابة عن هذا السؤال متروكة للقارىء فهو

من المعلوم ان أجهزة الثقافة عندنا مجهدة الى حد قادر من غير شك ان يصل اليها عن طريق ما يحيط به من ظواهر ٠

ان السؤال الذى أريد ان أقف عنده حقا ، والذى أعتبره أهم من السؤال السابق يتلخص فيما يلى : كبير ٠ انها تعمل ليلا ونهارا ٠ ومن المعلوم أيضا ان تبعية هـــذه الاجهزة مختلفة ٠ فبعضها من أجهزة الدولة المباشرة وذلك كالراديو والتلفزيون ٠ وبعض آخر يتصل بالدولة اتصـــالا قويا وذلك كالكتاب والمسرح والصحيفة والمجلة ٠ وبعض ثالث نصيب القطاع الخاص فيه واضـــح وضوحا قويا كالسينما والكتاب والمجلة ٠٠ **فهـــل قدر القـــائمون بالامر والمخططون للثقـــافة الكيفية التى تتم بهـــا عملية التثقيف وأقاموا خطتهم على أساس منهـــا ـ أو ان الامر قد تم على الطريقة الفرضية التخمينية ٠**

وبعبارة اخرى ٠ هل قام المخططون بعمـــل خطة موحدة تتعاون جميع الاجهزة الثقافية فى تنفيذها ـ كل فى ميدانه ـ بحيث تحقق هذه الاجهزة جميعها متعاونة ومتكاملة الاهداف التى رسمتها الخطة ، أو ان الامر جرى على غير هذه القاعدة فانصرف كل جهاز الى نفسه ووضع كل جهاز خطته واخذ يعمـــل على تحقيق اهدافها بصرف النظر عن التعاون ، والتكامل، والتئام ؟ ٠

ان الاجابة عن هـــذا السؤال قد تكون بالتتبع والاستقراء ٠ ولكنى أريد ان اقول ان الخطة يجب ان تكون موحدة والا اصابنـــا الضرر من حيث ان أعمالنا تجىء فى هذه الحالة مخالفة لطبيعة الاشياء ٠

ان الثقافة كل تتداخل أجزاؤه تداخلا وثيقا ، ومن الممكن ان نتعرف فى هذا الكل على العنـــاصر التى تكونه ، والتى يمكن الاستفادة منها فى البناء الثقافى الجديد ٠

ان هذه العنـــاصر هى التى تحللت فى ذاتيتنا ، وهى التى أسهمت فى بناء حياتنا الفردية كما أسهمت

فى بناء حياة المجتمع باعتبارها مؤثرات فى سلوكنا.

هذه العناصر تنتمى الى طوائف معينة ومن أجل هذا كانت الخطوة الاولى فى عمليات التثقيف هى التعرف على هذه العناصر ثم تصنيفها فى مجموعات كل مجموعة فى فصل يتناسب مع طبيعتها ٠

وتركيب الثقافة الجديدة يتم هو الآخر عن نفس الطريق ، فلكى نستحدث ثقافة جديدة يجب أن نبحث عن عناصرها المكونة لها ، ثم نعمل على أن نخلق صلة قوية بين الانسان وبين هذه العناصر ٠ ومن هذا المجموع يتألف تركيب جديد هو الثقافة الجديدة ٠

ان التركيب الجديد لن يتم الا اذا عملت جميع الاجهزة حسب خطة موحدة كل فيما يخصه ٠

❋ ❋ ❋

مسألة أخرى اشير اليها فى هذا المقام هى ان الاجهزة الثقافية التى تعمل فى الميدان تختلط عليها الامور من جانب آخر ٠ انها تعمل فى ميادين مختلفة دون أن تدرك الفروق الحقيقية بين هذه الميادين ٠ انها قد تعمل للترفيه كما تعمل للتثقيف ٠ وتعمل للاعلام كما تعمل للتثقيف ٠ تعمل كل هذا وكأن لا مقومات خاصة بكل عمل ومن هنا أصيبت الثقافة بالضرر ٠

ان الكتاب وهو جهاز ثقافى هام يجنح فى كثير من الحالات الى الترفيه وبذا يفقد قيمته كجهاز من أجهزة الثقافة ٠

وان الصحيفة اليومية وهى جهاز قوى من أجهزة الاعلام تجنح فى كثير من الحالات الى التثقيف وهى بذلك تضعف من أمر الثقافة وتحط من قيمتها لانها بحكم أنها صحيفة يومية لاتصلح أن تكون مستودعا للتراث الثقافى ٠ انهـا فى النهاية واصلة حتما الى سلة المهملات ومن هنا لا ترغب فى الدقيق العميق ، ولا يقبل الناس عليها على أساس ان ما فيهـا من ثقافة هو الآخر دقيق عميق ٠

اننا فى حاجة الى اعادة النظر فى اشياء كثيرة فى ميدان التثقيف ٠ واهمها أن نعرف غاياتنا ، وان نعرف الوسائل الموصلة اليها ٠

يقول قائل : ان تقدم الامم يتوقف على قدرتها على ايجاد الوسائل التى تحقق بها مثلها العليا ٠ فوجود المثل العليا دون وجود الوسائل التى تحققها ليس الا وهما باطلا ٠ كما أن وجود الوسائل الكافية دون وجود المثل العليا يضر بالامة وبالعالم أجمع ٠

ويقول قائل آخر : لكل بلد أن يحل مشكلة التثقيف بطرقه الخاصة فكل الطرق تؤدى الى هدف واحد هو خلق الفرد الحامل لرسالته فى التاريخ ٠

ان الواجب انما يحتم علينا فى وضعنا الراهن أن نتجنب الطرق الطويلة طرق الاعتباط والاستهواء ، ويفرض علينا أن نطبق الطرق التى توجه الذكاء فى اتجاه الحضارة الجديدة ، والتى تعجل بتكوين هذه الحضارة طبقا للتطورات اللازمة ٠

ان مشكلة التثقيف حين تصاغ على هذا الاساس تجعلنا قادرين حقا على وضع سياسة سليمة لعمليات التثقيف ٠

دكتور

محمد أحمد خلف الله

محنة العروبة فى الشمال الافريقى

للدكتور طه الحاجرى

لعل من أكبر الاحداث التى شهدتها هذه السنوات الأخيرة ، واخطرها اثرا فى مجرى التاريخ ، انهيار « الستار الحديدى » الذى اقامه الاستعمار بين شمال افريقية والعروبة ، فى المكان والزمان جميعا ، بعد أن ظل أكثر من قرن يوطد أساسه ، ويرفع بناءه ، ويقوى جوانبه ، لا يكاد يلمح فيه ثغرة حتى يبادر الى سدها ، ولا يرى نقطة ضعف الا جعل يرمها ، لا يدخر فى ذلك جهدا ، ولا يبالى ما يبذل من مال ، وما يسخر من قوى ، وما يرتكب من آثام ، حتى اذا ظن أنه بلغ الغاية فى الاحكام ، وانه احتاط لنفسه أبلغ الحيطة ، اذا به يرى رأى العين انه انما كان يبنى على شفير هاو ، فانهار به ، وغمرته قوى العروبة ، دافقة عارمة .

وبقدر ما تعرضت له العروبة من مكر ونكر ، وما امتحنت به من محن متلاحقة ، أثبتت اصالتها وصفاء جوهرها وقوتها الذاتية .

وان محنة العروبة فى شمال أفريقية ، وصمودها لهذه المحنة ، وخروجها منها منتصبة ماضية مسددة ، هو فى نفسه أكبر دليل على أنها قوة فعالة لا يمكن تجاهلها أو وقف سيرها أو الحيلولة دون الغاية التى هى ماضية اليها .

ولعل العروبة لم تمتحن كما امتحنت فى شمال افريقية ، ولم تلق من الكيد والمكر ، ومن الحرب المجاهرة والمستترة ، ما لقيت فى ذلك الأفق . ولعل من أخبث ما امتحنت به هنالك تلك الدعاوى المتكررة المتظاهرة ، متخذة شتى الصور ، مصطنعة شتى الأساليب ، أن أهل شمال أفريقية ليسوا من العروبة فى كثير او قليل ، ومن ذلك جاءت الكلمة التى أوردناها فى مقالنا عن « الاسلام والعروبة » عن كتاب العالم الامريكى لوثروب ستودارد ، الذى ترجم باسم حاضر العالم الاسلامى ، وعجبنا أن يتورط مثله — على ما يوصف به من تثبت ونصفة — فى مثل ذلك الحكم ، اذ يذهب الى أن الفتح الاسلامى لم يستطع أن يجعل من شمال افريقية بلادا عربية ، وان استطاع أن يأخذها بالدين الاسلامى . فليست هذه العبارة الا صدى ما جعل الاستعمار يردده ويكرره ، منذ وضع أقدامه هنالك ، وقد أصر على أن يقطع كل صلة تصل هذه البلاد بسائر العالم العربى ، وأن يطمس فيها كل اثر عربى ، وأن يمضى فيما رسم من ذلك بخطى ثابتة دائبة ، وأن يسخر لذلك كل مايملك من قوة وحيلة ، بل ومن علم وأدب ، لا يتورع عن شىء ، ولا يتحرج أن يزج بالعلم فى مثل هذا الفكر .

وكان الاحساس بالعروبة يعانى فى ذلك الوقت — كما قلنا فى مقالنا ذلك — ما يعانيه العالم العربى من ركود وضعف وتخاذل . حتى اذا اخذ دبيب الحياة يدب فى الشرق العربى ، كان هنالك اتجاهان يسيطران عليه ويتجاذبانه : الاتجاه الى بعث الشخصية العربية الاسلامية كما كانت أيام مجدها وسلطانها ، والاتجاه نحو الحضارة الأوربية بزخرفها وطرافتها ، وعلمها وفنها . وكان بين هذين الاتجاهين صراع دائب ، يجاهر حينا ، ويتخذ سبيل المواربة والخلابة حينا آخر .

ولا ريب أن الروح الاستعمارية كانت قد أخذت توجس خيفة من هذه النهضة ، فكان من الطبيعى أن تأخذ فى مناهضتها ، ومحاولة الانحراف بها ، وأن تقف إلى جانب الاتجاه الأوربى فيها تؤيده وتغلبه وتحاول بذلك اهدار الاتجاه الآخر الى بعث الشخصية الاسلامية العربية . واذ كان لابد فى مثل هذه النهضة من تمثل القديم ومراجعته ، واثارة روح المجد التليد الكامنة فى ضمير الشعوب الناهضة ، فليلتمس الاستعمار بديلا من المجد الاسلامى العربى ، فكان ما أخذ يدسه بين الشعوب العربية من تزيين الدعوة الى القوميات القديمة البائدة التى جاء الاسلام فمحقها : فالمصريون هم أبناء الفراعنة ، اليهم وحدهم يعتزون ، وكذلك أمر العراقيين والسوريين ، فهؤلاء أبناء الفينقيين ، وأولئك بقية الكلدانيين والآشوريين ، الى غير ذلك مما جعلت أصداؤه تتردد فى كثير من البيئات . ولكن هذه الدعوات لم تلبث أن خفتت وتلاشت أمام روح العروبة التى ما كادت تستيقظ حتى أصبحت قوة غلابة فى جميع الشرق العربى .

أما المغرب العربى فقد حرص الاستعمار ، منذ أنشب فيه أظفاره ، أن يقيم سدا منيعا بينه وبين الشرق العربى ، ليعزله عن كل ما قد يثير عروبته الغافية ، وبهذه العزلة التى فرضها عليه . خلا له

الجو لينفث فيه سمومه ، ويحاول بكل وسيلة قتل العروبة الكامنة فيه .

وهكذا أخذ فى اثارة القومية البربرية ، وجعل يلقى فى آذان أهل المغرب العربي ، في كل مناسبة، وبكل صورة ، محاولا أن يتغلغل الى أعماق قلوبهم، الا شأن لهم بالعرب ، ولا صلة لهم بالعروبة ، وان كل ما يقال عن ذلك حديث خرافة . انما هم امة على حدة ، لها تاريخها القديم ، ومجدها التليد ، هى امة البربر ، الى غير ذلك مما ترددت أصداؤه فى الآفاق المختلفة ، ومن هذه الأصداء ما عبرت عنه عبارة ستودارد التى رأيناها ، وأنكرنا أن يصدر مثلها عن مثله .

***

على ان كلمة ستودارد غاية فى القصد بالقياس الى ماأغرقت فيه الدعاوى الاستعمارية المتشحة بثوب العلم ، المصطنعة اقلام العلماء ، امعانا فى التضليل والتلبيس . وبين يدى من ذلك كتاب أخرجته احدى دور النشر الفرنسية الكبرى . وكتبه الجنرال ادوار بريمون ، (وقد ذيل اسمه بانه عضو أكاديمية العلوم الاستعمارية) ، وسماه : العرب والبربر، وقفى على هذا العنوان بهذه الكلمة : شمال افريقية بلد أوربى .

وهذه الكلمة هى الأصل الذى أدار الكتاب عليه، والغرض الذى ذهب بعنق كل شيء لاثباته : بلاد المغرب جزء من أوربا ، لا على المجاز ــ كما ذهب اسماعيل فى كلمته المشهورة عن مصر ــ بل على الحقيقة كما يريدها ، يفصل القول فى ذلك تفصيلا ، ويشققه تشقيقا ، منذ أول خلق شمال افريقيا الى المستقبل المرموق الموموق ، لا يبالى ما يهدر من كرامة العلم الذى يقحم نفسه عليه .

مع أوربا نشأت بلاد المغرب ، وعنها استقلت ، وبناسها أهلت ، وبأسبابها اتصلت ، واليها آخر الأمر تعود .

هكذا يذهبون فى الدعوى ، أو يذهب صاحب هذا الكتاب ، ممثلا الروح الاستعمارية ، فليس غير أوربا فى حياة المغرب ، فى تاريخه كله ، بل فيما وراء التاريخ أيضا .

اما ما يقال عن مكان العرب منه ، أو أثرهم فيه ، فأوهام لا حقيقة لها ، وضلالات تشبث الغافلون بهـا .

فالفتح الاسلامى للمغرب لم يقم بالعرب ، كما يزعم المؤرخون ويرتبون على ذلك عروبته ، وانما كان قوامه عناصر ايرانية وطورانية وغير ذلك .

وكذلك شأن الغزو الهلالى الذى مضى القول فى الناس باثره الكبير فى تعريب هذه البلاد . فانما ذلك ــ فيما يرى المؤلف ــ وهم كبير من أوهام المؤرخين ، فهؤلاء الهلاليون ، ان صح انهم عرب ، ليسوا الا عصابات قليلة ضئيلة الشأن ، الجأتها المجاعة الى الهجرة ، ومزقها بعد الشقة ، واجتاحتها البادية . وانما كثرت بمن انضم اليها فى زحفها من جماعات البربر ، الراغبة فى النهب وفى اثارة الشغب . ثم لم تلبث أن امتصتها الجماهير البربرية، فما من أثر بعد لها ، ولا شيء مما يزعم المؤرخون من خطرها .

ويقر المؤلف ــ ولا ريب ــ عينا ويطيب نفسا ان استطاع بهذه الصورة أن يزيف التاريخ ، وأن يبقى شعب المغرب بعيدا عن كل أثر عربى جاءه ــ فيما يزعم ذلك التاريخ ــ من الفتح الاسلامى أو من الغزو الهلالى ، محتفظا بسلالته الأوربية منذ أقام بهذه البلاد فى عصر ما قبل التاريخ ، تمدها بين حين وآخر روافد أوربية ، من الرومان والوندال واليونان والنورمان والأسبان والفرنسيين !!

ولكن ، اذا كان الأمر قد اتسق له من ناحية السلالة والعرق ، كما يخيل اليه ، أو كما يريد أن يخيل الى قرائه الذين يكتب لهم ، فاستطاع ان يصول ويجول ، فما عسى ان يصنع فى امر واقع لا يملك له دفعا ، وهو هذه اللغة العربية التى لاحيلة له فى انكارها ، ولا مناص من الاقرار بها ؟!

ليس فى شيء من هذا ما يستطيع أن يغلب المؤلف على أمره ، أو يتجاوز حدود جرائه :

هذه اللغة التى تسمى باللغة العربية ليست من العرب بسبيل . لم يأخذها البربر عنهم ، فالعرب شعب لم يصل فى مدارج الحضارة الى ماوصل اليه البربر ، فكيف يأخذ شعب متحضر لغة شعب لا حضارة له . ولم يحدث فى التاريخ أن مغلوبا اتخذ لغة غالبه ، الا أن يكون الغالب أكثر حضارة وأرفع منه مكانا .

اهم قد اتخذوها اذن لانها لغة الاسلام الذى دانوا به ، أو لغة القرآن كتابهم الدينى ؟ ذلك ما لا يملك

المؤلف العلامة ! أن يأخذ به أو يستسلم له . فاللغة العربية ـ فيما يزعم ـ لغة دينية ، او لغة طقوسية ، وليس هناك لغة دينية استطاعت أن تفرض نفسها على الحياة •

فاللغة العربية فى شمال افريقية لم يصدر بهـــا أهل هذه البلاد عن العرب ، ولا هم يدينون بهـا للاسلام الذى جاء مع العرب ، اذ لو كانت كذلك لكان عسى أن يتخذ ذلك ذريعة لاثبات عروبتهم • فانى جاءت هذه اللغة اذن ؟

انها كانت لغة لهم قبل العرب والاسلام ، أخذوها عن الفينقيين ؛ فالفينقيون هم الذين ورثوهم هــذه اللغة ، لا العرب ولا الاسلام • وقد كان بعض من كتبـوا فى تاريخ شمال افريقية من الفرنسيين ذهبوا الى أن الفينيقية هى التى مهدت السبيل للعربية ، كما أن الأريوسية المسيحية هى التى مهدت السبيل للاسلام • وذلك كما هو واضح زعم وثيق الصـلة بالاستعمار ، فجاء صاحبنا فترقى بهذا الزعم درجة ، وقال ان المغرب أخـذ العربيـة عن الفينقيين ، أما العرب فلا فضل لهم فيها ، ولا شأن لهم بما أتيح له منها !!

وليس بى أن ألخص الكتاب ، او ان اجلو ما فيه من اعتساف وتخبط ، لا يعرف حدا يقف عنده او يتحرج دونه ، فانما قصدت بما اوردت عنه ان ابين هذا الأسلوب من اساليب الحرب الاستعمارية التى اوغل الاستعمار فيها ، فى سبيل الغاية الكبرى التى تبرر عنده كل ضلالة ، وتحل كل منكر ، وهى قطع كل صلة تصل شمال افريقية بالعروبة ، والحيلولة بينه وبين مراجعة ماضيه العربى ، وسد كل ثغرة يمكن ان تطل منها مشاعره الكامنة ، او تنفذ منها شعاعة عربية تفجر هــذه المشاعر ، فتحطم تلك السدود ، فتمثل العروبة ماردة جبارة عاتية ، تلقف كل افك، وتمحق كل سحر، وتبطل كل كيد ومكر •

وما أحسب أن القوم استباحوا أن يتورطوا فى هذه الضلالات الشائنة الفاضحة ، الا والرهبة تملأ قلوبهم ، والخوف يسيطر عليهم من تفجر المشاعر العربية ، وانطلاق قوى العروبة ، فهم لا يعبثـون بحرمة العلم ولا بكرامة العقل ، كما لم يعبئوا بأى معنى من معانى الانسانية •

وقد ظنـوا أنهم اذ يكررون هــذه الضلالات ، ويمعنون فى تكرارها ، فى كتبهم وصحفهم ومدارسهم وأحاديثهم ، لينشـئوا عليها الناشئة الغضة ، وقد صدت عن كل ما عداها ، لا تلبث حتى تملك القدرة على تغيير الحقائق وابطال الطبائع •

وأنهم حين يحوطون هــذه الضـلالات بوسائل الحياطة المختلفة ، فيخططون كل شىء قدر مايملكون بحيث تبقى وحـدها المستبدة بالعقـول والقلوب ، الموجهة للنوازع والميول ، فقد أمنوا ما هو جدير أن يروعهم ويؤرق نومهم •

ولكن العاصفة لم تلبث ان هبت عليهم مدمدمة عاتية ، ولم يلبث تيار العروبة ان اخذهم من كل ناحية ، فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون ، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين • وانهار ذلك « الستار الحديدى » الذى أراد الاستعمار ان يحول به بين شعوب المغرب العربى وعروبتها ، وان يفصل بينها وبين ماضيها العربى •

ولعل من أظهر نتائج تلك السياسة الاستعمارية وأجدرها باثارة تأمل مؤرخى الأدب خاصة، مايلاحظ فى تاريخ الأدب العربى ، من هذه الفجوة الواسعة فيه ، بين المشرق العربى والأندلس ، مما نرجو ان نعرض له قريبا ، ان شاء الله •

طه الحاجرى



المسلمون السود في الولايات المتحدة

للدكتور علي أحمد علي

عاش كاتب هذا المقال في مدينة نيويورك مدة تزيد عن الاربع سنوات يدرس في جامعة كولومبيا، وقد راقب عن كثب حركة المسلمين السود واتصل ببعض قادتها مثل : مالكم الكس « قسيس » معبد الشارع السابع في حي هارلم (حي الزنوج)بنيويورك وقد دفع الكاتب الى كتابة هذا المقال مانشر في الصحف من أن كاسيوس كلاى بطل العالم في الملاكمة قد اكد اسلامه الذي أشهره سابقا وانه دعى لزيارة الجمهورية العربية المتحدة . ولما كان كلاى هو احد افراد جماعة المسلمين السود ، لذلك رأى الكاتب ان يضع هذا المقال بين يدى القارىء لتعريفه بحقيقة هذه الجماعة ، نشأتها واهدافها وفلسفتها .

نشأت حركة المسلمين السود في مدينة شيكاغو حيث ادعى أحد الامريكيين الزنوج ــ الذي اسمى نفسه فيما بعد (الحاج محمد) ــ انه تلقى الوحى بأن يعمل على تخليص قومه من الزنوج من ظلم وطغيان وتحكم واستعباد الرجل الابيض ، واطلق عليه أتباعه « الرسول » أو « المخلص » ذلك لانه جاء برسالة الخلاص الى قومه ليخرجهم من الظلمات الى النور ومن حياة الاستعباد الى دنيا الحرية وليحيل فقرهم غنى وجهلهم علما .

انتشرت حركة المسلمين السود خارج حدود مدينة شيكاغو ووجدت الدعوة صدى لها في نفوس الكثيرين من الزنوج ، فقزت هذه الحركة شرق الولايات المتحدة واستقرت في حي هارلم الزنجي وانتشرت بين الزنوج في غرب الولايات المتحدة ــ في سان فرانسيسكو ولوس انجلوس في ولاية كاليفورنيا ، وفي الجنوب الشرقي في اجزاء كثيرة من ولاية فلوريدا بالاضافة الى العاصمة واشنطن واجزاء متفرقة من الولايات المتحدة ، حتى قدر عدد الامريكيين السود الذين ينتمون الى هذه الحركة اليوم بما يقرب من نصف مليون نسمة .

وانتساب حركة الحاج محمد للاسلام قد يكون مرجعه أن الاسلام دين التسامح وأن فارق اللون لامكان له في الاسلام فلا فضل لعربي على عجمي ولا لابيض على أسود الا بالتقوى ، كما أنه من الملاحظ ان معظم العالم الاسلامي اليوم يتكون من اشخاص ملوني البشرة .

ويمكن أن تعتبر حركة المسلمين السود حركة تربوية تعليمية تهدف الى الارتفاع بمستوى الرجل الاسود وتربيته على الفضيلة والخلق وحثه على ان يغير من طريقة حياته وانماط سلوكه ان هو اراد ان يحرر نفسه من ظلم الرجل الابيض واستعباده .

اول شيء يتعلمه المسلم الاسود هو ان يظهر بمظهر حسن وأن يمتنع عن التدخين ويقاطع الخمر والمخدرات التي يدمن عليها الكثيرون من الزنوج ، والمسلم الاسود يتلقى المساعدات من تنظيمات المسلمين السود لكي يتم تعليمه ان اراد . ونادت حركة المسلمين السود بالتعليم كوسيلة لرفع كفاية الرجل الاسود ، وزيادة دخله ، والارتفاع بمركزه الادبي والمادي والثقافي وبالتالي اجبار الرجل الابيض على احترامه .

وقد اهتمت حركة المسلمين السود برفع الروح المعنوية بين اعضائها ، هذه الروح المعنويه التي بلغت ادنى درجاتها بين الزنوج ويتمثل ذلك في ضعف الثقة بانفسهم ومحاولتهم التشبه بالبيض في حياتهم وتصرفاتهم والرجل الابيض يزيد بذلك تباعداعنهم واستعلاء عليهم .

وحركة المسلمين السود حركة منظمة لها طابع شبه عسكري ويرتدى أفرادها زيا خاصا « جاكتة كحلي ، وبنطلون رمادى ، وقميص ابيض وكرافته حمراء » .

وانك لتستطيع بسهولة ان تميز المسلم الاسود من غيره من الزنوج ــ بزيه اولا وبملبسه النظيف ومظهره الانيق ثانيا ، كما أن على المسلم الاسود ان يحلق شعر رأسه وغير مسموح له بأن يطيله .

وقد آمنت حركة المسلمين السود بالدور الطليعي الذي يمكن ان تؤديه المرأة في المجتمعات الزنجية وتوجيه طاقات المرأة الزنجية الى التوجهة البناءة بدلا من استغلالها في الانغماس في الرذيلة والتردي فيها ، فقدشاع عن المرأةالزنجية في الولاياتالمتحدة بعدها عن الفضيلةوترديها في الرذيلة . لذلكاهتمت

حركة المسلمين السود بالمرأة اهتماما كبيرا ، والبس الرجال ـ الذين انضموا الى هذه الحركة ـ نساءهم لباسا ابيض فضفاضا ذا أكمام طويلة مع اغطاء ابيض للراس ، وحاولت حركة المسلمين السود ان تظهر محاسن نسائهم وبيان النواحي الجمالية فيهن .

حاول اليهود ـ وخاصة من يدعى منهم التحرر ويسمون أنفسهم بالاحرار ـ التقرب الى هذه الحركة ، فاليهود في امريكا باعتبارهم اقلية من ناحية العدد يعملون على تكتيل الأقليات حولهم ويحاولون ان يقنعوا هذه الأقليات بأنهم المدافعون عن الضعيف والمظلوم والمغلوب على امره ، واظهر هؤلاء اليهود «الاحرار» عطفا شديدا على قضية الزنوج بوجه عام وحركة المسلمين السود بوجه خاص ، وذلك بغية التسلل الى صفوفهم وافساد خططهم والتحكم في قيادتهم واستغلال هذه القيادة لخدمة مصالحهم الشخصية ، ولكن قيادة المسلمين السود كانت لهم بالمرصاد اذ لاحظت هذه القيادة ان تجار الخمور واصحاب البارات ومهربي المخدرات في حي هارلم الزنجي ـ وكذلك الحال في كثير من الاحياء التي يقطنها الزنوج ـ غالبيتهم من اليهود وقد نبهت حركة المسلمين السود اتباعهم الى عدم الانقياد وراء هؤلاء اليهود مدعى التحرر والا يركنوا اليهم في اي امر من الامور اذ كيف يعطف اليهود على قضية الرجل الاسود ويريدون له الحرية والعدالة والمساواة وفي الوقت نفسه يستنزفون امواله ويضعفون مقاومته ببيع المخدرات والخمور وغيرها من السموم مع علمهم بأنها تضر قضيته وتؤخر ساعة خلاصه وتحد من طاقاته وامكانياته في التحرر والخلاص . لذلك قامت حركة المسلمين السود بهجوم عنيف على هؤلاء اليهود وذلك في محطات اذاعاتهم وفي مجلتهم المسماة (محمد يتحدث) الواسعة الانتشار في اوساط الزنوج .

***

ولكي يفصل المسلم الاسود نفسه عن ماضيه المشوه قام معظمهم بتغيير اسمائهم الى اسماء عربية واسلامية ، فقد سألت احدهم يوما : لماذا تغير اسمك من وليم جيمس الى محمد عمر ؟ فكان رده كالآتي : انني اريد ان انبذ اسمي القديم ـ اسم العبودية ـ الذي منحه لي السيد الابيض واردت ان احل محله اسما جديدا يذكرني بقرب ساعة الخلاص ويجعلني اغير مدركي عن نفسي .

والمسلمون السود وان سموا أنفسهم مسلمين الا أنهم لا يتبعون تعاليم الاسلام الصحيحة فهم يعتبرون الحاج محمد زعيمهم رسول الله فهناك الكثير من الافكار والآراء الدخيلة عن الاسلام ومن ذلك ادعاؤهم أن الشيطان كان اصله رجلا ابيض ، وأن الله قد انتقم من الرجل الابيض وعاقبه على ظلمه وطغيانه فنزع منه لونه فأصبح لالون له . وقد عالج المسلمون السود الخطأ الذي وقع فيه الرجل الابيض بسياسته العنصرية الطائفية بمثل خطئه فتزعموا الدعوى بان الرجل الاسود يفوق الرجل الابيض .

وبذلك نحوا بحركتهم تجاه عنصرية من نوع آخر ، وذلك بالاضافة الى ان لحركتهم بعض الاتجاهات الفاشية ، والمسلمون السود يقيمون صلاة خاصة بهم في اماكن تسمى معابد ويؤدونها وهم جلوس على مقاعد تشبه المقاعد الموجودة في الكنائس تحت اشراف رجل دين يدعى قسيسا .

***

ونظرا لان المسلمين السود قد ادخلوا الكثير من التحريف على رسالة الاسلام وتعاليمه لذلك توجه نظر الجهات المعنية بأمر الدعوة الاسلامية الى ذلك حتى يمدوا هذه الحركة بمايبصر اعضاءها بالاسلام الحقيقي وبذلك تقلل من انحرافهم .

وللعالم العربي والاسلامي في نفوس المسلمين السود مكانة كبيرة وقد قامت جماعتهم في نيويورك باستقبال الرئيس جمال عبد الناصر في مطار نيويورك استقبالا حافلا عند زيارة الرئيس للولايات المتحدة في سبتمبر سنة ١٩٦٠ لحضور اجتماعات الامم المتحدة وهم يرون فيه زعيما افريقيا مخلصا يعمل على تحرير القارة الافريقية والشعوب المستعمرة من ظلم الاستعمار الذي لايرعى للكرامة الانسانية حرمة ويرون في الرئيس جمال بطلا لقضية الحرية التي لاتعرف لونا ولا بلدا ولا حدودا .

الدكتور علي احمد علي

اللغة العربية والشعر الحديث

بقلم : عبد الكريم الخطيب

اللغة – اى لغة – لا تلبس أجمل أثوابهـــا ، ولا تتجلى فى أروع مفاتنها الا فى معرض أدبهـــا من منثور ومنظوم ، فهى فى هذا المعرض تأخذ كل زينتها ، وتتجمل بأثمن حلاها ، فلا يراهـا الناس فى أعدل أحوالها ، وأعذب مواردها الا فى هـــذا الأفق الذى يطلعها منه أدباؤها من شعراء ، وخطباء وكتاب .. وذلك لأن الأديب – كاتبا كان ، أو شاعرا ، أو خطيبا – انما هو ذواقة اللغة وصيرفيها من بين أبناء قومه جميعا ، فهو وحده الذى يعرف كيف يقع على أطايبها ، ويرشف الجميل الكريم من أزاهرها ، ثم يحيل ذلك مجاجا من كلمات ينفخ فيها من روحه نفخة علوية ، تقيم منها كائنا سوى الخلق ، بائن الحسن ، يملأ العيون بهجة ، والقلوب رضى ومسرة ، صنيع النحل الذى يجتنى مجـانى الثمر ، ويقطف مباسم الزهر ، ثم يخرج من ذلك كله شرابا مختلفا ألوانه ، فيه شفاء للناس !

***

فالأدباء فى كل لغة أشبه شىء بالنحل وصنيعه بما تخرج الأرض من أزهار وثمار .. انهم يتنخلون لغة أقوامهم هذا التنخل فى أعمالهم الادبية ، فلا يأخذون اللغة على أنها أداة تفاهم ، ووسيلة تعامل فى الحياة اليوميـــة الدائرة بين الناس ، وحسب ، وانما يأخذونها لغايات أبعد من هذا أثرا ، وأسمى قدرا .. انها غذاء نفوس وروح أرواح .. ذلك هو شأن اللغة فى كل عمل أدبى أصيل .. تبدو فيه وكأنها العروس فى جلوتها ، أو الزهرة فى بسمة أكمامها ، ثم هى فيما عدا ذلك من حيواتها بضاعة يتبادلها الناس ، وسلع يتعاملون بها ، يزنونهـــا وزنا ، أو يكيلونها كيلا .. بحساب أو بغير حساب!

فاذا خرج العمل الادبى عن غير طبع وأصـــالة تغشى وجه اللغة منه كثير من القتام والضباب ، وعلا جبينها غبرة وقترة ، وهنا تستقبل اللغة محنـــة قاسية ، وتقع فى بلاء عظيم ، خاصة حين تكثر أعداد الدخلاء على الأدب ، كثرة تغلب على الموجودين الأصلاء ، وتملأ سوق الأدب بهذه البضاعة الغثة الرذيلة ! فاذا وقف لهذا التيار المحمل بالغثاء والزبد من يرده عن ينابيع الأدب الصـافية ، كان الصراخ والندب واللطم فى وجه اللغة .. ثم لقـد تتجمع هـــذه الصيحات والصرخات وتتزايد حتى لتبلغ فى بعض الأحيان ثورة عاصـــفة تنقض على اللغة ، تريد أن تقتلعها من جذورها اقتلاعا ، لا يبقى ولا يذر شيئا منها ، أو أثرا لها .

***

والحديث هنا انما هو عن اللغة العربية ، وعن مؤثرات الحياة فيها ، وعن مدى استجابة هـــذه اللغة لتلك المؤثرات ، وفاعلية هذه المؤثرات فيها .

ومنذ مطلع هذا القرن والمعارك قائمة محتدمة بين أنصار القديم وأنصار الحديث . أو بين المحافظين والمجددين – كما كان يقال – وقد ظلت هـــذه المعارك مشبوبة متصلة .. تشتد حينا ، وتفتر أحيانا ، الا أنه لم يكد ينتصف هـــذا القرن حتى التقى المحافظون والمجددون على كلمة سواء .. حيث آمن أنصار القديم بأن اللغة العربية كائن حى ، يجب – لكى يعيش – أن يتنفس ، وأن يجدد الهواء الذى يتنفس فيه ، والا اختنق ومات ، كما استيقن أصحاب الجديد أن اللغة العربية لا تضيق بالحياة ، ولا تتأبى على نداء العصر وأحداثه وتطوراته وكان من هذا أن خرجت اللغة من تلك المعارك منتصرة ، ظافرة بأعظم كسب حققته فى جميع معاركها منذ شبابها الأول ، فأخرجت فى هـــذا العصر من الشعراء ، والكتاب ، والخطباء ما تستطيع أن تناظر بهم أزهى عصورها فى ميدان الشعر والنثر .. وكان من هذا أيضا أن رضى المحافظون والمجددون كل الرضا عن هذه الثورة ، وحمدوا لها آثارهـــا التى جددت على اللغة شبابها ، ومكنت لهـــا من أن تتمثل الحياة كلها ، فى الأدب والعلم ، فتصبح لغة العلم فى الطب والهندســـة ، والفلســـفة بعد أن كانت هذه العلوم وغيرها تدرس فى لغاتها الأوربية فى الدراسات الجامعية ، فضلا عما حققته فى الجانب الأدبى فى مجال الشعر وداعية هـــذا الحديث اليوم هو ما نشهده فى هذه الأيام من حركة متمردة على اللغة العربية ، يقوم بها بعض المغرورين والمفتونين فى حملة مستقلة مستميتة فى سبيل القضاء على هذه اللغة . وهى حركة لا تعرف طريقا

تتجه اليها ، ولا غاية تسعى اليها .. وانما تضرب ضربات طائشة هنا وهناك لعلهـــا أن تصيب من اللغة مقتلا ، فيكون في ذلك انتصار تعده هـــذه الجماعة نصرا لها ، بعد أن عجزت عن أن تكسب اى نصر فى اية معركة من معارك الحياة ، وفى اى مجال من مجالاتها ٠٠

ولعلك عرفت وجه هذه الجماعة ٠٠ انها جماعة « الشعر الحديث ! » ومن يكون على تلك الصـــفة غير هذه الجماعة ؟ التى تبذر الكلام بذرا ، ثم تذروه ذروا ، ثم تقول عنه : انه الشـــعر الحديث ؟ ٠٠ الشعر الذى ينبغى ان يكون خليفة الشعر العربى الموروث ، الذى بلى على الزمن ، ولم يعد صالحا للحياة بعد اليوم !

***

ومرحى مرحى بالشـــعر الحديث !! ٠٠ فاننا على موعد معه ، وفى انتظار له ، مع كل دورة من دورات الحياة ، ومع كل حدث من أحداثها ! ولكن ٠٠ اين هو هذا الشعر الحديث الذى يحدثوننا عنه ويطلعون علينا به ؟ أهو هذه الأمســـاخ الشائهة الكسيحة من التراكيب اللفظية التى لا يعرف لهـا وجه من ذنب ؟ أم فى هـــــذه « الطقاطيق » التى نصفها « آه » ونصفها الآخر « آهات » تفصـــل بينها أعداد من « النقط » ورسومات مختلفة من علامات التعجب ، والتأثر ، والاستفهام ، تنثر هنا وهناك بغير حساب ؟ أهذا هو الشعر ؟

***

ربما يكون شعرا ٠٠ ولكن على الا يضـــاف الى الشعر العربى ، أو يحسب عليه ٠٠ لأن الشـــعر العربى له وجه معروف ، اقامه أصـــحابه عليه ، وصحبته الحياة على هذا الوجه ٠٠

وربما يكون هذا شعرا ، او سحرا عند اصحابه ٠٠ « فكل فتاة بأبيهـــا معجبة » ، كما يقول المثل العربى ٠٠ « والقرد فى عين امه غزال » كما يقول المثل العـــامى ٠٠ وانه لا حجر على أحد أن يعبث ما شاء ، وأن يتلهى بما شاء ، ولكن على الا يحمل الناس حملا على العبث والتلهى ، وعلى الا يكون عبثه ولهوه هو الصورة المفروضـــة على الناس ان أرادوا أن يلهوا ويعبثوا ! ٠ ان لهؤلاء « الشعراء »

أن يقولوا عن أنفسهم انهم « شعراء » ! وأن يصفوا شعرهم بأنه الشعر الحديث ، المجدد للشعر العربى ٠٠ وان لهم أيضا أن يعرضوا بضاعتهم تلك فى كل معرض ، وأن يدفعوا بها الى كل سوق ، وأن ينادوا عليها بكل وصف يروج لها ٠٠ كل ذلك من شأنهم ، ومن حقهم أيضا ٠٠ لا نجادلهم فيه ، ولا نردهم عنه ! ٠٠ والحياة هى التى تفرض حكمها على هؤلاء « الشعراء » وعلى ما يشعرون ٠٠ حيث لا تبقى الا على ما هو صالح للبقاء ! ٠

***

واذن فلا موقف لنا مع هؤلاء « الشعراء » ، ولا حساب بيننا وبينهم ٠٠ وان يكن لنا موقف هنـا فهو فى غير متجههم ، وان يكن لنا حســـاب فليس معهم ! وانه لابد من موقف وحساب معا ٠٠ اذ أننا ازاء خطر يتهدد اللغة العربية ، وفى مواجهة وباء يتدسس اليها ، ويعمل جاهدا على أن يتفشى فيها ٠ وانه لمن حق هذه اللغة علينا ــ مروءة ، وقومية ، ومصلحة ، ودينا ٠٠ أن ندفع عنها اى أذى ، وأن نرد عنها كل مكروه ؟

***

وهذا الشعر الحديث ، ليس شعرا حديثا يمكن أن تقبله اللغة العربية ، وأن يدخل فى كيانها دون أن يفســد طبيعتهـــا ، ويشوه معالمها ، ويذهب بوجودها ٠٠ وأقل ما يجب علينا فى تلك الحال أن ننبـــه الى « الخطر » ، وان نحذر منه ، وأن نكشف عن وجهه ، وندل على أعراضه !

وأول ما ينبغى أن ننبه اليه من أمر هذا البدع الحديث هو ما يقوم حوله من دعايات كثيرة خادعة مضللة ، ينخدع بها كثير من الناس ، ويقع فى شركها كثير ممن لم يبلغوا مبلغ الأستاذية والخبرة فى المجال الأدبى ٠٠ من ناشئة الطلاب ، والآخذين أنفسهم بالدراسة والتحصيل فى هـــذا المجال ٠٠ فان هؤلاء من اليسير ختلهم وخداعهم بتلك الدعوة الخلابة المموهة باسم الحديث ، والجديد ، وفى الناس هوى طبيعى الى كل جديد ، وخاصة الشبان ، ومن فى حكم الشبان !

ومن أول الأمر ــ يجب أن نفرق بين نوعين من الدعاية القائمة حول هذا الطعـام الفاســـد ، تلك

الدعاية التى تدعو الناس الى تناوله ، والامتلاء منه حتى التخمة ، والبطنـة .. بهـذا الأسلوب من الاغراء والتضليل !

فهناك دعاية يقوم بها اصحاب هذا الشعر .. فى محيطهم ، وفى خارج هذا المحيط ، يبذلون فى هـذا ماء وجوههم احيانا ، ومال جيوبهم احيـانا اخرى .. وهذا ـ كما قلنا ـ حق لهم ، لا ينازعهم فيه احد .. فالطعام طعامهم .. يدعون اليـه من يستجيب ، ومن لا يستجيب !

اما الدعاية الأخرى لهذا الشعر فهى تلك التى يقوم بها ـ عن سهو أو عمد ـ بعض ذوى الأصالة والجد من حملة الأقلام الكريمة ، التى لا تتهم فى علمها باللغة العربية ، ولا غيرتها عليها .. وهـذا هو مكمن الخطر الذى يتهدد اللغة من هذا الشعر ، اذ انه بهذه الدعاية التىتروج له ، وتزكيه ، وترفع خسيسته ، يجد فى الناس من يقبل عليه فى ثقة من غير نظر أو رأى ، اعتمادا على مقولة أهل النظر والرأى فيه ! .. ومـاذا يكون من وراء الترويج والتزكية من أهل الصنعة ، وذوى الشأن . لأى أمر من الأمور غير التسليم به والاطمئنان اليه ، والأخذ به .. والطبيب .. اذا لم يكن ذا ضمير وخلق ـ يستطيع أن يدعو مريضه الى تناول الداء على أنه الدواء !

وهذا الصنف من المروجين لهذا الشعر والداعين له كثيرون كثرة محيرة ، لا ندرى ماذا جمعهم عـلى هذا الرعى الوخم الوبيل ، وعهدنا بهم أو بأكثرهم انهم ذوو فطرة سليمة ، وعقول ناضجة ، وحيـاة جادة ، وأعمال مثمرة طيبة ! .

***

والحق اننى كدت اتهم نفسى بالتخلف والقصور عن فهم هذا الشعر .. وظننت أن ما بينى وبينـه من قطيعة ، وجفاء انما هو من جهتى ، لامن جهته.. وقد كاد يمضى بى هذا الاحساس الى أن أمسك عن القول فيما يمس هذا الشعر أو ينال منه .

ولكن لم أجد فى النفس بقية من صبر بعد أن رأيت أسـتاذا من أساتذة الادب الجادين يقف الى جوار هذا الشعر موقف المعجب ، بل المبهور المأخوذ بسحره ، المبشر بأن اللغة العربية فى اسـتقبال فتح مبين لم يسبق لها أن شهدت مثله فى قديمهـا وحديثها ، فى الجاهلية ، وفى الاسلام ! .. وهنـا استغلق على الامر ، ولم يعد لى سبيل للعودة الى نفسى ، لجلاء هذا الشك ، وتجليةهذه الحيرة والبلبلة فى أمر هذا الشعر عندى .

***

لهـذا رأيت أن أشرك القراء معى ، وأن أطلب الرأى والنصيحة ممن عنده الرأى والنصيحة فى هذا الشعر الحديث ! .. أهو شعر حقا ؟ أهـو كلام له مدلول ومفهوم على نحو ما لكلام الناس من مدلول ومفهوم ؟ أم هو فتح جديد يدخل باللغـة العربية الى حياة جديدة ، واعجاز جديد بعد الاعجاز القرآنى . كما يقول ذلك أو ما يشبه ذلك..الاستاذ الدكتور « محمد النويهى » .. الاديب .. الكاتب .. الشاعر .. الناقد ؟

***

الحق اننى عجبت اشد العجب حين طالعت مقال الدكتور النويهى فى مجلة الثقافة ، وما كان منه من « شطحات » اشبه بشطحات المتصوفة فى هـذا الشعر الحديث .. انه يحدث حديثا عجيبا عن هذا الشعر ، يثير الحيرة والبلبلةوالاضطراب اكثر ممـا يثيره هذا الشعر نفسه عند من يقرؤه أو يستمع اليه ! .

ولو ان « الدكتور » جعل حديثه عن هذا الشعر فى صورة عامة يتغنى فيها بمحاسنه ، ويبشر بالخير الكثير المرتقب من مطلعه .. لقلنا لعل هناك مواليد جديدة بين يدى الاستاذ الدكتور من الشعر الحديث لم تطلع على الناس بعد ، وأن هذه المواليد قد سعت اليه قبل غيره بحكم استاذيته ، وصلته بالدارسين والمدرسين ، وأن فيهاهذه المحاسن ، وتلك الثمرات الطيبة التى يتحدث بها ، أو لحملنا حديثه هذا على أنه رأى اقتصر على النادر الشاذ مما يقع فى هـذا الشعر بين الحين والحين من شىء يمكن أن يفهم ، أو يهضم .. ولكن الدكتور لم يفعل هذا بل جعـل حديثه فى مواجهة امثلة محددة من هذا الشعر .. انه يعرض شيئا ويتحـدث عن شىء آخر .. اذ

لاصلة مطلقا بين الموصوف وصفته ، الا أن يكون ذلك على طريقة كاتب الجاحظ الذى كان يفهم غير ما سمع ، ويكتب غير ما فهم ، ويقرأ غير ما كتب !
الا فاقرءوا ، واعجبوا .. !

آه متى يشـــتد عصـــف الريح
عصف الـــريح روح البحـــر
لولا الريح جف البحـــر ، آه
من يحث لنا الســـحاب

اقرأتم هذا الشعر ؟ .. ونعم انه الشـــعر ، والشعر الحديث ، الذى يقدمه لنا الدكتور النويهى ويحدثنا عنه حديثا غزلا لم يكن لشـــعراء الغزل العذرى ان يجيئوا بأجمل وأفتن منه .

والا فاقرءوا بعض هـــذا الغزل ، واصرفوا نظرا عن هذا الشعر . الذى لا أود أن أذكر لـــكم اسم صاحبه ، فربما يكون الرجل عند نفسه غير شاعر ، وربما لم يحسب هذا الكلام فى عداد الشـــعر . فنظلمه ، ونأخذه بما لم يكن منه .

يقول الدكتور النويهى فى هذا الذى لاأدرى ماذا أسميه .. فلا هو بالشعر ، ولا بالنثر ، ولابالكلام العربى ذى الطعم والمذاق .. **يقول الدكتور :**

« ان أحدنا حين يقرأ هذه الأبيات لتدمع عيناه شكرا ان استطاع شعرنا الجديد ان يبلغ فى هذا الزمن الوجيز هذه الدرجة من الحيوية ، والحرارة والصدق فى حكاية العاطفة المهتزة من أعماقها ، المتقلبة فى نبضاتها » .

اى وربى ان هـــذا الغزل الجميل هو من نظم الدكتور النويهى فى وجه هذا الشـــعر الذى يقطر ملاحة وحسنا ! .

ومعذرة ايها القراء اذ قد اثرت شجونكم بهـــذا الشعر ، وملأت عيونكم دموعا فى مقام الســـجود لجلال هذا الشعر العظيم .. ومعذرة ايضا اذا لم تجدوا بين أيديكم من المناديل ما يجفف هذهالبحور الجارية من الدموع ! .

ثم يقول الدكتور النويهى .. فى هذا الشـــعر اياه ـ : «انصت جيدا لهذه الابيات ـ نعمالابيات:ـ وتفهم حالتها العاطفية تجد أن الشاعر ـ والشاعر ايضا ! ـ فى انفعال قوى عنيف ، وهـــو يريد أن تشاركه الطبيعة انفعاله . وأن تقوم فى عناصرها ثورة منسجمة مع ثورة نفسه ... » ذلك هومطلع قصيدة الدكتورالنويهى التيتغزل فيها بهذا الشعر او بهذا السحر ! .

اما القصيدة كلها ، واما اسلوبالقراءة الذى قرأ به الدكتور النويهى هذا السحر ، واما تقييمه له ، وكشفه عن المخبوء من آياته ـ ففى حديث آخر لنا ـ ان شاء الله .

عبد الكريم الخطيب

هذا الحدث الكبير

بقلم: محمد عبد الله السمان

لا ريب في أن انعقاد المؤتمر الاول لمؤتمر مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة في الاسبوع الاول من هذا الشهر ، حدث اسلامي كبير له أهميته وله خطورته ، وليست أهمية المؤتمر أو خطورته راجعة الى اجتماع ممثلين عن العالم الاسلامي من زعماء الفكر الاسلامي في وقت واحد وفي مكان واحد ، وانما هي راجعة أولا : الى انعقاد المؤتمر في القاهرة مركز الاشعاع الفكري والثوري على افريقية وآسيا حيث تتركز قوى الاسلام وشعوبه .

ثانيا : ان هذا المؤتمر بدعوة من الازهر ، والازهر لم يزل له مكانته المرموقة في شتى البقاع الاسلامية ، وله تقديره لدى علماء الاسلام في كل مكان .

ثالثا : ان هذا المؤتمر له خطة موضوعة ، ومنهج مدروس .

رابعا : ان الوقت من أنسب الاوقات لانعقاد المؤتمر الاول لمجمع البحوث الاسلامية ، حيث يصفى الاستعمار الآن أعماله في كثير من البلاد الافريقية والآسيوية ، وهو مصر على أن يترك رواسبه لتعمل في تفتيت كيان الشعوب التي تفتح أعينها لأول مرة على حياة الاستقلال والحرية ، وحيث كشفت مؤامرات التطاول على الفكر الاسلامي عن قناعها مسلحة بالالحاد تارة ، وبالصليبية تارة ثانية ، وبالصهيونية تارة ثالثة .

***

ان هذا الانعقاد الاول للمؤتمر ليس الا بداية عمل كبير ، هذا العمل الكبير يحتاج الى جهود فكرية تبذل ، وجهود عملية تنفذ ، وأعتقد أن السيد حسين الشافعي الذي ناب عن السيد الرئيس في افتتاح المؤتمر قد وضع النقط على الحروف في كلمته ، وهو يقول في صراحة لا التواء فيها : « **ان الاسلام يواجه الآن تحديات تريد أن تنال منه وتقضي عليه .. وهذه التحديات التي يواجهها الاسلام ليست موجهة اليه من الاستعمار وحده ، وانما هي تحديات الالحاد وتحديات الانحراف في فهم الاسلام** » .

ونحن هنا لا نذكر — على سبيل الحصر — الوان هذا التحدي الذي أشار اليه السيد نائب الرئيس ، وانما نعرض أمثلة سريعة ، أبرزها تلك المعاهد الالحادية التي أسست حديثا في روسيا بعد أن فزعت الدوائر المسئولة لان المواطنين المسلمين في الاتحاد السوفييتي ما زالوا على صلة وثيقة بدينهم ، وقد أنحت الجريدة الرسمية (برافدا) باللائمة على قادة الحزب الشيوعي في المواطن الاسلامية ، لانهم لم يستطيعوا الى اليوم أن يقضوا نهائيا على العقيدة الدينية . والعجيب أن البيان الذي صدر في اليوم الثالث من ديسمبر عام ١٩١٧ ، والذي وقعه كل من لينين وستالين ، ووجهاه الى المسلمين الروس ، نص على حرية العقيدة وصونها : « **اعلموا أيها المسلمون الروس .. أيها الجماعات التي هدمت مساجدكم وأماكن عبادتكم ، والذين داست عقائدكم القياصرة المستعبدون لروسيا .. اعلموا أنه ستصبح من الآن فصاعدا — عقائدكم وعاداتكم ، وكذلك مؤسساتكم الوطنية والثقافية حرة ومصونة ، وعليكم الاستمرار في اتباع حياتكم الوطنية بكل حرية وبدون عرقلة ماء اذ هذا هو من حقكم** » ولكن الذي حدث بعد ذلك البيان بأقل من عام أن أعدم الزعماء الدينيون رميا بالرصاص .. أما دائرة المعارف السوفييتية التي تقع في واحد وخمسين مجلدا ، وتتبع هيئتها مجلس الوزراء رأسا ، فلم تكن لتخفي تطاولها على الاسلام نفسه ، ففي المجلد الثامن عشر : «**ولقد لعب الاسلام دائما — شأنه شأن سائر الاديان — دورا رجعيا ، اذ أصبح أداة في أيدي الطبقات المستغلة ، لكبح الطبقة العاملة — وحيا — وقد نشأ الاسلام نتيجة مجتمع طبقي بين العرب .. وكنتيجة لانتصار الاشتراكية وتصفية الطبقات الاستغلالية ، فقد اقتلعت جذور الاسلام ، كما اقتلعت جذور أي دين آخر من الاتحاد السوفييتي ، ولم يعد الاسلام في الاتحاد السوفييتي الا مجرد أثر** » .

***

واذا تركنا تحدي الالحاد للاسلام جانبا ، فيجب ألا يفوتنا دور الاستعمار في تحديه للاسلام ، وقد أشار الدكتور **محمد البهي وزير الاوقاف وشئون الازهر** في افتتاح المؤتمر الى محاولات الاستعمار ضد الاسلام ، وضرب مثلا بمحاولة الاستعمار في الجزائر — على وجه خاص — أن يبعد المسلمين هناك عن الاسلام طوال مائة وثلاثين عاما ، حتى جاءت الثورة الجزائرية لتهدم كل ما بناه ، وتنص في أول دستور لها على أن الاسلام هو الدين الرسمي للدولة ، وان العربية هي

اللغة الرسمية لها .

لم تكن محاولات الاستعمار مقصورة على الجزائر وحدها ، بل عمت أفريقية بأسرها ، حيث أقام صرحا للتمييز الديني ، بين المسلمين وبين غيرهم ، فلقد قام زعيم مسلمي كينيا في العام الماضي بجولة في البلاد العربية يندد بهـذا المسلك الاستعماري ، وهو فضيلة الحاج علي ضيده ، وصرح في تونس لجريدة «العمل» بان التمييز الديني في كينيا جعل المسلمين في تخلف، هذا التمييز الديني الذي اقامه الاستعمار الانجليزي وغذاه ، حرم المسلمين من اخذهم حظهم في الثقافة والحياة الاجتماعية والارادة ، وضرب الزعيم المسلم مثلا بان عدد طلاب البعثات من أبناء كينيا في البلاد الاوربية يبلغ خمسة آلاف طالب مسيحي ليس بينهم طالب مسلم واحد .

***

هذا الاستعمار تسترخي أعصابه ازاء التحدي الصليبي للاسلام والمسلمين ، في أفريقية بوجه خاص، ويبارك هذا الاتجاه بكل أحاسيسه ومشاعره، والا لما استطاع رئيس حكومة أوغندا أن يقول في اول خطاب ألقاه عند تقلده هذا المنصب : « أعداؤنا اثنان : الشيوعية والاسلام ، ولا بد من زوال الاسلام في أوغندا وفي العالم بأسره » . ولما استطاع أيضا أن يصرح امبراطور دولة مسيحية أغلبيتها مسلمون، خلال زيارته للكونجرس الامريكي بقوله : « ان أهم الاهداف التي نسعى اليها ، هو توحيد الدين واللغة في بلادنا ، وبدون ذلك لا يمكن أن نحقق شيئا من التقدم » وعندما سئل عن المسلمين في بلاده قال : نعم توجد هناك أقلية مسلمة في الجنوب (اقليم هرر) اعتنقت الاسلام بتأثير الاجانب (يقصد العرب) وقد وضعنا لهـا برامج منذ اثنى عشر عاما ، فلا يمضي وقت طويل الا وقد عادت الى حظيرة دين آبائها » .

***

والاستعمار كما تسترخي أعصابه ازاء محاولات الصليبية للقضاء على الاسلام ، تسترخي أعصابه أكثر للمحاولات التبشيرية في أفريقية . وليس التبشير ـ كما نظن ـ يقف عند حد التبشير بالمسيحية والتطاول على المقومات الفكرية للاسلام ، وانما يؤدي رسالة استعمارية قبل كل شيء ، اذ يسعى جاهدا لتمزيق الوحدة الوطنية في أي بلد يستقر بهـا ، ويتوهم أن أعين المسئولين في غفلة عن مآربه ، ولعل أقرب مثل ما حدث في جنوبي السودان ، مما اضطر الحكومة الى طرد بعثات التبشير الاجنبية من الاراضي السودانية ، بعد أن ثبت أن أصابعها حركت القلاقل التي وقعت في الجنوب السوداني . وهذه الحركة الاخيرة مهد لهـا كتاب استعماريون ، وقد كشفت جريدة « الثورة » السودانية في يونيو الماضي ستر أحدهم ، وهو الكاتب الانجليزي « ريتشارد جراي » في كتابه الذي حاول فيه الدفاع عن المسيحية التي يهددها الاسلام في جنوبي السودان ، وقد وجهت الجريدة حديثا صريحا الى بريطانيا في صفحة كاملة، تقول : أوقفوا عملاءكم الاجراء الذين ركلهم الشعب، كيف تدافعون عن المسيحية وأنتم الد أعداء المسيحية؟ سوف نتعقب خطواتكم حتى تتحرر أفريقية من دنس الاستعمار » .

***

وبعد ـ فان هـذا المؤتمر الاول لمجمع البحوث الاسلامية ، الذي اشترك فيه مندوبو اثنتين وأربعين دولة ، ومائة من كبار علماء المسلمين في العالم ـ بداية لعمل كبير ، والبحوث الاسلامية الضخمة التي قدمت اليه ، ليست جديدة في موضوعاتها ،ولكنها جديرة كل الجدارة بأن تبحث من جديد ، لنصل الى وحدة في الرأي . في قضايا تتصل اتصالا وثيقا بحياة المسلمين وشئونهم الخاصة والعـامة ، فان مصادر التشريع لا تفاوت بينها في بلد دون بلد ، والوحدة في الرأي أساس يجب أن تقوم عليه قريبا وحدة الاحساس والشعور في المسلمين قاطبة ، وفي المستقبـل الوحدة الاسـلامية الكبرى التي أرادها القرآن حين قال : « وان هذه أمتكم أمة واحدة » وأرادها الرسول ـ صلوات الله عليه ـ حين قال : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد واحدة على من سواهم » .

***

لعل أعضاء المؤتمر والمشتركين فيه لم تفتهم هذه المعاني في اجتماعهم الاول ، وأكثر من أربعمائة مليون مسلم يتجهون اليوم بأنظارهم اليهم ، ويأملون أن يكون مؤتمرهم الاول هذا بداية الخطوات الجادة ، لاعادة المسلمين الى ما كانوا عليه أيام مجدهم وتفوقهم الديني والعلمي »

محمد عبد الله السمان

دمعة على العقاد

فيلسوف الشرق

للشاعر محمود غنيم



جزع الشرق واجرى ادمعه ... ليت شعرى اى خطب روعه ؟
لا تلوموه على تذرافها ... فيلسوف الشرق خلى موضعه
شيع الفجر لعمرى باسما ... والضحى فى رآده من شيعه
كفنوا العقاد فى اسفاره ... وادفنوا المرقم والطرس معه
لست ادرى اشهابا كان ام ... عيلما ام راهبا فى صومعة ؟
عالم بل عالم فى رجل ... ليت شعرى اى قبر وسعه ؟
سائلوا العلة هل اودت به ... رغم سبعين وخمس مسرعه ؟
لا تقيسوا بالليالى عمره ... بل سلوا فى اى شيء قطعه ؟
لم يسله سائل عن معضل ... حير الافهام الا اقنعه
ماله اليوم طويلا صمته ... اى شيء عن جوابى منعه ؟
صرع الموت فتى لم يستطع ... خصمه فى حلبة ان يصرعه
لست تدرى اهو يحشو طرسه ... احرفا ام هو يحشو مدفعه ؟
وسلاحاه يراع مرهف ... ودليل بين ما انصعه
ذو يراع حين ياسو علة ... يزدرى كل طبيب مبضعه
دولة الالفاظ فى خدمته ... ان دعا اللفظة جاءت طيعه
نافذ الطعنة ان شاك به ... اضلع الجبار تقصف اضلعه
ان يسلطه على نجم هوى ... او على اركان طود صدعه
رب حق صانه او باتس ... ذاد عنه او سفيه دعه
رب غر رام منه لفتة ... فرماه بالنعوت المقذعة
نخلة دبت عليها نملة ... وخضم فيه نقت ضفدعة
شتم الاعرج طودا شامخا ... حينما اعجزه ان يطلعه
ان عرض الحر مرعى مخصب ... يجد الوالغ فيه مرتعه
سائلوا ذئب الفضي فى جحره ... من على الاسد الضوارى شجعه ؟
ينزل الليث الى ليث ولا ... تجمع الليث بهر معمعه
قلم العقاد سيف باتر ... لم يجرده ابتغاء المنفعة
لم يجرعه كئوس الشهد بل ... كم كئوس من زعاف جرعه
العصامى الذى يابى سوى ... كفه نحو العلا ان تدفعه

العيوف النفس لو ألبسته ... غيره ثوب خلود خلعه
يابس بل شامس لم تستطع ... رغبة أو رهبة أن تخضعه
لا تلوموه على أخلاقه ... هكذا رب البرايا طبعه
هكذا صوره بارئه ... وعلى مقتاله قد صنعه
عاش في عصر الشفاعات فما ... شق الا بيديه مهيعه
وهو كم من نابه أخمله ... واديب من حضيض رفعه
لا يحط الدهر من يرفعه ... لا ولا يرفع قدرا وضعه
يجد الأعداء فيه لددا ... والأخلاء صفاء ودعه
شامخ الراس اذا الراس انحنى ... ابغض الناس اليه الامعة
ليست العزة دينا تبعه ... انما العزة دين شرعه
وتقاضته المعالي حقبة ... ثمن العزة فقرا ادفعه
رب يوم عضه فيه الطوى ... ورداء بيديه رقعه
في زمان ألف الذل فمن ... رفع الهامة فيه جوعه
لائم الاعتاب فيه آمر ... والفتى الحر به ما أضيعه
حسبه السجن أواه تسعة ... وهو يشكو من سقام أوجعه
ونزول الماجد الحر به ... من قديم سنة متبعة

***

كاتب تلمح في أسلوبه ... وجهه بل يده بل أصبعه
ذوبيان لم يقلده الحلى ... من رأى الاسلوب فلا سجعة
لم يوشع بجمان قوله ... بل بفكر فيه عمق وشعه
رب نثر برقعته زينة ... هو زيف حين ينضو برقعه
رب نظم ماله من هدف ... ليس يدرى ناظموه موقعه
ومن الشعر غثيث فاتر ... تأنف الآذان من أن تسمعه
ماله من أبحر أو ترع ... أو عيون . لست تدرى منبعه
لفقته عصبة ماوردت ... بحره بل وردت مستنقعه
هل درى الشماخ في صحرائه ... أن قوما ألبسوه قبعة
يادعاة الشعر ماذا قلتمو ؟ ... أنا لا أسمع الا جعجعة
أيها الذوبان قل حل الثرى ... واستبيحت حرمات المسبعة
فاحلوا الشعر من أوزانه ... واقطعوا كل لسان قطعه

***

عبقري العبقريات قضى ... فهي من حزن عليه جزعة
أن بكته العبقريات دما ... فهي من أوصافه منتزعة
خالد خلد أبطال الورى ... أي معنى بهمو قد جمعه
ادفنوه بين دور العلم أو ... بين دور الكتب خطوا مضجعه
طلق الدنيا ثلاثا واصطفى ... من بنات الفكر حورا أربعة
مابنى الا بموسوعاتها ... وتبناها فكانت منعه
عاش كالنحل دءوبا بينها ... ينتقى من كل زهر أينعه
أغلب الظن لعمرى أنها ... خير من صاحبه أو ودعه
مات عباس وتبقى أمم ... تجتني من بعده مازرعه
مات عباس جزاه ربه ... رحمة عن كل معنى أبدعه

محمود غنيم



نحو مسرح عربى

بقلم: عبد الفتاح البارودى

– ٥ –

ما الرأى اذن فى هذه المسرحيات التى مثلت على مسارحنا منذ ٩٠ سنة ؟! اذا كنا نزعم أن بيئتنا لم تعرف التفكير المسرحى فماذا نسمى هذه المسرحيات ؟! عرفنا المسرح بلا شك خلال هذه الفترة على الاقل، ولكن كيف عرفناه ؟ هل جاءت هذه المعرفة نتيجة وعى مسرحى ؟! أبدا .. **ان المسرح نقل الينا نقلا ، ولم يكن هذا النقل استجابة لحاجة الجماهير ولا تعبيرا عنها .. ولكننا على اية حال أصبحنا نمارس الفن المسرحى ، واذا كنا قد بدانا هذه الممارسة بلا وعى مسرحى ، فهل تكون هذا الوعى خلال هذه الفترة ؟!** اولا ، نستبعد المترجمات لانها ليست من تاليفنا ولا تدل على نمو تفكيرنا المسرحى .. وثانيا نستبعد انتاجنا المسرحى الحديث لاننا سنبحثه على حدة ، ولانه مرتبط بالتغييرات الجوهرية التى حدثت فى مجتمعنا الجديد واحدثت يقظة فى جميع النواحى وطبعا احدثت يقظة فنية ، هذه اليقظة التى استوجبت أن ندرس اسباب تخلفنا المسرحى فى الماضى .. واذن فلكى نتعمق فى معرفة هذه الاسباب، وايضا لكى نوطد دعائم مسرحنا الجديد على اسس سليمة ، يجب أن نبحث – فيما نبحث – مدى التطورات التى حدثت فى مسرحنا قبل اليقظة الاخيرة .

من الصعب تحديد اليوم الذى تسرب فيه فن التمثيل الى مصر ، والمعروف أن بعض الفنانين من سوريا ولبنان مارسوا التمثيل على المسرح المصرى لاول مرة ، ولكن المدهش ان المسرح لم يكن له وجود فى سوريا ولبنان قبل منتصف القرن التاسع عشر .. **هذا يؤيد أن التفكير المسرحى لم يظهر فى البيئة العربية كلها الا فى وقت متاخر .. ايضا عرف المسرح فى لبنان قبل سوريا بحكم اشتغال اللبنانيين بالتبادل التجارى مع مختلف بلدان اوروبا أكثر من غيرهم من أهالى الاقطار العربية .. هذا يؤيد ايضا أن المسرح عرف بالنقل عن الغير ولم ينبت فى بيئتنا .. ثم ما هو نوع الروايات التى مثلت على المسرح العربى والتى نقلت الى مصر ؟ هى طبعا روايات اجنبية ، والمهم أنها كانت تعرب تعريبا بدائيا وتمثل تمثيلا بدائيا ويتحدث عنها النقاد والجمهور باسلوب بدائى ، وبديهى أن هذا كله لا يعمق التفكير الدرامى .**

من أوائل الروايات التى شهدها المسرح العربى رواية معربة عن البخيل لموليير ومثلتها فرقة مارون النقاش فى بيروت عام ١٨٤٨ ، ومن لبنان وفدت الى مصر فرقة برياسة سليم النقاش بعد وفاة عمه مارون النقاش ، ثم فى عام ١٨٧٠ أنشأ الشيخ سانو أبو نضارة مسرحا بالقاهرة واطلق عليه لقب موليير مصر ، ثم جاء أبو خليل القبانى وغيره ، والمهم أن الروايات التى مثلت فى ذلك الوقت كانت كلها اما روايات معربة او مقتبسة من حوادث التاريخ العربى وحكايات الف ليلة وموضوعة فى القوالب البدائية، وكانت تكتب بالفصحى والعامية والزجل والشعر والنثر ، وتكيف تكييفا مفتعلا بالصبغة المحلية ، وكان يدخلها عنصر الرقص ، وكان يختلط فيها بالكلام ، وهكذا بدأ فن التمثيل فى مصر فى حالة ساذجة وحبكة ضعيفة وسياق شديد التهافت ،

بالاضافة الى الفكاهيات التى كانت تتمثل فى خيال الظل والاراجوز والحوار الفكاهى بين هواة التنكيت

واضح انهذا كله منقطع الصلة بالتفكير المسرحى بمعناه الحقيقى ، فهل ظل المسرح على هذا النحو ام تطور ؟ لا جدال فى انه تطور ، **وظهرت فى النهاية روايات ارقى شكلا واسلوبا واقوم فنيا وادبيا ،** بسبب الاحتكاك بالثقافات الاوروبية ، وبسبب **الهزات التى حدثت فى المجتمع وجعلته يشعر بعض الشعور بنفسه وبالعالم الخارجي ، ولكن الى اى حد تعتبر هذه الروايات ذات دلالة على تعميق التفكير المسرحى ؟**

من المحقق انفكرة الجيل القديم عن فن التمثيل لم تخرج عن كونه احدى وسائل التسلية بالمعنى السطحى ، ولهذا كانوا يؤثرون الموضوعات التى تشيع البهجة ، مما ادى الى رواج الهزليات الغنائية ، وحتى الروايات التى تتناول موضوعات جادة نسبيا كانت تختتم بفصل هزلى لا علاقة له بها .. كذلك راجت الروايات التى تدور حول البطولة الخارقة والتضحيات المثالية ، ومن اجل ذلك كان المتفرجون مولعين برؤية (هملت) لشيكسبير مثلا ، لانهم فهموها على هذا النحو ، وليس باعتبارها من الادب العالمى ... **السبب هو انهم كانوا شديدى الشبه بشعوب القرون الوسطى .. احبوا الهزليات لان حياتهم كانت مليئة بالضيق والكبت ، واحبوا المثاليات ـ كما تصوروها ـ لان فيها تحقيقا لاحلام وغايات بعيدة المنال ، ولم تكن لديهم فكرة عن الموضوع المسرحى بالمعنى الفنى ، فكان اكثر ما يقدم يمثل ارتجالا ، وكان نجاح الممثل متوقفا على بداهته وحذقه فى ارضاء نزعات الجمهور الذى كان يتبادل معه «القفشات» ويكيف الرواية بما يشاء ، حتى المترجمات كانت تخضع لهذا كله ، وكان للممثل أن يغير من نصوصها بما يراه مناسبا لجمهوره .. الى هذه المرحلة كان التفكير المسرحى طبعا لا وجود له .**

بالممارسة بدا المسرح يتغير منذ الحرب العالمية الاولى ، فتحددت انواع الروايات الى حد ما، ولكن الجمهور ظل يدخل المسارح تزجية للفراغ ، او طلبا للمتعة الحسية ، أو للتهريج ، ولذلك اثرى اصحاب دور الرقص والغناء والصالات الاستعراضية ، كما اثرت الراقصات ، بينما بقى الممثلون المحترفون بصفة عامة فى حالة فقر شديد .. يقول نجيب الريحانى فى مذكراته : «فى عام ١٩١٤ بدات صلتى بالمسرح ، وكنت كثيرا ما امضى اوقات فراغى متنقلا بين قهوة برنتانيا ـ التى كانت بمثابة ناد للفنانين المتعطلين ـ وبين مسارح عماد الدين ، وكان من اصدقائى منهم سليم ابيض وعزيز عيد .. الخ .. وكنت بالنسبة لهؤلاء كالمليونير بالنسبة لفقراء الهند، فقد كنت موظفا (كان موظفا صغيرا) انال مرتبا شهريا وانا اضع ساقى فوق الاخرى ، اما اغلبية الممثلين فكانوا يحصلون على مرتباتهم « كل حين ومين » ..»

ومن الناحية الفنية نجد ان جورج ابيض حاول تمثيل اوديب ومكبث الخ .. ولكن الناس انصرفوا عنه حتى فكر فى تقديم روايات هزلية تتخللها الاغانى !! ونجد ان الريحانى اخفق ايضا اول الامر فى تقديم فكاهيات مترجمة ، لان موضوعاتها كانت غير مفهومة للناس ، رغم تحايله فى الترجمة ، ومحاولته الباسها اللباس المحلى، حتى اجاز لنفسه ان يضع لها عناوين مثيرة .

الى هنا ايضا لم يكن للتفكير المسرحى وجود .

وحدثت تطورات اخرى نتيجة لثورة ١٩١٩ فبدات الروايات تصور نفسية الشعب كما تصور احداث الحياة الواقعية ، وظهرت روايات تعالج العيوب الاجتماعية والاخلاقية .. الخ ... ولكن كل هذه التطورات لم يكن لها أثر فى خلق التفكير المسرحى بالمعنى الفنى .. ولا داعى لسرد الروايات بالتفصيل سنة بعد سنة .

ولكن لكى ندرك مدى التطوير نقفز الى آخر مراحله قبل اليقظة الاخيرة .. ولنقف مثلا عند المسرح فى الحرب العالمية الثانية وما قبلها أو بعدها بقليل .. سنجد انواعا اخرى من روايات مترجمة ومقتبسة وتاريخية وفكاهية .. الخ .. فما هى القيمة الفنية لكل اتجاه من هذه الاتجاهات .

لو بحثنا المترجمات والمقتبسات سنجد انها من طراز معين .. سنجد مثلا ان رواية (تاج المرأة) مغزاها ان العاشق الصادق يتجاوز عن اخطاء العاشقة بالغة ما بلغت من الهوان .. ورواية (فى ظلال الحريم) تحض على التمسك باهداب الشرف المثالى .. ورواية (الغيرة) تصور كيف يصل الشيطان الى الاسرة السعيدة فيحطم سعادتها .. وهكذا .. ان مجرد التساؤل عن اسباب اختيار مترجمات ومقتبسات من هذا الطراز دون غيرها

من روائع المسرح العالمى يدلنا على نوع التفكير المسرحى الذى اتسعت له بيئتنا .. لقد قلنا عن اسلافنا القدامى انهم اشبه ما يكونون بشعوب القرون الوسطى بسبب شغفهم بالهزليات المسلية وروايات البطولة المثالية فى تصورهم .. هذا ينطبق ايضا على جيل ما قبل اليقظة ، الذى شغف بروايات يدور الصراع فيها بين الخير والشر مثل أدب القرون الوسطى ، او بروايات الاشباح والارواح والحب الاعمى مثل ادب الرومانسيين الداهلين ، ومعروف فى تاريخ الادب ان القرون الوسطى كانت الوطن الروحى للرومانسية الداهلة .

والمسرحيات التاريخية ايضا كان معظمها انفعالات استعراضية او اغراقا فى احلام بعيدة ، كما كانت غير ملتزمة بالاوضاع الفنية الصحيحة .

والمسرحيات الفكاهية .. لا شك فى الجهد الذى بذله مسرح الريحانى .. ان نجيب الريحانى وبديع خيرى اشتركا فى تأليف او اقتباس روايات كان اكثرها قيمة الروايات التى اختتم بها نجيب الريحانى حياته .. وهى اكثر قيمة من الروايات الاولى ومن معظم الروايات التى قدمها مسرحنا فى الحدود الفنية الضيقة التى عاش فيها ، ولكننا مع اعترافنا بذلك نجد فى الوقت نفسه انها بعيدة ايضا عن الاوضاع الفنية الصحيحة ، فضلا عن انها — من الناحية الموضوعية — مقتبسة غالبا من الادب الفرنسى فى نهاية القرن التاسع عشر ومكيفة فى الطابع المحلى المقحمة عليه بلا جدال .

واذن فمسرحياتنا طوال فترة ما قبل اليقظة الاخيرة لم تتطور على وجه الاجمال تطورا جوهريا ، بل اننا اذا تعمقنا فيها وجدنا انها فى جوهرها ظلت على حالتها البدائية ، بعيدة عن الاوضاع الفنية الصحيحة ، لان التفكير المسرحى ظل كما هو .

وطبعا لا اغفل ان بعض المثقفين من مؤلفينا اتصلوا بالادب الغربى ، ولمسوا تياراته الفكرية ، وكان من اثر ذلك ان نحوا منحى جديدا ، فمامدى تأثيرهم فى تفكيرنا المسرحى ؟ محمود تيمور مثلا قام بتجارب فى الروايات السيكولوجية ... وتوفيق الحكيم قام بتجارب فى تناول الاساطير ، فهل ادى هذا الى تعميق التفكير المسرحى ؟!

ان «تيمور» فى مسرحيته حواء الخالدة مثلا يعالج نفسية المرأة وكيف يختلط فى تفكيرها الحب بالسيادة ، وكيف تتغلب عليها نزعة التسلط والسيطرة .. وفى مسرحيته (المنقذة) يصور النفس البشرية وكيف تشعر بكراهية نحو من يسدى اليها الجميل لانها مفطورة فطرة غريزية على كراهية من يذكرها بضعفها ..وفى مسرحيته (الصعلوك) يصور كيف تتكون فى اعماق الصعلوك عقد نفسية نتيجة حرمانه ، وكيف يلجأ للسخرية شفاء لنفسه وتغطية لضعفه .. **كل هذه الاتجاهات لها تعليلات علمية واضحة فى اذهان المتفرج الاوروبى ، فاذا شاهد مسرحية من هذا الطراز امكن ان يتذوقها لانه هو نفسه يحس بافلاس حضارة اوروبا ، ولكن هل يصح مثل هذا الطراز لجمهورنا ؟ ان المسرحيات تفقد قيمتها اذا لم تكن مرتبطة باذهان الناس ، ومن اجل ذلك ابتعدت مؤلفات تيمور السيكولوجية عن مفهوم الجمهور اولا ، وعن متطلبات الاداء المسرحى ثانيا ، ومن اجل ذلك لم تكن ذات اثر كبير فى خلق او فى تعميق او فى تصحيح التفكير المسرحى .**

على هذا النحو ايضا مسرحيات الحكيم — وخاصة المسرحيات الاسطورية — من حيث ابتعادها عن الجمهور ، اى عن مفهوماته ووجدانه .. انه يقول بنفسه فى مقدمة مسرحيته (بجماليون) : « منذ نحو عشرين عاما كنت اكتب للمسرح ، واليوم اقيم مسرحى داخل الذهن ، واجعل الممثلين افكارا تتحرك فى المطلق من المعانى مرتدية اثواب الرموز » .. وطبعا كما تبتعد مسرحياته الاسطورية عن الجمهور وعن خشبة المسرح ، تبتعد فى الوقت نفسه عن الاداء المسرحى .

وهكذا لم يكن للمؤلفين المثقفين — قبل اليقظة الفنية — اثر فى التفكير المسرحى .

ماذا حدث بعد اليقظة الفنية التى نعيش فيها الآن ؟! ان مجتمعنا تغير تغيرا جوهريا ، بحيث تهيأ — من الناحية الفنية — لخلق التفكير المسرحى ، ولكن رواسب الماضى لا تزال بقاياها مترسبة فى الحقل المسرحى .. اننا الآن نحاول انشاء المسرح العربى بالعلم وبالممارسة وبتخطيطات كثيرة وضعت على اسس منهجية ، وبدانا الطريق ، ولكن كيف نحقق هدفنا نحو خلق المسرح العربى بالمعنى الفنى الكامل ؟!

عبد الفتاح البارودى





فقيد الكرامة الادبية

فقيدنا الراحـل « **عباس محمود العقاد** » كان شخصية نادرة فى حياتنا العربية الحديثة ، فى الأدب وفى نواحى الفكر المتعددة ، ولا شك ان مصابنا فيه كبير بقدر ما كان هو كبيرا . واذا كنا قد فقدنا شخصه فان آثاره فى انتاجه الغزير وفى عقول أدباء الجيل ومفكريه ، وفى قلوبهم ، ستظل باقية . لا يقف تأثير استاذيته الرائدة عند تلاميذ او معجبين معينين محددين ، بل هو يشمل حتى من خاصموه فى الأدب واختلفوا معه فى الراى ، لانه كان أبا للبارين والموالين ومن حنا عليهم ، وللعاقين والمخالفين الذى قسا عليهم ، على سواء . **بل لعل اثره فى الآخرين اقوى ، من حيث اخذهم عنه قوة الشكيمة فى الدفاع عن الراى حتى فى نزالهم اياه وصراعهم معه !**

ولقد خالفناه وعارضناه كثيرا بعقولنا ، ولكننا لم نتخل عن حبه وتقديره ، ولم يستطع اعنف خصومه ان ينكره . كنا نكتب فى خصومته ، فاذا التقينا تحدثنا بروح الود والاجلال .. **بل كان يفخر الواحد منا بانه استطاع ان ينازل العقاد !**

كان أول ما خطر لى ـ عند تعبه بعد الشعور بالأسى على فقده ـ انه كان **«رجل موقف»** من الطراز الاول . بل من طراز فريد . لم يداهن ولم يبال، رغبة او رهبة . نشأ فقيرا مكافحا ، واستعصت كبرياؤه على ذل الحاجة ، عف عن النعيم الذليل ، وصبر على الشظف الغزير .. لم يهن ولم يسلم الراية حتى اسلم الروح .

ثار على مدرسة شوقى فى الشعر وشوقى يوزع الأرزاق على مادحيه ، وهو يعانى فى سبيل العيش ينظر شذرا الى المائدة والمدعوين والواغلين اليها ، وتحدى الملك الطاغية وسجن وخرج من سجنه شامخا رافع الراس ... الى آخر مواقفه المعروفة.

وقد رفع بسلوكه ومواقفه الأبية شأن الادباء وحمى كرامتهم ، اذ فرض على المتنقصين والمتغطرسين تقديرهم فى شخصه ، فكان بذلك مثلا اعلا لكل اديب يشعر بكرامته ويمنعها ان تمس !

اخذ عليه اخيرا قسوته على بعض الشباب فى المناقشة والمنافحة فى الراى والجدل ، ولكن عيب هؤلاء أنهم لم يفطنوا الى أبوته الأدبية ولو كانت شديدة ، وانهم حينما يناقشون مثله ينبغى ان يكونوا غيرهم عندما يناقشون الأنداد ..

ولا اريد ان انزهه وابرئه من كل نقيصة ، فقد كان ـ غفر الله له ـ يجاوز حد الاعتدال ويعنف فى بعض المواقف ، **انما ابغى القول بانه كان فى مجموعه شيئا عظيما جليلا محببا ، ولن تغيب عنا عظمته وجلاله وحبه فى ذكراه الباقية الخالدة .**

هل للنقد قواعد ؟

فى الحديث الذى أجراه الاستاذ محمد عبد الحليم عبد الله مع الدكتور طه حسين لمجلة القصة . قال الدكتور :

« ان قواعد النقد عندى كلام فارغ ، فهناك جانبان لكل نقد مقرران معروفان عند الامم . خذ القصة مثلا ، فنحن عندما نقرؤها نسأل اول ما نسأل : ما اثر هذه القصة بالقياس الى الذوق ؟ ثم .. ما العيوب التى يمكن ان توجد فيها من جهة

الواقع او من جهة اللغة او غير ذلك ؟ وهذا هو الواقع عند كبار النقاد الفرنسيين ، فهم لا يعرفون قواعد النقد ، والنقد عندهم ملاءمة العمل الفنى للقواعد العامة من جهة ، ثم للقواعد الخاصة من جهة اخرى . اما ما يسمى بقواعد النقد فسيكون مصيره مصير كتاب الخطابة وكتاب الشعر لارسطاليس .. كتاب الخطابة .. راح .. وكتاب الشعر .. راح .. »

والذى يبدو لى فى هذا الموضوع .. موضوع النقد والقواعد..أن النقد نفسه ليس له أو لاينبغى ان تكون له قواعد ، ولكن الأمر فيه مع ذلك ليس متروكا هكذا بدون ضوابط او قواعد او أصول .

ما هو النقد ؟ النقد فى لغتنا ماخوذ من نقد النقود ، بمعنى تمييز صحيحها من زائفها ، وهو فى مجال الادب والفن او اى مجال آخر لا يختلف عن ذلك : بيان الصحيح من الزائف .

ثم كيف يعرف الصيرفى صحيح النقود من زائفها؟ هل عملية النقد عنده لها قواعد ؟ ان له ولا شك طريقة فى الفحص . قد تكون بالنظر وتمييز اللون ، وقد تكون بقياس الحجم ، وقد تكون بالوزن ، وقد تكون بالالقاء على حجر وسماع الرنين .. الخ . ومعنى هذا كله ان للناقد خطة فى نقده ، سواء اكان ناقد نقود أم ناقد أدب وفن .

وهناك مع ذلك قواعد لابد منها لتمام عملية النقد . هذه القواعد بالنسبة للنقود كأن تكون الورقة المالية ، او القطعة المعدنية ، من فئة كذا او كذا ، لها اوصاف معينة ، اى قواعد يعرفها بها الناقد الصيرفى . وكذلك الناقد الأدبى .. حينما يعرض لنقد قصة مثلا ، انه سيتذوقها أولا كما قال الدكتور طه ، ولكن ليس هذا وحسب ، بل لا بد من قواعد ، فلن يكتفى بالتعبير عن التذوق فيقول لنا : أنها تعجبه او لا تعجبه او أنها جيدة او رديئة ، بل لا بد ان يرجع فى تذوقه وفى حكمه الى قواعد . ولعل كلمة «قواعد» فى العمل الفنى صارمة تاباها طبيعة الفن ، يمكن أن تبقى الكلمة بالنسبة للغة او لوزن الشعر وما يشبه ، اما من النواحى الفنية البحت فانى أفضل كلمة «أصول» .

ولكن هذه القواعد او الاصول ــ هل هى قواعد النقد ذاته او اصوله ؟ أعتقد ان عملية النقد نفسها لا قواعد لها . انما هى تستند الى أصول الادب المبدع (بفتح الدال) فاذا قال الناقد فى قصة مثلا انها تنقصها وحدة الحدث ، فمعنى هذا انه يستند الى اصل من اصول فن القصة لا الى قاعدة نقدية ، وقل مثل ذلك فى سائر الاصول الفنية لكل نوع من انواع الادب .

ونخلص من ذلك الى ان النقد نفسه ليس له قواعد . وانما هو يعتمد على أصول العمل الادبى نفسه وهى الاصول التى يرجع اليها الناقد فى تعليل تذوقه ويبنى عليها احكامه .

هل الادب الهامس انحراف ؟

عندما لمحت هذا العنوان « الانحرافات التى فى النقد الحديث» على راس مقال للاستاذ عبد الرحمن عثمان فى العدد الأسبق من الرسالة ــ ظننت ان الاستاذ سيحدثنا عن الانحراف الواقع فعلا فى حياتنا النقدية الآن ، **من مثل المجاملات الشخصية والحملات الكيدية ، و « نقد الشلل » الذى يشيد بكل ما ياتى به افراد « الشلة » ويتجاهل اوينتقص غيره ... الى آخر ما تعج به صحفنا الآن .**

ولكن يظهر ان الاستاذ لا يتتبع الواقع الادبى الحاضر ، اذ لو كان يفعل ما كتب هذا المقال الذى بناه على امرين قال عنهما : « ومن العجيب المثير فى هذا الانحراف انيصبح وسيلة من وسائل الغمز الشديد للغة العربية وادبها ، وان يصير ضربا من ضروب الاعلان الرخيص لادب اوربا ، ولهذين الأمرين ، ولما لهما من خطورة قد تمتد الى عقول الناشئة العربية ، كتبت هذا المقال » .

والانحراف فى راى الاستاذ عثمان هو التحرر من الادب القديم الذى يصفه من تخيلهم منحرفين بانه سطحى « ويؤثرون عليه (الادب المهموس) لانه ادب انسانى واليف ومثقف !! »

فهو يظن أن الادب المهموس مقابل للادبالقديم، **أو أنه الادب الأوربى المقابل للأدب العربى!!ويضيف اليه الرمزى بهذا التقسيم** ، ويقول : « ان الادب المهموس أو الرمزى ، لا يمكن أن يكون صادرا عن ثقافة محيطة ، كما يزعمون » ويسترسل فى هجاء الإدب المهموس والرمزى فيصف الاول مثلا بانه « يدل على افكار مضطربة لا تعرف سبيلها الى التجمع والتناسق لتؤلف افكارا بصيرة بغاياتها بحيث تنطلق متاخية الى مداها فى نسق آسر ونظام رتيب » !!

ووصف الادب بالهامس ، أو بالدعوة اليه ، مما كتبه الدكتور محمد مندور ، ولم يقصد به الادب

الاوربي بالذات ، بل عنى التعبير الهـادىء الذى يشف عن اغراضه ومراميه بطريقة لطيفة تجعـله ينساب الى نفس القارىء بدون جلبة ولا صراخ .
ولهذا الادب نماذج عربية مثل ما له من النمـاذج الاوربية .

والادب الرمزى كذلك .. موجود فى العربية كما هو موجود فى الادب الاوربى ، واقرب مثال له فى العربية الادب الصوفى ..

ومن ذلك نرى أن الادب الهامس والادب الرمزى ليسا من « وسائل الغمز الشـديد للغة العربيـة وادبها » وليسا « ضربا من ضروب الاعلان الرخيص لأدب أوربا » وطبعا ليس فيهما شىء من الانحراف .

فليطمئن بال الاستاذ عبد الرحمن عثمان ، فليس فى الأمر أية « خطورة قد تمتد الى عقول الناشـئة العربية » واذا كانت هذه هى « الانحرافات فى النقد الحديث » فالنقد الحديث اذن بخير وعافيـة .. والسلام .

عباس خضر

حول الأدب فى أسبوع

يقدمه : عبده بدوى



العقاد خالدا :

كنت قد عزمت على أن تكون أول كلمة لى فى هذا الباب عن العقاد حيا ، ولكن القدر شاء ان تكون هذه الكلمة دمعة فكر ، وصرخة شعر ، ونبضة الم ، فقد احسست من بعده « باليتم الفكرى » بعد أن عودت ايامى على هذا التواصل الذى كان بينه وبينى ، والذى كان يتفجر من كتاب ، او يزدهر فى مناقشة ، أو يلمع فى رد على رسالة ! نعم فقد كنت أريد ان أتكلم عن صدى الكلمات التى اطلقت عن تكريم العقاد فى شيخوخته من بعض الاقلام ، وكيف تصور لى أن هذه الكلمات لابد أن تجرح تاريخ الرجل وكبرياءه وشموخه ، فقد كنت أتصور دائما ان آخر لبنة فى معمار العقاد لابد أن يضعها هو بيده .. ذلك لان حياة العقاد تقول هذا ، وتقول أيضا : انه اذا كان هناك استثناء للقاعدة ، فان هذا لن يكون بعد عملية الرسوخ التى اكتسبتها حياة العقاد ، والتى تشبه – فى مجـال الفنـون – فن النحت من حيث الاسـتقرار ، والجلال ، والصـلابة ، وحـالة « الحضور ! »

ولقد كان فى ذهنى دائما ان حياة العقاد لن تنتهى الا بهذه النهاية ، حيث لا تسنده يد الا يده ،وحيث

لا يساعده فكر الا فكره ، وحيث لا يجرؤ الوجود نفسه على ان يعطيه الحيـــاة مقطرة وشـــاحبة ومتنهدة .. ومن هنا كان من الطبيعى ان يرد على الطبيب الذى ينصحه بعدم الاكثار من الحركة فى القيـــام والقعود : بان القلب الذى لا يتحمل هذه الحركات البسيطة قلب لا يحتاج اليه ، وكان من الطبيعى ان يرسل فى طلب ابن اخيه ليقول له شيئا ثم لا يقول هذا الشىء ، ثم اخيرا ان يسقط كالشمس التى تسقط لتظهر من جديد فكرا وفنا وضوءا ، وكالشـــجرة التى تموت واقفـة ، وكل أوراقها وثمارها تتأمل فى الافق !

ومع انى كنت مؤمنا بهذا الا انى فى الوقت نفسه كنت من الجيل الذى كبر فى ذهنه العقاد الى حد اعتباره من الخوارق ، وانه لابد ان يكون كبيرا على ظواهر الحياة كالمرض والموت ، ولقد كان اشد ما ازعجنى حقـــا . هو تأمل العقاد ملموما فى نعش صغير . لولا الاحســـاس الحاد بأن العقاد ــ ونحن نسير وراءه ــ كان ملء القاهرة ، وملء الحياة ، وملء المستقبل !

ولقد تذكرت وانا اسير وراءه ان اشـــد الذين يهاجمونه كانوا من اقل الناس قراءة له ، او الذين كانوا لا ياخذونه ككل فكرى ، وانا نفسى بدات صلتى به بغيظ كدت امسك معه القلم واتصايح مع الذين يتصايحون حوله ، فقد ذكرت له ان يكتب لى مقدمة ديوان « باقة نور » فوافق ، وحين سلمته الاصل طلب « بروفات المطبعة » ، وحين قدمت « بروفات المطبعة » قال لى انه مشغول الآن باتمام احد كتبه ، وحين قلت له ان بيننا وعدا قال : ان الوعد يتجدد بتجدد ظروفه .

واذكر انى خرجت من عنده فى هذا اليوم وانا اكاد انشق من الغضب ، ولم يخفف عنى هـــذا الغضب غير دخولى الى احدى المكتبات ، وفى هذه المكتبة وغيرها وجدتنى استكمل ما نقص من مؤلفاته ومن هذا اليوم بدات اتعرف على العقاد فاذا بالرجل ظاهرة فريدة فى الفكر العربى ، واذا به القمة التى تتصايح من حولها السفوح ، والأب الشرعى لهذا العصر ، والشمس التى ادفات المنطقة العربية ، ثم اخــيرا العبقرية التى جعلت ــ على حـد قوله ــ للتفكير قيمة مستقلة عن الالقاب !

وزاد عمق معرفتى به حين حشدت وزارة الثقافة والارشاد القومى كل وجوه الادب والفكر فى لجان التفرغ ، فقد كنت اتصور العقاد عالى الصوت ولكنى وجدته عالى الفكر ، وتوهمت انه يخطف «الكاميرا» خطفا من الاعضـــاء ويتعـالى عليهم ، ولكنى رايته يترك للكثيرين فرصـة البدء بالحديث ، ويكمل ، ويساعد ، ويشجع كل من يريد الوصول الى حقيقة من الحقائق .

ولكنى اشهد ان هذه الاصوات العديدة كانت تقول كل ما عندها ثم تنزوى فى دائرة الصمت ، ولا يسمع من خلال هذه الدائرة الذكية فى نهاية الامر غـير صوتين عميقين هما صوت العقاد وصوت طه حسين ، ثم ينفرد صوت العقـاد ــ كالآلة الرئيســـية فى الاوركسترا ــ حين تتفرع المسائل الى الشعيرات الفكرية الدقيقة ، والى آخر ما كتب فى العالم عن هذه الدقائق !

ثم لمست جانبا آخر من العقاد حين جلست اليه مع بعض المسئولين ، وحين عرض عليه تأليف كتاب فى دائرة مشروع التفرغ عن « الجمال والحرية » واذكر انه ابتسم ، وذكر ان هذا الموضوع يشغله منذ كتب عنه فى كتـــابه « مطالعـات » ، ثم حول الحديث بذكاء الى الخصائص الروحية عند الشعوب ثم عرفت من هذه المقابلة ومن حديث مع عامر العقاد ان الاستاذ يرفض « التفرغ » ما دام هو عضـــو فى بعض لجانه ، وخرجنا من عنده وهو يرفض مبلغ ثلاثة آلاف جنيه فى مقابل تاليف كتاب ، وبعدد من الاسماء الذين يرى ان من حقهم ان يتفرغوا . !

واذكر انى حين كنت الح عليه فى الكتابة لبعض مجلات الوزارة انه كان يقول لى انه لا يضيره ان

يأخذ أى مبلغ عن المقال ، ولكن الذى يغضبه أن يأخذ آخر مبلغا أكثر منه ، فانه قد تكون هناك قمة تقف الى جواره ، ولكن لن توجد القمة التى تسمو عليه

واليوم والعقاد يعود الى أسوان بخمسة وسبعين عاما ، وبثمانين كتابا ، وبمعارك فكرية منتصرة ، وباشرف ما يحوزه فارس ، وأعمق ما ينطوى عليه قلب نبى .. نراه أكبر من أغلى دمعة تذرف ، ونراه ليس فى حاجة الى تمثال لان له بكل موقف تمثالا ، ونراه « يدين » كل انسان بما قرأ له ولكن احدا « لايدينه » بشىء .

كلمة اخيرة :

وهكذا نرى أن العقاد كان « استاذ العصر » ، وان كل قلم قد ان وهو يكتب ، وذرف دمعة وهو يستحضر .

للعقاد موقفا او فكرة او كتابا ، وان كل ماكتب سيظل دائما قطرات حزينة سائلة على وجه الحياة الادبية ، فالعقاد حرك كل الاقلام التى كتبت وكان وراء كل الافكار التى قيلت ، وكل جبال الحزن التى حملها العالم العربى فى هذه الايام .

ومن هنا نرى أن العقاد فى ضوء مانعرفه عن حياته هو الذى رثى نفسه من خلال الاحزان ، وهو الذى أرسل كل هذا الشفق الدامى وهو يتوارى بجسده عن حياتنا الفكرية :

وكأنه يريد ان يقول فى جلال وكبرياء :

انى الح فكرى وسلوكى من خلال ماتقدمونه الى سلام على كبرياء العقاد ، فكبرياؤه هى كبرياء الفكر العربى .

آخر اخبار العقاد :

● كان يعتزم القاء محاضرة عن الاشتقاق فى اللغة وعن موسيقية الافعال

● فى آخر لحظاته سأل عن الكتب التى طلبها من انجلترا

● له تحت الطبع الجزئان الثانى والثالث من اليوميات

● كان يريد تسجيل تاريخ مصر الادبى من جديد

● كان يعد العدة لتفسير القرآن تفسيرا جديدا مبسطا

● آخر ماقرأ كتاب عن « الادب التشيكى » ، واربعة كتب عن كريستين كيلر ، وكتاب للرافعى ، وكتاب عن الاسكندر الاكبر ، وكتاب عن الحشرات الموسيقية ، وكتاب عن النقد الادبى فى القرن ١٨ ، وكتاب عن علم الجمال ، وكتاب عن ارثر ميللر ، وكتاب عن آخر معرض لبيكاسو

اقوال فى رثائه :

● قال الدكتور طه حسين « وما اعرف جملة تختصر جوانبك هذه كلها فى ايجاز ودقة وصدق ، الا هذه الجملة التى ارسلت فى المتنبى فقيل عنه : انه ملأ الدنيا وشغل الناس ، أنت أيها الاخ الكريم والصديق الحميم والزميل العزيز ملات الدنيا حقا، وشغلت الناس حقا .

.. ستشغلهم بعد وفاتك اكثر مما شغلتهم فى حياتك

● وقال كامل الشناوى « لم أكد اخطو بضع خطوات فى الطريق حتى شعرت باختناق شديد ، عقلى يختنق ، مشاعرى تختنق ، خطواتى تختنق ، فان الذى اشيع جنازته ليس مجرد صديق ، او مجرد عالم مفكر عبقرى ، وانما هو حبيب عقلى ، وقد اصبح عقلى به بلا حبيب »

● وقال انيس منصور « لقد حكم العقاد على نفسه أن يعيش بالعقل ، فاختار فى نفس الوقت ان يموت بنفس السلاح الذى عاش به .. بالعقل ايضا »

● وقال مصطفى امين .. كان العقاد جبلا ، فلا عجب أن تحدث وفاته دويا كسقوط الجبل ، وقد كان فيه من الجبل شموخه وعلوه وقوته وصلابته وصموده امام العواصف والاعاصير »

● وقال العوضى الوكيل .. كان لا يحب التزييف والكذب ويكره التقليد ويحب الجمال فى كل صوره ويدعو الى الخير والجمال والحرية »

● وقال رشدى صالح « صورة العقاد فى ذهنى تمتاز بهذا اللون من « الحوار » العقلى العنيف الذى يكون طرفاه : المفكر والآخرون »

« عبده بدوى »



الكتب

نقد وتعريف

يقدمه تحسين عبد الحي

اسرائيل

فكرة ، حركة ، دولة ..

تاليف : هاني الهندى ومحسن ابراهيم

لا شك ان معرفة العدو شرط اساسي للانتصار عليه .. وبخاصة ذلك الترابط العميق القائم بين (اسرائيل) الطليعة الشرسة للعدو ، وبين قواه الأساسية الكبرى العاملة خارج فلسطين .

وهذا الكتاب نقدمه ليطلع أفراد شعبنا على بعض الجوانب في دولة العدو التي تشكل راس الجسر الايمن لكل من يريد بنا الشر والأذى والحربة المشرعة ضدنا دائما تنتظر من يدفعها الى جهات اخرى من وطننا . والكتاب محاولة تعريف لهذا العدو عبر السنين الطويلة التى قضاها يستعد للاغتصاب، وهو محاولة تقديم للمجتمع الذى اقامه فوق ديارنا، وذلك لنتعرف على عناصر تكوينه ومشكلاته ومؤسساته المختلفة .

وقد قدم المؤلفان دراسة وافية لطبيعة اليهود من واقع كتبهم المقدسة .. تلك الطبيعة التي تتنافى مع أسس المنطق وتعد الغاء للمفاهيم والقيم الانسانية النبيلة .. ففي التعاليم اليهودية نجد اسطورة « الشعب المختار » وخرافة « شعب السماء » ، أى اليهود و « شعوب الارض الدنيا » أى كل من عدا اليهود .

وليس في التمييز وحده ، على مافيه من سوء وايذاء ، تكمن شرور اليهودية ، بل انها فوق ذلك تحمل نظرة عدوانية استغلالية نحو الغير ، وتعمل على استرقاق بقية الشعوب والتسلط على مقدراتهم وهي بذلك نوع لئيم حقير من أنواع الاستعباد والاستثمار والاستعمار .

ففي « سفر أشعيا » في التوراة نجد نصوصا تنضح بهذه الأفكار . منها :

« ويقف الاجانب يرعون أغنامكم . أما أنتم ـ بني اسرائيل ـ فتدعون كهنة الرب ـ تأكلون ثروة الامم وعلى مجدهم تتآمرون » .

أما التلمود ـ أحد كتبهم الدينية ـ فهو ملىء بمثل هذه الافكار الشريرة .. منها :

ـ « ونحن شعب الله في الارض ، سخر لنا الحيوان الانساني وهو كل الامم والاجناس ، سخرهم لنا لانه يعلم أننا نحتاج الى نوعين من الحيوان : نوع أعجم كالدواب والانعام والطير ، ونوع كسائر الامم من أهل الشرق والغرب .

ان اليهودية من عنصر الله ، كالولد من عنصر أبيه ومن يصفع اليهودى كمن صفع الله . يباح لاسرائيل اغتصاب مال أى كان .. وان املاك غير اليهود كالمال المتروك بحق اليهودى أن يمتلكه ..

ـ « وكما أن بنى الانسان يسمون على الحيوانات فان اليهود يسمون على شعوب الارض جميعا » .

وفى السنهدرين ـ أحد كتبهم الدينية ـ نجد مثلا .. :

« انتم يا أمة اسرائيل تدعون بشرا ، أما ماعداكم من الأمم فوحوش » .

أما الطابع الاخلاقى فى الفكر اليهودى ففيه تناقض جذرى مع كل مفهوم ومبدأ تعارفت الشعوب عليه .. وبخاصة فى مفهوم الأسرة والعلاقات العائلية وما فيها من محرمات أجمعت الشعوب عليها ، ففيها أمور فى منتهى الغرابة والخزى نصادفها حين نقرأ « سفر التكوين » من ذلك :

ـ « ان ابراهيم جد اسرائيل « يعقوب » عرض امرأته الحسناء سارة على فرعون وأصبح ابراهيم من وراء ذلك غنيا جدا فى المواشى والفضة والذهب»

وكذلك : ـ

ـ « ان ابنتى لوط سقتا اباهما خمرا واضطجعتا معه بالمناوبة فحملتا منه وولدت الكبيرة ابنا اسمه موآب ـ وولدت الابنة الصغيرة ابنا أيضا وسمته : بنى عمى » .

ولندع هذه الرذائل والمثالب جميعها جانبا ، ولنترك قصة يوسف واخوته الاحد عشر وتآمرهم عليه وكلهم أبناء يعقوب ومافى هذه القصة من خسة تأباها النفس الانسانية السوية . ولنقرأ بروح علمية تصرفات موسى وسلوكه على ضوء تعاليمه ـ فقد قال مخاطبا شعبه ـ « لاتسرق » .

وفى « سفر الخروج » قال لليهود يامرون نساءهم حين قرروا جميعا مغادرة مصر ..

« حينما تمضون ـ لا تمضوا فارغين ، بل تطلب كل امراة من جارتها ومن نزيلة بيتها امتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا . وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين » .

وهذه النصوص ان صحت نسبتها الى موسى ، فلا شك انه كان مدفوعا بتعصب ذميم ، فقد دعا قومه واوصاهم بالسرقة واللصوصية وفى هذا تناقض فاضح مع مبادىء أية شريعة وتعاليم اى دين ، بما فى ذلك وصيته نفسها فى الوصايا العشر .

أما التلمود . ففيه أمور اشد صراحة واوضح منها .

« اذا سقط من احد الاشخاص شىء أو كيس نقود والتقطه يهودى وجب عليه أن يستولى عليه . اذ يحرم أن يرد الى غير اليهودى شىء فقد منه . ومن يرد الى غير اليهودى شيئا فقد حرم من رحمة الله » ويبرر الحبر راشى هذه الوصية الدنيئة بقوله :

« انك اذا رددت شيئا الى غير اليهودى فقد منه فانك تعمل على تقوية هؤلاء الانجاس وبذلك تخسر رحمة الرب . »

وبعد فهل هذه المجموعة البشرية التى تعتنق اليهودية تشكل شعبا وقومية ام انها دين كسائر الاديان .. ؟

فليس مهما أن تدخل فى نقاش حول حقيقة اليهودية من حيث كونها دينا أو قومية ، بل المهم أن ندرك فعلا أن هذه المجموعة تقف أمام العالم واقعيا ، هيئة واحدة لها تنظيم متين وتخطيط مدروس وهى تحاربنا اليوم بعنف وشراسة .

وفى هذه الحرب تلتقى جهود اليهود كافة من أقصى اليسار حتى اقصى اليمين ، من موسى سنيه وميكونيس . الى دافيد بن جوريون وموشى شاريت وناحوم جولدمان والمربيرجر والفريد ليلينتال ، كلهم يهود لهم أهداف واضحة محددة ولهم أساليب ووسائل تبدو لغيرهم متناقضة ومختلفة .

وقد قسم المؤلفان دعوة اليهود الى تهويد فلسطين الى ثلاث مراحل هى .. مرحلة الفكرة ، مرحلة الحركة ، مرحلة الدولة .

واستعرض المؤلفان جهود المفكرين اليهود أمثال موشى هيس ، وليون بينسكر ، وناحوم سوكولوف وهيرمان شابيرو الذى وضع فكرة تأسيس الصندوق القومى اليهودى ـ كيرن كايمت ـ « لشراء أراضى فلسطين باسم الشعب اليهودى » ، والسير موسى مونتفيورى ـ الذى اشترى اول مزرعة حمضيات يهودية قرب يافا واستخدم فيها عمالا من اليهود فقط سنة ١٨٥٦ وكذلك البارون ادمون دى روتشيلد الذى أسس كثيرا من المستعمرات مثل زكرون يعقوب وروشبينا ونيس زيونا وغيرها واسس كذلك شركة بيكا « مؤسسة استعمار أراضى فلسطين » ، التى بلغت مساحة مستعمراتها نصف مليون دونم يوم اعلنت الدولة اليهودية ١٩٤٨ .

اما مرحلة الحركة فقد بدأت بانعقاد المؤتمر الصهيونى سنة ١٨٩٧ الذى دعا اليه ثيودور هرتزل واخذ اليهود ينظمون صفوفهم فى المؤتمرات التالية التى كانوا يعقدونها كل سنتين وبعد وفاة هرتزل ـ ١٩٠٤ عقد اليهود مؤتمرهم السابع فى بال بسويسرا برئاسة دافيد دولفسون .. وبعده ماركس نوردو ـ الذى رأس المؤتمر الصهيونى العاشر سنة ١٩١١ .

وبعد اعلان بريطانيا لوعد بلفور اسس اليهود الوكالة اليهودية .. وقد باشرت الوكالة اعمالها كهيئة رسمية مسئولة عن كافة الشئون اليهودية ، وكانت حكومة الانتداب تتصل بها وتفاوضها فى كل ماله علاقة باليهود . أفرادا كانوا أم منظمات . وأقامت الوكالة أجهزة حديثة منظمة لشراء الاراضى فى فلسطين ولنقل المهاجرين ولتشجيع استثمار رءوس الاموال ولتنمية الوعى اليهودى بنشر الفكرة الصهيونية ولتقوية أجهزة الدعاية ولجباية الاموال ولتدريب اليهود عسكريا وللتخطيط السياسى . وكانت لها خمس هيئات اقتصادية عليا لجمع الاموال

.. وقد تولت الوكالة اليهودية قيـــادة الحـركة اليهودية واســـتطاعت أن تحل مـكان المؤتمر الصهيوني وهيئاته في معركة تهويد فلسطين ، وقد اضحت ، تؤلف اللجنة التنفيذية الدائمة للمؤتمر الذي ينعقد مرة كل سنتين . »

واســـتعرض الكاتبان دور كل من بريطانيـــا والولايات المتحدة في خلق اسرائيل .. وفي مجال بحث الصلة بين اليهود والاستعمار كما تعرضـــا ايضـــا ، لملامح المجتمع الغاصب « اسرائيل » في اسهاب شامل بما في ذلك نظام الحكم ، والاحزاب السياسية والمؤســـســـات الاقتصادية والمنظمات العمالية وكذلك الجيش والمنظمات العسكرية .. والمعاهد العلمية والمؤســـسات الاخرى .

وبعد .. فان احداث الفترة الاخيرة تدل على أن مصير الاغتصاب قد تقرر ـ وظهرت علامات تحتمه نجدها في هذا الوعي القومي الذي استفزته النكبة فانطلق ثائرا مندفعا بقوة وتصميم . وتأكدت هذه العلامات بانتصار هذا الوعي انتصارا ساحقا في مؤتمر القمة العربي ..

ان صراعنا مع العدو ليس صراعا على حدود .بل هو صراع من أجل البقاء والوجود .ولن يستطيع العدو أن يرهبنا بعد الآن ـ اذا حافظنا على هـــذا المستوى الرائع من التصميم والثبات . ولن يرهبنا غدره اذا بقينا يقظين واعين لما يراد بنا . ولن تخيفنا اساليبه اذا اتقنا تجنيدكفاياتنا وامكانياتنا للمعركة التي يجب أن نعد لها وكأنها واقفة اليوم .

ان المصير قد بات واضحا اذا استمر نضالنا على روحيته وحميته واندفاعه وكل شيء يؤكد انه لن يبقى كذلك فحسب . بل سيزداد حدة وعنفـــا وتصميما وكل شيء يقطع بان الفجر قد لاح وماعلينا الا المثابرة والاستمرار .

وكما تردد كتب التـــاريخ في هذه الايام قصـــة الصليبيين وزوال ملكهم ، واندثار حكمهم ، كذلك ستتردد في الغد القريب أصداء الثأر العظيم .

قصة تروى لاجيالنا العربية الصاعدة .

تحسين عبد الحي

صحفيون معاصرون
تأليف عباس خضر

بقلم : علاء الدين وحيد

يشكو القارىء العربي من انه لايكاد يعرف ملامح كتابه الشخصية الا نادرا جدا وهذا امر يدعو الى الغرابة حقا ، وخاصة في وقت تتعقب فيه الصحافة كل الناس خالقة منهم نجوما شعبية . ونتساءل ، لم لم تفعل المثـــل بالنسبة لحملة الاقلام من أدباء وصحفيين ؟ وهل هذا اثر ارثنا لعهود التأخر حينما كان الاديب لايزيد عن النديم المسلي ؟ أم لاننا شعب لم يتخلص بعد من اميته ، فصاحب القلم فيه من الكماليات ، والوقوف عند حياته لايهم الكثيرين ؟ ام لان هذه الفئة الجادة ، فقيرة في امكانيات تقديم مانشتات مثيرة للصحيفة ؟

على اية حال ، فان اللهفـة التي يستقبل بهـا القارىء كتابا مثل (صحفيون معاصرون) تنبىء عن مدى تعطشه لاكتشاف ملامح كتـابه . وفي هـذا المؤلف الجديد لعباس خضر ، عرض لتسع من رجال الصحافة ، لمحـات من نشـاتهم وكفـاحهم ، هم الأساتذة : احسان عبد القدوس . جلال الحمامصي ، علي ومصطفى امين ، فكري اباظة ، كامل الشناوي، محمد التابعي ، محمد زكي عبد القـادر ، يوسف السباعي .

وقيمة هذا الكتاب ليست فيما قدمه عبـاس خضر من معلومات عن صحفييه ، فالمؤلف يكاد لا يعرض قسمات جديدة لايعرفها القـارىء قبلا في صور شخصياته ، ورغم ذلك فقد استطاع دارسنا ان يرسم صورة تحليلية لجوانب من حياة كل صحفي يربط الاسباب بمسبباتها ويكشف دوافع المواقف ، ويعكس مكونات الشخصية على ماينبع منها ،ويفسر السلوك الانساني بما ركب في صـاحبها من وراثة وما تأثر من بيئة ـ يقول المؤلف : «لا شيء مما تفعله او نتأثر به في الصـغر يضيع هبـاء ، بل يرسب في الاعماق ثم يملى على الانســان دوافعه في اشكال تتشكل بعوامل الثقافة والبيئة والصفات الشخصية الاخرى » (ص ١٢٧) . ـ وساعد على نجاح أديبنا

تميز اسلوبه بالتركيز ولقطاته السريعة بالذكاء واجادة التعبير .

ومن هذه اللقطات تحليله البارع لما هو معروف عن احسان عبد القدوس من عدم قدرة على مواجهة الجمهور ، بسبب « عصبيته التى تفسد عليه الموقف » ولذلك نفهم باعثه – اى احسان – على فشله فى المحاماة . واكتفائه أن يقوم بدوره السياسى من وراء ستار فلايخرج فى المظاهرات ، وكذلك عدم حضوره الندوات الثقافية .

ونلتقى بـ (محمد التابعى) فى صورة فارس نبيل تتسم مواقفه بفروسة البطل القديم . ويبرر عباس خضر هذا الخلق بما قراه الصحفى الكبير فى طفولته وصباه من القصص الفولكلورية مثل الف ليلة وليلة وسيف بن ذى يزن والهضام بن الحجام وغيرها مما اثر فيه تأثيرا ضخما ، وجعل لعبته المفضلة تقمص شخصية ابى زيد الهلالى سلامة ! ثم انعكس ذلك فى شبابه ورجولته ، فى حياته العامة والخاصة فى ميدان الصحافة والغرام على حد سواء ! واذاعنى عباس خضر كبير عناية باسلوب التابعى فى عالم الهوى – دارسنا عظيم الاهتمام بموضـــوع الحب دائما – ، فقد اغفل نفس الشيء فى دنيا الكتابة ، فلم نعرف كيف تجسدت فروسة منشىء (آخر ساعة) فى تناوله لمختلف الموضوعات الصحفية ، ولو فى عرض سريع ! .

***

ويبدا كاتبنا حديثه عن (على ومصطفى امين) مؤسسى (اخبار اليوم) بهذا الوصف المرح الدقيق « لاشك انك تسمع عن الاطفال المجونين بماء العفاريت . بل انك تراهم احيانا وتلمس «عفرتتهم» .. ونحن الآن امام نوع آخر من الاطفال المجونين .. ولكن لا بماء العفاريت .. بل بماء الصحافة .. انهما على امين وشقيقه مصطفى » . (ص ١٥٩) . ويفسر عباس خضر البواعث الاولى لتعلق الاخوين بالصحافة فيذكر وجودهما فى بيت الزعيم سعد زغلول الصحفى القديم ، الذى يدرك اهمية هذا المرفق الاعلامى مؤيدا ومعارضا . وكيف اخذت هوايتهما فى الظهور تحت اشراف زعيم ثورة ١٩١٩ نفسه ، فهما يلخصان خطبه وهو يصحح لهما اخطاءهما . وعندما كبرا قليلا واتصلا بالصحف ، لم يكن اغنى من بيت الامة مزودا للاخبار . ومن هنا التمس عملاقا الصحافة المصرية طريقهما الطويل ومن اللقطات البارعة فى هذا الفصل ، تصوير طبيعة كل من شخصيتى التوامين والاختلاف بينهما ، تصويرا دقيقا التمس من الفترة التى عمل فيها المؤلف مع الشقيقين .

***

ومن الصور الجيدة التى استطاع عباس خضر ان ينقل ملامحها النفسية بدقة ، صورة الاستاذ (محمد زكى عبد القادر) منذ أن كان طفلا صغيرا جادا عاقلا ينفر من الجو الصدائى الذى يتنفس هواءه اهل قريته ، الى أن اصبح صحفيا كبيرا يرمق دارسنا بنظرة مستنكرة مؤنبة غاضبة فى هدوء والاخير يساله عن حياته الغرامية ! ولعل اروع لقطات هذه الصورة المعبرة . محاولة صاحب (نحو النور) ان يدخر القليل من المال حتى يطمئن الى انه يستطيع ان يعيش حياته كما يشتهى بلا ضغط من احد وبلا حجر على حريته او رايه ، اذا تعرضت هذه الحرية وهذا الراى الى من يملك من البشر البطش بهما على اى لون كان .

لقد قيد المؤلف نفسه بتناول تسع شخصيات فى حيز ضيق ولولا ذلك لكان لمثل هذه اللقطة الحية الموحية أن تعبر عن الكثير من اصطدام المثل العليا بالواقع الصارم والتوفيق بينهما .

وقد حافظ عباس خضر على مستواه غير السطحى فى التصوير والتحليل ، الا انه عندما تناول (فكرى اباظة) اصابته عدوى الضاحك غير الباكى ، فجاءت اغلب لقطاته عنه ضاحكة تريد ان تكتفى «بالفرفشة» ! فلم نلتق فيها بالدراسة المستانية والتفسير الناضج كما فى باقى الشخصيات .

***

ولعل (يوسف السباعى) هو الشخصية الوحيدة التى استشعر القارىء غرابة فى وجودها فى (صحفيون معاصرون) . فقد غلبت شهرة اديبنا بل مكانته كقصصى سائر نواحى نشاطه الاخرى .

ومن الطريف ان «عباس خضر» ساهم هو الآخر فى الفصل الذى كتبه عنه فى تأكيد هـذه الظـاهرة . لاكشف بعض نواحى نشاط السباعى الاخرى ، وهو ماأراد كاتبنا اصلا ان يتوفر له ! فوجدنا لااضمحلال او ضمور صفة السـباعى الصحفية فحسب ، بل وعدم وجودها على الاطلاق ، حتى تجربة السنوات الخمس التى قضاها صاحبنا فى رياسـة تحـرير (الرسـالة الجديدة) لم يأت لها ذكر فى ترجمة قصاصـنا الا فى « البيانات » التى تتضمنها صفحة (فى سطور) .

***

انى اتهم الاسـتاذ خضر ، انه كاديب قبـل كل شىء ، جامل الادب والادباء ، فاهتم بهم على حساب الصـحافة والصحفيين ، رغـم أنف (صـحفيون معاصرون) ! وقد بدت هذه الظاهرة فى اوجهـا فى الفصل الذى خصصه لكامل الشناوى . فاذا لم يكن القارىء يعرف قبلا من هو الصحفى كامل الشناوى لعاب على مؤلفنا اقحام هذا الاسم فى زمرة العاملين فى الصحافة التى لم تذكر هنـا الا من بعيـد ، وفى عبارة واحدة يتيمة هى « صار الاستاذ كامل الشناوى من اكبر شعرائنا ، وكنا ننتظر منه انتاجا شـعريا اكثر لولا انشغاله الشاغل بالصحافة » ! (ص ١٠٨) نعم هـذا هو كل تاريخ كامل الشـناوى فى بـلاط صـاحبة الجلالة ! ومرة أخرى لا تذكر نقاط (فى سطور) التى يقدم بها المؤلف دراسته لكل صحفى، فهى بالطبع لاتزيد عن البيانات الادارية وعـلامات الطريق .. تاريخ الميلاد . المؤهل .. الخ ..

وحتى عندما يتناول عباس خضر صحفيا حميما فانه يميل كثيرا الى اختيار الجانب الادبى فى حياته أما اشتغاله بالصحافة فهى «خلفيـة» التنـاول . وهكذا عكس كاتبنا الوضـع ! وصح ذلك فى معظم الشخصيات . فالاستاذ زكى عبد القادر مثلا يوصف بانه كان مشروعا صالحا لان يكون اديبـا ممتـازا ولكنه عدل عن هذا الطريق . ومحمد التابعى يعتقد عبـاس خضر « انه لو لم توجهـه المصـادفات الى الاشتغال بالصحافة لما كان الا احد اعلام القصة فى مصر » . (ص ١٣٢) وهكذا ..!

ويعرض اديبنا فى الفصل الذى كتبه عن (كامل **الشناوى للغرام الاكبر فى حياة هذا الصحفى الشاعر فيذكر الآنسة (س) حبيبة المعادى ، واول هوى صادق يجتاحه ، والتى كان لها ايضـا اثر كبير فى تكوين** شخصيته اذ وجهت حياته وفهمه للاشياء وقيمه الاجتماعية توجيها مختلفا عما كان عليه طالب الازهر القديم . (ص ١١٠) .

ولكن فى كتاب آخر لمؤلفنا ــ (غرام الادباء) ــ نجد ان الحب الاكبر فى حياة كامل الشناوى هـو هواه للراقصة اللبنانية الفاتنة (روز) التى يصفها عباس خضر بقوله : « انها ليست فتاة كالفتيات اللائى عرفهن وجرى معهن اشواطا فى الهوى . كانت كل منهن محطة لايلبث عندها الا ريثما يستأنف سيره . اما الآن فقد بلغ محطة الوصول .» (غرام الادباء ــ ص ١٢٨) . فهل تندرج الآنسة (س) اذن تحت بند « الفتيات اللائى جرى معهن اشواطا .. الخ .. » !!

***

ان اختلاف زاوية التناول فى كل كتـاب لايمنع بالطبع وجود الحقائق الثابتة ! كما ان ذلك لايعنى ايضا ان نكرر انفسنا . ان حياة كامل الشـناوى العريضة اتسعت لنماذج شتى من النسـاء . والمهم ان تضع كل واحدة منهما فى الدور الذى ارادت لها الاقدار ان تلعبه . لقد حدد الاستاذ خضر مثلا فى (غرام الادباء) موضع (هند) و (سارة) فى حياة عباس محمود العقـاد ، ونجح فى أن يضع كـلا منهمـا فى مكانها الذى شغلته فى حياة الكاتب الكبير . ولكنه بالنسبة الى كامل الشناوى لم يبلغ هذا الاثر . وربما كان لتعرضه للمراتين فى كتابين كل على حدة ممـا ابهت صورتهما معا فى مجال المقارنة .

واشياء كثيرة تطلع الى معرفتها القارىء ، ولكن المؤلف تجاهل هذه الرغبة . ربما لان ضيق المجال المخصص لكل شخصية من شـخصياته التسع . والزاوية التى نظر الى صحفييه من خلالها ، منعته من الاستطراد . ومن هذه اللقطات السريعة التى يعزى اليها عدم اكتمال الصورة ، عدم الوقوف مثلا عند الكاتب الفرنسى (كليمان فوتيل) الذى تأثر به فكرى اباظة . وشخصية (حسن) الذى تخفى تحت اسمه على ومصطفى امين فى بداية عملهما الصحفى.

واذا كان هذا الكتاب يعرض لمجموعة متنوعة من الصحفيين ، تختلفمشاربهم واذواقهم واخلاقهم فهو يعرض ايضا من خلالهاجميعا لشخصية واحدة تظهر بين آونة واخرى ، مرة جهيرة الصوت ومرات خافته . هذه هى شخصية المؤلف نفسه ! وبغض النظر وقتيا عما يقال عن انعكاس شخصية الكاتب فى كل مايخرج من بين يديه من خلق . فهناك رأى الكاتب المحدد فى تعليقه على مختلف الاحداث التى تقع للغير ايضا . كما حدث لعباس خضر وهو يكتب (صحفيون معاصرون) . فنعرف رايه الخاص فى التربية المتحررة ، وهو يحلل طفولة يوسفالسباعى والاسلوب الذى انتهجه الاب الاديب محمدالسباعى فى تنشئة نجله ورفع الكلفة بينهما (ص ١٧٣) . وكذلك راى مؤلفنا فى الادب الجنسى وهو يتناول اعمال احسان عبد القدوس .

لايمكن ان تختلف السمات الاصلية من موقف لاخر ، فهى تفصح عن وجودها ،مهما تغير الثوب الذى تتزى به . ولذلك فان سمات عباس خضر لاتتغير ، سواء فى (التعقيبات) او القصة او المقال وهكذا بدت فكاهته فى هذه الدراسة السريعة ايضا فنقرا فى ص ٤٥ مثلا عن الحفلة التى اقامها التلاميذ الاطفال جلال الحمامصى ومصطفى امين وعلى امين وزملاؤهم لتخصيص ايرادهالاصدار مجلة ، وكيف خسرت الحفلة « لان اهالى دمياط كانوا يتفرجون من ثقوب السرادق ! »

وسمة اخرى ، هى حب المؤلف لشخصياته الصحفية ، سواء اتفق معها ام اختلف . وهذا الحب ليس بجديد على القارىء القاص عباس خضر ، فنفس الاطار يجمع شخصياته القصصية أيضا ، فهو لايسخر منها او يحقد عليها بل يعطف دائما .

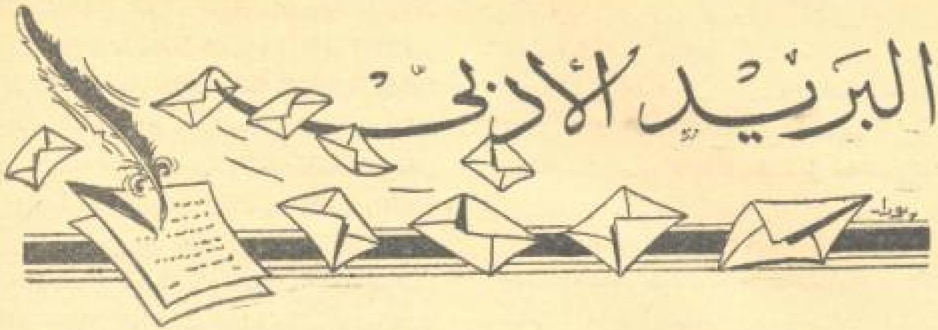
فى مجموعته (مذبحة) قصة بعنوان (تلميذة زمان)، بطلتهاعواطفطالبة جريئةتحبمدرسهاالشاب سامى وتحاول أن توقعه فى غرامها . ورغم أنها تزوجت الا ان مشاعرها لاتزال تحوم حول استاذها السابق الذى تحاول أن تلاحقه . ورغم ذلك فالقارىء لايستشعر استنكارا شديدا للمؤلف ؛ تماما كما أنه لايستنكر هنا بشدة تناول الاستاذ احسان عبد القدوس للجنس المثير فى قصصه (ص ٢٨) .

***

وسمة ثالثة : هى تناول عباس خضر لاشد مواطن الاثارة باللفظ المهذب الرقيق ، كعباراته المؤدبة عن اكتشاف التلميذات الصغيرات لذكورة على ومصطفى امين ، عندما اضطرا الى الالتحاق بمدرسة بنات تحت اسمى علية وصفية ، لعدم وجود اماكن خالية فى مدرسة البنين ! (ص ٦٤ — ٦٥) .

علاء الدين وحيد





حول الصفحة الفنية

من حياة الامام مالك

تعقيبان نشرهما البريد الادبي للرسالة تعليقـا على مقالى : «الصفحة الفنية من حياة الامام مالك» . العدد ١٠٤٠ منها :

١ـ التعقيب الاول للاستاذ عاطف محمد عيسى ، سوهاج • وفيه يقول ان تعليق مالك على غناء «غزال» الجارية وهو قوله : انهالفصيحة اللهجة حسنةا غناء هذا التعليق : هو مجرد اعجاب بالأداء وكيفية الالقاء فحسب • كما يقول الاستاذ عاطف • أما الشعر نفسه : فلا يمكن أن يكون من متناول اعجاب الفقيه العظيم •

ووجه الاستدلال الذى أريده من هذه القصة هو ابراز المدى الذى بلغته سماحة مالك فى الحكم على الغناء والسماع • لذلك حرصت فى مقالى على القول بأن مالكا لم يخف اعجابه بصوت «المغنيات» فضلاعن المغنين وعلى ذكر أنه ، أى مالك ، غنى بنفسه فى عرس •

اما مايقوله الكاتب السوهاجى من أن مالكا اعجب بالأداء وكيفية الالقاء ولكن الشعر نفسه « لا يمكن » أن يكون محل اعجابه ، فأنا لااقره عليه ، فنحن أمام امام كبير ومشرع عظيم ، ولو أن مالكا لم يرض عن هذا الشعر ما سكت عن نقده وتقبيحه والنهى عنه وعن مثله • وهو يعلم أن الناس يستفتونه ويقلدونه ويتخذون من حديثه وسكوته أحكاما وحججا •

وقد نشر تعقيب الاستاذ عاطف فى العدد «١٠٥٠» من الرسالة •

٢ ـ والتعقيب الثانى ـ فى العدد ١٠٥١ للاستاذ محمد محمود شمس ، وفيه يقول من جملة ما قال ، انه يتعجب من حديثى عن فهمنا لشريعة الاسلام ، واننا لم نستوعب الصورة المتكاملة عنها ، « وعمر الازهر الآن أكثر من الف عام » كما يقول :

واقول للاستاذ شمس ان جهود المصلحين من أهل الفكر الدينى ـ من مصر الى الهند ـ ومن جمال الدين ومحمد عبده الى أمير على ومحمد على واحمد خان ـ ليست الا العمل على ازالة الغشاوة عن أفهام الناس لكثير من أحكام الشريعة التى قررتها فى اذهانهم آراء خاطئة وعقول غير فاقهة أكثر الوزر فيها واقع على أكثر « العلماء » الذين ينتسبون ، فى القديم والجديد، الى الازهر صاحب الاعوام الالف • وفى ذلك كتبنا ما كتبنا فى «البلاغ» و « الرسالة » على مدى ثلاثين سنة • ومن قبل ذلك فى « السياسة الاسبوعية » واصدرنا كتابنا (تقويم الفكر الدينى) ونصدر ان شاء الله كتابا جديدا (الاسلام والحياة المعاصرة) • وفى ذلك أيضـا يكتب ويؤلف المخلصون من رجال الفكر الدينى ، أما ان (أشد الاعوان) يردد هذا عن الاسلام والشريعة فانهم لا يرددونه لاننا نقوله ونقوم عوجه ، بل لانه أمر واقع لا يخفيه الانكار والتستر • بل يعـالجه الحزم والاخلاص والمواجهة الصريحة المدركة البصيرة ، وفى ذلك نكتب ما نكتب فى مجلة (الازهر) و (الرسالة) وغيرهما •

ويقول الاستاذ شمس : « ••• ولم يقل أحـد منا قط أن الغناء حرام •• حتى نرجع لرأى مالك » وليت الاستاذ رجع الى كثير مما قاله العلماء فى الغناء وفى غناء المرأة خاصة ، وقرأ ماقاله بعضهم من أن صوت المرأة ، من غير غناء ، حرام سماعه ، أو هو «عورة»الى آخر ماقالوا ، حتى وجد الغزالى من واجبه أن يكتب فصلا طويلا عن ذلك يجـده الاستاذ فى «احياء علوم الدين» ليته رجع الى ذلك قبل أن يكتب •

اما ماذكره الكاتب من حديث الاستاذ الزيات عن «الصوت الساحر» فقد عرف أشياء كثيرة مما قاله « العلماء » فيه وفي مقاله هذا • وقد يعرف أستاذنا الزيات بعض هذا الذى قالوا •

محمود الشرقاوى

أستاذنا الكبير احمد حسن الزيات •

بعد تقديم فروض الاحترام ••

لاتزال مدرسة الرسالة تثبت لنا دوما أنها قادرة على تخريج أجيال من تلاميذها المخلصين لرسالة الادب والفن • فلقد ثبت فى اعتقادى أن تلميذكم سمير ندا كاتب مقالة مجيد فحسب واذ بكم تفاجئون به قراءالرسالة كاتب قصة كذلك وهكذا ينهج التلميذ نهج استاذه فى التلوين الابداعى كما قرر ذلك هو بنفسه فى مقالته الزيات مدرسة ورسالة •

ولى بعض ملاحظات على قصته (على مايرام) ، كنت أتمنى أن يكون الضابط أكثر تماسكا وربما يغفر له تخوفه ـ على الرغم من التزامه بموقفه الذى اتخذه ـ حداثة سنه وقرب عهده بخوض المعارك كما اننى ما زلت أتساءل عن السبب الذى حدا بالكاتب الى الجمل القصيرة خارجا بذلك عن مألوف الصياغة القصصية المعتادة •

ولكننى أبادر بالقول انه استطاع أن يستحوذ على مشاعرى ويمنحنى متعة فنية رائعة فتقبلوا جزيل شكرنا لما تبذلونه فى مجالات الادب من جهود ينعكس أثرها على الادب والادباء •

يوسف خاطر

كلية الآداب جامعة عين شمس

رد على نقد :

فاجانى الصديق « على الصياد » بعد غياب طويل بلقاه نقدى حول قصيدة « أصابع يد واحدة » وقد دهشت لانه تناول القصيدة تناولا سطحيا ، ولانه يضع نفسه منى موضع المعلم ، وأحب أن أقول ان السيد الناقد يقرأ عددا ويترك عددا ، لأن فى العدد التالى من نشر القصيدة مباشرة نشر تصويب عن البيت الاول صحته :

اصعد فان ذرا الميعاد تقترب
اصعد ولا تخش شيئا انتاعرب

وعندما التقى بالصديق الصياد سأريه هذه القصيدة منشورة كاملة فى مايو ١٩٦٢ فى كتاب مقرر بالمناهج الدراسية على المرحلة الثانوية ، وفيه القصيدة على وجهها الصحيح •

أما المأخذ الثانى الذى أخذ يتلابيبى فيه فهو قوله عن هذا البيت :

ترحب الارض بى أنى أسير بها
كأن خطوى بها نبض لها يثب

يقول « أنى » هنا اداة شرطية ، وأنا أقول ان محى الدين بن العربى الذى قال :

أدين بدين الحب أنى توجهت
ركائبه فالحب دينى وايمانى !

لم يكن يقصد « بأنى » هنا الا « حيثما »

والبيت بهذا المعنى يستقيم على نسق بيانى واضح ، أما البيت الآخر الذى تناوله على أنه تخلخل فى الميناء الشعرى كما يقول ، فالأحرى به أن يستمع الى رأى النحاة ، ولقد رد عليه أحد السادة من القراء ، وبصفة عامة هناك نماذج قديمة تجيز هذا •

ان النقد المعاصر يجب أن يستبطن القصيدة بتجربتها أولا ولا يتوائب هكذا على سطوح الأشياء لأن الشعر الآن هو صوت الحياة والتجارب الانسانية ، وعليه أيضا أن يجمع فى نقده بين الشكل والمضمون بعد أناة واستيعاب كاملين •

محمد الجيار

« من رسالة الرسالة »

قوة الكلمة الصادقة ، فى تغيير النفوس ، والمجتمعات ، أقوى من كل ماعداها ، ويكفى أن « الكلمة » متمثلة فى القرآن والحديث بددت ظلام الجزيرة العربية وما جاورها من دول كانت وعظمتها حديث التاريخ •

وثورتنا التى غيرت حياتنا ، وأعلت كلمتنا ، سبقتها كلمات •• اشارت اليها ، وعرفت بها ، وكأنى بكتابها ، وقد لمسوا فجر هذه الثورة قبل بزوغه ! فتعجلوه ، وبشروا به ، ومهدوا له •

وقبيل الثورة سجلت « الرسالة » دورها ، فى

ذلك الأمر الخطير الذى أيقظ التاريخ ، فكان مما قالت :ـ

« ... لقد حملنا حتى فدحنا الحمل ، صبرنا حتى ملنا الصبر ، ! والصبر فى بعض الأحيان عبادة كصبر أيوب ، ولكنه فى بعضها الآخر بلادة كصبر الحمار » .

« ماذا بعد هذا » ١٠ ديسمبر سنة ١٩٥١ »

« .. هبى يا رياح الخريف هبى! .. هبى واقلعى ذلك النبات الدنىء الذى يتطفل على أشجار الوادى ، فيتغذى على أصولها ، ويتسلق على فروعها ، حتى اذا أدرك الهواء والضياء والرفعة ، التف بعساليجه وكلاليبه على أعاليها التفاف الأفعوان ، فيكظم أنفاسها فلا تنسم ، ويشل حركتها فلا تميس ، ثم يقول مشيرا بأطرافه الرخوة الى كل عابر : انظر ! الست أنا الأمير وهذا الشجر هو الفلاح ؟ واذا لم يسخر الله لى الشجر فكيف أنمو ؟ واذا لم يسخر الفلاح للأمير فكيف يسمو ؟ . هبى يا رياح الخريف هبى ! .. هبى واعصفى بما ذكرت وما لم أذكر من زبد يقول انه زبد ، وسراب يزعم انه شراب ، وحطام مختلف من بقايا الدروب والخطوب والعقائد والحضارات والأساطير يدعى أنه أمة !

« هبى يا رياح الخريف » ١٥ أكتوبر سنة ١٩٥١

« ... ذلك الذى نلمحه على وجوه الناس فى هذه الأيام ، ونلمسه فى أحاديثهم فى كل مكان .. سأم من كل شىء ، ومن كل فكرة ، ومن كل عمل ، ومن كل أحد ، ومن كل اتجاه .. سأم هو مزيج من ألم قد مات ! ومن يأس من الأعمال والرجال ، ومن « قرف » شامل ، ومن استهتار . يقلب الناس صفحات الصحف ، ويمرون على العناوين الضخمة بدون اكتراث ، كأن لم يعد شىء يدعو الى الاكتراث !

« سأم » ١٩ مايو سنة ١٩٥٢

« ... ولقد يخفت صوت الشعوب أحيانا ، وتتوارى حركاتها .. ولكن هذا ليس الا ستارا ظاهريا لحركات خفية الى الأمام . حركات تتم فى ضمير الشعب ، وتنضج فى أعماقه ، ثم تبدو فى صورة فورة جديدة ، وقفزة واسعة ، يخيل الى بعض الناس أنها مفاجئة ، وليست فى حقيقتها الا امتدادا طبيعيا لم تظهر خطواته ، لأنها كانت تتم فى صمت، فى أثناء فترة الكمون » .

« بداية النهاية » ٤ فبراير سنة ١٩٥٢

وحتى تدرك مدى سريان كلمات « الرسالة » فى وجدان الأمة العربية ، نشير الى البرقية النقدية التى أرسلها الاستاذ أحمد السقاف وكيل وزارة الثقافة بالكويت « العدد ٢٨ من الرسالة العائدة » . حول بيت من قصيدة « من وحى المؤتمر » للشاعر غنيم ، فالناقد لم يقبل عقله ووجدانه قول الشاعر للرؤساء والملوك العرب : ــ

ان تقدموا فبنوا الاقدام نحن

وان قلتم سلاما فبالاكراه نقتنع

بل يريد أن يقول : ــ

ان تقدموا فبنوا الاقدام نحن

وان قلتم سلاما فلا والله نقتنع

لقد كان سارتر دقيقا حين قال « اذا انتظمت الكلمات فى جمل بقصد الايضاح ، فمعنى هذا أن قصدا آخر غريبا عن مجرد النظر العقلى ، بل وعن اللغة نفسها ، قد تدخل فى الأمر : الا وهو الافضاء الى الآخرين بما توصل اليه من نتائج » . وكذلك حين قال : « ... وهكذا ، بمشروعى الأدبى ، أكشف عن الموقف قاصدا كل القصد الى تغييره ، وأصيب جوهر الموقف وأنفذ الى كل جوانبه ، وأجلوه أمام العيون ، وحينذاك أكون صاحب التصرف فيه . وفى كل كلمة أرسلها أغوص قليلا قليلا فى هذا العالم ، وفى نفس الوقت أطفو فيه قليلا لأنى أتجاوزه الى المستقبل » . « ما الأدب » ص ٢٠ ترجمة الدكتور غنيمى هلال » .

وبعد ، ترى أى مستقبل لحياتنا تناولته أقلام أدبائنا وشعرائنا « الحديثين جدا » . ! ؟

محمد محمد شمس

٦ـ ٣ ـ ١٩٦٤

قصة العدد
قط صغير أبيض

بقلم : دوروثى باركر

ترجمة : أحمد آدم

كانت الساعة قد أشرفت على العاشرة مساء ، حين خرج الصبى الى حديقة البيت للبحث عن قطه الصغير رغم برودة الجو وشدة الظلام مضى يتحسس طريقه وهو يرسل من بين شفتيه صفيرا متغما جميلا اعتاد ان يتـــادى به قطه الصغير الا انه لم يجبه فتريث قليلا ثم صاح « تيمى ! تيمى ! تيمى ! » ٠

وأنصت حتى صارت كل جوارحه آذانا ولكنه لم يسمع الا أزيز الطائرات وهى تحلق فوق المطار ، ثم صوت أمه وهى تناديه من داخل البيت :

ــ سيريل ! ماذا تفعل هناك ؟ ادخل والا أصبت بالبرد ٠

وجاش صدره بالغضب : لم لا تتركه فى سلام ؟ لا ، انه لن يعود قبل أن يعثر على قطه تيمى ٠

كان يعرف ان امه لا تحب هذا القط وانه ليذكر جيدا ذلك اليوم الذى أخبرها فيه بأن صبيا من زملائه فى المدرسة عنده قط أبيض سيهبه له ٠

ــ قط ! ان أباك لا يحب القطط ٠

ولكن الصبى لم يعبأ بنفور أمه من القط ، وجاء به فى احدى السلال ودخل به الى المطبخ ، وقدم له بعض اللبن ، وأخذ يرقبه فى سرور وهو يلعق اللبن فى شراهة ، وما كان أشد جذله عندما رآه يبـــاشر رياضته ويثب من مكان لآخر ويمرح فى البيت !

واحس الصبى بالقلق ٠٠ كان يخشى أن يكون قطه قد ضل الطريق أو أصابه مكروه ، وبينما هو غارق فى هواجسه سمع صوت الباب وهو يغلق فى حرص لاخفاء الضوء ٠

وأحس بوقع أقـــدام امه وهى تهبط الدرجات القليلة الى الحديقة ٠

وصاحت أمه

ــ سيريل ! أين أنت ؟ تعال هنا

كان الجو شديد البرودة والحديقة يحتويهـــا الظلام ، وسرت فى جسد الصبى قشعريرة ، فسار الى حيث تقف أمه ، وعاد معها الى داخل البيت وآوى الى فراشه مرغما ، ولكنه ناشد أمه ان تترك البـــاب مفتوحا طوال الليـــل حتى يستطيع تيمى أن يدخل عند عودته ٠

وظل سيريل يحلم بعودة قطه حتى أشرق الصباح فنهض مسرعا وخرج ليستأنف البحث عن قطه تيمى فى الشـــوارع القريبة ، ولم يوفق فعـــاد قبـــل أن تستيقظ أمه ثم جلس معهـــا لتناول طعام الافطار ولاحظت أمه شروده فأخـــذت ترقبه فى قلق وتمنت لو انتهت الحرب وعاد اليها زوجها الحبيب ٠٠ وخطرت لها فكرة فقالت

ــ سيريل ٠ لم لا تبـــحث عن قطك فى ثكنات الجنود ٠ ان كل قطط الجـــيران تذهب الى هـــذه الثكنات حيث يطعمها الجنود ويحتفظون بها لمطاردة الفئران ٠

فتهلل وجه الصبى ٠٠ نعم لابد أن قطه هناك ٠

واقترحت عليه أمه أن يذهب الى الثكنات بعـد عودته من المدرسة ٠

ماذا ؟ بعد المدرسة !! كلا انه لايستطيع الانتظار ٠ لن يذهب اليوم الى المدرسة لابد أن يعثر على قطه ٠

وصعد الصبى الى حجرته الصغيرة وارتدى أحسن ملابســـه ثم لف حول عنقه وشاحا أصفر ، وأخيرا ارتدى معطفــه ثم مد يده تحت كومة من مجـــلات الاطفال الهزلية وتناول علبة من لفافات التبغ وأخرى من الكبريت ٠٠ ها هو الآن على اســـتعداد لمقابلة الجنـــود ٠ وحين هبط الدرج كانت امه فى المطبخ فتسلل فى خفة من الباب الى الطريق الرئيسى الكبير وأخذ يسير فى غير مبالاة وعيناه تصف مغلقتين الى ثكنات الجنود ٠ انه يعرف جيدا هذه الثكنات فكثيرا ما وقف خارجها مع باقى الصبية يرقب الجنود وهم يتدربون وانه ليذكر الرقيب الاول ٠ كم كان رائعا وهو يصدر الاوامر الى الجنـــود المصطفين فى الفناء المغطى بالاسفلت ٠ كان الرقيب الاول ينفخ صدره كالطـــاووس ، ويصرخ فى الجنـــود بصوت كزئير الأسد ٠ وارتجف الصبى عند ما خطر له أن هـــذا الرجل المخيف قد يعترضه وهو يسأل عن قطه تيمى ويطرده من الثكنات ٠

وعندما اقترب من الثكنات أشعل لفافة تبغ وتقدم نحو الباب الذى كانت تحيطه الاســـلاك الشائكة فأوقفه الحارس ورفع حاجبيه عنـــدما رأى الرجل الصغير ، يقف أمامه فى جراة ورجلاه منفرجتان وبين شفتيه لفافة تبغ مشتعلة ٠ وابتسم الحارس وأرشد

الصبي الى غرفة الحرس ، وهناك رأى سيريل جنديا برتبة رقيب يجلس امام منضـــدة ، وخلفه يقف جنديان بجوار نار موقدة • وشرح الصبي مهمته وهو ينفث الدخان من آن لآخر • وقال :

ـ لقد أتيت ابحث عن قطي ••• انه قط صغير ابيض •

فسأله احد الجنود مازحا

ـ أواثق أنت أنه قط ؟

وضحكوا جميعا فتناول الصبي علبة التبغ واعطى كلا منهم لفافة فصفر الرقيب وهز اصبعه قائلا :

ـ عجبا ! أتدخن في مثل هذه السن ؟ ترى ماذا يقول أبوك لو عرف ؟

ـ أبي ! انه ليس في البيت

ـ وأمك ؟

ـ لن تقول شيئا •

ـ آه ! يا لهؤلاء النساء !

وضحك الجميع •• وقال الرقيب :

ـ لو كنت ابني لجلدتك بهذا الحزام •

فمط الصبي شفتيه في غير مبالاة ، وتدخل احـد الجنود وكان برتبة عريف وقال : انه سيبحث في المطابخ عن قط صغير أبيض •

وتجاهل الجميع الصبي وانصرفوا لشئونهم •

وبعد لحظات أقبل الرقيب الاول وحين اقترب من الصبي رآه أضخم جسما مما اعتـــاد أن يراه في استعراض الجنود وارتجف الصبي حتى اوشكت اللفافة أن تسقط من بين شفتيه ولكنه اسـترد رباطة جأشه واستمر في التدخين •

وصرخ الرقيب الاول بصوت كالرعد :

ـ ماذا يفعل هذا الولد هنا ؟

فشرح له الرقيب مهمة الصبي • وحملق الولد في وجه الرقيب الاول في جرأة • انه لا يخشاه • انه ليس وحشـا ـ كما كان يتصور ـ ولن يسـتطيع التهامه •

قال الرقيب :

ـ انه يبحث عن قطه الصغير الابيض •

وتنهد ثم أردف قائلا :

ـ قط أبيض ! آه لو يعلم ! ان ما نحتاجه هو فرقة من الراقصات !

وزار الرقيب الاول عندما رأى لفافة التبغ في يد الصبي وصرخ قائلا :

ـ ماذا ؟ أتدخن في مثل هذه السن ؟!

وخيل للصبي أن الغرفة ستنفجر من اثر ضخامة هذا الصوت الذي ينطلق من بين شفتي الرقيب الاول وهم الصبي بالفرار ، ولكنه تمـاسك واستند الى الجدار ثم نفخ سحابة من الدخان في وجه الرقيب الاول • واقبل في هذه اللحظة واعظ الفرقة واخذ يتطلع الى الصبي من خـلال منظاره السميك بنظرة حائرة آسـفة فاخفى الصبي لفـافة الدخان خلف ظهره ، وحالما أدار الواعظ ظهره ألقى بلفافة التبغ في المطفـأة • ثم تحسس شعره ورباط عنقه بضع مرات •• انه لا يعبأ بأي واحد من هؤلاء الجنود • كل ما يريده هو قطه تيمي وخفق قلبه عندما تذكر «تيمي» لا ريب أنهم سيعودون به حالا وسوف يربت على ظهره ويطرب لموائه ثم يحمله الى البيت ويطلقه ليجري ويمرح كعادته • وعاد العريف ولكنه لم يكن يحمل بين ذراعيه أي شيء •

وعصر الحزن فؤاد الصبي • اذن فالعريف لم يعثر على «تيمي »لا ، لابدانهم يخفونه ويحاولون الاحتفاظ به • وتقدم سيريل نحو العريف ومس ذراعه فالتفت اليه العريف وصاح :

ـ ماذا ؟ الا زلت هنا يابني ؟

فقال الصبي في لهجة عدائية

ـ الم تجد قطي ؟

فتنهد العريف وقال وقد غامت عيناه حزنا وأسى

ـ آه ! ذلك القط الصغير الابيض ! لن تراه مرة اخرى يابني • لقد ذبحوه وسلخوه ثم قدموه لنا في الغداء ! ها أنت ترى كيف يطعمـــوننا نحن معشر الجنود المساكين! **ولكني سابحث لك يابني عن جلده اذا شئت •**

وادار العريف ظهره للصبي وغمز لباقي الجنود وهو مسرور لدعابته الصغيرة وتطلعسيريل الى الجنود وقد اخرسه الفزع ، وبدا العرق يتصبب من جبينه وتغضن وجهه الصغير ثم التهبت وجنتاه من الغضب ورفع قبضتيه مهـددا واخـذ يضغط على شـفتيه وارتسمت على وجهـه علامات التحـدي والتصميم وانحـدرت من عينيـه دمعتان وسـالتا على خديه فمسحهما بظهر قبضتيه في غضب وحاول أن يتجلد ولكنه لم يســتطع وفاض به الحزن فانفجر باكيا وصرخ قائلا :

ـ أواه يا تيمي ! يا تيمي العزيز !

احمد آدم محمد

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
وزارة الثقافة والارشاد القومي

الادارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد - القاهرة

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد ١٠٥٤ الخميس ١٢ ذو القعدة ١٣٨٣ هـ ــ ٢٦ مارس ١٩٦٤ م السنة الحادية والعشرون

الفهرس

مؤتمر العلماء بعد مؤتمر الرؤساء

بقلم : أحمد حسن الزيات

انتهى منذ اسابيع المؤتمر الاول لرؤساء العرب ثم ابتدأ منذ ايام المؤتمر الاول لعلماء المسلمين . واذا كان مؤتمر الرؤساء قد نظر في شؤون الوحدة السياسية على ارفع مستوى ، فان مؤتمر العلماء سينظر في شؤون الوحدة العقيدية على ابعد مدى فالمؤتمران يكمل احدهما الآخر . وكلاهما كان رجعا قويا للثورة الكبرى التى انبجس نبعها من نيل عمرو ، ثم فاض في بردى خالد ، ثم طمى في دجلة سعد . ثم عمت بخيرها ونورها سواحل الجزائر وجبال اليمن ، فانتعشت ماذوى من الآمال ، وحركت ماسكن من العزائم ، ووصلت ما انقطع من الاسباب . ثم كانت كنفخة الصور انبعثت على صوتها المدوى حياة جديدة في الوطن العربي تبشر بالكيان المتحد والمستقبل العظيم كما يبشر الربيع المزهر بالثمر الطيب والريع المبارك ... وما كان للجسد ان يعيش بغير الروح ، ولا للركب أن يسرى بغير نجم ، ولا للثورة ان تبلغ بغير دين ، فانها استطاعت ان تلين الحديد وتزرع الصخر وتقهر النيل وتصنع الصاروخ وتنشر المعرفة وتبسط الرخاء ، ولكنها لا تستطيع بغير الدين ان تضع التقوى في القلوب الغلف ، ولا ان تبعث الحياة في الضمائر

الميتة .. لذلك رات قيادتها ان المجتمع الثورى الجديد لا يصلح الا بالدين ، وان الدين لا يتجدد الا بالازهر ، وان الازهر متى استكمل اداة التعليم وساير حاجة العصر ، نهض بالشرق نهضة اصيلة حرة تنشأ من قواه وتقوم على مزاياه وتتغلغل فى اصوله ، لان ثقافته المشتقة من مصدر الوحي وقانون الطبيعة متى اتصلت بتيار الفكر الحديث تفاعلت هى وهو فيكون من تفاعلهما مايريد به الله تجديد دينه وكفاية شرعه وادامة ذكره .

رات اذن ان تطور الازهر وتصحح مفهومه وتوسع افقه وتبعد مداه فسنت له قانونه الجديد وكان مما سن فيه انشاء مجمع للبحوث الاسلامية يمثل امة محمد فى علمائها من كل بلد ، ويقف من ادلائها موقف العلم فى كل سبيل ، ويحرر الفكر الاسلامى من التقليد الأعمى والتسليم العاجز ، ويطهر السنة المحمدية من الاحاديث المكذوبة والاقوال المشوبة ، ويطور الشريعة فى حدود ماانزل الله وبلغ الرسول ، وينقى العقيدة من المذاهب الباطلة والبدع الضارة ، وينشر الاسلام الصادق الصافى على الناس فى معرض واضح ومظهر جاذب ومنهج قويم . وفى ضوء هذا المنهج الذى رسم له يحدونا الامل فى ان يرى المجمع رايه الفصل فى هذه الامور الثلاثة التى اعوزتنا فشوه عوزها العقيدة وفرق الوحدة وعوق الدعوة ، وهى توحيد العقيدة وتنقية الشريعة وفتح باب الاجتهاد .

***

فاما وحدة العقيدة والشريعة فلان الاهواء السياسية والنوازع العصبية والمطامع الدنيوية عبثت بها حتى بلغت الفرق المتعارضة المتعادية اثنتين وسبعين فرقة كان بعضها يجادل بعضا بالاحاديث المفتعلة والاقاويل المعتسفة . ثم اعتراها وهن الباطل فانقرضت قبل نهاية القرن السابع للهجرة فلم يبق منها الا المذهب الظاهرى فى الاندلس وفى بعض بلاد المغرب . ثم انتهى الامر بالمذاهب الفقهية المتعددة الى المذهب السنى والمذهب الشيعى ، فانحصر الخلاف المذهبى بينهما ، واشتد النزاع والصراع حولهما ، حتى بلغ من بعده وضراوته ان افتى بعض الاحناف بان الفتاة الشافعية ليست كفؤا للفتى الحنفى ، وافتى بعض الشيعة ان الرجل السنى ليس عدلا للمراة الشيعية ! ثم ضاق الخلاف بينهم قليلا فقالوا ان اتباع كل مذهب يجب ان يعتقدوا ان مذهبهم صحيح يحتمل البطلان وان مذهب غيرهم باطل يحتمل الصحة . ثم ظهرت بوادر الوفاق بين الفقهاء المعاصرين من اتباع المذهب السنى فمالوا الى التوفيق بين المذاهب الاربعة والى التقريب بينها وبين المذاهب الشيعية . فاذا اعان المجمع على هذا الاتجاه انقطعت اسباب الخلاف وانسدت ابواب الفرقة .

***

واما تنقية العقيدة والشريعة مما علق بهما من شوائب الاحاديث المصنوعة والاخبار الموضوعة والاساطير الموروثة والتقاليد الدخيلة والصوفية الزائفة فهى ضرورة من ضرورات الاصلاح ووجيبة من وجائب المجمع ، فان من محن الاسلام حين ضعف اهله وزال سلطانه ان امتزجت به كل نحلة ، وسرت اليه كل علة ، وتراءت فيه كل حالة . فكل امرىء واجد فيه ما يلائم استعداده ويمالىء هواه ، حتى كان من اثر ذلك ان وقر فى نفوس المسلمين الضالين ان الاسلام ليس من شانه الدنيا ، وان المسلم ليس من همه المادة ، وان ماهم عليه من رنق العقيدة وظلام الفكر وخدر الشعور انما هو روح الدين ورضا الله وطريق الجنة . ثم لايعجزهم أن يجدوا مصداقا لما يتوهمون فى حديث زائف يسمعونه او فى كتاب ملفق يقرأونه .

***

واما فتح باب الاجتهاد سواء اكان اجتهادا فى الدليل وهو اضعف ماترى ، ام اجتهادا فى الراى وهو افضل ماتريد ، فهو الطريق القاصد الى بلوغ الغاية التى يتوخاها المجمع من تطوير الفقه وتجديد الشريعة ومسايرة النهضة ! لان رسالة الاسلام بحكم دوامها وطبيعة عمومها صالحة لكل مكان وزمان . والامكنة تختلف والازمنة تتغير ، والقضايا الاجتماعية والاقتصادية تتولد . وليس من المعقول

ان يتنبأ بحدوثها الفقهاء الاقدمون فيضعوا لها الاحكام الصائبة والحلول المناسبة . ومهما تتسع النقول والاحكام فان مقتضيات الحضارة ومستحدثات العصر اوسع واسرع .

***

اما بعد فان أيسر السبل الى الاصلاح وادناها من النجاح ان ينظر مجمع البحوث الاسلامية ومؤتمره فى التراث الاسلامى المتفرق المشوه فيجمعه فى ثلاثة مراجع : مرجع للتفسير تشرح فيه الآيات الكريمة على ضوء الرواية الصحيحة والعلم الثابت، ويجمع بين ما صح من اقوال السلف وما صلح من آراء الخلف . ومرجع للحديث يدون به مالا ريب فيه من الكتب الصحاح ويستعان على شرحه بعلوم التاريخ والاجتماع والاخلاق والفلسفة . ومرجع للفقه يشمل ماتواتر من الاحكام وصح من المذاهب وسلم من الآراء ، ثم يوضع متنه مواد كالقانون ويشرح شرحا فنيا يستوعب اصوله ويستقصي فروعه فى غير حشو ولا استطراد ولا غموض . هذه المراجع الثلاثة ستكون مادة الدراسة ومرجع القضاء ومصدر الفتوى ، ثم تجرد منها مختصرات تدرس فى المدارس وتنشر فى الجمهور وتترجم مع مطولاتها الى اكثر لغات الشرق واشهر لغات الغرب ، ثم يبعث بها الى كل بلد يعرف الاسلام او يريد ان يعرفه .

اما ماعدا ذلك فما كان منه صحيحا بقى فى المكتبات ليرجع اليه المتخصص والمؤرخ . وما كان منه زائفا صنع به ماصنعه عثمان بكل مصحف غير مصحفه ، فان الابقاء على الزائف من الاحاديث والآراء لبس للحق بالباطل ، وطمس للنور بالظلام وتعمية للطريق على السالك .

ان مجمع البحوث الاسلامية اذا فعل ذلك وهو حرى ان يفعله طهر شريعة الله من سموم البدع ، ونقاها من شوائب الفرق والشيع ، وجعلها صالحة لان يردها الناس صافية كقطرة المزن ، خالصة كفطرة الله ثم يصدروا عنها بالمجتمع الانسانى المثالى الذى يسير على صراط الله بقيادة الحق ورعاية العلم ورقابة الضمير .

احمد حسن الزيات

الوان

قال مسيلمة لسجاح : ارقصي وزغردى يا امة هبل لقد زال من طريقنا الجبل ، واصبحنا طليقين (نبرطع) ما شاءت البرطعة ، لا يكفنا لجام ولا تثقلنا برذعة ، نفترى ولا نسمع صوت المعقب ، ونعتدى ولا نرى عصا المؤدب . وهل العيش الا ذاك !

قالت سجاح لمسيلمة : لا تتعجل الفرحة يا (أبا محمود) (1) فان الخطر وان لم تره موجود. ان العقاد وان ذهب كما يخيل الى واليك ، فان لعنته باقية على وعليك . وستطاردنا فى كل كتاب نلفقه ، وفى كل مخطوط نحققه ، وقد كنا نظن ان غيابنا عن تشييع جنازته ، يغض من قدره ويزرى بكرامته ، فاذا العالم كله يشيعها بحضوره ، او بشعوره ، واذا الكفان المخضوبتان بالحناء ، لا تستطيعان ان تحجبا الشمس فى كبد السماء !

● جاء فى القصيدة الغنائية الرقيقة (لا تكذبى) هذان البيتان :

ماذا اقول لأدمع
سفحتها اشواقى اليك
ماذا اقول لاضلع
مزقتها خوفا عليك

وكلمة (سفحتها) لا — يستقيم — وزنها الا بحذف الالف من الضمير المؤنث (ها) وهى ضرورة لاتجوز فلو ان الشاعر الغزلى الفنان قال : اهرقتها شوقا اليك . لسلم من هذه الضرورة وازدوج هذا الشطر مع الشطر الثانى من البيت الذى يليه وهو : مزقتها خوفا عليك .

● من التشبيهات البليغة : المتكبر كالرجل فوق القمة : يرى الناس صغارا وهم يرونه صغيرا ! . ومن المبالغات السخيفة قول احد شعراء الفرس يعلل ارتفاع البدر فى السماء وبقاء حبيبته على الارض : « لم يرتفع البدر فى السماء الا لانه وزن بها فرجحت كفتها وشالت كفته !

● وعظ مالك بن دينار عظة تقاطرت عليها دموع اصحابه ، ثم افتقد مصحفه فلم يجده . فنظر اليهم وكلهم من اثر كلامه لا يملك دمعه وقال : ويحكم ! كلكم تبكون فمن سرق المصحف !؟

ابن عبد الملك

(1) اسأل القاموس عن معنى هذه الكنية

مشكلات التثقيف

للدكتور محمد أحمد خلف الله

- ٤ -

لا خير في عمليات التثقيف في المدينة ما لم تكن هناك عمليات تثقيف أخرى تؤسس لها ، وتمكن من انجاحها ، تقوم في القرية - على اعتبار أن الريف هو المصدر الأول للثروة القومية ، وأن سكان الريف هم الذين يشكلون القاعدة الشعبية الكاثرة في المجتمع العربي .

ان معنى قيام التثقيف بالمدينة وترك القرية على حالها في جهل وفقر ومرض ، أنا لن نتقدم أبدا في أى مجال من مجالات الحياة . لأن القرية هي التي تغذى المدينة بالموارد البشرية . وستظل تغذيها بموارد ضئيلة ، نحيلة ، جاهلة ، هي عنوان التأخر والتخلف وليست عنوان المدنية والتقدم ما لم تكن بعمليات تثقيف واسعة النطاق عميقة الأثر . عمليات جادة ليست لاهية ولا عابثة .

ولا خير في عمليات التثقيف في القرية ما لم ندرك اهدافها ، ونعرف وسائلها ، ونربط فيما يبحث الوسائل والغايات ، ونعمل جادين حتى نحقق الأهداف وندرك الغايات .

ان الغاية من التثقيف في الريف هي أن نحول الانسان الريفي من انسان جاهل الى انسان مثقف . انسان ينفعل بالأحداث التي تجرى في المجتمع ، ويتحرك معها ، ويسهم فيها . انسان يتخذ من الحضارة العلمية - بقدر ما يستطيع - عدته في الحياة . وبذا يتم التفاعل بين القرية والمدينة ، وتتحقق الوحدة السياسية ، والوحدة الاقتصادية ، والوحدة الاجتماعية ، والوحدة الفكرية ، لابناء الوطن الواحد ، والأمة الواحدة .

ان التثقيف ان لم يحقق هذه الغايات لأبناء الريف يكون تثقيفا شكليا لا ينفذ الى الاعماق ، ولا يغير من مجرى الأمور ، وسير الحياة قليلا أو كثيرا . انه في هذه الحالة يكون أقرب الى اللهو والعبث منه الى الجد والفائدة .

والتثقيف الذي يحقق هذه الغايات أمامه من المشكلات الشيء الكثير - وهي مشكلات تفوق مشكلات التثقيف في المدينة بأبعاد كبيرة وكثيرة . انها مشكلات قد تكون في طبيعة الميدان - ميدان المدينة وميدان القرية . وقد تكون في الأجهزة الثقافية التي يعتمد عليها العاملون في الميدان ، ومدى صلاحيتها للمدينة وعدم صلاحيتها للقرية . وقد تكون في المواد التثقيفية الصالحة للتفاعل في المدينة وغير الصالحة للتفاعل في القرية ، ... ، ... ، .... الخ .

والمدينة بحكم أنها مدينة تنمو ثقافتها وتتطور تلقائيا بالمؤثرات التالية :

(أ) : الايديولوجيات الغربية التي تجيء عن طريق الأفلام والأجهزة اللاسلكية والصحف والمجلات الأجنبية .

(ب) : انتشار الاقتصاد الذي يقوم على السوق وأثر السلع الغربية أو التي تجيء على نمط الحضارة الغربية من ملابس ، وأغذية معلبة ، وأدوات معدنية ، وأجهزة كهربائية احتلت مكانها من حياتنا في البيت وفي المصنع .

(جـ) : تطور طرق المواصلات الحديثة التي تجعل المدينة على علم بما يجرى في العالم أجمع في أقرب فرصة وذلك من مثل خطوط الطيران والبرق وما أشبه .

(د) : وجود عديد من المراكز والمؤسسات الثقافية ، والأندية ، والجمعيات ، مما له أثر كبير في عمليات التثقيف .

(هـ) : هذا الى جانب حركة النمو التي تكون في المدينة واتخاذ المدينة مركزا للهيئات النيابية ، والهيئات الحاكمة .

ان كل هذه المؤثرات تفعل فعلها في المدينة بينما تظل القرية بعيدة عن هذه المؤثرات بعدا شاسعا .

وهذا الذي ذكرنا يهيىء الى شيء آخر هو أن المدينة بحكم تحضرها وارتباطها بالمؤثرات السابقة تكون اقدر على الاستجابة لعمليات التثقيف المقصودة من القرية .

ان القرية تظل المستودع الدائم للقيم التقليدية ، وهي قيم تظل عقبة كأداء في سبيل التثقيف ، وفي سبيل الحضارة الحديثة ، وهذا مما يجعل العبء الملقى على عاتق العاملين في ميدان التثقيف عبئا ثقيلا . **انهم في حاجة أولا الى القضاء على القيم العتيقة البالية التي لا تصلح للحياة العلمية الحديثة قبل أن ينزلوا لهذه الحضارة الحديثة الى الميدان - ودون ذلك عقبات وعقبات .**

ثم ان العاملين في الميدان الثقافي سيهبطون الى الريف حتما من المدينة ، أو هكذا يتصور أهل الريف • وهنا يظهر عامل نفسي يجعل عمليات التثقيف شاقة وعسيرة •

ان أهل الريف ينظرون الى أنفسهم على أنهم أصل من أهل المدينة، وأنهم الحافظون حقا للتراث القومي• **فالرجال منهم يعتقدون أن القيم الاجتماعية الخالدة ـ قيم الشجاعة ، والمروءة ، والشهامة ، والكرم ، وحفظ حقوق الجوار وما أشبه انما هي قيم خاصة بهم • ويتعرى منها سكان المدينة الذين فيهم طراوة ، وبخل ولا يحتفلون بالعلاقات الانسانية احتفال أهل القرية بها • والنساء ايضا ينظرن الى المرأة الحضرية وكأنها مخلوق غريب • انها في عرفهن قد خلعت برقع الحياء حين خرجت الى الطرقات عارية السيقان والأذرع ، عارية الوجه والقفا •**

هذه الحالة النفسية تجعل عمليات التثقيف في القرية عسيرة شاقة تحتاج الى جهد كبير وعناية عظيمة • ومن هنا كان الذهاب الى أن القائم بعمليات التثقيف في القرية يجب أن يتمتع بالصفات التالية:

١ ـ ان يكون من الذين يسهل عليهم الاتصال بالقادة البارزين في المنطقة التي يعمل فيها ، وأن يكون متمتعا بثقتهم •

٢ ـ ان تكون لديه معرفة كافية بالعادات والتقاليد المحلية ، وأن يكون عنده عطف كبير نحو الأمي وآماله وأحلامه •

٣ ـ أن تكون لديه قدرة نافذة على بث روح الحماس بين أهالي المجتمعات الريفية ، وأن يكون لديه اهتمام كبير بالنهوض بالريف •

٤ ـ ان يكون مدركا حقا لوظيفته وانه المسئول عن ربط عمليات التثقيف في المنطقة بحاجات المجتمع المحلي واهتماماته • وان أهل القرية لابد وأن يزودوا بالقدر الكافي من الافكار العلمية الحديثة عند تلبية الاحتياجات واشباع الرغبات • فيدفعهم مثلا الى تعلم الأساليب العلمية الحديثة عند تحصين الماشية ضد الأمراض ، وعند تغذية وعمل الملابس للأطفال ، وعند بذر البذور ، وتقليم الأشجار ، وتبخير الحدائق لحفظ الثمار ••• وهكذا ••• وهكذا ••

ان من الواجب عليه ان يحصر الاهتمام أولا في اتقان الاساليب العملية القائمة والربط بينها وبين الفكر الحديث والعلم الجديد ، ثم يأخذ بعد ذلك في تزويدهم بالمعلومات الجديدة •

***

واذا ما تركنا ميدان المعركة ـ المدينة او القريه ـ الى أجهزة التثقيف ومدى صلاحيتها لكل من المدينة والقرية فاننا واجدون حتما :

ان جميع الاجهزة تصلح للميدان حين يكون المدينة ، ولاتصلح كلها ثم لايصلح بعضها الصلاحية الكافية حين يكون الميدان هو القرية •

خذ الأجهزة التي لابد لها من تيار كهربائي لتعمل كالتليفزيون والسينما انها صالحة للمدينة ، وليست صالحة أبدا للقرية ـ ما دامت هذه الأخيرة خالية تماما من اي تيار كهربائي •

ثم خذ الاجهزة التي تحتاج الى تجمعات كبيرة او الى مستوى ثقافي معين كالمسرح وكالكتاب فانك واجد صلاحيتها للمدن كاملة وتامة ، ولكن صلاحيتها للريف غير محققة تماما • انها تحتاج الى تغييرات كثيرة على حسابها هي لكي تصلح لهذا الميدان •

وهكذا نجد في وضوح ان مشكلات التثقيف في الريف ـ فيما يخص الاجهزة الثقافية ـ اكبر منها في المدينة • ومن هنا كان الفانوس السحري ، وكان الاراجوز ، وكان صندوق الدنيا ، وكان الغناء ، من أهم الأجهزة التي يجب أن نعتمد عليها في الريف • وكم خلق الموال من قيم اجتماعية يعتز بها أهل الريف حتى اليوم •

***

بقيت المواد الثقافية وقدرتها على التفاعل •

ان الريفيين بصفة عامة بعيدون كل البعد من الناحيتين العقلية والفنية عن أن يقبلوا فكرة اكتساب الثقافة عن طريق القراءة • ولذا يقولون بانه من الخير أن تكون وظيفة القراءة في هذه المجتمعات للامتاع والمؤانسة ثم يكون التثقيف عن طريق الامتاع **ـ لكن البحث العلمي قد كشف أن القراءة الترويحية الصرفة لا تكون الا عند من أوتوا حظا من العلم ونصيبا من المعرفة • أما العمال وأهل القرى فيفضلون بوجه عام المواد التثقيفية التي تتصل اتصالا مباشرا باعمالهم وبمصالحهم الشخصية •**

ومن هنا كان لابد من العاملين في ميدان التثقيف في القرى أن يعتمدوا على أمرين هامين :

الأول : ان التقبل السلبي للافكار والمعلومات ليس يكفي ، وانه لابد من حفز الناس على العمل ،

وتشجيعهم على مساعدة انفسهم بانفسهم . متخذين من الأفكار وسائل الى تحقيق العمل .

انه بهذه الوسيلة يتغير أسلوب الناس في القرى في معاشهم وفي حياتهم وعند ذلك يصح ان نقول انهم قد نالوا حظا من الثقافة العلمية ومن الحضارة الحديثة .

الثاني : أن جميع ميادين الحياة في الريف متشابكة . وان الخير كل الخير في ان يكون العمل في جميع الميادين في وقت واحد . فليست هناك ثقافة اقتصادية، واخرى سياسية، وثالثة اجتماعية. وانما هناك حياة ثقافية واحدة تشمل كل هذه الميادين .

ان التخطيط للتثقيف صعب في المدينة ، وهو اصعب منه في الريف .

وان تنفيذ الخطة في المدينة صعب ، وهو اصعب منه في الريف .

والصعوبة في الأمرين تجيء من الانسان الذي لا يتعالم وانما يدرك حقا ما يفعل ـ يدرك طبيعة الميدان ، ويدرك الوسائل التي تكسبه النجاح في المعركة .

ان هذا الانسان هو الذي نحتاجه اليوم .

***

كلمات

ان توفير مادة مناسبة للقراءة في المجتمع الريفي تعتبر على جانب كبير من الأهمية . ويتحتم أن تستخدم الحروف الكبيرة ، والمفردات البسيطه ، والجمل القصيرة . ولا شك ان هناك صعوبة في الحصول على المطبوعات التي تناسب المجتمع الريفي .

وينبغي في الخصوص أن تتناول حياة القراء من اهل الريف وكذلك اهتماماتهم . ومن هنا تنشأ الحاجة الى المحافظة على الأدب الشعبي والى الكتابة في الموضوعات السياسية .

فالأدب الشعبي يمكن أن يصبح اذا استعملنا الاصطلاحات التربوية نقطة انتقال من المعلوم الى المجهول ..

والأدب الشعبي يمكن تطويره بحيث يصبح أدبا حديثا . فما دام هذا الأدب يعالج الحياة اليومية للناس ويتناول الزواج والموت والعمل و .. و ...

الخ . فانه يمكن أن يصبح أدبا حديثا يستمتع به القراء من اهالى الريف .

واللحن القديم لو عدل تعديلا طفيفا ووضعت له كلمات جديده يخلق اغنية جديدة يمكن استيعابها من اهل الريف بسرعة وسهولة وبذا يكون العمل التثقيفي في هذا الموقف هو تعديل الكلمات الجديدة لتناسب الانغام القديمة .

ان عمليات التثقيف في الريف صعبة ولكن لا الى الحد الذي يدفعنا الى اليأس .

ان علينا أن نرفع المستوى الثقافي في الريف بفضل شبكة واسعة من المؤسسات الثقافية التي تنشأ خصيصا لذلك . من مثل المكتبات العامة ودور السينما والمسرح واجهزة الراديو والأندية والمتاحف وما اشبه .

ويجب على واضعى الخطط لعمليات التثقيف أن يهتموا بالمواد السمعية البصرية . فاهل الريف يتقبلون المعارف والمعلومات التى تجيئهم عن طريق هذه المواد . ولذا كانت الصور الفوتغرافية التي تنقل لهم حياة من يجاورونهم من السكان وتنقل لهم حضارة الاقليم الذى يعيشون فيه . وحضارة الأقاليم المجاورة من خير الوسائل التى توسع آفاقهم وتصلهم بالحياة اتصالا وثيقا .

ان مهاجمة الأمية من أهم الأمور التي يجب أن تعنى بها المؤسسات الثقافية ، ان الهجوم على الأمية معناه الهجوم على الجهل والخمول والفقر والمرض والعزلة وكلها صعوبات تحول بين المجتمع وبين التقدم .

ليس هناك عامل واحد يسهم في التخلص أكثر من عامل الجهل الناتج عن الأمية والعزلة والكراهية.

وان اهم ما يحتاج اليه أهل القرى هو المعرفة .. معرفة امكانياتهم وامكانيات قريتهم ومكانة بلادهم في العالم .

ويمكن مهاجمة الجهل وجلب المعرفة الى القرية عن طريق جهود حازمة واسعة النطاق لتثقيف الجماهير .

ولا يوجد مجتمع في العالم يعجز عن أن يحيا حياة افضل اذا عزم أهل هذا المجتمع على أن يسعوا الى ذلك وكانوا على استعداد للعمل من أجل تحقيق هدفهم ..

دكتور محمد احمد خلف الله

العقاد وأثره في حياتنا الثقافية

للدكتور محمد مندور



ليست هناك قضية أو ظاهرة أدبية تستحق الحديث في هذا العدد من المجلة أهم أو أكبر من المرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد الذى فقدناه وفقدته الأمة العربية فى صبيحة يوم الخميس ١٢ مارس الجارى ، فهذا الرجل الذى لم يتلق تعليما نظاميا أكثر من التعليم الابتدائى قد استطاع بجده واجتهاده أن يعلم نفسه وأن يستكمل ثقافته لا العربية وحدها بل والعالمية أيضا بفضل تعلمه للغة الانجليزية واتقانه لها حتى اتخذها وسيلة الى الآداب والثقافات العالمية لا الانجليزية وحدها ، وذلك لأن من يتقن لغة عالمية كالانجليزية او الفرنسية او الالمانية يستطيع ان يطالع بها كل ما يشاء من الآداب والثقافات والفلسفات العالمية المكتوبة بها أو المنقولة اليها . **وعندما نذكر مدى تأثر المرحوم العقاد بالشعر الأوروبى عامة والشعر الانجليزى خاصة لابد ان ندرك أن العقاد لم يكن يعرف الانجليزية فقط ، بل كان ايضا يحسها ويتذوقها الى حد ادراك روعة جمال الشعر المكتوب فيها او المنقول اليها . ومن المؤكد ان جمعه بين سعة الاطلاع على تراثنا من الشعر العربى ، وسعة الاطلاع على التراث العالمى من الشعر وبخاصة تراث القرن التاسع عشر الأوروبى قد كان الركيزة القوية التى استند اليها هو وصاحباه عبد الرحمن شكرى وابراهيم عبد القادر المازنى فى الدعوة الكبرى التى نهضوا بها لتجديد الشعر العربى فى النصف الأول من هذا القرن تجديدا تبرز بفضله شخصية الشاعر الذاتية من خلال شعره لصدوره عن نفسه معنى وأسلوبا ، بدلا من صدوره عن ذاكرته ومحفوظه وسيره فى الدروب التقليدية المطروقة على نحو ما فعل رواد النهضة الشعرية فى عالمنا العربى الحديث عندما اقاموا هذه النهضة على بعث ديباجة الشعر العربى القديم واغراضه ومعانيه وصوره وأخيلته وبخاصة كبير هذه الجماعة احمد شوقى** . واذا كان هؤلاء الرواد الثلاثة الذين فقدناهم جميعا قد أسرفوا فى هجومهم على شوقى ومدرسته ، وتنكروا فى حماستهم ضده حتى لطاقته الشعرية الفذة على نحو ما نتبين اليوم مما خلفوا لنا من تراث نقدى كبير وبخاصة من الجزئين اللذين كتبهما العقاد والمازنى باسم « الديوان » لتحطيم أدباء وشعراء فترة البعث الأدبى ممثلة فى شوقى فى الشعر ومصطفى لطفى المنفلوطى فى النثر وقد يكون للعوامل الشخصية أثر فى هذا العنف المسرف ــ فان هؤلاء الرواد يعتبرون مع ذلك قادة القافلة التى تطورت بفننا التقليدى الأكبر وهو فن الشعر الغنائى نحو الاصالة والجدة فى المضمون الشعرى وأسلوب التعبير والبناء الفنى للقصيدة وان حرصوا على أن

يحتفظوا لها بقالبها الموسيقى التقليدى ، وذلك لأن القالب الموسيقى المتميز للقصيدة العربية كان قد تغلغل فى ذوقهم الجمالى ، والذوق من أشد العوامل النفسية صلابة وثباتا ومحافظة . وعلى هذا الأساس نستطيع أن نفهم سر معارضة الأستاذ العقاد حتى آخر لحظة فى حياته معارضة شديدة للقالب الموسيقى الجديد الذى جاء به الجيل الحاضر من الشبان فى حين اننا نلاحظ أن العقاد وصاحبيه من جهة وجماعة شعراء المهجر من جهة أخرى قد كان لهما اثر بالغ فى ظهور الجيل الأوسط من شعراء هذا القرن ، جيل جماعة أبو للو امثال أبو شادى وناجى وعلى محمود طه والهمشرى والشابى وغيرهم ممن جعلوا الشعر مرآة لنفس قائله على اختلاف أمزجة أفراد هذا الجيل وتنوع الوان روحها .

***

ولقد كان المرحوم العقاد يعتبر اكبر ما يعتز بدواوين شعره العديدة ويرى منها تراثه الأصيل وأصالته المتميزة ، بل لقد اعتز العقاد بما سماه شعر الفكرة . ولقد تكون الفكرة كمادة للشعر موضع مناقشة ، ولكنه من المؤكد أن القدرة على التفكير وتوليد المعاني كانت أوضح ملكات العقاد ، ولذلك كان من الطبيعى أن يكون منزعه الشعرى صادرا عن الفكرة ، وأن يتميز بهذا النوع من الشعر وأن يعتبر ممثلا له فى تراثنا الشعرى الحديث .

***

ونفس النزعة الفكرية التى اختص بها العقاد هى التى تكمن خلف منهجه الخاص فى النقد وفى كتابة السير والتاريخ للأعلام ، وهو المنهج القائم على الفلسفة النفسية والتركيز على ابراز الخصائص النفسية لمن درسهم من شعراء وأدباء أو أرخ لهم من أعلام . فنزعته الفكرية هى التى كانت تستأثر بكل جهده وتستخدم هذا الجهد فى محاولة الفهم والتفسير بحيث يمكن القول أن منهجه كان دائما منهج التفسير النفسى ، وهو منهج له أصالته وان رأى نقاد آخرون أنه لا يجوز أن يستأثر بعمل الناقد أو الدارس .

***

وبفضل اتصال الاستاذ العقاد المستمر بالجمهور وبالرأى العام المثقف عن طريق الصحافة التى عمل فيها طوال حياته ، استطاع أن يؤثر فى التكوين الثقافى العام لمجتمعنا الحديث تأثيرا كبيرا ، وبخاصة وأن حرصه الدائم على مواصلة القراءة والاطلاع على الثقافات العالمية قد مكنه من ان يبذر فى حقلنا الثقافى الحديث الكثير من الأفكار والقيم والاتجاهات العالمية الحديثة ، وأن يناقش كل ذلك فيقبل البعض ويرفض البعض على اساس من توافق أو تناقض بين شخصيته القوية المتميزة التى كانت تعرف دائما ماتريد وما ترفض فى عناد وشجاعة بل وصلابة ، وان يكن الواضح أن ظروف حياة العقاد الخاصة من جهة ، وثقافة القرن التاسع عشر الاوروبى التى تغذى بها من جهة أخرى قد نمت لديه اتجاهين كبيرين وصلا فى نفسه الى حد العقيدة التى آمن بها فى ثبات وصلابة وهما الحرية بأوسع معانيها من جهة ، والفردية والاعتزاز بالشخصية الذاتية المتميزة والممتازة الى أقصى حد بما قد يشوب هاتين النزعتين أحيانا من نفور من النزعات الجماعية ، أو المساواة الكمية ، **ولكنه مع ذلك لن ينسى التاريخ للعقاد أصالته وتميز شخصيته واعتداده الشديد بكرامته وقوة ايمانه بالانسان كفرد ، وبالحرية كغاية ووسيلة معا .**

***

وبالضرورة لم يكن من المستطاع أن نوافق المرحوم العقاد على كافة آرائه الخاصة ، ولكننا مع ذلك لم نكن نستطيع الا احترامه لشجاعته وأصالته وغيرته على رايه كغيرة الرجل الكريم على عرضه . ومما لاشك فيه أننا قد فقدنا بفقد العقاد علما كبيرا من أعلام نهضتنا الثقافية المعاصرة ورائدا من رواد الأدب والفكر ومناهج البحث فى عالمنا العربى المعاصر كله .

دكتور محمد مندور

عباس محمود العقاد
بين تحقيق التراث وحرية التعبير

للدكتور عبد الحميد يونس



لابد أن ينقضي زمان طويل قبل أن تشرع الحكومة الادبية في استكمال الحقائق والنصوص والروايات التي تتصل بهذه الشخصية الفذة ، التي حملت القلم ، ونهضت بمسئولية التعبير أكثر من خمسين سنة . ويكاد يجمع الرأي العام الأدبي ، على أن « الحياد » شرط أساسي لكل حكومة أدبية أو غير أدبية . بيد أن المتعمق للجهد الفني في ابداعه وتذوقه جميعا ، يسلم معنا بأن هذا الحياد مستحيل أو من حسن حظي ، وأنا أواجه هذه الشخصية الفذة بعد أن غابت في ظاهر الأمر عن دنيا الأدب العربي ، أنني عرفت الاستاذ العقاد ، واتصلت به شطرا من عمري ، وكنت من الذين أتيح لهم أن يشهدوا مجالسه ، وأن يرصدوا مدى تأثيره الشخصي والثقافي والفني . وجمع بيننا أكثر من ذلك ، اننا تتلمذنا على أستاذ واحد هو : الشيخ محمد فخر الدين ، على اختلاف جيلينا . كما عقدت الصداقة بيني وبين أبنائه الكبار في الفكر والادب من أمثال الاساتذة ، علي أدهم ، وعبد الرحمن صدقي ، وطاهر الجبلاوي ، وحافظ جلال .

والادب العربي الحديث ، مدين في خروجه من أسار التقليد والجمود والاحتفال بالشكل دون المضمون الانساني ، برواد عظام ، كان من ابرزهم عباس محمود العقاد . ويقرن اسمه دائما في المرحلة الأولى من حياته الادبية ، بزميليه اللذين اصطحباه مرحلة من الطريق : عبد الرحمن شكري ، وابراهيم عبد القادر المازني . وكان الثلاثة مع الرواد الممتازين الآخرين ، يجاهدون في سبيل تصحيح مفاهيم الفن والادب ، وضبط معاييرهما ، وردهما الى الأصل الذي يصدران عنه ، وهو : شخصية الفنان او الاديب ، ثم التجربة التي تحفز هذه الشخصية على ابداع اثر ادبي أو فني معين .

***

واذا كنا في هذه المرحلة الأخيرة من حياتنا الادبية ، نحتفل بالواقع بعد أن نبرئه من الوهم والتخييل ، ونكشف عن أبعاده النفسية والاجتماعية ، ونحاول أن نصوره في هذا النمط أو ذاك من أنماط الفن الادبي ، فان مابلغناه يعد امتدادا لثورة العقاد وزملائه على البراعة في الزخرف ، والحذق في استخدام التناسب ، والاحتيال على المقابلة ، وبذل العمر في القدرة على الترصيع وعرض الأخيلة المتمنعة ، في الشعر والنثر جميعا . فالغنائية او الرومانسية التي أقرها هؤلاء الرواد وأصلوها ، تناقض تمام المناقضة الكلاسية الجديدة التي غلبت على الاجيال قبلهم ، والتي كانت ثمرة من ثمرات الاقطاع الذي يؤثر المحافظة ، ويعتصم بالجمود ، ويتسلح بالوهم ، ويغري نفسه والآخرين بالمعنى العام والمطلق ، ويرى أن الفن والأدب مظهر فضفاض ، وكسوة تشريف في محفل تحكمه مراسيم ، لا حرية لاحد في مناقشتها والخروج عليها . أما الاحساس بالذات ، عند الفنان أو الأديب والاحتفال بالتجربة الشخصية والموقف الشخصي ،

فمظهران كبيران من مظاهر الثورة التى تنزع الى الحرية ٠

مفتاح الشخصية

ولكن هذه الثورة على الواقع الجامد ، والقديم المتخلف ، لم تكن انسلاخا عن الاطار الثقافى العربى بأى صورة من صور الانسلاخ ٠٠٠ كان قصاراها أن تستحدث التوازن بين المنتخب الصالح من التراث المكين ، وبين القيم الموضوعية والمنهجية فى الحضارة الغربية التى غلبت على الشرق ،وانتهى اليها السلطان على الشعوب العربية ، وهى ثمرة متكاملة لفكرات تفاعلت واختمرت ، قال بها مصلحون لمنهج الفكر وقوام المجتمع ٠ ولم يكن فيها تناقض بين وجدان وطنى ، وآخر قومى ، وثالث دينى ٠ ومن يقرأ ما صدر عن هؤلاء الثوار فى المرحلة الاولى ، يجد تكاملا بين مفاهيم الوطنية والقومية والدين ٠

ولابد ن نسلم بأن هذه الثورة انما كانت تحقيقا لوجود الطبقة الوسطى فى ايثارها للواقع ،واعترافها بالتجربة الشخصية ، وايمانها بالحرية ، وظهورهذه الطبقة يتفق فى المظهر العام مع ظهور الطبقات الوسطى فى أوربا قبل ذلك بكثير ، ويختلف عنها فى ان القدر القى على كواهلها اكثر من معركة ٠٠٠ مقاومة الاقطاع غير المصرى وغيرالعربى ،ورد الدخيل الأجنبى الذى تحيف الوطن ، ثم الدعوة الى فلسفة جديدة فى الحياة ، لها معايير جديدة ، وقيم جديدة، ومضامين جديدة أيضا ٠ ولكن معركة واحدة كادت تستغرقها ، وهى المعركة السياسية ٠ ولم يكن من قبيل المصادفة على الاطلاق ، أن يؤسس بنك مصر، وتنشأ الجمعيات التعاونية الأولى ، فى نفس الوقت الذى بدأفيه هؤلاء الرواد التجمع والسير على الطريق ان معنى هذا كله هو ظهور الطبقة الوسطى بقوامها المادى والمعنوى معا ٠

ولقد شغل العقاد نفسه فى الحلقة الثانية من سيرته الأدبية ، بأن يعرض للعبقريات العربية والاسلامية، وكان فى هذا الاتجاه ، هو والدكتور هيكل ،يفتشان فى التراث العربى الاسلامى عن النماذج والمثل التى تكافىء نزعتها الى تحرير الوطن والشعب والفرد ٠ بيد ن العقاد لم يكن مؤرخا ، ولا مترجما لمثال ينتخبه وانما كان يحاول أن يكتشف مفتاح العبقرية ، وهو المفتاح الذى يتيح له أن يدخل فى أطواء هذه النفس ومكنوناتها ، لكى يقدم المقومات البارزة التى تقوم بها الشخصية العبقرية ٠ ونحن الآن نتساءل ، هل يستطيع أحد من المحدثين ان يكتشف المفتاح الذى يتمكن بوساطته ان يواجه أعماق شخصية العقاد التى جمعت فى أعطافها ثقافة عريضة ، وفكرا ثاقبا وبصيرة نفاذة ، وقدرة على تطويع الكلام المنظوم وغير المنظوم ، على اختلاف المواقف والصور والمعانى ، ابان نيف وخمسين سنة من الوعى والشعور والتذكر والعلم والخيال ؟ !!

الأدب عسير ٠٠٠!!

وعندما يعنى الأديب وحدة الفكر واللغة ، وقيامها على حصيلة من الثقافة ، ويدرك الى جانب ذلك وظيفة الأدب الحيوية ،عند المنشىء والمتلقى ،فانه لايستخف بالحوافز على التعبير ، أيا كانت ، ويستشعر مئونة تخصيص التجربة بابعادها عمقا وشمولا ، وهو ما اجتمع للعقاد ، فجعله يقوم بعملين ، يبدوان للوهلة الأولى ، متضادين ، وهما النهوض بعبء التعبير عن التجربة ، والاطمئنان الى مقاييس ومعايير يحكم بها على أدب الآخرين ، قياسا الى ما تكبده من مشقة ، وما أدركه من أمانة الكلمة ٠٠٠

وكل من يحاول أن يفسر السبب الذى جعل هؤلاء الرواد ينشئون وينقدون فى وقت واحد،لايجد غير هذا التفسير الذى يرتكز على الاحساس بالذات وتحقيقها بالفن الأدبى ، مع نزعة كامنة الى الاصلاح العام ٠٠٠ نقد أصحاب الديوان : شكرى والمازنى والعقاد ، الأدباء الفحول فى المرحلة الأولى ، وقدموا فى الوقت نفسه النماذج التى تحمل فى تصورهم ، المناهج الجديدة ، والقيم الجديدة والمضامين الجديدة وظلوا بعد ذلك ، ولعل الأحرى أن نقول ، وظل المازنى والعقاد ينقدان الأدباء المعاصرين لهما ، والشباب الذى كرعلى الطريق بعدهما ٠وكذلك فعل

الدكتور طه حسين ، والدكتور هيكل ، وغيرهما من أدباء الطليعة في ذلك الجيل .

ولقد سئل العقاد مرة عن مئونة الابداع الادبي وكان يرى الشباب من حوله يمعن اكثرهم في حكاية القدماء ، والمحدثين فأجاب « ان الادب عسير »وكتب في جريدة الجهاد مقالا بهذا العنوان ، يبين فيه ان تحقيق الذات في لحظة من لحظاتها ، او تجربة من تجاريبها ، كدورة الحياة ، حتى تصبح جنينا ، فكائنا حيا . وكمال التجربة أشبه بالمخاض ، واللذة الفنية عند المبدع ، كانبساط نفس الأم وراحتها بعد الفراغ من الولادة ، وعند رؤية الوليد !! وهو كلام يشبه الى حد كبير ، ما نقد به الدكتور طه حسين ، بعض الشبان الذين يتصورون انهم مركز الكون ، وبؤرة الحقيقة ، وأن كل شيء يقاس اليهم . فيتخطفون الثقافة تخطفا بلا عناء وبلا منهج ، واحرى بهم أن يدركوا أن الثقافة شرط لازم للأديب ، وناقد الأدب فهي التي تجلو بصيرته ، وتمده بالقدرة على انتخاب التجربة والتعبير عنها ... وفي هذا برهان قوي على أن تحقيق الذات ، أو التعبير عن التجربة ، انما يحتاج الى ثقافة وملاحظة وقدرة . ولا يمكن أن يكون حركة آلية مفاجئة ... انه خلق عضوي ، يولد وينمو ، ويعيش في اطار ثقافي ، وينتخب من تراثه السابق ، ليضيف اليه حلقة جديدة من ابداعه وتقويمه

الشعر والرواية

والذين يحكمون بالظواهر يتصورون ان العقاد كاتب ناثر ، أكثر منه شاعرا ، بل ان فيهم من يرفض نسبة الشعر الى العقاد . والواقع التاريخي أولا ، هو أن هؤلاء الرواد ، حققوا شخصياتهم بالشعر ، قبل أن يحققوها بأي وسيلة أدبية أخرى فأما المازني ، فنزل الشعر جملة ، وكتب يبرر الباعث له على ذلك ، وان نظم مقطوعة أو مقطوعتين تسجيلا لموقف او تجربة . وأما عبد الرحمن شكري فبعد أن اختلف مع زميليه ، احتجب عن دنيا الأدب ثم عاد اليها على صفحات الرسالة بعد سنوات طوال وبقي العقاد ، ينظم الشعر ، ويحتفل بجمع قصائده ومقطعاته في دواوين متلاحقة . ولم يكن شاعرا محفليا تدعوه المناسبة العامة فحسب ، وانما كان شاعرا غنائيا يسجل ومضة من ومضات فكره وشعوره في لحظة او موقف ، كما كان يندمج في الوجدان القومي العام ، فينظم قصيدة يمكن أن تسلك في شعر المناسبات . بيد ان المعيار الأول والأخير عنده هو الصدق في تصوير الاحساس الشخصي . والواقع الفني ، ثانيا ، يشهد بان للعقاد منهجا شعريا يشترك فيه مع الغنائيين ، ويمتاز عنهم بالموضوعية ، واشتراك الوعي الذي يعمل على التنظيم ، واقتران التخييل عنده بالفكر . ومن يرصد الرسم البياني النفسي لشعره ، يجد انه آثر الموضوعية والمضمون الفلسفي في المراحل الأولى ، وازدادت غنائيته بعد ذلك شيئا فشيئا ، حتى اذا اطمأن الى مكانته المتفوقة ، ارسل الغناء ارسالا ، تراه في « عابر سبيل » ، « وأعاصير مغرب » ، « وبعد الأعاصير » ، « والكروان » ...

ولم يكن المقال الصحفي سياسيا كان او فكريا او أدبيا ، هو الجنس القولي الذي غلب على العقاد ، وان كانت بعض كتبه مجموعة من الفصول واحاديث الاذاعة . لقد كان العقاد اول من حاول بوعي كامل أن يستكشف مقومات الشخصية من النصوص الشعرية ... فعل ذلك في « ابن الرومي : حياته من شعره » وفعله مع شعراء آخرين من الذين يؤثرون التعبير عن تجاربهم وذواتهم مثل : عمر بن أبي ربيعة وجميل بثينة وغيرهما .

وكانت الاجناس الأدبية لا تتفاضل أمام العقاد على أساس اقبال الجمهور عليها أو عدم اقباله ، فلقد كان يكبر من شأن الدراما او المسرحية ، ولكنه لما سئل عن عدم تأليفه القصة الطويلة او الرواية ، أجاب بأنها ليست أفضل الانواع الادبية ، ولكنه كابد تأليف الرواية ، واخرج « سارة » التي تقترب من الغنائية الشعرية ، وتكاد تدخل باب « الترجمة الذاتية » لأن المؤلف هو الشخصية المحورية فيها ، بل ان اختيار اسم « همام » لهذه الشخصية ، يوحي باسم المؤلف « عباس » ، ولعله فعل ذلك ايضا في الشخصيات الأخرى . ولم يكن في عمله خروج على الطابع الغلاب وقتذاك ، فقد الف المازني « ابراهيم الكاتب » التي توحي بأنها ترجمة ذاتية لصاحبها ، وهو ابراهيم عبد القادر المازني ، الذي تخصص في الأدب والكتابة ، وقبلهما ، الف الدكتور هيكل رواية « زينب » التي يجد الناقد فيها شخصية حامد صورة للمؤلف نفسه .

وقد يكون مفتاح شخصية العقاد هو : التفاعل بين تحقيق الذات وحرية التعبير ، مع عدم الانسلاخ الكامل عن التراث الفكرى والأدبى ••• ولقد سجن من اجل الحرية الليبرالية كما تصورها جيله ، ودافع عن حرية الفكر كما دافع جيله وأدرك ان تطويع الكلام لخلجات النفس ، ونبضات الوجدان ، وومضات الفكر ، وصور الخيال ، ليس أمرا هينا ولا سهلا•• ادرك ما أدركه قاسم امين عندما ذكر ، ان المرء كلما استشعر احساسا معينا وأراد ان يعبر عنه بالكلام ، راى بعد طول الفكر والجهد ، انه قال شيئا عاديا اقل مما كان ينتظر ، وان احسن ما فى نفسه بقى فيها مختفيا ، ولذلك رأينا العقـــاد ، يدعو الى تجديد التعبير ، او بعبارة اصح الى تحرير التعبير ، ولم يفعل ما فعله الذين رأوا ان الواقعية الفنية لا تتحقق الا بواقعية لغوية تكافؤها • لم يفكر فى التخلص من الاعراب ، كما فكر قاسم امين ، ولا فى استعمال السوقى والعامى ، بل طوع العبارة الفصيحة لما يريد من أغراض وأفكار ومواقف ، واستحدث فى سبيل تحرير العبارة ، تعديلا فى موسيقى الشعر ، لايرتكز على التخلص من الاطار التقليدى ، وانما يرتكز على التنويع فى الأوزان تنويعا منتظما ، وعلى اشتجار القوافى بتزويد وتكرار لا يفسدان الايقاع الموسيقى واهم خصيصة فى سلوك العقاد وفكره وأدبه جميعا هى : الاعتماد الكامل على « النظام » فالسلوك ينبغى ان يحكمه نظام ، وقد فرض هذه القاعدة على نفسه ، وعلى حياته اليومية ، وما من سلوك الا ويعتمد على ضرب من التنظيم ، فلم يكن فى دعوته او سلوكه خروج على ناموس الحيـــاة ، والفكر عنده يرادف النظام ، فالمنطق تنظيم ، والعقل توازن ، والارادة الانسانية ليست هوجاء والادب فى قوالبه ومضامينه ، يقوم بالنظام الذى يتمم الايقاع بدلالاته ، وتضبطه العلاقات ، ولابد فيه من السببية ، ومن التداعى المعقول ، والا اصبح كالتخليط والهذيان ، ولذلك فنحن نرى ، حتى فى نثر العقاد ، ايقاعا منتظما •• ايقاعا معنويا ولفظيا ، ومن يمعن فى فقرات فصوله يجد انها تنتهى دائما بما يشبه حرف التأسيس ، وكأنه يؤمن بأن الشعر والنثر يقومان بالموسيقى ، ويختلفان فى نوعها ودرجتها •

واذا كان قد ثار على الشعر ذى التفعيلة الواحدة ، او الشعر الحر ، فليس معنى ثورته ، أنه خرج على فلسفته الادبية ، ولكن المعنى أنه ظل مرتبطا بالتراث العربى ارتباطا وثيقا ، وأنه خاف على الشعر العربى من الفراط وشائجه ، فيتهافت ويصبح نثرا أو تقريرا ، ولابد أن ننتظر ـ كما قلت فى صدر المقال ـ فترة طويلة حتى تواجه هذه الشخصية الفذة مواجهة موضوعية • وحسبه ، وقد غاب عنا ، أنه كان بحق ، وبفضل فكره وأدبه ، أمة فى رجل ، أكثر مما كان رجلا فى أمة •

دكتور عبد الحميد يونس

العقاد ناقداً فنياً

بقلم : عبد الفتاح البارودى



لم يمارس العقاد عملية النقد المسرحى او السينمائى او الموسيقى بانتظام بالمعنى المتعارف عليه فى الصحف اليومية والمجلات الدورية ، ولكنه كان بين الحين والحين يكتب فصولا فى النقد الفنى فى غاية الامتياز ... لماذا ؟

لانها اولا : **ارشدتنا الى مفهوم الفن ومقاييس النقد الفنى فى العالم المتحضر .**

وثانيا : واجهتنا باخطائنا فى الفن .

وثالثا : القت الضوء على الانتاج الفنى بالمناقشة والتحليل والبحث المقارن .

ولهذا نجد انه رغم قلة ماكتبه فى هذه النواحى بالنسبة لانتاجه الغزير ، فانه بالاصالة والعمق والمنهج افاد الحقل الفنى اضعاف ما افاده النقاد المتخصصون فى الفنون .

فهو مثلا منذ اكثر من ٤٠ سنة ظل يكتب ويترجم ويشرح اهم التيارات الفنية والمراجع وافكار الفنانين والنقاد العالميين ، والمدهش انه كان يلائم بين هذا كله وبين اذهان جمهورنا وكتابنا وفنانينا بالتطبيق والتحليل والتفسير والتبسيط ، ومن هنا كان يصدم الجهلاء والادعياء الذين احتشدوا فى الوسط الفنى ، ومن هنا ايضا كانت كلماته اداة من افعل ادوات التنوير الفنى ، ومن هنا كان يقسو على الجهلاء والادعياء ، مثل قوله فى وصف فن التمثيل فى فى مسارحنا حوالى عام ١٩٢٢ **(اذا كان لا بد من ابداء رأيى فى تمثيل مصر قلت انه مقتلة للوقت بل مذبحة طائشة يذهب فيها دم هذا البرىء المظلوم جهارا ، ليلا ونهارا ، وما من حسيب ولا رقيب) ... او قوله (كيف يلصق اسم التمثيل بهذه المساخر التى يعرضونها هنا ، وما هى الا محاكاة قرديه لهذه الصناعة ، وما هى الا تمثيل للتمثيل ؟) .. ومثل قوله : (فاذا التمثيل مجون ، واذا الممثلون — او الممثلات بالاحرى — سلعة مبذولة فى سوق الرقيق) .**

الى هذا الحد بلغت قسوته على الجهلاء والادعياء ، ولم تكن فى الحقيقة قسوة ، وانما كانت نظرة صائبة لناقد فنى ادرك تفاهة مستوى مسرحنا وقتئذ ، بل ادرك تفاهة مستوى كل فنوننا ، ولهذا نقرأ له فى نفس المقال : **(ان التمثيل — بل الفنون على بكرة ابيها — مبتلاة بداء العصر العضال .**

كان طبيعيا ان يصف كل فنوننا بالتفاهة ، لانه كان — لغزارة علمه — يلمس هذه التفاهة بوضوح ، وخاصة عند المقارنة بين مستويات الانتاج المحلى والانتاج العالمى .. ولقد كانت من اهم مزايا العقاد الناقد احاطته الواسعة بالتيارات الفنية العالمية ، وكان من اهم ما افادنا به انه نقل الينا نقلا فنيا آراء وافكار النقاد والفنانين الاجانب كلما تعرض للحديث عن الفنون ... فى سنة ١٩٢٧ مثلا كتب مقالا شرح فيه موقف الجمهور والكتاب من الانتاج الفنى الجاد فى اوروبا ، واستشهد فى هذا المقال بآراء كثيرة ومفيدة جدا فى مختلف الفنون من زاوية النقد الفنى .

منها مثلا رأى قال فيه ستيفن لكوك : **لا احسب ان للنقد اقل قيمة .. وكل ما يحتاج اليه الكاتب هو المحبرة والمداد والبخور « ومع هذا قد لا تكون لعمله قيمة ، لانه ربما كان لا يحسن الكتابة ، ففى هذه الحالة لن يستطيع كل نقاد الدنيا ان يجدوا عليه المحبرة ولا الثناء .**

رأى آخر يقول فيه « ملن » : ان النقد الوحيد الذى قد يساعد المنقود هو ما يجىء من ناقد اقام الدليل على انه يألف شخصية المؤلف واسلوبه ونظرته الى الحياة ، ثم هو يأسف لان ذلك المؤلف قد تخطى شخصيته فى هذا الموضع او ذاك ، ولكن هذا النمط من النقد نادر ، وهو مع ندرته لا يسهل على المؤلف ان يستفيد منه اذ كانت كبرى حاجته الى الثناء .

والمصور جون هاسال يقول انه لم ينتفع قط

بالنقد لان طريقة التصوير الحديثة بالالوان المائية ليس لها مراجع يعتمد عليهـــا النقاد فى البلاد الانجليزية .

والموســـيقى نورمان اوتيل يقــول : كان اقوم الانتقادات التى تلقيتها عن اعمالى ما جاءنى من قبل اخوانى الموسيقين) .

آراء كثيرةجدا نقلها لنا العقاد وافادنا بنقلها ، ولكنه افادنا جدا بمناقشتها ، وهو فى هــذا المقال بالذات انتهى بعد المناقشة الى أن النقد هو النقد الخالق ، هو النقد الذى يهتدى الى النماذج فى عالم الآداب والفنون ، وان وظيفته هى احياء كل نموذج يهتدى اليه بمجاوبته وانكاء فضائله وشحذ ملكاته ، ولن يكون الناقد على هذه الصفة الا اذا كان هو نموذجا من الطراز المختار ، لا من الطراز الدارج المألوف .

وفعلا كان العقـــاد ناقدا فنيـــا من الطراز المختار ... لأنه حتىفى آرائه واحكامه القاسية لم يكن يقسو الا على الجهل والادعاء ، وكان الوسط الفنىمحتشدا بالجهلاء والادعياء .. والعقاد لم يتهم بلا دليـل ولم يهاجم بلا مبرر ، ولم يكتف بالاتهـام والمهاجمة ، بل كان يرشد الى الطريق السليم .

كان من اوائل المفكرين الذين لفتوا انظارنا الى علاقة الاساطير بالفنون ، ليس لمجـرد التحدث عن الاساطير كما اعتاد هواة التعالم ، بل كان عالما بها ، وكان يعلمنا كيف ولماذا استلهم الفنانون مادتهم من هذه الأساطير .

فهو مثلا يشرح اسطورة قديمة عند « التيوتون » تدور حول عرائس الشـــعر التسع ، وكيف كان روفائيل يهبط فىيوم الأرواح من كلعلم الى حارس الجحيم فيأمره باطلاق العرائس ليصدحن بالتصيد . فيتقدمن ويأخذن فى اصـــلاح اعوادهن كارهات متكلفات ويبدان بنشيد اغريقى قديم لعله كان بعض اناشيدهن فى مهرجان الأوليب ... الخ ... وفى يوم ، رغب بعض ادباء الملائكة الى العــــرائس المباركات ان ينشدنهم طرفا من الشـعر الذى ظهر بعد العهد اليونانى ، وهن لا يعرفنه او لا يعرفن الا اليسير منه ، فلما بدا العجز عليهنتقدم الشيطان ، فألهاهم بضع ساعات بأناشيد شتىفطرب سامعوه لاول اصواته ، اذ كان الخبيث ماهر الاذن والذاكرة، ولكنها فترةعارضة ، ثم يدب الضجر والملالةويختفى عنصر التلحين !!

هذه الاسطورة استهل بها الشـــاعر تريفلان رسالته «تاميرس» ، فلما شرحها العقاد لم يقف عند الفاظها وعباراتها ، بل ناقشها بعمق وحللها تحليلا تطبيقيا وانتهى منها الى ان بواعث الاحســاس قد صرفت الى مناظر الصور المتحركة والتمثيل **الماجن واخبار الروايات وقصـص الجناية والغرام ... ويستطرد العقاد فيقول : (هــذا الذى اتمنى غناء الشعر بيننا ، وسيغنى غناءه غدا ، وكانيغنى غناءه فى عصور هومر وشكسبير وملتون وهينى ودانتى والمتنبى وابن الرومى وامثالهم فىالأمم كافة لو منيت تلك العصور بمهازل الصور المتحركة ــ السينما ــ وآفات التمثيل والصحافة ... الخ ... وصفوة القول ان الطبائع باقية ، وان اليوم كالأمس والغد كاليوم فى التخيل والاحساس ، ولــكن ما مستقبل الشعر ــ اى الفن بعد هذا كله ؟ مستقبله فى ذمة التمثيل والصحافة والمطابع والروايات .. » .**

الى هــذا الحد كان العقـــاد الناقد الفنى عميق التفكير فى بحث أسباب هبوط مستوى الفن والانتاج الفنى ، الى حد انه كان فىشرح الاساطير يستخلص منها اعمق الافكار الانسانية ، وهو فى هذا استاذ متفرد بلا نظير .

ايضا كان العقاد من اوائل المفكرين الذين القوا الضوء علىحقيقة التفكير الموسيقى ... وضح هذا فى مقالاته وآرائه عن موسيقيينا الأصلاء مثل سيد درويش ومحمـــد حسن الشـــجاعى وغيرهما من الموسيقيين الدارسين المتطورين حقا ، ووضـــح ايضا فى آرائه عن ادعياء الموسيقى ، ووضح كذلك فىالنماذج التى قدمها وكتب عنها مناعلامالموسيقى العالمية ، فقد افادنا بتعريفنابأسباب ارتفاعمستواهم وبشرح الخصائص الحقيقية للانتاج الموسيقى .

كتب عن بتهوفن مثـــلا منذ ٣٧ سنة بمناســـبة الذكرى المئوية لوفاته ، فماذا قال ؟ هل تعرض لما يعلمه وما لا يعلمه كما يفعل الذين يتصدون للكلام عن الموسيقى بلا علم ، ان العقاد لم يكتب الا فيما يعلمه فقط ... قال : **(كان بتهوفن فنانا عظيمـــا ونفسا عظيمة . فاما الفنان فجملة ما يقال فيه انه شكسبير الموسيقى كما قال فاجنر يوم ذكرى مولده وليس من شاننا ان نخوض فى الكلام عليه من هذه الناحية ، لانها الناحية التى نجهل دقائقها واوجه**

الحكم فيها ، وانما نتكلم عليه من ناحية نفسه التى علم الناس عنهـــا بعد موته وكتبوا فى اطوارها وبداوتهـــا فوق ما علموا وكتبوا عن جميع عظمــاء عصره ، فكان خلاصة ما قيل فى هذه النفس الطيبة الشقية انها نفس بائس عظيم) .

الى هذا الحـــد كان العقاد الناقد الفنى امينـــا وشريفا ... انه بكل صراحة يرفض ان يتحدث عن موسيقى يتهوفن حديثا موسيقيا ويجهر بأنه يجهـــل دقائق هذه الناحية المتعلقة بتكنيك الموسيقى ... وهذا درس بليغ من دروس العقاد العملاق ، فانه من اكثر المفكرين عنـــدنا قراءة للمراجع الموســـيقية والانسيكلوبيديات الموسيقية ، ومع ذلك لا يريد ان يخوض فى التكنيك ، رغم انه اكثر علما به من كثيرين يتصدون للكتابة عن الموسيقى وهم لم يقراوا عنها كتابا واحد .

درس آخر من دروس العقاد ، وهو انه عندما تكلم عن بتهوفن من ناحيه نفسه استند الى الحقائق التى كتبت او قيلت عنه ، ولم يتكلم جزافا ، ومن اجل ذلك استوفى وصف ملامحه وحياته وظروفه وعلاقته بالحياة وبالناس ، وتعمق فى فهم احساساته وعواطفه وسلوكه ... الخ .

على ان العقاد استطاع ــ بنفس الصدق والعمق والفهم ــ ان يشرح ماهية الموســـيقى من الزوايا الادبية والفكرية والشـــعورية ، وفى الوقت نفسه شرح نظرتنا الشائعة من الموسيقى ، فافادنا بلبقاتنا لكى ندرك حقيقتهـــا ... فهو مثلا يصـــف التعبير الموسيقى بأنه يصدر عن النفس بمعونة قليلة من الخبرة الدنيوية والمعارف العقلية وهو فيها صدى التوافق الذى يشمل قوانين الوجود ويضبط نسبته الملحنون والرياضـــيون ، ولسنا نعجب ان يتصدى الموسيقيون للتعبير الفلسفى والافصاح عن المعانى البديهية بأداتهم من الالحان والآلات ، فان هذه الاداة لقادرة على ان تلهمنا «الادراك اللدنى » الذى يعيا الفيلســـوف بالتعبير عنه وافرغه فى قالب الالفاظ والافكار ، وليس الجانب الذى تحـــده الالفاظ جدا يتســاوى فيه جميع الفاهمين الا جانبا قليل الغور فى نفس الانســان .. اما ماوراء ذلك من الضمائر المغلقة والمعانى الرفيعة والبداهة الملهمة فليســت حصة الموسيقى فيها باقل من حصة الفيلسوف ، ولا نصيب اللفظ منها بأجزل من نصـــيب الاصـــوات ، بل ان الموســـــيقى اقدر على الهامك بعض معانيـــه من الفيلسوف على نقل الهامه اليك بالكلام الواضــح والتعبير الفصيح .

بهذا الشرح بلغ العقاد اعمق مستوى فى وصف معنى الموسيقى والالهام ... والعقاد ايضا هو اول من علمنا خطأ ترجمة الكلام بالموســــيقى بالمعنى الحرفى ... انه يقول : (**غير ان الذى نعجب له ونتكره على الموســـيقيين ان يدعوا ترجمة الكلام بالالحان او ترجمة الالحان بالكلام ، وان يزعم احدهم انه يسمعك القصة منغومة كما يسمعها اياك منظومة او منثورة بتفصيل كتفصيل الصور والكلمات ، فهذه الدعوى تنزل بالموسيقى ولا ترفعها ، وتعلقها بالتعبير الكلامى ولا تجعلها مستقلة بتعبيرها الذى فيه الكفاية والغنى عن غيره من اساليب التعبير) .**

هذه بلا جدال استاذية فى فهم الموسيقى وفهم الفوارق الفنية بين خصائص الفنون المختلفة .

والعقاد من اوائل المفكرين الذين شرحوا معنى الرمز الفنى ، ومدى ارتباط الفن بالمجتمع ، وتحدث عن ذلك بافاضة ودقة عنـــدما تناول بالنقد الفنى معارض الفنانين التشـــكيليين فى سنة ١٩٢٢ مثل معارض احمد صبرى وراغب عياد ومحمود سعيد وغيرهم من الفنانين المحليين والاجانب .

والعقاد من اوائل الذين تحدثوا عن اثر الظروف فى تكييف الفنان ، وشرح ذلك مثلا عنـــدما تحدث عن اتجاه فرح انطون الى التاليف المسرحى ، فانه مع تقديره لقيمته الفكرية كتب يقول : حضرت احدى رواياته التلحينية فما اطقت الصـــبر على اكثر من فصل واحد ولم ار فى موضوعهـــا وفنها وغنائهـــا وجمهورها اثرا لفرح انطون ... لماذا ، لانه هجر او اضطر الى هجر المجالات التى يصلح لها .

والعقاد من اوائل المفكرين الذين قدموا لنا اعلام المسرح فى مقالاته عن شكسبير ورواية هملت ، وكان كتابه الاخير عن التعريف بشكسبير من اغنى المراجع مادة وفنا .

والعقاد من اوائل المفكرين الذين شرحوا لنا مدى ارتباط الفن بالفلسفة وبالعـــلم وبالوعى وبالحرية وبالتفكير المنهجى ... ان العقـــاد كان ناقدا فنيا عظيما .

عبد الفتاح البارودى

في مسئوليات الناقد

للدكتور أحمد كمال زكي

طه حسين والمازني والعقاد قادوا حركة النقد وهم مسادون بأسباب الثقافة وبعد أن قرأوا الآثار الغربية بلغاتها ، وكان صدورهم في الجانب الذي حاربه الرافعي ايذانا بوجود الناقد الذي لا يدور في ضبابية الاصطلاحات . ويحاول — بعد المامه بالانسانيات — أن يقوم الأثر الأدبي تقويما بعيدا عن طلاسم الديباجة المشرقة ونبالة المقصد ومعاظلة التركيب ووخامة المعنى ونحو ذلك مما لا يفيد الا في الدلالة على تلاعب بلاغيينا بالالفاظ .

وكان المنهج العلمي الذي اصطنعوه — وهو لا يهمل اللغة ونحوها وبيانها — قد لفت الى ضرورة تدريب الناقد العربي على الاتصال بالناقد الغربي، وتم ذلك بنجاح بوساطة كتاب ا . ريتشاردز الذي وضعه سنة ١٩٢٤ باسم « مبادىء النقد الادبي » . والى جانب هذا الكتاب الذي يستهدف ربط الانتاج الادبي في مجالات النقد بالتحليل اللغوي المباشر ، ترجم الدكتور محمد عوض محمد « قواعد النقد الادبي » لابركرومبي ، كما ترجم الدكتور زكي نجيب محمود « فنون الأدب » لتشارلتون فكان امام العاملين في ميدان النقد شروح لبعض القواعد الرئيسية التي اثرت تجارب الغربيين الادبية .

والظاهر أن النتيجة كانت عكسية تماما ؛ فقد تضخمت بحوثنا النقدية بغير طائل ، وبدا كما لو كانت مدرسة الرافعي أكثر سدادا من المحدثين . حقا ظهر مندور ومن بعده القط ، وحقا كان الى جانب هذين سهير القلماوي ورشاد رشدي ومن يقرأون موروا وكامي وديكنزو فاست وبوشكين وفوكنر وسيمون دي بوفوار ، الا أن النقد ظل في حاجة الى من يحدد مجاله كما ظل عاجزا — حتى اليوم للأسف الشديد — عن استكشاف جمال الادب كحقيقة قائمة من اجل البناء .

ماذا أقول ؟

بل بدا أن الناقد لم يعد يعرف مسئوليته على الحقيقة ، وكأنما ضاع كل ما قدمه طه حسين والمازني والعقاد قبل أن يخلوا الطريق لغيرهم من المجددين . وظهرت مشكلات متعددة نجمت عن محاولة تطبيق القواعد الغربية في النقد العربي تطبيقا طائشا ، كما وجدت اصطلاحات تشبه في تلبيسها اصطلاحات القدماء ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر « التطهير » و « لحظة التنوير » و « العصاب النفسي » و « فعل التعبير » و « الاستجابة الفاعلية » و « المضمون » و « الانطباعية » و « المعادل الموضوعي » و « التناسب الموضوعي » و « الالتزام » الخ . . .

ولم يكن بد من الا يعقد الادباء املا على ناقديهم، ولا سيما بعد أن ظلوا على اصرارهم في احتذاء الغربيين ، بل في احتذاء طائفة معينة منهم يوضع على رأسها ريتشاردز . والغريب أن كتاب هذا الرجل — القديم نسبيا — لا يزال الى اليوم عندنا المنفذ الأسهل الى الكشف عما للكلمات من خطورة . وأكبر الظن أن بعض النقاد وجد فيه امتدادات عربية — غير مباشرة بطبيعة الحال — من حيث حصر المجهود النقدي في اللغة وفي نسيجها على ما ظهر عند عبد القاهر الجرجاني ؛ فأصر على الاخلاص له دون أن يلحظ تلك الهزة التي تريد أن تعصف اليوم بمدرسته كلها ؛ حتى تقوم أساليب أخرى أجدى في اظهار حقيقة النص الادبي .

وامتد يأس الادباء من ناقديهم الى شيء آخر ، هو التفات اغلبهم الى نفر معين من المتشلين ، حتى أن كتاباتهم تظهر كأنها مخصصة لهم فقط ، أو مقصورة على شخص يتلاءم انتاجه مع فكرتهم النقدية .

وهنا وجه الخطر !

اننا بلغنا مرحلة فنية لا نقول فيها أن مناهج القدماء والغربيين لا تصلح لها فحسب ، ولكن نقول فيها أيضا أن التحيز لاديب دون أديب خطر دونه خطر الاخذ بالمقاييس الغربية ، أو دونه خطر التوقف عن البحث الجذري في قضايا الادب العربي كله ، لعله في الدرجة نفسها التي ترتفع اليها قاعدة أن النقد الحقيقي هو فن دراسة الاساليب اللغوية في اطارها الموسيقي وفي طاقتها التشكيلية !

هكذا تتحدد مسئولية الناقد . . أن يفسر بعد أن يصل الى مرتبة التفقه الفني ، ودون أن يتحيز لاحد ويهمل احدا ، مع استيعاب كامل لأعمال عصره مؤمنا بأن وراء امكانيات فهمها آفاقا بعيدة ممتعة .

وتحديدنا المسئولية على هذا النحو لا يعني أن

نكفر بالقديم ، فبين القديم والمحدث تفاعل اكيد .
ثم هو لا يدعى لها شرف الخلق ، بمعنى انها ترسم الحياة للاديب وبعد ذلك تنفخها فيه . كل من الادعائين باطل ، غير ان الناقد يظل فيها مطالبا بالتوازن المطلق وهو يصدر عن عمليات الفهم والتذوق والمناقشة والتفسير ، وعن هذه الوسائل يتحسس الاديب طريقه او يرى موضع قدمه قبل ان يخطو خطوته .

ومن هنا يصح أن نطالب بوجود الناقد الذى يزن الاعمال بميزان اكاديمى نزيه ، وهذا الميزان هو الذى يتعدى — بطبيعة تكوينه — حاضر الاديب الى ماضيه ، ويرجح الاعمال التى تفسر الحياة تفسيرها الوجدانى ، وهو يتقبل الفنون التى قد تبدو مناقشة دورها غريبة عنه عند بعض المحافظين . وما اشبه صنيع هذا الناقد بما يقدمه « هربرت ريد » وان يكن هناك من يرى أن « بول روزنفلد » الناقد الموسيقى الامريكى احق بالذكر منه فى هذا المجال .

وفى هذا كله لا يطالب النقاد باكثر من ان يعوا « طاقة » الاديب الى جانب « تقييم » احساسه الكامل بالمسئولية الاجتماعية . . لا يطالبون باكثر من أن يجعلوا « موضوعات » الاديب تعبيرية ، اى يطرحوا ما قبل طرح المادة التى يشكلها الفن القولى كتعبير عن الذات . وفى هذه الحال لا بد من التسليم بوحدة المادة الادبية وشكلها ، او قل بارتباط بنية المادة وصورتها الفنية ارتباطا عضويا ولا نقول بذلك الارتباط المفتعل الذى يفرض على ما يسمى الشكل والمحتوى او الصورة والمادة او الاسلوب والمعنى .

والواقع ان مسئولية الناقد تقوم فنيا على اساس ان بنية الانتاج الادبى تنتمى اولا الى معطيات الوجود قبل ان ترتبط بذات الاديب . ولكن المهم هو البحث عن مدى نجاح الاديب فى تشكيل الصورة التى جسمت مادة التجربة ، بمعنى انه لا بد من التركيز على ما يكون الجهد الابداعى ، ويمكن ان يعتبر الشكل فى هذه الحالة حلقة الاتصال بين الاديب وقارئه ، والوسيلة المباشرة للتعرف على بنية الانتاج من حيث كونه قصيدة او مسرحية او قصة او اى جنس ادبى آخر .

حقا لا يخرج الشكل — عادة — من ان يكون عنصرا واحدا من عناصر معرفة القيمة الجمالية ، الا انه يلعب الدور الاول فى تحديد الملامح التى تقرر نوع التامل او تضع نقطة البدء للتفكير . ويظل بعد ذاك اسلوب الفنان الذى يطبعه بطابع متميز ، والنقطة التى يختلف حولها المتفلسفون من حيث اعتباره اساس المعرفة الفنية لانه هو الثابت بعكس المادة .

ولما كانت كل خبرة قائمة على اساس وجود تفاعل بين الذات والعالم ، وان هذا التفاعل موجود فعلا فى المادة المشكلة ، فان من غير الممكن ان يمنع الناقد نفسه من ان يسال : هل ما قبل ليقصد به الاديب خبرات الآخرين قد اندمج فى سياقه البشرى وبنى انتاجه البناء المناسب ؟ اى يسال : هل نجح فى التعبير ؟

ان كل ناقد يتصور انه يسال هذا السؤال ، ولكن الحقيقة انه لا يفعل ، وانما يقدم الاصطلاحات الغريبة فى عبارات اكثرها فيه من الجلجلة مايطمس الحقيقة ويهدر القيم . وعلى ضوء ما يمكن ان يحدث او التزم الجميع جادة الحق يتوارى متادبون هم فى الصورة الان ، ويظهر ادباء لم تسلط عليهم الاضواء، ولا يكون تيمور مثلا كاتبا عظيما يضع ايدينا على فاعليات تاريخنا ، وانما يكون واحدا من المجتهدين الذين قد تضيع مضامينهم فى « بلاغة » العبارة وتردحم مادتهم بالشعارات المودرامية الطائشة . ولا يكون محمود غنيم ايضا شاعر العصر لانه ينظم كما نظم الاولون ، وانما يكون مرحلة جاوزها العصر الى جديد :

انا لا اعرض باحد ولا استطرد ، ولكنى ارى ان النقاد فى اهمالهم لمسئوليتهم واخذهم باسلوب الجلجلات قد ضيعوا الحقيقة الادبية ، واصبح الادب غريبا فى مجتمع تبدلت ملامحه . وفى الوقت نفسه اهدرت الخبرة السوية ، وطمس على فهم العوامل النفسية والاجتماعية وهى تخطط للجماليات .

اننا نريد النقد الجديد نزيها واقعيا ، يفسر بحرية واصالة . وله ان يستعين بكل المجهودات التى توجها طه حسين وزملاؤه الكبار ، كما ان عليه ان يعرف ان تحول المفاهيم او انحرافها عن التقليديات بات فى حاجة الى دعم العمل النقدى بما يتلاءم والوضع الطارىء . **فلقد اصبح الادب — بغض النظر عن تعريفه الاكاديمى الذى يستند الى احصائيات شبه مدرسية لجزئيات ضروبه — تعبيرا فنيا عن تجربة انسان لم يعد يسلم بالمعطيات المقدرة ، ومن ثم يجب أن يكون النقد تشريحا لذلك التعبير .**

البقية على صفحة ٢٢

الكرسي سيظل شاغرا

بقلم : محمد عبد الله السمان

هذا العرش الذى تربع عليه العقاد زهاء نصف قرن من الزمان ، سيظل شاغرا أمدا بعيدا ، اذ ليس من السهولة بمكان ان تتكرر هذه الظاهرة التى جاد بها الزمان فى سنوات أو فى عشرات السنين

وليس هذا مجرد كلام يلقى على عواهنه ، وتدفع به العاطفة أو الفاجعة أو هما معا ، بل هى الحقيقة التى يجب الا يرتاب فيها منصف ، أو يتجنى عليها صغير يأكل الحقد قلبه ، فالعقاد لم يكن ـ فحسب ـ شاعرا فحلا ، او أديبا عملاقا ، او مفكرا عظيما ، او عالما كبير ، او فيلسوفا شامخا ، وانما كان كل هؤلاء جميعا ، ولذلك سيظل عرشه شاغرا امدا بعيدا ، الا اذا جاز لكرسى أن يتقاسمه بضعة نفر فى وقت واحد .

ان العقاد الذى شغل الناس بفكره عشرات الاعوام حيا ، سيشغلهم مئات السنين ميتا ، فتراثه الفكرى الذى تركه ويدين له الخلود بالولاء ، ستظل العقول تهضمه ، والافكار تتلمذ عليه ، ما بقيت العقول والافكار ، وقد تتجادل العقول والافكار فى فكر العقاد ، فتختلف فى جانب ، وتتفق فى جانب آخر ، ولكن اية غضاضة فى ذلك ، والمجادلة فى اى مفكر من المفكرين ليست الا دليل عظمته ، وبرهان عبقريته ، فلم يزل الناس منذ مئات السنين يجادل بعضهم فى فقه ابن حزم وابن تيمية ، وفى شاعرية المتنبى وأبى العلاء ، وفى فلسفة الفارابى وابن سينا ، و فى ادب الجاحظ وابن قتيبه ، وفى تصوف الغزالى وابن عربى ، ولم يكن الجدل فى فكر هؤلاء ولن يكون الا وثيقة الخلود التى كتبوها بأنفسهم .

والعقاد الذى شغل الناس بحياته ، وسيشغلهم بفكره قرونا بعد مماته ، شغل الناس بموته ، فموته لم يكن مفاجاة عادية يمكن ان يتقبلها رواد فكره ، والمعترفون بقدره ، كما يتقبلون اية مفاجاة ، وانما كان فاجعة ، لم يحتملها اقرب الناس اليه ، وبذلك كان رثاؤه نفسه مشكلة ، وهذا عميد الأدب العربى **الدكتور طه حسين** فى كلمته صبيحة وفاته ، يودعه ولايرثيه ، ويعتذر بقوله : « **ولكنى اصبح فاذا النبا يفجؤنى فيقع على موقع الصاعقة ، واقسم لقد ذهلت له ذهولا افقدنى الشعور ، ولقد احتجت الى وقت غير قصير وعناية متصلة لاثوب الى نفسى ، او لتثوب نفسى الى ، ولقد لبثت ساعات لا اصدق هذا النبا ولا اطمئن اليه حتى بعد ان رايته فى كل صحف الصباح** »

ويشير عميد الادب العربى الى مشكلة الرثاء نفسها فيقول : « **وما ادرى عن اى جانب من جوانبك يمكن أن يتحدث عنك الذين ياخذون فى رثائك ، او فى الترجمة لك عن نضالك السياسى الذى لم يعرف هوادة ولا لينا ، ولم تصرفك عنه الاحداث ولا الخطوب ، ولم يثنك عن المضى فيه رغب ولا رهبه ام عن تجديدك فى الادب شعرا ونثرا ونقدا ، ام عن تعمقك للتاريخ الاسلامى واتقانك تصوير اعلام الاسلام .. أم ..** »

اذن فمشكلة رثاء العقاد أبرز ماوضح اثر موته ، والكتاب والمفكرون وغيرهم ممن كتبوا لم يكتبوا رثاء وانما التقطوا لقطات سريعة من حياة العقاد لسد الفراغ ، وسيكتبون مرة ومرات بعد أن تطمئن نفوسهم وتهدأ اعصابهم لهول المفاجاة ، وعندئذ سيرثون العقاد العظيم رثاء فيه جانب من عمق فكره ، وخصوبة عقله ، وسعة افقه ، فلقد كان العقاد فذا فى حياته ، **لا لأنه** حطم التقاليد والبت للاجيال الحاضرة والقادمة ، بأن الانسان يقاس بفكره ، ولا يقاس بمؤهلاته العلمية ولا بشهاداته الدراسية ، **ولا لأنه** عرف بالعناد وصلابة الرأى والاعتداد بالنفس ، حتى انه لم يرفع الراية البيضاء فى أية معركة ادبية أو فكرية خاضها ، ولم ينسحب منها الا بعد ان استيقن أن خصمه اقل من ان يخاصم واعزل من ان يجادل .. **ولكن** لأن العقاد كان دائرة معارف بكل ما فى هذه الكلمة من معنى ، ومرجعا من مراجع الفكر بشتى الوانه وصوره ، قرا كل شىء واتقن كل ما قرا ، والذين قدر لهم أن يشهدوا ندواته التى كان يعقدها اسبوعيا ، ادركوا تماما قيمة العقاد المفكر ، الذى امتاز بعقل كبير استوعب

صنوف المعرفة وضروب العلم ، وادركوا تماما كيف كان بعض الاساتذة الجامعيين يتهيبون سؤال العقاد مكتفين بأسئلة الشباب الجرىء ، واجوبة العملاق الكبير . ولان العقاد مرة اخرى كان يقدر الكرامة الادبية حق قدرها ، فقد ظل حتى لحق بالرفيق الاعلى عنوانا على حياته الادبية والفكرية ، **وليس** من الانصاف فى شىء ان نحصر الكرامة الادبية — بالنسبة للعقاد — فى الشجاعة والعفة — بل يجب ان نضيف اليهما عزة العلماء واباء المفكرين وايمان العارفين ، فلم يرض لنفسه ان تذل أو تهون ، فتداهن او تنافق او تتزلف ، فلم ير الحق الا حقا ولو قامت الدنيا عليه ، ولم ير الباطل الا باطلا ولو طلع القمر بين عينيه ، ومثل كرامة العقاد الادبية هذه ظاهرة نادرة فى دنيانا ، كالعقاد نفسه يبعد أن يجود بها الزمان .

لقد وقف العقاد سدا منيعا فى وجه المراهقة الفكرية التى عرف بها شباب يحترفون التطاول على مقدسات اللغة العربية وآدابها ، فكانوا اقدر على التطاول من الاستعداد الثقافى ، والنضوج الفكرى، فجعل العقاد من تطاولهم عواء تعافه الأسماع وهراء تذروه الرياح وصراخا لا يتجاوب معه سوى الصبية الصغار فى الأزقة والدروب .

ولقد شرع العقاد قلمه للذب عن الفكر الاسلامى فتلقف مفتريات الغرب والشرق على الاسلام فدحضها ، وتركها ترتد على اعقابها ناكصة ، **ولا اظن** أن كتابا او مقالا هناك قد نال من الاسلام دون ان يتصدى له العقاد ، سواء فى مقالاته الصحفية بجريدة الاخبار ومجلة الازهر وغيرهما ، ام فى مؤلفاته التى تصدر بين الحين والحين ، وكتابه الاخير : **((ماذا يقال عن الاسلام))** سجل حافل يشهد للعقاد بما اداه للاسلام من خدمات .

قال لى العالم السودانى .. الدكتور التيجانى)) الرحالة الذى طاف بالعالم كله ، منقبا عن التراث الفكرى الاسلامى والعربى : ((ان المشكلة التى تركها موت العقاد مشكلة بعيدة الاثر ، سيظهر اثرها البعيد فى القريب ، فقد ارتبط بفكر العقاد الوف من الشباب اساتذة وطلابا ، وقد زرت البلاد الاسلامية والعربية جميعها ، ولمست بنفسى كيف أن كثيرين من طلاب العلم والمعرفة هناك مرتبطون ارتباطا وثيقا بالعقاد ،ويكاد جلهم يقف نفسه على ما يكتب ولذلك اثار موته موجة جزع فى أولئك جميعا ؛ جعلت نفوسهم تهتز وعقولهم تضطرب ، حتى اوشكو ان يشكوا فى موته ، وكأنه ليس من الجائز أن يموت مثل العقاد ، وبهذه الصورة المفاجئة .

وما قالهالدكتور التيجانىالبحاثة السودانى حق لا غلو فيه ، فالمدرسة التى تركها العقاد ، تركها خالية من أستاذ يتربع على كرسيه ، كما ترك كرسيه الذى تربع عليهزهاء خمسين عاما لايزاحمه عليه أحد فى دنيا العروبة والاسلام .

انه لمن نافلة القول أن يطالب بعض الكتاب بتخليد ذكرى العقاد شأنه شأن كل عظيم يموت ، وكان العقاد الذىظلحياته لا يتسول ولايستجدى، ينوب عنه بعض الكتاب — بعد موته — فى التسول والاستجداء ، وكأنه ايضا لم يكتب لنفسه الخلود قبل ان يموت ، وقد ناضل فى مجالات الفكر والادب والعلم والفلسفة ذلك العمر المديد ، وترك ثمانين كتابا تشكل دائرة معارف من أوسع دوائر المعارف المعاصرة ، وترك اروع ذكرى اتسمت بعزة العالم ، وعظمة المفكر ، وزهد الفيلسوف .

ان تخليد ذكرى العقاد بتمثال يقام قد يبقى للاجيال القادمة صورة العقاد ، **ولكن** فكر العقاد يبقى لعقول هذه الاجيال وافكارها ، وقد تعدو الايام على تمثال العقاد ، ولكنها لن تستطيع أن تعدو على فكره ، مهما أوتيت من قوة أو طغيان .

قد يكون من حق العقاد على هذا الجيل ان يكرمه، وتكريمه ان يظل مدافعا عن مدرسة العقاد نفسها ، وقد يكون من حق العقاد على الدول العربية والاسلامية ، أن تكرمه ، وتكريمه ان تعمل على احياء تراثه ، وأن يكون له كرسىفى كل جامعاتها ، اما حقيقة التكريم ، فلا يلتمس الا فى الشباب الطامح ، الذى يقوى على الاقتداء بالعقاد ، الذى علم نفسه بنفسه ، وبنى ماضيه وحاضره ومستقبله بفكره وعقله ، وحطم التقاليد حين اثبت أن الانسان لا يقاس بمؤهلاته أو شهاداته ، وانما يقاس بما يبذله من جهد فكرى ، يقوم على العرق والدموع ، ويشق طريقه وسط الاشواك والعقبات بمزيج من الصبر والاحتمال .

محمد عبد الله السمان

السر الذى فى دمى

للشاعر ابراهيم محمد نجا

عشت امنى النفس ان استريح   يوما من السر الذى فى دمى
وها انا احيا بماض جريح   وحاضر باكى الرؤى مظلم

وليس لى من امل فى غدى   فكل آمالى ضاعت سدى
حتى الذى ابصرته فى يدى   رأيته يذهب لما بدا

عشت وبى شوق الى ما اريد   فلم انل الا عذاب الرحيل
كاننى ارجو امتلاك الوجود   او اننى اصبو الى المستحيل

وسرت فى الدنيا بقيد وحيد   لكنه قيد عتى رهيب
لو صاغ هذا القيد باس الحديد   لكان خطبى دون كل الخطوب

لكنه من نبض قلبى الرقيق   ووقدة الحس ، وخفق الشعور
حملته فى مهجتى ... لا افيق   من ناره الا لكى استجير

حملته محنة روحى التى   عاشت تبث الكون احزانها
وتسكب الدمع من الحرقة   لعله يطفىء نيرانها
وليس قيداً ما تراه العيون   فتستر الدمع يد الكبرياء
يفرى الحنايا ، ويثير الشجون   لكنه ما عاش طى الخفاء

وكم دعوت الله فى خلوتى   ان يكشف البلوى عن البائسين
فها انا ما زلت فى محنتى   اعيش ايامى كطير سجين

علام يا ربى تضيع الحياه   من اجل سر لا يريد الرواح ؟
ما فى حياتى من عذاب سواه   ولا بقلبى غيره من جراح !

لولاه يا ربى عرفت المنى   خضراء مثل الجنة الزاهره
وانساب فى عمرى رقيق السنا   فجرا ينادى روحى الحائره

لولاه ما عشت بقلب سجين   وما انطوت نفسى على يأسها
ولم تذق روحى عذاب السنين   تفرغه الاقدار فى كاسها

لولاه ذبلت جراح الهوى   وباركت روحى دموع الوداع
وقدست نفسى لهيب الجوى   وابصرت فيه رقيق الشعاع

لولاه غنيت فكان الغناء   يشيع فى القلب ابتسام الربيع
ويجعل الدنيا تريق الصفاء   فى ارض ايامى كنهر وديع

يا سر يا من لا تراه العيون   ونارة فى القلب لا تخمد
قد كنت فى ماضى حياتى تهون   اذ كانت الآمال لا تنفد

وكنت فى فجر الصبا لا ازال   والعمر يمتد امتداد الرجاء
والنفس نشوى بعبير الخيال   والكون رفاف بسحر الضياء

فكنت ان طافت بقلبى الهموم   وكاد يطوينى ظلام المساء
قلت لقلبى : سوف تمضى الغيوم   ويقبل الفجر ، وتصفو السماء
والآن والعمر وشيك الفناء   والسر ما زال رهيب العذاب

هل مضى العقاد حقاً؟

للشاعرة : روحية القليني

الدمع في عيني انين ونواح … يوم قالوا قد مضي عنا وراح
هل طوى العقاد ياأختاه موت … مثلما يطوى الدجى نور الصباح ؟
هل ترى نحيا ظماء بعدما … جف منبع النور مكسوري الجناح؟
هل ترى «الجمعة» تمضي دونما … نلتقي فيها بمن يأسو الجراح ؟
هل تراه قد مضي في لحظة … لم يودع والتلاقي لن يتاح ؟
هد هديني كفكفي دمع الأسي … قد مضي «العقاد» ياأختي وراح
التلاميذ اتوا قم حيهم … واسقهم من كاسك الخمر الحلال
انهم جاءوا فقم واسمع لهم … مثلما قد كنت تصغى للسؤال ..!
انهم في حيرة من امرهم … كنت تمحو شكهم عند الضلال
هذه الازهار جاءت ترتوى … قم وروّ الزهر بالماء الزلال
قم وعانقهم فهم في لهفة … لجناحيك وما احنى الظلال !
هل مضي العقاد حقا وانطوى … ليت ماقالوه ياأختي محال
كيف مرت ليالي لاتسائليني … عانق الدمع بها سهد الجفون
لست ادرى هل ترى النجم خبا … ام توارى النجم في دمع العيون؟
ام رنا النجم لحالي فاختفى … لم يطق دمعي وآنات الشجون
وكتاب كان قد اهداه لي … كاد يبكي لوعة تذكى حنيني
كل من حولي وما حولي شجي … كيف مرت ليالي لاتسائليني
ليالي طالت على جرح الأسي … كم يطول الليل بالقلب الحزين
في وقار قال لي : ياشاعره … ثم اهدى لي (لقاء الشاعره)
كان كالنبراس للدرب الذي … فيه امضي بالمعاني الزاخره
كان استاذي وحبي والهدى … بعده ضلت خطاى الحائره
آه .. ياأختاه لو اجدى البكا … عشت ابكيه دموعا هادره
مستحيل !! لم يمت استاذنا … انه في القلب روح عامره
ان يكن بالجسم ولى وانقضى … فهو ملء الكون ذكرى عاطره

هل ينفع الصبر ، ويجدى الرجاء … اذا خبا العمر ، وضاع الشباب !
يارب ان ثرت على قسمتي … ثورة نفس تتحدى القدر
فانت تدرى السر في ثورتي … والسر خاف عن قلوب البشر
يارب قد مارست بعض الذنوب … ليعرف النسيان قلبي الحزين
وانت ادرى بخفايا القلوب … يا من خلقت النار للمذنبين
قد اكتوت روحي بنار الهموم … وعذب النفس شقاء الحياه
فلن ترى روحي عذاب الجحيم … يابى عذاب الروح عدل الاله
هذا عزائي ، وهو نعم العزاء … عن محنتي .. عن محنتي العاتيه
ولي رجاء يا اله السماء … الا اراها مرة ثانيه

ابراهيم محمد نجا

مُعلمو الفلسفة متواضعون كثيراً

بقلم : عبد الفتاح الديدي

أستاذى الفاضل الأديب الكبير أحمد حسن الزيات :

اغفر لى يا سيدى أن أتقدم بكتابى هذا اليك . فأنا من كتاب مجلة الثقافة وليس لى الحق فى شغل صفحات الرسالة. ولكن من حقى ـ فيما أعتقد ـ ومن حق قراء الرسالة أن أجيب عن ملاحظات السيد عبد الحى دياب فى مقاله الذى طالب فيه معلمى الفلسفة بالتواضع .

***

وقد عودتنا سيادتكم منذ كنت توجه أقلامنا فى الرسالة بين عامى ٤٩ ـ ١٩٥٠ أن تدافع عن الأفكار التى تؤمن بها وأن تصد الهجوم على مقدسات العلم والمعرفة . وقد أفسحت لنا من صفحات الرسالة القديمة ما أمكن به تعريف قراء العربية بالمذاهب الفكرية المستحدثة التى كانت مجهولة حتى ذلك الحين . وما زلت أذكر كيف كنت تتصدر ندوتك بدار الرسالة تحث الشباب على الانتاج والتأليف والابتكار وتشجعنا على تحرير الدراسات التى كان يضيق بها الكثيرون من الرجعيين والتقليديين .

***

وها هو الصديق الاستاذ عبد الحى دياب يتعرض للفلسفة ولمعلمى الفلسفة بالأسلوب الذى لم نعد نعهده فى الفكر الحديث . فالفلسفة وفقا للتعريف الذى وضعه لها لم تعد موجودة ولا يكاد يلمسه أحد عند الفلاسفة الخلص أو عند معلميها . الفلسفة الآن شيء جديد لا أظنه سيخطر على بال غير المتخصصين فى الفلسفة الا اذا تجشموا متاعب الاطلاع على التيارات الحديثة . وهذه هى التيارات التى عدلت من مشكلات الفلسفة الرئيسيةوقصرت اجتهادها على تحليل الجزئيات الخاصة بالوقائع العملية والفعلية فى نطاق الادراكوالتصور والمعرفة ووجود الذات ووجود الآخرين .

***

اما تقسيم الفلسفة الى الهية ومادية فهذا أمر لم نعد نلم به الا فى التراث . والتفرقة بين نوعين من الوجود زالت تماما من أذهان المعاصرين حتى ممن لم يزالوا يعلمون الفلسفة . أهم ملامح الفلسفة منذ ابتداء هذا القرن هو محاولاتها المتصلة لتعزيز الترابط بين الذات والموضوع بحيث يختفى انقسام مظاهر الوجود الى عالمين. ومشكلة واحدة من المشكلات التى وردت فى مقال الاستاذ دياب يصح أن توضع فى الاعتبار وهى مشكلة الحرية . فمما لا شك فيه أن مفكرى العصر الحاضر قد وضعوا هذه المشكلة فى قائمة موضوعات بحثهم بوصفها أساسا من أسس السلوك الانسانى .

***

وقد كنت أود للأستاذ دياب أن يشرح لنا بعض

بقية المنشور على صفحة (١٧)

والتشريح لا يعنى هتك العمل الادبى ، وانما يعنى وصف اجزائه فى الكل الفنى . وصفها فى نطاق الصورة المشكلة للموضوع ، وفى رصد الخصائص التى تفرد بها هذا الموضوع على أن يكون الحكم على « القيمة » الكلية غير ملزم بأكثر من تربية ادراكنا للاعمال الادبية المختلفة .

تلك بعض مسئوليات ناقد اليوم ، لا نريد بها الا ان نؤكد له مسالة التعبير ، فيجعلها هو قاعدة لعمله . والمسألة فى شكلها الذى اقترحناه تمر بمرحلتين : أولاهما مرحلة الفهم فهى انطباعية ، والثانية مرحلة التفسير !

وقد حاول بعض نقادنا ان يلتزموا بها ، غير انهم سرعان ماتنكبوها عندما اصطدمت ايديولوجياتهم بمضمون العمل الادبى الذى اخذوا انفسهم بتفسيره. وكان ثمة بعض آخر اهدر فى الطريق عنصر الجمال، فكان صنيع أولاء وهؤلاء فى عقمه أشبه بصنيع المدرسين الذين يقتلون الموهبة فى سبيل تقديس القاعدة القديمة أو باسمها .

دكتور
أحمد كمال زكى

العيوب المنهجية او الفكرية فى دراسات المشتغلين بالفلسفة هذه الأيام ، فهذا هو صميم ما يشير اليه عنوان المقال • والمفروض أن اجترار الفلاسفة ناجم عن جهود علمية وصروح مذهبية اقاموها بجهدهم وعملهم الدائبين • فاذا خطر على بال النقاد أن يتبينوا ملامح الفتور في اقبالهم على الابتكار والتجديد فاولى بهم والأمر كذلك ان يصطنعوا الجد فى تقدير انتاجهم وأن يشيروا الى مواضع الهزال في معارفهم • اما أن يتعرض أحد النقاد للفلاسفة ـ ولو كره الأستاذ دياب ـ من أجل أن يسوق اليهم تعريفا للفلسفة بات غير ذى موضوع في القرن العشرين ، بل وأواخر القرن التاسع عشر فاغلب الظن أن المفكرين قادرون على الرجوع الى مثل هذه التعريفات فالناقد ليس مطالبا بأن يظهر مقدار علمه وكمية معارفه بشأن الفلسفة الى أصحاب الفلسفة • ليس من بين شباب اليوم من لم يحط علما بالموضوعات التى أشهد الأستاذ دياب قراء الرسالة على علمه بها • وكان من الممكن حقا أن ينفذ الأستاذ دياب الى مجالات الفكر الحديث فيحث كتابنا ومفكرينا على معالجتها • بل كان من اليسير أن ينبه الى أبواب وميادين وحقول لم تمتد اليها أيدى رجال الفلسفة حتى اليوم ويصح لكل مشتغل بالنقد أن يكشف عن العوز والجدب فى حلقات البحث المذهبى •

***

بقى شيء هام وهو ان الكثيرين من رجال الفلسفة يعتمدون على دراساتهم بشأن مذاهب معينة او أصحاب مذاهب معينة • وأود أن أوضح عن نفسى ان اهتمامى بفلسفة هوسرل ومنهج الظاهريات ليس مجرد تعويل على فيلسوف بعينه من أجل التمشدق بآرائه • وانما الأمر أمر تغيير جوهرى فى طبيعة علم الفلسفة ذاتها كعلم • انني أوثر أن اقوم بتحليل فلسفة الظاهريات على أى عمل فلسفى آخر لأن هذه الفلسفة الجديدة قد أتت بما كنا نرجو حدوثه منذ اجيال •

***

ففى مطلع هذا القرن كانت الشيخوخة قد حلت بالفلسفة • لم تعد الفلسفة قادرة على مواجهة الصعوبات التى وضعها الفلاسفة أنفسهم فى طريقها • وكان من الطبيعى أن تبتعد الفلسفة عن محيط العلوم الجدية بعد أن فارقها كل من علوم النفس وعلوم الاجتماع وأصبح من العار أن ينتسب علم من العلوم الى مجالات الميتافيزيقا •

***

وكاد العلماء والفلاسفة يستسلمون لهذا المصير الذى أصاب الفلسفة على يد أبنائها • فشيخوخة الفلسفة قد صارت مضرب المثل فى الانحراف والمرض والخوف • واستعمل الكثيرون أدق الأسلحة وأخطرها حتى أتوا على كل ما تبقى فى قلب الفلسفة من مقاومة ورغبة فى الحياة • ولكن الله لم يرد أن تنتهى الفلسفة بهذه الصورة وعاد فرزقها بابن من أبر أبنائها بها وأكثرهم رعاية لها وحدبا عليها وهو الفيلسوف الألمانى ادموند هوسرل • فقد رفض أن يقبل ما تواضع عليه الجميع من احتضار الميتافيزيقا وأقبل بكل ما أوتى من قوى على مجالاتها المختلفة حتى بث فيها الروح القوية من جديد وتمكن من أن يعيد الى الفلسفة شبابها الحق • ولم ينتصف القرن العشرون حتى كانت الفلسفة قد استكملت رونقها وازدهارها •

***

والواقع أن الفكر الغربى لم يمر قط فى تاريخه الطويل بلحظة انقفال حضارى وروحى شبيهة بهذه اللحظة التى عانت فيها الفلسفة كل أنواع المرض والاجهاد على أيدى أصحاب المذاهب الوضعية والمادية والعلمية • فلم يعرف تاريخ الفكر البشرى مرحلة أقسى من هذه المرحلة حين أصبح هدفا دائما لانتقادات الأقلام المولعة بالنزعات الحسية والمنطقية والعقول المولعة بالمعادلات والرموز • وكان كل من هيوم ولوك وبركلى واستيوارت مل قد مهدوا تمهيدا واضحا لاستبعاد الفلسفة من مجال العلوم • وكانت المشكلة التى واجهت هوسرل حينما دعى لالقاء مجموعة من المحاضرات فى باريس سنة ١٩٢٦ ، هى كيف يمكنه اعادة التبنى لعلم الفلسفة على نحو ما فعل ديكارت حتى يضمن لها أقصر طريق لاستعادة الشباب والحيوية بين العلوم المختلفة • فاختار أن تكون محاضراته وسيلة لبث الروح من جديد فى كيان الفلسفة بأكمله وقسمها الى ست محاضرات تحت عنوان تأملات ديكارتية • فصار من الواضح بهذا

العنوان ان أبا جديدا للفلسفة قد ظهر على مسرح الفكر وانه لم يعد من الصعب أن تستقر الفلسفة فى مضمارها الحقيقى كعلم ثابت بين العلوم له كل مقومات الأصالة والجدية والقوة والحياة .

***

والتفرقة بين مجال العلم الخالص والفلسفة الخالصة التى كانت تنغص على الفلسفة حياتها لم تعد تقدما وارتقاء بالنسبة الى العلم وحده بل بالنسبة الى الفلسفة ذاتها كذلك . وقد أصبح الفلاسفة يجدون من بينهم من يشكر العلماء والداعين الى الفلسفة الحسية والمادية على جهدهم الذى بذلوه لابعاد الفلسفة عن العلم. لقد كان هذا الابتعاد نفسه سببا فى أن تقف الفلسفة على قدميها من جديد مثل شاب فى أينع سنى حياته . أو بعبارة أخرى كان هذا الموقف ذاته أول خطوة أدت الى استعادة التفكير فى أبواب الميتافيزيقا داخل اطار فلسفة الظاهريات .

***

فالوجودية نفسها انشقت عن جانب من جوانب الظاهريات على يد هيدجر تلميذ هوسرل .

وبدافع من الأمانة الفكرية نشير الى ان فلسفة الظاهريات تضم شيئين : مذهبا ومنهجا . والحاجة الى المنهج ماسة فى هذه الظروف الفكرية لأسباب عديدة : من هذه الأسباب ضرورة الاستمساك بأسلوب الفكر الحديث فى تناول المشكلات . ومنها أيضا عدم الخوض فى المشكلات التى لا تعرض للعقل البشرى فى أسلوب تلقائى وتجنب الهياكل والقوالب والمقولات والمبادىء القبلية فى مضمار الميتافيزيقا . ومنها أيضا اعتبار الفلسفة علما للماهيات أولا وقبل كل شىء ، واعتبار العقل قادرا على الاحاطة بالظاهرة من جهة واستشفاف ماهيات الموجودات من ناحية أخرى . فبهذا العنصر الجديد تصبح الفلسفة علما له كل مقومات المنهج .

***

فاستميحك عذرا يا سيدى الأستاذ الزيات فى أن أتيت على ذكر ما جعلنى اهتم اهتماما خاصا بفلسفة الظاهريات . فان هذا العلم الجديد هو الفلسفة نفسها ومنهجه من أشد المناهج صرامة وتناوله لموضوعات المنطق والرياضيات والتحليل الظاهرى من اهم ما نحتاج اليه فى هذه الآونة بالذات .. انه استعادة لروح الفلسفة الحقيقية .

فالاشتغال بفلسفة الظاهريات هو نفسه الاشتغال بالفلسفة وليس فى هذا تخصيص لفيلسوف معين بالاهتمام والتقدير . على ان ذلك لم يمنعنى قط من تكريس القسط الأكبر من دراساتى لمناهج العلم فجعلت رسالتى للماجستير بجامعة السوربون عن الاسس التحليلية والتجريبية للمنطق الوضعى كما قمت بتسجيل دراساتى على أستاذين من أكبر أساتذة العلوم بباريس وهما الأستاذان بواريه وباشلار وحضرت سنة كاملة ابحاث لوىدىبروى فى معهد بوانكاريه ومعهد تاريخ العلوم فى باريس .

***

لهذا لا أجد ضيرا يا سيدى الأستاذ الزيات فى أن يكون هناك تخصص فرعى للباحثين مع اهتمام بوجوه الفكر العامة . وأخشى ما أخشاه أن يكون الاشتغال بالفلسفة نفسه دافعا الى ضيق الوقت أمام المفكرين الذين لا يجدون المجال الكافى لتوضيح آرائهم وأفكارهم فيحسبهم الناس لذلك غير متواضعين .. مع أننى أشهد الله فى هذه المناسبة اننى لا أعرف من بين المشتغلين بالفلسفة واحدا بالصفات التى يعنيها الأستاذ دياب . ولكن الحقيقة هى أن المشتغلين بالفلسفة هم الذين مروا بأعنف تجارب الفكر العربى المعاصر وأزماته وكرسوا جهودهم ونضالهم لخدمة قضايا الروح والانسان وجعلوا من المنهج العلمى الجاد محرابا لكل ما يقصدون اليه من معانى الانسانية والوفاء .

مع أخلص تحيات تلميذ من تلاميذكم القدماء .

عبد الفتاح الديدى

رسالة العلم

هذه هي الدنيا

للدكتور محمد محمود غالي

ان الاسترسال بالفكر فى الكون الغامض الذى يحتويك ويحتوينى والتحدث عنه ووصفه كونا محدودا أو غير محدود كونا متمددا يكبر مع الزمن او ثابتا لا يتغير ، والتحدث عن الزمان وعن المكان، وفكرة اينشتاين فى «الزمكنية» أو «الفضازمن» كما جرى اسمها على الالسن هذه الايام ، وهو الحديث الذى تدمج فيه الزمان فى المكان والمكان فى الزمان ، وعدم الاستطاعة بالطريق العلمى الصحيح الخوض فى احداهما دون الآخر ووجوب التحدث عنهما كوحدة لتفهم الكون الذى نعيش فيه ، كل هذا وغيره من الامور العويصة التى تحتاج الى كثير من التأمل .

واول ما نعرفه عن هذا الكون الغامض اننا نعيش على الارض وانها كوكب سيار يدور حول نفسه وحول الشمس ، وان لهذه الشمس التى تمدنا بالحياة تسع كواكب هى بترتيب بعدها من الشمس: عطارد وهو اصغرها يتلوه كوكب الزهرة وهى ألمع كواكب المجموعة الشمسية ثم الارض يتلوها المريخ ثم المشترى اكبر كواكب الشمس وهو قدر الارض حوالى ١٥٣٠ مرة يتلوه زحل وأورانوس ثم نبتون وآخرها بلوتو ويدور حول الشمس فى حوالى ٢٥٢ سنة من سنينا الارضية .

وفى الليل تستطيع دائما ان تميز بين النجوم والكواكب فالاولى تتألق ويبدو لك كأن ضوءها متغير، والثانية ضوؤها ثابت على العين كضوء القمر، وفى أواخر شهر فبراير الماضى وأوائل مارس الحالى كنا نرى الزهرة ألمع كواكب المجموعة الشمسية والمشترى اكبر كواكبها قريبين الواحد منهما من الآخر وكلما مرت الليالى كنت تلاحظ فى سهولة ان المسافة الظاهرة بينهما تزداد اتساعا .

ولنعود للشمس فاذا عرفنا ان حجمها بالنسبة للارض اكثر من مليون وربع مليون مرة وان كتلتها اكثر من ثلثمائة الف مرة ، ومع ذلك فهى واحدة من مائة الف مليون شمس التى تتكون منها المجرة، واذا عرفت ان فى الكون اكثر من مائة الف مليون من هذه المجرات ادركنا ان قوانين الكون لا بد ان تكون عويصة ، وادركنا لماذا تأمل العلماء بعمق فى الزمان وفى المكان وادركنا انهم وجدوا لهما تعاريف جديدة غير التى عرفناها ونحن فى صفوف الدرس .

ثم ان الاسترسال بالتأمل فى المادة التى يتكون منها جسمك وجسمى ، ويتكون منها الكائن الحى كما يتكون منها الجماد ، والتعمق فى تجزئتها الى اقصى حدود التجزئة ، ومحاولة فهمها عندما تصل بهذه التجزئة الى أقصى مداها ، كل هذا ليس هينا ، وهذه المسألة مهما يكن فيها من رياضة للذهن فانه يجب ان تكون مستندة على بعض الأسس العلمية او على الاقل يجب ان نتعرف من خلال الكتابة فيها

على رأى العلماء المحدثين والجهابذة المعاصرين الذين قضوا العمر كله فى تفهمها والاحاطة بها.

واسائل نفسى لماذا كلما طرقت باب ذلك العالم الصغير « الذرة» اندفع تلقائيا فى التحدث عن وصفه بالطريقة التى ارادها له « رذرفورد » الانجليزى من انه عالم شمسى وهو النموذج المحبب الى العلماء ، عالم مصغر يتكون من نواة وسطى كالشمس يدور حولها الكترونات هى كواكب هذه النواة ، وهذه الالكترونات تدور حول نفسها وحول الشمس بالطريقة ذاتها التى تدور بها الارض حول نفسها وحول الشمس .

ونعود لهذه الشمس الصغيرة والتى لا يتجاوز قطرها واحدا على مليون المليون من المليمتر فنقول انها مكونة من جسيمات يطلقون عليها بروتونات وهى موجبة الشحنة ومن جسيمات اخرى اسمها نيوترونات . وهى غير مشحونة بالكهرباء .

وكأن الاحجار التى بنيت منها «الذرة» هى ثلاثة جسيمات : ـ

١ ـ البروتونات موجبة الشحنة داخل نواة الذرة .

٢ ـ النيوترونات وهى ليست موجبة ولا سالبة وهى داخل نواة الذرة ايضا .

٣ ـ الالكترونات سالبة الشحنة وهى الدائرة حول النواة .

ولا تظنن ان هذه هى كل الجسيمات الموجودة فى المادة ، وفى الكون الفسيح قيمة جسيمات أخرى قد تشتق من هذه وقد توجد على حدة ولو فترة زمنية ضئيلة جدا فكما ان هناك الالكترون يوجد جسيم اسمه البوزيتون ، ولا يمكن رؤيته او الكشف عنه الا فى واحد على عشرة آلاف من الثانية وقد كشفه « اندرسون » الامريكى فى عهد قريب ومنذ حوالى ٣٠ سنة وحاز جائزة نوبل ، كما يوجد ايضا جسيم آخر أطلقوا عليه « الميزون » وهذا كشفه العالم اليابانى الذائع الصيت «يوكاوا» والذى حاز بدوره جائزة نوبل ، ولا ندخل فى تفاصيل هذا الكشف الذى كان من جانبه نتيجة لبعض الاعتبارات النظرية ، والذى اكد وجوده عمليا العالم الامريكى «اندرسون» بعد تنبؤ «يوكاوا» بعامين اثنين والذى عرف «باول» الانجليزى بعد ذلك بعشر سنوات اى فى سنة ١٩٤٥ ، وتنقسم هذه الميزونات الى نوعين لا داعى للدخول فى تفاصيلها الآن .

هذه العظمة فى الكون الكبير وهذه الضآلة فى العالم الصغير تجعلنا نتمهل ونتأمل ونفكر فى عمق ونبدأ عند التحدث عن دنيا الذرة بالالف والباء ، ولنبدأ حديثنا اليوم بعالم الكيمياء ، وفى هذا نقول ان جميع المركبات الموجودة فى الكون تتكون مما نسميه جزيئات وهذه الجزيئات تكون بدورها جميع ما نسميه ذرات ، فالماء مثلا يمكن تحليله كهربائيا الى اكسجين وهيدروجين ، بحيث اذا جمعنا كمية من الاكسجين وأخرى من الهيدروجين اتحد بعملية معينة الاكسجين مع الهيدروجين وكونا الماء ، فهو مركب من ذرتين من الهيدروجين متحدتين مع ذرة واحدة من الأكسجين ، واذا اتحد الكربون معهما تكون السكر واذا اتحد مع العناصر الثلاثة عنصر الصوديوم تكون مركب جديد هو بيكاربونات الصوديوم وهكذا نجد أن جميع مركبات الكون وتعد بعشرات الألوف هى اتحاد لذرات عناصره المختلفة، فالمنزل الذى تسكنه هو آلاف لأنواع من الاتحاد بين العناصر ، وكل ما تراه من مركبات هو اتحاد لعدد معروف منها ـ حتى المادة الحية كالمادة عديمة الحياة ، وهذا العصفور الصغير الذى يبنى عشه فى هذا الثقب من جدار المنزل الذى اسكنه والذى اراقبه منذ بضعة ايام هو وعشه الذى بناه وبيضه الذى وضعه وصغيره الذى يطل على هذا الوجود وهى جميعا من المركبات التى هى مجموعة من العناصر .

على ان للكيمياء القوة فى فصل المركبات وتحويلها ولكنها لا تحول ذرة العنصر الواحد الى عنصر آخر، ولقد قام الكيميائيون عشرات السنين ومنذ ايام والترن ويرتلمى ، بمجهود كبير فى تحديد عدد العناصر فحددوها فى أواخر القرن الماضى ب ٩٢ عنصرا وقد اصبح العدد اليوم بعد التقدم فى البحوث الذرية وخلق عناصر لم تكن موجودة ١٠٣ ، والعنصر ٩٢ هو عنصر اليورانيوم الذى نعرف ان (بكارل الفرنسى لاحظ نشاطه الاشعاعى ، والعنصر ٩٣ هو البليتونيوم ويقوم بدور كبير فى القنابل الذرية ، والعنصر ٩٤ هو النبتونيوم .

والاسمان الاخيران من اسم الكوكبين الاخيرين فى المجموعة الشمسية التى اتينا على ذكرها فى هذا المقال ، يلى ذلك العنصر ٩٥ وسماه العلماء الاميريكتيبوم من اسم القارة أمريكا حيث تم الكشف

عليه هناك . اما العنصر ٩٦ فقد سموه الكيريوم من اسم العالمة المعروفة مدام كيري مكتشفة الراديوم ، والعنصر ٩٧ اسموه بركيليوم من اسم «بركلى» . الجامعة التى اكتشف فيها بكاليفورنيا .

اما العنصران ٩٩ ، ١٠٠ فقد اطلقوا عليهما «اينشتانيوم» من اسم العالم الكبير المعروف اينشتاين صاحب النسبية و « الفرميوم » من اسم العالم الايطالى الكبير « انريكو فرمى » الذى كشف اثر النيوترون البطىء فى روما واسس اول فرن ذرى فى العالم فى امريكا والذى حضرت عليه سلسلة محاضرات هامة فى السوربون عام ١٩٣٣ .

اما العنصر ١٠١ فاسموه منديليفيوم من اسم مانديليف صاحب الجدول الكيميائى المعروف باسمه والعنصر ١٠٢ اسموه « لورانسيوم » من اسم لورانس مكتشف السيكلترون والعنصر الاخير ١٠٣ اطلقوا عليه «نوبليوم» من اسم المهندس السويدى «نوبل» الذى وهب جوائز نوبل الخمسة المعروفة والتى تعطى كل عام لاكبر خمسة علماء خدموا البشرية واحداها فى العلوم الطبيعية والثانية فى العلوم الكيميائية والثالثة فى الطب والرابعة فى الادب والخامسة فى السلام .

هذه هى العناصر الـ ١٠٣ المعروفة حتى اليوم ونستطيع أن نلخص علم الكيمياء فى قانونين هامين:

١ ــ قانون النسبية الثابتة ، وهو الذى ينص على انه اذا اتحد وزن معين من عنصر معين مع وزن آخر من عنصر ثان فان هذين العنصرين يتحدان دائما بهذه النسبية ، والمثال الآتى يوضح ما نقول:

اذا اتحد ١٫٠٠٨ جرام من الهيدروجين مع ٨ جرامات من الاكسجين لتكوين الماء فانه يتحد ٢٫٠١٦ جرام من الهيدروجين مع ١٦ جراما من الاكسجين لتكوين العنصر ذاته وهو الماء .

٢ ــ قانون النسب المتضاعفة ، وهو اذا اتحد عنصر كالهيدروجين مثلا مع عنصر آخر كالاكسجين بنسبة ثابتة ليكونا مركبا معينا كالماء فان هذين العنصرين يتحدان بنسبة اخرى عددية وصحيحة ليكونا مركبا آخر لا يحوى غير العنصرين .

فمثــلا يتحد ١٫٠٠٨ جرام من الهيدروجين مع ١٦ جراما من الاكسجين بدل الثمانية الجرامات السابقة ليكونا هذه المرة بدل الماء « فوق اكسيد الهيدروجين » ويلاحظ أن العدد ١٦ هو ضعف العدد ٨ .

واستندت كيمياء المركبات على هذين القانونين، ولم يستطع العلماء خلال هذا النظام الكيميائى العظيم تحويل ذرة العنصر الى ذرة العنصر الآخر ، بل بقيت الذرة شخصية لا تمس تدخل كاملة بشخصيتها دون تحول أو انقسام ودون تفتت أو تهدم وذلك فى جميع المركبات ، وتخرج منها بشخصيتها كاملة ، وظل العلماء الى عهد قريب لا يعرفون السبيل لتحول ذرة العنصر الى ذرة عنصر آخر بتهدم هذه الذرة او تفتتها او انقسامها او انفلاقها وانشطارها ، او احداث اى عطب فيها ، وهكذا ظلت نواة الذرة ــ ظلت هذه الشمس فى عالمها الشمسى الصغير عالما مقفلا غير قابل للتغيير وغير متصل بعالمنا الخارجى .

ترى متى تصدع هذا النظام الكيميائى ؟ ومتى تغير هذا الاعتقاد فى أن الذرة غير قابلة للتجزئة ؟ ومتى وصلتنا اول رسالة من داخل نواة الذرة ؟ متى باحت هذه الشمس لنا بسرها الخطر ؟

لقد كان الفضل فى ذلك لعالم فرنسي هو «بكارل» وحدث ذلك فى آخر القرن الماضى وفى سنة ١٨٩٦ على التخصيص ، وليس المجال هنا لندخل فى تفاصيل قصة بكارل الرائعة التى حدثت على اثر كشف رنتجن الاشعة السينية ، واكتفى بأن اذكر ان بكارل كان قد وضع بعض املاح عنصر اليورانيوم فى زجاجة على احد الالواح الفوتوغرافية دون قصد وفى احد ادراج معمله فى مدرسة البوليتكنيك بباريس ، وعند فتح الدرج فى اليوم التالى شاهد صورة لاملاح اليورانيوم على اللوح الفوتوغرافى من تلقاء ذاتها ، ولما أعاد تجربته الخالدة عدة مرات ذهب ليلا الى المجمع العلمى الفرنسى ونشر نوتته الخالدة التى دل العالم اجمع فى دهشة ولاول مرة على ان اليورانيوم عنصر يشع ، لقد كان اليورانيوم يشع منذ ملايين السنين ، ولكن « بكارل » هو اول من دل على هذا التفتت النووى .

وهنا فتح بكارل الباب على مصراعيه لعالم ذرى جديد هو العالم الذى نعيش فيه .

ولعلك ايها القارىء العزيز تجولت وفى شىء من التأمل فى الكون معنا اليوم الكون الكبير وفى الذرة ذلك العالم الصغير ، وفى المقال القادم سادخل بك فيها من اوسع الابواب .

دكتور محمد محمود غالى

تعقيبات

بقلم : عباس خضر

الاقتباس بخير ... !

قدم الاستاذ محمود تيمور فى العدد الثانى من مجلة « القصة » قصة قال عنها وعن كاتبها :

« لقد اتاح لى الاستاذ «محمد القرش» ان اقرا قصته القصيرة : «الدنيا بخير» ، فاشاع فى نفسى الفرحة بلقاء قاص جديد ، اسعفته الملكة ، ولم تعوزه الادوات » .

ويؤسفنى ان انغص على استاذنا تيمور هـذه الفـرحة .. فانه لم يلق بهـذه القصـة ، قاصا جديدا ... الخ ، انما لقى قصـة لكاتب قـديم يعرفه .. هو «البرتو مورافيا» .

قصة مورافيا ترجمها الاستاذ انيس منصـور، ونشرت فى مجموعة عنوانها «من القصص الايطالى» صدرت فى سلسلة « كتب ثقافية » التى تنشرها الدار القومية للطباعة والنشر (العدد ١٧٢) .

***

وعنوان القصة ـ كما ترجمه انيس منصور ـ « خـذوا ولدى » وهى تصـور حال زوجـين اضطرهما الفقر وكثرة العيال الى محاولة التخلص من طفلهما الوليد بالقائه فى احدى الكنائس حيث ياخذه من يعوله وينفق عليـه ويرحمه من الفقـر والجوع . وهـو نفس الموضوع والجـو والحادثة التى بنيت عليهـا قصة « الدنيـا بخير » بل ان التصوير هو نفس التصوير ، والتفصـيلات تكاد تكون هى نفس التفصيلات ، فبطل قصـة مورافيا يقول : « اسكن انا فى غرفة طولها وعرضها كالارتبه ومعى ستة من الاطفال ، واذا امطرت السماء تلقينا المطر قطرة قطـرة ونحن نتكوم فى الاركان » وبطل قصة القرش يقول : « ونحن نقيم فى حى مهمشة بالشرابية) فى حجرة واحدة كلنا » الى ان يقول : « وفى ليـالى الشـتاء البـاردة نتكدس جميعا فى الحجرة » وقد تصرف « القرش » فى عدد الاولاد فجعلهم خمسة بدلا من ستة !

***

وكلتا القصتين تصور الزوجين وهما ينتقـلان من كنيسـة لا يسـتطيعان ان يلقيا فيها الطفـل الى كنيسـة اخرى ، وفى كل من القصتين نجد الزوجة جزعة ، والزوج يحاول ان يقنعها ، وفى كل منهمـا يعود الابوان بطفلهما دون ان يفقـداه . ثم تفترق قصة « الدنيا بخير » عن القصـة الاصلية بان يعثر الـزوجان على بنت لقيطـة فياخـذاها ويعـودا بالطفلين ، ويظـل الرجل يضـحك حتى يلتقى فى القهوة بمن يهونون عليه الامر ويبذلون له العون ، **فيتبرع احدهم بالينسون والكراوية ، وآخر بلبن وسكر ، وكان الاسطى الذى يعمل عنده موجـودا بالقهوة فيزيد يوميته خمسة قروش ... ومن هنا جاء العنـوان « الدنيـا بخير » بدلا من «خـذوا** ولدى » !! وقـد افـدت هـذه الاضافة المفتعلة القصة وجعلتها اقرب الى الحواديت ، منهـا الى القصة القصيـرة .

***

وجو القصتين واحد .. فالزوجان فى كل منهما مسيحيان ، ولهذا لجأ فى القاء الطفل الى الكنائس، وتجرى الحركة فى القصتين بين هذه الكنيسة وتلك **.. والحق ان السيد « محمد » كان فى منتهى اللباقة ، اذ ابقى على هذا الجو ، لانه لو جعل الزوجين مسلمين فانهما سيلجآن الى المساجد بدلا من الكنائس ، والمساجد لا يتردد عليها النساء عادة . واذا فرض أن احداهن دخلت مسجدا فانها تثير الانتباه ، وهذا لا ييسر القاء الطفل فى خفاء .**

وذلك هو ما استرعى انتباه الاستاذ تيمور فقال : «وانت تطالع قصة (الدنيا بخير) فيسترعى انتباهك ، بادىء بدء ، أن كاتبها الاستاذ **(محمد)** ـ واسمه يكشف بوضوح عن ديانته ـ يصور لك الحياة فى بيئة مسيحية ، فيحسن تصوير الطابع الخاص لتلك البيئة فى طوايا القصة حتى ليجعلك تستشعر ذلك الطابع استشعارا لا خفاء به **فيدلك على ان الكاتب بفطنته ودقة ملاحظته لا يعجز أن يستخلص بالتعرف والمخالطة مختلف المعالم التى تعين على ابراز الطابع المميز » .**

***

ولا شك ان هذا العمل له اسم آخر غير « الاقتباس » ولكنى آثرت هذه الكلمة على كلمة « السرقة » الخشنة .. فالاقتباس يحدث فى علن وفى غير استخفاء ، وقد رأينا الاستاذ محمود تيمور وشقيقه الرائد المرحوم محمد تيمور وطاهر لاشين وشحاتة عبيد وغيرهما من رواد القصة القصيرة فى بدء معالجتهم لكتابة القصة يكتبون قصصا على غرار قصص اجنبية ، ويصرحون بذلك وينبهون عليه . **اما الاخ « محمد القرش » فانه «اقتبس» ولم ينبه .. ولم يكتف بذلك بل اخفى الامر على استاذ جليل فورطه فى هذا التقديم ، ولم يقع هذا وذاك من « شاب طائش » ، بل وقع من رجل جاوز الاربعين .**

يحدثنا الاستاذ تيمور بانه « طالع ما طالع فى الادب العربى القديم ، والم الماما غير قليل بالادب العالمى الحديث ، ودبت فيه نزعة الكتابة ، ولكنه ضن بقلمه أن يظهر به على الملأ ، عند أول القطر ، فآثر التريث ، وصبر نفسه على التجربة ، وهو اليوم يقدم باكورته القصصية وقد جاوز الاربعين من عمره ... الخ » .

وبعد فانى اقسر القلم على أن يقف عند هذا الحد.. وان لم يكن فيما كتب الكفاية ...

اول اديب كتب للمسرح

الاحكام القاطعة كثيرا ما توقع فى الخطأ ، ومن اجل هذا يحتاط الدارسون والباحثون الذى يسلكون المنهج العلمى السليم ، بمثل «لعل كذا» و « الذى يبدو لى كيت» .. الخ ..

شاهدت على شاشة التليفزيون ندوة «فكر وفن» التى قدمت بها مسرحية «بيجماليون» للاستاذ توفيق الحكيم ، فسمعت لطفى الخولى يقول ما معناه : **ان توفيق الحكيم هو اول من قدم للمسرح المصرى ادبا بمعنى الادب ، اذ كان الذى يقدم قبله مسرحيات مسلية .. رخيصة لاترتفع الى مستوى التاليف الادبى .**

وكنت قد سمعت هذا الكلام من الاستاذ توفيق الحكيم نفسه، وان كان قد استثنى مسرحيات شوقى الشعرية ، أى انه ـ الحكيم ـ فى النثر ، وشوقى فى الشعر .

ولا شك أن أولية شوقى فى الشعر المسرحى العربى ثابتة . أما أولية توفيق الحكيم ففيها نظر .

اين نضع اذن مسرحيات محمد تيمور ، ومن قبله فرج انطون ؟

الف الاول مسرحية اجتماعية هى «مصر الجديدة ومصر القديمة» ومثلتها فرقة جورج أبيض على مسرح الاوبرا سنة ١٩١٣ .

والف الثانى عدة مسرحيات ، منها « العصفور فى

القفص» وقد مثلت على مسرح برنتانيا سنة ١٩١٨ ومسرحية «الهاوية» ومثلت على مسرح حديقة الأزبكية سنة ١٩٢١.

وقد كان محمد تيمور ثائرا على التأليف التجارى الهابط ، وعلى الاقتباسات والترجمات المماثلة ، وكتب كثيرا فى نقد ذلك والحملة عليه ، ودعا الى ايجاد مسرح يعبر عن المجتمع المصرى ويعالج مشكلاته وكانت المسرحيات التى ألفها تطبيقا لما دعا اليه .

الحكيم أعلى مستوى وانضج فنا . **ولكن الأولوية** الزمنية والسبق التاريخى شىء آخر ، ينبغى أن يحتاط عند الكلام فيه ، بل يجب ألا يتصدى له الا من تتبع ودرس ، وشباب اليوم منقطعون تماما مع الأسف عن تاريخنا الثقافى وجذورنا الأدبية .

ومع ذلك نسمع منهم دعاوى أكثر اتساعا مما يعلمون . وبعضهم ، أو يتوهم بعضهم لبعض ، انهم الأولون السابقون المبتكرون الذين لم يسبقهم أحد بمثل ما يأتون به .. ليتهم يعرفون !

كشكول

● قال مذيع فى نعى الاستاذ العقاد : توفى الكاتب الكبير الاستاذ **محمود عباس العقاد !** وقالت مذيعة فى نشرة أخرى : توفى الكاتب الكبير **الدكتور .. الاستاذ عباس محمود العقاد .** اقترح – عند اختبار المذيعين لتعيينهم – ان توجه أسئلة مثل: ما الاسم الكامل للعقاد ؟ هل هو دكتور ؟

● سمعت احد النقاد فى برنامج «مع النقاد» بالاذاعة يقول : الافكار المادية (بتسكين الدال) .. **هل اقترح اختبار النقاد فى اللغة ؟ عيب !**

● فى الاسبوع الماضى اعيدت اذاعة برنامج «مع النقاد الذى أذيع فى الاسبوع السابق ، وهو فى مناقشة مسرحية « الارانب» لست ادرى لماذا ، **هل هذا لأهمية خاصة ، ام لعدم وجود اعمال ادبية او فنية أخرى تناقش ؟؟**

***

● بعض الادباء والفنانين والاديبات والفنانات نعرفهم من الاخبار التافهة التى تكتب عنهم فى الصحف اكثر مما نعرفهم فى انتاج .. **ليتهم** ينشطون فى الانتاج او ليت لهم قدرة عليه مثل ما لهم من نشاط وقدرة على عقد الصلات **بالمحررين !**

● من الفنانات واحدة يكثر ترديد اسمها فى اى خبر (يفبرك) عنها .. **وآخر هذه الاخبار انه قد عضها كلب !** وهذا تقدم كبير فى الصحافة .. فقد كانت الصحافة القديمة تعتبر الخبر من يعض كلبا !

● لاول مرة نسجل لصحافتنا اهتمامها الجاد بمناسبة ادبية ، اذ خصصت جانبا كبيرا من صفحاتها للموضوعات والدراسات الجادة عن العقاد .

***

● رواية «الطريق الى بئر سبع» التى اصدرها الاستاذ حلمى مراد ضمن سلسلة « مطبوعات كتابى » من الادب الذى يجمع بين الهدف الكبير والمتعة الفنية ، وهى من تأليف الكاتبة الانجليزية « ايثيل مانين » وترجمة الدكتور نظمى لوقا . والرواية تصور محنة اللاجئين العرب وتثبت من خلال تصويرها الحق حقهم فى العودة الى ديارهم بفلسطين .

وهى انموذج رائع لما يجب ان يعمله ادباء العرب.

عباس خضر

حول الأدب في إسبوع

يقدمه : عبده بدوى

مع نجيب محفوظ





لازلت اذكر اللقاء الاول بيني وبينه ، كنت قد حضرت من السودان بعد عدد من السنوات قضيتها في التدريس ، وكانت القاهرة في هذه الفترة قد غاصت في قلبي بميادينها وشوارعها ، ولم تعد تعرف الا بالأدباء الذين كنت لا اكف عن القراءة لهم .. كانت قد تحولت الى خريطة ادبية يمسك اطرافها العقاد وطه حسين والزيات ، وكان في القلب « نجيب محفوظ »

وحين عدت كنت حريصا على ان اجلس في « نامل » بندوته « بكازينو اوبرا » ، وحين عرفني به صديق شاعر قلت له : انى اريد ان اهدى له ديواني « شعبى المنتصر » ، وبينما كان نجيب محفوظ واقفا ، كان قلبى متعثرا لا يتحرك عن « مكان الاهداء » ، وضاق بى زميلى وضقت بنفسي ، واعتقد انى سلمته الاهداء ناقصا ، ذلك لانى تهيبت الكاتب الذى يخرج أعماق القاهرة ، والذى ينسج الحياة في قصص بمهارة وصدق جديدين على الاسلوب العربى .

وفي وزارة الثقافة كانت تتم بيننا لقاءات

سريعة ، كان اكثرها عن طريق التليفون ، واذكر اذ كلفت بتبليغه رسالة سريعة من الوزارة ، وحين قلت للمسئول ان الساعة الآن الثانية الا دقيقة قال: ستجده فى اطراف هذه الدقيقة ، واذكر انى وصلت اليه فى قطرات الزمن الاخيرة من الدقيقة .

ولقد تذكرت هذا وانا اسعى اليه مع الزميلين عباس خضر واحمد آدم ، ثم حين رأيته يهون على عباس اعراض الانفولنزا التى ظهرت عليه ، وكيف ان احدا لم يسلم منها فى هذه الايام ، ولكنى ذكرت له : انها قد تأتى اليه — ولكنه اعمق محافظته على مواعيده — سيتحكم فى دقيقة القدوم والرحيل .

ويبتسم قلب القاهرة .. ، ويتحدث ببساطة وعمق ، وكأنه واحد من ابطاله الذين ينطقون بكافة ابعادهم ، دون أن يخفوا عن القارىء شيئا .

وتتطاير الكلمات هنا وهناك ، ولكنها تعود باعناقها لتلتقى حول « العقاد » ، فقد كان العقاد يشغل كل واحد منا ، وما هى الا دقائق حتى لم اعد اسمع الا صوت نجيب محفوظ وهو يتحدث عن العقاد — سرق منا العقاد الكاميرا كما يقول التعبير الصحفى — ولقد كان الحديث من النقاء والعمق بحيث جعلنا لا نملك الا ان نسمع .

قال نجيب محفوظ : ما اكثر ماتعلمت من العقاد . لقد تعلمت منه الكثير ، وكان اول ماتعلمت منه معنى الحرية .. كان هذا عن طريقين اولهما انه كان كاتبنا السياسى الاول الذى يذود بقلمه عن وطنه وعن مقدساته ، وفى الوقت نفسه كان الكاتب الذى يؤكد الحرية بمعناها الفلسفى ، وهى ان الحرية هى الجمال .

اما الطريق الثانى فقد تمثل فى انه غير نظرتنا للادب ، فقد كان الناس ينظرون الى الادب نظرة « غير محترمة » ، وكان الأديب ذاته لايرمى بما يكتب غير كسب لقمة العيش ، والتقرب الى اولى الامر ، بمعنى ان يكون هدفه من كل هذا ان يكون شاعر الامير او كاتب الوزير مثلا ، ولكن العقاد غير هذه المعايير حين جعل الادب رسالة مقدسة تالية لرسالة الرسل .

ودور العقاد لايقف عند هذا ، وانما يتعداه لانه جمل التعليم بالسلوك مقترنا بالتعليم بالقلم ، فقد دافع عن الحرية وحبس ، ودخل الوفد وهاجم عهده ، الى حد يمكن القول معه بانه كان حزبا داخل الحزب ، وانه حين اعتبر الوفد خرج على مبادىء « عباس محمود العقاد » ، خرج بالتالى عليه .

ومع ان الابواب سدت فى وجهه الا انه عرف كيف يتماسك ، وكيف يجعل من الوزراء «فرسانا» يسعون اليه ، ويحسون باعتزاز حين يضمهم مجلسه ، بالاضافة الى طبيعة ، عدم التراجع ، التى كان يتميز بها ، والتى جعلته يقول بعد خروجه من السجن ، متحديا كل اعدائه وعلى رأسهم الملك :

عداتى وصحبى لا اختلاف عليهما

سيعهدنى كل كما كان يعهد

وبالاضافة الى هذا الجانب من التربية ، نجد العقاد قد رباننا فى النقد ، فمن خلاله عرفنا التراث العميق ، والنظريات الاوربية الحديثة وطريقة تطبيقها ، فبينما كان طه حسين تأثريا يقول انطباعه، نرى العقاد — فى الشعر مثلا — يجعل من حقيقته الجماليه ، شيئا يشبه « الحقيقة الرياضية »

واذا كان الدكتور مندور ذكر ان العقاد كان يأخذ نفسه بالمنهج النفسى والتاريخى ، فان العقاد كان الى جانب هذا يواجه النص مواجهة مباشرة ، مستخرجا جماله بطريقة عقلية ، وبهذه الطريقة عرفنا على المفكرين الغربيين فى الادب والفلسفة ، وانا مدين له بالتعلق بالادب والفلسفة ، فانا لا استغنى عنهما معا ، بل نحن جميعا مدينون له بما يمكن تسميته بالادب الفكرى .

... وحين يصل « نجيب محفوظ » الى هذا الحد ، يدق التليفون ، فيتلقفه بيد سريعة ، ويذكر فيه كلمات سريعة ، وينظر الينا كذلك بابتسامة سريعة ، فقد حول العقاد — كعادته — جلستنا الى شىء من الجد والتوتر ، وكأنى بنجيب محفوظ احس هذا ، فآثر ان يتحدث عن الشعر ، فقد قال :

شعر العقاد يتميز بخاصيتين : اولاهما : وحدة القصيدة ، والثانية : ان شعره كان تعبيرا عنه لا « نيابة » عن قومه ، حتى ان المواقف الوطنية التى قال فيها شعرا نستطيع ان نقول : انه قالها لانه العقاد ، لا لانه مطالب بها ، فوطنية العقاد هنا تختلف عن وطنية شوقى ، صحيح ان «شوقى» له شعر وطنى ، ولكن اول رواية الفها كانت عن هزيمة المصريين امام الفرس ، ثم نراه بعد ذلك متعاطفا مع المماليك فى رواية « على بك الكبير »

لانه من سلالتهم ، وعلى كل فان الوطنية اذا كانت «واجبا » عند شوقي ، فانها عند العقاد عاطفة ذاتية نابعة منه ، وهذا هو الفرق بينهما .

وقد يقال : ان النهضة الشعرية التي تتوجت بمدرسة الديوان ، كان قد تحقق منها شيء على يد مطران وشكري ، الا ان مما لاشك فيه ان « التأثير المباشر » في الجيل لم يستطعه الا العقاد .

ويستطرد نجيب محفوظ في ان الشعر اذا تحقق فيه هذان الشرطان فانه من غير شك يكون صالحا للترجمة الى لغات العالم .

... ويدق تليفون يذكره بلجنة ستنعقد ، ويدور في ذهني ان « كمية الكلمات » التي حددها في ذهنه لو تحولت الى شريط زمني لما تعدت الموعد المحدد لانعقاد اللجنة ، واقول له : ربما كان الحديث عن الشعر قبل الرواية فيه مجاملة اي ، فلا يكاد يبتسم حتى يكون صوته قد انتقل الى « سارة » قائلا:

ان الاهتمام لم يبلغ الحد الواجب برواية سارة، وليس لهذا من سبب الا ان العقاد قد عالجها باسلوب غير اسلوب الرواية المعروف ، بحيث ان كثيرين اعتبروها عملا عاديا ، ولكن « سارة » في وقت كتابتها ، كانت تعتبر مكتوبة في احدث اطار عرفته القصة الاوربية ، وهو اطار « القصة التحليلية » .

ومن هنا تعتبر « سارة » من اقوى الشخصيات التي خلقها الادب الروائي في مصر ، ولا اعتقد ان شخصية اخرى — في ادبنا — حللت بهذا الجمال والعمق .

لقد كانت كاغلب القصص الحديث الذي يعتمد على التحليل اضعاف مايعتمد على السرد ، ومع انها كتبت باسلوب يشبه الاسلوب العلمي ، الا ان فيها شاعرية لم توجد حتى في دواوين الشعر ، وانا استطيع ان اقول باطمئنان : انها من الروايات التي تتلمذت عليها .

وحين ذكرته بالحملة التي اثيرت ضد العقاد حين قال ان بيتا من الشعر هو

وتلفتت عيني فمذ خفيت

عني الطلول تلفت القلب

يساوي العديد من الصفحات في اية رواية .. ابتسم صوته هذه المرة لانه كان قد تهيأ للكلام — وقال :

الذي افهمه ان هناك نوعين من القصة ، النوع الاول هو الذي يشبه « الحواديت » الجذابة الحلوة ، وهذا بلا شك ما كان العقاد يعنيه ، ولكن هناك كذلك النوع الثاني من القصة الذي تصل فيه بفضل « دستويفسكي » مثلا الى صف الشعر ، صحيح ان الشعر هو تاج الادب ، ولكن دستويفسكي هنا هو التاج ايضا !

... ويستطرد نجيب محفوظ باحساسه الزمني ودون ان ينظر الى ساعته فيقول :

ان المتحدث عن العقاد لا يستطيع ان ينسى سلسلة العبقريات ، فان الترجمة اذا كانت عند هيكل نوعا من التاريخ ، فانها عند العقاد ترجمة فنية ، فالى جانب اهتمامه بالتاريخ ، كان يأخذ العناصر الفنية للقصة ، ثم يعيدها من جديد من خلال الشخصية ، كما يفعل الشاعر حين يكتب مسرحية شعرية .

... ويبتسم نجيب محفوظ نصف ابتسامة ، ثم يكمل صوته النصف الثاني ، وهو يقول : لقد كان العقاد « دائرة معارف » ، وكم كنا نتمنى لو تفرغ تماما للادب ، ولو انه لم يضطر الى الكدح المتواصل من اجل لقمة العيش ، ثم يكمل في حزن : لقد كان من اكبر الناس الذين تأثرت بهم في حياتي الادبية ، ومع احساسي بان العقاد والزمن كانا قد ملأ المكان تماما بحيث لم يعد فيه مكان لكلمة جديدة ، الى ان وجدتني اقول له « ان هذا رأي جديد يقال لأول مرة فكل الذين كتبوا عنك لم يذكروا هذه الظاهرة ، وان كانوا قد اكثروا من القول بتأثرك بسلامة موسى » ويتنهد نجيب محفوظ ثم يقول :

« انا لا اخفي عليك ان الذين كتبوا عني كانوا لا يحبون العقاد !! » .

وليس لنا من تعليق على ما قاله نجيب محفوظ الا التنبيه على عملية التصحيح التي قام بها نجيب محفوظ لنقاده الكثيرين ، والذي نرجو ان يراجعوا مفاهيمهم في ضوء آخر ما قاله ، وما نقل عنه بأمانة ، وفي اعتقادي انه لم يقل ما قال من وحي العاطفة ، وانما كان من وحي الحقيقة ، التي مهما غابت فانها لا بد ان تعود !

وداع العقاد :

وفي نادي القصة وجمعية الادباء ، كان الحزن عميقا وحادا الى حد انه كان يتفجر في بكاء محموم ، كان محمد عبد الحليم عبد الله مأخوذا من نفسه ،

فقد كان البطل قد فارق اعظم الاعمال التى انتجها هذا العصر ، ومن هنا كان وقع المأساة فى وجهه وصوته وحركته وهو يقدم المودعين .

وجاء صوت عزيز اباظه دامعا وهو يقـــول ان الحديث عن العقاد اشبه بالحديث عن كون ضخم ، فهو متكامل بذاته ، ومغن بذاته ، فقد عاش مراحل التوثب ثم التسامى ثم التفوق ، وانه لم يعد اليوم الا دائرة معارف تمت اليوم اجزاء وفصولا .

وزادت رنة الحزن وصالح جودت يســـتعرض بعض الذكريات ، ويعرج على شـــعر العقاد الذى يقول :

اذا شيعونى يوم تقضي منيتى
وقالــوا اراح الله ذاك المعـذبا
فلا تحملونى صامتين الى الثرى
فانى اخاف اللحــد ان يتهيبــا

ثم يزود الدموع دمعة حين يقول هو عن العقاد
وعناد العقاد حين يرى الراى ويملى ان يسجد الكون عنده

ثم القيت قصائد من الشـــعراء عبـــده بدوى ، وطاهر الجبلاوى ، والحســـانى حسن عبد الله ، ومحمود شاور ربيع ، واحمـــــد ابو المجد عيسي ، وفرج مكسيم .

وقد كانت كلمة الدكتورة نعمات احمد فؤاد مصورة للحزن الذى وقع فى قلب القاهرة ، فقد ذكرت وقع الموت على هؤلاء الذين كانوا يرددون « كيف مات ؟ انه اكبر من الموت » ، وذكرت حزن الزيات وراء النعش وهو لا يكف عن كلمـــة « بدرى » اى والله بدرى ! » ثم اكملت اللوحة التى رسـمتها للعقاد بقولهـــا : لقد كان عقله عمـــلاقا ، اما قلبه فكان قلب طفل .

اما كلمة الشـــكر فكانت من الدكتور نظمى لوقا الذى كان يتكلم ويبكى فى آن واحد .

ومع افكار نجيب محفوظ :

فى برنامج « نجمك المفضل » بالتليفزيون ، راينا نجيب محفوظ يلقى اكثر من ضـــــوء على كثير من اعماله ، فقد كان مما قاله :

● انا من الجيل الذى تلا جيل عام ١٩١٩ ، ومع ان جيل عام ١٩١٩ قد حصل على مكاسب كبيرة ، الا ان هذه المكاســب قد ضـــاعت حينما انتهت الينا : فكل شيء كان ينهار ، والأمل فى الاصلاح يختفى . ومحاولة التوفيق بين حضارتى الشرق والغرب تبدو شاقة ، ومن هنا يمكن القول بانه كان جيل « مأساة » وان كل هذا قد انعكس على اعمالى .

● العلاقة بين اية شـــخصية فى الحياة واية شخصية فى الرواية ، يمكن تطبيقها على ما اصطلح على تســـميته بالسفاح محمود سليمان ، وســـعيد مهران فى « اللص والكلاب » ، فالفرق بينهما هو « الأدب الواقعى » .

● اذا كانت شخصية الصوفى تظهر فى كثير من اعمالى فلأنهـــا موجودة فى الريف والمدينة ، ولأن كلامنا لا يخلو فى جانب من نفسه من هذه الشخصية على ان رمزها عنـــــــدى يكون فى اطار الزمن والدين .

● مع ان عصرنا يسمى عصر السرعة ، وان هناك كثيرا من اساليب الفن المركزة كالســينما والاذاعة والاقصوصـــة ، الا ان الناشرين فى اوربا يرحبون بالرواية اكثر من القصة القصيرة ، وبخاصة بعد ان تطورت الرواية فى العصر الحديث من حيث الكم والكيف ، فهى تصدر الآن فى احجام صغيرة ، وتعنى بالمشكلات الميتافيزيقية والايديولوجية .

● اذا كان البطل فى الادب الطليعى الأوربى فى حالة انتظار الشيء ، والبطل عندنا فى حالة البحث عن الشيء ، فلأن ادب هـــذه الطليعة قد اســـتنفد البحث ووصل الى حالة اليأس ، بمعنى ان البحث اصبح لا امل فيه ، اما موقفنا نحن فانه بعيد عن هذا الموقف المتجهم ، لأن مجتمعنا الآن فى حالة البحث عن ذاته ، وآماله ، وعن نظرية تبلور كل هذه الاشياء فى فلسفة واحدة .

● ليس من اللازم ان نصل الى مرحلة « السأم » التى وصل اليهـــا الغرب ، لانه ليس من المحتم ان « ننطحن » فنصل الى هذا « الحال » ثم ان هـــذا الحال خاص بالحضارة الغربية .

● الحياة نوع من المأساة مادامت نهايتها معروفة ولكننا نتغلب على كل هذا بالعمل الدائب ، وبخلق جنة على الارض ، وبالامل فى العلم الذى نأمل أن يتغلب على كل شيء حتى على الموت !!

.. تلك هى اهم الأفكار التى تلخص موقف نجيب محفوظ من الحيـــاة ، والتى تعطينـــا بعض اسرار اعماله ، ونحن على استعداد لان نحمل اليه ما يشغل القراء عنه لانا شديدى الحرص على ان نربط قراء الرسالة به .

« عبده بدوى »

الكتب نقد وتعريف

يقدمه تحسين عبد الحي



اليهودية دين لا قومية

تأليف : المربيرجر

لقد ذكرت فى العدد الماضى من « الرسالة » فى مجال مناقشتى لكتاب .. اسرائيل فكرة وحركة ودولة . ما يلى ..

وبعد فهل هـذه المجمـوعة البشرية التى تؤمن باليهودية تشكل شعبا وقومية أم انهـا دين كسائر الاديان .. ؟

وقلت كذلك ..

ليس مهما أن ندخل فى نقـاش حـول حقيقة اليهودية من حيث كونها دينا أو قومية ، بل المهم أن ندرك فعلا ان هذه المجموعة تقف امام العالم واقعيا ، هيئة واحدة لها تنظيم متين وتخطيط مدروس وهى تحاربنا اليوم بعنف وشراسة .. وفى هذه الحرب تلتقى جهود اليهود كافة من أقصى اليسار حتى أقصى اليمين ، من موسى سنيه وميكونيس . الى دافيد بن جوريـون وموشى شـاريت وناحـوم جولدمان ـ « والمربرجر » والفريد ليلينتال ، كلهم يهـود لهم أهداف واضحة محددة ولهم أساليب ووسائل تبدو لغيرهم متناقضة ومختلفة .. »

فالمربيرجر ـ وكذلك الفريد ليلينتـال ـ ضمن اولئك الذين يحاولون دائما ان يقولوا لنا وللعالم أجمع أنهم ضد الصهيونية ـ بل ربما يصـل بهم تكتيكهم الدعائى أحيانا الى الدرجة التى يهـاجمون فيها اسرائيل ..

والسؤال هو .. هل المربيرجر ومن على شاكلته يهود صهاينة أم لا ؟

والرأى عندى ان المربيرجر والناهجين على نهجه هم من غلاة الصهـاينة بل من أكثرهم خطورة .. لانهم يشـكلون تلك الطبقة اليهـودية المثقفة التى تستطيع ـ عن طريق التسلل الفكرى ـ أن تصل الى تعميق ما تريد أن تظهر بمهاجمته .. وعلى الرغم من أن هذا التكتيك الدعائى ـ هو التكتيك نفسه الذى كان يستخدمه النـازيون أثنـاء الحرب العـالمية الاخيرة .. الا أن المربيرجر وغـيره من الصهـاينة مازالوا يستخدمونه بمهارة فائقة ..

فالمربيرجر هنا فى كتابه «اليهودية دين لا قومية» يدافع عما أسماه .. بالمجلس الامريكى لليهودية . وضد من ؟ ضـد الصهـاينة .. ولنبدأ اذن فى استعراض بعض آراء المجلس الامريكى لليهـودية لنر ..

يقول المربيرجر على لسان المجلس :

« يعتقد المجلس الامريكى لليهودية ، أن اليهودية دين وأن اليهود الامريكان هم من مواطنى الولايات المتحدة وليسوا اعضاء لجالية يهودية قائمة بذاتهـا تتميز بمصالحها الدنيوية التى تختلف عن المصالح الدنيوية لرفقـائهم الامريكان الذين يدينون بعقائد أخرى ..

ثم يقول كذلك فى ص ١١٣

اذا كانت اسرائيل دولة لا تضع خططهـا للقومية الا لصالح رعاياها فقـط فان موقف المجلس ليس للتخلى عن خدمة اسرائيل . أما اذا كانت اسرائيل دولة تعتقد أنها وجدت فقط لكى تعطى جميع اليهود « قومية مزدوجة » فان اليهود الامريكان لهم الحق

فى معرفة ذلك والحكم على الاعمال التى تقوم بهـا المنظمات التى ينتمون اليها فى ظل هذه الحقيقة .

ولنرجع الى اول بيان عام أصدره المجلس الامريكى لليهودية ونشرته جريدة « نيويورك تايمز » فى ٣١ اغسطس عام ١٩٤٣ .. فقد جاء فيه مايلى :

« وقـد سـاعدت فلسطين بطريقة ملموسة على تخفيف المحنة التى ألمت بحياة كثير من اليهود بتقديم ماوى لكثير من يهود أوربا المضطهدين ونحن نأمل فى أن تظل أحد عمـد الاستقرار وذلك لانهـا أثبتت بوضوح أنهـا تصلح للتوسـع العلمى اذا أقيمت المدارس والجامعات وحدث تطور فى نظام الزراعة والتجارة وكذلك النواحى الثقافية .. »

ترى هل كان الصهاينة يطالبون باكثر من فلسطين عام ١٩٤٣ والتى أيد المجلس المنـاهض للصهيونية مطالبها فى هذا البيان ..!!

ولنـأخذ كذلك بعض آراء المجلس الامريـكى لليهودية الذى يدعى زورا انه مناهض للصهيونية ..

يقول المربيرجر ص ٨٦ بلسـان المجلس .. عن اسرائيل ..

« انها كما كانت منذ عام ١٩٤٨ ، أحد الاغراض الهامة التى يعرب المجلس عن أمله فى تحقيقهـا اذ يعتقد أنه سيتمكن من الوصول الى تحقيق مثل هذه الامانى اذا استطاعوا فهمه عن طريق المعرفة المباشرة بدلا من قبول سـوء التمثيل الذى يتداوله رجل الدعاية .. »

ويقول كذلك .. وفى تسلل فكرى رهيب :

« اننا نؤكد اننا لم نعارض وجود دولة اسرائيل وقد اتخذنا مثل هذا الموقف لاننا أمريكيون مثلنـا مثل اخواننـا من المواطنين الذين يبلغ عددهم عدة ملايين والذين لا يرتضـون أن يقضوا على أية دولة أخرى لا تزال جزءا من العالم الحر .. »

وهكذا فالمجلس الذى يعارض الصهيونية يحاول ايهام الرأى العام الامريكى والعـالمى عن طريق المربيرجر — أن اسرائيل هى جزء من العالم الحر ..!!

وفى مجال الدعاية المقنعة .. يقـول المربيرجر ص ٩٧ :

« اننا كيهود نعتقد أن اليهود المحتاجين فى دولة اسرائيل يجب أن نمد لهم يد العون »

ويقول كذلك ص ٤٧ :

واسرائيل هى الدولة ذات السيادة التى تطالب بها الصهيونية — وقـد اعترف المجلس الامريكى لليهودية بهذه الحقيقة التاريخية ..

ويقف المربيرجر على مسرح هذه الدعاية المقـدمة ليقول بن وايزمان .. انه لا صهيونى .. فيذكر فى ص ٦٦ ..

« ولقد كان وايزمان على بينـة من الامور اذ أنه مؤسس « اللاصهيونية » ومنشـؤها وبذلك نبـذ « اللاصهيونيـون القومية اليهـودية » واعتقـد اللاصهيونيون أنهم يستطيعون المساهمة فى النواحى «الانسانية والثقافية» لتجربة فلسطين بينما يأخذون فى تخليص أنفسهم من القومية اليهودية ومقوماتها »

وهكذا يقول «بيرجر» عن وايزمان انه لاصهيونى وهنا نسأل .. اذا كان وايزمان — غير صهيونى — ولكنه يهودى فقط .. فمن هم اللاصهيونيون هؤلاء ؟

ان اللاصهيونيين يطلقـون على منظمتهم المجلس اليهودى الامريكى .. بتأخير الصفة «الامريكية» هذه المرة ..

وتستطيع ان تتعرف على هذا المجلس اللاصهيونى هذا من خلال كتابه الرسمى الذى جاء فيه :

« رمى هذا المجلس عندما قام بنشـاطه الى أن تعترف الولايات المتحدة باسرائيل ، والى أن يسمح لها بالانضمام الى الامم المتحدة كما قام هذا المجلس بدور هام فى ضمـان الديون لاسرائيـل من بنك الصادرات والواردات وكذلك تقديم منح من الولايات المتحدة بقصد مساعدتها وابرام اتفاق التعويضات مع حكومة المانيا الغربية لمد اسرائيل بالمائة مليون جنيه .. ويقوم المجلس بدور آخر يتناول الدعاية المناوئة لاسرائيل والتى يقـوم بنشرها العرب فى امريكا . وكذلك يعمل هذا المجلس فى تقوية الصلات بين اسرائيل والولايات المتحدة والدول الديمقراطية واقامة العلاقات المتبادلة بين يهود أمريكا ويهـود اسرائيل . »

ترى اذا كان المجلس اليهودى الامريكى ومؤسسه وايزمان لا صهيونى فى نظر — المربيرجر .. فماذا تكون الصهيونية اذن .. ؟

واذا سلمنا مع بعض هؤلاء الخطرين مظهرين مثل هذه السذاجة فى التفكير التى تتميز بهـا العقلية الامريكية العادية.. أقول .. اذا سلمنا بان اليهودية ـ دين ..

فما هو الفرق بين اليهودية ـ والصهيونية . ؟ الرأى عندى ان الصهيونية واليهودية اسمان لمسمى واحد ومضمون واحد حتى لو اعتبرنا الاولى تجاوزا الوجه السياسى الحديث للثانية ، كما يحلو للبعض ان يفعل حين يريد ان يميز ويفرق بين الاسمين .. ان الصهيونية ملتحمة باليهود وبدينهم وهى جزء من تفكير أى يهودى ـ يرضعها طفلا ويسير بهديها ووحيها .. ففى أدب الدين اليهودى نجد مقاطع ودعوات تؤكد هذا الاتجاه وتبرزه بشكل حاد قاطع .. من ذلك مثلا ..

● ان من سار أربع خطوات فى أرض فلسطين خصه الله بمكان فى الجنة .

***

● ثواب العيش فى أرض الميعاد يعادل ثواب طاعة الله فى كل ما أوصى به موسى .

***

● من كتب له أن يعيش فى فلسطين محيت ذنوبه ..

***

والصهيونية هى كما عرفها ـ تيودور هرتزل ـ «بانها حركة الشعب اليهودى فى طريقه الى فلسطين»

وقد أوضح العلاقة المتلاحمة بين اليهودية والصهيونية بشكل محدد واضح حين وقف يخاطب أعضاء المؤتمر الصهيونى الاول فى بال عام ١٨٩٧ اذ قال :

« ان العودة الى صهيون يجب أن تسبقها عودتنا الى اليهودية »

***

ويقول الدكتور سولمون شيختر (١٨٤٧ ـ ١٩١٥) مؤكدا وحدة اليهودية والصهيونية وترابطهما حين يقول :

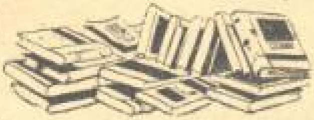
« حيثما يكون الصهيونيون عاملين نشيطين تكون اليهودية حية فاعلة » .

وماذا بعد ذلك .. ان الانسان لو أراد أن يوضح بالامثلة وباقوال اليهود أنفسهم ـ ومن كتبهم المقدسة .. ومن صميم دينهم أن الصهيونيه واليهودية شيء واحد لسود فى ذلك ضعف صفحات هذه المجلة .

***

الا انى عندما أوردت هذه الامثلة السابقة فى عملية المقارنة بين الصهيونية واليهودية وكذلك المقارنة بين المجلس الامريكى لليهودية ـ والمجلس اليهودى الامريكى كنت أود أن أوضح بعض النقاط والوسائل التى تلجأ اليها الصهيونية ـ اليهودية ـ وكلتاهما لمسمى واحد، فى تعبئة الرأى العام العالمى من ورائهـا عن طريق ايجاد نوع من السفسطة الفكرية والالتفاف والتسلل العقلى والفلسفى لتثبيت عنصريتهم البغيضة التى ما زالوا يلبسونهـا صفة الانسانية ببجاحة وخداع .

تحسين عبد الحى





في محراب الذكريات

بقلم : مصطفى نشأت

الاستاذ الكبير أحمد حسن الزيات

تحية صادقة لشخصكم المحبوب وبعد :

يكتب هذا لسيادتكم احدطلبتكم بالسنة الرابعة (أدبي) بمدرسة الاعدادية الثانوية بالظاهروحصل على شهادة البكالوريا منها في سنة ١٩٢١

انني يا سيدي المربي الكبير أحتفظ في مكتبي بما يأتي :

أولا — عدد مجلة المدرسة الاعدادية الصادر في أول مارس سنة ١٩١٩ أي منذ نحو ٤٥ سنة وكنتم سيادتكم تديرونالتحرير العربي بهذه المجلة ونشرتم فيهذا العدد قصة (ضحيةالسيل) وصورة سيادتكم منشورة امام القصة بالعمامة والجبة والقفطان واني لا أزال اقرا هذه القصة كلما وجدت الى ذلك سبيلا لجمال أسلوبها مع اشارتها الى حادثة وقعت في تلك السنة وتعبيرها عنها أصدق تعبير .

ثانيا — كراسة مطبوع على غلافها (لجنة اصلاح التعليم وتعميمه) وتحوى الاشعار الكثيرة التي امليتموها سيادتكم على طلبتكم من الذاكرة دون الاستعانة بكراسة تحضير أو ما أشبه وتشمل تطبيقاتعلى البلاغة (المعاني — البيان — البديع)

ثالثا — كتاب أدبيات اللغة العربية بقلم سيادتكم واني وان كنت أحتفظ ببعض آثاركم الكثيرة الاخرى التي لا يمكن حصرها الا انني لأعتز كثيرا بهذه القصة وبهذه الكراسة وبهذا الكتاب .

ولقد حركتني الذكرى . ذكرى الماضي البعيد الذي أخذ يتضاءل كما يتضاءل الصوت كلما بعد ويتلاشى كما يتلاشى نور الشمس الغاربة . أيامكنتم تدخلون سيادتكم المدرسة صباحا قادمين من جهة حي القبيسي — من الباب الواقع أمام المسجدالظاهري الكبير وجميع الطلبة في سكون تام حتى اذا وصلتم الى الدور الثاني استقبلكم الطلبة بكل آياتالترحيب والاحترام منصتين اليكم تماما للاستفادة من علمكم الغزير ودرسكم الممتع .

وقد دفعتني تلك الذكريات الجميلة عن تلك الايام الماضية الى تحرير هذا الكتاب لسيادتكم معربا عن تقديري العظيمالصادر منتلميذ الى أستاذهالكبير وانيلأشعربسعادة لا توصف حينما أرىسيادتكم لا زلتم تحملون مشعل العلم وتواصلون العمل والمساهمة في الارتقاء العقلي والادبي في بلادنا العزيزة .

وتقبلوا سيادتكم بقبول أسمى عبارات التقدير والاحترام .

دعوة الى الفصحى

بقلم : خلدون الدليشي — جامعة القاهرة

فكرت في الكتابة ، في بادىء الأمر ، عن هذا الموضوع فترددت قليلا ولكنني أخيرا وجدت نفسي مرغما على الكتابة ومهما حاولت أن ابتعد عن هذا الموضوع وجدت هناك ما يدفعني للكتابة باسرعوقت

أنا طالب عربي من العراق جئت الى هنا لأتمم تعليمي في جامعة القاهرة وان الشيء الذي أود أن ألفت اليه الانظار هوالقاء المحاضرات وشرح الدروس في الجامعة .

ان الاساتذةالمحترمين من دكاترة ومعيدين ،أكثر كلامهم في شرح الدروس والقاء المحاضرات يكون باللغة العامية المصرية وهذا مما يؤدى الى ضياع كثير من المعاني وعدم فهم الموضوع ، وخاصة بالنسبةلنا نحن الشرقيين .

ومن مساوىء الكلام باللغة العامية فى الجامعة أنه يعود الطلبة على الكلام بهـا وحتى كتابتهـا ايضا وبالتالى يؤدى الى فقدان أهمية اللغة العربية الفصحى وهذا مما يؤسف له . فاذا لم تكن اللغة العربية الفصحى سـائدة فى الجامعة فأين تسود ، وخاصة جامعة القاهرة التى تعتبر هى اليوم من أكبر واضخم جامعة عربية ، والتى يؤمها كثير من طلاب أفريقيا وآسيا .

وأرجو من المختصـين أن يولوا اهتمامهم بهـذه الناحية ومما لا شك فيه أن شعورى هذا هو شعور كل عربى يريد لأمته الخير والتقدم ، وادعو الله أن يوفق الجميع لما فيه خير امة العرب .

خلدون عبد اللطيف الدليشى

جامعة القاهرة ــ كلية العلوم
اعدادى طب الأسنان

هل تدخل « مهما » على الماضى ؟

بقلم : عيسى متولى

أشارت « الرسـالة » الغراء ، فى عددها رقم ١٠٥٢ ، الصادر فى ١٢ مارس ١٩٦٤ ، الى الخلاف الذى أثير فى ندوة الرسالة ، حول جواز دخول «مهما» على الماضى ، اذ رأى فريق أن العربى الصحيح لا يقره ، لأن من حق « مهما » أن تدخل على المضارع فقط ، وأيدوا ذلك بما نقله ابن هشام عن الزمخشرى فى « المغنى » ..

واستشهد الفريق الآخر ، الذى يجيز دخولها على الماضى بأبيات لبعض الشعراء الأقدمين ..

والذى أريد أن أقوله بصـدد هذه المناقشـة لا يتعدى بضعة اسطر :

لماذا نذهب بعيدا .. وعندنا كتاب الله العزيز « سيد المراجع » ، وقبس الهداية ...

لقد وردت « مهما » فى موضع واحد من القرآن الكريم ، وهى فى هذا الموضع الواحد تدخل على المضارع ..

انه يقص علينا قصة موسى عليه السـلام وآل فرعون ، فى سورة « الاعراف » فتقول الآية (١٣٢) ما قاله آل فرعون لموسى :

« وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين » ..

وهذا يؤيد رأى القائلين بأن « مهما » انما تدخل على المضارع وحده ..

ومهما يكن من أمر .. فليس لنا بعد كتاب الله ملاذ .. ولا مرجع !! ..

عيسى متولى

نداء الى الازهر

بقلم عبد الحليم عبد الفتاح عويس

فى عدد الاخبار الصـادر بتاريخ ١٩٦٤/٣/٧م نشرت الجريدة تحقيقا صحفيـا عن « جمعية زهرة الاسلام » ، تلك التى تتبنى الدعوة الى دين الاسلام فى دنيا الله الجديدة (الامريكتين) . والجمعية نموذج حى لأسلوب التربية الاسـلامية والدعوة الى الاسلام فهى تتشرب روح الاسلام الصافية وتفهمه دين حياة وقوة لا دين خور وضعف . ويكفى أن رئيسهـا (الحاج محمد) يدرب الاعضاء فى المساجد تدريبا رياضيا وروحيا معا ، ويضع امامهم لافتـة مكتوبا فيها (قبل أن تمد ساعدك لتضرب خصمك يجب أن تقول الله اكبر) ثم هو يحرم عليهم شرب السجائر وتعاطى الخمور ويبعـد عن الجمعية كل من تثبت عليه جريمة ارتكاب رزيلة يأباها الله لمدة قد تصل الى خمس سنين .. ولعل أبرز ما يدل على سمو هذه الجمعية وفهمها العميق للاسلام الخالد عضوها الفائز ببطولة العالم فى الملاكمة (كلاى) الذى انتصر بقوة ايمانه وتربيته الاسلامية ــ كما يقول هو ــ انتصر على منافسه المجرم الشرير ــ ليستون . وهذه الجمعية نتيجة روح الاسلام التى تتسم بها قد اجتذبت اليها آلاف الزنوج الامريكيين فدخلوا فى دين الله أفواجا .

ومن العجيب مع كل هذا ــ أن الجمعية تعـانى نقصا فى المرشدين الدينيين والعلمـاء المتخصصين كما تعانى من عدم وجود التشجيع الادبى والمادى من أمة الدعوة .. أمة العرب والاسلام !!

اننى أهتف ــ على صفحات الرسالة الفيحاء ــ بالازهر الشريف أن يمد الى هذه الجمعية المكافحة يد العون العلمى والمادى .. واهتف بالسيد سكرتير المجلس الاعلى للشئون الاسلامية أن يمد يده الكريمة اليها بما يملك المجلس من وسائل العون الواسـعة حتى يتسنى لها المضى فى طريق دعوتها الى الله فى عالم المادية الطاغية .

عبد الحليم عبد الفتاح عويس
المحلة الكبرى

البريد الادبى والعقاد :

انهمرت على هذا الباب القصائد والكلمات التى احسسنا معها انها تحمل كل أحزان العالم على وفاة الاستاذ عباس محمود العقاد ، والتى احسسنا معها كذلك أن أسرة الاديب لا تقف عند كلمة « العقاد » وانما تشمل كل هؤلاء الذى قراوا له ، وتأثروا به ، واليوم ونحن نشاركهم حزنهم نستعرض كلماتهم وأسمائهم فى سرعة حتى تأتى على عدد كبير منها :

● ذكر السيد / مصطفى محمود مصطفى أن قلم العقاد كان يحمل كل فلسفات هذا الشعب من آلام وآمال فوق نصف قرن من الزمان .

● قال عبد العظيم ابراهيم المطعنى : ان العقاد كتب عن لطفى السيد أن موته لا تتكرر نظائره فى الجيل الواحد مرات ، وها هى هذه النظائر تتكرر — كاقسى ما يكون — بموت العقاد .

● كما دار حول معانى الحزن السادة محمد عادل خلف ، ووجيه محمود عيد ، وعماد الدين عبد القادر على ، وابراهيم حسن خلاف ، وصابر خليل يوسف .

● ومن القصائد التى وصلت للمجلة قصائد للشعراء عبده محمد الشامى ، وعطيه قنون ، وعبد الصبور منير وفاروق لوقا غبريال .

ردود قصيرة :

● ذكر الاستاذ محمد عثمان محمد أنه جاء فى قصيدة الشاعر محمود حسن اسماعيل هذا البيت :

فيهـــا فلسطين الجريحة أجهشت
بقضية فى البغى طـــال حوارها

وبرى أن « فعيل » يستوى فيه التذكير والتأنيث اذا كان بمعنى « مفعول » .

ومن هنا كان على الشـــاعر أن يقول « فلسطين الجريح » ، والكلمة الآن للشاعر .

والشاعرة روحية القلينى تشكر الاستاذ شاكر البرمكى ، وتذكر أن صحة البيت الذى تناوله هى :

انى أضل بحيرتى يطويه فى قلق حنينى !

● والاستاذ طلبه محمدعبده تناول ديوان «صدى الوجدان» للشاعر أحمد عبد اللطيف بدر ، وذكر أن ما يسترعى النظر فى هذه الباقة الشـــعرية ، هو صدق العاطفة وشدة الارتباط بين اسمها ومسماها، فهى صدى لوجدان الشـــاعر ، وصـــورة صادقة لأحاسيسه .

● والاستاذ محمد عادل خلف تعرض لمسرحية « ياطالع الشجرة » لتوفيق الحكيم وقال أنا شخصيا — ومعى غير واحد من المثقفين — أغرقنا أنفسنا فى قراءة هذه المسرحية ، ثم جلسنا عبثا نحل رموزها ، مما جعلنـــا نطالب بان يكتب الحكيم « حلا » لهذه المسرحية ، ثم يطالب بالوضوح فى كل ما يكتب فى هذه الايام .

● ووصلت من محمد جاد البنا رسالة فى تحية العلماء فى مؤتمرهم .

واوضح محمد عبد الرحمن السحرتى دور الافلام المنحرفة فى العصف بالقيم الانسانية .

● والاســـتاذ مصطفى الجبرتى معجب بمقـــال الدكتورة نعمات فؤاد .

● والاستاذ كمال زكى جاب الله يتعرض لصعوبة القافية فى اللغة الانجليزية ، وانها تزيد على الاقل عشرين مرة عن مثيلتها العربية ، ويدعو الى تكرار القافية فى القصيدة الحديثة حتى يستطيع الشاعر أن يقول كل ما عنده ، دون أن تكون القافية معوقة له

● كما وصلت قصائد من الشعراء ياسين خليل الخالص ومصطفى الفارسى ، ورضا محمد النجومى ، وياسين شبانه ، واذا كان لا بد من التنويه ببعض القصائد ، لما فيها من صدق التجربة ، ومن النضارة التى تعطى الشعر الرقيق الخالد ، ومن التمكن من تحريك الصورة .. فان قصيدتى الشاعرين عبـــد البارى أبو العنين يوسف ، وحميد اليـــاس غريافى تستحقان هذا التنويه .

● أما الرسالة الاخيرة فقد كانت من محمد يونس عبد العال تعليقا على افتتاحية البريد التى كتبت فى العدد الماضى ، واعتقد أن ما اقترحه — وهو مخلص فيه — قد نفذ فى هذا العدد .

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
وزارة الثقافة والإرشاد القومي

الإدارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد - القاهرة

الاشتراكات
١٥٠ قرشاً سنوياً
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٥٥ الخميس ١٩ ذو القعدة ١٣٨٣ هـ - ١٢ ابريل ١٩٦٤ م السنة الحادية والعشرون

الفهرس

اختلافهم نهضة

بقلم : عباس خضر



تجرى الآن فى حياتنا الأدبية خلافات وصراعات متعددة ، بعضها شخصي تدفع اليه حماقة أو منفعة ذاتية ، وبعضها موضوعى له أهداف فكرية وتثيره وجهات نظر متباينة . وهذا وذاك قد يخالطه الجهل ويلابسه قصور النظر وســـوء الفهم أو التعصب لجماعة معينة .

واذا وضعنا الحماقة والمنفعة العاجلة والجهل والغباء والتعصب الى جانب ، ونظرنا فى الخلاف الموضوعى ذى الأهداف العلمية ، فاننا لا نجزع من

انتشاره ولا من استشرائه ، بل على العكس نراه دليلا على الحيوية فى واقعنا والنهوض فى حياتنا الأدبية والفكرية .

حتى الحماقة واخواتها .. لا باس بها كطفيليات تنبت على الحواف ، وغبار يثار ثم يصفو منه الجو ، وزبد يطفو ثم يذهب جفاء .. هذه ايضا دليل الحيوية وضريبة الحركة النامية .

لو تأملنا الحركة الادبية العربية الحديثة فى مراحلها الماضية ، لوجدناها قامت على الاختلاف ، بل على احتدام المعارك بين القديم والجديد ، فالطليعة التى قادت الأفكار الجديدة فى النصف الأول من هذا القرن ، خاضت معارك حامية مع أنصار القديم ، والمكاسب التى تكشفت عنها هذه المعارك والتى خلصت الينا نقية ظافرة ، بعد ان سكن الغبار وانطفأ الأوار ، واصبحت فى حياتنا الأدبية اصولا مقررة وأمورا مجمعا عليها — هذه المكاسب لا يرجع الفضل فيها الى انصار الجديد الذين كانوا فحسب ، بل يرجع كذلك الى انصار القديم .. اذ كفكف هؤلاء من غلواء الجديد وابانوا لأنصاره كثيرا من اخطائهم . وعند ما تنتهى المعركة يستبين حتى للمنتصر ما وقع فيه من اخطاء .

وكل جديد فى الادب لا بد ان تصحبه معركة ، بل انه لا يتم تمثله الا بعد ان يخرج من المعركة ظافرا ، والذى يحدث ان الجديد — بعد الفورة الأولى — يتصالح مع القديم ، اذ يتضح من الصدام — لكل من الفريقين ، او للعقلاء الواعين منهما ، ما فى جانب خصمه من حق وما فى جانبه من باطل .

لنأخذ مثلا المذهب الواقعى الذى التفت اليه ادباء الطليعة عندنا فى اوائل هذا القرن ، وقويت دعوته واتسع تطبيقه فى العشرينات منه وما بعدها ، كان هذا المذهب ثورة على امرين كانا يسودان الحياة الادبية ، اولهما محاكاة القدماء فى الشكل وفى المضمون ، أى فى الأسلوب اللغوي الذي يثقله الزخرف والمحسنات المتكلفة ، وفى المشاعر والأفكار المرددة التى تأخذ الطريق على النبض الاصيل . وثانى الامرين الخيال البعيد عن الواقع الذى انحدر الى شعرائنا وكتابنا من الرومانسية الغربية على حين كانت فى بلادها على وشك الغروب .

وأوغل انصار الواقعية الثائرون على الكلاسية والرومانسية — فى محاكاة الواقع وتصوير البيئة المحلية حتى غفلوا عن مقتضيات الفن الجميل ، واشتطوا فى بعض الأمور ، سواء فى النظرية وفى التطبيق .

وبعد ان سكن غبار المعركة بينهم وبين انصار القديم تبينوا شططهم وسوء ما أوغلوا فيه ، واصلحوا امر الواقعية بالانتخاب من الواقع وتعميق التناول ، وحسنوها بشيء من الخيال واشياء من جمال التعبير .

وقد تعرضت الواقعية عندنا اخيرا لمحنة جديدة ، كان ذلك من نحو عشر سنوات ، اذ ظهرت فى حياتنا الأدبية حركة غريبة باسم الواقعية وباسم ربط الادب بالحياة وتوظيف الفن فى خدمة المجتمع ... الخ . وزعم زاعموها انهم يجددون بهذه الدعوة وانهم اتوا بالذئب من ذيله .. كما يقول المثل الدارج !

والواقع ان هذه الحركة كان فيها جديد .. هو الصراخ الأجوف والهتاف بشعارات معينة وفرض الوان من الانتاج « الهاتف » على الأدب ، وكان واضحا ان تلك الشعارات والهتاف بها متأثرة بتيار اجنبى مالبث ان ارتد على اعقابه أمام الانبعاث الأصيل الذى خرج من اعماقنا يعبر عن اصالتنا ويصد كل دخيل لا يلائمنا .

وكان الظفر فى هذه الحركة للجانب الاصيل المدافع ، وانحسر الخلاف الحاد عن تراجع الهجوم واندحار المهاجمين . وكانت النتيجة ان استمرت الواقعية النامية فى حياتنا الادبية منذ ان ارسى الرواد قواعدها . واسفر الاختلاف هنا عن نهضة مجددة واكبت النهضة السياسية والاجتماعية المنبعثة من صميم بيئتنا وفق احتياجاتنا وتطلعاتنا .

وفى ادبنا اليوم معركتان كبيرتان لا تزالان ناشبتين هما الخلاف على الشعر الحر ، والاختلاف بشأن اللامعقول . وقد كان المرحوم العقاد على رأس الجبهة المعادية للأثنين . وليست الجبهة الأخرى ضعيفة ، فللشعر الحر انصار كثيرون ، من الشعراء

ومن الجمهور . اما اللامعقول فمركز الثقل فيه هو توفيق الحكيم ومسرحياته اللامعقولة .

ويبدو لى أن معركة الشعر الحر ستسفر عن فوزه ؛ ولعل من عناصر قوته أنه يقف على أرض عربية ؛ من حيث تفرعه من التفاعيل العربية والتزامه وزن التفعيلة الواحدة . واعتقد ان نصره مرهون بامكان تقديم مضمون شعري يقنع ، وما قدم منه مقنعا حتى الآن قليل .

اما اللامعقول فهو اجنبى مائة فى المائة .. وهو ليس مرفوضا لهذا بطبيعة الحال ، فهناك اسباب اخرى على راسها انه لا معقول .. ولو فرضنا ان الحياة غير معقولة او انها تشتمل على كثير او قليل من اللامعقول ، وانها لهذا غير مفهومة ، فلماذا نضيف اليها جديدا غير مفهوم ؟ افلا يكفيها ما فيها ؟!

وقد قرات مسرحية «يا طالع الشجرة» لتوفيق الحكيم ثم شاهدتها على المسرح ، واقر انى شعرت بمتعة لعل مرجعها الى احتكاك المعقول باللامعقول فى حوار توفيق الحكيم الممتع دائما .. ثم ... اليس من الممتع ان يقوم الانسان بجولة فى مستشفى امراض عقلية ويستمع الى من فيه من المرضي ويرقب احوالهم وتصرفاتهم ؟!

ولم اجد فى هذه المسرحية ما يؤيد ادعاء المؤلف فى مقدمتها انه استوحى فيها الادب الشعبى ، فكل ما فى الامر انه يسمع من بعيد صوت اطفال يغنون « يا طالع الشجرة هات لى معك بقرة » وان فى المسرحية شجرة ..

ومهما يكن من شيء فان توفيق الحكيم قد احسن بلا معقوله الى حركتنا الأدبية .. اذ اتاح الفرصة لاختلاف جديد اثراها بافكار جديدة . ولم يخل ولن يخلو ما يقال فى اى الناحيتين من فائدة ...

ولا بد من احد امرين : اما أن تنتصر الواقعية ، فتتغلب على المنافس الجديد وتطرده ، فيكون هذا دعما لها وقوة ؛ أو ينتصر اللامعقول فنظفر بوايد جديد ان خلا من فائدة فلن يخلو من متعة !

وليطمئن خصوم اللامعقول ، فان الاحتمال الثانى من قبيل اللا معقول ...

عباس خضر

ألوان

● قال مسيلمة لسجاح : أتذكرين القبة يا اخت تميم ؟ قالت : اى قبة تعنى يا اخا حنيفة ؟ ! (قبة اليمامة) (١) حيث انحدر الكفر من ظهرك الى ... ام (قبة الجامعة) حيث انتقل الجهل من ذهنك الى ذهنى ؟

قال مسيلمة : اعنى القبتين جميعا يا سجاح . ففى الأولى كانت معاهدة الحب ، وفى الاخرى كانت مغامرة الحب . وفى كلتا القبتين باض الضلال وفرخ وأصبح يوماهما حديثا يروى على الاعقاب ويؤرخ . قالت سجاح : نعم أذكر يا (أبا الحي) هذين الحدثين، فقد كان لهما فى تاريخنا القديم والحديث اثر يذكر فينكر . وما انس لا أنسى تلك الآيات النارية التى نزلت فيهما عليك وعلى، ولا تلك اللمسات الشيطانية التى سرت منك الى !

قال مسيلمة : لا تنسى ايضا أن هذا السر لا نبوح به الا للأخصاء ، فاكتميه كالنبيات ولا تفشيه كالنساء!

● قال لى رجل طيب : لقد عرفت ماذا تعنى بمسيلمة وسجاح. قلت له : من ؟ قال : ربا وسكينة .. فضحكت وقلت له : سبحان الله ! لقد ذكرتنى برجل اراد أن يمتحن ذكاء رجل طيب مثلك ، فسأله : ما شيء احمر مستدير يوضع على الراس ؟ فحك الرجل رأسه ثم قال : أوضح قليلا . فقال : وله زر أسود . فطلب الرجل الطيب ايضاحا آخر فقال : والحرف الأول من حروف اسمه طاء . فقال الرجل : كفى . عرفته : طرزان .

● ليست وحدة القصيدة من ابتكار النقاد اليوم، فقد جاء في (زهر الآداب) عن الحاتمى قوله : « مثل القصيدة مثل الانسان فى اتصال بعض أعضائه ببعض . فمتى انفصل واحد عن الآخر وباينه فى صحة التركيب غادر الجسم ذا عاهة تتخون محاسنه وتخفى معالمه . وقد وجدت حذاق المتقدمين وأرباب الصناعة من المحدثين يحترسون في مثل هذه الحال حتى يقع الاتصال وتاتى القصيدة في تناسب صدورها وأعجازها كالرسالة البليغة والخطبة الموجزة وهذا مذهب اختص به المحدثون لتوقد خواطرهم ولطف أفكارهم .

ابن عبد الملك

(١) سل « الاغانى » عن خبر هذه القبة – ج ١٨ ص ٢٦٥

في نطاق الحديث عن تعدد الزوجات :

رأى جديد في معنى آية كريمة

لفضيلة الشيخ محمد محمد المدنى

أثير في مؤتمر « مجمع البحوث الاسلامية » الاول ، موضوع له اهمية دينية واجتماعية عظيمة، وطالما دارت حوله مناقشات ، وقدمت فيه اقتراحات ومشروعات ، ذلك هو موضوع « تعدد الزوجات في الاسلام »

ولا نزاع بين المسلمين في أن الشريعةالاسلامية تبيح تعدد الزوجات الى أربع ، وأنها باقرار هـذا المبدأ تخالف ماعليه المسيحيون في هذا الشأن الاجتماعي الهام مخالفة أساسية .

وقد صار هذا المبدأ معلوما من الدين الاسلامي بالضرورة ، اى يستوى في العلم به جميع المسلمين لا فرق بين خاصتهم الذين يعلمون الاحكام من ادلتها التفصيلية ، وعامتهم الذين يعلمونها عن طريق التقليد والثقة بما يقوله الائمة وأهل الفقه .

وذلك لورود القرآن الكريم والسنة المطهرة به ، ولقيام العمل عليه من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، واصحابه ، وتابعيهم ، وسائر المسلمين في مختلف الأزمنة والأمكنة والمذاهب الاسلامية الى يومنا هذا .

واذن فهذا المبدأ يعتبر في منزلة الاصول التي لا تقبل الخلاف ، ولا تكون محلا للاجتهاد ، بل تلتحق « بالقطعيات » الثابتة يقينا ، من جهة ورودها وتحقق معناها .

هذا في مبدأ تعدد الزوجات الى أربع ، ولكن وراء هذا المبدأ القطعي امورا قابلة للنظر والاجتهاد ، وقد كثر الكلام في بعضها ، وتعددت وجهات النظر فيه ، وبقى بعضها محتاجا الى بحث ودرس ، أو الى زيادة من البحث والدرس :

فمن ذلك مثلا :

انه مع كون الشريعة الاسلامية تبيح تعدد الزوجات الى اربع ، نراها تشترط في اباحة هـذا التعدد الأمن من الجور ، وهذا الشرط مقرر بالاجماع اخذا من قوله تعالى « فان خفتم الا تعدلوا فواحدة » فهل هذا هو الشرط الوحيد لاباحة التعدد ؟ أو هناك شرط آخر ؟ واذا كان هناك شرط آخر فما هـو ؟ وما دليله ؟ .

وقد كان لنا بحث في هذا نشرناه منـذ سنوات واجبنا فيه عن هذه الاسئلة ، وانتهينا الى تحقيق : أن للتعدد شرطا آخر هو أن يكون له مبرر يعترف الشرع بجنسه ، واخذنا ذلك من قوله تعالى « وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء » الخ .. كما انتهينا فيه الى أنه « ليس في الشريعة ما يمنع أن يعهد بتقدير ظروف الناس في هذا الى هيئة رسمية اجتماعية أو قضائية ، وأن يقيد الناس في التعدد بحكم هذه الهيئة جوازا أو منعا ، فان هذا أمر ربما طغت على الرجال فيه عوامل الرغبة ، فلم يحسن بعضهم تقدير ظروفه ، وتدبر قدرته أو عدم قدرته ــ وهل هناك مبرر يقتضى ذلك او ليس هناك من مبرر ــ وربما ترتب على هذا ضرر يصيب غيره : من زوجته الحالية أو المستقبلة ، ومن واجب ولى الامر ان يحتاط للضرر فيمنع وقوعه ، ويتخذ لذلك من الوسائل مايراه ، وليس ذلك من باب تحريم المباح ، فان الذى معنا مبـاح مشروط بشرطين : شرط في الاقدام عليه ، وهو أن يكون له مبرر وداع شريف معترف به شرعا ، وشرط آخر هو الا يؤدى الى الجور وعدم العدل ، فولى الأمر لايقول : احرم ما أحله الله ، وامنع ما أباحه ، ولكن يقول : اراقب تحقيق الشرطين اللذين قيد الله بهما هـذه الاباحة ، لئلا يقع من عدم تحققهما ضرر يكرهه الله ولا يأذن به ، فهو بذلك خادم للحكم الشرعي لامعطل له » .

وأن المفسرين والفقهاء قد فهموا من قوله تعـالى « **فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت أيمانكم** » أن من خاف عدم العدل بين الزوجات فعليه الاقتصار على واحدة حرة ، أو « **ما ملكت يمينـه** » من الاماء يتخذهن سرارى يعاشرهن معـاشرة الزوجات ، ويستنبطون من ذلك أنه لايشترط الوقوف عنـد عدد معين في التسرى بالمملوكات ، فمن شاء تسرى من الاماء بأى عدد ، لأن اللّه تعالى حين قال «**أو ماملكت ايمانكم** » لم يقيد بأى عدد ، ولأنه سـوى في السهولة بين الحرة الواحدة وبين السرارى من غير حصر ــ قالوا : وذلك لقلة تبعتهن ، وخفة مئونتهن وعدم وجوب القسم لهن .

والواقع أن هذه مسألة تحتـاج الى نظر ، فان الاسلام ليس هو الدين الذى يختلف عدله باختلاف الناس ، وتفاوت مراكزهم الاجتماعيـة ، فيعطى

الاحرار من المزايا التى تتصل بما تقتضيه الطبيعة الأدمية مالا يعطيه للارقاء حين كان الرق مستباحا ، فمن المقبول أن ييسر على الرقيق فيجعل عليه نصف الحد اذا زنى مثلا ، أو يجعل عدة الامة المطلقة على النصف من عدة الحرة ، وذلك لاعتبارات تتعلق بتقدير ظروف الارقاء ، والرحمة بهم ملاحظة لهذه الظروف ، أما ان يكون تشريعه فى أمر كهذا ، وهو صلة الرجل المشروعة بالمرأة ، على أساس اهدار آدمية الاماء ، وان يبيح للرجل الحر أن يجمع منهن ماشاء دون تقيد بعدد ، ولا تحر لعدالة ، ولاملاحظة لحق ، فان هذا لايمكن قبوله بهذه السهولة ، ولمجرد فهمهم أن الآية تعطف على الحرة ماملكت الايمان .

ولقد طوع الملوك والخلفاء والأثرياء لانفسهم بمقتضى هذا الفهم أن يحشدوا فى قصورهم المئات من النساء الجميلات الشابات الرائعات الحسن ، الممتلئات صحة وصبا ، باسم الاماء أو الجوارى ، ولاشك ان الرجل الواحد لايستطيع ان يحقق الرغبات الطبيعية لهذا العدد الضخم من الفتيات الشابات المشبوبات ، فلابد أن تكون العاقبة هى الفجور والفسق والتحايل فى الخفاء على التنفيس والانطلاق من الكبت ، فهل ذلك مما يتفق وعدالة الاسلام ، وفطرية احكامه ، وحرصه على نقاء الأعراض وطهارتها ؟ ولقد اتخذ أعداء الاسلام هذا الامر ذريعة الى غمزه ولمزه ، ولم يقتنعوا بقول المدافعين : ان هذا الاسلوب كان هو أسلوب العالم كله ، ولم يكن ذلك مستنكرا فى الحضارة الرومانية واليونانية — لم يقتنعوا بمثل هذا الدفاع ، لأننا نقرر ان الاسلام دين مثالى لم يأت لمجاراة الاوضاع ولو خالفت مثاليته ، وتنافت مع مبادئه ، فاذا كان الرومان أو اليونان أو غيرهما من الامم ، قد أجازوا ذلك ، فان الاسلام لايمكن أن يجيزه ، ولاتتفق اجازته اياه مع روحه الأسمى فى تكريم الانسان ، الذى قرره القرآن بأعم عنوان حيث يقول **« ولقد كرمنا بنى آدم »** .

واذن فمن حقنا ، ومن حق الاسلام علينا ، ان ننظر فى تفسير آخر لقوله تعالى **« فان خفتم الاتعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم » . فهل نجد ذلك ؟**

١ — ان هناك رأيا يذكره الامام الآلوسى رحمه الله فى تفسيره « روح المعانى » ، ولكنه يورده فى اجمال كبير ، وفى تحفظ أيضا ، اذ يقول :

« وزعم بعضهم ان هذا — اى قوله تعالى « او ما ملكت ايمانكم » — معطوف على النساء ، أى : فانكحوا ماطاب لكم من النساء ، أو مما ملكت ايمانكم ولا يخفى بعده » . ولم يذكر لنا الآلوسى أسباب استبعاده هذا التفسير اعتمادا على ان هذه الأسباب — فى نظره — لا تخفى .

وخلاصة هذا الرأى : ان هناك معطوفا عليه ومعطوفا ، فالمعطوف عليه هو النساء فى قوله تعالى « فانكحوا ماطاب لكم من النساء » والمعطوف هو ماملكت الايمان فى قوله تعالى «أو ماملكت ايمانكم» وماجاء بينهما هو تقييد فى المعطوف عليه ، والظاهر ان صاحب هذا الرأى يجعل التقييد منسحبا على المعطوف كالمعطوف عليه ، وانه انما ذكر فى جانب المعطوف عليه فقط ، اكتفاء ، على حد قولهم « حذف من الثانى لدلالة الأول عليه » ، وعلى ذلك تكون نظرية هذا القائل هى : انه يجوز للرجال أن ينكحوا من النساء الحرائر او الاماءالمملوكات ماطاب لهم فى حدود « مثنى وثلاث ورباع » ، وبشرط الاطمئنان الى عدم الجور ، فان خيف الجور وجب الاقتصار على واحدة حرة أو أمة .

وعلى هذا لا يكون فى الآية حديث عن التسرى ، وانما الحديث عن النكاح والتوسعة فيه ، بالتماس الزوجة او الزوجات من افق الحرائر ان استطاع ، أو المملوكات ان كان ذلك هو حد استطاعته ، وذلك هو المصرح به حيث يقول الله عز وجل **« ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات »** .

ثم ان هذا الأمر الذى جاء على وجه الاباحة والتيسير ، اما أن يحمل على نكاح أمة مملوكة للغير ، وبذلك تبقى لها صفة « المملوكية » ، وهى زوجة ، ويكون ذلك برضا مالكها وقبوله كما هو مستفاد من قوله تعالى « فانكحوهن باذن اهلهن » ، واما أن يكون ايحاء من الشارع بعتق الأمة المملوكة وتزوجها أو تزويجها ، فيكون مالكها قد أحسن اليها مرتين : مرة بعتقها ، ومرة بتزوجها أو تزويجها ، اذ هو اشعار لها بكرامة الحرية وتوابعها على وجه عملى ، وهذا يوافق ما هو معروف من غرض الشارع فى الحرية ، وانه متشوف اليها كما يقول الفقهاء .

هذا هو شرح القول الذى نقله الآلوسى كمافهمناه اما شرح وجهة نظره فى استبعاد هذا القول — وهو لم يذكرها — فقد نستنبطه اجتهادا منا ، وقد نرد برفض هذا الاستبعاد ، ولايتسع المقام للتطويل بذلك .

فحسبنا ان هناك رأيا يفسر الآية تفسيرا غير الذى احسسنا بنبوه عن ذوق الاسلام .

٢ ـ وهنـــاك راى لنا ، لم يقـــل به أحد من المفسرين ، ولم نعرفه لعالم او فقيه من قبل ، ولكنه يدور بخلدنا ، ونراه أقرب ما تفسر به الآية الكريمة ، ولم ننشره من قبل ، ولا تحدثنا به في محاضرة او مناظرة ، فنحن **نعرضـــه على صفحات الرســالة للتسجيل :**

يتلخص هذا الرأى فيما يأتى :

● **ان الآية الكريمة تقول « فان خفتم الا تعدلوا فواحـدة او ماملكت أيمانكم » فلو فسرنا ماملكت الايمان ، بالتسرى واتخاذ الاماء ـ كما يرى جمهور** المفسرين ـ لأدى ذلك الى معنى غير مقصود بالاجماع :

بيان ذلك : أن العلماء قد أجمعوا على أن صور التعدد ثلاث :

١ ـ الجمع بين اثنتين .
٢ ـ الجمع بين ثلاث
٣ ـ الجمع بين أربع

فمن خاف عدم العدل بين اثنتين ، وجب عليـه الاقتصــــار على واحدة ، ومن خاف عدم العدل بين ثلاث : وجب عليه الاقتصار على اثنتين ومن خاف عدم العدل بين أربع ؛ وجب عليـه الاقتصار عـــلى ثلاث .

واذن فقول الآية « فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة » يشمل الصور كلها بدلالة « الا تعدلوا » على عـــدم العدل بين اثنتين ، أو بين ثلاث ، أو بين أربع ، ولكنه يعطى هذه الصور كلها حكما واحدا ، هو وجـــوب الاقتصار على واحدة ، فكأنه قال فمن خاف عـــدم العدل بين اثنتين فليقتصر على واحدة ، ومن خاف عدم العدل بين ثلاث فليقتصر على واحدة ، ومن خاف عدم العدل بين أربع فليقتصر على واحدة .

وهذا خلاف الاجماع الذى بيناه

● ولذلك نرى أن التعبير في قوله تعـــــالى **« او ماملكت ايمانكم »** تعبير تمثيلى يراد به معنى : أوما استطعتم ، ويكون معنى الآية : فان خفتم الا تعـدلوا بين اثنتين او بين ثلاث ، او بين أربـــع ؛ فاقتصروا على واحدة ، أو على ما استطعتم من اثنتين، أو ثلاث .

وبهذا تكون الآية شاملة لجميع الصـــور ، مبينة لأحكامها ، حسب ما انعقد عليه الاجماع .

● **هذا وقد عرفت اللغة العربية لفظ « اليمين » و « الأيمان » عنصرا من عناصر التمثيل البيانى فى** **كثير من العبارات ، لافادة معنى الاستطاعة والتمكن ، أو العناية والاهتمام .**

والذى نستشهد به فى هـــذا المقام هـو معنى الاستطاعة والتمكن :

فمن ذلك ان تقول : هذا الشىء طوع يمينى ، أو ملك يمينى ، أى : انا متمكن منـه ، مســتطيع ان أتصرف فيه كما يتصرف المرء فيما هو بيمينه ، ومنه قوله تعالى « والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه » فكون الأرض قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه ، انما هو تصـــوير لتمام قدرته عليهـــا ، وتمكنه منهـا ، واستطاعته التامة أن يعمل بها مايشاء .

وقد يجىء مثل هذا فى اليد مطلقة عن وصفهـا باليمين ، فى مثل قولك « هذا الأمر فى يدى ، أو فى يدى » **اى فى استطاعتى وفى نطاق امكانى وقدرتى . ومنه قول الشاعر :**

« ومالى بما تدعو اليه يدان »

وقـد يجىء أيضـــا « ماملكت يـدى » بمعنى « ما استطعت » سواء اكان المستطاع شيئا ماديا أو أمرا معنويا .

ومنه قول طرفة بن العبد :

الا ايهذا الزاجـــــرى أحضر الوغى
وأن أشهد اللذات ، هل أنت مخلدى
فان كنت لا تســـــتطيع دفع منيتى
فدعنى أبادرها بما ملكت يدى ! ..

فهو لايقصد المال فقط ، ولـــــكن يقول : دعنى أبادرها بكل ما استطيع من مال وصحة وقوة وشباب فتلك هى وسائل المتاع .

● بقى بعد ذلك ما عسى أن يقال : من أن التعبير بما ملكت اليمين أو الإيمان فى القرآن مشهور بمعنى الرقيق من عبيد واماء ، مثل قوله تعالى « الا على **أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ، فانهم غير ملومين » « انا أحللنـــا لك أزواجــك اللاتى آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك » الى غير ذلك .**

فاقول : انى لست انكر ان هذا المعنى هو الأشهر فى استعمال القرآن ، ولكن المعنى الذى ذكرته هو الأنسب لآية التعدد لما بيناه ، ولم يقل أحد انه يجب حمل العبارة الواحدة فى القرآن على معناها المراد فى اكثر المواضع ، فقد يأتى اللفظ بمعنى فى بعض المواضع ، وبمعنى اخر فى مواضع اخرى .

محمد محمد المدنى

ثقـــافتنـــا

للدكتور محمد أحمد خلف الله

- ١ -

تدرس الثقافة باعتبارات عديدة . فتدرس من حيث هي واقع تاريخي نتلمس فيه صورة ماضينا الثقافي وما كان عليه ذلك الماضي من تقدم أو تخلف . وتدرس من حيث هي واقع اجتماعي نكشف فيه عن حاضرنا الثقافي وما في هذا الحاضر من حيوية أو خمول . وتدرس من حيث هي خطة تربوية نتصور فيها مستقبلنا الثقافي وما يمكن أن يكون عليه هذا المستقبل من قدرته أو عدم قدرته لبناء مجتمع جديد نتصوره ، ونرغب فيه ، ونعمل على تحقيقه .

والثقافة باعتبارها واقعـــا تاريخيـــا أو واقعا اجتماعيا لا تتعب الدارس لها أو الباحث فيها ، اذ ما عليه الا ان يعمد الى هذا التراث الانساني الضخم فيجمع شتاته ، ثم يبوبه بعد التحقيق والتصنيف ثم يأخذ في البيان والايضاح لما تمحص منه ، ثم ينطقه بما يمكن ان تنطق به الحقائق الموجودة ان عن ذلك الماضي الغائب ، أو عن ذلك الحاضر المشاهد .

والدارسون للثقافة ــ أيا كان واقعها ــ يختلفون فيما بينهم عندما يحاولون رسم الخطوط الرئيسية التي تحدد الاطار الثقافي عند أمة من الامم أو في مجتمع من المجتمعات ، فيرى بعضهم أن الخطوط التي تحدد الاطار الثقافي أربعة ، ويراها آخرون ثلاثة ، ويراها فريق ثالث خطين اثنين .

أولا :

هي عند البعض الأول أربعة موزعة على الوجـــه التالي :

(أ) خط دون مســتوى العقل . ويقصدون به تلك الخبرة التي يكتسبها الانســـان من تجربته الأولى ــ الانسان في المجتمع الذي لم يتضح بعد ــ وهي خبرة اكتسبها الانسان يوم أن لم يكن له علم تجريبي أو فلسفة نظرية .

وهو خط لايزال متمثلا في دستور الحياة عند عامة الشعب ، وفي الشعوب البدائية . كما لايزال يتمثل في الكثير من الحكم الشعبية والأمثال العامية .

(ب) وخط فوق مستوى العقل . ويقصدون به ذلك الخط الذي يعبر عن ارادة الخالق ــ وهو خط الوحي المنزل .

هذا الخط يرهب العقل البشري ، ويضع له حدودا لا يجوز له أن يتخطاها ، والا أغضب الخالق جل وعلا ، والا أصـــابه العلي العظيم بالآفات والشرور عقابا له عما اقترف من تجاوز للحدود .

ان عمل العقل في هذا الموقف ليس الا البحث عن ارادة الخالق المتمثلة فيما أنزل الخالق من كتب أو نصوص دينية مقدسة .

(جـ) وخط من نتاج العقل البشري هو خط العلم التجريبي . وهو خط يرتفع بمستوى الخط الأول ، ويدخل الخبرة البدائية الى ميدان التجربة العلمية فتصبح قاعدة أو قانونا .

(د) وخط آخر من نتاج العقل البشري وهو خط الفلسفة النظرية أو خط البراهين العقلية .

وهذان الخطان ــ خط العـــلم التجريبي وخط الفلسفة النظرية ــ يقعـــان في الوسط من الخطين الاولين ــ خط ما دون مستوى العقل ، وخط ما فوق مستوى العقل ــ وقيمتهما في الحياة أنهما المتنفس الطبيعي للعقل البشري .

انهما اللذان يرفعان مستوى الخبرة البدائية الى مستوى أعلى هو مستوى العلم التجريبي . ثم انهما اللذان يرفعان ضغط الوحي المنزل عن العقل البشري حين يدفعان هذا العقل الى البحث عن حكمة الخالق فيما خلق ، وحكمته فيما أنزل ، وحكمته فيما أمر به أو نهى عنه .

وبعبارة اخرى قد تكون اخصر وادق . انهمـا اللذان يعبران عن ارادة الانسان فى قضايا هـذا الكون وهذا الوجود .

ان هذا الكون ما خلق الا من أجل الانسان ، ومن حق الانسان على نفسه أن يدرك كنه هذا الكون لتتحقق الغاية التى من أجلها وجد هذا الكون .

ان على الانســـان ان ينظر وان يفكر فيما وقع عليه الحس .

ان عليه أن يدير الأمور بعد أن يتدبر هو فى الأمور .

ثانيا

وهى عند البعض الثانى ثلاثة خطوط موزعة على الوجه التالى : ـ

(أ) خط ا لعموميات التى تتمثل فى اللغة ، وفى الدين ، وفى التقاليد العامة ـ باعتبارها الارض التى تمتد فيها الجذور الثقافية .

ان هذه العموميات ليست فى الحقيقة الا المنوال الذى تنسج عليه نماذج الحياة الخاصة بالمجتمعات ـ تلك النماذج التى تشيع عند جميع الافراد المنتمين لهذا المجتمع . والتى تطبع حياتهم بسلوك اجتماعى معين .

هذا السلوك العام هو المقياس الذى نكشف به عن ارتباط الشخص بثقافة معينة ، وهو فى الوقت نفسه المقياس الذى نقيس به الاضطرابات ، والمواقف الشاذة ، والوان السلوك المنكرة .

(ب) خط الافكار الخاصة ، ويقصـدون بهـا الافكار الناتجة عن التعـليم والتخصص المهنى والتى على أساس منها تكون التفرقة بين مختلف الطوائف او بين مختلف الطبقات والفئات .

(جـ) خط الافكار الجديدة . ويقصـدون به خطوط النمو والتطور الذى يصـيب موارثتنـا التاريخية وتراثنا الثقافى . وهو خط ينتج عن النظريات المستحدثة ، والمخترعات ، والمكتشفات التى تلم بالميـادين السياسـية والاجتمـاعية والاقتصادية .

وهذا الخط الثالث هو الذى يؤثر فى الخطين السابقين ، وهو الذى يصيب كلا منهما بالتغيير ، والتعديل ، والتبديل .

وتكوين هذا الخط واحداث اثره قد يكون من داخل المجتمع كأثر ناتج عن نمو المجتمع وعن حياته ـ وذلك حين يكون المجتمع من المجتمعات التى تطلق عليها اسم المجتمعات المتمدينه الراقية ، كما قد يكون من خارج المجتمع ـ وذلك حين يكون المجتمع من المجتمعات التى تطلق عليهـا اسـم المجتمعات المتخلفة او المجتمعات النامية .

ان هذا الخط انما يتكون فى هذه الحالة الاخيرة من الحضارات المجلوبة ومما خلف هذه الحضارات من ثقافة انتجت هذه الحضارة .

ان تبادل المؤثرات بين الثقافات المختلفة . او ان الامتداد الثقافى من جانب والامتصاص الثقافى من جانب آخر . هما اللذان يوجدان هـذا الخط ، ويكونان تأثيره

ثالثا

وهى عند البعض الثالث خطان رئيسيان موزعان كالتالى .

(أ) خط اجتماعى يتمثل فى العقائد ، والتقاليد، والافكار ، واللغة والعادات ، وماأشبه .

وهذا الخط هو الذى يتمثل فى سلوك الافراد ، وينعكس فى تصرفاتهم وهو الذى يكشف عن الثقافة التى ينتمى اليها الفرد .

(ب) وخط عادى يتمثل فى الاشياء ، وفى كل ما ينتج الانسان من ادوات ، وفى كل ما تخلف هذه الادوات من ثمرات .

وهذا الخط هام جدا لانه الذى يؤثر فى الخط الاول ويعدل من اتجاهاته .

ان القوة المؤثرة فى الحياة ، والمغيرة لحياة المجتمعات انما تكن ـ عند هؤلاء ـ فى الجانب المادى من الحياة . فى الاشياء .

ان الأشياء انما تقبل التغير أكثر مما تقبل اللغة

او الأفكار أو العقائد أو التقاليد والعادات ·

وان الأشياء حين تتغير انما تتغير تبعا لهـا الأفكار والآراء · وليس من الممكن أبدا أن تتخلص الأفكار من آثار هذه التغيرات ·

انه حين تتغير الأشياء ولا تتغير الأفكار يحدث الخلل ، يحدث التشويش الفكرى والاضطراب الاجتماعى ·

هذه بالاختصار الخطوط الرئيسية التى يمكن للباحث فى ثقافتنا باعتبارها واقعا تاريخيا أو واقعا اجتماعيا أن يختار منها ما يشاء · وهى الخطوط التى اختار منها الدارسون من قبل ما حلا لهم حين صوروا لنا تاريخنا الثقافى ·

ونحن هنا لم نرد ان ندرس ثقافتنا باعتبارها واقعا تاريخيا او واقعا اجتماعيا ، فنحن انما نقصد فى الحقيقة الى البحث عن ثقافتنا باعتبارها واقعا تربويا او باعتبارها خطة تثقيفية ــ ولكننا اضطررنا الى هذا الحديث لمستلزمات البحث عن الخطة التى نريد ·

ان المستقبل حفيد الماضى ووليد الحاضر ولا تتم صورته الا بمعرفة عنهما ·

وان ثقافتنا المستقبلة موصولة أبدا بماضيها وبحاضرها مهما تكن دعوة الداعين الى التجديد ومهما تكن تقدميتهم ·

ان الصلة بين المستقبل وبين الماضى والحاضر قد تكون مشروطة بشروط ولكنها ، مهما تكن شروطها ، لا تغنينا أبدا عن الوقوف قليلا أو كثيرا عند ماضينا وعند حاضرنا ·

١ ــ ان ثقافتنا الجديدة ــ مهما يكن أمرها ــ لا تستطيع أبدا أن تتخلى عما هو من مجال العموميات ــ اى عن الأرض التى تمتد فيها جذورنا الثقافية · ــ

انها لا تستطيع ان تتخلى عن لغتها ، ولا تستطيع ان تتخلى عن معتقداتها ، ولا تستطيع ان تتخلى عن تاريخها ، لأن ذلك كله هو من مقوماتها الأصيلة ·

انها ان تفعل تفقد ذاتيتها وتصبح ثقافة أخرى · تصبح ثقافة بعيدة كل البعد عن أن تمثل الأمة العربية ·

انها فى ذلك الحين تصبح ثقافة غير عربية · تصبح ثقافة غريبة عنا · ثقافة تدفعنا الى أن نحنى رؤسنا أمام الغير ــ أمام من يملك علينا تفكيرنا ·

٢ ــ وثقافتنا الجديدة يجب أن تستمد من واقعها التاريخى روحه المقدامه الجريئة ·

لقد كان أجدادنا تقدميين بكل معنى لهذه الكلمة · فلقد كان نظرهم ممدودا أبدا الى الأمام ــ ولم يكن يتطلع الى الخلف الا فى القليل النادر · ومن هنا خلدهم التاريخ ، وكتب لهم ذكرا عاطرا ·

لقد جاب أجدادنا الآفاق بدون خوف او ملل وحققوا بذلك كل هدف قصدوا اليه ·

ولقد بنى أجدادنا دولة عظيمة امتدت فيما سجل التاريخ فى قارات ثلاث : آسيا وافريقية واوروبا ·

ولقد أنشأ أجدادنا حضارة عظيمة كانت المنهل العذب التى استقى منه الغرب الكثير مما يفاخرنا به

ثم ان أجدادنا حين اتصلوا بالثقافات الأخرى لم يتهيبوها ، ولم يقفوا حيالها جامدين أو حيارى مشدوهين ، وانما ارتادوها ، وتفتحت لهم من خلالها آفاق عقلية واسعة · ومن هنا أنتجوا ما أنتجوا فى ميادين العلم والفلسفة ، وخلقوا لنا ذلك التراث الضخم الذى نفخر به ، والذى يجب أن نجعله أساسا قويا لمستقبلنا ·

ولعل أهم من كل ما تقدم ارتياد أجدادنا للآفاق الروحية ، وتطلعهم الى القيم الخالدة ــ خلقية كانت أو أدبية ــ حتى لقد برز أثر ذلك كله فى حياتهم العملية ، وفى اتجاههم الحضارى ·

ان ما لدينا من تراث ثقافى انما هو أثر من آثار تلك الروح القوية الجريئة ، المقدامة ، وهى روح يجب أن نرثها عن أجدادنا لنبدع كما أبدعوا ولنخلد لأنفسنا ذكرا كما عملوا وخلدوا ·

نعم لقد أصابتنا فترة ركود خبت فيها هذه الجذوة ، وخمدت فيها تلك الروح ــ ولكنا اليوم قد استيقظنا وبدأنا نرسم طريقنا نحو مستقبل سعيد ·

ان علينا ان نأخذ منهم ، ونرث عنهم ، كل ما يدفعنا الى أمام ·

وفى المقال القادم نتحدث اليك فى أمر ثقافتنا باعتبارها خطة تربوية لبناء مستقبل مجيد · وعند ذلك قد نقول لك ماذا نأخذ ، وماذا ندع ·

دكتور
محمد احمد خلف الله

الأدبُ العربيّ الحَديث واتجاهاته

بقلم : محمود تيمور

— ١ —

اذا اردنا ان نحدد على وجه التقريب الفترة التى تعتبر فترة الحضانة والتنشئة لهذا الادب العربى الحديث ، جاز لنا ان نحددها بالسنين المائة التى مضت فيما بين منتصف القرن الماضي ومنتصف القرن الحاضر .

والأدب العربى — كما هو معروف — ادب عريق ، اجتاز من عمر التاريخ مراحل طوالا ، اذ يتواصل نسبه خلال خمسة عشر قرنا او يزيد ، وهو الى ذلك ادب عالمى استمد من مختلف ثقافات البلاد والأمم السالفة خصائص شتى ، وكان له من بعد اثر بعيد فى كثير من الآداب العالمية الاخرى ، على تباين اللغات الشرقية والغربية ، فى عديد من العصور .

ولكن هذا الأدب العربى مع ذلك كله ، تعاورته اسباب الضعف والخمول ، طوعا لما اصاب الامة العربية فى عهودها المغولية والمملوكية من عوامل التخلف والتفكك والجمود ، فانكمش الادب اثناء تلك العهود المظلمة فى نطاق ضيق ، يدور حول اغراض تافهة ، فلا يستجيب لما يضطرم فى وجدان الحياة من جوهر انسانى صميم ، ولا يسهم بقدر كاف فى توجيه اجتماعى ايجابى يعبر عما فى نفوس الناس من آلام وآمال .

انتفاضة الشرق واثرها فى الادب :

وانتفض الشرق انتفاضته الجديدة ، ففتح عينيه على حضارة اوربية ذات نظم فى السياسة ، واوضاع فى الاجتماع ، وحقوق للانسان ، ومذاهب فى الفكر ، والوان من الأدب ، كانت كلها قد نبت وربت وازدهرت بفضل كفاح شعبى مرير ، وصراع عقلى مديد ، وافانين من التجارب والممارسات ، فى غضون مئات من السنين ، والشرق يومئذ منعزل يغط فى نومه العميق ، تحت ضغط الظروف والملابسات التى اسلمته الى حكم استبدادى علنى منه ما عانى من ضروب الاضطهاد .

وقد دعمت هذه الانتفاضة الجديدة فى ربوع الشرق عناصر كثيرة ، فى مقدمتها ثلاثة : الاول ظهور المطبعة ، التى يسرت للتعليم ان ينتشر ، واتاحت للثقافة ان تشيع . والثانى رعيل البعثات التى عادت من « اوربة » تحمل مشاعل العلم والمعرفة فى اضوائها الجديدة . والثالث بزوغ الوعى الشعبى الذى ساعد على تكوين الشخصية الوطنية .

وان انتفاضة الشرق فى ذاك المهد ، لهى بمنزلة « عصر النهضة » او « عصر البعث » فى الآداب الاوربية ، ذلك العصر الذى سمى « الرينسانس » على ما بين الانتفاضة الشرقية والنهضة الاوربية من فوارق تستدعيها مقتضيات الاحوال واختلاف العوامل بين الشرق والغرب .

وكما حدث فى عصر النهضة او عصر البعث الادبى فى «اوربة» من قيام تلك النهضة على دعائم من الادب الاغريقى الذى كان يسمى الادب الاتباعى او الادب الكلاسيكى ، حدث فى نهضة الادب العربى ان قامت هى الاخرى على دعائم من اهمها ابتعاث القديم ، واحياء التراث ، وتجديد الشعر بمحاكاة الفحول من الشعراء فى ازهى العصور السوالف وتقليد الاساليب البليغة والفنون الادبية القديمة ، مثل « المقامات » ، والتعلق بالاحكام المنطقية التى كانت تسود الفكر العربى ابان ازدهاره فى حضارة العرب ، وبالقوانين البلاغية التى تجمدت على اقلام العلماء والنقاد فى مراحل شتى من الزمن .

ونظرة الى شعر «البارودى» ، وهو اول شاعر من ثمار النهضة ، ترينا ان اكبر ما قام به هو انه ارتفع بموضوع الشعر عن الاغراض الهزيلة التى كان يسبح فيها الشعراء فى عصور الركاكة والتخلف ، وانه رد ديباجة الشعر وعموده واغراضه الى ذلك المستوى الذى كان لعباقرة الشعر العربى فى ماضيه البعيد . ويفسر هذه النظرة ان « البارودى » نفسه اراد ان يخدم نهضة الشعر فقدم لطلابه « مختارات » من اروع ما قال اولئك الشعراء فى العهود المواضي ، فكان التجديد عند « البارودى » هو الرجوع الى هؤلاء الشعراء ، والاستمداد مما تركوه ، وسبيل هذا عنده ان يستظهر الجيل الجديد نخبة المختار من ذلك الادب العربى الكلاسيكى التليد .

وكما تجلى ذلك فى جانب الشعر ، تجلى ايضا فى جانب النثر ، فقد كان جهد ما تتطاول اليه اقلام الكتاب ان يصطنعوا اساليب البلغاء من المتقدمين امثال « الجاحظ » و « الهمذانى » و « القاضي الفاضل » على تنوعها ، واختلاف خصائص كل منها ، وكانوا يفاخرون بانهم قد تداولوا من مثالهاواتخذوامنها مثالا يحتذى ، بل لقد حاول اولئك الكتاب ان يحيوا فنا ادبيا قديما هو فن « المقامات » الذى برع فيه « الهمذانى » و « الحريرى » فيما مضى ، وهو لون من الوان القصص العربى ، فكتب «اليازجى» على ذلك الغرار كتابه « مجمع البحرين » ، وهو الى اللغة والتعليم اقرب ، وكتب « المويلحى » كتابه « حديث عيسى بن هشام » فكان تطورا لفن الأدب المقامى ، ينتحى منحى القصص الفنى ، ويعالج من الشئون ما يتصل بالحياة اوثق الاتصال .

وعلى الرغم من ان العقلية العربيةقد نضجت فى عهدها الراهن بخمائر من العلم الحديث ، والحضارة الجديدة ، وعلى الرغم من انالجهد الفكرى والانتاج الادبى فى شتى مواطنالعروبة يسهم اسهاما كبيرا فى متابعة الفكر العالمى والادب الانسانى ، وفى التأثر بمختلف التيارات التى تسفر عنها مناهج البحث وطرائق النقد فى الشرق والغرب على السواء — على الرغم منهذا كله ، فانهنلك نزعة عميقة الجذور فى كيان الوطن العربى بمدلوله الواسع ، وهذه النزعة لا تبرح تهفو بالمفكرين وقادة الراى الى الاستمساك بالاصول العريقة فى ادب العروبة ، وما انتجته قرائح العربعلى مد العصور الخالية ، واعتبار هذه الاصول ينبوعا عذبا نقيا للتنشئة اللغوية وتربية الملكات وتقويم الشخصية فى هذا الجيل وفيما يستقبل من الاجيال ، وان هذه الاصول لتحل فى التعبير عنها على السن الكتاب والنقاد اشرف الكلمات دلالة واوفرها سناء ، فهى تسمى تارة « الذخائر » وحينا « النفائس » وطورا « الكنوز » ، وآنا تسمى « التراث » وليس ادل على هذا النزوع العميق من انك لا تكاد تجد مؤسسة ثقافية ، حكوميةكانت او اهلية ، الا رايتها قد جعلت فى طليعة اهدافها البحث عن هذه الاصول وتحقيق نصوصها وتقريب منالها من الانظار والافكار ، متخذة لها فى ذلك اسم « البعث » او « الاحياء » او « النشر » او ما الى ذلك من الاسماء التى تشعر بجلالة ما ترمى اليه من هدف .

ولا ريب فى ان لهذا النزوع مغزى كبيرا فى واعية الراى العربى العام ، ذلك المغزى هو ان ابناء العروبة اليوم فى كل مكان حريصون على ان يحتفظوا للشخصية العربية بذلك الطابع المستقل الذى تجلت عبقريته فيما شاد من حضارة فكرية وعمرانية تشرق بها صفحات التاريخ . وقد كان فى عناصر تلك الحضارة ما مهد الطريق من بعد للحضارة العالمية التى تعيش فيها البشرية الآن ، فالعرب فى اعتزازهم بلغتهم ، واجلالهم لما خلفه لهم اسلافهم فى هذه اللغة من مدد عقلى غزير ، يبغون ان يقروا فى وجدان كل عربى اسس هذا الاعتزاز والاجلال ، وذاك الى جانب ايمانهم بأن فى هذا التراث بذورا صالحة للانتفاع بها على تعاقب الاحقاب . وهم مناجل ذلك ، ومن اجلوحدة الفكر العربى التى شملت اوطان العروبة فى عصورها المتطاولة يعتبرون الادب العربى والثقافة العربية خلال تلك العصور غذاء حيا يجبالتزود منه للحاضر وللمستقبل .

ولكن هذا النزوع الروحى الموصول بروابط تاريخية واجتماعية ، ووشائج من وراثات الدم والنسب ، المستمد من الوحي الدينى المقدس ثباتا وركانة ، لا يقف سدا دون نزوع آخر يناظر ذلك النزوع قوة وحيوية وحرارة ايمان ، وهذا النزوع الآخر هو الاقبال على كل جديد من مناهج الادب والاغتراف مما افاضته العقلية الحديثة من مناهل المعرفة . فالفكر العربى الذى اتسع قبل الف من السنين لحكمة الهند ، وثقافة الفرس وفلسفة يونان ، حتى استوعب ضروب المعارف والاداب فى مختلف الامم على اختلاف العهود ، يستبقى اليوم فى كيانه هذه المرونة ، وسعة الافق ، وخاصية الامتصاص ، ويعمل جاهدا على ان يتمثل ما جد تحت الشمس من ادب ومن ثقافة ومن عرفان . وهو لا يؤمن بالمثل القائل بانه « لا جديد تحت الشمس » ولكنه يقتدى بما جاء فى الاثر من ان « الحكمة ضالة المؤمن ، فحيثما وجدها أخذها » .

نصيب الادب من جهود البعثات العلمية :

كانت البعثات تعود الى الوطن العربى مزودة بما افادت من ثقافة اوربية جديدة ، وبما اطلعت عليه من الوان الفنون والآداب ، فتفرعت لترجمة منتخبات من تلك الثقافة الجديدة والآثار العلمية والفنية ؛

فأتاحت للجيل العربى الناشىء ان يفتح عليها عينيه ، ويملأ منها عقله ووعيه ، وقد سادت الترجمة ذاك العهد ، وكان اكبر الجهد مصبوبا فى ناحية تطويع اللغة العربية للتعبير من المعانى والأغراض التى تحتويها الكتب المراد ترجمتها ، ولذلك اتجهت الأنظار الى الفاظ اللغة العربية فى مختلف عهود حضارتها لاستخراجها والاستعانة بها فى اداء تلك المعانى والاغراض ، وبخاصة فى ميدان العلم ، وبذلت المحاولات لصوغ الفاظ جديدة يصطلح عليها لكى تسد حاجة التعبير فى هذا الميدان .

ويمكن القول بان الكتب التعليمية والمؤلفات التى تتناول فروع العلوم والصناعات كان لها نصيب الاسد من عناية المترجمين فى ذلك العهد ، اما الكتب الاجتماعية فلم يكن لها الا حظ قليل ، واما الكتب الادبية فكانت اقل حظا . ومرد ذلك الى ان العصر كان عصر بناء وتكوين ، فالحاجة الى العلم اقوى ، واكتساب الصناعة اجدى ، وهذه المعارف العملية فى الحياة هى الاساس فى اقامة صرح المجتمع المتحضر ، وتقويم العقلية التى تساير الزمن وتتطور معه . ولم يكن الادب فى ذلك الحين الا لونا من الترف الفكرى ، يتخذ للمتعة والسلوى ، فلم ينفسح له مجال رحيب فى عهد الجد والانشاء والتعمير . ولذلك بقى الادب العربى القديم — فى عهد الترجمة للعلوم والفنون — هو المورد الذى يستقى منه الادباء، بيد ان هؤلاء الادباء كان لهم فضل فى امداد المترجمين بالالفاظ والتعبيرات التى تذلل لهم عقبات الترجمة ، وترتفع باساليبهم الى المستوى الكتابى المقبول . فاصبح من مهمة الادب يومئذ خدمة لغة العلم ومؤازرتها بما يوفر لها دقة الاداء وسلامة التعبير . ومن ثم نرى ان الادب والعلم يتمازجان فى طائفة من اعلام ذلك العهد ، ونذكر من بينهم «رفاعة الطهطاوى » و « على مبارك » و « عبد الله فكرى » .

مرحله التحرر القومى ومهمة الادب فيها :

وبعد مرحلة الترجمة التى كانت علمية فى الاغلب، بدات النهضة تدخل فى مرحلة اخرى تحريرية اصلاحية فى شتى مناحى الحياة سياسية واجتماعية ودينية ، فطالعتنا قيادات فكرية متعددة المراكز تبشر بنظم واهداف ، وتدعو الى هدم وبناء ،وساعد على تقوية هذه القيادات الفكرية نشوء الصحافة ، وشيوع الطباعة ، وقيام الاندية والجماعات والروابط والمجالس الخاصة لتلك الطبقة المستنيرة من اهل الراى . وفى هذه الحقبة لمعت اسماء « الأفغانى» و « محمد عبده » و « الكواكبى » و « قاسم امين» و « سعد زغلول » و « لطفى السيد » . فكان لهؤلاء الفرسان اثر عميق فى توجيه الجيل الجديد وجهة جديدة فى فهم الحياة وتقويم المبادىء التى تسلم المجتمع العربى الى تقدم وازدهار .

فى هذه المرحلة كانت مهمة الأدب الاولى خدمة تلك الاغراض الاصلاحية والنقد الاجتماعى والثورة على التخلف والضعف ، وحث الهمم على نفض غبار الخمول ، وتنفير النفوس من آثار الاستبداد والاستعباد . واكثر ما تمخضت عنه تلك المرحلة من الانتاج الادبى فى ميدان الشعر هو القصيدة الوطنية او الاخلاقية ، وفى ميدان النثر هو المقالة الاجتماعية . فالشعراء والمقالبون كانوا يومئذ دعاة تحرر وتوجيه وايقاظ .

اما فى غير هذا المجال فكان الادب يتراءى فى بعض ما يعبر به الشعراء عن ذات انفسهم من خواطر ، او ما يصفون به ما تقع عليه اعينهم من مرئيات .

وكذلك كانت تتراءى لمحات ادب فنى فيما كان يقدمه « يعقوب صنوع » من مسرحيات مقتبسة ، وما كان يقدمه « عثمان جلال » من مسرحيات اعلى مستوى فى الاقتباس ، وما كان يقدمه « ابو خليل القبانى » من مسرحيات مستلهمة من « الف ليلة» وغيرها من تراث الادب العربى القديم ، وما كان يجرى به قلم « عبد الله النديم » من اقاصيص فكهة الروح ، شعبية الطابع ، الى غير ذلك من النظائر والاشباه التى تتفاوت فى الجودة من ناحية التعبير، وفى المستوى الفنى من ناحية الموضوع ومعالجته.

محمود تيمور

بين الشعر والموسيقى

بين بيتهوفن وبشارة الخورى

بقلم : محمد عثمان يس
وكيل وزارة الخارجية السودانية



لكل ميدان من العلوم أسلوب يتميز به فى معالجة المسائل التى تحيط به وفى تكييف المعضـلات التى تثور فى معتركه واستنباط الحلول لها • والخلاف حـــول الطريقة العلمية لدرس العلوم النظـــرية والاجتماعية والفنية قديم يرجع الى عصور النهضة الانسانية الاولى • وما زال الفلاسفة والعلماء وقادة الفنون يتساجلون فى أى الوسائل أجدى واشمل لحل طلاسم الكون الذى تعيش فيه البشرية أو الذى يحيط بها - وكل يدعى أن أسلوبه فى البحث عن كنه ذلك الكون أو عن حقيقة الانســـان هو أقرب الطرق الى واقع الحال وأدقها فى تفسيره •

ولا أريد فى هذه العجالة أن ادخل فى ذلك الخضم المتلاطم الامواج أو أن أضيف جديدا اليه ، ولكنى اود أن أشير الى بعض الوثبات خارج الاطار العلمى الصرف التى تذكى روح التأمل ولكنها لا تزيده عمقا لانى أجد فيها حافزا للمستزيدين ودعوة صريحـــة للمبتدئين • وسأقصر حديثى على العلوم الاجتماعية والفنون الجميلة لما فيها من طرافة وجاذبية لمرتاديها فطلاب الجامعـــات الذين تستهويهم العـــلوم الاجتماعية والفنون الجميلة لابد انهم ذاكرون الحيرة العميقة التى يترددون فيها عندما يطلب اليـــهم أن يقرروا أى العلوم يفضلون لنيل الشهادة الجامعية ، ولاسيما عندما تمتزج المقررات بعضها ببعض مما لا محيص عنه لتكوين الشخصية المتكاملة فى ميدان واحد •

والمشكل هنا ان كل علم من العلوم الاجتماعيـــة يدعى لنفسه الاحاطة والشمول ولكنه فى واقع الحال يقصر عن ذلك . لقد يدعى رجال الاقتصاد انك اذا ما عرفت مكان الثروة والممتلكات عند الافراد والمجتمع امكنك ان تفسر الى حد بعيد سمات ذلك المجتمـــع ودوافعه • كما يدعى اساتذة علم طبائع البشر اننا اذا ما عرفنا الدوافع الكامنة فى النفس البشرية سهل علينا تتبع ما يصدر عنها من نوازع ورغبات وبدرات كما يزعم علماء الاجناس اننا اذا ما تعمقنا فى معرفة الاجناس استطعنا ان نلج الى مغلق الشخصية البشرية وهكذا ••• قل ما شئت عن الفلســـفة والاجتماع الخ •••

اما فى ميادين الفنون الجميلة فان هذا الصراع يجد ميدانا فسيحا • فمجال الموسيقار والشـــاعر والناثر فسيح لا يحده خيال فهو ينهل من العلوم واللغات ما شاء له الله أن ينهل ويصوغ منها ماتسمح به طبيعته وموهبته الفياضة • والرسام او النحات يعكس من الوان الطبيعة واحاسيس البشر ونزعاتهم ما يريد •

ومع اختلاف الوسائل والاساليب فعنـــدى ان العبرة فى كل هذه المحاولات للتعرف على كنه الطبيعة والنفس البشرية يرجع الى حد كبير الى عبقرية الباحث أو الفنان من ناحية ، والى معرفته بالوســـائل التى يستعملها فى الغوص لاســـتخراج مكنون الدرر • فالالهام أساس لا محيص عنه، ومعرفة الادوات التى تبرز الموضوع أجهزة لا بد منها لتفهم ما قصد اليـــه المؤلف • تقودنى هذه الملاحظات العابرة والمقارنات المتباعدة الى ميدان جـــديد اود أن الفت اليـــه نظر المتادبين عساهم واجدين فيه ما اجد فيـــه من لذة وامتاع متصاعد الذروات • ودعنى اقرر مقدما اننى لم اقرض الشعر ولا أعرف منـــه الا ما احب • وما ينساق على القريض يطابق فهمى للموسيقى •

وغني عن البيان أن ليست هنـــاك متناهيات في الفنـــون الجميـــلة اي انه من هذر القـــول ان يقال لنـــا ان هذه القصيدة الشـــعرية او تلك القطعة الموسيقية هي خلاصة النتاج الانســـاني من الموسيقى او الشعر التي لا يأتيها الباطل من خلفها او من بين يديهاوانما لذلك لابد ان نتذوقها ونعجب بها ونتغنى بها في الاصائل والاسحار • فأقصى ما تصبو اليه الفنون الجميلة ان تضع بين أيدينا الوانا من النتاج كما يقدم الجنان أفوافا من الزهر ويترك لنا محض الحرية ان نختار منها ما يوائم طبعنـــــا ومزاجنا من آن لآخر• وهذا لا يعني ان ليست هنالك وسائل تختلف قوة وضعفا في العرض والاخـــراج ولكنه حتما يعني ان يترك الحـــكم للمستسيغ فلا تثريب عليه ان استقبل النتاج بالاستحســـان او النفور • كما وانه من الناحية الاخـــرى لا يعرف ان عدماستحسان العمل الفني في جيل أو حقبة تاريخية ما يقضي عليه بالفشل المحقق أبد الدهر ، فقد تأتي فترة زمنية وأناس آخـرون يولونه ما يستحق من تقدير واعجاب • وما دام عماد القول في هذا المضمار هو ان ينتقي المعجب ما يحب من افانين الموســـيقى والشعر والرسم والتصوير فانني أقرر هنا انني من المعجبين بسمفونيتي بيتهوفن السادسة والخامسة على الترتيب • ظللت أســـتمع اليهما أعواما طوالا وأحصل على التفسيرات المختلفة لهما من عزف وايقاع ومقال مما أقض اصراري عليهما مضجع بعض الرفاق والاحباب ممن ضمهم سامري في بعـض الامسيات التي حاولت فيها ان اقدم لهم بعض ما أشتهي من من السمر وكنت دائما أحمد لهم حسن الاســـتماع واعذرهم عندما أوغل في بداوتي وفي اصراري على استعادة التفسيرات المختلفة للحن الواحد •

وفي الصيف الماضي قادني حسن الطالع الى لبنان الجميلة حيث مهد لنا الصديق الاديب العربي الكبير السيد السفير اسعد الاسعد لقاء بشـــارة عبد الله الخوري (الاخطل الصغير) فقضينا ساعة في داره المضياف مليئة بالشـــعر والعطر الفواح حيث قرأ علينا شيئا من شعره الرقيق • وطبيعي وقد تعرفت الى شعره في الثلاثينيات ان أطلب اليـــه ان يقرأ علينا عصماءه في رثاء أمير الشـــعراء المرحوم أحمد شوقي•فحدثنا عن الظروف التي ألفها بها والملابسات التي أنشدها فيها واهدى الينا ديوانه •وعندماخرجنا ودعنا الى باب داره والمعجبون من جـــيرانه يرمقون بالغبطة وفود الافارقة العرب،او العرب الذين لونت افريقيا جباههم بشمسها المشرقة •

وعدت للســـودان وعاودني الحنين الى شـــعر الثلاثينيات فقرأت رثاء الاخطل الصـــغير لشـوقي ولسعد زغلول مرارا وتكرارا فوجدت فيهما صـورا ومرثيات وأحاسيس وذروات تشـــبه السمفونيات الموسيقية وبدا لي انه من المستطاع عقد مقارنات بين قصيدتي بشارة الخوري وسمفونيتي بيتهوفن •

ان المتأمل في سيمفونية بتهوفن الخامسة لا بد له ان يلاحظ انها تبدأ بأربع نغمات سميت « القدر يطرق بابك » يليهـــا بيت القصـــيد وان بتهوفن استعمل بيت القصيد هذا كأســـاس لسمفونيته الخامسه وانه يعيده على مر السمفونية في بطء او سرعةوفي اختلاف للاداء الموسيقى في اجزاء السمفونية الباقية •

وقصيدة بشـــارة الخورى فى رثاء السـياسى المصرى سعد زغلول تبدا بمطلع واضـــح هو بيت القصيد حيث يقول :

قالوا دهت مصر دهيـــاء، فقلت لهم
هل غيض النيل أم هل زلزل الهرم
قالوا أشـــد وأدهى قلت ويحكمو
اذا لقد مات ســـعد وانطوى العلم

ويستعيد بشارة الخورى هـــذا المطلع فى الوان مختلفة على مر قصيدته فهو حينا يقول :

جاء النبيـــون من قبـــل فما لأموا
وجاء ســـعد فشمل الشرق ملتئم
القـــائل الحق لا تثنى اعنتـــه
والواحـــد الفـــرد فى اثوابه امم

وحينا آخر :

لم لا تقولون ان الغـــرب مضطرب
لم لا تقولون ان الشرق مضـــطرم
لم لا تقولون ان العـــرب قاطبـــة
تيتموا كان زغـــلول ابا لهـــم

وهكذا •••

وهذه الابيات في معناها ومبناها تفســـير لمطلع القصيدة أو بيت القصيد وان اختلفت في تعابيرها وصياغتها •

اما السمفونية السادسة لبتهوفن فهي تصـــوير الطبيعة في أبدع أسلوب موسيقي وقد كتبها بتهوفن في نفس الحقبة التي كتب فيها السمفونية الخامسة

وتمتاز عليها بنعومتها ورقتهـــا الفائقة (او كذلك أعتقد) .

وقصيدة بشارة الخوري في رثاء أحمد شـــوقي تبدأ بالاسلوب العربي القديمبالوقوف امام شيء ما؟ ولكن الخوري ابى أن يقف أمام الرسوم الدوارس وآثر ان يقف في ربا الخلد .. حيث يصور مكانة الشـــاعر بين الحور وأتراب مريم ورهط جبريل والملهمين من بني هومير ، وحيث تقف الاهة الشـعر عن يمينه وربة النثر عن يساره .. ثم ينتقل الى وصف الوادي الاخضر الذي يغمره النهر العظيم بكل أخضر حاني العود ناضره ...

بالبلبـــل المتغني في ملاعبــه
والسـنبل المتثنى في غـــدائره
بالحقـل ترعى به القطعان هائمة
والنحل يرضع من ثديي ازاهره

ثم تأتي العاصفة التي تعصف بالوادي الخضـر وعندئذ ينتقل بصورة فتعبث ريشته بالالوانالقاتمة السوداء بعد أن كانت مليئة بالالوان المشرقة ويدلف في تحبيه فتتوارد المعاني الحزينة حيث يقول :

يالرزية غال النهـــر غائله
وغار في لهوات من هواجـــره
واســـلم الزهر اجيـادا منفرة
للشـــوك جفت على دامي اظافره

حتى يصل الى ذروة هذه الصورة :

والناس في غمرة عميــاء لا وتر
لنا شـــديه ولا نجم لســـامره

ثم يدلف لرسم صورة أقوى فجيعة وأكثر سوادا من الاول حيث تشترك الطبيعة باسرها في تصوير الفاجعة :

فللجـــداول أنات مجرحـة
كأنهـــا حمل في كف ناحره
وللندى في الثرى جهش ووسوسة
كأنهـــا همســـات في ضمائره

ويقارن بين الخطب الذي حل بالبلد الجميلعندما غار ماؤه ونضب نهره بالفجيعة الـكبرى التي حلت بالكون باسره عندما فقد الشعب شـــاعره العظيم فيثبت انها أدهى وأمر .

ما الخطب بالنهر مجرى الروح في بلد
فـــرد رقيق حـــواشي الذكر دائره
كالخطب يدوى له كـون بجملتـــه
اذا أصاب الردى شـعبا بشـــاعره

والبيتان الاخيران يكونان بيت القصيد في هـذه القصيدة .

والمستمع الى سمفونية بتهوفن السادسة يجـــد فيها كما في مرثية بشارة الخوري لاحمد شـــوقي وصفا للطبيعة في أبهى حللهاوذلك في الحركةالاولى وفيها منظـــر الجداول الرقراقة والوادي الخصيب والقطعان الهائمة.وفيها اجتماع أهل القريةيرقصون على نغمات الفالس،وممايذكرنا بقول بشارة الخوري:

يستقبل الفجـــر اهلوها بغرته
ويغرفون الليـــالى في سرائره

وفي القصيدة والسمفونية على حد سـواء عاطفة هوجاء . وتتميز القصيدة على السمفونية بأنهـــا تحوى بيت القصيد عند منتصفها وليسللسمفونية السادسة بيت قصيد كما اعلم - واذا ما قارنا «بيت القصيد » في مرثيتي بشارة الخوري وجدنا توافقا تاما بينهما فانى لا ارى كبـــير فرق في المعنى بين قوله :

قالوا دهت مصر دهيــاء فقلت لهم
هل غيض النيـــل ام هل زلزل الهرم
قالو اشـــد وادهى قلت ويحـكمو
اذا لقد مات ســـعد وانطوى العلم

وبين قوله :

ما الخطب بالنهر مجرى الروح في بلد
فـــرد رقيق حـــواشي الذكر دائره
كالخطب يدوى له كـون بجملتـــه
اذا أصـــاب الردى شعبا بشـــاعره

وعندما أجرؤ على عقد مثل هـــذه المقارنات بين القصيـــدتين والســـمفونيتين فانني اقرر بداءة أن المناسبات التي قيلت فيهما قصيدتا بشارة الخوري هي من باب الرثاء وسمفونيتا بتهوفن لا صـــلة لها بذلك البتة .

كما أن بشارة الخوري لم يطلع على الموســـيقى الكلاسيكية الغربية لكن نواحي المطـــابقة هي في استشعار جمال الطبيعة وتصـــويرها فقـد كانت الطبيعة تعني كل شيء عند بتهوفن كما هي عنـــد بشارة الخوري . واذا ما التقى الشاعر في سبحاته بالموسيقارفي عليائه فهذا هو التقاء العباقرةيعبرون عن أحاسيس النفس البشرية بأساليب وان اختلفت في طريقتها وتعبيرها فهي متفقة في مبناها .

محمد عثمان يس
وكيل وزارة الخارجية السودانية

مدرسة الديوان

بقلم : عبد الحي دياب



لا توجد مدرسة شعرية فى ادبنا العربى — قديما وحديثا — محدودة المعالم . واضحة القسمات فى مقاييسها ومبادئها النقدية ، ونتاجها على مقتضى هذه المبادىء وتلك المقاييس مثل « مدرسة الديوان » التى انتشلت الشعر العربى من الوهدة التى كان يتردى فيها فى اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين . تلك المدرسة التى قامت على عاتق استاذنا عباس محمود العقاد وعبد القادر المازنى وعبد الرحمن شكرى . وسميت باسم أول أثر نقدى الفه العقاد والمازنى .

وعلى الرغم من أن شكرى لم يشترك فى تاليف هذا الكتاب اشتراكا ماديا ، فاننا نستطيع أن نقول ان هذا الكتاب نفسه يحمل آراء عبد الرحمن شكرى التى انتج شعره فى دواوينه المتعددة ، وكتب مقدمات دواوينه على مقتضى تلك المبادىء النقدية التى ساقها صاحباه فى هذا الكتاب . وان يكن المازنى قد استخدم هذه المبادىء فى نقد شكرى ، فان ذلك لا ينفى انها تمثل آراء شكرى ايضا .

ولكى نقف على حقيقة جهود هؤلاء الرواد فلا بد أن نعرف حالة الشعر قبل تبوئهم منابر الادب فى مصر ..

والدارس لتلك الفترة يرى أن الشعر كان يدثر بثياب الذل والمهانة ، ويتعفر فى مراغة الامتهان الأدبى بالنسبة لنظرة الناس اليه كفن جميل ، والى الشعراء كمنشئين للقيم الجمالية والأدبية والانسانية ، وبتعبير أدق كرواد للحق والخير والجمال ..

ويقودنا الانصاف أن **نقول ان هذه النظرة قد سرت فى اذهان المصريين حين اسلموا عزائمهم الى الاستسلام والخمود والتسليم بالغيبيات نظرا الحكم التركى المتجبر الذى كان يسودهم قبل ان تهب على مصر روح قومية تمثلت فى قيام الثورة العرابية ومن ثم ترى ان الشعر يعتريه الركود ويصاب بالسأم والكلالة فى ازمان متطاولة تمتد منذ اواخر الدولة العباسية الى الثورة العرابية ، حيث كان الشعراء يتعلمون العروض والبيان والبديع ، وينظمون قصائدهم على مقتضى هذه القواعد ، بل يذهبون الى ابعد من ذلك حينما يعتبرون ان النظم حق واجب على كل من تعلم هذه العلوم ، وان الناظم على غير علم بهذه القواعد متطفل على الشعر ، وداخل فيما لا يعنيه .**

وليس أدل على ذلك من محمود صفوت الساعاتى الذى نظم قصيدة فى مدح النبى عليه السلام . أتى فيها على مائة وخمسين نوعا من البديع . واستهلها بقوله فيما سماه براعة استهلال سفح الدموع لذكر السفح والعلم ابداى البراعة فى استهلاله بدم .

ولم يكن النقد الادبى أحسن حالا من الشعر ، اذ كان يتمثل فى مناقشات لفظية من نحوية ولغوية ، ولا يجد الناقد فى الشعر من حسن يقف عنده الا اذا وجد فيه مذاق شواهد العلم الذى يعالجه ، أو يجد فيه عقدة يتفصح بحلها ، أو خطأة يتفكه بتأويلها ، أو نادرة يؤيد بها رأيا ، أو يساجل بها خصما ، أو يجد الكلام مشتملا على الغريب النادر من مفردات اللغة وتراكيبها ..

على اننا نقول أن الروح القومية التى هبت على مصر والتى تمثلت فى قيام الثورة العرابية كانت ثمرة ثورة فكرية وادبية كان روادها من المفكرين رفاعة رافع الطهطاوى وعلى مبارك وعبد الله فكرى وجمال الدين الافغانى وتلاميذه من امثال ابراهيم اللقانى وعبد الله نديم وابراهيم المويلحى وسليم نقاش وأديب اسحاق ومحمد عبده ، وكان روادها من الأدباء تلاميذ جمال الدين الافغانى أيضا محمود سامى البارودى شاعرا ، وحسين

المرصفى ناقدا وغيرهما .. اذ رجع المرصفى الى لأسس النقدية العربية ابان ازدهار الأدب العربى ونقلها فى وسيلته الادبية .

وحينما اخفقت الثورة العرابية واحتلت مصر واطلق الحاكم المتجبر يده فى البلاد ، فكتم الحريات رجع الشـــعر الى ما كان عليه من قبل ، ولم يعد هناك شاعر مثل البارودى يعبر عن نفســه كفرد مستقل ، وسـادت البـــلاد موجة من الســـخط والســـام ، والشكوى فى الادب والحيـــاة العامة ، حتى اصبحت غرضا من اغراض الشعر ، واصبح لا يقرع سمعك من اغراض الشعر آنذاك الا آهة متاوه أو نشيج محزون ..

فى هذه البيئة المتشـــحة بالســـواد ، المدثرة بالقتامة ، التى ينبعث من أعماقها السخط والفزع والحـــزن الذى أثقـــل كاهل المصريين فى تاريخهم الطويل .. فى هذه البيئة هبت ثورات متعددة فى الفكر والاجتماع والسياسة والأدب تمثلت فى الامام محمد عبده وقاسم امين ومصطفى كامل وسعد زغلول وشعرائنا الثلاثة الذين نحن بصـدد الحديث عنهم ، والذين تمثلت ثورتهم فى الادب فى المطالبة باسـتقلال الشـــاعر وصـــدقه بحيث يعبر عن ذات نفســـه ومكنون ضميره ، وان يكون موضـــوع شـــعره هو موضوع حياته . وموضوع حياته هو موضـــوع شعره ، **ومن هنا نرى شكرى يضـــع على غلاف الجزء الأول من ديوانه الذى اصدره فى عام ١٩٠٩ بيتا يعطينا جوهر المذهب الجديد فى الشعر هو :**

الا يا طائر الفردوس ان الشـــعر وجدان

ويعبر عن المذهب الجديد شعرا كذلك فى قوله :

والشعر مرآة الحياة تطل فى مرآتها فتراه فى آلامها وتراه فى لذاتهـــا والكون آية شـــاعر يأتى بمبتكراتها

كما يعبر عن المذهب فى قوله : لو كانت الحياة شجرة لكان الجمال زهرها والشعر ثمارها ، وكل شيء فى الوجود قصيدة من قصائد الله . والشعر ابلغ قصـائده . والشـــاعر هو الذى لا يعيش مثل اكثر الناس مقبورا فى الأحوال التى تحوطه ، وانما هو الذى يحلق فوق ذلك اليوم الذى يعيش فيه ، ثم ينظر فى اعماق الزمن آخـــذا باطراف ما مضى وما يستقبل . فيجيء شـــعره ابديا مثل نظرته ، وهو الذى يلج الى صـــميم النفس فينزع منهـــا غطاءها ، لقد كان الشـــاعر بالأمس نديم الملوك ، وحلية فى بيوت الأمراء ، ولكنه اليـــوم رســـول الطبيعة ترســـله مزودا بالنغمـــات العذاب ، كى يصـــقل بهـــا النفوس ويحركهـــا ويزيدهـــا نورا ونارا ! !

ويعبـــر العقـــاد عن مذهبـــه شعـــرا حين يقـــول :

الشـــعر باب الحيـــاة عندى
لا مهر بى من حيـــاة جدى
لم اقصـــد الدير من حمـــاه
وانمـــا الدار منـــه قصـــدى

وحين يقول :

خـــذ من الجســـم كل معنى وجسم
من معـــانى النفوس ما كان يكسرا
حبذا العيش يبـــدع الفكر جســـما
نجتليـــه ، ويبـــدع الجســـم فكرا
ويرى الفن كالحيـــاة حيـــاة
ويرى الحيـــاة فنـــا وشـــعرا
ضـــل من يفصـــل الحياتين جهـــلا
واهتدى من حوى الحيـــاتين طرا

ثم يحدد العقـــاد ملامح المذهب الجديد ، تحديدا حاســـما فى مقدمة الديوان فى الأدب والنقـــد ، حيث يقـــول : « واوجز ما نصف به عملنـــا – ان افلحنا فيه – ان اقامة حـــد بين عهدين لم يبـــق ما يســـوغ اتصـــالهما والاختـــلاط بينهما ، واقرب ما نميز به مذهبنا انه مذهب انسانى مصرى عربى :

انسانى ، لأنه من ناحية يترجم عن طبع الانسان خالصا من تقليد الصـــناعة المشـــوهة ، ولأنه من ناحية أخرى ثمرة لقاح القرائح الانسانية عامة ، ومظهر الوجدان المشترك بين النفوس قاطبة .

ومصرى ، لأن دعاته مصريون تؤثر فيهم الحيـــاة المصرية ، وعربى ، لأن لغته العربيـــة ، فهو بهذه المثابة أتم نهضة أدبية ظهرت فى لغة العرب منذ وجدت ، اذا لم يكن أدبنا الموروث فى أعم مظاهره الا عربيا بحتا ، يدير بصره الى عصر الجاهلية » .

ويوضح العقـــاد الباعث الذى دعاهم الى ثورتهم الادبية فى ميدان الشعر ذاهبا الى أن الشعر العربى قد اتخذ له فى كل عصر طريقة تناسب روح ذلك العصر ، وان الطريقة العصرية التى دعوا اليها لاتشبه طريقة البداوة ، ولا هى فى شيء من طريقة الدولة العربية ، ولكنها طريقة يمليها عصر تغير فيه محل الانسان من بيئته ومجتمعه ، وخلعت فيه الطبيعة

أمام عينيه ثوبا بعد ثوب حتى وقفت بالمجسد بين يديه فظهر له ما كان خافيا وازداد توقه الى استطلاع ما لم يبد ، وكان فيما بدا له مقابح ومحاسن ، كان سابق ظنه منها غير ما عاينه منها ، فرأى منها غير ما رآه الاقدمون وعبروا عنه في اقوالهم وقصائدهم ، حتى لو أن شعراء المذهبات بعثوا اليوم من قبورهم ، لما نظموا حرفا واحدا من مذهباتهم ، ولكانوا في المذهب العصرى اشد من اشد دعاته غلوا في الدعوة اليه . ومن ناحية اخرى فان هؤلاء الدعاة الذين تبوأوا منابر الشعر لا عهد لهم بالجيل الماضي ، لأن التربية والمطالعة قد نقلتهم اجيالا بعد جيلهم ، فهم يشعرون شعور الشرقي ويتمثلون العالم كما يتمثله الغربي . وهذا مزاج اول ما ظهر من ثمراته أن نزعت الأقلام الى الاستقلال ورفع غشاوة الرياء والتحرر من القيود الصناعية .

ويصف العقاد ما أحدثه مذهبهم في الشعر العصرى فيجملها في روح الاستقلال ، لأنهم رفعوه من مراغة الامتهان التي عفرت جبينه زمنا ، ولن يجد الانسان اليوم شاعرا حديثا يهنيء بالمولود وما نفض يديه من تراب الميت ، ولن يراه يطرى من هو أول ذاميه في خلوته ، ويقذع في هجو من يكبره في سريرته ، ولا واقفا على المراقيء يودع الذاهب ويستقبل الآيب ، ولا متعرضا للعطاء يبيع من شعره كما يبيع التاجر من بضاعته ، وما بالقليل من هذه الروح الشماء في الأدب أن تجهز على آداب المواربة والتزلف بيننا ، أو تردها الى وراء الأستار ، بعد اذ كانت تنشد في الأشعار ويتنادى بها في ضحوة النهار » .

وتدعيما لهذه الاسس نرى العقاد يقدم دواوين صديقيه في عامي ١٩١٢ و ١٩١٣ وهو لما يتعد الخامسة والعشرين بعد . ولكنه اخذ يبسط المذهب الجديد كما سبق ان اوضحنا .

ومن ناحية أخرى أخذ المازنى ينقد حافظا ويبين فضل شكرى في شعره عليه ، وفي الوقت نفسه يدلل بذلك على مزايا المذهب الجديد وذلك حين يقول في مقالاته التي نشرها في صحيفة « عكاظ » التي كان يصدرها الشيخ فهيم قنديل ، والتي ابتدأت في ٢٧ من يولية عام ١٩١٣ ، ويقول المازنى في مقدمة هذه المقالات : « لا نجد أبلغ في اظهار فضل شكرى والدلالة عليه ، وبيان ما للمذهب الجديد على القديم من المزية والحسن من الموازنة بين شاعر مطبوع مثل شكرى ، وآخر ممن ينظمون بالصنعة مثل حافظ بك ابراهيم ، فان الله لم يخلق اثنين هما أشد تناقضا في المذهب وتباينا في المنزع من هذين ، والضد كما قيل يظهر حسنه الضد » .

وساند العقاد المازنى في نقده لحافظ الذى استمر حتى عام ١٩١٤ ، سانده العقاد بما نشره في « عكاظ » ينقد به كلا من حافظ وشوقى في رثائهما لشهيد الطيران العثمانى فتحى ؛ وحسبنا في هذا المقام مقدمة مقالته الأولى لنرى كيف كان العقاد شديد الوطأة في الدعوة لهذا المذهب على التقليديين من الشعراء ؛ ذلك ان يقول في هذه المقالة التي نشرها في ٩ من مارس ١٩١٤ : « اشعر شعراء الأموات الذين خفت صوتهم منذ عهد والمجيب في امرهم أنهم لا ينشرون الا اذا مات أحد ، عادوا الى نظم الشعر ، وقرع المسامع بذلك الكلام الخلق والمعانى الأثرية ، وان في عودتهم لآية على شعورهم بموتهم ، وعلى أنهم أصبحوا نسيا منسيا ، فأرادوا أن يطلوا من وراء الكفن الذى أسبله عليهم الشعر العصرى والأدب الحى . فجمعوا قواهم ، وصرخوا صرخة واحدة ، ولكنها قوة القنديل اذا تهافت للنعاس في آخر الليل ، فاجتذبت ذبالته مصاصة الزيت ليخفق خفقته الأخيرة ، ثم ينطفيء فلا يرتفع له بعد ذلك بصيص ولا سفاح » ..

ويتضح مما سبق أن المذهب الجديد الذى دعت اليه مدرسة الديوان يتمثل أول ما يتمثل في الصدق الذى يتضمن تعبير الشاعر عما يوافق طبعه ومزاجه ، وأن تكون معانيه بناته لا ربيباته ؛ ومن هنا قام دعاة المدرسة بقراءة الشعر الأوربى مترجما الى اللغة الانجليزية ، والشعر العربى في عصوره المختلفة ووقف كل منهم عند شاعر يؤثره على غيره من الشعراء ، فوقف العقاد مع ابن الرومى والمازنى مع الشريف الرضى وشكرى مع المتنبى .

ولا يعني وقوف كل منهم عند شاعر بعينه في نهاية المطاف ان يقرا كل منهم جميع شعراء العربية لدراستهم .

ونود ان يتقرر في الأذهان ان قراءاتهم لم تقتصر على الأدب والنقد فحسب ، بل تجاوزت ذلك الى الفلسفة والاجتماع وسائر العلوم الانسانية ، وما يتصل بها من العلوم التجريبية .

عبد الحى دياب

أزمة النقد أزمة أخلاق أولاً

بقلم : محمد عبد الله السمان

ان أزمة النقد عندنا قضية متشعبة الجوانب ، ونحن حين نتناولها ينبغي أن نتناولها من شتى جوانبها ككل لا يتجزأ أولا ، وثانيا لا نحاول ان نجعل من هذه الأزمة قضية وثيقة الارتباط بالأخلاق ومعنى هذا أن أزمة النقد حين تبرز الى حيز الوجود ، تبرز الى جانبها أزمة في الضمير أو أزمة في الاخلاق

وفي الحديث الذي أدلى به أديبنا الكبير الراحل «العقاد» لمجلة القصة ، سأله الاستاذ محمد عبد الحليم عبد الله :

« هــــل أنتم مع من يقول : ان هناك ازمة في النقد ، او مع من يقول : بل المسالة مسالة حساسية من الكتاب ؟

وعندما أجاب استاذنا ـ رحمه الله ـ مس جانبين مهمين من الأزمة • لهما ارتباط بالأخلاق قبل كل شيء ، قال :

« النقد الأدبي في أزمة اذا نظرنا الى النقــاد الذين فرضوا أنفسهم على وظيفة النقد • الدليل الوحيد على أنهم ليسوا بنقاد انهم ليسوا بمنتجين •• الناقد منتج لا عالة على انتــاج الغير ، وما من ناقد عظيم الا وله آثار انتجها هو ، تعد في الطبقة العليا من الانتاج •أزمة النقــد حقيقية لأنهم غير منتجين •• وعندنا من المنتجين من يؤدون وظيفة النقد خير اداء • مثل طه حسين ، ومحمود تيمور ، وتوفيق الحكيم وان كان نقده خارجا عن نطاق انتاج الغير لتحرجه وحرصه على عدم جرح احساس احد ، واضـف اليهم كل منتج في حياتنـــا الادبية بلا استثناء • »

مثل هؤلاء النقاد الذين فرضوا أنفسهم على وظيفة النقد وهم في الحقيقة ليسوا بنقاد لأنهم غير منتجين ـ كما يقول العقاد ـ كثيرون في حياتنا ، لأن النقد في مذهبهم يقوم على الهدم لا البنــاء ، وما أيسر الهدم على من لايجيد البناء ، وكأني بالعقاد يجردهم من قيمة أخلاقية عظيمة حين لايعرفون قدر أنفسهم ورحم الله امرءا عرف قدر نفسه ، لانهم يلبسون ثياب زور ، ويرضون لانفسهم أن تسطو على أماكن خصصت لغيرهم •

أما الجانب الآخر الذي مسه العقاد فهــو حين قال :

« ربما كان في المسرح في أوربا نقاد بلا انتاج •• وحتى هؤلاء هم هنــاك من النوع الذي يفرض نفسه قسرا على الحياة الفنية •• بما يكتبه من نقد مسرحي وهو نوع من « البلطجة » أما في الأدب •• فلا »

هذه الفئة فئة «البلطجيــة» ليست موجودة في المسرح وحده عندنا ـ كما هو الحال في أوربا ، ولكنها موجودة في كل مجالات الأدب والفن والفكر ، تحمل على أكتافها هراوات غلاظا تهدد بها وتتوعد ، هذه الفئة تقف والحياء على طرفي نقيض ، وتخدع نفسها مؤمنة بان مهمة النقد لا تتطلب الا لسانا سليطا ، وأسلوبا ساخرا وحماقة متعالية ، يتآكل الحقد في صدرها على كل عمل أدبي كبير ، ويشرب في قلبها التطاول على كل عمل فني جليل ، وتبلغ بها الحماقة احيانا حدا تنفر منه الحماقة نفسها ، وذلك حين تحاول أن تنكر مالا طاقة لأحد بانكاره ، وان تطمس بعبثها مالا قدرة لأحد على طمسه ، وأن تطفيء بأفواهها ما تعجز العواصف عن اطفائه •

والعجيب أن هذه الفئة أشبه ما تكون بالعصابة في حياتنــــا ، تعيش على طاقة كبرى من الحقد والاستعلاء معا ، وتحيا دائمــــا في أزمة اخلاقية مستعصية ، لا يروق في نظرها عمل مهمـــا كان عظيما ، ولا ترضى عن انتاج أدبي مهما كان جليلا ، واذا رضيت احيانا فانما ترضى عن أحد افرادها ، أو عمن يدين بالولاء لشيخها ، وحتى اذا ســـجل التاريخ لأديب كبير عمـــلا خالدا ، فالتاريخ في نظرها مجموعة من الوثائق المزورة ، والســجلات المحرفة ، وحتى اذا كان هـــذا العمل الكبـــير « مدرسة الرســـالة في زهــاء عشرين عامـــا » وقد كان من أساتذتها عمالقة كتابنا ، واصبح من تلامذتها من لهم اليوم مركز الصدارة في أدبنا ، والتي قال عنها الاستاذ على امين يوم أن توقفت : انه يتمنى أن تغلق سفاراتنا في البلاد العربيــة ولا تتوقف الرسالة » مع هذا كله تصر هذه الفئة على أن تنكر الرسالة وماضيها ، وان تتجاهـــل دورها الرئيسي في رسالة الأدب في المنطقة العربية بأسرها ، ووضعها اللبنات الأولى في الوحدة العربية قبل أن تتداول في الأذهان فكرة الجامعة العربيــة وغيرها •

والعجيب ايضا ان هذه الفئة بوريقاتها التي تصدر كل حين باذن ، ربما ، لم يمنعها الحيـــاء

البقية على صفحة (٣٢)

من وحي عيد الأم

للشاعر فرحات عبد الخالق

تباركت ! ما اصفى طباعك يا امى !   تفردت بالاخلاص ، والحب والرحم
وكم لك من فضل على ، ومن يد ؟؟   تجل عن الاحصاء ، والعدد الجم
الم تحمليني تسعة ! لم تفوهي   باف ، ولا آه ، ولابحت بالهم
وغيرك ان يحمل من الهم بعضه   بكى ، واشتكى،واهتز ، وانهار ، من سقم
الم تشربي كاس الاذى بولادتى   وما ذقت الا الشهد فى صورة السم
تصديت للموت الزؤام ، لتخلقى   حياتى ، فما اسمى فداءك يا امى !
الم ترضعينى ، نحو حولين : تسكبى   حياتك درا فى حياتى وفى جسمى
ولقنتنى اولى الدروس ، فصادفت   مكانا خليا فى عظامى وفى لحمى
جرت فى دمى سحرا حلالا ، فخلتها   انشوتها بنت النخيل او الكرم
شكرتك يا اماه ، انت حميتنى   من الشر ، والسوءى ومثلك من يحمى
لقد كنت فى كفيك صلصال صانع   يشكله حسب النموذج والرسم
فان شئت كنت الروح ينشيء مرسلا   وان شئت ابليسا ينشيء للرجم
وان انس ، لا انسي شعورك يا امى   بحمى اصابتنى ، وقد أوهنت عظمى
تشابه جسمانا ، فلم يدر اينا   عليل ؟ واى سالم الروح والجسم ؟
وياربما نامت جفونى ، ولم تزل   جفونك يقظى ، بالدموع وقد تهمى
فهل عدلت كف الطبيعة بيننا   اقسمك فى الاحزان يعدله قسمى
لك الله يا امى ، فانت ضحية   ومرمى لسهم الدهر — نجلك اذ يرمى

***

فيا ايها الابناء ، فى كل بقعة   من الارض ، هيا قدموا واجب الام
هداياكم فى عيدها ، فابعثوا بها   فتلك رموز الحب ، والود ، والسلم
تنم الورود المهديات عن الهوى   ويغنى ابتسام عن عناق وعن ضم
فكم بسمة نمت عن البشر والرضا   وكم دمعة فى العين ، نمت عن الهم
وان قدم الابناء فى يوم عيدها   طرائف من نعمى ، لترفل فى النعم
ساهدى الى امى : وفائى كاملا   وحبى ، واخلاصى ، وما حزت من علم
فخير الهدايا الأمومة عزة   ورفعة اخلاق ، وكنز من الفهم
عليك سلام الله ، يا ام ، ماسرت   على النيل انسام الربيع سرى الحلم
وعيدك فى فصل الربيع دلالة   على طبعك الصافى ، واخصابك الجم
طهورك عطر الحياة كزهرة   وصوتك انغام تقدس فى النغم

***

ومن فقد الام الرحيمة فانسنا   وعاش يتيما فى الحياة على الرغم
على قبرها فليحمل الزهر طاقة   يذكرها بالحب والود والرحم
وان يك مثلى مرهف الحس شاعرا   قضي عمره ، يرثى الفوارب بالنظم
رثى امه وحيا من الشعر منزلا   فما صدق الباكون الا على الام

فرحات عبد الخالق

أغنـية .. قبل الوداع ..

للشاعر: محمد الجبـار

ان شئت ان احيا .. واعطى الناس احساسي وفنى ..
لا تتركينى .. اننى .. من غير حبك .. لا اغنى ...
ان تحرمينى الحب .. ياحبى .. حرمت الناس .. لحنى
غنيت آمال الجميـــع .. وليس لى حــق التمنى
ان جاءنى صــبح بلا عينيك .. قلت : اليك عنى
فاذا رحلت .. فلن ارى الدنيا فانت ضـياء عينى
لن تنفـــخ المـزمار الا آهـة تنســـل منى
حتى زنابق فجرنا ... ستصير صبارا لحـزنى
تنمو على قبر الهوى ... وتقول : قد مات المغنى

❋❋❋

يا ويلنا ... لم تبق الا فى خريف العمر شـــمعه
يا كم اذبت الليـل فى لحنى .. وكم رقرقت دمعه
ومنحت دنيا الناس من معنى الهوى العذرى .. روعه
غنيت حتى للضياع ... وارهف الاعصار .. سمعه
وعلى دروب الحائرين .. ارقت الحانى المشـعه
ورأيت وجهـك فى وجوه الناس فى كل الاشـعه
لا تتركينـى .. اننى فى الارض فنـــان الالم

❋❋❋

الليل أعرفه .. ويعـرفنى .. وانت لنا .. قسم
هو منجمى ... عيناك فيه ... كنز نور يبتسـم
كالماستين ... على جبين الغيب .. فى كهف الظلم

من اجل عينيك .. انطلقت فراشة ... طارت نغم
انا فى القيود معذب وصـداى اجنحة النسـم
لم اجن ذنبا غـير ميلادى على ارض السـقم
انى ولدت مع الاسى يوما ... وربانى السـأم
ودخلت معركة الحيـاة ... وما معى الا .. قلم
فكرت يوما ان اموت .. فقلت : اغرق فى الخضـم
وكاننى من عالم النـــاس جميعا ... انتقـم
وحملت اشـعارى معى للريح يقرؤها العـدم

❋❋❋

ياشاعرى عد ... الضفاف الخضر .. عد لا تنتحر
انى احبك ايهـــا المفقود .. فارجع للمقـــر
صدرى .. ضفاف عبابك المجهول .. عم فوق الخطر
فسبحت استهدى صداك .. هنا الطريق .. هنا المفر
ورفعت رأسي للسـماء .. فلاح لى حزن القمـر
ورأيت فيه نبـوءة فرحى لميـلاد السـحر
ووصلت نحو الارض .. حتى الارض كانت تنتـظر
ما كنت اهزم بعـد ان قالت عيـونك لى : انتصر
احييت فى عينيــك احزانى .. واحـزان البشر
يا انت .. يا قدرى .. الذى يعلو .. على صوت القدر

شعر : محمد الجبار

بقية المنشور على صفحة (١٩)

ان تعقد مقارنة بين « الرسالة » ووريقاتها التى لا يحس بها احد ، حتى من تتناولهم بالهدم من عمالقـــة الفكر والأدب ، لا لشىء الا أنهم شىء له قدره ، ويخيل اليها انها **تشيد هرما لوريقاتها على انقاض غيرها ، وهى فى الحقيقة لا تقوى الا على بناء كوخ من العشب والصــفيح ، او بيت من خيوط العنكبوت** • ولكن ماذا نقول لهذه التى تقف والحياء على طرفى نقيض ، الا ما ســـبق ان قاله الرسول ـ صلوات الله عليه : « **ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الأولى : اذا لم تستح فاصـــنع ما شــئت** » ومـــا سبق ان قاله خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبـد العزيز : « **رحم الله امرءا عرف قدر نفسه** » •

اذا تركنا هذه الفئة وشأنها ، وهى تمثل جانبا له خطورته فى ازمة النقد الاخلاقية ، فان هناك فئة اخرى فى الأزمة تمثـــل الاحتكار فى مهمة تقييم الاعمال الادبية . هذه العملية كادت تصبح قاصرة على اعمال هذه الفئة نفسها ، يتبادل أعضاؤهـــا منصة القضاء و « روب » الدفاع ، وقفص الاتهام سواء فى الصـــحف الادبية أم فى الاذاعة أم فى التليفزيون . ومعنى هذا أنهم يغلقون الباب عليهم وحدهم ، دون أن يطرقه عليهم احد ، ودون ان تجرؤ المواهب الجديدة على اختراق مناطق نفوذهم أو يدنوا من حرمهم المقدس •

هذه الفئة تتعاون على الخير والشر ، وتطبق كل وسائل الاحتكار بحذافيرها ، ولا يكاد يظهر لأحدها اى انتاج ـ عظيما كان أو تافها ـ حتى تتناوله أقلام البقية فى الصحف اليومية ، والمجلات الاسبوعية والشـــهرية ، وتتلقفـــه كل البرامج الاذاعيـــة والتليفزيونية ، لتثير مع الصحف والمجلات اهتمام المخرجين والمنتجين •• وهكذا حتى تتم الصـــفقة باقل التكاليف وأبخس الجهود ، ومن قدم السبت وجد الأحد امامه كما يقول المثل المشهور ••

هذا مثل لا يثير مجرد الدهشة ، وانما يثـــير الاسى ويستفز الأعصاب ، وهو برنامج « مع النقاد » هذا البرنامج الذى يذاع اسبوعيا بالبرنامج الثانى بالاذاعة . يحتكره البعض احتكارا مطلقا ، ولا يسمح لأحد ـ كائنـــا من كان ـ أن يتســـلل اليه غير « شـــلته » الا نادرا ، عندما يقتضى ذلك ارتباط المصالح أو تبادل المنافع ، ونجوم البرنامج هم هم ، والانتاج الذى يعرض على بساط المناقشة انتاجهم فمنهم الناقد والمنقود وكفى ، وليس هذا فقط ، فان أى انتاج لمواهب جديدة لا يمكن أن تعبأ به « شلة » البرنامج او تكترث له ، وكان هـــذه المواهب ليس من حقها على البرنامج الموقر أن يحفل بها ولو مرة فى كل شهر أو شهرين ، لتعلم اى طريق تسلك ، وعلى هدى أو ضلال تسير ، وهى التى يبذل اصحابهـــا الكثير من الجهد والكثـــير من العرق والدموع •

ومع أن هذا البرنامج يتيم فى الاذاعة ، الا أن « الشـــلة » الموقرة حصرته فى الانتاج الادبى ، ولا سيما فى القصة والمسرحية والشعر ، وليس لالوان الفكر الاخرى اى نصيب يذكر فيه ، واقرب الامثلة الفكر الاسلامى ، فلا اظن ان البرنامج احس به مرة واحدة ، مع ان كثيرا من الكتب الاسلامية الواعية الناضجة لأساتذة لهم اقدارهم تطبع ويحس بها العالم العربى والعالم الاسلامى ، ولكن هـــذا البرنامج يتصنع ازاءه الصمم والعمى ، وهذا راجع بالطبع الى ان « شلة » البرنامج ليس من اختصاصها النظر ـ مجرد النظر ـ الى الانتاج الاسلامى ، وليس من مذهبها المبالاة به ، والى ان الكتاب الاسلاميين ليس بايديهم توزيع المنافع ، ولا يملكون حولا ولا طولا فى الصحافة او فى الاذاعة أو فى التليفزيون •

وبعد ـ فان أزمة النقد ستظل الى الأبد قائمـة على قدم وساق ، طالما ازمة الضمير أو أزمة الاخلاق تعيش فى نفوس النقاد ، وتحيا فى عقول ادعيـاء النقد ، **وطالما** عملية النقد يسير دفتهـــا التطاول والاحتكار معــا ، **والنتيجة** الحتمية بعد ذلك ، هى ان تظل الأضواء مسلطة على حفنة من النقاد وأشباه النقـــاد ، ما داموا يحملون فوق عواتقهم هراوات غلاظا ، ويتميزون على غيرهم بســـواعد مفتولة ، والسنة حداد ، وأساليب لاذعة ساخرة ، وما داموا يمسكون بايديهم نواصى الأمور التى ترزق وتمنع ، وتعطى وتحرم من تشاء بغير حساب •

ازمة النقد ازمة أخلاقية قبـــل كل شىء ، فاذا حاولنا ان نحل ازمة النقد ، فيجب أن نحل ازمة الاخلاق أولا ، والا كانت محاولتنا نقرا على طبـل اجوف ، أو صرخة فى واد ، أو نفخة فى رماد •• !

محمد عبد الله السمان

مسئولية الفنان

بقلم : عبد الوهاب قتاية

« ان القيم الروحية الخالدة النابعة من الأديان قادرة على هداية الانسان وعلى اضاءة حياته بنور الايمان وعلى منحه طاقات لا حدود لها من اجل الخير والحق والمحبة .

الميثاق الوطني

نحن نؤمن بضرورة أن ندع مائة زهرة تنمو وتتفتح .. ونحن نؤمن بما جاء في الميثاق : « ثقافة وطنية حرة تفجر ينابيع الاحساس بالجمال في حياة الانسان الفرد الحر » . « ان حرية الكلمة هي المقدمة الاولى للديموقراطية » . « حرية الشكل هي التعبير عن حرية الفكر في أي صورة من صوره » .

ولكننا نؤمن ايضا بان الحرية مسئولية .. بل وانها اسمى مراتب المسئولية .. خاصة حرية الفنان الذي يسرى فنه في ضمير جماهير الشعب باجيالها المتعاقبة .. ليشكل مع الايام عواطفهم وافكارهم ومثلهم وقيمهم .. فان الفن هو الغذاء الذي يسيغه الشعب دائما ويقبل عليه ويتمثله راضيا سعيدا .. والفنان هو المعبر عن أفكار الشعب وميوله وعواطفه وواقعه واتجاهات تطوره .. وهو في نفس الوقت الموحى والحادى لركبه نحو أهدافه ونحو المراحل الجديدة لتطوره .

فاذا لم يع الفنان هذا الدور الخطير الذي يؤديه في حياة الشعب .. واذا لم يكن على مستوى هذا الدور وهذه المسئولية .. فانه يكون معوقا كبيرا في طريق الزحف الشعبي .. وفي طريق صنع الحياة الجديدة .

هذه مقدمة لا بد منها ونحن نتعرض لنموذج من الاعمال الفنية التي تثير مسالة « مسئولية الفنان » .. وهو « أوبريت مهر العروسة » التي يقول مؤلفها وناظمها عبد الرحمن الخميسي في تقديمه لها : « وقد اردت بهذه المسرحية أن أعبر عن تاميم قناة السويس بطريقتي الفنية وعملت على اذابة الرمز في الواقع وتخيرت الكلام العملي من الشخصيات المصرية النموذجية رابطا بينها وبين واقعية الموقف المجيد في حياتنا الثورية عند التاميم .. واني أعتبر تقديم المسرح الغنائي لاوبريت مهر العروسة عملا ثوريا يشق به طريقا جديدة ويحمل راية جديدة سوف تتلاحق وراءها الاعمال الواقعية الجادة في نفس الطريق » .

الاوبريت اذن تصور الفترة التي عاشتها مصر قبيل تاميم شركة قناة السويس .. وكيف كانت ثروتنا وأرزاقنا نهبا للاستغلال الاستعماري وكيف كان الشعب يكافح لاسترداد حقوقه وطرد المغتصبين فمثلا « غالب » و « بهية » ومعهما بقية الصيادين الكادحين يمثلون الجبهة الشعبية المظلومة التي يذهب عرقها الى جيوب الدخلاء ممثلين في « سيمون » الدخيل الفرنسي الذي يمثل الاطماع الاستعمارية والذي لا يكتفي بنهب الثروة بل يتآمر لاغتصاب « بهية » .. وهو في معاركه ومؤامراته ضد الكادحين يستعين بعملائه الخونة .. ويمثلهم بائع المخدرات و « الشيخ صالح » رجل الدين الذي يلبس العمامة والجبة ويتحدث بحديث الله وحديث الرسول ..

ويستمر الصراع .. ويحاول « الشيخ صالح » خداع الشعب .. ولكن الشعب الواعي يسخر منه ومن كرشه الضخم .. غير أن « الشيخ صالح » يتمكن من اختطاف « بهية » ابنة الشعب .. ويقدمها فريسة لشهوة « سيمون » فيثير اختفاؤها ثورة الشعب فيهاجم قصر « سيمون » .. وتنتهي الاوبريت بطرده واسترداد الحقوق المغتصبة وانقاذ الشرف المهدد ..

والأوبريت هي اول خطوة ايجابية لبناء مسرح غنائي عربي حديث .. ولقد احتضنته الدولة . . وكلف الشعب ويكلفه ألوفا كثيرة من الجنيهات .. على أمل أن يكون عملا فنيا ثوريا وان يقوم بمهمة ايجابية في ثقافتنا .. وان يهب جماهير الشعب الكادح عملا جميلا يسرى في ضميرهم .. يثرى عواطفهم وعقولهم واحساسهم بالجمال .. ويضيء لهم زوايا جديدة من الحقيقة التي يعيشونها ..

ولا شك أنه جدير بما لاقاه من اهتمام الجماهير والنقاد الذين تناولوه بالدراسة والتقييم لكل جوانبه من تاليف ونظم وتلحين واخراج وتمثيل وغناء وزخرف ..

والواقع انه مهما قيل عن سطحية معالجته للقضية وسذاجة رمزه للواقع .. وفشله في تعميق هذا الواقع والاحساس به .. الا ان الاوبريت نجحت في أن تكون كل شخصياتها وحوادثها لها دلالات ومستمدة من واقع كفاحنا ضد الاستغلال الاستعماري ..

ولكن القضية التي تثيرها .. والتي لم ينتبه لها

واحد من الكتاب .. هى شخصية « الشيخ صالح » رجل الدين .. الذى يلبس عمامة وجبة ويتحدث بحديث الله وحديث الرسول وله كرش ضخم .. ويعامل الناس بالربا .. ويعمل جاسوسا وعميلا وقوادا للاستعمار .

اننا نتساءل :

متى كان رجل الدين الاسلامى - وفى مصر بالذات - عميلا للاستعمار الغربى والاستغلال الاستعمارى ؟ .

هل هناك واقعة واحدة فى تاريخنا الحديث والقديم على السواء .. كان فيها رجل الدين الاسلامى فى مصر مع الاستعمار ضد الشعب ؟ .

لقد كنا نعتقد أن من الامور البدهية التى لاتحتاج الى أقل تبيان - نظرا لكونها واقعا ملموسا عاشه جيلنا والجيل الذى قبله - ان الصفوف الأولى من كل معركة ثورية خاضها شعبنا ضد الاستعمار الغربى كانت من لابسى العمامة والجبة ..

كنا نعتقد أنها حقيقة سجلتها كتب التاريخ والصحافة ويتعلمها اطفالنا فى المدارس.. ونقرؤها أدبا واقعيا فى ثلاثية نجيب محفوظ .. حتى جاء الاستاذ عبد الرحمن الخميسى .. الكاتب الثورى .. ليقول فى عمل يعتبره ثوريا : ان عميل الاستعمار والاستغلال الاستعمارى وجاسوسه وقواده هو رجل الدين !! .

اننا نعتقد ان الامر خطير جدا .. ولا يخرج عن احتمالين : اما ان الكاتب يعرف الحقيقة أو لايعرفها .. فان كان يعرفها فيجب أن نجابهه : لم يطمسها ويفترى عليها ؟ ولمصلحة من ؟ وان كان لا يعرفها فكيف يسمح لنفسه أن يتعرض لها ويعرض بها ؟

غير أننى لا أتصور مطلقا أن كاتبا مثل عبد الرحمن الخميسى - له تجاربه العريضة فى الكتابة ، والكتابة الثورية بالذات - يجهل الحقيقة .. بل لا أتصور مثقفا فى بلدنا اليوم ولا حتى انسانا عاديا ... يجهل هذه الحقيقة ..

هل يجهل أحد أنه فى كفاح الشعب ضد نابليون وحملته الفرنسية عام ١٧٩٨ كان الأزهر هو رائد هذا الكفاح ؟ وأن نابليون قال فى منشوراته « انى أعبد الله سبحانه وتعالى وأحترم نبيه والقرآن العظيم ... وأن الفرنساوية هم أيضا مسلمون مخلصون ؟ ..

لقد كان المركز العام لثورة القاهرة ضد الفرنسيين هو الجامع الأزهر .. وحين ضرب نابليون بمدافعه الثوار دخل جنوده الازهر وربطوا خيولهم بقبلته .. وقتلوا أكثر من أربعة آلاف شهيد ... وأعدموا زعماء الثورة : الشيخ الجوسقى والشبراوى والشرقاوى والصيلحى والبراوى وكلهم من شباب علماء الازهر ..

ولقد استمر كفاح الشعب حتى طرد الفرنسيين .. وظهرت زعامات ثورية : دينية وشعبية ... كالسيد عمر مكرم .. والأفغانى .. ومحمد عبده .. حتى بلغت الموجة الثورية الشعبية قمتها فى ثورة ١٩١٩ .. التى كانت صفوفها الأولى من شباب الأزهر ..

واستمر كفاح الشعب .. وصيحة رجل الدين عالية فيه .. ودوره ايجابى شريف ..

لم تحدث واقعة واحدة - منذ بدأت أطماع الغرب فى ثروتنا وأحقاده على ديننا بالحروب الصليبية .. الى الحملة الفرنسية .. الى ثورة ١٩١٩ .. الى حرب القنال ١٩٥١ .. الى تأميم شركة قناة السويس .. حتى اليوم - كان فيها رجل دين مسلم .. خائنا للشعب عميلا للاستعمار الغربى قوادا له ..

فكيف ؟ وبأى ضمير فنى وخلقى واجتماعى .. يرسم الخميسى هذه الشخصية .. شخصية « الشيخ صالح » فى أوبريت مهر العروسة ؟؟ .

صحيح ان شخصية « الشيخ صالح » لا تحمل من الدين سوى مظهره .. ولكن حتى هذا المظهر كان العدو اللدود للاستعمار .. وحتى لو سلمنا - جدلا - بوجود مثل هذا النموذج . فى غفلة من التاريخ والناس .. فهل وجوده كان على المستوى الشعبى بحيث يسجل فى عمل فنى ضخم رمزا بشعا لعملاء الاستعمار الى جانب بائعى السم ؟؟ .

اننا نعتقد ان الأمر خطير .. وان مسألة «مسئولية الفنان» يجب أن يتنبه لها الفنانون والمثقفون فاننا لا نريد أن يضيع الجهد العظيم الذى يبذله الشعب وقادته لبناء حياة جديدة بقيم جديدة نابعة من روحنا .. فان كلمة غير أمينة تتسرب الى ضمير الناس خلال عمل فنى ناجح يمكن ان تكون معوقا خطيرا فى طريقنا البناء ..

ان مسئولية الفنان ليست أكثر من شىء واحد .. هو الصدق : الصدق نفسه .. والصدق مع الناس .. والصدق مع الحقيقة .. وبالها من مسئولية !! .

عبد الوهاب قتاية



قيادة سفينة الفضاء

بقلم: عبد المنعم أبو السعود

منذ اطلقنا اول قمر صناعي حتى الآن ورحلات الفضاء التي يقوم بها الانسان . وكذلك الاقمار الصناعية تتم عن طريق التحكم الآلي من محطات التتبع الأرضية دون دخل للانسان . ترى ما السر في ذلك ؟

تختلف قيادة المركبة الفضائية عن قيادة الطائرة، ذلك لاختلاف الوسط الذي تتم فيه رحلة كل منهما . فالطائرة تسير في جو الارض حيث تؤثر عليها جاذبيتها والهواء الموجود ، في حين ان المركبة تسير في فضاء لا هواء فيه ولا تتأثر بجاذبية الارض .

لذا نرى الطائرة تستعمل اجهزة لحفظ توازنها تختلف عما تستعمله في مركبة الفضاء . فالطائرة اجنحة وذيل تستغل الهواء في ايجاد التوازن . لكن المركبة شيء آخر .

وحتى يمكن معرفة اختلاف المركبة الفضائية عن الطائرة ، يجب أن نتعرض لحركتها منذ اطلاقها حتى عودتها لنتعرف لما يعترضها في سيرها من ظواهر الطبيعة وقوانينها وعلى ضوء هذه المعرفة يمكننا أن نرسم الطريقة التي نقودها بها .

كيفية الوصول الى المدار :

تبدأ رحلة الفضاء باطلاق صاروخ متعدد المراحل يحمل المركبة ، ويظل في ارتفاعه بها حتى يصل الى طبقات الجو العليا حيث تنفصل المرحلة الأخيرة منه عن المركبة لتنطلق في مدارها . وتتم كل هذه العمليات دون أن يكون للملاح دخل فيها عن طريق تحكم محطة التوجيه الارضية .

وانفصال المركبة عن المرحلة الأخيرة من الصاروخ ينجم عنه اهتزازها ودورانها حول نفسها دورانا غير منتظم . وكنتيجة لهذا تنحرف عن خط سيرها المحدد لها . ويستبين الملاح هذا الانحراف بوساطة آلة « الجيروسكوب العادية » وآلة « الجيروتاكومتر » التي استحدثتها ابحاث الفضاء .

ان اهتزاز الطائرة ودورانها حول نفسها تتغلب عليه بوساطة الاجنحة والذيل . ولكن مركبة الفضاء تستعمل طريقة اخرى . فالمركبة منذ اطلاقها تكون تحت تحكم المحطة الارضية التي تقوم الآتها بتخفيف الاهتزاز الى حد كبير غير ان قدرتها غير كافية لايقافه . وليس هذا من تقدير العلم أو استنتاجه ، بل ثبت من التجربة التي قام بها رجل الفضاء الأمريكي « كوبر » الذي اوقف آلات التحكم في منطقة الشعور بانعدام الجاذبية فاذا بالمركبة تأخذ في الاهتزاز والتقلب . ووجد نفسه وهو مربوط الى كرسيه قد تغير وضعه واصبح يواجه الارض برأسه تارة وبقدميه تارة أخرى . ومثل هذا الطيران غير المحكوم يجب أن يوقف فورا والا تعرض الطيار لأخطار جسيمة .

لقد اسفرت ابحاث الفضاء عن استعمال النفث للتغلب على الاهتزاز وتثبيت المركبة نهائيا في مدارها اثناء سيرها ويكون ذلك بتزويدها بمحرك صاروخي يطلق النفث في اتجاه الميل او الاهتزاز ليعود بالمركبة للوضع الصحيح فلو كانت المركبة تدور مثلا يسارا، انطلق النفث يسارا للتغلب على الحركة في هذا الاتجاه حتى تنتهي . وحينئذ يوقف المحرك . على ان رواد الفضاء ذكروا لنا من تجاربهم انهم استطاعوا تحريك مركباتهم في الفضاء بتحريك أجسامهم كما يفعل راكب الدراجة على الارض تماما .

على اننا في حاجة لتحديد موقع المركبة اثناء دورانها دواما حتى تتمكن المحطات الأرضية التي تقوم بالتحكم من متابعتها . ويتم ذلك عن طريق تحديد العامود الواصل من موقعها الى مركز الارض بواسطة جهاز حساس يتأثر بالحرارة وبالاشعة تحت الحمراء الموجودة في الاشعة التي تعكسها الأرض .

وعلى هذا فان الجيروسكوب والجيروتاكومتر هي المسئولة عن تحديد انحراف المركبة عن مركز ثقلها في حين ان الجهاز الآخر الذي يعمل بتأثير الحرارة والاشعة مسئول عن تحديد موقعها في المدار . وقد ربطت المجموعتان بجهاز يظهر اشارة كل منهما في حقله ليوضح مركز المركبة اولا باول . وتقوم محطة التوجيه الأرضية باصلاح الانحراف حتى لا ينشغل الملاح بالنظر الى لوحة التأشير الخاصة بوضع المركبة من حين لآخر ثم يقوم بعدئذ بالمحافظة عليها في الوضع الصحيح دائما .

وعلى هذا فبعد ان نعرف عن طريق الآلات خط سير المركبة ونحدد موقعها في الفضاء ، يمكن معرفة مدى انطباق مدارها الذي تسبح فيه على المدار المخطط لها من قبل . ويكون علينا ان نصحح المدار ايضا . ولهذا اوجدوا آلات تقوم باستلام البيانات التليمترية (التي تسجلها وترسلها الآلات دون تدخل الملاح) وكشف الاختلاف بينها وبين ما خطط من قبل للمدار .

وهذه الآلات سريعة في عملها ودقيقة فيه وهذان شرطان لازمان لكي تتمكن من القيام بتصحيح وضع المركبة رغم سرعة انطلاقها التي تكون في الرحلات المدارية ما بين ٨ ، ٢ر١١ كيلومترا في الثانية .

القيادة المدارية

وما ان تصل المركبة الى مدارها حتى تبدأ عملية قيادتها فيه . وتاريخ غزو الفضاء يشير الى ان الآلة قد شاركت الانسان منذ اول يوم صعد فيه الى الفضاء في القيادة المدارية . بل كانت الآلة منفردة في الرحلات الاولى كلها . ومن هنا تتميز امامنا طريقتان لقيادة المركبة في الفضاء :

١ ــ القيادة التلقائية عن طريق آلات محطات التتبع

٢ ــ قيادة الملاح .

(ا) القيادة الآلية :

الانسان خالق الآلة وصانعها . ومع ذلك ورغم وجوده في المركبة . سيطرت الآلة على تسيير المركبة . وهذه ظاهرة تسترعي النظر ولا شك وتبعث على التساؤل . والواقع ان رحلة الفضاء تحيط الانسان القائم بها بما يجعله عرضة للتأثر باحتمالات كثيرة وكانت السبب في التفكير في سيطرة الآلة على الرحلة دون الانسان .

ان الضعف الانساني امر مسلم به . ورحلة الفضاء كما نعلم تتم في ظروف غير ملائمة للانسان ، اذ يتعرض خلالها لضغوط متغيرة وحرارة مرتفعة فوق ما يحتمل . ويعيش في منطقة ينعدم فيها الهواء الذي لا تقوم حياة في غيابه . ثم هو يعاني فوق هذا في هذه الرحلة من عدة ظروف اخرى تؤثر على حالته النفسية ، اذ يعيش في منطقة الشعور بانعدام الجاذبية حيث يضطرب فيها تقديره لبعد الاشياء ، وتختلف حركته عما اعتاد ، كما يعاني ايضا من الاهتزاز والعزلة . كل هذه الظروف التي تلازمه مجتمعة خلال الرحلة . جعلت من المحتمل ان ينهار الملاح وبالتالي يفقد سيطرته على المركبة . لكن كما ان الانسان عرضة للانهيار ، كذلك الآلة عرضة للتوقف وينجم عن توقفها الخطر الأكيد . فالخطر من ناحيتها هي الاخرى تجب الحيطة منه .

على ان الانسان لا سبيل الى استبداله اثناء الرحلة ، في حين انه من الممكن ان تحمل المركبة مجموعتين منفصلتين من الآلات بحيث تعمل احداهما دائما . فان تعطلت الوحدة التي تعمل عملت الاخرى فورا . ومن اجل هذا كان التحكم الآلي ضرورة . وحتى لا تفشل الرحلات نتيجة لتوقف الآلة ، لجأ المصممون لوضع مجموعتين منفصلتين من الآلات في المركبة لتحل احداهما محل الاخرى عند تعطلها .

لقد بدأ غزو الفضاء بارسال الاقمار الصناعية الى طبقات الجو العليا لجمع المعلومات والرصد. واجراء القياسات المتعددة والكشف عن الاشعة وتصوير الظواهر الكونية . كل هذا اتمته الآلة ، ومع ذلك لم يقم الانسان برحلة الى اي كوكب بعد . ان كل ما تجمعه الآلة من معلومات يسخره الانسان لخيره واوقايته في رحلته .

وعلى هذا فلكي نجمع بيانات تساعد على نجاح الرحلات يجب ان يتم جمعها بدقة وبسرعة وان يتوالى التسجيل ليل نهار مدة بقاء القمر الصناعي في مداره . وهذه القدرة لا يمكن ان تتوافر لانسان . واذن فالآلة لازمة لهذه العمليات .

عبد المنعم أبو السعود

حول الأدب في أسبوع

يقدمه : عبده بدوى

لقاء عابر :

كثيرا مافكرت في ان انشر الافكار واكثرها شفافية هي مايتحدث بها الكاتب الى صديق في حجرة ، مع اعتبار ان مايتحدث به ليس للنشر ، وانما لاحداث جو من الحرارة حول فنجانين من القهوة ، او التهيؤ لعمل من اعمال الفكر المضنية ، ذلك لان هذه الاحاديث تكون وديعة كالندى الذي يتوج الزهور ، وعفوية بحيث تصبح غير قابلة «للشطب في العقل» قبل أن تصل الى نفس المستمع .

وقد سنحت لى فرصة تجميع هذا الندى ، ومع انا كنا في الضحى ، اى ان هذه الفترة كانت في ذهنى رمادية ، ومحلاة باشرطة الفجر ، ومطرزة بقصائد الطيور ، فقد كان لى لقاء عابر مع الاستاذ **«يحيى حقى»** الذى وجد باب مجلة «المجلة» لم يفتح بعد ، ومن ثم كانت دعوتى له بان يصعد دورا آخر ، ولنتحدث حول فنجانين من القهوة .

وبابتسامته الهادئة ، وصوته الذى يخيل الى انه يربت به على الاشياء ، وبهذا الشيء الساحر الذى يعتبر مزيجا بين الابتسامة والصوت سألنى عن رأيى فى مجلة المجلة ، ولما كنت حريصا على ان آخذ ـ مادام امامى كنز ـ قبل أن أعطى ، فقد رأيتنى اسأل انا الآخر « هل تستلزم هذه الفترة بعد صدور مجلة الرسالة والثقافة والشعر والقصة ان تكون المجلة مجلة ابحاث ؟ ويذهب يحيى حقى الى تأييد هذا ، وحين يريد التوقف اراني «استدرجه» الى بعض مايشغل الناس في الحياة الادبية ، واراني اسمع منه هذه الافكار التى اجملها في النقاط الآتية :

● قمت لأول مرة فى تاريخ مجلة المجلة بعملية «المصالحة» بين الثقافتين الشرقية والغربية ، بعد ان كانت صفحاتها تكاد تكون قاصرة على التعريف بالثقافة الغربية .

● اعتقد ان اكبر محنة وقعت فى مصر هى محنة انفصال التعليم الدينى عن التعليم المدنى فى عهد «محمد على» ، فاية نتائج مذهلة كنا نراها لو تمت عملية التغيير داخل الازهر نفسه ، ولكن ضاع علينا كل هذا العمر ثم اخذنا نتفده الآن ، ولتقريب هذا اتذكر ان هناك جامعات كاثوليكية فى الخارج ، تبدأ يومها بالصلاة ، ثم بالذهاب الى الدروس ، وانا اتصور الازهريين فى عهدهم الجديد يؤدون الصلاة الجماعية ثم ينصرفون الى معاملهم وقاعات دروسهم ذلك لان ماتطلبه حقا منهم هو المحافظة على المثل الاسلامية ، ثم الاحتكاك العلمى بالعصر .. ولكن ضاعت علينا السنين .

● ان المثقفين الآن يمكن ان نطلق عليهم اسم « المعذبين ! » لأنهم يحملون عبئين مختلفين اولهما الوقوف على وجهة النظر الفكرية من خلال التراث الشرقى ، والثانى الوقوف على وجهة النظر الاجنبية ، ومن هنا فالعبء مضاعف على المثقف فى هذه الفترة بعكس المثقف مثلا فى انجلترا او فرنسا

« وحين اسأله عن الشيء الذى جعله يسمى كتابه « خطوات فى النقد .. يأخذ فى الحديث ، او بعبارة ادق يأخذ فى الابتسام ثم يقول فى بساطة وجد فى الوقت نفسه « **عبده » اى متخرج من الجامعة حديثا فى باريس مثلا ، تساوى معلوماته ماعند نقادنا المعاصرين جميعا ! »**

ونأخذ فى جوانب متعددة من الحديث ، وحين يغادر « يحيى حقى » حجرتى يكون قد حولها الى « مدينة كاملة » ، ويكون قد قام فى ذهنى ان من الممتع حقا ان يجلس الانسان الى ادبائنا ، ويسمعهم يتحدثون بكل مايحسون دون ان يقص العقل شريط هذه الافكار ، ذلك لأنى اعتقد ان بعض هذه الافكار لايتحدث بها « يحيى حقى » على الورق ، ولكنه الحديث « الحديث العابر »

رؤية الحق أينما توجه البصر :

اذا كانت لغة مصر الى عهد قريب كانت لغة الحجر ولغة الشكل ، فانها الآن تتكلم فى الفنون التشكيلية بعدة لغات ، لعل فى مقدمتها لغة الموسيقى والضوء ،

ونستطيع ان نقول ان خير من ينطق مصر بهذه اللغة الان الفنانة « **احسان خليل** » ، التى تعيد لنا تلك الالفة العريقة التى كانت بين فنون الادب وفنون التصوير .

فان الكتاب – كما يقول الاستاذ حامد سعيد – كالبناء ، والاناء ، والكساء مسرح من مسارح الفن التشكيلى ، ووسيلة من الوسائل التى تتآزر فيها الحواس على ان ترسب فى اعماق النفس الغاية الكبرى من الحياة ، وهى « رؤية الحق اينما توجه البصر ! » .

ولتوضيح ما نقول نؤكد ان الفنانة تسعى الى عملية التوحيد بين الفن والطبيعة والحياة . وبعبارة اخرى تربط بين البيئة وبين ما ينشأ فيها ، وهى فى هذا لا تأتى بجديد ، وانما تواصل تلك الرحلة التى نرى آثارها فى الجيزة ، والدير البحرى ، وابى سنبل ، والجيوشى ، والتى نرى تمتها فى عملية التواصل الفنى بين الطبيعة والعصر الصناعى .

وهى لتأكيد هذا تقدم تفسيرا حديثا لاسطورة ايزوريس ، معتمدة فيما تقدمه على تفسير «بلوتارخ » ، من أن عملية القتل والحياة تتجدد كل عام ، حين يقوم البحر الابيض (وهو رمز الشر) بابتلاع النيل (الذى هو رمز الخير) ، ويظهر ان هذا التفسير لن يكون له مدلول بعد ذلك ، بهذا التفسير الجديد الذى يقدمه «السد العالى » .

ومهما يكن من شىء فان الفنانة – تقدم فى قصة المانسترلى – هذه الأسطورة فى ثلاث لوحات تمثل الاولى «ايزوريس» موجودة فى كل الحس النباتى ؛ بحيث يسائل الانسان نفسه هل هى شجرة ، او انسان ؛ او انها « مستنبتة من هذين معا » .

اما الثانية فتمثلها وهى تحمل اناء يجعل الانسان يسائل نفسه كذلك هل ما فى الاناء هو الحب ، او انه بذرة الوجود ، وحتى لا يتحول التفكير الى مساحات من الضوء والموسيقى ، نجد الفنانة تعطى شيئا من « الحضور » بشجرة وردحانية تعطى فى الوقت نفسه تكاملا حسيا .

اما الثالثة فتمثل « ايزوريس » وهى تحمل آلة موسيقية ، وكأنها بشفافيتها تربط بين الموسيقى العقلية ، وموسيقى الكون ، وبعبارة ادق موسيقى الكون المصرى الذى يظهر فى النيل وفى الحياة ، وفى كل ما يلف الطبيعة فى غلالة رقيقة من الفن .

كل هذا يحمل الانسان – أى انسان – الى ان يجثو فى رهبانية ثم يردد ذلك النشيد المصرى القديم الذى قيل لهاء والذى يهمس بهذه الكلمات

« .. **سيدة النضرة ! سيدة الخضرة المتلألئة .**
ان لك ينبت الناس الاشجار الحلوة .
وان من اجلك تخضر النباتات ! »

ثم يأتى بعد ذلك تحويل الفنانة لتسابيح اخناتون الشعرية الى لوحات ، فهناك لوحة تعبر عن هذه التسبيحة التى تقول « مطعم الجنين فى بطن امه ، ونافخ الحياة فى اديمه ، فاذا ما خرج الى الدنيا فتحت له فمه ، وحركت له شفتيه! » وهناك لوحة ثانية تعبر عن هذه الترخيمة « ماتكاد تقذف باشعتك حتى يتمزق رداء الليل ، فاذا الارض تتهلل ، واذا الناس ايقاظ ، لانك بعثتهم من رقاد ! » .

وهناك لوحة ثالثة تصعد – كما يصعد الفجر من قلب الليل – لتقول « انك لتدرك آخر الارض رغم ارتفاعك عنها ، فتجمع لولدك اطرافها ، تعاليت فامتد نورك على الارض ، واعطيت كلا مكانه ، وقررت له رزقه » .

ثم هناك لوحة رابعة تقدم هذا المعنى الذى يقول « ايها الواحد الاحد الذى لا اله غيره ، خلقت الارض على هواك ايها الواحد الأحد ! »

ومهما يكن من شىء فان الفنانة « احسان خليل » تقدم فى شكل متطور « زواجا » جديدا بين فن الادب وفن التصوير ، وتحول كلا منهما الى مرحلة تجعل الانسان يتساءل اين الادب واين الصورة ؟

لقد وضحت هى هذا حين قالت لى « حين كنت أقدم « ايزوريس » كنت احس انى تحولت الى بذرة ، وانى لو ألقيت فى الارض لاورقت ، ولحملت الاوراق والثمار ! » .

واذا كان هذا يقدم درسا فى تعمق الفنان للاشياء ، فانه يفتح لنا بابا كبيرا حول عملية الالتقاء التى بدأت باناشيد اخناتون ، والتى يجب ان تكسر هذا العصر الى عصور اخرى ، فى ظل تلك الرؤية المصرية القديمة ، التى توضح الحق اينما توجه البصر !!

توفيق الحكيم والتضليل الواعى :



اثار عرض مسرحية « ياطالع الشجرة » على مسرح الجيب الدكتور محمد مندور الى ان يصدر رأيا جديدا بعد أن كان النقاد عقب صدور هذه المسرحية قد وافقوا على ما ذكره توفيق الحكيم فى المقدمة ، ذلك لانه افتتحها بالموال الذى يقول :

« يا طالع الشجرة

هات لى معاك بقرة

تحلب وتسقينى

بالمعلقة الصينى .. الخ »

وتساءل هل لهذا الكلام معنى ؟ وما هو المعنى الذى يمكن ان يكون له ؟

ثم انتهى الى ان هناك شيئا خفيا فى هذا الكلام يستطيع أن يقوم بنفسه دون حاجة الى معنى او منطق ، وان هذا لابد ان يكون له صلة بالفن الحديث الذى اتجه الى منطقه هذا الشىء الخفى ، مستعينا بالتجرد من المعنى والمنطق ، بحيث استحال التصوير الى بقع لونية ، والنحت الى بقع كتلية ، والموسيقى الى بقع صوتية ، والشعر الى بقع لفظية ، بمعنى ان هذه الفنون تمر بالعين او الاذن دون ان تمر بالعقل .

ولكن الدكتور مندور ذهب الى ان هذا «الموال» لا ينطبق عليه فن اللامعقول ، وانما يمكن وضعه فى اطار الرمزية التى يلجأ اليها الادب الشعبى « اخذا بالتقية حينا وستر ماء الوجه حينا آخر » .

وانه اذا كان هناك معنى ، فانه سيكون هذا المعنى الذى يجرى على لسان فقير يسأل غنيا ، او بعبارة اخرى «من طلع الشجرة» أن يمن عليه ببقرة تمده باللبن ، كما ذكر انه لا يقبل التفسيرات والتوجيهات التى وردت فى المسرحية ، ويرى أنها من وسائل توفيق الحكيم الشيطانية « فى تضليل النقاد والدارسين تضليلا واعيا مقصودا » .

هذا راى الدكتور مندور وهو يتفق مع التفكير البسيط لهؤلاء الذين تعنيهم الحياة ، ولا يطيقون ان تكون للتسلية او العبث ، اما القول بان ماذكره توفيق الحكيم من قبيل الوسائل الشيطانية ، والتضليل الواعى ، فهو ما سنحاول ان يقول فيه الحكيم كلمته فى عدد قادم .

الأصالة والاستنبات :

تناول توفيق الحكيم هذين المصطلحين فى مجلة المسرح تناولا عميقا فذكر ان «الاصالة» يجب ان تكون بعيدة عن معناها اللغوى وهو خروج الشىء من داخل نفسه ، والا كان هذا المعنى من الصعب تحقيقه حتى فى مجالات الاشياء المادية البحتة كالنباتات والأشجار والثمار فالباليه « ستنبت » فى روسيا ، ولم يكن معروفا بها بمعناها العصرى ، ومع هذا بهرت به العالم ، وكذلك فن الموسيقى الذى قفز قفزة رائعة بفضل الخمسة الكبار الذين اتجهوا الى القوالب الأوربية ثم وضعوا فى اطارها الالحان القومية ، ويمكن تطبيق هذا فى مجال الرواية ، كما يمكن تطبيقه على الادب الالمانى ، وعلى الادب العربى ، حين هضم الآداب الفارسية واليونانية ثم اظهرها فى فكر عربى أصيل ، وليس لهذا من معنى الا أن الاصالة تبعث من «الاستنبات» ، وانه اذا كان يوجد فن أصيل من داخل البيئة ، اذ انه يخشى عليه فى المستقبل من العقم ، شأن الاسرة التى ينحصر تزاوجها فى افرادها . ثم ينتهى الى أن «الاصالة» فى الفن والطبيعة ليست هى عملية الحبس داخل الارض الواحدة والبيئة الواحدة ، ولكنها فى تحويل «الاستنبات» الى «اصالة» ، بمعنى أن الاستنبات يعتبر من اهم منابع الاصالة فى حقل النشاط الانسانى .

عبده بدوى



الكتب
نقد وتعريف
يقدمه تحسين عبد الحي

> الصهيونية العالمية ..
> تاليف : المرحوم عباس محمود العقاد



قدم لنا فقيدنا الراحل الأستاذ عباس محمود العقاد فى هذا الكتاب دراسة علمية لنشاط « الصهيونية العالمية » فى كثير من اتجاهاتها ومجالاتها .. والكتاب ليس تاريخا للصهيونية وان كانت به المامة شاملة لنشوء فكرة الصهيونية وأطوارها السياسية المختلفة حتى الآن وذلك مع البراهين الحاسمة ، على أنها لم تكن فى شتى عصورها الا حركة سياسية البواعث والغايات . زيفت لها أصول دينية رغبة فى رواجها وتعزيزها فى نفوس اليهود وغيرهم .

واليهود في كل زمان ومكان عرضة لغضب المعوزين كما كانوا عرضة لغضب المدينين وأصحاب المحصولات الزراعية من الضياع الواسعة ــ وبخاصة في ابان الأزمات والحروب الخارجية والأهلية ..

وكلما كثرت الحروب وضح لأبناء الامم المختلفة أن هذا الشعب المسمى « اليهود » متفق عليهم ، متفاهم فيما بين أبنائه على ابتزازهم واستباحة أموالهم وأرزاقهم ، لانه يعتزلهم كافة بمجتمعه في كل بقعة ، ثم يرتبط بالمعاملة بينه وبين أبنائه في المعسكرات المتقاتلة ، ولا ينظر اليهودى الى زميله نظرة العداء والمقاطعة ، وان قطعت الحروب والفتن بين البلدين ..

وحدث غير مرة أن اليهود كانوا ينصرون كل مغير على البلد الذى يقيمون فيه ، وحدث غير مرة انهم كانوا يصاحبون الجيشين المتقاتلين لشراء الأسرى ، وبيع المئونة ، وبذل القروض ، ثم يتقابلون على تفاهم « عند تصفية الأعمال » والمساومة .

واليهودية ــ والصهيونية ــ وهى اسم لمسمى واحد .. حركة جنونية .. هدامة تسعى جهدها لحرب الأديان والأوطان والأسر . لتنفرد بسلطان المال على مصاير المجتمع، وهى لاتخلق حركة اجتماعية ولا قدرة لها على خلقها ، ولكن لا تكاد حركة تنبع فى ناحية حتى تسارع هى الى استغلالها وتوجيهها الى ما يخدم مصالحها .. ومن أمضى أساليبها الغش والغدر واستطلاع الأسرار المحلية والعالمية وتسخير المال والنساء وتوطيد الصلات باصحاب النفوذ فى كل أمة .

وقد بدأت فكرة « الوطن القومى » تنمو وتقوى

فى عصر النهضات الوطنية الذى كان كذلك عصر الصناعة الكبرى وعصر الاستعمار ..

فلا يخفى أن الاستعمار قد بدأ بالتجارة وأن طريق الهند كان أهم الطرق التجارية فى العالم القديم ، ومن ثم كثر الاهتمام بفلسطين ومصر . وارتفع فى المجامع الدولية صوت اليهود لاتصالهم فى وقت واحد بالتجارة وبهذه البلاد .

واشتبكت مسألة القروض بمطامع المستعمرين فى أقطار الدولة العثمانية ، فلم ينظر الأوربيون الى مطالب اليهود كأنها مطالب منفصلة تعنيهم وحدهم ويغارون عليها من أجلهم ولكنهم جعلوها من الوسائل المعول عليها فى خدمة السياسة والاستعمار .

وظلت فكرة الوطن القومى ، أو فكرة الدولة اليهودية ، كالسحاب الذى يتشكل على حسب أوهام الناظرين اليه ثم نشبت الحرب العالمية الأولى فاتصل الصهيونيون بالمعسكرين وساعدتهم ألمانيا والتمسا عند الباب العالى .. وأثمرت مساعيهم عند المعسكر الآخر الذى تمثله بريطانيا ـ باعلان وعد بلفور . ثم كانت النكبة .. وذهب أبناء البلاد مشردين بالعراء ، محرومين من المأوى والمرتزق فى مواطن آبائهم وأجدادهم منذ آلاف السنين . وشذاذ الآفاق ينعمون بخيرات تلك المواطن ويتدفقون عليها بغير حائل ولا مانع . وذلك بدعوى أنهم مضطهدون ..وهم يستغلون دعوى الاضطهاد ويتخذونها وسيلة لتخدير الأمم باسم الانسانية والغيرة على الحرية .

وهل يخطر على بال أحد أن هجرة اليهود من ألمانيا كانت باتفاق مع هتلر ؟ وأن حركة الاضطهاد كانت تنظم على علم من الدعاة الصهيونيين فى القارة الأوربية ؟ وأن الصهيونية كان لها مكتب معترف به فى برلين . وأنها كانت على اتصال دائم «بالجستابو» عن طريق هذا المكتب وفروعه فى ألمانيا ؟ .

لقد كان لها مكتب معلوم فى العمارة رقم (١٠) فى شارع مين كستراس يديره اثنان أحدهما يدعى بينو والآخر يدعى بار جلعاد وكلاهما من زعماء الحركة الظاهرين فى أنحاء أوربا . وكان هذا المكتب ينظم الحركة سرا الى فلسطين فى الوقت الذى تثور فيه الثائرة على الجستابو وفظائعه المسلطة على اليهود !! ..

ولما أعلن الجنرال مورجان ـ بعد هزيمة ألمانيا ، انه لم ير أحدا من اليهود المهاجرين فى حالة سيئة ، وأنهم جميعا يهاجرون ووجوههم مشرقة . وجيوبهم منتفخة بالأموال ـ هبت عليه الأقلام المأجورة من أنحاء العالم تتهمه بالنازية والتواطؤ مع الأعداء ..

وبعد أن قدم لنا فقيدنا الراحل رده على خدعة النبوغ اليهودى والصهيونية وطوابيرها الخامسة فى ميادين السياسة والاقتصاد وميادين الثقافة والمجالس النيابية ـ وكذلك طوابيرها الخامسة فى السياسة الشرقية وصل بنا ـ الى أساليب الصهيونية العالمية فى العصر الحاضر . وهذه الأساليب بطبيعتها أساليب هدم ومقاومة ، وأساليب غش وتضليل .. ولا تستطيع الصهيونية العالمية أن تسود بغير هذه الأساليب . لأنها لا تعمل بسلطان القوة الظاهرة أو بسلطان الملك والسلاح ، وانما تعمل بسلطان المطامع والمنافع والشهوات من وراء ستار . فلا بد لها على الحالين من أساليب الهدم وأساليب الخداع لهذا تبادر الصهيونية الى استغلال نفوذها فى اثارة الفتن والقلاقل ، وتظفر الفتنة بتأييدها كلما توقعت منها الامعان فى الهدم والفوضى ، لأنها لا تنجح فى عالم فيه ايمان بالخلق أو بالوطن أو بالدين ، وانما تنظر الى الأخلاق والأوطان والأديان كأنها حصون تحمى منها فرائسها وضحاياها . ولا تطلق أيديها بالعمل كما تشاء حيث تشاء .

أما اذا أصبح المسلم غير مسلم ، وأصبح المسيحى غير مسيحى ، وأصبح الوطنى لايبالى بوطنه ، وأصبح الضمير الانسانى لاقبل له بالحلال والحرام ـ فتراها تظهر فى ميدان لاموانع فيه ولا عقبات ، ان لم يكن فيه أعوان وأذناب .

وتعنى الصهيونية فى كل وقت باستغلال المراكز العالية والعلاقات الشخصية بأصحاب النفوذ من حكومات العالم جميعا ..

وقد لوحظ فى ابان المشكلات العالمية ـ وفى ابان الحروب خاصة ـ أن الحاشية التى تحيط بالعظماء من قبل الصهيونيين تحكم حلقاتها ، وتشدد

رقابتها ، وتتطوع للقيام بالمهام التى تؤثر فى مجرى الأمور ، وقد تخلقها أحيانا لتقوم بها وتستجمع ازمة الأمور بين أيديها ..

لوحظ ذلك فى الحرب العالمية الثانية ، ولوحظ قبل ذلك فى الحرب العالمية الأولى فأحاط الصهيونيون بويلسون ولويدجورج كما أحاطوا برووزفلت وتشرشل وعملوا جهرة وخفية كل عمل ينفع الصهيونية ويعجل بتنفيذ مآربها .. مامن رئيس ذى خطر الا ويحيط به صهيونيون وصهيونيات ، ولكل من الفريقين عمله وميدانه الذى يعمل فيه .

وتطرق المؤلف بعد ذلك الى بحث وضع اسرائيل بين الدول العربية وأثر المقاطعة العربية على هذا الوضع .. فقال :

ان الحقيقة التى تواجه الصهيونية فى مقاطعة العرب اشد عليهم واوضح امامهم وأمام غيرهم من أن يكتموها وأن يغالطوا انفسهم فيها ..

ولكن العلة الأصيلة فى اسرائيل انها مخلوق متناقض ، يعتمد فى بقائه على النقيضين ، فهو يعادى العرب ، ويقتحم عليهم ديارهم ، ويستغل مواردهم .. ثم يطمع منهم فى المعونة التى يقدمونها بايديهم لتمكينهم من الاقتحام والاستغلال .

ان اسرائيل لم توجد لتعيش بمواردها .

وانها لم توجد لتعتمد على نفسها .

ولكنها وجدت لتخنق الحياة العربية من حولها وتتقدم وحدها بصناعتها بين بلاد لا صناعة لها ، ولا فائدة لها فى العالم الانسانى غير امتصاص دمها لاحياء بنية طفيلية شاذة ، تعطيها من فضلات الرزق ما تجود به عليها ، كى تستبقى فى عروقها بقية من الدم تمتصه وتعيش عليه .

وان تعجيز العرب اجمعين عن مجاراة اسرائيل وحدها فى ميدان الصناعة والتقدم افدح خطوب الاستعمار منذ وجد الاستعمار وهذا هو استعمار الصهيونية الذى يراد .

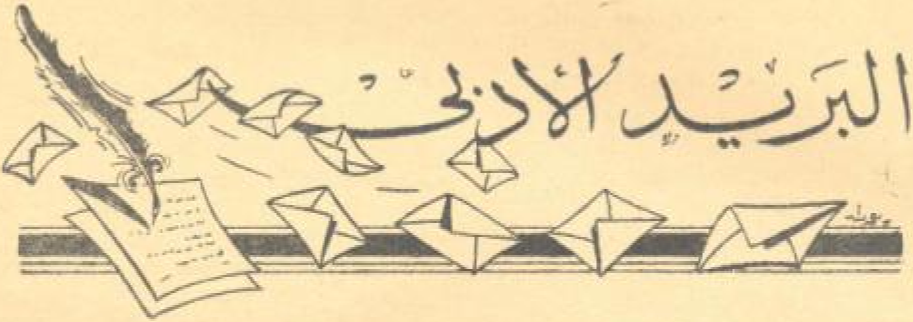
والمسالة فى جوهرها مسالة الموازنة بين نتيجتين لامعدى عن احداهما على تعاقب الايام ...

فاما أن تذهب اسرائيل من حيث أتت ، واما أن تبقى الأمة العربية فريسة لاسرائيل تاكل فى لحمها ودمها وتحول بينها وبين التقدم ، لكى تأمن مزاحمتها اليوم وغدا فى ميدان الصناعة والتجارة والارتقاء على الاجمال .

وبعد ..... رحم الله فقيدنا الراحل ومفكرنا العظيم عباس محمود العقاد .. فقد افترى عليه بعضهم ممن ادعوا أنهم — شرفوا يوما بخصومته ، بانه منفصل بذاتيته المفرطة عن واقع مجتمعه ..

ولعل الكتاب الذى قدمته اليوم — وهو واحد من كثير — لفقيدنا العظيم خير دليل على ان هذا التجنى كان فى غير موضعه .. وانما كان مجرد تطلعات من أصحاب العقول الصغيرة والأنفاس القصيرة .. اللاهثة ، الضاربة فى متاهات اللا معقول .. للظهور بمظهر المعارضة امام فقيدنا الراحل .. وماذا قدم هؤلاء لنا .. سوى الصفير والنواح والأحاسيس الصبيانية المختلطة .. فى أهم القضايا التى تهم مجتمعنا وشعبنا العربى ..

تحسين عبد الحى



كلمة عتاب

بقلم : عيسى متولي

هذه كلمة عتاب ، ان لم تكن رقيقة فهي رفيقة ..

أسوقها الى سادتنا المصححين بالصحف ، آملا الا يضيقوا بها ذرعا .. وأن تلقى منهم الصـــدر الرحب ! ...

كثيرا ما تصطدم أعيننا في الصحف بأخطاء لغوية اقل ما توصف به أنها «شنيعة» .. و «مخزية» ... كان من واجب المصححين تداركها في « البروفات » قبل نشرها .. حتى لا يتوهم القارىء البعيد عن اللغة أنها صحيحة .. لما يوليه لصحيفته من ثقة بكل ما تنشر ...

واذا اردتم الدليل ، فهاكم الدليل يا سادة ...
١ ـ أربعة مراحل مر بها العقاد .. وتقول قواعد اللغة أن العدد من ٣ : الى ٩ يكون عكس المعدود .

٢ ـ ان المرشحون يستغلون المباريات الرياضية .. وتقول قواعد اللغة ان اسم « ان » ينصب ولا يرفع .

٣ ـ عبد الوهاب ومن خلفه العروسين .. وتقول قواعد اللغة ان المثنى يرفع بالألف فرفقا أيهـــا المصححون باللغة وقواعدها فأنتم حماتها ، الذائدون عن حماها .

قصة انسانية

نقد : عبد الجليل شلبي

في العدد ١٠٥٠ من الرسالة قصيدة « قصـــة انسانية » للاستاذ أحمد باكثير الشاعر المعروف وفيها خانته شياطين شعره فالتوى أسلوبه الشعري الجميل واستعصت عليه قوانين سيبويه وتفاعيل الخليل وحروف الطبعة .

ففي المقطع الأول من القصيدة جاء هذا البيت :

هي في ملجأ العجائز لكن
هو في ملجأ الشيوخ الفواني

والفواني لاتصلح ان تكون جمعـا لفان العـاقل المذكر .

وفي المقطع الثاني هذا البيت

يتســايلوني اقد مللت ؟ وما
كنت ملولا ولست بالمـلول

وظاهر ان الكلمة ولست بالمملول فاكلت الطبعة ميما ـ وكنت افضل ان لو كان التعبير لقد مللت بالاثبات تعجبا ـ او اهل مللت بدلا من دخول الهمزة على قد التحقيقية .

وفي المقطع الرابع

منذ ركبنا ظهر السفينة من بيريه
مـثل السردين او هي ازحـم

وافعل التفضيل في أزحم غير مستقيم ـ فهـو يقصد طبعا أنهـــا كانت اشد ازدحاما من علبة السردين والفعـــل زحـم المبني للمجهول أو ازدحم وكلاهما غير صالح لبناء أفعل منه ـ

وقد جادت المطبعة عليه بالنون في منذ وأصلها مـــذ .

وفي المقطع السادس

مالك البيت قال لى : ابق فى البيت ولا تدفعن لى أى قيمة

والبيت لا يرضى الخليل بهذا الوضع ولعل أصله « ولا تدفعن له » فالعتب على المطبعة أيضا –

وكنا نود للشاعر الا يتورط فى قطع همزة ابق وكلمة ظل تؤدى المعنى نفسه

وفى المقطع السابع

حيث نحيا بغير كد ولا هم ولا دائن ولا مديون

وكلمة مديون غير جائزة وانما هى مدين

وفيه هذا البيت

بنايوتى قل بالحرى الى السجن الى المنزل الكئيب الحزين

والبيت لا يرضى الخليل – ويظهر ان الشاعر ينطق كلمة بالحرى مشددة الياء وانما هى مقصورة

وفى الأبيات التالية جاءت كلمات فى « رماد السنين » · «بينات يقلقننا أو بنين » بكسر النون فى آخرهما – وهما مما الحق بجمع المذكر السالم ففتح نونهما واجب ·

وفى القصيدة تعبيرات كثيرة لا تناسب أسلوب الشاعر الذى مارس التجربة زمنا طويلا مثل هذا البيت :

> ياماريكا هــذا جواب من الملجا
> صاحب بالرفض أم بالقبول؟

ومنها « مثل السردين أو هى أزحم – الى حيث ليس يلتقيان ··· »

اما موضوع القصيدة الانسانى فواضح من جانب واحد اذ وصف الخلق المصرى بهــذه الانسانية مما أجمع عليه المؤرخون ولكن موقف بنايوتى يكاد يكون خاليا من الانسانية · فهو يفارق زوجته بعدما يقرب من ستين عاما قضياها معا كأحسن ما عاش زوجان على الحب ، غير آسف على هذا الفراق الأبدى الذى لا لقاء بعده وهو يحمد الله ان ليس له منها عقب يجعل فراقهما قاسيا أليما – أما هى فلا أسف عليها بعد طول العشرة ومشاركة شظف العيش وآلام الغربة

وهى صورة من يتمنى فراق صاحبته ولو بالحرمان من زينة الحياة الدنيا ·

ثم هذه الصورة لا تناسب الاثنين –صورة التلاق الذى حقق أمانيه من المال فعاش به رغدا لا يألوا سرورا ولا يدخر منه شيئا ·

وبعد هـــذا كله يرى بنايوتى أنه أعظم من أن يطويه جوف الفناء – وبأى شىء نبأ بى على الفناء هذا العاتى الذى لم تظفر الدنيا منه بأثر عقلى أو مادى أو عقب من غيره اذن يكون الفناء ؟

التفسير البيانى للقرآن
أسلوبه وضوابطه

بقلم عبد الكريم الخطيب

فى الصفحة الادبية من جريدة الاهرام يوم الجمعة ١٩٦٤/٣/٢٠ نشرت الأستاذة الدكتورة بنت الشاطىء حديثا تحت عنوان : « الموضوع الذى شغلنا » ·

والمحمود لبنت الشاطىء فى هذا الحديث دفاعها القوى عن القرآن الكريم ، وغيرتها الصادقة على مقدساته ·· وذلك فى مواجهة الترجمات الكثيرة التى يتداولها الناس على أنها القرآن فى غير اللغة العربية ·· وتأخذ بنت الشاطىء على هذه الترجمات – وهذا حق – أنها لم تكن بينها ترجمة واحدة لمسلم عربى ·· يعرف حقائق الاسلام كما يعرف أسرار اللغة العربية وخصائصها ، على حين كانت هــذه الترجمات جميعها اما لمسلم لا يحسن العربية ، أو لمستشرق لا يدرك مفاهيم الاســلام ، ولا يحسن العربيــة ·· وهــذا لا شك دفاع مشكور مبرور للاستاذة الدكتورة ·

ثم ان بنت الشاطىء لكى تدلل على ما فى اللغة العربية من خصائص وأسرار لايستشعرها الا أهلها، وذوو القدم الراسخة منهم فيهــا ·· ثم انها لكى تدلل على أن القرآن قد بلغ بهــذه الخصائص وتلك الأسرار الى الغــاية التى أقام منهــا معجزات ، هى ما يعرف بالاعجاز القرآنى – تقول : انها لكى تدلل على هذا عرضت وجها من وجوه العربية التى تتجلى فيها بعض خصائصــها وأسرارها لتجعــل من ذلك شاهدا على استحالة ترجمة القرآن ترجمة تنقل ما أودع فيه من دقائق وأسرار ·· وكان من هــذا أن قررت أن ما يقال عنه فى معاجم اللغة من مترادفات لا وجود له فى النظم القرآنى الذى تأخذ فيــه كل

لفظة مفهوما خاصا محددا ، والذى تدق فيه الفروق الى الحد الذى لا يدركه الا ذوو البصر النافذة ، والبصيرة النيرة .

وهذا فهم سليم طيب لبلاغة القرآن ومذهب مستقيم من مذاهب البحث فى اعجازه .. ولكن الذى يؤخذ على بنت الشاطىء هنا انها حين دخلت بهذا المذهب منطقة التطبيق لم تقف فيه الموقف الذى ينبغى له من اليقظة والحذر ، والتأنى فى اصدار الأحكام ، والتثبت من الحيثيات القائمة عليها .. خاصة وان بنت الشاطىء من أهل التخصص وأصحاب الكلمة فى هذا الباب ، ولهذا فان هفوتها كبيرة ، وزلتها بلقاء مدوية !

تقول بنت الشاطىء : « والمتتبع الدقيق للالفاظ القرآنية فى سياقها يرفض الترادف ، حيث نرى اللفظ بدلالة محدودة ، لا يمكن معها أن يقوم لفظ مقام آخر ، فى المعنى الذى تحشد له المعاجم وكتب التفاسير عددا - قل أو كثر - من الالفاظ المقول بترادفها » .

وهذا رأى سليم مستقيم ، كما قلنا .. ولكن الشواهد التى تجىء بها بنت الشاطىء لا تقوم لهذا الرأى ، ولا تشهد له .. وهذا هو موضع الغرابة واللوم معا ..!

تقول الدكتورة بنت الشاطىء : « فالقرآن يستعمل مثلا **حلف وأقسم** ، وهما بمعنى واحد عند جمهرة المفسرين .. ولكن استقراء مواضع استعمالهما فى القرآن **كله** يمنع هذا الترادف ، **لأن مادة حلف تأتى دائما وبلا استثناء فى موضع الحنث باليمين** » .

هكذا تقولها بنت الشاطىء فى حكم قاطع جازم مطلق لا استثناء فيه .. ومفهوم المخالفة لهذا الحكم القاطع الجازم يعنى أن مادة **اقسم** لا تجىء فى موضع الحنث باليمين . وبنت الشاطىء لم تقم حكمها هذا الا فى مقابلة هذا المفهوم ، والا لما كان لحكمها معنى فى تحقيق ما قصدت اليه من التفرقة بين مادتى حلف واقسم .. ونسأل : أهذا ما تشهد له آيات القرآن الكريم؟ وهل خلصت مادة أقسم من مشاركة مادة حلف فى معناها ؟ والجواب على هذا نأخذه من قوله تعالى فى المنافقين : « واقسموا بالله جهد أيمانهم لئن امرتهم ليخرجن ، قل لا تقسموا طاعة معروفة » وقوله تعالى : « أهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد أيمانهم انهم لمعكم ؟ حبطت أعمالهم ، فأصبحوا خاسرين »

وقوله : « واقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الأمم ، فلما جاءهم نذير مازادهم الا نفورا » .. وهذه كلها أيمان مغلظة كاذبة مثل قوله تعالى فيهم : « ويحلفون بالله انهم لمنكم ، وما هم منكم » .. واذن فمادة الحلف والقسم هنا على معنى سواء ، ليست فيه هذه التفرقة التى تقولها بنت الشاطىء فى قطع وجزم واطلاق !

وتعرض بنت الشاطىء شاهدا آخر .. فتقول : «والقرآن يستعمل لفظى **رقبة ، وعنق** مفردا وجمعا ، وهما مترادفان فى المعاجم ، على حين يفرق القرآن بينهما .. **فلا يستعمل الرقبة اطلاقا بدلالتها الحسية المادية ، وانما جاءت فى دلالتها المعنوية المجازية على الاسترقاق** فى قوله تعالى : تحرير رقبة .. فك رقبة .. وفى الرقاب » .

ونسأل بنت الشاطىء الجواب عن قوله تعالى : « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب » ما مدلول الرقاب هنا ؟ أهى رقاب حسية تحمل تلك الرءوس التى تمتلىء عنادا وكفرا .. أم هى رقاب ماذا ؟ انها على القطع والجزم رقاب آدمية .. هى رقاب الكافرين ..!

وتعرض بنت الشاطىء أيضا شاهدا ثالثا فتقول : « وكلمتا النعيم والنعمة المقول بترادفهما ليستا سواء فى الاستعمال القرآنى ، وانما تأتى **النعمة مفردا وجمعا فى نعيم الدنيا** .. يطرد ذلك فى جميع المواضع التى جاءت فيها ... اما صيغة **نعيم فتختص دائما بنعيم الآخرة** .. يطرد ذلك فى جميع الآيات التى ورد فيها النعيم ... »

ونسأل بنت الشاطىء أيضا فى قوله تعالى : « ثم لتسألن يومئذ عن النعيم » . أى نعيم هذا الذى يسأل الناس عنه يوم القيامة؟ أليس هو نعيم الدنيا؟ واذن فكيف يستقيم حكمها القاطع الذى تقول فيه بأن صيغة نعيم فى القرآن انما تختص بنعيم الآخرة؟ وهل فى الآخرة سؤال عن نعيمها ؟

وبعد ، فلو غير بنت الشاطىء قالت مثل هذا القول ، وارسلت الكلام على عواهنه كهذا لما كان لنا مراجعة ومحاسبة .. واما - وبنت الشاطىء هى صاحبة هذه الأقوال فانا لا نعفيها من المراجعة والمحاسبة ، اذ هى من اهل التخصص فى هذا المجال أولا ، وهى أستاذة جامعية ثانيا ، وكلا الأمرين يقضى بمراجعتها ومحاسبتها فى الهفوات أو العثرات على سواء .

من ملحمة عمر :

الفاتحة

"المشهد الأول"

تأليف علي أحمد باكثير

المشهد الاول

حجرة في بيت ابي بكر بها سرير واطيء لا يرتفع عن الارض الا قليلا ولها كوة تطل على المسجد النبوى الشريف ·
يرفع الستار عن ابي بكر راقدا على فراشه وعنده زوجته اسماء بنت عميس·
(يدخل الصبي محمد بن ابي بكر وهو يصيح) :

الصبي : يا امه اين خذروفي يا امه ؟

اسماء : (بصوت خافت) صه اسكت يا غلام · لاتزعج اباك من نومه ·

الصبي : اين وضعت خذروفي ؟

اسماء : خبأته ·

الصبي : الآن ابي مريض تمنعيني من اللعب ؟

اسماء : نعم ·

الصبي : لن العب في البيت· سألعب في الطريق

اسماء : صه ·· لافي البيت ولا في الطريق ·

ابو بكر : (يتحرك في سريره ويفتح عينيه) هل حضر عمر ؟

اسماء : لا ياخليفة رسول الله لم يحضر ·

ابو بكر : محمد تعال ادن مني يابني (يدنو الصبي منه فيقبله) وي ، مالي اراك تبكي ؟

الصبي : امي يا ابت اخذت خذروفي ·

ابو بكر : اتريد ان تلعب الآن ؟

الصبي : نعم يا ابت ·· في الطريق ·

ابو بكر : اعطيه يا اسماء خذروفه

اسماء : سمعا يا خليفة رسول الله ·
(تخرج مع الصبي ثم تعود)

اسماء : كيف تجدك الساعة ؟

ابو بكر : الحمد لله · انما مثل المرء في حياته يا اسماء كمثل خذروف الصبي بينما هو يدور حتى لاتضبطه العين من شدة دواره اذا هو لقى لاحراك به ·· أتسمعين هذا الطائر يا أسماء ؟

اسماء : هذا الدبسي يا خليفة رسول الله فوق غصون الشجر ·

ابو بكر : طوبى لك ياطير · تاكل من الثمر وتستظل بالشجر وتصيرالى غير حساب· ياليت أبا بكر مثلك !

صوت : يا آل أبي بكر ·· يا آل ابى بكر ·

اسماء : هذا صوت عمر بن الخطاب ·

ابو بكر : اجلسيني يا اسماء (تعينه على الجلوس وتضع الوسادة خلف ظهره) قولي له يدخل ولا يدخلن أحد علينا حتى ينصرف عمر ·
(تخرج أسماء ثم يدخل عمر)

عمر : السلام عليك يا خليفة رسول الله ·

ابو بكر : وعليك السلام ورحمة الله · أين كنت يابن الخطاب فقد افتقدتك منذ أمس ؟

عمر : ان الله لايستحي من الحق · جاءتني تجارة من اليمن فشغلتني عنك ·

ابو بكر : فهل انتهيت منها اليوم ؟

عمر : نعم بعتها وربحت · كيف تجدك اليوم يا ابا بكر ؟

ابو بكر : (يظهر الجلد والشدة كأنما قد عوفي من مرضه) الحمد لله اجدني بارئا يا ابن الخطاب ·

عمر : الحمد لله ·· قد ظننت انها وعكة خفيفة وتزول ·

ابو بكر : فاياك أن تغيب عني لذلك ياابا حفص ·

عمر : لن اغيب عنك ما كنت بحاجة الى ·

ابو بكر : انا بحاجة اليك في كل حين · لقد فكرت في أمري هذا الصباح فوجدتني

قد قمت بأعمال لاأدرى ما مكانها عند الله فهل لك أن تذاكرني فيها يا عمر ؟

عمــــر : حبا وكرامة يا أبا بكر .

ابو بكر : هذا الفيء الذى كنت أقسمه بين المسلمين على السواء لاأميز فيه أحدا منهم على أحد فما رأيك اليوم فى ذلك ؟

عمــــر : رأيى اليوم فى ذلك كرأيى أمس . . لايستوى السابقون الى الاسلام والمتخلفون. والله لاأجعل من قاتل رسول الله كمن قاتل معه .

ابو بكر : يا ابن الخطاب ان السابقين انما أسلموا لله وعليه أجرهم يوفيهم ذلك يوم القيامة وانما هذه الدنيا بلاغ .

عمــــر : يا أبا بكر انك سألتنى رأيى فهذا رأيى .

ابو بكر : صدقت فماذا ترى فى خالد بن الوليد ؟

عمــــر : ما خطبك اليوم ؟ انك لتعرف رأيى فيه .

ابو بكر : انى قد انزلتك منزلة نفسى ياأبا حفص، فاذا راجعتنى فكأنما راجعت نفسى .. وحق على من يلى أمور الناس أن يراجع نفسه دائما ويحاسبها .

عمــــر : (كأنما يلحظ نغمة الأسى فى مقال أبى بكر) أف لى ان دعوتنى الى امر فلم ألبك من أول وهلة .. رأيى فى خالد ان فى سيفه رهقا من رهق الجاهلية ، وفى طبعه مافى آل المغيرة من جفاء وكبرياء .

ابو بكر : أكنت تعزله لو كنت مكانى ؟

عمــــر : نعم واعيد امرة جيش الشام الى أبى عبيدة

ابو بكر : ويحك يا ابن الخطاب ان أبا عبيدة لأمين هذه الامة ولكن خالدا اعلم بالحرب منه. ألم تر كيف اذهب الله به وساوس الشيطان عن الروم فى الشام ؟ لقد ظل ابو عبيدة وسائر امراء الاجناد عاجزين امام جحافل الروم حتى قدم اليهم خالد فاستخرج أحسن مافيهم ولم يلبث أن فتح بهم بصرى ثم لقى بهم الروم فى اجنادين وكانوا مائة ألف فهزمهم وهو الآن على أبواب دمشق .

عمــــر : يا خليفة رسول الله .. ان ابن الوليد لسيف من سيوف الله كما نعته بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنه لايصلح أن يكون اميرا على المسلمين وفيهم أبو عبيدة واضرابه .

ابو بكر : ماذا على أبى عبيدة ان يؤمر عليه خالد ؟

عمــــر : وماذا على خالد أن يقاتل تحت امرة أبى عبيدة ؟

ابو بكر : واذا اختلفا ؟

عمــــر : لن يختلفا فى شأن من شئون القتال أبدا فان أبا عبيدة لألين عريكة واكثر تواضعا لله من أن ينازع خالدا فضله .

ابو بكر : (يبتسم ابتسامة غامضة) أما انك لمقيم على رأيك ياابن الخطاب .

عمــــر : ان خالدا لم يتغير فاغير رأيى فيه.. وما أحسبه يتغير أبدا .

ابو بكر : ولم يا ابن الخطاب ؟

عمــــر : ان بنى مخزوم لايستطيعون ابدا ان ينسوا انهم كانوا ريحانة قريش فى الجاهلية فلما جاء الاسلام ذهب بالشرف غيرهم .

ابو بكر : اما انك لشديد على أخوالك ياعمر .

عمــــر : والله ياأبا بكر انى لأحب خالدا واخشى الله فى محاباتى له أكثر مما اخشاه فى تحاملى عليه .

ابو بكر : طب نفسا يا أبا حفص فحسبى هذا منك .

عمــــر : ماذا تعنى ؟

ابو بكر : لقد قصدت امتحانك يا ابن الخطاب فوجدتك كما عهدتك صريحا لا تداجى. ولا تداهن ولا تنافق .

عمــــر : وما أردت الى ذلك ياأبا بكر ؟

ابو بكر : أردت أن أستخلفك يا عمر .

عمـــر : لا تفعل ياأبا بكر .. لاحاجة لي فيها .

ابو بكر : لكن لها بك حاجة ياعمر . اني اخشى أن أموت واترك الناس بلا خليفة فيكون يوم كيوم السقيفة .

عمـــر : فاستخلف أحدا غيرى يا أبا بكر .

ابو بكر : من ذا أستخلف ؟

عمـــر : أستخلف أبا عبيدة فهو أمين هـــذه الامة .

ابو بكر : قد فكرت فيه يا ابن الخطاب ، ولكنى لم أجد فيه القوة التى عندك . انه أمين ولكنى أريد القوى . ان المسلمين اليوم يواجهون الأسدين فارس والروم وانهم لبين طريقين لاثالث لهما . فاما أن يضيئوا العالم بنور الاسلام أو يقضى العالم على نور الاسلام .

عمـــر : الله متم نوره ولو كره الكافرون .

ابو بكر : انما يتم الله نوره ياعمر بعباده الصالحين المجاهدين المخلصين .

عمـــر : يا خليفة رســـول الله كيف تستخلفنى وانت تعلم انى أخالفك فى قسمة الفيء وفى خالد بن الوليـــد وفى اغزاء أهل الردة بعد ان تابوا الى اسلامهم ، وفى أمور غيرها كثيرة ؟

ابو بكر : ويحك يا عمر ان هـــذا ليدفعنى الى استخلافك أكثر مما يثنينى عنه . انى أريد رجلا اذا قال نعم قالها بملء فيه واذا قال لاقالها بملء فيه وانت هو ياعمر .

عمـــر : أوقد نسيت موقفى يوم الردة يا أبا بكر وتخذيلى اياك حتى قلت فى يومئـــذ : اجبار فى الجاهلية خوار فى الاسلام ؟

ابو بكر : هب لى ذلك ياأبا حفص وسامحنى فوالله ماقصدت ان أسيء اليك او أنال منك . ان هى الا كلمة ندت من لسانى ساعة العسرة .

عمـــر : ياخليفة رسول الله انى لست أذكرهـــا الساعة فى معرض العتب عليك معاذ الله فوالله انى لأذكرها وانا بها جـــذل قرير العين ان كانت هى التى بصرتنى بالحق الذى كان محجوبا عنى يومئذ .

ولكنى ذكرتك بها الساعة لعلك تجد فيها مايقنعك بانى لست أهلا للأمر الذى تريد أن تقلدنى اياه . انى والله كلمـــا تذكرت معارضتى لك فيمـــا شرح الله صدرك من قتال أهل الردة وأخـــذهم بالشدة وعدم التفرقة بين من ترك الصلاة ومن منع الزكاة ، اقشعر بدنى من سوء مافعلت . فوالله ياأبا بكر لولا اصرارك على موقفـــك لأكلتنـــا العرب ولذهب الاسلام .

ابو بكر : هون عليك ياأبا حفص . ان كنت أخطأت فى رأيك هذا فانه لايعد شيئا مذكورا فى جنب موافقاتك العديدة . أنشـــدك الله يا عمر الم تقل لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أشياء فلم يلبث أن نزل بها الوحى موافقا لما ارتأيت ؟ الم تقترح عليه صلى الله عليه وسلم أن يتخذ مقام ابراهيم مصلى فأنزل الله تعالى :

واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ؟ .

عمـــر : اللهم بلى ولله الحمد .

ابو بكر : الم تقل ياعمر اللهم بين لنا فى الخمر فانها تذهب المال والعقل فما لبثت أن نزلت آيات تحريم الخمر ؟

عمـــر : اللهم بلى ولله الحمد .

ابو بكر : الم تعترض على النبى صلى الله عليه وسلم فى صلاته على المنافق عبد الله بن أبى فما كان الا يسيرا حتى نزلت : ولاتصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره الآية ؟

عمـــر : اللهم بلى ولله الحمد .

ابو بكر : اما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

قد كان فيمن كان قبلـــكم ملهمون أو محدثون فان يكن فى أمتى منهم أحـــد فعمر ؟

عمـــر : اللهم بلى ولله الحمد .

ابو بكر : والله ياعمر لقد كنت أحق بالخلافة منى يوم السقيفة ولقد مددت يدى اليـــك

لأبايعك ولكنك غلبتني بقوتك وبايعتني فلم يسع المسلمون الا ان يحذوا حذوك فبايعوني بعدك . والله لوددت يومئذ ان استعفى من حملهـا لولا خشيتي ان يشتجر الخلاف بين المسلمين فتكون فتنة .

عمـر : جزاك الله خيرا ياأبا بكر . ان كنت يومئذ لأجدر بها مني ومن غيرى فأنت أفضل .

ابو بكر : الفضل ياعمر عند الله ولكنك كنت أقوى مني وأقدر .

عمـر : أتذكر يا ابا بكر ماذا قلت لك يومئذ ؟ قلت لك ان قوتي لك مع فضلك .

ابو بكر : أجل قلت لي ذلك .

عمـر : فستظل قوتي لمن يلي الامر بعدك مابقيت .

ابو بكر : (يثور محتدا) يا ابن الخطـاب لاتدعني أقول لك اليوم كما قلت من قبل : اجبار في الجاهلية خوار في الاسلام ؟ يا ابن الخطاب والله ان جبنك عن الاضطلاع بهذا الامر لأسوأ من ترددك في قتـال مانعي الزكاة .

عمـر : رويدك ياأبا بكر انى أخشى على نفسى وعلى ديني وآخرتي .

ابو بكر : (ماضيا في كلامه وحدته) ان هذا الامر ليهلك فيه اثنان ياعمر : رجل يطمع في الخلافة وهو يعلم ان غيره احق بها وأقدر عليها منه . ورجل يأباها اذ عرضت عليه وهو يعلم انه أصلح الناس لهـا وأقدرهم عليها تهربا من حمل التبعـة وضنا بكفايته أن يبذلها في خـدمة الناس . يا ابن الخطاب ان الذى يتعرض للنار في خدمة الناس أفضل عند الله ممن يحرص على الجنة في خدمة نفسه .

عمـر : يا أبا بكر بحق الذى بيني وبينك من مودة واخاء في الله الا ماجنبتني الحساب العسير يوم القيامة .

ابو بكر : ويحك يا عمر ان الامـام العـادل لمن السبعة الذين يظلهم الله يوم لاظل الا ظله .

عمـر : (يبكي) ومن لي ياأبا بكر بذلك ؟ من لي بذلك ؟ من لي بذلك ؟

ابو بكر : الله لك بذلك ياعمر . الله لك بذلك . الله لك بذلك .

عمـر : يا أبا بكر انك غدا لن تغني عني من الله شيئا .

ابو بكر : ياعمر ياابن ام عمر ماهكذا يتقى الله حق تقاته . ألم تر ياعمر انما نزلت آية الرخاء مع آية الشدة وآية الشدة مع آية الرخاء ليكون المؤمن راغبا راهبا لايرغب رغبة يتمنى فيها على الله ما ليس له : ولا يرهب رهبة يلقي فيها بيديه ؟ أما انه لو ترك كل ذى واجب واجبه من خشية الله لانقلبت خشية الله الى سوء ظن به . واذن لفسـد الامر وضاعت حقوق المستضعفين وصار الناس فوضى يضرب بعضهم رقاب بعض .

عمـر : أليس في المسلمين من يقوم بها غيرى ؟

ابو بكر : هذا مقطع الحق ياعمر انى محتكم اليك فهل ترضى أن تحتكم الى نفسك ؟

عمـر : اللهم نعم .

ابو بكر : أنشدك الله الذى يعلم مافي نفسك ياعمر هل تعلم في المسلمين من هو أصلح لها منك ؟

عمـر : ما أشك أن في المسلمين من هو أفضل مني ياأبا بكر .

ابو بكر : أجب على سؤالي ياعمر . هل تعلم في المسلمين بعدى من هو أقوى منك على الاضطلاع بولاية أمرهم اليوم ؟

عمـر : (يغالب دمعة تترقرق في عينيه) اللهم لا

ابو بكر : الحمد لله اذن فقد وجبت عليك يا ابن الخطاب . الحمد لله الآن اطمانت نفسى . من رقبتي ياعمر الى رقبتك !

عمـر : الا تستشير المسلمين في ذلك أولا ياأبا بكر ؟

ابو بكر : سأفعل ياأبا حفص . لقد كفيت العقبة الكبرى فكل شيء بعدها هين سهل باذن الله .

قلب الأم
قصة إسلامية
بقلم: حسن فتحي خليل

كان وائل بن حطب ممــددا فى فراشه وحوله بعض خلانه من الصحابة فى عهد الرسول صلى الله عليــه وسلم ، كان وائل يحتضر .. المــوت قاب قوسين منه أو أدنى ، جسده متصلب ، لونه باهت عيناه مغلقتان ، شفتاه مزموتان لا تنفرجان .

مال عليه احد الحاضرين وهمس فى اذنه :

انطق بالشهادتين يا وائل .. قل : اشهد الا اله الا الله واشهد أن محمدا رسول الله .. انطق بهما يارجل لتموت مسلما كما عشت مسلما .

جاهد وائل لينطق ، حاول ان يفرج شفتيه ، حاول أن يهمس بالشهادتين ، حاول قدر استطاعته .. ولكن خانته قواه ، خانه صوته ، اهتز جسده فى عنف ، ازرق وجهه .. ولا جدوى .

ولما اعيت اصحابه الحيل ، ذهب احــدهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله .. ان وائــل يحتضر ولايقــوى علــى النطق بالشهادتين :

فأمر الرسول على بن أبى طالب أن يذهب اليه لعله ينطق بالشهادتين امامه . ذهب على ، وجعل يشجع الصحابى المحتضر حتى ينطق بالشهادتين ، ولكن .. سمر لسانه فى حلقه ومازالت شــفتاه مزمومتين لاتنفرجان ولاتهتزان .. كأنه الأبكم .

عاد على كرم الله وجهــه الى الرســول عليــه الصلاة والســلام واخبره بما رأى ، فــــال النبى (صلى الله عليه وسلم) .

ــ هل له والدان ؟

فقيل له .. ليس له الا ام تقيم بعيدة عنه .

فامر الرسول باحضارها .

ولما مثلت الام بين يديه قال لها :

ــ ان ابنــك وائل يحتضر ، ولايمكنه ان ينطق بالشهادتين ، وستكون النار مأواه .. فهل تدرين ذنبا أتاه فى دنياه يمنعه من النطق بالشهادتين وقت احتضاره ؟

قالت : لقد أساء الى يارسول الله .

قال ــ كيف ؟

قالت ــ كان يؤثر زوجه على .

قال ــ هلا سامحتيه وغفرت له اساءته وهو فى هذه المحنة ؟

قالت ــ كلا .. لن اسامحه او اغفر له .

فكر النبى مليا ، ثم رفع وجهه اليهــا وصــاح فيمن حوله .

ــ احضر الحطب يافلان ، وانت اشعل النار .

فصاحت المراة فى فزع :

ــ ولكن .. لماذا يارسول الله ؟

قال ــ ستصلى ابنك نارا حامية .. ستعذبه ..

فهتفت والدموع تنفجر من عينيها مدرارا :

ــ اتحرق ولدى يارسول الله ؟ اتحــرق فلذة كبدى ؟ لقد سامحته .. عفوت عنه ..

قال الملتفــون حــول وائل أنه فى تلك اللحظــة ذاتها .. كــسا سحنته نور وضاء وانتشرت على وجهه ابتسامة عريضة .. وانفرجت شــفتاه .. وتحرك لسانه .. وخرج صوته ناطقا :

اشهد الا اله الا الله واشهد ان محمدا رســول الله .

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
وزارة الثقافة والارشاد القومى

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

الادارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد – القاهرة

العدد ١٠٥٦ الخميس ٢٦ ذو القعدة ١٣٨٣ هـ – ٩ ابريل ١٩٦٤ م – السنة الحادية والعشرون

الفهرس

الصفحة

أحمد لطفى السيد كما عرفته

بمناسبة ذكراه الاولى

بقلم احمد حسن الزيات



بين السحر والفجر من يوم الثلاثاء الخامس من شهر مارس لسنة ١٩٦٣ حين ينسلخ النهار من الليل ، وينبثق النور من الظلام ، تخلصت روح لطيفة من قيدها المادى الغليظ وصعدت الى مصدرها الاول ومرجعها الاخير : تلك هى روح الاستاذ الفيلسوف أحمد لطفى السيد ، لفظها فى غير قلق ولا الم كما يتسم الطفل النائم الهادىء ... وموت الشيخوخة المطمئنة نقلة روحية سعيدة من فناء منقطع الى بقاء متصل ، فهو موت وحياة فى وقت معا ، كالشمس تغيب عن قوم فتكون غروبا فى

المغرب ، وتطلع فى الوقت نفسه على آخرين فتكون شروقا فى المشرق ، وشيخوخة لطفي السيد كانت ككهولته وشبيبته سلاما وطمانينة ، لم يكدر صفوها حقد على أحد ولا طمع فى شيء ، فكانت حياته الوادعة النافعة اشبه بحياة الجدول السلسل الرقراق تفيض على جوانبه الري والخصب من غير هدير ولا طغيان ولا كدر ٠

كان فى كل أعماله العلمية والادارية والسياسية يستار سيرة العلماء ويستن سنة الفلاسفة لا يقول قولا ولا يعمل عملا الا فى حدود المنطق والخلق والقانون ٠ وكان لعبقريته وبلاغته يرسل القول فيكون مثلا أو حكمة ، ويفعل الفعل فيكون مثالا او قدوة ٠

وكان فى رزانة الحكيم ووقار الحليم يتحدث او يناقش فلا يستفزه نزق جاهل ، ولا يستخفه غضب مكابر ٠ فاذا اشتد الجدل فى حضرته بين اثنين فى مسألة فعلا الصوت واحتد اللسان قال لهما : علام الخصومة والخلاف ؟ فى المسألة رايان فأحدكما من راى والآخر من رأى ، وكان على شفوف بدنه باهر الجلالة ظاهر الأبهة ، لا يقبل اللغو فى مجلسه ، ولا يبالغ فى التعبير عن شعوره ، فاذا ضحك لا يضحك بملء فمه ، واذا عبس لا يعبس بكل وجهه ٠ وانما هى الابتسامة الحلوة فى كل ما يحب أو يكره ٠

وكان اظهر مزايا لطفى السيد حديثه ،فقد كان آخر طبقة شهروا ببراعة الحديث من امثال محمد عبده وسعد زغلول وابراهيم الهلباوى، فانت فى حضرتهم لا تشتهى الكلام لأن لذتك فى أن تسمع ، ولا تثير الجدال لأن همك فى أن تستفيد ٠ ولطفى السيد كان محدثا نقيّ الصوت حلو النغمة متئد الأداء واضح الجرس فكه اللسان متخير اللفظ ٠ فلو ذهبت تكتب ما يقول لكان قريب الشبه مما يكتب ٠ وكان ينثر فى خلال حديثه الكلمة الفرنسية او اللهجة (الشرقاوية) فتكسبه ظرافة ورقة ٠

وكان مجلسه أشبه بمجلس صديقه ارسطو زعيم المشائين فى مماشيه المظللة ، أو شيخه الافغانى امام المصلحين فى قهوته المفضلة ، يتوخى فيه الفائدة واللذة ؛ فسامعه لاينفك راضى العقل ريان العاطفة ٠ وكان بارعا فى سلسلة الحديث سريعا الى اقتناص المناسبة ، فلا تخشى على الحديث فى مجلسه أن يبوخ ولا على الصموت فى حضرته أن يحرج ٠

وكان اسبق معاصريه الى التجديد ، فلم تعرف قبله فى الشرق الفاظ الحرية والديمقراطية والاستقلالية بمعناها المطلق ، واجلى مظهر لهذا التجديد كان فى نزعته السياسية وطريقته الكتابية، ففى صحيفة (الجريدة) التى كانت لسانا لحزب الأمة وكان هو رئيس تحريرها نهج للناس سياسة مصرية خالصة لا تتصل بالدعوة العثمانية ولا بالجامعة الاسلامية ، وفى هذه الجريدة ابتكر أسلوبا للكتاب لفظه قدر لمعناه ووصفه طبق لموصوفه وسبيله قصد لغايته ، فكان مذهبا جديدا جرى عليه الكتاب والصحفيون الى اليوم ٠٠٠ وكان من سبقه الى التجديد أن دعا الى اصلاح الخط العربي وانشاء المجمع اللغوى وتعليم الفتاة المصرية ٠

• • •

قالوا فيه انه استاذ الجيل ، وكان الأصدق الأحق ان يقولوا انه أستاذ أجيال ثلاثة ٠ فمنذ أن صدرت (الجريدة) فى سنة ١٩٠٨ كان فيها وفى ندوتها مصدر توجيه ومشعل هداية ٠ كان يندو الى مجلسه صفوة الشباب والطلاب فيفتح قلوبهم للآراء الجديدة ، ويهيىء نفوسهم للقيادة الرشيدة ، ويجنبهم مزالق التطرف الجامح والتصرف المرتجل ٠ وقرأ لهم منطق أرسطو وسياسته فتخرج على يديه طائفة من الكتاب والمحامين تزعموا الاصلاح وقادوا النهضة ٠ وظلت استاذيته متصلة الاثر من يوم أن خرجت الجريدة الى الناس الى يوم أن دخل عو الى جوار الله ٠ كان فى السنين الثمانى عشرة الأخيرة من حياته الطويلة الخصبة رئيسا لمجمع اللغة العربية فكان لهذه الاستاذية من قوة الشخصية وحضور الذهن وصدق التوجيه وسعة الاطلاع واستقامة المنطق وحدة النشاط الأثر البالغ فى اضطلاع المجمع بعبء رسالته. كان من أفهم الأعضاء لطبيعة اللغة ووظيفة المجمع وحقيقة التطور ٠ يرى كما نرى أن اللغة ملك

للمتكلمين بها لا الواضعين لها ، فهم أحرياء أن يتصرفوا فيها تصرف الوارث فيما ورث يعدل ويكمل وفقا لحالته وطبقا لحاجته ، ففي عهده رد المجمع الاعتبار الى المولد ، وقبل السماع عن المولدين ، وقرب المسافة بين الفصحى والعامية بقبول ما وضع الزراع والصناع والتجار وغيرهم من كل ذي حرفة ٠

كان تفكيره الحر وتجديده الواعي أصيلين في فطرته ظهر اثرهما على رأيه وهو في رونق شبابه ٠ حدثني رحمه الله عن سبب اتصاله بالامام محمد عبده قال : كان الشيخ ينتدب في كل عام لامتحان طلاب الحقوق في السنة النهائية ، وكانوا قد اقترحوا علينا في اختبار الانشاء أن نكتب في هذا الموضوع : (كيف كان للحكومة حق عقاب المجرم) وجعلوا زمن الاجابة عن هذا السؤال اربع ساعات على ما اذكر ، فكتبت المذاهب الأربعة التي قررها العلماء في هذه المسالة ثم عقبت عليها فقندتها جميعا ونفيت أن يكون للحكومة (حق) عقاب المجرم لانها قائمة على القوة لا على الحق واسرفت في التدليل على ذلك حتى ملأت الكراسة ٠ ثم خرجت فذكرت لرفاقي ماكتبت فاكتأبوا وقرروا جميعا اني لامحالة راسب ٠ واشتد من جانبهم اللوم والتقريع حتى ذهب من نفسي كل أمل في النجاح ٠ فلما كان يوم الامتحان الشفوي وقف الشيخ فقرظ موضوعي وكان قد وضع له الدرجة العليا ، ولكنه نصح لي أن اقتصد الآن في هذه الآراء اشفاقا علي ٠ ومنذ ذلك اليوم لزمته ٠

كان أول يوم اتصلت فيه اسبابي بالفقيد العظيم يوم زرته في مكتبه بالجريدة انا وصديقاي طه حسين ومحمود الزناتي نشكوا اليه فصلنا من الأزهر ونحن في السنة النهائية من الدراسة فيه لخلاف ثار بين الطلاب في درس استاذنا المرصفي حول فقرة من خطبة للحجاج رواها المبرد في الكامل ، وكان الخطيب الجرىء قد أساء الأدب في حديثه عن الطواف بقبر الرسول فكفروه لذلك ، وكنا نرى أن سوء التعبير يوجب التعذير ولا يوجب التكفير ، فلما دخلنا عليه هش بنا وبش لنا وسمع منا وسمعنا منه ٠ ثم قال بلهجته الرزينة : ان الأمر أيسر من ذلك ٠ ورفع سماعة التليفون وقال للشيخ حسونة النواوي ، وكان شيخ الأزهر يومئذ ، : ان عندي ثلاثة من طلاب الأزهر فصلتموهم لرأي رأوه ٠ ولعل من الخير الا تقتلوا في الشباب حرية الرأي ما دامت لا تخالف أصلا من أصول العقيدة ولا نصا من نصوص الاحكام، وساله ان يلغي قرار الفصل ففعل ٠ وانصرفنا من عنده وليس احد من رجال الفكر واصحاب البيان احب الينا منه ٠

كانت ثقافة لطفي السيد راسخة الأصل متينة القواعد ، اقام ركنها العقلي على فلسفة أرسطو وافلاطون ،وركنها الأدبي على كتاب الله وديوان العرب ٠ كان يحمل القرآن على ظهر قلبه وطرف لسانه ، يؤديه آية آية كانما يتلو في مصحف منشور ٠ وكان كثير المحفوظ من الشعر يستمده من اوعية شتى ، ويرويه عن أعصر مختلفة ٠ فكنا في مجلس المجمع كلما ند عن ذاكرتنا شاهد من القرآن او الشعر اسعفنا به ، وليس معنى ذلك أنه وقف في فلسفته عند اليونان وفي أدبه عند العرب ، وانما كان يساير الفلسفة في كل مذهب ، ويتابع المعرفة في كل وجه ٠

ولطفي السيد بعد أولئك كله كان حليما رحيما يرتاح للخير ويدل عليه ، ويجنح للسلام ويدعو اليه ٠ وكان لنشأته السرية وبيئته القروية يسمت سمت الارستقراطيين في الهندام والمظهر ، ويقصد قصد الديمقراطيين في المعاملة والسلوك ، وهو الوحيد في علماء العصر الذي طال أجله وحسن عمله ، وجمع بين ثقافة النصف الأخير من القرن التاسع عشر ، والنصف الأول من القرن العشرين ٠

رحمه الله رحمة واسعة ، وعوضنا من علمه وفضله خير العوض ٠

احمد حسن الزيات

الوان

● يقول البحترى لمن اغضبناه بالحق بعد ما اغضبنا بالباطل :

وترت القوم ثم ظننت فيهم
ظنونا لست فيها بالحكيم
فما خرق السفيه وان تعدى
بابلغ فيك من حقد الحليم
متى احرجت ذا كرم تخطى
اليك ببعض اخلاق اللئيم

● فخر ايرخس الشاعر اليونانى على هوميروس بكثرة شعره وسرعة عمله ، فقال له صاحب الالياذة · بلغنا ان خنزيرة بانطاكية عيرت لبؤة بطول الحمل وقلة الولد وفخرت عليها بعد ذلك · فقالت اللبؤة : صدقت ! انى الد الولد بعد الولد ، ولكن مولودى اسد !

● من الايجاز المعجب المعجز ماروى من ان ابا العيناء الأعمى قال لابن ثوابة : بلغنى ما خاطبت به ابا الصقر ، وما منعه من استقصاء الجواب الا انه لم ير عرضا فيمضغه ولا مجدا فيهدمه ، فقال له ابن ثوابة : ما انت والكلام يا مكدى ! (المكدى : من يسأل الناس) ، فقال ابو العيناء : لا ينكر على ابن ثمانين قد ذهب بصره وجفاه سلطانه ان يعول على اخوانه (ثم رماه بكلمة فاحشة) فقال له ابن ثوابة : الساعة آمر احد غلمانى بك .. فقال ابو العيناء : **ايهما ؟ الذى اذا خلوت ركب ، ام الذى اذا ركبت خلا ؟** فانظر فى حذف المعمولين من خلا وركب واستعمال الفعلين فى معنيين مختلفين مع وضوح المعنى تجد سر البلاغة ·

● من عيوب الأداء فى هذه الايام أن المتكلمين وبخاصة مقدمو البرامج فى التليفزيون يقطعون الكلام الى جمل ، والجمل الى كلمات ، والكلمات الى حروف ، ثم يقفون على كل مقطع بالسكون ، ويفصلون بين الكلمة والكلمة ، وبين الحرف والحرف بهذه الأصوات المكرورة المنكرة فيقولون : (آ ، اى ، أو : واواء او : وى وى) فيضيفون الى عيوب المنطق المعروفة من اللعثمة واللجلجة والفأفأة والتأتأة والتعتعة والحبسة عيبين آخرين وهما (اللأوأة) و (الواواة) ·

ابن عبد الملك

البيروقراطى

دكتورة نعمات احمد فؤاد

ان الانسان فى حياته اما ان يكون صاحب مهنة واما ان يكون صاحب فن ، اما ان يكون موظفا حكوميا فعجز ما بعده عجز .. اذ القاعدة ان تكون هناك وظيفة تتطلب موظفا معينا .. هذه حقيقة اما ان يكون المرء موظفا يشغل اى وظيفة فهذا هو العجز .. هو الروتين الذى يعنى تكرار الموظفين لاتكرار الوظيفة .

والموظف الروتينى راكد دائما لايعييك ان تلمح ركوده فى تفكيره وتصرفه بل فى هيئته . ان الكتبة فى الدواوين كما يقول بلزاك فى روايته (الخدمة المدنية) يجدون انفسهم عاجلا او آجلا وكأنهم عجلة مشدودة الى آلة ليس بسببهم من التغيير الا ما يصيب الآلة من تزييت قليل او كثير) .

ان الفنان يطبع القوانين ويخدمها فى تحقيق المصالح اما الموظف فهو الذى تتحكم فيه القوانين وتكبله وتعقده حتى يصبح آلة لها وعبدا ولو نهى وامر وزعم انه يملك المصائر والاقدار .

الموظفون نماذج وانماط والوان .. موظف جلد مخلص يمثل الجد والاخلاص فى انجاز ما يعهد اليه من اعمال ويبتسم العارفون ويذكرونه على سبيل التوعية . بموظف كاتبنا توفيق الحكيم الذى لم يصعد سلم الترقيات الا بعد أن عمل بنصيحة زميله وكدس الملفات على مكتبه يوما بعد يوم ليبدو غارقا الى اذنيه فى العمل حتى اذا انطلى الزور على رئيسه بدا يطالب بمساعدين يخففون الضغط عليه ويصنعون منه بدوره رئيسا فالرئاسة فى مفهوم بعض الموظفين ليست مسئولية وانما مظهر قوامه ان يكون لك مرءوسون . وكلما استكثر الموظف الخبير ببواطن الامور من المرءوسين كلما كبرت رئاسته وزادت اهميته فيطلب لنفسه الدرجات مطمئنا بما لديه من اسباب ظاهرة للعيان طبقا لقانون باركنسون الشهير ٧ = ١ ففى كتابه (جدول الضرب فى حساب النجاح) بعد ان تمدد الموظف الذى رمز له بالحرف ا حتى صار سبعة — اخذ باركنسون يفسر كيف يقوم سبعة اشخاص بالعمل الذى كان يؤديه فرد واحد فالوثيقة الواردة الى

المكتبيجبان تعرض على كل منهم بالدور ، فالموظف « هـ » يقرر انها من اختصاص « و » الذى يعد مشروع الرد عليها ويرفعه الى « ج » الذى يدخل عليه تعديلات حاسمة قبل ان يستشير « د » وهذا الاخير بدوره يطلب من « ز » ان يتولى الموضوع ولكن « ز » عند هذه النقطة يقوم باجازة ويسلم الملف الى « ج » الذى يعد مذكرة وقعها « د » واعادها الى « ج » الذى يراجع مشروع رده طبقا لذلك ويقدم الصورة الجديدة الى « ا » الذى يوقع على الاوراق دون قراءتها لانه مشغول بمسائل كثيرة كالعلاوات والتنقلات والترقيات .

الموظفون نماذج وانماط والوان .. موظف فنان يحب عمله ويتعشقه فهو يعطيه من نفسه وهو يلمسه هنا وهناك فتتم اللمسات عليه وفى هذا وحده رضا نفسه والجزاء ...

وموظف تسعى الرئاسة اليه من حب الناس ومحض اختيارهم وتعتقد له من كفاءةوماض زاخر .. فهو لكل ، رئيس ووالد ومثل اعلى يحترمه مرءوسوه ويحبونه معا . يرضون عدله لثقة فيه ويرتضون حزمه لتقدير له ومكانة فى النفوس .

وموظف يضيق اهابه بالوظيفة فينسلخ منها ليتنفس الهواء ملء رئتيه ويعب الضياء ملء عينيه وينطلق فى التعبير عن نفسه بارادة كاملة وحرية مختارة ، وهنا تحضرنى صورة اديبنا الاستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى الذى هجر التعليم الى الصحافة بلا تردد يوم اريد به تصغير .. او ما حسبه كذلك ...

وموظف فيلسوف يستنفد وظيفته ولا تستنفده فيستخرج منها حيوات كثيرة ويختزن منها معانى كبيرة ويبتدع منهافنونا جميلة وكم ملاالمازنى والحكيم ويحيى حقي الكتب مستمدة من وظائفهم .

وهناك فئة من الموظفين نترك الحديث عنهم للكاتب موروبيرجر الذى يصورهم فى كتابه (البيروقراطية والمجتمع فى مصر الحديثة) اصدق تصوير .. وحين يتحدث موروبيرجر عن محيط موظفى الحكومة المصرية يقول وكأنه يحكى عنا (المفروض فى المكاتب الحكومية هو ان يؤدى الموظف الكتابى ست ساعات عملا للدولة ، ولكن الواقع انه يضيع اربع ساعات منها ـ كما سنرى ـ فى المحادثات وحكاية القصص القصيرة والمنازعات فى الشئون التافهة اما الدسائس فى المكاتب فتستغرق اكبر هذا الوقت الضائع ...)

اما آفة المكاتب جميعا فالموظف البيروقراطى ... والبيروقراطية عند بعض الناس وظيفة عملووظيفة وجود ايضا .. انهم لايجدون انفسهم الا فى الوظيفة فاذا غادروا جدرانها او مكانها الجغرافى تاهوا فى الزحام .. غدوا اشياء او لاشيء .. فهم لهذا يعطونها من الاهمية مايفوق حقيقتها .. لتعطيهم بدورها اهمية لايستحقونها .

والموظفون البيروقراطيون نماذج وانماط والوان فموظف عاش عمره فى الظل بل فى العتمات نكرة لايأبه به مكان او زمان .. ليس له فى مواكب الناجحين الا حسرة تلهث فى غبار الركب لتعود ادراجها اليه فى الاحلام .. فى الظلام .. ويتسمح الزمن فجاة فينقل هذا الموظف عمدا او مصادفة من الظل الى النور فتعشي عيناه .. وهو بعد ان تتعود عينه الرؤيةيحاول ان ينسي ماضيه فيتذكره .. وما ان يتذكره حتى ينعكس هذا فى تصرفاته ، وكلامه ، وسلامه ، وآرائه فى الحياة والناس .. فاصحاب المواهب ادعياء لايفقهون وهو وحده الرجل العملى الخبير .. وينسي المسكين ان اولئك هم السعداء الذين يتمتعون باعمالهم ، وقليلون كما يقول هكسلى هم الذين يكتسبون معيشتهم من اعمال يتمتعون بها حين يقف هو فى طابور الذين يتكلمون وليس لديهم كما يقول هكسلى ايضا حب الالفاظ او البراعة فى استعمالها بشكل فعال فهى على شفاههم خرساء بلا موسيقى بلا رنات الفاظ فقر لاتعطى الفاظا لاكيان لها تولد متبخرة ، ولكن الموهوب لسانه تطبع كل شيء يأتيه .. الفاظه ... اشاراته تصرفاته ، فهو بكل مافيه صديق تعتز به الحياة والناس .. ولكن صاحبنا لا يلوح عليه الاقتناع .. ان المسألة عنده مسألة وقت .. انه يستطيع ان ياتى مثلهم لو ان المسئوليات الضخمة التى تتجمع على اكتافه خلت عنه قليلا لتفسح له فى الوقت .. ولكن آنى له هذا ومرءوسوه صغار الموظفين ، اى زملاؤه سابقا ، كسالى لايحسنون شيئا فهو يراجع كل صغيرة وكبيرة ليطبع كل شيء بخبرته الفائقة ويمهر كل سطر بمداده الاحمر .. والويل لمن يضيق بتحويره وتبديله وتفاهاته وتعاليه .

مثل هذا البيروقراطى يريد ان يركز كل شيء فى

يده ليكون قطب المصلحة وغاية المراد من رب العباد تصب في حجرته الاوراق وحاملوها انه كما يقول بيترميلاو في كتابه (البيروقراطية في المجتمع الحديث) ممن يشعرون باغراء دائم باستخدام سلطتهم لا لمصلحة المنظمة فقط بل لمصلحتهم هم ايضا ، اما لتسهيل عملهم واما لاشباع رغبتهم في التسلط على غيرهم . وتستحكم هذه العقدة فيستدعي الموظفين اثر وصوله الى مكتبه الواحد بعد الآخر لاتفه الاسباب حتى يثبت لنفسه رياسته وحتى يوفر لنفسه مظهرا لائقا اذا اقبل الزوار .. الحقيقة .. انني اجد سرورا كبيرا في أن يشترك معي مورو بيرجر في رسم الصورة حيث يقول (ويجد الزائر عندما يدخل مكتب الموظف الكبير عادة عددا من الزوار يكلم بعضهم بعضا بصوت خفيض وهذا ما يجرى في المكاتب الحكومية ولذلك قد لا يوجد مجال للحديث الخاص فيها اذ يشغل الموظف نفسه بثلاثة او اربعة موضوعات في وقت واحد ويتحدث مع ثلاثة او اربعة زائرين او زملاء يقفون او يجلسون حول مكتبه) .

والبيروقراطي عدو المبادأة والخلق والتصرف وكل ما من شانه أن يميز شخصية صاحبه.. انه لا يطول الا بجانب شيء يدار كالآلة ويسير كالتابع هربا من المسئولية ، وخوفا من الخطأ ، ومن الوان التأديب الخاص ، وفي النهاية من التأديب العام ، اي التقارير الدورية والفرق بعيد كما يقول بيترميلاو بين النظام الصارم الذي يفرضه الموظفون على انفسهم باختيارهم ، لانهم يدركون أن عملهم يتطلب التقيد بمقاييس صارمة في تسيير الاعمال وبين الضيق المستمر بعجزهم الناتج عن الاحكام التافهة التي يشعرون بانها تفرض عليهم اعتباطا .

رأيت بعيني هذا المشهد العجيب :

— اعد كتابة هذا الخطاب .

— هذه هي المرة العاشرة التي اعيده فيها .

— اتكن العشرين ..

— هل من جديد يقتضي الاعادة ؟

— الم اقل لك ردا على خطابكم الوارد **بتاريخ** كذا ؟

— (وما الفرق بين الوارد بتاريخ) المطلوبة ، و (الوارد في ...) المكتوبة ؟

— فرق كبير يا اخي انا دقيق .. انا احب المسئولية .. ؟

ويبتسم الموظف الصغير في خبث مكتوم ويقول :

— ولكن سيادتك في الاعادة الخامسة طلبت ان تكون الصيغة : (الوارد في تاريخ) ..

ويتحرج موقف البيروقراطي محب الدقة والمسئولية فينظر الى موظف يعرف مدى مجاراته له وتزلفه اليه فيقول وهو يحاول أن يسترد ما ناله صاحبنا (اللمض) من الهيل والهيلمان :

— ما هذا الاسلوب ؟ .. انه اسلوب ...

ويضحك التابع الامين ملء شدقيه ثم يزج الضحكات في حلقة لتهز كتفيه حتى تعبر (الحركة) اكثر من استلطافه لرئيسه البليغ .

— ياسلام ياسعادة البك لو جاز الا نخطيء لتعمدنا الخطأ لنستفيد من تصحيحك . الست مدرسة لنا نحن تلاميذها ؟

وتنفرج اسارير الموظف الكبير وكأنما خف عن كاهله ثقل ينوده وينظر شذرا الى الموظف المجادل الذي ينظر بدوره شذرا الى (التلميذ) التابعة .

والحقيقة ان هذا الرئيس النسبي في حاجة الى عصبة تداهن وتتزلف وتضع نفسها في خدمته داخل المصلحة **وخارجها** اذا لزم الامر لتعزز ثقته بنفسه ولتعوضه عما يريقه من ماء وجهه اذا واجه رئيس المصلحة طبقا لنظام التسلسل الرياسي الذي اشار اليه الفرد ميلنر في كتابه (انجلترا في مصر) .. وهذه الفئة لا تتورع في سبيل تأمين مصالحها عنده من التردي في أي هاوية من مهاوي الاخلاق .. وهكذا يمضي الامر ... اصطناع متبادل ومصالح متبادلة .

وكثيرا ما يتصرف البيروقراطي في محيطه تصرف (الخولي) في (العزبة) — سابقا — انها حقيقة ليست ضيعته ولكنه كل شيء في نظر الفلاحين ... ارادوا أم ابوا .. ولا بد لكل خولي من اعوان .. حبيبين يرون بعينه ويسمعون بقدمه اعوان مسيرين يتواطأون ولا يناقشون وغالبا ما يفضل أقاربه فيحيط نفسه بهم .. ويؤثرهم بالمغانم ويمد لهم في الحبل ويجعل من منطقة نفوذه لهم مأوى ومرتعا .. وهي كبيرة لابد لها من تغطية ، وهنا يحسب المخرج في التشدق بالنزاهة واصطناع الحرج مما لا يحرج .

وكم في محيط البيروقراطية من قصص ووقائع اغرب من الخيال .

دكتورة
نعمات احمد فؤاد

ثقافتنا

للدكتور محمد أحمد خلف الله

- ٢ -

تحدثنا اليك فى المقال السابق عن الثقافة باعتبارها واقعا تاريخيا ، اى من ماضينا الثقافى . وتحدثنا اليك ايضا عن الثقافة باعتبارها واقعا اجتماعيا — اى عن حاضرنا الثقافى . ونريد اليوم ان نتحدث اليك عن الثقافة باعتبارها واقعا تربويا — اى عن مستقبلنا الثقافى .

وحديثنا السابق كان يدور حول العناصر المكونة للثقافة وكيف يمكن تحليلها ومعرفة العلاقات او النسب القائمة بينها . اما حديثنا اليوم فلن يكون على الشاكلة السابقة ذلك لأننا نتحدث عن المستقبل ، والمستقبل لم يقع بعد . ومن هنا اصبح حديثنا عن مستقبلنا الثقافى حديث من يصنع تركيبا ثقافيا يصلح للمستقبل ، وليس **تحليلا ثقافيا لما قد كان ، او لما هو كائن .**

والسؤال الذى يطرح فى هذا الموقف هو : هل من الممكن حقا ان نصنع تركيبا ثقافيا ، مكونا من عناصر ثقافية ، داخل خطوط رئيسية تشبه تلك التى تحدثنا عنها فى المقال السابق ؟

ان الثقافة هى دستور الحياة فى المجتمع ، فهل نستطيع وضع دستور للحياة فى المجتمع الذى ننشد ؟

يقول الكثيرون نعم ! اذا استطعنا أن نتصور مجتمع المستقبل ، واذا استطعنا ان نحدد اهداف الحياة فيه .

لقد جاء الميثاق ليكون دستور العمل الثورى — اى ليكون دستور الحياة فى المجتمع الجديد . ذلك المجتمع الذى يجعل اكبر همه فى انقاذ الانسان من الاعداء الثلاثة — الفقر ، والمرض ، والجهل — وفى انقاذه من الظلم الاجتماعى ، والاضطهاد العنصرى . وفى انقاذه من حتمية الحروب . وفى اشعاره بانسانيته وكرامته .

ولقد اصبح من السهل علينا بعد ان نقف على صورة المجتمع الجديد كما جاء بها ميثاق العمل القومى ان نبحث عن الآراء والافكار التى تدفع عجلة الحياة فى هذا المجتمع الى الامام ، وبسرعة فائقة .

ان جيلنا هذا هو الحد الفاصل بين عهدين : عهد الكساد والخمول ، وعهد النشاط والحضارة ولقد شرعنا فى بناء نهضتنا ولن تستقر هذه النهضة وتؤتى ثمارها الا اذا كانت منبعثة حقا عن فكر جديد قادر على تجديد الحياة ودفعها بقوة الى الامام .

هذا الفكر الجديد لابد وأن يكون متصلا اتصالا وثيقا باحتياجاتنا الحقيقية والا ظل بعيدا عن الحياة ، لايؤثر فيها ، ولا يدفعها الى امام .

ان الافكار حين لاتلبى حاجة تظل كذلك الرصيد الذى يوضع فى المصارف او المخازن لاينفع نفسه ولا ينتفع به الناس .

اننا فى حاجة الى افكار جديدة نستطيع ان نحيلها الى نشاط انسانى قادر على ان يجدد الحياة ويبعث فيها الروح . وتلك هى الخاصية الاولى التى يمكن الحرص عليها فى خلق ذلك التركيب الثقافى .

وهذا الفكر الجديد يجب ان يصل الى كل مواطن فى اى طرف من اطراف هذا الوطن . فلقد مضى ذلك الزمن الذى كانت الثقافة فيه قاصرة على طبقة دون طبقة . أو قاصرة فيه على سكان المدن دون سكان الريف .

ان الثقافة يجب أن تكون للجميع . هذا ما نادى به الميثاق حين قال بأن الثقافة للجميع . وهذا ماقصد اليه الرئيس جمال عبد الناصر حين نادى بشعبية الثقافة .

ان الأساس الشعبى فى الثقافة قد اصبح حقا لكل مواطن بعد ان اعترفت المجتمعات الحديثة بحق كل انسان — مهما يكن لونه وجنسه — فى التعلم والتثقف .

والأساس الشعبى اذا كان حقا لكل مواطن فهو ايضا واجب على كل مواطن . واجب عليه بالنسبة للمجتمع الذى يعيش فيه من حيث أن تقدم كل مجتمع رهن باستغلال موارده ، وتنظيم ذاته ، وليس يخفى أن تقدم الامم يقوم فى الكثير الغالب على قدر ثقافة عمالها الفنيين .

والاساس الشعبى اذا كان حقا لكل مواطن ، واذا كان واجبا على كل مواطن بالنسبة للمجتمع الذى يعيش فيه ، فانه ايضا واجب يمليه حب التقدم فى الميدان الثقافى نفسه .

ان الانتاج الثقافى يكون دائما من جهد الموهوبين من المثقفين . والموهوبون لاينحصرون فى طبقة دون طبقة ، ولا فى فئة دون فئة ، وانما يبرزون من صفوف المجتمع . ولا يبرزون عادة الا اذا أتيح لهم المجال للظهور .

ان الانتاج الثقافى لايكون حيا متجددا الا اذا غذى بالمواهب الجديدة تنصب فيه من منابع المجتمع المختلفة .

والثقافة الشعبية الملبية لاحتياجات المجتمع لابد وان تكون ثقافة علمية والا ظلت ثقافة بدائية دافعة الى التخلف لا الى التقدم .

ان الثقافة البدائية تكون دائما فى مستوى دون مستوى العقل ، وان الانسان حين يكون فى هذا المستوى يقف عند حدود ارضاء الغريزة ، ويكون عقله تحت رحمة الغريزة ومسخرا لخدمة اهدافها

وان الثقافة البدائية تكتفى فى بعث النشاط الانسانى بوصفات عملية ، ولا تهتم ابدا بالقوانين العلمية ، والنظريات الاجتماعية ، والقيم الانسانية الصالحة لجميع المواطنين

يجب أن يدفع العلم النشاط الانسانى الى امام . ويجب أن يسيطر العقل البشرى فى كل المجالات .

ان المجتمعات الحديثة تقوم على الثقافات الاختصاصية ومن اجل هذا تقوم بانفاق الاموال الضخمة فى سبيل انشاء مؤسسات البحث العلمى، وفى سبيل تعزيز العلوم التطبيقية .

ان المعرفة العلمية هى السبيل الوحيدة للتقدم فى تنظيم المجتمع ، واستثمار موارده ، وتوزيع الانتاج فيه توزيعا عادلا .

ثم ان الثقافة العلمية هى الوسيلة الوحيدة التى تهيىء للمواطن أن يكون عاملا منتجا ، وتشعره بالكرامة الانسانية من حيث يعتقد انه وهذه حاله يكون مفيدا لنفسه ولمجتمعه ، وان مجتمعه لا يستطيع الاستغناء عنه .

ان العمل الفنى القائم على التخصص وعلى الثقافة العلمية يكون بالنسبة للفرد ، وسيلة لكسب عيشه وبناء مجده . ويكون بالنسبة للمجتمع وسيلة للمحافظة على كيانه واستمرار نموه .

ان الثقافة فى هذا العصر الذى يخضع فيه التطور الانسانى — فى اتجاهه ، وفى سرعته — للعوامل الصناعية ، ولاعتبارات القدرة الانتاجية، لايمكن ان تحدد خصائصها مالم يكن فى اعتبارنا دوما أن الثقافة العلمية تكمن دوما خلف العوامل الديناميكية . وان هذه العوامل هى القادرة على تشجيع التنمية والاسراع بحركتها .

العلم اساس من اسس ثقافتنا المستقبلة ما فى ذلك ريب . والعقل الانسانى هو الذى يستطيع ان يحيل التجارب الانسانية فى ميدان الحياة الى قوانين علمية ، ونظريات اجتماعية ، ومن اجل هذا يجب ان تحترم ثقافتنا المستقبلة العقل ، وتنزله منزلته الكريمة .

ان العقل هو الذى يجوب الآفاق باحثا عن الحقيقة وهو الذى يعمل دائما على ان يسخر هذه الحقيقة لخير الانسانية .

انه القوة الحقيقية الباعثة على التقدم الصحيح. ومن هنا يجب ان نستحثه حتى يخلق من عنده ، ويحول بيننا وبين أن نكون عالة على الآخرين .

ان أكبر تجربة منى بها العقل العربى انه كان يكتفى بالاستفادة دون ان يبذل جهدا او عناء .

لقد كانت الافكار تجيئه من الخارج . والادوات المصنوعة تجيئه من الخارج ، وكان فى كثير من الاحيان يستهلك دون ان يفهم . ومن هنا كانت البلبلة ، وكان ذلك النوم العميق .

يجب ان نستفيق وان نقدر للعقل سلطانه ، ونمنحه من الحرية مايساعد على استخدام هذا السلطان . وهذا لن يكون الا اذا آمنا بان لكل مواطن ، وكل انسان ، شخصية لها حرمتها وكرامتها . وان اى افتئات على هذه الشخصية بحرمانها من اى حق من حقوقها هو امتهان لها ، ووصمة فى جبين المجتمع .

ان مجتمع المستقبل مجتمع يتساوى فيه المواطنون بالفرص ، فلا يستاثر فيه فرد بفرد لانهم

مع العقاد

بقلم : على الجندى



قد يعجب القراء اذا قلت : انى لم أشرع فى رثاء الفقيد العظيم حتى اليوم !! ذلك انى لم أستطع أن اقنع نفسى بوفاته !! مع انى شيعت جنازته وبكيت عليه بالدمع الغزير السخين !! • وحين أصغى الى صوت الحقيقة المرة ، ويشدنى الواقع اليه بامراسه الخشنة ، يغيم الأسى على أفقى ويغشى الهم بصيرتى ، وتصدع الحسرة كبدى، فامضى فى دوامة من الذهول لا اقر معها على قرار !! • واذا استنجدت بايمانى على الشك ، ونضحت حر المصاب ببرد العزاء ، وفاء الى رشدى العازب ، وعقلى الشعاع ، وهممت برثائه، تمثل لى العقاد بحـرا لجيا لا ساحل له ، وطودا ساحقا متصلا بالسماء ، فاعيانى بالسبح فى هـذا العيلم الخضم ، وبالتصعيد فى هذا الجبل الأشم !!

فان قدر لى يوما ما ان أستيقن أن العقاد الجبار العملاق قد طوته المنية! ! وأن اللوعة عليه قد خنست ورسب سعيرها فى الأعماق ، واستحالت الى ذكرى هادئة لينة موحية !! وان الانبهار بهذه الشخصية العبقرية الفذة قد خف ضغطه على مشاعرى ، فانفتحت عيناى على بعض جوانب هذا الانسان ، الذى لا يحصى سماته انسان ، امكن ان ارثى العقاد ، والله المسئول أن يعيننى على أداء هذا الواجب الحتم !!

والآن يطيب لى أن اتحدث عن علاقتى بالعقاد فاقول : فى سنة اربع وعشرين كنت طالبا بمدرسة دار العلوم ، وكان للطلبة مطالب لدى وزارة المعارف ـ كما كانت تسمى فى هذا الوقت ـ فكتبت مقالا جريئا فى ذلك ، وذهبت الى جريدة البلاغ لسان حال الوفد اذ ذاك لنشره بها ، فلم أجد المرحوم الأستاذ عبد القادر حمزة صاحبها ورئيس تحريرها، فاحالونى الى نائب التحرير المرحوم الأستاذ العقاد ، فهش لى وبش بى ، لأنه ـ رضوان الله عليه ـ عرف بحبه لهذه « الدار » ، والاشادة بها ، والدفاع عنها !! ثم قرأ المقال مستأنيا حتى وقف على عبارة فيه فضحك وخط تحتها خطا ، وقال : جراءة غير مستغربة من أبناء دار تتزعم المظاهرات !! ولكن اخشى ان تحول هذه الجملة دون تحقيق مطالبكم ، كما اخشى أن يمسك منها سوء !!

وكانت هذه أول مرة القى فيها العقاد وجها لوجه !!

وودعته ـ رحمه الله ـ شاكرا !! ولم أحاول بعدها أن أتصل به من قرب أو بعد ، وان عشت فى علمه وأدبه المتعدد الزهر والثمر !!

كلهم متساوون فى الجوهر ، فى مواطنتهم وفى انسانيتهم .

هذه القيمة يجب أن تركز عليها الثقافة الحديثة اهتمامها . يجب أن يحترم الانسان لأنه انسان لا لأنه ابن فلان ، ولا لانه فى عمل يدر عليه من الربح اضعاف مايدر على الآخرين .

يجب ان يعتبر الانسان غاية فى ذاته، وشخصية تفرض له الاحترام وتستوجب التنمية والاغناء .

انسانية الانسان هى العنصر الخالد فى كل ثقافة، ويجب أن تكون عنصرا هاما من عناصر ثقافتنا المقبلة وتبقى بعد ذلك صفة أخيرة من صفات ثقافتنا المستقبلة ، هى أن تكون مرتبطة بماضينا ، مرتبطة بالجانب الحى من ذلك الماضى . ذلك لأن فى كل ثقافة عناصر خالدة صالحة لأن تكون أساسا طيبا فى ثقافة المستقبل ، وتربة صالحة لاستنبات الافكار الثورية الجديدة . وفى كل ثقافة عناصر اصبحت غير صالحة للحياة عناصر تعتبر من علامات المرض لاعلامات الصحة . ونحن حين ننادى بارتباط ثقافتنا المستقبلة بثقافتنا الحاضرة او الماضية انما نقصد التربة الصالحة للاستنباط ، والعناصر الصالحة للخلود .

دكتور

محمد احمد خلف الله

ومضت الأيام تباعا حتى كانت سنة ثمان وأربعين ، فقدمت ديواني الأول ، أغاريد السحر ، الى المجمع اللغوى لنيل بعض جوائزه ، ولم أكن أخشى من شعراء المجمع المحكمين غير العقاد !! لأن الذى لا يعجبه شعر شوقى حرى ألا يعجبه شعر الجندى فى صباه الأول !! ولكن راعنى أن العقاد هو الذى أطرانى وظاهرنى ودرأ عنى الحيف الذى كان يراد بى ، ففزت باحدى الجائزتين الأوليين !!

ومع ذلك لم أتصل بالعقاد من قرب أو بعد حتى كانت سنة سبع وخمسين ، فعينت عضوا فى لجنة الشعر بالمجلس الأعلى ، ولا يمكن تعيين عضو فى اللجنة بدون رضاء العقاد ، لأنه لم يخلق حتى موت العقاد من يمضى حكمه على العقاد !!

ولا أنكر أننى اغتبطت بذلك ، ولكننى كنت أخشى الاختلاف مع رجل أحبه وأجله وأحرص على مسالمته!! فقد صورته الخصومات المختلفة عنيفا غليظا مستبدا متعاليا ، وهو براء من كل ذلك !!

وقد رحب بى – طيب الله ثراه – بكلمة باسمة رقيقة رددت عليها شاكرا !! وأمكننى فى هذه الحقبة التى سعدت فيها بعشرته عن كثب أن ألم ببعض الصفات الأصيلة النبيلة فى هذا الرجل المثرى من كل شىء حسن !! **حتى كأنه المعنى بقول أبى نواس :**

وليس على الله بمستنكر
أن يجمع العالم فى واحد

ويقول المتنبى :

تجاوز قدر المدح حتى كأنه
بأحسن مايثنى عليه يعاب

عرفت العقاد انسانا طيب النفس ، سليم دواعى الصدر ، ناصح الجيب ، أبيض السريرة ، سريع الفيئة الى الصفح والرضاء ، يحمل فى هذا الجسم الجسيم قلب طفل وديع !!

عرفت العقاد – برغم مظهره – الرهيب المهيب – رقيق الوجه ، أكثر حياء من العذارى العواتق المقصورات فى الخدور !!

ولكنه حياء القوى القادر ، المهذب الجليل الكميل !! حياء الأسد المزعفر الخادر فى عرينه !!

وليس حياء الوجه فى الذئب شيمة
ولكنه من شيمة الأسد الورد

عرفت العقاد متواضعا كل التواضع ، ولكنه تواضع العظماء العلماء الحكماء ، النازلين منازل الكرامة ، العارفين بأقدار نفوسهم .

تواضع لما زاده الله رفعة
فكل عظيم عنده متواضع
تواضع ايمانا بقيمة نفسه
ونفس كبير النفس لا تألف الكبرا

فكان أبا رحيما ، وأخا كريما ، وصديقا حميما لكل عضو من أعضاء اللجنة !! يفتقدهم اذا غابوا ، ويفاكههم اذا حضروا ، ويشاطرهم أفراحهم وأتراحهم !! وما رأيته قط سلم على واحد منهم – وهو جالس – ولو كان يشعر بالتعب والأين والسقم !!

وكان يحتم عليه تواضعه أن يقرأ علينا كل ما يلقيه من نثر وشعر باسم اللجنة فى المهارج والمناسبات المختلفة !!

وكان لا يأبى أن يسأل أعضاءها عن صحة بعض الكلمات ، مع أنه كان من حفاظ اللغة وسدنتها وحججها !!

وكان رأيه بيننا كرأى أحدنا !! وكان كثيرا ما ينزل عن رأيه اذا رأى غيره أفضل !!

عرفت العقاد منصفا كل الانصاف ، فقد أقر جائزة « شوقى » مغتبطا مبتهجا ، واختار لها الموضوعات التى تناسبها ، وكان حريصا كل الحرص على أن تصرف فى العام الذى قررت فيه تكرمة للشاعر !!

وهو الذى اقترح على فى مهرجان شوقى أن أتكلم عن الفنون البلاغية فى شعره ، وقد دافع عنه فى بعض ما أخذته عليه ، مع أن الحق كان بجانبى !!

وحينما رأى بعض الأعضاء أن شعر أستاذنا « عبد المطلب » لا يناسب الترجمة الى اللغات الأجنبية عز عليه ذلك ، فأشار بترجمة قطعة من « علويته » .

وحين سجلنا أسماء الشعراء المصريين ، ضم اليهم أسماء أخرى ليست لها نباهة ، ولم يكونوا معه على وفاق فى حياتهم !!

وكان يهتز من فرق الى قدم ، ويطفح وجهه بشراء حينما يسمع شعر الشبان الممتازين ، ويثنى عليهم ، ويغالى فى تشجيعهم !!

نعم ، كان ـ نضر الله وجهه ـ منصفا ، ولم يكن ممن يحمل البغض والحقد ، لانه لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ـ كما يقول عنترة ـ !! ولكنه كان يكره الشبان الملحدين ، والمتحللين والهدامين ، والمغرورين والمتكبرين !!

وانى رايت الضر احسن منظرا
واهون من مراى صغير به كبر

وكان لا يطيق أن يرى انسانا يستبد برأيه ، أو يريد فرض رأيه ، أو يرى باطلا يحيا وحقا يموت !! فيتفجر بركانا يقذف بالحمم اللاهبة !!

أما علاقتي به فكانت تزداد كل يوم توثقا ، وكان من أسباب الألفة والتقارب اتفاقنا فى كثير من المشارب التى تنزع الى البيئة الصعيدية ٠

كان اذا رآنى يهتف بلهجته المعروفة المحببة الناضحة بالطيبة : أهلا بالجندى المعروف !! فأجيب: بل المجهول !! فيرد : بل المعروف !!

وكان حين يرانا : صديقى الشاعر محمود عماد وأنا ـ ومكانانا متجاوران فى اللجنة ـ يبدو عليه الفرح والسرور ، فيقول : العماد والعميد !!

وقد أهدى الى بعض كتبه محلاة بكلمات تملأ من قيلت فيه زهوا وفخرا ، لأنهـا صادرة من جهبذ صيرفى أحوذى ألمعى !! كالشاعر البليغ والمربى الحكيم الى غير ذلك !!

وقد وعدنى ـ أسكنه الله جنته ـ بتقديم بعض كتبى !! وقال عن قصيدة الشاعر باكثير وقصيدتى اللذين أنشدنا فى مهرجان الشعر الخامس بالاسكندرية انهما من القمم العالمية !! ٠ وكان اذا أعجبته بعض كلماتي يقول :

هذه بضاعة خاصة بدار العلوم !!

وقد تفضل فى بعض المناسبات فشرف منزلى بالزيارة ، ومن الندرة أن يفعل ذلك لنفاسة وقته وضيقه !!

وفى بعض أوباتى من دمشق أهديت اليه علبة متواضعة من « البنبون » وصادف ذلك عيد ميلاده السبعينى ، فبعث الى رسولا خاصا يحمل الأبيات الأربعة الآتية مصدرة بهذه الكلمة : الى الشاعر العالم المعلم !! وتحتها :

الى « الجندى » حارسنا الأمين
وحامى حوزة الأدب المبين
واكرم من أذاق الصحب حظا
من « البنبون » أو حلوى الفنون
اذا ادركتها سبعين عاما
فجاوزها الى عدد المئين
قرير العين ، وضاح الجبين
طويل الباع ، منبسط اليمين

وهنا شعرت بان العقاد العظيم الكريم اثقلنى بالديون !! حتى أصبحت خائفا منها على عنقى ٠٠ كما يقول ابو نواس ـ !! فاهتبلت هذه الفرصة ، ورددت على مقطوعته الرائعة بقصيدة تخلصت منها الى مدحه أداء لبعض حقوقه على !! واعتمدت على أن تكون من البحر والروى ، قلت فيها :

حلفت بكل ما آمنت جهدى
ولم احرج ، ولا حنثت يمينى
بانك يابن « محمود » السجايا
عديم المثل ، مفقود القرين
رزقت البسطتين : فمن قوام
كعالية الردينى السنين
ومن فكر ـ على العلات ـ صاف
صفاء السلسل العذب المعين
له عين وراء الغيب تجلو
عليه كل مستور كنين

وختمتها بهذا البيت

بقيت مع الزمان على صفاء
تعد سنو حياتك بالمئين

ولكن ـ وأسفا ـ لم يستجب القدر دعائى !! ومات العقاد حين رجونا له الحياة !! فكان موته مصداقا للأثر الشريف : « ان الله لا ينتزع العلم من الصدور انتزاعا ، ولكن ينتزعه بموت أهله » !! ومصداقا لقول ابن عباس ـ حين دلى زيد بن ثابت فى حفرته : ـ من ساءه أن يرى كيف يموت العلم فهكذا يموت العلم !!

على الجندى

شيخ تهابه الملوك

بقلم : محمود الشرقاوى

فى ليلة عيد :

كان الناس فى مدينة «قوص» بالصعيد يسيرون خفاف الحركة فرحين باستقبال عيد الفطر يسرعون فى نقل دقيق العيد من الطواحين الى بيوتهم لعمل «الكعك» حيث خرج عليهم الشيخ الكبير أبو العطايا مطيع يلبس طيلسانا ناصع البياض يسير الى المسجد فوقف واحد من الظرفاء يقول لمن معه :

ـ انظروا .. كان شيخنا عجن طيلسانه معدقيق العيد ! .. وضحك الناس ولم يغضب الشيخ .. واصبح هذا لقبه ولقب ابنه وذريته من بعده .

وكان الشيخ ابو العطايا هذا اكبر علماء «قوص» وهى يومذاك مدينة كبيرة مشهورة تكاد تقارب القاهرة ، كما كان علما من اعلام الصعيد ، وكان ولده : «مجد الدين ابو الحسن على بن وهب» كذلك عالما كبيرا ، والاسرة كلها من أعرق الأسر العربية فى الصعيد حسبا وعلما وفضلا ، اصلها من قبيلة «قشير» بن كعب بن ربيعة .

مولد طفل :

خرج الشيخ مجد الدين ومعه زوجه ـ الحسيبة النسيبة بنت الشيخ الدمامينى ـ يقصدان الحج ، وسافرت بهم السفينة فى البحر الاحمر حتى قاربت ميناء «ينبع» وقبل أن تصلها احست الزوجة آلام المخاض ، وقام الشيخ متوجها الى القبلة يصلى ويدعو الله أن ييسر على زوجه آلامها وان يرزقه منها الخلف المبارك الصالح ، وسمع الله صلاته واستجاب دعاءه وبشرته زوجه بانها جاءت بولد ، ففرح وسماه : «تقى الدين أبو الفتح محمد» وكان ذلك فى شعبان فى اليوم الخامس والعشرين ـ على أرجح الاقوال ـ من سنة ٦٢٥ هـ (١٢٢٧) م .

ونزل ركاب السفينة والشيخ يحنو على طفله يحمله فرحا ويسرع بالرحيل حتى يصل مكة ، وكان اول شىء فعله ان حمل طفله على كفيه يطوف به حول الكعبة يدعو الله أن يجعل منه عالما كبيرا مثل جده . وتقبل الله دعاء الوالد الشيخ مرة اخرى ، فبارك فى ولده حتى أصبح بعد ذلك شيخ الاسلام وقاضى القضاة : محمد بن على القشيرى الصعيدى المنفلوطى المعروف بابن «دقيق العيد» .

حياة حافلة مبرورة :

عاد الاب والام وطفلهما بعد الحج الى قوص حيث اشرف الاب على تربية ابنه وتعليمه ، يشاركه فى ذلك الشيخ بهاء الدين القفطى وغيره من كبار العلماء ثم رحل الى القاهرة فى بكور الشباب فتعرف الى الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، الذى كان يعرف «بسلطان العلماء» ، ولزمه حتى مات ، وتلقى علوم الفقه والحديث واللغة عليه وعلى غيره من كبارالعلماء فى القاهرة ، وكان فى أثناء ذلك يتردد على قوص .

سمع الحديث فى قوص ومصر والاسكندرية ودمشق والحجاز ، وتولى التدريس فى مدارس اسنا وقوص ومدرسة السلطان صلاح الدين الايوبى قرب ضريح الامام الشافعى ، كما تولى مشيخة السلطان الكامل فى القاهرة ، وكان فيها عدد كبير من علماء الشيوخ ، مثل : شهاب الدين القوصى وشرف الدين الدمياطى والقاضى محيى الدين عبد الظاهر وابن العماد الاسكندرانى .

رحل الى دمشق ـ وسنه ثلاثون سنة ـ يتلقى الحديث عن علمائها ، وكانت مصر والشام يومذاك بلدا واحدا يحكمه سلطان مصر ، ثم عاد الى القاهرة وكذلك رحل الى الحجاز يطلب العلم ويسمع الحديث .

وكان شيخنا طموحا حريصا على النجاح والتقدم فى صباه تعلم مذهب الامام مالك ـ الذى يتبعه اكثر أهل الصعيد ـ ثم عرف أن منصب « قاضى القضاة » لايشغله الا من كان شافعيا ، فاقبل على مذهب الشافعى يدرسه حتى صار حجة فيه وقام بتدريسه ، وبذلك استطاع أن يطمع فى منصب قاضى القضاة ، وأن يناله .

كما كان مستقل الراى ، يناقش آراء العلماء ويجتهد لنفسه فلا يتابع من غير مناقشة ولا اقتناع وقد دون كتب الفقه وتاريخه غير انه خالف الامام الشافعى فى بعض مسائل مذهبه وكان منذ صباه صاحب اباء وشمم وعزة وكبرياء : جلس الى أحد شيوخه فسأل الشيخ تلاميذه فى شىء من النحو فلم يجيبوا فقال لهم : أنتم ح ... بر ، فترك مجلسه فور ذلك ، ولم يعد اليه .

وقد اكسبته هذه الاخلاق والصفات في مستقبل حياته صلابة في الحق وفي مواجهة الظلمة من الامراء والسلاطين تعرفها بعد قليل ·

وهو مع علمه وفقهه وتدينه ، خطيب ظريف المجلس خفيف الروح يتقبل الدعابة ويحبها ويقول الشعر والزجل والموال الشعبي ، له ديوان لم يعن بجمعه فجمع بعضه من بعده أديب العصر صلاح الدين الصفدي ، ولكنه لم يجمع زجله ولا شعره الشعبي ، وليته فعل ·

اختاره السلطان قاضيا على قضاة مصر، ولاختياره لهذا المنصب قصة تدل على حرصه على دينه وكرامته ـ على رغم طموحه في أول شبابه وتهيئته نفسه لهذا المنصب الكبير ـ فقد كان عصره عصر فتن وحروب ومنازعات ، يتدخل فيه الأمراء وسلاطين المماليك في كل شيء حتى القضاء ، فلما عرض عليه المنصب اعتذر منه ، ولكن كبار الشيوخ ذهبوا اليه وقالوا له : ان قبولك المنصب خدمة للشرع والدين ، لانك ان لم تقبل عين السلطان واحدا من اثنين هما الشيخ فلان والشيخ فلان ، وانت تعرف انهما لايصلحان فقبل كارها ·

وكان اول مظهر من مظاهر شجاعته ان بدا عمله في القضاء بخطاب وجهه الى جميع القضاة في مصر يطلب اليهم فيه ان يتحروا العدل والا يخضعوا او يتاثروا في قضائهم وأحكامهم برغبات الأمراء ، واصحاب السلطان ·

شيخ تهابه الملوك :

اصدر السلطان كتبغا المنصوري امرا بتعيينه ـ بعد تمنع كما راينا ـ قاضيا لقضاة مصر في ١٨ جمادى الاولى من سنة ٦٩٥ وبقي في منصبه هذا سبع سنوات حتى مات ، وفي هذه السنوات كلها كان يعارض ظلم المماليك ويستعفيهم من العمل كلما راى منهم تدخلا في عمله او رغبة في حكم لا يرضاه ضميره ·

ارسل له الامير « منكوتمر » نائب السلطان يخبره بوفاة تاجر غني ليس له وارث سوى أخ واحد ، وقال انه ـ اي نائب السلطان ـ يشهد بذلك ، وطلب اليه أن يحكم بميراث التاجر لاخيه فلم يرض الشيخ ، وأرسل له « منكوتمر » رسلا عدة فلم يرض ، وأرسل له أميرا كبيرا ، هو « كرت » حاجب السلطان ، فقال له الشيخ : اني اقول عندما أقضي بين الناس اني احكم باسم الله ، ولا أحكم الا بشهادة العدول ، فقال له الامير حاجب السلطان : يا سيدي الشيخ أما ترضى شهادة نائب السلطان وأجابه الشيخ : اني لا أجد الشاهد العدل الذي أحكم بشهادته ·

ومع أن الامير «كرت» فشل في سعيه ، وسمع هذا الجواب الحاسم اللبق ، فقد قام من مجلس الشيخ يقول : هذا والله هو الاسلام ·

وادرك «منكوتمر» غضب الشيخ عليه وخافه ، وذهب الشيخ بعد ذلك الى القلعة لمباشرة عمله والامراء جالسون فيها ، وفيهم «منكوتمر» فلم يلق السلام عليه ، وأسرع الأمراء الى الشيخ يطلبون رضاه وصفحه عن الامير وان يرضى بمقابلته فغضب الشيخ ورجع دون أن يباشر عمله وقال لهم :

ـ ليست لنائب السلطان علي سلطة فقد عزلت نفسي عن القضاء ، وعاد الى بيته فلزمه وكتب الى نوابه في البلاد يمنعهم من الحكم ووصل الامر الى السلطان « لاجين » فخاف عاقبته ، وأرسل شيخين يطلبان الى الشيخ أن يقابله ، فلما ذهب ابن دقيق العيد لمقابلة السلطان قام له واخذ بيده ليجلسه الى جواره ، وكان مجلس السلطان مفروشا بالحرير فبسط عليه الشيخ خرقة كانت بيده ، وأخذ السلطان يتلطف اليه ويرجوه العودة الى القضاء ، فقبل بعد تمنع ، وأراد السلطان أن يصالحه على نائبه فأشار اليه ، وكان جالسا في حضرة السلطان وقال : هذا ولدك «منكوتمر» أرجوك الا تغضب عليه ·ونظر الشيخ الى نائب السلطان وهو يفتح يده ويقبضها من الغضب ولا يوجه له كلاما حتى ترك «منكوتمر» المجلس خجلا وهو يقول :

ـ انه لايصفح عني ·

محمود الشرقاوي

فلسفة العقاد (١)

بقلم : عبد الفتاح الديدى



هناك شىء هام يلاحظه كل من يقبل على تاريخ الفكر العربى المعاصر او على تسجيل الاطوار الفلسفية ببلادنا وهو أن تاريخ المذاهب مجهول ان لم يكن معدوما . فقد ظهر ولا شك مشتغلون بالفكر تابعوا عبارات وتحليلات مما ورد فى تفصيلات كتب الفلسفة بالعصور الوسطى الاسلامية . كان هناك رجال فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر يواصلون الجهود الفكرية التى بزغت فى الاصول القديمة . وتجلت مقدرتهم فى الحواشى التى وضعوها على المتون وفى التعليقات على الفكر الاساسية لفلاسفة الاسلام وعلمائه . ولكن هذه الكتابات كانت بطبيعة الحال بعيدة عن أن تسمى فلسفة . انها تحمل المصطلحات الفلسفية والكلامية وتعمد الى تفسيرات وشروح لها طابع التفنيد للمعتقدات والنحل . ولكنها لا تتعدى نطاقا محدودا من دروس المنطق والجدل .

وعلى ما فى ذلك كله من مظاهر التفلسف والبحث المنطقى فانها لا تخضع لمقومات التتابع والتطور للفكر فى مظاهره العالمية . ليست هناك خيوط تربط هذه الفلسفات ربطا وثيقا بما انتهى اليه أعلام الحضارات واصحاب المبادىء . والهذا نشعر بأن فلسفة الجمهورية العربية كانت حتى أول هذا القرن الذى نعيش فيه مجموعة من الجهود العقلية الانفرادية او مجموعة من ملامح النشاط العقلى المصبوغ بالقدرة على التفنيد المنطقى دون اعتبار للتيارات العامة فى البلاد الاخرى . باختصار يمكن ان نقول عن هذه الجهود انها عمليات طحن عقلى خالية من التبويب المذهبى المتكامل .

وهى مع ما فيها من جهد وقوة لا تستقيم كفلسفة . فالفلسفة تمضى فى شريط ضيق مبدؤه فلسفة اليونان وحدوده استخدام المنطق والعقل استخداما يتناسب مع اسلوب الفكر وتاريخ الفلسفة فى استنباط القيم والتعبير عن روح العصر . اما منتهاه فهو الوضع المعاصر للفلسفة ممثلة فى التحليلات الوجودية والبراجماتيكية والتاسلية والظاهرية بوصفها ارفع مؤديات التطور العقلى مع المحافظة على طريقة الفلاسفة ومناهجهم فى مواجهة الاشكالات .

فالمفروض أن تكون الفلسفة مواصلة حقة صادقة لتفكير اليونان ولمواقف فلاسفة العصور الوسطى المسيحية والاسلامية ولمظاهر الفكر الفلسفى الحديث التى نشات من الاستمرار فى التوليد والاحياء والابتكار والتى حققت معارفها استنادا الى التغيرات التى طرات على العلوم والآداب وعلى ثقافات الأجيال جيلا بعد جيل .

ماذا نعنى بذلك ؟

المقصود طبعا هو الاحساس بأن ثقافة العصر الحديث الاساسية فى ميدان الفلسفة تقوم على الالمام بكل المواقف المستحدثة مع محاولة استيعاب المبادىء الجديدة والاستجابة لأبرز مهمات الفكر المعاصر . بدون ذلك لا تكون الفلسفة فلسفة . لا بد من تنسيق علومنا الفلسفية ببلادنا تنسيقا يجعل ارضنا خصبة ويتيح لنا فرصة ازدهار الفلسفات دون تقيد بالمراحل المحلية .

ولا يمكن أن تأتى فلسفة العقاد كمواصلة بحتة لعلوم الفلسفة فى الغرب كما لم يمكن أن تكون جهدا عقليا خالصا دون انعكاسات بيئية وشخصية . لا تنتظر بطبيعة الحال ان تنبع فلسفة العقاد من عقله دون أن تتاثر بعدة اتجاهات بعضها خاص بظروفه هو نفسه وبعضها ناتج عن الأوضاع والأجواء التى

نشأ فيها . او يصح ان نقول عن فلسفة العقاد انها تأثرت بجملة من العوامل وخضعت لبعض المقومات التى تكشفت فى مطلع هذا القرن ولم تقف فى الوقت نفسه عند حد الاجتهاد العقلى المطلق .

فالعقاد كتب اولى مقالاته قبل الحرب العالمية الأولى ونشر دواوينه الشعرية فى سنوات تلك الحرب وبعدها . وبانتهاء الحرب انشبك فى عمليات سياسية ووزع المنشورات السرية وشارك فى تأييد حركات شعبية كانت فى اشد الاحتياج الى كاتب يؤازرها ويبعث فيها الايمان برسالتها . ولذلك فطبيعة العمل الذى نصب العقاد نفسه ليعهد به طبيعة أدبية شعرية وجوهر كيانه الفكرى قائم على اساس الاعتماد على الجماهير ومناصرة الاتجاهات العامة . لم يخلق العقاد اذن ليلتمس العزلة فى ارجاء الفلسفة وحدها وليكون معروفا عند طبقة بعينها على الرغم من طبيعته الذهنية . فالكاتب الشاعر المسمى بالعقاد مكلف بشىء يخالف الوضع المقفل . انه وفى مخلص لقلمه ككاتب صحفى اشد الاخلاص والوفاء . والكاتب مطالب باكثر مما يطالب به الفيلسوف او العالم . انه مطالب بالاشتراك الفعلى فى مساندة افكار الجماهير وحمل اعباء السياسة والانخراط فى سلك الحياة الاجتماعية .

وهذه فى الواقع صفة من الزم صفات العصر . اعنى أن العقاد لم يوقف جهده على التفكير الفلسفى وعاش حياته ككاتب يتحمل تبعات الراى ويقوم بالدعوة للحركات التى ترضيه ويتحمس لمشاعر الناس . وكان من الممكن طبعا أن يحتل العقاد مكانته ككاتب مثل كتاب الوجودية وفلاسفتها من امثال كامو وسارتر وسيمون دى بوفوار وموريس ميرلوبونتى . فهؤلاء كتاب وفلاسفة معا آثروا ارتياد اجواء الفكر الشعبية وعدم الركون الى طابع الفكر العقلى المجرد . وعاونهم على ذلك طبعا شدة التقارب الثقافى بين طبقات القراء بحيث يمكن الكاتب أن يتناول مشاكل الفلسفة دون أن يجهد جمهوره وبغير أن يثقل على المتابعين لفكره وقلمه . اما ببلادنا فقد تطلب هذا الموقف من العقاد جهودا ضخمة لا نشك مع ذلك فى انه وفاها كل التزاماتها . ولكن كان ذلك فى بعض الاحيان على حساب الفلسفة التى لم ير العقاد بدا فى تخصيص مقالات لها دون الدراسات والبحوث المطولة . وظهرت للعقاد مقالات عن نيتشه وداروين وماكس نورداو وكانت وشوبنهور كان فى مستطاعه بلا جدال ان يحيلها الى دراسات وكتب مطولة ولكنه محتاج الى تذويب الفوارق الثقافية اولا ومواجهة القراء كجمهور موحد كما انه محتاج ثانيا الى الوقت من أجل استيفاء حاجاته ككاتب .

هذا من جهة طبيعة العقاد الذاتية وجوهر رسالته . اما من جهة الظروف التى احاطت به وحورت مضمون جهده الفكرى فاقل مايقال بشأنها انه واجه اربع تيارات الزمته بتحديد موقفه الروحى منذ البداية .

كان هناك تيار نافذ من بقية التركة الفكرية التى ورثها ابناء هذا القرن من جمال الدين الافغانى ومحمد عبده .

وكان هناك تيار آخر يشع من بين قاعات العلم بالجامعة الجديدة ومذاهب الفكر الحديث التى بدأت تسرى فى عقول المثقفين بين جدرانها .

وكان هناك تيار ثالث متولد من دعاة مذهب النشوء والارتقاء على نحو لم يسبق له مثيل مع ميل حاد الى التطرف فى انكار الأديان .

وكان هناك تيار رابع لا يتغيب عن اذهان المثقفين ممن يتابعون انحناءات الفكر وانتاج الادباء والشعراء من الاوربيين وهو حقيقة الفلسفة الغربية ابان اقبال العقاد على تقريب مذاهبها للعرب .

اما من جهة جمال الدين الافغانى ومحمد عبده فلن نضيف جديدا اذا أشرنا الى تعلق العقاد القوى بهذه المدرسة الروحية التليدة التى انشاها هذان الرجلان . لقد تابعا فى جد واخلاص كل ما يتطلبه التجديد فى مفهومات الدين والحضارة والفكر الاسلامى واصبحا رمزين للنهضة الحقيقية فى الموقف العربى التقليدى

الاصيل . ويمكن ان نؤكد فى غير حاجة الى دليل او برهان أن العقاد قد تلقى من هذا التيار عصب فكره الاصيل الوقاد وانه قد بنى عتبات مذهبه فى الدين والمجتمع والكرامة والحرية واصول الاعتقاد فوق نظريات هذين الرجلين . واحب العقاد فى قرارة نفسه أن يواصل رسالة جمال الدين ومحمد عبده وأن يحتفظ بالمجرى الذى حفراه وأن يجعل من فلسفته جزءا مكملا للكيان العقلى الذى أبدعاه.

ولكن شيئا جديدا ظهر فى الافق قبل الحرب العالمية الاولى وهو الجامعة المصرية والتعليم الجامعى وصار الناس يتحدثون فجاة عن الرسائل والمناهج واصول البحث العلمى والمفهومات الاكاديمية والنظرة التحليلية فى الدراسات . ولا يخفى على العقاد حينئذ ان هذه الصورة الجديدة للمعرفة ستكون مقياسا دقيقا لمدى صدق الاحكام وثبوت الحقائق . فسرعان ما يدرك الخطر الذى يهدده من هذا الجانب بوصفه احد الباحثين الذين لم تخضع عقولهم للأسس المنهجية الجامعية . واذا به يشجع أصحاب الرسالات وأنصار الاسلوب المنهجى واذا به ينفر من أصحاب الاسلوب المنمق المرصوف ويأخذ على عاتقه تحليل المشاكل بأسلوب رائق جدى . كما أخذ على عاتقه من ثم استعراض آخر تطورات الفكر الغربى واستعراض مفهوم الادب لدى شباب الجيل واستعراض المشاكل بحيث لا تفوته ظروف العصر ومؤثرات البيئة وطبيعة المذهب . وكان العقاد أول من نفض عن عقله غبار التحلية البيانية واستجاب لدافع الكتابة العصرية الخاضعة لمستلزمات البحث والدراسة .

ولا اريد أن أتعرض تفصيلا للتيار الثالث الذى كان من اهم عوامل الانعكاس الروحى فى عقل العقاد. فقد تعلم العقاد منه مبدأ الحرية المطلقة . ولكننى اشير اليه عابرا عسى أن يظهر من بين اصدقائنا بعض المتخصصين الذين يستطيعون أن يوفوه حقه. ذلك ان لهذا التيار وضعا خاصا بالنسبة الى الفكر العربى بأكمله . كان فرح انطون والدكتور شبلى شميل وبعض مفكرى السوريين واللبنانيين على رأس هذا الاتجاه وكانوا ينشرون بحوثا عن مذهب النشوء والارتقاء مع تأييد الحادى قوى . وعرفهم العقاد معرفة وثيقة اثناء تردده على ندوة الاديبة فى زيادة أيام الثلاثاء وأثناء عمله بالاهرام . وأحس العقاد الشاب بمسئولية ضخمة نحو الفلسفة ونحو الاسلام فى آن معا ازاء هجمات المتشككين . ارتبط احتياجه الى التفلسف بحاجة العقائد الى الحماية والمساندة وانهى حيرته باطلاق العنان لخياله الشعرى والزام عقله بالوقوف فى صف العقائد والاديان .

اما التيار الرابع والاخير فقد شيده الناقلون والمترجمون عن حضارة الغرب وكان العقاد على رأسهم عندما نشر أولى بحوثه عن كبار مفكرى الغرب مؤمنا بأن النزوع الى التجديد لن يتأتى الا بالتزام المناهج القياسية والاستقرائية . عرف العقاد ان أول الطريق الى الفلسفة يستلزم العروج على المذاهب الاخيرة لفلاسفة الفرنسيين والالمان والانجليز . واشترك لطفى السيد فى هذه البحوث من وجهة اعتمادها على فلسفة اليونان . وتطلع العقاد الى الطريق يستنير فيه بالمبادىء الاوربية وثقافة الغرب وبدأ يخط الخطوط الاولى فى فلسفة مصر الحديثة مستخدما مصطلحات الفلاسفة وعباراتهم والفاظهم . وتحددت له فلسفة كاملة فى الجمال وفى الطبيعة وفى المصير البشرى وفى الوضع الالهى وفى حقيقة المدركات والمعطيات وفى حقيقة الفهم العقلى لدلالات الحرية وفى مهمة الاخلاق والميتافيزيقا .

وبعد ، فهذه هى العناصر التى تكونت منها اللبنة الاولى فى بناء الفكر الفلسفى العربى لاول مرة فى تاريخنا الطويل . ولهذا يقول الدكتور طه حسين ان العقاد فيلسوف شيطانى . ولو أراد الدكتور طه ان يشير الى قصيدة العقاد عن ترجمة شيطان التى تثبت قدرته على التحليق والتحليل الفكريين لكان ذلك قولا عاديا عابرا . ولكنه كان يعنى ان العقاد فرض قدرته العقلية ومنطقه الخصب على أودية الفلسفة فأخضعها لبيانه العذب الجميل . وهذا لم يتيسر حتى للمتخصصين فى الشروح والدراسات الفلسفية . وكان ذلك بغير استعداد تعليمى من اساتذة يمهدون له الطريق ويفتحون امامه الآفاق . فهو بمثابة المتسلق . ومع ذلك فبحوثه نمط فريد وعلامة فى أول طريق للفلسفة العربية المعاصرة .

عبد الفتاح الديدى

مع ذكرى أستاذ الجيل بالمنصورة

بقلم : محمد عبد الله السمان

في أواخر الشهر الماضي قضينا في المنصورة يومين بلياليهما نعيش مع ذكرى أستاذ الجيل أحمد لطفي السيد بدعوة من محافظة الدقهلية ، والواقع اننا لم نعش يومينا فحسب في جو من منطق أرسطو ، كما تقتضي الذكرى ، ولا في جو من سحر البيان الذي أمتعتنا به كلمات أساتذة الادب والفكر والفلسفة من امثال طه حسين والزيات ومحمد عوض محمد وعبد الرحمن بدوي واحمد فؤاد الاهواني ، والسعيد مصطفى السعيد ومحمد مظهر سعيد ، وعثمان امين وبنت الشاطيء وغيرهم ، وقصائد العقاد ورامي وعزيز اباظه وروحية القليني والجيار وغيرهم ايضا ، وانما عشنا يومينا مع ذكرى قرابة ثلاثة ارباع قرن من الزمان ، هذه الفترة ذات الاهمية من تاريخ مصر ، لعب فيها فيلسوفنا الراحل دورا له خطورته في مجالات الفلسفة والاخلاق والسياسة والادب والصحافة والتعليم .

افتتح الحفل بكلمة طيبة ، بعد تلاوة بعض آي من الذكر الحكيم ، للاديب عقيل مظهر سكرتير المحافظة الذي قال : ان التراب يستطيع أن ينال من أجساد عظمائنا ، ولكنه لايستطيع الدنو من عقولهم وآثارهم الفكرية التي ستبقى مابقي الخلود نفسه ، وكانت منه لفتة طيبة حين ذكر أن الامة فجعت ، قبل أن ينقضي عام على وفاة احمد لطفي ، بعظيم آخر من عمالقتنا هو العقاد ، وطلب الوقوف دقيقة حدادا على روحه العظيم .

ثم تلت الدكتورة بنت الشاطيء كلمة عميد الادب الدكتور طه حسين الذي ذكر انه لم يلتق به الا استفاد علما جديدا ، وهو ثاني اثنين -بعد المرصفي- اثرا في حياتنا الادبية ، وقد أحيانا حياة جديدة ، وفتح أمامنا من الآفاق مالم يستطع احد غيره أن يفتحها ، وانشأ في مصر جيلا علم الشباب المصري أن مصر يجب أن تكون للمصريين ، وان تخلص لهم من دون الترك والاستعمار ثم تحدث الدكتور محمد عوض محمد عن جانب واحد من جوانب عظمة لطفي السيد ملكت عليه احساساته أكثر من غيرها يتمثل هذا الجانب في صفة الاخ الاكبر ، ثم تحدث الاستاذ احمد الشرباصي عن لطفي السيد والدين وقال : ان فيلسوفنا كان يحسن المزج بين السياسة والدين ، وان قيم الديمقراطية والحرية والاستقلال ، كلها مبادىء قام عليها الدين وزكاها ليكرم الانسان بها في هذا الوجود ، ثم تحدث الدكتور السعيد مصطفى السعيد عن دور لطفي السيد في المحافظة على وقار الجامعة المصرية وهيبتها فقد استقال حين تعرض استقلال الجامعة لهزة باخراج طه حسين منها ، واستقال مرة أخرى حين حاولت الاحزاب السياسية استغلال الطلبة ، وأصر على انشاء الحرس الجامعي واقصاء رجال البوليس الذي كانوا يومئذ أدوات مسخرة للاحزاب الحاكمة .

وجاء دور الدكتور عثمان أمين ، فتحدث عن انطباعات نفسه وهي أن الله حقق لاستاذ الجيل أمنيتين غاليتين هما : أن تحكم مصر بأيد مصرية خالصة ، وادخال تعليم الفلسفة في المعاهد والمدارس كما تحدث عن انطباعات ذهنه، التي هي ثمرة البحث عن اتجاهات فيلسوفنا وافكاره في صفحاته المطوية أو منتخباته المنشورة ، واستطاع أن يجملها في عبارة واحدة ، وهي ان أستاذ الجيل خليق عند تقييم الفكر المصري المعاصر ، أن يكون هو خليفة الامام محمد عبده ومكمل رسالته الاصلاحية في ميادين الاخلاق والسياسة والاجتماع، اما جماع هذه الدعوة فهو تنوير الاذهان بادوات الاستقلال الصحيح القائم على نشر العلم وتنمية الوعي والثقة بالذات والاعتماد على النفس ، والتشبث بطلب الحرية والشعور بالكرامة الانسانية .

وبعد أن ألقى الاستاذ محمد امين شوقي كلمة الاستاذ ابراهيم مدكور عن دور الصحافة في حياة لطفي السيد ، وكيف انه أرادها أداة للاصلاح بحيث لا تخضع لميل أو هوى ، ولا تداري ظالما في ظلمه ، ولا مستبدا في استبداده ، ألقى الاستاذ محمد زكي عبد القادر كلمة ضافية وهادئة ، قال فيها : ان المتأمل في حياة لطفي السيد يرى انه أبرع تاج لعصره ، كان جماع الحرية والخير والتفكير السليم ، لم تكن الصحافة عنده حرفة ، وانما كانت ميدانا للتعبير عن رأيه ، والتمييز بفكره لكي يصل مابينه وبين الناس ثم قال : ان الاتهام بالالحاد ابعد مايكون عن لطفي السيد ، الذي استطاع برعاية فكره أن

يوائم بين الآراء الحديثة التى نقلها الى مصر والبلاد العربية بين الحرية فى التفكير ومبادىء الاسلام الصحيحة ، وقال :

انه كان معلم أجيال ولم يكن مؤلف كتب ، وهو من القلائل الذين أثروا فى الحياة أكثر ممن ألفوا عشرات الكتب ، وهو فى هذا أشبه بالافغانى ، وعظمة لطفى السيد لم تأت من كونه عالما أو اديبا أو مفكرا ولكن قوته الحقيقية فى قدرته الخارقة على التأثير فى تلامذته ومريديه ، وهو ان لم يشترك اشتراكا فعليا فى التطور السياسى ، ولكن حين يذكر التطور يذكر فى المقدمة انه كان الملجأ للسياسيين ، يعطى الرأى السليم ، ويدرك أين يكون الطريق السديد .

وتكلم بعد ذلك الدكتور احمد فؤاد الاهوانى عن لطفى السيد الفيلسوف ، فذكر انه نزل الى ميدان الفلسفة ليرد الى المعلم الاول (أرسطو) اعتباره ، وان أكثر ما كان يشغل لطفى السيد الفيلسوف أمور ثلاثة : الزمان والقرآن وفلسفة اليونان ، ثم تكلم الدكتور مظهر سعيد عن مدى اعتزاز لطفى السيد بكرامته ، وذكر أن لطفى كما استقال من أجل الحفاظ على كرامة الجامعة ، استقال أيضا من أجل الحفاظ على كرامته هو ، وذلك يوم أن كان وزيرا للخارجية ودعا الملك السابق رؤساء الدول العربية الى اجتماع انشاص دون استئذان الوزارة ، ورأى أن الملك اعتدى على حق الوزارة جملة ، وحقه هو شخصيا باعتباره وزيرا للخارجية .

وفى الليلة الثانية والاخيرة تحدثت الدكتورة بنت الشاطىء عن أبوة لطفى السيد ، وتحدث الدكتور عبد اللطيف حمزة عن مراحل الصحافة الثلاث : المؤيد واللواء والجريدة ، وكيف كانت الصحافة كل شىء ، تؤثر فى الشعب ، ويتأثر بها الشعب ، والطور الصحفى لم يكن الا من أطوار الحركة الوطنية وذكر أن على يوسف فى (مؤيده) تصدى للدين الاسلامى للدفاع عنه ازاء المفتريات التى ألصقها به الاحتلال ، واضطلع بالدعاء للامير فكان نصفه للامير ونصفه للجماهير ، ومصطفى كامل فى (لوائه) تزعم الحركة الوطنية فى مجالها السياسى ، فأقلق راحة المحتل الغاصب ، أما لطفى السيد فقد آثر فى (جريدته) أن يعمل فى ميدان الاخلاق وابراز الكفاءة المصرية ، لينقذ المصريين من رواسب الماضى ، وينفخ فيهم من روح الحرية والكرامة الانسانية ، وينفى عنهم عبادة الرؤساء .

وبعد أن تحدث الدكتور حسين فوزى النجار عن الاسباب التى جعلته يختار أستاذ الجيل موضوعا لرسالة الدكتوراه ، ومن أبرزها انه يمثل عظمة الفلاح المصرى ويسمو بها على عظمة التركى ، كما تحدث الدكتور عبد الرحمن بدوى عن اهتمامات لطفى السيد بالفلسفة ، والدوافع التى جعلته يكاد يركز كل اهتماماته بفلسفة أرسطو ، وابرزها أن فلسفة أرسطو لاتتعارض كثيرا مع القيم الدينية ، وهى تجديد للفلسفة العربية ، وان نهضة أوربا المعاصرة كانت يومئذ تعتمد على فلسفة أرسطو ذاتها ، كذلك ألقى الدكتور حسين فوزى النجار كلمة الاستاذ احمد خاكى عن لطفى السيد والمرأة ، وسلط فيها اضواء على دعوة قاسم أمين وتشجيعه لها .

أما كلمة أستاذنا الزيات التى ألقيتها نيابة عنه فقد جاءت على ايجازها بليغة وافية بالغرض كعهدنا به دائما ، تناولت اخلاقه وفلسفته ، وحركة التجديد التى اضطلع بها فى رسالته الصحفية ، وذكرت الكلمة : أن أظهر مزايا لطفى السيد حديثه ، فقد كان آخر طبقة شهروا ببراعة الحديث من أمثال محمد عبده ، وسعد زغلول والهلباوى ، فانت فى حضرتهم لاتشتهى الكلام لان لذتك فى أن تسمع ، ولا تثير الجدال لان همك فى أن تستفيد ، كما ذكرت الكلمة أن ثقافة لطفى السيد كانت راسخة الاصل ، متينة القواعد ، أقام ركنها العقل على فلسفة أرسطو وأفلاطون ، وركنها الادبى على كتاب الله وشعر العرب كان يحمل القرآن على ظهر قلبه وطرف لسانه يؤديه آية آية كانما يتلو فى مصحف منشور ، وكان كثير المحفوظ من الشعر يستمده من أوعية شتى ، ويرويه عن أعصر مختلفة ، وليس معنى ذلك أنه وقف فى فلسفته عند اليونان ، وفى أدبه عند العرب وانما كان يساير الفلسفة فى كل مذهب ، ويتابع المعرفة فى كل وجه .

أما القصائد التى ألقيت فى الاحتفال بهذه الذكرى فهى قليلة بالنسبة الى الكلمات العديدة التى ألقيت وقد استطاع الاديب الاستاذ محمد جميل غازى بالشئون العامة بالمحافظة ومقدم الحفل ، أن يجعلها تتخلل الكلمات الدسمة ، فاضفت علينا لونا من الترفيه الذهنى أمتعنا به أيما امتاع .

محمد عبد الله السمان

التصوير في شعر مطران

بقلم : حبيب الزحلاوي

الشعر كلمة وصورة ونغمة وفن ، وهي صفات قل أن تتوافر كلها في شاعر ، ولكننا نجدها موزعة عند الشعراء ، هذا مثلا تتكامل عنده المعاني ، وذاك النغمة ، وذلك الفن في ابراز المعاني .. وكل هؤلاء شعراء لاعيب في شعرهم ، ولا غضاضة عليهم في اكتفاء الطبيعة في منحها اياهم صفة الشاعرية وما هي بالشيء القليل بدليل انهم يهزون مشاعرنا فنطرب أو نشجو بهذه الصفة أو تلك .

ليس الغرض من هذه المقدمة عرض الصفات الشعرية عند الشعراء المعاصرين ، أو التعرض للشعر الجديد لخلوه من ثلاثة أرباع الصفات الأصيلة في فن الشعر ، بل غايتي هي الاتجاه الى ابراز صفة التصوير في شعر خليل مطران .

ليس معنى هذا أن صفة التصوير الفني تتقدم على صفة الكلمة ، بل العكس هو الصحيح ، بدليل ما أتحف الامة العربية خلال نصف قرن بقصائد ممتعة تدل على أن الخليل كان واسع الاطلاع على ذخائر اللغة وكنوزها ، واقفا على أسرارها المكنونة يطوعها وفق مزاجه الفني ، يسخرها بذوقه وليونته فيعبر بها عن كل مايدق في شعورنا ، ويهجس في صدورنا ، وتضطرب فيه نفوسنا ، ولكل جليل من أغراض الفن ، انما اردت تقديم الكلام عن الصورة التي يرسمها بقلمه . فيخيل الينا ونحن نقرأ أننا نرى صورة تتحرك أو مشهدا يتراءى لنا ببساطة طبيعية متناسقة ، وان دماء الحياة تنساب في أوصالها بنظام ، وبريق الوجود الحي يتجلى في ملامحها ونظراتها . نسمعه يرسم نوعا من الجمال .

سنحت في الطريق مغموضة الجفـ
ـن وللهدب شبه ظل مديه

لحظها خاشع الشعاع وتدعو
ه الى الكبر عزة بالنهود

راعنا قدها الرشيق وقد تكفي
فتونا رشاقة بالقدود

وجبين مكلل بنضار
ومحيا ضاح أسيل الخدود

ونغير حلاوة الظلم تجرى
في ثناياه فوق أعدل جيد

ـو ياقوتة طفت في محيط
من بياض زين بالتوريد

الشعور بالجمال الطبيعي يدغدغ في المرء الشعور بالفرح ، والشعور بالحسن ، والاحساس باللذة ، فلا عجب ان يلمح الشاعر مفاتن الجمال فيدل عليها ويشيد بقسماتها وملامحها ومواطن السمو فيها ، فيذكر ثغرها الصغير فيجعله ثغيرا يبرز من فتحته الصغيرة المنمنمة بريق الاسنان ويمثله بياقوتة طفت في بياض وجه مورد .

حانت التفاتة من صاحبة ذلك الوجه فرأى :

محجر ضائق بانسان عين
واسع الحول وهو غير مريد

جامع للسماء والماء زخار
بموج عال وضوء شديد

ساحر بين زرقة واخضرار
لب رائيه بائتلاف فريد

ثم يمضي في تصوير ما استشفه من لوني الاخضرار والزرقة من ومضات سكرى تغرى بالامل ولكن سرعان ماتنقلب تلك الحسناء تنفر وتتوعده فيتراجع ويقول :

ذاك فن من البديع رأينـا
آية منه للبديع المجيد

ما أكثر ما نتأثر بالاحداث العابرة ، والمشاهد المحزنة ، والفواجع المؤلمة ولكنه تأثر موضوعي لايلبث أن ينسى ويتلاشى لان بواعثه المشاهدة أو السماع . أما هذه المؤثرات بالذات عند الشاعر المرهف الحس ، الشفاف اللمحة تتحول بسرعة البرق عنده أو هو يحولها بانفعاله بها الى ذاتية ، أي أن الصبي الحافي الذي جرحت قدمه قطعة من الزجاج انغرزت فيها يجلس على الارض يعالج انتزاعها تجعل الشاعر يحس بالجرح احساسا ذاتيا ويتألم تألما ذاتيا وما أكثرما تتحول المؤثرات الخارجية عند مطران من موضوعية الى ذاتية ، فيرسمها تارة بالقلم وتارة أخرى بالريشة فيريك الصورة في أوضاعها الفنية وأبعادها الهندسية ، وأضوائها وظلالها رى العين ٥

البقية على صفحة ٢٢



فى موكب الثورة

لفضيلة الأستاذ نديم الجسر
مفتي طرابلس وعضو مجمع البحوث الإسلامية

: تقولوا قـــدر قيـــدنا   ان كسر القيد من بعض القـــدر

ليله طال واضنـــاه السـفر   لا تلمـــه ان غفا عند الســحر
فاته الركـــب فما احوجه   لدليل بالفيـــا فى ذى خبـــر
صـلب يقتحم الحـــزن اذا   ما اقتحام الحـــزن لدرب قصـــر
ســاعة من خـــور قد تعتفي   ســنة من نصـــب الكدح الامر
ليت شـــعرى ما الذى يحتاجه   من قضي فى ســـكرة النوم العمر
خـــور والمجـــد لم يجتمعـــا   قط ، يا مغـــرور ، فى كف بشر
كرت الاعـــوام والاسلام فى   ارضـــه بات الذليـــل المحتقـــر
كل قطـــر منه أمسي موطنـــا   لدخيـــل حـــل فيه واســـتقر
بعصـــاه يرفـــع العـــرش الذى   صـــاغه من ورق فيـــه صـــور
فى الرضـــا يمسكه ان ينطوى   واذا هز العصـــا فيه انتثـــر
دولة فيهـــا دمى يلهو بهـــا   ما ارتضـــاها فاذا هل كســـر
وكنوز الارض فى اشـــداقه   ولنا من نعـــم الله الاظـــر
اصـــحيـــح انه من وطنـــى   خرج المحتل هل صـــح الخبر ؟
خـــرج الـــراس وما زالت له   بيننـــا اثقاله وهى أضر ...
واحس العـــرش فى اركانه   رعشـــة الانذار لو تغني النذر
قـــد تخلى عنه من يحرســـه   وتولى الأمـــر حراس اخـــر
لهو فى الفحش سحر ورقى   ولهم فى الســـلب علم وخبر
اغضـــبوا الجبـــار فامتدت يد   بك يا (ناصر) ياســـيف القدر
ليلة ثم ضـــحاها لم يعـــد   ابدا للعـــرش والتـــاج اثر
ثورة بيضـــاء ما فيهـــا دم   بل بهـــا ســـلم وحزم وحذر
هكذا الرحـــمن وفى ، كـــرما   للذين استضعفوا الوعد الأبر
اورثوا الملك ولـــكن كرموا   ان يعـــابو بفســـوق واشر
و (قنـــاة) شـــقها اباؤنا   فقضـــوا نحبهم بين الحفـــر
جبلوا طينتهـــا من دمهـــم   وعلى اعظمهم ارســـوا الحجر
غصـــبت منا وامســـت معقلا   لعـــدو فى الهجـــوم المنتظر
ما فرحنا اذ جلا عن ارضهـــا   وهو باق مع تغيير الصـــور
كيف يا (ناصر) قد امتهـــا   واعدت الحق فى لمح البصر ؟
كان هـــذا حلمـــا تحقيقـــه   مستحيل عند ارباب النظـــر

كيف صممت ولم تعبأ بمن
اترى كنت عليه آخذا
ولقد حققت حلما آخرا
كان هذا (النيل) معبود الورى
ان تشا تحرفه عن خطته
واذا قلت له : اجر جرى
ومتى قلت له : اعل علا
(سدك العالى) الذى لو القيت
اذ، عال واعلى منه ما
هم بنوها بدم الشعب على
ولانت اليوم تبنى صنعا
كلما قد فتحت ابوابه
كل قطر مسلم فى صدره
دع عدوا كيده من خارج
ارضنا ماك لرهط اترفوا
وسواد الشعب فى اوكاره
يا (قوارين) لقد حدثنا
لا يكن من فسقكم هاك لنا
قد ظلمتم فلنا ان نتقى
بلد الاسلام من يحميه ان
انتم احوج فى الحرب الى
ان للحرب رجالا شددت
هم من استعبدتموهم فى الصفا
وطن من ارضه لم يملكوا
كيف يرجى منهمو أن يبذلوا
انت يا (ناصر) قد عرفتهم
وبان الدين عدل وهدى
انت يا (ناصر) ملء السمع فى
آه لو تسمع نجوى الناس ان
كل قلب مؤمن حبك قد
يعرض الناس على القتل به
لست مداحا ولكنى على
واقص الحق لا ارجو به
للذين اتخذلت انفسهم
ليروا كيف تحدى (رجل)
نحن ثلث الناس فى ارض غدا
ومن الارض لنا سرتها
بيضة الميزان قد نصبح فى
نهضة ان بلغت غايتها
لا تقولوا قدر قيدنا

خذلوا حقدا وكيدا او خور ؟
موعدا نعرفه عند القدر ؟
كان حلم الدهر من بدء الدهر
كيف قد عبدته حتى انقهر
او تشا اوقفته فى المنحدر
واذا قلت له كف صبر
ومتى قلت له ادن صغر
عنده (الاهرام) بانت كالاكر
فيه من خير ومن بعد نظر
شرف الموتى قبورا من حجر
لدم الشعب وحصنا من خطر
هل منها (النور) وانهل المطر
يحمل الداء ولا يدرى الخبر
ان كيد الاهل ادهى وامر
وتغالوا فى فسوق وبطر
بمضغ البؤس ويجتر الضجر
ربنا عنكم احاديث العبر
اذ يحق (القول) ما منه مفر
فتنة عم لظاها وانتشر
زكت الحرب والقت بالشرر
نسوة يدران (عنكن) الضرر
عزمهم لأواء كدح مستمر
اتراهم منجديكمفى الكدر ؟
موضع القبر اذا الموت حضر
دمهم كى يدفعوا عنه الخطر
حكمة الاسلام فى حكم البشر
وبان الحكم شورى لا بطر
كل قطر مسلم ملء البصر
طاب فى ذكر مزاياك السمر
خالط الايمان فيه ، واختمر
فيرون الموت احلى وابر
موكب التاريخ اقتص الاثر
غير تأميل وذكرى وعبر
فانطووا منها على الياس الأمر
وحده التاريخ سبقا وانتصر ...
ثلثاها فى نزاع مستمر
ومن البحر لنا كل ممر
كفة الخير اذا الشر استعر
ندخل التاريخ ابوابا اخر
ان كسر القيد من بعض القدر

نديم الجسر

بقية المنشور على صفحة (١٩)

رأى الشاعر جنازة تسير خلف طبل وبوق فتصور ذلك المشهد الموضوعي فقال :

مشهد سير بطبل وبوق
عظة جنت فغنت في الطريق

عظة الموت وما عهدى بها
أن تزف النعش في تدليل سوق

لا ، ولا عهدى بها خاطبة
عن ثغور من نحاس وحلوق

كان الشاعر في الاصل ينظم قصيدته هذه يصف فيها جنازة تتقدمها موسيقى نحاسية ، وما أكثر ما نشاهد أمثال هذه الجنائز ، وتصادف كما يقول مطران بينما كنت أنظم هذه الابيات اذ استوقفت قلبي الحان حزن تصدح بها موسيقى كانت سائرة في الطريق ، فاذا جنازة تسير خلف طبل وبوق ، فسأل عنها ، فقيل له انها جنازة فلان وقد مات في العشرين من عمره ، فقال : وهذا يأخذ حقه في الطريق ، فأنشد ست أبيات أتم بها قصيدته وأعطى الشاب حقه في الرثاء .

قلت ان الموضوعية تتحول بسرعة خارقة عند مطران الى ذاتية ، وان تأثره بالموضوع يلمس أعمق مشاعره ويهزها فتكون نجيعة الغير هي فجيعته بالذات ويكون حزنه صادقا وتصوير مشاعره صادقا لاتعمل فيه ولا زيف .

تخيل الشاعر والد الشاب الفقيد يبكى ولده فقال :

يا أبا يبكى ابنه ملتمسا
ذلك التنبيه للحس الصعيق

آه من نار الجوى فهى التى
تفجر البركان من قلب رقيق

آه من صدع النوى فهو الذى
يرسل الأحزان كالسيل الدفيق

من هاتين الآهتين الصارختين آهة نار الجوى وآهة صدع النوى نلمح سرعة الانفعال الاكيد عند الشاعر في الحديث الموضوعى .

افتتان الشاعر بجمال الطبيعة غريزى ومكتسب في آن واحد ، ومرد الاكتساب فيما أحسب ، يعود الى طبيعة البلاد الشامية مسقط رأس مطران ، المقسمة الفصول ، والى ازدهار أشجارها في فصل الربيع نوارة رقاقة بسامة ، والى شلالاتها تتساقط من عل وجداولها تترقرق وتضحك وتنساب على حصباء كالدر ، والى سماء صافية . كل هذه المفاتن البهجة مكتسبة من سخاء الطبيعة في الجمال في الاقليم الشامي تضاف الى الرصيد الفطرى من هبة الله ، تتكون منها ذخيرة وافرة الثراء نرى الشاعر يشاطرنا السعادة بها .

الا ان فتنة مطران بجمال الطبيعة لا يحدها التصوير بل يتعداه الى ادخال صور من الجمال من ابداعه هو يضفيه على صور الطبيعة الهوجاء فيزيدها بهاء وحسنا .

وقف الشاعر حيال شلال « جزين » المطل على «البقاع» فقال :

قد قام عرشك في أعز مكان
وعليه هامات الجبال حوانى

وجرى المسلسل من نميرك مخرجا
عن جانبى مجراه نفر جنان

وانظر بأيسره الى الطود الذى
فيه من الابداع فن ثانى

تجد الاصيل مشقتا ونضاره
بين الجذوع يسيل والاغصان

وتجد سناما مستطيلا قائما
يهتز في بحر من اللمعان

يعلوه تمساح تضرب دونه
موج السنى ويعب كالظمآن

اترى الطبيعة وهى أم اقبلت
بثديها وبها أبر لبان

تسقى مدارجها وتلقى درها
علوا على الاغوار والقيعان

النفس في اشراقها من شاهق
تثنى بهيبته الى الايمان

في كل ضرب من ضروب شعر مطران صورة وصفية يجسمها ببيانه ويوضحها بفنه الرفيع فاذا بها تبهرنا وتفرحنا ، وانت ترى التصوير يلازمه في جميع المناسبات ، في الرثاء ، في التعزية ، في التهنئة ، في احتفالات البر والاحسان والجمعيات الخيرية ، في الاشادة بثرى أو وجيه ، في سيرة «نيرون» ذلك العاتى المعتوه الذى أحرق «روما» لينعم بمشاهدة اللهب تندلع وتلتهم كل شيء فقال :

فـزمة هم نصـــبوه عاليـــا
وجثـــوا بين يديه فاشـــمخرا
ضــــخموه واطـــالوا فيـــه
فتراءى يملأ الآفاق فجـــرا

كل قوم خالقوا « نيرونهم »
« قيصر » قيل له أم قيل « كسرى »

وقف الشاعر المصور قبالة تمثال ايزيس الالهة المصرية فيقول فى تمثالها الخالد بجمال الفن :

مثـال لايزيس فى صـــلده
تحس الحياة وتجرى الدماء
يروعك من عطفـــه لينـــه
ويرويك من رونق الوجه ماء

به فجـــر الحسن من منبع
فيا عجبا للرمال الظمـــاء

ولمطران المنفرد فى جمع المعانى المبتكرة ، والبارع فى تصويرالعواطف والمشاهد والمشاعرات والجمادات وفنه فى قلعة بعلبك وخرائبها الخالدة يصف مابقى من عمدان هياكلها .

معبـــد للأسرار قام ولـــكن
صنعـــه كان أعظم الاسرار

مثل النوم فيه كل شيء عجيب
فيه تمثيل حكمة واقتـــدار

صنعوا من جماده ثمـــرا يجتنى
ولكن بالعقـــل والابصـــار

وضروبا من كل زهر انيق
لم تفتها نضـــارة الأزهـــار

وشـــموسا مضيئـــة وشـــعاعا
باهرات لكنهـــا من حجـــار

وصنعوا طيورا ذاهبات آيبات ، وجنات معلقات ، وأسودا رابضة فى عرانينها عابسات الوجوه باديات الأنياب .

تلك آبائهم وما برحت فى
كـــل آن روائـــع الزوار

ضمها مقام منظم :

فى مقام للحسن يعيد بعد العقـ
ـــل فيه والعقل بعد البارى

يقول مطران : « رأيت فى الشعر المألوف جمودا واستقلت لى طريقة فى كيف ينبغى ان يكون الشعر هذا شعر عصرى وله على سابق الشعر مزية زمانه على سالف الدهر .. ان شعر هذه الطريقة هو شعر المستقبل لانه شعر الحياة والحقيقة والخيال ويقول أحمد شوقى «مطران هو المؤلف بين أسلوب الافرنج فى نظم الشعر وبين نهج العرب» ويقول حافظ ابراهيم : مطران فى طليعـــة أولئك الذين خرجوا من أفق التقليد وأفســـحوا فيه للقصص وتصـــوير الحوادث وطوفوا بسرد وقائع التـــاريخ ويقول العقاد : يتفرد مطران بالتجديد بين ســـائر شعرائنا المعاصرين . ويقول السنهورى : تجـديد مطران عمل بلغ الغاية فى الجرأة والمخاطرة والمجازفة وأنا بدورى أتجرأ وأقول : ان الخليل فريد عصره فى فنه ، وصاحب مدرسة فى التجديد لم يسلكها بعده ممن نعرف من الشعراء سوى شاعر مهجرى واحد هو شفيق معلوف ، لقد حاول البعض أن يذهب مذهبه فخـــانته أكثر من ملـــكة من ملكات الشعر ، وتوهم البعض الآخر أن فى الخروج على عامود الشعر تجاوزا لمدى مطران أكثر جدة من دعوة شكرى والعقاد والمازنى ، وبقى مطران حتى الساعة فريد زمانه وقد فاز على الأقران وأربى على الأكفاء فى عصره وهو شاعر الكلمة والصورة والفن دون النغمة الا فى القليل من قصائده .

القاهرة

حبيب الزحلاوى

رسالة العلم

بداية عصر ونهاية عصر

للدكتور محمد محمود غالى

كنت أتحدث في مقالي السابق «هذه هي الدنيا» عن عالم الذرة ، وذكرت أننا سندخل في مقال اليوم في هذه الدنيا الجديدة من أوسع الأبواب ، والواقع كان هناك وفي القرن الذي نعيش فيه ثلاثة مراكز للعلوم الذرية أو ثلاثة أركان رئيسية لهذه العلوم ، وكلها في أوربا حيث كان الفضل الأكبر لعلمائها في أهم الكشوف .

أولاها في ألمانيا حيث ظهر في برلين « ماكس بلانك » صاحب نظرية الكم « الكوانتا » كما ظهر أينشتاين صاحب النسبية ، وكان عملهما حوالي سنة ١٩٠٥ .

وثانيها ـ كان مسرحها في انجلترا حيث كانت أعمال « تومسون » في تحديد شحنة الالكترون « ورذرفورد » الذي وصف الذرة عالما شمسيا ، هذا النموذج المحبب الى العلماء لتشابهه مع حركة الكواكب في دورانها حول نفسها وحول الشمس .

وثالث هذه المراكز : ـ كان في فرنسا حيث بدأ في الواقع هذا العلم الجديد ، وحيث كشف «بكارل» سنة ١٨٩٦ ولأول مرة في تاريخ الانسان أن المادة تشع ، وأنها تبعث برسائلها من داخل نواة الذرة ومن قلب شمسها الخطيرة ، وحيث أتمت مدام كيرى وزوجها بيير كيرى عملهما بكشفهما للراديوم في أواخر القرن الماضي وفي سنة ١٨٩٨ على وجه التحديد .

ولم يكن لأمريكا أو لروسيا عمل يذكر في هذا العهد وفي هذه المسرحية الكبرى اللهم الا أعمال «أندروز مليكان» الأمريكي الذي قاس بدوره شحنة الالكترون حوالي سنة ١٩٠٧ واتفق في تحديد هذه الشحنة مع أعمال « جان بيران » في السوربون في باريس وتومسون في انجلترا مع اختلاف في الوسائل العملية التي لجأوا اليها لتحديد هذه الشحنة .

وكانت هناك طفرة أخرى في العلوم الذرية عندما كشفت ايرين كيرى كريمة مدام كيرى وزوجها « فردريك جوليو » سنة ١٩٣٣ النشاط الاشعاعي الصناعي في باريس ، ثم كانت الطفرة الكبرى عندما كشف « أوتوهان » الألماني في برلين في ديسمبر سنة ١٩٣٨ انفلاق أو انشطار نواة عنصر اليورانيوم ، الشيء الذي مهد مع شديد الأسف السبيل لصناعة القنبلة الذرية الأولى التي صنعها الأمريكيون وجربوها في صحراء المكسيك ثم في هيروشيما وناجازاكي في اليابان .

كان لعلماء أوربا ـ فرنسا وانجلترا وألمانيا ـ الفضل اذن في ارساء قواعد وقوانين العلوم الذرية وكان مركز اشعاع هذه العلوم القارة الاوربية ، ومازال علماء هذه القارة يفيضون كل يوم بالجديد في دنيا الذرة ، وكل ما نرجوه أن تكون الكشوف الجديدة موجهة لأعمال الخير ولرفاهية البشر .

ونعود الآن « لبكارل » الفرنسي نتلمس معا نشأة هذا العبقري الذي فتح باب الذرة على مصراعيه . « فهنري بكارل » مكتشف النشاط الاشعاعي ومن أعظم علماء هذا الزمان هو نجل « اسكندر بكارل » (١٨٢٠ ـ ١٨٩١) الفيزيائي المعروف وحفيد سيزار بكارل (١٧٨٨ ـ ١٨٧٨) وهو بدوره من علماء الفيزياء ، ولو أننا رجعنا مثلا لدوريات المجمع العلمي الفرنسي نجد أن للابن « هنري بكارل » بحوثا قيمة من سنة ١٨٧٧ الى سنة ١٨٧٩ في الاستقطاب وفي المغناطيسية الارضية وكان جده

ووالده على قيد الحياة ، بل نرى في الدوريات ذاتها نشرات لها قيمتها للابن والأب والجد منشورة كلها في زمان واحد .

ولقد تالق نجم « هنرى بكارل » في سنة ١٨٩٦ تاريخ ميلاد الكثير من الأحياء منا عند كشف اشعاع عنصر اليورانيوم .

ولقد طالعت هذا الاسبوع ما سبق ان كتبته في هذا الموضوع فطالعت اول مقال لى في الرسالة العدد ٢٨٦ الصادر في ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٣٨ وعنوانه « مدام كيرى » ، كما طالعت ثلاث محاضرات لى أولاها في الاذاعة والثانية في كلية العلوم لجامعة القاهرة والثالثة في كلية الطب لمناسبة مرور أربعين سنة على اكتشاف الراديوم ويجد القارىء خلاصة لها في الكتاب الذى قامت بطبعه وزارة الصحة لمناسبة أسبوع السرطان الدولى ، كذلك طالعت مقالا لى نشرته في « المجلة » منذ عام في ٥ ابريل سنة ١٩٦٣ بعنوان « جائزة نوبل تدخل خمس مرات منزلا واحدا » واقصد في ذلك أن جائزة نوبل منحت اول مرة لمدام كيرى في الطبيعة لكشفها البولونيوم



ومنحت لزوجها « بيير كيرى » أيضا وكان ذلك سنة ١٩٠٣ ثم منحت مرة ثالثة لمدام كيرى بمفردها سنة ١٩١٠ في الكيمياء لاستكمال بحوثها في المواد المشعة ، كما منحت سنة ١٩٣٣ لكريمتها « ايرين كيرى » لكشفها النشاط الاشعاعى الصناعى كما منحت هذه الجائزة لزوج كريمتها « فردريك جوليو كيرى » فتكون قد دخلت هذه الجائزة الرفيعة هذا المنزل خمس مرات .

وهكذا وبعد كشف « بكارل » الرائع لليورانيوم أصبحت المواد المشعة علما مركزه مدام كيرى في السوربون بباريس و « رذرفورد » في انجلترا ، ويجد الذين يهمهم تتبع هذا العلم كل ما يريدونه في كتاب مدام كيرى الخالد (وهو من جزأين) عن المواد المشعة والنشاط الاشعاعى ، وقد ظهر قبل وفاتها بأيام قلائل في سنة ١٩٣٤ .

ويتعرف الباحثون اليوم على المواد المشعة ويدرسونها باربع وسائل :

١ ـ اللوح الفوتوغرافى الذى يعرف فن «بكارل» انه يتاثر بالنشاط الاشعاعى .

٢ ـ الالكتروسكوب ، وهو جهاز معروف لكل طلبة العلوم ويتاثر بتعرض الهواء بجواره للمواد المشعة فيتاين ويؤثر كهربائيا على الالكتروسكوب .

٣ ـ عداد جيجر وميلر ويتكون الجزء الرئيسى منه من أنبوبة تحوى غازا يصبح موصلا للكهرباء عند تاينه من جراء المواد المشعة القريبة منه ، ويحوى الجهاز الكترورين يمر بينهما تيار كهربائى وهذا اما أن يحرك عدادا أو يؤثر في مكبر للصوت يسمعنا صوتا يدلنا على وجود مواد مشعة ، وهذا الجهاز سهل الاستخدام ، ولقد استخدمته في سهولة منذ حوالى ثلاثين عاما ، ولقد طلبنا في ذلك الوقت من القائمين بأمر البحوث العلمية في مصر شراء أجهزة منه لاستخدامها في التعرف على وجود المواد المشعة كاليورانيوم والثوريوم والراديوم في الصخور المصرية وتستخدم حاليا مؤسسة الطاقة الذرية عدة أجهزة من هذا النوع في بحوثها لمعرفة مدى وجود مثل هذه المواد في الجمهورية العربية المتحدة .

٤ ـ غرفة «ولسون» ، وهى جهاز دقيق لا مجال لشرح تفاصيله الآن ، ويمكن بواسطته رسم مسارات الالكترونات أو غيرها من الجسيمات التى تخرج من نواة الذرة خلال اشعاعها وتفتتها أو انشطارها ، ولقد كتبت عنه مقالا في العدد ٣٠٦ من مجلة الرسالة بتاريخ ١٥ مايو سنة ١٩٣٩ .

ولقد تمكن جيش كبير من العلماء وعلى رأسهم مدام « كيرى » من الوقوف على أمرين هامين : —

الأمر الأول : الكشف عن طبيعة الاشعاع المنبعث من النواة فى المواد المشعة كاليورانيوم والراديوم ، ذلك أن نواة هذه المواد غير متزنة وتخرج من تلقاء



ذاتها ثلاثة اشعاعات سموها بالأحرف الاغريقية الأولى .

« ألفا » وهو اشعاع جسيمى هو نواة ذرة الهيليوم ، العنصر الثانى فى جدول العناصر .

« بيتا » وهو اشعاع جسيمى مكون من الكترونات

« جما » وهو اشعاع كالضوء ذو موجة قصيرة للغاية طبيعته اشعاعية محضة وليست جسيمية .

« **الأمر الثانى** » : معرفة ما نسميه اليوم نصف العمر ، ذلك أن هذه المواد الاشعاعية تفقد خلال اشعاعها المستمر من طاقتها وبالتالى من كتلتها ، وما الاشعاع الا تحول من مادة الى طاقة ، وقد اصطلحوا على فترة نصف العمر ، تلك الفترة التى تمر لكى يفقد الجسم نصف كتلته اى نصف طاقته ، وبينما تبلغ هذه الفترة فى عنصر الراديوم حوالى ١٦٠٠ سنة تبلغ فى اليورانيوم الذى يصرف اشعاعه بدرجة اقل من أربعة الى خمسة الوف الملايين من السنين ، والذى يود أن يعرف كيف توصل العلماء الى هذا الحساب يجد ذلك فى كثير من الكتب ، ولعل أهم هذه الكتب كتاب مدام « كيرى » الذى أسلفنا ذكره ، كذلك يجد المطلع طريقة واضحة للحساب فى الجزء الخامس من كتاب «جريمزيل» وهو الجزء المخصص للدراسات الذرية ، ويجد القارىء طريقة الحساب فى الترجمة الانجليزية فى صفحات ٢٧ ، ٢٨ .

تلك حقبة هامة من حقبات العلوم الذرية ، ولكرر ان على رأسها جهابذة ذهب اغلبهم للتاريخ — بكارل — مدام كيرى — كريمتها ايرى — زوج كريمتها جوليو وغيرهم وفى مقالات قادمة سيكون لنا جولات فى زيادة التعرف على هذا العالم العجيب .

دكتور محمد محمود غالى

تعقيبات

بقلم : عباس خضر

الزيات والقصة

استرعت انتباهى كلمة الاستاذ مصطفى نشأت التى نشرت فى البريد الادبى بالعــــدد الأسبق من الرسالة بعنوان «فى محراب الذكريات» والتى يذكر فيها استاذه بمدرسة الاعدادية الثانوية ، واستاذنا فى الرسالة ، احمد حسن الزيات ، بذكريات طريفة ، اذ كان الاستاذ الزيات مدرسا فى تلك المدرسة .

استرعى انتباهى ماجاء فى تلك الكلمة الطريفة من الاشارة الى قصة للاستاذ الزيات ، قال التلميذ الأول انه يحتفظ بعدد مجلة المدرسة الصادر فى اول مارس سنة ١٩١٩ والذى نشرت به تلك القصة ، وهى قصة «ضحية السيل» .

ذلك انى — فى أثناء بحثى عن نشأة القصــــة القصيرة فى مصر — رأيت قصة «ضــحية السيل» منشورة فى جريدة السفور (٢٧ فبراير سنة ١٩١٩) اى قبل نشرها بمجلة المدرسة، وكان الاستاذ الزيات فى تلك الفترة من كتاب الطليعة الشباب فى «السفور» وكانت القصة مذيلة بتوقيع « ا · الزيات » واذا كان التوقيع لاينفى شبهة ان يكون هناك « زيات » غير احمد حسن ·· فان الاسلوب يقطع بالا زيات غيره .

كانت القصة مستوحاة من حادث ســـيل جرف بيوت الفقراء فى عزبة الدمرداش بالعباسية ، كما فعل أخيرا قصاصنا الكبير نجيب محفوظ فى استيحائه قصة «اللص والكلاب» من حادث سفاح الاسكندرية المشهور .

تصور القصـــة امرأة وابنتها فقدتا عائلهما ولم تجدا ما ترتزقان منه ، فاضطرت الأم أن تعمل غسالة واشتغلت البنت بجمع أعقاب لفافات التبغ ، وعاشتا فى ضنك بكوخ فى عزبة الدمرداش ، ولقيتا كثيرا من صنوف البؤس والحرمان ، حتى ذهبتا ضحية السيل .

وقلت عن القصة فى بحثى الذى لايزال مخطوطا فى ادارة التفرغ :

« وتدلنا فنية هذه القصة المتطورة ، الى مافيها من ملامح فن المنفلوطى ، على أنه كان يمكن لكاتب مثل الزيات أن يطور القصة القصيرة المنفلوطيــة لو أنه استمر فى كتابتها ، ولكنا لم نر له غير هذه القصة فى تلك الفترة ، وقد كتب قصصا قصيرة بعد سنة ١٩٣٠» .

ذلك أن فترة البحث تنتهى سنة ١٩٣٠ ، واعتقد أن الاستاذ الزيات لو أخذ نفسه بكتابة القصة القصيرة فى الفترة التى نشأ فيها روادها عندنا لـكانت له مدرسة قصصية ذات خصائص أخرى غير خصائص ماقدموه من قصص اتجهوا فيها الى احداث فن قصصى جديد على غرار الفن الغربى دون أن يعباوا بالتراث العربى ، وكان ضعف الناحية العربية فيها من حيث اللغة من أسباب مالاقته من مشقة وصعاب فى سبيل الاعتراف بها كأدب .

على أن ماكتبه الاستاذ بعد من قصص فى عهد مجلة (الرواية) أخت (الرسالة) حقق التطوير الذى أشرت اليه فى البحث ، ولكنه كان انتاجا قليلا على هامش النشاط الادبى للاستاذ الزيات .

وقد تضمنت قصة (ضحية الســيل) مضمونات اجتماعية من واقع عصرهـا واهتماماته ، فهى تلقى الضوء على واقع المرأة المصرية اذ ذاك من حيث تعطلها وتعرضها للمذلة والهوان عندما تفقد عائلها ، وتدعو القصة المرأة المصرية الى العمل والتسلح به ، وكانت هذه دعوة مبكرة فى ذلك الحين · يقول « ا · الزيات» على لسان احدى شخصيات القصة :

«ماحيلة المرأة المصرية ياأختاه اذا أعوزها البعل وضاق بها الاهل ؟ هل تستطيع العيش الا ببـذل

الوجه او يبدل العرض ؟ انها خرقاء جاهلة فلا ترتزق بابرتها ، ولا تكتسب بقلمها ، كما يفعل من تجاور من بنات الشام وفتيات اليهود ، وانما هي كل على الرجل تحيا بحياته وتموت بموته » .

ويشير هذا النص الى من كان في مصر من كاتبات لبنانيات وسوريات يحترفن الكتابة في الصحف تاليفا وترجمة ، وكان لهن شان وأثر في حياتها الادبية والصحفية ، مما تحتاج دراسته الى مجال أوسع من هذا المجال .

النقد بقياس الأحجام

ابتكر الأستاذ عامر بحيري طريقة جديدة في نقد الكتب .. تلك هي أن يقيس احجامها ويحصى عدد صفحاتها ، فان وجدها تثقل الكف فهي مثية النفس .. وان الفاها من القطع الصغير ، شد عليها النكير ، وضن عليها بالتقدير ..

ولما كان كتابي « كتب في الميزان » من النوع الثاني ، فقد شالت كفته في ميزانه ، وحقت عليه لعنة الطريقة الجديدة .. طريقة النقد بقياس الأحجام وعد الصفحات ..

وطبقا لتلك الطريقة الفريدة ود الأستاذ المبتكر ان يكتب عن الكتاب كتابا ، ولكن السطور المحدودة ـ كما قال ـ قيدته بمقال موجز ، اى صغير الحجم مع الأسف .. « **مع أنه من الممكن ، بل من الواجب في مثل هذه الحالة ، ان نكتب في الموضوع كتابا مفردا** » .. كما قال في العدد (٣٧) من مجلة الثقافة .

والموضوع الذى يرى أن من الواجب أن يكتب فيه كتابا مفردا ـ لابد أن يجيء ضخما وفق النظرية الحجمية المبتكرة ـ هو نقد كتابي الصغير الذى يرى أنه ليس كتابا .. اذ قال : « **وكتاب (كتب في الميزان) كتيب .. وليس كتابا** » ! **اى انه يريد ان يؤلف كتابا عن « لا كتاب » !**

ومن المحال ـ طبقا للنظرية الحجمية المذكورة ـ أن يشتمل الكتاب الصغير أو اللا كتاب .. على شيء ذى بال ، يستحق التنويه به على اى حال ! **وليس لنا ان نسأله لماذا قدمه اذن في المقيل الذى ليس بمقال .. والذى شغله باحصاء عدد الصفحات التى كتبت في الكتاب عن هذا الكتاب أو ذاك ..**

وماذا كان يفعل ان الف عنه كتابا ؟ هل كان يعد السطور .. أم كان يعد الكلمات والحروف ويتانى في العد والاحصاء حتى يجيء الكتاب المفرد !! كما ينبغي ان يكون الكتاب .. ضخما سمينا لا تعد صفحاته ولا تحصى ؟!

والأخ الأستاذ عامر لم تعجبه عبارة « ويبدو لى » التى تتكرر في ثنايا الكتاب ، والتى تدل على أنى لا أقطع برأى خاص ، ويسأل مستنكرا : « فلماذا لا يريد المؤلف أن يقطع برأى خاص في كل أمر يعرض له » ؟ .. **وكيف يقطع الدارس برأى اذا كانت الملابسات لا تساعد على القطع ؟ ولماذا لم يقطع هو حين قال في نفس المقال :** « ولكن يبدو لى أن ميزان الأستاذ عباس خضر بحاجة الى ميزان .. ونقده بحاجة الى نقد » .. ؟

هلا قطع برأى خاص في احتياج نقدى الى نقد ! ثم .. الم ير لى الناقد الاحصائى الحجمى .. في الكتاب كله .. أى راى خاص متطوع به !

والأستاذ عامر بحيرى زميل صديق ، ولهذا فانى اهنئه، بل اهنىء عالم النقد الحديث ، **بهذه الطريقة الحجمية القطعية غير المسبوقة وغير الملحوقة .. واعده بان يكون الكتاب القادم حجمه كبير .. ومن القطع الكبير ..**

كشكول

● يحتفل الآن بالذكرى الأولى لوفاة أستاذ الجيل أحمد لطفى السيد .. وبهذه المناسبة نذكر أن من الخطأ ما يظنه البعض من أن مناداة الفقيد بشعار مصر للمصريين كانت دعوة اقليمية ، **اذ كان المقصود بهذا الشعار انما هو مقاومة التبعية التركية والنفوذ الأجنبى في مصر .**

● توفى الأديب الشاعر محمد مصطفى حمام بالكويت ، حيث كان ينزل أخيرا . **كان حمام طاقة أدبية كبيرة ، ولكنها كانت موزعة ضائعة .**

● كان جميلا من صلاح عبد الصبور ورجاء النقاش واحسان عبد القدوس أن كتبوا في وفاة العقاد معربين عن تقديرهم له وحبهم اياه ، وقد نالهم مانالهم من عصاه .

● من المجموعات القصصية الجيدة التى ظهرت اخيرا مجموعة « **العالم الضيق** » للدكتور نجيب الكيلانى ، وهو كاتب قصصى سديد الاتجاه ، ولم يعجبنى في هذه المجموعة أن حشد اشخاص القصص في اطار أسود وصب على رءوسهم هموم الدنيا كلها ومصائبها .. **ليست الحياة حزنا مركزا هكذا ، قليلا من الاستبشار ياسيد نجيب .**

● في « دنيا الأدب » بالتليفزيون تناقش ناقد ومخرج في موضوع قصة « بين القصرين » بين الفيلم

حول الأدب في أسبوع

يقدمه : عبده بدوى

التحرك من خلال الثقافة فى المنصورة :

نستطيع ان نقول ان محافظة المنصورة ، تتحرك فى كافة المجالات من خلال الثقافة ، فهى تجعل من الثقافة قوة دافعة للمواطن فى كافة انطلاقاته ، ومن هنا كان مهرجان الأدب الذى أقيم من عدة شهور وكان الاحتفال بمرور عام على وفاة « احمد لطفى السيد » ، وكانت تلك الأفكار المضيئة التى أعلنها اسماعيل فريد المحافظ ، وعقيل مظهر سكرتير عام المحافظة ، والتى تتمثل فى :

١ ــ انشاء نواة لدار طباعة فى المحافظة .

٢ ــ العمل على تحويل مجلة « المنصورة » الشهرية الى اسبوعية .

٣ ــ الحرص على عقد الندوات والمهرجانات ، حتى تتولد الأفكار من خلال التقاء القاهرة بالمنصورة .

٤ ــ انشاء مكتبة ومتحف باسم لطفى السيد فى المدينة ، وفى قريته «برقين» بالاضافة الى انشاء جوائز ومنح دراسية باسمه للمتفوقين من ابناء المحافظة ، وفى الوقت نفسه اقامة تمثال له فى أحد الميادين .

٥ ــ تكوين مكتب يسمى المكتب الثقافى ليكون حلقة الاتصال الفكرى بين القاهرة وبين المنصورة .

والانسان وهو يكتب هذا لا ينسى أن طائفة كبيرة ــ تسترعى النظر ــ من ابناء هذا الاقليم قد تحدث على لسانها الجمال ، وازدهر الشعر ، واضاء الفكر ، وان من اعمق اعماق هذه الطائفة قد سمعت كلمة جديدة للحياة ! .



والرواية الأصلية لنجيب محفوظ . اراد الناقد أن ينقد تصرف المخرج فى تحوير الشخصيات عن أصلها .

فلمح له المخرج : مخرج الفيلم .. بانه سيستعين به فى حل مشكلة احدى الشخصيات فى فيلم « قصر الشوق » التالى ، فسكت الناقد .. او كما قال : لا اقصد هذا .. انما .. ثم .. ولكن .. الخ

● لعل كتاب « **غزو الفضاء** » اول مؤلف عربى فى هذا الموضوع . وقد أحسن مؤلفه الأستاذ عبد المنعم أبو السعود بتيسير مباحثه لجمهور القراء بحيث يستفيد منه غير المتخصصين .

● طلبت منطقة شمال القاهرة التعليمية من الشاعر ابراهيم محمد نجا بعض نسخ من ديوانه « **أيام من عمرى** » لعرضها على لجنة خاصة تقرر شراء كمية منه لمكتبات المدارس تشجيعا له باعتباره مدرسا أول باحدى مدارسها . ومضى عامان ولم تجتمع اللجنة .. **والمطلوب تشجيعها هى على الاجتماع !**

● **مسرح الحكيم ينافس اسماعيل يسن .. ومسرحيات الحكيم تعرض على مسارح اخرى .. اقترح أن تعرض هذه المسرحيات على مسرح اسماعيل يسن .. كى تتم المقابلة الظريفة !**

عباس خضر

مهرجان احمد لطفي السيد :

وفي هذا المهرجان قدم عشرون باحثا وشاعرا « لطفي السيد » من كافة نواحيه ، ولقد كانت ظاهرة طيبة أن اساتذة الجامعة قد اسهموا في هذا المهرجان ، وقدموا عدة جوانب من لطفي السيد ، وان كان مما اخذ على أكثر الذين تحدثوا انهم قدموا لطفي السيد من خلال خدماته لهم ، مما كان يظهر الرجل بانه « انسان المنصورة » اكثر مما هو « انسان مصر » .

ولقد كان من الذين خرجوا عن هذه الدائرة الدكتور عبد الرحمن بدوي الذي تعرض للقيمة الفكرية للطفي السيد ، ولخصائص ترجمته لأرسطو التي كانت تتمثل في الدقة ، والتزام النص، واستعمال المصطلحات الحديثة ، والتانق في اللفظ وعدم الخروج به عن «مساحة» المعنى ، وعدم الربط بحروف العطف ، وان كانت هذه الترجمة تبدو شارية في بعض الاحيان .. كما اشار الى ان سبب اختياره لأرسطو او لسيدنا ارستطاليس على حد تعبير لطفي السيد — انه كان يرى ان مذهبه ابعد المذاهب عن التضاد بالفكر العربي ، وانه يجب ان تكون لنا فلسفة مصرية نابعة من الفلسفة العربية التي لا تخرج بدورها عن فلسفة ارسطو ، بالاضافة الى انه كان يضع في ذهنه ان عصر النهضة الاوربية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر قد قام على الفكر اليوناني ، وانه لا بد لنا من هذه الالتفاتة العميقة في حياتنا المصرية .

وبعد أن طوف بنا في الكيان الفكري للطفي السيد ذكر قدرته على التاليف بالمقدمة التي كتبها عن أرسطو ، وقد خيل الى انه ركز على هذه الفكرة ليرد على الذين كانوا يقولون ، انه كان يجيد الحديث بالشفاه اكثر من اجادته له بالقلم .

وكان البحث الثاني الذي خرج عن دائرة «التعارف الشخصي» بحث الدكتور فؤاد الأهواني، الذي درسه من عدة نواح بحيث جعله امتدادا لفلاسفة المسلمين ، ثم أورد له رايا جديدا في تفسير الحروف التي تبدأ بها بعض السور القرآنية، ومع ان اقوال المفسرين تزيد على العشرة في تفسير هذه الحروف ، الا ان راى لطفي السيد يبدو من اعمق هذه الآراء ، وهو ان هذه الحروف «مقدمات موسيقية» تمهد للسورة ومضمونها ، وكان مما اقترحه في هذه الذكرى : جمع ما ترجمه العرب من مؤلفات أرسطو ونشره محققا ، وتقديم ترجمة جديدة لاعماله مطابقة للنص الاصلي ، واصدار كتاب باسم « اثر ارسطو في الفكر العربي » .

اما المأساتان اللتان اضاءتا المهرجان ، فقد كانت الاولى للدكتور طه حسين الذي ذكر انه احبه كل الحب حين اكب على يده يقبلها في اول مقابلة بينهما — فاذا هو يمتنع عليه ، وكيف انه اغراه بتعلم اللغة الفرنسية ، وبالاختلاف الى الجامعة ، وبتقريب «ابي العلاء» اليه ، وبمواصلة ما يكتب من مقالات، وكيف انه قرا رسالته عن ابن خلدون قبل ان يتقدم بها الى السوربون كما كانت تقضي بذلك القاعدة ، وكيف انه استقال من الجامعة حين اخرج منها ، وكان مما قاله ، اتصل الود بيني وبينه اكثر من نصف قرن ، ثم فقدته احب ماكان الى ، واكرم ماكان على ، وآثر ما كان عندي » .

اما المأساة الثانية فكانت الصورة الجليلة التى رسمها احمد حسن الزيات ، والتى اظهره فيها كالجدول السلسل الرقراق ، فقد كان نقى الصوت حلو النغمة ، متخير اللفظ ، يستار سيرة العلماء ويستن سنة الفلاسفة ، ويرسل التجديد في أكثر من ميدان ، أما مجلسه فكان امتدادا لمجلس أرسطو ، والأفغاني ، وقد سمعنا قصائد للشعراء .. كانت قصيدة عزيز أباظة امتدادا لعمارة الكلاسيكي الذي يعتمد على الرصانة ، وجهارة الوحدة واستقلالها في بعض الاحيان عن الوحدات الاخرى ، واظهارها « متعالية » عن السامعين في بعض الاوقات .

اما قصيدة أحمد رامي فلم تنسج من خيط واحد، فقد كانت كباقة الزهر المترف التى جمعت من اكثر من بستان ، والتى كانت تدل كل واحدة منها على « طبيعة الحقل » التى اقتطفت منها فكما تحدثت القصيدة عن حقيقة الموت ، والاسف للموتى عانقت المنصورة ، واحتضنت دار ابن لقمان ، وقبلت الضفة التى عطرت أيامه بعلي محمود طه ، وناجي ، وباحمد لطفي السيد .

ودعاني للرحيل لباريس فترجمت صاحبي الخيام

واذا كان النقاد المسرحيون يتحدثون كثيرا عن « موهبة الحضور » بالنسبة للمثل ، فان رامي يمتلك هذه الموهبة ، فصوته وشفافية شعره ، وتاريخه يجعله من احب الشعراء الى المستمعين .

وكانت هناك قصيدة محمد الجيار التي كانت محتشدة بالصور ، ومعبرة عن بعض المواقف

الوجودية ، والتى سارت فى خيط شعورى رهيف، لولا تلك الصحوة المفاجئة التى صحاها الشاعر بعد عدة ابيات ، ثم راح يعيد فيها مضمون احدى قصائده القصصية ـ القديمة ـ حدثا واشخاصا ـ واذكر انى حين ذكرته بهذا قال لى ان قصيدته المضمنة كانت من الشعر الحر ، وانه لكى يريد لها البقاء عاد فصبها فى الشعر العمودى ، ولكنى ذكرت له ان القصيدة « التى سرقها من نفسه » كانت عمودية ، ولعل هذا الاقتباس الشديد يدعونا الى ان نطلب من الشعراء عدم الوقوف بمظهر التردد بين الشكلين ، فخير للشعر ان يقف الشعراء عند احد الشكلين باقتناع !

اما قصيدة .. روحية القلينى .. فكانت تعطى احساس المرأة بالكلمة وبطريقة التناول ، وبالزاوية التى يمكن ان تعمقها المرأة اكثر من الرجل ، وهذا بجعلها الرد ـ ان تم استقراء شعرها ـ على النقاد الذين يقولون ان الرجال هم الذين استطاعوا ان يعبروا عن عالمهم ، وعن عالم المرأة كذلك ، واننا اذا تصفحنا ديوانا حديثا لعاتكة الخزرجى لا نجد تلك « الخاصية » التى تميز شعر المرأة ، بعكس شاعر كنزار قبانى الذى يخيل الينا انه قال «كلمة المرأة» لا فى الشرق فقط ، ولكن فى كل مكان من العالم .

ومهما يكن من شىء فيكفى ان نذكر هنا مطلع قصيدة روحية التى تحدثت فيه الى آنسة مثلها، طالبة منها «الحنان» ، والاشارة «بالبنان» ، والكلمة فى الليل وفى الضحى فقط .

اجمعى الازهار من كل مكان
فوق مثواه ضعيها فى حنان
رتلى الآيات ليلا وضحى
فى خشوع واشيرى بالبنان !

ولعل الشىء الوحيد الذى افتقده الحفل هو مشاركة الأدباء المقيمين فى المحافظة ، فنحن لم نر منهم الا الشاعر «الباز» الذى كان يقدم ديوانه « اطياف الربيع »، والذى كان ينظر الى القاهريين كأنهم آلهة هبطوا المدينة ، والشاعر « أبو عزيزة » الذى تقدم بمطولة فى ذكرى لطفى السيد .. فالمطلوب من كل الأدباء ـ وبخاصة الشبان ـ أن يشاركوا مهما كانت قدراتهم ، لا ان يكتفوا فقط بالنظر الى الفرسان الذين احتلوا المدينة بالكلمة .

العقاد فى المنصورة :

اذا كان الأحياء قد كرموا الخالدين فى المنصورة، فان الخالدين قد يكرم بعضهم بعضا ، وقد يناجى بعضهم بعضا ، فقد رأينا قمة ترفع صوتها رغم الموت ، لتكرم قمة اخرى رغم الموت ايضا .. وفى الحقيقة لقد ملأ علينا العقاد المنصورة ، فقد بدا حفل لطفى السيد بالوقوف حدادا على موت العقاد ، وكان العقاد فكر تثار به المناقشات ، وكان فى فم احدى السيدات القاهريات مادة تلتهم على احد موائد العشاء .. وقد كان لى شرف القاء قصيدة العقاد التى قالها فى لطفى السيد بمناسبة بلوغه التسعين من عمره ، وقد جاء فيها :

يا أحمد الخير حمدا غير مرتهن
بالعهد من زمن والعهد من سكن
باصبائن الزمن الملقى بلا عدد
ولااعتداد .. مصون انت للزمن
تسعون عاما مضت فى خير ما
حفلت به الدقائق من حق ومن حسن
ومن حفاظ على حريتين هما
حرية الراى فى حرية الوطن
فيها تواسيع « افلوطين » حالية
بمنطق لأرسطو واضح السنن
والقول عندك تشريع تعززه
بلاغة الفن من ذواقة لسن
وأنت فى مجمع للضاد تبعثها
من جاهليتها للقائل الفطن
رعيت ما قال باديها وحاضرها
وذو الكفاية من مستعرب يقن
فأنت كالمتنبى ان اردت لها
غير المعرب .. لم تقدر على اللحن
كم آية منك للقرآن تسمعها
بحجة الوحى تحيى حجة الأذن

سمعتهم يقولون :

● **الدكتور مصطفى السعيد** .. يقول : انه ذهب وفد من اساتذة الجامعة ليتحدث فى زيادة المرتبات ، فاذا باحمد لطفى السيد يتزعج ويقول : « لقد خيبتم ظنى فقد حسبت أنكم حضرتم لتناقشونى فى مسألة علمية » .

سمعتهم يقولون :

● **الدكتورة سهير القلماوى** .. تقول انها تود لو صدرت مجلة تجريبية للشباب فى كافة الاشكال الادبية ، بحيث يكون انتقالهم طبيعيا الى المجلات المتخصصة ، كما دعا الدكتور لويس عوض الى مثل هذه التجربة فى المسرح ، على ان يكون كل ما يقدم على هذا المسرح من الاعمال المرفوضة .

الكتب نقد وتعريف



يقدمه محسن عبد الحي

الصهيونية العالمية وارض الميعاد

تأليف علي امام عطية

لقد ملات الدعاية اليهودية ارجاء العالم باكاذيب كثيرة مختلفة ومختلقة .. فى مجال تبريرها .. لاحقية اليهود فى احتلال فلسطين .. فالى جانب تزوير النصوص الدينية لتتكيف مع هذه الخطة ـ نراها ـ وفى كثير من المناسبات ـ تدعى لنفسها ما يسمى بالحقوق التاريخية .

ولا اود هنا ان اناقش ادعاءاتهم قبل عرض وجهة نظر التاريخ .

يقول لنا التاريخ ..

« لقـــد استوطن بنو اسرائيـل فى القديم من التاريخ ، قبل وبعد موسى ، اراضى الفرات الأدنى . ووادى الاردن بجوار فلسطين .

وقدخالطوا الكلدانيين والبابليين وتأثروا بخرافات أولئك الاقوام وخيالاتهم وخصوصا بعد عهد موسى ، ثم تركوا الفرات الأدنى ووادى الاردن الى غـــربى الاردن ففلسطين ولم تكن لهذه المواقع من البـــلاد سوى أهمية قليلة فى التاريخ القديم من حيث المدنية الراقية والحضارة العظيمة ، ولكن اليهود ومؤرخيهم جعلوا لهذه المواقع ووجودهم فيهـــا بصفة عامة ، وبقائهم ردحا من الدهر تحت حكم ملـكهم شارول « طالوت » ومن بعده بصفة خاصة عظيم الاهمية ، وبالغ مؤرخوهم فى رواية تاريخ تلك الحقبـة من الزمن بالنسبة لهم وبالغوا فى أهميتهم التاريخيـة حينذاك ..

وجاء فى هـــذه العصـــور قبل الميلاد من أقوام « اقريطش » شعب غير يهودى شعب لا يمت لبنى **اسرائيل باية صلة . شعب يقال عنه انه من الجنس الآرى فاستوطن فلسطين ، وكانوا ضخام الاجسام وعرفوا بالفلسطينيين،وملكوا ساحل البحر وتوغلوا فى ملكية باقى الوطن الشقيق الحبيب الذى سمى باسمهم « فلسطين »**

وكان الفلسطينيون أهل نشاط عظيم ، وشعب عمل وكفاح ، واختلط بهم بنو اسرائيل منذ عهـد جدهم يعقوب ، لم يملـكوا او يستوطنوا غير بلاد قليلة من الساحل مثل يافا والجليل . وما جاورها وراس الكرمل ، وبقى بنو اسرائيل فى هذه البلاد، والقلة القليلة منهم فى غيرها،زمنا محدودا بوصفهم رعايا ضمن الشعب الفلسطينى الغالب فى العدد ، والمخالف لهم عنصرا وجنسا واصلا ودما .

وبقى وجودهم فى فلسطين أقلية كوجودهم فى كل بلد من بلاد المعمورة ـ ولم تكن فلسطين ذاتهـا فى هذه العصور سوى احدى طرق العالم القـديم الرئيسية ، والتى تقل فى الاهميـــة عن بابل التى كانت فى المكان الاول كطريق رئيسى للعالم القديم

ونشأت روح اليهودية التجارية التى هى آية بنى اسرائيل بين أحضان آســيا ووادى النيل فى تلك القـرون الخـــالية ، فبرز منهـم أفـراد اشتهروا بالتجارة ، واندمج بذلك أولئك الافراد اليهود فى القوافل العديدة التى كانت تمر من بقعة من أراضى دنيا هذه الاجيال والقرون الى بقعة أخرى من هـــذا العالم القديم ، فلم يكن لبنى اسرائيل ـ كشعب له كيان وقومية مجموعة فى وطن واحد أو صعيد واحد ـ اى حضارة أو رقى يسجله التاريخ كما ســـجل لشــــعوب هـــذا العصر وما بعده من الفينيقيين والآشوريين والكلدانيين والبابليين والمصريين ..

لم يكن لبنى اسرائيل وحدة او وطن فى اية جهة من جهات الشرق القديم . اما مملكة سليمان التى لم تعمر طويلا .. فقد ثبت تاريخيا ان سليمان لم يتخذ عاصمة ملكه الذى يتشدق به اليهود داخل فلسطين بل كان بعيدا عنها فى بلدة اصطخر ، وهى من اشهر بلاد فارس .. واين بلاد فارس من فلسطين ، وقد جاء بدائرة معارف البستانى عن اصطخر » ما يلى :

اصطخر : بلدة من بلاد فارس ومن اشهر مدنها، طولها ١٢ فرسخا وعرضها ١٢ فرسخا ، وكان بها خزائن الملوك قبل الاسلام . وبها جبال يوجد فيها الحديد ومعادن أخرى ..

وقال المسعودى ان بها بيت نار تعظمه المجوس، كان فى قديم الزمان ، فأحرقته « جمانى بنت بهمن ابن اسفنداباد » (اسفنديار وجعلته بيت نار ، ثم نقلت عنه النار فتخرب . ومسجد سليمان بن داود .

وبعد .. هل لليهود اية حقوق تاريخية فى فلسطين ..؟

الحقيقة والتاريخ يقولان ـ لا .. ولكن اذا سلمنا جدلا بان بعضهم اقام فى فلسطين ردحا من الزمن ـ ايام ابراهيم ـ وهى فترة ثبت تاريخيا انها لا تزيد على ثمانين عاما .. فهل يجيز لهم ذلك ادعاء ما يسمونه بالحقوق التاريخية ..؟

واذا كان الأمر كذلك فهل يحق للعرب ان يطالبوا باسبانيا .. التى اقاموا بها ثمانية قرون واسسوا فيها حضارة انسانية عظيمة معترفا بها تاريخيا .؟ هذا من جهة، ومن جهة اخرى هل تتميز اليهودية على المسيحية والاسلام باية حقوق دينية فى القدس بصفة خاصة وفلسطين بصفة عامة ؟ واذا كانت اورشليم تلقى اشعتها على العالم اليهودى من خلال ماضيها عندهم ، مع اكليل زاهر نسجته حماسة تلك القلة من ملايين البشر الاسرائيليين ، وايمانهم القوى ، وعقائدهم المتمشية مع الاوهام التى ذكرت فى كتبهم المقدسة والخيالات التى نقلتها لهم هذه الكتب الموضوعة ..

اقول .. اذا كان للقدس مجد تاريخى ـ فلا يمكن أن ينفرد به اليهود وحدهم .. فالذى لا جدال فيه هو ان هذه البقعة النورانية على سطح الكرة الارضية .. تبلجت فيها أنوار موسى صاحب الألواح ، وعيسى صاحب الانجيل ، ومحمد حامل لواء التنزيل .. فهناك عاش موسى الكليم ، وهناك ولد المسيح الرحمة من الرحيم . والى هناك اسرى ليلة الاسراء والمعراج بالنبى الكريم العظيم ـ فالموسويون ـ وليس الصهاينة ـ والمسيحيون والمسلمون جميعا يقدسون هذا المكان الطاهر ..

وقد ثبت تاريخيا أن الذى بنى القدس ـ هم « اليبوسيون » وكانت تدعى يبوس ، واليبوسيون اصلا من العرب ومن صميم الجزيرة ابناء بطون رحلوا مع الكنعانيين نحو الشرق .. ويقال ان اول من بناها « ملكيصادق » وكان محبا للسلام هادىء الطبع فاطلق عليه « ملك السلام » ومن هنا جاءت تسمية « يبوس » باسم شالم أى سالم . وسميت بالاسم الكنعانى «اورسالم» اى مدينة السلام .

فاذا كان العرب هم الذين بنوا القدس ـ واذا كانت القدس من الناحية الدينية مرتبطة بالأديان السماوية الثلاث ـ الموسوية والمسيحية ـ والاسلامية ـ فبأى حق ينفرد بها اليهود وحدهم ..؟

يجب الا نشك لحظة واحدة فى انهم يدبرون لهذا الانفراد بالاماكن المقدسة .. منذ زمن طويل .. ولتحقيق ذلك يحاولون قدر استطاعتهم هدم الاديان الاخرى .. وما قصة عبد الله بن سبأ فى تاريخنا الاسلامى ببعيدة عن اذهاننا فقد اعتنق الاسلام ولكنه ظل على يهوديته محاولا بذر بذور الفتنة بين المسلمين فى عهد الخلافة الاول .. وذلك لاضعاف الاسلام والمسلمين ..

انهم فى كل زمان ومكان ـ يستوطنون فى دعة ولين ومسكنة ويدبرون امورهم خفية .. ويكفى أن نذكر هذه الواقعة التاريخية ـ لنستوضح خفايا سياسة اليهود ، واسرار خطط الصهيونية .. البعيدة المدى ..

لقد شعر اليهود سنة ١٤٨٩ م باضطهاد فى اكس وارل ومرسيليا بفرنسا ، فكتب زعيمهم « شامور » خطابا مؤثرا الى المجمع اليهودى العالى ، الذى كان قائما حينذاك بالآستانة .. فى تركيا ، حرر «شامور» خطابا مستفيضا شرح فيه التهديد والوعيد والاضطهاد والتعذيب وكل الآلام التى كان يعانيها اليهود فى فرنسا ـ منتظرا وجهة نظر المجمع واجابته عليه ، ورسم الخطة التى يجب أن تتبع ، وفعلا جاءت اليه الاجابة من الحكام الربانيين وفيها الخطة كاملة للعمل بها ..

وهذا نص تلك الاجابة :

«بمقتضى قولكم ان ملك فرنسا يجبركم ان

تعتنقوا دين المسيحية فاعتنقوها ، فليس في وسعكم المقاومة ، ولكن يجب أن تبقوا على شريعة موسى ، وان تكون اليهودية دينا ثابتا راسخا في قلوبكم ، لا تزعزعه مظهرية اعتناقكم للدين المعادي الذي تعتنقونه ..

وبمقتضى قولكم ان الفرنسيين يأمرونكم بالتجرد من املاككم فلا مانع من ذلك ، على أن تجعلوا أولادكم تجارا ليتمكنوا شيئا فشيئا من تجريد المسيحيين من املاكهم فتعود بهذه السياسة املاككم .

وبمقتضى قولكم ان الفرنسيين يعتدون على حياتكم ، فسالموهم ، وتمسكنوا لهم حتى تتمكنوا ، واجعلوا اولادكم اطباء وصيادلة فيمكنهم اعدام المسيحيين وقتلهم دون أن يكشفوا أمركم .

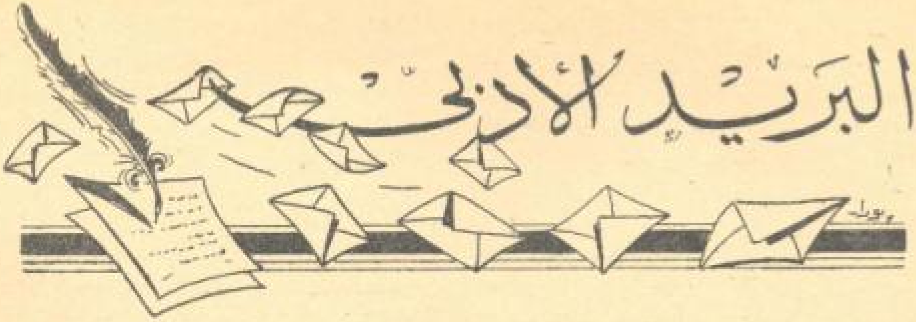
وبمقتضى قولكم انهم يهدمون معابدكم ، فاجعلوا اولادكم كهنة في كنائسهم واكليريكيين ليهدموا كنائسهم ، ويشككوا في عقائدهم .

وبمقتضى قولكم انهم يسومونكم العذاب وتعديات أخرى ، فاجعلوا أولادكم وكلاء دعاوى وكتبة عدل ، ليتدخلوا دائما في مسائل الحكومة والقضاء ، فيصبح الامر لكم ، وتستولون على زمام السلطة في يدكم .

وبذلك يتسنى لكم السيطرة الكاملة على كل شيء ، ويتسنى لكم الانتقام السريع الفعال .. سيروا بموجب أمرنا هذا ، فتتعلموا — ان في ذلكم وفي استكانتكم وعملكم كما رسمنا تبلغون ذروة القوة والعظمة » .

ومنذ تلك الوصية اشترك كل يهودي في فرنسا ، وفي المانيا وغيرها كذلك ، اشتراكا هداما في الثورات ، مستمدين خطوط سيرهم من تلكم النصائح ، عاملين على نشر المبادىء الهدامة ، مؤيدين المذاهب الاباحية فنشطوا في اشعال الفتن والثورات والقلاقل مكافحين كفاحا خفيا ضد الدين المسيحي في فرنسا وغيرها ..

تحسين عبد الحي



كتب العقاد وتاريخ صدورها :



● قام عبد العظيم ابراهيم المطعني بمجهود مثمر هو احصاء كتب العقاد ، وتوضيح عام الصدور ، والرسالة اذ تشكره تقدم لقرائها هذه الكتب المحصاة لأول مرة وهى : —

(ا) الشعر :

١ ـ يقظة الصباح ١٩١٦
٢ ـ وهج الظهيرة ١٩١٧
٣ ـ اشباح الأصيل ١٩٢١
٤ ـ اشجان الليل ١٩٢٨
٥ ـ وحي الأربعين ١٩٣٣
٦ ـ هدية الكروان ١٩٣٣
٧ ـ عابر سبيل ١٩٣٧
٨ ـ اعاصير مغرب ١٩٤٢
٩ ـ بعد الأعاصير ١٩٥٠
١٠ ـ ديوان من دواوين ١٩٥٨
١١ ـ ما بعد البعد (لم يطبع بعد)

* *

(ب) النثر :

١ ـ خلاصة اليوم ١٩١٢
٢ ـ الشذور ١٩١٢
٣ ـ الانسان الثانى أو المرأة ١٩١٢
٤ ـ مجمع الأحياء ١٩١٦
٥ ـ الديوان فى النقد والأدب ١٩٢١
٦ ـ الفصول ١٩٢٢
٧ ـ مطالعات فى الكتب والحياة ١٩٢٤
٨ ـ مراجعات فى الآداب والفنون ١٩٢٥
٩ ـ ساعات بين الكتب والناس ١٩٢٧
١٠ ـ الحكم المطلق فى القرن العشرين ١٩٢٨
١١ ـ اليد القوية فى مصر ١٩٢٨
١٢ ـ ابن الرومى حياته من شعره ١٩٣١
١٣ ـ تذكار جيتى ١٩٣٢
١٤ ـ رواية قمبيز فى الميزان ١٩٣٢
١٥ ـ الاسلام والتجديد ١٩٣٥
١٦ ـ سعد زغلول سيرة وتحية ١٩٣٦
١٧ ـ شعراء مصر وبيئاتهم فى القرن الماضى ١٩٣٧
١٨ ـ عالم السدود والقيود ١٩٣٧
١٩ ـ سارة « قصة » ١٩٣٨
٢٠ ـ رجعة ابى العلاء ١٩٣٩
٢١ ـ هتلر فى الميزان ١٩٤٠
٢٢ ـ النازية والاديان ١٩٤٠
٢٣ ـ عبقرية محمد ١٩٤٢
٢٤ عبقرية عمر ١٩٤٢
٢٥ ـ شاعر الغزل ١٩٤٣
٢٦ ـ الصديقة بنت الصديق ١٩٤٣

٢٧ ـ عمرو بن العاص ١٩٤٤
٢٨ ـ جميل بثينة ١٩٤٤
٢٩ ـ هذه الشجرة ١٩٤٥
٣٠ ـ ابو الشهداء ١٩٤٥
٣١ ـ داعي السماء ١٩٤٥
٣٢ ـ عرائس وشياطين ١٩٤٥
٣٣ ـ عبقرية خالد ١٩٤٥
٣٤ ـ فى بيتي ١٩٤٥
٣٥ ـ فرانسيس باكون ١٩٤٥
٣٦ ـ اثر العرب فى الحضارة الأوربية ١٩٤٦
٣٧ ـ الشيخ الرئيس ١٩٤٦
٣٨ ـ الله ١٩٤٧
٣٩ ـ العبقريات الاسلامية ١٩٤٧
٤٠ ـ الفلسفة القرآنية ١٩٤٧
٤١ ـ روح عظيم المهاتما غاندى ١٩٤٨
٤٢ ـ عقائد المفكرين فى القرن العشرين ١٩٤٨
٤٣ ـ عبقرية الامام ١٩٤٩
٤٤ ـ برناردشو ١٩٥٠
٤٥ ـ فلاسفة الحكم فى العصر الحديث ١٩٥٠
٤٦ ـ عبقرية الصديق ١٩٥١
٤٧ ـ الديمقراطية فى الاسلام ١٩٥٢
٤٨ ـ ١١ يوليو وضرب الاسكندرية ١٩٥٢
٤٩ ـ القائد الاعظم محمد على جناح ١٩٥٢
٥٠ ـ سن ياتسن ١٩٥٢
٥١ ـ سعد زغلول زعيم الثورة ١٩٥٢
٥٢ ـ عبقرية المسيح ١٩٥٣
٥٣ ـ فاطمة الزهراء والفاطميون ١٩٥٣
٥٤ ـ ابن رشد ١٩٥٣
٥٥ ـ ابو النواس الحسن بن هانئ ١٩٥٣
٥٦ ـ ذو النورين عثمان بن عفان ١٩٥٤
٥٧ ـ الوان من القصة القصيرة فى الأدب الأمريكى ١٩٥٤
٥٨ ـ الاسلام فى القرن العشرين ١٩٥٤
٥٩ ـ مطلع النور : طوالع البعثة المحمدية ١٩٥٤
٦٠ ـ بين الكتب والناس ١٩٥٤
٦١ ـ فلسفة الثورة فى الميزان ١٩٥٥
٦٢ ـ الشيوعية والانسانية فى شريعة الاسلام ١٩٥٥
٦٣ ـ الصهيونية العالمية ١٩٥٥
٦٤ ـ ابليس ١٩٥٦
٦٥ ـ معاوية بن ابى سفيان فى الميزان ١٩٥٦
٦٦ ـ افيون الشعوب ١٩٥٦
٦٧ ـ جحا : الضاحك المضحك ١٩٥٦
٦٨ ـ بنجامين فرنكلين ١٩٥٦
٦٩ ـ حقائق الاسلام واباطيل خصومه ١٩٥٧
٧٠ ـ لا شيوعية ولا استعمار ١٩٥٧
٧١ ـ الاسلام والاستعمار ١٩٥٧
٧٢ ـ التفكير فريضة اسلامية ١٩٥٧
٧٣ ـ التعريف بشكسبير ١٩٥٧
٧٤ ـ مطالعات ١٩٥٧
٧٥ ـ على الاثير ١٩٥٧
٧٦ ـ يسالونك ١٩٤٧
٧٧ ـ القرن العشرون ما كان وما سيكون ١٩٥٨
٧٨ ـ حياة المسيح فى التاريخ وكشوف العصر الحديث ١٩٥٨
٧٩ ـ المرأة فى القرآن الكريم ١٩٥٩
٨٠ ـ الرحالة كاف عبد الرحمن الكواكبى ١٩٥٩
٨١ ـ فلسفة الغزالى (محاضرة مطبوعة) ١٩٦٠
٨٢ ـ الثقافة العربية اسبق من الثقافة اليونانية والعبرية ١٩٦٠
٨٣ ـ اللغة الشاعرة : مزايا الفن والتعبير فى اللغة العربية ١٩٦٠
٨٤ ـ شاعر اندلس وجائزة عالمية ١٩٦١
٨٥ ـ الانسان فى القرآن الكريم ١٩٦١
٨٦ ـ عبقرى الاصلاح والتعليم محمد عبده ١٩٦١
٨٧ ـ رجال عرفتهم ١٩٦٣
٨٨ ـ ما يقال عن الاسلام ١٩٦٣
٨٩ ـ اشتات مجتمعات فى اللغة والأدب ١٩٦٣
٩٠ ـ جوائز الأدب العالمية ـ مثل من جائزة نوبل ١٩٦٤
٩١ ـ يوميات العقاد ١٩٦٤

***

صورة .. من نقدنا المعاصر

بقلم محمد حسن نافع

منذ ما يقرب من خمسة اشهر قرأت فى صحيفة « الأهرام » مقالا للدكتورة « بنت الشاطئ » تتحدث فيه عن الشاعرة العراقية « نازك الملائكة » وتصفها بأنها أول من طورت علم العروض ليساير الشعر الحديث .

وبعدها ظهر مقال للدكتور «لويس عوض» يهدم مابنته « بنت الشاطئ » ويخالفها ـ على خط مستقيم ـ فيما ذكرته .

وردت « بنت الشاطئ » فى حديث آخر .. وهنا تأتى نقطة استشهادى .

كان مما ردت به مافحواه : انه لايليق بنا ـ معشر النقاد ـ أن يقول أحدنا : هذا أبيض ـ مثلا ـ فينبرى من يخطئه قائلا : كلا .. انه أسود .

وبعبارة أخرى ، ان العمل الفني لا يحتمل نظرتين متناقضتين .

لاينبغى أن يقال هذا جيد ، فيأتى من يقول .. انه ردىء .

تمثلت هذه الحقيقة امامى ، وانا أقرأ مقالين عن الشاعر « احمد رامى » احدهما فى صحيفة «الاهرام» الصادرة فى ١٩٦٣/١٢/٢٧ .

والمقال الآخر فى صحيفة «الأخبار» الصادرة فى ١٩٦٤/١/٤ وكان المقالين يناطحان بعضهما ! ..

انك تقرأ فى المقال المنشور فى صحيفة «الأهرام» أن «أحمد رامى» شاعر عريق فى صناعة القريض .. له فيه تجربة نصف قرن من الزمان .

هذه التجربة المثبوتة ـ هنا ـ بصريح اللفظ ، تجدها منفية ـ أيضا بصريح اللفظ فى المقال الثانى بصحيفة الاخبار ! فبعد أن تقرأ أن معانى «رامى» تقليدية ، تقرأ « ولذلك لا تلمح فى ديوان رامى أبدا ملامح تجربة متميزة تستطيع أن تقول عنها انها تجربة رامى الخاصة » .

بل تقرأ أن آراء رامى « مختلفة بل متناقضة فى الحياة والناس والاشياء ، ولا يكاد رامى يصبر على رأى واحد ، أو على فكرة واحدة » .

ليس هذا ما فى المقالين من تناقض صارخ .. بل ان هذا لمحة خاطفة اضعها بسرعة امام ناظريك لترى نقدنا المعاصر .. ! أما اذا رحت تنظر فى المقالين فلا أبالغ ان قلت انك ستجد كل سطر فى احدهما يناقض مثيله فى الآخر ! ..

اشعة ملونة

بقلم : قصبى سالم علوان

قلبى بئر .. فيا أيتها الدلاء الظمأى .. هلمى الى .

ولماذا تخفين ضحكتك ؟ ! والعالم بحاجة الى ابتسامة !

يقولون : لاتكن صلبا فتكسر ، ولا لينا فتعصر .

ويقول غيرهم : لا تكن ذكيا فتقهر .. ولا غبيا فتنهر !

اذا كانت حياتى نارا تستعر .. فهنيئا لهذه الروح وهذا الجسد .. فهما فى الجنة !

أيه أيها الانسان الممزق .. رأسك من حصة السماء وقدماك من نصيب الوحل .

الزمن .. معلم قاس .. يلقى دروسه وفى يده عصاه .

كم مرة اعترفنا باخطائنا عندما وجدنا أن ذلك سيدعو الاخرين الى وصفنا برحابة الصدر وحب الحقيقة الخالصة ، بعد أن خسرنا أن نصيب ! ..

ابليس واحد . ومئات هم الانبياء والمصلحون . فأى شىء هو الانسان ؟! ..

بعض الناس يفضل لحم الطير ، وبعضهم يفضل لحم الضأن ، بل هناك من لايرضى للحم الخنزير بديلا .. الا انهم ليسوا قلة قليلة أولئك الذين يفضلون لحم الانسان !

اثنان لايتكلمان ، الأخرس وجليس الصم .

يباركون الورد ويلعنون الشوك . ألنلعن الحارس الامين اذا كان دميم الخلقة ؟!

ملايين الشموع احترقت لتضىء الطريق للناس ، فهل من انسان واحد احترق ليضىء للشموع الطريق ؟!

ردود قصيرة :

- كتب ادريس فضيل سعد من ليبيا يطالب بان تعود الاقلام التى كانت فى الرسالة فى الماضى الى الظهور على صفحاتها .

- ذكر محمد جاد البنا بان لقب الدكتور يجب أن يظل له جلاله ، لأنه لاحظ أن كثيرين يطلقونه على أنفسهم بدون حق ، ويرى أن يكون هناك فرق بين الدرجة العلمية ، وبين الطبيب ، ويقترح أن يكون لقب الاخير هو « الدكتور الطبيب فلان »

- كما تلقت الرسالة عدة رسائل تدور حول الاستاذ العقاد منها مقال قيم بعنوان « العقاد وكأس الموت» وسينظر فى نشره ، ومقال بعنوان « العقاد فكرة » لفوزى عرفة ، ورسالة بعنوان العقاد ينعم براحة السماء لفاروق لوقا غبريال ، ورسالة تقترح المزيد من الكتابة عن العقاد لمحمد عيد عثمان، ورسالة من أحمد محمد الطبرى بعنوان «العقاد شخصية لا تتكرر» وختمها بكلمة طالب فيها أن نتخذ لنا شعارا من قول العقاد « كلما ازددت معرفة ازددت شعورا بما أجهل ، ان عالم المجهول الآن كما أراه أوسع مائة مرة منذ كنت اعتقد عندما بدأت حياتى ، انى اقرأ لانى لابد أن استوضح شيئا جديدا .

قصة العدد

اسرة طيبة

بقلم : محمد المندى محمد

عندما فرغ من قراءة الرسالة التى وصلته من ابنة خالته « سلوى » كان الانفعال قد بلغ به مداه ، نطواها بين كفيه ، وعركها باصابع متشنجة ، وحدق فى الفضاء ، وقد استولى عليه شعور غريب من الذهول والانقباض .. كانسان سقط فجاة من علياء المجد ولاقى أروع صنوف المصائب !!

لقد رفضت سلوى أن تقترن به لانه « وحش » وكانما ابت الا ان تسدد الى قلبه طعنة قوية قاتلة ، فرددت هذه الكلمة فى اكثر من موضع من رسالتها ، ثم اعربت له بعد ذلك عن تمنياتها الطيبة بالتوفيق مع فتاة غيرها ، قالت فى نهاية رسالتها .. اعذرنى يا كمال ، فانا لم افكر فى الزواج حتى الآن ، ولا اريد أن ارتبط به ، ومن الخير ان تبحث لك عن فتاة غيرى .. اتمنى لك معها السعادة من قلبى !!

ومضت برهة افاق بعدها كمال من ذهول المفاجاة، واحس بالرجفة تسرى الى كل عروقه ، واصفر وجهه حتى غدا اكثر شحوبا من وجوه الموتى ، وسقطت الرسالة من بين انامله فوق المكتب ، وتندت عيناه بالدموع ، وكلمة «وحش» تدق راسه كالمطارق وتتراقص هياكل حروفها امام عينيه .

لقد رفضت سلوى أن تقترن به لانه وحش ، قالت رايها فيه بصراحة وقعت فىنفسه كصدمة الحجر .. ولكن ..ماهو ذنبه ؟ . انه لا يستطيع انيفعل لنفسه شيئا ،لا يستطيع ان يغير او يبدل من خلقته ، ولو كان الأمر بيده حقا ، لما قنع من جمال الطلعة باقل من حسن يوسف ، ولكن الله جلت قدرته هو الذى خلقه وسواه على هذا الشكل !

وبينما هو فىغمرة منالاحزان ، تتطاير نظراته بين جدران ونوافذ المكتب ، كمن يودع اعز امانيه وارق احلامه ، وثبت الى ذهنه فجاة فكرة لم تدم سوى لمحة البرق .. فكرة الاقتران بجارته نجوى .. انها فتاة لطيفة ورقيقة ، شاهدها اكثر من مرة وهى تقفبمفردها او مع امها فىالشرفة ، ولكنه لم يدرس اخلاقها ، او يفكر فيها ، لان عواطفه كلها كانت مع سلوى !!

وغادر كمال مكتبه ، وافكاره كلها تدور حول جارته ، التى برزت بغتة فى سماء حياته كالنجم الساطع ، وبدرت فى لحظة كل ماترسب فى قلبه من ياس ، ولكن .. من ادراه ان جارته تقبل ان تقترن به ؟! او ليس من الجائز ان تنقلب الفتاة الهادئة الخاشعة الى بركان يقذف الحمم عندما يتقدم اليها و .. و .. وشكله وحش ؟!

ورسم الخيال لأعصابه المضطربة انه تقدم لخطبة نجوى بالفعل ، وانها تقف شامخة معتزة بجمالها ، ثم ترفض طلبه ونظراتها تسطع بقبس من التهكم ، فانكمش على نفسه ، وشعر بالارض تميد من تحت قدميه ، وانه كحيوان اصابه سهم فى الصميم ، وانطلقت من حلقه زفرة حرى ، وتمتم لنفسه بصوت اجش مختنق :

ــ يا للغباء !! ان هذا لم يدر بخلدى ، واذا كانت سلوى وهى من اقرب الناس الى ، رفضت أن تقترن بى لانى وحش .. فما بالك بفتاة غريبة !!

ودخل كمال المنزل ، وهاتف القبول من جارته كزوج ، ينعش قلبه ، ويثلج فؤاده . واعتلى درج السلم وثبا ، وخلع ملابسه ، وتناول طعامه ، وفتح نافذة مسكنه ، ليدرس اخلاق جارته ولو عن كثب . وفوجىء برؤيتها تقف فى الشرفة وقد اتجهت بوجهها نحو السماء ، كانها فى لحظة تامل ..صامتة خاشعة ، كانما قد صعدت نفسها الى اسمى طبقات الايمان والصفاء والزهد .

وشعر كمال بانه لا يستطيع ان يحول بصره عنها وهى بهذا الوضع ، اما الفتاة نفسها ، فقد كانت لاهية عنه بالتطلع الى السماء . وخيل له وهو يرقبها بامعان ، انها تعانى من حزن عميق . فبعد برهة اخفت وجهها بين يديها ، ولمح جسمها كله يهتز . فلما رفعت يديها عن وجهها ، وجد عينيها تفيضان بالدمع . ونظرت نحوه واضطربت بكامل كيانها ، وكاد توازنها يختل .. وتلفتت حولها فى حيرة ، وبدت على شفتيها بسمة خفيفة ، وكانما خجلت من نفسها فخبات وجهها ثانية !!

هذه الحركة جعلت كمال يشعر بانه يهدى جارته بقلبه .. بروحه .. بوجدانه . ولكن ، كيف السبيل

الى الوصول الى قلبها ؟ . وبينما كان يفكر فى ذلك راى الفتاة تنظر نحوه وتبتسم . كان .. كان بصرها لم يقع عليه الا فى هذه اللحظة ! واحس بقلبه ينبض بشدة من فرط الانفعال ، وقال بصوت ينم عن وافر الخجل « بمساء الخير » .

اوشكت الفتاة ان تفقد توازنها وهى تسمع صوته وراحت تحدق فيه ، ولكن نظراتها لم تكن تعبر عن شيء ، وان بدت مضطربة . ووقف يحدق اليها بدوره كانما اسرته عيناها ، ومضت فترة قبل ان تشيح عنه، وتقول فى تزمت .. « بمساء الخير !! » .

واستدارت الى الداخل ونادت بصوت خافت مفعم بالالم قائلة « امى . امى ؟ » .. اين انت . ولما لم يجبها احد ، استولى عليها الاضطراب ، ورفعت صوتها وكررت النداء « امى . امى .. اين انت يا امى ؟! » :

ولم يفهم كمال معنى لذلك كله . فعاد الى الوراء خافض الراس ، وراح يسائل نفسه عن معنى هذا النداء ، ومعنى تلك النظرات التى كانت تحفل بالأمل حينا .. والخوف والرعب احيانا !!

ومضت برهة سمع بعدها كمال صيحة مختنقة صادرة من الشرفة ، واعقب هذه الصيحة صوت التحام اجسام، مما ينبىء بوقوع صراع بين شخصين، فهتف لنفسه : مامعنى هذا ؟.وعاد الى النافذة ولكنه لم يجد احدا ، فاستدار الى فراشه واطلق لافكاره العنان !

وقبل غروب الشمس اطل كمال من نافذته وكادت تنفلت من حلقه صيحة سرور عندما وجد ان جارته تقف فى نفس المكان ، وهى تنظر الى نافذته.. ولكن سرعان ما تلاحقت انفاسه ، وهو يرى ذلك الوجه الذى يجمع كل براءة الطفولة يبكى . وهتف لنفسه فى التياع : مامعنى هذا ؟ فتاة صغيرة .. مليحة رشيقة تبكى وتهتز كورقة فى مهب الريح .. شيء لا يكاد يصدقه العقل !!

ومع هذا التناقض احس كمال بحب جارته يغزو قلبه ، ولكن كيف السبيل الى الوصول الى قلبها ؟ بل كيف يستطيع ان يعقد بينها وبينه اسباب الصلة وهى التى اضطربت من مجرد سماعها لصوته ؟ هل يذكر لها ان الجو لطيف ، وان السماء صافية الزرقة ؟ ولكن .. هل يستطيع هو ان يفعل هذا ؟! هل يجرؤ على فعل هذا وهو الذى لم يختلط او يتحدث الى فتاة غريبة قط ؟!

انه قد يستطيع ان يلفت نظرها اليه حقا ، بالغزل: او بوسيلة اخرى ، ولكن هل يجوز لمن كان فى مثل سنه وثقافته ، ان يقوم بمثل هذه الحركات التى يعتبرها هو نفسه دون مستوى الخلق القويم؟! لا . لا . انه لا يستطيع ان يهبط الى مثل هذه الحركات التى لا يفعلها الا صغار النفوس .. والاوفق من هذا كله ، ان يتلمس الطريق من ابوابه الطبيعية .. فيذهب الى اسرتها ويطلب يدها فان تم الرضا كان بها ونعمت ، وان رفضت فانها لن تكون قد اساءت اليه اكثر من قريبته !

وفى المساء توجه كمال الى اسرة نجوى ؛ وهناك تلقاه الاب والام والابن الاكبر للأسرة فى ترحاب لم يكن ينتظره . وفى حجرة الجلوس؟ رفع كمال راسه وهم بالحديث ، ولكنه اطرق واحس بنفسه يغوص فى الاريكة ، كانت المسالة بالنسبة له فى منتهى الدقة ، وكان يتوقع من الاسرة ان ترفض طلبه ، او على الاقل تقابل رغبته بفتور .. وربما القى القدر عليه درسا قاسيا فى صورة لطمة من الفتاة نفسها، بان تشير الى قبحة ، فمن ذا الذى يستطيع ان يمنعها من ذلك ؟ او لم تجهر ابنة خالته بمثل هذا الراى ؟!

واستيقظ من افكاره على ترحيب الاسرة ، واستعاد محياه سكينته ، وحدق فى الاب وقال بصوت اجش مضطرب .

ــ لقد جئت فى طلب يد كريمتكم نجوى ..!!

قال ذلك وانكمش على نفسه كالفأر المذعور ، بينما حدجه الأب بنظرة ثاقبة ثابتة وقال بصوت هادىء متزن .

ــ اتمنى ذلك من صميم قلبى يا ولدى ، بل ان غاية ما اتمناه ان ارى ابنتى عروسا تزف فى هذه اللحظة !!

ولاحظ كمال ان الام عندما سمعت قوله اطرقت فى اكتئاب واضح ، ثم اخذت تضحك ، الا ان ضحكها لم يكن طبيعيا ، فقال على الفور وهو يحدق فيها .

ــ ان نجوى فتاة طيبة ومهذبة .. و ..

وقال الابن وهو يتفرس فيه بامعان

ــ هل عرفت نجوى قبل ان تبادر بمثل هذا الطلب ؟!

فرمقه واجاب فى حماس بالغ .

— اجل ، رايتها ، وعرفتها ، ورضيت بها كزوجة لى .. !!

وراح الأب والام والابن يتبادلون النظر فى صمت واحس كمال بالكثير من الحرج ، وغطس فى الاريكة واخرج المنديل من جيب سترته ، وجفف العرق بعصبية ، بينما قال الابن فجاة كمن يستيقظ من نوم عميق .

— اريد ان اعرف متى رايت نجوى .. وكيف ؟!

كان يتكلم بعزيمة وحزم يدلان على انه يترقب منه تفسيرا كاملا فى الحال ، فقال كمال بثبات .

— رايتها فى الشرفة ، وعرفتها من الشرفة ، كاى انسان يرى جارة له ويعجب باخلاقها ، ومن الطبيعى ان تكون الخطوة التالية ما ترونه الآن .. انا مهندس و .... و ..

وارتج عليه الكلام فلاذ بالصمت ، بينما قال الاب وهو يتخلل لحيته البيضاء باصابعه الطويلة النحيلة.

— ايها الشاب ، ليس فينا من يستطيع ان يغشك ، وعلى هذا الاعتبار ينبغى ان اؤكد انك غير موفق فى فى هذا الاختيار . ان ضميرى .. ان .. ابنتى .. اوه . لا ادرى ماذا اقول .. !!

واطرق الاب فى صمت ، وسمع كمال زفرة اليمة ادرك انها صدرت من الام ، كأنها تزرح تحت ثقل اوهم خفى ، ثم رفعت اليه عينين تفيضان بالدمع ، وقالت فى اسى .

— آه يا جارنا العزيز ! ما كنت اجرؤ على ان اتصور وجودك هنا من اجل هذا الطلب !!

وفى الحق ان كمال لم يفهم شيئا من هذا الحديث ، وتوهم ان الامر ينصب كله حول التهرب من قبحه ، تشعر كان شيئا كالنار ينطلع من حلقه ويلسع وجهه، ومع ذلك فقد رمقها واجاب فى هدوء .

— لقد سمعتم طلبى ولا اجد ثمة ما يدعو للتكرار ، او ما يدعو لاطالة الجدل فيما يشبه الالغاز !!

ومال الاب نحوه وقال فى صراحة وطيبة .

— اسمع ايها الشاب . لو رايت ابنتى فستعدل حتما عن طلبك ، وما دام قصدك شريفا ، وحضرت الى هنا واوضحت طلبك بلا مداراة فان الخطوة التالية يجب ان نبداها نحن ، وهى ان ترى الفتاة بعين راسك ، وتتاملها جيدا قبل ان ترتبط بها ارتباطا كاملا .. حتى اذا اردت الانسحاب جاز لك ان تفعل ذلك بلا ادنى حرج ، ولكن .. لى شرط واحد ، وهو ان ابنتى ستحضر مجلسك لتراها عن قرب فاذا رغبت فيها فهذا شانك وحدك ، اما اذا لم ترغب فيها كزوجة لك .. فان الشيء الوحيد الذى ارجوه منك .. هو ان تنسحب فى هدوء ..!!

ولكن كمال خيب ظن الشيخ وقال فى رنة فرح :

— سيدى لا اجد ما يدعو لاحضار نجوى ، فقد رايتها وشاهدتها اكثر من مرة كما سبق لى ان قلت . ولم احضر الى هنا الا بعد الاقتناع التام بانها الفتاة الوحيدة التى تصلح كزوجة لى !!

وتفرس الشيخ لحظة فى وجه الشاب ثم قال بصوت هادىء مكتئب .

— لست من رايك . ان رؤية العروس تقليد متبع من زمان ، ونحن من جانبنا قررنا القبول لا لشيء الا اعجابا باستقامتك وسماعنا صوت صلاتك .. والكلمة الآن لنجوى !!

وجاءت نجوى مستندة على امها ، ووقفت لحظة تحدق نحوه فى صمت ، وقد عقدت ذراعيها حول صدرها . وبعد ان هز كمال راسه علامة الرضا ، وسمعت نجوى الغرض الذى حضرت من اجله ،قالت بصوت اجش مختنق .

— ولكن .. يا سيدى .. اننى .. اننى .. يا للعذاب .. اننى .. كما ترى .. !!

وما ان فرغت من هذه الكلمات ، حتى القت بنفسها على صدر امها كطفل ، وراح جسمها كله يهتز ، واجلستها الام والدموع تهطل من عينيها بغزارة ، وطاطات نجوى راسها وانحدرت من عينيها دمعتان جرتا فى صمت على طول خديها ، وفى هذه اللحظة فقط .. اكتشف كمال ان جارته عرجاء و .. ونصف عمياء !! وامام هذا المنظر الحزين ، اندفع اليها وتمتم فى تاثر .

— نجوى . انا لم احضر الى هنا على سبيل اللهو والتسلية ، وانما لكى اؤكد انك الزوجة الوحيدة التى اخترتها بنفسي !!

وما كادت تسمع ذلك حتى تقلص محياها الوسيم ولكنها بعد برهة اطرقت بشكل ينم عن الرضا !! وعندما كان كمال فى طريقه الى الخارج ، ضغط الاب كتفه برفق ، وتمتم وهو يحدق فيه .

— ابتسم لها دائما يا ولدى ، ابتسم لها .. ولنفسك ، فالابتسام يزيل آلام القلوب !

« محمد المندى محمد

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
وزارة الثقافة والارشاد القومى

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

الادارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد - القاهرة

العدد ١٠٥٧ الخميس ٤ ذو الحجة ١٣٨٣ هـ - ١٦ ابريل ١٩٦٤ م - السنة الحادية والعشرون

الفهرس

مِنَ التَّحَوُّل إلى الانطلاق

بقلم : أحمد حسن الزيات

على الكتل الصم الغلاظ من انقاض الملكية الفاسدة والرجعية الموقة والاقطاع الجشع والاحتلال الفاجر والحكم الجائر سويت الارض ووضع الاساس وبنيت القاعدة وقام الثائر المصلح والرئيس القائد فوق منبر الامة فى مجلسها يدعو الشعب الى الانطلاق بعد التحول ، والى الجهاد بعد الاعداد ، والى العمل بعد التهيؤ ، ويقول للقوى العاملة فى بناء الاشتراكية العربية المسلمة من عمال وفلاحين ومثقفين وجنود وطلاب ورأسماليين : لقد جمعنا فى أيديكم موارد الانتاج ، والقينا على كواهلكم اعباء التقدم ، بعد مايسرنا العلم للجاهل ، وضمنا الرزق للعامل ، وكفلنا الصحة للمريض ، وهيأنا الفرصة للمنتج ، وحققنا الكرامة للاجير ، واخترنا الكفء للتشريع ، واشركنا الكل فى القيادة ، ورسمنا الخطة للتنفيذ وطوينا الصدور على الامل ... هذه ارضكم قد ملكتموها فاحسنوا الملك . وهذه امتكم قد حكمتموها فحكموا العدل . وهذه حقوقكم قد نلتموها فادوا الواجب ، واذا كان التحويل من الحالة السوأى الى الحالة الحسنى من عمل الحكومة ، فان الانطلاق الى الآفاق العليا والغايات القصوى من عمل الشعب . « لقد جلت حكومة الثورة ما تجرون وراءكم من أذيال الماضى المبطئة ، والقت ما تحملون فوق ظهوركم من اثقال

الاستعمار الفادحة ، وازالت ماتجدون امامكم من حوائل الطريق المعوقة ، لتنطلقوا خفافا وسراعا الى ميادين الانتاج المختلفة مزودين بعدة المواطن الصالح من دين وخلق وعلم وتجربة ولا رائد لكم الا الخير ولا رقيب عليكم الا الضمير .

لقد مضى عهد التواكل والاثرة ، وانقضى زمن التخاذل والخلاف ، واصبح الخلق الاشتراكي هو جمعة مابين المواطن والمواطن ، وصلة مابين الانسان والانسان . والخلق الاشتراكي انما يتأصل في النفس بالتعاطف والتآلف والحب . فاذا صار اصلا في الطباع على هذا المعنى جعل من الوطن دارا واسعة ، ومن الامة اسرة كبيرة تقوم الدولة فيها مقام الاب ، وينزل المواطنون منها منزلة الاخوة فالامر متفق والرزق مشترك والعمل جميع والمصير واحد .

لقد اوقد الاحرار الثورة لتحرق بنارها الهشيم والبالي ، وتضيء بنورها المظلم والمجهول . فاذا ظل الهشيم مكدسا يشغل الارض ، وبات الظلام دامسا يحجب السماء ، بقينا نحن ايضا كما كنا ، لانتقدم الا ببطء ، ولا نتغير الا بقدر . وان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بانفسهم . ان الحطام الذي تكسر في النفوس على تراخي الحقب ، وان الظلام الذي غطى على العيون من الحاح الظلم ، لهما فساد الاخلاق وتعفنها من طول ما اصابها من العلل والمحن . تجد ذلك واضحا في العلاقات بين الموظفين والناس ، وبين العمال وصاحب العمل ، وبين الفلاحين ومالك الارض .

اما الموظفون فالناس يعتقدون أنهم من الامة بمثابة الرأس من الجسد ، فيه التفكير والتدبير والقيادة ، وليس فيه الاختيال والشموخ والسيادة ، ولكنهم لايزالون يعتقدون ان الراس معناه ان يوضع فوق الجسد ليسمو على اعضائه ويعيش على غذائه فاذا دخلت دارا من دور الحكومة لقضاء حاجة او انجاز عمل لاتجد الروح الوطنية التي تبعث الحياة العامة ، ولا الفكرة الاشتراكية التي تدير المنفعة المشتركة ، وانما تجد مظاهر شتى للسلطان الجبار والبيروقراطية الصلفة التي تعطل معنى الاصلاح وتبطل حقيقة العدالة . ترى أول ماترى جيشا من الشرطة والسكرتاريتين والحجاب والسعاة يسد ابواب المكاتب ويملأ مدارج الطرق ويشغل فراغ الحجر ولا عمل له الا بث الرهبة واظهار الأبهة والحيلولة بين الناس وبين القائمين على شؤونهم من اولى الأمر . فاذا ساعفتك الفرصة اوساعدتك اللجاجة فنجوت من شراثة الشرطي أو الحاجب ، وخلصت من غطرسة السكرتير والكاتب .. دخلت على الموظف الكبير والصغير فوجدت على كرسيه المتحرك أو الثابت وبدلته تكاد تنشق من ورم الكبر ونفخة السلطة فلا تستطيع من رهبة السلطان ان تكلمه ، ولايستطيع هو من عزة المنصب أن يكلمك .

وياويل ذى الحاجة اذا دخل على الموظف مكتبه وليس منسوبا اليه ولا معروفا لديه ولا موصى به، انه لا يجد الا النظرة القاسية واللهجة المتعالية والاشارة المهينة والهيئة الوقحة التي تصرخ في وجهه بهذه الجملة « بابعد مابيني وبينك ! انا حاكم وانت محكوم ! انا راع وانت رعية ! فان احتمل المسكين الهون وقف على مضض ، واذا ملكته الحمية انصرف على شجار . وأما العامل والفلاح فلا يزالان موغرى الصدر على صاحب العمل ومالك الأرض .. ، ينفسان عليهما ما ابقته الاشتراكية فى أيديهما من حلال الرزق وطيب المكسب . لم ينسيا ما عناه كل منهما في عهد الاقطاع من الحرمان والطغيان والبغى ، ولم يذكرا أن الثورة المباركة قد جبت ما قبلها ، وبيضت صحائف المواطنين بعدها ، فليس هناك حارم ومحروم ، ولا ظالم ومظلوم ، وانما هناك الاخاء والرخاء والعدل : وخليق بهذه الفضائل الجامعة ان تشفى النفوس من ادواء الحقد ، وتغسل الغرائز من اوضار الحسد ، وتسلك بفئات المواطنين جميعا سبيل النور لتوفى بهم على غاية السلام والوئام والمحبة .

هذه نماذج ثلاثة مما خلفته الطبقية المفرقة فى الرءوس والنفوس من شذوذ فى الخلق ونشوز في السلوك . فاذا لم تعالج هي وامثالها بالتوعية الملحة والرقابة اليقظة عوقت الانطلاق وشوهت الوحدة .

احمد حسن الزيات

الوان

● رايت فى شارع النيل سيارة كادلاك تجرها عربة نقل ، فكان بين العربتين من تناقض الشخصية والمظهرية امر عجيب !

كان حمار العربة يمشى مصرور الاذنين وئيد الخطو يرفع راسه ويخفضه فى زهو وخيلاء ، وكانت الكادلاك تزحف وراء (الكارو) وهى من ذل التبعية وخمود الحيوية فى خزى واستحياء ، وكان الناس على طوارى الشارع ينظرون ويعجبون كيف صار التابع متبوعا ، والمخفوض مرفوعا ، والاقطاعى مقطوعا ، ولعلهم ذكروا حين نظروا ان هذا الذى قضى عمره مجهودا مكدودا قد اصبحت له القيادة، وتمت له على مستعبديه السيادة !

● قال البديع الهمدانى لمن وثق بغير ثقة وامن لغير امين : ما ابعد غلطك عن غلط ابراهيم عليه السلام ! انه راى كوكبا ، ورايت توليا ، وابصر القمر وابصرت القدر . وغلط فى الشمس ، وغلطت فى الرمس ، اظاهره غرك ، ام باطنه سرك ! .

● من عيوب الاذاعة الخارجية فى الراديو ان المذيعين حين يخرجون ليصفوا احتفالا او استقبالا او عرضا ينسون انهم عين السامع واذنه ، فبدلا من ان يصفوا له مالم يره كانه رآه ومالم يسمعه كانه سمعه ، يعمدون الى ما اعدوا من خطب وزوروا من كلام قد لايتصل بالموضوع المذاع فيلقونه فى انفعال وحماسة فيضجرون السامع ولايفيدونه ، وينقصون جلال الموقف ولايزيدونه !

● من التفاؤل الذى يحيى الامل الميت ويبعث النشاط الخامد ، ان سالرا اعياه السير ومسه اللغوب راى على جانب الطريق نعل فرس فالتقطها وصاح فرحا : الحمد لله ! ثلاث كهذه وحصان لم اركب !

● قال ابو عبيدة : اجريت الخيل فطلع منها فرس سابق ، فجعل رجل من النظارة يكبر ويثب من الفرح . فقال له رجل الى جانبه : اهذا الفرس فرسك ؟ قال : لا ، ولكن اللجام لى !

ابن عبد الملك

عقيدة ونظام

للأستاذ محمد الغزالى

العودة بالمسلمين الى الاسلام علما وعملا ...

تلك هى وظيفة المجددين لدين الله ، الناهضين بامته كى تؤدى رسالتها الكبرى ...

وقد سردنا آنفا بعض الصفات التى ينبغى تكاملها لدى هؤلاء المصلحين كى يحرزوا النجاح المنشود ، ويردوا قافلة الاسلام الى الطريق التى حادت عنه ..

ومن استعراض الجهاد النبيل الذى قام به بعض هؤلاء الرجال ، تعرف العلل التى واجهتهم، والادوية التى التمسوها من كتاب الله وسنة رسوله طبا للامة المريضة ، واخذا بيدها نحو العافية ...

وما نريد ايضاحه فى هذه العجالة أن اشتغال كل مصلح بلون من العلاج لا يعنى أن الاسلام هو هذا اللون وحده ...

فمحمد بن عبد الوهاب عرف بين الناس بأنه داعية غيور على عقيدة التوحيد ، يحب أن يمحو من الأذهان أن هناك وساطة ما بين الخالق والمخلوق ..

وقد أعلن حربا شعواء على تعلق الرعاع بالقبور ، ودعائهم المدفونين بها ، يطلبون منهم مالا يجوز طلبه الا من رب العالمين .

والتوحيد بلا شك دعامة الاسلام وشارته .

وقد ضلت جماهير غفيرة عن حراسته فى الفكر والعاطفة والسلوك ، وتوجهت الى من اتسموا بالصلاح من الاحياء والاموات ، تعاملهم كما يعامل النصارى قديسيهم وهذا خطأ مبين .

غير أن محمد بن عبد الوهاب الذى انصف الاسلام فى هذه الناحية يعلم أن الاسلام عقيدة ونظام .

وانه دين يتعامل مع النفس والمجتمع والدولة .

وانه اذا قام بغسل الأوضار عن جانب منه ، فليس معنى هذا أنه استوعب تعاليم الاسلام كلها ايضاحا وتبيانا ...

ان هنالك مصلحين آخرين أمكنهم أن ينصفوا جوانب أخرى من الدين نالها الغمط وغطاها الجهل .

واهتمام ابن عبد الوهاب بأمر العقيدة ضرب من التخصص العلمي أملى به المزاج النفسي وأوحت به ضرورات البيئة ...

والا فان الفســــاد الذى استشرى فى أوصـــال الدولة ، وأوهن قوى الاســـلام وأخر الشـــعوب الاسلامية تأخيرا مزريا فى ميـادين المعرفة الكونية والتنظيمات الاجتماعية هذا الفساد كان بحـاجة الى اصلاح ماس ونظرات نافذة ... !!

ان العودة بالاسلام الى ما كان عليه أيام رسـول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين تستدعى – الى جانب تنقية الايمان من الشوائب – ضمان قيام حكام من طراز عاقل عادل ، تختارهم الامة اختيارا حرا ، وتحاسبهم اذا ساءت حسابا مرا .

ولها أن تتخذ من الوسائل ما يبلغها هذه الغاية ، وما يمنع تسرب السفهاء ، والطغاة والملتاثين بجنون العظمة ، والسـكارى بخمرة النسب ما يمنع هؤلاء جميعا من تولى وظيفة ما ، بله زعامة الامة .

ونحن نحفظ الكلمة المأثورة : « تحدث للنـاس أقضية بقدر ما أحدثوا من فجور »

ونحفظ من أصول الفقه الاسـلامى : « ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب » ...

ومعنى ذلك ان أيدينا مطلقة فى وضع الدساتير التى تكفل كرامة كل فرد فى الامة وتحجز الحاكم عن أى تصرف مائل ...

والعمل فى هذا الحقل جهاد اسلامى محض ...

واقتباس وسيلة خارجية لبلوغ هــــذا الهــدف لا تقدح أبدا فى صبغته الاسـلامية ...

ان الحق الالهى الذى زعمه ملوك أوربا لانفسهم ابان تخلفها الرهيب قد انتقلت بدعته الى طائفة من ملوك الاسلام .

فكيف يعد التسليم بهذه الخرافة الدخيلة دينا ؟ والخروج عليهــا « ديمقراطية » حديثة ، وليست رجعة الى تقاليد سلفنا الصالح ؟؟

الحق أن الاصـلاح السياسى صنو اصلاح العقيدة :

وأن الرجال الكبار الذين شقوا عصا الطاعة على استبداد السـلاطين الاتراك ، وألقوا فى آذان العامة كلمات التمرد على حيفهم ؛ كانوا يمشون فى طريق الأئمة السابقين أبى حنيفة ومالك وغيرهم ...

ولذلك لم يعجبنا ما كتبه الاستاذ أحمد أمين وهو يؤرخ « لمدحت باشا » ويشرح منهجه فى الاصلاح فيقول :

« وهذا مصلح آخر من جنس آخر .

محمد بن عبد الوهاب مصلح دينى . وهذا مصلح اجتماعى .

ذاك فى نجد . وهذا فى استنبول .

ذاك لا شأن له بالسياسة ولا المدنية الحديثة ، انما همه اصلاح العقيدة .

وهذا منغمس فى السياسة لامشكلة أمامه غيرها .

ذاك برنامج اصلاحه الرجوع الى عهــد الرسول صلى الله عليه وسلم وصحـابته لنعتقد ما يعتقدون ونعمل ما يعملون ونترك ما يتركون .

وهذا يرى الاصلاح فى الرجوع الى المدنية الحاضرة ومناهجها فى الامم الحية ، لنختار منها ما يصلح لنا ، ويتفق ومواقفنا دارسين فى امعان كيف شق الاوربيون طريقهم الى الحياة الاجتماعية والسياسية، وكيف تعثروا ، وكيف نهضوا ، فنتعلم من خطئهم وصوابهم ونقتبس خير ما أنتجته عقولهم .. »

وتصور الاســـتاذ أحمـــد أمين – رحمه الله – للموضوع على هذا النحو يجانب الصواب : ان الاسلام عقيدة نفسية ونظام اجتماعى ، وأخطاء المسلمين فى هذه الناحية أو تلك تعالج بتعاليم الاسلام وحدها ، وهى تعاليم مضبوطة فى كتاب معصوم وسنة مطهرة .

وعند التأمل فى أحوال امتنا الكبيرة خلال القرون الاخيرة نجدها اعتلت فى صلتها بالله ، وصلتهـــا بنفسها ، وصلاتها بالناس .

فالتوحيد لابسته ضروب من الشرك الخفى والجلى، وكرامة الفرد والجماعة هانت مع شيوع الاستبداد ، والدعوة العالمية للاسلام توقفت مع سوء التطبيق فى الداخل وانحراف المسلمين عن مناهج دينهم ..

وعندما تضطرب شئون العالم الاسلامى على هذا النحو فاصلاحه لا يجىء من مبادىء مستوردة وانما يقوم على حسن استفادته مما لديه ..

لكن غلبة الغزو الثقافى على عقول الكثيرين جعل فهمهم لطبيعة الاسلام يسوء ويغيم ، فهم يحسبونه قيما روحية فحسب ، وقد ينضاف الى هــذه القيم اداء طائفة من العبادات فى أوقات الفراغ ... اما ما حفل به القرآن ، وزخرت به السنن مبـــادىء وشرائع أخرى فهم عنه ذاهلون ..

وشىء آخر ينبغى ايضـــاحه . ان الافـــادة من الوسائل المستحدثة لا تخدش القـــاعدة القديمة ، فالجهاد لحماية الحق واستبقاء دعائمه ومعالمه ركن اســـلامى لا ريب فيـــه ، وكون ذلك بالمنجنيق أو بالصاروخ تصديق للمبدأ واحياء له فى كل زمان ومكان .

والشورى حقيقة دينية ، سواء كانت فى مظهرها البدائى الاول أو فى مجالسها المنظمة الاخيرة ، وعلى هدى ذلك نتابع شرح الاستاذ أحمد أمين لاصلاحات مدحت باشا .

يقول بعــد أن بين ما اكتنف الدولة التركية من عوج فى شئونها كلها ، وانحلال كفها ظاهرا وباطنا فى الظلام :

« وفى هذا الوسط الشائك جدا ، حاول «مدحت باشا» أن يضع اصلاحه . فراى أن الاصلاح الذى يجب أن يسود المملكة العثمانية هو الحكم الديمقراطى على نمط ما رأى فى انجلترا وفرنسا ...

ومظهر هذا الحكم هو الدستور . وانشاء المجالس النيابية . وتمثيل كل عنصر من عناصر الدولة وكل قطر من اقطارها فى هذه المجالس .

وبعبارة أخرى أن تحكم الامة نفسهـــا بنفسها ، لا أن يحكمها السلطان بارادته ونوازعه والمقربين اليه الذين يخدمون اغراضه ومصالحهم .

كان يرى أن كل الامم الاوربية مرت بهذا الدور الذى تمر به الدولة العثمـــانية . ولم ينقذها الا الحرية ...

فهى التى تربى الامم ، وتحيى النفـــوس ، وترد للمرء حقــوقه ، وتشـــعره بشخصيته وتضمن له العدل .

والحرية هى التى تــولد الدســـتور الذى يبث الطمانينة بين أفراد الامة ، ويسرى بين الافراد على اختلاف دينها وعناصرها ، فيؤلف بين قلوبها .

وهو الذى يتيح الفرص لكل كفء قادر ، ولسد الطريق أمام كل دساس ماكر ... » .

لقد كان الاســـلام اسبق رســـالة عالمية لتحرير الانسان ، وتوطيد حقوقه ، ورفع هامته ، فما يحتى سلبه الا راكعا لله الذى خلقه فسواه ...

وكان الاسلام اسبق رسالة عالمية لرعاية الجماهير ، ومنع التفاوت المصطنع بين طوائفهم ، واشاعة نعمة الله فى بيـــوتهم ، وتوفير الطمانينة الـــكاملة لهم ولذراريهم ...

واذا كانت المثل الرفيعة تستبعدمن الحياة العملية لسوء موقف أصحابها منهــــا ، فان الاوربيين لهم تاريخ منتن ، لو نظرنا على ضوئه الى المبادىء التى يرددونها لاستبعدناها جملة وتفصيلا ...

ومبادىء الاســـلام لا يشينها تقصير عصابة من الحكام فى تطبيقها ، او هبوطهم دون مستواها .

فلا تزال هــذه المبـــادىء المعصومة كافلة للخير الكثير .

ولا يزال البناء عليهـــا وحدها مضمون السلامة والبقاء .

وقد ثاب الاستاذ احمد امين الى الحق ، وبنى على قواعد الاســلام البنـــاء الواجب عندما قال شارحا الاصلاح الدســـتورى الذى دعا اليه مدحت باشا :

« ان الشورى الاسلامية نظمت فى العصر الحديث ما يسميه الاوربيون البرلمان » .

والامر بالمعروف والنهى عن المنكر تشـــكل فى المدنية الحديثة بحرية الصحف فى النقــد ، وحرية الافراد والجمـــاعات فى التـــاليف وابداء الآراء فى صراحة ، يستحسنون مايرون ، ويستنكرون مايرون، ويخطبون كما يشاءون ...

فلا أحد معصــــوم ، ولا الحكومة معصومة ، ولا الوالى معصوم .

وانما الذى يقـــومهم ويخيفهم ، ويلزمهم الجادة يقظة الراى العام وحريته فى النقد .

وهذا هو ما سمى فى القرآن : بالتواصى بالحق والتواصى بالصبر .

كل هذا واضح جلى ولا بد منه .

لكن ارادة السلطان عبد العزيز هى الصخرة التى تتكسر عندها كل هذه الآراء .

ارض الدولة العثمانية أخصب ارض فى العالم ، وهى مع ذلك أفقر أرض لهجرة كثير من أهلها بالظلم ، والثقال كاهل من بقى بالضرائب .

ولا شركات ، ولا مصانع ، فالقطن كثير فى البلاد ، ومع هذا فالاقمشة القطنية تجلب من أوربا .

مثقفون

للدكتور محمد أحمد خلف الله

ومثقفونا لهم حقوق ، وعليهم واجبات .

لهم حقوق قبل الدولة وقبل الأمة التي يعيشون في كنفها . وعليهم واجبات نحو انفسهم ، ونحو الثقافة ، ونحو المجتمع .

وحقوق المثقفين قبل الدولة او قبل الأمة انما تكون بمقدار ما يبذلون من جهد في سبيل تثقيف الشعب ، وفي سبيل الارتفاع بالثقافة العربية الى المستوى اللائق بها ، فلقد عرفنا منذ الصغر أن الحقوق تكون بقدر الواجبات .

وحقوق المثقفين انما تتحدد من طبيعة العمل الذي يعملون . فقد يكون شاقا مضنيا ، وقد يكون محتاجا الى اموال ضخمة وتيسيرات عظيمة ، وقد يكون في حاجة الى حماية للعقل ليعمل ، وللفكر لينظر ويتدبر

ومثقفونا انما يعملون في ميدان شاق حقا . ذلك لانهم حين يعملون في ميدان التنمية انما تصادفهم عقبات ، يجيء بعضها من الجهل والتخلف . ويجيء بعضها من التعالم . ان عليهم أن يحاربوا في ميدانين . يحاربون في الميدان الاول الجهلة والمتخلفين . ويحاربون في الميدان الثاني الأدعياء والمتعالمين .

والجاهل حين يحارب انما تكون الحرب معه أشبه بالمباريات الرياضية لانه انسان يسلم منذ اللحظة الاولى بأنه في حاجة الى التنمية الثقافية ، ويستسلم منذ اللحظة الاولى لمن يأخذ بيده حين يرى في عمله خيرا ينفعه ، وفائدة تعود عليه . اما الحرب مع المتعالم فهي الحرب الحقيقية ذلك لان مدعي العلم لا يستسلم ولا يسالم . انه لا يزال يحاول ، ويغالط ، ويثرثر ، ويسفسط ، ايمانا منه بأن تلك جميعها من عدد القتال ، ومن عدد الانتصار في المعركة .

والمتعالمون يجيدون الحديث عادة ، ويستمع اليهم الناس أيضا عادة .

انهم يجيدون الحديث من حيث انهم حين يشعرون بالسطحية في ثقافتهم يستكملون العدة بالعبارات المنمقة ، وبالاصوات الخادعة ، وبالجمل الجوفاء التي قد تقرع كالطبول ـ تصم الآذان ولا يستقر منها في العقل شيء أي شيء . **ثم انهم يحركون من الناس عواطفهم لا عقولهم . ويستثيرون من الناس غرائزهم لا افكارهم . وليس يخفى ان الناس انما تستجيب لمن يحرك فيها العاطفة ، ويستثير منها الغريزة . ان العقل والمنطق الفكري انما يجهدان الناس ويعنيانهم ـ ومن هنا تنصرف الناس الى ما هو الأيسر والأسهل**

ان حرب المثقفين مع المتعالمين فيها ضراوة أو فيها جهد ومعاناة .

دعيت منذ أيام الى استماع لمحاضرة يحاضر فيها واحد ممن كنت أجهل قبل الذهاب الى الاستماع اليه انه من المتعالمين .

لقد دعاني صديق الى الذهاب معه الى نقابة المعلمين للاستماع الى محاضرة للدكتور محمد بدران عن مفاتيح العلم من القرآن الكريم .

سألت الصديق عن ثقافة الدكتور بدران فاذا به لا يعلم عنها شيئا ، فتوقعت أن يكون من الدكاترة الذين تخصصوا في العلوم ثم عملوا على أن يربطوا بين تخصصهم وبين القرآن الكريم من أمثال الدكتور محمد وصفي ، والدكتور عبد الرزاق نوفل ومن اليهم وتوقعت أيضا تفسيرا جديدا للآية القرآنية مافرطنا في الكتاب من شيء . تفسيرا يرد كل شيء في الوجود

حتى الطرابيش التي نضعها على رءوسنا ، وعلب الكبريت التي نشعل بها نيراننا نجلبها من الخارج .

وكل المواد الاساسية متوفرة عندنا ، ولكن لا عدل ، ولا أمن على المال ، فلاشركات ولاصناعات .

ولا يتأتى العدل الا بالقوانين العادلة ، والمحاكم العادلة ، وهذه لا تكون الا بالحرية أي الدستور .

كل من جاهر بالاصلاح أبعد ، ففؤاد باشا مات محتقرا مهينا ، وغالي باشا دست له الدسائس حتى عزل من منصبه وهما ما هما في الكفاية والاستقامة .

وانما يقرب أمثال محمود النديم الشره الجاهل الذي يقدم مال الدولة للسلطان ، ثم ينتهب لنفسه ما نالته يده » .

هذا الكلام عامر بالصدق .

والمسلمون في كل مكان بحاجة الى استبطان معانيه ومراميه .. !!

ولعل الاقطار المتخلفة عربية كانت أو أعجمية تعيه وتتعظ به .

محمد الغزالي

الى القرآن الكريم ولا يقف من هذه الآية عند حدود المعاني الدينية فحسب ٠

جاء المحاضر فاذا به دكتــور معمم ، واذا بي ان انتقل مما توقعت الى توقعات اخرى هي ان مفاتيح العلوم هنا ستكون حتما مشابهة لمفاتيح العلوم عند الاقدمين من امثال الخوارزمي والسكاكي ومن اليهم٠

بدا الدكتور الشيخ حديثه قائلا :

نحن بين علم وقرآن

وبين قرآن هو العلم ٠

وبين علم ماخوذ من القرآن ٠

والتفت ذهني منذ اللحظة الاولى الى ان هــــذه القسمة ليست عادلة فان القسم الثالث منها يتداخل في القسم الثاني ولا يمكن ان يكون له قسما ٠

انه حين يثبت ان القرآن هو العام فسيثبت حتما ان العلم يجب ان يؤخذ من القرآن ٠ ان هذه قضية مترتبة على تلك ٠

لكني اغتفرتها للرجل ٠٠ اغتفرتها على أساس أن هذه القسمة انما هي للتعليم ـ تعليمنا نحن الذين نستمع اليه ٠ وانه انما جعل مسالة أخذ العلم من القرآن قسما مستقلا لاهميتها ٠ ومنيت النفس أن يقف الرجل طويلا عند هذا القسم ليبين لنـــا في وضوح وجلاء مسالتين :

الاولى : كيف يمكن ان ناخذ العلم التجريبي وغير التجريبي عن القرآن ٠

والثانية : كيف ان المسلمين عجزوا عن ان ياخذوا هذا العلم عن القرآن ، وكيف ان غير المســلمين قد سبقوا في هذا الميدان ٠

ولكن الدكتور الشيخ مضى ، ولم يقف عند هاتين المسالتين ، وكانهما لم تخطرا له على بال ٠

ومضى الشيخ ومضينا جميعا معه فاذا به يعمد الى ان يحرك من الناس عواطفهم الدينية ليستفيـد من هـــذه الحركة فيما يلقى على أسماعهم من ثرثرة ٠

وتجح الدكتور الشيخ فيما أراد ٠ وأخذت همهمة تسرى في الحضور ٠ وبدا الناس وكانهم في المساجد يسمعون الى الامام في الصــلاة يخطب فيهم خطبة دينيه وأخذت أصوات مصمصة الشفاه ، والحوقله ، والتسبيح تسمع من كل جانب ، وبدا وكان الدكتور الشيخ قد خدر من الناس عقولهم باستثارته القويه لعواطفهم الدينيه ٠

انتقل المحاضر من موضوع الى موضوع ٠ وفي كل مرة كنت اشاهد انه يبتعد عن الفكر وميــدانه ، والعقل وسلطانه ٠ انه يدخل مرة في ميدان الغيبيات ، واخرى في ميدان الحس والمشاهدة ٠ وفي كل مرة ياتي بكلام ما انزل الله به من سلطان ٠

انه في ميدان الغيبيات يتحدث عن ذلك الحوار الذى قام بين الخالق جل وعلا وبين الملائكة حين قال لهم انى جاعل في الارض خليفه ٠ ومضى الرجل في قسمته الثلاثيه وهي هنا مســتخلف بكسر اللام ، ومستخلف بفتح اللام ٠ ومستخلف عليه أو فيه ٠ ورأى المحاضر ـ سامحه الله ـ أن الملائكة لم تفطن الى هذا القسم الثالث ٠ وأنها وقفت عند القسمين الأول والثاني ٠ وأنها ظنت أنها المقصودة بالقسم الثاني ، وانها التي ستستخلف في الأرض ٠ ومن هنا كان اعتراضها ، وكان قولها للخالق جل وعلا : أتجعل فيها من يفســد فيها ويســفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ٠

ان ما قاله الشــيخ الدكتــور ليس الا الثرثرة الفارغة ٠ فالخليفه عندهم هو آدم واعتراضهم انما جاء من علمهم الســابق بأن المخلوقات انما هي خير محض وهم الملائكة ٠ وشر محض وهم الشياطين ، وخير مع شر وهم بنو آدم وأن اعتراضهم انما قام على أساس من ان هذا القسم الثالث قد يغلب فيه الشر الخير فيكون الافساد ويكون سفك الدماء ٠

على انى لا اريد ان اجادل الشيخ في هذه المسالة فهي من الغيبيات التى تحتمل الجدل سنين متطاوله ولا ينتهي المتجادلون فيها الى راى قاطع ٠

انى أريد أن أقف منه عند هذه المسالة التى خرج فيها عن حدود العقل الديني ٠ والتى حمل فيها القرآن مالا يحتمل ٠

يقول الدكتور الشيخ ٠

يقولون القرآن كتاب دين ٠ على العين والراس ٠

ويقولون القرآن كتاب غيب ٠ سلما وآمنا ٠

ولكن تعالوا وانظرا كم مرة من المرات ورد لفظ دين ٠ وكم مرة ورد لفظ غيب ٠ وكم مرة ورد لفظ علم ٠ وكم مرة ورد لفظ كتاب

ويمضي الشيخ ذاكرا الاعداد ، متحديا من يذكر انه أخطأ ، دافعا له قرشا ـ علما بأنه لا يزال في أول الشهر ٠

ولست اتحـدى الرجل في العدد فانا اعلم أن هنـــاك كتبا كثيرة قد قامت بهذا الاحصاء ٠ منها ما طبع في الهند ، ومنها ما طبع قديما في اسطمبول ، ومنهــا ما طبع عندنا في دار الكتب وفي غير دار الكتب ٠ بل منها ما كان يباع منذ ايام في المزاد العلنى وهو المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ٠

انى انما اقف عند هذه الاستنتاجات الخاطئه التى قام بها الرجل بعد تفسيره لهذه الاحصائيات .

من قال يا سيدنا الشيخ ان دوران الألفاظ هو الذى تقاس به المعانى . وما رايك فى هذه الآيات الكثيرة التى لم يرد فيها لفظ دين . أتعتبرها من الدين أم من غير الدين .

ما قولك فى هذه الآيات قل هو الله احد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد .

قل بلى وربى لتبعثن . انما الهكم اله واحد . واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة . كتب عليكم الصيام ... الخ ..

اهى من الدين أم ليست من الدين ؟ ان لفظ الدين لم يرد فيها ولكنها حتما من صميم الدين .

ثم ما رايك فى هذه القصص الكثيرة التى كان ينهيها القرآن الكريم بعبارة : ذلك من انباء الغيب أتكون هذه القصص برمتها من الغيب أم ليست من الغيب .

ان العبرة بالآيات لا بالالفاظ .

ثم ان الألفاظ نفسها قد تكون مضللة من حيث ان الألفاظ فى القرآن الكريم انما تستعمل فى اكثر من معنى ومن ذلك لفظ الكتاب والكتابه .

ان كتب قد تستعمل بمعنى فرض ، وبمعنى اوجب والزم . كتب ربكم على نفسه الرحمة . كتب الله لأغلبن انا ورسلى . كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم . والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم .

على أن الكتاب انما استعمل فى المعانى الدينيه أكثر من استعماله فى المعنى الذى قصد اليه السيد الدكتور . أهل الكتاب . الذين آتيناهم الكتاب . يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء . ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس .

ان الكتاب هنا يستعمل بالمعنى الدينى . ومعنى ذلك انّ الاستنتاج الذى وصل اليه الشيخ من وراء النسبة العدديه استنتاج غير سليم لأن معنى الكتاب فى كثير من الآيات ليس الا المعنى الدينى ـ ومعنى ذلك ايضا انه يحصى فى المعانى الدينيه وليس فى المعانى العلميه .

لو أن السيد الدكتور حدد الألفاظ بمعانيها لجنبنا كثيرا . وجنب نفسه هو كثيرا أيضا .

لنأخذ الآية الكريمه . **اقرا باسم ربك الذى خلق .**

ان الشيخ اضطر الى أن يقول لنا ان الأمر هنا أمر تكوين من حيث أن النبى عليه السلام لم يكن ليقرا او يكتب .

لقد أخطأ الشيخ لاعتقاده بأن القراءة لا تكون الا عن مكتوب .

ان القراءة فى الأصل ليست الا الضم والجمع . ضم الحروف والكلمات بعضها الى بعض فى الترتيل .

والقراءه تكون عن تلقين . فالعمى يحفظون القرآن عن تلقين . ويقرءون القرآن بعد هذا الحفظ . ولم يقل احد أن هذه ليست بقراءة .

وقراءة الفاتحة فى الصلاة ركن من اركان الصلاة . والمصلون من المسلمين يحفظون الفاتحة بالتلقين لانهم من الأميين . ويقرءون هذه الفاتحة فى الصلاة وتقع صلاتهم صحيحه ، ولم يقل احد بأن قراءة الفاتحة فى الصلاه على هذه الصوره ليست بقراءه والا كان معنى ذلك أن صلوات العوام والأميين تجيء باطلة لأن قراءة الفاتحة على هذه الصوره ليست بقراءه .

والذين كانوا يقرءون القرآن الكريم من الصحابة والتابعين انما كانوا يقرءون عن تلقين . وكان النبى يلقنهم القرآن الكريم . وكان النبى يرسل مع المسلمين من الوافدين عليه من يقرئهم القرآن عن تلقين .

وابن عباس رضى الله عنه يقول فى تفسيره للآية القرآنية . فاذا قرأناه فاتبع قرآنه . اذا جمعناه واثبتناه فى صدرك فاعمل به .

ويقول بعض العلماء من المسلمين . تسمية هذا الكتاب قرآنا من بين كتب الله لكونه جامعا لثمرة كتبه .

ان الأمر فى **اقرا باسم ربك الذى خلق** لم يكن أبدا أمر تكوين . انه الأمر بالقراءة التى تكون بعد تلقين . **والقرآن الكريم** جميعه انما وصل الينا عن هذه الطريقه . فكان جبريل عليه السلام ينزل من السماء بالآيات البينات يلقنها للنبى عليه السلام وكان النبى يحفظها عن ظهر قلب ثم يلقنها الناس ، او يلقنها الكتبه ويلقنها الكتبة للناس .

لماذا نحرص دائما على أن نلوى المعانى ليا . ونعرض عن المعانى البسيطة الى المعانى المعقدة الملتويه .

هذا مثل ضربته للمتعالمين . ضربته لأبين واجبات المثقفين فى امة يكثر فيها هؤلاء المتعالمون .

ان على المثقفين ان يحاربوا الجهل ، ويحاربوا التعالم ، والا خسروا المعركه ، وظلت امتنا امة متخلفه .

وفى الأسبوع القادم نوالى الحديث عن حقوق وواجبات المثقفين .

محمد احمد خلف الله

الأدب العربى الحديث واتجاهاته

بقلم: محمود تيمور

— ٢ —

تحرير المراة واشتراكها فى الميدان الادبى :

ولقد كان من مظاهر عصر النهضة الرغبة فى تحرير المراة ، وذلك بانتهاء عهد الحجاب واشاعة السفور ، بحيث تستطيع المراة ان تسهم فى ميدان العمل وفى بناء المجتمع . والتقاليد يومئذ تحول دون خروج النساء ، واشتراكهن مع الرجال فى علم او ادب او صناعة ، وتقصر عملهن على ادارة دفة الاسرة داخل جدران البيوت بمعزل عن اضواء الطريق . وتجلت بشائر تحرير المراة فى بزوغ شاعرة هى السيدة « عائشة التيمورية » التى كتبت اشعارها باللغات العربية والفارسية والتركية ، والفت بعض القصص على نمط « الف ليلة » ، وقد خلفتها فى حمل لواء الادب النسوى الحديث السيدة « ملك حفنى ناصف » التى ظهرت براعتها فى فصول كتبتها فى الصحف باسم « باحثة البادية » ،وتعتبر « مارى زيادة » التى ظهرت فيما بعد باسم « الآنسة مى » نموذج المراة المتحررة التى اكتملت ثقافتها العربية والاوربية ، واوتيت موهبة التعبير فى مستوى فنى اصيل . وقد انتعش الادب النسوى بعد ذلك بفضل تعليم المراة ودخولها الدراسة الجامعية واشتراكها فى ميادين الثقافة وفروع الاعمال ، فاصبح من النساء عدد كبير ، فيه من يشتغلن بالصحافة ، وفيه من يمارسن الادب ، وفيه من يكتبن القصة ، وفيه من يشاركن فى البحث والتأليف والتعليم .

***

ترجمة الادب القصصي :

وقد نبتت اثناء هذا العهد نابتة من المثقفين ثقافة اجنبية ، اطلعوا على ضروب من آداب الغرب ، وكثير من هؤلاء ينتسبون الى تلك الرقعة العربية الواسعة التى كانت تسمى « الشام » حاوية فلسطين وسورية ولبنان ، فعكفوا على الترجمة ، وقربوا الى العربية جملة من الادب القصصي ومن ادب المسرح ، فلقى هذا اللون الجديد حفاوة وقبولا عند القراء العرب ، وتهافتوا عليه يطلبون منه المزيد .

وهكذا اخذت ترجمة الادب تنوى وتزدهر وتحتل فى عالم الصحافة وفى عالم النشر اعز مكان . وقد بلغ من كثرة المترجمات فى تلك الحقبة وما تلاها ان احدى دور الكتب العامة فى الشرق استطاعت احصاء عشرة آلاف قصة بين طويلة وقصيرة ترجمت الى العربية قبل الحرب العالمية الاخيرة .

وليس من عجب ان تلقى القصة بمنهجها الغربى هذه الحظوة من نفس القارىء العربى ، وان يتزاحم عليها ليروى بها ظماه الى الادب الفنى ، فان الشعب العربى شعب قصاص بطبعه ، والقصة عريقة فى ادبه ، تسرى فى روحه ، وله منها وراثات قديمة مختلفة المنابع . وحسبك انه ذلك الشعب الذى اتخذ فى شتى عصوره السوالف من القرآن مثله الاعلى ، وهو احفل مصدر للقصص التاريخى الرفيع. وحسبك ايضا انه ذلك الشعب الذى تمخضت موهبته الفنية عن حشد زاخر من الاسمار والنوادر والاساطير انتهت به الى ذلك اللون من القصص الشعبى الذى عرفه العالم اجمع ، وبخاصة المع جوهرة فيه ، وهى حديث « شهرزاد » فى « الف ليلة » .

***

وفى هذه الحقبة ترجمت آثار قصصية تتفاوت قيمها الفنية ، فكان منها الاصيل ، وكان منها الهزيل، وكذلك تعددت مصادر هذه الآثار المترجمة فكان منها الانجليزى وكان منها الفرنسي ، على ان المترجمات عن الفرنسية كانت هى الكثرة الغالبة . وقد عرف القارىء العربى بفضل هذه الترجمات اعلام الادب الاوربى ، امثال « شكسبير » و « موليير » و «راسين» و « كورنى » و « لامارتين » و شاتوبريان وفكتور هوجو « يقدمها اليهم كتاب لامعون ، امثال « نجيب الحداد » و « فرح انطون » و « خليل مطران » و «حافظ ابراهيم» و «احمد زكى» و « محمد عوض محمد » .

نشاة الرواية التاريخية فى الادب العربى وتطورها :

ولم تلبث الانماط القصصية الاوربية ان اثرت فى واعية الكاتب العربى ، فهفت نفسه الى محاكاتها ، ومواتاة لغته القومية بمثالها ، فكانت اولى محاولات المحاكاة الناجحة متصلة بميدان الرواية التاريخية . ذلك ان « جورجى زيدان » احد اقطاب الصحافة الادبية فى صدر النهضة كان له فضل

التنبه الى تقديم تاريخ الاسلام فى اطار روائى يدور اكثره حول محور غرامى ، وقد حرص على التزام ما سجله التاريخ من وقائع واحداث ربط بينها بخيوط قصصية يتجاذبها ابطال من عالم الحقيقة او من وادى الخيال . ولا ريب فى ان هذا الاطار الروائى عليه مسحة من القصة فى مدلولها الحديث ، بما تقوم عليه من عناصر الحادثة والعقدة والنهاية ، وما يتصل بهذه العناصر من تدبير المفاجآت وبث روح التفكيه والتشويق ، ولكن هذه الروايات مع ذلك من الناحية الفنية البحتة ومرعاة المستوى القصصي الرفيع تعتبر مرحلة اولية للقصة التاريخية فى الادب العربى ، وهذه المرحلة هى التى مهدت الطريق من بعد لطائفة من الكتاب والادباء تناولوا احداث التاريخ وشخصياته على اسس فنية من التحليل النفسي والتفسير الاجتماعى ، ومن استبطان ما وراء الظاهر من الوقائع والاحداث . ويحضرنى فى هذا المقام ما قدمه «ابراهيم رمزى»فى «باب القمر » و « الحاكم بأمر الله » ، وما قدمه الاستاذ «محمد فريد ابو حديد» من قصص شتى مستقاة من تاريخ العرب قبل الاسلام ، وما قدمه الدكتور « طه حسين » فى كتابه « على هامش السيرة » وكتابه « الوعد الحق » . واسمح لنفسي بأن اشير الى بعض محاولات لى تناولت فيها بالمعالجة والتحليل حياة«امرىء القيس» عبقرى الشعر فى العصر الجاهلى ، وحياة « الحجاج » اشهر الحكام فى عصر « بنى امية » وحياة عبد الرحمن الداخل « الملقب » بصقر قريش » وهو احد الذين اقاموا دولة فى بلاد « الاندلس » التى اطلق عليها فيما بعد اسم «الفردوس المفقود» . واهم ما فى هذه المسرحيات التاريخية انها نحت منحى الاستلهام النفسي والتعليل الاجتماعى والكشف عن حقيقة البطولة الانسانية فى موطن ضعفها وفى ذروة قوتها .

الرومانسية فى الأدب العربى

ولقد كانت هذه السنوات التى قوى فيها تعرف الأدب العربى الى القصص الغربى امتدادا لعهود سياسية من الضغط والاضطهاد عانت فيها الأمة مرارة التحكم الأجنبى ، فسادت موجة من المشاعر الحزينة تعبر عن المسكنة والانكسار، وأنست النفوس الى الاسترسال فى الحديث عن مآسي الحب والفقر والعادات وآثار التخلف الاجتماعى ، فانعكس هذا كله على الكاتب القصاص والمترجم القصصيّ جميعا .

ومن ثم رأينا القصة تأليفا وترجمة تنساق فى هذا التيار ، ورأينا الكتب تتودد الى الاسماع بأمثال هذه العنوانات الشاجية : « اليتامى » و « البؤساء » و « المساكين » و « العبرات » و « الذبائح » و « الضحايا » و « الأبرياء » و « رسائل الاحزان » و « آلام فرتر » و « الاجنحة المتكسرة » . وكذلك كان من هم الكاتب او المترجم ايثار القصص ذوات الخواتيم الفاجعة المثيرة ، تلك القصص الحافلة بالاشجان الجسام،فيما تنصب الوان النحس والبؤس على رءوس الابطال فيستطون فى ميدان الكفاح مضرجين بدمائهم تحت مطارق الظلم والعنت ، تحف بهم عواطف الاشفاق والرثاء !

❊❊❊

وقد نبغ فى تلك السنوات اديب فصيح الاسلوب، ناعم العبارة ، يحسن تصوير الشعور الحزين ، ذلك هو « المنفلوطى » ، فألف بعض القصص على هذا الطراز ، وصقل بأسلوبه المتين قصصا مترجمة ، فكانت هذه وتلك الحانا طربت لها الاسماع ، ومالت اليها النفوس ، وظلت اهازيج رائعة ترنم بها الجيل الماضى ، ووجد فيها شفاء لروحه المكلومة ، وقلبه المكروب . واليقين ان « المنفلوطى » كان يعرف ذلك من شأنه ، اذ قال فى مقدمة « عبراته » : « الاشقياء فى الدنيا كثير ، وليس فى استطاعة بائس مثلى ان يمحو كثيرا من بؤسهم وشقائهم ، فلا اقل من ان اسكب بين ايديهم هذه العبرات لعلهم يجدون فيها تعزية وسلوى » .

ولا مندوحة لنا من الجهر بأن هذه الآلام والمآسي والفواجع التى دار حولها يومئذ الأدب عامة والأدب القصصي خاصة ، تشيع فيها السطحية والعمومية ، ولا تتناول من النفس دقائقها الخفية واسرارها الدفينة ، وطريقة العرض فيها لم يكن لها من قوة الأداء ومنطق التعليل ما يرفع مستواها الفنى ، وما يمنحها نفحة الخلود .

❊❊❊

فى تلك الفترة علا صوت التعبير الذاتى،والخوالج الشخصية ، وتزاحمت انغام الشكوى والانين ، ومناجاة الاطياف ، والايغال فى وصف العاطفة ، والجنوح الى لون من الروحانية والتصوف ، واطلاق العنان للأخيلة والاوهام . واذكر انه كان ثمة موضوع لايكاد يسلم من الكتابة فيه اديب ، ولا من التغنى به

مطرب ، ذلك الموضوع هو نداء الليل ومسامرته ، وبثه ما فى الصدر من وجد ولوعة وحنين .

وفى مستطاعنا ان نتبين فى الادب فى تلك الفترة سمات « الرومانسية » مع اختلاف دوافع توافرها فى الادب العربى يومئذ ودوافع توافرها فى العصر الرومانسي للأدب الاوربى . فان عصر الرومانسية فى ادب الغرب مرجعه الى انتقال المجتمع الاوربى من عصر الارستقراطية والاقطاع الى عصر الطبقة الميسورة او الطبقة الوسطى « البرجوازية » واستقبال عهد الآلة التى تطورت بها اوضاع الاجتماع والاقتصاد ، وهان بها شأن الفرد فى العمل الفنى ، فضاق الفنان بالقوالب الآلية التى غزت عصره . ورأى نفسه قد غدا قالبا مثلها تحكمه حياة معقدة لا شخصية له فيها ولا كيان ، فتطلع الى تعبير تعتز فيه الفردية ، ومن ثم تجلى فى الأدب الرومانسي الاعتداد بالعاطفة والاحساس والخيال ، والانتقاض على اوضاع المجتمع ومناصرة الفكر الحر ، والاتجاه الى عبادة الطبيعة وما فيها من جمال ، هربا من وطأة الحياة المادية وسلطان « الآلة » ، ومن القيود فى الشكل ، ودعما للشخصية المستقلة ، واستنقاذا للفردية الضائعة . اما سمات « الرومانسية » فى الادب العربى اذ ذاك فقد كان الدافع اليها ما ضاق به المجتمع العربى من كبت وحرمان وضغط سياسى وركود اجتماعى ، وضعف فى المستوى العلمى والاقتصادى ، فتاقت النفوس الى تنفيس وترفيه : بالاسترسال فى متع الخيال ، والهيمان مع العواطف الملتهبة ، فرارا من جفاف الواقع وجموده ، وانسا برحيق الاوهام فى كئوس من ذهب وهاج . وعلى الرغم من اختلاف الدوافع بين نشوءالمذهب الرومانسي فى الادب الاوربى القديم ونظيره فى الادب العربى الحديث،نجد المشابهات بينهما واضحة كل الوضوح، فى المظاهر والنتائج ، فكلاهما يقوم على العاطفة والخيال، وكلاهما يؤثرا انطلاق الفكر وحرية التعبير، وكلاهما ينشد تقويم الذاتية الضائعة ، واستنقاذ الشخصية مما يحيط بها من قيود واغلال .

ادب المهجر :

وبينما الادب العربى فى الشرق يومئذ يستغرق فى رومانسيته ، اذ هبت عليه نفحات ادب عربى رومانسي ايضا من وراء المحيط ، حيث الدنيا الجديدة، فقد كان هنالك فى « أمريكا » مهجر لجماعات عربية من « لبنان » و « سورية » ، فنشأ منهم ادباء تأثروا بالحياة الغربية وآدابها ، واعتملت فى نفوسهم مشاعر الغربة والحنين الى الاوطان ، فأفاضوا فى التعبير عن نزعاتهم فى منحى أوفر حرية وابعد انطلاقا ، حتى انهم فى اساليبهم لم يبالوا ما تواضع عليه علماء العربية وادباؤها من الاصول والقواعد كل المبالاة.وكان فى الادب المهجرى فن شعرى يجرى من حيث الشكل على أوزان الشعر العربى وقوافيه، واما من حيث الموضوع ، فقد كان يحفل بالطريف المستحدث من المعانى والاغراض . على ان تلك النابتة الجديدة من ادباء المهجر قد ابتدعت ما سميناه « الشعر المنثور » وهو محاولة لسياقة المعانى الشعرية على نمط جديد يختلف عن القصيدة العربية الاتباعية (الكلاسيكية) فى ناحيتين :

***

الاولى التحرر من الوزن والقافية .

والأخرى وحدة الموضوع وتسلسل فكراته تسلسلا نفسيا متداخلا لا افتعال فيه ولا استطراد .

وقد تميز الادب المهجرى بالجدة والطرافة ، وبرهافة الحس ورقة الشعور ، وبالسلاسة والعذوبة . وكان فى جملته دما جديدا اغتذى به الادب العربى ، وجرى فى شرايينه ، فأورثه الحيوية والحرارة والانتعاش ، ولا ينسى تاريخ الادب الحديث اعلام الادباء المهجريين ؛ وفى مقدمتهم « جبران » و « الريحانى » و « نعيمة » و « ايليا ابو ماضى » .

محمود تيمور

حقيقة الالتزام الدينى فى الادب

للدكتور احمد كمال زكى

— ١ —

منذ قديم صاحب الدين الانسان ، فسلم به احيانا، ورفض احيانا اخرى ان يكون مفتاحا لفهم الحياة . ومن بين اولاء وهؤلاء ظهر ادباء برزت عندهم مشكلة المعتقد ، ولكنهم كلهم — بلا استثناء — لم يستطيعوا ان يقرروا انهم انتهوا الى الراحة المنشودة . وصدروا من انتاج تردد بين سماحة الايمان وحماة الالحاد ، فلم يجد الناس عندهم ما يجعلهم ينكرون المتعة الفنية. الا اذا كان التعنت رائدهم ؛ وفى هذه الحال يزعمون ان زندقة ابى العلاء المعرى — مثلا — تحطم كل استمتاع بنثريته الرائعة « رسالة الغفران » وان كفر شيلى بالانظمة المسيحية افسد مسرحيته « بروميثيوس طليقا » وفيها الحب الممثل فى الطبيعة هو جوهر الدين .

ان هذا لا يمكن ان يحدث اذا برئت النفوس من الهوى ، ومن ثم ليس لنا بد من ان نسلم بتلك الظاهرة تاريخيا على الاقل . ونقرر فى الوقت نفسه ان سلسلة المعارك العقيدية التى وقعت كانت من الايجابية بحيث تركت اثرها فى الانتاج الفنى عامة، وندرك من قريب ومن بعيد على ان جوانب الخلاف قد تبدلت او حتى تبدد ، وان من كان يقف مع اليمينيين فى فترة ما ضم فى فترة اخرى مع اليساريين . ثم ان خطوط المعركة ذاتها اضطربت وتشابكت بحيث اصبح من المحال أن نميز بدقة بين المعتقد الدينى والموقف الحقيقى حياله . ولهذا كان من الطبيعى جدا ان يظهر فريق الادباء الذى لا يهتم كثيرا بالدعوة الى معتقده ، او لا يجد مبررا ليعلن موقفه مع اليمينيين او اليساريين .

وما نظن أن من حق اى ناقد ان يحكم على هذا الفريق بالحكم الشائن ؛ لانه لو كان من المقرر ان يمتدح احد النقاد من كان معه فى اى موقف فليس له الحق فى ان يذم معارضيه . ومن هنا نفهم لماذا لا يعتد بكثير من نقد الماركسيين حين يحملون على ادباء المسيحية ، ولماذا لا يعتد ايضا بنقد المتزمتين للماركسية ؟ اليس عجيبا ان يتجاهل الفريقان ان من اسباب الخيانة للنقد الادبى استسلام الناقد لاغراء العقيدة ؟

لقد ادرك اساتذة النقد هذه الحقيقة ، وكان ادراكهم لها احد اسباب نزاهتهم وبالتالى احد عوامل تفوقهم . ومن الامثلة البليغة على هذا — فى تراثنا — الباقلانى والآمدى والجرجانى ، وقد استطاعوا ان ينظروا بعين الحياد الى مخالفيهم فى العقيدة . بل قدموا واحدا كبشار بن برد — وهو الطاعن فى الاسلام — على واحد كالبحترى فى كثير من المواضع، وكان هناك شبه اجماع بينهم على ان الاخطل المسيحى كان اشعر من جرير والفرزدق فى موضوعات بعينها .

ماذا اقول ؟

بل كان هناك من يؤكد ان الاسلام اضعف من الشعر الجاهلى ؛ على اساس ان الدين يقلم اظفار الشاعر ، وان الشعر الذى يستحيل « خطبة منبرية » كشعر حسان بن ثابت لا يمكن ان يرضينا دائما . وفى بعض السير الشعبية نجد عطفا من جانب المسلمين على شخصيات لا تاخذ بدينهم ، بل قد يقوم بدور الخيانة مسلم مارق يكشف عنه مسيحى صادق .

ان هذا الموقف القديم يذكرنا بموقف الدكتور جونسون — وهو احد اساطين النقد — عندما قرر ابتهالات كريستوفر سمارت الطبيعة قال « انا شخصيا لا امانع فى الصلاة معه كما اصلى مع اى شخص آخر » .

ويبدو ان جونسون لم يلق احدا يخالفه ، كما انه لم يخرج عن كونه يؤدى رسالته على وجهها الصحيح . ونستطيع من وجهة نظره ان نعزو تفوق امثال سمارت — وعلى راسهم هوبكنز واليوت وفروست — الى ما يعزى اليه تفوق ميلتون وشيلى وماثيو ارنولد ، الذين كتبوا شعرهم بعيدا عن ظل العناية الالهية . انهم جميعا قادرون على ان يجعلوا قارئهم « يحسن الاستمتاع بالحياة او يحسن تحملها » .

(٢)

ولننظر الى بعض المحاولات السافرة التى تبذل اليوم فى سبيل تاكيد ان الدين مقوم من مقومات المجال السلوكى للانسان ، ولهذا يجب الا نستغنى عنه . انها من غير شك استمرار للمجاهدات القديمة؛ ابرزها محاولات « اوجست كانت » وهو يقيم صرح فلسفته على اسس كاثوليكية بالية ، واحدثها مايقدمه

المعسكر الغربي — السياسي — باسم المسيحية من اعمال فنية مختلفة منها : الافلام الدينية ، وطبعـات الكتاب المقدس فى صور فنية مغرية، ونداءات لبعض القادة تشبه نداءات محمد والمسيح !

وعندنا فى مصر يصدر محمد قطب « منهج الفن الاسلامى » بعد ان ناقش « الانســان بين المادية والاسلام »ويكون صنيعه امتدادا لما يؤديه المحافظون لمواجهة الافكار المتطرفة ، واهمها المبدا الذى يروج له الماركسيون وهو « الفن سلاح » والقاعدة التى يقف عليها الفرويديون متاثرين بنظرية داروين .

وانى لارجو ان اشير الى اننا حتى لو اعتبرنا الفن سلاحا ، فليس معنى ذلك ان ناخذه بالمقاييس المادية، فنجعل الاله بالضرورة مغروسا فى الارض باعتباره قاعدة الهيكل الاقتصادى . كذلك لسنا ملزمين اذا سلمنا بما يقوله الفرويديون ان نزيل عن الانســان شفافيته او جانب روحانيته ، ثم نجعل غرائزه امتدادا حقيقيا وطبيعيا لغرائز الحيوانات التى سبقته .
كلا !

ونحن نؤثر ان نكون من جانبنا امناء على الحقيقة مهما تكن طبيعتها . وعندما يصدر الاديب باية فكرة عنها ، فهى شيء مصون ما كانت فى حدود المناقشة.

لقد حدد الاستاذ محمد قطب منهجه للفن الاسلامى على اساس ان الاسلام — كأى دين سماوى — يبحث عن الحقيقة ، فى حين يبحث الفن عن الجمال . بل على اساس الا يكون الفن الاســلامى هو الذى « يتحدث عن حقائق العقيدة مبلورة فى صورة فلسفية ولا هو مجموعة من الحكم والمواعظ والارشادات ، وانما هو شيء اشمل من ذلك واوسع ، انه التعبير الجميل عن حقائق الوجود من زاوية التصــوير الاسلامى لهذا الوجود » .

هنا .. فى هذه السطور وجه الخطر ، وان يكن يقرر فى موضع آخر ان الفن الاسلامى ليس من الضرورى ان يتحدث عن حقائق الاسلام وشخصياته واحداثه ، ولكن من الضرورى أن يتحدث عن الحياة كلها فى لحظات ارتقائها فقط .

وجه الخطر انه يفرض مضامين مهما يكن لها ان تتنوع فليس ينبغى ان تصــف لحظـات الهبوط الانسانى . واعتباره الفن نقيضـا للحقيقة لانه يبحث عن « الجمال » انكار الجوهر الجمال نفسه لانه هو نفسه حقيقة ، وان تكن حقيقة وجدانية .

ونسي ان وجدانية الحقيقة شيء لا يلغيها ، كما لا تلغي تجريبيتها جوهر العلمية باسم ان حقيقة الدين تلقائية غيبية !

كان اولى به الا يخطط لهذا المنهج فيسأل : فى اى موضع يقف الاديب او الفنان بالنسبة للاسلام ؟ لان طبيعة العمل الادبى تفرض عليه ان يسال : مامدى قدرته على الاعطاء فى موقفه الانسانى كله ؟

وليس المهم فى سبيل تقييم انتاجه ان نتامل عنصر اللذة مثلا ونقيسها بالمقاييس التى يفرضها الدين فقط ، وانما المهم ان نتامل هذا العنصر فى حدود ما يهيئه لنا من حسن استمتاع بالحياة او حسـن تحمل لها ! ليس المهم ان نسأل : اهو بار ام خاطىء ؟ ولكن المهم ان نسـال : اهو من الادباء الاصيلين ام من المزيفين ؟

(٣)

ولقد يقال ان هذا يصح لو كان المعتقد ثانويا ، اما وان الاسلام يتغلغل فى حياة افراده فان مسألة التزامه — فى الادب — يجب أن تكون محل تقدير . افلم يصدر عنه شاعر كمحمد اقبال فبرز ذلك البروز الذى اقعده فى قمة الكبار ؟ ولكن يمكن ان يوضع مقابل الباكستانى الشــاعر الســورى عمر الاميرى لنسـال : ولماذا لم يحتل هذا الشـاعر العربى القمة نفسـها ؟

بل هناك من يختار « وســوســة الشــيطان » لعبد الحميد جودة الســحار كنموذج للواقعية فى التصور الاسلامى ، فنسـال : اتراها ترقى الى مستوى « الطريق » التى كتبها نجيب محفوظ وهى فيهـا خطيئة ولم يستهدف بها صاحبها كالسـحار تماما « تلذيذ القارىء » ؟

انا اعلم ان المقارنة ظالمة بقدر ما بين الكاتبين من عمق وخصوبة ، الا اننى لايمكن ان اضع واحدا كالسـحار فى النور واترك فى الظلام نجيب محفوظ لانه لا يصدر عما صـدر عنه غيره . بل ربما كان نجيب محفوظ فى « اولاد حارتنا » الخلق بالتقدمة من اى كاتب رماه بالمروق ، ولعل من حمل عليه امس يدرك اليوم انه لم يزد شـيئا فى معارك العقيدة المستمرة .

وتحضرنى لنجيب محفوظ هنا مجموعته القصصية « دنيا الله » وفيها شجب اسلوبه التقليدى فى القص،

وتخطى حدود المظهر من الوجود الى مطلق الوجود. ولقد اصطنع العبث او اللامعقول احيانا ، ولجا الى الرمز فى اثناء مناقشته لقضيتي الحياة والايمان . ونلحظ بسهولة انه وهو يطلب منا ان نتجاهل الموت لعشوائيته ينادى بعفوية العقيدة ، ولكنه يلح على الاحساس بالغربة والضياع .

اتراه فقد الايمان ؟

لم يبد وكانه يرفض السعادة ويأبى ان يرسم طريق النجاة ؟

لعله انتهى الى انه لا شيء موجود او الى ان الوجود المطلق هباء ، ومن ثم حمل كل كائن عناصر فنائه . والانسان الذى يعيش والانسان الذى يموت كلاهما عدم ، ومن ثم يجب ان يختلس ما يطمع فيه كما اختلس عم ابراهيم لذته من طريق السرقة وعشق بائعة النصيب ، وكما اختلس « برمجية البقايا » نشوة الاثم فى جوار جامع الدرب .والحياة التى تنتهى فجاة بحبل على ما فى قصته « ضد مجهول » لارخص من ان يحرص عليها احد !

وهكذا ، وهكذا . . .

حتى لنستطيع ان نقول ان نجيب محفوظ الذى سلم بمقدرات الدين فى اكثر اعماله ، وقف ازاءها فى هذه المجموعة وقفة المواجه المتحدى او وقفة المتسائل المشدوه ، ولنقل وقفة المحير امام اخطر المشكلات .

وفى قصة « جوار الله » وقصة « جامع الدرب » وقصة « زعبلاوى » شك عات ، وعبث ، وتجربة وصد العلاقة بين المخلوق وخالقه . ولكن احدا لا يزعم انه يجدف فيها ، وانه يجعل من صفات الله صفات لزعبلاوى الدرويش الذى يوجد فى كل مكان ويعرف كل شيء ويشفى المريض ويهب الثراء ويسعد الشقى .

اننا لو اخذنا نجيب محفوظ بما يرسمه متزمتو المحافظين لفقدنا قاصا يستطيع بمواهبه الخصبة ان يجعل نفسه مجالا للدرس والمناقشة .

(٤)

اذن ترانا مضطرين الى القول بان الاديب الكبير الذى لا يرضي طائفة المحافظين لديه دائما ما يقوله لهم بقدر ما يقول لغيرهم ، وهو يلفت المنصف منهم دائما الى ضرورة التسليم بشرعية وجوده . واى نقد لانتاجه يعلق بتحيز سابق ، يظل عرضة الرفض حتى يشفع بمحاولات نقدية اخرى . اما هذه المحاولات فتبدو على الاقل فى صورة استكشاف لعناصر البهجة والعبوس ، او فى تقييم درجة الصدق فيه ، او فى الوقوف عند رموزه التى تحمل فى طياتها عفوية الحدس واصالته .

ومع ذلك فلنقرر اننا لا نرانا محتاجين الى احد يحاول ان يقنعنا بمعتقده لكى نؤمن بأى شيء ، وانما حسبنا ان نراه يصور بالكلمات احساسه بمطلق الحياة . واذ ذاك نصل معه اما الى نشوة الصدق . واما الى احساس الاخوة ، واما الى التعاطف — ولا اقول الموافقة — مع الشككين الذين يصرعهم الاخفاق .

وفى التدليل على هذا نقرأ من جديد قصة « زعبلاوى » او « رسالة الغفران » فهل ترانا لا نظفر بالمتعة الكاملة ؟

ولنقرا بعض ما يقوله ماثيو ارنولد لحبيبته فى قصيدته « ساحل دوفر » بعد ان اعلن استحالة الاحتفاظ باى معتقد :

اواه ياحبيبتى ! فلنكن مخلصين كل منا للآخر
ان العالم الذى يبدو
وهو يمتد امامنا كارض من الاحلام
متنوعا بديعا جميلا
ليس به فى الحقيقة بهجة ولا حب ولا ضياء
ولا يقين ولا سلام ولا ما يقى من الالم
ونحن هنا كاننا فى سهل مظلم
يجرفنا نفير النضال والهرب حيث يتصادم جيشان عميان فى الظلام .

وكذلك نقرا ما يقوله شيلى فى اوز مانديأس المصرى ، انه على زهده فى توكيد اى هدف اخلاقى واضح بها يجعلها برمزها لا تقل تاثيرا عن وعظيات المتزمتين ، يقول :

قابلت رحالة من بلد قديم
فقال : هناك رجلا تمثال حجرى ضخمتان وبلا جسم
تقفان فى الصحراء وبالقرب منهما على الرمل
وجه مهشم مدفون حتى نصفه
تدل شفته المتقلصة العابسة وروح التسلط البارد
على ان ناحته كان يقرا تلك النوازع عنده
وبقيت لتظل مطبوعة على هذه الاشياء الميتة
وفوق القاعدة ظهرت هذه الكلمات :
انا اوز مانديأس ملك الملوك
انظر ايها الجبار الى اعمالى ثم ايأس
فقد عفا كل شيء . . وحول هذه البقايا

من الاطلال الباليه
تمتد الرمال المنبسطة قفرة جرداء بلا حد !

وقريب من ذلك ما صدر به صلاح عبد الصبور فى ديوانه « الناس فى بلادى » اذ صور ابا الهول يتحدى كل شيء حتى القدر نفسه . وفى القصيدة التى تحمل اسم الديوان يواجه الخالق بأسئلة عن الحياة ونفاذ كلمة القضاء ، ثم يصرخ فى عتب مر أو فى تحد ساخر :

يا ايها الاله
كم انت قاس موحش يا ايها الاله

ومن المؤكد ان ذلك الاله لم يكن هو الذى تغنى له اغنيات الحب ، لان هذا كان صغيرا ، وكان ايضا اسمر ، ويعطيه خده قبل أن يمنع الحظوة عنه . ثم انتهى كل شيء كما يأمر الاله الكبير بأن ينتهى كل شيء ، وضاع معبوده فسمع الرياح تبكيه !

وفى ديوانه « اقول لكم » لا نحس تمردا ، قط ، كذلك لا نحس استسلاما لاية غيبية . وكان ارتباط المضمون العقيدى فيه بقضية الانسان بشكل مجموعة من شعارات اصبحت فى نهاية الامر ايديولوجية معتدلة لا جنوح فيها الى يمين ولا الى شمال .

ولكن غيره اعلن طفولته الكامل كما فعل على احمد سعيد الذى صلى لتموز ، ثم صلى للرفض . ونحن لا نزعم ان مجابهته للواقع على هذا النحو يعنى نقمته على ما فيه من قصور ، وانما يعنى أنه اصبح يؤمن بنوع من ارستقراطية فكرية جعلته ينكر كثيرا مما درج على التسليم به .

واما خليل الحاوى الشاعر اللبنانى الكبير فيبدو المعتقد الدينى عنده ولا سيما فى « نهر الرماد » مجاهدة صوفية يمتزج فيها الله والزمان والطبيعة والروح . غير أنها لاتصل الى مرحلة « الوجد » الكامل وتصطدم بتناقضات الحياة ، ومع ذلك فقد نراه يتوسل الى تموز كما توسل اليه على احمد سعيد !

وهكذا نحس تلك البلبلة التى تكون دائما مجال بروز ، ونحس ان الشعراء كغيرهم من المشتغلين بالادب يقفون من الدين مواقف مختلفة ، ويرسمون الله صورا شتى ترتبط بشيء لا يمكن الاحساس به بدرجة واحدة وبصورة واحدة فى كل حين . واعل هذا يفسر احساسهم بأن ذاتهم مقيدة ، وان طاقتهم يستهلكها الصراع الداخلى من اجل الظفر بالايمان .. اى ايمان !

واكبر الظن ان الاديب الذى يستطيع ان يصور هذا الصراع يحطم عنه قيده — ولو الى حين — ثم يعود اليه عن طواعية ، ليعيش ازمته الى الممات .

دكتور
احمد كمال زكى

دور المفكرين العرب والمسلمين في التفكير الفلسفي

للدكتورة فوقية حسين محمود

يحسن بنا ان نفرق بين تراثين !

احدهما نتاج مفكرى العرب والمسلمين ، وهو تراث شرقى ، والآخر التفكير الفلسفى على العموم، وهو فى عرف اغلب مؤرخى الفلسفة تراث غربى .

ويمكننا ان نثبت هنا ان المقصود بمفكرى العرب والمسلمين اولئك الذين عاشوا فى ظل الاسلام منذ نزول الوحى وواضح ان الموضوع لايخص فئة من فئات هؤلاء المفكرين ـ بالذكر وانه يرمى الى ان يشمل التعرض لكل من كان له نتاج فكرى فى ظل الاسلام من المسلمين وغير المسلمين عربا كانوا او اعاجم : فنحن نعلم أن رقعة الاسلام قداتسعت بحيث تعدت حدود الجزيرة العربية وشملت بلدانا مختلفة وضمت شعوبا ، بقى بعض اهلها على اديانهم ، لان الدين الاسلامى لا يقوم على الاكراه و (لا اكراه فى الدين) .

ومعنى هذا ان هؤلاء المفكرين ليسوا عربا خلصا ، وليسوا فى بعض البقاع على دين واحد .

وقد كان هذا الامر سببا فى ان شغلت مسألتا تسمية هذا التراث وموضوعه بال المهتمين به من الباحثين المحدثين من اهل الشرق والغرب من الذين تميزوا بالبعد عن روح التعصب الدينى والتحيز الجنسى ، وانتهوا الى انه تراث اسلامى باعتبار انه قد نما وترعرع فى ارض الاسلام ، اى فى ظل الدول التى دانت بالاسلام .

اما موضوع هذا التراث فهو يشمل جميع العلوم الاسلامية : الدينى منها والفلسفى ، ويلاحظ أن اغلب الباحثين فضلوا الفصل من حيث التسمية بين العلوم الدينية ، والعلوم الفلسفية ، لان المسلمين انفسهم قد فرقوا بينهما ، فخصوا العلوم التى تسربت اليها عناصر غريبة عن الاسلام من فارسية وهندية ويونانية ومسيحية وغيرها بلفظ « فلسفة» او « حكمة » ، او « علوم حكمية » ، ويكون المقصود بكلمة « فلسفة» لدى العرب العلوم القائمة على العقل لاغير اى علوم الحكمة كما ذكرت ـ غير ان « علم الكلام » او « علم اصول الدين » الذى يعتمد فى حقيقته على العقل والنقل معا فيعتبر فى بعض الاحيان معبرا عن نزعة التفلسف الاسلامية الحقيقية الاولى ، وقد اختلط هذا العلم بعلوم الاوائل فى مراحله الاخيرة ويصح ان نثبت هنا أن ـ الفلسفة فى هذا التراث كانت بمفهومها القديم وهو الذى يجعل الفلسفة تضم كل العلوم ـ العقليةاو النظريةوالعلمية من حساب وجبر وهندسة وعلم فلك وموسيقى وطبيعة وكيمياء ومباحث المعرفة والوجود بما فى ذلك الالهيات ، ومبحث القيم والسياسيات الخ .

وقد درج مؤرخو الفلسفة على اعتبار هذاالتراث مجرد نقل لعلوم الأوائل ويلاحظ أن كثيرا من الكتب الفلسفية التى الفها الغربيون وبعض الشرقيين قد صورت الفلسفة الاسلامية فى صور تبعد بها عن حقيقتها ، فاغلب مؤرخى الفلسفة الاوربيين يهملون هذا التراث « تراث الاسلاميين » وينتقلون من العصرين الاغريقى ـ والمسيحى الى العصر الحديث عصر بيكون وديكارت قفزا ، ويسجلون ان الفلسفة الاسلامية لاتزيد على كونها نظريات يونانية ، ولايوجد فيها شيىء من الابداع والاستنباط ، وان العالم مدين بحرية الفكر لليونان ، وان فضل العرب لم يكن الا نقل الثقافةاليونانية وتسليمها الى أوروبا .. الى غير ذلك . مما يثبت ان الغربيين لم يتذوقوا الثقافة العربية ولم يستطيعوا ان يفهموا « الفلسفة الاسلامية فاسقطوها من حسابهم وهى خليقة بكل اهتمام لانها حلقة غالية من سلسلة تاريخ الفلسفة العام .

ونحن هنا سنعالج الموضوع من حيث ان مؤرخى الفلسفة على العموم قد هضموا هذا التراث حقه ولم يعترفوا بقدره وسنبين أولا تباين كل من التراثين الاسلامى من جهة واليونانى من جهة أخرى ـ تباينا

يجعل كلا منهما مقابلا للآخر تقريبا فى المنهج – هذا عدا اختلافات اخرى فى المفاهيم الاساسية لكل منهما وسنعرض من اجل ذلك للبيئة الفكرية لممثلى كل من التراثين .

وسنقف عند اثبات اتصال اهل الغرب بالعرب واخذهم عنهم العلوم ، وذلك بتقديم البيانات التاريخية من اقوال بعض مؤرخيهم وهم المتصفون منهم .

***

وسنعرض لمآثرهم فى مختلف العلوم – اى مآثر العرب – تلك التى اعترف اهل الغرب بقيمتها واثرها فيهم وكلها ضمن العلوم التى انفصلت رويدا رويدا عن الفلسفة وصارت مستقلة بذاتها تحت تسمية «علم» بالمعنى الحديث لهذا اللفظ ، وذلك بفضل مجهودات العرب وتقدمهم بهذه العلوم الى درجة جعلتها اهلا للقيام بذاتها فيما بعد .

وسنعرض كذلك اثر العرب فى العلوم التى بقيت ضمن مفهوم الفلسفة بعد ان انفصلت عنها العلوم الاخرى وتقصد بالذات مباحث الوجود والمعرفة والقيم حيث انتهى بعض الباحثين المحدثين من العرب الى ابراز هذا الاثر فى بعض مسائل هذه المباحث وبقى بعضها الآخر ميدانا بكرا يحتاج الى جهود الباحثين من اهل هذا التراث .

واخيرا سنشير الى وجود بعض أوجه الشبه التى وقعنا عليها بين الفلسفات الحديثة وبالذات فلسفة ابى الفلسفة الحديثة « ديكارت » ومن قبله « فرانسيس بيكون » وبين آراء بعض مفكرى المسلمين وبالذات المتكلمين منهم مما قد ينتهى بنا اذا ثابتت اتصال هذين الفيلسوفين وغيرهما بالفكر العربى – الى رد الفلسفة الغربية فى العصر الحديث الى العرب بفضل ماكان لهم من منهج قويم ؛ هذا المنهج الذى أعطى العلوم التجريبيه والفلسفية وثبتها فى العصر الحديث . ان مفكرى التراث الاسلامى على اختلاف مواطنهم يعيشون فى بيئة فكرية واحدةهى بيئة القرآن ، وهذا امر له أهميته ؛ لأن هذه البيئة العقلية قد أعدت مفكريها اعدادا يخالف ما كان عليه اهل الغرب فى ذلك العصر من تهيئة ذهنية ونفسية . فقد كان اهل الغرب فى ذلك الحين – واقصد فى العصور الوسطى عصور الجهاله المسيحية واقعين تحت سيطرة رجال الدين الذين الجموا عقول الخواص والعوام بلجام يخضعهم لسلطة المتوارث من الاقوال والمفاهيم .

اما اهل الاسلام وقد تبينا انهم ينتمون لمواطن عدة – كانوا يعيشون فى جو نفسى قائم على اعلاء امر العقل ورفع شانه ، هذا بالاضافة الى ان البيئة البدوية للعربى منهم كانت تتسم بالبساطة وعدم التعقيد مما ساعد على ترجيح كفة البداهة المتعمدة على العقل المفطور فى الانسان – فقد كان العرب قبل الاسلام امة تغلب عليها البداوة ولاتظهر فيها آثار الحضارة كما كانت تظهر فى غيرها من الامم المتحضرة ، مثل امم فارس والهند واليونان وغير هذه وتلك من الامم التى كانت ذات حضارات قديمة ثابتة .

***

وكان عند العرب قبل الاسلام قليل من العلوم التى تعتمد فى الغالب على العقل ، كعلم الانساب والنجوم والطب وكان لبعض رجالهم خطرات فلسفية من الحكم والأمثال التى وردت فى نثرهم وشعرهم – وكان مالديهم من العلم لايقوم على قواعد منظمة وانما ادركوا ما ادركوه بفضل فرط العناية وطول التجربة بحيث يمكننا أن نقول ان العقول كانت مهياة للمنهج الفكرى الجديد الذى تضمنه القرآن الكريم .

ثم لما جاء الاسلام رفع من شأن العلم والحكمة – وكان من اهم اغراضه نقل العرب من البداوة الى الحضارة ومن الامية الى العلم ؛ لتكون أمة ذات حضارة راقية ودين صحيح وعلم نافع ، ولقد ورد فى آى الذكر الحكيم :–

(لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين) (١٦٤ – آل عمران) .

ولقد نوه القرآن كثيرا بشأن الحكمة التى بعث بها النبى عليه الصلاة والسلام ليعلمها للناس فقال : ـ

(يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة ـ فقد أوتى خيرا كثيرا ، ومايذكر الا اولوا الالباب) (٢٦٩ ـ البقرة) وقد عمل النبى صلى الله عليه وسلم على تهيئة المسلمين لمعرفة تلك الحكمة ، ليجعل منهم امة ذات علم وحضارة فدعاهم الى تعلم العلم وجعله فرضا على كل مسلم ومسلمة ـ ودعاهم الى النظر العقلى الذى تعتمد عليه الفلسفة فى الوصول الى المعرفة .

سار القرآن بالفكر البشري قدما ، معتمدا على مافطر عليه الانسان من اتجاه نحو التعقل والنظر ، فهو دين فطرة بحق فى كل شىء ، ومن يدرس قواعد أحكامه واصول آدابه وشرائعه يرى انها تطابق مقتضيات الفطرة البشرية .

عرف القرآن أن الانسان مفطور منذ بدء وعيه على البحث عن علل ماتدركه حواسه من الأحداث والكائنات ، فزاد تلك الغريزة تنشيطا وانعاشا وما انفك يدعو الواقفين عند المتوارث من الافكار ـ الحاصرين انفسهم فى نطاق التقليد الاعمى ومضايقه الى التدبر والتفكر ويجادل على ذلك ويقيم الحجج والبراهين ـ فهو اذن لم يدخر وسعا فى انعاش العقل وتحرير الفكر .

والغرض من هذا الكلام ان نبين ان الاسلام يخالف غيره من الاديان فى نظره الى العقل لانه يدعو اليه فى كل صورة وهذا أمر يتميز به دين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام على غيره من الأديان بالفعل .

***

ولم يكتف الدين الاسلامى بالبحث على النظر، بل نراه يحث على الاهتمام بالمسائل الكونية والشرائع الاجتماعية ـ والأحكام التعاملية اى الى مختلف الوان العلوم والمعارف التى يمكن أن تصل اليها عقول البشر .

هذا هو الاطار الفكرى الذى عاش فيه مفكرو الاسلام فأين ذلك من مفاهيم اهل الغرب فى القرون الوسطى التى عرفت بأنها عصور الجهالة والجمود على المنقول المتوارث من تعاليم ارسطو التى جعلها رجال الدين المسيحى فى خدمة الدين ، لانهم أخذوا منها ماأخذوا ليكون متفقا مع دينهم فمسخوا اصول المعلم الأول وبعدوا بها عن حقيقتها ـ فبيئتهم العقلية التى كانوايعيشون فيها تختلف كل الاختلاف عن البيئة الاسلامية التى احتوت كل العناصر التى تنتهى بالباحث الاسلامى الى مغانم علمية وقع عليها بحكم صلاحية منهجه ، على عكس ماكان عليه الامر بالنسبة لأهل الغرب . فتهيئة واعداد المفكر العربى فى هذه البيئة العقلية الصالحة كان لها الأثر كل الأثر فى امتياز المفكر العربى عن المفكر الغربى ،والوصول بالاول الى تقدم علمى ملحوظ قائم على تفضيله للعقل على النقل ، واحترامه لذلك النور الفكرى الفطرى الذى حبانا الله به والذى اعلى من شأنه القرآن وحث على اعتباره حكما فى امورنا على اختلافها . .

***

كان الدين الحنيف اذن دين العلم والحكمة فاتحة لأن يتجه المسلمون بعد أن وطدوا ملكهم الى العلوم على اختلافها ينهلون من مناهلها وعرف لديهم عصر الأخذ والتقبل كما نعلم (بعصر الترجمة) ثم أخرجوا ـ ما استقبلوه فى صورة جديدة لها طابعها الخاص ، ومميزاتها التى تتفق مع بيئتهم العقلية ومفاهيمهم الدينية ويمكننا ان نقول ان العرب اول من انزل أرسطو من عرشه الاعلى الذى كان قد تربع عليه فى عقول أهل الغرب وكتب العرب مليئة بنقد هذا الفيلسوف وقد هاجمه بالذات متكلمو الاسلام .

لقد تميزت مباحث العرب بالاعتماد على البحث الحسى الى جانب الفحص النظرى وقاموا بالتجارب العديدة ، فطفرت العلوم على ايديهم طفرات قوية ومن يتتبع تاريخ العلوم عند العرب يجد مغانم علمية كبيرة فى كل من علم النجوم والرياضيات والطبيعة والكيمياء والجغرافيا والالهيات

والكلاميات والعلوم الادبية والدينية من لغة وفقه وحديث واصول فقه واصول دين وجدل وخلاف .... الخ .

وسنثبت لهذه المناسبة فقرة طريفة من اقوال احد الغربيين ممن عاشوا فى القرن الثانى عشر الميلادى وتلقوا علومهم على العرب وهو السيد اولارد اوف باث حاور فيها ابن اخيه الذى درس فى جامعات الفرنجه ولم يعرف الثقافة العربية ولم يقع على طرافتها وجدتها ولونها المنطلق الابى الحر قال :

***

« اننى وقائدى ودليلى هو العقل - قد تعلمت شيئا من اساتذتى العرب وانت قد تعلمت شيئا مختلفا عنه لقد بهرتك مظاهر السلطة فوضعت فى رأسك لجاما تقاد به والا فباى اسم آخر يمكننا ان نسمى السلطة سوى انها لجام فكما ان الحيوانات العجماء تقاد من مقودها حيث يشاء الانسان من غير ان تدري لماذا تقاد ، ولا أين تقاد ، وانما تتبع الحبل الذى يجرها - كذلك كثير منكم يرسف فى اغلال البساطة وتصديق كل ما يسمع ويقودكم الى الخطر سلطة الكتاب والمؤلفين .. ان الانسان قد منح العقل لكى يستخدمه حكما عاليا فى الفصل بين الحق والباطل .. ان علينا ان نبحث أول كل شىء عن العقل . فاذا اهتدينا اليه - لا قبل أن نهتدى اليه نبحث فى السلطة فان سايرت العقل قبلناها - ان السلطة وحدها لا تبعث فى نفس الفيلسوف ثقة ، ولا يجوز أن تستخدم السلطة لمثل هذا الغرض » .

تحتوى هذه الفقرة على اعتراف صريح بفضل اساتذة العرب عليه كما تقرر فى وضوح مقارنة قوية دقيقة بين الثقافتين العربية والافرنجية ونراه يعرف الثقافة الاخرى أول ما يعرفها بانها كاللجام الذى تقاد به الحيوانات .

فهو اذن يثبت فى وضوح الصفة المميزة لهذه الثقافة وهى حصر العقل ذلك النور الفطرى الذى يولد به الانسان فى مضايق التقليد العقيم بحيث يفقد الفرد المثقف بهذه الثقافة شخصيته بل وآدميته ، اذ انه يرى نفسه مقودا وليست له حيلة امام هذا القود عندما يتحدث عن الثقافة العربية نراه يذكر اول مايذكر تلك الحقيقة الواقعية وهى ان الانسان قد منح العقل ويبين مباشرة ان هذه الثقافة تقدر ان للعقل وظيفة هى ان يكون حكما عاليا بين الحق والباطل ، اى انه هو المرجع الاول والاخير للتعرف على الحق، فالثقافة الاسلامية تدفع الفرد الى الجمع بين النقل والعقل على اساس التوفيق المنطقى السليم ، ونراه يبين منهجه وهو الرجوع الى العقل واستخدامه بعد أن يعثر عليه فى فحص السلطة كما يقول ، فان سايرت العقل قبلها وان لم تسايره رفضها ، فلا يجب ان تكون السلطة (اى المتوارث من الآراء والمفاهيم) مقياسا او محكما للحقيقة وهذه هى روح الاسلام الذى يعطى كما بينا - الاولوية لمسائل المعرفة ، وقد تبينا كيف أن الكتاب الكريم ملىء بالآيات التى تحض على النظر وكيف ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد حث المسلمين على التقدم فى هذا الطريق .

***

فما رأيك اذن فى هذا النص الذى ذكرناه والذى يبين اختلاف الروح الغربى عن الروح الشرقى فى تلك الآونة من التاريخ مما يجعل للشرق الاسلامى الافضلية فى السير قدما وتغذية التفكير الفلسفى بما تقدر الفلسفة الغربية على أن تقوم به بعد أن غلتها السلاسل والقيود .

دكتورة : فوقية حسين محمود



عباس محمود العقاد

يخلى ميادينه

للشاعر محمود عماد

يا مبكرين لندوة العقاد ... هل كنتمو منه على ميعاد؟
اليوم جمعتكم . نعم . لكنها ... شغلت بغيركمو من القصاد
هو قاصد فرد نهى استاذكم ... عن ان يراه سواه من افراد
ما جاء مثلكمو له مسترشدا ... بل مرشدا من عاش للارشاد
فاقتاده من خلفه وهو الذى ... ما كان يوما قط بالمنقاد
ومضي به شوطا بعيدا ما شكا ... فيه الذى يشكو من الاجهاد
عجبا ايجتاز الوجود جميعه ... جسد له من اوهن الاجساد ؟
ام انه قد جازه فى وثبة ... من فكره المتوثب الوقاد ؟
وارتاد دنيا عن رؤاه غريبة ... وهو الخبير الفذ فى الرواد

***

ياليت من مهدوا التراب لراسه ... ارسوا كتابا تحته كوساد
او ليتهم جعلوا دعائم قبره ... كتبا لينعم بينها برقاد
قد كان صبا بالكتاب متيما ... لا صب سارة او حبيب سعاد
يهفو اليه مطالعا ومؤلفا ... يعطيه من بصر له وفؤاد
وغدا سياخذ اذ يقوم كتابه ... بيمينه ويثاب بعد جهاد
هل كان اخلص فى البلاد مجاهد ... منه لدين او لنفع عباد ؟

***

كم من كتاب قد جلاه وسيرة ... كانت فتوحا فى حياة الضاد
من ذا سوى العقاد فى ابداعه ... يستطيع يكتب سيرة العقاد ؟
هى كتبه لا غيرها من بعده ... ترويه للابناء والأحفاد

***

المزح كان لديه تقطير الندى ... والجد كان لديه قدح زناد
يا حاقدين عليه لا تتخففوا ... احمالء من ثقلة الاحقاد
ستعيش فى اقفائكم وكزائه ... ووجوهكم مصبوغة بسواد
ما قلتمو يلقى وما هو قائل ... سيصان فى الاسماع والاخلاد

***

لم يحسدوه فاين هم من مجده ... واحاسد الامجاد فى الامجاد
لكنهم اعشتهمو اضواؤه ... فتروحوا بالشتم والارعاد

ان يكره الخفافش نورا هل غدا ... يوما لهذا النور فى الحساد ؟
انى لاسمع آهة الفصحى اذن ... سمعت بنعيك يا فتاها الفادى
قد عاش يحرسها يراعك دامغا ... من جاء يحصبها من الاولاد
حسب الزواحف فى الصحائف شكة ... من سنه لتغيب تحت رماد
لغة ارادوا ان تموت لانها ... للعرب جامعة على الاباد
وتبجحوا بعروبة امية ... كيف التخاطب واللسان بداد ؟

***

ارثيك فينا شاعرا ام كاتبا ... ام فيلسوفا ند فى الانداد ؟
ام فى الصحافة هاجيا ومدافعا ... لم تستتم للوعد والايعاد ؟
ام فى الندى محاضرا متمكنا ... لم تعى عن رأى وعن اسناد ؟
ام اذكر الكتب التى دونتها ... بسواد عينك لا سواد مداد ؟
ما كنت يا عباس فينا واحدا ... بل كنت طائفة من الاحاد
جاوزت جيلك دربة وثقافة ... لم تسد من احد اليك اياد
كم عشت اعواما بزاد حمامة ... وسواك عاش باوفر الازواد
هذا بانك زاهد متعفف ... وبانه ما كان فى الزهاد
باع الضمير لهم مناقصة ولم ... تبع الضمير لهم بيوم مزاد
عهد به حد الخيانة والوفا ... قد كان حد رفاهة وكساد

***

هددت فوق العرش ثورا جامحا ... يتهدد الدستور بالافساد
ما كان فى ازهاقه اثم ففى ... دمه لتربة مصر خير سماد
لكن من قد اسمنوه لنفعهم ... وقفوا لدى الدوار بالمرصاد
سجنوك غير مصفد فسجنتهم ... بغيابة التاريخ فى اصفاد

***

اقسمت انك كنت معجزة سمت ... ما انت خلق فى الخلائق عاد
ما كان علمك جهد جسم متعب ... بل كان وحيا من عليم هاد
احسنت ظنك فى عماد شاعرا ... حتى رثاك فبان عجز عماد
خمسون عاما يا صديق وخمسة ... كانت صداقتنا بها كالزاد
يا وحشتى من بعدها فى عالم ... ما ان تراوحنى به وتغادى
خالوك صلبا فى حياتك صارما ... صدقوا . ولكن فى مجال جلاد
اما وانت مسالم ومصادق ... فنسيم روض او غدير هاد
طبع كحر الماس . فيه جلادة ... وغنى لصاحبه وحسن باد
اعزز على ناد تعاونا به ... الا تلم غدا بهذا النادى
مكنت فيه الشعر من ايوانه ... ومهدت للشعراء خير مهاد

***

عرفت بالاخرى الورى مستشهدا ... فتعرف الاخرى بلا استشهاد
واكتب لهم فى الاربعاء محدثا ... عنها بصدق حديثك المعتاد
ما اظما الوراد ان هم فى غد ... فقدوا الطريق لورده الوراد
قد خف وزن الارض بعدك اذ خلت ... من عقلك المترجح الابعاد
اسوان يا ارض الكنوز لقبره ... اغنى كنوزك حاضر او باد
اعززته حيا فخارك ميتا ... فغدوت من احظى بلاد الوادى
ان تبق من فرعون فيك قداسة ... فاليك فيض قداسة فازدادى

محمود عماد



الفن .. فى مرحلة الانطلاق

بقلم : عبد الفتاح البارودى

من واجب الفنانين أن يدركوا مسئولياتهم الفنية فى هذه المرحلة الجديدة من حياتنا .. مرحلة الانطلاق ...

ان فنوننا كانت متخلفة فى الماضى لأن مجتمعنا الماضى كان مجتمعا متخلفا ... ومنذ أن قام الشعب بثورته الشعبية الكبرى فى يوليو ١٩٥٢ حدثت بالتالى ثورة فى كل الفنون .. والآن وقد بدأت مرحلة الانطلاق العظيم، بدأت فى نفس الوقت نفس المرحلة فى الفن .

هذه حقائق فى غاية الوضوح ، والتطورات التى حدثت وستحدث فى الفنون هى أيضا تطورات حتمية ، لأن ارتباط الفن بالمجتمع مسألة بديهية ، ولكن من المهم أن ندرك أن هذه الحتمية لها أيضا مقتضياتها ، بمعنى أن الفنون حتى فى المجتمعات المتطورة لا يمكن أن تتطور من تلقاء ذاتها ... لماذا ؟

* * *

لان الحركة الفنية ـ فى أى مجتمع وأى عصر ـ وان كانت تتدافع بنفس الدوافع المحركة للمجتمع الذى تظهر فيه ، الا أن الانتاج الفنى يحتاج الى وعى فنى والى خبرة بالتكنيك الفنى ... ولهذا نجد أحيانا أن الفنون تسبق النهضات الاجتماعية وتنبه اليها وتمهد لها كما حدث فى النهضة الاوربية وفى عصر الاصلاح فى القرن ١٨ وفى عصر التنوير فى القرن ١٩ ... وأحيانا نجد أن النهضات الاجتماعية أسبق من النهضات الفنية كما حدث عندنا .

ان فن شيكسبير مثلا ، وهو فى قمة النهضة فى أوربا لم ينشأ من العدم ولم يهبط من الفضاء ، وانما سبقته محاولات فنانين كثيرين مهدوا لفنه ورفعوا على أكتافهم دعائم المسرح الاليزابيثى ... والفترة الذهبية فى المسرح الفرنسى ـ كما يسميها مؤرخو المسرح ـ سبقتها تمهيدات كثيرة أسفرت عن ظهور مسارح موليير وراسين وكورنى ... والفنانون المسرحيون ديدرو وبومارشيه ثم فولتير وزملاؤه كانوا من أهم أدوات التحضير للثورة الفرنسية ... والمسرح الأوربى الحديث سبقته تيارات فنية نقلت الفن كما نقلت المجتمع من مرحلة الذهول والأوهام، ومن مرحلة التجمد فى قوالب فنية متجمدة ، ومن مرحلة الرومانسية ، الى مسرح (ابسن) ومسرح (برنارد شو) ... الخ .

وهكذا أصبحت المسارح مجالات لالقاء الأضواء على المشكلات الاجتماعية والانسانية ، ولمناقشة هذه المشكلات بحرية وفهم وعمق ، ولاحتدام مختلف وجهات النظر ، ولاشراك رجل الشارع مع الفنان والمفكر والفيلسوف فى بحث حياته ومصيره وآلامه وآماله وأحلامه بحثا ايجابيا .

* * *

لم يحدث هذا فى فنوننا قبل ثورة ٢٣ يوليو .. ان اليقظة التى أحدثتها هذه الثورة هى التى أحدثت اليقظة الفنية ، وليس العكس ... لماذا ؟! لأن التراكيب الاجتماعية التى كنا نعيش فيها كانت من الفساد والاستبداد بحيث أخمدت الاحساس الفنى نفسه ... كنا فى مجتمع اقطاعى يتحكم فيه الاستعمار وأعوانه تحكما أشاع الجهل والفقر

والمرض والذل بدرجة شديدة الكثافة ، ونتيجة لذلك كانت فنوننا اما للترف والترفيه عن الاستقراطيين والسادة المزيفين ، واما لتخدير الشعب ... فمثلا مسارحنا كانت أحيانا تعرض تراجيديات ، ولكننا كنا ننظر الى « هملت » مثلا وكأنه صورة من (أبو زيد الهلالى) .. وكانت تعرض كوميديات ، ولكننا كنا ننظر اليها كوسيلة للتريقة والفرفشة والضحك على الفاضى .. وظهرت دار للأوبرا ، وكان المفروض ان تساعد على ايجاد مؤلفى الأوبرا ، ولكن مضت على انشائها ٨٠ أو ٩٠ سنة دون أن يولد مؤلف واحد ، بل دون أن يدخلها – قبل الثورة – متفرج واحد من عباد الله أمثالى وأمثالك ، وانما كانت تحتشد بالارستقراطيين والمتفرنجين وذوى « الردنجوت » وذوات الفساتين والعطور والنحور والخصور ... الخ .

* * *

لا أنكر أن بعض فنانينا ومفكرينا الأصلاء بذلوا محاولات لرفع المستوى الفنى ، ولكنهم لم يكونوا مدارس أو تيارات فنية عميقة ، وبعضهم كانت تنقصهم الثقافة العميقة أو الامكانيات الفنية أو الخطة المنهجية ، والجميع كانت جهودهم فردية ، ومعظم المحاولات ضاعت أو تحطمت فى الانحرافات الفنية وفى الكثافة الجاهلية ... فمثلا سيد درويش حاول أن يتثقف موسيقيا دون أن يجد من يشبع أو يروى تعطشه للثقافة... وحاول ان يؤلف أوبريتات تعتبر فى ظروفه أعمالا متطورة ، ولكن بمجرد موته تحطم المسرح الغنائى الذى ساهم فى بنائه مع زملائه من الموسيقيين المتطورين نسبيا ... أيضا زكريا أحمد الذى لحن أكثر من ٥٠ أوبريت اضطرته لقمة العيش الى العودة الى تلحين الطقاطيق لأنه بعد تحطيم المسرح الغنائى لم يجد المجال الحيوى الذى يلحن فيه للمسرح ... كذلك يوسف جريس، وهو من الموسيقيين الدارسين ، حاول تأليف « قصيد سيمفونى » منذ ٣٥ سنة ، ولكنه لم يجد أوركسترا يعزف له عمله الفنى ، واضطر الى ارساله الى أوركسترا باريس ، وعزفه الأوركسترا الفرنسى ، ومات الموسيقار المصرى دون أن يرى عمله المصرى فى أوركسترا مصرى ... وهكذا .

* * *

ان ثورة ٢٣ يوليو أحدثت تغييرات جوهرية فى حياتنا وأفكارنا ، ولكن الانتاج الفنى لم يتغير بنفس الدرجة، لأن الذهنية الفنية ظلت فيها رواسب جاهلية ، وخاصة لأن الحقل الفنى الذى كان محتشدا بفنانى المرحلة الارتجالية والغيبية لم يتخلص بعد من التفكير الغيبى ، كما أن الانتقال من المرحلة الارتجالية عملية فى غاية الصعوبة . فاذا افترضنا فى الموسيقى مثلا أن خريجى المعاهد الموسيقية هم الذين يجب أن يشغلوا الأماكن التى أهلتهم لها ثقافتهم فى الحقل الموسيقى ، فاننا نواجه صعوبة شديدة فى زحزحة غير المثقفين الذين احتلوا هذه الأماكن ، وكيفوا مزاج الناس بانتاجهم الهزيل ، وبرعوا فى اقامة الضجة الجوفاء حوله ، وفى الالحاح عليه ، واستطاعوا بذلك تغطية جهلهم ، والايهام بأنهم متقفون أو موهوبون مثلا ، وأصبحت مواهبهم المزعومة « مقياسا فنيا » !! وهكذا فى مختلف الفنون .

واذن فمسئوليتنا فى مرحلة الانطلاق ضخمة ...لأننا رغم الرواسب والصعوبات نريد أن ننطلق انطلاقا علميا ، وأن نرفع مستوى الفن الى مستوى المسئولية فى مجتمع يؤمن بالعلم ، ولهذا فاننا نحتاج الآن الى جهد أضخم من الجهد الذى بذلناه منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ للآن .

* * *

اننا فى المسرح مثلا حققنا مكاسب مذهلة منذ سنتين ، أى منذ ظهور مسرح التليفزيون ... ان مسارحنا كانت تكافح لخدمة الفن ، ولكن الظروف التى عاشت فيها جعلت نتائجها محدودة ومحصورة غالبا فى القاهرة وفى جمهور ضئيل العدد .. ولكن مسرح التليفزيون استطاع توسيع هذه الحدود ، فحاول خلق الشغف المسرحى خارج القاهرة أيضا ، وتضاعف عدد الجمهور وعدد الفرق، وظهرت خامات جديدة لولا المسرح التليفزيونى لاحتجبت خلف الكواليس ٢٠ أو ٣٠ سنة ، والمهم أن الحقل التمثيلى اتجه اتجاها ثقافيا ، ووضعت له تخطيطات منهجية مدروسة كان من نتائجها أن قسمت الفرق الى أقسام يختص كل منها بلون معين ، وشكلت لجان من المفكرين والنقاد والأدباء للاشراف عليها، وبدأت بذلك مرحلة التخصص ، وهذا كله سيساعد على اجتياز مرحلة الانطلاق .

ولكننا لانزال فى حاجة الى مضاعفة الجهد لنشر الوعى المسرحى ... اننا فى الاحتفال بيوم المسرح العالمى (٢٧ مارس الماضى) قدمنا حفلات فى القاهرة

والاسكندرية ودمنهور فقط ، ويجب أن نستعد بسرعة لانشاء مسارح وفرق دائمة في كل مكان ..
ومن الناحية الثقافية ليس لدينا غير معهد واحد للتمثيل في القاهرة، ويجب التفكير في سرعة انشاء معاهد أو فروع أو دراسات فنية دائمة في مختلف المدن أو المحافظات... ان فرقة « الأولدفيك » عندما زارت بلادنا منذ شهور قال لي أعضاؤها أنهم متخرجون من معاهد مختلفة ، وهكذا نجد في الخارج أن المسرح يدرس دراسة أكاديمية في المعاهد والجامعات المنتشرة في كل أو معظم المدن ، بينما عندنا معهد واحد ، وجامعاتنا لم تضع بعد تخطيطا منهجيا للدراسات المسرحية ، بل انها تهتم باقامة المسابقات المسرحية أكثر مما تهتم بالدراسات نفسها ، لدرجة أني لاحظت – كعضو في لجنة التحكيم – أن الفرق الجامعية قدمت روايات لم تدرسها في المدرجات الجامعية ... اننا في مرحلة الانطلاق لا نريد فقط تدريس المسرح في الجامعات، بل لابد من اعداد مناهج لدراسته فيمختلف مراحل التعليم حسب مستويات كل مرحلة .

ان هذا سيساعد على استكمال نقص خطير في مسرحنا ، وهو « المؤلف » ، وسيساعد على ازاحة الجهل والادعاء وممارسة الفن المسرحي «بالفهلوة» ، وسيؤدي الى تعميق الانتاج المسرحي ، والى نشر الوعي المسرحي بين الجمهور .

* * *

في السينما أيضا حققنا مكاسب كثيرة في عهد الثورة ، وبقيت أشياء كثيرة نريد أن نحققها في مرحلة الانطلاق ... ان معهد السينما بدأ يخرج براعم متفقة وبعض خريجيه سيستكملون ثقافتهم وتدريباتهم في الخارج ... وبدأنا بناء « مدينة السينما » لتوفير الأدوات والبلاتوهات .. وأنشأنا القطاع العام على أسسمدروسة وخطط فنية ... الخ.. ولكننا لا نزال نلاحظ أن العقلية السينمائية لم تتغير بالدرجة التي نرجوها ... ان القطاع العام أنقذ السينما من مساوىء فظيعة ، وأهمها مساوىء الاستغلال والاحتكار والاقطاع ، ومساوىء الموزعين والمنتجين الجهلاء والدخلاء ، ورغم ذلك فان الأفلام التي انتجها ليست ذات مستوى ممتاز ، وأنا أحكم فقط على الأفلام التي ظهرت ، فان فيها أخطاء في التكنيك والتنفيذ والنواحي الموضوعية والفنية ... الخ ... بديهي أنه يستحيل تلافي كل الأخطاء ، ولا بد من اتاحة فرصة كافية للممارسة ، ولكن من الواضح أن معظم أخطاء هذه الأفلام حدثت نتيجة لعدم العقلية السينمائية تغييرا يتناسبمع مسئولية القطاع العام عن احداث ثورة سينمائية ... اننا لا نزال في حاجة الى المؤلفين السينمائيين والسيناريست ، وهؤلاء لا يمكن أن يولدوا في ٢٤ ساعة، والقطاع العام أعد أجهزة للبحث عن القصص ولاعداد السيناريوهات في أفضل صورة ممكنة ، ولكن ما الرأي في أن الأفلام التي عرضت أثبتت قصورا شديدا في هذه النواحي ، حتى في نطاق الممكن نسبيا؟! ان من اللازم –حتى في هذا النطاق– التدقيق في مراجعة مختلف العمليات السينمائية ، بينما الملاحظ أن القطاع العام يتعاقد على قصص غير ذات صلة بالفن ، ومع مخرجين لم يبرهنوا على جدارتهم فنيا ، ومع ممثلين وممثلات لا تختلف طريقة اختيارهم كثيرا عن طريقة القطاع الخاص .. لم نسمع مثلا – للآن – عن اختيار مخرج – ولو للتدريب – من خريجي معهد السينما ، أو عن تقديم موهبة متفقة ، أو عن تنفيذ تكافؤ الفرص بينالممثلين والممثلات ، وانما الملاحظ أن المخرجين اختيروا من ذوي الشهرة ، وهي غالبا شهرة تكونت في القطاع الخاص من الالحاح على أسمائهم ، وهو الحاح قام على تكرار الأفلام ، أي تكرار الأخطاء ... اننا نريد في مرحلة الانطلاق الاهتمام بالناحية الدراسية ، بايفاد أكبر عدد ممكن من الدارسين الى الخارج ، والاهتمام بالتدقيق في مراجعة الموضوعات والسيناريوهات ، واختيار الفنانين والفنيين حسب الجدارة الفنية نسبيا ، مع مراعاة تكافؤ الفرص .

* * *

في الموسيقى نفس الظاهرة .. مكاسب كثيرة تحققت ، وظهرت بوادر مبشرة ، مثل المؤلفات السيمفونية والاتجاه نحو الموضوعية الفنية ، ولكن اهتمامات الاذاعة والتليفزيون لا تزال متجهة نحو الالحاح على الاغاني الفردية والمؤلفات الموسيقية الساذجة ... وهكذا في مختلف الفنون .

* * *

اننا في مرحلة الانطلاق العظيم نريد أن نمارس الفنون في مستوى هذه المرحلة ، بالعلم والممارسة الواعية ووضع الفنون في موضعها الحقيقي لخدمة المجتمع .

عبد الفتاح البارودي



القصة عند العرب

كتب الأستاذ عبد الرحمن الخميسى عن كتاب أصدرته أخيرا مؤسسة التأليف والترجمة والطباعة والنشر باسم « القصة العربية القديمة » للأستاذ محمد مفيد الشوباشى ، فتعرض لقضيتين نوافقه أو نوافق المؤلف فى شطر من أولاهما ، ونختلف معه أو مع المؤلف فى الثانية وفى الشطر الباقى من الأولى .

القضية الأولى ــ كما قال ــ « **ان القصة فى البلاد المتحضرة ، لاتمت الى البلاد العربية القديمة بمجرد صلة فقط ، ولكنها تقوم على أساس هذه القصة** » والذى نوافق عليه من هذا ما يؤخذ منه من أن العرب عرفوا فن القصة وكان لهم انتاج فيه ، **وفى كتاب « فى الرواية العربية » الذى أصدره الاستاذ فاروق خورشيد منذ سنوات ، تفنيد واع مفصل للزعم الذى ينفى وجود القصة العربية القديمة .**

يبقى من القضية الأولى أن القصة فى البلاد المتحضرة تقوم على أساس القصة العربية . **وهذا كلام تفيد موضوعيته المشاعر القومية الجامحة أو هو ليس موضوعيا على الاطلاق ، والمبالغة فيه تؤدى الى عكس ما يراد به للقومية . ان اخصر ما يقال فيه أنه يضحك الناس منا ! .**

اما القضية الثانية فهى ــ كما قال ايضا ــ « ان الشعوب البدائية التى عاشت فى ظروف طبيعية قاسية ، متعرضة لعصف الطبيعة الضارية ، وبطش الحيوانات المفترسة ، انما عاشت حياتها عاجزة عن دفع تلك المخاطر ، غير مدركة لأسباب تلك الكوارث .. وقد كانت تلك الشعوب تفسر الظواهر المحيطة بها تفسيرا اسطوريا وهميا ، وكان مرجع ذلك هو الجهل المطبق ، ومن نسيج تلك الأوهام والخرافات الأسطورية ، نظمت قصصها التى وصل الينا منها عبر التاريخ ، تراث الاغريق القصصى ، وكذلك تراث مصر القديمة ، وفارس ، والهند . بيد أننا اذا عرجنا على الجزيرة العربية ، لوجدنا ان قصصها القديمة ، تكاد تكون بريئة من الطابع الأسطورى » .

ويلى ذلك بيان طويل لسبب ما سماه « تميز القصة العربية القديمة بالطابع الواقعى دون سائر القصص » ويتلخص هذا البيان فى أن حياة العرب الصحراوية برئت من قسوة الطبيعة وبطش الحيوانات المفترسة ، ومن ثم لم تكن بهم حاجة الى تفسير ظواهر الطبيعة تفسيرا وثنيا أسطوريا ! .

ونسأل أولا : اذا كانت القصة العربية اختلفت هذا الاختلاف الجذرى عن قصص البلاد المتحضرة فكيف قامت هذه على أساس تلك ؟! .

ان الموضوعية هنا ــ ان كانت هنا موضوعية ــ يفسدها أمر ثان الى جانب الأمر الذى أفسد الأول .. هذا الامر الثانى هو المذهبية التى يدافع عنها بحرارة دائما الأخ الخميسى . وهو حر فى اتجاهه ، ولست أنكره عليه الا اذا أفسد شيئا .. **والافساد هنا ينصب أولا على الحقيقة الادبية التاريخية التى تقول ان القصص العربية القديمة لم تبرأ ولم تكد تبرأ من الطابع الاسطورى ، وثانيا على تصوير المسألة فى صورة أننا انما نعتز بالقصص العربية لأنها كانت واقعية ولم تكن أسطورية .**

يا أخى الخميسى ، ويا أخى الشوباشى ، قولا لى بالله : كيف خلت الحياة العربية الصحراوية من المخاوف ومن الحيوانات المفترسة ، واذا لم تكن الحيوانات المفترسة فى الصحراء فأين تكون ؟! وكيف « لم يكن رزق العرب متوقفا على عوامل طبيعية

مجهولة » ؟ الم يكن انقطاع المطر كارثة ماحقة فى تلك الحياة تنشأت عنها مجاعات وهجرات ؟ ..

وقصص العرب .. فكيف عرفتما أنها برئت او كادت من الطابع الاسطورى ؟ .. **الم تسمعا عن « خرافة » ! خرافة العربى الذى غاب عن قومه مدة من الزمن ثم عاد اليهم يقول ان الجن اختطفته ، ومكث عندهم مدة ، ثم أعادوه ، وراح يحكى غرائب مشاهداته فى بلاد الجن وعجائب ما وقع له معهم ، فكانوا يستمعون اليه ، ويعجبون ، ثم يقولون : « احاديث خرافة » .**

أو لم يأتكما نبأ أبى غالب الخزرجى الذى وضع كتابا فى الجن وأخبارها وحمله الى هارون الرشيد فقال له : « **ان كنت رأيت ما ذكرت فقد رأيت عجبا، وان لم تكن رأيته فقد وضعت أدبا » ؟ .**

والغيلان يا أخوى الحميسى والشوباشى .. هل اقص عليكما قصصها العجيبة شعرا ونثرا .. ؟ الم تسمعا عن الشاعر « تأبط شرا » الذى يقص علينا فى شعره كثيرا من وقائعه الخرافية مع الغيلان ، يحكى احدى مغامرة له مع غول فيقول :

لقيت الغول تسرى فى ظلام
بسهب كالعبابة صحصحان

وكانت العرب تعتقد أن الغول اذا ضربت بالسيف ضربة واحدة هلكت ، فان ضربت ثانية عاشت ، ويمضى تأبط شرا فى قصته فيقول انه ضرب الغول بالسيف :

فقالت : ثن ، قلت لها : رويدا ..
مكانك اننى ثبت الجنان

فلم ينخدع بكلامها وتحديها له أن يضربها ضربة ثانية ، بل تركها تموت من الضربة الواحدة ، وانتظرها الى الصباح ليرى ماذا حدث لها ، فقال :

ولم انفك مضطجعا لديها
لأنظر مصبحا ماذا دهانى

اذا عينان فى راس دقيق
كراس الهر مشقوق اللسان

الم يقرأ الشوباشى فى مراجعه عن القصة العربية القديمة قصة عمرو بن يربوع الذى تزوج الغول وعاش معها مدة رزق منها فى خلالها أولادا . وكانت زوجته الغول تقول له :

« **اذا لاح البرق من جهة بلادى ــ وهى جهة كذا ــ فاستره عنى ، فانى ان لم تستره عنى تركت لك أولادك وطرت الى بلاد قومى » .**

فكان عمرو كلما برق البرق غطى وجه زوجته بردائه فلا تبصره . حتى كانت ليلة غفل فيها وقد لمع البرق فلم يستر وجهها كعادته ، فطارت ، وقالت له وهى تطير :

امسك بنيك عمرو ، انى ابق
برق على أرض السعالى آلق

تقول : ارع أولادك يا عمرو فانى ذاهبة نحو برق تألق لى من ناحية أرض السعالى (الغيلان) .

وقد أشار (أبو العلاء المعرى) الى هذه القصة القديمة فى قصيدة من شعره وهو يتحدث عن بعض أسفاره مع أصحابه على ظهور الابل التى تحن بطبيعتها الى البرق ، فقال انه كان اذا أومض البرق يستر وجوه الابل حتى تسير فى طريقها ولا تتجه نحوه ، كأنه ــ هو ــ عمرو بن يربوع ، والابل هى السعالى ، وذلك فى قوله :

اذا لاح ايماض سترت وجوهها
كأنى عمرو والمطى سعالى

واذا أردتما ــ أيها الأخوين الشوباشى والحميسى ــ قصة هادفة ، فخذا هذه القصة التى تصور التعاطف فى شكل جميل :

كان الشاعر الجاهلى عبيد بن الأبرص فى سفر الى الشام ، وفى الطريق اعترضه شجاع (أفعى كبيرة) وكانت الأفعى تلهث من شدة العطش ، فنزل عبيد عن بعيره ، وأخذ بقية ماء كانت معه وصبها فى فم الأفعى حتى رويت واطمأنت وانسابت فى الرمل . ثم مضى عبيد فى طريقه الى الشام ، فقضى حوائجه ورجع ، ونام فى الطريق ، فلما استيقظ لم يجد بعيره ، فجعل يبحث عنه ، فاذا هو ببعير آخر عليه رحل معد للركوب ، واذا هاتف لا يراه يقول له : **اركب هذا البعير حتى يوصلك الى ما تريد ثم اتركه** فركبه فلم يلبث أن رأى بيته .. فنزل عنه وهو يقول :

ــ أسألك بالله يا هذا من أنت ؟ .

فسمع الهاتف يقول له :

« الشجاع الذي أرويتني ظما » .

الى ان يقول :

الخـــير يبقى وان طال الزمـــان به
والشر اقبح ما أوعيت من زاد

وقد تقولان : ان هذه قصصا صغيرة .. ولـكن مهلا .. **الم تقرأ قصة « سيف بن ذي يزن » التى قامت مغامراتها على الخرافة والخوارق .. حتى كانت الجنية « عاقصة » أخت سيف من الرضاع هى منقذته من كل مهلك تعرض له ؟ .**

أو لم تقرأ قصة « حمزة البهلوان » وما فيها من مغامراته فى بلاد الجن وزواجه بزوجة منهـــا كانت ساعده فى مغـــامراته ، وانجبت له ولدا كان من الفرسان المعدودين ؟! .

هل احكى لكما او ادلكما على قصص أخرى .. صغيرة وكبيرة .. كلها عربية أسطورية .. ؟ هذا يكفى ، وان شئتما المزيد فعلت .

وبعد ـ فانى لم اقرأ كتاب الاستاذ الشوباشى ، فان كان كما صوره اخونا الخميسى فى مقاله **قائما على أساس ان القصة العربية القديمة تخلو ـ أو حتى تكاد ـ من الطابع الأسطورى .. فان المؤلف قدكتب عن اى شيء .. غير القصة العربية القديمة .**

أكشاك

● كان خبرا سارا ما أعلنه **الأســـتاذ يحيى أبو بكر** فى مؤتمره الصحفى الأخير ، **من اقبـــال شعبنا على قراءة الكتب** ، اذ بيعت كتب بعشرين ألف جنيه (مع ملاحظة السعر المخفض) فى أســابيع الكتاب العربى التى أقيمت فى ثلث بلاد الجمهورية .

بقى على مؤسسات النشر أن تدقق فى اختيـــار الكتب وتضع أسسا لهذا الاختيار ، حتى تعزز ثقة الشعب بما تصدره من كتب . **واعتقـــد أن أهم الأسس أن يشعر الشعب بالنبض الفكرى لحيـــاته فى صياغة هادئة وثقافة ناضجة .**

● نشبت معركة سباب حامية بين كاتبين فى جريدتين كبيرتين ، ثم تدخل كاتب ثالث فى الجريدة الكبيرة الثالثة ، قائلا : لا تحولوا النقد الى قذف وسباب ، **ثم افاض على احد المتشاتمين بمثل ماتبادلاه** .. وهذا يذكرنا بالمنادى الذى أمره السـلطان أن ينادى فى المدينة محذرا من سب الدين ، وكان ذلك قد تفشى بين اهلها ، فسار المنادى يقول : أيهـــا الناس ، **من سب الدين فان السلطان ســـيحرق دين ابيه !**

● كتب الدكتور محمد مصطفى هدارة بجريدة الاخبار يقول : ان ترجمة روايات شكسبير وغيره من أعلام المسرح والثقافة العالمية انما هى خارجة عن اختصاص الجامعة العربية ، من حيث ان عملها يجب اولا أن يخدم القضايا العربية . وهذا حق لاشك فيه . **كان واجب الجامعة مثلا فى ميدان الترجمـــة ان تترجم رواية مثل « الطريق الى بئر سبع » التى تصور المأساة الفلسطينية ، اما الانتاج العالمى الآخر فهو من اختصاص هيئات أخرى .**

● ظهرت للاستاذ عباس الاســـوانى مجموعة قصص قصيرة بعنوان «**الضاحك الأخير**» فى سلسلة « الكتاب الذهبى » وهى تصور انماطا مختلفة من شخصيات المجتمع تصويرا دقيقا ، **ويخيل الى أن الاستاذ الاسوانى ـ بتعبيره المتميز وفكاهته المعبرة ـ سليل أدبى لطاهر لاشين .**

● كتب اديب طبيب فى احدى الصـــحف عن ضرورة النقد ، **فشبهه بـ ... « ثانى اكســـيد الكربون » الضرورى للاستنشاق وحياة الانسان .. يقصد « الأوكسوجين » لا بأس .. لكل عالم هفوة !**

● بعث الى الأديبان « عبد المنعم حسن صـــالح بليسانس فلسفة آداب القاهرة » و « فاروق يوسف اسكندر ـ منشاة بركات ـ ملوى» بعثا الى برسالتين خاصتين تحويان عددا من الاتهامات .. فيها قصص مسروقة ومقتبسة .. وعددا من الأسماء : أسماء أدباء كبار وناشئين .. وسنرى ماذا فى الأمر بعد التحقيق الذى يحتاج الى وقت .

● لاتزال لجنة فحص القصص القصـــيرة المقدمة للجوائز التشجيعية بالمجلس الأعلى ـ تقوم بالمرحلة الأولى للفحص ، ولم يتم حتى الآن حصر أو ترشيح لمجموعات معينة كما نشر خطأ فى «الأخبار» .

عباس خضر

حول الأدب في أسبوع

يقدمه : عبده بدوى

رأى فى الحركة الشعرية المعاصرة

حين حدثنى الدكتور عبد الرحمن بدوى عن رحلته الى الهند ، وعن المحاضرات التى ألقاها هناك ، سمعت من خلال حديثه أنه ألقى فى جامعة « بتنا » بشمال الهند ، محاضرة تناولت التجديد فى الشعر العربى المعاصر .. وفى سرعة لحظة الابداع . وجدتنى أحاصره ، وأسأل ، وأناقش ، وأخرج بهذه الآراء التى أعطت حقيقة التجديد فى الشعر المعاصر ، وبخاصة ما يتصل منها بالأوزان ، والتفاعيل ، والقافية .

● الذين يقومون بما يسمى حركة « الشعر الحر » قد بالغوا فيها الى حد يكاد يبعدها عن حقيقة الشعر وماهيته ، لأن الشعر فى جوهره موسيقى ، وهذه الموسيقى لا يمكن أن تتحقق بتقطيع التفاعيل وتمزيقها على النحو الذى نشاهده لدى أصحاب هذه النزعة .. ثم ان الانتقال المستمر من بحر الى آخر يختلف عنه اختلافا واضحا من شأنه أن يحطم الايقاع الداخلى للقصيدة فضلا عن تحطيمه الموسيقى العامة الخارجية التى يجب توافرها فى كل شعر .

وكثيرا ما أقرأ هذه « القصائد المزعومة » فلا أكاد أميز بينها وبين أى نثر مكتوب ، وحتى الصور الشعرية بلغت حدا من التفاهة باعد بينها وبين ما كان يعرف باسم الشعر المنثور نفسه .

ولا وسيلة لانقاذ الشعر العربى المعاصر من هذه المحنة البالغة الا بمحاولة القصد فى التجديد ، فيتحلل من قيود القافية ، ولكن لا يتحلل من قيود الوزن الا فى أضيق الحدود ، على أن ذلك ينبغى التدقيق - كذلك - فى القول به .

● فى صدر هذا يمكن أن تصنف الشعر الى نوعين .. أولهما الشعر الغنائى ، وأرى أن يلتزم فيه « عمود الشعر » بكامله ، أو بقليل من التصرف فى القافية ، وذلك بالتنويع فيها بالرباعيات والخماسيات .

اما النوع الثانى فهو ماعدا الشعر الغنائى الذى يمكن أن يتمثل فى الشعر الملحمى والقصصى والمسرحى ، وكذلك فى الترجمة العربية للشعر الأجنبى ، وهذا النوع يمكن أن يستباح فيه التطويل أو التقصير فى التفعيلات ، وفى الوقت نفسه يمكن التحرر من القافية قدر المستطاع ، ولكن من الافضل أن يستمر البحر قدرا كافيا على الأقل ، ولا ينتقل منه الى بحر آخر الا للضرورة التى تقضى بهذه الرخصة ، أو حينما يكون هناك انتقال فعلى من فقرة الى فقرة .

● فيما يتصل بترجمة « **الشعر الأجنبى** » قمت أنا بهذه المحاولة فترجمت مثلا قصائد من شعر هيلدرلن ، ولوركا فى بحر واحد ، ولم أتقيد بالقافية الا قليلا ، ولقد بلغت بعض هذه القصائد اربعمائة بيت ، ومع ذلك فقد احتفظت لها ببحر واحد ، دون أن أشعر باى مجهود يخرجنى عن البحر الواحد ، ودون أن اتصرف فى الأصل أى تصرف نتيجة لهذا الالتزام .

وقد أسعفنى فى هذا العمل « بحر الكامل » بنفسه الشعرى الطويل ، وبمرونته الهائلة فى التلبس باى معنى ، وبالطواعية المطلقة لتعريب الأعلام الأجنبية سواء أكانت هذه الاسماء تطلق على أشخاص حقيقيين أو أسطوريين .

وهذا شاهد واضح على امكان ترجمة الشعر الاوربى الى الشعر العربى فى بحر واحد مهما طالت القصيدة ، دون أن يتأثر الأصل أو يهتز أى اهتزاز ، وفى الوقت ذاته دون أن يشعر الشاعر بالمجهود والصنعة فى الصياغة .

● ويذكر الدكتور عبد الرحمن بدوى أنه لاحظ أن كبار الشعراء المجددين فى أوربا فى هذا القرن ،

وعلى رأسهم « ابو ليفير » وهو رأس الطليعة المجددة في الشعر الفرنسي ، ثم « رلكا » كبير الشعراء الألمان المعاصرين ، ثم « لوركا » ، وهو ما نعلم في الصدارة من حركة التجديد في الشعر الأسباني خاصة ، وفي الشعر الأوربي عامة ... كل هؤلاء جميعا يلتزمون في قصائدهم بالتقسيم الذي سبق ذكره ففي الشعر الغنائي كانوا يلتزمون عمود الشعر الكلاسيكي وزنا وقافية ، وفي الشعر غير الغنائي (الملحمي والقصصي والمسرحي) كانوا يتبعون بحرا واحدا لمدة معقولة .

كما انهم لم يكونوا ينتقلون من بحر الى بحر في كل بيت او بيتين كما هو الحال لدى بعض الشعراء الآخذين عندنا بطريقة الشعر الحر .

وحتى « برشت » و « سانتي جون برس » الحاصل على جائزة نوبل في الأدب منذ ثلاثة أعوام ، و « كوازيمودو » .. حتى هؤلاء جميعا نظموا أشعارهم وفقا لهذا التقسيم ، فماذا يريد دعاة الشعر هؤلاء بعد هذه النماذج ، وبعد هؤلاء الشعراء .

في ظني انهم لا يلجأون الى ما لجأوا اليه الا لقصر انفاسهم ، وضعف ملكاتهم ، وجفاف العرق الشعري فيهم .

هذا هو رأي احد وجوهنا الفكرية ، ننقل عنه بدون تحريف . ونحن نعتقد ان هذا الرأي جدير بالمناقشة والتفكير المتواصل ، لأنه يصدر عن رجل يقدم « الدليل » على وجهة نظره ، وهو ما كنا نفتقده في بعض التراشق الذي يقوم به أنصار كل من الفريقين بين الحين والحين ثم ان لهذا الحديث مدلولا آخر وهو ان القضايا الجوهرية في الأدب والفن لابد أن يكون لكل منا فيها وجهة نظر شبه حادة وحاسمة بعد أن تميعت عاما بعد آخر ، فنحن لم نعد نقنع بمشاهدة « التلاحم » بين كل من الطرفين ، وانما نريد أن نحتشد حول كثير من القضايا في صراحة ، وبدون مجاملة ، فانا أعرف كثيرين يضعون قدما في منطقة النزاع ، وقدما أخرى في المنطقة المقابلة ، خوفا من ضياع « المكاسب » التي يمتلكها هؤلاء في اللجان والمهرجانات ، والتي يمتلكها هؤلاء في سيطرتهم على مقدرات النشر .

وما سآخذ نفسي به ــ في الأعداد القادمة ــ هو اني سأعمل على تحديد ملامح كل من المتنازعين ، ومع أن أنصار الشعر الحر قد كادت تتحدد معالمهم ، الا أن أنصار الشعر الآخذ بالقواعد لم تتحدد بعد ، ولعلهم كانوا يكتفون بالاستاذ العقاد منازلا ومصاولا .

وانا أعرف كثيرين سيفاجأون بهذه الآراء لعبد الرحمن بدوي ، ولكنها الحقيقة .. الحقيقة التي نتعجل لها الوضوح أو ما يقرب من الوضوح ، والتي نريد أن نعرف بلهفة حقيقة ميدان الصراع ، وملامح الفرسان ، وما يمكن أن تسفر عنه هذه المعركة .

وزن الشعر .. وكوبري بنها

لازلت أذكر ــ في عودتنا من المنصورة ــ هذا الحديث الذي كان يدور بين أديبين ساخرين ، وكيف ان احدهما كان يردد المطرح البسيط في جمعه ــ حين يغني ــ لا يرس ما تحس به نفسه الا موزونا ومسجوعا ، وكيف كان الآخر ينكر عملية الوزن والقافية التي ستقضي على كثير من الشعراء المرموقين ، فاذا بالاديب الاول يأتي بالموال بعد الموال ، واذا بالثاني لا يمتد غير التسليم ، وحين كان يغضب كان الأول يقول له « تحب توزن بره » وتهدأ المناقشة ، ويمر القطار على « كوبري بنها » ، فاذا بالصديق الذي ينكر الوزن على الشعر الشعبي ، يردد في عفوية ذلك الموال الذي يقول :

فايت على كوبري بنها منديل الحب طرف عيني
ابكي على الحب ولا أبكي على عيني
ابكي على الحب ، لكن سد يا عيني

ثم ينتبه فجأة ، ويصيح .. والآن عليك أن تدلني على بحر عربي يضم هذه الأبيات .. وقبل أن ينتهي من صياحه كان صاحبه يقول له ، هذا من « المواليا » الذي يحتفظ بملامح من البحر البسيط ، وقد ذكره ابن خلدون في مقدمته ، وضرب له مثلا بهذه الأبيات

طرقت باب الخبا قالت من الطارق
فقلت مجنون لا ناهب ولا سارق

تبسمت لاح لى من ثغرها بارق
رجعت حيران فى بحر دمعى غارق

وينظر احدهما فى شماتة ، وينظر الآخر فى حقد ، ويستمر اندفاع القطار ، بينما يظل الصديقان صامتين ، حتى تواجههما المدينة ، وتفرق بينهما ، ويصبح للصمت معنى آخر .

الكلمة والصورة عند خميس شحاته :

تعانق الكلمة والصورة موجودفى تراثنا التشكيلى ، وهذا يسوقنا الى هذا المجهود العميق الذى يقوم به الفنان « خميس شحاته » والذى يقوم بتجارب « ملخصة » من امتدادنا الفنى من اقدم العصور الى الآن .

ذلك لأنا نحتفظ بتسلسل تاريخى فى البيئة يكاد يكون فريدا ، بالاضافة الى وجود تراث فنى قد يفنى ولكنه يترك بذورا تتسلسل هى الاخرى فى الامتداد الفنى ، ثم تأتى بعد ذلك «اللحظة المعاصرة» التى تلخص كل هذا وتقدمه فى البيئة وعلى الطبيعة التى يرتاح اليها ذوق الانسان الحديث ، بحيث تتحقق دائما تلك السمات الخاصة بنا ، والتى يمكن تلخيصها فى :

« الوعى بقدسية الحياة
والوعى بالقيم الأخلاقية الكبرى
والوعى بالأناقة الحضارية ورهافتها » .

والانسان يجد هذا كله حين يلمس الأقمشة التى نفذها « خميس شحاته » والتى يستطيع أن يسمع فيها المشاهد ـ بيده أو باذنه ـ الموسيقى الشرقية .

ثم فى تلك اللوحات من « السيراميك » أو من المادة المقلدة له ، والتى يحس فيها الانسان عملية التوليد بين الفنين القبطى والاسلامى ، او بين القبطى فقط الذى يتمثل فى « حالة سكون » بينما يتمثل الاسلامى فى « حالة الحركة » بمعنى أن الطير فى اللوحة القبطية يظهر ساكنا عميق السكون ، اما الطير فى اللوحة الاسلامية فتظهر متحركة كأنها تريد مغادرة اللوحة .

وقد رأينا أن الشاعر عمر الخيام حاضر الفنان فى كافة قطعه الفنية ، فهو يقدمه مرة من خلال ترجمة رامى فى لوحة تقول :

هات اسقنى كأس الطلا السلسل
وغننى لحنا مع البلبل
فانما الابريق فى صبه
يحكى خرير الماء فى الجدول

ويقدمه مرة من خلال ترجمة عبد الحق فاضل فى لوحة تقول :

ويح خزافين بالطين لهم حزق مبين
فليطيلوا الفكر فيه علهم يدكرون !

ويقدمه مرة ثالثة من خلال ترجمة لشاعر يسمى اديب التقى فى لوحة تقول :

لا تتب قط عن الخمر فكم
توبة منها يتوب التائب
قد شدا البلبل والورد زها
ابدا الوقت يتوب اشارب !

وما نريده من الفنان هنا هو أن يكسر هذا الحصار الخيامى ، وأن ينطلق الى حديقة الشعر العربى فيقتبس منها ما يشاء ، اما مانريده من الدولة فهو أن تتبنى هذه « النماذج » التى تنتظر لمسة لتراها فى بيوتنا وفى حياتنا .

سمعتهم يقولون

● **الدكتور محمد عوض محمد** .. يذكر أنه كان قد عقد مؤتمر دولى للجغرافيين فى « كمبردج » وقد أعد بحثا لهذا الغرض ، ولكن الوفد الرسمى تألف ولم يكن بينه ، وقد آثر أن يرسله بالبريد ليقرأ نيابة عنه ، ولكن لطفى السيد أرسل اليه ثم قال له : « سيكون للجامعة وفد يمثلها وستكون انت هذا الوفد » ، وحين انتهى الدكتور محمد عوض محمد من حديثه سمعت تعليقا من فاروق يقول : « ما اعظم هذا الجبل الذى كان يثق فى نفسه » .

● **الدكتور غنيمى هلال** .. يقول عن مسرح العبث ان المقصود به عبث الوجود ، وفراغ الوعى الباطنى للانسان ، وان هذا المسرح شعر فى جوهره ، فهو يقدم موقفا من خلال قطاع موح ، وغالبا ما يكون هذا الموقف فى قاع الوجود ، وبالاضافة الى هذا لا يصبح الزمن ماضيا وحاضرا ومستقبلا ولكنه يمزج بطريقة جديدة ، ولا تصبح اللغة عملا ثانويا لأنها فى حقيقة الامر « البطل » ، ولا يمكن تبرير الحدث ، وانما يمكن تبرير الخواطر .. وفى ضوء هذا يرى أن توفيق الحكيم قصد الى العبث فى مسرحية « يا طالع الشجرة » ، ولكن هذا القصد لا يدخلها فى مسرح العبث .

« عبده بدوى »

الكتب

نقد وتعريف

يقدمه تحسين عبد الحي



خنجر اسرائيل
تاليف : د . ك . كرانجيا
ترجمة : مروان الجابري

لقد صرح الرئيس جمال عبد الناصر للصحفي الهندي ـ كرانجيا ـ في حديث صحفي بقوله :

ان الحقيقة الواضحة هي ان اسرائيل لم تعد خنجرا مسلطا على اعناقنا انما هي اليوم خنجر مغمد في لحمنا ودمنا

ان فلسطين اليوم ليست فقط مسرح المشكلة القديمة .. مشكلة احتلال الأرض العربية بالعنف. انما تؤلف كذلك خطرا توسعيا استعماريا ..

والكتاب الذى اقدمه اليوم ـ هو ترجمة لوثيقة اسرائيلية استطاع ـ كرانجيا ـ ان يحصل عليها.. بوسائله الخاصة ، وخطورة هذه الوثيقة تنبع من كونها خطة عمل عدواني مدروسة ـ لسلب أجزاء اخرى من وطننا العربي . ولا استطيع هنا أن أعرض الوثيقة كاملة ولكنني سأقدم بعض ما جاء فيها ..

تقول الوثيقة :

ان على اسرائيل أن تسعى دائما الى تعزيز علاقاتها بالدول العظمى ، وعليها بالطبع أن تستثمر التناقض في مصالح هذه الدول . وعليها أن تدخل في حسابها مصالح الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا ـ وخاصة فيما يتعلق بالمواصلات عبر قناة السويس وخليج العقبة ، وكذلك عبر قواعد اسرائيل العسكرية في منطقة الليطاني والحرمون والجولان وبيسان .

ولايجاد ظروف وأحوال أكثر ملاءمة لاسرائيل يجب تلطيف شعور العداء لها في الاقطار العربية ، وبذل كل جهد يرمي الى غرس بذور الشقاق بينها . وذلك بمساعدة الدول الغربية . وقبل كل شيء يجب اضعاف الشعوب العربية بحرمانها من بترولها وتقويض الوحدة العربية ..

ومن الممكن أن يؤلف السكان العرب في بعض الأماكن مثل « ايميك ـ عفرون والجليل » خطرا على تحصيناتنا وخطوط مواصلاتنا ولذلك يجب اجلاء السكان العرب من تلك الأماكن ووضعهم تحت الحكم العسكري ووضع الذكور منهم القادرين على العمل في معسكرات العمل الاجباري لاستخدامهم في الاستثمار الزراعي وأعمال البناء .

وفي مجال الأعمال الهجومية .. تقول الوثيقة ـ اليهودية ـ ستشن القوات الاسرائيلية هجمات منفردة في مختلف قطاعات الجبهة وستتناول الهجمات في المقام الأول القطاع المصري وبعده القطاع الأردني ـ العراقي .

ان مصر هي اقوى اعدائنا وان اخراجها من الميدان قد يؤدي الى رفض اقطار عربية أخرى مواصلة الحرب. كما أن احتلال شبه جزيرة سيناء حتى قناة السويس سيؤدي الى ازالة الحصار البحري عن اسرائيل مما سيخدم في عزل الاسطول المصري عن قناة السويس وفتح أبواب البحر الأحمر في وجه سفننا .

أما احتلال تلال الخبرون (الخليل) فسيجعل من العسير على الجيش المصري والأردني أن يتصلا ، وسيفتح لقواتنا طريقا اضافيا الى النقب .

ان هناك ثلاثة قطاعات من الممكن أن يشن منها هجوم عربي مضاد . القطاع الجنوبي (مصر) ـ والقطاع الشرقي (الأردن والعراق) والقطاع الشمالي (سوريا ولبنان) والقطاعان الجنوبي والشرقي منفصلان بحاجز طبيعي ـ حتى لو احتل العرب بئر سبع فان تلال النقب ومستعمراتها ستعرقل الاتصال بين القطاعين المذكورين .

ان على القوات الاسرائيلية أن تستثمر هذه المزايا

الجغرافية الخاصة من أجل شق طريقها الى القطاعات الثلاثة وعزل بعضها عن بعض .

وتقول الوثيقة الاسرائيلية عن الامكانيات الاستراتيجية التي تقدمها القطاعات السابقة . ما يلي :

القطاع الجنوبي : نستطيع (اليهود) ان نقطع منطقة الاسماعيلية العريش وتحتل (اليهود أيضا) تصفات وبير قفقافة (طريق الاسماعيلية) وممر المطله (طريق السويس) كما نستطيع احتلال الممرات المؤدية الى قناة السويس .

القطاع الشرقي : في هذا القطاع يمكن احتلال متبع نهر الأردن ويمكن ايقاع الجيش الأردني في (المثلث) وحصره هناك واحتلال العقبة ودرة وعزل الأردن عن مصادر تموينها واحتلال جبل طالون لقطع خطوط تموين الجيش العراقي والسيطرة على جسر فلوجه لقطع الطريق على الجيش العراقي .

القطاع الشمالي : ان احتلال مرجعيون وزحلة ـ الشوف (طريق دمشق بيروت) من شانه أن يقطع الجيش السوري عن قواعده كما أن احتلال رياق من شانه انيعزل الجيش اللبناني عنسوريا ، أما احتلال بيروت واللاذقية فمن شانه أن يحرم سوريا ولبنان من الطرق البحرية بينما يبعد احتلال نهر الليطاني كلا من الجيش اللبناني والجيش السوري عن حدود اسرائيل الشمالية .

وتقول الوثيقة الاسرائيلية :

ان الغاية من الحرب بين اسرائيل والعرب هي تغيير خط الحدود الحالي ، وان احتلال الأراضي التي تطالب بها اسرائيل سيحسن من وضعها السياسي والاقتصادي .

ان الحاجة الى احتلال المناطق العربية انما هي حاجة يمليها هدف الصهيونية الاول ، الا وهو خلق دولة يتراوح عدد سكانها بين ٣ و ٤ ملايين وذلك في خلال فترة جيل واحد .

ولذا ـ كان مهمتنا هي احتلال الاراضي العربية وتوطيد سيطرتنا عليها ووضع ثروتها المادية في خدمة السكان اليهود .

ان احتلال الضفة الغربية من الأردن ـ وتلال الخليل والضفة الشرقية من الأردن بما فيها المناطق الصحراوية سيمكن اسرائيل من اقامة حدود لها مع العراق والعربية السعودية .

وتذكر الوثيقة اهمية المناطق العربية التي تريد احتلالها ـ فتقول :

ان احتلال النقب وجزيرة تيران وصنافير وشبه جزيرة سيناء ، ومنطقة قناة السويس من شانه ان يؤمن وصول اسرائيل الى البحر الاحمر . أما احتلال غزة فسيقصر حدود اسرائيل مع مصر ، ويحرمها من احسن قواعدها ويدفعها بعيدا عن مناطق اسرائيل المركزية . (ويجب احتلال الاسكندرية وحرمان مصر منها كميناء حيوي على البحر الأبيض المتوسط

اما احتلال الضفة الغربية فانه يؤمن دفاعا قويا من الشرق عن مناطق اسرائيل الحيوية . وسيقصر من طول خط الحدود .

اما احتلال ـ جيلاد وصحراء نيفيوت (صحراء تدمر) فانه سيؤمن سيطرة اسرائيل على خطوط المواصلات الهامة وخاصة قناة السويس وسيمكنها من تهديد المصادر البترولية في مضائق تيران .

وكذلك احتلال العقبة وجبال موآب . سيؤمن لاسرائيل قاعدة تستخدمها للهجوم على العربية السعودية .

وهكذا تستمر الوثيقة فيدراسة تفصيلية لأهمية المناطق العربية التي تريد الاستيلاء عليها وخاصة ـ حوران ودرعا والجولان ـ وشومر التي سيمكن احتلالها اسرائيل من الاستيلاء على حقول الزيت السعودية ..

وليس في هذا الاتجاه العدواني الاسرائيلي امر طارىء تستوجبه ظروف اسرائيل بقدر ما هو آمر غريزي يستمد مقوماته من طبيعة كيان اسرائيل وصلة هذا التركيب بالقوى الاستعمارية العالمية .

ذلك أن الاستمرار في العدوان هو مبرر استمرار اسرائيل في الحياة .

ان الأهداف الصهيونية تلتقي في قدرة حركتها على الابتلاع والهضم والتنظيم والتواطؤ مع أعظم القوى خبرة وأكثرها امكانيات ، وأعرقها في فنون سلب خيرات الشعوب ..

اما وقد بدات الموجة الاستعمارية العتيدة في الانحسار التدريجي في كل انحاء العالم .. فان الوجود الاسرائيلينفسه كجزء من الموجة الاستعمارية العالمية. سوف يلحق بمن ساعدهوأوجده الى الابد. ولن يتم ذلك الا بوحدة الشعب العربي ويقظته من المحيط الى الخليج . وليس لنا الخيار ، فاما أن نعود الى أرضنا السليب . واما أن أصبح انا وأنت من اللاجئين ..

تحسين عبد الحي

مع الشراع الممزق

بقلم: محمد عبدالله السمان

ان الذى لا ريب فيه ان القصة الناجحة يجب أن تكون جزءا من احساسات الكاتب تتفاعل نفسه مع احداثها، وتتجاوب مع آلامها وآمالها.

واقدر القصص على التأثير فى نفس القارىء، ماكان منها نابعا من نفس البيئة التى تحيط بنا، ونمت الينا باوثق الروابط، ومعاصرا لحوادث القصة وابطالها، وتصويرا للحاضر بخيره وشره، وافراحه واتراحه. وبذلك يتوافر لمثل هذا النوع من القصص التكامل الفنى، بتوافر الواقع الذى لم يضع الخيال معالمه، ولم يطغ على حقائقه.

وليس معنى هذا ان نقصر قصصنا على حاضرنا، ونقيم سدا منيعا بيننا وبين ماضينا، فالماضى مصدر الاشعاعات على الحاضر والمستقبل معا، ولكن الذى نشاهده فى اكثر قصصنا التى تصدر تباعا، وتزدحم بها مكتباتنا، اتجاهه الى تصوير الماضى بما فيه من اضطراب سياسى واجتماعى. وحجة الكتاب أن لا بد لنا من أن نتخلص من رواسب هذا الماضى المزعج نهائيا، حتى نعايش حاضرنا ومستقبلنا، بنفسية سليمة لاعقد فيها، والحق أن هؤلاء الكتاب يعيبهم أنهم نظروا الى ماضينا نظرة سوداء قاتمة، واضطروا — ازاء نظرتهم هذه — الى أن يضغطوا على التاريخ قليلا تارة، وكثيرا تارة أخرى، حتى تساير القصة باحداثها عقيدتهم فى الماضى، ونظرتهم السوداء اليه.

هذه مجرد خواطر سرت بذهنى وانا اقضى الساعات الطوال مع المجموعة القصصية (الشراع الممزق) للاديب الصحفى الليبى الاستاذ على مصطفى المصراتى عضو البرلمان وصاحب احدى الجرائد الليبية، واعظم ما فى هذه المجموعة القصصية التى بلغت اثنى عشرة قصة هى تصوير لجوانب شتى من البيئة الليبية، والدقة فى هذا التصوير حتى ليحس القارىء ان المؤلف منحها كل ما يملك من احساس وشعور، ويكاد يوقن بأن المؤلف هو بطل كل قصة من قصصه عاش تجربتها بنفسه. ثم التنويع بعد ذلك فى اختيار نماذج بشرية لشخصيات قصصه تشتمل على كل القطاعات البشرية فى بلده، وهذه النماذج التى أوحت للمؤلف باقاصيصه، هى ممن يسيرون فى خضم العواصف والأمواج بشراع ممزق.

زقطوط وليلة الموسم: عنوان قصته الاولى، اختار لها المؤلف شخصية «زقطوط» أحد الكائنات الحية، ولكن بدون امل او هدف فى الحياة، بل الحياة نفسها لديه لاتساوى اكثر من العدم ذاته، ولذلك نراه يألف السجن، ويستمرىء أن يظل دائما ضيفا على ساحاته، وهذا هو عزاؤه الوحيد، اذا قدر ان يغادر السجن فى احدى موجات الافراج، جاهد جهاد المستميت حتى يعود الى حريته، الى دنياه الواسعة بين جدران السجن. قبل أن تأذن شمس اليوم بالمغيب، ولم يكن «زقطوط» عريقا فى الاجرام، ولا اصيلا فى الجريمة، ولكنه كان يرى وجوده خارج السجن عالة على الحياة، فلا يكاد يغادر السجن حتى يحتال فى العودة اليه، هاربا من الحياة، حياة الشوارع والأزقة، والمبيت تحت الاقواس، وصفعات رجال العسس، وركلات احذيتهم الثقيلة.

وحتى هذا العزاء الوحيد لزقطوط «السجن» لم يدم هناؤه له، ففى احدى ليالى موسم من المواسم، غادر السجن. وفشلت كل محاولاته ليعود اليه، فكلما تظاهر بارتكاب جريمة قوبل بالصفح عنه، لان الناس تعودوا أن يتكلفوا الرحمة والعفو عن المسيئين فى ليالى الموسم، حتى رجال البوليس انفسهم، مع أنهم حراس القانون يتكلفون ايضا العفو عن مخالفى القانون فى المواسم، بدافع من الرحمة، وعبثا حاول زقطوط ان يعود الى السجن فى ليلة الموسم، ولكنه فشل، وكلما تظاهر بارتكاب جريمة سرقة، او جريمة سكر وعربدة، أو جريمة خدش للحياء العام، أو جريمة اعتداء على رجل البوليس نفسه، باء بالفشل فى أن يزج به فى السجن مرة اخرى، وهكذا ظل يكافح معظم ليلته، ولما اعيته كل حيلة، لم يجد مفرا من ان يستسلم لخيبته، فتكور فى احد الازقة لينتظر الصباح، لعل ابواب السجن تنفتح عن طريق آخر .. انتظر على مضض طلوع الشمس.

اما قصة «أطول شنب» فهى قصة الاحتكارق

احلى صــــورة . الاحتكـــار الذى تباشره شركات البترول الاجنبية فى ليبيا ؛ وقد اختار المؤلف بطل القصة احـــد عمـــال احـــدى هذه الشـــركات ؛ انه « سليمان شـــنابو » واحد من الوف العمال الذين جلبهم الوسيط السمســـار مقابل اربعين قرشا عن الرأس . يستلمها العامل عدا ونقدا مع وجبة تكون فى ثلاثة ارباع الأســـبوع من علب السردين القديم والخبز الناشـــف ؛ وقد تركت الشركة امر هؤلاء العمال الى الوســـيط ؛ وترك الوســـيط كل شيء يمشى على هواه؛ فهو لن يخاف شيئا ؛ مادام قد عرف الطريق ؛ وقـــرب اليه من ناحية رئيس العمـــال وتفحه ترقية ؛ و « سليمان شـــنابو » يحار كيف يوزع هذا المبلغ اسبوعيا على الطعام ولوازم الاسرة ؛ اليس حسبه أن يسكن فى الحى الذى ينبت اكواخه من الصفيح وقطع الحديد والزنك المخرق من تفاعل الزمان ؛ والذى اتخذ سقفا لهذه الاكواخ ؛ ويدخل البرد اللافح من الثقوب التى تسد بالخرق البالية وعندما يجرف الوادى الاكواخ فى هجماته واندفاع سيوله ؛لاتتحرك المسئولون الا ليوزعوا على المنكوبين الملح والهدايا : كيلو ارز وكيلو دقيق على كل كوخ .

كان كل مايميز « سليمان شنابو » عن الوف العمال الضائعين فى شركات البترول شاربا اطول من شبر ؛ ولا يدرى أحد ما الذى جعله يحافظ على مظهر شاربه ويقسم به فى أحرج المناسبات، ولا يدرى احد ايضا ، ما الذى جعل مدير القســـم الجديد الذى جاءنى وراء البحار ؛ ينادى سليمان عندما يراه لأول مرة ويســـأله : انت مربى شاربك من كم سنة ؟ ويجيب سليمان : منذ خمسة وعشرين عاما . فيقـــول المدير : اذن فلك عندى مفاجاة ؛ سنعمل لك « يوبيل » ســـتقيم الشركة لك حفل تكريم بمرور خمســـة وعشرين عاما على شاربك . .

وكان ان عقد اجتماع طارىء فى القســم الفنى لشئون العمال ؛ واعلن عن الحفل فى يوم موعود ؛ وفى هذا اليوم استحال العامل سليمان شنابو الى انسان يليق بهذا التكريم ؛ وكان عليه بعد ان ارتدى احســن مايملك من ثياب أن يمر فى طريقه الى مقر الحفل بالحـــلاق ؛ وجلس على الكرسى فى دكان الحلاق ليكمل له زينته ؛ وكان صبى الحلاق ثرثارا اخذ يثرثر فى كل شـــان من شـــئون الحياة ؛ فى السياسة ؛ فى ارتفاع الأسعار الجنونى ؛ ثم عرج على الفيلم الأخير الذى شاهده بالأمس ؛ واخذ فى سرد مواقف البطـــل والبطلة ؛ وقال وهو يحرك الموسى فى يده : « ثم نزل البطل على صاحبه هكذا » وهو بالموسى على شـــارب ســـليمان . وفى رمشة عين بتر الموسى الشـــارب . وصعق سليمان . وهو يرى نصف شاربه يســـقط مع رغوة الصابون ؛ وجمد صبى الحلاق فى مكانه ؛ ومالت الاعتذارات فى حلقه وعينيه ؛ وكان أن استسلم سليمان لهول الفاجعة ؛ واضطر الى ان يحبس نفســـه أسبوعا فى بيته بعد أن قص النصف الاخر من شاربه ؛ ولم يكد ينتهى الأسبوع حتى تسلم ســـليمان شنابو رسالة عاجلة من الشركة : تبدى اسفها اذ تعلمه بالاستغناء عن خدماته لتغيبه أسبوعا عن العمل بلا عذر ؛ وبما أن حضرة المدير قد وعده بالهدية ؛ فانه برا بوعده ترســـل الشركة - بناء على قرار مجلس الادارة فى جلســـته بتاريخ . . . الهدية التى قررها . . وفتح ســـليمان مظروف الهدية فاذا بداخله ورقة تحمل شعار الفرع . . وفكر سليمان: هل يسديه احد ثقوب كوخه . ام يريد بالبريد . ولكن الفكرة التى ازاحت هذا وذاك هى : اين يذهب بمصير اخت مطلقة ؛ وكتيبة من الأطفال من بينهم الكسيح وشبه الأعمى . . !

ان الأديب على مصطفى المصراتى احد الشباب الليبى المتدفق وطنية وحماسة وغيرة ؛ والذى كان احد خمســـة من اعضاء البرلمان طالبوا فى عريضتهم الى البرلمان بتصفية القواعد والمعاهدات الأجنبية فى بـــلادهم ؛ هذا الاديب اللامع يلتقط من بيئته نماذج متحركة من الكائنات الحية ؛تعيش فى اعماق الضياع وليس على حافته وحسب ؛لم يجعل منها ابطالا لمجموعة من القصص اللاذعة الهادفة اطلق عليها « الشراع الممزق » ولم تنقصه الجراة الادبية فى قصة منها ، الا ان جانبا من الأخطاء اللغوية تسلل الى اسلوبه ، الى جانب الكثير من الأخطاء المطبعية وهذه او تلك لم تستطع أن تقلل من انجذابنا الى مجموعة قصصه ، او تحول بيننا وبين القضـــاء ساعات طوالا مع الشراع الممزق .

محمد عبد الله السمان



قصة انسانية
رد على نقد

في العدد ١٠٥٥ من الرسالة تفضل الاستاذ عبد الجليل شلبي بنقد قصيدتي (قصة انسانية) وانا اشكر له اهتمامه بالمحافظة على (قوانين سيبويه وتفاعيل الخليل) وان كنت أود لو أن الاستاذ شلبي قد تثبت قليلا في المآخذ التي احصاها على · اذن لتبين له انني لم أخرج كثيرا على ما أسماه قوانين سيبويه وتفاعيل الخليل كما ظن ·

١ ـ فكلمة مديون صحيحة مثل مدين كلتاهما في قواميس اللغة وكذلك لا فرق بين (بالحري) مشددة الياء و (بالحرى) مقصورة ·

٢ ـ ويقول في (رماد السنين) و (بينات يتقلتنا أو بنين) ان فتح نونها واجب لانهما مما الحق بجمع المذكر السالم وغاب عنه أن هذا باب تجوز فيه الشعراء الفحول من قديم كقول الفرزدق :

ما سد حي ولا ميت مسدهما
الا الخلائف من بعد النبيين

وكقول العدواني :

اني أبي أبي ذو محافظة
وابن أبي أبي من ابيين

وكقول سحيم :

وماذا يدري الشعراء مني
وقد جاوزت حد الأربعين

وليرجع الى الكامل للمبرد اذا أراد المزيد من هذا الباب ·

٣ ـ هي في ملجا العجائز لكن
هو في ملجا الشيوخ الفواني

وقد ورد مثل هذا الاستعمال في قول الفرزدق :

واذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم
خضع الرقاب نواكس الأبصار

ويقولون أيضا هالك في الهوالك · وقد هدتني السليقة الى استعمال (الفواني) هنا لانتفاء اللبس بين المذكر والمؤنث اذ يقال (الفاني) للشيخ الكبير ولا يقال (الفانية) للمرأة العجوز فكأنني أجريته مجرى فارس وفوارس (راجع كتاب سيبويه ج ٢ ص ٢٠٧)

٤ ـ بناپوتي أقد مللت ؟ وما كنت ملولا ولست بالملول من الواضح أن البيت لا غبار عليه

٥ ـ مذ ركبنا ظهر السفينة من (بيريه) مثل السردين او هي أزحم ·

فماذا يقول الناقد : والفعل زحم المبني للمجهول او ازدحم وكلاهما غير صالح لبناء أفعل منه · يقول في قولهم : (هذا الكلام أخصر من غيره) أي اشد اختصارا وفي قولهم : أشغل من ذات النحيين ؟

٦ ـ مالك البيت قال لي : ابق في البيت ولا تدفعن لي أي قيمة ·

انكر الناقد القطع في (ابق في البيت) وهو جائز ولاسيما في مثل هذا الموضع حيث يساعد القطع على توضيح المعنى بالفصل بين فعل القول والمقول·

وأما قوله : والبيت لا يرضى الخليل بهذا الوضع ولعل أصله : ولا تدفعن له الخ فهذا عجيب ولعل الناقد ظن نون التوكيد هنا خفيفة وهي ثقيلة ·

وهل أذكره بقول ابن مالك في الألفية :

للفعل توكيد بنونين هما
كنوني اذهبن واقصدنهما

٧ ـ يا ماريكا هذا جواب من الملجأ

صاحت بالرفض أم بالقبول

صواب البيت كما لا يخفى هو :

يا ماريكا هذا جواب من الملجأ

صاحت : بالرفض أم بالقبول؟

٨ ـ ولا اريد ان اناقشه فى موضوع القصيدة اذ ينبغى ان اتركه يفهم ما يشاء ، الا انى الفت نظره فى الختام الى البيت الاخير :

ولنــــا فى الايمان اقوى رجاء

ان جوف الفنــــاء لا يطوينا

ان معناه كما هو واضح ان ايماننا بالله وبالحياة الاخرى هو الذى يعصمنا من الفناء المطلق ·

على احمد باكثير

***

(مهما) ايضا

بقلم على العمارى

عقب الاديب السيد عيسى متولى على ما نشرته فى مجلة الرسالة من صحة دخول (مهما) على الفعل الماضى بأن القرآن الكريم استعمل مهما فى موضع واحد ، وقد دخلت فيه على الفعل المضارع فى قوله تعالى : « وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين » ·

وما دام القرآن قد ادخلها على المضارع ، فلا يصح لنا ـ كما يقول الاديب ـ أن نعدل عن منهجــــه فى الاستعمال ، لأن القرآن هو حسبنا ·

وقد كنت آثرت السكوت عن الرد اعتمادا على أن فى مكنة كل من شدا شيئا من العربية أن يدرك أن اقتصار القرآن الكريم على وجه من الوجوه ـ سيما اذا لم يتكرر ـ لا يمنع الوجوه الاخرى ، ثم عــدت فخفت أن يخدع بهذا بعض الأغرار ، ومن لا دراية له بقوانين العربية ، فيظنــــوا أن كل ما لم يرد به القرآن لا يصح النسج على منواله ·

نعم · القرآن هو امامنا ، واستعمالاته فى موضع التجلة والاحترام ، ولكن ليس كل ما ورد فى العربية ورد فى القرآن ، وليس كل استعمال اقتصر عليه القرآن واجب الاتباع اذا كان فى أساليب العربيــة ما هو أوسع منه ، والا لما احتجنا الى الشاهد والمثل من كلام العرب ·

على أن فى استعمالات القرآن الكريم ـ احيانا ـ ما يخالف المشهور من كلام العرب ، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : (ان هذان لساحران) وقوله تعــالى : « لولا أخرتنى الى اجــــل قريب فاصدق وأكن من الصالحين) وقوله تعالى : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصائبون والنصــــارى من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » · ولذلك احتاجت مثل هــــذه الآيات الى التخريج ، وبيان الوجه فيها على ما هو معهــود فى كلام العرب ·

ولا أذكر أن احدا من العلماء من اقدمين ومحدثين راى انه لا يصح العمل بما جاء فى كلام العرب اذا لم يجىء مثله فى القرآن ، ولا أن ما جاء فى القرآن هو الحجة لا غير ، بل ان من المعروف أن أكثر العلماء كان حين يفسر الآية من القرآن يلتمس لها شــاهدا من كلام العرب ، فى المعنى أو فى الاعراب ، وقد قيل ان ابن الانبارى كان يحفظ من كلام العرب ثلاثمائة الف شاهد على آيات القرآن ·

واحب اخيرا أن يقف كل انسان عند عمله ·

والله الموفق الى الصواب ·

***

« الدين ·· والاخلاق ·· والوطنية »

بقلم عيسى متولى

تنص المادة السابعة من الباب الثانى من دستورنا الجديد ، وهو الباب الخاص بالمقومات الاساســـية للمجتمع ، على أن :

« **الأسرة أســـــاس المجتمع ، قوامها : الدين ، والاخلاق ، والوطنية** » ·

وهذه الدعامات الثلاث : الدين والاخلاق والوطنية ، هى حجر الاساس لبناء الأسرة المثالية ، وهى القاعدة الاولى ، التى ترتكز عليها صروح المجتمع الفاضل ··

فالأسرة كما وصفها الميثاق فى بابه السابع :

« ان الأسرة هى الخلية الاولى للمجتمع ، ولا بد

أن تتوافر لها كل أسباب الحماية التى تمكنها من ان تكون حافظة للتقليد الوطنى ، مجـددة لنسيجه ، متحركة بالمجتمع كله ومعه الى غايات النضـال الوطنى » ...

والدين بمثـابة مركز الاشعاع ، الذى يضيء بمشاعله سبل الحياة الحرة الكريمة ، يهدى سالكيه سبيل الرشد ، ويوجههم نحو الطريق القويمة، التى لا ترى فيها عوجا ، ولا امتا ...

والتربية الدينية تأتى فى مقدمة مقومات التوجيه السديد ، تغرس فى نفوس النشء بذور الفضيلة ، وتجنبه الانحراف والانقياد لتيـارات الغواية ، مغاتنها ومغرياتها ..

ويحدثنا الميثاق عن أثر التربية الدينية ، فيقول:

« ان القيم الروحية الخالدة النـابعة من الأديان قادرة على هداية الانسان ، وعلى اضاءة حياته بنور الايمان ، وعلى منحه طاقات لاحدود لها من أجل الخير والحق والمحبة .

« ان رسـالات السماء كلها فى جوهرها كانت ثورات انسانية، استهدفت شرف الانسان وسعادته، وان واجب المفكرين الدينيين الاكبر هو الاحتفـاظ للدين بجوهر رسالته » ..

اما الاخلاق الفاضلة فهى الثمرة الاولى للتربيـة الدينية القويمة ، وهى المقياس الصادق لما بلغتـه الأمة من حضارة ورقى ، فى جميع نواحى حياتها .

وما من أمة استطاعت أن تبنى قواعد مجدها الا بالاخلاق ، فهى حجر الزاوية للبنيان القومى ، فهى رمز وجود الامم.. فان همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا .

صـلاح أمرك للاخلاق مرجعه
فقوم النفس بالاخـلاق تستقم

ويسجل الميثاق للقيم الاخلاقية فضلها ، فيقول :

« ان مجتمع الرفاهية قادر على أن يسـوق قيما أخلاقية جديدة لاتؤثر عليها القوى الضاغطة المتخلفة عن العلل التى عانى منها مجتمعنا زمانا طويلا. كذلك فان هذه القيم لا بد لها ان تعكس نفسها فى ثقافة وطنية حـرة ، تفجـر ينابيع الاحساس بالجمال فى حياة الانسان الفرد الحر » .

اما الوطنية فهى هذا الشعور الذكى الخفى ، وهى شعبة من شعب الايمان الصـادق ، الذى يحبب الى القلوب الجهـاد فى سبيل الوطن ، والاستهانة بكل تضحية وفداء ، كلما استلزم الأمر تضحية وفداء .

ونحن اذ نستعرض صفحات التاريخ ، تطالعنا فى حياة الأمم والشعوب صفحات مشرقة لجهـاد وطنى مرير ، فى سبيل انتزاع حرياتها واستقلالها. وبفضل وطنيتها استطاعت أن تحطم القيود والاغلال ، وان تتحرر من ربقة الاستعمار ...

فلنضع نصب اعيننا هـذه المبادىء التى اعلنها دستورنا ، فنعنى بتسليح أنفسنا بهذه الاسلحة ، ولنتمسك بالدين والاخلاق والوطنية ، ولناخذ من المدنية خير ما فيها ، ولا نتبـدل الخبيث بالطيب ، وليتعاون البيت مع المدرسة فى اعداد جيـل مؤمن بالمثل العليا ، ولا يكفى أن نحشـو رءوس النشء بالنظريات العلمية ، فلا قيمة لهذه النظريات مهما بلغ قدرها الا اذا اقترن العلم بالدين والاخـلاق والوطنية ...

ولتكن لنا فى حياة الشعوب المناضـلة عبرة .. وعظة !..

العقاد بين تلاميذه وخصومه

بقلم على عبده بركات

انى لا أخشى على ذكرى العقاد الا من تلاميـذه الذين تقرأ لهم هذه الايام. انهم يحاولون أن يصوروه مرة فى صورة الذى حاول أن يكمل دراسته النظامية ولكن ظروفه المادية والعائليـة حالت دون ذلك . ومرة يقولون انه باع مكتبته اكثر من مرة لضيق يده ثم حاول الانتحار . أو أنه كان يسكن بيتـا لا يليق بعبقرى لان ايجار شقته كان ضئيلا ، وغير ذلك من أمور نفاها العقاد فى حياته . اما خصومه فقد حاول بعضهم أن يكتب عنه ووضع لذلك عنوانا ضخما فخما ثم نسى انه يكتب عن العقاد وراح يحدثنا عن نفسـه . او حاول البعض ان يرفع عن نفسه تهمة سوء الظن بالعقاد وأخـذ يعترف اعترافات ملائكية بأنه برىء من كل ذلك أمام نفسه وأمام التـاريخ . والبعض الآخر أضفى على خصومته للعقاد ثوب الشرف لانها كانت خصومة رأى مع العبقرى العظيم .

ان عبقرية العقـاد ستبقى خالدة برغم ما يقوله تلاميذه وخصومه الذين أرجو لهم أن يقرءوا ما قاله العقاد فى ذكرى صديقه المازنى ليكون فيـه درس لهم يتلقونه من العقاد حيا وميتا .

من ملحمة عمر :

المشهد الثانى

تأليف علي أحمد باكثير

حجرة ابى بكر . فى اليوم التالى لليوم الاول

يرى ابو بكر مضطجعا على فراشه وعنده عثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف وسعيد بن زيد واسيد ابن الحضير وطلحة بن عبد الله .

ابن عوف : هل بعثت الينا يا خليفة رسول الله ؟

ابو بكـر : نعم كما بعثت الى غيركم من المهاجرين والانصار لا سترشد بآرائكم . انى كما ترون قد حم اجلى ، وانى اريد ان استخلف عليكم رجلا قويا امينا وقد القى فى روعى ان عمر بن الخطاب هو ذلك الرجل فماذا ترون ؟ ماذا ترى يا عبد الرحمن فى عمر ؟

ابن عوف : ما تسالنى عن امر الا وانت اعلم به منى

ابو بكـر : وان .

ابن عوف : هو والله افضل من رايك فيه

ابو بكـر : وانت ياعثمان اخبرنى عن عمـر ابن الخطاب

عثمـان : انت اخبرنا به يا ابا بكر

ابو بكـر : على ذلك يا ابا عبد الله . انى اريد ان اسمع رايك .

عثمـان : اللهم علمى به ان سريرته خـير من علانيته وانه ليس فينا مثله

ابو بكـر : وانت يا اسيد بن حضير يا سيد الانصار ما تقول فى عمر ؟

اسـيد : اللهم اعلمه الخيرة بعدك يرضى للرضى ويسخط للسخط ، والذى يسر خير من الذى يعلن ولن يلى هذا الامر احد اقوى عليه منه .

ابو بكـر : جزاك الله خيرا يا اخا الانصار . وانت يا على بن ابى طالب يا ابن عم رسول الله ما تقول فى عمر ؟

عـلى : يا خليفة رسول الله ماذا اقول فى رجل اعتز الاسلام باسلامه مالم يعتز باسلام احد سواه وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه : ان الله قد جعل الحق على لسان عمر وقلبه .

ابو بكر : بوركت يا ابن عم رسول الله ، فما بال اقوام يقولون لى اما تخاف الله فى تولية عمر على المسلمين .

طلحـة : ان ابا بكر يعنينى انا ومن ورائى ووالله يا ابا بكر ما صدقنا الله ان استشرتنا فاشرنا عليك بغير ما نعتقد . انا لا نعلم عن عمر الا خيرا ولعله ان يكون خيرا من كل ثناء قبل اليوم ، ولكن فيه غلظة نخشى منها على المسلمين .

ابو بكـر : بل علمتم ان خيركم فى نفسى فكلكم ورم انفه من ذلك يريد ان يكون الامـر له دونه

طلحـة : ياخليفة رسـول الله ما ينبغى لك ان تستشيرنا ثم تتهمنـا . ماذا انت قائل لربك اذا سالك عن استخلافك عمر علينا وقد رايت ما يلقى الناس منه وانت معه فكيف به اذا خلا بهم بعد لقائك ربك ؟

ابو بكـر : (غاضبا) اجلسونى . اجلسـونى . (يجلسه عثمان وعبد الرحمن) ابا الله تخوفونى ؟ خـاب من تزود من امركم بظلم . اقول : اللهم استخلفت على اهلك خير اهلك (يلتفت الى طلحة) ابلغ عنى من وراءك ما قلت لك .

طلحـة : (يقول غاضبا) والله لولا ما انت فيه لرددت عليك (يخرج) .

ابو بكـر : (يرتعد من الغضب) يابى الله والمسلمون غير عمر . ويلهم ! متى علمت الناس على قرابتهم منى او بعدهم ؟ والله لو كان يليها احد لقرابته من احد ، لقد كان قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم احق ان يلوا هذا الامر منى ومن غيرى . ويلهم ، انها امانة وليست طعمة . انها حق على من وليها وليست حقا له .

ابن عوف : خفض عليك يا خليفة رسول الله ، انما

الناس فى امرك بين رجلين . اما رجل راى ما رايت فهو معك واما رجل خالفك فهو مشير عليك .

علـــى اجل ياخليفة رسول الله . امض لماشرح الله صـــدرك له ولا يكربنك راى من خالفك ، فانما خالفك لينصح لك .

ابو بكـــر : انى كنت ارجو ان استأذن برايهم ليطمئن قلبى الى صواب رابى فى عمر

عثمـــان : ان رايك فى عمر لهو الصواب .

ابو بكـــر : صدقتم ونصحتم . فيرحم الله رجلا دعا لى طلحة بن عبيد الله وسعدا والزبير (يضطجع على فراشه) .

ابن عوف : (ينهض) انا ادعوهم لك (يخرج)

ابو بكـــر : وانت يا سعيد بن زيد انك لم تقل لنا رايك بعد فى عمر ؟

ســعيد : اعفنى يا خليفة رســـول الله فانه ابن عمى واخو زوجتى وزوج اختى

ابو بكـــر : فانت به اعلم

ســعيد : اللهم انى اعلم ما من احد فينا الا كان اسبق الى الاسلام من عمر

ابو بكـــر : هذا شيء نعلمهجميعا وما عنذلك سالتك

عثمـــان : افكل من سبق عمر الى الاسلام كان افضل منه يا ابن زيد ؟

ســعيد : الفضـــل عند الله يعلمه هو وحـــده سبحانه .

ابو بكـــر : لو شئتيا سعيد بن زيد لقلت غيرهذا

عـــلى : انى لاعلم ما يحمله عـــلى ذلك . انه يخشى من ابن عمه اذا اطراه

ســعيد : اى والله يا ابا بكر لئن بلغعمر انى كنت فيمن رشحه للخلافة ليحاسبنى حسابا عسيرا .

ابو بكـــر : (يبتسم) صدقت يا ابن زيد . هـــذه شهادة تكفينا منك

ســعيد : شهادة ؟

ابو بكـــر : اجل . انها لمن يقال له هى لك لا لمن يقول : هى لى . لقد لقيت من الكبد فى اقناع عمر بقبول العهـــد ما لم القه من احد

ســعيد : الويل لى من عمر اذا علم

عثمـــان : اتخافه كل هذا الخوف وهو ابن عمك ؟

ســعيد : ما كنت لاخافـــه لو لم يكن ابن عمى . اشهدوا يا قوم : انى ما رشـــحته ولا زكيته .

عـــلى : انى شهيد لك بذلك يا سعيد .

ســعيد : فانت حسبى يا ابن عم رســـول الله . جزيت الخير .

(يعود عبد الرحمن بن عوف ومعه الزبير وسعد وطلحة)

ابو بكـــر : مرحبا بالزبير حوارى رسول الله ومرحبا بسعد بن مالك اول رام رمى سهما فى سبيل الله ومرحبا بك يا طلحة يا واقى رسول الله يوم احد هلم سامحونى فيما بدر منى فى حقكم فقد ترون ما انا فيه ووالله ما قصدت الا خيرا .

الـــزبير : يا خليفة رسول الله بابىانت وامى الهذا بعثت الينا ؟

طلحـــة : والله يا ابا بكر انى لاحق بالاعتذار اليك فيما اسات ادبى معك

ابو بكـــر : سامحونى يا قوم .

ســـعد : قد سامحناك يا خليفة رســـول الله فسامحنا انت

ابو بكـــر : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم . يا سعد ويا طلحة ويا زبير انى لاعلم ان فى ابن الخطاب غلظة ولكن ذلك لانه يرانى رفيقا ولو افضى الامر اليـــه لترك كثيرا مما هو عليه .

طلحـــة : اتؤمن انت انه سيكون رفيقا اذا افضى الامر اليه ؟

ابو بكـــر : اى والله يا ابا محمد لقد رمقته فرايته اذا غضبت على الرجل فى الشيء ارانى الرضا عنهواذا لنت ارانىالشدة عليه .

طلحـة : اذن نتوكل على الله واستخلفه فوالله ليس فينـا من هو اتوى على هـذا الامر منه .

ابو بكـر : الحمـد لله اذ اطمان قلبى بمشـورتكم جزاكم الله خيرا . انصرفوا مشـكورين اذا شئتم وليبق عندى عثمان بن عفان (يخرج القوم واحدا بعد واحد وهم يسلمون على ابى بكر ويدعون له) .

عثمـان : (يرى ابا بكر يتوجع) انى لاراك تتوجع يا ابا بكر فهل ادعو لك اهلك .؟

ابو بكـر : لا يا عثمان لا تفعل ولكن هات قرطاسك وقلمك لأملى عليك كتاب العهد .

عثمـان : الساعة يا ابا بكر ؟

ابو بكـر : الساعة يا عثمان قبل الفوات (يسمع صوت المؤذن لصلاة العصر)

ابو بكـر انتظرنى قليلا يا عثمان حتى اودى صلاة العصر ، يكبر للصـلاة وهو جالس ثم يعتريه الضعف فيضـطجع حتى يتم صلاته وهو مضطجع) هلم يا عثمان .

عثمـان : (يدنو منه ويخرج قرطاسه وقلمه ودواته) امل يا خليفة رسول الله

ابو بكـر : (يملى وعثمان يكتب) ايكتب يا عثمان . بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهـد ابو بكر بن ابى قحافة فى آخر عهده بالدنيا خارجا منها وعنـد اول عهـده بالآخرة داخـلا فيها حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصـدق الكاذب انى استخلفت عليكم بعدى (تلحق ابا بكر غشية) .

عثمـان :- انى استخلفت عليكم بعدى ... امل يا ابا بكر . وى ! انه ذهب به ! لا حولَ ولا قوة الا بالله . (ينادى) يا اهل البيت يا اهل البيت هلموا الحقوا خليفة رسول الله (يخرج مسرعا قد جمع أوراقه) . (تدخل اسماء بنت عميس وام فروة)

ام فروة : (باكية) وا ابتاه !

اسماء : (تكم فمها بيدها) ويحكِ لا تبكى . انها هذه غشية لحقته .. ابغينى شيئا من الماء .

(تخرج ام فروة وتعود بقدح من المـاء فجعلت اسماء ترش منه على وجه ابى بكر) .

ابو بكـر : ايفيق من غشيته فيجلس بقوة كالمذعور) اين عثمان بن عفان ؟ اين خرج ؟ ادعو الى عثمان .

عثمـان : (صوته من فناء البيت) هاءنذا ياخليفة رسول الله

ابو بكـر : ادخل يا عثمان (تخرج اسماء وام فروة ويدخل عثمان) ماذا فعل كتاب العهد ؟

عثمـان : لا ترع يا ابا بكر فانى اكملته من عندى

ابو بكـر : كتبت اسم عمر بن الخطاب ؟

عثمـان : نعم

ابو بكـر : خشيت ان افتلتت نفسى فى غشيتى تلكَ ان يختلف الناس ؟

عثمـان : نعم

ابو بكـر : فاقرا على ما كتبت

عثمـان : انى استخلفت عليكم بعـدى عمـر ابن الخطاب فاسمعوا له واطيعوا وانى ام آل الله ورسـوله ودينه ونفسى واياكم خيرا ، فان عدل فذلك ظنى به وعلمى فيه ، وان بدل فلكل امرىء ما اكتسب من الاثم ، والخير اردت ولا اعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون والسلام عليكم ورحمة الله .

ابو بكـر : احسنت يا عثمان . خذ الخاتم فاختمه .

عثمـان : قد اخذت الخاتم فختمته يا ابا بكر (يعيد اليه الخاتم)

ابو بكـر : جزاك الله عن الاسـلام واهله خيرا . اخرج الى الناس ياعثمان فناد الصلاة جامعة فانى اريد ان اكلمهم من هـذه الكوة ثم ائتنى بعمر .

(يخرج عثمان) (تدخل اسماء)

بقية هذا المشهد فى العدد القادم

على احمد باكثير

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الإدارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
عمارة ... القاهرة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
وزارة الثقافة والإرشاد القومي

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٥٨ الخميس ١١ ذو الحجة ١٣٨٣ هـ - ٢٣ ابريل ١٩٦٤ م - السنة الحادية والعشرون

الفهرس

المؤتمر الذي شرعه الله

بقلم : أحمد حسن الزيات

بعد غروب الشمس من يوم أمس انفض المؤتمر الاسلامي الالهي الذي فرض الله شهوده على كل مسلم مرة في العمر ليؤلف القلوب في ذات الله ، ويؤاخي الشعوب في أصل الحق ، ويستعرض علائق الناس في كل عام فيوشجها بالاحسان ويوثقها بالتضامن وينضح من منابعه الاولى على على الآمال الذاوية فتنضر ، وعلى العزائم الخابية فتذكو ؛ ثم يجمع الشكاوى المختلفة من شفاه المنكوبين بالسياسة المادية والمدنية الآلية والمطامع الاستعمارية فيؤلف منها دعاء واحدا تجأر به النفوس المظلومة جؤارا تردده الصحراء والسماء

وما أحوج المسلمين اليوم الى شهود هذا المؤتمر ! لقد طالما حصرهم المستعمرون في أوطانهم المغصوبة ثم قطعوا بينهم الاسباب ، وحرموا عليهم التواصل وفصلوا حاضرهم من الماضي الملهم والمستقبل الواعد بطمس التاريخ وقتل اللغة واطفاء الدين فلم تبق لهم جمعة الا في موسم الحج .

***

ان الحج والزكاة هما الركنان الاجتماعيان من أركان الدين ، يقوم عليهما الأمر بين الفرد والفرد ،

وبين الفرد والجماعة ، كما يقوم على الثلاثة الأركان الأخرى الأمر بين المرء وربه وبين المرء وقلبه. فالزكاة تقيم نظام المجتمع على التعاطف والرحمة ؛ والحج يقيمها على التعارف والالفة . فيحقق الأول معنى الاخاء بنفي الفتوق ، ويحقق الآخر معنى المساواة بمحو الفروق . والاخاء والمساواة شعار الاسلام وقاعدة السلام وملاك الحرية ومعنى المدنية الحق وروح الديمقراطية الصحيحة .

كان الحج ولا يزال مطهر الدنيا ، ترحض عن جوهرها أوزار الشهوات أوضار المادة .

وكان الحج ولا يزال ينبوع السلامة ، تبرد عليه الأكباد الصادية ، وترفه لديه الأعصاب المرهقة ، وكان الحج ولا يزال مثابة الأمن ، تأنس فيه الروح الى موطن الالهام ، ويسكن الوجدان الى منشأ العقيدة ، وينبسط الشعور بذلك الاشراق الالهى في هذه الأرض السماوية . وكان الحج ولا يزال موعد المسلمين في أقطار الأرض على (عرفات) يتصافقون على الوداد ، ويتآلفون على البعاد ، ويقفون سواسية امام الله حاسرى الرءوس خاشعى النفوس ، يرفعون اليه دعوات واحدة ، في كلمات واحدة ، تصعد بها الأنفاس المضطرمة المؤمنة تصعد البخور من مجامر الطيب ، أو العطور من نوافح الروض ، هنالك يقف المسلمون في هذا الحشر الدنيوى حيث وقف صاحب الرسالة وحواريو النبوة وخلفاء الدعوة وأمراء العرب وملوك الاسلام وملايين الحجيج من مختلف الألوان والألسن ، فيمزجون الذكرى بالذكر ، ويصلون النظر بالفكر ، ويذكرون في هذه البقعة المحدودة ، وفي الساعة الموعودة ، كيف اتصلت هنا السماء بالأرض ، ونزل الدين على الدنيا ، وتجلى الله للانسان ، ونبتت من هذه الصحراء الجديبة جنات الشرق والغرب ، وثمرات العقل والقلب ، وبينات الهدى والسكينة !

ان في كل بقعة من بقاع الحجاز أثرا للفداء ورمزا للبطولة . فالحج اليها ايحاء بالعزة وحفز الى السمو وحث على التحرر وتذكير بالوحدة . هنا غار حراء مهبط الوحى ، وهنا دار الأرقم رمز التضحية ، وهنا جبل ثور منشأ المجد ، وهذا هو البيت الذى احتبى بفنائه أبو بكر وعمر وعلي وعمرو وسعد وخالد . وهذا الشعب وذاك مجر اذيال الغطاريف من بني هاشم وبني أمية ، وتلك هى البطحاء التى درج على رمالها قواد العالم وهداة الخليقة !

« ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » وشرط الاستطاعة قد بطل أكثره في هذا العهد لعموم الرخاء وحصول الامن . فأنت تستطيع بالمال اليسير وفي الزمن القصير ان تحج على الباخرة أو السيارة أو الطائرة دون ان تعرض حياتك للموت وثروتك للنهب وصحتك للمرض .

لقد كان الحج لرهقه الشديد وجهاده الجاهد يكاد يكون مقصورا على الطبقات الخشنة من الزراع والعمال . اما الناعمون المترفون من ذوى الراى وأصحاب الزعامة فما كانوا يقدمون عليه ولايفكرون فيه ، فظل جدواه على المسلمين ضئيلا لا يتعدى الحدود الخاصة من قضاء المناسك وأداء الزيارة . فماذا يمنع رؤساء العرب وزعماء المسلمين ان يتوافوا على ميعاد الله في أرض رسوله ليحققوا حكمة الحج بالتشاور في أمور دينهم وشئون دنياهم على النية الصادقة والرأى الجامع والغرض المشترك ؟

ان في حجهم البيت زمنا بعد زمن اعلاء لشأن الملة واغراء بأداء الفريضة وسعيا لجمع الكلمة وسبيلا الى عموم الوحدة . وان مقام ابراهيم الذى انبثق منه النور ، ونزل فيه الفرقان ، وانتظم عليه الشمل ، لا يزال منارا للأمة ومثارا للهمة ومشرق الأمل الباسم بالعصر الجديد والمستقبل السعيد

أحمد حسن الزيات

ألوان

*شاهدت على شاشة التلفزيون مسرحية (ياطالع الشجرة) فراقني الاخراج البارع والتمثيل الرائع والحوار المحكم والتعبير البليغ . ولكن المسرحية بقيت في ذات نفسها لغزا لا يحل ورمزا لا يدرك . ولقد تحامل النقاد على قرائحهم ليجعلوا من السراب شرابا ومن العبث جدا ومن الشتات وحدة ومن الشجرة والسحلية معنى فما استطاعوا . وسيظل موضوع المسرحية كمخبأ الزوجة بهية لا هو في السماء ولا في الأرض ، ولا هو من الحقيقة ولا من المجاز . حتى يفصح الحكيم عماعني ، ويكشف للناس عما كنى ، ان كان قد عنى شيئا أو كنى عن شيء . وأغلب الظن أنه سيبقى محتبيا في فناء برجه العاجي يقول في أوبده ، ما قاله أبو الطيب في قصائده .

انام ملء جفوني عن شواردها
ويسهر الخلق جراها ويختصم !

*وقف على جانب الطريق سائل يتكفف الناس وعلى سيماه دلائل الرقة والعفة فمال اليه عامر من ذوى الفضل واخذ يبحث في جيوبه عن شيء ينفحه به فلم يجد . وكان السائل لا يزال مادا يده اليه . فلم يملك المحسن الا أن مد يمناه الى يمناه وصافحه . فقال السائل وهو يبتسم : اشكرك ! هذه أيضا صدقة

*قال (ألفريد دي موسيه) : « سمعت وانا أجوب الوادى عصفورا يغنى في عشه . لقد ماتت فراخه في الليل ، وفي الفجر قام يشدو ويغنى ، فيا أيتها النفس المحزونة لا تبكى اذا فقدت كل شيء ، فالله حسبك وكافيك ! .. الله في السماء والأمل في الارض » .

نعم يا صديقي موسيه ! الله في السماء والأمل في الأرض ! وبين روح الله المؤاسى ، ومسدد الرجاء الآسى ، تندمل الجفون القريحة ، وتلتئم القلوب الجريحة ، وتنتعش الجدود العوائر ...

* وقف رجل حسن الشارة حلو الاشارة على المبرد فسأله عن مسألة فاحال ولحن وتسكع في الخطأ . فقال له المبرد : ياهذا ، أنصفنا من نفسك، اما أن تلبس على قدر كلامك ؛ واما أن تكلم على قدر لباسك ؛

ابن عبد الملك

أسلوب الزيات

للدكتورة عاتكة الخزرجي
أستاذة الأدب بجامعة بغداد

الاستاذ احمد حسن الزيات اديب كبير من ادباء العرب المعاصرين وامام ثبت ثقة من ائمة البيان فى لغة القرآن ، وان الفكر ليحار وان اللسان ليعجز ان اراد أن يحصي بعض ما للرجل من اياد غر على العربية وأهلها فى ميادين الادب والعلم والسياسة ومآثره فى هذه الميادين جميعا كثر ليس الى حصرها من سبيل .

فالرجل فى الادب امام من ائمة النثر الفنى وهو ذو مذهب أيسر ما يوصف به انه السهل الممتنع ، والقريب المحال ، والمطمع المعجز وناهيك بأسلوب هذه سماته وتلك ميزاته .

وانى لأرجو الا اكون مجانبة للحق ان لو قلت لك ان الزيات أوضح من الرافعى واسمح من العقاد واوجز من طه حسين على ان اسلوب الرجل يضم محاسن هؤلاء الثلاثة جميعا اعنى متانة الرافعى وعمق العقاد ودماثة طه حسين مضافا اليها سمته هو وسمت الزيات فى اسلوبه شيء فوق الاحاطة لأنه فوق الوصف وفوق البيان .. !

واننا لنرجو هنا — وحديثنا عن الاديب الكبير مرهون بدقائق — الا نخفق فى محاولتنا وصف اسلوبه ، هذا الاسلوب الذى حسبه من فخر أن يقال فيه انه اسلوب الزيات وكفى .. !

من حقك أن تسألنى بعد ذلك ما يكون هذا الاسلوب الذى وصفته لك اول ما وصفت بالسهل الممتنع والقريب المحال والمطمع المعجز والذى رفعته فوق الرافعى والعقاد وطه ، اساطين النثر فى ادبنا العربى المعاصر ؟

الحق ان اسلوب الزيات الادبى اسلوب فرد يتميز بطابعه الخاص الذى يرتفع به عن سواه من اساليب الادباء قدامى ومحدثين ، .وهو عندنا اسلوب جامع لاخص خصائص الشعر والنثر مما قلة من الشعر خياله المجنح وعواطفه الحادة ووشيه المنمنم وجرسه العذب فهو فى جوهره وشيه شعر لولا انه غير موزون وهو فى سمته وهيكله نثر

منتظم متسق بارع فى تظلمه واتساقه باهر فى فنه وانسجامه .. وهو نثر فنى بليغ ، فيه ادق سمات الفن واجل خصائص البلاغة ، واول ما يسترعى النظر فيه انما هو اعجازه الواضحووضوحه المعجز فى عمق مركز وتركيز عميق وهو بحق اعلى مثل وارفع صورة للسهل الممتنع ، القريب المتعذر ، ان هذا الاسلوب انما جاء ليحقق لنا فى البلاغة قول ابن المقفع المأثور :

« البلاغة هى التى اذا سمعها الجاهل ظن انه يحسن مثلها فاذا حاول عجز » .

واسلوب الزيات بالغ الاثر مبنى ومعنى فكما كان لجرسه فى مسمعيك صدى كذلك كان لمعانيه فى نفسك اصداء .. ولا عجب « فاذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا .. وكان صحيح الطبعمنزها عن الاختلال مصونا عن التكلف صنع فى القلب صنع الغيث فى التربة الكريمة » على نحو ما يقول لنا الجاحظ .

والزيات ممن هيئت له الاجادة بأسبابها واتفق له الاحسان بدواعيه، فواتاه طبعه وحسه ، واسعفه علمه وفكره ، وطاوعه بيانه وفنه ، فأخرج لنا هذا الادب الملهم الملهم ، وهذا النغم المسكر المطرب ، وهذا الفن المونق المعجب ، حتى انه حق لنا ان نقول فيه ما قال ابن الاثير بالبحترى من انه اراد ان يشعر فغنى .. !

انك لاندرى وانت تقرا الزيات من أين تؤخذ .. اهى براعة الكاتب فى انتقاء الفاظه ، ومواءمتها وموسيقيتها حتى لكأنه يعالج منهما فنا غالبا فى الجرس وحسن الايقاع ، ام هى عبقريته فى تصيد حسان المعانى وشوارد الاخيلة ودقائق الافكار وعرضها فى هذا الثوب الرائع فى الحلى المنمنم والوشى الجميل؟ام هو فنه المغلقالخفى الذى تبهرك آيه وتخفى عليك كوامنه واسراره ؟ ام هو مزيج بين هذا وتلك وذاك اسكر الحس واطرب النفس واعجب الاذن ؟ ونحن اذا آمنا بقول الزيات نفسه من ان « الاسلوب انما هو خلق مستمر : خلق الالفاظ بواسطة المعانى وخلق المعانى بواسطة الالفاظ وان الاسلوب انما هو مركب فنى من عناصر مختلفة يستمدها الفنان من ذهنه ومن نفسه ومن ذوقه » تكشف لنا بعد ذلك سر تجويد اديبنا الكبير فى اسلوبه وانفراده به بين ائمة النثر الفنى فى ادبنا العربى على توالى العصور اذ ان قدرة الزيات على المواءمة بين الالفاظ والمعانى والتفنن فيها جميعا قدرة لايختلف فيها اثنان ، هذا الى توقد فى ذهنه ورهافة فى نفسه ورفعة فى ذوقه قلما تواتى احدا او تتفق لاديب .

واني اضيف الى هذا كله إن السر الاكبر الذى يكمن وراءه اعجاز الزيات فى اسلوبه انما هو اصالته فالزيات يستقى من نبع ثر وورد صفو وماء عذب فيه رى للشاربين لانه يصدر عن ذات اعلى مايميزها الصدق واغلى ماتزدان به الايمان ، فليس الزيات الا اصيلا فى ادبه مؤمنا برسالته صادقا فى تاديتها على الصورة المثلى التى يجب ان تؤدى بها الرسالات العليا ولا تسل بعد ذلك عن ادب معينه الطبع لا التطبع وقوامه الصدق لا التصنع .. !

وانا لنقول فى اسلوب الزيات ماقال ابراهيم بن العباس الصولى الكاتب فى شعر العباس بن الاحنف :

« ما رايت كلاما محدثا اجزل فى رقة ، ولا اصعب فى سهولة ، ولا ابلغ فى ايجاز من شعر العباس .. »

وان سالتنى بعد ذلك عمن اشبه الزيات فى اسلوبه بين الادباء ، فاقول لك انه اعجزنى ان اجد له الشبه بين الناثرين جميعا قدامى ومحدثين وما اراني اخطاته بين الشعراء .! ولا تعجبن لهذا القول بعد اذ ذكرت لك اول الحديث ان اسلوب الزيات فى جوهره ووشيه شعر لولا انه غير موزون ، ولك ان تسألنى من بعد عن هذا الشاعر من يكون.. واراني اسرع لاقول لك انه صاحب « سلاسل الذهب » « الوليد » فى « حلب» ، انه الشاعر الذى « اراد ان يشعر فغنى » ، صفى المتوكل على الله ونجى علوة الحلبية ، ابو عبادة الوليد بن عبيد البحترى .. !

فكلا الرجلين ساحر الاسلوب يعنى بالجرس ويحفل بالموسيقى ، وكلاهما يشف عن طبع صاف وفن اصيل ، وكلاهما احتفيباللفظ وما اهمل المعنى ، ورترق الخيال وما ابعد عن الحقيقة ، وصدر عن الطبع وما جافى الفن .. واشد مايلتقى عنده الاديبان .. احتفاء كل منهما حفاوة بالغة بلون واحد من الوان البيان .. اريد به الطباق المرسل والمقابلة المستملحة واحسانهما فى ذلك احسانا مابعده لمستزيد زيادة .. احسانا يدفعك الى الدهش

والحيرة فما تدرى .. اهى الصنعة التى مابعدها صنعة ، ام هو الطبع المواتى الذى مابعده طبع .. !!

وليس احب الى نفسي من ان اختار لك من ادب الرجلين : الشاعر والناثر مايوقفك على هذا التشابه الذى اليه ذهبت ، والتوافق الذى اريد لك ان تقرني عليه .. ! هاك البحترى .. واستمع اليه مستمتعا بنمنمة وشيه ورقة جرسه وطروب موسيقاه واعجاز مقابلاته المعجبة المونقة .. ان سمعه بتسبب ثم يعقب :

يهون عليها ان ابيت متيما
اعالج شوقا فى الضمير مكتما
وقدجاوزت ارض العراق واصبحت
حمى وصلها منجاورت ابرق الحمى
بكت حرقة عند الفراق واردفت
سلوا نهى الاحشاء ان تتضرما
فلم يبق من معروفها غير طائف
يلم بنا وهنا اذا الركب هوما
يكاد وميض البرق عند اعتراضه
يضيء خيالا جاء منها مسلما
ولم انسها عند الوداع ونثرها
سوابق دمع اعجلت ان تنظما
خليلى كفا اللوم فى فيضي عبرة
ابى الوجد الا ان تفيض وتسجما
ولا تعجبا من فجعة البين اننى
وجدت الهوى طعمين شهدا وعلقما
واصيد ان نازعته اللحظ رده
كليلا وان راجعته القول جمجما
ثناه العدا عنى فاصبح معرضا
واوهمه الواشون حتى توهما
وقد كان سهلا واضحا فتوعرت
رباه وطلقا ضاحكا فتجهما
امتخذ عندى الاساءة محسن
ومنتقم منى امرؤ كان منعما
ومكتسب فى الملامة ماجد
يرى الحمد غنما والملامة مغرما
اعيذك ان اخشاك فى غير حادث
تبين او جرم اليك تقدما
الست الموالى فيك نظم قصائد
هى الانجم اقتادت مع الليل انجما
ولو اننى وقرت شعرى وقاره
واجللت مدحى فيك ان يتهضما

لاكبرت ان اومى اليك باصبع
تضرع او ادنى لمعذرة فما
ولكننى اعلى محلك ان ارى
مدلا واستحييك ان اتعظما

وليكن مسك حديثى اليك عن الزيات حديث الزيات نفسه اليك .. هاكه فى قصته « نورا » يسمعك البطلة تروى له ماساة قلبها .. استمع اليه واليها وقابل بعد ذلك بين ماقدمنا لك من ابيات ابى عبادة وبين ما ستتلوه عليك من نثر الزيات .. استمع اليه يقول على لسان البطلة :

« وبعد .. فقد سمعت الصدى ولم تسمع الصوت ، واحسست الوهيج ولم تمس النار وعرفت الجملة ولم تعرف التفصيل ، والحال كما ترى تشتد ولا تخف وتستحكم ولا تنفرج ، فهل عندك لغصتى مساغ ولأزمتى فرج » .

والزيات يقول فى موضع آخر من القصة نفسها :

« وانقسمت الاسرة بحكم الطباع والغرائز الى فريقين بينى وبين القنصل ، فريق الخير وفريق الشر ، او فريق النور وفريق النار ، او فريق المعنى وفريق الحس ، فالبنات وامهن فريق ، والبنون وابوهم فريق ، ففى غرفتى تجتمع نورا واختاها ومعهن الكتاب والبراءة ، وفى غرفة السيد بكير يجتمع الياس واخواه ومعهم الشراب والريبة »

ويقول الاديب الكبير فى صدر فصل من كتابه « الدفاع عن البلاغة » ما نصه :

« آفة الفن الكتابى ان يتعاطاه من لم يتهيأ له بطبعه ، ولم يستعن عليه بأداته ، واكثر المزاولين اليوم لصناعة القلم متطفلون عليها ، اغراهم بها رخص المداد وسهولة النشر واغضاء النقد فاقبلوا! يتملقون بها الشهرة او يزجون بها الفراغ او يطلبون من ورائها العيش وكل جهازهم لها ثقافة ضحلة وقريحة محلة ومحاكاة رقيعة ومن هنا شاع المتبذل وندر الحر ونفق الرخيص وكسد الغالى وكثر الكتاب وقلت الكتابة »

الا بورك بالاديب الكبير وبورك لنا بالمديد فى عمره ونفعنا الله بالمزيد من غرره .

الدكتورة عاتكة الخزرجي
كلية التربية
جامعة بغداد

مثقفون

للدكتور محمد أحمد خلف الله

- ٢ -

تحدثنا فى المقال السابق عن المثقفين ، وعن حقوقهم وواجباتهم ، وقلنا ان لهم من الحقوق بمقدار ماعليهم من الواجبات . وقلنا ايضا ان واجباتهم تكون نحو انفسهم ، ونحو الثقافة ،ونحو المجتمع الذى يعيشون فيه ، ويتفاعلون داخل محيطه . كما قلنا ان حقوقهم قد تكون قبل الحكومة كما تكون قبل الامة التى يعيشون فى كنفها ويستظلون بلوائها .

قلنا ذلك كله على اساس انه التمهيد لما نريد ان نقوله اليوم من بيان لما على المثقفين من واجبات .

وأول واجب هو واجبهم قبل أنفسهم . فالمثقف الحقيقى هو الذى يحترم نفسه ويخلص لثقافته ـ أى يخلص لما فى هذه الثقافة من قيم عقلية ، وقيم خلقية ، وقيم روحية .

ان الذى لايحترم نفسه ، ولايخلص لثقافته ، يكون دائما سلعة رخيصة فى ميدان العزة والكرامة انه يباع ويشرى ، مثله فى ذلك مثل السوائم سواء بسواء .

ان على المثقفين ان يحفظوا كرامتهم بين أيدى ارباب السلطان وذوى النفوذ والا هدموا انفسهم، وخانوا رسالتهم ، وحق للمجتمع أن ينبذهم . وللشعب الا يحترمهم .

***

وثانى الواجبات : هو واجبهم نحو الثقافة فالمثقف الحقيقى هو الذى يعمل على رفع الثقافة الى مستواها الحقيقى . مستواها الذى يجعلها قادرة على أن تقدم الحلول السليمة للمشكلات والأزمات التى تعانيها الأمة أو يعانيها المجتمع .

والثقافة لاترتفع الى هذا المستوى الا جد المثقفون فى طلبها ، وسعوا سعيا حثيثا لاستكمالها

والجد فى طلب الثقافة لايكون الا اذا كان هناك ايمان بالعقل الانسانى . ايمان بقدرته على اكتشاف المجهول والوصول الى الحقيقة . ايمان بقدرته على السيطرة على قوى الطبيعة يصرفها كيف يشاء . وبقدرته على قوى الانسان يهذبها ويوجهها نحو الخير والكمال ، وبقدرته على اقامة العلاقات الانسانية بين الامم المختلفة والشعوب المتباينة .

لقد تعودنا أن نخدع أنفسنا حين نشعر بمستوانا الثقافى المتخلف نخدعها بالالتجاء الى ماضينا المجيد فندعى أنا كنا أصحاب ثقافة ممتازة وحضارة عظيمة ، فاذا ماقيل لنا لسنا فى حاجة الى أن نعرف ابناء من انتم ؟ وانما نحن فى حاجة الى أن نعرف من انتم ؟ رحنا نخدع أنفسنا بوسيلة أخرى هى ان نضخم اعمالنا ، ونعظم من شان حاضرنا .

ان ذلك كله لن يجدى فى الصراع الحالى . الصراع القائم بيننا وبين خصومنا ، والصراع القائم بيننا وبين مشكلاتنا ـ مشكلات التخلف ـ مشكلات الجهل ، والفقر ، والمرض .

يجب ان نواجه الواقع فى جراة وشجاعة ، وان نبحث عن الحقيقة فى قوة واعتزاز .

ان الثقافة التى تحل لنا جميع مشكلاتنا هى التى تتمثل فى العقل المؤمن بذاته ، المدرك لامكانياته وطاقاته ، القادر على التغلب على الأوهام ، المنطلق الى الآفاق بحرية لايقيدها سلطان الا سلطان العقل نفسه .

والثقافة التى تحل لنا جميع مشكلاتنا هى التى تطرح قضايانا أمام العقل نفسه فى حرية . ليست بعدها حرية . أنها التى تطرح قضية الانسان فردا ومجموعا امام العقل . ثم تنتهى الى حلول قيمة تعالج بها مشكلات الانسانية جمعاء .

ويجب ان يدرك المثقفون أن ثقافة أية أمة ليست الا خلاصة سير المثقفين ، ونتاج اخلاصهم وتشوقهم لرؤية الحق ، ثم الاهتداء بالحق فى هذه الحياة مهما كلفهم ذلك من عناء .

يقول قائل : ان تبعة اكتساب الثقافة الحديثة

تقع في الدرجة الاولى على القلة من ابنـاء المجتمع التى احرزت هذه الثقافة ، وعرفت قدرها ، ونفذت الى جوهرها .

واول دليل على وجود هذه القلة واصالتها هو اخلاصها للقيم العقلية والروحيـة ، وتجنـدها للرسالة التى تحمل .

انك اذا رايت المثقفين يتهافتون على مصلحة ، او ينزعون الى ارضاء شهوة ، او يتنافسـون فى جاه او مركز احكم على ثقافتهم بالسطحية والتفـاهة واعلم فى يقين انهم لا من خدمة العقل ولا من حملة الثقافة .

ان الذين يصح أن يقـال عنهم انهم من المثقفين حقا هم أولئك الذين يخوضون معركة الحقيقةدون خوف أو وجـل حتى يخـرجوا منهـا ظافـرين منصورين . ثم هم أولئك الذين تتلخص فى سيرتهم مشكلات مجتمعهم ، ويقاس بسلوكهم رقى امتهم ومقدرتها على البقاء ، وقابليتها للاغتناء والاغناء .

ان أهم مايقاس به الانسـان المثقف أو المجتمع الراقى أو الحضارة الزاهية هو مقدار مايتضمن كل منها من قيم عقلية وخلقية وروحية .

ان هذه القيم هى لب الحيـاة البشرية وبهـا يمتاز الانسـان عن الحيوان . وبقوتها يصمد الفرد وتصمد الجماعة للأعاصير والنكبـات . وبتراكم هذه القيم تبنى الحضارة ويرتفع العمران . ومن هنا يجب على المثقفين أن يؤمنوا بأن الثقـافة هى التى تنشىء المجتمع . وان حاجـة المجتمعات الى الذخيرة العقلية والفكرية مثل حاجتها الى الذخيرة المادية ان لم تكن أقوى واشد .

يجـب على المثقفين أن يخلصوا للثقـافة ، وان يؤدوا ثمن هذا الاخلاص جدا ، وجهدا ، وتضحية .

***

وثالثهذه الواجبات : هوواجبهم نحوالمجتمع الذى يعيشون فيه . فالمثقف الحقيقى هـو الذى يعمل جاهـدا فى انهاض المجتمع وتوجيهه وهـذا يتطلب منه ان يعيش فى المشكلات التى يعـانيها المجتمع لتزيدمن ادراكها ، وقدرته علىتصويرها والمساهمة فى حلها .

ان مجتمعنا العربى يواجه مشكلات كبرى يجيئه بعضها من علاقاته بغيره من الامم ، ويجيئه البعض من علاقات دوله ، وحكوماته ، وشعوبه ، بعضـها بالبعض . ثم يجيئه البعض الاخير من المشـكلات الداخلية الصرفة التى تتمثل فى التخلف وفى علاقة افراد الدولة الواحدة وطبقاتها بعضـها بالبعض . وكل ذلك يتطلب من المثقف فهما وادراكا معينين. **يتطلب منه أن يكون مدركا لحقيقة المشكلة ، واعيا لمضمونها وابعادها ، حتىيستطيعان يعرفالشعب بمكامن الخطر ، وأن يوجهه الوجهة الصالحة .**

لقد ظلت الأمة العربية أزمنة متطاولة غارقة فى ظلماتالجهل ، والفقر ، والمرض ، والظلمالاجتماعى انها لم تتحرك لمحاربة هذه الاخطار الا بعد ان بدا العقل العربى يتنبه ويدرك كل هذه المشكلات .

لقد كان شعور الامة العربية بمشكلاتها شعورا انفعاليا ، وكان تاثير الأزمات فيها تأثيرا عاطفيـا . ومن هنا عجزت عن مجابهة الواقع فى ادراك سليم ـ عجزت عن تخفيف الحدة ومعالجة الأزمة .

ان الادراك السـليم هو الذى يكون عن عقلسليم وثقافة راقية ، والعقل السليم والثقافة الراقيـة همـا اللذان يؤديان الى الخلق والابداع . انهمـا اللذان يخلقان الحضارة فضلا عن تقـديم حـلول للمشـكلات .

يجب على المثقف ان يكون شاعرا بما يجيش به المجتمع من قوى ، ومايصطرع فيـه من ارادات . وان تتاثر نفسه الى الحـد الذى يجعله غير قادر على الهدوء والاستقرار الا اذا قدم حلا لمشكلة او رسم طريقا لمستقبل .

دكتور

محمد أحمد خلف الله

الإفصاح في لغة العرب

للدكتور عبد الرحمن عثمان

لا تزال الآداب العالمية فى الامم المتقدمة تستحدث الجديد فى وسائلها وغاياتها ، وتزيد من اطراف مملكتها الشامخة بفضل ما يكمن فى وجودها من حياة قوية ونشاط ذكى ، وهى فى استحداثها للجديد ، تخضع للمؤثرات الثقافية التى تتفاعل معها ، وتستجيب الى دوافعها استجابة حتمية قاهرة ، وبمثل هذه التاثيرات تتطور الآداب ، وتتسع آفاقها وتتنوع مذاهبها ، وربما يختفى اتجاه كان مقررا فى العرف الأدبى ، ويخلفه اتجاه آخر تتبناه النزعة الجديدة ، لأنه احق بالبقاء ، وامس بالرسالة الأدبية التى تمهد للحياة سبيلها ، وتفسر لها المعانى الرفيعة التى يمكن أن تفضى اليها هذه السبيل •

وعلى هذا الأساس الواضح يجىء التجديد فى الحقل الأدبى ، كسنة طبيعية من سنن الرقى فى التفكير ، والسمو فى العواطف الانسانية والنزعات الوجدانية ، فنشاة المذاهب والاتجاهات عندئذ تصبح ضرورة من الضرورات التى تحدث تلقائيا من تجاوب الضمير الأدبى مع الصعود فى عالم الأفكار والعواطف على السواء ، وقد يستتبع ذلك تغييرا فى الأهداف التى تنزع اليها الآداب نزولا على ما جد من أمان قومية فى مجال المجتمع الجديد ، ولعله يتناول كذلك اسلوب التعبير الأدبى بشىء من التحرير الذى لا ينبغى أن يصل الى مادة اللغة نفسها على أى حال ، لأن التجديد فى هذا الصدد نراه مقصورا على طرق « التصوير والصياغة » وهما يعتمدان على « المادة اللغوية » ، ولا يحيفان عليها بالمسخ والتشويه ، سواء أكان بالزيادة أو النقص ، فذلك خروج عن « التشكيل » الأدبى الى شىء آخر كما هو واضح •

ولأن ذلك هو الأصل فى كل تجديد حدث أو يحدث ، أشفقنا على فن النقد الأدبى أن يصير وسيلة من الوسائل الملتوية ينفذ منه المجددون الى حرم الأدب العربى كلما عن لهم ذلك ، مبشرين بدعوات ومذاهب يتزايد أمرها يوما اثر يوم ، وليس لها مايسندها من واقعنا الأدبى الا أنها رجع لدعوات أوربية تعتمد هناك على واقع أدبى لظلاله ومبرراته ، ولا تعتمد هنا الا على الدأب والمثابرة فى الاعلان عنها والترويج لها بشتى الوسائل والأساليب ولم نر دعوة لا ترتكز على واقع يمسكها ويشد ازرها بقيت ثابتة ، أو عرفت طريقها الى الأسماع والألباب •

ومن ثم فنحن واثقون ثقة لا يخالطها وهن من أن البقاء سيكون من حظ كل دعوة تجديدية ، تصل محاولاتها الحديثة بالقديم الثابت الذى ثبت على كثرة النظر فيه ، وبقى متجددا فى فتنته وسحره على تطاول الزمن وتعاقب العصور ، وكل تجديد يتنكب هذه الجادة ــ عن جهل أو عمد ــ مصيره الى التساقط والجفاف كما تساقط أوراق الخريف وتجف ، ثم تحملها الرياح الهوج الى منخفض من الأرض تدور فيه حول نفسها حتى تتحول الى شىء آخر لا نفع فيه لأحد •

واصطحاب القديم فى مسايرة الاتجاهات التى تجد فى المجتمعات الأدبية ، حذق فى التجديد ، وحصافة فى التقدير ، وسداد فى النظر ، لأنه بناء على بناء ، واعتداد بالماضى واحتفال بالحاضر جميعا ، وذلك ما يضيف الى التراث القديم المتماسك تراثا جديدا يزداد به تماسكا وصلابة ، فاما الذى يتنكر لقديمه جملة ، ويعرض عنه اعراض المستهزىء الساخر ، ليأتى بجديد من عنده أو من عند غيره ، فأمره فى ذلك لا يعدو ما حدث للغراب مع الطاووس لأنه اذا استطاع نسيان ما درج عليه ، فنسيانه لما تكلفه سيكون أسرع وأقوى •

يقول « فولتير » فى كتابه « دراسة فى الشعر الملحمى » :

« انك تحس عند ألمع الكتاب المحدثين ، طابع وطنهم فى محاكاتهم للقديم ، فقد استوت أزهارهم وفاكهتهم ، ونضجت تحت شمس واحدة ، ولكنهم يستمدون من التربة التى غذتهم بالاذواق ، والالوان ، والصور المختلفة ، انك لتعرف الايطالى ، والفرنسى ، والانجليزى والاسبانى ، من أسلوبه ، كما تعرفه بملامح وجهه ، ونطقه ، وخلاله » •

وقد فطن الشاعر أبو العتاهية الى تجاوب الاديب مع بيئته ، فقد روى عن ابنه محمد قال : انشدت أبى

شيئا من شعرى ، فقال لى : اخرج الى الشام ، قلت: لم ؟ قال لأنك لست من شعراء العراق ، أنت ثقيل الظل ، مظلم الهواء ، جامد النسيم » .

وكنت متلفتا الى قول فولتير والى فطنة أبى العتاهية وصدق حسه، حينما كتبت المقالين السالفين فى مجلة الرسالة ، وكان أولهما يشير الى أنه « لا رمزية ولا غموض فى الادب العربى » ، وقررت فى الثانى بعض « الانحرافات فى النقد الحديث » ، وكنت قد زعمت فيهما أن الافصاح عن الفكرة العميقة منهج واضح من مناهج اللغة العربية فى ادبها الذى نعرف لها من العصر الجاهلى حتى هذا العصر .

والشىء الذى لا يمكن أن يمتد اليه طموح المجددين، هو تلك الميزة التى لا تفارق اللغة وبيانها، وذلك هو الافصاح الكاشف لكل ما يختبىء فى الفكرة من دقيق المعانى وخفيها ، اذ لا سبيل الى أن يتولى أدب الغموض شيئا من ذلك لأنه يعتمد غالبا على الاحالة فى البيان على أشياء مجهولة تحتاج هى نفسها الى شرح وافصاح ، والدقيق الخفى ـ كما هو معلوم ـ لا يفسره غموض أو خفاء .

ولا أظن قارئا يكلفنى مشقة الاعتذار عن عنف الاسلوب فى عبارة وردت لأديب كبير كان يكتب لغير عصرنا ، والعجيب أن هذا العالم كأنما كان يعنى عصرنا بعبارته اللاذعة، فعنى كتاب «الصناعتين» يقول أبو هلال العسكرى ما نصه :

« وقد غلب الجهل على قوم ، فصاروا يستجيدون الكلام اذا لم يقفوا على معناه الا بكد ، ويستفصحونه اذا وجدوا ألفاظه كزة غليظة ، وجاسية غريبة ، ويستحقرون الكلام اذا رأوه سلسا عذبا ، وسهلا حلوا ، ولم يعلموا ان السهل أمنع جانبا وأعز مطلبا ، وهو أحسن موقعا وأعذب مستمعا » .

فالافصاح ، والبيان ، والكشف عن دقيق المعانى بعيدة كل البعد عن محاولات التجديد فى الأدب العربى مهما كانت الدوافع الى ذلك ، لأنه الطابع المميز للمادة اللغوية ، والنواة التى تتجمع حولها تلك المادة لتكون الخلية الحية التى يتشكل منها الكيان اللغوى المتماثل ، والتصوير الأدبى كما قدمنا لا ينفذ الى جوهر الخلية ليعيد تشكيلها من جديد ، وانما تقتصر مهمته على هيج الحياة فى الخلايا مجتمعة بحيث يؤلف منها عملا فنيا متناسق البناء ، متوازن الحواس .

واللغة العربية من أدق اللغات وأبرعها فى استخدام كل ما يحرك النفس ويهيج الخاطر ، ولها فى الايحاء المفصح مسالك يدركها من درس أسلوبها البلاغى ، ومن حقق اشاراتها الجهيرة فى باب الكناية ، فان منها : التعريض ، والتلويح ، والايماء ، والرمز .

ولكى نقرر هنا أن الافصاح روح اللغة وجوهرها مهما دق المعنى أو بعد ، فاننا سنقصر الحديث فى ذلك على الشعر الجاهلى وحده ، فلعل هذا الصنيع يضاعف من قوة الحجة ، ويؤكد من أثر الاقتناع ، لأننى اقصد الى أن يقتنع القارىء بالدليل والبرهان دون التفات الى ما سواهما مما يتسع فيه القول ، وتتشعب فيه الآراء :

ولنبدأ بالشاعر الشاب طرفة بن العبد ، لنعرض فلسفته فى معلقته المشهورة التى مطلعها :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد
تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد

حتى نرى كيف اتجاه طبعه العربى الى الافصاح عن تأملاته وارتيابه ؟ ، وكنت قد أشرت فى مقالى المنشور فى العدد (١٠٤٩) من الرسالة الى أن الدكتور « جستاف لوبون » قد مجد الشعر الجاهلى فى كتابه : « حضارة العرب » ، واتخذ من تأملات الشاعر طرفه فى الحياة والموت مثالا يقف عنده الفلاسفة والمرتابون وقوف الذى لا يجد شيئا ذا بال يضيفه الى تأملات طرفه .

واذن فالفكرة عند الشاعر الشاب كانت عميقة عمقا وقف عنده أحد الناس فكرا، وانفذهم خاطرا من محدثى الفلاسفة والمرتابين ومتقدميهم على السواء ، ولكن الذى نريد تجليته هو : سبيله الى الابانة عن الفكرة ، وافصاحه عن الملاحظة التى بلغ فيها الغاية ، فهل وقع له ذلك على طريقة المعاناة فى التعبير عما فى وجدانه ، فجاء لفظه غامضا أو رامزا الى فضل من المعنى عجز الأسلوب عن أدائه ؟ ، أم أن وضوح الأفكار فى مشاعره قد أشاع فى شعره وضوحا مماثلا ؟ ، وستعرف أن هذا التساؤل

يا طالع الشجرة لتوفيق الحكيم
أو مذهب اللامعقول

بقلم : علي متولي صالح

ما هذا المذهب الجديد الذى بدأ يغزو ميــادين الادب والفن عندنا ويزحف اليها بعــد أن غزاها ــ منذ السنوات العشرين من هذا القرن ــ فى البلاد الاوروبية ؟

وهل هو حقا ــ كما يبدو من اسمه ــ لا يتفق مع العقل والمنطق ، ولا يخرج منه الانسان ــ ذو العقل السليم ــ الا بصورة فاسدة وفكرة شوهاء لا تثبت على التحليل والتمحيص ؟

ولكى نجيب عن هذين السؤالين يجب أن نعرف أولا الاساس الذى يقوم عليه المذهب ، والنظرة التى ينظر الى الاشياء من خلالها ، والمقياس الذى يقاس به الامور ..

انه ــ فى بساطة وبعد عن التعقيد والغموض ــ يطرح جانبــا الصور الظــاهرة فى الانسان وفى الاشياء ، ويغوص متعمقا الى بواطنها التى لا تراها العيون ولكن تدركها العقول والاذهان .. انه ــ مثلا ــ يترك ما يقوله لسانك من كلمــات وينفذ الى قلبك ليرى ما يقــوله وما ينبض به من عاطفة فى نفس اللحظة التى تجرى فيها تلك الكلمات على لسانك !

ألا ترى أنه قد يحدث كثيرا ــ بل كثيرا جدا ــ أن تسترسل فى الحديث مع انســـان ما ، وقلبك وذهنك فى نفس الوقت مشغولان بموضوع آخر غير موضوع الحديث الدائر بينك وبين ذلك الانسان ؟ وأين تكون حقيقتك بين هذين ؟ أهى لسانك الناطق بكلام ــ أى كلام ! ــ لا يتصل بنفسك أو بشعورك ؟

لا موضع له حين نسمع الشاعر ينشدنا قوله :

وما زال تشرابى الخمـــور ، ولذتى
وبيعـــى وانفاقى : طـريفى ومتلدى
الى ان تحـامتنى العشـــيرة كلهـــا
وافردت افراد البعـــير المعبـــد
رأيت بنى غبـــراء لا ينكـروننى
ولا اهل هــذاك الطراف الممدد
الا ايهــذا اللائمى احضر الوغى
وان اشهد اللذات هل انت مخلدى ؟
فان كنت لا تستطيع دفــع منيتى
فدعنى ابادرهـــا بمـــا ملكت يــدى

ثم مضى فى الاســـتهانة بالحياة ، مؤكدا انه لا يرهب الموت لولا ماله من آمال ثلاثة تحدث عنها ، ولكنه عطف الحديث مرة ثانية الى ما كان قد بدا فيه ، فقال :

كريم يرى نفســه فى حيـــاته
ستعلم ان متنا غـــدا : اينا الصدى
ارى قبـــر نحــام بخيـــل بمــاله
كقبر غوى فى البطــالة مفســـد
ترى جثـــوتين من تراب عليهمــــا
صفائح صــم من صــفيح منضــد
ارى الموت يعتـام الـكرام ، ويصطفى
عقيـلة مــال الفــاحش المتشــدد

ارى العيش كنزا ناقصـــا كل ليلة
وما تنقص الايام ، والدهـــر ينفد
لعمـــرك ان المـوت ما اخطــا الفتى
لــكا لطول المرخى ، وثنيــاه باليد

ثم يطرد الشاعر على مثل هذا النسق الفصيح فى الترجمة عن فلســفته الدقيقة ، والاعراب عن تأملاته العميقة حتى يقول :

لعمــرك ، مـــا امــرى على بغمـــة
نهـــارى ، ولا ليــل على بسرمد

فاذا تخيل من السامعين تأبيا عن الأخذ بمـــا يراه من أضـــاليل العيش وخدع الحيـــاة ، ألقى بما يشبه كلام النبوة :

ســـتبدى لك الأيام ما كنت جاهـلا
ويأتيك بالأخبـــار من لم تزود
ويأتيك بالأخبـــار ، من لم تبـــع له
بتاتا ، ولم تضرب له وقت موعـــد

وبعد ، فهذا نهج من الافصاح العربى لم يند عن أسلوبه الممتنع السهل جزء من فكرة الا استدعاها اليه ، ولم تشرد منه ومضة من خاطرة الا لتنعطف نحوه ؛ فليس هنـــاك فضل من معنى ضـــاق به الأسلوب ، ولا غموض فى العبارة تراءت من خلاله أشباح المعانى والافكار .

وحسبنا هذا ، حتى نلتقى بعنترة وزهير فى مقال قريب .

دكتور . عبد الرحمن عثمان

أم هي قلبك الخافق المملوء بموضوع آخر لا يدركه المتحدث معك ؟ أأنت اللسان أم الجنان ؟ ..

تلك هي احدى الدعامتين الكبيرتين اللتين يقـوم عليهما ذلك المذهب في جملته ، أما الدعامة الاخرى فهـو أنه لا ينظر الى الأثر الفني على أنه اجزاء أو جزيئات يمكن تحليلها واحدة واحدة ويجب أن تتمشى كل واحدة منها - على حدة - مع المنطق والعقـل والقياس حتى يمكن أن تؤدى في جملتها الى صورة يرضى عنها ذلك المنطق والعقل والقياس ..

انه ينظر الى الاثر الذى يتركه العمـل الفني في النفس ، فان كان الاثر الفني كلاما مثلا ، فقد يكون هذا الكلام - أو بعضه - غير مفهـوم ، وليس له معنى يطمئن اليه العقل ؛ ولكن « شيئا خفيا » في هذا الكلام يستطيع أن يقوم بنفسه دون حاجة الى معنى أو منطق ..

ويقول توفيق الحكيم في هذا ان « هذا المنفذ الذى انفتح على عالم عجيب جديد : هو الفن الحديث . فقد اتجه هذا الفن الحديث الى تعميق منطقة هـذا الشيء الخفي وكانت وسيلته التجرد أولا من المعنى والمنطق ، فأصبح التصوير مجرد بقع لونية ، والنحت بقع كتلية ، والموسيقى بقع صوتية ، والشعر بقع لفظية » .

ويقول انه « اذا كانت السمة الظاهرة في الفن الحديث من تصـوير ونحت ومسرح ... الخ هي التعبير عن الواقع بغير الواقع والاتجاه الى اللامعقول واللامنطقى في كل تعبير فنى .. وابتداع التجريد في الوصول الى ايقاعات ومؤثرات جـديدة فان كل ذلك قـد عرفه فناننا القـديم والشعبي على أرض بلادنا منذ القدم .

واذا كان « بيكاسو » في تجريده وبعـده عن واقعية الاسلوب قد صور الوجه الجانبي «البروفيل» والوجه الامامي معـا وفي وقت واحد ، فقد صنع الفنان المصرى القديم عندما صـور الوجه الجانبي للرأس فوق الصدر الامامي للجسم .

واذا كان المذهب التكعيبي في التصوير الحديث اراد بتجريداته الهندسـية أن يصل الى أشـكال وايقاعات جديدة ، فان فن الزخرفة عندنا في المساجد والمباني والاواني قد عرف من قديم هذه التجريدات الهندسية للمربعات والمكعبات ووصل بها الى ايقاعات هندسية .

فاذا انتقلنا الى التصوير الشعبي المصرى وجدنا العجب ، ويكفى أن ننظر الى تلك الصور المرسومة على حيطان الحجاج أو على صفحـات كتاب « ألف ليلة وليلة » ، أو على لوحات الورق التى تمثل مبارزات أبي زيد الهلالي سـلامة والزناتي خليفة وغيرهما من أبطال الاساطير الشعبية .. ومنها صورة لفارس من أولئك الفرسان الشعبيين وهو يضرب بسيفه رأس خصمه فاذا السيف قد شق الرأس والجسم معا ، واذا الصورة تمثـل الخصم مشقوق الجسم وهو لم يزل في مكانه فوق حصانه وكأنه لم يدرك بعـد ما أصابه ! ... وتلك الصورة نفسها قد عبر عنها بالكلام الاديب الشعبي في مثل هذا الموقف وقـد ضرب فارس من فرسان الاسـاطير الشعبية ضربة سيف شطر بهـا عدوه من منتصفه وظل العدو على فرسه لم يفطن الى اصابته بل قال ساخرا للفارس الضـارب « لقد طاشت منـك الضربة ! » فأجابه الفارس بقوله « اهتز ياملعون » فلما اهتز بجسمه انشطر الجسم نصفين ووقع على الارض ! ... هذه الصورة غير الواقعية قصد بها قصدا أن تكون هكذا لان الفنان الشعبي في بلادنا قد أدرك بالسليقة هذه المنطقة الفنية العميقة من مناطق التعبير الفنى .. »

فانت ترى أن مذهب « اللامعقول » هذا يعتمد على المضمون لا على الشكل ، وعلى الكل لا على الجزء ، وعلى الحركة الداخليـة للفـكر والنفس أكثر من اعتماده على الحركة الخارجية للمواقف والانفعالات، وانه بهذا الاتجاه يضيف الى عالم الجمال الذى نعهده ونعرفه ... يضيف اليه دنيا جديدة وعالما جديدا مجهولا موحشا في أول الامر ، ولكننا بعد قليـل سنظفر منه بثروة كبيرة وبآفاق جديدة ، نرى فيها حقائق النفس البشرية رؤيا صادقة لا تزييف فيهـا ولا بهتان ولا مخادعة ولا نفاق ، نرى فيهـا الحق خالصا صافيا لا يشوبه زور أو ضباب ..

فهل هذا هو « اللامعقول » أو هو المعقول » حقا وصدقا ؟

... ونريد بعد هذا البيـان الوجيز عن ذلك المذهب الوليد أن نلمح أصابعه في مسرحية « ياطالع الشجرة » التي ألفهـا توفيق الحكيم تطبيقا لهذا المذهب وتبيـانا له ، ولنلخصهـا أولا في أن رجال الشرطة قد تلقوا « بلاغا » بأن زوجة الرجل الضبع الذى يدعى « بهادر أفندى » والذى كان يعمل مفتشا في السكة الحديدية ، وأحيل على التقاعد منذ خمس

سنوات ، اختفت منذ ثلاثة أيام وكانت قد خرجت من المنزل لشراء حاجة لها لمدة نصف ساعة .

ويهتم رجال الشرطة بالامر ويوفدون محققا الى المنزل ، ويأخذ المحقق في سؤال الخادم التي تقرر أنها لا تعرف من الامر شيئا ، ثم يأخذ في سؤال الزوج — المشغول دائما بأمر شجرة في حديقة المنزل — فيقرر أنه لايعرف من أمر اختفاء الزوجة شيئا .. ويضيق المحقق عليه الخناق وتطول المناقشة بينهما ويفسر المحقق كلام الزوج على أنه يشير الى الزوجة ويريد أن يستخلص منه أسبابا للاتهام ، والحقيقة أن كل كلامه يشير الى الشجرة المشغول بهـا والى (سحلية) بجانب تلك الشجرة انعقدت بينه وبينها مودة من طول الالف والصحبة .. فالمحقق يتكلم عما يشغل عقله الباطن وهو التحقيق والرغبة الجامحة في الوصول الى أسباب للاتهام ، والزوج يتكلم هو الآخر عمـا يشـغل عقله البـاطن وهو الشجرة والسحلية ! .. ولم يدرك المحقق أن الزوج لايعني بكلامه الزوجة ممـا أدى الى اتهـام الزوج البريء والزج به في السجن !

وتحضر الزوجة المختفيـة وهي امرأة طاعنة في السن يشغل بالها هي الاخرى شاغل لا يبرح نفسها لحظة واحدة ، فهي قد كانت متزوجة من زوج سابق لزوجها الحالي وحملت منه واحست أنها ستضع بنتا وأطلقت عليها بالفعل اسم (بهية) قبل أن تلدها ولكن زوجها اجبرها على أن تسقط هذا الجنين وهي في الشهر الرابع فامتلأت نفسها بهذا الحادث وصار يتمثل لها في كل كلمة وكل لحظة وكل شيء ...

ويدور حديث طويل بينها وبين زوجهـا ولكنه حديث عجب ! فهو اذ يتكلم فانما يكون كل كلامه عن الشجرة والسحلية ، وهي اذ تتكلم فانما يكون كل كلامهـا عن طفلتهـا التي أسقطتها من بطنها وافقدتها الحيـاة ، ولا يدري كل منهما أن صاحبه لا يعنيه بما يقول وانما يعني نفسه ! ...

ويلتقي الزوج بأحد « الدراويش » فيخبره فانه يوما سيقتل زوجته فلا يؤمن الزوج بكلامه ولا يلقي اليه باله ، ولكن الزوج عند مايناقش زوجته في أسباب غيابها هذه الايام الثلاثة فلا يظفر منها بجواب شاف ، ويفترض لها كل الافتراضات والاحتمـالات فتنفيها جميعا ولا تحاول التعلق بواحد منها ، فتنهار أعصاب الرجل ويقبض على عنقها قبضة خانقة تنتهي بها حياتها ، وتتحقق بذلك نبوءة الدرويش التي أنكرها الزوج من قبل ولم يؤمن بها .

ذلك منحى «مقصود» جدا للمسرحية ، وهو ليس يمجد كثيرا في بيان مظاهر «اللامعقول» فيها ، ولكن المتأمل في بعض مواقفها يرى ذلك رؤيه واضحة :

فالزوج والزوجه يسمعان الموسيقى ، فيحسبها الزوج صفير القطار الذي قضى حياته متصـلا به ، وتحسبها هي موسيقى (السبوع) الذي كان سيقام لابنتها بعد ان تولد ! وهذا هو الحقيقة التي يعيش فيها كل منهما وتستغرق كل أحاسيسه .

والمحقق والزوج يدور بينهما حوار طويل . هذا يتحدث عن « الزوجة » التي يريد جاهدا اثبات تهمة اختفائها والوصول الى نتيجة حاسمة في التحقيق الذي يجريه .. وذاك يتحدث عن (الشجرة) وعن (السحليه) اللتين يمتلكان عليه كل امره ويملآن كل نفسه لانه لايكاد يرى غيرهما الآن في الحياة .

ومفتش السكة الحديدية ومساعده يجري بينهما أيضا نقاش غير قصير .. والاول يتكلم عن (الشجرات) التي يحلم بامتلاكها ويغني لها بقوله (ياطالع البمرة هات لي معاك شجرة) محرفا بذلك الاغنيـة التي يعرفها الاطفال !

وهكذا .. وهكذا نجد كل شخص من أشـخاص المسرحية يعيش في عالمه الباطني الخاص به ويصدر كل مايقوله من أقوال عن هذا العالم الباطني فيحسبه السامع اختلاطا وما هو باختلاط .

بل ان هذا الذي يحسبونه (اختـلاطا) هو الذي أدى في النهاية الى جلاء الحقيقـة سافرة واضحـة لايشوبها لبس او غموض .

ولقد أخرج هذه المسرحية ذلك المسرح الوليد الذي اثبت جدارة فائقة وصار في زمن وجيز « عملاقا » وتخطى — في طفرة واحدة — مراحل الطفولة واليفاعة والشباب .. واعني به «مسرح الجيب» الذي جلبه — مشكورا — الاستاذ سعد أردش فخـدم به الفن عندنا خدمة جليلة جدا .. وقام هو باخراجها فبهر الناس بهذا الاخراج الدقيق المعبر الصادق ووضعها في اطار يشد الناس اليها شدا ، وكان في كل دقائق المسرحية موفقا اقصى توفيق .

وبعد : فان لنا الى وزارة الثقافة والارشاد رجاء نرجو أن تحققه وهو أن تعمل جاهدة غير وانية على تعميم هذا النوع من المسارح التي اطلق عليها اسم «مسرح الجيب» فانه مسرح عصرنا هذا الذي يتسم في كل مظاهره بالتركيز والسرعة والاقتصاد في الزمن .

علي متولي صلاح

شاعر يحج

بقلم : محمد ابراهيم الجيوشي

ابو عبد الله الحداد شاعر مولع بالجمال ، كلف باتباعه ، نمته ارض الاندلس الشاعرة ، والهمته طبيعتها الساحرة ، فانطلق يغرد للجمال ويشدو به ، ويوقع على قيثاره الحان الهوى واغاريد الشباب .

شهدت له الاندلس بالرقة والعذوبة ، وعرفته انديتها بالشاعر المبدع . وقد اشتاقت نفسه أن ترتوى من الجمال الروحى ، وتنهل من ينبوع الهدى ، فاشتد به الحنين الى مهبط الوحى ولج به الشوق الى مدينة الرسول ، فعقد العزم على ان يطفىء غليل الشوق برؤية البقاع المطهرة . فى أرض الله ورحاب نبيه .

وبدا رحلة بعيدة المدى من مغرب الارض الى مشرقهـا . واجتاز العدوة مارا بأرض المغرب الى مصر ، مخترقا صعيدها ليركب البحر من عيذاب ، وكانت النفس التى اقبلت على منابع الجمال عللا بعد نهل فى ارض الاندلس قد حرمت هـذه المنابع فى خلال تلك الرحلة الشاقة ، وكأنما كانت مدة اجتياز الصحراء الى شاطىء النيل قد اتت على ماتى خفايا النفس من بقايا هذه الربوع الجميلة واطياف جبالها المتوجة بالثلوج المؤزرة بعميم النبت .

فعاودت النفس الشاعرة حنينها الى الجمال ومرآه ، وتطلعت الى الافق الجديد تنشق عطره ورياه، وكأنما كانت الضفاف الخضر من وادى النيل هاتفا ملحـا فى البحث عن مجالى الحسن والوانه .

وما كاد يلقى رحاله فى رحاب بعض الاديار المنبثة فى صعيد مصر يستريح من ظلاله ، ويأوى الى ظل من الراحة بعد ما انهكه طول السرى ، واضناه وقد الهجير ، حتى وقعت عينه على احدى فتيات الدير، فهامت نفسه فتونا بمحياها الجميل ، وملك مرآها لبه ، وتدفقت فى جوانحه مشـاعر الجمال تدفق النبع وجد منفذا بعد ما طال احتباسـه ، فازمع الاقامة ، ودار يقفو ، خطو .. نويره ، وتد خالها من بنات الحور ، فقنع بها عن حور الجنان ، ونسى رحلته وحجه ، وانطلق لسانه يهتف بالجمال كما كان يهتف به فى وديان الاندلس وشعا به .

ورات جفـوني من « نويرة » كاسـها
نارا تضـل وكـل نار ترشـد
والماء انت ، ولا يصـح اقـابض
والنـار انت وفى الحشـا تتوقد

ولما طالت اتابته ، ورات متابعته لها ، واقتفاءه خطوها ، استرعى اتباعها ، وشغل امره بالها ، نعطفت عليه ، تتعرف حاله ، وتكشـف عما يكنه نؤاده ، نقص عليها قصته ، وبثها جوى ذابه وهواه، فنفرت منه نفور الظبية من صائدها ، وخلفته بين الاسي والوجد ، حتى سالت عبراته وتعالت آهاته ؛ وتعللت نفسه بهذا الحديث المقتضب ، وظل يعيد فى ذكراه ويبدى .

حديثك ما احلى فزيدى وحدثى
عن الرشا الفرد الجمال المثلث
ولا تسا من ذكراه فالذكر مؤنسي
وان بعث الاشواق فى كل مبعث
احقا وقـد صرحت مابى انه
تبسـم كاللاهى بنـا المتعبث
واقسم بالانجيـل : انى لكاذب
وناهيك دمعى من محق ومحنث

وهام على وجهه يسال الفجاج عن خطواتهـا ، ويرقب كل غاد ورائح عساه يظفر برؤيتها ، حتى لقيها يوما فى جماعة من صواحبها ، فعادت انفسه نضرتها بعد الذبول ، واشرق فى وجهه نور الامل بعد ظلمة اليأس ، ودنا منها دنو الظامىء من ورده ، والذيب من منتـذه ، ولكنها اشـاحت بوجهها عن وجهه ، وامسكت لسـانها عن حديثه ، تزداد به وقدة الشوق ، ولج بفؤاده الهوى المستعر ، وجرى لسـانه بهذه الشكوى الضـارعة وذلك الرجاء الذليل .

وبين المسيحيات لى سـامريه
بعيد على الصب الحنيفى ان تدنو
مثلثة قد وحـد الله حسـنها
فثنى من قلبى بها الوجد والحزن
قطى الخمار الجون حسن كانما
تجمع فيه البدر والليل والدجن
وفى معقد الزنار ــ عقد صبابتى
فمن تحته دعص ومن فوقه غصن

ولكنها تحاشت لقاءه وابتعدت عن طريقه ، واحتجبت داخل ديرها ، وهو قائم لا يريم ، منتظر لا يمل ، يرقب غدوها مع الشروق ، ويتحين اوبتها عند الغروب ، حتى طال به المدى ، وناء صبره مما يعاني ، فزادت وساوسه ، وعظمت همومه .

وفي يوم عيد من اعياد النصارى ، خرج العذارى فيه يخطرن كاطياف المنى ، ويحيين الربيع بوجوده انضر من وروده ، وغناء اعذب من شدو طيوره ، فلمحها بين اترابها وكأنهن صف من الملائكة ، يعزفن على قيثارة السماء ويغنين الحان الخلود . وكما تندفع الكرة الى المحور الجاذبية وجد نفسه بينهن غير مبال بالعواقب ، ولا خائف لوم اللوام . او عذل العاذلين ، ودنا منها يسألها أن تخفف من عنائه ، وتطفىء لاعج الشوق بفؤاده فلا تمعن في احتجابها ولا تتمادى في صدها . يستحلفها بحق عيسى .

عساك بحق عيساك
مريحة قلبي الشاكي
فان الحسن قد ولاك
احيائي .. واهلاكي
واولعني بصلبان
ورهبان ونساك
ولم آت الكنائس عن
هوى فيهن لولاك
فهل تدرين ما تقضي
على عيني عيناك ؟
وما يذكيه من نار
بقلبي نورك الذاكي
حجبت سناك عن بصري
وفوق الشمس سيماك
وفي الغصن الرطيب وفي
النقا المرتج عطفاك
وعند الروض خداك
وفي رياه رياك
« نويرة » ان قليت فانني
اهواك اهواك

وبعد . فهذه رحلة ابي عبد الله بن الحداد الشاعر الاندلسي الرقيق الى الحج ، لوى عنانه عنها اسر الجمال ، وجنح به الهوى عن سعيه الذي خرج اليه .

رحم الله ابن الحداد وغفر له ، فقد جرى على سنن الشعراء الغزليين من قبله ، ناحيا سنة ابن ابي ربيعة ، وابي نواس .

محمد ابراهيم الجيوشي

النفسية اليهودية

بقلم : عبد الحميد ابراهيم محمد

ذكرت في مقال سابق نشر بالرسالة (٦/٢/١٩٦٤) أن مفتاح نفسية اليهود ، يتلخص في جملة واحدة وهي « الاحساس بالهوان » .

وبينت أن هذه الجملة اشبه بالقوانين العلمية ، التي تجمع على صحتها حوادث التاريخ ، وتصدقها الكتب التي تمجد اليهود ، والكتب التي تتحدث عن اليهود .

وبقي أن نلتمس صدق هذا من كتب اليهود وفي مقدمتها التوراة .

فالتوراة كتاب اليهود المقدس ، الذي يمجد سيرتهم ، ويذكر أنواع المحاباة التي يحابي بها الاله بني اسرائيل شعبه المختار ـ تستطيع أن تشتم فيه تلك الصفات الخالدة ، وتقدر أن تلمح بين سطوره خطوط تلك الشخصية والاحساس بالهوان مفتاح نفسية اليهود يكشف عنه سفر الخروج في تلك العبارة « فكلم موسى هكذا بني اسرائيل ولكن لم يسمعوا لموسى **من صغر النفس ومن العبودية القاسية** » (اصحاح /٦) .

ان طبيعتهم طبيعة محيرة معقدة ، ذات دهاليز مظلمة ، ومنحنيات معتمة ، يذلون امام اعدائهم كل الذلة ، ولكنهم يتدللون على آلهتهم كل التدلل ، شأن المصاب « بمركب النقص » ، تجده مغلوبا على امره مستسلما للغير ، ولكنه في الوقت نفسه يتدلل على أهله ، ويختال على ذويه ، وقد تدلل اليهود على الههم فكثرت مطالبهم ، وتكررت مخالفاتهم حتى ان الله حمي غضبه عليهم ، وقال لموسى « **رأيت هذا الشعب واذا هو شعب صلب الرقبة** ، والآن اتركني ليحمى غضبي عليهم وأفنيهم » (سفر الخروج ، الاصحاح/٣٢)

وينوء موسى بعبء هذا الشعب ، ويتضجر من تدللهم ، فيجار الى الله بالشكوى في عبارات مرة تجعلك ترثي لحال هذا القائد ، حتى انه يضيق بالمسئولية ، ويتمنى عليها الموت ، فقال موسى للرب : لماذا اسأت الى عبدك ، ولماذا لا اجد نعمة في عينيك ، حتى انك وضعت ثقل جميع هذا الشعب علي ، العلي حبلت بجميع هذا الشعب ، أو لعلي ولدته ، حتى

تقول لى : احمله فى حضنك ، كما يحمل المربى الرضيع .. **لا اقدر انا وحدى ان احمل جميع هذا الشعب ، لانه ثقيل على ، فان كنت تفعل بى هكذا فاقتلنى قتلا** » (سفر العدد ، اصحاح /١١) .

والمستشف للنفسية اليهودية فى قصص التوراة ، لايعثر عليها فى تعليقات أو تلميحات فحسب .. بل يستطيع ايضا ان يستكشفها من خلال تصوير الشخصيات . فالتوراة موفقة كل التوفيق فى رسم شخصيات تنم عن النفسية اليهودية بكل دقة ، وتعبر عن خلجاتها بكل امانة ، مما يكتب الخلود لتلك الشخصيات . فاذا استطعنا أن نتحدث عن موليير البخيل ، وعن أحدب نوتردام العبيط ، امكننا ان نتحدث بالمثل عن مردخاى المكير وعن أستير الداهية . فسفر استير يصور هاتين الشخصيتين وقد حملتا الكثير من خصائص النفس اليهودية .. فمردخاى حين يحاول أن ينتصف لليهود من فرعون مصر ، «احشويروس» لايثور ثورة كريمة ، وانما يلجأ الى الدسائس والمؤامرات شأن صغار النفوس ، والغاية عنده تبرر الوسيلة ، فيستغل فتنة ابنة عمه أستير ، ويحاول بكل الوسائل الدنيئة ان يوقع فرعون فى حبائلها ، وتسير «أستير» فى الطريق التى رسمها لها « مردخاى » وتستطيع أن تؤثر على فرعون ، فتوقع بينه وبين هامان ، وزيره وعدو اليهود الاول .. ولم يكتف اليهود بهذا النصر ، وانما تتبعوا ـ شأن المضطهدين الذين تتاح لهم فرصة فيلغون فى الدماء الى آخر قطرة ـ تتبعوا أولاد هاما ن وذريتهم قتلا وسفكا .

وبقدر ما تصدق قصص التوراة فى رسم تلك النفسية ، تصدق قصص القرآن أيضا فى تحديد تلك الملامح وهذا اتفاق لاتأتى به المصادفة وتوارد الخواطر وانما هو اتفاق سببه وحدة الجذور اليهودية ، اتفاق فى الرسم والتصوير منشؤه وحدة الشىء المرسوم والشىء المصور وبقاء الخطوط العريضة فى هذا الشىء فشخصية يوسف فى القصص القرآنى ـ ولا أتعرض هنا لجانب النبوة ـ شخصية اسرائيلية ، فقد دخل مصر عبدا صغيرا لاحول له ولا طول ، ولكنه استطاع بحيلته وذكائه الاقتصادى أن يسيطر على خزائن الارض انظر الى تلك اللقطات التى أضربها كمثل لتوضيح هذه الشخصية ، فهو لايترك فرصة تمر دون أن يهتبلها ويطلب من الشخص الذى سيصير ذا مكانة لدى فرعون أن يتوسط له ، وربما مقابل تفسير حلمه ، وقال للذى ظن أنه ناج منهما اذكرنى عند ربك » .. وحين يرضى عنه فرعون يطلب منه أن يجعله على خزائن الأرض ويذكر مؤهلاته « قال اجعلنى على خزائن الأرض ، انى حفيظ عليهم » .. الخ ..

ولكن التوراة ـ فوق هذا ـ تتوسع فى اضافة خطوط اسرائيلية فى شخصية يوسف ، فقد استطاع بحيلته وقبضه على موارد البلاد أن يمكن لفرعون فى رقاب العباد ، فحين اشتدت المجاعة عند المصريين ، باعهم يوسف القمح فى سبيل الفضة ، ثم مقابل المواشى ، حتى لم يبق لهم شىء ، فقالوا ليوسف « اشترنا وأرضنا بالخبز ، فنصير نحن وارضنا عبيدا لفرعون ، واعطه بذارا لنحيى ولا نموت ، ولا تصير أرضنا قفرا ، فاشترى يوسف أرض مصر لفرعون . **فقال يوسف للشعب : انى قد اشتريتكم اليوم وارضكم لفرعون ، هوذا لكم بذار تزرعون الارض ، وتكون عند الغلة انكم تعطون خمسا لفرعون** » (سفر التكوين ، اصحاح /٤٧) وانظر الى ذلك الذكاء الاسرائيلى الانتهازى فى نصيحة يوسف لاخوته حتى يمكن لهم من ارض جاسان الطيبة « فيكون اذا دعاكم فرعون وقال : ماصناعتكم ؟ ان تقولوا : عبيدك اهل مواش منذ حياتنا الى الآن نحن وآباؤنا جميعا ، لكى تسكنوا فى أرض جاسان ، لأن كل راعى غنم رجس للمصريين » (سفر التكوين اصحاح/ ٢٦) . والرتوش الاسرائيلية التى تضاف الى قصص التوراة ، والتى لم يرد القرآن أن يجعلها رتوشا لقصصه ـ كثيرة ، فابراهيم حين يدخل أرض مصر لايجد غضاضة فى أن يدعى أن سارة أخته ، وذلك حتى تقع فى عينيه ويكون له من ذلك خير كثير ، وهارون فى غياب موسى يستجيب لقومه ، ويصنع لهم عجلا يعبدونه ، وبنتا لوط تتآمران على أبيهما فيسقيانه خمرا ، فيسكر ويوقع بهن ، وتكون لهما ذرية منه .. الخ . فكأن التوراة ـ كتاب اليهود ـ لاتجد غضاضة فى تلك الرتوش ، ولاحرج فى أن تتقرب نبى الى الملك عن طريق امرأته ، ولافى أن يخون أخ مبادىء أخيه ، ولا فى أن يوقع الأب بناته انها النفسية اليهودية تبرز من حيث لا يشعرون ، بينما نجد القصص القرآنية تسمو عن هذه التفاهات فحين يتعرض لقصة العجل يتبرأ هارون من صنيع قومه ، وان الذى صنع العجل واضل اليهود هو السامرى .

وكل خطوط النفسية اليهودية التى تتراءى لك

من خلال قراءتك للتوراة يمكن أن تردها الى هذه المقدة • فحين خرج بهم موسى وأخوه من أرض مصر ليخلصهم من حياة الذل والهوان لم يستطيعوا أن يرتفعوا الى مستوى التجربة ولا أن يتحملوا حياة العز وما فيها من مسئولية وضريبة ، بل تمنوا أن يعودوا الى حياة العبودية وما فيها من سمك ولحم وقثـاء وبطيخ ، وثاروا على موسى الذى دفعهم الى تلك التجربة ، التى لا يسـتطيعون لها طاقة ، ولا لمسئولياتها تحملا فقالوا لموسى « ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر •• أليس هذا هو الكلام الذى كلمناك به فى مصر قائلين : كف عنا فنخدم المصريين ! **لأنه خير لنا ان نخدم المصريين من ان نموت فى البرية** » (سفر الخروج ، اصحاح /١٤) •

وحين اشتدت بهم الأزمة ، عادت بهم أحلامهم الى قدور اللحم « فتذمر كل جماعة بنى اسرائيل على موسى وهارون فى البرية ، وقال لهما بنو اسرائيل **ليتنا متنا بيد الرب فى ارض مصر ، اذ كنا جالسين عند قدور اللحم ، نأكل خبزا للشبع ، فانكما اخرجتمانا الى هذا القفر ، لكى تميتـا كل هـذا** الجمهور بالجوع » (سفر الخروج ، اصحاح/١٦)

وتلح عليهم أحلام حياتهم الوادعة فيبكون « فعاد بنو اسرائيـل ايضـا **وبكوا ، وقالوا : من يطعمنا لحما** • قد تذكرنا السمك الذى كنا نأكله فى مصر مجانا ، أو القثاء والبطيخ والكرات •• » سـفر العـدد ، أصحاح/١١) • فهو شعب لم يخلق لان يعيش فى مسـتوى تجربة ، وفى ظل مبـادىء ، بل هو شعب يخلد الى الملذات ويركن الى الشهوات ، متى مـا بدت له بارقة من شـهوة ، أو عرضت له لحظة من متعة « واقام اسرائيل فى شطيم **وابتدا الشعب يزنون مع بنات موآب ، فدعون الشعب الى عبادة آلهتهن ، فأكل الشعب وسـجدوا لآلهتهن ، وتعلق اسرائيـل ببعل فغور ، فحمى غضب الرب على اسرائيل** » (سفر العدد ، اصحاح /٣٥) •

ومن مظاهر الاحسـاس بلهوان أن المبتلى به يسـتهين بنفسه ، ويعلق كل شيء غيره ، فأهل كنعان يبدون لليهود طوال القامة ، عماليق ، فيخيل لليهود أنهم جراد أمامهم ، فيفقدون اعصـابهم ، وينهـارون ضعة وهوانا ويتمنون العودة الى أرض مصر ، بل حدثتهم أنفسهم أن يقيموا رئيسـا غير موسى ليحقق لهم تلك الأمنية ، ففى سفر العدد « أن موسى أرسل رجالا ليتجسسوا أرض كنعـان ، **فاخبروهم أن الشعب السـاكن فى الارض معتز ، والمدن حصينة عظيمة جدا ، وجميع الشعب الساكن فيها طوال القامة ، فكنـا فى اعينهم وفى اعيننـا كالجراد •• فرفعت كل الجمـاعة صـوتها وصرخت وبكى الشـعب فى تلك الليلة** ، وتذمر على موسى وعلى هارون جميع بنى اسرائيل ، وقالهما كل الجماعة : ليتنا متنا فى أرض مصر ، وليتنا متنا فى هذا القفر ، ولماذا أتى بنا الرب الى هذه الأرض ، لنسقط بالسيف ، وتصير نساؤنا واطفالنا غنيمة ، أليس خيرا لنا أن نرجع الى مصر ، فقال بعضهم لبعض : نقيم رئيسا ونرجع الى مصر » • وكان الهم عليما بنفسيتهم وما فيها من تخـاذل وانهيـار ، ولذلك لم يرد أن يجعلهم يتقـابلون مع عدوهم فى وقت مبكر ـ لئلا يتخاذلون فيلوذون بالهرب والفرار « وكان لما أطلق فرعون الشعب ان الله لم يهدهم فى طريق أرض الفلسـطينيين ، مع أنها قريبة ، لأن الله قال : **لئلا يندم الشعب اذا راوا حـربا ويرجعـوا الى مصر** » (سـفر الخروج ، اصحاح/١٣) ومن طبيعـة الدليـل أن يكره من يحاول انقاذه «ويسيء الى من يحسن اليه ، فاليهود حين يبطيء عليهم موسى ، اثنـاء مواعدته ربه ، يصرحون بمخبوء أنفسهم ، وبكراهيتهم لهذا الرجل الذى اصعدهم من أرض مصر وكلفهم مشاقا كانوا فى غنى عنها « ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل ، اجتمع الشعب على هارون ، **وقالوا له قم اصنع لنا الهة تسير امامنا ، لان هـذا موسى الرجل الذى اصعدنا من ارض مصر ، لانعلم ماذا اصابه** » (سفر الخروج ، اصحاح /٣٢) •

وطبيعة اليهود التى لا تؤمن بالمعنويات ، ولاتثق فيما وراء المشاهد ، تفصح عنها قصص التوراه ، فسفر الخروج يذكر انهـم الحوا على هارون ليصنع لهم آلهة تسـير أمامهم ، فيسـتجيب لهم هارون ويأمرهم بجمع الذهب ويصنع لهم عجلا يعبدونه • وعبادة العجل والتعلق بالذهب ليست حادثة تمر ثم تنسى ، ولكنها تتكرر مع تكرر النفس اليهودية ، فكأنها طبيعة تدوم ، كما تدوم فى النفس الانسانية غرائزها الثابته ، ففى سفر الملوك الأول أن يربعام أيضا عمل عجل ذهب ، وضع أحدهما فى بيت أيل ، والآخر فى دان ، وقال : هو ذا آلهتك يا اسرائيل الذين اصعدوك من أرض مصر » • فلو كان لنا أن نؤمن بتناسخ الأرواح لآمنا به بين تلك الطائفة ولما شككنا فى أن روح مردخاى ما تزال تملأ الأرض دسا ووقيعة وكيدا • **عبد الحميد ابراهيم محمد**

هذا التدين ليس من الدين في شيء

بقلم : محمد عبد الله السمان

لقيتهما — منذ أيام — مصادفة على احد المقاهي متجهمين يكادان يتميزان من الغيظ وترتسم على محياهما دلائل الأسي العميق ، والحزن الدفين .

لم يكونا غريبين عنى ، فقد تركتهما فى اقصى الصعيد منذ بضعة عشر عاما ، وحين رأيتهمـا فى هذه المرة كانا كما هما ، لم يتبدلا ولم يتغير شيء فيهما .

أما احدهما ، فما عرفته أقام صلاة ، او ادى زكاة او وصل رحما ، عاش وكل همه أن يرص القرش على القرش ، ويوثق الصلة بين المليم والمليم ، ويعقد قران الجنيه على الجنيه ، **وعلى الرغم** من انه مسئول عن اسرة كبيرة قوامها جيش من الاشباح تتحرك فى البيت والحقل خاويةالبطون الا مما يسد الرمق ويقيم الاود ، **الا** ان هذه المسئولية الكبرى لا تثير فيه رحمة ، ولا تدفعه الى عدل .

واما الآخر فقد عرفه البسطاء من اهل القرية خليفة من خلفاء الطرق الصوفية على سن ورمح ، وعرفته درويشا رث الثياب والخلق معا ، اميا غارقا الى اذنيه فى اميته ، يتكلف الوعظ حين تسنح فرصته فى عوام الناس ، ويجيد التلفظ بعبارات كالطلاسم يعدها فقها من فقه الطريق ، يستهويه البخل فلا يفلت الماء من بين فروج اصابعه ، ويتملكه الشح فلا يحرص على الصلاة حرصه على الحياة نفسها ، وتكاد تنبئك الزبيبة السوداء فى جبهته أنه يسجد كثيرا ويطيل السجود ، ولكنه يعيش مع نفسه مجموعة من المتناقضات ، حتى لينطبق عليه المثل القائل : يصلى الفرض وينقب الارض . **فقد** استهوى بعمامته الضخمة الحمراء ، وسيفه الخشبى المشهور وسبحته المتلألئة التى تلازمها الحركة ولا تعرف الهدوء ، استهوى بكل هذه المؤهلات عددا من الارامل والمطلقات ، اخذهن على سنة الله ورسوله تباعا ، ليستولى على ما ادخرن من دراهم ، ويستبيح ما تبقى لديهن من حياء ، ولكنهن جميعا افلتن من قبضة يده ، اما بالموت واما بالحياة فاللاتى اضطرتهن الظروف الى الصبر والمصابرة معه ، فتك بهن الاعياء من قسوة الحياة وخشونتها فاراحهن الموت ، واللائى اوتين قوة فى العزيمة تمردن عليه واذقن حياته العذاب الوانا حتى حطمن اسوار سجنه ولذن بالفرار من جحيمه .

ومنذ ان عرف الاثنان معا الوسيلة الى جمع المال ، اصبح الحج فى كل عام هوايتهما المفضلة ، لا تكاد تبدو طلائع هذا الموسم حتى يسرعا الى مركز الشرطة ليسجلا اسميهما مع الراغبين ، **والحج** عندهما ليس فريضة يؤديها المسلم مرة واحدة فى حياته ، يتقرب بها الى الله ، ويزداد بها بعدا عن رذائل النفس ، ومناسك واجبة الاداء لتصفية الروح وتجلية القلب وصقل العقل وتركيز العقيدة ، وتأكيد الايمان ، ولكنه فوق هذا كله ، فمعنى الحج فى نظرهما زيارة قبر الرسول — صلوات الله عليه ، والتمرغ على اعتابه ، وطلب الشفاعة منه فى يوم الموقف العظيم .

حين جلست الى جوارهما لم يتركا لى فرصة لأسالهما عن سر ما يبدو على ملامحهما من تجهم وكآبة ، ولا عن حقيقة الكارثة التى حلت بهما ، وجعلتهما يمطران الزمن وابلا من اللعنات ، فقد قدما من البلد سعيا وراء امل يرجوان تحقيقه ، ورغبة ملحة تكمن فى احاسيسهما يأملان فى ان يستجاب لها .

قالا بلسان واحد :

جئنا القاهرة نواصل السعى حتى نحظى هذا العام بزيارة الرسول ، كما تعودنا فى كل عام ، وحسبنا اننا حرمنا عامين متتالين لظروف لا يجهلها احد ، ولم تزل حسرتهما تحز فى نفسينا الى اليوم ، اننا حريصان على الا تنقطع لنا عادة تكررت اكثر من مرة ، فانقطاع العادة شؤم ، وقد لجأنا هنا الى من نعرف ومن لا نعرف ، وتوسلنا بكل مسئول كبير وكل مسئول صغير على السواء ، ولكن يظهر ان الاوامر المشددة بالا يحج من ادى الفريضة من قبل ، لا تقبل اللين ولا التقهقر ، ولذلك فشلت امامها مساعينا ، وضاعت سدى محاولاتنا ، ولم يبق امامنا الا ان نعود من حيث اتينا ، وعسى الله ان يأتى بالفتح او امر من عنده فى العام المقبل ، ان تدر الله لنا البقاء . . .

قلت لهما ، وانا احسب لما اقول الف حساب :

ان فريضة الحج كتبت على المسلم مرة واحدة فى العمر ، وقد اديتما الفريضة والحمد لله ، واسرفتما بعد ذلك فى تكرارها اكثر من مرة ، فلم تشددان على نفسيكما فى امر أراده الله رخاء ، وتعسرانه حيث ارادة الله يسرا ، ولم تضيقان برخصة رخصها الله ، والله يحب ان تؤتى رخصه كما يحب ان تؤتى عزائمه ؟

انكما تعترفان بان الحج عندكما عادة يجب الا تنقطع ، ولو سلك كل المسلمين مسلككما لاضمحل مفهوم الاسلام بشأن هذه الفريضة ، ولقد كان الله — جل شأنه — ارحم بعباده حين كتبها على الناس مرة واحدة ، وقيدها بالاستطاعة حتى لا يشق عليهم فى طاعته ، والا ما جاز لعقل ان يقرها ولا منطق ان يستسيغها .

كم تكلفكما هذه العادة من نفقات باهظة ، لا بد انكما اعددتما العدة لها ؟ ولا ريب فى ان لكليكما رحما فى حاجة الى صلة ، وفى قريتكما اسرا باكملها لاتهنا بلقمة عيش رغيدة ، ولا بقطعة قماش جديدة .

ماذا عليكما لو عدتما الى البلد — والعيد على الابواب — فادخلتما باموالكم هذه السرور على نفوس اعياها البؤس ، وهدها العوز ، واقلق حياتها الحرمان ، ووفرتما بعد ذلك على نفسيكما مشقة سفر لاثواب لكما فيه ، وعناء رحلة لاخير لكما منها ؟

كان الاثنان مشدوهين وهما يسمعان هذا القول باذانهما ، دون ان يصغيا بقلبيهما ، وكانما كانا يتوهمان انى اجهلهما واخفف عنهما لوعة الاسى ، ولا انصحهما واشفق على دينهما ، فمطا شفتيهما ولويا راسيهما ، وحولا مجرى الحديث عن الموضوع ، ثم سالانى الدعاء وقراءة الفاتحة عند آل البيت ، **ولم يسعنى الا ان ادعو الله فى نفسي ان يشفى عقليهما من ضالة التفكير ، ويبرىء دينهما من هوس التدين ، ويشرح صدريهما بعد ذلك لفقه الدين الحنيف .**

وبعد ..

فهذان نموذجان لنماذج كثيرة بين المسلمين ، تعتريها لوثة التدين القائم على الحماقة والتنطع ، لاترغب فى ان تفقه الدين فى اصالته وتفاوته ، وكم ابتلى الاسلام بمسلمين متدينين لا يقفون عند حدود الله ، ولا يرتضون قول الرسول الصادق اذ يقول :

« ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ، فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى » ؟

ان بعضا اراد فى عهد الرسول ان يصطنع الغلو فى التدين ، والرسول يعلن فريضة الحج على المسلمين ، الا ان الرسول — صلوات الله عليه — استطاع ان يكبح جماح هذا البغض ، حين قال الرسول : « ايها الناس ، ان الله فرض عليكم الحج فحجوا ، فقال رجل : افى كل عام يارسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا .. فقال رسول الله : لو قلت نعم لوجبت ، ولما استطعتم » ثم قال : « ذرونى ماتركتكم ، فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم ، فاذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم ، واذا نهيتكم عن شيء فدعوه . »

انه لم يزل كثيرون من المسلمين لايريدون ان يفقهوا تقييد فريضة الحج بالاستطاعة ، فى قوله تعالى : « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » فلم تنقطع بعد مناظر الحجاج المغاربة الذين يفدون من بلادهم كل عام فى طريقهم الى بلاد الحجاز ، ولا زاد معهم ، يقطعون الطريق سعيا على اقدامهم فى بضعة شهور ، ويعتبرون ان مسلكهم هذا من اعظم القربات الى الله .

ولم نزل نسمع فى قرانا عن مسلم يبيع ماشيته — وهى مصدر رزقه — او يرهن داره التى تؤويه ليؤدى فريضة الحج ، لاشك ان مثل هذا بعيد عن روح الدين وجوهر الشريعة .

قال ابن قدامة فى المغنى وهو يتكلم عن الاستطاعة بالنسبة لفريضة الحج : ان يكون — اى المال — فاضلا عما يحتاج اليه لنفقة عياله ، الذين تلزمه مؤونتهم فى مضيه ورجوعه ، لان النفقة متعلقة بحقوق الادميين ، وهو احوج وحقهم آكد ، ويكون فاضلا عن قضاء دينه ، لان قضاء الدين من حوائجه الاصلية ، ويتعلق به حقوق الآدميين فهو آكد .. وان احتاج الى النكاح وخاف على نفسه العنت قدم التزويج لانه واجب عليه ، ولا غنى له عنه فهو كنفقته .. وان كانت له كتب يحتاج اليها ، لم يلزمه بيعها فى الحج »

هذا هو فقه الدين فى سماحته ، ولكن الاسلام مصاب بفريق من المسلمين ، يحترف الوانا من التدين الاحمق ، ليس من الدين فى شيء . !!

محمد عبد الله السمان

وحدة مصر وسورية على مدى التاريخ

بقلم : محمود الشرقاوي

انما الشـام والـكنانة صـنوا
ن برغم الخطوب عاشـا ازاما
« حافظ ابراهيم »

كانت الوحدة السـياسـية التى تمت بين مصر وسوريا فى ٢٢ فبراير من سـنة ١٩٥٨ وقامت بها : « الجمهورية العربية المتحدة » باقليميها الجنوبى والشمالى ، كانت هذه الوحدة السياسية خاتمة بداية بعيدة عريقـة فى تاريخ هـذه المنطقة من الوطن العربى ، وكانت توثيقا وتتويجا لوحدات سـياسية وثقافية واقتصادية سـابقة قامت فى هذين البلدين ودامت لفترات قد تقصر او تطول ، ولكنها كانت كلما انفصمت ـ بحكم الانتكاس او العوامل الدخيلة او الاحقاد ـ عادت تلتئم من جديد .

كان ذلك فى تاريخ بلدينا الطويل العـريق من عهد الفراعنة ، والدولة الرومانية وفى العهد العربى وما بعد ذلك حتى قامت هذه الوحدة قبل ستسنوات ثم نقضت ثم نعود ان شاء الله اقوى واثبت واوسع شمولا واستيعابا لوطننا العربى كله .

ومن الطبيعى ان تبلغ العواطف نحو لم الشـمل وتحقيق الوحدة غاية المدى فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين حيث بدا الوعى القومى والوطنى يعلو صوته ويرتفع مده ويشـتد عوده ويعمق نهمه . وكان سببان ، كلاهمـا من فعـل الاستعمار ، من الاسباب القوية المباشرة لبروز هذا الوعى بين هذه القطعة من الوطن العربى : مصر وسوريا ، وتقوية الوشـائج الطبيعية بينها ! السبب الاول ما اوقعه الحاكم التركى الظالم جمـال باشا السفاح باحرار سوريا من البطش والشر والقسوة الظالمة ، والثانى ما اوقعه بهم بعد ذلك الاستعمار الفرنسى من الظلم والبطش ايضا ، وبخاصة ضرب دمشق بالقنابل فى سنة ١٩٢٥ .

وما زلت اذكر وقع هذه القنابل على دمشق فى نفوسنا ونحن صـبيان نطلب العلم ، وكيف امتلأت اذاك قلوبنا بالغضب والثورة ! كما امتلأت قلوب اهل الوطن المصرى كله ، ذلك الغضب الذى سجله شوقى فى قصيدته العظيمة :

سـلام من صبـا بردى ارق
ودمـع لا يكفـف يا دمشـق

وكان من الطبيعى ايضا ان يصور الشعر العربى المعاصر العواطف الفياضة القوية لهـذه الوحدة العريقة البعيدة الجذور .

تضرب البوارج الايطالية ميناء بيروت ، فى سنة ١٩١٢ ، فيسجل حافظ ابراهيم ذلك الغضب وهذه الثورة فى تمثيليته الشعرية :

ليـلاى : ما انا حىٌّ
يرجى ، ولا انا ميـت

ويصور حافظ عواطف المودة والقـربى بين مصر وسوريا فى اكثر من قصيدة فيقول :

لمصر ام لربوع الشـام تنتسب
هنا العـلا وهناك المجد والحسب
ركنان للشرق لا زالت ربوعهمـا
قلب الهـلال عليها خافق يجب
اذا المت بوادى النيـل نازلة
باتت لها راسيات الشام تضطرب

ويقول : **انما الشام والكنانة صنوا**
ن برغم الخطوب عاشـا ازاما
امنـا امـكم وقـد ارضعتنـا
من هواها ونحـن نابى الفطاما

وكذلك يفعل شوقى فى كثير من شـعره الذى اشرنا الى بعضه من قبل والذى يقول فى بعضـه يخاطب بيروت حين هدمتها القنابل :

بيروت مات الاسد حتف انوفهم
لم يشهروا سـيفا ولم يحموك
بيروت ياراح الـنزيل وانسـه
يمضى الزمان عـلى لا اسـلوك
لك فى ربى النيـل المبارك جيرة
لو يقـدرون بدمعهـم غسلوك

ونجد رجع هذا الصدا كذلك فى سـوريا : نجد شفيق جبرى يقول فى بعض شعره يخاطب شعب مصر :

تحية يا ضفاف النيـل طيبة
تجرى بها الريح فى شيح وحوذان

(البقية على صفحة ٢٢)

النبىّ واليتيم والعيد

للشاعر محمد أحمد العزب

بعيـــنى ملاك .. وقلـــب نبى رآه راى فى الطــريق صــبى
رآه تكـــوم فى المنحنـــى يولول .. يخمش وجهــا نقــى
وخلــف عــرائش اهــدابه تموت براعــم عبــر نـدى
وفى شـــفتيه يضـــج عرام ويهـــدر بركان ياس عــتى
ويهـــرب من كل شيء يـــراه ويهــرب .. حــتى من ادمعى
تهــاوى الفتى فى زوايا الطريق واطرق فوق الحــصي الهمــجى
ومن حــوله صبية يلعبـــون فهـدا الصــباح صــباح رحى
هو العيـــد يرقص احلامهـــم ويرقص من حولهـــم كــل شي
نهار اصــفار الفرار هنـــاك دمى حــلوة .. ومراح شــهى
ولــكن هــذا الصغير الكسـير يعانق وهمـــا خفيـــا خــفى

يحملـــق فى كل طفـــل . ويرنو الى ثوبه الهمـــجى الــزرى
ويســـأل . هيب ابوا يجيـــب ! ومن اين هــذا الثراء الــثرى !
ويمضي النبى .. ويسب مضـــاء يفـــرد ضــوء .. ويشـــتاق هى
ويسمر عند الصـــبى الجـــريح فيبــــكى البـــكاء بعــين النبى
ويســـأل . اين راح ابـــوك ! وامك اين تـــرى يا بـــنى !
ويبرح عنـــد السؤال الجـــراح يعيب الصـــغير ــ فيهـــتف : وى
لقـــد مات خـــلال السنين بحرب وحــتى اخـــى راح ما عـــاد لى
وياوى لحضـــن النبى .. غـــريب لقـــد خان ينفـــر من كــل حى
فيمـــضي النبـــى الى بيتـــه بهـــذا الصغـــير الغرير الحـــيى
وعائشـــة الخـــير يهفو اليـــه وتهتـــف بالطفل : اقبـــل الــى

وتنضـــــو برفق ثياب الفتى وتاتى اليـــه بثـــوب رضـــى
ويسحـــق الطفـــل فى ســـروة مجنحـــــة للنـــــبى الحفى
يتيه بمـــا يرتدى من ثيـــاب ويلقى هنـــاك الحســـين الوضى
فيرنو النـــبى اليـــه .. ويمـــضي يقول له فى حنـــان ســـخى
قم الان فتعب .. وعد باســـما لبيتك هـــذا الرحيب الســـنى
وان ســـالوك ــ ترى من ابـــوك ؟ فقلهـــا بفخـــر عريض ابى
رسول الســـماء ابى يا صحاب وهـــذا الحسين ــ شقيقى الوفى
ويشرق وجه الصـــغير .. ويمـــضي وبين يديه الحســـــين الفـــتى
وينطلقـــــان الى المنحـــنى يتيهان خطوا بريئـــا صـــبى
ومن خلف كـــوة بيت هنـــاك يطل النـــبى وزوج النـــبى

وفى لهفـــة كحنـــين الـــوداع كشـــوق القلاع لمرسي قصـــي
يغيبـــان عبـــر الضحى فى صلاة ونجـــوى .. وهمســـس رجاء خفى
ويختلـــط الدمع بالامنيـــــات هنـــاك .. ويعـــلو دعـــاء ندى
ويلتقيـــان وراء الرجـــــاء على ظمـــا .. عارم .. ابـــوى

هل تعطفين ؟

للدكتورة الشاعرة عاتكة الخزرجي

الله في فقد خبت في املي ... وهل لدى في الآمال الاك ؟

قد كنت احسب حتى الشمس لي امة ... اذ كنت المح برقا من ثناياك ..!

يا من رمت بسهام كنت احسبها ... لا تقصد القلب قد اقصدت مرماك .!

هل تعطفين على مشف على تلف ... يروم قبل لقاء الله لقياك .. ؟

احمد لطفي السيد

للشاعرة روحية القليني

اجمعي الازهار من كل مكان ... فوق مثواه ضميها في حنان

رتلي الآيات ليلا وضحى ... في خشوع واشيري بالبنان

لمكان ضم لطفي خالدا ... ذكره باق على مر الزمان

سجلي بالنور صفحات الخلود ... قد حمى المرأة من ذل القيود

اصبحت بالعلم نبراس هدى ... وغدت بالعلم هديا للوليد

حققت حلو الاماني درة ... تزدهي بالمجد في العهد الجديد

حدثيهم عنه عن استاذ جيل ... وانشدي صوتا مع اللحن الجميل

وتغنى باسم لطفي انه ... رائد العلم والفجر الدليل

واسكبي العطر على القبر الذي ... قد طوى من كان حانى الظليل

حدثيهم عنه احلاما تسامت ... فوق دنيا الناس بالقلب الكبير

مجديه مبدأ يرسو به ... فوق هام النجم من وحي الضمير

خالد في كل قلب خافق ... لا بتمثال وميدان ودر

كل سطر في كتاب خطه ... تسكن الحكمة فيه والذكاء

كل قول منه في محفل ... هو سحر جاء من وحي السماء

كان نبعا دافقا في علمه ... ينشر النور مشعا في سخاء

كفكفي في ذكره سيل الدموع ... واضيئي بالمنى كل الشموع

لم يمت لطفي فلطفي خالد ... في ضمير الشيخ والطفل الرضيع

في ضمير البنت نالت حقها ... في فؤاد خافق خلف الضلوع

ذكره عطر وضوء وزهور ... وابتسام مشرق فوق الثغور

وفتاة دخلت جامعة ... وخطت للمجد بل كادت تطير

وكتاب ضم في اعطافه ... فلسفات لعصور ودهور

بذر الحب على الارض الخصيبة ... فغدت زهرا واغصانا رطيبة

وتهادت في جلال انها ... غرس لطفي انها ذكرى حبيبة

فهي استاذة جيل ووزيرة ... وهي للمرضى وللجرح الطبيبة

هذه ذكراه علم وكتاب ... كان في اسلوبه الشهد المذاب

وحقوق لم ينم عنها دقيقة ... ينصف الحق وان لاقى العذاب

عالم يبحث عن سر الحقيقة ... فغدا الخلد له اسمى مآب

روحية القليني

(بقية المنشور على صفحة ١٩)

الشـــام من وردك الريان في صـلة
محبـوكة الوشي في قـــرن وامعان
من عهد عمـرو ، فمارثت ولا بليت
قد اتقنتهـا الليـالي اى اتقان
اذا بكت جنبات النيل من الم
بكت دمشـــق بدمع منه هتان

وهذه امثلة من كثير في الشعر والنثر ، فما نريد ان نستطرد حتى نخرج عما قصدناه من الحديث عن : « وحدة مصر وسوريا على مدى التاريخ » .

وحين نتحدث عن « ســوريا » فانما نقصـدها بمفهومها الكبير قبل ان يفرقها الاستعمار ويمزقها الى دويلات صغار : ســوريا ولبنان وشرق الاردن وفلسطين .

منذ بدء التاريخ :

كانت الهجرة الفردية والجماعية اول مظاهـر الوحدة بين مصر وسوريا ، وكانت هذه الهجرة من سوريا الى مصر واسعة وافرة النشاط منذ عهـد الفراعنة في الاسر البعيدة .وكانت الحياة الاجتماعية والتجارية تلقى هؤلاء المهاجرين لقاء حسنا وتفسح لهم في مجال نشاطها من كل نوع الى آخر المدى . حتى البلاط الفرعوني نفسه كان يتسع لهم ، فمنهم من وصل الى منصب الوزير او الحاكم او مستشار فرعون . وقصة يوسف التي سجلتها الكتب المقدسة وفصل القرآن امرها من اعظم الدلائل على ذلك .

هذه الهجرة وهذه المساواة وهذا التمكين هو اول مظاهر الوحـدة وابرزها . وكثير من فراعين مصر وساداتها كان يذهب الى الشام للصيد او النزهة او الاستشفاء او التجارة .

في مصر الفرعونية :

ثم نجد بعد ذلك اول وحدة سياسية كاملة بين البلدين يعرفها التاريخ في عهد الملك تحتمس الاول — من الأسرة السابعة حوالي سنة ٨٠٠ ق.م — حيث وحد هذا الملك : (القوم القاطنين وراء اقليم فلسطين وارض كنعان وسط السهول الكائنة بين دجلة والفرات) ؛ كما يقول العالم الأثري المصري العظيم احمد كمال ، اى ان الوحدة بين مصر وسوريا في عهد تحتمس الاول شــملت سوريا والعراق . (بلاد الجزيرة التي بين دجله والفرات منهـا مدينة نينوى ومدينة بابل وبلاد الكرد) كمـا قال احمـد كمال ايضا . وكانت هذه البلاد كلهـا تنعم ، في ظل الوحدة ، برخاء كبير : تسير قوافل التجارة بينها على طريق تبتدىء من مصر الى فلسطين ، ثم تعبر الفرات الى الجزيرة .

ونجد هذه الوحدة بعد ذلك في عهد سيتي الاول الذي كانت جيوشه ترابط في بلاد الارمن والشـام وتقيم في حمص وعلى ضفاف نهر العاصي . والذي اجرى معاهدة مع ملك الحيثيين — وكانت بلاده كلها تخضع لسـلطانه — والذي اقام حكاما مصريين يحكمون باسمه في غزة وعسقلان وغيرهمـا من البلاد .

ثم نجد هذه الوحدة مرة اخرى كاملة شاملة في عهد رمسيس الاول ، الذي كانت جيوشه المصرية المنتصرة على الحيثيين ترابط على نهر العاصي بعد ان عقد معهم معاهدة تحالف ، املى فيها ارادة الظافر المنتصر .

ونجد هذه الوحدة اشمل واكمل في عهد رمسيس الثاني : « الاكبر الشـــهير بزوستريس » ، الذي دخل ســوريا من قبل ابيه وسنه عشر سنوات ، والذي كانت جيوشه ترابط على شاطىء بيروت ونهر الكلب . والذي سجل الشاعر المصري العظيم « بنتاءور » — وكان مرافقـا له — وقائع حـروبه وانتصاراته ومظاهر شجاعته في شعر خالد ، والذي رابطت جيوشه ايضا في الجليل واورشليم وعسقلان والذي وضع معاهدة بين مصر واهل تلك البـلاد تنص على ان يهب كل من البلدين لنصرة الاخر اذا هاجمه عـدو ، وعلى ان يكـونا حليفين منطويين : (... على السلم دهر الداهرين) ... (... دون ان يقع بينهما ادنى شقاق مدى الدهر .)

كما تنص المعاهدة على التعاون السياسي وعلى تبادل الأسرى والهـاربين الى غير ذلك من بنـود المعاهدات السياسية التي يعرفهـا عالم السياسة الدولية اليوم . وقد دامت هـذه المعاهدة مرعية رعاية تامة ستا واربعين سنة . (حصلت فيهـا الراحة التـامة للرعية .) واثمرت المودة التي صاحبتها بمصاهرة قامت بين رمسيس وملك البلاد ، حيث تزوج فرعون مصر من ابنته ، ثم دعا صـهره لزيارة بلاده . وقد سجلت الوثائق القديمة انه عند زيارته مصر تحدث عن رمسيس بانه : (لا فرق بينه وبيننا . وقد احبته الناس — اى رمسيس — لكونه يمنح الحياة لمن يشاء .) وتسجل الوثائق ان بلاده وبلاد مصر اصبح اهلهما : (قلبا واحدا) .

رسالة العلم

ستتابع هذا البحث

للدكتور محمد محمود غالي

طالعت مقالاتي في الرسالة والمقال الأخير منها كان تقديرا لعلماء اوربا والعالم « بكارل » الفرنسي الذي كشف أن المادة تشع وتبعث برسائلها من داخل نواة الذرة ، ولقد اتيت على الوسائل العلمية الاربعة للكشف عن المواد المشعة ، ولهذا الغرض وما سبقه قيمته لا لطلاب الجامعة فحسب بل لجمهرة المثقفين والمشتغلين منهم بالآداب على الخصوص ، فالقارىء عندما يطالع كلمة الذرة او الاشعاع الذرى يجب أن يعرف لهذه الكلمات معناها ، ثم ان أهم من كل ذلك يجب أن نعي أن الدنيا تغيرت في الربع قرن الأخير ، وأصبح الانسان مع الأسف يملك قنابل ذرية انشطارية قوة الواحدة منها عشرون ألف طن من المواد شديدة الانفجار كتلك التي فجرها الامريكيون في صحراء المكسيك والتي القوا بها على هيروشيما في اليابان في ٦ اغسطس سنة ١٩٤٥ وعلى ناجازاكي بعدها بثلاثة أيام ، وبعض هذه القنابل الانشطارية تصل قوة تفجيره الى خمسة اضعاف هذا القدر ، كتلك القنابل التي جربها الفرنسيون في الصحراء الافريقية جنوب الجزائر قريبا من « الحمودية » المدينة الذرية التي اعدتها الحكومة الفرنسية قبل جلائها من الجزائر وعن ارض المليون شهيد ، وقرب وادى « تـوات » وتيديكلت

بل أصبح الانسان يصنع ويملك قنابل



منظر لانفجار احدى القنابل الهيدروجينية خلال تجربتها الصورة ماخوذة للسحب الذرية اثر الانفجار من ارتفاع اربعة كيلو مترات ومن مسافة ٨٥ كيلو متر من مكان التفجير (المرجع كتاب القنبلة الهيدروجينية) المؤلف « شابلى . » « بلير »

ونستطيع أن نقول ان وحدة سوريا ومصر في عهد رمسيس الاكبر هذا كانت « اندماجا » تاما شعر فيه اهل البلدين بالرخاء التام حتى قالوا ان لنا مصر : (تمتد بينها وبين فلسطين ، وكلها مشحونة بالمآكل العظيمة) . ذلك لما قام من المدن العامرة في صحراء مصر الشرقية . وكانت هذه المدن من الفخامة والسعة بحيث شبهوها بالعاصمة : «منف» وكان الناس يهاجرون اليها فيقيمون فيها لسعتها وحسنها .

وقد اثمرت هذه الصلات الطويلة العريقة روابط ثقافية اصيلة نبدأ بها — في اختصار — حديثنا القادم ان شاء الله .

محمود الشرقاوى

هيدروجينية تفوق قوة تفجير الواحدة منها خمسمائة مرة قدر قوة تفجير قنبلة هيروشيما بل انه استطاع أن يصنع ويملك قنابل « فوق هيدروجينية » من عنصر الليتيوم المغلف باليورانيوم ، حيث تصل قوة التفجير في القنبلة الاخيرة قدر قوة التفجير في قنبلة هيروشيما الف او الفين مرة ، ويمكن ارسال هذه القنابل المدمرة في رؤوس ذرية بواسطة الصواريخ العابرة الى أى مكان من سطح الأرض

ولقد ذكرت فى مؤتمر نزع السلاح والتعايش السلمى بين الشعوب ، المنعقد في استكهولم في يونية سنة ١٩٥٨ ان قنبلة واحدة من النوع الأخير كافية لا قدر الله أن تودى بالحياة كلها من منطقة كثيفة بالسكان وفى مساحة الوجه البحرى بما في ذلك القاهرة والاسكندرية وبور سعيد والسويس حتى بنى سويف ، بحيث لا يبقى فيها أى أثر الحياة سواء للانسان أو للحيوان والنبات ، وأود ان أؤكد القارىء انني على ثقة مما اقول .

هـذا هو حال الانسان اليوم وكم يختلف عن حالته عندما طرقنا باب الذرة بسلسلة مقالات في الرسالة منذ ٢٥ سنة ، كان الحديث يشمل مسائل علمية أو معملية في حدود معامل البحث العلمى ، وكانت مطالعة القارىء لهذه المسائل العلمية تعتبر من قبيل زيادة معلوماته الثقافية ، اما اليوم فهذه المعلومات الذرية اصبحت لازمة لكل فرد فهى تتعلق بحياته وحياة أولاده واحفاده بل وحياة الكائن الحى على هذه الأرض الدوارة التى نعيش عليها .

مسألة خطرت على بالى الليلة وانا اخط هذا المقال ، وسأذكرها في الحال ومن الخير أن اعود نفسى على الا أؤجل ما يعن لى من رأى قد يكون من ورائه فائدة ـ ولعل فداحة التفجير الهيدروجيني في القنبلة الهيدروجينية التجريبية السابقة التى ساقنى الحديث اليها ، وتفجير القنابل فوق الهيدروجينية هما اللذان أمليا على هذا الخاطر الذى أبادر بذكره للقارىء : ذاك انه يغلب على الظن انه سيعقد في الجمهورية العربية المتحدة خلال هذا العام ثلاثة مؤتمرات هامة : الأول مؤتمر الرؤساء والملوك العرب في الاسكندرية والثاني مؤتمر القمة الأفريقي والثالث مؤتمر دول عدم الانحياز .

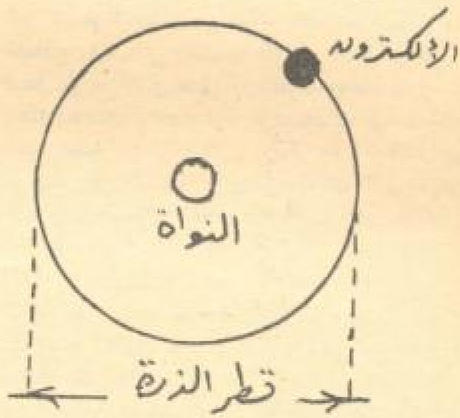
وفى رأيى أن تنظم خلال هذه المؤتمرات الثلاثة اكبر دعاية نحو تحريم التفجيرات الذرية وتوجيه البحوث الذرية لأعمال السلم ، في الطب العلاجي بواسطة النظائر المشعة ، وفى العلوم الزراعية بمقاومة الآفات وزيادة غلة الأراضى ، وفى الصناعة في تحسين الانتاج .

وان تنظم دعاية واسعة لاستكمال معاهدة موسكو التى كانت بين امريكا وبريطانيا والاتحاد السوفيتي، والتى نصت على تحريم التفجيرات الذرية في البحار وعلى الارض وفى الجو وفى الأجواء العليا ، ولكنها لم تنص على تحريمها تحت الأرض ، مما جعل بعض الدول التى تملك هذه القنابل الفتاكة تستمر في اجراء تجارب تحت سطح الارض ، الشيء الذى يسمح بتحسين هذه القنابل وصناعتها وتخزينها ، والواجب هو العمل على استكمال هذه المعاهدة السابقة بتحريم التفجيرات بكافة انواعها واعدام جميع القنابل الذرية تحت اشراف دولى وعدم العودة الى صناعتها او تخزينها

ولا شك أن نتيجة هذه الدعاية في المؤتمر الاول ستكون نشر الوعى بين الرؤساء والملوك العرب ومن معهم ومنهم ينتشر الوعى في كل البلاد العربية من المحيط الى الخليج ، وستكون النتيجة في المؤتمر الثانى نشر هذا الوعى في كل البلاد الأفريقية ـ اما النتيجة في المؤتمر الثالث فهى اعم وذلك بنشر هذه الصرخة وهذا الوعى في كل آسيا ، وبذلك تكون الجمهورية العربية المتحدة قد قامت بعمل قيادى في اهم مسألة تهم البشرية وتشغل بال الانسان .

ونعود الآن الى الذرة لنتعرف على حدودها واقدارها بعد أن شرحنا في المقالات السابقة المواد المشعة وتكلمنا عما تقذفه من قذائف من داخل نواة الذرة ، وانى في مقال اليوم اشرح بايجاز كيف تعرف العلماء على شكل الذرة وعلى نموذجها الشمسى الذى ذكرناه ، وقد سبق أن أعطينا فكرة عن اقدار هذا العالم الشمسى الصغير ، وعن ضآلته في حيز الوجود ، ونعيد القول حتى يثبت في الاذهان انه لو امكننا أن نضع عشرة ملايين ذرة الواحدة بجوار الاخرى لبلغ طول المجموعة ملليمترا واحدا في الطول، أما نواة الذرة وشمسها الوسطى فهى أصغر من الذرة بكثير ، وذلك لعظم الفراغ الذى بينها وبين الكتروناتها السابحة حولها ، وهذه النواة من الضآلة بحيث لو امكننا ان نضع مائة الف نواة الواحدة منها بجوار الاخرى لبلغ طول مجموعها ذرة واحدة ، ومعنى ذلك وفى بعض الذرات أننا اذا استطعنا أن نحدد أو نرى بوسيلة ما طول جزء من الحيز مقداره

واحد من المليون من المليمتر فانه يلزمنا أن نضـع مليون نواة الواحدة بجوار الاخرى لكى نملأ هـذا الطول المتناهى فى الصغر ، وغنى عن البيان أن جميع الأجهزة العملية التى توصل اليها الانسان حتى الآن بما فى ذلك الميكروسكوب الالكترونى الذى يمكن بواسطته الحصول على رسم الفيروسات التى هى أصغر حوالى المائتين مرة ويزيد عن الميكروبات ، لا يمكن لها ان تعطينا صورة لذرة العنصر أو لنواتها أو لما يجرى حول هذه النواة ، والشكل (٢) يمثل ذرة الهيدروجين أول العناصر واخفها ، وهى تتكون من نواة وسطى هو ما يسمونه بروتون وهو جسيم



شكل (٢) ذرة الهيدروجين

شحنته الكهربائية موجبة ، ويدور حول هذه النواة وبعيد عنها سيار واحد هو بدوره جسيم صـغير يسمونه الالكترون وشحنته سالبه ، وهذا الجسيم او السيار يدور أيضا حول نفسه ومن المعروف اليوم ان كتلة البروتون تسـاوى حوالى ١٨٠٠ مرة كتلة الالكترون .

واذا تصورنا الفراغ الكبير بين النواة وبين ما يحيط بها من سيارات دائرة حولها وعلمنا أن كثـافة المواد العادية تختلف من واحد (كثافة الماء) الى عشرين تقريبا أدركنا أن كثافة النـواة تبلغ ٥٠٠ مليون المليون قدر كثافة المواد العادية ، ويكفى لكى نتصور عظم الفراغ بين النواة وبين سياراتها أننا اذا فرضنا فى عنصر الهيدروجين مثلا أن النواة كرة صغيرة من الصلب يبلغ قطرها بضعة سنتمترات وموضوعة وسط ميـدان التحرير بالقـاهرة فان الالكترون يكون كرة مشابهة كبيرة نوعا ما وكثافاتها اقل بكثير تدور على مسافة كالتى تفصل كرة الصلب من قليوب أو من حلوان .

ونعود الآن لنذكر كيف تعرف العلماء على هـذا الهيكل الشمسى الصـغير مع أننا لا نراه وسـوف لا نراه مهما طال بنا الأجل ، فنقول أنهم توصلوا اليه عن طـريق البحث النظرى وعن طريق البحث التجريبى ، ولا يمكن فى مقـال أو اثنين ان اشرح للقراء الوسائل النظرية التى كانت آية فى الروعة والجمال والانسجام والتى استدل بها العلماء على هذا النموذج الشمسى العجيب الى العلماء وكان للعالم الفذ الدنمركى « نيلز بور » المقام الاعلى فى فتح هـذا الطريق الموصد واثبات هذا العـالم الشمسى الذى نتحدث عنه وكانت كشوفه النظرية هى فى سـنة ١٩١٣ حيث هز العالم هذا وهو الذى قال عنـه « اينشتاين » عندما تتبع أعمال « بور الخالدة » انها أعظم سامفونية خطها البشر ، لذلك ولأهمية هـذا العمل العظيم أرجىء الكلام عليـه فى مقال قادم ، واكتفى اليوم بأن أذكر فى اختصار بعض النواحى التجريبية التى دلت على هذا العالم الشمسى ، ولعل كان من اولها التجارب التى قام بها « فيليب لنادر » من تعريض الصفائح المعدنية للاشـعاعات المختلفة ومرور جسيمات هذه الاشعاعات منها خلال هـذه الصفائح دليل وجود فراغ كبير فى ذرات العناصر المختلفة بين النواة وبين الالكترونات الدائرة حولها ، وثانيا التجارب الشهيرة التى قام بها فى انجلترا كل من « رذرفورد » و « صـودى » من دراسـة الالكترونات المردودة خلال ضرب العناصر بالاشعاعات الجسيمية المختلفة وامكانهما من تحديد هذه الفراغات بين النواة وبين سياراتها وذلك بدراسة الالكترونات المردودة .

هذه لمحة سريعة اليوم ذكرنا فيها من جديد أهمية الاطلاع على العلوم الذرية وما جرى فيهـا بعد أن اصبحت حياتنا كلها وحياة اطفالنا وحياة أحفادنا بل حياة الكائن الحى متعلقة بما يجرى فيها العلماء من تقدم وما قد يقوم به تجار الحروب من مفاجآت نرجو الا تحدث . وانى لأرجو مخلصا أن يكون عصر الذرة ونواتها الخطيرة عصر سـعادة وهناء لا عصر شقاء وفناء .

دكتور : محمد محمود غالى



الرمز فى « الجنة العذراء » و « الطريق »

« الجنة العذراء » اسم الرواية الأخيرة للأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله، وأنت تقرأها، فاذا فرغت منها وتذكرت العنوان فلابد أن تسأل متأملا : **ماذا يقصد الكاتب بالجنة العذراء؟** أهى قرية البطل«رضا» التى ولد فيها ونشأ طفلا ، ثم شرد منها مع أمه وهو لا يزال طفلا ، ثم عاد اليها شابا بعد كفاح طويل فى القاهرة ؟ أم هى « ثريا » الفتاة القاهرية التى أحبته وأحبها ، ثم خطفها الجنود الانجليز العابثون فى القاهرة خلال الحرب العالمية الثانية ؟ **أم هى الوطن الكبير « مصر » ترمز اليه العذراء التى سلبت ولم تعد الى أهلها حتى انتهاء القصة ؟ .**

كل واحدة من الثلاث تصلح أن تكون هى المقصودة بالجنة العذراء ، والكاتب يتركك بدهائه أو شاعريته وخياله حائرا بينها جميعا ، كما يتركك قلقا على مصير الفتاة .. وهى نهاية غير سعيدة لا أظن أصحاب الأقلام ــ عندما يحولونها الى فيلم ــ يدعونها على طبيعتها المقصودة المعبرة ، فلا بد فى عرفهم أن يجتمع شمل الحبيبين ويعيشا فى التبات والنبات وينجبا الصبيان والبنات ..

ولابد أن تسأل : **هل قصد الكاتب الدلالة الرمزية لنهاية القصة ، أم أن المسألة جاءت هكذا دون أن يقصد ؟** واذا لم يكن قصد الرمز فهل تكفينا عبرة الحوادث التى وقعت للفتى المشرد المظلوم الذى ضيعه أبوه وقسا عليه أخوه الأكبر ، اذ دبرت حادث ريبة لزوجة أبيه الشابة(ام رضا) أدى الى طردها هى وطفلها من الضيعة ونفيهما الى القاهرة حيث يعيشان أولا فى كنف « بركات » أخى الزوجة ، وكان قد نفى هو أيضا من القرية بعد حادث سرقة ارتكبه ، ويكبر الفتى رضا حتى يستقل بأمه عاملا فى مصطبة ، ثم تجذبه الحوادث الى القرية فيعود اليها مطالبا بحقه .

هل تكفينا من هذا كله عبرة الحوادث التى انتهت بمصرع الأخ الظالم وعودة المظلوم الى حقه أو عودة حقه اليه ؟ هل تكفينا هذه النتيجة ، **مع المتعة الممتعة التى شعرنا بها ونحن نطالع القصة فنعيش مع النماذج الحية التى رسمها المؤلف بصدق وعمق ، صدق الريفى الذى عاش بين القرية والعاصمة وخبر ماهنا وماهناك وكاد يتفرد بين قصاصينا برسم أمثاله الذين اضطربوا فى حياتهم بين قراهم وما قسم لهم من عيش فى العاصمة . وعمق الكاتب الذى تمرس بفنه ونمى موهبته بثقافة عصرية ذات جذور تراثية .**

ونجد عبد الحليم فى هذه القصة قد تخلص من أشياء كانت فيما سبقها ، وكانت لنا معه مواقف نقدية فيها ، **نجده قد بدأ القصة غير متهيب فاستولى على انتباه القارىء من البدء ، وتخلص من الفضول والتفصيلات وأخذ بالتركيز ، وصارت اللمحة تغنى عن كثير من الوصف ، وأصبح الحوار كما ينبغى أن يكون الحوار طبيعيا معبرا عن الشخصية ، مع الاحتفاظ بفصاحته ، ولا بأس ببعض العامى عندما اقتضى الأمر أى عندما شعر الكاتب بضرورته وحتميته للتعبير الفنى . ولم تعد نرى استطرادا يكاد يخرج بنا عن طريق مستقيم مرسوم .**

وأستطيع أن أقول ان هذه القصة ــ لما ذكرت ــ **أحسن قصص عبد الحليم عبد الله جميعا . ليس هذا فقط ، بل هى من القليل الذى يستطيع الانسان أن يضع يده عليه كنماذج مختارة فى أدبنا القصصى الحديث .**

بيد أن الوقفة التى أريد أقفها أمام هذه القصة ، هى فى الموضوع العام أو الهدف الذى رمى اليه . وهذا يعود بنا لمسألة الرمز الى شىء غير موجود مباشرة فى القصة وتوحى به الحوادث .

اذا قلنا بألا رمز فيها ، وكل ما هنالك قضية مظلوم، ظلم فكافح حتى انتصف ورد اليه حقه ، فما بال العذراء التى خطفها الانجليز ولم يعيدوها ؟ ماذا يريد الكاتب أن يقول لنا بذلك ، وما العبرة فيه ؟

واذا كنا لانظفر بجواب اذا أخذت الحادثة على واقعيتها فلا بد أن نلتمسه في الرمز ، لا بد أن الكاتب اذن يومىء بالعذراء الحبيبة الى مصر ، اذ سلبها الاستعمار حريتها ولم تكن قد استردتها منه بعد .

ومسألة الرمز قد أصبحت في حياتنا القصصية « مودة » وخاصة بعد أن اتجه اليها بقوة كاتبنا القصصي الكبير نجيب محفوظ ، بادئا بقصة « أولاد حارتنا » وان كان بعض النقاد يفسر بعض أعماله السابقة تفسيرا رمزيا فيه تكلف وتحميل للأشياء أكثر مما تحتمل ..

واذا نظرنا الى الرواية الاخيرة لنجيب محفوظ ، وهي « الطريق » فسنجد الموقف منها يشبه الموقف في « الجنة العذراء » من حيث النظر في موضوعها العام وهل هو — أي موضوع الطريق — مجرد انحراف شاب نشأ في بيئة تعادي القانون والمجتمع ، واصطلحت عليه أسباب ، وتوافرت ظروف ، جعلته يرتكب ما ارتكب من جرائم ، ثم كان مصيره الوقوع في يد القانون والعدالة ؟ هل الموضوع هو هذا الذي تباشره الحوادث فقط فنكتفي به الى مايعطينا القصصي العملاق من شخصيات حية وأعماق بشرية ... الى آخر ما اعتدناه منه في سائر قصصه؟ وان كان الذي تعطينا اياه هذه القصة أقل ، اذ نرى هذه القصة اقل مستوى من سابقاتها على عكس ما رأينا بالنسبة لقصته « الجنة العذراء » .

ام أن هناك شيئا ترمز اليه القصة وتوحي به ؟

لقد حاولت أن أعرف ما ترمز اليه « الطريق » فلاح لي — على قدر اجتهادي — كان المؤلف يريد أن يقول أن البطل (صابر) — ممثلا شباب العصر — كان بالبحث عن والده الذي لم يعرفه لانه نشأ بعيدا عنه — كان بهذا يبحث عن اصل ينتمي اليه وتراث يعتمد عليه . ومما يرشح لهذا التفسير عبارات توحي به في نهاية القصة . كان صابر يريد أن يعثر على والده المجهول الذي قدر انه لا بد أن يكون من ذوي النفوذ فيفيده في التحقيق والافلات من يد العدالة ، كان هذا اشارة الى الاعتماد الكلي على التراث دون جهد يبذل في التقدم، وينبهه المحامي عن هذا التطلع الذي لا فائدة منه ، وعندما يبدي صابر يأسه من الاعتماد على أبيه يقول له المحامي :

« **بل هناك جدوى فيما هو معقول** » .

هل معنى هذا ، او هل يشير هذا الى أن نأخذ بما يفيدنا من تاريخنا وماضينا ، دون الاعتماد الكلي عليه ؟

وبعد فما هو المحصول الذي نجنيه من الرمز في هذه القصة أو تلك ؟ وما قيمة هذا الذي فسرته او يفسره غيري بعد عناء ؟ هل هو مكر يمكره القصاص كي يختلف عليه النقاد ؟ واذا كان النقاد يجهدون حتى يدركوا الرموز اليه ويختلفون فلا يتفق احدهم مع الآخر فما بالك بالجماهير القارئة الذي تكتب لها هذه القصص ؟

ان شعراء «الرمزية» وكتابها لا يعبأون بالجماهير، ولا يتجهون الا الى الخاصة ، بل خاصة الخاصة . **ومذهبهم يقوم على الايحاء بالمعاني والمشاعر التي تعجز كلمات اللغة عن ادائها ، فهم يبحثون عن مكامن في النفس لا تستطيع اللغة بدلالتها العادية أن تبرزها.** وهو مذهب أليق بالشعر منه بالقصة ، وان كتبت به قصص قليلة مثل قصص الكاتب التشيكي « كافكا » .

وليس ما يكتبه كتابنا القصصيون من قبيل تلك الرمزية ، انما هم — في حالة الرمز — يفترضون شبها بين الحوادث والشخصيات التي يتحدثون عنها وبين شيء آخر محذوف يومئون اليه باسترسالهم في الحديث عن المذكور. **ونسبة هذا الصنيع الى الرمزية فيها تجوز ، لأنه في الحقيقة تشبيه كبير حذف احد طرفيه ..**

والرمزية التي تلحظ في الشعر الصوفي تقدم أيضا على مثل ذلك التشبيه ، ولكنها تقوم كذلك على خصائص رمزية من حيث الالفاظ والجمل التي توحي بغير دلالاتها الوضعية .

أما اخواننا القصصيون الذين يرمزون بالحوادث والاشخاص الى أشباهها فانهم يتعبوننا بذلك دون ان نحصل من رمزهم على متعة كالتي يحصل عليها طلاب الرمزية الشعرية .

وليتهم يهتمون بدلا من ذلك بتنمية الأغراض الاجتماعية المباشرة، وأقصد بالمباشرة مايقابل الرمز لا ما يقابل التصوير الفني . وان في قصة الطريق موضوعا اجتماعيا جزئيا كان أجدر أن يجعله نجيب محفوظ موضوعا كليا للقصة ، **وهو موضوع العلاقة التي نشأت بين صابر وبين الفتاة « الهام » والتي أوشكت أن تؤثر فيه ، انه يحدثنا عن مشاعره ازاء هذه الفتاة المختلفة عمن عرفهن من النساء حديثا كان يمكن أن يتخذ وسيلة الى تطوير هذه الشخصية .**

ومن الملحوظ في قصص نجيب محفوظ أن معظم شخصياتها تستعصي على التطوير، وتصر على مواقفها في عناد الى النهاية .

أشكوك

● يوم الأربعاء الماضي قضينا امسية ادبية ممتعة مع أديبين روسيين كبيرين . هما السيدة المستشرقة « **هيلينا استفانوفا** » والناقد « **بوريس روديكوف** » رئيس مجلة الأدب الأجنبي بالاتحاد السوفييتي . **كانت « هيلينا » تتكلم بالعربية في طلاقة وفصاحة**، وكانت تترجم بيننا وبين « روديكوف » ، ترجمت الى الروسية كثيرا من الأدب العربي الحديث مثل « الأيام » و « اللص والكلاب » .

● قال روديكوف : **ان الحياة في الجمهورية العربية المتحدة الآن اجمل واعمق مما تبدو في انتاج الأدباء** .. لأنها تسرع اكثر مما يستطيع الأدب أن يلاحقها !.

● ولما سئل: هل كتب عندكم ادب من اللامعقول، اجاب بالنفي وقال : **ان اى شعب واع منتج لايروج فيه اللا معقول** .. وان الشعب السوفييتي ليس تربة صالحة لهذا النوع من الأدب .

● وقال في معرض الحديث عن التراث الروسي : **ان انكار اى أدب ماض واعتباره جثة .. يعني اهدار قيمة كل تجربة انسانية والحكم عليها بانها ستصير جثة ..**

● كتب الزميل الصديق عبد الفتاح البارودي في جريدة الأخبار عن مسرحية « يا طالع الشجرة » فسأل أولا : ماذا يقصد توفيق الحكيم في هذه المسرحية ؟ ثم قال « انها في غاية الوضوح » وان المؤلف « منطق الأحداث » ولم يقل لنا اى شيء عن « **الوضوح** » و « **المنطقة** » ولا ماذا يقصد المؤلف .. **هلا قال** :

● حدث في المسابقة القصصية لنادي القصة هذا العام ان اخذ بعض الأدباء المحررين بالصحف مجموعات من القصص المقدمة كي يفحصوها، ولكنهم لم يفحصوها ولم يردوها .. برغم مطالبتهم بها .. واضطر المشرفون أن يتصرفوا بتبادل الفاحصين الآخرين للنسخ الأخرى ، اذ يقدم عادة من القصة ثلاث نسخ . وترتب على ذلك تأخير اعلان النتيجة .

والذى سيحدث بعد ذلك ان اولئك المحررين سيهاجمون النادى كعادتهم .. لأنه لا يعمل !

● القصص التي كتب الى بأنها مسروقة اومقتبسة كما ذكرت في الأسبوع الماضي .. تبين لى أن بعضها يشابه بعضا في أشياء يصح أن تكون من قبيل « توارد الخواطر » ولا شيء فيها يقطع بسرقة أو اقتباس ، « **ما عدا قصة «الطفل»** التي نشرها الأستاذ حسن جلال في بابه بمجلة الثقافة (عدد ٣٦) ووصفها بأنها « **تصوير للقطة خاطفة من حياة الكاتب ابى استعداده الأدبي الا ان يلتقطها في حينها** » فهي مقتبسة من قصة « الشيال » لمحمود السعدني (مجموعة بنت مدارس) ويكفي ان تقرأ القصتين لترى ان الصلة بينهما اكثر من توارد خواطر .. وقد كتب الى بذلك الأديب « فاروق يوسف اسكندر ـ منشأة بركات ـ ملوى » .

عباس خضر

حول الأدب فى أسبوع

يقدمه : عبده بدوى

رحلة الى الجنوب :

تلقيت دعوة الاذاعة بالسفر الى زيارة السد العالى وآثار النوبة ــ فى أول الأمر ــ بشىء من الفتور ، وبهذا الشىء الذى يشدنا فى القــاهرة عن الحركة ، ويربطنا بالأشياء الصغيرة التى تجمدنا يوما بعد يوم وتمتعنا ساعة بعد ساعة٠٠ثم انى سبق لى أن ترددت على هذه المناطق أكثر من مرة فى الفترة التى كنت أعمل فيها بالسودان ٠

ومن هنا حملت هذا « الشعور الميت » معى حتى وصلت الى اسوان ، ولكن ماكدت اتغلغل فيها حتى احسست بشىء جديد يلفح الوجه ، ويلفح القلب ٠٠ شىء يزلزل « الرتابة القاهرية » فى النفس ، ويجعل الانسان مشتاقا الى ان يعمل شيئا ، أو يحرك شيئا فقد وددت أن أحمل الأحجار ، وأضغط على أزرار الديناميت ، وأسهم فى عمليـــــة « تعقيل » النهر وانتصار الانسان على الطبيعة ! ٠٠

ثم أن أشترك فى أداء هذه الأغانى الطيبة التى يرددها العاملون فى السد ، والتى يمكن القول بأنها امتداد للأغانى الصعيدية التى تشتاق دائما الى شىء وتحن دائما الى شىء ، فان كلمات الاغنية القديمة اذا كانت قد وقفت عند حد اللهفة الى العــودة والعجز عنها فى مثل قولها :

«انا بدى أروح مزانه

قرشينى قليلين ! »

فان الاغنية الجديدة الآن تطلب من الحجـــارة أن تتحرك ، ومن الماء أن يقف ، ومن الآلات أن تستمر، ومن السد أن يرتفع ، ولقد كان كل ما تطلبه الاغنية يحدث ــ فى أثناء أدائها ــ وينمو ، ويصبح واقعـــا تشاهده العين ، وتلمسه الكف ٠

شاعر الجسر الصينى :

وحين أصل الى هذا أذكر الشاعر الصينى «لى ين» الذى عطر لياليــا فى القاهرة من عدة سنوات ، والذى طلب منى ومن العنتيل ، ونشأت والفيتورى أن نقف به عند « منبع القاهرة » وكان أن ذهبنا به الى حى الأزهر ، ثم طلب أن يزور أسرة مصرية ، وكان أن ذهبنا به الى بيتى ، وفى هذه الجلسة ســألناه عن أشياء كثيرة ، وكان من بين هذه الاسئلة «وما وظيفتك ايها الشاعر ؟ وهل يحظى الشعر عندكم بالتقدير ؟» واذا به يذكر : انه شاعر الجسر ، وان الشعر هو أحد القوى التى تحرك بلاده ٠

وحين يجد الغرابة تكسو وجوهنا يذكر ان الصين تربط بين ضفتى نهر كبير بجسر ، وأن هذا العمل قد قدر لانجازه عدد من السنوات ، وفى الوقت الذى تم فيه اختيار المواد اللازمة للبناء اختير شاعر ليقول كلمة « انتصار الانسان » فى هذا العمل ٠

ومع أنه لايطالب بالعمل الا انه يجد نفسه يختلط بالعمال ، ويستمع الى امانيهم واشواقهم وصيحاتهم ، والى أحزانهم كذلك ، ثم يعبر عن كل هذا بالشعر٠٠ وحين نطلب منه قراءة احدى قصائده يتهلل وجهه ، ثم يصبح جادا كأنه مازال يعمل هناك فى بلاده ، ثم يكسو ليل القاهرة بهذه القصيدة التى تقول :

« ها انا انتهيت من العمل

يداى موهنتان وقلبى سعيد

هاانا أستدير بوجهى !

لم يعد لدى شىء الا ان أسير الى كوخى

ولكن جسمى يثقل واكاد أتهاوى

هاانا أتهاوى

ولكن ماذا أرى ؟

من هذا الشيخ الذي يقف مستطلعا

عند باب كوخي

هاأنا اجاهد نفسي لاتعرف عليه

هاأنا اتحرك في تثاقل

ها أنا المحه .. ألمح وجه زوجتي

وبدلا من الاحساس بالاعياء

احس كأن قوة العالم دبت في جسمي

احس كأني استطيع بناء الجسر وحدي

وتحدثني نفسي وأنا أسير الى زوجتي

أن أعود مرة ثانية

لأواصل العمل بالليل

لأعمل اربعة وعشرين ساعة

من اجل زوجتي التي تنتظرني

ومن اجل وطني الذي ينتظر الجسر »

ويدفعني هذا الى أن أتذكر الاعمال الفنية والادبية التي دارت حول السد ، ولكني لا أتـذكر شيئا ، وتسرع الى أذني تلك الاصوات التي تقول « لابد من البعد عن اللوحة حتى يمكن رؤيتها ، ولابد من انتظار ثمرة المشروع حتى نرتفع بالغناء » ويدور في ذهني أن الدولة لاترغم الاديب أو الفنـان على أن يصرخ بالشعارات ، أو أن يزيد في طبقة صوته الطبيعية ، ولكنها تريد منه أن يضع قلبه على نبض عصره ، وعلى حركة الحياة من حوله ، وانه كما يعمل على التردد الى المصيف والمقهى والاماكن المسلية ، فان عليه ـ خدمته لفنه ولأدبه ـ أن يتردد على الاماكن التي تتحرك في حدته ، والتي تغص بالناس ، وبنمو العلاقات الجديدة وخلق الظواهر الاجتماعية ، واعادة تشكيل الطبيعة ، وبمشاهدة ما يمكن تسميته «بجغرافية الثورة» فكل هذا بلا شك سيعطينا الدليل على عملية التسطيح في الحياة الادبية ، وكيف أن حياتنا تخلو من مدة كبيرة من الاعمال الضخمة المزلزلة ، التي يمكن أن تقف كالجبال والربى ، وسط السفوح الادبية الكبيرة التي تلف الآن القصيدة ، والقصـة ، والرواية ، وبعض الاشكال الادبية الاخرى .

اللحظة الحاسمة :

ثم الى جانب هذا يجب أن تذكر «اللحظة الحاسمة» التي يقف فيها التراث الفرعوني على أهبة الغرق ، وكيف أنه كما يمكن انقاذ المعابد يمكن أيضا انقاذ قصة أو قصيدة فرعونية باعادتها من جديد ، ومن وجهة نظر جديدة .

ثم هل نستطيع أن ننسى عملية « التغيير النفسي » التي تعم الآن منطقة النوبة في الجمهورية العربيـة المتحدة ، وفي السودان ، وكيف أن مشاعر هـؤلاء الناس تتوقع التربيت عليها ، وأنهم في حاجة الى أن يحسوا أن المواطنين من حولهم بالكلمة والصورة ، وأنه يجب أن نحتفي « بالانسان الجديد » الذي يولد فيهم ، بعد أن عاشوا فترة طويلة لعبة في يد النهر ، ولكنهم مع المواطنين من حولهم أصبحوا يتحكمون في النهر وفي المستقبل وفي كافة مجالات الحياة .

لقد سبق للفن التشكيلي أن قال كلمته في هـذا المجال ، حين استجاب الفنانون للدعوة التي وجهتها اليهم من قبل وزارة الثقافة والارشاد القومي لزيارة هذه المناطق ، وكان من ثمرة هذا اقامة معرض ، أسهم فيه حامد سعيد ، وصلاح طاهر ، ومحيي الدين طاهر وخميس شحـاته ، ثم كان ربط هـذه اللوحات سينمائيا على يد المخرج سعد النديم .

وفي ضوء هذا تبقى كلمة الادب ، ولقد أحسن الاستاذ عبد الحميد الحديدي بدعوته بعض الـكتاب الى جانب الاذاعيين ، ولكنا نطمع من الاجهزة المشرفة على الادب أن تعمل على النزول بالادباء الى « ساحة الابداع » في اسوان والنوبة .

وفي الوقت نفسه نطالب الادباء ـ اذا تخطاهم الاختيار ـ بالسفر على حسابهم ، ليتزودوا بلحظة الانتصار التي تتم في الكيان المصري ، وبالتغيير الذي يحدثه الانسان في « ثبات الطبيعة » ذلك لان النيل لم يعد بعد الآن شرانا حالما يجري على صفحة زرقاء وانما أصبح الى جانب ذلك طاقة خلاقة يتحكم فيهـا الانسان من أجل نضارة الكلمة ، وخصب الحقل ، ومن اجل الرسم باللون الاحمر على خدود الاطفال ، وعلى خدود الثمار !

سمعتهم يقولون :

الدكتور محمد المعتصم سيد .. يقول ان معبـد فيله معناه معبد النهاية ، وانه يسمى كذلك أنس

الوجود ، وأن هناك قصة تدور حـــوله مؤداها ان شابا يسمى « انس الوجود » أحب فتـــــاة تسمى «زهرة الورود» وان اباها حين عرف أن انس الوجود غير كفء لها نفاها الى معبد «ايزيس» فى هذه الجزيرة وحين عرف «أنس الوجود» اختفاءها أخذ يبحث عنها فى كل مكان ، مما رقق عليه قلب الحيوانات ، وجعل التمساح يحمله الى حيث تقيم حبيبته ، ثم تنتهى القصة بموافقـــة الاب عـلى الزواج ·· ثم يصمت الدكتور المعتصم لحظة ويذكر اننا مولعون دائمـــــا بالنهايات السعيدة ، ولعل هذا يفسر النهـــــايات السعيدة فى قصصنا وأفلامنا ·

● **ايهاب الازهرى** ·· يقول بعد حديث عن لغـة النوبة ولغة بعض القبائل ، ان اللغة العربية يجب ان تسود هذه المجتمعات ، وأنه يقترح استدعاء خبراء العربية حول مائدة مستديرة ، ثم الوصـــــــول الى كلمات نابضة يمكن بها التسلل للحياة العامة على أن تحتشد حول هذا العمل أجهـــزة الاعـــلام ، وأنه نفذ هذا بتمثيلية اذاعية راعى فيها عدم وجود كلمة « مش » وكلمة « معرفش » ، وان هذا زاد فى قيمة العمل الدرامية ·

● **احمد بهجت** ·· يقول بعد وقوفه امام التماثيل المتعددة لرمسيس فى معبد أبو سمبل ، لقـد كان بلا شك مصابا « بالنرجسية » ، وأنه يجب أن تقدم دراسة عنه من خلال هذا المفهوم ·

● **على رشدى** ·· يربط بين طاقة الصوت وتأثيرها فى الحديد ، وبين احتلال يوشع وانصاره لمدينـــــة اريحا ·

● **لميس الطحاوى** ·· تذكر انه كانت هناك قصة حب بين المثال سمنون وبين حتشبسوت ، لقد ضلل الناس ببناء مقبرة له فى مواجهة قبر حتشبســـوت ولكن جثته عثر عليها فى قبر سرى يصل خلال نفق الى قبر حتشبسوت ، وحين تصل الى هذا يذكر على عيسى ان هناك قصــــــة حب جديدة الآن توجد بين العمال وبين هذا النفق - ويشير بيده اليه - فخلف كل معمار قصة حب ، وبقدر كمية الحب يكون البناء عظيما وخالدا ·

● **فؤاد عمر** ·· يربط بين « رقصة الحنـــــة » السودانية - التى شاهدناها فى حلفـــــا - والتى تتشكل من مجموعتين من الشباب والشابات ، وبين الباليه الشرقى الذى يمكن أن يغزو العالم ، بعـــد القيام بعملية تطوير صغيرة فى الحركة ·

● **محمد الادندانى** ·· يغنى هذه الأغنيـــة التى تقول :

« يا أهلى ·· يا أهل بلاد النوبة

قوموا معى ، احملوا حقائبكم ، وهيا بنــــا الى « كوم امبو »

هيا الى الوادى الجديد لبناء الوطن الجديد

ياشباب النوبة ·· الوطن فى حاجة الى سواعدكم

من الصباح الباكر سنحمل الفؤوس

ونضرب الأرض ·· حتى تخضر !! »

● **الامام غـالب بن يحيى** .. امام عمـان كان مما قاله لى فى حديث طويل ، اننــا فى معركتنــا نستعين بالشعر ، فهو ســلاح من الاسلحة التى نصوبها ضد المستعمرين ، وحين سألته عن طريقة الحرب بهذا السلاح قال لى : اننا نملأ به نفوس المحاربين ، وذلك باننا جمعنا كافة الشعر العمانى فى كافة العصـــور ، ويقـوم الآن بتحقيقه ونشره عز الدين التنوخى عضو المجمع العلمى فى دمشق ، ليكون فى قلب المحارب وهو يضرب ، وفى نفس كل عمانى عيناه وأمله على الفجر ، ثم أنشد لى ابيـاتا لسليمان بن المظفر النبهانى يقول :

الا كل ليــل لم تنمه طـويل
وكل جليس لا يود ثقيــل

وكل وصال لم يكن بين اهله
مواثيق من أجل الهوى سيزول

ثم رفت اجفانه كأنه يستحضر بلاده بين جبتى عينيه ، وغدا صـوته عميقا كأنه البحر ، وجليلا كجبل عمان الأخضر ، وحمل الليل امامنا هـذه الابيات لمحمد بن شيخان السالمى .

شمس من الأنس صار الحسن هيكلها
القت اليهــا النهى طوعا معولهـا

رمحية القـد ، بطاشية خلقـا
صبحية الوجه تعنو النيران لهـا

ما موقت لحظها بالطرف راميـــة
الا اصابت من الالبـاب مقتلهـا

« **عبده بدوى** »



أسطورة اسرائيل ..
تاليف : دكتور فرانس جوزيف شيدل
ترجمة : عادل القبانى
احمد عبد القادر

لقد صرح بن جوريون الارهابى اليهودى المتعصب مرارا وتكرارا بقوله .. « لقد أتى اليهود الى فلسطين ليبقوا ويؤسسوا وطنهم الذى يمتد من النيل الى الفرات » .

اما مناحم بيجن فقد صرح فى يناير سنة ١٩٥٦ بقوله : «اننا نتطلع الى سهول سورية ولبنان الخضراء الواقعة شمالينا . وفى الشرق الى وديان دجلة والفرات الغنية وبترول العراق .. اما فى الغرب فالى مصر ولن يتيسر لنا النجاح اذا لم تزود مشيئتنا بقوة سواعدنا ..ويجب ان نجبر العرب على الخضوع الكامل .

وفى تصريح آخر يقول مخاطبا اليهود .. «ينبغى الا تستكين اسرائيليتكم عندما تقتلون اعداءكم . لا تاخذكم بهم شفقة حتى ندمر الحضارة العربية المزعومة ونشيد حضارتنا على أطلالها ..

واذا ما تركنا بن جوريون - ومناحم بيجن جانبا لنرى ما يقوله غيرهم . نجد هلموث جولفيشر يقول فى تعصب وتبجح غريب :

« ان لاسرائيل مهمة عالمية خصتها الانسانية بها .. ومن يتجاهل هذا عند تناوله دولة اسرائيل . سيكون مغمض العينين للعلاقة الحقيقية للتفاصيل والدوافع الخاصة وللشعور المتدفق لما حدث هناك ، ومن يتوصل الى فهم لغز مهمة اسرائيل فى الوجود سيظهر له أنه هنا فى القلب الأوسط لتاريخ الشعوب الذى هو كل شيء والمسيطر على كل مكان يعيش فيه الانسان ، والذى منه سيعاد نسيج خيط تاريخ الشعوب . والذى يعد كل موضع آخر عداه موضعا فرعيا . »

هكذا يفكر اليهود الخياليون المنادون بالقومية اليهودية الأبدية المتعجرفة فهم يمجدون الخطا الواضح . والسلب المخزى . لقد جعلت منهم قوميتهم العنصرية . بهائم .. يخفون حيوانية الغطرسة خلف مجد بطولات زائفة ويضفون على اعمالهم غير المشروعة صفة البطولة .

والكتاب الذى اقدمه اليوم يرد على أسئلة كثيرة مازالت تشغل بال الراى العام العربى - والعالمى - بعض هذه الأسئلة أجبت عنها قبل ذلك فى مجال مناقشتى لكثير من الكتب التى قدمتها فى هذا الموضوع اخص منها بالذكر ما يلى : هل لليهود اية حقوق تاريخية فى فلسطين ؟

وهل لليهود كذلك اية حقوق دينية فى فلسطين التى تقدسها جميع الأديان السماوية .

ثم .. هل تختلف اليهودية عن الصهيونية .. أم انهما اسم لمسمى واحد ! وكثير من الأسئلة طرحناها - هنا للمناقشة - وقدمنا لتوضيحها ما استطعنا من جهد ..

وسؤال اليوم هو :

ما هى المنجزات العمرانية التى حققها اليهود والتى يملأون بها العالم ضجيجا .. ؟ وهل تتساوى

هذه المنجزات الوهمية ـ مع ـ ثلاثة مليارات من الدولارات ـ حصل عليهـا المستعمرون اليهود فى فلسطين ؟

ويجيب المؤلف عن هذا السؤال بقوله ٠٠ ص ٢٩

لقد زعم الاخصـائيون ان دولة اسرائيل كلفت العالم حتى اليوم مبلغا يزيد على ثلاثة مليارات من الدولارات (رغم ان الرقم الحقيقى يزيد على ذلك كثيرا) وحصلت اسرائيل على جزء كبير من هذا المبلغ من ضرائب فرضت على الأمريكيين فى الولايات المتحدة ٠ وقد صدر تقرير فى صحف واشنطن يقدر المعونات التى ذهبت من دافعى الضرائب فى الولايات المتحدة الى اسرائيل بأكثر من ١٦٥ دولارا من كل فرد ٠

ولم تتمكن دولة اسرائيل ـ وتعدادها يبلغ ٦ و ١ مليون يهودى ـ من أن تحافظ على نفسها بالاعتماد على جهود مواطنيها ، ولكن الدولة التى لا تستطيع أن تتكفل بنفسها بل تعيش دائما على المنح والمعونات من الخارج لن تتوفر لهـا القدرة على الحياة ٠ فاندفاع الأفلام الدعائية اليهودية التى تظهر التقدم فى بناء الدولة اليهودية مبالغ فيها كثيرا لأن هذه الأعمال العمرانية التى نفذت ليست من العظمة اذا ما قورنت بمئات الملايين من الدولارات التى خصصت لها ـ والتى تدفقت على اسرائيل من جميع أنحاء العالم فبالمقارنة الى هذه الموارد تعتبر هذه الأعمال فى منتهى التواضع ـ ولقد ازداد سكان اسرائيل منذ سنة ١٩٤٨ ٠ فقد حل محل ٨٠٠ر٠٠٠ عربى طردوا من ديارهم مليون يهودى ٠ وقد تهكم الكاتب مكس فى كتابه (اللبن والعسل) على ميل اسرائيل المغالاة والتفاخر والاعجاب قائلا :

« ان اعترافهم الواقعى بأعمالهم يشعرهم بالاهانة ٠٠ فعندما يبنون منزلا لا يمكن للكلام أن يعبر عن عظمتهم » ص ٤٢) ٠

ويبدو لى من ذلك ان مقدرة اليهود على الحيـاة مشوشـة لان اليهـود لم يكونوا يوما ما مزارعين ٠ وربما أثيرت من جراء ذلك مشكلة امكانية بناء دولة اسرائيل ٠ لأن اليهود تعوزهم الكفاية اللازمة للعمل الزراعى ٠٠

ويقول كذلك ص ١٤٦ ٠

لقد تعود سكان المستعمرات اليهودية المساعدات مما جعلهم يتقاعسون عن القيام بالاعمال الانشائية الضخمة ٠٠ لان الهبات قد دفعتهم الى عدم ارهاق أنفسهم كثيرا ٠ فاصبحوا مجمـوعة من الكسـالى المرهقين ٠ بل اصبح كل همهم هو ابتكار أفضل السبل لاجتنـاء أكبر قدر ممكن من المسـاعدات المتدفقة ٠

وهكذا تأصلت فى اليهود حاسة استمرار التطفل التى زينت لهم التفكير الواضـح فى الاعتماد على المساعدات الخارجية ٠٠ والعيش على نفقة الآخرين ٠ وأصبح الكسل والاهمال والخداع وتقلص ثم تلاشى الاحسـاس بالكرامة وكثير من الملامح الأخرى من السمات المميزة لسكان المستعمرات اليهودية ٠٠

هكذا قامت اسرائيل ومازالت قائمة على التسول ٠٠ أو بعد ذلك يمكن أن يكون اليهود ـ شعب الله المختار ؟

وسؤال آخر :

هل اليهود بهذه الدرجة العـالية من التعصب والغطرسة والتعالى ـ قوم على استعداد لأن يقدموا التضحيات والدماء من أجل كيانهم المزعوم ٠ ؟

لقد حارب اليهـود قبل النكبة شـعب فلسطين العربى الأعزل من السلاح ـ باقامة المذابح الرهيبة فى حيفا ـ ودير ياسين ـ وغيرها من المدن العربية المسالمة ـ وحاربت عصاباتهم جيوشا عربية كانت تأتمر ـ باوامر بريطانية ـ تلك الجيوش التى دخلت الحرب لتنافس بعضها بعضا بدلا من أن تخوض الحرب جبهة واحدة ضد العدو المشترك ٠ الا أن اليهود مازالوا يتفننون ٠٠ بصفاقة منقطعة النظير ببطولتهم وانتصـاراتهم فى حـرب السويس سنة ١٩٥٦ ـ حتى قال بن جوريون متبجحا فى الذكرى العاشرة لتأسيس دولته المزعومة ٠

« ان انتصارنا فى سيناء لم يكن النصر الأكبر فى تاريخ اسرائيل فحسب بل انه النصر الأكبر فى تاريخ العالم قاطبة » ٠

يقول ذلك وهو يعلم أن اليهود ، دخلوا هـذه الحرب ذيلا لانجلترا وفرنسا ٠٠ وعلى من يـكون الانتصار بعد انسحاب الجيش العربى من سـيناء ليواجه قوات دولتين من أكبر دول العالم ٠

انه بلا شك انتصار عظيم ضد الفراغ .. فراغ الصحراء الخالية من القوات التى يمكن أن تتصدى لعدو يحاول أن يبنى لنفسه مجدا فى الهواء .

ولنرى راى الدكتور فرانس جوزيف سيدل فى ذلك الوهم الكبير .. وهم البطولة العسكريه الزائفة .

يقول شيدل : ص ١١٤

«أنا لاأخفى أن الاسرائيليين ليسوا أبطالا . . وبمعنى أدق لم يقدروا أن يكونوا كذلك ، انهم لم يهزموا حتى اليوم (كما يقولون) لانهم فى الحقيقة لم يخوضوا غمار قتال حقيقى حتى الآن .

واليهود فى مجموعهم ابناء الحاضر فلدى أغلبهم راى عن الحياة فريد .. ففى اعتقادهم أنهم يملكون حياة واحدة ، وهذه الحياة الوحيدة الفريدة هى أقوم حياة لديهم ، ودافع حب الحياة القوى يدفعهم الى الضن بها فى سبيل ميتة بطولية الى أن الكثير من الاسرائيليين ليس لديهم أى استعداد للتضحية بحياتهم فى سبيل وهم وفكرة شيطانية أو فى سبيل تدعيم الدولة المصطنعة التى قامت نتيجة اللااخلاقية والوحشية على ارض مهددةوغير ثابتة

واذا قدر لك وقرات كلمات الاعجاب الشخصى التى يدبجها الاسرائيليون فسترى الى أى حد تفوح روائح الغش ولن تتمالك نفسك وانت تسمع فخر الاسرائيليين بأنهم أعظم جنود العالم فى العصر الحديث ، أو بأنه من المحتم أن يعيشوا دائما فى فلسطين نظرا لموقفهم العدائى من العرب المشحون بنار البطولة المستقرة المستمرة .»

ان اليهود مافتئوا يفيضون فى الحديث عن مهارتهم الحربية العسكرية والبطولية على ضوء النجاح المزعوم الذى أحرزوه والذى فى الحق لم ينالوه مطلقا ـ والذى عليهم أن يثبتوه ضد عدو على قدم المساواة معهم .

ان الدخان الشخصى الذى يتوارون خلفه ويضللون به العالم ليس اساس حتى اليوم .

وقد اورد المؤلف تلخيصا لمذبحة كفر قاسم التى اقامها اليهود فى ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٥٦ على لسان الفتاة الوحيدة التى نجت من هذه المذبحة وهى (جنة سليمان) التى تبلغ من العمر ١٦ عاما ، . قالت الفتاة .

ـ لقد استوقف الاسرائيليون عربتنا . ثم أمرونا بالنزول واخبرونا انهم سيطلقون النار علينا جميعا وبدات النساء تولول وتصرخ راجية مستعطفة بان يبقوا على حياة الفلاحات الفقيرات.. الا انهم اطلقوا مدافعهم على النساء ومن بينهن : فاطمة داودصرصور الحامل فى شهرها الثامن وفتاة عمرها ١٦ عاما وفتاتان عمر كل منهما ١٣ عاما هما : لطيفةعيسى ورشيقة بدير .

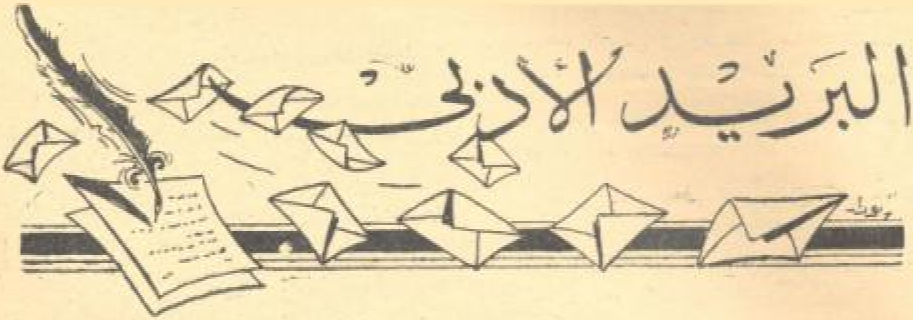
وقد نشرت جريدة نيويورك تايمز ان اليهود قد قتلوا فى الايام الاولى لحملة سيناء حوالى ٥٠٠مواطن فى خان يونس وحوالى ٧٠٠ فى رفح وحوالى ٦٠ فى غزة .

وذلك كله فى الايام الاولى فقط .

ترى اهذه هى بطولة اليهود الزائفة بطولة عسكرية ضد النساء والاطفال والشيوخ .. الا ـ مااخزاها من بطولة بغيضة ! بطولة اسطورية تخلقها أوهامهم المتعصبة ، سوف تقضى عليها ـ بلا شك ـ كتائب جيشنا العربى الموحد .. عندما تزحف لاسترداد أرضنا السليب .

تحسين عبد الحى





مات العقاد ...

بقلم عبد الخالق عبد الرحمن

فى الثانى عشر من مارس خفت ذلك الصوت الذى كان يدوى فى أرجاء الشرق ، وهوى ذلك البنيان المشمخر ، كان رحمه الله نورا للسالكين فى وسط تلك الليالى المدلهمة ، وهدى للسائرين فى تلكم الغياهب المظلمة • ترك فراغا واسعا فى كل قطر عربى وبلدا اسلامى ، وأسى ممضا فى قلب كل أديب ، وعالم وفقيه ، ولكنه خلف أسفارا خالدة تلك مؤلفاته التى جعلت منه أديبا عالميا وعبقريا فذا يحلق فى سماء المجد والخلود •

يعجبنى فى العقاد ايمانه ، ايمانه بنفسه فقد كان من نوع يجعل المرء لا يرى شيئا فى حدود الايمان ، ويرى الايمان فى حدود كل شىء ، لقد صغرت الدنيا والحياة وفكرة متاعهما فى قلبه فكان الايمان لا يزال يعمل عمله حتى يجعل فى الغرائز عقلا وفى الشهوات ارادة •

وحتى الرغبات الدنيا تصبح بمعنى جديد فهى لا تبعث فى مساق من شهوة الجسد • بل فى مساق من شهوة الروح المركزة بالايمان وان شهوة الروح الصعور بذاتيتها العليا فى الفطرة والاخلاق والاجتماع •

لقد كان العقاد مدرسة قائمة بنفسها رفعت أعلامها فى كل مكان وكانت منارا تنير الطريق فى دروب الأجيال • والعقاد رحمه الله كان يعرف يصنع ما يصنع من ذاته وكيف يشق طريقه ويمشى فى الحياة على أساطير الفناء •

لقد فقد المجتمع العربى هذا الكاتب البارع ، والأديب اللذوعى ، والعالم المفوه والخطيب المهذره وهو فى حاجة اليه ، العقاد ومضة من قبس ذلك الوادى المقدس ، وان هذه الجذوة المشتعلة فى عقله ونفسه ويديه لم تخب بل ستنير السبيل للاجيال القادمة على كر العصور وتوالى الدهور •

من وحى مقال بين هرم خوفو وسد عبد الناصر

بقلم ابراهيم أحمد عبد الفتاح

حياك ربك يا جمـا ... ل بدأت عصر المعجزات

يا بانى السد العظيـ ... م يفوق أعلى الراسيات

هرم تشيد للحيـا ... ة ولم يشد للموميات

كم بين محى للنفو ... س وبين رمس للرفات

هـرم الأوالى بالسيا ... ط وبالضحايا الغاليات

والسد يبنى بالرضـا ... ء وبالأجور المجزيات

لك ياجمال حديث فخر ... مالىء كل الجهـات

لا زلت منصور اللو ... اء موفقا للصالحات

آيات فضلك سجلت ... بحروف نور باهرات

كم منشآت فى حمى الـوادى بفضلك ناطقات

يا منصف الفلاح والـ ... عمال من كل الفئات

شرفت عصرا جئت فيه على العصور السابقات

اشعة ملونة

بقلم فهمى سالم علوان

أيتها الشمس .. ما ارحب قلبك ! انه يغمر بالدفء حدائق البلابل الغريدة ، مثلما يغمر حدائق الغربان الناعبة !

أيتها الجزيرة التى لا تعرف الليل .. ولكن بدرها أبدا يغسل الكون بنوره ، وكواكبها أبدا متلألئة ، أين أنت ؟

قلبى مزرعة مشاعة .. منك البذر .. ومنى السقى والرعاية .

يقولون : الانسان حيوان ناطق . ويقولون : الانسان حيوان اجتماعى .. ويقول غيرهم : الانسان حيوان ذو ذوق !

أيتها الريشة ! أنت يراع كاتب .. وبعض جناح .. وواحدة من آلاف ، مخدة نائم !

قال لى : من أين أبدا ؟

قلت : من حيث انتهيت .

بين الصباح والصباح ظلام ليلة .

أيتها القصيرة النظر ، كيف توفقين بين المحدقين ، فى صمت ، فى النور الاسود ، وبين المغمضين العينين عن النور الاسود ؟ كيف ؟!

ولماذا تسخر من قطرة الماء ؟

انها ندى .. يزوق النرجس الغض ،

وهى قذى .. يطفىء شمعة منيرة ..

انها عالم واحدة ..!

ولمن تتحدث ؟ والجدران ليس لها آذان ؟!

قال غراب لحمامة : متى تبطلين النواح أيتها العزيزة ؟!

فقالت : عندما تخلع عنك ثياب الحداد .

ايه أيها القمر .. لقد وضعوك فى المزاد .. فكيف أحدثك ؟ وأنا اجهل التجارة ؟!

ـ من أنت أيها الانسان ؟!

فيردد الصدى : الانسان .. الانسان .. الانسان ..

كم مرة اعترفنا بأخطائنا عندما وجدنا أن ذلك سيدعو الآخرين الى وصفنا برحابة الصدر وحب الحقيقة الخالصة ، بعد أن خسرنا أنا نصيب !

ابليس واحد . ومئات هم الانبياء والمصلحون . فأى شيء هو الانسان ؟!

بعض الناس يفضل لحم الطير ، وبعضهم يفضل لحم الضان ، بل هناك من لا يرضى للحم الخنزير بديلا .. الا انهم ليسوا قلة قليلة أولئك الذين يفضلون لحم الانسان !

اثنان لا يتكلمان ، الأخرس وجليس الصم .

يباركون الورد ويلعنون الشوك . أتلعن الحارس الأمين اذا كان دميم الخلقة ؟!

ملايين الشموع احترقت لتضىء الطريق للناس ، فهل من انسان واحد احترق ليضىء للشموع الطريق ؟!

سحر البيان

بقلم عبد العظيم ابراهيم المطعنى

كنا نسمع بين الحين والحين من أساتذتنا فى مرحلتى التعليم الاعدادى والثانوى بالازهر . أحاديث فياضة حول مجلة الرسالة ومدى نهوضها باللغة والأدب والفكر . وأنها روح باعثة أنعشت اللغة وأكسبتها مرونة وحيوية وازدهارا . وان الاستاذ أحمد حسن الزيات أعاد للغة جدتها . وأحيا دارسها وأزاح عنها لكنة الدعى وعى المتفاصح . وكانت أنفسنا تذهب حسرات على ما فات متمنين ان لو اشرقت شمس الفكر من جديد . وكم كان القدر كريما . فقد عادت الرسالة الى الظهور . فتلقفناها فى لهفة عارمة وشوق عميق . فاذا بها تملأ فراغا كان قد اتسع . وتنشر شعاعا كان قد احتجب . وتنمى فكرا كان قد اضمحل .. وقد أتيحت لى فرصة اللقاء بالاستاذ الزيات باعث اللغة وموقد الشعلتين وكان هذا أول لقاء يجمعنى به فى جلسة خاصة فيها نخبة ممتازة من رجال الفكر والادب . فكانوا كلما خاضوا فى حديث سبقهم الزيات بروائع المأثور من نثر وشعر . كأنه صيغ لأوانه . وخصيصا من أجل مناسبات الساعة . وان بعد ما بين العهدين . عهد الصياغة وعهد السياق . ولكنها حدة الذكاء . وسرعة البديهة . وما كان للغة أن تبخل على رجل هو صير فيها وقائد نهضتها . ان الآذان كانت تصغى

لجميل تعبيره . والأنامل تسطر شوارد أفكاره . صنيع الطالب المسترشد لدى أستاذه الراشد . فاخذتني نشوة الطرب . وسرت في روحي نسمات الزهور ورأيت عجبا أي عجب .

كانت مساءلة الركبان تخبرنا
عن أحمد بن سعيد اطيب الخبر

حتى التقينا : فلا والله ما سمعت
أذني بأحسن مما قد رأى بصري

ان من يجلس لدى الزيات يسحره بسحر بيانه، وسرعةخاطرته ولولا مطالبالحياة ما فارقتهساعتها. فقد خرجت بخطوات متثاقلة . انتزعها من الارض انتزاعا . تتقاسمني عاطفتان جياشتان بين متعة الروح وحوائج الجسد ولا غرو . فان البيانلسحرا .. وان الجليس الصالح كبائع المسك اما ان تبتاع منه او تشتم رائحة طيبة .

عن العقاد

بقلم محمد الشاذلي

في تحليل بجريدة الجمهورية « للاستاذ رجاء النقاش عن « محامي العباقرة » ذكر ما يأتي » .. واذكر أن العقاد اختلف مع أحد تلاميذه المعروفين عندما اصدر كتابا عن « العدالة الاجتماعية في الاسلام » واعتبر هذا الكتاب انحرافا شيوعيا من تلميذه الذي كان من أنبغ تلاميذه وأذكاهم المجرد ان الكتاب تناول « القضية الاجتماعية » تناولا يلتقي في بعض مواقفه مع الفكر الاشتراكي » والكتاب المشار اليه هو للاستاذ سيد قطب . ولا نريد ان نبين مجافاة هذا الحكم للموضوعية وبعده عن روح البحث العلمي الصادق ولكننا نؤكد للاستاذ رجاء النقاش أن العقاد لم يبد هذا الرأى قط . لسبب بسيط وهو أنه كان يتحاشى تناول مؤلفات تلاميذه وبحوثهم بالنقد أو التقريظ دفعا لأى مظنة ودرءا لكل شبهة وقد نوه ــ رحمه الله ــ بهذه الحقيقة واوردها سيد قطب مرة في « الرسالة » المحتجبة .

***

وفي كلمة بدون توقيع « عباس محمود العقاد يغيب » بمجلة « العلوم » البيروتية كلها خلط وتشويه وتناقض اقله « قد ساهم ــ يعني العقاد ــ في تبيان نقائص الحروف في اللغة العربية . مثلا . وطالب باستبدالها بالحروف اللاتينية » وازاء هذا الكلام لا نملك الا أن نضرب كفا بكف عجبا ودهشة لمن يتصدى للكتابة عن العقاد ولا يعرف الفرق بينه وبين عبد العزيز فهمي .

***

وفي نفس المستوى بالعدد المذكور منالمجلة كتب صلاح عيسى فيمقال له بعيد عنالعقاد وبدونمناسبة « وصرخة العقاد ضد اصلاح القرية التي صاح بها : سلامة موسى المراجيفي » وصلاح عيسى أديب ناشىء يتحسس طريقه فلا عليه أن تعثر أو كبا . بل علينا أن نبصره وتأخذ بيده ونرشده الى ما يجب أنيعرفه سيان في البحث والمعرفة أم في التفكهة والأسمار فحرى بنا ان نقول له ان المجال أمامه متسع وفسيح ليعرف صرخات العقاد وضرباته ضد من كانت ؟ ولا بأس من دفع ابتسامة على شفتي الأديب الناشىء حين نقول له انه ليس ثمة علاقة ما بين سلامة موسى والصفة التي الصقها به . اسالك الا تعرف طفلا صغيرا تحبه وتحنو عليهوتدلله ولا بأس أن تستطيب أن يجعل من حجركمرحاضا له . في هذا المعنى كتب العقاد شعرا جعلها البعض حكاية نسجوا منها خيوطا واستوحوا منها صفاتا الصقوها بمن هو على طرفي نقيض من سلامة موسى ، ولكن الأديب الناشىء يتقمص « منهجا » بعينه فلا بد أن تأتي معلوماته « علمية منهجية » وفي « الرسالة » يروى الاستاذ عبده بدوى كلمة صالح جودت بنادى القصة « وعناد العقاد حين يرى الرأى ويملى أن يسجد الكون عنده » والرأى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؛ محال على انسان . واقرب مقال يدحض هذه الفرية ويقتلعها من الجذور . حين أصدر العقاد كتابه عن « محمد عبده » وصور فيه شخصية « أبو تراب » كتابعللأستاذ الأمام . بصورة حسبها أحفاد الرجل لا تليق به وهو حسب رأيهم ، على قدر من العلم والفقه يدنيه من مرتبة الصديق والمتلقي عن الأمام . وكانت كلمات أحد أفراد الأسرة الذى كتب للعقاد . يسرى فيها شعور الكرامة الجريحة والألم العميق . ورد العقاد فياحدى يومياته بجريدة « الاخبار » أن المصادر التي لديه هي التي اعطته هذه الصورة ، ويبدى استعداده بكل شفافية وحنو أن يعدل عن هذا الرأى اذا طلع على المصادر التي تنقضه . وبهذا أرضى الحقيقة ولم يبد رأيا وطلب أن يسجد له أحد .

من ملحمة عمر :

المشهد الثــانى

تأليف علي أحمد باكثير

اســماء : هذه عائشة ام المؤمنين يا ابا بكر (تدخل عائشة)

ابو بكــر : مرحبا بعائشة مرحبا بأم المؤمنين مرحبا بحبيبة رسول الله

عائشــة : (تقبل راس ابيهـا) كيـف انت يا ابت اليوم ؟

ابو بكــر : بحمد الله يا عائشة

عائشــة : كلما ارسـلت فتاتى اليك عادت فقالت عندك رجال

اســماء : اجل لم ينقطع عنه الرجال طول اليوم

عائشــة : الا ترفق يا ابت بنفسك ؟

ابو بكــر : يا ام المؤمنين كيفيرفق بنفسه من تولى امر هذه الامة ؟ اعينيني يا اسماء حتى اشرف من هذه الكوة على اهل المسجد (تأخذ اسماء بيديه وتسنده عائشة وام فروة من وراء ظهره حتى يخرج راسه من الكوة) .

ابو بكــر : ايها الناس يا معشر المسلمين اصغوا الى فلعلكم لا تسـمعون صـوتى بعد اليوم . انى قد عهدت عهدا وما الموت من جهـد الراى ولا وليت ذا قـرابة افترضون بمن استخلف عليكم ؟

الجميــع : رضينا يا خليفة رســول الله . من تستخلف علينا نرض به

ابو بكــر : انى قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فاسمعوا له واطيعوا

الجميــع : سمعنا واطعنا يا خليفة رسول الله

ابو بكــر : أيها الناس انى داع فأمنوا . اللهم انه قد حضرنى من امرك ما حضر فاخلفنى فيهم فهم عبادك ونواصيهم بيدك واصلح لهم اميرهم واجعـلـه من خلفـائك الراشدين .

الجميــع : آمين . آمين .

(يعود ابو بكر الى سريره وهو متهلل الاسـارير حتى يضطجع مكانه)

ابو بكــر : ابعثوا الى اسماء وعبد الرحمن فانى اريد ان اراهما

أم فروة : سـافعل يا اخى (تخرج)

ابو بكــر : هل لك يا اســماء ان تتركينى قليلا مع عائشة ؟

اســماء : حبا وكرامة (تخرج)

عائشــة : انى اراك يا ابت طيب النفس متهـلل الوجه

ابو بكــر : الحمد لله الآن اطمأن قلبى الا تكون فتنة فى الناس . الآن يطيب الموت يا عائشة

عائشــة : (تدمع عيناها) يا ابت لا استطيع ان اصنع لك شيئا ؟

ابو بكــر : بلى يا بنية لقد كنت اريد ان اكلمك فى هذا الامر منذ وقت فكنت اذكره اذا غبت وانساه اذا حضرت ولعل ذلك لانى لا احب مساءتك

عائشــة : لعلك يا ابت تعنى الارض التى نحلتنيها بالعالية وان فى نفسك منها شيئا .

ابو بكــر : لله انت يا بنيـة اذ فطنت لمـا فى نفس ابيك . انك تعلمين يا عائشة انك احب الناس الى واعزهم . وقد حضرنى اليوم ما ترين فحبذا لو رددت تلك الارض على فيكون ذلك قسمة بين ولدى على كتاب الله فالقى ربى حين القاه ولم افضـل بعض ولدى على بعض .

عائشــة : حبا يا ابت وكرامة . والله لقد كان فى نفسي ان اردها عليك فكان يمنعنى خوفى ان يغضبك ذلك منى فالحمد لله اذ اذنت لى بذلك من تلقاء نفسك .

ابو بكـر : وانا يا بنية احمد الله اذ الهمك ان تنزلى عنها من تلقاء نفســـك فارحت بذلك صدر ابيك

صـوت : يا آل ابى بكر . يا آل ابى بكر .

ام فروة : هذا صوت عثمان

ابو بكـر : لعله جاء معه بعمر بن الخطاب . ابقى عندنا يا عائشة الليلة

عائشـة : سابيت يا ابت الليلة عندكم (تخرج) (يدخل عثمان وعمر)

ابو بكـر : يا ابن الخطاب قرات كتاب العهد ؟

عمـر : نعم

ابو بكـر : اى يوم هذا ؟

عمـر : يوم الاثنين

ابو بكـر : فاى يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

عمـر : يوم الاثنين

ابو بكـر : فانى ارجو ما بينى وبين الليل

عثمان : انى لاراك طيب النفس متهلل الوجه يا خليفة رسول الله

ابو بكـر : انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه . ياعمر اذا انا مت فى ليلتى هـــذه فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى بن حارثة فان فارس لن تتركنا ان تركناها . واذا فتح الله على أمراء الشام فاردد اصحاب خالد الى العراق فانهم اهله وولاة امره وهم اهل الضراوة والجـراة عليهم .

عمـر : قد وعيت ذلك يا خليفة رســـول الله فاوصنى يرحمك الله

ابو بكـر : يا عمر اعل هذا آخر كلام تسمعه منى . يا عمر ان لله حقا بالليل لا يقبله بالنهار وحقا فى النهار لا يقبله بالليل . وانه لا لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة . الم تر ياعمر انمـــا ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامةباتباعهم الحق وثقله عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه غدا الا حق ان يكون ثقيلا . الم تر يا عمر انما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامةباتباعهم الباطل وخفته عليهم وحق لميزان لا يوضـــع فيه الا باطل ان يكون خفيفا . يا عمر ان حفظت وصيتى فلا يكونن غائب احب اليك من الموت وهو آتيك ، وان ضــيعت وصيتى فلا يكونن غائب ابغض اليك من الموت ولســـت بمعجز الله .

عائشـة : (صوتها من الداخل) يا ابن الخطاب ويا ابن عفان .

الاثنـان : لبيك يا ام المؤمنين .

عائشـة : انى ما رايت ابى اليوم الا قليـلا وقد اخذتم وقته كله افلا تتركون لاهله شيئا من وقته ؟

عمـر : صدقت يا ام المؤمنين .. ها نحن اولاء ننصرف (يخرجان) (تدخل عائشـة واســـماء بنت عميس وام فروة وعبد الرحمن بن ابى بكـر فليتفون حـــول ابى بكر)

عبدالرحمن كيف تجدك يا ابت اليوم ؟

ابو بكـر : الحمد لله يا بنى . ابن اسماء بنت ابى بكر ؟ الم آمركم ان تبعثوا اليها ؟

ام فروة : قد فعلت يا اخى فهى قادمة

بنت عميس ها هى ذى اسماء بنت ابى بكر (تدخل اسماء متجلدة)

ابو بكـر : مرحبـا بذات النطاقين مرحبـــا بذات النطاقين !

ذاتالنطاقين : كيف انت اليوم يا ابتاه ؟ يا ثانى اثنين اذ هما فى الغار

ابو بكـر : الحمد لله يابنية .. اللقاء ان شاء الله قريب .. اين الغايم ؟ اين محمـد بن ابى بكر احضروه لاراه (تخرج ام فروة) انى اوصيكم باخيكم خيرا فانه ابن ابيكم واوصيكم كذلك باختــكم ذات بطن ابنة خارجة

عبدالرحمن لعله يا ابت ان يكون غلاما

ابو بكر : قد القى فى روعى انها جارية

(تدخل ام فروة ومعها الصبى محمد ابن ابى بكر)

محمد : مازلت عليلا يا ابت ؟ متى تقوم من فراشك ؟

ابو بكر : قريبا ان شاء الله يا محمد . اين خذروفك فانى لا اراه معك ؟

محمد : تقطعت خيوطه فلم يعد يدور . قلت لامى اصلحيه لى فأبت .

هل آتيك به يا ابت لتصلحه لى ؟

ابو بكر : (يثقل لسانه ويدخل فى السباق) الله . الله اللهم اغفر لى وتب على

محمد : هل آتيك به لتصلحه لى ؟

(تجذبه عائشة الى حجرها وتومىء له ان اسكت)

عائشة : (تتمتم والدموع فى عينيها) :

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى
اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

ابو بكر : (يتحرك فجأة كأنه سمع ما تمثلت به عائشة فيبذل كل ما بقى من جهد عنده ليقول) : بل قول الله اصدق يا بنية . وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد . رب توفنى مسلما والحقنى بالصالحين (يختلج اختلاجه فاذا هو قد مات)

(يبكى الجميع دون عويل الا ام فروة فقد اعولت بأعلى صوتها تندبه)

عمر : (صوته من الباب) يا آل الصديق ما هذا الندب والعويل ؟ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن النياحة .

ذات النطاقين : هذه يا ابن الخطاب عمتى أم فروة

عائشة : اسكتى يا عمة .. اخفضي صوتك

ام فروة : اسعدتنى بالنواح او فدعننى انوح على اخى وحدى . واجبلاه !

وا سيداه ! (تمضي فى العويل)

عمر : يا ام فروة انى احرج عليك ان تنوحى على ابى بكر .

ام فروة : ما انت وذاك يا ابن الخطاب انه اخى .

عمر : يا ام فروة لئن لم تنتهى لادخلن اليك ولاوجعنك بهذه الدرة

ام فروة : وجسد اخى مسجى امامى ؟

عمر : وجسد اخيك مسجى امامك . اخرجن من عندها يرحمكن الله (تحاول النسوة الثلاث ان يسكتنها ويخرجن بها فابتنعت فانسحبن دونها)

ام فروة : (باعلى صوتها) واجبلاه ! واسيداه ! والحياه !

(يدخل عمر فيعلوها بالدرة ضربات حتى تهرب الى الداخل)

عمر : والله لئن نحت مرة اخرى لاضربنك حيث انت

عبدالرحمن : (يدخل من حيث خرجت ام فروة) قد سكتت عمتى يا عمر ولن تعود

عمر : (ينظر الى الدورة فتغرورق عيناه بالدمع) عبد الرحمن .. هل لك ان تكشف لى وجه ابيك (يكشف عبد الرحمن الغطاء عن وجه ابى بكر) سلام الله عليك يا ابا بكر . عزيز على والله ان اضربها وجسدك مسجى بعد . ولكنها الامانة التى طوقت بها عنقى لن اخرقها من اجل قريب لى او قريب لك .

ســـتار

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
وزارة الثقافة والارشاد القومي

الادارة
٢٧ شارع عبدالخالق ثروت
بريد محمد فريد ـ القاهرة

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد ١٠٥٩ الخميس ١٨ ذو الحجة ١٣٨٣ هـ ـ ٣٠ أبريل ١٩٦٤ م ـ السنة الحادية والعشرون

الفهرس

الصفحة

الشئون الثقافية في مجلس الأمة

بقلم : عباس خضر



كان فاتحة دالة مبشرة . ذلك التقرير الذي وضعته اللجنة التي تشكلت من رؤساء اللجان

بمجلس الامة ، لبحث برنامج الحكومة وابداء الراى فيه . **اذ عبر هذا التقرير عن راى الشعب وتطلعاته فى مختلف الشئون ادق تعبير ، فدل على وعى الوكلاء بقضايا موكليهم وتفهمهم اياها وحرصهم على ابراز دقائقها ، وبشر بما يرجى من خير فى حياتنا الدستورية الجديدة .**

لمسنا ذلك فى المجال الذى نعمل به ونعايش مشكلاته ، وهو المجال الثقافى ، فقد تضمن تقرير اللجنة عددا من المسائل الثقافية ، فاتى على جوانب مضيئة فيها ، والقى الضوء على زوايا معتمة ، واشار بما ينبغى ان يعمل .

اولى هذه المسائل **بطء التحول الفكرى وعدم** لحاقه بالتحول المادى ، واستحثاثه حتى يبلغ هذا **اللحاق فى مرحلة الانطلاق ، عبر التقرير عن هذا تعبيرا مهذبا شافيا اذ قال « وتلاحظ اللجنة انه على الرغم من الجهود الكبيرة التى بذلت خلال الاثنى عشر عاما الماضية ، فان التحول الفكرى الذى ينبغى ان يصاحب التحول الاشتراكى ، ويسبقه ويبشر به ، فى حاجة الى مزيد من الجهد ، حتى يسير التحول الفكرى ، جنبا الى جنب ، مع التحول المادى فى مرحلة الانطلاق القادمة »**

والسؤال الآن : لماذا تخلف التحول الفكرى عن التحول المادى ، بل عن التحول الاشتراكى على وجه عام ؟

مما يتصل بجواب هذا السؤال ما قاله الناقد السوفييتى « روديكوف » وقد سئل فى اثناء زيارته لجمعية الادباء عن رايه فى الادب المصرى على ضوء ما ترجم منه الى اللغة الروسية ، **قال : ان الحياة فى الجمهورية العربية الآن اجمل واعمق مما تنعكس فى انتاج ادبائها .. واردف بعلل متلطفا : فى** النهضات عادة يقف الادب مبهورا بسرعة ما يجرى فى الواقع عاجزا عن اللحاق به ..

وهذا التعليل فى الحقيقة ينصف الادب ، فهو بطبيعته يحتاج الى وقت يتم فيه الهضم والتمثيل ، حتى يتحول ما يهضم ويمثل الى دم يجرى فى الشرايين .

ولكن الحقيقة التى لا شك فيها ، برغم ذلك ، ان الحركة الادبية متخلفة عن التطور الاجتماعى والمادى ، ومرحلة التحول عمرها الآن اثنا عشر عاما ، وهى فترة تزيد بكثير على ما يحتاج اليه الادب من وقت التمثيل والتخمير .

وهذه الظاهرة لا بد لها من اسباب ، ولا بد لبيان الاسباب من الصراحة ، والصراحة تقول :

● مرافق النشر والتقديم وامكانياتها الكبيرة التى يسرتها الدولة ، **لا تزال فيها عناصر معوقة ،** سواء فى مؤسسات النشر وفى الصحف والمجلات ، وغيرها كالمشرفين على اختيار المسرحيات والتمثيليات الاذاعية والتليفزيونية ، وان كانت الاخيرة اقلها فسادا بحكم حداثتها ، والفساد غير التفاهات الملحوظة ..

● **فى تلك الجهات كلها جيوب مودة من آثار الماضى ،** تلعب فيها اواعب مختلفة تتجمع فى الشعار المعروف «شيلنى وشيلك» وتحكمها عقليات تستعصى على التطور الاشتراكى .

● **العناصر المعوقة اخطر وابرع من ان تتيسر ادانتها ، ومن اسلحتها التزلف الى الرؤساء ، والظهور امامهم بالوجه المشرق ، واخفاء المظلم .**

● نشا عن ذلك انحسار فى الانتاج الجيد الصالح ، وامتداد بل فيض من البضاعة التى تعمل باقل جهد للحصول على اكبر منفعة .. وهناك مواهب جديدة نامية على نظافة تسد فى وجوهها الابواب .

● ونشا عن ذلك ايضا ان تصدر للقيادة الفكرية غير المقنعين الجماهير ، **وقد اصبحت هذه الجماهير اكثر وعيا واخلاصا ممن يتصدون لقيادتها فكريا !**

● يجرى كل ذلك فى مستوى التنفيذ ، وهو يناقض تماما الدوافع البانية المظيمة فى مستوى القيادة العالية .

● **اى تناقض اكبر من ان تمنع ابنة رئيس الجمهورية من دخول الجامعة لعدم توفيقها فى الحصول على الدرجات الكافية ، على حين يجرى تبادل المنافع بين المتصدين والمديرين للحركة الفكرية ؟!**

لننتقل بعد الى المسائل الأخرى التى تضمنها تقرير مجلس الأمة .

تعرض التقرير بعد ذلك لثلاث مســـائل مهمة .

أولاها ما أعربت عنها اللجنة بأنها « **امتداد الخدمات الثقافية الى القطاع الريفى ، فالقرية المصرية لاتزال — على الرغم من كـل مابذل حتى الآن — تعـانى الحرمان من الخدمات الثقافية والترفيهية كالمسارح الاقليمية ، ودور السينما ، والمكتبات الريفية والمتنقلة** »

واعتقد ان كل جهد ثقافى يبذل للقطاع الريفى ضائع فى الهباء اذا لم يقم على اساس ملاءمة ما يقدم للبيئة والمستوى ، ولا بد لكى تحدث الثقافة اثرها فى تكوين المواطن الريفى وارساء القيم الاشتراكية فى صميم وجدانه — لا بد لذلك ان يرى المواطن ملامح حياته ومشكلاته فيما يعرض عليه ولا بد كذلك ان يقدم له الغذاء الثقافى فى الشكل الذى يحبه عادة ، وهذا سهل ميســور بالنسبة للمسرح والسـينما ، ولكن الصعوبة فى الكتاب .. فليس عندنا حتى الآن اهتمام بالتاليف المناسب للريف وخاصة فى المسائل الدينية، **وقد اشار الزميل الدكتور محمـد أحمد خلف الله فى احدى مقالاته الى القصص الشعبية باعتبارها وسيلة ثقافية محبوبة فى القرى المصرية** ، واضيف انه ينبغى ان تطور هـذه القصص بكتابتهـا من جديد وبث المضامين والمفاهيم الجديدة فى خلال صـورها وحوادثها بطريقة فنية خالية من الخطابة والاسلوب المباشر .

***

والمسألة الثانية هى رعاية الشباب ، واذا كانت اللجنة لاحظت ان بيان الحكومة خلا من الاشارة اليها ، فان تقرير اللجنة **خـلا ايضا ممـا ينبغى أن يقـدم للشـباب من الخـدمات الثقافيـة** ، اذ اقتصر على معسكرات العمل والاندية الرياضية وما اليهـا . ونقص الخدمات الثقافية فى محيط الشباب . ملحوظ فى نوادى الشباب القائمة والتى لم تعمم فى كل بلاد الجمهورية . وقـد يقال ان الشـباب يتعلمون فى المدارس والجامعات ، وهـذا يكفى .. ولـكن لا : فالثقافة العامة الغير المدرسية شيء آخر لا بد منه . والتاليف عندنا لا يهتم بهـذه المرحلة كثيرا ، فهناك حلقة مفقودة فى الثقافة العامة بين التاليف للطفولة والتاليف للكبار .

***

والمسألة الثالثة خاصة بالطفولة ، يقول التقرير :

« **واذا كانت الطفولة هى صانعة المستقبل ، كما يقول الميثاق ، فانه لا بد من أن تنال الطفولة وعالمها الصغير اهتمام اجهزة الثقافة ، وان تقوم مؤسسات متخصصة لتلبية الحاجات الثقافية للطفل العربى** » .

والواقع انه كان عندنا منذ سنوات نهضة لابأس بها فى عالم التاليف الطفولى ، ولكنها فترت اخيرا ، لأن دور النشر بالقطاع الخاص كانت تعتمد فى بيعها للكتب على وزارة التربية والتعليم ، اذ كانت الوزارة تشترى من كتب الاطفال كميات كبيرة لجميع المدارس، ولكنها الآن لاتفعل ، اذ اصبح الامر منوطا بمديريات التعليم التى لم تنتظم العلاقة بينها وبين دور النشر فى هذا المجال بطريقة تشجع على الانتاج .

ولا شك ان الحل الذى يقدمه تقرير لجنة مجلس الامة حل موفق ، **والمؤسسات المتخصصة المقترحة لا بد بطبيعة الحال ان يكون بها خبراء ومتخصصون ، ولن تكون المسألة كما كانت مســـألة الاقتباس من القصص الاجنبية ، او محصورة فى القصص المفرطة فى الخيال الموغل فى البعد عن الواقع ، فالهدف هو تكوين الطفل العربى كما ينبغى أن يكون فى مجتمعه الجديد** .

***

وبعد فان المشكلة كلها فى مختلف المجالات الثقافية فى تصور التعبير عن المجتمـــع الجديد واهدافه الجديدة . وقد حاولت أن القى بعض الاضواء على معوقات هـــذا التعبير ووجوه النقص فى مجـــالاته المختلفة . **والامل كبير فى صانعى الحياة على هذه الارض الطيبة** .

عباس خضر



مثقفون

للدكتور محمد أحمد خلف الله

- ٣ -

تحدثنا من قبل عن عمل المثقفين ، وعن واجبات المثقفين . وقلنا ان من اهم أعمالهم محاربة الجهل ، ومحاربة التعالم ، ومحاربة الظلم والاضطهاد ، والعمل على الكشف عن الحقيقة والوقوف الى جانبها مهما يكن الأمر .

وقلنا ان من أهم واجباتهم نحو أنفسهم ونحو الثقافة هو احترامهم لأنفسهم واحترامهم للثقافة ، بحيث لايخضعون هم لذوى النفوذ وأصحاب السلطان ويكونون لعبة فى أيديهم يسخرونهم حيث شاءوا ، وأنى أرادوا ، وبحيث لايسخرون الثقافة لأغراضهم الخاصة ومنافعهم الشخصية ، فيتاجرون بها ، ويستغلونها فى دفع مغرم أو كسب مغنم .

واليوم نريد أن نتحدث عن حقوق المثقفين . حقوقهم قبل الدولة ، وحقوقهم قبل المجتمع الذى يعيشون فيه .

وحقوق المثقفين تدور فى الحقيقة حول محور واحد هو الحرية . الحرية من الضغط المادى والضغط المعنوى ، الحرية التى تكفل لهم عيشا هنيا رغيدا ، وفكرا قويا منطلقا ، ومؤسسات ثقافية غنية بكل ما يحتاج اليه المثقف من وسائل تعلى من قدر الفكر ، وترفع من شأن المستوى الثقافى للأمة أو للمجتمع القومى .

والدولة هى التى تستطيع أن تكفل كل ذلك ، ولكننا نحتاج الى الشعب فى هذا المقام ليخفف من ضغط الدولة حين تتهاون فى حقوق المثقفين ، وليقف الى جانب المثقفين حين يقفون فى مواجهة الدولة حرصا على الحقيقة أو على الصالح العام .

ودولتنا فى الجمهورية العربية المتحدة لم تدخر وسعا فى سبيل التنمية الثقافية فقد انشأت من المؤسسات الثقافية مانفخر به ونعتز ، ورصدت فى سبيل ذلك من الأموال مايساعد على هذه التنمية فى أقصر وقت ممكن . كما أنها انشأت من الجوائز مايحفز المثقفين ورجال الفكر على خوض المعركة ، والانتصار على الجهل والخوف والذل ـ فعلت كل ذلك ايمانا منها بأن الثقافة الحية هى القوة الدافعة التى يعلو بها قدر الأمة ، وتتقدم بها الأمة فى مضمار الحياة .

ان مشكلتنا الحقيقية قد تكون فى عجزنا عن ايجاد الشخصيات القوية والتمكين لها من الحياة فى مشكلاتنا وازماتنا المعاصرة ، بحيث تنتج لنا هذه الحياة حلولا جذرية لكل مانعانى من ازمات ومشكلات .

يقول قائل : ان ماتحرزه الأمم من تقدم متوقف فى الدرجة الاولى على ماينشأ ويعمل فيه من شخصيات متحررة ، منظمة ، تقدمية فى ذاتها ـ ولا عجب فى هذا ففاقد الشئ لا يعطيه .

عبثا تنتظر اشاعة الحرية ممن لم يتحرر فى ذاته أولا .

وعبثا تتطلع الى من لم ينتظم عقله ، وتنسجم قوى نفسه ، لأن يكون باعث انسجام وانتظام فى المجتمع .

وعبثا نرجو ممن يخشى المغامرة ، واقتحام آفاق العمل والعقل والروح أن يدفع بمجتمعه الى الأمام .

ان أخطر واجب علينا ، وأجسم عبء ملقى على عاتقنا ، هو تكوين هذه الشخصيات التى تصبح فى المجتمع مبعث قوة وحياة واندفاع .

***

ويقول قائل آخر : انه لعيب فاضح فى نهضة اية أمة من الامم الا يتعرض كتابها لبحث مشاكلها بحثا علميا دقيقا ـ لابحثا صحفيا يقصد منه ترويج الفكرة أو التهجم عليها . وقد جرت العادة حتى الآن فى معظم البلاد العربية أن يتخذ الساسة أولا قراراتهم الملزمة ، وبعد ذلك يتعرض الكتاب لها بين المعارضة والتأييد .

ان الواجب يحتم على المفكرين كمواطنين ان يعرضوا على الملأ آراءهم فى كل مشكلة رئيسية قبل أن يبت ذوو الشأن فيها .

اننا نريد أن يكون من بيننا مفكرون يكتبون للحق فقط . يبحثون كل موضوع بحثا علميا مجردا ، ويعرضون نتائج بحثهم على الامة وعلى القادة قبل ان يبت فى الأمر أو تتخذ فيه الأمة قرارا حاسما .

ان الأمم الحية لاترتجل فى سياستها ، ولاترتجل أيضا فى قادتها . انها متى استقرت على رأى تستطيع أن تخلق القائد الذى يحقق هذا الرأى .

اننا نريد من يقظتنا أن تكون واعية ، معلومة الاسس والسبل والغايات ، ولا نريدها يقظة حائرة بين الأسس ، والسبل والغايات .

ويقول القائل الأول : ومن واجبات الدولة رعاية الموهوبين من ابنائها : اكتشافهم ، وتمهيد سبل التثقيف لهم ، وامدادهم بالوسائل المادية والأدبية الميسرة للانتاج والابداع .

لقد ذكرنا أن الانتاج الحضاري هو ، آخر الأمر ، ابداع فردي تقوم به القلة المختارة من أبناء المجتمع . ولا أدري كم منا من يقابل الجهد الذي نبذله في سبيل المعوزين والمرضى والعجزة من ابناء مجتمعنا ، والجهد الذي نوجهه للممتازين المبدعين أو ذوي القابليات للابداع .

حاشا لي أن أنتقص قدرالعواطف النبيلة والمساعي الجميلة المنصرفة الى مكافحة العوز والمرض ، وتخفيف الالم والعاهات التي يشكو منها مجتمعنا .

حاشا لي أن أدعو الى غير سبيل البر ، والرأفة ، والاحسان .

لكن أليس واجبا علينا أن نبذل جهدا مماثلا نحو الذين يملكون امكانيات التفوق ومؤهلات القيادة ، والذين باستطاعتهم ، اذا فسح لهم المجال ، أن ينهضوا بقومهم وبالانسانية الى مراقي الحق والخير والجمال ؟ .

لاشك في أن الديمقراطية الاجتماعية تقضي بتعميم التعليم والصحة ووسائل العيش لمختلف طبقات الشعب ، ولكن هذه الديمقراطية تغدو عقيمة، وتؤدي الى تدني مستوى الحياة اذا لم تستطع أن تكتشف المواهب ، وتجلوها ، وتنميها ، وتدفع بها الى مراكز القيادة ، وتهيء لها أجواء الصفاء والابداع .

***

لقد مضى الوقت الذي كان فيه زاد العلماء خبزا وماء ، وأصبح طريق الاعداد العلمي شائكا ، ومتطلبات الانتاج الفكري كثيرة عزيزة المنال .

كذلك لم يعد من المعتقد ان الأديب لايمكنه أن يأتي بالروائع الا اذا افتقر ، وشقي ، وصارع ظروف الزمان وحاجاته .

ولعل من اقوى أسباب ضآلة الانتاج الثقافي في المجتمع العربي الحاضر ان رجاله لا يستطيعون أن يتفرغوا له ، بل يضطرون الى كسب معاشهم من أعمال أخرى تستأثر بنشاطهم ، ووقتهم ، واعصابهم ولا تترك لهم متسعا للانصراف الى العمل السامي الذي عيأتهم الطبيعة له .

« كلمات »

● مشكلتنا اعمق بكثير من السياسة والاقتصاد ـ هي مشكلة امة فقدت مثلا قديمة كانت القوى الفعالة في حياتها ولم تجد مثلا اخرى تتفق عليها ، واني اعتقد ان العمل الجديد يجب أن يكون اخلاقيا روحيا قبل كل شيء .. اننا نحتاج الى من يقودنا ثانية الى المثل الخالدة ـ الى الحق لذات الحق ، الى الخير لانه خير ، الى الجمال لوجه الله ، الى الحرية مهما تكن العقبات ، الى الشجاعة ، الى الحب ، الى كل فضيلة وكل كمال .

● ان من يريد أن ينصب نفسه معلما لقوم ومرشدا وهاديا يجب عليه أن يترفع ويتطهر كما فعل سعدي الشيرازي حين تقدم للهداية والاصلاح .

يا سعدي ، لقد تشجعت في القول
وما دام السيف بيدك فتول به الفتح
وقل ـ كل ما تعرفه ، فمن الخير أن تقول الحق
فلست مرتشيا ولا مرائيا .
ان الطمع قيد ، فاقطع بحكمتك هذا القيد
واقض على الطمع وعلى كل ما تريد .

وهكذا استطاع سعدي الشيرازي أن يخاطب الملوك والأمراء وأن يفرض احترامه على الناس جميعا .

ان المؤدب اذا أراد أن يعد شابا موهوبا ليكون فنانا أو صاحب ذوق سليم ـ يضع بين يديه أروع ما رسمت ريشة الفنان .

واذا أراد أن يغذي شاعرية شاعر . يطلعه على ما أنتج أعظم شعراء العالم . لأن صحبة العباقرة تعودنا على جو من المرتفعات ، وتعطينا النغم والنمط والأسلوب الذي ينبغي أن نجري عليه .

وهكذا اذا اردنا ان يصبح الناشيء مواطنا فاضلا فلنضع امامه انبل الأمثلة ...

واذا أردنا مصلحا ومنشئا ورجل دولة فيجب أن ندله على نماذج فذة ...

الرؤى الجليلة والمثل العالية هي الزاد الضروري لرحلة الحياة ، ويحصل الناشيء على ذلك الزاد من صحبة افضل الأشياء في العالم ـ أجمل الصور ، أحسن البناء ، افضل النظم ، انبل الأشخاص ، أرقى الدول ..

دكتور
محمد أحمد خلف الله

ياطالع الشجرة

للدكتور محمد مندور



لا يزال مسرح الجيب يعرض بنجاح مسرحية « يا طالع الشجرة » للأستاذ توفيق الحكيم التى اخرجها الأستاذ سعد اردش ويشترك فى تمثيلها الممثلون صلاح منصور ونجمة ابراهيم وجلال الشرقاوى والدكتور ابراهيم سكر .

والواقع أن مسرحية « يا طالع الشجرة » كانت قد أحدثت دويا كبيرا وأثارت مناقشات وتفسيرات عديدة منذ أن ظهرت فى كتاب وقبل أن تعرض على خشبة المسرح مما لفت اليها نظر هواة الفن التمثيلى وجمهرة المثقفين .

فمسرحية « ياطالع الشجرة » كانت أول مسرحية كتبها أو على الأصح نشرها توفيق الحكيم بعد عودته من باريس التى كان قد اقام فيها عاما كاملا ممثلا لبلادنا فى هيئة اليونسكو الدولية ولا شك أنه قد تابع فى باريس تلك التجديدات والبدع التى كانت باريس ولا تزال مصدرا لها وكان آخر تلك البدع فيما نعلم ما يسمى بمذهب « اللامعقول » وهو المذهب الذى يدين به الآن عدد من الكتاب والفنانين الذين يرون فى أحداث وتصرفات ومواقف عالمنا الحاضر ما يدعوهم الى الايمان بأن العقل البشرى قد أفلس منطقه وأن العالم لم يعد يسير على منطق مفهوم أو قابل للفهم فجميع اسس الفهم المنطقى بين البشر قد انهارت وأفلست ولذلك نراهم يرسمون فى اعمالهم الادبية لهذا العالم صورا ينعكس فيها اللامعقول وقد اشتهر من بين كتاب المسرح اللامعقول فى السنوات الاخيرة « صموييل بكيت » الايرلندى الاصل و « يوجين يونسكو » الرومانى الاب و « آداموف » الارمنى السوفيتى وكلهم يقيمون فى باريس ويكتبون بالفرنسية .

ولم يكد توفيق الحكيم يعود من باريس حتى شهد مسرحنا التجريبى الجديد وهو « مسرح الجيب » يفتح ابوابه ويبدأ نشاطه بتقديم مسرحيتين من اللامعقول يثيران ضجة ومناقشات حامية متصلة وهما مسرحية « نهاية اللعبة » « لصموييل بكيت » ومسرحية « الكراسى » « ليوجين يونسكو » .

* * *

والظاهر أن توفيق الحكيم قد اهتز وتأثر بهذا الاتجاه الجديد وهو رجل طلعة بطبعه فرأيناه يكتب لمسرحيته الجديدة مقدمة ضافية يتحدث فيها عن مذهب اللامعقول الذى يلغى الزمان والمكان ويجمع فيها بين المتناقضات ثم يزعم أن أدبنا الشعبى نفسه قد عرف اللامعقول ويستشهد فى ذلك بموال شعبى مشهور أخذ عنه عنوان مسرحيته نفسه وهو الموال الذى يقول :

يا طالع الشجرة
هات لى معاك بقرة .
تحلب وتسقينى
بالمعلقة الصينى

فهو يرى أخذا بحرفية الالفاظ أن مطالبة طالع الشجرة بأن يأتى معه ببقرة تحلب وتسقى اللبن من اللامعقول ولكن الحقيقة أن الادب الشعبى لا يمكن أن يتهار فى اليأس واللامعقول لأن الشعوب لاتعرف اليأس ولا تفقد الايمان بمنطق العقل وهذا الموال من السهل فهمه وتفسيره على أساس من الرمزية الشفافة التى يلجأ اليها الشعب صيانة لماء الوجه وفرارا من العار فالزجال الشعبى يطلب الى من يطلع الشجرة أى الى من يصيب الغنى ألا يبخل على غيره ببقرة تحلب اللبن وتسقيه .

وإذا كان الاستاذ توفيق الحكيم قد اراد فى مقدمة هذه المسرحية ان يوحى بانها تشبه من قريب أو بعيد منهج أصحاب اللامعقول فى التاليف المسرحى فاننا كنقاد ومتلقين لا نقر هذا الايحاء ونفضل أن نحتفظ لاديبنا الكبير فى هذه المسرحية أيضا بمنهجه الاصيل الذى تميز به فى مسرحياته الكبيرة امثال « أهل الكهف » و « بجماليون » و « شهرزاد » و « سليمان الحكيم » و « السلطان الحائر » وهو منهج « الرمزية الذهنية » .

***

فالمسرحية تعرض قصة زوج غرس فى حديقته شجرة تؤتى أنواعا مختلفة من الثمار ومن الواضح انها لا يمكن الا ان تكون شجرة الفن ثم تغيب زوجة هذا الرجل عن البيت فيتهم بقتلها ودفنها تحت الشجرة وكان جثتها نوع من السماد ويؤكد هذا الاتهام درويش يلوح انه عليم بخبايا النفوس وتوشك التهمة أن تلتصق بالرجل ولكن الزوجة لا تلبث أن تعود الى الظهور فى البيت وكان التحقيق السابق لم يكن له من هدف غير الكشف عن النية السيئة التى كانت تراود الرجل وكان الدرويش صوت الضمير الذى فضح هذه النية وبالفعل لا تكاد الزوجة تعود الى المنزل حتى نشهد بينها وبين زوجها مشهدا هو الوحيد الذى يشبه مشاهد اللامعقول وبوجه أكثر تحديدا يشبه عن قرب مشهدا مماثلا فى مسرحية « المغنية الصلعاء » لكاتب اللامعقول « يوجين يونسكو » وفى هذا المشهد نرى الزوج والزوجة جالسين على مقعدين متجاورين والزوج يتحدث عن ثمرة البرتقال التى سقطت من شجرته قبل أن تنضج بينما تتحدث الزوجة عن جنينها الطفل الذى أجهضته قبل أن يتم نموه ولما كان منهما مستغرقا فيما يشغله : الزوج فى ثمار شجرة الفن، والزوجة فى ثمار الحياة فانهما لا يتلاقيان فى حوارهما ، وكان اللغة لم تعد وسيلة للتحاور والتفاهم بين البشر على نحو ما يوحى يوجين يونسكو فى مسرحيته « المغنية الصلعاء » لاننا نعيش فى عصر تستغرق كل منا همومه الخاصة وتمنعه عن التجاوب مع الغير .

***

وبهذا المشهد فسر توفيق الحكيم فى فن وذكاء استحالة الالتقاء بين الفن والحياة ، فالرجل مشغول بفنه عن زوجته وحياتها اى مشغول بفنه عن الحياة ولهذا استطعنا ان نفهم لماذا اخذ هذا الزوج ينفذ فعلا الجريمة التى فضحها من قبل « الدوريش » كرمز لضميره الخفى وبالفعل لا يلبث أن يقتل زوجته خنقا ولكنه فى هذه المرة لايحمل جثتها ليدفنها عند جذور شجرته كسماد لها لانه يكتشف فى اللحظة الأخيرة أن السحلية الخضراء التى كانت تظهر له من حين الى حين خارجة من جحر عند جذور الشجرة قد ماتت فى جحرها وكانه قد اكتفى بهذه السحلية الخضراء كرمز لسحر المراة سمادا لشجرة الفن مما يوحى بانه يعتقد أن سحر المراة هو وحده الذى يصلح غذاء لشجرة الفن ، واما جسمها أو جثتها فلا يصلح لمثل هذا الغذاء ولهذا يترك جثة زوجته حيث هى ويسدل الستار على المسرحية كلها .

وهكذا يتضح كيف أن مسرحية « ياطالع الشجرة » ما هى الا علاج جديد للمشكلة التى شغلت توفيق الحكيم فترة طويلة من حياته وهى مشكلة الصراع المزعوم بين الفن والحياة التى سبق له أن جسدها مرارا فى الصراع بين الفنان كرمز للفن والمراة كرمز للحياة وهل يستطيع الفنان أن يجمع بين الفن والحياة اى المراة أم لا يستطيع على نحو ما هو واضح فى مسرحيته « بجماليون » ومسرحيته الاخرى « شهرزاد » .

واما مشهد اللامعقول الذى ادخله توفيق الحكيم فى تضاعيف مسرحيته فهو ليس من اللامعقول الا فى ظاهره ، واما فى حقيقته فهو معقول جدا وقابل للفهم والتفسير وبالفعل استخدمه توفيق الحكيم فى تفسير سبب اعتزام الزوج قتل زوجته ثم تنفيذ هذا القتل فعلا كنتيجة لاحساسه الحاد بانه لا يمكن أن يوفق بين الفن والحياة وانه لا بد له من ان يختار احدهما وقد اختار فعلا الفن مجسدا فى شجرته وان اكتفى فى تسميد تلك الشجرة بالسحلية الخضراء التى ترمز لسحر المراة .

ومن الممكن بل من الواجب ان نعارض راى الحكيم فى التعارض الجذرى الذى يراه بين الفن والحياة لانه اشبه ما يكون بتعارض نزعمه بين الماء ومنبعه فما الحياة الا منبع الفن القوى النافع الرفيع وان كان ذلك لايمنعنا من الاعجاب بمهارة توفيق الحكيم الفائقة فى تاليف هذه المسرحية العاتية كما لا يمنعنا من الاعجاب بالطريقة الماهرة الذكية التى اخرج بها سعد أردش هذه المسرحية وبالاداء التمثيلى الرائع الذى أدى به جميع ممثليها أدوارهم الشاقة .

د . محمد مندور

في الملعب

بقلم الدكتورة نعمات أحمد فؤاد

والملعب كالمسجد يجمع القلوب ، كل فريق ، على هوى واحد ومعنى واحد ، الألوف ينفعلون فيقومون معا ويجلسون معا ... كل لمسة فى الملعب تشيع فيهم شعورا واحدا وكأنه سريان الكهرباء .

والملعب كالمسجد تضج أرجاؤه بابتهالات صامتة وناطقة .. قسمات الوجوه تقول يا رب وخفقات القلوب تقول يا رب كل شيء يختلج فى الملعب بعصبية أو بدعاء .. فما ان تبدأ المباراة حتى يستحيل الملعب الى ميدان كساح المعارك ، يرسم فيه قائد الفريق الكرات ويوجهها ميدان يتكفل فيه أعضاء من الفريق بتموين الجبهة وآخرون بحماية ظهرها وطلائع للهجوم وأجنحة فاذا تحرج الموقف بعد هذا كله وتخطت الكرة كل الاستحكامات وبلغت الخطر استمات حارس المرمى فى الدفاع عن مرماه وقد تعلقت به أنفاس أنصاره وعيونهم وصلواتهم .

وفى الملعب ترتفع حرارة كل شيء فجأة مع صفارة الابتداء وتغدو الكرة الصغيرة كالريح تجرى فتسوق امامها أشياء كثيرة كبيرة بعضها الخوف والرجاء واللهفة اللاهثة حتى اذا اقتربت من المرمى استحال الخوف عند البعض رعبا قاتلا وملأ الرجاء وجوه البعض الآخر اشراقا ولمعانا ... وهنا تغدو الكرة مرة أخرى كالقدر تحدد المصائر .. فتجرى على قوم سعدا وتجرى على آخرين بؤسا ونكدا لا ينجلي وغبرة على الوجوه ترهقها قترة كيوم الهول ..

***

وحين تنطلق الكرة كسهم كيوبيد وتسكن فى قلب أحد المرميين فالملعب هنا بحر هائج من التصفيق والضجيج والدبيب والوجيب والهتاف .. فيضان غامر من الفرحة وبحران من الحماسة السكرى يهلل فيه المنتصرون .. ويكبرون ..

ويتقبل اللاعبون النصر والهزيمة بروح سمحة « رياضية » ولكن أنصار الفريقين يلفح لهيب مشاعرهم الجو وخاصة فى أعقاب كل (هدف) فتحد المناقشات وتتحدى النظرات وتتنابز القسمات

وتتلاحز الحركات حتى بغير كلام .. متنفس للحيوية ولون من الاحساس بالذات وحرية الاختيار وحرية التشيع وحرية الحب وهذا سر الجدية والخطورة التى تطبع رياضة كرة القدم بالذات .

وفى الملعب أشياء كثيرة تستحق الفرجة .. فضاء الملعب الذى يأخذ شكل دوائر زرعت رءوسا ، وجوه الأنصار والخصوم وتعليقاتهم وسخرياتهم .. نظر أحدهم فلم يعجبه مرة أمر (الحكم) فصاح (ولو انه قريبى شيلوا الرف ...) .

ومن طرائف الملعب أيضا تقاليد المتفرجين فللكرة الركنية تصفيقة تقليدية وللكرة الطائشة من الخصم صفير تقليدى أيضا واستهجان تقليدى حتى اذا وثق السعداء من الفوز واطمأنوا الى النتيجة وارتاحت الاعصاب المرهقة استحثوا الوقت واستعانوا على تحطيم الفريق الآخر بصفير تقليدى مؤذن بانتهاء المباراة .. فاذا كان النصر عزيزا والخصم عتيدا رفعت المشاعل من أوراق الصحف ورقصت المقاعد مع أصحابها وحمل الأبطال على الأعناق وعمت مظاهر الفرح بيوت النادى الفائز ومجالس أهله ..

والنوادى كالناس حظوظ وشخصيات فناد ينصر بالرعب وناد عنده بلون فاتنته موهبة الحضور وناد يرزق بغير حساب حب الناس وولاؤهم ووفاؤهم حتى اذا عثر أو تعثر .. بل ان العثار يزيد حساسيتهم نحوه فاذا أقيلت العثرة وانجلت الغمرة غدا نصره عيدا تعلن فيه البشائر وتزف التهاني وتتبادل التعليقات القريرة والابتسامات الظافرة النشوى ..

***

وقد غدت كرة القدم لعبة شعبية وشعبيتها هذه أشاعت بين صفوفنا مصطلحاتها أو الترجمة العربية لمصطلحاتها من جناح وظهير ومتوسط هجوم وحارس مرمى وهدف وهداف وغيرها من الالفاظ التى طوعها الاستعمال المتوالى ولم تكن كذلك منذ عشر سنوات

وكرة القدم اليوم تصاحبها ظاهرات طريفة فالاسماء الكاريكاتورية للاندية واللاعبين والاوصاف الادبية والفكهة للمباريات حتى لتستطيع أن تلحق الصفحة الرياضية فى بعض الصحف بالصفحة الادبية .

وقد أوحت كرة القدم الى نقادها هذه الالقاب الجميلة التى يخلعونها على المبرزين فيها فهناك (المايسترو) و (المهندس) و (صانع الالعاب) ..

وهناك « الثعلب العجوز » لبارع الذكاء واسع الحيلة ·· ولم ينس مانحو الرتب ، الحكام ، فهؤلاء اباطرة واحكامهم فرمانات وما الى هذا من طرائف ·

ورياضة كرة القدم لعبة فنية وهي ككل فن لها قيودها واحكامها ، والتزاماتها التي لو تخلى عنهـا اللاعب تخلت عنه أو تخلى عنه النصر في ميـدانها وهي تقوم على استعداد خاص ومهارة فردية ولياقة بدنية تفتقدها كثيرا في لاعبينا كعنصر هام من عناصر النجاح والبلوغ ·· يرفد هـذا كله حاسة سادسة تضبط الحركات والتوقيت ·

***

ورياضة كرة القدم فن يمتع حين يبـدع بل ان متعة الانسان لا تجـد اذا تنقلت الكرة بين الفريق موقعة توقيعا وراءه فكرة وخطة وتكتيك يعرف فيه كل لاعب أسرار مركزه وواجباته ·· هنا تغدو كرة القدم موسيقى او باليه ·

ورياضة كرة القـدم فن له اصـوله وقواعده واصطلاحاته من (فتح اللعب) و (كسب الارض) و (قفل الزاوية) و (الحـائط) و (اللوب) و (ضربة المرمى) و (الرمية الحرة غير المباشرة) و (التجلية) و (القلش) و (الترقيص) ·

وهو فن غني بالكنايات الجميلة فهز الشبكة كناية عن بلوغ الهدف ·

ورياضة كرة القـدم فن فيه مذاهب ومدارس واسـاليب مختلفة فالطريقة البرازيلية الشهيرة ٤ـ٢ـ٤ ··· وهي التي يلعب بها معظم بلاد العـالم واخذت بها مصر حديثا ، والطريقة الانجليزية وهي الطريقة القديمة التي تعتمد على تقدم خمسة، جناحين ومساعدين ومتوسط هجوم ·· ويعمد الانجليز الى التمريرة الطويلة لفتح اللعب وتوزيع دفاع الفـريق الآخر لتخلو منطقة المرمى وتسهل مهمة التسديد ·

ورياضة كرة القدم لعبة اخلاقية لو صح هـذا التعبير فهي ـ(لعبة الفريق) اليه مجتمعا ينسب النصر فيها ولو كان ظاهره فرد بعينه فاذا انفتحت ثغرة في الفريق انفرط العقد كله واختـل التوازن ··· ان كرة القدم في أوجها الأعلى خير مجلى للتعاون وانكار الذات وتضامن المجموع ·

وفي رياضة كرة القدم ـ كسائر الوان الرياضيات ـ تتمثل عبادة البطولة ·· تتمثل في التعصب للاندية واللاعبين ·· وهي من البطولات التي تعتمـد على (الحضور) ولعل أخطر أنواع البطولات · (البطولات المسرحية) ولاعب الكرة كالممثلة الجميلة اذا اختفت من المسرح لا تلبث ، مهما ذاعت شـهرتها ودوى اسمها ، أن يخبو البريق ويخفت الصوت ويصـبح كل شيء ذكرى قد يطويها هي الاخـرى النسيان ·· وهنا تحمد بطولة الادب والفن انها تعمر طويلا في حياة صاحبها وبعد الحياة لا بل قد تمتد أجيـالا وقرونا طويلة · وهي غير مرهونة بسمات خارجيـة من شباب أو جمال كلاعب الكرة أو الممثلة · انهـا تستمد بقاءها ورواءها من نضرة الروح لا الجسم·· ومن هنا كانت أبقى وأدوم واعمق وأصل وأقوى من الايام ·

ولكن متذوق الادب والفن أو جمهـور الادب والفن لا بد له من ثقافة خاصة تصله به وتدنيه منه حين تجد رياضة كرة القدم مجال اهتمام واسـع يجمع عليها الكبار والصغار النساء والرجال من كل الاعمار ·· من كل المستويات ·

بقي أن نطل على طريق الملعب انه شريط طويل يسيل بالناس وتصب فيه الطرق الجانبية المفضية اليه أفواجا منهم وقد تعـددت مظاهر حيلهم الى الوصول · ومن المناظر الغريبة التي تقع عليها العين في طريق بعض الملاعب ·· الحمار ذلك الحيـوان المسكين الذي يسهم دائما في المباريات بجهد مشكور ·· فان العربة المشدودة اليه ينصب فوقهـا لوح خشبي عريض كأنه مسرح صغير ويتكدس عليه الرجال وقوفا متلاصقين في هيئات وأزياء مختلفة لا يوحد بينهم الا الرغبة في بلوغ الملعب في طرفة عين ولكن يبدو أنهم افتقدوا سرب القطا في هـذا اليوم فلم يجدوا من يعبر غير ذلك المسكين المطواع ·

والاتوبيس يسير في طريق الملعب مثقلا بالناس حتى ليميل بهم الى حد تخشى عليه وعليهم السقوط ·

وعنـد الملعب رأيت احـد أولاد البلد ينزل من (تاكسي) في جلبابه الابيض الفضفاض وطاقيتـه البيضاء وينقد السيارة حسابها ثم يشتري تذكرة من فئة احدى عشر قرشا ·· يخيل الى أنه تحامل على قوت يومه أو أسبوعه حتى يدبر هذا المبلغ ·· وكانت ظاهرة فرحت بها ·· الى هذا الحد يتعشق قومنا الرياضة ويلبون دواعيها ··· ان رياضـة كرة القـدم كما قلت محل اهتمام شامل يسترعى العين ويشوق الحديث ·

دكتورة
نعمات احمد فؤاد

من صور الدهاء والحيلة

بقلم : محمد عبد الغني حسن

فى تاريخ العرب والمسلمين دهاة كثيرون . والتاريخ الانسانى يحدثنا فى تاريخ الامم قديمها وحديثها . فلم يخل تاريخ من دهاة ، حتى العجم ، فقد ذكروا ان كسرى انو شروان كان على عدله من ادهى دهاة الفرس . وليس الدهاء عيبا الا اذا جر صاحبه الى اوضع المطالب . فاذا كان لمكيدة فى الحرب ، او لخديعة فى السلم ، او بغية الانتصار على عدو ، او لغرض التخلص من مازق فهو مطلوب محبوب . ولامر ما جاء فى امثال العرب ان الكريم يحتال .. فليس فى الحيلة والدهاء لوم ولا خسة الا اذا جافت خلقا ، أو جانبت مبدا شريفا ، والا فهى مزية تحسب للرجل ولا تحسب عليه ، وقد عد النسابة المؤرخ ابن حبيب فى كتابه « المحبر المطبوع فى الهند بضعة من دهاة العرب ، هم معاويه بن أبى سفيان ، وزياد بن أبيه ، وعمرو ابن العاص ، وقيس بن سعد بن عبادة الانصارى ، والمغيرة بن شعبة الثقفى ، وعبد الله بن بديل بن ورقاء .

***

ولم يرو ابن حبيب نوادر عن هؤلاء الدهاة ، ولكنه اكتفى بذكر اسمائهم ، ولن يعوز الباحث عن هذه النوادر شىء فى كتب المحاضرات والاسمار والاخبار واللطائف مثل كتب المحاسن والمساوىء للبيهقى ، والمحاسن والاضداد للجاحظ ، ولكن خير ما تكون هذه الاخبار اذا وقعت فى كتاب من كتب التاريخ كالطبرى والمسعودى والمقريزى والبداية والنهاية لابن كثير والنجوم الزاهرة واشباهها ، فهنا تخرج الحكاية عن نطاق النادرة الادبية ، الى ميدان الحادثة التاريخية ، وتكون واقعة زمانية بدلا من ان تكون حكاية قصصية ، ويكون لها واقعها التاريخى الحى الذى يصورها واضحة المعالم ، متكاملة الاشخاص ، مترابطة الاحداث .

وقد تكون الحيلة حادثة شخصية للخلاص من موقف حرج ، او الانعتاق من القتل او الاسر او التعذيب مثلا ، وهنا لا يتعدى أثر الحيلة نطاق صاحبها ، ولايتجاوزه الى المدى الفسيح ، كانقاذ جيش برمته وعدده ، او تنفيذ خطة مدبرة يحتال لها المحتال على من هو أعلى منه منصبا ، او تحويل سياسة دولة ونظام حكمها مثلا كما سنذكره من حيلة المغيرة بن شعبة مع معاوية بن ابى سفيان ليضمن لنفسه العمل وعدم العزل بعد ان كبرت سنه فاحتال ليجعل نظام الخلافة الاموية مبايعة موروثة من الخليفة القائم الى من يعينه من ولده ، وتمت بذلك البيعة ليزيد بن معاوية على عهد أبيه وفى اثناء خلافته .

فقد روى الشعبى ان المغيرة بن شعبة لما خاف العزل من العمل فى خلافة معاوية كتب اليه بان سنه قد كبرت ، وعظمه قد رق ، واجله قد اقترب ، وان سفهاء قريش سفهوه ، وان امير المؤمنين – يعنى معاوية – اولى بعمله .. فرد عليه معاوية الكتاب قائلا : اما ما ذكرت من كبر سنك فانت اكلت عمرك! واما اقتراب اجلك فلو استطيع دفع الموت عن احد دفعته عن نفسى وعن آل ابى سفيان !! واما ما ذكرت من سفهاء قريش فحلماؤهم انزلتك هذه المنزلة ، واما العمل فاصبر رويدا « يدرك الهيجا حمل » ، ولم يعجب هذا الرد المغيرة فاستأذن معاوية فى القدوم عليه ، فاذن له فوافاه ، فابتدره معاوية قائلا . يا مغيرة ! كبرت سنك ، واقترب اجلك ، ولم يبق منك شىء وساستبدل بك : فانصرف ، فرأى اصحاب المغيرة فى وجهه كآبة فسألوه عن الخبر ، فقص عليهم موقفه وموقف الخليفة الاموى منه ، فقالوا له : والآن ماذا تريد ان تصنع ؟ قال : ستعلمون . ولم ييأس المغيرة لصد معاوية الباب دون قضاء حاجته ، بل دبر لقاء آخر واتى الخليفة فدخل عليه وقال له : يا امير المؤمنين ! ان الانسان يغدو ويروح ، ولست فى زمن ابى بكر ولا عمر ! فلو انك نصبت (أى عينت) لنا انسانا نصير اليه بعدك كان الرأى .. على انى قد كنت دعوت أهل العراق الى يزيد .. ولقد اثار المغيرة بهذا شيئا فى نفس معاوية ورغبة كانت فى صدره ، فقال له : يا أبا محمد انصرف الى عملك ! واحكم هذا الامر – اى الدعوة الى يزيد – لابن أخيك ؟ وهكذا كانت هذه الحيلة من المغيرة بن شعبة فى ضمان استمرار العمل لنفسه هى الباعث الذى حمل معاوية على اخذ البيعة ليزيد ، فاستن بذلك سنة وراثة الملك فى تاريخ العرب والاسلام ..

وليست الحيلة خاصة بجنس دون جنس، ولا بالرجل دون النساء ، وقد تكون في النساء حيل ومكايد مما يحسن صنعه ، ولا يعز عليهن امره . والى هذا اشار القرآن الكريم بقوله في سورة يوسف « انه من كيدكن ، ان كيدكن عظيم »

***

ولقد قرات في كتاب « المحبر » وفي فصل الكلام عن ازواج النبي عليه السلام حيلة لطيفة لنساء النبي حين تزوج السيدة أسماء بنت النعمان بن الاسود بن الحارث ، وكانت امراة ذات جمال وشباب . فلما جعل صلى الله عليه وسلم يتزوج الغرائب ، قالت عائشة : قد وضع يديه في الغرائب، وانهن ليوشكن ان يصرفن وجهه عنا !! وكان النبي قد خطبها حين وفد عليه جماعة من كندة من عرب الجنوب ، ليتألف قلوبهم ، وليزيد بذلك قوة في الصهر ودعامة في النسب . فلما رآها نساؤه وشاهدن جمالها وشبابها داخل قلوبهن الحسد من ناحيتها ، ودبرن حيلة او مكيدة يوغرن بها صدر النبي عليها ، فقلن لها : يااسماء ! ان اردت الحظوة عند رسول الله فتعوذي بالله منه اذا دخل عليك! وكان في « اسماء » طيبة وثقة وتصديق وحسن نية، ففعلت ذلك حين دخل النبي عليها لاول لقاء . . . فصرف النبي وجهه عنها وقال : امن عائذ الله . الحقي باهلك ! وخرج والغضب يرى في وجهه . .

وكان ما كان بعد ذلك من ان النبي عليه السلام خلف على اسماء بنت النعمان المهاجر بن ابي امية المخزومي والي اليمن للرسول ، ثم خلف بعده عليها قيس بن مكشوح المرادي . وكانت اسماء هذه آخر زوجات النبي عليه السلام .

***

واشتهر عمرو بن العاص بالدهاء والحيلة ، وتروى له في كتب التاريخ والسير طائفة من حيله. وقد كان فيه طموح كثير ، حتى لقد كانت نفسه تنزع الى الخلافة ، ولولا ان معاوية كان أوسع منه حيلة ، واكثر دهاء ، واسمح نفسا ، وارحب صدرا لظفر ابن العاص بالخلافة . ولسنا نقول هذا الكلام من غير دليل ، فقد ذكر المؤرخ ابن كثير في كتابه « البداية والنهاية » حادثة كان عمرو بن العاص يتربص فيها بمعاوية حتى يقتل فينتصب نفسه من بعده . فقد رووا ان عليا كرم الله وجهه بارز في ايام صفين وقتل كثيرا ، فلما قتل كريب بن الصباح اربعة من اهل العراق ووضعهم تحت قدميه ، نادى : هل من مبارز ؟ فبرز اليه علي ، فتجاولا ساعة ثم ضربه علي فقتله ، ثم نادى علي : هل من مبارز فبرز اليه الحارث بن وداعة فقتله ، ثم خرج اليه اثنان آخران فقتلهما ، ثم تلا قوله تعالى : « والحرمات قصاص » ثم نادى : ويحك يامعاوية! ابرز الي ولا تفني العرب بيني وبينك ! فقال له عمرو بن العاص : اغتنمه فانه قد اثخن بقتل هؤلاء الاربعة ! فما كان اسرع معاوية في الرد عليه قائلا : يا عمرو ! والله لقد علمت ان عليا لم يقهر قط ، وانما اردت قتلي لتصيب الخلافة من بعدي! اذهب اليك عني ! فليس مثلي يخدع !!

***

ولقد ظفر الامام علي يوما بعمرو بن العاص في مبارزة وكاد يقتله فيها ، لولا أن سوأة عمرو قد انكشفت ــ ويقال أن عمرا كشفها متعمدا حتى يصرف وجه الامام علي عنه فلا يصيب منه مقتلا ــ فرجع الامام علي عن عمرو ، فقال له اصحابه ما لك يا امير المؤمنين رجعت عنه ؟ فقال : اتدرون ما هو ؟ قالوا : لا . قال : هذا عمرو بن العاص، تلقاني بسوأته ، فذكرني بالرحم ! فرجعت عنه . وقد حفظها له معاوية ، فلما رجع عمرو اليه قال له على سبيل التهنئة الساخرة : احمد الله واحمد استك !!

***

والذين يؤكدون أن كشف عورة عمرو للامام علي كان مقصودا لصرف الامام عن قتله حيلة منه يسندون هذا الكلام بما قاله شاعر في هذه الحادثة:

ولست أصد السوء عني بعورة
كما صدها يوما بعورته عمرو

ولا تقل شهرة عمرو بن العاص في هذه الخديعة الماكرة عن خديعته للرجل الطيب ابي موسى الاشعري زميله في الحكومة والتحكيم بين علي ومعاوية ، فقد اتفقا على كتابة التحكيم وختماه بخاتميهما ، واتفقا فيه على خلع علي ومعاوية وتولية عبد الله بن عمر، ثم جاء دور التنفيذ العملي للخطة المكتوبة فبدأ عمرو الكلام مع ابي موسى قائلا : اما اذا رايت الصلاح في هذا الامر والخير للمسلمين؛ فقم فاخطب الناس ، واخلع صاحبينا ، وتكلم باسم هذا الرجل الذي تستخلف ، فقال أبو موسى : بل انت قم

فاخطب فانت احق بذلك ! قال عمرو : ما احبان اقدمك ! وما قولى وقولك للناس الا قول واحد .. فقم راشدا ! فقام ابو موسى الحكم الطيب ، وخلع صاحبه « عليا » (كما يخلع عمامته) ، ثم قام عمرو الداهية فقال : ايها الناس : ان اباموسى قد خلع عليا واخرجه من هذا الامر الذى يطلب ، وهو أعلم به ! الا وانى خلعت عليا معه ، واثبت معاوية على وعليكم ! وانتهى الامر بعد هذه الحيلة والخديعة الغادرة بما كان من احداث الصراع الدامى بين على ومعاوية .

***

وعلى حين كان معاوية بن ابى سفيان يخشى حيل عمرو بن العاص ومكايده فيما يمس سلطانه او يؤثر فى انتقال الخلافة منه اليه ، فانه كان دائما يدعوه فى الموقف الحرج ــ وخاصة فى الخصومةبين علىومعاوية ــ ليبتدر من الحيل والخدائع مايضعف جيش الخصم او يفسد عليه خططه وتدبيره ، وكان يندبه دائما للدهاء والراى حين لا تنفع الشجاعة والمصابرة فى اللقاء . ففى ايام اللقاء الحامى بين الامام على ومعاوية راى على ان انصار معاوية وخاصة من الفساسنة لن يزولوا عن مواقفهم دون طعن يزيل الهام عن اماكنها ، وضرب تسقط منه المعاصم والأكف ، فاقدم هو ورجاله ، واستعملت السيوف وخاصة فى ليلة « الهرير » ، وتقصفت الرماح ، وتصادم القوم ، وكان الفارس يعتنق الفارس من خصومه ويقعان جميعا الى الارض عن فرسيهما . وكان على ميمنة جيش الامام على الاشتر النخعى وكادت المعركة تنتهى الى انتصار رجال على انتصارا ساحقا . وهنا لجا معاوية ابن ابى سفيان الى عمرو بن العاص يطلب منه حيلته فى هذا المازق حتى يخلص جيش الشام وجيش معاوية من فتكات جيش الامام على . واراد معاوية ان يغرى ابن العاص ان هو آتى من المكيدة ما يسعف الموقف ، فقال له : هلم مخباتك يا ابن العاص ؟ فقد هلكنا ! وتذكر ولاية مصر ! وهو بهذا يرشوه بالوعد بالتولية على مصر ان اسعفه حيلة . وهنا لم تخطىء المكيدة عمرا الداهية ، فنادى فى جيش معاوية : ايها الناس ! من كان معه مصحف فليرفعه على رمحه . فكثر بين رجال الجيش رفع المصاحف ، وارتفعت ضجة القوم منادين : كتاب الله بيننا وبينكم ، من لثغور الشام بعد اهل الشام ؟ ومن لثغور العراق بعد اهل العراق ؟ ومن لجهاد الروم ؟ ومن للترك ؟ ومن للكفار ؟ وقد بلغ عدد المصاحف التى ارتفعت فى جيش معاوية اكثر من خمسمائة مصحف ، وهو عدد ليس باليسير ولا الهين .

***

فلما راى رجال الامام على من جيش العراق هذه الظاهرة من جيش الشام مالوا الى المهادنة، واحبوا الموادعة ، وارتضوا بالتحكيم . حتى قال بعضهم للامام على بن ابى طالب : قد اعطاك معاوية الحق، دعاك الى كتاب الله ! فاقبل منه . وكان الاشعث بن قيس ــ من رجال على ــ من اشد المتحمسين للمهادنة ، الداعين الى التحكيم ، حتى لقد وجه الخطاب الىالامام على قائلا : انا لكاليوم على ماكنا عليه امس ، وليس تدرى مايكون غدا ، وقد والله فل الحديد ، وكلت البصائر . وتابعه غيره فى هذه النغمة التى لم يكن يتوقعها الامام لانه كان على يقين بأن هذه خدعة من خدع معاوية او من خدع مستشاره عمرو بن العاص . وصارح على قومه بقوله : ويحكم ! ما رفعوها لكم الا خديعة ، ودهاء، ومكيدة. فلم يقبل منه المعارضون هذا الكلام وقالوا له : لا يسعنا ان ندعى الى كتاب الله فنابى ان نقبله . وكان بعد ذلك ما كان من الاحداث التىكان لا بد ان تفضى اليها تلك المكيدة من قبول التحكيم، وخلع ابى موسى الاشعرى للامام على ومعاوية معا، وتثبيت عمرو بن العاص لمعاوية ..

***

ومن حيل ابن العاص التى اعقبت خيرا على العرب والمسلمين ، واكسبتهم فتحا مبينا ، تلك الحيلة التى اصطنعها حين سيره الخليفة عمر بن الخطاب لفتح مصر . فقد كان عمر بن الخطاب كتب اليه ــ وهو بالشام ــ يامره بالسير الى مصر من الشام ، وقد دخل عثمان بن عفان على الخليفة عمر بن الخطاب فحكى له عمر قصة هذا الكتاب ، فابدى عثمان خوفه ، لان ابن العاص مجرا وفيه اقدام وحب للامارة ، وقد يدفعه هذا الى انيخرج الى مصر فى غير عدة ولا ثقة ولا جماعة ، فيعرض المسلمين للهلكة رجاء فرصة لا يدرى تكون ام لا . ويقال ان ابن الخطاب ندم على كتابه لابن العاص، وكتب اليه كتابا آخر يقول فيه : ان ادركك كتابى

قبل ان تدخل مصر فارجع الى موضعك ، وان كنت دخلت مصر فامض لوجهك ..

ويقول مؤرخو الفتح الاسلامي لمصر ان الكتاب ادرك عمر بن العاص وهو برفح ، فتخوف ان هو اخذ الكتاب وفتحه ان يجد فيه امرا بالانصراف عن الفتح ، فلم ياخذ الكتاب من رسول الخليفة عمر وصار يدافعه ويماطله ويسير حتى نزل قرية فيما بين رفح والعريش ، فسأل عنها فقيل له انها من ارض مصر ! فدعا بالرسول والكتاب وفتحه وقراه على المسلمين ، ثم وجه الكلام الى من معه من رجال الفتح قائلا : الستم تعلمون ان هذه القرية من مصر ؟ قالوا : بلى ! قال : فان امير المؤمنين عهد الى ، وامرني ان لحقني كتابه ، ولم ادخل مصر ان ارجع ، ولم يلحقني كتابه الا ونحن الآن بارض مصر ، فسيروا وامضوا على بركة الله وعونه !

***

ولا تكشف هذه الحيلة البارعة عن دهاء ابن العاص فحسب ، ولكنها تكشف عن ذكائه اللماح وفطنته ، فانه راى بعين البصير الداهية ان كتاب الخليفة لا بد ان يحمل امر الانصراف عن هذه الوجهة المهلكة من الفتح ، فدبر هذه الحيلة ليصل الى غرضه من المضى بالحملة الى آخر اهدافها ..

ومن طرائف الحيل التى خلصت صاحبها من سخط قد يفضى الى الهلاك ، تلك الحيلة التى لجا اليها خالد بن صفوان لينجو من غضب زوجة الخليفة العباسى ابى العباس السفاح ، وقد كان فى غضبها هلاكه . فقد كانت ام سلمة زوجة السفاح اثيرة عنده ، حظية لديه ، وقد غلبه حبها وغلبت هى عليه غلبة شديدة حتى كان لا يقطع امرا الا بمشورتها . وصرفته عن النساء ، فما دنا الى غيرها لا الى حرة ، ولا امة ... واراد خالد بن صفوان ان يصرفه عنها فقال له : يا امير المؤمنين! انى فكرت فى امرك وسعة ملكك ! وقد ملكت نفسك امراة واحدة .. وحرمت نفسك التلذذ باستطراف الجوارى والتمتع بما تشتهى منهن .. واخذ يغريه بالطويلة الهيفاء ، والبضة البيضاء ، والرقيقة السمراء ، التى تفتن محادثتها ، وتلذ خلوتها .. واخذت الافكار تراود خاطر الخليفة .. ودخل على زوجه ام سلمة . فلما راته مفكرا مهموما استدرجته بالسؤال والجواب حتى صرح لها بما قال خالد .. فاسرتها فى نفسها ، وحرضت جماعة من «البلطجية» للاعتداء عليه والتخلص منه .. لولا انه هرب منهم ومكث فى بيته اياما لا يخرج ! فلما طلبه الخليفة لامر ، والح عليه فى الطلب ، خرج للقاء الخليفة وهو موقن بالموت ! ودخل على السفاح فأومأ له بالجلوس ، ثم نظر فاذا خلف ظهره باب عليه ستور قد ارخيت ووراءها حركة ! فأيقن ان هناك فى هذا المخبا ام سلمة تحصى عليه كلامه ؟ فساله الخليفة : يا خالد ! لم أرك منذ ثلاث ليال ! قال : كنت عليلا يا امير المؤمنين ! قال : ويحك ! انك وصفت لى فى آخر دخلة من امر النساء والجوارى ما لم يخرق مسامعى قط كلام احسن منه ، فأعده الآن على مسمعى ! فقال : نعم يا امير المؤمنين ! اعلمتك ان العرب اشتقت اسم الضرة من الضر ! وان احدهم ما تزوج من النساء اكثر من واحدة الا كان فى جهد!!

***

وبهذه الحيلة تخلص خالد بن صفوان من الاذى الذى كان يتعرض له لو انه اعاد على مسامع الخليفة ما كان اغراه به من حيث التمتع بالجوارى وترك الاقتصار على زوجة واحدة ...

وهكذا نجد فى الحيل والخدائع بعض الخير الى جانب ما فيها من شر كثير ...

محمد عبد الغنى حسن

غـزو القـمر

بقلم : عبد المنعم أبو السعود

لقد مر غزو القمر والرحلة اليه باطوار ثلاثة :

كان حلما ومجرد خيال عبر عنه الاجداد باساطيرهم التى ملأت أسماع الاطفال . والنوع البشرى يتميز عن سائر المخلوقات بطول مدة حضانة الوالدين لاطفالهما وطول هذه المدة هو السبب المباشر فى ارتقاء الانسان وحفظ تراثه . فيما يتناقله الأبنـاء عن آبائهم من آراء وما يرثونه من تقدم هو أساس انتاجهم والقاعدة التى يضيفون عليها الجديد من التحسين والاختراع . ونظرة فاحصة الى الطيور والحيوانات تكشف عن الفارق بين حياتها وحياة الانسان . لقد بقيت حيث كانت منذ بدء خلقتها فى حين تطورت حياة الانسان من زميل يشاركها حياة الغابة يأكل من الشجر ويسكن الكهوف ويستتر بالاوراق الى ذلك المخلوق الذى نراه الآن . وعرف كيف يسخر كل القوى من حوله لخدمته ، وحتى زملاء بداية حياته ـ الحيوان والطير ـ أصبحت تخضع لسلطانه . ورغم كل هذا التقدم بقى يردد ما حكاه له آباؤه عن القمر .

***

وبمرور الزمن تكونت لديه حصيلة من العلوم وحقق قوانينها وعرف منها خصائص ما يحيط به من ظواهر الطبيعة فحكمها بعلوم الفلك والطبيعة والكيمياء والهندسة ثم تعرف أيضا الى ما كشف من معادن وتحكم فى تشكيلها وافاد من ذلك . وأخيرا تقدم علمه عن نفسه فاظهر الطب ضعف النفس وكيفية علاجه واتقاء ما تتعرض اليه . وكان من نتيجة ما تجمع لديه من هذه العلوم ان فكر فى قهر الفضاء .. وغزو القمر . وبدأت الخرافة تتحول الى حقيقة عقب أن قام جاجارين السوفيتي بأول رحلة دار فيها حول الارض . وانقضى بذلك الطور الثانى من رحلة الفضاء بعد أن تغلب الانسان على الفضاء وقهره .

ونحن الآن نعيش فى الطور الثالث من هذه الرحلة بعد أن كرر السوفيت والامريكيون رحلات الفضاء حول الارض وثبت أن الانسان يمكنه أن يعيش فى منطقة الشعور بانعدام الجاذبية وان يحاط بالضمانات التى تكفل له الجو الذى يوفر له مقومات الحياة كما اعتاد على الارض من حيث هواء التنفس ودرجة الحرارة التى تحتملها والضغط المناسب وبعد أن اظهرت التجارب المتعددة أن هذه الاحتياطات قد كفلت له حفظ الحياة ومكنت جسمه وأعضاءه من القيام بوظائفها الفسيولوجية كما اعتادت .

وكما طال بالانسان الطور الاول الذى بقى منذ بدأت خلقته حتى عام ١٩٦١ سيطول أيضا الطور الثالث عن الطور الثانى الذى لم يستغرق الا ثلاث سنوات فقط . ذلك لان الرحلة الى الكواكب تتطلب منا الآتى :

١ ـ التوصل الى صاروخ ذى قدرة معينة مع توفير الوقود اللازم له .

٢ ـ مركبة من نوع خاص .

٣ ـ الالمام بخواص الفضاء الذى تسير فيه المركبة وكذلك خصائص سطح الكوكب الذى يختار للهبوط عليه .

٤ ـ تدريب خاص للملاحين الذين يقومون بأول رحلة من هذا النوع .

١ ـ الصاروخ والوقود .

اما عن الصاروخ فقد تقدم البحث بالانسان فى هذا المضمار وعرف الصاروخ المتعدد المراحل الذى يمكنه أن يجتاز منطقة تأثير جاذبية الارض وأثبتت تجاربه ان الصاروخ الذى يسير بسرعة تقل عن ٨ كيلومتر فى الساعة ما هو الا قذيفة ومصيره بعد ارتفاعه فى الجو أن يسقط على سطح الارض ثانية . وان الذى يسير بسرعة ما بين ٨ كيلو و ١١ر٢ كيلو هو قمر يدور فى مدار حول الارض ويرتبط بها بفعل القوة الطاردة المركزية والتصدر الذاتى وأن الصاروخ الذى يسير بسرعة تزيد عن ذلك يكون طليقا من تأثير الارض ويسير فى الفضاء نحو اى كوكب يوجه اليه .

أما كيف يحصل على هذه القدرة العالية فالسر عند الوقود . أن الزيت الذى كشفه الانسان واستغله فى الاضاءة وانتاج القوة فى كافة صوره لم يكن كافيا ليعطى هذه المقدرة العالية ومن ثم اتجه تفكيره نحو استنباط نوع آخر يحقق هذه القدرة وانطلق يبحث فى حصيلة علومه وكان الوقود الكيميائى . فمن تفاعل بعض المواد حصل على الحرارة التى حولها الى طاقة حققت له انتاج القدرات التى يحتاجها .

على أن الرحلة الى الكواكب تستغرق وقتا طويلا ولا زال الانسان فى بداية الشوط فى صناعةالمركبة ويحتم وضعه أن يخضع لما وصل اليه انتاجالمركبات من حيث اتساعها وكذلك قدرة الصاروخ على الحمل المحدودة بثقل معين ٠ وحتى يتغلب على احتياجه للوقود لاتمام الرحلة بدأ يفكر فى الاستعانةبالمفاعل الذري والمفاعل الكهربى لامكان الاستعانة بأيهما يتفوق ليكون هناك منبع دائم فى المركبة يمدها بالطاقة اللازمة ٠ خصوصا ونحن نعلم حقيقتين : أولاهما ــ انه لا توجد فى الفضاء محطات للتموين ٠ وثانيهما ــ أن الهبوط على سطحالكوكب معناهحدوث صعود ثان منه ٠ والانطلاق الى الفضاء يحتاج لقدرة عالية الأمر الذى يستهلك وقودا كثيرا ٠ وحتى أقرب الى ذهن القارىء كميته أذكره بأن ٨٥٪ من الوزن الكلي للصاروخ هو وزن وقوده ٠ ولا زالت التجارب تسير للمفاضلة بين أنواع الوقود المختلفة لاختيار أنسبها ٠

٢ ــ المركبة :

اما المركبة فقد نجح الانسان فى انتاج مركبة تتحمل الضغط ودرجة الحرارة العالية التى تصل الى حوالى ٣٠٠٠° درجة مئوية ولكن المركبة لا زالت من حيث الحجم تحتاج الى تعديل لتحمل اكثر من شخص ٠ ونحن أمام حقيقتين الآن : الاولى المركبة السوفيتية التى تزن ٥ر٤ طن والثانية الامريكيةالتى تزن ٥ر١ طن ٠ أما الاولى فلا شك انها تتسع لآلات كثيرة وتزيد حمولتها عن الثانية ولكنها خصصت لفرد واحد أيضا ٠ وأما الثانية فالامريكيون يقولون عنها انها خاصة بمشروع ميركيورى وانه سيعقبه مشروعا جيمنى وأبولو ، والمشروع الاول ستجرى تجاربه بمركبة تحمل شخصين والثانى مخصص للرحلة الى القمروستبنىمركبته لتسع ثلاثةاشخاص وتأسيسا على هذا فان المركبة فى طريقها الىالاتساع

***

وطبيعي ان يتم انشاء المركبات الاكثر سعة بعد أن يتحقق لنا انتاج الصواريخ القوية التى يمكنها حملها ٠ والاتجاه السوفيتي والامريكى نحو انتاج مركبات أكبر معناه أنهم أنتجوا صواريخ أكبر ٠

والوسط الذى تسير فيه المركبة الآن وسط مدروس ومعروفة خواصه ٠ لكن فى الرحلات الى الكواكب هناك احتمالات كثيرة غير ملائمة للمركبة، فهناك احزمة من أشعة ضارة كحزام فان الن ستخترقه المركبة وهذه الاحزمة ما هى الا أمكنة لتجمع الاشعة الضارة وبكميات هائلة ٠ وعلى هذا فسيكون لها أثر علىالمركبة وبذا يستدعى الأمرالحيطة من مثل هذه الاشعة ٠ والحيطة تتطلب الكشف عن خواصها ومعرفة تأثيرها على السبائك المعدنية التى تغلف بها المركبة ٠

وبجوار هذه الاحزمة هناك أيضا الشهبوالنيازك التى قد تصطدم بالمركبات فتسبب تلفها ٠ ولكى نحتاط لهذا أيضا يجب أن تجرى الابحاث المتعددة على طبيعة هذه الشهب ومعرفة حجومها ودراسة أثر اصطدامها فى الجو المطلق الخالى من الجاذبية ٠

***

ويجىء بعد ذلك الفضاء نفسه ودرجة حرارته ثم الضغط الذى فيه والالكترونات والشحن الكهربية التى يحتويها ٠كل هذه الموضوعات تحتاج لإستجلاء لكى نطمئن على المركبة ونجاح الرحلة ٠ ومن هنا يستشف القارىء الكريم مدى مساندة العلم لغزو الفضاء ٠

٣ ــ الالمام بخواص الفضاء وسطح الكوكب :

لقد أشرت فى بحث المركبة الى ما يعترضها من ظروف غير ملائمةتستدعىاستجلاءخصائص الفضاء، ويتم ذلك عن طريق ارسال أقمار صناعية للكشف والرصد ٠ ولقد قدمت الموجات اللاسلكية خدمة لولاها لظل الانسان حبيسا على الارض وعن طريقها يتم ارسال الصور المختلفة التلفزيونية عن الفضاء وما يحويه بعد أن تصوره الاقمار الخالية منالانسان وعن طريقه يتم استلام الارسال اللاسلكى للصوت الذى تنتجه بعض آلات الرصد ٠ وحصيلة ما يتجمع لدينا من صور وأصوات تقوم بتحليلها ومنها نكشف عن خصائص الفضاء فنتفادى الضار منها ونحتاط لها ٠

***

ولا يمكن أن تهبط على سطح كوكب ما طالماتجهل تركيبه وطبيعة سطحه ، وهل هو رمل أم حشى أم

صخرى ، منبسط أو تعلوه المرتفعات والجبال فكل حالة من هذه الحالات تحتاج لتخطيط مختلف في التصميم لتتمكن المركبة من الهبوط على سطحه بسلام والانطلاق من فوقه كذلك عند العودة ·

وليس أمر استجلاء طبيعة سطح الكوكب لازما من أجل المركبة وحدها بل هو أيضا الزم من أجل الانسان · فليس للرحلة قيمة ما لم يتمكن الملاح من الانطلاق على سطحه وحمل عينات من أرضه ليمكن لرحلات تالية وليقوم العلماء على أرضنا بتحليل هذه العينات للكشف عما تحويه من معادن يفيد منها الانسان · وبجوار ذلك فان الكوكب يجب الكشف عنه لمعرفة مدى صلاحيته لحياة الانسان · فالحياة لا تستقيم له ما لم يتوفر له الهواء بنسبه على الارض ليتنفسه وكذا درجة الحرارة والضغط في حدود ما يحتمل · ومعرفة هذه المقومات الثلاثة واستجلاء قدرها يمكننا من التغلب على ظروفها غير الملائمة ·

أما كيف يمكن الكشف عن كل هذا فأمره أصبح معروفا · فالاقمار الصناعية هي الوسيلة في استجلاء كل هذا · وقد حاول الامريكيون من قريب تصوير سطح القمر بارسال القمر الصناعي رينجر السادس الى سطح القمر ليصوره ولكنه ارتطم بسطحه دون أن يسجل أو يرسل أي بيانات عنه · وبهذا تكون التجربة قد فشلت · لكن ليس معنى هذا أننا فقدنا الأمل في الكشف عن سطح القمر وجوه ·· فقد أعلن الامريكيون أنهم انتجوا ثلاثة اقمار من نفس الطراز واعدوها لهذا الغرض فان فشل أولها فسيكون ذلك حافزا لان تتولى الهيئات المشرفة اصلاح الاخطاء والاحتياط حتى لا تتكرر وبذا تنجح في الوصول الى الغرض المنشود منها · وبعد أن تقوم الاقمار بنقل الصور الينا يتوافر العلماء على دراستها وعلى ضوء البيانات التي يصلون اليها يتم تصميم مركبة المستقبل التي تخصص للوصول الى الكوكب الذي يكشف سطحه وجوه ·

***

٤ ـ تدريب واعداد الملاحين ووقايتهم ·

واذا كنا قد أعددنا الصاروخ والمركبة للقيام بالرحلة وبعد أن نكون قد عرفنا خواص سطح الكوكب وجوه فاننا لا بد أن يكون لدينا الملاح الذي يمكنه أن يقوم بالرحلة · ان هذه الرحلة تتطلب كفاية خاصة وتستدعى تدريبات أخرى كثيرة فلدينا جو مختلف في الكواكب فيه درجة حرارة مرتفعة وفيه ضغوط مرتفعة ولدينا أيضا منطقة الشعور بانعدام الجاذبية وكل هذه تختلف عما اعتاده الانسان على الارض ولا بد أن يتلقى تدريبات تؤهله للمقاومة ومن ناحية أخرى فان زيادة مناعته محدودة ذلك لانه لا يمكن أن يقاوم درجة حرارة مرتفعة كتلك التي تمر فيها المركبة ولا أن يبقى في منطقة معدومة الاكسجين وهذا يتطلب منا أن نحميه من كل ذلك صناعيا · لذا كانت بدلة الفضاء مشكلة أخرى وفازت بعناية كبيرة في تصميمها لتحقق للملاح التكييف اللازم لدرجة الحرارة والضغط ولتمده بالاكسجين اللازم للتنفس في رحلته ·

***

وبعد أن يتكامل لدينا كل هذه الامور وتسفر التجارب التي يجب أن تتعدد عن صلاحية ما يعد لمواجهة الظروف الغير ملائمة التي يكشف عنها استجلاء غامض الجو وسطح الكوكب يمكن بعدئذ أن نلمح عن بعد امكان تحقيق الرحلة الى الكواكب ·· ولست بحاجة أن أوضح للقارئ متى تتم ولا أن أحدد له المدة التي سيزيد بها الطور الثالث عن الثاني فلا شك أنه ليس من هذا العرض ما تم وما هو سبيل التمام من أجل هذه الرحلة · فان قال لنا السوفيت ان رحلتهم الى كوكب القمر ستكون ما بين عامي ١٩٦٥ ـ ١٩٦٧ فمبعث تقديرهم ما تجمع لديهم من معلومات عن الفضاء وعن سطح الكوكب وحين يقول لنا الامريكيون أن رحلتهم الى نفس الكوكب ستتم قبل نهاية عام ١٩٧٠ فهذا أيضا كشف عن مدى ما تجمع لديهم هم الآخرون ·

وانتصار الانسان على الفضاء يخالف كل عصر سابق له في الميادين الاخرى التي كان للصدفة فيها أثر ملحوظ فالعنصر في غزو الفضاء يقوم على تقدم العلم وعلى ما نحصله وليس للصدفة أثر فيما نقوم به في هذا المضمار · هكذا ركب الله العقل في الانسان ليقوده في مثل هذا المضمار وليصل به الى تحقيق أحلامه وفق ما قدر له ·· ترى متى نلتقى معك أيها القارئ على سطح القمر مثلا ··؟!

عبد المنعم أبو السعود

الحياة القبلية في اليمن

بقلم : أمين بسيوني

اليمن كشعب مجموعة من الناس يسودهم النظام القبلي بكل ملامحه وتفاصيله لم يتطور على مر الزمن الا تطورات سطحية لاتنال الجوهر .

فالقبيلة اليمنية جماعة من الناس يرتبطون بنسب واحد ويسكنون منطقة كبيرة تنقسم الى قرى .. كل قرية يحكمها شيخ من مشايخ القبيلة وهؤلاء المشايخ لهم شيخ يسمى شيخ المشايخ هو رأس القبيلة كلها .

وهذه المنطقة التي تسكنها القبيلة كلها لها حدود تشبه حدود أي دولة أخرى ، أي ان القبيلة بهذا المفهوم تعتبر دولة داخل الدولة .. وشيخ القبيلة هو المرجع الاخير الذي يحكم في كل خلافاتها ومنازعاتها ويقرر مصائر افرادها .

وتصور مثلا مايمكن أن يحدث لو ضلت ماشية طريقها ودخلت في مراعي قبيلة أخرى .. ان القبيلة تعتبر ذلك اعتداء على حدودها وانتهاكا لحرماتها .. انها الحرب لامحالة .

وهذا يقودنا الى أن نقارن بين النظام القبلي منذ الجاهلية وبين النظام القبلي الذي يسود اليمن اليوم والذي تحاول الثورة اليمنية أن تغير من شكله حتى يتناسب مع الحياة الجديدة التي تريدهـا اليمن لنفسها لكي تلحق بركب التطور .

***

كلنا نذكر ولا شك المنازعات التي كانت تحدث دائما بين القبائل في العصر الجاهلي ويحفظ لنا التراث العربي كثيرا من هذه الصور .

فالقيم التي كانت تحكم أي قبيلة هي فخرها بأن رجالها محاربون أشداء يذودون عن حياض القبيلة وعن عرضها المتمثل في نساء القبيلة وفخرها بأنها من ارفع قبائل العرب نسبا وأرومة .

وكانت الحرب تقوم لاتفه الاسباب ، ربما لبيت واحد من الشعر قاله شاعر في هجاء قبيلة من القبائل .

واذا أضفنا الى هذا أن هذه القبائل أو معظمها تعيش على الرعي وتلتمس لها مكانا قريبا من الآبار أو عيون الماء لاستطعنا أن نتصور كيف كان الاستقرار لايعرف طريقه الى قلوبهم وكيف كانوا يبيتون وسلاحهم في أيديهم يدفعون به عنهم غارة قبيلة أخرى ضاق بها الرزق فحملت سلاحها لتغير عليهم تنهب خيراتهم وتسبي نساءهم .

***

اذن فقد كانت القبيلة تعتبر نفسها في احد وضعين اما ناهبة أ منهوبة ، اما غازية او مغزوة ، اما عادية أو معتدى عليها ، ولا وسط بين ذلك .. لا استقرار ولا اطمئنان .. لانها لو تركت القبائل الاخرى وشأنها فلن تتركها القبائل الاخرى وشأنها .

هو صراع من أجل البقاء اذن .. من أجل صورة وأكثرها بدائية ، ولذلك كان من الطبيعي أن يكون كل رجال القبيلة محاربين أشداء يعدون للقتال منذ نعومة أظفارهم .. وأن تكون القبيلة كلها جيشا محاربا كبيرا مستعدا للدفاع عن القبيلة في أي يوم بل في أي ساعة ، وفي أي دقيقة .

لو نقلت هذه الصورة القديمة الى واقع اليمن اليوم فلن تجد تغييرا كبيرا الا في بعض التفاصيل أما الجوهر فقد بقي كما هو بفعل القرون الطويلة التي قضاها اليمن في معزل عن الحضارة وعن العالم بكل الاحداث التي كانت تغلي فيه وبكل الانتصارات التي حققتها الانسانية في شتى المجالات . ولولا تسرب جهاز الراديو الترانزستور لما تسرب الى اليمن شعاع من العالم الخارجي ولبقيت معزولة عزلة أبدية .

القبيلة اليمنية ظلت محافظة على شعورها بأنها اما غازية أو مغزوة ، ولذلك فهي تعد أبناءها منذ سن العاشرة للضرب وللقتال .

ويحدد يوم معين يمتحن فيه أبناء القبيلة في هذه السن في الرمي .. فاذا فشل صبي في هذا الامتحان اقام أبوه مأتما وتقبل العزاء من كل القبيلة في هذا الولد الفاشل .. واذا تكرمت القبيلة وتسامحت معه منحته مهلة حتى سن الخامسة عشرة فاذا فشل

مرة أخرى كان مصيره الاحتقار والمهانة والعار الذى يكلم جبين أهله .. فينزوى هذا الولد ولا يتطاول بشجاعة كما يتطاول الآخرون ويحرم من حضـور حفلاتهم ومآدبهم ، بل ان أباه يفرق بينه وبين اخوته الآخرين في المعاملة وفي الميراث .

مجتمع القبيلة اذن مجتمع ينبذ الضعيف والخائر ولا يعترف الا بالمحارب الشديد المراس .. بل ان مجتمع القبيلة لايعترف بالمرأة كعنصر ضعيف .. بل يعتبرها محاربة ولكن لا تحمل السلاح .. فهى تحارب فى ميدان الزراعة والرعى وتنشئة أبنـاء القبيلة المحاربين .

كل ما طرأ على القبيلة اليمنية من تطور عما كانت عليه في العصر الجاهلي هو انها لم تعد تكر وتفر في أى وقت .. بل عرفت بعضا من احساس الاستقرار واتخذت لنفسها مكانا تقيم فيه اعتبرته وطنهـا وأقامت حوله حدودا لا تقربها القبائل الاخرى.. فهناك قبائل تسكن في شمال اليمن أو اليمن الأعلى وقبائل أخرى تسكن فى الجنوب أو اليمن الاسفل فى سهول تهـامة ووديانها وقبائل تتناثر فى الشرق والغرب وحاولت كل قبيلة في حدود وطنها هذا أن تكفى نفسها بنفسها تزرع كل ما تحتاج اليه من حبوب أو قات حتى لا تمد يدها الى القبائل الاخرى .

***

من هنا كان عسيرا على هذه القبائل أن تشعر بمعنى كلمة وطن كما نفهم نحن اليوم .. فالوطن بالنسبة لها هو هذه الرقعة الصغيرة أو الكبيرة التى يسكنها أفرادهـا والتى يزرعون عليهـا ما يأكلون والتى يطلقون فيها ماشيتهم لترعى .. أما ماعدا ذلك من مفهومات الوطن تجـاه اليمن ككل فهذا هو ما لم يخطر لها على بال .. ربما شعرت به بشكل دينى تجاه العاصمة التى كان يسكنها الامام الذى كانت تعتبره خليفة المسلمين وظل الله فى الارض .. واذا دفعت اليه بعض أموالهـا فهى لا تدفعها كضريبة تفرضها الدولة وانما كزكاة واجبة لله .. والامام كان ممثلا لله بينهم وكانت القبيلة تدفع هذه الزكاة عن طواعية لسبب واحد .. هو انها تشعر أنها اذا لم تدفع الزكاة فسيصيبها الله فى أموالها وعيالهـا وستنزل بهـا المكاره والمصائب .. أما اذا دفعت فسيبارك لها الله فى كل شىء ..

***

كان الامـام ـ وهو ممثـل السلطتين الدينية والدنيوية ـ يحكم اليمن عن طريق الدين والمؤامرات والارهاب ويعتمد عليها أكثر من اعتماده على جيشه الذى كان مؤلفا من خمسة آلاف مقاتل على الأكثر من بينهم حرسه الخاص .. بل الغريب فى الأمر أن الامام كان له جيشان .. جيش « نظامى » وهو الذى أشرنا اليه وجيش آخر « برانى » . وليست هذه التسمية من عنـدى بل انها كانت التسمية الرسمية لهـذا الجيش .. فهذا الجيش البرانى كان يجمعه الامام من رجال القبائل .. فقد كان يبعث الى كل شيخ من مشايخ القبائل ويقول له : « انى أريد عددا من رجالك » .

والامام ملزم باطعام هؤلاء الرجال وتسليحهم.. ولم يكن فى حاجة الى تدريبهم لأنهم مدربون فعلا منذ نعومة أظفارهم كما أشرنا فى العدد السابق .

ما الفرق اذن بينهم وبين الجيش النظامى ؟ الفرق هو أن الجيش النظامى له رواتب محددة ووظائف ثابتة فى الدولة وله معاش .. أما الجيش البرانى فكان الامام يستطيع تسريحه فى أى لحظة ..

رغم هذا فلم يكن الامـام يعتمد فى حكم قبائل اليمن على هذين الجيشين بقدر اعتمـاده على تأثيره الدينى عليهم وعلى المؤامرات واثارة الخـلافات بين القبائل . والأمثلة على هذا كثيرة :

١ ـ كان الامام يحيى والد الامام احمد يحرص على أن يشيع بين الناس كثيرا من الخرافات التى تحيطه بهالة من التقديس.. وسرعان ماتنتشر هذه الخرافة بين الناس سريان النار فى الهشيم .

كان يشيع مثلا أنه يحج الى بيت الله فى أى وقت يشاء دون أن يراه أحد..وأنه متصل بالله بشكل ما .. شـكل يميزه عن البشر العاديين . وكان يشيع أيضا أن أى يمنى يقع فى أى مكروه كان يكون على شفا هاوية جبلية سحيقة ما عليه الا أن يصيح :

« وامتوكلاه » . وعلى الفور تمتد يد الامام يحيى لتنتشله وتمنعه من السقوط .

طبعا لم يجرب احد من اليمنيين أن يسقط وينادى هذا النداء .. وحين ينجو يعود الى قبيلته ليقول لها الخبر اليقين .. لم يفعل أحد ذلك وانما كان ينقل الخرافة من مكان الى آخر حتى رسمت للامام صورة أسطورية جعلته أشبه بالاولياء الصالحين والملائكة.. له بركات خارقة وكرامات تخر لها الجباه .

٢ ــ مثل آخر لكيفية استغلال الأئمة للدين فى منع التطور وكبت كل صيحة من أجل الحرية او الحضارة .. حينما نادى بعض شباب اليمن المثقفين بأن اليمن فى حاجة الى حياة دستوريه بدلا من هذا الحكم الاستبدادى الأسود كان رد الامام يحيى على هذه الصيحة ان أشاع بين القبائل ان هؤلاء الدستوريين يريدون أن يحرموا القران .. يريدون أن ياخذوا ببعض الكتاب ويدعوا البعض الاخر .. وعلى هذا فقد حكم عليهم بأنهم كفار وصدقت القبائل حكم الامام على الدستوريين بالكفر لدرجة أن السباب الشائع بين القبائل فى ذلك الحين كان «يادستورى !» كأنها مرادفة للفظة كافر أو زنديق أو خارج على حكم الدين .

هذه أمثلة من كيفية استغلال الدين فى مقاومة التطور مما ساعد الامام يحيى على أن يحكم الحصار حول اليمن ويعزلها عن العالم الخارجى بحجة ان الاسلام الصحيح هو الموجود فى اليمن فحسب .. أما العالم الخارجى فكلهم كفرة وكلهم خارجون عن الدين الاسلامى .. وكان بهذا يفتت أيضا احساس الشعب اليمنى بالعروبة لأنه يؤكد لهم أن العرب والمسلمين خارج اليمن قد تركوا دينهم وحرفوا فيه وأن الاسلام الصحيح موجود فقط فى اليمن وحدها .

وجاء الامام احمد بعده ليكمل الطريق ويضيف الى استغلال الدين استغلال المؤامرات والخلافات بين القبائل .

***

١ ــ استغل الامام احمد النظام القبلى فى اثارة دوامة من الخلافات الداخلية تلهى الشعب اليمنى عن التطلع نحو حياة أفضل وعن مطالبته بأى نوع من الاصلاح أو التقدم .

مثلا اذا ثارت عليه قبيلة من القبائل أو تمردت أوغر عليها صدر قبيلة اخرى وأباح لها أن تنتهك حرمات القبيلة الثائرة وتؤدبها والغريب أنه حدد لهذا التاديب نظاما غريبا .

ويتضح هذا من كيفية مقاومة الامام احمد لثورة قبيلة حاشد المعروفة بثورة بنى الأحمر .. ماذا حدث ؟ بعث الامام احمد ببعض من جنوده الى قبيلة الحاجور وقبيلة الحدا وقال الجنود لهاتين القبيلتين « أباح لكم أمير المؤمنين والناصر لدين الله احمد حميد الدين غزو قبيلة حاشد لانها تمردت على أمر الله وعصت .. والامام يأذن لكم فى تاديبها وردها الى الطاعة . »

وتلقت القبيلتان الأمر كأنه واجب دينى مقدس وفى نفس الوقت ارضاء للامام فكأنهما بذلك تكسبان ثواب الدنيا والآخرة .. وانطلقت القبيلتان مع جند الامام الى قبيلة حاشد .. ودارت رحى الحرب حتى سلمت قبيلة حاشد ... ويتمادى الامام أحمد فى العقوبة فيامر مشايخ القبيلة المنهزمة بأن يطعموا افراد القبيلة المنتصرة افخر طعام يوميا بأن يذبحوا لهم كل يوم عددا من الخراف وقبل الطعام يعطى شيخ القبيلة المنهزمة كل فرد من افراد القبيلة المنتصرة خمسة ريالات .. وبهذه الطريقة وقبل مضى وقت طويل أفلس معظم مشايخ قبيلة حاشد وهجروا من ارضهم الى السعودية والى عدن والى البلاد الاخرى المجاورة هربا من هذا الظلم الذى لم يسبق له نظير فى تاريخ الشعوب .

٢ ــ امعن الامام احمد فى اذلال القبائل وضمان ولائها بأن كان يشترط على كل قبيلة أن تبعث له ببعض . من خير أبنائها (أبناء المشايخ بالذات) لكى يحتفظ بهم كرهائن فى سجونه ضمانا لخضوع هذه القبائل لحكمه وعسفه وجوره .. ولا نفهم لماذا كان يحتفظ بهم فى سجونه بالذات ؟ لماذا لم يحتفظ بهم فى مكان يكرمون فيه .. الن يكونوا رهائن أيضا ؟ ولعل الاجابة على هذا السؤال تكمن فى اهدار الامام لكرامة المواطن اليمنى ونظراته اليه على أنه كائن لا يستحق الا السجن ... واى سجن ؟!! سجن الامام .. أبشع صورة للارهاب فى القرن العشرين ... وهذا يقودنا الى جوانب أخرى فى البحث .

أمين بسيونى



رحلتي مع العقاد

للشاعر عبده بدوى

في ربا قريتي عرفت الرتابه   وازدهار الضياء في الشبابه
والرغيف الذى يسوق بذورا   اشرع الخصب نحوها سبابه
والعصافير وهي تغرد ارضي   وتعرى بفرحه اعشابه !
والصباح الذى يطرز سترا   من عبير .. بابرة جسوا به
والنخيل المزهو : ترميه كف   فيرى ضاحكا بسوق دعابه
والصداح الذى تلقيه غابي   في ضمير الحديقة الخلابه
والحمام الذى يشد جناحا   ان مشي النور قاصدا محرابه
..كل هذا عرفته في اخضراري   وعرفت الدجى . عرفت عذابه
واعتنقت الحرمان واليتم مرا   والشجى ، والعواطف المرتابه
.. واذا « بالعقاد » يملأ عمري   حين قلبت في يدى كتابه
قد تعمقت فكره فاذابي   احضن العالم العظيم الرحابه
اترك القرية التي سجنتني   لأطوف الوجود فوق سحابه
قمت من وحدتي كبيرا مهيبا   لم تعد تملأ الحياة الكآبه
لم اعد زهرة تغني وتذوي   لم اعد في الوجود كالبلابه
صرت حرية ، غدوت امتدادا   صرت عزما ، وقدرة ، وصلابه
وعلى غرة دخلت المدينة   غائم الروح مستثار السكينه
خائفا ..كالسنابل الخضر تجري   كلما هبت الرياح الحزينه
مجهدا كالجفاف ، تهتز نفسي   كلما ضمني مساء المدينه
زائغ العمر ، كل شيء اراه   يدفع النفس للمنى المجنونه
ضاع من حولي الحنان وجفت   اغنيات ، ومزقت ياسمينه
ومشي الموج مستشارا غضوبا   يبعث الخوف في هدور السفينة
ثم انكرت كل شيء امامي   كل شيء .. ظنونه ويقينه
فالسماء الزرقاء صارت عروقا   ووجوها مخنوقة ومشينه
والحياة الشمطاء : جنس وموت   وبقايا من جثة مدفونه
.. ثم هز الشكوك وجه رحيم   لست انسى على الليالي جبينه
اودع النفس امنها ، ثم اغضي   للظلام الملتف مثل الضغينه
فاذا الروح فرحة وامتداد   واذا الفجر فوقها ايقونه
كان وجه « العقاد » ذلك الوجـ   ـه جليلا في وحدتي المسكينه !

عبده بدوى

تحية الوفود

للدكتورة الشاعرة عاتكة الخزرجي

« انشدت فى الحفل الختامى لمؤتمر وزراء التربية والتعليم المنعقد ببغداد فى شباط سنة ١٩٦٤ .. »

حى باسم الاله عز وجلا — وجه هذى الوفود انى تجلى
قسما بالذى يدل القرب من الـ — ـبعد وداوى من الجوى ما اعلا
بالذى الف القلوب على الحـ — ـب فرفت نورا ويمنا ونبلا
بالذى مهد اللقاء ببغداد — فآسى جرحا والف شملا

***

انه سادتى لقاء عزيز — هو اغلى من الحياة واحلى
باللقاء الاحباب فى ارض بغدا — د تباركت ملتقى ومحلا
جمع الله بين جنبيك من العر — ب كراما نبتا وفرعا واصلا
كلهم مشعل ينير لنا الدر — ب وركب به الهدى حيث حلا

***

وخطى ترتقى الى الجد حتى — تتخطى المجد الرفيع المعلى
ايه ركب الوفود للعلم للنو — ر لوحى من العلى بات يملى
قد حططت الرحال فى ربعك اليو — م فاهلا لقيت فينا وسهلا
قد فرشنا لك القلوب على الار — ض فسر فوقها اختيالا ودلا

***

وبذلت فيك النفوس رخيصا — ت فيا عزه فداء وبذلا .. !
وحفظك فى السواد من العـ — ـين وانت السواد منها واغلى
ووددنا ان لو قدرنا جعلنا — الحب ما بيننا سفيرا ومولى
يا كرام الوفود فى ارض بغدا — د سيقت الندى رذاذا ووبلا

**

اننا كلنا على العهد مازلنا — وعهد الاحرار بالبر أولى
اننا كلنا على الحق اخوا — ن تخذناه كعبة ومصلى
من قديم يشدنا النسب الـ — ـعالى ووجدت لنا وشائج اعلى
وكفانا انا على الوحدة الكبـ — ـرى وانا الابرار قولا وفعلا

دكتورة عاتكة الخزرجي

أدباء ولكنهم غير محظوظين

بقلم : محمد عبد الله السمان

يظهر أن الحظ يلعب دورا خطيرا في حياتنا الأدبية والفكرية معا ..

والحظ الذي أعنيه لا ارتباط له بالقدر خيره وشره ، حلوه ومره ، وانما هو الذي تملكه جماعة من المشتغلين بالنقد في مجالي الفكر والأدب ، وممن لهم أوضاع في شتى وسائل الاعلام .

فليس كل كتاب يظهر عندنا يستقبل من هذه الجماعة بقدر قيمته في مادته وفكرته ، وانما بقدر قيمة مؤلفه ووضعه في الحياة ، فاذا كان من المحظوظين لقي حفاوة بالغة في الاذاعة والتليفزيون والصحافة اليومية والأسبوعية ، وليس في أركان الأدب والفكر مثلا ، بل في سائر الأركان ، من ركن العلم الى ركن المرأة الى ركن الاطفال ، واذا كان المؤلف ممن كتب عليهم أن يظلوا مغمورين على الاقل في نظر تلك الجماعة استقبل انتاجه بالوان الاعراض والتجاهل واللا مبالاة .

والظاهرة العجيبة التي لا نجد لها تفسيرا ، او تعجز عقولنا عن أن تجد لها مفهوما ، هو أن الناقد اذا تولى أمر انتاج بعطفه ورعايته ، بالغ في تقييمه وأسرف في المبالغة ، سرت العدوى في سائر زملائه من باب المجاملة أو من باب الأخذ والعطاء ، ولدينا مؤلف اخرج بضعة كتب ، وخرج فيها على الناس بفكرة أشبه بالنكتة ، هذا المؤلف لا يكاد يظهر له كتاب في السوق ، حتى يتصدى له محرر كبير باحدى الصحف اليومية ، مؤكدا أن هذا الكتاب ترجم الى بضع عشرة لغة ، وان عددا من جامعات العالم على آثر ظهور الكتاب استدعت المؤلف لالقاء بعض المحاضرات فيها ، وان جائزة الدولة تنتظر السيد الهمام مؤلف الكتاب ، وهكذا مظاهرة ضخمة لن يكون ضحيتها الا دور النشر في القاهرة ، والقراء الذين لم يزالوا يحسنون الظن بكل مايكتب في الصحف ، ولو كان المؤلف ممن يكتبون القصة او المسرحية لزاحم ، في دنيا المسرحيات والأفلام أمثال احسان عبد القدوس ونجيب محفوظ وتوفيق الحكيم ، بما يقدر له من دعاية مفتعلة .

ان لدينا كتابا اخرج بعضهم عشرات الكتب في دنيا الأدب والفكر ، ولكنهم — كما قلت لم يمسسهم بعض الحظ الذي تقبض على نواصيه جماعة النقاد عندنا ، وفي أعداد الثقافة الماضية تناول أخي الاديب الاستاذ فؤاد نور هذه القضية أكثر من مرة ، وأنحى باللائمة على النقاد الذين يلهثون خلف انتاج بعض الأدباء ولو كان تافها ، ويغمضون أعينهم عن انتاج البعض الآخر ولو كان قيما ، وضرب مثلا بالاديب القصصي الدكتور نجيب الكيلاني ، هذا الاديب الذي قدم للمكتبة العربية أكثر من عشرين كتابا في القصة والمسرحية وبعض البحوث الأخرى ، ونال معظم مؤلفاته الجوائز الاولى سواء في المجلس الاعلى للفنون ، أم في ادارة الثقافة بوزارتي التربية والثقافة ، أم في نادي القصة ، وتقررت بعض كتبه أيضا على تلاميذالمدارس الثانوية في مصر وسوريا أيام الوحدة ، وازاء هذا كله لا يحاول النقاد عندنا أن يشعروا به ، وضرب الاستاذ فؤاد نور مثلا آخر بالأديب الشاعر الاستاذ محمد أحمد العزب الذي أصبح لشعره في ظل عام الجائزة الأولى ، وتنشر له جل الصحف الأدبية في مصر والبلاد العربية ، ولكن هذا الشاعر كتب عليه أن يظل في نظر نقادنا مغمورا .

وأنا أقدم هنا مثلين آخرين : فالأديب القصصي الاستاذ محفوظ عبد العال غانم ، له أكثر من سبع قصص وروايات طويلة ، في صميم بيئتنا ، متناولة أعمق مشكلاتنا ، له : قصة (أم الخير) في أربعمائة وثلاثين صفحة من القطع الكبير ، قال فيها الاستاذ احمد حسن الباقوري : « يجري أبطالها في مجالات انسانية كريمة ، تبعث في القارىء نوازع الخير ، وتثير فيه دوافع الكمال ، وتغريه بالمثل الفاضلة ، والخلق القويم » .

وله : « ابتسامة ودموع » مجموعة قصص قصيرة من القصص الانساني بلغت اثنتي عشرة قصة من أدب القوة والخير والجمال ، تمتاز بالعمق والشمول وقوة الأداة والأداء .

وله : « سامحيها يا سماء » ، قصة في مائة وستين صفحة ، مشحونة بتصوير العيوب النفسانية ، والنقائص الاخلاقية ، والمفارقات الاجتماعية ، كان المؤلف فيها مصورا بارعا ، وفنانا عميقا .

وله : « فجر الحرية » رواية انسانية هادفة في

مائتي صفحة ، وهي رواية رمزية حافلة بشحنات هائلة من الفكر والفلسفة والبيان .

وله ايضا غير هذه وتلك ، ولكن نقادنا لم يحسوا به بعد ، ومقيـــاس أدب هذا الأديب المغمور بقدرة نقادنا ، ان أكبر دور النشر في القاهرة تولت نشر قصصه ، وفي مقدمتها دار المعارف ودار الهلال .

هذا اديب .

أما الاديب الاخر ، فهو المهندس الاستاذ **لبيب البوهي** ، وانتاجه اكبر من ان يحصى ومعظمه نال الجوائز الاولى ، فمثلا :

تمثيلية : (**السيد الجديد**) نالت الجائزة الاولى من مؤسســة المسرح والموسيقى عام ١٩٦٢

تمثيلية : (**محاسن**) نالت الجـائزة الاولى في التمثيليات التليفزيونية عام ١٩٦٣

رواية : (**عين جالوت**) نالت الجائزة الاولى في المجلس الاعلى للفنون عام ١٩٦١

قصة : (**زواج تجارى**) نالت الجائزة الاولى في القصة الطويلة عام ١٩٥٦

مجموعة : (**ذات النطاقين**) نالت الجائزة الاولى في القصص القصيرة عام ١٩٥٧

رواية : (**الام**) نالت الجـائزة الاولى في الرواية الطويلة عام ١٩٥٧

رواية : (**أميرة بابل**) نالت الجـائزة الاولى من الادارة العامة للثقافة عام ١٩٥٩

وله بعد ذلك مجموعته القصصيـة المسلسلـة : (**الدنيا والدين**) **ومع** (**القرآن العظيم**) **عشرة اجزاء** تيسير لتفسير ابن كثير المشهور .

هذان اديبان وغيرهما كثير ، وليس لنا ان نفرض على نقادنا ان يجيبونا اذا سألناهم : **اين انتم من امثال محفوظ عبد العال غانم ومحمد لبيب البوهي ؟**

وليس لنا أن نناقش الحساب السادة النقاد ، اذا ما زعموا انهم لم يبلغهم بعد انتاج هذين الاديبين لانهم يملكون باقلامهم الدفاع عن انفسهم بالباطل ، **ويظهر** انهم لم يدركوا بعد أن مهمة الناقد ان يتابع كل انتاج فكرى وادبى ، **او على الاقل** ان يتابعوا الانتاج الذى استحق الجائزة ، وهم وثيقو الصلة بكل الميادين التى تمنح الجوائز للادباء المنتجين .

الحق أن السادة النقاد عندنا سواء منهم من كانت له قدم راسخة في الصحف ، أم من كانت له سلطات واسعة النفوذ في الاذاعة والتليفزيون ، هؤلاء السادة وقفوا مهمتهم ، وقصروا أقلامهم على انتاج عدد من ادبائنا ومفكرينا ، **كتوفيق الحكيم ، ونجيب محفوظ ، واحسان عبد القدوس ، ونعمان عاشور ، ومصطفى محمود ، وعبد الرحمن الخميسى** ، وليس بعدهم محظوظ ، الا حين يتلطف القدر باديب ، فتصيبه نفحة عابرة من نفحات نقادنا المبجلين الكبار .

لو احصينا ما كتب عن مسرحية : **يا طالع الشجره** ـ لتوفيق الحكيم ، وما اثير حولها من مناقشات في الاذاعة والصحف ، لضاق كتاب ضخم عن تسجيله ، ولكان كفيلا بتقييم عشرات القصص والمسرحيات لعدد من المنتجين المغمورين .

اننا لا ندعى الكمال لهؤ المغمورين ، و لايبلغ بنا الدفاع عنهم أن نضعهم في صفوف ادبائنا الكبار كالحكيم ونجيب محفوظ وغيرهمـا ، ولكنا نريد شيئا من العدل ، وجانبا من الانصاف ، فحق كل منتج اثبت وجوده عن طريق الجوائز التى نالها وغيرها على نقادنا أن يمنحوه جانبا من الاهتمام ، تزيل جانبا من حقده ، وتشعره بان مجهوده الذهنى الذى امتص وقته وصحته وراحته ، ليس مجرد حبر على ورق ، وليس غثاء كغثاء السيل لا يثبت على حال ، وليس هباء تذروه الرياح في مهابها .

اليس عجيبا الا يحفل نقادنا بمؤلفات امثـال الاســتاذ **خالد محمد خالد** ، التى طبعت مرات واكتسبت احترام المثقفين وقادة الرأى عندنا ؟

وامثال الشيخ **محمد الغزالى** ، الذى قدم الى المكتبة العربية الاسلامية زهاء ثلاثين كتابا ، يلتهم جميعها رواد الثقافة العربية والاسلامية في سائر بلاد العروبة والاسلام ، ويحتـل مكانا مرموقا في جميع مكتباتها ؟

ان كلا من الكاتبين العالمين : خالد محمد خالد ومحمد الغزالى ، اقض بكتبه قبل الثورة ، مضاجع الاقطاع والراسمالية المتحكمة ، وطغيان الحكم البائد بارزائه ومفاسده ، دون أن يخشى بطشا ، او يخاف عنتا .. ومع ذلك فاين المتصدرون لمهمة النقد من مؤلفاتهما ، وهي دائبة الصدور ، حتى لا يمضى عام دون أن يكون لكليهما كتاب منشور ، يعلن عنه في سائر الصحف السيارة . ؟

وبعد ـ افلم يزل النقد عندنا قضية يجب ان تناقش ، وان يحاسب المتهمون فيها حسابا عسيرا ، لانهم استطاعوا بمالهم من سلطان أن يعيشوا في ابراج عاجية ، حتى اصبحوا في واد ، والانتاج الادبى والفكرى للمغمورين في واد آخر . !

محمد عبد الله السمان



عيد ميلاد شكسبير

بقلم : عبد الفتاح البارودى

ان المشتغلين بالفن فى العالم كله يحتفلون الآن بذكرى ميلاد شيكسبير ، لأنهم يفهمونه ، ونحن نحتفل به أيضا ، ولكن لا يكاد يفهمه غير قلائل !! اذن لماذا نحتفل به ؟ ثم لماذا لا نفهمه ؟!

اننا ندرسه فى المعاهد المختصة وفى الجامعات، وايضا أصبحنا نقدم رواياته على مسرحنا ، وكذلك نتحدث عنه فى ندواتنا الفنية .. الخ ... فكيف نتهم بعدم فهمه ؟

لكى نصل الى الحقيقة نأخذ أمثلة واقعية مما قدمناه على مسرحنا فى هذا الموسم ليسهل التطبيق ... ان المسرح القومى قدم له رواية تاجر البندقية ، والمسرح العالمى التليفزيونى قدم رواية عطيل ، فماذا فهمناه منهما ؟

بصراحة كانت معظم آرائنا دليلا على أننا أبعد ما نكون عن معرفة المسرح الشيكسبيرى ، بل عن المسرح نفسه ... كيف ؟

فى رواية تاجر البندقية سمعنا هجوما على ترجمة خليل مطران لهذه الرواية ، وفى رواية عطيل سمعنا هجوما على الترجمة وعلى الأداء التمثيلى ايضا ، ونحن فى حاجة الى الهجوم اذا كان فيه نقد موضوعى ، ولكننا ـ باستثناء النقد العلمى الذى وجهه الدكتور لويس عوض الى الترجمة ـ لم نكد نسمع كلاما موضوعيا ... وانما سمعنا مثلا فى نقد رواية تاجر البندقية أن العرض المسرحى لم يحتفظ « بروح » شيكسبير ، دون أن نعرف ممن قالوا ذلك ما هى هذه الروح ... وسمعنا أن حسين رياض لم يتقمص شخصية شيلوخ ، دون أن نعرف منهم معالم هذه الشخصية أو أبعادها أو ملامحها ... وسمعنا ان فتوح نشاطى اخرجها بطريقة روتينية ، دون أن نعرف ما هى الطريقة المثلى ... وهكذا .

ايضا فى رواية عطيل سمعنا ان مخرجها حمدى غيث اخرجها باسلوب الميلودراما ، وان الرواية تحولت الى خطب وضجيج ، وان شخصياتها تحولت الى كومبارس ... الخ ... وواضح جدا ان هذا كلام « عائم » ، او هو على الأقل يحتاج الى تطبيق على التفاصيل ... وانا لا ادافع عن فرقة المسرح العالمى ، وانما من اللازم حينما نتحدث عن اسلوب الاخراج ان نواجه المخرج باخطائه ونحددها له ، ونرشد الى الأسلوب الأفضل ... والا فكيف نهاجمه بلا دليل ؟!

ان الكلام العائم الذى اصبح « موضة » فى النقد ، وخاصة فى نقد المسرحيات العالمية ، لا يفيد العاملين فى المسرح ولا يفيد الجمهور ، بل بالعكس ... فاننا بمثل هذا الهجوم كاننا ندعو الفنانين الى تجنب وجع الدماغ ، بالاعراض عن تقديم روايات شيكسبير مثلا ، وحشد مسارحنا بروايات سهلة ، فما أكثر الروايات السهلة ، والهزيلة ، التى نالت رضى نفس هؤلاء النقاد !!

كيف نتجاهل الجهود الضخمة التى بذلها المسرح القومى والمسرح العالمى فى عرض تراث شيكسبير على مسرحنا ؟

لقد كان خليقا بالنقاد أن يجدوا فى رواية تاجر البندقية فرصة لتقييمها فنيا وشرح آراء الخبراء العالميين فيها ، وعلى ضوء ذلك يناقشون مخرجها وممثليها والفنيين الذين اشتركوا فيها ، ويحاولون ـ ان أمكن ـ المقارنة بين مفهوماتهم ومفهومات الفرق العالمية التى لاتزال تقدمها ، والتى تنقل المجلات

العالمية المتخصصة ابناءها ، وتحيطنا علما بأساليبها وكيفية أدائها ، والتطورات التي حدثت فيها سواء في الاضاءة او الديكور او الموسيقى او الملابس .. الخ .. ان من الأقوال الفنية الشائعة الآن في اوروبا وأمريكا ان شكسبير لو بعث حيا لشاهد رواياته مع المتفرجين وكأنه يشاهد روايات حديثة التأليف ، والمقصود بهذه العبارة التي قد يكون مبالغا فيها ، ان روايات شكسبير تتناولها تجارب متعددة تكاد تكيفها جديدا باعادة تفسيرها تفسيرا تتدخل فيه العلوم والفنون الحديثة ، مثل تفسيرات أورسون ويلز عندما نقلها من المسرح الى السينما .. وليس معنى ذلك هو العبث بنصوص شكسبير ، وانما من المهم أن ندرك أهمية تجربة تقديم رواياته على مسرحنا ، واهمية تقدير هذه التجربة تقديرا فنيا .. من أجل ذلك كان يجب مناقشة فتوح نشاطي وممثل المسرح القومي مناقشة تعاونهم في تعميق هذه التجربة ، وتشجعهم على تقديم تجارب أخرى يستفيدون فيها من اخطائهم ، بدلا من تجاهل جهودهم أو نقدها نقدا عائما .



وكذلك فرقة المسرح العالمي في رواية عطيل .. ان هذه الفرقة بذلت جهدا أضخم ، لأنها تقدم إحدى روايات شكسبير لأول مرة ، ولان معظم ممثليها من البراعم الجديدة ، ولان رواية عطيل بالذات من الروايات الصعبة جدا .. لماذا ؟ لانها في ظاهرها ، او كما يتصورها المتفرج العادي الذي لم يدرس المسرح ، ليست أكثر من « حدوتة غرامية » تنتهي بفاجعة ، أو موعظة من مساوىء الوشاية او نتائج الحقد .. الخ .. ان النظرة الساذجة اليها لاترى أكثر من ان ديدمونه وعطيل يتبادلان الحب ويتزوجان ثم يداخل عطيل الشك فيها بتدبير من ياجو ، ثم يتضخم هذا الشك بتضخم هذا التدبير ، وتكون النتيجة أن عطيل يخنق ديدمونة ! .. والنظرة الساذجة اليها لاترى أكثر من حدوتة تحكمها المصادفات ، فان ديدمونه يقع منها منديل تعثر عليه « اميليا » فتسلمه الى «ياجو» الذي ينتهز هذه الفرصة في تدبير جريمته ، لأن هذا المنديل كان قد أهداه عطيل الى ديدمونه ، ونتيجة لذلك يتأكد من مزاعم ياجو .. الخ .. بديهي أنه لو كانت الرواية بهذه السذاجة لظهر في العالم مليون شكسبير ، ولكان مؤلفونا ارفع مستوى من شكسبير ، وبديهي أيضا أن الرواية لاعلاقة لها اطلاقا بهذه المفهومات الساذجة ، وانما هي تراجيديا من أعمق وأقوى ماعرفه المسرح ، وانما لكي نفهمها لابد من ادراك معنى «القدر» و «الجلال» و «الحتمية» في الفن التراجيدي ، ومن هنا تبدو صعوبة تقديم تراجيديات شكسبير على المسرح ، وخاصة تراجيديا عطيل التي يحتاج عرضها على جمهورنا الى جهد كبير ، لكي لاتنصرف الاذهان الى ظاهرها ، ومن أجل ذلك كان يجب تقدير جهود فرقة المسرح العالمي تقديرا موضوعيا .. ان حمدي غيث ـ كمخرج ـ حاول ابراز عنصر الجلال على خشبة المسرح بتحريك الشخصيات في انفساح رهيب ، وتحريك الاحداث في نطاق دوافعها الحتمية ، لولا أن بعض الشخصيات كانت تهرول أحيانا .. أيضا في الأداء التمثيلي ، وان كان حمدي غيث في دور عطيل كانت تغلب عليه الحماسة في بعض المشاهد ، الا أنه حاول ابراز عنصر القدر ، وهذه ميزة كبيرة جدا .. وفي دور «ياجو» حاول محمد الطوخي أن يفسر هذه الشخصية تفسيرا يوضح ابعادها ، واذا كان قد غلب عليه ابراز البعد الساخر فان هذا لم يضعف ابراز بقية الابعاد .. وكذلك في دور «رودريجو» حاول أنور رستم ان يفسر هذه الشخصية تفسيرا يظهر غفلتها عما يجري حولها ، واستطاع بذلك أن يظهر في

نفس الوقت دهاء ياجـو ٠٠ كل الممثلين الذين اتهموهم بأنهم تحولوا الى كومبارس لم يكونوا كذلك اطلاقا ، بل انهم تعاونوا فى تجسيد معنويات الرواية بل أكثر من ذلك أن الذين قاموا بالادارة المسرحية خلف الكواليس استطاعوا بالتزام التوقيت الدقيق أن يحافظوا على حيوية الرواية ٠

ليس معنى ذلك كله ان أعضاء المسرح القومى أو المسرح العالمى لم تحدث منهم أخطـاء أو انهم فوق النقد ، ولكن تجاهل الجهود المضنية التى تبذل لتقديم روايات شكسبير على مسارحنا يحطم هـذه الجهود الجديرة بالتشجيع ، كما انه يبعدنا عن فهم شيكسبير ٠٠ والا فكيف نفهمه اذا لم تعرض رواياته وتصبح بهذا العرض مادة حية للمناقشة والتحليل ؟! ٠٠

وهنا نسأل : هل من الضرورى أن نفهمه ؟! ٠٠

لاشك فى ضرورة فهم مسرحى عظيم اجمع خبراء الفن فى العالم على انه بلغ ذروة النضوج الفنى ٠٠ وليس هذا الاجماع فقط هو دليل بلوغه هذه الذروة فان رواياته نفسها هى الدليل الحقيقى ٠٠ انها تؤكد قدرته على التعمق فى النفس البشرية ، وفى تصوير كفاح الانسان من اجل تحقيق ذاته ، وفى مخاطبة العقل والخيال والعاطفة ، وفى تحليل النمـاذج البشرية تحليلا منقطع النظير ، وفى التعبير عن ذلك كله تعبيرا شاعريا رائع المستوى ، وهو بهذا يمثل أصـدق واقوى واعمق تمثيل العصر الفنى الذى اصطلح على تسميته بعصر « عظمة الانسان » ٠

واذن فمن الضرورى أن نفهمه ، ولكن كيف نفهمه؟ بالدراسة وبالممارسة ، أى بدراسـة تراثه وبعرض مسرحياته عرضا يساعدنا على هذه الدراسة وهـذه الممارسة ٠٠ ونحن الى الآن لم نحقق ذلك كما ينبغى ٠٠ لماذا ؟ لأننا ندرسه فى المعاهد والجامعات دراسة غير منهجية ، وربما كان هذا هو السبب الاول فى سوء تقييم رواياته ٠٠ ان مناهج تدريس رواياته فى جامعاتنا لايمكن أن تساعد الطالب على فهمها ، فهذه المنـاهج تركز اهتمـاماتها فى هذه الروايات كنصوص قائمة بذاتها ، والنتيجة أن الطلبة - مهما بلغ اجتهادهم - يحفظون هذه النصوص وشروحها وكأنها « محفـوظات » ! افرض انك حفظت كل رواياته عن ظهر قلب ، فكيف تفهمها اذا كنت لم تدرس فلسفة شكسبير وفلسـفة عصره ؟! ان المسرحيات ليست كتبا فى الفلسفة ، ولكنها تعبر عن «رؤية فلسفية» للمؤلف ٠٠ هذا يستلزم دراسة فلسفته فى كل رواية ، وفى كل اتجاه ، دراسـة مقارنة بفلسفة عصره ومعاصريه ٠٠ ان « النص » فقط لا يعطى شيئا ٠٠ ان رواية عطيل وحـدها لاتعطيك أكثر من حكايات المنديل والغدر والخيـانة والقتل والخنق ، ورواية «هملت» وحدها لاتعطيك أكثر من حكايات الانتقام والخيانة الزوجية٠٠ الخ٠٠ وانما لكى تفهم روايات شيكسبير لابد من بحثهـا وتحليلها على ضوء المعرفة العميقة للرؤى الفلسـفية فيها ٠٠ فلابد من أن تعرف فلسفته وفلسفة عصره فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، ولأن هذه الفلسفة مرتبطة - بشكل ما - بفلسفة القرن الرابع عشر فلابد من معرفتها أيضا ٠٠ ولكى تعرفها لابدمن معرفة فلسفة القرن الثالث عشر ٠٠ الخ ٠٠ وهكذا نجد انه لكى تعرف شيكسبير يجب أن تدرس الفلسفة كلها ، وطبعا يجب أن تدرس النصوص كلها ابتداء من الاغريق ، وتدرس مختلف التيارات الفنيـة والنقدية ٠٠ فهل يحدث هذا فى المناهج الجامعية ؟ أبدا ٠

والنتيجة أن الجامعات تخرج دارسين بلا دراسة حقيقية ، وهؤلاء يتوهمون أنهم درسوا ، وهم فى الحقيقة لم يدرسوا ٠٠ ان جامعاتنا - بصراحة - فى حاجة الى تغيير طرق دراسة المسرح ، والى اعـداد دراسات يشترط أولا أن تكون منهجية ٠

ان تراث شيكسبير لايزال للآن موضع دراسـات جديدة فى جامعات العالم ، ولاتزال المطابع العالميـة تصدر عنه كتبا بين حين وآخر - اما عندنا فالى جانب عجز جامعاتنا عن تدريسه تدريسا منهجيا ، فان الباحث عنه فى المكتبة العربية لا يجـد غير كتب ومترجمات قليلة العدد ، ومن اجل ذلك يجب أن نتوسع فى ترجمته ، ليس فقط ترجمـة رواياته واعادة النظر فى الترجمات التى صدرت ، بل أيضا يجب أن نترجم المراجع والأبحاث ورسالات الدكتوراه والماجستير التى تناولت أعماله ٠٠ أيضا يجب أن نشجع الدارسين الأكاديميين على اعداد رسـالات علمية تتناول حياته والنتاجه وتناقش رواياته ٠٠ كذلك يجب أن نستعد من الآن للاشتراك مستقبلا فى مهرجان شيكسبير ، ولو باقامة « اسـبوع فنى » نعرض فيه رواياته على مسارحنا عرضـا علميا ، ويشترك فيه الدارسون باقامة ندوات يحاولون فيها تقييم هذه الروايات وتقريبها الى الأذهان ٠٠ بهذا الشكل نستفيد من شيكسبير ومن أساتذة المسرح فى تطوير مسرحنا ، وفى تعميق مفهوماتنا الفنية ٠

عبد الفتاح البارودى

حول الأدب في أسبوع

يقدمه : عبده بدوى

ما بعد أسوان :

بعد ان غادرنا مدينة « اسوان » التفتت العيون ، ثم تلفتت القلوب على حد تعبير الشريف الرضى ، ذلك لأن أسوان كانت قد اصبحت جبنا العظيم ، وفي الوقت نفسه خيل الينا انا اصبحنا اكثر مسئولية عن العالم ، وأن انسان هذا العصر عظيم « عميق » وانه لا يحمل الصخرة لم يعود بها « كسيزيف » ولكنه يرفعها ، ثم يرفعها ، ثم يضعها في حيث يجب ان تكون في البناء الحضارى الكبير ، فقد تخطى هذا الانسان الحاضر الى المستقبل ، ومن بين اصابعه رأينا هذا المستقبل يولد ، ومن خلال عرق جبينه أبصرناه يرتفع ، ثم يصمد ، ثم يصبح حقيقة !

وليست هذه أول حضارة يقوم بها الانسان المصرى في هذه المنطقة ، ذلك لأنه سبقت ذلك عدة حضارات قامت على التحدى ــ كما يقول توينبى ــ ثم قامت على الشعور بالطمأنينة الذى وفرته في هذه المنطقة الرقعة الجغرافية المكشوفة التى كان منها يبعد الأعداء ويستعد لهم ، ووفره كذلك مجىء الفيضان في مواعيده ، وانتظام دورة الشمس .. وكل هذا اعطى للمصرى احترامه للحياة الأولى والاخرى ، واعطاه التفاؤل ، والثقة، والرغبة الدائمة في الانتصار على الموت !

***

وفي اثناء تلفتنا بالعيون ثم القلوب رأينا قبر «اغاخان» يشرف على ربوة كبيرة تطل على اسوان، ورأينا هذا القبر يحمل الى النفس التاريخ الطويل « للشيعة » وكفاحهم الطويل من اجل ان يطلوا بكلمتهم وبمفاهيمهم الاسلامية على الحياة ، ورأينا كيف تحول كل هذا الى ترف ، والى وقوف تحت الاضواء في أكثر من مكان بالعالم ولعلّ ما يبقى من كل هذا هو تلك « الشاعرية » التى تتمثل في «الزهرة الحمراء» التى تقطف كل يوم من حديقة قصر كبير يطل على النهر ، ثم تحمل في الطريق الطويل تحت الشمس ، ثم توضع على القبر في انية صغيرة لا تتسع الا لتلك الزهرة ، سواء اكانت الاانامل التى تحمل هذه الزهرة الحمراء ــ التى كان يحبها الغاخان في حياته ــ انامل «البيجوم» الرقيقة حينما تكون موجودة ، او اصابع الحارس الاسوانية السمراء حينما لا تكون هذه الانامل موجودة .

***

اما الربوة الأخرى التى كانت تطل بذاتها دون حاجة الى مرتفع من الارض فقد كانت قبر العقاد العظيم ، واذا كان « الفكر » هو ما يذكرنا بالعقاد في القاهرة ، فان المناخ الاستوائى ، والحجارة العملاقة ، والضوء الذى يخيل للانسان انه حجارة بيضاء صلبه ... يذكرنا بالعقاد في اسوان

ولا ادرى لماذا ذكرته شاعرا في هذه المنطقة بالذات ، ولماذا وفد الى ذهنى هذا البحث الذكى الذى كتبه الدكتور « زكى نجيب محمود » عن شعر العقاد في عام ١٩٦٠ ، وكيف انه ذكر ان شعر العقاد اقرب ما يكون الى فن العمارة والنحت ، وأن قصائده تمت بنسب الى هرم الجيزة ، ومعبد الكرنك ، ومسجد السلطان حسن ، فشعره يذكر بتمثال رمسيس وبالمسلة اكثر مما يذكر بخامة الطين اللينة ، وبالاناء الخزف الرقيق ، ذلك لأن المادة عنده ليست سهلة التشكيل ، ولأن الفكرة عنده ليست قريبة المنال .

وكأننا كنا مع قصر « انس الوجود » على ميعاد ، ومن ثم نرى انفسنا نتذكر تلك القصيدة التى قالها العقاد في هذا الاثر ، والتى استشهد بها الدكتور زكى نجيب محمود في الوقت نفسه على صحة ما قاله

وتنضم رءوس أعضاء البعثة وقلوبهم لاستحضار هذه القصيدة التى تقول :

رعى الله من اسوان دارا سحيقة
وخلد في ارجائها ذلك القصرا

بنو الشمس اهلوها اذا اشتد قيظها
وجاش عن الصحراء فاتقدت جمرا
لقد نفثت فينا الحياة ضرامها
فانفسنا من حرها شعلة حرى
درجنا بحيث الدارجون عروشهم
فيام تناجى فى سكينتها الدهرا
عبرنا اليه النهر ليلا كاننا
عبرنا من الماضى الى الضفة الاخرى
ولما راوها يشبه الخلق صنعها
تقالوا فقالوا الانس قد سخت صخرا
لقد اكبروا الا على الله خلقها
فقالوا براها ، ثم اصمتها قهرا

وتنتهى القصيدة ، وارانى اذكر ماوعد به الدكتور زكى نجيب محمود من اعداد كتاب عن شعر العقاد ، ولا تلعب بى الظنون حين لم اقرا له شيئا عن العقاد بعد وفاته ، فلعله يكون عاكفا على تاليف هذا الكتاب .

رمسيس الثانى وشلى :

وفى الواقع ان الانسان وهو يعبر فى الشريط المائى الى الجنوب ، ينمو عنده شعور بان كل شىء قد استيقظ الآن على الجانبين .

لقد عبرت هذا الشريط من قبل عدة مرات ، وكان كل شيئا ميتا ، ومستغرقا فى الموت ، ولكن كل شىء الآن يتهيا للحركة ، او يتحرك ، او يغادر مكانه ، وليس هذا الكلام خاصا بالبشر فقط وانما بالآثار كذلك .

ولعل هذا يتاكد اكثر ما يتاكد حين نصل الى معبدى « أبو سمبل » الخاصين برمسيس الثانى وزوجته ، وترى تماثيل القردة التى تحيى الشمس ، والتماثيل الاربعة المواجهة التى تعتبر من اكبر التماثيل التى عرفتها مصر ، ثم صالة الأعمدة المطرزة بالنقوش ، ثم يشتد وجيب القلب — كما لم يشتد من قبل — وهو ياخذ طريقه الى قدس الاقداس ، حيث الآلهة الذين يجلسون فى رسوخ وتطلع ، والذين يتمثلون فى بتاح ، وحورآختى ، وآمون ، ورمسيس الثانى

والمعبد قصته طويلة تكاد تصل الى حد الثرثرة عن حرب رمسيس الثانى فى قادش على نهر العاصى ، بعد أن تجمعت ضده عدة دويلات ، وكيف انه وقع فى كمين أعده له الأعداء ، ثم وكيف انه كاد ينهار لولا تلك الترنيمة التى رفعها الى آمون والتى جاء فيها

« ما هذا يا آمون
ايتخلى الاب حقا عن ولده ؟
الم يكن ذهابى بامرك ؟
الم اخلدك بالآثار الكثيرة ؟
الم املا معبدك باسرارى ؟
ها انا ادعوك
وسط اعداء لا اعرفهم
اننى اتيت هنا بامرك
وانك تسمع لى ؟ »

وبعد هذه الترنيمة استطاع ان يحدث ثغرا فى هذا الحصار المضروب حوله ، وكانت عودته الى مصر ، ثم شغله الدولة بهذه بتسجيل هذه الحرب .

***

ومهما يكن من شىء فقد تم الصلح بين الدولتين ، ثم تتوج هذا الصلح اخيرا بزواجه من ابنة ملك الحيثيين ، وقد اهتم « رمسيس الثانى » بهذا الزواج ، ولما كانت العروس قادمة من آسيا فى أوائل شهور الشتاء ، فانا نراه يرفع ترنيمة الى « بتح » اله العواصف يقول فيها « ليتك تتاخر عن ارسال المطر ، والرياح الباردة ، والثلج ، حتى تصلنى تلك العجائب التى اصبحت من نصيبى » واخيرا وصلت العروس ، وحين دخلت على الملك الاله الذى كان قد اصبح عجوزا سره مقدمها ، ورأى انها جميلة الوجه كاحد الآلهة .

وعمر « رمسيس الثانى » وترك وراءه ما يقرب من مائة ولد ، مما ترتب عليه أن زواج الأمراء قد تسبب فى مشكلة كبيرة هى ان احدهم تزوج من ابنة بحار سورى

كل هذا وغيره — سقته عن عمد — لانه يكفى لتحريك الأقلام نحو هذه الأعمال ، ولانه يجب ان ننظر الى التاريخ المصرى القديم — وبخاصة فى هذه الفترة — من وجهة نظر جديدة تتمشى مع آمالنا ومع مستقبلنا ، وتجعل لنا ولو عملا واحدا فى مستوى قصيدة « شلى » التى كتبها عن رمسيس الثانى بعنوان :

« اوزيماند باس مصر »
والتى جاء فيها :

قابلت مسافرا من بلد عريق فى القدم

قال: ان ساقين كبيرين من الحجر لا يعلوهما جسم ساقان يقفان في الصحراء وعلى مقربة منهما فوق الرمال

يرى المرء وجها محطما يكاد يكون مطمورا تحت التراب

ونقشت على قاعدته هذه الكلمات :

اسمي اوزيماند ياس ملك الملوك

أيها الأقوياء انظروا الى أعمالي .. وايأســوا .

ما بعد المعبد :

***

ثم سرنا الى مناطق التهجير في الأراضي المصرية ، واخترنا قرية « ادندان » لنقف فيها بعض الوقت . وهنا رأينا لوحة معدة لتركز على قمة جبل في المنطقة وقد جاء فيها « ادندان الحبيبة ، أبناؤك الأوفياء اذ يبارحونك تلبيــة لنداء الوطن الأم بمناسبة اقامة السد العــالي يستودعون ترابك العزيز رفات الآباء والأجداد .. يحملون لك في ثنــايا القــلوب أصدق الوفاء وأطيب الذكريات » .

وقد أكرمنــا فنانوا هــذه القرية بتقــديم أغان ورقصات وقد استرعت انتباهي عدة أغان تقول :

« أيها الطير الذي يرفرف في السما .

أيها الطير الذي يرقص ويغني

أرجوك أن توصل لي رسالة الى النوبة

رسالة تقول اني مشتاق الى بيتي والى النخل

أرجوك أيها الطائر »

« منديلك الذي أعطيت لي

لن أريه لأحد

سالم أطرافه واكويه

ثم أضعه في صندوق وأغلقه عليه

وسيبقى مفتاحه معي

لأن منديلك هو « تذكار المحبة » » .

ما بعد البعد :

***

ثم كانت رحلتنــا الى منطقة حلفــا ، والى منطقــة التهجير السودانية ، وهنــاك شاهدنا أحد الأفراح التي يقوم فيها بالرقص الشباب والشابات كل في صــف ، وقد بلغت اللوحة حدا من الفتنــة حملني والدكتور محمد المعتصم سيد ، وعلى عيسى ، وأحمد بهجت على المشاركة في هــذه الرقصــة ، وكان مما تأثرنا به انا حين طلبنــا معرفة هــذه الأغاني التي كانت تغني بالنوبية، قيل لنا أنها تدور حول الفراق، فمع أنهم في عرس الا أن المدينة تودع بعضها بعضا .. ثم كان الشعر ، فأنا لا أملك نفسي كلما ذهبت الى السودان من قول الشعر .

عبده بدوي

من هنا و هناك

● **تاريخ الترام فى القاهرة :**

فى ٥ ديسمبر سنة ١٨٩٤ ، منحت الحكومة شركة ترام القاهرة الاذن باستغلال خطوط ترام كهربية فى الشوارع التى تراها صالحة لمرورها . وفى اغسطس سنة ١٨٩٦ بدات المركبات فى السير محدثة دهشة بالغة لوجود وسيلة نقل بهذه السهولة وهذا الاجر الطفيف ، اذ استطاع الفقراء من العمال ونحوهم أن يتساووا بالاغنياء فى اتخاذ مركبات تنقلهم من اقصى المدينة الى اقصاها فى سهولة ويسر بعد ان كانوا يجوبون تلك المراحل على الاقدام او على ظهور الدواب تحت أشعة الشمس المحرقة .

ويجدر بنا ان نلاحظ أنه فى سنة ١٨٩٤ وما قبلها كانت مدينة القاهرة أصغر منها اليوم بكثير فكانت منطوية على نفسها فى احياء مكتظة بالسكان الذين كانوا يتعثرون فى مسالك ضيقة وحارات ملتوية تنتهى بأزقة مقفلة فى وجوه السابلة ، اذا استثنينا بضعة شوارع فى حى عابدين او فيما كانوا يسمونه بالاسماعيلية وهو اليوم ميدان التحرير وما يتصل به جنوبا .

والى سنة ١٩٠٣ ظل حى شبرا منطقة ريفية لا يرى فيها الا عراء بعد عراء حتى التاريخ الذى بدأ فيه مد السكة الحديد لمرور الترام وتبع ذلك مرور العربات والدواب تحمل مواد البناء الى حيث قامت الدور شيئا فشيئا حتى بلغت ما بلغت من العمران المعروف اليوم .

ومن الاعمال الكبرى التى تحققت فى اعقاب مرور الترام ردم الخليج الذى كان يقسم المدينة نصفين فى مسافة تقدر بسبعة كيلومترات تغدو فيها السفن وتروح تحت أعين الناظرين من شرفات المنازل طيلة المجرى المديد .

● **السيارات فى عهودها الاولى :**

فى سنة ١٧٧٦ ظهرت اول سيارة بخارية ذات ثلاثة عجلات واحدة امامية واثنتين خلفيتين . وكان فى مقدمتها مرجل يمد المحرك بالوقود . وكان هذا المحرك ذا اسطوانتين أو « سيلندرين » وكانت تقطع خمسة كيلومترات فى الساعة .

وفى سنة ١٨٩٧ ظهرت سيارة لها محرك ذو اسطوانة واحدة من الخلف . وقد عاشت هذه الأخيرة عند صاحبها الى سنة ١٩٣٧ حيث استعملها احد الفرنسيين فى قطع المسافة بين باريس وبرست دون ان يصيبها اى عطب وكانت تقطع فى الساعة ٢٥ كيلو مترا .

وقد ظهرت السيارة فى مصر عام ١٩٠٠ فى شكل بدائى بحت . ولا يكاد يتصور اهل الجيل الحاضر مبلغ الصعوبات التى كانت تقوم فى سبيل الحصول على البنزين ، اذ لم يكن فى هذا الحين محطات بنزين ولا حظائر للسيارات . وكان البنزين يصرف للصيدليات وتجار العقاقير لبيعه لعملائهم بمقدار للاغراض المتصلة بالطب .

ويجدر بنا ذكر حكاية طريفة فى شأن البنزين حدثت لاحد المشتغلين بشئون السيارات آنذاك :

أعوزه البنزين فلجأ الى صيدلية وطلب منها خمسة لترات فى حين أن الصيدلية لو جمعت كل ما عندها منه ما بلغ لترين . فارتاع الصيدلى وظن أن فى صدره نوايا اجرامية وفكر فى الاتصال بالبوليس ، ولما سأله عن الغرض من طلب هذه الكمية الكبيرة طفق يبين له الطريقة الحديثة فى تحريك السيارات فلم يصغ اليه وخاله ساخرا ، فقال له الصيدلى : أن محركات السيارات تعتمد على البخار لا البنزين . وبعد نقاش طويل قبل الصيدلى أن يبيعه لترا واحدا بعد أن طبع على

الزجاجة ورقة كتب عليها . « مادة شديدة الاشتعال . »

وكان ثمن هذا اللتر اربعين قرشا صاغا ، وهو ما قيمته اليوم أكثر من مائة وستين قرشاصاغا . انقدها المشترى الى الصيدلى بعد ان أعطاه الضمانات الكفيلة ببراءته مما عساه يحدث من جراء احراز هذه الكمية الهائلة من البنزين ، وبعد أخذ البيانات الكافية عن هذه المشترى من عنوانه ووظيفته وجنسيته .

« عن اللغات الاجنبية »

الجمل
وشبه جزيرة العرب

للفيلسوف الفرنسى القديم والكاتب الالمعى العظيم « بوفون » (١٧٠٧ – ١٧٨٨) الذى تناول بالتحليل جميع الحيوانات وترك فى هذا اللون اوصافا مختلفة يعتز بها الفرنسيون الى اليوم ويعدونها ذخيرة قيمة من ذخائر الأدب الفرنسى الكلاسيكى .

قال فى وصف الجمل ثم تطرق الى وصف الجزيرة العربية ان الاعراب يعتبرون الأبل هبة من الله تعالى ولولاه ما طاب لهم عيش ، ولا لانت لهم حياة ولا تيسرت لهم تجارة ، ولا استقامت لهم السبل فى حل ولا ترحال ، بل ولا قامت لهم مساكن فى العراء
فليست الابل طعامهم اليومى السائد ولحومها غذاؤهم
تعصمهم من أوار الحر وزمهرير البرد .
الرئيسى الذى يستعذبونه كثيرا وان كانوا لا يشتقون منه صنوفا ولا الوانا عديدة ، وانما هو الطهى بدرا عنهم الجوع وكفى . وهم يتخذون من أوبارها الناعمة نسيجا يلبسونه فيقيهم الحر والبرد على السواء . وأثاثا وثيرا للنوم والجلوس والاسترخاء تلك الاوبار التى تتجدد لهم فى كل عام مرة وتملأ مساكنهم بما يحقق اغراضهم المنزلية المتواضعة جميعا .

والاعراب يتفننون فى تصميم الخيام الواسعة التى تتألف من جلود الابل فيقيمون جدرانها ويبسطون فوقها سقفا منيعة تعصمهم من الأمطار وتكفل لهم الوقاية من عادات العراء . وفى هذا يقول القرآن فيما يقول فى ذكر النعم التى اسبغها الله عليهم : « وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين . »

فالاعراب ، بهذه الابل ، لا يعوزهم شىء وبها كذلك لا يرهبون اعداءهم ولا يخشون بطشهم وعدوانهم ، اذ فى وسعهم ان يقطعوا فى اليوم الواحد خمسين فرسخا بينهم وبين اعدائهم . فقد تنهار امام جحافلهم انواع الاسلحة التى تقوم فى وجوههم لبسط النفوذ او الانتقام .

ليتصور المرء بلادا لا ماء فيها ولا خضرة ، وانما هى الشمس المستعرة التى تسلط أشعتها النارية على الجبال والرمال وتلفح الوجوه بأسلاكها اللاذعة وضوئها الضاحى المتوهج هناك يمتد البصر الى متاهة الآفاق حيث لا يستوقفه شىء يمت بصلة الى الحياة من حيوان او نبات . اللهم الا اذا امعن فى الفحص فتبدو له أنواع من الهياكل العظمية التى خلفتها حوادث الماضى ومغامراته تنبث فى الجحور وسفوح الجبال والكهوف وغير ذلك من البقاع التى لم تدخل عليها يد الطبيعة تغييرا ولا تبديلا . فمن صخور منقبلة من الاطواد الشامخة الى أحجار لفظتها الهضاب والآكام الى رمال منصهرة تداعب حباتها اشعة الشمس اللافحة الى حفر وجنادل موحشة تنعدم فيها الحياة من كل نوع . من النهار فى وهجه وسعيره .

وبياض النهار الضاحى فى هذه البقاع ادعى الى ضيق الصدر وانقباض النفس من سواد الليل الدامس ، اذ الليل فى فتوره وظله وسكونه اهدا من النهار فى وهجه وسعيره . والذى يقلب النظر فيما يحيط به ، يشعر انه فى قبره وانه اضعف من البعوضة جسما وروحا ومن ضل الطريق فى الصحراء كان فى عداد الموتى لبعده عن عالم البشر النابض بالحياة

عبده الشامى

الكتب نقد وتعريف

يقدمه محسن عبد الحي



فلسطين فى المعركة
تاليف : فؤاد نصحى

لقد عانى شعبنا العربى الكثير فى نضاله المستمر ضد الاستعمار .. باشكاله المختلفة . وكان ضياع فلسطين بمثابة ناقوس الخطر الذى دق بعنف ليوقظ فى شعبنا الاحساس بالضياع والتمزق اللذين جعلا منا ألعوبة على مسرح السياسة العالمية فقد ديست كرامتنا بالاقدام على أرض فلسطين الشهيدة .. وأصبحنا سلعة رخيصة فى سوق المضاربات الدولية

***

وكتاب اليوم يعتبر تسجيلا تاريخيا للقضية الفلسطينية بظروفها وملابساتها والمؤامرات التى حيكت حولها .. وارتباط هذه الظروف بقضية الاستعمار والتحرر فى كل جزء من أجزاء وطننا العربى . وكيف كان لتمزق العرب وفرقتهم انعكاسا مؤلما على قضية فلسطين نفسها » .

فقد بدأت فصول الكتاب بتعريف لفلسطين ولتاريخ كفاح شعبها من أجل التحرر من كل الوان الاستعمار سواء أكان تركيا عثمانيا أو انجليزيا .

ولقد شرح المؤلف (على حد تعبيره) جهود الجامعة العربية سنة ١٩٤٥ فى مواجهة الحركة الصهيونية . فقال فى صفحة ٥٩

« وواجهت جامعة الدول العربية نشاط الصهيونية داخل فلسطين وخارجها .

كما قرر مجلس الجامعة فى ١٢/١١/١٩٤٥ تكليف دولة السيد جميل مردم . وزير خارجية سوريا وقتها بالسفر الى فلسطين لتقريب وجهات نظر الاحزاب الفلسطينية بقدر الامكان » .

وقرر المجلس تكليف السيد عبد الرحمن عزام الامين العام للجامعة ـ وقتها ـ بالسعى لدى السلطات البريطانية للافراج عن المعتقلين والمسجونين الفلسطينيين والاتصال بالدول العربية ذات الشأن لاصدار التصريح المطلوب بقبولها ايواءهم فى البلاد العربية . !!

كذلك درس مجلس الجامعة فى ١٨/١١/١٩٤٥ تقرير اللجنة الاقتصادية عن مشروع انقاذ الأراضى الفلسطينية وقرر تعيين عينة من الخبراء لترفع للمجلس رأيها بما يلزم من القواعد والوسائل الفعالة التى تؤدى لأحسن النتائج بالنسبة للغاية التى ترمى اليها دول الجامعة .

***

ويقول المؤلف كذلك فى صفحة (٦٠)

« كذلك واجهت الجامعة العربية مشكلة شراء اليهود لأراضى فلسطين ـ فتقرر انشاء شركة سميت « الشركة العقارية العربية » برأسمال قدره مليونان من الجنيهات ، وتهدف الى القيام بأعمال التسليف والتأمين الزراعى والعقارى ، وتمكن العرب من الاحتفاظ بملكية أراضيهم واستصلاحها ، والوقوف أمام تدفق رءوس الأموال اليهودية العالمية التى تهدف الى امتلاك أراضى فلسطين .

كذلك دعا مجلس الجامعة الدول العربية الى اصدار تشريعات موحدة لاعتبار بيع الاراضى لليهود فى فلسطين جرما جنائيا يعاقب مرتكبه بأشد العقوبات .

***

وفى الوقت الذى كانت الجامعة العربية تصدر فيه القرارات والتوصيات كان الصهاينة يقومون بتنفيذ خطتهم الارهابية فى فلسطين بالاتفاق مع بريطانيا

.. فنشروا الرعب والدمار في كل مكان . ففي يوم ٩ مارس (آذار) سنة ١٩٤٨ . ذبحوا ٢٥٠ فردا ذبح الشاة في قرية « ديرياسين » وكان من بينهم ٢٥ امرأة حبلى بقرت بطونهن وهن على قيد الحياة بموس الحراب منهم اثنان وخمسون طفلا قطعت أوصالهم امام امهاتهم ، ثم ذبحوا واجتزت رقابهم في أحضان امهاتهم ، ثم أجهز على الأمهات ومثل بهن .

وهكذا استمرت المذابح في « ناصر الدين » وبيت الخوري . ومقبرة الزيتون ، وبيت دراس .. وغيرها .. وغيرها ..

وقد استعرض الكتاب ظروف الحرب الفلسطينية مبينا الكثير من الخيانات التي نعرفها جميعا الى أن وصل الى حرب السويس سنة ١٩٥٦ وكما كان القتل والارهاب والتعصب هو طابع اليهود في كل زمان ومكان فقد مارسوا هذا الارهاب الوحشي بأبشع صوره في قطاع غزة . مثال ذلك ما فعلوه مع الشاب الفلسطيني موسى سابا الذي صاح في وجه معذبيه :

اقتلوني بدلا من هذا التعذيب .

فرد عليه (بن كنعان) رئيس المخابرات الاسرائيلية في وحشية وتعصب . « لقد أجهزنا على مسيحكم تعذيبا . ولا شيء سيمنعنا من الاجهاد عليك بنفس الطريقة !!

والأمثلة كثيرة ومتعددة لا يمكن حصرها .. تشهد كلها على أن التعصب والعنصرية اليهودية البغيضة قد فاقت كل حدود التصور .. ومنها على سبيل المثال :

جمعهم لأفراد عائلة « شهيورة » وعددهم اثنا عشر فردا واطلاقهم النار على ظهورهم .

وكذلك قبضهم على عمر الحلبي من بئر سبع وفقؤهم عينيه ثم دفنهم لثلاثين شابا فلسطينيا وهم أحياء في ١٠/١١/١٩٥٦ واقتحامهم للبيوت العربية المسالمة واعتداؤهم على اعراض النساء والاجهاز عليهن بعد ذلك » .

***

ويستمر الكتاب بعد ذلك في ذكر هذه المذابح سواء في صورتها الفردية أو الجماعية .. ويصل بعد ذلك الى شرح دور وكالة الغوث في محاولتها انهاء مشكلة اللاجئين الفلسطينيين مرة بالسعي لتوطينهم في الدول العربية .. وأخرى بتهجيرهم الى اماكن أخرى من العالم .. وذلك في محاولة للقضاء على الآثار الدامية لضياع فلسطين .. وتصفية القضية الفلسطينية تصفية نهائية .

وبعد ..

لا شك انه مهما طال بنا الحديث عن تعصب اليهود ووحشيتهم فهذا الحديث في رايي ـ يعتبر من قبيل تحصيل الحاصل .. لانه ما من مواطن من ابناء شعبنا العربي الا ويشعر من أعماقه بأن ضياع فلسطين ووجود اليهود في قلب امتنا .. امتهان له كانسان ينتمي الى أمة عريقة في المجد . لقد طعن شعبنا في اعز ما كان يملكه اجداده والذي ما زال يمتلكه هو .. طعن في كرامته وفي شرفه وعرضه .. تلك الصفات التي يتميز بها تاريخ العرب في كل زمان ومكان ـ ولا اعتقد كذلك ان هناك من يخالفني الراى في أن العار لا يغسله الا الدم ..

***

ولما كانت طبيعة العصر الذي نعيش فيه تفرض علينا الا تدفعنا عواطفنا الثائرة وكرامتنا الجريحة الى ان نتخذ خطوات هوجاء .. قد تعود علينا بالدمار .. فقد كان من المفيد حقا ان ترتفع قيادتنا الثورية التي قاسى معظم افرادها الكثير في حرب ١٩٤٨ الى مستوى الموقف القومي والعالمي في مجال عملها لاسترداد وطننا السليب . فليس مهما ان تدخل في حرب سريعة مع اسرائيل ـ تكون في طبيعتها مثل حرب ١٩٤٨ ـ ولكن المهم هو ان يذهب اولئك الذين أوجدوا اسرائيل من وطننا نهائيا .. فقد حاربتنا انجلترا سنة ١٩٥٦ من قواعدها في العراق .. وسوف تحاربنا ـ عند اول اشتباك لنا مع اسرائيل من قواعدها في ليبيا وعدن .. ولذلك اصبح من المحتم علينا ان نقضي على كل القواعد الاجنبية في وطننا لكي نحمي ظهورنا من الخلف عندما يحل يوم الثأر المجيد ..

***

ان واجبنا القومي كأفراد يحتم علينا ان نرتفع ايضا الى مستوى الموقف .. فاذا كانت الاموال قد رصدت للقيام بمهمة شرح القضية الفلسطينية على المستوى الرسمي والشعبي في العالم فيجب ان تتجرد هذه المهمة القومية من الطابع الوظيفي .. الذي لا يناله الا المقربون عديمو الكفايات والفهم الكامل الواعي .. ولست في حاجة الى ذكر الأمثلة والمهازل التي تنشرها الصحف يوميا عن المآسي التي تقترفها هذه العناصر المنهارة في مكاتب الجامعة العربية في الخارج .. تلك العناصر التي نعتبرها من مخلفات العهود التي اضاعت بحماقتها وسطحيتها أرضنا العربية في فلسطين ..

ان كل ثغرة مهما كانت بسيطة في أى عمل منظم

سوف تفقده على الأمد البعيد الكثير من الامكانيات التى يمكن أن تدفعه الى الأمام ..

***

يجب أن يؤمن كل المبعوثين العرب فى الخارج انهم يمثلون امتهم التى مـا زالت فى حالة حرب مع الصهيونية العالمية .. وهم بذلك جنود فى هذه المعركة . وعقوبة الخطأ الذى يقترفه الجندى فى ميدان القتال معروفة لدينا .. ومن ثم يجب أن يطبق هذا المبـدأ .. على أولئك الذين لا يعرفون عن واجبهم سوى انه نزهة جميلة فى بلدان العالم وفرصـة نادرة لجمع الأموال واقتناء العربات الفارهة والثمين من التحف النادرة . وشىء آخر اود ان اقوله هنا :

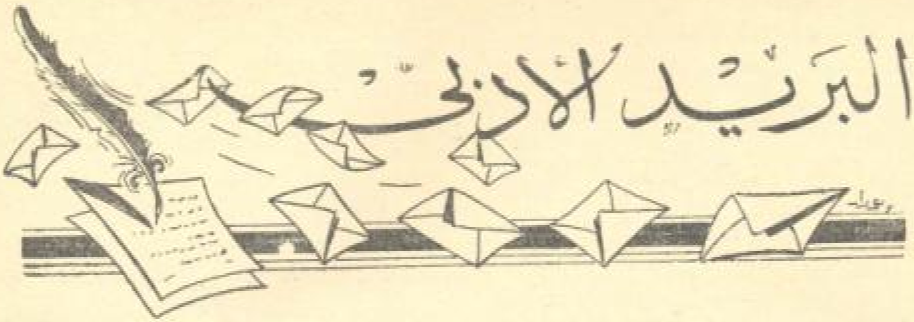
لقد اقتنع شعبنا بان ابراز الـكيان الفلسطينى ـ يمثل بالنسبة لنا ـ كسبا قوميا وعالميا ـ فى مجال التكتيك المرحلى لاسترداد وطننا السليب ـ وهـذا الكيان يجب أن يدعم بالطاقات الفلسطينية المؤمنة الواعية والتى يجب أن ترتفع هى ايضا الى مستوى قضيتها .. فليس مهما الآن ان تثار معارك جانبية حول مبادىء وهمية .. منها الانتخاب والتعيين ولكن المهم هو أن يكون الجميع مثـالا لتفهم واجبهم القومى الذى يحتم عليهم ان يدمروا فى نفوسهم تلك العقد الوهمية التى تسببت فى ضياعهم ..

***

ان المجال الطبيعى لمناقشـة الانتخاب او التعيين انما يكون فى حيفا ويافا مدن فلسـطين المحتلة ـ والناصرة وغيرها من مدن فلسطين بعـد العودة .. وليس قبل استرداد فلسطين ..

لقد قاسى شعبنا من الحزبية والتمزق والانقسام الشىء الكثير .. ولهـذا يجب أن يكون كل عربى فلسطينى من الآن فصاعدا متفهما لطبيعة معركتـه متجردا من كل شىء الا الايمان بالعودة الى وطنه قولا وعملا . وليذهب موزعو المنشـورات فى بيروت ومصدرو البيانات الهزيلة الى الجحيم .

تحسين عبد الحى



كلمة الى لطفى الخولى
بقلم محمد محمد شاهين

الاستاذ لطفى الخولى فى مقاله « موقف الصراع وموقف التقدير من العقاد » كان كما يقول الشاعر :

كجزار اليهود لبقر براها من العيوب وعقر

من ثنايا حديثه لمست نغمة ما كنا لنسمعها فى حياة الفقيد العظيم ولكنى انبهه الى ان العقاد وان طواه الثرى سيجد الوفا من الناس سوف تهب للدفاع عنه باحر مما كان المفكر الراحل يدافع به عن نفسه .. ولن ارد على كل ما جاء بكلمة الاستاذ الخولى ولكنى ارد على نقطتين بارزتين فى كلمته ..

اولاهما قوله « اذا كان الموت بطبيعته يفرض فى ايام الفجيعة الاولى بسبب ما يثيره من النفس من المشاعر والاحاسيس نوعا من الذاتية المفرطة فى تلوين صورة الفقيد وتقديم مواقفه »

وكأنى به يريد ان يصف ما كتب عن العقاد بعد رحيله عن دنيانا بانه كان من وحى فجيعتنا فيه .. والواقع ينطق بغير ذلك .. اذ ان كل ما كتب وقيل عن فقيدنا العظيم اقل من القليل اذا ما قيس باعماله ومواقفه البطولية الخالدة .. بل ستأتى الايام فيما ستأتينا به — بعد مضى ايام الفجيعة الاولى على حد قوله — بمزيد من التقدير العميق على اساس راسخ متين مما ستكشف عنه الدراسات الجادة المتأنية لما ترك راهب الفكر فى محرابه من قيم فكرية خالدة.

ثانية هذه النقاط : هذه الفقرة العجيبة فى مقاله « دافع العقاد عن الذات المفردة ضد الجماعة والجماعية .. وعن الملكية الفردية ضد الملكية العامة .. وعن الديموقراطية الراسمالية ضد الديموقراطية الشعبية .. وعن العباقرة بالمفهوم النتشوى ضد من اسماهم بالرعاع .. وعن الشعر التقليدى ضد الشعر الحديث .. وعن مدارس الفن التشكيلى التقليدية ضد بيكاسو . » مجموعة رهيبة من الاتهامات قد رصها صاحبنا كعريضة اتهام يحاول ان يثبت بها ان العقاد كان يدافع عن قيم الماضى ضد قيم الحاضر .. وهذا الكلام كله باطل يلبس ثوب الحق .. فلو فرضنا جدلا ان كل هذا الكلام صحيح .. فان صلابة العقاد فى هذا الموضوع هو ان الرجل قد اقتنع كمفكر بينه وبين نفسه بكل هذا ومنذ وقت بعيد ثم هو لاينافق ولا يداهن مادام لم يقتنع بغير ذلك .. ان للمبادىء الجديدة رجالها الذين يؤمنون بها ولن يضيرهم موقف العقاد ولن يثبط هممهم الا اذا كان ايمانهم ضعيفا لا يعتد به .. بل لابد وانهم سيتعلمون منه كيف يكون الايمان بالمبدا وكيف يدافع الانسان عما يعتقد انه الحق .. بل بغير ذلك ..

انّ موقفه هذا اشرف وادعى للتجلة والاحترام من موقف كثيرين كانوا يدقون الطبول لمبادىء ثم سرعان مادقوا نفس الطبول لاضداد تلك المبادىء ربما دون اقتناع .. ويقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم .. وليس العقاد من هذا الصنف .. وحقيقة لو ان العقاد كسبته التيارات الجديدة لكان هذا داعيا الى

الغبطة الغامرة لكل الجماهير التى آمنت بالمفاهيم الجديدة ·· الا ان الرجل سبق وحدد لنفسه وبمنطقه مبادىء ومثلا وما كان بوسعه ان يسلخ جلده ويصبح شخصا آخر ·· وبهذا فهو لا لوم عليه فى هذا ولا تثريب ·

اما الحديث عن الشعر الحديث وبيكاسو فيختلف ·· فما كانت ثورة العقاد عليهما ثورة على مدارس الحديث بشتى فروعه .. فما سمعناه هاجم اللا معقول فى المسرح أو الرمزية فى الادب وما عاب يوما اندريه جيد او بريخت او بكت او اونو .. بل ان هجومه على الشعر الحديث هو هجوم على المستسهلين الادعياء الذين وجدوا فى هذا النوع من القول مجالا يحتمل ادعاءهم وتخريفهم .. وثورته على بيكاسو هى ثورة على الفن بلا قواعد ولا مفهوم حسب منطقه الصارم الذى ارتضاه لنفسه والذى كان طابعا مميزا لاصالته وعبقريته ونبوغه رحمه الله .

رد على تعقيب للدكتور عبد الرحمن عثمان

عقب الأستاذ عباس خضر بكلمة فى الرسالة فى عددها ١٠٥٣ الصادر فى ٣/١٩ ، قال فيها : انه كان يخالف العقاد ، ويعارضه كثيرا بعقله !! ، ولقد مات العقاد رحمه الله وبموته أمن المعقب من صرامة الرد ومناقشة الحساب ، ثم ناقش حديثنا للدكتور طه حسين بما ظن أنه الصواب ، وبعد هذين استوى أمامى ليلقى على درسا فيما ينبغى أن أكتبه عن النقد الأدبى ، فرسم لى الطريق ، وحدد لى الموضوعات ·· مما ذكرنى « العناصر » التى كان يمليها علينا أساتذتنا فى دروس الانشاء ونحن صغار !! ، والنقد عنده يجب أن يقتصر على : « حياتنا النقدية الآن ، من مثل المجاملات الشخصية ، والحملات الكيدية ، ونقد الشيل الذى يشيد بكل ما يأتى به أفراد « الشلة » ويتجاهل أو ينتقص غيره ، الى آخر ماتعج به صحفنا اليوم » ·

استاذى الزيات :

انت الحكم ، واليك الراى الأخير فيما نقدنى به المعقب الفاضل ، ففى صفحة ٢٧ من العدد ١٠٥٣ يقول : « والأدب الرمزى كذلك موجود فى العربية كما هو موجود فى الأدب الأوربى ، وأقرب مثال له فى العربية الأدب الصوفى » ·

فاذا قضيت بأن الرمزية الأوربية تلتقى مع الرمزية الصوفية ، أو تتشابه حتى مع الرمز الكنائى عندنا فى أى صورة من الصور ، وجب على حينئذ ان اصحح أخطائى ، باعتناق راى السيد خضر ·

تعقيب على الرد
بقلم عباس خضر

ناقشت العقاد وطه حسين ، ولا بأس بأن اناقش ثالث الثلاثة !

قلت أن عنوان مقاله (انحراف النقد) يفهم منه أنه سيتناول ما يجرى فى حياتنا النقدية من المجاملات الشخصية ·· الخ ، ولكن المقال جاء فى أشياء أخرى لا تعد انحرافا فى النقد ، منها الأخذ بالادب الرمزى · ففهم ثالث الثلاثة انى ارسم له الطريق ··· الى آخر ما قال !

وفى تعقيبات الأسبوع الماضى كلام على الرمزية الاوربية والأدب الصوفى يحتاج ثالث الثلاثة الى ان يرجع اليه ·

هذا وقد قال أستاذنا الزيات عقب اطلاعه على ذلك الرد وما فيه من الاحتكام ــ قال : لا شك ان الادب الصوفى أدب رمزى · وهذا يطابق ما قلته وما يعرفه كل دارس ·

ولست أطمع فى ان يصحح « ثالث الثلاثة » أخطاءه أو يعتنق رأيى ··

كلمة دفاع
بقلم محمد عيد عثمان

فمن سيادتكم يا أستاذي العظيم اقتبسنا الكثير ومما اقتبسناه الجسارة والصراحة والعجز عن سماع باطل لا نرده أو خطأ لا نقومه ومن ثم يا أستاذي العظيم سأستسمحكم في نقد مطلع « ألوان » ارضاء للضمير وقياما بالواجب وانصافا للحقيقة .

انى أعرف جيدا يا أستاذي العظيم كيف تحقد ـ هي وهو ـ على سيادتكم واعرف أنهما كثيرا ما حاولا عبثا أن يطفئا نورا أبى الله الا أن يتمه صونا للغته وحفاظا على شريعته .

ونعرف أخيرا أن تقدير الدولة لكفاءاتكم ـ وقد كان لازما ـ قد أثار كامن حقدهما ودفين غلهما فكانت هذه الصرخات وكان هذا اللطم وذاك العويل على صفحات عرجائهما .

ولكن من الذى قال يا أستاذي العظيم ان الشر ينبغى أن يقابل بمثله ؟ وان من افترى خليق أن يفترى عليه ؟ هذه واحدة ولا أريد أن أقف عندها طويلا لأن مطلع ألوان الأسبوع الماضى آلمنى رغم كرهى ـ له ـ وحبى الذى لا يعرف حدا لصاحب الرسالة العظيم .

ثم ـ وهذه هي الثانية والأخيرة ـ هل ـ هي وهو ـ مجردان حقا من كل فضل ؟!

انكم بلا مراء يا سيدى الأستاذ الزيات تمثلون هرما من المجد والفضل وسيادتكم غير منازع غير مدافع أحد القلائل الذين يكونون قمة هذا الهرم .

ولكن أو ليس للهرم سفح ؟ أو ليس بين السفح والقمة درجات ؟ بلى ؟ والتاريخ لن يعدم لهو ـ ولها ـ مكانا بين السفح والقمة .

فرجاء يا من أنت معقد آمالنا ومناط رجائنا أن تغلق هذا الباب الى غير فتح وأن تعفينا من قراءة هذا ـ اللون ـ ولو بقيت عرجاؤهما تنضح بالالم والعدوان .

على أن شيئا من ذلك لن يضيرك يا صاحب الرسالة العظيم فما أنت وهما الا كما يقول القائل :

انا وما تلقى لنا أن هجرتنا
كالبحر مهما تلق فى البحر يغرق

الرسالة :
يكفى العقرب ما نالها . وان عادت عدنا لها .

تعقيب على قصيدة الشاعر محمود غنيم
بقلم على عبد الونيس عبد الله

في العدد ١٠٥٣ من مجلة الرسالة الصادر في ١٩ مارس الماضى قصيدة (دمعه على العقاد) للشاعر محمود غنيم .

نأخذ عليه ما يلى :

يقول الشاعر :

(لاتلوموه) على اخلاقه هكذا رب البرايا طبعه

اللوم لا يقع الا على المخطئ، ولم يكن العقاد مخطئا حين كان متمسكا برأيه حين يرى انه الصواب نفسه .

وينبرى الشاعر ويقول لقد خلقه الله هكذا فلا تلمه ، ان العقاد لايلام على التمسك بمبدئه ورأيه وعقيدته فكلمة (لاتلوموه) كان يجب ابدالها بكلمة (لاتحسدوه) اذ كان مثالا للخلق والادب والرجولة .

كذلك حشد الشاعر كلمات ثقيلة على القارئ كهذه الكلمات مهيعه .. الامعه .. جمجمه .

واللغة العربية غنية بالكلمات السهلة التي تؤدى نفس المعنى وهو فى ذلك يقلد الشعراء القدامى فى استعراض عضلاتهم اللغوية .

ردود قصيرة :

● عطية محمود عاشور .. يشكر الرسالة لأنها الى جانب أقلام الاساتذة الكبار تتيح فرصة للاقلام الشابة ، ويرسل كلمة بعنوان « الشاة الشاردة » ، ويهمنا أن نقول انها عرضت على السيد رئيس التحرير كما أحب .

● محمد عبد الرحمن السحرتى .. يقول ليت الناس يهتمون بدينهم وقضايا أمتهم مثل مايهتمون الآن بالكرة والحديث عنها .

● عبد السلام حافظ محمد ، يشكو من توقف الفصل الدراسى الذى افتتح فى مدينة الاقصر ، ويرجو أن تبحث مديرية التربية والتعليم بقنا هذا الأمر .

● محمد يونس عبد العال .. يحيى الاتجاه الذى تسير نحوه الرسالة ، ويطالب ببعض المعارك الادبية

● ارسل الشعراء الآتية أسماؤهم بقصائد الى الرسالة وهم سامى سيد محمد طه ، وبدر الدين محمد بلال من السودان ، وسليمان احمد حسن من دمشق ، وهاشم المهدى الشريف من ليبيا ، ومحمد الامين دياب من السودان ، وحسن السعدى من العراق ، وعبد الكريم دياب ، وقصيدة رقيقة من الشاعر اللبنانى حميد الياس غرياني بعنوان : « يمامة الشوق » .

حساء المساكين بقلم الروائي الفرنسي
ج . ر . بوك

ترجمة : احمد أبو الخضر منسي

حق علينا ان نقتصد في مالنا من اي مستوى كنا في المجتمع البشرى . فالعامل الوضيع الحال ، اذا عرى من هذه الخلة التي هي من تلزم مايلزم الاتصاف بها ، تعرض لاشد الاذى وبالغ الضر ، والمتوسطون حالا ومعيشة ان هم جانبوها فقدوا ما لهم من عزة واستقلال ، والسرى المترف ان كشح عنهــا بجانبه احجمته الثمرات من الحــرمان وشظف العيش مالاقبل له به ، والشريف المسود في قومه اذا رام عنهــا صدوفا ذل بعــد عز ، وكسف مجده بعد اشراق ، وصاحب السلطان نفسه ، ان نابذها ولم يزن بهــا ناجـه اوقع بلاده في الازمات بعــد الرفاهية ، وشعبه في شقاء بعــد نعماء ، وسلطانه في ضعة وهوان بعد رفعة وبهاء .

وما من احد بامن من قوارع الخطوب وتوازل الاقدار ، ولكن الله قد وهبنا نعمة الفطنة ، والنظر في المستقبل ، لقد شاء ربكم الا تبطروا حين ترتعون في بحبوحة النعيم ولذات العيش الرغيــد فتعموا من النظر في عقبات مافد يعقبها من غير وانقــلاب حال ، وان في ظل اســعد يوم عشــناه لانتـى مافد يلم بنا في غده من الطارقات .

والى الطبقة العاملة ، الى ذلك الحشــد العظيم من الشعب الذى يستحق منا الرعاية والعناية ، نوجــه خاصــة ذكر هذا الحادث الصادق ، وهــذه الصورة الواقعة ، مما سنسرده عليهم . وان لامثالها كثيرا يحمل فى طياته العبر . وعسى ان طائفة العمال خاصة ، ارباب الاسر منهم الذين يتلون هــذه القصة التي التزمنا في روايتها الصدق والامانة يوقنون بان في لذات الاسراف العابرة الندم واللهفات ، اذ بدون الاعتصام بالنظام والاقتصاد لا قــرار ولا طمانينــة تسود بيوتنــا ، وذلك راس ضرورات الحياة ، راس مطالب العيش ، ولا الفقر بذلك الاحتقار والتقدير الذى نلقاه من الناس ، والمتجــرد منهما لايعد في عدادهم .

كان مارسيل وسباستيين من حذاق الحجارين ، يعملان منذ سنين عدة في مشغل واحد لاحد مقاولي المباني المشــهورين في العاصمة . وكان كلاهما ذا زوج وبنين . وكان لمارسيل ثلاث بنات ربتهن امهن على حب العمل والطاعة للوالدين باحسان ، وكان لسباستيين ثلاثة ابناء صغار اكبرهم في الثامنة واصغرهم ابن ست سنين ، لطاف لا تنبو العين عنهم ، الا انهم تركــوا وحبلهم على غاربهم يعربدون ويعيثون .

وبينما السيدة مارسيل ، تحف بها بناتها اللواتى عودتهن بارشادها الخياطة والتطريز ، وديدنها المحافظة في بيتها على نسق بديع ونظافة تعجب الناظرين ، كانت السيدة سباستيين شحيحة لحيمة مرحة لاهية ، تجرع من كؤوس اللذات ماطاب لهــا ، وقد عرفت في الحى قاطبة بالثرثرة . وكانت تتسكع اذ تمضى لاشتيار الزاد ، في احاديث الهذر مع بائعة الفاكهة ، وتعــوج ببائعة الخبز توضح الوجوه وتستثبت كل وارد وصادر ممن يؤمون حانوتها ليمتاروا . وقل ان تعود الى مثواها الا بعــد ساعتين او ثلاث يكون ولداها الثلاثة قد تماســكوا بالتلابيب وتضاربوا ، واذا هم قد دميت وجوههم ، وتمزقت ثيابهم ، وتضافوا من جوع ، فتسكن اورتهم بتوزيع قطع الحلوى وثمار الفاكهة بينهم .

وعلى قدر ما كان مارسيل وسباستيين قد انعقدت بينهما اواصر الالفة والتآزر ، في مختلف المعامل التي جمعت بينهما ، كانت زوجتــاهما مختلفتــين متلاحيتــين رأيا وعادات . وندر مانتلاقيان ، او تقوم بينهما آنسة والفة ، رغم انهما متجاورتان.

وكانت السيدة سباستيين لا تنثنى عن ان تلوك مع اترابها في الحى سيرة السيدة مارسيل ، ومسلك التحشم والتحفظ الذى اتخذته دينا لها ، فنعتها بالمتزمتة ، والشــحيحة المقترة ، والمستبدة الداهنة التي تسوم زوجها الذل ، فصــيرته عبــدا عسيفا . اما الســيدة مارسيل فقد لاذت بالصمت ، لا تتحدث مع احد عن اخلاق خصيمتها التى لاتبرح تقع في عرضها ، وتنعتها بمهذارة الازقة والحوارى ، امراة رعناء لاهم لها الا لذاتها ، ولا تحفل بامر بيتها واولادها الا بالنزر القليل .

وما اختلفت هاتان المراتان وقامت بينهما الوحشة الا لان احداهما كانت غيرى مما ساد في بيت الاخرى من رفاهيــة ونظافة ، ومن هيئة حسنة لبناتها الثلاث مع بساطتها . بينما اولاد تلك شاردون في الازقة ، بينهم شجار وضراب مســتمر . ولطالما كانت الســيدة مارسيل تعود بهم الى والدتهم ، فيبدو عليها حينئذ الانكسار والخزى اذ تفاجأ وقد بدا بيتها قد عاث فيه الاختلاط وسوء النظام ، واذا هي نفسها قد بدت في ثوب مبتذل زرى علاه قذر ودرن ، بينما ترى على مؤخر فراشها ثوبا من فاخــر القماش ، ووشــاحا من رقيــق التل ، قد اعدتهما لتلبسهما في غدها ، في المرقص الكائن في حى لافييت . والواقع هو ان سباستيين وامراته كانا يتوجهان كل يوم احد مع اولادهما الثلاثة الى السهر في اشهر حانات الضــواحي ، ولا يعودون الا وقد اعتكرت ظلماء ليل . فاذا هم مسرفون قد بددوا في يوم واحد ما ربحوه في اسبوع .

اما مارسيل وزوجته فالمذهب قويم ، والمنهج حميد ، وبين مسلكى الاسرتين بون بعيد . كانا يقضيان صدر يوم الاحد في اقامة شعائر الدين مع بناتهما ، ثم ينظران في امر نفقاتهما ، وحساب ما ادخراه من المال . وتاخذ ام الولائد الثلاث تملا فراغهن بشئ من قراءة نافعة مسلية . وبعد اصابة طعام هنئ مرئ كعجالة الراكب ، يتوجهون رجالة الى حديقة النباتات ، او يؤمون شواطئ نهر السين ، ما وسعهم السير ، في نزهة ممتعة ، او ينطرقون الى غابات فنسين . وهناك وقد مد الاصيل رواقه ، يربضون تحت سقف ظليل من افنان شجرة مورقة ، وعلى مهاد من عشب غض النبات ، يتعللون بلهنة خلوية شهية قبل العشاء ، قد اعدوها قبــل رحيلهم ، وحســوا معها بعض شراب من الجعة المجلوب من حانة قريبة منهم هناك ، فياخذهم الطرب يتهللون ويضحكون ، لا يسمعون لغوا ، ولا تؤذى اسماعهم عربدة السكارى واصوات اغانيهم ، اذ هم قد انزووا في حجرة في خلوة نائية في رقعة هــذا المتنزه الفســيح ، وما مس طهر البنات سوء . وما ان تتوارى الشمس عنهم في حجب الفضاء ، حتى اذا هم عائدون في حافرتهم الى ديارهم ، ما انفقوا الا

شيئا يسيرا في خير لهو واطيبه . بينما سباستيين واله ينقلبون من لهوهم صفرا جيوبهم ، باهظة نفقاتهم ، مخمورة رؤوسهم ، تصدع من الوهن والاعياء ابدانهم ، قد ارهقهم الكلال والسأم فقعد بهم عن مواصلة اعمالهم في صباح غدهم .

وليس عجبا أن نرى مارسيل وسباستيين ، لدى عودتهما الغداةالى عملهما ، وفيالآن تجد سباستيين قد حضر الى عمله الا وقد ترجلت الشمس ، وذوى من النهار نصفه الاول كله ، مما اصابه من عقبات ملاعب ولهو امسه المضني ، يفيضان في حديث ماجرى لهما من متع سهرتهما ، فكان سباستيين وهو ساهم الوجه ، منتقع اللون ، قد مشي الخمر في اعضائه ودب دبيبه ، يقص على صاحبه كل مالذه واستخفه في مرتع لافيليت ، ويعدد في اختيال ما انتشى ، ومالها ، ومارقصت امراته ، وما لعب اولاده وعربدوا ، وكيف انهم آخذون اخذ ابيهم . ومن شابه اباه فما ظلم . حتى اذا افرغ جعبته ، أخذ مارسيل يحكي له ما كان من نزهة وطعام لهم في غابات فنسين طابا وحسنا مقبة ، وجعل يطنب في ذكر خصال حسان لبناته تزينهن ، هن ثمرة غرس أمهن المباركة .

فقال سباستيين : على رسلك يا مارسيل .. ولا تلق الكلام على رسيلاته . وكف الحديث عن هؤلاء الزهوات المختالات اللواتي ترفعن عن ملذات الشعب وملاهيه ، وهن مايحسن الا مسافاة ازواجهن الجمة . انك مغموز القناة ، منقاد الى امراتك انقيادالطفلالغرير . وانك لعمري قد امسيتأضحوكة في افواه زملائك .

تالله ياأخي ، ماأنت باكثر انقيادا منك . اختلفت الاذواق منا ولا جرم . وهذا كل مافي الامر . اما انت ففاحش اللذات ، مولع بمجالس الشاربين والشاربات ، ومجامع الراقصين والراقصات ، واندية القامرين والقامرات ، اما انا فلا يطيب لي الا مقاعد الغيطان والخلوات ، تلوذ بافياء الغصون ، وكل حقيق بان يصون ما اقتنى وما كنز .

وما أعلم من ذلك ما هو انفس من محاسن طباع زوجتي وخصال بنياتنا .

– لعمري ما اجدك مما تنتفخ به من قولك هذا ، الا انك صدى لامراتك ، وما تبرح صدى لها . انها امراة كزة اليدين ، لاتدع لك فلسا في جيبك ، مزهوة تستعلي على اترابها أسفت وصغرت أن تحادث جاراتها ساعة من الدهر .

وتزدريهن . انها لاضبارة من أسفار متمالة تحسب أن قد

– وانت يا سباستيين يا من ترميني باني صدى لامراتي، الست الآن كالببغاء تردد قول بعلتك ؟ فكما انها مستهترة بالانكباب على اللذات وهي عندها في اعلى منزلة ، وانها مضياعة تتلف كل ما انت كاسب ، فكذلك هي تعيب أهل التدبير والاقتصاد ، ولا غرابة في ذلك ... ولكن دع ذا ، وعد الى القول بان زوجتينا لا تاتلفان البتة : افتعاب على هذا ؟ وهل فعي علينا ، من أجل ذلك ، ألا نعيش متوادين متصافين ؟

– كلا ، ولا شك ، انك لمحق . ما اجدك صادا عن تناول الطيبات قصدا واعتدالا ، كما اصيب انا منها شرها واسرافا ، وانك للرجل الطيب المحمود ، ولهذا تراني متسخطا ان اجدكم مفارقين لنا متابذين ، وان اراك اسلمت مقادك صغرا وهوانا .. ولكن فلندع امراتينا ، كحد قولك ، تعتمان ما حلا لهما . ولندم بيننا مودة الخليلين . هلم يدك !

– حبا وكرامة .

ولكي يزول عني وعنك كل ماافضنا فيه من القول ، اصحبني تساق كاسين من رحيق الزبيب .

– انت وذاك ولكن على شرط ان اكون انا الآدب : اني احب ان تعرف ان امراتي على كونها مدبرة مقتصدة ، لا تقصر في ان تترك لي شيئا من النقود في جيبي .

وانقطع هذا الضرب من الحوار بينهما : كانا نعم الرجلان ونعم العاملان . فما القيا بالا الى اختلاف مابينهما من المعيشة ولا تناقض مسلك الزوجتين ، وتركاهما ترسلان السنتهما ذما في بعضهما دون ان يتدخلا بينهما . واذا ما اشتد اللحاء بين المراتين واحتدم تدخلا بسلطان لفض مااستحر من هذاالنزاع بينهما . وكان هذا التسامح منهما يزيد روابط الالفة والاحترام بين الرجلين . وماعدا يوم الاحد الذي كان كل منهما يقضيه على مجرى منحاه كنت تجدهما مجتمعين في مشغلهما ينحتان معا كتل الحجارة كما رسم لهماالمهندس .

وذات يوم اذ كانا يمارسانإقامة جناح مبنىيزاد علىاحد ملاجي باريس ، رايا عجبا !! قصاعا من حساء معجل يوزع على حشد كبير من مساكين ذلك الحي ، صنعته لهم نسوة محسنات خيرات . كان هؤلاء الصعاليك جالسين على ارائك من حجارة على امتداد الملجا ، وكل منهم ممسك بصحيفة مترعة من هذا الحساء البسيط ، كان مع ذلك كفافا لغذائه وتمشا للقواه . وكان بعضهم يلتهم هذا الطعام السائغ بملعقة من خشب او قصدير قد تجهز بها ، ومن لم يستطع منهم طولا راح يتقي محارا زوى في بعض الطرق فيرحضه بماء في حوضقريب. فياله من منظر يثير في النفس الحسرات ! وان فيه لعظة بالغة لمن زلت بهم القدم فارتطموا في شهواتهم ، وبذخهم الفاحش ، فهووا من حالق يذوقون عذاب البأساء والضراء ! وانه لمثل صالح لذوي اليسار الذين يستطيعون مس الام البشرية المعذبة بيد القوت والاحسان ، فترفع لهم الدعوات الصالحات اذ بذلوا للمساكين ما يطرحونه من فتات موائدهم وفضلات ولائمهم !

– قالمارسيل لصاحبه : لاتكرانان ذوي الفاقة والمسغبة يجدون في باريس رفدا كثيرا ، وغوثا كريما ، وان اهل الخير يتوسلون باوفق الوسائل تلطيفا لآلامهم .

– فقال سباستيين : ذلك لا محالة هو ما يعث في الناس حشدا جما من ذوي البلادة والتشرد . فلو ان الاغنياء تزروا من اعطياتهم لهم لصاروا مثلنا مضطرين الى نحت الحجر ، واحتمال حمة البرد ، ولظى القيظ في مواطن العمل .

– وما عساك تصنع في ذلك ؟ ان الاحسان لا يميز ولا ينتقي ، فهو يعطي الجائعين ما ياكلون .

– قال سباستيين لعمري . لا بد ان يكون الناس في جوع دقوع يأكل احشاءهم اكلا لما ، فيحملهم على أن يتثالوا على باب فندق يفتقدون مقاعد الحجر ، ليجري في حلوقهم هذا الحساء الرقيق ، وما زادوا في ذلك على قطيع من الماشية حين ترعى رعيها ... اما انا فلن اسف الى هذه المنزلة . انها لسواة .

– فقال مارسيل . لا عجب ان تقول هذا وانت تكسب

مثلي ، ما بين مشرق يوم ومغربه ، خمسة الى ستة فرنكات ، ولكن اذا اصابك حادث ، او ادهاك جرح خطير ، او اصابك مرض طويل ، ووجدتك عاجزا ان تمد زوجتك وبنيك الثلاثة بما يسد الرمق لقيت فولك . والجوع كافر كما يقول المثل .

— لاجرم ان الرجل اذا القى باله الى كل خطب ملم ، وما تأتي به طوارق السوء التي تقطعنا عن العمل ...

— فانا نصبح اشد تدبيرا واكثر اقتصادا . اليس كذلك؟ هلا علمت اذا ان هذا هو ما ترده امراتي على سمعي ، واجدها راشدة . وعاقل الناس الذي يجمع في ابان الحصاد لزمان الشدة والكساد . وان ترد الماء بماء اكيس . كذلك يقول المثل .

— العجب مما تورد . ان مثلك هذا يهرف بما لايعرف. اني لاكره الا اعطش ابدا ، ولا سيما حين اشتهي الحانات . ان قارورة النبيذ التي اجرعها لافضل عندي من التي اروم حسوها : لست احب ان اؤجل لذاتي الى غد ، واذا كانت هي اليوم ملك يميني فلن ادعها تفلت مني الا اذا اصفر الجيب اني بالغ اشدي ، صليب على العمل متين . في الاجل ساجمع وادخر ، اما اليوم فواها للمسرات ، وبا حبذا اللذات !

وهكذا كنت ترى في حديث الصاحبين ، كل له وجهة هو موليها . هذا يتصور امراته المبقرة الراكبة راسها ، المتهالكة على اللذات ، وهو واجد فيها وفاق ماعطفته نفسه عليه من اسراف في نزوات الشهوات ، وقلة مبالاة بنوازل الاحداث ، وذاك صنوه مع امراته ذات التدبير والكياسة ، لانه هو كذلك طبع على الاستقامة واطالة النظر في العواقب .

وهذا التناقض الكبير كان لابد يحدث بين ربتي الاسرتين بعض النزاع ، ودوافع الغيرة ، وان تجنب الرجلان المشاركة في ذلك ، حفاظا بما توالفا عليه . ولكن وقع ما لا تنفع الحيل في رده . ذلك ان سباستيين الذي كان يعجز اشهرا عن دفع ايجار بيته اضطر الى الحلول في دار اخرى وضيعة في الطبقة الخامسة من بيت حقير . اما مارسيل وزوجته وبناته فقد قر قرارهم في ذات دارهم في عيش حميد . وما كان يمضي شهر عليهما الا وقد ادخرا جانبا من المال في صندوق التوفير . فانفصمت حبالهما اذ شط المزار ، وتناءت المساكن . وسكنت مع هذا الشحناء بين المراتين .

وبعد ان تغالى ملاك باريس الاثرياء في العمارة وقضوا اربا ، قلت الحاجة الى البناء ، وحل الركود الشديد ، فامسى العمال بعد درور الارباح عليهم في حال من الكسب العادي ، بل ان كثيرا منهم تعطلوا عن العمل . ومما زاد الطين بلة ان شتاء كلبا لم يقع مثله منذ سنين ، اقبل بشره وعره يذيق فئة العمال العذاب الاليم ، ولبث مارسيل وسباستيين ثلاثة اشهر لايجدان عملا . وانضم الى ذلك غلاء الاسعار ، وشحت حاجات المعيشة . وبالسوء مالقي سباستيين وامراته واولادهما ، وما ذاقوا من ضر وحرمان . وكل يوم يطلع عليهم كان متاع مما يملكون يباع تلو متاع حتى عريت الدار من نضدها ، ليجدوا ما ياكلون . وكان الاولاد يتضاغون جوعا ، ويقفقفون من لذعات برد كادوا منه يهلكون . ويومئذ ، وبعد فوات الاوان عضوا اصابعهم ندما على اسرافهم وسوء تدبيرهم ، ايام الاقبال وحسن الحال . وكان سباستيين يحمل امراته مغبة هذه الكارثة التي اقضت مضاجعهم . والمراة تلوم زوجها وتعزو الى سكره ومقامرته اسباب هذا البؤس والخراب المخيم .

وبخلاف ذلك كان العيش في دار مارسيل وذويه ، يصطلون بنار تدفع عنهم عضاض الشتاء العاتي ، وطعامهم وافر ، وكساؤهم يجلب الدفء لابدانهم . وما كان يشق عليهم الا ما كانوا يقتطعونه مما ادخروه في صندوق التوفير . ولكن كان يخفف عليهم وطأة ذلك ما منوا انفسهم به من رد ما نقص وزيادته اذا زالت الشدة ، واقبلت ايام الفرج والعمل .

وقد اضر الشتاء البارد بامتداده بالناس ، فاكثر فيهم المعذبين ، والعراة الجائعين ، فامتدت اليهم ايادي المحسنين والطاعمين الكاسين . وكان من هؤلاء الاجواد تاجر جوهري في باريس ، يوزع بواسطة اعوانه في كل مقيل نهار ، على حشود من الجوعى المساكين اربعمائة وعاء من حساء دسم ، ويرضخ لكل ام تحمل طفلها شيئا من النقود ، واخذ اخذه في ذلك من استطاع من اهل الخير .

وفصل مارسيل وزوجه من بيتهما ، يشاهدان هذا الصنيع المبرور ، وسرحا الطرف الى هذا السماط الممتد من هؤلاء الفرقى المساكين ، وهم يحسون ماجاد به عليهم المحسنون من هذا الحساء الطيب . ولكن اعظم بدهشة عرتهما اذ لمحا سباستيين وامراته وقد جثما على الطوار قريبا من الاكلين يسالون الناس احسانا . فصرخ مارسيل صرخة متفجع مبهوت، فخرقت صيحته سمع صاحبه ، فاحمر وجهه خجلا اذ راه ، واطرق خزيان منكسرا ، وعرا امراته حين وقع بصرها على زوجة مارسيل التي طالما وقعت فيها ، وارسلت لسانها بذمها انكسار وندم . وهمت ان تتوارى في زحمة الناس ، ولكن امراة مارسيل كانت اسرع اليها من ارتداد الطرف فاستوقفتها وعاتبتها كيف تخجل ، وما بالها لم تلجأ الى اصحابها القدماء. وكان لكلامها الرقيق وما ابدت اليها من عطف اثر عميق ، واقبل مارسيل على صديقه سباستيين يعانقه ويعتلق به ويلاطفه قائلا :

— ويحك ! يا صديقي ، ماحملك على هذا الهوان ! ... هلم ، الى بيتي ! ... ان مالي بيني وبينك قسمة سواء ، سترد ذلك لي يوم تعود الى العمل ... متى وسعك ذلك ... الى ميسرة ، بل لاشيء اذا شئت ... ولكن ناشدتك الله الا جنبتني مضض ان اراك تسال الناس ... اواه ! حقا ما نطقت به زوجي : ما بالكم صدفتم عن اصدقائكم القدامى يوم الشدة والاضاقة ؟

واقام سباستيين وامراته وبنوه في بيت صديقه طاعمين ناعمين . وقد عقدت بين الاسرتين روابط مودة لا تنفصم ، الى ان اقبلت الايام البيض ، واضمحل الازل بعودة الاعمال . فقضى سباستيين لصديقه دينه . وانقطع ما كان بين الاسرتين من خلاف ولحاء . وصد سباستيين وامراته عن سبيل الغواية. وايقنا ان حسن التدبير والاقتصاد انعمهما عيشة ، وسبباهما امنة من المخاطر وسوء العاقبة . والى على نفسه الا يعود ما عاش الى حساء المساكين هذا .

احمد ابو الخضر منسي

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الإدارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد - القاهرة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
وزارة الثقافة والارشاد القومى

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد ١٠٦٠ الخميس ٢٥ ذو الحجة ١٣٨٣ هـ - ٧ مايو ١٩٦٤ م - السنة الحادية والعشرون

الفهرس

الصفحة

الثورات بين الخضوع والجوع

بقلم : أحمد حسن الزيات

كان من احاديث العيد في مجلس ضم نفرا من الادباء والمثقفين بالمنصورة حديث الثورات في الشعوب والجماعات : أهي الغضب للكرامة الخاضعة ام هي الغضب للمعدة الجائعة ؟ فذهب بعضهم مذهب القائلين من فلاسفة التاريخ وعلماء الاجتماع بان العامل الفعال في ايقاد الثورات القومية انما هو الجوع أو الخوف منه ، حتى جرؤ المستشرق الروسى اغناطيوس كرتشوفسكى على أن يزعم أن الدعوة الاسلامية كانت ثورة على راسمالية قريش ! فاما الجوع فهو كافر بالاخلاق والقيم والعواطف والقوانين والنظم . واما الخوف منه فهو علة مايصيب الافراد من الشح والاثرة ، وما يحمل الدول على الحرب والاستعمار . وذهب آخرون الى أن العامل الاول في كل ثورة انما هو اباء الحر الكريم للاستكانة ، وانفة الحمى العزيز من المهانة . وضربوا على ذلك الامثال بثورة الموالى في العصر الاموى ، وثورة الزنوج في العصر العباسى ، وثورات الشعوب المستعمرة والاجناس الملونة في هذا العصر .

والتوفيق بين العوامل المادية والعوامل الادبية في نشوب الثورات سهل اذا فرقنا بين الاثر الانسانى والاثر الحيوانى في بنى آدم . فالانسان باعتباره

حيواناتحكم فيهغريزتان : غريزة حفظهلحياة ممثلة فى القوت ، وغـريزة حفظ النوع ممثلة فى المراة . واسباب الخصومة بين الافراد والجماعات انما هى النزاع المستمر على هاتين الوسيلتين .

كانت المراة فى بدء الخليقة هى حواء ، وكانالقوت فى حياة الجنة هو الشجرة . وكانت الاثرة والطمع والحسد هى ابليس ، وكانتالضحية لهؤلاء جميعا هى سعادة آدم .

مضى هؤلاء الثلاثة يعملون فى دنيا الارض ما يشاء القدر . يخلقون التنافس لتنشط عناصر الحياة ، ويوجدون الخلاف لتتفق عوامل الموت ، حتى قال ابن ابى الحديد شارح نهج البلاغة « لم تسل السيوف الا لوجه اصبح من وجه ولقمة اسوغ من لقمة » .

على ان اللقمة كانت اشد الثلاثة ايقادا لنار الخصومة ، لان الفرد او الشعب يصاب فى حريته فيصبر ، ويؤذى فى كرامته فيستكين ، ويفتن عن عقيدته فيرضى ، ولكنه اذا حرم الرغيف انقلب ضاريا كالوحش جارفا كالسيل ! وكان الامام مالك ابن انس يذكر عثمان وعليا وطلحة والزبير فيقول : « والله ما اقتتلوا الا على الثريد الأعفر ! » يريد بالثريد الاعفر الخبز المفتوت فى مرق اللحم والدسم

واذا تقصينا اسباب الصراع بين امم الشرق وامم الغرب ، او بين الاشتراكية والراسمالية لانجد الا السبب الذى قاله كثير بن شهاب لغلامه وقد طلب منه الطعام يوما فقال له : ماعندى الا خبز وبقل : ويحك ! وهل اقتتلت فارس والروم الا على الخبز والبقل ؟ وكل ذلك حق لانزاع فيه اذااعتبرنا ابن آدم حيوانا ليس غير ، له معدة وليس له قلب ، وله شهوة وليس له عقل . اما اذا اعتبرناه انسانا فانه ينزل من خلق الله فىالمنزل الوسط بين البهيم والملك ، فيكون بمادته مرتبطا بالارض ، وبروحيته متصلا بالسماء .. وبهاتين الطبيعتين فيه يشارك الحيوان فى رغائب جسده فيثور او يهدأ تبعا لما يجد فى حسه ، ويشارك الملك فى رغائب روحه فيسخط او يرضى تبعا لما يجد فى نفسه .. وكلما بعد همه وارتفع هواه ربا بنفسه عن مواطن الذل ، وسما بعزمه الى معالى الامور ، فيطمحالى ابعد من المال ، ويسعى لاكثر من القوت ، ويغضب لما هو اشد من الفقر ، ويثور لما هو اعظم من الجوع : يطمح الى العلا ، ويسعى للمجد ، ويغضب لكرامته ويثور للحرية . والانسان يظل حيوانا مادام يكفيه من العيش قضاءشهوته ، والرقيق يظل عبدامادام يغنيه طعام سيده عن حريته !

ولا خير فى من كان غاية همه
من العيش أن يلقى لبوسا ومطعما

وقد عبر الملك الشاعر الثائر امرؤ القيس عن المطمع الاسمى للنفس الرفيعة ، والمثل الاعلىللحياة الكريمة فقال :

ولو ان ما اسعى لادنى معيشة
كفانى ، ولم اطلب ، قليل من المال

ولكنما اسعى لمجد مؤثل
وقد يدرك المجد المؤثل امثالى

فلو ان امرؤ القيس قنع من حياته بالنصيب الاخس لكفاه سرح من الابل او قطيع من المعزولكنه ركب ماركب من غمرات الهول ، وكابد ماكابد من ويلات الحرب ليدرك مجدا غاب ويرجع ملكا ذهب .

فالثورة اما ان يبعثها الحس الحيوانى فى الناس واذن تبدأ بها العامة ، وأما ان يبعثها المعنىالانسانى فيهم واذن تبدأ بها الخاصة . وسواء ابدات بها العامة ام بدات بها الخاصة فانها تنتهى فى الغالب الى ان تكون ثورة الفريقين جميعا . وان لنا فى ثورتنا الثانية على الاحتلال والاستعباد ، وفىثورتنا الثالثة على الطغيان والفساد ، أصدق الشواهد على ذلك : ثارت عامة الشعب على الانجليز فىسنة ١٩١٩ لانهم استغلوهم وقتلوهم : سخروا قوات شبابهم واقوات دوابهم ليموتوا بها الجيوش فى الحرب ، وغصبوا حميرهم وبغالهم ليحملوا عليها عتاد الحرب ، فهلك من هلك من الانفس ، وضاع ما ضاع من الاموال ، فتنبه من كانوا غافلين من الفلاحين الى ان هؤلاء الدخلاء الذين سلبوهم

رزقهم وثروتهم ، هم الذين سلبوهم وطنهم وحريتهم فصرحوا لهم بالشر ، وتفجروا عليهم بالغضب ، فقطعوا المواصلات فى الطرق والانهر ، وقاتلوا الانجليز فى المدن والقرى . ثم تلاقت فى هذه الثورة قوة الادب من اعلى وقوة المادة من اسفل فظفرتا بالغاء الحماية واعلان الدستور .

ثم ثار أحرار الجيش فى سنة ١٩٥٢ على طغيان الملك وفساد الحكم وفجور الغنى وتبعهم الشعب لا لانه اصيب فى شبابه واقواته ومواشيه ، ولكن لان وعيه كان قد نضج ، ورشده كان قد اكتمل ، ومثله كان قد علا ، فجرى فى خواطر خاصته معنى الحديث المحمدى المأثور : «كيفما تكونوا يول عليكم» وتساءلوا : انحن من الفحش والفجر والضلال والانحلال والعفن بحيث يتولى امورنا ملك داعر كهذا الملك ، وحاشية فاجرة كهذه الحاشية وحكومة فاسدة كهذه الحكومة ! وكانت الاجوبة التى انبعثت همسا من افواه العامة الى آذان الخاصة تؤكد للقادة الاحرار أن الوطن سليم وانما المرض فى زعمائه ، وأن الشعب صالح وانما الفساد فى كبرائه . فضربوا ضربتهم الكبرى التى بدلت الارض غير الارض والناس غير الناس .

فالثورتان كما يلاحظ المؤرخ الاجتماعى اختلفتا فى الاسباب المباشرة والوسائل المؤدية والايدى البادئة على حسب اختلافهما فى البواعث المادية والادبية ، وفى آثار تلك البواعث فى نفوس العامة والخاصة . ولكنهما اتفقتا فى النتائج القريبة والغايات البعيدة والفكرة الجامعة على حسب اتفاقهما فى الخير العام والوطن المشترك والغرض المتحد . فاذا قلنا ان ثورتنا بعد الحرب العالمية الاولى كانت لعوامل اقتصادية ساعدتها عوامل ادبية لاتجاوز الحق . واذا قلنا ان ثورتنا بعد الحرب العالمية الثانية كانت لعوامل أدبية ساعدتها عوامل اقتصادية لاتخالف الواقع . ومايصدق على ثورتنا يصدق على كل ثورة . ومادام ابن آدم خاضعا فى بعض حالاته لمطالب الجسد وفى بعضها الآخر لمطالب الروح ، فلابد ان تكون بواعث الثورة فيه اما جسدية كالالم والجوع . واما روحية كالرق والخضوع .

احمد حسن الزيات

ألوان

خروف العيد حيوان وديع مطيع ساذج ، كتب الله عليه منذ ولد آدم قابيل وهابيل ، وابتلى الله ابراهيم بذبح اسماعيل ، ان يكون سفك دمه تكفيرا عن خطيئة خاطىء ، او فداء عن حياة هالك ، والقرابين من الحيوان الضعيف الاليف شعيرة من شعائر الاديان كلها . وكان من هذه القرابين مايحرق وكان منها ما يذبح . واذا خفيت عن العقول حكمة الأضحية المحروقة فان الاضحية المذبوحة نوع من الصدقة ودليل على التقوى . (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) . والخاطر الذى استبد بفكرى وانا اسمع مأماة الخراف ترتفع ليل نهار من الشوارع والبيوت أن ضعف هذا الحيوان هو الذى قضى عليه بهذا المصير فلو ان له مخلبا كالاسد او نابا كالنمر ، لأفتى ابن آدم بعلمه الواسع انه من الانواع التى لايجوز شرعا أن تقدم قربانا ولا أن تذبح تضحية ! وقانون الطبيعة الذى لا ينسخ ولا يلغى ولا يعطل ، فى البحر والبر وفى الغابة والمدينة وفى عصر الحجر وعصر الذرة أن الاقوى يفترس القوى ، وان الاضعف يختل الضعيف .

وبمقتضى هذا القانون الازلى الابدى كان فى الارض قطعان من الانسان ، كما كان فيها قطعان من الخرفان . هذه وتلك تؤمن وتسمن لتقدم طعاما شهيا على موائد الطغاة ، أو قربانا زكيا على مذابح الآلهة ! والعاصم الوحيد من مدية الكاهن اوالجزار ان تكون من ذوات الانياب والاظفار لا من ذوات الاصواف والاوبار .

واياك ان تغتر بكلمات الانسانية والمدنية والديمقراطية والاخوة والعدالة فانها الطعم للصائد الماكر اذا صعب عليه ، أن يغترف السمك بيديه !

اجتهد دائما ان تكون فى يدك السكين لا أن يكون فى عنقك الحبل !

ابن عبد الملك

كاتب وكتاب

للدكتور محمد أحمد خلف الله

قد أمضى مع الدكتور محمد سعيد قدرى الى نهاية الشوط الذى قدر له أن يقطعه حين قدم لهذا الكتاب ، وحين قال فيه : وهذا الكتاب الذى اقدمه للقراء يمثل جهدا طيبا ، ويطرق ميدانا جديدا •

انه يتناول العلاقة الوظيفية والتنظيمية بين اجهزة ومناشط التطوير الريفى • فيتناول تنمية المجتمع ، ويفصل القول فى مناهجها واساليبها ومجالاتها ، ويتعرض للحكم المحلى ، ويدرس تشكيله ووظائفه ومشكلاته ــ خاصة فى المجتمعات النامية ، كتجربة جديدة •

كذلك فان الكتاب يعنى بدراسة تنظيم الملكية الزراعية ويتعرض لمشكلاتها ، ويبسط الخبرات المختلفة فى هذا الميدان •

ويعرض الكتاب للتعاون الريفى باعتباره قواما اقتصاديا للتنمية الريفية ، ثم يتناول كل ذلك فى نظرة تكاملية •

وفضل الكتاب يقوم ، فيما يقوم عليه ، **فى ابراز التكامل العضوى والوظيفى** بين هذه المناشط والمشكلات التى تتعرض لهـا البرامج المختلفة فى الميدان ، وعلى مستوى التطبيق •

واذا كنا نحن نعتز دائمـا بالخبرة العملية فى ميدان التدريب على التنمية ، ونقوم برامجنا فى ضوء خبراتنا وخبرات الشعوب من حولنا ، **فان هـذا الاتجاه ينعكس فى هذه الدراسة التى عنيت بالجانب العمل جنبا الى جنب مع العناية بالجانب النظرى •**

وقد أتفق مع الدكتور محيى الدين صابر مؤلف هذا الكتاب ، حين يتحدث عن كتابه هذا فى ادب جم ، وفى تواضع تعـرفه له فيقول : واذا كان الكاتبون المتخصصون قد كتبوا فاجادوا فى ميادين الحكم المحلى ، وفى نظم الاصلاح الزراعى والتعاون الريفى ، وفى تنمية المجتمع ، فان الاضـافة التى يدعيها هذا الكتاب الذى بين يدى القارىء هى تناوله للعلاقات الوظيفية والتنظيمية بين هذه المناشط على مستوى التصور والتخطيط ، وعلى مستوى التنفيذ الميدانى ، من خلال الخبرات العملية التى مرت بها المجتمعات المختلفة فى هذا الشأن •

فالكتاب يقـوم على أسـاس النظرة الوظيفية المتكاملة لهذه المناشط ، وينظر فى طريق التنسيق بينها كاجهزة وكمناشط ، ويتعرض تبعا لذلك لكثير من الموضوعات المتصلة بها ••••

وقد دخلت البـلاد العربية فى معـركة تطوير الريف ، وانشأت الأجهـزة المختلفة فى المجـالات الاقتصادية والاجتماعية والادارية ، وهى تنتفع بكل خبرة نافعة ، وتستفيد من كل جهد صالح فى حركة التنمية التى تقودها رفعا لمستوى شعوبها ، واعادة لصياغة بنائها •

وقد كان هذا هو الهدف الذى وضعته أمامى ، ووجدته فى كتابة كل سطر فى هذا الكتاب ــ أملا أن يكون فيه ماينفع حركة التنمية فى البلاد العربية الناهضة •

وقد انفرد عنهـما وامضى فى الطريق وحدى • امضى لأشير الى أشياء قد أهملها الرجلان أو تجاهلاها عن عمد • وأهمها فيما أرى تميز الكاتب عن كثيرين من الذين سبقوه وكتبوا فى هذه الموضوعات التى لاتزال جديدة علينا • تميزه عنهم **بميزتين هامتين : الاولى اسـلوبه فى التفكير ، والثانية طريقته فى التعبير •**

ان المؤلف يجيد صناعة التفكير حقا • ان الفكرة قد تقع له فلايزال يحاورها ويداورها حتى تتضح له وتستبين ، ثم لا يلبث أن يملك ناصيتها ، ويقرها فى مكان أمين • مكان يسـمح لها بأن تطلق كل مافيها من قوى وامكانيات لتؤثر فى عقل القارىء وقلبه ، وتتجه به الى بلوغ الغاية وتحقيق الهدف المنشود •

والمؤلف لايقف من الفكرة عند هذا الحد ، فانما يعمل جاهدا على أن ينزل بها من تلك القمة العالية التى كان يحتلها باعتبارها فكـرة جديدة ، وفكرة نادرة • ينزل منها من تلك القمة ويخرج بها من تلك العزلة ليجعلها فكرة شعبية • انها فى وضعها الجديد لا تقـوم باعتبارها فكـرة تروق الفلاسفة والمفكرين وعلماء الاجتماع ، وانما تقوم باعتبارها طاقة قوية ، فعالة ، تدفع بالشعب كله الى تحقيق غاياته وبلوغ أهدافه •

ثم ان المؤلف يجيد أيضـا صناعة التعبير • **انه يصور الافكار فى الفاظ جزلة بليغة ، وفى عبارات فصيحة رصينة ــ دون أن يزج بالقارىء فى ميادين الغريب من الالفاظ ، والغامض المبهم من العبارات**

وقد يروق لى ــ وأنا فى هذا الموقف الذى لاأستغنى فيه عن تقديم الدليل أو اقامة البرهان على ما أذكر ــ

أن أضع بين يدى القارىء فقرات بتمامها تكشف له عن كل ماذكرت . تكشف عن أسلوب المؤلف فى التفكير وطريقته فى التعبير ـ ثم تكشف بعد كل ذلك أو مع كل ذلك عن القيمة الحقيقية للكتاب .

ان هذه الفقرات تعالج من المسائل ما يحسن بالقارىء أن يدركه ليكون هذا الادراك عاملا من عوامل التنمية الثقافية ، وحافزا من الحوافز التى قد تدفع بالقارىء الى اقتناء الكتاب .

يقول المؤلف بصدد حديثه عن الحكم المحلى وعقدة الموظفين .

الحكم المحلى وعقدة الموظفين

ومما له صلة بهذا الموضوع تغول الموظفين المركزيين على حقوق المجالس المحلية واختصاصاتها. وهذا التغول انما يحدث من الثغرة التى يحدثها الأعضاء بوظائفهم ... واذا كان الموظفون المركزيون الفنيون وجدوا أساسا الى جانب المجالس لتوجيهها وارشادها ، فان منهم من يصبح على العكس مما اريد بوجودهم عقبة جديدة فى سبيل تطور الحكم المحلى ونموه ، وذلك مما ينشئون من مشاكل قانونية واجرائية هى فوق مستوى الأعضاء . وقد تتخذ تلك المشاكل صورة أخرى بأن يقوم نزاع فى الاختصاصات بين موظفى الوزارات المختلفة ، وقد يؤدى مثل هذا النزاع الى ارتباك أعمال المجلس .

ونفسية الموظف المركزى فى المجتمع المحلى ، وتصوره للوظيفة ومظاهرها ، من الأمور التى ينبغى أن يوجه اليها كثيرا من العناية ، فقد ورث الموظفون، وبخاصة الاداريون ، كثيرا من السلطات المطلقة فى دائرة أعمالهم عن النظم الاستعمارية القديمة التى كانت تترك شئون الأمن والقضاء والشئون الفنية والهندسية والصحية والتعليمية للموظف الادارى ، وذلك لأسباب تتعلق بالأمن من ناحية ، والاقتصاد فى نفقات الادارة من ناحية أخرى ، ثم لضآلة الخدمات الاجتماعية وانعدام المشاريع الانتاجية من ناحية ثالثة ، فكان مايقوم به الموظف الادارى من نشاط لا يحتاج الى تخصص معين .

وهكذا ظل الموقف الادارى المركزى فى تلك المجتمعات الصغيرة الها كبيرا ليس فى تصور القرويين وحدهم ، وبما له من ميزات اقتصادية وتعليمية تميزه فى كثير من الحالات عن سائر أفراد المجتمع المحلى .

وعسير على هؤلاء الموظفين أن يقبلوا باقتناع أصيل التعاون والعمل فى نظام يحد من سلطاتهم ومكانتهم ، فضلا عن أن يبشروا به ويرشدوا اليه .

وفى السودان مثلا لم تحل هذه المشكلة الا بنقل الموظفين الاداريين الذين كانوا يتبعون وزارة الداخلية الى وزارة الحكومات المحلية ؛ واستتبع هذا النقل تغيرا فى طبيعة وظائفهم .

هذا من الجانب الذى يتصل بالميراث التقليدى للموظف فى القرية باعتباره وريثا للسلطة وممثلا للحكم الذى ظل منذ وقت طويل شيئا منفصلا عن حياة المجتمعات الريفية ، وباعتباره عنصرا من عناصر التخصص متهيا لحساسية التخصص ، مما يوقعه فى صراع مع زملائه من الموظفين المتخصصين الآخرين .

وهناك جانب آخر ، لا يقل أهمية عن هذا ، فى اضعاف كفاية انتاج هؤلاء الموظفين فى المجتمعات الريفية بوصف عام ، وفى نطاق الحكم المحلى بوصف خاص ذلك هو مفهوم الموظف عن نفسه ، وعن مكانته بالقياس الى الجماعات الريفية . وهذا المفهوم يستند الى بعض الفوارق القائمة بينه وبينها ، فالموظف انسان مثقف ، وفى عبارة أدق ، متعلم يملك من الخبرات الفنية ومن بعض المعارف الأساسية مالايوجد مثله عند عامة القرويين ، فهو اذن يتميز عليهم .

وهو موظف حكومى ؛ يملك بهذه الصفة كثيرا من القوة والسلطة ، وينتمى تبعا لذلك الى الحكومة ، مصدر القوة والسلطة ، فهو اذن يتميز عليهم .

وهو كذلك ، من ناحية أخرى ، أكثر دخلا عن سائر القرويين ، وفى كل الحالات ذو دخل ثابت لا يتأثر بأسعار المحاصيل ، ولا بالآفات التى تتعرض لها تلك المحاصيل فهو اذن يتميز عليهم ..

ثم هو ، بعد ذلك كله ، يختلف فى مظهره الخارجى عنهم ، فلباسه غير لباسهم ، وسكنه غير سكنهم ، وسلوكه غير سلوكهم ، وهو بلباسه ، وبسكنه وبسلوكه جميعا ينتسب الى حضارة أكثر تقدما من تلك التى ينتسب اليها أولئك القرويون ، فهو اذن يتميز عليهم ...

ومن هنا يتبين أن هذا الموظف الذى انفصل منذ أن ذهب الى المدرسة عن المجتمع القروى ، نفسيا ، واجتماعيا ، واقتصاديا ، والذى يزيد تقدمه فى

التعليم وفي المناصب الشقة بينه وبين ذلك المجتمع بعدا ، يجد نفسه في وضع عسير ، وموقف متناقض· ذلك أن كل ما حققه في حياته انما كان عملية انفصال من المجتمع الريفي طلبا للتمييز عنه . فكيف يطلب اليه ان يحترم ذلك المجتمع الذى هرب هو من تخلفه ؟ وكيف يحس في قرارة نفسه باحترام لهؤلاء الريفيين الذى يجد هو نفسه خيرا منهم وازكى ؟

ان همه الشاغل هو الا يعود الى الوراء · وانما همه البحث عن الفرص التي تحقق له امكانية التمييز اكثر فاكثر من المجتمع الذى فرضت عليه خدمته ، فهو يتحين الاسباب ويفتعل المعاذير للعودة الى حياة المدنية · ثم هو حين يمارس وظيفته تحت هذه الضغوط النفسية والاجتماعية ، انما يؤديها بآلية بغيضة ، وبروح بعيدة عن الحب والواجب، والتعاطف مع القرويين ، يؤديها كعمل واجب لا كرسالة ···

ويقول بصدد حديثه عن مشكلات التنمية في الريف ·

وعمليات التنمية ··· الخ ·

وعملية التنمية ، في كل مستوياتها وصورها ، تهدف اساسا الى تغيير هذا النمط التقليدى من القيم والممارسات ، وبخاصة السلبية منها ، الى نمط حضاري جديد ، وهو مايعيشه العالم الآن في عصر الاستكشافات العلمية ، والتقدم الصناعي ، والقدرة الاقتصادية ، والعدالة الاجتماعية ، واليقظة السياسية ·

ومن هنا فان الميدان الحيوى لمعركة التنمية يقوم في الريف الذى يعتبر المستودع الدائم ، او المتحف القومي، للقيم التقليدية التي يقف كثير من تصوراتها وممارستها عقبة كؤودا في وجه التطور الذي يقوده المجتمع القومي ·

والمجتمع القومي المتطور الذى يتصدر قيادة التنمية في الريف يتمثل في الدولة الحديثة ، وفي اهدافها ، وفي نظمها ، وفي وظائفها ، وفي وسائلها .

والمجتمع القومي هذا بفصله عن المجتمع الريفي فاصلان : فاصل الزمن ، وفاصل المكان ، فهما في البلاد النامية يمثلان جبهتين متعارضتين ، متوازيتين· فهناك الفاصل الزمني ، ذلك أن المجتمع القومي يتطور على الافكار السائدة والاحداث المعاصرة في ميادين السياسة والاقتصاد والثقافة ، بينما يظل المجتمع الريفي على ولائه القديم للتاريخ ، وتقديسه للتقاليد ·

وهناك الفاصل المكاني كذلك ، فالمجتمع القومي يتخذ من العواصم السياسية والادارية ، ومن المدن التجارية والصناعية ، مراكز لنشاطه ، وتجمعات لاجهزته المركزية ، بينما ينبسط المجتمع الريفي على مسافات شاسعة ، قد تبعد مئات الاميال من تلك العواصم والمراكز ، ولا يكاد يصل الى بعض اجزائها اى ممثلون للمجتمع المركزى ، يحملون على رؤوسهم عشرات من الرؤساء ، في تسلسل ادارى مرهق ، بحيث لايكون لصوتهم جهارة، ولا لوجودهم فعالية· وحصيلة لهذا التباعد الفكرى والمادى بين المجتمعين القومي والريفي ، تعقدت الصلة بينهما ، ونشأت حواجز تحول دون التفاعل الايجابي المجزى ·

ويمكن أن نميز من بين الصور الكثيرة لمثل هذا الموقف المتعقد بين المجتمعين موقفين سلبيين ، يعوقان التفاعل بينهما ، ويقللان من فرص العمل المشترك ، ويعطلان بهذا حركة التنمية القومية والمحلية ·

اما احد الموقفين فهو ان ينعزل المجتمع الريفي ، وينصرف عن الاستجابة عن البرامج التي يقدمها المجتمع القومي لتطويره ولتنميته ، ويقبض يده عن التعاون معه ، نتيجة للصورة المترسبة في نفوس الريفيين عن الحكومة والسلطة ·

ونتيجة لتقويمهم الأخلاقي لحياة المدنية والزهد فيها · وهنا يضيع كل جهد صالح تقوم به الدول الدولة في المجتمع بددا ·

أما الموقف الثاني فهو على عكس هذا ، فقد يحدث – وهذه صورة تتزايد يوما بعد يوم – أن تسرع المجتمعات بمطالبة المجتمع القومي بالخدمات وبتطوير المرافق الانتاجية ، وذلك تحت تأثير وسائل الاعلام القومية والعالمية المتطورة ، والتي يتعاظم تأثيرها الدائم على الريفيين ، بحيث أصبح وعيهم بالحاجات ، وشعورهم بضرورة التنمية ، يسبق امكانيات المجتمع القومي ويتجاوزها · وفي هذه الحالة فان كثيرا من المجتمعات القومية تعجز عن الوفاء بتلك المطالب ، مما يؤدى الى توتر اجتماعي ، واضطراب سياسي ·

بقي أن تعرف شيئا عن الكاتب والكتاب :

المؤلف هو الدكتور محيي الدين صابر ، الكاتب والشاعر السوداني المعروف ، ورئيس قسم العلوم الاجتماعية بمركز تنمية المجتمع بسرس الليان ·

واما الكتاب فهو الحكم المحلى وتنمية المجتمع في الدول النامية ·

دكتور محمد احمد خلف الله

القيادة الجماعية في الاسلام

١ - في الميثاق

للدكتور محمد سعاد جلال

يصف الميثاق في احدى فقراته العامرة وظيفة القيادة الجماعية . فيقول : ان جماعية القيادة امر لابد من ضمانه في مرحلة الانطلاق الثورى ، وان جماعية القيادة ليست عاصما من جموح الفرد فحسب وانما هي تأكيد للديمقراطية ، على اعلى المستويات كما انها في الوقت ذاته ضمان للاستمرار الدائم المتجدد » .

وقبل أن نخوض في شرح هذه الفقرة وبيان عناصرها : نبحث أولا ما هي القيادة الجماعية ؟ ما معناها الذى يصح أن نتصوره بوضوح يمكننا من الفهم والاقتناع ؟

القيادة الجماعية اصطلاح معاصر في عالم السياسة نشأ من التفاعلات السياسية والتزاحم القيادى : الذى يصطبغ بلون من الصراع العنيف بين السياسيين أدى الى اختراع ما سموه القيادة الجماعية من جانب في مقابلة عبادة الفرد من الجانب الآخر : تفريقا بين أداة الحكم الاكثر ديمقراطية ، وأداة الحكم الأكثر استبدادا .

واذا كانت القيادة الجماعية ، واذا كانت عبادة الفرد هي الاخرى اصطلاحا سياسيا معاصرا ، فان حقائق هذين الاصطلاحين ، ومدلولاتهما الموضوعية موجودة في التاريخ وموجودة في الفكر الاسلامى أيضا ، فليست القيادة الجماعية الا ما أشار اليه القرآن الكريم بقوله « ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » أى متساندين يكفل بعضهم عن بعض وما نطق به الحديث « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

وليست عبادة الفرد الا قيادة « الدكتاتوريات » التى عرفت من قديم ووجدت من مذاهب الفكر المحبذ لها انصارا في مختلف العصور ، « مثل مكيافللى » الذى كان يزعم «ان المستبد العادل يعلو في اعماله العامة على المثل الاخلاقية بشرط ان تستهدف غايات يمكن تبريرها » .

فالقيادة الجماعية اذن : هي قيادة الكل للكل : هي تقسيم مسئولية حاضر الامة ومصيرها وانهاضها وحمايتها من اسباب الزعزعة والخلل على من يعود عليهم اثر ذلك من كل أبنائها فلا يخلى عن هذه المسئولية في اوسع دوائرها واضيقها فرد واحد من المواطنين .

وبهذا التصور الصحيح الواضح للقيادة الجماعية ، ترى ان القيادة الجماعية منطق طبيعي في حياة الشعوب ، وفي التنظيم السياسي الأرفع للأمة الذى يعطى الفرد الحق في أن يعبر عن ارادته في تخطيط المشروعات والأعمال والمصالح الوطنية وتعطيه أيضا نفس الحق في أن يثبت ذاته بما اتسع له من المواهب والكفاح في الترقى لما شاء من المكانة والمركز .

وحينما تفتح هذه الابواب الشريفة على مصاريعها للمواطنين بغير استثناء ، تتدفق في قلب الأمة طاقات لا نهاية لها ، من الحيوية ، والقوة والكمال ، الفردى والجماعى .

انى اتصور ان الأمة كلها جسم واحد يصنع نسيجه عدد من الخلايا بقدر عدد أبنائها : ولكى يسير هذا الجسم في طريق الحياة أو في طريق التاريخ ، قدما موفور القوة والنشاط ، يجب أن يتحرك ويعمل بكل خلية في نسيجه : بكلها جميعا ، ليس له ان يستغنى ولا أن يعطل واحدا منها .

ان تعطيل خلية واحدة في تكوين هذا النسيج يعطل بمقدار عملها ، حركة هذا الجسم ونشاطه ومقدرته الحيوية : كذلك يجب أن نتصور حركة الأمة وهي في مضمار سعيها ، وتفاعلها مع حركة التاريخ :

وانما يحقق للأمة هذه الغاية التى تبدو أرشد غاياتها : القيادة الجماعية : وذلك بعكس ما تؤدى اليه القيادة الفردية : او مايسمى بقيادة الفرد ، ان استئثار فرد واحد بالسلطة ، أو افراد معدودين دون بقية أفراد الأمة ، معناه أن يسير الجسم الذى مثلنا به بالمقدار الأقل من قواه العاملة ثم الحكم على بقية أجزائه بالتعطيل والموت : فبينما هو - هذا الجسم يسير في طريق الوجود بأقل طاقاته ، اذ

يتضاعف عبؤه بما يجر من أجزائه الميتة المعطلة . فيزداد سوءا وضعفا .

ويزاد على ذلك مالاحظه الميثاق فى تحديد معنى القيادة الجماعية من أن تعدد القيادات المنفصلة يؤدى الى المناقشة والتنازع ، وذلك ما يعطل العمل الوطنى . فالمقصود من جماعية القيادة مايصح ان نسميه تركب الاداة القيادية - لا تعددها .

« يقول الميثاق » ان التنازع على السلطات يؤدى الى شلل القيادات العاملة فى التطوير الوطنى : كذلك فان تكدس سلطات كبيرة فى أيد قليلة تؤدى دون جدال الى انتقال السلطة الحقيقية الى غير المسئولين عنها بالفعل امام الشعب » .

نعم ونجد مصداقا لذلك فى بعض معاطب التاريخ الاسلامى : يوم كان يأخذ التنازع على السلطان وتركيزه فى الارث العائلى - اشأم دور فى تمزيق الأمة الاسلامية وسقوط أجزائها فى أيدى المتربصين بها ، ويوم كان يمتص هذا التنازع المرير كل امكانيات الدولة وتفريغها من عمل الشيطان فى قرار سحيق .

كما كان يبدد طاقات الشعب ، ويذهب بها كل المذاهب بعيدا عن كل المطالب الايجابية التى من شأنها أن تضيف الى حياة الامة رفاهية ورغدا واثراء حضاريا .

إن عبرة التاريخ العربى والاسلامى : تكشف لنا عن شرور ومفاسد لا حصر لها : لا يوقد نارها فى المجتمع الا تكدس السلطة فى أيد قليلة وماتستتبعه من صور التنازع التى تزداد عمقا واتساعا ، ولذلك يقول تعالى « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .

٢ - القيادة الجماعية ضمان للعمل الثورى

يرد الميثاق - وظيفة القيادة الجماعية الى أربعة عناصر :

اولها انها ضمان فى مرحلة الانطلاق الثورى .

وثانيهما : انها عاصم من جموح الفرد اذا استأثر بالقيادة وحده .

وثالثهما انها تأكيد للديمقراطية فى مستواها الأعلى .

ورابعها انها ضمان لازدهار الديمقراطية ومعين لاستمرارها الدائم ، المتجدد .

وبهذا التحديد يضع الميثاق اطارا حاصرا لكل وظائف القيادة الجماعية ، فى اعمق فلسفاتها واشملها ...

فلندرس معا هذه العناصر واحدا واحد لتبين حقيقتها واهميتها .

لا نعتقد أن الثورات نتائج لحركة التاريخ المادية الصماء ، أبدا ، بل نعتقد أن الثورات أثر من ارادة الله الواحد القهار ، واقترانها بحركات التاريخ فى مواقيت معلومة ، ليس من باب اقتران النتيجة بعلتها الفاعلة ، ولكنه من قبيل اقتران ظهور الشىء بالعلامة الدالة عليه ، فقط فالله هو الذى يلهم الثورات ويديرها بمقتضى حكمته وقدرته ويهيىء لها الرجال الافذاذ الذين يتولون قيادتها ويشعلون فيها روح الحماسة والتوقد ، بمحض اختياره الفعال .

وما حركة التاريخ الا علامة الميقات الذى قدره الله لها فى علمه الازلى : وكل شىء عنده بمقدار وما من ثورة تظهر فى التاريخ بنظر خلال اعماقها المتأمل ، الا وجد هنالك عنصرا غيبيا أثر فى ظهورها : فوق مادية التاريخ ، ودوافع تياراته المحسوبة .

وعندما تنطلق الثورات بذلك الالهام المشترك الذى يشعل فى صدور الناس حماسة وضراما ، وعند ما يتجه الناس بثورتهم الى ارادة التغيير ، وعندما تكون ارادة التغيير والاصلاح احساسا مبهما ، وضبابا غير مفصح ، يظهر فى وسط الضجيج ، والوهج والمشاعر المختلفة ، والحماسات المندفعة : الذين يبلورون افكار الجماهير ويترجمون احساسهم الى خطط ومشاريع واهداف فتتكون بهذه العملية القيادية التى تستند الى كفاية العقل، ومواهب الشخصية ، قيادة الجماهير ويأخذ القادة زمامها بأيديهم : ومن هنا تبدأ مرحلة الخطر فى قيادة الثورات ، والاستفادة من كفاح الجماهير

الثورى • وتحقيق الغايات الأصلية التى استهدفتها الثورة عند قيامهـا وبذلت فى سبيل تحقيقهـا الضحايا ، والطاقات اذ يحصل – غير قليل – ان تنعزل القيـادة عن الجماهير الثائرة ، فتذهب فى طريق غير الطريق المرسـوم ، وتستهدف غاية غير الغـاية المتفق عليهـا : ويؤدى الانفراد بالقيـادة ، او توزعها على عدد معين منفصل : أحيانا الى الفتنة بالمنافع والمغانم التى تظهر للقادة على جانبى الطريق

واحيانا الى الملالة والسـام من ارهـاق العمل الانفرادى •

واحيانا الى تغير يطرأ على القادة فى تصور الفكر واحساس الوجدان ، ناشىء من نضوب الحماسـة وشبع الذات بالمجد الشخصى ، أو ناشىء من شدة المصاعب فى طريق استمرار العمل الثورى •

واحيانا الى تنازع القادة فيما بينهم على السلطة، وذهولهم فى غمرة هـذا التنازع – عن المطلب الاسمى : عن أمانة الثورة فى أعناقهم : عن مقتضى ثقة الجماهير بهم – كما أشار لذلك الميثاق أيضا •

ومن وراء هذه الاحايين كلها – ضياع الثورة ، واحباط العمل الثورى ثم ••• ثم بناء على ذلك : استبقاء حيـاة الوطن المظلوم واسـتبقاء مقدراته ومصـيره فى اغلال التأخر والجمود أو التبعيـة والاستعباد •

وربما نظرنا فى تاريخنا الوطنى فوجدنا مثـلا ملحوظة على انحراف الاتجاهات الثورية ، وانعزال القادة عن الجماهير ، واسـتبطاء الهـدف الوطنى بسبب ذلك . عن ميقاته المقدر له .

من أجل ذلك نظر الميثاق : فقرر ان القيـادة الجماعية عاصم من هذه المخاطر كلها : اذ كل ما تؤدى اليه القيادة الفردية من شر تؤدى فى مقابلة القيادة الجماعية من الخير . وقد قال صلى الله عليه وسلم « يد الله مع الجماعة » .

ان القيادة الجماعية تستطيع أن تقدم لنا ضمانا لانطلاق العمل الثورى ، ضـمانا نابعا من طبيعة الاشياء : ذلك ان هذه القيادة تعنى – كما قدمنا – أن يتولى كل مواطن شأن نفسه مع شئون المواطنين الاخرين ، وأن – يكون كل فرد – عن طريق التنظيم رقيبا وحسيبا على الأجهزة المسيرة لشئون الدولة •

فتسير هذه الاجهزة وتعمل فى طريقها المستقيم المنتج مصونة عن احتمالات الافساد والاسـتغلال والتعويق :

وعندما يكون العمل الوطنى ، فى ميدان السـياسة او الانتـاج العلمى ، أو الانتاج الاقتصـادى ، مكشوفا للجميع فى ظل قيادة جماعية مسيطرة تقل الخيانة ، ويقل الخطأ ويزداد التعاون • ويكثر ادراك الصواب ، ومعرفة الحقيقة وثمرات هذه المعانى الحافلة عائدة حتما الى الشعب الذى يعتبر صاحب قيـادة نفسه •

وقد وضح ذلك الميثاق فى قوله « ان سـلطة المجالس الشعبية المنتخبة يجب أن تتأكد باستمرار فوق سـلطة أجهزة الدولة التنفيذية فذلك هـو الوضع الطبيعى الذى ينظم سيادة – الشعب ، ثم هو الكفيل بأن يظل الشعب هو الذى يحمل عبء العمل الوطنى • »

والى ذلك ينبه القرآن الكريم بقوله : والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ؟

دكتور : سعاد جلال

مفاهيم جديدة للشعر الحديث

بقلم: عبد الكريم الخطيب

آه متى يشتد عصف الريح .
عصف الريح روح البحر .
لولا الريح جف البحر ، آه .
من يحث لنا السحاب ؟

أعود اليوم فاطلع على القراء بهذا الشعر ، مرة ثانية ، وأنا ارجو أن تكون قد جفت دموعهم التي سكبوها بين يدي هذا الشعر في مقام الحمد له والتسبيح لجماله، وجلاله منذ ان القيت به بين ايديهم في العدد قبل السابق لهذا العدد من « الرسالة »·· فان يكن قد بقي في كيانهم بقية من دموع فانهم مدعوون اليوم الى سفحها حزنا وكمدا ، في هذا المأتم المقام للشعر العربي بعد أن غربت شمسه منذ بزغت شمس الشعر الجديد ! فان من المروءة والوفاء ألا يشيع منا هذا الشعر الذى عاشت فيه ومعه الأمة العربية نحو عشرين قرنا في الجاهلية والاسلام ـ بدمعة ، أو زفرة ، أو حسرة ·! وأنا أنصح لأولئك الذين كان بينهم وبين الشعر العربي الف ومودة أن يتزودوا بالنظرة الاخيرة منه قبل أن يوارى في التراب ، وتنفض الحياة يدها منه بعد أن استقبلت وليدها الجديد !

وما لنا ولهذا الهزل ، والمقام مقام جد ؟ وما لنا نضحك وكان البكاء أولى وأوجب ؟ والحق أننا وجدنا هزلا فلم نستطع أن نلقاه بالجد ، وأنا قد استقبلنا مصيبةفادحة فكان الضحكاعلانا بالعجز عنمواجهتها، وقرارا بالفرار من وجهها ·· وقديما قيل : شر المصائب ما يضحك !

وأنا حريص أشد الحرص على الا أزعج القراء ، والا ألقاهم بما يسوء ! فان كان ولا بد من أن يروا ما يزعج ، أو يسمعوا ما يسوء ـ تحت حكم الظروف وملابسات الأحوال ـ فلا أقل من أن يكون لهم في هذا المقام عزاء يجدونه بين يدى هذا الشر الصارخ ـ في كلمة هازلة ، أو ضحكة ساخرة ·· فذلك مما يهون به الخطب ، ويخف به وقع البلاء !

والقراء ـ ولهم الله ـ سيتكشف لهم من هذا الحديث أكثر من محنة ··

فها نحن أولاء قد نعينا اليهم الشعر العربي ·· الذى صحبوه هم وآباؤهم وأجدادهم تلك الصحبة الطويلة التى بلغت نحو عشرين قرنا ·· وهذه واحدة !

وها نحن أولاء نعلن فيهم مولد الشعر الجديد ·· وقد رأوا وجهة يطل عليهم بهذه الآهات التى تؤذن بالخراب والفناء ··· وهذه أخرى !

أما الثالثة ·· فهي داهية الدواهي وثالثة الأثافي ·· وهي هذا الموكب الحافل الراقص الذى يتقدمه الدكتور « النويهي » في زفة الشعر الجديد في مواجهة المأتم القائم على « جثة » الشعر العربي ، الذى لم يدفن بعد !·

انها اذن ثلاث محن لا محنة واحدة ··!

فليهزل القراء ما شاء لهم الهزل ، وليضحكوا ما وجدوا للضحك سبيلا وهم يستقبلون هذه المحن مجتمعة ، ومتفرقة ! والا ضاقت صدورهم، وضعفت نفوسهم عن متابعة هذا الحديث ، والسير معه الى آخر الشوط ··

يقول الشاعر العربي القديم :

ان من صاد عقعقا لمشوم
فكيف من صاد عقعقان وبوم

هكذا قالها الشاعر عن عمد واصرار ، لا عن سهو أو جهل ، فرفع المفعول « عقعقان » وأكد رفعه بعطف المرفوع عليه « بوم » ·· وما أحسب الا ان الشاعر كان هازلا ساخرا في وجه الحياة التى لم ترمه بشؤم واحد بل ألقيت في شباكه بثلاثة مشائيم في صيد واحد ، فكان أن لقى الهزل بالهزل ، والسخرية بالسخرية ، فعبث باللغة واستخف بها كما عبثت به الحياة واستخفت به ، حين رمته بكلتا يديها ، وما فيهما من مواليد السوء والشؤم !··

والشر ان تلقه بالخير ضقت به
ذرعا ، وان تلقه بالشر ينحسم

وعلى هذا فليطمئن القارىء فانه في فسحة من ان يهزل ، وأن يضحك ، لأننا سنضع تحت نظره كثيرا مما يحمله حملا على الهزل والضحك ، وان كان في هذا وذاك من الزاهدين ··

اقرأ أولا هذا الشعر الذى جعلناه في صدر هذا الحديث ·· اقرأه مرة ، ومرة ، ومرة ومرات ·· اقرأه ضاحكا·· واذكر أنك مسئول بين يدى ضميرك فيما تقضى به بينك وبين نفسك في أمر هذا الشعر، ولا تحملنك بشاعة الوجه الذى يلقاك من هذا الشعر

وشناعته أن تقول فيه غير الحق : « والحق أحق أن يتبع، وخذ نفسك بقول الله سبحانه : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا ، اعدلوا ، هو أقرب للتقوى » ..

واذ أنت فرغت من أمر هذا الشعر ـ المذكور أعلاه ـ وانتهت فيه الى الرأى الذى ارتضيته ، وارضيت به الحق والضمير ـ فلا بأس من ان ترجع الى رأى الدكتور « النويهى » فى هذا ، وهو الذى تعرف ، وتعرف له مكانته فى الادب ، وقدمه الراسخة فى قديمه وحديثه .. فلقد كان للدكتور النويهى رأى فى هذا الشعر ، وحكومة فى قضيته ، كما حدثتك عن ذلك من قبل ..

يقول الأستاذ الدكتور ، وهو يعيب رأيا للشاعرة المجددة « نازك الملائكة » فى نقدها لهذا الشعر ، واظهار تقززها منه .. يقول : « استمع الى هذه الأبيات الجميلة الهزازة التى تعيبها الناقدة على الشاعر « فلان بن فلان » وانظر كيف أن من أهم أسباب جمالها وتأثيرها ونجاحها فى تصوير عاطفتها، وهزنا باهتزازها ان الشاعر كتبها كما كتبها بالضبط، وجاء فيها بايقاع متقلقل متجزء بين الابيات » .

الم اقل لك من قبل : ان الدكتور يتغزل غزلا رقيقا جميلا فى هذا الشعر الذى يسيل عذوبة ، ويقطر رقة وملاحة ؟! « الأبيات الجميلة الهزازة ! » .. وعد اليها من جديد ، وهى بين يديك فلعلك ترى شيئا من هذا الجمال الفاتن الهزاز ، **بعد أن سمعت غزل الدكتور النويهى فيها .. فان أنت اعيتك مذاهب النظر الى هذا الجمال ، وغمت عليك سبله ، فها هو ذا الدكتور يكشف لك النقاب عن هذا الحسن البائن ، ويضع بين يديك الأسباب التى استند اليها فى الحكم على هذا الشعر .. فيقول : « وانظر كيف ان من اهم أسباب جمالها وتاثيرها ، ونجاحها فى تصوير عاطفتها وهزنا باهتزازها ان الشاعر كتبها كما كتبها بالضبط ـ لعل الدكتور يريد أن يقول كما احسها بالضبط ، أو لعل الصواب هو الذى قاله !! ـ وجاء فيها بايقاع متقلقل متجزىء بين الأبيات ! » وهذه الحيثية هى جامعة الحيثيات التى بنى عليها الدكتور رأيه ، ولهذا فهو يشرح هذه الحيثية شرحا مفصلا ، ويقيم لها الدعائم على أسس راسخة من احكام الشعر العربى وضوابطه .. يقول: « انصت جيدا لهذه الأبيات ، وتفهم حالتها العاطفية تجد ان الشاعر فى انفعال قوى عنيف وهو يريد ان تشاركه الطبيعة انفعاله وأن تقوم فى عناصرها ثورة منسجمة مع ثورة نفسه . لا يريد الريح أن تكون ساكنة والبحر ان يظل هادئا والسماء أن تظل صافية . فانظر كيف يثير فى أبياته العاصفة ـ المشبوبة يا سلام ! ـ والانسان ان لم يكن فى استطاعته ان يحدث الثورة فى الطبيعة فهو يحدثها فى الفن ..** فالشاعر يبعث فى أبياته ريحا عاصفة تسمع بأذنك عصفها المردد فتشق البحر وتقلب امواجه ـ يا حفيظ ـ وتنفخ فيه الحيوية وتستحث السحاب وما سيحمله من مطر ورعد وبرق » !.

ارأيت الى هذه المخبآت من القوى « الذرية » التى يطلقها الدكتور النويهى من هذه الجثث الهامدة فيثير بها وجه الحياة ، ويهز بها أركان الوجود ، ويجعل منها ارهاصا ليوم البعث : يوم تمور السماء مورا ، وتسير الجبال سيرا .. يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا ، وفتحت السماء فكانت أبوابا وسيرت الجبال فكانت سرابا .. ومن يدرى فلعلنا بين يدى الساعة، وهذا الشعر من أشراطها وعلاماتها ، بل لعله المسيخ الدجال الذى تتحدث الروايات عنه بأنه سيطلع مع الساعة ارهاصا من ارهاصاتها ، ونذير من نذرها!! وليس المسيخ هذا ـ فى رأيى ـ انسانا من لحم ودم، وانما هو رمز للمسخ الذى تنقلب به وجوه الحقائق فى أعين الناس ، فيرى الأبيض أسود ، والأسود أبيض ، ويحسب النور ظلاما ، والظلام نورا ، ويصور الحق باطلا والباطل حقا .. وهكذا تذهب معالم الحق من كل شىء حتى هذا « المسيخ » من الكلام الذى يقال له أنت الشعر على حين يقال للشعر أنت الهذر والهزل .. ولو شهد « المتنبى » هذه القصائد الغزلية التى تنثر تحت قدمى هذا الشعر الجديد لخجل من نفسه أن يستكثر على « كافور » ما قيل فيه من مدائح ، ولما رماه بهذا البيت **الذى يقول فيه :**

وأسود مشفره نصفه

يقال له انت بدر الدجى !

وبعد ، فهل انتهى الدكتور النويهى من الغزل فى هذا « المسيخ » المنتظر ؟ كلا ، فان الدكتور يأبى الا أن يحمل بين يديه هذه الجثة ملفقة فى قطع من الحرير ، وفى صندوق من تلك الصناديق المعدة للجواهر ، ثم يستأجر لها حانوتا فى « الصاغة » ثم يقطعها أشلاء وأمزاعا ليزنها بميزان الذهب فيضع ذراعا فى كفة ويضع فى الكفة المقابلة لها درهما ،

ودانقا .. ثم يضع رجلا، أو فخذا ويضع فى مقابلها أوقية وثلاث حبات ! .. فهكذا يوزن الذهب والجوهر النفيس !.

ولست فى هذا متجنيا أو متزيدا على الدكتور النويهى .. فهذا المثل المضروب هو - فى الواقع - دون الأمر المشهود .. وانظر كيف يقطع الدكتور هذا الشعر - المذكور - وكيف يزنه .. يقول : « والشاعر يحقق هدفه (الذى أشرنا اليه آنفا كما صوره الدكتور) - بوسيلتين : ايقاعه ونغمه .. اما الايقاع فيعتمد اعتمادا أساسيا على الوسيلة التى تنكرها الناقدة (نازك الملائكة) وهى تقسيم التفعيلة بين بيتين متتاليين ، وهذا يمثل لنا تمثيلا قويا مدى قلقلة نفسه وتأرجحها الممزق حين يستولى عليها الانفعال المجتاح . وتمثل أيضا ما يتوق اليه من ثورة طبيعية عارمة هوجاء تعصف بالريح وتهز البحر من أعماقه وتشق كبد السماء بالنوء الطاغى فنحن لا نستطيع أن نهدأ فى آخر البيت بل ينتابنا اضطراب قوى لحاجتنا الى استكمال ايقاع التفعيلة التى لن تتم الا فى البيت التالى . ولكن هذا البيت التالى يفعل بنا نفس الفعل . فبعد أن يتم هذه التفعيلة ويعطى تفعيلة أخرى أو تفعيلتين كاملتين يبدأ تفعيلة جديدة ويأبى أن يتمها فنواصل اضطرابنا وتقلقلنا الى أن نبلغ البيت الرابع فنجد تفعيلته الأخيرة مذيلة اى مضافا اليها حرف ساكن (الباء) وهذا الحرف الساكن يأتى بعد حرف مد طويل . فكأن العاصفة قد بلغت ذروتها ووقفت على راس قمتها ... » يا لله ! الم اقل لك اننا فى وجه يوم القيامة؟ عواصف هوج ، وطبيعة عارمة معربدة ؟ ثم يقول الدكتور : «وأما جانب النغم وهو الذى يقوم على جرس الحروف فيستطيع القارىء فى مخارج حروفه ، وفى تتابعها وتكرارها وتجاوبها . وخصوصا النغم الغالب وهو حرف الهاء التى يكررها ثمانى مرات ليرى حكايتها الرائعة لأصوات العاصفة التى يريد اثارتها فى الطبيعة . وليرى انسجام النغم مع ايقاع فى مزاوجة بارعة تجعل هذه الأبيات الاربعة من أروع ما نظم فى شعرنا المعاصر ... »

ولعل الذى ينظر فى كلام الدكتور وفى المثل الذى قابلته به يرى أننى اقتصدت كثيرا فى رسم الظلال والالوان التى صور بها الدكتور هذا الشعر ، والذى يختم رأيه فيه بهذا الحكم القاطع الجازم بأن هذه الأبيات الأربعة من أروع ما نظم فى شعرنا الحديث !

لقد استعار الدكتور النويهى لهذا الشعر كل سمات الشعر العربى .. من موازين ، وبحور ، وتفعيلات ، وأوتاد ، وأسباب ، وزحافات وعلل... الى آخر مقررات علم العروض ثم ألبسه اياها، ليقال انه شعر كالشعر ، يوزن بما يوزن به الشعر ، ويحتكم الى ما يحتكم اليه الشعر .. وهذا وربك هو الذى لا نصبر عليه .. اذ كيف يسمح لهذا «المسيخ الجديد» أن يسرق الراية التى تجتمع اليها، ثم يتلفف بها لينضوى الينا ويعيش معنا ، وهو لم يتجنس بجنسيتنا ، ولم يحمل فى كيانه شيئا من أحاسيسنا ومشاعرنا ؟ كيف نسمح له أن يغتصب كل مقومات شعرنا ثم يقتله به ؟.

نحن لا نحجر على هذا الشعر الجديد أن يخرج فى الحياة ولكن على صورته التى أرادها له أصحابه ، وبالوجه الذى صوروه عليه ، وأن يلقى الحياة باسمه وصورته ، لا بهذا الوجه المسروق ، أو المغتصب !

ومع كل هذا فانه لن يغنى عن هذا الشعر شىء ، ولن تنفعه أبدا هذه التغذية الصناعية ، ولن تستر عواره هذه الأثواب المسروقة أو المستعارة .

يروى أن الصعلوك الفاتك « تأبط شرا » التقى يوما ببعض المهازيل الخاملين ، فساومه هذا الهزيل الخامل أن يخلع عليه اسمه نظير مال يقدمه اليه ليكسب بهذا الاسم مجدا وصيتا كالذى كان من شأن تأبط شرا .. فرضى تأبط شرا بهذا العرض وخلع على الرجل اسمه ، وأخذ المال كما أخذ اسم الرجل لنفسه ، فتسمى « أبا وهب » كما تسمى الرجل تأبط شرا وانصرف كل منهما لشأنه .. ولكن شاعرية تأبط شرا أبت عليه الا أن يسجل هذا الحدث ، وأن يذهب به الى غايته التى سينتهى اليها فيقول :

الا هل أتى الحسناء أن حليلها
تأبط شرا ، واكتنيت أبا وهب

هبه تسمى اسمى وسميت باسمه
فاين له صبرى على معظم الخطب ؟

واين له باس كباسى ونجدتى
واين له فى كل فادحة قلبى !

فليلبس « الشعر الجديد » ما شاء من أثواب، وليحمل ما يشترى او يختلس من أسماء والقاب ،

أحرج ليلة في حياتي

بقلم : علي الجندي

مما يغض الى بأصل الفطرة ، مشاهدة ليالى الأعراس ، فقل أن أجيب دعوة الداعي اليها ، مع أنني لا أكاد أتخلف عن تشييع الجنائز ، وحضور ليالى المآتم ، واجد لذلك نشاطا واريحية !!

ولعل مرد ذلك الى أنني لا اطيق ما يشيع في الأعراس من زحام وجلبة وزياط وهرج ومرج ، وأنوار ساطعة تخطف البصر ، وأغان مائعة تصدع الرأس ، وكل يجرى على سجيته ، وكل ميسر لما خلق له !! .

ولكن لم يكن لى بد من تلبية دعوة من دعوات الافراح ، كنت فيها مكرها لابطلا !! ، لاني دعيت اليها شفهيا وتحريريا ، ولان الداعي — أو العروس « العريس » — صديق صعيدى عزيز لا تسعني مخالفته ، وهو الى ذلك ضيق الصدر ، شكس الخليقة ، كافر الغضب ، فيه عرامة وذعارة ، لا يغفر زلة ، ولا يقبل عذرا ، ولا يؤمن بمستحيل!!..

ولا انكر انى قلت له في وداعة ولطف : انك تعلم — يا اخى — عين اليقين انني لا أحضر امثال هذه الحفلات ، فهل لك أن تعفيني مما لا أوده ، ويكفي انني معك بقلبي وعاطفتي !! فعبس وبسر ، وغمغم وجمجم ، وزم أنفه الطويل العريض ، ولوى شفتيه **الغليظتين ، وعوج حاجبيه الكثيفين ، وزأر في وجهي بصوت صحلة الغضب : اسمع — لا سمعت !! —** عروسي طالق عدد نجوم السماء ان لم تحضر زفافها !! .

فقلت : لحاك الله !! كان يكفي أن تطلقها بعدد « بنات نعش » !! انك لا تترك نزقك وطيشك ، حتى في أمثال هذه المناسبات السعيدة البهيجة !! .

ساحضر مضطرا اكراما للعروس البريئة المبرأة لا لك !! ولقد ذكرتني حماقتك بحماقة صديق من أصدقاء المتنبي !! وما أكثر الحمقى بين الناس !..

فسكت عنه الغضب ، وقال : هيا أتحفنا بحديث الحماقات ، فانك أكثر الادباء رواية لها !! .

قلت : كان المتنبي — كما تعلم — شاعرا جادا صارما ، وعر الاخلاق ، لا يشرب الخمر ، ولا يتعاطى اللهو ، وقد اتفق أن زار يوما بعض اصدقائه — وكان على مائدة الشراب — ويظهر انه كان يريد التخلص من زوجته بذريعة مسهلة لا يلام عليها ، فآلى على المتنبي بالطلاق أن يعاقر معه بنت الحان ، وصفوة الدنان ، وهو يحفظ قوله : أى قول المتنبي:

لأحبتي أن يملأوا بالصافيات الاكوبا
وعليهمو أن يبذلوا وعلى الا اشربا

فان ذلك كله لن يخرجه من مسلاخ « أبي وهب » ولن يكسب مجدا أو حمدا أبدا ..

وأما بعد — مرة أخرى — فهذا رأى في الشعر الجديد المزعوم ، لم أقصد به شيئا وراءه ، ولم أرد به الاساءة الى أحد ، فاني لا أعرف من أصحاب هذا الشعر أحدا ، وان كنت اقرأ بعض ما يشعرون .

وأما الدكتور النويهي ، وان كنت لم اسعد بالتعرف اليه فاني اكن له تقديرا لعلمه وفضله بما اقرأ له من آراء قيمة ، ونظرات صائبة في الحياة الادبية ، وهذا الخلاف الذى بيننا في الشعر الحديث هو خلاف رأى ، وما كان الخلاف في الرأى ليقع موقع البغضة والجفاء في صدور المختلفين .. **ورحم الله شوقي اذ يقول :**

لقد اختلفنا والعما شر قد يخالفه العشير
في الرأى تضطغن العقو ل وليس تضطغن الصدور

ومعذرة للدكتور النويهي وللشعر الجديد اذ لم أجد فيه شيئا يمكن أن استشهد به في هذا المقام ، بدلا من شعر شوقي هذا ، بل — وأقسم صادقا — انني لم أجد في خاطرى شيئا ابدا من هذا الشعر على كثرة ما حاولت أن احفظ منه ليكون معي منه شاهد على رأيي فيه .. انه شيء لا يمسكه عقل ، ولا يحتفظ به صدر .

عبد الكريم الخطيب

فتوقف المتبنى قليلا يدير الامر فى نفسه ، ويميل بين الشرب وعدمه ، وآثر اخيرا الا يفرق بين الصديق وزوجه ، فافرغ الكأس في جوفه ، وهو يقول :

واخ لنا بعث الطلاق اليه
لأعلن بهذه الخرطوم

فجعلت ردى عرسه كفارة
من شربها وشربت غير اثيم

فاغرب صاحبى فى قهقهة كزمجرة الرعد ، ثم قال : ما اشبه الليلة بالبارحة !! الحمد لله ! لست اذن منفردا بالحماقة !! .

وفى الليلة المؤقتة للزفاف ، ذهبت الى بيت الصديق مرتديا حلة بيضاء شوكاء ، وكان اليوم صائفا يأخذ حره بالاكظام ، وتتفصد فيه الجباه عرقا !! وكانت الغرف المخصصة للمدعوين ضيقة قليلة النوافذ ، راكدة الهواء !! فاحسست الاختناق اول وهلة !! وزاد فى الطنبور نغمة انى وجدتنى بين أخلاط من الناس لا أعرف منهم أحدا آنس به واسكن اليه !! فغمرتنى الوحشة ، وران على الوجوم، فتمثلت بقول أبى الفتح البستى :

وما غربة الانسان فى شقة النوى
ولكنها والله فى غربة الشكل

وانى غريب بين « بست » واهلها
وان كان فيها أسرتى وبها اهلى

ورايت ان اروح عن نفسى ، واخفف عنها بعض الضيق ، فانتبذت من الحضور مكانا قصيا واسلمت زمامى الى سلطان النوم والنوم سلطان — كما يقول القدامى والمحدثون ..

ولا يدرى الا الله : كم لبثت فى اغفاءتى هذه ، ولكننى أدرى اننى انتبهت على صوت يشبه صوت الانذار بالغارات الجوية ، واذا هو المأذون يتلو خطبة الزواج التقليدية التى تسبق العقد !!

كانت الخطبة — والحق يقال — جامعة مانعة ، فقد افتتحها بكل ما جاء فى القرآن الكريم والحديث الشريف ، وأقوال الصحابة والتابعين وتابعى التابعين ، ومن والاهم باحسان الى يومنا هذا : من الحث على الزواج والاكثار من النسل ، حتى يملك المسلمون أقطار الارض من القطب الى القطب ، بالسلم او الحرب !! .

ثم عطف على ذلك فسرد قصص الزواج المشهورة فى التاريخ ، مبتدئا بآدم وحواء ، منتهيا بالمأمون ، وزوجه خديجة بوران بنت الحسن بن سهل ، ولا ادرى لم وقف عند ذلك !! .

ثم ختم خطبته المسهبة الضافية الذيول ختاما لم يكن مسكا !! فقد خانته مراعاة مقتضى الحال — كما يقول البلغاء — فأخذ يترحم على الزمن الذى كان يتزوج فيه الرجل بأربع من الحرائر المهيرات ويقتنى ما شاء من السرارى المحظيات ، فكثر بذلك المسلمون وعمروا الدنيا بعد أن كانوا كالشامة فى جلد البعير الاسود ، واتسع بذلك الرزق محتجا بقول الامام على — عليه السلام — تكثروا من العيال فانكم لا تدرون بمن ترزقون .

ثم حث الرجال على احياء هذه السنة الكريمة برغم أنوف النساء المصريات المتفرنجات المتمردات الخارجات على الشرائع السماوية، والنواميس الطبيعية، والنظم الانسانية ، المنقادات الى نوازع الحسد المقيت ، والغيرة الهوجاء ، والاثرة العمياء ، وحب التسلط على أربابهن من الرجال القوامين عليهن بنص الكتاب العزيز !

وهنا بدا السهوم على وجوه الرجال ، وعلا التأفف والتنهد والزمجرة من غرف السيدات ، واكتاب أهل العروسين ، ورأوا فى هذه الخطبة التى تشبه خطب زياد والحجاج وهتلر تعيب بوم ، وتعيق غربان ، ونزير شر !

ورايت أن أفر من هذا الجو الخانق الى أحضان النوم مرة أخرى ، فرايت — فيما يرى النائم : أن انسانا ينزع بعض أسنانى !! فاستيقظت مذعورا مضطربا ، واذا بأخى العروس — وله مشاركة فى الادب — يقرع فمى بكوب من شراب الورد المثلوج !! وهو يتمثل بقول ابن عبد ربه الاندلسى :

اشرب على المنظر الأنيق	**وامزج بريق الحبيب ريقى**
وقل لمن لام فى التصابى	**اياك خل عن الطريق**

فتناولته منه وانا بين النوم واليقظة ، فعببته عبا ، فكان أن شرقت واخذنى سعال جاف خشن عنيف !! جحظت له عيناى، واندلع لسانى، وارتجفت يداى ، فسقط الكوب على الارض ، واحدث ضجة

مزعجة ، وانتثرت شظاياه هنا وهناك !! وانسكب الشراب على حلتي الجديدة التي أعتز بها ، وأخاف عليها خطرات النسيم !! فهتفت : انا لله وانا اليه راجعون . ثم تنبهت الى أنى فى فرح لامأتم ، فكدت أسقط من الخجل !!

ثم بدا لى أن أستأذن فى الانصراف ، فتصدى لى أخو العروس ، وقال : أين تذهب ؟ ان عندى أمرا من الملك باعتقالك الى أمد معلوم !!

فقلت : أىملكتقصد أيها الأبله !! قال : العروس الكريم !! أما سمعت الاثر : كاد العروس يكون ملكا ، وكاد الفقر يكون كفرا !!

قلت : وماذا يريد الملك من بقالى - حرسه الله وأدامه، وأعلى أعلامه ، وأسعد أيامه ، ووثق حزامه!!

قال : لتقدمهم وتستمع اليهم ، وتحكم بينهم !! فانك «الحكم الترضى حكومته» بعكس ماقال الفرزدق لذلك الاعرابى الذى فضل جريرا عليه !!

قلت : من هم الذين تشير اليهم ؟

قال الشعراء : الذين يحيون العروسين الكريمين، ويقلدونهما سموط الدرر ، وتقاصير الياقوت ، وقلائد العقيان !!

قلت : ومن قال لك : اننا فى سوق عكاظ ، وأننى نابغة بنى ذبيان ؟!

قال : كن النابغة الذبيانى أو الجعدى أو الاعشى أو بشارا ، أو أبا الشمقمق أو أبا الرقعمق ، فلا بد من ذلك ؟!»

قلت : أفوض أمرى الى الله ، ولا حول ولا قوة الا بالله !!

ثم أخذت أقدم هؤلاء الشعراء أو الشعارير ، وهم جماعة من ناشئة المدارس فى حال القرزمة ، فتباروا فى انشاد شعرمختل معتل لايمتالى بحور «الخليل» بصلة ، وان صحت نسبته فالى البحر الميت ، أو البحر الأسود أو بحر الظلمات !! ولكنها - على كل حال - تحوى ما قيل وما يقاس فى العرس والعرائس، فهو بدر تمام ، وسيف حسام ، وفارس مقدام ، وصنديد همام ، وأسد ضرغام !! وهى الشمس ضياء ، والثريا سناء ، والمهاة عيونا ، والغزال جيدا ، والغصن رشاقة ، والزهر عبقا وأناقة !!

وبعد أن فرغ هؤلاء الشعارير من انشاد قصائدهم بين الهتاف والتصفيق ممن لا يفرقون بين الشعر والشعر ، والتمر والجمر ، والذد والبعر ، وقعت مفاجاة لم أكن أنتظرها !! فقد وقف أخو العروس « العريس » وصاح بصوت يصم الآذان ، والآن بقى أن نسمع الشاعر الكبير ...

فارتج المحفل بأهله ، وتطايرت الصرخات من كل ناحية مقرونة بالتصفيق والنداء : اسمعوا !! أصغوا ! كلنا عيون ! كلنا آذان ! فامتقع وجهى ، وارتعدت فرائصى ، وربا سحرى ، وعصب ريقى ، وجعلت التفت يمنة ويسرة، وأدير فى الشهود عيونا زائغة حائرة !! فقد حضرت - وأنا خالى الذهن مما بوغت به !! فلم أعد كلمة ، ولم أكن أروى شيئا مما يقال فى هذا المقام !! وظللت فى هذا المأزق الضنك المتلاحم مدة لا أعرف مداها ، والصيحات تنهال على من كل صوب وأوب تلح فى الانشاد ، وأنا حائر بائر أتصبب عرقا ، وأصعد نظرى وأصوبه فى النظارة ، وأغمض عينى وأفتحها ، ولا أرى لى مخرجا من هذا الضيق ، حتى كدت أهوى من فوق المنصة !! وكانت ثالثة الاثافى أن اعترانى فواق حاد « زغطة » فتضاعف ارتباكى وهمى وخجلى!! وتمنيت أن تفيض نفسى !! وليس الارتجال دليل القدرة ، فقد كان البحترى لا يحسن الارتجال ، مع أنه أطبع الشعراء بعد أبى نواس كما يقول قدامى النقاد ولما طال المطال ، ولم يفتح على حتى بكلمة اعتذار، صاح بعض الناس - متهكما - قل لنا - يا أخى - شيئا ولو فى مأساة « فلسطين » !! فاهتبلتها فرصة - وكنت أحفظ شيئا مما قلت فىمحنتها - فأنشدت - فى نغم شاج مؤثر - :

فلسطين حزنت لها	**وما أدراك ما حزنى**
أراها بين أعيننا	**تباع بأبخس الثمن**
تعانى الذل من صهيو	**ن ترب الذل والجبن**
أنسكن دارنا التنين	**منطويا على الضغن**
وأمريكا - بما رحبت -	**تضن عليه بالسكن**
خللوه اليكمو يأوى	**الى المستنقع الاجن**
ففى الانجيل والقرآ	**ن ان يشقى مدى الزمن**

فصفق بعض السامعين مجاملة لى !! وسمعت بعضهم يقول : بايخة !! سخيفة !!

ودلف الى أخو العروس ، فهمس فى أذنى : ماذا دهاك ؟ ومن بكيده رماك ؟ أجهلت انك فى مقام هناء لا عزاء ، وأنك فى أفراح لا أتراح ؟!!

ففاء الى رشدى، وشعرت بالخزى البالغ، وأيقنت أن هزيمتى فى هذا المكان ستعقبها سبة الابد ، ومعرة الدهر !! فحشدت قريحتى ، واستجشت فكرى ، وقدحت خاطرى ، حتى خيل لى أننى أوشك أن أحترق !! ، ثم انطلقت أقول :

العروسان « كالملبس » فى الحسن
وفى اللطف والحلاوة « طرطه »
والعروس الحسناء لونا وثوبا
« لبن » ناصع ، وان شئت « قشطه »
من رآها الى المنصة تخطو
قال : هدى « اوزة » او « بطه »
والعريس الهمام زاد على كل
« عريس » فى الطول والعرض بسطه
« الهلالى » حين يمسك سيفا
و « الزناتى » حين يمسك « بلطه »
حفظ الله للصعيد عروسيه
ولقاهما سرورا ، وغبطه
ينجبان الأبناء اشبال غاب
كل شبل فى الحرب يعدل «أرطة»
واعذرونى اذا اختصرت ، فانى
كنت انوى الاكثار لولا « الزغطة »

وكانت الأبيات تقاطع بالهتاف والاستعادة حتى عرانى البهر والاعياء !! وما كدت انتهى من انشادها حتى استقبلت بعاصفة من التهليل والتكبير ، وحملنى بعض الفتوات على الاعناق ، وداروا بى فى المحفل ، والارض تدور بى ، واضلاعى توشك أن تتقصف !! وقدمت لى أكواب الشراب بلا عد ولا حساب !! وانا أعتذر فلا يقبل عذرى ، حتى أحسست بطنى يكاد يتفزر !! فلجأت الى حيلة الثعالب فى التماوت ، فكفوا عنى وما كادوا !!

ولكن الرواية لم تتم فصولا !! فما كاد ينتصف الليل حتى حضرت اثنتان من « العوالم » احداهما نصف ، ولكن أطيب نصفها الذى ذهب !! والاخرى عجوز حيزبون كتلك التى يقول فيها النحويون :

ام الحليس لعجوز شهربه
ترضى من اللحم بعظم الرقبة

وقد موهت وجهها بالاصباغ المختلفة ، وذرت عليها طبقة من المساحيق الكثيفة ، فزادتها قبحا على قبح !! واصبحت كما يقول الشاعر الحنفى :

لها وجه قرد اذا ازينت
ولون كبيض القطا الأبرش

فشرعتا تتنافسان فى الرقص الماجن ، والغناء الخليع ، والحضور ممن يعجبهم هذا النوع يستعيدون ويستزيدون !! وكان صديقى العروس عرف ما أكابده من الغيظ والحنق والكمد ، فاراد ان يضاعف بليتى ، أو يرفه عنى لا ادرى !! فاغرى بى العالمة العجوز قائلا : اقدم لك فلانا الشاعر !! فضحكت ضحكة هستيرية مخيفة ، وصرخت : يا سلام !! انا شاعرة بحبه !! واردت ان اجامل القبح أو ارحمه — كما يقول — ابن المعتز ، فقلت — وانا أنتزع الكلام انتزاعا — : من القلب الى القلب دليل!!

ثم بدأ النثار « النقوط » فرأيت مالم يخطر ببالى !! فقد كان المتقطون يبللون القطع الفضية بأريافهم ، ويلصقونها بجبهتى العالمتين وخديها !! فتقززت نفسى واشرفت على الغثيان !!

وحينما بلغ الى الدور دسست فى يد العجوز ريالا ، فأبت اخذه الا على هذه الطريقة الزرية المنكرة !! وطال النقاش بينى وبينها ، فتدخل صديقى قائلا : سامحيه !! فليس له ريق !!

فقالت — متعجبة — « وفين ريقه ؟ »

فأجاب رجل بجوارى : ريقه نشف !! .

فضحكت وضحك السامعون !!

وجلست أعمل الحيلة فى الخروج من هذا الفخ الذى دفعت اليه !! ولم البث أن حفنى لطف الله الخفى!!فقد كانت العجوز فى بهرة الزفن ، تفتن فى رقصة البطن ، فاخذت تتلوى وتتحوى ، وتتمايل وتتزايل وتتخايل وتتحاسن،وتقف وتدور،وتستقيم وتتزايل ، وتتخابل ، وتقبل وتدبر ، وتتصابى وتجور ، وتسرع وتتانى ، وتعتدل تتثنى !! فاختل توازنها ، وزلقت رجلاها فسقطت لليدين والفم !!

فشغل بها الحاضرون ، واختلط الحابل بالنابل، فانتهزت هذه الفرصة ، وانسللت هاربا غير مصدق بالنجاة !! وانا العن الافراح ، والليالى الملاح !!

على الجندى

الطعام لكل فم : لتوفيق الحكيم

بقلم : على متولى صلاح



بدأ مذهب (اللامعقول) يزحف على فنوننا وبخاصة فن المسرح حيث كان المسرح وما زال ارضا طيبة لاستنبات المذاهب المختلفة ، وعلى أديمه تعاقبت المذاهب من الكلاسيكية الاولى الى اللامعقول .

ونبادر فنقول ان تسمية هذا المذهب بهذا الاسم انما هى من صنع الاستاذ توفيق الحكيم وحده ، وانها تسمية فيها كثير من (المجاز) او فيها كثير من (التهكم) فهو لايعنى بها أنه كلام أو انها قضايا غير معقولة وانها فاسدة لاتتفق مع المنطق .. ولكنه يعنى انه يتخذ غير المعقول وسيلة الى الحصول والى الوصول للمعقول ، أو بتعبير آخر انه ينتهى الى النتائج الصحيحة السليمة بوسائل قد يحسبها البعض ليست صحيحة وليست سليمة ، مع أن التأمل العميق فيها يؤكد انها وحدها هى الصحيحة وهى السليمة .

ولتوضيح ذلك اذكر لك انك قد ترانى أمامك ضاحك السن مفتر الثغر فتحسبنى سعيدا طيب الحال ، ولو انك سبرت غورى وفتشت فى جنبات فؤادى لوجدتنى فى بحر من الهموم والآلام .

فما تراه ظاهرا منى ليس هو الحقيقة ، وليس هو (المعقول) على خلاف ما يعتقد الناس من أمرى !

وما خفى عن هؤلاء الناس وانطوى عنهم فى حنايا نفسى هو (الحقيقة) كل الحقيقة ، وهو (المعقول) كل المعقول على خلاف ما يعتقد الناس أيضا من أمرى .

ولتوضيحه أيضا اذكر لك انك قد تكون سابحا فى أحلام معينة غارقا فيها ثم انت تنظر الى صورة من الصور مثلا .. فاذا بك لاترى من هذه الصورة ولا تدرك من حقيقتها شيئا ، ولا ترى فيها الا هذا الذى تسبح فيه وتغرق فيه ، ولا يمكن أن تتصور الا انها تعبر عن قصتك انت وعن احلامك انت ألا ترى الى هذا الشاعر الذى يخاطب حبيبه بقوله :

أراك كلما رأيـ ـت طائرين فى الشجر
وكلما ترنم الشا دى وحرك الوتر
وكلما دبت ورا ء الليل نسمة السحر
وكلما جئت الريا ض ووقفت بالغدر

فهو ينظر الى الطيور والرياض والغدران فلا يرى منها شيئا ولا يرى غير حبيبه الذى يملأ قلبه ويشغله عن كل شىء سواه ، ولكن الناس يحسبونه ـ لما يرون من ظاهر أمره ـ معنيا ومشغولا بهذه الطيور والرياض والغدران .. وما هو منها فى شىء .

والى الشاعر الآخر الذى يقول :

الناس من حولى ولست أراهمو
وأراك فى عقلى وفى أوهامى

ولتوضيح ذلك بصورة (عملية) نتحدث عن مسرحيتنا (الطعام لكل فم) الذى الفها الاستاذ توفيق الحكيم لتكون بمثابة تطبيق على لمذهبه (اللامعقول) .

وهى تتلخص فى أن رجلا اسمه «حمدى عبد البارى» يشتغل رئيسا لقسم المحفوظات فى احدى المصالح الحكومية وتتقسم حياته اليومية بين أعمال وظيفته فى الصباح وبين لعب «الطاولة» ، والجلوس الى اخوانه بالقهوة فى المساء ، وتعيش معه زوجته (سميرة) التى تقاسمه شظف العيش وتأخذ عليه انصرافه الدائم عنها الى القهوة كل

مساء ، وتذكر له دائما انها دون اخواتها راحـة ونعيما ، ويضيق هو بهذا التذكير والتعبير ٠

وكانت تسكن فى الطابق الذى يعلو طابقهمـا صاحبة البيت واسمها (عطيات) وهى امرأة ذات شراسة وذات غرام بالنزاع والشجار ورفع القضايا فى المحاكم ٠

وذات يوم تغسل عطيات هذه شقتها وتسرف فى استعمال الماء حتى يخر الماء من السقف ويسقط فى شقة (حمدى) ويترك فى سقف حجرة من حجر شقته (نشعا) واضحا ، فيستاء حمدى وزوجتـه لذلك ويستدعيان صاحبة البيت ويؤنبانها على هذه الفعلة ويطلبان اليها ازالة هذه الآثار وترميم هذا (النشع) حتى يعود سقف حجرتهما الى ماكان عليه والا فانهما سيلجآن الى المحاكم ويرفعان عليهـا قضية يطلبان فيها الازالة والتعويض ٠

ولكنها ترفض هذه الطلبـات رفضا قاطعـا وتتحداهما أن يفعلا مايريدان وتعلن اليهما انها لن تذعن لهما ولن تقوم بعمل شيء مما يطلبان ٠

وتمضى الايام واذا بهـذا النشع يزداد وتتسـع رقعته ويتحول الى (فجوة) تتسع هى الاخرى شيئا فشيئا حتى تصير هوة كبيرة ٠٠ وتبدو فيها خطوط ثم رسوم غير واضحة المعالم ثم تتضح معالمها يوما بعد يوم ، ثم تظهرفيها أشباح كانها اناس يتحركون ثم يزداد وضوحها ، ويظهر أولئك الأناس بلحمهم ودمهم يروحون ويجيئون ويتحاورن ويدقون عـلى بعض الآلات الموسيقية ٠ ٠ الى غير ذلك مما يعمله الأحياء الذين نخالطهم فى حياتنا الدنيا ٠

وهؤلاء الاناس الذين انبثقوا من هـذا النشـع هم اسرة تتألف من ام وابن اسمه طارق وابنة اسمهـا نادية ٠٠ وهذا الابن كان غائبا غيبة طويلة فى (زيورخ) يدرس العلوم التى تؤدى الى اسعاد البشر واتاحة الطعام لكل فم وجعله فى متنـاول النـاس جميعا كالماء والهواء ٠

ويلتقى هذا الابن اثر عودته باخته نادية عـلى انفراد فيعتب عليها انها لم تخبره بوفاة والده التى علم بها عرضا من بعض الناس ، فتذكر له أنهـا فعلت ذلك عن قصد ، ويستطرد بينهما الحـديث فيتكشف له أن أمه تآمرت مع ابن عم لها اسمـه الدكتور ممدوح ـ وكان بينه وبينها هوى قديم ـ على قتل أبيه ثم الزواج منه ٠٠ وقد تم لها ذلك فعلا وكان الدافع لها على ذلك هو ماتحولت اليه حالة الدكتور ممدوح من غنى ويسار وما تحولت اليـه أيضا حالة زوجها من فقر واعسار ٠

فيقرر طارق أن ينأى بجانبه عن هـذا المنزل مصطحبا شقيقته نادية حتى يستطيع أن يخلص الى دراسـاته دون معـوقات ، كمـا انه بذلك يهيىء لوالدته ان تبنى حياتها من جديد وهو ـ بحـكم دراساته ـ مولع ببناء الحياة وبالاشادة والخلق فى كل مكان وفى كل لحظة ٠

ذلك ملخص المسرحية التى اريد بهـا ان تكون تطبيقا على مذهب (اللامعقول) الجديد الزاحف الينا فى غير هوادة ٠

ونتساءل أولا من أين جاءت هذه الاسرة (الام والابن والابنة) ؟ وهل انشق السقف حقيقة عن هؤلاء الناس ؟ وهل تخرج سقوف الحجرات اناسا مثلنا ياكلون الطعام ويمشون فى الاسواق ؟

النظرة السطحية تقول : لا ، والنظرة العميقه تقول : نعم ٠

النظرة السطحية تقول : لا لانها تحسب هؤلاء اناسا حقيقيين من لحم ودم .. ومثل هؤلاء لايمكن ان تمطرهم السـماء او تنشق عنهم سـقوف الحجرات ٠

والنظرة العميقة تقول : نعم لانها تعلم أن هؤلاء الاشخاص هم الرؤى والاحلام التى يمتلىء بها قلب حمدى وزوجته سميرة ٠٠ انهم الامانى والآمال التى تعتلج بها نفوسهم ويعيشون على أمل تحقيقها ٠٠ انهم (الطعام) الذى يريدون أن تمتلىء به افواههم بعد أن يصبح الحصول عليه سهلا ميسورا لهم كان يصبح رطل اللحم بنصف مليم على حد تعبـير طارق ٠

ولم يخرج هؤلاء من النشع الذى حدث بسقف الحجرة وانما خرج كل منهم (الام والابن والابنة) من ضمائر حمدى وزوجته ومن أحلامهمـا التى قضيا حياتهما يحلمان بها ، ومن امانيهمـا التى قطعا العمر يتمنيانها ، وتمثل لهما كل واحد من هؤلاء الثلاثة بشرا سويا ، وانتظمت من ثلاثتهم اسرة منظمة تعيش كمـا يعيش النـاس ، وتتخلل حياتها مشكلات كالتى تتخلل حياة الناس ، مع ان

هذا كله أحلام تجسدت ، لان الفن لايكون الا هـكذا منظما متسقا طبيعيا كأنه منتزع من الحياة .

ولكن ... قد دار بين هذه الاسرة المتوهمة حوار طويل استغرق الأغلب الأعم من الوقت الذى رأيناها فيه ، ولم يكن هذا الحوار دائرا حول (الطعام) الذى نريد توفيره وتيسيره لكل فم ، وانما كان دائرا حول تلك القصة التى أشرنا اليهـا والتى تشبه فى جملتها وتفصيلها تلك القصة الاغريقية الشهيرة التى تحدثنا بأن (كليتومنسترا) زوجة البطـل الاغريقى «أجاممنون» قدخانته مع عشيق لها وقتلته فانتقم له ابنه (أورست) بعد اتفـاقه على ذلك مع اخته (الكترا) .

وقد يتوهم البعض انه لاتوجد علاقة بين هـذا الحادث وبين (الطعام) الذى هو محور المسرحية ، ولكن المتعمق يلمح علاقة خفية بينهما ، فالمـال هو الذى وجه سلوك الام فى مراحل حياتها المختلفة فجعلها تترك الدكتور ممدوح عندما كان فقيرا معدما ثم جعلها تعود اليه بعد أن صار غنيا موسرا ، وتتفق معه على قتل زوجها الفقير العانى لتخلص اليه ! وما المال الا الطعام والعيش الرغد الذى يحلم به حمدى وزوجته .

من هذا التطبيق العملى نفهمان كلمة (اللامعقول) التى اطلقت على هذا اللون من التفكير ليست بمعناها الصحيح الذى يفيد الفساد وعدم الصحة ، ولكن معناها فى هذا المجال هو ترك الظاهر من الامور لانه ليس الحقيقة ، والاخذ بالباطن الخفى لانه الحقيقة والوصول بعد ذلكالى النتيجة الحقيقية، وان حسب الناس انها بنيت على اوهام لاوجود لها فى الواقع .

وقد كان اخراج مثل هذ هالمسرحية عسيرا شاقا يحتاج الى كثير من اعمال الفكر لتجسيد هذه الاوهام وابرازها لنا حية تسعى .. وقد نهض به الاستاذ محمد عبد العزيز فاستطاع ان يحقق ذلك الى حد كبير وانفق فى ذلك جهدا مشكورا فهو رسم ذلك (النشع) فأحسن رسمه ، ثم رسم الخطوط والظلال التى تحول ذلك النشع اليها ، ثم جاءنا بالأحيـاء الذين تحولت تلك الخطوط والظلال اليهم .

وكانت فترة الخطوط والظلال ــ وهى فترة الضباب ــ قصيرة جدا مع انها الفترة الهامة الموحية وأنا أعلم أن الزمن على خشبة المسرح هو رمز وايماء الى أزمان قد تطول ، ولكن مثل هذه الفترة ذات التأثير القوى فى الموضوع يجبأن تنال من(الزمن) مايجعلها تثبت فى الاذهان لان الاحداث القـادمة مترتبة عليها .. كذلك قد وضع الاسرة التى هبطت من ذلك النشع فى مستوى قريب من المستوى الذى تعيش فيه اسرة حمدى وكان يجب ان تكون فى مستوى أعلى لانها هكذا فى الحقيقة ولان بعد المكان يوحى أيضا بالبعد عن الحقيقة والقرب من الخيال وهو المطلوب فى مسرحيتنا هذه .

وكذلك الموسيقى التى تعزفها هذه الاسرة كانت قوية جدا كأنها صادرة ممن يقيمون الى جانبك ، وليست ممن يقيمون فى سقف حجرتك .

وكذلك قد اختارللأداء التمثيلى ممثلين لم يكونوا صالحين لهذه المسرحية وقد اكرههـم بذلك على أن يفعلوا مالم يخلقوا له ، فعبد المنعم ابراهيم الممثل الكوميدى المعروف ــ مثلا ــ لم يكن هو الذى يوكل اليه دور حمدى الموظف الصغير البائس الفقير الذى ليس فى حياته مايضحك منه الناس ، ولهذا كان عبد المنعم ابراهيم مضطربا بين طبيعته المرحة وبين طبيعة الدور الذى يقوم به وهو بعيد كل البعد عن المرح ، فكان كالمنبت الذى لاارضا قطع ولا ظهرا أبقى .

واختار لدور سميرة زوجة حمدى البائسةالممثلة سلوى محمود ، فلم تكن من دورها هذا فى شىء على الاطلاق ! بل لم تكن ــ فى الحق ــ تمثل علىالاطلاق فما رأينا منها حركة ذات تعبير او اداء ذا معنى بل كان كل همها أن تروح وتغدو على خشبة المسرح ، وتبرز جميع نواحى وأقطار جسـمها وتستـعرض جمالها للناس فأفسدت دورها افسادا كبيرا يجب أن تؤاخذ عليه فى غير هوادة . ونحن لاندرى لم فعل المخرج ذلك وكان فى وسعه الا يفعل ، وهل اقفر المسرح القومى من تواتيه طبيعته لدور البائس حمدى وممن تجد فى اداء دورها ولا تعبث كهـذه الممثلة العابثة ؟

على متولى صلاح

الطوفان

للشاعر : محمد اسماعيل هانى

كانت اجنحة الليل ترف وشمس توشك ان تغرب
وحمائم عادت عبر الافق ترفرف راقصة الموكب
تنشر فى الكون عبير سلام من عبق الشرق الطيب
لكن لم تكمل رحلتها وتلاشت فى افق مرعب
كان القرصان يجرر احقاد التاريخ ويتاهب
ليعيد القصة ، قصته معنا ، ليدمر .. ليخرب
لم يعلم ان بشاطئنا الجبار جموعا تترقب
من اين اتت ؟ من تاريخ بدماء الامجاد مخضب
من كل زقاق دفاق الاصرار بروح تتوثب
من شعب اطلقها جمرا ، لم يتراجع .. لم يتهيب
يصرخ فى وجه المستعمر . اذهب عنا اذهب اذهب

***

اقتنصونا رجلا رجلا واستلوا الالسن والمقلا
وامشوا فوق الاشلاء اذا لم تطق الارض لكم رجلا
واقتحموا الدور قراصنة واغتالوا المراة والطفلا
وابتلعوا النور بظلمتكم واحيلوا ضحوتنا ليلا

***

وليتدفق طوفان الحقد بشيع الوحشة والهولا
ولتزحف قافلة الطغيان تضم الحاقد والنذلا
ولتسعدكم كل مساء صرخات الارملة الثكلى
واقيموا فى كل طريق مشنقة تغزلنا غزلا
لكن ان تنحنى القمم الشماء وان تركع ذلا
او ان تتعالى رايتكم فوق رءوس الاحرار .. فلا

***

الضفة لا زالت تذكر والشاطىء والموج الاحمر
والشعب الثائر فى ثقة تسحق آثار المستعمر

لا زال هنا صخرى العزم ابيا كالأمس واكثر
وخطاه الحرة ماضية تبنى غدها لا تتعثر
والأرض الصلبة لا زالت خضراء وشاطئها اخضر
ومدينتنا لم تتهدم باوبئ الحقد المتسعر
زرع الشهداء بساحتها ربوات المجد فلم تقفر
ومضوا شرفاء وفى شفة التاريخ نشيدا يتكرر
كانوا قلب الشعبى المكلوم احس الجرح فلم يصبر
واذا بعثت احقاد الشعب غدا بركانا يتفجر

***

من اجل ترابك يا وطنى قدمنا الارواح سخية
لتظل الراية شامخة وتظل الهامات ابية
من اجلك اطلقنا العزمات تدك صروح الهمجية
وسحقنا الجمجمة الحمراء ودسنا الانف الغربية
وازحنا الشوك باعيننا وخضنا القمم الوردية
وهدمنا السجن فلم تصبح فى السجن ظهور محنية

***

واليوم وفى الغد والا ما شاءت قافلة الحرية
سيمر الموكب جبارا ليزيل بقايا الوثنية
سيمر يعانق فى لهف كل الآفاق العربية
سيمر الى غده المحتوم على اشلاء الرجعية
ستهز الاعمدة الخرساء غدا .. بعاصفة ثورية

محمد اسماعيل هانى

خلود العقاد

للدكتور زكى المحاسنى



يا ايها العقاد ، ما البعد
فلسفت كل دجى وكل هوى
من عبقر لمعات خاطرة
وبعقلك الجبار ساحرة
كنا بشط النيل معشرنا
فى مجمع الاعلام فى كثب
اكرمتنى بسنية نشرت
حتى اتت اسطورة خلبت
انظر بهذا الليل فى قبب
سطعت مطالع كوكب وعلى
يبدو به « العقاد » فهو الى
لكان صوتا منه ردده
يا من هو الطفل الوديع اذا
وتطول قامته مسددة
نبحت نجى بدرا معاويه
كانت عصا موسي براحته
واليوم لانقد ولا جدل
مهلا ففى آثاره برزت
وبكتبه دوت عقيرته
فافتح بها للعرب جامعة
ياواحد الاشعار ملهمة
مصر نمتك فكنت كاتبها
ضمتك حيا فى جوانحها
فيك التراث لأمة وشبت

ماكنه هذا الموت ، ما الوعد ؟
صورا لديك يفوتها العد
فيها لك الريحان والند
طلعت بروضك فنها يشدو
يهفو لنا فى قربك السعد
فى ندوة آدابها رغد
ازهى بها ان فاتنى المجد
آمنت ان مقالها جد
فوق المقطم والسنا وقد
نهر المجرة شاقه الورد
يوم المعاد على السما عقد
هذا الصدى ولصوته رعد
ضاحكته ، وعبوسه الاسد
ولعنقه فى شملة برد
حتى اصاب لهاتها الكد
لما ادار عراكه النقد
فليفرح الخصماء والضد
اقلامه فحرابها جرد
سدت مسامع من به حقد
يبقى على ايامها الحشد
بالفكر بعدك لفها الوجد
وصفا لها فى قربك الود
فضلوعها فى موتك اللحد
وافاك فى تاريخها الخلد

دكتور زكى المحاسنى

عتابٌ من أدبَاء السّودان

بقلم : محمد عبد الله السمان

لأدباء السودان الحق كل الحق فى أن يعتبوا على صحافة القاهرة لأنها ــ على حد قولهم ــ لا تحس بادبهم ، ولا يخطر انتاجهم ببالها ·

ويضاعفون عتبهم على صحـــافتنا الادبية هنا ، ولا سيما مجلة **الرسالة** وهى على حد تعبـــيرهم ــ **اثيرة عندهم ، مكينة لديهم ، لم ينقطع حنينهم اليها طوال فترة انقطاعهـــا · ولم تغب عن احاسيسهم ومشاعرهم خلال غيبتها ، فظلت سنواتها العشرون الماضية مدرستهم التى لم تغلق أبوابها ، ومورده الذى لم ينضب معينه ، وعزاءهم الوحيـــد الذى لم يتخل عنه الامل ، حتى ردت لها الدولة اعتبارها، فعادت معززة مكرمة ، تناضل عن العروبة الاصيلة شعوبية الافاقين والمتخرصين ، وتذود عن الاسلام الصحيح ثرثرة المتطـــاولين والمنحرفين ، وتذب عن لغة العروبة والاســـلام معـــا ، مراهقة العابثين والمتشدقين » ·**

هذا هو مجمل الرسالة التى حملها الى من ادباء السودان الشباب الاديب محمد الحسن الكاملابى ، الذى يعنى بنشر الانتاج الفكرى السودانى بالقاهرة، وبتصدير الانتاج الفكرى المصرى الى السودان ، وقد عاد أخيرا من السودان بعد جولة قام بها هناك فى شتى أنحائه استغرقت أسابيع عديدة ، اتصل خلالها بالادباء والمفـكرين شـــبانا وشيوخا ، ومهد لنشر الكتـــاب العربى فى المدن الكبرى والصـــغرى على السواء ·

قال لى السيد / الكاملابى : صـــاحب مـــكتبة الكاملابى بالقـــاهرة : **ان** معظم الانتـــاج الفكرى السودانى يطبع هنا بالقـــاهرة ، واقله يطبع فى بيروت ، وأقل القليل منه يطبع فى السودان ، وبينما تهتم صحافة لبنان اهتمـــاما بالغا بأدب السودان وتتناوله بالنقد والتقييم ، اذ بصحافة القـــاهرة ــ وعلى الاخص الادبية منها ــ تتجاهله تجاهلا تاما ، ولا تكاد تعترف به الا فى مجال الاعلان عنه حيث يدفـــع الثمن · وقد قمت وحدى بطبع ونشر زهاء عشرة كتب ، وطبع غيرى من دور النشر بالقـــاهرة اكثر من هذا العدد لأدباء سودانيين ، دون أن يعار

هذا الانتاج كله أدنى اهتمام من وسائل الاعلام فى المجال الادبى ، **ويقابل** هذا فى الســـودان الاهتمام كل الاهتمام بكل ما يصل اليه من انتـــاج الادباء المصريين ، فلا تتوانى صحيفة من الصحف ، يومية كانت أو اسبوعية ، عن عرضه العرض اللائق بمكانة الكتاب ومؤلفه ، ولا يتـــوانى الادباء والمثقفون عن تناوله واستيعاب افكاره ، سواء فى صحافتهم أم فى نواديهم الادبية وهى من الكثرة بمكان ·

وانا مع الاديب الكاملابى فيما قال ··

فالرابطة الوثيقة القـــائمة على أخوة الاســـلام والعروبة بين مصر والسودان ، ليست فى حاجة الى مناقشة ، ولا ريب أيضا ، فى أن الصلة الادبية التى مزجت بين روحى الدولتين الشقيقتين ، كما مزج بين جسديهما شريان النيل ، كانت عاملا أساسيا فى دعم هـــذه الرابطة على مر السنين ، دون أن تتأثر بظروف السياسة او غيرها ·

هل يقوى انسان ــ كائنا من كان ــ على أن يجهل أو يتجاهل ، ان معظم ادباء السودان ــ ان لم يكن جميعهم ــ تلقى العلم فى جامعات مصر ومعاهدها وأزهرهـــا ، وارتوى من الأدب المصرى وتأثر به ، وارتبط روحيـــا وفكريا بعمـــالقة الأدب والفـكر عندنا ؟

والحق ان كثيرا من الانتاج الادبى السودانى ظهر فى أسواقنا العربية ، خلال الاعوام الاخيرة ، وتكاد اهتماماتنا بهذا الانتاج لا تذكر ، ولست أدرى كيف نتجاهل عددا من دواوين الشعر ، لا زلت أذكر منها: « **أكواب بابل من ألسنة البلابل** » للشاعر الصاغ **محمود ابو بكر** ، وهو فى عدة أجزاء ، وقصائد هذا الديوان تعبير صـــادق عما مر به فى الحيـــاة من تجارب ، ولا سيما فى المعارك التى اشترك فيها ومنها معارك الحرب العـــالمية الثانية ، والديوان مع ذلك يفيض بالغزل العف ، والنسيب العطر ، والعتـــاب الهادىء ، والدعابة الخفيفة ·

وديوان : « **كوخ الاشواق** » للشاعر **الهادى آدم** ، الذى تلقى علومه فى دار العلوم بالقاهرة ، ولديوانه هذا ارتبـــاط وثيق بذكرياته عن مصر ، ولقصائده تجـــاوب كبير مع احساســـات القـــارىء المصرى والسودانى على الســـواء ، وجميعهـــا من الشعر العامودى ، ويتسلل الى بعضها أحيانا طابع خفيف من الحزن ، وقد حفل الديوان بالشعر السياسى ، الذى تجـــاوب مع ثـــورات مصر والجزائر والدول

الافريقية المناضلة ، ومن أروع قصـــائد الديوان : **وقفة على تمثال مصطفى كامل** جاء فيها :

انت علمتنـــا الحقوق وكانت
قبل للســحر والخرافة أدنى
انت صيرت للخطـــابة وزنا
حين كان الخطيب باللفظ يعنى
انت ذللت بالـيراع صــعابا
وقف السيف دونهـــا يتثنى
رب قـــول نفثتــه فى قلوب
صار هديا لهـــا ونورا وأمنا
أترى مصر كيف تنتزع المجــ
ـد وتبنى فى كعبة المجد ركنا
كنت بالامس مصطفاها وأنت ال
ـــيوم أهرامهـــا فنم مطمئنا

وديوان : « **طائر الليل** » للشاعر حسن عباس صبحى ، كتب مقدمته الدكتور عبد الحميد يونس ، والشاعر ممن تخرجوا فى كلية الآداب ــ القسم الانجليزى ــ جامعة القاهرة ، امضى عامين مذيعـــا بالقسم العربى باذاعة لندن ، ولكنه ركل الوظيفة بحذائه فى أول فرصة عندما وقع العدوان الثلاثى على مصر ، وعاد الى ارض الكنـــانة مرة أخرى ، وشعر الديوان ــ وان كان من الشعر الحديث ــ الا أنه تميز باحســـاس الشـــاعر بذاته وبالجماعة وبالطبيعة ، كما تاثر الى حد ما بالشعراء المحدثين فى تطويع موسيقى الشـــعر لمختلف الاغراض متمسكا بايقاع الشعور كما يقـول الدكتـــور عبد الحميد يونس .

ولست أدرى أيضا ، كيف نتجاهل هنا الانتـاج الوفير فى عالم القصة ، أذكر من هذا الانتاج الحديث « **التازجان والشتاء** » للاديبين : الزبير على ، وخوجلى شكر الله ، وهذا الكتاب مجموعةمن القصص القصيرة بلغت اثنتين وعشرين قصة ، لكل منهما احدى عشرة قصة .

و « **البرجوازية الصغيرة** » مجموعة من القصص القصيرة ، للاديبين : صلاح أحمد ابراهيم ، وعلى الملك ، وقدم لها الدكتور احسان عباس الاســـتاذ بجامعة القاهرة فرع الخرطوم .

و « **سر الدموع** » قصة طويلة فازت بالجـــائزة الاولى لهواة القصة ، والمؤلف هو الاديب محمد عثمان على صبار ، حصل على دبلوم فنى بالقاهرة ، ودبلوم الصحافة بالمراسله ، ويعمل الآن مدرسا بالمدرسة الثانوية الفنية بجدة بالمملكة العربية السعودية ، وكتب مقدمة هذه القصة الاستاذ يوسف السباعى ، الذى قال عنها : « **انها اضافت لونا جديدا من الوان التجربة الشــعورية والنفسية فى ميدان آخر من ميادين الحب والعاطفة والدموع** »

و « **المائدة الحمراء** » مسرحية طويلة من ســبعة عشر فصلا للاديب : الطاهر عبد الكريم ، وهى فى اطارها السياسى ، تعــالج كثيرا من الاحداث التى تجرى بين أرجاء كل من آســيا وافريقيا ، ويلعب الاستعمار البغيض فيهـا دورا خطيرا ، حيث يقلب الحق باطلا ويصير الباطل حقا ، ولحساب القــوى الباغية الدخيلة ، التى تأبى الا أن تعيش على دماء الشعوب المناضلة ودموعها .

ولست أدرى ثالثا ، كيف نتجاهل الدراســـات الادبية الحديثة لادباء السودان ، ومنها : الاتجاهات الحديثة فى النثر العربى فى السودان للدكتور عبد الله الطيب ، وهى محاضرات القـاها الدكتور على طلبة « **معهد الدراسات العربية العالية** » التـــابع لجامعة الدول العربية، تناول فيها النثر من الصوفية الى الصحافة ، والنثر فى المهدية ، والنثر المعاصر ، كما تناول دراسة عن أدب أديبين سودانيين هما : **المجوب ومحمد عشرى** .

وكذلك : « **الادب الشعبى فى السودان** » للاديب عز الدين أحمــــد حسن ، وهو كتاب ــ على صغر حجمه ــ له أهميته ، وقد جاء دراسة تناولت مفهـوم الادب الشعبى كاداة تثقيفية ، والعادات والتقاليد الشعبية فى السودان ، والاحاجى الشعبية والالغاز ، واغانى الصبية ، وأدب المدائح والملحمة والاسطورة، ثم ختم دراسـته بفصل عن كيفية النهوض بفنوننا الشعبية .

وبعد ــ فلست أدرى سببا لهذه القطيعة الادبية الا التراخى والكسل من جهـــة ، ومن جهة أخرى فقدان الاحساس فى أحد الطرفين ، وهل هنـــاك شك فى أن الجهات الادبية السودانية باسرها تحس احساسا تاما بكل ما ينتجه الفكر المصرى ؟ أما الشك فهو فى احساسنا نحن هنا بالانتاج الفكرى السودانى الذى يشاركنا دائما ويشارك شتى بلاد العروبة فى كل أحداثها الجسام .

والمسئولية تقع على عاتق أدبائنا المسئولين وغير المسئولين ، وعلى صحافتنا الادبية بالذات ، نريد أن **نحس بان فى السودان حركة أدبية ترفع أكفها الى القـاهرة مركز الاشـــعاع الفكرى للعروبة ، لتاخذ بايديها من المحلية المحدودة الى مجالات واســعة وآفاق رحبة** .

محمد عبد الله السمان



نواة الذرة

للدكتور محمد محمود غالى

مسالة بسيطة من مسائل الحساب أعرضها هنا وهى لاتخرج عن نوع المسائل التى يحلها صغار التلاميذ فى الصفوف الاولى من التعليم الابتدائى ، وفى غرض سيتضح خلال هذا المقال من عرض هذه المسالة وهى خاصة بوزن المتفجرات التى القاها المتحاربون خلال الحرب العالمية الثانية والتى قدر الخبراء انها حوالى ٣ مليون طن من المواد شديدة الانفجار ٠

وتعود بالاذهان الى الحرب العالمية الثانية ، هذه الحرب والضروس التى مات فيها حوالى خمسين مليونا من البشر والتى استمرت ست سنوات من سنة ١٩٣٩ الى سنة ١٩٤٥ والتى كانت بين المانيا وايطاليا واليابان من طرف وانجلترا وفرنسا وامريكا والاتحاد السوفييتى من طرف آخر ٠

ولنفرض انه كان لكل من الطرفين مائتان من قاذفات القنابل التى تحمل القنابل يوميا وتلقيها على مواقع الطرف الآخر ففى هذه الحالة نعتبر أن ثمة ٤٠٠ قاذفة قنابل تستخدم يوميا فى هذه الحرب تلقى الدمار فى البقاع من العالم التى يختارها كل من المتحاربين ٠

وباعتبار ان حمولة قاذفات القنابل فى ذلك الوقت كانت ثلاثة طن من الديناميت فان مجموع مايلقيه الطرفان المتحاربان يوميا هو :

٤٠٠ × ٣ = ١٢٠٠ طنا من المواد المتفجرة ٠

وتكون قد ألقت فى عام كامل مازنته :

١٢٠٠ × ٣٦٥ = ٤٣٨٫٠٠٠ طنا ٠

وللتقريب نشير أن مايلقى فى عام هو حوالى أربعمائة وخمسين ألف طن من المتفجرات ٠

وفى مدى ست سنوات تكون هذه القاذفات التى لم تهدأ يوما واحدا قد ألقت :

٤٥٠ الفا × ٦ = ٢٫٧٠٠٫٠٠٠ اثنين مليون وسبعمائة الف طن ٠

ولقد قرر الخبراء أن مجموع ماالقاه المتحاربون من هذه المواد هو حوالى ثلاثة مليون طنا وهو رقم قريب جدا من الصورة التى تخيلناها فى المسالة السابقة ٠

هذه هى القنابل التى القاها الالمان على بولندا عندما اكتسحوها وحرقوا عاصمتها فارسوفيا ، بل هى التى القوا بها فى معركة سمولنسك فى طريقهم الى ابواب موسكو ، هذه الموقعة التى مات فيها نصف مليون من البشر ، بل التى القوها فى معركة ستالنجراد المدينة الباسلة حيث كانت الحرب صراعا فى كل منزل وفى كل حجرة ، بل ويدخل فى هذا التقدير ماالقاه الايطاليون والالمان والانجليز فى (العلمين) فى مصر وكل ما ألقاه الالمان فى بلجيكا ، وحول خط ماجينو عندما اخترقوه فى سبيدان ومروا فى باريس وواصلوا السير حتى بوردو ٠

بل يدخل فى فى حساب الثلاثة المليون طنا من المتفجرات كل ما ألقاه الروس أيام خروجهم من مخابئهم وتتبعهم فلول الالمان حتى برلين عندما دخلوها فاتحين يوم زفاف هتلر فى مخبئه التاريخى بل كل ماالقاه الامريكان على المانيا وعلى مدنهم الكبيرة حيث هرع السكان فى همبرج الى البحر ،

يلقون بأنفسهم في الماء هربا من سعير أسفلت الشوارع المتقد، وحيث كان الهجوم المنظم للقاذفات الامريكية على كل ربوع المانيا ثم نزولهم في شمال فرنسا وضربهم مقاطعة النورماندى حيث شاهدت سنة ١٩٥٠ في روان وفي كل النورماندى الآثار التي لا يصدقها العقل لهذا الضرب حيث نجت من الدمار كاتدرائيتها العتيدة • كل هذا وفي مدى ست سنوات طوال ألقى حل المتحاربين ثلاثة مليون طنا من المواد المتفجرة •

والآن أود أن يتصور القارىء أن القنبلة الهيدروجينية مثلا التي جربها الامريكان في بكيني سنة ١٩٥٤ تعادل وفق تقرير الخبراء عشرة مليون طنا من المواد شديدة الانفجار أي انها تعادل ثلاثة أضعاف كل ما ألقاه المتحاربون خلال أكبر حرب شهدتها البشرية، بل ان هناك قنابل فوق هيدروجينية من الليثيوم المغلف باليورانيوم الذي كان لا ينفجر قوة الواحدة منها خمسمائة أو ألف مليون طنا من المواد شديدة الانفجار أن الواحدة منها تعادل حوالي مائة مرة أو يزيد قدر كل ما فجره المتحاربون في الحرب العالمية الثانية وفي خلال ست سنوات •

ترى ما الفرق اذن بين تفجير القنابل الاولى التي تعرفها ، والقنابل النووية الجديدة — ما هي اذن كلمة نووية ؟ — ما هي كلمة « نواة » ؟ ما الذي حدث في العلوم ؟

ترى قبل تفجير القنبلة الانشطارية من اليورانيوم أو الهيدروجينية من مماكنات الهيدروجينية أو فوق الهيدروجينية من الليثيوم في حالته الصلبة كانت المادة ككل المواد التي تراها وتحملها ؟

نعم مادة بالضبط كالحديد والفضة والذهب بل والخشب والزجاج الذي يتألف منه هذا المكتب الذي أملى منه هذا المقال بل ككل المواد الحية كهذا • العصفور الطائر وهذه النملة الحائرة التي تسعى وراء رزقها في الحديقة ، كل هذه المواد والمواد التي استخدمت في صناعة القنابل الفتاكة لها نوى وتركيبها واحد ولا يوجد بينها خلاف رئيسي ومظهرها كلها واحد ولكن الانسان استطاع أن يحصل على الطاقة الدفينة في هذه النوى ويستخدمها هذا النوع من الاستخدام •

ولنبحث الآن عن نواة الذرة وصفاتها ومم تتكون والواقع كما قدمنا في المقال السابق ان الجزء الهام من حيث الكتلة يتركز في النواة لا في الالكترونات الدائرة حولها ، وتبلغ نسبة كتلة النواة الى كتلة ما يحيطها من سيارات حوالي واحد على الفين في الهيدروجين مثلا أخف العناصر والذى أعطينا صورة لهذه الذرة في مقالنا السابق •

وتحتفظ النواة بجميع الصفات المادية للعنصر ولا تؤثر فيها المؤثرات الكيميائية أو الحرارية أو الكهربائية ، فالحديد يحمر عند ارتفاع حرارته ، فاذا بلغت درجته مثلا ٥٠٠٠ درجة يبيض هذا المعدن ومعنى هذا في لغة الفيزياء أن الالكترونات الدائرة حول النواة قد غيرت طاقتها بتغيير في مواضعها بالنسبة للنواة ، أما النواة ذاتها في الحديد ، فلم يحدث فيها أي تعديل رغم هذه الحرارة العالية •

ولنا ان نتساءل الآن عن مكونات النواة ونوع الجسيمات التي تتركب منها ، ومبلغ ضآلة هذه الجسيمات ، وهل هي جسيمات فقط أم هي بحكم وجودها في هذا الحيز الضيق تدخر لها طاقة تحتفظ بها ، وهل تكفي مع هذه الضآلة محاورنا الكارتيزية لفهمها والتعبير عن وجودها كما تعبر بها عن الأجسام العادية ؟ هل يجوز لنا النظر الى هذه الجسيمات داخل النواة مادة أم مادة وطاقة ؟ وكيف نمضي في تقديرها وحسابها ؟ هل يكفي ما تعودناه في علوم الحساب باستخدام الجمع والطرح أم ماذا ؟ •

كل هذه الاسئلة تصعب الاجابة عليها وتحتاج كتابا ضخما ، ولكني أوجز هنا ما يكفي أن نستوعب به طرفا مما أثرناه ، ذلك ان لهذه النواة على ضآلتها تركيبا معقدا فهي مكونة في كل العناصر من نوعين اثنين من الجسيمات ، وهذان النوعان من الجسيمات هما البروتون والنيوترون ، أما البروتون فهو نواة ذرة الهيدروجين وشحنته تساوي شحنة الالكترون الا انها موجبة ، وقد ذكرنا ان كتلته قدر كتلة الالكترون حوالي ألفي مرة ، واما النيوترون فهو جسيم لا شحنة له ، وتساوي كتلته كتلة البروتون تقريبا •

على أن عدد بروتونات النواة يساوي دائما عدد ما يدور حولها من الالكترونات ، ويسمى هذا بالعدد الذري • أما عدد النيوترونات فيزداد في النواة من عنصر الى عنصر بازدياد كثافة هذا العنصر وبازدياد عدد ما بالنواة من بروتونات بحيث ان عدد الجسيمات في ذرة اليورانيوم العادي مثلا ٢٣٨ جسيما ومن المعروف أن عدد بروتوناته ٩٢ فان عدد ما بداخل النواة من نيوترونات هو !

٢٣٨ - ٩٢ = ١٤٦

وهذا العدد ٢٣٨ يسمونه الوزن الذرى أو العدد الكتلى لأنه عدد مرات كتلة نواة الهيدروجين أخف العناصر .

واذا عدنا الآن لما ذكرناه من ضآلة النواة التى يبلغ طولها فى بعض الحالات بجميع مافيهـا من الجسيمات واحدا على مليون المليون من الملليمتر ، أدركنا ونحن نتأمل هذه الجسـيمات داخل النواة الصغيرة أن لها قوانين تختلف جد الاختلاف عمـا اعتدناه من قوانين .

مثال ذلك : يختلف مجموع كتل هذه الجسيمات داخل النواة عن مجموع كتلها اذا تفرقت ، بمعنى أن هذه الجسـيمات اذا خرجت من النواة نقص وزن مجموعها على حساب طاقة كبيرة تخرج للخارج .

انما أود أن أصل مع القارىء الى نتيجة صعبة : ذلك أن أشرح احدى الحالات التى تتحول المادة فيها الى طاقة وهو ما هو حادث فى القنابل النووية، وأعود فأقول اننا اذا وضعنا عشرة جنيهـات من الذهب على كفة ميزان دقيق فان مجموع وزنهـا يساوى مجموع وزن كل من هذه الجنيهات مأخوذا على حدة ، ولكن اذا اعتبرنا الجسيمات المكونة للنواة فان أمرها يختلف عن ذلك ، فمجموع كتلة هـذه الجسيمات مجتمعة يختلف عن مجموع كتلتها متفرقة ذلك أن من الميسور لنا وضع العشرة جنيهات الذهب فرادى أو مجتمعة فى مكان ما ، بينما لانستطيع أن نجمع مجموعة من جسيمات النواة على الشـكل المجتمعة فيه بالنواة ، ويبدو ـ وهذا هو المهم ـ انه قد صرفت طاقة كبيرة لجمعها على هذه الصـورة ، طاقة ادخرتها لنفسها لبقائها مجتمعة ، وهى الطاقة التى تخرج اذا استطعنا تفريقها ، وهذه الطاقة تعادل النقص المادى فى كتلة المجموعة بعد تشتيتها .

ويعتبر هذا فى نظر العلماء المحدثين انعدام جزء من المادة من حيث هو مادة وتحوله الى طاقة ، من هنا نرى طرفا فى بعض أسئلتنا المتقدمة ، بل نرى أن ما يقال عن عالمنا الكبير الذى نعيش فيه لا يقال عن هذا العالم الصغير، عالم النواة وسكانها ، وكأنى بالدنيا طاقة ومادة موجودتان فى الحيز والزمان ، وكأنى بالمادة صورة متبلورة من صور الطاقة يمكن بعملية معينة أن تعود سيرتها الاولى .

من هنا يفهم القارىء الفرق بين القنابل العادية التى هى عملية كيميائية فقط لادخل للنواة فيها والقنابل النووية التى استطاع الانسان فيهـا أن يجعل النواة تنهدم وتجرأ بذلك على هذا الحصن المنيع .

علما انه يوجد جسـيم آخر غـير البروتون والنيوترون والالكترون وهو البوزيتون ، وقد كشفه أندرسـون فى أمريكا خلال دراسته للأشعة الكونية واستحق على كشفه جائزة نوبل لسنة ١٩٣٦ ، انما نذكره لأهميته ولانه لايوجد فى الطبيعة أمامنـا الا خلال فترة زمنية لا تتعدى واحدا على عشرة آلاف من الثانية .

على انى عندما اذكر الصعوبات الجمـة التى صادفتها عندما تمكنت عن طريق العلم التجريبى أن اضع طريقة أقيس بها فترات زمنية تبلغ واحدا على خمسة آلاف من الثانية عندما قمت بمقارنة سرعة الكرات الصلبة داخـل السوائل فى بحوثى فى السوربون الخاصة بطمى النيل أذكر مع الاجلال تلك الخدمات الرائعة التى قدمتها غرفة ولسـون لعلوم الذرة ، ولقد أمكن لأندرسـون بواسطتها أن يرسم مسار هذا البوزيتون ، هذا السائح المتناهى فى الصغر والمتناهى فى قصر عمره العجيب .

وللبوزيتون كتلة تساوى كتلة الألكترون ، وله شحنة موجبة تساوى شحنة الألكترون السالبة .

ولقـد نشأت فرضـية هى أن البرتون كذلك النيوترون ليسا جسيمات بسيطة بل كل منهمـا مجموع لجسيمين بحيث ان :

النيوترن = بروتون + الكترون

البروتون = نيوترون + بوزيتون .

وهنـاك من الاسباب مايدعو الى العـدول عن المتساوية الاولى ، بل هناك من الاسباب ما يدعو الى العدول عن المتساويتين معا ، فقد وجد أن كلا من البروتون والنيوترون حالتان مختلفتان لجسيم واحد ، ومن ثم يمكن لأحدهما أن يتحول الى الآخر ، وذلك بارسال جسيم جديد يسـمونه الميزون ، كشفه العالم اليابانى (يوكاوا) .

ويتحدثون الآن عن البروتون السالب وعنـد ظنى انه قد يكون هذا البروتون السالب مجموعة من النيوترون والألكترون ولكنى أكتب هذا الرأى على علاته ولم أبحثه مع المتخصصين .

وهناك فرضية أثارها العالم (باولى) السويسرى وطبقها العالم الايطـالى المعروف (أنريكو فرمى) ،

البقية على صفحة (٤٠)



السد العالي وليلى بعلبكي
واشياء اخرى ..

كم في حياتنا الآن من متناقضات !

قمم .. وسفوح ..

هناك في القمة العليا حول السد العالي كان الرفاق من الأدباء والفنانين الذين اوفدهم المجلس الأعلى للفنون والآداب ـ **كانوا مبهورين بما فعلته الارادة العظيمة وما صنعه الاصرار العجيب من المعجزات .. من تحويل النهر .. من تحويل الحيـاة كلها الى ما هو اكثر من افضل ..**

انها التجربة التي تصهرنا لتحيلنا الى « مركب » آخر له خصائص اخرى غير التي كانت والتي لا تزال تتشبث بالسفوح وتتسكع في القيعان !

انحدر حديث الرفاق .. محمود حسن اسماعيل وعبد الرحمن الشرقاوي ومحمد عبد الغني حسـن والعـوضي الوكيل ومحمود البدوي وثروت اباظة وعبد الله شمس الدين ونبيل الألفي وحسام الدين مصطفى وعصام الجيني وكاتب هذه التعقيبات ـ انحدر حديثنا من القمة الى السفح .. اذ كان في يد احدنا مجلة « روز اليوسف » فراعه ان وقع بصره فيها على موضوع تحت هذا العنوان :

« **انا .. جافة .. اريد ان ارتوى !** »

« لقاء مع ليلى بعلبكي »

وجعل كل يلقى نظرة على الكلام العـاري .. ويعلق آسفا مشمئزا ..

كيف ينشر هذا !

كيف يأمن الناس ان يدخل هذا الكلام البيوت!

اليست هذه المجلة ملكا للاتحاد الاشتراكي ؟

هذا ازراء بالكلمة المكتوبة ..

هذا عار على القلم .. واهدار لكرامته .

وكان احد زملائنا الشعراء سارحا يتأمل الفضاء الكبير المنحوت في الصخر كي يتحول اليه مجرى النيـل ، فاسترعت سمعه كلمات مثل : جافة .. تريد أن ترتوى ..

فقال حالما :

ـ **انها سترتوى حتما .. أليس هـذا كله من اجلها !**

علت ضحكات الرفاق من كلام زميلهم السـارح في عالم السد العالي والأراضي التي سيرويهـا ماؤه .. وجذبت الشـاعر الردود والتعليقـات الضاحكة في مرارة .. الى الوادي الآخر :

ـ **يا اخي .. انت في واد ونحن في واد آخر .**

ـ **أي واد آخر ؟**

ـ ليلى بعبلكي !

ـ من هذه البعلبكي ؟

ـ الكاتبة اللبنانية ..

ـ وما شأنها هنا ؟

ـ **هي الجافة .. التي تريد أن ترتوى ! كما يقول الكاتب المحرر بروز اليوسف ، اذ لقيهـا وتحدثت اليه بذلك ..**

ـ فلتأت الى مصر وترتوى من ماء النيل .. أو فلتشرب من البحر ..

ـ لا يا أخي .. انظر مـا قالتـه للمحرر أو ما أسـنده المحرر اليها : « **انا جافة ، يابسـة ، اريد ان ارتوى ، لا يروينى سواه !** » وكذلك هذا .. انظر : « **انى اعشق جسده عاريا** » وانظر هذا : « **ثم شدنى اليه وغسلنى بالقبل .. لم يترك ذرة**

في جسدي لم يقبلها ..» وهذا : « وأي لذة في أن يتعرى امامه في وضح النهار ! » .

ـ ومن هو الذي يتعرى ؟

ـ الانسان الذي يجد نفسه بين ذراعي شخص آخر ..

ـ هل تقلد « فرانسوا ساجان » ؟

ـ لا ، انها تفوقها .. انظر .. ها هي ذي تقول عنها .. عن فرنسوا ساجان : « **امراة خجولة جدا** »

ـ عجيب !

دبيب النمل ..

ولم ينقض العجب ... ففي نفس العدد من «روز اليوسف » قصة للسيدة جاذبيةصدقي بعنوان « سنواتي الخمس عشرة ! » وهذا هو عمر بطلة القصة التي تحدثنا عن نفسها وقد بلغت هذه السن **.. تحدثنا عما اعتراها من « دبيب نمل » بدا يدب في جسدها .. أو كما تقول : « قوافل نمل تسرى في قوامي هذا من جذور شعري الى اطراف انملة قدمي الصغيرة ! يارب ـ ماذا افعل به ؟ بذلك الدبيب » وتستغيث : « ادركوني ، ادركوني ! »**

أتدرى من تريد .. ؟ أبوها !! تتجه غريزتها اليه !! تتغزل بابيها .. اي والله بابيها .. تقول: « انني معه (مع أبيها) او في حضرته أجدني بلا وعي أرقق منصوتي ... » الى ان تقول : «حركاتي تتماوج رقيقة في انسيابية ، اريد ان اروق في عينه (عين ابيها) فانا احبه دون الرجال جميعا » .

وأي حب تحب أباها ؟ انها ترى الشبان فتبحث في كل منهم عن أبيها فلا تجده « لا أحد ، أبي شيء آخر » هل هو شيء آخر بمعنى « أب » تحبه كأب ؟ لا ، شيء آخر .. « **انهاكثر .. اكثر .. رجولة !!** »

وليس ذلك ـ في نظرها ـ عيب ! أو كما تقول :

« وما له ؟ رجولة .. انوثة .. وجنس ! كلها اشياء طبيعية لا بد أن تفهميها (تخاطب بهذا نفسها) بل انك تفهمينها ان لم تكن بعقلك ، فبغريزتك ! »

ولما تيأس من أبيها ، ويستبد بها النمل .. يهبط عليها المنقذ .. « **لاعب كرة ... العين عليه** « يا عيني على كده !) وتكاد البنات تجن من أجله (ياختي عليها !) له اسم مشهور .. الخ »

ولكن .. خيال « الأب » لا يزال .. فعلى الرغم من أن « لاعب الكرة » أخذها الى شقته ... فانها لا تزال تتخيل وتتمنى الجلوس على الركبة .. فتقول في لحظة التنوير .. وهى ختام القصة :

« **ساجلس على ركبته واتخيله أبي !** »

وخلاصة ما تريد أن تقوله الكاتبة الفاضلة : النمل هاجم البنت ، لم ينفع أبوها .. ولم ينفع تدليك أمها لجسمها العاري في الحمام .. واخيرا جاء المنقذ في شخص لاعب الكرة وخيال الأب . !

الأستاذ الأكبر !

وهذه « شقة خاصة » أخرى غير شقة السيدة جاذبية صدقي .. هي « شقة » **الأستاذ الأكبر .. احسان عبد القدوس** .. في نفس العدد من المجلة، الذي هبط بنا من قمة السد العالي .. يفتتح احسان حلقة من حلقات قصة « أنف وثلاث عيون » باصرار البطلة ـ وهى امرأة متزوجة ـ على اغراء شاب أعزب .. انها تقول : « **كنت أعرف بالضبط ماذا أريد من هاشم في هذا اليوم ..** » كانت تريد أن تضع حدا للخداع والغش والكذب .. فدخلت شقة هاشم ووضعت ذلك الحد . ولكن على الطريقة الخاصة التي يجيد وصفها الاستاذ الأكبر **.. أصوات خافتة ، وأنفاس مبهورة ، ووجوه ساخنة ، وأصابع تتحسس وتنغرز في اللحم ، وقبلات متطورة بلا حساب، وكل شيء يطير من العقل ... وامام اصرار المرأة .. لم يعد هاشم « يحاول أن يقاوم .. استسلم لرجولته .. » وبهذا وضعت حدا لرذائل الكذب والغش والخداع .. وأصبحت امرأة فاضلة .. !**

والرجولةعند الاستاذ مثل الرجولة عند التلميذة .. حذوا !

وأكرر أسفي الذي طالما ابديته لهذا البحران الذي يغرق فيه احسان عبد القدوس فنه القصصي، لأنه لا يزال ، بل هو يعطي المزيد ! وما زال يتحدى .. وأخشى أن ينقلب عليه التحدى !

التقدم والتخلف

وبعد ذلك كله نسأل :

الام تقودنا هـذه الاجسام الجافة اليابسة ٠٠ التي تريد ان ترتوى ٠٠ والحركات المتماوجة على ايقاع دبيب النمل في الاجساد العارية ٠٠ والأصوات المبحوحة والانفاس اللاهثة ٠٠ و ٠٠٠ و ٠٠٠ الى اية غاية تقودنا هذه الاشياء ! الى غد افضل ؟ الى حياة أسعد ؟ الى انسانية ارقى ؟

لا ٠٠٠ انها تقودنا الى شيء أهم من ذلك كله في نظر هؤلاء المواطنين ٠ ولو لم يكن كذلك ما وجهوا همهم اليه .. ام ترى عندهم تفسير آخر .. ذلك الشيء هو « **الشقق الخاصة** » ولا شيء غير الشـقق الخاصة !!

ان هؤلاء الكتاب والكاتبات يصـــورون من يتقدمهم على هذا النحو في صور المتأخرين المتخلفين ٠٠ على رءوسهم عمائم كبيرة وتتدلى من أذقانهم لحى طويلة ومن أيديهم مسابح من كرات الخشب الغليظة ويتصورون أنفسـهم عصريين وعصريات ومتقدمين ومتقدمات ومتحررين ومتحررات ٠٠٠ الى آخر كل مختوم بأين وآت ٠

لا يا سادة ٠ الجديد ٠٠ الحديث ٠٠ آخر (موضة) هو هذا ٠٠ « السد العالي » هذا الصـــوان العتيد الذي يحجز مياه النهر ويصرفها بما ينفع الناس ٠٠ والمتقدمون المتحررون العصريون ٠٠ هم هـؤلاء العمال والمهندســـون الذين يشقون الجبل ويقدون الصـــخر ٠ كي يهيئوا المجرى الجديد ٠٠ الذين يصنعون حياتنا من جديد ٠

اما انتم أيها السادة فاسمحوا لي أن أقول لكم : انكم أنتم المتأخرون المتخلفون ٠٠ أنتم (موضة) قديمة جدا ٠٠٠

كشكول

● يحتفل الآن في انجلترا بمرور أربعمائة عام على ميلاد شكسبير ٠ ويخطر لي بهذه المناســبة أن أسأل : لماذا اعتدنا نحن أن نحتفل بذكرى الوفاة ولا نحتفل بذكرى الميلاد ؟ هل هذا لأن طبيعتنـــا يغلب عليها استمراء الحزن وأننا ننتهز أية فرصة لكي نعبر بالبكاء على الراحلين عن سوء ما نحن فيه ؟ اذا كان ذلك فمـــا أجدرنا الآن بأن نغيره ، لامحاكاة للغربيين ، بل رجوعا الى الأصل ٠٠ **ألسنا نحتفل سنويا بالمولد النبوى ٠ ؟**

● في المجلس الأعلى لرعاية الفنـــون والآداب مشروع لتكريم رواد الأدب والفن يرمي الى اشعار هؤلاء الرواد بتقديرهم وعرفان فضلهم في حياتهم وهو غرض جليل ٠

● دعت العراق الى عقد الدورة الخامسة لمؤتمر أدباء العرب ببغداد في نوفمبر القـــادم ٠ ويقول الاخوة العراقيون **انهم يشعرون بان العراق ـ وفي الحقيقة جماعة معينة كان لها شأن في عهد قاسم ـ كان السبب في تجميد المؤتمر عقب اجتماع دورته الرابعة بالكويت منذ سنين ٠**

هذا ويبحث المجلس الأعلى مسألة تنظيم مهرجان الشعر السنوى في خلال انعقاد المؤتمر ببغداد ٠

● يكتب بعض الكتاب الصحفيين عن شـبان أحياء فيقولون انهم في عمر الورد !

وذلك خطأ وفأل سيىء ٠٠ لأن الورد يموت بعد عمر قصير ٠٠

وأصل ذلك التعبير وصحته ان يقال عن الشاب المتوفى : انه مات في عمر الورد ٠ اما من لايزال حيا فعمره أطول ٠

● بعض المشايخ يأبى الا أن يكون دكتورا ٠٠ وما هو بدكتور ٠ وهذا في الوقت الذي تتجه فيه قوميتنا للعودة الى الأصول ، حتى يكاد الدكاترة الحقيقيون أن يتمشيخوا ٠٠

● كنا في الماضي نشكو من تصريحات الساسة البريطانيين ، واليوم تشكو بريطانيا من تصريحات رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، مع الفارق بين تصريحات وتصريحات ٠

عباس خضر

حول الأدب في أسبوع

يقدمه : عبده بدوى

الندوات والشعر

تهتم ندواتنا بالدراسات المستانية حول قضايا الادب والفن ماعدا الشعر ، بل ان الشعر ما زال يلقى كفقرات مرفهة خلال بعض الكلمات ، مما يجعله يشبه «الموسيقى الخلفية» التى تكون فى خدمة أحد النصوص .

وقد يجتمع بعض الشعراء ليلقى كل واحد منهم مايسبق الى ذهنه مما يحفظه من شعره ، ثم يقف ناقد «ليلاطف» هؤلاء الشعراء ، وليذكر لهم -غالبا- ان القصائد كانت غزيرة وكانت تحتاج الى دراسة مسبقة ، ومن هنا فهو لايملك الا أن يقدم انطباعا عاما عن القصائد التى ألقيت ، ولن تخرج هذه الانطباعات عن كونها نوعا من المداعبة لهذا الشاعر أو المجاملة لهذا الشاعر .

***

وقد ينصرف الشعراء دون أن يترصدهم ناقد ملاطف فى نهاية الندوة ، وغالبا مايكون الرضا عن النفس قد شدهم الى حافة الغرور ، ذلك لانهم حظوا بالتصفيق ، وبالشكر من القائمين على جمعية الادباء ورابطة الادب الحديثة والجمعية الادبية المصرية ، وندوة ناجى ، ورابطة شوقى ، وجمعية الشبان المسلمين ، وجمعية الشبان المسيحيين .

***

ولعل هذا مايجعل الشعر بدون جمهور ، وما يجعله دون المستوى الذى وصل اليه الشعر فى بعض العصور العربية ، أو بعض الدول الاجنبية ، فنحن نريد شاعرة كهذه الشاعرة التى كان يقول لها النبى عليه السلام «ايه ياخناس» اونريد شاعرا كهذا الشاعر الذى وقف يلقى قصيدة (العطبة السمحاء) فى حفل تنصيب الرئيس الراحل كنيدى دون أن تمت القصيدة الى السياسة بصلة ، ونريد شاعرا كهذا الشاعر الروسى الشاب الذى ينافس فى الاقبال على سماعة السينما والمسرح ، وأخيرا نريد شاعرة كهذه الشاعرة السوداء (فيليس ويتلى) التى كانت على مقربة الى ابراهام لينكون ، والتى كان يعاملها الامريكيون بكل احترام وحب .

ان وظيفة الشعر قد تغيرت عندنا فى السنوات الاخيرة ، وما نريده هو أن يكون للشعراء جمهور يشبه جمهور الشاعر (فاشيل ليندسى) الذى قيل انه كان يخرج المجتمع اللندنى عن وقاره ، ويجعله يشترك معه فى ترداد بعض مقاطعه الى حد أن هذا الجمهور كان يصبح له هدير كهدير الحريق .

***

اننا لاندعو الى (العنترية) فى الشعر . ولا الى القاء المرفقعات الصوتية فى نهاية كل بيت أو مقطع ولكن ندعو الى اللحظة الدرامية ، والقصصية فى الشعر ، والتى يظل ينسجها الشاعر خيطا خيطا فى نفس المستمع ، بحيث يحس المتلقى بعد خروجه انه كان يعيش مع الشاعر على محور الكون ، وانه قد لمس جوهر الوجود وضاعف حياته كاعمق مانكون مضاعفة الحياة .

ولعل هذا لن يتحقق مالم يبعد الشعر عن أن يكون حلية أو فاصلا موسيقيا خلال القضايا المثارة فى الندوات ، وما لم يكن امتدادا للتطور الشعرى لشاعر واحد ، لا عددا من القصائد لعدد من الشعراء فاذا كان لابد من ظاهرة التعدد ، فلتكن فى (النقاد) الذين يجب أن يتعرضوا للقراءة الشعرية الهامسة من كافة ابعادها ، ترى هل تتحقق فى بلدنا ظاهرة (الطابور) لهذه القراءة الشعرية ؟ أم انها مجرد حلم من شاعر ؟

مسرحنا والشعر

النقاد الذين كتبوا عن مسرحية «كوبرى الناموس» قالوا : ان لغتها تقارب لغة الشعر ، او هى الشعر نفسه ، والذين رأوا مسرحيتى (البر الغربى) و (رحلة خارج السور) يستطيعون ان يضعوا اذانهم على هذه النغمة الشعرية ٠٠ الا انه يخيل الينا ان تأثر مسرحنا لايقف عند حد اللغة ، وانما يتعداها الى الغرض ٠

ونحن اذا تجاوزنا مسرح العبث لان هناك مايشبه الاتفاق على أنه شعر فى جوهره ، وان اللغة من اهتماماته الاولى ٠٠ اذا تجاوزنا هذا الى المسرحيات الثلاث التى شاهدناها فى هذه الايام والتى يلعب فيها (الكوبرى) او ظاهرة الانتقال سواء أكانت فى النفس او المكان والزمان ، نرى أن المعمار المسرحى يكاد يكون معمارا شعريا ٠

***

فهناك التجربة الموحية ، والكلمات التى تتحول الى أصوات ورموز ، والتوتر الذى يعرى النفس ، ويلمس جوهر الوجود ، والذى يسمح لأكثر من تفسير نظرا للثراء الذى يلف العمل كله ٠

فخضرة ـ التى تعنى مصر فى كوبرى الناموس ـ نراها تخوض تجربة بعد تجربة ، ومع أن هذه التجارب تقابل بالاحباط فى نهاية الأمر ، الا أننا نراها فى يأسها وتمزقها وطردها لرموز الفشل من حولها ، تنتظر تلك الرؤية القديمة التى تعيش فى نفسها من قديم الأزل، والتى لاتستطيع أن تحدق فى ملامحها ٠

***

ثم هذا الشىء الخفى الذى يعذب الناس فى «البر الغربى» ، ويجعلهم يتوترون ، والذى برغم القول بقتله يوجد دائما ، ويتجدد دائما على رغم البطولات الزائفة التى تنصب باسم القضاء عليه ، والتى تزيد من روعته تلك النهاية المفتوحة التى تحمل على التفكير ، والتى تظل تلاحق المشاهد حتى بعد خروجه من المسرح ثم ـ اخيرا ـ الرحلة خارج السور برموزها الفرويدية ، التى تدور حول الجنس والحلم هى شىء آخر يشبه العالم الشعرى بالنخلة التى تطلب غرابا ، وبالاعمى الذى يظل يردد حتى آخر المسرحية كلمة «هم قالوا ولا لأ ، اوعى يكونوا قالوا» دون أن تعرف هذا الشىء الا بالحدس ، ثم بالفتاة التى يخيل اليها أنها لو عبرت (البر التانى) لوجدت نفسها ـ من شدة الشوق ـ فى عش نافذته من السوسن ، ومع انه تصلها من هذا العالم زهرة غريبة الالوان الا انها تتحطم فى نهاية الامر تحت أقدام زوجها ٠

ومهما يكن من شىء فان الحديث عن الانتظار ، والعبور، والشىء المجهول، وهز الاسوار، والاحتفاظ بالسر فى مواجهة الحياة ٠٠ يعتبر من صميم العمل الشعرى ، ويؤكد أن الشعر لايقتصر على القصائد ، وانما يتعداها الى الالوان الاخرى من الادب والفن ؛ وان ظاهرة وجوده فى هذه الاشكال لاتوضح ثراءه فقط ، ولكن تلقى الضوء كذلك على أن هذه الاعمال حين تصل الى قمتها تكون قد وصلت الى مرحلة الشعر ٠

اله بدون معابد ولا كهنة

ان (النيل) هو بطل هذه الايام ، فنحن جميعا نحسه يجرى بين نفوسنا ، نحس بخصبه فى حبة القلب ، وبعمقه فى خطفة الفكر ، ثم نحس به أخيرا يتحول من دائرة (الفن) الى دائرة (المنطق) ٠

ونحن قد نراه مستأنسا فى بعض الاماكن ، ونراه حزينا وفرحانا ومجهدا ، ونجده فى وردة تنازع يد طفلة ، وفى سنبلة وضع على رأسها التاج وفى «موال» يكسو ليل القرية بالحرير ، وفى حديقة تلف المدينة بالعبير ٠٠ قد نراه فى كل هذا ٠ ٠ ولكنا لن نراه فى حالة (الجلال) الا اذا عبرنا أسوان الا اذا أحسسنا اننا لانعيش الا معه ، واننا قد غدونا معه أطفالا نمسك بأصابعه وبثوبه الازرق ٠

فحين تفصل بينه وبين الجبال (فيونكات) خضراء ، وحين يظل يحاصرك بهذه (اللقطة) الحية وببعض البيوت المندهشة ٠٠ تحس انك تجلس معه فى بيته ، وانك فى ضيافته ، وان كل ما حولك

من ستائر العبيد ، وابسطة الالوان ، وزهريات الماس يخصه هو .

وانك لاتملك امام مايقدم لك من موائد النور والنسيم والحنان والعمق الا ان تشكره ، الا أن تتطلع فى وجهه أكثر مما كنت تتطلع ، الا أن تتذكر فى نفسك تلك الرواية القديمة التى رآها أجدادك والتى كانت ترى فيه انه اله بلا معابد ولا كهنة ، بل والتى ذهبت الى حد انه (أبو الآلهة) جميعا .

ولعلك حين لاتسعفك ترنيمة حديثة ، ترجع الى تلك الترنيمة القديمة التى أوردها سليم حسن فى كتاب الادب المصرى القديم ، والتى تذكر انهم كانوا يقولون عنه :

« انه ينبع من الارض ، ويهرول ليطعم مصر !
وانه صانع الشعير ، وخالق القمح

وان مايثبته للناس خير من الذهب والفضة .

ذلك لان الناس ياكلون الشعير ولا ياكلون اللازورد

وانّ من أجله تقام الاعياد فى طيبة

ويضرب العود

ويصفق الجميع » .

لقد تملكنى هذا الشعور فرددت هذه الترنيمة حين أوفدت من الاذاعة لاستصحابه من السودان الى مصر ، ثم دعانى المجلس الأعلى للفنون والآداب فاعتذرت ، ولكن حين دعتنى وزارة الثقافة والارشاد القومى تملكنى الضعف الى النهر ، والحنين الى رؤيته .. لانى حيث يكون جميلا ، ولكن فى حيث يكون جليلا .

عودة الى حديثى مع نجيب محفوظ :

فى حديث لى مع نجيب محفوظ ذكرت انه قال لى «ان الذين كتبوا عنه كانوا من الذين يكرهون العقاد» وكان تعليقى بأن على نقاد نجيب محفوظ أن يراجعوا أنفسهم وقد اطلعنى فؤاد دوارة على سؤال كان قد وجهه الى نجيب محفوظ فى مجلة الكاتب يقول : «والعقاد .. الاحظ انك تذكره دائما مقرونا باعجاب خاص هل كان له أثر معين فى تفكيرك» ، ولعل فؤاد بهذا يكون قد سبق الى معرفة تاثير العقاد فى نجيب محفوظ ، وان هذا التاثير ـ كما هو مفهوم من خلال الحديث كله ـ يتفوق على تاثير سلامة موسى فى نجيب محفوظ ، والذى وقف كل النقاد عند هذا التاثير دون تخطيه الى دور العقاد .

سمعتهم يقولون

❋ **نجيب محفوظ** .. يقول قرأت سيناريو سعد الدين وهبه لفيلم (زقاق المدق) وقد أعجبت به ، ورضيت عنه ، ولكن حين سئلت عن السيناريو الذى قرأته ، والذى لم أجده فى عملية التنفيذ ، قيل لى : انه لو نفذ بالصورة التى رأيتها عليه لاستغرق ثلاث ساعات ، ومن هنا كانت عملية تحويله من سيناريو (زقاق المدق) الى سيناريو (حميدة) .

❋ **رشاد رشدى** .. يقول بالنسبة لاخراج أعمال شيكسبير كان هناك اتجاه من اربعين سنة يعمل على العودة الى مفاهيم عصر شيكسبير فى الاخراج بمعنى التركيز على النص ، والأداء والحركة ثم اخرج شيكسبير بالملابس الحديثة والستارة السوداء فقط ، أما الاتجاه المعاصر فيرمى الى معرفة الوظيفة الدرامية لكل جزء من اجزاء المسرحية ، وتفسيرها تفسيرا دراميا ، على أن الموجة السائدة الآن هى التجديد فى الديكور وفى الحركة والعودة الى مايمكن تسميته (بالدراما النقية) .

عبده بدوى



الكتب
نقد وتعريف
يقدمه تحسين عبد الحي

حقيقة اسرائيل

تاليف : الواثق بالله عبد المنعم احمد
واميل انيس عوض

يحتوى الكتاب على عرض مبسط للتاريخ اليهودى فى العصور القديمة .. وكما يقول المؤلفان من الفى سنة قبل الميلاد حتى العدوان الثلاثى على مصر .

ولست ادرى كيف استطاع المؤلفان ان يبيحا لنفسيهما وضع عناوين بارزة ورءوس موضوعات ضخمة ـ ليست لديهم القدرة على تفسيرها او دراستها ، ان اسم الكتاب هو حقيقة اسرائيل ـ وعندما قرات الكتاب لم اجد به اى شىء يهمنى كقارىء ـ سوى بعض الاشياء المكررة الى حد ان هذا التكرار لم يكن بطريقة موضوعية واعية .

ان الذى نعرفه جميعا ان كل مؤلف جديد .. لابد ان يحتوى على اضافة جديدة .. والا فما الداعى الى اصداره .. ؟

ان اليهودية العالمية تواجه العالم بفكر مدروس .. حتى ولو كان مزورا مدسوسا .

ولكنهم يجدون دائما المبررات التى ان لم تقنع القارىء بما يريدون فانها على الاقل تتركه حائرا . ومهمة المفكر العربى فى منتهى الدقة والخطورة .. اذ انه مطالب بان ينقذ هذا الحائر قبل سقوطه تحت التاثيرات الدعائية للصهيونية العالمية .. اما ان ياتى بعض الذين لايملكون فكرا علميا ولا احساسا قوميا بقضية من اهم قضايا شعبنا واخطرها ، ليكتبوا فيها كتبا .. فذلك يعتبر فى رايى طعنا لهذه القضية وتدميرا لها ..

يقول المؤلفان فى الفصل الخامس من الكتاب صفحة ٢٦ مفسرين العلاقة بين اليهود والاسلام :

« تعلم ان النبى صلى الله عليه وسلم هاجر ليثرب حيث آخى بين المهاجرين والانصار ثم عقد « حلف الصحيفة » واهم نصوصه الخاصه باليهود :

« وانه من تبعنا من يهود فان له النصر والاسوة غير مظلومين ولامتناصرين عليهم .. الخ » ولكن اليهود كدأبهم ينقضون العهد .

وانضم بنو قريظة الى قريش ضد المسلمين فى غزوة الاحزاب . لذلك نجد انه بعد انتصار المسلمين حاصرهم الرسول فطلبوا العفو . ولكن لم يتم العفو عنهم وقتل منهم سبعمائة من الرجال وسبى العذارى والنساء والاطفال ، ثم كانت غزوة خيبر لاستئصال شافتهم لتآمرهم ضد المسلمين .. وهذا كل ماقاله المؤلفان فى كتابهما ـ حقيقة اسرائيل ـ عن العلاقة بين اليهود والاسلام ..

***

لم يذكر المؤلفان مثلا كيف كان الرسول صلى الله عليه وسلم متسامحا مع اليهود الى ابعد مدى حتى بعد محاولتهم قتله .. ولايسعنى هنا الا ان اذكر هذه الحادثة التاريخية .. لتاكيد هذا التسامح ..

***

اهدت يهودية من يهود خيبر محمدا الرسول صلى الله عليه وسلم شاة مسمومة شويت فى النار فاخذ النبى من الذراع لياكل هو ورهط من أصحابه، وبعد قليل ـ قال الرسول الكريم لصحابته : ـ

« ارفعوا ايديكم » فرفعوها ثم أرسل الى اليهودية فحضرت فقال لها :

ـ سممت هذه الشاة ؟!

ـ ومن اخبرك ؟!

ـ اخبرتنى هذه الذراع .

واشار النبى الى ذراع الشاة التى اكلوا منها ، فاعترفت اليهودية اللعينة فى الحال ، فقال لها : فما اردت الى ذلك ؟

قالت : ـ قلت ان كان نبيا لم يضره ، وان لم يكن نبيا استرحنا منه ، وكان الرسول الكريم معها فى منتهى السماح والعفو ، اذ عفا عنها ولم يعاقبها على الرغم من أن بعض الصحابة ماتوا من السم ، ولكنه صلى الله عليه وسلم احتجم على كاهله ونجاه الله من شر اليهود عامة ومن هذه الملعونة خاصة ..

***

ولم يذكر الكتاب شيئا عن علاقة اليهود بالمسيحية ..

برغم اهمية ذلك فى مجال المقارنة بين الأديان السماوية .. واستعراض تاريخ اليهود فى فلسطين .. وذلك برغم ان التاريخ قد فصل لنا عداء اليهود للمسيحية والمسيح والمسيحيين قاطبة تفصيلا واضحا ، فذكر كتابهم التلمود وغيره من الكتب الموضوعة ، ان يسوع المسيح قد اتى من ولادة غير شرعية ، وسبوه واهانوا امه ، مريم ابنة عمران ، اهانات قاسية فى شرفها مع النجار ، وهاجموا المسيحية والمسيح ذاته هجوما عنيفا ، فقالوا : انه ابن سفاح .

***

ولا نستطيع أن نغفل هذا النص الذى ورد فى التلمود والذى يتلوه جميع اليهود فى صلاتهم ويرددونه ثلاث مرات يوميا .. يقول النص : ـ

ـ « ليهلك النصارى وعبدة الاصنام فى لحظة ، ليحذف اسمهم من كتاب الحياة وليحسبنهم الرب فى عداد غير الصالحين » .

وفى عام ٥٢٤م كان لحاكم من الحكام اليهود الحميريين شان خطير فى عالم العداء ضد المسيحية وهذا الحاكم هو « ذو نواس الحميرى » الذى حمل حملة وحشية على المؤمنين المسيحيين وقتل الآلاف منهم وحرقهم دون شفقة او رحمة .

وفى عام ٦٠٨ م هجم المتآمرون اليهود فى انطاكية على عدد كبير ، وجمع غفير من المؤمنين المسيحيين ، فاحرقوا اجسادهم .

وفى عام ٦١٤ م تعاون الكهنة اليهود تعاوناوثيقا مع احد ملوك الفرس الذى احتل البلاد حينذاك ، وكان أن سار جيش من اليهود بقيادة الكاهن « بنيامين الطبراوى » وذبحوا مئات الالوف من المسيحيين الشهداء الذين كانوا قد تصدوا لهذا الملك الفارسى المحتل لبلادهم ، مدافعين عن حريتهم واستقلالهم ، ذائدين عن اوطانهم . والحوادث عديدة لا تحصى ، واقرب هذه الحوادث اعتداء الصهاينة على مسيحيى اسرائيل سنة ١٩٦٣ وكنائسهم بالقدس .

***

ان عداء اليهود للاسلام والمسيحية جزء من عقيدتهم الدينية .. فهم يصرون دائما على خلط الرقاق « الكشير » الذى يصنعونه فى احد اعيادهم بدماء احد الاميين (على حد تعبيرهم) وهم المسلمون والمسيحيون .

وهذه العقيدة عند اليهود ترجع قصتها الى نصوص بالتلمود والمشناة نصت على وجوب تقديم قربان لله فى عيد الفصح ، ولابد ان يكون هذا القربان ذبيحة يراق منها دم حار من دماء الاجانب من غير ملة اليهود : ـ

ومن هذه النصوص مايلى :

١ ـ « من العدل ان يقتل اليهودى بيده كل كافر لان من يسفك دم الكافر يقرب قربانا لله » .

٢ ـ « سلط الله اليهود على اموال سائر الامم ودمائهم .

٣ ـ « اقتل الصالح من غير الاسرائيليين ، ومحرم على اليهودى أن ينجى احدا من باقى الامم من هلاك ، أو يخرجه من حفرة يقع فيها ، لانه بذلك يكون حفظ حياة احد الوثنيين » .

وقد اثبت ـ شارل لوران ـ فى كتابه المسائل التاريخية عما جرى فى سوريا ملخص هذا الحادث الذى كشف النقاب عن حقيقة دم الاممى المراق لصناعة « رقاق » العيد اليهودى كما يلى : ـ

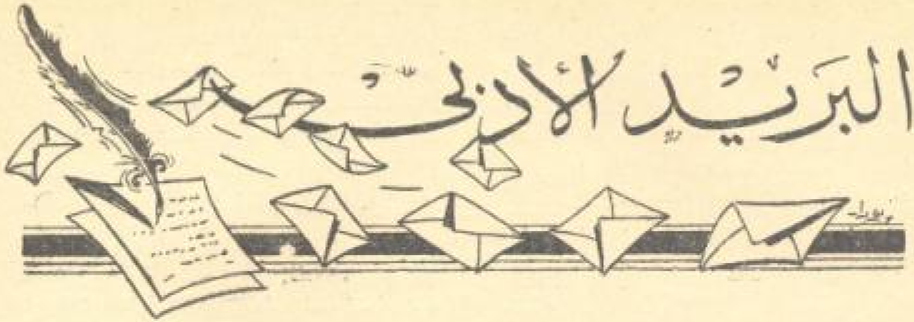
نفقد رجال دير من الاديرة فى دمشق الاب توما وخادمه الخاص ابراهيم عمار فلم يجدوهما ، ولم يكن لغيابهما عن الدير اى مبرر ، ولم يحسب او

يظن ابدا ان يتركاه دون سبب ، وبعد البحث والاستقصاء تبين ان اليهود قد احتالوا على الاب توما – حتى ادخلوه في منزل احدهم وذبحوه ليأخذوا من دمائه مايضعونه في زجاجة بيضاء للاستعمال عند عمل (رقاق) العيد .. وبمجرد ان غاب الاب توما ولم يعد ، ذهب خادمه الامين – ابراهيم عمار – الذى كان يعرف منزل اليهودى الذى احتال عليه مع زملائه ، ليستطلع الخبر ، ويعرف سبب الغياب ولكنه عندما دخل حارة اليهود في دمشق احس اليهود بالخطر ، فلم يمهلوه ليعرف اى شيء عن سيده ، بل ذبحوه هو الآخر .. ووضعوا دمه في زجاجة اخرى .. وذهب اليهود ومعهم الزجاجتان الى الحاخام – باشا يعقوب العنتابي – ليأمر بقبول القربان – وصب الدماء على عجينة (الرقاق) المقدس ، وقبل القربان فعلا .

وكانت قضية تاريخية ، اعترف فيها سبعة من المتهمين ان الحاخام باشا يعقوب شجعهم على ارتكاب هذه الجريمة ، واستدراج الاب توما الى منزل احدهم وذبحه ، وان الحاخام قال لهم : انه من الضرورى الحصول على دم بشرى «أممى» لاستعماله في عيد الفصح الاسرائيلي الذى كان وشيك القدوم حينذاك – وتعهد التاجر داود هرارى ان يحصل على هذا الدم مهما كلفه الحصول عليه من حيلة ، ومن مال ومن وقت ، وكانت مؤامرة استدراجه وذبحه وانتهت تحقيقات هذه القضية ، وثبتت التهمة بالعثور على ملابس الاب وملابس خادمه .

ولعل هذه الأمثلة التى ذكرتها لتبين بوضوح حقيقة العداء والحقد اليهودى على المسلمين والمسيحيين على السواء ، تقنع المؤلفين بأن يحاولا بعد ذلك – اذا ما ارادا ان يؤلفا – ان يتعمقا الى ما وراء السرد الانشائى الذى يصلح لطلبة الصف الأول بالمدارس الابتدائية .

تحسين عبد الحي



اديب الامة العربية

بقلم وداد السكاكيني

لم تكن عبقرية « العقاد » فى نتـــاجه الخصب وتأثيره البعيد فى حياة الأدب والأدباء ، وفى تيارات النقد والتجديد ، مقصورة على الشعب الأصيل الذى اطلق من منابته برهانا على العبقرية ، بل كان العقاد للأمة العربية كلها ، على تعدد شعوبها وأمصارها ، يتردد ذكره فيها ، ويعتز المثقفون والكتاب فى ارجائها بأن هذا الاديب الرائد ، قد مثل الفكر العربى الحديث فى انطلاقة نحو الآداب العالمية ، وفى حرصه على كرامة القلم الذى حمله أكثر من نصف قرن ، ليؤدى فيه رسالة الرأى الحر وشجاعة الاديب الصـــادق الذى أخلص لفنه وامته ، وقدم لها تراثا لايبلى .

ولما فوجىء العالم العربى بغيابه ، واطباق جفونه ذهل الناس حزنا عليه وتفجعا ، لكنهم ارتدوا الى أنفسهم يعزونها بأن وجه عباس العقاد وان غاب خلف الوجود ، فانه يطلع فى كتبه الثمانين ، ويعيش فى تلاميذه ومريديه ، ولم يكونوا قلة . أو من جيل واحد ، وقد تزاحمت على ندوته ومؤلفـــاته العقول والافكار ، وشغل القراء والكتاب بنقده وتعقيبـــه ورده ، منذ ظهرت فى مستهل هذا العصر حركات التطور والتحرر فى التفكير والتعبير ، وبقى العقـاد الاشم يرعاها بقلمه وثقافته ، وينافح عنهـــا الزيغ والتضليل باقتدار واصرار مهما اختلفت وجهات النظر واحتدمت الخصومات النقدية . حتى توسد ثرى منبته أسوان بعد السبعين ، ولم يفارقه شباب الروح ، على المثال الذى وصف المتنبى فيه شبابه :

عرفت «العقاد» بكتبه ومقـــالاته ، قبل ان أراه وأسمعه ، وعز على أن يستهين بمواهب المرأة ومزاياها فنقدت رأيه العنيف بمقالين نشرا فى رسالة أستاذنا الزيات قبل احتجابها ، وكنت موقرة لاديبنا الذى تجنى علينا رحمة بنا ، كما قال ، وايثارا لكرامتنا ، لاتكلفا والتماسا للشهرة ، كما صـــنع غيره ، ممن عرفهم القراء ، فملأت مقالى بالفكرة الموضوعية والحجة البالغة ، ولما لقيته خشيت تهكمه وعتابه كما عودنا لكن قلبه الكبير وسع الاخلاص فى نقدى وردى ، وفهمت انه كرمنى بالصمت والثقة ، ولم يكن من دأبه أن يبيت بلا تعقيب أو تعليق على أى نقد .

وكنت القاه حينا بعد حين فى المؤتمرات المجمعية والأدبية ، أو أصادفه فى احدى المـكتبات الـكبرى ، فأجد فيه اللباقة والبشاشة ، وتقريب ذوى الفضل ممن عرفهم وعرفوه فى القرب والبعد ، وبقيت أخالف عن رأيه فى المرأة ، وابتسم كلما ناقض نفسه بشأن المرأة والأدب ، فتارة كنت أجده نازعا عن النساء كل مزية وموهبة ، ولو كانت من خصائصهن ، وتارة كنت أراه مجاملا فى تقديره وايثـــاره لبعض اللاتى تزلفن اليه ، أو متجاملا على الأديبات المرموقات ، على أنى ساعود الى هذا الموضوع فى دراستى العتيدة لمى صديقة العقاد ، ومن الخير والحق أن أذكر بأن هذا الصديق المؤمن بنبوغها كان والاستاذ الزيات ، مد الله فى عمره ، من أوفى الأدباء لى ، وقد وفاها كل منهما حقها من الذكرى والتقدير بعد وفاتها ، كما كانت من أوفى الناس لهما فى حياتها .

وبعد فان للعقاد جوانب عديدة فى مؤلفاته وكفاحه ترامى منها الشعاع الذى اضاء الخفايا والظلمات ، فى أدبنا المعاصر ، ورد العرب فى نهضتهم الراهنة

الى حقائق تاريخهم وما فيها من عبقريات ومواهب ، حملت مشاعل الهدى والايمان والفداء ، على اختلاف العصور والأجيال ، وقد عاش العقاد طويلا مع قادة الفتح والاصلاح فى انطلاق العرب ورسالة الاسلام ، فجلا حياتهم ومآثرهم فى دراساته ، وتناول دعوة السيد المسيح فى سماحته ومحبته بكتاب يعد من افضل المؤلفات العربية والاجنبية ، فى هذا الموضوع.

وكيف ينسى العالم العربى وقوف العقاد بالمرصاد لكل ما يفكك روابط الامة ومقومات حياتها فى اللغة والعقيدة والتاريخ .

ولئن كان من عادات الناس اهتمامهم بالاعزاء لديهم بعد غيابهم ، فان حياة العقاد بعد موته ستشغل الشعوب العربية بسيرتها وجهادها واعتصامها بالكرامة والحقيقة ، كما تشغلها بما ترك لها من تراث كبير فى أشتات المعرفة والدراسات الادبية والنقدية والقصص ودواوين الشعر وغيرها .

وستبقى المرأة العربية معتزة بأديب الأمة ولأنه من خيار الذين أنجبتهم فى هذا العصر على الرغم من مواقفه المتشددة حفاظا عليها ، ولسوف تشرق الشمس وتغيب ، وعباس محمود العقاد مشرق فى ادبه واسلوبه ، لا يعرف المغيب .

فاعتبروا .. يا اولى الابصار

بقلم عيسى متولى

قالت الأنباء الواردة من أقصى الشمال ان الزلزال الذى تعرضت له احدى دول القطب الشمالى أخيرا أقوى من القنبلة الذرية مائة مليون مرة ..

ولا يسع الانسان ، امام هذه الحقيقة ، الا أن يعترف بضعفه ، أو بعبارة اقرب الى الواقع .. بعجزه .. ازاء قوة الخالق الاعظم ! .

ولكنه الغرور .. غرور الانسان الضعيف العاجز الذى يصور له غروره انه قد ملك مفاتيح الكون ، وانه اكتشف أسراره ، واستطاع ان يسخر مافى الارض وما عليها لتحقيق مآربه وأغراضه ، ولو كانت هذه المآرب والاغراض ازهاق الارواح ، وسفك الدماء ، ونصرة الباطل على الحق ! .

فمن توصل العلماء الى اكتشاف بعض اسرار الذرة وفجروا القنبلة الذرية فى «هوريشيما» صور لهم غرورهم انهم يستطيعون ازالة مدن بأسرها .. ليشبعوا نهمهم .. وحسبوا أنهم ملكوا الارض وما عليها ! .

ويوم قاموا بغزو الفضاء .. صور لهم الغرور أنهم ملكوا عنان السماء .. واعتقدوا أنهم أوتوا العلم كله .. وتناسوا انهم لم يؤتوا من العلم الا قليلا !.

واذا بالقوة العليا تتجلى فى زلزال لم يطل اكثر من دقائق .. جعل عالى الارض سافلها .. واذا بالحقائق تؤكد لهم أن قوة هذا الزلزال تفوق قوة قنبلتهم الذرية بمائة مليون مرة ! .

وبهرتهم الآيات تلو الآيات .. فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون .. ووقفوا حيارى أمام هذه القوة الخفية ، التى لا يحيطون بشىء من علمها ، مهما بلغوا من العلم ! .

وتصرخ بهم الآيات المعجزات : ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والارض فانفذوا .. لا تنفذون الا بسلطان ! ..

وتعود فتزجى لهم النصح قائلة : فاعتبروا يا أولى الابصار ! ..

فهل من مدكر ؟! .. أم على قلوب أقفالها ؟! ..

رأى فى آية

بقلم : حامد محمد محرم

فى ملحق الاهرام : يوم الجمعة الموافق ١/٣١ سنة ١٩٦٤ كتبت بنت الشاطىء مقالا تحت عنوان «من البيان المعجز : الانسان ومسئوليته الاجتماعية» وهو عبارة عن تفسير لسورة العصر : وفى سياق حديثها قالت :

«ونحتكم الى القرآن الكريم فنراه لا يستعمل العصر اطلاقا بهذه الدلالة على الوقت المعين من النهار بل انه حين ذكر الصلاة المفروضة فى هذا الوقت سماها : (الصلاة الوسطى) لوقوعها وسطا بين صلاتى الصبح والظهر وصلاتى المغرب والعشاء»

ولقد تأثرت بنت الشاطىء بآراء المفسرين ونقلت ذلك الراى عنهم ونكتفى هنا بذكر تفسير البيضاوى للصلاة الوسطى ، فذكرها «بانها الوسطى بينها أو الفضلى منها خصوصا وهى صلاة العصر لقوله عليه السلام يوم الاحزاب ، شغلونا عن الصلاة

الوسطى : صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا ، وفضلها لكثرة اشتغال الناس فى وقتها واجتماع الملائكة ويستمر فى تفسيره بأنها صلاة الفجر .. أو الظهر أو المغرب أو العشاء ، ونلمح تحفظا شديدا مع بعض التصريح بأن الصلاة الوسطى هى صلاة العصر .

ويتفق مع تفسير البيضاوى جمهرة المفسرين حتى فى تفسير معنى كلمة العصر على أنها الدهر أوالليل والنهار .

ولكننا لو اردنا مناقشة ذلك الرأى فعلينا أن نبدأ بمعنى كلمة الوسطى ، ففى مختار الصحاح يشرحها فيقول :

(ا) «وسط» القوم من باب وعد ، «وسطة» أى «توسطهم» ، والاصبع الوسطى معروفة، والتوسيط أى يجعل الشيء فى الوسط .

وقرأ بعضهم (فوسطن به جمعا) ، بالتشديد (والتوسيط) أيضا قطع الشيء نصفين .

(ب) والتوسط بين الناس من الوساطة ، والوسط من كل شيء أعدله ومنه قوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) أى عدلا .

وشيء (وسط) أيضا بين الجيد والرديء ، (واسطة) القلادة الجوهر الذى فى وسطها وهو اجودها .

فلو كانت الصلاة الوسطى المقصود بها الوقت أو المكان لكانت الكلمة المناسبة هى (التوسط) او التوسيط ، أو وسطن من القسم الاول لتفسير مختار الصحاح .

ولو كان المقصود منها الاعتدال والاتزان فالمناسب لها القسم الثانى من مختار الصحاح مثل كلمة (وسط) أو (واسطة) وهذا المعنى هو القريب من وجه الصحة .

وفى المعجم المفهرس لالفاظ القرآن جزء٧٠ للاستاذ محمد فؤاد عبدالباقى نجد :

(ا) وسطا : وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس .

(ب) الوسطى : حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى .

وهنا نجد تقاربا فى المعنى والشكل المضمون بين الكلمتين .

وفى ميدان الادب هناك البراهين العديدة نكتفى منها بالمثال الآتى لضيق المجال : من كتاب البيان والتبيين جزء ٢ للجاحظ .

عن هشام بن عروة قال : نازع مروان ، ابن الزبير عند معاوية فرأى ابن الزبير ميلان معاوية مع مروان فقال ابن الزبير :

ياأمير المؤمنين ان لك علينا حقا وطاعة وان لك سطة وحرمة فينا فاطع الله نطعك فانه لا طاعة لك علينا الا فى حق الله . وعلى هامش تلك الصفحة نجد تفسير كلمة (سطة) بأنها : سطة : يقال وسط قومه فى الحسب يسطهم وساطة وسطة كعدة ، اذا كان أوسطهم نسبا وارفعهم مجدا .

وهنا يتضح ويتألق المعنى الصحيح لكلمة (الوسطى) .

انها المثالية البعيدة عن شواغل الدنيا ، الصلاة التى يقف فيها الانسان خاشعا متعبدا ، الصلاة التى يسمو بها صاحبها من الحياة الدنيا الى الحياة الاخرى .. الصلاة التى تمثل المعانى امامه ، وعلى كل فخير الامور الوسط .

***

وهج الشمس بين النور والظلمة :
بقلم عبد الخالق عبد الرحمن

قرأت فى كتاب (سكان الكواكب) وهو من سلسلة المكتبة الثقافية للدكتور امام ابراهيم احمد ماجاء فى فصل ـ جحيم عطارد ـ صحيفة ٦٧ ما يلى: (.. لو افسح لذلك الزائر كافة الضمانات التى تكفل له سلامة الانتقال الى النصف الساخن من عطارد دون ان يتفحم جسده نتيجة للحرارة المرتفعة ولو اتخذ الاحتياطات التى تمكنه حينئذ من النظر الى قرص الشمس دون ان يفقد بصره لساعته لهاله عظم جرمه واتساع مساحته اذ تبلغ خمسا وعشرين مرة قدر مساحة قرص الشمس الذى اعتاد رؤيته من سطح الأرض والذى كان يؤذى بصره اذا ما حاول التطلع اليه .. فما بالك وقد اقترب منه الى أقل من نصف المسافة فازدادت تبعا لذلك شدة استضاءته لتصبح خطرا حقيقيا على البصر ولو لم تنظر الى قرص الشمس مباشرة) ومن ثم يقول : « وعلى القارىء ان يتخيل نفسه سائرا على صخور ملتهبة كأنما خرجت لتوها من آتون ملتهب وبين حين وحين تزل قدمه ليسقط فى بركة من الرصاص المنصهر فاذا ماتطلع الى السماء وجدها شبه مظلمة ، فكيف يوفق الدكتور امام ابراهيم احمد بين قوله الأول عن شدةاستضاءة نور الشمس الذى يخطف الأبصار وبين قوله السماء شبه مظلمة ؟ اعتقد أن ذلك يحتاج الى شيء من الايضاح .

قصة العدد

صباح الليل

بقلم : عاشور عليش

كثيرا ما نمر بالنوافذ المضيئة ، ونحن في طريقنا الى بيوتنا في الليل . وكثيرا ما نسائل انفسنا عن الاسرار الكامنة وراء هذه الانوار ، وخلف هذه النوافذ المضيئة .. وكثيرا جدا ما ننسى هذا التساؤل ، بعد ان نفيء ، نحن الاخرون ، انوار غرفنا ، ونصبح بدورنا في النور ..

انى ادعوكم الليلة كي نقف بعض الوقت ، امام احدى هذه النوافذ المضيئة .

انني ادعوكم الى الدخـــول . ها نحن اصبحنا داخــل الحجرة ، وامام الفراش تماما .. امامها . هل رأيتموها ؟ هل عرفتموها ؟

ان البعض منكم قد عرفها لتوه بعد صـــعوبة . والبعض الاخر يجهد ذاكرته في التعرف عليها . اما الفريق الثالث فان هاتفا يهتف في اعماقه : لقد رأيت هذا الوجه من قبل .. لا بد انني رأيته . نعم .. نعم لقد رأيته . انني اعرف صاحبته ..

ويحاول ان يتذكرها .. يتذكر صاحبة الوجه .

الى هـــذا الفريق منكم رأفة بي الا اجهــده ، واقول لهم ولكم .. انها سوسن . « سوسن فؤاد » .

ولا احب ان ازيد .

ولدتها امها كما تلد كل ام طفلها . الا ان طفلتنـــا هـــذه لم تر اباها . وهـــذا ليس وجه العجب ، فان الكثيرين من الاطفال لا يرون اباءهم . ان وجه العجب حقا ، ان امها لم تحفل بوجودها على الاطلاق . كان كل همها هو ان تتخلص منها .. باى ثمن وباية وسيلة .

كان وجودها ثقيلا على امهـــا . لدرجة لم تتحمله ، ولم تتحمل معه طفولتها الضعيفة البريئة ، فتركتها في مكان بعيد.. بعيد عنها ، وعن حاضرها ، وعن مستقبلها .

اسلمتها الى المجهـــول .. والى الظـــلام . الى البرد ، والوحدة ، والاغتراب ، وولت تحت استار الليل ، تتنفس في ارتياح ...

فتحت عينيها على ثدى غير ثدى امها .

ومنذ هذه اللحظة ، التى بدأت حواسـها فيها تستيقظ وتنتبه ، استيقظ في داخلها ، احساس غريب . هـــو انهـــا لا تملك شيئا ، وان كل شيء ليس لها .

كانت تحس في اعماقهـــا ، بان شيئا ما يدور حـــولها . لا تستطيع ان تتبينه ، ولا تستطيع ان تفقله .

كان هذا الشيء المبهم ، المستقر في داخلها ، يجعلها من حيث لا تشـــعر تنفر من النـــاس ، وتبتعـــد عنهم ، ولا تحاول ان تأتنس بهم .

كانت تستشعر الوحدة بين الناس . كانت تحس بنفســها بعيدة عن عطفهم . كانت تشـــعر بانها في عالم آخر .. عالم لا يمكنها من ان تمتلك الاشياء التى تحبها ، والتى تجـــدها عند الناس .

وهكذا عاشت حياتها ، منذ ان تفتحت عيناها على النـــاس وعلى الحياة . نفور من الناس . وعدم القدرة على امتـــلاك اى شيء .

هل تحبون ان اكمل لكم بقية القصة ؟

اذن فلنقفز عشر سنوات . نعم ، سنقفز عشر سنوات من عمرها ، في غمضة عين . لا تسالونى عنها .. عن هذه السنوات العشر ، انها مجلد ضخم .. مجلد كبير . ندعه في رفق جانبا.. فهو وحده قصة !

نحن الآن معها .. في العاشرة من عمرها .

وكل ما نعرفه انها سوسن . وانها سوسن فؤاد دون ان يكون هناك فؤاد ودون ان يكون هناك ام لها . فهى اذن سوسن بلا أم ولا فؤاد !

ولقد اصبحت فعلا بلا فؤاد . فقد يبس قلبها . نبضـــاته كلها تحولت الى بغضاء . انه يدق جنبيها بالحقد ، والقسوة ، والتمرد على الحياة .

وتعلم قلبها الابيض كيف يكره .. كيف يحسد .. كيف يؤذى قلوب الاخرين ، وكيف يسعد من الامهم .

تعلم ان يكون وحيدا . وان يكون قويا بهذه الوحدة ، ملتذا بدموع الاخرين .

وتحملت هى هذا القلب بين جنبيها ، وتحملت معه اشـــياء كثيرة مارسها الناس فيها ، فاصبحت هى الاخرى تمارســـها فيهم ، حتى في اولئك الذين لا تعـــرفهم ، ولم يدخلوا قط حياتها .

وكثيرا ما كانت تبكى .. تبكى لنفسها على نفسـها !

وترتاح بعض الوقت ، ثم تعود الى الحيـــاة من جـــديد ، مكشرة عن انيابها !!

وذات يوم احست سوسن شيئا جديدا خطيرا .. احست بسلاح تضعه الحياة في يدها . احست به ، وقد اخذ يخيف النـاس ، ويجعلهم يتصاغرون لها . احست به ، وبتأثيره في كل رجل .. في كل رجل على الاطلاق .

الكل كان يريد ان ينتزع هـــذا السلاح من يدها . ويريد ايضـــا ان يأخذها لنفســه .. عزلاء ضعيفة ، لا حول لها ..

ولكنها لم تستســلم . بل قبضت على سلاحها بقـوة ، وفي عنف صوبته الى اعدائها . الى اولئك الذين يريدون لها ان تستسلم وان تنهزم .

وادارت المعركة . ادارتها بكل ذكائهـــا ، وبكل حقدها ، فانتصرت . وشجعها هذا الانتصار ، على ان تمضي في طريقها ، الى الامام . دون تردد ، ودون ان تتوقف ، ودون ان تلتفت الى الخلف . الى المـــاضي ، او الى الحـــاضر ، او الى المستقبل .

وانتصرت ســـوسن . نعم انتصرت . وحققت انتصـــارات باهرة . واضيئت حولها الانوار من كل اتجاه . واصبح عدد ضحاياها في ازدياد مستمر . كانت تصعد على اشلائهم .

واستيقظ الناس ذات صباح ليجدوا «سوسن» تملأ عليهم الحياة . انها في كل مكان . في يقظتهم وفي نومهم . في صحوتهم

وفي احلامهم ، في الصحف والمجلات ، في المجالس والمنتديات ، في المسارح وعلى الشاشة البيضاء ..

انها «سوسن» وهم النكرات .

واستيقظت هي ، ذات يوم ، لتجد نفسها ملكة ، ولها رعية ، تشير ... فاذا كل شيء يجاب !!

احبها الكثيرون .

والاكثر منهم لم يحبوها على الاطلاق .

كرهتها الامهات والزوجات وحقدت عليها البنات .

اصبحت لعنة في حياة الناس .

ولم ترحم هي الناس ، كانت في معركة رهيبة معهم .

معركة بدأتها امها منذ خمسة وعشرين عاما ، وما زالت هي تقف وحيدة في الميدان .

وكان لا بد لها أن تحب يوما .. ان تمتلك شيئا . ان تملا هذا النقص الذي تستشعره ، منذ ان كانت ترضع من ثدى غير ثدى امها !!

فاحبته .. احبته من كل قلبها . ولم تضن عليه بشيء ، بل وهبته كل شيء . كانت وهي تحب ، وهي تهب ، تحس انها تتكامل ، وانها تستانس ، وانها بشر ككل الناس .

ولم تفكر في ثمن هـــذا الحب ، لم تطالبه باى ثمن على الاطلاق .

كانت تحس بان حبها لا يمكن أن يقدر باى ثمن ، فاندفعت الى ابعد الاشواط ..

واستشاط الناس غضبـــا منها . كيف تحرمهم وتعطيه ؟ كيف تطمئنهم وترويه ؟ كيف تخص نفسها ولا تخصهم ؟ كيف تصبح لنفسها وهي ملك لهم ؟

وثار الناس .. ثاروا بكل غضبهم ، وبكل حقدهم ، فاذا بها منبوذة ، واذا بها خارج حياتهم ، واذا بها وهم يرقبـون زلتها في نهم وفي تشف . كانوا ينتظـرون شيئا .. نهـــاية المأساة !!

ولم تتاخر النهاية كثيرا . فقد انصرف عنها الجميع ، حتى هذا الذي احبته ، هجرها ..

كلمة الوداع لم تسمعها منه .. تركها وحيدة ، بلا نصير ، بلا دموع .. ولا ذكريات .. تركها وفي احشائها ، شيء ينادى بالحياة ..

واليوم .. وفي هذه الليلة بالذات ، نحن مدعوون عندها . انها تريد ان تقول لنا شيئا اخيرا ..

انها تريدنا الى جانبها . وها نحن قد اصبحنا الى جـوار فراشها . ارجوكم ، لا تحدثوا ضجيجا . انها تضع ، انهـا معلقة الآن بين الارض والسماء .

رجائي الا تسترجعوا الماضي .

وحذار من قسوة الانتقام ..

كل ما اطلبه منكم هو ان تدركوا الحاضر ، وتعيشوا فيه.. ام تضع طفلها ، ثم تلفظ انفاسها ..

دعوا الأم لربها ، واذكروا الطفل .. فقد يكون ابنا لواحد منا !!

عاشور عليش

بقية المنشور على صفحة (٢٦)

تقبلها اليوم لمكانة الرجل الذى فرضها ، بعد أن عودتنا الايام أن للنظريين هزات علمية تقلب معارفنا رأسا على عقب ، وهذه الفرضية هى أن :

البروتون يتحــول الى نيوترون + ميزون له شحنة موجبة ، وهــذا الميزون يتحول الى بوزيتون + نيتريتو . والنيتريتو جـــسيم جـــديد كتلته تساوى ١/..٢ من كتلة الالكترون ولا يحمل شحنة كهربائية وعلى هذا الأساس :

يتحول البروتون الى نيوترون + بوزيترون + نيترينو .

واذا لاحظنا ان الفوتون الذريرة الضوئية التى تنجم من التحام الالكترون والبــوزيتون ، فاننـا نســتطيع الآن أن نحصى أســـماء الجـــسيمات والمكونات التى يأتى ذكرها عادة فى دراسة الذرة ، هذه الجسيمات هى :

١ ــ البروتون .	٢ ــ النيوترون .
٣ ــ الالكترون .	٤ ــ البوزيترون .
٥ ــ النيتريتو	٦ ــ الميزون .
٧ ــ الفوتون .	٨ ــ البرتون الســالب .

وهناك جسيمات أخرى كبيرة هى مجموعةلبعض الجسيمات المتقدمة مثل جسيم (الفا) الذى هو نواة ذرة الهيليوم العنصر الثــانى فى جـــدول العناصر والديترون الذى هو مما كن « اى نظير » للهيدروجين والديبلون ، ومن ذلك كيف تصل مكونات الذرة الى الكثير من الصعوبة والتعقيد .

ولا بد لنا الآن أن ندخل فى شرح الوسائل المختلفة التى اتبعها العلماء لتفتيت نواة الذرة أو انشطارها وهى الوسائل التى كان من نتيجتها الحصول على طاقة فوق حد الوصف يتعلق عليها اليوم مستقبل البشر ويرتبط بها وجود الانسان الكائن الحى على هذه الأرض الوديعة الدوارة وسيكون ذلك موضوع مقالات قادمة ولعل القارىء أدرك معنا الآن اننـا عندما نتحدث عن نواة الذرة هــذا العالم المتناهى فى الضآلة فان لنا أن نتوقع منها كل شيء ونتوقع من الخوض فيهـــا ودخولهـــا تقدم الكائن الحى أو انعدام الحياة كلها .

دكتور محمد محمود غالى

الدار القومية للطباعة والنشر

العدد الهجري

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

عدد ممتاز

الخميس ٢ محرم ١٣٨٤ هـ - ١٤ مايو ١٩٦٤ م

الرسالة

الفهرس

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الإدارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت

بريد
محمد فريد ـ القاهرة

تصدرها
وزارة الثقافة والإرشاد القومى

الاشتراكات ١٥٠ قرشا سنويا
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة



العدد ١٠٦١ الخميس ٢ محرم ١٣٨٤ هـ ـ ١٤ مايو ١٩٦٤ م ـ السنة الحادية والعشرون



هلال من أهلة الرشيد

بقلم أحمد حسن الزيات



بزغ هلال المحرم من هذا العام على دنيا الإسلام بالأمل الباسم والنصر الحاسم والوجود المستقل بعد أن غامت على أهلة الرشيد سموات الشرق والغرب زهاء ثمانية قرون دجا فيها الظلام حتى كاد يسطو على نور الوحي ، وكلب الزمان حتى كاد يعفى على تراث النبوة ، ودالت دولة العرب والمسلمين حتى لم يبق لهم دولة سائدة ولا وحدة جامعة ، وانما أصبحت ديارهم وآثارهم مما ترك الرشيد والعزيز والناصر نهبا مقسما بين المغول والفرس والترك والكرد والجركس والأسبان والطليان والفرنسيين والانجليز ولو لا أن الله ادخر نصره العزيز للامة التي أخرجها لهداية الناس وقيادة العالم لما اسفر هلالها بعد احتجابه ، وعاد استقلالها بعد ذهابه : ادخر لها القوة الروحية في قرآنه وفي أزهر المعز ، والقوة المادية في سلطانه وفي جيش مصر ، فالازهر مشكاة سراجه المنير ظل مرتفعا في طريق الدعوة العظمى يقود الشعوب الاسلامية في ظلمات الخطوب والحروب الى ملتقى السلامة والكرامة والوحدة ، وجيش مصر كنانة جنده المنصور ظل ثابتا كالطود في وجوه المغيرين يدفع عن العرب كوارث العدوان والطغيان فسحق جيوش الصليبيين في حطين ، ومحق جيش التتار في عين جالوت ، وتصدى للاستعمار كله في سائر الارض ، ثم نفخ سنة ١٩٥٢ في الصور نفخة البعث والنشور فقامت الموتى يجررون وراءهم أكفان القبور ، وانبعثت فيهم مع الحياة نخوة الجنس الصريح وثورة المجد الاصيل وعزة التاريخ الحافل ، فبددوا السحب عن الهلال الاسلامي المحتجب ، وشقوا الحجب عن الوجه العربي المنتقب ، ونفخوا من روحهم في شعوب سورية والعراق والجزائر واليمن ، فانتفضوا انتفاضة الأبي المهان وثاروا ثورة الحر المستعبد .. فطردوا من أرضهم كل دخيل ، وعزلوا من حكمهم كل عميل ، وسعى الاخوة الاحرار بعضهم الى بعض ليجددوا مابلي من أسباب المودة ، ويرأبوا ما انصدع من وشائج القرابة ، ويجلوا ماران على وجه الهلال الجديد .

بزغ هلال العام العربي الجديد على مصر الحرة المستقلة وهي أقوى دولة في الشرق الاوسط ، تقول فتسمع ، وتسأل فتجاب ، وتأمر فتطاع ، وتؤسس مجتمعها على تقوى من الله ورضوان ، وتبني اشتراكيتها المسلمة على قواعد العدل والاحسان ، وتقيم جيشها الباسل على قوى العدة والعلم ، وتنشىء شبابها الناهض على الفداء والبطولة ، وتعمر صحاريها الجرد

بالخبرة والعمل ، وتقسم ارزاقها الـكثير على الجد والكفاية ، وتطب لامراض النفس والجسد بالمجان ، وتعيد معجزة الهرم فى معجزة السد العالى ، وتجود لشقيقاتها بالمال النفيس والدم الغالى ، وتضع الميثاق المحكم والدستور الحاكم فيرسيان اصول الديمقراطية الصحيحة ويكونان سبيلا الى كل خير ودليلا لكل دولة ·

ويبزغ هلال العام الهجرى الجديد على سورية وهى تجاهد فى سبيل الوطن الاكبر والامة الكبرى باعلاء كلمة الحرية واعلان دعوة الوحدة بعد أن طلع عليها عامان وهى ومصر روحان فى جسد ، وبلدان فى بلد فذاقت نعمة الاتحاد ، وحمدت عاقبة التعاون ، وجنت ثمرة الاشتراكية ، واحست القوة على العدو المشترك ثم اصيبت بالنكسة فعاد المرض على اشده ، ولكنها ازمة ستنفرج وغمرة ستنجلى ، وليل سيصبح مهما يطل ظلامه ، وسيل سيبلغ مهما يعل ركامه ، وشعب سينتصر مهما يطغ حكامه ·· وسورية كانت وما زالت قلب العروبة النابض وركن الاسلام الركين ، وسيبزغ عليها الهلال من قابل وهى فى الوسط من عقد الامة العربية ·

ويبزغ الهلال الهجرى الجديد على العراق وقد تخلص من شرور الشيوعية والشعوبية والرجعية والحزبية ·· وانطلق حثيثا فى الطريق المستقيم الواضح ليعيد الى الرافدين (أيام العروس) التى اطلقها المؤرخون على أيام الرشيد ، لانها ازدهرت بالعلم والحكمة ، وزفرت بالرخاء والنعمة ، وتميزت بالسلطان والوحدة ، وتمتعت الخلافة فيها بالسلام الدائم والنعيم القائم والرأى الجميع ، والقائد العربى المؤمن الذى وحد كلمة العراق على ثورته ، وازال عوائق الكيد من طريق نهضته ، يضع بين يديه كتاب الله ، ونصب عينيه قبلة رسوله ثم يمضى فى هداية الوحدة والاشتراكية والديمقراطية الى الغاية التى يتوافى عليها قادة العرب الاحرار الابرار ليحققوا للدولة العظمى بايمانهم الصادق وايمانهم القوية ماقاله ابو المأمون يوما وقد رأى فى الافق غمامة تريد أن ترسل السماء : « امطرى حيث شئت فان خراجك لى » ولكن كلمة (لى) التى لفظها فم الخليفة وهو يريد بها الخلافة ، ستحولها الاشتراكية التى خطتها يد الثورة العامة فى دساتير مصر وسورية والعراق والجزائر واليمن الى كلمة (لنا) وتريد بها الشعب الاكبر بعماله وزراعه وصناعه وسائر فئاته ·

ويبزغ هلال العام الجديد على الجزائر وهى سيدة حرة عربية مسلمة بعد ما الح عليها الاستعمار الفرنسى الكافر الفاجر بالقهر والفقر والعذاب والخراب واماتة الاستقلال وافساد التعليم ونسخ اللغة ومسخ العقيدة طوال قرن وثلث ، فلم يستطع أن يخمد فى راسها نخوة العروبة ولا فى نفسها حمية الاسلام، ولا أن ينسيها ان لها وطنا محتلا مستذلا ورثته عن الفاتح عقبة بن نافع ، على ظهره الولد والبلد والرزق والامل وفى بطنه الآباء والاجداد والامجاد والذكرى، فجاهدت المستعمر بالسيف وصابرته بالعزم ورابطته بالقوة سبع سنين كوامل حتى كبكبته فى البحر الذى عاث فيه ، وردته الى البر الذى جاء منه·· ثم وضع قائدها المختار يده فى يد الرائد الاول واخذ يرجع ما فقد ويصلح ما فسد ويعيد الى امته وجهها العربى الذى غيرته المحن وغيرته السنون متألقا كوجه الحق متطلقا كنور الربيع

ويبزغ هلال السنة الجديدة على اليمن السعيدة بالحرية والديموقراطية والاشتراكية بعد ماظلت الحقب الطوال معرة العالم المتحضر تجرى عليها حركات الدهر وهى ساكنة سكون الجماد لاتشعر بالفلك وهو دائر ، ولا بالعالم وهو سائر ، لان الائمة ــ اخذهم الله بما صنعوا ــ استعانوا على عزلها عن الوجود بالفقر والجهل والمرض والقات والترهات والشعوذة ، فما كان يظن ظان ان من الح عليه الخدر يفيق ، ولا ان من استبد به الضرر يطيق ، ولكن حدثت المعجزة وانشقت أرض صنعاء عن ابناء التبابعة والأذواء يتساءلون فى تباشير الفجر ، من الذى اطبق على نفوسنا الليل ، واطفأ فى عيوننا النهار ، حتى حسبنا أن الظلام سرمد ؟ وكان الجواب دويا كنفخة الصور انبعث من مصر يقول :

ومن غير الأئمة من آل حميد الدين يستطيع ان يجعل آية النهار عمياء ولسان الحق أبكم ؟

وتكاتفت الثورتان ثورة السلال وثورة عبد الناصر على أن تحطما السد الذى حجز الماء والنماء والتقدم عن التقدم اكثر من الف سنة ، فالقت الرجعية والاستعمار بجثتيهما النخرتين امام السد فلم تغنيا عنه شيئا ، واخذت الايدى اليمنية والمصرية تبنى ماقوض الدهر ، وتعوض ماخلف القهر ، فوضعت

حديث الهجرة

للمغفور له
محمد مصطفى المراغى



حديث الهجرة حديث عجيب : رجل رحل من قرية الى قرية ، فرارا من الظلم ، ومعه رفيق له خرج خائفا يترقب ، يتلفت ذات اليمين وذات الشمال ، والى لأمام والخلف حذر أن يدركه الطالب ، لايحذر الموت ولا يخافه ، لكنه يحذر القضاء على حياة مولود ، هو امانة عنده ، فغير بهذه الرحلة مجرى التاريخ وبدل أرضا بأرض وأديانا بدين ، ولغات بلغة وعادات بعادات ، ورجسا بطهر وفسادا بصلاح وفوضى بنظام ، ومحا دولا وأقام دولة .

ذلك الرجل هو محمد ورفيقه هو أبو بكر وهذه الرحلة هي الهجرة التى يحتفل العالم الاسلامى اليوم بذكراها وهي التى انقذت المولود وساقت الخلق الى الحق وأعزت كلمة الله . اما المولود فهو القرآن دين الله وهديه ووحيه وشرعه والنور اذا أظلمت الدنيا ، والمرشد اذا عميت السبل وتشابهت الطرق ، فما اجل الهجرة واحقها بالاجلال والاعظام .

كانت الهجرة حدا فاصلا بين الذلة والعزة والضعف والقوة ، خرج بها من دار فسد جوها بالشرك والضلال والجور والظلم والكفر والفجور الى دار وجد فيها بيئة صالحة للتعاليم الالهية والنظم القدسية ، فملأ جوها بالتوحيد والطهر ، وترتيل آيات الذكر واظهر فيها نور الوحى وجماله ، ووضع

لليمن لأول مرة فى تاريخها دستورا يقوم على اسس متينة من الحرية والديمقراطية سيدفعها الى المقام الاول ، ويرفعها الى المستوى الأعلى .

ثم يبزغ هلال العام الجديد على قصور الملوك والسلاطين فى المشرق والمغرب فيومئ اليهم بطرفيه النيرين الى طريق الجماعة وملتقى الوحدة ومجتمع القوة لتلاقى الملوك والرؤساء فى مؤتمر القمة القادم فى شهر اغسطس بالاسكندرية على يقين جازم من أن الثمانين مليونا من العرب الذين يعيشون بين المحيط والخليج هم امة واحدة لها كيان طبيعى تميز بوحدة الجنس واللغة والدين والتاريخ والمجد والثقافة ، فمن حقها بوحدتها وقوتها أن تعود الى مكانها من صدر الوجود ، وان تشارك بامكانها فى سياسة الدنيا ، وان تقول للكتلتين الشيوعية والرأسمالية ان الكتلة العربية الاسلامية هى التى تملك غرس الوئام فى النفوس وفرض السلام على العالم لانها تنزل فى خير مكان من الارض ، وتهيمن على الموارد الاولى للاقتصاد وتدين بالاديان السماوية المثلى للاجتماع ، وتشرق اعمالها فى الصفحات العظمى من التاريخ .

وعسى ان يكون هلال العام الهجرى القادم موعدا من الله لتصديق هذا القول وتحقيق هذا الامل .

احمد حسن الزيات

سياسة اصلاح الخلق وتقويم الأمم ، وارسى قواعد الأخلاق ووضـــع قواعد الحرية الصحيحة والمدنية الفاضلة التي يريدها الله .

وبهذا الوحي وهذه النظم ، وهذه السياسة الحكيمة اصبحت تلك القرية التي هاجر اليها عاصمة الدولة الاسلامية العظيمة ، وانضوت تحت رايتها أمم وممالك وعواصم كان اهلهـــا من قبل أحق بالملك واجدر بالسياسة واقدر على الحرب وأحق بالسيادة من هذه القرية واهلها ، وكانوا يانفون سكناها ومخالطة اهلها - فما أجل الهجرة وأحقها بالاعظام والاجلال .

اعز من الأوطان والأهل والعشيرة ، ولذلك أوجب الله الهجرة على من لا يستطيع القيام بما فرضه عليه فقال « **ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين في الارض ، قالوا الم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيهـــا فاولئك ماواهم جهنم وساءت مصيرا** » .

هذا العـــالم المملوء بالشرور والآثام والاعتداء والاجرام والذى تئن فيه الانسانية من العلم والمدنية والذى خلت افئدة أهله من الروح الالهى ومن تعاليم الأديان ، ونظم المسيحية والاســـلام لا ينجيه الا



المغفور له الامام محمد مصطفى المراغى

من الحق أن نحتفل بالهجرة . لكن من الحق علينا أن نعتبر بها ونتعظ وأن نقتدى بســيرة صاحبها ونستلهم منها سر العظمة ، فهى تهـــدينا الى تقدير الخلق والى ما فيه من جمال وسمو روحى ، تفوق لذاته كل لذة مادية فى الدنيا ، والى أن الله سبحانه يمكن لمن آمن به وعمل صالحا فى الارض ويبدله من بعد خوفه أمنًا مصداقا لقوله : « **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا** » وترشدنا الى أن العاقبة للمتقين الصـــابرين على ما اصابهم والمجاهدين فى سبيل الله باموالهم وانفسهم ، والذين يجعلون الله سبحانه أحب من النفس والولد والمال والأهل والعشيرة ، وتهدينا الى أن الجهر بالحق

الرجوع الى الله ، واحتقار المادية البعيدة عن النظم الالهية والخلاص من الشـــهوات الجامحة والمطامع الفاسدة ، وتذكر الدار الآخرة واعتقـــاد بالجزاء وبالجنات تجرى من تحتها الأنهار للأتقياء البررة ، وبالجحيم للأشــــقياء الفجرة ، **ولا ينجيه الا تذوق لذات روحية هى أســـمى من اللذات الجسدية ولا ينجيه الا الاتصـــال بالله سبحانه على الطرق التى بينها للناس .**

فليس لهذه الحالة علاج الا التدين وفى تعاليم القرآن شفاء للناس وفى نظمه من المرونة واليسر مايستطيع أن يحل مشاكل العالم ويزيل مساويه .

« **محمد مصطفى المراغى** »

من ذكريات المحرم

بقلم : محمد محمد المدنى





شهر « المحرم » هو اول شهور العام الهجرى، وسمى بهذا الاسم لأن العرب كانوا لايستحلون فيه القتال ، وقد اقر الاسلام ذلك ، فهو احد الاشهر الأربعة الحرم .

يقول الله تعالى : « ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض ، منها اربعة حرم »

وقد بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطبة الوداع اذ يقول : « ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهرا ، منها اربعة حرم ، ثلاثة متواليات: ذوالقعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، وواحد فرد هو رجب الذى بين جمادى وشعبان » وقد كرم الله هذه الشهور الاربعة ، اذ ميزها على ماسواها بان جعلها اشهر امن وسلام ، لا حرب فيها ولا قتال ، يستريح فيها الناس بعضهم من بعض ، ويفيئون الى ظل ظليل قديفضي بهم الى التفاهم بالتى هى احسن ، وينزع منقلوبهم الغل والسخائم، وانها لذريعة من ذرائع الخير والبر بالانسانية يهدى اليها الاسلام ، ويوحى بها اليها ليتقيه الناس من محبة وسلام ، وما يحرص عليه من حقن الدماء،ودرء الشر ، وفتح ابواب التفاهم .

ولو ان « هيئة الامم » اخذت بهذا النظام، فجعلت للسلام اشهرا توجبه فيها على المتحاربين ، لخففت الكوارث ، واحيت الآمال فى التفاهم ، واذاقت المتحاربين لذة الامن بعد الخوف ، فلعل نفوسا تكدرت ان تصفو ، ولعل قلوبا تحجرت ان تلين ، وكثيرا ما تنبعث الحروب فى طريقها عنادا واستكبارا ، حتى اذا هيئت للفريقين هدنة كانت هى الخاتمة لعهد الشقاء والبلاء ، والفاتحة لعهد المودة والصفاء .

شهر المحرم يذكرنا بقرار اتخذه المسلمون فى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، هو اتخاذهم الهجرة مبدأ لتاريخهم :

فقد روى أن **عمر بن الخطاب** جمع وجوه الصحابة فقال : **ان الاموال قد كثرت ، وما قسمنا منها غير موقت — اى غير محددبتاريخ ينضبط به ، فكيف التوصل الى مايضبط به ذلك ، ولقد رفع الى صك محله شعبان فلا ادرى اى شعبان هو ؟ الذى مضى او الذى نحن فيه ، اوالآتى** ! ؛ فقال قائل : اكتبوا على تاريخ الروم ، وقال قائل : اكتبوا على تاريخ الفرس ، ولكن عمر ابى ان يجعل تاريخ الاسلام على تاريخ امة الفرس او امة الروم واراد ان يجعله على مبدأ لحادث اسلامى ، فاشار بعضهم بان يجعلوه من عند **وفاته** ، او من عند **مولده** ، **ولكن الامام عليا كرم الله وجهه اشار بانيجعلوه منذ خرج النبى صلى الله عليه وسلم من ارض الشرك ، يعنى يوم**

هاجر من مكة الى المدينة ، فراقت الفكرة ادى عمر والمسلمين . فاتفقوا على ان يكون المبدأ من سنة الهجرة ، وكانت الهجرة النبوية من مكة الى المدينة فى شهر ربيع الاول ، فقال بأى شهر نبدأ ، فتعددت الآراء ثم استقروا على الأخذ **برأى عثمان بن عفان رضي الله عنه بان يؤرخوا من المحرم أول السنة ، وهو شهر حرام ، وأول الشهور فى عدة العام ،** وهو منصرف الناس من الحج ، وأول شهر يتفرغون فيه الى اعمالهم بعد اشتغالهم بالمناسك، وبذلك رجعوا ثمانية وستين يوما وجعلوا التاريخ من أول محرم هذه السنة .

وفى هذا ابراز لشخصية الأمة الاسلامية ، بجعل تاريخ خاص لها ، لا يستند الى تاريخ غيرها من الفرس والروم .

وتبدو الشخصية العربية ايضا فى اختيار شهور خاصة غير شهور التاريخ الشمسي التى يرتبط بها غير العرب ، وهى الشهور القمرية المعروفة التى يدور حسابها على دورت القمر الشهرية المعروفة ، وقد اقرهم الاسلام على ذلك ، وربط بهذه الشهور العربية القمرية مواسم العبادات واحكامها ، **فكان ذلك اقرارا لشخصية الامة العربية ، وصيانة لها من ان تتبع غيرها فتفنى فيها ، او تنماع عن نفسها .**

***

وقد ظل التاريخ الهجرى ، وشهوره القمرية العربية خاصة للعرب والمسلمين الى اليوم ، وسيظل كذلك الى ان يرث الله الارض ومن عليها ، **مؤذنا بان الاسلام والعروبة قومية ممتزجة مستقلة عن أمم الأرض ، لها مكانتها فى العالم ، ولها وضعها وكيانها الطبيعيان .**

وشهر المحرم يذكرنا بحادث الهجرة حين استشرى خطر الباطل على الحق ، واصبح اهل الايمان والخير تاب توسجٌ او ادنى من كارثة كبرى توشك ان تقع فى مكة ، ولو وقعت يومئذ لانتصر الشيطان انتصارا مبينا ، ولاندكت الى الابد صروح الهدى والخير والصلاح وعاد العالم سيرته الأولى يتخبط فى دياجير الشرك والوثنية ، ويرزح تحت اثقال الظلم والعبودية :

خرج النبى صلى الله عليه وسلم من بلده الذى نشأ فيه ، وتربى بين ربوعه ، وأشرب منذ الصغر حبه ، قاصدا بلدا آخر ، لافرارا بنفسه ، ولكن فرارا بدعوته ، والتماسا لارض صالحة لبذرته ، خرج بعد ان دبر الشيطان مكيدته التى احبطها الله ، وكان له صاحبان : علي - بديله فى الفراش ، والموت يرصده - وأبو بكر رفيقه فى الغار ، والكفر ينشده ، فلم تشهد الأرض يومئذ ثلاثة ازكى نفوسا ، واطهر قلوبا ، واعظم فداء ، من هؤلاء الثلاثة ، ولم يسجل التاريخ شرفا خالدا كهذا الشرف العظيم بعظم غايته ، ونبل وسيلته .

ان الهجرة لاتوى دليل على صحة العزيمة ، وقوة الايمان ، فان المرء لا يترك ماهو عليه وما الف من حياة رتيبة ، ليضرب فى آفاق هى عليه غريبة ، الا وقد القى بين عينيه عزمة صادقة ، وتكب عن ذكر العواقب المثبطة جانبا ومن سنن الله فى خلقه انه اذا صحت العزيمة ، واتبعت السبل القويمة ، وكان المقصود هو الله جل جلاله ، فلا بد من التوفيق والنجاح .

لهذا نجحت هجرة النبى واصحابه ، صلوات الله وسلامه عليهم ، لانها كانت عزمة فى سبيل الله من قوم اولى ايمان واحسان ، فجعلها الله سببا فى القوة بعد الضعف ، والعزة بعد الذل ، والامنة بعد الخوف ، واصبح هذا المهجر الذى آوى ونصر ، مطلع نور الاسلام ، ومبعث الهدى والرحمة للناس اجمعين ، **ولم يمض امد طويل حتى اسلمت مكة قيادها لفتاها الأمين الذى خرج منها بالأمس خائفا يترقب ، وصدق الله وعده ، ونصر عبده ، واعز جنده ، وهزم الاحزاب وحده !**

والهجرة شان طبيعى من شئون الناس ، فالانسان فى خلقه وتكوينه ينتقل من طور الى طور وهو مازال جنينا فى بطن امه ، حتى اذا خرج الى ميدان الحياة اخذ فى التطور ايضا من الطفولة الى الصبا ثم الى الرجولة والكهولة ثم الى الشيخوخة والهرم ، وفى كل طور من هذه الأطوار يكون لحياته وصفاته طابع معين يختلف عما سواه، وتكون له اهداف متنوعة ، ومسالك متعددة . فليس التطور جسميا او حسيا فحسب، ولكنه تطور نفسى وعقلى ايضا .

ولقد كانت هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه هجرة نفسية عقلية قبل أن تكون هجرة حسية او جغرافية .

ولقد هاجر سيدنا **ابراهيم الخليل** الى ربه حين هجر الأصنام وماعليه ابوه وقومه من عبادتها

واعلنهم انه سيعتزلهم وما يعبدون من دون الله ويدعو ربه ، وحين تدرج بهم فى اسلوب منطقى طبيعى ، فأراهم انه يلتمس الهه الجدير بأن يعبده وحده فى النجم الذى بدا ، ثم فى القمر الذى طلع، ثم فى الشمس البازغة ، فلما راى كلا منهما يأفل ويغيب اخذ من ذلك حجة الزمهم بها ، وعرفهم انها غير صالحة لان تؤله وتعبد« **وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه »** .

وهاجر ابراهيم بأم العرب هاجر ، الى مكان البيت الحرام الذى بواه الله اياه ، وكلفه هو وابنه اسماعيل برفع قواعده، فكان هو الذى سن بأمر الله هجرة النفس وهجرة الحس .

ويقول رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم « لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » « والهاجر من هجر ما نهى الله عنه » فينبئنا بأن هجرة التحرر من الفساد والذل والعصيان باقية الى يوم القيامة وان على المؤمن ان يكون بها مهاجرا دائم المهاجرة ، فلا يركن الى باطل ، ولا يستنيم الى امل من آمال الدنيا فى ظل من الذل او الضعف او التراخى عن الجهاد فى سبيل الله ، بل يؤثر اعتناق الحق والمثل ومبادىء الاصلاح والخير ، مهما ارجف الباطل بخيله ورجله ، ومهما ابرقت مثل السوء وارعدت ، ومهما استطال عنق الفساد وكثر الخبيث واعجب الناس ، فانه : **« لايستوى الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث » « وما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب » « ليميز الله الخبيث من الطيب ، ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله فى جهنم »** .

***

فهذه هى الهجرة الباقية الخالدة ، ولن يزال فى الأمة من يقوم بها فى وجه الفساد والباطل الى ان يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

● ويذكرنا المحرم ايضا بحادث جلل ، وخطب عظيم اصاب الاسلام فى عهده الاول ، وثلم فيه ثلمة لم يزل اهله يئنون منها انين الثكالى الى اليوم **ذلك هو حادث مقتل الامام الشهيد ابن فاطمة البتول ، ابى عبد الله الحسين ، عليه وعلى ابيه وجده وآله الصلاة والسلام** .

ان الحسين الشهيد هو مثل المجاهدين فى سبيل الله : راى الحق مهضوما مهيض الجناح ، قد احاط به الباطل فلم يترك له سبيلا ، وراى نفسه ــ وهو فرع تلك الدوحة الشريفة ، وابن ذلك الامام الغضنفر الذى لم يطاطىء راسه قط من خوف ولا مذلة ــ راى نفسه مطالبا بأن يكشف هذه الغمم ، ويزيل تلك الغياهب ، وكأن صوتا من أعماق قلبه يناديه : **انت لها يا بن بنت رسول الله ، فقد كشف الله بجدك الظلمات ، واحق الحق وابطل الباطل حتى جاء نصر الله والفتح ، ودخل الناس فى دين الله افواجا ، وابوك هو سيف الله البتار الذى لم يستقر فى غمده حتى ذلت رقاب المشركين ، وخسئت عيون المنافقين والمفسدين ، فقم ــ ابا عبد الله ــ فكافح وناضل كما كان ابوك وجدك من قبلك ، وذد عن الحياض ، وادفع الظالمين ، وطهر الارض من اهل البغى والجور والفسوق ، ان آل البيت واصحابك قد سيموا خطة الخسف ، والبسوا ثياب الذل ، وان النساء والاطفال واليتامى والأيامى قد احيط بهم ، فهم لا يستطيعون حيلة ، ولا يهتدون سبيلا ، فمن يكشف الغمة ان لم يكشفها ابن على وفاطمة ؟**

كأنما كان الحسين يسمع صوتا من اعماق قلبه يناديه بهذا النداء المؤثر ، ويلح عليه فى ليله ونهاره ، وحين ينام وحين يقوم ، فلم يجد بدا من تلبية النداء ، والصراخ للصارخين الفزعين ، ولم يرده عن جهاده فى سبيل الله ان اعداءه فجرة لا يتقون الله ، ولا يرقبون فى آل رسوله الا ولا ذمة ذلك بأنه ذائد مجاهد يقوم بأمر الله ، سواء عليه ان ينصر او يخذل ، فكلاهما له شرف ، « **هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين** » ، وانما عليه ان يهاجر من الركون الى حالة الفساد والاثم ، الى حالة الصلاح والطهر ، فاما ادرك امنيته حيا ، واما ادركها عند الله فى دار القرار ، فاذا كان قد استشهد فى سبيل الله والحق ، فلقد باء قاتلوه بلعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، **وفاز هو باعظم الدرجات مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين** .

***

هذه بعض الذكريات عن شهر المحرم ، فلنذكرها ولنعتز بها ولنفقه مالها من مغزى فى التربية والتهذيب ، والتوعية والترفيع : « ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد » .

محمد محمد المدنى

التأريخ بالهجرة





بقلم الدكتور مهدى علام

شعر الناس ، أفرادا وجماعات ، منذ أقدم العصور ، بحاجتهم الى التأريخ ، أي الى نسبة الأحداث والأعمال الى نقطة زمنية يحسبون منها مرور الزمن ، بمقياس يصطلحون عليه كاليوم أو الأسبوع أو الشهر أو العام . وكانت ظاهرة النهار والليل أسبق الظواهر التي استرعت نظر الانسان الى أول وحدة زمنية دقيقة هي اليوم . كذلك كانت المجتمعات الاولى في تاريخ الانسانية تهتم اهتماما خاصا بظهور القمر ، وتتبع نموه منذ يبدو هلالا ، الى أن يستدير بدرا ، ثم ينقص في محاقه الى أن يختفي . فكانت هذه الظاهرة أساسا لوحدة زمنية أخرى هي الشهر ، مما جعل الشهر القمري من أسبق الوسائل التي اتخذها الانسان لعد أيامه . وتبعا لذلك كان السبق في التقديم القمري . ومن الدلالات اللغوية على ذلك الاشتراك في الاشتقاق بين الألفاظ التي تدل على الهلال أو القمر والألفاظ التي تدل على الشهر ، في كثير من اللغات . على أنه جاء بعد ذلك عهد على الانسان تنبه فيه للدورة الشمسية ، واتخذ الشهر الشمسي والسنة الشمسية أساسا لحساب الزمن .

وفي كلتا الحالتين ، حالة الحساب بالتوقيت القمري ، وحالة الحساب بالتوقيت الشمسي ، لم يكن ثمة بد من نقطة بدء للتاريخ . وفي العهود السحيقة في تاريخ البشرية ، قبل اختراع الكتابة ، لم تكن الذاكرة تعي أكثر من بضع سنوات . ولهذا كانت الحقبة التي يحتفظ الناس بها في ذاكرتهم حقبة قصيرة ، ثم يتركونها وينتقلون الى حقبة أخرى يبدأونها بحادثة هامة في حياتهم ، ويظلون يحتفظون بسنواتها حتى يحدث حادث عظيم يفرض نفسه على ذاكرتهم ، فيبدأون تاريخهم منه لحقبة جديدة ، وهكذا .

وهذه الاحداث التي كان الناس قديما يلجأون اليها لتأريخهم كانت تختار في العادة من بين الحوادث الجسام التي تغير مجرى الحياة في المجتمع ، أو من النوع الذي يخلف ذكرى لا تنسى . فالفيضانات المجتاحة ، والزلازل والبراكين المفزعة ، والحروب المدمرة ، وتعاقب الملوك على العرش ـ كل هذه أمثلة

مما كان يتخذه الانسان بدءا للتاريخ . ونحن مازلنا نجد صورة مصغرة لهذا بين بعض معاصرينا ممن يؤرخون بمضى كذا من الزمن على ثورة عرابى ، أو على العام الذى حجوا فيه ، أو على السنة التى تزوج فيها فلان من أسرتهم .

وفى طفولة البشرية لم يكن الانسان يهتم ، أو يستطيع أن يهتم ، بالدقة فى حساب التاريخ ، أو بربطه ربطا دقيقا بنقطة زمنية ثابتة . بل كانت الأمور تسير سيرا تقريبيا . ومن المعروف ان أول من ابتكر نظاما للتاريخ المنظم المتواصل هو أمين مكتبة الاسكندرية فى القرن الثانى قبل الميلاد ، حتى انه اكتسب ، بسبب ذلك ، لقبا هو « أبو التاريخ » .

ومن أمثلة النظم التى كانت متبعة فى التاريخ . النظام الأولمبى فى اليونان ، فقد كانت الألعاب الأولمبية تقام مرة كل أربع سنوات ، فكانوا يؤرخون أحداثهم بان يقولوا مثلا : حدث هذا فى السنة الثانية من الأولمبية الرابعة ، وهكذا .

ومن هذه النظم النظام الرومانى ، وكان هذا النظام يتخذ تاسيس مدينة رومة مبدأ للتاريخ تنسب اليه الحوادث وتعاقب القناصل والأباطرة .

ثم كان هناك نظام التاريخ الفارسى الذى كان يبدأ باعتلاء الملك يزدجرد الثالث للعرش يوم ١٦ يونيه سنة ٦٣٢ ميلادية . وهو نظام شبيه بالنظام الصينى القديم الذى كان يبدأ من سنة ١٦٣ ق.م. وبعد السنوات منسوبة الى اعتلاء كل امبراطور للعرش .

وكان العرب قبل الاسلام يسيرون كغيرهم من **الأمم المتبدية ، فيؤرخون بالأحداث العظيمة التى تمر بهم وتؤثر فى حياتهم ، كايام العرب المشهورة فى حروبهم ، والتى من أشهرها عام الفيل الذى ظلوا يؤرخون به حتى ظهور الاسلام ، وكذلك حرب الفجار .**

وبعد ظهور الاسلام اتخذ المسلمون عدة نقط زمنية بدءا لتاريخهم ، فتارة كانوا يقولون : حدث كذا قبل البعثة بسنة أو بسنتين ، أو بعدها بكذا سنة ، وأحيانا كانوا يؤرخون بالغزوات ، فيقولون : فى عام الخندق ، أو بعد بدر بعامين ، وهلم جرا . وكان مثل هذا النظام كافيا للتحديد الزمنى الذى كانت تتطلبه حالة المجتمع يومئذ . فلما اتسعت رقعت الدولة الاسلامية ، وتشعبت فروعها ، وتعدد نشاطها ، كان لابد لها من نظام ثابت للتاريخ ، ينسب الى نقطة زمنية ثابتة ، وتتبعه الدولة فى جميع انحائها ، فان من دواعى الخلط ، وسوء النظام ، أن يكتب الخليفة مثلا الى وال فى الشام كتابا يؤرخه فى السنة لسابعة والعشرين من البعثة النبوية ، فيرد عليه الوالى بكتاب يؤرخه بالسنة كذا من بدر .

وأول من فكر فى اتخاذ نظام ثابت للتاريخ فى الاسلام هو **سيدنا عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه** ، وكان ذلك جزءا من تنظيماته العامة للحكومة الاسلامية . ففى السنة الثالثة من خلافته ، اى فى السنة السادسة عشرة من الهجرة النبوية ، **رفع اليه صك مؤقت بشعبان . فقال : أى شعبان هو ؟ الذى مضى ، أو الذى هو آت ، أو الذى نحن فيه ؟ ثم جمع أصحابه وقال لهم : ضعوا شيئا للناس يعرفونه . فقال قائل : اكتبوا على تاريخ الروم . وقال آخر : اكتبوا بتاريخ الفرس ، كلما قام ملك طرح ما كان قبله (أى ترك النقطة الزمنية التى كان يؤرخ بها ، وبدأ نقطة زمنية أخرى من تاريخ اعتلائه هو للعرش) .**

وتناقش القوم فى الأمر . وكان أمامهم من أحداث الاسلام مايغنيهم عن اصطناع النظم الأجنبية : كان أمامهم لنقطة البدء بالتاريخ مولد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما كان أمامهم يوم وفاته ، وكان أمامهم كذلك يوم بعثته بدين الاسلام . ولكن رأيهم استقر على ان يتخذوا لتاريخهم يوم الهجرة من مكة الى المدينة ، وهو اختيار أوحته البصيرة النافذة ، والتقدير السليم لحوادث التاريخ . فلقد كانت الهجرة هى أعظم حدث فى تاريخ الاسلام ، لأنها الحادثة التى جمعت أنبل الصفات التى دعا اليها الدين ، كما تمثلت فيها معجزة الاسلام الكبرى : فالهجرة هى نقطة التحول فى ذيوع الاسلام ،

وخروجه من شعاب مكة الى ارجاء الجزيرة العربية ، ثم الى سائر أجزاء المعمورة .

والذين قرروا اختيار هذا اليوم مبدا للتاريخ هم الذين شاهدوه وشاركوا فى احداثه : هم المهاجرون والأنصار الذين تجلى فيهم ابان الهجرة خير ما تتحلى به النفوس البشرية . تجلى فيهم الافتداء حين تحدى المهاجرن سطوة قريش وبطشها وتنكيلها بهم لمغادرتهم مكة . وتجلت فيهم التضحية المنقطعة النظير حين تخلوا عن اهلهم وديارهم واموالهم فى سبيل الله . وتجلى فى ذلك اليوم الاخاء الصادق حين استقبل الانصار اخوانهم المهاجرين استقبال الأخ لأخيه ، وقاسموهم كل ما ملكت أيديهم . فهؤلاء الانصار هم الذين تهافتوا على الرسول الكريم يوم قدومه للمدينة ، يقول له كل بيت فيهم : أقم عندنا فى العدد والعدة والمنعة . فلما عز عليهم جميعا أن يقاسموا النبى بيوتهم ، قاسموها اصحابه المهاجرين .

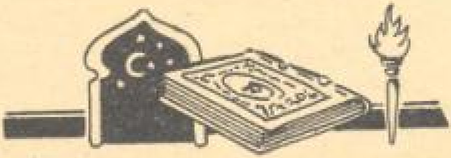
ومن أروع مايدل على ماكان يفيض به جو الهجرة من الكرم والسماحة أن التاريخ لم يذكر عن هؤلاء الذين تركوا مكة ولجأوا الى المدينة أنهم «لاجئون» . لقد كرمهم الله بما كرمهم به الانصار بتسميتهم بالمهاجرين . وكرم الله تعالى هؤلاء وأولئك بما أنزله فيهم من القرآن الكريم : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان ، رضى الله عنهم ، رضوا عنه ، وأعد لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، خالدين فيها أبدا ، ذلك هو الفوز العظيم » .

اما معجزة الاسلام الكبرى التى تمثلت فى حادث الهجرة ، فهى أنه فى تلك الساعة التى كان فيها مضطهدا طريدا من وطنه ، حقق أعظم انتصار لرسالته . وكذلك كانت قوة الاسلام ، يرفع علم انتصاره حتى يوم ضعفه ، وتعلو كلمته ، حين تعظم محنته ، ويقبل عليه الناس حتى ابان اضطهاده . ومن هذه القوة الروحية العظيمة استمد سلطته السياسية ، ونشر لواء العدل فى العالم .

وبعد فقد كانت الهجرة فى اليوم الثامن من ربيع الأول ، الموافق ليوم ٢٠ من شهر سبتمبر سنة ٦٢٢ ميلادية . وبدأ التاريخ بها فى اليوم السادس عشر من شهر يوليه سنة ٦٣٩ ميلادية .

ومجلة « الرسالة » اذ تخصص عددا لهذا اليوم العظيم . تحمل الى قرائها دراسات متنوعة عن هذه الذكرى التى تثير فى نفوسنا تلك العزة التى استمسك بها اسلافنا الكرام ، فى نفوسهم الأبية ، وقلوبهم الصفية ، وعقولهم الرشيدة ، واحكامهم السديدة ، لنستلهم من ذلك كله منهجا يهدينا الى سواء السبيل .

دكتور مهدى علام



دين الوفاء





للدكتور محمد احمد الغمراوي

الاسلام دين العزة ودين القوة ، وهو ايضا دين الوفاء . وقد علم الله كم تحمل العزة والقوة اهلها على الغدر والنكث وان الوفاء لا بد منه لاستقامة الامور بين الافراد والجماعات ثم بين الامم ، فاكد امره على الناس كل التوكيد فيما شرع لهم من الدين الخاتم الكامل ، دين الاسلام . وانك لترى في القرآن الكريم والسنة المطهرة من ذلك العجب العجاب .

والناظر في الآيات الآمرة بالوفاء في القرآن يجد منها العام ومنها الخاص . فمن العام الذى يصح ان يشمل كل وفاء بين الافراد والجماعات ، مسلمة وغير مسلمة ، قوله تعالى من سورة الاسراء .

واوفوا بالعهد ، ان العهد كان مسئولا .

وقوله في مفتتح سورة المائدة :

يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود

والاسراء اول سورة مكية امر فيها بالوفاء ، والمائدة من اواخر السور المدنية ، لم ينزل بعدها الا سورتا التوبة والنصر . فكان اية الاسراء في عمومها تاصيل لمبدا الوفاء بالعهد ، وتمهيد للتفصيل الذى نزل بعد ذلك في ايجاب الوفاء وتوكيده اثناء العهدين المكي والمدني وكان اية المائدة في عمومها ولتأخر نزولها توكيد واجمال لما نزل من تفصيل .

وفي السور المكية بعد سورة الاسراء اربع سور متفرقة نزلت بتوكيد الوفاء هي بترتيب نزولها : الانعام والنحل والمؤمنون والمعارج .

ففي سورة الانعام جاء الامر بالوفاء بين الوصايا العشر التى وصى الله بها عباده في الآيات الثلاث الاولى من ربع (قل تعالوا) اذ يقول سبحانه في ختام الآية الثانية منها :

(وبعهد الله اوفوا ، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون).

وهو كما ترى امر عام كالامر في اية الاسراء الا انه ازداد توكيدا : اولا بالصيغة البيانية التى تفيد التوكيد ، صيغة تقديم المتعلق على المتعلق به : (وبعهد الله اوفوا) . وثانيا بنسبة العهد هنا الى الله سبحانه وذلك لاول مرة في ايات الوفاء حسب ترتيب نزولها ، فكان ذلك ايذانا بان العهدالذى يقع في ظل الاسلام انما هو عهد الله . وفي هذا من توكيدالوفاء ما فيه . والى مظهرى التوكيد هذين يمكن ان يضم ثالث هو مجيء الامر بالوفاء قبل صيغة التوصية مباشرة كأنما اريد هو بها بصفة خاصة ، مع ان التوصية تشمل طبعا ما ورد في نفس الآية متعلقا بالاحسان في مال اليتيم وبالاقساط في الكيل والميزان .

اما في سورة « المؤمنون » فقد جعل الله الوفاء من صفات المؤمنين الذين كتب لهم الفلاح . فقد افتتحت السورة بقوله تعالى :

(قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ..)

الى صفات ذكرت في سبع ايات سادستها قوله تعالى : (والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) . وقد كررت الآية نفسها في سورة المعارج وصفا للمصلين (الذين هم على صلاتهم دائمون) الى اوصاف اخرى صانهم الله بمجموعها عن سبة هي من طبيعة الانسان ذكرها سبحانه في قوله من نفس السورة : (ان الانسان خلق هلوعا . اذا مسه الشر جزوعا، واذا مسه الخير منوعا. الا المصلين) وورود الوفاء في السورتين وصفا للمؤمن المصلى الخاشع في صلاته الدائم عليها يجعل الوفاء في الواقع صفة لازمة للمسلم اذ الصلاة اول اركان الاسلام بعد الشهادتين . ورعاية الامانات هي صورة من اهم صور الوفاء زيدت هنا على ما ذكر في آيتى الاسراء والانعام.

لكن الذى يستثير العجب ويدعو الى التامل العميق هي الآيات التي تحض على الوفاء في سورة النحل :

وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ، ان الله يعلم ما تفعلون (٩١)

ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا ، تتخذون ايمانكم دخلا بينكم إن تكون امة هي اربى من امة ، انما يبلوكم الله به ، وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون (٩٢) .

ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ، ولكم عذاب عظيم (٩٤) .

ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا ، ان ما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون (٩٥) .

وليس الذى يستثير العجب ويستدعي مزيد التأمل في هذه الآيات الكريمة هو ما فيه امر الوفاء بالعهد والايمان من توكيد لا يحتاج الى توضيح لم ليس عليه من مزيد ، فهذا قد مهد له من حيث عموم الامر وتوكيده في سورتي الاسراء والانعام السابقتين في النزول على سورة النحل . لكن موضع التعجب والتأمل هو ان هذه الآيات الكريمة تبدو كأنها نزلت في الوفاء بالعهود والايمان بين الامم مع انها نزلت في العهد المكي قبل ان يكون للاسلام دولة تتعامل مع غيرها من الجماعات والدول ! فهل كانت ارهاصا وبشرى بدولة عزيزة تكون للمسلمين يخشى عليهم فيها ان تغريهم العزة والقوة بنكث العهود التي قد تكون بينهم وبين مخالفيهم من الافراد والجماعات غير المسلمة فجاءت الآيات تحذر وتنهى عن النكث ، وتحض وتحث على الوفاء ولو لغير المسلمين ؟ انها لكذلك فيما يبدو ، لكن لا بد لنزولها من سبب .

يقول ابن كثير في تفسيره اولا : ان الايمان المذكورة في هذه الآيات هي (الداخلة في العهود والمواثيق لا الايمان التي هي واردة على حث او منع) وهذا يؤيد ولا يضاد مثار التعجب والتأمل في الآيات ، ويقول ثانيا ، نقلا عن الطبرى ، ما يفيد انها نزلت في تحذير المسلمين الذين بايعوا النبي في مكة على الاسلام أن تحملهم (قلة محمد وكثرة المشركين) على نقض ما بايعوا النبي عليه . ومهما يكن من خصوصية سبب النزول فالقاعدة الاصولية تقول أن العبرة بعموم النص لا بخصوص السبب . فالآيات الكريمة تشريع دائم في الاسلام للناس كافة والجماعات عامة ، ان يوفوا بالعهود ولا يتخذوا من الايمان والمواثيق وسيلة للخديعة والمكر حتى اذا وجدوا فرصة غدروا او امة غير معاهدة اقوى من امة معاهدة نقضوا عهد الاضعف لينحازوا الى الاقوى .

وهذا الذي حذر الله منه في تلك الآيات الكريمة هو بالضبط ما ارتكبه في الحرب الماضية والتي قبلها امم تعد في قمم الحضارة في العصر الحديث . ففى الحرب الكبرى الاولى ساعدت انكلترا الشريف حسينا ان تجمع الاقطار العربية الشرقية في مملكة يكون هو ملكها ان هو ساعدها على الاتراك اعدائها . فلما ساعدها وانتصرت بمساعدته على الدولة العثمانية وخرجت من الحرب ظافرة غدرت به حتى مات في المنفى وغدرت بالعرب في سوريا التي اعطتها لحليفتها فرنسا ، في فلسطين التي جعلت منها وطنا قوميا لليهود على أن تصان حقوق اهلها المدنية والدينية فيما زعم وعد بلفور واحتلت هي فلسطين لتنفذ هذا الشرط الاعرج بالتمكين لليهود فيها حتى اذا خرجت ظافرة في الحرب الثانية تخلت عن فلسطين لليهود بعد ان كانت جردت اهلها من السلاح وامدت به اليهود ليشردوا شعب فلسطين .

وفي الحرب الثانية خرق هتلر حياد بلجيكا كما خرقه غليوم الثاني في الحرب الاولى ليصل الى فرنسا من اقرب طريق ، وغدر هتلر بحليفته روسيا وهاجمها على غرة بعد ان مكنه حلفها من الانتصار الشامل على بولندا اولا ثم على فرنسا وحلفائها . وهاجمت اليابان امريكا في ميناء بيرل من غير انذار سابق ، واغرقت اسطولها ، ومكنها ذلك من السيادة على المحيط الهادى الى حين .

لكن لله سبحانه سنة في اهل الغدر تقضي بان تكون الدائرة عليهم ، ذكرها سبحانه في سورة الفتح المدنية : تلك السنة هي : (من نكث فانما ينكث على نفسه) . وطبقا لهذه السنة العجيبة انهزمت المانيا في الحرب الاولى الكبرى بعد انتصاراتها المعجبة ، وانهزم هتلر في الحرب الكبرى الثانية بعد انتصاراته المذهلة ، وانهزمت اليابان بعد انتصاراتها الهائلة ، وذهبت امبراطورية انكلترا التي كانت لا تغرب عنها الشمس بعد ان خرجت انكلترا من الحرب منهكة وان كانت في الظاهر ظافرة ، وستنهزم ان شاء الله اسرائيل وتخرج من فلسطين مقهورة مدحورة طبقا لنفس السنة الالهية التي لا نقض لها ولا مرد : سنة : (من نكث فانما ينكث على نفسه)

هذه السنة العجيبة النافذة جاءت متممة لسنة مثلها سبق ذكرها ، في سورة فاطر المكية في قوله سبحانه (ولا يحيق المكر السيء الا باهله) . ثم هي بعض آية نصها : (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ، يد الله فوق ايديهم ، فمن نكث فانما ينكث على نفسه ، ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما) . والبيعة المشار اليها هي بيعة الرضوان في في غزوة الحديبية . فالآية نزلت لسبب خاص لكن منطقها عام والعبرة كما قلنا من قبل بعموم النص لا بخصوص السبب .

وسورة الفتح التي نزلت فيها الآية هي خامس سورة مدنية ذكر فيها الوفاء ، والسور الاربع قبلها هي البقرة والانفال والنساء والرعد . فاما البقرة والرعد فالذكر فيهما من قبيل الذكر في « المؤمنون » والمعارج : مدح للموفين ووعد لهم بالثواب الجزيل ، فلم يبق من السور المدنية التي ذكرت الوفاء وحضت عليه الا الانفال والنساء والتوبة .

والانفال هي ثانية السور المدنية اذ نزلت بعد البقرة . وفيها حرم الله اخذ المعاهد على غرة بقوله سبحانه خطابا لنبيه :

(واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ، ان الله لا يحب الخائنين) . لكن العجب العاجب في توكيد الوفاء بالعهد هو فيها قول الله سبحانه : (والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا ، وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير) . فالمسلم في الارض الكافر اهلها له على المسلمين ان ينصروه ولو بالحرب اذا اعتدى عليه في دينه ، الا ان يكون المعتدى بينه وبين المسلمين ميثاق وعهد. وهذا من اعجب توكيد الاسلام للوفاء بالعهد .

وفي سورة النساء اشارة واضحة الى المبادرة بقضاء حق اهل الميثاق والعهد حتى قبل قضاء حق مثله لاهل الايمان

وذلك في حكم المؤمن الذي يقتل مؤمنا خطأ . تأمل معي قوله تعالى : (وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ، ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله الا ان يصدقوا ، فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ، وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة ..) الآية (٩٢) وواضح ان هذه الاحكام تشمل الاحوال التي يمكن ان يكون عليها قوم المؤمن المقتول خطأ . فهو اما ان يكون من بين المسلمين وحكمه الحكم الاول الوارد في الآية بدليل قوله (الا ان يصدقوا) ، واما ان يكون من قوم غير مسلمين ، وهؤلاء اما ان يكونوا اعداء فلا تدفع لهم الدية حتى لا يتقووا بها على قتال المسلمين ، وتقتصر الكفارة على تحرير رقبة مؤمنة ، واما ان يكونوا بينهم وبين المسلمين عهد وميثاق فيبادر الى دفع الدية الى اهل المقتول ، ثم تستكمل الكفارة بتحرير رقبة مؤمنة . والاشارة التي هي محل الاستدلال هي في تقديم دفع الدية الى اهل القتيل على تحرير الرقبة اذا كان قومه اهل عهد غير مسلمين وتقديم تحرير الرقبة على دفع الدية او التسوية بينهما اذا كان القتيل من بين المسلمين .

وفي السورة ما هو اصرح من هذا في رعاية أهل الميثاق وذلك في حالة استحق فيها اهل النفاق القتل واستثنى منهم من كانوا من قوم معاهدين بقوله تعالى (الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق) الآية (٩٠) والتين قبلها .

ويصل احترام العهود في الاسلام الى غايته في سورة التوبة او براءة التي برئ الله ورسوله فيها من المشركين ، وامهلهم اربعة اشهر يسيحون فيها في الارض ثم يقتلون بعدها اينما وجدوا : (الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين) فمن التقوى التي يحب الله اهلها الوفاء بالعهد لمن يوفي به ولو كان مشركا . ومثلها قوله تعالى بعد آيتين من الآية السابقة : (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله ، الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام ، فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ، ان الله يحب المتقين) .

فالسورة نزلت لاجتثاث الشرك والبراءة من اهله فلا يكون بعد نزولها بين مشرك ومسلم عهد ولا عقد جديد ، وانما يوفى لاهل العهود التي كانت قبل نزولها بما عوهدوا عليه الى آخر مدته اذا كانوا هم وفوا به كاملا ، ولم يعينوا على المسلمين عدوا. وهذا كان آخر طور من اطوار توكيد الوفاء بالعهود في الاسلام

اما السنة المطهرة فهي مبينة لاحكام الكتاب مفصلة لمجملها فلا يوجد حكم في الكتاب ليس له في السنة ما يناظره ان كان مفصلا ، او ما يفصله ان كان مجملا ، كما نبه الى ذلك الامام الشافعي في الرسالة التي اسس فيها اصول الفقه . والآيات السالفة التي تثبت أن الاسلام حقا دين الوفاء هي من الوضوح بحيث لا تحتاج الى تعزيز من السنة ، على كثرة النصوص المعززة فيها . اللهم الا مثلا من عهد النبي ومثلين من بعده تبين كيف كان النبي والمسلمون ينفذون تلك الاحكام حتى في اشد الظروف .

فمن اوضح الامثلة في عهد النبي تسليم ابي جندل بن سهيل ابن عمرو لابيه في غزوة الحديبية تنفيذا لشرط كان النبي صلى الله عليه وسلم وافق عليه وان لم تكن معاهدة الصلح بينه وبين قريش قد امضيت . ولما استغاث ابو جندل بالمسلمين صارخا بأعلى صوته فيما نقل ابن كثير (يا معشر المسلمين أأرد الى اهل الشرك فيفتنوني في ديني — وكان موقفا يبعث من شدته ان زل فيه عمر او كاد — قال صلى الله عليه وسلم (يا ابا جندل اصبر واحتسب فان الله تعالى جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا . انا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا فاعطيناهم على ذلك واعطونا عليه عهدا ، وانا لن نغدر بهم) .

ومثل ابي جندل ابو بصير لجأ الى المدينة بعد أن رجع اليها النبي من الحديبية ، وارسلت قريش في طلبه رجلين فدفعه النبي اليهما وفاء بالعهد ونزولا على شرطه . وامكن الله ابا بصير من احد الرجلين فقتله بسيف الرجل ، وفر الآخر الى المدينة حتى دخل المسجد يعدو ، وجاء ابو بصير يظن ان الله قد اوفى ذمة رسوله ونجاه منهم . لكن الرسول صلوات الله عليه قال ما دل على انه يرى أن الشرط ما زال قائما ، فخرج ابو بصير الى سيف البحر ، وتفلت ابو جندل فلحق به ، ولحق بهما كل مسلم تفلت من قريش حتى اجتمعت منهم عصبة جعلت تعترض كل عير لقريش الى الشام حتى لم تجد قريش بدا من ان ترسل الى الرسول ترجو منه ان يؤوي اليها ابا بصير ومن معه فلا يقطعوا على غيرها الطريق . وحقق الله بذلك قول نبيه حين قال لابي جندل سيجعل الله لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا .

هذا مثل من وفاء الرسول . لكن الرسول هو الرسول . فلم يبق الا التمثيل لوفاء المسلمين بعد الرسول . وسنكتفي من ذلك بالاشارة الى مثلين احدهما من تاريخ ابن الاثير في حرب مسيلمة بعد ان قتله الله واظهر المسلمين بقيادة خالد على بني حنيفة . قال مجاعة بن مرارة ، وكان اسيرا في يد خالد ، هلم الى الصلح فان الحصون لا تزال مملوءة بالرجال. ففرض عليه خالد ما فرض ، فقال استشير من في الحصون. ولم يكن فيها الا الضعاف والنساء فألبس من استطاع الحديد وأمر النساء ان ينشرن شعورهن ويشرفن على الحصون فأوهم خالدا بذلك ان الحصون حقا فيها الرجال . وكانت الحرب قد انهكت المسلمين فآثر خالد السلامة لمن بقي وخفف الشروط على مجاعة . فلما فتحت الحصون ورأى ان ليس فيها الا النساء والصبيان والضعفاء قال خالد لمجاعة خدعتني ويحك ! قال هم قومي ولم استطع الا ما صنعت . (ووصل كتاب ابي بكر الى خالد ان يقتل كل محتلم ، وكان قد صالحهم ، فوفى لهم ولم يغدر) كما يقول ابن الاثير .

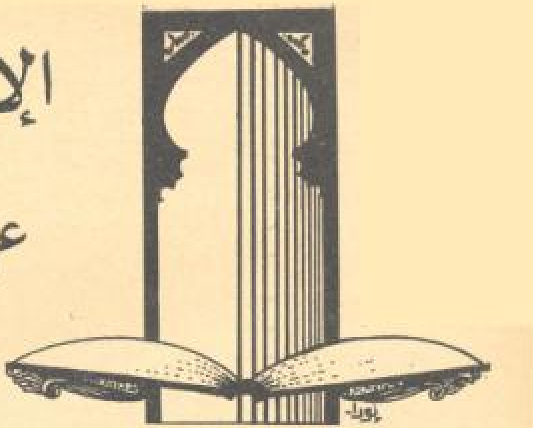
والمثل الثاني من ابن كثير في تفسيره آيات سورة النحل السابق ذكرها اذ اشار الى قصة لمعاوية لما كان بينه وبين ملك الروم امد (فسار معاوية في آخر الاجل حتى اذا انقضى وهو قريب من ديارهم اغار عليهم وهم غارون لا يشعرون . فقال له عمرو بن عتبة : الله اكبر يا معاوية ! وفاء لا غدر ! سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من كان بينه وبين قوم اجل فلا يحلن عقدة حتى ينقضي امدها » فرجع معاوية بالجيش) كما يروى ابن كثير .

فما احوج اهل المدنية الحاضرة الى الاسلام يتلقون درسه في الوفاء . وما احوج المسلمين الى العمل بدينهم والوفاء فيما بينهم حتى ينصرهم الله على الاعداء .

دكتور محمد احمد الغمراوي

الإسلام والروم في عهد الرسول عليه السلام

بقلم الدكتور طه الحاجري



الجهاد عنصر من العناصر الاصيلة في الحياة الاسلامية : دعا اليه القرآن ، وحث عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وضرب فيه أبلغ المثل ، وعنى به الفقهاء والمشرعون ، تقريرا لاحكامه وبيانا لآدابه، واستطاع به المسلمون أن يحموا حماهم، ويحفظوا ملامح شخصيتهم ، ويدفعوا عن دينهم وكيانهم كل متهجم عليه ، طامع فيه .

والجهاد في أصل معناه هو بذل الجهد في تحقيق المبدأ ، والتوسل الى الغاية ، ومقاومة العوامل المناهضة او المعوقة . ولكن الجهاد في الاسلام هو الجهاد في سبيل الله ، وسبيل الله هو دينه الذي بعث به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ، لرسم للانسانية مثلها الاعلى ، وهو جهاد بالنفس وجهاد بالمال ، كما جاء في غير آية من آيات الكتاب الكريم :

« يأيها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وانفسكم ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » .

« الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله ، واولئك هم الفائزون » .

« ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض ».

ومن هذه الآيات نرى أن الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله قرين الايمان .

ومنذ تكونت الدولة الاسلامية في المدينة كان الجهاد هو السمة البارزة في التاريخ الاسلامي ، فهو — في حقيقته — مظهر من مظاهر المقاومة التي اخذ الدين الجديد يتدرع بها ازاء العناصر القديمة التي كانت ما تفتأ تهدده وتعدو عليه ، وتصطنع الوسائل المختلفة لتنتهبه منه وتحد من سلطانه ، اذ كانت ترى فيه خطرا ماحقا يتهددها ويوشك أن يقضي عليها ، فكان لا بد له ازاء هذه القوى المتوثبة عليه والمتربصة به أن يحمي نفسه ، بفرض الجهاد ، ومواجهة خصومه بالاسلوب الذي تواجهه به ، والذي لم تستطع الانسانية أن تتجرد منه ، والذي ما كان يجوز للاسلام أن يغفله ، وان يمضي في دعوته دون أن يحميها من فتكات هذا النظام الذي يتهددها ويكشر لها عن انيابه ، الا أن يتعرض للانهيار لاول وهلة .

ولسنا هنا بصدد الحديث عن الحرب في الاسلام، ومناقشة دعوى الذين يتجنون على الاسلام ، فيزعمون انه دين دعوى ، قام بالسيف وانتشر بالرعب ومكن له بالقوة ، ويذهب بعضهم الى حد المناظرة بين المسلمين وبين قبائل التتر والهون ، فتلك دعوى من لم يعرف روح الاسلام في التشريع ، ومنهجه في الاصلاح ، وأسلوبه في أخذ الانسانية بأسباب التكمل .

لا نريد أن نعرض هنا لشيء من ذلك ، فليس بنا الا ان نرسم بعض صور الجهاد في عهد الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، بحيث تتبين من خلالها الروح السائدة فيه ، والاسباب الداعية اليه ، والاهداف التي يتجه اليها .

والعناصر القديمة التي كانت تناوىء الاسلام ، وتتهجم عليه، وتتربص به الدوائر ، والتي كان على الاسلام أن يقاومها ويدفع عدوانها بالوسائل المختلفة : معنوية ومادية ، كانت تتمثل أولا في قريش ، وفي اليهود .

اما قريش فهي خصم الاسلام الاول، وكانت تود لو استطاعت أن تقضي عليه وهو ما يزال في مكة ، فلما انتقل الى يثرب واتخذ منها دارا له ، ومقر دولته الناشئة ، جن جنونها ، وأيقنت ان الخطر قد أطبق عليها ، ولكن الاسلام بادرها فضربها ضربته الاولى في موقعة بدر ، في السنة الثانية لاستقراره في يثرب ، فعادت تترنح من هذه الضربة الفاجئة ، وان كانت لم تفقد الامل ، ولم تعدم الوسائل المختلفة تتوسل بها الى الكيد للاسلام ، فاتجهت الى بعض القبائل التي تربطها بها بعض الروابط الاقتصادية والمعنوية : تصطنعها وتؤلبها ، فلم تغن عنها شيئا ، واتجهت الى اليهود : تحالفهم وتريد أن تستغل حقدهم وضغينتهم على الاسلام والرسول صلوات الله عليه ، ولكنها كانت محاولات طائشة ، لم تغن قريش منها شيئا ، وجرت على اليهود نكبات التنكيل والاجلاء ،

كما حاولت مثل ذلك في الشمال بين القبائل الضاربة مناك والخاضعة لنفوذ المسيحية الرومانية ، ولكنها كانت محاولات باطلة لم تكد تنتهي الى شيء مما كانت تدبره وتطمع فيه .

بطل كل اولئك الذي جهدت قريش في ان تمضي به على هذا الدين ، ولم تلبث ان رأت نفسها ضارعة امامه في الحديبية ، ثم مذعنة له ملقية بيدها اليه ، بعد ذلك بعامين يوم فتح مكة .

واما اليهود الذين ما زالوا منذ استقر الاسلام في يثرب يضمرون الضغينة له والحقد على رسوله ، ويسلكون كل سبيل للكيد له ، فقد ارتد كيدهم الى نحورهم ، واستطاع الاسلام أن يجليهم عن المدينة ويامن مكرهم : اجلى بني قينقاع بعد بدر ، ثم بني النضير بعد احد ، ثم بني قريظة بعد الاحزاب ، ثم رمى ببصره الى مستعمراتهم في شمال الجزيرة ، في خيبر وفدك ، فغزاهم فيهما ، وقضى على نفوذهم بعد الحديبية قضاء تاما .

وبذلك استطاع الاسلام حتى سنة الحديبية ان يقر سلطانه في جزيرة العرب ، وان يقمع العناصر المناوئة ، فقد اذعنت قريش والقبائل الموالية لها ، او التي كانت تجد في الاستجابة اليها تحقيقا لبعض نزعاتها ، او تأميلا في بعض المغانم التي كانت تتطلع اليها ، وقد اجلى اليهود عن المدينة واقتطعت فتنتهم ، وضربت عليهم الذلة والمسكنة في خيبر وفدك .

وهناك عنصر اخر من عناصر العداوة للاسلام والمناوأة له ، لم يكن قد دخل ميدان المعركة بعد ، ولكن كان على الاسلام ان يواجهه ، قياما برسالته ، وتأمينا لجانبه ، وهو العنصر النصراني . وقد استقر ذلك العنصر في طرفي الجزيرة : شمالها وجنوبها في اليمن والشام .

اما اليمن فكانت في ذلك الوقت تابعة للفرس ، فكانت النصرانية فيها لا تجد من السلطان حاميا يحميها ، ولم تختلط فيها بشيء من العوامل السياسية ، واما الشام فالامر فيها مختلف ، فقد كانت خاضعة للدولة البيزنطية ، حامية النصرانية في ذلك الوقت ، فلا جرم كانت مناوأتها للاسلام تعتمد على قوة هذه الدولة ، وكانت خصومتها له خصومة دينية وسياسية معا .

ومن ذلك اختلف موقف الاسلام ازاء النصرانية في مشارف الشام ، والنصرانية في اليمن .

فخصومة الاسلام للنصرانية في اليمن خصومة وادعة هادئة لم تصطنع القسوة ، ولم تقترن بشيء من العنف . انما هي خصومة قوامها الدعوة والحجة ، بدات بالجدال مع وفد نصارى نجران الذين وفدوا على الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، في المدينة ، في السنة الاولى للهجرة ، وانتهت بارسال الرسول ، صلوات الله عليه ، رسالة الى اليمن دعاة هداة معلمين ، كمعاذ بن جبل ، وقد قال له في مبعثه هذا ، يرسم له خطوط رسالته : « يسر ولا تعسر ، وبشر ولا تنفر ، وانك ستقدم على قوم من اهل الكتاب يسألونك : ما مفتاح الجنة ؟ فقل : شهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك له » ، ثم

بعض المعاهدات التي عقدها الرسول ، صلى الله عليه وسلم مع بعض نصارى اليمن ، وقد دخلوا بها في ذمة المسلمين .

فاما خصومة الاسلام للنصرانية في بلاد الشام فالامر فيها مختلف اختلافا كبيرا ، لما قدمنا ، فكانت خصومة اقترنت بالعنف واعتصمت بالسيف ، وقد ظهرت في مؤتة ، ثم في تبوك ثم في تلك السرية التي اعتزم الرسول ، صلى الله عليه وسلم انفاذها ، لمقاتلة الروم في الشام ، وجعل عليها اسامة بن زيد . وذلك هو الموضوع الذي بنينا عليه هذه الدراسة .

بعد ان فرغ الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، من أمر الحديبية ، أخذ يتجه ببصره الى ما وراء الجزيرة ، يمد اليها دعوته ، ويهيىء السبيل لنشر الدين الذي جاء به للناس عامة ، فجعل يكتب رسائل الدعوة الى الملوك والرؤساء فكان من ذلك كتابه المشهور الى هرقل ملك الروم :

« من محمد عبد الله ورسوله ، الى هرقل عظيم الروم .
سلام على من اتبع الهدى . اما بعد ، فاني ادعوك بدعاية الاسلام . اسلم تسلم . يؤتك الله اجرك مرتين ، فان توليت فعليك اثم الاريسيين . يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم : الا نعبد الا الله ، ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون » .

وقد بعث هذا الكتاب مع دحية بن خليفة الكلبي .

ولا بد ان نقف قليلا عند تاريخ هذا الكتاب . واكبر الظن انه كان في خلال الشهور الاولى من سنة سبع ، فقد اجمع المؤرخون على ان الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، اتجه الى ارسال الكتب الى الملوك والامراء بعد عودته من الحديبية ، وكانت الحديبية في اواخر سنة ست . كما ذكروا ان دحية ابن خليفة الكلبي ، رسول النبي صلى الله عليه وسلم ، الى هرقل كان ممن شهد خيبر،وخيبر كانت في أواخر المحرم أوائل صفر سنة سبع ، فلعله انما مضى بالكتاب بعد ذلك ويوافق صيف سنة ٦٢٨ ميلادية ، ما بين يونية ويولية تقريبا .

في ذلك الوقت كان هرقل في نشوة ظفره على خصمه كسرى الذي كان قد اكتسح بلاد الامبراطورية البيزنطية ، بعد حروب متصلة متطاولة بينهما ، امتدت ، منذ اخذ هرقل يوقف الزحف الفارسي ، سنوات ستا ، ظفر في نهايتها ، في فبراير سنة ٦٢٨ ، بهذا الخصم القوي العنيد الذي يصفه ابن جرير الطبري بانه « كان من اشد ملوكهم بطشا ، وانفذهم رايا ، وابعدهم غورا ، وبلغ — فيما ذكر — من البأس والنجدة والظفر وجمع الاموال والكنوز ومساعدة القدر اياه ما لم يتهيأ لرجل اكثر منه . ولذلك سمي : ابرويز ، وتفسيره بالعربية : المظفر » . فلا جرم كانت نشوة هرقل بهذا الظفر نشوة طاغية جارفة ، وخاصة انه في خلال هذا الظفر استطاع أن يسترد الصندوق الذي كان به الصليب المقدس ، والذي كان كسرى قد استولى عليه حين فتح القدس ، سنة ٦١٤ ، وملأ بذلك قلوب العالم المسيحي وجيعة وحزنا .

في وسط هذه النشوة الجارفة الطاغية التي كانت تغمر

هرقل وجميع من حوله ، بعث الرسول صلى الله عليه وسلم ، بكتابه هذا اليه ، يدعوه الى الاسلام : الى توحيد الله ، والا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله . وكان هرقل قد لبث فترة من الزمن في بلاد الشام ، يقر فيها الامور ، ويدبر ما قد يحتاج الى التدبير ، ويستطعم النصر الذى أتيح له ، قبل عودته الى القسطنطينية ، وفي هذه الفترة تلقى الكتاب .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم ، يعلم — ولا ريب — هذا الجو الذى يحيط بهرقل ويملأ نفسه غرورا وكبرياء وانفة ، فلم يمنعه ذلك من أن يوجه اليه بكتابه ، كأنما يتحداه به تحديا ، ثم لم يكتف به ، بل عقب عليه بأن بعث الى الشام بعثة مؤلفة من خمسة عشر رجلا للدعوة الى الاسلام ، ولكن سبيل هؤلاء الدعاة كانت محفوفة بالمصاعب ، فلم يلبثوا أن اصطدموا بأهل هذه البلاد ، أو بأصحاب السلطان فيهم ، فقتلوا . وكان مقتلهم من الامارات السيئة التى تدل على سوء استقبال القوم للدعوة ، ومن قبل ذلك قتل عامل الروم على بصرى رسول النبى صلى الله عليه وسلم ، حين بعثه اليه يدعوه الى الاسلام .

واذن فالامر خطير كل الخطر ، وأقل ما فيه ما قد يتعرض له المسلمون الذين يقوم على حدودهم هؤلاء الروم ومعاونوهم من الاذى والفتنة ، واذن فلا بد من معالجة الامر معالجة حازمة ، ومواجهة الموقف مواجهة حاسمة صارمة ، لا تقف عند حد الدعوة السلمية ، حتى يمكن حماية الدعوة الاسلامية من هؤلاء الذين يترصدون لها ويضعون لها الغوائل ، كما بدت أماراته منهم .

وكذلك اتجه الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، الى توجيه الغزو هذه المرة نحو بلاد الروم ، فكانت هذه الغزوة التى تسمى في التاريخ بغزوة مؤتة ، وقد اجتمع فيها ثلاثة آلاف مقاتل ، أمر الرسول عليهم ثلاثة امراء ، يتعاقبون على قيادة الجيش ، اذا قضى امير تولى القيادة الذى يليه ، وهم : زيد ابن حارثة ، وجعفر بن ابى طالب ، وعبدالله بن رواحة . وتاريخ هذه الغزوة هو جمادى الأولى سنة ثمان .

وكما وقفنا عند تاريخ كتاب الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، الى هرقل ، لنرى ماذا عسى أن يدل عليه هذا التاريخ ، وقد رأينا شيئا من ذلك ، نود أن نقف قليلا هنا ، عند تاريخ هذه الغزوة الذى يوافق في التقويم الميلادى شهر سبتمبر سنة ٦٢٩

في ذلك الوقت كان القسم الجنوبى من بلاد الشام يموج بمواكب هرقل ، وكان قد خرج من القسطنطينية في ربيع ذلك العام ، في جموع حافلة ، من جنود وبطارقة ، في أكمل عدة ، وأبهى زينة ، تغمرهم مشاعر الزهو والكبرياء ، وتحيط بهم معانى الانفة والاستعلاء ، في شيء من العاطفة الدينية ، وها هو ذا ، في مواكبه هذه الرهيبة المهيبة ، يتجه الى القدس ، وقد أراد أن يتوج انتصاره على الفرس ، باعادة الصليب المقدس الى مكانه في بيت المقدس .

وقد بلغ المدينة المقدسة في هذا الشهر ، شهر سبتمبر ، واحتفل في الرابع عشر منه باعادة ذلك الصليب احتفالا بالغا غاية الروعة ، ظلت ذكراه حتى اليوم عيدا من الأعياد المسيحية : عيد تمجيد الصليب المقدس

وان هذا التوافق بين تاريخ غزوة مؤتة ، وذلك الحدث الكبير من أحداث الروم ، ليبعث على التساؤل : أكان مصادفة محضة أن يكون خروج جيش المسلمين متجها نحو الاردن في الوقت الذى كان ملك الروم وجنوده وبطارقته واتباعه وأشياعه يحتفلون فيه في مدينة القدس باعادة الصليب المقدس ، دون أن يكون هنالك صلة بين الحدثين ؟ أم كان المسلمون على علم بتلك الحشود الحاشدة ، وتلك الاحتفالات الزهوة المنتشية ، وكان توجيه جيش المسلمين في ذلك الوقت أمرا مقصودا لذاته ؟ فأى تحد اذن كان يضمره الرسول ، صلى الله عليه وسلم للروم وملكهم وبطارقتهم ، حين يقصد الى غزوهم ، وهم في أوج نشوتهم الدينية ، عقب تلك النشوة السياسية الغامرة ، بانتصارهم على الفرس ، واستعادة مجدهم الضائع البدد .

أكبر الظن أن أنباء هذا الموكب الضخم الفخم الذى مضى يتنقل في بلاد الشام كانت تبلغ آذان المسلمين في المدينة ، وأن أمر ذلك الاحتفال كان معروفا ، فلم يكن القوم بمعزل عن أحداث السياسة الخارجية التى تقع على حدودهم وتتصل بكيانهم . وأكبر الظن انه مما كان يقصد اليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، بهذه الغزوة التى كان يقدر خطرها ، أن يتحدى هؤلاء المغترين بقوتهم ، المغترين بجبروتهم ، والذين خيل اليهم انهم بهذه القوة التى ظفروا بها دولة الاكاسرة يستطيعون أن يقصموا هذا الدين الجديد ، وهذه الدولة الناشئة ، والذين سولت لهم هذه القوة وتلك النشوة الا يعبأوا بشيء من المواصفات المعهودة المرعية ، فهم يقتلون الرسل ، ويتعقبون البعوث المسالمة التى لا تقصد الى شيء الا بث الدعوة ، وازالة الغفوة ، والتنبيه الى المعانى الدينية السليمة المبرأة من شوائب البدع وضلال الاهواء . **وانما هو الايمان القوى القاهر الذى لا يتردد ولا يتوقف الذى جعل الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، يتحدى هرقل ومن اليه ، وهم في ضلوان نشوتهم السياسية والدينية جميعا ، فكان توجيهه هذه الغزوة .**

وكذلك فصل القوم عن المدينة ، وعليهم هؤلاء القواد الثلاثة .

« البقية في العدد القادم »

دكتور طه الحاجرى



الغزالى

من أبطال الفكر الإسلامى والعالمى

بقلم عمر الدسوقى

للبطولة ميادين شتى غير ميدان الجهاد بالسيف ، ونصرة المبدا والعقيدة بالقوة ، ووضع الخطط وتنظيم الجيوش ، والصبر على مغالبة العدو ، واقتحام العقبات وتذليلها وانتزاع النصر وتقرير مصائر الشعوب فى حومة القتال .

وان من اشق هذه البطولات اقتناصا ، واعظمها خطرا بطولة الفكر ، وصراعه فى سبيل الوصول الى الحقيقة. لان البطل هنا لا يعتمد الا على عقله وقوة روحه ، وثبات عزيمته وحسن تقديره لما وصل اليه . وكثيرا ما يصطدم بالآراء الشائعة ، والتعصب للمبادىء السابقة ، وكثيرا ما تسىء الجماهير فهم مراده ، وادراك جهاده ، وهو بهذا يدخل فى صراع مرير ، لانه لا يحاول ان يهزم اجسادا تخضع لحكم القوة والسيف ، ولكن يحاول ان يهزم نفوسا ، ويشكل عقولا ، ويقرر حقائق ، ويجتذب الابصار ، ويرد شبه العادين ، ويبطل حجج المكابرين . فاذا انتصر بعد كل هذا ، ودانت العقول لفكرته كان اثره عظيما لا فى جيله فحسب ، ولا فى شعبه فحسب ، ولكن فى موكب الانسانية كلها جيلا بعد جيل .

ونحن فى هذه العجالة نتحدث عن بطل من ابطال الفكر الاسلامى ، لا زلنا حتى يومنا هذا نؤمن بفكرته ، ونعجب برايه وطريقته ، على الرغم من توالى القرون ، لانه حاول جاهدا ان يخلص العقيدة الاسلامية من كل شبهات الزيغ ، والسفسطة والتهافت والشعوذة ، وان يقررها صافية واضحة للاجيال الاسلامية من بعده ، ولازال المسلمون فى مشارق الارض ومغاربها يتعمون بما وضع وقرر ، ويعكفون على آثاره يتدارسونها ويفيدون منها كلما عنت لهم شبهة فى الدين ، او تفقه فى اصوله او محجة يردون بها على اعدائه ، ذلكم هو الامام محمد بن محمد ابن احمد الغزالى المولود فى سنة ٤٥٠ هـ والمتوفى فى سنة ٥٠٥ من الهجرة ، والذى ترك اكثر من مائتى رسالة وكتاب فى الدفاع عن الدين وخدمة مبادئه الشريفة .

ولا نستطيع فى هذه الكلمة العاجلة ، ان نلم بكل القضايا الفكرية التى اثارها وبين فيها رايه مهما بالغنا فى الايجاز ، وبحسبنا ان نلقى ضوءا على حياته وصراعه الفكرى فى سبيل عقيدته والوصول الى الحقيقة المجردة ، وبعض المشكلات العويصة التى اثارها وأبدى رأيه فيها .

ولد بمدينة طوس من اعمال خرسان ، وتوفى والده وهو لا يزال حدثا صغير السن ، وتركه هو واخوه احمد فى رعاية صديق من اصدقائه ، كان صالحا متصوفا فتشاهدا على العبادة وحب العلم ، ولما نفد ما خلفه ابوهما لهما نصحهما بالالتحاق باحدى المدارس ليحصلا على قوتهما باعتبارهما من طلبة العلم.

تعلم فى بلدته الفقه وبعض الدراسات الدينية البدائية ثم سافر الى جرجان ثم الى نيسابور فدرس علم الكلام والجدل وقرا شيئا من المنطق والفلسفة على امام الحرمين (ابى على ابن الحسن بن اسحق الطوسى) وقد افادته صحبته حصافة فى النقد وبصرا بمهاجمة الخصوم ، ثم اتصل بمجلس نظام الملك وزير السلطان السلجوقى الب ارسلان، واخذ الغزالى يصارع فى مجلسه العلماء ، ويصرعهم واحدا واحدا حتى بقى فى الميدان فريدا ، فعهد اليه نظام الملك بالتدريس فى مدرسته النظامية ببغداد فمكث بها اربع سنوات كثر فيها طلابه ، وعلا صيته وقوى جاهه .

وفى هذه الفترة كان يختلس اوقات الفراغ ليحكم دراسته الفلسفية ففرغ من ذلك فى اقل من سنتين ، ثم اخذ ينعم الفكر فيما درس سنة أخرى ، واظهر على اثر ذلك كتابه (مقاصد الفلاسفة) الذى يقرر فيه مذاهبهم بايضاح زائد وتجرد يدعو الى العجب ، ثم كتابه (تهافت الفلاسفة) فى الرد عليهم ونقض مذاهبهم واحدا واحدا .

وهنا اعترته حالة نفسية زهدته فى الدنيا ، ونغصت عليه عيشه ، فساء ظنه بعلمه ، وانتابته الوساوس فانقطع عن التدريس ستة اشهر ، وهو فى الثامنة والثلاثين من عمره ، وحاول جهده ان يلقى فى خلال هذه المدة ولو درسا واحدا استجابة لمريديه فحبس لسانه ولم يستطع الابانة ، ثم عزم على الحج فخرج الى الشام وبيت المقدس ورحل الى الاسكندرية ، ثم عاد الى دمشق ، وبها كان يعتكف بالمسجد فيصعد المنارة ويغلق بابها عليه ، واخيرا قصد مكة الى الحج بعد احدى عشرة سنة

من عزمته الآنفة قضاها في عزلة تامة وتفكر دائم وانقطاع عن كل شواغل الدنيا .

ثم رجع الى نيسابور رغبي النفس بعد اداء الفريضة ، وراى ان واجبه الديني يحثه على الدفاع عن الدين ، فاخذ يكتب ويؤلف ، ثم امره السلطان بالتدريس ، فامتثل لامره مدة سنة ، ولكنه اثر اعتزال الخدمة . واخيرا عاد به المطاف الى مسقط راسه (طوس) واتخذ بجوار داره ملجأ للصوفية ومدرسة للفقهاء ، ووزع وقته بين العبادة والدرس ومجالسة ارباب القلوب واهل الحديث ، وبذلك اختتم حياته العتيقة الاحداث كما ابتداها وتوفي وهو في الخامسة والخمسين من عمره في ١٤ من جمادى الاخرة سنة ٥٠٥ هـ .

كان الغزالي منذ ابتدا حياته العلمية يبحث عن الحقيقة في الدين ، وقد وجد ركاما من الاراء والمذاهب المختلفة ، منذ ان نشأت الفرق الدينية في اخريات العصر الاموي واثارت الشبهات ، وانتشر الزنادقة والملاحدة يتهجمون على الاسلام بما في عقائدهم الوثنية القديمة من آراء ونظريات ، وجاء المعتزلة يفندون اقوال هؤلاء وهؤلاء ، ويعتمدون على العقل في تقرير الحقيقة ويستخدمون الاسلحة التي يستخدمها خصومهم من منطق وحجة ، ثم جاء الفلاسفة ونقلت اليهم فلسفة اليونان مشوبة بالافلاطونية الحديثة ، وحاولوا جهدهم التوفيق بين الفلسفة الهيلينية والدين الاسلامي ، واعتسف بعضهم الطريق ثم جاء المتصوفة واخذوا من الافلاطونية الحديثة ومن البوذية ومن المسيحية والاسلام . وكان كل من هؤلاء يتمسح بالدين ويدعي الدفاع عنه والحفاظ عليه ، والحقيقة الدينية ضائعة لا تجد من يصل اليها ، ويكشف عن جوهرها ، وظلت هذه الاراء المتضاربة ، والمبادىء المتباينة تتراكم وتتصارع حتى الى القرن الخامس الذي عاش فيه الغزالي . ومن ثم ابتدا يفكر في كل هذه الاراء ويعمل فيها عقله ، ويحاول تصفية هذا الركام الكثيف ، وهذه التركة المثقلة ، ويستخلص جوهر الحقيقة الدينية .

ولنستمع اليه مبينا طريقته في هذه التصفية والاسباب التي حفزته الى ذلك حيث يقول : « ما زلت منذ العاشرة الى الآن اقتحم لجة هذا البحر العميق (بحر الخلافات الدينية) واخوض غمرته خوض الجسور ، واستكشف اسرار مذهب كل طائفة ، لاميز بين محق ومبطل ، ومتسنن ومبتدع ، لا اغادر باطنيا الا واحب ان اطلع على بطانته ، ولا ظاهريا الا واريد ان اعلم حاصل ظهارته ، ولا فلسفيا الا واقصد الوقوف على كنه فلسفته ، ولا متكلما الا واجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ، ولا صوفيا الا واحرص على العثور على سر صفوته ، ولامتعبدا الا واترصد مايرجع اليه حاصل عبادته ، ولازنديقا معطلا الا واتحسس وراءه بالتنبه لاسباب جراته في تعطيله وزندقته . وقد كان التعطش الى ادراك حقائق الامور دأبي وديدني من اول امري ، غريزة وفطرة من الله تعالى وضعها في جبلتي ولا باختياري وحيلتي » .

ومن هذا نرى ان الغزالي في سبيل الوصول الى الحقيقة الدينية عكف على تراث كل فئة يدرسه دراسة جادة ويتامل فيه ثم يلخصه في مؤلف من مؤلفاته ، ثم يناقشه مناقشة الذي يريد ان يعرف الحق من الباطل وكان يتبغى كذلك من وراء هذه الدراسة ان يكون لنفسه رأيا صحيحا وعقيدة سليمة لا يكون فيها مقلدا ، كما ينشأ المسلم والنصراني واليهودي على ديانته تقليدا لوالديه بدون ان يعرف سبب اعتناقه لهذا الدين او ذاك . ولا يقصد الغزالي بالمقلدين العامة الذين لا يستطيعون الخوض في الابحاث الدينية واستخراج الحقيقة منها ، بل انه تهجم على الخاصة ، وراى انهم اكثر تقليدا من العامة ، وذلك على حد قوله : « لانهم لا يفتشون عن الحقيقة المجردة ، بل كل همهم تأييد ما سبقوا الى الاعتقاد به تقليدا ، اذا عثروا في نظرهم على ما يؤيد معتقدهم قالوا : لقد وجدنا البرهان ، وان مر بهم مايعاكسه قالوا : لقد اعترضتنا شبهة ، حتى اصبح معيار الحقيقة عندهم اتفاق راى من الاراء لا مع الواقع بل مع راى امامهم »

كان من الطبيعي اذا ان يلجأ الغزالي الى الشك في كل هذه المذاهب حين هم بالبحث عن الحقيقة ، لان سبب الخلافات الدينية المنتشرة في عصره هو التقليد والتعصب . وقد سبق بنظرية الشك هذه ديكارت وكان شرحه لها اصوب من شرح ديكارت . لانه قال : « لا بد من طلب حقيقة العلم ما هي ، فظهر لي ان العلم اليقيني هو الذي ينكشف انكشافا لا يبقى معه ريب ولا يقارنه امكان الغلط والوهم » .

ولنستمع الى قول ديكارت في تامله الثالث حيث يقول : « اعرف يقينا اني شيء مفكر ، ولا يوجد في هذه المعرفة الاولى الا شيء واحد يجعلني على يقين من الحقيقة ، وهو وضوح وبيان ادراكي لما اقوله ، ويجوز لي ان اضع من الآن قاعدة عامة: هي ان جميع الاشياء التي ندركها ادراكا واضحا جدا وبينا جدا هي كلها حقيقة » .

ولقد تفوق الغزالي على ديكارت في نقطتين : اولاهما انه حدد العلم اليقيني قبل أن يتقدم في اختباراته وابحاثه حتى يكون ذلك التحديد ميزانا صادقا يزن به العلم اليقيني من غيره . اما ديكارت فامتنع عن تحديد العلم اليقيني حتى عثر على حقيقة يقينية وهي (افكر ، اذا فانا موجود) ثم وضع حدا للعم اليقيني ، ولا شك ان مذهب الغزالي اقوى واضمن، فلا بد من معرفة اليقيني اولا لانمكن من الحكم على معرفة ما بانها يقينية .

والنقطة الثانية التي تفوق فيها الغزالي هي ان تعريف ديكارت للعلم اليقيني فيه ضعف ، بل ما يدعو الى الشك ، اذ جعل معيار صدق المعرفة وضوحها ، ونسي ان الوضوح امر نسبي . الا يجوز ان المعرفة التي تظهر لي واضحة تصبح معرفة ناقصة او خاطئة بعد التامل والتفكير .

وجد الغزالي نفسه عاطلا من علم يقيني ينطبق عليه تعريفه واخذ يناقش المحسوسات فتبين له انها عرضة للاخطاء وضرب مثلا بالظل الذي تراه ثابتا غير متحرك ، وبعد ساعة تعرف انه يتحرك ، وتنظر الى الكواكب فتراها صغيرة في مقدار دينار مع ان الادلة الهندسية تدل على انها اكبر من الارض في المقدار، وانتقل من ثم الى المعقولات واخذ يتشكك فيها ، وان ماتراه معقولا قد تطرا عليه حالة اخرى تبدله وتغيره . وبذلك انهارت كل معلومات الغزالي ، وحاول لذلك علاجا فلم يتيسر له الا اذا دفع الشك بالدليل ، ولا يمكن نصب الدليل الا من المعلومات الاولية فاذا لم تكن مسلمة لا يمكن تركيب الدليل .

ومكث زهاء شهرين كان فيهما على حد قوله (على مذهب السفسطة بحكم الحال لا بحكم النطق والمقال حتى شفى الله ذلك المرض واعاد الى النفس الصحة والاعتدال ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقا بها ، ولم يكن ذلك بنظم دليل ، بل بنور قذفه الله تعالى في قلبه . ويقصد الغزالي بهذا النور الحدس والبصيرة التي تكشف عن البديهيات والحقائق الاولى . ونور الغزالي هذا يشبه النور الطبيعي عند ديكارت الذي ذكره في تاملاته وقرره في كتابه (القواعد لارشاد العقل) .

وليس عجبا ان يسبق الغزالي ديكارت في هذا ، فقد كان ذا عقلية فلسفية صحيحة ، وخلاصة القول في مذهب الشك عند الغزالي انه برهن فيه على تفكير فيلسوف صحيح يبحث عن الحقيقة المجردة ، ويتجرد من كل ما سبق له علمه سواء بالتقليد او بالحس او العقيدة ، ويبني معرفته على اسس ثابتة لا شك فيها ، ولا يمكن ان يتطرق اليها الشك ، وهذا اهم شرط من شروط الفيلسوف الصحيح .

وقد اراد بكلامه عن النور الذي يقذفه الله بالقلب ان يقرر قاعدة عامة لمذهبه وهي ان العقل وحده لا يمكن ان يكون مصدر العقيدة الدينية ، لان الايمان يرجع الى الكشف الباطني ، الى القلب .

بهذا المنهج اخذ الغزالي يبحث المذاهب الدينية المختلفة فرأى ان علم الكلام واف بالغرض الذي وجد من اجله وهو حفظ عقيدة اهل السنة ورد المبتدعة وافترائهم على الدين ، بيد انه وجه الى علماء الكلام انتقادا ، اذ انهم تسلموا من خصومهم مقدمات اضطروا الى التسليم بها ، وخاضوا في مسائل ابعدتهم عن الغرض الاساسي من بحثهم كالجوهر والعرض، ولم يوف علم الكلام بغرض الغزالي ، اذ لم يحصل منه على ما يمحو الظلمات ويزيل الشك .

وناقش الفلاسفة مناقشة عنيفة في كتابه (تهافت الفلاسفة)، وفند مذاهبهم الا في السياسة والاخلاق فلم يجد فيهما ما يمس الدين ، وانتقل الى الباطنية وزيف ادعاءاتهم .

ثم انتقل الى التصوف وطرق الصوفية في عهده ويقول : « تبين لي ان الصوفية هم السالكون بطريق الله تعالى خاصة وان سيرتهم احسن السير وطريقتهم اصوب الطرق .. الخ » وبهذا اهتدى الغزالي الى احسن المذاهب بعد ما شك وبعد ان درس كل المذاهب والفرق . ومع انه راى مذهب الصوفية احسن المذاهب لانه يتفق مع القاعدة التي قررها وهي ان الايمان لا يحصل بالعقل ولكن بالكشف الباطني والنور الالهي ، الا انه راى التصوف قد دخله كثير من الامور التي افسدته من بوذية كالقول بالنرفانا او الفناء المطلق ، ومن الافلاطونية الحديثة كنظرية وحدة الوجود ، ومن المسيحية وغيرها ، وبذلك خالفهم وناقشهم مناقشات طويلة، ومن ثم كان الغزالي صوفيا على طريقته الخاصة ، وذا مذهب مستقل ، فليس كالحلاج ولا ابن عربي ، ولا ابن الفارض ، ومن المباحث الطريفة التي خاض فيها الغزالي ، وابدى فيها فكرا نيرا سبق به فلاسفة اوربا بقرون طويلة ، مسألة المعجزات ، وكيف تقع ؟ ، وذلك حين راى الفلاسفة يقولون : ان الاقتران المشاهد في الوجود بين الاسباب والمسببات اقتران تلازم بالضرورة ، فليس في المقدور ولا في الامكان ايجاد السبب دون المسبب ، ولا وجود المسبب دون السبب .

ويرى الغزالي ان هذا الحكم يعارض المعجزات التي تقع على ايدي الانبياء ، ويرى ان الاقتران المشاهد بين ما يعتبر في العادة سببا ، وما يعتبر مسببا ليس ضروريا ، بل جميع الاشياء مستقل بعضها عن بعض بحيث ان اثبات احدها ونفيه لايتضمن اثبات الاخر ونفيه ، فلايتحتم اذا وجد احدهما ان يوجد الاخر ، مثل الري وشرب الماء والاحراق والنار، والشفاء وشرب الدواء ، فقد يكون هناك شبع من غير اكل ، وري من غير شرب ، ويرى الغزالي انه يجوز خرق العادة بتغير صفة السبب او المسبب فيحدث الله في النار صفة تقصر سخونتها على نفسها ، او يحدث في الشيء صفة تدفع اثر النار . فابطال فعل العلة جائز في الطبيعة بقدرة الله ، ومن ثم تحدث المعجزات.

ويمكننا ان نؤيد رأي الغزالي بقولنا : هل في طبيعة الاشياء ما يمنع اي تغيير في نظامها ؟ اذا نظرنا الى قوانين الطبيعة الحالية وجدنا انها موجودة ليس الا، ولم يتقدم احد ما ببرهان على انها يجب ان تكون موجودة على هذا الوضع الحالي ، ويقول سبينوزا : « ان قوانين الطبيعة وجدت بحكم الضرورة كجزء من كينونة الله ولكن لا يوجد انسان على معرفة بالعلوم الطبيعية يدعي بان من المستحيل ان توجد قوانين طبيعية غير الموجودة الآن » . ولقد خص نيوتن جزءا كبيرا من بحوثه على الطريق الذي يجب ان يسلكه الجسم لو كان العامل المؤثر عليه قانونا آخر غير قانون الجاذبية او قانون الثقل .

ولقد اشترك رجال العلم اخيرا في مناقشة حادة حول الموضوع الآتي وهو : « هل توجد بعض الجراثيم الحقيرة جدا من نفسها او تتولد من جراثيم اخرى ؟ » ، واذا كان هناك قانون عام معترف به في عالم الطبيعة فذلك هو القانون القائل بان الحياة تتولد من الحياة ، فاذا اعترف باحتمال تدخل قوة خالقة في نظام الطبيعة بايجادها مخلوقات جديدة ، بل مخلوقات متناهية في الحقارة كان هذا اعترافا بوجود المعجزات بمقدار لم تفكر فيه اية ديانة ، ولاسباب غير الاسباب التي تعتمد عليها الديانات .

وهناك امثلة عدة تدل على ابطال العلة العادية بعلة اخرى، فالمعروف مثلا ان الماء يغلي في درجة المائة ، ولكن يمكن ان يغلي الماء في درجة اقل من المائة اذا كان ضغط البخار الناشيء اقل من الضغط الواقع على الاناء . ونرى مثلا (الموتوسيكل) لا يتبع قانون الجاذبية ، بل يصعد على الحائط دون ان يقع، وذلك لشدة سرعته ، وهكذا يتغير صفة في السبب او المسبب كما قال الغزالي يبطل فعلة العلة العادية ، فاذا سلمنا بهذا المبدا فلم لا نقول بوجود علل اخرى لا تنتمي لعالم الطبيعة تسبب خرق العادة؟ ويكون ظهور المعجزة على يد مدعي الرسالة هو بفعل تلك القوى التي لا تنتمي الى هذه القوانين العادية الطبيعية ، وانما تنتمي الى نظام خلقي او روحي او ديني وهذا يحقق قول الغزالي : « وكيف نامن ان يكون في مبادىء الوجود علل واسباب اخرى تفيض منها هذه الحوادث » .

وقد قام في القرن الثامن عشر دافيد هيوم ينتقد قانون السببية ، ويكاد كلامه يكون كلام الغزالي بالحرف الواحد على ان كلا من الرجلين لم ينكر قانون السببية ، وانما انكر ارجاعه الى ضرورة العقل .

الهجرة شيء لا يعرفه عبيد أنفسهم!

بقلم: محمد الغزالي

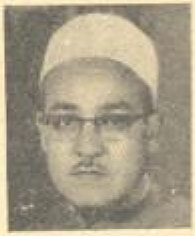
عبادة الذات هي الوثنية الجديدة التي تجتاح العالم وتهدد حضارته ، أو هي الآفة التي تفسد تقدمه العلمي وتجعل وثباته المعجبة خطوات الى الخلف لا الى الأمام .. !!

نهمة الى متاع الدنيا ليس منها شبع ! وغفلة عن الدار الآخرة ليس منها يقظة ، وحركة تدور حول نفسها بقوة كأنها أعصار مجنون ..

أما المبادىء العامة التي ينتظر أن تشد الانسان من هذا المحبس الضيق، وتطلعه على آفاق انسانية أرقى فقد أصابتها العدوى هي الأخرى ، اذ أصبحت المادية لحمتها وسداها .

وسيان في الهبوط ان ينحدر المرء وحده ، أو ينحدر مع جماعات تتواصى بالحاضر دون المستقبل ، وتتعارف على شهوات الجسد لا على أشواق الروح وتعترف بواقع الأرض وتتجهم لوحى السماء ...

هناك ، وراء حدود العالم الاسلامى ، بدا هذا السواد ، وفى فترة اعياء من تاريخنا الطويل اخذ دخانه يزحف علينا ويخنق انفاسنا .



وفى ركاب الاستعمار المشئوم انسابت ألوان من الالحاد تغرى بترك الدين وطلب اللذة ، ونبذ الصلاة واتباع الشهوة ، وذكر النفس ونسيان الله .

ولما كان الاسلام طريقة حياة ، ومنهج تربية ، ولماكان لونا معينا للتفكير وصياغة محدودة للمجتمع

ومن الامور التي سبق بها الغزالي فلاسفة الغرب قوله مخالفا بذلك الفلاسفة المعاصرين له ـ بان المعيار الذي يحدد الخير والشر ليس العقل وحده كما يقولون ويقول معهم المتكلمون ولكنه العقل والشرع معا او بعبارة اخرى العقل المتأدب بالشرع ، وهذا يشبه ماقال به دون سكوت، وجرسون وغيرهما من فلاسفة الاخلاق في اوربا من الذين جعلوا الخير تابعا لارادة الخالق ، فالخير ليس خيرا بالذات بل هو خير بارادة الله .

والمقام لا يسمح لي ان استمر في هذه الموازنات بين آراء الغزالي وآراء فلاسفة الغرب في القرون الاخيرة امثال سبنسر، وبسكال وديكارت وسبونزا وهيوم وجرسون وغيرهم . لقد كان الغزالي نسيج وحده في تاريخ الفكر الاسلامي ، وقد كان أثره عظيما في تقرير قضايا الدين والدفاع عنه ، بعد أن درس المذاهب كلها دراسة العالم الذي يريد أن يصل الى الحقيقة بدون تحيز ، واخذ يرد على كل فريق بما يدحض حججه ويوهن عزمه فألف لاهل الاباحة (كيمياء السعادة) ، ولاهل الحيرة (القسطاس المستقيم) والف (الجام العوام عن علم الكلام) حتى لا تفسد عقيدتهم ، والف (تهافت الفلاسفة) ، و (المنقذ من الضلال) ، واكثر من مائتي كتاب ورسالة ، فعل هذا في الوقت الذي كانت فيه اوربا عن بكرة ابيها تتأهب للغزو الصليبي ومهاجمة الاسلام في عقر داره ، وقد تقررت المذاهب ووضح أمرها وسكت الفلاسفة في الشرق الى الأبد، وبانت حقيقة العقيدة الدينية الاسلامية مما لايدع مجالا لشاك او مفتر او متهجم ، كل ذلك على يد الامام الغزالي رحمه الله . بعد ان خاض في سبيل ذلك صراعا نفسيا وفكريا عنيفا مع أهل زمانه فكان بحق بطلا من أبطال الفكر الاسلامي جديرا بأن تخلد ذكراه ، وتعرض آثاره عرضا جديدا .

عمر الدسوقي

فقد اشتبك مع هذا الوباء الهاجم ، والتحم معه في صراع حياة او موت .

وقد قدرت الأمة الاسلامية في ميادين شتى على مغالبة هذا البلاء والنجاة من فتنته الا أن امامها أشواطا صعبة للخلاص الكامل من الشرور التى خلفها ، وهى شرور كثيرة متنوعة ..

وربما جاش فى صدرى هذا السؤال : ترى ايستطيع المسلمون مع نهاية هذا القرن - الرابع عشر للهجرة - ان يغسلوا رقعة وطنهم الممتدة فى القارات الثلاث من كل آثار الاستعمار ؟ وان يطاردوا - مع جيوش الاحتلال المنسحبة، وقواعدها المنهارة - بقايا التحلل والفسوق المبعثرة فى جبهات عريضة ؟

ان هذا الأمل ليس بعيد التحقيق ولكنه ثقيل التكاليف .

وقد دخل الاسلام من قبل فى ظلمات مماثلة او اشد ، ثم خرج منها خروج البدر من بين اطباق السحب ، لم تنقص صفحته ولم يخب شعاعه .

ان الكر والفر اخلاق مألوفة فى تاريخ الجهاد وسيرة المجاهدين ، فلا غرور بنصر ، ولا يأس من هزيمة ..

لكن استعادة امجاد الاسلام غاية شاقة التكاليف كما ألمنا ، وهى تتطلب قبل كل شىء أن تنخلع من أساليب العيش المفروضة علينا من وراء الحدود - أعنى العيش للنفس ومآربها - وأن نفكر بجد فى العيش لله ، ولدينه ..

وهذا كلام يبدو غريبا ..

بيد انه الحقيقة التى يشير اليها كل شىء فى قصة الهجرة النبوية .

ان سبب الهجرة وهدفها معا ، ارادة الانسان وفق عقيدته التى ارتضاها ، واحساسه ان البيئة التى احتوته لا توائم عقيدته ، فهو يدعها الى بيئة أخرى يستطيع ان يفرض عليها ايمانه أو تستطيع أن تلين هى لمطالب ايمانه .

اما قبول العيش على اى نحو فلا مكان معه لهجرة ما .

والعيش لله وحده شعار معروف لصاحب الرسالة الاسلامية الذى اجرى الله على لسانه

« قل ان صلاتي ونسكي ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك امرت وأنا أول المسلمين » .

وجماهير المسلمين مكلفة ان تسير وراء رجلها الأول تحت هذا الشعار المتفانى فى الله ، الذى يكرس الجهد والوقت له ، جل شأنه .

وعند التأمل نجد الناس أنواعا : منهم من يحيا كما يشتهى ، لا يعنيه من الدنيا الا ادراك لباناته واشباع حاجاته .

ومنهم من يحيا بدين ، فهو يضبط سلوكه بقواعده ، ويحكم ربه فيما يفعل ويترك .

ومنهم من يحيا للدين ، اى من يصبح ويمسى وانتباهه مشدود وراء غايته المقدسة فهو يحزن ويفرح ، ويهدأ ويقلق ، ويخاصم ويسالم ، ويسافر ويقيم من اجل دينه .

والاسلام عدو للصنف الاول ، صديق للصنف الثانى ، غير انه يتبوأ مكانته فى العالم بالصنف الاخير ، وما أحوج الاسلام فى يومه هذا الى رجال كثير من هذا الطراز الذى يعيش له متجردا متفردا ، يرى لذاته فى نصرة الحق وسحق الباطل ، وان تكون كلمة الله هى العليا ، وكلمة اعدائه السفلى .

ان هلال المحرم يشق طريقه فى الدجى كل عام ليذكر الناس جميعا بهذه الحقيقة فى تاريخ العقائد، فان ترسيخ الايمان فى عالم نافر منه ثائر عليه لا يستطيعه المرتزقة ولا المحترفون ، ولا انصاف المؤمنين ، ولا الحرص على متاع الحياة ، انما يستطيعه الذين وصفهم الكتاب العزيز بقوله : **« فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما » .**

ولانتصار العقائد منطق يجب أن يعرف

تنتصر العقائد بين الناس بعد ما تنتصر فى نفوس اصحابها .

هذه حقيقة يجب ان يعرفها حملة المبادىء ، وان يطمئن اليها نقلة المثل العليا الى الناس .

فاذا حدث ان وازن الانسان بين عقيدته ونفسه فرجحت نفسه ، او بين عقيدته وماله ، فرجح ماله، او بين عقيدته ومتعه الخاصة ، فرجحت متعه الخاصة، فمعنى ذلك ان العقيدة اهون لدى صاحبها

من كل ما يملك او يهوى ، وسوف يبيعها فى اول مساومة ويتخلى عنها فى اول صدام !

اما اذا غالى الانسان بعقيدته، فسفك دونها دمه، وبذل قبلها ماله ، وضحى فى سبيلها براحةالبدن، وسكرة اللذة ، وطيب العيش ، فقد صدق فى ايمانه، ووفى لعقيدته ، ونجح فى محنتــه ، وكسب النصر لدينه ، والخير لنفســه معا .

تأخرت استبقى الحيــاة فلم اجد
لنفسى حيــــاة مثل أن اتقــدما

وذلك المعنى الرائع هو الذى ملأ نفوس المؤمنين قبل الهجرة ، فلما دخلوا مع العالم كله فى « معركة المصحف » بدأت الخسـائر تنزل بهم متلاحقة، وظلوا مروعين فى انفسهم واهليهم بضعة عشر عاما، وكانت دورهم واموالهم بمكة آخر ما نزلوا عنه فى سماحة ورضا .. دون أن يفرطوا فى ذرة من ايمانهم ، او يقبلوا الدنية فى دينهم ، او يميلوا قليلا مع تيـار الكفر المتـاوىء لهم ، حتى لقــد فهم المشركون ان ارتداد الشمس فى مدارها اقــرب الى الوقوع من ارتداد مسلم عن دينه .

لقد انتصرت العقيدة فى نفوس هذه الفئةالمكافحة انتصارا حاسما ، وفداها اهلها بكل غال ولمين، فلم يبق الا أن تأخذ جزاءها الحق، وان ترفرف اعلامها بين الناس اجمعين ، وان تنحنى لها الهامات اجلالا واكبارا .

ولو كانت هامات الخصوم والمكابرين

ان هذه الحقيقة ــ انتصار العقــائد فى نفــوس اصحابها ــ تكملة حقيقة اخرى ، وهى أن اهل الخير ، ان فاتهم تأييد اهل الأرض بعد ما يبذلون كل ما لديهم من طاقة ، فلن تخــذلهم فى كفــاحهم المقدس قوى الســماء !

وذلك سر التحدى فى قول الله تعالى للنــاس : « الا تنصروه فقد نصره الله »

اجل .. فما كان الله ليذر المخلصين من عباده دون ان يشرفهم بالنصر الموعود . بيــد ان للقــدر الأعلى أسلوبا فى سوق النصر يعلو على مســتوى العقول ، فما تقول فى امر ظاهره هزيمة وفرار ، وباطنه تأييد وانتصار ؟

لقد كانت الهجرة خاتمة سيئة لجهاد طويل فى مكة . هكذا بدا للسطحيين من الناس ــ ولكن القدر العزيز جعل من هذه النهاية المحزنة نقطة التحــول فى تاريخ الدعوة الاسلامية كلها ، وبداية الفوز المكين والغلب الساحق .

ذلك أسلوب القدر الحكيم ! لا يزال يتكرر مع الزمن ! شر فى باطنه خير ، وقتل فى اعقابه حياة ، وتراجع يتبعه التقدم والانطلاق ! .

ويجب ان يســتيقن النــاس فى هذا العصر من « **عمل الســماء** » لتــأييد اهل الحــق ، فان من القوانين الاجتماعية الثابتة ان الله جل شانه لايدع فئة اخلصت له قلبها واسلمت له وجهها وكرست له جهادها ..

ومهما كانت تلك الفئة قليلة ، ومهما كانت القوى المناوئة لها كثيرة فا ن الله لا بد ناصر اولياءه ، خاذل اعداءه ، وان طال المدى وشق الطريق .. « **كتب الله لاغلبن انا ورسلى ان الله قوى عزيز** » .

بيد ان ذلك يحتــاج الى ايمــان بالغيب ، يغلب كآبة الحاضر .

ايمان بما وعد الله من نصر ، وغنى ، وان كان اليوم موجعا بأسباب الضعف ، والفاقة .

هذا الايمان بالغيب ، هو الامل الذى يستدفىء به المجاهدون فى ليالى العراء ، ويهزمون به موجات البأساء والضراء .

انه ليس املا مبهما فى المستقبل البعيد ، ولكنه الأمل الراسخ فى جنب الله الكبير ، نعم المولى ونعم النصير ..

والامل فى الله . من هذا الصف المؤمن الحارس للحق على مر العصور ما خاب قط .. ولعل مثله الأكبر . هذه القلة الصبور من مؤمنى مكة الذين استقاموا مع منطق الايمان الحى ، فاذا هم بعــد سنين ــ غير طوال ــ عالم مكتمل الحضارة ، غامرو الضياء .

محمد الغزالى

من أغاني الهجرة

للشاعر محمد مصطفى المليجي

● قـد أشرق بالنور العـالم
● وبـه يعتـز الاسـلام
● والكـون أمـان وسـلام
● وصـباح أذن بالهجـرة

قـد هاجر فيه المختـار ●
واضـاء بمقـدمه الغار ●
وعليـه من الله سـتار ●
وتجلـت أسـرار القدره ●

● قد هاجـر معـه الصـديق
● والله ولـي ورفيـق
● والحـق سـبيل وطريق
● وأتـم الله بـه أمـره

اعـداء الله لقـد وقفوا ●
وبأمـر الله قد اختلفـوا ●
رجعـوا بالخزى وما عرفوا ●
القـادر قـد أعلا قـدره ●

● قـد جئت بهدى وبيـان
● بالحـق ونـور الرحمن
● قـد جئت بنـور القـرآن
● باللفظـة أعجـز والفكره

قـد سـوى مابين النـاس ●
بكتـاب الله ونبـراس ●
واخـاء فالكل سـواسي ●
لم تبـق لمخلـوق عـذره ●

● يا خير رسـول ونبـي
● المعلم أتـى من أمـي
● انقـذت الناس من الغي
● وهـديت الناس من الحـيره

محمد مصطفى المليجي

ثائرون



للدكتور محمد أحمد خلف الله

حين نقرأ القرآن الكريم ، ونستعرض الآيات التي تدور حول الأنبياء المرسلين ، نجد أن القرآن الكريم يعدهم من الثائرين ، أو من المصلحين المجددين ·

ان مهمتهم كما صورها القرآن ، تنحصر في أمرين عظيمين :

الأول منهما : القضاء على الآراء والمعتقدات ، وعلى العادات والتقاليد ،التي لم تعد صالحة للحياة، والتي تعتبر من العقبات في سبيل تطوير الحياة ·

والثاني منهما: تجديد الحياة، واعادة بناء المجتمعات على أساس جديد من الآراء والمعتقدات ، وما يبنى على الآراء والمعتقدات من عادات وتقاليد ·

وعمليات الهدم والبناء هذه لا تسلم للأنبياء المرسلين في سهولة ويسر فهناك دائما معارضة · هناك من يقاوم عملية الهدم لأنه لا يزال يرضى عن تلك الحياة التي يحياها ، وعن تلك المعتقدات التي كان يؤمن بها ، ويرى لها من القداسة ما يوجب الاحترام ـ وبخاصة لأنها قد انحدرت اليه عن الآباء والأجداد ·

وهناك من يقاوم عملية التجديد لأنها تخرج به عما ألف ، وتلقى به في غياهب مستقبل مجهول · ثم لأنها قد تقضى على كل ما يستمتع به من جاه ، وعلى كل ما يملك من سلطان أو نفوذ ·

هذه المعارضة لا تقف مكتوفة الأيدى أمام من يزلزل بنيانها أو يأتي على سلطانها ، وانما تناصبه العداء ·

والمعارضة في معاداتها للأنبياء المرسلين لا تقف عند حد الجدل والحوار ، فانما تمضى الى أبعد منهما حتى لقد تذهب الى حدود القتل والاغتيال ·

والأنبياء المرسلون أنفسهم لا يقفون مكتوفي الأيدى ، فانما يجدون ويجتهدون في القضاء على المعارضة ، وقد يصل بهم هذا الاجتهاد الى حدود الحرب ، والقضاء عليهم جملة ، حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله

وقد يكون من المفيد لى ، ولك ، أن نمضى سويا مع هذه الآيات البينات ، نمضى مستعرضين لكل ما ذكرنا من المواقف كما جاءت في **القرآن الكريم ·**

الأنبياء المرسلون هم الذين يجددون بناء المجتمع بما يبثون من أفكار ، ويبذرون من آراء ، وينشرون من عقائد · وهم الذين يلائمون بين حاجات الأمم ومقتضيات الزمان وبين الآراء والمعتقدات · وهم حين يفعلون ذلك انما يمدون في عمر المجتمع ويحولون بينه وبين الضعف والانحلال · ، **فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض الا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه**

وكانوا مجرمين . وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون » ـ « قال يا قوم انى لكم نذير مبين . أن اعبدوا الله واتقوه واطيعون ، يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى ، ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون » .

والأنبياء المرسلون هم الذين يهبون للأمة الوحدة بتوحيدهم للعقيدة واحالتهم لها الى قوة دافعة يصدر عنها الأفراد والجماعات فى كل ما يذهبون اليه من رأى ، وفى كل ما يقومون به من عمل . « **وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » ـ « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ، ويهديهم الى صراط مستقيم » .**

والأنبياء المرسلون ينبتون نباتا طبيعيا . فهم من البيئة وليسوا بالغرباء عنها . انهم من جنس الذين أرسلوا اليهم « **قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا** » .

ثم انهم اخوانهم المتحدثون بلسانهم . فنبى قوم عاد اخوهم هود ، ونبى قوم ثمود أخوهم صالح ، ونبى مدين أخوهم شعيب « **وما ارسلنا من رسول الابلسان قومه ليبين لهم** » .

والأنبياء المرسلون ولدوا فى البيئة التى ارسلوا فيها ، وخالطوا الأهل والعشيرة ، وقلدوا ـ وهم فى مرحلة الطفولة ـ الكبار من أبناء المجتمع،فآمنوا بما يؤمن به هؤلاء من معتقد ، ودانوا بما يدين به هؤلاء من مله ، وظلوا على حالهم الى ان جاءتهم البينة من ربهم وعند ذلكقاموا بالاصلاح ، ودعوا الى التجديد، وأصبحوا فى عرف غيرهم من الثائرين . « **قال الملأ الذين استكبروا منقومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن فى ملتنا . قال أولو كنا كارهين . قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها ، وما يكون لنا ان نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا ، وسع ربنا كل شيء علما ، على الله توكلنا ، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين » ـ « وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن فى ملتنا » ـ « قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى وأمرت ان اسلم لرب العالمين » .**

وعند الدعوة تبدأ المعارضة، ويبدأ انقسام الناس الى مؤيدين ومعارضين . « **ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا أن اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون » ـ « وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا** » .

وانقسام الناس الى مؤيدين ومعارضين لا يكونفى المجتمع فحسب،وانما يكون فى الأسرة الواحدة فيقف الأب فىجانب والابن فى جانب آخر، وتقف الزوجة فى جانب ويقف الزوج فى جانب آخر . فابراهيم عليه السلام فى واد وأبوه فى واد آخر ، وعلى العكس من ذلك نرى نوحا عليه السلام فى واد وابنه فى واد آخر . وفرعون فى واد وامرأته فى واد آخر ، وعلى العكس من ذلك نرى نوحا ولوطا فى واد وامرأتيهما فى واد آخر . « **يا أبت لم تعبد مالايسمع، ولا يبصر ، ولا يغنى عنك شيئا . يا أبت انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى اهدك صراطا سويا . يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا ، يا ابت انى اخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا .**

قال : أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم ، لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا .

قال : سلام عليك سأستغفر لك ربى انه كان بى حفيا . واعتزلكم وما تدعون من دون الله، وادعو ربى عسى الا أكون بدعاء ربى شقيا » .

« **ونادى نوح ابنه، وكان فى معزل ، يابنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين .**

قال : سآوى الى جبل يعصمنى من الماء .

قال : لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم . وحال بينهما الموج فكان من المغرقين » .

« **وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ، ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين** » .

«**والذى قال لوالديه اف لكما أتعدانى أن أخرج،**

وقد خلت القرون من قبل ٠ وهما يستغيثان الله ويلك آمن ان وعد الله حق ٠

فيقول : ما هذا الا أساطير الأولين » ٠

والمعارضة تتمثل فى :

(أ) الأغنياء الموسرين ـ أى فى الاقطاع والراسمالية ٠

(ب) الجامدون العاجزون عن التطور ـ أى فى الرجعية ٠

بينما يتمثل التأييد فى الفقراء والتقدميين ٠

ويشير القرآن الكريم الى ذلك كله فى عديد من الآيات ، يشير الى أن الأغنياء يقفون دائما فى وجه الدعوات « **وما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون** » ٠ كما يشير الى أن الأغنياء ينفقون الأموال فى سبيل صد الناس عن الدعوة ، والقضاء على الدعوة ولا تزال فى مهدها وانهم قد يكسبون بعض الأعوان ـ ولكن ذلك لن يفيد ، فالدعوة بالغة أجلها وهم منتهون الى عذاب اليم ٠ « **ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ٠ فسينفقونها ، ثم تكون عليهم حسرة، ثم يغلبون ٠ والذين كفروا الى جهنم يحشرون** » ـ « **وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا** » ـ « **ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول ٠ يقول الذين الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين ٠**

وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا : أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم، بل كنتم مجرمين٠

وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا : بل مكر الليل والنهار ، اذ تامروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا ٠ واسروا الندامة لما راوا العذاب ، وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا ـ هل يجزون الا ما كانوا يعملون » ٠

أما الفقراء فعلى العكس من ذلك ٠ انهم الذين يستجيبون للرسل ، وانهم الذين يؤمنون بالدعوة ويتحملون الأذى فى سبيل نصرة الدين الجديد ٠ ثم انهم الذين يقفون دائما الى جانب الثائرين المجددين٠

والأغنياء يعيرون الرسل بذلك ، ويرون فى انضمام الفقراء الى الدعوة خطوة غير سليمة لأنها عقبة فى سبيل قبولهم للدعوة ودخولهم فى الدين الجديد٠ ولذا يطلبون الى الأنبياء المرسلين طرد هؤلاء الفقراء المساكين ٠ ويرفض الرسل حتما هذا الطلب ويمضون مع الفقراء فى تثبيت هذه الدعوة ، وهذا الدين الجديد٠ « **وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادى الرأى» ـ «قالوا : أنؤمن لك واتبعك الأرذلون» ـ « وما أنا بطارد المؤمنين ، ان أنا الا نذير مبين » ـ «ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ما عليك من حسابهم من شيء ، وما من حسابك عليهم من شيء ، فتطردهم فتكون من الظالمين » ـ «ويا قوم : من ينصرنى من الله انطردتهم افلا تذكرون » ٠**

والأسباب التى تدفع الأغنياء الى هذا الموقف كثيرة ٠ منها أن الثراء الواسع سبيل الترفيه والاستمتاع بما فى الحياة من لذائذ وطيبات٠٠ الأمر الذى يولد فى الأنفس محبة الحياة ، ويخلق فيها الأثرة ، ويجعلها كارهة كل الكره لتغيير هذه الأوضاع ، « **بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين ٠ ولما جاء الحق قالوا : هذا سحر، وانا به كافرون** » ـ «**وقالوا : سبحانك ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ـ ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر ٠ وكانوا قوما بورا** » ـ « **وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمه ، وانا على آثارهم مقتدون** » ٠

ومنها أن الغنى يدفع الى الكبر والاستكبار والعناد وكل ذلك يؤدى الى الضيق بالدعاء ولو كانوا من المرسلين ، والى الضيق بالدعوة ولو كانت صادقة وكانوا يؤمنون بها فيما بينهم وبين أنفسهم « **كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى** » ـ « **وجحدوا بها ، واستيقنتها انفسهم ، ظلما وعلوا ٠ فانظر كيف كان عاقبة المفسدين**» ـ « **ويل لكل افاك اثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها ، كأن فى أذنيه وقرا ٠ فبشره بعذاب اليم** » ٠

أما الرجعية أو السلفيةفقد يكفينا فى شأنها هذه الآيات من القرآن « **واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله ، والى الرسول ، قالوا : حسبنا ما وجدنا عليه**

آباءنا » ــ « واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا : بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا » ــ « قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا » ــ « واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها » ــ « بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون » ــ « قل أولو جئتكم باهدى مما وجدتم آباءكم . قالوا انا بما ارسلتم به كافرون » .

والمعارضة تسلك في سبيل تحقيق أغراضها كل طريقة ممكنة ، لا يردها عن ذلك ضمير حي أو خلق كريم .

تتبع اولا أسلوب الاستهزاء والسخرية ، ويسمع النبي المرسل من الذين أرسل اليهم امثال هذه العبارات ــ « اهذا الذي بعث الله رسولا » ــ « اهذا الذي يذكر آلهتكم » ــ « أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا » .

وتدل الآية التالية على أن القرآن الكريم يشير بأن تلك قاعدة عامة ، وأن هذا الأسلوب الساخر هو القاعدة التي تلجأ اليها المعارضة في كل زمان ومكان « ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الأولين . وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون » .

هذا الأسلوب قد يؤثر في نفس النبي المرسل ولكنه لا يصل أبدا الى الحد الذي يجعله يتوقف عن المضي في الدعوة « وانه ليحزنك الذي يقولون » ــ « ولقد نعلم انه يضيق صدرك بما يقولون » .

ويمضي الرسول في دعوته وتمضي المعارضة في سبيلها ، وتخرج عن أسلوب السخرية الى أسلوب آخر لعله أن يكون أشد وأنكى هو أسلوب التهديد والوعيد .

والتهديد هو الآخر يأخذ اساليب عديدة ومتنوعة ، فهناك التهديد بالرجم . وهناك التهديد بالاخراج من الأرض . وهناك التهديد بالقتل . وهناك التهديد بالسجن . وترى التهديد بالاحراق . « قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين » ــ « قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم » ــ « لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين » ــ « لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا » ــ « ذروني أقتل موسى وليدع ربه » ــ « لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين » . « اقتلوه او حرقوه وانصروا آلهتكم » .

ولم يقف الأمر عند حد التهديد وانما أوقعوا العقاب فعلا بالأنبياء المرسلين ، وحيكت المؤامرات فعلا لاغتيالهم . « ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون . قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون ، قالوا اطيرنا بك وبمن معك ، قال طائركم عند الله بل انتم قوم تفتنون . وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون . قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ، ثم لنقولن لوليه ماشهدنا مهلك اهله وانا لصادقون . ومكروا مكرا ، ومكرنا مكرا ، وهم لا يشعرون . فانظر كيف كان عاقبة مكرهم ــ انا دمرناهم وقومهم اجمعين . فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ، ان في ذلك لآية لقوم يعلمون » ــ « قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم ، فارادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين ... قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين ، قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم » ــ « قتل أصحاب الأخدود ، النار ذات الوقود . اذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود . وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد » ــ « افكلما جاءكم رسول بما لاتهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون » .

كل ذلك والرسل ماضون في دعوتهم ، معتزون بأعمالهم . لايقعدهم تهديد أو وعيد عن القيام بواجبهم وتحمل مسئولياتهم أمام أقوامهم أو أمام الانسانية .

والرسل أنفسهم يمرون بفترات تشبه تلك التي تمر بها المعارضة ، ويسلكون من السبل مايفسد على المعارضة اعمالها . ولايزالون كذلك حتى يكثر المؤيدون لهم ، الواقفون الى جانبهم ، فيسلم لهم الأمر ، ويكون الاصلاح والتجديد .

والفترات التي يمر بها الرسل واضحة هي الأخرى من آيات القرآن الكريم .

أن موقف الرسل يكون في أول الأمر موقف من ليس له من الحول أو الطول الا الالتجاء الى ربه ، والدعاء على الأعداء . « وقال نوح رب لاتذر على الأرض من الكافرين ديارا . انك ان تذرهم يضلوا عبادك

ولا يلدوا الا فاجرا كفارا » ــ « وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة واموالا فى الحياة الدنيا ، ربنا ليضلوا عن سبيلك ، ربنا اطمس على اموالهم ، واشدد على قلوبهم ، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم » .

ثم يلجأ الرسول بعد ذلك الى التهديد والوعيد . وهو تهديد ووعيد من نوع آخر . انه يكون بالمصائب فى الدنيا والعذاب فى الآخرة . ويكون ذلك تأييدا من المولى جل وعلا لمن أرسلهم لهداية الناس والخروج بهم من الظلمات الى النور . **« فارسلنا عليهم الطوفان والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، آيات مفصلات » ــ « واخذت الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين » ــ فارسلنا عليهم ريحا صرصرا فى ايام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة اخزى وهم لا ينصرون » ــ « واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون » ــ « قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين » .**

اما حين تقوى الدعوة وتشتد ، ويكثر عدد الأنصار والمؤيدين فان الموقف يتغير ، ويأخذ الرسول ومن معه فى سلوك سبل أخرى للقضاء على المعارضة . هذه السبل تكون فى الحرب والقضاء عليهم ، وتكون فى العفو عما سلف والدخول فى الدين الجديد . **« قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ، وان يعودوا فقد مضت سنة الأولين . وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله » .**

بقيت كلمة أخيرة فى نوع ثالث من الناس هم المنافقون الذين يقفون بين بين ، مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء .

اوهم الذين يضمرون غير مايظهرون حين يحاورون القوة ، ويخشون على انفسهم من غضبتها . انهم يحاورون ليكسبوا مجدا زائفا او ليظفروا بمصلحة عاجلة . وهؤلاء فى حس القرآن الكريم أضر على الدعوة من المعارضة السافرة ، ويقف القرآن منهم موقفا أشد وانكى من موقفه من المعارضة .

يقول القرآن الكريم فى حق هؤلاء :

اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله ، والله يعلم انك لرسوله ، والله يشهد ان المنافقين لكاذبون .

اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله ، انهم ساء ما كانوا يعملون ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون .

واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم ، وان يقولوا تسمع لقولهم ، كأنهم خشب مسندة ، يحسبون كل صيحة عليهم ، هم العدو فاحذرهم ، قاتلهم الله ، انى يؤفكون .

ويقول القرآن الكريم ايضا فى حقهم : **« لئن لم ينته المنافقون ، والذين فى قلوبهم مرض ، والمرجفون فى المدينة ــ لنغرينك بهم ، ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا .**

ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا .

« سنة الله فى الذين خلوا من قبل . ولن تجد لسنة الله تحويلا » . وصدق الله العظيم .

دكتور محمد احمد خلف الله



الفجر العائد

للشاعر : محمود حسن اسماعيل

وفى ليلة فجرها فى السفوح ... ظلام يغنى ، وضوء ينوح
وفح المنايا على دربها ... سكون شقى ، واشلاء ريح
وإشباح رقص أثيم الظلال ... توهج فى كل أفق جريح
تململ فيها زوال القبور ... وكاد البلى عن شجاه يبوح

سمعت بها غضب الأنبياء ... مزامير ويل عتى صداه
وابصرت ألواحهم فى الفضاء ... محاريب تصرخ فيها الصلاة
وتسبيحهم من ضفاف السماء ... يصب على الأرض بخط الاله
ويرمى عليها دخان الشقاء ... اعاصير حقد تؤز الحياه ..

تلاطم فيها عويل الغيوب ... وضجت بها شهقات القدر
ولاحت مآذنها فى الظلام ... وقد أذهلتها عوادى الغير
سواعد مشلولة فى الفضاء ... تجمد فيها دعاء البشر
تمد الى الله راحاتها ... وزار فى صمتها المستمر

هناك والنبـــــع ســــاه حزين
كحلم تخطـــــاه صبح الجفون

رايت الخطـــا يا عــرايا تسـير
وتنسل من اعـــين التائهـــين

وتزحــف حيانهـــا فى الدروب
لتنهش بالتيه ظـل الســـكون

وتبذر فيـــه عـــواء الريـــاح
وتسقى اعاصـيرها بالجنـون

بقايا من الذل فى كـــل ارض
يحركهـــا التيـــه انى يشـاء

ويدفعهـــا البغى فى راحتيـــه
ظـلاما مهـين الخطا فى الفضاء

تنصـــل منهـا تراب الوجـود
ولم يبق فيهـــا لخطـو رجـاء

فكيف استبدت بقـايا الحظوظ
فالقـت بها فوق ارض الضياء .!

تلاقت شرائمها عنـد سـفح
تزمجـــر لعنتها فى حمـــاه

وتجار فيــه دوالى الكـــروم
وتعصـــر نيرانهـا للســـقاه

ويصغى لها جبل كم صــفت
لمرى النبوات يومـــا ذراه

تنفس من دنس الواغلـــين
لهيبا الى النـــار يعوى لظاه ..

تلفت من غمـــرات الظـــلام
ومن عـــاره فى جبين الوجـود

فابصـــرت فجـرا عنيد الضياء
تزمجـر اضــواؤه بالرعـود

وتزحــف رايــاته بالدمـــــاء
لتجـرف بالهـول كل الحـدود

وتغســل بالنـور ما لوثتـــه
خطا التائهـين بارض الجدود ..

غـــدا يزار الليــل من حولهـــم
ويرتــد فيهـــم ضـلال السنين

ويكتســـح الفجـر ايامهـــم
بيــوم يكبـــر العـــائدين

وتخفق بالنصـــر هــــالاته
على كل درب ســقاه الانين ..

فلسطين لحان شروق الصـــباح
ودوى اذانـــك للزاحفـــين !!

محمود حسن اسماعيل

استقامة الدعوة في الإسلام

بقلم : محمد عبد الغنى حسن

من غريب أمر المذاهب والنحل الملتوية أنها لا تسلك فى الدعوة اليها مسلكا سليما ، ولا تتبع طريقا مستقيما ، ولكنها تحاول وتحتال ، وتميل وتداور ، وتغمغم ولاتصرح ، وتزوق الكلام ولاتفصح واختر أى نحلة مهما اختلفت أسماؤها ، وتنوعت ألقابها : ما بين قرامطة وخرمية ، ومحمرة وبابكية ، وباطنية وغيرها تجد أنهم فى سبيل دعوتهم لا يتخذون الدعاة الا من صنف معين ، ولايدعون للمذهب الا عن طريق الغموض والابهام ، لا عن طريق الحق والالهام ، ويتخذون من المسالك لدعوتهم كل خفى السبيل ، مبهم الدليل . ولم يكتفوا بذلك بل جعلوا للدعوة حيلا يحتالون بها على عقول الناس ، وأفهام العوام ، ويلبسون الحق بالباطل ، ويموهون الصدق بالكذب ، ويخلطون الضياء والضباب .. ولم تخف هذه الحيل والأضاليل على حذاق العلماء من المسلمين الذين فضحوا أمرهم ، واظهروا باطنهم ، وكشفوا سترهم حتى لا يقع الناس فى حبائلهم ، ولا ينقادوا الى بريق دعوتهم .

واعجب ما قرأت من أمر هؤلاء الدعاة الدهاة ، والفجرة المكرة ، أن لهم مذهبا فى (التدليس) يدخلون به على البسطاء والدهماء ، بل قد يدخلون به على غيرهم ممن يظنون فيهم سهولة الانقياد ، وبلوغ المراد ، ودسامة الاصطياد .. ! ومن تعاليمهم أنهم قد يبطلون الأخذ بالمعقول اذا رأوا فى ذلك مصلحة لهم ، وقد يسفهون الأخذ بالمنقول اذا رأوا فى ذلك كسبا لدعوتهم ، فهم تارة أصحاب نص وتنزيل ، وطورا أصحاب رأى وتفكير وتأميل ... ومن دساتيرهم فى الدعوة الا يظهر الداعى أنه مخالف للأمة ، أو منسلخ عن الدين والملة ، حتى لا تنفر القلوب منه ، ولكنه يعتزى الى أبعد الفرق



عن المسلك المستقيم ، وأطولهم لقبول الخرافات ، ويتستر بهم ..

ومن تمويه الدعاة على فرائسهم أن يتكلف الداعى فى مدخله ، فيؤكد للمدعوين من أول الأمر أن الباطل مع الأسف ظاهر جلى ، وأن الحق دقيق بحيث لو سمعه الأكثرون لأنكروه ، ونفروا منه ، وأعرضوا عنه ، ولهذا كان طلاب الحق والمنادون به قلة قليلة ، وآحادا مفردة ، من بين طلاب الجهل الذين لا يحصون عددا . وبهذا المدخل الناعم يهون الداعى على المدعو ما هو بسبيل دعوته اليه من انكار العقل ، أو رفض ظواهر النقل .

ومن دساتير الدعاة للمذاهب الباطلة أنهم يذكرون لصيدهم أمثلة وأسماء ممن اعتنق دعوتهم ، وذهب مذهبهم ، ولكنهم يموهون على المدعو قائلين **ان هؤلاء المعتنقين آثروا كتمان أمرهم واخفاء أنفسهم و وبذلك يحرضونه على الاعتقاد بمعتقدهم** ويجرونه الى اعتناق مذهبهم مع الحرص على كتمان نفسه ، واخفاء أمره . ويشترط دستور الدعوة السرية أن تكون هذه الأسماء المذكورة للاغراء والاجتذاب بعيدة عن موطن المدعو حتى لا يستطيع أن يتصل بأصحابها أو يراجعها فى أمر الدعوة . كما يشترط أن تكون الدعوة بعيدة عن مقر الامام الذى يدعون اليه وعن وطنه ، فانهم لو أظهروا دعوتهم فى جواره ، لافتضح أمرهم بما يتواتر من أحواله وأخباره . ولهذا تراهم

يحيطون الدعوة بالكتمان ، ويحيطون الامام المدعو بالسرية ، فلا تراه عين ، ولا يلتقي به أحد ، ولا يجتمع معه خلق ، الا ما يكون من أمر دعاته المقربين ، وعددهم لا يتجاوز بضعة عشر داعيا ، ينتشرون في الأقطار ، ويوزعون على الأمصار .

وهؤلاء الدعاة يشترط فيهم الا يطيلوا المقام بأرض ، ولا المكث بمحلة ، بل يظل الواحد منهم حياته أخا سفر ، جواب أرض ، فما يكاد يحط الرحال في بلدة حتى يتركها الى غيرها ، وما يكاد يعلم له بعض الأمر في بلد حتى يهجره الى سواه ، مخافة أن ينكشف سره ، ويفتضح أمره (فينبغي أن يحتاط في ذلك ، فيلبس على الناس أمره ، ويتعرف الى كل قوم باسم وآخر ، وليغير في بعض الأوقات هيئته ولبسته ، خوف الآفات ، ليكون ذلك أبلغ في الاحتياط) .

هذه حيلة واحدة من حيل كثيرة سنها دعاة المذاهب والنحل المضلة ليستروا دعوتهم ، وبالها من وسيلة دنيئة ذليلة حين يلجأ الداعي الى تغيير خلقته ، وتعديل لحيته ، وتبديل لبسته ، كأنه أحد المحتالين من رجال « المقامات » الذين وصفهم بديع الزمان الهمزاني والحريري أدق وصف ..

لا أدري كيف خطرت على بالي هذه الخاطرة وأنا أتهيأ لنظم قصيدة **لمجلة الرسالة** استجابة لدعوة كريمة من تحريرها بمناسبة اصدار عدد ممتاز لذكرى الهجرة ، وصلا لعادة لم تخلفها مع **«الرسالة»** منذ أن اتصلت بيننا وبينها أسباب الكتابة . وأوحت الى الخاطرة العابرة موضوع « **استقامة** الدعوة في الاسلام » منذ أرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .

ورأيت أن الموضوع أدق من أن يعالجه شعر ، وأكثر موضوعية وواقعية من أن يجال فيه بخيال .. ووجدت أن الشعر قد لا يطاوع حين يأزف الوقت ، ولا يسعف حين لا يبقى على الأجل المضروب للوفاء بالقصيد الا يومان أو ثلاثة ، قد يعز فيها الالهام ، أو يصعب على الشاعر المرام ، فالتجأت من الشعر الى النثر ، ومن العاطفة الى الفكر ، ضنا وحرصا الا تصرفنا صعوبة الأداء ، عن فضل الوفاء ..

ولن نطيل الكلام في استقامة دعوة الاسلام ، فهي صريحة واضحة سليمة قويمة ، ما حاول النبي عليه السلام ولا صحبه أن يعموها بابهام ، أو يخفوها بتلبيس .. نعم ! لقد كانت الدعوة الاسلامية في أول أمرها خفية ، ولكن كان في ذلك من وجه الحكمة ما لا يخفى . وما أمر النبي باظهار الدعوة الا بعد أن هيأ الله لها من أسباب الحماية ما يكفل قيامها جهرا . فلقد كان المسلم من السابقين الأولين اذا أراد أن يؤدي الصلاة ذهب الى بعض الشعاب ليستخفي بصلاته ، خوفا من أن يتعرض له المشركون بالأذى ، ويتطاولوا عليه بالشر . وهذا سعد بن أبي وقاص ، خرج مع نفر من المسلمين يصلون في بعض الشعاب وكان المشركون من قريش يتعقبون خطواتهم ، فلما بلغوهم وهم على أهبة الوقوف بين يدي الله الواحد القهار ناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون ، وبادأوهم بالعدوان ، فاضطر المسلمون الى الدفاع عن أنفسهم ، واضطر سعد أن يضرب رجلا فيشجه ويدعه يخبط في دمه ، وكان ذلك أول دم أريق في الاسلام ..

وتشهد دار الأرقم بن أبي الأرقم بمن دخلها من النبي وأصحابه في أول الدعوة مستخفين بصلواتهم وعباداتهم ، الى أن أمر الله نبيه باظهار الدين ، والجهر بالدعوة ، والمعالنة بالاسلام .

فالمخافتة بالعبادة والدعوة الاسلامية في أول أمرها لم تتناقض مع استقامة الدعوة وصراحتها ، الا أن المسلمين الأولين رأوا أن يأخذوا بالأحوط ليتفادوا أذى الكفار . على أننا لا ننسى شجاعة أبي بكر الصديق حين دخل مع الرسول عليه السلام وصحبه دار الأرقم ليعبدوا الله ، فقد ألح أبو بكر في الظهور ، فقال له النبي : يا أبا بكر ! انا قليل ! فلم يزل به حتى خرج النبي ومن معه من الصحابة ، **وخطب فيهم أبو بكر والرسول جالس ... ودعا أبو بكر الى رسول الله ، فكان أول خطيب دعا الى الله تعالى في الاسلام .**

أما صراحة الدعوة الاسلامية واستقامتها فتظهر بعد نزول قوله تعالى : « **فاصدع بما تؤمر** » ،

وقوله : « **وأنذر عشيرتك الأقربين ، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين** » . فقد صعد النبي على « الصفا » ونادى قريشا وأخذ يعدد أفخاذها واحدا واحدا ، ثم قال : **ارأيتكم لو اخبرتكم ان خيلا بسفح هذا الجبل اكنتم تصدقونني ؟ قالوا نعم ! أنت عندنا غير متهم ، وما جربنا عليك كذبا قط ، قال : فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد . ان الله امرنى ان أنذر عشيرتى الأقربين ، وانى لا أملك لكم من الدنيا منفعة ، ولا من الآخرة نصيبا الا ان تقولوا لا اله الا الله .**

فهنا صراحة فى الدعوة واستقامة ، فلا تلبيس ولا تعمية ، ولا ابهام ولا ايهام ، ولا تضليل ولا تبديل ، ولا تغيير سحنة ، ولا تعديل هيئة ، ولا اخفاء اسم ، ولكنها صراحة تمليها الاستقامة ، والاستقامة من صفات المؤمنين الذين يقولون ربنا الله ..

ولم يكن فى دستور الدعوة الاسلامية هذه السرية المدبرة ، المخططة الغامضة المبهمة ... فقد كان سعيد بن زيد وعثمان بن عفان يدعوان سرا ، على حين كان يعالن بالدعوة عمر ، وحمزة ، وأبو عبيدة، وسعد بن أبى وقاص وعشرات غيرهم .

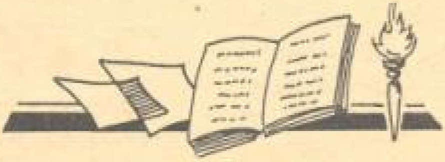
وكان ايمان المسلمين الأولين بالله هو الذى يحملهم على المجاهرة بالدعوة ، فكان عبد الله بن مسعود اول مسلم جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله عليه السلام . وكان اصحاب النبى يخشون عليه أن يصيبه من المشركين أذى بسبب ذلك ، وقالوا انما نريد رجلا له عشيرة تمنعه من القوم ان أرادوه ، وتحميه من المشركين ان قصدوه ...

فقال لهم ابن مسعود عليه السلام : « **دعونى فان الله سيمنعنى** » .

ولم تحتج الدعوة الاسلامية فى أول انتشارها الى تدليس ولا تلبيس ولا اغراء بسعادة زائلة أو نعمة حائلة ، فقد كانت صريحة وواعدة بنعيم الله الذى لا ينفد ، وبأجره المضاعف ، وبرعايته التى لا تتخلف . فما كتب عليه السلام الى هرقل قيصر الروم أكثر من قوله — بعد الديباجة الموجزة — **اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين . وكتب فى كتاب الى المقوقس عظيم القبط فى مصر مثل هذا وزاد عليه آيات من القرآن الكريم تقول : « ياهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله »**

هذه هى استقامة الدعوة فى الاسلام : **صراحة فى الخطاب ، وصدق فى الدعوة ، ووضوح فى الهدف ، وبساطة فى العرض ، وايمان بالله الذى ينصر من ينصره . وهذه « الاستقامة » هى التى جاءت فى القرآن الكريم بصيغ مختلفة . أمرا بها ، وتحبيبا فيها ، من مثل قوله تعالى : « وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا » ، « فاستقم كما أمرت ومن تاب معك » ، « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون » .**

محمد عبد الغنى حسن



الروح العلمية

عند العلماء العرب والمسلمين

بقلم قدري حافظ طوقان



يحفل التراث العربي بصفحات تدلل على الروح العلمية التي كانت تسود العلماء العرب ، والمسلمين في القرون الوسطى وقد تجلت في اخلاصهم للحق وللحقيقة وتمجيدهم للعقل والتقيد باحكامه مما دفعهم في كثير من الاحيان الى مخالفة فلاسفة اليونان وحكمائهم وتفنيد اقوالهم ونقد نظرياتهم كما ظهرت روحهم العلمية في عدم ايمانهم بالتنجيم وفي الدعوة الى ابطاله وابطال نظريات تحويل المعادن الى ذهب ، وكذلك تجلت الروح العلمية في الطرق التي سار عليها علماء الحديث في تنقية وتمييز صحيحة .

واثبتت التجارب التي اجراها جابر بن حيان وابن الهيثم والرازي وابن الصوري والبيروني وغيرهم في الطبيعة والكيمياء ان العرب قد عرفوا الطريقة العلمية الحديثة التي تعد من مبتكرات هذا العصر .

كان بعض المؤلفين العرب يسيرون في كتاباتهم على اسلوب خاص لا اطالة فيه ودون لغو او مقدمات . ففي كتاب الفهرست لابن النديم ورد النص التالي : (والنفوس تشرئب الى النتائج دون المقدمات وترتاح الى الغرض المقصود دون التطويل في العبارات ..) وهو يأتي الى الفكرة فيعرضها دون مواربة او تمهيد .. ويندفع الى صميم الموضوع في دقة وايجاز وضبط واحكام ، ويسيطر على هذا كله روح علمية صحيحة . وهذا مايجعلنا نرى أن ابن النديم يتحرى الصدق في كتابه العظيم ويسير في امانة النقل الى ابعد الحدود . ومن يتصفح الكتاب ومقدمته يتبين له صحة ماذهبنا اليه .

وكذلك امتاز أسلوب الفارابي بالعمق والدقة ويرى كثيرون ان اهتمام الفارابي بالمنطق قد اثر في التفكير عند العرب وتقدم به خطوات فقد اعتبره آلة للفلسفة واداة يمكن الوصول بها الى التفكير السليم . وقد قال في هذا الشأن (.. واقول لما كانت الفلسفة انما تحصل بجودة التمييز ، وكانت جودة التمييز انما تحصل بقوة الذهن على ادراك الصواب ، وكانت قوة الذهن حاصلة لنا قبل جميع هذه ، وقوة الذهن انما تحصل متى كانت لنا قوة ، بها نقف على الحق انه حق بيقين فنعتقده ، وبها نقف على الباطل انه باطل بيقين فنتجنبه ، ونقف على الباطل الشبيه بالحق فلانغلط فيه ، ونقف على ماهو حق في ذاته وقد اشبه بالباطل فلانغلط فيه ولانخدع ...) ومن الطريف ان الفارابي يعتبر المنطق (قانون التعبير بلغة العقل الانساني عند جميع الامم) فنسبة صناعة المنطق الى العقل والمعقولات كنسبة صناعة النحو الى اللسان والالفاظ ، (فكل مايعطينا علم النحو من القوانين في الالفاظ فان علم المنطق يعطينا نظائرها في المعقولات .. وعلم النحو انما يعطي تخصص الفاظ أمة ما ، وعلم المنطق يعطي قوانين مشتركة تعم الفاظ الامم كلها) .

والفارابي مخلص للحقيقة محب لها ويدعو الى محبتها والاخلاص لها ولو خالفت مذهب أرسطو وقد جاء في كتابه

(ماينبغي ان يقدم قبل تعلم الفلسفة) في الفصل الذى يبحث في معرفة الحال التي يجب ان يكون عليها الرجل الذى يؤخذ عنه علم الفلسفة مايلي :

(.. واما الحال التي يجب ان يكون عليها الرجل الذى ياخذ علم ارسطو ، فهي ان يكون في نفسه قد تقدم واصلح الاخلاق من نفسه الشهوانية كيما تكون شهوته للحق فقط لا للذة . واصلح من ذلك قوة النفس الناطقة كيما يكون ذا ارادة صحيحة واما قياس ارسطو فينبغي الا تكون محبته له في احد يحركه ذلك ان يختاره على الحق ..)

ودفعت محبة الفارابي للحق واخلاصه للحقيقة الى ان يقول بابطال صناعة التنجيم .. فخالف الكثيرين من علماء عصره والذين اتوا قبله وبعده ، وقد ابطل هذه الصناعة بحجج عقلية مشبعة بروح التهكم ووضع في ذلك رسالة سماها (النكت فيما يصح وفيمالايصح من احكام النجوم) وبين في هذه الرسالة فساد علم احكام النجوم الذى يعزو كل ممكن وكل خارقة الى فعل الكواكب وقراناتها .. (... لان الممكن متغير لايمكن معرفته معرفة يقينية ..)

وفي رسالة اخرى بين الفارابي انه من الخطا الكبير مايزعمه من ان بعض الكواكب يجلب السعادة وان بعضها يجلب النحس وانتهى الفارابي من هذا كله — كما يقول دى بور — (بان هناك معرفة برهانية يقينية الى اكمال درجات اليقين نجدها في علم النجوم التعليمي . اما دراسة خصائص الافلاك وفعلها في الارض فلانظفر منها الا بمعرفة ظنية . ودعاوى المنجمين ونبوءاتهم لاتستحق منا الا الشك والارتياب ..)

والفارابي فوق ذلك يرى ان الفيلسوف الذى يقف عند العلوم النظرية ولايتعداها الى الجانب العملي هو فيلسوف زور وباطل لاصلة بينه وبين الحياة . فالحياة علم وعمل . ولابد للفيلسوف من ان يمتاز في عمله كما يمتاز في علمه ..

اما ابن سينا فقد سار في اسلوبه على اساس منطقي لان المنطق على رايه — (... الالة العاصمة للذهن عن الخطا فيما يتصوره ونصدق به ، والموصلة الى الاعتقاد الحق باعطاءاسبابه ونهج سبله ...)

وفوق ذلك فاسلوبه علمي دقيق يتجلى هذا في تعريفه الحكمة وتقسيمها جاعلا المنطق الة لها فعلى اصوله سار وعلى قواعده اعتمد في بحثه ودرسه .

ان انغماس ابن سينا في الحياة وتعرفه لتقلباتها واندماجه في صميم مجتمعه ورحلاته المتعددة — كل ذلك اثر في ارائه ونظريته فجعل في فلسفته مسحة من العملية — وكانت اميل الى الناحية العقلية منها الى الناحية الروحية الصوفية .

كان ابن سينا يقدس العقل ويرى فيه اعلى قوى النفس والعقل يقاوم الوقوف ويعمل على الارتقاء ويقوى النفس . ولهذا قال ابن سينا بسلطان العقل . وقد تغلب هذا السلطان على سلطان الروح حتى انه يرى في العقل سبيلا الى الوصول الى الملكوت .

وخالف ابن سينا ارسطو وافلاطون وغيرهما من فلاسفة اليونان في كثير من النظريات والاراء فلم يتقيد بها بل اخذ منها ماوافق مزاجه وانسجم مع تفكيره وزاد عليه . وقال ان الفلاسفة يصيبون ويخطئون كسائر الناس . وهم ليسوا معصومين عن الزلل والخطا .

ولاشك في ان موقف ابن سينا هذا يدل على شجاعته ونزعته الى الاستقلال في الراى ورغبته في التحرر العقلي فهو لايتقيد باراء من سبقه ، بل يبحث فيها ويدرسها ويعمل فيها العقل والمنطق والخبرات التي اكتسبها فان اوصلته هذه كلها الى تلك الاراء اخذ بها ، وان اوصلته الى غير ذلك نبذها وبين فسادها .

وجعل ابن سينا للتجربة مكانا عظيما في دراسته وتجاربه ولجا اليها في طبه . وتوصل عن طريقها الى ملاحظات دقيقة كما توفق الى تشخيص بعض الامراض وتقرير علاجها .

ولهذا لاعجب اذا رايناه يحارب التنجيم . وقد وضع في ذلك رسالة بعنوان (رسالة في ابطال احكام النجوم) اوضح فيها ان ما قاله المنجمون من سعود الكواكب ونحوسها باطل ... (ليس على شيء مما وصفوه دليل ولا يشهد على صحته قياس ...) وبين كذلك في رسالته بطلان الاصول التي وضعها المنجمون وفساد ما بنوا عليه . ويذهب ابن سينا الى ان قول المنجمين من اثر الكواكب على الناس من خير وشر هو قول هراء: (.. قد اخذوه تقليدا من غير برهان ولاقياس ...)

ولم يقف عند ذلك بل فند هذه الاقوال وغيرها في احكام النجوم واثرها على الناس وسفه ماتضمنته هذه من اراء وبيانات ونظريات وناقشها وبين فسادها وبطلانها بالدليل والبرهان .. ولجا الى المنطق فاستعان به ليدلل على صحة ماذهب اليه .

وكذلك حارب ابن سينا بعض نواحي الكيمياء بحجج العقل وحده فخالف معاصريه ومن تقدموه فيما يختص بامكان تحويل الفلزات الخسيسة الى الذهب والفضة .. ونفى امكان احداث هذا التحويل في جوهر الفلزات (... لان لكل منها تركيبا خاصا لايمكن ان يتغير بطرق التحويل المعروفة ..) وانما المستطاع تغير ظاهرى في شكل الفلز وصورته . واحتاط ابن سينا فقال (... وقد يصل هذا التغيير حدا من الاتقان يظن معه ان الفلز قد تحول بالفعل وبجوهره الى غيره ...)

وتجلى سلطان العقل عند ابن سينا وروحه العلمية في رأيه في الخوارق .. ويذهب في تعليله لها الى اسباب وامور تجري على قانون طبيعي يتصل بالجسم والنفس والعقل .. كما يتجلى سلطان العقل في شرحه معنى العناية الالهية . فهو ـ بعد ان تأمل في نظام العالم ـ ادرك ان صانعه مدبر حكيم عالم بما هو عليه هذا الوجود من نظام الخير والكمال ... وهذا في رأيه معنى العناية الالهية فالظواهر الطبيعية انما تحدث حسب القوانين الطبيعية في العالم على اتق ما يمكن .. (.. وليس معناها الاهتمام بالافراد والشعوب ..)

والانسان في نظر ابن سينا يقترب من الكمال اذا اتسعت معرفته بالوجود وادرك حقائق العالم واستغرق في تفهمها . ولايتم ذلك الا عن طريق الارادة والعقل . وعلى الرغم من تقديس ابن سينا للعقل ومن ايمانه بسلطانه الا انه في مواضع كثيرة يؤكد نقص العقل الانساني ـ وهذا النقص يجعله في حاجة الى القوانين المنطقية . ولهذا نرى ابن سينا قد اعتبر المنطق من الابواب التي يدخل فيها الفلسفة كما انها الوصل الى الاعتقاد الحق .

وابن سينا يميل الى التجدد والتحرر . يدلنا على ذلك قوله : (.. حسبنا ما كتب من شروح المذاهب القدماء.. وقد ان لنا ان نضع فلسفة خاصة بنا ...)

ومن علماء العرب من سار في اسلوبه على اساس التوفيق بين الشريعة والفلسفة كابن رشد وهو الذي يعتد بالنظر العقلي . وقد غالى في هذا الاعتداد الى درجة جعلته يجيز مخالفةالاجماع وفي كتابه (تهافت التهافت) نراه يحث بقوة على معرفة الحق لصاحبه وشكره من اجله وعلى وجوب نبذ الهوى والتعصب بغير حق فذلك اجمل بالانسان وادعى الى الانصاف . وهو يحاول دائما تفسير المعجزات والنبوة تفسيرا يطابق العقل والوحي . ولقد اطلع (بيكون) على مؤلفات ابن رشد ودرسها دراسة عميقة واستفاد منها فوائد جليلة كان لها اثر كبير في نتاجه واتجاهات فكره وكان معجبا بابن رشد اعجابا دفعه الى الاعتراف (... بان ابن رشد فيلسوف متين متعمق صحح كثيرا من اغلاط الفكر واضاف الى ثمرات العقول ثروة لايستغنى عنها بسواها .. وادرك كثيرا مالم يكن قبله معلوما لاحد ، وازال الغموض من كثير من الكتب التي يتناولها بحثه ...)

واشتهر ابن رشد بالنقد . وكان اثره بالغا عند اليهود والمسيحيين فقد نقد شروح اسكندر فردوس والفسثيوس . وكذلك نقد ابن سينا وهاجمه ورد على الفارابي والغزالي . وكان شديدا في نقده ورده قاسي اللهجة . ولكن القلم سما به في هذا الى أعلى درجات الكمال الفكري .

لقد اقتبس الغرب فلسفة ابن رشد بكاملها . وكان من حسناتها ان حلت عقال الفكر الاوروبي وفتحت امامه ابواب البحث والمناقشة على مصاريعها . وعلى ذلك لم يكن من المستغرب ان يعجب مفكرو القرون الوسطى بشروح ابن رشد واصابة آرائه. وهكذا نشأ مذهب الرشدية للاخذ بالعقل عند البحث وعدم الاعتماد على الروايات الدينية .

كان ابن رشد مخلصا للحق الى ابعد الحدود ، يسعى الى الحقيقة ويعمل جادا على الوصول اليها والاخذ بها دون اعتبار القائل او الدين . وكان يدعو الى قبول الآراء الصحيحة سواء من مسلم او غير مسلم . فقال في هذا الشأن في كتابه (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) :

(.. يجب علينا ان نستعين على ما نحن بسبيله بما قاله من تقدمنا في ذلك . وسواء كان ذلك الغير مشاركا لنا او غير مشارك في الملة . فان الآلة التي تصح بها التزكية ليس يعتبر في صحة التزكية بها كونها آلة لشارك لنا في الملة او غير مشارك اذا كانت فيها شروط الصحة . واعني بغير المشارك في نظر هذه الاشياء من القدماء قبل ملة الاسلام. واذا كان الامر هكذا وكان كل مايحتاج اليه من النظر في امر المقاييس العقلية قد فحص عند القدماء اتم فحص ، فقد ينبغي ان نضرب بايدينا الى كتبهم فننظر فيما قالوه من ذلك . فان كان صوابا قبلناه منهم ، وان كان فيه ماليس بصواب نبهنا عليه ..)

ويقول ابن رشد في موضع اخر :

(.. يجب علينا ان الفينا لمن تقدمنا من الامم السالفة نظرا في الموجودات واعتبارا لها بحسب مااقتضته شرائط البرهان ان ننظر في الذي قالوه من ذلك المثبوت في كتبهم ، فما كان منها موافقا للحق قبلناه منهم وسررنا به وشكرناهم عليه . وماكان منها غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرنا منه وعذرناهم ...)

ويرى كثير من الفلاسفة واعيان الفكر ان فلسفة ابن رشد تركت اكبر الاثر في اوروبا واخرجتها من ظلمات التقليد الى نور العقل والفكر . ولهذا نجدهم يضعونه مع افلاطون وارسطو وكانت في صف واحد في الفلسفة العقلية . ويتبين من الاراء التي بثها في كتبه انه كان بعيدا عن التصوف ، يتقيد بالعقل ولايسير الا على هداه . وكان من ذلك ان اصطدم بوجهة النظر الدينية في بعض المسائل فنشأ عداء بينه وبين رجال الدين ادى الى اضطهاده في اواخر ايام حياته .

ومن اساليب العرب مايمتاز بطابع الاخلاص للحق والحقيقة والدعوة الى ذلك والى جعل البرهان دليلا شاهدا وان سر البلاغة يقع في الصدق ، وان الصدق اساس النبوغ . ولقد تضمنت بعض الرسائل القديمة نصائح وارشادات الى الكتاب ليسيروا عليها حين الكتابة هي في الواقع الاساس الذي يجب ان يسلكه اصحاب الاقلام في كل زمان .

ومن الطريف ان الدعوة الى الانصاف والى الحق والصدق والمعرفة كانت تدخل في مقدمات الكتب القديمة . جاء في اول كتاب الرسالة العذراء لابراهيم بن المدبر مايلي : (... فتق الله بالحكمة ذهنك وشرح بها صدرك وانطق بالحق لسانك وشرف به بيانك ..)

وابتدأ الجاحظ كتابه الشهير (الحيوان) بمايلي : (..جنبك الله الشبهة وعصمك من الحيرة وجعل بينك وبين المعرفة نسبا وبين الصدق سببا ، وحبب اليك التثبت وزين في عينيك الانصاف واذاقك حلاوة التقوى ، واشعر قلبك عز الحق واودع صدرك البر واليقين ، وطرد عنك ذل الياس وعرفك ما في الباطل من الذلة وما في الجهل من القلة ..)

وفي مقدمة كتاب تهافت الفلاسفة للغزالي مايدل على الاخلاص باجلى عبارة : (.. نسال الله بجلاله الوفي على كل نهاية ، وجوده المجاوز كل غاية ان يفيض علينا انوار الهداية ، ويقبض عنا ظلمات الضلال والغواية ، وان يجعلنا ممن راى الحق حقا فاثر اتباعه واقتفاءه ، وراى الباطل باطلا فاختار اجتنابه ..)

وفي كتاب معيار العلم في فن المنطق للغزالي ورد النص التالي في المقدمة : (اللهم ارنا الحق حقا ووفقنا الى اتباعه ، وارنا الباطل باطلا واعنا على اجتنابه ..)

ومن هذه المقدمات والنصوص الكثيرة التي وردت في كتب الغزالي من الذين اخلصوا للحقيقة ومن المتعطشين الى ادراك الحقائق حتى انه جعل التعطش للحقيقة دابه وديدنه من اول امره ، وريعان عمره .

وفي سبيل الحقيقة درس اكثر فروع المعرفة في ايامه وامتلك ناصيتها واحاط بدقائقها ، وكان في دراساته ومطالعاته يبحث عن الحقيقة ومخلصا لها ، ولقد جعل الغزالي اول شرائط البحث عن الحقيقة (... ان يكون الباحث ذا عقل مستقل تماما ، فالحقيقة لا يمكن الوصول اليها الا من طريق روح بحث حر مختار ...)

ولهذا لا عجب اذا رايناه يحارب التقليد الاعمى ويقاومه ويحمل على المقلدين ، وقد ندد في جميع اعماله وبحوثه بالتفكير (المرسوم بالتبعية والتقليد ...)

وكان ينصح باعمال العقل واتباع (منهج من البحث الحر غير المتحيز) ، وقد بلغ من حرصه على ذلك ان يختم كتابه (معيار العلم في فن المنطق) بدعوة القارىء الى ان ينظر فيه ويتامله (بعين العقل لا بعين التقليد) .

وفي كتاب الكندي الى المعتصم بالله في الفلسفة الاولى يقول الكندي (.. ان اعلى الصناعات منزلة واشرفها مرتبة صناعة الفلسفة التي حدها علم الاشياء بحقائقها بقدر طاقة الانسان لان غرض الفيلسوف في علمه اصابة الحق وفي عمله العمل بالحق ..) وفي تعريف الفلسفة يقول الكندي: (.. ان الفلسفة هي علم الاشياء بحقائقها لان كل شيء له حقيقة وان في معرفة الحق كمال الانسان وتمامه ..)

وتتجلى معرفة الكندي لقدر الحق وقيمة الحق فيما ورد في بعض رسائله من اراء واقوال ، فقال في هذا الصدد : (... وينبغي لنا ان لا نستحي من الحق واقتناء الحق من اين اتى ، وان اتى من الاجناس القاصية عنا والامم المباينة لنا ، فانه لا شيء اولى لطالب الحق من الحق ، وليس ينبغي بخس الحق ولا تصغير بقائله ولا بالآتي به . ولا احد بخس بالحق ، بل كل يشرفه الحق ..)

وقال ابن الهيثم في مقدمة كتابه (المناظر) بان غرضه في جميع ما يستقريه ويتصفحه استعمال العدل لا اتباع الهوى، وانه يتحرى في سائر ما يميزه وينتقده طلب الحق لا الميل مع الاراء حتى يظفر بالحقيقة ويصل الى اليقين .

وقد بين ابن الهيثم ان من الغايات التي توخاها من تصنيف الكتب والرسائل افادة من يطلب الحق ويؤثره في حياته وبعد مماته .

وفوق ذلك يتجلى لنا من مصنفاته انه كان متواضعا منصفا دفعه اخلاصه للحق الى الاعتراف بالفضل لذويه وتقدير العلماء السابقين حق التقدير .

وقد ذكر البيهقي ان ابن الهيثم قال : (.. اذا وجدت كلاما حسنا لغيرك فلا تنسبه الى نفسك واكتف باستفادتك منه ...)

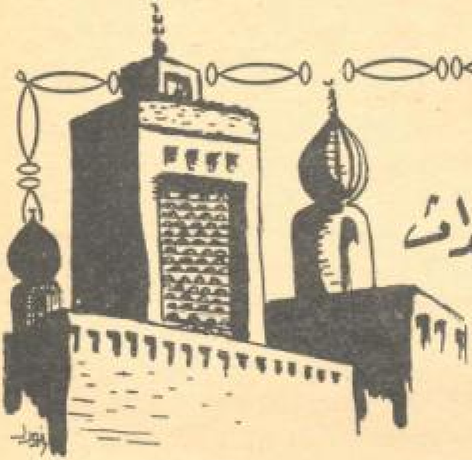
ولابن الهيثم اراء فلسفية ادخل فيها شؤون الدنيا والدين، وقد جعل علم الحق وعالم العدل نتيجة للفلسفة . وهنا نراه يخالف راى الفلاسفة الاسلاميين الذين سبقوه او الذين اتوا بعده (... فانهم يجعلون علم الحق وعمل العدل شركة بين الفلسفة والدين على نحو يختلف تفصيله باختلاف الفلاسفة ...)

ويقول ابن الهيثم في هذا الشان :

(... اني لم ازل منذ عهد الصبا مرويا في اعتقادات الناس المختلفة وتمسك كل فئة منهم بما تعتقده من الراى ، فكنت متشككا في جميعه موقنا بان الحق واحد ، وان الاختلاف فيه انما هو من جهة السلوك اليه . فكلما كملت لادراك الامور العقلية انقطعت الى طلب معدن الحق ... فخضت لذلك ضروب الاراء والاعتقادات وانواع علوم الديانات فلم احظ من شيء منها بطائل ولا عرفت منه للحق منهجا ولا الى الراى اليقيني مسلكا جددا ، فرايت انى لا اصل الى الحق الا من اراء يكون عنصرها الامور الحسية وصورتها الامور العقلية ، فلم اجد ذلك الا فيما قرر ارسطوطاليس .. فلما تبينت ذلك افرغت وسعي في طلب علوم الفلسفة ...)

قدري حافظ طوقان

البقية في العدد القادم



لماذا كانت الهجرة؟

قصة الهجرة من خلال الأحداث

بقلم عبد الرحيم فوده



١ ـ كانت الهجرة فكرة في خيال النبي صلى الله عليه وسلم منذ أول عهده بالوحي والنبوة ، ولكنه لم يكن يدري متى يؤمر بها أو يدعى اليها ، ولم يكن يعلم المكان الذي سيشرفه الله بالانتقال اليه والاقامة فيه ، ونستطيع أن نستشف ذلك بوضوح من حديث ورقة بن نوفل حينما ذهبت به «خديجة» اليه ليقص عليه نبأ ماتلقاه في غار حراء ، فقد قال له ورقة بعد أن سمع منه ماكان بينه وبين جبريل: هذا الناموس الذي نزله الله على موسى ، يا ليتني فيها جزعا ، ليتني أكون حيا اذ يخرجك قومك ، فقال صلى الله عليه وسلم : أو مخرجي هم ... ؟ قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به الا عودي ، وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا ، فمن ذلك نفهم أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ علم بالهجرة منذ علم بأنه نبي ، وان لم يصل علمه بها الى درجة من الايمان واليقين، أما زمانها ومكانها فلم يتحدث اليه أحد بواحد منهما ، بل ان لنا أن نعتقد أنه عليه السلام ـ لم يكن يعلم متى ولا اين تكون الهجرة حتى رأى في المنام مارواه الشيخان من قوله صلى الله عليه وسلم : رأيت في المنام أني أهاجر من مكة الى ارض بها نخل ، فذهب وهلي أنها اليمامة او هجر فاذا هي المدينة يثرب ، وقد روى البيهقي عن صهيب أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : اريت دار هجرتكم سبخة بين ظهراني مرتين ، فاما ان تكون هجر أو يثرب ، وأخرج الترمذي والحاكم عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ان الله أوحى الى أي هؤلاء الثلاثة نزلت هي دار هجرتك ، المدينة او البحرين أو قنسرين ، وزاد الحاكم فاختار المدينة ، ويؤخذ من مجموع هذه الاحاديث ـ مع مآخذ على الأخير من ذكر قنسرين لبعدها في بلاد الشام ـ أنه ـ عليه السلام ـ لم يكن يعلم بالمكان الذي سينتقل اليه الا قبيل البدء في الهجرة .

٢ ـ ونعود الى الاحداث نستلهمها التوجيه في متابعة أنباء الهجرة ، فنجد بيعة العقبة ـ الأولى والثانية والثالثة ـ تكشف أمامنا الاتجاه ، وتضع أمام أعيننا الهدف ، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على قبائل العرب ، ويتحين فرصة الموسم من كل عام ليلتقي بالحجيج في منازلهم بعكاظ ، والمجنة ، وذي المجاز ، ويعرض عليهم أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه فيعرضوا عنه، بل يردون عليه بالاذى ويقولون : قومك أعلم بك ، ثم لقي رهطا من أهل المدينة عند العقبة ، فوجد فيهم اصغاء اليه ، واقبالا عليه ، واستجابة له ، وأسلم منهم ستة من الخزرج ، ثم عاهدوه على أن يمنعوا ظهره ، ولكنهم ذكروا له ماكان بينهم وبين الأوس من الخلاف ومن الحرب يوم « بعاث »

وقالوا : انا تقدم ونحن كذلك لا يكون لنا اجتماع عليك ، فدعنا حتى نرجع الى عشائرنا لعل الله أن يجمعهم عليك ؛ فان اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك فلا أحد أعز منك ، وموعدك الموسم المقبل .

ثم انصرفوا الى المدينة . وعادوا في الموعد المحدد وقد زاد عددهم فكانوا اثنى عشر رجلا بينهم اثنان أو ثلاثة من الأوس ، فبايعهم النبي صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة الثانية وبعث معهم مصعب بن عمير الى المدينة ليقرئهم القرآن . ويعلمهم الاسلام . ويفقههم في الدين ، فكان سببا في دخول اشراف أهل المدينة في الاسلام ، وبذلك كثر عدد المسلمين في يثرب الى درجة انه لم تبق بها دار الا وفيها رجال مسلمون ونساء مسلمات اذا استثنينا بطونا قليلة من الأوس تأخرت قليلا عن اعتناق الاسلام ..

ولما حان موعد الموسم الأخير قدم الى مكة مصعب ابن عمير ومعه عدد كبير من المسلمين ، فأرسلوا الى النبي يواعدونه على اللقاء عند العقبة ، ثم خرجوا اليه من رحالهم بعد انقضاء ثلث الليل الأول (يتسللون تسلل القطا مستخفين) حتى اجتمعوا به في الشعب .

٣ ــ كل هذه الظواهر والقرائن والمقدمات تشير الى أن الهجرة كانت نتيجة طبيعية ولم تكن عملا مرتجلا يثيره الفزع والجزع ويدفع اليه الخوف من الموت أو الحرص على الحياة ، وهذه الظواهر والقرائن تشير كذلك الى أن المدينة كانت دار الهجرة المنتظرة منذ كانت بيعة العقبة الاولى ، وان الاحاديث التي ذكرناها عن الرؤيا المنامية فيما يتصل بدار الهجرة كانت قبل التقاء النبي بهؤلاء الذين شرح الله صدورهم للاسلام من اهل المدينة ، وقد صدقت الرؤيا ، واتفقت الاوصاف المرئية في المنام مع الواقع المشهور في اليقظة ، فأمر صلى الله عليه وسلم من كان معه بالهجرة الى المدينة ، ولم يكن اسبقهم اليها كما يفعل الخائفون ، بل بقي في مكة حتى غادرها المسلمون جميعا الا من اعتقلهم المشركون من الضعفاء كرها ، وأبقى معه عليا وابا بكر ليؤدى كل منهما الدور الذى ينتظره ، وظل ــ صلى الله عليه وسلم ــ في مكة ينتظر ان يؤذن له في الخروج حتى كانت المؤامرة التي يشير اليها قول الله : « واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » .

فقد هال رجال قريش أن يروا لمحمد صلى الله عليه وسلم انصارا من غيرهم ، وساورهم الخوف أن يتصل بهم ثم يعود لحربهم ، فاجتمعوا في دار الندوة ليديروا فيهم الرأى فيما يصنعون به ، فمن قائل نحبسه في الحديد ثم تغلق عليه الباب . ثم نتربص به ما أصاب اشباهه ، ومن قائل نخرجه من بين اظهرنا . وننفيه من بلادنا . ثم لا نبالى أين يذهب ، ثم اتفق الجميع على رأى أبي جهل ، وهو أن يؤخذ من كل قبيلة فتى شاب جلد نهد ، ثم يعطى كل منهم سيفا صارما ، ثم يعمد هؤلاء اليه فيضربوه ضربة رجل واحد ، وبذلك يقتل ويتفرق دمه في القبائل ، فلا يقدر بنو عبد مناف على حربها جميعها .

٤ ــ كان هذا هو تقديرهم وتدبيرهم ، وكان تقدير الله وتدبيره فوق تقديرهم وتدبيرهم فاطلع نبيه على مابيتوه له ، ولما اقبل الليل ونشر رداء سواده على دور مكة . اقبل هؤلاء الفتيان الأشداء المختارون على بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وتجمعوا امام بابه يرصدونه وينتظرون خروجه ليثبوا عليه ويقتلوه ، ورآهم النبي صلى الله عليه وسلم . فأمر عليا رضي الله عنه أن ينام على فراشه وأن يتشح ببرده الأخضر ، ثم خرج اليهم وقد اعماهم الله بالنوم فنثر على رءوسهم التراب . وتلا ــ كما يذكر اصحاب السير والتفسير ــ قوله تعالى : « وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون » .

وبقي هؤلاء المتربصون ينتظرون خروجه . وينظرون من خلال الباب الى النائم في برده فيظنونه اياه ، حتى اقبل عليهم واحد ممن لم يكونوا معهم فقال : ما تنتظرون ههنا .. ؟ قالوا : محمدا ، قال قد خيبكم الله ، قد ، والله ــ خرج محمد عليكم ، ثم ماترك منكم رجلا الا وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته ، وأسرع كل منهم فوضع يده على رأسه فاذا عليه تراب .

وطار النبأ الى جميع ارجاء مكة فاهتزت له جوانبها وقامت له قريش وقعدت ، ثم ارسلت الرسل في طلبه ــ عليه السلام . واقتفاء اثره في كل جهة ، وجعلت لمن يأتي به حيا او ميتا مائة ناقة ، واسرع النبي مع صاحبه أبي بكر الى غار ثور فدخلاه واقاما فيه ، وأخذ عامر بن فهيرة مولى أبى بكر يريح

عليهما غنمه ليطمس آثار أقدامهما ويوافيهما بما يحتاجان اليه ، وحملت أسماء بنت أبي بكر الزاد اليهما في الغار ، أما عبـــد الله بن أبي بكر فكان يتسمع لهما مايقال عنهما بمكة ثم يأتيهما بما يلتقط من أنباء ، ثم جاء رجال قريش الى الغار وأحدقوا به واقتربوا من بابه ، ونظر اليهم أبو بكر ونفسه تكاد تذهب كمدا حزنا فقال : يارسول الله لو نظر أحدهم الى قدميه لرآنا تحت قدميه ، ولكن محمدا صلى الله عليه وسلم أجابه في لهجة الواثق المطمئن الى نصر الله : لا تحزن ان الله معنا ، وبهذه الكلمة المؤمنة المطمئنة صور ـ عليه السلام قلبه الكبير ادق تصوير ، وعبر عما كان يشعر به من ايمان واطمئنان أصدق تعبير ، ثم كان مايذكره القرآن اذ يقول الله فيه « ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمـة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم » .

فأدبروا ووجوه الارض تلعنهـــم
كباطل من جـــلال الحق منهزم

٥ ـ لم تكن هجرة النبي صلى الله عليـــه وسلم ـ كما قلت في بعض ماكتبت ـ استجابة لشعور بضعف أو خوف ، فقد راى الدنيا كلها تتحداه .. وتتالب عليه ، حتى أوشك عمه أن يتخلى عنه ، وراى في حديثه اليه ماكان يشعر به من قلق واشـــفاق عليه وعلى أهله معه فقـــال قولته المشـــهورة : ياعم . والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الامر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته .

ولم تكن هجرته ـ عليه السلام ـ ضيقا بأرض تحمل فيها من ألوان ابتلاء والعناد ماتنوء بحمـــله الجبال ، فقد أعلن عن حبه لها ، وتعلقه بها حين غادرها مهاجرا الى المدينة . وقال في ذلك : والله انك لأحب أرض الله الي ، وانك لأحب أرض الله الى الله ، ولولا أن قومك أخرجوني ما خرجت منك .

ولم تكن هجرته ـ عليه السلام ـ التماسا لواحة يجد فيهـــا برد الراحة ، فقد كان يعلم أنه يترك المشركين في مكة ليواجههم مع اليهود والمنافقين في المدينة ، وفيما حول المدينـــة ، ثم في كل مكان تشتعل فيه الحرب بين الكفر والايمان .

لم تكن هجرته ـ عليه السلام ـ لشيء من الشعور بالخوف أو الضعف ، أو الضيق بمكة والامل في الراحة والدعة بالمدينة ، وانما كانت لحكمة كبرى تفسرها كل الاحداث التي وقعت بعدها ، فكل ما أحرزه الاسلام من قوة وازدهار . وانتصار بعـد الهجرة هو التفسير الكبير للحكمة من الهجرة ، وكل مايقال عن الاسباب المعقولة للهجرة لايخرج عن معنى قوله تعالى : «ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين» .

٦ ـ أما عظمة المهـــاجرين فيكفي أن نذكر من مظاهرها موقف صهيب الرومي من قريش حين تجمع رجالها حوله ليحولوا بينه وبين الهجرة ، فقد قالوا له : أتيتنا صعلوكا حقيرا فكثر مالك عندنا وبلغت الذي بلغت . ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ، والله لا يكون ذلك ، فقال صهيب : ارايتم ان جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي .. ؟ قالوا نعم ، قال فاني قد جعلت لكم مالي ، فتركوه وتركهم حتى قدم الى المدينة فسمع رسول الله يقول له : ربح بيعك .. ربح بيعك .. ربح بيعك .. أما موقف عمر فأشهر من أن يذكر ، واني لأتمثله ، وقد تقلد سيفه .. وتنكب قوسه ، واختصر عنزته ثم مضى الى الكعبة وطاف بها ، ثم وقف على الملأ من قريش بفنائهـــا يصك اسماعهم بقوله : شاهت الوجوه ، لايرغم الله الا هذه المعاطس ، من أراد أن تثكله أمه أو يؤتم ولده أو ترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي .

أتمثله في هذا الموقف وهو يهم بالهجرة على الرغم منهم ، فأرى صورة أولئك الذين يصفهم شـــوقي بقوله :

لو لم يســـودوا بدين فيه منبهة
للناس كانت لهم أخلاقهم دينـــا

٧ ـ أما بعد فقـــد كانت الهجرة مبدأ التاريخ الاسلامي لأنها أعظم أحداث التاريخ كله ، وان المحرم مبدأ العام الهجري لانه كان مبدأ هجرة المسلمين الى المدينة ، ولان العزم على الهجرة كان فيه ، أما هجرته صلى الله عليه وسلم فكانت في ربيع الاول ، واذا كان المقام لايتسع لتفصيل فان جلال ذكرى الهجرة فوق كل تفصيل .

عبد الرحيم فودة



الرَّكْبُ المقدَّس

للشاعر: محمود غنيم

اى ركب دب فى جوف الفلاة ... يقتفى التاريخ فى شوق خطاه ؟

تحت جنح الليل يسرى خفية ... فى سبيل الله والحق سراه

يقطع الليل مسيرا فاذا ... وشت الشمس به القى عصاه

وقريش خلفه لا هثة ... تسال الركبان عنه والمشاة

فكان البرق فى خطفته ... اعين شزراء ودت لو تراه

وكان الطود فى اطراقه ... سامع تنصت منه اذناه

وكان الرمل يحصى خطوه ... وكان النجم من بعض الوشاة

غير ان الركب يمضى ثابتا ... وشعاراه اتئاد واناة

ويقين بالذى يحرسه ... من يلذ بالله لم يخش سواه

فى سبيل الله يمشى آمنا ... كيف يخشى وهو يمشى فى حماه ؟

قلة لكنها فى عزمة ... لا قليل ذرعها او منتهاه

ما نجوم الليل ان قيست بها ... ما رمال البيد ما قطر المياه ؟

عز من قوته ايمانه ... ارايتم مؤمنا خارت قواه ؟

لا دروع سابغات لا قنا ... مشرعات لا سيوف منتضاة

قوة الايمان تغنى ربها ... عن غرار السيف او شن القناة

***

ومن الايمان امن وارف ... ومن التقوى حصون التقاة

ركب طه وابى بكر سرى ... فى حواشى الليل فانجاب دجاه

ما اهتدى بالنجم فى جنح الدجى ... بل سرى النجم لعمرى فى سناه

آه لو تعرف اطباق الثرى ... من اقلت ارضها الصماء آه !

لو درت من حملته لثمت ... قدميه حين تخطو قدماه

واستحالت جنة وارفة ... من نخيل يانع دان جناه

لودرى المزن به ظلله ... من هجير يشتكى الضب لظاه

وهما ماء عليه باردا ... وحميما فوق من يبغى اذاه

لودرى القفر بمن يجتازه ... ضج بالتسبيح والذكر حصاه

لودرى الدوح بمن مر به ... لحنى الدوح له شم الجباه

لودرى الوحش به ما نفرت ... ظبية منه ولا فرت مهاة

لودرى الطير به ما اجفلت ... منه ورقاء ولا ريعت قطاة

***

من هو الركب ؟ نبى مرسل ... وحوارى تهدى بهداه

رجلاه بهما الدار نبت ... فغزا العالم طرا رجلاه

ومشى التاريخ من خلفهما ... مرهف الآذان ترنو مقلتاه

في يديه لوحه ما همسا ... همسة الا وخطتها يداه
ان يكن هاجر منها كارها ... فغدا يأتي على راس الغزاة
وغدا يشعلها بيضاء في ... بلد جار عليه ونفاه
وغدا يعفو ولو شاء غدا ... كل مكي غريقا في دماه
وغدا يجني رءوسا اينعت ... في القصاص العدل للناس حياة
ومن العفو ضرار واذى ... ومن العفو عقاب للجناة

***

حل ركب المصطفى في يثرب ... كيف لا والله يرعى من رعاه ؟
رحبت يثرب بل القت على ... اذن الدهر هتافا فوعاه
«طلع البدر» نشيد خالد ... كلما ردده الدهر شجاه
بشر الشرك بموت عاجل ... ايها الشرك دنا يوم الوفاة
ايها الانصار هذا يومكم ... ياسيوف الله في حرب الطغاة
اذكرى يابدر ما شاهدته ... من جنود الله في حرب عداه
واحك يا ايوان كسرى للورى ... ذلك البرج المعلى من محاه ؟
وارو يايرموك ماذا صنعت ... برءوس الروم اسياف الكماة

***

يا طريدا ملأ الدنيا اسمه ... وغدا لحنا على كل الشفاه
وغدت سيرته انشودة ... يتلقاها رواة عن رواة
ليت شعرى هل درى من طاردوا ... عابدوا اللات واتباع مناة ؟
هل درت من طاردته امة ... هبل معبودها شاهت وشاه ؟
طاردت في الغار من بواها ... مقعدا لا يبلغ النجم مداه
طاردت في البيد من شاد لها ... دينه في الارض جاها اى جاه
سؤدد عالى الذرا ماشاده ... قيصر يوما ولا كسرى بناه
وراى التاريخ ما اذهله ... فانثنى من دهشة يفغر فاه
هاله فتح ترامى افقه ... واذان ردد الكون صداه
ومحاريب بشرق الارض او ... غربها تشدو بتكبير للاله
يهرع الناس اليها زمرا ... كلما نادى المنادى للصلاة
اى دين ذلك الدين الذى ... حول الافكار عن كل اتجاه
صهر الانفس حتى لم تعد ... تدرك الانفس شيئا ماعداه
كم أب خاصم في الله ابنه ... واخ حارب في الله اخاه
باسمه أمسي يسوس الارض من ... يحلب النوق ومن يرعى الشياه
ويجوب البحر من لم يره ... غير طيف من خيال في كراه
ناشرا من فوقه اعلامه ... تفزع العقبان منها والبزاة

***

لم يكن طه لعمرى ساحرا ... يخرق العادات او يتلو رقاه
كل ما جاء به من معجز ... سحر الالباب قرآن تلاه
مرسل نال بآى الذكر ما ... لم ينل من قبل موسي بعصاه
وحد العرب وكانوا بددا ... كهشيم النبت من شاء رعاه
قوة كامنة اخرجها ... مثلما يخرج طلع من نواة
فاذا التيجان تهوى واذا ... برعاة الابل للدنيا رعاة

محمود غنيم



بين مسلم و مسيحي في قصة مصرية



بقلم عباس خضر

جرى الأمر في الاسلام – تشريعا وتاريخا – أن العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب ولا سيما المسيحيين، علاقة أخوة ومودة وتعايش وتعاون .

فالشريعة السمحاء قالت : لهم من الحقوق مالنا ، وعليهم من الواجبات والتبعات ما علينا .

وكان مدار التعايش السلمي على أن لكل عبادته وشعائره يؤديها كما يشاء في حرية كاملة ، **تقوم الكنيسة كما يقوم الجامع ، وتدق الأجراس كما يرتفع صوت المؤذن ، لا ينكر أحد على أحد شيئا من أمر دينه وعبادته .**

أما المعاملات والعلاقات الدنيوية فهي موحدة بين الجميع ، تجرى احكامها على الفريقين كما تجرى احكام الدستور والقانون على أفراد مجتمع يسوده العدل والحرية والاخاء .

والواقع التاريخي ينطق بأن المجتمع الاسلامي في مختلف العصور والبلدان لم يعرف فرقة أو نزاعا جماعيا بين المسلمين والمسيحيين ، فان حدث شيء فردي فسرعان ما يستنكره المجتمع من الفريقين ، ويعود المنحرفان عن الجادة الى الطريق المستقيم .

عرفنا في تاريخنا كثيرا من المسيحيين الذين برزوا في نواح مختلفة كالأدب والشعر والعلم والطب ، وكان لهم قدر واعتبار كأمثالهم من المسلمين ، وكان الخلفاء يقربونهم ويولونهم ماهم له أهل من عناية ورعاية ، ويسندون اليهم مايناسبهم من الأعمال والمناصب .

وعرفنا في تاريخنا المصري خاصة ماكان من تعاون وتكتل قومي رائع بين المسلمين والمسيحيين ضد الغزو الصليبي الذي خرج على روح المسيحية السمحة المسالمة ، على نحو ما جلاه في تصوير أدبي جميل الاخ يعقوب الشاروني في مسرحيته « أبطال بلدنا » التي كافأه عليها المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب ، وقد جرى صراعها المسرحي على الدفاع عن المنصورة وانتهى بنصر المصريين وأسر لويس التاسع .

وامتد ذلك التكتل القومي بين مسلمي مصر ومسيحييها الى العصر الحديث في مقاومة الاستعمار سليل الصليبية العمياء ، وبلغ قمته في ثورة ١٩١٩ التي صهرت كل طوائف المجتمع المصري وجميع طبقاته في بوتقة الوطنية الحارة الصادقة ، واخرجت من الجميع مركبا صلدا لايعرف العنصرية ولا يعتريه التفكك .

بعد تلك المقدمة – التي هي في الحقيقة لب الموضوع – نسوق **واقعة** قصصية ضمنها الكاتب المصري المسيحي « عيسى عبيد » قصة من قصصه التي كتبها في أعقاب ثورة سنة ١٩١٩ .

وقد صور عيسى عبيد ما حدث بين تاجرين أحدهما مسلم والآخر مسيحي ، في خلال الثورة ، تصويرا يقوم على مذهب جديد في الأدب كان قد أخذ فيه – دعوة وتطبيقا – هو وأنداده من الكتاب الذين أخذوا على عواتقهم أن ينشئوا فنا قصصيا في الأدب العربي الحديث .

ذلك المذهب هو ما سمي بعد ذلك في العربية بالمذهب الواقعي ، وكانوا هم يطلقون عليه « **مذهب الحقائق** » مقابل كلمة « الريالزم » الاجنبية .

يقوم « مذهب الحقائق » كما يقول عيسى عبيد « **على دعامة الملاحظة والتحليل النفسي الراميين الى تصوير الحياة كما هي بلا مبالغة أو تقصير أي الحياة العارية المجردة** » ويعلل ذلك بأن للتصوير الصادق أثرا بالغا في نفس القارىء . لانه يجعله يشعر

بصحة الرواية المأخوذة عن الحياة وبحقيقة وجود الشخصيات المصورة .

وكان يرمي مذهب الحقائق الى ما يعبر عنه عيسى عبيد بقوله « **على أننا فى ابان نهضة كبيرة اوجدتها حركتنا الوطنية ، ومن شان النهضة ان تحدث عادة انقلابا فى العادات والتقاليد وتغيرا فى الميول والافكار ، وقد ظهر اثر ذلك فى كتابة كثير من كتاب الناشئة الجديدة** » الى ان يقول عن هؤلاء الكتاب الناشئين انهم « **متطلعون الى آداب جديدة** تضارع **الآداب الغربية بالصفة العلمية والطريقة التحليلية والمرامي الفنية ، وهذا مما يثلج صدورنا ويفعم نفوسنا بالأمل الكبير من نجاح قصصنا ورواياتنا العصرية المصرية ، لأن غايتنا منها ايجاد أدب مصري موسوم بطابع شخصيتنا المصرية ويمثل حياتنا الاجتماعية والنفسية والوطنية** » .

وطبقا لتلك الأسس – من حيث السياق الواقعي الصادق ومن حيث القصد الى أدب يعبر عن الشخصية المصرية – صور لنا الكاتب ما حدث بين المسلم والمسيحي هذا التصوير الدقيق المطابق للواقع في خلال الانتفاضة الوطنية ، الرامي الى الهدف العظيم **هدف التكتل والتعاون والتواد بين عنصري الأمة الثائرة على قيود الاستعمار** .

القصة عنوانها « **مذكرات حكمت هانم** » وهي آخر قصة في مجموعة «احسان هانم» – تقول **البطلة في احدى مذكراتها بتاريخ أول ابريل سنة ١٩١٩ :**

وقع شجار هائل بين المعلم مسيحة والشيخ عبد ربه ، فقد انفجرت مرة أخرى بشكل مريع ، تلك العداوة القديمة ، عداوة الحرفة والمنافسة المستحكمة بين هذين البائعين ، واشترك في الشجار افراد عائلة كل منهما ، حتى سالت الدماء . وانجلت المعركة عن اصابة الشيخ عبد ربه بجرح بليغ في رأسه من حجر رمي به ، وبكسر ضرسين من فك المعلم مسيحة من اثر ضربة « روسية » .

وكان قد خاف العقلاء من تجار الحي والجيران نتيجة عداوة هذين الرجلين المتباينين في الدين ، لئلا ينسب أعداؤنا عداوتهما الى التعصب الديني ، فتدخلوا بينهما مرارا لحسم النزاع وحملهما على المصافحة ، الا انهم في كل مرة كانوا يصطدمون بقوة عنادهما الغبي وما وضعه كل منهما شرطا للصلح .

فقد كان التاجر المسلم يطلب مصرا أن ينقل المعلم مسيحة حانوته الى حي آخر ، بحجة انه يأخذ منه عملاءه ويذيع عنه اشاعات مضرة بسمعته ورواج بضاعته .

وكان التاجر القبطي يطلب عين الطلب لاقدميته . وكلاهما يرى في قبول هذا الشرط ثلما لكرامته .

وأدى شجارهما في هذه المرة الى تدخل البوليس، ففتح لهما محضرا .

وفي مذكرة أخرى بتاريخ ٧ ابريل كتبت حكمت هانم : اصبحنا اليوم واذ بحركة غير عادية في الشوارع . شاهدت اناسا مختلفي السحن والأزياء يسيرون زرافات وجماعات ، تدل سيماهم على الفرح والسرور يحملون من الأعلام المصرية مختلف الاحجام ، وكنت أسمع أصوات هتافات بعيدة صادرة بلا شك من جوف المدينة ، وعبثا حاولت معرفة ما يهتفون به ، واذا بجماعة من الطلبة أخذوا في حينا يسيرون صفوفا منتظمة متراصة متتابعة ، **يسير في مقدمتهم واحد منهم يحمل علما مصريا كبيرا رسم عليه الصليب بعانق الهلال ، وكتب تحت هذا الرمز الوطني « يحيا الاستقلال التام »** .

وتقول حكمت هانم بعد ذلك انها خرجت مع صاحباتها في مظاهرة نسائية .. الى أن تقول :

وما كدنا نصل الى الشارع حتى استرعى نظرنا منظر مؤثر للغاية . فقد رأينا الشيخ عبد ربه يعانق المعلم مسيحة قائلا بنشوة فرح اختلجت لها عضلاته : نحن اخوة يا معلم مسيحة ، لا يحق لنا أن نتشاجر ، ورأينا القبطي يقبله ويضمه الى صدره كأنه يعانق اخا له لم يره منذ سنين عديدة .

واجتمع حولهما جمع غفير يصفق لهذه العواطف الوطنية المتجلية بأبهى مظاهرها والمثيرة في النفس نشوة طرب واعجاب . وكان القوم يهتفون بكل ما فيهم من قوة : **يحيا الاتحاد** .

التفت عندئذ الى رفيقاتي فوجدت الدمع يترقرق في أعينهن الطاهرة .

حتى في النكسة الوطنية التي حدثت بعد ذلك وتمثلت في الصراع بين الأحزاب والتكالب على الحكم والنفوذ واقتناء الثروات .. حتى في هذا تعاون العنصران .. فكنا نراهما في كل حزب مترابطين متعاونين .. على الخير وعلى الشر !

وبعد: فان الاسلام الذي يحرر هذا العدد الممتاز من « الرسالة » لابراز مواقفه ومثله وقيمه – انما تتم صورته الاجتماعية بتجلية روحه العظيمة التي ضمت بين أحضانها العنصرين في مجتمع واحد متكافل ، يعمل العنصران فيه باعتبارهما عنصرا واحدا لا انفصام له ولا تمايز فيه .

عباس خضر



احتفال الفاطميين بالعام الهجرى

بقلم حسن عبد الوهاب



الاحتفال بذكرى الهجرة من أعياد الاسلام . فقد روى الفاكهى أن عمر بن الخطاب كان يصيح فى أهل مكة ويقول :

« يا أهل مكة أوقدوا ليلة هلال المحرم فاوضحوا فجاجكم لحاج بيت الله ، واحرسوهم ليلة هلال المحرم حتى يصبحوا » .

وهو من أعياد مصر الاسلامية التى وضع أسسها وقواعدها خلفاء الدولة الفاطمية منذ اكثر من الف عام . تلك الدولة التى كانت أيام حكمها مواسم وأعيادا بما ابتكروه من حفلات جمعت بين جلال الخلافة وطرب الشعب . وكثير من الحفلات والتقاليد الباقية بمصر حتى الآن مدين بظهوره الى هذه الدولة.

كان خلفاء هذه الدولة يحتفلون بموسم رأس السنة **(ليلة المحرم) وبموسم أول العام (أول المحرم) ويتخذون اهبة الاستعداد لهذين الاحتفالين من العشر الأخير من شهر ذى الحجة فتصدر التعليمات الى رؤساء خزائن الأسلحة والمجوهرات والملابس ، والركائب والموسيقى باعداد ما يلزم للاحتفال بهذا اليوم . وفى الوقت نفسه تكون دار الضرب جارية سك النقود بتاريخ العام الجديد «وتعرف بنقود الغرة» لتوزيعها فى أول العام .**

وفى اليوم الأخير من السنة يستعرض الخليفة تجربة الاحتفال فيجلس فى شرفة القصر الكبير ويستعرض موكب الاحتفال بكامل هيئته . ويسمى يوم عرض الخيل . ثم يستقبل كبار رجال الدولة والعلماء والقضاء فيفتتح الحفل بتلاوة آى الذكر الحكيم كما يختم بتلاوته .

فاذا صلى الخليفة الظهر بعد انفضاض هذا الاستعراض تعرض عليه الملابس والجواهر التى يلبسها يوم الاحتفال وتكون عادة بيضاء موشحة مع شدة الوقار والدرة اليتيمة وما حولها من جواهر وياقوت .

ثم يذاع على سكان مصر والقاهرة برنامج مرور الموكب منذ خروجه من القصر الى عودته اليه . فلا يصبح أول العام الا اجتمع أهل مصر والقاهرة حكومة وشعبا للمشاركة فى هذا الاحتفال .

فاذا حلت ليلة رأس السنة تكون مطابخ القصر أعدت عددا كبيرا من الخراف المشوية من جفان اللبن والخبز وأنواع الحلوى لتوزيعها كما توزع الصدقات على الفقراء فيعم الخير سائر الناس من سكان مصر والقاهرة .

موكب الاحتفال بأول العام :

فى هذا اليوم يخرج الخليفة من القصر راكبا بملابسه وجواهره ومظلته وأعلامه وحوله خاصته وكبار موظفى الدولة وقادة الجيش وحاملو المظلة . فاذا أهل من باب القصر نفخ جندى فى بوق مذهب معوج الرأس فتليه بقية الأبواق ايذانا بتحرك الموكب وتنشر المظلة ويسير الموكب من داخل القصر فيخرج الخليفة راكبا فرسه ماشية على بسط خشية أن تنزلق على الرخام ، ويسير الموكب وحول الخليفة الأعلام الحريرية وقد كتب عليها «نصر من الله وفتح قريب» ، تتقدمه الموسيقى والجنود ما بين مشاة وركبان على

خيولهم المطهمة بأنواع الحرير الملون والمزخرف وأطواق الذهب والفضة . ويشترك فى هذا الاحتفال رجال الأسطول .

فى هذا اليوم يشترك تجار وسكان القاهرة ومصر فى هذا الاحتفال فيزينون حوانيتهم ودورهم ويصطفون على جانبى طريق مرور الموكب .

ويتولى الاشراف على تنسيق هذا الموكب ومروره والى القاهرة ، ويظل الموكب سائرا من القصر الى باب النصر ثم ينعطف مع سور القاهرة الى باب الفتوح فيدخل منه قاصدا القصر حيث يكون مقدم المهرجان مصطفا على جانبى الطريق فيمر الخليفة بينهم حتى يدخل القصر فيوزع نقود الغرة المضروبة بتاريخ العام الجديد من دنانير ورباعيات وقراريط ، وتبلغ نحو ثلاثة آلاف دينار .

ثم توزع الأطعمة ما بين خراف مشوية وزبادى طعام وقوالب حلوى وخبز وقاتيل حلوى وارز بلبن .

هذا عدا الموائد التى تمد بالقصر فيعم الخير والصدقات جميع الناس .

وقد ظل الاحتفال بذكرى الهجرة موضع العناية من الحكومات المتعاقبة على حكم مصر . وفيه تعطل مصالح الحكومة ومعاهدها وتضاء المنارات وتقام الحفلات وتتبادل التهانى .

وقديما اهتم الشعراء بنظم أبيات من الشعر شطرها الأخير يتضمن السنة الجديدة بحساب الجمل

ومن ذلك ما انشده الشيخ محمد شهاب الدين شاعر مصر فى القرن التاسع عشر ، فى سنة ١٢٧١هـ

والعام وافانا عموما بالمنى
اذ ارخوه به المسرة اقبلت

وانشد ايضا فى سنة ١٢٧٢ هجرية :

سمح الدهر بالتصافى ووالى
فى لياليه بالمنى والأمان

والتهانى نادتك ان قل وارخ
جاد ربى بعام خير الزمان

ومن قصيدة لشاعر القطرين المغفور له خليل مطران القاها فى الاحتفال برأس سنة ١٣٢٩ هـ ١٩١١ مطلعها :

هل الهلال فحيوا طالع العيد
حيوا البشير بتحقيق المواعيد

ومنها :

عانى محمد ما عانى بهجرته
لمآرب فى سبيل الله محمود

كم غزاة وكم حرب تجشمها
حتى يعود بتمكين وتاييد

كذا الحياة جهاد والجهاد على
قدر الحياة ومن فادى بها فودى

ومنها :

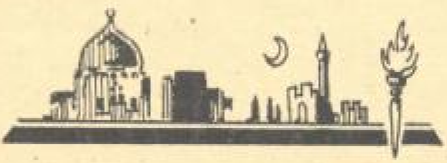
أبناء مصر عليكم واجب جلل
لبعث مجد قديم العهد مفقود

فليرجع الشرق مرفوع المقام بكم
ولتزه مصر بكم مرفوعة الجيد

وختامها :

بدا الفلاح وفى هذا الهلال لكم
بشرى التمام لوقت غير محدود

حسن عبد الوهاب



تراثنا العربى والإسلامى فى المسرح

بقلم عبد الفتاح البارودى

ماذا يمنع المؤلفين والفنانين من استلهام تراثنا وتاريخنا فى اعمال فنية ضخمة؟! الم يعثروا فى تراثنا كله وتاريخنا كله على موضوع واحد يصلح لتكييفه فنيا او تفسير ، أو اعادة صياغته أو تقديمه فى مسرحيات وافلام وتمثيليات اذاعية وتليفزيونية واوبريتات وسيمفونيات .. الخ ؟!.



ان مؤلفي وفنانى الغرب تناولوا ولايزالون يتناولون تراثهم تناولا فنيا فى صور متعددة ، حتى ليخيل الينا انه لم يبق فيه موضوع واحد لم يتحول الى عمل فنى ، فلماذا لم نفعل مثلهم ؟! هذه مشكلة فنية تحتاج الى بحث عميق ، لاننا اذا كنا فى الماضى لم نمارس هذه الفنون ، فاننا الآن نمارسها ، ومن اللازم ان يشترك المفكرون المتخصصون فى مواجهة هذه المشكلة كضرورة فنية .

ولا أريد ان اتعرض للبحوث التى تناقشها مناقشة جدلية ، او التى تدور حولها ولا تنفذ اليها ، أو التى تثيرها باساليب روتينية ، وتحصرها بتزمت شديد فى الخلاف ـ مثلا ـ حول تصوير او تجسيد الشخصيات الدينية ، فهذه وما اليها قضايا وان كان من اللازم مناقشتها الا انها قضايا فرعية ، وانما المشكلة الرئيسية هى : لماذا لم نحاول ممارسة عملية الاستلهام الفنى ؟! افرض ان من المتعذر او حتى من المستحيل تجسيد بعض الشخصيات الدينية ، فلماذا لم نتناول غيرها من الشخصيات ؟ ولماذا لم نفكر فى تناول الاحداث نفسها ؟!

المدهش ان فى تراثنا وتاريخنا موضوعات فى غاية الخصوبة والدسومة والغنى الفنى .. وانا لا احكم بهذا بلا دليل .. راجع انتاج ادباء وفنانى الغرب وستجد بسهولة ان كثيرين منهم استلهموا هذه الموضوعات التى هى بالطبع موضوعاتنا ، وكان خليقا بنا ان نستلهمها .. فمثلا فولتير وزملاؤه اتجهوا الى بيئتنا ووجدوا فى احداثها وشخصياتها مادة حولوها الى قصص ، والعجيب اننا لم نفعل مثلهم ، وكل ما فعلناه هو اننا بدانا نترجم هذه القصص الى لغتنا ، مع ان المادة الأصلية من عندنا .. أيضا فى الموسيقى نجد ان رمسكى كورساكوف وزملاؤه اتجهوا الى بيئتنا ووجدوا فيها مادة حولوها الى اعمال موسيقية كبيرة ، والعجيب اننا لم نحاول تقديم اعمال مماثلة ، ولا نزال للآن ننظر الى اعمالهم وكانها طلاسم او معجزات .. وهكذا فى المسرح والاوبرا والاوبريت ومختلف الفنون ... كيف وصلوا الى هذا المستوى الذى سمح لهم بخلق اعمال فنية مستلهمة من تراثنا وتاريخنا ؟ ولماذا عجزنا نحن عن مجاراتهم فى هذه المجالات الفنية ؟!

لكى نصل الى الحقيقة يجب ان نكتشف اسباب هذا العجز .. ان البحث المقارن هو اسهل الطرق وانعلها فى تحديد معالم هذه المشكلة ... قارن بين مصادرهم ومصادرنا بصفة عامة ... ستجد عندهم مثلا ان مؤلفات بلوتارك فى التاريخ كانت مادة

للروائيين والمسرحيين .. ونحن عرفنا هذه المؤلفات، وايضا عندنا مؤلفات مماثلة ، ومهما يكن التفاوت بينها او مهما تختلف فى قيمتها فانها مصادر تصلح للاستلهام، ولكن ليس لدينا او لم يكن لدينا مؤلفون او روائيون او مسرحيون .. والأساطير والملاحم والغزوات والحروب وجدوا فيها مادة غنية للفن وحولوها الى اعمال فنية ضخمة، وما زالوا يجدون فيها مادة فنية للآن . فهل اجدبت بيئتنا من الأساطير والملاحم والغزوات؟ ان غزوات الاسكندر استلهمها راسين فى مسرحياته ، وحروب طروادة والأحداث التى سجلها هوميروس فى الالياذة الهمت كل مؤلفى الاغريق وحولوها الى تراجيديات هى للآن اروع ما عرفه المسرح من تراجيديات ، وهى للآن دليل عبقرية اسكيلوس وسوفوكليس ويوريبيدز ، ومن بعدهم استمرت هذه المصادر مادة فنية لكبار المؤلفين .. فمثلا قصة « الكترا » التى تناولها هؤلاء الثلاثة العظام فى المسرح الاغريقى العريق، تناولها فى المسرح الحديث سارتر وجان جيرودو ويوجين اونيل، بل ان السينمائيين تناولوها فى فيلم سينمائى شاهدناه منذ وقت قريب .. وقصص اوديب واورست واجاممنون واندروماك ، وكل قصص الالياذة ، ومختلف الاساطير والملاحم وسائر المصادر التى استلهمها الفنان القديم لا يزال يستلهمها الفنان الحديث بتفكير جديد ورؤية فلسفية جديدة ، ليس فى المسرح فقط بل فى مختلف الفنون .. فمثلا فى الموسيقى كانت هذه المصادر نفسها وغيرها مصادر موسيقية ، ولا تزال كذلك .. لماذا لم نفعل ذلك فى اساطيرنا وملاحمنا ؟

ان لدينا المادة ، ولكن لم يولد فى بيئتنا امثال سوفوكليس فى العصر القديم ، او امثال راسين ، او امثال سارتر فى العصر الحديث..وطبعا لا اقصد بالميلاد ميلاد الاشخاص ، بل ميلاد او تكوين التفكير الفنى .. جائز ان نفترض ان هناك فوارق بين مصادرهم ومصادرنا ... جائز ان نفترض ان مصادرهم اكثر ايحاء فنيا من مصادرنا ، وهذه من الناحية العلمية نقطة تستحق البحث المقارن ، لولا ان هناك مصادر مشتركة استلهموها فى الفن ولم نستلهمها .. لماذا ؟ لنبدأ البحث بمحاولة الاجابة على هذا السؤال ، لان المقارنة هنا يمكن ان تكون اكثر وضوحا واكثر دلالة .. نبتعد عن تراثهم وعن المصادر المرتبطة اصلا ببيئتهم ، ونأخذ امثلة من المصادر المرتبطة ببيئتنا.. خذ مثلا القصص الدينية .. طبعا لا جدال فى انها نشأت اصلا – كلها بلا استثناء – فى بيئتنا ، فلماذا تناولوها فنيا ولم نتناولها ؟!

ان قصة نوح استمد منها المسرحيون روايات كثيرة ، وآخرها رواية ظهرت منذ ثلاث سنوات على المسرح الانجليزى باسم « سفينة نوح » ، ومع ان مؤلف هذه الرواية قدم فيها تفسيرات جديدة، الا ان التناول الفنى للفكرة نفسها بدأ ظهوره منذ حوالى ٨٠٠ سنة ، عندما بدأت القصص الدينية تنتقل من الكنيسة الى خارجها ، اى عندما بدأ يظهر المسرح الدينى ، ويمثل هذه القصص فى اداء فنى كان بدائيا اول الأمر ثم اخذ يتطور وينمو تدريجيا حتى اكتملت عناصره الفنية ... فمثلا قصة نوح بدأ تمثيلها فى « حوار » وبملابس معينة قصد بها ابراز ملامح الشخصيات، فكانت شخصية زوجة نوح تظهر فى ملابس تساعد على توضيح معالم هذه الشخصية .. وكانت القصة تمثل امام الجمهور فى صورة مناقشة حوارية بين نوح وزوجته لتوضيح موقف كل منهما من الاخر ، وتبدأ المناقشة بان يدعوها الى الانضمام الى سفينته ، ولكنها ترفض وتقول له انها لن تغادر مكانها واهلها ، وان اهلها لن يغرقوا ، وان عليه هو ان يبقى معهم ، او يقلع بسفينته حيثما يشاء ويبحث عن زوجة جديدة !! وهنا يتغير المشهد ويدور الحوار بين نوح وابنه ، ويقول له نوح ان امه غاضبة ، ويرسله اليها ليعيد عليها دعوة نوح لها للانضمام الى السفينة ... ويتغير المشهد مرة اخرى ، ويتغير الحوار ... وهكذا .

هذه المسرحية القصيرة المبسطة سجلها «الاراديس نيكول» فى كتابه « الدراما الانجليزية » ، ولست الآن بصدد مناقشة تفاصيلها ، وانما اذكرها كمثل يوضح كيف استلهم فنان العصور الوسطى مثل هذه القصص وحولها الى رواية فيها الحوار المسرحى والصراع والاداء المسرحى بشكل مبسط وارتجالى ..

ان معظم القصص الدينية عولجت بهذا الشكل ، وتطورت هذه المعالجة من المرحلة البدائية الى

المرحلة الناضجة بالتـدريج ، وبمواصلة الممارسـة الفنية ، ونتيجة لذلك دخلت فيها عناصر التعبير الفنى والاداء الفنى ، وشيئا فشيئا ظهر الفنان الذى استلهم من هـذه الموضوعات موضـوعات فنيـة ، وبالتـدريج نما الحـوار واغتنى وتعددت الوانه ، وتضخم العـرض الفنى فتكون الممثـل ، وتضخم الاحساس الفنى فتكون الجمهور المسرحى، وهكذا كانت هذه القصص من المواد الاسـاسية لتكوين المسرح الدينى ، وكان هـذا المسرح من اهم اسس المسرح الأوروبى الذى انتقل من معالجة الموضوعات الدينية الى معالجة موضوعات ومشكلات الحياة ، وانما المهم ـ فى بحثنا هـذا ـ ان التنـاول الفنى للموضوعات الدينية خلق « الرؤية الفنية »

وإذن فالسـؤال هو : لماذا لم تظهـر « الرؤية الفنية » عندنا ؟ ان استقصاء اسباب عدم ظهورها يؤدى بنا الى معالجة هذه الأسباب .. وفعلا حاول كثيرون من المفكرين استقصـاءها ولكننا لم نصـل بعد الى معرفة حقيقة هذه المشكلة ، ومن واجبنـا ان نواصل البحث ، ليس لمجرد معـرفة اسـباب عدم ظهورالرؤيةالفنية فى بيئتنا،بل أيضا لاحتياجنا الى هذه الرؤية الآن بعد ان اصبحنا نمارس المسرح وماتولد منه وتفرع عليه من فنون.. وامامنا شواهد ثابتة نستطيع أن نبدأ البحث منها .. امامنا ـ مثلا ـ مؤلفات ارسطو .. اننا فى الماضى ترجمنا بعض هذه المؤلفات ، واهمها بالنسـبة لموضوعنا كتـاب الخطابة وكتاب الشعر .. والغريب هنا ان فلاسفة العرب فهموا وشرحوا كتاب الخطابة، ولكنهم عجزوا عن فهم كتاب الشعر ، ولهذا لم يتـأثر به الفـن العربى ، رغم أنه اهم المراجع التى جمعت وفسرت قواعد فن المسرح .. ان مجرد فهم هذا الكتـاب لا يخلق الرؤية الفنية ، ولكن عدم فهمه يدل ـ على الاقل ـ على اختلاف المفهومات الفنيـة بيننا وبين الأوروبيين ، ليس لأنهم أوروبيـون ، بل لأنهـم يمارسون الفنون المسرحية ، ويقيمون مسرحهم على اسـاس قواعد ارسطو والقواعد التى تطورت منها .

ولكن هل فهم قواعد ارسـطو يحل مشكلتنا ؟ أبدا .. ان فهمها ضرورة فنيـة ، ولكن الأهم هو تغيير مفهوماتنا الفنية بحيث تتوفر لدينا « الرؤية الفنية » ونصبح قادرين على التناول الفنى لتراثنا وأحداث تاريخنا وأحداث حياتنا ... ولقد حاولنا فعلا بعد أن نقل المسرح الى بيئتنا أن نستلهم تراثنا وتاريخنا ، وفعلا ظهرت محـاولات اشـترك فيها كثيرون من شعرائنا وادبائنا مثل شـوقى وعزيز اباظه ومحمـود تيمـور وتوفيق الحكيم وباكثير ، وشهد مسرحنا روايات عن الحجاج وصقر قريش ومجنون ليلى والحاكم بامر الله ومضحك الخليفة، وكذلك شهد مسرحنا روايات عن أحداث اسـلامية وأحداث تاريخية ، بل اننـا فى هذا الموسم بالذات شاهدنا اعمالا مسرحية مستوحاة من التراث الأدبى وقدمت باسم « حلاق بغداد » ، بل اكثر من هـذا اننا بدانا نشـهد افلاما سينمائية مسـتوحاة من الأحداث الاسلامية والتاريخ الاسلامى ، مثل الفيلم الذى اعد من كتاب الدكتور طه حسين (الوعـد الحق) وعرض منذ سنوات ، ومثل الفيلم الذى ظهر فى هذا الموسم بعنوان « هجرة الرسول » ، وكذلك ظهرت اعمال اذاعية مثل محاولات محمد على ماهر ، واعمال تليفزيونية فى صورة تمثيليات لرشاد حجازى وغيره من المؤلفين .. ان كل هذه المحاولات المتفاوتة فى قيمتها الفنية تدل على اننا بدانا نستلهم تراثنـا وتاريخنا استلهاما فنيـا ، ولـكن بعضها محاولات خطابية أو غير ناضـجة ، ولا تزال بصفة عامة فى حـاجة الى تصحيح المفهـومات الفنيـة ، وتعميق الرؤية الفنية ، وفهم علاقة التاريخ بالفن ، وعلاقة الشعر بالمسرح ، ومعرفة الشـعر كتعبير درامى ، وخلق الاحسـاس الدرامى

عندئذ نستطيع ان نضيف الى المحاولات الجيدة محاولات اكثر عمقـا وادق فنا ، لنستلهم تراثنـا وتاريخنا استلهاما اكثر خبرة .. ان قصة الهجـرة وما فيها من كفاح وايمان ومعان انسانية ، وقصص كفاح المسلمين وانتصاراتهم ، ثم الغزوات والملاحم والأحـداث التى يحفل بها تاريخنـا ، والأبطال الشعبيون ، ومؤلفات الأدباء .. الخ .. فى كل هذا مادة غنية جدا يمكن أن تستلهم وتتحول الى قصص ومسرحيـات واوبرات واوبريتات واعمـال فنيـة والحان موسيقية وعروض فنية شعبية ... لدينا المادة ، ولكن أين الفنانون واين المفكرون ؟!

عبد الفتاح البارودى

المعاني الحية في الهجرة

بقلم: محمد عبد الله السمان





لا يختلف اثنان فى أن الهجرة كانت نقطة تحول فى تاريخ الدعوة الاسلامية ، دعت اليها كل ظروفها وأحوالها ، هذه الظروف والأحوال التي أكدت انه لا استقرار للدعوة فى تربة قاحلة كتربة مكة ، ولا اطمئنان لهـا فى عقليات كعقليات اهلهـا ، تملكتها تقـاليد موروثة لا تمت الى المنطق السـليم بصلة ، وسيطرت عليها مئات السنين وثنية حمقاء رانت على القلوب حتى أضلتها ، وغشيت البصـائر حتى أعمتها ، وتكاثفت على النفوس حتى أفسدتها .

ان طبيعة الدعوة أن تنتشر لا أن تحتجز ، وأن تغزو آفاقا جديدة ترحب بها ، لا أن يحجر عليها فى بيئة ضيقة تضيق بهـا . **والسنوات** التى اربت على العشر ، والتى قضتهـا الدعوة بمكة ، كانت بمثابة تجربة ، اقتصر النجاح فيهـا على اعداد فئـة قليلة للايمان بها ايمانا راسخا لم يعرف الوهن فى أحلك ظروف البطش والطغيان ، ولم يتطرق اليـه اليأس فى أعنف حالات التنكيل والارهاب . **هـذه** الفئـة القليلة التى لم تكن سوى خليط من الرقيق الغرباء والمستضعفين ، وان استطاعت أن تحتفظ على الدعوة قوتها بايمانها وصبرها وطاقة احتمالها ، **الا** أنهـا لم تكن متكافئة مع قوى الشر فى عنفوان جبروتها ، وأعلى مراحل عنادها ، ولذلك ظل الصراع فى الفترة المكية بين الـكفر والايمان صراعا فى المبادىء ، "ولو قدر للدعوة أن تصر على البقاء فى مكة ، لاحتاجت الى عشرات السنين فى كفاح متواصل مر ، ونضال دائب مستمر ، حتى تتمكن من ايجـاد قوة مادية تصـون بقاءها ، وتذود عن كيانها ، **ولو** كان هدف الدعوة الاسـلامية يقف عند حد اصـلاح النفوس ، وهدى العقول فى مكة وما حولها، واجلاء الوثنية عن أرضها لتحل مكانها الوحدانية الصافية ، لاستوى لدى هذه الدعوة السنوات المعدودة ، والقرون الطويلة ، ولما كان للزمن شأن فى حسابها .

ولكن هدف الدعوة الاسلامية شيء أكبر من هذا، انها دعوة تهدف **الى** اقامة أمة موحدة على الحق ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله . **والى** تأسيس دولة ذات شأن ترتفع بالانسانية الى المستوى اللائق بها ، تنشر الخير فى سائر البقاع ليعيش مع الانسانية جنبا الى جنب . **ودعوة** هـذا هدفها ، لا بد لهـا من مرحلة تحول وانطلاق ، حتى لو كان الأمل كبيرا فى أن تؤمن مكة بأسرها ، وأن تذل لهـا رقاب سادتها وكبرائها .

ومن الخطأ أن نفهم أن الهجرة كانت فـكرة طارئة نباتا وتنفيـذا ، **كيف ذلك ؟** وفـكرتها رسخت فى الأذهان منـذ السنة الخامسـة من المبعث ، والسنة الثـانية من اظهـار الدعوة ، حيث أذن الرسـول ـ صلوات الله عليـه ـ لبعض أصحابه بالهجرة الى أرض الحبشة ، لأن بها ملكا لا يضيع الحق عنده،وكان أن هاجر أحد عشر رجلا وأربع نسوة،ومعهم عثمان ابن عفان وزوجه رقية بنت الرسول نفسه ، ثم أذن بعد أربع سـنوات أخرى بالهجرة الى أرض الحبشة

أيضا لثلاثة وثمانين رجلا وثماني عشرة امرأة ، ولم تكن الهجرتان الى الحبشة الا ارهاصا لهجرة كبرى اعم واشمل ، وامتحانا للفئة المؤمنة في اعز شيء لديها بعد الايمان وهو الوطن .

وعندما نضجت الفكرة واستوت اتجهت الأنظار الى يثرب ، وقد كانت كل الدلائل ترشحها لتكون مهجرا للدعوة ، ومركزا للدولة الناشئة ، ودار أمن للعقيدة الجديدة ، **فبعض** من اهلها التقى بالرسول ـ وقد نفض يديه من مكة ـ في بيعة العقبة الأولى وفد مكون من ستة نفر ، وفي بيعة العقبة الثانية وفد مكون من اثنى عشر رجلا ، وفي بيعة العقبة الثالثة والأخيرة وفد مكون من ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين هما : **ام عمارة نسيبة بنت كعب ، وأسماء بنت عمرو بن عدي** ، واقام الرسول على هذا الوفد الأخير اثنى عشر نقيبا ، ثم أذن بعد ذلك لمؤمني مكة بالهجرة الى يثرب ، بعد أن غرس الايمان في تربتها ، وبعث مصعب بن عمير ليتولى هناك أمر الايمان والمؤمنين .

فهل لقائل بعد ذلك ان يقول : ان الهجرة وثيقة فرار أو جبن او ضعف ؟ الا اذا كان هذا القائل ، ليس مستعدا لأن يعي ما يقول ..

ان بين الاذن بالهجرة للمؤمنين من مكة الى يثرب، وبين هجرة الرسول زهاء عام بأكمله ، وينتقض ازاء ذلك أن الهجرة كانت وثبة مفاجئة لقريش ، التي فشلت محاولاتها في أن تعوق خط السير للهجرة خلال عام . فالهجرة نقطة تحول اتسم بطابع السرعة في تدبر وروية ، ولكن لا ننكر أن هجرة الرسول وصاحبه كانت مفاجأة ، وأي عيب في أن تحاط القيادة بالسرية التامة ؟

***

لقد تمت خطة الهجرة بنجاح تام ، وكان نجاحها **بداية** استقرار للدعوة الاسلامية ودولتها ، **ومرحلة** بناء لاستقلال شخصيتها ، **فعلينا** أن نتلمس من ذكرى الهجرة المعاني الحية العظيمة ، التي تشهد بأسمى المبادئ وأروع القيم ، هذه لمعاني الحية العظيمة تفوق الحصر ، ولا يتسع المجال الا للقطات سريعة تكون بمثابة مشاعل على طريق الهجرة .

فالرسول ـ صلوات الله عليه ـ يأذن لأتباعه أولا بالهجرة ، مؤثرا اياهم بالسلامة على نفسه ، في ظروف حالكة كانت مهيأة لأن يحدث فيها اي شيء ، حتى اذا اطمأن على اتباعه تتوق الى الهجرة ، ولم يبق بمكة غيره وأبو بكر ، وعلي والا من اعتقله المشركون كرها .

والرسول يترك عليا في مكة ، ليؤدي عنه مهمة ذات شأن ، وهي ايصال الودائع الى ذويها ، وجدير بشخصية عظيمة كرسول الله ألا تنسيها هذه الظروف المضطربة ـ ترعى للأمانة حقها .

وعندما اعد أبو بكر راحلتين : احداهما له والأخرى للرسول ، يأبى الرسول الا أن يدفع لأبي بكر ثمن الراحلة التي أعدها له ، لان الهجرة قربى الى الله ، ارادها الرسول خالصة له، ليس لأحد عليه فيها فضل الا الله .

وسراقة بن مالك ، يلاحق الرسول وأبا بكر بعد خروجهما من مكة ، مؤجرا من قريش ليقبض عليهما ، وشاءت ارادة الله أن يفشل سراقة مرات ، وفي كل مرة يسأل الرسول أن يدعو الله له بالخلاص مما أصابه ، حتى اذا استجاب الله له عاد الى غدره من جديد ، والرسول في هذا الجو المشحون بالقلق يتسع صدره لألاعيب سراقة ومناوراته ، حتى هدى الله سراقة فأسلم .

وحين يصل الرسول المدينة يفكر في أمرين خطيرين : **الأول** موادعة من بالمدينة من يهود، ليكسب للدعوة جوا مناسبا من الهدوء ، **والآخر** ، المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، ليضع اللبنات الأولى في وحدة الايمان ، التي فاقت وحدة الدم والنسب ، حيث كان المتآخون يتوارثون بهذا الاخاء ارثا مقدما على القرابة في بادئ الأمر ، حتى اذا بلغت أخوة الايمان أشدها نزلت آية الميراث لتعود الى الرحم مكانتها .

وبعد ـ فان كثيرا ممن يتناولون حادث الهجرة ، يشغفون أحيانا بسرد ما روي من خوارق فيه ، ويتوهمون انهم يطربون الاسماع بهذه الخوارق : أمثال نسج العنكبوت وبيض الحمام على باب الغار ، وفرس سراقة حين ساخت قوائمه في الأرض الصلبة وهو يتعقب الرسول وصاحبه ، وشاة أم معبد حين در لبنها ، وينسى هؤلاء أن مثل هذه الخوارق وان كانت على اعتبار صدقها تصقل الايمان وتثبت العقيدة ـ يجب الا تشغلنا عن آيات الله الكبرى ، المتمثلة **في تمكين** رسوله من الهجرة دون أن يمس بسوء ، **وفي تمكين** الدعوة المحمدية من أن تتسع آفاقها دون أن يعرقلها معرقل او تقف في طريقها عقبة، **ثم تمكين** أتباعها من المستضعفين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم من أن يعودوا الى الوطن بعد أعوام ثمانية فاتحين ليهللوا مع الرسول : **جاء الحق وزهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقا .**

اننا حين نحتفل ونحتفي بذكرى الهجرة ، يجب أن نفقه أن هذه الهجرة كانت نقطة تحول ، ومرحلة انطلاق للدعوة ، فيتحتم علينا أن تتجه اذهاننا الى معانيها الحية العظيمة ، ومعالي امورنا الفذة ، **والله ـ كما يقول الرسول الصادق ـ يحب معالي الامور ويكره سفسافها .**

محمد عبد الله السمان



مخطوط السبعين الموازينية

لجابر بن حيان الصوفي

بقلم : أحمد سعيد الدمرداش

تمهيد : لقد لبث الشرق أحقابا يخضع لغزو معنوى منظم ، عبثت له قوى الاقطاع المارده، وأجهزة الاستعمار الخبيثة ، وكان كل همها أن تعزل أبناءه عن تراثهم ، وأن تبترهم عن أصولهم ، فالحت على تاريخنا بالتشويه والتحريف والبتر ، حتى استطاعت لمدى قرون طويلة أن تحجب أضواءه ، وتطوى مفاخره ، وتمسخ أمجاده ، فعاشت أجيال منا فى عزلة رهيبة عن ماض لنا أغر ، أذهل الدنيا وبهر التاريخ .

وتجمعت كل هاتيك الروافد لتستقبل الجيل الحالى صاحب الغد ، فالقى نفسه مجذوبا الى الغرب، بحكم رواسب موروثة فى أعماق كيانه ، وبحكم خضوعه لذلك الغزو الفكرى الطويل المنظم ، وكان على رجال تاريخ العلم واجب لكى يقاوموا هذه الجاذبية ـ أن يقضوا أولا على هاتيك الرواسب قدر مايستطيعون ، وأن يعبئوا قواهم لاماطة الحجب عن العلماء والحكماء العرب والاسلاميين الذين أسهموا فى تثبيت دعائم الحضارة العربية .

لذلك قد اخترنا الكيميائى العربى الفيلسوف جابر بن حيان الصوفى ، الذى كان أول من بنى أصول الكيمياء النظرية ، فارتفع بها من مستوى كانت سداه الاحاجى والشعوذة ولحمته الدجل والسحر ، الى مستوى التفكير المنطقى السليم المبنى على المشاهدة والتجربة والاستقراء ، وقد ظلت أبحاثه ومؤلفاته ينبوعا دفاقا لهذا العلم منذ فجر الحضارة الاسلامية حتى فجر الحضارة الأوربية اذ ترجمت مخطوطاته الى اللاتينية وكانت تدرس فى جامعة بادوا بايطاليا وكامبردج بانجلترا حيث وجدت هذه التراجم اللاتينية المطبوعة ضمن مجموعات كتب العالم الانجليزى روبرت بويل وكذلك اسحاق نيوتن وغيرهما ، وعرف جابر فى أوربا باسم « جيبر » .

تاريخ حياته :

ولد جابر فى طرسوس أو طوس من بلاد خراسان عام ٧٢١ ميلادية . وكان والده يشتغل بصناعة العقاقير الطبية ، **وقد تلقى الحكمة وعلم الصنعة فى الكوفة على يد أستاذ يسمى حربى ، يذكره جابر فى بعض كتبه كما يذكر الامام جعفر الصادق الامام السادس للشيعة .**

فلما استتب الأمر لبنى العباس قربه البرامكة الى بلاط هارون الرشيد ، وقد عانى بعد ذلك من جراء التقرب الى البرامكة ماعانوا من فتك الرشيد بهم ، والبرامكة من أصل فارسى كانت مهمتهم فى الدولة الاسلامية كمهمة الاغريق فى الدولة الرومانية يحتاج اليهم القادة الجدد لخبرتهم وعلمهم ، ويخشون سمومهم الفتاكة فى الوقت نفسه ؛ لذلك تخلص منهم هارون الرشيد .

وقد فر جابر بعد ذلك الى الكوفة ، وظل فيها مختفيا ومنصرفا الى تحضير الاكسير لصحة هواتها كما ذكر ابن النديم فى فهرسته ، ولقد عاش الى عصر المأمون ، ومات حوالى ١٩٨ هجرية ؛ ويذكر ابن النديم أيضا أن أبا موسى جابر بن حيان كما كان يلقبه الرازى فى كتبه قد ألف ثلثمائة كتاب فى الفلسفة ، وألف وثلاثمائة رسالة فى الحيل والصنائع ومجموعة آلات الحرب ، ثم ألف فى الطب كتابا عظيما ، ثم ألف بعد ذلك فى الطب أيضا نحو خمسمائة رسالة مثل رسالة المجسة والتشريح ، ثم ألف أيضا كتبا فى المنطق على رأى ارسطاليس .. الخ ، والمعروف أنه لا يوجد منها الى الآن الا نحو

ثمانين كتابا في خزانات المكتبات العامة والخاصة في الشرق والغرب ، وأعمق المخطوطات التي ألفها في الكيمياء النظرية هو مخطوط السبعين الموازينية الذي نحن بصدد تلخيصه .

لم يظهر جابر على مسرح الحياة الا بعد أن درس **التراث العلمي الذي ورثته روح الحضارة الاسلامية من مراكز اشعاعية ثلاثة .**

١ ـ الفلسفة والعلوم التكنولوجية التي ترعرعت في مصر وبابل وآشور .

٢ ـ الفلسفة والحكمة من بلاد فارس والهند .

٣ ـ الفلسفة والعلوم الهيلينستية ومركزها انطاكية والرها وجنديسابور .

وقد تطور علم الكيمياء قبل جابر في البلاد العربية ، وفي هذه المراكز الاشعاعية بعد ان مر بثلاث مراحل حسب قول الفيلسوف كونت : ـ

المرحلة الاولى: وهي مرحلة الخرافات والميثولوجيا، حيث كان الاعتقاد يسود بان جميع الظواهر الكيميائية مبعثها الأرواح والشياطين .

والمرحلة الثانية : وهي مرحلة الفلسفة حيث بدا الانسان يشعر بكيانه في الوجود ، وانه يستطيع ان يستنبط قوانين الطبيعة بعقله وتفكيره .

والمرحلة الثالثة : وهي مرحلة العلم أو المرحلة الايجابية حيث التجربة والقياس والاستقراء .

وفي عصر بني أمية وصل علم الصنعة او الكيمياء على يد خالد بن يزيد بن معاوية الى مرحلة الانتقال تحت ضغط التحدي الخارجي والشعور بمركب النقص ، فآثر خالد أن يزهد في الخلافة ، ويتفرغ لتشجيع ترجمة التراث الاغريقي على يد اصطفن الاسكندري ، وغيره وكان النقل من اليونانية والسريانية الى العربية ، ثم اخذ العلم بجميع فروعه يتدفق في بدء الخلافة العباسية ، ويترجم على يد النسطوريين من اهل حران شمال الشام الى اللغة العربية التي أظهرت مرونة كبيرة في شتى المصطلحات والتعبيرات . فجاءت مرحلة الانطلاق في روح الحضارة الاسلامية ، وبرز جابر بن حيان عملاقا في الكيمياء النظرية والعملية التطبيقية ، ورث عن والده معرفة العقاقير وأسمائها ، وتعلم من طائفة الاسماعيلية المتصوفة فلسفة الاعداد ، رغم أنه نشا نشأة صوفية كاخوان الصفا الا أنه نحا منحى حسيا سداه التجربة والمشاهدة والقياس والاستقراء .

ذكر جابر في مخطوط الموازين ان الفلزات السبعة المعروفة وهي الذهب والفضة والنحاس والقلعي (والقصدير) والاسرب (الرصاص) والحديد والخارصيني (وهو سبيكة من النحاس والزنك والنيكل) لابد انهما نشأت في الارض من تأثر الكواكب السبعة ، فلذلك نسب الذهب للشمس والفضة للقمر والنحاس للزهرة والقلعي للمشتري والأسرب لزحل والحديد للمريخ والخارصيني لعطارد .

ومن الغريب ن نظريته هذه قد تحققت في القرن العشرين الى حد ما ، حيث أثبتت الارصاد الفلكية الحديثة أن المريخ مغطى سطحه بجبال ووديان حمراء ، أكبر الظن أنها خامة الهيماتيت او اكسيد الحديديك وفضلا عن ذلك فان فكرة الرجوع الى المجموعة الشمسية قد لجا اليها العالم الكيميائي بوانكريه **عام ١٩٠٤ حين اكتشفت الالكترونات ، فاقترح تكوين الذرة مثل الكوكب زحل تدور حوله التوابع ، والذرة تتركب من بروتون موجب التكهرب تدور حوله الالكترونات السالبة كما تدور توابع زحل .**

فلسفة جابر : في مخطوط الموازين الذي نحن بصدده كان جابر متأثرا بفكرة هرمس الحكيم البابلي ، وهي أن أصل الأشياء واحد ، فمن البذرة تنبت الشجرة وتكبر ثم تتفرع بفروع كثيرة ، فلم لا تكون الفلزات الموجودة في عصر جابر أصلها واحد ، وأنها انما تختلف في الطبائع وهي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ، وأن هذه الطبائع ما هي الا طاقات كامنة في صفات معادنها .

وفي المقالة الثامنة عشرة من هذا المخطوط قال جابر:

« ان الله تبارك وتعالى لما خلق الفلك ، وخلق فيه هذه الاربعة العناصر ، التي هي النار والماء والهواء والارض ، وكان أصلها أولا أن العناصر الأول لما اختلطت ولحق كل واحد مركزه ـ وذلك بعد استعمال الجوهر ـ لحقت النار العلو فكان مركزها، ولحق الهواء بالنار لما فيه من الحرارة ، فاعجزه عن البلوغ والاختلاط بها ، اما الرطوبة فصارت وسطا، ثم لحق الماء بعد ذلك السفل وكان في البعد من النار على النهاية ، بقطر مساو لبعده على قياس الاضداد ، ولحقت الارض بالماء فاقامتها بيوستها ، ثم ان الفلك دار وكانت الطبائع ضعيفة ، فعملت الحجارة في المعادن ، ثم أنه قوى وزاد دورانه فانفعلت الاشجار والنبات ، ثم انه قوى ودار دورانا

تاما فانفعلت بذلك الحيوانات ، ثم استطرد بعد ذلك .

« ثم نقول بعد ذلك ان الاصول الاول هى الاربع ، وهى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، فاثنان منها فاعلان واثنان منفعلان للفاعلية . فالحرارة فاعلة ومنفعلها من الاربع اليبوسة . والبرودة فاعلة ومنفعلها من الاربع الرطوبة .

والخطوة الجريئة التى خطاها جابر بعد ذلك هى فى استنباط جداول تبين العلاقة بين هذه الطاقات وبين صفات الفلزات ، فكان رائدا للكيمائى دوبرينر عام ١٨١٦ ـ ١٨٢٩ والكيمائى الروسى مندليف عام ١٨٦٩ اللذين وضعا جداولا تبين الترتيب الدورى للعناصر طبقا لاوزانها الذرية ، فبذلك قد سبقهما جابر باكثر من الف عام بصرف النظر عن النتائج التى وصل اليها كل منهم .

وفكرة جابر لا تنبثق من الوزن الذرى لان هذا الوزن كان مجهولا ولم يكتشف بعد ، ولكنه بنى فكرته على اهمية الاعداد المتحابة التى كانت سائدة قبل عصر جابر ، وتتمثل فى الاعداد ١ ، ٣ ، ٥ ، ٨ وكذلك فى العدد ٢٨ وهو مجموع الحروف الهجائية كلها فى مربع حساب اليازرجه هكذا .

٢	٩	٤
٧	٥	٣
٦	١	٨

فالأسرب (الرصاص) مثلا حار من الدرجة الأولى فالحرف « ا » اذن وهو أول الحروف يعبر عن طاقة قدرها ٧ دوانيق .

وهو أيضا جاف من الدرجة الثانية فالحرف «س» يعبر عن طاقة قدرها درهم وهو أيضا رطب من الدرجة الثالثة والحرف « ﻟ » يعبر عن طاقة قدرها ١/١ درهم وهو أيضا بارد من الدرجة الرابعة فالحرف « ب » يعبر عن طاقة قدرها ٩/٨ درهم اذن مجموع طاقات الرصاص هى ١٢/٢٣ درهم .

وهكذا فى بقية الفلزات الاخرى مثل الفضة التى مجموع طاقاتها ١٩٠/٩ درهم . فاذا استطعنا تحويل هذه الطاقات والتحكم فيها ، فانه يمكن تحويل الفلزات الخسيسة الى فلزات ثمينة مثل الذهب نظريا .

هكذا فكر جابر ، وهى نفس الفكرة التى تراود الاذهان فى العصر الحاضر بلغة الالكترونات ، فالعدد الذرى للرصاص هو ٨٢ وهو يمثل عدد الالكترونات حول النواة ، والعدد الذرى للذهب هو ٧٩ ، فاذا أمكن التخلص من ثلاث الكترونات من ذرة الرصاص ومثلها شحنات موجبة من البروتون فاننا بذلك يمكننا تحويله الى ذهب .

اذن فجابر يعتبر رائدا لعلماء القرن العشرين . فاتجاه تفكيره بامكانيات عصره هى نفس اتجاه هؤلاء العلماء بمفاهيم عصرهم ، ولم يؤثر عن جابر أنه حاول الحصول على الذهب بهذه الوسيلة بل هى مجرد نظريات وضعها ، واستغلها أمراء أوربا فى القرون الوسطى للسعى الى الحصول على مزيد من الذهب بانشجعوا المشتغلين بعلم الصنعة أو الخيمياء الى تطبيق موازين جابر ، واجراء مختلف التجارب على المعادن الخسيسة ، وانتشر الدجل بهذه الفرية التى نسبوها بهتانا الى جابر حتى أن الخيميائى الانجليزى « جون داستين » عام ١٣٤٢ وكان استاذا بجامعات انجلترا قد ألف كتابا فى استخراج الاكسير بواسطة قليل من الزئبق والذهب والفضة ، وانتشرت هذه الآراء انتشارا مريعا فاضطر البابا جون الثانى عشر عام ١٣١٧ الى اصدار قانون يعاقب كل من يشتغل بهذا الدجل الخيميائى لحماية البسطاء من هذه الشعوذة .

فاذا اعتبرنا الأوزان المكافئة لهذه الفلزات كالآتى :

ذهب ١٩٧ ـ فضة ١٠٧ ـ نحاس ٦٣/٦ ـ قصدير (٣٠ : ٥٩) ـ رصاص ٥٠ ـ حديد ١٩

فاننا نجد النسبة بين هذه الأوزان المكافئة كالنسبة التى وضعها جابر وهى ٢٠٠ ـ ١٠ ـ ٧ ـ ٥ ـ ٤ ـ ٢ تقريبا .

وتعبيره عن القوة يشبه القانون الثانى لفاراداى حين يقول :

ان هذه الفلزات تترسب بنسبة اوزانها المكافئة فى محاليلها بواسطة التيار الكهربى .

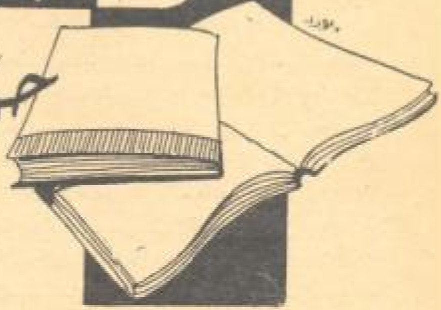
ان ردنا أن نسترسل فى مخطوطات جابر وفى نظرياته وتجاربه لما استطعنا فى هذا المقال أن نلم بقطرة منها ، وانى اهيب بمعهد مخطوطات الجامعة العربية ، وباكاديمية العلوم بوزارة البحث العلمى أن تعمل على جمع هذا التراث القومى النادر من المخطوطات المبعثرة فى مختلف الدول الأوروبية والشرقية .

احمد سعيد الدمرداش

بقلم عبده بدوى

حول الأدب فى أسبوع





الهجرة أبدا :

انت تعرف انك حبيب الى قلبى ، وانـك منذ دخلت قلبى لم تهاجر الى الآن ، فقد عرفتك فى قريتى الصغيرة تلك المعرفة التى تتصل بالقلب ، وتلتصق بالروح . فلم اكن بعد قد فتحت كتابا ، ولم يكن فى هذا العهد « زر » يدار فاذا الانسان يملك كل العالم من خلال اذنه ، ولو كان قد وجد لما عرفت اليه فى هذا العهد سبيلا .. ولكنه على الرغم من هذا عرفتك فى كتـاب كبير اخضر هو الطبيعة من حولى ، ولقد كانت حروف هذا الكتاب هى البشر ، ومن هؤلاء البشر عرفتك ، فقد كنت على شفاههم نغم ، وفى عيونهم بريق ، وفى قلوبهم نور ، ولقد كنت اعرفك من قلوبهم اكثر مما كنت اعرفك من شفاههم وعيونهم !

ثم لقد عرفتك بعيدا قرب السماء الشفافة ، عرفتك والفجر يهز بيده مهد الحياة ، وعرفتك والظهيرة تجمع الماس على جباه الفلاحين ، وعرفتك والعصر يرفرف على وجوهنا بألف منديل من الحرير ، وعرفتك والمغرب ينتزع الناس من الحقول ويشدهم شدا الى منازلهم ، وعرفتك والعشاء تملأ السماء بالنجوم والنفس بالطمأنينة .. ولقد كان كل هذا من خلال هذا الشيء الذى كان يرتفع على رءوسنا ، والذى كان لابد لنا ان نتلقاه بعيوننا ، ثم نستمع منه فى خشوع الى الاذان !

ولقد اصبحت جزءا لا يتجزأ من حياتنا ، فقد كنت فى اللغة التى نتحدثها بحيث لو احصينا ست كلمات لكنت السابعة ، وكنت فى الاسماء التى يتنادى بها بعضنا بعضا ، ولقد وجدتك فى اسم ابى واسم جدى . واعترف انك لم تهزنى هزا الا حينما عرفت انك كنت « يتيما » ، فقد كنت انا الآخر اشترك معك فى هذا الجرح . صحيح انى كنت احس ان كل شيء فى القرية يربت على ايامى ، ويمسح على رأسى ، ولكنى كنت احس انه كان ينقصنى شيء ، لعله شعور الطفل بالحاجة الى ان يمسك يد والده ، ولعله كان العطش الى تلك النظرة الرحيمة التى ترفرف فى العين كحمامة ، بل لعله كان الشعور احيانا بالحاجة الى الضرب ، فقد سمعت مرة طفلا يتيما يقول حين شاهد طفلا يصرخ **« لعلنى كنت فى موقفك ابدا !! »**

وما اكثر ما كنت « حاضرا » فى قريتنا ، فقد كنت موجودا فى الفرح والحزن ، وفى الموت والحياة ، وفى الغضب والهدوء ، وكنت معنا على مائدة الطعام ، وحين كنا ننام كنت تأتى الينا فى هذه الاحلام التى كانت لا تكف عن المجيء الينا فى هذه الأيام الخضراء .

ثم استودعتك امى اياى فى المدينة ، ولقد كنت حريصا عليك كل الحرص ، بل لقد تشبثت بك اعظم التشبث ، وانا ارى الناس لاول مرة لا يقرئون بعضهم « السلام » وهم يسيرون ، وانا اراهم مشدودين الى اغراض مجهولة دون أن يبتسموا فى وجه الشمس ، او ترتفع اصواتهم « بالموال » كلما غرد القمر بين النجوم ، وانا اراهم لا يذكرون اسمك كثيرا كما نفعل فى قريتنا .. نعم تشبثت بك كما تتشبث الموجة لحظة بالشاطيء ثم تعود ، ولقد رأيت نفسى « موجة عائدة » الى البحر الكبير :

استغرقتنى الحياة فاصبحت ضيفا على حياتى بعد ان كنت كل حياتى . اصبحت كالسماء والحقول

لا اراكما كثيرا في المدينة ، بل انى اعترف ان شجرة صداقتنا قد تساقطت أوراقها ، وان هذه الأوراق ما كان يدغدغها الاخضرار الا حينما اعود الى القرية ، ومع انا كنا نعود منها معا ، ويدى في يدك وقلبى فى قلبك ، الا اننا سرعان ما كنا نفترق في المدينة التي تقتل الاطفال والناس يوما بعد يوم ، ولقد قتلتنى المدينة ، ومن جثتى الخضراء خلقت انسانا آخر كنت انكره بين الحين والحين ، فقد حضرت اليها وانا كالبذرة ، ولو حدث انى كنت سقطت على بابها لازهرت وقامت منى شجرة خضراء كبيرة ، تعزف من خلال اغصانها موسيقى الكون ، وتكفى ثمارها كل « اليتامى » الذين يتوجهون الى المدينة !

ولكنى لم اقف على باب المدينة ، وانما هبطت فيها الى القاع ، ومن القاع حملت صخرتى ، وماكدت أصل الى القمة حتى قيل لى عد ، ومازلت في حياتى اقوم بهذه المهمة .. على انى في مسافة التعذيب هذه لم احرم من رؤية وجهك ، فقد كنت اراك لا غاضبا منى، ولكن مشفقا على . . وبخاصة في تلك الفترة التي يحس فيها الانسان أنه بحاجة الى التمرد على كل ما يملك من تاريخ ، وقيم ، وانه يريد ان يقف **« وحيدا » و « محتجا »** على كل شيء عرفه ، وافترقنا .. ووقفت منفردا في قلب العالم وسكرت بهذا اللون من الانعتاق ، ومع انى كنت احس انى كالشجرة التى تعرت من اوراقها وثمارها وظلها ، الا انى مازلت صامدا لكتل الشمس وصرخات الأعاصير ،ومع انىكنت فقدت الانسجام مع نفسى ، ومع الحياة من حولى ، الا انى كنت اغذى « موقفى » بالشك والانكار ! .

ولكن الذى حدث هو ان الصحراء قادت الى الواحة ، والامواج دفعت الى جزيرة ، وفي هذه الفترة وصلت الى شيء اعتبرته هاما بالنسبة الى نفسى وهو ان الشك فى « حقائق الوجود » يؤدى في النهاية الى ما يؤدى اليه الايمان المطلق ، صحيح أن الشك « شارع خلفى » ممتلىء بالظلام والتوتر ولكن من يواصل السير فيه لابد أن يصل الى الايمان القوى الذى لا يتزعزع ، وليس على هؤلاء المعاندين الا ان يواصلوا السير ، والا فلن يكونوا جديرين برسالة « العناء » و « التحدى » !

والذى حدث هو انى انتهيت اليك ، ولقد كان مما حببنى اليك انك لم تطاردنى ، وانك لم تسد على الطرقات ، ولكنك تركتنى « امارس تجربتى » ، ومن هنا كان اللقاء بيننا عظيما وعميقا ، وكان لى الزهو ،وانا اضع ذراعى فى ذراعك وأواصل رحلة الحياة .

ولقد كانت لى معك تجربة رائعة ، حين درست تقدمك الى افريقية ، ورايتنى اصدر كتابا بعنوان « دول اسلامية في الشمال الافريقي » ثم انتهى من تأليف آخر يدور حول الاسلام في غير دول الشمال الافريقى ، ولقد ظهر لى فى هذا النوع من الدراسات وضوح « الوجه الاسلامى » لافريقية في العصر الحديث ، بعد ان كانت هناك حملة مضللة تقول بأن وجه افريقية الحقيقى اما وثنى واما مسيحى ، وانه من هذه الدول المسلمة قامت اول دعوة الى تحرير العبيد ، كما انها حاصرت « الصليبية » عن ان تتقدم اليها بعنف ، او ان تتقدم عن طريقها الى الشرق ، وان هذه الدول قد وقفت بصلابة فترة كبيرةمن اجل « الا يسقط القمر » في اسبانيا وجزر البحر الأبيض المتوسط ويعتبر من الحقائق الأولية ان الاسلام لا يقف امامه دين آخر في افريقية حينما يأخذ فرصته ، ولقد دعا هذا «ديدريتج وسترمان» ـ نقلا عن الاستاذ العقاد ـ الى أن يذكر ان الاسلام دين مذكر ، او دين ذو رجولة ، يعجب الافريقى ببساطته وقوته ، كما ان من الحقائق الاولية : ان الاسلام ضاعف نفسه خلال العشرين عاما الاخيرة فى افريقية ، وانه يكون الآن على الخريطة الافريقية ما يشبه الهلال الكبير على حد تعبير «هوبيرديشان»

ومن افريقية يظهر الرد الواضح على الذين يقولون انه دين اسيوى ، وانه دين الصحراء في الاصل ، والسهول فى الفرع ، وانه من الاجهادبحيث لا يستطيع تسلق المرتفعات ، ثم اخيرا انه دين السيف !

ذلك لانا نراه فىافريقية يكتسح السهل ويتعلق بالمرتفعات ، ولانا نراه كما ذكر « سيرتوماس . و . ارنولد » لا ينتشر الانتشار الحقيقى ـ وبخاصة فى منطقة الشرق ـ الا بعد ان انتزع الاوربيون الأسلحة من المسلمين !

ومهما يكن من شيء فقد وجدت ابتسامتك دائما فى انتظارى ، وأعتقد انك لا تضن بها على انسان ، صحيح أن « الغربان » تهجم احيانا على بعض مدنك، وان بعض من يسيرون فى « الشوارع الخلفية » لا يعودون اليك ، ولكنك الوحيد الذى لا تكف عن

الحركة ، وعن « الهجرة » الى القلوب الجديدة ، انت « **فارس النور** » الحقيقى فى هذا العصر بالاحصائيات ، وبالعوالم الجديدة التى تفتح امامك . ذلك لانك تنتمى الى كل زمان ومكان ، ولانك الصديق المخلص للبشرية فى تقدمها على طريق الحياة .

ولست يائسا من الذين يتصايحون حولك ، لانى اعرف انك كالبذرة الكامنة فى اعماقهم ، ولانى اعرف كيف تخضر البذرة وتزدهر وتملأ كل النفس وكل الوجود .

يارسول الله

لقد احببتك فى القرية بقلبى ، واحببتك فى المدينة بعقلى ، وها انا اليوم احبك بقلبى .. وبعقلى

النبى والشعر

الى هذه اللحظة البشرية الثرية ، التى تتمثل فى حنين الانسان الى وطنه ، اسوق هذا الحديث النفسى على لسان النبى حين اخرج من مكه ، وقلبه يلتفت اليها فى كل خطوة

« بلدى احسك فى دمى ترنيمة
تنساب فى ايامى البيضاء
ودبيب وحى خاشع متبتل
ينداح بالاشواق فى الاعضاء
كم من مساء قد عصرت نجومه
لأراك بين سنابل الاضواء !
قد عشت ارضك جدولا وخميلة
وسبقت طيرك فى الفضاء النائى
وتعلقت روحى بروحك مثلما
يتعلق الآباء بالابناء
ومع الظلال رعيت اغنامى التى
ملأت سكينة وحدتى بشفاء
ان جعت .. تنمو فى ضميرى نخلة
مسحورة . فجرية الافياء
واذا ظمئت .. تفور بين جوانحى
نبعا سخيا وارف الآلاء !
انا لم احسك صخرة منبوذة
وقبيلة تلتف بالبغضاء
وحداء ركب تائه فى قفرة
وخيام مذعورين فى الصحراء
وطفولة يلقى صباح جبينها
فى وحشة مجنونة خرساء
فلقد مزجتك بالمشاعر . بالمنى
فى النفس . بالصلوات فى اجوائى !
صور من الماضى العظيم استرسلت
فى ليلة مطلولة الاصداء
خفقت باشواق النبى حزينة
تهتز بين منى ، وبين بكاء
حتى اذا لم تبق الا دمعة
ويغيب بين مطارف الظلماء
صرخت به بشرية جياشة
«.. وطنى الذى ينساب بين دمائى
اخرجت منك وفى فؤادى جهشة
سيسوقها الا صباح للامساء
حتى اعود .. اعود احضن فى دمى
ما فيك من رمل ، ومن حصباء
فعلى رباك طفولتى ، وعلى ذرا
ك نبوتى ، وعلى السفوح دمائى !»

فيلم هجرة الرسول

يعتبر فيلم « هجرة الرسول » الذى اخرجه ابراهيم عمارة ، والذى قام بدور البطولة فيه ماجدة ، وايهاب نافع .. من الافلام النظيفة التى تستطيع ان تشد المشاهد ، لانه يعطيه لونا جديدا لم تتجه اليه افلامنا

ومع ان الامكانيات التى استعملت فى الفيلم كانت محدودة ، وانه اشبه فى كثير من الامور « الفيلم التسجيلى » الذى لا يعنى الا ببعد واحد ، قد يكون التاريخ او شيئا آخر ، ومع ان الحركة كانت بطيئة ، والحوار فى بعض الاحيان كان جافا مما جعله يكرر كلمة « لم يعد فى قوس الصبر منزع » اكثر من مرة .. اقول على الرغم من هذا ، فان الاتجاه الى « واقعنا الاسلامى » ، ولا اقول «تراثنا » الاسلامى يعتبر اتجاها محمودا ، ولكن فقط يجب ان يحتشد لهذا النوع من الافلام ، وبخاصة اذا عرفنا ان لها جمهورا كبيرا فى الداخل والخارج

على انه اذا كان اعتراض على شىء فانه لابد ان يكون على موقف سراقة من النبى ، وكيف انه ظهر فى صورة مضحكة اضعفت من العمل ككل ، ذلك لانه يجب ان نضع فى اذهاننا انه لا يجب ان نظهر عدونا بصورة مضحكة ، بل انه كلما كان مراوغا وعنيدا ، كلما اظهر هذا من الطرف الآخر للقضية .

وما نطالب به هو الاحتشاد لمثل هذه الاعمال

عبده بدوى



الكتب نقد وتعريف

١٠



بقلم

تحسين عبد الحي

محمد واليهود

● من الحقائق الثابتة التى لا تقبل الجدل ـ والتى اتفقت عليها جميع شعوب العالم فى الماضي والحاضر .. ان طباع اليهود هى الاثرة وحب الذات والتعصب الشديد .. فاذا ما اصاب سواهم خيرا كانما انتصب منهم . ولذلك عاشوا دائما فى عزلة ـ يحكمهم شعور قوى بانهم فرع مقطوع من شجرة العالم . يعيشون حياتهم بنفسية معقدة متسمة بمركب نقص ثابت .. وتقودهم هذه الاوهام دائما الى ان يتربصوا الدوائر بالانسانية والناس جميعا . يضمرون العداوة للبشرية ، ويحقدون على الناس فى ضغينة قوية . فيذيقون شعوب العالم قديما وحديثا صدى هذه الاحقاد .

انهم فى كل وطن يعيشون فى عزلة تامة . لا يؤاكلون احدا ، وينفردون بطعامهم الخاصة ، ويعملون دائما على التجمع والتكتل فى جزء او مكان خاص ـ من هذا الوطن ليرسموا خطط السطو والسلب المستتر ..

ولهذا كانوا وما زالوا مصدر الشر للعالم ، ومنبع السخط عليهم ، فاذا ما علت كلمة الدين ، كلمة الحق ، وذاق الناس حلاوة الاسلام ، تذوقوا معه كراهية بنى اسرائيل ، فارتفعت درجة السخط والازدراء باولئك الكفرة المتبجحين ارتفاعا كبيرا ، وكذلك عندما علت كلمة المسيحية قبل الاسلام ـ وكان انتشارها فى اوربا ـ انتشارا كبيرا ـ علت مع ذلك ايضا درجة كره اليهود والسخط عليهم .

وقد سجل لهم التاريخ مآسي عديدة فى صحف سوداء لاتعرف اللون الابيض .. فقد ساموا السيد المسيح وتلاميذه سوء العذاب ، ورجموا يعقوب اخا المسيح وعددا من القديسين النصارى ، وقتلوا مارسمعان اسقف اورشليم سنة ١١٧ م وذبحوا النساء المسيحيات والاطفال الذين لا يلعنون المسيح. وضحاياهم لا تحصى ولا تعد فى كل فترة من فترات التاريخ.. ولما قويت شوكتهم فى القرن الثالث ، حذر القديس كليمنت جميع مسيحيي العالم عامة ، وكورينثا خاصة من اليهود ونفوذهم وبأسهم الذى قضى على الالاف .

ولعل من الطريف حقا ـ ان اذكر .. ان حريق روما ، ذلك الحريق التاريخى الذى قام به القيصر المجنون «نيرون» كان بايعاز من «بوبايا اليهودية قرينته المعشوقة ، الذى كان يعبدها ولا يعصى لها امرا .. هذه المرأة اليهودية التى كانت لا ترد طلبا لشيوخ اليهود فى روما وما جاورها ، والتى كانت لليهود درعا متينا ، هى التى امرت بقتل القديس بطرس ، والقديس بولس ، وهى التى اوعزت الى زوجها نيرون ان يحرق روما ـ فحرقها بعد ان نكلت بالكثير من رجال الكنيسة وغيرهم من المسيحيين .

لم يسلم نبى او رسول من اذى اليهود .. ترى هل سلم خاتم النبيين واخر الرسل محمد صلى الله عليه وسلم من هذا الاذى .. ؟

ويجيبنا على هذا السؤال كتاب اليوم ـ محمد واليهود ـ الذى الفه الاستاذان ـ محمد أحمد برانق ، ومحمد يوسف المحجوب .

يقول الكاتب :

« كان اليهود يعلمون منذ انزل الله التوراة على موسى ـ ان الله سيبعث بنبيه محمد ، وكان المسيح يقول لهم حين بعثه الله اليهم « يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد . »

ويحدثنا التاريخ عن عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه ..

قالوا :

ان مما دعانا الى الاسلام - مع رحمة الله تعالى وهداه لنا - انا كنا نسمع من رجال يهود - وكنا اهل شرك واصحاب اوثان - وكانوا اهل كتاب عندهم علم ليس عندنا .. وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور ، فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا : انه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن .. نقتلكم معه قتل عاد وارم ، فكنا كثيرا ما نسمع منهم ذلك . فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم اجبناه حين دعانا الى الله تعالى ، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم اليه ، فآمنا به وكفروا به ففينا وفيهم نزلت الآيات : -

« ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين » .

اذن فقد كان اليهود يعلمون ان محمدا هو رسول الله اليهم .. ومع هذا اخذوا يناصبونه العداء لان الله تعالى خص العرب بان اختار منهم الرسول - النبي الامي - الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة - خصه بنشر رسالته واعلاء كلمته..

ومع ذلك لم يقابلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم - حقدا بحقد - او عداوة بعداوة . ونجده صلوات الله عليه وسلامه بعد الهجرة بعد ان آخى بين المهاجرين والانصار وضع عهدا وميثاقا بين اهل المدينة بعضهم وبعض .

ورأينا النبي في هذا العهد وذلك الميثاق .. قد وادع اليهود وامنهم على انفسهم واموالهم ودينهم .. وجعلهم كلهم سواء فيما لهم وفيما عليهم ، وربط بينهم وبين القبائل التي يحيون فيها برباط واحد . واعطى يهود كل قبيلة ما لهذه القبيلة من حقوق ، وفرض عليها ما على القبيلة من واجبات ، وكفل لهم حرية العقيدة ، وذكر كل قبيلة على حدة ليكون ابلغ في النص على العناية بامرهم واظهار روح الاسلام الذي حرص على اشاعة العدل ، واحترام العقيدة في النطاق الذي لا يرى فيه النبي عدوانا على رسالته واصحابه .

ولكن هل احترم اليهود ذلك الميثاق الذي وادعهم به محمد ؟

هل انصرفوا الى حياتهم وصناعتهم وتجارتهم وزرعهم ودينهم في تلك الرحاب التي اتاحها لهم محمد ؟

ام عاودتهم طباعهم اللئيمة التي حاربوا بها انبياءهم من قبل حيث قتلوا من الانبياء زكريا وابنه يحيى كما حكموا على المسيح عيسى عليه السلام بالاعدام وهم يعلمون انه رسول الله اليهم ، وساقوا من ألقى الله عليه شبه المسيح ، فصلبوه وقتلوه ، وهم يظنون انه هو ، « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » .

ان لؤم الطباع المتأصل في نفوسهم اثار كوامن احقادهم اذ رأينا احبارهم يناصبون محمدا العداء بغيا وحسدا وضغنا . لقد جادلوه كثيرا - واسرفوا في عناده ، وحاولوا بكل الوسائل تخذيل دعوته ..

فهذا ابو ياسر بن اخطب ونافع بن ابي نافع ، وعازر بن ابي عازر وغيرهم من اليهود .. يسألون محمدا عمن يؤمن به من الرسل ..

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون » .

فلما ذكر محمد عيسى بن مريم جحدوا نبوته وقالوا : لا نؤمن بعيسى بن مريم ولا بمن آمن به ... فانزل الله تعالى فيهم :

« قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا ، وما انزل من قبل ، وان اكثركم فاسقون » .

وتمادى اليهود في كفرهم فزعم بعضهم ان مدة الدنيا سبعة الاف سنة ، وان الله انما يعذب الناس في النار بكل الف سنة من ايام الدنيا ، يوما واحدا في النار من ايام الآخرة - اي ان مدة العذاب في زعمهم - انما هي سبعة ايام ثم ينقطع العذاب .. وواجهوا محمدا بذلك حينما قدم المدينة فانزل الله في ذلك من قولهم :

« وقالوا : لن تمسنا النار الا اياما معدودة ، قل : اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ؟ ام تقولون على الله ما لا تعلمون . بلى ، من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار ، هم فيها خالدون . »

وبدأ اليهود بعد ذلك محاولات متكررة لقتل سيدنا محمد ..

فقد حاول بنو النضير ان يقتلوه بحجر يلقونه عليه من فوق المنزل الذي كان يجلس امامه صلوات الله وسلامه عليه ثم محاولتهم قتله عن طريق الشاة المسمومة التي ذكرتها في العدد الماضي - ولما لم تجد هذه المحاولات الفاشلة نفعا نجد اليهود يسعون الى التحالف مع قريش لطعن الدعوة الاسلامية من الخلف وتصفيتها نهائيا ..

حينئذ لم يجد الرسول بدا من محاربة اليهود وطردهم من المدينة تأمينا لدعوته - وجزاء على خيانتهم ونقضهم لعهودهم ومواثيقهم .

واود هنا ان اؤكد في هذا المكان - ان الاسلام لم يبدأ قوما بالعدوان ، وانه كان دائما في موقف المدافع عن عقيدته وكيانه .. لا في موقف المهاجم لدين او لنوع .. وهذا ما حدث فعلا مع اليهود .

وبعد

وبعد .. فاذا كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه قد ترك اليهود .. في بداية الدعوة - يعيشون كما يحلو لهم - كاقلية دينية - في المدينة - وذلك في الحدود التي لا تجعل من تآمرهم خطرا مدمرا يهدد وجود الاسلام . فان العرب قد فعلوا ذلك مقتدين برسولهم العظيم ورائدهم المعلم .. فتركوا اليهود يمارسون حياتهم كاقلية - وكما هو شأنهم في معظم بلاد العالم - وذلك الى ماقبل وعد بلفور المشئوم

والعرب عندما يناضلون اليوم لطرد اليهود من فلسطين فهم بذلك ينفذون ما امر الله ورسوله به مقتدين بروادهم الاوائل العظام — الذين حاربوا اليهود وطردوهم في الوقت الذي احسوا فيه انهم اصبحوا خطرا يهدد كيان امتهم ودينهم القويم .

شيء آخر اود ان اقوله هنا .. ان نضالنا المسلح ضد اليهود في فلسطين لا يحمل في رايي اية نزعة عنصرية او دموية — كما يحلو للبعض ان يصوروا ذلك ، ولكنه يحمل في الاساس معنى تاريخيا وانسانيا في نفس الوقت .. فاليهود الذين يستمدون وسائل حياتهم اليومية من كتبهم المقدسة .. تلك الكتب التي تزودهم باوهام التميز على شعوب العالم تحمل لهم في نفس الوقت نظرة عدوانية استغلالية نحو الغير ، وتؤكد على استرقاق بقية الشعوب والتسلط على مقدراتها .. وقد جاء في التوراة والتلمود واشعيا وحزقيال وغيرها من الكتب المقدسة لليهود مثل هذه النصوص الصريحة ، التي تشرح ما يدعون من افضلية واستحقاق لملكية العالم وما يعتقدون من انهم شعب الله المختار وان الارض جميعا بما فيها وعليها ومن عليها ميراث شرعي وان اى شريعة تخالف شريعتهم هي شريعة باطلة فاسدة .

ان في توراة اليوم اخبارا كلها ذبح وعهارة وحيل وزنا بنات لوط وسفاح داود ، والبغاء في الشارف ، وضروب التقتيل بلا رحمة ، وانواع التوحش — والخيانات والغدر — وتجمع تلكم الاخبار جميعا تاريخ اليهود والمصدر الذى يستمدون منه قوانينهم وشرائعهم وطرق حياتهم اليومية في فلسطين اليوم

واود هنا ان انقل بعض اراء زعماء العالم في اليهود لا لشيء الا لكي نصل معا الى المعنى الانساني لنضالنا المتفجر مع اليهود .

يقول كارل ماركس — المؤسس الاول للفكر النظرى الشيوعى في كتابه المسألة اليهودية — ص ٥٦ عن اليهود ما يلى :

● ان في اليهودية عنصرا عاما وحاليا مناهضا للمجتمع ، وهو عنصر دفع بالتطور التاريخى الذى اسهم فيه اليهود ، من هذه الوجهة السيئة ، مساهمة نشيطة الى نقطة الاوج في الزمن الحاضر ، والى ارتفاع لا يستطيع معه الانحلال .

ان التحرر اليهودى في معناه الاخير ، يقوم على تحرر الانسانية من اليهودية ..

واود قبل ان استرسل في ذكر آراء اخرى لبعض المفكرين والزعماء العالميين ان اوضح هنا ان هذه الاقوال لم يطلقها عربى متألم من جرائم اليهود في وطننا ولم يكتبها نازى متعصب خضع لتعاليم هتلر فحقد على اليهود ولكن هذه الآراء لكارل ماركس الشيوعى الاول وهو اصلا يهودى من المانيا خبر النفسية اليهودية على الطبيعة .

وقد قال — نيكيتا خروشوف — ضيف الجمهورية العربية المتحدة الآن — في تصريح له لمجلة الفيجارو الفرنسية في عددها المؤرخ ١٢ — ٤ — ١٩٥٨ ما يلى ..

«اليهود كشعب وجنس عاجزون عن تحقيق استقرار سياسى او استقلال ثقافى . وتاريخهم منذ عشرات القرون يدل على انهم لم يفلحوا في تهيئة معيشة مستقلة لانفسهم منفصلة عن بقية الجتمعات وان تكوين مجتمع يهودى مستقل امر لا يمكن القيام به كما لا يمكن تحقيق مجتمع سياسى مستقل ، ذلك ان اليهود يحشرون في كل شيء وينتهون الى انحرافات فكرية عميقة .

ويقول خروشوف في نفس الموضوع :

اما اسرائيل فهي العوبة في ايدى الاستعماريين واعداء الدول الاشتراكية .

ويقول نهرو في كتابه نظرات في تاريخ العالم ص ٧٦٢ عن اليهود ما يلى :

« حيثما يذهب اليهود يلقون معاملة الغرباء المقوتين غير المرغوب فيهم .. لقد اذلوا واحتقروا ، واصبحت كلمة يهودى نفسها تعني الخيانة وسوء السلوك . واصبحت مرادفة للبخيل والمرابي الشحيح » .

واذا كانت هذه الآراء جزءا من كثير لا نستطيع ان نورده هنا .. وهي اراء لمفكرين وزعماء عالميين .. فاين اذن يكمن الجانب الانساني في نضالنا ضد اليهود ؟

لا شك ان احدا لا يخالفني الراى في ان التاريخ قد القى على شرقنا العربى في مختلف العصور ببعض المهام الصعبة التى استطاع ان يتحمل مسئولياتها بجدارة كمساهمة فعالة لدفع عجلة التقدم الانساني والحضارى للعالم .

فبخلاف الاديان السماوية التى كان الشرق العربى مركز اشعاعها الاول .. والذى ما زال رائدها بغير منازع نجد ان الشرق العربى بزعامة مصر — استطاع ان يحمى اوربا من الانتشار الدموى لجحافل المغول عندما هزموا في عين جالوت.

ومن جهة اخرى استطاع الشرق العربى بزعامة مصر ان يحمى الشرق عامة — الادنى منه والاوسط من سيطرة الصليبيين المتعصبين — في مجموعة المعارك البطولية التى خاضتها جيوشنا ضد اوربا مجتمعة بقيادة صلاح الدين .

واستطاعت مصر في حرب السويس ان توقف الاستعمار الاوربي وترغمه على التسليم لكثير من الدول الافريقية بالاستقلال بعد ان دقت عنقه في بورسعيد ..

وهذه المسئوليات التاريخية التى اسهم بها شرقنا العربي وهى جزء من كثير بما تحملهُ من محتوى انساني رائع الا انه في اعتقادى ان المسئولية الكبرى التى يجب ان تؤمن بمحتواها الاكثر انسانية .. ان نخلص العالم من شرور اليهودية العالمية وان نفوت عليها خطتها الرامية الى التحكم في منطقتنا التى تعتبر بحق مفتاحا هاما لطريق التجارة العالمية وملتقى للحضارات الانسانية — المادية منها والروحية وما اجلها — في رايى — من مهمة انسانية — لنا — ولكل الشعوب .

تحسين عبد الحى

أقصوصة عربيّة



بنت العرب

بقلم ابراهيم محمد نجا

- ١ -

كان الليل حالك الظلام ، فلا يكاد المرء يتبين ما امامه ، وان امعن النظر ، واطال التحديق ... والريح الباردة تهب من الجنوب ، فتوقظ الرمال النائمة في الصحراء ، وتلطم وجوه الرجال وهي تحاول أن تسلب اجسادهم ما عليها من ثياب .. وكانت الجمال تسير وقد برح بها التعب ، واضناها الكلال ، فهي تقارب الخطو حتى لتوشك ان تتوقف عن السير ! ومن اعماق الصمت الذي يسود القافلة ، ارتفع صوت يقول :

ـ يا عثمان .. هات من غنائك الحلو ما ينعش النفوس ، وينشط الابدان .. وعلى الفور بدأ صوت عثمان يسري في الليل مترنما باغنية جميلة من اغاني القوافل ..

كان الصوت حلو النبرات ، جميل الاداء ، وكانت الاغنية عذبة النغم ، رقيقة التعبير ، فانتعشت النفوس ، ونشطت الابدان ، واخذت الجمال تباعد خطوها ، حتى كأنها تريد أن تطير !

ـ هكذا الغناء يا عثمان .. هكذا الغناء

وكان هذا الصوت صوت الشيخ جابر رئيس القافلة التي خرجت من دمشق قاصدة الى القاهرة ذات ليلة من ليالي رمضان عام سبع وسبعين وخمسمائة من الهجرة .. والشيخ جابر هو في ذلك الوقت كبير تجار دمشق ، ومن المقربين الى الملك سيف الدين ابي بكر والي دمشق من قبل اخيه السلطان صلاح الدين الايوبي ، وقد احب الملك سيف الدين الشيخ وقربه اليه ، لما رآه من صلاحه وتقواه ، وبذله في سبيل الله، ولما لمسه من بلائه في الجهاد ضد الصليبيين الذين وفدوا من بلادهم وفود الوباء ، يبغون السيطرة على بلاد العروبة والاسلام، متخذين من الدين ستارا يخفي ما في نفوسهم من المطامع والاهواء .

وكان مع الشيخ في هذه القافلة ولده محمود ، وهو صبي لم يكد يبلغ الخامسة عشرة من عمره ، وان كان يجمع في اهابه بين مضاء الشباب وعزمهم ، وحكمة الشيوخ واتزانهم ، وابنته فاطمة ، وهي فتاة في فجر الشباب ، وربيع العمر ، حلوة القسمات ، نجلاء العينين ، رشيقة القد ، تمتاز بوجه رائق اللون ، صافي البشرة ، امتزجت فيه سمرة بنات النيل ببياض بنات بردى ، لان اباها كان من فتيان دمشق ، على

حين كانت امها من فتيات القاهرة .. اما صوتها فالطهر مايميزه غنة محببة تجعل حديثها يستميل الآذان ، ويأسر القلوب ، أيا كان موضوع هذا الحديث !

ولم يكن الشيخ مطمئنا الى سفر ابنته معه ، فقد كان الطريق غير مأمون حتى في هذا الوقت الذى عقدت فيه الهدنة بين المسلمين والصليبيين ، ولكن ابنته توسلت اليه ان تصحبه الى القاهرة لترى خالتها التى لم ترها منذ امد بعيد ، وقد رفض اول الامر ، ولكنه اضطر الى الموافقة حين لجأت ابنته الوحيدة الحبيبة الى دموعها الغزيرة التى لم يكن يقوى على ان يرى دمعة منها تنحدر من عينيها الجميلتين !

وكان الليل في آخرياته ، حين كانت القافلة تواصل مسيرها الى القاهرة ..

— ٢ —

دخل الفارس كونراد على الامير ريجينالد الذى كان يجلس في القاعة الفسيحة من حصنه المنيع ينتظر ما تأتى به الانباء ، ومعه جمع من قواده ورجال حاشيته .. فلم يكد يراه الامير حتى ابتدره بلهفة ظاهرة :

ــ ما وراءك يا كونراد ؟ هل رأيت القافلة ؟

ــ رأيتها ايها الامير

ــ وكم يبلغ عدد رجالها ؟

ــ نحو الاربعين .

ــ اذن فخذ كتيبة من الفرسان ، وحاصر القافلة ، واستول على ما فيها ، واقتل من يتصدى لقتالك الا رئيسها فانى اريده حيا .. اريد حيا .. أفهم ما أقول ؟

ــ نعم ايها الامير

... ومرة ثالثة ارتفع صوت الشيخ وهو يصرخ :

ــ الصليبيون الغادرون .. الى القتال ايها الرجال ..

ودار القتال ، ولكنه كان بين قوتين غير متكافئتين في العدد والعدة ، فاستشهد الكثيرون من رجال القافلة ، وأسر الباقون بعد أن اثخنوا المعتدين جرحا وتقتيلا ... وكان في الاسرى الشيخ جابر وابنه محمود ، وابنته فاطمة ...

— ٣ —

قال ريجينالد حين مثل الاسرى امامه ، وهو يشير الى الشيخ جابر :

ــ اقترب يا شيخ جابر

ــ فأجابه الشيخ على الفور :

ــ جابر هذا ليس اسمى

فقال ريجينالد متهكما :

ــ وما اسمك اذن ؟

ــ اسمى عبدالله

ــ اتقسم على ذلك ؟

ــ نعم .. اقسم انى عبدالله

ــ آه .. لقد فهمت ما تقصده ايها الماكر .. طبعا انت عبدالله .. وكلكم عبيد الله .. أليس كذلك ؟.. على كل حال احب أن اقول لك اننا نعرف كل شىء .. نعرف مثلا انك موفد من الملك سيف الدين الى اخيه السلطان صلاح الدين برسالة هامة .. وقد عرفنا هذا بوسائلنا الخاصة .. ونحن نريد هذه الرسالة .. نريدها بأى ثمن .. فما رأيك يا شيخ جابر .. او يا شيخ عبدالله ؟

ــ لو صح هذا الكلام لوجدتم معنا ما تريدون بعد طول البحث والتفتيش ..

ــ هذا لا يمنع انك حين رأيت الخطر ، اخفيتها في مكان لا يعرفه احد سواك .

ــ انا لا اعرف شيئا عن هذا الموضوع .

ــ اسمع .. هل تقسم على انك لم تحمل هذه الرسالة ؟ هل تقسم بربك وشرفك وانت عربى مسلم ؟

ــ آه .. لقد سكت .. وسكوتك دليل قاطع على ما اقول ... والآن اين الرسالة ؟

ــ لن اقول شيئا .

ــ ولكنك ستقول حين تعرف ان حياة ابنتك في كفة ... والرسالة في كفة اخرى .. وعليك ان تختار .. وسأمنحك مهلة تخلو فيها الى نفسك لتفكر في الامر ..

وفي السجن الملحق بالحصن ، اخذ الشيخ يفكر في مصيره ومصير من معه .

— ٤ —

كانت الشمس ما تزال قريبة من مشرقها ، لم تبتعد عنه الا قاب قوسين او ادنى حين قدم الراهب سرجيوس ليقابل الامير ريجينالد في امر هام .. وهذا الراهب يقيم مع غيره من الرهبان في دير يقع غير بعيد من الحصن ... وحين دخل على الامير حياه ، فرد تحيته في شىء من الضيق لا يكاد يلحظه الانسان ..

وقال الراهب حين لم يسأله الامير عن سبب مجيئه :

ــ لقد جئت لاتحدث الى الامير في امر خطير .

فقال الامير بصوت تسرى الدهشة في نبراته :

ــ امر خطير ؟!

ــ نعم امر القافلة العربية التى هاجمها رجالك ، فقتلوا بعض من فيها وأسروا الباقين .

ــ وماذا يهمك من هذه القافلة ايها الاب الجليل ؟

ــ يهمنى ان اعرف لماذا نقضت الهدنة التى عقدت بينكم وبين اخواننا المسلمين ... ويهمنى ايضا ان تطلق سراح الاسرى ..

وفي شىء من الحدة قاطعه الامير :

ــ هذه مسائل حربية لا يعرفها احد غيرنا نحن المحاربين .

ــ ولكنى اعرف أن نقض الهدنة من غير موجب يعد خيانة كبرى ..

والخيانة لا تتفق والدين الذى تقولون انكم جئتم للدفاع عنه .. ويغضب الامير ريجينالد ، ويكاد الغضب يخرجه عن طوره ، ولكنه لا يلبث ان يملك نفسه ، ثم يقول في صوت حاول ان يجعله هادئا :

ــ سأتجاهل هذا الكلام الجارح اكراما لصفتك الدينية ، ولكنى اقول لك انى فعلت ما فعلت لمصلحة الدين الذى ننتسب اليه انا وانت :

وهنا يحتد الراهب قائلا :

ــ لا تتكلم باسم الدين .. ان الدين برىء منكم جميعا .. اننا نعرف انكم لم تحضروا الى هذه البلاد الا للسيطرة عليها

واستلاكها تحقيقا لمطامعكم الارضية ، وشهواتكم الدنيوية .

ـ لقد حضرنا لنخلص بيت المقدس من سيطرة المسلمين، ونخلصكم من ظلمهم .

ـ تخلصونا من ظلم المسلمين ؟! من ظلم اخواننا ؟!.. انكم تعرفون اننا معشر المسيحيين المقيمين في هذه البلاد عرب، وأن المسلمين عرب مثلنا ، فنحن اخوة .. اخوة في العروبة واللغة والوطن.. اما الدين فهو لله ، واما الوطن فهو لنا نحن العرب مسلمين ومسيحيين ، ولن يكون لغيرنا ابدا .. انني اسخر منكم حين تسمون عدل المسلمين ظلمـا ، ثم تجعلون عدوانكم علينا دفاعا عنا .

ويستبد الغضب بالامير فيقول محتدا :

ـ اسمع .. انا امير هذه المنطقة .. والامر امرى .. ولن اضيع وقتي في الكلام معك .

ـ وانا اقدرك بانك اذا اصررت على موقفك ، فسوف انضم انا ومن معي من الرهبان الى صفوف المسلمين ، لنحاربكم حتى آخر قطرة من دمائنا .

ـ هذا ليس بجديد عليكم .. فانا اعرف ان كثيرين من العرب المسيحيين يحاربون مع المسلمين ، وسوف نعاقبهم حين تنتهي الحرب بهزيمتهم الساحقة ، ونصرنا الحاسم .

ـ قبل ان اخرج اقول لك كلمة واحدة ، وهي ان الرب لا يمنح نصره الا لمن يستحقه .. وانتم لن تستحقوه ابدا .

— ٥ —

لم يذق الشيخ جابر طعم النوم في ليلته ، فقد ظل ساهرا يفكر في مصير ابنه حين يصر على موقفه .. وصحيح ان عزمه قد استقر على كتمان ما يعرف من امر الرسالة ، ولو ضحى بحياة ابنه في سبيل ذلك .. ولكن هذا لم يمنعه من الشعور بالحزن والحسرة على مصير ابنه الحبيب ... لقد كان يحس وهو يختلس النظر اليه ان قلبه يذوب بين ضلوعه ، ثم ينساب الى عينيه دموعا محرقة ، فيحاول جاهدا ان يحبس هذه الدموع حتى لا تكشف لاصحابه ما يشعر به من الحزن المطبق والالم العميق ... اما الفتى فكان فيما يبدو هادىء النفس، مطمئن الخاطر ، كانه لا يشعر بالخطر الذى يحدق به ، ويهدد حياته ..

وقبيل الظهر جاء رسول الطاغية يطلب الشيخ وابنه ، وحين ادخلا اليه كان ما يزال يشعر بالحنق لما سمعه من كلام الراهب ، ولكنه قال في لهجة لينة :

ـ والآن يا شيخ جابر .. هل فكرت في الامر ، وعرفت ان حياة ابنك فوق كل شيء ؟

فاجاب الشيخ في ثبات :

ـ نعم فكرت .. ولكنني عرفت ان حياة الدين والوطن هي وحدها فوق كل حياة .

ـ اذن فقد اخترت .

ويرتفع صوت الطاغية وهو يصرخ في حراسه :

ـ خذوا هذا الولد فاقتلوه حالا .. خذوه .

وينقض الحراس على الفتى كما تنقض النسور الجوارح على الطائر الصغير ، ويدفعونه الى الخارج وهو يهتف بابيه :

تجلد يا ابي .. فلقاؤنا في الجنة .. في الجنة يا ابي .

فيصرخ ابوه في جزع :

ـ ابني ... ابني ..

ثم يملك نفسه ليقول في شيء من الهدوء :

ـ نعم .. لقاؤنا في الجنة يا بني .. لقاؤنا في الجنة .

ويرى الطاغية هذا المشهد ، فيزداد غيظه ، ويشتد غضبه ، ويطلب احضار ابنة الشيخ .. وتحضر الفتاة وقد المت بما حدث لاخيها، فهي تجاهد ان تتجلد وتتماسك ، ويوزع الطاغية نظراته بين الفتاة وابيها ، ثم يقول وهو يبتسم ابتسامة المكر والدهاء :

ـ على كل حال لا تظن انك كسبت المعركة .. فما زال لدينا ما هو اهم من حياة ابنك .. انه .. شرف ابنتك !

ويضطرب الشيخ اشد الاضطراب ، ثم يصرخ في الطاغية:

ـ شرف ابنتي ! ايها النذل .. هل بلغت بك الخسة والنذالة ان تساومني على شرف ابنتي ؟

ـ نعم اني اساومك .. وعليك ان تختار .

كان الشيخ يبدو كمن ضرب على ام راسه ضربة قاتلة : فهو يترنح من الالم والاعياء .. وخيل الى فاطمة انه يوشك ان يضعف وينهار فصاحت به :

ـ ابي .. لا تضعف .. واذكر ربك في هذه المحنة ... وإياك ان تمكن اعداءنا من ديننا ووطننا .. واذكر ان مثلهم لا يحفظ الذمم ، ولا يرعى العهود ..

ثم تتقدم الى الطاغية وهي تقول :

ـ والآن هانذا بين يديك .. فافعل بي ما تشاء .

وفي مثل لمحة البصر تنقض عليه فتنتزع خنجره ، ثم تغيبه في قلبها .. ويرى ابوها ما اقدمت عليه ، فيسرع اليها ، وينحني عليها وهو يهتف بها :

ـ فاطمة .. ابنتي .. ماذا فعلت بنفسك ؟.

فتجيبه والدم يتدفق من صدرها :

ـ لقد دافعت عن شرفي يا ابي ..

وتتابع حديثها وهي تجود بانفاسها :

ـ ان .. بنت .. العرب .. لا .. تفرط .. في شرفها .

ويجهش الشيخ وهو يحتضن ابنته ، ثم ينظر الى الطاغية نظرة تفيض بالحقد والكراهية ويقول :

ـ الآن .. لا اخاف شيئا .. فافعل بي ما تشاء ... ايها الجبان ..

وكان الطاغية قد سمرته الدهشة ، وعقدت لسانه ، فما سمع كلام الشيخ حتى اخذ يصرخ فيمن حوله :

ـ اقتلوه .. اقتلوه .. اقتلوهم كلهم .. كلهم .

ويموت الشيخ دون ان يخبر احدا بما كان من امر الرسالة ..

ولا ندري : هل اخفاها في مكان من الصحراء لا يعلم به احد سواه ، ام دفع بها الى احد الرجال حين كانت المعركة دائرة ، والظلام مخيما ، فاسرع بها الى القاهرة ، وسلمها الى السلطان ؟

ابراهيم محمد نجا

مجلات الثقافة والارشاد القومي

الثقافة	اسبوعية وتصدر كل ثلاثاء
الرسالة	اسبوعية وتصدر كل خميس
المجلة	شهرية وتصدر يوم ٥
الشعر	شهرية وتصدر يوم ١٠
القصة	شهرية وتصدر يوم ١٥

الدار القومية للطباعة والنشر

العدد ٤٣

الثمن ٣

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الإدارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
عمارة ... القاهرة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

الاشتراكات
١٥٠ قرشاً سنوياً
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٦٢ الخميس ٩ المحرم ١٣٨٤ هـ - ٢١ مايو ١٩٦٤ م - السنة الحادية والعشرون

الفهرس

الصفحة

أيّ أيّامك أروع يا جمال

بقلم : أحمد حسن الزيات

أيوم نفخت في الصور فبعثت شعبنا من رمسه !

أم يوم قذفت بفاروق في البحر فطهرت ارضنا من رجسه ؟

أم يوم صرعت الاقطاع فأنقذت قومنا من بؤسه ؟

أم يوم أعلنت الجمهورية فاستخلصت عرشنا من غاصبيه ؟

أم يوم حققت الجلاء فاسترجعت استقلالنا من سالبيه ؟

أم يوم أممت القناة فاستردت مالنا من ناهبيه ؟

أم يوم دحرت الاستعمار في بورسعيد وقد زحف اليك من قبرص يتنمر بالحقد ويتسعر بالعداء ومن ورائه الاساطيل تحمل الدمار ، ومن أمامه اسرائيل تشعل النار ، فضربته الضربة القاضية التي قذفت بعضه في الهواء وبعضه في الماء ، فذهب مجللا بالعار ليجد منزلته في الحضيض ، وعدت مكللا بالغار لتجد مكانك في الذروة ؟ ولم تغب شمس ذلك اليوم المشهود حتى امنت القتال وثبت الاستقلال وطهرت سيناء من انجاس صهيون ؟

أم يوم جمعت بين مصر وسورية في نظام شامل من الوحدة ، فوصلت بين اخوة فصل بينهم الغريب حينا من الدهر حتى كادت الوجوه تتناكر والقلوب

تتنافر والوشائج تتقطع . وهيهات ان تنقطع مائة امر الله بهـا ان توصـل ، أو تهن عقدة اراد لهـا الشعب ان تحكم !

أم يوم وضعت القوانين الاشتراكية فكرمت بها الانسـان بالمساواة ، واقمت عليها الموازين بالقسط ، فجعلت لكل مواطن حقه الطبيعي في خير وطنه وحكم بلده ، وضمنت له بالتعليم والعلاج شـفاء نفسـه وجسده ؟

أم يوم احكمت الميثاق القومي فرفعت عليه قواعد السياسة العليا للدولة ، ورسـمت فيه مقاصـد الخطط المثلى للأمة . فعلم كل عامل كيف يسـير ، وكل سائر كيف يتجه ، وكل متجه أين يقصد ؟

أم يوم فرغت من المرحلة الاولى من بناء السد ، وقهرت جبروت (حابي) فنزل على حكمك ، وجرى بامرك فاجريته على هواك للري والانتاج ، بعـد ان كان يجري على هواه للغرق والشرق . وازلت جبلا ازليا ارسته الطبيعة من حجر الصوان ، وارسيت مكانه جبلا ابديا من قوة الانسـان . فبدات باقامة هذا السـد المعجز عهدا للزراعة بتوفير الماء ، وعهدا للصناعة بتوليد الكهرباء ، وهما عهدان لم يشـهد مثلهما المصري في تاريخه كله .

كل يوم من هذه الأيام الأحد عشر ملحمة فريدة . فصولها آيات بطـولة ، وتاريخ حافل ، صـفحاته سجلات مجد ، ومعركة فصلة لتنتهي بعهد وتبتدىء بعهد ! وان أيامك يا جمال من أيام الله . وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون .

على أن اروع ايامك يا جمـال ـ فيما يرى العالم ويروي التاريخ ويشـهد الواقع ـ هو يوم السـد العالي . فان في تفجيرك نواة الذرة في طاقة الشعب المصري فيصنع المعجزة واجاز المستحيل وخلق من الجدب خصبا ومن العدم حيـاة ، وان في تحويلك مجرى النيـل الذي جـرى الفلك من فوقه ٢٧الفا مؤلفة من القرون الى مجرى تقبته في قلب الجبل الصلد ليدخل في الانفاق السـتة الهائلة التي تنظمها الآلات وتحكمها الموازين . . . ، وان في تسـخيرك عبقريات العـلم الروسي والمصري بقدرتك وحكمتك لتجعل من اولئك كله هذا العمل الفريد في تاريخ الانسـان ـ لآيات على قدرة الله الذي يضـع بعض سره في بعض خلقه ، ليظهر على يديه نعمة المكنونة واسبابه المجهولة ، ليتقدم من تأخر ويرتفـع من انخفض ويعتدل ما مال ويستقر ما اضطرب .

لم تبق يا جمال لواقعي ما يفكر فيه ، ولا لخيالي ما يحلم به . ولا لمعقب ما يعقب عليه .

جلسـت على شاطىء النيل بالمنصـورة يوما من ايام اغسطس الاخيرة من عام ١٩٤٠ اقلب عيني بين ضفتيه وقد شرقتا من فيضه بدم الحياة او بذوب النضار والزوارق البيض التي كانت تجر بالامس على رمال القاع تنساب بينهما على صفحته الذهبية المتموجة كانها الحمائم الطوائر على حقـول القمح اذا استحصدت ، أو الفراش المبثوث على رياض الشقائق اذا توردت ، فوجـدتني على الرغم مني عاني الوجه له مسـتغرق الفكر فيه ، يتردد في خاطري ما يردده الحيوان والنبات من تقديسـه وتمجيده . وفي هذه الجلوة اتجه فكري الى ثرانا المكروب واكبـادنا الحـرى في صـحارينا الشرقية والغربية ، فقلت لنفسي وانا اردد الطرف السـاهم في تيار النهـر الجارف ودواراته المـدومة ولججه الفائرة كيف خف على ضمائر ذوي العلم والراي في وزارة الاشغال ان يدعوا هذا الفيض الحيوي العظيم يتدفق اربعة اشهر في لهوات البحر الابيض دون ان يحبسـوه بحيلة من حيل الفن الهندسي ليحيوا به موات الناس والارض . . . ؟ فما هو الا ان وضـع الله امرنا في يديك حتى رايتك تحبس النيل العاتي وراء السـد العالي في بحيرة صناعية طولها خمسمائة الف متر وعرضها عشرة آلاف متر وعمقها سـبعة وتسـعون مترا لترسله بقـدر معلوم الى كل ثرى محروم !

وتمنيت أن يعود مجدنا الذاهب وتراثنا المفقود ليكون لنا بين الامم راس مرفوع وصوت مسموع ، فاذا بي اليوم كلما سمعتك تخطب في أيامك الغر فتلقي في سمع الزمان اقوالك السـاطعة بالحـق ، الناطقة بالعزم ، القوية بالايمان ، أي اقطاب العالم كله سكوتا حـول الراديو ، يسـتمعون لمـا تقول ، ويهتمون بما تقرر ، ويتخوفون مما ترمي ، ويتشـاورون فيما تريد ، اذكر رجلين كنت اسمعهما وانا في عهد الشـباب يتكلمان فينصت الدهر وتميد الارض وتخشـع الدول وتهتز اسلاك البرق وتفيض أنهـار الصحف ، احدهما السير ادوارد جراي في لندن ، والآخر الامبراطور غليـوم في برلين . وربما كان

البيان الذى أعلنه هذا . أو الخطاب الذى ألقاه ذاك . عبثا من العبث أو سخفا من السخف ، ولكن قوة الكلام من قوة المتكلم · فالاول كان وراءه أقوى اسطول فى البحر ، والآخر كان وراءه أقوى جيش فى البر ·

واراك يا جمال بلغت اليوم ما بلغ ذانك الرجلان من غير اسطول كان من بعض قواده نلسون ، ولا جيش كان من اقل جنوده هتلر !

فباى شىء بلغت هذا المبلغ فى اثنى عشر عاما ، وقوى الشر كلها فى الداخل والخارج كانت حربا عليك ؟

قل بفضل الله الذى اصطنعك واصطفاك ، أو بفضل الله الذى كفاك من السوء ماكفاك ، وبفضل الله الذى أرشدك ورعاك !

احمد حسن الزيات

الوان

بامر الثورة وحكم الدستور اصبحنا جميعا سادة · فلا عبودية لصاحب الحكم ، ولا تبعية لمالك الارض ، ولا طاعة لغير القانون . واقتضت المساواة فى السيادة أن تلغى الرتب والالقاب فتحقق بذلك المثل القائل : كل انسان فى نفسه سلطان . ولكنك لا تستطيع بالامر ان تمنع الكلب ان يبصبص لك بذنبه ، ولا القط أن يتمسح فيك بجنبه . وسر الوراثة الذى يعلم الفرخ الخارج من البيضة كيف يلقط الحب وينشر الجناح هو الذى يفرض على سلائل المستعبدين أن يحنوا الراس ويدهنوا اللسان !

لقد الغيت الرتب والالقاب من سجلات الحكومة وقوانين الدولة، ولكن لفظى الباشا والبك وتوابعهما من صاحب المعالى والسعادة والعزة لا تزال لاصقة بالافواه لصوق الريق ، تتردد فى الخطاب ، وتتدخل فى الحديث ، وتنتشر بين قوسين فى الصحف ، وليس لذلك موجب الا هوان النفس على النفس ، واعتياد الذليل للذل !

ان الفقير او الضعيف لا يزال ينظر الى الغنى أو القوى من خلال الهالة التى ضربها هو من حوله بفقره أو بضعفه . فهو بحكم العادة يخاطبه خطاب الأدنى للأعلى ، ويرى من الصعب على نفسه بعد الاشتراكية ان يسمى من كان صاحب الطين والعقار، ورب الدائرة والدوار ، ومالك الحياة والموت عليه بالاجرة او الايجار : (على حمدى) بعد أن ظل اكثر عمره يسميه (على باشا حمدى) !

وابن آدم كما يشهد تاريخه الطويل وضيع بطبعه ، يصنع لنفسه من الحجر او الشجر صنما يعبده ، اذا لم يجد فى جنسه من الملوك والطغاة من يستعبده ! وهو يرضى هذه الضعة فيه بلذة الخضوع لذوى المال أو الجاه وان لم يأته من ناحيتهم نفع. قال شاعرنا المتنبى : وقفت يوما على فاكهانى ببغداد اشترى منه بطيخا ، فساومته عليه بكذا درهما فأبى ان يبيعنى اياه الا بضعف ما فصلت. ومر عليه وانا واقف رجل من ذوى الهيئات فاعطاه فى البطيخ نفسه اقل مما قدمت فقبل ، وامره ان يحمله الى داره فاطاع .

فلما رجع قلت له : رفضت أن تبيعنى البطيخ بالثمن الاكثر ، وقبلت أن تبيعه ذلك الرجل بالثمن الاقل ، وحملته الى داره بنفسك ، وكنت اذا اشتريته أنا لا أكلفك هذا الحمل ، فما معنى هذا ؟

فقال لى الفاكهانى : اتدرى من هذا ؟ قلت : لا. قال : هذا فلان صاحب الضياع التى لا تحد ، ومالك الاموال التى لا تعد ! فسلمت لمنطق الطبع وطلبت المال منذ ذلك اليوم .

ابن عبد الملك

مكاتب وكتاب

للدكتور محمد أحمد خلف الله

مرة ثانية أعود الى كتاب « الحكم المحلي وتنمية المجتمع فى الدول النامية » • للكاتب السوداني المعروف **الدكتور محي الدين صابر** •

مرة ثانية أعود اليه وفي يقيني أنه من خير الكتب التي أخرجت للناس في موضوعات الساعة ، وفي ايضاح وبيان الفلسفة الاجتماعية للدول النامية •

وعودتى الى هذا الكتاب لن تكون لحساب المؤلف أو الكتاب ، ولن تكون على حساب القارىء • انها حتما لحساب الصالح العام •

ان بالكتاب مجموعة من القيم الثقافية التي نحتاج اليها لنقيم سياستنا فى التنمية على أساس من تجربة الغير ، وبأسلوب يعتمد كل الاعتماد على وسائل الحضارة العلمية المعاصرة •

والقيم الثقافية التى اشير اليها فى هذا الوطن هى التى تدور حول انماط التنمية التى اشار اليها المؤلف وخاصة الاخيرة منها •

يشير المؤلف الى نمط من التنمية يسميه : **بالنمط الطليق او التنمية الحرة** • ويضرب المثل لذلك بالتنمية التي حدثت فى اليابان وكيف أتت ثمارها فى وقت قصير على الرغم من اعتمادها على سياسة السوق الحرة • وأساليب النظام الرأسمالى •

ويشير المؤلف الى نمط آخر يسميه : **نمط التنمية الموجهة توجيها كاملا** • ويضرب المثل لذلك بالتنمية التى حدثت فى الاتحاد السوفييتى ، والتى حدثت فى المجتمعات الاشتراكية الشرقية • وهو نمط يعتمد على التخطيط المركزى ، وعلى ملكية الدولة لوسائل الانتاج •

ويرى المؤلف أن هذا النمط من التنمية قد قفز بالاتحاد السوفييتى من دولة متخلفة الى احدى دولتين تتنازعان سيادة العالم اقتصاديا ، وتكنولوجيا ، وسياسيا •

ويشير المؤلف الى نمط ثالث هو الذى يسميه : **نمط التنمية فى المجتمعات النامية** • وهو نمط يتوسط النمطين السابقين ، ويأخذ من كل منهما مايلائم واقع الأمة وظروفها ، **من حيث ان انماط التنمية تتأثر الى حد كبير فى أهدافها ووسائلها بفلسفة الحياة التى يعتنقها مجتمع ما ، ويعيشها فعلا •**

ان الواقع التاريخي للمجتمعات المختلفة يدخل كعامل هام فى تشكيل انماط التنمية لهذه المجتمعات • ومن هنا تحتم على المشتغلين بأمور التنمية ان يهتدوا فى كل موقف بالظروف السياسية، والاقتصادية والفكرية •

ان كل نمط من انماط التنمية ليس الا صورة فلسفة فكريه للمجتمع ، وصورة موقف المجتمع من الحياه ، وفى الحياه •

والتنميه فى المجتمعات الناميه تهدف الى اكثر مما كانت تهدف اليه التنمية فى المجتمعات المتقدمه • انها تهدف هنا الى تحقيق العداله الاجتماعيه ، والى مزيد من الخدمات والضمانات للطبقات المنتجه ـ مع الابقاء على القطاع الخاص والملكية الفردية •

والتشريعات هى التى تحدد وظيفة القطاع الخاص والملكية الفردية فى التطور الاجتماعى والاقتصادى ، فلا يصبحان وسيلة من وسائل الطغيان السياسى والتسلط على الحكم ، ولا يتجهان الى خلق طبقات متبطله تعيش على عرق الآخرين ، وتكون سببا من أسباب التوتر الاجتماعى ، والفساد الاقتصادى والسياسى •

وتحقيق هذه الأهداف يدفع الغالبيه من الدول النامية الى **انتهاج سياسة تدخلية** • فالدولة هى التى تشرف على النشاط الاقتصادى وتنظيمه ، وتسهم فى عمليات الانتاج مع الهيئات الأخرى ـ وقد تقوم بها منفرده • **ثم هى التى تاخذ نفسها بالتخطيط المركزى لتوجيه الاقتصاد القومى ملاحظة فى ذلك ترتيب الاولويات فى التنمية على ضوء السياسة المرسومه •**

والتنمية فى المجتمعات النامية تختلف كثيرا عن

التنمية في المجتمعات المتقدمه من حيث **ظروفها الاجتماعية والاقتصادية** ، ومن حيث **واقعها التاريخي** .

(أ) : فهذه الدول حريصة على سيادتها القومية ـ بعد أن استخلصت حرياتها بتضحيات جسام . وهي لذلك تحاول أن ينجو بتلك الحريات فلا تعرضها من قريب أو بعيد للنفوذ الأجنبي، أو لحرب الايديولوجيات السياسية بين المعسكرين الغربي والشرقي . **انها تتعامل معهما في حدود المعاملات الدولية السليمة** .

(ب) وهذه الدول قامت في عصر أصبحت الدولة الحديثة فيه مسئولة عن الخدمات الاجتماعية على أوسع نطاق ـ الى جانب الاسهام في عملية الانتاج .

لقد وجدت هذه الدول أمامها عبئا مزدوجا لابد من النهوض به . وذانك هما عبء الخدمات ، وعبء الانتاج . ولقد كان أثر عبء الخدمات على عبء الانتاج قويا عنيفا . انه جعل الأموال المطلوبة للانتاج غير قادرة على تحقيق الهدف تحقيقا كاملا . **ان الخدمات تمتص الكثير من الأموال التي قد تكون لازمة للانتاج** .

هذا الى جانب النقص في الخبرات الصناعية .

(جـ) : وهذا ليس بشيء الى جانب ماورثته النظم الاستعمارية لهذه الدول من مشكلات .

واهم مشكلة في نظرنا هي مشكلة التكوين القومي ـ ذلك الذي يتمثل في اقامة مجتمعات سياسية متفاوته حضاريا في نطاق الدولة السياسية . كالتنظيمات القبلية التي كانت الادارات الاستعمارية تشجعها وتقويها حرصا على مصالحها ، واستبطاء للوعي القومي فيها ، وجمعا للمتناقضات ـ حتى يسهل عليها حكمها جميعا .

وكانت تلك الادارات الاستعمارية تعمل على **تمزيق الوحدات السياسية والحضارية الطبيعية ، في وحدات مصطنعة مستقلة** .

ان العمل على حل هذه المشكلة لا يتم الا باعادة **صياغة المجتمع القومي من جديد** ـ وتلك من أشق العمليات لأنها تتطلب كثيرا من الخدمات في مستويات مختلفة . لا سيما ونحن نعلم ان معظم المجتمعات النامية من المجتمعات الريفية ـ زراعية أو نصف زراعية أو رعوية باديه ـ التي تحتاج في التنمية الى عمليات شاقه ، ومجهودات مضاعفة .

ان العمل على رفع مستوى الحياة ، وتوفير الخدمات ، وتحقيق الرخاء والرفاهية ، هو الذي يساعد على حل تلك المشكلة . من حيث انه يدفع الى تقوية العلاقات والروابط الاجتماعية بين الطوائف ـ وتلك من أسباب تماسك بنيان المجتمع . ومن حيث أنه يؤدي الى استئصال أسباب التوتر الاجتماعي ، وروح التذمر والسخط ، ويشيع الأمن والطمأنينة في الأنفس . ومن حيث انه يولد لدى الأفراد **شعور الولاء للمجتمع وللجماعة القوميةالتي ترتبط مصالحها بتلك الخدمات ارتباطا عادلا** .

وتنمية المجتمعات النامية انما تعني في الحقيقة **تحويل تلك المجتمعات من مجتمعات ساكنه الى مجتمعات متحركة** . كما تعني تغيير وسائل الانتاج ونظام **الاستهلاك** .

او بعبارة اخرى تعني تغيير فلسفة حياتها بما في ذلك كثير من القيم والتقاليد التي توارثتها عن السلف .

ان التنمية ليست الا تغيير حضارة تقليدية بحضارة جديدة ـ تكنولوجية وصناعية .

وليس يخفى أن أي تغيير في البناء الاقتصادي والاجتماعي والسياسي لا يقع كاملا **الا اذا سبقه او صاحبه تغيير في البناء الفكري** ـ أي في الآراء والمعتقدات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت قائمة من قبل .

ولقد ثبت من الدراسات الاجتماعية أن الهجوم المباغت على البناء الفكري ، **وهدم قيمه التقليدية ، يؤدي الى خلخلة في كيان المجتمع ، ويورث عللا اجتماعية ، ويعقب من الانحرافات ما يفوق احيانا المكاسب التي يتوخاها المسئولون عن التنمية ـ ولكن بعض المجتمعات تسلك هذا الاسلوب المفاجيء تعويضا للماضي ، وكسبا للوقت** .

ان في هذا مغامرة من ناحيتين .

الأولى ـ أن القيم القديمة والعلاقات التقليدية التي كانت تقوم في المجتمع التقليدي لا بد وأن

تقوم مقامها قيم أخرى وعلاقات جديدة ـ والا وقع المجتمع فى **فوضى** •

والقيم والعلاقات الجديدة لا تنشـئها القوانين وحدها ، فانما يجب ان يتفهمها الناس ، ويقتنعون بها ، ويتقبلونها ـ وتلك تحتاج الى عمليات تثقيف جبارة • تحتاج الى مجهودات عظيمة •

وليس يخفى أن عمليات التثقيف تحتـاج الى وقت ، والى صبر ، والى بصيرة قوية نافذة •

ان التغيير الشكلى قد يتم عن طريق التشريع • ولكن سلوك الناس حيال هذا التغيير يظل غير متفق مع متطلبات التغيير •

هنـاك مثلا مفهوم الزمن الذى يرتبط بنظـام الانتاج الحديث • وهنـاك مفهوم العمل نفسـه ، ومفهوم الثروه والادخار ، ومفهوم الأسرة •••• الخ •

هناك مفاهيم ان لم يدركهـا الناس عن الواقع الجديد ـ ظل سلوكهم الفعلى متأثرا بالقيم القديمة وفى ذلك من الأضرار الكبيرة على نمط التنمية ما فيه

ان هذا الوضع الأخير هو الذى يسمى عند علماء الاجتماع **بالتخلف الحضارى** •

وعلى الرغم من هذه العقبات ذات الطبائع المختلفة فان الدول النامية ـ وقد استوت ناهضة على قدم المساواة فى المجال السياسى مـع الدول المتقدمة كأعضاء فى منظمة الأمم المتحدة ـ **تستشعر ضرورة تلك المساواه فى المجالات الاقتصادية ، والتكنولوجية، والعلمية ، والاجتماعية •**

انها تستشـعر ذلك كله قياما بواجبها نحو مواطنيها من ناحية ، واستكمالا لأسباب وجودها من ناحية أخرى •

وعن طريق فهم طبـائع المشكلات ، وعن طريق تقدير الامكانيات ، يستطيع المسئولون عن التنمية فى هـذه المجتمعات الآخذة فى النمو أن يستنبطوا أسلوبا مقننا لتطوير هذه المجتمعات • أسـلوبا يعتمد على استغلال الطاقات الايجابية فى المجتمع ـ بشرا وطبيعة ، وعلى مواجهة ميادين التنمية مواجهة شـاملة متكاملة ـ **مع تفادى ما يحدثه تغيير نمط الحياة من انقطاع عن التراث الحضارى • وبالتالى من هزات فى كيان المجتمع •**

وعلى هذه الاسس جميعهـا يمكن تحقيق تنمية متوازنة ـ تزيد من معـدل الانتاج ، وتهيىء فرص الخدمات ، وترتفع بمسـتوى الحياة • وبهذا كله تتاصل الوحـدة القومية ، وتزول أسباب التوتر الاجتماعى •

لقد قلت أول هذا المقال ان هـذا الكتاب الذى أخرجه الدكتور محيى الدين صابر من خير الكتب التى أخرجت للناس من حيث **احتواؤهـا على قيم ثقافية جديدة ونافعـة لبناء مجتمع جديد ، على اسلوب من الحضارة جديد •**

وهانذا أكرر هـذا القول مرة ثانية ، وأرجو الا تنقطع الصلة بين القراء وبين هذا الكتاب • ومن هنا أقول بانى قد أعود اليه مرة ثالثة : أو مرات كثيرات •

دكتور

محمد أحمد خلف الله

ازدهار الفنّ المسرحي

للدكتور محمد مندور

لم يزدهر في بلادنا في عصر الثورة فن مثل ما ازدهر وانتشر فن التمثيل حتى أصبح هذا الازدهار والانتشار ظاهرة اجتماعية تستحق البحث والتفسير .

ففي هذا العام دعت محافظات الاسكندرية وطنطا ودمنهور والمنصورة وبنى سويف والسويس المشتغلين بالادب الدرامي وفن التمثيل والاخراج في العاصمة الى القاء محاضرات وتدريبات لفرق مسرحية قررت كل من هذه المحافظات انشاءها في عواصمها وكان الاقبال على الانضمام الى تلك الفرق وسماع المحاضرات وحضور التدريبات منقطع النظير ، وفي سرعة تكونت بعض تلك الفرق وقدمت فعلا عددا من العروض المسرحية التى جذبت اليها الكثير من المواطنين من أبناء تلك المحافظات .

وفي هذا العام لاحظت أن جامعاتنا في القاهرة والاسكندرية وأسيوط قد اشتركت في اسبوع الشباب الجامعي بفرق مسرحية من طلابها الذين بلغ عدد كبير منهم في مستواهم الفني والثقافي مستوى الممثلين المتخصصين المحترفين ، وكل ذلك فضلا عن الارتفاع الملموس في اختيار المسرحيات التى تقدم بها كل فريق للمسابقة فجميعها كانت من المسرحيات العالمية الهادفة التى تعالج مشاكل عصرية وثيقة الصلة بقيمنا الثورية الجديدة ، حيث رأينا فريق المعاهد العليا يتقدم بمسرحية « موت بائع متجول » للكاتب الامريكي التقدمي آرثر ميلر وفيها يعالج سطوة وقسوة الرأسمالية الجشعة ضد الكادحين المتواضعين أمثال البائع المتجول الذى قضى عمره كله متجولا يعرض انتاج احدى الشركات الرأسمالية على أصحاب المتاجر الكبرى في جميع أنحاء امريكا حتى بلغ الشيخوخة وهده التعب ومع ذلك ترفض الشركة أن تعطيه معاشا في آخر العمر بل وترفض أن تريحه من التجول لتعهد اليه بعمل في مكاتبها مما أنزل به الشقاء واصابه بانحلال وانهيار القيم في نفسه وانتهى به الى موت تعيس . وتقدم فريق جامعة القاهرة بمسرحية « الغربان » للكاتب الفرنسي هنرى بيك التى تصور انقضاض بعض رجال الاعمال الاشرار على أيتام شريك لهم بعد موته انقضاض الغربان على صغار الفراخ . وتقدمت جامعة اسيوط بمسرحية « سجناء الطونا » للكاتب الفيلسوف الفرنسي المعاصر جان بول سارتر وفيها يصور مأساة أسرة ألمانية من ضواحي هامبورج سبق احد أبنائها الى الاشتراك في الحرب العالمية الاخيرة دون اقتناع منه بشرعية تلك الحرب وعدالتها مما سبب له أزمة ضمير عاتية انتهت بسجن نفسه خمسة عشر عاما في غرفة ببيت الاسرة في قرية ألطونا ، وبالضرورة انسجن معه أفراد الاسرة الآخرون واضطربت العلاقات الانسانية والاخلاقية بين أفرادها وتلك احدى محن الحرب العدوانية غير العادلة وغير المقنعة وبالتالى دعوة حارة الى السلام ومقاومة الجشع العدوانى الرأسمالي . وتقدمت جامعة الاسكندرية بمسرحية « زيارة المرأة العجوز » للكاتب السويسرى التقدمي المعاصر أيضا « فريدريك دورنمات » وهي مسرحية تصور كيف أن العدالة نفسها أصبحت تشترى بالمال في العالم الرأسمالي اذ نرى فتاة يغرر بها شاب في احدى القرى ثم يهجرها فتترك قريتها وتجوب الارض تجمع المال من الاتجار بجسدها ثم تعود الى قريتها وهي امرأة عجوز حيث تعلن تبرعها للقرية بمليون من الجنيهات بشرط أن يقتص لها أهل القرية من الرجل الذى غرر بها ويقتلوه فينفر أهل القرية ظاهريا من هذا الشرط ولكنه يسرى في نفوسهم سريان السم وفي النهاية يقبلوه للحصول على المليون ويقبلوا اعدام الرجل . واذا كانت جامعة عين شمس قد اختارت لسوء الحظ مسرحية أقل قيمة وسلامة وهي مسرحية « جونو والطاووس » للكاتب الايرلندى شون أوكازى التى تحقر من ثورة ايرلندا الخالدة في أعقاب الحرب العالمية الاولى فان سوء الاختيار هذا لا ينال من الظاهرة العامة التى لمستها في هذا الموسم ظاهرة توفيق فرقنا الجامعية في اختيار مسرحيات هادفة رفيعة المستوى شكلا ومضمونا بعد أن كانت فرق الطلاب في السنين الخوالى لا تختار الا أتفه المسرحيات الفكاهية المبتذلة .

والشيء الجديد والخطير حقا في هذا الموسم هو أن مؤسسة المسرح والموسيقى قد تبنت مشروع انشاء فرقة مسرحية عمالية طالبت بها المؤسسة الثقافية العامة للعمال وأعلن في الصحف عن انشاء هذه الفرقة حتى يتقدم لعضويتها من يشاء من

العمال الهواه . واذا بثمانمائة عامل يتقدمون اليها وتؤلف لاختبارهم واختيار الاصلح منهم لجنة فنية كنت من بين أعضائها، وكم كانت دهشتي عندما رأيت عشرات من هؤلاء الاخوان العمال يتقدمون للمسابقة بمشاهد من مسرحيات اشتراكية النزعة لحما ودما لم أسمع بهـا من قبل ، ويخيل الى أنها مسرحيات هادفة ألفت ومثلت فى البيئات العمـالية ذاتهـا بواسطة هؤلاء الهواه مما يقطع بان هذا الفن كان قد انتشر تلقائيا فى البيئة العمالية واصبح ينهض بدوره الخطير فى عملية التوعية الاشتراكية العامة التى يقوم بها أبنـاء الشعب أنفسهم وبخاصة فى البيئات العمالية الواعية المتفتحة .

واذا أضفنا كل هذه الظواهر المسرحية الجديدة الى الظاهرة التى نمت وتفتحت واتسعت فى العاصمة فى السنوات الاخيرة حتى أصبحت القـاهرة تضم ما يقرب من العشرين فرقة تمثيلية مختلفة الألوان من مسرح فكاهى الى مسرح عالمى الى مسرح درامى حديث الى مسرح غنائى الى مسرح عرائس الى مسرح جيب الى فرق قومية عتيدة استطعنا أن ندرك مدى ازدهار فن الدراما وفن التمثيل على نحو يكاد يطغى على ألوان الادب والفنون الاخرى من قصة الى قصيدة شـعرية ، ومن سينما الى أغان ومؤلفات موسيقية بحيث تحتاج هذه الظـاهرة الاجتماعية الكبيرة الى تفسير وايضاح .

ويخيل الينا اننا نستطيع تفسير هذه الظـاهرة بقانون عام استخلصه أساتذة الادب والفن الدراميون من تاريخ الآداب العالمية ، وهذا القانون يقول بان الفن الدرامى ـ تأليفا وتمثيلا ـ انما ازدهر فى فترات اليقظة القومية العامة التى تصل اليها الشعوب فى أعقاب الاحداث القومية الكبرى ، وهم يستدلون على ذلك بثلاث فترات كبيرة فى تاريخ الآداب العالمية أولاها فترة حكم بركليس فى أثينا القديمة عنـدما جاء هذا الحكم فى أعقاب انتصار الاغريق القدماء فى معركتى ماراثون وسلاميس على جحـافل الفرس الغازية مما أحدث يقظة قومية رائعة عند الاثينيين القدماء وفى عهد تلك اليقظة ازدهر الادب الدرامى وفن التمثيل حيث ظهر عمـالقته الخالدون أمثال أيسخيـلوس وسوفوكليس ويوربيـدس فى فن التراجيديا ثم أرسطوفانيس فى فن الكوميديا . وكانت الفترة الثانية فى عهد الياصابات ملكة انجلترا حيث حدثت يقظة قومية مماثلة على أثر انتصـار انجلترا على منافستها الخطيرة فى البـحار اسبانيا وبدء سيطرة بريطانيا على البحار بعـد هزيمتهـا لاسطول الارمادا الاسـبانى الشهير . ففى عصر الياصابات هذا ظهر عمالقة الدراما والمسرح شكسبير ومارلو وبن جونسون . واما الفترة الثالثة فكانت فى عصر الملك لويس الرابع عشر فى فرنسا الذى يعتبر العصر الذهبى للادب الفرنسى فقد شهد هذا العصر أيضا يقظة قومية كبيرة فى فرنسـا على أثر انتصارات ذلك الملك وبنائه لمجد فرنسا الخالد وفى عهده ظهر عمالقة الادب المسرحى وفن التمثيل أمثال راسين وكورنى فى مجـال التراجيديا وعمـلاق الكوميديا الاكبر موليير .

واما عن سبب ارتبـاط ازدهار الفن الدرامى بفترات اليقظة القومية فمن الممكن أن نجده فى أن المسرح يعتبر مرآة حية للحياة وفى عصـور اليقظة القومية يطيب للشعوب أن تتأمل ذاتهـا فى تلك المرآه الحية لتتحسس مواضع القوة والبطولة فى فن الدراما ومواضع الضعف أو الفسـاد فى فن الكوميديا كفن ناقد للحياة .

وفى بلادنا الحديثة عهد نسبيا بفن الدراما وفن التمثيل ، نلاحظ أن هذين الفنين قد أصابا نجاحا وازدهارا مؤقتا فى فترة اليقظة القـومية التى تلت ثوراتنا الاولى مثل ثورة عرابى ثم ثورة سنة ١٩١٩ بنوع خاص حيث ظهرت نهضة مسرحية واسـعة نتيجة لليقظة القومية التى تلت تلك الثورة فازدهرت فرق الريحـانى والكسار وعكاشه وعبد الرحمن رشدى ورمسيس وغيرها ، حتى اذا كانت ثورة سنة ١٩٥٢ واليقظة القومية العامة الشاملة المستمرة التى تلتها لم يكن غريبـا أن يأخذ الادب الدرامى وفن التمثيل فى الازدهار والاتساع والانتشار حتى يصل الى ما وصل اليه اليوم عندما نراه يتخطى العاصمة الى المحافظات ويخرج من نطاق المحترفين الضيق الى نطاق الهواة الواسع ويمتد الى الطوائف العريضة أمثال الطلبة والعمال .

واذا كان هذا الاتساع الهائل لا نستطيع معه أن نضمن دائما الكيف الى جوار الكم والجودة الى جوار الاتساع فاننا على ثقة من أن الاستمرار وتدعيم هذه النهوض بمهمة التوعية الواسعة العميقة ، وبخاصة بان يحقق أيضا ما نبغيه لهذا الفن من رفعة وفاعلية فى رفع المستوى الثقافى والذوقى العام فضلا عن النهوض بمهمة التوعية الواسـعة العميقة وبخاصة اذا اتخـذنا لهذه النهضـة الاسس والعنـاصر والامكانيات السليمة القادرة .

دكتور : محمد مندور

فى الشعر المعاصر

للدكتور أحمد كمال زكى

« ان الكثرة المطلقة منا – معشر الشعراء – تتورط فى الخطأ فى أثناء سعيها الى الصواب » .

عبارة افلتت من هوارس الشاعر اللاتينى القديم يؤكد بها حق الشعراء فى الابتكار على الرغم من ان الفن يخونهم دائما ، فقد يحاول احدهم الايجاز فيقع فى الغموض ، وقد يؤثر الآخر العبارات الجزلة فتكون محصلته طنطنة فارغة ، وقد يبلغ الحذر بالثالث حدا يزحف معه على الارض اتقاء للعاصفة !

واليوم – وقد غيرت القرون الطوال على موت هوراس – نرى الفئات الثلاث بيننا ، الا أن أكثرهم يزحف على الارض بعد أن ضيع حقه فى الابتكار . والقلة التى تمسكت بهـــذا الحق تواجه بتحديات الشيوخ ، ولكنها تمضى ممثلة لتيار يبدو كما لو كان منبت الصلة بالموروث التليد .

والواقع ان تيار الطليعة فى مواجهته الشـــعر الكلاسيكى بأنماطه الجامدة ، وفى رفضه ان يحمل تجارب امرىء القيس والنـابغة وفحول بنى امية ، وفى تحطيمه للهندسية العروضـية التقليدية .. الواقع انه فى ذلك كله يعطى الجانب الآخر من حياتنا، الجانب المتوثب المتطلع الى امام ، وهو لايمكن ان يكون بعيدا عن الماضى ولا عن ايحـاءاته ، الا ان الشـاعر فيه يكون دائما أشبه بأوريستس الاسطورى تلاحقه لعنة الوسـائل والغايات الى الابد !

لماذا ؟

لانه يرفع رأسـه ، ولانه يواجه العاصفة ، ولانه ينبثق بشعره من القلب الذى يخفق لعصره .

والكلاســيكيون ولفـــهم العروضـــيين ينكرون وسـائله ، ولا يعترفون بأهدافه . بسـبب بسـيط ، هو انه يصدر عن مضامين بتلور الشك وترصـــد للضـياع ، وتدفع بالمرء الى اودية مظلمة تشيع فيها جنازة الانسـان الاجوف المتسـائل عن كل شىء وعن لا شىء دون أن يظفر بجواب !

هو المعدن اذن .. طبيعة القصيدة الحديثة ، او هو تصميمها داخل حدود يخاف العموديون – اشفاقا على الطليعة أن يختنق فيها الموروث ثم يقبر .

ونحن نتسـاءل : هل يعنى اشـــفاقهم وبالتالى انكارهم انه بت فى قضية الشعر المعاصر ؟

بالطبع لا ، لان الواقع ان المجددين موجودون شاء العموديون أم لم يشاءوا . وهم موجودون لان الحياة تريدهم ولانهم نتاج هذه الحياة ، ثم هم موجودون لان عملية الخروج على عروض الخليل ابن أحمـــد – والنسبة اليه من قبيـل التوسع – لا تفضى الا الى ضرب جـــديد من الايقـاع يقتضيه التطور ، كما اقتضى من قبل المزدوجات والمسمطات والموشحات .

ولقد يعترض معترض قائلا انه ليس من الطليعة من يستطيع ان يجيد كما اجاد شوقى مثلا ، فنقول: وهل بين العروضيين اليوم من احتل مكانة ذلك الشاعر ؟ قد يكون هناك ابراهيم ناجى ، وقد يكون هناك عمر أبو ريشة ، وقد يكون بيننا صالح جودت، الا أننا لانستطيع أن نقارن واحدا من هؤلاء بشوقى العظيم .

وليس معنى ذلك ان أحمد شــــوقى أتى بما لم تستطعه الأوائل ، وانما معناه أنه كان مرحلة ، ومن حيث وقف يجب ان يسير الخلف ، وفى رايى ان العروضيين – كخلف – لم يستطيعوا ان يسيروا الا القليل فى حين قدرت الطليعة على ان تســـير وتسـير !

ولا يعنى كلامى هذا ان العروضيين مزيفون ، وانما يعنى انهم فى كل ما يصدرون عنه يندفعون – بلا وعى – الى استعمال القوالب المتوارثة فى كل ما يقابلهم من اسباب تحت البطء منهم على قول الشعر . وهم على الرغم من انهم يتعرضون للاحداث الجارية ويقترحون لونا من العـلاج – باعتبـارهم مسئولين اجتماعيـا – يجترون الصـور التى دارت فى ايقاعاتها السـاذجة داخل المروى العتيق .

فهم شعراء ، ولكن بلسـان غيرهم !

الخير عندهم هو ما حدده أبو العلاء المعرى على أحسـن تقدير ، والصاروخ الذى غزا به السـوفييت الفضاء ظليم ينهب الصحراء . وأما الطائرة فناقة يحدوها حاد ، وهكذا ...

هذا في الصور التي يرســـمونها ، فاذا طرحوا القضايا ــ كمضمون ــ تناولوها ببساطة او طنطنوا عنها بحماسة ، فأشبهوا من ثم هؤلاء الذين يزحفون على الارض عند هوراس .

والمشكلة الآن تنحصر في معرفة اى الفريقين ــ الشيوخ والشباب ــ يسلك الطريق السليم !
اعتقد أنه من الممكن أن نقول في هذا شيئا اذا اجبنا عن سؤال نطرحه وهو : هل انتفى حقا معنى الشعر فيما نسميه بالشعر المرسل ؟ ويمكن ان نسوق السؤال على النحو التالى : لماذا ينادى واحد كصالح جودت وهو احد العموديين المخلصين بان الشعر المعاصر لا وزن له ؟

الحقيقة ان القصيدة المرسلة لها رقم معينة وحداتها تفعيلات الخليل نفسها ، ولكن بتوزيع جديد يحقق المرونة الموسيقية التى افتقدها الشعر العربى بعد عبوره المرحلة الجاهلية الخصبة . واذن فمناقشة صالح جودت يجب ان تكون على اساس أن يعترف بان الشعر الجديد قائم على قاعدة نغمية يعرف هو تفعيلاتها كل المعرفة .

على ان استعماله اسلوب الشتم في خلفه مع الطليعة او اصطناعه سياسة الارهاب معهم يكشف عن شعور الشيوخ بالخوف من المستقبل . فاذا كنا نرجو نحن صادقين أن يطول هذا مستقبلهم ــ مع أنهم مرحلة ــ فنحن لا نرجو الا أن يجمعوا على ان التطور القصيدى امر واقع فعلا لانه لابد منه ، ولجوءهم الى وسائلهم في الافكار معناه عجزهم عن مواجهة الشباب عمليا ؛ لان الشتم سلاح العجز كما هو معروف . وفى رأيى حسما للنزاع انه يجب أن يفرقوا بين مدعى التجديد وبين القادر على التجديد، لان من المؤكد ان حركات التحرر يطرقها دائما الدخلاء على سنة الطبائع البشرية منذ الازل .
فصالح جودت اذن وهو ينبه بأنه من الد أعداء « هذا الشيء المسمى بالشعر الجديد » عليه ان يدرك هذه المسلمة أولا ، وفى هذه الحال تنتفى الحيثيات التى يسوقها للحكم بالموت على الشعراء الشباب .. فتوفيق صايغ مثلا لا يمكن أن يكون شاعرا لانه لا يزن ، وليس معنى انه لا يزن ان الشعر الحر كله شيء ينقصه الوزن !

هذه واحدة ، واما الاخرى فهى في صدوره عن مذهب خلقى معين ، فقد يكون الشاعر رجعيا يمجد وضعا من الاوضاع فاذا أخذ بأسباب الثورة انقلب جمهوريا ، وقد يدعو الشاعر في مرحلة من عمره الى مناصرة حزب من الاحزاب فاذا أجمع على ان الاحزاب عفن صاح : بل هى الموت الزؤام !

تلك ذبذبة نسقطها من حسابنا ، ولكنا نطالبه في المقابل الا يأخذ الشعر الحر كله بنماذج شوقى ابو شقرا وعصام محفوظ واوكتافيو باث ويوسف الخال وادونيس في مرحلته قبل الاخيرة .

هؤلاء ماجورون او فيهم من يؤجر ، وهؤلاء شعوبيون او فيهم من يدعو الى الشعوبية .. فليس عندى الدليل كله ، وانما عندى أى فيهم من ينادى بقومية غريبة ومن مصلحته ان يحطم «البيان العربى » .

يوسف الخال مثلا شاعر مهما يقل فيه صالح جودت ، ولكنه من دعاة الانفصال ، ويرى من مصلحته ان يفسد القصيدة العربية لانها شعار من شعارات القوميين العرب . واوكتافيو باث ليس شاعرا لانه يقول مصطنعا اطار القصيدة الحرة :
القمر
كأنه سكير وقع على بطنه
والكلاب المتسكعة
تغسل نواة القمر
يمر موكب شاحنات
فوق اجساد القمر !
فهل يستوى الاثنان في الحكم على شاعريتهما ؟ بداهة لا ، برغم اخذ الاثنين بتهمة واحدة . واذن فقد كانت الشعوبية بابا دخل منه ادعياء الشعر الى الشعر ، الا انها لا يمكن أن تتخذ أساسا لانكار القصيدة الحرة على الاطلاق .

ولنعد مرة أخرى الى شعر العموديين ، فالواجب الا نأخذ احدا على غرة ، بل الواجب الا يكون التمويه عندنا فيصلا اخيرا .. لنعد الى واحد منهم ــ كنموذج ــ لنرى كيف يصف طائرة ، انه يقول :

واذن حادى الركب ان اوثقوا الحبى
فان مدب العاصفات شديد
وزف جناحاها ومال ذنابها
وصلصل حيزوم وقرب جيد
واقعبت على سكانها وترجحت
ترجح سكرى تنثنى وتميد

تحذير : الشاعر هنا يصف طائرة ولا يتحدث عن ناقة ولا عن كلب ! ان واجبنا ان نكون منصفين كما ان واجبه هو الا يزعم ان تلك الابيات رائعة ، والا فنحن ـ بمقياس تجارب العصر ـ نقول انه هذا ليس شعرا لانه يكشف عن موقف كاذب .. اذ لا يمكن ان تقعى الطائرة ، ولا يمكن ان يحتبى ركابها حتى لكانهم فى ربع خشم او فى فناء عبس.

انا لا الوم الشاعر الكبير صاحب تلك الابيات مع ذلك لانه عجز عن أن يرى اكثر مما راى ٧ وانما الوم صالح جودت لانه يصفق له ، ولكن ليس ينبغى فى هذا الحال ان نقول ان الشعر ينبغى ان يكون هكذا والا فلا ، على اســـاس ان بين المجددين فئة مارقة يهمها الضياع !

اظن ان الغاية الحقيقية من مقالى هذا قد اتضحت الآن ، واظن ايضا اننا بصدد الاجابة عن السؤال : اى الفريقين يسلك الطريق السليم ؟

لقد راينا ان الشعر شعر بالوزن اولا ، تلك مسلمة .. ولكن شقاء الشاعر الشاب يرجع ـ مهما يكن سببى المباشر ـ الى ادراكه ان ذاته الفنية حبيسة اطر الاولين ، فانتفض وكانت انتفاضته قائمة على عاملين احدهما نفسى والآخر اجتماعى ، ومن الممكن ان نضيف جماليات العصر كسبب من أسباب التطور الجديد للقصيدة .

ان الشاعر الشاب ـ مهما يبلغ غضب العموديين عليه ـ لا يريد ان يبدد فنيته فى تحايلات الاولين .. رؤيته الشعرية بعيدة كل البعد عن رؤية النابغة والاعشى وطرفة ولبيد ، فهو فى صراع بين ان يفى لتقليديات القصيدة ـ كما يراها الشيوخ العموديون وبين ان يفى لتجربته الحقيقية ، وفى ايمانه بان عملية الخلق فى حد ذاتها عملية طبيعية للانطلاق يؤكد ان انسانيته لا ينبغى ان تذهب ضحية الانماط المتوارثة .

وقد شوهد انسان الارض يغزو الفضاء ، ولمس المادة طاقة كهربائية وسمع الصورة ، ثم اختلفت امامه نظرية ثبات الكون .. فماذا يفعل ؟

انه لا يريد أن يوطن نفسه على الرضا وهو يرى تلك القفزات المذهلة ، ثم هو لا يمكن ان يرضى وامامه دول تباد ودول تقوم ، وحرب تاتى على الاخضر واليابس فى لحظات .

ثمة ثورة .. ومن الطبيعى ان تتحفز طاقته كفنان للاعلان عن تلك الثورة بكل ابعادها واعماقها !

هو شاعر ، يدعو الى رسالة وتلاحقه العثرات .. يحيا حياة تنطوى على القلق وتثقل بالتساؤلات ثم ينظر الى المكان والزمـان نظرته الى شيء تضل المعرفة فيه .

وهو يريد ان يتبنى قضية لانه صاحب موقف ، ويرفض ان يجعل قصيدته سببا من اسباب اللذة فقط على اساس ان للقصيدة حق اللذاذة احتكاما الى التقاليد .

وهو يدرك حقيقة المرض ويريد ان يتخطاه الى الايجابية السليمة ، ويسمع الانات مختلطة بالنغم ، ويستشعر العقم فى تمرسه على الاخصاب .

هو هذا ، وهو اكثر من هذا .. ويريد ان يعبر بامانة ويقرر ويفسر ويقترح كما يقترح الشيوخ أو كما ينبغى ان يقترحوا ، فكيف يكون الهزج او الطويل او الخبب او السريع او الرمل اطار تلك الحياة القلقة المعقدة ؟

ومع ذلك فلو نظرنا الى القضية من زاوية اخرى قلنا ان الايقاع الذى يناسب ارقال الناقة او خبب الفرس يختلف بالضرورة وبالقوة عن انطلاقة الصاروخ او سير القطار .. البدوى الذى حصر الخليل ايقاعات فنه الشعرى وحددها بأبحره لا يمكن أن يظل قدوة للمتحضر الذى يعيش فى القرن العشرين وينكر بطء الحركة ولا يسلم بان فى العجلة الندامة !

حاجته الفنية اذن نابعة من حاجته الاجتماعية ، وهذه الحاجة شكلتها اسباب نفسية تختلف كل الاختلاف عن اسباب الاولين . ومعنى هذا انه وهو يتحرر من قيود الخليل ـ وقد تحرر منها العباسيون وغيرهم ـ انما يمارس حقه الطبيعى كفنان متطور ، ومن ثم لا ينبغى ان نزعم انه لايقول شعرا او ان شعره لا وزن له .

وبعد ...

فهل اكون اجبت عن السؤال ؟ اظن نعم ... وللاستاذ صالح جودت بعد ذلك ان يعترض .

دكتور
احمد كمال زكي

وحدة مصر وسوريا على مدى التاريخ

بقلم : محمود الشرقاوى

- ٢ -

هذه الصــلات الطويلة العريقة ، التى أجملنا ذكرها فى المقال الأول « العدد ١٠٥٨ من الرسالة » أثمرت روابط ثقافيـة أصـيلة بين كل من مصر وســوريا . وقد بقيت هذه الروابط معالم ثابتة لا يمحوها الزمن على ما كان بين البلدين من وحدة عريقة ممعنة فى القدم راسخة على الايام .

نجد من ثمرات هذه الروابط فى عصور الفراعنة أن الآلهة القديمة التى كان المصريون يتعبدون اليها موجـودة كذلك معروفة فى سوريا يتعبد اليهـا السوريون كما يتعبد اليهـا المصريون . فالمعبود « اوزوريس » المصرى يعرفه أهل سوريا ويعبدونه ، وتقام له تماثيل كثيرة فيها كشفت عن بعضهـا الكشوف الحفرية فى عصرنا الاخير .

وفى اللغة المصرية نجدهم يسمون أهل سـوريا باسم أبناء « الجار » أو «الخال» ونجد أسماء مسميات متشابهة أو مشــتركة بين اللغتين ــ الســامية والمصرية ــ ذكر الاثرى المصرى أحمد كمــال طائفة منها ، كأسماء : البيت ، والباب ، والبئر ، والبركة، والكاهن ، والرأس ، والحنث : « الحنطة » وجومان : « الرمان » والزن « الزيت » وكثير غيرها . وما اسم « اللبطاني » نهر سوريا الا اسم مصرى : اللوداني» ومن « ســوريا » عرف المصريون القدماء « الخيل » ورسموها فى نقوشهم وأدخلوها مصر . وفى بعلبك وغيرها من مدن الشام شــواهد كثيرة ناطقة بقوة الروابط الثقافية التى أوجدتهـا وأكدتها سنوات الوحدة الطويلة التى قامت بين مصر وســوريا فى العصور القديمة على عهد الفراعنة .

ثم يجيء الغزو الفارسى لســوريا فلا يجـد الهاربون منها ملاذا لهم سوى مصر وعروسهــا : الاسكندرية . حتى ذكر المؤرخون أن سكانها زادوا زيادة كبيرة بمن كان ينزلها من أهل الشـام الذين أخرجهم من ديارهم غزو الفرس . وأنهم وجدوا فيها وفى غيرهـا من بلاد مصر الراحة والأمان والعيش الطيب الكريم . وقصد بعض الرهبـان من مصر اليها يواسون أهلهـا ويعيدون بناء الكنائس التى هدمتها الحرب ، ومنها كنيسة بيت المقدس التى أعيد بناؤها ورونقها على يد كاهن مصرى اختاره أهـل بيت المقدس بعد ذلك زعيمـا عليهم ، وتوحدت بذلك الكنيستان . وجاء بعد ذلك بسـنة واحدة : (٦١٦) م الغزاة الفرس الى مصر وهدموا الاسكندرية فرد أهـل الشــام لأهل مصر ما لقوا من كريم المواســاة بما هو أعظم منه وأكرم . وحموا من استطاعوا حمايته من رهبانهم وأطفالهم ونســائهم وذخائر كتبهم وآثارهم .

وجاء نور الاســلام وهداه الى الشام مع جيش المسلمين وقائده خالد ابن الوليد فدخل بلادا كأنما كان أهلها يترقبونه ، حتى ســمى البلاذرى فتح الشام : « الفتح اليسير » . ودخلت جيوش المسلمين دمشق فى السنة الرابعة عشرة للهجرة : (٦٣٥ م) ثم لم يلبثوا أن عرفوا أن الشام ومصر بلدان يكمل بعضهما بعضا وأنه لا أمان لأحدهما الا بأمن الآخر ، فلم تمض سنوات كان لابد من مضيها للقضاء على ما بقى من نفوذ الدولة الرومانية ولتنظيم البلاد ، حتى جاءت جيوش الاســلام والعرب تطرق أبواب مصر يقودها عمرو بن العاص ، وتم فتح الاسكندرية فى سنة ٢٢ هـ .

وبذلك بدأت وحدة سياسية ودينية واقتصادية كانت أكثر سنواتها الطويلة قوية راسخة ، وأقلهـا ضعيفة متخاذلة ، ولكنها فى جملتها لم تنفصم ولم يبتعد أهل البلدين بعضهمـا عن بعض الا مقهورين غلبهما سلطان ظالم ، أو مبلبلين استيقظت بينهما فتنة نائمة .

جاءت الفتنة الكبرى بقتـل عثمان بين صـلاته وقرآنه ، فجمعت الشعبين آصرة من الاعتدال فى

الميل والقصد في الخصومة ، وتوحد الشعبان في الولاء السياسي لمعاوية فاستمعوا لدعاته وخضعوا لحكامه وولاته ، وتوحدوا في الولاء العاطفي لعلي وبنيه وشيعته فاقاموا لهم المساجد والمنارات وشيدوا لهم المعابد والمزارات وخصوهم بمزيد من المحبة .

وصحت عند أكثرهم نصيحة علي : (كن في الفتنة كابن اللبون : لا ظهر يركب ، ولا ضرع يحلب) فسلموا وامنوا أكثر مما أمن غيرهم .

وتوحد الشعبان من يومئذ في التوسط بين المذاهب فالتزموا - الا أقلهم - في العقيدة مذهب اهل السنة والجماعة ، والتزموا - الا أقلهم - في الشريعة واحدا من المذاهب الأربعة .

ويكون من أثر الفتح العربي أن تنزح قبائل وجماعات وجيوش الى مصر للاقامة والتجارة والحرب فيمتزج الشعبان أكثر فأكثر ، بالاقامة والمصاهرة والمتاجرة . ويترك المصريون ، شيئا فشيئا ، لغتهم القبطية الى العربية ، ودينهم المسيحي الى الاسلام . وكذلك يفعل أهل الشام .

ويصطف الرجال من أهل مصر وسورية تحت راية واحدة ، راية معادية ، وقيادة واحدة ، قيادة عقبة بن نافع وعقبة بن عامر ، يسوون صفوفهم ويشهرون سيوفهم ، يرفعون أعلامهم ويقرنون خيولهم ثم يخرجون متكاتفين لينشروا دين الله ويمكنوا سلطان الدولة ويعلوا كلمة الحق ويحرروا رقاب العباد من ذل الحكام والكهان والجهلة . فيثبون على الدولة الرومانية والجهالة الوثنية في برقة والسودان ورودس فيبيدون جندها ويمحقون سلطانها ويدكون قلاعها ويحرقون سفنها في البر والبحر .

ويخرج حفظة القرآن وحملة الحديث فيسيحون في الارض وينتشرون في الحواضر والقرى والثغور ، من شمالي سوريا الى دمشق الى القاهرة والاسكندرية الى قرب أسوان ، يرشدون الناس بالقدوة الطيبة ويعلمونهم بالموعظة الحسنة ، لغتهم العربية ودعوتهم كلمة الله ووجهتهم الكعبة .

يولد الشافعي ويدرج في غزة من أرض الشام ويرحل الى العراق ثم يهبط مصر فيجدد فيها مذهبه ويجد من أهلها أتباعا وتلاميذ ، ويقضي في فسطاطها بقية عمره ، ويلقى بها ربه فيوارى في ثراها ، ويشيع مذهبه في مدنها وقراها .

بلدان يملك أمرهما حاكم واحد

خليفة يقيم في دمشق ويرسل نوابه

وقضاته وحكامه يقضون ويحكمون باسمه في دمشق ، وبيت المقدس ، وبيروت . وفي الفسطاط والاسكندرية ودمياط وأسيوط . يمرض واحد منهم فيجيء « حلوان » راحلا مستشفيا فمقيما ، ينشيء فيها القصور ويعمر المساجد وينشيء البساتين الحسان . كما فعل عبد العزيز بن مروان .

وهكذا يظل الحال في مصر وسورية ما بقيت الدولة الأموية . يحكم مصر من رجالها الحكام فيسير بعضهم في أهلها سيرة الحزم فيخشونه . ويسير بعضهم فيهم سيرة العدل والرفع فيحمدونه .

كما كان اخو معاوية عتبة . وكما سار فيهم عقبة بن عامر ، الصحابي الحافظ الشاعر ، الذي كان لاهل مصر فيه اعتقاد عظيم وله عليهم فضل ، كما قال مؤرخ مصر ابن تغري بردي في « النجوم الزاهرة » ، وكما كان العفيف العدل عبد الملك بن رفاعة الفهري .

حتى اذا اضطرب أمر الدولة في الشام ، لم يجد رجالها وخليفتها مروان ملاذا له سوى مصر ، التي حمته واعانته ، ثم تدول الدولة وتدور الدائرة على بني امية فتقع كل من سورية ومصر تحت سوط العذاب وتجمع بين شعبيهما اواصر المحنة . ولكنهما - بعد أن تهدأ الفتنة وتخف المحنة - يعودان فيحكمهما امير واحد يحكم باسم الخليفة العباسي في بغداد ، كما فعل الرشيد في توليته أبي مسلم عبد الملك بن صالح ، وكما فعل المأمون في تولية طاهر بن الحسين . ولكن الثورات والانتفاضات ظلت تثور وتخمد في كلا البلدين فترة طويلة ، لما بينهما

من وحدة الشعور وتوافق العاطفة والميل ، وما كان يقع بأهلهما من ظلم الحكام وجبروت الطغاة . وبخاصة عندما اخذ العباسيون يسلطون على الشام جند الترك من « افريدون » واضرابه . وكم من ثورة قامت وتلاقت فى مصر وحمص وحوران ودمشق ، فى هذه السنين التى كان فيها الشعبان رفيقى بلاء وحرب وعذاب .

ثم يفيق الشعبان من هذه الغاشية فيظهر بطلهما احمد بن طولون ، الذى فصم علاقتهما مع بغداد ، وخلص أهل مصر والشام من ذل حاكميها سلالة افريدون وخاقان وارخون . واستقل بمصر وسورية وجعل منهما بلدا واحدا ينعم بالهدوء والاستقلال والقوة وسعة العيش . وخلص بلاد الشام كلها من شر القرامطة الباطنية فلم يبق منهم غير فلول تلوذ برؤوس الجبال وتتورى فى بطون الأودية ..

ولكن هذه الدولة الواحدة الفتية القوية دالت بعد أربعين سنة . ومع ذلك لم تعد مصر ولا سورية الى حكم العباسية ، بل قامت فيهما دولة أخرى موحدة هى الاخشيدية وعرف الشعراء طريقهم من الشام وغيرها الى القاهرة حيث يمدحون حاكم البلدين وسلطانهما كافورا فيعطى ويثيب ويجزل . وكان بعض ولاة مصر وسورية فى هذه الدولة يحكمون الحجاز أيضا ، كما كان الامر مع احمد بن على الاخشيدى ، الذى « كانوا يدعون له على منابر الشام ومصر والحجاز » .

وقويت ، مرة أخرى ، فتنة الباطنية فى الشام ، واشتد ظلم الاتراك فى مصر . فأرسل بعض اهلها رسلا وكتبا الى الدولة الناشئة القوية فى المغرب : دولة المعز لدين الله الفاطمى فقدم ولم يلبث الفاطميون فى مصر الا بمقدار ما ينتظم به أمرها وأمرهم ثم صعدوا الى الشام حيث كانت تقع بين بلاءين عظيمين : بلاء الباطنية من الداخل ، وبلاء الصليبيين من الخارج ومن بعض الثغور والبلاد التى استطاعوا أن يدخلوها . واستطاعت الدولة الفتية القوية ، بمعونة جند من مصر ، أن يخرج الروم من الشام ، سنة ٣٦٤ : (٩٧٤ ـ ٩٧٥ م) بعد أن كانت تسيطر على صيدا وبعلبك وبيروت وجبيل . كما دخلت دمشق جيوش مصر الفاطمية .

وبقيت بعد ذلك حروب خرج لها الخليفة الفاطمى نفسه : « العزيز » فى سبعين الفا من جنده وجند مصر فطهر سوريا ، وأسر « افتكين » وعاد به الى القاهرة . وأسر قائد القرامطة فأخرجه منفيا من الشام كلها : الى الأحساء .

وحكم العزيز هذا ، ابن المعز ، مصر والشام بعد أن عادا بلدا واحدا ، احدى وعشرين سنة . وكان ، فى بعض هذه السنين ، يحكم الموصل أيضا ، وبلاد اليمن . ويخطب باسمه على منابرها ومنابر الحجاز والمغرب . وفى عهده جاء سفراء الروم ورسلها يحملون له الهدايا ويرجون الصلح ، فأجابهم العزيز واشترط شروطا شديدة التزموا بها كلها ، منها أنهم يحلفون أنه لا يبقى فى مملكتهم أسير الا أطلقوه ، وأن يخطب للعزيز فى جامع قسطنطينية كل جمعة ، وأن يحمل اليه من امتعة الروم كل ما فرضه عليهم .

ثم رد السفراء والرسل ، بعد أن امضوا هذه المعاهدة لسبع سنين .

محمود الشرقاوى



شاعر الرّسول فى محنة

بقلم: على العمارى

نحن الآن فى السنة التاسعة من الهجرة ، أو على وجه التحديد فى شهر رمضان من هذه السنة ، وقد رجع النبى صلى الله عليه وسلم فى ثلاثين ألفا من أصحابه الى المدينة المنورة بعد غيبة استغرقت خمسين يوما منذ توجه عليه السلام الى (تبوك) ليغزو الروم فى بلاد الشام ، وكان ذلك فى أواخر رجب الى أن عاد ظافرا مكرما فى أوائل رمضان ، وها هى ذى مدينة الرسول تموج بالبشر والفرح ، ولا يزال النشيد الذى استقبل به المسلمون خارج المدينة ، والذى هزج به النساء والصبيان والولائد لا يزال هذا النشيد يملأ الأسماع :

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
ما دعا لله داع

وقد كان يوما عصيبا شاقا ذلك اليوم الذى بدا فيه النبى يتجهز لغزوة تبوك ، فقد كان المسلمون فى جهد شديد ، وبلاء عظيم ، كانوا فى عسرة من الزاد حتى تزودوا التمر المدود ، والشعير المسوس ، وبلغت بهم الشدة الى أن اقتسم الثمرة اثنان ، وكانوا فى عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها ليشربوا ما بها من ماء ، وفى عسرة من المركب حتى كان العشرة يعتصبون بعيرا واحدا ، وكانوا فى شدة زمان من الحر الشديد ، والجدب والقحط ، ولذلك سمى الله هذه اللحظة فى حياة المسلمين (ساعة العسرة) وأعلن أن بعض القلوب المؤمنة ، الصادقة الايمان كادت تزيغ فتميل الى التخلف عن الجهاد ، ولكن الله ربط عليها ، وثبتها فاتبعت الرسول فرضى الله عنها .

ولكن فتى جلدا ، قويا أيدا ، فى نعمة ويسر ، شهد له الرسول بأنه كان يحسن صفة الحرب ، وبأنه دافع عن أعراض المسلمين فأحسن الدفاع ، وقد أسلمت بعض القبائل خوفا من بيتين قالهما ، فقد روى أنه بينما كان الرسول فى سفر طلب اليه أن يحدو ، فقال :

قضينا من تهامة كل حق
وخيبر ثم أجممنا السيوفا
نخيرها ، ولو نطقت لقالت
قواطعهن دوسا أو ثقيفا

فقال عليه السلام : والذى نفسى بيده لهى أشد عليهن من رشق النبل ، ويقال : ان دوسا أسلمت فرقا من هذه الكلمة ، وقد كان هذا الشاعر ثالث ثلاثة من الشعراء وقفوا لشعراء قريش ، وناضلوا دون الدعوة ، وبلغوا من ذلك ما حمده لهم الرسول والمؤمنون ، وكان جيد الشعر حتى قال بعض المتذوقين للشعر ان أشجع بيت وصف به رجل قومه قول هذا الشاعر الصحابى الجليل :

نصل السيوف اذا قصرن بخطونا
يوما ونلحقها اذا لم تلحق

وقد شهد هذا الفتى جميع غزوات الرسول ماعدا

بدرا وقال عن نفسه : لقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الاسلام ، وما أحب أن لي بها مشهد بدر ، وان كانت بدر أذكر في الناس منها ، كما حدث عن نفسه ايضا بأنه لم يكن في يوم من الأيام اقوى ولا أيسر منه حين هم النبي بغزوة تبوك ٠

هذا الفتى الجلد الموسر يرى رهطا من المسلمين الصادقين يذهبون الى الرسول يطلبون اليه ان يهيىء لهم رواحل يغزون عليها فيعتذر الرسول بأنه لا يجد ما يحملهم عليه فيعودون واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون ٠

ويرى عثمان بن عفان رضى الله عنه يقدم للرسول الف بعير ، وسبعين فرسا ، وعشرة آلاف دينار فيقلبها النبي في حجره ويقول : ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم ٠

ويرى قوما من المنافقين حين تاهب الرسول للخروج يقولون : لا تنفروا في الحر ، فينزل قوله تعالى : « فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله ، وكرهوا ان يجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله ، وقالوا لا تنفروا في الحر ، قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون ، فليضحكوا قليلا ، وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون » ٠

يرى كل هذا ولكنه يتردد في الخروج ، ويظل بين عزيمة وتراخ حتى يسرع الناس ، فيهم أن يدركهم ولكنه لا يفعل ، وينظر حواليه فلا يرى متخلفا الا رجلا متهما بالنفاق ، أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ، ولكنه يجد تسعة من المسلمين منهم اثنان شهدا بدرا قد تخلفوا فيسرى ذلك عن نفسه بعض الشيء ٠

ويضرب بعض اصحاب النبي المثل الرفيعة في حب الرسول ، والجهاد ، ولكن الله لا يشرح صدره للحاق بالمجاهدين ؛ لأمر هو بالغه فلا شك أنه علم بقصته ذلك الصحابي الجليل الذي بلغ بستانه، وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل ، وبسطت اليه الحصيرة ، وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر ، وقال : ظل ظليل ، ورطب يانع ، وماء بارد ، وامرأة حسناء ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ، ما هذا بخير ، فقام ورحل ناقته ، وأخذ سيفه ورمحه ، ولحق بالغزاة المجاهدين ٠ ولكن هذه القصة الرائعة لم تشد من عزمه ، ولم تقض على تردده فيظل في المدينة حتى يرجع الجيش ، فيتقدم الى الرسول ليسلم عليه فيبتسم له النبي تبسم المغضب ، ويؤنبه على تخلفه ، ولكن الرجل وقد راى أكثر من ثمانين رجلا يعتذرون للرسول ، ويحلفون له فيقبل الرسول علانيتهم ، ويعفو عنهم ، يابى أن ينتحل المعاذير ، او يلجا الى الجدل مع قدرته عليه، ويعلنها للرسول بأنه ما كان صاحب عذر ، ويرجو عقبى الصدق عند الله ٠ وقد نهج نهجه في هذا صحابيان آخران هما مرارة بن الربيعة العامري ، وهلال بن أمية الواقفي ، وأولئك النفر الثلاثة هم (الثلاثة الذين خلفوا) أما السبعة الآخرون من المؤمنين المتخلفين فقد اشتد بهم الغم والحزن ؛ فاوثقوا أنفسهم في سواري المسجد وأبوا أن يحلهم أحد غير رسول الله ، ولكن الرسول لم يقدم من ذات نفسه على حل وثاقهم ، وانتظر بهم حتى نزل قوله تعالى : (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم » فيحل النبي وثاقهم ويعفو عنهم ٠

ويرجىء أولئك النفر الثلاثة ، وينهى الناس عن كلامهم ، فيجتنبهم الناس حتى أقرب المقربين اليهم فيجلس الرجلان في بيتيهما يبكيان ، ويبقى صاحبنا مترددا بين بيته والمسجد ، ويشهد الصلاة ويطوف في الأسواق ، ولكن احدا لا يكلمه ، ويحضر الصلاة مع رسول الله ، ويظل يسارقه النظر ، ولكن الرسول يعرض عنه ؛ بل ويتسلق جدار ابن عم له فيسلم عليه فلا يرد عليه السلام ٠

ويقبل شهر شوال فيرتجف شاعر الرسول أشد الارتجاف ، ويضطرب أشد الاضطراب وتضيق عليه الأرض بما رحبت ، وتضيق عليه نفسه ، ذلك أن سورة بأكملها تنزل في شأن غزوة تبوك، ويسمعها ، ويقرأها فاذا هي ذات طابع خاص ، فهي لم تبدأ كغيرها من سور القرآن ببسم الله الرحمن الرحيم لما فيها من وعيد شديد ، ولما اشتملت عليه آياتها من صرامة وتخويف ، فهي تهدد الكافرين ، وتفضح المنافقين ، وتنال ببعض آياتها المؤمنين ؛ وتشتهر بينهم باسم (المبعثرة) لأنها كشفت وبعثرت نوايا المنافقين وتسمى الفاضحة ، واخيرا تسمى سورة (التوبة) ٠

ويبتدىء صاحبنا يتلو السورة فاذا أولها اعلان لبراءة الله من الكافرين المعاهدين : (براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين) ولا يكاد يمر فيها قليلا حتى يجدها تمجد الجهاد والمجاهدين : « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله ، وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم ، خالدين فيها أبدا ، ان الله عنده أجر عظيم » .

ويكاد ينخلع قلبه من بين جنبيه حين يمر بهذه الآية التي يدرك شدة وقعها المؤمنون الفاقهون : « قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ، وأموال اقترفتموها ، وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين » .

حقيقة ، هو يحب الله ورسوله ، وهما أحب اليه مما سواهما ، وحقيقة هو لم يتخلف لايثار شيء من هذه الشاغلات ، ولكنه يخشى أن يكون الشيطان تدسس الى قلبه ، في بعض اللحظات ، وللشيطان همس خفي ، ووسوسة غامضة ، فيكون من الفاسقين ، ويكون بمعرض لهذا التهديد العنيف .

ويشتد حزنه وألمه حين يصل الى قوله تعالى : (الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ، ولا تضروه شيئا) والى قوله تعالى يوبخ المتخلفين ، ويبين عن سوء طوياتهم : « لو كان عرضا قريبا ، وسفرا قاصدا لاتبعوك . ولكن بعدت عليهم الشقة ، وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معك ، يهلكون أنفسهم ، والله يعلم انهم لكاذبون)

ولكن الرجل مع هذه الشدة التي يعانيها ، وهذا الضيق النفسي الذي يعيش فيه يعرف لدينه حقه ، ولرسوله منزلته ، وندعه يحدثنا عن نفسه فيقول : بينا أنا أمشي في سوق المدينة اذا نبطي من نبط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك قال فطفق الناس يشيرون له الي ، حتى جاءني فدفع الي كتابا من ملك غسان ، وكنت كاتبا ، فقرأته ، فاذا فيه : أما بعد ، فقد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ، ولا مضيعة ، فالحق بنا نواسك ، قال : فقلت حين قرأتها ، وهذه أيضا من البلاء ، فتيامست بها التنور فسجرتها بها .

ويزداد البلاء شدة بعد الاربعين ، فيأتيه أمر من الرسول بأن يعتزل امرأته ، كما يجيء هذا الأمر لصاحبيه ، ويمتثلون لأمر الرسول ، ويظلون يعانون من هذا البلاء الى أن تكمل المدة خمسين يوما ، وهي نفس المدة التي قضاها المسلمون المجاهدون خارج المدينة ، فينزل قول الله تعالى : « لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ، ثم تاب عليهم انه بهم رءوف رحيم ، وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم ، وظنوا ألا ملجأ من الله الا اليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا ، ان الله هو التواب الرحيم » .

وحينئذ يعود الفرح الى المدينة ، وتنطلق البشرى نحو النفر التائبين ، ويقف أحد الصحابة على الجبل ليعلنها ، ويقبل صاحبنا الى رسول الله فيتلقاه الناس فوجا فوجا يهنئونه ، ويقولون : لتهنئك توبة الله عليك ، ويسلم على رسول الله ، وهو يبرق وجهه من السرور ، ويقول : أبشر بخير يوم مر عليك مذ ولدتك أمك ، قال : وقلت يا رسول الله ان الله انما نجاني بالصدق ، وان من توبتي الا أحدث الا صدقا ما بقيت قال : فو الله ما علمت أن أحدا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومي هذا أحسن مما أبلاني الله به ، والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله الى يومي هذا ، واني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي .

وهكذا عاش شاعر رسول الله كعب بن مالك الانصاري ، في هذه المحنة القاسية ، وخرج منها نقيا طاهرا ، يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله .

علي العماري

هل للقاتل توبة؟

بقلم : أحمد فتحي بهنسي

قال بعض الفقهاء ان المذنب اذا عوقب فى الدنيا لا يعاقب فى الآخرة لقوله صلى الله عليه وسلم : **من اذنب ذنبا فعوقب به فى الدنيا لم يعاقب به فى الآخرة** ٠

عن الترمذى عن على بن ابى طالب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

من اصاب حدا فعجل عقوبته فى الدنيا فالله أعدل من أن يثنى على عبده فى الآخرة ٠ ومن اصاب حدا فستره الله عليه فالله أكرم من أن يعود فى شىء قد عفا عنه ٠

وفى رواية عن عبادة بن الصامت قال :

كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى مجلس فقال : « تبايعونى على الا تشركوا بالله شيئا ولا تزنوا ولا تسرقوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق، فمن وفى منكم فاجره على الله ، ومن اصاب شيئا من ذلك فعوقب به فى الدنيا فهو كفارة له ٠ ومن أصاب شيئا من ذلك فستره الله عليه فامره الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه ٠ زاد فى رواية : فبايعناه على ذلك رواه الخمسة الا أبا داود ٠

وقال آخرون : **ان الطهرة عن الذنب لا تحدث باقامة الحد بل بالتوبة ولهذا يقام الحد على كره منه٠**

الا أن الأمر قد أثار مشكلات بالنسبة للقاتل عمدا لما لجريمة القتل من وضع خاص لما ورد فيها من آثار مختلفة ٠

قال الله تعالى : « **ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها** » ٠

وروى النسائى : أخبرنا الحسن بن اسحق المروزى «ثقة» قال : حدثنى خالد بن خداش عن بريدة قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **قتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا** » ٠ وروى عن أبى وائل عن عبد الله قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « اول ما يحاسب به العبد الصلاة واول ما يقضى بين الناس فى الدماء** » ٠

ولذلك فقد اختلف الفقهاء فى توبة القاتل سواء نفذت عليه العقوبة أم لم تنفذ لسبب من الأسباب ٠

روى البخارى عن سعيد بن جبير قال : اختلف فيها اهل الكوفة ، فرحلت فيها الى ابن عباس فسألته عنها فقال : نزلت هذه الآية :

« ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جنهم » هى آخر مانزل ومانسخها شىء ٠ وروى النسائى عنه قال : سألت ابن عباس هل لمن قتل مؤمنا متعمدا من توبة ؟ قال لا ٠ وقرأت عليه الآية التى فى الفرقان : « والذين لايدعون مع الله الها آخر » قال : هذه آية مكيه نسختها آية مدنية : ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ٠

وروى عن زيد بن ثابت نحو ذلك ٠

كما ذهب المعتزله الى ذلك الرأى وقالوا :

هذا مخصص عموم قوله تعالى « ويغفر مادون ذلك لمن يشاء » وراوا ان الوعيد نافذ حتما على كل قاتل ٠ فجمعوا بين الآيتين بأن قالوا : التقدير ، ويغفر مادون ذلك لمن يشاء الا من قتل عمدا ٠

الا أن غالبية الفقهاء أجمعوا على أن للقاتل توبة كغيره من العصاة للأسباب الآتية :

١ ــ ان آية « من قتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها» آية خاصة نزلت فى واقعة معينة فلا تتعداها الى غيرها من الوقائع ٠

فقد اجمعوا على ان الآية نزلت فى مقيس بن حبابه وذلك انه كان قد اسلم هو واخوه هشام بن حبابه فوجد هشاما قتيلا فى بنى النجار فاخبر بذلك النبى صلى الله عليه وسلم ، فكتب له اليهم أن يدفعوا اليه قاتل اخيه وارسل معه رجلا من بنى فهر ، فقال بنو النجار : والله لانعلم له قاتلا ولكنا نؤدى الدية فاعطوه مائة من الأبل ثم انصرفا راجعين الى المدينة

فعدا مقيس على الفهري فقتله بأخيه واخـــذ الابل وانصرف الى مكة كافرا مرتدا ٠ « وفي رواية : وثب على قاتل أخيه فقتله » .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لا أؤمنه في حل ولا حرم** » ٠ **وامر بقتله يوم فتح مكه وهو متعلق بالكعبة ٠**

١ ـ ليس الأخذ بظاهر هذه الآية باولى من الأخذ بظاهر قوله : ان الحسنات يذهبن السيئات ٠

وقوله تعالى : وهو الذى يقبل التوبه عن عباده ٠

وقوله تعالى : ويغفر ما دون ذلك لمن يشــاء ٠

والأخذ بالظاهرين مناقض فلا بد من التخصيص ٠

٣ ـ ان الجمع بين آية الفرقان :

« **والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما ، يضاعف له العذاب يوم القيامه ويخلد فيه مهانا ، الا من تاب وآمن وعمل صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما** » ٠

وآية النساء : « **ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها** » ٠

ممكن ، فلا نسخ ولا تعارض ٠ وذلك بأن يحمل مطلق آية النساء على مقيد آية الفرقان فيكون معناه : فجزاؤه جهنم خالدا فيها الا من تاب ، لا سيما وقد اتحد الموجب وهو القتــل والموجب وهو الايعـاد بالعقاب ٠

٤ ـ حديث عبـادة بن الصــامت الذى سبقت الاشارة اليه ٠

« تبايعونى على الا تشركوا بالله شيئا ولا تزنوا ولا تسرقوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الابالحق ، الخ ٠٠

٥ ـ روى البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« **كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعا وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه ، فقال : انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة؟ فقال : لا ، فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم ، فقال انه قتــل مائة نفس فهل له من توبه ؟ فقال : نعم ، ومن يحول بينه وبين التوبة ؟ إنطلق الى ارض كذا وكذا ، فان بها اناسا يعبــدون الله فاعبــد الله معهم ولاترجع الى ارضك فانها ارض سوء ، فانطلق حتى اذا نصف الطــريق أتاه ملك الموت فاختصمت فيــه ملائــكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة : جاءتائبــا مقبلا بقلبه الىالله وقالت ملائكةالعذاب: انه لم يعمل خيرا قط ، فاتاهم ملك في صورة آدمى فجعلوه بينهم فقال : قيسوا مابين الأرضين ، فالى ايتهما كان ادنى فهو له ، فقاسوه فوجدوه ادنى الى الارض التى اراد فقبضته ملائكة الرحمــة ، قال قتادة : فقال الحسن : ذكر لنا انه لما أتاه الموت ناء بصدره** » ٠

٦ ـ ان آية : « والذين لايدعــون مع الله الهــا آخر ٠٠٠ الخ آية مدنية وليست مكية كما نسبالى ابن عباس ويــوفق البعض بين قــول ابن عبــاس واصحابه وقول اهل السنة بان ابن عباس حينمــا افتى بان ليس للقــاتل توبة انمــا عنى المستحل للقتل .

روى يزيد بن هارون قال : اخــبرنا ابو مالك الأشجعى عن سعيد بن عبيدة قال :

جاء رجل الى ابن عباس فقال : ألمن قتل مؤمنا متعمدا توبة ؟ ٠

قال : لا ، الا النار ، قال : فلما ذهب قال له جلساؤه : أهكذا كنت تفتينا ؟ كنت تفتينا أن لمن قتل توبة مقبولة : قال : اني لاحسبه رجلا مغضبا يريد أن يقتل مؤمنا : قال : فبعثوا فى أثره فوجدوه كذلك ٠

وبذلكنستطيع القول بانالقاتل كغيره منالعصاة توبته الى ربه مقبولة منه ٠ وهو ما اتفق عليه الائمة الأربعة ٠

احمد فتحى بهنسى

العلم والإيمان

للشاعر: حسن جاد حسن

سما الى الافق حتى عانق القمرا ... وغاص فى القاع حتى طوق الدررا
وغالب البحر حتى راض جامحه ... وذلل الصبر حتى انطق الحجرا
وجال فى القفر فاخضلت خمائله ... وشق فى الصخر حتى فجر الغدرا
طوى المسافات فى لمح وقربها ... فما نحس بها بعدا ولا سفرا
ورد عيسي ، فاست كفه سقما ... اعيا ، ورد الى الاحياء محتضرا
آمنت بالعلم يعلى كل شامخة ... ويجلب الخير او يستدفع الضررا
آمنت بالعلم للاوطان ينهضها ... ويسعد الفرد فى دنياه والبشرا
آمنت بالعلم يذكى عزم امته ... باسا ويدرا عنها الضعف والخورا
آمنت بالعلم يبنى للسلام ، ولا ... ادين بالعلم يجنى الفتك والخطرا
آمنت بالعلم ، والاخلاق تعصمه ... ولا ادين به حمقا ولا بطرا
آمنت بالعلم يهدى للاله ، ولا ... أجل علما من الايمان قد صفرا
والعلم ان لم تقده نحو غايته ... روح تردى الى المهواة وانحدرا
اودى بعامر (هرشيما) وغامرها ... ولم يدع من بقايا ارضها اثرا
وخاف العالم الحيران فى قلق ... وشب فيه اوار الخوف فاستعرا

***

سبحان من علم الانسان من قدم ... وبث فى الكون من آياته عبرا
فى الارض آياته للموقنين هدى ... وفى السماء براهين لمن نظرا
اخلق بمن يجتليها ان تعرفه ... بالله لو انه فى صنعه فكرا
فاعجب لجهل على علم يتيه به ... من راح ينكره جحدا وما اعتبرا
كم طاف بالارض والآفاق مخترقا ... اطباقها بسفين يخطف البصرا
وطار فى ملكوت الله مقتحما ... حتى اذا ما استوى فى افقه كفرا
وعاد يسال : اين الله ؟ فى صلف ... وقد تخايل اعجابا بما ظفرا
سبحانه جل عن اين وعن جهة ... ولست الا هباء طار وانتثرا
هل كنت تغزو الفضاء الا بقدرته ... وهل بغير هداه كنت مقتدرا ؟
الله سبحانه ملء الوجود سنا ... والله روح بكل الكائنات سرى
فى الليل قد سبحت فى بحر ظلمته ... بيض النجوم وقد نضت به الازرا
فى بسمة الفجر يزهى فى غلائله ... بيضا ويسكب من خمر الندى سكرا
فى غرة الصبح يجلو من سبائكه ... على جبين الضحى فى راده غررا
فى الروض طاف به روح الربيع وقد ... مست انامله مغناه فازدهرا
فى الزهر وشاه منظوما ومنتثرا ... وفى العبير اذا ما ضاع وانتشرا
بث الحياة فامسي طيره غردا ... على الغصون ، وامسي غصنه وترا

في رقة النسمة العذراء عابرة   قد عطرتها أزاهير الربى سحرا

في غضبة البحر ، في عصف الرياح ، وفي   قصف الرعود ، وفي البرق الذي سفرا

في مسبح النجم ، في الافلاك دائرة   في الشهب ، في الفلك المشحون حين جرى

في النفس ، والنفس دنيا من عجائبه   في الخلق ابدعه سبحانه وبرا

في عبرة الدهر ، في المظلوم انصفه   وحطم الظالم المغرور فانكسرا

في انه البائس المكسور خاطره   اذا استجار به في كسره جبرا

في الخطب يحمل في اطواء محنته   لطفا تخفى وراء الخطب واستترا

وفي الجمال يجليه لنا فتنا   وفي الطبيعة يجلوها لنا صورا

في كل شيء تجلى الله مقتدرا   وفي مظاهر هذا الكون قد ظهرا

***

انا لنبني على الايمان نهضتنا   ونستضيء به ان ليانا اعتكرا

في امة وثقت بالله في عمل   اجدى وعلم رشيد حقق الوطرا

دكت به الظلم فانهارت قواعده   واستصرخته على العدوان فاندحرا

وحققت ببناء السد معجزة   واي عزم يصد السيل ان هدرا ؟

مجرى الحوادث من بالعزم حوله   لخير امته قد حول النهرا

يفرى الخطوب فلا تعييه طارقة   حتى لاحسبه قد حالف القدرا

فتى من الشعب لا يألوه تضحية   ولا يمل على آماله سهرا

يحس شكواه آلاما تؤرقه   حتى يخلصه من ظالم فجرا

وما استطال بجاه الحكم في يده   يوما ولا تاه اعجابا ولا اشرا

هل كان الا على الايمان معتمدا   او كان الا لعون الله منتظرا

الروح في كل جيش سر قوته   ولن تراه بغير الروح منتصرا

ولا يفل شبا الايمان منصلت   وكم يفل شباه الصارم الذكرا

والروح في الشرق سر من ودائعه   لولاه ذاب على الايام واندثرا

***

شبيبة العرب حيا الله وثبتكم   وزادكم في الكفاح الحر مصطبرا

شدوا العزائم بالايمان تقوو به   فلن تروا مثله أزرا ولا وزرا

والدين كوثره يشفي الغليل ، ولن   تروا كمنهله وردا ولا صدرا

خذوا من العلم وابنوا كل صالحة   وواكبوا ركبه لكن خذوا الحذرا

نور من الله يعمى عن هدايته   قوم احالوه من الحادهم سقرا

لا تستهينوا بما شبوه من شرر   قد تاكل النار من يستصغر الشررا

ردوا الى مستقيم الدين جامحه   ان انتمو لم تردوا جمحه عثرا

وامضوا على الدرب للآمال واتحدوا   صفا قويا وذودوا الشوك والابرا

ان العروبة لم يبعد بغايتها   فيما مضى غير خلف بينها شجرا

واسترجعوا لفلسطين عروبتها   واخرجوا من شراها الذئب والنمرا

وطهروا نهرها من سم عقربة   وانفوا عن المورد المكروب والكدرا

***

يا من زرعتم بارض المجد غرسكمو   دنت قطوف الاماني فاجتنوا الثمرا

واجنوا جنى ثورة في الشرق قد بذرت   روح الكرامة حتى اطلعت شجرا

سيروا على هديها المأمون واعتصموا   بعروة الصبر ، فالعقبى لمن صبرا

حسن جاد حسن

إرهاصات بين يدى الهجرة

بقلم: عبد الكريم الخطيب

من سمات الحق أنه اذا لبس معنى من المعانى ، أو تلاقى مع خطة من الخطط أو عمل من الاعمال ــ أضفى الخلود على هذا المعنى الذى لبسه ، وأفاض الحياة والخلود معــا على ما تلاقى معه من خطة أو عمل !

وفى سجل التاريخ شاهد قائم يشهد لهذا القول ‥ فهناك أعداد لا حصر لها من صحف التاريخ التى تضم سطورها ما تضم من معان ، وخطط ، وأعمال‥ قد دفنت من أول يومها ، فلا يمر بها الناس الا كما يمر الأحياء بجثث أبلاها البلى ، وعفى عليها الزمن ‥ على حين أن هناك صحفا لا تزال على تطاول الزمن شواهد ، ومعالم للنــاس ، يأخذون عنهــا المعنى الكريم ، والخطة المثلى ، والعمل النافع الصالح ‥ وليس بين هذه وتلك الا ما بين الحق والباطل ‥ فحيث كان الحق ، فالنماء ، والخير ، والخلود ، وحيث كان البــاطل فالضــمور ، والخسران ، والضياع !

والهجرة النبوية معنى من معانى الحق ، وخطة من خططه ، وعمل من أعماله ‥ فهى لهذا فى حياة مجددة أبدا ، يستهدى بها الناس كمــا يستهدون بالاشارات المضيئة ، والمعــالم المنصوبة فى مسالك الحياة ومساربها !

ودع كل ما يحف بالهجرة من جــلال النبوة ، وانظر اليها هى فى ذاتها من حيث انهــا معنى ، وخطة ، وعمل ‥ فهل تجد لهذا المعنى شبيها فى الدلالة على وثاقة الايمان بالحق ، والاستماتة فى سبيل الدفاع عنه ، والاستخفاف بالمكاره والمكايد من أجله ؟ وهل تجد لهذا المعنى شرحا أبلغ وأوفى مما أفصحت عنه وقفة النبى الكريم وصحبه فى وجه هذا البلاء الذى كانت تصبه قريش صبا عليه وعلى من معه ؟ ثم انظر مرة أخرى ‥ فلقد يكون المعنى كريما نبيلا ، ولكن قد تقوم من ورائه خطة لا تبلغ مستواه من النبل والكرم ، فلا تكون صالحة لصحبته فى كل زمان وكل مكان ‥ فقد كانت خطة «غاندى» ــ مثلا ــ فى مقاومة الظلم الانجليزى خطة قائمة على معنى نبيل كريم ، يفيض من ينابيع الحق والعدل ، وهو الصمود المستميت فى وجه الظلم والاستبداد‥

وقد كانت الخطة المنفذة لهذا المعنى ، والمترجمة عنه هى المقــاومة السلبية ، ومقــاطعة السلع الانجليزية ‥ وقد نجحت هذه الخطة فى الهند ‥ ومع الانجليز ‥ ولكنها لا تنجح فى كل حال ، حين لا يكون العمل التجارى فيها هو أساس الصراع بين الحق والباطل ‥ واما الخطة التى قامت على المعنى الاسلامى ، وأعنى بهــا الهجرة ، فهى الخطة التى لا تخلف وعدها أبدا بالنصر المأمول من ورائهــا ، فى جميع الازمنة والامكنة ‥ فالفرار من وجه الظلم بالمذاهب ، والآراء ، والمعتقدات هو الخطة المثلى التى تضمن بقاء شعلة الحق فيها محتفظة بوجودها ، الى أن يجتمع عليها ــ فى موطنها الجديد ــ أنصــار وأتباع ، ينصرونها ، وينشرونها ‥ ولو أنها ظلت حيث هى فى مهــاب العواصف والزوابع فلربمــا انطفأت شعلتها وتحولت الى رماد تذروه الرياح ، ثم لا يرى لها بعد ذلك وجه أبد الدهر ‥

وللفرار هنا معنى ليس منه الخوف من التلف ، أو الضيق بالمكاره ، ولكنه ضن بالعقيدة أن يفتن فيها ، وحرص على الرأى أن يلفت عنه ! ومن هنا كان هذا الفرار خطة من خطط الحق ، وأسلوبا من أساليبه فى الاعداد لمصارعة الباطل وصرعه !

ثم انظر الى الهجرة النبوية نظرا مباشرا تجد انها لم تكن وليدة يومها الذى خرج فيه الرسول الكريم مهاجرا ، مع صاحبه أبى بكر ‥ ولكنها كانت نتاج أحداث مزلزلة ، ووليدة صراع عنيف مرير متصل ، ومن هنــا كان تعلق قلوب المسلمين بهــا ، ومد أبصارهم اليها ، وان بعدت مسافات الزمن بينهم وبينها ‥ ولعل هذا التدبير الحكيم الذى كان من عمر بن الخطاب حين اتخــذ الهجرة مبدأ لتاريخ الاسلام ــ لعل هذا كان عن فيض هذا الاحساس المسعد ، الذى كان يعيش فيه المسلمون يومذاك مع الهجرة وما فتح الله به على المسلمين بعدها من رحمة، ورضى ورضوان !

ألا ما أهنأ العافية بعد العلة ، وما أجمل الرخاء بعد الشدة ، وما أضوأ النــور بعد الظلام ! فهذه المعانى وأمثالها لا يجدها الناس على الكمال والتمام، ولا يرونها فى أروع مطالعها ، وأفتن وجوهها وأحلى مذاقاتها الا حين تلقاهم بعد أن يمتحنوا بالمكاره ، ويبتلوا بالمحن والشدائد ‥

ان الصراع هو النظــام الممسك بالوجود كله ،

ومن خلال هذا الصراع تتخلق المخلوقات، وتتشكل، وتتميز .

والانسان ـ فيما نرى ـ لم يكن سيد هذا الكوكب الارضى الا لانه يحمل فى كيانه أكبر رصيد من الصراع فى كيان اى كائن آخر .. ولعلنا نلمح هذا المعنى فى قوله تعالى : « لقد خلقنا الانسان فى كبد » ذلك أنه ما التقى الانسان بالحياة الا بعد أن قطع مراحل طويلة من الصراع العنيف الذى لم يكن لكائن آخر غيره ..

ان الجهد المبذول فى اى شىء يكافىء الوجود الذاتى لهذا الشىء .. أو بمعنى آخر : الوجود الذاتى لأى شىء هو ثمرة الصراع الذى اشترك فى تكوينه وتشكيله .. وبالتالى : فان منزلة أى كائن ـ فى وجودنا الارضى على الاقل ـ تتحدد بالجهد الذى أثمر هذا الكائن ، وبالصراع الذى دفع به الى الوجود !

وفى الهجرة النبوية شىء أشبه بهذا ، أو لعل الأصح أن نقول : ان فى هذا شيئا أشبه بما فى الهجرة !

فما أذن الله لنبيه بالهجرة الا بعد ثلاث عشرة سنة من مبدأ الدعوى الاسلامية .. وقد كانت تلك الفترة ـ ومن قبلها حياة الرسول كلها قبل البعثة ـ صراعا عنيفا متصلا ، وعرقا متصببا ، وجهدا مضنيا فى مواجهة انحرافات المجتمع وضلالاته ، وفى مجابهة كنوده وعناده ، وفى مكابدة مكايده ومكارهه .. وما ذلك كله الا لينضج فى بوتقته هذا الحدث العظيم ، ولتستقبل منه الدنيا هذا الوجه المشرق الوضىء ، المصفى من كل كدر ووضر !

وننظر فنجد أن هذا الصراع الذى كان قبل الهجرة انما كان اعدادا لهذا الحدث العظيم ، وتهيئة لنفس النبى الكريم أن تتقبل هذا الانفصال عن الاهل والبلد من غير أن تتمزق نفسه ، أو تهلك أسى وحسرة .. ذلك أنه وهو النبى ، هو ايضا ذلك الانسان العربى الذى يرتبط بقومه ارتباط الغصن بشجرته ، ويمسك بموطنه امساك الشجرة بمنبتها من الارض !

واذ كان الامر كذلك فانه لا بد من تدبير حكيم لتهيئة الجو المناسب لهذه النقلة التى تقطع المرء عن أهله ووطنه ، والتى من شأنها أن تذهب بعلائق الرحم ، ووشائج القربى والمودة بين الرسول وقومه وبلده .

ولقد تولى اللطيف الخبير هذا التدبير الحكيم الذى جرت فيه الاحداث الممهدة للهجرة فى ترفق وتمهل ، وفى غير مباغتة أو مباعدة لمألوف الحياة ، وسير الامور فيها .. حتى اذا انتهت الاحداث الى غاياتها ظهرت نتائجها ، وفيها لمسات الصراع الانسانى ، وعليها بصمات عرقه وجهده !

فمنذ الايام الاولى للدعوة الاسلامية تلقى الرسول الكريم من ربه سبحانه وتعالى هذا الوحى السماوى « يأيها المدثر قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر » !

ويصدع الرسول بأمر ربه ، ويتبادى اليه من هذا الامر الكريم حديث خافت عن الهجرة التى ستتمخض عنها الايام بعد ثلاث عشرة سنة ! حيث يرى الرسول فى قوله تعالى : « والرجز فاهجر » أنه مطلوب منه أن يهجر الدنس والرجس ، وأن يهاجر بعيدا عن أهل الدنس والرجس !

ثم لا تمضى أيام كثيرة حتى تشتبك الدعوة ودعاتها فى صراع عنيف ملتهب مع أهل مكة .. عشيرة الرسول وأهله الأدنين .. ويستقبل الرسول الكريم والنفر القليل ممن استجابوا له ـ الوانا من الاذى ، وصنوفا من الاعنات والكيد ، وحينئذ وبعد أن طفح الكيل ـ يشير الرسول على صحابته أن يفروا بدينهم خوف أن يفتنوا فيه ، الى حيث لاتنالهم يد قريش .. وتتجه أنظار المسلمين الى الحبشة ، فيهاجر من قدر على الهجرة منهم . فكانت عدتهم أول الامر أربعة عشر مهاجرا بين رجل وامرأة .. ثم كانت هجرة ثانية الى الحبشة أيضا بلغت عدة المهاجرين فيها أكثر من ثمانين مهاجرا بين رجال ونساء وأطفال !

أما الرسول الكريم فقد وقف صامدا فى ميدان المعركة ، وفى مجال الصراع ، الى أن يأتى الله بالفتح أو امر من عنده !

ولا شك أن هذه الهجرات كانت تشير من بعيد الى الطريق الذى سيسلكه النبى يوما اذا جاوز الامر مداه ، وبلغ الكتاب أجله ، ولم ترعو قريش عن غيها ، ولم تستفق من ضلالها !

ثم تتتابع الاحداث ، ويحمى وطيس المعركة بين الايمان والكفر ، تلك المعركة التى لاتزال محصورة فى مكة وما حولها ، بين النبى وعشيرته ، والتى تنقسم قريش فيها على نفسها ، وتتآمر على بنى هاشم ـ رهط النبى الأدنين ـ وتفرض عليهم مقاطعة ظالمة ، وتقيم حولهم حصارا محكما ، فلا يتصل بهم احد ، ولا يتصلون هم بأحد !

ويستيئس النبي من أن ينتفع أهل مكة بهذا الخير الذي يدعوهم اليه ، وأن يهتدوا بهذا النور الذى يحمله بين يديه ، فيمد بصره الى بلد قريب من هذا البلد .. هو « الطائف » .. فيخرج اليه النبى حاملا هذا الخير وهذا النور ، فيجد من ثقيف عنادا، واستخفافا ، واستغلاقا عن تقبل الخير أكثر مما وجد في قريش ، وعندئذ يعود أدراجه وقد دميت قدماه مما رماه به ولدان ثقيف ورعاعها من احجار ، الى ما اسمعوه من هجر القول وفحشه :

وفى طريق العودة الى مكة يتلبث الرسول على رءوس الطرق مرددا النظر الى أكثر من اتجاه يعدل به عن ركوب الطريق الى مكة .. ولكن حرصه على هداية أهله ، واشفاقه عليهم من أن يحرموا هذا الخير المنزل من السماء ، يقيم قدميه على طريق مكة ، واذا هو ميمم شطرها فى خطى وئيدة متثاقلة ، تساق سوقا الى المكايد والمكاره .

وفى بعض الطريق ، وعند موضع يقال له «نخلة» يبيت الرسول ومعه مولاه «زيد بن حارثة» يعالج هما حاضرا ليستقبل هموما راصدة متربصة ..

وفى سكون الليل ووحشته يرسل الرسول من صدره كلمات تتردد على فمه من آيات الله فتهتزلها من حوله جنبات الوادى ، وتتداعى عليه جباله وهضابه ، واذا الوجود كله مجتمع عليه ، متخاشع بين يديه ، يردد معه فى جلال هادر هذا النشيد العلوى فى نغم متساوق متدفق يملأ ما بين الارض والسماء !

ويبيت الرسول ليله مع القرآن مرتلا ، ويبيت الوجود من حوله مصغيا اليه ، مانوسا به.. وتشرق الشمس مع الروح الامين ، يحمل الى الرسول الكريم خبر السماء بقول الحق سبحانه : « واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروه قالوا أنصتوا ، فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين ، قالوا : ياقومنا .. انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه ، يهدى الى الحق ، والى طريق مستقيم ، ياقومنا اجيبوا داعى الله وآمنوا به ، يغفر لكم من ذنوبكم ، ويجركم من عذاب اليم ، ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض ، وليس له من دونه أولياء » .

وهنا يصحو الرسول صحوة مشرقة ، فتتقشع عن نفسه غيومها ، ويذهب يأسها بهذا الخبر المسعد العجيب .. فهذه الجن التى يضرب بها المثل فى نلوكه من أخبار الهجرة الى ثقيف لتملأ ماضغيها الذى بين يديه ، واستجابت له ، وخشعت لجلاله ، وآمنت به ، ثم لا يقف بها الامر عند هذا الحد ، بل تتحول الى دعاة تحمل هذه الدعوة مبشرة منذرة بها فى أقوامها ..

واذن فصاحب هذا النور أولى بان يكون المبشر المنذر به فى قومه ، فان قريشا مهما يلج بها العناد، ويستبد بها الكبر ، ويتغشاها الضلال لن تكون دون الجن استعدادا للتجاوب معه ، والاجتماع عليه ، والايمان به .. ان لم يكن اليوم فغدا ، أو بعد غد !

وهنا يجد الرسول نفسه وقد امتلأت نشاطا وعزما ، فيتجه الى مكة ، ويدخلها مانوسا بهذا الزاد الطيب العتيد ، مستبشرا بهذا الهدى الذى معه ، والذى يستولى بجلاله وسلطانه على أعتى العتاة ، واطغى الطغاة .. ولو كان من الجن !

لقد كانت رحلة الرسول الى ثقيف هجرة انتقل بها مطلع النور من مكة عدة ليال ، ولكن سرعان ما عاد اليها ، ليطلع من مطالعه فيها مرة أخرى .. فهل تحرص عليه قريش هذه المرة ، ولا تدعه يزايل آفاقها ؟ ولكن قريشا تستقبل رسول الله هازئة ساخرة ، تردد فى مجالسها حديث هذه الهجرة الى ثقيف ، وما لقى الرسول فيها .. فى شماتة ورضى!

وفى زحمة هذا اللغط الذى تعيش فيه قريش أيامها ولياليها متفكهة متندرة بما أصاب الرسول من ثقيف تعد السماء هجرة روحية للرسول الكريم ، فتحمله على أجنحة النور الى بيت المقدس ، ثم تصعد به من هناك الى عالم الحق فتطوف به ما شاء الله أن تطوف وتريه من آيات ربه الكبرى ما شاء الله أن يرى من ملكوت السموات العلى : « عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ، اذ يغشى السدرة مايغشى ، مازاغ البصر وما طغى ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى . » .. انها رحلة لم تقتطع من عمر الزمن غير لحظات ، لم يفتقد فيها أحد شخص النبى لحظة واحدة !

وما أن يعود رسول الله من هذه الرحلة حتى تبعث اليه السماء بصورة صوتية ناطقة ، تسجل أحداثها ، وتحدث فى الناس بها .. « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ، الذى باركنا حوله ، لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير » .. وتبتلع قريش ما كانت الالتواء والعناد والافساد قد اقبلت على هذا النور بهذا الحدث الجديد ..

عبد الكريم الخطيب

جولة في تاريخ الأزهر وتطوره

بقلم: محمد عبد الله السمان

لا يختلف اثنان في أن للأزهر تاريخا مشرقا، وماضيا حافلا بما أسدى الى العالم الاسلامي من أياد في مجال **الفكر** الاسلامي خلال ألف عام، وبما أسداه الى مصر نفسها من مواقف بطولية في معاركها الوطنية ضد طغيان المحتل الأجنبي أو استبداد الحكم المحلي .

واذا كان تاريخ الاسلام وتاريخ العروبة قد افسحا للأزهر مكانا مرموقا في أبرز صفحاتهما . **واذا** كان العالمان: الاسلامي والعربي ليسا في حاجة الى التعريف بالأزهر ومكانته، وله في كل رقعة من رقاع العالم الاسلامي رحم، وفي كل أرض من أراضي العروبة نسب، **الا** أن الأزهر في هذا العصر الذي نعيش فيه أحوج ما يكون الى أن يؤرخ له من جديد، لاباعتباره — فحسب — معهدا عتيقا أرسل اشعاعات الفكر الاسلامي على العالم عبر عشرة قرون، **ولا** باعتباره ركنا من أركان الوطنية الصادقة، طالما قاد الثورات، وأذكى لهيبها، وقدم لها الكثير من خيرة طلابه وعلمائه، فكانوا وقودا لهذه الثورات، **ولكن** باعتباره اليوم من أبرز المعالم الاسلامية الكبرى، ترنو اليه أنظار أربعمائة مليون مسلم أو يزيدون، وتستجيب له احساساتهم ومشاعرهم .

أقول: ان الازهر اليوم أحوج مايكون الى أن يؤرخ له من جديد . وهانحن أولاء — نلمس ظاهرة عجيبة ونغمة جديدة، للنيل من الاسلام ممثلا في عالم الدين — أو رجل الدين كما يحلو للبعض أن يطلق هذا اللقب على عالم الدين، **وهذه** الظاهرة العجيبة والنغمة الجديدة، ملموستان بشكل يثير الدهشة في الأعمال المسرحية الجديدة، والتي تكتبها أقلام بمداد هو مزيج من الصفرة والحمرة معا، وكان هذه الأقلام حين أيقنت الفشل في ايجاد موضوع لما تكتب، أرادت أن تواري فشلها في — رجل الدين — على حد تعبيرها، تضعه موضع الازدراء والسخرية لتثير ضحكات الجمهور المتعطش الى الضحك .. وكفى .

***

هذه مجرد خواطر جالت بنفسي وأنا أقرأ كتابا ضخما أصدره الأزهر أخيرا في أكثر من ستمائة صفحة عن « الأزهر تاريخه وتطوره » وكتب له **الدكتور محمد البهي** وزير الأوقاف وشئون الأزهر السابق، مقدمة على جانب من الأهمية في بضع عشرة صفحة، وبذل فيه الأستاذ **علي عبد العظيم والسيد أبو النجا** مجهودات طيبة، حيث صنفاه وقاما بمراجعة جميع فصوله وتنظيمها وتنسيقها واعداد الصور واللوحات الفنية والاحصاءات الرسمية .

الكتاب خمسة أبواب واسعة هي: الأطوار التاريخية، الأزهر عمارة وفنا، التربية والتعليم، المؤسسات الثقافية، في عهد الثورة .

عرض الباب الأول الماما تاريخية بنشأة الدولة الفاطمية، ودعوتها بالأزهر، وأشهر الفقهاء والأدباء في العصر الفاطمي، امثال: **أبي حاتم الرازي** في الري، **والنسفي** ببخارى، **والسجستاني** الذي كان اليد اليمنى للنسفي، ثم **أبي حنيفة النعمان المغربي**، وهو غير أبي حنيفة صاحب المذهب المشهور، ثم **جعفر بن منصور اليمني**، ومن أشهر فلاسفتهم **الشيرازي** المعروف بالمؤيد .

وفي هذا الباب أيضا، يعرض الكتاب وضع الأزهر بعد أن ظل يتمتع برعاية الخلفاء الفاطميين، حتى تقلد صلاح الدين الأيوبي الوزارة في عهد الخليفة العاضد فقضى على مذهب الفاطميين الشيعي، ومهد للمذهب السني والحكم العباسي من جديد، وجاء عصر الأتراك العثمانيين في أوائل القرن السادس عشر الميلادي، وأصاب الأزهر ما أصاب المدينة الاسلامية من ركود وتدهور وانحلال «وان استطاع أن يستبقي شيئا من أهميته، وظل يسدى الى اللغة العربية وعلوم الدين أجل الخدمات وأصبح ولاة العثمانيين يقيمون الصلاة فيه » .

وفي هذا الباب يعرض الكتاب موقف الأزهر في العصر الحديث، من الحملة الفرنسية حيث قام بدور كبير في اذكاء الحركة القومية، وتولى شيوخه وطلابه قيادة المقاومة الشعبية وتنظيمها، مما حمل جيش الاحتلال الفرنسي على احتلال الأزهر وانتهاك حرمته واعدام عدد من شيوخه وطلابه الى أن انتهى الأمر باغلاقه، وواصل الأزهر دوره حتى فرض على السلطان العثماني الموافقة على تعيين محمد علي واليا على مصر، وكان عالمان من أبرز علمائه هما اللذان ألبسا محمد علي في بيت القاضي خلعة الولاية عام ١٨٠٥، انهما **السيد عمر مكرم والشيخ الشرقاوي**.

ولقد سلطت في هذا الباب أضواء كثيرة على زعماء

الحركة الوطنية من ابناء الأزهر من أمثال **الشرقاوي**، **وعمر مكرم**، **وعرابي وسعد زغلول**، وعلى زعماء النهضة الفكرية من أمثال : **عبد الله النديم ورفاعه الطهطاوى وعلى يوسف ومحمد عبده** ٠

أما الباب الثاني ، فقد تناول الازهر عمارة وبناء، والمعروف أن **جامع عمرو بن العاص** كان أول مسجد انشيء بديار مصر عام ٢١ هـ وعرف بتاج الجوامع ، وكانت تسوده البساطة ، وان **جامع العسكر** ثانى مسجد أنشيء بمدينة العسكر ، انشاه **الفضل ابن صالح** والى مصر من قبل الخليفة العباسى المهدى عام ١٦٩هـ وكان متاثرا بأساليب العمارة العباسية، ثم انشا أحمد بن طولون مسجده عام ٢٦٥ هجرية بمدينة القطائع، وكان متاثرا بالعمارة العراقية. ثم كان **جامع الأزهر** أول مسجد انشيء بمدينة القاهرة ورابع جامع أنشيء للجمعة والجماعة بمصر ،انشاه **جوهر الصقلى** واقيمت اول جمعة فيه في ٧ رمضان عام ٣٦١ هـ ٠ وعنى باصلاحه الخلفاء الفاطميون ، وقدر بعد ذلك أن يأفل نجم الأزهر فى عهد الأيوبيين الى أن جاء عهد المماليك البحرية فقدر له أن ينهض من جديد على يد **الظاهر بيبرس** ٠

اما الباب الثالث ، فقد خص بالأزهر فى ميدان التربية والتعليم ، عرض للحركات العلمية بالعالم الاسلامي ومصر قبل الأهر، وللأزهر كمسجد جامع، وكجامعة ، وللدراسة به عبر العصور فى عهود الفاطميين ، والأيوبيين ، والمماليك ، والعثمانيين ، وفى عهد أسرة محمد على ، ثم فى الفترة الأخيرة حتى عام ١٩٥٢ م فى عهد الثورة ٠ كما عرض لنظام الحلقة ، ولمراحل الاصلاح من الحلقة الى المدرج ، ولمحاولات الاصلاح ، والممثلة فى جهود الشيخ **محمد عبده** والشيخ **الظواهرى** والشيخ **المراغى** ، وكذلك عرض للكتب الدراسية بالأزهر ، وبعثات الأزهر الى جامعات أوربا ، والأزهر فى مجال الوعظ والارشاد، ثم ترجم لنماذج من نابهى الأزهر **كابن الهيثم والقفاعى** ، **والدرديرى** ، **والشاطبى والبغدادى والشعرانى** ٠

والباب الرابع : عرض شامل للمؤسسات الثقافية، المكتبةالاسلامية ، والمكتبة الازهرية الحديثةوفنونها، والمكتبات الخاصة التى ضمت اليها ، ثم مجلة الازهر وتطوراتها ، وادارة الوعظ والارشاد ٠

أما الباب الخامس والاخير ، فقد تناول الازهر فى عهد الثورة،عرض للثورة الاصلاحية ووفائها للازهر، ولدراسة مقارنة بين قانونى عام ٩٣٦ وعام ٩٦١ ، فالاول ضيق فى تحديد الغرض من الازهر وحصره فى غرضين : القيام على حفظ الشريعة واللغةالعربية، وتخريج علماء يوكل اليهم تعليم علوم الدين واللغة فى مختلف المعاهد والمدارس ، والآخر يعيش بالازهر فى معترك الحياة ، كما عرض للمنشآت الجديدة فى عهد الثورة : المجلس الأعلى للازهر ، مجمع البحوث الاسلامية ، ادارة الثقافة والبعوث الاسلامية ، ولكليات جامعة الازهر الجديدة ، ولمدينة البعوث الاسلامية ، وختم الباب الاخير بسجلات احصائية عن المبعوثين من الازهر والوافدين اليه ، ومحاضرات الموسم الثقافى بالقاعة الازهرية ، ثم عن الكليات والمعاهدالاسلامية بالخارج ، التى تراسلها مجموعات المراقبة العامة للبحوث الاسلامية ٠

وبعد ـ فالكتب التى الفت الى اليوم عن الازهر قليلة لا تكاد تذكر ، وهى على قلتها كانت متواضعة للغاية فى صفحاتها وفى مادتها ، ولا أحسب هذا الكتاب الذى أصدره الازهر عن نفسه الا جهدا متواضعا أيضا ، ولكنه على كل حال سد فراغا ٠

بقى أن نقول : **ان هذا** الكتاب صدر بمناسبة مرور الف عام على انشاء الازهر ، واذاكان كل مافكر فيه الازهر للاحتفال بعيده الألفى هو اصدار كتاب كهذا ، فلا ريب فى أن مثل هذا قليل جدا بالنسبة لمكانة الازهر وعيده الألفى ، الازهر الذى كان ملاذ العروبة والاسلام كلما اصابهما خطب ، والذى فتح ـ ولم يزل ـ أبوابه لشباب المسلمين من كل بقاع العالم،ليتلقوا بين جدرانه العلم والمعرفة ، ثم يعودوا الى بلادهم دعاة للاسلام ، واشعاعات تنير الاذهان وتوجه العقول ٠

ان تاريخ الازهر لم يكتب بعد ، وتاريخ الازهر ليس جزءا من تاريخ مصر وحدها ، بل من تاريخ العروبة والاسلام ، ويوم أن توجد الاقلام النزيهة التى تقوى على أن تسجل للازهر ماله وما عليه،سواء فى ماضيه أم فى حاضره ، غير عابئة بهوى السياسة ولا بشهوات النفوس الضعيفة ، سيكتب تاريخ الازهر فى اطار من الدقة فى تحرى الحقائق التاريخية ٠

محمد عبد الله السمان

تعقيبات

بقلم: عباس خضر

هل كان على العقاد أن يوزع عبقريته؟



لم يكن الاستاذ عبد الرحمن الخميسي ممن جراوا على مناقشة الاستاذ العقاد فى حياته ومنازلته فى ميدان الفكر ، على رغم الاختلاف فى الاتجاه ووجهات النظر ، وعلى خلاف غيره — اعنى خلاف عبد الرحمن الخميسي — من ادباء الجيل وكتابه الذين اختلفوا مع الاستاذ العقاد فجادلوه فى شدة وعنف أو هوادة ولين .

واخيرا ، **وبعد وفاة العقاد** ، برز عبد الرحمن الخميسي فى الميدان كانه ينادى هل من مبارز ! وقد راح المبارز وخلا منه الميدان وامن المنادى ..

وذلك ايضا على خلاف ادباء الجيل وكتابه المختلفين مع العقاد ، الذين نازلوه فى حياته ، فلما اسلم الروح اسلموا اسلحتهم **واستبدلوا بها الكلمات** الطيبة التى يقولها المنصف فى خصمه والتى تليق بالمقام بعيد وفاته .



ولعله كان من المستحسن ان يقول الاخ عبد الرحمن الخميسي للعقاد وهو حى هذا الذى يقوله الآن بعد وفاته ..

كان ينبغى ان يقول له : **انك من الصفوة الممتازة والقلة التى حققت ذاتها بعمل ابدعت فيه واظهرت موهبتها فى الابداع وبلغت ما بلغت من المستوى المادى .. والادبى ، عن طريق « العصامية الفردية المزدهرة فى ظل المنافسة الحرة وبقاء الاصلح والانتخاب الطبيعى ، وغير ذلك من المبادىء التى يبرر بها الاستعمار نظامه واستمراره ، والتى تتناقض مع النظام الاشتراكى الانسانى القائم على اساس التعاون ومراعاة مصلحة المجموع ... »** الى آخر ما يقوله الآن ..

كان ينبغى ان يقول ذلك له وهو حى عساه يرجع عن تلك المبادىء الاستعمارية المناقضة للاشتراكية ، وينزل عن مستواه الفكرى المتميز ، ويوزع موهبته على اكبر عدد من الناس حتى يكون اشتراكيا انسانيا متعاونا مع المجموع .. الم يوزع تولستوى املاكه على الفلاحين الفقراء ؟ كان على العقاد ان يوزع املاكه ، فيأخذ كل فقير كتابا من كتبه التى لا يملك غيرها .. وحقا ان تولستوى وزع ماله فقط ولم يوزع عبقريته ، **ولكن الحياة تطورت بعد تولستوى واصبح مفهوم الاشتراكية الآن غير مفهومها**

فى زمنه .... ان الاشتراكى الحقيقى الآن يجب ان يوزع عبقريته ، لان كثيرا من الناس محتاجون اليها ، وتجميد العبقرية فى شخص واحد او قلة من الناس يعد من الراسمالية الصارخة ..

وكان يجب على العقاد الا يسلك سبيل « المنافسة الحرة » التى اسفرت عن هذه النتيجة الظالمة ، **وهى تكدس الفكر فى دماغه.. والكتب فى مكتبته.. وحدوث مجاعة فكرية تهدد الاغلبية الساحقة وتمنعها من خدمة مجتمعها على وجه افضل !**

اننى اخشى ان يموت احد علمائنا الذين يصنعون الصواريخ ، فيهاجمه الاخ عبد الرحمن الخميسي ، لانه كان راسماليا .. كنز العلم والمهارة ولم ينفقهما على اكبر عدد من المشتغلين باصلاح (بواجير الجاز) فيرتفع مستواهم ويستريح الناس من كثرة **(التسليك والتوابع) !**

ولست ادرى لماذا لا يطبق الخميسي نظريته الاشتراكية هذه على نفسه .. انه كاتب صحفى وكاتب قصصى وشاعر وملحن ومخرج وممثل ، والصنعة السابقة تاليف التمثيليات .. لماذا (يكوش) على كل هذه « المواهب » .

ويحتكر كل تلك الاصناف .. ؟

الم تنكر ايها الاخ الخميسي على العقاد انه كان **« موسوعة معارف »** ؟ فلماذا تكون انت **« موسوعة صنايع »** ؟

او لم تعب عليه انه سلكَ سبيلَ المنافسة الحرة حتى صار من القلة التى تجمع الكثير على حين تحرم الاغلبية الساحقة مما فى ايدى القلة ؟ فلماذا تسلك انت السبيل نفسه وتجمع **« السبع صنايع »** وغيرك محتاج الى صنعة واحدة !!

الحق انى مشفق عليك من نظريتك الاشتراكية الجديدة هذه ... لانى اتصور انك طبقتها على نفسك ، فاحتفظت بالشعر مثلا ، ووزعت بقية ما تزاول على المحتاجين من صغار الكتاب والمخرجين والموسيقيين والممثلين ، ثم رايت انك من الصفوة الممتازة فى الشعر .. **انك عندئذ لا يسعك الا ان تنزل عن مستواك الشعرى الراسمالى .. فتعطى منه المحتاجين وهم كثيرون ، ولا يبقى لك الا القليل الذى لا يصلح الا لان تكون شعرورا من الشعارير ..**

غـزل القصصيات

تناولت بالتعقيب — فى العدد الاسبق من الرسالة كتابات جنسية فى عدد **« مركز ! »** من مجلة روز اليوسف **لليلى بعلبكى وجاذبية صدقى واحسان عبد القدوس .**

وقد ركزت جاذبية فى قصتها على **اشتياق بنت فى الخامسة عشرة الى رجل ..** ووجدان بغيتها فى لاعب كرة **« عليه العين .. »** حسب تعبيرها .

وتضمن الحديث الذى نشر لليلى بعلبكى انها او بطلة قصتها — السياق مشبه — **تفضل ذراع رجل يخرج من بطن الارض على مائة شاعر .. مائة .. وعشاقهم من الجنسين !**

واسرع — بغض النظر عن المرمى الشاذ للعبارة الاخيرة — لاقف عند ظاهرة غريبة فى قصص بعض الكواتب عندنا وفى لبنان . تلك الظاهرة هى فتيات **يتطلعن الى الرجل العريض الاكتاف المفتول العضلات ، ويعبرن عن اشواقهن اليه باعتباره المثال والانموذج اللاتى ينشدنه بين الرجال ..**

وكنا قد فرغنا من محاسبة الشعراء الذين كانوا يتغزلون فى جسد المراة ويصفون تفصيلاته . كان يقال لهم **انكم جسديون شهويون لا تعرفون العاطفة النقية والحب الروحى ، وان المراة ليست متعة للرجل .** بل قيل اكثر من هذا : **ان جمال المراة يتمثل فى شخصيتها وثقافتها وروحها اكثر مما يتجسد فى اعضائها .**

وارتقى الشعراء ، وصار من العيب — فنيا وذوقيا لا خلقيا فحسب — ان يتغزل الشاعر فى جسد المراة .

والآن.. لا ادرى ماذا اقول لكاتباتنا القصصيات :

لا ، لن اقول لهن شيئا ...

أشكو

● **اللجنة** المؤلفة فى المجلس الاعلى لفحص مجموعات القصص القصيرة المقدمة لنيل الجائزة التشجيعية — تعمل الآن لانجاز عملها . وقد نشر انها ستبعد القصص المكتوبحوارها باللغة العامية واجدر باللجنة ان تراعى الصحة اللغوية نفسها فى القصص الأخرى ، فكثيرا ما نرى قصصا مكتوبة بالفصحى سردا وحوارا ، وهى مع هذا مملوءة بالاخطاء اللغوية .

وينبغى كذلك مراعاة الصحة الفنية والاجتماعية والوفاء بالتعبير عن قيم المجتمع الاشتراكى ، ولا ينبغى ان يكون ما تلجىء اليه الضرورة الفنية احيانا من الحوار العامى عقبة فى تقدير الانتاج الجيد .

● **توفى** ببيروت الشاعر العربى الاستاذ **محمد على الحومانى** ، والفقيد من ادباء العروبة الذين نشرت لهم الرسالة كثيرا من القصائد والمقالات فى عهدها الاول . وله جهود معروفة فى خدمة العرب والفكرة العربية فى بلاد امريكا اللاتينية .

● استمعت الى تسجيل اذاعى فى البرنامج الثانى لاحتفاء محافظة الدقهلية بذكرى وفاة استاذ الجيل **احمد لطفى السيد** ، فسمعت المذيعة تقدمه بوصفه **«مهرجانا»** وقلت : لعل هذه من عندها ! ولكن ترددت كلمة **«المهرجان»** كثيرا فى تقديم المقدم للحفل ..

الا تعجب من المفارقة بين العيد (المهرجان) وذكرى الوفاة !!

● صدرفى سلسلة «الالف كتاب» للاستاذ يوسف الشارونى كتاب **«دراسات ادبية»** واهم موضوعاته وابحاثه **«سيكلوجية التعبير الفنى»** و « **لغة الحوار بين العامية والفصحى** » .

وقد بحث الموضوع الاخير باستيفاء بجمع معظم ما كتب فيه . وبصور المشكلة ، واخيرا بعرض ما قدم فيها من حلول .

● « **الليلة الاخيرة** » عنوان المجموعة القصصية الجديدة التى ظهرت للاستاذ **جمال ربيع** . وتمتاز القصص بالتعبير الادبى الجميل والاتجاه الاجتماعى السديد .

● اعلن عن كتاب « **عيسى بن هشام او فترة من الزمن** » لمحمد المويلحى الذى ظهرت طبعة حديثة منه فى « **المكتبة** « **العربية** » — اعلن عنه هكذا :

« **٢٥ قرشا طبعة عادية — ٣٥ قرشا طبعة فاخرة** » .

لم لم يطبع طبعة واحدة متوسطة ؟ لماذا يشعر **من لا يستطيع ان يدفع ثمن الطبعة الفاخرة أن هناك ما لم يستطع الحصول عليه ؟**

وان جازت هذه التفرقة فىغير الثقافة فكيفتجوز فى الثقافة ؟

● اكثر الكتابات الادبية التى تنشر الآن فى الصحف تدور حول المسرحيات .. لا لانه ليس هناك انتاج ادبى آخر ، وانما لان الذين يكتب عنهم عادة دون غيرهم .. يؤلفون الآن مسرحيات !

وهناك اعتبار آخر ، وهو « **الفرجة** » و « **الدعوات** » .

● نشرت احدى الصحف الكبيرة — غير مرة — ان الاستاذ يوسف السباعى سيطير الى المانيا لحضور احتفال باحدى جامعاتها لتابين العقاد ..

والاستاذ يوسف السباعى يؤكد انه **لا يعرف شيئا عن ذلك ..**

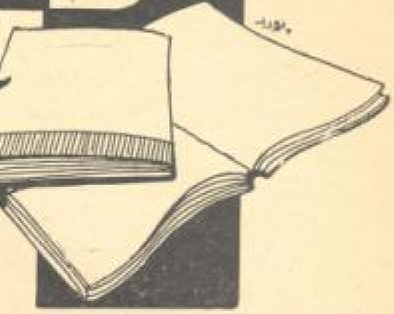
اقترح أن يقام حفل **لتابين الثقة بمثل هذه الاخبار الصحفية !**

عباس خضر



حول الأدب في أسبوع

بقلم عبده بدوى



وحدة الحضارة المصرية

لا نستطيع ان نقول ان « السد » ايقظ العصر فقط ، ذلك لانا نراه ايقظ كل شيء حتى التاريخ ، وهو فى عملية ايقاظه هذه لا يهز ايلينا لتتحرك يمينا او شمالا ثم تعود لتغط فى نوم عميق ، وانما يوقد فيها شعلة لا تكفى حياة الانسان فقط ، وانما يمكن ان نراها « تورث » من جيل لجيل ومن فكر الى فكر .

فالسد قد « ضاعف » اشياء كثيرة فى حياتنا ، وجعلنا ننظر الى الماضى فى فخر ، والى الحاضر فى ثقته ، والى المستقبل فى عزم ، وفى ضوء هذا لم نعد نرى مصر بجسماتها المحنط ، وعينيها الدهريتين ، وانما اصبحنا نراها صورة للخلود المجسم ، واستاذة من اساتذة الحضارة ، يجب ان يجلس مستقبل كل دولة امامها فيما يجد من ايام .

لقد كانتمصر فىالماضى ينظر اليها عصرا عصرا ، ولقد كان كل عصر يخاصم الآخر ، ويظل فى ريبة منه ، فكأنها بذلك كانت تشبه القصيدة العربية القديمة التى كان فيها كل بيت يخاصم الآخر ، ويقف وحده بصلابة فى وجه البيت الذى يليه .. ولكن مصر الان — بعد السد — اصبحت شيئا كبيرا متشابكا ، يهز الوجدان ، ويعمق النظرة ، ويثرى الحياة .

ويمكن ان نقول ان هذا قد انعكس على الادب المعاصر ، فبعض الادباء يتجنبون فترة بعينها ، وبعضهم قد كتب عما سبقها حين ووجه بقوة اكبر منه ، والبعض الثالث قد وجد نفسه اما ملتصقا بالفترة الاولى او الثانية نفسيلوروجيا ، وفى الوقت نفسه وجدنا من يقصرون انتاجهم ، او اكثر ، على مصر الاسلام ، او على الاسلام بصفة عامة .

ونحن هنا لسنا فى مجال التقييم مثل ما بين كفاح طيبة والراهب ، والعبقريات ، ولكنا ندعو الى عدم الوقوف بوجهة نظر معينة امام عصر من العصور ، ولسنا بهذا نحدد عصرا للكتابة دون آخر ولكنا فقط ندعو الى « كسر الحواجز » بين هذه الفترات ، والى الاحساس بالامتداد الحضارى المصرى فى كل ماتوجه اليه سن القلم ، وخفق الفكر ، ورفيف الروح !

ومهما يكن من شيء فقد بدا الادباء يشغلون انفسهم بالكتابة عن « السد » ، وقد قرات فى الايام الاخيرة قصيدة « لاحمد رامى » ، ومن قبل قصيدة « لمحمود حسن اسماعيل » وان كنت اعتقد ان الوسط الادبى قد وقف بعمق عند القطعة الموسيقية التى كتبها « توفيق الحكيم » من ثلاث حركات كانت الاولى بعنوان ابو سمبل او خيوط الفجر ، وكانت الثانية بعنوان اسوان واعادة الروح ، اما الحركة الثالثة فكانت بعنوان تحويل النيل او تحويل التاريخ ولقد كانت الاصداء الاخيرة لهذه الحركة قوله :

« ... انى ارى امامى شيئا اكثر من التحول والانطلاق : التشكل .

انى اكاد ارى فى كتلة هذه الجموع التى يتألف منها شعبنا كيف سيكون شكله غدا ، وذكرنى المنظر بما كنت ابصره على ضفتى النيل ، وانا اتطلع من نافذة الزورق البخارى فى طريقى الى ابو سمبل . التلال وقد كادت تتخذ اشكالا آدمية . صحت دهشة : انها تكاد تشكل نفسها .

الشعوب ايضا فى بعض مراحلها نكاد نبصر فيها باعيننا بوادر التشكل ، وهذا ما المحه الان فى الطريق كل يوم واقول : نحن نتشكل ، وانى ارى اليوم بوضوح شكل امتنا غدا ! »

المسرح ومشقاته .

من الندوات الخصبةالتى عقدت اخيرا تلك الندوة التى قدمها فوزى سليمان بجمعية الشبان المسيحية ، والتى ضمت بعض المهتمين بالمسرح ، وقد بدا فوزى سليمان الندوة بقوله ان المسرح له دور بارز فى الدولة الاشتراكية ، لانه مدرسة للدفع الثورى ، ثم تساءل هل نحن نعيش الان فى نهضة مسرحية ؟ وهل هذه الظاهرة طارئة ام اصيلة ؟ وهل اصبح حقا للمسرح جزء فى ميزانية البيت » .

وقد ذكر الدكتور رشاد رشدى .. ان المسرح قد سلطت عليه اضواء الدعاية من اكثر من مكان ، ومن الطبيعى ان اية « سلعة » يعلن عنها اعلانا جيدا تحظى بالرواج حتى ولو كانت رديئة ، كما ان غزارة المسارح ليس دليلا على نهضة مسرحية ، فقد تدل على نكسة مسرحية ، ولكنها من وجهة نظره تدل الآن فقط على اتساع رقعة النشاط المسرحى .

وحين تعرض لنوع النشاط المسرحى المعروض ذكر ان اكثر ماعرض فى السنوات الاخيرة « غير مسرحى » فى اسلسه ، وان الجو لم يهيأ الان لظهور المؤلف المسرحى الجيد ، وفى ضوء هذا يرى ان « توفيق الحكيم » لجأ الى المسرح الذهنى لانه لم يجد الجو المسرحى الملائم لظهور « مسرح جاد »

فالممثل الآن تنقصه الثقافة ، والمخرج مع انه اكثر الجميع « حضورا » يجد نفسه يعمل فيما يشبه الفراغ . ثم تساءل الى متى نهمل الدراسات المسرحية فى الوقت الذى نرى فيه بالخارج متقدمة على الدراسات الجامعية ، وان هذا النوع من الدراسات لايسمح به الا بعد الحصول على البكالوريوس او الليسانس .

ثم ذكر ان مسرح الجيب ليس منه خطر الى الان بل انه احدث ذبذبات ، وحرك ركودا ، وفى نهاية حديثه ذكر ان المسرح الان « موضة » ، وانه لايمكن ان نذكر انه فى « نهضة » .

ثم ذكر المخرج كمال عيد .. ان الرواج السائد الان يرجع فى تصوره الى ان المسرح قد اخذ « خطا جديدا » لاتصاله بالترجمة ، والنقد ، ووسائل الاعلام ، ومن الصعوبات التى تعترض المسرح الآن انه لكل مسرح خطة ، ولكن هذه الخطة ظلت دائما فى مكانهـا على الورق ، وان المؤلف المصرى يستهلك نفسه فى الكتابة السريعة ، فى الوقت الذى نرى فيه الكاتب الاجنبى يكتب مسرحيته فى حوالى عشر سنوات ، وان الممثلين اليوم فى دورهم الى « الاحتراق »لانهم يقتصرون على ادوارهم ، ولانهم لا يهتمون الا بالكلمة ، فى الوقت الذى يحتاج فيه الممثل الى التعبير بالوجه ، والى وقفات الصمت ، والى حركة التناول من الآخرين ، ثم الى الروح الفنية التى يجب ان تلف العمل كله .

ثم ذكر سعد الدين وهبه .. انه لن تكون هناك نهضة ، لان عمر اكثر المسارح لا يتجاوز عامين ، ثم تعرض لتاريخ المسرح فقال ان المسرح فى اوائل القرن العشرين كان « غير مصرى » ، وانه لم يكن فى نهضة وانما فى « حالة رواج » سببها الازدهار الاقتصادى فى هذه الفترة ، ومن هنا سقط هذا المسرح بظهور السينما .

فالبداية الحقيقية للمسرح كانت بعد الثورة ، لانه ترتب على ظهورها وضوح الشخصية ، ولا شك ان الشخصية بالاضافة الى الحركة هى « الدراما » .

ثم القى مسئولية الموقف على المؤلف والمخرج والممثل ، وذكر ان التفرغ هو الحل لمشكلات المسرح ، وان هذا النظام مأخوذ به فى العالمين الراسمالى والاشتراكى ، وانه لايوجد متفرغ واحد من اجل المسرح .

وما احب ان اذكره للاستاذ سعد الدين وهبه ان هناك من تفرغوا باسم المسرح مثل الاساتذة على باكثير ، والفريد فرج ، ويعقوب الشارونى ، وان اقصى ما منح للفنانين التعبيريين والتشكيليين هو خمسة وسبعون جنيها ، وانهم يرضون بهذا ، ولكن ايرضي ممثل ، او مخرج مرموق او نصف مرموق بهذا المبلغ ، فى الوقت الذى يستطيع فيه ان يجمعه فى ايام ؟

ثم ذكر .. ان مسرح الجيب لم يحقق شيئا مما انشيء من اجله ، فهو كما يتصوره « معهد للابحاث المسرحية » ، ولكن مديره طبعه بطابع اللامعقول فاصبح وكأنه انشيء لهذه الغاية فقط ، ثم طالب باعادته الى خطه الطبيعى »

كما قال .. ان المخرجين يحاولون فرض مفاهيم معينة على مسرحنا ، باعتبارها مفاهيم براقة تبهر ، وان النقد المسرحى الان نقد ادبى ، ولا يمت الى النقد المسرحى الا بما يعادل ١ ٪

وقال سعداردش. .. ان التمثيل اصبح عمل من لا عمل له ، وطالب باعتبارنا فى دولة موجهة بالتخطيط للمسرح ، وذكر ان التفرغ فى جوهره ليس الا صورة من صور التأميم ، ثم تعرض لمسرح الجيب فذكر ان خطته تسمح بتقديم لعبة النهاية والكراسي ، وان « ياطالع الشجرة » ليست من اللامعقول ، وان شكلها مستثبت فى بعض اجزائه من اللامعقول ، وانه سيقدم اعمالا اخرى مستثبتة من الادب الشعبى المصرى ، ثم ذكر اننا لسنا فى حاجة فى هذه الفترة الى « التجريب » قدر حاجتنا الى « المظاهر » بمعنى النظر الى المسرح باعتباره مكانا للعبادة الفنية .

اما الدكتور رمزى مصطفى .. فذكر ان المجتمع المسرحى تنقصه الثقافة ، وان المعهد العالى للفنون المسرحية متجمد عند مفاهيم معينة ، وان النص الموجود من الضعف بحيث يعمل المخرج غالبا على تغييره ، وان معمار المسرح يقف امام تنفيذ كثير من النصوص .

وما يمكن ان يذكر عن هذه الندوة ، هو انها كانت ندوة جادة تعرضت بحسم لكافة المشكلات ، ومع ان روح المجاملة تسود اكثر الندوات عندنا الا ان الجمهور كان يلاحظ ان المشتركين فى الندوة كانوا يهاجمون الافكار التى يمثلها بعضهم ، وان هذا البعض كان يعترف فى بعض الاحيان بالتقصير ، وانه سيعدل من خطته ، مما جعل المشاهدين — وقد قضوا ما يقارب الخمس ساعات — يخرجون وهم غير نادمين على ماقضوا فى هذه الندوة من زمن .

الشعر فى التليفزيون :

لا شك ان الكثيرين قد سعدوا وهم يرون الشعر يدخل عليهم حياتهم ، ويطل على جلساتهم الصغيرة ، وينتزعهم انتزاعا لينتظروا تلك اللحظات التى يذاع عليهم فيها برنامج « صور شعرية » من اخراج ابراهيم عز الدين ، ومجيدة نجم .

ومع ان البرنامج قد بدا بفكرة فى اغسطس عام ١٩٦٣ من السيد : همت مصطفى ، وبحماس من عبد المنعم سلام ، ومع ان هذه الفكرة كان مشكوك فى نجاحها ، الا ان هذا البرنامج سرعان ما دخل بيوت الناس وحياتهم ، الى حد انه حين توقف فترة من الزمن ، انهالت الرسائل بما يشبه الصراخ على المسئولين ، ومع ان المقصود به فى اول الامر كان ان يكون البديل لكلمة « لحظة من فضلك » و «سنواصل الارسال» الا انه سرعان ما انزرع فى نفوس المشاهدين الذين حين طالبوا بتثبيت زمنه ، وجدوا من يقول لهم « بل نحن نتعمد هذا لنضمن ترقب المشاهد له ، واستيعابه بعض المواد الاخرى » .

ولا شك ان جزءا كبيرا من نجاح هذا البرنامج يرجع الى صوت فاروق شوشة الذى يخيل الى — انه خلق ليقول الشعر — والذى تظهر من خلاله الاحاسيس نقية مشبعة بالنور ، بل انه ليحول الشعر — حقيقة — الى نور مسموع !

الدخلاء على الطرب

بهذا العنوان ارسل الى الاديب عيسي متولى رسالة رقيقة جاء فيها ماقاله شاعر عربى عن هؤلاء الدخلاء — ولعله يشكو من واحد منهم — .

ومغن بارد النغمة مختل اليدين
ما رآه احد فى دار قوم مرتين !
صوته اقطع للذات من سطوة بين

كما قال ابن الرومى فى هذا المعنى
فظلت اشرب بالارطال لا طربا
عليه بل طلبا للسكر والنوم

ثم يختم رسالته بقوله « وما اكثر المطربين الذين مارآهم احد فى دار قوم مرتين » .

« عبده بدوى »



الكتب
نقد وتعريف



بقلم
يحيى عبد الحى

تاريخ بنى اسرائيل
من أسفارهم
تاليف : محمد عزة دروزة

يندهش الذى يقرأ تاريخ بنى اسرائيل القديم فى أسفار العهد القديم التى يقدسها اليهود ، من الدعوى البالغة فى الكذب والوقاحة ابعد مبلغ والتى يدعيها يهود اليوم بامجاد اليهود التاريخية فى فلسطين . لانه يستبين من نصوص هذه الأسفار أنه ليس لبنى اسرائيل فى فلسطين امجاد تاريخية تتحمل فخرا واعتزازا — الا اذا كان الكذب والاحتيال والفسق والفجور وسفك دماء الغير ونهب أموالهم والعدوان على حرياتهم وحرماتهم باسلوب بالغ الوحشية والشره ، والانحرافات الدينية والخلقية والاجتماعية، والشقاق والنزاع فيما بين طوائفهم — والرضوخ والخنوع للغزاة يمكن أن يعد من الامجاد وهو ماتمتلىء به هذه الاسفار اليهودية المقدسة عندهم .

يضاف الى هذا انهم حينما كانوا يحملون اسم العبرانيين وطراوا على فلسطين كانوا شرذمة قليلة أو أسرة واحدة — عاشوا عيشة البدو — وحينما عادوا الى فلسطين من مصر بقيادة موسى لم ينشئوا شيئا هاما من المدن والقرى وانما عاشوا على ماكان فيها من عمران ضخم هو فى الاساس عمران كنعانى وآمورى .

ولم تخلص فلسطين لهم فى أى وقت حيث ظل سكانها القدماء من كنعانيين واموريين وفلسطينيين وغيرهم فيها — وحيث كانوا فى أحيان كثيرة يشتبكون معهم وينتصرون عليهم — وحيث ظلوا بعد اجلاء بنى اسرائيل المرة بعد المرة فيها كأصحاب البلاد الاصليين .

وقد خلا تاريخهم من أى مجد عمرانى وسياسى وعسكرى لامع ولم يكادوا يتركوا فى فلسطين بعد تشردهم النهائى عنها أثرا ما — ثم تشتتوا فى أنحاء الارض واندمج كثير منهم فى النصرانية والاسلام والعروبة ، واختلطت دماؤهم ودماء من بقى على اليهودية منهم بدماء الاقوام التىعاشوا بينها الى الآن بحيث يصح أن يقال — ان الدم الاسرائيلى القديم قد باد . ولم يبق له أثر — وان اليهود اليوم ليسوا الا جماعة دينية تضم شتى الاجناس واللغات والدماء وان دعوىصلة اليهود اليوم ببنى اسرائيل وتاريخهم على ما فى هذا التاريخ من سوءات زائفة كل الزيف ونلمح فى كثير من نصوص الاسفار أثر تعصب شديد وأنانية قوية وأفق ضيق كان وظل يبدو منهم ويسيطر على سيرتهم سواء فى معاملتهم لغيرهم أو فيما كانوا يزعمونه لانفسهم من اختصاصات وامتيازات . مثال ذلك : ان جميع الشعوب عبيد لهم سخرها الله لخدمتهم وكونهم شعب الله المقدس المختص بعنايته وتأييده بل وعبادته دون غيرهم من الشعوب ، وكونه جعلهم أصحاب الحق الابدى المطلق فى أرض كنعان التى كانت حدودها

تتطور حسب ظروفهم فتكون حينا غرب الاردن أو قسما منه وحينا تمتد الى شرقه وغربه معا وحينا تمتد من النيل الى الفرات ، وباباحته لهم بل بشرعه لهم وأمرهم — تعالى وتقدس — بأن يبيدوا جميع سكان أرض كنعان من نساء واطفال وشيوخ ورجال واحيانا جميع مافيها من دواب وبهائم وبأن يحرقوا مساكنها ، ويحظر قطع اى عهد أمان لاى كان من سكان ارض كنعان أو ابقائهم بين ظهرانيهم — حتى لقد سجلوا سخطه عليهم لانهم خالفوه في بعض المرات في عملية الابادة كما سجلوا سخط موسى على مثل ذلك — كما ورد مثلا في الاصحاح الرابع والثلاثين من سفر الخروج والاصحاحين السابع والثامن من سفر التثنية والاصحاح الحادى والثلاثين من سفر العدد كما سجلوا اقوالا عن لسان الرب بأنه يغفر لهم ما يقترفونه من آثام واركسوا فيه من انحرافات دينية وخلقية كما جاء في الاصحاح الرابع عشر من سفر العدد .

لقد ظلت أوهام كتبهم الدينية التي وضعوها بانفسهم تزودهم بمركب نقص ثابت وتلازمهم وتنظم سيرتهم وصلاتهم مع مختلف الشعوب التي احتكوا بها أو عاشوا معها بعد تشردهم من فلسطين وتشتتهم تحت كل كوكب خلال الفي عام . واستمروا يرتكسون في الانحرافات الخلقية والدينية ، وبقوا غرباء تجاه تلك الشعوب وتعاملوا معها في نطاقها، وتعرضوا لاضطهاد جميع الشعوب وكراهيتهم بسببها . وظل أثر الاضطهاد والكراهية والعقدة النفسية ، مكبوتا في صدورهم جيلا بعد جيل حتى وجد من جديد مجال رد الفعل والانفجار في فلسطين فكان منهم ماكان من وحشية القمع والفتك والتدمير والتخريب واستحلال كل شيء والشره الى كل شيء وكانوا بذلك ولن يزالوا شاذين بسبب هذه العقدة اللعينة عن جميع شعوب الارض في مختلف الازمنة والأمكنة — كل هذا يستبينه المرء لمن يقرأ تاريخ بني اسرائيل من أسفارهم .

ويستطرد الكتاب بعد ذلك فيقسم الاسفار اليهودية رغم اتسامها بالسمة الدينية الى ثلاثة أقسام :

أولا : منها ما هو تاريخي في الدرجة الأولى — مثل أسفار التكوين والخروج والعدد ويشوع والقضاة وصموئيل والملوك واخبار الأيام وأستير وعزرا ونحميا ودانيال وارميا وراعوث ويهوديت وطوبيا والمكابيين والثلاثة الاخيرة من زوائد النسخة الكاثوليكية وهي تربط بين وقائع بني اسرائيل بل وآبائهم وبين سلوكهم الديني بحيث أنها تجعل ماوقع عليهم من محن وشدائد ومصائب وما تيسر لهم من نصر ونجاح واستواء حال . منوطا بهذا السلوك في حالتي الاصلاح والانحراف الديني .

ثانيا : ومنها ما هو اخلاقي وتشريعي ، وحكم ومواعظ ومراثي وانذار وتنبؤات وتسبيحات وتمجيدات وهي أسفار اللاويين والمزامير والامثال والجامعة ونشيد الانشاد والحكمة — وهذا من زوائد النسخة الكاثوليكية — واشعيا ومراثي أرميا وباروك وهذا من تلك الزوائد أيضا — وعوشع ويوئيل وعاموس وعوبديا وناحوم وحبقوق وحفنيا وحجي وزكريا وملاخي — وهي مع ذلك تمثل ناحية هامة من حياة بني اسرائيل وتاريخهم الديني والسياسي والاجتماعي والاخلاقي .

ثالثا : وهناك سفران لا يبدىء لهما صلة ببني اسرائيل وهما سفر أيوب الذي يستفاد من عبارته أنه من بني عيسو ، وسفر يونان الذي يستفاد من عبارته أنه بني مرسل الى نينوى : وهو النبي يونس المذكور في القرآن على ماتفيده المقابلة من محتواه وقصته في القرآن . وايوب هو ايوب المذكور في القرآن ويحتوى سفره قصة مقاربة لما ألمع اليها القرآن كذلك .

وهناك سفر مقفل السمعة وهو سفر يسوع بن سيراخ ومن الاسفار ما هو طويل تزيد صفحاته على المئة ومنها ما هو قصير — أو قصير جدا .

ويستمر الكتاب بعد ذلك في شرح وتحليل هذه الاسفار متسلسلة حسب اهميتها التاريخية منذ بدء

تاريخ ..ي اسرائيل فى فلسطين الى يوم تشريدهم منها التشريد الأخير فى عهد الحكم الرومانى فى القرن الثانى بعد الميلاد المسيحى وذلك مع نبذة خاطفةعن تاريخهم فى البلاد العربية الى البعث الاسلامى .

وبعد : لقد وصلنا فى العدد الماضى الى حقيقة هامة .. وهى أن المسئولية الكبرى التى يجب أن نؤمن بمحتواها الانسانى قولا وعملا هى ان نخلص العالم من شرور اليهودية العالمية وأن نفوت عليها خطتها الرامية الى التحكم فى منطقتنا ــ هذا التحكم الذى يمكن أن يتيح لها فعلا استرقاق واستعباد شعوب العالم أجمع ، وذلك لان منطقة الشرق العربى تعتبر اهم منطقة استراتيجية فى العالم من حيث كونها ملتقى قارات ثلاث، هى آسيا وافريقيا وأوربا ــ هذا بالاضافة الى ما تحتوى عليه منطقتنا من ثروات ضخمة ومضائق وممرات مائية عالمية ..

ولكن ما هو السبيل الى ذلك ؟ ..

لقد انشأ اليهود المغتصبون فى فلسطين مجتمعا حربيا بكل ماتحمله هذه الكلمة من معنى ــ وانشاوا جيشا مدربا ومجهزا تجهيزا كاملا ليستطيع أن يتولى حماية الدولة المسخ أولا وليدفع حدودها (المزعومة) ويوسع رقعتها ثانيا ، وهدفهم البعيد من وراء هذا الجيش المدرب هو تأمين التفوق الواضح فى النوع على عنصر الكم الذى يتفوق العرب فيه .

ولجا اليهود ايضا الى تطبيق نظام شديد خاص بشأن فرض الخدمة الالزامية على كل يهودى ويهودية كما طبقوا نظاما على الصغار والفتيان لغرس الروح العسكرية فيهم ، واحدثوا اساليب جديدة للخدمة الاحتياطية تبقى المكلف على صلة مباشرة بتطورات الاسلحة والاطلاع عليها فى دورات خاصة يدعى لها فى كل سنة وتستمر حتى يبلغ اليهودى الخمسين من عمره ــ ووضع الاستعماريون اليهود خطة التعبئة بحيث تستغرق من يوم الى ثلاثة أيام .. ومع ذلك يقول الصحفيان الفرنسيان ميرى وسيرج برومبرجر

فى كتاب « أسرار الحملة على مصر » نقلا عن لسان ناطق اسرائيلى : « ان أمن « اسرائيل » وهم مجنون. ولكن حكومتنا لاتستطيع أن تسمح للشعب بادراك هذه الحقيقة . فالجميع عند ذلك يصابون بالجنون . لأنه لايوجد بيت « اسرائيلى » ليس فى متناول قذائف مدفع من المدافع العربية . فنحن فى حالة حرب دائمة ــ نحرث ونعمل ونبنى والسلاح معلق فى اكتافنا » .

هذا هو وضع المجتمع الغاصب الغريب المؤلف من مزيج عجيب من الجماعات القادمة من كل مكان ــ من بلاد اوربا الشرقية والوسطى والغربية ومن امريكا الشمالية والجنوبية ، ومن اقطار الشرق الأقصى ومن بلاد العرب ــ وافريقيا . هذه الجماعات التى تحمل ثقافات ومفاهيم وتقاليد متباينة ــ دفعتها دعوى « دينية ــ قومية » زائفة وحقد اسود للقدوم الى فلسطين غازية ، وتريد بروح تعصبها المقوت ماوراء فلسطين لتقيم فيها دولة « اسرائيل » العظمى .

ان السبيل الوحيد الى طرد الغزاة اليهود من فلسطين هو الحرب . والحرب ضد اسرائيل طويلة ومتشعبة فالحرب تعنى أولا محاربة الاستعماريين وطردهم من وطننا ــ والحرب تعنى كذلك انه يجب ان نشنها أولا ضد التجزئة والتخلف اللذان يسودان معظم أجزاء عالمنا العربى اليوم ــ وتعنى كذلك سحق كل محاولة لتمييع قضايانا القومية بدعوى الحرية الزائفة والديمقراطية الجوفاء .

ان الحرب ضد اسرائيل يجب أن يسبقها تشكيل مجتمع الحرب نفسه ــ على مستوى الوطن العربى ــ بمعنى انه يجب أن تتحول كل امكانياتنا المادية والبشرية التى يجب أن تنمى دائما وتستثمر على احسن وجه فى اتجاه المجتمع الذى نريد .

ان بناء السد العالى فى الجمهورية العربية المتحدة ــ وكذلك كل حجر فى مصنع جديد وكل آلة يبدا فى تشغيلها ــ تعنى بالنسبة لنا تقدما علميا وتكنولوجيا هو بصفته التقدمية السبيل الوحيد لبلوغ اهدافنا القومية ــ واسترداد الوطن السليب .

تحسين عبد الحى

البريد الأدبي

« تذكروا .. ايار عاد »
للشاعر يس الفيل

مساؤنا اشتياق .. وصبحنا فراق
ويومنا مبعثر ، مشوه المذاق
وليلنا – على المدى – يذيبه احتراق
فما الذي بافقنا يلوح يارفاق

الم نفلسف الضياع ذات ليلة حزينة ؟
وانه – كما استقر – مرفا السكينه ؟
وانه قدسية تنام مستكينه ؟
بخيمة تمزقت في غفلة المدينة ؟
تضمنا الى مدى .... وتقلع السفينه ؟

حدودنا هناك .. عند ملتقى الافق
خضراء يارفاق..قبل ان تلوح تحترق
بافقها يضرج الانين وضبة الشفق
بليلها صوت الحنين للسماء ينطلق
بايلها مات النهار ، كفنوه بالخرق

تذكروا .. « ايار »عاد .. عاد يارفاق
تنام في عيونه حكاية الشقاق
وفوق ظهره تلوح قصة النفاق
ليحترق اذا « ايار » تحت مشعل التلاق
كي لا يعود – اخوتي – مشوه المذاق

من اوهام المستشرقين
بقلم حسام الدين الوراق

قال الغزالي في كتابه (فضائح الباطنية) :
وعدم العصمة فيمن ادعيتم عصمته معلوم بمشاهدة ما يناقض الشرع من وجوه : اولها جمع الاموال واخذ الضرائب والمواصير واستئداء الخراجات الباطلة .

وجاء في الطبعة الناقصة التي نشرها (جولد تسيهر) في ليدن أن (نيلدكه) يفهم هذه الكلمة (المواصر) بمعنى استخلاص آخر منافي حلمة الشرع ، من الفعل (مصر) !!

والصواب الذي يعينه السياق والسباق ويدركه الباحث العربي هو ما جاء في تاج العروس للزبيدي :

(الماصر) في كلامهم : الحبل يلقى في الماء ليمنع السفن عن السير حتى يؤدي صاحبها ما عليه من حق السلطان .

وما فهمه هذا المستشرق واثبته زميله في طبعته ورد في (ص ١١١) في طبعة وزارة الثقافة بالقاهرة .

في جامعات القاهرة
للاديب العراقي عبد الخالق عبد الرحمن

. الدراسة في جامعات القاهرة تختلف عن غيرها من بلدان العالم ، ولقد شاهدنا الكثير من الطلاب والطالبات العراقيين الذين تخرجوا من جامعات القاهرة قد بزوا اترابهم في مختلف العلوم والفنون . وهذا ان دل على شيء فانما يدل على مايلقاه الطالب من رعاية فذة ، وتوجيه صائب ، وسبيل سليم .

انتابتني هذه الهواجس ، والمت بي هذه الخواطر

بعد ان استمعت الى برنامج من تلفزيون بغداد القت فيه الشاعرة الدكتورة عاتكة وهبي الخزرجي مقتطفات من شعرها ولقد لقيت في هذا الشعر الركة في التعبير والضحالة في التفكير ، والتقليد الاعمى الذي لايستسيغه ذوق ولا يقره علم . ورحت اقارن بين شعر الدكتورة عاتكة وهبي الخزرجي التي تلقت علومها في باريس وبين الشاعرة العراقية اميرة نور الدين التي تلقت تعليمها في جامعات القاهرة ، واترك للقارىء الحكم على الشاعرة الخزرجي بنماذج من شعرها الذي القته من على شاشة التلفزيون حيث قالت :

هي عندي دنيا من الحسن طابت
وزكت نبتة وفرعا واصلا

اخذته من قول البهاء زهير كما هو مثبت في ديوانه المطبوع بالقاهرة :

من معشر خير البرية منهم
كرمت فروع منهم واصول

واسترعى انتباهي قولها (اخوض عباب الجو) والعباب بمعنى ارتفاع السيل ويقال عباب البحر اى موجه .

علاوة على التناقض في اقوالها عن بغداد فهي تقول :

ايه بغداد ياعروس الليالي
فقت بالعز بدرها اذ تجلى

والذي نور الجبين فكانت
طلعة كالصباح يمنا ونبلا

وثم تقول في بغداد :

ومضيت اضرب في البلاد لعلني
احظى باقباس تزيح دجاك

فهنك النور والبدر المتجلي ، وهنا بغداد يحيطها الدجى والظلام فاي تناقض هذا ، وتقول :

وهذا يرى في القلب خير من النوى
وهذا يرى في البعد خير من القرب

وهذا معنى ضحل تافه يذكرني بالمرحوم الناقد مارون عبود الذي نقد قصيدة الشاعر العراقي محمد مهدي الجواهري في جريدة الاحد اللبنانية والبيت هو :

قلنا لهم ان البياض لشحمة
والليل ليل والنهار نهار

اكتفي بهذا القدر الآن ولي عودة في موضوع جديد اتكلم فيه عن الشاعرة اميرة نور الدين وسوف استشهد بما نظمت خلال الخمسة عشر عاما الماضية من شعر رائع المعنى ، مسبوك اللفظ ، واسع الخيال .

ردود قصيرة

فاروق غبريال .. يعلق على مقال « ادباء غير محظوظين » ويلقى التبعة على النقاد الذين ينصرفون عن اعمال الشباب ، ويدعو الى مزيد من النقد في حياتنا الادبية .

خميس سلمونه .. يستدرك على فقرة « وزن الشعر وكوبرى بنها » بباب حول الادب في اسبوع، ويذكر ان صحة الموال الذى استشهد به هي :

دخلت جو الدره طرف الدره عيني
ابكى على الحب والا ابكى على عيني
ابكى على الحب لكن سد ياعيني

الأدب الشعبي ، أن يكون الذى بطرف العين هو الاسلوب الشعبي ، أن يكون الذي بطرف العين هو « منديل الحب » لا « الدره » ، وبخاصة اذا عرفنا أن « المنديل » في « الموال » اقرب الى الحديث في حياتنا عن « الدره » ، وان ما استشهد به هو الاصل ، ثم نقل بعد ذلك الى حالة من الحالات الاجتماعية ، وانا لا اكتمك ياأخى .. انى سمعت في قريتي الموال خاصا بكوبرى بنها ، ولم اسمعه ولو مرة واحدة خاصا بما ذكرت ، ولعل الدكتور محمد مندور الذى تعرض لهذا الموال من قبل « بفتينا » في هذه « القضية »

عبد المحسن سلامة .. بحثنا عن القصة التي تحدثت عنها فلم تجدها ، والرسالة ترحب بك قارئا وكاتبا .

الحبيب شبيوب .. يحيى الشاعر ابراهيم نجا ويطلب منه أن يهديه ديوانه — بعد ان عجز عن الحصول عليه — على عنوانه (نهج الشبكة ١٩ زنقة الزيتون بتونس)

إعلان رقم ٤٠٢

تعلن محافظة الاسكندرية (الديوان العـــام) عن امتحان مسابقة لشغل وظيفة مدرس صناعات خاصة من الدرجة الثامنة بالكادر الفنى المتوسط بمديرية الشئون الاجتماعية ويشترط فيمن يتقدم لشغلها أن يكون حاصلا على دبلوم المدارس الثانوية الصناعية (تخصص سجاد وكليم) ٠

وسيجرى امتحان تحريرى وشخصى لاختيار أفضل المرشـحين يحـدد ميعادهما فيما بعـد ويخطر بهما المتقدمون لشـغل هـــذه الوظائف بخطابات موصى عليها ٠

فعلى من يرغب التقدم لهذه الوظيفة وتتوافر فيه الشروط المطلوبة ويكون مستوفيا لاحكام القانون رقم ٢١٠ لسـنة ١٩٥١ الخاص بنظـام موظفى الدولة والقوانين المعدلة له واللائحة التنفيذية الخاصة به أن يتقدم شخصيا بطلب الاستخدام على الاستمارة ١٦٧ ع ٠ ح برسـم السـيد محافظ الاسـكندرية (المراقبة العامة لشئون الموظفين والعمال فى ميعاد غايته قبل ظهور يوم الأحد الموافق ١٩٦٤/٥/٣١ مع تسديد مبلغ ٥٠٠ مليم رسم قبول الطلب لخزينة المحافظة ويلزم ان يـكون تقديم طلب الاسـتخدام شخصيا مصحوبا بالمستندات الآتية

١ ــ شهادة الميلاد أو مستخرج رسمى منها ٠

٢ ــ الشهادات الدراسية مع بيان مجموع الدرجات الحاصل عليها الطالب ٠

٣ ــ صورة البطاقة الشخصية ٠

٤ ــ (٥) صورة فوتوغرافية مقاس ٤ × ٦ سم ٠

٥ ــ شهادة المعاملة (احدى الشهادات المنصوص عليها فى المادة ٦٤ من القانون رقم ٥٠٥ لسنة ١٩٥٥

٦ ــ شهادة الجنسية ٠

٧ ــ شهادة حسن السير والسلوك ٠

٨ ــ صحيفة الحالة الجنائية ٠

٩ ــ بالنسبة للمجندين ولمن أدوا الخدمة الالزامية يشترط تقديم تقرير سرى مرضى أو شهادة اخلاق بدرجة جيـد جدا على الأقل وذلك للتمتع بالاولوية المنصوص عليها فى قانون التجنيد ٠

١٠ ــ بطاقة تحقيق الشخصية للدخول فى امتحان المسابقة ويمكن الحصـــول عليها مجانا من ادارة المستخدمين والمعاشات بديوان عام المحاسبة ٠

هذا وستطبق المادة (٨٣) من القانون رقم ١٢٤ لسنة ١٩٦٠ الخاص بنظام الادارة المحلية التى تنص على تفضيل أبناء مدينة الاسكندرية ٠

وتقـــدم طلبات الموظفين شخصيا أيضا بشرط الحصول على موافقة المصالح التابعين لها ٠

ولن يلتفت الى طلبات الاستخدام التى قدمت قبل هذا الاعلان أو بعد الميعاد المحدد أو التى ترسـل بالبريد ــ اذ ينبغى تقديم الطلب شخصيا والتوقيع على البطاقة الشخصية الخاصة بدخول الامتحان ٠

قصة العدد

الدائرة المفرغة

بقلم: صبحي الجيار

قبل أن أتزوج كانت لي نظريات ومثل خاصة في تربية الاطفال ، وعندما أنجبت ابنتي الاولى «نوال» كنت أرعاها بمزيد من العناية والصبر ، وابث فيها كل ما في رأسي من اخلاقيات ، ولو لم أكن أتمتع بها أنا شخصيا . ومما جعل مهمتي سهلة الى حد ما ان زوجتي المثقفة كانت تشاركني في آرائي وتصرفاتي .

وكنت ابذل كثيرا من وقتي لملاعبتها ، ومحادثتها على مستويات عقلية أكبر من سنها ، فيدهشني ان عقليتها وذكاءها سرعان ما يتجاوبان مع تفكيري . كما لمست فيها حنانا متدفقا بحيث يستنزف دمعاتها بكاء بطلة وهمية في تمثيلية اذاعية او مأساة سينمائية . وكانت تتمتع بانوثة رقيقة تبدو في حركاتها وايماءاتها وتهافتها على لثمي عند عودتي الى البيت بترحاب عظيم حتى لتكاد تخرج من جلدها .

ثم رزقنا بابنتنا الثانية والاخيرة « ماجده » فقد كان تحديد النسل في مقدمة آرائي التقدمية التي كنت أعتنقها وزوجتي قبل الزواج . وأحدث ميلاد ماجده تخلخلا في ميزان القوى في بيتنا السعيد لقد كانت تتمتع بقسط كبير من الجمال تتضاءل بجانبه ملامح أختها الكبرى نوال .

ولم تكن الصفات الشكلية بالطبع لتؤثر في قلوب الوالدين ، وتميل بعاطفتهم نحو أحد الابناء دون غيره من الاخوة . لكن الاقارب والاصدقاء كانوا يركزون اهتمامهم على الصغرى ، التي كانت تجذبهم قسماتها الجميلة وخفة روحها ومرحها ، خاصة عندما تتسرب الى سمعها نغمات موسيقية ، فتتأود اعطافها بحركات لا ارادية ، سرعان ما يشغلها تصفيق الحاضرين فتندمج بكل جوارحها في الرقص بجرأة وثقة بينما تنزوي أختها « نوال » فلا يحس بها أحد حتى انتبه أنا أو أمها الى تحرج الموقف ، فنفتعل حركة سريعة . وتحول اهتمام الحاضرين الى الطفلة المنطوية ، ونستدرجها في الحديث موجهين اليها الاسئلة التي نعلم انها تعرف اجاباتها ، او سبق ان ردت عليها بردود طريفة . وما تكاد الاعين تتحول عن ماجده الصغيرة حتى يعز عليها انصراف المعجبين عنها فتصرخ بلا سبب ، او تكسر شيئا حتى تعيد نفسها الى منطقة الضوء مرة أخرى .

ولو كان الامر مقصورا على مجتمعنا العائلي الصغير لهان الامر ، ولأمكننا التحكم في طباع الطفلتين الى حد كبير . ولكن المجتمع الكبير الذي كنا نختلط به ، كان يدلل ماجده ويفسد المجهود الذي نبذله لترويضها .

ومما كان يزيدني عطفا على ابنتي الكبرى ، انها كانت مسالمة تقابل اعتداء أختها بتسامح ونبل . ولا أنسى يوم انتزعني بكاؤها يوما من حجرة مكتبي لأفاجأ بابنتي الصغرى قد استولت على دمية نوال رغما عنها .

وثار غضبي لهذا الاعتداء الظالم ، وعنفت ماجده بشدة وانتزعت منها الدمية واعدتها الى صاحبتها ، التي جففت عبراتها وقامت تتمسح في ساقي حتى تشغلني عن تأنيب أختها . وجاءني صوتها الحنون يهمس في تسامح :

ـ دعها يا أبي ... لقد تحطمت دميتها .. ولن يضيرني أن تلعب بدميتي قليلا ...

ـ وهل هذا يليق ؟

ـ واليست هي أختي .. ؟

ولا يسعني ازاء هذا الايثار الكريم الا ان اصمت على مضض حتى لا يسيء تدخلي الى العلاقة بين الاختين التي كنا نحرص أن يسودها السلام دائما .

وشبت الطفلتان ، دون أن تستطيع الايام ان تؤثر في طباعهما وازداد غرور الصغرى واعتزازها بنفسها ، ونمت عقلية الكبرى بحيث كان من الصعب التمويه عليها ، واقناعها بانها لا تقل مكانة عن اختها لدى الآخرين . فكثيرا ما رأيتها تجدع المرآة بتقزز ثم تنصرف عنها كئيبة مهمومة ، واذا مالمحتني من بعيد تقبل على وترتمي في احضاني وتسالني في لهفة .

ـ هل تحبني يا أبي ؟

فتجيبها ذراعاي الحانيتان ، وانا اضمها الى صدري واهمس بحماس :

ـ ياسلام يانونا ... انت أغلى شيء عندي في الدنيا .

وتتنهد وهى جالسة على ركبتى تطالعنى بنظرات الامتنان ثم تعود فتسألنى :
ــ وامى ايضا ؟
ــ طبعا ياحبيبتى ... كلنا نحبك .
ــ وهل تحبوننى قدر ما تحبون ماجده تماما ؟
كان سؤالها لا يطمع فى اكثر من مساواتها باختها الصغرى واذ أؤكد لها أن مكانتهما واحده فى نفوس الجميع . تعود فتسألنى :
ــ ولماذا اذن يقول الناس انها أحلى منى ؟
وفى صبر وأناة احاول أن اشرح لها ــ بقدر عقليتها ــ ماهية جمال الروح ، وان لكل انسان نواحى معينة يمتاز فيها عن غيره . ولا اتركها الا بعد أن أعيد اليها الثقة فى نفسها وارفع من معنوياتها التى خلخلتها المرآة والناس .

وبدأت انحاز لصفها بصورة واضحة ، حتى أعوضها عما تفتقده من اهتمام الآخرين ، ويبدو انى اسرفت فى هذا بعض الشىء مما أثار الحقد تدريجيا فى قلب أختها الصغرى ، فكانت تسطو على ممتلكات الكبرى ، التى تقابل اعتداءاتها المتكررة فى سماحة ورضا .

وقادتنا هذه الظروف الى دائرة مفرغة ... أنا أعطف على ابنتى الكبرى ، فتحقد أختها الصغرى ، وتنفس عن غيرتها باعتداءات أنانية ، تقابلها الكبرى بايثار ، فيزداد عطفى عليها . وهكذا نعود فندور من جديد فى الدائرة المفرغة .

ومع الزمن زادت سرعة الدائرة ... وتطورت أسلحتنا فى المعركة. فكنت استخدم احيانا عقوبات بدنية لردع ابنتى الصغرى والحد من طغيانها . وكانت هى تقابل تعسفى هذا بمزيد من المكر والضغينة حتى حدث ذات يوم ما جعلنى أفيق من غفوتى ... وأنتبه الى تصرفاتى الخاطئة .. وبالتالى اعدل عن سياسة التحدى التى كنت اتبعها مع ابنتى الصغرى .

كنا نستعد للاحتفال بعيد الميلاد الخامس لابنتى الطيبة نوال . وبذلت جهدى لاجعل منها نجمة الحفل بحق حتى أعيد الى نفسها بعض الثقة .. وصممت الا ادع أختها الصغرى تطغى عليها هذه المرة ... فاشتريت لنوال فستانا جديدا وتعمدت ان تظهر الصغرى برداء قديم ... وبررت موقفى امامها بأن المناسبة تخص أختها نوال ، مع انى لم أعتد التمييز بينهما فى مثل هذه المناسبات . فسكتت على مضض . أو لعلها خشيت ثورتى .

وبينما كنت متعلقا بأعلى السلم الخشبى فى الصالة اعلق الزينات المزركشة فى انحائها ، وكانت زوجتى تقف بأسفل السلم تنفخ البالونات الملونة.. اذ تسللت الى اسماعنا اصوات محتجة بين ابنتينا فى الحجرة المجاورة ... التقطت من بينها كلمة « الفستان الجديد » فارهفت سمعى الحديث .. لكنه كان خافتا بدرجة لم أستطع معها أن أتبين موضوع الحوار ... فجذبنى القلق من فوق السلم الخشبى .. واسرعت أقتحم الحجرة . فرأيت ماجده تقف امام المرآة وقد ارتدت ثوب أختها الجديد . وراحت تختال به فى حركات راقصة ... وكانت نوال تحاول أن تمسك بها ، ولكن الشيطانة الصغيرة كانت تفلت منها فى مرح وابتهاج ...

طار صوابى ولم استطع ان اسيطر على أعصابى امام هذا العدوان الجائر ... فاقتحمت الحجرة ثائرا . وكانت يدى اسرع من لسانى فى التعبير عن استنكارى الشديد ، فصفعت ماجده صفعة قاسية ، ورحت اعنفها فى غضب جامح وأنا اهز عودها الغض فينتفض كيانها مذعورا بين يدى .

وتنبهت من ثورتى عندما تعلقت ابنتى الكبرى بساقى ، وراحت تهزنى وهى تصرخ فى عصبية بكلمات باكية فهمت منها انها هى التى سمحت لاختها بان تلبس رداءها الجديد . وان الصغرى ماجده مظلومة ..

فسقطت ذراعى الى جانبى فى اعياء وذهول ... والتفت الى نوال استوضحها الامر . فأكدت لى بانها اشفقت على أختها وسمحت لها بارتداء ثوبها الجديد .. بل والحت فى هذا أمام تردد ماجده خشية من ثأرى لاختها اذا ما اعتدت على شىء من حاجياتها .

انحنيت على ابنتى الحنون اقبلها فى حب واكبار .. ثم امتدت ذراعى فأحاطت بالثانية تهدهد انفعالها ... بينما اقبلت زوجتى فركعت بينهما حتى تحاذى اكتافهما ... وضمتهما الى صدرها فى غبطة عارمة .. ثم التقت عيناها بنظراتى القلقة ، وفهمت ما يدور براسى فتمتمت باسمة .

ــ أظن ان الوقت مازال متسعا ... والسوق ملىء بالثياب الجاهزة . وفى المساء ... كانت الاختان تمرحان فى ثوبيهما الجديدين ومن وقت لآخر كانت نوال توقف أختها الصغرى لتصلح من هندامها فى بهجة وحب وايثار .

صبحى الجبار

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الإدارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد — القاهرة

تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٦٣ الخميس ١٦ المحرم ١٣٨٤ هـ — ٢٨ مايو ١٩٦٤ م — السنة الحادية والعشرون

الفهرس

محمد إقبال شاعر الإسلام
بمناسبة ذكراه

بقلم : أحمد حسن الزيات

فى مثل هذه الأيام من عام ١٩٣٨ ابتسم **اقبال** لنموت تلك الابتســامة التى جعلها علامة الموت فى آخر بيت قاله ، ثم توارى بالمغيب كمــا تتوارى الشمس بالحجاب بعد أن قبس العالم الاسلامى حرارة ستجدد له الحياة ونورا سيضىء له الطريق .

وما كان **اقبال** الا بضعة من طبيعة الهند المؤمنة نفخ فيها الاسلام من روحه فخلصت خلوص الحق ، وسطعت سـطوع الهدى ، وصفت صفاء الفطرة . ثم تبلورت فيهـا برهمية الهند الموروثة ، ومحمدية العرب المكسوبة ، فكان منهما فلسفة شعرية فريدة ، لا هى عدمية مترددة شاكية كفلسفة أبى العــلاء ، ولا هى وجودية ملحدة قاسية كفلسفة نتشة ، وانما هى الاسلامية الموحدة المؤلفة السمحة كما أوحاهــا الله بروحيتهـــا النابعة من القلب الشــاعر بآلام الأرض ، وماديتها الصادرة من العقل المتصل بإلهام السماء .

فهم اقبال الاسلام على حقيقته التى أنزلهـا الله ، وعلى رسالته التى بلغها الرسول ، وعلى ســـياسته التى طبقها الصحابة . . . فهمه على أنه عمارة الدارين بالعمل الصالح ، وسعادة الحياتين بالايمان الحق ، وقوة المشرقين بالوحــــدة الجامعة . فدعا الى استقلال الذات فى الفرد عن طريق الايمان والعبادة فى ديـوانه **(أسرار خـودى)** ، والى يقظة الوعى الاسلامى فى المجتمع عن طريق الثورة والجهـــاد فى كتابه **(بالا درا)** أو صلصلة الناقوس ، والى توثيق الأخوة الاســـلامية فى الشرق عن طريق التوحيد

والتعاون في ديوانه (**پیام مشرق**) أو رسالة الشرق • ثم كان هذا الرجل المختار الذي نبت جسده في رياض (كشمير) ، وانبثق روحه من ضياء (**مكة**) ، وتألف شعره من ألحان (**شيراز**) ، لسانا لدين الله في دنيا العجم • **يفسر القرآن بالحكمة**) ويصور الايمان بالشعر ، ويربي الفرد على الاستقلال والعزة ، ويؤسس المجتمع على التقوى والمحبة ، ويدعو الى حضارة شرقية قوامها الله والروح ، وينفر من حضارة غربية عمادها الانسان والمادة ، ويشيد بماضي الاسلام الذي حرر الرؤوس وطهر النفوس واصلح الأرض ، ويندب حاضر المسلمين الذي مزق التراث المحمدي كل ممزق ، ويشنع على طغاة الاستعمار الذين سخرهم الشيطان لافساد الكون فسخروا العلم لاستغلال الطبيعة ، وسخروا الطبيعة لاستعباد الناس ، وهم الذين عناهم اقبال بقوله في بيت من شعره معناه : « **خلقت يارب من النار ابليس واحدا وخلقت من الطين مليون ابليس !** » .

ثم يقطع الشعر حسرات على دين أحاله الجهل والضعف في نفوس أهله الى شعائر من غير شعور ومناسك من غير نسك ، وينعي على المصلين الا تنهاهم الصلاة عن الفحشاء والمنكر ، وعلى المزكين الا تطهرهم الزكاة عن الأثرة والشح ، ويقول لأولئك الألوف الذين يذهبون كل عام الى الحجاز وهم لا يدركون سر الحج ولا معنى الجماعة في بيت من شعره الثائر الساخر :

« **أما يسأل أحد أولئك العائدين من حج البيت المحرم : ألم يجدوا هناك ما يهدونه الينا غير قارورة من ماء زمزم ؟!** » .

فاذا كان **حسان شاعر الرسول فان اقبالا كان شاعر الرسالة** • واذا كان **لحسان** من ينازعه شرف الدفاع عن **محمد** فلم يكن **لاقبال** من ينازعه شرف الدفاع عن **المحمدية** • وشتان بين من يمجد الداعي الأكبر عن عصبية ومن يمجد الدعوة الكبرى عن عقيدة !

واذا كان في شعراء الصوفية من عطر مجالس الذكر بفضائل الاسلام وشمائل النبوة كجلال الدين الرومي ، فليس فيهم من بلغ مبلغ **اقبال** في فقه الشريعة وعلم الحقيقة ، ولا في التأمل الفلسفي في كتاب الله والنظر العلمي في كلام الرسول ، ولا في الجمع بين قديم الشرق وجديد الغرب في قوة تمييز وسلامة فهم وصحة حكم •

عرفت **اقبالا** عن طريق فكرته وعلمه ، لا عن طريق لغته وفنه ، والحكم على العالم الفيلسوف بما ينقل من علمه وفكره جائز ، ولكن الحكم على الشاعر الفنان بما ينقل من شعره وفنه مستحيل • وما علمناه من آراء اقبال في الاسلام والمسلمين مجردا من وحي اللغة وسحر الاسلوب وحلية الفن واشعاع الروح يحله محل الزعيم المصلح ، فكيف اذا قرأناها علما في فن ، وشعورا في شعر ، وواقعا في خيال ، وحقيقة في مجاز ، وفكرة في صورة ؟!

على أننا تذوقنا شيئا من فن **اقبال** في فن صديقه المغفور له **الدكتور عبد الوهاب عزام** بالقدر الذي تعطيه الصورة الفوتغرافية من الصورة الطبيعية ، فقد تلاقى الفنانان في ديواني : (**رسالة المشرق**) (**وضرب الكليم**) فكان من تلاقيهما المبارك الموفق رفد للأدب العربي خصب عليه روضه ونضر به عوده • والمرجو أن تنقل نفحات اقبال كلها الى لغة القرآن فانها الآيات المحكمة المفصلة بمثابة التفسير الملهم • ولقد انتقل شاعر الخلود الى دار الخلد وفي نفسه أن يقرأه العرب كما يقرأه العجم • فمن الوفاء لذكراه أن تحقق له وزارة الثقافة والارشاد القومي هذه الأمنية ، ومن البر بالعروبة أن يرفدها جهاز الترجمة بهذه العبقرية • ومن فضل الله على اقبال أن حقق الله أكثر أمانيه • فها هي ذي باكستان قد التأم شملها كما أراد • وها هي ذي أمة القرآن يشرق صبحها كما تمنى ، فهي تستيقظ وتعي ، وتتآلف وتتعاطف، ثم تتقارب وتتحد ، ثم تهب في كل مكان فتثور على المستعمر ، وتتمرد على الطغيان وتنبو على القيد وتملك قيادها رجال السيف ، وتولى أمورها أهل العمل ، وتريد أن تكون في السياسة الدولية كتلة ثالثة يستقر بها النظام ويطمئن لها السلام ،ويصلح عليها الأمر •

رحم الله **اقبالا** رحمة الصالحين المصلحين ، وأثابه ثواب العاملين المخلصين ، وأتاح له من الشعراء من يواصل دعوته لتدوم ، ومن الأدباء من ينشر فكرته لتعم !

احمد حسن الزيات

الإسلام وكرامة العقل

بقلم : محمد محمد المدني

ان كرامة الانسان ليست فقط فى احترام حقوقه الشخصية والوطنية ومايتصل بحياته المادية ، ولكنها ايضا فى احترام عقله ، والسمو به عن ان يكون مصدرا او موردا للاوهام الباطلة ، والخزعبلات الفاسدة .

فكل نظام يقوم فى جانب من جوانبه على استغلال العقل الانسانى وتوجيهه توجيها ينافى المنطق السليم، والحقائق الصحيحة ، انما هو نظام فاسد عابث بكرامةالانسان ، لان الانسان ماكان انسانا،ولا تميز عن سائر اصناف الحيوان الا بالعقل ، فمن حاول ان يعبث بالعقل الانسانى او يفسد تصوره باى لون من الوان العبث او الافساد ، فهو معتد على كرامة الانسان فى اخص ما يملك .

ولذلك نرى الاسلام الذى يحرص اشد الحرص على كل ما يحفظ كرامة الانسان ، يعتد بالعقل ، بل يقف امامه كانه يقدم له الحساب ، وكأنما يطلب منه الحكم الفاصل فيما جاء به من عقائد ومبادىء وتعاليم .

فالله تعالى يقول فى كتابه الكريم :

« ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد » « انما يتذكر أولو الالباب »

« فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه ، اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب »

وقد وجدنا القرآن الكريم ينعى على الذين « لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم اعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، ويجعلهم » كالأنعام بل هم اضل »

ووجدناه يطالب بالايمان بالعقائد الاساسية عن طريق العقل،ولا يكتفى من الناس بأن يتلقوها ميراثا عن الآباء والاجداد ، أو ان يلقنها المجتمع المسلم لافراده تلقينا .

وجدناه يقول :

« أفلا تعقلون »

« افلا يتذكرون »

« أفلا يتدبرون »

« إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »

« وفى انفسكم افلا تبصرون »

« ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون »

الى غير ذلك من الآيات التى تذكر العقل والفكر والنظر والتدبر ونحوها ، فوجدنا الاسلام يعرض نفسه على العقل ، ويعرض ما جاء به على اهل البصائر المميزة ، حتى وصل الامر فى بعض آيات القرآن الكريم الى انيحكم العقل فى شأن الايمان بوحدانية الله تعالى ، اذ يقول :

« ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه »

فالمفروض نه لا برهان أبدا على أن مع الله الها آخر يدعى ، ولكن القرآن – ثقة منه بحكم العقل – فتح هذا الباب ، وكأنه يقول للناس : ارجعوا فى امر الالوهية الى عقولكم ، فان وجدتم برهانا – اى سلطانا عقليا – يلجىء العقل الى الايمان باله مع الله ، فان حكم العقل فى ذلك يكون مقبولا ولا حساب على ذلك ، وان وجدتم العقل يحكم بان ذلك مستحيل وان الله واحد لا شريك له ، فانزلوا على حكم العقل، ولا تكابروا ، والا حوسبتم على ذلك وسئلتم عنه .

ولست اجهل أن المفسرين قالوا ان هذا القيد – وهو قوله تعالى « لا برهان له به » – لا يقصد به الاحتراز عما وقع من الاشراك ببرهان ، وانما هو قيد لبيان الواقع – لست اجهل هذا ، ولكننى أرى أن مجيىء هذا القيد على هذا النحو فيه ايذان واضح بتكريم العقل ، والاعتداد بحكمه ، ووجوب النزول على حكم البرهان والسلطان العقلى حتى فى اعظم

قضية دينية جاءت بها الرسالات الالهية ، وانما يفعل ذلك الواثق المطمئن الذى لا يشك فى انه على الحق ، وان ما فى يده هو الحق .

وقد وجدنا ذلك فى آية اخرى حيث يقول الله تعالى على لسان اصحاب الكهف ، الفتية الذين آمنوا بربهم واعتزلوا مجتمعهم الوثنى :

« هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين »

فهم يفرضون ان الامر امر سلطان عقلى ، اى حجة وبرهان ، وان الحكم حكم العقل بعد النظر والتفكير ، فاخرجوا الكلام فى صورة من يقول : لو كان لقومنا حجة وسلطان بين على ما اتخذوه من الآلهية من دون الله ، لكانوا معذورين ، ولما كان لنا ان نفر منهم ، ونخرج من بيئتهم .

واذن فالبيئة التى تحترم حكم العقل هى البيئة التى تصلح للمقام فيها ، أما البيئة التى تخرج عن مقتضى العقل ، ولا تعبأ بحكمه ، فهى بيئة يجب الفرار منها ، وايثار الاقامة فى الجبال والكهوف على الاقامة فيها .

الى هذا الحد يرفع الاسلام شأن العقل حتى فى اسمى قضية وهى قضية الايمان الكبرى .

ويقول الامام الشافعى رضى الله عنه :

« ما اوردت الحجة على أحد فقبلها منى الاهبته، وما اوردتها على احد فكابرنى عليها الاسقط من عينى »

ولم يحاول الاسلام ان يستغل ماعسى ان يكون فى نفوس الناس من أوهام باطلة ليثبت دعوته ؛ او يكسب لها انصارا بغير الحق .

واضرب لذلك مثلين من السنة الصحيحة :

احدهما : انه لما مات ابراهيم نجل النبى صلى الله عليه وسلم ، حزن عليه حزنا شديدا ، ولكنه كان حزنا فى وقار وثبات ، ومن قوله صلى الله عليه وسلم يومئذ : « العين تدمع ، والقلب يخشع ، وانا لفراقك يا ابراهيم لمحزونون ، ولا نقول الا ما يرضى ربنا »

وقد تصادف ان الشمس يومئذ كسفت ، فقال بعض الناس : انما كسفت الشمس لموت ابراهيم نجل النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما بلغه هذا القول ، لم يستهوه ما فيه من اعتقاد كرامته صلى الله عليه وسلم على ربه ، ولم يحمله على أن يترك الناس لحظة واحدة يؤمنون بهذا الوهم الفاسد ، فقام فى الناس قائلا :

« أيها الناس . ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى ، لايخسفان لموت احد ولا لحياة احد »

وبذلك قرر الحقيقة فى شان هذين الكوكبين ، ولم يدع سبيلا لدخول الأوهام فيهما على الناس، وفى ذلك آية واضحة على صدقه ، وعلى شدة احترامه للعقول ، وعلى انه اعظم واجل من أن يستغل خرافة او وهما لينتصر به انتصارا رخيصا، أو يترك الناس على الاقل يعتقدون هذا الوهم دون ان يسارع الى ابطاله .

وهذا الذى فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم اصل لما يقرره حذاق الصوفية من ان ادب المتصوف مع الله يجب ان يحول بينه وبين نسبة الكرامات الى نفسه ، وانه اذا رأى امرا عجيبا اقترن به ، ورأى الناس قد اضافوه اليه على انه كرامة له من الله ، فمن واجبه الدينى ان يتبرأ من ذلك امام نفسه وامام الناس ، لكيلا يغتر أو يكون سببا فى اغترار الناس ،وليعلم انحدوث شيء من العجائب قد يكون على سبيل المصادفة لأسباب لاتتصل به.

ولا شك ان هذا ادب عال لايعرفه الا من تجردت نياتهم لله تعالى ، ولم يعد لهم حظ فى سواه ، انهم حينئذ لا يهتمون بأن يعرف احد عنهم انهم كرماء على الله !

والمثل الثانى : ماوراه عقبة بن عامر رضى لله عنه قال :

جاء فى ركب عشرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبايع تسعة منهم ، وامسك عن رجل منهم — اى امتنع عن مبايعته ومعاهدته — فقالوا: ما شأنه ؟ — اى ما السر يا رسول الله فى انك امتنعت عن معاهدة هذا الرجل خاصة من بين العشرة ؟ — فقال : ان فى عضده تميمة — اى ارق

اعلى ذراعه خرزة معلقة لتكون له حرزا يحسب انه يقيه السوء ـ فلما سمع الرجل ذلك قطع التميمة التى كانت معلقة بذراعه ، وحينئذ مد اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فعاهده كما عاهد اخوانه !

فهذا الحديث يدلنا على مدى احترام الاسلام للعقل البشرى ، وحرصه على تطهيره من الأوهام، والسمو به الى الحقائق ، لانه يريد المؤمنين ذوى عزمات ماضيات ، وعقول لاتؤمن بالخزعبلات ، ويصل الأمر فى ذلك الى أن يتوقف فى قبول معاهدة شخص فيه ميل الى الاوهام ، مع ان موقف المعاهدة هو موقف كسب الانصار ، وانضمام عنصر جديد الى المؤمنين ، ولكنه لا يسارع الى قبول هذا العنصر ، بل يرده ويوجهه بهذا الرد الى ما ينبغى له من تكريم عقله قبل كل شىء ثم يأتى بعد ذلك ليعتنق الدين ، ويعاهد النبى صلى الله عليه وسلم.

واذن فالدين يقف متريثا حتى يكرم العقل ويطهره من خرافات الجهل والوهم ، ثم يأتى بتعاليمه .

وقد كان العرب ، وكان كثير من الشعوب سوى العرب ، يعتقدون الاوهام ، ويتعلقون بالخرافات ، ويأتون الى العرافين والكهان ، فيستنبئونهم الغيب، ويستشفونهم من الامراض ، ويصدقونهم فيما يقولون ، ويصدعون بما يأمرون ، متأثرين بذلك فى تصرفاتهم .

فلما جاء الاسلام اهدر ذلك كله ، وقد روت بعض زوجات النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : « من أتى عرافا فسأله عن شىء فصدقه ، لم تقبل صلاته اربعين يوما »

وذلك لان من يفعل ذلك متناقض مع نفسه ، مضطرب فى عقيدته ، يزعم انه مؤمن بالله ، وهو مؤمن بالجبت والطاغوت !

وقد روى ابن ماجه أن زينب امراة عبد الله بن مسعود كانت قد أصيبت باحمرار فى عينها ، فجاءتها عجوز فجعلت لها رقية فى خيط ، فلما جاء عبد الله قال : ما هذا ؟ قالت له زوجته : هذه رقية لحمرة عينى ، فجذبه فقطعه ورمى به ، وقال : لقد أصبح آل عبد الله اغنياء عن الشرك ! قالت له زوجته ! فانى خرجت يوما فابصرنى فلان ، فدمعت عينى التى تليه ـ تريد انه حسدها ـ فاذا رقيتها سكنت دمعتها ، واذا تركتها دمعت ! فقال عبد الله ! ذلك الشيطان ! ـ يعنى أن ذلك فى الواقع ما هو الا وهم ووسوسة من الشيطان ـ ولكن لو فعلت كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان خيرا لك واجدر ان تشفى : تنضحى فى عينك الماء وتقولى : اذهب الباس ، رب الناس ، اشف وانت الشافى ، لا شفاء الا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقما »

وهكذا علمها ان تعالج عينها علاجا ماديا بالنضح فى الماء ، وهو أجدى علاج وأحدثه فى القضاء على كثير من اصابات العين ، ولا سيما الاصابة بالرمد، علمها أن تعالج همها ووسوسة الشيطان لها ، بالرجوع الى الله ، والثقة به ، وتلك سنة المؤمنين يجمعون بين الأسباب الطبيعية المادية ، والأسباب الروحية التى ترجع الى الايمان بالله ، وحسن التوكل عليه ، والثقة به ، فان الأسباب الطبيعية المادية حين تؤازر بالعلاج النفسى ، والطمأنينة القلبية ، يكون لها من الفا عليه والتأثير ما يعين على بلوغ الغاية منها .

وهذا هو السر فى ان المؤمن يأخذ بالاسباب ويسأل الله التوفيق ؟

محمد محمد المدنى

المشكلة الفلسطينية

للدكتور محمد أحمد خلف الله

كل عقدة ولها عند الكريم حلال ..

هكذا علمنا أهلونا . أو هكذا القيمة الثقافية التى ورثناها عن الآباء والأجداد جيلا بعد جيل .

والقيمة الثقافية انما تدعو للارادة الصلبة ، والعزيمة القوية ، التى لا تضعف ولا تلين . فلكل عقدة مهما يكن أمرها حلال يحلها ان كانت بسيطة ، ويحل عقدها ان كانت مركبة .

والذين يحلون العقد . لابد وأن يكونوا من الذين يدركون كيف تمت العقدة - ان كانت بسيطة - او كيف تركبت العقد - ان كانت عقدة مركبة .

والعلماء يذهبون دائما الى ان تاريخ المسالة جزء من فهمها . وأن تاريخ المشكلة جزء هام من حلها . ومن أجل هذا يجعلون من مناهجهم العلمية دراسة تاريخ المسائل ، وتاريخ العلوم .

وتاريخ المشكلة جزء من حلها من حيث انه يكشف عن الخطوط الرئيسية التى سارت فيها المشكلة ، كما انه يكشف عن التحولات التى حدثت فى حياة هذه المشكلة حتى أصبحت بوضعها الذى هى فيه - مشكلة معقدة .

اقول هذا القول لانى اعلم ان اليوم الذى يظهر فيه هذا المقال هو اليوم الذى يبدا فيه انعقاد المؤتمر الفلسطينى بالقدس - انه يبدأ جلساته فى الثامن والعشرين من هذا الشهر لينظر فى المقترحات التى تقدم حلا جذريا لهذه المشكلة المعقدة .

انى أخشى أن يكون المؤتمرون قد نسوا أو تناسوا تاريخ هذه المشكلة . **وانى اخشى ايضا ان يكون منهم أولئك الذين نعتبرهم من حيث التفكير السياسى خلفا للسياسيين القدامى الذين كانوا يخدعون انفسهم كما كان يخدعهم الاستعمار ، وتخدعهم الصهيونية العالمية سواء بسواء .**

لسنا نجهل أن من سياسيينا القدامى من كان يؤثر العافية **فيخدع نفسه قبل أن يخدع الراى العام حتى لا يكون طليعة فى النضال ، او حتى داعية من دعاته .**

ولسنا نجهل ايضا أن من سياسيينا القدامى من كان **يتبنى الآراء الاستعمارية** ويخدع **نفسه قبل أن يخدع الناس** حين يعلن هذه الآراء على أنها من عنده ، وانها من بنات افكاره - علما بأنه كان يطلب من المستعمرين الريث والمهلة حتى يعرب هذه الأفكار والآراء ويصدرها على أنها من عندياته .

اننا نعلم الكثير ، ونذكر الكثير ، ومن أسف أن ما نعلم يدل فى وضوح وجلاء على أن الذين عالجوا هذه القضية من قبل **كانوا يخدعون الناس** ، وكانوا يصدون الناس عن السبل القويمة للعلاج .

ان كل مرحلة من مراحل هذه القضية يدل على أنها **قد تعقدت باسباب من التمويه والتضليل والخداع - ومن أسف أن الكثيرين من المضللين المخادعين كانوا من أبناء الأمة العربية . من عملاء الاستعمار .**

من أجل هذا كله أردت ان اضع تاريخ هذه المسالة بين ايدى المؤتمرين . اضعه فى ايجاز غير مخل ، وفى بيان ينتهى الى الراى الذى نراه حلا سليما لتلك المشكلة .

جاء فى مذكرات أحد السياسيين العرب عن المرحلة الأولى من مراحل هذه القضية مايلى « قبل سنة ١٩٠٨ لم نكن نسمع عن الصهيونية شيئا حتى كانت السنة المذكورة ، فسمعنا لأول مرة بتاسيس وكالة يهودية فى يافا .

كان الخوف باديا على وجوه اخواننا الفلسطينيين من جراء تأسيس هذه الوكالة ، وعندما اخذنا نتتبع هذا الموضوع تبين لنا ان رجلا نمساويا يسمى « هرتزل » كان قد فكر فى أواسط القرن التاسع عشر فى ايجاد ملجأ لليهود فى فلسطين . وكان سبب التفكير هو :

(ا) العلاقة الروحية التى تربط اليهود بفلسطين .

(ب) المعاملة الحسنة التى عومل بها اليهود فى فجر الاسلام وفى بدء النهضة العربية . حتى لقد قيل بانها بلغت رقما قياسيا من التسامح الدينى الذى لم يجد له اليهود مثيلا فى ارقى الدول الديمقراطية . وهذا مما يجعل اليهود فى فلسطين تحت راية الخليفة العثمانى فى مأمن من كل اضطهاد .

ولقد قيل لنا آنذاك أن **هرتزل قابل الخليفة**

السلطان عبد الحميد عدة مرات بين سنتى ١٩٠٢ ، ١٩٠٤ وبحث معه فى هذا المشروع . كما قيل لنا ان الثرى الكبير اليهودى (روتشايلد) يسند هرتزل بما يقدمه من أموال لتحقيق هذا المشروع .

كانت المرحلة الأولى من مراحل هذه المشكلة هذا المشروع الذى يجعل اليهود جزءا من الامبراطورية العثمانية - أى من الأقليات التى تقيم فى هذه الامبراطورية على أنهم من الرعايا الذين يخضعون للنظم الاسلامية ، ويعتبرون خليفة المسلمين رئيسا لهم باعتباره رئيس الدولة التى هم من رعاياها .

فهل كان هذا الذى يظهرون وينادون به هو الحقيقة او ان ذلك كان جزءا من الخطة المرسومة التى هى الوصول الى اقامة الدولة التى يرغبون فيها .

ان الخطوات التالية تدل على أن هذه الأقوال كانت الخدعة التى يخدعوننا بها ، وان الصهاينة يجيدون العمل بالعبارة المشهورة تمسكن حتى تتمكن) .

وجاء فى مذكرات هذا السياسى عن الموضوع نفسه وفى مرحلته الثانية مايلى « ومنذ سنة ١٩٠٨ لم نسمع بنشاط قوى محسوس للصهاينة حتى كانت سنة ١٩١٧ حين كنا نقاتل فى منطقة العقبة اثناء الحرب العالمية الأولى .

لقد بلغنا حينذاك خبر التصريح الذى سمى فيما بعد بوعد بلفور .

لقد عم الذعر القوات العربية كافة ، وأخذنا نتشاور فيما بيننا ، **وانتهت بنا المشاورة الى اعلان عدولنا عن الاستمرار فى الحرب - تلك الحرب التى كنا نخوضها فى سبيل استقلال العرب - حتى يرد الينا مايثبت ان تعهدات السير هنرى مكماهون للعرب سوف تنفذ .**

وجاءنا من الملك حسين عن لسان مندوب صاحب الجلالة البريطانية تأكيدات قطعية وصريحة بأن .

(أ) وعد بلفور لا يتعارض والحرية السياسية والاقتصادية الموعود بها العرب فى رسائل مكماهون.

(ب) وعد بلفور ينطوى فقط على تحديد ايواء اليهود فى فلسطين لأسباب روحانية وثقافية .

(ج) ليس فى النية انشاء دولة يهودية .

هذه الأقوال التى يشير اليها السياسى العربى فى مذكراته لاتزال متصلة باقواله عن المرحلة الأولى - ولكن ذلك كان فى أثناء الحرب فقط . لقد كانت هى الأخرى أقوالا خادعة والدليل ماحدث بعد ذلك .

يقول السياسى العربى « **فى مؤتمر الصلح كشفنا - ولأول مرة - ان الحكومة البريطانية كانت تستعد لاعطاء اليهود وطنا قوميا فى فلسطين ، وان موقفهم فى المؤتمر يخالف تماما وعودهم التى وعدوا بها العرب من قبل .**

وفى سنة ١٩٢٢ وجدنا بريطانيا تقبل من عصبة الأمم أن تكون هى المنتدبة على فلسطين . كما وجدنا بريطانيا تشرك معها الصهاينة دون العرب فى وضع صك الانتداب .

ان رأى العرب لم يؤخذ فى شىء من ذلك . ومن هنا شعر العرب بأن الغدر قد حاق بهم.ولذا رفضوا التعاون مع الانكليز ، ولم يساهموا معهم فى شىء حتى فى المجالس التشريعية الصورية .

ولقد تعقد الموقف منذ ذلك الحين . فالعرب لم ينالوا الاستقلال الموعود به ، ولقد خرجوا من نطاق الدولة العثمانية ليقعوا بين شقى الرحى . الانجليز من جانب والصهاينة من الجانب الآخر .

لقد صرحوا بأغراضهم ، وكشروا عن أنيابهم ، وكان يجدر بالعرب بعد هذا كله ألا يثقوا بالانجليز وألا يطمئنوا اليهم ، وأن يقفوا منهم بعد اليوم موقف العداوة والبغضاء على أنهم العدو الاكبر-ولكن ما حدث كان غير هذا كله .

لقد ثبت المستعمرون اقدامهم بعد الحرب العالمية الأولى فى الوطن العربى كله . وساعدهم ذلك على تنفيذ اغراضهم .

لقد اخذوا يسمحون لليهود بالهجرة وبتملك الأراضى تمكينا لهم من الاستقرار أولا ، ثم من اقامة الدولة الموعود بها ثانيا . وكان العرب فى ذلك الوقت لا يملكون الا الاحتجاج تلو الاحتجاج . **وكان المستعمرون يأخذونهم بالحسنى . لقد كانوا من نعومة الملمس كالأفعى تماما . انهم يلدغون ويتناومون .**

جاءت بعد ذلك مرحلة النضال العربى التى بدأت تقريبا عام ١٩٣٦ والتى استمرت تقريبا حتى عام ١٩٣٨ - حيث كانت الحرب العالمية الثانية على الأبواب .

فى تلك السنة اهتمت الحكومة البريطانية بالوضع فى الشرق الأوسط وفى فلسطين بصفة خاصة ، ودعت الى عقد مؤتمر للمداولة فى أمر فلسطين ، ووجهت الدعوة الى الحكومات العربية • وحدث قبل افتتاح المؤتمر أن اجتمع ممثلو الحكومات العربية بالمستر تشمبرلن رئيس الوزراء فى ذلك الوقت فقال لهم « **ان العالم مقدم على حرب خطيرة ، وان امريكا التى تملك من الموارد والقوة ما يمكن من الانتصار على دول المحور تجعلنا فى موقف حرج تحسب معه للراى العام الامريكى الف حساب •**

ان الامريكين يعطفون على الصهيونيين بالنظر الى الدعاية الواسعة التى نظمتها الصهيونية فى تلك البلاد » •

وفى سنة ١٩٣٩ نشرت الحكومة البريطانية الكتاب الذى تعالج فيه هذه المسالة ـ وهو الكتاب الذى عرف بالكتاب الأبيض الثالث •

عالج الكتاب الأبيض مسائل الهجرة ، وبيع الأراضى ، وتاسيس حكومة من اهالى فلسطين • ولم يرض عن هذه المعالجة كل من العرب والصهيونيين•

ثم اندلعت نيران الحرب واستغل الصهيونيون ظروف الحرب اكثر مما لم يستغلها العرب • واستخدموا كل ما لديهم من نفوذ فى امريكا ، وضغطوا على الحكومة البريطانية التى لم تكن تستطيع فى ذلك الوقت أن تخرج عن نطاق النفوذ الامريكى واقاموا صرحا للصناعات هناك ثم طالبوا بالسماح بالهجرة لقلة الأيدى العاملة فى هذا الميدان •

واذن لهم بما شاءوا ، وحين كثر عددهم اخذوا يملون ارادتهم على البريطانيين •

اما الموقف بعد الحرب العالمية الثانية فمعروف •

لقد مكن الانجليز للصهاينة من اقامة هذه الدولة ومكن لهم العملاء العرب أيضا من ذلك •

لقد رفع الانجليز أيديهم عن فلسطين بعد أن تاكدوا من أن الصهاينة قادرون على إقامة هذه الدولة • **ورفعوها بعد أن اتفقوا مع عملائهم على كل شئ• ومن غريب الأمر أنهم أدخلوا هيئة الأمم فى المعترك ليستقر الأمر للصهيونيين •**

لقد أعلن الصهيونيون دولة لهم أسموها باسرائيل ـ دولة لم يعترف بها العرب حتى اليوم • ونظروا اليها على أنها دولة المغتصبين •

ولقد نظم العرب صفوفهم اكثر من مرة ولكن التنظيم كان بايدى الانجليز وعلى أيدى عملاء لهم من ابناء الأمة العربية • ومن هنا انهارت الصفوف •

ولقد كان العملاء يخدعوننا دائما حين يبشرون بان اسرائيل دولة لن تقوم لها قائمة اذا قاطعناها اقتصاديا • وكان هؤلاء العملاء ينسون أو يتناسون أمرين :

الأول منهما أن أى عجز اقتصادى فى هذه الدولة لاقيمة له مادام من ورائه يهود العالم أجمع يسدون النقص ، ويسعفون الدولة بما تحتاج اليه من مال وعتاد •

الثانى منهما ان هذا القول يفيد اسرائيل نفسها من حيث انه يكسبها وقتا ، ومالا • يكسبها وقتا تستقر فيه • ويكسبها مالا من حيث انها تعتمد على هذه الأقوال لتستدر عطف الدول فضلا عن عطف يهود العالم أجمع •

ان مشكلة فلسطين لن يحلها منذ اليوم الا ابناء فلسطين معتمدين على انفسهم اولا ، وعلى اخوانهم من ابناء الأمة العربية ثانيا ـ وفى تجربة الكفاح الجزائرى ضد المستعمر الفرنسى الذى كان يدعى ان الجزائر ارضه ، خير هاد لهم فى الكفاح والنضال •

وان السبيل الأول لخوض معمعة الكفاح والنضال هى وجود الكيان الفلسطينى فليكن لفلسطين كيانها ولتكن لها جبهة ترعى الكيان ، وتقود معركة النضال •

يجب أن يزلزل الفلسطينيون الكيان الاسرائيلى فى الأرض العربية حتى يتحطم على ادمغتهم فيعودون كما جاءوا ، أو تحنو عليهم الدول التى تدافع عنهم فتقرهم فى أرضها بدلا من ان تقرهم فى أراضى الغير •

الكيان الفلسطينى وتجربة الجزائر هما السبيل الوحيدة لحل تلك المشكلة التى تحتاج الى حل سريع حاسم •

دكتور محمد احمد خلف الله

الاتجاهات الحديثة فى الأدب العربى المعاصر

بقلم : محمود تيمور

- ٣ -

تجديد الشعر العربى :

وكان الشعر العربى وقتئذ قد استقبل عهدا جديدا من الازدهار اسلمته اليه وثبة « البارودى » الذى يعتبر مجدد الشعر فى مطلع العصر الحديث .

واذا كان « البارودى » قد انحصر تجديده فى جانب قوة النسج ، وفصاحة اللفظ ، وفحولة التعبير ، محاكاة لاعلام الشعراء فى العصور العربية الزاهية ، فان الشعراء الذين تقوا على اثره قد استفادوا أيما استفادة من الرقى العلمى والعقلى والاجتماعى فى عصرهم الحديث ، فاصبح التجديد فى شعرهم شاملا للموضوعات ، اذ تناولوا احداث السياسة ، وعبروا عن الحركات القومية ، وتددوا بما كان شائعا من الظلم والاستعباد ، وبما كان فاشيا من المساوىء الاخلاقية والاجتماعية ، وذلك كله الى جانب تعبيرهم الفنى عن احساسهم نحو جمال الطبيعة ومحاسن الكون ، وعن خوالجهم النفسية التى يستجيبون فيها للحياة ويعالجون مشكلات المجتمع البشرى ، ويهيمون فى سرائر الوجود .

ونحن حين نذكر « شوقى » و « حافظ » و « مطران » و « صبرى » و « بشارة الخورى » و « الزهاوى » و « معروف الرصافى » و « عبد الرحمن شكرى » و « العقاد » و « المازنى » واضرابهم ، لا ننسي انهم صفوة من الشعراء اتيحت لهم الوان ثقافية متشعبة ، بفضل ما قرءوا فى العربية من تراث الادب العربى ومما ترجم من نتاج الفكر الاوربى ، ومنهم من قرأ فى غير العربية ذلك النتاج الفكرى فارتفع بذلك مستواهم العقلى ، ونضجت اذواقهم الادبية ، وظهر اثر هذا النضج والسمو فيما طرقوا من موضوعات ، وما سبحوا فيه من اخيلة ، وما نظموا من قصيد .

كثر فى هذا الشعر التغنى بالاخلاق ، وبالمثل العليا ، والاشادة بأمجاد الماضي ، سواء اكانت من جانب العرب ، أم من جانب الفراعنة ، كما قوى التمجيد للحرية ، وتقديس الفداء ، والاعزاز لمواقف البطولة الوطنية والجهاد من أجل العقيدة والراى ، وبذلك صارت دواوين أولئك الشعراء مرآة ينعكس عليها فى جلاء ما اضطرم فى الوطن العربى من كفاح قومى ، ونشاط فكرى ، وأمان وطنية ، ومن مثل سمت اليها الافكار فى هذا العصر الحديث .

ولا يمكن القول بأن الشعر العربى فى جملته قد استمد فى تجديده فى تلك الحقبة من الشعر الاوربى شيئا يذكر ، وان كان الشعراء قد استفادوا على وجه علم ثقافة العصر الحديث . ولعل ذلك لان الامة العربية التى رحبت كل الترحيب بترجمة الوان شتى من ادب الغرب ونتاجه الفكرى ، لم ترحب كثيرا بترجمة الشعر الغربى ، واذا حاولنا ان نتعرف السر فى ذلك وجدناه فى ناحيتين : الاولى صعوبة ترجمة الشعر من لغة الى لغة ، فالقصائد تفقد فى اللغة المترجمة اليها ايقاعها وموسيقاها وما يكمن فيها من خصائص التعبير وايحاءاته ، والجمال الفنى فى الشعر مرجعه الى الايقاع والموسيقى وخصائص التعبير والايحاء . والناحية الاخرى للعزوف عن ترجمة الشعر الاوربى الى اللغة العربية ان الشعر العربى عريق فى تقاليده وسماته ، وانه اصيل فى تناوله للمشاعر والخلجات على اوسع نطاق ، وان لغته قوية متفننة فيها الرقيق الرهيف ، وفيها الجزل المتين ، وان الشعراء العرب على تعاقب العصور قد مرنوا على الاداء الشعرى وبرعوا فيه ، وانهم قد تفننوا فى موضوعاته ، فلم يدعوا وصف الطبيعة ولا الانطلاق مع اهواء النفس ، ولا تلمس مظاهر

الجمال فى المعانى والصور ، ولا التعمق فى فلسفة الحياة ، ولا تصيد اسرار الحكمة ، ولا تمثيل الغرائز والاخلاق ، ولا الكشف عن تجارب البشرية . ولذلك لم تكن للشعر الاوربى سوق رائجة عند القارىء العربى ، بل انه لم يكن لشعر غير عربى اية حظوة عنده ، الا ما كان لتلك المقطعات التى سميت «رباعيات الخيام» . وربما كانت العلة فى حظوتها ان روحها قريب من الروح الشرقية التى يتسم بها أدب العرب ، أو أن ترجمة هذه الرباعيات شعرا كانت أقرب الى التأليف منها الى الترجمة فى اللسان العربى .

ويظهر ان اعتزاز الامة العربية بمجد الشعر العربى هو الذى قضى حتى الآن على مختلف المحاولات التى اريد بها مجانبة الاوضاع والاشكال المتوارثة للشعر العربى . ومما لا شك فيه ان القارىء العربى لم يأنس بتحرير الشعر من الوزن والقافية ، ولم يرحب كذلك بالشعر المنثور او بالشعر المرسل . وربما كان ذلك لان اوزان الشعر وقوافيه لم تكن فى اول نشوئها وليد صنعة او زخرف اتخذه الادباء فى عصور المحسنات البيانية والتزاويق اللفظية ، بل كانت هذه الاوزان والقوافى فى قصائد الشعر العربى وليدة الفطرة الانسانية الصافية فى مناجاة النفس على رحاب الصحراء الطليقة ، وتحت سمائها الدائمة الصحو والاشراق . ولذلك وجد فيها القارىء العربى — من بعد — استجابة لما تهفو اليه نفسه من ايقاع موسيقى ينسجم مع العاطفة والوجدان ، ومن ثم استمسك بهذه الاوضاع الشعرية ، لانه استطاع بما فيها من مقاطع أن يلحن تلك الجمل التى تصور العواطف والنزعات والاحاسيس . فكان هذا الشعر العربى يجعل من كل قارىء مرتل له ، موسيقيا بلا اداة ، اذ يجد فى أوتار الاوزان والقوافى والمقاطع رنين الانغام وايقاع الالحان التى تهز نفسه فتحرك ما يكمن فيها من شجو ، وتواتيها بما تهفو اليه من طرب .

وليس معنى هذا أن نغض من شأن التجديد الذى لحق الشعر العربى الحديث ، فقد تناول من الانواع الادبية ما لم يكن يتناول من قبل ، وقد اتصل بمختلف المذاهب الفنية عن قرب أو من بعد ، وبذلك يمكن القول بأن الاتجاهات الفكرية والثقافية والادبية التى تأثر بها الجيل الحديث من جانب الغرب قد كان لها صدى ودوى فى تطوير الشعر العربى ، وقد ظهرت آثارها فى نتاج الشعراء . ويكفى أن نشير الى أن «شوقى» شاعر العصر الحديث قد أنشأ المسرحية الشعرية الراقية فى ديوان الشعر العربى ، اذ أخرج «عنترة» و «مجنون ليلى» و «قمبيز» و «مصرع كليوباترة» ، و «على بك الكبير» وغيرها ، وهى مسرحيات تجمع الى مهارة النظم وروعة الاخيلة الشعرية ، وتنويع الاوزان والقوافى بحسب المعانى وتعليل التصرفات والاحداث تعليلا لا يخلو من سلامة المنطق ، وموافقة الطبع البشرى . وعلى الرغم من أن هذه المسرحيات كانت فتحا جديدا فى الشعر والمواقف ، حبكة فنية لها قيمتها ، وحوارا روائيا خلابا ، الى جانب قدرة الشاعر على تمثيل المواقف المسرحى ، وشقا لافقه فى الادب العربى ، فان تلك البواكير توافر لها الحظ من النضج والايناع . و «شوقى» هو الذى مهد الطريق للشعراء من بعده كى يتابعوا اثراء الشعر العربى بذلك اللون من المسرحيات الشعرية . وقد تفوق من بينهم الشاعر «عزيز اباظة» الذى اتخذ نهج «شوقى» اماما له ، فاخرج «قيس لبنى» و «العباسة» و «الناصر» و «شجرة الدر» ، وغيرها من روائع المسرحيات التى عقدت له لواء الامارة الشعرية فى هذا الميدان .

وكان من ظواهر التجديد فى الشعر محاولة تطويع القصيدة العربية للتعبير الايحائى وفق مذهب الرمزية فى الادب الفنى ، ويتميز هذا اللون من الشعر بدقة الفكر ، وعمق التأمل ، والتمرد على الظاهر من الاوصاف ، والمطروق من المعانى ، والمبذول من الاغراض ، ففى هذه القصائد الرمزية تصيد للباطن مما يعتمل فى النفس ، وما يكمن وراء الحس ، حيث تتشابك الانطباعات وتتداخل . واداء ذلك اداء رمزيا دون تصريح ، وذلك بالجنوح الى الاطياف والظلال ، والاعتماد على النغم الشعرى الرفاف ، ويعتبر الدكتور «بشر فارس» — بين من مارسوا هذا اللون — اكثرهم فهما له ، وايمانا به ، وتمجيدا لمنزلته بين مذاهب التعبير الشعرى .

محمود تيمور

دور العلماء العرب والمسلمين في التفكير الفلسفي

بقلم: دكتورة فوقية حسين محمود

— ٢ —

ننتقل الآن الى النقطة الثانية وهى اثبات اتصال أهل الغرب بالعرب وأخذهم عنهم وذلك بتقديم الاثباتات التاريخية من أقوال مؤرخيهم : يحدثنا مثلا دكتور برنارد لويس فى كتابه « تاريخ اهتمام الانكليز بالعلوم العربية » أن أهل الغرب على العموم والانجليز على الخصوص قد اتصلوا بالشرق من قبل الحروب الصليبية بفترة طويلة وان كانت هذه الحروب قد وطدت صلات الغرب بالشرق لا عن طريق تبادل الثقافة ولكن عن طريق احتكاك الشعوب احتكاكا كان يشوبه روح العداوة والحرب ولكن كل منهما تعرف على الآخر واهتدى الى محاسنه ومعايبه ويرى هذا المستشرق أن نفوذ العرب الى الغرب قد تم من قبل هذه الحروب عن طريق الفتوحات ، فبعد أن فتح شمال افريقيا وصل العرب الى أوربا واستعمروا اقليمين هامين هما أسبانيا وصقلية وأسسوا فيهما المدن العامرة وقد وصلت العلوم فى هذه المدن الى درجة كبيرة من الرقى والازدهار خلفت آثارا كبيرة فى المدنيات المسيحية المعاصرة لها ، وهذا تصريح له قيمته فى اثبات أثر التراث الاسلامى فى الثقافة الغربية خصوصا وانه يقرر بعد ذلك ان العلوم العربية قد بقيت مزدهرة مدة من الزمن بعد استرداد المسيحيين لهذه البلاد ووقوعها تحت سيطرتهم .

ويثبت الدكتور لويس أيضا ان المسيحيين الذين تحدثوا العربية فى اسبانيا ووقفوا على علومها كان لهم نفوذ قوى بين ذويهم وبنى عشيرتهم مما جعل لهم الأثر كل الأثر فيمن أحاطوا بهم ممن يشدوقوا هذه العلوم لجهلهم بلغتها .

ثم ان يهود هذين الاقليمين كانوا يتحدثون العبرية الى جانب المامهم بالعربية مما ساعد على نشر العلوم التى كانت تنتقل من العربية الى العبرية بواسطة هؤلاء اليهود فمثلا هناك الفيلسوف الاسبانى ابراهيم بن عزرا من مدينة طوليودو الذى زار لندن فى ١١٥٨م/١١٥٩م ليدرس . كما ان هناك تومابرون الذى كان قاضيا فى صقلية وورد اسمه فى الوثائق العربية باسم القاضى براون واستمر التزاور بين أهل الغرب والشرق بغرض نشر العلم. او التعرف عليه بين أهله وصانعيه من العرب حتى برز العالم الانجليزى ادلارد الذى سبق أن ذكرنا رأيه فى منهج تحصيل العرب للعلوم وقد تعرف على الثقافة العربية منذ وقت مبكر وشغف بها واعجب باتجاهها المنطقى الحر وقد قام باسفار واسعة فى اسبانيا وسوريا فى بداية القرن الثانى عشر الميلادى ، ولم يقف عند حد التحصيل ، بل اخذ يترجم الى اللاتينية كثيرا من الكتب لينتفع بها معاصروه المسيحيون واللاحقون بعده منهم .

وقد كان لهذا السيد مركز مرموق فى انجلترا حتى أنه عين أستاذا للأمير هنرى الذى أصبح فيما بعد هنرى الثانى ملك انجلترا وهذا يبين ما كان للثقافة العربية الاسلامية من شأن فى المحيط الثقافى الغربى ويسترسل برنارد لويس فى بيان مدى اقبال أهل الغرب على الثقافة الاسلامية وتفانيهم فى نشرها والمقابلة بينها وبين روح العلم فى بلدانهم — فنذكر من العلماء روبرت الذى درس العلوم الرياضية وترجم مؤلفات عربية ودانييل أوف مورلى الذى لم يكن راضيا عن الجامعات الافرنجية فذهب الى اسبانيا ليبحث عمن هم أكثر حكمة من فلاسفة العالم ، وعمل بجد على نشر الثقافة العربية باحضار عدد كبير جدا من الكتب وتوجيه الناس الى دراستها .

وفى القرن الثالث عشر درس ميخائيل سكت فى صقليه وأتقن اللغتين العربية والعبرية وترجم كتب ارسطو من العربية كما ترجم شروح العرب على هذه الكتب فكشف بذلك عن التفكير العربى المستنير بنور العقل المشرق دون النقل السقيم خصوصا وأن العرب فى شروحهم لكتب المعلم الأول قد أضافوا جديدا الى أقواله . وبينوا اتجاههم نحو النظر العقلى القويم .

نتبين مما تقدم أن فئة من الفرنجة باعتراف بعض مؤرخيهم لم يأل جهدا فى نشر مجهودات العرب وثمرات أفكارهم بين أهلهم وذويهم وبذلك أصبحت هذه المجهودات معروفة فى انجلترا والبلاد الغربية ولا نظن بعد تقديم هذه الاثباتات أن يتطرق الى ذهن مغرض ادعاء انعدام أثر العرب فى التفكير الفلسفى

العربى أو المسيحى فقد خطا العرب بالتفكير الأوربى خطوات هامة على سبيل التقدم والارتقاء حتى أن من ظهر من أهـــل الغرب فى ذلك العصر من امثال روجر بيكون يعتبر تلميذ العرب وابنهم الروحى اذ قد تأثر هذا الفيلسوف تأثرا عميقا بالعلوم العربية وهناك مأثورات تبين كيف استوعب هذا المفكر علوم العرب وتأثر باتجاههم التجريبى العقلى وهى التى كانت نواة لنهضة العلوم فى عصر النهضة .

كتب روجر بيكون باللاتينية يقول « الفلسفة مستمدة من العربية • « فاللاتينى » (يقصـــد الغربى) على هذا الاعتبار لا يستطيع أن يفهم الكتب المقدسة والفلسفة الا اذا عرف اللغة التى نقلت عنها» كما قال فى موضع آخر : ـ « ان ما وراء الطبيعة عند الفلاسفة جزء من الالهيات اذ يطلقون عليهـــا وعلى الفلسفة الخلقية معا اســـم : العلم الالهى والالهيات الطبيعية كما يتضح ذلك من الكتابين الأول الحادى عشر من الهيات ابن سينا ••• »

تتبين من النص الأول انه يرد الفلسفة فى عصره الى الشرق العربى لا الى ارسطو وافلاطون • فاللاتينى فى اعتباره ليس أمامه الا منفذ واحد الى مبتغاه وهو دراسة التراث الاسلامى ـ كما انه يثبت فى النص الثانى المصادر الاسلامية التى استقى منهـــا رأيه هذا •

ثم يقدم لنا هذا الفيلسوف المؤرخ تصويرا لحالة العلوم فى عصره فبين ان مصدرها فى عصره كان فعلا الكتب الاسلامية العربية التى حوت فلســـفة ارسطو وغيره من اليونانيين لأن الشطر الأكبر من كتب ارسطو وغيره قد ضاع وان كتبه اصبحت نادرة وهذا يثبته ايضا انها كانت عسرة الفهم والتذوق لغموضها الذى كان يبعد عنها الاذهـــان ولم يكن أمام الراغبين فى تحصيل العلم الا كتب ابن سينا وابن رشد وسائر الفلاسفة العرب كما يقول . ويظهر ان « كتاب الشفاء » كان من بين الكتب الهامة التى أطلع عليها روجر بيكون وقد أشار الفردجيوم فى مقالة له فى الفلســـفة والالهيـــات ان المعـــاهد الاسلامية قد مهدت لظهور جامعات أوروبا • وهو يثبت أن هذه المعـــاهد كانت تتمتع بنظام دقيق وعناية بالعلم والعلماء والطلبة بحيث ان المسئولين فيها كانوا يعملون على توفير سبل المعيشة للطلاب ، فكانت هناك مساكن للطلبة وعناية بشـــئونهم المعيشية ، هذا عدا بعض أجور كانت تصرف لهم تامينا لحالهم من التدهور • وأهم مدرسة فى نظره هى مدرسة المستنصريه ببغداد ، وقد أسست هذه المدرسة عام ١٢٣٤ • فالمنهج التعليمى فى هـــذه المعاهد كذلك نظامها كان لهما أثر كبير فى جامعات الغرب حتى ان المواد التى كانت تدرس فى الشرق والغرب قد تشابهت •

ومما يدل على مدى تأثر جامعات الغرب بمعاهد الشرق ان السلطات الدينية اهتزت وعلماء اللاهوت ثاروا فى وجه الذين نقلوا اليهم شروح ابن رشـــد وسائر فلاسفة العرب واستصدروا من البابا اسكندر الرابع خلال ستسنوات أو سبع اربعين امرا بتحريم فلسفة العرب والمشتغلين بها • فاذا كان هذا يدل على شىء فانمـــا يدل على مدى تغلغل اثر العرب فى الثقافة الغربية • تلك الثقافة التى تدفع الى حرية الفكر والانطلاق وراء ما هو محسوس ملموس بعيدا عن الغموض الذى ينتهى اليه فى بعض الأحيـــان النظر التجريدى • لقد خافت الكنيسة من خروج الناس عليها واكتشافهم محاولتها استبقاءهم تحت ضغط السلطات • وهل هناك دليل أقوى من هـــذا على مدى تغلغل الثقـــافة العربية لدى اهـــل الغرب ؟

٢ ـ وقد تدعم هذا التغلغل كما بينا بحركة الترجمة القـــوية ومن أشـــهر المترجمين دومينيك جنديز الوفتش الذى ترجم فى بداية القرن الثانى عشر كتب ابن سيناء والفارابى والغزالى • وقد كتب هذا المترجم دائرة معارف اعتمدت على معارف مستمدة من كتب العرب • وجميرار القرمونى الذى ترجم كتب الكندى، وله مؤلفات فى الرياضـــيات والتنجيم والكيمياء العربية وعلم المرئيات •

وهناك « ريموند مارتان فنديت » و « وريموندلل»

هذه بعض اثباتات تاريخية تقرر اتصال أهـــل الغرب بالعرب وتبين مدى اهتمامهم بهذه العـــلوم وتقديرهم لها • أما عن مآثرهم فى العلوم فسنشير اليها اشارة سريعة تاركين تفصيل القول فيهـــا لمن اهتم بتسجيلهـــا من الباحثين العرب والغربيين من المحدثين •

لقد توصل العرب فى الحساب الى نظام الترقيم وأنواع الارقام وتبينوا فكرة الصفر والنظام العشرى والعلامة العشرية ، وبحوث النســـبة واستخراج المجهـــولات ، وطريقـــة العمل بالعكس ، ونظريات ـ الاعداد ، والأعداد المتحابة ولدينا قاعدة ابن قره ـ

وقاعده المتواليـات • وقد تقدم العرب كثيرا بالجبر فهم اول من الف فيه ، فنجد معادلات الخوارزمى وطرق حلها وللعرب طريقهم فى استعمال الرموز - ويجب ان نشير الى حلول ابن بدر والخيام - والمعادلات السـيالة ولوغارتمات وعهد ابن حمزه والتكامل والتفاضل وتمهيد ابن قره ، لذلك لقد ابتدع العرب كثيرا ووقع اهل الغرب على هذا وافتتنوا به •

كذلك الف العرب فى الهندسة كتبا كثيرة ادخلوا فيها قضايا جديدةغير تلك التي اخذوها من اليونانيين من كتاب اقليدس فقد وضع ابن الهيثم كتابا من هذا الطراز ويعترف ابن القفطى بفضـل ابن الهيثم فى الهندسة فيقول : « انه صاحب التصانيف والتاليف فى علم الهندسة • كان عالما بهذا الشأن متقنا له ، متفننا فيه ، محيطا بغوا مضه ومعاونيه ، مشاركا فى علوم الأوائل ، أخذ عنـه الناس واسـتفادوا • » وكان ابن الهيثم مستقلا فى تفكيره حتى انه يمكن ان تقول انه كان يتجلى من تاليفاته ان العرب كانوا يميلون الى الناحية العملية • وقد سخر العرب - ولا سيما ابن الهيثم - الهندسة بنوعيها ، المستوية والمجسمة ، فى بحوث الضوء وابتكروا لذلك حلولا عامة بلغوا فيها الذروة ويقول باحث عربى حديث فى دراسة له عن العلوم عند العرب : -

« وتبين من هنا انه ما كان « لابن الهيثم » أن يبتكر فى علم الضوء ولا ان يوفق فى شرح بعض طرقه وعملياته لولا استعانته بالهندسة وتطبيقهـا فى مسائل الضـوء مما جعل لبحوث « ابن الهيثم » قيمة عملية وعلمية كانت ولا تزال محـل تقدير الباحثين والعلماء فى الشرق والغرب على السواء ، ويثبت معتمدا على البيانات تاريخية قديمة ان هـذه العلوم قد نقلت قديما الى اللاتينية عن طريق رهبان تعلموا العربية • فقد وجدت مقالتان هندسـيتان قديمتان فى مكتبة كنيسة وستر الأولى كتبها «جريرت» والثانية يرجع تاريخها الى القرن الثانى عشر وكاتبها هو ادلارد اوف بات الذى سبق أن أشرنا الى ولعه وتقديره للعلوم العربيـة وبالذات منهج العرب • ويعترف المؤلف بعد أن بحث واستقصى انه لولا العرب لما كان علم المثلثات على ما هو عليه • ويذكر اسـم ابى الوفاء البوزجانى الذى كان له السـبق فى الوصول الى الكثير من الاشكال المطلوبة •

أما عن مآثرهم فى الفلك فقـد تبين السـيد طوقان وهو صاحب كتاب « تراث العرب العلمى » ان العرب أول من اسـتخرج بطريقة عملية طول ودرجة خط نصف النهار وبعدها العلماء من أجل آثار العـرب فى ميـدان الفلكيات • ويورد قـولا لنللينو اما قياس العرب فهو اول قياس حقيقى أجرى كله مباشرة ، مع كل ما اقتضته تلك المساحة من المدة الطويلة والصعوبة والمشـقة واشتراك جماعة من الفلكيين والمساحيين فى العمل • فلا بد لنا من عد ذلك القياس من أعمـال العرب العلمية المجيـدة المأثورة • » وينتهى باثبات فضل العرب الكبير اذ قال انهم نقلوا ما نقلوه من الكتب الفلكية اليونانية الهندسية والكلدانية والسريانية بعد أن صححوها فاصبحت مراجع الاوربيين فى ذلك العلم ، لان أصولها ضاعت وأصبح العرب بذلك أسـاتذة الأوربيين • ولا شك ان اضافاتهم الهامة واكتشافاتهم الجليـلة قد تقدمت بعلم الفلك شوطا بعيدا خصوصا وانهم جعلوا علم الفلك اسـتقرائيا ولم يقفوا عنـد حد النظريات • كما فعل اليونان - وهذا اتجاه جليل لأنه نبه عقول أهل الغرب الى منهج جديد كانوا فى اشد الحاجة اليه وهو المنهج الاستقرائى •

نتبين اذن ان الرياضيات من العلوم التى نالت عناية كبيرة من قبل العرب فقد برعوا فيها وأضافوا اليها اضـافات هامة أثارت اعجاب علمـاء الغرب ودهشتهم وقد أثبتت الدراسات التى قام بها العلماء فى هذا التراث انه كان للعرب أسلوب خاص فى اجراء العمليات الحسابية يتفق وعقلية هؤلاء الذين يتناولون هذه العمليات حتى أن التربويين فى أوربا تبينو قيمة هذه الاساليب فأخذوا بها للمبتدئين ؛ وغير المبتدئين وتوسع العرب فى بحوث النسـبة واستعانوا بقوانين الحساب ومبادئه فى حل مسائل العلوم الطبيعية والمثلثات والفلك • وقد أفادت هذه البحوث العلوم اذ انتقلت بها من مرحلة الى أخرى •

وقد طبق العرب ما توصلوا اليه فى الجبر والحساب على المعاملات التجارية والصدقات ومختلف العمليات التى تتعلق باحتياجات الأهلين •

دكتورة : فوقية حسين محمود

مسرحية الفرافير

بقلم : على شلش مطاوع

لاشك في انها حدث جديد في مسرحنا ، اقدم مؤلفها — الدكتور يوسف ادريس — عليه في جراة كبيرة ، لانه جاءنا بتقاليد جديدة وبصورة جديدة لا عهد لمسرحنا بها ! ..

فهو — مثلا — قد اجلس الممثلين مع المتفرجين وفى نفس الكراسى المخصصة لهؤلاء المتفرجين وفى « البناوير » المجعولة لهم ايضا ! فلم نعد نعرف — من بين الحاضرين — من هو الممثل ومن هو المتفرج! بل هو قد ذهب ابعد من ذلك فجعل الممثلين يدورون فى ارجاء « الصالة » ينادون على بضائعهم التى يبيعونها ويخاطبون — وهم فى الصالة — زملاءهم الماثلين فوق خشبة المسرح !

وهو ايضا قد أحيا الأموات من الناس ، وجعل واحدا من هؤلاء الموتى يروح ويغدو ويناقش مناقشة فيلسوف كامل الوعى مع الاحياء من الناس ، ولما لم تعجبه المناقشة مع هؤلاء الاحياء امر بان «يموت» ثانيا وان يحملوه ويعودوا به الى القبر ..

وهو كذلك قد جعل الح موكبا حاشدا بجميع الآراء والنظريات من علم الى فلسفة الى اجتماع الى نقد الى ادب الى تاريخ الى غير ذلك مما لا اكاد « احصيه عدا » .

وهو قد جاءنا بمؤلف المسرحية يخاطب الحضور فى امرها ويشرح لهم بعضا منها ، ثم يعود فيخاطب الممثلين ويدعوهم للحضور ليقوموا بادوارهم !

وهو قد أعاد لنا تلك « الجوقة » التى كانت عنصرا من عناصر التمثيل عند اليونان الاقدمين وكانت تتألف من عدد كبير يتدخل فيما يجرى من التمثيل حينا بعد حين، ثم تضاءل هذا العدد الكبير رويدا رويدا حتى اختفى نهائيا قبل ان يختفى العصر اليونانى ويبزغ العصر الميلادى ولم يعد له وجود منذ ذلك العهد حتى اليوم !

تلك الاستحداثات التى استحدثها مؤلفنا تجعلنا نقرر ونحن مطمئنين ان هذه المسرحية — مسرحية الفرافير — هى حدث (جديد) حقا فى مسرحنا وان كان المؤلاء يقرر انه (الحدث الاكبر) فى حياتنا المسرحية !

كما يقرر زميله مخرج المسرحية — الاستاذ كرم مطاوع — انه اراد بهذه المسرحية ان « يتنازل عن التقليد المسرحى القديم الذى يقضى باعتبار المسرح كحجرة ينقصها — عن طريق الخداع — ما اصطلح على تسميته باسم « الحائط الرابع » والذى من خلاله يتمكن المشاهدون من متابعة ما يجرى فى المسرحية . ذلك الخداع تنازلت عنه . هدفى من ذلك ان تغوص الحقيقة الفنية فى اعماق الحقيقة الواقعية ، وان يمتزج مكان الحدث المسرحى بمكان المشاهدين ، وان يذوب الممثل فى المتفرج والمتفرج فى الممثل . » على حد ما قال المخرج فى تقديمه للمسرحية .

ويزيد المؤلف فيذكر انه كان ولا يزال مؤمنا بان هناك مسرحا مصريا موجودا فى مكان ما من ضمير شعبنا وحياته ، واننا لو امكننا العثور على طرف الخيط وقدرنا قيمته واختبرنا اصالته بحيث لا نجد فيه اثرا لفرنسا المسرحية او انجلترا الشكسبيرية وتاكدنا فعلا انه نابع منا ... كان ولا يزال واثقا انه لو تم شىء من هذا فسوف يكون الحدث الأكبر فى حياتنا المسرحية ، بل يكون الأكبر منه اننا من نفس هذا الخيط وعلى هديه واستيحاء منه يستطيع كتاب المسرح عندنا ان يقدموا لنا مسرحيات مصرية تتناول حياتنا الحديثة بنفس الطريقة الفولكلورية مطورة الى المستوى الذوقى والجمالى والمفهومات الفنية العالمية ، والفرافير محاولة للعثور على الخيط المسرحى المصرية الشعبى .

ونحن نريد ان نسال المؤلف : كيف آمن بوجود المسرح فى مكان ما من ضميرنا وحياتنا ونحن قوم — والحق يقال — ليس لنا تراث مسرحى على الاطلاق واننا اخذنا المسرح اخذا عن اليونان وان برزت فى بعض العصور المصرية القديمة اساطير لها اهميتها وقيمتها — كاسطورة اوزوريس مثلا — الا ان هذه الاساطير ظلت حبيسة المعابد ولم تخرج منها الى النور الذى يجعل منها مسرحا للناس

اجمعين ، وظلت فى هذا الحبس حتى ولدت . .
فأين مكان المسرح فى تراثنا ؟ واين هو ضميرنا وحياتنا ؟ ولماذا يلقى المؤلف هذه القضية الكبيرة دون ان يوضحها ويدعمها بالادلة التى تؤيدها وتجعلنا نؤمن بها ؟ وهل عثر المؤلف على طرف الخيط حقا بمسرحيته هذه ؟ نحن لا نريد من المؤلف أن يتركنا فى هذا الخضم من القضايا دون ان يفصل لنا القول فيها مطبقة على مسرحيته هذه التى يقرر انها محاولة للعثور على هذا الخيط .

كما نحب ان ننبه زميله المخرج الى ان التقليد المسرحى الذى اصطلح على تسميته باسم «الحائط الرابع» ليس تقليدا (قديما) كما يقرر بل هو تقليد جديد نشأ مع نشأة (الواقعية) فى نهاية القرن الثامن عشر ، وانه يجوز اعتباره من احدث التقاليد المسرحيه ان لم يكن احدثها جميعا .. كما انه ليس (خداعا) كما يقول بل هو الحقيقة كل الحقيقة ، ولا ندرى ما هى الحقيقة ان لم تكن ما تراه فى حجرتك او فى دارك وبين جدرانك الاربعة بعد ان زال جدار منها ليمكنك من الدخول ؟ فاذا دخلت فانك سترى شيئا من صور حياتك التى تحياها ومشكلاتك التى تلقاها كما هى تماما فى واقع حياتك فأين اذن يكون ذلك « الخداع » ؟ ... على ان المسرح ــ بطبيعة تكوينه وتركيبه وحيزه وزمنه ــ يقتضى كثيرا من « الخداع » ــ فى المظهر لا فى الجوهر ــ وان هذا الخداع الذى يطلق عليه احيانا اسم « الحيل المسرحية » ... نقول ان هذا الخداع ــ ان جازلنا ان نطلق عليه هذه التسمية ــ هو الذى يؤدى الى الحقيقة الكاملة ويدخلها فى روع المتفرجين وليس من الممكن ان نجعل ما يجرى على خشبة المسرح الصغيرة المحدودة ، وفى الزمن الصغير المحدود ايضا الذى تجرى فيه حوادثه .. ليس من الممكن ان تكون الامور والمشاهد فيه هى هى بأحجامها ومقاييسها التى نراها بها فى الحياة .. كما اننا لا نستطيع ان نقتل فيه الناس ــ مثلا ــ قتلا حقيقيا والا لفاضت ارواح وارواح !

ان المسرح رموز وايماءات واشارات صغيرة الى حقائق كبيرة وايهام بل وتمويه .. ولكن كل ذلك لخدمة الحقيقة وايصالها الى اعماق القلوب ، ولا يدخل شىء من ذلك فى باب « الخداع » الذى يعنى به المخرج فى كلمته الزيف والبهتان والتزوير !

قوله « .. هدفى من ذلك ان تغوص الحقيقة الفنية فى اعماق الحقيقة الواقعية ، وان يمتزج مكان الحدث المسرحى بمكان المشاهدين ، وان يذوب الممثل فى المتفرج والمتفرج فى الممثل »

فما هى تلك « الحقيقة الفنية » ؟ وما هى تلك « الحقيقة الواقعية » ؟ وهل الاولى شىء والاخرى شىء آخر ؟ .. اما نحن فلا نرى الا انهما شىء واحد ولا فرق بينهما فى الجوهر او فى الكنه ، لانهما يحملان معنى واحدا وفكرة واحدة وموضوعا واحدا ، والفن هو الحقيقة الواقعية مجملة مجنحة تحف بها الاضواء وينسكب من حواليها النور ، ولا تعارض بينهما اطلاقا لانهما شىء واحد ، فما معنى ان يغوص الشىء الواحد فى نفسه ؟ الا ان يكون كلاما لا مدلول له وانما هو كلام اى كلام !

ولماذا يمتزج مكان الحدث المسرحى بمكان المشاهدين ؟ لماذا ؟ ايؤدى ذلك الى شىء من « الوقعية » ؟ ام يجعل المشاهدين « يعيشون » فى ذلك الحدث المسرحى ؟ لا شىء من ذلك على الاطلاق؟ فليس الامر امر مكان بعيد او قريب ، وليس الفهم او التأثر ببعد المكان او قربه ، او ببعد الحوادث او دنوها منى ، وقد افهم الحوادث واتأثر بهاوهى بعيدة قصية عنى مثل فهمى لها وهى ادنى ماتكون منى .

بل ان هذا فى المسرح خلط يؤدى الى البلبلة الاضطراب وتشتت الذهن والحيرة بين مكان انشددت اليه وتركز فيه انتباهى كله وبين صيحات تفاجئنى ــ وانا فى ذروة انتباهى الى ذلك المكان ــ من خلفى ! فيتوزع فكرى بين هنا وهناك ، ويتبدد « الخيال » الذى كنت اعيش فيه واتابع احداثه .

وما معنى « ان يذوب الممثل فى المتفرج والمتفرج فى الممثل » ؟ هل معناه ان يشتد التأثر بالمتفرج فيصبح وكأنه هو الذى يؤدى الادوار ويقوم بالاعمال التى يقوم بها الممثل ؟ واذا كان هذا هو معناه فهل لا يتأتى ذلك الا اذا جلس الممثل الى جانب المتفرج وخرج من « الصالة » الى « خشبة المسرح » ؟

ان هذا فى اعتبارنا لا يؤدى اطلاقا الى هذا

« الذوبان » الذى يقول به السيد المخرج بل يؤدى الى العكس تماما ..

فهذا « الذوبان » الذى يذوبه المتفرج وحده فى الممثل — ولا يذوبه الممثل فى المتفرج — لا يكون الا بالتأثر البالغ الذى يحدث فى المتفرج فيتابع الأحداث لا بنظره وحده ولكن بقلبه ووجدانه وتصبح هذه الأحداث جزءا منه ، فيبكى عند الضراء ، ويفرح عند السراء ، او عاقبة او نهاية يحذرها ، وذلك هو « الذوبان » الحق الذى ينبعث عن العقل والعاطفة والشعور ، فما علاقة قرب مكان الممثل أو بعده بهذا ؟

ان الممثل فى حقيقة امره « روح » أو هو «رمز» او هو « خيال » وذلك سر عظمته وسر جلاله ، وذلك ما يشد افئدتنا اليه ، الا ترانا يداخلنا شيء من التعجب والاستغراب عندما نلاقى احد اولئك الممثلين فى الشارع مثلا فنطيل النظر اليه — دون غيره من الناس — وكاننا نرى شيئا هبط الينا من السماء ؟ فلماذا يكون ذلك ونحن نعلم انه بشر مثلنا ياكل الطعام ويمشى فى لاسواق ؟

اليس ذلك لاننا قد استقر فى عقولنا انه اقرب الى « الخيال » منه الى اولئك الناس الذى يخالطوننا فى عيشنا كل يوم ؟ فما جدوى اذن ان نجرده من ذلك الخيال الذى خلعه عليه انه ليس انسانا — مثل اى انسان — واحدا ثابت الصورة معروف المعالم ولكنه « اناسى » كثيرون ، نرى منه كل يوم واحدا منهم فيأخذنا منه العجب ولا ندرى من هو بالضبط بين هؤلاء ؟»

الحق انّ هذه التجربة لم تقنعنى ، وقد دخلت المسرح وحسبت انى سارى فى « الفرافير » تقاليد جديدة تزيد من ثروتنا المسرحية ، ولكني مارايت الا بدعا جوفاء خاوية بل على الاصح رايت فسادا واضطرابا لا يمكن ان يثبت أو ان يبقى لان الزبد دائما يذهب جفاء .

وبعد : فما هو موضوع مسرحية « الفرافير » هذه ؟ انه موضوع « الاشتراكية » وتفسيرها التفسير الصحيح ، وانه ليس معنى سيطرة احد على احد آخر اخضاعا لذلك الآخر واذلالا له ولكن قد تقتضى ذلك طبيعة العمل نفسه وطبيعة النظام الذى بدونه لا يتحقق النجاح ... ذلك — على وجه التقريب — هو موضوع المسرحية ولكنه ضاع ضياعا تاما وسط هذا الموج الزاخر من العبارات والقفشات واللمسات والتهكمات التى كانت كالسيل الجارف الذى لا يمكن وقفه او التحكم فيه ! .. ووسط هذه المهن والصناعات المختلفة ، والاسر العديدة التى سماها واحدة واحدة . والاعمال الحرة والأميرية التى ما ترك منها واحدة ، ومآسى الحياة والانسان والجرائم وغيرها وغيرها مما كان ينطلق من أفواه الممثلين كالصواريخ تباعا وفى غير هوادة ...

فاين هذا من المسرح الصحيح ؟ هل المسرح هو ذلك الضجيج والصراخ والقفز والجرى والضرب وما الى ذلك ؟ ان هذا عبث فارغ لا يجوز ان تراه العيون ..

وماتلك الالفاظ التى اجراها المؤلف على السنة بعض الممثلين ؟

مثل ان يقول احدهم لصاحبه « ملعون ابوك وابو المؤلف كمان » ؟ او ان يقول « لم لا اكون مؤلفا؟ ان كان على البنطلون اقصره او اقلعه » ؟

او ان يقول « انا عقلى بيقول لى ان بعض العيال دول داخلين فى اولادى غلط » ؟

او ان يقول «وهوا يخاف من مراته الاالراجل ؟» امثل هذه الالفاظ هى « الحدث الاكبر » الذى بشرنا به المؤلف ؟ .

ولكنها على اية حال تجربة لن تعود لان الفشل حف بها من جميع اقطارها !

على متولى صلاح

العقاد في ندوته

بقلم : المهدي الخطيب



قبل بضعة اسابيع نعت اذاعات وصحف العالم العربي الاديب الكبير عباس محمود العقاد . ولاشك من ان اى قارىء قرأ لهذا العالم الكبير اصابه شىء من الحزن والالم . وقد كان حزني اشد من الذين قراوا للعقاد . ويشاركني في مرارة الحزن الذين التقوا لقاء خاصا بهذا الاديب او الذين اجتمعوا به في ندوته الاسبوعية . والسبب الذى يجعل الذين قابلوا هذا الاديب يتاثرون لموته اكثر من القراء العاديين هو ان هذا الرجل كانت له مميزات لايحس بها الانسان في مكتوباته . ومن المميزات التى هزت نفسي وجعلتني اضع للعقاد تقديرا خاصا تسامح العقاد وكرمه اللذان يلقاهما الزائر لندوة العقاد . فبالرغم من أن المدن حرمت الكثيرين من الكرم والضيافة الا أن الاستاذ العقاد كان محافظا على طباع اهل الريف المصرى. فهذا الرجل كان يستقبل في منزله اى زائر يطرق بابه او يقصد ندوته كما كان له ملازمون لاكرام ضيوف الندوة ، ولم يكن كرم العقاد بالاستقبال المجرد بل ان كل من يحضر ندوته لابد من ان يتناول كوبا من الشربات او فنجانا من القهوة وليس هذا المشروب يقدم بتحديد ولكن الذين يقومون بضيافة رواد الندوة يمررون على الزائر عدة مرات كوب الشاى وفنجان القهوة . وربما يرى القارىء الاكرام بالمشروبات شيئا عاديا برغم فداحة تكاليفه على رجل ليس له دخل سوى دخل تدبيج المقالات وتاليف الكتب . ولكن هناك شىء اقيم من المشروبات وهو . وقت العقاد . وفي الحق ان الانسان لايقدر وقت الاديب الا اذا عرف قيمة انتاجه . وقد كنت لااشعر الشعور التام بقيمة وقت الاديب الا أن مرة من المرات ساقني أحد الاصدقاء المعجبين بالاستاذ حلمى مراد صاحب الدار التي تصدر كتاب « كتابي » ومطبوعات « كتابي » وقد ذهبت مع هذا الصديق حتى دار كتابي بعمارة الجندول . وعندما وصلنا الدار استقبلنا رجل متقدم في السن واظنه سكرتير الاستاذ مراد وعند ما قلنا لهذا الرجل اننا من السودان ونود زيارة الاستاذ مراد حملق هذا الرجل في وجهينا وقال لنا في لهجة بلدية « اذا كان الاستاذ حلمى يقابل كل واحد ماكنتش خلص » ومن الحق ان وقع هذه العبارة كان مؤلما لنفسينا في وقته ولكنني عندما تمعنت في عبارة هذا الرجل العجوز وجدت الحق معه في مثل هذا القول . ومن الطبيعى ان اى متعلق بالادب يحتاج للوقت الكافى للقراءة والكتابة . وليس الاستاذ العقاد من الادباء الذين لا يقدرون الزمن أو انه لا يحتاج للوقت الكافى للقراءة والكتابة . ولكن شعور هذا الرجل ونظرته العميقة للحياة جعلت من الندوة التى تأخذ من وقته ساعات في الاسبوع قيمة له ولادبه لا يستمتع بها الاساتذة الجامعيون .. فالعقاد بالرغم من ان له طودا في الثقافة يؤهله الى تدريس الاكاديميين الا ان التقاليد التى قدرها الاكاديميون انفسهم لا تمكن الاستاذ العقاد من التدريس في الجامعات . واظن العقاد قصد من ندوة الجمعة ان يخلق تلاميذ بالتدريس المباشر كما قصد ان يمتع عامة الناس بالاستماع الى عباراته اللاذعة ومداعباته العذبة .

وقد يرى الزائر لندوة العقاد تمثيله للاستاذية وتقديس المستمعين الذين يترددون على ندوته من الدكاترة والاساتذة وخلافهم من المثقفين . وقد سمعت من احد الزائرين لندوة العقاد قبل زيارتي

له ان الاستاذ العقاد ناصب لافتة مكتوب عليها « ممنوع النقاش » وعند زيارتي للعقاد جلت بنظري في قاعتي الندوة غير انني لم ار ما قاله الصديق .

ولكن هناك حقيقة اقوى من لافتة منع المناقشة وهي ان العقاد له تعبير بوجهه الذي جعده مرور الخمسة والسبعين عاما وبكلامه اللاذع يثبت للمنتدين ان الاستاذ لايحب مقاطعة آرائه مهما بلغت . وصراحة ان هذا الاستاذ العقاد له ملكة جدليه روضت رواد الندوة على احترام آرائه . ولكن الانسان مهما يبلغ من براعة المنطق يكون عاجزا عن مقاومة الاشياء التي تقف بجانب الحق . ومن الاشياء التي طرحت لرودالعقاد ولم يعجبني رايه فيها سؤال وجهه احد روادالندوة للاستاذ عن رايه في صحابة الرسول . فقد تحدث الاستاذ العقاد عن الصحابة حديثا مستفيضا ولكنه حديث لايخلو من الهوى ، اذ ان الاستاذ قال عن عمرو بن العاص انه رجل مخادع ولايستحق الاعتبار الشديد . وعندما قاطعه احد المنتدين بقوله للاستاذ «لكن يا استاذ حديث النبي يقول « اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم » قاطعه الاستاذ العقاد بلهجة لاتخلو من الغضب « مش ضروري . . اهتدي بالكويس » ومن الواضح ان الحديث الذي قاله التلميذ مقنع ولايمكن التخلص منه بمثل هذا القول . ثم هناك افكار اخطر من هذا القول تعرض في ندوة العقاد ويرد عليها الاستاذ بطرق ترضي ذوقه وطبيعته العقائدية واذكر من هذه الاسئلة سؤال طرحه احد تلامذة العقاد عن راي الاستاذ في التقدم الذي احرزته الدول الاشتراكية. وللاستاذ العقاد اسلوب خاص للرد على مثل هذا السؤال ذلك لان الاستاذ له عداء يكاد يكون شخصيا مع الاشتراكيين . وقد كان رده على هذا السؤال احترام الاشتراكية . اذ قال الاستاذ كيف تتقدم الاشتراكية في حين ان الدول الراسمالية اصبحت تحطم اغراضها وقد ضرب لهذا الراى امثلة كثيرة وكان اطرف مافيها قوله ان الراسماليين الاربيين اخذوا يحاربون الاشتراكيين بكسب الطبقة العاملة

وقد دلل على ذلك بالراسمالي الامريكي فورد الذي سمى طريقته في محاربة الاشتراكيين «الفوردزم» ويقول الاستاذ العقاد ان صاحب هذا المذهب اخذ يقلل من ساعات العمل للعمال واصبح يعاملهم بقدر انتاجهم ويعتبر الاستاذ العقاد هذه الفلسفة الفوردية معادية لآراء الاشتراكيين وللاستاذ العقاد اراء كثيرة لمثل هذا السؤال . والحقيقة انه يصعب على الانسان ان ينتقد الآراء التي يقولها العقاد في ندوته . وللقارىء الحق في الاعتراض على من يتصدى لآراء العقاد التي يقولها في الندوة ذلك لان التحقيق في مثل هذا الاعلام الذي لم يسجل من الامور الصعبة . ولكن الاستاذ العقاد جعل لنا من حياته القريبة مواد خصبة يستوجب علينا ان ندقق النظر فيها ونحكم بها على آرائه كما فعل هذا الاستاذ بآراء الذين سبقوه على التاليف . ومن الآراء التي تستحق المداولة والتي قدمها العقاد في كتبه التي تزيد على الثمانين رايه في الادب الواقعي الذي عرضه في كتابه « الشيوعية والاسلام في الشريعة الاسلامية » وقبل ان ابدي رايي في هذا الموضوع اود ان اطمئن القارىء بانني لست من الذين يؤيدون الادب الواقعي التاييد المطلق ولست من الذين يحبون ابتذال الادب والتهاون فيه . كما اود ان يعرف القراء انني من الذين يؤيدون الادباء الذين ينادون بفكرة الفن للحياة ومن الذين يحبون ان يكون الفن خادما للمجتمع . وهذا هو الراي الذي اخالف فيه العقاد . ذلك لان الاستاذ العقاد في رايه ان يكون الفن شيئا عفويا لايتعمد به الانسان خدمة المجتمع اويقصد بمراعاة الصالح العام — وان يكون شيئا نابعا عن احساس الانسان الفني وعن الخيال المبهم . وهذا بالطبع شيء معدوم في طبيعة الانسان اذ لابد لنفس الانسان ان تسخر لغرض من الاغراض في الحياة . كما ان الانسان لو ترك نفسه لارادتها فلا شك في ان النفس البشرية تنهج النهج الذي يريحها وان اثر على الغير . ومن المعروف ان طبيعة الانسان الفطرية لا تقدر التقدير الواعي لشعور الغير سواء من الناحية التنظيمية او من ناحية مراعاة الصالح العام الا اذا وجدت اعتبارات من المسئولين من الصالح العام . وقد عرفنا من تاريخ الشعر العربي ان الشعراء الجاهليين كان اغلب شعرهم منظوما في الهجاء وقد كان الهجاء يخدم طبيعة

العرب الفطرية وذلك لأن الهجاء وسيلة لتحريض القبائل على بعضها وانه يثير العصبية القبلية التى تؤدى للحروب .

وكان هذا الشعر الذى يثير الأحقاد والذى يسوق الى أعمال فطرية ساذجة مقدرا تقديرا تاما . وكانت القبيلة ينبغ فيها شاعر تحتفل به وتهنى عليه ذلك لأن الشاعر يحميهم من هجاء الشعراء ويحضهم على الحروب . ومن الملاحظ ان الشعر العربى بعد ظهور الاسلام اخذ طورا آخر وقد أخذ قادة العصر يتحكمون فى الشعر كما تحكم قادة الواقعيين فى الوقت الحاضر فى الفن والأدب

وقد قرانا فى تاريخ الأدب العربى أن عمر بن الخطاب كان يناظر الشعراء وينتقد آراءهم وقد عرفنا المناقشات الكثيرة التى دارت بين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب والشاعر الحطيئة . ومن الطبيعى ان هذا التدخل الذى قام به قادة الاسلام اثر فى شعور الشعراء وكبح خيالهم الجامح . وقد لا يستطيع المرء ان ينكر المصلحة التى ادخلها قادة الاسلام على المجتمع العربى بتدخلهم فى الأدب وتحكمهم فى مزاج الشعراء . ثم ان القارىء العربى يعرف ان امراء الاسلام فى العصر العباسى كان لهم تدخل فى توجيه الشعر . ولكن تدخلهم وهدفهم يخالف قادة الاسلام الأوائل . فقد حول توجيه قادة العصر العباسى الشعر العربى من الحماس الى اثارة الغرائز الجنسية وتمجيد الأمراء الحاكمين . وقد كان الأمراء فى العصر العباسى يتدخلون فى الشعر للدرجة التى تؤدى الى جلد الشاعر والحكم عليه بالقتل . وقد قتل بشار لاتهام المهدى له بالزندقة . وبالرغم من ان قادة الواقعيين كانوا يتدخلون فى شئون الشعراء الا انهم لم يصلوا الى الطور الذى وصل اليه امراء العصر العباسى فى توجيه الشعراء والمعارضة لأذواقهم . ولكن الأستاذ العقاد يرى أن الشعر العربى هو الشعر الوحيد الذى لم يلق توجيهـا من الحكام . ومن رايه ايضا أن طابع الأدب العربى لم يغيره الزمن وانه لم يتمش مع تطور الأحوال الاجتماعية والاقتصادية . ويضرب المثل على ذلك بأن الأدب الشعبى العربى كان يدور على الملاحم العربية القديمة مثل قصة ابو زيد الهلالى والزناتى خليفة وسيف بن ذى يزن ولكننى اخالف الأستاذ العقاد فى هذا الراى واستطيع التدليل على عدم ثبات الأدب العربى مع تطور الظروف الاقتصادية والاجتماعية بأن هذه القصص الخرافية الخيالية قد الفت فى زمن متقارب وقد وقف تاليف مثل هذا القصص فى الايام التى انتعشت فيها حالة الناس الاجتماعية والاقتصادية وقد انتهى تاليف مثل هذه القصص بعد ظهور الاسلام وقد تدخل امير المؤمنين عمر بن الخطاب حتى فى رواى مثل هذه القصص وقد يعرف القارىء لتاريخ الاسلام منع عمر بن الخطاب لتميم الدارى من رواية القصص التى لا تخدم المصلحة . وقد يعرف القارىء ايضا ان العصر العباسى انتج قصصا على مستوى اهل العصر . وقد ترجمت فى العصر العباسى القصص الفلسفية مثل كليلة ودمنة . وقد الفت قصص بين التاليف والترجمة مثل الف ليلة وليلة ، وهذا بالطبع يدل على أن العرب يتاثرون بالأحوال الاقتصادية والاجتماعية مثلهم مثل سائر الشعوب . وقد سخر العقاد فى كتابه « الشيوعية والاسلام فى الشريعة الاسلامية » من الواقعيين سخرا شديدا . ويقول العقاد آراء صادرة من هوى الأستاذ اكثر من عقله ومن هذه الآراء قوله ان قادة الواقعيين من رايهم ان يكون الأدب لخدمة الجسد فقط والجسد الذى يعنيه العقاد هو شهوة الانسان الحيوانية . ومن الواضح ان هذا الراى من الآراء التى يحاربها قادة الواقعين والواقعيين وقد عارض الواقعيون عدة مرات راى فرويد الذى يقول ان الانسان تسخره ارادته الحيوانية . والجسد الذى يعنيه الواقعيون هو الانسان كاملا وليس اعضاء معينة فى الانسان . ولا اظن هذا القصد يفوت على عالم مثل العقاد .

وعلى اى حال لا يستطيع المرء التحدث عن راى العقاد فى الواقعيين وادبهم فى مقال واحد وان الواجب يملى علينا ان نمحص آراء هذا العالم الذى ترك الزواج والنسل لتاليف الكتب . ونسال الله ان يرحم العقاد وان يجعلنا من العاملين المخلصين الصالحين .

المهدى الطيب

مقطعات غزلية

للدكتورة عاتكة الخزرجي

١ ــ الطيف العاتب

الطيف يطرقني اذا جن الدجى ... متحذرا من رقبة السمار
يختال في برد الشباب كانه ... غصن يميل به النسيم السارى
متنزرا بالليل يسرى سادرا ... بكؤوس تيه لا كؤوس عقار
والجيد تضنيه العقود فينثني
والكف يلويها رقيق سوار !

فتشعبت سبل الحديث ولا تسل ... عن رقة في العتب والاعذار
وبلوعة مكتومة تصف الجوى ... ناشدته بترفع ووقار
اتزورنا عند الظلام هنيهة ... وبذاك فقت كواكب الاسحار ؟
وتروعنا بالعتب ؟ وهو جناية ... اخرى ؟ وترفض افصح الاعذار ؟
اتجود بالطيف الملم بنا دجى
وتريد زورتنا براد نهار ؟

والليل يكتم كل سر سافر ... والصبح يفضح كل ذات ستار ؟
فاجابني والسخر ملء جوابه : ... ان الحياة مطية الاقدار !
ومضي وخلفني اطارد في الدجى ... قلبا تشرد في رحاب قفار ... !

٢ ــ الكتب المهملة ...

ماكان ينحلني البعاد لوانها ... بعثت لي في برد النسيم كتابها
ولكم بعثت لها من الكتب التي ... لليوم ما قرأ الفؤاد جوابها .!
اترى سلت ام بدلت وتبدلت ... او لم يرقها ان اطلت عتابها
ام انها حنت لموطنها الذي ... تركت به احبابها وصحابها ..
ياويح روحى انها شابت هوى ... من ذا يعند لها الغداة شبابها
كم املت في الحب آمالا غدت ... من بعد أن حكم البعاد سرابها
وتخيلت طيف السعادة ماثلا ... فاذا به وهم يجر عذابها
فكان احلام الهناء تهابني ... وكانما خلق الهوى لاهابها .!
يا من احب الا جواب يعيد لي ... كبدا جرى فيها الهوى فاذابها
كبد اريد شفاءها فتقول لي ... لا برء الا ان انال كتابها .!

٣ ــ ياخالق الحسن ...!

فدى لعينيك عيني غير ان بها ... اراك يا فتنة جلت عن الفتن ..
تعلقت فيك اسبابي كان بها ... جذبا اليك ونهجا واضح السنن ..
اقام طيفك عندى ليس يبرحني ... او تبرح الروح منى غالى البدن
اواه من كبد احرقتها كبدا ... ياليت ماكان .. اوياليت لم اكن ..
لله حسنك اعي الخلق مشبهه ... ياخالق الحسن مما ابقيت من حسن .!
يا بارىء الناس من طين وبارئه ... اعدت فيه وفيهم عابد الوثن ..
يا خالق الحسن ادرك في حماك فتى ... من فتنة العين او من فتنة الأذن .!

ثلاث أغنيات للفجر

للشاعر: عبده بدوى

الفجر فى الشمال :

هزنى الفجر وهو طفل رضيع   يتغنى مع الطيور الصغيرة
والعبير الفرحان يحمل حقلا   فوق كف .. وفوق اخرى جزيرة
والعصير الذى يسير من الجذ   ر الى الساق كى يهز زهوره
والدبيب الذى على حبة القمـ   ـح ينمى اهدابها المستديره
والحكايات وهى تنسج نسجا   يفتدى الليل بعدها اسطوره
والامانى وهى تخفق حبا   مثل صدر لغادة مذعوره
والشراع الذى يجمع الاضوا   ء من كرمة النجوم المثيره
والسلام الذى يضيء مع النفـ   ـس فى حكمة المساء الاخيره
والصباح الذى يقرب جفنا   ويرى راجعا .. ليلقط صوره !

الفجر فى اسوان :

هزنى الفجر وهو نبض عتى   يغمر الأفق بالمنى الدفاقة
والغناء الرتيب من بين قلب   ينسج الشوق والمنى فى رشاقه
والزنود السمراء وهى بحار   تجرف الصخر .. او تعوق انطلاقه
والجبال الصماء وهى تهاوى   وهى وهم ، وذرة مشتاقه
والفراعين يرفعون سماء   ويشقون للصباح انبثاقه
رفعوا اصبعا فماجت حياة   واستراحت مدينة خلاقه
واذا « السد » عالم من خيال   واذا الخصب ، والمنى ، والطلاقه

الفجر فى السفوية :

هزنى الفجر وهو شيخ مهيب   نائم فوق ربوة مسكينه
اسند الظهر للنخيل واغفى   نصف اغفاءة .. بعد سنينه
ابصر الدهر وهو طفل صغير   تابع فى مسيره « فرعونه »
وراى اوجها تمر عليه   وعلى خفق صدرها ايقونه
وراى القهر غامرا مقلتيه   ومضينا عذابه وغضونه
حين مس « الاذان » منه صفاقا   هال النور فى القرى والمدينة
« ذكر الفجر كل هذا والقى   راسه خلفه .. وشد عيونه
واذا العصر ثورة واقتحام   واذا الضعف ثورة مكنونه
فارتمى نابضا يطرز فى النو   ر ويمشي مع الطيور الامينه
لم يقف نادما على « الطلال البا   كى » او يرتمى على « ديدمونه »
فمطيل العصر الجديد اقتحام   وازدهار ، وثورة مشحونه

« عبده بدوى »

الدين ... لا التقاليد

بقلم : محمد عبد الله السمان

في العدد الصادر في السادس والعشرين من الشهر الماضي من مجلة آخر ساعة قرأت هذا الخبر :

« المحافظ فؤاد المهداوي .. محافظ مطروح تلقى شكوى من أحد شيوخ محافظته . قال له الشيخ واسمه – عبد الروف حميدة – انه اختلف مع شقيقته – عبيدة حميدة – وقد تسبب هذا الخلاف في عدم زواج ابنتيه منذ خمس سنوات .. والسبب ان تقاليد قبيلته لا تسمح للفتاة بالزواج الا من ابن عمها ، واذا اضطرت الى الزواج من غريب عن القبيلة لا يحق لها اتمام هذا الزواج الا اذا أعلن ابن العم اعراضه عن الزواج منها . وقال الشيخ : ان شقيقه يحاول الانتقام منه بمنع ولديه من اعلان عدم رغبتهما في الزواج من ابنتيه وبالتالي عدم زواجهما . وأحال المحافظ هذه الشكوى الى مأمورية أمن مطروح التي كلفت النقيب حسني غنائم نائب مأمور قسم مطروح بالتدخل لتسوية الخلاف بين الشقيقين » .

هذا هو نص الخبر كما نشرته مجلة آخر ساعة، والذي لا يملك القارىء حياله الا أن تعقد لسانه الدهشة ، ويحز في نفسه الألم ، وآلم ما يحز في النفس أن يوجد نزاع بين شقيقين ، وأن يؤدي النزاع الى مأساة أليمة ضحاياها : فتاتان وشابان من الأبرياء ، يدفعون معا ثمن عناد الآباء من شبابهم وحاضرهم ومستقبلهم . ومن يدري – لو لم يقدر لهذه المأساة أن تعالج في قسم الشرطة – فلعلها كانت تستمر سنوات وسنوات ، دون أن يثير عطف الشقيقين الأبوين عنس الفتاتين أو عنت الشابين .

ان وجه الخطورة في المأساة يتمثل بل يتجسم في لفظتي « تقاليد القبيلة » هذه الوثنية التي لم تزل رواسبها تتسلل الينا منذ عهد الجاهلية الأولى على الرغم من أن الاسلام لم يدخر وسعا ولا جهدا في اجتثاثها من جذورها ، والقضاء عليها بمبادىء رشيدة تحفظ على الآدمية آدميتها ، وتصون للانسانية انسانيتها ، ولكن يظهر أننا – نحن المسلمين – كلما بعدنا عن مبادىء الدين السليمة التي تطمئن اليها العقول الراشدة ، والبصائر النفاذة ، كلما دب فينا حنين الى مساوىء الجاهلية وأوزارها ، ولو كان فيها الغاء للعقول واذلال للكرامة وعفاء على الآدمية .

وتقاليد القبيلة ليس لها مفهوم سوى أنها التراث التفكيري للآباء والأجداد ، في أعلى مستويات الجهالة والحماقة ، هـذا التراث الذي كان له في تاريخ الدعوات السماوية جميعها القداسة لدى الابناء والاحفاد ، هؤلاء الذين قالوا لنبي الله هود حين دعاهم الى الله وحده : « .. أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا ؟ » . وقالوا لنبي الله صالح: « يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا ، أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا واننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب ! » وأجابوا نبي الله ابراهيم بقولهم حين سألهم : ما هـذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ؟ قالوا : وجدنا آباءنا لها عابدين » . وقالوا لنبي الله شعيب : «يا شعيب أصلواتك تأمرك أن نترك مايعبد آباؤنا ؟ وقالوا لنبي الله موسى : أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباؤنا ؟

وحين أشرقت شمس الاسلام على الجزيرة العربية كان أول ماتصدى لضوئها التقاليد الموروثة عن الآباء والأجداد، وبها استثار جبابرة القوم وطغاتها عواطف الشباب لتاليبهم على الدعوة الناشئة لاخمادها ، ولكن الدعوة الاسلامية مضت في طريقها بالحكمة والموعظة الحسنة ، ومعها أسبابها من المنطق السليم والحجة الدامغة ، هذا في أول الامر – وكان القرآن بعد ذلك شديدا في سبيل تصفية تلك القداسة تصفية نهائية ، فالآباء لهم – وحسب – على الابناء حق الابوة في حدود طاعة الله وحده :

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ، ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون » .

« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم ، اولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه » .

ان قصة الخبر الذي نشر في مجلة آخر ساعة ليس الا أثرا من آثار الجاهلية الأولى في نظرتها الى المرأة، فلم تكن المرأة لدى الجاهلية الأولى كائنا بشريا له وجوده وله حقوقه أيضا ، وانما كانت أشبه بقطعة الأثاث يتصرف فيها رب البيت كيفما شاء ، ولم يكن ذلك غريبا كل الغرابة بين قوم يعيشون في جفاف الصحراء ، ويعكفون على عبادة حجارة لاتنفع ولا تضر، ولاتسمع ولاتبصر ، ولا تملك من الحق شيئا ، أما وقد مضى على الاسلام – الذى الغى كل هذا – زهاء أربعة عشر قرنا ومدنية القرن العشرين أوشكت أن تأخذ بكل أسباب الحياة ، وفي مصر بلد الازهر ، فهنا وجه الغرابة الباعث على الحسرة الممضة والأسى المفزع .

والواقع أن طغيان التقاليدالقبيلية ليس له وجود

فى محافظة مرسى مطروح وحـدها ، فلم يزل فى الصعيد والريف شامخ الأنف ، عالى الجبهة راسخ السلطان ، قوى الصولجان ، فمفهوم الزواج كرابطة بين فتى وفتاةأساسها الرضاء والقبول ، هذا المفهوم لا أثر له هناك ولا وجود ، فالفتاة تتزوج بمن يشاء لها والداها لابمن تشاؤه هى بنفسها ، ومجرداشارة منها ـ ولو بطرف العين ـ يمكن أن يفهم منها ترددها قد يجعلها تدفع الثمن حياتها ، وقد يمتـد طغيان التقاليد أيضا الى الفتى نفسه ، لأنه ملك لأبويه ، ولا مانع من أن يكلفه تردده فى زواج أريد له حرمانه من الميراث أو من رضا الوالدين على الأقـل طول حياته .

لسنا فى حاجة الى أن نقول : **ان** الاسلام يقرر بطـلان أى زواج يقـوم على الاكراه ، ومهما حاول فقهاؤنا السلف والخلف أن يستعينوا ببعض الاحاديث أو يتأولوا بعض آيات القرآن ليقولوا بضرورى الولى كشرط صحة عقد الزواج ، فلن يستطيعوا أن ينكروا أن رضا المرأة ـ ثيبا كانت أو بكرا ـ هو الاساس ، **فالحديث** : « الثيب أحق بنفسها من وليها ، والبكر تستأذن فى نفسها ، وأذنها صمتها » يؤكد ضرورة استئذان البكر للتأكد من رضاها اولا ، ووجود الولى هنا بصفته لا يلغى وجود البكر ولا يحرمها حقها فى الاطمئنان على مستقبلها بنفسها .

والحديث الذى أشار الى أن المرأة لا تنكح بغير وليها لا يحرمها أيضا حقها فى الرضا ، ولذلك حين سأل **الزهرى** عن الرجل يتزوج بغير ولى للمـرأة فأجاب : « ان كان كفؤا لها لم يفرق بينهما » **وقال** صاحبا أبى حنيفة : ـ أبويوسف ومحمد ـ .. للولى الخيار فى غير الكفء ، وتلزمه الاجازة فى الـكفء ووضع الولى هنا هو وضع الناصح ليس الا .

ان بعض الحوادث فى حياة الرسول نفســه ـ صلوات الله عليه ـ تلقى أضواء على القضية ، وتؤكد رفض الاسلام لأى زواج يقوم على الاكراه ، فخنساء بنت خدام الانصارية أتت رسـول الله تشكو اليـه أباها وقد زوجها ـ وهى ثيب ـ فكرهت ذلك ، فرد رسول الله نكاحها ، ويقول ابن عباس : ان جارية بكرا أتت رسول الله ـ صلوات الله عليه ـ فذكرت أن أباها زوجها وهى كارهة ، فخيرها النبى ، بل ان ابن عمر خطب الى قدامة بن مظعون ابنة أخيـه عثمان بن‌مظعون ، وكانت يتيمة ، فوافق ، ثم خطبها المغيرة بن شعبة فأرادته على ابن عمر ، وحين ارتفع الامر الى الرسول قال لابن عمر : هى يتيمة ولا تنكح الا باذنها ، ويعقب ابن عمر راوى الحديث قائلا : فانتزعت ـ والله ـ منى بعد أن ملكتها فزوجوها المغيرة بن شعبة .

ان مأساة التقاليد فى محافظة مرسى مطروح وفى غيرها من بلاد الصعيد ، ليس لها مثيل الا فى عصور الجاهلية الأولى ، وليس لها مفهوم الا فى قوله تعالى : « يأيها الذين آمنـوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ، ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ماآتيموهن » وقوله تعالى : « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا » .

كان الرجل فى الجاهلية اذا مات وترك امـرأة ألقى عليها حميمه ثوبه فمنعها من الناس ، فان كانت جميلة تزوجها ، وان كانت دميمـة حبسها حتى تموت فيرثها . **وكانت** المرأة اذا مات زوجها جاء وليه فألقى عليها ثوبا ، فان كان له ابن صغير أو أخ حبسها حتى يشب أو تموت فيرثها . **وكان** الرجل يكون فى حجـــره اليتيمة هو يلى أمرها فيحبسها رجاء أن تموت امرأته فيتزوجها أو يزوجها ابنه . فأى فرق بين هذه الأباطيل وبين مآسى التقاليد فى بـلادنا المسلمة وفى القـرن العشرين قـرن المدنية والحضارة فى أزهى عصورهما ؟

والى متى تظل هذه التقاليد الموروثة عن الجاهلية الأولى تفصل بيننا وبين آداب ديننا الحنيف ؟ وعلى من تقع المسئولية بعد ذلك ؟ فهل من المنطق أن تنال المرأة كل حقوقها السياسية ، وأن تصل الى كرسى الوزارة لاول مرة فى بلد اسلامى ، بينما نرى بعض النساء لم يزلن من سقط المتاع لا يملكن من أمورهن شيئا ؟

اذا لم يـكن من حقنا أن نلقى المســئولية على الصحافة التى لا تعتبر الدين مادة صالحة للحياة ، فلا تفســح صفحاتها للمقالات الدينيـة الواعية ، والصحافة الدينية محدودة النشر والتوزيع .

واذا لم يـكن من حقنا ان نلقى المسئولية على الاذاعة وفيها قسم الشئون الدينية قائما على قـدم وساق ، لأن هذا القسم يعيش فى واد غير وادى الناس ، ويبحث فى كل شىء الا فى مشكلات الناس وحاجاتهم .

أفليس من حقنا ان نلقى المسئولية على الازهر بوجه عام ، وقسم الوعظ بوجه خاص ؟

ان الذى لاريب فيه أن فى‌محافظة مطروح أكثر من واعظ ، فأين هم من مآسى التقاليد البغيضة هناك ، وهى تتحدى الدين بكل ما أوتيت من قوة ، ألم يقدر لواعظ واحد أن ينال من هـذه التقاليد ، ويصيح بأعلى صوته ليسمع شيوخ القبائل قائلا لهم : على رسلكم أيها الشيوخ : الدين .. لا التقاليد !!

محمد عبد الله السمان



حكاية الكوبرى فى مسرحياتنا

بقلم : عبد الفتاح البارودى

ما هى حكاية « الكوبرى » الذى أصبح قاسما مشتركا فى مسرحياتنا ؟! ان « الكوبرى » يظهر بصــورة واقعيــة أو رمزية أو متخيلة فى ثلاث مسرحيـــات من أهم مسرحيات هذا الموســم .. لماذا ؟

ان المسرح القومى قــدم لســعد الدين وهبه مسرحية «كوبرى الناموس» ، وفيها نرى «الكوبرى» فعلا فوق خشبة المسرح ، ونرى شخصيات المسرحية ترتبط به ارتباطا وثيقـــا ، فبعضها يعبره ذهابا وايابا ، وبعضـــها يريد أن يعبره من القـرية الى المدينة ، والكل ينتظر اما شخصا واما شيئا يجيء به الكوبرى .

ومسرح الحكيم قــدم للمؤلف الجديد محمد عنانى مسرحية « البر الغربى » وكل شخصياتها تنتقل ، أو تريد أن تنتقل ، أو تخشى أن تنتقل من ضفة الى ضـــفة على « كوبرى » لا نراه فوق المسرح ، ولكننا نرى حركة الانتقـــال بالمخاوف والأوهام والآمال ، واحيانا تتجسد هذه العملية فى صورة « حندوسة » الذى يرهب القرية ، أو فى صورة أعوانه الذين يستخدمهم فى الارهاب ، أو فى صورة من يخلفه بعد أن تصرعه طلقات الرصاص، أو فى صـــورة الدرويش الذى يزعم دائمـــا أن « حندوسة » لم يمت ولا يمكن أن يموت !!

والدكتور رشاد رشدى قدم له المسرح القومى مسرحية « رحلة خارج السور » ، وهذا السور يؤدى وظيفة « الكوبرى » بشكل أكثر تعقيدا وصعوبة ، فكل شخصيات المسرحية تريد أن تقفز فوقه ، حتى الحصان الذى نسمع صهيله ونسمع طلقات الرصاص التى تسكت هذا الصهيل قبل أن يتمكن من القفز ، وبقية الشخصيات تفشل فى القفز أيضا ، ولكنها تكتشف أنفســـها وامكانياتها واستعداداتها التى تعطيهـــا أملا مؤكدا قدرتهـــا على القفز ، وضرورة القفز أيضا .

مامعنى هذا كله ؟ وكيف نفسر حكاية الكوبرى؟! هل هو تعبير عن الرغبة فى الافراج عن الشخصيات المسرحية التى سجنت سنوات طويلة فى الموضوعات الروتينية ؟ هل هو تعبـــير عن رغبة مؤلفينا فى الانطلاق ، والبحث عن مواضعات جديدة لمسرحنا ، فعلا ... ان مؤلفينا بدأوا يتحررون من الأفكار القديمة التقليدية التى كانت تدور فى مســـارحنا وكأنها تدور فى « ساقية جحا » ، وبدأوا يرسمون شخصيات تشـــعر بالقلق ، بدلا من الشخصيات المتجمدة التى جمدت الحركة فى مسرحياتنا ...
الخ ... ان هذا كله يبشر بانتقال مسرحنا الى الوضع الفنى ، لان المسرح انطلاق وتحرر وقلق وصراع فى التفكير وفى التناول الفنى ، ولكنى رغم هذا الاحـــظ أن معظم مؤلفينـــا لايزالون يديرون أحداثهم وأفكارهم فى الفترة التى سبقت الثورة .

وصــحيح أن تلك الفترة لاتزال فى حـــاجة الى تناولها فنيا لتحليل أسباب تخلف المجتمع الماضى ، ولندرك حقيقة هذه الأسباب ، ولنقضى على آثارها ورواسبها ، ولكنى أخشى أن يتجمد فيها تناولنا الفنى مرة أخرى ، وأخشى أن يؤدى ذلك الى اهمال أو ارجاء تناول حاضرنا ومستقبلنا .

ومع ذلك لا أنكر أن مؤلفى هذه المسرحيات الثلاث

تناولوا فيها تلك الفترة بأساليب جديدة وتحليلات قدمت وجهات نظر جديدة .

ان سعد الدين وهبه في مسرحية كوبري الناموس وضع بجانب الكوبري « عشة » تقيم فيها قروية سماها « خضرة » . ورأينا أهل القرية يترددون على هذه « العشة » ويتبادلون الحديث مع « خضرة » التي ظهر بوضوح من الأحداث والحوار انها رمز لمصر ، كما فسر ذلك كثيرون ومنهم مخرج المسرحية كمال ياسين ... وكذلك بقية الشخصيات تمثل رموزا فنية أخرى ، وأحداث الرواية تؤيد ذلك . فنحن في المشهد الأول نسمع حوارا يرمز الى التفكير الغيبي الذي كان يسيطر على القرية ، وخلال فصول المسرحية نرى أحد الدراويش جالسا معظم الوقت بجانب « العشة » ينتظر حضور « عبد الموجود » ويردد باستمرار :

مشيناها خطى كتبت علينا
ومن كتبت عليه خطى مشاها

بينما الدرويش نفسه لا يتحرك ولا يمشي . وعبد الموجود الذي ينتظره لا يظهر اطلاقا على خشبة المسرح ... وبين الشخصيات الكثيرة نرى شخصيات « القرداتي » الذي ينتظر عودة القرد الهارب منه ، واللص الذي ينتظر أي ضحية ، والعاشق الذي ينتظر موافقة معشوقته على الزواج ، وبائع الحمير المخططة الذي ينتظر صفقات أخرى ، وايضا نرى رموزا للتهور الذي سيطر على بعض الشبان ، وهكذا نجد في المسرحية رموزا كثيرة ، والمدهش أن المؤلف يخالف المخرج في تفسير هذه الرموز ، بل في وجودها نفسه ، ومع ذلك فالمهم أن المسرحية لو نظرنا اليها بهذا الشكل فربما نحكم بأنه لا جديد فيها لأنها لا تعطي غير الصورة المألوفة التي تعبر عما كان في مجتمعنا الماضي من غيبية وانتهازية ... الخ ... ولكن الحقيقة أن المؤلف أعطى أسلوباً جديدا للتأليف المسرحي ، ويكفي انه تحاشى اسناد البطولة الى بطل معين ، بل وضع المجتمع كله ـ في النماذج التي اختارها ـ في صراع مع مقدوراته ، وفي محاولة لاجتياز « الكوبري » . وصور العوامل التي أعجزته عن هذا الاجتياز ، وصور الحيرة التي كان يعيش فيها ، وكان بارعا في كتابة الحوار المسرحي ، وفي تحريك الاحداث والشخصيات بلا افتعال أو اقحام أو مبالغة .

وفي مسرحية «البر الغربي» أيضا أسلوب جديد للتناول المسرحي ... في هذه التجربة تركيز على بطل مسرحي ولكنه ليس تركيزا على شخص معين ، بل على نموذج معين خلقته أوهام الناس في المجتمع الماضي ... انهم كانوا يتصورون هذا البطل في صورة « شرير مستبد » يرهبهم بالبندقية ويتقاضى منهم الاتاوة ، وهم بسبب الفزع لا يقيمون السوق التي يمارسها فيها اهل القرية تجارتهم ، وتصرخ « القروية الجميلة » فيهم ، وتعلن انها لن تتزوج غير « الرجل » الذي يقتل الشرير « جندوسة » .. وفعلا يصاب جندوسة برصاصات قاتلة ، وتتوهم القرية أن القاتل هو « مدرس الزامي » ويصبح بطلا في القرية التي ماتكاد تستبشر بأنها ستقيم السوق حتى يتحول البطل الى « جندوسة » آخر ، اي الى شرير آخر ... وتتكرر الحكاية ، ويظهر بطل آخر كان يعمل « صبي قهوجي » ، ويتحول كذلك الى « جندوسة » أي الى شرير ... ماذا يقصد المؤلف رغم كراهيتي للتفسيرات الحرفية فمن الممكن تفسير المسرحية بأن مشكلات المجتمع الغيبي لا يمكن أن يحلها انصاف المثقفين الذين يرمز اليهم « جندوسة الثاني » ، ولا الجهلاء الذين يرمز اليهم « جندوسة الثالث » ... هذه الفكرة أيضا لو نظرنا اليها نظرة سطحية أو عابرة لما وجدنا في المسرحية شيئا جديدا ، ولكن الجديد أن المؤلف تناول فكرته تناولا جريئا كشف فيه الأوهام والمخاوف التي كانت تتحكم في المجتمع الماضي .

في التجربة الثالثة التي قدمها الدكتور رشاد رشدي رأينا في مسرحية (رحلة خارج السور) مرحلة جديدة في التأليف المسرحي ... ان في المسرحية رموزا كثيرة ، السور وايقاعات الطبلة وصهيل الحصان والزهور البيضاء والكرة الملونة بالوان مختلفة ، ورغم كثرة الرموز وغموض بعضها ، فانها كلها أدوات للتعبير عن مدلولات فنية ، وقوى تدفع الأحداث في المجال المسرحي دفعا دراميا ... ان وجود الرمز والتجريد والخيال والشعر في هذه المسرحية ليس وجودا زخرفيا ، بل وجود أصيل وجوهري لتجربة فنية انصهرت فيها العلاقات البشرية والأحداث الاجتماعية ... فنحن نرى مأساة مهندس عجز عن اثبات حقيقة واضحة كل الوضوح ... كان مكلفا ببناء كوبري ، ولكنه اكتشف أن « العوامات » التي سيقام عليها فاسدة .. وعبثا يحاول اقناع رؤسائه بفسادها لانهم يعرفون انها

فاسدة فعلا ، ولكنهم يعرفون ايضا أنها ليست الشيء الوحيد الفاسد في المجتمع الماضي ، وليست الشيء الوحيد الذي « يصلح » برغم فساده ، واذن « فالعوامات فاسدة ولكنها تصلح » .. ليس هذا تلاعبا بالالفاظ ، وانما هو دلالة على المنطق الزائف الذي كان متفشيا في المجتمع الماضي ، ولم يكن هذا الزيف في « الكبارى » فقط بل كان في كل المرافق وفي الماديات والمعنويات والعواطف والسلوك والتصرفات ... لماذا ؟ لان المجتمع كله كان ضحية الاقطاع والاستعمار والبيروقراطيين ، ولهذا ضاعت الحقائق وزيفت العواطف واضطربت العلاقات بين الناس في تبريرات مظهرية زائفة ، مثل التظاهر الكاذب بالحرص على «المصلحة العامة» أو بالتمسك « بالاخلاق » .. كل هذا يبدو مالوفا ومعروفا في مجتمعنا الماضي ، ولكن الجديد في المسرحية ان المؤلف توغل بالرؤية الفنية في احداث معينة ومجسدة ، وصهر الماديات في المعنويات ، واستخدم العنصر الكوميدى الذى يسمى « كوميك ريليف » بالحركة الدرامية والموقف الدرامي والنكتة الشعبية ، وأسند البطولة الى الشخصيات كلها والأحداث كلها سواء الأحداث التى ظهرت على المسرح أو خلف الكواليس ، وبهذا استطاع أن يلقى الأضواء على الحقائق والمساوىء ، وعلى القوى الكامنة في شخصياته لتكتشف نفسها وتكتشف طريقها نحو مجتمع نظيف تنتظره وتحلم به بدون ذهول ... ان المهندس لم يرضخ للرؤساء المزيفين ، بل ظل شريفا ورفض أن يبنى « الكوبرى » رغم ما تعرض له من تشويه .

تجربة ممتازة ... وهذه التجارب الثلاث ممتازة وان تفاوتت درجات امتيازها ، ولكن ليس معنى ذلك انها بلا أخطاء ... ان مسرحية «كوبرى الناموس» يبدو فيها أحيانا أن الحركة المسرحية متلكئة ، وان شخصياتها لم تتطور دراميا ... فيها صراع درامى ولكنه لم يغير أيديولوجيات الشخصيات فظهرت من بدايتها الى نهايتها في طابع واحد .

ومسرحية « البر الغربى » حاول مؤلفها التزام القواعد الحرفية للمسرح ، ولكنه أغفل هذا الالتزام في تنمية الاحداث ، فرأينا نفس الاحداث مكررة في الفصول الثلاثة دون تطوير في الدوافع أو في التفكير ، ونتيجة لذلك ظهرت المسرحية وكأنها فصل واحد يمثل ثلاث مرات متتابعة ، وظهر الحوار وكأنه ترديد لنفس العبارات ، وظهرت الشخصيات وكأنها تعيد نفسها وتحركاتها وتصرفاتها ... كذلك لم يلتزم بالمنطق الفنى للشخصيات فلم تتحاور بمنطقها ولغتها الفنية ، بل كان المتحدث هو المؤلف نفسه .

ومسرحية « رحلة خارج السور » تخللها الاسلوب «المباشر» في بعض المشاهد ولهذا ظهرت بخطابياتها كالرقعة في الصورة الفنية ... أيضا لاحظت عدم الدقة في توقيت دخول وخروج بعض الشخصيات على المسرح ... ان الخادم (الجنايني) كان يدخل ويخرج طوال الرواية بلا استدعاء فنى ، وكأنه كان يستدعى عندما يضطر المؤلف الى تنويع المشاهد أو الى تلوين الحوار أو الى تغيير الموقف ، ولاباس بذلك بشرط أن يكون لتحريكه تعليل تحتمه المسرحية نفسها ... كذلك شخصية (أبو العينين) الذى ظهر جالسا طوال الجزء الاخير من المسرحية على خشبة المسرح دون أن يكون لجلوسه ضرورة فنية .

في الاخراج فهم كمال ياسين مسرحية كوبرى الناموس على أساس انها مسرحية رموز ، واستطاع أن يقنعنا بأحداث الرواية ، ولكنه لم ينقذ بعض المواقف المتلكئة من التلكؤ ... وفي مسرحية البر الغربى لم أشعر بالميزانسين الذى وضعه المخرج عبد القادر التلمسانى ، بل رأيت الشخصيات تتصرف على خشبة المسرح وبين الكواليس كما تشاء ... وفي مسرحية رحلة خارج السور نجح المخرج سعد أردش في ابراز فكرة المؤلف ، ولكن ديكوراته وأضواءه اجتذبت أنظار المتفرجين الى التكوينات اللونية الزخرفية أحيانا .

ومع ذلك فلا جدال في أن هذه المسرحيات التى ارتبطت بفكرة « الكوبرى » تعتبر من أهم التجارب في مسرحنا الجديد .

عبد الفتاح البارودى

تعقيبات

بقلم: عباس خضر

السد العالى والادب

ذهب كثير من الكتاب والشعراء والصحفيين الى السد العالى ، فرادى وجماعات ، وعادوا بانطباعات كثيرة ، عبروا عنها نثرا وشعرا ، وامتلأت صفحات الصحف بالتحقيقات والموضوعات التى تدور حول هذا العمل الذى بهرنا ويبهر العالم .

وكانت تتردد احيانا فى كتابة بعض الزملاء الصحفيين اسئلة وعبارات مثل : **اين الادباء والفنانون؟ ليذهبوا الى هناك وليستوحوا من هناك** ... بدلا من كذا وكذا ... ويذكرون بعض الاغراض والموضوعات العتيقة التى يؤلف ويكتب فيها الآن . .

واريد ان اقول اولا : **ان السد العالى الآن يرتفع فوق اى كلام او انتاج ادبى او فنى . . انه الآن امام الادباء والفنانين شىء متوحش . . عظيم . . لا قبل لهم به . . ولا يستطيع احد منهم ان يستأنسه . . ويروضه للتعبير العميق الخالد !**

اذا صرفنا النظر عن الكتابات الصحفية العادية باعتبارها شيئا غير الادب الحقيقى ، مع ضرورتها وفائدتها ، فاننا نقول بان **كل ما نظم وكتب حتى الان لايعدو الانطباعات الخاطفة والتعبير السريع .**

ولست اريد ان اهون من شان ذلك الذى قيل وكتب من شعر ونثر ، فهو نوع من الادب له قيمته وله اثره ، من حيث التعبير عن المشاعر القومية الفائرة ، وكل شىء محبوب يستعذب الانسان الكلام فيه والاستماع الى ما يقال عنه ، فما بالك بالادب وحسن تعبيره وجمال تصويره ، والسد العالى وشدة اسره !

وقد مر ذلك النوع من الادب بمرحلة زمنية ابتذل فيها واهين . . اذ كان مطية المنافقين ووسيلة الوصوليين الى الحكام وذوى السلطان ، وسمى «**ادب المناسبات**» وعمت سبته المخلصين حتى شملت الصادقين



ونعود الى السد العالى وموقف الادباء منه ، لننظر كيف يصل هذا العمل العظيم موضوعا لادب كبير خالد .

لا اظن ان وقفة تشرف على الانفاق ، أو دهشة من الاجهزة التى تفتت الصخر والآلة الضخمة تحمل ما تفتت الى آلات اخرى تفرز الصغير من الكبير ... الى آخر ما هنالك من الالات والاجهزة — لا اظن ان ذلك كله هو المقصود بأن يعبر عنه الادب ، **ان وراء ذلك ناسا يحيون حياة متصلة بهذا العمل ، طرات عليهم تغيرات فى حياتهم المادية وفى مشاعرهم الانسانية وتطورت علاقاتهم الاجتماعية ونظراتهم الى الاشياء ، وسيطرا عليهم مثل ذلك واكثر منه عند ماتتحقق الاغراض المنتظرة . وباختصار سيوجد انسان جديد غير الذى كان . .**

من الذى يرقب كل ذلك ويعيش معه بخواطره وانفعالاته ، ثم يخرجه لنا صادقا عميقا خالدا ؟

قد يقال : خذوا الادباء او من يرغب منهم الى اسوان واقعدوه هناك سنة او سنتين ، كى ياتى لنا بقصة او قصتين ... **وقرات ان وزير السد العالى يبدى استعداده لتهيئة الوسائل او منح التفرغ للاديب الذى يرغب فى ذلك .**

لاشك ان هذا يفيد اذا صدق عزم الاديب واخلص وجد . ولكن هذا لن يحقق العمل الكبير العميق . . انه وسيلة متوسطة بين الانطباعات الخاطفة التى تحدثنا عنها وبين شىء آخر . . **هو العمل الادبى الكبير المنشود . هذا العمل لاينتجه الا من عاش التجربة نفسها وكابد مشقاتها وانتشى بنشواتها .**

هو العامل ، المهندس ، السائق ، الطبيب ، الموظف الكاتب ، أى كان يعيش هناك من اهل الموهبة التى يوزعها الله بين عباده فى كل زمان ومكان .

لقد استمعت الى مواويل وازجال ارتجلها عمال هناك امام ميكروفون الاذاعة فى حديثهم مع «طاهر ابو زيد» . كلها تعبر عن مشاعرهم وتنطق بوعيهم وتنشر عطر الفن الشعبى المحبوب .

حقاً ان هذه اشياء فطرية ضئيلة ليست هى ما نبغى . **ولكن الذى بث الفطرة الادبية فى نفوس الاميين خلق حتما مواهب فى أخلاد كثير من المتعلمين والمثقفين .. هؤلاء هم الذين يرجى منهم العمل الكبير العميق الخالد ، المعبر عن تلك الحياة الجديدة المتجددة فى اعلى النيل .**

ان الاعمال الادبية العالمية الكبيرة التى صورت الحروب واهوالها فى الحربين العالميتين الماضيتين وآثارها الدامية المدمرة فى النفوس .. لم ينتجها ادباء توجهوا الى الميدان كى يتفرجوا ويشاهدوا .. **انما انتجها جنود خاضوا غمار الحرب وعاشوا فيها وشموا روائح الجثث ، واحسوا بما يطحن نفوسهم ويكاد يعصف بكل شيء فى حياة الانسان.**

ان ادب السد العظيم سيكتب تلقائيا ، ولكن ثمة شيئا آخر فى منتهى الاهمية ، لا بد منه لكى يأخذ هذا الادب طريقه الى الحياة ، **هو ان يفسح له الطريق .. ان تستقبله القاهرة بكل مافيها من وسائل نشر واعلام .**

ولا خوف الا من هؤلاء الذين يتفرجون على المسرحيات بالدعوات و « البونات » ثم يخرجون ويسودون صحائف الصحف بالهتاف « للعبقريات » التى تقدم سخافاتها بوسائل مختلفة ، وتشغل بها الطاقات الناقدة التى تملك مساحات من الصحف ، **لكى تعود هذه وتقدم هى ايضا مسرحيات ، ويرد لها الجميل ..**

هؤلاء وهؤلاء لايبحثون عن مكونات الشعب ليبرزوها ويصوروها، انما هم يبحثون عن المثيرات التى التى تلفت اليهم الانظار ، ولا بأس بأن تثير حولهم الغبار .. كله مكسب !

هذه السحب يجب أن تنقشع ، كى تسطع الشمس ... **ونحن فى انتظار ما تبعث به شمس اسوان ... وان طال الزمن .**

الحدوتة والقصة القصيرة

قرأت الكلمة التى نشرتها مجلة القصة فى العدد الاخير للأستاذ محمد القرشى ، يدفع فيها عن نفسه تهمة الاقتباس من « مورافيا » ، وكان قد بعث الى برسالة ضمنها امورا خاصة يبرر بها مادعاه بالتشابه بين قصته وقصة مورافيا . واعتبرتها رسالة خاصة لتلك الامور ، وسكت عن اثارة الموضوع مرة ثانية احتراما لأمله الذى اعرب عنه .

ومازلت عند موقفى من احترام امله وعدم التعرض للعلاقة بين القصتين . ولكن عبارة وردت فى كلمة الاخ القرشى . بمجلة القصة رأيتها تستدعى ايضاحا وتصحيحا من جانبى . قال :

« وقد زاد الاستاذ عباس خضر على اتهامه لى بالاقتباس .. ان نهاية قصتى اقرب للحواديت منها للقصة القصيرة .. وفى ظنى ان اجمل مافى قصتى نهايتها .. »

اولا — لم اقل هذا الذى ذكر انى قد زرته ، انما قلت مانصه بعد ان تحدثت عن الجزء الذى اضافه الى القصة :

« وقد افسدت هذه الاضافة المفتعلة القصة وجعلتها اقرب الى الحواديت منهـا الى القصة القصيرة »

واعنى ان الذى جعل القصة اشبه بالحواديت ، ليس النهاية كما قال او كما اسند الى ، ولكنه الموقف الثانى او الحادث الثانى فى القصة .

ذلك ان قصة مورافيا تركز على موقف واحد ، هو محاولة الوالدين القاء طفلهما فى كنيسة وترددهما بين الكنائس ووصف مشاعرهما فى هذا الموقف.

اى ان مورافيا كتب « قصة قصيرة » تتوافر لها وحدة الحدث والموقف ، وتصور لحظة معينة .

اما الاخ القرشى فقد اضاف الى هذا الموقف موقفا آخر فى حادث آخر هو موقف الاب فى القهوة مع معارفه و « اهل حارته » وانهيا لهم عليه كل بما جاد به . واقصد بالافتعال تجميع « الخير » كله فى هذا الموقف تجميعا غير واقعى .. لكى يثبت الكاتب ان « الدنيا بخير »

وتعدد الحادث والانتقال من موقف الى آخر ، من سمات « الحدوتة » وكذلك الافتعال الذى يقضى بأن

ينتصر « الشاطر حسن » فى النهاية ويظفر « بست الحسن والجمال » مهما كانت الظروف ..

هذا وكنت احب للأستاذ الترشى ان يقصر حديثه على الدفاع عن نفسه ، ولا داعى لمقارنة نفسه بمورافيا ، ولا داعى كذلك لان يورط الاستاذ يحيى حقى فى هذه المقارنة فيحكم — كما روى عنه — ان قصة القرش اجمل بكثير من قصة مورافيا !!

دع هذا يا اخى .. انه يزيد القضية تعقيدا ، ولا اقول الطين بلة ...

كشكول

• قالت الصحف ونشرات الاذاعة :

« استقبل خروشوف عضوات مجلس الامة ... »

كلمة **« عضوات »** خطأ لغوى واجتماعى .. الاول لانه ليس فى اللغة **« عضوة »** حتى تجمع على عضوات . واستعمال العضو مأخوذ من عضو الجسد ، باعتبار ان الافراد فى جماعة ما كمجلس الامة مثلا يكونون جسما واحدا كالاعضاء ، **والمرأة عضو كالرجل سواء بسواء** . وهنا تأتى الدلالة الاجتماعية من حيث المساواة بين الرجل والمرأة فى مجال يشتركان فيه دون تفريق .

• فى حفل كلية دار العلوم لتأبين العقاد تحدث الاستاذ على الجندى **فقرن الكلام على العقاد بالحديث عن رأى العقاد فيه وثنائه عليه** .. ونحن نقبل من الاستاذ الجندى أن يفخر فى الشعر طبقا للمأثور من الترخيص فى ذلك للشعراء . اما فى النثر فنؤثر أن يدع ذلك للناس كى يقولوه هم ... فان لم يقولوه كان الاستغناء اجمل .

• **« الشعر العربى الحديث فى مأساة فلسطين من سنة ١٩١٧ الى سنة ١٩٥٥ »**

هذا هو عنوان الكتاب الذى ظهر اخيرا للأستاذ كامل السوافيرى . وهو دراسة وافية شاملة لكل ما قيل من الشعر فى محنة فلسطين مع الافاضة فى بيان الظروف والملابسات التاريخية والسياسية .

• فى اعلان لمؤسسة التأليف والترجمة والطباعة والنشر ، قالت عن نفسها :

« وهى تعمل فى صمت من أجل هذه الغاية العظمى لشعبنا وهى التحول الفكرى العظيم ... الخ »

اظن أن من يعمل فى صمت لا يعلن .. !

• نشبت معركة بين مسؤول فى التليفزيون اقترح قصر تأليف الاغانى على عدد معين من المؤلفين ، وبين باقى المؤلفين . حجة المسؤول رفع مستوى الاغنية . اعتقد ان هناك وسائل اخرى لرفع هذا المستوى غير هذه الوسيلة ان صح انها وسيلة لذلك الغرض . **اليست هناك لجنة لقراءة النصوص واختيار الصالح منها ؟**

• استرعى انتباهى اعلان نشره عن نفسه **« قارىء بالاذاعة »** مع صورته المعممة ورقم تليفونه ..

وذلك الاعلان يخلط عملا صالحا وآخر سيئا :

العمل الصالح هو استعمال كلمة **« قارىء »** بدل **« مقرىء »** لان المقرىء هو الذى يعلم القراءة لا الذى يقرأ .

اما الآخر السيىء فهو الاعلان نفسه .. !

• الدكتور رشاد رشدى يثير زوابع فى كل مجال يعمل به او يكتب فيه .. وتتسم هذه الزوابع بطابع « الشلية » — نسبة الى (الشلة) — و **« الشلية » تحاول أن تشل النشاط الجاد المخلص فى حياتنا الادبية والفنية ، لكى يخلو الجو (للشلة) فقط ..**

وانا شخصيا اعتقد أن نشاط الدكتور رشاد رشدى « الشللى » يجنى على قدراته ، واتمنى ان تخلص هذه القدرات من تلك الشوائب .

• نشرت مجلة « حوار » التى تصدر من بيروت للدكتور لويس عوض قصيدة تحت عنوان « اللاهوت » تشتمل على شطحات عجيبة .. منها الشطحة الآتية ، والكلام على لسان « العذراء » :

فذاق العقل طعم الحب من ثغرى ومن جسدى
واخصبنى بآلته فذقت حلاوة الموتد !!

. وان اردت المزيد فارجع الى العدد الاخير (مايو — يونيو) من المجلة .

وقد قدم الدكتور لويس عوض لقصيدة « اللاهوت » بمقدمة يفهم منها انها جولة صوفية .. وهو نوع جديد من الصوفية .. ابرز ما فيه الكلمات الوقحة !

عباس خضر

بقلم عبده بدوى



حول الأدب في أسبوع

اوبرا لاترافياتا والمدرسة الرابعة :

هــذا العمل المتكامل الذى يقــدم على مسرح دار الاوبرا يجعل الانسان يتساءل عن مبدأ فكرة ترجمة الأغانى الأوربية الى لغتنا العربية ، وكيف أن هذه الفكرة مع أنها بدأت متواضعة منذ ما يقرب من ثلاثين عاما الا ان هذه الجذور البعيدة هى التى اعطت لنا العمل الذى يسعد الآن جمهور القاهرة ، والذى استطاع أن يملأه بموسـيقى « فردى » ، وكورال دار الاوبرا ، وباليه سونيا ايفانوفا .

والذى يعنينا من هــذا العمل أن اللغة العربية كانت طيعة التركيب على « النوتة الموسيقية » ، وانهــا لن تقف فى تراثنـا بالتراث العالمى فى الموسيقى .

وحين نصل الى هذا لا بد أن نتعرض للاتجاهين اللذين أخذا على عاتقهما عملية « التعريب » ، فقد كان الاتجاه الأول هو اتجاه «**الدكتور مصطفى مشرفة**» الذى كانّ يهتم أكثر ما يهتم بمســاحة اللفظ ، وقواعد العروض ، وأصول كتابة الشعر وتوزيعه على « النوتة » ، مضحيا فى ذلك بتركيب اللفظ من حيث المد والسكون على الموسيقى الأصلية .

أما الاتجاه الثانى فهو اتجاه « الاستاذ أحمد سعد الدين » الذى اهتم بترجمة الاغانى الخفيفة ، والذى كان يضحى بقواعد الشعر فى سبيل تركيب اللفظ على اللحن تركيبا دقيقا تراعى فيه مواضـع المد والسكون .

وقد رؤى ادماج الاتجـاهين سـالفى الذكر ، ودراسة أسـلم طريقة يمكن بها تقديم الغنـاء « الاوبرالى » باللغة العربية مع عدم المساس بطبيعة نطق اللغــة العربية بما فيها من حروف الحلق ، والضاد ، والقاف ، والظاء .. الخ وبما فيهـا من حروف أنفية ، وحروف تحتاج الى ضغط الشفتين ، وقد اصطلح على تسمية هذا الاتجاه « بالمدرسة الرابعة » اشـارة الى المدارس الاخرى العالمية التى تتمثل فى الألمانية ، والفرنسية والايطالية .

وقد قام على تطوير هذه المدرسة « أحمد سعد الدين » وتقدم منذ عدة سنوات بهذا المشروع الى المعهد القومى العالى للموسيقى ، ولكن حينما تعثرت الفكرة فى المعهــد ، ونبتت فكرة تقــديم « أوبرا لاترافياتا » وقام بترجمتها بالفعل الدكتور «ابراهيم رفعت » .. وجد « أحمد سعد الدين » الفرصة مهيأة لتقديم تطبيق عملى لنظريته ، وكان هذا النجاح الذى شاهدناه لأوبرا لاترافياتا .

فنحن نرى فى هذا العمل تقديم التراث العالمى الى الشعب ، وتقريبه الى المواطن العادى الى الشعب ، وتقريبه الى المواطن العادى ، ونرى فيه نموذجا حيا يمكن أن يجتذبه الطامحون الى تأليف الاعمــال المسرحية الغنائية وتلحينهـا ، وهذا يترتب عليه انشاء جيل جديد لم يوجد تماما عندنا الآن « كالمخرج الاوبرالى » والمغنى ، والملقن ، كما أن هذا يجعلنا نهتم بفرقة الكورال ، وبالاوركسـترا ، وبتكوين فرقة للباليه .

وبالاضافة الى هذا نذكر أننا فى حاجة الى الكاتب

المسرحى الاوبرالى ، اذ ان الكتـــابة للأوبرا ـ وقد مارستهـــا فى أوبرا الأرض العالية ـ تختلف عن الكتابة للمسرح العادى ، ذلك لأن المغنى يقيد بأوضاع غير أوضاع الممثل ، فهو يواجه الجمهور حتى لا يتبدد صوته ، ولا يقوم بأوضـــــاع مسرحية تضعف من أدائه الصـــوتى ، كما أن المشاهد الغنائية تحتاج لكثير من المنولوجات الغنائية المعبرة التى لا يمكن ابرازها بالحوار كما هو الحال فى المسرح .

ومهما يكن من شىء فقد كنت مع المشـــاهدين أصفق بيدى لهذا العمل الجديد فى حياتنا ، وفى الوقت نفسه كنت أصفق بقلبى للمدرســة الرابعة فى بلادى .

فى مسرح الحكيم

لا شك أنها فكرة مثمرة .. تلك الفكرة التى دعا اليها مسرح الحكيم لتقييم الموسم المسرحى لعـــام (١٩٦٣ ـ ١٩٦٤) ، وهى فى الوقت نفسه تقليد جديد ذكى ، ندعو الى تعميمه فيما يتصل بالشعر، والقصة مرة كل عام .

والملاحظة الجديدة هنا أن لهذه الندوات جمهورا كبيرا ، حتى لقد قارنا الجمهور الذى يحضر هـــذه الندوات ، بالجمهـــور الذى يحضر لمشـــاهدات المسرحيات الذى تناقش ، واذا بنا نجد أن الجمهور الذى يحضر هذه الندوات كان أكثر ، وهذا يدل على أن الجيل الجديد ، يفضل الاستماع والمناقشـــة والحوار العقلى المتبادل بينه وبين النقاد ، أكثر مما يفضل الاسترخاء فى مقعد ثم قبول كل ما «يلقى» عليه ، دون مناقشة علنية لما يريد .

ومما يكن من شىء فقد كانت الندوة التى أثيرت حول « الفرافير » من أخصب هذه الندوات ، ذلك لأنها لم تقف عند العمل المسرحى فقط ، وانمـــا تعدته الى دور الفنـــان فى المجتمع ، والى تقليب مفهوم « الحرية » فى أكثر من اتجاه .

وقد بدأ الحديث الناقد « محمود أمين العالم » وذكر انه اذا كان هناك خلاف فانه ســيكون على أرض المحبة والاعزاز ، صحيح أن بعض النقـــاد قالوا : انها تأكيد لحتمية نظام الطبقات ، وأنهـــا تتحدث عن الحرية المطلقة ، وانها مجموعة من العناصر منتقاة من مسرح اللا معقول ، ومن بيرخت ، ومن بيراند يللو .

وهو فى الوقت نفســـه يرى أن فى المسرحية مذاقا جديدا ، ففيهـــا ازالة الحائط الرابع ، ورفع الكلفة بين المنصة والقاعة ، وكسر الحائط بين المتفرج والممثل ، بل وبين المتفرج ونفسه .

ثم ان فيها هذا الشىء الذى نراه فى الســاحات الشعبية ، وفى الموالد بحى الحسين ، وفيها تجربة السامر المصرى الذى يعبر عن « مصر الجديدة» .. ولكن الى جانب هذا لا يشعر المشاهد بالتناســـق فى المسرحية ، بل يشعر بتمزق فى الأحاسيس ، وبوجود حى للتناقض ، ذلك لأن هناك الغاء للايهام وتأكيـدا له ، ولأن القـــاعة والمنصـــة تتنازعان ولا تنسجمان ، ولأن وجود روح السامر كان على حساب روح المسرح .. ثم قال « لعل كل هذا هو خصائص الجديد الذى يبحث عن الكمال ؟ »

أما الموضوع فهو غير مقنع ذلك لأن المؤلف صرفنا عن مضمون العلاقات الانسانية ، وشغلنا بشـــكل العلاقة البشرية ، وشكل العلاقة هنا مرفوض ، لأن البحث عن الحل ليس بحثا عن « الحرية » .

فالمسرحية تنتقل من « هل نصبح فرافير ؟ » الى « هل نصبح ســـادة ؟ » هل نصل الى جمهـــورية الحرية التى سيشنق فيهـــا الأحرار ؟ » وحين يأتى الموت نرى كذلك الفرفور (الكترون) يدور حول الســـيد (البروتون) ، واذا فلا بد من التبعية ، ولا بد من الوصول الى السؤال « ما الســـبيل الى الحرية الفردية المطلقة ؟ » وفى ضوء هـــذا نرى المسرحية تعطى مفهوما وجوديا فوضويا للحرية ، وهو مفهوم سلبى لأنه يدعو الى عدم الانتماء ، والى الســخط على كل نظام فى حين أنه لا حرية بغير نظام اجتماعى ، وعلاقات انسانية ، ومســـئولية جماعية ، وعمل وانتاج .

ثم تساءل عن الشىء الذى تبيعه هذه المسرحية قائلا « هل هى شربة لقتل الدود أم لاســتنبات الدود ؟ » .

ثم تحدث الدكتور « رمزى مصطفى » فذكر أن المسرحية كان لابد لتنفيذها من « المسرح الدائرى »، وان « الديكور » لم تجمعه وحدة العمل ، ومن هنا نراه قد سبب للمشـــاهد « ارتباكا بصريا » ، أما

الاضاءة فقد استعملت التأثرية فى اضاءة الاطراف العليا ، والواقعية فى اضاءة الكتلة والجوانب ، والرمزية فى اضاءة الخلفية واظهار البيوت ٠٠ وما يؤخذ على الدكتور رمزى أنه لخص المضمون أكثر من مرة بقوله انه يدور حول تحول السيد والمسود ، الى مسود وسيد ، فهذا تفسير يظلم العمل ويقف به عند السطح الفنى .

وذكر « سمير سرحان » أن يوسف ادريس خرج من دائرة الواقعية التى يمثلها نعمان عاشور وسعد الدين وهبة ، وأن التوتر فى المسرحية كان ناشئا عن تقليب الفكرة على عدة مستويات ، وأن المسرحية حلت التوتر ولم تحل المشكلة .

اما « التوتر الحقيقى » فقد حدث حين تكلم يوسف ادريس ، لقد كان يبدو أنه كان ضيقا بما قيل ، ومع أنه ذكر فى أول الأمر أنه قال « كلمته » فى المسرحية ، الا أنه سرعان ما استدار وذكر أن تطبيق القواعد السياسية أو العقلية الصرفة على العمل الفنى باعتباره خريطة سياسية ٠٠ يقتل الفن ويحوله الى مظاهرة سياسية ، وقد حدث القتل بالفعل فى البلاد التى لم يصبح فيها الفن بحثا دائبا عن الحقيقة ، ثم تساءل هل ننتقد السياسة بمفاهيم فنية ؟ وهل نطبق المفاهيم السياسية على « البحث العلمى » ؟ فالذى على الفنان أن يتثقف سياسيا ، ثم عليه أن يفرز ما يشاء من الفن ، وأن كل « حجر » على الفنان يقتل فنه .

وعقب « محمود امين العالم » بأنه لا يدعو الى « الحجر » وأنه لا يفرق تماما بين الفن والسياسة ، وان كل عمل فنى لا بد أن يكون له مفهوم اجتماعى، وأنه لكى نكتشف الشكل المحلى لا بد من اكتشاف الحقيقة الاجتماعية ، وطالب بالمزيد من الفن ، والمزيد من التعمق الانسانى .

سمعتهم يقولون

● **الدكتور محمد النويهى** ٠٠ يقول فى حديث لى أنه أسقط تماما القصيدة العمودية فى هذا العصر ، رغم مضمونها الجديد ، وحين أناقشه فى هذا يقول « فلنؤجل المناقشة حتى تقرأ كتابى الجديد قضية الشعر الحر » اما انا فسأقرأ الكتاب أولا واكتفى بذكر تعليق الدكتور النويهى على الشاعر عامر بحيرى ، الذى ما كاد يراه يلبس قبعة حتى ذكر له بيت الشاعر محمود غنيم .

هل درى الشماخ فى صحرائه
أن قوما البسوه قبعة

ترى ما رأى النقاد فى هذا كله ؟

وهل اسقاط شكل فنى يتم بهذه السهولة ؟ وبخاصة انى عرفت منه أنه لم يقرأ لبعض الشعراء الذين يتوهج مضمونهم الجديد فى الاشكال العربية المرنة ؟

ثم ما رأى « الشماخ » فى هذا ؟

على كل فهذا الباب يفتح ذراعيه لكافة الآراء الموضوعية فى هذا المجال .

● **الدكتور محمد غنيمى هلال** ٠٠ يدعو الى انشاء مجلة خاصة باللغويات ، ويطالب بمجلة للاطفال على أن تكتب باللغة العربية السهلة ، وأن تشكل ، بل انه يدعو الى تعميم التشكيل فى كافة ما يطبع ، حتى فى الجريدة اليومية ، ثم يذكر باننا فى حاجة الى مجلة تتخصص فى الدراسات المقارنة بين اللغتين الفارسية والعربية مثل المجلة التى تصدر تحت هذا الاسم فى بيروت ٠٠ ويصمت هنيهة ، ثم يؤكد أن بعض أساتذة الجامعة هنا يستفيدون من هذه المجلة فى أبحاثهم ، وأنهم لا يقدمون جديدا غير « الاقتباس الشديد » منها .

● **الدكتور عبد الرحمن بدوى** ٠٠ يقول فى التعليق على مسرحية علماء الطبيعة : ليست الأهمية فى القدرة على التعبير عن المسائل العويصة على المسرح ، ولكن فى الوصول الى الفلسفة التى تكمن وراء العالم ، ووراء القوة التى لو انطلقت من عقالها لانهارت الانسانية .

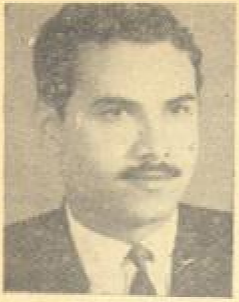
● **نجيب محفوظ** ٠٠ يرد على سؤال يقول : « لماذا لا تقول رأيك فى أعمالك حين تظهر فى السينما والمسرح وكأنها لا تمت اليك بصلة ؟ » بأنه متعاون ـ ما دام العمل الفنى فى حالة عرض ـ مع الشركة المنتجة ، والمخرج ، والمجموعة ، اما بعد العرض فانه يستطيع أن يقول كلمته ٠٠ ترى ما جدوى هذه الكلمة بعد أن يكون الجمهور قد تجرع هذا النوع من « الدواء المغشوش ! »

● **الدكتور ابراهيم رفعت** ٠٠ يذكر أن الاوبرا عمل فنى متكامل : تشترك فيه سائر الفنون من أدب وموسيقى وغناء فردى وغناء جماعى ، الى جانب الهندسة المسرحية بشتى عناصرها .

عبده بدوى



الكتب
نقد وتعريف



بقلم
محيي عبد الحي

الشعر العربي الحديث
في
مأساة فلسطين
من سنة ١٩١٧ الى سنة ١٩٥٥
تأليف : كامل السوافيري

لقد هزت مأساة فلسطين ضمير الامة العربية اعنف هزة عرفتها في تاريخها الحديث ، واشعلت عواطف شعرائها ، وفجرت في قلوبهم ينابيع الشعر ، ومنذ وقوعها في سنة ١٩٤٨ وهي النبع الفياض للشعر الحديث .

ظهر اثرها واضحا في عشرات الدواوين الشعرية الكاملة التي استلهمت محتوياتها جوانب المأساة ومظاهرها المختلفة . وفي مئات القصائد الشعرية المستمدة من فواجعها واهوالها ومن واقع العرب المؤلم ، وحاضرهم الذليل ، وآمالهم في المستقبل الباسم والغد المشرق المؤذن بالاستجابة لنداء الثار ، وغسل العار ، واستعادة فلسطين .

وظهر اثرها في الشعراء الذين أوجدتهم وفجرت في نفوسهم ينابيع الشعر ـ وفي الشعراء الذين حولت اتجاهاتهم الشعرية الذاتية والرومانسية الى الاتجاه القومي ..

وخلقت المأساة من ابناء فلسطين وبناتها شعراء وشاعرات لم تعرفهم فلسطين من قبل ـ فجرت فيهم ينابيع الشعر وامدتهم بالطاقات ، منهم معين بسيسو وخليل زقطان وهارون هاشم رشيد . وحولت الاتجاهات الشعرية لعدد من شعراء فلسطين وشاعراتها المعروفين من قبل الى الاتجاه القومي .. ومن هؤلاء الشعراء : محمود الحوت الذي كان شاعرا وجدانيا ، وابو سلمى الذي كان شاعر الحسن والجمال ، ومحمود الافغاني الذي كان شاعرا غنائيا ، وفدوى طوقان التي كانت تحوم في آفاق الخيال ـ وتشكو الوحدة ، وتلوذ بالتأملية ، وغلبت المأساة الاتجاه القومي على سائر الاتجاهات في شعر عيسى الناعوري في الاردن وعدنان الراوي وخالد الشواف وابراهيم الوائلي وعلي الحلي في العراق ، وعمر ابي ريشة وسليمان العيسى في سورية ، وعلي محمود طه ومحمود حسن اسماعيل في مصر .

وكانت المأساة ـ النبع الذي لا يجف والمعين الذي لا ينضب في الشعر الحديث ، وكانت نقطة الانطلاق التي انبعثت منها دعواته للثورة على حاضر العرب وواقعهم الاليم ، وجعلت من الشعر الحديث شعر العروبة والقومية والوطنية والسياسة . شعر الثورة على الاستعمار وقاعدته اسرائيل ، وعلى فساد الاوضاع والنظم والدعوة لبناء المجتمع العربي من جديد على اسس جديدة .

وقد استعان المؤلف بالمنهج التاريخي في النقد الذي يعتمد على الصلة الوثيقة بين الادب والتاريخ ، والذي يرى ان ادب الامة تعبير صادق عن حياتها ، وأن فهمه وتفسيره يتوقفان على معرفة تاريخها ، وقياسا على ذلك عرض المؤلف احداث المحنة قبل المأساة من ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ الى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ عرضا تاريخيا يفسر النصوص ويوضح اتجاهاتها وبخاصة في شعر ابناء فلسطين ..

واتبع المؤلف عرضه التاريخي للمحنة خلال هذه الفترة بالنصوص الشعرية .

اما القسم الثاني من الكتاب وهو المحنة اثناء المأساة وبعد حدوثها من التاسع والعشرين من نوفمبر سنة ١٩٤٧ الى الحادي والثلاثين من ديسمبر سنة ١٩٥٥ وفيه واصل المؤلف عرضه التاريخي للمحنة اثناء المأساة وبعدها ، واتبعه بالنصوص

الشعرية لم يدراستها كما فعل في القسم الاول ..

وقد تناولت النصوص الشعرية في القسم الاول من الكتاب موضوعات كثيرة منها على سبيل المثال ـ وعد بلفور ـ والاستعمار ـ والهجرة اليهودية ـ والمحافظة على الارض ـ والتضامن والاخاء الى اخر هذه الموضوعات ـ التي كانت تركب ابياتها والفاظ جملها من الاحداث الدامية التي مهدت لضياع فلسطين ..

وقد صور وعد بلفور في عدة صور حقيقية وخيالية فمن الحقيقة انه ابعاد ووعيد وانه وعد مشئوم ، ويومه يوم شؤم وان بلفور مصدر الكذب الذي ما بعده كذب .. الخ ..

ومن أجمل الصور ما تضمنته قصيدة الشاعر علي محمود طه في يوم فلسطين ، فهو وعد خطه الظلم ، وحلم ختال من عالم الوهم حضنه القوة ـ واخرجته من عالم الوهم الى دنيا الحقيقة ـ فكان مثار خطوب ومبعث اهوال ..

يقول علي محمود طه :

محا الله وعدا خطه الظلم لم يكن
سوى حلم من عالم الوهم ختال
حضنه القنا كيما يكون حقيقة
فكان مثارا من خطوب واهوال
وفتح بين القوم ابواب فتنة
تطل باحداث وتومي باوجال

ومنها قوله :

فيا شمس كفي عن مدارك واخمدي
ويا شهب غوري في دياجير اجال
ويا ارض شقي عن اديمك وارجمي
كما كنت قبل الرسل في ليلك الخالي

اما عن الهجرة اليهودية فقد صورت في صورة الطوفان الذي يطغى فيغرق الدنيا ، وصور رقم الالف ـ وهو وحدتها ـ في انه الضربة التي لم تعرف فلسطين اشد وانكر منها ومن اجمل الصور التي قيلت فيها قول الشاعر الفلسطيني ابراهيم طوقان : ـ

في البحر الاف كان عبابه
وامواج مشحونة في المراكب

حيث صوّرت الآلاف المؤلفة من المهاجرين اليهود القادمين الى فلسطين في البحر بالعباب والامواج المشحونة في السفن الى فلسطين .

وصور الشعر العربي بطش حكومة الانتداب وظلمها لعرب فلسطين ، وقسوتها عليهم في صورة رائعة معبرة جزئية وكلية ـ حقيقية وخيالية ومن هذه الصور أن ابراهيم طوقان صور حكومة الانتداب في صورة من ينفذ مناهج ابادة وافناء لعرب فلسطين تارة بالسياسة وتارة بالرصاص . ومنها تصوير احمد محرم لحكومة الانتداب في صورة ذئب واليهود في صورة ذئب آخر وقد باع الذئب الاول للثاني فلسطين ـ فهي نهب مقسم للذئبين يقول احمد محرم :

بافلسطين اصطليها نكبة
هاجها للقوم عهد مضطرم
همم الاحرار تحمى وطنا
عربيا سيم خسفا وظلم
باعه ذئب لذئب غيلة
فهو للذئبين نهب مقتسم

وفي صورة اخرى للشاعر عمر يحي يرسم فيها منظرا عاما لظلم حكومة الانتداب ـ يناجي فيها الطير قائلا له :

يا طير لنا اخوة في القدس
اصبح حمامهم نهبة للذئاب

فالمسجد الاقصى له انه الثكلى ، واطفال تتناثرت اشلاؤهم .

واباء كثيرون يبكون ابناءهم ، ومحزونون هدهم الحزن ، وابنية شامخة هدمت معاول الظلم ذراها ..

وطرق الشعر الذي استوحى ماساة فلسطين من ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ الى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٥٥ موضوعات جديدة لم يطرقها من قبل لان الماساة هي التي اوجدتها ـ فنرى مثلا تصويرا للاجئين والامهم المادية والمعنوية ، وتكثر تبعا لذلك القصائد الداعية الى الثار ـ والمنادية بالعودة واسترداد الوطن السليب .

وتؤكد فدوى طوقان في قصيدتها « بعد الكارثة » تصميم الامة العربية على الاخذ بالثار ـ وتسوق هذه الصورة وهي تناجي موطنها فلسطين ـ فتصور الغمة وقد انجلت ، والفجر وقد مسح غواشي الظلمات . والجوهر الكامن في الامة العربية مازال يحمل معنى الضرم وشباب العرب هم ذخر الحمى . وللثار غدا هبة جارفة الهول عاصفة ـ لان الماساة الهبت في قلب كل عربي حر جذوة تتوقد وتضطرم ومحال ان يلقد الاحرار عن ثأرهم مادامت دماء الثار تغلي في عروقهم ..

تقول فدوى طوقان

ستنجلي الغمرة يا موطني
ويمسح الفجر غواشي الظلم
والامل الظامىء مهما ذوى
لسوف يروى بلهيب ودم
فالجوهر الكامن في امتي
ما يأتلي يحمل معنى الضرم
هو الشباب الحي ذخر الحمى
اليقظ المستوفز المتقم
فلوا جناحيه ، وقالوا انطلق
وشارف الافق وجز بالقمم
واستنهضوه لاقتحام اللظى
والقيد ـ بالثقيف ـ يدمي القدم

ويقول هارون هاشم رشيد ـ في قصيدة ـ سنعود :

سنعود يا اختاه للوطن
رغم الشقاء وقسوة الزمن
رغم الليالي العابثات بنا
والجوع والتشريد والمحن
سنشق استار الظلام غدا
سنشقها ونعود للمدن
شتبسر بالفجر الجميل قوى
جبارة تقضي على الوهن
ان السهول الخضر تنتظر
وكرومنا والشط والشجر
والذكريات الهانيات بها
والحب والاصال والسكر
وملاعب الاحلام تائقة
تهفو لنا والناي والوتر
سنعود بالنار مع الفجر
والزهر والحسون والقمري
سنعود بالامال باسمة
في موكب التحرير والنصر
سنعود اكبادا مؤججة
تواقة للوطن الحر
وهناك ترفع راية طوبت
ونعيدها تزهو على الدهر

فيناجي الشاعر هنا اختا نازحة قائلا لها سنعود يا اختاه للوطن رغم الشقاء ورغم قسوة الزمن ، ورغم الليالي العابثات بنا ورغم الجوع والتشريد والمحن ويمضي في القصيدة فيصور السهول وهي تنتظر ، والكروم والشواطيء والشجر والذكريات الهانيات والاصال والبكر ، وملاعب الاحلام التي تهفو والناي والوتر ويسمي الشاعر فتاته ليلى ويؤكد لها اننا سنعود بالامال باسمة وعندئذ نرفع الراية التي طويت ونعيدها تزهو على الدهر .

ورسمت الشاعرة فدوى طوقان في قصيدتها « حلم الذكرى » صورة كلية لوطنها فلسطين بعد المأساة ـ فمن خلال دخان علا واستدار رات حماها في صورة خربة ماحلة تدب الهوام على عتباتها ، وتعبرها قافلة اثر اخرى ، وبين زوايا الخربة تخبو العناكب وتمعن في زحفها ، وحول هذه الخربة ابصرت الشاعرة اشلاء قومها متناثرة هنا وهناك على طرق السابلة عين مفقاة بعثرت حباتها السائلة على الارض ، وايد مقطعة ووجوه غذا التراب الوانها الحائلة ..

ووراء هذا الدخان قطيع تشتت ، قطيع وديع بقية قوم الشاعرة تظللهم الخيام في العراء ، وقد اخلدوا للسكينة كأنهم براكين خامدة لاتفور . استحال اللظى في حشاها جليدا ـ قصارى مطامحهم لقمة مغمسة بالهوان تجود بها اكف جلادهم لتخديرهم كل صباح جديد

تقول فدوى طوقان

خلال دخان علا واستدار … رايت الحمى خربة ماحله
على العتبات تدب هوام … وتعبر قافلة قافلة
وبين الزوايا عناكب تحبو … ويمعن في زحفها والفله
وابصرت اشلاء قومي هنا … وهناك على طرق السابلة
عيون مفقاة ، بعثرت … على الارض حباتها السائلة
وايد مقطعة ووجوه … غبر الترب الوانها الحائلة
وكان هناك وراء الدخان … قطيع تشتت في كل بيد
قطيع وديع .. بقية قومي … فهذا شريد وهذا طريد
تظللهم في العراء الخيام … وقد اخلدوا في هدوء بليد
براكين خامدة لاتفور … استحال اللظى في حشاها جليد
قصارى مطامحهم لقمة … مغمسة بهوان العبيد
تجود بها كف جلادهم … لتخديرهم كل صبح جديد

وصور الياس فرحات في قصيدته « نفط الجزيرة وفلسطين» حرص الملوك والرؤساء على المال والجاه ومسئوليتهم عن المأساة في قوله : ـ

لو كان لي نفط الكويت جعلته … يمشي على جثث اليهود جنودا

وقد ثار شعراء الجنوب العربي بالنكبة شأنهم شأن كل جزء من اجزاء وطننا العربي .. وعلى راس هؤلاء شاعر الكويت المجيد .. عبد الله زكريا الانصاري ..

اذ يقول

يا (يافا) اتراها هودت … بعد ماكانت لآل العرب ركنا
و (الحيفا) اتراها اقفرت … وخلت اربعها مغنى فمغنى
ليتني والدهر في سكرته … لا ارى عينا ولا اسمع اذنا

ويقول كذلك

يافلسطين انت انشودة المجد … وذكر القيم والنزاح
لهف نفسي عليك كيف استحالت … سوحك الفيح للسمير الإباحي
نام عنك الليوث فاستاسد … الذئب وقد جار في الفضاء المتاح
يابني العرب والعدو مجد … ليس تنمو اوطاننا بالنواح
ماعليه اذا استباح حراما … اى لوم ، وماله من جناح
فاطلبوا الموت بالجهاد لينمو … وانشدوا العز فوق هام الاحناد

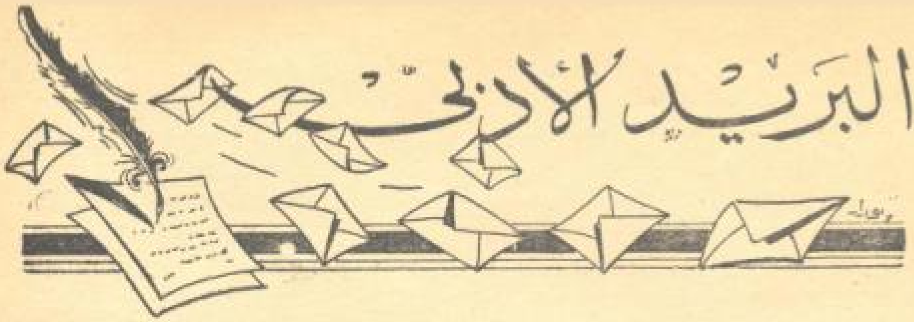
والى جانب العودة والثار واستثارة الهمم لاسترداد فلسطين صور الشعر الالام المادية للاجئين المتمثلة في الجوع والعري والحرمان وفقد الكساء والغذاء والماوى ، والخيمة السوداء . وقد حظيت خيمة اللاجيء من الشعر باهتمام بالغ وصورت في شتى الصور ـ صورها رجاسمرين في قصيدته «خيام اللاجئين» في صورة الوصمة في جبين الدهور ، والنغم النشاز ، وسبة التاريخ والناس في جميع العصور ، وماوى البؤس ، وسفر الالام ـ وصورها محمود حسن اسماعيل في قصيدته « من دموع اللاجئين » في انها خيمة البهتان والطغيان والزور ، وماوى كلحد الميت محفورا في النسيان وقد رمى فيها اللاجيء كدمية وقفت على درب المقادير ..

وصور الشاعر في هذه القصيدة الجوع في صورة ذئب اغتال اطفال اللاجيء مع الفجر ، والسيل في صورة مجنون بعثرهم بين مداخل الصخر فلا يدرى لهم شبحا على نعش ولا قبر كما كانوا هنا عادوا بلا سكن ولا عمر . وصور الشاعر مرة ثانية جوع اللاجئين بانهم اذا صاموا من الجوع اكلوا القوت حرمانا، واذا ناحوا من العرى لبسوا الموت اكفانا ـ وان راموا ندى الناس وعطفهم وجدوهم ذئابا .

وهكذا استطاع المؤلف ان يقدم لنا في هذا البحث صورتين واضحتين لفلسطين الاولى ـ عن احداثها التاريخية والسياسية وموقف الشعر منها قبل المأساة . والثانية ـ عن اهوالها وفواجعها وموقف الشعر منها بعد المأساة ، والبون الشاسع بين الصورتين .

ان ظهور اثر المأساة في الشعر الحديث ـ وتكوين الشخصية العربية والتعبير عن الذات العربية واعتناق فلسفة القوة ومخاطبة المستعمر بلغة الصلحة والكشف عن جوانب القوة الكامنة في الامة العربية وما تملكه من مقدرات وامكانيات تتيح لها بوحدتها وتضامنها ان تملى ارادتها على الذين اوجدوا اسرائيل وان تعيد الحق الى اهله .. ونعود ثانية الى ارضنا السليب .

تحسين عبد الحى



صبارة ... على قبر ....
مهداة الى روح الطفلة « ذكريات »
للشاعر عبد البارى ابو العينين

يا زهرتى الأولى ثكلت شـــذاكى
طاف العبير على الربى .. ينعاك .
صبارتى ..قلبى العجوز .. ودمعه
قطر الندى ..فوق الربيع الباكى
مزقت قلبى بالفــراق ... وليتنى
اجد الطريق..باضلعى.. لاراك.
قد اغرقتك مدامعى حتى ارتــوى
من مدمعى المنهـل طيب ثــراك .
هذه عرائسك الجميلة اطـــرقت
تحكى لنفسي ذكــريات صباك ..
ولكم جمعت لك النفيس من الحلى
والموت قهقه ســـاخرا بحلاك .
يا حزن هذا الفجر اذ يمضى على
قبر هناك .. فلا يطل ســـناك
هل تسمعين الآن جهشة معزفى
او تسمع الدنيا انين صداكى ؟..
يا ذكرياتى .. ما لغصنك ذاويــا
تحت الثرى ..اغفت هنا عيناك..
اجد التراب محببـــا لنواظــرى
منذ احتواك ..وضم نفح شــذاك
ساظل يا ذكراى باسمك هـــاتفا
ومشيعا نفسى على مثــــواك .
نامى بقلبى .. وامنحينى لفتــــة
احظى بهــا لاعيش فى ذكــراك

تفاحة فى شعر شوقى
بقلم محمد كامل امين

كان لامير الشعراء احمد شوقى طــرائف غزلية رائعة بالرغم من قلة انتاجه الغزلى . ولكن مشاعره العاطفية كانت تحركت ذات مساء حينما شاهد ممثلة افرنجية حســـناء تجيد التمثيل فى رشـــاقة وخفة وسحر . وتنهى دورها فى التمثيل وتعـــود الى مقصورتها لتستريح .

كانت عيون شوقى تتابع حركاتها وســكناتها وتلاحق قيامها وجلوسها وتحصي عليها دقات قلبها. فلحظت الممثلة هذه الملاحقة ولم تستطع ان تحـــول عنها هذه النظرات ولا توقف هذه المحـــاولات . وارادت ان تجمل لها نهاية . فوضـــعت يدها فى صدرها واخرجت منه تفاحة ناضجة شهية وقذفت بها الى شوقى ، علها تشكره او تستنكره ، ولكنه استطاع ان يتلقفها فى سرعة وان ينشد فى بداهة هـــذين البيتين : —

وذات حسن من الافرنج كــم قتلت
باســـهم اللحظ ارواحـــا واشباحا
مدت الى روض نهديهـــا انملهـــا
فاطعمتنا من (الرمان) تفاحـــا

ولما ترجم لها هذين البيتين زاد فرحها وتهلل وجهها بشرا وشكرت له تلك التحية العربية الكريمة .

« عناصر الطبيعة الجديدة »
بقلم حامد محمد محرم

فى دائرة المعارف بجريدة الاهرام يوم الاحـــد ٣ مايو سنة ١٩٦٤ كتب الدكتور ابراهيم حمـــودة « بمؤســـسة الطاقة الذرية » مقالا تحت عنوان«ذرة (١) طبيعة » شرح فيه تكوين المادة ومكونات الذرة .. وفى سياق حديثه تعرض للعناصر الموجودة بالطبيعة وارجعها الى ٩٢ عنصرا ولقد تم تحديد تلك العناصر فى اواخر القرن التاسـع عشر .. ولم يوضح السيد الكاتب مجهود العلماء فى العصر الحديث ..

والعنصر كما هو معروف مادة أولية لايمكن تحليلها الى مادتين او اكثر باستخدام الطرق الكيميائية ... ولقد بذل فى سبيل ذلك جهود جليلة منها مابذله عالمنا العربى جابر بن حيان فى ذوبان المادة فيقول .
« يظن البعض خطأ انه عندما يتحد الزئبق والكبريت تتكون مادة جديدة فى كليتهما ، والحقيقة ان هاتين المادتين لم تفقدا ماهيتهما وكل ماحدث لهما انهما تجزاتا الى دقائق صغيرة ... » وتستطيع ان تتابع تلك الجهود فى كتابة القيم « المعرفة بالصفة الالهية والحكمة الفلسفية » وكذلك كتاب جابر بن حيان للدكتور زكى نجيب محمود فى سلسلة اعلام العرب وكتاب علماؤنا العرب فى سلسلة كتب ثقافية .

ولقد تم تحديد تلك العناصر ومن بينها ما هو صلب او سائل او غازى . وفيها المعروف مثل النحاس والفضة والذهب والحديد والقصدير والكربون والكبريت والاكسجين ... والاخرى نادرة الوجود مثل : الانيتمون والكوبالت والسيزيوم والربيديوم...

نعم لقد اكتفى السيد الدكتور بذلك ولم يذكر او يلمح الى مجهود العلماء وما توصلوا اليه من اكتشاف بقية العناصر الجديدة التى تربو على الاحدى عشر عنصرا جديدا ويعيش فى أواخر القرن التاسع عشر .

واكتشاف عنصر لم يكن من السهولة التى يتصورها الانسان فلبعضها قصص توضح مايتحمله العلماء فى ابحاثهم من الجهد والعناء فكثيرا ماتوصل العلماء بواسطة تجاربهم الى اكتشافات جليلة ولكن سرعان ما يدب الحقد والحسد فى قلوب الغير ويحاول الاخرون هدم ما هو جديد كما حدث تماما للافوازية الفرنسي عندما هدم نظرية العناصر الاربعة « الهواء — الماء — النار — التراب » وكذلك قصة اكتشاف مارى كورى للراديوم وبصحبتها زوجها .. انها لامثلة رائعة فى ميدان البحوث العلمية .

وفى كتاب « قصة العناصر » للأستاذ امبابى احمد تصوير شامل لتلك العناصر يوضحها ويشرح تكوينها ...

ويتألق امامنا الآن تلك المجهودات الرائعة التى يبذلها العلماء عارضين عن زينة الحياة وبهجتها فيحق علينا أن نعترف بهم فى سجل الخالدين .

ومن العناصر الجديدة التى قدمها لنا هؤلاء العظماء وتضاف للعناصر السابقة عناصر : (البليتونيوم) و (النيتونيوم) و (الاميريكتيوم) و (الكيريوم) و (بركيليوم) و (لورانسيوم) و (...

ولقد افاض الدكتور محمد محمود غالى فى مجلة الرسالة فى العدد) ١٠٥٤) فى رسالة العلم عن تلك العناصر . واخيرا اردنا التلميح لحرمة العلم وامانة عرضه وخصوصا فى دائرة معارف ..

ولو بقلم محمد سعاد جلال

ولو عصفت الريح
واظلم الفضاء
وتهاوت النجوم تباعا
سافتح قلبى للسماء
وامشي على الارض شجاعا
ولو مادت الارض
ولفظت احشاءها
واشتعلت آفاتها لهبا وضراما
سافتح قلبى للسماء
وامشي على الارض شجاعا
ولو القيت على اثقال الحديد
وحملت على أطراف الاسنة
ودفعت الى وادى السم والدم
سأفتح قلبى للسماء
وامشي على الارض شجاعا
ولو غدر بى كل مخلوق حتى نفسي
وخانني كل شيء حتى قلبى
وتنكر لى كل انسان حتى ولدى
سافتح قلبى للسماء
وامشي على الارض شجاعا
ولو ان التى كانت بصيرة حياتى
وينبوع ارادتى
ومعين ايمانى
وحصنى وعكرى
وسمائى وارضي
امى الجليلة
ذهبت ولن تعود
فلن يمتصر الحزن قلبى
ولا يحطم اجزاء روحى
وسأفتح قلبى للسماء
وامشي على الارض شجاعا

انغام هندية بقلم السيد هاشم

كان حفلا فريدا من نوعه . ليس له مثيل او نظير . يشهد بعظمته المكان ، وتشيد بجلاله الذكرى ، وقد بدت من خلال نوافذ القصر الكبيرة تحت سماء الهند قباب المساجد والمعابد تصور للرائين سمات الهند الروحية وامجادها الخالدة التاريخية .. ووقفت الراقصة المطربة .. الهندية ، بدلالها وجمالها ، تتاهب لتقديم رقصاتها ، ولتشدو بغنائها ... شابة جميلة ، بدت بهية الطلعة بفتنتها ووقارها ، يظلل محياها ... حسنها وسحرها ، وقد مشطت الى الوراء شعرها الاسود الطويل ، جميل كالليل ، لامع ، يتوسطه فارق يزينه كهلال بينه قابع ، واخذت ترنو ببصرها الى الحاضرين فى براءة وحسن ، بعينين سوداوين ساحرتين ، يعلوهما حاجبان مزججان ، يشع من وجهها الحياء والبهاء ، فى صورة جذابة تخشع لها القلوب وتهفو اليها النفوس ، ثم راحت تسطع عليها الانوار بالالوان والاضواء ، فبدت فى — ساريها — البهى المتالق كنجمة تتالق فى كبد السماء ، وقد التصق على صدرها البارز المفتون ، شريط عريض من حرير فى لون بنفسجى ، متدل من اعلى منكبها الايسر ، حتى اسفل ابطها الايمن يحزمها ويلتف حول خصرها ، فبدت به كملكة غالية فى الابهة، يتوجها تاجها وبزينها ، ولمع تحته ثوبها الاصفر المفضض وقد دنا من قدميها وانتهى عند خلخاليها .

وتطلعت على الراقصة الفاتنة انظار الحاضرين فى اعجاب وادب واشتياق ، وقد جلس خلفهما اثنان من افراد فرقتها الموسيقية ، ضارب الطبلة وعازف الجيتار ، ولم يمض زمن يسير حتى سمعت دندنة صوت الجيتار يبدا العرض بالحانه ، بنغم هادىء بطىء، وضرب متقطع رزين حزين ، فان اوتاره تزمع ان تحكى قصة خلود . فساد الناس والمكان الصمت والسكون ، ثم بدا صوتها العذب يصدح فاسكت بانغامه لغة الحواس والنفوس واحيا بالحانه كوامن الحب الالهى المقدس ، حتى سيطرت على المكان والجلوس ، ثم رفعت يديها لتعبر بهما عن نغمات صوتها الجليل الذى تناجى به الهها ، حتى بدت كانها تتضرع الى خالقها ، وراحت تتماوج بهما ، بحركات تعبيرية ساحرة ، مع الحانها الحالمة ، فى طرب وعذوبة ، كانها تشير بهما الى انغامها فى الآفاق ...

ما احلاها وما اجملها ، ثم اخذت تعبر بوجهها وعينيها عما يصدر من صوتها من انغام حلوة عذبة حتى تاهت عن نفسها ، وحلقت مع مستمعيها فى سموات هذا المكان الروحانية .

ردود قصيرة :

• وصلت للمجلة قصائد عديدة كلها تتحدث عن « السد العالى » وهذا يدل على ان الشعراء يحسون بالاحداث فى بلدنا ، وان «اللقطة الفنية» المحسوسة قد اصبحت مما يحرك الشعراء ، ويشدهم من الاودية السحرية ، الى الواقع المعاصر بكل ما فيه من نبض ونضارة .

ومن هذه القصائد التى وصلت للمجلة :

قصيدة السد العالى .. للشاعر احمد عزمى ابو شريقة

وقصيدة حكمنا النيل .. للدكتور سعيد ابو بكر

وقصيدة رمز الصداقة الخالد .. للشاعر عبد المجيد فرغلى محمد النخيلى

وقصيدة السد العالى رمز عزم .. للشاعر يوسف سمباح

وقصيدة النيل الخالد .. للشاعر مقدام الازرق

وقصيدة السد العالى .. للشاعر يوسف الابنودى

وقصيدة ياايها النهر الجديد تحية .. للشاعر عبده الشالى وقد جاء فى هذه القصيدة :

ياسيد الانهار ان جباهنا
تحنو امامك بكرة واصيلا
صحراء مصر تكشفت عن نبتها
واتت جناها سائغا مكفولا
ان الرمال اذا انثرن بجدبها
جاء الغدير وخصب فيه سهولا
فترى التلال غراة يوم سندسا
وترى الجبال تحولت تحويلا
يا ايها النيل السعيد ترقبى
فالخير آت عندنا مبذولا

وقصيدة للشاعر فرحات عبد الخالق جاء فيها

حى الحضارة من ربا اسوان
حيث المياه تصان فى بنيان
ماذا وراء السد الاثروة
لبناته من عسجد وجمان
ابطال وادى النيل قد بذلوا له
اقصى الجهود وغالى الاثمان

قصة العدد
الأرملة

بقلم: حبيب الزحلاوي

لم تجد نفعا هبة المحافظين الجامدين على التقدميين دعاة جلوس الفتاة الى جانب الفتى فى قاعات التدريس، بل ذهبت ريحهم وانطفأت نارهم وجلست الفتاة العراقية ببساطة الى جانب الفتى ، فلم تقم قيامة الاخلاق ، ولم تجرح كرامة تقاليد المجتمع ، ولم تنحرف حرمة الدين ، ولولا دعاة عدم اختلاط النساء بالرجال لكانت الأمور سارت مسراها الطبيعى .

انها لطفرة تقدمية جريئة وفدت علينا من مصر تلقفتها العراق بسرعة ولهفة تساويا على القد توفزا للسير فى موكب الحياة الحرة ، وسرعان ما ألقت السيدة البغدادية عباءتها وخرجت سافرة الوجه ، يكلل رأسها شعر جميل مموج .

لم تحدث هذه الطفرة الجريئة رد فعل لأن تيارها كان جارفا أجبر الآباء وأرغمهم على الخضوع والاستسلام للأمر الواقع ، ولأنها لقيت من الشباب ومن الكهول ترحيبا ، وأتاحت لهم رؤية الجنس الحلو تمثله فتيات من سن الطفولة الحبيبة الى سن المراهقة الناهدة تهفو بجوانحها الى المجهول .

لقد كنت واحدة من أولئك الفتيات العراقيات أجلس فى صف الدرس الى جانب فتى قد يكون من أبناء العاصمة أو قادما من مدينة أخرى وربما يكون من الريف ، وقد كنت مع أترابى الفتيات ، نتجمع أثناء فرصة الراحة نتطلع الى رؤية الطلبة ، ننصت الى كلامهم ، نستلطف معاكستهم ، نتهامس الكلام فى أوصافهم ، ونغالى فى تقدير قسماتهم ورجولتهم، وكان اذا ماأتفقت اثنتان منا فى استحسان واحد بالذات تخاصمتا ، وقد لا تتصالحان الا اذا تنازلت الواحدة الى الاخرى عن فتاها المفضل .

***

من بدء الدروس الثانوية حتى السنة النهائية فى دراسة الحقوق كنت أميل الى فتى كأنه كان يماشينى فى طريق الانتقال من صف الى صف ، شاب توافرت فيه كل صفات الرجولة التى أتخيلها وأتصورها ، ولكنى على الرغم من دنوى منه ، وتعمدى معارضته فى أكثر الآراء التى كان يطرحها الاستاذ المدرس علينا لنراها من أكثر جوانبها ، برغم ذلك لم أحاول التودد اليه ولا شجعته على التقرب منى ، ولكنى شعرت شعور الانثى بأن بينى وبين فتاى عاطفة متبادلة ، وبينا حدس لدنى .

كادت السنة الدراسية النهائية أن تبلغ أواخرها، وقد كنت خلالها فى شبه دوامة من القلق ، لا القلق الذى يعجزنى عن تأدية الامتحانات النهائية بل قلقى من البعد عن كلية الدراسة والخوف من الافتراق عن فتاى .

هل اختلق أكذوبة اتخذها وسيلة للكلام مع هذا الشاب الصموت الذى ألجم لسانه واطلق نظرات عينيه متوسلة تارة وجذابة ساحرة تارة أخرى وأخيرا متعالية مستكبرة ، أم أستسلم الى حدسى بأن فتاى سوف يقدر احتشامى ويحترم اعتزازى بكرامتى فيأتى الى على حياء خافض الجفن ، متلعثم اللسان، يحمل قلبه بيده فيقدمه لى عربون الحب الكريم والزواج المقدس ؟! ..

لقد تعلمت علم القوانين لأكون واقعية فى الحياة الواقعية فلم تردنى احساساتى النسوية ومشاعرى الطبيعية الى الأوهام والخيالات والتصورات العاطفية ؟ .

اننى أنثى قبل كل شيء ، ولا أحسب أن الواقعية التى تمثلها القوانين التى تعلمتها قادرة على ابعادى عن مثالية المرأة التى خلقت لأن تكون زوجة وأما وربة بيت وانى لأعتقد بأنى لن أتنازل عن مثاليتى الا اذا بارت أنوثتى وغدوت مجبرة على كسب القوت عن طريق العمل ، فلم لا أتخذ من أنوثتى وسيلة الى فتاى كما توسلت بالعلم ، لا للعلم نفسه، بل للتوصل الى الزوج المجهول ؟!

وكان أول تصد منى له وأول حديث معه ، وأول مرافعة قانونية مسببة ، بحيثيات ، طالبنى وطالبته بالبت فى القضية واصدار الحكم ؟!

قلت له ماعرفتك الا اليوم ، فقال : لقد عرفتك منذ الأزل وقد تلاقى قلبانا كما يقول الشعراء ، وتجاوبا منذ أيام الدراسة الثانوية • قلت : من أنت ومن أين وابن من تكون ؟ قال : أنا من هذه المدينة الخالدة ، قلت انى عشائرية من الجنوب وان لأهلى عادات وتقاليد قال : المثقفون أمثالنا يدينون بدين العلم • وبثروة العصر وبروح التقدم لا نأبه بالعادات والتقاليد ومن حق جيلنا بل من الواجب عليه ان يتعصب ويقاتل فى سبيل التقدم والارتقاء • قلت : هل تعتقد ان روح الثورة التقدمية قد سرت الى العشائر كما تغلغلت فى نفوس الحضريين من متقفين وصناع ؟ قال : ان الثورة ستمتد الى مدى أبعد مما نتصوره اذا استطعنا اجتثاث الرجعية من جذورها • وقلت : الا تخشى طفرة الفلاحين والجهلاء ؟ قال : أريد أن أؤمن بالطفرة التى تجر الاميين وراءها • قلت انى أخاف الطفرة وارتعد منهـا • قال ان انتشار كل مذهب جديد موكول بايمان المرأة وان الثورات التقدمية لابد لها من هاد حكيم موهوب يستوحى الجماهير ، يجانب الغدر ، ويعمل بالطفرة• قالت : أنت وأنا سوف ندفع ثمن طفرتنا غاليا ولكن ••• لا علينا •• قل لى الآن ماهى قضيتك يا استاذ؟ قال وقد زايلته صرامة الوجه ، فأسبل جفنيه وتلعثم لسانه :

لقد طفرت دموع الفرح من عينى حين أرتج عليه يطلب يدى •

قلت له ان باب العمل موصد بعد فى وجهينا ، وما دمنا متفقين على المبدأ فلنتمهل قليلا ريثما نمهد طريقنا الى العمل • قال : نحن مختلفان منذ الآن !! قلت على م نحن مختلفين ؟ قال : على الباب الموصـد للعمل والذى أرغب أن يبقى موصدا فى وجهك كما يجب أن يبقى موصدا فى وجه كل فتاة خلقهـا الله لتكون سيدة بيتها ، قلت ان للزمن حالات متقلبـة وصروفا عجيبة ، كما أن للحياة مطالب توجب على الزوجة مشاركة زوجها والتعاون معه لدرء الحالات التى قد تطرا • قال : ان على الرجل وحده تقع أعباء الأسرة وعلى المرأة وحدها أن تنهض فى بناء الأسرة، وأن تحمل وحدها أعباء الزوجيـة والأمومة وادارة البيت وليس هذا بالحمل الخفيف •

***

اشتعلت حرب شـعواء بين أبى وامى من ناحيـة وبينى وبين أبى من ناحية أخرى ، لقد رضيت أمى الحبيبة أن أتزوج من حضرى يشغل والده منصبا عاليا فى الدولة ، اما ابى فقد ادعى انه سمانى منذ طفولتى زوجة لابن أخيـه ، اما الحرب التى دارت رحاها بينى وبين أبى فقد كانت تدور من ناحيتى حول التمرد على الأب ، والاعتداد بحرية الفرد ، والاعتزاز بالعلم وبلوغ سـن الرشد ، ومن ناحية والدى ، كانت تدور حول حقه فى السلطة الابوية •

••• وتزوجت ••• وانقضى العام الاول فانجبت الولد البكر ، واقبل العام الثانى يحمل بشرى رفع زوجى الى مقام سام فى الحكم • وفى ذات يوم اقبلت كوكبة من الفرسان مدججة بالسلاح رابطت عنـد مدخل وزارة العدل ، وترجل كبيرها عن فرسـه يسال عن وكيل الوزارة •• استؤذن له فاذن •• نهض وكيل الوزارة يستقبل بالترحاب قدوم عم زوجته الذى سال وكيل الوزارة دون أن يجيبه ، هل هو فلان زوج فلانة ابنة اخى فلان ؟ قال انا هو يا عمى العزيز •

تراجع الشيخ الأشيب خطوة الى الوراء ، وامتدت يده بسرعة الى جراب مسدسـه واطلق منه خمس رصاصات استقرت فى صدر الشاب •• •• وحم القضاء •

عاد الشـيخ الفارس الى فرسـه فامتطاه فمشى ومشت الكوكبة من خلفه عائدة الى القبيلة تهزج وتطلق بنادقها جذلى بانتصارها •

لقد خرست السنة حكومة ذلك العهد البائد عن محاكمة قاتل زوجى تذرعا بقوانين العشائر ، وبقيت وحدى أنا الارملة ، أتشح السواد أمضغ الوحـدة وأجتر الالم أسهر على ولدىالوحيد وأرعاه بغير أمل .

حبيب الزحلاوى

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
الثقافة والارشاد القومي

الادارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بعمارة شركة التأمين – القاهرة

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد ١٠٦٤ الخميس ٢٣ المحرم ١٣٨٤ هـ – ٤ يونيه ١٩٦٤ م – السنة الحادية والعشرون

الفهرس

الصفحة

ابن البلد

للدكتور محمد أحمد خلف الله

كان الناس أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها بقليل يطلقون عبارة « الثلاثة الكبار » على كل من روزفلت وتشرشل وستالين .

وكانت الأسباب كافية في اطلاق هذه التسمية فقد كان هؤلاء يقفون في جانب ، ويقف كل من هتلر وموسيليني في جانب آخر . وكان الثلاثة الأولون يعلنون في كل لحظة أنهم انما يعملون في سبيل القضاء على الاثنين الآخرين وتخليص العالم الحر من شرورهم . ومن هنا كان الناس ينظرون اليهم على أنهم من المنقذين ، **وكانوا كلما اجتمعوا او اجتمع مندوبوهم لأمر من الأمور ، انتظر الناس ما ينتهون اليه من امر بفارغ الصبر . انهم في عرف الجميع الذين يملكون مقدرات العالم ، والذين يستطيعون توجيه العالم الى حيث تكون العواقب السليمة والنتائج المحمودة .**

وكان الى جانب هؤلاء الثلاثة الكبار ثلاثة آخرون **كنت اعدهم انا ، على اقل تقدير ، من الكبار . بل كنت اعتز بهم ، وافخر باعمالهم ، واراهم اقرب الى نفسي ، والى اهلي وعشيرتي من الأولين .**

كان هؤلاء الثلاثة نتاج البيئة المصرية الخالصة . **انتجهم الفكر المصري ، وانبتهم نباتا حسنا ، فاينعوا ، واثمروا ، وافادت الوطنية والقومية ، والفكر السياسي من مجهوداتهم .**

كان هؤلاء الثلاثة من أقدر المصريين على فهم الواقع المصري ، ومن أكثر المصريين شجاعة على

تحمل التبعات والمسئوليات . كانوا يجابهون الواقع ويقولون كلمة الحق في الوقت الذي يتهرب فيه الكثيرون من مجابهة الواقع وتحمل التبعات والمسئوليات .

كانوا يمارسون الحرية لأنهم احرار ، وينقدون السلطات الحاكمة لأنهم شجعان ، ويناضلون المستعمر ، ويدعونه الى الوقوف عند حده والخروج من ديارهم لأنهم مواطنون احرار .

هؤلاء الثلاثة هم : ابن البلد ، والمصري افندى ، وملحوس المصور .

لقد حزنت حزنا شديدا لاختفائهم من حياتنا، فلقد كنت انظر اليهم على انهم من رواد الفكر في كل قطاع من قطاعات الحياة .

لقد كنت أهتدى بهديهم في كثير من المسائل ، ولقد كانت الحقيقة تجرى على ألسنتهم في عبارة عامية ، أو في نكته لاذعه ، أو في مثل سائر ، فيعرف الناس جميعا الحقيقة ، ويدركون تفصيلات الموقف ، في الوقت الذي يغلف فيه غيرهم الحقيقة بأوراق فضية لامعة تجذب انتباه الناس وتصرفهم عن الحقيقة التي يجب أن يعرفها الناس .

لقد كان ملحوس المصور مثلا يقول كل ما يريد ، ويدرك عنه الناس ما يريد ـ دون خوف او وجل ودون نفاق او محاباه ـ يقول كل ذلك لانه ملحوس. اما غيره فيخشى ويخاف ، ويجامل وينافق ، ويصمت عن قول الحق ويكتم الشهادة . يفعل ذلك لانه عاقل ، ويتمثل لانه عاقل بالأمثلة المعروفة ـ من خاف سلم . وخليك عاقل . اتق غضبة السلطان . وما اشبه .

لقد أحببت هؤلاء الثلاثة ، ولقد حزنت حقا لاختفائهم من حياتنا الفكرية .

واليوم اعود واطالب بان يعودوا الينا سالمين غانمين .

اطالب بان تكون عودتهم في ثياب اخرى غير التي كانوا فيها من قبل . **ثياب تلائم مهامهم الجديدة ، ومسئولياتهم في هذا العصر الثورى .**

اطالب بأن يعودوا ليحدثوا تنمية ثقافية في مجتمعنا الريفي ـ ذلك المجتمع الذى لا يشعر باحتياجاته الا **ابن البلد ، والمصري افندى ، وملحوس المصور .**

اطالب بأن يعود ابن البلد في شكل مجلة أسبوعية تصدر كل يوم جمعة ، وتعالج مشكلات الريف وقضاياه ، وتحدث دورة فكرية فيما بين المدينة والقرية ، وفيما بين المجتمع القومي والمجتمع المحلى ، وتقرب المسافات الفكرية فيما بين المواطنين، **وتجعل الثقافة العربية القومية ارثا مشتركا لجميع المواطنين .**

واريد من هذه المجلة أن تكتب بأقلام أبناء الريف المقيمين في المدينة ، وبأقلام أبناء الريف الموجودين في الريف .

وأريد منها أن **تكشف عن حقيقة الحياة في المجتمع الريفى** ، وأن تقترح الأفكار الجديدة التي ترفع من مستوى هذه الحياة وتجعلها أقرب ما تكون الى الحضارة العلمية .

واريد منها أن تتلقى الأسئلة من المجتمع الريفى، وأن تدرك اهتمامات الناس في الريف عن طريق الأسئلة ، وأن تجعل الاجابة عن هذه الأسئلة هدفا من الأهداف التي تحقق التنمية الثقافية في هذه المجتمعات الريفية .

أريد من ابن البلد أن يدرك عمله في هذا المجال الحيوى على انه ابن البلد ، الذى يهمه ـ أكثر من غيره ـ أمر هذا البلد .

واريد من المصرى افندى ان يهبط الريف . يهبطه مثقفا عن طريق المسرح البسيط .

أريد منه أن يدرك أن الأراجوز من خير الوسائل التي تحدث التنمية الثقافية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية .

أريد منه أن يحمل مسرحه على ظهره ، وأن يطوف القرى ليعرض التمثيليات التي تكتب خصيصا للقرى .

ان أهالى الريف يخرجون الى مزارعهم في الصباح ولا يعودون اليها الا في المساء . ولا يبقى في القرية عادة الا النساء والأطفال ، والا العجزة ومن يعدون أنفسهم من الأعيان .

ان مسرح الأراجوز يستطيع ان يرفه عن هؤلاء ، وان يقدم لهم المسرحية الحية التي تعالج مشكلاتهم الخاصة ، والأغنية الطريفة التي تستطيع ان تقدم لهم قيمة فنية ، او قيمة ثقافية .

ان مسرح الأراجوز يستطيع أن يحدث دورة فكرية في القرية ويلقح المرأة والفتاة ، والرجل والطفل بالأفكار الجديدة .

ان الذين يشاهدون هذه التمثيليات التي تستغرق تمثيل الواحدة منها دقائق معدودات، يستطيعون حفظ ما ورد فيها عن ظهر قلب ، ويستطيعون قص ما ورد فيها على من لم يستمع اليها أو يشاهدها .

ان النساء والأطفال يساعدون مسرح الأراجوز في تلقيح الكبار ، من الرجال الذين يعملون في

المعقول ، على تحقيق كل ما يعمل من أجله من تنمية ثقافية ، ومعالجة مسائل اجتماعية .

يجب أن نتدبر في الأمر ، وأن نقذف بمسرح الأراجوز الى الريف ، وأن نعتمد عليه في تحقيق كثير من الأهداف .

ويبقى بعد ذلك الملحوس . انه رسول المجلة ومسرح الأراجوز الى السلطات الحاكمة ـ انه الذى يجب أن يقول كلمة الحق فيما يحق للمجلة والمسرح أو لابن البلد والمصرى أفندى من حق .

ان هذين يقومان بالعمل وهو الذى يتولى عمليات التخطيط وتجهيز الأموال ، ومجابهة السلطات فى كل أمر ذى بال .

انه لن يخشى أو يخاف ، وانه لن يجامل أو ينافق . انه سيكون أكثر من غيره شجاعة لأنه ملحوس ، ولأن غيره من العقلاء .

كلمات

ان الجهل حصن مزعوم لايلجأ للاحتماء به عاقل . أما العلم فهو حصن منيع يهب صاحبه قوة الايمان ، وقوة الدفاع ، وقوة الهجوم . وشتان بين الحصنين .

ليس من المجد فى شئ ان تولد من دم نبيل عندما تحيا حياة الأنذال .

لا ... لا ... ان الميلاد ليس بشيء ما دامت فضيلة النفس معدومه .

ليست العدالة الاجتماعيه مجرد تنازلات أو تعاون بين أصحاب العمل ينظمه تشريع اجتماعى لاحق وانما هى طرح جديد للمشكله ، انطلاقا من الاكثرية الساحقه ، ويهدف الى اقرار التعادل فى الحظ لكل البشر كى يحققوا ذواتهم بأن يضعوا انفسهم فى خدمة المجموع .

ان العدالة الاجتماعيه تهتم قبل كل شئ بحل مشاكل الجميع ـ لا مشاكل أقلية معينه .

ان تطوير الريف والعمل على ارتقائه يتطلب تعبئة الموارد المحليه من بشرية وماديه ـ ثم الاستفادة منها الى أقصى حد . وهذا بدوره يتطلب ضرورة اشراك الشعب فى منهج التطوير حتى يصبح تكوينه وتقويته من المسئوليات المباشره التى يتكفل بها ممثلو الشعب انفسهم ..

ومن ناحية أخرى فان مراكز الاعلام فى المنطقة تستطيع ان تصبح مصدرا نافعا لنشر بذور المعرفة، وخلق الجو الملائم للتعاون الشعبى .

وليس يكفى ان يكون مركز الاعلام عبارة عن غرفة للقراءة بجوارها مكتبه ـ وانما يجب أن يكون مركزا للنشاط الثقافى كله .

ان التغير المفاجئ فى نظام الحياة ثم عدم ادراك الناس فى الوقت نفسه لهذا الجديد ادراكا كاملا فى كل ابعاده ، يجعلهم يقبلون على هذا الجديد تحت الضرورة لكنهم فى واقع الامر انما يتعاملون معه دون معرفة فيسلكون حياله نفس السلوك القديم ، ويصبح من العسير عليهم فى مثل هذه الحالة ادراك العلاقات الجديده التى نشأت عن قيام الظواهر الحديثه .

ان هذا التطور الخاطئ للحقيقة الجديدة هو الذى يؤدى الى الأزمات النفسيه والخلقيه التى تزيد من التوترات فى المجتمع .

ان فلسفة العمل الوطنى يجب ان تصل الى جميع العاملين فى الوطن فى كافة المجالات . بل ويجب ان تصل اليهم بالطريقة الاكثر ملاءمة بالنسبة لكل منهم .

ان ذلك يكفل دائما ان يكون الفكر على اتصال بالتجربه ، وان سيكون الراى النظرى على اتصال بالتطبيق التجريبى .

ان الوضوح الفكرى اكبر ما يساعد على نجاح التجربة ، كما ان التجربة بدورها تزيد فى وضوح الفكر وتمنحه قوة وخصوبه تؤثر فى الواقع وتتأثر به ، ويكتسب العمل الوطنى من هذا التبادل الخلاق امكانيات اكبر لتحقيق النجاح .

وانه لمن الزم الامور هنا تشجيع الكلمة المكتوبه لتكون صلة بين الجميع يسهل حفظها للمستقبل ، كما أنها تستكمل حلقة هامه فى الصلة بين الفكرة والتجربه .

انه من الأمور اللازمة تشجيع كل المسئولين عن العمل الوطنى ان يكتبوا افكارهم لتكون امام المسئولين عن التنفيذ ، كذلك من الضرورى تشجيع كل القائمين بالتنفيذ ان يكتبوا ملاحظاتهم لتكون امام المسئولين عن التوجيه .

ان ذلك امرا لايمكن أن يترك للصدفة أو الارتجال وانما ينبغى تنظيمه . ان تنظيمه سوف يوفر للعمل الوطنى ذخيرة هائلة بغير حدود لآفاق الفكر ممتزجة بدقائق التنفيذ العملى . ان هذه الذخيرة سوف تسهم فى رفع رصيد الكفاية الوطنية وتعميم نطاق الاستفادة بها .

دكتور
محمد احمد خلف الله

نظام التسرى فى الإسلام

للدكتور على عبد الواحد وافى

نشر صديقى العالم البحاثة فضيلة الاستاذ الشيخ محمد محمد المدنى فى عدد الرسالة الصادر فى ٢ ابريل سنة ١٩٦٤ عن موضوع التسرى فى الاسلام مقالا لم يتح لى الاطلاع عليه الا بعد انوجه نظرى اليه احد طلبتى من كلية الشريعة فى اثناء محاضرة القيتها عليهم صباح اليوم فى هذا الموضوع، وقد راينا ان هذا المقال يشتمل على آراء خطيرة لا ينبغى أن تترك بدون مناقشة يستبين منها وجه الحق فيما ذكره صديقنا ، وان مرور اسبوعين او ثلاثة على نشرها لا يبرر السكوت عليها .

ذكر فضيلته ان المفسرين والفقهاء قد فهموا من قوله تعالى : « فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم » ، أن من خاف عدم العدل بين الزوجات فعليه الاقتصار على واحدة حرة او ما ملكت يمينه من الاماء يتخذهن سرارى يعاشرهن معاشرة الزوجات بدون تقيد بعقد ولا عدل ولا عدد — ولا يرتضى فضيلته هذا الفهم ذاهبا الى أن تشريعا فى امر كهذا هو صلة الرجل المشروعة بالمراة لا ينبغى ان يقوم على « اساس اهدار آدمية الاماء وان يباح للرجل الحر أن يجمع منهن ما شاء بدون تقيد بعدد ولا ملاحظة لحق » . ولذلك يذهب فى تأويل هذه الآية احد مذهبين سنناقش كليهما على حدة ، ثم نختم المقال ببيان الموقف الصحيح للاسلام من هذا النظام ، والاهداف السامية التى يرمى اليها من ورائه .

١ — المذهب الأول يتمثل فى راى اشار اليه الالوسى فى تفسيره لهذه الآية وذكره فى صيغة توحى بعدم صحته ، اذ جعله « زعما » لبعضهم ، وعقب عليه بما يدل على استبعاده ، وذلك اذ يقول : « وزعم بعضهم ان قوله تعالى أو ما ملكت ايمانكم معطوف على النساء ، اى فانكحوا ما طاب لكم من النساء او مما ملكت ايمانكم ، ولا يخفى بعده » ، (اى لا يخفى انه بعيد عن الصواب) . وبمقتضى هذا الراى يكون تركيب الآية : فتزوجوا ما طاب لكم من النساء الحرائر او مما ملكت ايمانكم مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتم الا تعدلوا فواحده ، ويكون معناها انه يجوز للرجال ان ينكحوا من النساء الحرائر او الاماء المملوكات ما طاب لهم فى حدود مثنى وثلاث ورباع وبشرط الاطمئنان الى عدم الجور ، فان خيف الجور وجب الاقتصار على واحدة حرة أو امة . وعلى هذا لا يكون فى الآيه حديث عن التسرى ، وانما يكون الحديث فيها عن النكاح العادى الذى يتم بعقد وايجاب وقبول — ومع ان الالوسى قد ذكر هذا الراى فى صيغه توحى بعدم صحته وعقب عليه بما يدل على استبعاده له، فان الاستاذ المدنى يجنح فى مقاله الى عدم استبعاده حتى يسلم له ما يريد ان يقرره وهو ان الاسلام لا يجيز التسرى على الوضع الذى يذهب اليه الفقهاء والمفسرون ، وانه لا يفرق بين الحرائر والاماء فى العقد ولا فى العدد ولا فى الحقوق ، وان الآية التى يستدلون بها على هذه التفرقة تؤول هذا التاويل .

وهذا الراى تأباه اللغة ويأباه الشرع معا .

اما ان اللغة تأباه فذلك ان الآية تكون بمقتضاه فى غاية الركاكة والاضطراب من ناحيتى التركيب والدلالة معا . فمن ناحية التركيب يكون ثمة فصل بين المعطوف والمعطوف عليه بشروط مسلطة عليهما معا لا على المعطوف عليه وحده . وذلك يجعل التركيب ركيكا خارجا على الاساليب السليمة فى التعبير . اذ المالوف فى اللغات انه فى مثل هذه الحالة تؤخر الشروط عن المعطوف والمعطوف عليه .

فلو كان الغرض ما يذهب اليه صاحب هذا الراى لصيغت الأحكام فى صيغة اخرى كان يقال : « فانكحوا ما طاب لكم من الحرائر أو مما ملكت ايمانكم مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة » ، ولو ورد تركيب الآية بالصورة التى نزلت بها فى حديث متحدث عادى مع قصد المعنى الذى يذكره صاحب هذا الراى لوصف هذا المتحدث بالعى والفهاهة والاضطراب فى عبارته . فكيف يتصور هذا فى كلام الله تعالى الذى اعجز العرب ببلاغته ؟! — ولا تقتصر الركاكة ، اذا اولت الآية هذا التأويل ، على تركيب عناصر الجملة فى العبارة،

بل تتجاوز ذلك الى دلالة المفردات . وذلك ان عطف « ما ملكت ايمانكم » على « النساء » يقتضي ان الاماء شيء آخر غير النساء ، اى من فصيلة اخرى غير فصيلة الآدميين ، لان العطف يقتضي المغايرة ، ولان هذا التاويل نفسه لا يستقيم الا اذا كانت ثمة مغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه . فلو كان الغرض ما يقوله صاحب هذا التاويل ما صح ان يقال « فانكحوا ما طاب لكم من النساء .. او ما ملكت ايمانكم » ، وانما كان يقال « فانكحوا ما طاب لكم من الحرائر او مما ملكت ايمانكم » ،

واما أن الشرع يابى هذا الراى فذلك ان الذى جنح اليه يريد أن يجعل الآية دالة على أن الاتصال بالاماء لا يجوز الا بعقد نكاح وبالشروط نفسها التى تجب مراعاتها فى الحرائر فيما يتعلق بالعدد والعدل بين الزوجات ، اى ان الاسلام لا يجيز التسرى كما فهمه الفقهاء والمفسرون، وهو اتصال المولى بجواريه، مع ان التسرى بهذا المعنى جائز فى الاسلام بالكتاب والسنة والاجماع . اما الكتاب فان فى القرآن الكريم — غير الآية التى نحن بصددها — آيات اخرى كثيرة صريحة فى جوازه ولا يمكن ان تؤول بمثل هذا التاويل ، منها قوله تعالى فى سورتى المؤمنين والمعارج فى وصف المؤمنين الخاصين : « والذين هم لفروجهم حافظون ، الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين » (آيتى ٥و٦ من سورة المؤمنين ، وآيتى ٢٩ ، ٣٠ من المعارج) فقرر أن المؤمن المخلص لا تثريب عليه ولا لوم اذا اتصل بزوجته المعقود عليها او بجاريته التى يملكها. فعطف فى الآيتين «ماملكت ايمانهم» على «ازواجهم» والاتصال بملك اليمين هو التسرى القائم بلا زواج. ولو كان الاتصال بالجارية لا يصح الا بعقد ، اى بعد أن تصبح زوجة ، بأن يعتقها سيدها ويتزوجها او يزوجها لآخر بعقد عادى ، كما يحتم صاحب هذا الراى الى الذهاب اليه، لاقتصر الله تعالى فى الآيتين على قوله « ازواجهم » . ومثل هذا يقال فى آيات اخرى كثيرة وردت فى هذا الموضوع نذكر منها قوله تعالى : « يا ايها النبى انا احللنا لك ازواجك اللاتى آتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك » (آية ٥٠ من سورة الاحزاب) . والمغايرة فى هذه الآية بين الزوجات المعقود عليهن والمدفوع صداقهن من جهة والسريات من جهة اخرى صريحة كل الصراحة . واما السنة فقد اجاز الرسول عليه الصلاة والسلام التسرى بعمله وقوله واقراره، فقد كان للرسول عليه السلام — بجانب زوجاته — سريات من ملك يمينه منهن مارية التى جاء منها بابنه ابراهيم والتى قال فيها : « اعتقها ولدها » اى انها لم تصبح مستحقة للحرية الا بعد أن جاء منها بولد على النحو الذى سنبينه فى احكام « أم الولد » فى الاسلام . وكان لمعظم الصحابة سريات بجانب زوجاتهم لا يتقيدون حيالهن بعقد ولا عدد ولا عدل فى القسم . وقد اقرهم الرسول عليه السلام على عملهم هذا — واما الاجماع فذلك انه قد اجمع الصحابة والتابعون وجميع فقهاء المسلمين من مذاهب السنة والشيعة والخوارج على جواز التسرى ، ولم يؤثر عن احد منهم خلاف فى ذلك فيما نعلم . بل ان الامام احمد بن حنبل — وهو بين ائمة الفقه والحديث — قد تسرى مع عدم حاجته الى التسرى . ولما سئل عما دعاه الى ذلك ذكر انه يؤثر ان يقتدى بالرسول عليه السلام فى جميع افعاله . فهو بذلك لا يذهب الى جواز التسرى فحسب ، بل يكاد يقول باستحبابه محاكاة للرسول عليه السلام .

والحكم الاسلامى فى امرما لا يؤخذ من تفسير متكلف لآية وردت فى صدده ، وانما يستمد من تفسير جميع الآيات التى نزلت بشانه تفسيرا سليما يتسق مع أسلوبها البليغ ومن ربطها بعضها ببعض ومن قول الرسول وعمله واقراره ومن اجماع ائمة المسلمين وفقهائهم .

واما المذهب الثانى الذى يجنح اليه الاستاذ المدنى فى تفسير آية النساء التى نناقشها فيتلخص فى انه يؤول كلمة « ما ملكت ايمانكم » الى معنى « ما تستطيعون » ، وبذلك يكون معنى الآية فان خفتم الا تعدلوا بين الزوجات فواحدة او ما تستطيعون العدل بينهن من الزوجات ، اى ان من لا يستطيع العدل بين ثلاث وجب عليه الاقتصار على اثنتين ، ومن لا يستطيع العدل بين اربع وجب عليه الاقتصار على ثلاث .

وهذا الراى تاباه اللغة وياباه الشرع كلاهما كذلك :

اما ان اللغة تأباه فذلك لان عبارة « ما ملكت اليمين » حينما تذكر فى سياق شئون الرجال او الاحكام الخاصة بالاحرار والعبيد يراد منها دائما الاماء بوجه خاص او الرقيق على العموم ، كما هو الشأن فى هذه الآية وغيرها من الآيات التى وردت فيها هذه العبارة فى هذا السياق . وحينما تذكر فى غير هذا السياق يراد بها جميع ما يملكه الانسان من مال ومتاع ، كقول الشاعر الحماسى ابى الغول الطهوى :

فدت نفسى وما ملكت يمينى
فوارس صدقت فيهم ظنونى

فوارس لا يملون المنايا
اذا دارت رحى الحرب الزبون

ولا يعبر ابدا فى اللغة العربية بملك اليمين عن الاستطاعة . وانما يعبر عن ذلك بكلمة اليد او اليدين ، ويأتى ذلك فى الغالب فى سياق النفى ، اى التعبير عن عدم الاستطاعة ، فيقام « مالى يد بذلك » أو « مالى به يدان » ، كقول الشاعر :

جعلت لعراف اليمامة حكمه
وعراف نجد ان هما شفيانى

فقالا ، شفاك الله ، والله ما لنا
بما حملت منك الضلوع يدان

واما ان الشرع يأباه فذلك ان الذى جنح اليه يريد ان يجعل الآية غير دالة دلالة قطعية على جواز التسرى ، ويخلص من ذلك الى انه غير مقطوع بجوازه فى الاسلام . وقد بينا فيما سبق تعارض ما يذهب اليه يريد أن يجعل الآية غير دالة دلالة قطعية علي جواز التسرى ، ويخلص من ذلك الى انه غير مقطوع بجوازه فى الاسلام . وقد بينا فيما سبق تعارض ما يذهب اليه هذا الراى مع الكتاب والسنة والاجماع .

بقى ان نبين الموقف الصحيح للاسلام حيال نظام التسرى والاهداف السامية التى يرمى اليها من وراء موقفه هذا ، حتى يظهر للاستاذ المدنى ان اباحة الاسلام للتسرى لا تنطوى — كما تبادر الى ذهنه والى اذهان كثيرين ممن عرضوا لهذا الموضوع من المستشرقين — على اهدار لآدمية الاماء ولا على تيسير لانطلاق الغرائز الحيوانية من عقالها وتحريرها من القيود التى قيدتها بها الحضارة ، وانما تهدف — على عكس ما تبادر الى اذهانهم — الى استكمال آدمية الجوارى وحماية هذه الآدمية والسمو بالاماء الى ارقى مستوى انسانى .

وذلك ان الاسلام قد ظهر فى عصر كان نظام الرق فيه دعامة ترتكز عليها جميع نواحى الحياة الاقتصادية وتعتمد عليها جميع فروع الانتاج فى مختلف امم العالم . فلم يكن من الاصلاح الاجتماعى فى شيء ان يحاول مشرع تحريمه تحريما باتا مرة واحدة ، لأن محاولة كهذه كان من شأنها ان تعرض اوامر المشرع للمخالفة والامتهان . واذا اتيح لهذا المشرع من وسائل القوة والقهر مايكفل به ارغام العالم على تنفيذ ما امر به ، فانه بذلك يعرض الحياة الاجتماعية والاقتصادية لهزة عنيفة ويؤدى تشريعه الى اضرار بالغة لا تقل فى سوء مغبتها عما تتعرض له حياتنا فى العصر الحاضر اذا الغى فى صورة فجائية نظام البنوك ، او حرم استخدام العمال وقضى على كل صاحب راس مال ان يعمل بيده ، او بطل استخدام السكك الحديدية او استخدام التجار ، فالرقيق كان نجار الآلة الاقتصادية فى تلك العصور .

لذلك اقر الاسلام الرق ، ولكنه اقره فى صورة تؤدى هى نفسها الى القضاء عليه بالتدريج ، بدون ان يحدث ذلك اى اثر سيىء فى نظام المجتمع الانسانى ، بل بدون ان يشعر احد بتغير فى مجرى الحياة ، والوسيلة التى ارتضاها للوصول الى هذه الغاية من احكم الوسائل وابلغها اثرا واصدقها نتيجة . وهى تتلخص فى العمل على تضييق الروافد التى كانت تمد الرق وتغذيه وتكفل بقاءه ، وعلى توسيع المنافذ التى تؤدى الى العتق والتحرير ، وبذلك اصبح الرق اشبه شيء بجدول كثرت مصباته ، وانقطعت عنه منابعه التى يستمد منها الماء ، وخليق بجدول هذا شأنه أن يكون مصيره الى الجفاف . وبذلك كفل الاسلام القضاء على الرق فى صورة سلمية هادئة ، واتاح للعالم فترة للانتقال يتخلص فيها شيئا فشيئا من هذا النظام .

وقد كان من روافد الرق انتقاله بطريق الوراثة

الى من تلده الامة ، فقد كان من المقرر عند جميع الأمم التى اخذت بهذا النظام ان الولد يتبع امه رقا وحرية ، بقطع النظر عن حالة ابيه ، فولد الامة كان يولد رقيقا مملوكا لسيدها ، ولو كان ابوه حرا ، ولو كان ابوه السيد نفسه . وقد كان هذا الرافد من اهم روافد الرق ، بل كان اهمها جميعا ، واشدها اثرا فى صيانة هذا النظام والابقاء عليه ، وتخليده على مر العصور والأجيال ، حتى بعد انقطاع موارده الاخرى جميعا .

فعمد الاسلام الى هذا الرافد فوجهه توجيها يؤدى فى النهاية الى جفافه بعد امد غير طويل ، حتى ينتهى بانتهائه نظام الرق نفسه ، او تتقوض بتقوضه دعامة هامة من الدعائم التى يعتمد عليها الرق فى بقائه . فاباح للسيد أن يتسرى جواريه كما كان الشأن من قبل الاسلام فى جميع الشرائع التى اباحت الرق ، ولكن الاسلام خالف هذه الشرائع فى النتائج الاجتماعية الخطيرة التى رتبها على هذا التسرى . وذلك انه قرر ان الجارية اذا تسراها سيدها فجاءت منه بولد ، ذكرا كان او انثى ، فان هذا الولد يولد حرا ، وان الجارية نفسها التى تأتى بولد من سيدها تزول عنها صفة الرق زوالا تاما وتصبح حرة بمجرد موت سيدها ، وان ملكية السيد لها فى اثناء حياته ملكية مقيدة ضعيفة ، فلا يجوز له ان يبيعها ولا ان يهبها ولا ان يتصرف فيها اى تصرف من شأنه ان يعوق تحريرها . ويأخذ حكمها فى جميع هذه الأمور من تجىء به من غير سيدها ، اذا زوجها سيدها بآخر بعد ان جاء منها بولد . فان من تجىء به من هذا الزوج يعتق بمجرد موت سيدها كما تعتق هى بمجرد موته .

ومن هذا يتبين أن معاشرة السيد لجاريته تؤدى فى الاسلام الى حريتها هى وحرية جميع نسلها الى يوم القيامة . واذا لاحظنا ان معظم اولاد الجوارى كانوا يأتون من معاشرة الأسياد لهن ، لأن الاغنياء ما كانوا يقتنون الجوارى الا لمتعهم الخاصة ، ظهر لنا ان النتائج الخطيرة التى رتبها الاسلام على هذه المعاشرة ، وانفرد بها من بين جميع الشرائع التى اقرت الرق ، كان من شأنها ان تؤدى بعد أمد غير طويل الى جفاف اهم رافد من روافد الرق ونضوب معينه ، فينتهى بانتهائه نظام الرق نفسه او تتقوض بتقوضه دعامة هامة من الدعائم التى كان يعتمد عليها الرق فى بقائه .

فالاسلام قد اباح اذن للموالى أن يعاشروا من ملكت ايمانهم ليكون ذلك وسيلة الى تحرير العبيد وعتق الرقاب . وقد استغل الاسلام فى ذلك ميول الغريزة للقضاء على روافد الرق واشاعة الحرية بين الناس .

ولكى يتحقق هذا الغرض الانسانى النبيل على اتم صورة واكمل وجه ، أجاز الاسلام ان يتسرى السيد جواريه بدون تقيد بعقد ولابعدد . فلم يقيده بتعاقد ولا بايجاب وقبول ، لأن وسيلة تؤدى الى حرية الجارية وحرية جميع نسلها الى يوم القيامه لا يصح أن تتوقف على رأيها ولا على قبولها ، بل ينبغى ان تذلل سبلها وتنتهز بمجرد اقدام السيد عليها . ولم يقيده الاسلام بعدد ، بل أجاز للسيد ان يتسرى كل من يرغب التسرى بهن من جواريه بالغا ما بلغ عددهن ، لأن وسيلة تؤدى الى حرية الجوارى واتصال نسب اولادهن بالسيد وحرية جميع نسلهن الى يوم القيامة لا يصح أن تقيد بعدد ، لان تقييدها بذلك معناه تقييد منافذ الحرية والابقاء على روافد الرق ، بل انه مما يتسق مع الفرض النبيل الذى يرمى اليه الاسلام الا تدخر وسيلة لاغراء الاسياد باتخاذ السرارى والاكثار من عددهن ، حتى تشمل نعمة الحرية اكبر عدد ممكن ولكى يقضى على الرق فى اقصر وقت مستطاع .

دكتور على عبد الواحد وافى

مع شعراء الرفض

للدكتور أحمد كمال زكي

عملية البحث عن المضمون عند اى فنان تضع ايدينا من غير شك على المعنى الحقيقى لوجوده ، فاذا تكلمنا عن الشاعر الذى تخلى عن الاطار العمودى للقصيدة ـ فاننا نعنى بضمونه شيئا غير الذى يعنيه النقاد التقليديون ، وكذلك نعنى ان المعنى الحقيقى لوجوده ليس فى « التقليديات » الفنية التى اصبحت لا تدل على موقف واضح بمقدار ما تدل على تلاش فى «شخصيات» عاشت دورها ولا يلائمها اليوم روح العصر .

المضمون عند هذا الشاعر يختلف عن مضمون الامس ، لان تجربة اليوم لا يمكن ان تكون هى نفسها تجربة الماضى ، ولان اسلوب المعالجة الفنية اما توزع بين الوزن بالتفعيلة الواحدة ـ وليس بنظام العروض ـ وبين مزج القضية الاجتماعية بالجمالية الادبية . بمعنى ان اى شاعر محدث وقد استقام عوده لم يعد يصطنع الانماط اللغوية والصور الادبية التى اجمع البلاغيون على تقديمها ، وانما راح يشكل افكاره على النحو الذى ترتضيه ارتباطاته بمفهوم الادب كفن قولى جميل .

ان المسافة بعيدة بين المقياسين ، وعلى قدر هذا البعد نصدم غالبا من جانبنا عند ملاحظة ان ثمة محاولات للمساس بمعنى الحياة بدعوى تقييمها او استبطانها او حتى تحديد ملامحها الخارجية . ولقد يمكن ان نتجاوب بسهولة او نتعاطف مع فريق من الشعراء يكتفون بالاحتجاج ولا ينشدون التدمير ، الا اننا نظل بعد ذلك مرتبطين بالمدمرين على الاقل لنجيب عن مثل الأسئلة التالية :

ماذا يريد هؤلاء على الحقيقة ؟

اهم مخلصون ؟

ولماذا تمتد رؤيتهم الفنية الى ما يفجع ويروع ؟

نحن نسلم بادىء ذى بدء بان الفنان الكبير هو وحده من يجرؤ على المخالفة ، لانه بشقاقه مع «اللحن» يتطلع الى يوطوبيا خاصة يبلورها مضمونه الذى يصدر عنه فى كل اعماله ، ولكن المخالفة لا تعنى الاطاحة بكل القيم اعنى باقدس القيم ، اذ لا يفتا كل كبير يرتبط بالروح العام وباغلب التقاليد التى ينبغى ان تصان .

ومن هذه الزاوية يمكن ان نزن المضمون عند طائفة المدمرين الذين دابوا على ان يصدمونا ودابنا نحن على مواجهتهم بالدهش حينا وباللوم حينا آخر وبالرثاء فى اغلب الأحيان . الا ان الظاهرة الفذة ان هؤلاء ـ بلا استثناء تقريبا ـ ينتمون الى دعاة الشعوبية من اشوريين وفينيقيين وفراعنة ، ويؤكد بعضهم ولاءه لبعض المبادىء التى يرفضها المجتمع العربى ويروج لها واحد كعبد الوهاب البياتى او آخر كسعدى يوسف . واولاء واولئك يعزفون على الوتر الذى يوقع عليه المتحررون من النظام العروضى المتوارث ، وان يكن فيهم من ينظم القصيدة النثرية التى لا اظن انها تنتمى الى جنس الشعر باية صفة .

لسنا احرارا فى ان نستثنى ـ بناء على القاعدة السابقة ـ اى شاعر مهما يكن دوره فى الحياة الادبية المعاصرة . وعلى احمد سعيد او (ادونيس) السورى المهاجر الجوال ، نموذج لما نريد مع تسليمنا بطاقاته الكبيرة كشاعر حطم الاطار التقليدى للقصيدة العربية واستبدل به اطارا اودعه الاحتجاج الصارخ على وطاة الحضارة الميتة فى غنائية متحررة وان تكن اصيلة .

اجل لسنا احرارا فى ان نستثنيه ، فهو فى رأيى اخطر المحدثين ممن انتموا الى قوميات لم يعد لها فى اتون الاحداث الا دخان الحريق . وهو من ناحية اخرى يشترك مع سعيد عقل فى تفهم جوهر اللغة حتى ليجد بسهولة العبارات التى تضيعه فى مغاور الكبريت وسحائب البخور او تشد قامته حتى يتكىء على الريح ويغسل الضياء ويتخذ من الغيوم دفاتره !

ومنذ اطلق على نفسه ادونيس وهو يغنى لتموز، ويبشر باليوطوبيا التموزية جاعلا نفسه امته وبلاده التى بعثت الحضارات الاولى .

ان فى القبر بعض نفسى وفى
الآخر شرطا ومنبعا لوجودى

انا فيض من امتى وعتيق
مر فى كونها العتيق الجـديد

ولم يمنعه هذا الفناء او الاتحاد من أن يغنى بعد ذلك فى «فينيق» وجاء غناؤه هذا بعد اعلان الوحدة بين مصر وسوريا، اذ سافر الى بيروت والتقى مع القوميين السوريين معلنا انه يريد امتلاك الحياة مباشرة — فى المضمون فقط — وذلك عندما اعلن فى قصيدته «الفراغ» وهى من البحر المتقارب،ان الفراغ ابعد عنه شمس المصير واهال عليه التراب ثم مرغ الناس ونقشهم فى الملل.ومن هنا كان لابد من الاعتراف بأن العقم قد تسرب الى الاعماق، ولكن ليس الى حد العـدم الأبدى، اذ ان هنـاك صحوة يمكن ان تملأ هذا الفراغ الرهيب . ولكنه للأسف يتخلى عن هذا البصبص الضئيل من الامل، فتمتلىء دواوينه بعد بالشك العاتى الذى يجتـاح كل شىء .

على ان ديوانه الثالث «اغانى مهيار الدمشقى» الذى لا يخلو من قصائد نشرت فى ديوانيه الاولين يعتبر اخطر وثيقة تدينه بالرفض وبكفر الحيـاة التى يبشر بها كل من تموز وفينيق . ونسـتطيع بكل بسـاطة ان نلمح فى المقدمات النثرية الاجـزاء هذا الديوان — وهى تؤكد الايقاع العضوى الذى اشرنا اليه من قبل — انه يحاول جعـل عبـاراته رياضة صوفية بعد ان جاوز مرحلة الاستشـهاد التموزى والتحم بالكون التحـاما لا سـبيل الى الفكاك منه .

وكالايماجيين تمـاما كان دائمـا فى حاجة الى اللجـوء الى الاغـريق والشرق الاقصى، ورأى فى بعض الشخصيات التاريخية دعائم لتأكيـد صراع جـديد يتمثـل فى رفض البنـاء الوحدوى الذى شيدته الارادة العربية الصـادقة . رأى فى ابى نواس والحلاج وبشـار بن برد — وكلهم متهم امام الانسـان العربى — نقط انطلاق لثورته فرثاهم، ثم رأى فى مهيار الديلمى رفيقـه الجـديد، أو الروح الذى يواجه به تحدى العرب فى كل مكان، فتقمصـه جاعلا منه فارس الكلمات الغريبـة الذى يخـونه عاشقوه ويضيع :

مهيار وجه خانه عاشقوه

مهيار اجراس بلا رنين

مهيار مكتوب على الوجوه

اغنية تزورنا خلسـة

فى طرق بيضاء منفيه

مهيار ناقوس من التائهين

فى هذه الارض الجليلة !

وبظهور مهيار على راس الشعوبيين الذين رثاهم على احمد سـعيد يكون قد وضـع تجربته فى دائرة واسعة من الانفعـالات والعواطف العـارمة، ولم يتورع عن التصريح بانه قد تقهقر فليس الا من أجل «تحقيق» ارادته، وهذه الارادة تخرج على ارادة الله والشيطان معا .

من أنت من تختار يا مهيار

انى اتجهت الله او هاوية الشيطان

هاوية تذهب او هاوية تجىء

والعالم اختيار

— لا الله اختار ولا الشيطان

كلاهما جدار

كلاهما يغلق لى عينى !

لقد تعلم على احمد سعيد أن الكلمات مملكته وان اغنياته للرفض خبزه، ومع ذلك فقـد كان يطمع أن يتملك شيئا حتى وان يكن الرياح وان يكن الخطيئة وان يكن الغبار أو البرق اوالصاعقة. وتدل قصائده «صوت آخـر» و «صـوت» و «الضياع» و «أرض السـحر» و «اليوم لى لفتى» و «مرآة الحجر» و «الاشياء» و «وطن» و «المدينة» .. تدل هذه القصائد على الرغبـة الملحة فى الظفر بالملكوت، ويبدو ان الموجود الذى جاهد ليفقد نفسـه فيه كان الكلية غـير الظاهـرة للكون فيما وراء مجرى الحيـاة الذى يضـطرب باعدائه وخصومه . ولكن الحقيقة انه لم يصل الى حل يرتضيه لمشكلاته، لسـبب بسـيط هو انه فارق اهله على غير ايديولوجية محـددة، فقط لم يعـد يؤمن كما كان يؤمن فى الطور التموزى باعادة بناء النفس من حيث هى فرد ومواطن معا !

اجل فارق دمشق فى سنوات الوحدة على هذا النحو ، ثم جمع شتيت الازمة فى اغنيات يرثى بها الموقف الذى وقفته بلاده من الوضع الجديد . وعندما ارتحل أعلن فى منفاه – بيروت – وعيده ونبوءاته ، غير ان هذا لم يكن اكثر من عويل او صراخ موتور . وبدا موقفه بصفة عامة سلبيا اكثر من ان يكون ايجابيا ، ميتافيزيقيا اكثر من ان يكون تحقيقيا ، ومن ثم ضاع كل شيء فى الهواء . وكان دليل ضياعه فى آخر الامر اعلانه رفض الرفض ، اعنى اعلانه تخليه عن تشكيكه فى موقف العرب من قضية الوحدة بكل قضاياها على الصعيدين القومى والانسانى .

الجديدة بالموت. حقا يتساوى فينيق أسطوريا فى الموت مع تموز روحه الأول – فكلاهما يتجدد بعد ان يتبدد وكلاهما تبتعث بنهايته البداية – الا ان الانتقال فى حد ذاته دليل صبا او دليل قلق، وهذا القلق هو الذى يطبع ديوانه الأخير « اغانى مهيار الدمشقى »

والديوان فى حد ذاته صورة ثانية او صورة ثالثة لتحولات الشاعر ، اذ على الرغم من صلاته الى فينيق كى يولد البطل المنقذ .

نيراننا جامحة الاوار كى يولد فينا بطل
مدينة جديدة

فانه يدعى « مهيار » الشعوبى ويذوب فيه ، وكأنه لم يبشر قط بتموز ولا بالفينيق المسيح الذى يذهب من اجل خلاص البشر ! وهكذا نحار بين هذه الوجوه ، حتى ليخيل الينا ان الشاعر لاينى يبحث عن النموذج . فاذا اضفنا الى ذلك انه اعلن فى مصر مؤخرا خروجه على تبعيته المشبوهة وانه عاد الى حظيرة العرب بنشر اشعارهم القديمة فى اطار جذاب من الفهم المعاصر ، وضعنا الرتوش الاخيرة لشخصيته الملول المحيرة المضطربة الملامح . ومع كل ذلك ، فاننا نستطيع بسهولة ان نكشف عن المعنى الحقيقى لوجوده من خلال تتبعنا لمضمونه فى مختلف الحالات التى بسطناها ، وهذا ماسنأخذ به انفسنا الى نهاية المقال .

ونبدأ بالحديث عن « قالت الارض » التى عاش فيها الشاعر منذ ١٩٤٩ المصير التموزى بكل ابعاده، وكانت صرخته فيها بلسان الارض التى هى أم الاشياء جميعا .

انا كنز مخبأ ابن ابنائى
فكلى صوت وكلى حناجر

ضرورة يحتاج اليها ما كان يرى ان «الوضع» الاجتماعى قد شاخ وانه لا بد ان يستبدل جديد به . والحق ان فى المجتمع نفسه طاقة وان تكن خامدة ، وتتساوق تلك الطاقة مع اليقظة المتوقعة التى تشكل الانتفاض الجديد . فاذا « اورق اليبس » و « حيا الميت » و «استفاق التراب» فلأن هذه سنة الوجود على ان يكون ثمة عراك يصير فيه الاسلاف أحفادا بدينامية تتحكم فيها هندسية مريدة وتقنين محتم !

وعلى الرغم من ان المصير التموزى لا يقترن أسطوريا بالدم الا حين يصرع الاله القديم ، فان الشاعر ينحرف بتلقائيته وسماحته ليضع يوطوبياه كلها بذلك الدم ويذوب تموز من ثم فى كل شيء ذوب .

دم يخصب الحياة فلا
ينبت الا حق وبالا جمال

ولقد يمكن ان يقال ان الدم فى مجالات التضحية الوطنية يحول التاريخ تحوله الخطير ؛ ولكن يقال ايضا انه بالصورة التى برز بها عند ادونيس كان فوق المحتمل بحيث أصبح مثيرا للرعب اكثر من حضه على الاستشهاد العادل المنشود . ويبدو انه كان غير مؤمن بجدوى تموز ؛ لانه راح فى الوقت نفسه أو بعده بقليل يندد بالحياة . ولم يعد يرى الخصب ولا الجمال ولا النشوة ولا الفرح ، وانما كان أمامه السواد المطلق واليباب الذى لا يصنع شيئا . وظهر بوضوح أن خمسينات القرن – وكانت مليئة بالاحداث التى هزت ضمير العرب فى كل مكان – لم يكن لها فى نفسه اكثر من احساس مرير بالانكسار . وفى هذه الآونة ايضا مال الى اصطناع « الايماجية » التى صدر بها عزرا باوند وتابعه فيها اليوت وسائر شعراء النكسة ، وقد نجح نجاحا هائلا فى خلق ثورة فى القصيدة العربية عن طريق «النظم» المرسل الذى يقوم على التفعيلة والاتكاء على التسلسل الوجدانى لا التسلسل

المنطقى داخل مقطعات قصيرة مليئة بالكنايات والرموز .

ونستطيع ان نزعم انه اقتبس اخيلة « الارض الخراب » اقتباسا واضحا ، وراح من ثم يغنى للعدم والرفض والملل فى كل من ديوانيه « قصائد اولى » و «اوراق فى الريح» . وفى ديوانه « اغانى مهيار الدمشقى » الذى احيا فيه عبادة الكلمة وجعل اللغة رؤى اسطورية – وليس مجرد رمز فكرى – نراه يميل كاليوت الى صاحب اللعنة على حياة العصر مع الاقتصاد فى العرض واستعمال ما يسمى بالايقاع العضوى

فى الوقت الذى يلزم نفسه فيه بالتفعيلة كاساس كمى للنغم .

وكان قد سبق هذه الدواوين محاولة اليوتية ولكن أهو صادق فى اعلانه ذاك ؟

نحن لا يعنينا صدقه ولا كذبه ، فلكل رأيه ودينه وفلسفته وادراكه الخاص للحياة ، ولكل عينه التى يرى بها العالم رؤية المكتشف سواء أكانت هذه العين عين كوكلوبس أم عين بروميثيوس ، وسواء اجعل من العين نفسها مدى الى شر ام مدى الى خير . ولكننا نؤثر ان ننبه الى ان اضطراب تجربته الشعرية على ذلك النحو الذى رأينا يجعلنا نتوقع منه صدمات أخر ، وينبئنا من ناحية اخرى بأن لشخصية الشاعر جذورا بعيدة فى أرض التمرد حيث الوحدة الحقيقية مع ماديات الارض وحاجاتها الرخيصة ، لا حيث الوحدة الصوفية التى ظهرت فى ضوء المصير التموزى !

ومع ذلك فقد لا يكون فضولا أن نزعم ان على احمد سعيد لم يصدق فى توبته ، لان الحدة التى طبع بها اشعاره تتعارض مع التخلى المطلق عن كل الاسس التى اقام عليها معنى حياته او فلسفة موقفه ، ولعلنا فى غد قادرون على ان نحكم عليه الحكم الاخير .

دكتور أحمد زكى

محافظة الاسكندرية

مديرية الشئون الصحية

تعلن منطقة اسكندرية الطبية عن شغل وظائف خالية من الدرجة الثامنة الفنية لوظيفة ملاحظ صحى بالشروط التالية:

١ – ان يكون المتقدم له المام تام بالقراءة والكتابة .   ٢ – أن يكون له خبرة فى الوظيفة المعلن عنها لا تقل عن سبع
سنوات باحدى الهيئات الحكومية .   ٣ – أن يكون مستوفيا لشروط التعيين الواردة بالقانون رقم
٢١٠ لسنة ١٩٥١ الخاص بنظام موظفى الدولة والقوانين   المعدلة والمكملة له ولائحته التنفيذية – مع تطبيق المادة
(٨٢) من القانون رقم ١٢٤ لسنة ١٩٦٠ الخاص بنظام   الادارة المحلية .
وان يقدم مع الطلب :   ١ – شهادة العائلة (احدى الشهادات المنصوص عليها فى المادة
٦٤ من القانون رقم ٥٥٥ لسنة ١٩٥٥ .   ٢ – شهادة حسن سير وسلوك .
٣ – شهادة الجنسية العربية .   ٤ – صحيفة الحالة الاجنائية .
٥ – صورة البطاقة الشخصية او العائلية .   ٦ – ٥ عدد صور فوتوغرافية مقاس ٤ × ٦ .

وسيعقد امتحان « تحريرى وشخصى » لاختيار افضل المرشحين ويكون التعيين وفقا لاسبقية النجاح وسيخطر المتقدمين بخطابات مسجلة لتحديد مكان الامتحان وتاريخه .   فعلى من يرغب التعيين فى احدى هذه الوظائف ان يتقدم بطلب على الاستمارة ١٦٧ ع٠ح برسم السيد / محافظ الاسكندرية (المراقبة العامة لشئون الموظفين والعمال) فى ميعاد غايته ظهر يوم الخميس الموافق ١٨ /٦/١٩٦٤ ويشترط لقبول الطلبات اداء رسم قدره خمسون قرشا يسدد لخزانة المحافظة ولا يجوز استرداده باى حال من الاحوال .   وتقدم طلبات الموظفين شخصيا ايضا مشفوعة بموافقة المصالح التى يعملون بها . ويلزم ان يكون الطلب مصحوبا بشهادة تثبت مدة الخبرة الفنية .

هذا ولن يلتفت الى الطلبات السابق تقديمها قبل هذا الاعلان والتى تقدم بعد التاريخ المحدد او التى لم تستوف الشروط المشار اليها .

الإسلام والروم في عهد الرسول عليه السلام

للدكتور طه الحاجري

فاما زيد بن حارثة فهو مولى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وربيبه ، ومن احب الناس اليه والزهم عنده . كان الرسول يقول له : يا زيد ، انت مولاى ، ومنى والى ، واحب القوم الى . وكان في نحو الخمسين من عمره حين خرج في هذه الغزوة .

واما جعفر بن ابى طالب فهو ابن عم الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، ومن اول الناس اسلاما ، ومن مهاجرى الحبشة . وكان قريب عهد بالعودة منها حين اختاره الرسول اميرا على جيش مؤتة ، كما كان ما يزال اذ ذاك شابا لم يبلغ الاربعين من عمره .

واما عبد الله بن رواحة فانصارى خزرجى ، من اول الانصار اسلاما . كان ممن بايع الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، في بيعة العقبة الثانية ، كما كان احد النقباء الذين اختيروا منهم لينشروا الدعوة بين قومهم ويعلموهم مبادىء هذا الدين واصوله . وكان احد شعراء الرسول الثلاثة ، واحد كتاب وحيه ، ولم يفته مشهد من مشاهد الاسلام الى ان اختاره الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، اميرا في ذلك الجيش .

اخذ الجيش سبيله الى الشام . وكان القوم يواجهون تجربة جديدة لا عهد لهم بها من قبل : ان يحاربوا في تلك الارض ، وان يقاتلوا جيش الروم . وجدير بمثل هذه التجربة ان تاخذ القلوب بالوان من الرهبة والتوجس ، لولا ما كان يعمرها من ايمان غامر ويقين قوى ورغبة مسيطرة في نشر دين الله او الاستشهاد في سبيل الله ، مما جعل الجيش يمضي قدما ، واثقا من النصر الذى عوده الله ، مطمئنا الى الخير الذى قدره الله .

ويظهر ان انباء هذا الجيش لم تلبث ان سبقته الى حيث كان هرقل واخوه تيودور وقواده وبطارقته ، فلم يصغروا من شانه ، وانما جعلوا يعدون له ويتهياون لمنازلته ، فما ان بلغ المسلمون « معان » ، على طرف بادية الشام ، حتى جعلت الانباء تترامى اليهم ان هرقلا قد جمع لهم ، وانه معسكر في « مآب » من ارض البلقاء ، في جيش زاخر يقوده بنفسه ، يتالف من مائة الف من الروم ، ومائة الف من قبائل العرب التى تدين له وتخضع لسلطانه ، كلخم وجذام وبهراء وبلى والقين .

وسواء كانت هذه الانباء صحيحة ام مبالغا فيها ، فقد احدثت اثرها في نفوس المسلمين ، فاضطربوا قليلا ، وتوقفوا في معان ليلتين يفكرون في موقفهم ، ويحاولون ان يدبروا امرهم. وقال قائل منهم : « نرجع الى رسول الله ، فنكتب اليه بامرنا ، ونخبره بعدد عدونا ، فاما ان يمدنا بالرجال ، واما ان يامرنا بامر فنمضي له » . ولكن عبد الله بن رواحة راى في مثل هذه الاقوال بوادر هزيمة تدسس الى نفوس القوم على غرة منهم ، وتوشك ان تفعل فعلها وتترك اثرها ، فتوهن العقدة الوثيقة وتفت في اعضادهم ، فلم يلبث ان نهض في القوم يرد عنهم عوامل التردد ، وينفى عنهم اسباب الهزيمة ، ويقضي على ما عسى ان يحيك في الصدور ويعبث بالضمائر ، فجعل يقول لهم :

« يا قوم ، والله ان التى تكرهون للتى خرجتم تطلبون : الشهادة . وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة . مانقاتلهم الا بهذا الدين الذى اكرمنا الله به ، فانطلقوا ، فانما هى احدى الحسنيين : اما ظهور واما شهادة » .

وبمثل ذلك استطاع عبد الله بن رواحة ان يذكر الجيش بحقيقته ، ويثير فيه المعانى التى اقرها الاسلام في نفوس اتباعه ، ويبدد عنه غواشي الرهبة ، كما استطاع بذلك ان يلهب حماسته ، ويدفعه في سبيله الى لقاء الروم .

والتقى الفريقان : المسلمون والروم ، عند تخوم البلقاء ، فانحاز المسلمون الى قرية «مؤتة» التى سميت الموقعة باسمها. راوا انها اصلح موقع لهم في الحرب ، وفيها تعباوا ونظموا صفوفهم بازاء ذلك الجيش اللجب بعدته وعدده ، وما كان الا الايمان وحده الذى جعل جيشا لا يتجاوز الثلاثة الالاف يقف بازاء جيش يفوقه اضعافا مضاعفة .

وتقدم الجيش قائده الاول ، وفي يمينه الراية ، وملء قلبه ايمان واستبسال ، ولكن رماح العدو لم تلبث ان اخذته من كل جانب ، فاذا به يقع قتيلا .

ولكن استشهاد زيد بهذه السرعة وفي هذه الصورة ، مر كانه شيء عادى في غمرة الحماسة التى كانت تغمر نفوس المسلمين وتلهب مشاعرهم ، فلم يجد الفزع سبيلا اليها ، وانما سارت الامور كما رسمها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فتلقى الراية جعفر بن ابى طالب ، وتولى القيادة ، ومضى مقاتلا ، والمسلمون من ورائه يقاتلون ، حتى اذا التحم القتال ، واحاط العدو به من كل جانب ، اقتحم عن فرسه فعقرها ، حتى لاينتفع بها العدو ، وكانت اول فرس عقرت في الاسلام ، ثم اندفع راجلا يقاتل اعنف القتال ، ويحاول ان يتجنب الضربات المسددة اليه من هنا وهنا ، ولكنه لم يستطع اخيرا ان يمنع ضربة

سيف اطاحت بيده ، فتناول الراية بيسراه ، ومضى يقاتل ويلهب قلوب المسلمين حمية ، حتى أتيحت ليده اليسرى ضربة سيف اطاحت بها ايضا ، ولم يلبث ان استشهد ، وهو يرتجز بهذه القطعة :

يا حبذا الجنة واقترابها
طيبة وبارد شرابها
والروم روم قد دنا عذابها
كافرة بعيدة انسابها
على اذ لاقيتها ضرابها

وبذلك انتهى الدور الى عبد الله بن رواحة ، فتقدم الى الراية يمسكها بيمينه . وكان من الطبيعي ان تترك هذه المشاهد العصيبة المتلاحقة اثرها في نفسه ، وهو يتقدم الجيش، فيخالجه بعض التردد . ولكن ما اسرع ما دفع نفسه وحمل عليها ، واخذ يقول لها :

اقسمت يا نفس لتنزلنه
لتنزلن او لتكرهنه
ان اجلب الناس وشدوا الرنه
مالى اراك تكرهين الجنة
قد طالما قد كنت مطمئنة
هل انت الا نطفة في شنة
يا نفس الا تقتلى تموتى
هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت
ان تفعلى فعلهما هديت

واطمأنت نفسه ، واقتحم المعركة مستبسلا ، حتى غلب على امره ، ولحق بصاحبيه .

وانتهت بذلك المرحلة الاولى في هذه المعركة التى امتحن المسلمون فيها امتحانا عسرا . فماذا هم صانعون بعد ؟ أيتركون اللواء يسقط في ايدى اعدائهم ، ويلقون السلم اليهم ؟ تلك كانت كبيرة الكبائر ، مهما يكن من امر هذه المعركة غير المتكافئة .

وهكذا صار اللواء في يد رجل انصارى يدعى ثابت بن اقرم ، وجعل يصيح في الجيش : « يا معشر المسلمين ، اصطلحوا على رجل منكم » ، فعرضوا عليه أن يكون ذلك الرجل ، فأبى. فما أخذ اللواء الا انقاذا للموقف ، ريثما تدبر جيش المسلمين امره ، فاصطلحوا على خالد بن الوليد ، واسلموه قيادة الجيش . وكانوا يعرفونه قائدا محنكا ، ومقاتلا بارعا ، مارس الحرب وقيادة الجيوش . وكانت هذه اول مرة يحارب فيها في صفوف المسلمين ، اما قبل ذلك فكان يحارب ضدهم ، وقد بلوا منه في هذه الحروب شدة المراس وقوة البأس وسعة الحيلة .

تسلم خالد القيادة ، والموقف غاية في الحرج . ولكنه كان قد دبر في نفسه امرا ، واحكم خطته بان يجعل قتاله نوعا من المناوشات الخفيفة ، يشغل بها عدوه ، ويبقى بها على معنويات اصحابه ، حتى ينتهى النهار ويقبل الليل ، وينصرف كل جيش الى نفسه .

وكذلك تم له الامر على ما قدر . حتى اذا اصبح الصباح كان قد وضع في مؤخرة الجيش جماعة من الجند جعلهم في خط طويل ، وقد اخذوا يضجون ويتصايحون ، حتى يقع في الوهم انهم عدد كبير . وكان ذلك جزءا من خطة الانسحاب المنظم التى وضعها .

استيقظ جيش الروم على هذا المشهد وتلك الاصوات المرتفعة المختلطة ، فلم يشك في انذلك مددا أمد به المسلمون. وقد كان يحسب انه فرغ منذ الامس من امرهم ، ولم تبق الا جولة يقضى فيها عليهم ، وهم قد عنوه على قلتهم وكلفوه جهدا غير قليل ، فماذا عسى ان يكون امره معهم وهذا المدد الذى يبدو انه مدد كبير قد جاءهم . وبهذا الذى اخذ يساور جيش الروم لم يبدأ المسلمين بالقتال ، بل وقف ينتظر حتى يتكشف له الموقف . وفي خلال ذلك اخذ المسلمون ينسحبون ، يغطى انسحابهم ذلك المدد الموهوم . وتم الانسحاب بالنجاح الذى قدره خالد في الخطة التى رسمها .

وهكذا انتهت هذه الغزوة ، ورجع المسلمون منها دون ان ينالوا من عدوهم نيلا ، ولكنهم افادوا منها — ولا ريب — تجربة في القتال جديدة ، اذ كانوا يقاتلون في ميدان غير الميدان الذى عرفوه وتعودوا القتال فيه ، وقد لقوا فيه عدوا من نوع جديد ، أكبر الظن انه كان يصطنع فنونا من القتال غير التى يعرفون . ثم هم قد استطاعوا — على قلة عددهم — ان يبهروه بهذه القوة المعنوية الرائعة التى ظهروا في القتال بها ، ويتركوا في نفوس اهل هذه الاقاليم صورا باهرة لهم ، تبعث على تقديرهم واكبارهم . لقد كان يكفى انهم واجهوا جيش الروم وصاولوه الند للند ، لم يداخلهم شيء من الرهبة في قتاله ومناجزته . ولعل هذا هو ما يقصد اليه الرسول ، صلى الله عليه وسلم : ان تنحل تلك العقدة الكامنة في النفوس ازاء الروم ، وتتهاوى تلك الصورة الموهومة عنهم .

ولقد كان لا بد للمسلمين من هذه التجربة التى اتاحها الرسول ، صلى الله عليه وسلم لهم حتى يواجهوا المستقبل بقدم راسخة ، وخطى ثابتة مطردة .

ولم يكد جيش المسلمين يبلغ المدينة ، وقد سبقته اخبار

أصحابه ، حتى استقبله اهلها أسوأ استقبال ، فجعلوا يحثون التراب في وجهه ويصيحون به : يا فرار ! فررتم في سبيل الله. ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم اخذ يدافع عنهم ، ويقول – في لهجة المقدر للموقف ، العارف بأثر هذه الغزوة ، المتفائل بالمستقبل – : ليسوا بالفرار ، ولكنهم الكرار ، ان شاء الله.

انها غزوة لها ما بعدها ، ولعلها لم تقصد لذاتها . لقد كانت مسرحا رائعا لألوان من البطولة وروح الفداء والايمان القوى القاهر ، جديرة أن تملأ القلوب اعجابا واكبارا ، كما انها كانت ارهاصا ومقدمة لفتح المسلمين أرض الروم بعد سنوات قليلة .

لم يقف ما بين المسلمين والروم في حياة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، عند هذه الغزوة ، فقد جعلت الاخبار تجيء الى المدينة ان الروم يحشدون الجيوش ، ويعدون العدة ، ويتهاونون لغزو بلاد العرب غزوا يقضون به على هذا الدين الطموح بمصره ، وهذه الدولة الناشئة التى اجترأت ان تمد بصرها الى ملك الروم ، وتتسلل الى ارضه ، وتناوش جيشه. وقد استطاعت بالأمس ان تخدعهم ، وان يسحب جيشها دون ان يكلم كلما ، فقد آن ان يكف الروم عن خدعتهم ، وان يقضوا على هؤلاء المسلمين الذين يحسبون انهم جاءوا ليشكوا السحة ، ويقضوا ملما ، ويقيموا دعائم مقامها .

وكان من الطبيعى ان يستقبل الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، هذه الاخبار بما هى جديرة به ، فجعل يدعو الناس الى التهيؤ للخروج للقاء الروم ومناجزتهم ، قياما بحق الاسلام عليهم ، وجعل يحثهم على ذلك حثا دائبا متصلا.وكان ذلك في مقتبل الخريف من السنة التاسعة للهجرة ، «وذلك في زمان من عسرة الناس ، وشدة من الحر ، وجدب من البلاد ، وحين طابت الثمار ، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذى هم عليه . وكان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قلما يخرج في غزوة الا كنى عنها ، واخبر انه يريد غير الوجه الذى يصمد له ، الا ما كان من غزوة تبوك ، فانه بينها للناس ، لبعد الشقة ، وشدة الزمان ، وكثرة العدو الذى يصمد له ، ليتأهب الناس لذلك اهبته ، فأمر الناس بالجهاز ، واخبرهم انه يريد الروم» كما يقول ابن هشام ، فيما يحكى عن ابن اسحاق .

تلك كانت الظروف التى لابست الدعوة لغزو الروم . وقد كانت هذه الظروف ، الى جانب المحنة التى امتحن بها المسلمون في مؤتة في العام الماضى ، مما مكن للمنافقين ان يشفوا صدورهم ، واتاح لهم ان يبثوا فتنتهم ويسعوا بالفساد بين المسلمين ، فجعلوا يسلكون كل سبيل ويصطنعون كل اسلوب لتثبيطهم واغرائهم بالقعود عن رسول الله ، فمرة يثيرون فيهم الخوف مما يتعرضون له في مثل هذه الغزوة من الحر والجهد والعناء ، كما يقول الله تعالى في الحكاية عنهم والرد عليهم : « وقالوا : لا تنفروا في الحر . قل : نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون . فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون » ، ومرة يحاولون ان يثيروا في نفوسهم الخوف من الروم ، فيقولون لهم فيما يقولون : « أتحسبون جلاد بنى الاصفر كقتال العرب بعضهم بعضا ؟ ! والله لكأنا بكم غدا مقرنين في الحبال » الى غير ذلك من الارجاف والتخويف والتهويل والتثبيط .

ولكن الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، اخذ هذه الحركة بالحزم ، فلم يكن يتسامح ازاء هذه الفتنة التى اراد المنافقون ان يثيروها ، وكان من ذلك ما يحكيه ابن هشام انه بلغه ، عليه السلام ، ان ناسا من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودى يثبطون الناس عنه ، فبعث اليهم طلحة بن عبيد الله في نفر من اصحابه ، وامره ان يحرق عليهم بيت سويلم .

ومضى الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، في الدعوة الى التجهز للغزو ، وحض أهل الغنى على التبرع بأموالهم ، وان يحملوا من لا يجدون الدواب التى تحملهم .

وبقدر ما جهد المنافقون في ايقاد الفتنة ، واثارة روح التخاذل ، كانت الحماسة التى غمرت نفوس الناس لهذه الغزوة غاية في الروعة . وكانت حماسة غمرت الناس جميعهم : اغنياءهم وفقراءهم .

وان ما بلغنا عن اهل الثراء وصور انفاقهم في سبيل هذه الغزوة لما يعد من الامثلة العليا في الايثار ، والجهاد في سبيل المبدأ ، كالذى يروى عن عثمان بن عفان ، رضي الله عنه، انه جهز عشرة الاف انفق عليها عشرة الاف دينار ، غير الابل والخيل ، وقد بلغت تسعمائة بعير ومائة فرس ، وكالذى يذكر عن أبى بكر ، رضي الله عنه ، انه جاء بجميع ماله : اربعة الاف درهم ، فقال له رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : هل ابقيت لأهلك شيئا ؟ فقال : ابقيت لهم الله ورسوله .

واما الفقراء فلعل مما يصور الروح الغالبة عليهم ازاء هذه الغزوة ما يرويه ابن اسحاق ان ابن يامين النضرى لقى ابا ليلى عبد الرحمن بن كعب وعبد الله بن مغفل وهما يبكيان ، فقال : ما يبكيكما ؟ قالا : جئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم نجد عنده ما يحملنا عليه ، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه . فأعطاهما ناضحا له فارتحلاه، وزودهما شيئا من تمر ، فخرجا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفيما انزل الله تعالى في مثل ذلك ما يشير الى هذه الروح التى غلبت على عامة المسلمين . قال الله تعالى : « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ، ما على المحسنين من سبيل ، والله غفور رحيم ، ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون » .

وفي وسط هذا الجو من الحماسة والحمية انطلق الجيش قاصدا تبوك . ولكن الروم كان قد بدا لها فآثرت الانسحاب، وآثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبقى حيث انتهى به السير في تبوك ، دون ان يتتبع جيش الروم ، واكتفى بعقد بعض المعاهدات مع بعض الامراء في الشام ، كمعاهدته مع يوحنا ابن رؤبة ، صاحب ايله . وتوجيه خالد بن الوليد الى صاحب دومة ، وهو اكيدر بن عبد الملك . وقد اسره وقدم به على الرسول صلى الله عليه وسلم ، فحقن دمه ، وصالحه على الجزية .

وبذلك امن الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، حدود بلاد العرب ، ومنع الاسلام من ان يتعرض لعدوان المعتدين .

وكان اثر هذه الغزوة اثرا خطيرا بعيد المدى في انتشار الاسلام في بلاد العرب ، وفي القضاء على كل ما قد كان يساور بعض النفوس من تردد .

كما كان اثرها كبيرا في التمهيد لفتح بلاد الروم وانتشار الاسلام فيها ، على النحو الذى تم في عهد أبى بكر وعمر ، رضى الله عنهما .

وبعد ، فان صور الجهاد فى عهد الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، جديرة بان تثير في انفسنا ابلغ معانى الايثار في سبيل العقيدة ، والدفاع عن حرية المبدأ وكرامة الانسانية .

د. طه الحاجرى

الثقافة القادم .. وكل ثلاثاء

« اقرأ فى مجلة الثقافة »

● أضواء على السياسة العالمية	خيرى حماد
● أضواء على الفكر الاشتراكي	الدكتور راشد البراوى
● المسرح وتطهير النفس	الدكتور يوسف مراد
● دانتى اليجيرى والتراث الانسانى	محمد اسماعيل محمد
● بل وقور يدعو الى الاجتهاد الوقور	محمد محمود شمس
● الثقافة الشعبية	حسن لطفى المنفلوطى
● خصائص النص الأدبى فى الفيلم والمسرحية والرواية	فؤاد دوارة
● تطور وضع المرأة فى المجتمع الشامى المعاصر	يسره حسن اليافى
● العطر وبائع الابر (قصة)	عوض السنى
● نار هذا العصر (قصيدة)	سعد دعبيس
● أيوب المصرى	لمعى المطيعى

اتجاهات حديثة في الأدب العربي

بقلم : محمود تيمور

— ٤ —

وقد التقت هذه العوامل مجتمعة مع فئات من أبناء الأمة ثقفتهم معاهد تعليمية أجنبية قامت على أرجاء الوطن العربي ، وفئات أخرى من الشباب الذين عادوا من أنحاء الغرب بعد أن اغترفوا من لغاتها ومن ثقافاتها ما اغترفوا . وفي الوقت نفسه كان هناك « الأزهر » و « دار العلوم » وغيرهما من معاهد تعمل على حفظ اللغة العربية واحياء علومها المتوارثة ، وتقيم منها سدا منيعا للاحتماء من هجمات الافكار المتطرفة في الدين والأدب والاجتماع وكان اجتماع العوامل السياسية والاجتماعية والثقافيـــة والتعليمية على هذا النحو، وتباين المنازع بين المفكرين وحملة الأقلام يوم ذاك ايذانا بنشوب معركة «القديم والجديد» ، بين الذين يؤمنون بالثقافة العربيـــة من ناحية ، والذين يؤمنون بالثقافة الاوربية من ناحية أخرى .

ولعل روح النهضة ، والخروج من هذا السبات الطويل الذي عاشت فيه بلاد العروبة ردحا من الدهر ، وتفتح الأعين على حضــارة غربية ســاطعة الأضواء تبهر الأنظار — لعل ذلك كله أشعر الرأى العربي العام بما يسميه علماء النفس «مركب النقص» . وكان لذلك أثره في كل من حزب اليمين وحزب اليسار - بين قادة الفكر في ذلك العصر .

فالمحــافظون في الصف الأيمن دفعهم « مركب النقص » الى الخشية من هذه الأمواج الدافقة التى اندفعت الى الشرق من جانب الغرب تحمل حضارة جديدة في كل شــأن من شــئون الحياة ومرافقها الاجتماعية ، فانبعثوا يدعون الى المحافظة ، ويحذرون من التهافت على البريق الخلاب ، حتى لا يطغى من ورائه دفق الأمواج على كل مقومات الأمة من عقائد وتقاليد وتراث عقلي وأدبي ، فيصبح العربي طوعا لهذا الطغيان غريبا في كيانه ووجدانه ، اذ تفتنه مدنية الغرب بلألائها ، وتجذبه نحوها ، فلا يبقى له من وجوده الموروث أثر .

والمجددون في الصف الأيسر دفعهم «مركب النقص» أيضا الى الحملة على كل قديم ، والازدراء بكل موروث ، اذ هالهم أن تتخلف الأمة عن ركب الحضارة الجديدة هذا التخلف البعيــد ، وسمت هممهم الى ملاحقة الركب ، فأغراهم ذلك بأن ينادوا بنبذ كل ما صاحب الأمة في عهود تخلفها من ثقافة جامدة ، ونظريات عتيقة ، لم تعد في نظرهم تصــلح لعصر البعث والاحياء ، بل لقد كانوا يحسبون أن تلك الثقافة وهذه النظريات هي علة التخلف والضعف الذى منيت به الأمة ، وهي التى عوقتها عن التقدم والنمو والازدهار .

ولقد كان لمركب النقص الذى شعر به كل من الحزبين المتباينين في ميدان الفكر ، أثره البالغ في انعاش حركة الأدب ، واذكاء نشاط الفكر ، والتمرس بطرائق النقد ، ولئن دلت معركة القديم والجديد في هذه المرحلة من الحياة العقلية بين أنصــار المحافظة والدعاة الى التحرر على شيء ، فانهــا لتدل على أن الشعب فيه حياة وفيه انتفاضة وفيه يقظة ووعى ، بيد أن ذلك كان يختلف اتجــاهات وميولا وآراء بحسب اختلاف ينابيع الثقــافة والعقلية للأمة في تلك المرحلة التى لم تتوحد فيهـا منــاهج التربية والتعليم . وانما كانت معاهد العلم والدرس متشعبة بين وطنية وأجنبية بين شرقية وغربية ، بين جامدة ومتحررة ، تكاد في تشــعبها تتنــاكر في الطابع والروح .

ولا يســعنا الآن الا أن نحيى هذه المعركة التى دارت بين المحافظين والمجددين ، فلن تبتلى أمة بأسوأ من الخمول والسكون ، حيث لا تفكير من جديد ، ولا نزاع على رأى ، ولا دفاع عن مذهب ، ولا موازنة

بين موروث ومستحدث من نتائج القرائح والعقول والأذواق .

ومما لا شك فيه أن هذا الاختلاف المذهبى والصراع النقدى كان خيرا وبركة على الأدب فى توجيهه وجهة سديدة ، اذ أنه أفاد المحافظين والمجددين جميعا ، فى كبح ما بنفوسهم من جماح التطرف والاستئثار بالسلطان على العقول والأفكار، وفى تجنيبهم مزالق التفريط والافراط ، فقد كان لاصطراع المذاهب والأهداف ما يشبه التلاقح والتطعيم ، ولذلك انتهت هذه المذاهب والأهداف الى شيء من الاعتدال والتصالح والتوفيق بفضل ما دار بين أشياعها وخصومها من تجاذب ونزاع .

القصة الفنية وروادها فى الأدب العربى :

وفى العهد الذى كانت فيه تتجمع الأسباب التى هيأت الأذهان من بعد خوض تلك المعركة الحامية ، معركة القديم والجديد ، فى ميدان الفكر والرأى والمعتقدات ، كان هنالك نزوع عند ناشئة الأدباء الى توجيه الادب نحو الاستجابة للحياة الاجتماعية المتطورة،والتعبير عن الطابع الوطنى للأمة فى مختلف نوازعها ، فى أنماط جديدة تستوحى فى صورها الادب الاوربى الحديث ، وكانت القصة بمعناها الفنى قبلة الانظار لبلوغ ذلك الهدف .

وقد سجل التاريخ فى العقد الاول من القرن العشرين للدكتور « محمد حسين هيكل » أنه وهو يومئذ شاب نازح الى « فرنسا » يتلقى فيها دراسة الحقوق ، أجرى قلمه بكتابة قصة « زينب » التى تعد باكورة القصص الفنى فى الادب العربى ، وقد احتوت وصفا للريف المصرى يتراءى من خلال أحداث القصة وشخصياتها ومشاهدها .

وكذلك يسجل التاريخ فى تلك الفترة لشقيق « محمد تيمور » أنه لما عاد من « فرنسا » التى ذهب اليها حينا لدراسة الحقوق أيضا ـ بدأ يعالج كتابة القصة القصيرة والمسرحية ، ويدعو الى أدب مصرى الملامح ، مستكمل للعناصر الفنية ، يعرض ألواحا تصور بيئتنا القومية بما يعتلج فيها من مشاعر واشجان .

وعلى نهجه تتابعت أقلام الجيل الصاعد من الكتاب ، فتألقت مدرسة الادب القصصى الجديد ، وكان من روادها « شحاته عبيد » و « عيسى عبيد » و « محمود طاهر لاشين » و «يحيى حقى» و «حسين فوزى » و « ابراهيم المصرى » ،وكاتب هذه السطور « محمود تيمور » .

ومن الظواهر التى لابد من التنويه بها فى هذا الانتاج القصصى الفنى الوليد أنه قد تميز فى لغته بشيء من الحرية والانطلاق ، فلم يكن التعبير فى القصص ملتزما كل الالتزام أوضاع اللغة فى تقاليدها المتوارثة ، وما تتزين به من زخرف لفظى ومحسنات بلاغية ، وانما كان أدباء الطليعة القصصية حراصا على أن يستكملوا مقومات الصبغة المحلية باستخدام اللغة الدارجة،كثيرا فى الحوار ، وقليلافى الوصف. وكان أولئك الرواد يحاولون أن يصطنعوا لانفسهم أسلوبا كتابيا تتوضح فيه شخصية الكاتب ، ولا يكون محاكاة وتقليدا للاساليب الكتابية التى تلتزم تلك الاوضاع القديمة .

محمود تيمور

دور العلماء العرب والمسلمين في التفكير الفلسفي

بقلم: دكتورة فوقية حسين محمود

- ٣ -

ويصح أن نثبت هنا ان الارقام التى يستعملها الغربيون ويسمونها بالارقام العربية هى فى حقيقتها هندية غير ان العرب كانوا قد نظموها قبل أن تنتقل الى الغربيين الذين يعتبرون ان من أكبر مآثر العرب نقلهم الارقام الهندية وتهذيبهم لها • وأول من اهتم بتناول تلك الأرقام محمد بن موسى الخوارزمى وصف فيها كتابا نقله أولا رد الى اللاتينية • وقد اهتم هذا المؤلف العربى أيضا بالجبر وألف فيه المؤلفات كما ذكرنا وبقيت كتبه المرجع الأول والأخير فترة طويلة من الزمن للأوربيين حتى انه يمكن أن نقول ان الخوارزمى قد وضع علم الجبر والحساب للأوربيين بل ولأهل الشرق أجمعين •

والحقيقة انه اذا كان العرب قد أخذوا عن اليونان أو الهنود فقد درسوا ما أخذوه وأصلحوه واضافوا اليه اضافات هامة تدل على نضج أفكارهم وخصبة قريحتهم • فقد ثبت ان العرب ساهموا فى كشف اللوغاريتمات وكثيرا من قوانين المثلثات حتى انه يمكن أن يعتبر الجبر علما عربيا خالصا كما يعتبر علم الهندسة يونانيا أصلا • وقد أثرت أقوالهم فى البحوث الطبية والهندسية والصناعية لاهتمامهم بالناحية العملية الى جانب النظرية ، وكذلك مهدت بحوثهم وتطبيقاتهم للنهضة الفلكية الكبرى • واهم ما وصلوا اليه قد تم بفضل المراصد التى برعوا فيها •

واذا كان العرب قد قاموا بدورهم بالنسبة للعلوم وانتقلوا بها من مرحلة الى مرحلة وجعلوها تجريبية تقوم على الاستقراء • فقد حققوا مثل ذلك فى ميدان التفكير الفلسفى ، ونقصد الفلسفة بمفهومها الحديث ، حيث نجد ان جهودهم يمكن أن تشطر الى شطرين شطر عبروا فيه عن أصالتهم الفكرية وعن منهجهم الحقيقى فى تحصيل المعرفة وهو المنهج الذى لم يسبقوا اليه ، وشطر آخر تاثروا فيه بعلوم الأوائل ، فنقلوها عنهم مثلهم فى ذلك كمثل الشعوب الاخرى التى تتفاعل ثقافاتها مع غيرها

ولكنهم أضافوا الكثير الى هذا القسم واستبعدوا الكثير منه أيضا مما لم يرق لهم ولم يتفق وعقليتهم الناضجة التى تحترم الواقع وتستنير بنور الفطرة •

وكان لكتبهم أثرها الكبير بعد أن نقل بعضها الى اللاتينية كما أثبتنا ذلك وقد انتهى بعض الباحثين المحدثين الى اثبات هذا الاثر واضحا لدى مفكرى العصور الوسطى من رجال اللاهوت المسيحيين ونقصد بالذات القديس توماس الاكوينى لقد طلع هذا المفكر اللاهوتى على قومه بطرق فى اثبات العقائد لم يألفوها أخذها عن العرب على العموم وابن رشد على الخصوص ، وبالذات فكرته عن التفريق بين الممكن والواجب • والحقيقة ان ابن رشد يعتمد فى منهجه على البرهان والعقل لا على أحاسيس غامضة لا يدخل فيها العقل أو البرهان • وذلك لأنه يرى ان الاتفاق بين الدين والفلسفة أمر بديهى فكان بذلك أول فيلسوف حاول معالجة مسائل التقريب أو التوفيق بين الدين والفلسفة معالجة علمية وبرهانية تقوم على تحديد الغاية تحديدا دقيقا بل غاية فى الدقة ، وان ابن رشد أراد أن يستعمل القياس المنطقى ويرده فقال « كيف نحظر على الفيلسوف ما نبيحه للفقيه »

وقد أثبت أن التطور العقلى واجب بالشرع وقد سبقه الى ذلك المتكلمون • فكان هدفه وهدف جميع الفلاسفة والمتكلمين العرب هو بيان ان حقيقة الشرع هى حقيقة العقل أيضا • ولذلك نرى هذا الفيلسوف لا يرفض الكثير من آراء ارسطو التى رأى انها لا تتفق مع الدين ومن أخص ما امتاز به فى معارضته لارسطو مسالة « النفس » •

ووجه الشبه بين آرائه وآراء توماس الاكوينى كبير جدا • فقد اتفق منهجهما واتفقت حلولهما للمشاكل التى أثاروها وهما يعتمدان على مسلمة واحدة فى ان العقل لا يناقض الشريعة ، ويرى الدكتور محمود قاسم ان هذه الفكرة « أولى بها ان تكون لابن رشد منها لتوماس الاكوينى لأن روح الاسلام توجب استخدام العقل فى حين ان المسيحية بسبب ما تنطوى عليه من أسرار تحصر العقل فى مجال هو أضيق على كل حال من المجال الذى يحدده له الاسلام من دون ريب » •

وقد عرض الدكتور محمود قاسم ما ذكره المستشرق المنصف آزين بالاسيوس فى كتابه الذى أفرده لذكر العناصر الاسلامية التى أخذها توماس الاكوينى عن ابن رشد وتبين ان توماس الاكوينى

الى جانب أخذه من كتب ابن ميمون مباشرة قد أخذ عن كتب ريموند مارتن التى نقلهـــا الى اللاتينية وريمون مارتن والقديس توماس الاكوينى من طائفة دينية واحـــدة هى طائفـة الدومينكان • وريموند مارتان أحد ثمانية من القساوسة أرســلهم رئيس كنيسة طليطلة (توليدو) الى بلاد المغرب لدراســة اللغة العربية وكتب الفلســـفة والدين • وقد بين المستشرف المنصف بأدلة حاسمة ونصوص عديدة ان كثـيرا من نظريات ريموند مارتان ماخـوذة من ابن رشـــد مثال ذلك نظريته فى العلم الالهى • ويذكر ان ريموند قد ألف رسالة سماها (رسالة الى صديق) على نمط ضميمة فى العلم الالهى كان ابن رشد قد كتبها لأحد أصدقائه •

وتنتهى الدراسة بأن القديس توماس قد نقل عن فلاسفة العرب وبالذات ابن رشد •

وهناك فيلســوف أوروبى من المحـدثين وهـو الفيلسوف ســبينوزا فقد تأثر بابن ميمون تأثرا واضحا وان كان قد قام خلاف كبير فيما يتعلق بهذه المسالة ، وعلى العموم اذا كان هذا الفيلسوف قد تأثر بلا هوتيي العصور الوسطى من اليهود فهل يعـد ذلك تأثرا منه بالتراث اليهودى ؟ ان اغلب لاهوتى هذا العصر قد تأثروا بتيارات فلسفية غير يهـودية أهمها الفلسفة اليونانية التى أتتهم عن طريق كتابات العرب وشروحهم على هذه الفلسفة فالعناصر التى استمدها من التراث اليهودى هى عناصر بعيدة عن الروح اليهـودية التقليدية انهـا عناصر عربية • وكما ذكرت اختلف المفسرون فى فهم اسبينوزا حتى ان البعض يرى ان مذهبه فى وحدة الوجود لا يرجع الى افلاطون كما لا يرجع الى الفلسفة العربية وانما يرجع الى سوء فهم الشارحين له لأنه لا وحدة وجود لدى اسبينوزا أصلا •

ويرى البعض الآخر من الدارسين للمؤثرات فى فلسفة ومصادر هذه المؤثرات انه من الممكن ان نتبين أثر العصور الوسطى العربية فى رفع شـان العلم وتفضيله على الاهتمام بالأمور الدينية **لدى هـــذا الفيلسوف ، فقد نقل المفكرون اليهود فى العصـور الوسطى الاهتمام من وحدة الله الى وحدة الطبيعـة والبحث فى حقيقة تركيب الواقعيات • ولم يكن اهل العصور الوسطى من غير العرب يجرأون على ادماج العلم فى محراب الدين • لقد كان المسلمون وحدهم هم أصحاب هذا الاتجاه وقد عرفه اليهود عنهم ثم عرفه المسيحيون •**

والحقيقة ان دراسة دور المفكرين العرب والمسلمين فى مجال الفكر التأملى فيمـــا يتعلق بمباحث المعرفة والوجود والقيم وهى مباحث الفلسفة بعد أن استقلت عنها العلوم الأخرى ما زالت دراسات بكرا ولا تتعدى الجاد فيها تبيين اثر أصالة التفكير العربى على بعض مفكرى العصور الوسطى من المسيحيين واليهود كما بينا ذلك ، وقد اهتم المحدثون فعلا بتبيين هذا الدور فى الفكر الفلسفى الاوروبى الحديث وشرعوا فعلا فى دراسة هذه المسالة واتجهت البحوث نحو تبيين هذا الأثر فى أوائل القرن الســابع عشر الميلادى وبالذات الى الفلسفةالحديثة لديكارت ، واهتم البحاث بالوقوع على اثباتات تدل على اطـــلاع ديكارت على كتابات العرب المترجمة الى اللاتينية • فالى أن يتم الاهتداء الى ما يدل بصفة قاطعة على صلة ديكارت بالتراث الاسلامى نقول انه اشـــتهر بأنه كان فى شبابه القراء الأكبر • الميال الى تحصيل كل معرفة وأنه يجوز بالتالى أن يكون قد وقع على كتب العرب فى مختلف العلوم واهتدى الى الكتاب الكريم وقرأ القرآن • وتبين حكمته فى توجيه الباحث الى النظر والبحث العقلى القائم على الاستفادة بما حبانا الله به من العقل الفطرى •

وقد يعترض معترض ويقول : انه من الجائز أن يكون ديكارت قد وقع على ذلك من نفسه وانه قد اهتدى اليه بنور عقله الفطرى • وهذا جائز طبعـا ولكن ديكارت كان من الفلاسفة الذين كانوا يهتمون بالاطلاع كما أثبتنا ذلك على كل ما هو معروف من العلوم والمعارف فى عصره ، ويذكر فى سيرته انه لم يترك كتابا الا وقراه ، كما قيل انه لم يستطع ان يستسيغ العلوم اللاهوتية فى عصره مما يدفع الباحث الى التفكير فى انه قد يكون من الدوافـع الى ذلك اطلاعه على طرق العرب المسلمين فى معالجة العقائد الدينية وتعرفه على خطا المسيحيين فى فهمهم لكتب ارسطو ، وخصوصا ان نجاح العرب فى استرعاء نظر اهل الغرب قد ترتب عليه خوف الســلطات الدينية من نفوذ آرائهم بين المسيحيين وقد اشرنا الى عنف الوسائل التى اتخذها رجال الدين ضـد من يشتغلون بفلسفة العربمما يدل على أنفلسفة العرب قد هزت الأوساط الفكرية فى الغرب هزات لا يمكن أن تمردون أن يلحظها مفكر متيقظ لأحداث ماضيه وحاضره • مثل ديكارت •

دكتورة
فوقية حسين محمود

معجزة السد

للشاعر: محمود غنيم

هات ياشعر سحر هاروت هات   صنع السد صانع المعجزات

والسد من صنع بابل الا   وحى شعر من عند هاروت آت

كم رأى الناس من جمال فعالا   كلها من خوارق العادات

بطل كل مستحيل لديه   يتراءى فى حيز الممكنات

هو لم يعترف بلفظ « محال »   فمحاه من معجم الكلمات

لا تقولوا عجائب الارض سبع   انها بعد السد سبع هنات

الصخور الصماء كيف استحالت   خلف اسوان السنا ناطقات ؟

مفصحات عن مجد مصر قديما   وحديثا بمحكم الآيات

بين سد على العباب مقام   وقصور فى جوفه غارقات

قل لمن شيدوا الهياكل فى مصـ   ـر وارسوا اهرامها الشامخات

قد بنيتم باذرع كادحات   وبنينا بالاذرع الكادحات

وبنيتم للموت انتم ولسنا   نحن نبنى للموت بل للحياة

ليس من يبتنى ليحفظ روحا   مثل من يبتنى لحفظ رفات

ايها السد ما عهدناك الا   مصدر اليمن مصدر البركات

نحن من قبل ان نخطك فى الار   ض جنينا تأميم ماء القناة

منعوا درهم فقلنا رويدا   نحن نغنى بالاكتفاء الذاتى

اجمعوا امرهم وجاءوا بليل   فرمى الله جمعهم بالشتات

وظفرنا بدولتين واخرى   هى فى الارض سبة الدولات

ما بنينا سدا ولكن بنينا   مجد مصر ونحن خير البناة

وفتحنا به لمصر كتابا   خالد الذكر مشرق الصفحات

ومحونا عن مصر وصمة عار   برئت ارضها من الوصمات

نحن لو لم نجد لعمرى صخورا   لا بتنينا الخزان بالهامات

وحفرنا انفاقه بالبنان الـ   ـرخص أو بالاظافر الناعمات

وجعلنا ملاطه من دماء   غاليات على الحمى طاهرات

وبذلنا عن طيب نفس له الما   ل وعشنا عيش الجياع العراة

غلق اليم ناصر بعصاه   وعصاه ليست من الحيات

بل عصا ناصر تدب على الار   ض رياضا خضراء معشوشبات

وعصا ناصر اذا مست الصخـ   ـر احالته اغصنا وارفات

وعصا ناصر تفل صوراي   خ الاعادى وبيضها المرهفات

انت يا مصر من قديم الليالى   كعبة السائحين والسائحات

او لم يهرعوا اليك وفودا ... ليزوروا آثارك الخالدات ؟
قل لمن قدسوا فراعين مصر ... هل رايتم آثارها المحدثات ؟
ايها القوم طوفوا حول مصر الـ ... ـيوم فى زى محرمين حفاة
وقفوا خلف سدها فى خشوع ... وقفة المسلمين فى عرفات
ها هنا الفن قام يروى حديث الـ ... ـمجد عنا والفن خير الرواة
ها هنا معبد الفنون لمن را ... م صلاة فكبروا للصلاة
ايها النيل كم شققت طريقا ... فى جبال ومهيعا فى فلاة
كم نسفت النجود نجدا فنجدا ... وقربت الصفاة بعد الصفاة
ماؤك العذب كان فى الصخر امضى ... من شفار الفئوس فى اللثات
تطا الصخر فى اناة ورفق ... فاذا الصخر حفنة من فتات
مالا مواهك العواتى استكانت ... فى خشوع خلف الصخور العواتى ؟
وقفت خلف سد اسوان حيرى ... عاجزات مشلولة الحركات
لم تزل تقهر الطبيعة حتى ... قهرتها ايدى البناة الكماة
ايها النيل – صانك الله عذرا ... ان نضع فى طريقك العقبات
ما ارانا الا اسرناك اسرا ... بقيود مشدودة الحلقات
نحن لو نستطيع صناك فى الا ... ماق بين الجفون والحدقات
نحن من غيرة بنينا سجونا ... من خدود للخرد الفاتنات
القوارير تحفظ الراح فيها ... وتصان العطور فى الآنيات
حسبك اليوم ان ماءك حر ... من قيود المستعمرين الطغاة
تعس البحر وهو ملح اجاج ... كيف يحظى بوصل عذب فرات
فى سبيل الشيطان ما نال منك الـ ... ـبحر سحتا فى الاعصر الخاليات
ما قذفنا فى البحر ماءك عذبا ... بل قذفنا فى البحر بالاقوات
وسقينا الحيتان عذبا نميرا ... وحرمنا منه جذور النبات
مصر ام الفنون من سالف الدهـ ... ـر ارونى كمصر فى الامهات
ما بنت سدها بصخر ومرو ... بل بنته بصادق العزمات
بجهود تحول الترب تبرا ... وتبث الحياة فى الفلوات
وتشيع الرخاء فى كل واد ... وتصب الغنى بكل الجهات
نسلتنا من اكبادنا فلذات ... نحن نبنى لهذه الفلذات
نحن نبنى لنا ثراء ومجدا ... ولاجيال بعدنا قادمات
اسعفوا هذه الفيافى بالما ... ء ورووا اكبادها الظامئات
ان فى باطن الصحارى كنوزا ... فاكشفوا عن كنوزها الخفيات
ثروة الشعب مجده ان اراد الـ ... ـمجد والارض مصدر الثروات
ما كريم الاحجار در يتيم ... لاح فوق النحور واللبات
بل كريم الاحجار ما ادخر الما ... ء لاحياء كل ارض موات
حجر السد زينة الوطن المحبـ ... ـوب والدر حلية الغانيات

محمود غنيم

فى الطريق إلى السيدة أم هاشم

بقلم : محمد عبد الله السمان

لقيته منذ أيام يسير متثاقلا فى احد شوارع القاهرة ، فى ثياب ريفية تكاد تستجير الله من القدم والبلى ، وفى شبه اعياء كأنما قد نهض منذ ساعات من مرض الزمه الفراش شهورا ، يحمل على كتفه اليسرى قفصا يتصايح بداخله عدد من الفراخ ، ويجر بيده اليمنى شبحا صغيرا هزيلا فى ثياب طفل لم يتخط العقد الاول من عمره ، شاحب الوجه ، ممسكا بيده رغيفا يقضمه قضما فى تؤدة وحذر ، وتكاد نظراته الى الرغيف ترثى كل لقمة منه تدلف الى بطنه ، وحتى ليبدو عليه الحرص كل الحرص على رغيفه الا ينفد .

كان الطفل يتبع والده فى غير تفكر او تدبر ، فهو يسير حيث اراد له ، دون ان يفقه شيئا عن وجهة والده الا ما ترامى اليه قبيل ان يغادر البيت من انه سيزور السيدة زينب ام العواجز ، التى منحته الشفاء من مرض اعجز المستشفى الحكومى فى بلدهم ، كما اعجز حلاق الصحة ، وكتاب الاحجبة والتعاويذ .

سألنى الرجل الذى تخطى الحلقة السادسة من عمره : ابقى الكثير على الست ام هاشم؟ ولما اجبته بأنها دقائق معدودة ، تنهد وابتلع لعابه وهمس بصوت خافت : الحمد لله لم يبق الا القليل ، لقد غادرت القرية منذ الفجر قاصدا زيارة الست رضى الله عنها ، لأوفى بنذر نذرته منذ عام : لئن شفى الله وحيدى هذا ، لأحضرن لها سبع دجاجات سمان .

وواصل الكهل حديثه قائلا

لقد فضلت ان اسعى الى مقام السيدة ام هاشم راجلا لأسباب ثلاثة :

اولها : ما سمعته من ان الثواب على قدر المشقة .

وثانيها : توفير الدراهم لصندوق السيدة .

وثالثها : انى سمعت ان فى يوم الجمعة ساعة نحس ، فخشيت ان تكون السيارة التى ستقل لنا ان تركبها من نصيب هذه الساعة النحس .

قالت له : اذا لم تكن على ثقة من ان الله — سبحانه — هو الذى شفى وليدك ، لان السيدة زينب هى التى تولت شفاءه ، **فلا اظنها** — رضى الله عنها تطالبك بأتعابها ، أو تلح عليك فى اجرتها، وما اراك وولدك الا احق بهذه الدجاجات السبع.

فقال فى امتعاض : انا اعرف ان الشافى هو الله ، ولكن آل البيت الاطهار لهم مكانة عند الله ، فهم ليسوا الا واسطة بيننا وبين الله ، وكلمتهم مستجابة عنده .

قلت له : ولكن الله لا يحتاج الى واسطة ، ولا يتوسل اليه الا بالعمل الصالح ، فهو القائل لرسوله — صلوات الله عليه — « **واذا سألك عبادى عنى فانى قريب ، اجيب دعوة الداع اذا دعان ، فليستجيبوا لى ، وليؤمنوا بى ، لعلهم يرشدون**».
ثم من قال لك : ان المخلوق يملك للمخلوق ضرا او نفعا، والله سبحانه يقول لرسوله : «**وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو ، وان يردك بخير فلا راد لفضله** » بل الرسول نفسه على لسان القرآن يقول :

قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير ، وما مسنى السوء » ويقول لابن عباس : « **واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله عليك ، وان الامة لو اجتمعت على ان يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك .** » يظهر انك دعوت الله وانت غير موقن بالاجابة فكنت فيمن قال فيهم الرسول : **يستجاب لاحدكم ما لم يعجل : يقول : قد دعوت ربى فلم يستجب لى ...**

قال الرجل — وكان حديثى لم يعجبه : الاعمال بالنيات ، واسرع فى خطواته ، ليدرك صلاة الجمعة بالسيدة ، وانا ارمقه بنظراتى واردد قول شاعر النيل رحمه الله :

احياؤنا لا يرزقون بدرهم
وبألف الف ترزق الاموات

قلت لنفسى : هذا رجل ريفى عذره الجهل ، والخضوع لعادات متأصلة ، وقصور التوعية الدينية عنه ، على الرغم من انه قد اصبح اليوم فى كل قرية عالم لمسجدها تخرج فى الازهر ، وتفقه فى الدين ، ودرس التوحيد الصحيح ، ولكن ما عذر هؤلاء المثقفين الذين نراهم فى القاهرة ولهم شغف بأضرحتها ، يخشعون امامها خشوعهم للصلاة

واكبر ،ويقدسونها تقديسهم للذات العلية واكثر ، ويثقون فيها ثقتهم فى الله واشد ، ويعتقدون انها سبيلهم الى رضا الحق عز وجل ولا سبيل غيرها !

لو فكرت فى ان تجادلهم بالتى هى احسن تصحيحا للعقيدة وحرصا على سلامة الايمان ، لواجهوك بمنطق يفيض عيا ، ويسيل غيا ، **تعجز** عن مجاراته ، وتفشل فى محاكاته ، **هـذا** ان كان بينك وبينهم شىء من الود ، او جانب من الصلة ، **اما** اذا لم يكن بينك وبينهم شىء من هذا او ذاك ، فربما تطاولوا عليك بالسنة حداد ، اتهموك فى دينك بالزيغ ، ورموك فى عقيدتك بالشبهة ، وطعنوك فى ايمانك بالقصور . لانهم يعتقدون ان زعزعة الثقة فى هذه الاضرحةزعزعة فى الثقة بالله ، لان اصحابها هم اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

ان فى القضـية جانبين لهمـا اهميتهمـا وخطورتهما : اولهما يتصل بالعقيدة، والاخر يتصل بالحقائق التاريخية ، وكلاهما فى مسيس الحاجة الى شجاعة العلماء .

اليس من العجيب ان وزارة الاوقاف لم تزل تشرف على صناديق النذور فى كثير من الاضرحة، وهى تدرك تماما ان النذر عبادة ، والعبادة لا تكون الا لله وحده ؟

واليس من العجيب مرة اخرى ان تظل فوضى الاضرحة بدون قيود او حدود ، لتروج حولها اسواق الشعوذة والدجل، والبطالة والتواكل ،حتى ليتيسر لابسط الجهلاء ان يقيم فى اى مكان ضريحا ، ويختار له اى اسم من اسماء السلف ، ثم يعين نفسه بعد ذلك قيما عليه ، ليجمع ما هب ودب من نذور ، وربما طمع بعد ذلك فى اعانة وزارة الاوقاف او وزارة الشئون ؟

لقد حدث فى قرية ميت دمسيس احدى قرى محافظة الدقهلية منذ سنوات ، ان عز على ابنائها الا يكون بقريتهم ضريح لولى تحج القرى اليه ، وفكروا فى ان يختاروا اى اسم من اسماء اصحاب رسول الله ، وكان اناختاروا اسم **محمد بن ابى بكر** واعلنوا ذلك وبدءوا فى اقامة ضريح يليق بابناء الصديق ، ولكنهم فوجئوا بأن التاريخ يذكر ويؤكد بان محمد بن ابى بكر مات ودفن بمكة ، وان الذى استشهد بمصر هو اخوه **عبدالرحمن بن ابى بكر ،** وتيسر لهم فى زحمة الضجيج ، ونسج اساطير الكرامات ان يغيروا الاسم ، وسواء لدى العامة ان كان صاحب الضريح محمدا او عبد الرحمن ، فالمهم الضريح ـ لا صاحب الضريح ـ لتحل البركة .. وكفى . !

ان التمادى فى الباطل جزء من المأساة ، فعلى الرغم من ان التاريخ الثابت يؤكد وهو مطمئن غاية الاطمئنان بأن السيدة زينب رضى الله عنها لم تحضر الى مصر ، وماتت ودفنت بالبقيع ، الا ان الحقيقة ضائعة وسط غوغاء السذج والبسطاء ، قال المرحوم **على مبارك** فى الجزء الخامس من خططه: « **لم ار فى كتب التواريخ ان السيدة زينب بنت على رضى الله عنهما جاءت الى مصر فى الحياة او بعد الممات** » . وفى العدد الاخير من سلسلة **اعلام العرب** للاستاذ **انور الجندى** عن شيخ العروبة **احمد زكى** ، جاء على لسانه : « الذى يشهد به العارفون بالحق الصريح ، هو ان السيدة زينب بنت الامام على واخت الامام الحسين ، لم تتشرف ارض مصر بوطء قدمها المباركة مطلقا ، مطلقا ، مطلقا .. والحق الذى ليس بعده الا الضلال ، انها قضت بقية حياتها بالحجاز الى ان انتقلت الى جوار ربها بالمدينة المنورة فكان دفنها بالبقيع . . هذا هو الصواب وما عداه افك وبهتان » .

ويؤكد شيخ العروبة ان هذا الضريح لم يكن له وجود ولا ذكر فى كل عصور التاريخ الاسلامى الى ما قبل محمد على بسنوات معدودة ، حين وفد الى القاهرة واحد من الاغاوات يدعى **عثمان كتخدا ،** فاغتنى بمصر واحرز ثروة طائلة ، وكان طيب السريرة ، فوسوس له بعض الاشياخ بأن يبنى جامعا على ضريح فى تلك البقعة ، ولا ادرى كيف وضعوه لامراة تسمى زينب ثم تسلسلت الاكاذيب فجعلوها زينب بنت على من فاطمة البتول ، ويختم المؤرخ كلامه فيقول : « **من اكذب الكذب ومن منتهى الافك والبهتان ان يقول انسان يحترم الحق ويحترم عقل نفسه ان السيدة زينب بنت الامام على قد اختارت الاقامة بديار مصر ، او ان يزعم بانها هى المدفونة بالقاهرة** »

وبعد ــ افلسنا فى حاجة الى حركة اصلاحية تجدد للناس دينهم ، وتصفى عقائدهم من هذه الشوائب . ولا اقل من ان يواجه مؤرخونا الراى الاسلامى العام بحقائق التاريخ .

محمد عبد الله السمان



تطور الاتصالات اللاسلكية

بقلم : عبد المنعم أبو السعود

فى الثلث الاخير من القرن التاسع عشر بدأ تفكير الانسان يتجه نحو الفضاء الذى يحيط به محـاولا معرفة خواصه مستعينا بحصيلة معلوماته وتقدمه العلمى وقدتمكن بذلك من أن ينشىء النظريات التى توضح المشاهدات وتعللالظواهر الطبيعية المطردة· وجرت عدة أبحاث فى هذا الصـدد الى أن كان عام ١٨٦٧ حين طلع علينـا عالم الطبيعة والرياضـة الانجليزى كلارك مكسويل يقول بأن تجاربهاظهرت له أن التجاذب والتنافر فى الكهرباء والمغناطيسية يتمان بنوع من الفعل على مسافة محدودة ، ولكنه لم يتوصل لمعرفة سبب ذلك ، الا أنه عاد بعد فترة من هذاالاعلان يقول بأنانتقال الكهرباءوالمغناطيسية وكذلك الموجات الصوتية يتم فى وسط اسـماه « الأثير » وعرفه بأنه مادة عديمة اللون والوزن وانه يشمل الفراغ كله وكذلك يوجد فىالاجسام الصلبة وعن طريقه ينتقل فيها الرنين ·

وعقب ظهور هذه النظرية واكتمالها على هـذه الصورة تعرض لهاالنقاد والعلماء بالفحص والاختبار وفازت أخيرا بالاقرار · وقد أوضحها المثل التـالى الذى ينقلها من الصورة الفرضية غـير المدركة الى المثل الحسى الذى يقربها الى الاذهان · فاذا قصدنا بركة ماء ساكن والقينا فيها بحجر لشـاهدنا أن الحجربمجرد استقراره فىالماء يكون موضع سقوطه دائرة ينبعث منه عدة دوائر تسير على شكل موجات للخارج تتسع كلما بعدت عن المركز · ويمثل ذلك المثل نظرية مكسويل · فالماء يحكى الوسط الذى تنتقل فيه الكهرباء أو المغناطيسية او الصوت والذى أطلق عليـه اسم الأثير · أما الموجات الدائرية فهى تمثل الموجات الصوتية التى يرسل المرسل أياكان نوعه يستوى فى ذلك فم الانسان او اى جهـاز ميكانيكى يرسل صوتا ·· ويمثل الحجر مصـدر الصوت ·

وكان ممن اقتنع بهذه النظرية العـالم الالمانى « هنريخ رودلف هيرتز » فاعتبرها أساسـا صالحا للبحث العلمى فىخواص الموجات الكهرومغناطيسية وقد أسفرت تجاربه عنكشفه لهذه الموجات ونجاحه فى قياسها ، وحقق عن طريق هذا القياس أن هذه الموجات غير المنظورة توافق سرعتهـا سرعة الضوء فقد بلغت سرعة الدفعات الكهرومغناطيسية١٨٦٠٠ ميل فى الثانية وهى نفس السرعة المعروفة لنا من قبل عن الضوء · واسـتمر فى تجاربه حتى ثبت له أخيرا أن الاشعاع الكهربى يخضع لقوانين الضوء من حيث الانعكاس والانكسـار والاستقطاب كما يحدث للضوء تماما ، وفوق هذا فكما يتمثل هـذه الظواهر فانهيخضع أيضا لنفسقوانين تحديد زوايا الانعكاس ومسار الشعاع وأثر كثافة الوسط على زاوية الميل · وانتهى المطاف بهيرتز أن أعلن عن رأيه بالنسبة لهذه الموجات واذا به يتفاءل بها ويقولعنها انه يعتقد أن زيادة معدل تذبذبها بمقدار مليونمرة سيؤدى بها الى اكتساح قدرة الضوء وحـدوده · وكانت هذه الملاحظة التى ختم بها هرتز نظريتـه خيالا فى وقتهـا ، ولم يدر قائلها كم من الوقت سيمضى قبل ان يكتب لهذا الخيـال ان ينقلب الى حقيقة · ولو أن من عاش وقت اعلانه لرأيه وجـد اليوم وشاهد الانابيب الالكترونية التى تولد القوى الكهربية اللازمة لاحداث الموجات القصـيرة التى تتجاوز حدود الضوء كما تنبأ هرتز لأيقن أن هرتز لم يكن يسبح فى خيال حينما قال ذلك ·

على أن هرتز أوضح بما لا يدع مجالا للشك وجهة نظره بالنسبة للاشعة، فتراه يقول «تخترق الموجات الفواصل الخشبية والابواب الحديدية • وليس هناك من عجب حين نرى الشرر داخل غرف مغلقة » •

ومات هيرتز عام ١٨٩٤ بعد أن أسلم الشعلة من بعده لفتى ايطالى كان يعكف على قراءة مجلة عن الكهرباء ووجد نفسه مشدودا الى راى هيرتز وكانما أوضح له هذا العالم الخيالات التى تطوف بمخيلته وربط له بين ما يختلج فى نفسه وبين الحقائق التى كشفت عنها تجاربه فى هذا المحيط • لقد كان هذا الفتى هو « جوجليلمو ماركونى » •

وكانت ظروف ماركونى الاجتماعية مواتية فهو ابن رجل ثرى لذا وجد المادة التى تساعده على أن يبدأ تجاربه فى هذا الحقل فتراه يتوجه الى أملاك أبيه ويبدأ تصميم جهاز يقوم بارسال اشارة لاسلكية من طرف هذه الاملاك الى الطرف الآخر عن طريق اشارات المورس وهى الشرطة والنقطة التى اصطلح عليها لتعبر عن الحروف طبقا لشفرة معينة ، ويمكن بذلك التقاط رسالة تتكون من مجموعات من النقط والشرط والعودة الى الشفرة لمعرفة المقابل لها ومن ثم تقرأ الرسالة •

وليعفينى القارىء من أن أسير مع ماركونى خطوة خطوة حتى توصل الى اتمام الارسال اللاسلكى ففى هذا خوض فى خصائص العلم التى لاتهم الاالمختصين، وحتى هؤلاء فما أصبحت تهمه تلك الحقبة التاريخية التى لا تشمل الا تسجيلا لمجهودات بدأت متعثرة وانتهت بالجهاز البدائى للارسال وقد أدخلت عليه من التحسينات ما غيره كلية بجهاز الارسال اليوم لا صلة له بالمرة بأول جهاز لماركونى الا من حيث الاساس النظرى الذى يتحدان فيه • وما يهم الاخصائيون اليوم هو معرفة الجديد ومتابعة ما يستحدث من تحسين •

ولم يكن ماركونى الوحيد الذى يكافح فى ميدان المعرفة باللاسلكى فقد كان يقف بجواره علماء آخرون وقدموا له عونا حقيقيا مكنه من الوصول الى انتاج جهازه •• ومن أمثال ذلك ما كشف عنه عالم الطبيعة الانجليزى طمسون عام ١٨٩٧ فقد عرف الالكترونات وان كان قد أسماها « كريات » وقال انها أصغر جزء فى البناء الكهربى للذرة ، ولم يتمكن طمسون من الحصول على « كرية » اذ لم يتمكن من فصل احداها وبالتالى لم يشاهدها ولكنه بالرغم من ذلك دلته تجاربه على وجود أشياء أشد صغرا من الذرة وكانت متحدة الكيان ومتساوية فى الكتلة وبالرغم من اختلاف مصدرها فقد اتحدت فى التركيب والكتلة وكانت أيضا سالبة الكهربية • وقد كان ما سجله طمسون فى الواقع بداية علم الالكترونات فقد واظب غيره على تتبع ما كتبه طمسون وأجروا التجارب التى انتهت بهم الى الكشف عن خواصها والافادة منها •

وتنقل ماركونى ما بين وطنه ايطاليا وانجلترا فى سبيل استكمال جهازه وتوسيع مدى ارساله وتم له عام ١٩٠١ ارسال حرف «س» بالانجليزية معبرا عنه بثلاث نقط وهى الشفرة المقررة له فى اشارات مورس وكان الارسال لمسافة ١٨٠٠ ميل •

ولم تكن وسائل الاعلام آنئذ كما هى الآن لذا لم يكن مستغربا أن يقوم تطاحن بين العلماء على الاسبقية فى الكشف ونرى أن شركة ماركونى للتلغرافات اللاسلكية تقيم دعوى أمام محكمة بروكلن عام ١٩٠٣ ضد الشركة القومية للاشارات الكهربية لان مؤسسها الاستاذ الكسندرستيبانوفيتش بوبوف ادعى بسبقه الى معرفة اللاسلكى، ونجد أن ماركونى وهو المدعى فى هذه الدعوى يقر بأن جهاز بوبوف الذى اخترعه قبل أن يسجل ماركونى اختراعه هو جهاز لاسلكى أيضا • لكن مخترعه قد خصه بتسجيل الكهربية الجدية الساكنة وآثار العواصف الرعدية والبرق • وبذا يكون تسجيله لا يشكل رسائل مفهومة • واستبعد فى نهاية مقاله أن يكون لجهاز بوبوف قيمة • وهذا الصراع فى الواقع يلازم كافة الاختراعات والاكتشافات • فالانسان يستفيد دائما مما وصل اليه سلفه من جنسه قبل وجوده وأثناءه ويقوم باتمامه أو تحسينه أو الاضافة اليه، وليس من المعقول أن يقول فرد أنه استطاع أن يخلد الى نفسه ويخترع دون أن يستفيد من خبرة سلفه ويمحص آراءهم بعد الدراسة المستفيضة •

على أن ماركونى لم يكتف بما وصل اليه من تقدم بل قادته تجاربه الى حقل آخر يحتاج الى مقال آخر

عبد المنعم ابو السعود

تعقيبات

بقلم : عباس خضر

البحث عن اشكال .. يوقع في اشكال !

انا لا نصدق ما يقال من أن المضمون الجديد يحتاج الى شكل جديد — **الا اذا رأينا حقيقة مضمونا جديدا يتطلب الشكل الذى صب فيه ،** وأن هذا الشكل يلبى حاجة ملحة لا تتوافر فى الشكل القائم الحالى .

أما اذا كانت المسالة مجرد بحث عن شيء مثير تلقفه أجهزة الدعاية للكاتب ، تلك الأجهزة المكونة من الأصدقاء وأفراد « الشلة » ومن يخدعهم الكاتب بوسائله التى تختلف من خادع الى آخر ومن مخدوع الى مخدوع .. فتروح هذه الاجهزة تعلن — فيما تسميه نقدا — عن الحدث الجديد .. والابتكار الذى لم يسبق .. فاذا جئناه لم نجده شيئا ...

اما اذا كانت المسالة كذلك فلا بد ان ناخذ من هذا التهريج موقفا اقل ما فيه ان نلقى الضوء على تلك الالاعيب .

وقد تجلت تلك « **البهلوانية** » فى عدد من المسرحيات التى عرضت على مسارحنا فى هذا الموسم .

وأسارع قبل أى شيء فأوافق — ولو جدلا — على أن الاشكال التى صيغت بها المسرحيات اشكال جديدة ، حتى بالنسبة للمسرحيات العالمية ، وأنها متطورة من أى شيء مهما كان .. سواء أكان من فنوننا الشعبية أو من اشكال أجنبية .

فليكن أى شيء من هذا ، وليكن كله مجتمعا ، ولكن السؤال المهم فى نظرى هو : **ماذا قالت لنا هذه الأشكال ؟ وهل عبرت عنا ؟ وهل رأينا فيها صورنا ومشكلاتنا ؟** .



لناخذ مثلا مسرحية « **الفرافير** » التى ظفرت باهتمام النقاد أكثر من أية مسرحية أخرى ، اذ قام جهاز الدعاية أولا بمهمته خير قيام .. ثم استفز هذا الجهاز — بما كتبه — النقاد الآخرين ، فهبوا يعارضون ويقولون ما تمليه عليهم ضمائرهم ، وتكون من هؤلاء وهؤلاء تلك « **الهيصة** » التى لم تنته بعد . **ولعل هذا الذى أكتبه من آثارها أو قل ان شئت من جملتها .. وهكذا الاشياء يجر** بعضها بعضا .

يقتضينى الانصاف أن أقول أولا ان هذه المسرحية قد نجحت باعتبارها مسلية وممتعة ، ويرجع الامتاع فيها الى براعة الحوار وظرفه ، مما يمتاز به يوسف ادريس ، ويرجع كذلك الى براعة الممثلين وخاصة الذى مثل دور « **الفرفور** » .

وقد قال يوسف ادريس فى مقالاته ، كما قال جهاز الدعاية ، **انه أحدث شكلا جديدا على مسرحنا ،** وقال المعارضون **انه لا جديد ، أو ان الجديد لم يؤد غرضا كان يفوت بفواته .**

ولا أريد ان أدخل فى مناقشة هذه القضية ، بل أسلم بأن المؤلف أحدث شكلا جديدا فى مسرحنا، **ويهمنى ان أسلم كذلك بأن هذا الشكل استمد من فنوننا الشعبية كالسامر فى الريف وكحلقات**

الحواة وحلقات الباعة المهرجين في المدينة ، يهمني هذا لأسأل المؤلف : لماذا استلهمت الشعب في الشكل واغفلته في المضمون ؟ اى شيء قلته عن اهتماماته وتطلعاته ؟ اى شيء قلته عن التغيرات السريعة المتلاحقة في حياته ؟ اى شيء قلته عن الانسان الجديد الذى ادهشك وجوده كما قلت في المقال الاخير بالجمهورية؟ اى شيء قلت عن الاشتراكية التي طالبت مرة بان نصوم ثلاثة اشهر عن كل شيء الا عنها ، فلا غناء ولا موسيقى ولا قصص ولا مقالات ولا ... ولا ... الا فيها ؟!

وليتك سكت عن الاشتراكية .. ولا أريد أن أستعدى عليك ، فلن تبلغ هذه الكلمة شيئا مما بلغته المسرحية من الذيوع .. وأنت تعلم أنى مخلص فيما أكتبه غير مرض لك .. نعم ليتك سكت عن الاشتراكية ، ولم تهاجمها برفض علاقة الرئيس بالمرءوس فى اطارها .

فالمؤلف اذن لم يقدم مضمونا من اهتمامات الشعب يحتاج الى البحث عن شكل يناسبه .. نعم ، قدم لنا فى أول المسرحية « قائمة » نقدية جريئة لكل المهن ، ولكن هذه القائمة كانت على الهامش ، وكانت مباشرة أى فى غير تجسيد مسرحى . ثم عرض الموضوع - وهو العلاقة بين السيد والمسود - عرضا ذهنيا تجريديا ، بل **القاه علينا القاء ..** قال لنا من البدء :

« **قرب يا جدع .. اتفرج على المشكلة ..** »

واستمر العرض يقول لنا :

« **هنا مشكلة .. الى يحب النبى يفكر فى المشكلة .. الجدع يحل المشكلة ..** »

ولما انتهت المسرحية خرجنا وكان صوتا ساخرا يصيح وراءنا :

« **هيه .. وضحكنا عليكم .. ولا فيه مشكلة ولا حاجة ..** »

والصوت الأخير هو أصدق الاصوات ، **فلم تعرض علينا مشكلة ناجمة من حادث حيوى يجرى فى مكان ما من الأرض ، ونستطيع من خلاله ومن معايشته ان ندرك المشكلة ونقتنع بها . بل طلب الينا ان نعلم ان هناك مشكلة ، وفرض علينا حلها .**

وقد راح « جهاز الدعاية » يفسر « المشكلة » أو « اللامشكلة » تفسيرات مختلفة ، كان منها أن المؤلف يدعو الى الحرية الفردية المطلقة . وبناء على هذا التفسير قال الاستاذ محمود أمين العالم فى ندوة من ندوات مسرح الحكيم :

انه راى فى الشكل ما يشبه الحلقة التى تجتمع فى الشارع حول « الحاج محمود » وهو يخطب محاولا أن يقنع الناس بفائدة « الشربة » التى يبيعها بقرش صاغ واحد محبة فى رسول الله .. ويؤكد أنها تقتل الدود . وسجل الأستاذ العالم بهذا نجاح المؤلف فى محاولته الأخذ الشكل عن الشعب .

ثم قال : ولكن المضمون - من حيث انه يدعو الى الحرية الفردية التى تناقض المسئوليات الاجتماعية - مضمون مخرب ، **و « الحاج محمود » يقنعنى احيانا بشراء الشربة وانا على يقين من أنها لا تقتل الدود ، اما « الشربة » فى المسرحية فانها ليست فقط لا تقتل الدود ، وانما هى تستنبت الدود ! ..**

وانا أقول للأستاذ العالم :

لا ، اطمئن .. فان «الشربة» لا مفعول لها مطلقا ، لأن المضمون لم يستنبت فى بيئة مسرحية صالحة للاستنبات .. لم تستنبت « المشكلة » فى حدث أو موقف يمنحها الحياة . ويجعلنا نشعر بها ونفكر فيها .

ونعود الى موضوعنا الاصلى ، بعد هذه الوقفة التى وقفناها مع « الفرافير » كمثال للمسرحيات التى عرضت على مسارحنا أخيرا فى أشكال ادعى اصحابها انها جديدة وأنهم ابتدعوها لمضامين جديدة .. والواقع أن هؤلاء المؤلفين وقعوا فريسة لقضية غريبة **هى أن المؤلف لا يعد مؤلفا عظيما الا اذا ابتكر شكلا فنيا جديدا وشق طريقا غير معروف أو مألوف .** فجعلوا يستهلكون طاقاتهم فى البحث عن أشكال جديدة لا لمضمون اجتماعى يرون أن الشكل التقليدى لايلائمه ، ولا يفى به ، بل لمجرد اثارة الانتباه ولفت الانظار الى أنهم عباقرة .. وفاتهم أن المضمون الجديد الجيد الذى يملأ الشكل التقليدى أهم بكثير من استحداث شكل جديد .

واذا عدنا الى يوسف ادريس كمثال أيضا فاننا

نرى أنه منذ حول جهده الأدبي من الشكل التقليدي للقصة القصيرة والابداع في صب المضمون الجيد فيه ، الى المسرحيات والعناء في البحث عن اشكالها التي أوقعته في اشكالاتها ــ منذ ذلك الحين وهو تائه ضائع •• لم يظفر الا بالشهرة الزائفة •

واني اقول له مخلصا انه عندما يكتب اسمه في تاريخ الادب فلن يقرن بشيء يساوى قصصه القصيرة •

الأميرة •• لجنة القصة !

اللجنة التي تؤلف عادة في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ــ لفحص القصص المقدمة لنيل جائزة الدولة التشجيعية ــ تلتزم عادة قاعدة استبعاد القصص التي يكون حوارها مكتوبا باللغة العامية • وهذا الالتزام يوقعها دائما في حرج لأن معظم الانتاج القصصي يدور حواره باللغة العامية، والقليل ــ ومنه قصص أعضاء اللجنة القصصيين ــ بالفصحى •

ووجه الحرج أن اللجنة اما أن تعلن افلاس الحركة القصصية التي هي عندنا الآن في أوج ازدهارها ونمائها ، فتقول : ليس هناك ما يستحق الجائزة •• واما أن تمنح الجائزة لانتاج ضعيف •

وليس في الحالين ماتحسد أو تغبط عليه اللجنة•• فهي في الحالة الاولى تكون خجلى •• وفي الحالة الثانية تكون خجلى أيضا !

وفي هذا العام •• ماذا صنعت ؟

التزمت نفس القاعدة طبعا ، ثم نظرت فيما أمامها أو فيما عليه عينها ، بعد ان استبعدت ما تستبعده عادة ، فوجدته مختلطا••بعض قصص المجموعة فصيح الحوار ، وبعضه عامى • ولم يعيها الحل ، اذ قررت أن تغض الطرف عن النوع الثاني ، وتنظر في الباقي من النوع الأول •• هل هو في حجم يملأ العين ؟ فاذا كان كذلك فهو يستحق الجائزة •• وحددت الحجم الذي يملأ العين بمقدار معين من الصفحات ، وطبقت هذا على ما هو أمامها وما عليه عينها ، فرأته أقل من النصاب •• وجاءت الفتوى قائلة :

ان الصفحات صغيرة الحروف تستوعب كثيرا من الكلام الذي لو بسط لانداح في مساحة اكبر ••

قال أحد الأعضاء :

ــ طيب (طيب هذه فصيحة ••) هل تعلن اللجنة أن جائزة الدولة التشجيعية في الآداب هذا العام منحت لجزء من كتاب دون الجزء الآخر ؟! ••

وقالت الأغلبية بعد أن حكت رأسها :

ــ تنبه للجنة على أن المؤلف اذا طبع المجموعة طبعة اخرى يجب أن يحذف منها القصص غير المجازة •

قال العضو (المتأكف) :

ــ واذا لم يطبعها •• ماذا نقول لمن عندهم الكتاب، وللمكتبات التي تبيعه ؟ •

وقالت اللجنة باللغة العامية :

ــ ما يهمش !

وكانت اللجنة بهذه الكلمة العامية أفصح من الأمير في حكاية « الأمير والفلاح والحمار » •

فقد زعموا أن اميرا خرج يتنزه ، فرأى حمارا يدور في ساقية ، وقد علق برقبته جرس ، فوقف يتأمله مفكرا وان كان الأمراء عادة لايتعبون أنفسهم بالتفكير ولمح الأمير صاحب الحمار الفلاح ، فقال له :

ــ لماذا تعلق الجرس برقبة الحمار ؟

ــ يا افندينا •• لأني اذا كنت نائما وسكت الجرس أعلم أن الحمار وقف •• فاقوم واستحثه •

قال الأمير :

ــ واذا وقف وجعل يهز رأسه ؟ ••

فقال الفلاح الذي طالما وصفوا ذكاءه بالخبث والمكر :

ــ من لي بحمار عقله مثل عقل افندينا ! ••

كانت اللجنة أفصح من الامير ، لأنها فطنت الى وجه الاعتراض ، أما الامير فقد اكتفى من اجابة الفلاح بالجزء الخاص بالثناء ، وهو أن ما يهتدى اليه بعقله لا يدركه الحمار •• ولم يفطن للباقي •

مسكينة اللجنة •• لأنها في حرج •• ولا مخلص من هذا الحرج الا بأحد أمرين :

اما ان توجد لها حركة قصصية تتفق مع عقليتها ، واما ان توجد للحركة القصصية لجنة ليست صاحبة سمو ••

عباس خضر

بقلم عبده بدوى



حول الأدب فى أسبوع



رفض الرفض :

فى بلادنا اليوم اهتمام بشعراء « الرفض » ، وتتبع لكل ما يقولون ، فما تكاد تولد قصيدة فى لبنان حتى نجد سدنة لهذه القصيدة يعملون على اضاءة كافة جوانبها ، وعلى الخروج من مناخها بأنها الشعر الذى لا شعر بعده ، ثم يكادون يشدون الشعراء شدا ليقولوا لهم « ارفضوا انتم الآخرون كل شيء فى نفوسكم وكل شيء حولكم لتكونوا شعراء » .

والدعوة لهؤلاء الشعراء ربما تكون نوعا من « رد الجميل » ذلك انهم يتلقون انتاج « السدنة » فى بلادنا ، ويكافئونهم بالمكافآت السخية ، ومن ثم يعمل هؤلاء بدورهم — كل حسب مقدرته — بالشرح ، او التفسير ، او اكتساب مناطق جديدة لهذه الموجة .

ونحن لا نحكم على « شعراء الرفض » من خلال الموازين السياسية او الاجتماعية ، ذلك لانهم هم انفسهم لا يلقون بالا لهذه الموازين ، **فيوسف الخال** حين يسأله المحرر الادبى لجريدة الهدف عن الموجة السائدة فى العالم العربى التى تتحسن القضايا القومية وتخدمها «نراه يقول» هذه الموجة هى من جملة العقبات التى تعترض نهضة الادب العربى والفن العربى وبالتالى الحياة العربية فى الوقت الحاضر ، فأصحاب هذه الموجة يسيئون الى هذا كله من حيث يتوخون واهمين الخير له ! »

اما الشاعر **على احمد سعيد (ادونيس)** فهو يرى انه ليس للعربى من حركة فى القرن العشرين الا القشرة والجلد ، وانه ليس الله او العالم عندنا هو الميت فقط لأن الانسان نفسه ميت ايضا ، كما يذهب الى ان القرآن الكريم لا جديد فيه لانه لا يخرج على الصعيد الثقافى عن كونه « خلاصة تركيبية لمختلف الثقافات التى نشأت قبله » وفى الوقت الذى يأخذ فيه بخناق الاسلام نراه يهلل ليوسف الخال فى مقال له لانه فاتحة التجربة الشعرية المسيحية فى القرن العشرين ، ولانه يأتى بشعر جديد للايمان المسيحى .

ونحن لا تعنينا كذلك الاخبار التى تناقلت عن تركه الاسلام الى الكاثوليكية ، او قوله مجاملا لبعض الاصدقاء ، انه رجع عن كثير من معتقداته .. لان الذى يعنينا فقط البحث عن جذور هذا الرفض الذى رفعه « راية وانجيلا » على حد تعبيره ولعل صديقه « حليم بركات » يعيننا على هذا حين يذكر ان « ادونيس » ما تغنى بالرفض الا ليعينه على نحر الثور البرى الذى يتمثل فى « التراث ! » .

ثم لانه رفض وحدة بلاده سوريا مع الجمهورية العربية المتحدة ، ورأى انها وقعت فى عصر الارهاب وسمى العصر الذى مر عليها — فى حالة الوحدة — بعصر الحذاء الذهبى .

« اترك الوطن الملىء بالسواد

حيث لا مكان يغشى

حيث لا مكان حتى للريح »

ثم انه يرفض الحضارة العربية ويراها قوالب ، وسلفا ، وسلاطين ، واقنعة .

ولانه لا يحمل فى اعماقه يأسه فقط ولكن يحمل الى جانبه يأس الاجيال المقبلة .

وفي ضوء هذا يسقط على شعره ظلان عميقان هما فينيق والصلب ، وهما رمزان للنار وللبعث

« غير انى شاعر اعبد نارى
واحب الجلجلة »

والامر لايقف عند يوسف الخال او ادونيس ، وانما يتعداهما الى عدد من الشعراء .

فالشاعر انسي الحاج يقدم لنا نهاد خياطة ، بانه انسان قلق يائس .. متمرد .. لا قيمى

الشاعر عصام محفوظ يقدمه لنا نبيه غطاس على انه يشرح ويبرز صورة للحياة يرفضها هو نفسه ، بالرغم من سلبيته فى النظر اليها ، ثم انه لا يعرف الحياة فى الامل وانما فى الوراء ، ويمكن ان نرى هذا فى اقوى الابيات التى استشهد بها الناقد وهى .

« تهديت فوق الليالى القنطرة
وانحل خصر الشارع ..
ندامه ومغفرة
بارك على هذى القرى
هذا اوان المسخره
والجوع يبرى قبة المكان
والعطش
يقور الليل صلاه
اسفنجه
تقىء فى مسامعها الحياة .

والشاعر شوقى ابى شقرا يقول كميل سعادة عن مجموعة شعر له بعنوان شعر جديد فى نثر جديد « الكتاب ذو حدة لا تدرك الاحدسا فتارة يكون الشاعر منطرحا امامك هنا ، ثم لا تلبث ان تراه يرتمى هناك فتظن انه ضاع او بدأ يهذى .. الخ » ومهما يكن من شيء فنحن لاندعو الى « مصادرة » لهذا الشعر ، ولا نقول ان وراءه حركة تمويل مشبوطة ، وان اكثر الذين يقومون عليه ضد الاماني العربية ، وضد الحس الثورى الذى يعيشه الانسان المعاصر .. ولكنا فقط نلقى « بعض الضوء » على الذين يغنون للرفض فى لبنان ، والذين يصفقون له فى الجمهورية العربية المتحدة ، ثم يتنادون بصوت مروع — لعله صوت الشيطان نفسه — الى هذه الوليمة الشعرية فى الظلام .

حب بلا حدود :

لا يعنينى ان يقول الارديس نيكول « انه يمكن تسجيل هذا العصر فى تاريخ المسرح على انه عصر رجل واحد هو جورج برناردشو » ولا يعنينى انه كان فى شبابه من عبد الغلبية ، وانه سخر من اشياء كثيرة من حوله ، وحطم المفاهيم التى كانت سائدة فى عصره ، ثم اخيرا انه ملأ الحياة بفنه وبفكره ، ذلك لانه كما قيل عنه « كالغابة لاتستطيع ان تحيط بها لما فيها من اشجار متنوعة ، كل منها يستحق الاهتمام » .

اقول ان هذا لا يعنينى لانى وجدت نفسي اقف عند دور الشاعر « ميربانكس » فى مسرحيته « كانديدا » التى يقدمها المسرح العالمى على مسرح الازبكية ، والتى نرى فيها « كانديدا » زوجة القسيس رغم انعطافها نحو الشاعر ، واقتناعها بامتيازه ، الا انها ترفضه فى آخر الأمر لا لدافع اخلاقى ، وانما لانها تحس ان زوجها فى حاجة اليها .

فعلى الرغم من ان « شو » سخر من اشياء كثيرة فى المسرحية ، الا انه كان يخيل الى انه كان يتعاطف مع الشاعر ، ولعله كان لا يعنى الشاعر قدر عنايته بالفنان مطلقا ، ذلك لان نهاية قصة « الحب بين الفنانين » يكاد يكون نفس نهاية كانديدا « كلاما وموقفا » .

ومهما يكن من شيء فقد كان الشاعر من خلال الزوج وسكرتيرته والزوجة ووالدها .. الولد الرائع الساذج الذى يعجز حتى عن محاسبة سائق التاكسي ، والانسان اللطيف المهذب الذى يكاد يموت من الرعب حين يجد اى نوع من انواع القسوة ، ثم هو فى نهاية الأمر ترد ، وعبيط ، ومجنون ، ومع ذلك فروح الله تسكن فى نفسه .

اما الشاعر من خلال تحديه للزوج ، وتودده للزوجة ، فنجده فى تلك العبارات التى تقول .

« احس بالخوف ومع ذلك فسوف اهز اعماقك .
انا احب زوجتك .. اما انت فلا تشاركها رايا ولا احساسا انت لا تطعمها غير البلاغة والمواعظ .
.. كنت ابحث عن الحب وقد وجدته فى نفوس الآخرين بلا حدود .
الشعراء يتحدثون عن انفسهم بصوت عال ، ولكن « الوحدة » تقتلهم انا الآن فى السماء .
احس الآن انى اقدم من الارض ، ومع ذلك فقد كنت فى الصباح فى الثامنة عشرة ! »

ان الشاعر هنا هو « سارق النار » ، ولا بد له من مغادرة السعادة بعد ان حط فى عشها فترة من الزمن ، ذلك لان هذا العش لرجل الدين ، اما الفنان

لعشه الحياة ، ومن هنا نراه يطارد عن العش الذى لم اجنحته فيه بأرق ماتكون الكلمات ، لقد عثروا عليه فى اول الامر على « الرصـيف » الصغير لاحـد الشـوارع ، والآن بقى عليه ان يطارد للرصيف الكبير للحياة .. لانه يحمل نوعا غريبا من الحب لن يوجد فى قلب امراة ، ولكن فى كل نفوس الآخرين ! ومع ان الزوجة حين تطلب عطاءه — بعد ان طلبته من زوجها — يقول «ضعفى ، وحرمانى ، وحاجة قلبى» الا انه يظهر فى نهاية الامر انه هو الانسان الاقوى وهذا هو الاكتشاف الجديد فى المسرحية ، لانا طوال عرضها نحس ان الشـاعر هو الضـعيف ، ومع ذلك يقنعنا « شـــو » فى الفصل الاخير بانه هو القوى ، وانه لاخوف عليه من مواجهة الحياة . ومن ثم يغلق الباب وراءه على الزوجين ، ويعانق الحب الذى بغير حدود !

فى مسرح الحكيم ..

مرة ثانية نعود الى المناقشات المثيرة التى تثور فى هذا المسرح بمناسبة تقييم العام المسرحى ١٩٥٣ و١٩٥٤ ، ومرة ثانية نحيى هذا الجهد الذكى الذى يعتبر الثقافة قلقا وحوارا ، لا مجرد اسـتمتاع على مقعد مريح .

واذا كان اللقاء حول « الفرافير » كان حادا ، فان اللقاء حول « رحلة خارج السور » كان لا يخلو من هذه الحدة الفكرية التى نحتاج اليها الآن بعـد ان عشنا فترة لا نسمع فيهـــا الا المجاملات الزائفة ، والكلمات المرتعشة .

ولقد اعترض فى اول الامر محمود امين العـالم على الذين ذكروا ان المسرحية طريق وشكل جديد للمسرح المصرى ، ثم ذكر ان موضـــوع المسرحية واضح ، ولكن التجسيد المسرحى هو الذى اعطى الغموض الذى يلف المسرحية ، واعطى « التداخل » والتقاطع « فى الحـوار الذى اذا كنا نســمح به ليونسكو وبيكت لان طبيعة موضــوعاتهما تستدعى ذلك ، فانا لا نسمح لرشـاد رشدى بذلك لانه حين يقدم على هذا العمل يقدم فى الوقت نفسه على خنق موضوعه البسـيط الواضح ، الـذى يتخلص فى الانسان الذى يستسلم خلف السور للشر «ويغنى له» والانسان الآخر الذى يكتفى من وراء السور بارسال التمنيات الى حيث اليائسين الذى لا تخنقه الافاعى .

ومن هنا فالمؤلف يعطينا رؤيا عاطفية فردية قائمة تشبه الشعراء الرومانتيكى ، بدلا من ان يعطينا تلك الرؤية الثورية التى تذكرنا برؤية نعمان عاشـــور فى « الناس اللى تحت » او بدلا من ان يعطينا وحدة الاداء الفنى اعطانا اكثر من مســتوى من مستويات العمل الفنى نفيها ، « قعدة عرب » ومواقف واقعية تقرب من الابتذال ، ومواقف خيالية تقرب من الشعر .

وقد رد على هذا الدكتور رشاد رشدى .. بان ما ذكره محمود امين العالم يرجع الى ثقافته ومزاجه المادى ، وانه يرى ان كل موضوع يحدد شكله ، وانه اذا كان هناك غموض فلأننا تعودنا على رؤية المشكلة تتأزم ، ثم تحـل ، بينما مضـمون المسرحية لا يقبـل الحل ، وان الغموض فى الفصل الاول قصد اليه اما « تداخل الحوار » فشىء لابد منه لان الحظ الغالب على المسرحية هو السخرية من المآسى الموجودة على النطاق الفردى والجماعى فى المسرحية .

.. ثم ذكر ان المسرحية تركيبية وليست تحليلية وانه لم يقصد الى المفهوم الثورى كما اراد «العالم» لان الصراع فى المسرحية يبدأ بعد الانتهاء منها ، وانه فى الوقت نفسه لايؤمن بان العمل الفنى مكلف بايجاد الحلول الاجتماعية .

وبالرغم من ان اعضـاء الندوة كانوا شـــبه « معسكرين » الا انهم كانوا حريصين على الا يغضب بعضهم بعضا ، صحيح ان الدكتور رشاد رشدى كان يبدو فى حديثه منفعلا ، وانه ختم هذا الانفعال بقوله « انه لا يستطيع ان يخطب كما يخطب الاستاذ محمود العالم » .. الا ان مما لا شـك فيه ان كلا الطرفين قد ادلى باراء قيمة ، وان كانت بعض الآراء قد جاءت متناقضة ، ففى الوقت الذى لم يوافق فيه محمود امين العالم على تداخل الحوار ، راينا الدكتور لويس مرقص يذهب الى انه « تكنيك موسيقى » فى المسرحية ، وحين كان « العالم » يقول بعد كل فترة « اللهم هبنى ان افهم » كان سمير سرحان يحاول ان يؤكد انه يفهم كل نبضة فى المسرحية ، وعندما اكد العالم دور المضمون وثوريته ، وعالج ميخائيل رومان الشـــخصيات من خـلال البيئة البرجوازية ، ابصرنا الدكتور عزيز سليمان يورد ما ذكر من ان الموضوع يسعى الى الشكل كمــا يسعى الرجل الى المراة ، وان الفكرة العامة هى «الحنين الى الخلاص» وهى فكرية عاطفية لا تودى بالثورية .. كمـا سمعنا ان المسرحية «متركبة» فى مقابل القول بانها «تركيبية»، وانها تقدم حلا خطابيـا فى مقابل القول بانهـا لم تات بحل .. ومع ذلك فهنـــاك الجديد دائمـا فى هذه الندوة .

عبده بدوى



الكتب
نقد وتعريف



بقلم
تحسين عبد الحي

شعب فلسطين فى طريق العودة
تأليف : عدلى حشاد

الكتاب كما يقول المؤلف فى مقدمته .. عرض موضوعى لأكبر مؤامرة نسج المستعمرون خيوطها فى القرن العشرين .. وقد بين الكتاب ان كل ما حدث فى فلسطين وفى المنطقة العربية قد تم وفق خطة مرسومة بعيدة المدى، استخدمت خلالها أسلحة الغدر والخديعة دون اعتبار لأى مبدأ من المبادىء الانسانية ، ولا لاية شريعة من الشرائع الديموقراطية التى يتشدق بها الغرب .

وقد قدم المؤلف وثيقتين توضحان الى اى مدى كان المتآمرون قد حسبوا حسابا لكل شىء منذ القدم . مستغلين حالة العرب بعد خروجهم من ظلمات العهد العثمانى ــ موغلين فى اثارة الخلافات بينهم حتى لا تتجمع قواهم ، وحتى لا يكون فى مقدورهم مواجهة التنظيمات الصهيونية التى تعتمد على تمويل الدول الغربية واسلحتها ونفوذها ، كما توضح الوثيقتان ايضا اهمية تغلغل النفوذ الصهيونى فى العالم الغربى .

والوثيقة الاولى هى تقرير بانرمان ــ الذى عرف باسمه وكان رئيسا لوزارة حزب الاحرار فى بريطانيا سنة ١٩٠٧ .. وقد كون بانرمان لجنة ضمت مشاهير المؤرخين وعلماء الاجتماع والجغرافيا والاقتصاد والبترول والزراعة والاستعمار لدراسة الاحوال الخاصة بالامبراطورية البريطانية .. وقد حدد « بانرمان » مهمة اللجنة فى خطاب وجهه الى الاعضاء .. جاء فيه :

« .. ان الامبراطوريات تتكون وتتسع وتقوى ثم تستقر الى حد ما ، ثم تنحل رويدا رويدا ثم تزول ــ فهل لديكم أسباب أو وسائل يمكن ان تحول دون السقوط والانهيار ــ أو تؤخر الاستعمار الاوربى ..؟ »

وعكفت اللجنة على دراسة تاريخ الامبراطوريات الماضية وتأملوا وضع الامبراطوريات الحاضرة وكيف يمكن ان تدوم ، ومن اين يمكن ان تأتيها المخاطر ، واستخلصوا خطة المستقبل التى اوصوا بها ..

وقد جاء فى تقرير اللجنة « ان الخطر المهدد يكمن فى البحر المتوسط ــ همزة الوصل بين الشرق والغرب، وحوضه مهد الاديان والحضارات ، ويعيش على شواطئه الجنوبية والشرقية بوجه خاص شعب واحد تتوافر له وحدة التاريخ والدين واللسان والآمال وكل مقومات التجمع والترابط والاتحاد ،

هذا فضلا عن نزعاته الثورية ، وثرواته الطبيعية ، ثم تساءل التقرير عن نتيجة دخول الوسائل الفنية الحديثة، وآثار الثورة الصناعية الاوربية في المنطقة، وانتشارالتعليم فيها - وأجاب التقرير عن التساؤل السابق فذكر انه اذا حدث ما سلف - اى انتشار الصناعة والتعليم فستحل الضربة القاضية حتما بالامبراطوريات الاستعمارية » .

واقترح التقرير لمعالجة ذلك ضرورة العمل على استمرار تجزئة هذه المنطقة وضمان تأخرها ، وبقاء شعبها على ما هو عليه من تفكك وتناحر . وكذلك ضرورة العمل على فصل الجزء الافريقي من هذه المنطقة عن جزئها الآسيوى ، واقترحت اللجنة لذلك اقامة حاجز بشرى قوى وغريب على الجسر البرى الذى يربط آسيا بافريقيا ، ويربطهما معا بالبحر المتوسط - بحيث يشكل فى هذه المنطقة ، وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار معادية لسكان المنطقة .

وبعد نشر تقرير « بانرمان » اتصل الصهيونيون بالانجليز ، واستغلوا ما ورد فى التقرير ، لاقناعهم بأن انشاء الوطن القومى الصهيونى بفلسطين هو خير ضمان لصالح الاستعمار البريطانى ونفوذه فى المنطقة .

اما الوثيقة الثانية فهى مذكرة بعث بها الكولونيل مايتزتساجن سكرتير قيادة الجنرال اللنبى فى القدس الى الحكومة البريطانية ، فى الوقت الذى كان جيش الجنرال اللنبى يعتبر الجناح الغربى للثورة العربية التى زحفت من بطاح مكة الى جبال طوروس طاردة العثمانيين أعداء الحلفاء الغربيين من هذه المنطقة كلها. وملخص ما جاء فى مذكرة مايتزتساجن ما يلى :

١ - ان بريطانيا تشير بحكمة زائدة لانشاء الوطن القومى الصهيونى فى فلسطين .

٢ - ان بريطانيا لا تستطيع البقاء فى مصر الى الأبد .

٣ - ان ثمة قومية عربية وقومية يهودية متعارضتين ، وقد وصف الأولى بالكسل والخمول - ووصف الثانية بالحيوية والنشاط .

٤ - ان اليهود يمتازون بولائهم لبريطانيا فى حين أن العرب سلبيون ازاءها .

٥ - ان القومية العربية ستطور الى مرحلة المناداة بالسيادة من المحيط الى الخليج .

٦ - ان الصهيونية لن تضير بريطانيا فى شىء.. فهى ستتوسع على حساب العرب وحدهم .

٧ ان مصر هى العدو الاكبر والأقوى لليهود .

٨ - ان خسارة بريطانيا لقناة السويس ستفقدها مراكزها فى الشرق الاوسط ، ولذلك يجب ضم سيناء الى فلسطين لاحباط اية محاولة مصرية لاغلاق القناة .

ومن هاتين الوثيقتين - وخطوطهما العريضة بدا التآمر الاستعمارى الصهيونى ينفذ مخططاته الرامية الى تجزئة واضعاف وطننا العربى .. مما سهل لها بعد ذلك سلب فلسطين واقتطاعها من وطننا لكى تكون وطنا للصهاينة المعتدين .

وبعد : فلاشك انه مهما طال بنا الحديث عن مسئولية بريطانيا ودول العالم الغربى - عن الحالة التى وصل اليها شعبنا العربى فى خلق وتدعيم الكيان الاسرائيلى المزعوم .. فان هذا الحديث فى رأيى - يعتبر من قبيل تحصيل الحاصل - وهو فى نفس الوقت ليس فى حاجة الى اثبات .. لأنه ما من مواطن من ابناء شعبنا العربى الا ويدرك ذلك تماما .. وأعتقد أن المؤلف يتفق معى فى الرأى القائل بان امتنا العربية وقد دخلت مرحلة المواجهة الحقيقية للخطر الصهيونى فى فلسطين - قد أصبحت فى حاجة ماسة الى فكر جديد أكثر خصوبة وتعمقا من ذلك الذى كنا نقدمه ومازلنا نقدمه لجماهير شعبنا .. وقد قلت قبل ذلك فى العدد - ١٠٦٠ - من مجلة الرسالة :

ان اليهودية العالمية تواجه العالم بفكر مدروس - حتى ولو كان مزورا مدسوسا .. ولكنهم يجدون دائما المبررات التى ان لم تقنع القارىء بما يريدون فانها على الاقل تتركه حائرا .

ومهمة المفكر العربى فى منتهى الدقة والخطورة — اذ انه مطالب بان ينقذ هذا الخائر قبل سقوطه، تحت التأثيرات الدعائية للصهيونية العالمية ..

لقد استطاع المفكرون اليهود أن يزوروا الكثير من الحقائق — ولدينا نحن من الأدلة الثابتة مايدحض افتراءاتهم ولكن — كيف يتأتى لنا ذلك ونحن نعيش على سرد ما مر بنا من أحداث كنا فيها ضحية ظروف مرحلية ؟

لقد استطاع عشرات من المفكرين اليهود ان يبدلوا الطابع الدينى ، الذى عاش اجيالا عديدة على شكل تضرع وتوسل لقوة فوق الطبيعة ، ليتخذ شكلا سياسيا وطنيا — ثم تحول الوعد الالهى المزعوم الى دافع داخلى عند اليهود يغذى ارادتهم وينظم قواهم ..

منهم على سبيل المثال — لا الحصر — موشى هيس — وليون بينسكر ، وناحوم سوكولوف — واليعازر بن يهودا وحاييم نخمان بياليك — وهيرمان شابيرو — ويعقوب بوروخوف — ، ا.د. غوردون.

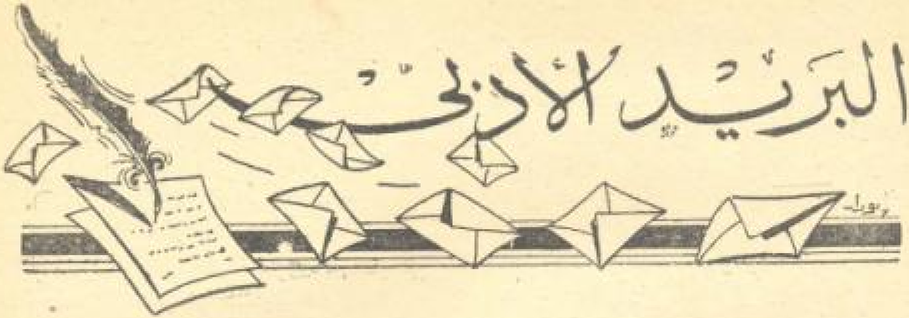
لقد وضع كل من هؤلاء لبنة فى بناء الفكر والتنظيم اليهودى ذلك التنظيم الذى تبلور فى صورة الاحزاب القائمة فى فلسطين المحتلة .. وجميع احزاب اليهود ليست منظمات سياسية كما تعرفها — بلاد العالم الأخرى — ولكنها تمثل وجودا غازيا معتديا متكاملا فى تنظيمه وشكله واساليبه . فهى تملك مئات المستعمرات وفيها انظمة اجتماعية مختلفة لتسهل على سكانها اختيار الوسط الاقرب الى ثقافتهم ومصلحتهم — ولهذه الاحزاب شركات تجارية ضخمة تعمل فى الهندسة والبناء والنقل . ولهذه الأحزاب مصانع تعد بالعشرات وتعمل فى شتى الاختصاصات والميادين ولهذه الاحزاب مدارس خاصة تثقف اعضاءها والناشئة بمواد مختارة — لتزيد فى حقدهم ولؤمهم وغدرهم وهى تتبارى فى هذا المجال .

هذه الاحزاب كلها ، بقياداتها وقواعدها ، بمنظماتها ومؤسساتها المختلفة — تمثل شعبا غازيا دخيلا لا مجال لوجوده على أرضنا — ومن ثم يجب البحث فى هذه التنظيمات لكى يستطيع المفكر العربى أن يقدم لجماهير شعبنا المتطلع الى يوم الثأر المجيد — المزيد من الدراسة والقاء الضوء المصحوب بدرجة الرؤيا الواضحة — لمعرفة طبيعة العدو الذى سوف يحاربه ..

ان شعبنا يسير بخطى ثابتة قوية نحو وحدته وتقدمه .

فوحدة العراق مع الجمهورية العربية المتحدة هى بمثابة خطوة واسعة لخلق وتدعيم وحدة أمتنا الشاملة — وهذه الوحدة الجزئية ليست فى حاجة الى شحنات عشوائية من الانفعال العاطفى — بقدر ماهى فى حاجة الى مزيد من العمل المثمر الخلاق — والايمان المطلق والتنظيم القائم على العمل الدقيق — وكذلك انعقاد المؤتمر الوطنى الفلسطينى — كل هذه التنظيمات القومية الجديدة تحتم على كل من يستطيع أن يساهم فيها بقلمه من كتابنا — ان يبدأ فورا بمعالجة قضايانا القومية وبصورة موضوعية — حتى تستطيع جماهير شعبنا أن تشارك فى خطة عمل موحدة فى سبيل وحدتها المنشودة واستعادة أرضها السليبة .

تحسين عبد الحى



البريد الأدبي

اشعة ملونة

بقلم : قصي سالم علوان

● قالت احدى الطيور لصياد اخطاها : يؤسفني انني هربت منك ، اذ عندي بيض أريد احتضانه .

● بعض الناس لا يأخذ من الحمل الا قلبه وكبده ليمزقه بالاسياخ ويشويه بالنار .

● انني فلاح ، بذوره النجوم، وحصاده الكواكب السيارة .

● ماذا أرى ؟ امشنقة أم ارجوحة أطفال ؟!

● في رأسي غرفتان ، واحدة أسكنها أنا والاخرى يسكنها الآخرون .

● لا تقل لمن يخونك ، يا كلب ! لكي لا تجرح الكلاب !

● ماذا تسمى من تفتح له قلبك فيفتح لك عينيه وأذنيه ؟

● انني أكره الري ، فالري موت ، وأنا أريد أن أموت وأنا أتحرق الى قطرة ماء ..

● اللغة تعجز أحيانا عن التعبير عن بعض ما نريد وهي أفضل وسائل تعبيرنا ، فكيف يستطيع الطفل أن يعبر عن كل ما يريد بالصراخ وحده ثم نريده لا يصرخ ؟!

● أنا لا أريد عباد الشمس .. أنا أريد الشمس نفسها .

● اذا أعطيتك قلبي كأسا فارغة فهل تستطيع أن تملأها ؟ ولكن قبل ذلك ، بماذا ؟

● يا « قانصة الذباب » أبلهاء أنت أم مصلحة ؟!

● الذي يقول : ان الحقيقة هرم ، لها اكثر من وجه واحد . أهو من هواة جمع الآثار أم من هواة جمع الحقيقة ؟

تكلم يا أبا الهول !!

● يا فمها .. أنت الطريق الى الجنة .. وأنت الطريق الى النار ..!

● الحقيقة صلبة.. ولكنها تستحيل الى سائل، مرة في دواة ، ومرة في كأس !

● ولماذا تصرين على ملء جرتك ، أيتها العزيزة؟!

وللجرة الملأى ألف حكاية وللجرة الفارغة ألف حكاية أيضا ، لا تنقصها المتعة .

● عندما تقدم لي تمرة وجمرة ، فآخذ الجمرة فلا يعني ذلك السذاجة ، وعندما آخذ التمرة فلا يعني ذلك السذاجة ، أيضا !

● الآذان فرض كفاية ، وأنا اكتفي بالقليل .

● ولماذا تسمى الصفحة البيضاء صفحة فارغة ؟! أليست هي مليئة بالنقاد ؟!

تصويب :

وقعت في قصيدتي « ثلاث أغنيات للفجر » المنشورة بالعدد الماضي .. اخطاء مطبعية ، وتداخل في بعض الالفاظ اعتذر عنه ، والأبيات مصححة هي:

والشراع الذى يرى قاطفا اشـ
راقة الضـــــو. . من نجـوم مثيرة
والســـــلام الذى يفىء الدياجى
ويرى مطلقا عليهـــا طيـــوره
لم يقف نادما على الظـــــل النـــو
بى .. لم ينفطر عـلى « ديدمونة »
« فعطيل » العصر الجديد اقتحـــام
وازدهـــــار ، وثورة مشـــــحونة

كما أن عنوان الاغنية الثالثة هو « الفجـــر فى النوبة » وليس « الفجر فى السنوية ! »

عبده بدوى

العقاد والشعر الجديد

بقلم مصطفى محمود مصطفى

لفت نظرى وانا اقرا مقالة للدكتور محمدالنويهى بعدد الثقافة (٤٠) بعنوان : « العقاد ناقد الشعر » هذه العبارة التى جاءت فيهـــا : « فان تلمست فى شعرنا المعاصر شيئا يقارب ما يطلبه العقاد فلن تجده الا فى محاولات شعراء الشكل الجديد التى بدات فى العراق ثم انتشرت فى لبنان وسورية وفلسطين ومصر ، والتى نرجو لها مزيدا من الذيوع ومزيدا من الانضاج » . والحقيقة اننا نظلم العقاد حينما نعتقد أنه من أنصار « الشعر الجديد » ، فلقد وجهت الى سيادته ــ رحمه الله تعالى ــ نص السؤال الى جريدة الاخبار بتاريخ (٦٣/٣/٢٧) بيوميـــــاته التى كان يكتبها بها : « أراك تعرض طائفة من الشعر الغربى، وتحارب نظيره من الشعر العربى الذى يســـمونه بحور العروض الموروثة لنا .. فلماذا تحفل بذلك الشـــعر الجديد . وهو الشــعر الذى لا تلتزم فيـــه وتأبى ذاك ؟.. وهذا ، مع العلم بأنى على رأيك فى محاربة هذا الشعر العربى المتجدد لخلوه من الموسيقى ولكنى أحب أن أعرف السبب فى أنك فرقت بينهما، وهما متشابهان ، أو هكذا يبـــدوان » . فكان فى جلة رده « ولا نزال نعجب بالمعــانى العاطفيـــة او المعانى الوجدانية اذا قرأناها فى الكلام البليغ كائنا ما كان . ولكننا نسميها « نثرا » اذا كانت بغير وزن ولا قافية ولا نرى عليها غضاضة فى ذلك ، لان بلاغة النثر مطلوبة مقدورة ، بغـــير حاجة الى هدم الفن العروضى واسقاطه من الحساب ليقول الناثرون انهم شعراء ولا يرتضوا أن يقال عنهم انهم كتاب أو أدباء» . وجاء فى معرض رده ، وهو يتحدث عن ذكريات الادب منذ خمسين سنة : « وكانت للشعر الجديد يومئذ معركة أشد من معركة أنصاره المهازيل فى سنواته الاخيرة ، اذ كان له دعاة من طبقة الزهاوى وشكرى ومن طبقة « البـــكرى » محمد توفيق اذا نظرنا الى مثانيه ومزدوجاته كأنها دعوة متجـددة الى التصرف وحدة القافية » . ووصف الاستاذ العقاد لأنصـــار الشعر الجديد بأنهم « مهازيل » يقطع السبيل على كل من يعتقد او يشك أنه من أنصار الشعر الجديد الذى وقف من أنصاره فى الايام الاخيرة موقف التشدد حتى يكاد يهم برفع العصا فى وجوههم . وبالرجوع الى مقالة للدكتور زكى نجيب محمود فى العدد (٨٩) من (المجلة) (مايو ١٩٦٤) بعنـــوان : « العقاد كما من مقالته المذكورة هذا الكلام : « وليس من الناس رايته » ما يعزز هذا الراى ويؤيده ، ونحن نقتبس من لا يعرف موقفه الصامد العنيد فى لجنة الشعر ـ بالمجلس الأعلى للآداب والعلوم والفنون ــ من الشعر الحديث» ، وجاء فى مكان آخر من المقالة : «وموقف العقاد من رفض هذا الشعر السائب صلب لا يلين ، وحجته أنه اذا كان لكل لعبة قواعدها التى لا تجوز بغيرها ، افلا يكون للفن قواعده ؟ ثم ما عيب النثر الفنى اذا ما الحق هؤلاء الناثرون أنفسهم به ؟ » . وبعد ، فهذه كلمة قلتها فى معـــرض الدفاع عن الحق والتاريخ ، والتحية لذكرى العقـــاد العظيم احتراما وتقديرا لآرائه وأفكاره الجديدة بالاعجاب والعظمة.

اشتراكية الثقافة

بقلم عبد العزيز محمد بسيونى

نشر بالمجلة بالعـــدد الاخير رقم ٤٤ بصـــفحة الكشكول رأيا لأحد السادة القراء نظرا لوجـــــود سعرين للكتب التى تصدر عن الدار القومية وذلك لوجود طبقتين احداهما فاخرة والاخرى عادية للقراء وذلك بالنسبة لكتب المكتبة العربية وغـــيرها من سلاسل الدار .

وحقيقة الوضع انه لا فرق فى الطبعة وليس هناك صنفان للورق المعروض بالسوق لجميع القراء وانما الفرق هو فرق التجليد اى تجليد عادى وهو المعروض بالسوق وتجليد فاخر ويضاف الى السعر العــادى ١٠٠ مليم قيمة تكاليف التجليد الفاخر .

ذلك ما لزم تصحيحه حتى يعلم القراء أن هنـــاك

اشتراكية ثقافية حقة ولا تفرقة بين القراء ولا يلزم طبعة متوسطة .

تعقيب :

في الاعلان عن الكتاب كلمة « طبعة » لا « تجليد » وعلى اية حال الملحظ النقدي موجود .. وهوالتفرقة بين من يدفع اقل ومن يدفع اكثر .

ع.خ.

الاسلام .. دين الرفق والرأفة

بقلم عيسى متولى

نشرت الصحف أن قضاة احدى المحاكم البريطانية اصدروا قرارا بالسماح لزوج من العصافير بمواصلة بناء عش لهما فوق ساعة المحكمة ، كما قرر القضاة تعطيل الساعة حتى لا يزعج صوتها العصفورين ..

ذكرتني هذه القصة بما حدث لحمامة ، جاءت ترفرف فوق رأس النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وهو جالس بين صحبه ، خائفة منزعجة .. فقال نبي الرحمة ، صلوات الله عليه وسلامه ، لمن حوله :

ـ من آذى هذه الحمامة ؟..

فقال واحد منهم : انا أخذت بيضها .. يا رسول الله ..

فأمره الرسول الأمين برد البيض الى مكانه فورا، شفقة بالطائر !!..

ورأى النبي ، صلوات الله عليه وسلامه ، قطة عطشى ، فأمال اليها الاناء بيـــــده الشريفة ، حتى رويت ..

وكان ذات مرة يأكل رطبا بيده اليمنى ، ويضع النوى في يده اليسرى ، فمرت شاة ، فأشار اليهـا سيد الخلق فجاءته ، وبسط لها كفه ، فجعلت تأكل من النوى حتى فرغ ..

ومن أحاديثه الشريفة : « دخلت امرأة النار في هرة حبستها ، فلا هي أطعمتها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الارض » ..

وروى « أبو هريرة » أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« بينما رجل يمشي بطريق ، اشتد عليه العطش ، فوجد بئرا فنزل فيها ، فشرب ثم خرج ، فاذا كلب يلهث ، يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه ماء ، ثم أمسكه بفيه حتى رقى، فسقى الكلب ، فشكر الله له ، فغفـر له » قالوا : « يا رسول الله ،وان لنا في هذه البهائم لأجرا . فقال : « في كل كبد رطبة أجر » ..

هذه صور سريعة ، مرت بخـاطري ، وأنا أقرأ قصة العصفورين .. تؤكد أن الاسلام دين الرفق .. والرأفة .. اقتبست الشـعوب من نوره أعمق المعاني الانسانية .. وأكرم المثل الخلقية !..

بين اللغة والمجتمع

بقلم حسنى الطحاوى

تحقيقا لدور المجمع اللغـوى في أداء رسـالته على الوجه الأكمل الذي ننشده ونبغيه . أتقدم بفكرتي التي أرى فيها أن يقيم المجمع له أسبوعا في كل عام .. كأسبوع الكتاب العربي .. وأسبوع الفيلم .. وغيره من الاسابيع المختلفة .. يستعرض فيه مجمع اللغة نشاطه اللغوى خلال عام .. الى جانب نشاطه الذي قام به منذ انشائه الى يومنا هذا .. يعــرض فيه معاجمه ومجلداته ونشراته .. وينظم طوال هذا الاسبوع الندوات والمحاضرات للحديث عن اللغة.. واصولها .. ودور اللغة في حيــاة النــاس .. والمجتمعات .. ومركز اللغة العربية بين لغات العالم .. كما ارى أن يخصص المجمع طوال هذا الاسبوع برنامجا اذاعيا .. ولو لمدة ربع ساعة من الزمن .. يتناوب فيه اعضاء المجمــع الحـديث عن قرارات وتوصيات المؤتمر السنوى الى جوار الموضـــوعات السالفة الذكر .. ما يعطي الجماهير والمواطنين فكرة عن دوره .. واغراضه واهداف رسـالته .. وعما يطرح للمناقشـة في مؤتمر المجمع الســنوى .

كذلك ارى أن يقوم المجمع خلال هـذا الاسبوع بنشر البحوث المبسطة في الصحف العامة .. مايتيح الفرصة لكثير من المواطنين الوقوف على نشاطه .. ويتيح الفرصة أيضا للمصـطلحات اللغوية الجديدة التي عربها .. أن تطفو على السطح .. وترى النور .. وينتشر تداولها بين الناس .. وفي ذلك خــير للغة .. أن تعرف هذه المصطلحات طريقها الى حياتنا .. بدلا من كونها محشورة في الكتب .. لا يعرفها احد .. ولا تعرف طريقها الى لسان احد .

ليلة أولها هول وآخرها أكل شهي

للكاتب الفرنسي پول لوي كوريبه
ترجمة : أبو الخضر منسي

ليلة اولها هول وآخرها اكل شهي

شخصت يوما الى بلاد كالابريا . وهو بلد شر وعدوان ، اهله على ما اعلم لا يحبون الناس ولا يألفون احدا . وهم يحتقرون الفرنسيين خاصة ، ويهمون بهم الهموم ، ويضمرون لهم مقاصد السوء . اما ما سبب ذلك فسرده عليك يطول . ولكن حسبك ان تعلمي انهم يمقتوننا وان مراجل الحقد تغلي في صدورهم علينا حتى ليريدون بنا الهلاك ، والويل لمن يقع في ايديهم منا وسوء المصير .

وكان في رفقتي فتى يافع . والطرق في هذه الجبال وهاد وعرة . وكانت خيولنا تسير في عسر واعياء . وكان رفيقي يسير في الطليعة ، فسلك بنا شعبا ظنا مطروقا من غيره واقرب موردا ، كان فيه منبهنا . وانما انا المخطىء وعلى تقع التبعة ، اذ ما كان ينبغي لي أن اسلم مقادتي لغلام طائر لم يمارس الامور . فجعلنا نستهدي طريقنا في خلال هذه الغابات والنهار لا يزال مشرقا . ولكنا كلما امعنا في البحث ، وتمادينا في التماس الهدى الى الجادة ، ازددنا ضلالا ، وكان الليل قد اسدل استاره حين صرنا على كثب من دار سوادها غربيب ، فدخلناها يداخلنا الريب والوجل، ولكن ماالصنع وما الحيلة؟ فاذا نحن لدى قوم من الفحامين قد جلسوا جميعا الى طعامهم. اما الغلام صاحبي ، فما ترك لهم ان يثنوا الدعوة الى مؤاكلتهم فاكلناهم وشاربناهم ، ولا سيما رفيقي ، الا كنت انا انفض المكان نفضا ، وانظر في وجوه اصحاب الدار نظر المتثبت المتفرس . اما وجوههم فوجوه فحامين حقا ، ولكن دارهم تحسبينها لكثة جنود . فما كنت يقع بصري الا على بنادق ، ومسدسات ، وسيوف ، ومدى ، وخناجر . فما من شيء الا كان مسخطة لي ، ورايت اني قد كنت عليهم كفلك ثقلا وتنغيصا. اما صاحبي فبخلاف ذلك . لقد كان واحدا من اهل الدار يضاحكهم ويحادثهم . وكاشفهم في غير حذر ، كان خليقا بي ان اوقعه من مثله ، بحقيقة امرنا : من اين قدمنا ، والى اين مقصدنا ، ومن نحن . وتصوري ذلك ! فرنسيان لدى قوم لد ، شديدي العداوة لنا ، فريدين ضالين ، ما لنا من ولي ولا نصير ، وقد عز المعين والمجير ! ثم انه ليتم على يديه كل مافيه هلاكنا وفناؤنا ، اظهر لهم الغنى ونعيم العيش الوارف ، ومنى القوم ان يدفع لهم في سعة ما يكون من النفقة واجر الدليل الى الطريق . وتكلم من بعد ذلك عن عيبته ، وسألهم ان يتعاهدوها ، وان يجعلوها مكان الوسادة من فراشه فما يبغي بها بديلا . اواه ! ايها الشبان . ان زمانكم لجدير بالرحمة. وان عهد الشباب لحقيق ان يرثى له ! لقد حسبونا ، يا ابنة العم نحمل في حقائبنا جواهر التيجان ، وما كانت الا رسائل خطيبته !

ولما تعشينا تركونا وشأننا . وكان اصحاب الدار ينامون في الاسفل ، ونحن في الغرفة العليا حيث طعمنا وشربنا . مخدع على ارتفاع سبعة او ثمانية اقدام يصعد اليه بسلم. ذلك كان مبيتنا ، شبه جحر ، او كن يلجه الوالج زحفا على البطون تحت عروق من الخشب حملت مؤنة العالم كله.وصعد اليها رفيقي وحده ورقد ، فلم ينشب ان غرق في نوم عميق ، وقد وسد راسه تلك العيبة النفيسة . اما انا فقد وطنت نفسي على السهر . فاوقدت نارا حامية ، وقعدت اصطلي ، متوسما ان الليل كله سينقضي في امنة . واخذت نفسي تطمئن . واذا انا في ساعة ظننت فيها ان النهار مطلعه قريب ، اسمع صاحب الدار وامرأته ، من تحتي ، يتحادثان ويتخاصمان . فالفيت اذني اسمع من المدخنة المتصلة بالمدخنة التي في اسفل ، فصك سمعي نفس كلمات الرجل بينة جلية اذ يقول لامرأته :

ـ وبعد ؟ ويحك ! .. قولي . اتذبح الاثنين معا ؟ وتقول المرأة : نعم .

ـ ثم لم اعد اسمع شيئا .

وما عساني قائل لك ؟ لقد لبدت في موضعي اكاد لا اتنفس، وسرت في بدني برودة فكنت كحجر من الرخام : فلو شاهدتني ما علمت أميت انا ام حي . يا للهول ! حين تعاودني اليوم ذكرى ذلك ... اثنان كادا يكونان بغير سلاح ، يقاتلان اثني عشر او خمسة عشر رجلا مدججين بالسلاح ! وهذا الرفيق الذي امسي كالموتى من نوم عميق واعياء ! ان اهبت به واحدثت جلبة فذلك ما لا جرأة لي عليه ، وان هربت وحدي فما من سبيل الى الفرار . فانه وان كانت النافذة ليست مرتفعة ، الا انه كان تحتها كلبان عظيمان لهما نباح كعواء الذئب . فصوري لنفسك ، ان استطعت ، مقدار الهول الذي كنت فيه .

ومضى على ذلك ربع ساعة كانت عندي كشهر ، فسمعت وطء اقدام تصعد السلم ، واذا بي ارى من فروج الباب ذلك الرجل وقد حمل بيد سراجا ، وبالاخرى مدية كبيرة . وكان يصعد وامرأته تقفوه وانا متوار خلف الباب . ففتح الرجل الباب ، ولكنه قبل ان يدخل ، وضع المصباح على الارض فحملته امرأته ، ثم ولج عاري القدمين . وكانت هي من الخارج تقول له مخافتة ، وقد حجبت بانامها ما انتشر من نور السراج : وئيدا ! وخفض من خطوك . فلما بلغ السلم ترقى فيه صعدا والسكين بين شدقيه . واذ انتهى عند مرتفع سرير هذا الفتى المسكين الطريح وقد بدا للذبح نحره العاري ، تناول السكين باحدى يديه ، وبالاخرى .. وي ! يا ابنة العم .. لقد جذب فخذ خنزير متدلية في سقف المخدع ، فاجتذ منها قدرة ، ومضى من حيث اتى . واغلق الباب ، وتوارى النور عني ، وبقيت وحدي نجي افكاري .

قصة السد

الحجر الأخير

بقلم : عبد الرحمن صالح

مئات من سيارات « الماز » الضخمة التي تحمل الواحدة منها جبلا من الصخور زنته خمسة وعشرون طنا تروح وتجيء ، تملأ الارض ضجيجا هادرا ، وصخبا مروعا كأنها وحوش ما قبل التاريخ الهائلة تتصارع وتتصادم .. ومن اماكن قيادتها العالية كابراج المراقبة بالمطار تلوح وجوه سمر حفر عليها العزم الجاد والعمل المتواصل سيماء الصلابة والاصرار والايمان ، وهم يبدون في اماكنهم السامقة تلك كما لو كانوا من الهة الاساطير يطلون من عروشهم العالية على رعاياهم في كبرياء وشموخ . والسيارات تذهب مشحونة بالصخور تشق طريقها وسط صفوف من البشر وخليط هائل من العربات والآلات التي تهد ذلك الشريط الرفيع الطويل من الارض الذي تم ردمه وسط النهر كجزء من السد العظيم .

والمكان كله يموج بالحركة والجلبة والضوضاء ، والعمال والمهندسون بسراويلهم الصفراء وقبعاتهم البيضاء واحذيتهم الثقيلة السوداء يختلط بعضهم ببعض لا تعــرف هؤلاء من اولئك .. وبينهم يتناثر بضــع عشرات من الصحفيين ورجال الاذاعة والتليفزيون تعرفهم بالعدسات التي يعلقــونها على صدورهم ومن حقائب التسجيل او مفكرات الكتابة التي يحملونها بايديهم ومحاولاتهم اللحوحة الدائبة في ملاحقة هــذا او ذاك من المهندسين والعمال ليدلي لهم بحديث او يفضي بكلام مل هو تكراره من قبل عشرات المــرات ولكن لم يملوا هم تدوينــه وتسجيله .

والكل يتجه باهتمامه ونشاطه ناحية الفجوة التي مازالت باقية من النهر لم تغلق بعد .. فهنا تتلاحق انفاس التــاريخ لاهثة في اضطراب وخوف .. اضطراب من يكتنف حيــاته تغيير عنيف مفاجيء بعد طول انتظام ورتابة..وخوف من يخشى الجديد الذي يحمل عليه حملا ، ويدفع اليه دفعا لا يستطيع منه هربا او فرارا . واليوم هو موعد اغلاق المجرى الخالد الذي شقته المياه لنفسها منذ آلاف لا عدد لها من السنين .. لتسير في مجرى آخر شقه لها الانسان العاتي عبر الصخر الاصم ليطوعها لارادته ويسخرها لنفعه ويحد من اندفاعها المجنون نحو جوف الوحش الهائل الفاغر فاه الى الابد .. البحر .

وانا جالس فوق صخرة ناتئة على حافة النهر .. امامي مياهه تتدافع في موجات عنيفة يكللها زبد ابيض متوهج تكاد تشكله اشعة الشمس الساخنة ، ويولدها ذلك القدر العظيم من الصخور والرمال الذي تلقي به العربات في النهر من كلا جانبي السد لتضييق الفرجة الباقية شيئا فشيئا .. وعيناي تلاحقان من بعيد هذه المعركة الدائرة بين الانسان والطبيعة.. الانسان يلقي صخوره في المياه .. وهذه تعلن احتجاجها في ثورة عاتية هادرة يعلو زئيرها ويلاحق من يقف على الجانبين ليضرب وجوههم ويغرق ملابسهم، وهم لا يقابلون تلك الثورة الا بضحكات سعيدة مرحة كأن ثورة المياه ليست الا دعابة لطيفة وعبث خفيف الظل .

واشعر بشخص يندفع نحوي وهو يلهث صائحا :

ــ ياهذا المجنون ! لقد كاد يدهمني بعربته التي تشبه الفيل الهائج ، كان فتى يافعا رقيقا من فتيان المدن الكبيرة الذين لم يألفوا حياة السد الخشنة الا على صفحات الجرائد والمجلات .. وكان يمسك بيده حقيبة صفراء كتلك التي يحملها الدبلوماسيون .. ينوء بها ذراعه كما لو كان يحمل السد كله . واجبته :

ــ ان سائق هذه العــربة لا يرى من مكانه المرتفع الا البعيدين عنها .. اما القريبون منها فيجب أن يتجنبوا هم هذا الوحش والا وطئهم باقدامه .

ــ ولكنه يسير بسرعة !! ؟

ــ انهم هنا يا بني في صراع مع الطبيعة وسباق مع الزمن .. لا مجال للصبر والتمهل الا بالقدر اللازم للعمل نفسه . فكن حذرا حتى تعود الى اهلك كما تركتهم .. سالما معافى .

ويبتعد الفتى الغر في تثاقل ملتزما جانب الطريق بعيدا عن السيارات وهو يتعثر في مشيته بفعل الاحجار الكثيرة التي تعترضه . وتعود عيناي الى الماء تتصفحه ، وتغوص نظراتها في اعماقه باحثة في ذهول عن .. لا شيء .

وفجأة .. ترن في اذني ضحكة ساخرة اعرفها جيدا ، لم اسمع همس الصوت الحبيب .

ــ يا له من فتى مائع .. !! ليته جاء الى هنا وقت أن بدأنا العمل في ابريل من عام ١٩٦١ ، وسار مثلما فعلنا في دروب الجبال يقفز من صخرة لاخرى ويتخطى حجرا ليسقط على آخر ، بينما يلهبه الجرانيت الصلد بشواظ من نار ويكوي جلده

الرفيق حين يلامسه ، ويطلق خلفه افاعيه وعقاربه محـاولة ان تبث فيه مخزون سنوات طويلة من السموم الناقعة .. ،

وانظر الى الماء المتدافع في حيرة ، ثم ابتسم في حنـان وانا اجيب :

ولكنك كنت مثله يا سمير .. عندما تركت القاهرة اول مرة لتجوب بحكم عملك الهندسي اماكن غير آهلة وغير ممهدة ... سواء في اعماق الريف او في بطن الصحراء . هل نسيت حالتك وانت تعود الى من رحلاتك الاولى ساخطا لاعنا .. تشكو وعورة الطرق ، والظلام الدامس اثناء الليل يبدد سكونه عواء الذئاب .. وافتقاركم الى حياة نظيفة نقية ؟

ـ يا لها من ايام قاسية تلك الايام يا ابى .. !! لقـد كانت هزات العربة العتيقة تبلغ من العنف حدا يجعلنى افرغ كل ما في جوفي .. ثم لا بد لى من الاستمرار بعد ذلك في العمل وانا مجهد مكدود .

ـ هكذا انتم معشر فتيان المدن .. لا بد من مرور وقت طويل قبل ان تعتادوا الخشونة وتنسوا طراوة الحضر ولين الحياة الناعمة التى شببتم عليها .

ويسكت الصوت الهامس الحبيب برهة قبل ان يستأنف حديثه مرة اخرى .

ـ هل ترى يا ابى قناة التحويل تلك التى تمتلىء بالمـاء بعد ان حولوا اليها النهر ؟ .. لقد كانت جبلا شامخا من الجرانيت . وعندما جئت الى هنا اول الامر ، ورايت ضخامته وجبروته لم اصدق اننا سنستطيع ازالته من مكانه ونحفـر مجرى جديدا للنهر عمقه اكثر من ثمانين مترا وطوله ٨١٣٤ مترا وعرضه ٢٤٠ مترا .. ؟ !

ـ ولكنكم فعلتم .. وانحنى الجبل راسه امام اصراركم ؟

ـ لقد عاصرته وهو يزول شبرا شبرا .. وسمعته يتـاوه تحت ضربات معاولنا ، ثم يتطاير في الهواء صارخا فزعا بتـاثير ما كنا نفجره في انحائه من مواد ناسفة حتى يسقط بعد ذلك احجارا صغيرة وقطعا متناثرة من الصخر تتناولهـا الكراكات بكفيها الفولاذية الهائلة وتشحن بها سيارات الماز الجبارة لتنقلها الى بعيد .

ـ يا لقسـوة الانسـان !! الم تكن قلوبكم تلين لتـاوهاته وصرخاته ؟

ـ لقد كانت قلوبنا في شغل شاغل عنه بالاستجابة الى صرخات الملايين من ابناء جنسنا يطلبـون مزيدا من الارض ليستنبتوا منها الطعام والحياة ... ومزيدا من المصانع تدر بالرزق والخير ، وكنا كلما زال من الجبل منسوب .. كلمـا علت صيحاتنا بالفرح والسعادة وزاد حماسنا لازالة ما تبقى.. فنواصل العمل بالليل والنهار حتى نشغل عن طعامنا وشرابنا وشئوننا جميعا .

ـ لقد شغلتم حتى عن اهليكم . هل انسى يوم ان جئت لزيارتك بعد ان ظللت شهورا لا تراسلنى حتى انقطعت عنى اخبارك .. فاذا بى لا اكاد اراك حتى تفلت منى لاشـاهدك من بعيد معلقا فوق القمة او هابطا في اعماق القنـاة لا اكاد اتبينك وسط الالاف من زملائك العاملين ذوى السراويل الصفراء والخوذات الحديدية والاحذية الثقيلة المغبرة .

ـ ان حياتى كلها هى هذه السنوات الثلاث التى قضيتها هنا في هذا العمل . لقد كنت اشعر ان كل ما مضى من عمرى قبلها قد ولى هباء لا خير فيه . وقد كنت اتمنى ان اعيش هنا حتى ينتهى المشروع كله .

ـ ولكنك يا بنى قد ساهمت فيه بنصيب طيب ؟

ـ كنت اريد ان اشهد هذا اليوم .. وان ارى ذلك المجرى الازلى يغلق .. وان يكون لى شرف القاء آخر حجر بسده..

نعم .. آخر حجر .. ولكنها الدنيا القاسية .. لا تنيل المرء كل ما يتمناه .. !

ـ او قل هى الشمس المحرقة..التى لفحتك بشواظها حتى ابعدتك عن هنا ...

ويسود صمت ثقيل .. وانظر الى الماء في ذهول وهـو يتدافع في امواج سريعة صاخبة يكللها زبد ابيض متوهج تكاد تشكله الاشعة الساخنة . ومن بعيد يتناهى الى سمعى صوت الحركة التى تدور بين المياه ، وبين الصخور التى تلقيها عشرات السيارات الثقيلة المثقلة .

وفجاة تلمع في راسى فكرة .. وانهض من مكانى نشـيطا خفيفا قد انزاح عن كاهلى عبء السنين لاسرع الى هنـاك .. الى الفتحة الباقية من السد وقد قاربت على الانغـلاق .. واندفع نحو احد الاحجار الثقيلة احمله في يسر كما لو كانت قوة خفية قد دبت في اوصالى ، ثم اشق طريقى وسط حشـد العمال ، والقى به في الفجوة الباقية من الفتحة .. واتنهـد بارتياح ..

لقد كان الحجر الاخير .. القيته باسـم ابنى .. ابنى الشهيد ..

عبد الرحمن صالح

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
وزارة الثقافة والارشاد القومي

الادارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد - القاهرة

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد ١٠٦٥ الخميس ١ صفر ١٣٨٤ هـ - ١١ يونية ١٩٦٤ م - السنة الحادية والعشرون

الفهرس

الوحدة تحيا بين النيل ودجلة

بقلم : أحمد حسن الزيات

ان بذرة الوحدة العربية التى غرستها الثورة الناصرية بالفكر والعمل فى القلوب والشعوب جادتها السماء وعاودتها الحياة بعد أن هبت عليها ريح السموم من قفار الرجعية والعصبية فنكد زرعها وآف جناها

تداركها الله بفضله فسقاها بعرق الكادحين ودم المجاهدين حتى استعلن فيها السر الذى أودعه فى النواة المخصبة والأرض الطيبة فاهتزت وربت وأنبتت على ضفاف النيل وأرياف دجله شجرتين صنوين تسقيان بماء واحد وتجودان بثمر واحد . وعما قريب تتدلى غصونهما الوارفة وقطوفهما الدانية وبذورهما النامية فى أراضينا الشرقية والغربية فيتصل الأصل بالأصل ، ويلتف الفرع بالفرع ، ويخرج الفسيل من الجذع ، وتصبح الشجرتان جنة عرضها المحيط والخليج يتمتع فيها العربى بالاخاء المحض والسلام الدائم والنعيم المقيم . ويتنقل فى وطنه العام من قطر الى قطر ، كما يتنقل فى وطنه الخاص من مدينة الى مدينة ، لا يفصله عن قومه رسم ولا حد ، ولا يحجزه عن وجهه حجاز ولا جواز ، ولا يشركه فى خيره غاصب ولا داخل ، ولا يخفق فى سمواته البعيدة الا علم واحد ذو ثلاثة عشر نجما ! وتلك هى الحال التى كنا عليها أيام كانت فى أيدينا قيادة العالم ، وفى قلوبنا قوة الايمان ، وفى رءوسنا نخوة العروبة ...

وهذه هي الحال التي سنصير اليها بايمان الرائد الأول جمال ، واخلاص القائد الثاني عارف .

ان الوحدة العربية العـــامة قائمة بالفعل لانها طبيعية، آتية فى الدستور لانها حتمية : هى طبيعية لان الوشـــائج التي تصـــل ما بينهـــا هى وشائج الدم والقلب واللســـان والتراث والموطن . وهى حتمية لأن العوامل التى تدعو اليهـــا هى عوامل الدفاع عن النفس ، والصراع على البقـــاء فى عصر تناصر فيه الاستعمار واسرائيل على العرب يريدون ان يحتلوا ارضـــهم بالقوة ، ويســـتغلوا خيرهم بالخديعة. فالصد عن سبيلها صد عن حق تقتضيه الفطرة وتفرضه الضرورة . ذلك الى أن الاستعمار والطغيـــان اذلال وقهر والعربى بطبعـــه أنوف أبى لا يصبر على الهـــون ، ولا يغضى على المذلة . فمتى تحلحل عن صـــدره الدخيل ، وانزاح من طريقـــه العميل ، لا يجد ما يفصله عن وطنه ولا ما يشغله عن أخيه . والاستعمار مهما يطل احتلاله سيرحل . والطغيان مهما يبعد ضلاله ســـيزول . ولن يبقى الا الأمة العربية مســـتقلة الكيان ، شديدة البنيان متينة الوحدة .

ان اتفاق الوحدة الذى وضـــعت أصوله مصر والعراق حدث تاريخى ضخم له ما بعده . واخطر ما فيه على عدوه أن المســـتعمرين لا سلطان لهم عليه ، وان الانفصـــاليين لا حيلة لهم فيه . لان اتفاقا اقيم على اسس وطيدة من الدرس والتجربة والعقيدة والرغبة والمصلحة سيكون اقوى من ان ينال منه الكيد وتنفذ اليه الوقيعة . فاذا اضفت الى ذلك أن ملاك الوحـــدة ارادة الشـــعوب وهى متحققة بالفعل ، واخلاص القيادة وهى حاصلة فى الواقع ، وان الاحوال الاقتصـــادية والاجتماعية متشابهة فى دولتى الاتفاق فلن يهاجم الاشـــتراكية اقطاعى لانه صاحب ملكوت ؛ ولن يقاوم الديمقراطية رجعى لإنه صاحب جبروت، أيقنت ان الوحدة قوة لا يقام لها بســـبيل ولا يهجم عليها بمؤامرة

على أن العراق الشقيق ــ على الأخص ــ سيجد فى الوحدة الاشـــتراكية صهرا لأجناسه المتعددة ومزجا لدمائه المختلفة وحسما لنزعاته الانفصـــالية التى تظهر أعراضها حينا بعد حين فى شماله .

ان رءوس الشياطين انما تنجم بالفتنة والفرقة فى البلاد التى يسود فيها الحكم الفردى او الطغيان الحزبى ، فاذا قطعت هذه الرءوس باشاعة الاخاء والمساواة ، وطهرت تلك النفوس بتحقيق الكفاية والعدل ، شعر كل مواطن ان وطنه ملك يديه ، وان مرجع الأمر فيه كله اليه ، فتنقطع اســـباب الخلاف ، وتنطفىء نيران الحقـــد ، وتموت بواعث الطمع ، وتخلص قوى الشعب العاملة من شوائب التحيز والتميز فتعمل جميعا لانتاج الخير المشترك فى الوطن المشترك .

على أن الضـــمان الأقوى لتمـــام الوحـــدة الاشـــتراكية ودوامها بين مصر والعراق ، وقيام الوحدة الدستورية وشمولهـــا بينهما وبين الأقطار العربية الأخرى ، هو هـــذه التجربة الموفقة التى جربتها الثورة فى أرض الكنـــانة فـــارت بعد التوقف ، وسبقت بعد التخلف ، وصنعت فى اثنى عشر عاما من آيات الحضارة والعمارة والاحياء والرخاء ما لم تصنع بعضه فى تاريخها الطويل كله . ذلك لان المرء يقتنع بالعيان لا بالخبر ، ويؤمن بالتجربة لا بالنظر ، ويشك فى الشىء يسمع به ويدعى اليـــه حتى يبصره بعينه ويلمسه بيده ويحسه فى نفسه والمعجزات الخوارق التى حـــدثت فى الجمهورية العربية المتحدة وبخاصة سدها العالى يراها العربى راى العين ويعلمها علم اليقين ، فاذا عرض محدثاتها على عقله الخالص ومنطقه السليم لا يجدها الا فى اشتراكيتها العربية الفريدة التى بنتها على اسس من الدين والخلق والوطنية فى الفرد ، ورفعتها على قواعد من الكفاية والعدل والديمقراطية فى الجماعة، فلا يملك امام هذه التجربة الصادقة الناجحة الا ان يقول انها التطبيق العملى لرســـالات المرسلين ودعوات المصلحين واعلام الفلاســـفة .. وما كان لمؤمن يرى دينه مطبقا بالفعل منفذا بالقانون مجددا بالعلم ان ينصرف عنه الى نظام يخلقه مخلوق وكلام يزوره عابث

لهذه المعانى الواضـــحة والأمثلة المـــاثلة يعتقد العرب اجمعون ان الوحدة التى انعقد عليها الاجماع بين القاهرة وبغداد ستتم وتعم وتدوم ، لانها فضلا عن مزاياها ارادة شعبين تخلصا من اوزار العصبية، وتطهرا من اوضار الحزبية ، وصمما على ان يكونا لأمة التوحيد النظام الذى يجمع العقد المبدد والدعام الذى يمسك البناء المتحل . وسيبلغان من ذلك باذن الله وعونه ما يريد لأمته ان تبلغ ولكلمته ان تعلو . ويومئذ يسعد المخلصون باسفار الأمل ، ويغتبط المجاهـــدون باعلاء الحق ، ويفرح المؤمنون بنصر الله .

احمد حسن الزيات

نهرو

بقلم للدكتور محمد أحمد خلف الله



ما الأبعاد الحقيقية لعظمة هذا الرجل ؟

هذا هو السؤال الذى طرحته على نفسي حين هممت بالكتابة عن البانديت جواهر لال نهرو الزعيم الهندى المعروف .

وهو سؤال طبيعي فى هذا الموقف **فلست اريد لنفسي أن تمضي فى الحديث عن هذا الرجل على اساس من العلاقات العاطفية التى تجىء نتيجة الاستهواء ، او نتيجة للمصالح . انما اريد ان احتكم فى حديثى عنه الى قيم انسانية تكون بذاتها مقياسا حقيقيا لعظمة العظيم ـ فضلا عن ان يكون هذا العظيم هو جواهر لال نهرو .**

والقيم الانسانية التى نحتاجها فى هذا الموقف هى تلك التى آمن بها **نهرو** واتخذ منها نبراسا يهديه فى كل موقف . **انها المثل الاخلاقية العليا التى يربط بها الانسان العظيم وسائله باهدافه ، ويحقق بها الانسان العظيم كل انتصاراته .**

والانتصارات العظيمة لا تكون سهلة ابدا . انها لاتكون الا بعد تخطى الصعاب والعقبات ، والا بعد تحمل المشاق . **وأهم عقبة يتخطاها العظيم هى عقبة الحوار الداخلى الذى ينشا فيما بينه وبين نفسه ذلك الحوار الذى يكون بين ضمير من له ضمير وبين عاطفته او مصلحته الشخصية او مصلحة الوطن والمواطنين .**

ان العظيم لا ينسي انه عظيم ، ولا يحب ابدا أن يهدر قيمه ومثله ، انه ابدا يتطلع الى الامام ،ويتطلع الى تحقيق اهدافه فى اطار من خلقيته .

ولقد كان نهرو عظيما ، وكان ممن يؤمنون بالقيم ، وكان ممن تنازعهم انفسهم فى المواقف الحرجة ، وكان فى اغلب حالاته يضحى برغباته الخاصة فى سبيل الاحتفاظ بقيمه التى يراها صالحة للحياة ، وجديرة بالعناية .

ولعل أول صراع نفسي نلحظه فى حياة ذلك الرجل هو ذلك الصراع الذى نشا بين عقله وقلبه فى السنوات الاولى من مقامه بانجلترا .

لقد عاش ايام الصبا فى الهند ، واكتسب من خصائص الثقافة الهندية كل ما يمكن اكتسابه ، ثم رحل الى بلاد الانجليز وهيا له ذكاؤه الا يقف عند حدود المعرفة وانما تعمق الى حيث الجذور الثقافية للشعب البريطانى واكتسب هنا ايضا خصائص الثقافة الانجليزية .

ولم يكن من السهل ابدا ان تلتقى هاتان الثقافتان ثم لا يكون بينهما صراع علما بان احداهما تنتمى الى اقصي الشرق والاخرى تنتمى الى اقصي الغرب .

ولم يكن من السهل ابدا ان يمضي هذا الصراع فى سهولة ويسر **لاسيما ونحن نعلم انه يدور فى الكثير الغالب حول المقدسات الدينية التى لايصح ان تكون محل حوار ابدا .**

لقد كان عقل نهرو وهو موطن هذا الصراع العنيف . ولقد انتهى هذا الصراع الى زلزلة ايمان **نهرو** بمقدساته . ولعله من هنا كانت كراهية **نهرو** للعطلات الرسمية الدينية ، ولترك الابقار المقدسة حرة طليقة ، ولحرق جثث الموتى ـ بل لعله من هنا كانت وصيته تلك التى تطلب الى خلفه ان يكتبوا على

تبرره تلك الجملة « **هذا هو الرجل الذى أحب الهند ، والشعب الهندى بكل عقله وقلبه . ولقد تعطف الهنود عليه بدورهم فمنحوه الحب بوفرة وسخاء.**»

لقد كان المسكين يظن انه سيحمي من ان يكون جسده طعمة للنيران تلتهمه كما تلتهم جسد اى هندوسي آخر .

واعتقد انه ليس من السهل على من كان مثل نهرو ممن ينتمون الى طائفة البراهمه ان تنزع منه العقيدة الدينية دون ان يصاب بشلل فى العقل او بمرض فى الاعصاب .

انه من هنا تبدو العظمة — لقد تحول من موقف الى موقف دون أن يصيبه الخلل .

لكن هل استطاع نهرو أن يقضي على كل خصائص هذه الثقافة الدينية الهندية فى نفسه ؟

اظن لا . **واظن ان نهرو ظل فى قرارة نفسه هنديا صميما.** انه فقط لايودان يفعل مالايرضي المثقف الغربى بفعله . **انه يحترم عقله اكثر مما كان يحترمه اى هندى آخر .**

اما الصراع الثانى فقد دار بين وضعه القديم كثرى هندى وبين ثقافته الغربية التى انتمى فيها **الى الاشتراكية الفابية . والصراع هنا لم يطل فما** أسرع ما**خرج الرجل عن حياة الارستقراطية — حياة القصور — ونزل الى الشارع واختلط بعامة الشعب ، واصبح المعبر عن احلامهم ، وآمالهم ، وامانيهم .**

لقد ظل نهرو بؤرة المشاعر الوطنية طوال مدة حكمه التى بلغت سبعة عشر عاما . **ولقد نادى نهرو بالاشتراكية العلمية،وبالدولة المدنية ،وباحترام الشخصية الانسانية ، وكل ذلك لم يكن الا نتيجة لهذا الصراع الذى نشب بين وضعه ووضع أمته من خلال تلك النافذة التى اطل بها على الوضعين وهى ثقافته الغربية .**

أما الصراع الثالث فكان موقفه من الاستعمار ،

لقد نذر نفسه فى سبيل استقلال الهند ، وفى سبيل الخروج بالشرق عن دائرة استعمار الغرب ، وجاهد فى سبيل ذلك جهادا عنيفا حتى القى به فى السجن لمدة عشر سنوات ، ولكنه مع كل هذا ظل وفيا للثقافة الغربية وللانجليز .

لقد كان بوسعه حين حصل للهند على استقلالها ان يخرج عن دائرة الكومنولث وان يناصب اعداء بلاده ومستعمريها العداء . ولكنه لم يفعل **حتى لقد اتهمه بعض زملائه من المجاهدين الهنود بانه كان يسعى فى سبيل الاستقلال كما يسعى الارستقراطيون الانجليز سواء بسواء** .انه كان يرى أن تنال الهند استقلالها كما تنال كل دولة فيها للاستعمار قدم . **وهو فى ذلك لا يمتاز عن رجل انجليزى هو برتراندرسل فى اى شيء . انهما فى هذا الموقف سواء .**

ولكن هذا الذى يقال مردود عليه بان الرجل كان يؤمن بالانسانية ويرى التوفيق فيما بين الناس ويشعر بان الحلول الوسط قد تحقق الكثير من الاهداف.

اما الصراع الرابع فقد كان يدور حول ايمانه بوحدة بلاده فى أمة واحدة مع اختلاف اللغات واللهجات والاديان .

لقد عانى فى سبيل ذلك الشيء الكثير ، ولقد عز عليه ان يقوم المستعمر بتقسيم الهند على اساس من الدين ، ولقد كانت عقدة العقد فيما بينه وبين باكستان مسألة كشمير . **انها فى حقيقتها راجعة الى ما كان يعتمل فى نفسه من ايمان بالوحدة وعدم القدرة على تحقيقها .**

ان مما لاشك فيه ان نهرو استطاع ان يسمع العالم اجمع كلمة الهند الموحدة — لكن هل يتسنى **لمن يجيء بعده ان يبقى للهند على وحدتها ؟**

ذلك امر متروك للزمان .

والصراع الخامس والاخير يدور حول نظرية التعايش السلمى وعدم الانحياز .

لقد قالوا ان سياسته الحيادية لها ما يبررها اذ

ان الهند دولة ضعيفة . ليست لها قوة حربية ذات بال ، ولا ميزانية ضخمة تتحمل اعباء التسليح . كما انها تتيح للهند فرصة قبول المعونات من كلا المعسكرين الشرقى والغربى .

لكن حرب الصين زلزلت ايمانه ، ودعته الى ان يخرج عن دعوته السلمية .

تحدث ذات يوم الى احد القواد العسكريين الغربيين العائدين من كوريا فقال **(عند ما ترتاد ميدان التفكير العسكرى . هناك مايدفعك الى المضي الى ابعد الحدود ... ويحتمل انك تخون الهدف الذى من اجله تخوض غمار الحرب .**

وما كانت الحرب ابدا هدفا فى حد ذاتها ، كما ان النصر ليس هدفا ... فانت تقاتل لتزيل من طريقك العقبة التى تقف حائلة بينك وبين هدفك .. فاذا ما جعلت النصر هدفا فى حد ذاته تكون قد ضللت الطريق ، ونسيت ماكنت تقاتل من اجله اساسا .

ومن الخطا دائما ان تفترض انك تستطيع تحقيق النجاح باتباع الاساليب العسكرية حتى النهاية .

لقد دلت على ذلك كل حرب نشبت فى هذا العالم .

ربما وجد جنود كانوا رجالا عظاما ... لكنى لا اعتقد ان المظهر العسكرى استطاع ان يحل اية مشكلة كبرى فى العالم .

ومع هذا لقد قضينا حياتنا فى الهند ونحن نحاول قدر استطاعتنا اتباع روح غاندى ... لقد تحدث غاندى عن عدم العنف ... **اما نحن الان فنتولى شئون حكومة ترعى جيوشا ، وقوات للطيران ، وتقوم باعتقال طابعها العنف فى احيان كثيرة .**

لكن ماذا نفعل ، وماذا يكون موقفنا ازاء الاحداث ؟ .

بقيت كلمة اخيرة **عن عظمة نهرو وتتعلق بايمانه العميق بالديمقراطية .**

لقد كان فى مكنته ان يكون دكتاتورا ولكنه لم يفعل ، وهو من دون الذين قادوا بلادهم فى معارك الاستقلال الذى وفى وظل وفيا للديمقراطية .

ان كل ما قام به فى الهند من اصلاحات انما تم بموافقة البرلمان ولم يفعل شيئا اى شيء خارجه .

وصفه احد المعلقين السياسيين فقال :

انه الهندى الذى اصبح اوروبيا .
والنبيل الغنى الذى اصبح من عامة الشعب .
والبرهمى الذى صار اشتراكيا .
والاشتراكى الذى سانده راس المال .
والانسان الذى حاول ان يقيم دولة لايحكمها الدين فى بلاد تعذبها نزعة القرون الوسطى الدينية .

انه شخصيات عديدة فى نفس واحدة .

كلمات

امريكا

القى ستيفنسون المندوب الامريكى خطابا جاء فيه

ان آمال العالم ترتكز على زعماء مثل نهرو : هؤلاء الزعماء الذين يتصفون بشدة الباس والمرونة فى نفس الوقت. وهو يترك لنا نصبا تذكاريا يتجسد من شخصيته ويرمز الى الحرية والرخاء للبشرية جمعاء .

روسيا

وعبر فيدورنكو المندوب السوفيتى عن اسفه العميق لوفاة الزعيم نهرو وقال : لقد فارقنا احد من عظماء الرجال الذى بذل الجهود المتواصلة لتحقيق السلام والاخاء بين البشرية .

فى بلغراد بلجراد

اذاع تيتو بيانا قال فيه

ان الانسانية فقدت واحدا من اعظم شخصيات القرن العشرين .. فبفقدانه ، خسرت البلاد غير المنحازة ، والتى فى طور الانماء ، بل ربما فى العالم اجمع ، مجاهدا كبيرا من اجل السلام ، كان ملما الماما كاملا بالموقف الدولى ، ولم يال جهدا للاخذ بيد الانسانية حتى لاتبلغ شفا كارثة جديدة .

دكتور

محمد احمد خلف الله

من روائع الشعر الإسلامي
مختارات من شعر "أنوري"

للدكتور محمد غنيمي هلال

هو حجة الحق أوحد بن محمد الشهير بأنوري . عاش في عصر الملك سنجر ، آخر كبار الدولة السلجوقية ، وبعد أن مات سنجر (٥٥٢ هـ - ١١٥٧ م) واستولى الغز على خراسان ، شرد هو في البلاد ، وكان أكثر مقامه في مرو ، الى أن توفي حوالي عام ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م) ، وهو من أعظم شعراء الفرس القدامى ، بل هو أحد ثلاثة أطلق عليهم في الادب الفارسي : أنبياء الشعر ، ويورد عبد الرحمن الجامي ، في كتابه بهارستان ، بيتين من الشعر الفارسي هذه ترجمتهما :

« ثلاثة من انبياء الشعر » - في الوصف وفي القصيدة وفي الغزل : فردوس وأنوري وسعدي» . ومكانة أنوري في الشعر الفارسي شبيهة بمكانة المتنبي لدى شعراء العربية ، وبين هذين الشاعرين قرابة في العبقرية ، من حيث المضمون ، ورصانة العبارة ، وقوة الأداء في الأعم الأغلب من الحالات . وأنوري يمزج القصيدة بخواطر ذاتية غنائية، وبحكم خلقية . وقد بلغ بقصيدة المدح الفارسية أقصى ما كان لها من كمال بعد عنصري وفروحي ، ولم تنقص قدرته في الغزل عن موهبته الفذة في القصيدة. وقد أفاد في أشعاره من ثقافته العربية الواسعة ، على أن ما لقيه من جحود وجفوة ممن مدحهم جعله يعاف المديح ، بل جعله ينكر قيمة الشعر نفسه ، ويفضل على صلات الناس جميعا - خلوة مطمئنة تنتهي بها أيامه ، بعد حياة حافلة بالاضطراب ، غير مستقرة على حال . ونختار له هنا هذه المقطوعات .

- ١ -

المرآة والمشط

منذ ألقيت نظرة على المرآة ، فرأيت شعرة بيضاء من شعري

أشحت بوجهي عن المرآة عجلا ، خوفا من الوهن، وذعرا من الهرم

واليوم في المشاط رأيت - بدلا من تلك الشعرة - شعرات كثيرة ، فتزلزل فؤادي آن أن أعاني حسرة الشباب ، اذ قد أشرفت على الكبر .

نظرت الى نفسي في المرآة . ومن المشاط سمعت مئات العظات .

- ٢ -

الماء والسمكة الميتة

قال لي صديق : عليك بالصبر ، فان الصبر سرعان ما يحيل أمرك الى الخير .

الماء الذي غاض من الغدير سوف يعود ، وستتبدل غير هذه الحال حالا .

فأجبت : لو عاد الماء الى المعين ، ماذا تكون جدواه وقد ماتت السمكة ؟

- ٣ -

شحاذ

سمعت أن أحد الفطنين قال يوما لأحمق : انوالي مدينتنا شحاذ لا يستحي .

فأجابه : كيف يكون شحاذا ذلك الذي نسيج تاجه الذهبي يكفي مائة من أمثالنا زادا وقوتا أياما، بل سنين ؟

فقال له : خطأ ما تقدر في هذا الامر ، كل هذا الزاد والقوت من أين كان له ؟

فالدر واللآلىء في طوقه هي دموع أطفالنا، ومرجان سرجه وياقوته دماء أيتامكم ، هو الذي يريد مناكل شيء لنفسه ، حتى مياه الجرار ، لو تأملت فان نخاع عظامه من زادنا . انما الطالب سؤاله ، باسم العشر أو باسم الخراج ، كل ما يغتصبه لنفسه فهو عنده حلال . واذا كان السؤال ليس شيئا سوى الطلب، فكل من يسأل شحاذ ، ولو كان سليمان أو قارونا .

- ٤ -

المفوض الزائف

ألا فلتسمح لي بفضل الاصغاء الى حكاية ، على الا يأخذك من هذه الكلمات ضيق في عهد ملك شاه مر بدوي - في طريقه الى الحج - بقصر الملك ، في حين صادف اجتماع مجلس الملك فاستجداء البدوي

قائلا : قد اعتزمت الحــــج ، فاذا منحني الملك مائة دينار ، فسأقوم بوفر من الدعاء في اخلاص ، كي تمتد حياته ودولته ، حين أتعلق بحلقة باب الكعبة وحين استمع الملك الى كلامه قال لخازنه : هيــا ، فأحضر ما طلبه البدوي مضاعفا • ذهب الخـــازن واحضر ما أمر به ، ووضعه أمام الملك ، فقال الملك في لطف للبدوي : اليك يا سيدي •

تقبل المنحة ، واعلم انها مائة دينار ، مائة لزادك وكراتك وحزاتك ومائة أخرى أسر بها اليك، أرشوك بها ، لا من أجل نفع لي ، بل في رضاء الله ، ذلك انى أحذرك أن تذكرني اى ذكر حين تصل الى الكعبة، اذ الوكيل الزائف مصدر الدمار للأمور جميعا •

القضـــاء

اذا لم يكن القضاء هو الآمر الناهي في أحـوال الناس ، فلماذا تجري الاحوال على خلاف ما يرضون؟ نعم ، يجر القضـــاء عنان الخلق الى كل ما هـــو طيب أو سيء ، وفي هذا برهان على أن كل ما يدبرون خطا ينتج الزمان آلاف النقوش ، وليس واحد منها كما يبدو في مرآة ما تخال أو تأمل

فمهما اختلفت أشكال العناصر الاربعة في هـذه الدنيا ، من وجود وفساد ونشوء ونماء فان ما بينها من تفاوت في النقش هو من خط القلم في يد حركة الكواكب •

لا يستطيع امرؤ ان ينبس قائلا : كيف ، ولم ، لان مصور الاحداث منزه عن كيف ولم • ولما لم يكن في يدنا شيء من حل أو عقد ، فجـــدير أن نرضى بالعيش طيبا أو غير طيب هكذا يستطاع العيش تحت قبة الفلك الزرقاء ، لان مقتضيات القضاء من قبـة الفلك الزرقاء مقتضيات القضاء من قبة الفلك، حيث لا مهرب لي منه في مجال جبلتي ، لانه الولي القادر على الجبلات والمواليد •

وهل يعرف امرؤ مدى ولوع هذا الفلك المحدودب الاخضر بأذى الانسان في الدنيا ؟ ليس من بصيرة تقف على أشكال دوراته ، وليس من بصر يرى أسرار احكامه • أية حركة تلك التي لا أول لها ولا آخر ، وأي دوران ذلك الذي لا نهاية له ولا مبدأ ، لاشكاية لدي من دوران هذا الفلك ، فشرح ذلك يستغرق عمرا كاملا ، وجدير به أن يستغرق •

حين ينصفك الدهر من نفسه ، فلماذا لا تنتصف أنت لنفسك ؟

كن مبتهجا ما استطعت ، وكنه ، اذ سيأتي زمان فيه لن تستطيع •

هروب الثعلب

كان ثعلب يبدو مهموما ، ورآه على هـــذه الحال ثعلب آخر •

فقال له : خير ؟ أفضِ لي بالخبر ، فأجاب : يستولي السلطان على الحمير

فقال له : ولكنك لست حمارا ، فماذا تخاف ؟ فأجاب : حقا ، ولكن الناس لا يعرفون ولا يفرقون ، ويستوي لديهم الحمار والثعلب •

وهذا يا أخي ما أخشاه ، ذلك أنهم حين يضعون البرذعة علينا ، كما يضعونها على الحمار ، لن يعرفوا الحمـار من الثعلب ، واذن يسيئون اليـك دون أن يدروا !!

دكتور : محمد غنيمي هلال

تأملات فى الفكر الاسلامى

بقلم : فؤاد أبو الغيط

مقدمات عامة

اضافت الانتصارات العلمية التى حققها انسان هذا العصر الكثير الى ابعاد الحضارة . الا أن هذه الانتصارات رغم كل ما احيطت به من عوامل الاثارة بقيت ، حيث ينبغى أن تكون ، مجرد تعبير عن مقدرة الانسان **دون ان تستغرق جوهره أو تطمس ، بطبيعتها المادية ، معالم الشعور الانسانى فيه .**

.. وعلى ذلك بقى الجوهر الانسانى يفرض طبيعته ويتحكم فى نتائج قدراته **ويمنع الانحراف بمدلولاته وآثارها . وقد نهضت الارادة البشرية ، تأكيدا لذلك ، بدورها خلال اعنف لحظات الاثارة . وعبطت بالضجة الى حدودها .. ورفعت فوقها ، وفى كل المجالات قيما عليا ترتبط بالانسان وتكشف عن آفاق روحه غير المحدودة بانتصار يصنعه .**

وليس من قبيل الصدف فى عصرنا ، وانما هو من وحى هذه الحقيقة ، أن تتأكد الدعوة الى السلام والحرية .. وتتحدد أبعادها : **عقيدة وهدفا لكل الشعوب ووسيلة لا بديل لها لحماية المصير البشرى المشترك ، وأن يزداد وعى الجماهير داخل حدودها الوطنية وتتضاعف تطلعاتها نحو التحرر الاجتماعى والسياسى كضرورة لابد منها لتحقيق احترام الفرد ورفع التحكم فى مصيره .**

والجدير بالملاحظة أن تزايد الشعور بالوحدة الانسانية لم يحدث على حساب الوجود القومى وانما ، على العكس ، اقترن باتجاه يقلل من التشكك فيه ويسير فى الطريق الصحيح نحو تحقيق الفهم غير المتجنى لدوره وصلاحيته كأساس للتنظيم الدولى . وأغلب الاعتقاد أن النجاح القوى والسريع الذى لقيته قضايا السلام والحرية يعد رد الفعل المقابل لهذا الاتجاه المنصف .. وأكثر من ذلك نعتقد أن استمرار التفاف الشعوب حول السلام والحرية يحدده مدى الاحترام الذى تحظى به المشاعر الوطنية والقومية وان كل محاولة للمساس بها تؤدى بصورة مباشرة الى تهديد السلام وتجريده ، كمثل بشرى أعلى ، عن دلالاته المقدسة .

ضرورة النظرية :

ورغم أن الأهداف السابقة فى الاساس الى تطلعات بشرية لها اعتبارها واعماقها فى طبيعة الانسان المرتبطة بالسلام والتحرر كمثل توجيهية تعبر فى جوهره وضميره عن القدوة والهدف .. فان ذلك لا يعنى ترك وجودها والابقاء عليها للانطلاقات العفوية لمثل هذه التطلعات المرغوب فيها وفى استمرارها . وانما يجب أن تدعم بمساندة منظمة من الجهد البشرى تحميها من التصدع وتزيد من فرص النمو والتثبيت امامها .

. وبتعبير آخر .. انه لا يكفى أن تكون هذه الاهداف قد أصبحت أمل الشعوب .. كما لا يكفى أن تظل كذلك . بل ينبغى أن تصبح ، وأن تبقى دائما ، **جهد هذه الشعوب كما هى املها ايضا وأن تلتزم محاولات التحرك بالهدف من طريق الممارسة بموجبات التطابق بينه وبين السلوك البشرى .**

ومعنى ذلك .. أن الجهد الانسانى فى حاجة الى نظرية مدركة ذات مضمون كاشف .. تنسق بين امكانيات النضال وتوحد اتجاهاته فى نطاق قواعد تبدأ منها وعندها الضمانات المطلوبة لتحقيق المجابهة الفعالة لمشاكل البشرية .. وبصفة خاصة فى نطاق قاعدتين :

- أن السلام والحرية تعبير طبيعى عن واقع يتحقق بالضرورة عند فهم معنى المساواة بين وحدات المجموعة الدولية والالتزام بحدودها .
- وأن الوجود القومى المتعدد فى اطار الوجود الانسانى الواحد ليس جمعا بين متناقضات . واذا كانت ثمة انحرافات قد حدثت أحيانا .. فانها لم تكن تعبيرا عن تناقض وانما كانت دليلا على عدم فهم للتعدى والحدود .

•• ويعطى ذلك للوحدة القومية حرية ممارسة تجاربها الخاصة وتحديد مفهوماتها عن العدالة الاجتماعية والسياسية والتحرر طبقا لمدلولات هذه التجارب ، وهذه الحرية وان لم تكن مطلقة الا أنها واسعة حيث لا يحد منها الا الالتزام باحترام تجارب الآخرين والامتناع عن كل محاولة لتصدير المعتقدات وتنظيمات التجارب الخاصة• على الا ينصرف ذلك الى مفهوم يعزل التجارب الوطنية داخل حدودها نهائيا •• لأن المقصود أن يتم التأثير المتبادل فى حدود الامتصاص الطبيعى المجرد عن الفرض والاجبار • والالتزام واجب وضرورى لتحقيق المساواة الدولية واتاحة الفرصة لكافة الشعوب للمساهمة بطاقاتها الحقيقية فى تحديد منهج السلوك واثراء القيم وكشف أبعادها •

القيم المعنوية : جوهر وضمان :

ويتحقق الوجود الطبيعى والملائم للنظرية المطلوبة فى ظل القيم المعنوية للانسان باعتبارها الجوهر والطاقة ••لأن مجرد النظرية لا يحدث التوازن بين متقابلاتها عند التطبيق ، وانما يلزم لحدوثه أن تكون فى روحها امتدادا لأعماقه •

•• وهذه القيم لا تعد جوهرا فقط لأنها تعطى ايحاءات كثيرة وهامة تعد ضمانا للارتباط بها أيضا• وفى مقدمة هذه الايحاءات :

تحرك فى الانسان نخوة الشعور ببشريته وتقوده الى جوهره النقى باستمرار •

يتمثل فيها على أفضل مستوى •• معنى الاختلاط والتداخل البشرى • لان هذه القيم – حتى التى تنسب منها الى شعب معين – تنصرف فى حقيقتها الى اضافات صبغتها أجيال الشعوب وعقائدها على اختلاف مكانها وزمانها •

تفتقر الاهداف الانسانية بدون هذه القيم الى مبررات مقنعة لوجودها وتختفى روح المعالجة الانسانية للمشاكل وتتزايد بالتالى احتمالات الصراع الذى لا يلتفت الى واجباتها •

وغنى عن البيان •• ان القيم المعنوية التى نذهب اليها هنا •• هى كل القيم التى تنمى فى الانسان تطلعاته وتضىء بصيرته وتوجه روحه وارادته نحو الكمال •

نحو نظرية عربية :

واذا كانت شعوب العالم تحاول جميعا أن تلتقى بتصرفاتها مع الأهداف البشرية•• فان الشعب العربى قد تحمل دوره بوعى ومقدرة • ولم يدفعه جهاده القومى ولا مواجهة التحديات الاستعمارية الى نسيان تركيبه الانسانى أو اهتزاز ثقته فى القيم البشرية المشتركة • **وظلت مناضلته من اجل السلام والحرية هدفا رائدا يسير جنبا الى جنب مع المناضلة القومية ذاتها •**

•• وليس هناك ما يؤخذ على المساهمة العربية فى هذا الصدد الا تخلف المنهج الفكرى المكون للنظرية وهو ما يؤخذ بصفة عامة على النضال البشرى الذى يدين بما حظى به من مكاسب حتى الآن الى التطلعات الانسانية فى لحظة من لحظات التوفيق الفطرى غير المسبوقة بدعوات فكرية ترقى الى مستواها •

والملاحظة لاتعيب النضال العربى ، كما لاتعيب النضال الانسانى عموما ، لأن طبيعة النظرية المطلوبة تحصيلية لاحقة •• تقوم على استجابة فكر الانسان وقدراته لارادة نابعة من أعماقه • وعلى العموم فالمسألة تعد ظاهرة طبيعية **من ملامح مرحلة معينة لا بد أن تلتقى البشرية بعدها بالمضمون الفكرى المناسب حتى تتوافر للمناضلة فى سبيل هذه الاهداف كل عناصرها •**

القيم الاسلامية : طاقة غير محدودة :

ولكى يتوافر للجهد العربى نظرية عربية ذات مضمون استمرارى قادر على مواصلة التأثير والتوجيه والاضافة • فانه ينبغى ان يتاح للقيم المعنوية مجال كاف لممارسة دورها على النحو ايجابى وفعال •

•• وبصدد هذه القيم •• تملك القيم الاسلامية ، أكثر من أى مصدر آخر ، طاقة غير محدودة من الاشعاعات الانسانية ذات القدرة على التصدى ، بايجابية كاملة ، لنصرة السلام والحرية والعدالة •

·· والحديث عن القيم الاسلامية فى مجالسنا لا يستند الى التجاوب العاطفى معها بقدر ما يستند الى موضوعيات دقيقة تحيط أبعادها بكل الاعتبارات الانسانية والتاريخية والواقعية الواجبة · وللآتى بالذات :

توافر للشعوب العربية من التجارب ذات الطابع الاسلامى الرائد تراث ضخم لو أعيد تقييمه ودراسته فانه يقدم للانسانية ايحاءات كثيرة بناءة وايضاحات شاملة ترسم حدودا واضحة وعادلة لكثير من المعانى التى لا تزال فى ضمير البشرية وواقعها تبحث عن استقرار ·

فشلت الفلسفة المادية المنكرة للعقائد السماوية تماما فى تغيير الجوهر البشرى · وبقيت حاجة الانسان الفرد والجماعة الى الدين ضرورة تحتمها الطبيعة الانسانية ذاتها ·

اهتم الاسلام ، وحده من بين العقائد السماوية ، بتنظيم العلاقة بين الانسان وخالقه بقدر اهتمامه بتنظيم العلاقات الانسانية الدنيوية . بل ويعد التنظيم الاسلامى للعبادات اضافة جديدة تدعم القيم الضرورية فى مجال المعاملات ، وبذلك ينفى الاسلام كل مفهوم قاصر يقف به عند مجرد الدعوى الاخلاقية الحالمة ويؤكد وجوده ورسالته الحياتية الكاملة .

سجلت التعاليم الاسلامية تفتها فى جهد الانسان وقدراته بابتعادها عن المعالجة التفصيلية فى تنظيمها للواقع الانسانى واكثارها من التعاليم ذات الطبيعة العمومية الممتدة ·

وانه فى كل الاحوال ، ومن كل ما سبق ، يقدم الاسلام « المنهج المثالى » للتصرف ويرسم له حدوده وأبعاده دون أن يغفل عن ارادة الانسان التى أعطاها الفرصة كاملة للابداع والتطوير وتوجيه الحياة والسيطرة على الظروف ·

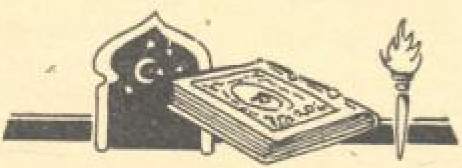
حقيقة واضحة ·· وطريق غير ممهد :

ورغم وضوح هذه الاساسيات فى العقيدة الاسلامية فان طبيعة هذه التعاليم غير واضحة على المستوى العالمى وان أمكن أن نرد بعض ذلك الى محاولات أعداء الاسلام فان المسئولية تحيط بالشعوب العربية والاسلامية احاطة كاملة لعدم نجاحها فى استيعاب هذه القيم ضمن حياتها ·· وبالتالى قلت اشعاعاتها خارج حدودها لافتقاد المثل والنموذج ·

·· وباختصار ·· ان هذه القيم بقيت معزولة بامكاناتها الايجابية الهائلة عن ممارسة دورها التأثيرى والتوجيهى فى تحقيق اهداف البشرية ، على الاقل ، على النحو والمدى المناسب لقدراتها الحقيقية ·

·· والحق ان هذه العزلة ليست من وحى العصر ·· وانما هى وليدة ظروف كثيرة تراكمت عبر الزمن ومن خلال الاحداث ومن ثم فكل دراسة تهدف الى تحديد دور هذه القيم وتوضيح امكانياتها يجب أن تسبقها ايضاحات وتحديدات جادة وكافية ومتناسبة مع هذه الغاية الضخمة المقصودة والضرورية ·

فؤاد ابو الغيط



نهرو السياسي والفيلسوف

بقلم: محيي الدين الألوائي الهندي



ودع العالم فى الأسبوع الماضي احد عظماء القرن العشرين ، الذى ملأ الدنيا بالدعوة الى السلام ، والتعايش السلمى بين الدول والشعوب على اختلاف انظمتها وطرق حياتها .. واسهم اسهاما فعالا فى انقاذ البشرية من ويلات الحروب المدمرة ، وناضل نصف قرن من الزمن ضد الاستعمار والعنصرية فى كل مكان .

وقصة حياة الزعيم الهندى الراحل « جواهر لال نهرو » تحفل بصور يتجلى فيها نهرو الانسان والزعيم والمفكر والفيلسوف وفضلا عن انه سياسي حكيم وكاتب عالم . وقد ادى اطلاعه الواسع وشغفه بالعلم والادب الى ان اشتهر فى ميادين العلم والادب والفلسفة ، كما اشتهر فى ميدان السياسة والزعامة الوطنية . وآراء نهرو كمفكر وفيلسوف جديرة بان يطالعها ويعيها الجيل الجديد لما حفلت به من مبادىء عظيمة ، ونظريات قيمة ، وكلمات خالدة لزعيم خالد .

كان جواهر لال نهرو منذ طفولته طموحا فعكف على قراءة الاساطير الهندية والقصص الشعبية ، والملاحم الكبرى المليئة بالروايات البطولية والمغامرات الباسلة . وحاول وهو فى الثانية عشرة من عمره القيام بتجربة فى التصوف الهندى وانهمك فى قراءة الكتب الفلسفية التى وضعها الحكماء الهنود قديما وحديثا ، ولما سافر نهرو الى انجلترا ليواصل تعليمه استفاد جدا من اقامته هناك ، فقد تفتحت عيناه على الآداب والفلسفات الحديثة ، وتأمل كثيرا فى الموسوعات التاريخية التى تزخر بها المكتبات الانجليزية المشتملة على شتى العلوم والفنون .

ويمكن ان يقال بأن السنوات السبع التى امضاها نهرو فى انجلترا قد ساعدته على درس خليط من العلوم الشرقية والغربية ، وفهم الفلسفات العالمية الجديدة ، وعاد الى بلاده عام ١٩١٠ يحمل فى جعبته اشتاتا ضخمة من المعارف والنظريات ، ويمتلىء قلبه شوقا للاسهام فى شئون الحياة العامة فى مختلف الميادين ، وتبرع للانسانية جمعاء بمبادىء عظيمة تنير الطريق الى حياة مثالية .

وقد تأثر نهرو كثيرا بشخصية الملك الهندى الفيلسوف « اشوكا » الذى كان حامى البوذية فى الهند ، والداعى الى السلام العالمى قبل ٢٢٠٠ سنه وفقا لتعاليم « بوذا » الحكيم ، وكان « اشوكا » يتصل بكل ملوك العالم يدعوهم الى العيش فى سلام ، ومحاولة حل جميع مشاكلهم عن طريق المفاوضات السلمية ، والشخص الآخر الذى تأثر به نهرو الزعيم «غاندى» وآمن بفلسفته ، وايقن بدعوته ، واتبع سيرته فى الكفاح والنضال لاجل تحرير الشعوب المستضعفة ، وتنوير عقولها ، وتثقيف اذهانها ، ونشر المحبة بين الناس فى مشارق الارض ومغاربها .

ولم يذهب جواهر لال نهرو الى المدرسة فى مرحلة تعليمه الاولى وانما بدا تعليمه على ايدى معلمين يترددون عليه فى بيته من المرشدين الافاضل ، ولهذا كانت نشأته الاولى خالية من مرح الطفولة وانطلاقها ، مع انه ولد فى اسرة موسرة وفى رفاهية من العيش والرخاء . وفى مقدمة الشخصيات التى اثرت فى تربية نهرو تربية علمية صالحة العالم المسلم ، الصديق الشخصي لوالده « موتيلال نهرو » الشيخ منشى مبارك على ، واشار نهرو بنفسه فى مذكراته الى استاذه مبارك على بقوله : « لقد مات منشى مبارك على بعد ان كبرت وبلغت مبلغ الرجال ، ولا تزال ذكراه فى نفسي كأعز واغلى ما املك ! » .

وبفضل هذا الاســـتاذ الحكيم ، واطلاعه الحر النزيه ، وجولاته فى مختلف انحاء العالم فى أدوار حياته المتعددة تحلى نهرو بشخصية قوية ، وعقلية فلسـفية مستنيرة . وأسرد فيما يلى بعض آرائه ونظرياته تتجلى منها افكاره الخاصـــة فى الفلسفة والحكمة ، ووجهة نظره نحو الانســانية والحياة .

فيقول فى خطاب القاه فى البرلمان الهندى فى عام ١٩٥٤ ، « اننى اجد كثيرا من الحرج فى ان اتحدث عن نفسي ، بل ولا رغبة لى فى ان افعل ذلك ، ولكنى اومن بأن من الاشياء ماهو طيب ، ومنها ما هو خبيث ، وان بين هذه وتلك اشياء كثيرة علينا ان نختار من بينها . وانا فوق ذلك مؤمن بأن الوسـيلة الخبيثة لا بد ان تؤدى الى نتيجة خبيثة ، وانه لاينبغى الالتجاء الى الوسائل المرذولة حتى اذا كان ذلك من اجل تحقيق هدف حميد . على انك ان قلت الآن انى لا اتبع ذلك دائما ، فأنت على حق ، بأنى بشر ضـعيف ، على ان اعالج مواقف معقدة يوما بعد يوم ، ولكننى مع ذلك ارى ان الوسيلة عنصر هام فى كل موضوع ، وان الوســـائل الذميمة تؤدى دائمـا الى نتائج ذميمة ! » .

ويقول نهرو فى معرض الكلام عن العنف ومنشئه « انى اومن بان العنف منشـــاه الحقد وهما أمران كريهان لا طائل تحتهما ، وان كثيرا مما يلاقيه العالم اليوم من الاضطراب انما يرجع الى تفشي الحقد فى النفوس ، والى استمرار العنف بين الدول ، حتى اصبح العنف يتمثل امامنا اليوم فى صـــورة القنابل الذرية والهدروجونية ! » ويلخص رأيه فى سـعى الانسان ونجاحه بقوله:« ان على المرء ان يسعى بقدر طاقته ، وهو مؤمن بأن النجـاح غير مكفول دائما . عليه ان يسعى ويجد لتحقيق الاهداف التى يبتغيها ، لا يبغى من وراء ذلك جزاء ولا شكورا ! » .

وقال فى خطبه الذى القاه فى نقابة الصحفيين المصريين بالقاهرة فى ٢٥ يونيه عام ١٩٥٣ « انه قد مضى على نحو اربعين سنة منذ ولوجى فى ميدان السياسة الهندية او ميدان السياسة بصفة عامة . نعم لقد بدأت بداية متواضعة ، ولكننى لم البث ان رأيتنى أسهم فى الشئون السياسية بدور متزايد الى حد اننى — وعشرات الالوف من مواطنى — قد قلبنا سيرة حياتنا رأسا على عقب ، ونحن نحاول أن نوائم بين حياتنا وبين ما نؤمن به ، على اننى خلال هذه الفترة الطويلة لم أندمج فى دوامة السياســـة الهندية وحدها بل شـغفت كذلك بسياســـة البلاد الاخرى ، ولا سيما تلك البلاد التى تتشابه معنا فى الاوضـاع والظروف من جهة ، لان مشاعرى وعواطفى تتجه اليها بطبيعة الحال ، ومن جهة اخرى رغبة منى فى ان اتعلم من احوالها وظروفها . ففى رأيى ان من الممكن لنا ولتلك البلاد ان نتبادل تجاربنا وخبرتنا . كذلك دفعنى الى الاهتمام بسياسـة الغير شعورى بأن من العسير على المرء ان يدرك حقيقة مسألة من المسائل دون أن تكون هذه المسألة فى اطارها العالمى ، حتى يبرز وضـعها من شئون العالم » . وتتجلى من ذلك فلسفة السياسـة الدولية ، ووجهة نظره نحو المشاكل العالمية .

وقال مرة « على المرء ان يواجه العالم بوحدة واحدة ، وان يحاول تفهم كنهه على هذا الاساس ، وادراك مواطن القوة والمناعة فيه ، ومواطن التأخر والضعف ، فاننا لم نعد نستطيع التحدث فى هذه الامور باللغة التى كان يتحدث بها الناس منذ خمسين عاما . فهى لغة لم تعد تنطبق على حالة العالم اليوم، بل هى لغة لا معنى لها فى عالمنا الحـــاضر » .

يقول السياسي الفيلســوف فى معرض تحليل الحضارة الحديثة القائمة على النهضة الصـــناعية والاكتشافات العلمية : « اننا — نحن سكان هذا العالم — لم نبلغ من الفطنة والذكاء حد الافادة من هذه القوة الجديدة فيما يعود على العالم بالخير . بل استخدمنا معظم هذه القوة فيما فيه هلاك الناس ، فنحن نقف الآن على ابواب العـصر الذرى الذى تكتسب فيه الدول التى تملك الذرة قوة هائلة ، قوة لا يمكن تصورها ، بل انكم لاتدركون ، ولا أحدا منا يدرك ، مدى التقدم الذى طرا على الابحـاث الذرية ، فهو لايزال فى طى الكتمان ، ولكننى استطيع ان أقول لكم ، وانا بمأمن من الخطا ، بأن الابحاث الذرية قد قطعت شوطا كبيرا من التقدم حتى اصبح للطاقة الذرية من القدرة على الفتك والتدمير ماهو كفيل بإبادة اجزاء واسعة من الكرة الارضية اذا هى استخدمت ! »

انطفأت شعلة نهرو الانسان المفكر والسياسي المصلح الزعيم العالم الذى يكن له الجميع كل تقدير واعجاب ، وكان فى الواقع ينقل الى العالم لمسات كثيرة من الفكر والتجارب ، والمعارف والفنون ، وتركها بين طيات كتبه ومؤلفاته وخطبه ورسائله ، وفى حياته صفحات مجيدة حافلة بجـلائل العبر والعظات والنور والعرفان .

محى الدين الألوائى

العقاد والاشتراكية

بقلم : عامر العقاد



كتب ناقد منذ فترة مقالين عن العقاد رحمه الله اراد من خلال سطورهما ان ينال منه وهو بين يدى ربه بعد ان ادى رسالته القيمة فى عالم الفكر والثقافة .

وما كنا نود ان نرد على تلك الترهات الادبية لولا انها اصبحت بضاعة قديمة لا ندرى لحساب من يروجها امثال هؤلاء .

لقد وجد امثال هذا الناقد باعتراف نفسه دون سواه ان الطريقة المثلى للنيل من العقاد هى وصفه بانه لا يدين الا بمذاهب الغرب الراسمالية فلا يشعر من ثم وهو فى عليائه بشقاء السواد الاعظم من الناس .. ونتيجة لهذا فهو لا يؤمن بالاشتراكية بحال من الاحوال ! يا سبحان الله !!.. معادلات مجهولة تصل بالقارىء الحصيف الى نتائج غير معلومة وهذا هو النقد الجديد الذى ينادى به ذلك الناقد ـ على حسب دعواه ـ ويطلب من الناس ان يقبلوا معادلاته القيمة بعد الغاء صفات البصر والبصيرة والعقل والاتزان .

ان من الغريب ان نقرا لهذا الكاتب او لاى كاتب كائنا من كان ان آراء افلاطون وارسطو والبيرونى والغزالى وديكارت وبركلى رجعية من وجهة النظر الحاضرة وايضا .. لا غرابة اذا اصبحت آراء العقاد كذلك . كلام غريب ، واغرب منه ان يكتب انسان يعيش معنا فى عصر واحد ويتنسم نسيم الحرية التى نادى بها اول ما نادى اصحاب تلك الآراء فيما سلف من الزمان ونادى بها العقاد ومعاصروه فى حاضر هذا الزمان .

يقول ـ الناقد ـ « الفكر الغربى هو الذى جعل من العقاد المغمور ، العقاد المشهور .. هو الذى جعل منه فردا عالما فى زمان ساده الجهل .. » وما هو ذلك الزمان الذى ساده الجهل ؟.. هل انفرد العقاد رحمه الله بزمانه وحده فى طلب العلم والمعرفة ؟ لو كانت هذه دعوة صادقة لقلنا لك آمين آمين على مر السنين . ولكن واحسرتاه على النقد والنقاد ، لان ناقدا جريئا شطب من زمان العقاد رعيلا ما زلنا نعيش على كتاباته وآرائه .. ان زمان طه حسين ولطفى السيد ، والزيات وهيكل واحمد امين وحافظ وشوقى ومطران وشبيلى شميل وصروف وسلامه موسى وغيرهم من حملة مشاعل المعرفة فى العصر الحديث.. ان زمان هؤلاء زمان ساده الجهل فى نظر هذا الناقد .. والجهل بالذات لان العقاد كان فيه ..وكان من ضمن من سدوا الطريق امام هذا الناقد الجرىء فقمرته الظروف والعصور .

ويخرج الناقد بعد تقريره بان كل ما كتب العقاد لايخرج عن ترجمات ، واستعراض لآراء الآخرين ناقشها ليستعرض فيها معلوماته الغزيرة التى جعلت ادراكه للوجود على اساس « سطاطيقى » اى على اساس ان كل شىء فى الوجود ثابت لا يتطور ولا يتغير ..

ونود ان نقول للناقد يجدر بك يا هذا ان تقرا اولا كتابات العقاد « صاحب الزمان الذى ساده الجهل » عن الاشتراكية وايمانه بها ومناداته لها قبل ان تصبح حقيقة ملموسة نعيش فيها واياك ، فنحيلك الى قليل من كثير عسى ان يهديك الله سواء السبيل فتترك بضاعة قديمة رخيصة كان فضل السبق فيها لغيرك على كل حال من الاحوال .

ان ابسط مراجعة لمجلة الهلال فى عددها الصادر فى اكتوبر سنة ١٩٥١ نجد العقاد يكتب مقالا بعنوان « لو اصبحت مصر اشتراكية » يقول فيه : للوصول الى نظام الاشتراكية الذى يلائم تقاليدنا ومصالحنا القومية والفردية يجب ان نعتمد على خطتين تصلحان لبلادنا كل الصلاحية بعد التدريب عليهما والاحساس بضرورة كل منهما..وهما خطة الضرائب التصاعدية

وخطة التعاون في كل مادة من مواد التجارة والزراعة على درجات من الاتساع والوفرة تلائم جماعات المتعاونين في المدينة والريف .

« اما التعاون فهو الوسيلة المثلى للقضاء على الاستغلال والقضاء من ثم على حرب الطبقات .. فانه هو الوسيلة التي تجعل المشترك بائعا وشاريا في وقت واحد وتجعله رابحا بزيادة السعر ورابحا بنقصه ، فاذا زاد الكسب فهو راجع اليه ، ونحن نرى له رايا واضحا في الاشتراكية الفابية في قوله « .. لقد كانت الاشتراكية الفابية نصب عينى حين كتبت في تعزيز الفلسفة الاشتراكية والرد على خصومها قبل اكثر من خمسين سنة ، ولا تزال الفابية كما بقيت الى اليوم اقرب الى اعتقادى من سائر الجماعات ، ومبادئها تقوم على الاسس الاخلاقية قبل قيامها على الاسس المادية الاقتصادية ، ووجهتها الكبرى هى بناء المجتمع على ارفع المثل العليا في الآداب الانسانية ، والفابيون تطوريون وليسوا بانقلابيين ، وعندهم ان نشر المعرفة ، وتاليب الانصار من جميع الطبقات ، والتوسل بالوسائل الديموقراطية الى ولاية الحكومة للمرافق العامة اصلح لتحقيق الغرض المقصود من الاشتراكية ، وهو منع الاستغلال والاحتكار ، وهو التسوية بين الناس في فرص الاعمال والمشاركة في الادارة الحكومية .

وهو يرى ان للاشتراكيات ما لا يقل من عشرين تطبيقا في العالم ، وان كل امة يناسبها ـ من هذه التطبيقات ـ نظامها الحكومى وظروفها الاقتصادية ، وعلاقاتها الخارجية التى لا تناسب امة غيرها .. كما يرى ان المساواة شرف حين ترتفع بالادنى الى ما هو اعلى منه ، وحين تعطى الرفيع حقه وتابى عليه أن يجور على حق غيره .

وفي سنة ١٩٥٢ كتب العقاد رحمه الله مقالا بعنوان « عالم الكتابة والكتاب في حاجة الى التطهير » جاء فيه « .. ويحزننا ان نقول ان الكتابة في جملتها لم تكن عندنا قط قامعة للطغيان في عهد من العهود وانها كثيرا ما كانت عونا للطغيان وسترا له من يقظات العيون والاذهان ... علينا ان نطهر الكتابة من كل قلم يجرى مع التيار ولا يقف يوما في وجه التيار ، فما من امة تعجز عن توفير المئات من الاقلام التى تجرى مع كل تيار ، وقد تحتاج في وقت من الاوقات الى قلم واحد يقف في وجه التيار فلا تجده ، وهو الزم لها من تلك المئات .. وعلينا ان نطهر الكتابة من الاقلام التي تسخرها الدول الاجنبية جواسيس على اوطانها لتفسد سياسة اوطانها وتخدم سياسة تلك الدول ، ثم نطالب الناس بشرف البطولة وهى بوصمة الخيانة وعقوبة القانون اولى ما تكون »..

ويستطيع الناقد ايضا أن يرجع الى ما كتبه الدكتور لويس عوض عن اشتراكية العقاد في حياته . المقال موجود في آخر كتاب صدر له .

وفي سنة ١٩٥٢ كتب العقاد ايضا مقالا بعنوان : الجيش وقائده عقب قيام الثورة المباركة قال فيه .. « في مجلس يضم اكثر من عشرين مصريا بين اديب وصحفى واستاذ وطالب قال قائل : ما العمل ؟ قلت : انها الثورة لا محيص لنا منها ، وليكن ما يكون ! .. والحمد لله .. جاءت الثورة ولم يمض شهران وجاءت سليمة لم يسفك فيها دم ولم يضطرب فيها حبل الامور ، وقد كان الخلاص من عهد فاروق ضرورة لا تستكثر عليها ان تقدم الامة في سبيلها على خسارة في الارواح والاموال فلما تكفل الجيش للامة بالثورة التى كانت مطلوبة منها عوفيت من جرائرها واهوالها وانتظمت الامور في سياقها وانجلى ملك مكروه من عرشه بايسر من جلاء عمدة في قرية صغيرة ينصره اناس ويخذله آخرون . »

وقد يطالبنا الناقد السريع في نقده بان ندعم اقوالنا هذه بشيء من شعر العقاد الاشتراكى فنحيله الى دواوينه العشرة التى نروى له من اولها هذه الابيات التى قالها العقاد في العصر الراسمالى الذى عاش فيه كما يقول الناقد الهمام .. يقول العقاد في ديوان « يقظة الصباح » :

لا تحسبوا امة يعلو اعاظمها
اذا الفقير طلاب القوت اعياه

دفنتم المال آكاما فهل نبتت
في باطن الارض او زادت خباياه

ويقول العقاد في ديوانه « وهج الظهيرة » يحث شبان مصر على الثورة والكفاح .

ويلى على مصر ! قد امست وليس لها
سوى اهتزاز منوط بالاذلاء

الكم بشر ؟! انى برئت اذن
من آدم حين يدعونى وحواء

ونختتم مقالنا هذا بهمسة في اذن ذلك الناقد الهمام بانك لا تنسي يا هذا وانت تشير باصبعك لاتهام العقاد في اشتراكيته ان الاربعة الاصابع الاخرى من يديك تشير اليك انت بالاتهام وناهيك من خمسة اخرى في يدك الثانية وليكن في حسبانك اننا « سنقرئك فلا تنسى . »

عامر العقال

الميتافيزيقا وأدب نجيب محفوظ

بقلم : سمير ندا



ألفنا فى حياتنا الأدبية ان نسمع ونقرأ ونشاهد ما يسمى « بالمسرح الفكرى » ذىالابعاد الميتافيزيقية وقد فشلت هذه الألوان الدرامية فى الاقتران بالنادية المسرحية عندنا كمسرحية « أهل الكهف » للاستاذ توفيق الحكيم .

وعلى الرغم مما حاق بهذا اللون من فشل أورثنا الخوف ـ زمنا ـ من المعالجات الدرامية للمشكلات الميتافيزيقية فانه يحق لنا الوقوف امام الروايات التى تحمل هذا الطابع ، ترسل النظر اليها ، ونطلق الفكر فيها ، ونسرح خلالها الوجدان .

اعتكف نسب هذا اللون على الاستاذ نجيب محفوظ ، الذى حيانا بعدد كبير من هذه الروايات. تميز (معظمها) عن الدوحة الروائية الميتافيزيقية الأوروبية والروسية منها على وجه الخصوص والتى تتجلى فى روايات دستويفسكى بالذات .

وقد يوجه اعتراض مبدئىعلى اقتران الميتافيزيقيا بالرواية . فمصدرها ومستقرها ـ كما يقول المعترضون ـ المباحث والدراسات المتخصصة . والحق ان هذا الاعتراض لايخلو من بعض الوجاهة أدركتها وناقشتها (سيمون دى بوفوار) اذ تفرق بين نوعين من الفكر موضوعى وذاتى تقول فى أولهما :

« اننا لانرضى مطالب التجربة الروائية اذا ما اكتفينا بان نضع الفكرة العقائدية المكونة مسبقا تحت اهاب خيالى متلون ان قليلا وان كثيرا .. »

وبعد ان ترفض « سيمون » ادماج الافكار الموضوعية فى العمل الروائى تزكى هذا الادماج بالنسبة للفكر الذاتى فتقرر « بان الروايةوحدها هى التى تسمح باحياء الانبثاق الأصلى الموجود .. ولا تعنى هنا أن الكاتب يستغل على صعيد أدبى حقائق مقررة مسبقا على الصعيد الفلسفى . بل ان مهمته أن يصور مظهرا من التجربة الميتافيزيقية ، أعنى طابعها الذاتى ، الفريد الدراماتيكى » .

ترى الى أى الفكرين ينتمى نجيب محفوظ ؟

والاجابة على ذلك جد يسيرة فانالتجربة الانسانية ذات الطابع الميتافيزيقى تشكل دورا أساسيا يدور عليه هذا الجانب من انتاجه . ولنرجع قليلا الى (قصر الشوق) ونطالع مايقوله كمال :

« ليست الحقيقة قاسية ولكن الانفلات من الجهل مؤلم كالولادة . اجر وراء الحقيقة حتى تنقطع منك الأنفاس . ارض بالألم حتى تخلق نفسك من جديد ..

ان كمال يخوض غمار تجربة البحث عن الحقيقة يتعذب بمخاطرها على كثرتها ، لكنه ـ أبدا ـ لايتراجع ، وبما لم يصل الى هدف معين كسيزيف ـ ذلك الذى قضت الآلهة عليه بأن يظل يحمل صخرة ضخمة من سفح الى قمة جبل وكلما يصل بها تسقط فيعود ليحملها من جديد ـ حسبه فقط انه حاول ليأتى من بعده من يمضى ولو خطوة واحدة على الطريق الصحيح . لقد تحدى (أورست) قانون قاتل أبيه ومغتصب السلطة من بعده ، وقضى عليه هو وشريكته فى الجريمة أمه فى نفس الوقت (كليتمنسترا) وثار بعد ذلك على رب الأرباب (جوبيتر) وأبى سلامته فى ظل انصياعه له ، وانطلق وقد اكتشف ذاته وفى أعقابه الموت ، وكان يعلم بذلك ، كفاه فقط أن يضرب المثللأهل آرجوس ربما حذا حذوه الآخرون (كما يصور ذلك سارتر فى مسرحية الذباب) .. وهكذا فعل نجيب بكمال.

ولست بذلك أسعى لادراج نجيب محفوظ فى عدد الأدباء الموجودين ، وانما قصدت الآن الى بيان قيمة التجربة الذاتية فى سبيل البحث عن الحقيقة فى هذا الجانب الميتافيزيقى من انتاجه . انه لايستعير قيما جاهزة وانما يقذفبابطاله فيما يسمى «بمغامرة الروح » يصبها فى اطار تراجيدى يهدم به نظرية ارسطو القائمة على سقوط (عظيم) مثله فى ذلك كارنست هيمنجواى اذ ان ابطالها اناس جد عاديون .

خلاصة القول أن الفكر الذى يدين له نجيب ذاتى النزعة ، فلا تعارض اذن حين يعالج هذا الفكر فى القالب الروائى المناسب .

ولكن ما هى طبيعة هذا الفكر ونتائجه ؟! .

ان محاولة تأصله ترجع بنا الى رواية (القاهرة الجديدة) ومن خلال الحوار التالى تتضح بذوره الأولى .

« قال على مخاطبا مأمون رضوان :

ـ نحن متفقان على ضرورة المبادىء للانسان . هى البوصلة التى تهتدى بها السفينة وسط المحيط .

فقال محجوب عبد الدايم بهدوء واتزان

ـ طظ ! .

ولكن على طه لم يلق اليه بالا واستدرك مخاطبا مأمون :

ـ بيد أننا مختلفان فى ماهية المبادىء .

فقال أحمد بدير

ـ كالعادة دائما .

فقال مأمون وقد تألقت عيناه بنور خاطف شأنه عند الاهتمام .

ـ حسبنا المبادىء التى أنشأها الله عز وجل

فقال محجوب كالمتعجب :

ـ لشد ما يدهشنى أن يؤمن انسان مثلك بالأساطير .

فاستطرد على طه قائلا :

ـ اؤمن بالمجتمع الخلية الحية للانسانية ، فلنرع مبادئه على شرط ألا نقدسها . لأنه ينبغى أن تتجدد جيلا بعد جيل بالعلماء والمربين .

فسأله أحمد بدير :

ـ ماذا يحتاج جيلنا من مبادىء ؟ .

فقال على بحماس :

ـ الايمان بالعلم بدل الغيب ، والمجتمع بدل الجنة ، . والاشتراكية بدل المنافسة .

نلاحظ ان ابطال نجيب يناقشون القيم الموروثة فمأمون آنس عندها سلامة وراحة مثل (الكتراسارتر) وأحمد بدير حائر ، ومحجوب دمر سائر القيم ولم يستبدلها باخرى جديدة (فتهشم أخيرا) . وأما على طه فاقربهم الى الاستقرار . هو الغى من فكره الغيب والجنة والمنافسة ونصب مكانها فى غير ـ ماقداسة ـ العلم والمجتمع والاشتراكية .

واضح اذن كيف تمرد ابطال نجيب على الغيب ـ خاصة ـ وهو الأمر الذى يسيطر على بعض ابطال روايتيه « قصر الشوق » و « السكرية » . «

ان كمال بطل الرواية الأولى يؤثر هجير التخلى عن المطلق على مظلة الطامنة التى يقيمها ذلك المطلق فوق رءوس رعاياه .

المتأمل هذه المحاورة التى دارت بينه (وبين أبيه) احمد عبدالجواد عقيب نشره مقالة عن «أصل الانسان» فى البلاغ الأسبوعى . يخالها بادىء الامر ولا يلبث أن يثور حين تصفع ناظريه تقريرات (داروين) عن أصل الانسان التى تؤكد انحداره من سلالة حيوانية قريبة الشبه بالقرود .

علا صوت السيد وهو يتساءل فى انزعاج .

وآدم أبو البشر الذى خلقه الله من طين ونفخ فيه من روحه ، ماذا تقول عنه هذه النظرية العلمية ؟

طالما طرح هذا السؤال على نفسه ولم يكن دون أبيه انزعاجا ، ولم يغمض له جفن ليلتها حتى الصباح يتقلب على الفراش متسائلا عن آدم والخالق والقرآن ، وقال لنفسه مرة وعشرا . القرآن اما أن يكون حقا كله او لايكون قرآنا . . انك تحمل على لأنك لم تدر بعذابى لو لم أكن قد اعتدت العذاب والفته لأدركنى الموت تلك الليلة .

قال بصوت خافت :

ـ داروين صاحب هذه النظرية لم يتكلم عن سيدنا آدم .

هتف الرجل غاضبا :

ـ لقد كفر داروين ووقع فى حبائل الشيطان ، اذا كان أصل الانسان قردا أو أى حيوان آخر فلم يكن آدم أبا للبشر .. هذا هو الكفر بعينه ، هذا هو الاجتراء على مقام الله وجلاله .

ويتصل الحوار بعد ذلك ، ويحمى وطيسه ، ويصرخ السيد فى ابنه :

ـ ألم تجد موضوعا غير هذه النظرية المجرمة لتكتب فيها .

لماذا كتب مقالته .. لقد تردد طويلا قبل ان يرسلها الى المجلة ، ولكن كان كأنما ينعى الى الناس عقيدته ، لقد ثبتت عقيدته طوال العامين الماضيين امام عواصف الشك التى أرسلها المعرى والخيام حتى هوت عليها قبضة العلم الحديدية فكانت القاضية . على أنى لست كافرا لا زلت أومن بالله ، أما الدين .. أين الدين .. ذهب كما ذهبت رأس الحسين ، وكما ذهبت عايدة ، وكما ذهبت ثقتى بنفسى .. الخ .

ان هذه البلبلة أقرب الى مانسميه اليوم (بالقلق الوجودى) الذى يسبق لحظة التخلى (الهجر) ، هى

معاناة رهيبة تشتعل بالقلب والفكر معا حين يبـدأ الانسان في الاشفاق عن اللامرئي والرضاء بما هو كائن موجود محس ومعاير ولو كان هذا العـــالم الموجود تافها ، وهكذا في تطور طبيعي يصل كمال الى نقطة الهجر ، تكتشف ذلك في المونولوج الداخل التالي .

ياله من رجل طيب ، أن يطمع في أن يحمله على مهاجمة العلم في سبيل الدفاع عن أسطوره ، حقـا لقد تعذب كثيرا ولكنه لن يقبـل أن يفتح قلبه من جديد للأساطير والخرافات التى طهره منهـا ، كفى عذابا وخداعا .. لن تعبث بي الاوهام بعد اليوم .. النور ، النور .. أبونا آدم لاأب لي ليكن أبي قردا ان شاءت الحقيقة .

وهنا يلتقى كمال مع محجوب عبد الدايم ؛ فلقد أسطرا القيم القديمة وهجراها ، ولم يلجأ الى مرفأ امين من الافكار الجديدة فاسلما نفسيهما للضياع .

الا أن دور كمال في حياة «احمد» ابن شـقيقتـه «خديجة» كان فعالا دون جدال أورثه الشك فمضى من خلاله احمد يبحث عن قيم جديدة أعثره عليهـا « عدلى كريم » صاحب مجلة (الانسان الجديد) فهدأ واستقر كعلى طه في القاهرة الجديدة .

فالغيب عند نجيب لاجدوى منه ، والبحث عنـه عبث لاطائل تحته واللجوء اليه مضيعة للوقت والجهد معا ، ولكى نزيد الامر ايضاحا نستطرد الى قصتـه (اللص والكلاب) . فنلتقى بسعيد مهران وقد خانه تلميذه عليش سدره بالتواطؤ مع زوجته (نبوية) وزجا به فى السجن ليخرج بعد ذلك معدما ويصطدم بعزوف ابنتـــه «سناء» عنه وانكارها اياه ، فيهرع مستنجدا بالدين ممثلا فى الشيخ على الجنيدى ويدور بينهما هذا الحديث .

ـ لاتؤاخذنى لامكان لى فى الدنيا الا بيتك .

ترك الشيخ رأسه تهوى فى صـدره وهو يقول بصوت هامس :

ـ أنت تقصد الجدران لا القلب .

فتنهد سعيد وبدا كأنه لم يفهـــم شيئا ثم قال بصراحة وبدون مبالاة .

ـ خرجت اليوم فقط من السجن .

فاغمض الشيخ عينيه متسائلا :

ـ السجن ؟

وهكذا دواليك تتصل حلقات الحديث ، سـعيد يلجأ الى الدين مثخنا بالجراح ويأبى هذا الا أن يهيم فى غيث مطلق لايهبط الى الواقع يعايشه ويحييـــه فتلك كما نفهم من القصة طبيعته كمـا يتضح ذلك قرب انتهاء الرواية ، فحين تضيق الحلقة حول سعيد مهران يلجأ الى الشيخ مرة أخرى ويدور حديث مماثل يلتقطه سعيد ويؤثر عليه الجدار واضعا وجهه فيـه تماما كما فعل «عم ابراهيم» فى قصة «دنيا الله» .

واما عبث البحث عن الغيب فيتضح فى قصـــة «زعبلاوى» و «ضد مجهول» ورواية الطريق .

فعندما أصاب راوى القصـــة الاولى (الداء الذى لادواء له عند أحد) يبحث عنه (زعبلاوى) ربما وجد عنده برء سقامه (الشك) حتى ينتهى الى شيخ الحارة قائلا :

ـ انى فى حاجة الى زعبلاوى .

فرمقنى بدهشة كما رمقنى السابقون من قبـل وابتسم عن أسنان مذهبة وهو يقول :

ـ على أى حال فهو حى لم يمت ولكن لامسكن له وهذا هو الخازوق .

نلاحظ من الصفات التى خلعت على (زعبـلاوى) (باطلاقها) (فهو حى لم يمت) .. (ولا مكان له) ، وهذه وغيرها لصيقة بالألوهية وتستمر المحاولة فى البحث عنه (بالعقـل) ، (والفن) وحين تذهب الخمر بادراكه فى حانة النجمة يقال له ان (زعبلاوى) قد زاره وباركه ولكنه لم يره ، لم يشف غليل شكه ، ويمضى يبحث زعبلاوى ويقول فى ذلك :

ولكنى كنت أضيق احيانا بطول الانتظار فيساورنى اليأس وأحاول اقناع نفسى بصرف النظر نهائيا عن التفكير فيه ، كم من متعبين فى هذه الحياة لايعرفونه او يعتبرونه خرافة من الخرافات فلم أعذب النفس به على هذا النحو .. ولكن ما أن تلح على الآلام حتى أعود الى التفكير فيه وأنا أتساءل : متى أفوز باللقاء ؟

ولكنه مع ذلك لم يعثر عليه فهو خرافة كما قرر ذلك من قبل محجوب عبد الدايم وعـلى طه وكمال عبد الجواد وابن شقيقته احمد .

تلك هى الغاية التى يسعى اليها نجيب محفوظ من خلال مثل هذه المعالجات الفنيـة كغيـره من الادباء الاوربيين الذين يســلكون نفس السبيل . الماديين منهم على وجه الخصوص ، وبغض النظر عن مدى تأييدنا أو معارضتنا لوجهة نظره تلك فحسبنا أننا ألقينا بعض الاضواء على المنطلق الذى يصدر عنه أدبه تاركين المجـال لغـيرنا فى البحث والتمحيص واصدار الاحكام .

سمير ندا

واعظ بدون عمامة

بقلم : محمد عبد التمان

تعودت ان ازوره كل اسبوعين فى دكانه الذى أطلق عليه صالون « الكمال » مقدرا فى نفسى أن ثرثرة الحلاق مع فريسته جزء لا يتجزأ من مهمته نفسها ، **ولست أدرى** اذاكانت هذه الثرثرة بالنسبة اليه أمرا تقتضيه التسرية عن حرفائه ساعة من الزمن أو أقل ، أو تأكيدا لاظهار قدرته على الحديث والمناقشة فى جوانب الحياة كلها ، وفى شتى المناسبات التى تطرأ عليها .

فهو يحدثك فى شأن الدين فى ثقة الفقهاء المجتهدين ، **وهو** يحدثك فى شأن السياسة فى اعتداد الساسة المحترفين ، وهو يحدثك فى شأن المجتمع فى اعتزاز العلماء المحنكين ، **وفى ايجاز** ، يحاول اقناعك بأنه دائرة معارف شاملة تجد عندها كل ما يشتهيه ذهن أو تتوق اليه نفس .

الا أن صاحبنا ليس من هذا الصنف من الحلاقين ، فهو متواضع غاية التواضع ، لا يطمع فى أن يكون دائرة معارف واسعة ، **ولا يرغب** فى أن يقتل الوقت بالحديث عن السياسة ، **ولا يرضى** لنفسه بأن يلغو فى سيرة الغير وسلوكه ، **فقد** اختار لنفسه جانب الدين فى حدود المرأة وخروجها على تقاليده وتعاليمه ، والدين عنده أصيب بالضياع ، والسبب المرأة وحدها .

انه يجمع على فقهه الأعرج تدينا هو مزيج من السذاجة فى قمة جهالتها ، والصلابة فى أوج حماقتها .

يحتفظ فى دكانه ـ أو صالونه ـ بمذياع ، ولكنه لا يسمح له الا باذاعة القرآن ، ولا أظن انسانا ابتهج ابتهاج صاحبنا لمحطة اذاعة القرآن الجديدة ، أما الصحف والمجلات أيا كان لونها ، فلا مكان لها فى دكانه ، لان به الكثير من الكتب العتيقة أمثال تنبيه الغافلين ، ودقائق الاخبار فى ذكر الجنة والنار ، **وصاحبنا** يعرض فى دكانه بعض السلع للبيع الى جانب عمله ، ولكنه يصر على أن يقوم بدور الواعظ للمشترى ، الواعظ الحريص على دين الناس وأموالهم ، فاذا باع « السجائر » وعظ المشترى أن يتقى الله فى صحته ودراهمه ، واذا باع المياه الغازية ، ذكر المشترى بأن هذا الشراب أجنبى دخيل ، واذا باع شيئا من الروائح العطرية نبه المشترى الى حديث الرسول صلوات الله عليه ـ اياكم والتنعم ، فان عباد الله ليسوا بالمتنعمين .

شىء واحد لا يعظ فيه اذا ما طلبه طالب ، هو ورق اليانصيب ، ولست أدرى لم يتصنع العمى والعمى حين يبيع هذا الورق . ؟

وهناك شىء آخر لا أدريه ، هذه النظرة المتشائمة السوداء الى المرأة ، انه يسند اليها كل مصيبة كبيرة كانت أم صغيرة ، وسيان عنده بيت الشعر وحديث الرسول اذا أراد أن يشفى غليله منها ، **فهو يخلط** بين الحديث النبوى وغيره . فينسب الى الرسول

اذا رأيت أمورا منها الفؤاد تفتت
فتش عليها تجدها من النساء تأتت

صوت المرأة عنده عورة ، مهما حاولت أن تقنعه ان فى منطقه الأعرج هذا مجافاة لعدالة الله سبحانه اذ كيف يخلق لها لسانا ثم يحرم عليها أن تلفظ به ، **وسائر** جسد المرأة عنده عورة ، ولا استثناء للوجه ولا للكفين ، **ومعنى** هذا أن المرأة يستحيل خروجها الا ومعها قائد يقودها ، ويقوم مقام جوارحها ، **والعمل** بالنسبة للمرأة ـ مهما دعت حاجتها الى العمل أو دعت حاجة العمل اليها ـ جريمة لا نقاش ولا جدال فيها .

الحق انى كثيرا ما ضقت بصاحبنا وبفقهه وبفلسفته ، **ولولا** أن فى حديثه لنا وعجنا وتكرارا ، **ولولا** أنى كنت التزم الصمت المطبق عندما يتحدث ، وليس فى حديثه أسئلة تحتاج الى أجوبة ، لفررت بعقلى وذهنى وأعصابى ، فصاحبنا له القدرة على أن يتحدث حديثا متواصلا لا يكلف ضحيته مناقشته أو مقاطعته ، ولا يحتاج حتى الى تحريك الشفتين أو هز الرأس كدليل على الاقرار أو الاستحسان ، لان المفروض فى الفريسة تحت يد الحلاق أن تظل كالتمثال تحت يد المثال .

وفى المرة الاخيرة قال لى صاحبنا :

.. **ان** لى بنات ثلاثا استعنت بشتى الوسائل والحيل لتهريبهن من مرحلة التعليم الالزامية .

فقلت له : معنى هذا أنك رضيت لهن الأمية والجهل ؟

فقال : كلا ، لقد أتيت لهن بمن يعلمهن القرآن الكريم ، **هل** تريد مني أن أعلمهن الفساد بيدى ، ألا تعلم أن هذه المدارس فساد فى فساد ؟؟

قلت له : معنى هذا أيضا أن النـــــاس كلهم قد جانبهم الصواب الا أنت ، وهذه المدارس والمعـــاهد والجامعات زاخرات بالفتيات من كل سن ؟

فقال ممتعضا : مالى والناس ، فالله أمر الرسول أن يقول لكفار قريش : لكم دينكم ولى دين ..

وتوقف الحديث حين دلفت الى الدكان فتـاة فى متوسط العقد الثانى من عمرها ، ولو كان صاحبنا يجيز النظر الى المرأة الاجنبية . لحسبتها - وهى فى ثوبها الضيق ، وشعرها المصفف ، وحذائهـــا الأنيق ، ومشيتها المتكلفة - احـــدى الغانيـــات الصغيرات جاءت الى الصالون لتصفف شعرهـا على أحدث « موديل » ولم تكد - بعد ان اخذت مجلسها - تسمح للالفاظ ان ينطلق بها لســانها فى ميوعة والتواء ، حتى ادركت أنها كبرى بناته الثلاث **،ولم** أكن فى حاجة الى الكشف عن السر الذى الجم محدثى وعقد لسانه حتى انتهى من مهمتـه ، ورحلت لأول مرة هادىء البال ، دون أن أعمل اى حساب للعودة اليه بعد خمسة عشر يوما ، لانى اصبحت على ثقة من أنى - حين أعود - سيكفينى الله شر تلك الثرثرة الدينيـــة ، ولن يقوى أمامى - على الأقل - على أن يرتدى مرة أخرى عمامة الوعظ والارشاد ، وكان الله فى عون غيرى من ضحاياه .

انه من الخطا كل الخطا أن نظن أن هذا النموذج من محترفى التدين نسيج وحده فى حياتنا ومجتمعاتنا ، فهناك الألوف من أمثاله يعيش البعض منهم فى قلب القاهرة ، بل ان لدينا جمعيات دينية تحيا فى نفس الاطار القزمتى الممل .

أذكر ان احدهم قال لى ذات مرة : ان الكهرباء لم تدخل مسكنه ، وذلك ليحول دون أن ينظر الكشاف أو المحصل الى زوجته .

وقال لى آخر : انه قد تزوج منذ عشرة أعوام ، ولم يسمح لزوجته بالخروج الا مرات معدودة على الاصابع لزيارة أهلها ، وفى كل مرة لا تخرج ولا تعود الا معه ، وبعد صلاة الفجر مباشرة ، قبــل أن تموج الشوارع بالمارة .

هل هناك أدنى ريب فى ان امثال هؤلاء لايسيئون الى عقولهم بقدر ما يسيئون الى الاسلام نفسه

وهل كانت نظرة الاسلام الى المرأة هــذه النظرة السوداء القاتمة ، التى تلغى وجـــود المرأة ككائن بشرى حى ؟

ما ابرا الاسلام من هذا .. والرسول يؤكد فى حديثه : النساء شقائق الرجال .

هل ينكر انسان ان الدعوة الاسلامية قدر لها أن يكون للمرأة نصيب اوفى فى نجاحها ، ان اول مؤمن بها كانت السيدة خديجة ، فقد ذكر لها الرســول اثر عودته من غار حراء وتلقيه الدعـــوة لأول مرة ما حدث له ، حتى قال لها : قد خشيت على عقلى ، فثبتته وقالت له : ابشر كلا والله لا يخزيك الله أبدا ، انك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتعين على نوائب الدهر .

حاشا أن يقف الاسلام دون عمل المرأة وتعليمها ، والقرآن يقول : « من عمل صالحا من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة » والرسول يقول : «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » .

حاشا ان يكون الاسلام قد الغى وجود المرأة من الحياة ، كما يحاول هؤلاء المتزمتون ، **فالمرأة** جادلت رسول الله فى شأن من شئونها الخاصة ، وسجل القرآن هذا ، والمرأة ناقشت عمر وهــو على منبر الرسول فى شأن من شئون بنات جنسها ، بل ان **خولة بنت حكيم** وهى التى جادلت الرسول تعرضت لعمر ذات يوم فى الطريق واوقفتـه لتقـول له : « يا عمر عهدتك وأنت تسمى عميرا فى سوق عكاظ ترع الصـبيان بعصـاك ، فلم تذهب الايام حيث سميت عمر ، ثم لم تذهب الايام حتى سميت أمير المؤمنين .. فاتق الله فى الرعية .

وفى فتح مكة أجارت أم هانىء حموين لها فقال الرسول : قد أمنا من أمنت وأجرنا من أجـــرت ، **وطلبت** ام حـكيم امانا لعكرمة بن أبى جهل فاجابها الرسول الى طلبها .

هذه نظرة الاسلام الى المرأة ، نظرة تعترف لهـا بوجودها ككائن بشرى له تقديره ، وبشخصيتهـــا المستقلة بكل تفكيرها ، وليست كنظرة اولئك الذين يحاولون الغاء وجودها بعقلياتهم التى يعيشون بها فى واد وفقه الاسلام فى واد آخر ..!

محمد عبد الله السمان

غريب واحد في القاهرة

للشاعر : ابراهيم دعيبس

صديقى المساء .. رآنى، امس
وارنو الى الموج يشكو اساه
فاصرخ : عبثنا للرمال
اما زال صوت الرمال العقيم
صديقى المساء حكى ثورتى
فقالت له : سر به فى الدروب
الى جنة الرفاق الصبا
لعل له ذكريات هناك
ورحنا معا فى دروب المساء
الى جنة كان فيها لنا
وموال حب نغنى به
وكاس اذا لم تجد ساقيا
زمان مضى رحت امس
اذاك الفراغ رفاق الصبا
اهم اخوتى .. اوجه ذابلات
اتاك نماثيلهم زيفت
صديقى المساء راى حيرتى
وارسل « مواله » باكيا
وساءلت نفسي فى ثورة
لمن لا يعون ، ولا يسمعون
انا يا صديقى هذا المساء
وعاد القطار بنا من بعيد
وعاد الغريب الى اهله
وعاد ليلقى الهوى والحنين
وعاد الغريب الى اهله
وما كان يحمل فى رحله
ولكنه كان يهدى لهم
فيعرض عنه رفاق الصبا
ويسالنى صاحب ماجن :
وماذا اذا حرم الطفل
اذا لم تغرد على مصنع
واسخر من صاحبى ثم امضى
صديقى المساء .. اذا ما رايت
فهذا رفيق صباك القديم
وحيدا يذوب احزانه
غريبا .. غريبا .. بلا ماجنا

اشيح بوجهى عن الانجم
الى الشاطىء الابله المعتم
اما زلت فى حبها ترتمى ؟
يطيح بايقاعك الملهم ؟
عليه الى الانجم الساهرة
الى الاهل والصحب فى « القاهرة »
الى الكاس والادمع الثائرة
تكفكف ادمعه الحائرة
يغلفنا صمتنا الحائر
زمان الهوى ليلنا الشاعر
مع الناى مجمعنا الثائر
سقاها لنا شعرنا الساخر
اناديه : يا امسنا الحلو يا ضائع
وهذا الدجى امسنا الرائع ،
يهيم بها موتها اللامع !
ايضحك من زيفها الصانع ؟
فاسرى بقلب فتى حالم
عذاب فتى عاشق هائم
لمن اغنيات الفتى الحالم ؟
سوى صرخة القلق الدائم !
رجعت لاهلى وبيتى الحبيب
تهدهده نبضات القلوب
ولكنه ما يزال الغريب
يتيمين ضاعا بليل كئيب
وفى قلبه اغنيات الحنين
هدايا كما يفعل العائدون
قصائده والهوى والحنين
ويمضون عنه وهم ساخرون
بربك اين يباع الخيال ؟
من لوحة الفن او اغنيات الجمال ؟
عصافير نشوى بسحر الظلال
يتيم الشعور ، شريد الخيال .. !
غريبا خطاه هنا عاثرة
يعيش مع الغربة الحائرة
ضياء لادمعنا الساهرة
سوى نفسه والرؤى الشاعرة

سعد دعيبس

إلى دمشق

للشاعر : ابراهيم محمد نجا

مهداة الى دمشق الحبيبة ، والى شعبها
المناضل فى سبيل الحق والخير والحرية

سنلتقى عما قريب .. حين تورق الغصون
فحبنا تحيا به ارواحنا .. ولن يهون
ومجدنا مفاخر ، تروى حديثها السنون
لقد رايت فى الوادى كيف تدمع العيون
وكيف تهتف القلوب والضلوع فى جنون
سنلتقى عما قريب .. حين تورق الغصون

سنلتقى مع الربيع طير ايكة يعود
لعشه الذى تضمه العطور والورود
سنلتقى مع السلام .. عالما بلا حدود
وفى القلوب فرحة نشوى تعانق الوجود
سخية كانها يدا ربيعنا الحنون
سنلتقى عما قريب .. حين تورق الغصون

ما كنت يا فيحاء فى رباك بالفتى الغريب
فى الغوطة الخضراء كم سبحت فى السنا الرطيب
وظلها كم ضمنى اليه ضمة الحبيب
والسوق كم حنت لخطوتى وحنت الدروب
وقاسيون كم سمرت عنده مع السكون
سنلتقى عما قريب .. حين تورق الغصون

لقد زرعنا فى مروج النور جنة السلام
فاقبلت عواصف مجنونة مع الظلام
وقوضت عروشها فلم تعد سوى حطام
وفرقتنا مثلما ابعد عن ايكه الحمام
لكن برغم غدرها .. برغم قلبها الخئون
سنلتقى عما قريب .. حين تورق الغصون

سنلتقى لكى نسير فى طريقنا الكبير
اقدامنا تحس وخز الشوك لمسة الحرير
ابصارنا مشدودة الى سنا الافق المنير
والزهر فى قلوبنا ينمو مفرد العبير
يا اخوتى .. انا بعزمنا سنصنع المصير
وعنده نلقى الحياة فى ربيعها النضير
تشيع فيها بهجة الحب ، وروعة الفتون
ودائما ستزهر الرياض ، وتورق الغصون

ابراهيم محمد نجا

شعر اليوم
عرض وتقدير

بقلم : مصطفى عبد اللطيف السحرتي

ما اكثر الجدل الذى يدور هذه الايام بين انصار الشعر المنهجي او المقفى ، وبين انصار الشعر الحر ، انه جدل بيزنطى لا يثمر للشعر ثمرة ، ولا يقنع احدا من المعتركين بالرجوع عن الطريقة التعبيرية التى ارتضاها وهوى اليها .

ولا ندرى متى ستنتهى هــذه المعارك الصاخبة المشجية الثرثارة ، وتتحول الاقلام ، في هذا العصر الانتقالى ، بين قيم القديم وقيم الجديد ، للنظر الى الشعر في ذاته والى نتاجه الغزير ، سواء أكان شعرا مقفى ام شعرا حرا ، دون تعصب لاية صياغة ، فالصياغة في اعتقادنا وسيلة لا غاية في ذاتها ، والغاية هى الوصول الى شعر حقيقى ذى تجربة مؤداة تأدية فنية سليمة .

وجدير بمحبى الشعر ان يلتفتوا الى الضرورة التى توجب عليهم ان ينخلوا هذا النتاج ، الذى تكاثر فيه الغث من اشعار تقليدية مقفاة سادتها السوءات ، من جلجلة موسيقية ، او صور وعبارات مطروقة ، او مزخرفة ، لا صـلة لها بالواقع الشعورى ، او خطابية وتقريرية نثرية وما اليها من سوءات ، او من اشعار رومانسية هائمة في الاسراف العاطفى ، والتعميم التعبيرى وبعيدة عن دنيا الحياة ، او من اشعار رمزية مجللة بالغموض والابهـام في فكراتها او صورها اللا واقعيـة ، او اساطيرها الغريبة التى لا تمت الى حياتنا العربية باية صلة .

وسوف يجدون بعد اعمال حساسيتهم ، وطاقتهم الروحية النافذة ، دررا شعرية نفيسة صيغت صياغة مقفاة ومتحررة قل نظيرها في كل شــعرنا السابق ، دررا تميزت بالتجــارب الانسانية الجديدة الطازجة ، وبتقنيات فريدة فذة ، لا عهـد للرواد بها ، تؤيد ايماننا بتقدم شعر اليوم وازدهاره ، وقدرته الفائقة على مواجهة مستقبل ادبى مشرق ، في يقين وثقة .

سوف يجدون تجارب ذات اتجـاهات انسـانية نسجت نسـجا شفافا رفافا في شعر طائفة من المبدعين قارب بعضـهم الكهولة ، وهدف بعضهم الى شرخ الشباب ، ولكى نخرج من هذا الاطلاق ، نذكر مثالين لهذا الاتجاه الانسانى لدى شاعرين شابين ، نأتى بهما بدون اختيار ، احدهما : للشاعر السودانى محمد الفيتورى » في قصيدته « تحت الامطار » والثـانى : للشاعر « كامل ايوب » في قصيدته « اغنية طائر صغير » يقول الفيتورى :

ايها الســائق
رفقا بالخيول المتعبة
قف
فقد ادمى حديد السرج لحم الرقبة
قف
فان الدرب في ناظرة الخيل اشتبه
هكذا كان يغنى الموت حول العربه
وهى تهوى تحت امطار الدجى مضطربة
غير ان الســائق الاسود ذا الوجه النحيل
جذب المعطف في يأس
على الوجه العليل
ورمى الســوط بما يشبه انوار الافول
ثم غنى سوطه الباكى
على ظهر الخيول
فتلوت
وتهاوت
ثم سارت في ذهول .

وظاهر من هذه القصيدة القصيرة ، ما يكابد الســائق وخيوله من شقة وعنت في الحياة ، وما يلقى الكادح من كبـد يخرجه عن طبيعته ، وما ينثال من القصيدة من روح انسانية ، عليه .

ويقول كامل ايوب بطريقته المتحـررة التى تختلف عن الطريقة السابقة ، في اغنية الطائر .

بنشوة مرح
قرب شجيرة سخية الارج
وعلمته امه ان ينشر الجناح
وان يهش للصباح ،
وان يجوب في الرياض والحقول والبطاح
وراء زرقة المتاح
وعلمته ان يغنى كل يوم ، للرياح
حروف كلمة وحيدة غنية

« حرية » !

الطائر الصغير الفن الفناء
وميز الجواء والظلام والضياء
واختار عشه على فروع زيتونه
قرب غدير لا يجف منه الماء
لا يحرم الظماء
قرب مفر نسمة ملساء
ثم تقر الحنطة والبقول والحناء

كم طار طار ثم عاد في المساء
مغنيا رضاه زافرا حنينه
في الكلمة الاثيرة الغنية

« حرية » !

❊❊❊

وفي خريف عاطل فقير
طاف الجفاف والفناء بالبذور
فطال جوع الطائر الصغير
وطوف الافاق باحثا عن الغذاء
فلم يجد سوى الخواء
وحينما مر على نوافذ القصور
رأى الطيور في الاقفاص زادها كثير
وأز في حشاه الجوع
هنيهة لكنه واصل الطلوع
في صوته النحيل فرحة خفية

« حرية » !

❊❊❊

فهذه القصيدة المتحررة البديعة ، الرامزة الى الانسان ، تمثل فيها قيمة انسانية عالية ، هي كرامة الانسان الحر الذى يؤثر الجوع ، على الشبع في القيد . وهي مثال قائم على ان الشعر في ريشة المبدع يستطيع أن يؤدى تجربة الشاعر نادية موفقة طازجة ، لا تفقد سحرها على ولاء الزمن .

❊❊❊

وسوف يجد المتصفون في شعر اليوم قصائد رائعة تفتحت على المشهد السياسى ، او الايديولوجى ، وعبرت عنه تعبيرا فنيا متألقا ، والملحوظ ان اغلب الشعر الذى يتناول النواحي السياسية او النضالية او العقائدية ، شعر صاخب مباشر ، ولكن الباحث المدقق في شعر اليوم ، يجد طائفة من القصائد النفيسة ، الفنية ، في هذه الناحية ، ونذكر على سبيل المثال، مقطوعة « احفاد » للشاعر العراقى « نعمان ماهر الكنعانى » بديوانه « لهب في دجلة » . وقصيدة « هجم التتار » لصلاح عبد الصبور ، يقول الكنعانى حاضا على الثورة على طاغية من طغاة بلاده :

تململ « المنصور » في قبره
يسأل ؟ ما حل ببغدادى
وما لهذى النار في دجلة
ومن ترى الوغل والعادى
هل عاد « هولاكو » وعهدى به
قد زال عنهـا منذ آباد
فصاح صوت من وراء المدى
اخطأت اخطأت ابا الهادى
قد عاد هولاكو باحفاده
فانتشروا انضاء احفاد
فازور غضبانا جريح الابا
وصاح : لكن أين أحفادى ؟!

ففي هذه المقطوعة تمكن هذا الشاعر بطريقة ايحائية من الاعراب عن المه ومرارة نفسه من حال بلاده ، واخلادها الى السكون ، والطاغية يعيث فيها عبثا وفسادا ، ويدعو الى التمرد والثورة عليه ، وبهذه المقطوعة اثبت الكنعانى قدرة الشعر الفنى على الكشف عن التجارب النضالية في ثوب جديد بعيد كل البعد عن المباشرة والجلجلة :

ويقول صلاح عبد الصبور في قصيدته « هجم التتار » كاشفا عما فعل الجارمون ببورسعيد من تخريب وتدمير ، ومنتهيا فيها الى الامل بالنصر ، واعادة ما هدموه :

هجم التتار
فرموا مدينتنا العريقة بالدمار
رجعت كتائبنا ممزقة وقد حمى النها
الراية السوداء والجرحى وقافلة موات
والطبلة الجوفاء والخطو الذليل بلا التفات
واكف جندى تدق على الخشب
لحن السغب
والبوق يشنق في انبهار
والارض حارقة كان النار في قرص تدار
والأفق مختنق الغبار
وفي آخرها يقول :
امى وانت بسفح ذاك التل بين الهاربين
والليل يعقد للصغار الرعب من تحت العيون
والجوع والثوب الشفيف
والصمم والسعلاة والظلماء تغفى في الكهوف
انرى بكيت لان قريتنا حطام
ولان اياما اثيرات تولت لن تعود
اماه ! انا لن نبيد !

وفي المجال التأملى سيجد الباحث شعرا بديعا طريفا في اداته ، سواء اكان التأمل وجدانيا ام باطنيا ، ونذكر على سبيل المثال قصيدتين، احداهما للشاعر السورى نزار قبانى، بعنوان «ابى» ، والاخرى ، قصيدة «الذكريات» للشاعرة العراقية «نازك الملائكة» .

والقصيدة الأولى ، تدور حول التأمل في آثار الميت التى تذكرنا به ، وأن الموت لا يقطع علاقاتنا بالميت ، بل ان اشياءه تحيي دائما ذكراه . يقول نزار في ابداع :

أمات أبوك
ضلال انا لا يموت أبى
ففى البيت منه

روائح رب ، وذكرى نبي
هنا ركنه ، تلك اشياؤه
تفتق عن الف غصن صبي
جريدته ، تبغه ، متكاه
كان ابي ، بعد ، لم يذهب
وصحن الرماد ، وفنجانه
على حاله ، بعد ، لم يشرب
ونظارتاه ، ايسلو الزجاج
عيونا اشف من المغرب
بقاياه في الحجرات الفساح
بقايا النسور على الملعب
اجول الزوايا عليه ، فحيث
امر ، امر ، على معشب
اشد يديه ، اميل عليه
اصلي على صدره المتعب
ابي ، لم يزل بيننا ، والحديث
حديث الكؤوس على المشرب
يسامرنا ، فالدوالي الحبالى
توالد من ثغره الطيب .

فهذه القصيدة التاملية الوجدانية المقفــاة ، من اروع قصائد شعر اليوم وقد قام بناؤها على الجزئيات الصغيرة ، وعلى الصور التامة التي انبثق منها صــورة حية للميت ، ـ وقد دار في كثير من الاذهان ، ان الشــعر اللاســيكي ، لا يستطيع التعبير في طلاقة عن التفصيلات الدقيقة ، ولكن هذه القصيدة وامثالها ، اثبتت قدرة هذا الشعر على التعبير عن تاملات الشاعر دون وقوف القافية عائقا ، وبهذا تسقط حجة من يقول ان الشعر المتحرر هو القادر وحده على هــذا الاداء التفصيلي ، وان الشكل القديم غير صالح لاداء المعاني الجديدة والصور الجديدة .

وكذلك تمكنت الشاعرة المبــدعة نازك من الاعــراب عن تاملاتها الباطنية العميقة ، في كثير من قصائدها ، ومن بينهــا قصيدة « ذكريات » التي تغلغلت في تشريح انفعالاتها وعواطفها فيها ، ومما جاء في القصيدة قولها :

كان ليل ، كانت الانجم لغزا لا يحل
كان في روحي شيء صاغه الصمت الممل
كنت وحدي لم يكن يتبع خطوي غير ظلي
انا وحدي ، انا والليل الشتائي وظلي
لم اكن احلم ، لكن كان في عيني شيء
لم اكن ابسم ، لكن كان في روحي ضوء
لم اكن ابكي ، الكن كان في نفسي نوء
مر بي تذكار شيء لا يحد
يعني شيء ماله قبل وبعد
ربما كان خيالا صاغه فكري وليلي
وتلفت ، ولكن لم اقابل غير ظلي
وفي آخرها تقول :
كان قلبي متعبا يسكنه حزن فظيع
رقصت فيه وشدته الى الجرح دموع
صور في العمر ، يصبغ مرآه التجيع
كان ، لكن بدا مرت عليه
باركت الامه السوداء ، كانت يد طفل
اي طفل ؟ ، لم يكن في الليل غيري ، غير ظلي !

وواضح من هذه القصيدة ، قدرة الشاعرة على استبطان نفسها والاعراب عن تاملاتها النفسية العميقة ، وسبحاتها في عقلها القائل ، وما شعرت به من يد طفل ، تقصد به الامل ، يرف باجنحته على الامها السوداء .

فهذه الريادة التاملية الجديدة ، هي من الاتجاهات الجديدة في شعر اليوم ، والتي لم يكن لنا عهد بها في الاجيال السابقة.

واذا تركنا هذه الاتجاهات ، التي انتحاها شعر اليوم ، واعرب عن تجاربها في جدة ، وطلاقة تعبيرية ، وجدناه يمارس تجارب الحالات النفسية في ضوء جـديد باهر ، ونذكر على سبيل المثال قصدتين احداهما للشاعر الســوداني الشـاب ، محمد عثمان صالح وهي قصيدة « اعترافات عذراء » والاخرى قصيدة « احلام عذراء » للشاعر المصري النابغة كمال نشات .. وهما يجريان على الطريقة المتحررة الجديدة ،

يقول محمد صالح :
اليك عني ، فالهوى يا جدة
ان طرق الباب فلن ارده
قلبي الذي يطفح بالموده
بين الربى المخضرة الممتدة
زوابع الفرحة في سمائي
اطلقها بغير ما انتهاء
فعربدت في دمائي
رايته .
معتدل القامة في رشاقة النخيل
له رشف السمرة من حدائق الاصيل
في رقة البرعم ، في وداعة الحمام
اذا مشى توقف الزحام

ويقول كمال نشات في قصيدته العذبة الرقاقة « احــلام عذراء » التي تفنن في ابداعها ، وسجل في تفصيل احلام العذراء مقلقلا في عقلها الباطن انا ، ومصورا تصــوراتها الخارجيــة انا آخر :

كصقار حمام
تاهت في افق البرية
كانت أحلامي الوردية
والناس نيام
في ليلة صيف قمرية
وانا في جلسة شباكي
ارنو لبعيد الافلاك
والون افراح العرس
والمغم : يا رب رجائي
فتثور بالبهجة نفسي
واراه بعين الاحلام
كالبدر توشح بتمام
يختال فتى الخطوات
والشال يرف على كتفه
وتدق طبول
فتعانق انغام الارغول
وتموج الدار
وتزغرد امي مبهورة
وترش الملح على الزوار
وانا في الزفة عصفورة
طارت بجناح
وجناح نام على اسرار !

فهذه القصيدة البارعة في بنائها ، تكشف عن قدرة الشعر الحر على ابراز الحالات النفسية التي تدور في راس العذراء ، وتوقها الى فتى احلامها ، وفي تصوير افراح القرية ، وقد طعمها بمصطلحات شعبية موفقة ، ليهب للقصيدة حيوية وجوا واقعيا ، ومستخدما في ايقاعها «التفعيلة» «فعلن» من بحر المتدارك ، التى كررها في غضون القصيدة ، وبذلك حقق لها الايقاع السيال ، فضلا عن النغمات الرقراقة السائدة في مخارج حروفها ، مما يجعلنا نفتح قلوبنا لهذا الشعر اذا دبجه الفاقهون بأسرار الفن الشعرى .

وبعد ، فهذه بعض نماذج من شعر اليوم ، عرضناها وقدرناها ، ولو شئنا ان ناتي بنماذج اكثر ، لما انتهينا ، وكل ما قصدنا اليه هو ضرورة قراءة هذا الحصاد الشعرى الوفير، وتجميعه ، وتقييمه بعد ذلك ، في انصاف ونزاهة وسماحة ، ووقف تلك الحملات المتعصبة على طريقة الادائية ، التى يرى فريق ان الطريقة المنهجية او المقفاة ، هي وحدها الطريقة الواجبة المشروعة ، ويرى فريق اخر ان هذه الطريقة ، طريقة مجدبة عقيمة ، وان الطريقة الجديدة هي الطريق الوحيد الى احياء الشعر العربي ونفخ الروح فيه من جديد ، وكلا النظرتين تنطويان على تعسف وعنت ، وتضييق على حرية الشاعر في اختيار ما يطيب له ويذكى من اداء تجاربه الشعرية .

مصطفى عبد اللطيف السحرتي



مسرحية الفرافير

بقلم : عبد الفتاح البارودى

ماذا قدمته مسرحية « الفرافير » من جديد ؟!

اولا ماذا يقصده مؤلفها يوسف ادريس ومخرجها كرم مطاوع ؟ انها تدور حول مشكلة (السيد والمسود) أو بتعبير الرواية (السيد والفرفور) واختلفت فيها الآراء .. راى يقول ان المؤلف صورها كمشكلة ابدية .. كان بارعا فى تناولها بالحوار السريع الذكى ولكنه لم يحلها .. وراى يقول انه لم يقصد حلها لانها فعلا مشكلة بلا حل وانما قصد استعراضها بمهارة .. وراى يقول انه اسرف في تصويرها كمشكلة ، لانها ليست سوى ظاهرة حتمية تحتمها الحياة نفسها .. وراى يقول انه لم يقصد حلها لانها فعلا مشكلة بلا حل مالوفة ليس فيها ما يستلزم البحث . الخ .. والمؤلف يقول انه اراد اثارة التفكير للبحث عن حل لهذه المشكلة التى استعصى عليه ان يجدلها اى حل .. وبالنسبة للمخرج راى يقول انه اراد ان يستعرض عضلاته فى أول رواية يخرجها على مسرحنا بعد عودته من بعثة دراسية فى أوروبا .. وراى يقول انهنقل بعض « التقاليع » التىشاهدها فى الخارج .. وراى يقول انه مظهرى يحاول فقط ان يبهر الناس ... الخ .. والمخرج يقول : ان هذه الرواية ليست رواية مسرحية بالمعنى المتعارف عليه ، وانما هى مناقشة أو دردشة ، ولهذا حاول ان يشرك المتفرجين فيها بأسلوب يزيل الحواجز التقليدية بين مكان المتفرج ومكان الحدث المسرحى .

مهما تكن وجهات النظر فان من الخطأ ان تنظر الى الرواية ـ أو اى رواية ـ على أساس انها تعطى معلومات معينة ومحددة .. فالمسرح لا يعطى غير تجارب فنية لا يجوز تحميلها غير ما تحتمل بذاتها هى وبمنطقها هى ، وانما من اللازم ان توضع فى المواضعات المسرحية وبالمنطق الفنى، فهل تحقق هذا فى تاليفها واخراجها وتمثيلها؟!

ان احداث المسرحية بدات بخطبة القاها المخرج من خشبة المسرح ، وقال فيها للمتفرجين انهم يمثلون فى حياتهم ، وعندما ياتون الى المسرح يتوقفون عن التمثيل ويتجمد كل منهم فى «قالب متفرج» ، ولهذا فانه يدعوهم الى التمثيل فىرواية سيؤلفها لبحث العلاقة بين السيد والفرفور .. ويبدا فى التاليف ، ويبدا السيد والفرفور فى مناقشة هذه المشكلة التى عاصرت الانسان منذ القدم وظلت بلا حل على اختلاف العصور واختلاف الفلسفات واختلاف المجتمعات .. وتستمر حيرة السيد والفرفور ، وكلما ازدادت هذه الحيرة تضاءل حجم المؤلف لعجزه عن الوصول الى حل مقنع ، ويظل يتضاءل حتى يختفى دون ان يؤلف روايته ، وتنتهى المسرحية دون ان يحل يوسف ادريس مشكلته .

فى المسرحية احداث كثيرة ، وتحركات كثيرة فوق المسرح وتحت المسرح ، ولكنها مع ذلك ليست اكثر من مجموعة مناقشات داخل اطار مسرحى ؛ فما الراى فى هذا الاسلوب كاسلوب مسرحى ؟ وهل هذا الاسلوب يحقق فكرة المؤلف عن «المسرح المصرى» ؟! .

ان المؤلف يعتقد ان هناك مسرحا مصريا موجودا

فى مكان ما من ضمير شعبنا وحياته ، ولم يكن لدينا الوعى الكافى لنبحث عنه ، ويجب ان نحاول البحث عنه للعثور على طرف الخيط المسرحى المصرى الشعبى ، ليستطيع كتاب المسرح عندنا ان يقدموا مسرحيات تتناول حياتنا الحديثة .

واضح من كلامه ان المسرح الذى يبحث عنه هو اولا مسرح ليس فيه أثر للمسرح الانجليزى او الفرنسى ، وثانيا يتناول حياتنا الحديثة بنفس الطريقة « الفولكلورية » متطورة الى المستوى الذوقى والجمال والمفهومات الفنية العالمية .. وعلى هذا الأساس قدم مسرحيته « الفرافير » باعتبار انها « رؤيا مسرحية كاملة » مختلفة عن المسرحيات المألوفة فى الفهم وطريقة الاداء والتصور والاخراج ايضا .

الواقع ان كلامه هذا فى غاية الأهمية . ولكن هل تحقق فى مسرحيته ؟! انها تجربة مسرحية جديدة ، ولكن ليس معنى ذلك أنها استحدثت شيئا جديدا فى مواضعات المسرح او قواعده الجوهرية او تركيباته الفنية .. حتى بدايتها التى تبدو جديدة ليست جديدة .. ان الخطبة التى القاها المخرج فى اولها سبق ان استخدم المسرح القديم ما يماثلها فيما يسمى (البرولوج) .. واذا كانت فكرة المسرحية جديدة فهذا شىء بديهى ، واى مؤلف لا يقدم فكرة جديدة فلا يجوز له ان يكتب للمسرح ، بل ان برناردشو يشترط على من يريد ان يكتب مسرحية ان يقدم فيها فلسفة جديدة .. والمهم هو : هل وضع يوسف ادريس فكرته فى اسلوب لم يعرفه المسرح من قبل ؟! ان مسرحيته عبارة عن احداث تعبر عنها الشخصيات المسرحية بالسلوك وبالحوار . . وهذه الأحداث تتعقد حتى تصل الى ذروة ... ماذا فى هذا من جديد ؟ ان هذه هى الطريقة المسرحية لتناول الأفكار فى مختلف المسرحيات على اختلاف العصور والمذاهب الفنية ، بما فيها المسرحيات الانجليزية والفرنسية والامريكية .. الخ .. وفى بناء الشخصيات أيضا استخدم نفس الطريقة المتبعة فى مختلف المسرحيات .. انها شخصيات تعطينا افكارها بنفس الاسلوب المسرحى .. كيف اذن يعتبر أن « الفرافير » تخلصت من أثر المسرح الاوروبى مثلا ؟ بل اكثر من هذا انه اسند بطولة مسرحيته الى شخصيتين رئيسيتين ، فى حين ان المسرح الأوروبى تخلص من بلورة المسرحيات فى بطلين ، واسند البطولة للمجاميع ، بينما توقفت « الفرافير » عند مرحلة الشخصيتين الرئيسيتين .

كذلك فى الحوار استخدم نفس الحوار المسرحى الذى يستخدمه اى مسرح تقليدى .. حوار منطقى ومفهوم .. اننا نرى فى المسارح الحديثة الوانا جديدة من الحوار بينما فى مسرحية الفرافير لا نجد غير الحوار بمعناه المألوف .

واذن فليس فى المسرحية تغيير فى المواضعات المسرحية ، سواء فى بنائها او شخصياتها او حوارها او طريقة تناولها للأفكار .. ثم ان المسرحية عبارة عن مناقشات فكرية لمشكلة تطرح على المسرح للبحث ، فاين هى « الفولكلورية » ؟! **المفروض أن الفولكلور يتناول شيئا شعبيا** او شيئا من التراث الشعبى ، بينما فكرة المسرحية فيها جانب فلسفى ، وجانب ميتافيزيقى ، وجانب جدلى .. انها تشرح علاقة السيد والفرفور على ضوء المفهومات المختلفة لهذه العلاقة عبر التاريخ وخلال مختلف التراكيب الاجتماعية بما فيها من اختلاف فى التفكير وفى التحليل وفى التفسير ، فهل فى هذا فولكلور ؟! وهل فى هذا ارتباط بالخيط المسرحى المصرى الشعبى ؟ واين هو المسرح المصرى الشعبى ؟ .

المخرج ايضا فعل ما فعله المؤلف .. او همنا مثله بانه سيقدم شيئا جديدا لم يعرفه المسرح من قبل ، ثم استخدم كل ادوات الاخراج المألوفة .. واوهمنا بانه سيمزج مكان الحدث المسرحى بمكان المشاهدين ، ليذوب الممثل فى المتفرج ويذوب المتفرج فى الممثل ، فماذا فعل ؛ قال انه سيصنع من المتفرجين ممثلين ، وفعلا استدعى من بينهم اشخاصا واوقفهم على المسرح ، ولكنهم كانوا جميعا من الممثلين المسجلة اسماؤهم فى البرنامج .. كل مافعله هو انه وضع سمير البابلى فى بنوار ، ووضع أحمد الجزيرى والكورس فى الصالة ، واخرج الفرفور عبد السلام محمد من بين كراسى الصالة ، فهل معنى ذلك ان هؤلاء الممثلين تحولوا الى متفرجين ؟ لم تتحول غير مواضعهم ، وكان من الممكن جدا أن يدخلوا المسرح من كواليسه ، بينما ظل المتفرجون متفرجين الى ان انتهت الرواية .. واذن فحكاية ذوبان الممثلين فى المتفرجين ليست سوى مغالطة .

وحدثت مغالطة اخرى فيما سماه ازالة « خداع

الحائط الرابع » لتغوص الحقيقة الفنية فى اعماق الحقيقة الواقعية .. وهذا كلام غير مفهوم ، لان الحائط الرابع لا وجود له فى اى مسرح .. جائز انه يقصد اعداد مسرح دائرى ، ولكن الرواية مثلت على مسرح عادى ، وبهذا يكون المخرج قد اراد ايهامنا بلفظيات براقة ٠٠ بنفس الطريقة اوهمنا بانه (اراد ان يتعمق تلك الفترة الزمنية الدقيقة الحرج التى تسبق تجسد الممثل لدوره الفنى ، والتى يعقبها تحول الانسان الى «دور» ، والى دراما ، اعنى ذلك التحول الموضوعى الذى هو بالنسبة للحياة تجميد مؤقت لانسانية الممثل) !! وهذا ايضا كلام غير مفهوم .. لقد قرات عباراته اكثر من عشرين مرة ولم اتبين ما يقصده .

كذلك اراد الايهام باظلام صالة المسرح قبل عرض الرواية ، على اساس انها تتناول مشكلة ابدية ، ولكن الرواية عرضت هذه المشكلة فى وقت معين ومحدد ، وهو الزمن المسرحى ٠٠ وبديهى ان التزام الزمن المسرحى ضرورة فنية ، ولكن هذا الاظلام يلغى هذا المعنى ، ولا يعطينا معنى آخر بديلا له فما الداعى لذلك !! .

ليس معنى هذا كله ان « الفرافير » مسرحية عادية .. هى بالتاكيد تجربة فنية ممتازة فى جراتها وفى محاولتها تقديم اسلوب جديد سواء فى التاليف او فى الاخراج .

ان المؤلف ادهشنا بذكائه وهو يتناول مشكله السيد والفرفور من خلال مختلف وجهات النظر تناولا تحليليا وتطبيقيا ٠٠ ادهشنا بعرض افكاره بحرارة دون ان يفلت منه زمام التتابع المسرحى الا فى فترات بسيطة .. ادهشنا باستخدام المناقشة فى هز الرواسب المترسبة فى العقول كمفهومات مسلم بها ، واضحكنا على تجمد التفكير عندما اثبت لنا انه لاشىء يجوز للعقل ان يسلم به دون مناقشة .. وادهشنا ايضا وهو يصارحنا بانه لم يجد حلا للمشكلة ، بدلا من الاستعلاء الذى يلجا اليه المؤلفون حينما يتوهمون انهم يجدون لكل مشكلة حلا .. وادهشنا بنقده الساخر وبسخريته اللاذعة .. ولكنه رغم الجراة فى محاولة التخلص من مواضعات المسرح التقليدى ، ظل داخل هذه المواضعات ، وعرض نفسه للمحاسبة على اساس انه لم يلتزم بوضع محتوياتها فى المجال المسرحى فى تنمية الشخصيات نتيجة للفعل ورد الفعل والصراع المسرحى ، وانما قدمها كادوات لمناقشة المشكلة فى صورة حوار .

المخرج أيضا وضع على المسرح مستويات متعددة ، وكان رائعا فى رسم حركة الممثلين فوق هذه المستويات ، ولكنه لم يلتزم دائما بمسايرة تحريكهم للمعانى .. فنحن لا نعرف مثلا لماذا نام السيد فوق هذا المستوى ، ولالماذا قفز الفرفور فوق ذلك المستوى ، وكان من الجائز ان ينام السيد حيث قفز الفرفور ،والعكس صحيح ايضا .. كذلك اوقف شخصيات كثيرة على المسرح بلا اى عمل فى فترات طويلة .. حدث هذا التعطل فى الجزء الخلفى من المسرح وكان متناقضا مع احتدام الحركة فى الجزء الامامى ٠٠ ومع هذا فانه اثبت ان المخرج فنان خالق يضيف بفنه الى النص وينعشه بالنقل الى خشبة المسرح ، وكان دقيقا فى تفسير الرواية بمفهوماته . وفى تنفيذ هذه المفهومات ببراعة ، ولهذا اجتذب المتفرجين الى خشبة المسرح دون اى ملل فى اية لحظة حتى فى اللحظات الهادئة ، ودون ان يبهرهم بزخارف او اضافات لا لزوم لها ٠٠ ان هذه هى أول مسرحية يخرجها على مسرحنا بعد عودته من البعثة ، وفعلا قفز بها الى الصف الأول من المخرجين .

ان الفرافير تجربة مسرحية جديرة بالتقدير وبالمناقشة كمحاولة ذات اثر كبير فى تفكيرنا المسرحى .. فقط اخالف المؤلف فى أنها محاولة للعثور على المسرح المصرى الموجود فى مكان ما من ضمير شعبنا وحياته ... الافضل أن نعتبرها محاولة لخلق المسرح المصرى الجديد الذى نريد ايجاده لتناول حياتنا الجديدة ... ولا داعى لأن نرهق انفسنا بالبحث عن مسرح قديم نفترض وجوده ، وهو لا وجود له ٠٠٠ أيضا لا داعى لايهام أنفسنا بأن من الممكن ابتداع مواضعات لايمكن ابتداعها .. ان التزام المؤلفين العالميين بالمواضعات المسرحية لم يمنع اصالة تفكيرهم ، ولم يمنع الخلق الجديد الاصيل فى اطار هذه المواضعات .. ان مشكلتنا الكبرى هى اننا لم نكن نعرف التفكير المسرحى ، ونحن الآن نحل هذه المشكلة باقتحامها وبممارسة الفن المسرحى ، وأجدر بنا أن نواصل هذا الاقتحام وهذه الممارسة بدلا من الهروب من المشكلة نفسها .

عبد الفتاح البارودى

تعقيبات

بقلم: عباس خضر

عيسى بن هشام والفن الروئى

فى أقل من سنة صدرت ثمرات طيبات لمشروع « **المكتبة العربية** » الذى اختطه فى العام الماضى المجلس الأعلى لرعاية الفنون والأدب والعلوم الاجتماعية ، وتعاونت معه فى تنفيذه الدار القومية للطباعة والنشر ومؤسسة التأليف والترجمة .

ظهر من هذا المشروع حتى الآن عدد من الكتب فى مختلف النواحى من تأليف وترجمة وتراث قديم وتراث حديث . **ولكن مما يؤسف له أن النقاد لم يلتفتوا اليها** ، فلم يكتب احد منهم عن كتاب منها . . ربما لانهم مشغولون بالمسرحيات التى الفها فلان وابدعها فلان . . **وربما لان هذه الكتب لم تهد اليهم بعد . . !**

وقد اهتم المجلس الأعلى بناحية جديدة فى هذا المشروع ، **هى كتب التراث الحديث** التى طبعت طبعات قديمة ونفدت ، واصبح الجيل الحالى من الأدباء والمثقفين يكاد يكون منقطعا عن هذا التراث القريب ، الذى كان طليعة نهضة لا نزال وسنظل نجنى ثمارها . وقد صدرت طائفة من هذه الكتب مصدرة بمقدمات تحليلية كتبها أساتذة كانت لهم صلات شخصية بمؤلفيها ، أو عنوا بدراستهم عناية خاصة .

بين يدى الآن من هذه الكتب كتاب « عيسى بن هشام أو فترة من الزمن » لمحمد المويلحى . وكان الكاتب قد نشر هذا الكتاب حوالى سنة ١٨٩٩ فى حلقات مسلسلة بجريدة مصباح الشرق التى كان يصدرها والده ابراهيم المويلحى ،وجمعها بعد ذلك فى كتاب سنة ١٩٠٦ .

والكتاب يعد بمثابة قصة طويلة رباطها البطل والراوى : أما البطل فهو « **احمد باشا المنيكلى** » ناظر الجهادية فى فترة تقع فى النصف الاول من القرن التاسع عشر تخيل الكاتب انه بعث على طريقة أهل الكهف . واما الراوى فهو « **عيسى بن هشام** » استعار الكاتب اسمه من بديع الزمان



الهمذانى فى مقاماته المشهورة، وهذا الراوى يتقمصه المويلحى نفسه .

والموضوع الذى يهتم به هو **المقارنة بين عصر (الباشا) فى النصف الأول من القرن التاسع عشر وبين عصر «عيسى بن هشام» أو المويلحى فى النصف الثانى من نفس القرن** ، وهو الوقت الذى كانت مصر فيه قد اخذت بكثير من مظاهر الحياة الغربية بما فيها من مساوىء ومحاسن . وتنتهى المقارنة باستحسان الحسن من الجديد والقديم كليهما ، واستهجان السىء منهما .

وقد نهج المويلحى فى هذا الكتاب منهج المقامات العربية المشهورة ، ولم يكن هو اول من فعل ذلك فى العصر الحديث ، فقد سبقه « **على مبارك** » فى القص على طريقة المقامة متجها الى المضمون العصرى ، وذلك فى كتابه «**علم الدين**» الذى قصد به الى نقل المعارف المختلفة بطريقة قصصية ، كما قال فى المقدمة .

اما الاتجاه العصرى فى « **عيسى بن هشام** » فهو تصوير الحياة الاجتماعية ونقدها ، مع رسم نماذج مختلفة من شخصيات المجتمع .

وهذا الاتجاه يدني الكتاب بعض الشيء من **الفن القصصي الحديث** . وكنت اودان يبين ذلك الاستاذ على ادهم في تقديم الكتاب ، او ان يهتم ببيان ذلك اكثر مما فعل ، فقد اجمل الكلام بقوله في آخر التقديم دون حيثيات سابقة :

« واحسب انه لا امتراء في ان محمد المويلحي كان الرائد الاول للروائيين المصريين الذين جاءوا بعده وقد مهد لهم السبيل ، وقدم لهم المثال ، مع قوة الاداء ، وبلاغة التعبير ، والمحافظة على سلامة اللغة وصحة العبارة ، وكتابه فاتحة في الادب العربي الحديث يستحق ان ينوه بها ، وتذكر له بالتقدير وعرفان الجميل ، وهي أول محاولة صادقة لصبغ الادب بالصبغة المصرية وتلوينه باللون المحلي ، وإخضاعه لتناول مشكلات العصر ، ووصف التيارات المختلفة التي تضطرب في جوانبه » .

اما ان الكتاب فاتحة في الادب العربي الحديث .. الخ ، فهذا لاشك فيه . ولكنى اختلف مع الاستاذ على ادهم في قوله بان **محمد المويلحي كان الرائد الاول للروائيين المصريين الذين جاءوا بعده** ، للاسباب الآتية :

● الكتاب ، وأن كان قد اتجه نحو تقديم شخصيات من المجتمع وتناول مشكلات عصرية ، لم تتوافر له المقومات الاساسية لفن الرواية .

● الذين كتبوا على غراره — مثل حافظ ابراهيم في ليالي سطيح — لم يكونوا روائيين ، بل ان حافظا التصق بفن المقامة القديمة أكثر من المويلحي ، **ولو كانت هنا ريادة لكان الاولى بها بديع الزمان الهمذاني .**

● المعروف الذي يجمع عليه الدارسون أن أول رواية فنية مصرية متكاملة هي رواية « **زينب** » ، ولا علاقة لها بالمنهج الشكلي والاسلوبي الذي سلكه المويلحي ، وكذلك الاتجاه ، فزينب رومانسية ، وعيسى بن هشام كلاسيكي ، وان كان كل منهما يتخذ مادته من واقع المجتمع المصري .

● على أن رواية زينب — مع اختلافها عن عيسى ابن هشام — **هي الرواية الوحيدة التي كتبت في نحو ربع قرن بعد عيسى بن هشام ، ولا أرى « عذراء دنشواي »** لطاهر حقي قد اكتمل لها ما يسلكها في عداد الروايات الفنية الحديثة .

● عندما نشأ فن القصة القصيرة عندنا حوالي ثورة سنة ١٩١٩ جافي رواده كل ما يمت الى المقامة العربية التي اتخذها المويلحي شكلا لكتابته ، جافوا حتى اللغة العربية الجذلة . **وهذا يدلنا على أن كل القصصيين الحديثين سواء أكانوا كتاب رواية او قصة قصيرة بعدوا كل البعد عن منهج المويلحي في عيسى بن هشام .**

● مما يؤيد ذلك ماقاله الاستاذ يحيى حقي في مقال بالسجل الثقافي (سنة ١٩٥٩) وهو يدلل على القول بان الرواية كانت اسبق في الظهور عندنا من القصة قصيرة — قال من اسباب ذلك : **« خوف دفين في قلوب هؤلاء الكتاب من الالتصاق الشديد بفن المقامة لانهم كانوا يريدون التحرر منه » وكان يحيى حقي من أوائل من مارسوا كتابة القصة القصيرة، فهو يحدثنا عن ملابسات شعر بها وعاناها .**

ايهما أسبق ؟

واذا خرجنا عن موضوع **«عيسى بن هشام والفن الروائي»** فلا باس بمناقشة قصيرة للاستاذ يحيى حقي في قوله بأن الرواية كانت اسبق من القصة . هذا صحيح اذا سلمنا بأن رواية واحدة تكفي في هذه الدعوى . اما اذا نظرنا الى **الفيض الغزير من** القصص القصيرة التي سبقت نشوء الروايات — ماعدا «زينب» الفريدة — فان هذا يحملنا على النظر في دعوى سبق الرواية . هل يعطي عمل مفرد حكما عاما بالسبق على اعمال كثيرة تمثل نهضة واسعة قام بها عدد كبير من رواد القصة القصيرة — منهم يحيى حقي نفسه — انتجوا لنا فيضا من قصص قصيرة نشرت في الصحف والمجلات وفي مجموعات خالدة نعكف الآن على دراستها في مجالات مختلفة من تأليف عنها وكتابة مقدمات لطبعاتها الجديدة التي تصدر في « مشروع المكتبة العربية » .

انني اميل الى القول بان القصة القصيرة كانت أسبق .. اذ انظر الى مجموعة كبيرة من الاعمال واضعها في الاعتبار بدلا من عمل واحد مفرد .

كشكول

● كتب الاستاذ عبد الرحمن الخميسي فى الجمهورية يناقشنى فى **موضوع القصة العربية القديمة** ، على اساس انى كتبت عن كتاب الاستاذ مفيد الشوباشى . والواقع انى انما عقبت على مقال الخميسى وتصويره للكتاب لاعلى الكتاب نفسه .

وقد عرج الخميسى فى مناقشته على نواح جانبية بطريقة غير سديدة ارجىء الكلام فيها حتى اطلع على الكتاب مادام يبغى ذلك ويريد المناقشة .

● « **السيد بيومى الورقى** » حرف فى العدد الاخير من مجلة الثقافة كلاما كتبته عن قصة مقتبسة نشرت فى باب « **بين الثقافة والقراء** » وبنى على تحريفه قصرا كبيرا من الكلام الفارغ .. قلت : « **ويكفى ان تقرأ القصتين لترى ان الصلة بينهما اكثر من توارد خواطر** » فحرف هذا النص هكذا : « **ويكفى ان تقرأ القصتين لتعرف ما بينهما من توافق** » وبنى عليه ما شاء .. ومن المؤسف ان نخرج من ازمة اقتباس الى ازمة اخلاق .. من « المتشعبطين » فى الكتابة ..

● كتب الى الاستاذ على الجندى الرسالة الرقيقة المتواضعة الآتية :

تحية وسلاما وشوقا ، وبعد فاخبر الصديق الكريم : ان الكلمة التى القيت بكلية دار العلوم تأبينا للمغفور له الراحل العظيم « العقاد » هى بنصها وفصها التى تكرمت الرسالة الغراء بنشرها ولو اعاد النظر فيها لعرف أننى لم اعرض لثناء العقاد على وانما اردت ذكر بعض اياديه لدى ، كتشريفه منزلى بالزيارة ، وترحيبه بى فى لجنة الشعر ، ووعده بتقديم بعض كتبى ، لأبين لمن لم يعرفه معرفتى سماحة نفسه ورقة شعوره ، ولين عريكته ، وتواضعه لخلصائه .

وكيف غاب عن « الخضر » جواب الآفاق ، والعليم بالأسرار الباطنة بله الظاهرة اننى صرحت فى كلمتى بعجزى عن رثائه شعرا ، وانه اول من شجعنى بنشر اول مقال لى حتى مضيت فى طريقى ، واننى مزهو بصداقته ، فخور بما إتحفنى به من أبيات رددت عليها بما يجاوز العشرين بيتا!! فهل يعد الاخ هذا فخرا لا تواضعا !! ومهما يكن فاحب ان يطمئن « الخضر » على ان « صاحبه » ــ وان كان افخر شعراء العرب على الاطلاق لاستثنى الفرزدق ولا المتنبى ــ حيى خجل يفزع من الثناء ، ويفر من الأضواء ، وانه فى حياته العامة والخاصة متواضع توضعا يأخذه الناس عليه ، اليس هو القائل :

تواضع ايمانا بقيمة نفسه
ونفس كبير النفس لا تألف الكبرا

اقول هذا تحدثا بنعمة الله !! و « سيجدنى الخضر ان شاء الله صابرا » على « قفشاته » البديعة الوديعة ، فى كشكوله الجامع المانع البارع !!

● غنيت المكتبة العربية أخيرا بكتاب « قضية الشعر الجديد » للدكتور محمد النويهى . وحين يتناول أستاذ دارس للقديم ، بعمق واخلاص وفهم وحب ، مثل النويهى ــ حين يتناول قضية الجديد فانه لا ينتظر منه الا ما ينتظر من امثاله المتمكنين من القديم المتفتحين للجديد ، من دفع الى الامام مبنى على اساس مكين من القديم ــ وهذا هو معنى التطور ، وهى نفس القضية التى يعالجها الكتاب .

● قال الدكتور حسين فوزى فى مقال بالأهرام : «**النقد ليس صناعتى ،ولم يكن يوما من هواياتى**» .

والواقع أن الدكتور حسين فوزى بدأ حياته الأدبية ــ فيما بدأ به ــ بالنقد ، ولعل نقده للمجموعة القصصية الاولى لمحمود تيمور بجريدة الفجر سنة ١٩٢٥ أول نقد قصصى بالمعنى الصحيح لكلمة نقد فى حياتنا كلها .. وقد كتب فى تلك الفترة بضع قصص قصيرة نشرت أيضا بالفجر وكانت من أحسن ماكتب يومئذ .

لو أنه أصر على شىء من ذلك لكان لنا منه رائد متصل الانتاج عظيم فى فنه ، ولما أصبح يقول الآن : لست ناقدا .. لست قصصيا .. لست مؤرخا .. الخ

● قال الأستاذ محمود تيمور فى مقاله بالعدد الأسبق من الرسالة انمسرحيات الشاعر عزيز اباظه « **عقدت له لواء الامارة الشعرية فى هذا الميدان** » ــ لم يعجبنى هذا التعبير لانى لا احب الامارة ولو على سبيل الإستعارة .

عباس خضر

بقلم عبده بدوى



حول الأدب في أسبوع



قطعة من القمر

لا يكاد الانسان يذكر « جواهر لال نهرو » الا وتتوافد على عينيه وقلبه صورة للسلام ، ولقطة للنور ان صح أن السلام يتجسد فى صـــورة ، والنـــور يتجمع فى لقطة ، ذلك أن الرجل لم يفتح ذراعيـه ثم يحتضن بلاده فقط ، وانما فتح ذراعيـه لكل العالم ، فاذا بالعـــالم يندفع الى ذراعيه .. واذا هذان الذراعان يربتان على كتف العالم كلما حاول أحد من هنـــا أو أحد من مكان ما ، أن ينقص من هذا العالم بسمة على شفة ، أو نبضة من قلب !

فقد كان رجلا أقل ما يقال فيه أنه كان « يحترم الحياة » ، وأنه كان يباركها كلما حملت الطيور الفجر على أجنحتها ، أو شد الناس الشمس شـدا الى حيث يكدحون فى القرية والمدينة .

وتاريخ الرجل يشهد بأنه كان يعطى للانسانية ما يعطى للهند ، وأنه ذكر فى رسائله الى ابنتـه « انديرا » أنه يكره أن يقف بهــا عند تاريخ بلد واحد حتى ولو كان هذا البلد هو وطنها ، ذلك لان التاريخ فى نظره وحدة متسجمة الأجزاء .

ولعل هـذا يسوقنا الى التعرف عليه من كتابه « لمحات من تاريخ العالم » الذى كتبه فى صـــورة رسائل شخصية الى ابنته حينما كان مسـجونا ، والذى يعنينا من هذا الكتاب هو موقفه من العروبة والاسلام ، وليس هذا وقوفا على جانب وحيد من الرجل ، وانما لنذكر الى قيمة هذه الآراء المحايدة فى هذه الفترة التى نرى فيها هذه المثل تصك بشدة و « بسلامة نية » من بعض الكتاب .

فنهـرو .. يذكر أن الجـزيرة العربية كانت واقعة على محور الحضارات القديمة ، وأن ما فعله شعبها الذى عاش حيـاة كالموت يعتبر أعجوبة من اعاجيب التاريخ ، ذلك لأنه كان ضرورة بعد زوال المدنية الاغريقية الرومانية ، والمدينة الفارسـية ، وبخاصـــة بعد أن ثبت ان المواطن العادى كان فى أوروبا ، وافريقية ، وفارس « يعانى » من دينه ، وأنه بظهور الاسلام « ولد فى العالم مبدأ ديمقراطى جديد » ذلك لأنه دين سهولة ، وصراحة ، واخاء ، ومساواة !

ونهرو .. لا يرضى عن القول الذى يقول بان العرب حرقوا مكتبة الاســـكندرية ، لأنهم كانوا يحترمون الكتاب ، ثم نراه يورد احتمالا يقول بأن الامبراطور «ثيودوسيوس » امبراطور القسطنطينية هو المسئول عن هذا الحريق ، بالاضافة الى أن جزءا من المكتبـــة كان قد أحرق حينما حاصر يوليوس قيصر الاسكندرية .

ونهرو .. لا يلقى تبعة الحجـــاب على المدنية العربية ، لأن المرأة فى أول أمرها لم تكن تضع على وجهها الحجاب ، ولم يكن محرما عليها الاختلاط بالرجـــال ، وانما جــاء ذلك حين حاكى العرب الامبراطوريتين المهزومتين (الرومانية والفارسـية) ومن هنا فانزواء العربيات ، كانت نتيجة التــأثر المباشر بالقسطنطينية وفارس .

ونهـرو .. يذكر أن العرب كانوا بارقـة الامل للشـــعوب التى كانت تحلم بالثورة الاجتماعية ، وأنهم لو انتصرو فى موقعـــة (تور ٧٣٢ م) لتغير وجه التاريخ الاوربى ، وأن تاريخهم مع الشـعوب

التى احتكوا بها هو تاريخ التسامح ، وعلى حد تعبيره « ان أبرز ما يميز هذه الفترة من التاريخ كان الفرق الشاسع بين تسامح العرب المسلمين وتعصب النصارى المسيحيين » .

ونهرو .. يؤكد أن العرب ظهروا لأول مرة بالروح العلمية في تاريخ الحضارات ، ويسميهم « آباء العلم الحديث » ، كما يذكر أن حكمهم لأجزاء من اسبانيا مدة سبعمائة سنة يدعو الى الاكبار ، ويورد قول بعض المؤرخين من انه بينما كان أكثر الناس فى قرطبة يقرأون ويكتبون ، كان أهل أوروبا المسيحيون فى جهل مطبق ، وأن هذا الجهل لم تنج منه أعلى الطبقات الأوربية ، ويذكر أن الكتاب الألمان أطلقوا على قرطبة كلمة « زينة الدنيا »

ويعلق بسخرية على ما جاء فى كتاب « الحاد العرب وخيانتهم » من أن من عيوب العرب عملية « الاغتسال » ، ومن عيوبهم أيضا ما عرفوا به من تسامح .. يعلق على هذا بقوله « ما أجمل هذا المدح الذى قصد به ذم مسلمى أسبانيا !! » ، ثم يورد قول « لين بول » الذى يذكر انه بطرد العرب شع قمر اسبانيا المسيحية بشعار مستعار لفترة قصيرة ، ولكن هذا القمر ما لبث أن خسف ، بل ظل مخسوفا حتى اليوم .

تلك هى بعض افكار نهرو عن العرب ، ولن يستطيع أحد أن يصفه بالتحامل ، لأنه كان يتكلم والعالم كله فى قلبه ، ولن يستطيع أحد أن يصفه بالتعصب لأن كل الحضارات كانت أولاده .. ولكنه فقط يضع التسمية لكل ولد من هؤلاء الأولاد .

لقد فقد العالم به قطعة من القمر ، ولكن ما أكثر خيوط النور التى اودعها فى كتبه ، وفى ضمير الهند ، وفى عقل العالم !

وجهان على رقبة

منذ مد الناقد « محمود أمين العالم » قلمه فى حياتنا الأدبية ، وكل شيء تبدو له حقيقة جديدة ، أو بعبارة أخرى يبدو له وجه جديد ، فقد مضت على الحقل الادبى فترة لم يسمع فيها الا اسلوب المجاملة ، والتغنى بكل الثمار التى تستديروتتوهج سواء أكانت هذه الثمار طيبة أو مسمومة ، صحيح أن الجو الأدبي لم يكن يخلو تماما من بعض الاحتكاكات الفكرية ، ولكنها لم تكن تصل أبدا الى الوجه المقابل .

ولكنا فى هذه الايام نسمع فى المعركة وقع السلاح ، بعد ان كنا نسمع وقع القبل الزائفة ، ورأينا النقاد والكتاب يلتحم بعضهم بالبعض الآخر الى حد أن الجمهور — وهو المغرم بمثل هذه الاشتباكات — كان هو الذى يسعى الى حل التوتر كما حدث أكثر من مرة فى مسرح الحكيم .

فقد سمعنا أن مسرحية « الفرافير » لا تقتل الدود وانما تستنبت الدود ، وسمعنا هجوما مركزا على مسرحية « رحلة خارج السور » لأنها لاتخرج عن كونها رؤيا فردية غائمة تشبه الرؤيا فى الشعر الرومانتيكى .

ثم كانت الجولة الثالثة موجهة ضد الشعر ، فقد ذكر الأستاذ العالم فى مقال بالمصور ، أن الانسان فى بلادنا ما زال يفتقد الشاعر ، وأن الازمة ليست أزمة شعر ، وانما هى أزمة اللقاء بين الشاعر والحقيقة ، وحين يتعرض للديوان الجديد لصلاح عبد الصبور يذكر أنه ليس تعبيرا عن الانسان المعاصر ، وأنه صدى ضائع لتجربة الاديب الاوربى المتغرب فى أواخر القرن التاسع عشر ، وأوائل العشرين ، وأن الشاعر يقتات السأم ويمضغ الضياع ويستحلب الزخرف اللفظى معانى ميتة ، وأخيرا فالشاعر فى غربة عن حقائق العصر .

والانسان يكاد يصيبه الدوار حين يقرأ هذا ، وحين يرى الوجه الآخر المقابل الذى يقول ان « الفرافير » حدث فكرى بل انه يمكن أن يقال ان عام ١٩٦٤ هو عام الفرافير أيضا ، وان رحلة خارج السور طريق وشكل جديد للمسرح المصرى ، وان صلاح عبد الصبور اشعر شعراء العصر .

ترى أين الحقيقة ؟ والى متى سنظل نذكر الشيء ونقيضه الحاد ؟ ونضع على كل رقبة من رقابنا وجهين لا وجها واحدا ؟ الى متى ؟ .

الابجرام ..

دفع الى المطبعة كتاب جديد كان الاستاذ العقاد قد انتهى منه ، بعنوان « كلمة موجزة » ، والكتاب عبارة عن خلاصة آراء موجزة فى الحياة وفى الفن ، وقد جاء فى المقدمة التى كتبها العقاد .

« هذه الاوابد والشوارد هى موضوع هذا الكتاب

وتعرف فى اللغات الافرنجيـــــة باسم الابجرام ولا يطلق عليها لفظ واحد فى اللغة العربية لأنهـــا تتوزع بين أغراض الكلمات على اختلافها ، ولا يعرف لها لفظ اقرب الى الدلالة عليها فى لغتنا من كلمة « الآبدة » لانها تجمع المعـــــانى التى ذكرناها من أطرافها ، وتزيد عليها بألوان من الجموح والتمرد والغرابة ، وهى من لوازم « الابجرام » كما يفهمه الغربيون بعد ان تطور فى اطواره المختلفة منذ عهد الاغريق » .

وسوف أنقل الى القارىء بعض ماجاء فى هــذا الكتاب من أوابد :

● الله هو الحقيقة ، ولابد للكون من حقيقة على كل حال ، فما يجوز أن يكون فى ذلك خلاف ، انما يبدأ الخلاف بين الناس حين يبحثون عما يعنيهم من وجود الله ، لانهم يبحثون حينئذ عن الجزاء والمصير ، وما يصيبهم مما يحبون او يكرهون ، وهذا هـــو مثار كل خلاف .

● الواقع ليس هو الحق لان الباطل أيضا واقع لاشك فيه ، انما نبحث عن الحق حين تنكر الواقع فنبحث عن تسويغه ، أو نبحث عما وراءه .

والحق شىء نبحث عنه .

أما الواقع فشىء غنى عن البحث لانه موجـــود وملموس .

● كن شريفا امينا لا لأن الناس يســـتحقون الشرف والامانة ، بل لانك أنت لا تستحق الضــعة والخيانة .

● كلما أمعنت فى الحس والتفـــكير تبين لى ان النور هو سر الأسرار ، وأننا سنكشف حقيقة الدنيا يوم تكشف حقيقة النور .

فالنور ينسخ كل شىء ، وكل شىء ينتهى الى النور .

وهنا ينبغى ان يرتفع الستر ، وينقشع الغمام.

المخمل البنفسجي ..

احتشدت فى أمسية الخميس الماضى لاشـــاهد مسرحية « عطيل » فى التليفزيون ، وعبثـــا حاولت الاستماع الى هذه المسرحية لان الاصـــوات فيها كانت ضائعة ومتداخلة ، ومتآكلة، وجاء فى ذهنى أن بعض مسارحنا تتبدد فيه الاصوات ، وأن المسرحين النموذجيين لعملية التسجيل هما مسرحا الازبكية والاوبرا ، ترى ما الذى يحولدون التمثيل على هذين المسرحين فى فترات التسجيل للتليفزيون .. ولقد كان مما عذبنى حقا انى قرأت فى نفس اليوم كلاما على لسان الممثل الانجليزى « لورانس أوليفيه » تساءل فيه عن أبعاد صوت عطيل ، ثم قال :

ان من المؤكد ان صوته كان أعمق من صوتى .. لابد ان صوته كان من المخمل البنفسجي الداكن !

ما فى ..

من التحقيقات الذكية التى قرأتها أخيرا ، هــذا التحقيق الذى أجراه مفيد فوزى مع توفيق صايغ رئيس تحرير مجلة « حوار » اللبنانيــــة .. فحين سأل « ما أثر العقاد على لبنان » قال بجراة ــ وهــذا كلام مفيد ــ باستثناء الجيل المتقدم لا أثر له ، هنا فى لبنان يدهشون من الضجة المثارة حول العقــاد فى مصر ، يقولون : العقاد مات ، مات الله يرحمه يا سيدى » وحين سأله « ألا يوجد أدب لبنانى ؟ » .

أجاب « مافى » .

وحين سأله « من أين يتوقع الادب القادم ؟ » . ولكنه امتد أخيرا الى الملابس ، فاذا رآنى اتقى حرارة

قال « من امريكا » .

ترى هل يوافق على هذه الآراء الذين يروجـــون لهذه المجلة فى الجمهورية العربية المتحــــــدة ، أم « ما فى ! » .

طيبة ..

احسست بالطيبة المزدهرة من قلب **محمـــــد عبد الحليم عبد الله** ومن شفتيه ــ وهـــو احد الذين يسحرون بحديثهم ــ حين سألته عن مضمون عمله الجديد ، فاذا به يذكر ان هذا من « سر الصـــــنعة » ولكن بعد دقائق من حديثى معه ، أخذت أجمع من عباراته التى تبرق مثل الماس كلما ازداد انفعـــاله « أنه سيتفرغ شهرين فى الخريف لـــكتابة رواية جديدة ، تدور حول رجل آمن بعقيدة كأشد ما يكون الايمان ، وقد لاقى فى سبيل هذه العقيدة الصعاب بعد الصعاب ، ولكنه انتصر فى نهاية الأمر .

ترى أهى طيبة أم ذكاء من محمد عبـــــد الحليم عبد الله .

عبده بدوى



الكتب
نقد وتعريف



بقلم
تحسين عبد الحي

التطورات الأخيرة فى قضية فلسطين
تأليف خيرى حماد

لا يستطيع المرء منا ان يخفى اعجابه وتقديره بكل مؤلف جديد يحتوى على اضافة جديدة . وخاصة بالنسبة الى قضايا امتنا المصيرية ..

لقد صنعت الاحداث الدامية لضياع فلسطين رجالا يمتازون بالوعى والموضوعية والقدرة فى مواجهة المواقف والاحداث . وسوف يظل هؤلاء الرجال عدة امتهم فى تطلعاتها المشروعة نحو تحقيق اهدافها القومية واستعادة ما سلب منها فى غفوة من الزمن . ولن أكون مغاليا اذا ماذكرت ان مؤلف هذا الكتاب احد اولئك ألذين اعنيهم .. وذلك فى المجال الفكرى ..

وقد عرض الكتاب القضية الفلسطينية عرضا موضوعيا وواقعيا منذ بدأ تحركها الاخير فى الصيف الماضى فى الجامعة العربية وما أمتازت به الجهود التى بذلت فى الدورة الاخيرة للامم المتحدة ـ من اصرار على ابراز الشخصية الفلسطينية، وعلى ان شعب فلسطين هو صاحب الكلمة الاولى والاخيرة فى قضية بلاده ـ هذا بالاضافة الى بعض الاراء والافكار التى يرى المؤلف انها لازمة لتجسيد الكيان الفلسطينى فى منطق تودى صحيح ـ هو السبيل الوحيد للعمل الجدى من اجل قضية الوطن السليب وفى مجال المعالجة الموضوعية لدور الولايات ألمتحدة ومسئوليتها المباشرة عن نكبة فلسطين .. يقول إلكتاب .

لقد ورثت الولايات المتحدة المؤامرة الاستعمارية الصهيونية عن زعيمة الاستعمار القديم ، بريطانيا ، وراحت تنفذها فى خلق اسرائيل ، والعمل بعد خلقها على تثبيت اقدامها الواهية الضعيفة ـ مؤملة أن تجعل منها قوة ترتكز عليها ، وتنفذ عن طريقها اهدافها ، فتحقق بذلك غاياتها الاستعمارية الجديدة من ناحية ، وتتجاوب من الناحية الاخرى مع النفوذ الصهيونى المهيمن على قيادتها ..

وهناك من يخطىء فيقول ـ ان هذا النفوذ الصهيونى ناتج عن الاصوات اليهودية الانتخابية فى امريكا ـ ولكن هذا القول اما ان يكون صادرا عن حسن النية ، او انسياقا مع تضليل متعمد ، يقصد منه اخفاء حقيقة النفوذ الصهيونى المسيطر على السياسة الامريكية . لان هذه السياسة الامريكية على الرغم من مظهرها الديموقراطى الذى تبدو فيه خاضعة بحكم النظام الراسمالى القائم فى البلاد لسيطرة طبقة معينة تمثل كبار دعائم المال والاقتصاد فى البلاد ، وهى طبقة تضم فى واقعها ، فئات صهيونية كبيرة من رجال المال واصحاب الاحتكارات الراسمالية الضخمة، ومن هذا الاشتراك الواقعى فى السلطان الراسمالى ، ينبثق نفوذ الصهيونية الهائلة فى الولايات المتحدة وهو نفوذ لن يهن او يضعف الا نتيجة أحد عاملين :

اما وقوع تحول جذرى فى نظام امريكا الاجتماعى ، بحيث تصبح السيطرة السياسية الفعلية فى أيدى الشعب ، لا فى ايدى القلة ألمحتكرة ، او ايمان هذه الاحتكارات حتى ولو كانت صهيونية ، بأن مصالحها المادية الضخمة فى الوطن العربى ، اصبحت مهددة تهديدا فعليا من جراء انحيازها السافر الى اسرائيل وتآمرها على العرب ـ وقد كانت بريطانيا قبل الولايات المتحدة ـ هى الدولة الاستعمارية التى خططت لابشع جريمة عرفها تاريخ

الانسانية ـ كما كانت القوة الاستعمارية التى اشرفت على عملية التنفيذ في مراحلها كلها باستثناء المراحل الاخيرة التى اسهمت في تحقيقها بالتعاون مع قوى الامبريالية العالمية .

ان اسرائيل تقيم مجتمعها وكيانها السياسي ومفهومها في الوحدة القومية، على أساس التمسك بالذهبية اليهودية القائمة على وحدة الدين أو العرق ونحن نعرف من واقع النظريات السياسية للدول الحديثة انها تفصل فصلا كاملا بين القومية السياسية وبين العامل الدينى ، على أعتبار ان هذا العامل يقوم على اساس حرية الفرد في عقيدته الدينية التى لاشأن لها في مقومات الوطن او الامة ، وهى ترفض ايضا رفضا باتا ومطلقا قيام هذه القومية على أساس العنصر او الدم على اعتبار أن النظريات التى نادت بها النازية مثلا ، كانت تفتقر الى الاساس العلمى المجرد ، كما تتعارض كل التعارض مع ألقيم الحضارية للانسان . وقد سرقت الصهيونية ـ كحركة عنصرية تعصبية ـ شعارات القومية ، لتستخدمها في تحقيق اهدافها الفاشية ، ولتكون الاداة التى خلقها الاستعمار القديم في الميدان العقائدى وفى الميادين الاقتصادى والاستراتيجي لضمان القاعدة التى يستخدمها في توجيه ضرباته ، وفى تحقيق الاستغلال لصالحه، ويدرك كل من يتابع السير التاريخى لعرض قضية فلسطين في الامم المتحدة بما تحتوى عليه هذه المنظمة من تيارات واتجاهات تسيرها الصهيونية العالمية ، ومن يقف خلفها من دول الاستعمار ان قضية فلسطين لا تحل في اجتماعات الامم المتحدة .. لقد ضاعت فلسطين على ارض فلسطين ولهذا فان استعادتها لن تكون في الامم المتحدة اوالمجالات الدولية الاخرى وانما على ارض فلسطين نفسها التى شهدت معارك الضياع الزائفة ـ ويجب ان تشهد معارك الاستعادة الحقة ..ويقول الاستاذ احمد الشقيرى مخاطبا اعضاء الوفود في هذا المعنى :

« ان اسرائيل نتيجة عمل من اعمال الاغتصاب الذى يكون عادة ثمرة من ثمار الغزو، للحق الاحتلال العسكرى ـ وقد جئنا الى الامم المتحدة لنعرض قضيتنا ، ولسنا بالذين يستمدون حقوقهم من الامم المتحدة ، فستظل حريتنا عالقة بالاشجار التى زرعها اسلافنا في وطننا ، وستظل قائمة في كنائسنا ومساجدنا وفى مزارعنا وقرانا وديارنا ، وكل ذرة في الارض المقدسة دليل على وجودنا ، ومن هذا الدليل وحده نستمد وجودنا هنا في الامم المتحدة لا طلبا للرحمة . بل طلبا للحق والعدالة ..

وقد استطاع الاستاذ احمد الشقيرى ان يوضح في جلاء وباسلوب علمى دقيق أكثر جوانب القضية الفلسطينية .. منددا بدور الولايات المتحدة الرخيص في خلق الكيان الاسرائيلى وتدعيمه في فلسطين المحتلة .. واستطاع ان يفحم المندوب الامريكى الذى يطالب بادماج اللاجئين الفلسطينيين في دول الشرق الاوسط . وقال مخاطبا المندوب الامريكى ..

« ولكن ترى من الذين تريد أدماجهم ايها السفير تولد ؟ اذا كنت تعنينا نحن اعضاء وفد فلسطين وشعبها وتعنى ادماجنا في حياة الشرق الأوسط ، فهذا امر آخر ـ وهنا هل لى ان اتساءل ـ ماهو البند المدرج في جدول اعمال الامم المتحدة ؟

انه موضوع اللاجئين الفلسطينيين وضمن اطار القضية الفلسطينية وكيف تجرؤ على اقحام الشرق الادنى في الموضوع؟

ان مشاكل الشرق الادنى ليست من اختصاصك ولا شأن لك بها ، ففيها دول ذات سيادة ـ وهى صاحبة الحق المطلق والتصرف الكامل في شئونها وليس في وسعك ان تدمجنا في بلادها . فهذه هى سيادتها . وهذا عمل يتصل باستقلالها وشئونها ونحن لن نندمج في بلادها وليس من حقك ان تتدخل في سيادتها .. او تملى ارادتك على دول مستقلة ذات سيادة .

ويقول كذلك ـ

ان الولايات المتحدة لم تعد اهلا لعضوية لجنة التوفيق ـ وليس في وسعها ان تستمر في هذه العضوية ، بعد ان فقدت أهليتها لها وذلك لأنها تنكرت للقواعد صلاحيات اللجنة وشروط تاليفها وانحرفت عنها . فنحن نرى انها بدلا من العمل على تنفيذ القرار تتطلع الى حل جديد .

وقد تعرض الاستاذ الشقيرى الى كثير من الموضوعات في بياناته الثلاثة : منها على سبيل المثال .. علاقة الصهيونية ـ بفرنسا ـ والمانيا وروسيا ـ والامبراطورية العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد ـ الخ . ثم اثبت بالوسائل الدامغة صلة اليهود عامة بحرية الشعوب وخاصة تجارة الرقيق التى تفاخر جولدا مايير بان اليهود قد حاربوها ويريدون تحرير افريقيامنها واختتم الاستاذ احمد الشقيرى بيانه الثالث بقوله : ـ

« ولا يمكن حل مشكلة فلسطين وهى مشكلة استعمارية الا على النحو الذى حلت به مشكلة الجزائر » .

وقد سجل المؤلف بعض الاراء والاستنتاجات الهامة منها ..

● ان التعليم المهنى ألذى تهتم به وكالة الغوث ـ دون مراحل التعليم المختلفة يعتبر بمثابة تذليل الطريق امام سياسة ادماج

اللاجئين في الكيان الاقتصادي للبلاد التي يعيشون فيها .. وهو بمثابة الاذابة للاجئين بطرق ملتوية ـ تمهيدا لتصفية المشكلة.

● ان موقف الولايات المتحدة من القضية الفلسطينية موقف مائع وهو قائم على اساس الموازنة بين النفوذ الصهيوني فيها وبين مصالحها في الوطن العربي التي تطمئن عليها مؤقتا لعدم وجود سياسة المواجهة الحاسمة من لم يجب أن يتطور اسلوب العمل من اجل فلسطين وذلك بضرورة التنفيذ الفعلي لقرارات مؤتمر القمة العربي الخاصة بتكييف العلاقات العربية السياسية والاقتصادية بالدول على اساس موقفها من القضية الفلسطينية ـ وسوف يكون باستطاعة هذا العمل المباشر كسب مناطق جديدة في المجال الدولي وما يترتب على ذلك من كسب اصوات جديدة في الامم المتحدة يعطي القضية الفلسطينية حركة دافعة الى الامام ..

وكذلك مواجهة النشاط الصهيوني في افريقيا واسيا بعمل عربي موحد توفر له الامكانيات التي تستطيع ان تثبت وجودها امام هذا النشاط الذي يعتمد على القوة الاستعمارية العالمية .

ويرى المؤلف ان على الشعب الفلسطيني ان يؤمن بان الوحدة هي طريق العودة ، كما ان العودة هي طريق الوحدة ، وان الوحدة والعودة فرعان من اصل واحد هما مصير الشعب العربي .

وبعد : فقد قارن المؤلف بين نضال شعبنا العربي في الجزائر وبين نضال شعبنا في فلسطين .. وكيف كانت نظرة المناضلين الجزائريين اعمق واشمل في علاجهم لوجود المستوطنين الفرنسيين في الجزائر .. فلم يحاربوا المستوطنين فقط ـ وانما حاربوا الاستعمار الفرنسي باعتباره اساسا لوجود هؤلاء المستوطنين في الجزائر ، بعكس عرب فلسطين الذين كانوا يناضلون اليهود وحدهم دون الاستعمار البريطاني .. وهذه نظرة صائبة ولا شك ، ولكن ينقصها فقط تلك الظروف الموضوعية التي صاحبت اندلاع الثورتين وبمعنى آخر .. فان التطورات الدولية ووجود موازين جديدة للقوى في العالم اجمع ـ وفي الوطن العربي بالذات كانا من الاسباب التي كفلت العون المادي والمعنوي لثورة الجزائر ـ وهو مالم يتوافر للشعب العربي الفلسطيني الذي اجتمعت الجامعة العربية لمساعدته ـ فاوصت بعشرة آلاف بندقية كانت معظمها ـ بنادق صيد قديمة ..!!

شيء آخر أود أن أقوله هنا .. وهو أن المؤلف في مجال معالجته لموضوع الصهيونية واليهودية .. حاول بل أكد الفصل بين الاثنين .. واعتقد انه ليس مهما ان يطلب الصهاينة من اليهود ان يكونوا صهاينة او ان يطلب اليهود العكس .. ولكن المهم هنا أن اليهودي ـ هو اليهودي من خلال عقيدته الدينية .. تلك العقيدة التي تحمل في طياتها التمرد والحقد والعنصرية والاستمساك بالوهم القائل بأن فلسطين وطنهم ..

ان كتبهم الدينية تقول ..

● ان من سار اربع خطوات في ارض فلسطين خصه الله بمكان في الجنة .

● ثواب العيش في ارض الميعاد يعادل ثواب طاعة الله في كل ماأوصى به موسى .

● من كتب له أن يعيش في فلسطين محيت ذنوبه .

ولست في حاجة الى أن أذكر للمؤلف قول ـ تيودور تزل معرفا الحركة الصهيونية ـ « بأنها حركة الشعب اليهودية في طريقه الى فلسطين » وقد أوضح العلاقة المتلاحمة بين اليهودية والصهيونية بشكل محدد واضح حين وقف يخاطب اعضاء المؤتمر الصهيوني الاول في بال عام ١٨٩٧ اذ قال : «ان العودة الى صهيون يجب أن تسبقها عودتنا الى اليهودية » .

وقول الدكتور سولون شيختر (١٨٤٧ ـ ١٩١٥) مؤكدا وحدة اليهودية والصهيونية وترابطهما حين يقول : ـ

« حيثما يكون الصهيونيون عاملين نشيطين تكون اليهودية حية فاعلة » .

ثم ان المؤلف يقرن بين الاثنين في صفحة ٨٠ ، ٨١ ولكنه يعود فيذكر لنا في صفحة ١٠٧ ـ احتفال الصهاينة بمرور عشرين عاما على ثورة اليهود في وارسو ـ حيث تم هذا الاحتفال في عاصمة بولندة في ابريل من العام الماضي . بحضور ١٥٠٠ مندوب « يهودي » يمثلون الطوائف اليهودية في اثنين وثلاثين دولة . وكل الذى نود ان نعرفه هل ـ الـ ١٥٠٠ مندوب هؤلاء يهود أم صهاينة .

وما هو الفرق بين اليهودية ـ والصهيونية ـ ؟

الرأى عندى ان الصهيونية واليهودية اسمان لمسمى واحد ومضمون واحد حتى لو اعتبرنا الاولى تجاوزا الوجه السياسي الحديث للثانية . اقول ذلك حتى لاتتكرر مأساة النضال الجزئي ـ ضد فئة وترك أخرى ـ هذا النضال الجزئي الذى اشار اليه المؤلف في مجال عرضه للعلاقة بين العرب واليهود قبل النكبة في فلسطين . واعتقد أن هذه النظرة لعدونا بشطريه لن تجعلنا عنصريين ـ او لا انسانيين ، وانما مجرد مدافعين عن حقوقنا واوطاننا ـ من اولئك الذين يتربصون بنا الدوائر .

تحسين عبد الحي



انشودة التحويل
بقلم طلبه محمد عبده

حولو النيل عند أسوان لابل
حولوا اليوم عيش مصر رخاء
لست يا نيل بعد ذلك ماء
بل حياة ونعمة وثراء
بين « موسكو » وبين مصر اخاء
صير الحلم فى الرءوس بناء
انه السد آية الكون فيه
يقرأ الدهر ودنا والوفاء
هو مرآتنا ومنه عرفنا
من حبانا ومن الينا أساء
قد غزونا بعزمنا كل أرض
وسنغزو متى أردنا السماء

انها لاحدى الكبر ..
بقلم عيسى متولى

كلما دخلنا بيتا من بيوت الله ، لنؤدى صلاتنا الجامعة ، رأينا الكثيرين يتخطون رقاب المصلين الذين سبقوهم ، ليصلوا الى الصفوف الاولى ، غير مبالين بآداب المساجد ، فلا يجلسون حيث انتهى بهم المقام ، بل يخترقون الصفوف ، ويميلون بأيديهم رءوس المصلين اما يمنة ، واما يسارا !..

وفاتهم ان نبى الاسلام ، صلوات الله عليه وسلامه ، قد نهى عن ذلك ، وحذر منه ، خشية أن يجعل الله ممن يتخطون الرقاب جسرا الى جهنم ، يوم القيامة .. يوم الفزع الأكبر ! ..

وما دام هؤلاء المصلون حريصين على الصفوف الاولى ، طمعا فى ثوابها باعتبارها أفضل صفوف الرجال ، فلماذا لايبكرون فى الحضور الى المسجد ، بحيث لايزاحمون غيرهم .. ولا يتخطون رقابهم ؟! انها لاحدى الكبر ! ..

انصار الجديد متناقضون
بقلم : أحمد موفق جاد الله

طالعتنا مجلة الثقافة فى العدد ٤٢ بمقال للدكتور النويهى تحت عنوان (عشاق القديم ، أنصار الجديد) ينعى فيه على هؤلاء الذين يقولون أن من يدعو الى الجديد ويدافع عنه لابد أن يتنكر للقديم ، وينبذه ، وحاول فى مقالته أن يبين أن ليس هناك تناقض بين عشق القديم ومناصرة الجديد .

والحق أن الفرق بين العشق والمناصرة متباين أشد التباين ، فمن يعشق شيئا ، فانما يفعل ذلك لانه يراه جامعا للميزات والخصال التى يحبها ، أو على أقل تقدير فهو يعشقه لأنه يرضى ذوقه فيميل اليه بجوامع نفسه ، أما المناصرة فان الدافع اليها قد يكون فى أحوال كثيرة من أجل مصلحة خاصة ، وقد يناصر الشخص فى سبيل هذه المصلحة شيئا أو شخصا يمجه ويمقته ، كمثل الذى يناصر حاكما ظالما فى سبيل حيازة رضاه .

وعلى هذا الاساس فلا تناقض بين عشق القديم الأصيل ومناصرة الجديد الزائف ، وانما يكون التناقض فى عشق كليهما .

وعلينا الآن أن تتناول الوسائل التى يلجأ اليها الدكتور محمد النويهى فى مناصرة الشعر الجديد ، فهو يقف موقف من يختلق الحجج اختلاقا ، ويحاول تبرير موقف شعراء الشكل الجديد — كما يطلق عليهم — بشتى الوسائل ، ولو الجأه ذلك الى التناقض .

فقد شــــهدت مجلة الثقافة في بعض أعدادها محاولات من الشـــاعر عامر بحيري لاقامة كلمات الاستاذ صلاح عبد الصبور على الميزان العروضي وتعرض الدكتور النويهي الى هذه المحاولة مدعيا ان الشاعر عامر بحيرى قد عدا على معــانى صــلاح عبد الصبور ، وحورها تحويرا ، ثم حاول الدكتور النويهى أن يدعم موقف الشعر الحر بعد ذلك بقوله ترى هل فى هذه الأمثلة ما يكفيلاقناع زميلى القديم بانني كنت محقا حين ادعيتانه صنع بشعر الشاعر - يقصد صلاح عبد الصبور - شيئا ادا ومســخه مسخا فظيعا ، وانه اثبت قصـــور النظم التقليدى الذى يلتزم الشكل العمودى عن أن يقوم بما يقوم به الشكل الجديد من افكار دقيقة وعواطف معقدة ».

فهو هنا يعلن صراحة دون اى مواربة ان النظم التقليدى قاصر عن تناول الافكار الدقيقة والعواطف المعقدة ، وهذا الاعلان لايتفق مع مايحاول الدكتـــور النويهى الظهور به وهو عشق الشعر القديم الذى يلتزم هذا النظم التقليدى ، ناهيك عن أنه توصل الى هذه النتيجة بناء على مفارقة لايستسيغها المنطق لأنه تناسى أن الشــــاعر مهما يكن مجيــدا فانه لايستطيع أن يحيل نثر غيره الى شعر يخضع للقوافى والاوزان دون أن يغير شيئا من الالفاظ ، وكذلك الحال مع الكاتب البليغ الذى يلتزم الدقة فيما يكتب فانه لا يمكنه ان ينثر قصيدة منظومة دون أن يغير ويبدل ، فيعدو على ايجاز الشاعر ، وايماءات كلماته فلو حاول الدكتور النويهى او غيره أن يهـــدم تفعيلات قصيدة من قصائد شعراء الشكل الاصيل لفشلت محاولته ، وابانت عن قصـــــور النثر فى تناول معانى هذه القصيدة مثل ما تناولها الشـــاعر الناظم ، وليس فى ذلك ما يقدح فى فن النثر فى شيء ولا احد يستطيع أن يقول - اذا قام الدكتور النويهى بمحاولته هذه وفشلت - أن النثر عاجز عن القيام بالافكار الدقيقــة والعواطف المعقـــدة ، واعتقد أن الاستاذ "عامر بحيرى لم يقصد التزام الدقة الحرفية الصارمة بقدر ماقصد الى اظهار ســـــهولة النظم بالنسبة للشاعر المفطور الذى يستطيع أن يجد فى البحور العربية طواعية واستجابة لكل غرض من اغراض الشعر ، لأننا لم نسمع عن شاعر موهوب مجيد خرج على عامود الشعر مدعيـــا انه قاصر عن تناول افكاره ومشاعره ، وكل شعراء الشكل الجديد بغير استثناء لم يستطع احد منهم أن يقف عـــلى قدميه ، ويفرض نفسه وفنه على الناس ، ولو كان النظم التقليدى قاصرا عن تنـــاول الافكار الدقيقـة والمشاعر المعقدة ، لكان شعراء المهجر المبرزون أمثال ايليا أبى ماضى وميخائيل نعيمة أولى بهذه الدعوى وهم أكثر اقترانا وتأثرا بالادب الغربى من دعاة هذا الشعر الحر ، وقد قاموا فعلا بمحـــاولات للتجديد ولكنهم لم يقصدوا الى هدم أصـــــول الشعر التى بدونها لايصير شعرا ، ومع هـــــذا فهم - بنظمهم التقليدى - يتناولون ادق المعانى ، واعقد العواطف فيعبرون عنها ويحسنون التعبير كما لم يحســـنه قائلو الشعر الحر .

الربيع والنفس البشرية

بقلم : اندريوس داود

ما احلى الذى يستطيع أن يعبر عن مشــــاعره واحاسيسه وخلجات نفسه ، وكيف يعجب البعض بالذين يسعون وراء ثمرة الحياة فيجدونها ناضـجة مثمرة ، أف من امرىء تسايره بشاعة نفسه وتصبح دليلا هاديا له مع غريزته التى تضلل له التـــوافه والخرافات وترميه فىمنفى بعيد حيثهناك الضمائر الحية ترتدى ثيابا جديدة وتدوى صوتا قويا جارحا فى عالم الخيالية .

بدا موسم الربيع يستيقظ من فراش الصيف ، مهنئا الورود بالعيد الجديد شاكرا لهم الصـــدى المتجاوب مع استمرارية الحياة ، وبدأ فصل الربيع يتنزه فى قلوب الروض تحت اشـــعة الشـــمس البنفسجية باعثا رونق الجمال والتأنق ، نشـــوانا بفتح اكمام الازهار الطرية ومولدها المتفتح الجديد بلا استغراب مع البلابل التى تنشد اغاريد العطف والحنان والسرور حيث تبث فى مكنونات الاحداث ارواحا تسبح فى بحيرات السعادة .

تراهم يبتسمون ويحيون الربيـــع بضــحكة اصطناعية خفية ، فبهذه الابتســـامة يعبرون عن وجوديتهم الحقة .

نعم .. ترى الحاصــــدين مستبشرين ، تعمهم الفرحة الكبرى مع ورود الربيع ، مقبلين برغبـــة واندفاع الى زيادة انتاجهم من هذه الرموز المعبرة عن جمال الحياة .

أجل .. هذا هو الربيع .. وهل حياة الانسان ربيعا ؟ .

لنتفرس الى النفسية التى يمتلكها الانسان ثم نعيد النظر مرة ثانية .. هل يشـــبه الربيع .. ربيع الحقول والبساتين .. ربيع النفس البشرية ؟

الربيع جميل ولكن النفس البشرية ليست هي فقط جميلة ! بل ان الجمال والقبح صفتان من صفات النفس . التباين هنا قبح النفس وابتسامة الربيع ٠٠ الجمال مرادف القبح ! ٠٠ هل يتساوى ثمن الجمال مع ثمن الخلق ؟ الضحكة التى يعبر بها الربيع تختلف عن النبرة التى يتكلم بها الصيف ٠٠ ولكن هل يتباين عن ابتسامة المرء ٠

ضيع عمره ٠٠ حياته ٠٠ ضميره ٠٠ ولكن الربيع لم يضيع عناصر وجوده فكلما يقترب فصله يزداد رونقا وبهاء وبشاشة وتفاؤلا ٠

هل هناك اناس ضيعوا أنفسهم ؟ كالشمعة التى تحترق لتنير الدرب للاجيال القادمة دون ان تعلم ٠

انا اعرف جماعة اشتركوا فى معركة الحياة الشاقة فسقطوا فى هاويتها السحيقة وبعد ذلك تشاءموا بالوجودية واصبحوا لا يعترفون بالواقع المرير فابتعدوا عن مضمار الحضارة والتقدم وسلكوا طريقا مبهما يسيرون فيه دون الوصول الى النهاية ٠ لكن ٠٠ هل يخطر فى بالنا ان هؤلاء لم يسبق لهم ان عاشوا موسم الربيع ٠

الورود دائما تعبر عن الجمال ٠٠ الاحمرار الذى يكسو وجهها البض الجميل ٠٠ القد الذى يتناسب ونحالة جسمها ٠٠ لكن واأسفاه فلها مصير ٠٠ مصير محتوم . فبتأثير العناصر الطبيعية القاهرة ذبلت وماتت ٠ أبمثل ذبول الورد تذبل النفس البشرية وتزول ؟ ٠٠ نعم ان النفس البشرية مصيرها الزوال ولكن مع اختلاف انها تعمى صاحبها وتضلله ٠٠ اذن فالنفس والوردة لا تتشبهان من حيث الذات تقتل الذات ٠٠ (قتل الذات نفسها) ٠

قد تكون الزهرة التى ضللها الندى كالنفس البشرية التى تمتلكها المرأة الضالة المتبعة طرق الرذيلة والسقيمة ٠ لكن ٠٠ هل جمال الزهرة يلتقى وقبح النفس ؟ ٠٠ هذا هو الربيع وهذه هى النفس البشرية . فهل هناك من تشابه بينهما ؟ ٠

النفس البشرية ربيع عندما يصبح الربيع بالاحساس ربيعا ٠

انا لا اهتم الى هذه البديهيات بقدر اهتمام الكثيرين بها لان كل شىء سائر الى فناء ٠

الوردة الفواحة مصيرها الذبول ٠٠ النفس البشرية الطيبة مصيرها الردى ٠

الشمعة الوهاج مصيرها الاحتراق ٠

ردود قصيرة

محمد عبد الرحمن السحرتى ٠٠

٠٠ يعلق على ما جاء فى ركن عزيزى القارى، بجريدة الجمهورية يوم الاحد ١٩٦٤/١/١٢ بعنوان مريض بالقلق ، بأن علماء النفس قد اتفقوا مع علماء الدين على أن الصلاة أو الاتصال الروحى بالخالق من أفضل السبل التى تقضى على « القلق » وفى ذلك يقول « وليم جيمس»عالم النفس الامريكى واستاذ علم النفس بجامعة هارفارد : ان أفضل علاج للقلق الايمان ، ويوافقه فى هذا عالم النفس الانجليزى ا٠ ابريل فتراه يقول بدوره : لن تجد شخصا متدينا حقا تصيبه الامراض النفسية ٠

كما يذكر الطبيب الاشهر الحائز على جائزة نوبل الدكتور « الكسيس كارليل» مؤلف كتاب «الانسان ذلك المجهول » ٠٠ ان الصلاة هى أعظم طاقة لنشاط فى وسع المرء أن يولدها ، وهى قوة كقوة الجاذبية الارضية ، وقد رأيت بوصفى طبيبا مجربا مرضى أخفقت صنوف العقاقير فى علاجهم ثم شفتهم الصلاة فالصلاة أشبه ما تكون بالراديوم ، أى انها منبع نشاط ذاتى ذى قوة شافية ، فحين نصلى نربط بين أنفسنا وبين قوة دافقة لاتستنفد ، هى القوة التى تنظم الكون ٠

الآنسة ن٠ز بالبحرين ٠٠

تشكر الرسالة على العدد الهجرى ، وتورد ملاحظة على مقال دين الوفاء للدكتور الغمراوى مؤداها أن آية « وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ٠٠ الخ » من سورة النمل ، والحقيقة أنها من سورة النحل ٠

والرسالة تشكر القارئة وتذكر أن الخطأ الذى جاء فى المقال كان خطأ مطبعيا ٠

محمد يونس عبد العال ٠٠

يذكر أن الرواج الوقتى الذى صاحب حركة «اللامعقول» يرجع الى سببين أولهما : دخول كاتبنا الفذ توفيق الحكيم المعمعة بقلب جسور بمسرحياته «ياطالع الشجرة » ، ورحلة صيد ، ورحلة قطار ، والطعام لكل فم ، أما السبب الثانى فهو أن «مسرح الجيب » على أنه مسرح تجريبى يجب أن يفسح خشبته لكافة التجارب ، الا أنه قصر نفسه على « لعبة النهاية » ، و « الكراسي » و « يا طالع الشجرة » ٠

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الإدارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بعمارة ... - القاهرة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٦٦ الخميس ٨ صفر ١٣٨٤ هـ - ١٨ يونية ١٩٦٤ م - السنة الحادية والعشرون

الفهرس

أمريكا غاضبة

للدكتور محمد احمد خلف الله

أمريكا غاضبة على العرب .

غاضبة عليهم لانهم فى عرفها لم يقدروا الجميل الذى صنعته بهم ، والمعروف الذى أسدته اليهم .

لقد رمت باسرائيل فى أحضانهم ، ومكنت لها من أرضهم وديارهم وأموالهم ، وأعانتها على استغلال مواردهم وخيرات بلادهم . وكان من المفروض أن يقدروا كل هذا الذى قامت به أمريكا ، وأن يستقبلوا اسرائيل استقبال الفتاة الماكر اللعوب ، وأن يتغزلوا فيها كما تفعل أمريكا سواء بسواء ولكنهم لم يفعلوا ذلك ، وراحوا يناصبونها العداوة والبغضاء ، ومن هنا كانت غضبة أمريكا .

وأمريكا غاضبة على العرب :

غاضبة عليهم لانها أرادت بهم خيرا حين ذهبت الى أن السلام يجب أن يسود المنطقة .

وسيادة السلام فى المنطقة لاتكون فى عرف أمريكا الا اذا خضع العرب لامريكا ، واذعن العرب لما تريد أمريكا ، واستسلم العرب وسلموا بالامر الواقع وهو مقام اسرائيل ببلادهم وديارهم

لقد ارادت أمريكا الخير للعرب حين حاولت أن تنتقل بالمسالة الفلسطينية من كونها مشكلة سياسية الى كونها مشكلة اجتماعية .

لقد ارادت أمريكا للعرب أن يفكروا فى مشكلة

اللاجئين بدلا من أن يفكروا في مشكلة الوطن الذى اغتصبته اسرائيل بمساعدة الدول الاستعمارية • ثم مدت لهم يد المساعدة فى حل مشكلة اللاجئين ، وقبضت يدها عنهم فى حد مشكلة الوطن السليب•

لقد قدرت أمريكا أن تعين الظالم ، وان تطلب من المظلوم الرضوخ والاستكانة حتى لا يتعكر صفو السلام فى هذه المنطقة •

وحين نفر العرب من كل ما أرادت أمريكا وقدرت غضبت امريكا وتوعدت العرب بأن تكون الى جانب اسرائيل •

وأمريكا غاضبة على العرب

غاضبة عليهم لانها فى عرفهم قد اقامت دولة فى اوطانهم لتحل محل الاستعمار فى كل ما كان يقوم به من عمل •

انها دولة تستغل خيرات البلاد التى اعجز الاستعمار العرب عن استغلالها فتقيم من المؤسسات ما تشاء ، وتسيطر على الاقتصاد العربى ما تريد ، وما تريد لها أمريكا والاستعمار ، وكان على العرب فى عرف أمريكا أن يحمدوا الله الذى ساق لهم اسرائيل لتفعل بهم ما يفعل اليهود بالامريكان فى الميادين السياسية والاقتصادية • ولكن العرب لم يحمدوا الله على هذا المكروه • وانما قاموا بالمقاطعة الاقتصادية ، وكبدوا أمريكا الشىء الكثير من المساعدات لتوازن اسرائيل بين دخلها وخرجها •

وحين قام العرب باستغلال مواردهم المعدنية والمائية من داخل حدود بلادهم الدولية قامت اسرائيل تصرخ وتستغيث ولبت امريكا صرختها ، وهددت وتوعدت

وامريكا غاضبة على العرب •

غاضبة عليهم لانهم يعملون جادين فى سبيل التخلص من ذلك اللقيط الذى التقطه الاستعمار من الميادين العامة والقى به فى ملجا الامة العربية •

ان العرب انما يجاهدون فى سبيل اخراج هذا اللقيط من بلادهم ، والقذف به الى الميادين العامة التى تجد فى ايواء اللقطاء لذة اى لذة •

ان العرب انما يخرجون الكيان الفلسطينى الى حيز الوجود ، ويخرجون منظمة التحرير الى حيز الوجود ، ويمدون الفلسطينيين بكل ما هم فى حاجة اليه من مال وعتاد• وهذا الذى يقض مضجع اسرائيل، ويزعج الامريكان •

ان أمريكا قلقة منزعجة من أجل اسرائيل ، ولم يصبها القلق أبدا من أجل العرب • وان أمريكا تمد اسرائيل بكل ما تحتاجه من عدة وعدد ، ولم تفكر أبدا بمد العرب • وان أمريكا ستدخل المعركة الى جانب اسرائيل الظالمة ولم تفكر أبدا فى أن تكون الى جانب المظلومين من العرب •

ترى لماذا لا ندرك الموقف الامريكى على حقيقته ؟

ترى لماذا لا نناصب امريكا العداوة كما تناصبنا هى العداء ؟

ان امريكا تفعل فى الجزائر مثل ما تفعل فى اسرائيل • انها هناك تناصب القومية العربية ، وتناصب الفكرة الاشتراكية العداوة والبغضاء •

انها هنا تمد اسرائيل بالمال والعتاد ، وهناك تمد الخارجين على الدولة بالمال والعتاد •

ان الموقف أصبح غير محتمل فاما أن تعيد أمريكا النظر فى موقفها منا ، وتفكر فى القيم الانسانية الخالدة قبل تفكيرها فى المصالح والأغراض والشهوات والا ناصبناها هى الأخرى العداء •

ان المقاطعة السياسية مع أمريكا والشركات الامريكية هى السبيل الوحيدة التى تدفع أمريكا الى أن تتوب الى رشدها ، وتغير من سياستها تجاهنا •

لقد قالوا بان امريكا تحب الحرية ، وانها جسدتها فى تمثال مقام باحدى عواصمها الكبرى هو تمثال الحرية •

فهل يا ترى تحب آمريكا الحرية للناس أجمعين أو هى تحبها فقط لمن يدور فى فلكها ؟ •

وانهم ليقولون بأن أمريكا تضيق ذرعا بتلك السياسة التى تنتهجها حكومة جنوب أفريقية بشأن التفرقة العنصرية •

فهل يا ترى تضيق أمريكا ذرعا بنفسها من مسلكها تجاه الملونين من أبنائها ، أو أن هذا الضيق ينصب فقط على حكومة جنوب افريقية ؟ •

ان مواقف أمريكا تشير دائما الى أنها ـ وهى التى تفسح المجال لهيئات الأمم فى بلادها ـ لا تقف أبدا الى جانب الحق والعدل وانما تقف الى جانب المصلحة، ولا تعرف أبدا القيم الانسانية الخالدة وانما تعرف فقط الهوى والغرض •

فمتى تتوب أمريكا الى رشدها ؟ •

ومتى تضرب المثل على أنها حقا زعيمة العالم الحر ـ العالم الذى تسوده القيم الانسانية الخالدة ، قيم الحق والعدل ، وقيم الخير والجمال ؟ •

دكتور
محمد أحمد خلف الله

الرق والتسري في الاسلام

رد على رد

بقلم محمد محمد المدني

١ ـ لا أدرى من أين أخذ صديقى العلامة الدكتور على عبد الواحد وافى من مقال الذى نشرته فى الرسالة انني أقول بعدم مشروعية التسرى فى الاسلام ؟ حتى أجهد نفسه فى اثبات هذه المشروعية بالاستدلال عليها من الكتاب والسنة والاجماع ، ثم اجهد نفسه فى بيان حكمتها وفلسفتها حتى لا يتبادر الى ذهن أحد ما تبادر الى ذهنى فى شأنها ؟ .

ان كل ما قلته هو أن المفسرين والفقهاء قد فهموا من قوله تعالى : « فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت ايمانكم » أن من خاف عدم العدل بين الزوجات ، فعليه الاقتصار على واحدة حرة ، أو ما ملكت يمينه من الاماء يتخذهن سرارى يعاشرهن معاشرة الازواج ، وأنهم يستنبطون من ذلك انه لا يشترط الوقوف عند عدد معين فى التسرى بالمملوكات ، فمن شاء تسرى من المملوكات بأى عدد ، لأن الله تعالى حين قال « أو ما ملكت أيمانكم » لم يقيد بأى عدد ، ولأنه سوى فى السهولة بين الحرة الواحدة ، وبين السرارى من غير حصر ـ وذلك لقلة تبعتهن ، وخفة مئونتهن وعدم وجوب القسم لهن .

ثم نقدت هذا الرأى ، لا من جهة القول بمشروعية التسرى ولكن من جهة القول باطلاق العدد دون حد ، وتقرير أن العدد ـ مهما كان كبيرا ـ من الأماء ، يساوى الحرة الواحدة فى السهولة ، بل هو فى نظرهم أقل تبعات ، وأخف مئونات من الحرة الواحدة .

وقلت : ان الاسلام ليس هو الدين الذى يختلف عدله باختلاف الناس ، وتفاوت مراكزهم الاجتماعية ، فيعطى الأحرار من المزايا التى تتصل بما تقتضيه الطبيعة الآدمية مالا يعطيه للأرقاء، حتى كان الرق مستباحا .

لأنفسهم بمقتضى هذا الفهم أن يحشدوا فى قصورهم المئات من النساء الجميلات الشابات الرائعات الحسن الممتلئات صحة وصبا ، باسم الاماء أو الجوارى ، ولا شك أن الرجل الواحد لا يستطيع أن يحقق الرغبات الطبيعية لهذا العدد الضخم من الفتيات الشابات، فلا بد ان تكون العاقبة هى الفجور والفسق والتحايل فى الخفاء على التنفيس والانطلاق من الكبت ، فهل ذلك يتفق مع عدالة الاسلام ، وفطرية احكامه ، وحرصه على نقاء الاغراض وطهارتها ؟ .

ثم نقدت هذا التفسير المشهور بنقد فنى موضوعى ، فقلت :

ان الآية الكريمة تقول « فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم» ، فلو فسرنا ما ملكت الأيمان بالتسرى ـ كما يرى جمهور المفسرين ـ لأدى ذلك الى معنى غير مقصود بالاجماع .

بيان ذلك : أن من خاف عدم العدل بين اثنتين وجب عليه الاقتصار على واحدة ، ومن خاف عدم العدل بين ثلاث وجب عليه الاقتصار على اثنتين ، ومن خاف عدم العدل بين أربع وجب عليه الاقتصار على ثلاث ، فاذا اقتصرت الآية على قوله تعالى : « فان خفتم الا تعدلوا فواحدة » ، كانت دلالة على حكم صورة واحدة من الصور التى ذكرناها ، فيكون لفظها غير مفيد للحكم فى كل الصور ، ولكن اذا فسرنا قوله تعالى : « أو ما ملكت أيمانكم » بمعنى ما استطعتم العدل بينهن ، أو ما قدرتم على العدل فيه ، كانت الآية شاملة لكل الصور ، مبينة لجميع الأحكام .

وقد بينت أن هذا التعبير عن الاستطاعة او القدرة تعبير معروف ، وضربت له الأمثلة ، ولم أنس ، ولم أحب أن ينسى القارىء أن الكلام انما هو فى هذه الآية بالذات ، وأن التعبير بما ملكت الايمان أو اليمين فى القرآن مشهور بمعنى الرقيق من عبيد

واماء ، مثل قوله تعالى « الا على ازواجهم أو ماملكت أيمانهم فانهم غير ملومين » ، « انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك » الى غير ذلك ، بل صرحت : بانى لست أنكر أن هذا المعنى هو الأشهر فى استعمال القرآن ، ولكن المعنى الذى ذكرته هو الأنسب لآية التعدد لما بينته ، ولم يقل أحد انه يجب حل العبارة الواحدة فى القرآن على معناها المراد فى أكثر المواضع ، فقد يأتى اللفظ بمعنى فى بعض المواضع ، وبمعنى آخر فى مواضع أخرى .

٢ ـ وواضح من هذا الذى ذكرته ، أن الأمر ليس أمر مشروعية التسرى ، فان هذه المشروعية لم يتعرض لها فى هذا الكلام ، بل سلمت ومثل لها بالآيات الدالة عليها ، وذكر أن المراد بملك اليمين فى أكثر الآيات هو الرقيق من عبيد واماء .

ولذلك عجبت ، ومازلت أعجب ، من قول الدكتور العلامة على عبد الواحد وافى ـ وهو رجل أجله وأعرف قدره : ـ

« واما أن الشرع يأبى هذا الرأى ، فذلك أن الذى جنح اليه يريد أن يجعل الآية دالة على أن الاتصال بالاماء لا يجوز الا بعقد نكاح ، وبالشروط نفسها التى تجب مراعاتها فى الحرائر فيما يتعلق بالعدد والعدل بين الزوجات ، أى أن الاسلام لا يجيز التسرى كما فهمه الفقهاء والمفسرون ، وهو اتصال المولى بجواريه ، مع ان التسرى بهذا المعنى جائز فى الاسلام بالكتاب والسنة والاجماع » .

يقول الدكتور هذا وهو ينقد المذهب الأول الذى ذكره الآلوسى واستبعده ، ثم يقوله فى نقد رأيى أيضا .

وانا أقول له : ان تفسير آية ما بمعنى من المعانى لا يصحّ أن يتخذ دليلا على أن المفسر لها بهذا المعنى ، ينكر معنى آخر مرادا فى غيرها ، فما بالك اذا صرح بقبوله المعنى الآخر فى الآيات الأخرى واعتباره هو الأكثر دورانا فى القرآن .

٣ ـ وتعرض الدكتور العلامة أيضا لنقد المذهب الذى ذكره الآلوسى ، والرأى الذى ذهبت اليه ، من الناحية اللغوية .

● فقرر أن الآية على المذهب الأول تكون فى غاية الركاكة من ناحيتى الدلالة والتركيب معا : فمن ناحية التركيب يكون ثمة فصل بين المعطوف والمعطوف عليه بشروط مسلطة عليهما معا لا على المعطوف عليه وحده .

ونحن نقول له : ان هذا فصل بين المعطوف والمعطوف عليه بغير أجنبى عن الكلام ، اذ القيود المذكورة من صميم الكلام ، وهى شروط فى الحكم ، والمعطوف عليه ـ وهو العمدة ـ أولى بأن تذكر فى جانبه ، ثم يأتى المعطوف فيأخذ حكم ما قبله بالتبعية له .

وقد جاء الفصل بين المتعاطفات لتوفية كل منها حق معناه المراد فى غير هذا الموضع من القرآن الكريم ، ومن ذلك المتعاطفات الواردة فى قوله تعالى « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » الى قوله « والذين لا يدعون مع الله الها آخر ، ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ، ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاما ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيها مهانا ، الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا ، فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورا رحيما ، ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا» فبعد ان الحق بهذا المعطوف كل ما يتصل به على هذه الافاضة ، قال : « والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما » فأتى بمعطوف جديد بعد هذا الفصل الطويل ، واذن فلا مانع من هذا الفصل الذى جاء فى آية التعدد ، لأنه فصل بمتصل فى المعنى يقتضيه الكلام .

واذن فالحكم بأن هذا التفسير يجعل الكلام فى غاية الركاكة ، وخارجا على الأساليب السليمة ، وأنه لو ورد فى حديث متحدث عادى مع قصد المعنى الذى قصده ، لوصف هذا المتحدث بالعى والفهاهة والاضطراب .. الى آخر ما ذكره الدكتور ، حكم غير مقبول .

وكذلك ما ذكره من أن عطف « ما ملكت أيمانكم » على النساء يقتضى أن الاماء شيء آخر غير النساء ، أى من فصيلة أخرى غير فصيلة الآدميين ، فانه يعرف من غير شك أن البليغ قد يعبر باللفظ العام مريدا به الخاص لنكتة بلاغية ، وقد ذكرت الآية

النساء مريدة بهن الحرائر بدليل عطف الاماء ، وذلك لتوحي بان التزوج من الحرائر يجب ان يقصد أولا ، ثم يأتي الزواج من الاماء في المرتبة الثانية ، كما صرحت بذلك الآية الأخرى : « ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات » .

● وقرر الدكتور أن اللغة أيضا تأبى التفسير الثاني ، (لأن عبارة « ما ملكت اليمين » حينما تذكر في سياق شئون الرجال والأحكام الخاصة بالأحرار والعبيد يراد منها دائما الاماء بوجه خاص أو الرقيق على العموم ، كما هو الشأن في هذه الآية وغيرها من الآيات التي وردت فيها العبارة في هذا السياق) .

وأقول له : ان العبارة ليست من باب الحقيقة ، والحكم فيها انما هو للقرائن الدالة على المراد ، فالقرائن التي ذكرناها دالة على انه ليس المراد بما ملكت ايمانكم في آية التعدد الاماء لاقتضائه قصور الآية عن افادة الحكم الشامل ، ولأنه يخالف روح الاسلام العادل بجعل الحشد الحاشد من الاماء اقل مئونة وأخف تبعات من حرة واحدة ، أما في الآيات الأخرى فالقرائن تدل على ان المراد بما ملكت الأيمان الاماء ، مثل قوله تعالى : « انا أحللنا لك ازواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك » فواضح ان القرآن يتحدث في هذه الآية عن نوعين من النساء : الأزواج اللاتي دفع لهن الصداق ، والاماء اللاتي ملكن من الفيء .

ولذلك رأينا أن يحمل اللفظ هنا على الاماء بدلالة هذه القرينة ، وهناك على معنى ما استطعتم العدل بينهن من المثنى والثلاث والرباع .

وأحب أن أقول للدكتور الفاضل زيادة على ذلك : ان التعبير في آية التعدد بلفظ « أو » حيث قال « أو ما ملكت أيمانكم » يساعد على فهمنا الذي فهمناه ، فان الآية تريد أن تعطى أحكام الصور المتوقعة لمن خاف عدم العدل ، فلا يمكن ان تكتفي بقولها « فان خفتم الا تعدلوا فواحدة » والا كان المعنى : ان من خاف عدم العدل بين اثنتين ، ومن خاف عدم العدل بين ثلاث ، ومن خاف عدم العدل بين أربع ، كلهم سواء في الحكم يجب عليهم الاقتصار على واحدة ، وذلك غير مراد اجماعا كما قلنا ، وليس من البلاغة أن يؤتى بهذا الحكم على وجه التفصيل فيقال : فمن خاف عدم العدل بين أربع فليقتصر على ثلاث ، ومن خاف عدم العدل بين ثلاث فليقتصر على اثنتين ، ولذلك قالت الآية : فواحدة أو ما ملكت أيمانكم – أي ما استطعتم – لتدل على هذا التفصيل في أوجز عبارة .

أما اذا فسرنا ما ملكت أيمانكم بما فسرها به جمهور المفسرين فان العطف حينئذ ينبغي الا يكون « بأو » وانما يكون بالواو ، والا لكان المعنى : فان خفتم الا تعدلوا فأنتم بالخيار بين واحدة حرة ، وأمة أو اماء ، مع أن المعنى المقصود عند المفسرين : فاقتصروا على واحدة بالنكاح من الحرائر ، وضموا اليها بملك اليمين ما تريدون ، فالمعنى يقتضي الواو ، لا « أو » .

٤ – بعد هذا يقول الدكتور « بقي أن نبين الموقف الصحيح للاسلام حيال نظام التسرى ، والأهداف السامية التي رمى اليها من وراء موقفه هذا ، حتى **يظهر للأستاذ المدني** أن اباحة الاسلام للتسري لا تنطوي – كما تبادر الى ذهنه والى أذهان كثيرين ممن عرضوا لهذا الموضوع من المستشرقين – على اهدار لآدمية الاماء ، ولا على تيسير لانطلاق الغرائز الحيوانية من عقالها ، وتحريرها من القيود التي قيدتها بها الحضارة .. الخ .. » .

واني لأعجب : كيف ساغ للدكتور أن يتصور في مثلي أنه يجهل موقف الاسلام من الرق ، وأنه هو موقف المعترف به ، ولكن على أن يصفيه ويقضي عليه دون ضجة ولا رجة ؟ .

ان هذا الذي ذكرته يا دكتور في شأن الرق معروف مشهور ، وقد كتبته عدة مرات في كتبي ومقالاتي وأحاديثي ، كما كتبته أنت أيضا وأحسنت في كتابته وأجدت .

ولقد سألت نفسي قبل ذلك سؤالا قبل أن يثار هذا الحديث ، بل منذ أكثر من سبع سنوات ، وأجبت عن هذا السؤال يومئذ قبل أن أحظى بالدرس الأخير الذي تفضلت بالافاضة فيه على صفحات الرسالة : قلت في كتابي (المجتمع الاسلامي كما تنظمه سورة النساء – ص ٢٨١ طبعة أولى) :

« فان قال قائل : ما فائدة هذا ، وقد ثبت أنه يجوز التسري بالاماء في غير آية من القرآن الكريم ،

وبفعل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه والمسلمين من بعدهم ، فهل ينكر ذلك أحد ؟ ·

فالجواب : معاذ الله أن ننكر ذلك ، ولكننا نريد أن نقرر أن آية النساء بهذا الرأى تكون متفقة مع موقف القرآن الكريم فى مسألة الرق ، واتخاذ الاماء سرارى ، فانه ليس فى القرآن الكريم أمر واحد بالاسترقاق ولا بالتسرى ، وكل ما هنالك أنه سكت عن فعل المسلمين ذلك ، ورتب الآثار الحكمية على أساس أنه أمر واقع فعلا ، لا على أنه شىء مامور به ولو على سبيل التخيير ·

بيان ذلك : أن القرآن يتحدث عما ملكت الايمان فى نحو خمسة عشر موضعا ، فلا يقول أكثر من « ملكت ايمانكم » أو « ما ملكت يمينك » أو « ما ملكت أيمانهن » ·

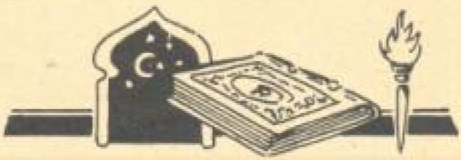
نعم قد عبر فى بعض الآيات بقوله تعالى « والذين هم لفروجهم حافظون ، الا على أزواجهم أو ما ملكت ايمانهم ، فانهم غير ملومين » ولكن هذا لم يزد عن كونه نفيا للوم عنهم ، ملاحظة لأنهم على واقع فعلى تقضى الحكمة بمسايرته حتى يغير ·

كل ذلك كما ترى يحدث عن الواقع ، وليس فيه تعرض قولى للامر به ، واقول : ليس فيه تعرض قولى ، لأنى اعلم أن السكوت عليه ، او الحديث عنه كواقع يستلزم اقراره ، وأنا لا اعارض ذلك ، بل أقرر أنه يستلزم هذا الاقرار ، ولكنه اقرار لا عموم له ، لا فى كل الاحوال ، ولا فى كل الأزمان، فان من الجائز أن يكون هذا الاقرار السكوتى ملاحظا فيه ظروف خاصة يومئذ ، والدلائل تدل على ذلك ، فقد كان العالم كله معترفا بالرق ، وكان التعامل العام قائما على الاعتراف به ، فلم يكن من صالح المسلمين يومئذ أن يبطلوا هذا اللون من التعامل العام دفعة واحدة،وأن ينفردوا هم عن العالم بذلك ، فلا يعاملوا أعداءهم بالمثل ، فيتخذوا الاسرى أرقاء كغيرهم من الامم ، فقضت الحكمة الالهية بأن يتدرج فى هذا الالغاء ، ورسمت لذلك خطة محكمة تقوم على التضييق فى مداخله ، والتوسيع فى مخارجه ·

ولا ينبغى أن يؤخذ الاسلام بفعل المسلمين فيما بعد حينما كان الاسترقاق خارجا على هذه الخطة ، أو كان الخلفاء من أمويين وعباسيين وغيرهم من الاغنياء يتخذون السرارى بغير تقيد ، بل بتوسع واسراف ، فان ذلك كله مناف لروح الاسلام ، وان ادخل على النصوص بالآراء والاقوال ، وتأويل الرجال ·

والآن وقد اتفق العالم على منع الرق ، فليس فى نصوص الشريعة ما يمنع من مجاراة الدنيا فى هذا الاتفاق الانسانى ، بل ان المسلمين اذا أبوا الا استمراره والتعامل به فيما بينهم ، يكونون قد أساءوا الى أنفسهم ، والى تعاليم شريعتهم ، لقاء التمسك بأمر لم يوجبه الله ، ولم يقره تشريعا دائما ، ولكن كرهه ، وتشوف الى تخليص الناس منه بالحرية ، ورسم الخطة المحكمة التى تعجل بانهائه ·

محمد محمد المدنى



الشعر وموسيقاه

للدكتور محمد مندور

يظهر ان الشاعر عبده بدوى لا يزال يظن ان الشعر الجديد خال من الموسيقى اى من الوزن وذلك بالرغم من مئات المقالات وعشرات الكتب التى نشرت لتوضيح موسيقى الشعر الجديد واثبات انها موجودة وان اختلفت عن موسيقى الشعر العربى التقليدى ومن أهم هذه الابحاث واحدثها الكتاب القيم الذى اصدره اخيرا بالمعهد العالى للدراسات العربية الدكتور محمد النويهى بعنوان «قضية الشعر الجديد» .

اقول ذلك لاننى تلقيت من المواطن خميس سلمونه بادكو محافظة البحيرة الخطاب التالى الذى اثبته هنا بعنوانه ونصه :

السيد الاستاذ الكبير الدكتور / محمد مندور

تحية طيبة من الله مباركة وبعد

(وزن الشعر وكوبرى بنها)

ـ فتوى فى قضية ـ

تحت هذا العنوان وبالعدد (٣٩) من الرسالة الغراء كتب الاستاذ عبده بدوى محرر باب (حول الأدب فى أسبوع) ما يأتى :

(لا زلت أذكر فى عودتنا من المنصورة ـ هذا الحديث الذي كان يدور بين أديبين قاهريين وكيف ان أولهما كان يردد ان الفلاح البسيط فى حقله حين يغنى لا يرسل ما تحس به نفسه الا موزونا ومقفى وكيف كان الآخر ينكر عملية الوزن والقافية التى تستعصى على كثير من الشعراء المرموقين فاذا بالاديب الاول يأتى بالموال بعد الموال واذا بالثانى لا يملك غير التسليم ، وحين كان يغضب كان الاول يقول (تحب توزن بره) وتهدأ المناقشة ويمر القطار على كوبرى بنها فاذا بالصديق الذى ينكر الوزن على الشعر الشعبى يردد فى عفوية ذلك الموال الذى يقول :

فايت على كوبرى بنها منديل الحب طرف عينى
ابكى على الحب والا ابكى على عينى
ابكى على الحب لكن سـد يا عينى

ولما كنت قرأت لسيادتكم موضوعا عن الأدب الشعبى بمجلة الرسالة الجديدة ١٩٥٦ وفيه تقول سيادتكم .

« لقد طوفت بين اشعار كثيرة فى مختلف اللغات ومع ذلك لا يزال يشجينى شعر قريتنا الساذج الذى يقول :

دخلت جوه الدرة طرف الدرة عينى
ابكى على الحب والا ابكى على عينى
ابكى على الحب لكن سـد يا عينى

وعلى هذا أرسلت للأستاذ عبده بدوى ذاكرا له ان الاصل هو « دخلت جوه الدرة » ... وليس (فايت على كوبرى) .

وبالعدد (٤٤) من الرسالة رد على الاستاذ عبده بدوى قائلا :ـ

(من الادب الشعبى أن يكون الذى يطرف العين هو (منديل الحب) لا (الدرة) وبخاصة اذا عرفنا ان (المنديل) فى الموال أقرب الى الحديث فى حياتنا عن (الدرة) وأن ما استشهد به (فايت على كوبرى بنها) هو الاصل ثم نقل بعد ذلك الى حالة من الحالات الاجتماعية ، وانا لا أكتمك يا أخى .. انى سمعت فى قريتى الموال خاصا بكوبرى بنها ، ولم اسمعه ولو مرة واحدة خاصا بما ذكرت ، ولعل الدكتور محمد مندور الذى تعرض لهذا الموال من قبل (يفتينا) فى هذه « القضية » ..

هذا ما ذكره الاستاذ عبده بدوى طالبا الفتوى وانا اطلب الاحتكام فى هذه (القضية) كما سماها الاستاذ الفاضل ـ على صفحات الرسالة أو جريدة الجمهورية ان شئت سيادتكم ، ولا شك أن (القضية) وديعة غالية بين ايدى أمينة نزيهة والراى الأخير لكم .

وتفضلوا مع تحياتى وتقديرى ودمتم لتلميذكم المخلص .

خميس سلمونه

ادكو ـ بحيرة

ولا أريد ان أعود لاذكر الشاعر عبده بدوى ان احدا لم يقل بتحرر الشعر الجديد من الموسيقى أى من الوزن ، واذا كان المرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد قد زعم ذلك احيانا فالسبب هو ان الاستاذ العقاد كان يرفض الشعر الجديد كله من حيث المبدأ ولذلك لم يكن يهتم بقراءته او البحث عن موسيقاه ولربما كان فيما ليس خطا احيانا فى الشعر الجديد نثر خال من الوزن او الموسيقى ولكن وجود مثل هذا النثر المشعور أو غير المشعور لايقدح فى وجود شعر حقيقى له وزنه وموسيقاه الخاصة التى تختلف عن الموسيقى او الوزن التقليدى دون ان يعيبه ذلك بل قد يشهد باصالته ، واكتفى فى ذلك بالاحالة على كتاب الدكتور النويهى ففيه كل الغناء ·

وأما الشىء الذى أفزعنى حقا فى الخطاب السابق فهو : كيف ان الشاعر عبده بدوى الشديد التمسك بأوزان الشعر العربى التقليدى والذى درس عروض الخليل بن أحمد فى كلية دار العلوم وحفظه عن ظهر قلب ، بل وكتب هو نفسه ونشره فى دواوين لم يحس بأن الرواية التى ذكرها للموال الشعبى المختلف عليه لا يستقيم وزن البيت الاول فيه وفقا لاحكام الخليل ابن أحمد نفسه ، بل ولا فى احساس الاذن الموسيقية السليمة ؟ فالبيت الاول فى روايته يقول :

فايت على كوبرى بنها منديل الحب طرف عينى

وأنا اترك للاستاذ عبده بدوى مهمة تقطيعه الى أوتاد وفواصل ليتبين انه من وزن غير وزن البيتين الأخيرين · كما أن الانتقال منه الى البيتين الأخيرين يجرح الاذن ، وذلك فى حين ان الابيات الثلاثة كما وردت فى روايتى تندرج تحت وزن واحد خليلى معروف هو :

مستفعلن   فاعل   مستفعلن   فعلن

وأظن ان هذه الملاحظة الموسيقية تكفى وحدها لترجيح صحة روايتى لهذا الموال · ولست أدرى كيف تورط الشاعر عبده بدوى فى الرواية الاخرى دون احساس بخللها الموسيقى ؟ !

وأما ما يرجحه الشاعر عبده بدوى « **من ان الأدب الشعبى يرجح ان يكون الذى يطرف العين فيه هو منديل الحب لا الدرة وبخاصة اذا عرفنا ان المنديل فى الموال أقرب الى الحديث فى حياتنا عن الدرة** » فقول مردود بأكمله ، لانه يفسد جمال الموال الشعبى وصوته التلقائى ، فشاعر الشعب يريد أن يقول انه دخل الدرة بحثا عن الحبيبة فطرف الدرة عينه ، واما ابن المدينة الذى يتسكع على كوبرى بنها فاكبر الظن ان منديل الحب لن يمسه بل سيبتعد عنه لرقاعته وكل ذلك فضلا عن أن ابن الشعب لا يتحدث عن «منديل الحب» وانما يتحدث عن «منديل المحبوب» ، وذلك لانه بفطرته الوجدانية التلقائية لايعرف التجريد والحب لا يحرك عاطفته ما لم يتجسد فى المحبوبة ، وفى كل هذا ما يرجح روايتى ·

واما عن ناحية التذوق الفنى فمن الواضح ان الموال كما رويته اجمل وأصدق وأوضح تلقائية منه فى الرواية التى ذكرها الاستاذ عبده بدوى ، فضلا عن استقامة الموسيقى والوزن فى روايتى عنها فى الرواية الاخرى · وكنت أرجو أن تكفى الموسيقى والوزن لحمل الشاعر عبده بدوى على ترجيح روايتى ، وبخاصة فى معرض حديثه عن موسيقى الشعر واوزانه واتهامه الشعر الجديد باغفالهما بينما الشعر الشعبى نفسه يحتفظ بهما ·

محمد مندور

بين القارئين

مع الغزاة الفاتحين

بقلم محمد عبد الغني حسن

من أعجب ماوقعت عليه العين فى المطالعات التاريخية لقاءان للفاتح المغتصب ، والغازى المعتدى ، على طرفى نقيض . يكشف أولهما واسبقهما فى الحدوث التاريخى عن ميل الى المغامرة السياسية ، والمقامرة فى سبيل التقرب الى الفاتح والتزلف اليه والتمهيد عنده لنيل حظوة ، او ادراك منصب كبير ، أو تحقيق مطمع كان منية النفس وأرب القلب ، ولو كان فى بلوغ ذلك مداهنة لاتليق بسلطان العلم ، وملاينة لاتسمو الى اخلاق العلماء . ويكشف الثانى فى الوجود عن شجاعة نادرة فى القول ، ومجابهة صريحة بالاتهام ، ومحاورة جريئة لا يسلم منها القائل من غضب الفاتح المعتدى ، فيكون فيها حتفه .

وقد تختلف النظرة الى الحادثين اللذين وقع اولهما فى مطالع القرن التاسع الهجرى بين العالم المؤرخ ابن خلدون والقائد المغولى التترى تيمورلنك ، ووقع ثانيهما فى أوائل العقد الثالث من القرن العاشر الهجرى بين الوالى المصرى « كرتباى » والفاتح العثمانى السلطان سليم .. فقد يقول قائل ان مؤرخنا العالم ابن خلدون كان لبقا أو داهية حين اصطنع مع الفاتح التترى الذى لا يرحم أسلوبا من التلطف والملاينة والمداهنة التى لم يكن منها بد فى موقف أوشكت فيه دمشق بل الشام كلها ان تسقط فى يد القائد المخرب المدمر ، وقد يقول قائل ان الوالى المصرى الملتهب حماسة ووطنية وذيادا عن حماه الغالى قد أفضت به الشجاعة المتطرفة الى تهور غير محمود ، وفاته أن يلين الكلام فى مقام تعد فيه المخاشنة حمقا بالغا ، وجنونا ظاهرا ..

نعم ! قد تختلف النظرة الى موقف الرجلين من معتد اعتدى على حماها العربى الأسلامى ، حتى ولو كان كل من المعتدين مسلما فى دينه . فان الفاتح التترى المدمر كان يعتنق الاسلام ولو انه من حفدة جنكيزخان وهولاكو مخرب بغداد ، وكذلك السلطان سليم العثمانى كان مسلم العقيدة ، ولكن أحدا منهما لم يرع حق الأسلام فى رعاية الأخوة الأسلامية ، فاندفع تيمورلنك – على مابه من داء فى الركبة او علة فى الساق – الى مطامع بعيدة وشهوات تسلطية واسعة ، ورغبات توسعية جامحة فى توسيع رقعة دولته المغولية التترية ، ولو كان ذلك على حساب الدول العربية الاسلامية التى تتاخمه أو تقع فى طريق فتوحاته . واندفع سليم العثمانى فى مطامعه البعيدة لجارته ايران الشيعية ولكل دولة تناصرها أو تواليها ولو بعض الولاء .

والعدوان فى الموقفين باطل لا أساس له من حق ، ولا سناد له من دين ، ولا دعام له من خلق ، وهنا يستوى تيمورلنك التترى ، وسليم العثمانى فى وزر موقف دفعت اليه أطماع كاذبة ، وشهوات جامحة من الفتح والتسلط .

ومن عجب ان مؤرخنا ابن خلدون – على ما كان منه من عبقرية العلم ، وأصالة التاريخ ، وفقه الأحداث ، وتعليل الأمور ، واستقامة المنطق – كان اضعف من أن يقف أمام العدوان المغولى التترى موقف العربى الشجاع الذى لا تخذله فى الشدة شجاعة . فلقد كانت غضبة أهل الشام وعلماء الشام والقضاة والفقهاء شديدة على الغازى المعتدى ، وقرروا البقاء فى المكافحة ، والثبات على الصراع ، وكان معهم فى ذلك الموقف نائب قلعة دمشق الذى صمم على استمرار المقاومة ، حتى لا يمكن التتار من القلعة فانهم اذا ملكوها انهارت حركة المقاومة ، وسقطت القلعة وسقط معها الشام ، وقد يكون وراء ذلك ما يكون من أحداث جسام ، ولكن ابن خلدون كان مع سلطان مصر الناصر فرج حين خرج لملاقاة التتار فى الشام سنة ٨٠٣ هـ ، ومن المؤسف انه كان يميل الى طلب الأمان من تيمورلنك ، وكان يحرض العلماء والفقهاء على هذا ، ويحاول اقناعهم بعدم جدوى المقاومة ، وحاول أن يتدلى مع طائفة من العلماء من أسوار قلعة دمشق ونجح فى ذلك ، وبلغ هو وفريقه من الخائفين عن القتال مكان تيمورلنك بين عسكره على بعد غير بعيد من القلعة ، واتفقوا مع الفاتح المعتدى على أن يبدأ من الغد فتح المدينة ، والتصرف فى المعاملات ، حقنا للدماء ، وتسكينا للفتن .

وقد يقال ان ابن خلدون كان فى هذا محاولا أن يتقى شرا أعظم بشر عظيم ، وان يختار بين أمرين

أحلاهما مر ، ولكن الذى تقوله النفس -على مضض- ان ابن خلدون كان ضعيفا متخاذلا فى موقفه هذا ، وانه - حتى على فرض تبرير عمله الصغير هذا بتقدير الموقف - فان الحق ان هذا التقدير لم يكن سليما ، ولا كان مما يتوقع حدوثه من عالم محلل معلل يقيس الحوادث والوقائع بمقياس العقل الصحيح ، والحكم السليم • نعم : لم يكن ابن خلدون سليم التقدير فيما فعل، بدليل أن التتاروزعيمهم تيمورلنك لم يطل بقاؤهم بالشام ، ولم يتقدموا شبرا نحو مصر ، ولم يحققوا مطامعهم ، بل خرجوا مدحورين بعد أن خربوا البلاد وعطلوا مرافق الحياة فيها •

واعجب ما فى قصة هذا الموقف الصغير من مؤرخنا العالم الكبير أنه رواه بنفسه فى كتابه الذى ترجم فيه لنفسه ، والذى جعله ذيلا لتاريخه الكبير ••• فهو يصف لنا تفاصيل هذا اللقاء بينه وبين تيمورلنك ، وكيف دخل عليه أول الأمر وهو فى خيمته المنصوبة متكئا على مرفقه ، وصحاف الطعام تمر بين يديه ، يشير بها الى عصب المغول جلوسا امام خيمته حلقا حلقا •• وكيف طلب منه الفاتح المعتدى أن يكتب له تاريخ بلاد المغرب كلها ، اقاصيها وأدانيها ، وجباله وأنهاره وقراه وأمصاره ، كأنه يشاهدها رأى العين •• ثم يستمر ابن خلدون فيصور لنا كيف (زورت فى نفسى كلاما أخاطبه به ، وأتلطف بتعظيم أحواله وملكه ••) وهنا أسرف ابن خلدون فى تزوير الكلام فذكر للمعتدى المغولى أن المنجمين تنبأوا بظهور دولته ، وغلبة مملكته ، واستيلائها على أكثر المعمور •• وكأنه كان بهذا الكلام الكذب ، والزيف المصطنع يستعديه على بقية بلاد العرب والأسلام ، حتى يستكمل فتحها ، تحقيقا للنبوءة ، التى لا شك أنها كانت من أوهام ابن خلدون المغامر السياسى وتلفيقاته ••

اننا هنا يعز علينا أن نصم مؤرخنا العبقرى بهذه الوصمة التى لم يختلقها عليه أحد ، ولم ينسبها أحد اليه كذبا ، ولكنه هو الذى رواها بقلمه ، وذكرها بنفسه ، ولعله لم يكن فيها عنده من البشاعة والاستفظاع ما يمنع الحياء من ذكرها !! ولكنها زلة للرجل على كل حال ، لا يقبل فيها عذر ، وان كانت شبيهة كل الشبه بزلاته ومؤامراته فى المغرب بين الملوك والأمراء ، ليصل اليهم ، ولو على متون هذه الأشواك المدميات ••

وأين موقف ابن خلدون هذا من موقف الوالى كرتباى الذى كان نائبا عن طومانباى فى أثناء الحملة العثمانية على مصر سنة ٩٢٢ هـ ؟ لقد أثبت كرتباى أنه كان واقفا للمعتدى التركى بالمرصاد ، وأنه حاول محاولة المستميت أن يصده عن غايته ، لولا فرق ما كان بين القوتين من وسائل الحرب •• فقد غلب العثمانيون مصر بالبندق الذى لم يعرفه المصريون ولا رأوه قبل هذا ، وكان هذا البندق - أو الاختراع الجديد - أشد على المصريين وأقوى من شجاعتهم التى لا ينكرها منصف ، حتى لقد تنبه الوالى المصرى الأسير كرتباى الى هذا وهو مسوق الى خيمة الفاتح العثمانى المعتدى ، وهو يخاطبه بهذه اللغة :

- اسمع كلامى ، واصغ اليه حتى تعلم انت وغيرك ان منا فرسان المنايا والموت الاحمر • ان معك من العسكر مائتى الف من جميع الأجناس • ولكنهم لا يقاسون بثلاثة منا فى الشجاعة والأقدام • لقد جئت بهذا البندق وبهذه الحيلة التى احتال بها الافرنج لما أن عجزوا عن ملاقاة العساكر الاسلامية :

لقد كان بطل المقاومة المصرية ضد الفاتح المعتدى سليم العثمانى يخاطبه بكل كلمة قاتلة ، وكل لفظة ثقيلة على آذان المعتدين ، حتى كان « خير بك » وبقية وزراء السلطان سليم يطأطئون رءوسهم ويقطر العرق من وجوههم ، وهم صامتون لا ينبسون ••

لقد كانت شجاعة هذا المكافح المصرى شؤما عليه ، فقد كلفته ضرب عنقه ، ووقف أمام السياف وهو يصيح قائلا لهذا المستعمر المتجبر :

- ان قطع راسى وحدى لا يفيدك منه شىء ، فان ورائى أبطالا وشجعانا : ولكنه قتل ، ودخل العثمانيون مصر واستعمروها أكثر من ثلاثة قرون ، ولكنهم أخرجوا منها مدحورين ، وعادت مصر الى المقاومة والكفاح من جديد مع اعداء اخر لكى تنتصر اخيرا انتصارها الباهر فى ثورتها المباركة سنة ١٩٥٢ م •

محمد عبد الغنى حسن

اللغة العربية

بين التجديد والتبديد

بقلم عبد الكريم الخطيب

تعرضت اللغة العربية منذ خرجت من موطنها الأول – الجزيرة العربية – لأكثر من امتحان ، يراد به القضاء عليها أو تضييع معالمها ، أو اخفات صوتها .. فانها على الرغم من أنها لغة العقيدة الاسلامية التى دان بها كثير من الأمم غير العربية ، فانها مع ذلك لغة الفاتحين الذين شاركوا أهل هذه الأمم ديارهم واموالهم ، وملكوا زمام الأمر فى أوطانهم .

وتلقانا هنا حقيقتان : أولاهما أن العرب الفاتحين وان تخلوا عن عصبية الجنس والوطن أو تخففوا منهما الى حد بعيد – فان تعصبهم للغة العربية قد صحبهم حيث كانوا ، بل ان هذا التعصب قد ازداد حدة وقوة بعد الاسلام ، بما دخل على نفوسهم منه من مشاعر جديدة لهذه اللغة ، فانه بعد ان كان تعصب العربى للغته تعصبا لقوميته وجنسه أصبح هذا التعصب لدينه وعقيدته ، اذ كانت هذه اللغة لغة القرآن .. كتاب الشريعة الاسلامية ودستورها

والحقيقة الثانية هى أن الشعوب التى دخلت فى الاسلام قد ذهلت عن كثير من مشاعرها الذاتية لقومات قومياتها : من وطن ، وجنس ، ولغة .. وغيرها ، وذلك لأول عهدها بالاسلام ، ثم مع الزمن ومع احتكاكها بالعرب تحركت فيها نوازع العصبية لوطنها ، وجنسها ، ولغتها ، وقامت حركات كثيرة هنا وهناك عرفت باسم « الشعوبية » تلقى مفاخر العرب بمثالب تغض من شأنهم ، وتنقص من قدرهم ، وتنال من جنسهم ولغتهم .

فهذا التعصب القوى الحاد من جانب العرب والمتعربين من المسلمين للغة العربية كان يقابله تعصب عليها من « الشعوبية » التى ارتضت الاسلام دينا ، ولم ترتض لسانه لغة ، ولكن مع هذا ظلت اللغة العربية مسيطرة غالبة فى أغلب مواطن الاسلام ، وظلت هى اللغة العاملة فى الحياة العقلية ، والروحية والنفسية فى هذه المواطن ، وان قامت الى جانبها فى كل موطن لهجة أو لغة (محلية) يتفاهم بها أهلها الى جانب اللغة العربية ، لغة العلم والفن ، والدين !

ولعل سائلا يسأل : ما بال اللغة العربية يحتفظ لها الاسلام فى رسالته العامة الشاملة بهذه المنزلة ، فيجعلها شعيرة من شعائره ، وشأنا من شئونه ، وهى – كأى لغة – أداة من أدوات الحياة لجماعة من الناس ، وموطن من الاوطان ؟ فما شأن هذه اللغة بالعقيدة ؟ ولم يحكم عليها هذا الحكم الذى يقضى بأن تتجمد فى قوالبها الأولى التى صبت فيها ؟ وهل يمكن أن تصلح بعد هذا ، أو مع هذا أن تكون لغة صالحة للحياة ، تصحبها وتعيش فيها مع الناس ؟

وهذه الأسئلة جميعها تتوجه الى العقيدة الاسلامية ذاتها ، بل ان هذه الاعتراضات تتوجه الى العقيدة أولا ، ثم الى اللغة ثانيا .. حيث يعيب العائبون الاسلام بأنه دين جمد على مقرراته الأولى ، التى مضى عليها نحو أربعة عشر قرنا .. فكيف يصلح عليه أمر الناس وقد قطعت الحياة أشواطا ، وتبدلت معاييرها ، واختلفت ألوانها وطعومها ؟

واذن فالجواب الذى يجاب به عن هذا فى شأن العقيدة هو جواب فى الوقت ذاته عن اللغة العربية، وما ترمى به من تهم .

ونقول ان العقيدة الاسلامية تحمل بين يديها شهادة قائمة قاطعة على أنها رسالة خالدة شاملة .. وهذه الشهادة هى هذا العمر الطويل الذى قطعته فى الحياة ، فى شباب متجدد وفى قوة متدفقة غالبة .. فهى – بشهادة الواقع – تزداد كل يوم اتساعا ، وتكسب أنصارا ، ثم هى متمكنة من نفوس من يتصلون بها ، مخالطة وجدانهم ومشاعرهم ، وهيهات أن يعرف وجهها احد ثم ينكرها أو يتنكر لها .. وهذا شأن كل أمر يقوم على الحق ، ويبنى على أسسه ، حيث لا يزداد مع الأيام الا قوة ، ووضاءة ، والقا ..

وهذه الشهادة تغنينا عن استعراض ما فى الشريعة الاسلامية من مقررات تساوق الحياة الانسانية فى أعدل مستوياتها ، وتتسق مع طبيعة الانسان فى أتم أحوالها وأشرفها ..

فاذا جئنا الى اللغة العربية وجدنا شيئا كهذا او قريبا منه .. فهناك شهادة قائمة على أن هذه اللغة قد التقى بهـــا فى القرآن حين استكملت أسباب خلودها ، واستوفت عناصر بقائها على الزمن فى شباب دائم ، وحيوية متدفقة ناضرة .. ومنطوق هـــذه الشهادة تحدثت به هذه الآثار العظيمة التى خلفتها هـــذه اللغة فى الآداب والعلوم ، والفنـــون فملأت بها المكتبات فى الشرق والغرب ، ودخلت بها فى السنة كثير من الامم وغذت عقولها .. ثم هى لا تزال تزداد كل يوم قوة تشهدها الحياة فى هذا الثمر الطيب الوفير الذى تطلع به فى مشارق الغرب ومغاربها ، بما تخرجه المطابع من صحف ، وكتب ، فى مختلف العلوم والفنون ، وبما تنطق به الألسنة فى الاذاعة ، والتلفزيون ، وعلى المسارح .. من أحاديث ، ومحاضرات ، ومحاورات .

وهـــذه الشهادة تغنينا أيضا عن أن نتحدث عن خصائص هذه اللغة،وأن نكشف عن مقومات وجودها وخلودها ، اذ أن شهادة الواقع العيان أبلغ وأعظم شهادة !

ولكن مع هذا لابد أن نكشف عن وجه هذه اللغة، وأن نعـــرض بعض خصائصها ، اذ أن هناك حملة قائمة فى وجه هذه اللغة الآن ، يحاول فيها أصحاب هـــذه الحملة أن يسوءوا وجه اللغة العربية ، وأن يهيجوا الناس عليهـــا ، وأن يجلوها عن الألســـنة ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ..

وأفراد هذه الحملة هم أولئك الذين خرجوا على الناس هذه الأيام بهذا « المسيخ » الذى يدعونه الشعر الجديد .. وهو كما عرفناه ليس شعرا ، وليس نثرا ، وليس كلاما له مفاهيم ودلالات ، وانما هو أخلاط من الهذيان ، يجمع بين حشرجة الأموات، وعديد المعددات وصيحات رباب « الزار » .

وحديثنا عن اللغة العربية ليس الى هذه الجماعة، اذ أننا نتحدث بلغة لا يعرفونها ، وبلسان لا تستقيم ألسنتهم معه .. وانما نتحدث الى أبناء اللغة العربية، نحذرهم من أن يخدعوا بهم ، وأن يستمعوا لقولهم ، فان لأهل الضلالات منطقا يزين الباطل ، فينخدع به كثير ، وكم « للمسيخ » من ضحايا لضلاله وبهتانه !

يعرف أبناء اللسان العربى أن لغتهم تنفرد من بين اللغـــات كلها بهذا الارتباط الوثيق بينهـــا وبين الدين الذى يدينون به ، وهو الاســـلام .. فهى ليست مجرد اللغة التى يتعاملون بها فى الحياة ، شأن كل لغة مع أصحابها .. وهى ليست مجـــرد اللغة التى حملت الشريعة التى يدينون بها ، شأن اللغات التى حملت الشرائع الى أهلها ، وانما هى - قبل ذلك - المعجزة التى جاء بها الرسول بين يدى رسالته ، مصورة فى هذا الكلام الذى حمـــل شريعة الاسلام ، وهو القرآن الكريم .. ذلك أن معجزات الرسل كلهم - قبـــل الرسول الكريم - كانت معجزات حسية منفصلة عن الشريعة التى جاء بها الرسول ، وعن الكتاب الذى حملها ، واللغة التى نزلت بها .

أما معجزة نبى الاســـلام فقد كانت فى كلمات القرآن نفسها ، وكانت تلك الكلمات معجزة وشريعة معا ، وكان على من ينظر فى هذا الكلام المعجز أو يستمع اليه أن يزاوج فيه بين الأمرين معا ، فاذا التمس حكما شرعيا فى آية من القرآن وجب عليه أن يلتمس أيضا المعجزة أو المعجزات التى فى كيانها، وأن يطالع وجـــه الحـــكم الشرعى فى سنا المعجزة واعجازها .

نريد بهذا التقرير الموجز ايجازا شديدا أن نصل الى هـــذا المفهوم الخاص للغة العربية ، وهو أنها ليست على شاكلة غيرها من اللغات ، حيث انهـــا لغة ودين معا ، لأنها تحمل الشريعة ومعجزتها جميعا .. فلا تقوم الشريعة الاسلامية الا اذا كانت فى كيان هذه اللغة التى تقدم بين يديها المعجزة الدالة على صدق الرسول ورسالته .. لكل ناظر فى كتاب الله ، ولكل قارئ له أو مستمع اليه .. وهذا من شأنه أن يضع اللغة العربية بالموضع الذى لاينبغى أن تتحول عنه أبدا ، بل تظل هـــكذا ، المورد الذى يرده أهلها ان كان لهم فى دينـــهم ما يدعوهم الى الحرص عليه ، والاحتفاظ به ، اذ أنه فى اليوم الذى تذهب فيه معالم هـــذه اللغة ، وتنقطع بينها وبين أهلها الأسباب ، فى هذا اليوم - لا كان - ينفرط عقد الاسلام ، ويتبدد شمل شريعته ، ويمسى الدين غريبا فى قلوبهم بعد أن أصبحت اللغة - لغة الدين - غريبة على أسماعهم وفى أفواههم .

هذا ماينبغى أن يستيقنه المسلمون أولا ، والعرب ثانيا .. فان اللغة العربية منذ يوم الاسلام الأول لم تعد لغة العرب كعرب ، وانما هى لغتهم كمسلمين، كما أنها لغة كل مسلم غير عربى ، ان لم تكن فى لسانه فهى فى قلبه ووجدانه .

عبد الكريم الخطيب

نجيب محفوظ واللامعقول

بقلم : الحسانى حسن عبد الله



« اذا كان الفن هو هـــذا فلا معنى لان يكتب الانسان ، الاجمل ان اقضى بقية عمرى بلا فن » . هذا ما قاله الاستاذ نجيب محفوظ بعد مشاهدته « لعبة النهاية » . ونجيب محفوظ من اعمق ابناء جيله عرفانا لمسئولية الكلمة ، فموقفه من مسرح اللامعقول جدير بالمراجعة وبخاصة فى هذه الايام التى ظهر فيها جليا تأثر مسرحنا بمسرح «بيكيت» واضرابه. لقد خرج من المسرح ساخطا ولكن سخطه

ما لبث أن تبدد بعد أن عثر للمسرحيــة على معنى يستند الى اسس ثلاثة اولها : لا تشاؤم فى الفن « فالفن خلق والتشاؤم فناء ، ولكن شعور الانسان احيانا بالشر الموجود فى الدنيا يعكس على نفســه ألمــا عميقا فيتوهم البعض وهو يعبر عنه انه كاره للحياة لا للشر على حين انه لا يكره الشر الا حبــا وتطلعا للخير » .

بهذا المنطق يحل نجيب محفوظ مسألة التشاؤم والتفاؤل فى الفن حلا يسلب الناقد حقه فى الحكم فمناط الحكم بالتشاؤم او التفاؤل ليس نية الفنان وانما تأثير عمله فى المتـــلقى . ماذا تجدى النية الصالحة اذا كان الاثر سيئا ؟ . بهذا المنطق يذهب كاتبنا الى أن فلسفة « بيكيت » فلسفة تقدمية او هكذا يجب أن تكون ــ على حد تعبيره ــ « أن هذه الفلسفة يجب أن توحى الى الانسان بطريق غير مباشر بالتفكير التقدمى لا بالتشاؤم لأنه اذا كانت حياة الانسان على المستوى الميتــــافيزيقى بهــذا العذاب فالمعقول والطبيعى انه يجب ان يبادر الى تصفية حياته من كل التعاسات المفتعلة . » وهل يجدى فرض وجوب الايحاء بالتفاؤل اذا لم يؤيده الواقع ؟ ان المهم هو ما كان ، لا ما ينبغى ان يكون ، فالذى يشعر مع المسرحية بافتقار الحياة الى المعنى لن تقنعه نصيحة بتصفية الحياة من التعاسة . ولن يبـــادر احد الى الخير ــ على فرض أن المسرحية تصور عذاب ما وراء الطبيعة هربا من آلام منتظرة على « المستوى الميتافيزيقى » ، فتوقع السوء يجعل المرء دائما فى استياء . ولن يصغى الناس الى نصحنا اذا قلنا لهم : أيها الناس فضوا مشكلاتكم ، ودعوا ما أنتم فيه من غى ، وافرحوا بدنياكم حتى تستطيعوا ان تواجهوا آلام الموت وما بعد الموت . هذه الخطبة لا تقنع أحدا لأن آلام الحياة ليســــت امرا طارئا تصنعه حماقة عابرة وانما هى وليدة عوامل كثيرة لا يخفى تعقدها على القصاص الكبير الذى انشغل بها فى نتاجه الغزير .

اما الاساس الثانى فهو اعتقاد كاتبنا ان اللامعقول يؤدى الى المعقول . ولعل هذا ما دفعه الى محاولة تفسير المسرحية مع ايمانه بأن موضوعها لا معقول وشكلها لا معقول ايضا . « لا اتصــور انه يوجد عمل فنى لا معنى له فحتى اذا كان يعبر عن موضوع لا معنى له بشكل لا معنى له ، فتطابق الشكل الذى لا معنى له على الموضوع الذى لا معنى له يعطينا عملا له معنى » . بل انه ليذهب الى ابعد فيرى أن المعنى نتيجة حتمية للامعنى . « هذه المسرحية طابقت بين الشكل والموضوع مطابقة كاملة فموضوعها لا معقول ولكن النتيجة الحتمية لذلك كله هو المعقول . » هذا القياس لا ادرى له وجها ، وقد كان نجيب فى غنى عنه لو « تصور » أن « لعبة النهاية » ليست عملا فنيا . وأنا أعتقد أنه لن يختلف معنا اذا قلنا أن المعقول نتيجة حتمية ايضا للمعقول ، فهل يكون المعقول نتيجة حتمية للمعقول واللامعقول فى آن ؟ أظن من الواضح فى المنطق السليم أن الشىء لا يكون نتيجة « حتمية » لنقيضين .

والأساس الثالث هو : « ان الفن التشـــكيلى الحديث ثمرة مشروعة للحضارة الغربية فى مرحلتها الحديثة » يعنى أن الحضارة المنهارة هى المسئولة عن الأشكال الحديثة . وأرى فرقا كبيرا بين القول بأن انهيار الحضارة أدى الى انهيار الفنون ، والقول بأن انهيار الفنون ثمرة مشروعة لانهيار الحضارة . ان الانهيـــار لا يكون مشروعا فى اى حال . والفن كله ثمرة مراحل حضارية منهارة أو غير منهارة ،

فليس في الحكم على الحضارة الحديثة بالانهيار ـ ومن الواضح أن العبارة تتضمن هذا الحكم ـ ما يحد من رضاء نجيب محفوظ عن المسرحية ان كان مراده ان يحد من رضائه اذ ان الفن العظيم يستقل دائما عن المرحلة الحضارية ، ويبقى له ـ على اختلاف المراحل في الوطن وعلى اختلاف الأوطان ـ كل قيمته أو بعض قيمته .

هذه هي الأسس الثلاثة التي يقوم عليها تفسير نجيب محفوظ ، فلننظر الآن لنرى هل يؤيد فكرته عن تفاؤل المسرحية وتقديمها أولا . يقول ان شخصيات المسرحية التي تمثل ثلاثة اجيال ، جيل الشباب وجيل الكهولة وجيل الشيخوخة متعلقة بالحياة على الرغم من العذاب المفزع الذي تعيش فيه . ويدلل على هذا التعلق بثلاثة مواقف :

أولها ان الكهل لم يرض للشاب بقتل الطفل الذي ظهر في الأفق ، وانه على الرغم من انه اعمى وان الشمس لا تدخل الغرفة يطلب من الشاب أن يبقيها مفتوحة . والثاني ان جيل « الزبالة » او جيل الشيخوخة يطلب « عصيدة » ولم يطلب سما ليستريح . والموقف الثالث ان الشاب جاء بادوات الانتحار ـ العطف والحقيبة ـ ولكنه وقف حتى انتهت المسرحية اي انه قبل الحياة على الرغم من كل شيء . وفي هذه المواقف الثلاثة يعتمد نجيب على فقرات من الحوار يستنتج منها مايشاء . واحسب ان من حقنا أن نعتمد على فقرات اخر نستنتج منها ما نشاء فليس ثمة ما يمنع استنتاجا او تفسيرا وقد خرجت المسرحية على كل القواعد التي تعين على الفهم وتدفع اللبس وتحمي من الابهام . ليس ثمة ما يمنعنا لأن « لعبة النهاية » ليست مسرحية وانما هي مجموعة اقوال لبست ثوب الدراما . ان الكهل والشاب يجتهدان في القضاء على برغوث يظهر في عالمهما « فقد تبدأ الانسانية كلها مرة أخرى منه » وعندما يظهر الطفل في الافق يسأل « كلوف » : هل يكمن فيه والد جديد ؟ فيجيب « هام » : اذا كان موجودا فسيموت هناك او يقدم الى هنا ، وان لم يكن .. (صمت) كيف يوفق نجيب محفوظ بين هذه الاقوال والاقوال التي اعتمد عليها ؟ اما التعلق بالحياة فهو تعلق الجبر والاضطرار لا تعلق الارادة الحرة :

هام : لم لا تقتلني ؟

كلوف : لا اعرف كيف افتح الدولاب . وعندما تتهيأ وسيلة القتل في موقف آخر يعلن « كلوف » عجزه عن القتل . وهذا هو ما يقوله الكهل عن النافذة التي يتخذ نجيب من ابقائها مفتوحة دليلا على التفاؤل :

هام : افتح النافذة

كلوف : لم ؟

هام : اريد ان اسمع البحر .

كلوف : لن تسمعه

هام : حتى وان فتحت النافذة ؟

كلوف : لا .

هام : اذن فلا جدوى من فتح النافذة .

انهم يتعلقون بالحياة لسببين ، لكي تستمر المسرحية ولأنهم لا يملكون القدرة على الرفض بل لا يملكون القدرة على اي شيء . يتعلقون بالحياة لانهم لا يستطيعون أن يصنعوا غير هذا . انه تعلق العجز .. لا تعلق القدرة .

واحقر صور العجز هي تلك الصورة التي يعرضها كاتبنا لجيل الشيوخ الذي يطلب عصيدة لكي تستمر اقذر حياة يحياها بشر . في صناديق الزبالة . ان رفض مثل هذه الحياة ـ اذا لم يكن من مقاساتها بد ـ بطولة لا يقدر عليها هؤلاء العجزة . الانتحار هنا اشرف الف مرة وادل الف مرة من التفاؤل من ذلك الموقف المهين المستسلم المتخاذل . وماذا يكون التشاؤم اذا لم يكن هوانا واستسلاما وتخاذلا ؟ وماذا يكون التفاؤل اذا لم يكن قدرة على الفعل حتى ولو كان هذا الفعل هو الانتحار ؟ « صمويل بيكيت » يقدم لنا أناسا لا يعنون شيئا :

هام : نحن لم نبدأ في ان نعني شيئا

كلوف : نعني شيئا ؟ انت وانا نعني شيئا ؟ اوه ، هذه نكتة ظريفة .

يقدم لنا اناسا يتشفى بعضهم في بعض « يوما ما سوف تصبح اعمى مثلي ، سوف تجلس هنا ذرة في الفراغ ، في الظلام ، الى الأبد » .

لقد اباح نجيب محفوظ لنفسه أن يستنتج من اللامعقول معقولا ، وانا ابحث لنفسي الشيء نفسه ولكني لا اطلب من القارىء أن يقتنع بوجهة نظري لأني لو فعلت لكنت متناقضا مع اعتقادي بلامعقولية المسرحية من اولها الى آخرها . هذا هو العالم الذي يقدمه لنا مسرح اللامعقول ، عالم لا نستطيع ان نتمسك فيه برأي لأنه لا شيء معقول . كل شيء عبث ولعب . وهكذا تبدد سخط نجيب محفوظ بعد تدبر وتأمل ، فاذا كان هذا هو موقفه فماذا يكون موقف غيره ممن لا يملكون صلابته ؟

معجزة النيل لصوفي عبد الله

بقلم علاء الدين وحيد

اذا استحب للمرء أن يضع امامه صورة غيره ليقف في حيدة ووضوح على الملامح الحقيقية لذاته هو ، فان الأمر يعد أكثر أهمية بالنسبة الى عصر من العصور ، عندما نريد أن نحدد بدقة سمات الأيام التي يعيشها من خلال الماضي . واستجابة لهذه الرغبة في المقابلة والمقارنة التي يستشعرها كل جيل جديد ، ظهر في أدبنا العربي الحديث (حديث عيسى بن هشام) للمويلحي ، و (رجعة أبي العلاء) للعقاد ، و (كيلو بتره في خان الخليلي) لمحمود تيمور ، وغيرها . وهكذا أيضا وضعت صوفي عبد الله كتابها الجديد (معجزة النيل) وكانت مرآتها العاكسة ، العصر الفرعوني في الأسرة الثامنة عشر وخاصة في أيام اخناتون ونفرتيتي .

وأول الأشياء الذي أرادت المؤلفة تناوله ، ان تقرر الا جديد تحت الشمس حتى بالمقارنة الى مصر القديمة ، هذا ما تردده الكاتبة في كل فصول الكتاب وتحاول اثباته . واذا بدت هذه النظرة التقليدية في غير هذا المكان ، أحيانا في موضعها بالنسبة الى المشاعر الانسانية والاحداث التاريخية فهي عندما تكاد تلغي كل فارق بين حياة انسان مصر الفرعونية وحياة الانسان المعاصر كما تجد هنا . نحس غرابة في موقفها وشيئا غير مبرر يبعد بنا عن الاقتناع بما تعرضه الكاتبة . وتسرد صوفي عبد الله الأمثلة الكثيرة على صحة دعواها من حكاية (تامين الحدود) التي يدعيها كل مستعمر لاحتلال الشعوب الاخرى . الى تعذيب رجال الشرطة للمتهمين وضربهم اياهم ، فالأوضاع كما تقول هي هي !

ولكي ندرك مدى ما صنعته هذه النظرة ـ التي تحاول أن تلغي كل مكاسب الانسان الجديدة في هذه القرون الطويلة بين أمسنا الغابر ويومنا الحاضر ـ من تصوير الاشياء تصويرا سهلا يقف عند حد السطح القريب ، اشارة المؤلفة التي تحول عمل الجيش الفرعوني في حالة ضعف الدولة الى « المشي في المواكب والمحافل » . لقد رفضت أديبتنا كل اللقطات التي يمكن أن تشي بضعف الجيش ، الا هذه اللقطة الاكليشيهية العادية . واذا حدث هذا بالنسبة الى الخطوط العريضة من الملامح الحضارية، فلا يختلف عنه في الاشياء الصغيرة أيضا ، كمعرفة الفراعنة لأكل البسطرمة وشرب البيرة !

وتكتب صوفي عبد الله (معجزة النيل) محاولة أن تكشف النقاب عن حقائق يطمسها الجهل بتاريخ الفراعين ، أو ما يكتنف هذا التاريخ من غموض وما يشوبه من خرافات ، أو ما يعلق به من تفاسير مغرضة . فهي كما تتحدث عن أصل امنحتب الثالث وكيف استعار نسبا ملكيا . تشير في (ص ٣٦) الى أن حكم فراعنة مصر لم يكن مطلقا بل دستوريا !

والظاهرة الملفتة للنظر ان المؤلفة قد حشدت في كتابها المعلومات الكثيرة الى حد التخمة ـ وكأنها تريد أن تقدم التاريخ لمن لايتذوقه في (برشامة) ـ فاستعرضت واجهتها وحوت كل شيء تقريبا ، من أسلوب الحكم الفرعوني الى المطبخ المصري والأطعمة التي تتناول . ولكن هذه الرغبة التي تملكت صوفي عبد الله في ادخال الكثير من المعلومات في سياق الحديث ، جعلتها تنزلق غير مرة الى التطفل والحشو المفسدين . كما فعلت في الفصل الاخير مثلا وهي تذكر ـ وسط الانفعالات الدامية عن اللحظات الاخيرة لاخناتون ونفرتيتي ـ حب هتلر وزياراته الليلية في متحف برلين لتمثال الملكة الفرعونية !

ويلتفت القارىء الى مايشوب (معجزة النيل) من تعثر أحيانا كما يبدو في التناول المضطرب الذي لم يجيء من أن الكاتبة استخدمت أسلوبا قصصيا ، فمثل هذا الاسلوب الدافىء يساعد على تحويل الطعام الغليظ أو الدسم الى عصارة سريعة الهضم لا تربك المعدة . وانما يجيء الاضطراب من ان صوفي عبد الله استعملت ما يمكن أن يسمى وسائل أو أدوات قصصية هي من صميم التكنيك الروائي كتجسيد نفرتيتي في عالم الواقع .. فادراك أديبتنا انها لا تكتب قصة جعلها تحجم عن التمهيد المبرر والاقناع المرتفع الى مستوى الحدث . ولنفس السبب أيضا لم تستطع أن تربط بين الفصول ربطا قصصيا محكما ـ لان كلا منها تناول جانبا محددا من جوانب الحياة المصرية حرصت الكاتبة على

استقلاله ـ ولما حاولت فشلت المحاولة ، كما وضح فى الفصلين (حصـــاد الشهوات) و (مات الملك عاش الملك) . فالأول تناول انحلال فرعون مصر . والثانى عرض لموته وتولية ابنه بعده .

ومن اضطراب الشخصية التاريخية هنا ان صوفى عبد الله حينما بعثت نفرتيتى لم تجعلهـــا الملكة الفرعونية التى عاشت عصرها القديم فحسب ، بل ارادت لها أن تعيش كل العصـــور وتعرف العالم القديم والجديد والايام الماضية والحاضرة .. تعرف كل شىء ! ولعل هذا ما بعث على اهتزاز المرتبـات لاختــلاط القيم . فبينمـــا نفرتيتى تؤمن بالبعث وتجدد الحياة وزواج الاشقاء نراها تذكر نابليون بونابرت وسنت هيلانه واوسترلتز ، وتتحدث عن الاستعمار بنغمة لا تختلف عما نردده اليوم فى عام ١٩٦٤ ! حتى لتبدو مليكتنـــا الفرعونية ســيدة قاهرية ناضــجة الثقافة تقارن بين امتحتب الثالث ولويس الرابع عشر ! وتعرف اللغـــات الأجنبية وتتمثل بالقرآن وتردد فصيح الشعر الجاهلى وشعر شوقى على الســـواء ! ماذا بقى اذن حتى يكون التطابق تاما ؟ العامية والتحدث بهـــا ! وقبل ان يعترينا الشك لحظة فى جهلها بها ، لانها لم تذكر لها على لسان ، نكتشف ان نفرتيتى من أنصار الفصحى فهى ترفض التعابير الدارجة ولا تقبلها الا معربة كقولهـــا « يموت الزمار ولا تسكن أصبعـــه عن الحراك » ! (ص ١١٦) . ولعل هذا ما يكشف ان (معجزة النيل) لا تتناول الملكة القديمة بقـــدر ما تعرض لآراء المؤلفة نفسها !

عندما أرادت كاتبتنا ان تعرض لمصر الفرعونية ، لم تجد أسلوبا أكثر ايحاء من ان تنفخ الروح فيها وتبعثها ثانية الى الوجود بكل مظاهر الحياة التى كانت تتردد بين جنباتها ، متخذة من احدى ملكات الفراعنة دليلة لها فى رحلتها . واذا كانت صوفى عبد الله قد استطاعت أن تســـتقدم نفرتيتى عن طريق عالم الأرواح الغامض تكوينه بالنســـبة الى الانسان ، وتجعلها تحدث الراوية بلسان تفهمه . فلم تنجح المؤلفة فى بعث العصر الفرعونى ، لأنهـــا اعتمدت على أسلوب ساذج فى عملية الاحياء هذه . فكل ما صنعته لكى تنقل الراوية القـــاهرية بنت اليوم الى عصر الأسرة الثامنة عشرة، أن تجعل نفرتيتى تأمر الراوية باغماض عينيها ثم تمسح على جبهتهـــا بيدها فيتجسد الزمن المطلوب ! وهى وسيلة كما هو واضح جد ســـاذجة لم تعد تقبلهـــا بالقصص البوليسية الرخيصة ولا تليق حتى بالأطفال . ان مجلات الصغار حين تعرض لمغامرات خرافية تبـــدو أكثر « اقناعا » لأنها تحاول أن تعتمد ظاهريا ـ كما فعلت صوفى عبد الله نفسها فى استقدام نفرتيتى من العالم المجهـــول ـ على الغموض الذى يكتنف الكثير من الحقائق العلمية . ان اغماض العين والمسح على الجبهة تناسب حدوتة بدائية تعتمد على الوسائل اللا معقولة مضطرة ، لعدم نضج قائلها وسامعهـــا معا ، لا عمل أدبى يقدم للقارىء الناضج فى النصف الثانى من القرن العشرين !

وأجمل فصول (معجزة النيل) بلا نزاع ، هذه التى تناولت مأســـاة اخناتون هذا الفرعون المعذب ودينه التوحيدى الجديد . فقد حاولت صـــوفى عبد الله أن تحلل جوانبه جميعها وخاصة فى أزمته ، وهو يحس بالصقيع يحيط به من جراء تكتل القوى المتنافرة ضده وضد دينه من أصحاب المال وكهان آمون الى الشعب البســـيط الذى قام صاحب آتون اصلا لرد حقوقه والدفاع عنه ضد مســـتغليه . ونجحت المؤلفة فى ان تقدم بتحليلها العميق عوالم مضيئة من حياة هذا العبقرى النبى فى غير عصور النبوات ، الذى أراد أن يحطم كل الســـدود التى صنعها الانسان على مر الزمن بينه وبين الهه الواحد الاحد . كان اول انسان ممن يتمتعون بحق التقديس المطلق يرفض أن يؤلهه البشر ، ونزل طائعا عن تاج السماء ليغدو انسانا عاديا يبشر بالحب والتسامح وتقديس الاسرة ورعاية المرأة فى وضوح واخلاص ومن أروع اللقطات فى هـــذه الفصـــول ، وقوف اخناتون على فساد الناس ، وقد اســـتغلوا دعوته السلمية ورفضوا أن يبذلوا ولو قليلا للنفـــاذ الى دعوته . وكذلك حب زوجه نفرتيتى له وايمانها بدينه الى الدرجة التى لم تستطع فيها أن تواســـيه فى محنته « كنت أنا بايمانى ، غير قادرة على عزائه ، فى حين كـــان ينبغى أن أكون مـــوئل عـــزائه » (ص ١٧٨) .

ان الحب حقا يفعل الأعاجيب ، هـــذا ما تؤكده الخطوط العميقة التى كونت صورة اخناتون ، فلولا حب صوفى عبد الله لهذه الشخصية المتفردة ، لما حفلت كثيرا بأن تجهد نفسها فى سبيل المزيد من فهم هذا الفرعون النادر فهما واعيا مخلصا . تقول فى مقدمتها : « ليس فى تاريخ مصر كله ـ قديمه وحديثه ـ « روح عظيم » يقرن الى ملكها القديس اخناتون » (ص ٦) .

علاء الدين وحيد

شفيقة ومتولى والمستخبى

بقلم على متولى صلاح

هل يمكن أن تزحف فنوننا وأساطيرنا الشعبية الى المسرح التجريبى التقدمى الذى يحتضن المذاهب والنظريات الحديثة ، وأن تكون تلك الفنون والأساطير مادة صالحة لتلك التجارب ؟

وهل يمكن أن يصل بها الصقل والتهذيب الى أن تتخذ أحدث الأزياء وأجمل الأثواب مع محافظتها على جوهرها الأصيل ومعدنها الذى صيغت منه فلا تخرج عن اهابها ولا تفقد شخصيتها وطابعها الذى يعرفه الناس عنها ؟

وهل يمكن أن تعرض على « مسرح الجيب » الذى اقتصرت معروضاته على « لعبة النهاية » لصمويل بيكيت ، « الكراسى ليوجين يونسكو ، « القاعدة والاستثناء » لبرتولد بريخت ... ثم اخيرا على مذهب « اللا معقول » ممثلا فى مسرحية « يا طالع الشجرة » لتوفيق الحكيم ؟

ذلك ما يراه الناس الآن على هذا المسرح حيث يقوم الآن بتلك المحاولة الجريئة حقا والجديدة حقا من عرض تلك الأسطورتين الشعبيتين النابعتين من صميم حياتنا الريفية العميقة وهما قصة « شفيقة ومتولى » وأسطورة « المستخبى » ، حيث كساهما — المؤلف والمخرج معا — ثوبا جديدا قشيبا ولكنه يشف عما تحته ويرينا كلا من « شفيقة » ، «متولى» على سجيته المصرية الخالصة .

فشفيقة فتاة مصرية ريفية تعيش فى احدى القرى المجاورة لأسيوط أغوتها امرأة كانت تشتغل « ندابة » فى مآتم القرية بأن تتحول الى « غازية » من الغوازى اللائى يرقصن كل ليلة عرايا أو أشباه عرايا ليتلهى الرجال برقصهن ، وكانت تلك المرأة الندابة تسمى باسم « عنادى » .. ونجحت فى اغوالها ، ودرجت على الرقص كل ليلة ، وفى كل مناسبة من مناسبات الأرياف العديدة وطارت شهرتها وعرفها الناس جميعا ...

وكان لشفيقة أخ شاب أخذوه الى « الجهادية » ليقضى دوره فيها كما يوجب القانون وليخرج منها جنديا من جنود البلاد شأنه فى ذلك شأن الكثيرين من أبناء الريف الذين لم يعفهم القانون من هذا الواجب ولم يجدوا فى أيديهم المال الذى يعفيهم منه والذى كان يسمى فى الأزمان الماضية باسم « البدلية » !

ويحضر بعض زملاء أخيها هذا الى القرية ويشاهدون « شفيقة » الراقصة ويعلمون أنها أخت زميلهم هذا فيعودون اليه بصورتها وهى بملابس الرقص ويعيرونه بذلك فيحزن أخوها حزنا كبيرا وينوى بها شرا ... وتعلم هى بما انتواه أخوها لها فتفزع فزعا كبيرا ويلوح لها شبحه دائما وتتخيله قادما للفتك بها فى كل لحظة وتحسب كل صيحة عليها !

كما يدرك الخوف والفزع أيضا تلك المرأة « عنادى » التى قادتها الى تلك الهاوية فتطلب اليها أن تمضى معها وأن يهربا من تلك القرية ويتواريا عن الأنظار ولكن « شفيقة » ترفض هذا الطلب .

ويغتم ابوها الشيخ أيضا غما شديدا لمآل ابنته ومصيرها الذى جلب له العار بين الناس ويحاول جاهدا ان يردها عن غيها ولكن القدر يحسم الموقف بموتها والقضاء عليها وعلى عارها .

تلك هى قصة « شفيقة ومتولى » فى اختصار شديد . واما اسطورة « المستخبى » فهى أن زوجة ضاقت بزوجها المستبد ذى العقلية القديمة التى تعامل الزوجة على انها « شئ » فى البيت لا رأى له فى شئ أبدا . ولا وزن له اذا قيس بالرجل أبدا ، وليس له من الحقوق شئ أبدا .. وما عليه الا أن يؤمر فيطيع دون أى اعتراض ، وأن تكون آلة فى يد الرجل يحركها كيفما شاء دون أن تكون لها ارادة فى حركتها أو فى سكونها !

ضاقت بزوجها ولم تستطع صبرا عليه فدست له السم فى الشراب فقتلته ...

وكان لها منه طفل رضيع علم بالحادثة رويدا رويدا حتى أدرك تفاصيلها أخيرا ..

وكان حادث قتل الزوج يؤرق الزوجة دائما ويجعلها فى اضطراب دائم لا يهدأ ، وكانت تتخيل دائما أن الناس يطاردونها فى كل مكان ، ويلاحقونها

فى كل لحظة ، فلا تجـد عنهم مفـرا ، وتخاطبهم ـ وكأنهم ماثلون امامها ـ طالبة اليهم أن يرحموها ويتركوها لشأنها ولاحزانها ، وما من أحد أمامهـا يمكن أن تخاطبه حتى لكأنها ذلك « الناظر » الذى عناه الشاعر بقوله : ـ

وضـاقت الأرض حتى صـار ناظرهم
اذا رأى غير شىء ظنـه رجـلا !

فلمـا شب ابنهـا وكبر وترعرع ادركه من الاضطراب مثل الذى بها وصار هو الآخر يهـذى كهذيانها ويخاطب من لا وجود لهم مثلها ! واخـذ يسالها عن سر مصرع أبيه فاجابته بان « جملا » نهش يده فمات على اثر ذلك ، ولكن الابن لم يقتنع بهذه الاجابة وظل يضيق الخناق عليها حتى صارحته بالحقيقة واخبرته بانها هى التى قتلت أباه لأنهـا كانت تكرهه كراهية لم تقدر على احتمالهـا .. وخشيت المرأة أن يحاول الولد الانتقام لأبيه بقتلها فاسرعت بدس السم له فى الشراب كما فعلت بأبيه من قبل فقتله السم كما قتل أباه ! ...

وهذه الأسطورة تذكرنا ـ تذكيرا قويا ـ بقصة « أورست » الاغريقية الشهيرة ففيها منها مشـابه كثيرة وان اختلفت عنها فى بعض المواقف ..

فاورست كما هـو معلوم ابن القائد اليونانى العظيم «اجاممنون» الذىقتلته زوجته «كليتمنسترا» فور عـودته من حروب طروادة بعد أن اتفقت مع عشيقها على ذلك .. ولكن ابنها « أورست » انتقم لأبيه بأن قتل أمه وأيدته فى ذلك أخته « الكترا » وحرضته على هذا القتل واعترفت به ، فعاقبوهـا على ذلك بأن بنوا فوقهـا صومعة محكمة البنـاء وتركوها فى داخل هذه الصومعة حتى ماتت ...

ولا شك أن مؤلفنا الشاب « شوقى عبد الحكيم » قد نظر وأطال النظر فى قصة « أورست » هـذه وهو يسطر أسطورته « المسـتخبى » فقد كانت تفوح فيهـا ـ وهى المصرية الصـميمة ـ الروح اليونانية بشكل قوى تؤكده تلك « الجوقة » التى جاء بها فى نهاية المسرحية معزية لتلك الزوجة عن فقد زوجها وابنها معا .. تلك « الجوقة » التى كانت عنصرا من عناصر التمثيل عند اليونان وليس لهـا عندنا اليوم وجود !

على أن المؤلف نظر ايضا واطال النظر فى القصة الاولى « شـفيقة ومتولى » الى المذهب الوليـد الجديد وأعنى به مذهب « اللا معقول » وأراد جاهدا أن يجرى الحوار فى مسرحيته على النحو الذى يجرى به فى مسرحيـات « اللامعقول » وعلى الاخص فى مسرحية « ياطالع الشجرة » لتوفيق الحكيم .

نظر اليها واطال النظر بدون شك وأبرز لنا على المسرح ـ مثلا ـ ثلاث شـخصيات يتكلمون فلا يخاطب الواحد منهم صاحبه بما يريد أن يخاطبـه به ، ولكنه يتكلم عما بنفسه هو وعما يشغله هو ، وتشابه كثير من مواقف مسرحيتنا هذه بكثير من مواقف « يا طالع الشجرة » على بعد ما بينهمـا فى الاطار والمضمون وكأن المؤلف يريد أن يؤكد قدرته على ادخال هذه الأساطير الشعبية فى عالم الجديد ، وأنها لا تستعصى على التطوير والسير قدما الى ارقى المجالات والأخذ باحدث النظريات .

ونحن نقرر أن المؤلف مشكور جدا على هـذه المحاولة التى لم يسبقه اليها أحد وأن مما يضاعف الشكر له أنها أول محاولة له فى التأليف المسرحى على الاطلاق ، فهو اذن ذو فطرة سليمة تبشر بكثير من النتائج الطيبة لو سار على الدرب واختص نفسه بهذا اللون الجديد الذى بدرت منه فيه هذه الباكورة الطيبة ، ولكنا نرجو أن يحد من هذا التقليد وان يطيل النظر الى نفسه لا الى غيره وألا يتشبث بنهج معين قد لا يكون موائما للموضوع الذى يتناوله ، وليجعل الموضوع وحده هو الحكم فى كل شىء .

على أن النص الثانى واقصد به نص «المستخبى» لم يكن نصا تمثيليا على الاطلاق فقد خلا تماما من كل حركة ولم يكن الا مونولوجا طويلا وطويلا جدا القته «ممثلة واحدة لم تتخلله الا كلمات قصيرة من ابنها،وكان الكلام فيه معادا مكررا تكرارا طويلا جدا لا تحتمله خشبة المسرح ، وكأنه خطبة منبرية لا مسرحية تتحرك امامنا فياضة بالحياة كما ينبغى أن يكون كل نص مسرحى .

ولقد كان الاخراج من عوامل نجاح هذهالتجربة الرائدة ، فقد عبر تعبيرا ناصـعا ـ ان جاز لنا استعمال هذا التعبير ـ عنأهداف التمثيليتين وأبان عن روحهما ابانة تامة ، وجعلنا نراهما ونحس بهما رؤية واحساسا صـادقين ، وقد بذل هذا المخرج الشاب ـ الدكتور كمال عيد ـ جهدا ما بعده جهد فى السير بهما الى النجـاح المطلوب مع بسـاطة وعدم تركيب ، واسـتعمل الموسـيقى المصرية

الصميمة التى تتمشى مع الموضوع تماما ، واصطنع من الرسوم والأشكال والمقابر والملابس والمصابيح ما يؤكد الروح المصرية الصميمة التى تبعث منهـا هاتان الأسطورتان مما ســاعد على ابراز المعنى والغرض واشــاعة الروح المطلوبة فكان اخراجـا ناجحا نجاحا يدعو الى الاعجاب والتقدير .

ولو ان الموسـيقى « البلدية » كانت ترتفع فى بعض الأحيان حتى تطغى على الكلام .

ولولا أن « أمينة رزق » جمدت على طريقتهـا القديم وعلى نغمتهـا القديمة فى الالقاء وهى مما لا تدعو اليه الظروف فى هاتين المسرحيتين ...

ولولا أن تلك الراقصـة « نيللى مظلوم » كانت تقوم بحركات بلهاء عشواء لا تدل على شىء ولا تعبر عن شىء على الاطلاق ولكنها كانت تهتز كأنهـا جان فقط !

ولولا أن هذا « الكورس » كان حشوا لا تدعو اليه ضرورة ولم يكن الا لملء الفراغ فقط .

ولولا أن الابن « حسـن عبد الحميد » كان آية الآيات فى عدم التعبير وعدم الانفعال وعدم التاثر والتأثير وكان كأنه تمثـال يتحرك على المسرح بلا روح ولا حياة .

ولولا شفيقة ـ وهى محسنة توفيق ـ لم تقنعنا تماما بأنها تلك « الغازية » المستهترة العابثة الفزعة الخائفة من نتائج استهتارها وعبثها .

نقول : انه لولا ذلك لرأينا تجربة جديدة محكمة البناء لا عوج فيهـا ولا التواء ، ولكننا مستبشرون خيرا بهذه التجربة آملون أن نرى الـكمال المطلق فيما سيليها من تجارب فى هذا المضمار ان شـاء الله .

على متولى صلاح



الفكر الآثم

للشاعر عامر بحيرى

احبهـا ، وهى تعلم ... ونحـن لا نتكلم !
اذا اختلطنـا بجمع ... فاللحـظ جد محرم
وقـد نميت هـوانا ... بالبعـد ، والبعد أسلم
حتى اذا ما التقينـا ... فحبنـا ليس يرحم !
فى خـاطرى وفؤادى ... منهـا خيـال مقيم
اذا انفـردت اتانى ... بالحسـن ، وهو مجسم
واقبلت فى حـرير ... وثغـرها يتبسم
وعـانقتنى بشـوق ... لهيبـه يتضـرم
وقبلتنـى بثغـر ... يا طيبـه حسن يأثم !
وكـل ذلك طيـف ... من الخيـال المهوم
لا يأثـم الجسـم منى ... لكنه الفكـر .. يأثم !

عامر بحيرى

الفلاح

للشاعر عفيفي محمود

منذ كانت هـــذه الأرض ، ومذ كان البشر
وشــقاء العيش مكتوب عليه ... كالقــدر
يمضغ الشوك ... ويهدى غيره حلو الثمر
لم ينل حتى نصيب الدود فى جوف الحجر !

كل يوم يسبق الشمس الى الحقل العتيق
فى قميص حائل الزرقة مفغور الخــروق
مغمض العينين ... فالاقدام تهديه الطريق
وسوى الجاموسة الخرساء لم يعرف رفيق!

كدر الماء الذى يشرب غشـــى مقلتيــه
ومن الارض اغــبرار كالح فى وجنتيــه
ومن الفاس ذراع يبس الدهـــر عليــه
ومن الارض شــقوق حفرت فى قدميه :

لم يزل يضرع للأرض عسى الارض تلــين
راكعا يهوى بفاس غـــابر فى الساجدين
دائبا يكتب فى الارض ســطورا من انين
ما بكت عيناه، لكن.. كم.. وكم يبكى الجبين!!

ينقضى الجيل وراء الجيل والمسكين يشقى
صاحب الضــيعة لايألوه اذلالا ورقــا
وهو لا ينبس بالشكوى ولا يطلب حقــا
ينبت الرزق ... ولا يضمن للأولاد رزقا!

هل يعم الخير ، والاقطاع فى البلدان يرتع؟
هل يسود العدل،.. والظلم على عرش تربع؟
هكذا كانت بلادى : عشرات تتمتع ...
والملايين من الجــوع حشــاها تتقطع !

وأتى يوم ...وفى الافق تبدى خيط نور
آذن الفجر...ودوى فى الدجى صوت البشير
نفض الفائون عن اعينهم نوم الدهور ...
انها ثورتهم !.. بل انها يوم النشور !

وانبرى الفلاح كالمارد من اغوار قمقــم
ملأ الصدر هواء بعبير الحقــل مفعــم
واقـــام الجذع من بعد انحناء ...وتقدم
وهوى الفاس على الاقطاع والظلم.. فحطم!!

عفيفي محمود

ضريبة الهم !!

للشاعر على الجندى

ليت الأديب – على رفاهة حسه – يخلو من الباساء والضراء
ويعان بالرزق الوفير ، فلا يرى معنى بغير مطالب العلياء
لايقطع الاوقات – وهى نفائس – سعيا وراء اللقمة الخشناء
فيعيش مثلوج الجوانح وادعا فى غبطة ، وسعادة ، وهناء
متبتلا للفن فى محرابه مترهبا فى البيعة الشماء
مستشرفا للنور من مشكاته متشوفا للحكمة الغراء
لاهم يلقى فوقه بجرانه ويصيبه بالاين والاعياء
ويشل منه قريحة لماحة ويطم فيه منابع الآراء
والهم عقال العقول ، وآفة الفكر السرى ، وقيد كل ذكاء
من اين يقتنص الشوارد خاطر سدت عليه مطالع الاضواء
او كيف تسرح فى العوالم مقلة مطروفة الغربين بالاقذاء
ماضر لو عاش الاديب مرفها كالبله كالاوشاب ، كالسفهاء
ابيت ارباب العقول بقفرة والبهم بين مرابع خضراء ؟
لو كان هذا الدهر من أهل النهى ما خص خير بنيه بالارزاء
أو كانت الدنيا حصانا حرة لم تؤثر الجهال بالآلاء
لو ان عقلك قد من صم الصفا لحبيت فيها أسعد السعداء
مما يدل على خساسة طبعها اغراؤها الاحزان بالفضلاء
ياليتهم نزلوا على اقدارهم فتبجحوا فى ذروة « الجوزاء »
مادمت من أهل المثالة والحجا فاسحب ذيول التيه والخيلاء
واقنع بحظك واشكر المولى على ان لم تكن فى زمرة الجهلاء
هم الاديب عليه ضربة لازب وضريبة فرضت على الاكفاء
والرزق انواع : فمن جاه الى عقل ، الى ولد ، الى نعماء
وجميعها محبوبة مطلوبة والعقل افضلها بغير مراء
فاذا حبيت به فلا تنظر الى ما فات جهدك من غنى وغناء

على الجندى

مع تيمور في عيد ميلاده الـ ٧٠

بقلم فتحي الابياري

بينما تحتفل الأوساط الأدبية في القاهرة والاسكندرية بالعيد السبعيني لرائد القصة العربية محمود تيمور .. يعاني الأديب الكبير أزمة عنيفة .. اذ يصارع الحياة ليحتفظ بآخر شعاع من نور الحياة .. نور عينيه .. النور الذي تمكن به من الكتابة طوال حياته المليئة بالكفاح الأدبي ، حتى توجت الدولة ذلك الكفاح بالجائزة التقديرية للأدب عام ١٩٦٣ . فماذا قدم لنا تيمور .. القصاص الكبير .. في رحلته الطويلة الشاقة المضنية ، وماذا يخبيء لنا في جعبته ، وكيف كان تيمور مثالا للفنان الأصيل الذي يعايش واقعه ، ويتأثر به ، ليكتب عنه بصدق وواقعية .

ان تيمور خلال السبعين عاما ، كتب أكثر من ثلاثمائة أقصوصة ، وست قصص طويلة ، وست عشرة مسرحية ، وتسعة كتب في الدراسات الأدبية واللغوية ، وسبعة كتب في الخواطر والصور الأدبية والرحلات . كل هذا بدأ منذ عام ١٨٩٤ حتى الآن . وفي كل عام .. وفي يوم ١٦ يونيو . يطفيء تيمور بدون ضجة أو دعاية .. شمعة .. حتى وصل في صمت . الى الشمعة السبعين .

الأمل .. والحياة

ويشعر تيمور .. بعد تلك الرحلة الطويلة المضنية في عالم القلم .. شعور أي انسان .. وضع لنفسه هدفا ، وظل يعمل ويعمل لتحقيقه حتى تحقق هدفه ؛ وكان هدف تيمور أن يتمم رسالة أخيه محمد تيمور ، وأن يساهم في حياتنا الأدبية بنصيب ضئيل يمكن أن يكون شيئا ، وأن يلقي في قصصه الأضواء على زوايا من الحياة ، حافلة بألوان من المفارقات وتنازع المشاعر حتى تتجلى محنة الضمير الانساني في صراع الأهواء الرجعية ، والمثل العليا .

أما الهدف الكبير الذي يصبو اليه في قصصه ، فهو أن يكون فيها تبصير بالطبع البشري ، وتجميل لوجه الحياة ، وتعزية لأخيه المسكين .. ذلك الانسان . وبالنسبة لآماله ، فهو يرى أن الآمال في تجدد .. هيهات أن ينتهي لها مدد مادامت هناك أنفاس تتردد .. فانقطاع الآمال .. هو انقطاع الحياة .

وهذا الأمل .. هذا الذي جعل تيمور يتغلب على مرض التيفوئيد .. الذي أصيب به وهو في صدر شبابه . فانقطع عن الدراسة ، ولم يكن هناك علاج لهذا المرض في ذلك الحين . وظل طريح الفراش ثلاثة أشهر متوالية . حاول بعدها أن يعود الى المدرسة ، ولكن صحته كانت قد ضعفت بشكل عام . وقد ترك هذا المرض أثرا عميقا في حياته . وتغير مجرى حياته . فبعد أن كان قد اعتزم التخصص في الشئون الزراعية ، اتجه الى دراسة الأدب ليعوض ما حرم منه .

القصة . والثورة

وقوة تيمور وعظمته ترجع الى أنه كان ينحت في الصخر .. في سبيل ارساء الدعامات الأولى لفن القصة والأقصوصة بالمفهوم الحديث .. ولا يوجد كاتب قصصي في البلاد العربية ، مهما تفوق وبرع الا وتأثر بفن تيمور القصصي ، بعد أن مهد طريق الفن القصصي بعرقه ، وبدمائه ، وبصحته . وقد كافح تيمور طويلا في هذا المضمار ، وبز فيه أدباء الشباب . وتتضح ملامح قوته في براعته الفنية ، في تصوير الواقع الذي يعايشه .

فهو يرى أن المجتمع كله يواكب ذلك التطور الثوري ، والأدب هو أداة التعبير عن المجتمع . فمواكبة الأدب للتطور الثوري نتيجة طبيعية حتمية الا اذا حكم على الأدباء بأنهم في معزل عن الحياة ، وسينقض هذا الحكم ألف دليل ودليل .

فيقول تيمور نفسه : « .. واحب ان أوضح نقطة ، وربما كان من الخير أن يشار اليها في معرض الحديث عن استجابة الأدب لما أتت به الثورة من تطور ؛ تلك النقطة هي .. قصر تلك الاستجابة على الاشادة بالخطط والمشروعات والأفكار العامة التي يجيء بها المد الثوري ؛ فهذا القصر نوع من التحكم ؛ ولا أراه سدادا في الرأي ؛ ولا حماقة في النقد .

ان التطور الثوري .. روح وتيار ومثالية ،

لا مجرد خطط معنوية ومشروعات معينة ، وافكار مرسومة ؛ والادب حين يعبر عن تلك الروح وذلك التيار ، وهذه المثالية فى مجتمعنا المعاصر ، يؤدى بذلك واجبه نحو التطور الثورى ، ويصدق فى الاستجابة له وينقاد فى ذلك ، لوعى طبيعى منبعث من قرارة النفس ، غير منتزع من الخارج .

الثورة . فى ادب تيمور

واذا قرأنا أقاصيص تيمور فى مجموعاته القصصية قبل الثورة وبعدها ، ظهرت لنا معالم ذلك التطور بوضوح . ففى مجموعته « شفاه غليظة » صور لنا قطاعات مختلفة ، نقد فيها المجتمع نقدا ساخرا لاذعا ، وكذلك مجموعته « أبو الشوارب » . وفى « ثائرون » ، صور فيها مجموعة من شباب العصر تسعى الى التحرر ، والى الانطلاق من الأغلال والقيود التى كانت تكبل المجتمع نفسه . فهى تصور عصرا من أخطر عصور تاريخنا الحديث .. عصر ما قبل الثورة .

أولئك فئة من الشباب الحائر ، يحيون فى عهد مظلم يتسم بالفساد والانحلال . ولكن جوانحهم تنطوى على رغبة مستعرة فى انقاذ الوطن مما يعانيه ، وفى نفوسهم تضطرم روح الثورة ، ولكنهم يظلون فى حيرتهم حتى تلقوا ذلك الضوء الوهاج ، يهدى لاقامة صرح الوطن الجديد .

الاشتراكية

وفى كتابه « شمس وليل » استطاع تيمور أن يتفاعل مع مجتمعنا ، مستخدما وسيلة فى التعبير هى كتابة الرحلات . وقد تحدث فى الكتاب عن الاشتراكية السويدية ، وعن اشتراكيتنا وقد كتب هذا الكتاب قبل قيام الثورة بشهور قليلة .

وهناك أقاصيص كثيرة متفرقة تعبر تعبيرا صادقا عن التطور الثورى الذى نعيش فيه ، وذلك فى مجموعات « دنيا جديدة » و « انتصار الحياة » .

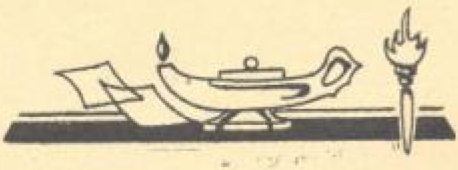
أما فى قصصه الطويلة فقد صدر فى « شمروخ » .. قصة البترول فى الشرق الأوسط ، وكلنا نعلم الدور الذى يلعبه البترول فى المحيط العربى . وفى قصته « الى اللقاء أيها الحب » كانت صورة التطور أوضح وأكمل . اذ رسم لنا فتاة ارستقراطية هى « تيتى » تمثل الفتاة العصرية فى العهد الثورى، وقصة صراعها فى التكيف وسط العصر الحاضر .

واذا انتقلنا الى مسرحياته ، فهناك «صقر قريش» . الذى يعطينا صورة واضحة عن الزعامة العربية القوية التى نحن فى حاجة اليها لنتقدم الى الامام . وفى مسرحية « المزيفون » صور فيها عفونة العهد البائد ، وقذارة الأحزاب السياسية ، وما كان يحدث عندما يتولى من الاحزاب قيادة الامة .

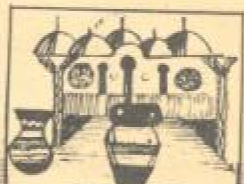
والتطور الثورى .. ليس مذهبا عند تيمور كما يتوهم البعض ، ولكن طبيعة الفنان الأصيل ، هى التى تحكم على الاديب أن يعبر عما يحسه ، وعما يتأثر به .

أما الهدف الذى كان يرمى اليه تيمور .. وما زال .. هو محاولة التفطن الى مواطن القوة والخير والجمال .. فى هذا الخليط الكبير المشتت .. الملتبس من تصرفات ذلك المجهول .. الانسان .

فتحى الابيارى







راشيكات الهند للبيروني

تحقيق الأستاذ أحمد سعيد الدمرداش

تمهيد :

يطيب لى من حين الى حين ، أن أتابع الحديث عن علماء العرب فى الحكمة والطبيعيات ، ذلك لان فى التتابع حيوية تتدفق ، كضربات دف فى ملحمة موسيقية تقرع ، ويطيب لى أيضا ان أختار القرن الرابع الهجرى ، حيث شهد انطلاقة فى البحوث المبتكرة ، بعد أن نفض يديه عن ينابيع الفكر الاغريقى المترجمة ، ثم أعرض عنها ، وأغلق من دونه الأبواب .

والفكر العلمى ، العربى نزاع الى الفوقية دائما ، وقد وصل الى ذروته الكبرى فى النصف الأول من القرن الحادى عشر الميلادى ، ثم اعتراه الملال فى النصف الأخير من هذا القرن ، لما أصابه من حروب ومحن ، وكان أبرز علماء هذا القرن البيرونى عالم الفلك والرياضيات فى غزنه ، ثم يليه الشيخ الرئيس ابن سينا فى خوارزم ، والحسن بن الهيثم عالم الضوء والرياضيات فى قاهرة المعز لدين الله الفاطمى ، وكان البيرونى يتمتع بفكر جرىء وروح ناقدة على غرار علماء القرن الحالى ، أما ابن سينا فقد اشتهر بطابعه الفلسفى ، وبحافظته القوية التى هى أشبه ما تكون بدائرة معارف متنقلة .

وعلى ذلك يعتبر النصف الأول من القرن الحادى عشر ، من وجهة نظر تاريخ العلوم عصر البيرونى ، وما حفزنى الى اختيار مخطوطه هذا الا مقال قرأته فى عدد الرسالة رقم ١٠٦٣ عن دور العلماء العرب والمسلمين فى التفكير الفلسفى ، بقلم الدكتورة توفيقة حسين ، وفيه ذكر هامشى عن أسلوب العرب فى اجراء العمليات الحسابية وبحوث النسبة والتناسب ، دون أن تضرب لذلك مثلا .

وقبل ان استطرد فى تفاصيل المخطوط ، يتراءى لى العالم الاسلامى من خلال عدسات الزمن وكأنه مقسم الى ثلاث مناطق علمية ، أحب ان أشير اليها كالآتى :

١ ــ **منطقة الاندلس** : وروادها من العلماء :ــ

(أ) الكرمانى : وهو أبو الحكم عمر بن عبد الرحمن ابن السمح عاش فى غرناطة ، وتوفى عام

ولد فى قرطبة وتوفى فى ساراقوسا عام ١٠٦٦ م عن تسعين عام ، وأهم أعماله شرح مؤلفات اخوان الصفا ، وقد تلقفتها جامعات ايطاليا وفتشذ .

(ب) ابن السمح : وهو أبو القاسم بن محمود ابن السمح عاش فى غرناطة ، وتوفى عام ١٠٣٧ عن ٥٦ عام ، وله كتاب المعاملات فى الحساب التجارى ، وكتاب التفاضل العقلى ، وكتاب فى الاعداد ، وكتابان فى الهندسة ، وكتابان فى الاسطرلاب مع ابن السفار وفيها جداول فلكيه على طريقة السندهانت .

(جـ) ابن ابى الرجال : وهو ابو الحسن على ابن ابى الرجال الكاتب المغربى ، ولد فى قرطبة شمال افريقيا ، وعاش فى تونس حتى عام ١٠٤٠ م ، وله كتاب البارى، فى الاحكام النجومية · وقد ترجم من العربية الى اللغة الكاستيليتية بواسطة جوده بن موسى ، ثم من اللغة الكاستيلينية الى اللاتينية فيما بعد ·

٢ ـ المنطقة الثانية **وهى مصر** وأبرز علمائها الرياضى الفلكى ابن يونس ، وكان مديرا لدار الحكمة التى انشأها الحاكم بامر الله لتنافس الدار التى انشأها المأمون فى بغداد ، وكان معه فى الدار العالم الطبيعى الحسن بن الهيثم الذى ألف فى المناظر والهندسة ، وكان أول من اكتشف قانون الانعكاس للضوء والقانون الأول للانكسار ، وقد اعتبر الضوء ديناميكيا فى تكوينه ، على عكس علماء الاغريق الذين كانوا يحسبونه استاتيكيا ويشبهونه بقرون الاستشعار عند الحشرات ، وعلى هذا الأساس حلل الشعاع الضوئى الى قسطين متعامدين ، وهى نفس الفكرة التى اقتبسها ديكارت وفرما ونيوتن من علماء الفيزياء بأوربا فى القرن السابع عشر الميلادى لاثبات القانون الثانى لانكسار الضوء ·

٣ ـ المنطقة الثالثة فى **الشرق** وأبرز علمائها :

(أ) البيرونى : وهو أبو الريحان محمد بن أحمد ولد بخيوه سنة ٩٦٢ م وتوفى بنفس عام ١٠٤٨ وترك أكثر من ١٨٠ مؤلفا فى مختلف العلوم ·

(ب) ابن السينا : وهو غنى عن التعريف وكذلك وزميله الفارابى المعلم الثانى ·

(جـ) الباقلانى : وهو ابو بكر أحمد بن على بن الطيب الباقلانى ، ولد فى البصرة وعاش فى بغداد وتوفى سنة ١٠١٣ ، وكان أول من أدخل الذرة ، والجوهر الفرد والهيولى فى علم الكلام ، وتكلم عن الزمن والحركة ·

(د) كوشيار بن لبان وله مؤلفات فى حساب المثلثات ودوال الظلال ·

(هـ) ابن طاهر وله مؤلفات فى الحساب ومسائل المواريث ·

(و) ابو الجود محمد بن الليث : وكان معاصرا للبيرونى ، وبحوثه كانت الأساس الذى بنى عليه عمر بن الخيام أعماله الرياضية فيما بعد ، وله كتب فى الهندسة والمضلعات المنتظمة والقطاعات المخروطية ·

(ع) الكرخى : عالم الحساب والجبر وقد قام بحل كثير من المسائل المعضلة الرياضية التى تركها ديوفانتين العالم الاغريقى ·

وكان يعاصر هؤلاء العلماء جميعا شاعر ايران الكبير الفردوسى ناظم الشاهنامة عام ١٠١٠ ، والامام ابن حزم الاندلسى الفقيه الفيلسوف وكان يسيطر على الفكر الاسلامى الدينى فى الغرب ، متفوقا على الفقيه ابن طاهر فى الشرق ·

تلك هى صورة موجزة لقادةالفكر العلمى العربى فى القرن الحادى عشر الميلادى ، ما كان يكتبه البيرونى فى غزنه يتردد صداه فى القاهرة وبغداد وقرطبة وصقلية ·

علوم زاهرة ذات طابع مميز خاص مستمدة من الروح الاسلامية ، وتربة خصبة ذات خيوبة متدفقة ، مخضرة جنباتها ، يجيب صهيل الأعوجى بها الهدر ·

« مخطوط راشيكات الهند » :

عندما زار البيرونى الهند ملازما مسعود الغزنوى اقتبس من حكمائها كثيرا من العلوم الرياضية والحسابية ، وادخلها فى كتبه باللغة العربية ناقلا اياها من اللغة السنسكريتية ، وهذا المخطوط يدلنا على طريقة التعامل فى حساب المقاولات والتموين والمسائل الحربية ، ويطرق فى الوقت نفسه أبواب النسبة والتناسب ، والمخطوط موجود بمكتبةخدا بخش بتنهباقليم حيدر آباد الدكن احدى الولايات الاسلامية العزيزة بالهند ، وهو منسوخ بالموصل وفرغ من كتابته فى شهر ذى الحجة من عام ٦٣١ هجرية أى بعد وفاة البيرونى باكثر من مائتى عام ·

ويستهل البيرونى المخطوط باسم الله الرحمن الرحيم ثم يقول :

« النسبة فيما بين المقادير المتجانسة هى صورة من صور الاضافات ، تحصل لها من جهة الكمية فيعرف بها احدهما من الآخر وان كان غير معلوم ، وما من مقدار الأدلة الى جميع المقادير التى تشاركه

في الجنس نسبة ما سواء وقف عليها او لم يوصل اليها من جهة صورته كالتي بين القطر والدور من أجل الاستقامة والاستدارة الا من جهة صممه كالتي بين القطر والضلع لأجل التباين فالنسبة اذن حاصلة أبدا بين كل مقدارين متجانسين حصولا بالاطلاق ثم لا تنحصر بذاتها حتى تصير محدودة أو معلومة الا اذا ازدوجت بأخرى فوقفت عندها على النسبتين وأقل ما يكون التناسب في ثلاثة مقادير .

ولذلك قال اقليدس ان التناسب أقل ما يكون في ثلاثة حدود فتكون نسبة الأول الى الثاني مساوية لنسبة الثاني الى الثالث أو أعظم منها أو أصغر » .

ومعنى هذا بلغة العصر الحديث ان نسبة قطر الدائرة الى محيطها ثابت وهو ما يساوى معكوس ط النسبة التقريبية عندنا .

أما النسبة بين قطر الدائرة وأى ضلع فيها وليكن طرف الضلع هو طرف القطر فهي متغيرة لأننا نعلم انها تساوى قاطع تمام الزاوية المقابلة ، فطالما أن الضلع متغير فالزاوية متغيرة أيضا .

واذا كانت هناك ثلاثة حدود مثل أ ، ب ، جـ . فان

$$\frac{أ}{ب} \gtreqless \frac{ب}{جـ}$$

ويستطرد المخطوط :

« والهند يسمونها ترى راشيك أى ذو الثلاثة المواضع ، وراش هو البرج وراشيك هو الموضع من الصورة ، فان منجميهم يسمون البيوت الاثنى عشر راشيك ، وانما رسموا هذه الثلاثة لأن المعلومات في المعطى منه ثلاثة .

وهم قوم يسلكون في حساباتهم الطريق العددي لتدربهم به ، ويقولون في تصحيحه على الامتحان واستقراء الأمثلة دون الاشتغال في التعليل بالبرهان الهندسي . ويخطون لهذا خطين متقاطعين لتحصل لهم أربعة أمكنة على هذا المثال ، ويقولون اذا كانت الخمسة بخمسة عشر فالثلاثة بكم تكون ، ثم ينقلون الخمسة عشر الى المكان الفارغ (س مثلا) ويضربونها فيما فوقها وهو الثلاثة فتجتمع خمسة وأربعون ويقسمونها على الخمسة فتخرج تسعة وهو الذي يجب أن يوضع في المكان الفارغ حتى تكون الثلاثة بتسعة ، وهذا هو الذي نذكره لأن النظائر في الضرب يحصل في هذا التربيع على قطرية » .

ولتفسير ذلك نقول بلغتنا :

$$٥ س = ١٥ \times ٣ \quad \therefore س = \frac{١٥ \times ٣}{٥} = ٩$$

واذا كانت الحدود خمسة فان المخطوط يقول :

« وأما الهند فانهم يسمون المقادير التي تتالف منها النسبة بنج راشيله لأن مفروضاته خمسة توضع في خمسة مواضع ، ويطلب منها السادس ويسلكون في استخراج المجهول طريقا يعمه مع ما قبله ويعيره وهو الذي قدم في ترى راشيك .

وللمثال فيقال أن عشرة دراهم ربحت في الشهرين خمسة دراهم فالثمانية في ثلاثة أشهر كم تربح ؟ وهم يضعونها كما في هذه الصورة ومقدار النسبة المؤلفة أبدا أسفل وهما الدراهم الحاصلة من اشتباك راس المال بالمدة ولاستخراج المجهول ينقلون الخمسة الى البيت الفارغ ويضربونه في الثلاثة الحاصل ثم في الثمانية فيكون مائة وعشرين ويحفظونه ثم يضربون الاثنين في العشرة فيكون عشرين ويقسمون المحفوظ عليه فتخرج ستة ، وهو ربح الثمانية الدراهم في ثلاثة أشهر ، وانما صار ذلك كذلك لأن الخمسة هو الاول والمطلوب هو الثاني والعشرة هو الثالث والثمانية هو الرابع والاثنان هو الخامس والثلاثة هو السادس فعلى ما ذكرنا من تحليلها الى أربعة أعداد متناسبة مرتين يجب أن نضرب الاول في الرابع ويقسم ما بلغ على الثالث فيخرج من قسمة الثاني على الاول ، واذا ضربت القسمة في المقسوم عليه عاد المال وهو الثاني فاتفق الامر في تقديم القسمتين على الضربين لان للضرب على القسمة مزية في السهولة » .

ومن أمثلة المسائل الحربية يستطرد المخطوط :

« فانه اذا قيل بتحقيق ضلعه سبعة أذرع وسمكه خمسة عشر يرمي منه خمسة أمناء حجر عن الثلاثمائة عشرون رجلا فيذهب الحجر مائة ذراع ويزيد نعلم الى كم يذهب الاربعة أمناء عن المائتين والستين اذا رماه خمسة وعشرون رجلا من منجنيق ضلعه عشرة وسمكه عشرون وقدامته سبع عشر والقياس يوجب لو استعمل الهند هذا أن يسموه تيره راشيك أى الثلاثة عشر موضعا وأن يسموا ذا الخمسة عشر موضعا تيره راشيك » .

ونكتفي بهذا القدر من المخطوط ، علما بأن ما اقتبسه البيروني من حكماء الهند قد سرى مجراه في العالم الاسلامي .

تعقيبات

بقلم: عباس خضر

المضمون الجديد والشكل الجديد

الى الكاتب القدير الأستاذ عباس خضر

تحية اليك من قارىء مشغوف بمقالاتك القيمة ، يتتبعها بتقدير عميق ، ويعجب بما فيها من استقامة النظرة ، وبراعة الحجة ، ونزاهة القصد · وبعد ، فلى تعقيب على مقالتك الممتعة « **البحث عن أشكال يوقع في أشكال** » ، **التى بدأتها بقولك** : « **انا لا نصدق ما يقال من أن المضمون الجديد يحتاج الى شكل جديد ـ الا اذا رأينا حقيقة مضمونا جديدا يتطلب الشكل الذى صب فيه ، وأن هذا الشكل يلبى حاجة ملحة لا تتوافر فى الشكل القائم الحالى** » **وقلت في ختامها** : « والواقع ان هؤلاء المؤلفين وقعوا **فريسة لقضية غريبة هي أن المؤلف لا يعد مؤلفا عظيما الا اذا ابتكر شكلا فنيا جديدا وشق طريقا غير معروف أو مألوف ، فجعلوا يستهلكون طاقاتهم فى البحث عن اشكال جديدة لا لمضمون اجتماعي يرون ان الشكل التقليدى لا يلائمه ولا يفي به ، بل لمجرد اثارة الانتباه ولفت الانظار الى انهم عباقرة ·· وفاتهم أن المضمون الجديد الجيد الذى يملأ الشكل التقليدى أهم بكثير من استحداث شكل جديد** · »

لست أناقشك الآن فى المثال المعين الذى خصصته بنقدك فى مقالتك تلك ، بل أناقشك فى القضية نفسها · وأحب ان اوافقك مبدئيا على ان الشكل الجديد لابد أن يبرر وجوده بمضمون جديد يؤديه ، بل أزيد فأوافقك على أن الشكل الجديد ربما يستغله بعض الأدعياء لا لحمل مضمون جديد يحتاج اليه حاجة عضوية · وانت فى مقالتك ـ كما فهمتها ـ لا تطعن فى الشكل الجديد نفسه ، بل ترفضه حين لا يحمل مضمونا جديدا ·



الى هنا نحن متفقان مبدئيا · لكنى أعتقد انك تجاوزت هذا الى قدر من عدم الانصاف للباحثين عن شكل جديد ، أو من عدم التعاطف الكافى مع مشكلاتهم الراهنة فى الظروف القائمة ، خلاف ما أجده فى مقالاتك عادة · فلا شك ان منهم من تحدوه رغبة صادقة ملحة لأن عنده مضمونا جديدا صادق الجدة يحتاج الى شكل جديد ولا يستطيع الشكل القديم أن يؤديه · ومن هنا أخالفك فى جملتك الأخيرة ، لأنى أعتقد ان المضمون الجديد الجيد لايمكن أن يحمله الشكل التقليدى بحذافيره حملا كاملا ، بل لا بد أن هذا المضمون يدفع الأديب الصادق الأصالة دفعا الى أحداث تغيير ما ـ يصغر او يكبر ـ فى الشكل التقليدى ·

ولعل خير طريقة أشرح بها الى أى مدى أوافقك ، وفيم أخالفك ، ان نتذكر معا ما قاله ت · س · اليوت نفسه ، زعيم التجديد فى الشعر الغربى الحديث قاطبة ، لنرى أنه هو أيضا يحذر من المبالغة فى التماس أشكال جديدة لغير حاجة ماسة · فهو فى مقالته الهامة « موسيقى الشعر » ، بعد أن شرح رأيه فى حاجة الشعر الى ثورات متكررة تحطم الأشكال المقبولة وتعيد صياغتها ، يقول :

« **ليس معنى ما قلت آنفا أن من وظيفة كل شاعر أن يحدث انقلابا فى لغة الشعر ، فان الأمر يعتمد ، لا على تكوينه الشخصي فحسب ، بل على**

العصر الذي يعيش فيه . هناك عصور يحتاج فيها الشعر الى الثورة التي شرحناها حتى يلحق بركب لغة الكلام وما دخلها من تغييرات هي في حقيقتها تغيرات في الفكر وفي الاحساس . ولكن هناك عصورا أخرى تقتصر فيها وظيفة الشاعر على أن ينمي التقليد الموجود وينمي امكانياته الموسيقية في اتصاله بلغةالكلام . فمن غير المرغوب فيه ـ ولو فرضنا ان هذا ممكن ـ أن نعيش في حالة منالثورة الدائمة . وكما ان الاتباع العنيد لأسلوب اجدادنا ليس من الصحة في شيء ، كذلك التهوس في تشدان الجديد من الأساليب والأوزان ليس من الصحة في شيء . هناك أزمان لاستكشاف أرض جديدة ، وهناك أزمان لاستثمار الأرض التي فتحناها . »

وتقطة خلافي معك أيها الاستاذ الكريم ، هي في تعقيبي على جملة اليوت الأخيرة ، فانني أسأل : في أي زمن نحن ؟ أما أنا فلا أتردد في الاجابة : نحن في زمان مشكلتنا العظمى فيه هي العثور على اشكال جديدة تقوم بمضموناتنا الجديدة . فلا شك عندي ان خيرة أدبائنا لديهم فعلا مضمونات جديدة نشأت من ثقافتهم المعاصرة العميقة ، وحسهم الفني المشحوذ ، وقدرتهم على الغوص في أعماق النفس الانسانية واستكناه متناقضاتها أبعد مما استطاعه او حاوله أدباؤنا القدامى جميعا ، كما نشأت من اختلاف مجتمعهم وسيرهم وتجاربهم اختلافا جسيما عما كان متاحا للقدامى العرب الذين وضعوا الشكل الشعري القديم من ناحية ، واختلافا غير قليل عما أتيح لأدباء الغرب الذين وضعوا أشكال الفنون النثرية . فليست هذه الأشكال ، على عظم ما تقدمه لنا من المساعدة والتبصير ، بالتي تصلح تمام الصلاحية لحمل مضموننا العربي الجديد ، الذي نريد له ان يكتتب الى تراثالانسانية العام باكتتاب متميز يغني هذا التراث باضافة جديد اليه .

لهذا تجدني أكثر منك تعاطفا مع جهادهمالعنيف للبحث عن أشكال جديدة ، تختلف عن شكلنا التقليدي في ميدان الشعر ، ولا تلتزم بكل القواعد المستقرأة من الأشكال الغربية في الفنون الأدبية الأخرى ، حتى حين يبلغ هذا الجهاد ما سماه اليوت « التهوس » في نشدان الجديد . ليس معنى هذا انني أوافقهم على كل ما يجربون من الأشكال ، ولا انني أتنازل عن حقي النقدي ـ بل واجبي ـ في رفض اشكالهم حين لا تقنعني ، لكني لا أسرع الى اتهامهم بالشعوذة والتهريج والبهلوانية ومحاولة الخداع ومجرد اثارة الانتباه ولفت الانظار كما فعلت في مقالتك للأسف الشديد . لأنني أدرك انالغاية الرفيعة العسيرة التي يسعون اليها لن تتحقق الا بالتجربة والخطأ ، وبعد ارتكاب الكثير منالاندفاعات والحماقات . فهذه ـ كما شرحت فيمجال آخر ـ هي طريقتنا الوحيدة المتاحة لنا نحن البشر المحدودين لاستكشاف الحق والتخلص من الباطل .

دعني أخيرا ـ رغبة في تحديد جوهر الخلاف بيننا ـ أضع المسألة هذا الوضع القاطع : **انني أرى ـ في ظروفنا الراهنة ، وطورنا الذي نعيش فيه ـ أننا في زمن من تلك الأزمان التي وصفها اليوت بأنها أزمان الثورة على الأشكال القائمة ، والسعي في تلمس شكل جديد . لهذا أرى ـ خلافا لما قلت في مقالتك ـ ان الأديب عندنا ، في هذه المرحلة المحدودة ، لا يمكن أن يكون أديبا « عظيما » (وأرجوك يا أخي الكريم أن تنعم النظر في هذا النعت الذي استعملته أنت) الا اذا ابتكر فعلا شكلا فنيا جديدا وشق طريقا غير معروف او مألوف .** وفي هذا السبيل تجدني مستعدا لأن أسامح أدباءنا على كل ما يرتكبون في سعيهم نحو تحقيق هذه الضرورة الملحة من خطأ وشطط ، فهم يأملون ، وأنا آمل معهم جاز الأمل ، ان ينتهوا من تلك التجارب الى استكشاف سواء السبيل .

حقق الله الآمال . ولك أصدق التحيات .

محمد النويهي

يبدو لي أن الخلاف بين الدكتور النويهي وبيني يبدأ عندما يبلغ أمر البحث عن أشكال جديدة حد « **التهوس** » فهو يتعاطف ـ كما قال ـ مع المتهوسين في نشدان الجديد ، وأنا لا أتعاطف معهم .

ويبدو لي كذلك أننا متفقان على ما قبل «**التهوس**» وهو أن يكون لدى الباحث عن الشكل الجديد مضمون جديد يصفه الدكتور بأنه « **صادق الجدة**

يحتاج الى شكل جديد ولا يستطيع الشكل القديم أن يؤديه » .

ويبدو لى — للمرة الثالثة — أن الأستاذ الدكتور النويهى **يختلف مع نفســه .. فهو اولا يقرر انه** يتعاطف مع الباحث عن الشكل الجديد على اعتبار أن عنده مضمونا يحتاج الى ما يبحث عنه ، وثانيا يقرر انه يتعاطف مع هــذا الباحث حتى فى حالة « **التهوس** » .. وهذه الحالة انمــا تكون عندمـا لا يكون هناك مضمون جديد يحتاج الى شــكل جديد ، ولو كان ... ما سمى الأمر « تهوسا » .

الا اذا كان ما يريد الدكتور أن يقوله هــو انه يتعــاطف مع الباحث عن الجديد .. عــاقلا أو متهوسا !

هذا واعتقد انه واضح من مقالى الســابق ومن الفقرات التى تضمنها منه مقال الدكتــور النويهى **انى لا اقف فى طريق الباحثين عن شــكل جديد ،** وعلى هذا لا أدرى لماذا أحس الدكتور بانى تجاوزت الى قدر من عدم الانصاف لهم اومن عدم التعــاطف الكافى معهم ... **انى قصــدت الى قطاع معين محدد وهــو المسرحيات التى لخلت فيهــا « الهمبكة » وليسمح لى الصديق الكريم أن اضيف هذا اللفظ الدال — فى لغتنا العامية — على نوع من الحركات والاقوال التى ليس وراءها فعل مثمر .. ليسمح لى أن اضيف هذا اللفظ الى كلمات « الشعوذة والتهريج والبهلوانية ومحاولة الخداع ومجرد اثارة الانتبــاه ولفت الانظار»** . التى وصفت بها تلك الاعمال ، بل تلك الحركات ، ويؤسفنى أن يشعر الدكتور بالاسف الشديد لوصف الاشياء بصفاتهــا وتسميتهــا باسمائها ..

وانى أرحب بكل تجربة ، بل بــكل خطــا فى المجال الجدى الموضوعى البعيد عن الدعاية الشخصية اى عن «الهمبكة» .. واعتقد أن الحكم بان زماننا هو زمن البحث عن اشكال جديدة لا بد أن يكونمبنيا على الاســاس الذى أتمسك به وهو ان يكون لدى الباحث عن الشكل الجديد مضمون يحتاج اليه . وهذا المضمون هو الذى يدلنا على صلاحية الزمن، وما الزمن الا وعاء .

تبقى المسألة الأخيرة التى خالفني فيها الدكتــور النويهى ، اذ رأى « أن الأديب عندنا ، فى هــذه المرحلة المحدودة ، لا يمكن أن يكون أديبا عظيما الا اذا ابتكر فعلا شكلا فنيا جديدا وشق طريقا غير معروف أو مألوف » .

مــا قول الدكتور النويهى فى نجيب محفوظ كروائى عظيم ، وفى محمود حسن اسماعيل كشاعر عظيم ، ولم يبتدع احد منهما شــكلا جديدا ؟ بل ما قوله فى صــلاح عبد الصــبور وعبد الرحمن الشرقاوى اللذين يقولان الشعر الجديد على شكل سبقا اليه ، ولم يبتدعه احد منهما ؟

اذا كان على اى أديب — لكى يكون عظيما فىهذه المرحلة المحدودة — أن يبتكر شكلا جديدا فان هذا **يجر الى ان يبحث كل فرد عن شكل غير الشــكل الذى يقول عليه الآخر ..**

مثلا .. على الشاعر الجديد الذى يرى انالشعر الجديد الآن يقال على التفعيلة الواحدة .. عليه أن يبحث عن شكل لم يسبق اليه ، شــكل تكون الوحدة فيه « نصف تفعيلة ! » .

وعلى من بعده أنيقول الشعر على « **ربع تفعيلة!**» وهكذا ...

ثم يأتى بعد ذلك من يعلن **أن احسن ابتكار هو العودة الى البحر** .. كما يحدث فى عالم الأزياء ..

ولا أحب أن يصرفنى الاسترسال فى المناقشة عن الاعراب عن تقديرى للدكتور النويهى وصدقه واخلاصه فيما يرى ، بل رغبته الشديدة الملحة فى الابتكار والتجديد .

عباس خضر

بقلم عبده بدوى

حول الأدب في أسبوع



مع الدكتور محمد مندور :

كنت احب ان لاأعتب على أستاذنا الدكتور محمد مندور ، وربما لاننا انزلناه من نفوسنا منزلة تجعله أكبر من العتاب الرقيق ، وربما لانه كان ولا يزال أحد البحار العميقة التي لاتكف عن العطاء .. ولكنى مضطر الى ان ارفع صوتى بكلمة العتاب هذه ، بالرغم من احساسى العميق بان الرجل قد أثرى حياتنا الادبية ، وانه لم «يقاتل» الجيل الذى أنتمى اليه ، وانه قد وضع الآن «السلاح» تماما واكتفى بكلمات التشجيع يرسلها هنا وهناك بسماحة لايشاركه فيها أحد من جيله .

فقد ذهب الدكتور مندور فى مقاله المنشور بهذا العدد الى القول بانى اظن ان الشعر الجديد عندنا خال من الوزن بالرغم من مئات المقالات ، وعشرات الكتب التى وضعت فيه ، وكنت أحب للدكتور مندور الا ينسى انى من الشعراء الذين كتبوا بالطريقتين ، وان عددا وفيرا من قصائد ديوانى «شعبى المنتصر» من الشعر الحر ، ومن هذه القصائد الضوء المنفعل .. وعودة الارض ، والمعجزة ، ويوم الجلاء ، والشتاء المقوس وصور من القرية ، وامس واليوم . وموال أدهم الشرقاوى .. الخ ..

فهل يبقى مكان لكلمة «أيظن» التى جاءت فى مقال الدكتور ؟ وهل نجيز له النسيان أم تذكره بانه كتب عن شعر هذا الديوان فى مجلتى « المجلة » و «البوليس» ثم تعرض بعد ذلك لقضية التجارب الخاصة التى هى صدى الانطواء على النفس ، والتى كان قد أثارها الاستاذ فتحى رضوان فى المقدمة الى القول بانى لم اغفل هذه التجارب «لان الشعر انفعال بتجارب تمر بالشاعر وتعبير عن هذا الانفعال .. ولقد كان كل هذا فى المقدمة الرائعة التى كتبها لديوانى «باقة نور» .

وليس لهذا من معنى الا أن شعرى كله كان فى «دائرة الضوء» أكثر من مرة بالنسبة للدكتور مندور ثم اخيرا اين عشرات الكتب التى وضعت فى هذا الموضوع ؟

هذه واحدة ، اما الثانية التى «افزعت» الدكتور مندور ، فهى أنى لم اتبين أن الرواية التى أوردتها للموال الشعبى لايستقيم البيت الاول فيها مع احكام الخليل بن احمد ، ووفقا لحساسية الاذن الموسيقية السليمة .

وقد كنت احب للدكتور أن يرجع لما كتبت ، ذلك لانى ذكرت انه من «المواليا» الذى يعتبر من مشتقات البحر البسيط .

أما القول بان الحبيب «دخل الدره» بحثا عن حبيبته ، فشىء لايوضحه البيت الاول من رواية قرية «أبو مندور» ، بينما يظهر هذا الشىء الذى يستدعيه البيت الثانى والثالث فى رواية قريتى بمحافظة البحيرة .

. واما القول بان الادبالشعبى لايعرف التجريد ، فربما كان يحتاج ثانية الى نوع من الاستقصاء والمراجعة .

ومهما يكن من شىء فقد كان كل ما طلبناه من شيخ النقاد هو «الفتوى» ، ولكنه جهر لنا بالقول الشعبى :.

يوسف الخال .. والشعر الديني

اذا كان الشعر العربي قد نحى عنه الوصاية الدينية منذ فترة بعيدة ، ولم يعد يقبل على هذه التجربة بتصميم وهندسة مسبقة ، فان الشعر في لبنان اليوم تشيع في اكثره «التراتيل الدينية» الى حد القول بان الشاعر اصبح يصدر عن «الانجيل» اكثر مما يصدر عن نفسه أو عن الحياة .

وهو حين يضع نفسه في هذه الدائرة الضيقة - التي لانجادل في خصبها - يسارع بعملية اقتلاع نفسه من التراث الذي لايكاد يكون له غير وجه واحد هو الوجه العربي .

ومن أجل هذه الغاية يشكك في قيمة العربي ، وفي قيمة الحياة التي يعيشها ، سواء أكانت هذه الحياة هي الماضي أو الحاضر ، ولئلا نكون متجنين على هؤلاء الفرسان الدينيين ، سنقتبس بعض مصطلحاتهم .

فهم يقولون : انه مامن محور جوهري واضح تدور حوله حياتنا العربية في هذه اللحظة من الانحطاط .

وان العربي يقف اليوم في الحوض الشرقي من البحر المتوسط عاريا كالعظم ، يمشي ويتكلم نائما ، وانه ليس أكثر من طفل أو هيكل عظمي .

وان العربي الذي كان يمتاز في تاريخه الاول بفرديته يبدو الآن وكأنه يفتقدها من أجل الاندراج في جماعة لا اسم لها ولا وجه .

واذا كانت اللحظة الحاضرة هي لحظة الرماد والشيخوخة فان تراثه الضخم يتحرف ويتشوه ، وينغلق ، وتموت فيه الصبوة . وينهي سيرته في كونه «خالق أديان» .

فالتراث المرفوض هنا والذي تكال له الضربات هو التراث العربي الاسلامي ، ولن يقلل من هذه الحدة القول بأن التراث العربي ليوسف الخال » هو التراث الانساني كله» أو انه «التراث الذي تكون على الارض العربية منذ القدم وتفاعل عبر المتوسط مع التراثات التي تشكل بجملتها الحضارة المدينة .

لان في هذا عملية تبرير فقط ليوسف الخال .. وللانتهاء الى انه على حد تعبير أدونيس «يصدر في شعره عن المسيحية العربية أو الوثنية العربية أكثر مما يصدر عن الاسلامية العربية » وانه الوارث الحقيقي للتراث المسيحي ، وان شعره ليس الا نتيجة الانسجام والوحدة والتلاؤم بين التراث والحاضر الثقافي للشاعر .

ثم تكون نتيجة هذا اللقاء أن « يوسف الخال » يصبح ثوريا ولكن بتور المسيح ، وان شعره شعر ايمان مسيحي يؤكد بوعي وشعور أن الله تجسد انسانا ، ثم مات ثم بعث ، وفي ضوء هذا يصبح المسيح هو الحرية والحضور الأبدي الخلاق ، والباقي الشع الذي لايتم الخلاص الا به .

والشاعر لكي يتحقق له «شعر الايمان المسيحي» ، هذا نراه يتحرك من خلال عد رموز لايتجاوزها ، كأن شعر الايمان المسيحي لايتحقق الا اذا نصبها الشاعر امامه ، وهذه الرموز هي :

بابل ، قبرص ، قرطاجنة ، لبنان . سدوم . اورشليم ، بعلبك. عبدنائيل . عشتروت . أوديب. بعل . ونراه في الوقت نفسه يتعمد الالحاح على الاساليب التي لاتجرى على النهج العربي القويم مثل: الواحة الهناك ، الخاطىء الأصيب بالعمى ، في الملجا الوراء ، يالعريب ، الوراء قرطاجنة .

ان الشعر الديني المسيحي كما نتصوره لايقف عند حدود انكار التراث الاسلامي فقط ، ولا يقف عند كراهية تركيب الجملة العربية ، ولا أقول القصيدة العمودية لان الشعر الحر له وظيفة تطورية لاشك فيها ، ثم أخيرا لايتعمد الرمز «بالغراب» عما لايعتنقه الشاعر من تراث أو حضارة اننا نقر الشاعر حين يربط بين الشاعر والمسيح .

يصلب النفس ليفدى أنفسا
مرغت في شهوة الحس الجباه

وحين يجد الصلاة هي البيت الوحيد الذي يسارع اليه أمام مشكلات الحياة .

آه لا أدرى ولكني أصلي

وحين يعطى حلولا دينية .

أعطشان ؟ خذ الصخرة واضربها
واما عضك الجوع فهاك المن
والسلوى . واما صرت عريانا
فخذ من ورق التين رداء
اذا ما استفحل الشر : صليب الله
مرفوع على رابية الدهر

ولكن حين يعطى كل شيء وجها مسيحيا ، تصبح قراءته نوعا من التعذيب الهادىء الذي يستحيل بعده الانسان الى الصمت والى العدم !

وعلى كل فالتجربة التى « يعانيها » يوسف الخال غير متمثلة شعريا فى وجدانه ، لانه يعتصرها عصرا، ويحتشد لها احتشادا مقصـــودا ، ومن هنا تتحول « التجربة الشعرية » عنــده الى « تجربة مسيحية مهندسة ضيقة » .

واى قارىء ـ الا ان يكون مريضا بالدين ـ لابد ان يحس بالضيق حين يجد نفسه محاصرا فى كل فكرة وكل نبضة بوجه دينه وهو يصلب من حوله الحياة ، ويجره جرا الى مذبح ، او محراب !

ومانريد أن نقوله بعد هذه الرحلة مع الشاعر «يوسف الخال» ، هو أن الالحاح على دين من الاديان بهذه الصورة فى هـــذا العصر يحمل على الريبة والشك! وان هموم العربى المعاصر لم تعد ميتافيزيقية الى حد القول بأن افراز هذا اللون من الشعر يعتبر امرا ضروريا .

وان التراث يجب الا ينقسم الى اســلامى وغير اسـلامى فهناك فقط تراث عربى يخصب التجارب المعاصرة .

وأن الشاعر يجب عليه ألا يعمل للفرقة وللمناورات وللانغلاق الدينى ، لأن الصوت الصـادق فى هذه الفترة هو الغنـاء للانسان ومباركته وهو يشـكل نفسه فى المنطقة العربية .

العدد الأخير من مجلة حوار

فى هذا العدد مقـال بعنوان المسلمون الســود لورو بيرغر تعرض للقضـية بمنهجية واضـحة ، ولكنه مال عن هذه المنهجية بعض الشىء حين تعرض لما يجتذب الزنوج الى الاسلام .

ومقال عن الشخصية السودانية والحكم الاجنبى الح فيه كاتبه على ان « التخلف الفكرى كان عاملا هاما فى تأجيج نار العاطفة الدينية الاسلامية فى السودان » وذكر أن الناس هناك تهامســوا بأن « كتشنر » بحمرة وجهه ، وزرقة عينيه هو المسيح الدجال ، ولا شك أن الكاتب يظلم الحقيقة بهذا الحماس الذى صبغ به المقال .

واذا كان الذى يعنينـــا هـــو ما كتبه الأدباء المصريون فى هذا العدد ، فان النظرة الاولى لما كتب تدل على أن أكثره لا يدل على خطهم الرئيسى الذى تميزوا به .

فالدكتور لويس عوض .. يعبر عن تجربة دينية وقفت به فى عام ١٩٥٦ على أعتاب الكثلـــكة ، ثم انتهى منها الى ماسماه « بالدين القومى » والقصيدة تعطى ترنيمة دينية تعبر عن «جوهر الدين» كمحور للوجـود بصرف النظـر عن الملامح المســيحية أو الاسلامية التى تلف القصيدة ، والمفارقة هنا انها من الشعر العمودى الذى يدعو الى « كسر رقبته » ، وأنها تعتبر « حدثا شـعريا مركبا » لا يقدر على تفسيره الا الدكتور لويس عوض نفسه .

ومجـاهد عبد المنعم مجـاهد .. يدخل على قصيدته « هذا السلم يا حبيبى » مقطعا كنسيا ، يمكن قراءة القصـيدة بدونه ، ولعله أتى بهـذا المقطع بالاضـافة الى بعض التراكيب اللبنـــانية « للمجاملة » ، وهذا المقطع يقول :

على كنيستى فتــاة

تبكى ببابها وليس فى عيونها اله .. الخ

وتوفيق حنا .. كعادته يكتب وكأنه يبـارك الحيـاة ، ويعطيها من النور الذى يتدفق فى قلبه وقلمه ، وهو يذهب الى أن من أهم العنـاصر التى قدمها معرض جورج البهجورى .. العيون المستديرة المليئة بالبراءة والدهشـة والطيبة ، والتى تقدم الفن القبطى الذى نلمســه فى لوحات الفيــوم ، وينتهى الى أن الفنـان يمت بصلة وثيقة الى الفن الفرعونى والفن القبطى والفن المعاصر .

ونادية مويس .. تعترض على مقال العقاد الذى نشر فى اول عـدد من مجلة الشـعر ، وترى أن مجلتى الرسـالة والمجلة لا تربطهما وحدة فكرية واضحة بعكس « الكاتب » مثلا .

وهناك رد على مقال الاستاذ خدورى الذى راى ان عزيز المصرى اسطورة ، ولا مكان له قبل الثورة وبعده .

ومقال يرى ان (طريق) نجيب محفوظ يؤكد عبثية البحث عن القيم الميتافيزيقيـة ، وخوائيـة الدورب المفضية اليها .

.. لن اقول ان اكثر ما جاء فيها « غريب » على المنـاخ الثقافى عندنا لانى أترك الحـكم للقارىء !

« عبده بدوى »



الكتب
نقد وتعريف



بقلم
تحسين عبد الحي

تابعت فى الأعداد الأخيرة من مجلة الرسالة تقديم الكتب الخاصة بالقضية الفلسطينية ـ وخاصة تلك الكتب التى تعالج القضية من النواحى التاريخية والاقتصادية والسياسية .. وكذلك بعض الكتب التى تتصل بفلسطين سواء أكانت قصصا أم دواوين شعرية ..

ويهمنى أن أوضح هنا أن معظم الكتب التى كنت أقدمها وأقوم بالتعليق عليها ـ بموضوعاتها المختلفة واتجاهاتها المتباينة ـ كانت تقدم بناء على رغبات القراء .. من خلال رسائلهم العديدة الى .. تلك الرسائل التى تميزت بالموضوعية والوعى الكامل بخطورة وأهمية القضية الفلسطينية بالنسبة لوجودنا القومى .. فمن خلال الأسئلة والاستفسارات الواردة كان الكتاب الاسبوعى والتعليق عليه . وفى هذا الاسبوع وصلتنى رسالة من السيد الدكتور عبد الله مبارك بالمنصورة يقول فيها : ـ

الأستاذ الفاضل الباحث

تحسين عبد الحى

تحية طيبة وبعد : يسعدنى أن أكون ممن يعرفون لمجلة الرسالة قدرها ويقبلون على قراءتها بشغف ونهم ومما لفت نظرى فيها أن باب « الكتب نقد وتعريف » قد وكل اليكم أمره وهى مهمة ليست بالهينة وانما هى مهمة المتعمق الدارس والواعى البصير والحمد لله أجد « فى باب الكتب ـ نقد وتعريف » فائدة وتحصيل علم وتنمية الادراك والتسامى بالوعى الى أوسع الآفاق ـ وقد لاحظت أن موضوع اسرائيل ـ وهو موضوع الساعة يحظى من سيادتكم بالتقدير من حيث تقديمكم لأغلبية الكتب التى ألفت فى اسرائيل نفسها تنبيها للأذهان فتقف الأذهان على خطرها وتعبئة للهمم فيعمل أصحابها على القضاء عليها ـ لكم أطمع يا سيدى أن تحدثنا تاريخيا عن « فلسطين » من حيث من كان يسكنها قبل الكنعانيين وهل لك يا سيدى أن تحدثنا بافاضة عن حالة فلسطين قبل أن يهاجر اليها الكنعانيون من شبه الجزيرة العربية وهل لك يا سيدى أن تحدثنا للمعرفة التاريخية عن « هيكل سليمان » من حيث فنه المعمارى ونشأته ومحتوياته : وهل كان من طابق واحد أو كان أكثر من طابق ... الخ ما يتصل بذلك الهيكل من الوجهة التاريخية .

لكم يسعدنى أن أقرأ جوابا عما سألته على صفحات الرسالة الغراء .

ولا أخفى عليكم أننى بصدد الشروع فى القيام بمؤلف عن « اسرائيل » غير أنه لم يقع تحت نظرى كتاب عالج تاريخيا ماسألتكم عنه اللهم الا «التوراة» فقد وصفت هيكل سليمان فى سطور قليلة .

ولكم جزيل الشكر ؟

دكتور عبد الله مبارك

المنصورة

والواقع أن الذى دفعنى الى نشر الرسالة ٠٠ هو انني لم اجد ردا لها في كتاب واحد ٠ ومن ثم فسوف يكون الرد ـ وهو تلخيص بطبيعة الحال ـ حيث تسمح بذلك الصفحات المخصصة لباب الكتب ٠

تعتبر فلسطين الشطر الجنوبي الغربي من أطراف شبه جزيرة سيناء وخليج العقبة ـ الى رأس الناقورة شمالا ومن ساحل البحر الأبيض المتوسط غربا الى مجرى نهر الاردن شرقا حسب الرسم السياسي للانتداب البريطاني ومساحة فلسطين ٢٧٠٠٠ كم٠م٠ ويثبت التاريخ أنها كانت دائما الجسر الدائم للغزاة يعبرونه من الشرق الى الغرب وبالعكس ٠

وفلسطين اسم محرف عن اسم شعب أو قبائل عربية كانت تقطن هذا المكان قبل ٤٠٠٠ سنة واقدمها ما كان يسكن يافا وغزة والمجدل وعسقلان وان كان من الصعب فصل سوريا عن فلسطين لأنها جزء واحد مع الاردن فكلها أرض الشام القديمة ٠٠ وأرض الشام بما فيها فلسطين كان يسكنها الكلدانيون والآراميون والأموريون ـ واليبوسيون وغيرهم ومن خلال كتب اليهود المقدسة نستطيع أن نعرف المزيد عن الشعوب التى كانت تقطن فلسطين ٠٠

ان مفسرى أسفار العهد القديم ذكروا مواقع الرفائيين والزوزيين والايميين والحوريين ومدنهم المذكورة فى الاصحاح الرابع عشر فى شرق الأردن ـ والخبر يدل بطبيعة الحال أن هذه المدن كانت قائمة قبل مجىء ابراهيم ـ وأن هذه المنطقة كانت مأهولة بشعوب شتى ربما كان لكل منها مملكة وكانت كل مدينة كرسيا لمملكة اسوة بما تدل عليه العبارة بالنسبة لسدوم وعمورة وصبوئيم وادمة وبالع ٠

وذكر الحوريون فى الاصحاح السادس والثلاثين من سفر التكوين فى سياق ذرية عيسو بن اسحق وسكناها جبل سعير وقبائلها وزعمائها فى أرض آدوم التى يقع فيها جبل سعير ـ وسعير أو آدوم هى المنطقة الجنوبية من شرق الأردن وجاء ذكرهم بهذه العبارة « هؤلاء بنو سعير الحورى سكان الأرض لوطان وشوبال وصبعون وعانة وديشون وايصر وديشان وهؤلاء زعماء الحوريين بنى سعير فى أرض آدوم ، وبنو لوطان ٠٠ وبنو شوبال وهؤلاء بنو ديشان ٠٠ حمدان واشبان ويتران وكران ٠٠ وهؤلاء بنو ايصر : بلهان وزعوان وعقان ٠٠ الخ ٠

ومن المحتمل أن تكون الاسماء الأولى لأصحاب رئاسات للفروع التى كانت تسمى بأسماء آبائها الأولين والثانية لأصحاب رئاسات على مدن خاصة سميت بأسماء الفروع ٠

والعبارة تفيد بأن هذه القبائل والزعامات كانت موجودة حينما طرأ بنو اسرائيل على منطقة جبل سعير ـ واللمحة العربية القديمة بادية على الأسماء بقوة حيث يسوغ القول بأنهم من أرومة عربية الجنس حلت فى جبل سعير قبل القرن العشرين قبل الميلاد وامتد وجودها ونشاطها الى زمن خروج بنى اسرائيل من مصر فى القرن الثالث عشر وبعده ـ ولا سيما أن هذه المنطقة متصلة بجزيرة العرب مباشرة ـ ومن المعقول أن تكون من أول مجالات تموج الجماعات التى كانت تخرج من جزيرة العرب آنا بعد آخر ٠

ولم يذكر العمالقة فى سفر التكوين ، ولكنهم ذكروا فى الأسفار الأخرى بمناسبة ما كان بينهم وبين بنى اسرائيل بعد خروجهم من مصر من أحداث وبأسلوب يفيد أن هذا الاسم كان أحيانا يطلق عليهم كوصف للدلالة على ما كان أصحابه عليه من بسطة القامة والجسم كما كان يطلق عليهم وصف آخر لنفس الدلالة ـ وهو الجبابرة ـ وأن منازلهم فى جنوب شرق الأردن مما يلى صحراء سيناء أو النقب ٠٠

وأسماؤهم وأسماء مدنهم تحمل اللمحة العربية بحيث يسوغ القول أيضا انهم من أرومة عربية الجنس حلت فى بعض أنحاء شرق الأردن وصحراء النقب قبل القرن العشرين قبل الميلاد واستمرت بعد ذلك ٠٠ وجاء فى بعض المراجع :

أن اليبوسيين بنوا القدس (أورشليم) سنة ٣٠٠٠ ق٠م وكانت تدعى ، يبوس ـ واليبوسيون أصلا من العرب من صميم الجزيرة أبناء بطون رحلوا مع الكنعانيين نحو الشرق ـ ويقال أن أول من بناها « ملكيصادق » وكان محبا للسلام هادىء الطبع فأطلق عليه « ملك السلام » ومن هنا جاءت تسمية « يبوس » باسم شالم أى سالم ٠

وجاء « سالم اليبوس » ملكا بعده فزاد فى تشييدها وخضع اليبوسيون العرب الى حكم الفراعنة منذ ١٥٥٠ ق٠م ولم يحاول المصريون تمصير مدينة السلام واكتفوا بأخذ الجزية ٠

وخرج بنو اسرائيل من مصر فى عهد رمسيس الثانى ١٢٥٠ ق٠م فاجتاز موسى بهم صحراء سيناء

وتاهوا فيها أربعين عاما وحاولوا الدخول الى أرض الميعاد ، كما سموها ، حتى اذا ما وصلوا الى جبال موآب - شرق الاردن توفي موسى وتولى قيادتهم يشوع بن نون فعبر بهم الاردن ١١٨٩ ق٠م واحتل أريحا وبعض بلاد بجوارها ، ومات يشوع ولم يفلح بنو اسرائيل في التغلب على اليبوسيين • واقتبس العبريون من قوم داود الحضارة من اليبوسيين العرب وسكنوا البيوت وغادروا سكنى الخيام ، واتخذ داود يبوس عاصمة لملكه وجاء سليمان ملكا بعد أبيه فبنى الهيكل سنة ١٠٠٧ ق٠م •

واخبار هيكل سليمان ممتزجة بلا شك بالخيال والذكريات والأساطير التى انتشرت فيما بعد فقد جاء فى وصفه ٠٠ ما يلى : -

كان طوله ستين ذراعا ، وعرضه عشرين ذراعا ، وارتفاعه مائة ذراع ، وقد ذهب داخله كله بالذهب الخالص ، وبنى داخله هيكلا من خشب الشربين طول كل من طوله وعرضه وسمكه عشرون ذراعا وقد ذهب داخله وخارجه بالذهب الخالص ، ووضع فوقه صورة الشاروبيم ، طول كل واحد منها عشرة أذرع وعرضه خمسة أذرع من ذهب واحد عن يمين الهيكل والآخر عن يساره ، ولكل واحد منهما ستة أجنحة قد مدوها عليه ليغطوه بها ، وحمل التابوت من مدينة صهيون ليصير مكانه داخل هذا البيت ، وجعلوا أمام هذا الهيكل عمودين كبيرين من نحاس طول كل واحد منهما ثلاثون ذراعا وعرضه خمسة أذرع ، وصنعوا له سترا من القرمز مرصعا بأنواع الجواهر الثمينة الغالية ، وعلق على العمودين في حذاء الهيكل ، وصنعت مائدة من النحاس يوضع عليها خبز القربان ، مقاس كل من الطول والعرض عشرون ذراعا ، وسمكها عشرة أذرع مذهبة كلها بالذهب الخالص ومحلاة بالجواهر ، وحمل سليمان الى هيكله كل الأواني من الذهب والفضة والجواهر • •

وبنى سليمان لنفسه قصرا ، وشاه بالذهب والفضة بجوار الهيكل وبنى فيه مجلسا للقضاة ، به كرسى ضخم من العاج المنقوش بالذهب والمرصع بالجواهر الثمينة •

وقد احتوى الاصحاحان السادس والسابع وصفا للهيكل والقصر ممزوجا بكثير من الخيال والمبالغة وخاصة فى مقادير الذهب التى وضعت فى الهيكل - حتى لكأنه سبيكة من الذهب •

وقد أطنب الاصحاح السابع فى الأعمال والزخارف النحاسية التى قام بصنعها فنان من صور اسمه حيرام - استحضره سليمان خصيصا لذلك ووصفه الاصحاح بانه كان ممتلئا حكمة وفهما ومعرفة فى كل صنعة من النحاس • وجاء كذلك فى الاصحاحات التسعة الأولى من سفر أخبار الأيام الثانى ان حيرام الفنان الصورى لم يكن خبيرا فى أعمال النحاس فقط بل كان كذلك فى أعمال الذهب والفضة والحديد والحجر والخشب والأرجوان والبز والقرمز . وأن سليمان أحصى الاجانب الذين هم فى أرض اسرائيل فكانوا مائة وخمسين ألفا وثلاثة آلاف وستمائة فجعل منهم سبعين ألف حمال وثمانين ألف قطاع فى الجبل وجعل الباقى مناظرين على الاعمال - أى ان الذين سخرهم سليمان لبناء الهيكل بعض النظر عن المبالغة فى عددهم لم يكونوا اسرائيليين كما توهم عبارة الاصحاح الخامس من سفر الملوك الاول - بل كانوا من سكان البلاد القدماء • ومما يتبادر الى الذهن أن كثيرا من هؤلاء ولا سيما المشرفون خبراء فى مختلف اشغال البناء وبالتالى فان الفضل الأكبر فى الأعمال البنائية والفنية كان لغير الاسرائيليين وأن هؤلاء لم يكونوا بارعين فيها • أى ان هذا البناء كان بمجهود الذين سخرهم سليمان فى عملية البناء وهم من الأموريين والحيثيين والفرزيين والحويين اليبوسيين •

لقد خلا تاريخ اليهود من أى مجد عمرانى وسياسى وعسكرى لامع ولم يكادوا يتركوا فى فلسطين بعد تشردهم النهائى عنها اثرا ما - ثم تشتتوا فى أنحاء الارض واندمج كثير منهم فى النصرانية والاسلام والعروبة • واختلطت دماؤهم ودماء من بقى على اليهودية منهم بدماء الاقوام التى عاشوا بينها الى الآن بحيث يصح أن يقال أن الدم الاسرائيلى القديم قد باد • ولم يبق له أثر وأن اليهود اليوم ليسوا الا جماعة دينية تضم شتى الأجناس واللغات والدماء - وأن دعوى صلة اليهود اليوم ببنى اسرائيل وتاريخهم على ما فى هذا التاريخ من سوءات زائفة كل الزيف ٠٠

تحسين عبد الحى



العقاد فى ندوته للمواطن السودانى :
سمير محمد خواسك

فى العدد ١٠٦٣ من الرسـالة الغراء كتب الأستاذ المهدى الطيب مقالا ذكر فيه أن العقاد كان لايحب مقاطعة آرائه مهما بلغت ، وانه بكلامه اللاذع وبتعبير وجهه الذى جعده مرور الخمسة والسبعين عاما يثبت للمنتدين ذلك .

وارى أن الكاتب قد تأثر ــ قبل ذهابه الى ندوة المفكر الكبير ــ بالاشاعات التى كانت تلفق عليه . وانالا أستطيع ان ادلى برأيى فى ندوة لم أحضرها ، ولكن كلام الأستاذ الطيب يوضح مدى تأثره باللافتة المكتوب عليها (ممنوع النقاش) والتى لم يجدها ، فحكم على لهجة العقاد بأنها لم تكن تخلو من الغضب ، وكثيرا ما يكون الحكم على اللهجات انعكاسـا لما فى النفوس .

ورأيى أن حكم العقاد على عمرو بن العاص لم يكن الا انصافا للحق والتاريخ ، ولسنا فى حاجة الى ذكر المؤامرات والخدع التى حاكها عمرو فكانت عاملا هاما من عوامل تحطيم وحدة الدولة الاسلامية . ويفهم من كلام الأستاذ الطيب أن العقاد لم يشأ أن يقطع الموضوع الهام ليفسر حديثا لايحتاج الى تفسير ، فلا يجب أن يكون التعميم أساسا لفهم الحديث الشريف ، لانه لايمكن أن نقتدى بجميع صحابة الرسول عليه السلام فى كل شىء مهمـا اختلفوا ، بل يجب أن تميز بين حق وباطل خاصة اذا كان الخلاف قد وصـل الى درجة حرب بين المسـلمين ، والا فكيف نقتدى بعمرو وعلى فى وقت واحد وكلاهما من صحابة رســول الله !؟ يقول الدكتور محمود السمرة ان الفقهاء « يرون أن التقليد الأعمى باطل فى الشريعة ، وفى هذا اعزاز للعقل ورفع لشأنه .

وقد بلغ بهم الاعتزاز بالعقل حدا ذهبوا فيه الى أن قول الصحابى ليس بحجة ولا يجب تقليده . واعتبر الغزالى قول الصحابى من الاصول الموهومة » .

ولا يفوتنى ــ كقارىء لا يعمل فى الحقل الأدبى ــ أن أوضح رأيى فى أن رجل الفكر والأدب تقع عليه مسئولية قيادة الرأى العام ، وانه لا يتحتم عليه أن يكون محللا فقط ، ثم يقف من الاحداث والقضـايا البشرية موقفا سـلبيا ، بل عليه أن يبـدى رأيه بصراحة بعد التحليل والتوضيح ثم يدافع عنه بايمان وعلم عميق ، وقد كان هذا رأى العقاد وهكذا كان يفعل .

وفى كتاب (الشيوعية والانسانية فى شريعـة الاسـلام) هاجم المفكر العملاق الشـيوعية عن علم وايمان ، وفرق بين المكابر الجاهل والمدافع العالم ؛ ولا ينكر أصدقاء العقاد أو خصومه انه كان من النوع الأخير . والعقاد لم يهاجم الشـيوعية فقط كنظام حكم ومذهب بل هاجم جميع أنظمة الحكم الدكتاتورية والمذاهب الالحادية . وآمن العقاد بأن الأدب سلاح ذو حدين قد يخدم الدكتاتوريات وقد يحطمها . ولا أظن أن الأستاذ الطيب يطالب بوجوب الوصاية على الادب والفكر حتى اذا كانت من قبل دكتاتوريات ظالمة ملحدة .

وبديهى أن الأدب ليس فى غنى عن نوع من الرقابة حتى تمنعه من الانحـلال أو الانحـراف ، ولكن لا يجب أن تصل تلك الرقابة الى درجة تقييده وجعله أداة لهدم العقائد والاديان واحـلال المسرح عنها بديلا .

ولقد آمن العقـاد ــ رحمه الله ــ بحرية الأدب ولم يقصد أن تصل تلك الحرية الى درجة الفوضوية أو الهجاء الحطيأوى .

« السد .. رمز ارادة »
للشاعر : يس الفيل

.. والى ذرى الايام يصــعد جيــل
اغــرق جـذور الشــك ، وامح معالما
واقــرأ على من غـــرروا بك آية
انا فتحنـــا ، للمناضـــل فتحنا ....
الله ان ينصـــر .. فليس لنصـــره
اقرأ على الازمان .. ان بارضـــــنا
لم يثنــه ليل .. ولم تعصــــف به
شــعب تحـــول ، ليس يدرك عزمه
فامنح وســـامك للذين تربعـــوا
امنحهمـــو مهـــج القلـوب تحيــة
ليروا ســـواعدك الفيتــة حملـت
وانثر كنـــوز المجـد بين يديهمــــو
يا نيل هــذا الســـد .. ليس كما ترى
يانيـــل .. لا .. فالســـد رمز ارادة
حكمـــوا : بانك للزروع مســـخر
والشــعب مثلك ضـــائع ومسـخر
ارايتنا والصـــخر يفتح صـــدره
حتاه .. حتى الصــخر شارك زحفنا
فانشـــد اناشــيد الرخــاء لامة

فانشـــــر لواءك .. وانطلق يانيـــل
درســـت .. وهــدم ما بنى التضليل
فى مطلع الفتـــح المبين تقـــول :
اقـــرأ ورتل ما حكـى .. جبريل ..
رد .. وان نهـــض الوجـود يحـول
شعبا .. بارض المعجـــزات يصـــول
ريح .. ولم يعبـــث به تنكيـــل
الا رجـــــال .. والرجـــال قليل
قمـــم القـــوى ولهم عليك جميل
فلقـــد اتـــوك وســـعيهم مقبول
بثمـــار مجـــد وصـــفها سيطول
فلرب اولاهـــا .. هـــو التحويل
للمـــاء .. ان يظمـــا ثراك .. يسيل
طـــالت وطـال بظلهـــا التاويـل
نروى .. فيرعى فى حمـــاك .. دخيل
ارايت هـــذا الخســـف كيف يزول ؟
لقـرى تصـول على الـردى وتجـول
عبر المصـــير .. كـانه مسئول
صـــعدت ، وتصـــعد هاهنا وتصول

تصويب : للشاعر محمود غنيم

وقع تحريف فى قصيدتى المنشورة بالعدد ١٠٦٤ من المجلة بعنوان « معجزة السد » ونحن نعيد الابيات المحرفة مصوبة وامام كل بيت رقمه .

٢ ما لســد من صـــنع بابل الا ... وحى شـــعر من عند هاروت آت
٢٢ نحن لو لم تجد لعمرى صـــخورا ... لابتنينـــا الخـــزان بالهـامات
٢٣ وحفـــرنا أنفاقـــه بالبنان الر ... خص أو بالاظـــافر الناعمـات
٢٦ فلق اليم ناصـــر بعصــاه ... وعصـــاه ليســت من الحيات
٢٩ وعصـــا ناصـــر تفل صـوا ... بح الاعادي وبيضـــها المراهفات
٣٨ كم نســفت النجود نجدا فنجدا ... وفريت الصـــفاة بعد الصـــفاة
٣٩ ماؤك العذب كان فى الصخر أمضي ... من شـــفار الفئوس فى اللبنـات
٤٧ نحن من غيرة بنينا ســـجونا ... من خـــدور للخـرد الغـــانيات
٤٨ القـــوارير تحفظ الراح فيهـــا ... وتصان العطـــــور فى الآنيـات

وقع فى مقال الدكتـــور أحمـــد كمال زكى « مع شعراء الرفض » المنشور فى العدد ٤٦ من المجلة اضطراب فى ترتيب الفقرات أخل بالفكرة العامة ، كما وقعت عدة أخطاء طباعية نرجو ان ننبه القراء اليها .

قصة العدد

الباب الموارب

بقلم سعد حامد

بالرغم من أن اليوم كان من أيام الشتاء الا ان الجو كان صحوا والسماء مشرقة ، ورغم ان الوقت كان غروبا فقد ظل الجو دافئا كأنه يوم من أيام الربيع ...

وغادر « جمال خيرى » بيته فى مصر الجديدة ، وهو يحس بدفء الجو وجمال الحياة .. لم يكن يقصد مكانا ما ، وانما فكر فى أن يركب المترو الى القاهرة ويتجول قليلا فى طرقاتها وقد جلس بعض الوقت فى مشرب شاى اعتاد الجلوس فيه ...

كان «جمال» فى الخامسة والثلاثين من العمر .. طويل القامة .. وسيما .. أعزب .. يحب الجمال ويهيم بالحب ، ويتنقل بقلبه بين النساء كما تتنقل النحلة بين الزهور . كان يعمل موظفا بالحكومة وله ايراد آخر ، وكان أنيقا يحرص كثيرا على مظهره ، وكانت وسامته وأناقته تنال اعجاب معارفه وأصدقائه وتستهوى قلوب النساء ، وكان يقضى صباحه من الثامنة حتى الثانية فى المصلحة ثم ينطلق ليبدأ جولاته فى عالم الحب ..

كانت كل أفكاره وعواطفه تدور حول المرأة ، وكان الحب شغله الشاغل ، وكان يحدث أن يلتقى بفتاة أو بامرأة يجذبه جمالها أو تحرك قلبه فتنتها فيتعلق بها ، ويهيم بها وجدا حتى يتصور أنها كل شىء فى حياته ... ثم تمر الايام ... ويفتر الحب ... ويطوى صفحتها ... ثم ينساها ... ويبدأ صفحة جديدة فى كتاب حياته ...

لم يتعلم قط من أخطاء الماضى ، ولا من تجاربه المريرة ، وهو ليس جامد الشعور ميت الضمير متبلد القلب يعيش من أجل نزواته فحسب بل أحيانا يراوده الحنين الى حياة مستقرة ، والى زوجة تبادله حبا لا يفتر أبدا ، ولكن هذا الحلم الجميل يلمع فى سماء حياته كوميض البرق ثم سرعان ما يختفى ، ويجد نفسه يمضى مع طبعه الحار الذى يشبه طبع الرجل البدائى .

وفى أعماق صدره ترقد ذكريات لا تحصى ..

وأقبل المترو .. وركب جمال .. وامامه كانت تجلس سيدة .

كانت السيدة جميلة أخاذة لكنه لم يستطع أن يحدد مصدر جمالها .. أكان هذا الجمال يشع من وجهها المستدير المورد أو من عينيها العسليتين الواسعتين ذوات الاهداب المصقولة أو من شفتيها المفرتين أو من قوامها الفاتن الذى بدت فتنته وهى جالسة من الثوب الضيق القصير ، وكان يضوع الجو من حولها عطر «الشانل» النفاذ .

كان جمالها غامضا يحرك القلب ، ولم يستطع «جمال» أن يعرف من أين تنبع هذه الفتنة التى تنتشر حولها كالهالة حول القمر ، فاخذ يختلس النظر اليها وأفكاره تدور حولها .

كانت تلبس قفازا جلديا أنيقا ، فلم يستطع أن يرى أهناك فى أصبعها خاتم زواج أو خاتم خطبة .. ما أسعد زوجها بها لو كانت زوجة .. ان لها فتنة تدير الرأس وتنفذ الى القلب توا فتجعله يترنح بين الضلوع .. ومن يعلم .. قد تكون فتاة لم تتزوج بعد .. ترى من أين هى قادمة والى أين هى ذاهبة .. هذه اللحظة العابرة هل يسجلها الزمن أن يتساءل هذه انسانة لم يرها من قبل ولن يراها فيما بعد . جمعها القدر فى لحظة عابرة ، والتقت عيونهما فى نظرة خاطفة .. ثم تمضى لشأنها ، ويمضى لشأنه ، ويفترقان الى الابد ، وقد تجمع هذه النظرة بينهما ، وتربطهما بعاطفة قد تستمر حياة كاملة .. يالها من حياة حياتنا هذه .. القدر فيها هو سيد الموقف دائما أبدا .

مرت به لحظات لايعرف مداها ، وهو يرمقها بنظراته بين الفينة والفينة ، وكان المترو يقف فى المحطات ثم يتحرك وهو سابح فى أفكاره لايكاد يحس بوقوفه ولا بسيره .. وفجأة .. فى لحظة كلمح البصر وقعت الكارثة .

وجد نفسه ملقى على أرض العربة من عنف الصدمة عقب دوى شديد واصوات تحطيم زجاج وصراخ ..

لم يتحرك من مكانه من فرط احساســـه بالدوار ، وخيل اليه انه فقد وعيه ، ولكن بعد لحظات استطاع أن يتبين ما حدث ٠٠ تلفت حوله في جزع فوجد بعض الركاب ملقى تحت المقاعد المهشمة ، وبعضهم فاقد الوعي ، وبعضهم جريح تنزف الدماء منه ، ورأى السيدة التى كانت جالسة امامه ملقاة بجانبه على أرض العربة فاقدة الوعي والدماء تنزف منها ٠٠ لم يصب هو الا بخدوش بسيطة فقام من مكانه كأنه نصف نائم ، وكمن يحلم رأى اناسا كثيرين وسمع أحاديثا متشابكة فهم منها أن قطار المترو اصطدم بقطار آخر كان يقف امامه ٠٠ لم يتمكن السائق من وقف القطار فاصطدم بالقطار الواقف عند اشـارة المرور صدمة عنيفة ، فتهشمت مقدمة المترو وسقط بعض الركاب تحت العجلات ٠

وقف في مكانه مبهوتا وتعلقت عيناه بالسيدة الفاقدة الوعي ، فاقترب منها واجلسها وأسندها الى صدره وهو يحاول اعادتها الى رشدها ٠٠ تناول حقيبة يدها التى كانت ملقاة بجانبها وفتحها لعله يجد بها زجاجة عطر فوجد بغيته فراح يرش العطر على وجهها ويربت بكفه على خديها ليتبهها ، وبعد دقائق فتحت عينيها ونظرت حولها كالمذهولة بعينين شاردتين لاتريان شيئا ، ولم تنطق بكلمة ٠

وسمع أجراس عربات الانقاذ تقترب عالية ملحة وتصك سمعه ، ورأى عربات الاسـعاف وسيارات المطافىء في المكان ، وبدأت عملية انقاذ الركاب الذين سقطوا تحت العجلات ، والجرحى ، وشرع رجال الاسعاف يحملون المصابين الى سياراتهم ليمضوا بهم الى المستشفيات ٠

واقبل رجل الاسعاف فتعاونا معا على حمل السيدة الى النقالة ، فقد كانت مصابة وكانت تنزف ، وقال له رجل الاسعاف وهو يضع السيدة على النقالة ، لاتخف الاصابة بسيطة ٠٠ زوجتك بخير ٠

فتح فمه كالمشدوه ٠٠ أراد أن يقول للرجل ان السيدة ليست زوجته ، ولكن الرجل كان متعجلا ، والزحام حولهما شديد ، والوقت ضيق لا يتسع للكلام او للتفسير وهناك جرحى كثيرون ينتظرون نقلهم الى عربات الاسعاف ، ورجال الانقاذ يهرولون هنا وهناك يحملون المصابين والفضوليون يزحمون المكان ٠٠ لم يستطع أن يقول للرجل انه مخطىء ، وان السيدة ليست زوجته ، واكتفى بان أغلق فمه ولاذ بالصمت ، ونظر الى السيدة الممددة على النقالة في حزن ، وادرك أن من المروءة ألا يتركها وحيدة ، فتبعها الى عربة الاسعاف ٠

وعندما وصلت السيارة الى المستشفى حملت السيدة الى حجرة العمليات لتضميد جراحها ، وجلس هو في الردهة الساكنة شارد الفكر محزونا ٠

ولما حملوهـا الى الفراش كانت قد تنبهت لمن حولها ، فتبعها الى الحجرة التى خصصت لها ، وجلس على مقعد بجوار الفراش وهو يشجعها ويخفف عنها ، فقالت له في امتنان :

ـ اشكرك كثيرا على ما سببت لك من متاعب ٠٠ وارجو أن تكمل جميلك وترسل برقية الى زوجي ٠٠ انه يقيم في مقر عمله في بورسعيد ٠ ٠ وتطلب اليه الحضور وتطمئنه على أننى بخير ٠

واعطته عنوان زوجها ٠

فقال وهو يشملها بنظرة جمعت مشاعر من الحنين واليأس والحزن :

ـ انني طوع أمرك ٠٠ سأذهب الآن فأرسل البرقية ثم أعود لأطمئن عليك ٠

فقالت وهى تنظر اليه في فضول :

ـ اشكرك كثيرا ٠٠ وارجو ألا تتعب نفسك ٠٠ انا بخير والحمد لله ٠

وغادر المستشفى وهو نهب لعواطف شتى ٠ ٠ هزه كثيرا أن تفكر تلك السيدة في زوجها دون سواه وتطلب حضوره ٠٠ أليس هنا في القاهرة احد من أسرتها أو صديقاتها أو معارفها تدعوه اليها ٠٠ ان زوجها هو أول انسان خطر ببالها في هذه اللحظة ٠ انها تحبه بلا شك ٠٠ تحبه اكثر من أسرتها ، ومن صديقاتها ومن معارفها ٠٠ وتفضله على كل من تعرف من الناس ٠٠ يالها من زوجة ٠٠ ودار في دوامة من الخواطر ٠

" المرأة تلك المخلوقة اللطيفة الرقيقة التى طالمـا فتنته واستولت على قلبه ، والتى طالما اتخذها حبيبة او عشيقة تبادله الحب أو تمنحه المتعة ٠٠ لم يفكر جديا أن يتخذها زوجة يوما ما ٠٠ لقد راوده الحنين أحيانا الى حياة مستقرة ، والى زوجة تبادله حبـا لايفتر أبدا لكنه لم يحاول قط أن يخرج هذا الحلم

الى حيز الوجود .. كان يخشى المراة ويتصورهـا دائما متقلبة لعوبا لاتحفظ عهدا أو تعرف معنى الوفاء وكان يخاف الزواج ، ويتصوره قيدا يغلله ، ويقضي على حريته .

وارسل البرقية من اقرب مكتب تلغراف .. ثم عاد الى المستشفى .. أخبرته الممرضة أن السيدة نائمة بعدان أمر الطبيب باعطائها حقنةمهدئة لتسترد هدوءها ، وان حالتها مطمئنـة ، وانه يستطيع ان يعودها في الصباح .

وقضى شطرا طويلا من الليل مؤرقا ، ولم تبرح صورة وجهها الجميل مخيلته ، وتصورها وهي راقدة على فراشها في المستشفى وحيدة متسـائلة في ذلك السكون العميق الغامض الذي يسود جو المستشفيات وعصفت به الهواجس .. قد تكون حالتها خطيرة ، وقد أخفوا الأمر عنه ، وقد تموت وحيدة على فراش المستشفى لا أحد الى جانبها يواسيها أو يخفف عنها لحظات النزع الاخيرة ، واحس بالأسى يهصر قلبه .

وفي نحو الساعة الثالثة أغفت جفـونه .. ثم استيقظ عند بزوغ الصباح فقام مسرعا ، وارتدى ثيابه واتجه الى المستشفى .

وعند باب حجرتها التقى بالممرضة خارجة منه .. ووقف يسالها ملهوفا :

ــ هل السيدة بخير ؟

فتطلعت اليه باسمة ، وقالت له في رقة :

ــ نعم .. قضت ليلة هادئة .. انتظر لحظة من فضلك فساخبرها بحضـورك .

وتركته واتجهت الى باب الحجرة وفتحته نصف فتحة ، وسمعها تقول للسيدة وهي واقفة في فتحة الباب :

ــ لقد حضر زوجك .

ورأى السيدة تقوم جالسة في فراشـها ، وقد أشرق وارتسـمت على شفتيهـا ابتسامة عريضـة وسمعها تقول للممرضة كلمات ، وحـدس انها تقول لها :

ــ هل حضر زوجي؟ لاريب أن البرقية قد وصلته.

وفي هذه اللحظة لمحته من خلال الباب الموارب . والتقت عيناهما .. وفجاة رأى بسمتها الحـلوة المشرقة تغيض ، وبدا وجهها حزينا جامدا كتمثال لخيبة الامل .

فدار على عقبيه ، وانصرف مغـادرا المستشفى لايلتفت وراءه .

وانطلق في الطرقات .. يتدفق قلبه بالحنين .. والشوق .. الى حياة أخرى .

سعد حامد

الثلاثاء القادم .. وكل ثلاثاء

اقرأ في مجلة الثقافة

- أضواء على السياسة العالمية . — **خيري حماد**
- أضواء على الفكر الاشتراكى — **دكتور راشد البراوى**
- الافريقي الأسود والتفرقة العنصرية — **سعد زغلول**
- محاولة لتقديم بطل ثلاثية بين القصرين — **توفيق حنا**
- معطفان (قصة) — **ترجمة رءوف حنا**
- جيوفاني بوكاتشو والديكاميرون (٢) — **محمد اسماعيل محمد**
- اللامعقول وحياتنا المعاصرة — **د . فؤاد ذكريا**
- ماذا تفيد حياة شارل شابلن السينمائيين ونجوم السينما ؟ — **فكري جرانة**
- ماذا وراء غزو الفضاء ؟ — **كمال بنيامين**

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
الثقافة والارشاد القومي

الادارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد — القاهرة

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد ١٠٦٧ الخميس ١٥ صفر ١٣٨٤هـ — ٢٥ يونية ١٩٦٤ م — السنة الحادية والعشرون

الفهرس

الصفحة

الدين ومشكلات حياتنا

للدكتور محمد أحمد خلف الله

الشيخ محمد محمد المدنى

والدكتور على عبد الواحد وافى

من الذين أوتو نصيبا من العلم وحظا من المعرفة يمكنهما من ادراك سر الوجود ، وكنه الحياة . ومن الذين يستطيعون تقديم تفسيرات سليمة لظواهرنا الاجتماعية ، واقتراح الحلول القويمة لمشكلاتنا الحياتية .

والشيخ والدكتور قد شغلانا منذ أسابيع قليلة بمسالة هامة فى نظرهما هى مسالة : التسرى فى الاسلام . وانتهيا منها الى أن المتعة الجنسية عن طريق ملكية العدد الوافر من الاماء والجوارى حلال اى حلال ، على سنة الله ورسوله .

ولقد سعد الكثيرون من القراء بهذه الفتوى المدنية العبد الواحدية لأنها قد يسرت فى نظرهم كل عسير . انهم منذ اليوم يساعدون الدولة فى عملية الانتاج . انهم قادرون على انتاج العدد الوافر من البنين والبنات . وعلى الدولة أن تفكر منذ اليوم فى استقبال هذه الأعداد الضخمة ، وان توفر لهم من رخاء العيش ، ولين الحياة ، ما يحفظ عليهم آدميتهم ، مهما تكن الصعاب التى تتحملها الدولة من جراء الزيادة الباهظة فى عدد السكان .

والسؤال الحائر على السنة هؤلاء الفرحين بتلك الفتوى هو من أين يحصل الناس على هؤلاء الجوارى والاماء ؟

لقد اغلقت اسواق النخاســـة وأصبح الناس عاجزين عن شراء هذا الجنس من النساء .

ولقـــد حرمت الحقوق المدنية والحقوق الدوليـة الاتجار بأسرى الحرب من الرجال والنساء .

ولقد رد المجتمع البشرى للعبيد والاماء حريتهم واعطاهم من الحقوق مثل ما لغيرهم من الناس سواء بســـواء . انهم فى نظر المجتمع اليوم أكرم من أن يجرى عليهم بيع أو شراء .

ان هـــذا الســـؤال الحائر يتطلب من الاستاذ الشيخ والاســـتاذ الدكتور أن ينفخا من روحهم القوية فى التسرى لعله أن يرد مرة ثانية الى هـــذه الحياة .

انهم ان يفعــلا يحمد لهم الذين يحبون المتعـــة الجنسية هذا الصنيع ، ويدعون الله أن يؤيدهمـــا بروح من عنده ليبسرا للمسلمين كافة سبيل المتعة الجنسية ، وليحققا للدولة الاســـلامية كافه انتاجا أوفر فى ميادين الموارد البشرية .

ايها الشيخ الفاضل .

وأيها الدكتور المحترم .

ليست هكذا تثار مسائل الدين وقضاياه .

اننا اليوم فى النصف الثانى من القرن العشرين واننا اليوم فى عهد تغيرات جذرية ثورية ــ يؤمن القائمون بها بالدين ، ويود القائمون بها ان يكون لاعمالهم سند من الدين .

فاذا كنتم قد عجزتم عن تحقيق هذا فلا أقل من أن تحفظوا للاسلام كرامته ، وتسكتوا عن مثـــل هذه القضايا التى أصبحت لا تشرف أحدا ــ فضلا عن أن تشرف الاسلام والمسلمين .

لقد مضى ذلك العهد وانتهى ولن تســـتطيعوا له ردا ــ فلماذا تلتزمون اليوم الحديث فى مســـائله وقضاياه ؟

لقد كنت أسمع اســـتاذنا المرحوم الاســـتاذ أحمد امين يقول فى حق أبى العـــلاء المعرى . انه التزم مالا يلزم فاضاع ما يلزم . وانكم اليوم مثـــل أبى العلاء سواء بسواء .

ايها الشيخ

ايها الدكتور

أمامكما من مســـائل الحياة التى تحتاج الى الدين مسائل كثيرة تشبع نهمكما العلمى ، وتربط الدين بالحياة .

أمامكما هذه المسائل مثلا .

اولا : نظام الملكية أو نظام حيازة الأراضى :

(ا) ما رأى الاســـلام فى الملكية الجماعيـــة التى لا تزال تعرفها بعض القبائل العربية ؟ وهل يصلح ذلك لحياتنـــا اليوم ؟ وهـــل من الممكن أن تنشىء المزارع الجماعية فى القرى ؟

(ب) مارايكم فى ملكية الدولة للاراضى بحـــكم الفتح ، وهل يصح للحاكم أن يرد هـــذه الأراضى للدولة ــ خاصة وأن الكثير منها قد صار الى القواد والأمراء بحكم الهبات التى قام بها الحكام القدماء ؟

(ج) ما رأيكم فى تقســـيم الأراضى الى أراضى عشر وأراضى خراج وهل من الممكن الانتفاع بهذا التقسيم فى حياتنا المعاصرة ، وهـــل تعتبر الأرض الخراجية ملكا ؟

(د) هل الملكية فى الاســـلام ملكية أرض أم هى ملكية منفعة ، وما مركز المنتفع بالأرض أو ما هى العـــلاقة بين الأرض والزارع ؟ وما مدى الانتفاع برأى الاسلام فى هذه الأيام .

ثانيا : ــ ما أنواع الضرائب المعروفة فى الاسلام وما مقدار كل نوع من أنواع الضرائب ؟

وهل من حق الحاكم ان يزيد فى مقدار الضريبة تبعـــا لزيادة النفقـــات أو هى ضريبـــة لا تزيد ولا تنقص ؟

ما العمل فى الخدمات التى كان يفرضهـــا الأغنياء الموسرون على أنفسهم فيما مضى مثل اقامة المساجد ، والملاجىء ، والمدارس ، والمســـتشفيات .. الخ وتخلى أغنياؤنا عنها اليوم ، وأخذتهـــا الدولة على عاتقها ، هل من حق الدولة أن تفرضها على الأغنياء مرة ثانية أم لا ؟

ثالثا : ــ ربط الحياة بالدين ــ ما الطريق اليه ؟

هل نفعل ما فعل جمـــال الدين ومحمد عبده ونتخذ من المذهب السلفى وسيلتنا الى ذلك ؟

هل من حقنـــا أن نقف فقط عند حدود القرآن وما صح من الحديث أم تظل أقوال الأقدمين تلاحقنا وتفرض نفسها علينا ؟

ما المقصود بالمجتهدين أهم علماء الدين فقط أم المتخصصون فى كل فن ــ فيكون الاجماع قائمـــا على أساس من التخصص ، فيؤخذ رأى الاطباء فى الطب ، ورأى المهندسين فى المسائل الهندســـية ، ورأى الاقتصاديين فى المسائل الاقتصادية ؟

كل تلك مســـائل جديرة بالبحث وهى عنـــدنا أولى بكثير من مسالة التسرى .

وفقكما الله لخدمة الدين عن طريق ربطه بالحياة المعاصرة ومشكلاتها الاجتماعية .

والسلام عليكما ورحمة الله

دكتور

محمد أحمد خلف الله

نظام التسرى فى الاسلام

تعقيب على رد

للدكتور على عبد الواحد وافى

عنى صديقنا الكريم فضيلة الاستاذ الجليل الشيخ محمد محمد المدنى فى رده الأخير أن يبين انه لم يقصد بما ذكره فى مقاله الأول أن ينفى مشروعية التسرى فى الاسلام ، وانما قصد أن ينفى ما فهمه المفسرون من آية التعدد من انه لا يشترط الوقوف عند عدد معين فى التسرى بالمملوكات وأن المالك لا يتقيد حيالهن بعقد ولا عدل . وفى ذلك يقول فضيلته : « ثم نقدت آراءهم ، لا من جهة القول بمشروعية التسرى ، ولكن من جهة القول باطلاق العدد بدون حد » . ويقول مستنكرا هذا الاطلاق « انه من المقبول ان ييسر الاسلام على الرقيق ... اما ان يكون تشريعه فى أمر كهذا ، وهو صلة الرجل المشروعة بالمرأة ، قائمـا على اساس اهدار آدمية الاماء ، وأن يباح للرجل الحر ان يجمع منهن ماشاء بدون تقيد بعدد ولا تحر لعدالة ولا ملاحظة لحق ، فان هذا لا يمكن قبوله بهذه السهولة ولمجرد فهم المفسرين ان الآية تعطف على الحرة الواحدة ما ملكت الايمان » .

وحتى هذا لا نسلمه لفضيلته . فان الاسلام قد اباح للسيد أن يتسرى من ملكت يمينه من الاماء بالغا ما بلغ عددهن وبدون تقيد بعقد ولا عدالة فى القسم فيما بينهن ولا فيما بينهن وبين الزوجات . وقد ثبت هذا بالكتاب والسنة والاجماع ، واصبح من قبيل الاحكام المسلمة فى الدين . أما الكتاب فلأنه لم يقيد التسرى بأى قيد من هذا القبيل فى اى آية من الآيات التى وردت فيها اباحته . والاطلاق فى مقام التشريع يفيد عدم تقييد الحكم . وقد كان كثير من الصحابة فى عهد الرسول عليه السلام يتسرون اماءهن ولا يتقيدون حيالهن بعدد ولا عقد ولا عدل فى القسم . وقد اقرهم الرسول على ماكانوا يفعلون ولم ينكر عليهم شيئا من ذلك وقد اجمع فقهاء المسلمين فى جميع المذاهب على عدم تقييد التسرى بعدد ولا عقد ولا عدل فى القسم .

وقد اوضحنا فى مقالنا السابق الغرض النبيل الذى رمى اليه الاسلام من وراء هذا الاطلاق وهذا التيسير . وذلك ان الاسـلام قد جعل التسرى وسيلة لتحرير الاماء وتحرير نسلهن . وغنى عن البيان ان وسيلة تؤدى الى هذه النعمة الكبرى لايصح ان تتقيد بعدد ولا ان تتوقف على عقد ولا عدل فى القسم .

هذا ، وكنا قد ذكرنا فى نقدنا للرأى الذى يذهب الى ان قوله تعالى فى آية التعدد «او ماملكت ايمانكم» معطوف على كلمة « النساء » ان الآية تكون بمقتضى ذلك فى غاية الركاكة اذ يكون ثمة فصل بين المعطوف والمعطوف عليه بشروط مسلطة عليهما معا لا على المعطوف عليه وحده . ولكن فضيلة صديقنا لايسلم بذلك ، ويرى ان لهذا الفصل اشباها ونظائر فى مواضع اخرى من القرآن الكريم . وقد ذكر من اشباهه الآيات التى وردت فى آخر سورة الفرقان فى وصف عباد الرحمن . فقد فصل فيها بين المعطوف عليه المباشر وهو قوله تعالى « والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون » والمعطوف وهو قوله تعالى : « والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما » فصل بينهما بقوله : ومن يفعل ذلك يلق اثاما ... » الآيات . وليسمح لنا فضيلته ــ وهو من اعلم الناس بدقائق التراكيب واسرار البلاغة ــ أن نبين ان هذا الفاصل قد جاء عقب ثلاث من أخطر الجرائم ، بل هى اخطرها جميعا ، وهى الشرك بالله وقتل النفس والزنا ، وانه منصب على هذه الجرائم وحدها ، لبيان مبلغ خطرها وما يلقاه اصحابها من عذاب يوم القيامة ، ولبيان انه على الرغم مما تنطوى عليه من جرم كبير فان الله يقبل توبة مقترفيها . فليس فى هذه الآيات فصل بين المعطوف عليه والمعطوف بشروط مسلطة عليهما معا ، كما يكون الشأن فى آية التعدد اذا فسرت على الوجه الذى يرتضيه فضيلته ، وانما فصل بينهما بأمور مسلطة على المعطوف عليه وحده .

ولا يفوتنا قبل أن نختم مقالنا ان نقدم لفضيلة الاستاذ الشيخ محمد محمد المدنى جزيل الشكر للكلمات الكريمة التى خصنا بها فى رده ، واننا لنعتز كثيرا بصداقته وحسن ظنه ، وكريم تقديره ونحمد له عظيم جهاده فى خدمة العلم ، والمعيته فى البحث ومعاذ الله أن نقصد بما قلناه فى مقالنا السابق ان نلقى « درسا » كما حاول فى ادب جم ان يشير الى ذلك فى مقاله ، فليس مثلنا ممن يلقى دروسا على مثله ، وانما قصدنا احقاق الحق واداء ما اعتقدنا إنه واجب كفاية على المسلمين .

من روائع الأدب الإسلامي

العطار وفلسفة التصوف

للدكتور محمد غنيمي هلال

لا زال لأدب الصوفية مكانه فى تاريخ الادب العالمى ، على الرغم من مظهره السلبى لمن يقرؤه ولا يمعن النظر فى دلالاته الأعمق . ذلك انه يظل ذا قيمة انسانية حتى لو لم نبحث عن معانيه الخبيئة . فهو اولا تجارب حيوية صادقة لدى المتصوفة الحقيقيين الذى لم يكونوا فى مذهبهم بأدعياء . ومن شان هذه التجارب الصادقة ان تجود فى الادب اذا سورت باقلام ذوى المواهب ، وفى هذا يفترق الادب الصوفى عن ادب الصناعة والتكلف ، وعن ادب التكسب والربح الذى منى به الشعر الغنائى العربى ، فاستنفد طاقات خلاقة او كاد يستنفدها ، كانت جديرة لو انصرفت الى تصوير ما عانته من شئون الحياة لعصرها ، ولو اخلصت لفكرها فى تصوير ما تؤمن به من مسائل أو قضايا ، شان الادب الخالد فى الآداب العالمية كلها ، وقد كان الصدق دعامة الادب الصوفى فى عصوره الأصيلة وكان الصدق الواقعى فيما بين الكاتب ونفسه سبيلا الى جودة التجارب الادبية ، ونضج تصويرها الفنى .

وكان ادب المتصوفة كذلك اهم باعث على نشاة الادب القصصى ذى الطابع الفلسفى ، وهو الذى انفرد الادب الفارسى بالتوسع فيه بين الآداب الاسلامية الكبرى ، وقد كرس له كثير من كبار الصوفية جهدهم ، سواء فى صور القصص الشعرية الطويلة ام القصيرة ، وفى هذه القصص بدا مظهر اصيل للعقلية الاسلامية عربية وغير عربية ، اثرت به صنوفا عميقة من التأثير فى السلوك الانسانى ، وفى الحياة الاجتماعية العامة ، وايا ما كانت نتيجة هذا التاثير ، فلا يمكن أن يمنعنا ذلك من الاعجاب بالطاقة الفنية الفريدة لدى الأصلاء من هؤلاء ، وباخلاصهم لفنهم ومبادئهم فى وقت معا ، وانهم عاشوا حياتهم فى صدق بينهم وبين انفسهم ، واختاروا — عن حرية — موقفا لهم تجاه الاحداث والناس .

ومن نواحى الدلالات العميقة لأدب الصوفية — التى اشرنا اليها فى صدر المقال — ان ادب هؤلاء لم يكن سلبيا فى عاقبة امره ، على الرغم من مظهره السلبى ، وطابع تشاؤمه الموغل فى الحزن ، ذلك أن هذا الادب كان هروبا من الحياة . ولكن المتصوفة عرفوا كيف يصبغون على هذا الهرب ابعادا تتجاوز مجرد الشكوى والآنات ، وحزن الضعف والتوانى ، اذ انهم هربوا بفكرهم فى المناطق العليا من اجواء الروح المتعالية . حقا لقد عزف الصوفية عن نشدان السعادة فى هذه الحياة ، لانهم يائسون من الظفر بها فى هذه الحياة الدنيا ، وقد نشدوا سعادتهم فى العالم الآخر ، ودعوا الى التعجل بالرحيل من هذه الدنيا ، عازفين عن كل مامحفل به من نشاط مادى ، ومتعة موقوتة ، ولكنهم فى تبرير مسلكهم هذا قد صوروا فى صدق وروعة ما حفلت به عصورهم من شرور ومآثم ، وكانوا فى هذا المجال اعمق ادراكا واقوى دلالة من سواهم من الكتاب والشعراء الذين جاروا عصورهم ، ومالأوا المستبدين بها ، وتستروا على ما زخرت به من زيف وطغيان ، وقد كان ما فى هذا الطغيان فى اكثر حالاته من المال وسلطان المال فى تلك المجتمعات التى استبد فيها سلطان الفرد كما سحقت رحى الاقطاع ، وبين هذين تلاشت مواهب كثيرة ، وتبددت طاقات خلاقة وانطمست معالم الراى السليم والفكر الناضج . ولن تجد فى تاريخ الآداب الاسلامية هجاء للملوك والمستبدين اشد مما صدر عن الصوفية ، وقلما تصادف فى تلك الآداب ضيقا بالمال وعبادة والمستعبدين للناس عن طريقه كما تجد فى أشعار الصوفية وأدبهم كله . هذا الى ما قضوا به على الاثرة وحب الذات فيما صوروا ودعوا . فعندهم أن الحب يجب ان يتسع مجاله لحب الانسان ، وخدمته ، والرثاء له أو هدايته ، دون بغض لأحد ودون انتقام من أحد . وطريق الوصول والسعادة الابدية انما هو فى هذا الحب الرحب الفسيح ، ولم يكن تسليمهم بالشرور التى يضيق بها العالم استسلاما ولا خنوعا ، فانك لتلمح وراء ذلك غضبا مشبوبا وعاطفة متقدة وحملة لا هوادة فيها على المجتمعات الآثمة الضالة بقادتها ، المفتونة بسلطان المال ، ممن خلت جوانبهم من الرحمة والحب ، وتذكرنا هذه الخطرات الفنية فى ادبهم بالأدب الرومانتيكى فى ثورته على المجتمعات ، ودعوته الى العزلة ضيقا بالشرور واهلها ، واحتفاله بالحب الانسانى العام ،

على نحو ما يدعو اليه فكتور هيجو فى بعض اشعاره من تطهير القلب من البغضاء ، بحيث لا تقوم علاقة الفرد بغيره الا على دعامة واحدة : « فاما ان تحب الانسان واما ان ترثى له » . وفى هذا النطاق لم تخل عواطف امرىء من ضرب من التصوف . وهل كان «دانته» الا متصوفا - من نوع ما - حين حفل بهذا الحب نفسه ، او بحب قريب منه ، على انه طريق الخلاص للانسانية ، وطريق الوصول الى الله ، فى وقت معا .

وننبه الى اننا لا نعمم هذا التشابه بين ادب الرومانتيكيين وادب الصوفية او ادب دانته ، فهناك فروق كثيرة هائلة بين هذه جميعا ، ولكنا نقرر اننا نستطيع ان نفهم الادب الصوفى فى ضوء عصره - من حيث مضمونه - على منهج يزيدنا علما بعصر ذلك الادب ، وبتياراته الاجتماعية ، وآفاته المهلكة ، حين لم يكد يتصدى لوصف هذه النزعات كلها سوى الصوفية .

ونضيف الى ذلك انهم سموا بالجمال وادراكه على نحو فريد تجاوز مفهوم الجمال فى الغزل الحسى والعذرى معا . فالجمال فى ادبهم مجلى التجربيات العليا التى تنتهى فى اسمى آياتها الى العقل الاول او القلم ، او الله . وفى هذا الاتجاه تتجلى الرمزية الصوفية التى ترى فى جمال الكائنات جمال الخالق ، فالطبيعة لها ظاهر هو الجمال الحسى ، ولكنه ليس سوى رموز ، كما ترمز الحروف المكتوبة الى الالفاظ ، وكما ترمز الالفاظ الى المعانى ، وهذا هو باطن الجمال الذى يجب ان توجه الى الهيام به الهمم . وهم فى هذا متأثرون بقول افلوطين : «الطبيعة لغة عجيبة لمن يقرؤها» ، وكأنها - امام من يقفون لدى مظهر الجمال - ليست سوى كتاب سطر بلغة لا يفهمونها ، فحظهم منه الافتتان بمظهر الحروف وتعاريجه ، وما اهونه من حظ .

وفى هذا الظاهر والباطن للطبيعة وما يؤدى اليه فهم الباطن - تنحصر الرمزية الصوفية ، وهذا ما يفرق - جوهريا - بينها وبين الرمزية الايحائية المذهبية التى نعرفها فى الآداب العالمية منذ اواخر القرن التاسع عشر الاوربى ، ولا يتبقى بحال الخلط بينهما .

ونقدم هنا العطار - فريد الدين محمد بن ابراهيم النيشابورى - من كبار شعراء الصوفية المسلمين ، وشاعرهم فى القرن السادس واوائل القرن السابع الهجريين (القرن الثانى عشر والقرن الثالث عشر الميلاديين) . وهو من اوائل من فلسفوا التصوف ، فلم يقصروه على الجانب العملى ، بل وسعوا آفاقه الى الجانب الفلسفى النظرى . وله فى هذا المجال نظريات وتأملات عميقة ، ونقتصر فى هذا المقال على ترجمة مقطوعات صغيرة له ، انتظارا للتعريف بكتابه الخالد : « منطق الطير » فى مقال مقبل ، على انا ننبه الى ان الاسماء والشخصيات فى الحكايات التى نوردها كلها اسماء رمزية ، على سبيل التنظير ، حتى لو كانت أسماء الانبياء ، وفى ضوء هذا تكتسب هذه الحكايات رمزية وعمقا وجسارة :

— ١ —

الحرص

كان جهول يملك حقا من ذهب خبأه ، ومات وبقى بعده هذا الحق وبعد عام رآه ابنه فى النوم ، فى صورة جرذ ، وعيناه مليئة بالدمع فى ذلك المكان الذى خبأ فيه الذهب ، يدور مسرعا حول المكان كالجرذ فقال ابنه فى نفسه لأصنعن له سؤالا : من اين كانت لك تلك الصورة ، اشرح لى امرك فاجاب : قد خبأت فى هذا الموضع ذهبا ، ولا ادرى اهتدى الى طريقه احد ؟

فقال الابن : ولكن لم ظهرت فى شكل جرذ ؟ فاجاب : كل من يتعلق قلبه بالذهب تكون هذه صورته ، فانظر الى ، واعتبر بى ، واطرح عن رأسك الهوس بالحرص على الذهب .

— ٢ —

يعقوب

حينما افترق يوسف عن ابيه ، ابيضت عينا يعقوب من فراقه

قد صب بحرا من دم دموع باصرتيه ، وظل اسم يوسف على لسانه .

فأتاه جبريل قائلا : لو مر اسم يوسف على لسانك مرة اخرى .

فسأمحو بعد ذلك اسمك من بين اسماء الانبياء المرسلين .

ومنذ اتاه هذا الأمر من الحق ، محا اسم يوسف من على لسانه .

على ان اسم يوسف ظل نديما لخاطره ، فاده فى حنايا روحه مقيم .

ورأى يوسف امامه فى المنام ، فاراد ان يدعوه اليه .

فتذكر ما امره به الحـــق ، فالتزم الصمت ذلك الهالم ، وسرعان ما محا الاسم.

ولكنــه ــ وقد اقصرت قدرته ــ ارســل آهة اليمة من روح ممزقة .

وحين صحا من نومه وتحــرك في مكانه ، اتاه جبريل قائلا : يقول لك الاله ، على انك لم تحرك باسم يوسف لســانك ، قد اطلقت في تلك اللحظة آهة ، وفي ثنايا هذه الآهة انت تعلم ما كان ، فأية جدوى ، لقد نفضت من الحقيقة التوبة .

لقد نال الحزن من عقلك في هذا الامر ، فتأمل في امر العشق ، حتى يصير وجدانيا

ــ ٣ ــ

حب الانسان

فقد سـكران الوعي ، وغاب عنه « العقل ، قد ذهب افراطه في السكر برونق امره جميعه ، ومن كثرة ما احتسى من صافي الخمر وثمالته كل لحظة، فقد ادراكه كما فقد حواسه من راسه حتى القدم

وبلغ الحزن مداه بامرىء آخر صاح من اجله، فاجلس هذا السكر في حقيبة ، ورفعه ليحمله الى ماواه ،واذا بسكران آخر يقـدم عليه من الطريق المقابل ، هذا الثمل الثاني كان يتعلق بكل امرىء ، ويسرف فيما ياتي من مساوىء السكر ، فلما راى السكران الاول ــ المحمول ــ سوء حال السكران الآخر .

قـال له : ايها التعس ! كان عليـك ان تنتقص ماشربته كاسين ، حتى تمشي كما امشي انا وحدي حرا

قد راى عيب الآخرين . ولم ير عيب نفسـه . رايـت حالنا جميعا تربو على هذه الحال

انت ترى عيب سـواك ، لانك لست محبـا ، ولا ريب أن هذه خصلة لا تجمل بك ولو كان لك بالحب اقل خبرة ، لالتمست للعيوب عذرا .

ــ ٤ ــ

دعوات رابعة

كانت رابعة تقول: يا عالم الأسرار، هيىء لأعدائي امر دنياهم .

وامنح اصدقائي دوام ثواب عقبـاهم ، اما انا فاني متحررة دوما من الدارين

فاذا خلت يدي من الدنيا والآخرة ، فما اهون الامر اذا ظفرت لحظة بانسك .

ولو انى وليت وجهي شطر الدارين ، او اردت شيئا ما سواك ، فاني كافرة .

دكتور • محمد غنيمي هلال

إليها ... إلى أسوان

عبد السلام العالى وعبد العقاد

تصوير نعمان أحمد فؤاد

فى القطار وفود مسافرة الى اسوان ولم نكن وحدنا .. كانت جموع النخيل تبدو لعينى من نافذتى بالقطار الموعود وفودا مسافرة الى اسوان الا باسقات متفرقة قامت على حراسة النعمة المنثورة على بساطنا الاخضر ... وكان المساء مسافرا الى أسوان لتغفو فى سكونه بعد كدح النهار ... كل شىء كان مسافرا معى الى اسوان ليرى النيل ... ليرى الآثار .. ليرى التاريخ .

واغفيت حين لفنا الليل وتعذرت الرؤية وظل القطار ساهرا وحده .. سائرا وحده وكأنه خاطر سار او خيال سانح او أمل يومض فى الظلام وفجأة وقف القطار وقفة طالت ونفذت ببصرى وفضولى من زجاج نافذتى فاذا بنا فى محطة البلينا .. واذا ذكرت البلينا ذكرت (العرابة المدفونة) حيث يقوم معبد ابيدوس وحيث تعيش قصة حية . ففى العرابة المدفونة الجليزية تقدس الآثار الفرعونية وتجيد اللغة الهيروغليفية قراءة وكتابة وتعيش منذ ثلاثين سنه تتعبد فى معبد ابيدوس وتعبد خاصة اوزوريس وايزيس وتقدم لهما القرابين . وهى اذا دخلت عليهما المعبد .. دخلته حافية القدمين من اجلال .. هذه السيدة يطلقون عليها هناك اسم (أم سيتى) • نسبة الى سيتى الاول الذى بنى معبد ابيدوس للاله ازوريس والالهة ايزيس .. وسيتى الاول والد رمسيس الثانى ..

وتعيش السيدة من مرتب تخصصه لها مصلحة الآثار . =

وبعد اغفاءة طويلة فتحت عينى على صباح وردى تكسو غلائله قامات الاشجار وتتوج شفوفه ذوائب النخيل .. وكان الشروق ببدعه سحر الركب فدبت الحركة فى القطار ثم تزايدت حتى استيقظ النوام وتبادل الصحب تحية الصباح على موائد الافطار .

وفرغنا وتطلعنا من جديد فاذا بنا نسير بين جبلين يكادان يطبقان على القطار ومن فيه ... اين الوادى .. اين النيل ... جبال ورمال قلما تقع العين منها على مظهر حياة ... ويمرق القطار مسافة طويلة حتى ترى العين من بعيد طفلين قائمين كأنهما نبتا لساعتهما وسط هذا القفر ليقطعا السكون المريب ويبددا الوحشة او امرأتين ضامرتين لوحتهما الشمس بل قددتهما حتى ليخيل للرائى انهما آتيتان من القبور بعد هجعة طويلة فلو توقف القطار فى هذه اللحظة لسألناهما سر الغائبين ، وهل مصر مصر كما عرفناها .. ليطمئن الفراعين الذين ارادوها خالدة فنزل على حكمهم الزمان ! .

وبعد (الخطارة) و (الاعقاب) .. وبعد الشوق الى الخضرة والنيل ... انفرجت الجبال ودخلنا او دخل بنا القطار فى واد ذى زرع وسمعت صوتا يهتف « هاهوذا » والتفت الى يمينى حيث مصدر الصوت فاذا (النيل) فى هذا المكان ابيض ساكن الصفحة كالمرآة ، هادىء الانفاس رقيق الشمائل شأن الكبير الواثق من نفسه ، المعتز بأرضه ، الساكن فى حوضه المالك ليومه وغده ، لم تزعجه الانباء عن تغيير مجراه لاننا حين نفعل سيغير هو بدوره تاريخنا وقيمنا ومفاهيمنا ووجه الحياة على وادينا تماما كما فعل فى الماضى .. ان دوره لم يتغير هو هو البطل وراء كل عمل نأتى به •• اننا لكى نغير المجرى كم سهرنا على خدمته وكم كدحنا لتعميقه ورسم طريقه الجديد •• اليس معنى التغيير اذن انه شغلنا الشاغل كشأنه دائما كشأوه أبدا اليس معنى التغيير اننا نضن به على البحر ونغالى بكل قطرة فيه الا تعيش بيننا وتجرى فينا دما وحياة وخصبا وغنى ووفرة ؟

. وقبيل اسوان امتلأ الطريق على الجانبين بالصخور الكبيرة كأنها فيلة قد انفصلت عن الجبل فى تمرد ظاهر •• ان المصرى جبار اذا نفدت طاقة احتماله•• انه عندئذ لا يقف فى طريقه شىء حتى الجبل •• صخور لها طابع ولها قسمات ولها شخصية فى جلستها القابعة على حافة الطريق كالاسود الرابضة تتفرس القطارات •• والناس ••

« اهرام كله كتوبه » اننا في أسوان الآن وهذا النداء اللطيف يهتــف به صبي أسمر على صحيفة « الاهرام » ان مواطننا الاســـواني يعني ان العدد ملي ٠

وأقلتنا سيارة الى الفندق أو الى المدينة السياحية الجديدة مدينــة النيل الســياحية ٠٠ فنــدق هو فيللا انيقة قد تناثرت حواليها في الحديقة أحواض الزهر والاكشاك الخشبية الشاعرية ٠٠ الفيللا تقوم على ربوة تطل منها على النيل ٠٠ وجبل أحمر يتوهج بالحديد وجبل اصفر لا أدرى سره والنيل من هــذه البقعة والمباني محدقة به والنخيــل رانيات اليه حانيات عليه مولعة به أشبه بالخلجان والبحيرات ٠٠ فهو يطوق مبنى ويلتف بالآخر ويدور بشاطئه في انصاف دوائر ليستقيم من جديد ويلامس ســفح الجبل ويداعب بمويجاته اعجاز النخيل ٠٠ ان نهرنا الخالد ذو افانين ٠٠ من حديقة «مدينة النيل» تستطيع أن تتمــلاه تخلد اليه كتراكت القديمة اماكتراكت الجديدة فيخيل اليك انها أخفت فيه بضا وكشفت بضا كما يقول شوقي عن أنس الوجود ٠٠ وعلى الشاطيء الآخر النخيل يدعوها الجبل لتصعد ولكنها لا تمضي في سيرها على السفح بضعة امتار حتى تقف زاهدة في الجبل مشغولة عنه بالنيل ٠٠ وعلى الشــاطيء الآخر بين النيل والنخيل والجبل قام مدفن الغاخان الذى شدته مصر اليها حيا وميتا ٠٠ ما أخلق ســدوحي بالحب والاشفاق حين شــق عليه النفى خوفا من أن يموت بعيدا عن مصر ويغسل بغير مائها ويدفن في غير ترابها ٠

وفي الحديقــة مدرجات فرشت وردا يتسابق في الصعود على ضوء فوانيس حالمه ولمبات ملونة والمكان كله قطعة من الجنة يعمق فيهــا الهدوء ويرف الورد ويميس النور فيطفو كلّ شيء ويغدو شفافا كالطهر نبيلا كالخير كريما كالنيل ٠

وجاء موعد زيارة الســد العالى فاذا الطريق طويل طويل يصعد في الجبل ويهبط حتى يفضى الى مكان السد ٠٠ استجم الانسان المصرى وأخذ من جديد ٠٠ يصنع المعجزات ويشق الصخر ويشكل الحجر ويغير وجه الطبيعة على أرضه ٠

انفصم الجبل وغدا شطرين بفضل الحديد والنار والعقــل ؛ والارادة التي صنعت من الحديد والنار والحجر وذرات الرمال أعمالا خارقة وأرقاما خارقة ٠٠ كل شيء مجيد في موقع السد ٠٠

فاذا انحدرت قبل المياه في مجرى القناة الجديدة التي رسمت للنيل ودخلت الانفاق التي سينفذمنها راعك الانسان المصرى بمــا أعلى صبره من رفيــع البنيان ٠

هناك في ساحة الانفاق آلات كثيرة تعمل بالنهار في وهج الشمس وبالليل في ضوء المصــابيح ٠٠ آلات لها أفواه وآلات لهــا مقــابض وآلات رافعة وآلات ضاغطة وكلها كوحوش الاساطير تعمل عملها في نهم ٠٠ الحياة في هذا المكان رهيبة غالية تحسب بالدقائق والثــواني ٠٠ والناس رســوم متحركة والاصوات أصداء والالفاظ هواء كل شيء يطويه المعنى الكبــير الذى يسير الآلة والانسان معا حتى العمال على كثرتهم لم يزاولوا غناءهم التقليدى الذى يصحب الاعمال الشاقة ويهونها ان العمــل الرهيب في موقع الســد لا يترك لهم طاقة لغيره فلا غنــاء ولا كــلام انمــا حركة في صــمت ، وكدح في صبر ٠٠ وصراع في معركة الحياة كصراع النيل مع القفر او صراع (أزوريس) مع (ســت) ٠٠٠ صراع في اصرار ولكن هذا كله لم ينس ثــلاثة من العمــال ذكر ربهم فانسلخوا من الضجــة ليقيموا الصلاة ٠ وانسلخت بصورى من الضجة القائمــة لاتأملهم وصــل قلبي لهم أولئك المؤمنــين بربهم المؤمنين بوطنهم ايمانا يترجمونه اعمالا مجيدة تمكن له في الأرض وتحسب له في التاريخ وهــو اغلى الوان الايمان ٠

انا عندما رأيت السد لم يكن شعورى شعور البهر او الدهشة وانما كان شعور الفرحة فليست العمارة او البناء او الخلق غريبا على مصر فعملهــا على طول تاريخ الانسان كان ، صناعة الحضــارة ٠٠ ابتداع

الفن .. طاقة الخلق والقدرة على الابتكار .. وهذا هو ما غمرني بالفرحة لقد بدات مصر تزاول هوايتها الاصيلة .. فرحتي كانت بالروح المصرية .. بالارادة المصرية .. بالشخصية المصرية التي بدأت من جديد تاخذ دورها في الحيـــاة ومكانها تحت الشمس .. دورها البناء فرحت بالارادة المصرية التي صممت في عزم .. ومضت في اصرار ، فبنت السد بعـــد أن ضربت له موعدا ثقة في نفسها وتاكيدا لقدرتها على الوفاء ، بعد البناء .

ألسنا في أســـوان حيث صنعت اليـــد المصرية العجائب منذ الأزل .. لقد عرفنا طريقنا وسنمضي فيه فليس من طبيعة الحياة التوقف أو النكوص .. ان السد قيمته ليست في ذاته فحسب ولكن فيما وراءه من آمال في الصـــناعة المصرية وتوســـع في الزراعة المصرية ، وتطوير للمجتمع المصري تطويرا يصل حاضره بماضيه ويتكافأ معه .

وبعد السد الذي بنته سواعد كثيرة وعقول كثيرة وأموال كثيرة سعينا الى سد آخر رفيع شامخ جبار لا يقدر بمال .. سد باذخ من صنع عقل واحد وفرد واحـــد .. عباس محمود العقـــاد .. هناك على أبرز مكان من اسوان بين المعالم السياحية للمدينة التي تجمع الماضي والحاضر يقوم ضريح يجمع قيمنا الغالية ولا أدري كيف ... ضريـــح يحج اليه كل من أقام باسوان أو حتى الم بها وسوف يتســـع العمران باسوان ويزداد امتدادا وسوف يقام فيها للصناعة صروح .. كثيرة ولكن أعلى صروحها واغلى ذخائرها سيظل عباس محمود العقاد بقدر ما تأصل في نفس الانسان من اعلاء للفكر واجلال للعقل واحتفاء بالقلم وعبـــادة للفن وتوقير للعلم وولاء للمـــوهبة ووفاء لصاحبها .

سيتغير كل شيء في اسوان : الحيـــاة والافكار والمجتمع ومعالم المدينة حتى الجبال ويظل ثابتا كالعهد به عباس محمود العقـــاد لانه تاريخ والتاريخ دائم ولانه فكر والفكر قائم ، ولانه قلم والقلم سائر ولانه عصامية من طراز نادر ولانه موهبة على مستوى رفيع ولانه جامعة ولانه شرف لجيله ومفخرة مصرية لسائر الاجيال .

وبعد طوافي بضريح العقاد زرت بيت العقـــاد البيت الذي شهد مولد العظيم الذي جاء مع النيل من اسوان لينشرا بين الناس رسائل رحمه تحيي موات الارض ، والنفوس وتمرع حياة الناس والعقـــول ثم استقل النيـــل بالارض ورقى العقاد الى السماء وحسن ما اختار جوارا وطاب رفيقا .

رأيت الحجرة الفسيحة التي كان العقاد يعقد بهـا ندواته في أسوان عصر الاثنين والجمعةمن كل اسبوع ورأيت المقعد الذي كان يجلس عليه والناس من حوله الواقفـــون يربون أضـعافا على الجالسين الى جانبه والجالسين بين يديه . كان العقاد يحل باسوان فما يكاد الناس يتسامعون بمقدمه حتى تتدفق جموعهم على مجلسه وتهرع وفودهم الى داره فـــلا يبقى في الطابق السفلي موضع لقدم .. انه ابن اسوان وابوها فكل من فيها يدعوه « أبونا العجاد »

ورأيت في الطابق العلوي مكتبة العقاد باسوان . انها مجرد فرع من مكتبة القـــاهرة وراعني عطل المكتب من أوراقه المحبرة وأكداس كتبـــه المقروءة والمنتظرة دورها .

ورأيت حجرة العقاد الخاصة وقد ترك فيهـــا كل شيء كما خلفه آخر مرة .. ملابسه معلقة وعصاه .. كل شيء يبدو منتظرا كانه قادم اليه من القـــاهرة وما درى انه سافر منها الى اسوان منذ امد قريب .. بعيد ..

والدور العلوي مخصص للعقاد حين كان يسـافر الى اسوان وتستطيع أن تكتشف هذا بنفسك فكل شيء مرتفع القامة مثله رفوف الزجاج على الاحواض ومراياها .. الازرار في الجـدران .. الشــماعات (المشاجب) ، الاثاث ، حتى الادوات ضخـــة غير نظائرها عند الناس .. وابتسمت من بين دموعي .. لقد لحقت عملقته الاشياء التي تنتمي اليه .

واستوقفني في بيت اسوان صور اسوان .. كل معلم من معالم أســـوان تضمه لوحة زيتية فالخزان والمقياس وانس الوجود وجزيرة النباتات . مهمـــا طاب الجو فالصور تؤكد لك انك في اسوان أو تزيد دهشتك انك في أسوان . الى هذا الحد كان « أبونا

العجاد ، متعلقا بمسقط رأسه • كما كان مسقط رأسه متعلقا به اذا أخذنا بدلالة الصور هنا • ففي كل حجرة صورة للعقاد وفي كل ردهة صورة للعقاد• وكم من صورة رسمها له أو رسمه فيها الفنان صلاح طاهر • ان مدرسة العقاد فيها الرسام كصلاح طاهر والموسيقي كالشجاعي أليست جامعة ؟

وبين الصور صورة كان العقاد يعتز بها صورة زيتية من رسم صلاح طاهر أيضا انها صورة طفلة نائمة أناملها الصغيرة البضة تمسك اطراف الغطاء ودوائر شعرها المخملي تلقى على وسادتها البيضاء ظلالا رقيقة مثلها ووجهها كله تغسل براءته وطهره بحرا من آثام العالم •• كان العقاد المهيب يحب الطفولة وكان قلبه قلب طفل في النقاء والصفاء •

وقد سمعت قصة غريبة صحت أم لم تصح فان لها دلالة كبيرة على أعماق •• صاحبها •• روى لي ابن أخيه ان العقاد رجع من جنازة ابنة صفيه المازني وقد اتخذت صرامته قرارا لا يحيد كالعادة وهو الا يتزوج لكي لا يقف هذا الموقف الجريح لكي لاتدفن نفسه نفسه •• لكي لا يوسد الثرى بضعة منه أو أعز شيء فيه وظل فترة يردد : كيف احتمل المازني دفن ابنته ؟ كيف ؟ وكثيرا ما سئل العقاد عن سر عزوبته فكان يصنع للسائلين الجواب •

وزارني رسول من مصلحة الآثار في منزل العقاد فطلبت له القهوة كاني في بيتي الست مصرية • وكان العقاد نفسه لمصر •• لنا •• اذن هذا البيت بيتي •• بيت كل مصري •• بيت كل أديب لانه كما يقول كل أسواني سمعته بيت ••• « أبويا العجاد » •

وفي أسوان شهدت جزيرة فيلة التي ظن قدماء المصريين في وقت ما أن منابع النيل أربعة تغذي النهر في جزيرة فيلة هذه ولعل السر في ذلك ان مسالة التثنية عند قدماء المصريين (مصر السفلى والعليا) وغيرها •• قد حدت بالمصريين الى الاعتقاد ان له منابع أربعة (اثنان شمالا واثنان جنوبا) •

وكان الفراعنة يتصورون المنابع الاربعة في أربع جرار تهديها ربة الشلال (ستة) •

وكما اتخذ كل معبود ذكر من بين الآلهة المصرية زوجا له ، كذلك ذكر ••• المصريون للنيل أزواجا منهن :

١ ـ نخبيت التي كانت تعبد في الكاب ربة مصر العليا •

٢ ـ نوت

٣ ـ موت (زوجة آمون) الاب الروحي لفراعنة مصر أيام الاسرة ١٨

٤ ـ ايزيس

وكلها تتقارب في الصفات وتتفق في الامومة ••

فنخبيت اي (البيضاء) ترى وهي ترضع فرعون من ثدييها •• وموت كانت أما لهم وتحمل صفة الامومة •••

وايزيس كانت أما معروفة كذلك •••

ويبدو ان فكرة تعدد منابع النيل كانت خاصة بهم• ومنبع فيلة هذا يفصله أزمان على هذا النحو :

«هناك على حدود بلاد النوبة ، حيث يخترق النيل آخر حواجز الاحجار الصلبة ، التي تفصله عن مصر، يقع عدد من الجزر الصخرية بالقرب من الشلال •• وعلى احدى هذه الجزائر يقوم معبد فيلة الفخم ، الذي اشتهر في العالم بأسره في العهد الاغريقي بانه أهم معابد ايزيس ، والذي ظل باقيا على حالته تماما حتى عصرنا الحاضر ، ولكنه تعرض للدمار في الايام الاخيرة ••

نقف اليوم عند هذا المعلم من معالم أسوان لنستكمل الحديث عنها في قادم •

دكتورة نعمات أحمد فؤاد

أديبات الطليعة العربيات

في ميدان الصحافة

بقلم: جولا يوسف

عقب الاستاذ عباس خضر (بالرسالة ١٣/٢/١٩٦٤) على قول الاستاذ مصطفى امين « ان امينة السعيد كانت اول صحفية تباشر العمل الصحفي في مصر ، وان اللاتي كن قبلها يكتبن في الصحف انما كن يفعلن ذلك من منازلهن » ـ بكلمة عن الكاتبة الصحفية لبيبه هاشم التي نشرت قصة بمجلة الضياء عام ١٨٩٨ واصدرت مجلة « فتاة الشرق » سنة ١٩٠٦ ... ثم قال : « وبعد ـ فهل كانت لبيبه هاشم أول صحفية باشرت العمل الصحفي في مصر ؟ .. » وفي هذا المقال خبايا اخرى

مشاركة المرأة العربية في حياة قومها ، ومسيرها مع الرجل جنبا الى جنب ، سواء في ميادين الفنون والآداب ، أم في ميادين الحكم والسياسة ـ مسألة قديمة العهد ، مازال الحديث عنها ، يشغل الكثير من صفحات الكتب .. وكان هناك ولا شك اديبات عربيات قبل أيام الخنساء في الجاهلية ، وليلى الاخيلية ، وعلية بنت المهدى في صدر الاسلام .. ورابعة العدوية في القرن الثامن للميلاد .. وقبل مجالس سكينة بنت الحسين ، والولادة بنت المستكفي .. وغيرهن ..

فقد كان الاعتماد في تسجيل أخبار أولئك الاديبات على الرواية والنقل .. وبذلك استطاع البحترى ـ مثلا ـ أن يجمع لنا في « حماسته » مختارات لعشر شواعر في الرثاء .. وأن يجمع طابعو ديوان الخنساء في بيروت عام ١٨٨٨ مختارات من مراثي ستين شاعرة .. وأن يتحدث الاصمعي في « فحول الشعراء » عن بعضهن ، وصاحب « الاغاني » عن كثيرات منهن ..

ومن هذا التراث المبعثر في شتى المصادر ـ قديمها وحديثها ـ استطاع عدد من أدباء العصر الحديث وأديباته ، أن يخرجوا لنا عن الاديبة العربية في عصورها المتعاقبة ، مجموعة من التراجم والنقد والمختارات ، تتكون منها اليوم «مكتبة نسوية» تزداد على مر الايام اتساعا .. وكان من طلائع هذه المصنفات ، كتاب للاديبة زينب فواز عام ١٨٩٢ سمته : « الدر المنثور في طبقات ربات الخدور » ، وكتاب للاديب الدمشقي عمر كحالة ، في ثلاثة اجزاء ، سماه : «أعلام النساء في الجاهلية والاسلام» ثم مؤلفات مى زيادة عن « ملك حفنى ناصف » ، و « وردة اليازجي » ، و « عائشة تيمور » .. وغيرها

ومنذ ان دخلت المطبعة العربية الى الشرق العربي في مطلع القرن التاسع عشر ، وصدرت عنها الصحف والمجلات ، لم تلبث أمهاتنا الاديبات أن خرجن الى هذا الميدان الجديد ، وبدأن ينشرن المقالات والقصائد والنقدات .. ثم رحن منذ نصف قرن مضى ينافسن الرجل في اصدار المجلات الحاملات اسماءهن .. وفيما بين عامي ١٨٩٢ و ١٩٢٥ ـ أى في خلال الاعوام الثلاثين الاولى لحركتهن الصحفية هذه ـ أخرج الاديبات العربيات ، على مختلف أعمارهن ومقدراتهن، أكثر من أربعين صحيفة ومجلة ، تحمل كل منها اسما مختلفا .. وصدر أكثر من نصف هذا العدد في مصر ، وأقل من نصفه بسورية ولبنان والعراق ..

وقبل أن تصدر الاديبة العربية صحيفتها الاولى ـ وكان ذلك من نصف قرن مضى ، كانت تنشر المقالات والقصائد منذ قرن ونيف .. فكانت تسهم أولا في تحرير صحف الرجال منذ فجر ظهورها ، كما اسهم الرجال في تحرير صحف المرأة ..

وللناقد اذا شاء أن يضع تلك الصحف الباكرة في الميزان ، ليكشف عن قيمتها وعن اثرها ، ومصامدتها للزمن والمصاعب .. وأن يكون حذرا ـ لان هناك من الكتاب الرجال من يحلو له أن يستعير اسما وهميا من أسماء النساء يوقع به على ما يكتبه من رسائل أو يصدر من صحف ! أو كما نشر ومازال ينشر بعض الكتاب مقالاتهم بتوقيعات «حريمي» !..

وأما أقدم الاديبات العربيات في الكتابة والنشر بالصحف ـ في العصر الحديث ـ كما تنص المراجع ، فهي الكاتبة الحلبية : «ماريانة مراش» (١٨٣٨ ـ ١٩١٩) ولدت في حلب بسورية عام ١٨٣٨ ـ (في العام نفسه الذى ولدت فيه الشاعرة اللبنانية «وردة اليازجي» ـ في قول مى زيادة ـ وفي عام ١٨٤٨ في قول قاموس «المنجد» البيروتي ـ ١٩٥٦ ـ وكما ذكر فيليب طرازى في كتابه عن تاريخ الصحافة العربية) ـ وتوفيت عام ١٩١٩ بعد أن لزمت بيتها بحلب ، شيخة مريضة محطمة ..

وفي الخامسة من عمرها، دخلت المدرسة المارونية، ثم المدرسة الانجليزيةالتي كان يعلم فيها المستشرق

الارمني الاصل «ورنجيت» ، ودرست العربية والفرنسية والموسيقى ..

وشبت « ماريانة » في أسرة يحب أفرادها الادب ويكتبون في الصحف . فكان والدها «فتح الله نصر الله مراش» مولعا بالمطالعة واقتناء الكتب . وكانت امها من آل أنطاكي على كثير من الذكاء ..

وتزوجت « ماريانة » ورزقت ولدا وبنتين .. وكانت مشهورة بحسنها وجمال صوتها .. وجعلت بيتها «صالونا» لاهل الادب والفن .. وزارت أوربا. وفي شيخوختها لزمت بيتها مريضة بائسة حتى ماتت عام ١٩١٩. ـ كما سلف .. ومن نتاجها الادبي ، ديوان صغير من الشعر ، سمته «بنت فكر» (مفرد بنات الافكار) ، طبع عام ١٨٩٣. وجمعت فيه من شعرها عددا من قصائد الغزل والرثاء والمدح على طريقة عصرها ، وبعض الاغاني الملحنة على انغام مختلفة .. ثم عدد من المقالات التي نشرت اولاها تحت عنوان « شامة الجنان » ، وثانيها عن « جنون القلم » ـ وذلك بمجلة «الجنان» التي انشاها بطرس البستاني في بيروت عام ١٨٧٠ . كما نشرت المقالات بجريدة «لسان الحال» التي اسسها سليم سركيس ببيروت عام ١٨٧٥ .. وكتبت في التربية ، ودعت الفتيات الى الكتابة والنشر ، والتثقف والتعلم ـ فعلت هذا كله منذ حوالي مائة سنة ، سافرة الاسم والوجه ، تستقبل الادباء في « صالونها » الذي سبقت به صالونات : نازلي فاضل ومي زيادة ، وآمي خير ، فيما بعد ..

وفي قرية « كفرشيما » بلبنان ـ موطن اليازجية ـ غير بعيد من حلب وآل « المراش » ـ ولدت الشاعرة الثائرة وردة اليازجي عام ١٨٣٨ (عام ولادة ماريانه) ونشأت في أسرة تمارس الكتابة والصحافة والنظم ـ فابوها الشيخ العالم نصيف اليازجي ، واخواها الشيخ ابراهيم اليازجي ـ العالم اللغوي صاحب مجلتي (البيان) ١٨٩٧ و «الضياء» ١٨٩٨ ـ وخليل اليازجي الاديب الشاعر .. كما نشا ابنا شقيقتها : الشيخ نجيب الحداد ، وامين الحداد ، شاعرين صحفيين .

وفي عام ١٨٦٧ طبعت في بيروت ديوانا من الشعر سمته : « حديقة الورد » ، واعادت طبعه عام ١٨٨٧ ثم عام ١٩١٤ بالقاهرة بعد أن اضافت اليه شعرها الجديد .

وانتقلت وردة اليازجي الى الاسكندرية عام ١٨٩٩ بعد وفاة زوجها ، وامضت بها بقية حياتها. وبها توفيت عام ١٩٢٤ في مطلع عامها السابع والثمانين .. وفي مصر تبادلت مع عائشة تيمور الرسائل نثرا ونظما ـ وقد نشرتها زينب فواز في كتابها « الدر المنثور » في مقالتها عن عائشة تيمور .

ونشرت وردة اليازجي عددا من المقالات في بعض الصحف والمجلات ـ منها مقالة بمجلة « الضياء » التي كان يصدرها شقيقها ابراهيم اليازجي ، انتقدت فيها المرأة الشرقية يومذاك لتفرنجها حتى صارت تخجل من استعمال لغتها والسير على عادات وسطها ، وتهزأ بقومها لتفاخر بانها اجنبية ظنا منها ان كل الارتقاء في اقتباس قشور المدنية وظواهرها في الازياء والاساليب وتلك الفوضى في السلوك التي تسميها خطأ باسم الحرية . وتقول : « وكان على المرأة الشرقية أن تنظر الى أختها الغربية من الوجه الآخر ـ فترى اهتمامها بالأمور الجدية ، وبراعتها في العلوم والفنون وسائر دوائر النشاط الانساني » .

وفي القاهرة كانت عائشة تيمور (١٨٤٠ـ١٩٠٢) تعاصر هاتين الاديبتين ، كما كانت في سنهما تقريبا .. ومثلهما تنظم الشعر وتنشر المقالات الادبية والاجتماعية في الصحف ..

وكتبت في « المؤيد » ، ثم في « الجريدة » (التي انشاها لطفي السيد عام ١٩٠٧) ـ ومن أقدم مقالاتها الصحفية ، المقالة التي نشرتها زينب فواز في كتابها : « الدر المنثور » وقالت انها من جريدة « الآداب » ١٨٨٨ . وفيها تلوم المرأة التي تسرف في الزينة دون انتباه الى واجباتها ، وترى في ذلك مبعث الخلل والفساد .

وتختلف التيمورية عن معاصرتيها السالفتي الذكر بتحفظها على التقاليد في أسلوبها اللغوى والحجابي والخلقي ، ومع شيء من التحرر العاطفي في شعرها الغزلي ومواويلها الغرامية . ولم يكن لها من الجراة على الثورة في وجه الاوضاع السياسية أيام الاحتلال أو على الاوضاع الرجعية ، ما كان لها من الجراة على التعبير عن العواطف النسوية الذاتية في شعرها الغزلي .

وفي ذلك العهد كانت الاديبة اللبنانية « هند نوفل » قد هاجرت من بلدتها بيروت لتستوطن الاسكندرية . وبها اصدرت مجلة « الفتاة » ـ أدبية اجتماعية تعالج شئون النساء والرجال ـ وقد ظهر

عددها الاول في ٢٠ من فبراير ١٨٩٢ ـ أي منذ سبعين سنة ونيف .

ولم يمض على صدور مجلة «الفتاة» بالاسكندرية غير ست سنوات حتى ظهرت بالاسكندرية ايضا المجلة النسوية الثانية : « أنيس الجليس » ـ التي صدر عددها الاول في ٣١ من يناير ١٨٩٨ ـ ونالت شهرة لم تنلها مجلة نسائية عربية من قبل ولا من بعد ـ ولو انها لم تعمر غير ست سنوات ، وصدر عددها الاخير في ٣١ ديسمبر ١٩٠٤ .. وصاحبة هذه المجلة هي الكاتبة الشاعرة العربية ، اللبنانية المولد ، السكندرية النشأة ـ «الكسندرا أفرينو» ـ بنت قسطنطين نعمة الله خوري .

وولدت « الكسندره » في بيروت عام ١٨٧٢ وتعلمت هناك في «مدرسة راهبات المحبة» ثم نزحت مع أسرتها الى الاسكندرية في العاشرة وتابعت تعليمها بمدارس الثغرودرست آداب اللغات العربية والفرنسية والايطالية . وتعلقت بالشعر والشعراء وكانت تنظم في هذه اللغات .. ثم تزوجت من السيد « ملتيادي أفرينو » اليوناني السكندري ورزقت منه ابناء .. وفي « صالونها » الادبي كان يجتمع صفوة الادباء المقيمين منهم والزائرين ـ وبخاصة الشاعر اسماعيل صبري ـ يوم كان محافظا للاسكندرية فيما بين ١٨٩٦ ـ ١٨٩٩ ومن قبل رئيسا لمحكمتها الاهلية .. وترى في ديوانه خمس قصائد رقيقة في « الكسندرة » وصالونها ومجلتها .

وكان الشقيقان نجيب الحداد وأمين الحداد يكتبان في مجلتها ، كما نشر بها اسماعيل صبري ، ولبيبه هاشم واحمد محرم ، واحمد زكي (باشا) ، وفيلكس فارس وغيرهم ـ القصائد والمقالات .

ومع ما نالته هذه المجلة وصاحبتها من شهرة ونجاح ، فان الزمان لم ينصف لهذه الاديبة في النهاية ، اذ اصيبت أسرتها خلال الحرب العالمية الاولى بافلاس مال ، فهاجر أولادها للتجارة في لندن ، وتبعتهم اليها بعد الحرب حيث توفيت هناك عام ١٩٢٧ .

وكانت الكاتبة «زينب فواز» ـ المولودة في صيدا عام ١٨٦٠ ـ قد جاءت الى مصر ونشأت بها واتصلت بأديباتها ، ونشرت مقالاتها ، ثم طبعت كتابيها : « الرسائل الزينبية » ، و « الدر المنثور في طبقات ربات الخدور » ـ وظهر هذا الكتاب الاخير عام ١٨٩٢ مشتملا على تراجم عدد من مشاهير الاديبات وبخاصة عائشة تيمور ، وفاطمة عليه جودت ـ ابنة المؤرخ التركي جودت باشا ـ وكانت قد ولدت في استنبول عام ١٨٦٠ ، وانتقلت الى حلب طفلة في الثالثة ، وعاشت في البلاد العربية واجادت لغتها ، وكتبت بها واشتهرت .

وفي ثمانينيات القرن التاسع عشر ولدت الكاتبات الكبيرات الثلاث ، اللاتي شغلن الصحف بأقلامهن .. لبيبة هاشم (١٨٨٢ ـ ١٩٤٧) ، وملك حفني ناصف « باحثة البادية » (١٨٨٦ ـ ١٩١٨) ـ ومي زيادة (١٨٨٦ ـ ١٩٤١) .

وبدأت لبيبة هاشم حياتها الادبية بالكتابة في مجلة استاذها ابراهيم اليازجي ـ « الضياء » ، التي أنشأها بالقاهرة عام ١٨٩٨ ـ فنشرت بها في ذلك العام أول أقاصيصها : « حسنات الحب » ، وأتبعتها ببعض الاقاصيص المؤلفة والمترجمة .

ثم أصدرت لبيبة هاشم مجلة « فتاة الشرق » عام ١٩٠٦ـ ونشرت فيها القصص والمقالات ، والروايات المسلسلة .. ولها كتاب في التربية .

كما ألقت بعض المحاضرات في الجامعة المصرية القديمة ، وهاجرت الى شيلي عام ١٩١٩ ثم أنشأت بشيكاغو مجلة « الشرق والغرب » .. ورجعت الى القاهرة سنة ١٩٢٤ .. وأعادت مجلتها « فتاة الشرق » .. حتى توفيت عام ١٩٤٧ .. ولم يجمع أكثر آثارها في كتب مطبوعة .

وأما ملك حفني ناصف ـ المولودة بالقاهرة عام ١٨٨٦ ـ فقد ألحقها والدها الاديب الكبير حفني ناصف بالمدارس منذ طفولتها ، فنالت الشهادة الابتدائية عام ١٩٠٠ ودبلوم « المدرسة السنية » عام ١٩٠٣ ، واشتغلت بالتدريس حتى تزوجت عام ١٩٠٧ ولم يشغلها البيت عن الكتابة في الصحف.. فنشرت المقالات في « المؤيد » ثم في « الجريدة » (التي أشرف عليها لطفي السيد من عام ١٩٠٧).. وجمعت بعض تلك المقالات في كتابها : «النسائيات» ـ ١٩١٠ ـ وقدمه لطفي السيد بقوله : « انها أكتب سيدة قرأنا كتاباتها في عصرنا الحاضر . بل هي تعطينا في كتاباتها صورة الكاتبات الغربيات اللاتي تفوقن على كثير من الكتاب » .

ولم تعش ملك حفني ناصف طويلا اذ توفيت عام ١٩١٨ ، شابة في الثالثة والثلاثين .

وما أن أهل القرن العشرون حتى أخذ سيل الصحف النسوية ينهمر تباعا ، وما زالت القافلة الصحفية النسوية تسير .. والمجال فسيح أمام الباحثين والنقاد .

نقولا يوسف

القصاص

بقلم أحمد محمد جمعة

القصاص مأخوذ من قص الاثر وهو اتباعه . ومنه القاص لانه يتبع الآثار والاخبار وقص الشعر اتباع اثره فكان القاتل سلك طريقا من القتل فقص اثره واتبع سبيله فى ذلك . وقيل : القص ، القطع — ويقال : قصصت مابينهما اى قطعت مابينهما . ومنه : اخذ القصاص لانه يجرحه مثل جرحه او يقتله به .

يقال : اقتص اثر فلان اذا فعل مثل فعله .

قال تعالى : « فارتدا على آثارهما قصصا » اى رجعا متتبعين آثار سيرهما السابق .

وقال تعالى : « وقالت لاخته قصيه » اى تتبعى اخباره .

وقد اوجب المشرع القصاص لشفاء صدور الاولياء وللزجر عما كان عليه اهل الجاهلية من افناء قبيلة بواحد . لا لانهم كانوا يأخذون اموالا كثيرة عند قتل واحد منهم : بل ان القاتل واهله لو بذلوا ما ملكوه وامثاله ما رضي اولياء المقتول . فكان تقديم المال فى مقابلة القتل العمد تضييع حكمة القصاص . لذلك شرع الله القصاص .

وفى القصاص حياة للافراد وللمجتمع . فمن علم انه ان قتل يقتل امتنع عن القتل .

قال الله تعالى : « ولكم فى القصاص حياة »

وقد نزل قوله تعالى : « يايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفى له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم » .

قال الشعبى وقتاده فى جماعة من التابعين :

انها نزلت فيمن كان من العرب لايرضي ان يأخذ بعبد الا حرا وبوضيع الا شريفا . وبامراة الا ذكرا . ويقولون : القتل انفى للقتل . فردهم الله عز وجل عن ذلك الى القصاص . وهو المساواة مع استيفاء الحق . فقال : « كتب عليكم القصاص فى القتلى ... »

وقد قال العلماء : كتب يعنى فرض والزم اذا اراد الولى استيفاء القصاص وكقوله تعالى : « كتب عليكم الصيام » « وكتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين .

وقال آخرون منهم ابو حنيفة : كتب عليكم القصاص فى القتلى . وهو كلام عام مستقل بنفسه .

وقال سائرهم منهم مالك والشافعى : لا يتم الكلام ههنا ، وانما ينقضي عند قوله تعالى : « والانثى بالانثى » وهو تفسير له وتتميم لمعناه .

وقد روى البخارى والنسائى والدارقطنى عن ابن عباس قال :

كان فى بنى اسرائيل القصاص ولم تكن فيهم الدية . فقال الله لهذه الامة : **« كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفى له من اخيه شيء »** . فالعفو ان يقبل الدية فى العمد **« فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان »** ، فاتباع امر لمن يطالب بالدية واداء اليه باحسان امر لمن يدفع الدية **« ذلك تخفيف من ربكم ورحمة »** . كما كتب على من كان قبلكم . **« فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم »** قتل بعد قبول الدية .

وقال الشعبى فى قوله تعالى : « الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى » قال :

انزلت فى قبيلتين من قبائل العرب اقتتلتا فقالوا : نقتل بعبدنا فلان بن فلان ، وبأمتنا فلانة بنت فلان ، ونحوه عن قتاده .

صورة القصاص :

وصورة القصاص انه اذا اراد الولى القتل فقد فرض على القاتل الاستسلام لامر الله والانقياد لقصاصه المشروع . وان الولى فرض عليه الوقوف عند قاتل وليه وترك التعدى الى غيره كما كانت العرب تتعدى فتقتل غير القاتل ، وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام : « ان من اعتى الناس على الله يوم القيامة ثلاثة : رجل قتل غير قاتله ورجل قتل فى الحرم ورجل اخذ بذحول الجاهلية » .

الذحول جمع ذحل بفتح وسكون : هو العداوة والحقد والثار قال الشعبى وقتاده :

ان اهل الجاهلية كان فيهم بغى وطاعة للشيطان ، فكان الحى اذا كان فيه عز ومنعة فقتل لهم عبد قتله عبد قوم آخرين قالوا : لانقتل به الا حرا واذا قتلت منهم امراة قالوا لانقتل بها الا رجلا واذا قتل لهم وضيع قالوا لانقتل به الا شريفا .

ويقولون : القتل أوقى للقتل . بالواو والقاف .

ويروى ابقى بالباء والقاف . ويروى انفى بالنون والفاء . فنهاهم الله عن البغى فقال : « كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى » .

وقال : « ولكم فى القصاص حياة »

ومعنى هذا : لايقتل بعضكم بعضا . رواه سفيان عن السدى عن ابى مالك .

والمعنى ان القصاص اذا اقيم وتحقق الحكم فيه ازدجر من يريد قتل آخر مخافة ان يقتص منه فحييا بذلك معا . وكانت العرب اذا قتل الرجل الآخر حمى قبيلاهما وتقاتلوا وكان ذلك داعيا الى قتل العدد الكثير . فلما شرع الله القصاص قنع الكل به وتركوا الاقتتال فلهم فى ذلك حياة .

وقال الله تعالى :

« من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد فى الارض فكانما قتل الناس جميعا . ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا » .

« من اجل ذلك » : اى من جراء ذلك القاتل وجريرته . وقد خص الله بنى اسرائيل بالذكر وقد تقدمتهم امم قبلهم كان القتل فيهم محظورا لانهم اول امة نزل الوعيد عليهم فى قتل الانفس مكتوبا . وكان قبل ذلك قولا مطلقا ـ فغلظ الامر على بنى اسرائيل بالكتاب بحسب طغيانهم وسفكهم الدماء .

« بغير نفس » اى بغير ان يقتل نفسا فيستحق القتل .

« فكانما قتل الناس جميعا » اضطرب لفظ المفسرين فى ترتيب التشبيه لهذه الاية وقيل فيها وجوه :

١ ـ تعظيم الوزر

٢ ـ ان عليه مثل مأثم كل قاتل من الناس لانه سن القتل لغيره فكان كالمشارك له فيه .

٣ ـ ان على الناس معونة ولى المقتول حتى يقيدوه منه فيكون كلهم خصومه فى ذلك حتى يقاد منه كانه قتل اوليائهم جميعا . وهذا يدل على وجوب القود على الجماعة اذا قتلت واحدا اذ كانوا بمنزلة الناس جميعا .

« ومن احياها » : تجوز فانه عبارة عن الترك والانقاذ من هلكه والا فالاحياء حقيقة ـ الذى هو الاختراع ـ انما هو لله تعالى .

قال مجاهد : احياها : نجاها من الهلاك .

وقال غيره من اهل العلم : زجر عن قتلها بما فيه حياتها .

قال الجصاص :

يحتمل ان يريد باحيائهـا معونة الولى على قتل القاتل واستيفاء القصاص منه حياة كما قال تعالى : « ولكم فى القصاص حياة » .

ويحتمل ان يريد باحيائهـا ان يقتل القاصد لقتل غيره ظلما فيكون محييا لهذا المقصود بالقتل ويكون كمن احيا الناس جميعا لان ذلك يردع القاصدين الى قتل غيرهم عن مثله فيكون فى ذلك حياة لسائر الناس عن القاصدين للقتل والمقصودين .

وارى ان الحقيقة التى ينبغى ان تفهم من هذه الاية : « من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل ... ان من قتل نفسا واحدة بغير نفس فكانما قتل الناس جميعا لانه سن سنة سيئة فعليه كما جاء فى الحديث الشريف وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة لاينقص ذلك من اوزارهم شيئا . والمعنى الذى ينبغى ان يفهم من قوله تعالى : ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا فهو ان يحول بين القاتل وجريمته باية وسيلة بوعظ او قوة او انقاذ من هلاك محقق او محتمل او غير ذلك . ويعتبر انه احيا الناس جميعا لانه سن سنة حسنة فله كما ورد فى الحديث اجرها واجر من عمل بهـا الى يوم القيامة لاينقص ذلك من اجورهم شيئا .

وقال تعالى : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها » .

قال البعض :

ان الاية مقصود بها المستحل للاسباب الاتية :

١ ـ ان من يقتل ذميا عند البعض يجازى بجزاء من يقتل المؤمن المتعمد .

٢ ـ ان المذهب عند اهل السنة والجماعة ان المؤمن لايخلد فى النار وان ارتكب كبيرة ولم يتب .

وقيل : ان المراد بالخلود المذكور فى الاية : هو المكث الطويل كما ذكر فى التفاسير .

وروى ابو هريرة : ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : لقتل مؤمن اعظم عند الله من زوال الدنيا .

كل تلك النصوص وغيرها مما لايتسع هذا المجال لذكرها تثبت ان جريمة القتل العمد العدوان وغيره من جرائم الاعتداء على النفس قد استبشعها المشرع الاعظم فذكر عديدا من الايات فى كتابه الكريم للزجر عنها وساوى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين القتل بغير حق والشرك فقال فيما حدث به ابو الدرداء ومعاوية : « كل ذنب عسى الله ان يغفره الا من مات مشركا او قتل مؤمنا متعمدا » .

(احمد فتحى بهنسى)

العلاقات الإنسانية

في عصرنا الحاضر

بقلم

ان علاقات الانسان بأخيه الانسان فى عمله وحياته .. وفى كل مجال اجتماعى يحدث اتصال فيه .. أصبحت فنا وعلما لهما قواعدهما واصولهما فى عصرنا الحاضر .. وبقدر ادراك هذه الاصول والالمام بتلك القواعد بقدر ما يتحقق للانسانية من تقدم ورقى — فى داخل حدود الوطن الواحد وبين الاوطان المتعددة ... والعلاقات الاجتماعية بين بنى البشر قديمةقدم الحياة .. فمنذ الازل والانسان محتاج لغيره . تلك حقيقة ازلية لا يثور بشأنها جدل الا انه من الجلى ان تلك العلاقات تنمو وتتسع جيلا بعد جيل ، وتمتد وتتشابك يوما اثر يوم .. وفى هذا المجال نلمس ظلال هـذا الامتداد واثاره البعيدة المدى فى العلاقات بين الدول .. حتى اننا . لم نعد نتصور ان دولة ما تستطيع ان تعيش بمفردها بمعزل عن العالم مهمـا صغرت تلك الدولة او كبرت . ونلاحظ ان الدول — فى اقامة علاقاتهـا بغيرها — لا تكتفى بمعاملة الحكومات — بل تتعدى ذلك الى حد انها اصـبحت تخطب ود الجماهير مباشرة ، وتسعى لكسب الراىالعام بنفس الدرجة التى تسعى للارتباط بها مع حكوماتها ... كما اننا نلاحظ ان الدول العريقة فى الاستعمار قد غيرت فى اساليبها ووسائلها — وان لم تتغير اهدافها — خضوعا لتطور العلاقات الانسانية ومقتضياتها فى زمننا المعاصر .

***

ومما لا ريب فيه انه من بين العوامل التى طفرت بالعلاقات الانسانية هذه الطفرة المباركة فى زمن قريب عامل اساسي ورئيسي : هو انتشـار الفكر الاشتراكى مقترنا بالانتصارات العلمية ، وتفضيل معظم المجتمعات الناهضة لنهجه القويم ... ذلك ان الاشـتراكية — ليست نظاما اقتصـاديا فقط — وانما هى قبل هـذا قيم واخلاق ، ومنهـج وسلوك .. وان روحها اتملى على الناس المحبة والتعاون ولا تكتفى من المواطن بان يكون خيرا فى حد ذاته — ولكنها توجب عليه ان ينشر هذا الخير فى كل مجتمع يحتويه وان يدافع عنـه فى ايجابية وشرف، وهى تزيح من طريق المجتمع — الذى يؤمن بسمو اهدافها — كل اثر لظلال السلبية والانعزالية فضلا عما اوجدتهللمبادىء الدينية الخالدة منميادين للتطبيق ومجالات للممارسة ، وحدودا للفهم الصحيح تعدت بها حدود المجال النظرى الذى وقفت عنده طويلا . فعصرنا نلمس منكثب وبلا تردد المعنى الحى والاثر العميق لمضمون تلك المبادىء : « ما استحق ان يولد من عاش لنفسه فقط ، الناس سواسية وهم فىحق الحياة سواء ، خيرالناس انفعهم للناس وان فيهم المحبة وعلى الارض السلام » .

***

ويصطدم الانسان فى تكييف العلاقات الفـردية باعتبارين متعارضـين : **أولهمـا** انه ينبغى على الفرد — اولا وقبل كل شيء — ان يخط مبـادىء صلاته وتصرفاته طبقا لنموذج اعلى من الاخـلاق الرفيعة ، والمثالية الفاضلة — ارضـاء لاصداء الضمير التى لابد من وجودها بقدر متفاوت من نفس الى نفس ، وخضوعا لوازعديني لازال — وسيظل — له سلطانه فى مجتمعاتنـا الشرقية بالذات .. **وثانيهما** انه ربما بحكم المصلحة ،وربمابحكم الانانية التى تابى على الفرد ان يقحم نفسه فى مشكلاتاو جدل لافائدة من ورائه — ولعله الاتجاه الغالب — وربما بحكم اى اعتبار آخر — قد يرى الانساننفسه مضطرا للتسـليم بآراء وتصرفات لايقرها عقله ولا تزكيها نفسه ... وبقـدر ما يستطيع الانسـان التوفيق بين هاتين القاعدتين المتضـادتين بقدر ما يكون ناجحا وممتازا فى تلك العلاقات . لان تغليب الاعتبار الاول وحده قد يؤدى بالفرد الى ان يعزل نفسه بنفسـه عن كل من حوله وما حوله : لا لانه يتمسك بالمثل ولكن لان لكل واحد نظرته الخاصـة للامور ... وتغليب الاعتبار الثانى وحده يؤدى الى وقوع الفرد اسيرا للزيف والخداع ، والى ان يتسم بكل سمات النفاق والمنافقين . لانه سـيتعدى — وبغير ارادة حرة منه — حدود المجاملة المقبولة .

ولكى يمكن التوفيق — قدر الامكان — بين هاتين القاعدتين حتى ينجح الانسان فى صلاته الاجتماعية ولكى تزدهر وتنمو تلك الصـلات ويتدعم الفكر الاشتراكى وفلسفته .. وحتى يظلل السلام جنبات المجتمع بظله الوارف : ينبغى ان يدرك الانسان ان الاساس الاول ، لنجاحه فى هـذا الميدان ينبع من

داخل نفسه هو وليس ممن يتصل بهم .. فيجب — بادىء ذى بدء — ان يعمـــــر قلبه بالحب لذاته الجديرة بتكريمه والتى هى الحلقة الاولى فى سلسلة العلاقات الانسانية .. ولست اقصد بحب الذات شحنها بالانانية والكبرياء وانما المقصود هو ملؤها بالتقدير والاحترام وتوجيهها الى الاعمـال العظيمة والرسالات الكبيرة اذ يجب ان يعيش كل واحـد لرســالة وهدف لا ان يحيــا وكانه فوق هامش الحياة ... ماذا ما احب الانسان نفسه سما بعقله وبذاته ومنحهما الخير والصدق فلا يلقى الناس منه الا ماتعكسه عليهم حياته من سعادة وهناء . اما اذا ذبلت شجرة الحب فى صدره وتساقطت اوراقهـا تغلبت عليه عوامل الشر الكامنة فى النفوس فتمتلىء روحه بالحقد والمادية ، وتطفح نفســـه بالعداوة والانانية . فلا يستطيع — مهما حاول — ان يزرع فى الناس خيرا مما زرع فى نفسه من اثره وبغضاء ، ولا يصدر عنه — حينئذ — الا ما يعكس الخراب الداخلى فى اعماقه ، والانهيـار المحيط بكيانه .. تتكون علاقاته بالناس المثال السىء لعلاقاته بنفسه ، ويكون ، كشخص — عنوانا سـيئا على بيئة وعلى النماذج التى قامت على تربيته ... وعلى الانسان ان يدرك كذلك عن تفهم وبصيرة ان للمجتمع حقـه كمجتمع ولاعضاء هذا المجتمع — كل على حدة — حقوقهم ، وليكن مستعدا دائما لتقديم التنازلات التى بدونها لا يمكن لاصـحاب الحقوق ان يباشروها فى هدوء ولمان .. وبذلك يستطيع الانسان ان يكسب يومه وغده بزيادة عدد اصدقائه .. ولا يضيع وقته فى الشرور والمنازعات ، ويستطيع ان يقـر عينا ويهدا بالا لانه يثبت بسـلوكه القويم دعائم الخير والسلام : وهما الزرع الانسانى الملقى على كاهل كل فرد يدرك لانسانيته مقدر لرسالته .

***

اما فى العلاقات بين الدول فلا نعتقد ان العقبات فى سبيل تطويرها انسانيا ، والتقدم بها اجتماعيا — بمستحيل تذليلها او مستعص حلها — ذلك اننا اذا صرفنا النظر جانبا عن بعض مشكلات الحدود وبعض المشكلات المصطنعة التى خلقها الاستعمار او زيفت على التاريخ — فصارت ارثاله مشكلات الميراث — فسيكون طريق العلاقات الانســانية بعد ذلك بين الدول ممهدا وميسرا ... ويتطلب الامر من كل دولة الا تكون لها مطامع او رغبـــات فى كيان الدولة الاخرى ، وان تنهى حدود حريتها حيث تبدا حدود غيرها — تقديســا للحق وادراكا للواجـب ؛ وان تعيش الدولة فى سلام داخل حدودها ومع جاراتها على اساس الفهم والاحترام المتبـادل ؛ وان تدعم مصـادرها الروحية **اولا** والمـادية **ثانيا** عن طريق التعاون السلمى مع الدول الاخرى ، والا تالوا جهدا فى سبيل المساهمة بقدر مناسب مع كل الدول فى اقرار النظام العلم ، وان تأخذ نفســـها بقدر من العدالة والامتثـــال للقانون الدولى ومقتضـيات السلام العالمى ... ولعل فى نصوص ميثاق الامم المتحدة ، وفى سلطتها ووجوب الخضوع لها ما يعتبر خطوة كبرى لتحقيق كل تلك تلك القيم — لو خلصت النيات وتجردت عن العدوان ؛ وتسابقت كل دولة فى اظهار احترامها لاراء الجنس البشرى التى يعبر عنها — غالبا — اغلب الدول الاعضاء فى منظمة الامم ... وانه لمن حســن حظ البشرية عامة فى وقتنا الحاضر ان الاسرة الدولية قد وجهت — فى الاونة الاخيرة — اهتماما زائدا لهذا الواجب : وهو ضرورة السلام وعدم امكان الحيـاة بدونه — والذى لا سبيل اليه الا بالعدل والقانون. ولقد طرقت فى سبيل تحقيق تلك الغاية ابوابا كان يبدو — فى وقت قريب — انها موصدة فى طريق تقـدم العلاقات لانسـانية .

***

ولعله من حســـن الحظ ايضـــا ما نشاهده اليوم من تقـدم ملموس فى تطور العلاقات بين كل الدول تطورا هائلا لمصلحة الانسان والسلام دون نظر الى اختلاف الفكر او تباين الاعتقاد الامر الذى كان يبدو عقبه كبيره على طريق هذه العلاقات فى وقت ليس بالبعيد ... **وانه لمن المسلم به انه فى اللحظة التى ســتقف فيها المصـلحة عند حدودها الواجبة — متجردة عن الجشـــع والعدوان — كما ذكرنا — منتهجة لمفهـوم عادل وفاضل — فى تلك اللحظة ستحتجب المشكلات ، وتتوارى المنازعات ، ويسود الانسان فى كل دولة ، وتنتصر الانسانية فى كل مجتمع ، ويرفرف الحب والســلام على ربوع الارض بلا منازع .**

ولسنا نعرف طريقا للسلام والاســتقرار على ظهر هذه الارض ، ولا سبيلا للسعادة والتقدم فى المجتمع البشرى ايسر وازكى — وانفع واهدى — من ان تكون الانســـانية سمة العــلاقات وروح المعاملات بين الناس — كل الناس — دولا كانوا أم افرادا .

عبد الله حافظ الخشن

حسان بن ثابت والهجاء

بقلم : مظلوم خضر

ان الايمان أى انسان بمبدأ يؤمن به أو بفكره ما يعتنقها أو بعقيدة تتفاعل مفاهيمها مع مشاعره ، وتتضح أهدافها فى تفكيره · يدفع هذا الايمان ذلك الانسان الى أن ينثر من أفكاره ومن احاسيسه دررا معبرة صادقة بقدر ما أوتى من فصاحة وبيان ، فيدافع عن عقيدته ، وينافح عن فكرته ما وسعه البيان الى ذلك سبيلا ·

وهذا هو ما حدث لشاعرنا حسان بن ثابت الانصارى الخزرجي عندما آمن بالدين الجديد واتخذ الاسلام عقيدة له ·

ذلك الشاعر الذى نشأ جاهليا ، ودرج مدارج غيره من الشعراء فرحل الى الغساسنة واتصل بهم وربطت بينه وبينهم صداقة وطيدة حتى آخر أمرائهم جبلة بن الأيهم · ثم أسلم مع أهله وعشيرته عندما قدم الرسول عليه السلام مهاجرا الى المدينة « يثرب » ·

تناول حسان بشعره جميع الأغراض ، وكان أسلوبه فى الجاهلية جزلا رصينا كما كان فى الاسلام سلسا هادفا من غير كلفة ·

وعندما بدأت الدعوة الاسلامية كان طبيعيا أن يؤيدها فريق ويعارضها آخر شأنها فى ذلك شأن أية دعوة جديدة ·

كان الشعر فى تلك الفترة فى مقدمة الوسائل المعبرة عن المبدأ الجديد وعن العقيدة الجديدة ، ولا غرو فى أن يكون الشعر فى بدء الدعوة ضرورة حربية تقتضيها البيئة ويحتمها العرف العربي السائد آنذاك ، ولذا أباح الرسول (عليه السلام) للشعراء أن يردوا على من يهجو المسلمين واعتبر ذلك أمرا موقوتا بانتصار الدعوة ، وفى ذلك تقول عائشة رضى الله عنها : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان : « ان روح القدس لايزال يؤيدك مانافحت عن الله ورسوله » · كما قرب اليه كعب ابن مالك وقبل عذره ليضمه الى صفوف المنافحين عن الاسلام ·

وما ذلك الا لأن الشعر من أظهر مميزات اللسن والفصاحة التى امتاز بها العرب آنذاك ، وان لكل عصر أساليبه فى الدفاع عن عقيدة أو فكرة أو غاية ، وتتنوع تلك الاساليب بتنوع اغراضها أو عصرها ـ فوسائل الاعلام التى نشاهدها فى عصرنا اليوم من صحافة واذاعة ونشر ـ لم يكن لها وجود فى ذلك الوقت · بل كان الشعر هو الوسيلة الرقيعة للتعبير عن أفكار العرب وآرائهم ·

وربما كانت القصيدة الواحدة فى أمر من الامور تعدل فرقة كاملة من جيش ، لان معركة الشعر كانت شديدة الأوار كمعركة السيف ·

ومن ثم كان عدد الشعراء الذين تبادلوا النقائض من الجانبين كثيرا · منهم المجيد الذى تناقل الناس شعره الى اليوم ، ومنهم من ذهب قوله مع نسمات الصحراء ، وكان فى مقدمة هؤلاء الاول دون منازع ـ **أبو الوليد حسان بن ثابت** ·

ومن الجدير فى هذا المقام الاشارة الى شخصيات بعض أنداده من الشعراء الذين عاصروه أو احتكوا به أو ذهبوا مذهبه فى الذود عن الدعوة الاسلامية ومن بين هؤلاء :

١ ـ **كعب بن مالك الخزرجي** : الذى نشأ بالمدينة وأسلم بعد قدوم الرسول اليها ، ودافع بلسانه عن المسلمين ، وتغلب على شعره النزعة الدينية ، وكان هو وحسان فى مساجلة شعراء قريش ـ كفرسى رهان يعالج كل منهما الرد على الشعراء ·

٢ ـ **كعب بن زهير بن ابى سلمى** : وهو مخضرم ينحدر من أسرة تشتهر كلها بالشعر ، وقدم الى الرسول معتذرا بقصيدته المشهورة (بانت سعاد) فرضى عنه النبى وعفا عنه ·

٣ ـ **لبيد بن ابى ربيعة** : أحد اصحاب المعلقات الذى وفد على الرسول ومدحه وعاش الى عهد معاوية · وغيرهم ·

أما ضرار بن مرداس الفهرى فهو مثال الشاعر المكى الذى كان يهاجم المسلمين بشعره ويرد عليهم فخرهم بنصرة بدر فى قصيدته التى مطلعها :ـ

عجبت لفخر الأوس والحين دائر
عليهم غدا والدهر فيه بصائر
وفخر بنى النجار ان كان معشر
أصيبوا ببدر كلهم ثم صابر

ولا بد لكل ذى عقيدة يعتنقها من اتجاهات تحددها أفكاره وتظهرها فى اطار من الأسلوب الرقيع بقدر فصاحته ـ متضمنا آراءه · وهكذا

كان حسان صاحب عقيدة يدافع عنها ومؤمنا بمبدأ ينافح فى سبيله ماوسعه ذلك السبيل .

فليس من السهل أو من اليسير ان نسمى الدفاع عن العقيدة هجاء أو أن نعتبر صاحب ذلك الرأى هجــاء كمــا ذهب الى ذلك بعض المؤرخين الذين اتجهوا بآرائهم الى اعتبار حسان هجاء وأنه اتخذ الهجاء مذهبا من مذاهبه فى الشعر .

وعلى سبيل المثال فى هذا المقــام ما ذهب اليه (جورجى زيدان) فى كتــابة تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ ، ص ١٤٢ اذ يقول :

كان حسان شديد الهجــاء حتى قيل (لو مزج البحر بشعره لمزجه) كما جعله فى كتابه المذكور من طبقة الهجائين اذ يقول فى كتابه فى ص ١٣٩ :

ظهرت طبقة من الهجائين واكثرهم من المخضرمين الذين أدركوا الاسلام . منهم :

الحطيئة العبسى ، وحســـان بن ثابت ، وابنه عبد الرحمن ، وعبد الرحمن بن الحكم ، وعبد الله الزبعرى ، وكعب بن الاشرف اليهودى .

ان هذه التسوية أو المساواة أو المقارنة فى الهجاء بين حسان وغيره من الذين جعلوا الهجاء غرضــا أساسيا من أغراضهم الشعرية ــ يجانبها الواقع للأسباب الآتية :ــ

١ ــ هناك فرق كبير وبون شاسع بين ماذهب اليه حسان فى دفاعه عن المسلمين وعن أغراضهم ، وبين الحطيئة الذى احترف الهجاء واتخذه من بين أغراضه الشعرية ، سبيلا لتكسبه فى الحياة حتى ان عمر بن الخطاب ســجنه لتهجمه على أعراض الناس مما دعا الحطيئة الى اســـتعطاف عمر فى قوله :

ماذا اقـــول لافراخ بذى مرخ
زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
القيت كاســبهم فى قعر مظلمة
فاغفر عليــك سلام الله يا عمر

ذلك الحطيئة الذى مزج شعره بالهجاء مزجا فهجا أباه بقوله :

لحاك الله ثم لحــاك حقــا
ابا ولحـــاك من عـم وخال
جمعت اللؤم لا حيــاك ربى
وابواب الســفاهة والضــلال

وهجا زوجته بقوله .

اطوف ما اطــوف ثم آوى
الى بيت قعيــدته لــكاع

ولا نعجب عندما نرى الحطيئة يهجو نفسه بقوله :

ابت شفتاى اليوم الا تكلما
بسوء فما أدرى لمن أنا قائله
ارى لى وجها شــوه الله خلقه
فقبح من وجــه وقبــح حامله

٢ ــ لا وجه للمقارنة بين حسان وبين عبد الرحمن ابن الحكم فى الهجاء فحسان ــ كما سبق ــ يدافع عن غــاية من أســمى الغــايات البشرية ، واما عبد الرحمن بن الحـــكم فما هو الا صاحب فكرة محدودة لانه تناول الهجاء بسبب الخصومة التى حدثت بينه وبين عبد الرحمن بن حســـان لوجود تشيع طائفى لا صلة له بالعقيدة ، فكل واحد من الاخيرين يناصر حزبا من الحاكمين .

فابن الحكم يهجو ليدافع عن بنى امية وقريش ، وابن حسان يدافع عن الأنصار ، وابن الحكم كان ميـــالا بطبعه الى الهجاء ، ويتضح هذا من هجائه اخاه الحارث بقوله :

فليتك حيضة ذهبت ضـــلالا
وليتك عنـد منقطع السحاب

٣ ــ ليس من الانصاف أو من الواقع أن تقارن بين حســـان ــ وذاك اتجاهه ــ وبين عبـــد الله ابن الزبعرى الذى قال عنه صاحب الأغانى : فى كتابه جـ ١٤ ص ١١ : (كان عبد الله بن الزبعرى هجاء . فاكثر من هجو المسلمين وحرض عليهم كفار قريش ثم أسلم فقبل اسلامه) .

أو أن نقــارن بين حسان وبين كعب بن الاشرف اليهودى الذى كرس حيـــاته وشعره للهجوم على الرسول عليه السلام وعلى المسلمين لاختلاف المبدأ والعقيدة .

ان الرأى الذى يتفق مع الواقع هو : ان حســـان كان يرى أن المســلمين بعامة والانصـــار بخاصة يهاجمون من كل ناحية لنصرتهم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بل انه راى أن شخصية الرسول نفسها تهاجم ، وينتقل الهجوم بعد هذا كله الى الطعن فى الدين الجديد . فكان لزاما عليه أن يحارب بفكره وبيـــانه فى هذه الجبهات ويسد بشعره وفصاحته تلك الثغرات .

مظلوم خضر

عاشقة العنكبوت !

المتخلفه

شعر : محمود حسن اسماعيل

(تشبثت بالماضي ، فاعماها عن النور
وخلفها على قارعة الطريق ..)

عانقى الماضي ، كما شئت ، وذوبى فى يديه
واجرعى الظلمة من كفيه ، وانسلبى اليه ..
واقعدى فى حجره اسطورة ، تحكى زواله
وتغنى للتوابيت ، مذلات ، ورقا ، وضلاله ..
واعصرى ذاتك فيه ، واستعيدى سجداتك
واخشعى ماشئت ، .. فالله بعيد عن صلاتك ..
انت للموت نشيد ، لم توقعه جنازه
انت للدرب سراب ، لم ترقرقه مفازه ..
جل من سواك ! .. امسا ، وترابا ، وصدا
وصدى مختنق الخيبة ، يحكيه نبا ..
لست منى ! فانا درب تلاشى منتهاه
دفعته ثورة الاقدار فى درب الحقيقه ..
يتلاشى ان تلفت ، وينفض رياحا
تجرف النظرة من ليلى ، وتسقينى الصباحا ..
وتزيح الابد المكفوف من غيب الطريق
وتصب النور ، والنار ، انفجارا فى رحيقى ..
لست منى ! .. فانا لحن على كل رباب
كافر الامس ، تقى الغد مقطوع الاياب
فجرته راحة تمتد من افق جديد
وسقته خمرة النسيان للماضي البعيد ..
فتلاشى فى انعتاق الريح اعصارا جنينا
فى يديه الفجر ، كالبفتة يجتاح السنينا
لست منى ! فانا درب تلاشى منتهاه
مارد الخطوة ، يزور عن الغيب مداه
عانقته ثورة الدهر ، امتدادا وانتهاء
ورمته فى مصب العمر ، موجا ، وضياء
واحالته مضيا ضائع الابعاد ، حرا
لا يبالى حين يجتاح خطاه كيف مرا !
يا ابنة الاغلال .. هزيها على الصدر عقودا
واشربى موسيقة الرق ، ولا تسقى العبيد،
.. ثملوا قبلك بالاطراق ، والخوف العميق
فاتبعيهم ، وانحنى ما شئت للذل السحيق
انت منهم ركعة صاغرة الوجه مهينه
وخشوع مستضام القلب ، مذعور السكينه
انت منهم نظرة منهورة ، تحت جناح
وادته قبل ان يرعش احقاد الرياح

التي عادت

للشاعر : أنس داود

حبهـــا عاد فعـــادت للدنى   غربة اللحن ونواح الوتـــر
وتلاقينا .. بكاء صـــامتا   لا الأسى باح ، ولا الدمع انهمر
يقظة الماضي على اهــدابها   وجلال الحـــب فى كل الصور
يعرف النهر الذى ضم الخطى   اننا كنا به غــــير البشر
رجفة اللقيا ، واشواق الهوى   وتناجينا كمـــا الحـــب أمـــر
وانعطـــافات تربـــات الجنى   فى انذهال اللمس،او لمح البصر
والاكاذيب التى ننســـجها   لذوينا ، والحكايات الاخـــر
وبعينيك تهـــاويل الرؤى   وبعينى صـــلاة للحـــور
ألف تذكـــار على هزى الربا   ألف شيء رائع فيها انتثـــر
أنت تدرين لماذا – طفلتى –   اعبد الحب اذا الحب استعر
ما الذى فى شـــمعة واجفة   ترسل النور اذا الشمع انصهر
كنت اهواك ، واهوى ادمعى   فيك ، واهوى كل شيء يحتضر
وجهك الشاحب ياما هـــزنى   ارق الدمــــع بجفن المنحدر
عند هذا السفح بعثرت الرؤى   وتلوت الحزن آيا وســـــور
فسليه عن صدى شجوى به   فبجنبيه من المـــاضي ذكـــر
عدت يانفحة ماض لم يـــزل   – رغمهابجنبيه – ماضي العطر
عدت يانفحة ماض لم يـــزل   ذات يوم من عبيـــر وزهـــر
عدت النهر الذى انضـــبته   وتخطرت على جـــدب النهـــر
عـــدت للكـــون الذى كنـــت به   ضـــحكة النور واهـــلال القمر
عـــدت للنسر الذى حطمتـــه   عـــدت للجرح الذى كان اندثر
ما الذى فى يـــدك اليمنى وفى   عروة الصدر وفى الجيد النضر
ما الذى فى المعصم الفضى تلوى   افعوانى الخطى ، شـــزر النظر
لم تعـــودى غير سفاح هوى   اهـــرق الجرح على عمرى ومر
خاتم الخطبة ياقـــــاتلتى   خنجـــــر غـــار بقلبى وانكسر

ياابنة العـــــودة للقــاع الذى يحفـــر قـــاعا
ويصـــــب الامس فى أمس من الاعماق ضاعا ..
وينادى كـــل لا شيء ، على ســـور الـــزوال
فيرد الصـــوت وهـــم ، فح من وهم الخيال ..

وتظلين على خطـــــوك ، شـــلاء المســير
فى طـــريق كـــاذب الوقفـــة ، مرتد المصير ..
ارجعى أنت .. فانى للســـفوح الخضر ســـائر
لصـــــباح ليس فيه نظـــرة من جفن صاغر ..

محمود حسن اسماعيل

شعر اليوم

وقضية الشعر الجديد

بقلم : مصطفى السحرتي

ونحن في سبيل عرض نماذج شعر اليوم مقفاة وغير مقفاة ، وفي سبيل اثبات ان الشكل القديم والشكل الجديد قادران على الاعراب عن تجاربنا الجديدة بفضل مقدرة الشاعر الابداعية . وقع في يدنا ، هذين اليومين ، كتاب « قضية الشعر الجديد » للدكتور محمد النويهي ، الذي سرنا كل السرور تناوله لهذه القضية التي نشترك معه في تأييدها ، وتشوقنا أن نجد في الكتاب نماذج منوعة قيمة للشكل الجديد ، نتزود بها فيما اعتزمناه من كشف نفائس شعر اليوم . ولكنا لم نعثر في الكتاب الا على بعض مقطوعات لشاعر واحد ، هو صلاح عبد الصبور ، ولم نجد له قصيدة باكملها قد تعطى صورة طيبة مقنعة لمن يريد تذوق هذا الشعر وتقويمه ، مثل قصيدة « طفل » بديوانه «الناس في بلادي» ، أو غيرهما من القصائد الممتازة ، فتولانا الشجى ، لأن المؤلف ، مع براعته النقدية ، وسعة باعه في الاقناع ، لم يخدم هذه القضية الا ببعض مقطوعات ، أتى بها ليؤيد دعواه في وجوب التجديد الشعرى بالعدول عن الشكل القديم ، واقتراب المصطلح اللغوى من المصطلح اللغوى العادى الحى ، وليثير بمحاولته الجديدة النقاش الخصب المثمر كما يقول ص ٢٧ - ، ولست ادرى كيف يثور نقاش حول قضية ، لم يطرح المحامي عنها ، الاسانيد المؤيدة لدعواه ؟ وهى دعوى ضخمة جريئة ، قوامها تغيير الشكل الشعرى القديم « لأن هذا الشكل لم يعد ، كما يقول ، في ص ٩٧ - صالحا بالمرة لأداء المعانى الجديدة ، والصور الجديدة ، مهما يكن الشاعر عبقريا لأن أصالته وعبقريته لا شك ستختنقان تحت ذلك العبء الثقيل ، فضلا عن ان نوع الايقاع الذى تعرفه القصيدة العربية التقليدية لم يعد صالحا لحاجاتنا الفنية والنفسية والذوقية » ص ١٠٤ - » .

ولما كانت هذه الدعوى بهذا الوضع ، تناقض ، ما نرتئيه من صلاحيةالشكلين - فقد اخذنا نتحرى الاسباب والعلل التى اسس عليها - المؤلف دعواه ، فاذا به يعللها بقوله :

« ان الوزن التقليدى فيه حدة وشدة بروز ، وان الشكل القديم فيه دوى وضجيج - ص ١٠٦ - وعلى العكس من ذلك الشكل الجديد ، فهو اخف جرسا واخف موسيقى ، واقرب الى لغة الكلام الحية - ص ١٠٨ - وانتهى الى أن الشكل القديم ميئوس منه يأسا تاما ولا يحمل أملا للمستقبل » . ولقد وقفنا عند هذه التعليلات موقف المتسائل ؟

أحقا ان الشكل القديم لم يعد صالحا بالمرة ؟ وأحقا أن الوزن التقليدى فيه حدة وضجيج ؟ وهل من الحق ان الشعر الأصيل هو الذى يمثل لغة الكلام ؟ كما قال المؤلف ، معتمدا على ماقاله الشاعر الانجليزى أو الامريكى ت . س . اليوت فى مقال ترجمه فى صدر الكتاب . أسئلة دارت فى رأسنا باحثة عن جواب ، ولسنا نزعم أننا قادرون على الاجابة عنها اجابات قاطعة ، ولكنا قادرون على ابداء وجهة نظرنا فيها ، بقدر استطاعتنا ، ونرى بما أتينا به من نماذج فى مقال سابق بهذه المجلة ، وفيما سنأتى به قريبا ، أن الشكل القديم صالح للاعراب عن تجاربنا الجديدة ، وعن صور الحياة الحاضرة للانسان المعاصر . أما عن حدة الوزن وبروزه ودويه وضجيجه ، فهذا التقرير الحاسم ، كنا نود أن نتركه للمختصين المتفقهين فى عالم الاصوات ، ولكن هذا لا يمنعنا من القول بادىء الراى ، بان طبيعة الاوزان لا يمكن وصفها بالحدة او الضجة ، لانها ادوات يشكلها الشاعر الفنان كيفما يريد ، وطبيعته هى التى تهب هذه الأوزان الحدة ، والجهارة ، أو الهدوء والهمس ، تبعا لنوع التجربة التى يؤديها ، وهذا ما لمسناه فى شعر بعض الشعراء من الهامسين من أمثال نسيب عريضة ورشيد أيوب ، والصيرفى ، وغيرهم من شعراء اليوم ، أو من الشعراء الجاهرين فى شعرهم النضالى والبطولى من امثال ، رشيد الخورى ، وسليمان العيسى ، وعبد الله شمس الدين ، وغيرهم .

اما ما نادى به الدكتور النويهى من أن الشعر الجيد هو الذى يقترب من لغة الحديث الحية ، معتمدا على ما قاله ت . س . اليوت - فقول مختلف عليه ، ولا يجوز لناقد أن يسلم به كليا ، لأن اليوت اراد «مصطلحا لغويا يخالف المصطلح الرومانتي المجنح ، وثار على مايثيره الشعراء قبله من انطباعات خيالية ، اللاشعورية» ، وأراد أن يثير فى القارىء الانطباعات

الفكرية ، فهو لم يحاول الارتفاع على الحياة القبيحة بجناح الخيال ، ولكنه أراد أن يبين ويحلل مايجرى فيها ، فى صدق ، وأقام شعره على الرموز التى تأثر بها من المدرسة الفرنسية الرمزية ، فالقول بأن ت . س . اليوت أقام شعره على لغة الكلام الحية ، فقط ، ليس صحيحا على اطلاقه .

وإذا وجد من شعراء الغرب من نادى باقتراب الشعر من لغة الكلام ، أو النثر الجيد ، مثل ازدا بوند ، فانه لا يجوز مجاراة هؤلاء ، الشعراء ، والسير ورائهم ، لأن التعبير الشعرى يختلف باختلاف شخصية الشاعر ، ومزاجه ، فقد يميل أحدهم الى الأناقة ، والآخر الى الملاحة ، واللطافة الأسلوبية ، وليس لأحد أن ينعى عليه أسلوبه مادام يحمل لنا ماينطوى عليه وجدانه من مشاعر ، وانطباعات شعورية أو تأملية أو فكرية صادقة .

ولهذا سار كثير من شعراء الغرب على الأسلوب الذى يروق لهم ، فوجدنا الشاعر الانجليزى بروجز ، يضفى الملاحة على أسلوبه ، والشاعر هوسمان ينتقى التعبيرات الشفافة النقية ، وقد وجدنا شعراء ينظرون شزرا الى آراء اليوت ، ويخالفون عنها ويسيرون فى أساليبهم على الشكل التقليدى من أمثال بلندن ، وروى كامبل ، وبتجمان، واندرو يونج ، وعشرات غيرهم .

والحقيقة التى لا يختلف عليها أحد ، أن الأساليب متنوعة فى كل جيل ، ومختلفة باختلاف كاتبيها ، والدعوة بالمناداة بأسلوب عصرى هو دعوى مضللة للذهن المضطرب ، فأى أسلوب يعد عصريا اذا عبر باقتناع وصدق عن عقل الانسان المعاصر وعاطفته .

ولهذا فان المقياس الذى اتخذه الدكتور النويهى فى تقويم الشعر بالنظر الى ما يحمل من لغة الكلام ، هو مقياس أبتر ، وضئيل الشأن ، لأنه لا يكفى للتعرف الحقيقى على قيمة الشعر وتبعا لهذا نرى أن من المقطوعات التى اتكأ عليها الدكتور النويهى ، مقطوعة « الى الجندى الغاصب سأقتلك .

من قبل أن تقتلنى سأقتلك
من قبل أن تغوص فى دمى
أغوص فى دمك
وليس بيننا سوى السلاح
وليحكم السلاح بيننا »

فمثل هذه المقطوعة ، لا يكفى لتقويمها القول بأنها كبيرة الاقتراب من لهجة العربى المعاصر حين يغلى صدره بنظير العاطفة المحكية ، ص ١١٤ – بل هناك عناصر أخرى للتقويم ، هو عنصر التدرج والتطور فى التأدية الشعرية ، والبعد عن المباشرة والجلجلة ، وعن النثرية ، ولا تخلو هذه المقطوعة منها .

هذه بعض ملحوظاتنا على طائفة من آراء هذا الكتاب الجديد الذى دافع فيه مؤلفه عن قضية الشعر الجديد ، دفاعا حارا لا يخلو من المغالاة والاندفاع ، متجاهلا كل التجاهل قيمة الشعر المعاصر المقفى ، ومزاياه ، وما ينطوى عليه من توازن وانسجام ايقاعى ، وما يحمل فى طواياه من النسب الايقاعية العضوية ، والوقفات الموفقة السليمة التى نفتقدها فى أغلب كتاب الشعر الحر ، الذين عسر عليهم ايجاد النسب الايقاعية السليمة فى الاعراب عن تنويع مشاعرهم ، ولم يصلوا الى الآن الى طراز شعرى بسيط ثابت ، يستطيع القارىء أن يفهمه ويتذوقه غريزيا . ونتج عن ذلك ازدحام الجو الأدبى بالقصائد الغثة ، والتى ضج منها مؤلف كتاب « قضية الشعر الجديد » ذاته ، فعقد فصلا تحدث فيه عن « أخطار الشكل الجديد » وولوغ المتطفلين فى باحة الشعر الجديد ، وانهيالهم على آذاننا بمد طاغ من الهذر الغث الذى لا نهاية له ، لا تنظمه وحدة ، ولا تضبطه فكرة غالبة ، ولا تضم شمله عاطفة متجانسة . ص ١٢٦ .

وأرجع الدكتور النويهى هذه الغثاثة الى الاسراف فى محاولة الواقعية وهذا الاسراف من التعصب الشديد ناشىء لمذهب الواقعية ، والى تصنع التجديد . ص ١٢٩ – وهذه فى رأينا ، ليست هى أسباب الغثاثة والابتذال ، بل أساسها هو عدم وجود نظام ايقاعى منظم لهذا الشعر ، يمكن أن يقوم عليه ، ويسير على قواعده الشاعر المتحرر الذى يعتمد فى غالب الأحيان على أذنه ، وما أندر الآذان المرهفة الحساسة ، وما أكثرها حاجة الى التدرب والتمرين والممارسة .

ومن هذا يتضح أن الشعر الحر لا يزال فى دور التجريد ، وأن مشكلته تحتاج الى حل ، وقد قامت الشاعرة العراقية بمحاولة حل هذه المشكلة ، ولكنها

قوبلت من بعض الـكتاب بالاعتراض ومن بينهم الدكتور النويهى فى كتابه سالف الذكر بدعوى تقييد حرية الشاعر ، وقد كنا من بين المعترضين على القيود التى وضعتها ، ولكنا بعد هذه الفوضى الضاربة ، نرى من الخير للفن الشعرى الجديد ، معاودة الشعراء النظر والتقدير لهذه المحاولة المخلصة ، لامكان ادخال تعديلات عليها ان أمكن — فالقيود التى توضع على الحرية ، خير مرات من العبث والفوضى ، واذا ما عرفت هذه القيود ، فانها ستكون كادوات اى فن أدبى ، وتصبح غريزية ، ويستطيع الشعراء بعد فهمها فهما واعيا ، أن يتفننوا فى حرية وطلاقة ، ويصلون الى أجمل تعبير وأصفاه والطفه لكل انفعال او فكرة أو تامل ·

وتخلص من هذا الى أن انتصارنا للشكل القديم والجديد ليس انتصارا كليا ، فالشكل القديم يحتاج الى تغييرات توجبها التجديدات الكثيرة الباهرة التى دخلت على فن الموسيقى ، كما ان الشكل الجديد يتطلب نظاما ايقاعيا معروف التقاليد ، وهذا ماذكره ت · س · اليوت · فى مقاله الذى ترجمه الدكتور النويهى ، عن موسيقى الشعر ، اذ جاء فى ص ٢٢ من كتابه :

« **ان الاتباع العنيد لأسلوب اجدادنا ليس من الصحةفى شىء ، كذلك التهوس فى نشدان الجديد من الأساليب والأوزان ، ليس من الصحة فى شىء ··** »

ولانرانا بعد هذا فىحاجة الى القول، بان الدكتور النويهى ، كان مسرفا على الشعر والشعراء ، وهو يسد الطريق فىوجه الشكل القديم، ويطلق البخور فى موكب الشعر الحر ، أو المنطلق ، كما يقترح تسميته · كما نرى أن الدكتور النويهى اغنانا عما أرقناه من حبر ، فى تاييد قدرة الشكلين ،بطرائه اعجابا بالشعر القديم ، جاهليا ، او أمويا ، أو عباسيا ، ووقوفه وقفة طويلة ذكية عند قصيدة الجميح الأسدى التىيعبر فيها هذا الشاعر عن الخلاف الذى شجر بينه وبين زوجته ، قائلا : « انه لم يجد مثيلا لهذه القصيدة فى حيويتها وصدقها المثير الهزاز بين جميع ما أنتجته المدرسة التقليدية فى عصرنا الحديث ص ٤٠٦ وهذا القول يؤكد قدرة الشكل القديم على انتاج قصائد حية صادقة ، بغض النظر عما اذا كان فى شعر اليوم ما يماثل هذه القصيدة فى حيويتها وصدقها ، لان هذا اطلاق لا يقوم على برهان ·

وقد جوبه الدكتور النويهى بهذا الاعجاب بالقصائد التى نظمت على الشكل القديم ، مع أنه ينكره فى غضون كتابه ، ولكنه رد عليه فى مجلة الثقافة بكلام لم يعلق بذهننا ، لان الشاهد الحى الملموس يدفعه ·

وبعد ، فانا لنود أن نسجل أنه لا لذة لنا فى اثارة أى جدل نظرى حول قضايانا الأدبية مع أى كاتب أو ناقد ، لعدم جدوى هذا الجدل فى خدمة الأدب ، ولكن دفعنا الى ذلك مانحمل لمؤلف كتاب « قضية الشعر الجديد » من احترام ومودة أدبية روحية طويلة الأمد ، لما قرأنا له من بحوث قيمة فياضة ، **وكنا نرجو ان يسلم هذا البحث الجديد ، من بعض عباراته المسرفة ، وان يصفى من بعض تناقضاته ، وان نجد للشعر الجديد فيه نماذج كثيرة ممتازة تخدم الغرض الذى قام من اجله هذا البحث الجرىء المناصر لتيار جديد يلقى من الكثيرين كل ضروب الاعاقة والمجاهدة ؟ من كثير من النظامين ، ومن التخلفين ·**

مصطفى عبد اللطيف السحرتى

رسالة الفن

أسبوع الفيلم الفرنسي

بقلم : عبد الفتاح البارودي

نفس الأخطاء التي تحدث في كل المهرجانات السينمائية تكررت في (أسبوع الفيلم الفرنسي) الذي اقيم بالقاهرة منذ قريب ٠٠ فاولا لم نحاول الاستفادة من الأفلام التي عرضت ، وثانيا لم نحاول مناقشة البعثة السينمائية الفرنسية التي حضرت ذلك الاسبوع مناقشة فنية ٠

اذن ماالفائدة من اقامة هذه الأسابيع السينمائية ٠٠ هل تقيمها لمجرد مشاهدة أفلامها ! بديهي أننا نشاهد أفلام مختلف الدول في مختلف المواسم ، وانما تقام الاسابيع الفنية لنجد فيها فرصة للمقارنة الفنية ، وتبادل وجهات النظر ، ومعرفة الجديد في التفكير الفني وفي التكنيك ، واكتساب الخبرات ٠٠ الخ ٠٠٠٠ فكيف نحقق ذلك اذا كنا نشاهد أفلامها كمتفرجين فقط ؟!

زمان ٠٠ كنا نفعل ذلك ، لأننا كنا في حياتنا نفسها متفرجين ، ولم يكن للفنانين دور ايجابي في الحياة الفنية ٠٠ اما الآن فقد اصبحنا ندرك أن للفن وظيفة حيوية ، ولهذا يجب أن نعمق تفكيرنا الفني ، ونزيد اهتماماتنا بتجارب الفنانين في العالم كله لنكتسب القدرة على ممارسة الفنون ووضعها في خدمة المجتمع ٠

ولا شك في أن الاسابيع السينمائية من أهم المناسبات التي تعرض فيها الدول أحدث ما وصلت اليه تجاربها الفنية ، وهذا يستوجب مناقشة هذه التجارب بعمق ووعي ، فلماذا اذن تركنا أسبوع الفيلم الفرنسي يمر بلا مناقشة !

ان كل ما فعلناه هو أننا أقمنا حفلات استقبال ، وهذه عملية روتينية لها ضرورتها ولكنها بالبداهة لا تغني عن الاهتمام بالنواحي الفنية ٠٠ وصحيح أننا اقمنا مؤتمرا صحفيا ، ولكن مثل هذه المؤتمرات ـ بالبداهة ايضا ـ يستحيل أن تتسع للمناقشات الفنية٠٠ وصحيح كذلك ان أحد البرامج التليفزيونية حاول القاء الضوء على الافلام التي عرضت ، وفعلا استضاف (جاك شارييه) ـ وهو احد النجوم الفرنسيين ـ لمناقشته ، ولكن المناقشة أجريت بصورة مضحكة ٠٠ لماذا ؟ لان هذا البرنامج بدلا من أن يختار احد السينمائيين المثقفين لمناقشة هذا النجم الفرنسي ، اختار شخصا لا دراية له بالسينما ٠

ومعنى هذا كله أننا مع الاسف لا نزال نجهل اهمية المهرجانات السينمائية ٠٠ واننا لا نزال في حاجة الى معرفة كيفية الاستفادة بهذه الفرص الفنية استفادة حقيقية ، وذلك بمناقشة الافلام نفسها ، ومناقشة الفنانين والخبراء الذين يحضرون معها ٠٠ لو أننا فعلنا ذلك لاكتشفنا ان السينما في فرنسا تطورت تطورات جوهرية في التفكير وفي التكنيك ٠

لقد كانت الافلام الفرنسية الى وقت قريب يدور معظمها حول (العاشق والعاشقة والعزول) ٠ أو حول (الفودفيلات) التي أغرقت الفن الفرنسي منذ ٨٠ سنة ، او حول كوميديات معظمها من النوع

الســطحى ، أو حول موضوعات تســتهدف الاثارة الجنسية .. الخ .. ورغم أن المسرح الفرنسى ظـل محتفظا بقيمته الفنية ، وظل مجالا للتجارب الفنيـة الجديدة والتيارات الفلسفية الجديدة ، الا ان هـذا لم يكن له اثر واضح فى السينما ، باستثناء افلام قليلة نسبيا لم تتبلور فى اتجاهات فنية محددة .. أما الآن فان الافلام الفرنسية ـ كما شاهدنا نماذج منها فى الاسبوع السينمائى ـ حدثت فيها تطورات رفعت مستواها لدرجة مذهلة ، نتيجة لتغير تفكير الفنـــان السينمائى من السطحية الى العمق ، ومن الاهتمام بالاثارة الجنسية الى الاهتمام باثارة المشكلات الحيوية والاجتماعية ، ومن التعبير عن العاطفيات الى التعبير عن احساس الفرد الاوربى بالقلق ، وكيف يدفعه هذا القلق الى تصرفات عجيبة يلتمس بهـــا الهروب من وطأة ظروفه .

فمثلا بين الافلام التى رأيناها فيلم يقوم ببطولته سجين خرج من الســجن ليدبر جريمة يحصــل من ورائها على ثروة ضخمـــة ... لم يفــكر اطلاقا فى احتراف أى عمل شريف يرتزق منه .. لم يحــاول أن يبدأ حياة شريفة .. لم يخطر على باله اطلاقا ان جريمته الجديدة التى ركز تفكيره فيها ربما تعيده الى السجن وتفقده حريته .. ان كل ما فعله منذ اللحظة الاولى التى عاد فيها الى بيته أنه صمم على سرقة خزانة تتجمع فيهـا يوميا أموال هى بدورها مسروقة من الناس .. وفعلا وضع خطة فى غاية الاحكام .. قام بدراسة الدورة التى تمر فيها هذه الأموال بكل دقة، واستخدم شابا متعطلا كان قد التقى به فى السجن وجعله يتظاهر بالثراء الفاحش ، واستخدم أحـــد أقربائه لقيادة سيارته ، ودارت معظم أحداث الفيلم حول المغامرة المثيرة التى اشتركوا فيها معا ، وفعلا نجحت الخطــة ، واستطاع الشاب الاستيلاء على الاموال ، ورغم التغلب على جميع الصعوبات فقد حدثت غلطة واحدة .. ان الشاب خـــلال تحركاته المظهرية التقطت له صــورة فوتوغرافية بشكل غير مقصود ، وعندما حدثت جريمة السرقة فوجىء بطل الفيلم بهذه الصورة منشورة فى الصحف مع تفاصيل الحادثة ، وفــكر فى الهرب ولكنه فوجىء بالمــكان محاصرا برجال البوليس ، واصيب بخيبة أمل ، ولكن المشهد الذى صور هذه الخيبة بلغ غاية الامتياز فى التكنيك السينمائى ... رأينا الشاب فى مكان فسيح ، وامامه من الناحية الاخرى بطل الفيلم ، والحقيبة التى جمعت فيها الاموال المسروقة بجوار الشاب دون أن يستطيع اخفاءها ، ورجال البوليس يتحركون فى نفس المكان الذى جمع كل عنـــاصر الجريمة ، واخيرا تبعثرت الاوراق المالية فى الماء الذى يتوسط هذا المكان ، وانتشرت فى تشكيل فنى يعبر تعبيرا فنيا عن الامل الضائع .

ان هذا الفيلم يعطى نموذجا للتفكير الفردى الذى انحرف فى المجتمع الاوربى ، نتيجــة لضياع الفرد الاوربى فى زحام الحياة ، لدرجة أن كثيرين أصيبوا باليأس من التماس الرزق بأسلوب شريف ، ولهذا اتجهوا الى أساليب غير شريفة .. ومع ذلك فالفيلم صور هذا الانحراف بكاميرا بلغت دقتها أنها جسدت مساوىء الحيـــاة الحديثة التى لا تعرف من أنواع التعامل غير التعامل بالماديات ... وطبعا هذه البيئة تختلف اختلافا كليا عن بيئتنا ، ومع ذلك فان هذا الفيلم يعطينا فكرة عن قدرة السينمائى الفرنسى على تصوير مشــكلاته بصدق ، وهــذا الصدق من أهم المزايا فى الفن السينمائى ... وليس الصدق هو الميزة الوحيدة ، بل ان فى التناول السينمائى مزايا كثيرة جـــدا ســواء فى التصــوير أو السيناريو أو الاخراج ... الخ ... ان هذه العناصر السينمائية بلغت مستوى فى غاية الارتفاع ، ليس فى هـــذا الفيلم فقط ، بل فى معظم الافلام التى عرضت خلال الاسبوع السينمائى .

خذ مثلا آخر فى فيلم آخر من نوع آخر تدور فكرته الاساسية حول العلاقة العاطفية بين الرجـل والمرأة ... الواقع أن هذا الفيلم يقدم لنا أسلوبا جديدا نراه لاول مـرة ، فهو يتــكون من فيلمين ، أحدهما يعبر عن الحب من وجهة نظر المرأة ، والثانى يعبر عن الحب من وجهة نظر الرجل ... والعجيب أن كل فيلم منهما له موضوع متكامل ويمكن عرضه على حدة ، وكذلك يمكن عرضهما معا ، وهــذا هو ماحدث خلال الاسبوع السينمائى ، فقد عرضا معا فى آخر يوم من ايام ذلك الاسبوع ... والاعجب ان الفيلمين يشتركان فى لقطـــات واحدة وكادرات واحدة ، واماكن الاحداث واحدة ، وترتيب السيناريو واحـــد ، ورغم ذلك يختلف المغزى . كيف ؟ ان

السيناريست البارع استطاع ان يعبر عن فكرته بمرونة مدهشة دون أن يضطر الى اقحام مشاهد جديدة ، وكل مافعله هو تكييف التناول بحيث وصل باختلاف هذا التناول الى اختلاف المغزى فى الفيلمين ٠

فمثلا فى أحد المشاهد انتهى الامر بين الزوجين الى طلب الانفصال، وكالعادة المألوفة قرر القاضى تركهما فى حجرة واحدة فربما يؤدى انفرادهما معا الى تسوية الخلافات بينهما ٠٠ هذا المشهد كيف رأيناه فى الفيلمين ، فى الفيلم الاول بمجرد دخولهما الحجرة اندفع كل منهما نحو الآخر وتعانقا ٠٠ وفى الفيلم الثانى اندفع الزوج نحو الزوجة ، ولكنه أفهمها أنه سيتركها ويخرج ليبحث عن عمل وليصنع طريقه فى الحياة ٠٠ نفس المشهد ونفس الاحداث ، ولكن النتائج مختلفة ٠

ان هذا يعتبر دليلا على نضوج التفكير السينمائى بحيث أمكن وضع قصتين مختلفتين فى مجال واحد ومناخ واحد ٠٠ وهناك دليل آخر على هذا النضوج ٠٠ ان بطلة الفيلم تمتاز بالجمال فى ملامحها وقوامها وتحركاتها الطبيعية ، وهى فى بعض المشاهد تخلع ملابسها وتبقى بما يشبه المايوه فقط ، ورغم ذلك لم نسمع من المتفرجين مايدل على أن هذه المشاهد أثارتهم ٠٠ لماذا ؟ لان التناول السينمائى اجتذبهم الى القصة نفسها ولم يتركهم يتساقون وراء المشاهد المثيرة ٠

ان هذه المشاهد التى تستساغ فى البيئة الفرنسية لا تستساغ فى بيئتنا ، ومع ذلك فان من مزايا الفيلمين أنهما عبرا عن بيئتهما بصدق ، ولهذا رأينا أحداثا مقنعة من وجهة نظر السينمائى الفرنسى ، ورأينا براعة فى التكنيك ، ورؤية فنية وواقعية للمجتمع الاوربى ، وأدركنا أن القصص السينمائية هى فى حقيقتها صدق واقناع بدون أى حشو أو تكلف ٠

ان أحداث الفيلمين عبارة عن مشكلة تواجهها فتاة جذابة فى عمر الزهور ٠٠ فبسبب جاذبيتها تستلفت أنظار كل شاب يلتقى بها ٠٠ وأول شاب يحبها ، ولكنها بعد مناقشة قصيرة تحاول أن تجرب الحياة بنفسها فترتمى فى شاب آخر ، وتحدث الغلطة المعهودة فى فتيات أوربا ، ولكن الشاب يتزوجها ، ويبدو أن المشكلة انتهت ، ولكنها تعود الى التعقد لان الفتاة لا تزال تثير الشبان الآخرين وهم من نماذج مختلفة ٠٠ ان الفيلم بهذا يعرض مختلف الاساليب العاطفية ، ومع أن الفتاة تتمسك بحبها للشاب الذى تزوجها فانه فى أحيان كثيرة يشعر بالشك ، وأحيانا يتضخم هذا الشك ٠٠ وهكذا يمضى الفيلم فى أحداث متشابكة ومع ذلك يعرضها بنعومة ومرونة وفن ٠

هكذا نجد أن أفلام الاسبوع الفرنسى عرضت لنا ألوانا متعددة كان من الممكن أن نستفيد بها لو أننا ناقشناها مناقشة فنية ٠٠ فيها نماذج لعرض المشكلات عرضا واقعيا صادقا ، ولقدرة الكاميرا على التعبير ، ولبراعة السيناريو والتصوير والتنفيذ والاخراج ٠٠٠ وطبعا ليست كلها أفلاما ممتازة ولكنها فى مجموعها حصيلة خبرات وثقافات وممارسة فنية لها قيمتها الكبرى ، فكيف تتوافر لنا فرصة عرضها دون أن نحاول تقييمها ٠٠ نحن فى حاجة الى هذه الخبرات لنأخذ فكرة عن التيارات الفنية العالمية والتكنيك السينمائى العالمى ٠٠٠ ان معرفة ذلك تساعدنا على معرفة عيوب أفلامنا وكيفية معالجة هذه العيوب ٠٠ ان أفلامنا ـ غالبا ـ غير مقنعة لافتقارها الى الصدق فى التصوير الفنى ، ومستواها السينمائى ضعيف لافتقارها الى التكنيك الفنى ، ولهذا فان مناقشة الافلام العالمية ـ رغم اختلاف بيئتها عن بيئتنا ـ تفيدنا فى ارشادنا الى معنى الصدق الفنى وأهمية التكنيك الفنى ٠

ومن واجبنا فى كل الاسابيع والمهرجانات السينمائية مستقبلا ، أن ننظر اليها نظرة جادة ٠ فأولا يجب على الهيئات السينمائية أن تنظم اجتماعات فنية يتبادل فيها الخبراء آراءهم على ضوء الافلام المعروضة ٠٠ وثانيا يجب أن تهتم البرامج الثقافية فى الاذاعة والتليفزيون باقامة ندوات يقوم المتخصصون فيها بتحليل الافلام تحليلا علميا ، ويدعى اليها الخبراء الذين يحضرون مع الافلام للاشتراك فى المناقشات ٠٠٠ المهم هو أن نغير فكرتنا عن المهرجانات الفنية ونعتبرها فرصة للاستفادة الحقيقية بدلا من أن نتركها تضيع على الفاضى !!

عبد الفتاح البارودى



الخميسى والشوباشى والقصة العربية

قرات كتاب « **القصة العربية القديمة** » للاستاذ محمد مفيد الشوباشى ، فلم تغير قراءته شيئا من الموقف الذى وقفته منه اومن الفكرة العامة فيه على اثر قراءتى ما كتب عنه الاستاذ عبد الرحمن الخميسى فى مقال بالجمهورية

قلت فى تعقيبى على ذلك المقال :

« **انى لم اقرا كتاب الاستاذ الشوباشى ، فان كان كما صوره اخونا الخميسى فى مقاله ، قائما على اساس ان القصة العربية القديمة تخلو ـ او حتى تكاد ـ من الطابع الاسطورى ٠٠ فان المؤلف قد كتب عن اى شىء ٠٠ غير القصة العربية القديمة** » .

و « **ضبطنى** » الاخ الخميسى متلبسا ٠٠ بل معترفا بعدم قراءة الكتاب ٠٠ اذ قال فى رده بالجمهورية :

« **وشاء الاستاذ عباس خضر أن يعقب فى مجله الرسالة على ما عرضناه ولم يرجع فى تعقيبه ـ باعترافه هو نفسه ـ الى الكتاب ، ولكنه اكتفى فى فهمه لمحتويات الكتاب ، بما أوردناه فى مقالتنا ، ومن ثم وقع فى الخطا الذى لا بد أن يقع فيه من يكتب فى موضوع دون تمحيصه** » .

***

والواقع انى لم اكتب عن الكتاب ، اى لم يكن الكتاب نفسه ومحتوياته هو موضوع كتابتى ، حتى أمحصه ٠٠ انما كان موضوعى هو ما قاله الخميسى فى عرض الفكرة العامة للكتاب ، وقد محصت ـ والله ! ـ ماكتبه الخميسى فى هذا العرض ٠٠ وكان هذا حسبى من التمحيص ، بدليل أن قراءة الكتاب لم تغير من الموقف شيئا .

والموقف يتركز فى نقطتين : اولاهما ان قصص العرب القديمة تخلو او تكاد تخلو من الطابع الاسطورى ، وانها قصص واقعية تقوم على التعبير الواقعى الذى « **لم يشوهه خيال مريض يقطع صلته بالواقع** » على حد تعبير المؤلف .

والأخرى ، كما قال الخميسى : « **ان القصة فى البلاد المتحضرة ، لا تمت الى البلاد العربية القديمة بمجرد صلة فقط ، ولكنها تقوم على اساس هذه القصة** » .

وهذه وتلك عرفتهما من مقال الخميسى ، وازددت معرفة بهما من كتاب الشوباشى .

ولننظر بعد فى الخطا الذى يزعم الاستاذ عبد الرحمن الخميسى أنى وقعت فيه نتيجة الكتابه فى موضوع دون تمحيصه ٠٠

والخطا المزعوم فى الحقيقة خطآن مزعومان ٠٠ لا خطأ واحد ٠٠

الأول أنى خلطت بين القصص الخرافية والقصص الأسطورية ، أو كما قال : « **ولو أن السيد الناقد كلف خاطره ، ورجع الى الكتاب الذى سمح لنفسه بنقده ، دون قراءته ، لما تورط فى الخلط بين قصص الخرافة وقصص الأساطير ، ولما تورط فيما هو أدهى من ذلك ٠٠٠** »

ونرجىء النظر فيما هو أدهى وأمر ٠٠ وهو الخطأ المزعوم الثانى حتى نفرغ من المزعوم الاول ٠٠

رجعت الى الكتاب فلم اجد فيه مايعصمني من ذلك الخطأ ! بل على العكس ·· وجدت ما يشجعني عليه ·· وجدت مشاركة المؤلف لى فى هذا الخطأ·· بل وجدتك أنت ياعبد الرحمن ياخميسي ·· فى مقالك الأول تشاركنا فى هذا الخطأ !

ونحن الثلاثة ـ الشوباشي وانت وأنا ـ نعلم أن الأساطير هى ـ بالمعنى العلمي ـ القصص الخرافية التى تفسر ظواهر الكون أو تتضمن عقائد ، وان القصص الخرافية هى التى تقوم على الخوارق ، أى لا تخضع لمنطق الواقع · وليس فيها عقائد أو تفسير لظهر من مظاهر الكون ، وان كانت تهدف الى أغراض خلقية أو قضايا اجتماعية ، أو لا تهدف الا الى مجرد التسلية ·

ولكن المؤلف ـ الاستاذ الشوباشي ـ عندما قال « **واذا عدنا الآن الى الجزيرة العربية ، وفحصنا قصصها القديمة الأولى التى استطاعت ان تصل الينا عبر التاريخ وجدنا انها تكاد تخلو من الطابع الأسطورى ، بل ان هذا الطابع الذى بدا أشد وضوحا فى الاعمال القصصية التى تلتها ، لا سيما فى قصص الف ليلة وليلة ، لم يكن الأغلب الأعم بحال** ··· » ·

عندما قال المؤلف ذلك لم يكن يعني بالطابع الأسطورى المعنى العلمي السابق ، بل كان يعنى الطابع الخرافي على وجه عام ،وقد مثل له بقصص الف ليلة وليلة ، التى هى خرافية ولا تفسر ظواهر كونية ولا تتضمن عقائد ··

والمؤلف من جهة أخرى يستعمل الطابع الاسطورى مقابلا للتعبير الواقعي ، فهو يقصد الطابع الخرافي على وجه عام ، الذى يقول بأن القصص العربية تكاد تخلو منه لأنها واقعية ·

ثم جاريته ـ أنت ياسيد خميسي ـ فى ذلك بمقالك عن الكتاب ، ورأيت ذلك منك ، ثم رأيته منه ، فلم أنكره ، بل أخذته على سبيل التساهل المبني على المعنى اللغوى لكلمة الأساطير فى اللغة العربية ، وهو الاباطيل والاحاديث التى لا تقوم على منطق الواقع ·

وجاريتكما ـ أنا ـ فى استعمال « **الطابع الاسطورى** » على ذلك الاساس ، وخاصة ان كلمة « طابع » تخفف من قيد المصطلح العلمي بعض الشيء ·

وهكذا ترى ان « **التمحيص** » يصوب مازعمته خطأ ، بل يرد الخطأ ـ ان كان ـ اليك والى المؤلف··

والخطأ الثاني المزعوم أنى وقعت فيه لعدم التمحيص ·· وهو الأدهى من الاول كما قال الاخ الخميسي ·· هو « **زعمه ـ أى زعمي انا ـ ان الكتاب ليس كتابا علميا ، ولكنه عمل من أعمال الدعاية للقومية العربية أملته على كاتبه عاطفة وطنية جمحت به ··· الخ** » ·

وأنا لم اقل هذا هكذا ، انما وصفت الزعم بان القصة فى البلاد المتحضرة تقوم على أساس القصة العربية ، بأنه « **كلام تفسد موضوعيته المشاعر القومية الجامحة ، أو هو ليس موضوعيا على الاطلاق ، والمبالغة فيه تؤدى الى عكس مايراد منه للقومية · ان أخصر مايقال فيه انه يضحك الناس منا !** » وهذا نص كلامي ، وهو عكس ماقال انى زعمته ·· فانى أرى الزعم بأن القصة العربية أصل القصص العالمية ·· عملا ضد القومية العربية لا دعاية لها ·· اذ يصورنا بصورة المدعي المغالي فى ادعائه ، وهو يشبه مايقال من أن « شكسبير » عربى الجنس ، وأصل اسمه « الشيخ زبير » ··· ويشبه مايقال أيضا من أن « كاليفورنيا » اكتشفها العرب ، وعندما وصلوا اليها وجدوا جوها حارا جدا ·· قالوا : انها « كالفرن » فسميت « كاليفورنيا » !!

والاستاذ الشوباشي يقرر فى كتابه « ان القصة **الأوربية التى يقف امامها اولئك المفكرون مبهورين ، وليدة تلك القصص العربية** » ·

ودليله على ذلك اعتراف كتاب القصة الاوربية الحديثة بأنهم تأثروا بقصص ألف ليلة وليلة · وما أحسبني بحاجة الى بيان أن التأثر ليس معناه ان القصة الأوربية ولدت من القصة العربية ، والا لكان ماكتبه المتأثرون مماثلا لما تأثروا به ، أو به بعض الشبه على الأقل · والواقع خلاف ذلك · فالقصص الأوربية الحديثة واقعية ، وقصص الف ليلة وليلة خرافية ، وشتان بين هذه وتلك ·

وواضح من كلامي أني لم أزعم ان الكتاب غير علمي ، وان كان غير علمي فعلا .. اذ ينقصه أهم شيء في منهج البحث العلمي ، وهو « الاستقراء » ، اذ ان المؤلف قصر البحث على القصص ذات الطابع الواقعي ، وأهمل القصص « **ذات الطابع الاسطوري** » وهي الغالبة في القصص العربية ، خلافا لما قال به ، وطبقا لما أوضحته في مقـال الأول (الرسالة ١٦/٤/١٩٦٤) .

والى اللقاء في المناقشـة التي وعد بها الاستاذ عبد الرحمن الحميسي في آخر مقاله ، اذ قال

« ولو تنـاول السيد خضر ذلك الكتاب تناولا جادا ، واختلف مع المؤلف ، لناقشته رأيا برأى ، وحجة بحجة ، على نفس الاساس العلمي ، بدلا من أن يلقى بأحكامه على عواهنها » .

كشكول

❊ يحتفل المجلس الأعلى للفنون والآداب يوم ٢٧يونيه الحالي بذكرى مولد « العقاد » والاحتفال بذكرى أعلامنا في أيام ميلادهم فكرة دعونا اليهـا من قبل ، ونرجو أن يعم تنفيذها ولو بالنسبة لمن يعرف تاريخ ميلادهم ، فكثيرون لا يعرف لهم تاريخ ميلاد ..

❊ نشر الملحق الأدبي لجريدة المساء أن الاستاذ احسان عبد القدوس قرر عدم الاستمرار في نشر قصة « أنف وثلاث عيون » ، وحسنا فعل احسان ، ان كان حقا مانشر ، ونرجو أن يقفل نهـائيا باب الكتابة الجنسية في المجلتين : روز اليوسف وصباح الخير ، وأن يتجه البحث في ترويجهما الى وسـائل أخرى تتمشى مع اتجاهات المجتمع الجديدة .

❊ في العـامين الماضيين كان لدار الثقـافة بالاسكندرية وزميلتها بالقاهرة ، نشاط ثقـافي ملحوظ ، ولكن في هذا العام توقف ذلك النشاط توقفا ملحوظا أيضا ..

ويعلل المشرفون ذلك بضـيق ذات اليـد .. ويقولون : العين بصيرة واليد قصيرة .

❊ « الدين والضمير » كتاب جديد للاسـتاذ محمود الشرقاوى نشرته دار العـلم للملايين في بيروت .

❊ « في حديث بالبرنامج الثـاني للاذاعة قال الاستاذ سـعد أردش : ان المتـأمل في التأليف المسرحي عندنا أخـيرا يلاحـظ فيه تأثير **مسرح** الجيب . وهذا التأثير ملحوظ فعلا ، **ولكنه للاسف ليس من المكاسب** .. توفيق الحكيم مثلا أعلن العدول عنه .

❊ يظهر أن **الدكتور محمد مندور** أراد أن يرث **الاستاذ العقاد** في عـدم الاعتراف أو الالتفات الى مايكتب وينشر ، الا اذا كتب له عنه رسالة خاصة .. تطلب رأى شيخ النقاد .

● في جريدة «الاخبار» (١٧/٦/١٩٦٤) عنوان كبير على رأس صفحة الرياضة ، جاء هكذا :

«تماسيح النيل يغزون سباقات السباحة الدولية» ولو أن المحرر التحرير جعل الكلام اقرب الى اللغة الدارجة فكتب «تغزو» بدل «يغزون» لجاء كلاما عربيا فصيحا .

● تلقيت خطابا من الاستاذ محمد القرشي صاحب قصة « الدنيا بخير » التي تبين لي حسب اجتهادى ـ انها مقتبسة من قصة لورافيا .

والخطاب ليس فيه غير ترديد ما قيل وجـدل لا يستفيد منه القارىء شيئا . وأرى أن الموضوع قد استنفد ما يستحق من الاهتمـام ، فلا داعي للعودة اليه .

● أصدرت مؤسسة التأليف « قصة الشـجرة » وهي مجموعة قصص قصـيرة للمخرج المعروف الاستاذ محمد عبد العزيز ، وتدل المجموعة عـلى موهبة فنية تظهر في القصـة كما تظهر على المسرح ، وهي تتجه اتجاها طيبـا نحو الدلالات الاجتماعية والانسانية .

● كلام كثير جدا في الصحف .. على معركة صغيرة جدا بين مؤلف ومخرج كل منهم يتهم الآخر بعدم التأليف ! متى تنتهي هذه الصغائر ؟

● تلقيت من العراق كتابا بعنوان « عينـان بلا لون » لمؤلفه الاديب خالد الحلي ، وهو مجموعة رسائل الى حبيبة . وظـاهر من الرسـائل ومن صورة المؤلف الفوتوغرافية انه شاب في مقتبـل العمر ، وفي كتابته ما يبشر .

عباس خضر

حول الأدب فى أسبوع

يقدمه : عبده بدوى

متتالية الشعر

فى امسية السبت الموافق ١٣ يونيو ، قدم لنا « اوركسترا القاهرة السيمفونى » تجربة جديدة للمؤلف الموسيقى «رفعت جرانة» الذى عارض من فترة كبيرة تيار الاغنية السريعة والقطعة الموسيقية الساذجة التى تكتب « للتخت » ، فما يذكر لهذا المؤلف انه عارض التيار السهل البراق ، ووقف بصلابة ليعطينا فى فترة قصيرة سيمفونية ٢٣ يوليو ثم السيمفونية العربية ، ثم عمله الجديد الذى قدمه اخيرا بعنوان **«متتالية الصور»** .

ومتتالية الصور تتكون من حركات اربع ، تمثل الحركة الاولى احساس المؤلف باعمال سيف وانلى واحمد فؤاد سليم اللذين يمثلان فى نظره المدرسة التجريدية فى الرسم

اما الحركة الثانية التى تميزت بحيوية الايقاعات فكانت تعطى هذا الانطباع الذى تخلف فى نفس المؤلف من مشاهدة اعمال الفنان رشدى اسكندر ، والتى تدور فى اغلبها حول رقصات الباليه .

اما الحركة الثالثة فتعطى انفعال الفنان باعمال ادهم وانلى وبعض الرواد القدامى بمتحف كلية الفنون بالاسكندرية .

واخيرا فالحركة الرابعة تعتبر مقصورة على ان التحت .

وعلى انى كنت احب ان تكون الحركات الاربع متمشية فى ظل تطور مدارس هذا الفن ، الا ان مما لاشك فيه اننا امام تجربة جديدة للفنان الصلب الذى اختار فى حياتنا الطريق الشاق .

واذا كان هذا العمل يشد الى الاذن والقلب عملا آخر للفنان «سورجسكى» حينما زار معرضا للمهندس المعمارى والمصور هارتمان ، واعطانا تصديرا لعمله بعنوان «تجول» ثم اعطانا انطباعه عن اللوحات التى كانت تحت اسماء : الغول ، والقصر القديم ، والتويلرى ، وبيدلو ، وباليه الكتاكيت حين تخرج من البيض ، وصمويل جولدنبرج وشمويلى ومقابر ، وكوخ قائم على ساقى الفرخة ، وبوابة بوهانير بكييف .

اذا كان هذا العمل يشد الى الاذن والقلب فان احدا لايستطيع ان يقول ان «رفعت جرانة» تاثر به فى التركيب والتوزيع ، وانما يستطيع ان يقول : ونحن الآخرين لنا فنان يستطيع التعبير عنا .

ولقد كان يدور فى ذهنى — طول استماعى للعمل — سؤال هو : هل نستطيع ان نقدم لرفعت جرانه اربع قصائد من شعرنا المعاصر لينسج منها فى الموسم القادم عملا تحت عنوان متتالية الشعر» اما عن رفعت جرانه فقد تحدثت اليه فى هذا الشأن ولكن ماهى القصائد الاربع التى يمكن ان تكون فى مستوى عمل موسيقى متكامل يمكن أن يؤدى فى اى بلد من بلاد العالم !

هذه مسئولية القيها على كاهل قراء باب «حول الادب فى اسبوع» وعلى الشعراء انفسهم ، على ان تكون الاقتراحات حول القصائد الاربع مبررة ، حتى يمكن قيام مناقشة حولها ، والى لقاء من اجل «متتالية الشعر» لا بالنسبة لشعراء الجمهورية العربية المتحدة فقط ، ولكن من اجل كل الشعراء العرب .

الناى والريح لخليل الحاوى

حلالى أن اعود الى قراءة خليل الحاوى فى «الناى والريح» فهو شاعر لايجف ولاينتهى ، وانما يظل عنده شىء يقوله رغم كثرة الاستماع اليه .

وخطورة هذا الشاعر انه يشد القارىء الى اعماق الوجود دون أن يضلله ، فرغم «الغوص الوجودى» يظل دائما هناك شىء يذكره بواقع الشاعر وموقفه من الحياة .

والرموز عنده قد تستعمل لتذكير الانسان بانه «موجود» وغير غائب تماما فى عملية اكتشاف الاعماق ، فالجن الذين حلوا فى البصارة واخذوا يتنبئون الشاعر بمستقبله يذكروننا بالساحرات فى «ماكبث» ، و «الخاتم» الذى يطوع الغيب ، و «القرينة» التى لاتخرج عن كونها الوجه العدمى للحقيقة ، و «السندباد» ... اشياء ليست غريبة عن تراثنا ، وعن تفكيرنا ، وهى فى الوقت نفسه تحرسنا من الضياع ، والضباب الذى يلف التجربة .

والديوان لايحشدالقصائد حشدا ، ولايستعطف الحياة من حوله لتوحى له بالشعر ، ذلك لانالشعر عنده هندسة ، واستبطان ذاتى ، ونسيج يحتوى على الخيوط الدقيقة التى لاترى بالعين ، ولكنها تقدم فى الوقت نفسهنظرية اكتشاف شعرىللنفس الانسانية فى حالات اصطدامها بالوجود .

فهو فىقصيدة «عند البصارة» يقف وقفة وجودية فى حالة التوتر التى تتمثل فى عالم بيروت « العالم الواضح عند الشاعر» الى ضفاف كام «العالم الخفى الذى يريد اكتشافه» .

وهو فى « الناى والريح فى صومعة كيمبردج » يجد نفسه يائسا وغير متصالح مع الحياة ، وهو فى هذا الموقف يجد نفسه ملتفتا الى الماضى ، وفى مواجهة أمه وخطيبته ، حتى انه ليتذكر نفس الكلمات التى تقال فى هذا الموقف .

« ابنى وفاه الله كنز ابيه .
جسر البيت ، يحمل همنا هما ثقيل .
العام خلف العام يابنتى ، يعود .
غدا ، يعود اليك ، بعض الصبر » .

ويجد نفسه فى مواجهة المد العربى بلا جلجلة ، واذا كانت الحركة الاولى قد رمز لها بالناى فانه يرمز لهذه الفترة بالريح ، وهو يراها بدوية سمراء

نهضت تلم غرور نهديها .
وتنفض عن جدائلها حكايات الرمال .
.. بيتا واحدا يزهو باعمدة الجباه .
يزهو بغابات من المدن الصبايا .
لمن ارصفة وجاه !

ثم نراه يلتفت الى اعماقه ويحس أنه كان «يحلمبالنهار» وان بينهوبين ذكرياته وواقعهالعربى صحراء خلفها واد ، خلفه «عمر من الورق العتيق» والشاعر فى «وجوه السندباد والسندباد فى رحلته الثامنة» يقول : ان الرحلة تبدا بوقفة صغيرة يحس فيها الانسان انه لا يحمل وجها وانما وجهين ، اما اولهما فهو الوجه الطفلى البرىء ، واما الآخر فهو الممسوخ من كل الوجوه ، وهو الذى يفرض نفسه على من خرج «ليتوه» فى الحياة .

وفى بدء الرحلة يجدها مرة ليلته الاولى فىالقطار ويجده مرا يومه الاول فى الارض الغريبة ، وحين يستقر فى حجرة يحس بأن وجهه الاول يتآكل ، وبانه فى قلقه وضياعه صار له « وجه الفجر » و « وجه من يصحو من الحمى » ثم اخيرا .

« وجه من حجر بين وجوه من حجر » .

وهو فى سيره فى درب «سوهو» يتخيل عابرا ، وامراة ، ولكنه لايانس الا الى وجه يحكى بانهما توامان ، فهو «القرينة» او الوجه العدمى للانسان ولكنه يقاوم الرغبة فى الموت ، ثم يعود الى تذكر «الوجهين» ولكنهيتداعى ، ويطلب ان تسندالانقاض للانقاض فقد تخضر غدا فى طفل .

والتجربة هنا تدور حول احتكاك العالم الشرقى « الوجه البرىء » بالعالم الغربى «الوجه القاسى» وحين يشتد الصراع تولد فى الشاعر الرغبة فى الموت ، ولكنه ينجو من كل هذا الى عالم الطفولة (بلده) .

اما قصيدة «السندباد فى رحلته الثامنة» فلنا معها عودة ، ويكفى أن نذكر اننا هنا امام شعر حقيقى ، وان بعض افكاره وبخاصة فكرة الوجه المقابلورموزها والمدنالصبايا ، قد ظهرت فى قصائد عدد من شعرائنا المحدثين .

اسفاف

تحت هذاالعنوان كتب رمسيس يونان فىجريدة الجمهورية ، ليروى القصة الحقيقية لحكاية رسوم القرود ، بعد ان نجح صحفى فى «آخر ساعة» من التغرير به ، واخذ رايه مع مجموعة من الفنانين التشكيليين فى صورة زعم انها لبيكاسو ، وبعض الصور الاخرى ، وكان فيما قاله : انها تمثل حركة عنيفة كحركة شخص يشوح بيديه للتخلص من شىء ما يقيد ذراعيه .

وقد كال رمسيس يونان الضربات للصحفي ووصف مسلكه «بمسلك امراة عابثة تسعى اليك فاذا احست بعدم اكتراثك لها صاحت وولولت واتهمتك بشر التهم» .

ثم وصف هذا العمل بانه مشكلة اخلاق ، وذكر ان الاستاذ العقاد « كل يوم اربعاء » كان لايكف عن مهاجمة الفن الحديث ، وان هذا لم يمنع صديقا من اعز اصدقائه هو الدكتور زكي نجيب محمود من ان يكون له في الفن الحديث راي آخر ، ثم ختم حديثه بقوله «والسؤال الآن : هل يمكن ان نترك امثال هؤلاء الصحفيين يعبثون ؟ » .

والذين يعرفون هدوء رمسيس يونان الذي يكاد يتحول الى صمت يعجبون من ثورته هذه التي اثارها على الصحفي « طالب الشهرة » والذي استطاع - كما يقول البعض - ان يدين بعض اشكال الفن الحديث ، ويسخر كذلك من عبث بعض الذين يقومون به .

اما القول الذي شاع اخيرا من ان الدكتور زكي نجيب محمود كان يخالف العقاد في قضيتي الشعر الحر والفن الحديث في جلسات التفرغ فشيء لا دليل عليه ، وانا اذكر - وقد تيسر لي حضور كافة الجلسات التي حضرها العقاد - ان شيئا من هذا الخلاف لم يذكر في اللجنة من الدكتور زكي نجيب محمود خاصة ، ويمكن الرجوع في هذا الى محاضر الجلسات ؛ اللهم الاتعاطفا لم يصل الى حد التأييد في قضية الشعر الحر ، وكان هذا التعاطف ردا على ما يشبه العتاب من الدكتور لويس عوض ، ولم يكن العقاد حاضرا هذه الجلسة

ومهما يكن من شيء فالوسط التشكيلي يهب عليه الآن ما سبق أن هب على الوسط الازلي من «الهواء الاسود» ، يبقى سؤال يشبه سؤال رمسيس يونان وهو « الى متى يصبح الفن الحديث بلا نظام ولا نقول بلا قيود !! » .

العقاد .. والكلمة الموجزة

كنت قد تعرضت في الأسبوع الماضي للكتاب الجديد الذي سيصدر في ذكرى ميلاد العقاد بعنوان « كلمة موجزة » ، واوردت جانبا من هذه الكلمات .

واليوم اقدم بعض هذه الكلمات ليحتشد حولها من الآن الذين لم يهاجموا العقاد الا بعد موته ، ولنتأكد ان العقاد - حتى الآن - لازال صوته أعمق الاصوات .

● **الرجل الذي يغضب قد يخطيء وهو غاضب ،ولكن الرجل الذي لا يغضب ابدا يخطيء طول حياته .**

● **الحب تنويم مغناطيسي تنوم الطبيعة فيه بدور المنوم : يسلب الارادة ، ويضاعف الحس ، ويريك ماتراه اقوى واجمل الف مرة مما يراه سائر الناس ، ويذهلك عن سائر الأشياء التي لا تراها ، وهي في متناول النظر من كل انسان .**

● **فكرة الجمال في الحياة ، هي بعينها فكرة الجمال في الفنون فلا فن بغير تطلع ولا تطلع بغير حرية ولكن ينبغي ان نذكر أن الحرية تستلزم المنع ، وان الجمال هو غلبة الحرية على القيود ، او هو ظهور الحرية بين الضرورات ، وليس هو بالحرية الفوضى التي يمازجها نظام ، يحيط بها قانون ، فلا عجب ان يمثل الفن قيود الجمال وانظمته كما يمثل حريته وانطلاقه ، وان نرى الفن حافلا بالاوزان والاوضاع كما نراه حافلا بالتطلع والرجاء .**

● **أدعى الى الشبهة نبذك اوزان العروض وانت قادر عليها ان لم يكن مآربك الهدم ففيم العدول عن المأثور المستطاع .**

● **الشعر حياة او سلعة .**
ان يكن حياة فهو من الروح .
وان يكن سلعة فهو من السوق .

● **ماحاجتنا الى تسجيل اللامعقول ؟ .**
انخشى ان يزول ؟ !! .

● **ذهبت الماضية ولم أودع فيها شيئا .**
واقبلت الآتية ولم انتظر فيها شيئا
وهذه فاتحتها .
فليكن ختامها كما شاء الله ان تكون .

ولقد كانت آخر كلمة سطرها قلم العقاد هي الكلمة الموجزة الآتية ، فقد كتبها في ١٢ فبراير عام ١٩٦٤ .

● **عند الحب سهر أحلى من حلم النوم .**
ونوم أيقظ من سهر الخلود .
عند الحب نور يطوي الشمس والقمر .
وموعد ينسى الليل والنهار .
عند الحب حياة يهون من اجلها الموت .
وموت تباع من أجله الحياة .

الكتب

نقد وتعريف

يقدمه تحسين عبد الحي



شمس ووحل ..
تأليف : مصطفى فودة مصطفى

ما أروع الأدب .. عندما يكون تعبيرا عن واقع الحياة والمجتمع بتحولاته وتحركاته النضالية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ـ عندئذ يكون الأدب . والقصة بالذات هي تلك المرآة الصافية التي تنعكس عليها الأبعاد الحقيقية لنفسية الجماهير وتطلعاتها ..

ولا شك أن مهمة الأديب في فترات التحول الاجتماعي تزداد صعوبة .. لأنه في ذلك الوقت لا يكفيه أن يكتب فقط .. وانما هو مطالب ايضا أن يقدم نماذجه بمقاييس تختلف كثيرا عن ذي قبل .. اذ أن المعروف لدينا جميعا .. أن مقاييس المجتمع الاقطاعي تختلف عن مقاييس المجتمع الراسمالي . وكذلك تختلف مقاييس المجتمع الراسمالي عن مقاييس المجتمع الاشتراكي .. ففي كل مرحلة من هذه المراحل تختلف المقاييس بل وقد تتناقض تماما .. مثال ذلك .. أن الرجل العصامي الذي يشق طريقه بقدراته الذاتية محتميا بانظمة وقوانين المجتمع الراسمالي القائم على ما يسمى بالاقتصاد الحر ـ هو ـ أي هذا العصامي ـ

يعتبر في نظر المجتمع الاشتراكي رجلا مستغلا ـ يبني نفسه على حساب استغلال غيره من الكادحين ـ بل وسرقتهم .. ولا أود هنا أن استرسل في شرح الفروق بين نظامين اجتماعيين .. وانما أردت أن أذكر هذه المقدمة البسيطة كضرورة ملحة . لما أود أن أقوله بصدد قصة «شمس ووحل» التي كتبها الزميل مصطفى فودة مصطفى ..

والقصة في مجموعها تروى قصة شاب تخرج من الجامعة .. ولما لم يجد عملا بشهادته .. اتجه الى الريف ـ والى قريته بالذات ـ ومارس العمل الحر وكما حدده المؤلف ـ تربية الماشية وتسمينها .. ثم تزوج ابنة العمدة وأصبح ثريا .. بل وأستاذا في نفس الوقت .. يشار اليه بالبنان من كل أهل القرية .. بعد اختلاطه بهم ..

وأول ما استلفت نظري في الرواية هو أسلوبها المباشر الذي كان يتخذ أحيانا كثيرة شكل الخطب المنبرية . ثم ذلك الحوار الطويل الذي يسلب دائما العمل الفني قيمته وحيويته ـ وكذلك المعالجة الخارجية للشخصيات ـ مما جعلها تبدو شخصيات مسطحة من الناحية الفنية ـ ورغم أن المؤلف قد واتته فرص كثيرة للتعمق الداخلي في نفوس شخصياته الا أنه وبكل صراحة لم يستطع أن يفعل ذلك وجاءت القصة في معظم فصولها سردا ممتزجا ببعض الوصف الذي أسارع فاقول بصدده أنه كان موفقا في بعض منه .. لقد كانت عناصر الأزمة والحوار الداخلي متوفرة تماما في موقف البطل بعد تخرجه .. واعتقد أن المؤلف يتفق معي في أن بطل روايته كان في حاجة كبيرة الى أن يتزود ببعض الأحاسيس اللازمة لموقف المتخرج بلا عمل ثم انه اذا كان قد قرر العمل مسبقا في قريته فلا بد له من التفكير على الأقل في عنصر التفاضل بين اتجاهين كان من المحتم عليه أن يسلك أحدهما .

وعلى الرغم من أن معظم شخصيات القصة في

حاجة الى دراسة وافية وبخاصة شخصية الاب والعمدة وعليوة واحسان الا اننى ساحاول النظر فى الشخصية الرئيسية فى القصة ـ وهى شخصية محمود فقط ..

ولنبدأ مع محمود منذ أيام دراسته .. فهو يعيش فى القاهرة فى مستوى أعلى من المتوسط ـ وذلك بحكم انتمائه الى طبقة السادة او الاعيان فى قريته بالرغم من انه يريد أن يبدو غير ذلك .. الا اننا نستطيع ان نستشف ذلك بسهولة من طبيعة ممارسته لحياته كطالب .. فهو كما يقول : « كنت العب ما شاء الله أن العب ثم أحبس نفسى بين جدران أربعة مدة شهر آخر العام وأمامى ابريق لا يفرغ منه الشاى الأسود ثم الكتب والمحاضرات ويأتى الامتحان وانجح بقدرة قادر وبعد شهر واحد بل أسبوع بل بمجرد خروجى من باب اللجنة أكون قد نسيت كل شيء .. » فهو اذن لم يستفد من دراسته أى شيء .. واين يا ترى كان يقضى وقت فراغه وكيف كان يلعب كما يقول . وما طبيعة هذا اللعب .. ؟ وتتضح طبيعة هذا اللعب من قوله يصف نساء القاهرة .. « ترى فجأة نساء القاهرة المزججات المرهفات ذوات الوجوه المصبوغة والشعور المصففة والخصور النحيلة والسيقان التى تلفها هاتيك الغلائل الرقيقة التى تظهر أكثر مما تبطن .. والشفاه التى يخيل اليك ان بها نارا حمراء تدعوك اليها وأنت راض وليكن فى يوم القيامة ما يكون . » ثم يقول بعد وصف مسهب للمرأة القاهرية . « فيصير ما تراه بعد ذلك أقل من المألوف بل ستشمئز منه كثيرا عندما تتفحصه (يقصد هنا جمال المرأة) وتتبين أنه مصنوع لا مطبوع » وهكذا فمحمود ـ من أولئك الطلبة الذين يمارسون حياتهم الجامعية باللعب وعدم الاستذكار مضافا الى ذلك علاقات نسائية غير مشروعة .. ويتخرج محمود .. **وهو كما يقول طبعا ـ بقدرة قادر .. فماذا يفعل ؟**

انه يتحول فجأة ـ وبقدرة قادر أيضا ـ الى مصلح كبير .. !! بعد أن يأخذ من والده مبلغ ثلاثمائة جنيه ومن والدته مثلها فى السر .. لكى يبدأ حياته كرجل مكافح على حد تعبيره .. ورغم أن مبلغ الـ ٦٠٠ جنيه هذا يعتبر مبلغا خياليا فى الريف الا أن محمود استطاع أن يحصل عليه ببساطة وباسلوب لا أعتقد أنه يمكن أن يتم فى ريفنا على وجه الاطلاق .. والغريب أن محمود كان يتغلب على كل العقبات التى كانت تصادفه بسهولةويسر فهو عندما يختلف معمهندس الزراعة يستطيع أن ينقله فورا منالقرية .. وعندما يتحدى أمين الشونة يجعله يلحق بزميله وكأن القوانين .. طوع بديه .. ولكن اذا كان ذلك للصالح العام للقرية فانه شيء رائع حقا أن يستحوذ محمود على حب وثقة أهل القرية نتيجة لمواقفه المشرفة من مهندس الزراعة وأمين الشونة اللذين يمثلان طبقة الموظفين المهملين لواجباتهم ويبدأ محمود فى شراء الماشية لكى يسمنها بالطرق العلمية .. وان كان لم يذكر لنا من هذه الطرقالعلمية سوى انه يفرش لها ارض الحظيرة بقش الأرز بدلا من التراب الناشف الذى يستخدمه الفلاحون بقصد تحويله الى سماد ..

وقد راهن محمود والده وعمدة القرية وبعض الاعيان على نجاحه قبل أن يبدأ .. والغريب أن المراهنةقد تمت علىطريقة ابناء تكساسوشيكاغو .

ان مبدأ المراهنة نفسه ـ يعنى المقامرة ـ وهو شيء ترفضه طبيعة العادات والتقاليد الريفية ..

المهم ان محمود كسب الرهان ونجح مشروعه وتزوج احسان ابنة العمدة ..

وقبل أن انتقل الى تقديم المرحلة الجديدة من حياة محمود أود أن أشير الى طبيعة العلاقات المتناقضة التى كانت تربط محمود باهل القرية . فهو يقول انهم أصبحوا يحترمونه ويجلونه لدرجة انهم أطلقوا عليه كلمة الأستاذ .. وهو يريد دائما أن يوهمنا بانه انسان رقيق قبل أن يكون حسب وجهة نظرى انسانا مستغلا يملك رصيدا ضخما من الاستعلاء والتطلعات غير المشروعة .. فى الوقت الذى يتمسح فيه دائما بالفلاحين مدعيا أنه أحدهم . ولنرى كيف يتعامل مع أحمد الذى يعمل معه فى مشروعه . يقول فى صفحة ٧٦ : لم تشته نفسى شيئا من الطعام وكذلك احمد الذى جلس مطرقا عند قدمى . ورغم اشادته دائما باخلاص احمد له

وتفانيه فى خدمته نراه يقول فى صفحة ١٦١ مخاطبا احمد المخلص الذى يمثل فى رايى قطاع الفلاحين المعدمين بما فيهم من مروءة وشهامة ونبل رغم فقرهم الشديد .. يقول محمود « مخاطبا احمد » :

ـ لماذا لم تات مع أول نداء أيها الكاب ؟

ويقول كذلك وفى نفس الصفحة :

« وتقدمت منه فصفعته وانا اقول :

ـ اتدعى انك حضرت بسرعة أيها الكاب ؟ .. وهكذا يتعامل محمود ذلك المصلح العظيم مع ابناء قريته . معاملة السيد للعبد فاين ذلك الايمان بالقرية اذن وكيف ينهض بها فى الوقت الذى يتعامل فيه بهذه الصورة مع اهلها الحقيقيين .. ؟

وبعد ان يتزوج محمود من احسان ابنة العمدة ـ نراه ـ يظهر فجاة بتطلعاته الطبقية فهو يبني فيللا على احدث طراز لم يبتاع عـربة . يقول عنها لاحسان : انها لابد ان تكون احسن من عـربة العمدة .

ثم تنتهى القصة بطريقة مفتعلة على حساب صديق محمود وزميل دراسته سامى حيث يظهر سامى كنموذج محطم للشباب الذين يعملون ق خدمة الدولة كمدرسين . فهو شاب شاحب الوجه يشكو الحاجة .. الخ .. وذلك لانه لم يعمل مثل محمود ولجا الى وظيفة التدريس .. وبهذه الجملة تنتهى القصة . يقول محمود مخاطبا احسان :

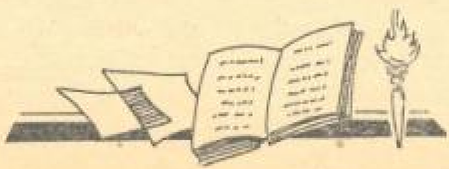
ـ ترى من منا احسن حالا .. انا ام صديقى .. ؟

ولا أعتقد ان احدا يخالفنى الراى فى أن سامى صديق محمود أحسن حالا منه فهو يخدم المجتمع كجنـدى مجهول يقوم على تربية النشء تربية صالحة وهو رغم حاجته التى صورها المؤلف الا انه رجل شريف يعمل لصالح المجموع ولا يستغل غيره من الناس ..

وفى رايى ان شخصية محمود هنا شخصية متناقضة لا توحى بشىء سوى بعض المفاهيم التى يرفضها المجتمع الاشتراكى فالاشتراكية تعنى المساواة وترفض مفاهيم السيد والعبد بل ان النموذج الذى يمثله محمود فى هذه القصة نموذج مرفوض تماما بكل محتوياته وتطلعاته الطبقية ... ان مجتمعنا يرفض خدعة الرجل المكافح للوصول الى مكاسب فردية .. والرجل العصامى .. والرجل الـ .. الخ .. الخ .. ومن ثم وجب علينا ان نكون دقيقين فى اختيار النماذج الخاصة باعمالنا الادبية بحيث تتمشى مع طبيعة مجتمعنا الذى ينشد المساواة حيث لا سيد ولا مسود ..

وقد كرر المؤلف تعبير لست ادرى فى قصته اكثر من عشرين مرة على لسان محمود وبصورة اقل ما يقال فيها انها تهرب لا داعى له .. لانه اذا كان لا يدرى ما يقوله لنا على لسان البطل .. فكيف يمكنه ان يعطيه الحياة على صفحات قصته؟ وكذلك تعبير « دعنى أقول لك » تكرر كثيرا لدرجة اننى احسست ان الاستاذ مصطفى فوده ـ يريد ان يقول شيئا ولا يستطيع ـ وانا لا اشك لحظة واحدة انه فى عمله القادم سوف يكون فى مقدوره ان يقول لنا ما عجز عن توضيحه فى هذه المرة .. والقصة فى مجموعها عبارة عن مشاهد منفصلة غير مترابطة ـ تنقصها المقومات الفنية للقصة الطويلة حيث ينمو اشخاصها نموا طبيعيا كلما ازداد عدد صفحاتها ، وكان من الممكن تسميتها « صور من الريف » بدلا من الشمس والوحل .

تحسين عبد الحى



فتح بيت المقدس

من ملحمة عمر

بقلم علي احمد باكثير

المشهد الاول

عمر في بيته بالمدينة وعنده عقبة بن عامر الجهني رسولا من عمرو بن العاص بفلسطين .

عمر : انت ثالث رسول من عمرو بن العاص الي . ما خطبكم ؟ الم تقدروا على ايلياء والرملة ؟ انظروا ماذا فعل ابو عبيدة وخالد في الشمال .

عقبة : يا امير المؤمنين ان ايلياء ربوة حصينة عالية الاسوار ، وعليها حصون ترمي بالمجانيق ، وقد اعتصم بها داهية الروم الاطربون وهو يدفع اهلها واهل فلسطين جميعا الى اعمال عجيبة وخطط غريبة في مقاومتنا والكيد لنا لا تخطر على بال .

عمر : قد كان في الشمال صاحبهم ميناس وهو اقوى شكيمة واشد بطشا من الاطربون ، وقلاعة في قنسرين امنع واحصن من قلاع ايلياء فما امهله خالد ان بطش به وان فض قلاعه وهو يقول والله لو كنتم في السحاب لحملنا الله اليكم او لانزلكم الله الينا .

عقبة : يا امير المؤمنين لا يقدر احد ان يغض من فعال خالد بن الوليد فانه لنسيج وحده وانه ليعز على النظراء . ولكن حالنا في فلسطين مختلف . نحن موزعون في نواح شتى وعلى مسالح ذوات عدد ، وللاطربون في كل منها قوة وشوكه وامره عليها جميعا نافذ . وهم يزاحفوننا فنصدهم ونردهم الى حصونهم .

وليس في وسعنا لقلة عددنا ان نترك بعضها ونتجمع في بعض والا عرضنا انفسنا للخطر والقينا بايدينا الى الهلكة .

عمر : وهذا الصلح الذي عرضوه ياعقبة ؟

عقبة : لا يعدو عندنا يا امير المؤمنين انيكون مكيدة من الاطربون حتى نامن جانبه اثناء انتظارنا لقدومك فياخذنا على غرة .

عمر : ولكن عمرا يحرضني على المسير اليهم .

عقبة : اجل يا امير المؤمنين انك ان قدمت الينا قبل ان يبطش بنا الاطربون بطشته فربما انقلب اهل ايلياء عليه وايدوا بطريقهم الكبير صفرونيوس الذي يميل الى عقد الصلح مع المسلمين ليجنب المدينة المقدسة اهوال الحرب ويقي اهلها سوء المنقلب .

عمر : (ينظر الى عقبة معجبا) والله لقد عرف ابن العاص كيف يختار رسوله فماذا هو صانع اذا جاء المدد الذي طلبه ؟

عقبة : اذا جاء المدد يا امير المؤمنين وزعناه على مخافرنا هناك وسحبنا منها رجالنا المدربين فنازلنا بهم ايلياء وظهورنا محمية حتى يفتحها الله علينا ان شاء .

عمر : (يحرك راسه كالمقتنع بما سمع) هل رايت يا اخا جهينة الجيش الذيجمعناه في الجرف ؟

عقبة : نعم يا امير المؤمنين .

عمر : فذلك ما اعددته ليكون مددا لكم ان شاء الله .

عقبة : فادركنا به يا امير المؤمنين وعجل قبل ان يحدث الله امرا .

عمر : لا والله يا اخا جهينة حتى تنفرج غمة القادسية عما فيه عز المسلمين ونصرهم ، والا كان اهل العراق احق منكم بالمدد . ويحك خبرني ماذا سمعت في طريقك عنالقادسية ؟

عقبة : وجدت الناس في كل مكان يترقبونهما ولا حديث لهم غيرها ، ولقيت ركبانا يحدثون ان العرب قاطبة يتربصونها من العذيب الى عدن ابين ومن الابلة الى بيت المقدس ، يرون ان ثبات ملكهم وزواله بها

عمر : افلا تنتظرون اذن حتى تنفرج ؟

عقبة : يا امير المؤمنين ان يرد الله بنا خيرا في فلسطين جعل النصر والدبرة للمسلمين في القادسية .

البقية ص ٤٠



العقاد والشعر الجديد

بقلم د . محمد النويهي

يعتقد الأستاذ مصطفى محمود مصطفى أنني ، في مقالتي « العقاد ناقد الشعر » المنشورة بالعدد ٤٠ من « الثقافة » ، نسبت الى فقيدنا العظيم أنه من أنصار شعر الشكل الجديد . ثم يمضي الأستاذ الفاضل في سوق البراهين التي تفند ذلك الرأي المزعوم الذي نسبه الي .

والحقيقة أنني لم أقع في مثل ذلك الخطأ الواضح ، فرفض العقاد لهذا الشعر أمر معروف لا يجهله جمهور القراء ، دعك من المتخصصين في دراسة الأدب . انما الذي حاولته في مقالتي المذكورة هو ان أثبت أن رفضه هذا كان مناقضا لمبادئه النقدية التي دعا اليها وجاهد في بثها في اتجاهه المبكر ، فقلت : « ان الحركة الجديدة المعاصرة في انشاء الشعر ونقده ليست الا التنمية الطبيعية والتطوير المشروع للقيم والأهداف والأصول والمعايير التي كان العقاد الأول ــ العقاد المجدد الاصيل ــ يبينها ويؤكدها ويلح في الدفاع عنها » .

بل هذا واضح منذ الفقرة الأولى من مقالتي تلك ، وهذه هي : « القراء الذين لا يعرفون للعقاد الا ما كتبه في السنوات الأخيرة من حياته ــ سنوات وقف فيها وقفة جامدة عنيدة ضد التحركات الجديدة في الفكر والفن والشعر والنقد ــ سيعجبون ولا شك حين نزعم لهم أن هذه الانتفاضة المعاصرة التي ناصبها العقاد عداء ضاريا لا تدين بجذورها الفكرية والجمالية الى أحد من نقادنا الشيوخ أكثر مما تدين الى العقاد نفسه » .

وكان من محاسن الصدف أن نفس العدد من الثقافة حمل مقالة جيدة للأستاذ الدكتور محمد غنيمي هلال تقوم على نفس الدعوى ، مع الاختلاف في طريقة الاثبات . فالدكتور هلال يرى هو أيضا أن العقاد هو الذي مهد الطريق الى دعاة التجديد في الشعر المعاصر ، وكان رائدهم الى جوهرها ، وقد أرسى حججهم النظرية فيها أكثر مما أرسوا هم أنفسهم .

وجدير بي أن أقول انني لم ادع قط ان كل ما أنتجه شعراؤنا الجدد واجب القبول جدير بالاعجاب ، من العقاد أو من غيره ، انما المهم هو « القضية » نفسها ، قضية الشكل الجديد ، فقد رفضها العقاد رفضا مبدئيا باتا ، فكان بهذا كما ادعيت مناقضا لمذهبه التجديدي الأصيل . وكانت طريقتي في اثبات دعواي أن أشرح بالتفصيل ما كان يدعو اليه العقاد في شبابه من قيم شعرية وما كان يطبقه من معايير نقدية ، وأن أدلل على أنها لا تتحقق في الشعر الذي نظمه شعراؤنا المقلدون على الشكل القديم ، وعلى أن الكثير منها قد بدأ يتحقق في شعر الشكل الجديد وحده .

والطريف أن نفس العدد من « الرسالة » الذي حمل تعقيب الأستاذ مصطفى محمود مصطفى ، قد حمل دليلا جديدا على صحة دعواي هذه ، هو منظومة الأستاذ محمود غنيم في « معجزة السد » المنشورة على صفحتين كاملتين من ذلك العدد . فليعد الاستاذ مصطفى محمود مصطفى قراءة مقالتي ، وليطبق معايير العقاد وقيمه التي ينتظرها من الشعر على تلك المنظومة ، ولينظر هل تحقق تلك المنظومة منها شيئا . ثم ليعد النظر في حملات العقاد على شعر المقلدين وشيخهم شوقي ، وليسأل

نفسه ، الا ينطبق كل اتهام يصبه العقاد القديم على الشعر التقليدى على المنظومة المذكورة ؟ بل هو عليها أشد انطباقا ولها أقسى ادانة .

أما ما يقتبسه الأستاذ مصطفى من محاولة العقاد أن يبرر رفضه للشعر الجديد فقائم كله على دعوى العقاد أن هذا الشعر يتحرر كلية من الوزن ويرفض الخضوع للقواعد أى قواعد . ولو صح هذا على الشعر الجديد لحق للعقاد أن يرفض أن يعده شعرا ولكنا معه أول الرافضين ، ولكن دعواه هذه واضحة البطلان وقد أثبتنا بطلانها كما أثبته كتاب آخرون بما لا يجعل بنا حاجة الى مزيد من التفنيد .

بل رفض العقاد شعر الشكل الجديد لسبب واحد لا ثانى له : أنه فى شيخوخته عجز عن أن يحتفظ بالمرونة الفكرية والذوقية اللازمة لقبول هذا الشكل الجديد . ومغزى مقالتى التى عقب عليها الأستاذ مصطفى محمود مصطفى هو أن العقاد لو كان استمر على روحه التجديدية الجريئة التى بدأ بها سيرته النقدية لقبل الشكل الجديد ورحب به حار الترحيب ، بل من يدرى لعله كان يصبح من أقطابه . ولكنه كما أشرت فى ختام مقالتى اعتراه فى سنيه الأخرة ما يعترى كثيرين من عظام المفكرين والأدباء من جمود وعجز عن مزيد من النمو والتطور . وهو نقص بذلت جهدى فى حمل قارىء المقالة على مسامحته والصفح عنه ، لأن النفس البشرية لها حدود لا تستطيع تجاوزها فى النمو ، مهما يكن من مرونتها وطاقاتها فى شبابها الغض ، والكمال لله وحده . وخليق بنا كما قلت فى ختام مقالتى أن نذكر ان العظيم ليس عظيما بخلوه من النقص ، بل بما اجتمع له من صفات التفوق ، وسيأخذ قومه من منافع تفوقه ، ويهملون نفايات نقصه . وانما أعيد هنا هذه الكلمات من مقالتى المذكورة لأننى لا أرضى لنفسى أن يعدنى الأستاذ مصطفى محمود مصطفى ممن ينكرون فضل العقاد ويضنون عليه بما يستحق من الاحترام والتقدير ، مهما يكن من خلافى معه فى المرحلة الأخيرة من حياته . ولست بعد ممن صمتوا عن العقاد فى حياته ، ثم قاموا يطلبون الطعان والنزال حين خلا الميدان من قلمه الجبار . ومقالتى المذكورة فى ذكرى الاربعين لوفاته تنطق بمدى تقديرى لأديبنا الباهظ الى « العقاد العظيم ، العقاد الأول القديم ، الثائر المحرر الكبير الشجاعة الوافر الجرأة ، الذى سيظل أدبنا وشعرنا ونقدنا وفكرنا مدينا له أبد الأبدين . »

فقيد العروبة محمد سعيد العريان

للشاعر محمود شاور ربيع

أكذاك يرتحـل السنا ويبيد ... وتبيت فى جوف التراب «سعيد»
أقبلت «عريانا» وعدت مجردا ... والله يبدىء الورى ويعيد
ستون عاما فى الجهاد مؤلفا ... در الكلام يزينه التنضيد
ألفاظ نثرك كالجمان ، وكلها ... حسن على مر الزمان فريد
واذا خطبت فللمنابر هزة ... ويكاد يسعى للوغى الرعديد
أمضيت عمرك للرجال «معلما» ... وعليك من نور الجلال برود
دافعت عن «حق المعلم» جاهدا ... ورفاق صفك حضر وشهود
وخططت فى التاريخ أروع «قصة» ... يفنى الزمان ونورها مشهود
عاصرت مجد «الرافعى» وصنته ... ولأنت فى هذا الوفاء وحيد
«أوراق ورد» فى يديك تعطرت ... ما مثلها بين الورود ورود
«وسحائب حمر» كان مياهها ... جادت بها نحو السماء خدود
«والوحى بالقلم» الرفيع منزل ... أنت الأمين الصادق المحمود
لو كان مثلك «للكبار» جميعهم ... لعلا لهم فوق الدهور خلود

يمضي «العظيم» ولا يخلف بعده
«عقاد» ولى ، فاختفت بمماته
ضجت له الدنيا، واختفت صوتها
يمضي العظيم فتشتكي لفراقه

من يبتني كبنائه ويشيد
دنيا علوم ثرة وجهود
واصابها بعد الضجيج همود
ويشلنا بعد الفراق جمود

القرافير .. ووجهة نظر

بقلم عنتر عبد السلام مخيمر

أثارت مسرحية القرافير اهتمام أكثر النقاد .. وتعتبر المسرحية من ناحية الشكل تجربة جديدة ناجحة لعلها تكون بداية أعمال جديدة تسهم في اثراء المسرح العربي . واذا كان مؤلفها الاستاذ يوسف ادريس قد حطم الاطار التقليدي للمسرحية فاننا لايمكن أن نقول انه قد أخطأ لان المسرح فن جماعي يقوم على أساس التعاطف والانفعال بين المتفرج وبين مايدور على خشبة المسرح ، هذا عن الشكل ، أما عن المضمون فارى أن الاستاذ يوسف ادريس متشائم أكثر مما يجب . ان المسرحية ــ كما اراها أنا ــ تتناول العلاقات البشرية .. علاقة الانسان بالانسان ، وقد حكم يوسف ادريس على كل انماط العلاقات البشرية بالفشل . . السيد والفرفور فشلا حينما كانت العلاقة بينهما تقوم على أساس أن يكون هناك تابع يعمل ومتبوع يأمر ويتحكم .. ثم فشلت العلاقة حينما قامت على أساس الحرية فلا يوجد ثمة تابع أو متبوع ، وانما هي حرية مطلقة ، والواقع أن هذه نظرة محدودة الى العلاقات الانسانية ، فقد تناسى المؤلف الاسس التي تقوم على أساسها المجتمعات ، ان الانسان لايمكن أن يحيا بمعزل عن المجتمع ، ولكي يصبح الانسان عضوا في مجتمع من المجتمعات فان عليه واجبات لابد أن يؤديها لكي ينال حقوقه ، واهم هذه الواجبات أن يقوم بالعمل الذي تحدده له طبيعة الحياة وظروفها في مجتمعه ، ومن الطبيعي انه ليس ثمة ضرورة للبكاء والشكوى والاحساس بالضياع اذا كان المجتمع الذي نعيش فيه مجتمعا صالحا لاسيد فيه ولا فرفور .. وانما الكل أسياد . . والعمل اى عمل مهما صغر لايعني العبودية ، ولا يقلل من شان صاحبه كانسان .

ردود قصيرة

❋ نانان تاوضروس عبيد :

يذكر أن قراءة الشعر في هذه الايام تذكر بالبيت الذي يقول :

قد كان اخذهم في الشعر يعجبني
حتى تعاطوا كلام الزنج والروم

فلا فارق اليوم بين كلام الزنج والروم وما نقرا من شعر جديد .

❋ نبيل احمد مصطفى المنياوى :

يوجه تحت عنوان «نحو الطريق الصحيح» كلمات مجيدة للشباب ، ويعقد عليهم الآمال في المستقبل .

بقية المنشور ص ٣٧

عمــر : اللهم انصر المسلمين في القادسية كما نصرتهم في اليرموك .

عقبــة : آمين يارب العالمين .

عمــر : (ينادى) يا برفا .. يا برفا ..

برفــا : لبيك يا امير المؤمنين (يظهر)

عمــر : (لعقبة) اقم عندنا اياما ياعقبة فقد القى في روعي ان البشير ان شاء الله آت وشيكا .. اليوم او غدا او بعد غد .

(ينهض ويجمع رداءه) ويحك لقد اخرتني عن الميعاد يا اخا جهينة . هذا برفا مولى آل عمر فاذهب معه لينزلك ويكرمك . (يخرج منطلقا) .

برفــا : هيا بنا ياضيف امير المؤمنين .

عقبــة : (مستوقفا برفا)
الى اين انطلق امير المؤمنين يا برفا ؟

برفــا : الى حيث ينطلق كل صباح ليتنسم انباء القادسية .

(يخرجان) .

على احمد باكثير

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
وزارة الثقافة والارشاد القومي

الادارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بعمارة ... - القاهرة

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد ١٠٦٨ الخميس ٢٢ صفر ١٣٨٤ هـ - ٢ يوليو ١٩٦٤ م - السنة الحادية والعشرون

الفهرس

الصفحة

العدالة الاجتماعية

للدكتور محمد أحمد خلف الله

العدالة الاجتماعية هى القيمة الانسانية التى تشغل بها البشرية نفسها فى هذا العصر ، ولاتزال المجتمعات النامية تنشدها كحقيقة عليا يمكن الاعتماد عليها فى تحديد اهداف التنمية والتخطيط .

ان التخطيط للتنمية ، وللتقدم الاقتصادى ، يجعل من أهدافه البعيدة تحقيق العدالة الاجتماعية من حيث ان مشكلة البشرية اليوم لم تعد مشكلة الاستثمار والانتاج وانما مشكلة العدالة فى التوزيع .

ان التخطيط الذى لا ينتهى الى تحقيق هذه العدالة الاجتماعية انما يكون تخطيطا قد ضل طريقه ، وانحرف عن غايته ، وأصبح الى الاستغلال الراسمالى أقرب منه الى أى شىء آخر . من حيث ان التخطيط الاشتراكى انما يسعى الى تحقيق هدفين أحدهما اجتماعى والآخر اقتصادى ومن حيث ان هدف التخطيط ليس بلوغ مرتبة التقدم الاقتصادى فقط وانما ايجاد التوازن بين التقدم الاقتصادى والعدالة الاجتماعية .

والمثال التالى قد يوضح لنا هذه الحقائق ،

اذا افترضنا أن الانتاج قد زاد بمعدل ١٠٪ فان معنى ذلك ان التقدم الاقتصادى — من وجهة النظر القومية الشاملة — قد انجز ما يوازى هذه النسبه .

هذه الزيادة فى التقدم الاقتصادى او فى الانتاج يجب ان يتقاسمها جميع السكان وبخاصة الذين اذلهم الحرمان واضناهم الجوع والفقر .

ان هذه الزيادة حين تعود على نسبة ضئيلة من السكان فانما تعنى ان هدف العدالة الاجتماعية لم يتحقق ، وأن التخطيط لم يبلغ غايته .

ان هدف التخطيط فى المجتمعات الاشتراكية لا يمكن ان يكون ابدا زيادة الأغنياء غنى والفقراء فقرا . وانما يكون ابدا التسرب الى حياة الفقراء شيئا فشيئا لازالة ما الم بهم من عوز وحرمان ، ولتحسين مستواهم المعيشى ، واتاحة الفرص التى تؤدى الى تقدمهم المادى والعقلى والروحى .

وهنا لابد من الاشارة الى بعض الحقائق التى قد تلتبس فى ذهن القارىء .

ليس معنى العدالة الاجتماعية ابدا ان تجعل الأغنياء فقراء ، ولا أن تجعل الأغنياء عاجزين عن ان يكونوا اكثر غنى ، وانما معناها أن يتقدم الفقراء نحو مستوى المعيشة الأفضل بسرعة أكبر من الأغنياء حتى لا يظل التفاوت الكبير بين الأغنياء والفقراء قائما .

ان الوسيلة الى تحقيق هذا قد تتطلب وضع بعض القيود على تصرفات الرجل الغنى ، وذلك لوضع حد لحياة البذخ التى كان يعيشها ، ولمنع استعراض الثراء الفاحش استعراضا قوامه المباهاة والتفاخر .

وان هذه الوسيلة قد تتطلب شيئا آخر هو بذل الجهود للاخذ بيد الفقراء ، واتاحة الفرص لهم ، لكى يبلغوا المرتبة التى نريدها لهم — وهى الحياة الحرة الكريمة .

انه من العار فى المجتمع الاشتراكى أن يعيش الانسان فى ضنك وأن يلقى المتاعب بسبب عدم تكافؤ الفرص .

ان المجتمع الاشتراكى مجتمعمنسجم .. يتساوى فيه المواطنون بالفرص ، فلا يستأثر فيه فرد بفرد او فريق بفريق بحكم ولادة او ارث او جنس او أى فارق عرضى آخر — لأن الكل سواء فى انسانيتهم وفى مواطنتهم ، وفى جوهرهم .

ان العدل الاجتماعى قد اصبح من الأمور المبتوت فيها . وكل ما هنالك ان الشعوب قد تختلف فيما بينها من حيث الارادة القوية ، والعزم الجبار ، على تحقيقه . كما قد تختلف فى اختيار السبل المحققه له فى اقرب فرصة ممكنة .

ان الفرق بين مجتمع ومجتمع يقوم اليوم على اساس الجهد المستمر فى تخفيف الفوارق بين الطبقات ، وفى تعميم الانتاج المادى ، وفى تيسير الفرص للجميع على السواء .

لقد كان الطريق الذى سلكته الراسمالية فيما مضى طريقا مملوءة بالمتناقضات ، مشحونة بالصراع بين الطبقات ، وليس ذلك الا لأنها كانت تعمل على زيادة الثراء للأقلية ، وزيادة الفقر للاكثرية .

ان العدالة الاجتماعية تعمل على سد هذا الطريق فى وجوه سالكيه . انها تمنع التجميع والتركيز فى القوى الاقتصادية ، انها تعلم تماما أن تركيز الثروة فى أيدى الاقلية يؤدى حتما الى تهيئه الفرص للاستغلال وتحقيق المكاسب الشخصية .

لقد انتاب ضمير الجنس البشرى هزات قويه بسبب صنوف الشقاء التى يتعرض لها الملايين من الناس . ولقد تدخلت الحكومات فى الماضى لمنع الاستغلال المكشوف الذى لا يعرف الرحمه . ولقد ادى ازدياد العاطفة الانسانية الحره الى ظهور قيم انسانية ساعدت على امتداد اليد ببعض العون الى الجماهير — ولكن مازالت الاغلبية تعانى صنوف الفقر والعوز والحرمان .

ان الاشتراكية العلمية . وان العدالة الاجتماعية، هما السبيل الوحيدة للارتفاع بالانسان من حظيرة الذل والمهانة الى مستوى الحياة الحرة الكريمة .

ان الاشتراكية العلمية انما تهدف الى تبديل القيم الاجتماعية القديمة بأخرى جديدة . وتلك القيم الجديدة هى التى تفرض العدالة الاجتماعية وتجعلها حقا من حقوق الانسان .

انها لم تعد عونا ومساعدة وانما اصبحت حقا معلوما للسائل والمحروم .

دكتور
محمد أحمد خلف الله

شاعر أفحمه القرآن

للدكتور عبد الرحمن عثمان

كان لبيد صاحب معلقة تحمل طابع البادية في في غرابة ألفاظها ، وخشونة حياتها ، وجهومة مناظرها ، وهي تجمع الى ذلك كله الاصابة في الوصف ، والدقة في التصوير ، ولبيد في الجاهلية صاحب شعر رقيق في رثاء يختلف كل الاختلاف عن نهجه الأول في الفخر والوصف ، وهذا التصرف في القول أثار حول الشاعر ضجة نجدها في المراجع النقدية التي ظهرت أواخر القرن الثاني وفي الثالث وما بعده من الهجرة .

وقبيلة لبيد كانت تعتبره المنافح عن أمجادها ومفاخرها ، والملاذ الذي تلوذ به حين يشتد بها الكرب ، وتحيط بها الشدائد ، لانه لم يكن شاعرا يدافع عنهم باللسان فحسب ، وانما كان فارسا شجاعا يرد عنهم بغي البغاة ، وكيد المعتدين ، وكان كذلك كريما معطاء يقدم لهم العون من ماله وقت الضيق ، وينحر للمعسرين منهم حين تهب الصبا بالجدب والايام المجاف .

وكان أبو عقيل الشاعر على ماله من قدم راسخة في دولة القريض شريفا عفيفا ، لا يسأل أحدا بشعره كما كان يسأل الأعشى والنابغة ومن اليهما من المتكسبين بالشعر في الجاهلية ، وقد اختلف مرات الى النعمان بن المنذر في الحيرة ، والى ملوك الغساسنة في الشام ، فلم يضع نفسه موضع المستجدي ذهابا بعزته وعزة قومه أن تبتذل ، واكبارا لشعره أن يذل في سوق المسألة والاستجداء ولم يتخذ من المرأة نموذجه الشعري كما كان شائعا في قصائد أقرانه الجاهليين ، ولا نعدو الحقيقة اذا قلنا : ان شعر لبيد شعر نظيف ، ليس به ذلة ولا خضوع ، ولم يكدره دنس الشهوة والتحلل ، فقد جاء نابضا بالمعاني النبيلة ، جياشا بكل قصد كريم ، ففي كثير من أبياته تلوح الفضيلة والخير ، ويبرز الثواب والعقاب على نحو يجعله من الشعراء المتألهين في ذلك العصر ، وذلك هو لبيد العامري في الجاهلية كما يتحدث عنه شعره المستفيض .

عاش صاحب المعلقة التي مطلعها :

عفت الديار محلهـــا فمقامها
« بمنى » تأبد غولها فرجامهـــا

سعيدا كل السعادة بمكانته المرموقة في قومه ، فأبوه سيد بني عامر ، وامه من كرائم «عبس» ، وأكثر من هذا انه الشاعر المدافع عن احسابهم ، والفارس الجسور حين يغار عليهم ، والكريم السماح الذي يقدم اليهم حر ماله في المسغبة والقحط .

وقومه يذكرون له كيف ثأر لهم من غريمهم ، وهو صبي حدث ، فقد كان من عادتهم أن يختلفوا الى قصر النعمان بن المنذر في الحيرة كل عام ، وكان الملك قد استخلص لنفسه الربيع بن زياد يؤاكله وينادمه ، والربيع هذا من أخوال لبيد ، فكان يذم العامريين وينتقصهم من مجلس النعمان حتى حجبوا عن لقائه وطال مكثهم بالحيرة ، فاحتالوا للدخول عنده في يوم تحتشد فيه الوفود في القصر ، ودفعوا شاعرهم الصبي الى حيث يسمع النعمان حديثه ، فجهر بمقطوعته المشهورة التي تبدأ بقوله :

مهلا — أبيت اللعن — لاتأكل معه

فما أن سمع النعمان وصف نديمه ومن يأكل معه على هذا النمط الذي تتقزز منه النفس حتى انصرف عنه بوجهه وأذن لبني عامر فأكرم وفادتهم وأنالهم أكثر مما كانوا يؤملون ، وبهذا بلغ الصبي الشاعر في الثأر لقومه من خاله غاية أنزلته من قلوبهم منزلة هيأته لها نجابته ، واعده لامثالها نبوغه المبكر وعبقريته الشاعرة .

ولكن موت أخيه «أربد» كدر عليه هذه السعادة التي كانت تضيء جوانب حياته كلها ، وأحس لبيد انه فجع بفقد أحب الناس اليه ، لانه كان به حفيا ، وله محبا ، ولم يستطع أن ينسى كفالته له بعد وفاة والده وهو صغير ، اذ طالما أحس في كنفه برحمة الاب وكفالة الوالد ، وطالما لمس فيه جوانب شتى تتجدد على الايام من ألوان الرعاية والبر والحدب ، ومع أن لبيدا وجد على أخيه وجدا سجله شعره وهو جاهلي ، الا ان سبب وفاته لم يحل بين الشاعر وبين الاسلام ، فأخوه كان ممن تآمروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصابته الصاعقة وهو راجع بكفره ، ففي الاغاني يذكر أبو الفرج هذه القصة .

قدم وفد بني عامر بن صعصعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأربد بن قيس — أخو لبيد لأمه — وحيان بن سلمى الذي تآمر مع أربد على قتله صلى الله عليه وسلم ، فجعل يقاوله ويشغله

رجاء أن يعلوه أربد بسيفه ، فيقول له : اجعل الأمر لي سنة ولك سنة ، أو يكون لي الوبر ، ولك المدر ، فلم يرضه رسول الله ، فقال والله لأملأنها عليك خيلا جردا ، ورجالا مردا .. ولأربطن بكل نخلة فرسا ، وعاد ولم يسلم .

قالوا : فادركته دعوة رسول الله فمات في الطريق ، أصابه الطاعون فلاذ ببيت امرأة من سلول وجعل يقول : « اغدة كغدة البعير ، وموت في بيت سلولية ! » واما أربد فأصابته صاعقة فأحرقته .

ومع حزن لبيد على أخيه ، ورثائه له ، وتفجعه عليه آثر الاسلام على الجاهلية . واختار القرآن على قصائده السيارة ، فمما رثا به أخاه من قصيدته التي مطلعها :

بلينـــا ، وما تبلى النجـوم الطوالع
وتبقى الديار بعـــدنا والمصـــانع

وقوله :

وما المرء الا كالشـــهاب وضـــوئه
يحور رمادا بعد اذ هو ســـــاطع
وما المـــال والأهـــلون الا ودائـع
ولا بـــد يومـــا أن ترد الودائـــع

ويمضي على هذا النسق الجليل حتى يقول وفيه نفحة من طرفة بن العبد قصيدة منها :

لعمرك ما تدرى الضوارب بالحصى
ولا زاجرات الطير ما الله صـــانع

ومن رثائه له قوله من قصيدة رائعة :

عميـــد أناس قد أتى الدهر دونه
وخطوا له يوما من الارض مضجعا
لعمر أبيك الخـــير يا ابنـــة أربد
لقد شفني حزن عليه فأوجعـــا
فتى عارف للحق ، لا ينكر القرى
ترى رفده للضيف ملآن مترعـا
لحا الله هذا الدهر ، اني رأيتـه
بصيرا بما ساء ابن آدم مولعـا

...

ان حبه هذا لاخيه الذى صعقته الصاعقة بعد أن كان يتآمر على قتل رسول الله ، هذا الحب الذى تنبض به مراثيه لم يصرفه عن الاسلام ، ولم يترك في نفسه موجدة على صاحب الدعوة التى بسببها كان مصرع أخيه ، فقد وفد على رسول الله فأسلم وحسن اسلامه ، ثم رجع الى قومه ليذكرهم بالبعث وليعدهم بالجنة ان أسلموا ، وليتوعدهم بالنار ان ظلوا على جاهليتهم وشركهم ، ولا عجب فهو القائل في جاهليته البيت المشهور :

ألا كل شيء ما خـلا الله باطل
وكل نعيـــم لا محـــالة زائل

فان رواة الحديث يذكرون عن رسول الله قوله: « اصدق كلمة قالها شاعر ، قول لبيد : « ألا كل شيء ماخلا الله باطل » ، وذلك فيما أرى سر اقباله على الدين الجديد ، والصارف له عن الشعر وفرضه في ظل سماحة القرآن وصدق تعبيره .

...

واذن فلبيد قد أفحمه القرآن من بين الشعراء المخضرمين حينذاك ، على ماكان لشعره من جمال تصوير وروعة تعبير ، فالمفضل الضبي يروى لنا : أن الفرزدق قدم الكوفة ، فمر بمسجد بني اقيصر وعليه رجل ينشد قول لبيد :

وجلا السيول عن الطـــلول كأنها
زبر تجـــد متونهـــا أقلامهـــــا

فسجد الفرزدق ، فقيل له : ماهذا ياأبا فراس ؟ فقال : انتم تعرفون ســـجدة القرآن ، وانا أعرف سجدة الشعر .

وأزعم أن مما أفحمه به القرآن ، وهجن في نفسه الشـــعر ما قرأ فيه من بناء الاسرة الاسلامية على نطاق يخرج به من النظام الجاهلي الضـــيق الذى يتمثل في القبيلة الى نظام انساني فسيح الجوانب بحيث ينتظم القبائل كلها ليجعل منها أسرة اسلامية واحدة تشعر بشعور واحد ، ليس فيها فاضـــل ومفضل ، وانما هي أمة كأسنان المشط ، يفضـــل فيها من يشاء الفضل على غيره بالجهاد ، والعمل ، وبالحب الخالص لله وللناس من أفراد هذه الامة ، وقد كان صاحبنا فاخرا بقومه على من سواهم .. واحسبه انه ادرك بفطنته ضيق المجال الذى كان يدور فيه فخره بقومه ، ودفاعه عن قبيلتـــه التى اعتبرها القرآن الكريم خلية حيـــة من الخـــلايا الاسلامية في الامة الجديدة .

ولا ريب في أن العقيدة الصادقة حين تخالط النفس ، وتنتظم الوجدان ، ثم تستقر في القلب ، تؤثر تأثيرهـا القـوى بحيث يظهر ذلك واضحا

من لمحات الشخصية عند العقاد

للدكتور سعد الدين الجيزاوي



كان آخر مقال كتبه الراحل الكريم الاستاذ العقاد بمجلة الأزهر فى عدد شعبان الماضى هو رثاء المغفور له الاستاذ الاكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر .

وفى حياة الشيخ شلتوت الحافلة نواح شتى تتسع لعديد من المقالات ، بل لتاليف الكتب والمجلات، ولكن أستاذنا العقاد رحمه الله اختار الكتابة على ناحية صادفت موافقة من نفسه الا وهى « الشخصية » وكثرة دورانها فى كتابات الشيخ شلتوت .

فبعد أن تحدث عن تميز كتابات الامام الفقيد بكلمات لها طابع يميزها بين أمثالها من الكلمات فى كتابات الغير قال :

«ولعل أبرز هذه الكلمات فى كتاباته وفى أحاديثه ، كلمة «الشخصية» : يلحقها بوصف العقيدة، ووصف الفرائض المقدسة ، بل يجعل العقيدة ــ كما يجعل الفريضة ــ معلما من معالم الشخصية : **شخصية الأمة وشخصية الانسان فى حياته الباطنة ، وحياته الظاهرة » ...**

وهكذا أخذ يتتبع كلمة « الشخصية » فى كثير من الموضوعات التى اعتبر الشيخ شلتوت أن ظهور الشخصية فيها هو قوام اهميتها وخلودها .

ترى هل كان اختياره لهذا الموضوع مجرد مصادفة ؟ أو هو مجرد اعجاب بدقة الشيخ شلتوت فى تعبيره ؟

ان المسألة أعمق من ذلك بكثير !

ان هذه الخاتمة فى كتابات العقاد كانت بمثابة التلخيص لما أخذ به العقاد نفسه طوال حياته **من الايمان بشخصيته ، وبما للاعتداد بتلك الشخصية من أثر فى حياة الامم والافراد .**

ان اعتداد العقاد بشخصيته كان هو مفتاح طريق

وضوحا لاخفاء فيه فى السلوك العام ، بل فى كل مايصدر عن النفس من قول أو عمل ، وربما أحالت المرء الى انسان جديد ليس له من صفاته القديمة الا ما يلائم هذه العقيدة ملاءمة كاملة ، وهكذا استطاعت العقيدة أن تفرض سلطانها على شاعرنا فاسترد خياله وأحاسيسه من شياطين الشعر واتجه بخواطره وقلبه الى الافق العالى الذى رسمه التنزيل فى روعة وجمال ، وانفصل عن خلال الجاهلية الا خلة واحدة هى أن ينحر لقومه كلما هبت الصبا ، وقد كتب عمر بن الخطاب الى عامله «المغيرة بن شعبة» بالكوفة ، ان استنشد من عندك من شعراء مصرك ماقالوه فى الاسلام ، فارسل الى الاغلب العجل ان أنشدنى ، فقال :

أرجز تريد أم قصيدا
لقد طلبت هينا موجودا

ثم أرسل الى لبيد ، أن أنشدنى ، فقال : ان شئت مما عفى عنه (يريد من شعره فى الجاهلية) قال : لا ، ماقلت فى الاسلام ، فانطلق الى بيته فكتب سورة البقرة فى صحيفة ، ثم اتى بها فقال : أبدلنى الله هذه فى الاسلام مكان الشعر ، فكتب المغيرة بذلك الى الخليفة عمر ، فزاد فى عطاء لبيد

فهذا لون من الوان العقيدة ما أشد حاجتنا الى مثله فى حياتنا التى نحياها ، وفى فترة نبنى فيها أمتنا من جديد .

عبد الرحمن عثمان

العظمة التي بلغها العقاد . فلقد عرف العقاد نفسه منذ نعومة أظفاره ، وآمن ايمانا عميقا بان من حقه ان يحافظ على شخصيته وكيانه كانسان ، وما غفل عن هذه العقيدة لحظة من حياته ، ولا سمح لمخلوق ان يمس ذلك الطود الشامخ بسوء من قرب أو من بعد في اي ميدان من ميادين السياسة او الفكر ...

ولم يكن اعتداد العقاد بشخصيته ناشئا من غرور او ادعاء كما كان يزعم خصومه ، بل لانه يقف دائما على ارض ثابتة بما وهبه الله من عقل جبار ، وذكاء متقد ، وألمعية نادرة ، وصبر على التحصيل ، ومقدرة عجيبة على الاستيعاب والاستنباط والموازنة .

ان العقاد حينما كتب عن « الشخصية » في رثاء الشيخ شلتوت ، كان يعبر عن ذات نفسه ، ويصور مشاعره واحاسيسه في تلك الصور التي راى لها مشابه في حياة صديقه الشيخ شلتوت .

انظر كيف صور اثر الشخصية في قيمة الانسان، والتفرقة بين شخص وشخص . قال **«.. وعلى هذه الوتيرة كانت كلمة الشخصية تتردد في احاديثه للدلالة على قوام كل وجود ، حتى يتميز عقل الانسان وضميره في حياته الروحية ، وهي لمحة من لمحات التعبير الباطني ، تدل على معناها ، وتدل مع هذا المعنى على مقدار شعور المرء بكرامة الشخصية ، واقترانها بحق الانسان وواجبه ، وبالتبعية التي تناط بها الحقوق والواجبات ، وتقرر له موقفه من الشخصيات الانسانية الاخرى في ابداء الراى والاضطلاع باعباء الدعوة والاقناع ..»**

ثم يعتبر العقاد ان العلم والعقل وحدهما لايؤديان الى الافادة منهما اذا لم تكن للمرء شخصيته التي يستطيع بها ان يذيع ماوصل اليه من مبادىء وآراء.

قال : « هذه واحدة من خصال العقل المجتهد ، بل هي أولى تلك الخصال في كل ترتيب لكفايات المجتهدين من كان له راى وعلم ولم يكن له نصيبه الأوفى من هذه الخصلة ، فلا سبيل له الى الاجتهاد ، لأنه يلقى العائق الأول من قبل نفسه ، ويحجم عن العمل قبل أن يصده غيره عن تلك السبيل » .

ويستمر فيشير الى ان ما بلغه الائمة السابقون اصحاب الراى والقياس ، من منازل كريمة ، وخلود في التاريخ ، انما كان « بفضل الثقة التي كانت تملأ نفوسهم من هذه الخصلة ، اذ كانوا يقولون لمن يستكثر عليهم التعقيب على أهل العلم من الصحابة والتابعين : انهم رجال ، ونحن رجال » .

فهل كان العقاد على غير هذا المنوال ؟

عرف العقاد نفسه ، وآمن بشخصيته منذ ان درج صبيا على صعيد اسوان تحت سمائها الصافية، وشمسها الساطعة ، وبين صخورها الصم الصلاب، وما توحى به من اسرار العصور .

كان المرحوم الحاج عبد المجيد صبري زميل الصبا للاستاذ العقاد يحدثني كثيرا عن ذكريات النشأة الاولى وايام الصبا ، ومما حدثني به ، « ذكريات ليلة القدر » ومما قاله : انهم كانوا يخرجون ثلاثة او اربعة من الفتيان في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان الى منطقة « رملة الخطيب » شمالى أسوان ، فيقضون ليلتهم حتى مطلع الفجر ، انتظارا لرؤية القدر كما كانوا يتصورونها ، وكانت تمر بهم لحظات تسكن فيها جوارحهم ، ويكتمون انفاسهم عسى ان تفجاهم «طاقة النور» فيدعو كل بما يخامر نفسه من آمال .

وقد كان كل منهم يهيىء نفسه ، ويستعد بالعبارة التي ينطق بها في سرعة اذا ما فاجأتهم تلك اللحظة السعيدة .

فكان الحاج صبري يقول :

المال والبنون ، وحجة للرسول .

وكان المرحوم نادي راشد يقول :

الغنى والجاه والستر .

وكان عباس العقاد يقول :

اللهم اجعلني من أعظم أهل زماني .

وان تعجب أيها القارىء الكريم ، فانهم لم يروا ليلة القدر التي كانوا يرصدون لها الايام والساعات والدقائق ، ومع ذلك فقد تحققت أمنية كل منهم :

فهل من وراء ذلك أسرار ؟

انها مشاعر داخلية ، وخلجات نفسية ، أحس بها كل منهم في قرارة نفسه ، فاخذ سبيلها بعزيمة صادقة ، وايمان ، فاعانهم الله وحقق أمانيهم :

فالمرحـــوم الصبرى ـ على الرغـم من أنه تزوج متأخرا ـ فانه رزق ســـتا من البنين ، وحج خمس مرات . والمرحوم نادى راشد عاش مكرما بين عشيرته ومواطنيه ، ميسورا ، وقد صار عضـــوا فى مجلس النواب مرات عديدة .

وعباس العقاد :

هو من هو عظمة وجاها بين اهل زمانه ، وقد لقى من تكريم الدولة عند وفاته مالا يلقاه الوزراء ، ولا ذوو القناطير المقنطرة من المال ، وسيخلد فى التاريخ بين أعاظم الرجال الذين عاشـــوا فى جيله على مدى الاجيال .

اما عن ثبوت شخصية العقـــاد بين معاصريه من رجال الفكر والسياسة ، وظهوره بين جموعهم عملاقا فذا ، يرهبونه ولا يرهبهم ، ويحـــاولون مجتمعين ومتفرقين أن ينالوا منه منالا، فيقارعهم الرأى والحجة، فيصرعهم وينتصر عليهم ... فذلك مالا يتســـع له مثل هذا المقال .

انه كان يقول : نعم . عنـــدما يعتقد ان المقـــام يقتضيها .

وكان يقول : لا . عندما يعتقد أن المقام يقتضيها كذلك ، لا يبالى لمن يقـــول هذه أو تلك ، ولا متى يقـــول ، فالعظيم امامه هو الحـــق ، والحق وحده ، ويستوى عنده اشد الحالات ضيقا وعسرا ، وأعظمها رخاء ويسرا .

ولعمرى ان « لا » عندما يقتضيها المقام امام طاغ أو متجبر ، هى الفيصـــل بين رجل ورجل ، وهى المقيـــاس الذى يحدد شخصية العظيم ، والدليـــل الصـــادق على الثقـــة بالنفس ، والايمـــان بالقيم الانسانية ، والعـــامل الاول فى الوصول الى العظمة وخلود العظماء .

اننى لم أنس أيام وزارة اســـماعيل صدقى حين كنا ننتظر الصحف بلهفة على محطة أسوان ظهر كل **يوم ، لنتابع ماكان يكتبه العقاد حينذاك عن الرجعية وأثرها فى تأخر الشـــعب ، ولم يكن يقصد بتلك الرجعية الا الملك وحاشيته وأعوانه ، ونتتبع اخبار الازمة التى نشأت من هجوم العقاد صراحة على الملك فؤاد فى البرلمان ، حين أيقن العقاد أن هناك نية كانت مبيتة للتلاعب بالدستور ، فصرخ العقاد بأعلى صوته فى وسط البرلمان وقال :**

« لا . لن نسمح لعابث أن يعبث بمصالح الامة ، وان الامة على استعداد لان تسحق أكبر رأس يعتدى على الدستور » . قالها مدوية ، دون تردد أو خوف ، ولقد فاوضوه كثيرا فى أن يعلن تعـــديل عبـــارته باستبدال «أى رأس» بدلا من « أكبر رأس » حفظا لكرامة الملك ، ويعتبر أن مانشرته الصـــحف كان تحريفا فى مضبطة المجلس ، فأبى وقال : لا . أنا قلت ماقلت ، وأعنى ماقلت ، لأنه مايجب أن يقال . وليكن مايكون . ثم قدم الى المحـــاكمة فما ضعفت عزيمته ، ولا انحنت قامته ، بل تقبلها تسعة أشهر فى الســـجن وخرج مرفوع الرأس مكرما من كل الاحرار وشباب الجيل مرددا أبياتا ختمها بقوله :

عداتى وصحبى ، لا اختلاف عليهمـــا
سيعهدنى كل كمـــا كان يعهـــد

ويمثل هـــذا الموقف تميز العقـــاد على رجال السياسة فى تلك الفترة من الزمن حين كانت سيطرة الاحتلال وأعوان الاحتلال أشد ما تكون تضييقا على الاحرار .

والامثلة على مواقف العقاد من الحكام على اختلاف منـــازلهم : من الملك الى المتسلطين من الانجليز الى الرؤساء والوزراء فى عهود الطغيان أكثر من أن تحصى .

وما أجدرنا أن نتخذ من شخصية العقـــاد مادة للدراسة بمختلف معاهد التعليم فان ماأفاده شباب جيل العقاد من تأثر بشخصيته لا يقل قيمة عمـــا أفادوه من رسالته فى ميادين الثقافة والفكر ، بل عندى انه يزيد عليه . ولقد بلغ القمة فى ايمانه بشخصيته بقوله :

انى لأصغر أرضا ليس يعمرها
من الخلائق أندادى وامثـــالى

رحم الله العقاد ، وجعل فى سيرته منارة يهتدى بها الشباب فى كل جيل .

سعد الدين الجيزاوى

مع النيل

للدكتورة نعمات احمد فؤاد

بدات الباخرة تتحرك .. تتهادى ثم تسير فلوحنا لمعبد كلابشة الذى تم نقله على الشاطىء الآخر نقلته واعادت تركيبه المانيا الغربية هدية لمصر .. وعلى جلال فيه وروعة لااقف بالوصف عنده فقد افرد له مركز تسجيل الآثار كتابا محلى بالصور والنقوش مزودا بالحقائق التى تغنى طلب المعرفة او زهو المصرى او هواة الآثار .

الباخرة تجرى امام قرية امشير اول قرية هاجرت وكانت هجرتها سنة ١٩٣٠ عند تعلية خزان اسوان للمرة الثانية .

ان شاطىء النيل النوبى تتناثر عليه النجوع ببيوتها البسيطة المتواضعة بيوت سقوفها قباء حتى لاتكون الشمس عمودية عليها بل تتوزع الحرارة على الجانبين متأثرة بطراز البيوت فى اسوان القديمة.

ولم نكن بعدنا كثيرا عن اسوان حتى راينا نجع العبدة . وفى هذا النجع كان يقوم معبد (دابود) وقد تم نقله فى صيف ١٩٦٠ ، عند انخفاض المياه الى جزيرة اسوان ولم تتم اقامته بعد ..

ومرت الباخرة بقرية دابود ونجع مربس ونجوع فى الشرق والغرب . وقد هاجرت (دابود) فى ١٨ اكتوبر سنة ١٩٦٣ وكانت هجرتها البداية الاولى لعملية التهجير من بلاد النوبة الى كوم امبو حيث الاراضى واسعة وصالحة للزراعة ..

ويقول علماء الجغرافية التاريخية ان اول طمى من الحبشة — اكتشف فى قرية السبيل بكوم‌امبو ويرجع تاريخ هذا الطمى الى العصر الحجرى القديم الاعلى . ولما كانت بعثة بيل الامريكية متخصصة فى عصر ماقبل التاريخ فقد اكتشفت فى كوم‌امبو.. اصدافا واشجارا متحجرة وعظاما لحيوانات عرفت بها هذا العصر ترجع الى عصور سابقة لعصر ماقبل التاريخ . وقد عثروا على هذه الاشياء فى بحيرة تسربت مياهها على اثر انكسار قديم وكانت قبلا يعيش الناس على ضفافها . ويغذى البحيرة مجريان من مياه السيول التى كانت تسقط على جبال البحر الاحمر وقد جف المجريان واصبح يطلق عليهما الآن .. واديين ..

وفى بلاد النوبة من هذه القرى ٤٥ وحدة تستعد (كوم‌امبو) لاستقبالها فى بيوت جديدة اوسع واصح ولكنهم يشقون نفسيا بالهجرة .. ولو فى بادىء الامر حتى يتاقلموا وتالف نفوسهم الاستيطان . انهم يؤمنون بالنيل .. يودون قربه..

الباخرة تمر الآن بنجوع لم يبق منها الا بعض اشجارها . والا بعض قصصها نسيت سيدة بعض حاجياتها فى عملية التهجير فعادت من (كوم‌امبو) الى اسوان ومن هنك استقلت قاربا شراعيا الى نجعها وانتظر القارب فصعدت المرأة فداهمتها الكلاب التى خلفها الناس وحدها فى النجع المهجور وكان الجوع قد اصابها بسعاره .. واذا جاعت الكلاب هاجم بعضها بعضا .. ويبدو ان هذه الخطوة تمت قبل وصول السيدة فخطت عند رؤيتها الخطوة الاخرى وراحت ضحيتها المرأة المسكينة التى لم يشعر بها ركاب الزورق الا متأخرا فلما خفوا اليها وجدوها مزقا .

الباخرة تمر الآن امام نجع (دوشي) بعد ان رحل عنه اهله . وقد زارت هذا النجع الصحفية الفرنسية مدام (لاكوتير) فى اكتوبر سنة ١٩٦٠.. وجاست بين البيوت فلاحظت ان اهل الدور جلهم من النساء عدا ثلاثة شيوخ اقعدتهم السن فلم يلحقوا بالرجال والشباب الذين يلتمسون الرزق فى المدن الكبيرة فسمت كتابها عن بلاد النوبة (بلد بلا رجال) .

لاارى نجوعا بعد بل صخورا معلقة لايبدو عليها اثر الخوف من هذا الوضع .. وصخورا تبدو من بعيد كمظاهرة من الناس يهتف فيها خطيبها .. تماما اناس يبدو بعضها حاسر الراس والبعض الآخر على راسه قبعة .. اناس فى هيئات شتى ووقفات مختلفة وفقا لاحجام الصخور صغيرها وكبيرها مما يشبه للعين . وصخور على شكل تمثال نيل روما وصخور على شكل مؤتمر . وصخور تشكل سوقا فى النيل له زحام ويتداخل فيه الناس بعضهم فى بعض .. هذا جالس وذاك واقف وثالث يلوح بيده ..

هاهى قرية (دهميت) وقد رحل منها اهلها مع الراحلين ،

كان رفيقى فى الرحلة نوبيا فكان وجهه يتهلل كلما راى باخرة سودانية قادمة ويقف يلوح لها . ان اجمل مافى الانسان مشاعره .. اشياء لاتكلفه شيئا ولكنها تفعل المعجزات : لفتة .. ابتسامة .. كلمة حانية .. لمسة يد .. لمعة عين .. دمعة لقاء او وفاء ..

وفى الطريق قابلتنا بواخر قادمة من السودان ومن الطريف ان البواخر السودانية تحمل اسماء الابراج . عطارد .. المريخ .. الزهرة .. القطبى .. النوبة .. (وكان اسمها الاصلى بريطانيا) .

هذا حين تسمى مصر بواخرها التابعة لمصلحة الآثار باسماء فرعونية اسماء ملوك او معابد .. **فرمسيس** وهى باخرة مخصصة لكبار الزوار .. **والدكة** باخرتى التى حققت حلما غاليا من احلامى الكبيرة ، والباخرة (شيخ البلد) نسبة الى تمثال شيخ البلد الموجود فى المتحف المصرى .

والعوامات : (جرف حسين) — (ممنون) و (بيت الوالى) والتسمية هنا من عند الاهالى الذين راوا المعبد على شكل بيت فسموه بيت الوالى وعرف نجعهم ايضا بهذا الاسم : بيت الوالى .

و (زوسر) و (امحتب) (وزير زوسر) و (قصرابريم) ..

والجرارات : احمس — تحتمس — سيتى — ترطاسى — دندور (اسم معبد فى بلاد النوبة) الدر (نسبة الى معبد الدر) — دابود (نسبة الى معبد دابود)

الصنادل الآلية : ابو عوده نسبة الى معبد « ابو عوده » وهى تسمية اطلقها الاهالى ايضا .

كلابشة (نسبة الى معبد كلابشة)

الصنادل غير الآلية : التى تجرها الجرارات وهى :

السبوع — (نسبة الى معبد السبوع) ، عمدا (نسبة الى معبد عمدا)

وهناك لنش (ابو سمبل)

حتى البواخر السياحية سمت مصر منها :

ايزيس — لوتس — ممفيس— نفرتارى — أوناس (اسم ملك من ملوك الاسرة الخامسة)

اللنشات الطائرة : كليوباترة — نفرتيتى .

(الدكة) باخرتنا تمر الآن امام قرية (امبركاب) وقرى دابود ودهميت وامبركاب تقع على ضفتى النيل معا .

لم يبق من القرى الا اسماءها والصمت المخيم على بيوتها المنزوعة النوافذ لعلها للذكرى بيوت كانت منذ بضع سنين تضج بالحركة فقد كان اصحابها اهل طرب وفن فبيوت النجوع مزدانة حتى من خارجها وبعض زينتها الاطباق الصينى اليابانية يعلقونها على الجدران الخارجية للمنزل وفتيات الاسرة يملان الجدران بالرسوم والنقوش . ان الانسان المصرىفنان بطبعه لايحجب روحه الشاعرة الفقر وقسوة الطبيعة وضنها عليه . ان هذه النجوع حين كانت آهلة كانت تستمد حاجياتها الضرورية من زوارق شراعية هى بمثابة حوانيت متنقلة تاتيها من اسوان . ومع هذا الشظف كانت نفوسهم تتفتح على الفن .

اننا الآن امام معبد قرطاسي (نقل المعبد فى صيف سنة ١٩٦٠) ويقع على بعد ٤٥ كيلومترا تقريبا من خزان اسوان ويعتبر من اجمل معابد النوبة وبه اربعة اعمدة بتيجان على شكل الزهور ابدع الفنان نحتها حتى غدت تستوقف كل عين . وكم اثار هذا المعبد الصغير من اعجاب واهتمام الزوار ورجال الآثار على سواء .

والى الجنوب من هذا المعبد كما يقول مركز تسجيل الآثار يوجد عدد من المحاجر التى قطعت منها الاحجار التى استخدمت فى بناء معابد فيله وقد وجدت نقوش كثيرة باللغة اليونانية فوق صخور هذه المحاجر كما توجد مقصورة تسترعى النظر باللوحات المنقوشة على واجهتها .

باخرتنا تسير فوق قلعة رومانية غطتها مياه الفيضان .. كم فى صدرك يانيل من قصص واشياء ..

وفى هذه المنطقة ايضا محاجر الحجر الرملى ومن هذه المحاجر بنى معبد فيله فى اسوان الذى سمى فيما بعد باسم (انس الوجود) .

ومعبد انس الوجود بنى للاله ايزيس ويرجع تاريخ انشاء جزء منه الى العصر البطلمى وهو يقوم فى جزيرة فيله . والمعبد عبارة عن مجموعة معابد واقدم جزء فيه يرجع الى عصر الملك(طاهرقا) من ملوك الاسرة الخامسة والعشرين المصرية النوبية . ويليه فى القدم معبد (نختنبو الاول) من ملوك الاسرة الثلاثين المصرية من العصر المتاخر .

اما التسمية (انس الوجود) فتقف وراءها

القصة العربية (أنس الوجود والورد فى الاكمام) التى بنى لها ابوها قصرا منيعا لم ير مثله الراءون ، فى جبل الثكلى القائم فى وسط بحر الكنوز (وذلك الجبل لايقدر على الوصول اليه احد الا بالمشقة ، ثم تمضي القصة فى سردها وتمضي باخرتنا فى سيرها بعد ان نلمح وجود قصر فى البحر بشكل وجه شبه قريب بين معبدنا وبين قصة الف ليلة وليلة يسهل معه تفسير التسمية العربية للمعبد المصرى .

(الدكة) تمر بنا من (باب كلابشة) وهو اضيق مكان فى المجرى فى بلاد النوبة . وكان التفكير فى السد العالى يتجه اليه لاقامة السد هناك ولكن التفكير انصرف عن هذه المنطقة لبعد المسافة بما يوازى تقريبا ٥٠ كيلو مترا عن اسوان وصعوبة الانشاء من كافة نواحيه هناك .

كما اتجه التفكير يوما الى مد خط حديدى من اسوان الى مدينة حلفا ولكن الاستعمار واعتبارات سياسية اخرى اعترضت طريق المشروع فتعثر ثم توقف ..

وفى هذه المنطقة معبد (طافا) والاسم القديم (تافيس) كما كان الاسم القديم لكلابشة(تالميس)

وقد نقلت احجار معبد طافا الى اسوان ولم يتم تركيبه بعد — وكان هنك معبد اسمه طافا الجنوبى حددت مكانه البعثة التشيكية صيف سنة ١٩٦٢ ولكن الكشف لم يتيسر للباحثين لان الطمى فوقه عمقه ستة امتار ...

وعند معبد طافا لاحت قبة بيضاء هى قبة الشيخ (بحر) واليه يسعى النوبيون من كل صقع فى ١٥ شعبان من كل عام فتأتى المراكب عليها جموع الرجال والنساء .. يذبحون له الذبائح .. ومن الطريف ان زواره يأتى كل منهم بأربعة احجار يرصها بعضها فوق بعض علامة او ذكرى كما كان زوار معبد ايزيس فى ابيدوس التى تسمى اليوم (العرابة المدفونة) — مركز البلينا محافظة سوهاج — يتركون لوحات يسجلون عليها تاريخ الزيارة وغرضها او الشكر على امنية تحققت او رجاء مجاب وفى الدولة الحديثة الفرعونية استن المصريون القدماء تقليدا فكان الملك عند ما يموت .. يزيرون جثمانه ابيدوس ثم يعودون به ليدفنوه فى الاقصر . ويبدو ان قبة الشيخ بحر تمثل اليوم دور ابيدوس فى مصر القديمة .

وفى هذه المنطقة مغارة فى الجبل يخلد اليها المشتغلون بالآثار .. ووراء الجبل بقايا ديرمسيحى وهو دير صغير غير معروف .

نحن الآن نمر بمنطقة كلابشة وهى اخطر منطقة فى الملاحة لامتلاء المجرى بالصخور . واهل كلابشة اكثر الناس اجادة للضرب بالبنادق ووراء هذا قصة فان اسراب الطيور التى تسمى الكركى (ويطلقون عليه الكرك) وهو طائر يشبه البجع وطائر البلشان وتهاجر اسراب هذه الطيور من المناطق الباردة فى أوربا وروسيا الى المناطق الحارة فتبدأ رحلتها من مناطقها فى الخريف لتصل الى مصر فى الشتاء وتصل منطقة النوبة وبخاصة كلابشة ، لتعود فى الصيف الى مواطنها فى الشمال . وكما يلتقط الطائر الحب ، يلتقط اهل كلابشة هذه الطيور برصاص بنادقهم تحية لقاء ويشاركهم فى هذه الهواية اهل ابريكاب .

واسم (كلابشة) اسم نوبى مصدره الاسم (كلو بجو) ومعنى كلو — حجر ومعنى (بجو) — عريض . فكلوبجو اى الحجارة العريضة ثم حرفت فصارت كلابشة .

ومن الطريف (طريف الرحلة) هذه المرة ان باخرتنا تمر الآن بمدار السرطان الذى يمر بمنطقة الكلابشة ..

نحن فى الطريق الى معبد (بيت الوالى) الذى بناه رمسيس الثانى .

ومعبد بيت الوالى احد معابد ستة بناها رمسيس الثانى فى بلاد النوبة وهى من الشمال الى الجنوب . :

١ — بيت الوالى وهو على مسافة ٥٧ كيلو مترا من اسوان الى الجنوب ..

٢ — جرف حسين وهو على مسافة ٩٠ كيلو مترا من اسوان الى الجنوب ..

٣ — وادى السبوع وهو على مسافة ١٥٠ كيلو مترا من اسوان الى الجنوب ..

٤ — الدور وهو على مسافة ٢٠٨ كيلو مترات من اسوان الى الجنوب ..

٥ — ٦ ، معبدا (ابو سمبل) وهما على مسافة ٢٨٠ كيلو مترا من اسوان الى الجنوب تقريبا .

نقف الآن بباب بيت الوالى .. وسوف نلتقى فى رحلبه .. فى مقالة اخرى ..

دكتورة نعمات احمد فؤاد

مستقبل العامية

بقلم محمد محمود شمس

ان التبعة الملقاة على مجلاتنا الادبيـــة ، لا ينبغى أن تقف عند حدود اقليم عربى ، دون الآخر ، ذلك لان مايواجه الانســان العربى الآن ، من تخلف ، فى بعض أقاليمه ، قد انتصر عليه هـذا الانسان نفسه فى أقاليمه الاخرى .. وهذا يستلزم بالضرورة ايثار الاداة التعبيرية الواحدة والتى يدركها كل العرب .. وفى كل الاقاليم .

ولكنك لو قلبت صفحات مجلة ـ المسرح ـ يونيو سنة ١٩٦٤ ، لوجدت ترجمة ثلاث مسرحيات لأنطون تشيكوف هى : الحفلة والخطوبة ترجمة د. رشاد رشدى ، والجلف ترجمة الاستاذ سمير سرحان والترجمات الثلاث باللغة العامية المصرية ..

من الحفلة مثلا نقرأ :

تتيانا : دلوقت ـ دلوقت .. هقولك كل حاجة فى الاول وبعدين أمشى على طول ، هاحكى لك على كل حاجة من الأول خالص ، شوف بقى ياسيدى ، بعد ماركبتنى القطر ، قعدت انت فاكر .. جنب ست سمينة ، وابتديت اقــرا .. أنا محبش اقرا فى القطر ، لكن قريت ثلاث محطات فاتوا وانا بقرأ . من غير ما افتح بقى بكلمة واحدة ، وبعدين الدنيا ليلت ،

ومن الجلف نقرأ :

سميرنوف : (يقلدها) مانتش عارف ، حتى ازاى تبقى مؤدب ! ما تعرفش تعامل الســتات اسمعى يا ولية انتى .. انا على أيامى عرفت ســتات زى الرز .. بارزت ثلاث مرات بسبب الســتات خدعت اتناشر واحدة وخدعونى تسعة .. آل ما اعرفش اعامل الســتات آل ! أنا زمان كنت غبى .. اهبل .. عبيط ، كنت اقع لشوشتى فى الســت من دول . الخ

والقــارىء والمشــاهد لهذه المسرحيات الثــلاث سيدرك حتما انها مترجمة عن تشيكوف ؛ بدليل أن تتيانا .. وسميرنوف .. ولوكا .. وبوبوفا .. هم الاشخاص المتحدثون .. ولكنه قد يسال لم اخترت العامية ، لغة للترجمة ؟ ! ، ان الذين يؤثرون العامية لغة حوار ، حجتهم أن الاشخاص فى الواقع يتكلمون العامية ، وقد يقبل هذا فى مسرحية «شفيقة ومتولى» مثلا ، ولكن فى مسرحياتنا هذه الاشخاص «مترجمون» فهل تتيانا .. وسميرنوف .. ولوكا .. وبوبوفا ، لا يستطيعون الوقوف على مسرحنــا ، والتعبير عن انفسهم بالفصحى ؟ ! .. ام ان ايثار العامية آت من انها اللغــة الحيــة التى يدركها الســواد الاعظم من الجمهور القارىء المشاهد . ؟

ان استاذنا د. طه حسين فى حديثه مع الاســتاذ محمد عبد الحليم عبد الله ـ العدد الثانى من مجلة القصة ـ يقول :

« .. صدقنى انهم يظلمون الشعب ، ان هــذا الشعب يحب كل الحب أن يقرا العربية الفصحى ، وان يسمع العربية الفصحى ، صدقنى انه شعب عميق التذوق ، والتحدث اليهم بالفصحى يرفعهم فى انفسهم .. »

ان الفصحى عند الحكيم ومحفوظ وتيمور وكثيرين لم تعجز عن التعبير عن حياتنا وتجاربنا ، ذلك انهم جميعا مع الدكتور طه حسين فى «ان مسئولية الاديب الكبرى هى ان يعرف انه يجب ان يجتهد ليرفع الجماعة .. لا لينحط بها ، لغة وتجربة وحياة ،

ولم يقف خطر العامية عند المسرح ، بل تعداه الى القصة والشعر .. ذلك ماتلمسه من حديث الاستاذ محمود أمين العالم فى ملاحظاته السريعة ـ المصور العدد الصادر فى ١٢ يونيو سنة ١٩٦٤ ـ اذ يقول

« لا مجلة الشعر تنشر شعرا عاميا ، ولا مجلة القصة تنشر قصصا ذات حوار عامى ، هكذا قيل لى ، وهكذا تبينت فى حدود الاعداد القليلة التى قرأتهــا من المجلتين ، ولو صح هذا ، لو صح أن العــامية شعرا وقصصا محرومة من **ولوج** هــاتين المجلتين فبالضيعة الشــعر والقصة معا فى هاتين المجلتين التى أتذوق التجربة الشعرية الصادقة الراقية الناضجة فى شعر فؤاد حداد وصلاح جاهين اكثر

مما اتذوقها واجدها فى اشعار لا حصر لها مكتوبة بالفصحى ، وما قرأت بعد كثيرا لحجاب وقاعود والابنودى ، ولكن ما قرأته لهم زاخر بالشاعرية الحقة وهم يكتبون بالعامية .. وانا اعرف طائفة لاحصر لها من القصص ذات حوار عامى . على درجة عالية من الجودة والفنية . لست خصما للفصحى بل من اشد المتحمسين لها ، ولكنى خصم للافتعال والجمود » .

ويقول الاستاذ كذلك «والقضية فى الادب ليست قضية اداة تعبير ، مهما كانت اهمية اداة التعبير ولكنها فى الاساس قضية ادبية التعبير وفنيته ، ومضمونه كذلك ، **لنكتب بالفصحى ولنكتب بالعامية**، المهم ان نكتب ادبا وفنا يخدم الحياة والانسان ، ولنستلهم الصدق والحقيقة وقيم الجمال ، وان الممارسة الفنية نفسها وحياة العمل الفنى بين الناس هو السبيل للحكم عليه بالوجود أو العدم » .

وواضح أن الناقد الكبير بالرغم من قوله انه ليس خصما للفصحى وان القضية فى الادب ليست قضية اداة تعبير الا انه قال : **لنكتب بالفصحى ولنكتب بالعامية** . بل هو يقول « ان القضية لا يمكن ان تحل بالفرمانات والاوامر الادارية ، انى اتساءل باى لغة يتحاور محررو مجلة القصة والشعر عندما يرفضون قصيدة أو قصة مكتوبتين بلغة عامية ، انهم قطعا يتحاورون باللغة التى يرفضونها بالبيروقراطية فى مجال «التقييم» الفنى ! »

والاستاذ الكبير يتحدث ويتحاور بالعامية ولكنه بعد حديثه السابق مباشرة تناول ما أرادت ان تعلمه للناس مسرحية « البر الغربى » ؛ باللغة الفصحى ووضع « حندوسة مش ممكن يموت » بين قوسين! فهو ايضا يتحاور باللغة التى يرفض الكتابة بها فى مجلة المصوّر وغيرها ولكنه يدعو لها فى مجلتى القصة والشعر ! اما كان الاجدر بالاستاذ الكبير ان يعمل على نشر هذه الآثار العامية فى مجلة المصور وهى على الاقل اسبوعية وفى صفحاتها متسع ؛ وتتلقفها جماهير الشعب ؛ ويترك هاتين المجلتين للفصحى.! **ام ان الامر لا يقف عند حد النشر !؟ وبخاصة ان** المجلة **نشرت الحوار العامى والشعر نقدت الديوان العامى .**

وصحفنا اليومية تكتب الفصحى وتدعو لها وترفض العامية ، ومن يوميات جريدة الاخبار الصادرة فى ١٩٦٤/٤/٢٧ كتب الاستاذ نشأت التغلبى يقول : « ان اللغة العربية الفصحى هى سبيلنا الصحيح الى توطيد دعائم قوميتنا العربية والى تجسيد وحدتنا تجسيدا عمليا بعيدا عن الحساسيات الناجمة عن اللهجات المحلية التى اقامت نوعا من الحواجز أريد للبلاد العربية عن سابق تصور وتصميم . فان اختلاف هذه اللهجات لا بد أن يؤدى الى مفارقات وملابسات ، قد تكون سببا من أسباب الضحك والترفيه ، لكنها لا بد أن تخلف فى بعض النفوس شيئا من المرارة برع المستعمرون وبرع المنحرفون فى استغلالها استغلالا بشعا . ما أسهل القضاء عليه لو ادركنا أهمية اللغة، ولم نعتصم بأسهل الموارد وأقرب السبل ، ليس عن عجز وانما عن كسل ، وعدم توافر الرغبة الصادقة أحيانا فى الانفتاح على واقعنا العربى انفتاحا كاملا وصادقا » .

وفى جريدة الاخبار أيضا ـ١٥ يونيو سنة١٩٦٤ـ نقرأ تصريح ليفى اشكول رئيس وزراء سرائيل « اننا لن نسمح بوجود **لغة واحدة** ، وشعب واحد، ودين واحد فى الشرق الاوسط » .

حقا ، « ان استخدام اللهجة العامية حجر فادح، وهو بالتالى عمل منهجى ظالم لاضعاف اللغة الفصحى . » وتقييد لأدبنا فى اطار ضيق .

وربما رأينا فى ايامنا القادمة من يضع للعامية القواعد ويطالب بتعليمها لابنائنا فى المدارس والمعاهد .. ما دامت تخدم الحياة والانسان ! وليس بالبعيد ان تكون وسيلة هؤلاء الفصحى .

محمد محمود شمس

أعلام منسيون

أحمد خيرت

من رواد الأناشيد العربية

بقلم أنور الجندي



فى شهر ابريل الماضى انتهت حياة أشهر مؤلف للاناشيد العربية ، بعد عمل خصب مضطرد خلال اكثر من خمسين عاما فى هذا المجال الحيوى للنهضة، فقد كانت الأناشيد ولاتزال سلاحا قويا فى المدرسة والجيش وفى الحركات الوطنية ، تلهم الحماس وتجمع الكلمة وتهز المشاعر ، ولقد صدق القائل « اعطنى نشيد امة أقول لك من هى» ولقد عاشت الأمة العربية حياة النضال والكفاح ضد الاستعمار والاحتلال والحماية تقاوم باناشيد ثارية العبارة ، سهلة الترديد على الألسنة ، جميلة الوقع فى الآذان ، وربما لم تكتب لكنها كانت تنتقل بسرعة البرق من فم الى فم فتملأ الجوانح اندفاعا نحو الحرية .

وقد شهدت ثورة ١٩١٩ عددا من هؤلاء الرواد الذين هزوا المشاعر بالكلمات الموحية المثيرة وفى مقدمتهم : سيد درويش ومحمود يونس القاضى و « أحمد خيرت » فقد كان اذ ذاك طالبا ثانويا ، وعضوا فى لجنة الطلبة لثورة ١٩١٩ صغير الحجم ، رقيق الجسد ، دقيق الحس ، عاطفيا عصبيا ، لايهاب ولايخاف ، يتنقل من مكان الى مكان ومعه سلاحه « سلاح الكلمة » وقد غذى الثورة باناشيد ثورية ، كانت كلماتها تتردد والصفوف المتراصة تتحرك بين الأزهر ونادى المدارس العليا ، وفى خلال التجمعات وأشهرها مما لا يزال يذكره من شهدوا هذه الفترة :

بنى النيل هبوا وكونوا يدا
وردوا عن النيل كيد العدا
ولا تحسبوا ما بذلتم سدى
وصونوا جلال الفدى بالفدا

وكان « أحمد خيرت » يلقى أناشيده فى ثوب « شحاذ » حتى لا يفطن رجال الاستعمار الى حقيقة امره ، ووصف اذ ذاك بأنه « شحاذ القرن العشرين»

ولم يتوقف « أحمد خيرت » بعد ٩ مارس ١٩١٩ ، ولكنه واصل العمل فى خلال فترة اعتقال سعد زغلول وسفر الوفد المصرى الى باريس واستمرار الثورة المصرية فى صورة الاغتيالات والايقاع برجال الاستعمار وأعوانه بقيادة عبد الرحمن فهمى ، وكانت الأزجال الملحنة فى شكل (مونولوج تتغير وتتبدل لتساير الاحداث ، وفى سبيل ذلك اعتقل مرارا وكان آخر عهده بالاعتقال (نوفمبر ١٩٢٤) اثر حادث السردار المشهور ، ومضت أناشيد « خيرت » تسابق الحركة الوطنية فهى تحارب الاستعمار وتحمل عليه ، وتقاوم الخلاف ، وتهاجم الاحزاب التى تخرج عن صف العمل الموحد ، وتتابع فى يقظة كل تطورات الحركة الوطنية .

فاذا بدأت الحياة السياسية الجديدة بعد الثورة ، إخذ يعمل على ادخال الأناشيد ضمن البرامج التعليمية ، فتقدم الى (وزارة المعارف) بمشروع عرف باسم (المحفوظات الملحنة) وواجه صعوبات جمه ، من أجل تنفيذه ، وكان قد نقل من عمله مدرسا للزراعة بشبين الكوم ، الى لجنة الفنون الجميلة بوزارة المعارف ، مما أتاح له السعى لتحقيق برنامجه

وتركيز دعـائمه ، فأتيح له أن يعممه على مدارس القاهرة أولا نظرا لقلة الامكانيات الفنية .

وفى حياة احمد خيرت ظاهرتان واضحتان : أولهما ، الطبيعة الفنية ، فقد درس فى الزراعة العليا وأحرز دبلومها وكان فى الامكان أن يعيش واحدا من رجال هذا الفن ، لولا موهبته الطبيعية التى برزت وفرضت نفسها ، واستطاعت ان تشق طريقها فى ظل حدث من الاحداث الكبرى هو ثورة ١٩١٩ ثم وجدت مجالها فى ادخال هذا الفن فى المدارس والمعاهد المختلفة .

أما الظاهرة الثانية : فهى ، قدرته على الجمع بين النظم والتلحين ، فقد كان شاعرا وموسيقارا ، واغلب أناشيده التى اربت على الألف نشيد من تاليفه وتلحينه ، وهو صاحب مدرسة فى هذا المجال ، فانه تخلص من الطريقة القديمة ، طريقة التخت ، واختار منهجا جديدا مبسطا سهلا يتيح للطفل والشاب أن ينشد كلماته دون عسر ، وكان لقدرته على الجمع بين النظم واللحن أثرها فى انتشار الحانه وأغانيه ، فان معظم أناشيده تتسم بالبساطة والسهولة والجرس الموسيقى :

فهو فى نشيد القوات المسلحة يقول :

اماما اماما جنود الفدا
وسيروا الى النصر تحت العلم
الى عزة المجد رغم العدا
ولا ترتضوا غير عالى القمم
اماما اماما وكل ينادى
سلاما بلادى وعاش الوطن

وفى « نشيد الأمة العربية » :

للأمة العربية
هتف الحماة وكبروا
بالعزة القومية
وبالاتحاد سننتصر
الله جمع شملنا
واتم نورا انزله
فالمجد والعليا لنا
والحمد والتسبيح له
الله الله
له الحياة تسجد
الله الله
جنده مؤيد

وفى نشيد الجزائر يتجلى طابعه فى البساطة والرنة الموسيقية :

شباب الجزائر صدوا العدا
وصبوا عليهم لهيب الردى
ونحن لكم اخوة فى الفدى
اذا ما دعينا أجبنا الندا
فهرتم بايمانكم من عدا
وانتم اولوا العزم طول المدى
اخى فى الجهاد ، اخى فى النضال
اخى فى الوهاد اخى فى الجبال
اذا لم أسر فى صفوف القتال
فهذا جهادى عتاد ومال
كفاح الجزائر اعلى مثال
وقهر الجزائر أمر محال
وعزم الجزائر يوم النضال
سيمحو ويمحق كل احتلال

وهكذا يتطور « احمد خيرت » بأغانيه وأناشيده وموسيقاه مع الأحداث فى مرحلة طويلة بدأت فى ثورة ١٩١٩ ، وامتدت الى ثورة الجزائر والقومية العربية خلال خمسين عاما يستجيب للأحداث فى محيطنا العربى الكبير ويخطو مع النهضة والثورة خطواته التى لا تتوقف ، وفى عيد الأم نراه مشاركا :

الى الأم نهدى ندى الزهر
وللأم ننشر خير السير
فكم ضمنا صدرها فى الصغر
وكم حاطنا ظلها فى الكبر
رضاؤك يا أم حصن حصين
دعاؤك يا أم فتح مبين
وانت الحنان وانت الحنين
وانت السعادة للعالمين

وامامى ثبت طويل عن الأناشيد التى الفها ولحنها فى موضوعات شتى : الصياد ، العلم ، دعاء الطفل ، نشيد البوليس ، نشيد الطيران ، شكرا لله ، الطيور تستقبل الصباح ، قمر السماء ، عم يا خباز ، يا بايع الفطير ، انشودة القطن ، انشودة الشمس ، أنشودة الحجاج ، مملكة النحل ، البحارة ، قطار الرحمة ، افراح النيل ، نشيد الهجرة ، الصلاة ، الجيش السودانى ، المولد النبوى ، العنب ، الزهر ، وعشرات غيرها ..

وكلها تدل على مشاركة روحية كاملة لكل ما تضمه هذه البلاد فى مجالات الطبيعة ، والحياة ، والوطنية ، والزراعة ، والفنون ، ومن استهلالات هذه الاناشيد تبدو طبيعة احمد خيرت الهادئة الموسيقية المشرقة :

الصـــلاة الصـــلاة
اطلبـــوا عـــون الاله
حن قلبى لبلادى يا رجـال
فمتى يوم الوصـــال
تجلت انعـــم المـولى
فقـــولوا جل من اول
عزم اســـد البحـــار
من حـــديد ونار
بالله ياشـــمس لا تغيبى
بن جنة الشمس الرطيب
شـــجرة القطن خبرينى
متى ارى التبر عن يمينى
امنح العصـــفور ريشـــا
وكذا الينبـــوع مـاء

وهكذا تبدو براعة الاستهلال والبساطة فى هذه الاناشيد الحلوة التى عاشها كثير منا فى مطالع شبابه وغناها .

ولقــد عاش احمد خيرت حيــاة عملية خصبة فى مجاله هذا راعيا لأمانته هذه متميا لها كلما أتيح له أن يرتقى وتكبر مسئوليته حتى بلغ منصب ، كبير مفتشى الأناشـــيد بوزارة التربية والتعليم ، وعمر المدارس بأناشيده ، وقدم عشرات الاستعراضـــات على مسرح معهد الموســـيقى العربية ودار الأوبرا والكثير من المدارس ، وأدخل الأناشيد الجماعية أول مرة عام ١٩٢٨ بنشيد من تلحينه القاه أربعة آلاف طالب ظل يدربهم عشرة أيام ، واتسع نطاق هذه الأناشيد الجماعية حتى بلغت عشرة آلاف طالب .

ولما غذا أحمد خيرت ثورة ١٩١٩ ، اهتز لثـــورة ١٩٥٢ وعاشها بوجدانه وشـــارك فى أحداثهـــا وانتصاراتها بعشرات من الاغانى والاناشيد ، كما امد ركن الأطفال فى الاذاعة فى مختلف عهـــوده (ابله زووز وبابا صادق وبابا شـــارو) وكان يمهد للبرنامج بنشيد صغير :

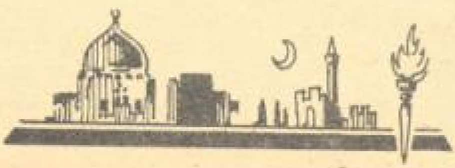
هـــل تعلمون تحيتى
عنـــد الحضـــور اليكم
أنـــا ان رايت جمـــاعة
قلت « السلام عليكم »

وساند كثيرا من النابغين والنابغات فى مجـال النشيد والألحان أمثال فايدة كامل ونجاة الصغيرة ، ولم يقتصر على تلحين الأناشيد الوطنية ، بل نظم ولحن الأناشيد العاطفية ، وســـاهم فى النهضـــة المسرحية : نادى احيـــاء التمثيل العربى ، والنسر الذهبى ، والمعارف ومنتخب المدارس ، واعتلى خشبة المسرح ممثلا هاويا ، وابرز أعماله أوبرت (آدى يومنا) التى الفها ولحنها ومثلها مع زملائه أعضاء نادى منتخب المدارس على مسرح جورج أبيض ورواية (أحمد وحنا) ابان ثورة ١٩١٩ ومثلت على مسرح الأوبرا .

وهكذا انطوت حياة خصبة عريضة لرائد من رواد الأغنية والنشيد والموسيقى ، وهب حيـــاته لوطنه وكان رمزا على الخلق والاخلاص ، كان قد ولد فى ١٨٩٩/٥/٢٤ بحى السيدة زينب بالقاهرة وتوفى فى ١٩٦٤/٤/١٥ بحى الدقى ، بعد أن أحيل الى المعاش عام ١٩٥٩ وكرمته وزارة التربية والتعليم اذ ذاك فطبعت الكثير من أناشيده التى نظمها ولحنها طوال عمله بها فى مجموعة وزعت على المدارس .

والحق ان حياة امثال هؤلاء الرواد فى حاجة الى دراسات واسعة ، ومراجعات شاملة لانتاجهم وآثارهم تؤرخ بها النهضـــة الفكرية والفنية فى بلادنا ، ونحن نتطلع فى هذا المجال الى المجلس الأعلى للآداب والفنون الذى يستطيع أن يحقق هذه الأمنية .

أنور الجندى



مسرح محمود تيمور

بقلم علي متولي صلاح

من حياة خصبة ثرية يجاوز الأستاذ محمود تيمور هذه الأيام السبعين عاما ... مد الله فيها وأطالها طولا يضاعف خيرها للناس ، ويزيدهم بها انتفاعا .

وسنتحدث اليوم عنه باعتباره رائدا من رواد المسرح العربى الذين أرسوا قواعده ، ثم أقاموا صرحه ، ثم أعلوا ذلك الصرح سامقا ثابت الدعائم قوى الأركان .

وللأسرة التيمورية فضل على الادب ، وعلى الفن عريق ، فهم منذ أزمان بعيدة سدنة الأدب فى هذه البلاد ورعاة الفن فيها ، يتوارثون ذلك كابرا عن كابر ، ولا يفتأون يضيفون الى المكتبة العربية الذخائر والكنوز ويقدمون لها الآثار الجليلة النافعة .

وقد نشأ الاستاذ محمود تيمور فى هذا البيت العريق يحيط به العلم والأدب والفن من كل جانب، فكان لا بد وقد رزقه الله ــ الى جانب هذا الجو الذى يعيش فيه ــ طبيعة مستجيبة مطاوعة مشغوفة بالأدب والفن ... كان لا بد أن ينمو ويترعرع ويصير عملاقا وثروة ينهل الناس منها .

فابوه هو ذلك الأديب المحقق اللغوى « احمد تيمور » الذى أثرى المكتبة العربية بكتب الأدب واللغة ، واهدى مؤلفاته كلها كما اهدى مكتبته الخاصة الزاخرة دار الكتب ، وقد تالفت لجنة خاصة لنشر تلك المؤلفات التيمورية قامت وما زالت تقوم بعملها هذا فتضيف بين الحين والحين الى المكتبة ما تفرغ من تحقيقه .. بل ان جده « اسماعيل تيمور » الذى أثرى المكتبة العربية بكتب الأدب والبحث ، وآثاره فى هذين الميدانين معروفة .

وعمته السيدة « عائشة التيمورية » من الرائدات الأوليات فى شعر المرأة وما زال شعرها يتردد على السنة الناس وفى معاهد التعليم .

وأخوه الأكبر « محمد تيمور » كان من أعظم رواد الأدب التمثيل عندنا لا فى (التأليف) فقط بل فى (النقد) أيضا وربما كان من أعظم الذين أسهموا فى خلق « النقد المسرحى » ببلادنا حيث كان ذلك النوع من الكتابة شيئا غريبا لم تالفه الصحافة ولم يالفه القراء عندنا . هذا الى شعره الكثير وقصصه العديدة مما جعل حياته القصيرة خصبة خصوبة فذة ممتازة لا يكاد العقل يتصور هذا الانتاج الضخم مقرونا اليها ! وكيف يتصور العقل هذا الفيض كله من رجل وافاه الأجل المحتوم وهو فى التاسعة والعشرين من عمره ؟ . وقد كان لأخيه هذا تاثير كبير فى طريقة كتابته وفى اتخاذه اللغة العامية أداة للتعبير فى بعض مواطن الكتابة فقد الف هذا الأخ مسرحيات عديدة باللغة العامية نذكر منها مسرحية « الهاوية » ومسرحية « العشرة الطيبة » ومسرحية « العصفور فى القفص » ايمانا منه بان « الواقعية » لن تتحقق ولن يستطيع الكاتب أن يتسرب الى أعماق النفوس ويصل الى أغوارها ويؤثر فيها الا اذا جعل هذه اللغة العامية أداته ، وجعل صور حياة الناس وطرق عيشهم مادته وموضوعه .

فى هذا الجو الزاخر بالعلم والأدب والفن نشأ محمود تيمور ، وتحت تاثير هذه الافكار بدأ يكتب مفضلا العامية مؤثرا لها على الفصحى سعيا وراء النتائج التى كان يسعى اليها اخوه من قبله وهى ــ كما قلنا ــ اجتذاب الناس والوصول الى قلوبهم .

ولكنه وجد النتيجة عكس الذى كان يرجوه ! فقد وجد أن كل ما يكتب باللغة العامية يتبدد ويضيع هباء ولا ينال حظا ــ ولو قليلا ــ من البقاء والخلود ، لأن مجتمعنا ما زال مستمسكا بتقاليده فى شدة وصرامة ، ومازال يعتبر أى أثر يكتب باللغة العامية ــ مهما سما موضوعه ــ تفاهة لا يجوز أن تدخل فى التراث الأدبى الخالد ، أو رجسا يفسد طهارة ذلك التراث ! فاضطر أمام هذا العناد وأمام هذه القوة القاهرة أن يكتب بالفصحى ويهجر العامية ، ورأيناه مرة يعيد بعض مسرحياته العامية مكتوبة بالفصحى ، ورأيناه مرة أخرى يضطرب بين اللغتين فيكتب بعض مسرحياته مرة بهذه ومرة بتلك! فعل الطريقة الأولى فى « أبو على عامل أرتست » وفعل الطريقة الثانية فى (كذب فى كذب) ..

وقد اتخذ تبريرا لكل من العامية والفصحى !

فهو يدافع عن العامية قائلا (... **ان الكاتب المسرحى يخطر بباله اول وهلة ان روايته للتمثيل على المسرح وانه سيخاطب الجمهور على تباين طبقاته .. فحتم عليه أن يطرق الآذان بما ألفت من لغة ويجلو للعيون ما عرفت من مشاهد حتى ياخذ عمله الفنى سبيله الى اعماق القلوب لا ترده وحشة ولا**

تعوقه غرابة .. فان تخللت روايته كلمات يتعذر فهمها على النظارة فى الجملة كانت الصلة بينهم وبين الممثلين غير مأمونة الانقطـــاع ... ومتى انقطعت الصله ذهب التأثير وضــــاعت الفائدة المرجوة من الادب المسرحي ... ثم ان المسرحية تقوم على احوار فهو كيانها العام ونحن فى مصر نتحدث بعضنـــا الى بعض بالعـامية تتعـودت اذاننا هــذه اللغـة واستساغت لهجتها فهى مسموع الجمهور فى كل مكان وهى لذت وثيقه الارتباط بحياتنا المصرية الصميمه . فمتى شـاهد المصرى مسرحية باحوار العامى فانه يستمع الى اللغة التى استقرت فى اعماق نفسه وتحببت اليـه واستعذبتها مسـامعه .. فاما الفصحى فعلما نسمع بها حوارا وقلما نصطنعهـا فى احديث .. ومن ثم فهى على الرغم منا غريبـة عن الاذان) .

ونحن نسأل الأستاذ محمود تيمور : لم يستطيع الجمهور على تباين طبقاته أن يقرأ الصحف والمجلات ويتفهم كل ما بها دون أن يســاعده أحد فى ذلك وجميعها مكتوبة باللغة الفصحى ؟

ولم يستطيع الجمهور على تباين طبقاته أن يتفهم الأخبار المذاعه عليهمن الراديو والتليفزيون وجميعها تذاع عليه باللغة الفصحى ؟

وهل من الحتم الذى لا مفر منه ايراد (كلمات يتعذر فهمها على النظارة) فى كل مسرحية ؟

ولماذا لا تكون لغة المسرحيات هى اللغة (الوسطى) وأعنى بها العربية السهلة السمحه المصـــفاة من الألفاظ الغريبـــة الموحشـــة ؟؟ لم لا يكون ذلك والأستاذ يعلم أن كثيرا من ألفاظنـا يحسبها البعض عامية ، وهى عربية فصيحة ؟!

ان اللغه فى المسرح وســيلة لا غاية ، وليس المسرح فصلا دراسيا لتعليم اللغة ، فلماذا لا نلتمس فيه ايسر اللغة واسهلها واخفهـا مع محافظتنا على فصاحتها وسلامتها ؟؟ ..

ثم يعود الاستاذ محمود تيمور فيدافع مرة أخرى عن اعادة كتابة مسرحياته باللغة الفصحى قائلا :

... فاما ان قدمت المسرحيـة لتقرأ فقـد يكون الأولى أن تكتب بلغـة القـراءة أعنى الفصحى وذلك لأننا فى حياتنا العامة تتنازعنا لغتان ... فللعامية سماعنا متفهمين وتخاطبنا متحدثين ... وللفصحى أعيننا قراء وأقلامنا كتابا ... فلو قدمنا المسرحية للقراء مكتوبة بالعامية لأقذينا العين بما لا تألف .. ولو قدمنا المسرحية للتمثيل لكتوبة بالفصحى لآذينا السماع بما تنبو عنه .. وما دامت هـاتان اللغتان تتنازعاننا على هذا الوجه فلا بد لنا من الاذعان لما يقتضيه ذلك التنازع من مراعاة التفريق بين مايقدم من المسرحيـات للمشاهدة وما يقـدم منهـا للقراءة والاطلاع) .

ونبادر فنقول للأســتاذ الكبير **انه لا يوجد شىء اســمه مسرحيات للقراءة والاطلاع ، ان المسرحية هى ما تمثل على خشبة المسرح . وشر ما توصف به مسرحية ان يقال عنها انها للقراء فقط.. انها عندئذ تكون مواتا لا حياة فيه ولا حركة ... ان المسرحية ليست كلاما يقرؤه الناس ويتخيلونه ، وانمـا هى حياة متحركه يشاهدها الناس بعيونهم ويسمعونها باذانهم ...**

فالتفرقة بين لغةالمسرحيات التى تقرأ والمسرحيات التى تشاهد تفرقة غير ذات موضوع لأنها تفرقه بين شىء موجود ـ واعنى به المسرحيات التى تشاهد ـ وبين شىء لا وجود له ـ واعنى به تلك التى سماها الأستاذ محمود تيمور بالمسرحيات المقروءة ـ فهى اذن تفرقة لايجوز ان توجد لأنها تقوم على غير موجود ..

ان الفيصل فى امر لغة المسرح هو ما قاله الاستاذ نفسه حيث ســمى اللغه التى يجب أن تسود فى ـ كما قال ـ اللغه (العاميه الفصحى) : وهى التى التى يسابها محاضرة فى مجمع اللغه العربيه تحت هذا العنوان نفسه (العاميه الفصحى) واثبت فيهـا أن معظم ما ننطق به ـ مما نحسبه غير عربى ـ انما هو اصيل فى العروبه عريق فى الفصـــاحه ... وكل ما فى الامر هو النسبه ، فان نسبه الفصحى الى العاميه تتفاوت بين متعلم ومتعلم وبين بيئـــه وبيئه وسيجىء يوم تتقارب فيه النسب فنطق للنا بعامية هى الفصحى ، ونكتب بفصحى هى العامية كما يقول !

وقد كتب محمود تيمور عـــددا ضــــخما من الأقاصيص والقصص وصارت شهرته فيه وســـار ذكره ، ولكننا لسنا بصــــدد احديث عن هـــذه الاقاصيص وتلك القصص ولكننا نتكلم عنه مؤلفـا مسرحيا ، فنـــذكر أنه ألف نحوا من ست عشرة مسرحية نذكر منها « ابن جلا » ، « فداء » ، « اليوم خمر » ، « حواء الخالدة » ، « المخبـــأ رقم ١٣ » ، « سهاد » ، « المنقذة » ، « عوالى » ، « قنـابل » ، « ابو شوشـــة والموكب » ، « كذب فى كذب » ، « اشطر من ابليس » ، « صقر قريش » ، «المزيفون» وغيرها ..

ولو تأملنا هذه المسرحيات لوجدنا أنه قد استمد عددا منها من البيئة المصرية المحلية مثل « المنقذة » التي أخذها ن عصر المماليك وصور فيها الصراع المرير بين الكبرياء والعصامية . ومثل « المخبأ رقم ١٣ » التي استوحاها من الحرب وصور فيها ما تفعله الطبائع البشرية في سلوك الناس وقت الحرج والضيق .. ومثل « كذب في كذب » وهي تحليل للنفاق الانساني الذي درج الناس عليه منذ كانوا ...

واستمد عددا آخر من البيئة العربية وما يجرى فيها الآن أو ما كان يجري فيها على تعاقب الأزمان مثل « صقر قريش » التي كتبها عن عبد الرحمن الداخل بالأندلس وصور فيها الزعامة العربيةالقوية المجاهدة . ومثل « حواء الخالدة » وهي قصة عنترة وعبلة الشهيرة في اطار جديد وزى مستحدث يكشف عن الطبيعة الحقيقية للمرأة . ومثل « اليوم خمر » وهي قصة امرىء القيس ذات الأدوار الصاخبة العارمة في ثوب جديد يكشف عن النفس البشرية قناعها ويجلوها لنا في طبيعتها الأصيلة ... ومثل « ابن جلا » وهي صورة ناطقة لحياة الحجاج بن يوسف الثقفي ...

ولن نستطيع ان ناخذ بالتحليل والنقد جميع هذه المرحيات فلنجتزىء بواحدة منها لانها ادل ما تكون عليه من جهة ، ولانها من جهة اخرى من تلك المسرحيات التي كتبها بالعامية ثم بالعربية لانها أثيرة لديه ، ولأنها فيما يبدو من بين ثنايا سطورها تصور محمود تيمور نفسه !

فالذي يبدو منها أن الاستاذ محمود تيمور ألفها من جراء أزمة قامت بنفسه بفعل قوم أنكروا ما أسدى اليهم من أياد بيضاء وجزوه عليها جزاء سنمار ! وأغلب الظن أنه لم يكن يعنى بشخصية (فوازبك)في هذه المسرحية سوى نفسه وان تعمد اخفاء بعض الملامح وتغيير بعض السمات ! .. فان (فواز بك) رجل سمح كريم طيب الخلق ـ وتلك خلال يعرفها الناس جميعا عن الاستاذ محمود تيمور ـ نهض بما توجبه المروءة وما يقتضيه الخلق القويم فكان جزاؤه العقوق والجحود . ولكن الأستاذ تيمور خشى ـ فيما بينه وبين نفسه ـ أن يحس الناس ذلك وغلبه حياؤه المعروف فأسرع الى طمس بعض المعالم لكي ينصرف الناس عنه ! ولهذا فان المتأمل في المسرحية يجد شيئا من التناقض في شخصية (فواز بك) ولكن اذا ظهر السبب بطل العجب !

ولا تقوم فكرة المسرحية على هذا المعنى ولكنها تقوم على فكرة ان الكذب قد ينتهي الى الصدق ورب جد ساقه اللعب !

فهما شاب وشابة تعرف كل منهما الى صاحبه بصورة كاذبة لا تمثل حقيقة كل منهما ، فالشاب فقير يظهر الغنى ، والشابة كذلك تماما ! واستمرت العلاقة بينهما على أساس هاتين الصورتين الزائفتين ولكن حبل الكذب قصير ، وكل خاف سيعلم ...

وتمر الايام واذا بالحقيقة تنكشف لهما ، ولكن الحب يكون قد سبق ظهور هذه الحقيقة الى قلبيهما ، وصار هذا (الحب) هو الحقيقة الواقعة ! فلم ينقص كشف الحقيقة من حبهما شيئا ولم يطفىء له سعيرا بل استمر الشابان على ما بهما من (حب) قام أول ما قام على الكذب والبهتان !

هذه هي فكرة المسرحية ولكن الحوادث الفرعية قد كثرتمن حولها كما ازدحمفيها عدد منالأشخاص لم تكن تدعو اليهم ضرورة وانطلقت الألسنة بكلام لا يمت الى الحادثة بصلة وهكذا ! ووقع فيها شذوذ بين الزوج وابنة زوجته ليس في طباع الناس الا من ابتلوا بالانحراف أو الجنون ولم يكن لذلك موضع من المسرحية .

وبعد : فاى ثراء أثراه الأستاذ محمود تيمور لمسرحنا العربي ، اننا لا نستطيع ولو كتبنا عشرات الكلمات ان نوفي هذا الرائد الكريم حقه ، أن على وزارة الثقافة والارشاد القومي دينا لهذا الرجل يجب ان تؤديه اليه ، انه جدير بمسرح يحمل اسمه ويخلد ذكره ، فهو بحق من المجاهدين الأولين السابقين الذين لم يفتروا يوما عن خدمة بلدهم بما أوتوا من علم وفن فلنوف اليه حقه ليرى بعينيه ان خشبة المسرح لا تفتا تهتز وتضطرب حتى ترى تماثيل من خدموها تقام في كل مكان وانهم ينالون التقدير والتكريم جزاء وفاقا على ما أدوا اليها من اياد بيضاء .

علي متولي صلاح

تحصيل حاصل ليس إلا

بقلم محمد عبد الله السمان

ليس من المبالغة فى القول اذا اعتبرنا ان تدريس الدين على الرغم من انه اصبح مادة اساسية فى مدارسنا ومعاهدنا ، تحصيل حاصل ليس الا ، او سد فراغ كما يقال .

وليس السبب طول المناهج المقررة او ثقلها الى درجة الملل منها، ولا لأن هذه المناهج الطويلة المملة ، الموضوعة لشتى المراحل الدراسية ، مجرد نصوص للحفظ عن ظهر قلب ، لاتمس كثيرا نفسية الطالب او مشاعره ، **بل** ان طرق التنفيذ ووسائله لم تزل عقيمة لا تحرك روح الطالب ، ولا تثير اهتمامه ، ولا يستجيب لها ذهنه .

فعلى الرغم من ان الطالب فى المرحلة الاولى مثلا ، يتسلم فى اول العام الدراسي الكتاب الدينى المقرر ضخما ينوء به كاهله ، ويرتج له فؤاده ، وتفزع له اعصابه ، الا ان هذا الكتاب الضخم لايسفر مضمونه الا على مجموعة من الاخلاقيات العادية التى يمكن ان يتلقى مثلها فى بيته من امه او ابيه او اخوته الكبار ، دون تكلف او عناء .

اما مدرس الدين فازاء هذا المنهج الضخم لايسعه الا توزيعه على حصص العام الدراسي فى كراسة التحضير للدرس ، ثم محاولته ان يستوعب تلاميذه نصوص المنهج حفظا ، دون استيعاب افكار موضوعاته والتجاوب معها والتاثر بها ، ليستطيع بعد ذلك أن يشعر بانه ادى مهمته ، وأرضى نفسه ، واصبح جديرا بأن يقنع مفتش الدين بهذا وذاك .

وعلى الرغم — ايضا — من انه تقرر عندنا منذ أمد غير قريب ، أن تكون مادة الدين فى مدارسنا ومعاهدنا مادة اساسية ، يرسب فيها الطالب كما يرسب فى غيرها من المواد الاخرى سواء بسواء . اذا استثنينا السنوات النهائية فى كل مرحلة ، **الا** ان هذا الاتجاه لم ينضج بعد لافى ذهن المدرس ولا فى ذهن الطالب ، وبذلك يفقدان معا عنصر المبالاة بمادة الدين .

فلم يزل من المشاهد ان مدرس الدين — وهو عادة مدرس اللغة العربية — لايرى غضاضة فى ان يغتنل حصة الدين ، ليشغلها بفرع من أفرع مادة اللغة العربية ، او يتركها للطلبة يشغلونها كيفما شاءوا بينما هو يصحح كراساتهم ، او يتنازل عنها لزميل من زملائه يكون احوج اليه منها ، **يحدث** هذا فى الفرق غير النهائية ، اما فى الفرق النهائية حيث لا اختبار فى نهاية العام فى مادة الدين ، فان حصص الدين لايمر الدين بخاطرها ، ولا يشغل تفكير تلاميذها .

كنت اعتقد ان تغيير اسم « وزارة المعارف العمومية » الى « وزارة التربية والتعليم » يجعل راسخا فى أذهاننا ان مهمة الوزارة ليست نشرا للعلوم والمعارف وحسب ، **وانما** لتؤدى الى جانب التعليم رسالة التربية ، وهى — لاشك — اشق وابعد اثرا ، **فمن** اليسير علينا ان توجد علماء متفوقين فى شتى المعارف ، **ولكنه** من العسير أن نوجد علماء على مستوى رفيع من التربية الخلقية والسلوك الطيب .

انه مما لاجدال فيه ان الدين احد الاسس التى تقوم عليها التربية بل هو اهم هذه الاسس واخطرها اذا استطعنا ان نجعل منه اداة لتهذيب السلوك فى مدارسنا ومعاهدنا وما دامت التربية كما يقول « **جون ستيوارت مل** » عملية ذات هدف نقوم بها عن قصد فان عملية التربية — كما يقول « **جيمس س . روس** » فى كتابه « **الاسس العامة لنظريات التربية** » تتضمن شخصين احدهما المربى، الذى نرمى الى اعداده ، والآخر المربى ، وهو القائم بتلك العملية ، فهى عملية ذات قطبين ، ولابد من الاشارة الى ان المربى اوسع معنى من مجرد مدرس ، كما ان المربى اوسع معنى من مجرد تلميذ اذن فمتى وجد المدرس الذى يفهم مهمته ، والطالب الذى لديه استعداد نفسي وروحى وذهنى للتلقى سارت عملية التربية الدينية فى طريق النجاح المتواصل .

ولا ريب فى ان اعداد المدرس يأتى فى المقام الاول ، ومتى أعددناه الاعداد اللائق بمهمته امكنه بسهولة ان يعد الطالب الذى يتجاوب معه ، **ولا اظن** أن اعداد المدرس يتوقف على تثقيفه فحسب ، بل

بقية المنشور على صفحة ٥٢

دموع العقاد

للشاعر محمد عبد الله معيتيق

بكيت ولم يكن اجـــدى نحيبى
على الرجل المثقف والاديـــب

على العقـــاد من بلغ المـــزايا
ومن نشر البحوث على العريب

على الرجل العليم وقـد تولى
فيـا للهول من فقـــد الاريب

ومن خدم المعـــارف فى اناة
وفى عـــزم الى العليـا صليب

فمن اروائع الاشـــعار نقدا
وللغـــزل المنمق والنسيـــب

ومن يجـــرى البحوث بكل فن
ويهـدى الناس فى عمـل رتيب

مجالسه قـــد اكتظت زمانـا
باهل البحـث والراى المصـــيب

***

مقـالات له كانت مشـــاعا
وسارت للبعيـد وللقـــريب

اذا مارن للمـــذياع صـــوت
سنذكر حصـــة اللســن الخطيب

له صوت اجش اذا تصـــدى
يحدثنـــا عن الوطن الســليب

صـــبور فى المعـــامع ذو اناة
وذو النجدات فى اليوم العصيب

ومن فجر الحيـــاة اخو اجتهـــاد
وذو بحث الى عهد المشـــيب

له كتب بهـــــا نفع عظيـــم
بدت كالشمس تشرق للشـــعوب

ومكتبة الفقيـــد معين علـــم
سرى بين المدارك والقـــلوب

***

ومجتمع العـــروبة فى اكتئـــاب
عشية ربع بالحدث الرهيـــب

اذا ما اظلمـــت جنبـــات ارض
فلم يك ذاك بالشيء الغـــريب

واى مصـــيبة اقسى وانكـــى
على الاحباب من فقـــد الحبيب

سيبقى جرحنـــا الدامى جـــديدا
لينزف من دم حـــر ســـكيب

الى آل الفقيـــد جزيل صـــبر
ومغفرة الى الرجـــل المنيـــب

واسكنه الاله جنـــان خالـــد
مع الابرار فى ســكن رحيـــب

وصبـــرا للعروبة عن مصـــاب
يعـد الى المعـــارف كالغـــروب

محمد عبد الله معيتيق مصراته ــ ليبيا

يالهف نفسي

للشاعر السوداني محمد محمد علي

انها ليست مرثية ولا دمعة تسكب على قبر استاذنا العقاد ، ولكنها انة مريض محزون .

يامطلع النور يا حبي وايناسي ... يا باعث الضوء من اعماق نبراسي
واني نعيك والعواد في جزع ... وصفرة الموت في وجهي واحساسي
جف الرجاء وجف الدمع وانصرفت ... خواطري عن حديث النفس والناس
وعفت مرخيال كان يخدعني ... عن صرعة الموت بالاحلام والكاس
وطالعتني وجوه الصحب شاحبة ... وصلصلت من ظلام القبر اجراسي
تدعو رفاتي اليها غير وانية ... وتستحث اليها خطو انفاسي
فهاضني النبا المشئوم واندلعت ... نيرانه في كوى غمي ووسواسي
وصحت صيحة من ضاقت مذاهبه ... يا ليت يومي وافى يوم عباس
خلفت بعدك للالام تنهشني ... وللتوجع في ليل الضنى القاسي
يالهف نفسي على سيماك طالعة ... كالبدر يشرق بين الترد والاسي
لهفي على منزل شعت جوانبه ... بالعلم والفن لا بالتبر والماس
لهفي على مجلس كنا نحف به ... كانه حرم او قدس اقداس
لهفي على نبرة العملاق طائفة ... تقسم القور صرفا بين جلاس
كانما طوع الله النجوم له ... فقادها زمرا من غير امراس
يا قومنا ما دهى الالباب فاضطربت ... وما دهى الطود وهو الشامخ الراسي ؟!
هل ودع الناس عباس على شغف ... وبات فردا وحيدا رهن ارماس ؟!
وقد توحد في الدنيا ايبعثهم ... بالسلسل العذب يذكي مهجة الحاسي
لم يعرف الشرق جبارا كمنطقه ... ولا يراعا جرى يوما بقرطاسي
كذلك القلم النوري تمسكه ... انامل جبلت من صولة الباس
تفض محتبس الينبوع لمسته ... فيورق العود من عار ومن كاس
هل ودع الروض شاديه الذي غرست ... الحانه جنة في كل حساس ؟!
اقام بتدبير يبني صرح خلدة ... ما رام وفرا ولم يابه بافلاس
دير ومسجد عباد وصومعة ... من غير مئذنة او صوت شماس
وراهب الفكر في محرابه كلف ... بالدرس يجمع اجناسا لاجناس
حتى يؤلف منها ضوء شارقة ... لم يغشه قبس من بعد اقباس
زفت له النفس من اسرارها صورا ... ظلت محجبة عن سائر الناس
والشعر اهدى اليه وهو فارسه ... عذراء ما برزت يوما لفراس
ان جانب النسل من حوراء غانية ... فان ايامه افراح اعراس
اضاء ستين عاما كل داجية ... وطوق الليل منه الف نبراس
قد عاش في الناس فردا لا مثيل له ... وفارق الناس فردا شامخ الراس

الخرطوم : محمد محمد على

(البقية على صفحة ١٩)

لابد من ان تتوافر لديه العقيدة المخلصة ، والايمان العميق الراسخ برسالته ، **ومن** الخطأ ان يفهم ان رسالته **مقصورة** على اقناع تلاميذه بحفظ النصوص الدينية المقررة ، **بل** لابد من ان يؤثر فى سلوكهم ، فى المدرسة والشارع والمنزل ، ويرتبط هو بهم روحيا وقلبيا .

وازاء هذا نرى انه من المحتم ان يكون هناك المدرس المتفرغ لتدريس الدين ، ويعتبر الرائد الدينى لتلاميذه،وينتظر منه ان يكون بعد ذلك القدوة الطيبة لهم ، والمثل الاعلى لسلوكهم ، حتى يستطيع ان يثير اهتماماتهم بالدين ومثله الرفيعة ، **ولا** اظن ان نظار المدارس يراعون هذا فى توزيع المدرسين على الفرق الدراسية ، **فالمعهود** ان مدرس اللغة العربية يكمل نصيبه المقرر عليه من الحصص بدروس الدين ، ولا مانع من ان يدرس الدين مدرس الرياضة او الاشغال او الرسم اذا اضطر العمل الى ذلك .

اذكر يوم — ان كنت اشتغل بالتدريس — ان مفتش الدين زار المدرسة ، وكان شيخا « سنيا » وبعد ان اطلع على توزيع منهج الدين هاله ان يسند الى مدرسة الاشغال ثلاث حصص دين باحدى الفرق الصغرى ، وابدى رغبته فى ان يفاجىء هذه المدرسة ، وقبل ان يطرق الباب عليها سمعها تتلو على التلميذات بعض الآيات القرآنية ، وهن يرددن وراءها : يايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اسم ... **بدون تعطيش الجيم وقد استبدلت بالثاء السين** ، ولم يكد يفتح الباب بعد طرقه حتى فوجىء بمدرسة الدين فى مظهر لا يمت الى تقاليد الدين بصلة ، وكان ان اغلق الباب برفق وولى هاربا .

ان مظاهر انحراف الطلبة الاخلاقى والسلوكى لاتحتاج الى دليل ، فالصحافة لاتخلو يوميا من حوادث اجرامية ابطالها من الطلبة ، **بل** ان هناك ظاهرة تنذر بالخطر ، وهى تقليد الطلبة بعضهم البعض فى تكوين عصابات تتفنن فى السطو على المنازل ، بل لقد قرات منذ ايام فى صحيفة الاخبار ان طالبا بالثانوية العامة قتل امه ، لانها امتنعت عن اعطائه نقودا ليشترى بها سجائر ، ومتى ؟ قبيل حلول امتحانه باقل من اسبوع ، **وليست** هذه الجريمة فريدة فى نوعها ، **بل** ربما كان مما لم تنشره الصحف الكثير منها ، وازاء هذه المأساة هل يمكن ان تعزى انحراف الطلبة الا الى فشل التربية الدينية فى مدارسنا ؟

هذا الفشل مشكلة قائمة بذاتها ، ولا علاج لها الا بمزيد من الاهتمام بتدريس مادة الدين ، وان نطالب به اليوم لابعد بدعا من الامر ، مادمنا حريصين على تاسيس المواطن الصالح ، والتلميذ هو البذرة الاولى ، فاذا بدانا بتعهدها امكننا ان نوجد هذا المواطن الصالح .

اذكر ان **جريدة التيمس اللندنية** ، حين لاحظت تهاونا فى ادخال عنصر التربية الدينية فى المدارس والمعاهد هناك ، قامت بحملة شديدة ، فكتبت فى فبراير من عام ١٩٤٠ تقول :

« نحن نعلم ان اساس تكوين المواطن الصالح هو شخصية صحيحة متسقة ، ولكن كيف تكون شخصية الفرد دون اعتبار لآرائه ومعتقداته ..ان الدين وهو اسمى انواع المعرفة ينبغى ان يعطى — فى صراحة وفى غير مواربة — اسمى مكان فى التربية »

وبعد — فان التعليم الدينى لم يزل فى مدارسنا ومعاهدنا قاصرا عن اداء رسالته ، وهو ليس فى مسيس الحاجة الى عملية تنشيط وحسب ، بل انه لاحوج ما يكون الى عملية تخطيط من جديد ، ليتوافر له المدرس المخلص الكفء الذى لايقف عند حد تدريس المثاليات لتلاميذه ، وانما يغرسها فى نفوسهم بعد ان يقنع بها اذهانهم ، ويشرح بها صدورهم... والا فالتعليم الدينى سيظل الى ماشاء الله تحصيل حاصل ليس الا . !

محمد عبد الله السمان

رسالة الفن

كشف حساب الموسم المسرحي

بقلم عبد الفتاح البارودي

اعجب ما فى هذا الموسم المسرحي أننا اجتزنا فيه مراحل هامة فى طريق تطوير مسرحنا ، ومع ذلك لم تدرك الأهمية الحقيقية لهذه المراحل !! كيف ؟

أمامنا أكثر من دليل ٠٠ فمثلا كثيرون حاولوا تقييم انتاجنا المسرحي ومع ذلك أغفلوا دائما ذكر العوامل الرئيسية التى مهدت لظهور هذا الانتاج . وأغفلوا أحيانا ذكر المسرحيات التى تعطى الدلالة الحقيقية على تطورات نشاطنا المسرحي بصفة عامة ٠٠ والتليفزيون حاول عقد ندوات لتقييم الموسم المسرحي ، ومع ذلك لوحظ فى معظم هذه الندوات أنها تجاهلت المسرح التليفزيونى ٠٠٠ وطبعا كان من المفارقات العجيبة تجاهل الفن التليفزيونى فى ندوات تليفزيونية !! وأنا لا أريد « تقريظ » المسرح التليفزيونى ، وانما كيف يمكن تقييم الموسم المسرحي دون ذكر أثر الفرق التليفزيونية ؟ كذلك عقد مسرح الحكيم ندوات فنية لنفس الغرض ، وكانت فى مجموعها ندوات احتدمت فيها وجهات النظر المختلفة ، ومع هذا فان بعض المسرحيات أغفلت اطلاقا ٠

سأحاول هنا أن أشير الى جهود كل فرقة من حيث منهجها وأثره فى تعميق تفكيرنا المسرحي ، ولنبدأ باحدى فرق المسرح التليفزيونى ، ولتكن فرقة المسرح الحديث ، باعتبار أنها أنشئت فى هذا الموسم فقط كمحاولة لتهيئة المجال الفنى لتشجيع المؤلف المحلى ٠

بدأت هذه الفرقة موسمها برواية (روض الفرج) ٠٠٠ انها قصة قصيرة لنجيب محفوظ أعدها للمسرح مصطفى طنطاوى وأخرجها حسين كمال ، ومع أن هذه المسرحية تعتبر تجربة جديدة ، فان بعضهم تجاهلها عند التقييم ، وبعضهم انحرف فى تقييمها ٠٠٠ لماذا ؟ ان الدكتور محمد مندور مثلا اتهمها بالاسفاف على أساس أن فى احداثها رقصات وأغانى تعبر عن المفهومات الفنية التى كانت شائعة فى عصر مسارح روض الفرج ٠٠ ولا أدرى كيف تتهم بالاسفاف مسرحية ليس فى حوارها لفظ واحد يخدش الحياء ، وليس فى أدائها أى خروج على العرف ٠٠٠

ان المدهش أن معظم الذين تناولوا هذه المسرحية لم يلتفتوا الى فكرتها الحقيقية ٠٠ انها فى ظاهرها تروى قصة مطربة عشقت شابا بعد أن تجاوزت سن الشباب ، وبدأت تتدهور يوما بعد يوم ، وأخيرا أفاقت على مأساتها ، وأدركت أنها أخطأت عندما تحدت الزمن ٠٠٠ ومن ناحية أخرى تروى المسرحية قصة الصراع بين هذه المطربة وبين راقصة كانت تعمل فى مسرحها ، وكان لكل منهما عشاق يرتادون المسرح من أجلها ٠٠٠ ومن ناحية ثالثة تصور المسرحية حالة الفن والمظاهر الفنية ومستوى التفكير الفنى فى ذلك الوقت ، وتنتهى بأن فى روض الفرض أسدل عليه الستار ٠٠٠ هذه هى المحاور التى دارت حولها المسرحية ، ودار حولها

الذين تناولوها ، ولكنهم اغفلوا مسائل فى غاية الأهمية ..

فأولا : أغفلوا أنهـا تقـدم لونا جديدا يمزج الاستعراض فى الدراما ... هى دراما استعراضية تتجمع فيها عناصر الغناء والرقص والفكاهة داخل اطار مسرحى .. ولو أن الذين تناولوها التفتوا الى هذه النقطة الفنية الدقيقة لأدركوا أنهم ازاء تجربة مسرحية من نوع جديد يحتاج الى التقييم الفنى الذى يفتح الباب لتجارب مماثلة ، ربما تسفر عن اتجاه جديد فى مسرحنا .

وثانيا : اغفلوا أن المسرحية تفسر تصرفات رواد مسرح روض الفرج تفسيرا فنيا جديدا ، فان الناس فى ذلك الوقت لم يكونـوا يرتادون ذلك المسرح ويتنافسون فى احتسـاء الخمر والالتفاف حول الراقصات والغانيات ، لم يكونوا يفعلون ذلك الا بسبب الهروب من واقعهم ، فان الاستعمار الذى كان يسيطر على المجتمع فى تلك الأيام دفعهم دفعا الى هذا الهروب ... ومن هنا تعتبر المسرحية من اقـوى المسرحيـات التى صـورت بيئتهـا تصويرا فنيا ، ولهذا أخطأ الذين تهاونوا بها فأغفلوهـا ، أو فهموها على غير حقيقتهـا ، أو فسروها حسب ظاهرها ولم يحاولوا أن يتعمقوا أهدافها ومغزاها .

***

كذلك لم تظفر مسرحيـة (قهوة مصر) بالتقييم الفنى الجديرة به ... انها ثانى مسرحية قدمتهـا فرقة المسرح الحديث . ولا أدرى لماذا أغفلت ... ان كثيرين ممن يتصدون للنقد المسرحى لم يتحدثوا عنها بكلمة واحدة ، والقلائل الذين تفضلوا بالحديث عنها كانت أحاديثهم عابرة ، بل كان يبدو احيـانا أنهـم لم يتحدثوا الا لمجرد التظاهـر بالوفاء لذكرى مؤلفها المرحوم أنور المشرى .

والحقيقة أن هـذه المسرحية تعتبر رؤية فنية صادقة لمجتمعنـا الماضى فى فترة من الفترات التى كان يقاوم فيها الاستعمار ... والمؤلف أظهر براعة فى التناول الفنى ، وفى فهم مواضـعات المسرح ، وفى وضـع الأحداث داخل المجال الدرامى ، وفى استخدام الرمز الفنى ، وفى رسم معظم الشخصيات ، وفى ربط المسرح بالمجتمع ... الخ ... وصحيح انه استخدم التعبيرات المبـاشرة أحيـانا ، وكان متحمسا أحيانا ، واهتم بتفصـيلات غير ضرورية احيانا ، ولكنه رغم هذا كله قدم مسرحية جديرة بالتقييم .

وبكفى مثلا ان هذه المسرحية صورت الفسـاد الذى كان متفشيا فى المجتمع الماضى تصويرا فنيا ، بمعنى ان هذا الفساد انعكس اثره فى مختلف المرافق ، وداخل الدواوين ، وداخل البيوت ، بقدر ما انعكس فى اذهان المتنورين ... ويكفى أيضـا أن هـذه المسرحية قدمت فى شخصياتها نماذج متعددة تعطى صورة واقعية للعنة التى كان يعيش فيها أنصاف المتعلمين ، وللبقظة التى كانت مختفيـة بين افـراد الشعب ، وللحماسة التى كانت تتأجج فى صـدور الشبان ... ان المؤلف وان كان قد اوضح فكرته توضيحا مبـاشرا ، الا انه اسـتطاع بتقديم هـذه الأنماط المختلفة أن يدفع الأحداث المسرحية فى نمو فنى ، ولهذا رأيناها تتشابك وتحتدم بمبررات هى من وجهة نظره مبررات قوية ، وحتى اذا اختلفنا معه فى مدى قوتها ، فلا خلاف فى أنه وضعها فى المجال الفنى .

***

ومهما يكن الرأى فى هـذه المسرحية فان أقل ما توصف به أنها مسرحية جادة ، ونموذج للتأليف المرتبط بالمجتمع ، فكيف اذن نتجاهلها فى التقييم الفنى ؟!

رواية ثالثة قدمتها فرقة المسرح الحديث باسم « الزلزال » ... ان هذه المسرحية هى أول تجربة فى التأليف المسرحى لمصـطفى محمود ، ونالت نصيبا لا بأس به فى التقييم الفنى ، ولكن معظم الذين تناولوهـا لم يتنـاولوها الا لمجرد ان مؤلفها يعمل فى الحقل الأدبى ... ولهذا نجد ان معظم الذين تنـاولوها لم يتناولوها الا لمجرد أن مؤلفها أيدوها كان تأييدهم أقرب الى التقريظ والمجاملة ... كيف تستفيد بالتجارب المسرحية ، وخاصـة التجـارب الجديدة ، اذا لم نحتكم الى القـواعد الفنية ؟!

ان هذه المسرحية تبدو وكأنها محاولة للخروج على القـواعد المألوفة ... فمثـلا يبدو أن النمو الدرامى فى احداثها يتوقف عند الفصل الأول فقط ... ويبدو أن حركة احتدام « الفعل ورد الفعل » لا توقدها مولدات جديدة منذ أن يحدث الزلزال .. ويبدو أن شخصياتها تعجز عن التصرف بعد أن تقع

تحت وطأة الاحداث الخارجة عن ارادتها ... واكثر من هذا كله يبدو أنها مجرد تفسير لافتراضات تخيلها المؤلف ... ولكن الواقع أن المسرحية وان كانت أحداثها متخيلة فعلا الا أنها لم تفقد ديناميكية الحركة بهذا المعنى .. وكل ما فى الأمر أنها تقدم نوعا غير مألوف من الأحداث ، وتعتمد على الصراع داخل اذهان شخصياتها أكثر مما تعتمد على الصراع الذى يتولد من الفعل ورد الفعل .

فيها تكنيك جديد ، ومهما يكن الراى فى هذا التكنيك فانه يستحق التقييم الفنى بدلا من المهاجمة الشكلية او التقريظ ... كان من اللازم ان نتناول هذه المسرحية بالتحليل الذى يناقش هذا التكنيك ، ولكن معظم الذين تناولونها لم يحاولوا تحليلها بقدر ما حاولوا أن يتحدثوا عنها ، باعتبار أن مؤلفها هو احد الذين يتاح لهم التحدث عن أعمالهم .

***

وحدث العكس فى مسرحية (القنبلة الثالثة) ... ان مؤلفها مصطفى مشعل لا يكاد يعرفه احد من المحتشدين فى الحقل الأدبى أو الفنى ، ولهذا لم يكد يتحدث أحد عن مسرحيته ، رغم أنها من أكثر المسرحيات جدارة بالمناقشة .. لماذا ؟ أولا لأن المؤلف يمارس تجربة التأليف للمسرح لأول مرة .. وثانيا لأنه لم يدخل الحقل الفنى من الأبواب الخلفية ، بل دخله باستحقاق ... انه واحد من عشرات الذين قدموا رواياتهم للمسرح الحديث ، ولولا أن روايته جديرة بالعرض لما عرضت ... كيف اذن تجاهلها الذين يتصدون للنقد المسرحي ؟ هذه ماساة من مآسى النقد الفنى ... ان الدليل على جدارة هذه المسرحية أن الجمهور تهافت عليها رغم أنها اولا مؤلفة باللغة الفصحى ، وثانيا تتناول موضوعا جادا ، وثالثا تعالج مشكلة غير محلية بالمعنى الضيق ... انها تصور ماساة هيروشيما وتروى قصة الطيار الامريكى الذى القى عليها القنبلة الذرية فى الحرب العالمية الثانية ... والمدهش أن المؤلف لم يعالج هذه القصة كما حدثت ، بل عالجها معالجة فنية تناولت تكييف هذه الأحداث بما يعبر عن تحذير البشرية من سوء استخدام الذرة ... الواقع أن هذه الرواية كانت تستحق أن يهتم بها النقاد ، وأن يحتفلوا بمؤلفها الذى سجل اسمه فى قائمة المؤلفين بكل جدارة .

مسرحية أخرى قدمتها فرقة المسرح الحديث بعنوان (أدهم الشرقاوى) ، وايضا لم يهتم بها النقد الفنى لأن مؤلفها نبيل فاضل غير معروف فى الوسط الفنى ... ان البرنامج التليفزيونى (الفن الشعبى) ناقش هذه المسرحية ، ولكنه لم يناقشها كمسرحية لمؤلف يكتب للمسرح لأول مرة ، بل ناقشها عرضا خلال مناقشة التراث الشعبى باعتبار ان من المواويل الشعبية موالا عن ادهم الشرقاوى ... والحقيقة ان هذه المسرحية تكاد تكون غير ذات صلة بقصة حياة أدهم الشرقاوى ، بل ان مؤلفها عالج فيها شخصية ادهم كنموذج لكفاح الفلاحين ضد الارستقراطيين الذين كانوا مسيطرين على حياتنا فى المجتمع الماضى ، وهذه من الناحية الفنية مشكلة كان يجب أن تثير أبحاثا كثيرة لمعرفة مدى ارتباط الفن بالتاريخ ، ومدى التزام الفنان بذلك .

واذا كان النقد الفنى قد تجاهل هذه المسرحية وغيرها من المسرحيات التى كتبها او قدمها مؤلفون غير معروفين ، فبماذا نفسر تجاهل مسرحية (عنتر وأنجه) التى الفها عادل كامل ؟! ان هذا المؤلف سبق ان قدمته للحقل الأدبى قصصه الممتازة التى اصدرها منذ ٢٥ سنة ، مثل « مليم الأكبر » ، واذن فلا بد ان « حكاية التجاهل » فى النقد الفنى لها أسباب اخرى ، بل اننى اعتقد ان السبب الحقيقى للتجاهل هو الجهل ... ان معظم الذين يتصدون للتقييم الفنى لا يعرفون المقاييس الفنية التى يتطلبها هذا التقييم ، ولهذا لا يكتبون الا فى « الهيصة » التى تثيرها « الشلل » كلما ظهرت أعمال أى عضو فى هذه الشلل ، والواقع أن « نقد الشلل » أساء الى مسرحنا ، لأنه اغفل الملامح الجديدة فى النشاط المسرحي ، ولهذا اغفل الجهود التى بذلتها فرقة المسرح الحديث مثلا ، رغم أنها قدمت فى موسم واحد اربعة مؤلفين وقفوا على خشبة المسرح لأول مرة ، وقدمت فى مؤلفاتهم تجارب جديدة ، وقدمت فى الوقت نفسه تجارب فنية اخرى فى الاخراج ظهرت فى أعمال حسين كمال وكامل يوسف وجلال الشرقاوى وفوزى شاهين وعباس يونس ، وقدمت مجموعة من الممثلين الذين ظهروا فى مستوى النجوم ، وأكثر من هذا أنها تحولت الى معمل تفريخ لمحاولة تكوين وتشجيع المؤلف المحلى ... ولكن هذا كله اهدره نقد الشلل !!

عبد الفتاح البارودى



محمود طاهر لاشين

فى ذكراه العاشرة

محمود طاهر لاشين هو احد الرواد الاوائل لفن القصة القصيرة العربية ، الذين ارسوا اصول هذا الفن فى مصر وفى سائر بلاد الوطن العربى . له مجموعتان قديمتان ومجموعة حديثة . اما القديمتان فهما « **سخرية الناى** » و « **ويحكى ان** » وقد ظهرتا فى العشرينات من هذا القرن ، واخيرا صدرتا فى طبعة ثانية بمشروع المكتبة العربية الذى يقوم به المجلس الاعلى للفنون والآداب والدار القومية للطباعة والنشر ومؤسسة التأليف والترجمة . ظهرتا مصدرتين بمقدمتين تحليليتين ، كتب الاولى لسخرية الناى الاستاذ **يحيى حقى** ، وكتب الثانية لـ « **يحكى ان** » الاستاذ **محمود تيمور** .

اما المجموعة الثالثة فقد اصدرها المؤلف نفسه سنة ١٩٤٠ مصدرة بمقدمة للدكتور **حسين فوزى** . وعنوانها « **النقاب الطائر** » .

ولطاهر لاشين — الى جانب القصص القصيرة — رواية اسمها « **حواء بلا آدم** » ظهرت سنة ١٩٣٤ مصدرة بمقدمة للاستاذ **حسن محمود** .

نشأ طاهر لاشين فى اسرة من الطبقة المتوسطة فى حى شعبى بالقاهرة ، هو حى السيدة زينب ، وتلقى التعليم الابتدائى باحدى مدارسه وهى مدرسة محمد على الابتدائية . ولما اتم هذه المرحلة لحق بمدرسة قريبة من الحى ، هى مدرسة الخديوية الثانوية ، ثم تخصص فى دراسة الهندسة بمدرسة المهندسخانة العليا ، وتخرج فيها ، وعين مهندسا بالحكومة فى مصلحة التنظيم ، وظل بها حتى احيل الى المعاش فى اواخر سنة ١٩٥٣ .

كان طاهر لاشين قد شغل عن الانتاج الادبى سنين طويلة حتى نسيته الحركة الادبية .. فلما سمع اسمه يردد كرائد قصصي بعد النسيان الطويل سره ذلك واحيا النوازع الادبية فى نفسه وحرك فيها دوافع الكتابة ، فطلب تسوية معاشه قبل بلوغ السن القانونية بسنتين ، واجيب الى طلبه . ولكن الموت ضن علينا بالنتاجه المأمول فعاجله بعد ذلك باشهر اذ توفى فى صيف سنة ١٩٥٤ .

عرف طاهر لاشين بين اصدقائه بالمرح والدعابة وخفة الظل وطلاقة الحديث ، يسترسل فى كلامه على طبيعته ، يقول كل ما يريد ان يقوله فى ظرف وادب ، ويتقبل ما يقال له بسماحة وسعة صدر . وكان من ابرز اعضاء المدرسة الحديثة التى حملت لواء الثورة الادبية فى اعقاب الثورة الوطنية ، ثورة سنة ١٩١٩ ، **واخذت على عاتقها انشاء فن قصصي عربى حديث يعبر عن الشخصية المصرية فى اصالة وصدق بعيدا عن تقليد القدماء وتقليد الاجانب على السواء .**

مهندس شاب موظف ، توفر له وظيفته حياة مادية رغدة فى ذلك الوقت الذى كان يعتبر فيه الموظفون طبقة متوسطة ممتازة ماديا واجتماعيا ، وله الى جانب الوظيفة بعض أملاك من العقار تدر عليه بعض الايراد .

نشأ طاهر لاشين فى تلك الطبقة المتوسطة التى كانت لها تطلعات الى الطبقة الأعلى منها ، تطلعات مادية واجتماعية وبعضها سياسى ؛ **ولكن تطلعات كاتبنا تكاد تنحصر فى التعبير الادبى وعن اى شيء يعبر .**

تعلق — مثل سائر افراد المدرسة الحديثة — بأدب الغرب القصصي الذى اقترن ازدهاره ، او قام هذا الازدهار على تصوير الحياة الواقعة بما فيها من تناقضات ومفارقات ، فالتفت الى واقع مجتمعه ، كى يفرغ انفعاله به فى شكل مماثل للشكل الغربى .

انه مهندس فى مصـــلحة التنظيم ، فهو يجوب شوارع القاهرة وحواريها وازقتها ، ويتامل بيوتها ومبانيهـا العتيقة وسكانهـــا واخلاقهم وعاداتهم وكلامهم ، يحادث الناس ويختلط بهم ويتعرف آلامهم ونوازعهم واسرارهم ، **ويبـادلهم الروح الطيبـة والسخرية الظاهرة التى تعلو على التعاسة الخفية ، ويختزن من كل ذلك مادة قصصه .**

تخطر له فى خلال ذلك افكار القصص ، تد توحيها قراءاته ، وقد تنبع من صور المجتمع الذى يضطرب فيه ، فيعمل فكره فيها على مهل ، ويتأنى فى "تصميم" القصة ، ثم يصبها فى الشكل الهندسي الكامل .

كانت تؤرقه همـوم اجتماعيـة ، لم يلتفت الى السياسة وانتكاساتهـا فى البـــلاد ، بل اولاها ظهره وراح يتامل المجتمع .. لم يكن امثاله اذ ذاك يحبون الاشتغال بالسياسة ، لان السياسيين كانوا يعملون فى خطر منعزل عن الاهتمامات الاجتماعية .

هاله الثالث المتيد « **الفقر والجهــل والمرض** » الذى توطن فى البـــلاد ، وانصرفت عنـه عيون السـياسيين ومكن له المحتلون ، فمــزج الفن بالاصلاح .

ومثل ذلك فعل الكتاب الصادقون ، ســواء فى القصص وفى المقالات . ولعل اول من اعان الحرب القلمية على ذلك الثالوث فى قرن واحــد ، هو استاذنا الزيات فى افتتاحيات الرسالة المشـهورة « **الفقر والجهل والمرض** » والتى جمعهــا بعد فى كتاب « **وحى الرسالة** » .

طاهر لاشين مصرى اصـيل ، برغم تركية اجداده التى تلاشت بارستقراطيتها وعنجهيتها قبل أن تصل اليه ، **تجرى فى دمائه روح الشـعب** المصرى الذى **يتغلب على آلامه بالفكاهة والمرح والسخرية حتى من نفسه .**

كان الشعب مغلوبا على امره ، يدرك ما هو فيه من بؤس وسوء حال ، ولكنه لا يجد ما يتذرع به غـير القناعة والرضى بالمقسوم ، **شعب يمرح وهو يشعر بمأساته ..**

وكذلك كان طاهر لاشين ، احيانا يمرح ويداعب ، واحيـانا يحزن ويأسى على الـكوارث ، وان كانت الناحية الاولى هى الغالبة على قصصه . وهو فى الناحيتين هادىء متفائل لا يثور او لا تثور اشخاصه كما يقول الاستاذ حسن محمود فى مقدمة .... « **حواء بلا آدم** »

« **فلفن الاستاذ طاهر لاشين جانبان ، اولهما وهو الغالب عليه ، جانب الدعابة البريئة ، والثانى جانب الثائر والشفقة ولكنهما ثائر وشفقة لا يذهبان بعيدا ولا يدفعان الى الثورة ، بل هما ثائر المتفائل بالحياة وشـــفقته ، فالحيـــاة خلقـتـ من نعيـــم وشقاء والناس والاستاذ طاهر لاشين ينعمون ويشقون لانهم جزء من الحياة ، وهم يرجون الاجر والثواب ان لم يكن فى هذه الحياة ففى الحياة الاخرى ، وتلك الاستكانة الظاهرة تحملنا على ان نكون اقرب الى محبتهم وان لم تدفعنا الى احترامهم .**

« **ولذلك لا نجد فى فن الاستاذ طاهر لاشين تلك الالوان المظلمة التى نجدها فى فن بعض الاوربيين ، ولا يجب ان نلومه على ذلك ، فليس ذلك مجاله ، وليس من طبيعته . والواقع ان هذه الالوان المظلمة لم تظهر بعد فى الفن القصصي ، وقد نغتبط لهـذا الامر ، ففيه دليل على ان الشقاء الاجتماعى لم يبلغ فى هذا البلد حدا يدفع الى اليأس والتمرد ، او هو بلغ هذا الحد ولكن البركان لايزال ساكنا** » .

كتب هذا الكلام سنة ١٩٣٤ ، وقد عشنا فى تلك الفترة .. نشأنا فى شقائها الاجتماعى وغصنا فيه الى الاذقان ــ والحمـد لله على التمـرد وانفجار البركان .. وان كنا لا نزال نعانى من المخلفات .. ونعود الى طاهر لاشين ...

تنعكس روح الفكاهة الساخرة عند طاهر لاشين فى قصصه ، وهى من سـمات « اولاد البـلد » القاهريين المبتهجين فى شـقائهم المبتسـمين برغم الجوع .. ومن خلال الاتمال ..

وطاهر لاشين يبالغ احيانا فى الوصف والتعبير ، فتاخذ مبالغته احيانا طابع الفن « الكاريكاتورى » المعبر ، واحيانا اخرى نجدها قاصـدة الى التظرف الذى لا يعنى الا مجـرد تلاعب بالالفـاظ تسـنده القهقهات العالية ..

لم تقدر قصص طاهر لاشين عند ظهـورها حق قدرها ، ويعجب الدكتور حسـين فوزى فى مقدمة « **النقاب الطائر** » من أن تمر قصص سخرية الناى ويحكى ان دون ان يهتم بهـا رجال الادب والنقد ، **ويعلل ذلك بحرص الكاتب على اظهار صـور البيئة المحلية بطريقة الادب الواقعى مع الاتجـاه نحو الاغراق الكاريكاتورى .**

والذى لحظناه ان رجال الادب والنقـد فى تلك الفترة من حياتنا الادبية لم ينظروا باهتمام الى الفن

القصصي عامة ، ولو صح ماذكره الدكتور حسين فوزي لرأينا احتفالا بغير طاهر لاشين . ونحمد الله الآن على ان صرنا الى حال غير الحال ، وان كنا نأسف لوفاة محمود طاهر لاشين قبل ان يشعر بالتقدير الذي كان جديرا به كرائد قصصي عظيم .

كشكول

● استصرخ **ابراهيم الورداني** بالدكتور **لويس عوض** — فيمن استصرخهم من النقاد — لمقاومة ادب الجنس ، وهو لايعلم ان الدكتور لويس عوض نفسه من كتاب الجنس .. كتب في مسرحية « الراهب » الحوار الآتي بين فتاة اسمها « فيلا مينة » وجندي اسمه « ارمان » :

فيلا مينة : اخلع سيفك وارم الحربة .

ارمان (يقترب منها وهو يقهقه) : عندي حربتان .. فأيهما ارمي ؟

فيلا مينة (في خجل) : ابعد يا سافل . (في عتاب) اسمع يا ارمان ، اذا لم تكف عن الكلام الداعر فلن اتزوجك . (تهز كتفيها) : ولكنك روماني والدعارة في دمك .

ارمان : يعني المصريين ما شاء الله !

فيلا مينة : لولا اني احبك يا ارمان ... (تتنهد)

ارمان (مقهقها) : تعالي ، لا تخافي من الحربة ، تعالي ، هاتي (يحدث صوتا بشفتيه معناه : قبلة) .

فيلا مينة : قات اخلع سيفك وارم الحربة تاخذ (تحدث صوتا بشفتيها معناه : قبلة) .

● ابتدأت « **اذاعة الشرق الاوسط** » يوم الاربعاء الماضي في منتصف العاشرة مساء ، تذيع « جولة الفكر في اسبوع » يديرها الاستاذ **فاروق خورشيد** مدير اذاعة الشرق الاوسط .. وفي هذه الجولة دافع **صلاح عبد الصبور** عما وجه الى ديوانه الجديد من نقد اذ قال له محرد العالم : **لماذا تحزن وبلادك تبني السد العالي ؟** قال صلاح ما معناه : ان الشاعر يرتطم في الواقع بما يخالف مثله فيحزن ويعبر عن حزنه ، وهو في هذا يطلب الكمال وليس متشائما .

والذي نراه ان مدار الامر في ذلك على هذا السؤال : **هل موقف الحزن مبرر بطريقة مقنعة ، ام هو مجرد اجترار للاشجان ؟**

● « **شمس وظل** » رواية صدرت من الدار القومية في سلسلة « الكتاب الماسي » للاستاذ مصطفى عودة مصطفى . وهي تمتاز — كما تقول الدكتورة سهير القلماوي كاتبة مقدمتها — باتجاهها نحو رسم التغيرات الجذرية التي مازالت تحدثها الثورة في حياتنا . وتجري حوادث الرواية في الريف حيث عاد شاب من اهله بعد أن تعلم في القاهرة يجول جولته الاصلاحية .

● في العدد الأخير من مجلة « حوار » البيروتية تحت اسم « **علي الجندي** » على رأس قصيدة أولها :

سحابة من الضياء الاحمر الجفون
تهب من مستنقع وراء افقنا
فتمطر الجنون

عندما تحت الاسم ظننته شاعرنا العربي المبين الاستاذ علي الجندي ، ولكن لما قرأت الكلام .. عرفت انه « **عفريت** » له في لبنان ..

● نشرت مؤسسة التأليف والترجمة مجموعة قصصية جديدة للاستاذ عبد المعطي المسيري عنوانها « **مشوار طويل** » وهي تمثل فنه الصادق في كتابة القصة القصيرة ، وتمتاز بالدقة في رسم الشخصيات والاتجاه الواقعي الهادف .

● في رسالة خاصة يقترح الصديق السكندري الاستاذ فتحي الابياري — حلا للتمركز الثقافي بالقاهرة — ان تصدر الرسالة من الاسكندرية ، والثقافة من المنصورة ، والمجلة من القاهرة ، والشعر من البحيرة والكاتب من اسوان ..

ويرى في ذلك ايضا ، اي في توزيع ادوات الثقافة في الجمهورية ، تحقيقا لمبدأ تكافؤ الفرص ، وقضاء على مايتبع التمركز القاهري من الانتهازية و « هيكلة الشلل » .

والواقع ان التمركز القاهري مشكلة يجب ان تعالج ، ولكن كيف تعالج ؟ هذه هي المسألة .

● يهتم العالم الآن بمكافحة التدخين ، واصدرت الحكومة الامريكية قرارا بأن يكتب على علبة السجائر « ضار ويسبب السرطان » .

ولكن تليفزيوننا يروج للتدخين .. عندما يتأزم الموقف في احدى التمثيليات يخرج الممثل علبة سجائره ، ويشعل واحدة ويدخنها بطريقة توحي الى المشاهد وخاصة الحدث بأن هذه هي الطريقة المثلى لتفريج الهموم .. لماذا لا يمنع ذلك ؟

عباس خضر

حول الأدب في أسبوع

يقدمه : عبده بدوى

الحزن العظيم :

بموافقة مجلس الشيوخ الأمريكي على قانون الحقوق المدنية الذى يرد للانسان الأسود كرامته .. تكون رحلة الحزن العظيم قد وصلت الى مداها، وتكون « المناديل » قد أخرجت لتجفف آخر قطرات الحزن التى ظلت تهطل من زمن بعيد .. هو زمن اخراجهم من افريقية !

فالانسان الأسود تعيش فى أعماقه هذه الرحلة الشاقة التى انتزع فيها من حضارته وذكرياته بافريقية ، ثم دفع دفعا الى سفن قذرة ، ثم عرض الذى سلم من المرض والتعذيب ، على الأسواق حيث وجد يد « الأخ الأبيض » تجسه ، وتتحسسه ، ثم تجره جرا الى العمل الشاق فى الحقل ، فاذا كانت به بقية من حيوية فان عليه أن يوزعها على الأعمال المنزلية .

وهناك وجد الأسود نفسه فى وضع اجتماعى مهين ، وأحس بنوع من الحزن اليائس المستسلم الذى يجعله يتمتم به بين نفسه ولا يستطيع أن يرفعه فى وجه السيد الذى يمتلك مصيره ، ومن هنا كان جهده ــ بعد مجهود اليوم الشاق ــ أن يطلب الموت ، فاذا بلغ به الجهد حدا يصل به الى حافة الخطر اكتفى بأن يطلب أن يكون قبره فى أرض تخلو من العبيد ، لأن حياتهم تؤرقه ، ولعل الشاعرة « فرانسيس الن هارير » عبرت عن هذا بقولها :

« احفر لى قبرا فى اى مكان تشاء

فى السهل المنبسط او فوق الربوة العالية

احفر فى اية ارض وضيعة

ولكن تجنب ارضا تحمل عبيدا

فلن تكون لى راحة فى قبرى

وانا اسمع خطوات عبيد مذعورين

فانه يكفى ان يلوح ظل احدهم فوق قبرى الصامت

حتى يتحول الى مكان رهيب ! »

وقد أدى بهم هذا النوع من الحياة الى الانحسار عن المجتمع ، وعدم المشاركة فيه ، ومن هنا نراهم ينحنون على أنفسهم ، ويأخذون فى اجترار أحزانهم. فقد كان عالمهم النفسى هو العالم الذى يستطيعون التجول فيه بحرية ، وفى هذا العالم احسوا على حد تعبيرهم أنهم أطفال لا أم لهم ، وانهم بعيدون كل البعد عن منازلهم .

وقد حاولوا أن يجسدوا فى « الدين » صدرا لأحزانهم ، ولكن قيل لهم : لكم كنائسكم ولنا كنائسنا ، ولن نشترك معكم فى ترنيمة ، أو نتلو معكم صلاة .

على أن طبيعة الحياة فرضت عليهم بعد ذلك أن يكون لهم عالمان ، عالم لهم ، وعالم للبيض ، وقد عبر عن هذا بعضهم حين ذكر أنه ليس على وفاق مع رئيسه ، ولكن عليه أن يضحك حين يضحك هذا الرئيس ، خوفا من أن يبكى فى هذا الموقف الذى يستلزم البكاء بلاشك !

وقد أسلمهم هذا التناقض ــ فترة كبيرة ــ الى نوع من الانحراف ، فقد ظهروا كأولاد « أشقياء » للحياة ، من هنا أخذو يرتكبون ــ بوعي ــ ما لم يتواضع عليه المجتمع ، ويمجدون الشذوذ والانحراف ، ويحسون بأقدامهم تصل الى قاع الشهوة ، ويطالبون بانتزاع النجوم من السماء لأنها تحدد مصائرهم ، ويشعرون بأنهم أصبحوا من الحقد كالفولاذ ، ويتوسل أحدهم فى أغنية أن ينقلب القطار المسرع الى الشرق ، ويتمنى أحدهم شراء بندقية ليعرف الطريقة التى ستسقط بها زوجته حينما يطلقها عليها .

على أن هذه الانهيارات سرعان ما انحسرت ، بعد أن وضحت لهم الرؤيا فى كافة مجالات الحياة ، الى حد أن أحدهم صرخ قائلا :

« أنا أعلم لماذا يغنى العصفور السجين

نعم أنا أعلم ! »

وقد بدأت هذه الفترة بنوع من التحدى، وبخاصة بعد أن وضحت لهم بعض التشكيلات السياسية ، فقد كان هناك « ماركوس جارفى » الذى عمل على انشاء الكنيسة الافريقية الارثوذكسية ، والتى ذهب فيها الى حد رسم المسيح والملائكة باللون الاسود ، ورسم الشيطان باللون الابيض ، ولقد كان هدف دعوة « ماركوس جارفى » ليس المساواة بالرجل الابيض ، وانما العمل على سيادة الجنس البشرى كله .

وكانت هناك دعوة « بروكر واشنطن » التى كانت لا تدعو الى العنف ، ودعوة «ويليم دوبواه» التى كانت تهدف الى مساواة الانسان الاسود بالانسان الابيض

وفى ضوء هذا رأيناهم - على حد تعبير بعضهم - يرضعون الثورة من ثدى الايام البعيدة ، ورأيناهم لم يعودوا يقتنعون او يفخرون بانهم «كالمسيح» لابد أن يغدر به .

وانما رأيناهم يذكرون بأنه تجب المحافظة دائما على «بذرة» للتحدى ، فقد يسقطون كالخوخ الناضج ، ولكن يجب دائما المحافظة على «بذرة» لبقاء النوع .

وهم فى الوقت نفسه يسخرون من العدالة ، ومن « القانون » المرتجف الذى يعجز عن ابداء رأى حاسم فى قضيتهم ، كما انهم أخذوا يحلمون بعالم جديد تعلو فيه أغنية المجد على ترنيمة الجنازة ، ويصرحون بين الحين والآخر انهم ليسوا وحدهم فى العالم ، ولم ينسوا أن يربطوا بينهم وبين افريقية فالشاعر «كلود ماكاى» يرفع اليها اغنية تقول :

« الشمس كانت تبحث عنك لتقدم الضوء،

واطفال المعرفة كانت ترضع من صدرك .. فى الوقت الذى كانت فيه الدنيا جنينا فى الليلة الحبلى

كان الناس فيك يكدحون دائما وأبدا

انت أرض الكنز القديم ، والجائزة الحديثة

وعند أهرامك لا تزال الشعوب الجديدة فى دهشة ! »

لقد كان هذا الشعر « احتجاجا » على « النفى » الذى أحسوا به ، كان مقاومة « لزيوس » الذى حكم على «نرسيس» بالتأمل فى صورته ، وفى الوقت نفسه كان « رفضا » ايجابيا له اسبابه الخاصة بالحضارة فى أمريكا ، وان يكن فى نهاية الامر قد شاعت فيه نبرة الثقة بالانسان ، والتغنى للعالم الجديد .. فالرفض هنا مبرر بعكس « الرفض الزائف » الذى تعلو نبرته من بيروت وقد يكون هناك سؤال يقول « هل هذا الشعر هو آخر نبرة حزينة وحاقدة فى الوقت نفسه .. يقولها الانسان ؟ »

والجواب أن رحلة الحزن العظيم قد انتهت ، وأن الاحتجاج ضد المجتمع سيحل محله الصلح مع هذا المجتمع .

صحيح ان الشعراء السود لن يكفوا عن الغناء للانسان وللحياة ، ولكن هذا الغناء سيذكرنا بالشعراء السود الذين لم يحسوا بالمهانة العنصرية ، والذين كانوا متصالحين مع المجتمع مثل « الكسندر ديماس » فى فرنسا ، و « اسكندر بوشكين » فى روسيا ، والشاعرة «فيليس ويتلى» التى كانت لها ظروف خاصة فى أمريكا .

وهكذا تنتهى رحلة « الحزن العظيم » الى مداها بالقانون الجديد الذى يمنحهم حق الحياة الكريمة ، ويصبح هذا القانون هو الآخر بدء مرحلة جديدة من الشعر لن تتشابه بحال من الاحوال مع رحلة «الحزن العظيم !! »

ضرورة عباس محمود العقاد

فى الثامن والعشرين من شهر يونيو ، يكون العقاد قد أتم الخامسة والسبعين عاما، ويكون مايزال متمتعا بموهبة « الحضور » فى العصر ، ومستطيعا اقتحام العقول الى اليوم ، ذلك لانه لا يتسرب كالمطر ، ويهوم كالنسيم ، ويهدهد كالحلم .. وانما يدخل «شاكى الفكر» ليقول كلمته ، وقد يكتب بالعصى فى بعض الاوقات بدلا من الكتابة بالقلم ، ولن يضيره بعد ذلك أن تتعالى الاصوات الباهتة ، وتتدفق الدماء الفاسدة ، لانه - فى كل ما كان يكتب - كان يعلن على الحياة نوعا من «الحرب المشروعة» ولسنا هنا ندعو الى «تأليه العقاد» ولا نتحمس له التحمس الاعوج ،

وانما ندعو فقط الى رأى جديد يدور حول « **اعادة قراءة العقاد** » .

فمما لا شك فيه أن «العقاد» فى السنوات الاخيرة كان هدفا لحملات قاسية بعضها مغرض ، واذا كان البعض قد ذكر انها كانت نوعا من « الدفاع عن النفس » .. فان مما لا شك فيه أن هذه الحملات بالاضافة الى الرغبة فى السهولة ، قد صرفت بعض الجيل الجديد عن العقاد .

بل ان هذا الجيل اذا كان قد عرفه مقررا ــ فى المدارس الثانوية ــ فانه لم يعرف شيئا عن العقاد الشاعر ، ولم يعرف شيئا عن دوره فى تحرير الشاعر وعودته الى نفسه بعد أن كان صدى أجوف للاحزاب، والصالونات ، وكل ماهو سطحى ، وكيف انه دعا الى وجود « عصب فنى وفكرى » يمكن بوساطته أن يهز القارىء بعد الترجمة ، وكيف أنه الح على ما سماه « الطبيعة الفنية » التى تجعل فن الشاعر جزءا من حياته ايا كانت هذه الحياة ، بمعنى أن تكون حياة الشاعر وفنه شيئا واحدا لا ينفصل فيه الانسان الحى من الانسان الشاعر ، وان يكون موضوع حياته هو موضوع شعره .

فاذا أضفنا الى ذلك أن « العقاد » كان يضفى على الحياة الادبية نوعا من « الصلابة الفكرية » ، وكان يعطى « المثل التطبيقى » لما يؤمن به .. أدركنا أنه أصبح ضرورة من ضرورات العصر !

ومهما يكن من شىء ، فان العقاد ليس « ثروة خاصة » للذين كانوا يترددون على ندوته ، أو الذين كانوا يشتركون معه فى اللجان .

وليس « ثروة خاصة » للجيلين السابقين اللذين انتفعا بكل ما كتب .

وليس « عقاد أول وعقاد ثانى » وانما كل متكامل من نقطة البدء الى نقطة النهاية .

.. ذلك لان العقاد كائن حى متجدد يحتفظ ببذرة البقاء فى كل العصور ، وما نريده هنا ونلح عليه هو المطالبة باستيعابه ثم مواصلة السير ، فنحن لا ندعو الى « الوقوف عنده » وانما ندعو الجيل الجديد الى « ضرورة العقاد » فى حياتنا الثقافية ، والى رفع وصاية بعض النقاد الذين حاولوا تنفير الناس من حوله ، فقد ذكر لى بعض هؤلاء أنهم لا يتنبهون له كتابته عن الاسلام فى الفترة الاخيرة ، ووقوفه فى وجه « العامية » .

وعلى كل فسيعرف الجيل الثالث بلاشك أن العقاد ضرورة ثقافية لا بد منها ، وانه فى أقلام الجيلين السابقين ، وان على هذين الجيلين مسئولية انصاف العقاد .

والآن فلنتقف لحظة أمام نفوسنا .. فلنقف فى اليوم الثامن والعشرين من يونيو فى كل عام ، لنجد أنا على اختلاف مستوياتنا فى التفكير ندين للعقاد ، ولندرك أنه يجب أن ينتفع به الجيل الجديد كما انتفعنا ، بل يجب ان نقول لهم ان العقاد ــ هو نقطة البدء العربية الصحيحة ــ للسير فى رحلة الادب الشاقة !

بين العقاد والدكتور زكى المحاسنى

كتب الى الدكتور زكى المحاسنى رسالة رقيقة ، اقتطف منها الزهرات الخاصة بالعقاد ، وليعيش القارىء لحظة مع قلم الدكتور زكى المحاسنى الذى أثرى حياتنا بالعديد من مؤلفاته ، وهانا أصغى أنا الاخر لانى من عشاق فكره الرائد ، وقلمه الذى يغمسه فى النور ، وقلبه الذى غنى للعروبة أجمل الاغنيات .

« .. **هل بلغك أيها الاخ الحبيب أن الاستاذ العظيم عباس محمود العقاد ، سدد له قبل مغادرته عالمنا كتابه « اشتات مجتمعات فى اللغة والادب» وما ادهشنى حدث فى حياتى أروع وأعظم ولا اكثر حملا للقلب على السرور ، من أن أرى الاستاذ الاعظم العقاد يفرد لكتابى « شعراء الحرب فى أدب العرب » ولى فى كتابه هذا فصل تحليل ضاف جاء فى ثمانى صفحات ، جللنى بمقاله بحلة لا ينضوها الزمان عن كاهلى ولو بلى كاهلى فى الثرى .**

وقد أدهشنى أن أضع مثل هذا الكتاب فى تاريخ التاليف العربى الحديث ، وقد رحت أجول خلال كتبه التسعين لأرى مقالا يعد له فلم أجد حتى عن طه حسين نفسه فانه لم يكتب مثله عنه .

أسقى الله روحه ما يسرها من طيب الذكرى وخلودها ! »

« **عبده بدوى** »

الكتب

نقد وتعريف

يقدمه تحسين عبد الحي



بيرل بك
تاليف : منيرة عبد الجواد دكروري

عندما يؤمن الاديب بان شعوب العالم كلها اسرة واحدة تحت سماء الواقع .. متجردا من حدوده الاقليمية الضيقة ــ ناظرا الى الآفاق الانسانية الرحيبة ــ يكون قد وصل الى المرحلة التى يستطيع من خلالها انيرى بوضوح ان كل تطور ثقافى فى اى مكان انما هو بمثابة تجارب انسانية تقام فى معامل الحياة ــ لكى يستفيد منها البشر فى جميع انحاء المعمورة .

ولقد كانت «بيرل بك» ضمن اولئك القلائل الذين آمنوا بالانسان اينما وجد بغض النظر عن جنسه ولونه ومذهبه السياسى .. وعلى الرغم من انها امريكية الاصل .. الا انها استطاعت أن تتجرد من عقد الاستعلاء والعنصرية التى تحكم ابناء شعبها.. واستمدت معظم نماذجها وابطال اعمالها الادبية من اعماق الشعوب الآسيوية .. تلك الشعوب التى استطاعت بيرل بك ان تؤمن بها .. ولقد كتبت بيرل بك عن الصين ولم تنظر الى الفرد الصينى على انه الجاهل الكافر الوثنى ذو الخدع المعيبةالجدوى والأساليب القذرة ــ او انه رجل المغسل والطباخ وصاحب المطعمالصينى ــ كما ينظر اليه الامريكيون وانما نظرت اليه كانسان .. لا يقل ابدا عن الامريكى .. او عن اى شخص آخر ينتمى الى ما وصفوه بالجنس الابيض ..

ولقد استطاعت المؤلفة ان تقدم لنا بيرل بك فى جميع مراحل حياتها وتجاربها الفردية .. التى انعكست على اعمالها الأدبية .. فمن خلال عالم بيرل بك فى حياتها وثقافتها المزدوجتين ــ الصينية منها والأمريكية احست بيرل بظلم ابناء جنسها للصينيين ، الذين شعرت بصداقتهم الحميمة ودماثة اخلاقهم ، وتمنت ان تزول كل تفرقة بين الجميع لكى يعيش الناس بفرص متساوية للرقى والسمو بانفسهم فقالت « والذى اتمنى الخلاص منه هو وزر التفرقة العنصرية الواضحة بين البيض السائدين وبين الصينيين الثوار .. والا سيأتى علينا يوم (نحن الأمريكين) سيكون علينا فيه ان نقاسي ونتحمل وزر خطايا الرجل الأبيض فى كل مكان من العالم وسيكون علينا ان نتحمل عقوبة آسيا للرجل الأبيض .. لقد خذلت امريكا الصين بل وخذلتدولا آسيوية اخرى وانه لن يكون بعيدا ذلك اليوم الذى ستدفع فيه امريكا الثمن غاليا امام شعوب العالم عما ارتكبه الرجل الأبيض من شرور وآثام ضد الشعوب الملونة ، لقد كتبت بيرل قصصا كثيرة عالجت فيها الكفاح والصراع بين القديم والحديث . وهى فى كتاباتها لا تدافع عنالقديم ولا عن الجديد ، بل تعرض على القارىء الصورتين معا وتظهر الصراع والكفاح بينهما ، وفى الصورتين يطالع القارىء شخوصا متباينة ، فهناك الاجنبى الذى يعيش فى الصين يمتص دماء ابنائها وله ثقافته وامتيازاته وعاداته واطماعه ، وهناك الصينى المسن الذى اعتاد نوعا خاصا من الحياة املته عليه التقاليد والعادات فهو قانع بكل ذلك ، ثم هنك شباب الصين وهم فئة عرفوا الحياة الغربية ودرسوا اصولها وقاموا ــ فى وقت واحد ــ بحركة ضد الاجنبى المستعمر المسيطر علىالبلاد وضد الصينيين القدامى الذين يعرقلون التقدم والتطور . **وتقدمت هذه الحركة فانقلبت الى ثورة جبارة اجتاحت الصين من اقصاها الى ادناها فكانت انقلابا فى نظام الحكم وانقلابا فى العادات والتقاليد ــ وخرجت من ذلك كله صين اخرى جديدة .**

ولقد رات بيرل فى الصين وفى غيرها من البلاد

التى زارتها بل فى وطنها نفسه صورا بشعة من استغلال الانسان لاخيه الانسان وان كان يزيد من بشاعة ما راته فى الصين والبلاد الاخرى كون المستغل هو المستعمر سواء كان الاستعمار سياسيا حربيا ام سياسيا مذهبيا ، فالاستعمار الحربى علاوة على استغلال حكومته للشعب وامتصاص دمه . فان افراد هذا الاستعمار الذين يعيشون فى البلد المنكوب — يستغلون اهله ويمتصون القطرات الاخيرة من دمهم الذى تركته حكومتهم . ويتمثل هذا فى قصة (الكشكشة) .

فمثلا نرى السيدة (لو) زوجة وكيل البريد الاجنبية — برغم انها تعترف لصديقتها بان خياطها « الصينى » ماهر — فانها لا تعترف امامه بجودة حياكته للثوب ، بل وتأمره أن يغير لها ما تختاره هى بنفسها عدة مرات وتدفع له اجرا ضئيلا بالنسبة لما يتقاضاه امثاله من الاجانب .

وبرغم كل هذا تضن عليه بما يستحق ليدفن جثة ابن اخيه التى كادت تتعفن بالمنزل وهو لا يجد لها ثمن النعش ، ولكنها لا تستمع لتوسلاته ولا تدفع له الا بعد أن يتم لها ما تريده فيقضي الليل بطوله وفترة الصباح يجرى لها التعديلات التى طلبتها برغم الظروف القاسية التى يمر بها .

واذا كانت الصين قد شغلت جزءا كبيرا بل اساسيا من انتاج بيرل بك الادبى فذلك راجع الى انها قضت جزءا كبيرا من حياتها فى الصين — وكانت الصين اول عالم تفتحت عليه مداركها ووعت تقاليده وعاداته ودرست تاريخه دراسة واعية مكنتها من الربط بين ماضيه وحاضره ومستقبله ؛ وفهم التيارات والعوامل الخفية التى تكمن وراء الصراع بين القوى المختلفة فى الصين ، هذا علاوة على حبها للناس كافة واهتمامها بمشكلاتهم — وقد كانت الصين فى ذلك الوقت مليئة بالمشكلات التى تعترض شعبها مما كان معينا لا ينضب تستمد منه موضوعات لقصصها .. ولقد كانت الميزة الكبرى للمجتمع الصينى فى نظر بيرل بك — هى ذلك الترابط الكبير العميق الشديد بين افراد الاسرة الصينية كلها .. فقد اشادت بها فى معظم اعمالها الادبية باسلوب يحمل معنى التقدير والاجلال والحب لهذه الرابطة الانسانية وما يترتب عليها من فوائد تعود على المجتمع كله ، مثل عدم وجود ملاجىء للعجزة او وجود مشردين او لقطاء — بعكس المجتمع الغربى الذى تمثله امريكا — حيث تقول بيرل بك فى هذا الصدد ..

« ان الطفل يضيع هنا فى الولايات المتحدة — بسهولة اكثر مما يحدث فى الدول التى لا يزال يسودها ترابط الاسرة » .

ولقد انعكس ايمان بيرل بالقيم والمثل الانسانية العليا على تصرفاتها الشخصية .. فقد تبنت طفلين احدهما من اب امريكى وام هندية والاخر من اب صينى وام امريكية .. تبنتهما لأنها رات ان ابناء جنسها من الامريكيين يرفضون ويحتقرون اية دماء مختلطة وبخاصة الدماء الاسيوية وتطورت نظرتها فى هذا الاتجاه فاسست بيت الضيافة لاولئك الاطفال الذين لا ذنب لهم حتى يضيعوا وسط دوامة العنصرية العنيفة التى تحكم السلوك الامريكى ..

ولما كانت بيرل تؤمن بضرورة التقارب بين الشرق والغرب فقد اشتركت هى وزوجها الثانى — فى اصدار مجلة « آسيا » مدة خمس سنوات متواصلة رغم ما كان يحيط هذا العمل من خسارة مادية ارهقتهما كثيرا .. وكذلك اسست جمعية تعاون الشرق والغرب . وبعد عشر سنوات من تأسيس الجمعية التى وصفتها بيرل نفسها بأنها تجربة تربوية اسست للصداقة والفهم المتبادل بين الشعوب وبخاصة شعوب آسيا وبين الولايات المتحدة — بعد عشر سنوات — تخلت بيرل بك عن نشاطها فى الجمعية لاسباب مالية من جهة ولأن اهداف العصر طمست على آمالها فى تكوين علاقات افضل بين العالمين . وتقول بيرل .

« وقد اقتنعت انه لا يوجد سبيل لخلق فهم انسانى متبادل فى ايامنا الخطرة هذه »وهى الاسباب نفسها التى ادت الى تخليها هى وزوجها عن مجلة آسيا واغلاقها نهائيا ..

وقد قدمت لنا المؤلفة فى هذا الكتاب دراسة نقدية ممتعة لبعض اعمال بيرل بك .. مثل الارض الطيبة التى اشتهرت بها بيرل والطفلة التى لم تنم ابدا . وعوالمى العديدة . وهذه الدراسة ان كانت تنم عن شيء فانها تؤكد معنى الوعى الكامل

والحس الادبى المنطلق الذى تتمتع به المؤلفة ..

وقد جاءت النماذج الادبية التى عرضتها المؤلفة لبيرل بك — لتتمم ما بدأته فى اول كتابها من ترجمة احياتها — فى طفولتها وشبابها وفترة زواجها الاول والثانى ومرحلة ترملها .. اقول — جاءت هذه النماذج والدراسة المصاحبة لها لتؤكد اهمية العمق والشمول فى النظرة النقدية لدى المؤلفة وهو ما يفتقده كثير من الدراسين — عندنا ..

واذا كان ثمة شيء لا يستطيع الانسان ان يخفى امتعاضه بل انزعاجه منه .. فهو هذه الاخطاء الكثيرة المنتشرة فى جميع صفحات الكتاب .. وعلى الرغم من اننا هنا لسنا فى مجال التقويم اللغوى او المطبعى للكتاب .. الا اننا نعتقد ان الوقت قد حان لكى يؤمن أولئك الذين يشرفون على قطاع الكتاب فى حياتنا الثقافية .. بقدسيته وأهميته .

لقد وجدت فى هذا الكتاب اكثر من خمسة وثلاثين خطأ كل خطأ واحد منها كفيل بان يغير معنى صفحات بأكملها ..

اذكر على سبيل المثال لا الحصر
فى ص ٣٥ — وكان ذلك عام ١٩٢٢ وصحتها ١٩٣٢ (فرق عشر سنوات) .
فى ص ٥٧ — ورعت تقاليده وصحتها ووعت تقاليده .
فى ص ٩٥ — ولكن المدارس غريبة فى عاداتها وصحتها ولكن المدارس غريبة فى ...
فى ص ١٠٤ ان ذى الفتاة المناسبة لك وصحتها ان لدى الفتاة ....
فى ص ١٠٦ التى كانت قد كتبها الاعتياد .. وصحتها التى كان قد كبتها الاعتياد ...
فرفقا بثقافتنا التى تتكون من مجموع ما ينشر فى كتبنا .. رفقا بها من التشويه والاهمال .
ان كتبنا تحمل افكارنا ..
واذا أخذنا فى اعتبارنا المثل القائل « نحن من صنع افكارنا » فاننا بعدم احترامنا الكتاب .. نكون قد وصلنا الى المرحلة التى نستطيع فيها الا نحترم انفسنا ..
وماذا بعد ذلك ؟

تحسين عبد الحى

الثلاثاء القادم .. وكل ثلاثاء

اقرأ فى مجلة الثقافة

أضواء على السياسة العالمية	خيرى حماد
أضواء على الفكر الاشتراكى	دكتور راشد البراوى
الحياة والأدب الشعبى فى النوبة	د . عز الدين اسماعيل
الطغيان العنصرى فى جنوب افريقيا	ابراهيم خليفة
المواصلات الفضائية ووسائل الاعلام	دكتور خليل صابات
وظيفة الفن	فتحى ابراهيم
الأسس المعنوية للأدب	عبد الفتاح الديدى
ملاحظات حول الرواية الحديثة	ترجمة سامى خشبة
التمثيلية الاذاعية	فوزى عبد القادر الميلادى
أحداث القرية	خضر الشاط راضى
عرائس الماء الفيتنامية	مختار السويفى
نافذة الثقافة الفنية	يقدمها غالى شكرى
التليفزيون	حمدى قنديل
الفنون التشكيلية	سعد الخادم

البريد الأدبي

اثر القرآن فى صيانة اللغة

بقلم عبد الخالق عبد الرحمن

كان من اثر القرآن فى صيانة اللغة العربية ان اتخذت المساجد دار ثقافة لاتقتصر المباحث فيها على الامور الدينية بل تتناول اللغة والاخبار والشعر ، وقد كانت تقام فى المساجد الاجتماعات العامة وتلقى الخطب ويتقاضى الناس ويتعلمون مختلف العلوم ويشهدون مجالس الدرس والوعظ ، وكتب الادب واسفار التاريخ مملوءة بحوادث كبار الفقهاء والعلماء والادباء حيث كانوا يعقدون حلقاتهم فى اروقة المساجد ، فحلقة للعلوم الدينية ، واخرى للعلوم اللسانية ، وثالثة للكلام والمناظرة وغيرها للشعر والادب وكانت حلقة للمعتزلة فى مسجد المنصور فيبغداد ، وان الطبرى املى شعر الطرماح فى مسجد عمرو بمصر ، وان الكميت وحمادا الراوية تذاكرا فى الشعر وايام العرب فى مسجد الكوفة .

والمجال كان واسعا للراغبين فى ارتشاف مناهل العلم ، والتنقل من حلقة الى اخرى ولهم ملء الحرية فى التعلم والتثقيف .

لقد كان هم العرب تلاوة القرآن وتفسير آياته وفهم اساليبه ، وكان لهذه النهضة الدينية التاثير البالغ فى علوم العرب وآدابهم فكان لابد لاولئك العاكفين على قراءته ان يجدوا فى بعض فقراته وجمله مايشكل فهمه عليهم ويحتاجون الى تفسيره، فقد جرهم ذلك الى دراسة الاحاديث النبوية يستوضحون ماغمض عليهم على انهم لما شرعوا فى دراسة تلك الاحاديث وجدوا فيها الاختلاف والتباين مازادهم ابهاما وغموضا فدعاهم ذلك الى التمييز بين صحيح الاحاديث وفاسدها لتفسير ما اشكل عليهم من الآيات القرآنية وكان لابد لهذا التمييز من درس الاسانيد ومعرفة الرواة واصحابها عما اذا كانوا من الثقات الذين يصح التعويل على رواياتهم للاحاديث ومعرفة سلوكهم وحفظهم ولا يؤخذ عن انسان الا بعد التحقق من عدالته ، ولم يكتف المحدثون بهذا ، بل كان للعقل محله ودوره واعتباره فى التحمل والاداء وحين الحكم على الرواة وعلى الاحاديث فكان النقد يتناول الرجال والمتن ، ولم يكن النقد خارجيا فقط ، بل كانوا يعرضون الرواية على القرآن والسنة ، حتى يتاكدوا من صحة الخبر ، وكان منهم من يجمع الاخبار المتعارضة فيسلك طريق الدراسة والموازنة والتوفيق والترجيح حتى يتبين له وجه الحق والصواب .

ولكن لم تكن دراسة الاحاديث النبوية كافية لاستجلاء مواضع الغموض والابهام فى القرآن . فكان لابد لهم وان يرجعوا الى اللغة العربية فيتدبروا مافيها من الاشعار والحكم والامثال السائرة التى انشدها شعراء العرب او القاها فصحاؤهم وحكماؤهم فى ايام الجاهلية ليستعينوا بها على فهم ماورد فى القرآن من الالفاظ الفصيحة .

فكانت تجمع الاشعار والامثال والخطب وغيرها ليفهم غوامض القرآن بوساطتها وكان ابن عباس يقول : (اذا قرأتم شيئا من كتاب الله لم تعرفوه فاطلبوه فى اشعار العرب لان الشعر ديوان العرب) .

ولما اختلط العرب بغيرهم من الامم الاجنبية اخذت مصطلحات تلك الامم تتسرب الى اللسان العربى شيئا فشيئا ، وحينئذ شعروا ان الحاجة

ماسة الى وضع اصول تعين المتكلم باللســـــان العربى على عدم التورط بالخطا فقـام ابو الاسود الدؤلى واخرج بما تلقاه من الامام على رضي الله عنه وبما وضعه من نفسه علما قائما بذاته هو اول علم من علوم اللسان العربى ، وقد ادى للغـــة العربية خدمة يقصر دونها كل ثناء ، ثم اخذت العلوم اللسانية الاخرى يتلو بعضها بعضـــا فى الظهور كعلم اللغة والتصريف ، والعروض وغيرها ومن ثم دخل الادب العربى فى طور الرواية .

وظهر رواة الادب كالاصمعى ، وقتادة بن دعامة، وابى عمرو بن العلاء ، وابى زيد الانصارى ، وابى عبيدة معمر بن المثنى وابى عبيد القاسم بن ســلام والمفضل الضبى وحماد الراوية وخلف الاحمر وابن ابى الخطاب صاحب كتاب جمهرة اشعار العرب وغيرهم .

وقد وقف هؤلاء الادباء حياتهم على الاشــتغال بجمع ماورد عن العرب من منظوم او منثور للاستعانة بهما على حفظ كيان اللسان العربى من العجمة التى تهدده بسبب اختلاط الشعوب الاعجمية الكثيرة التى خضعت تحت راية الاسلام فى الامة العربية وكان للقرآن الكريم ولغته الفضل الاكبر فى حفظ هــذا التراث العربى الخالد .

مات الاستاذ محمد سعيد العريان

بقلم مصطفى محمود مصطفى

لقى ربه فجاة فى مساء السبت (٣ صفر ١٣٨٤ ــ ١٢ يونيو ١٩٦٤) الاديب الكبير الاستاذ محمد سعيد العريان ، ويشــق على احد قراء الرســالة ان ينعاه فى هذا المكان ، فقد كان واحدا من اعلام كتاب الرســالة القديمة ، وقد كانت ميدانا لملتقى اقلام كبار الكتاب العرب ، وفيها صال قلم الاستاذ العريان وجال . وكان اول عهدنا بلقائه فى الرسالة القديمة ان عرفناه فى طليعة شبان الكتاب العرب الذين يجاهدون فى احياء الادب العربى ، ويقومون بحركة النهوض به ، وقد الحت عليه عوامل التاخير والمحــاربة ، بطــول قرون الجهــل والاســتعباد والاستعمار التى مرت به . وكان العريان معدودا من الصفوف الامامية فى الادب العربى . وكـــان لمقالاته فى الرسالة القديمة عشاق يتمتعون بأدبه وانصار يعتزون به لما احتوته من رصانة الاسلوب ، وقوته ، وفائدة الموضوع وجدته وقد افاد الادب العربى واللغة العربية ببلاغة عباراته ، ومتانة نسجه وتراكيبه ، وفصاحة الفاظه حتى فى رواياته التى كان يكتبها ، وبذلك كان واحدا من الادباء العــرب القلائل الذين حافظوا علىّ اسلوب اللغة العربية القوى ، وكان رائدا فى كتابة الموضوعات العربية والاسلامية ، مما يدل على تعلقه بالعروبة والاسلام وحبه لهما . وقد خدم فى وزارة التربية والتعليم كواحد من جنودها المجهـــولين ، فعمل فى ميدان التدريس مدرسا مخلصا ، وفى منصب وكالة وزارة التربية والتعليم الذى وصل اليه بجده واجتهــاده مخططا ومرشدا يتجاوب مع الاتجاهات التعليمية والتربوية الحديثة ، وظهر اثره فى عمله امينا لسر نقابة المعلمين ، اذ كان واحدا من اكبر العــاملين على توثيق الروابط بين الاخوة العربية عن طريق المؤتمرات القــومية والعــربية بالدعوة والخطابة .

ولقد كان معروفا عنه ايام ان كان يكتب بمجلة الرسالة القديمة انه الصديق الملازم للأديب الكبير المرحوم مصـــطفى صادق الرافعى نابغـــة الادب العربى ، اذ كانا كلاهما من بلد واحد هو طنطا . وعن طريق هذه الصداقة عرف الكثير من ظروف ومناسبات مقالاته التى فى كتابه « وحى القلم » . وكان احسن من فهم اسرار ادبه ، فساعده ذلك على شرحه وتقديمه للقراء . ويعتبر الاستاذ محمد سعيد العريان مبتدعا لطريقة فى كتابة التاريخ لم يســبق اليها وقلده فيها الكثـــيرون ، وهى انه كان يكتب التاريخ على صورة المقالة الادبية ، مستوفية كل حقها من الشروط الادبية ، مع المحافظة على حقائق التاريخ ، وبذلك كان التاريخ والادب ، كل منهما فى خدمة الآخر ، فحافظ على المستوى اللغوى الأدبى لموضوع التاريخ وضـــمن مادة الاشـــتياق التاريخى للمقالة التى جاءت على صورة ادبية ، وبذلك يقرا مقالته كل من يحب الأدب والتاريخ على الســواء . وعلى قدر الفراغ اســـهم فى مد المكتبـــة العربية بمؤلفات ادبية ، منها كتابه المعروف «حياة الرافعى»

وقد القى به ضوءا كبيرا على حياة الرافعى وادبه ، ومنها رواياته التاريخيةالاسلامية التىتأثر فيها بالنمط السابق من كتابة التاريخ ، وبرع فيها . رحمه الله رحمة واسعة ، وعوض عنه العالم العربىوالاسلامى احسن العوض وجزى اهله واصدقاءه بالصبر اجل الجزاء .

الشمس والقمر آيتان ..

بقلم عيسى متولى

وصفت لنا وكالات الانباء خروج ابناء الهند لتشييع جثمان الراحل الكبير « نهرو » .. وقالت فى وصفها ان الشمس اختفت وراء السحب عند تشييع الجنازة . وان الظلام ملأ الآفاق ، وان هزة ارضية وقعت قبل التشييع بساعة واحدة !..

ونحن نكن للراحل العظيم الحب والتقدير ، ونذكر له مواقفه المشرفة الى جانبنا ، فى ساعة العسرة ، اثناء العدوان الغاشم ، ونعتبر فقده خسارة دولية كبيرة .. الا اننا لا نتفق مع وكالات الأنباء فى كسوف الشمس لوفاته ..

فيوم مات الطفل الرضيع « ابراهيم » ولد سيد الخلق ، صلوات الله عليه وسلامه ، اشاع البعض ان الشمس كسفت .. حزنا على ابراهيم ..

ولكن النبى الكريم ، نهاهم عن اشاعة مثل هذه الشائعات وقال لهم : ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله ... ونصحهم بالاستغفار والصلاة ! ..

وما قاله نبينا الحبيب ، منذ اربعة عشر قرنا ، نردده اليوم .. ونسوق قصة « ابراهيم » وهو ابن سيد المرسلين .. نسوقها الى هذه الوكالات ، تحمل قبسا من نور الهداية المحمدية ...

تصويب للشاعر سعد دعبيس

فى العدد السابع والاربعين من مجلتنا الحبيبة نشرت قصيدة لى بعنوان «غريب واحد فى القاهرة» وارجو ان تشيروا الى الخطأ المطبعى الذى وقع فى اسمى حيث ورد هكذا « ابراهيم دعبيس » وصحته « سعد دعبيس » وكذلك وقع خطأ فى البيت الثالث وصحته :

تاصرخ : يا عبثا للرمال   اما زلت فى حبها ترتمى؟

مع القــــراء

الاديبة الاندونيسية رقية حسين الشاذلى

ارسلت خواطر رقيقة تقول فيها

عندما قلت احبه سمعت سخرية القدر
قلت مالى ارتعش قال هذا هو الكبر
قلت « مازال قلبى ربيعا »
قال « انها سنة البشر »
قلت « احبه » قال (سوف يشتيك الزمن)
قلت « اريده » قال (سوف يشقيك الأمل)
قلت « مازال قلبى ربيعا »
قال « انها سنة البشر »
قلت « ضاع عمرى هباء »
قال « الشباب يبغض الفناء »
.. افق ايها القلب فقد فات الاوان
وعد الى رشدك تعش فى أمان
سرعان مايذبل الزهر
حقا انها سنة البشر

● وعن « دنشواى » وصلت دراسة سريعة من « **حامد محمد محرم** »

وقصيدة من « **على احمد فرج** »

● كما وصلت قصيدة من «**محمود محمد الشارود**» وكلمة عن الاسراف بقلم «**عبدالمنعم ابراهيم البحقيرى**» وقصيدة جيدة بعنوان السد العالى للشاعر

« **عبيد الشامية** »

قصة العدد

القصة الجديدة

بقلم : محمد المنذى محمد

كنت أجلس فى غرفة مكتبى المطلة على النيل فى المساء ، وكان شهر ابريل قد كسا الاشجار باوراق ناعمة ، وازهار نضره . وكانت زوجتى « بدريه » تجلس الى جانبى ووجهها يسفر من غيظ مكتوم لا ادرى مبعثه ، وخامرنى احساس غامض بأننى اجتاز مرحلة دقيقة ، من تلك المراحل التى ترى الزوجة فيها أن « الادب » هو « الضرة » التى تشاركها فى عطف الزوج ، واننى ساعيش فى دوامة من الغيرة الحمقاء ، والمشاجرات التى لا يعلم الا الله وحده كيف يمكن أن تكون نهايتها !

كانت غرفة المكتب مطلية بلون ابيض ، عارية من الاثاث ، اللهم الا من مكتبةصغيرة غاصة بعدد وافرمن مؤلفاتى التى نشرت ولاقت رواجا كبيرا لدى كثير من القراء .. ومن صورتين بديعتين معلقتين على الجدار ، احداهما لفينوس ، والاخرى لنفرتيتى ، وثلاثة مقاعد مختلفة لا تناسب فيها ولا اتساق ، احدها من الخيزران ، والثانى من القش ، وثالث من القماش ، اما المكتب نفسه ، فلم يكن عليه سوى الاوراق البيضاء ، ومحبرة صغيرة ، وتمثال من المرمر لاوزوريس !

وقبل أن اشرع فى كتابة القصه التى طلبها منى صاحب مجلة « الاهداف » ، للعدد القادم ، رمقت زوجتى خلسة ، فراعنى ان رايتها ذابلةالاجفان ،

وتركت زوجتى تعيش مع فيض خواطرها ، وبدأت فى كتابة القصة ، ولكن ماكدت افرغ من كتابة صفحة واضعها فى جانب المكتب ، حتى اخذتها زوجتى بتهلف واضح ، وجرت عيناها على السطور ،

ثم اخذت ترمقنى خلسة وهى تتظاهر بالقراءة ، واناملها تغوص فى شعرها الاسود بعصبية حتى لقد توهمت أنها توشك ان تنفجر فى ثورة عارمة ، وعندئذ فقط ادركت أن ذلك الهدوء لم يكن الا كالهدوء الذى يسبق العواصف ، وانها تكتم ثورة عنيفة تكاد تمزق فؤادها تمزيقا .

وعندما وجدت بدرية اننى قد توقفت ، اطبقت الكتاب وألقت به فوق المكتب فى سأم ، وقالت بصوت تبينت فيه رنة الغضب والسخرية معا :

ــ هل فرغت من كتابة قصتك الجديدة أيها الأديب .. الألمعى ؟!

كانت السخرية من الوضوح بحيث جعلتنى اهتز بين جناحى المقعد ، ومع ذلك أجبت فى رقة حتى لا أثيرها

ــ لا يا بدرية ، فلاولمرة فى حياتى الأدبية أرى النهاية مستعصية على قلمى .

وارتسمت على وجه زوجتى ابتسامة ساخرة ، يكذبها اغروراق عينها بالدمع ، وقالت فى برود

ــ اذن لا مناص من السهر حتى تفرغ منها .. واقراها !

وتوهمت ان زوجتى تاثرت بطريقتى البارعة فى سرد الوقائع التى هيأتها لسقوط بطلة القصة بين وحش آدمى ، ورسوخ قلمى فى وصف مشاعر من تفقد اعز ما تمتلك فى لحظة طيش ، وساعد على تكوين هذا الخاطر ، الدموع التى أخذت تمسحها خفية ، واردت أن اتبين صدق ذلك الظن ، فقلت وانا افرك يدى سرورا :

ــ ولماذا كل هذا الاهتمام ؟!

انتظرت الجواب وملء نفسى احساس بالفرح والغبطة ، ولكنها اجابت فى سخرية أحسست بها ترعش قلبى وتدميه .

ــ لأعرف كم مراهقــــا عبثت بهم ، ودمرت أخلاقهم ، فى قصتك . اللا أخلاقية الجديدة !!

شعرت كأن لطمة قوية تهبط فوق رأسى كالبرق الخاطف ، وبالدماء تجمد فى عروقى ، من رأيها القاسى المفاجىء ورمقتها وقلت بصوت أجوف كأنه صادر من كهف :

ــ ما هذا الذى تقولين ؟!

اجابت بصوت يعرب عن وافر الألم ، وهى جامدة الحركة مطبقة العينين :

ــ كنت اود أن اخفى عليك شدة تقززى من كتابتك عن الجنس ، ووصفك الاباحى لمشاعر المراهقة ، ولكن اصرارك على هذا المنهج الوعر ، واهتمامك البالغ بوصف أدق احساسات ومشاعر الجنس ، أحالت هذا التقزز الى شىء آخر قد .. يهولك سماعه !!

قالت ذلك بصوت بدا قويا ، ثم دب فيه الوهن ، حتى لقد غدا كالحشرجة ، وشعرت كأنني اهوى الى بئر سحيقة الغور ، وبلعت ريقى بصوت مسموع ، وقلت كالمأخوذ :

ـ انت تنسين حقيقة هامة ، وهى اننى لم اكتب عن الجنس ، الا لأن هذه الكتابة هى المطلوبة منى لصاحب المجلة !

وشعرت فى الحال بفداحة ما تفوهت به من خطأ شنيع ، ولكن كان قد سبق السيف العزل كما يقول المثل ، بينما راحت أنامل زوجتى تلف حول بعضها فى دورات عصبية سريعة ، ثم حدجتنى بنظرة قاسية ، وقالت فى سخرية مرة :

ـ يا لخيبة أملى فيك ! · الا تعلم ان قولك هذا معناه أنك تخنع لصاحب المجلة ، لدرجة انه لو اصدر اليك أمرا بان تقذف بنفسك فى مياه محيط ، فانك ستفعل ذلك كأنك آلة صماء ، مجردة من الشعور ومن الارادة ومن كل احساس بالخطر ·· بل ومن الكرامة ؟!!

كانت الليلة عطرة ساحرة ، نسماتها تهب من الشرفة ندية منعشة ، توحى للأديب بأرق المشاعر وانبل الأحاسيس ، وكانت بدرية غير طبيعية ، ونهاية القصة لا تزال تسبح فى رأسى كالضباب ، ولذا كتمت الثورة التى احسست بها تجتاح فكرى اجتياحا ، وقلت نافد الصبر لأنهى النقاش حول هذا الموضوع باسرع ما يمكن :

ـ بدرية · انت تتدخلين فى أدق شئونى ، ومع ذلك احب ان اوضح لك أن الكتابة عن الجنس ، أو هذا اللون من الأدب ، انما يرضى الكثير من الناس بل ان آلافا من القراء ينتظرون مجلة « الأهداف » من أجل القصة التى تنكرين أنت على كتابتها و ·· وتتقززين منها !

ولكن بدرية اجابت فى اصرار عنيد :

ـ ومن اجل هذا السبب نفسه ، أحب ان اصارحك انك تسير فى طريق مدمر لكيان واخلاقيات جيل باكمله ، فأنت تستمد الوحى من تصورات خبيثة تجد لها صدى كبيرا فى جيل برئ !

احسست بالاختناق ، فتحت صدر القميص بانامل متشنجة ، اخذت نفسا طويلا وصرخت :

ـ يا الطاف الله .. الى هذا الحد ؟ !

اجابت بسرعة لم اكن أتوقعها :

ـ بل وأكثر من ذلك ، فقد أصبحت اشعر كاننى اعيش مع قاتل ·· وقاتل لأجيال !

احسست بالحزن يضغط على صدرى ، ولكننى تجلدت ، قاومت ثورة الغضب ، وزوجتى ما زالت فى قمة ثورتها ، وقلت بهدوء لأسبر غورها ، ولأقنعها بعد ذلك بخطل ما ذهبت اليه من سخافة فى الرأى :

ـ احب ان اسمع وجهة نظرك يا ·· صاحبة الفضيلة !!

اجابت بعمق ، وبصوت ثابت واضح النبرة :

ـ لك ان تسخر كما تشاء ، ولكن ثق من اننى جادة كل الجد فى وضع حد لكل هذه المهازل ·

قالت ذلك وهبت واقفة ، وأشارت الى مكتبتى الغاصة بالقصص ، واردفت بصوت راعد :

ـ أترى هذه المؤلفات ؟ انها خطيئة مكدسة فوق بعضها البعض ، وان كنت أنت تعتبر هذه المؤلفات انتصارا لك ، فانا أعدها وصمة عار تلطخ جبينك ، ثم ·· الا تشعر بانك مثقل الضمير وأنت تضم تحت سقف بيت زوجية شريف .. هذه الانحلاليات ؟ !

رمقتها فى كمد · لم استطع ان أتفوه بحرف · شلت تفكيرى المفاجأة ، وعادت تقول بصوت قوى احسسته كمطارق تتوالى ضرباتها فوق رأسى وتحطمه :

ـ لقد أدركت أنك تقدم على عمل شنيع ، ومن أجل هذا أضمرت الانفصال عنك ، عندما تأكدت أنك مصر على الاستمرار فى كتابة هذا اللون ·· المقيت ·· الذى تسميه أدبا ··

شعرت بالمرئيات تتراقص أمام عينى ، وقلت بصوت أحسسته يخرج من حلقى كالفحيح :

ـ بدرية · يجب أن تعلمى ان كاتب الجنس يؤمن بالخير فى الانسان ، يسبر غوره ويتعمق شخصيته وسلوكه ، انها محاولة استكشاف تفيد ولا تضر ، انها تتناول حياة المراهق المليئة بالحرمان والجفاف ، وترسم له الطريق الأقوم ، و ··

ولكنها قاطعتنى محتده :

ـ صه · ان بدرية ادركت مالم تدركه انت ، ولقد صبرت كثيرا ، كنت اعتقد انك سترجع الى جادة الرشد ، وتعود كما كنت ، الأديب الذى يكتب ليحقق هدفا نبيلا ، ليثقف ويمتع الناس ، الأديب الذى ينير مسالك الحياة لمن ضل ، ولكننى وجدتك تنحرف بأمانة القلم الى شئ آخر يدمر القلوب والأرواح !

صرخت فى ذهول :

ـ بدرية . حاذري ثورتي .

ولكنها مضت تقول وكأنها لم تسمعني :

ـ لم تعد تهمني ثورتك بعد أن قررت مصيري لم اعد أهتم بك . دعني . طلقني !

اذهلتني الكلمات . ادارت رأسي . فأجبت في غضب وألم وقهر :

ـ لا أصدق أن بدرية . حبيبتي . بل زوجتي الوفية .. هي التي تقول ذلك ، رباه .. رد اليها صوابها !

واستدارت الى الشرفة ، ولمحتها تمسح دمعة بطرف شملتها ، ثم استدارت نحوي بسرعة غريبة ، وعقدت ذراعيها حول صدرها ، وقالت بصوت واهن اجش :

ـ اتريد ان اقول لك ماذا يعني هذا ؟ وان اقول لك كل شيء ؟

فابتلعت ريقي وقلت :

ـ أجل . اريد ان اسمع كل شيء ، لأضع حدا لهذا الوضع .

وأطرقت وهي تقول في أسى ومرارة :

ـ كنت أمشي على ضفاف النيل ، استروح النسمات ، واذا بنبرات صوت على مقربة مني في متنزه ، جعلني ارتجف . وكان صوت رجل يتكلم مع سيدة ، لعلها زوجته ، أو خطيبته ، أو خليلته ، لا أدري ، وكانت العبارة التي قالها بالحرف ، ان هذا الكاتب وضيع ، انه يعمل على افساد أخلاق الناس ، بأسلوب وقح ، ناعم ومثير » . ونطق باسمك ، وقذف مجلة في مياه النهر ، لمحت من غلافها أنها مجلة «الأهداف» العدد الأخير الذي كتبت فيه قصتك الجنسية . الفاضحة ! !

أحسست بعرق بارد يغطي جبيني ، مسحته بأصابع متشنجة ، وتمتمت :

ـ هذه اهانة .. ستدفعين أنت ثمنها !

ورمقتها بنظرة ثاقبة ، واحمر وجهها حتى حاكى لون الدم ، وبعد هنيهة صار ناصع البياض كأنه دمية من الرخام الأبيض ، ثم قالت في هدوء قاتل :

ـ ألم تطلب انت ان تسمع كل شيء ؟! ومع ذلك لك ان تطمئن .. فلن أعيش معك بعد الليلة !

دارت بي الأرض ، احسست كأنني في أرجوحة مسحورة ترتفع بي الى عنان السماء ثم تهبط بي حتى أعماق الأرض . وتراقصت أمام عيني عشرات من آراء علماء الجنس ، انهم جميعا يؤكدون ان الغريزة الجنسية غريزة شريفة ، وأنها اعمق واسمى واقوى الغرائز الانسانية ، وان الكاتب يستطيع أن يعالج فوراتها الجنونية بلا اثارة تذكر ، فلماذا أعالج قصصي عن الجنس من زاوية الاثارة ؟

ومضت برهة أحسست بعدها ان زوجتي مصيبة في رأيها ، وانني اخترت لونا من الوان الأدب خطره مدمر ان لم أكتب كل حرف بحكمة .. وسمعت هاتفا قويا يدوي في أذني : أمامك الحياة . أمامك الناس ومشكلاتهم . أمامك النبع الكبير .. فلماذا تغترف من بركة ضحلة آسنة ؟!!

واخفيت وجهي بين راحتي وتمتمت في ندم :

ـ بدرية . أعتقد أنك لن تنسى حبنا و .. وعشرتنا الطويلة .. و .. و ..

واحسست بلساني يجمد في حلقي ، ولمحت فجأة عيني بدرية تبهتان كأنما كانت تحتضر ، وقالت بصوت تغشته بحة حنان :

ـ ان الشيب وخط رأسك ، ومع ذلك فانت ماض في تدمير أخلاقيات الناس .. لم اعد أحتمل ، لم اعد اطيق ان اسمع سب زوجي .. الحبيب بأذني !

قالت ذلك وانهارت فوق المقعد ، واخذت ترتجف ، وشحب لونها شحوبا مروعا ، فأسرعت نحوها ملهوفا ، وقلت في حنان بالغ :

ـ بدرية . حبيبتي . انك لم تذكري لي شيئا في هذا المعنى ، وانما تركتيني أخطو في طريق النجاح وأنا مغمض العينين ، الشيء الوحيد الذي لاحظته هو ان تشجيعك لي لم يعد كما كان ، فلم اسأل ، قلت لنفسي ربما فتر حبها لي لسبب لا أدريه ، وسيعود اقوى مما كان ، تركتك لتعودي وحدك ، واذا بي أكتشف .. يا للهول !!

واطرقت بدرية لحظة ، ثم رفعت الى وجها صفا لونه ، وقالت بصوت هادىء متزن :

ـ ثق يا حمدي ان حب بدرية لك لم يفتر او يتغير ، ولكن وصفك الدقيق للجنس ، وما سمعته بأذني كل هذا جعلني أحس كأنني أعيش مع قاتل لأجيال ، أجل يا حمدي .. فان الكتابة عن الجنس أخطر على المجتمع من افتك الجرائم !

قالت كلماتها الأخيرة بوهن ، وأخفت وجهها بين كفيها ، واحسست أن بدرية أيقظت في نفسي ضميرا هجع ، واحساسا زكد ، ونفسا ركنت الى أضواء المجد فلم تعد تفرق بين ما ينفع وما يضر و .. وأمسكت القصة الجديدة ومزقتها والقيت بها في مياه النيل .. ثم استدرت نحو بدرية ، وحدجتها بنظرة تكاد تصرخ في طلب الغفران !!!

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
الثقافة والارشاد القومي

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

الادارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد - القاهرة

العدد ١٠٦٩ الخميس ٢٩ صفر ١٣٨٤ هـ - ٩ يوليو ١٩٦٤ م - السنة الحادية والعشرون

الفهرس

الصفحة

عود على بدء

للدكتور محمد أحمد خلف الله

الدكتور على عبد الواحد وافى ما انفك انه لا يزال يجادل فى شان الكتابة فى موضوعات التسرى ، والاماء والجوارى ، وما أشبه ، على صفحات مجلة الرسالة ، ويرى فيما قلناه من الابتعاد عن الموضوعات التى خرجت من حياتنا ودخلت فى ذمة التاريخ ، ومن الكتابة فى الموضوعات الحية الدافئة التى تلف حياتنا فى كل جانب من جوانبها ـ يرى فى هذا القول خطورة بالغة على الثقافة الانسانية . حتى لكان هذه الثقافة الانسانية يجب أن تدور حول المتعة الجنسية بما ملكت الايمان ، أو حتى لكان مشكلات حياتنا الحاضرة ، الاقتصادية والاجتماعية ، لا تمت لهذه الثقافة الانسانية فى قليل أو كثير .

ان الدكتور على عبد الواحد وافى لا يفرق بين مهمة مجلة للثقافة العامة كمجلة الرسالة وبين مهام الأجهزة الثقافية الأخرى كالكتاب ، والمجلة المتخصصة ، والمعاهد العلمية ، والجامعات ، ومراكز البحوث ـ اذ الكل عنده سواء . ومن هنا كان جزعه مما قلنا ، وكان نعيه للثقافة الانسانية التى أصبحت تاريخا من التاريخ . انه لم يدرك أبدا أن المجلة حين تكون للثقافة العامة تكون

وسطا بين الكتاب والمجلة المتخصصة من جانب والصحيفة اليومية والمجلة الاخبارية من جانب آخر • ومن هنا كان منه ما كان •

ومن يدرى فلعله أن يكون من المدركين لكل هذا ولكنه آثر ن يحرف الكلم عن مواضعه ، وأن يخرج به عن معانيه ، لحاجات فى نفس يعقوب يريد أن يقضيها ، أو يقضى عليها •

والدكتور على عبد الواحد وافى يمن علينا ، فهو لم يكتب فى مجلة الرسالة الا بعد أن طلبنا منه ذلك ـ حتى لكأن الكاتب لا يكتب الا اذا دعى للكتابة ، وكأنه اذا دعى يكتب ما يشاء بالأسلوب الذى يشاء دون نظر فى الاعتبارات :

(أ) طبيعة المجلة التى يكتب فيها ، والأهداف التى تعمل على تحقيقها •

(ب) احتياجات القراء والمسائل التى يريدون استيضاحها •

(ج) متطلبات المرحلة التى نمر فيها •

ان الدكتور على عبد الواحد وافى لم يلق بالا لأى شىء من هذا • ومن هنا كان منه ما كان •

ومن يدرى فلعله أن يكون قد القى هذا البال ، ولكنه آثر أن يحرف الكلم عن مواضعه ، وأن يخرج به عن معانيه لحاجات فى نفس يعقوب يريد أن يقضيها ، أو أن يقضى عليها •

ان الذى نقول به من الكتابة فى الموضوعات الحية الدائمة لم نبتدعه وانما سبقنا اليه • والذين سبقونا فى الدعوة الى ذلك من أعلام الفكر والسياسة فى عالمنا العربى •

لقد سبقنا الى ذلك الدكتور قسطنطين زريق وهو من رجال الفكر الذين يغارون على الفكر من أن يهبط، ومن الذين يقدسون الفكر ويعرفون له حرمته •

كما سبقنا الى ذلك السيد الرئيس جمال عبد الناصر •

يقول الدكتور قسطنطين زريق فى كتابه القيم ـ أى غد ـ وفى فصل من فصوله خاص بواجبات رجل الفكر ما يلى :

(أ) ليس من ينكر ان اللذة العقلية كانت خلال العصور من أهم بواعث التقدم الفكرى، ولكن الأزمات تتطلب ان تتخلى هذه الغاية عن مقامها الأول لذلك النوع من التفكير الناشىء عن شعور حاد بالتبعة ، وعن تقدير دقيق لمشاكل المجتمع واحساس عميق بواجب المفكر ازاءها• فلا يحق للباحث أن يقول انى أتوجه الى هذه الناحية لأرضى ميلا خاصا ، او أطرق هذا أو ذاك من أبواب العلم حسبما اشاء ـ لأن الشعور الصحيح بما عليه من تبعة فكرية يبدل اسس الاختيار فيضع الفائدة قبل اللذة ، ويقدم حاجة المجتمع على مجرد الرغبة • بل لعل المفكر يرتفع تحت تأثير شعوره بالأزمة الى ذلك المستوى الذى تصبح فيه اللذة العقلية قائمة على تحقيق الواجب الفكرى نفسه، فلا يبقى ثمة تعارض بينهما، بل تتجسد الرغبة فى الواجب ، وفيه وحده •

(ب) ان الكيان العربى ليجابه اليوم مشاكل رئيسية كبرى يتوقف ذات وجوده على كيفية حلها ، فهل يجوز أن نلهو عنها بالقصص المسلى والثرثرة الفارغة ، والنتف الاخبارية المتفرقة التى تخدر العقل وترضيه ارضاء سهلا فتصرفه عن الجد المطلوب ، والعمل الواجب ؟

(ج) ان التفكير الصحيح ليثور فى أوقات الأزمات على الأدب العابث الساهى عن خطورة الحال ، الصارف أنظار الناس واهتماماتهم عن المشاكل الأساسية •

(د) ان التفكير الذى تتطلبه الأزمة يجب أن يتوجه الى المشاكل الأساسية فى الكيان الفردى أو الاجتماعى مقدما الأهم على المهم ، والمهم على الحقير التافه •

لنأخذ مجلاتنا العربية ذات الشهرة والانتشار ، ولنتفحص قدر مواضيعها وصلتها بحياتنا الحاضرة ، ألسنا نجد أن كثرتها المطلقة تدور حول مواضيع جزئية تافهة ، بل لا تستهدف فى أحيان كثيرة أى موضوع حقيقى •

(هـ) يحق لنا أن نطلب من رجل الفن ـ فى أوقات الأزمات خاصة ـ أن يكون شاعرا بما يجيش بـ

مجتمعه من قوى وما يصطرع فيه من ارادات ، وان تتأثر نفسه بهذا الصراع ليخرج فنه صورة صحيحة للحياة كما هى ٠

يحق لنا أن نطلب منه ألا يعيش على هامش الحياة بل فى صميمها ، ألا يهرب منها بل ينزل الى ميدانها ، فتضطرب نفسه بما يرى ويحس ، ويصدر فنه قوة تفتح مكامن النفوس ، وتكيف سبل الحياة ٠

ويقول السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى ميثاق العمل القومى ما يلى :

(أ) ان المشاكل الاقتصادية والاجتماعية الكبرى التى يتصدى شعبنا اليوم لمواجهتها لابد لها من حلول علمية ٠

على أن مراكز البحث العلمى الآن مطالبة فى هذه المرحلة من النضال أن تطور نفسها بحيث يكون العلم للمجتمع ٠

ان العلم للعلم فى حد ذاته مسئولية لاتستطيع طاقتنا الوطنية فى هذه المرحلة أن تتحمل أعباءها ٠

لذلك فان العلم للمجتمع يجب أن يكون شعار الثورة الثقافية فى هذه المرحلة ـ على أن بلوغ النضال الوطنى لأهدافه سوف يسمح لنا فى مرحلة متقدمة من تطورنا بأن نساهم ايجابيا مع العالم فى العلم للعلم ٠

(ب) ان القيم الروحية الخالدة النابعة من الأديان قادرة على هداية الانسان وعلى اضاءة حياته بنور الايمان ، وعلى منحه طاقات لا حدود لها من أجل الخير ، والحق ، والمحبه ٠

ان رسالات السماء كلها فى جوهرها كانت ثورات انسانية استهدفت شرف الانسان وسعادته ٠ وان واجب المفكرين الدينيين الاكبر هو الاحتفاظ للدين بجوهر رسالته ٠

ان جوهر الرسالات الدينية لا يتصادم مع حقائق الحياة ، وانما ينتج التصادم فى بعض الظروف من محاولات الرجعية أن تستغل الدين ضد طبيعته وروحه لعرقلة التقدم ، وذلك باختعال تفسيرات له تتصادم مع حكمته الالهية السامية ٠

لقد كانت جميع الأديان ذات رسالة تقدمية ولكن الرجعية التى أرادت احتكار خيرات الارض لصالحها وحدها ٠ أقدمت على جريمة ستر مطامعها بالدين ، وراحت تلتمس فيه مايتعارض مع روحه ذاتها لكى توقف تيار التقدم ٠

ان جوهر الأديان يؤكد حق الانسان فى الحياة ٠٠

والآن وقد وضعنا بين يدى الدكتور على عبد الواحد وافى هذه النصوص التى تكشف عن موقف المفكرين وواجباتهم فى هذه المرحلة من مراحل حياتنا ـ احب له أن يتدبر الموقف على حقيقته ٠

ان فلسفة الدولة الاجتماعية يجب أن تكون واضحة فى أذهان القراء جميعا ٠

وان احتياجات القراء الى الثقافة التى تفسر مشكلات الحياة ، وتوجه الحياة ، يجب أن تشبع عن طريق هذه المجلات الادبية ٠

اننا فى مرحلة نخطط فيها لكل شىء ، ونحدث فيها تنمية فى كل ميدان ٠ تنمية تساعد على المضى فى ركب الحياة دون توان والا ظللنا فى موقفنا أمة متخلفة ٠

ان هذه المسائل التى خرجت من حياتنا قد تعود اليها فى قاعات البحث أو على صفحات الكتب قد تعود فى وقت غير هذا ، وفى مرحلة غير هذه ٠ أما اليوم فيجب أن نستجيب لدعوة الدكتور قسطنطين زريق ولدعوة الميثاق ٠

دكتور
« محمد أحمد خلف الله »

حول الدين ومشكلات حياتنا الحاضرة

للدكتور
علي عبد الواحد وافي

افتتح الدكتور محمد أحمد خلف الله عدد هذا الأسبوع من الرسالة (عدد ٢٥/٦/٦٤) بمقال نقد فيه ما دار بيني وبين فضيلة الاستاذ الشيخ المدني من مناقشات حول نظام التسرى فى الاسلام. واذا جاوزنا الأمور غير الجادة فى مقاله امكننا أن نرجع ما عداها الى ثلاث نقاط نلخصها ونوجز الرد عليها فيما يلى :

(أولا) أنه لا فائدة من دراسة نظام لم يعد له وجود فى الوقت الحاضر . وهذا حكم غريب ما كان ينبغى أن يصدر مثله من مثل الدكتور خلف الله . فبمقتضى هذا الحكم لا ينبغى أن ندرس من أحكام الشرائع ولا من نظم الاجتماع ولا من حقائق التاريخ الا ما كانت له صلة بحياتنا العملية الحاضرة . وبمقتضى هذا الحكم يصبح معظم ما ينشر فى المجلات الأدبية والتاريخية والقانونية ، بل معظم ما يدرس فى كليات الحقوق والآداب والشريعة واصول الدين وما شابهها من المعاهد ، ومعظم ما ألف وما يؤلف فى موادها ، وبالجملة معظم ما تشتمل عليه فروع الثقافة التى اشتهرت باسم الثقافة «**الانسانية**» يصبح كل ذلك تافها لا وزن له ولا جدوى من ورائه لتعلقه بشئون ونظم وأوضاع لا صلة لكثير منها بحياتنا العملية الحاضرة ، وبمقتضى هذا الحكم يجب أن نقلع عن دراسة كثير من نواحى تراثنا ومقدساتنا ومايتجه اليه ولاؤنا الروحى . بل انه بمقتضى هذا الحكم تصبح مجلة « **الرسالة** » نفسها مجردة من النفع ، لانها من يوم نشأتها مجلة للأدب الرفيع والبحث الاكاديمى لا لشئون الاصلاح الاجتماعى ولا لعلاج مشكلات الحياة الحاضرة . واننا لا نود لمجلة الرسالة ، وقد كانت فى ماضيها القريب منارة الثقافة الانسانية الرفيعة والدراسات الأكاديمية العميقة أن تهبط فى عهدها الحاضر الى ما يريده لها الدكتور خلف الله ، فتقتصر على دراسة ما يتصل بشئوننا ومشكلاتنا ، وتفقد بذلك شخصيتها وسبب وجودها وتصبح أشبه شيء بصحيفة يومية . كما أننا لا نود لمجلة الرسالة أن يستبدل بافتتاحيتها القديمة الرائعة ، التى كانت آية فى البلاغة والرشد ، هذا النوع الجديد من الافتتاحيات .

وقد عاشرنا هذه المجلة منذ نشأتها الأولى ، واسهمنا باقلامنا فى النهوض بها ، ونشر لنا فيها ، وهى فى عنفوان مجدها وعهدها الذهبى ، عشرات البحوث ، ونشر فيها مثل ذلك لصديقنا الأستاذ المدنى ، وكنا فى مقدمة من وجه اليهم رئيس تحريرها الدعوة الى الكتابة فيها فى عهدها الجديد ، كما يعلم ذلك الدكتور خلف الله نفسه . فنحن اذن من أعلم الناس بطبيعتها وما ينبغى أن تكون عليه . ولذلك غلب علينا الابتسام — ولعل القراء قد غلب عليهم الابتسام كذلك — حينما حاول الدكتور خلف الله فى مقاله أن يبصرنا بما يحسن وما لا يحسن الكلام فيه فى مجلة « **الرسالة** » .

(ثانيا) أنه كان ينبغى — كما ورد فى نص مقاله — « **ان نحفظ للاسلام كرامته ونسكت عن مثل هذه القضايا التى اصبحت لا تشرف احدا ، فضلا عن ان تشرف الاسلام والمسلمين** » ويقصد بذلك انه ما كان ينبغى أن نعرض لما يقرره الفقهاء من أحكام بشأن التسرى ، لأنها احكام — على حد قوله — لا تشرف الاسلام ولا تشرف المسلمين . ولو انه قرأ بامعان ما كتبناه فى هذا الموضوع لعلم أن ما قرره التشريع الاسلامى بشأن التسرى وانفرد به من بين جميع الشرائع الانسانية السابقة لمن اقطع الأدلة على سموه ، وحرصه على حماية الآدمية وحقوق الانسان وحريته ، وعلى الغاء جميع ما يتعارض مع هذه الحقوق وهذه الحرية من أوضاع ، وأن أحكامه فى هذا الصدد لمن أهم النظم التى يجدر أن يفخر بها المسلمون .

هذا الى انه ما كان يجوز لمثل الدكتور خلف الله أن يجرى قلمه بعبارة يفهم منها أن شريعتنا تشتمل على أحكام لا تشرف الاسلام ولا تشرف المسلمين ، وتبادر الى الذهن من نصها أن طعنه ليس موجها لما قلناه ولكنه موجه الى المنبع نفسه الذى تقرر أحكامه .

(ثالثا) أنه يأخذ علينا اغفالنا لدراسة مسائل الحياة التى تحتاج الى الدين ، فيقول : « **ان امامكما**

من مسائل الحياة التى تحتاج الى الدين مسائل كثيرة تشبع نهمكما العلمى وتربط الدين بالحياة » .

واخذ يضرب لهذه المسائل من امشاج الامثلة ما ظن انه يدل على غزارة علم وسعة اطلاع . بادئا بنظام الملكية ومنتهيا بمشكلة الاجتهاد فى فروع الشريعة ومارا بين هذا وذاك بالخراج والعشور والمذهب السلفى والخدمات الاجتماعية ... ولو أنه قد أتيح له الاطلاع على ما ظهر لنا من مؤلفات وما نشر لنا من بحوث فى عدة مجلات وصحف ومؤتمرات لعلم اننا لم نقصر فى واجبنا فى هذه الناحية ، ولم ندع مسالة من المسائل التى ضرب لها أمثلة ولا غيرها من مسائل الحياة الحاضرة الا عرضنا لها بدراسة مخلصة تبين عن موقف الاسلام منها ، وما انتهت اليه بشأنها بحوث العلماء ، وما ينبغى أن نسير عليه فى صددها من مناهج .

ومن غرائب الاتفاق أن ما ذكره من امثلة يتفق مع عناوين فصول وفقرات من مؤلفاتنا ، وخاصة من أربع مؤلفات ظهرت لنا حديثا ، وهى : « **مشكلات المجتمع المصرى والعالم العربى وعلاجها فى ضوء العلم والدين** » ؛ و « **قصة الملكية فى العالم** » ؛ و « **حقوق الانسان فى الاسلام** » ؛ و « **المساواة فى الاسلام** » ؛ **كما تتفق مع عناوين مقالات** واذاعات لصديقنا الشيخ المدنى وعناوين فصول وفقرات من مؤلفاته القيمة وخاصة كتابه عن « دعائم الاستقرار فى التشريع الاسلامى » وكتابه عن « **المجتمع الاسلامى كما تنظمه سورة النساء** » .

هذا ، وقد تملكنا العجب ـ **لعله تملك كذلك قراء الرسالة** ـ لهذا الفيض من النصائح والعظات الذى طفق يغمرنا به الدكتور خلف الله فى مقاله ، ولهذا الأسلوب المنتفخ المتعالى الذى اصطنعه فى القاء هذه النصائح والعظات وحاكى فيه كبار المعلمين اذ يرشدون صغار تلاميذهم ، وحمدنا له أن جنح فى ختام مقاله الى الرفق بنا والعطف علينا فدعا الله لنا بالتوفيق .

« **دكتور على عبد الواحد وافى** »

شوق إلى قديسة

للشاعر اسماعيل الصيفى

انت قديستى التى اشتهيها
وابتهال الاعماق فى ناظريك
هذه نار حيرتى .. اطفئيها
بفيوض الحنان من عينيك
انت قديستى التى قد توارت
فتامات غابتى محموما

الوحوش السوداء سارت وثارت
والطيور البيضاء ظلت رسوما
انا والغاب وحدنا .. لا سمير
غير وحش معربد فى الغابه
وظنون لها براسي زئير
وشكوك فى اضلعى صخابة

فى الأصيل الحزين لاتتركينى
ماعرفت الحنين والشوق قبله
واذا ارتاع خاطرى فابنحينى
نظرة .. دفؤها كدفء القبله

ليتنى كنت صخرة .. جلمودا
لم اجد نغمة بصدرى تهمس
ليتنى سرت فى طريقى وحيدا
لم اجد فى الحياة زهرة نرجس
كيف فتحت ؟ كيف ضاعت شموعى ؟
واحتوانى هذا الضياء الناعم ؟
ذاك سر سل عنه رب الربيع
فهو ادرى بفعله فى البراعم

دومى يارياح فى الغاب .. ثورى
ان شوقى اشد عنفا وثورة
واشرحى الشوق كله يا سطورى
لا .. فصدرى هيهات يبدى سره
قد اعانى .. تهدنى الاهوال
ولسانى لا يستطيع بيانا
غير ان الذى بصدرى يقال
كله .. حين تلتقى شفتانا

العروبة

في الأدب العراقي الحديث

للدكتور : بدوي طبانة

— ١ —

في هذا الجنس العربي حفاظ شديد على خصائصه الأولى التي ورثها عن آبائه واجداده ، ولا يستطيع ان يتخلص من خصائص الجنس مهما تفرق بين جماعاته الايام ، ومهما تباعد بينه وبين مواطنه الأولى في الجزيرة العربية .

ومن اظهر تلك الخصائص أن العربي يشعر دائما بصلته الوثقى بالجماعة الكبرى التي نبتت منها قبيلته وتشعبت عنها عشيرته ، وهو لاينى عن التطلع الى اخوانه وبنى عمومته الذين تعددت ديارهم ، وتباعدت مواطنهم ، ويحس احساسا عميقا بعاطفة مشبوبة نحوهم ويتفاعل بالاحداث التي تعتورهم في كل بقعة حلوها ، وهو يشعر بكثير من الزهو والكبرياء اذا رآهم يرسون قواعد مجد او يطير لهم صيت في لون من الوان البطولات في ميادين السياسة او الحرب او ميادين المعرفة والفن او في خدمة الانسانية في اية ناحية من نواحيها الكثيرة ، لانه يرى ان ذلك المجد مجده ، ويعتقد أن الامجاد التي يصيبها الافراد والجماعات من بني جنسه انما هي لبنات في بناء صرح العروبة التي ينتسب اليها ، ورفع لرايتها التي طالما رفرفت في سماء العظمة والمجد اللذين عاش في ذكرياتهما ردحا طويلا من الزمن .

وفي طبيعته صفات ورثها عن آبائه واجداده من النجدة واباء الضيم لنفسه ولمن يحتمي بحماه . فما بالك اذا كان المستنجد به اخا في الدم ، واذا كان المضيم من ابناء جنسه الذين يحفظ قبائلهم ويعرف اصلابهم وبطونهم وافخاذهم ، وسائر ما تفرع عنهم في شعاب الارض ؟

ومن طبيعة العربي انه يابى الا ان يكون سيد نفسه وصاحب امره ، ولا يرضى ان يكون عبدا ذليلا او تابعا منقوص المروءة . وتراه يرخص في سبيل ذلك كل غال من خيره ودمه ، حتى تنتظم له حريته ، وتصان منزلته بين جماعات الناس .

وتلك صفات وحدت المشاعر بين ابناء العروبة وقاربت بين الاهداف والمثل العليا ، حتى اصبح كل عربي يعتقد في قرارة نفسه ان كل فرد من افراد جنسه ، وكل جماعة من جماعات العرب التي انتشرت في بقاع كثيرة من الارض اخوة له ، ينال من المجد ما نالوا ، وان كل حدث من الاحداث التي تلم بهم تلم به ، ويقض عليه مضجعه ، وان كل كارثة تنزل باى ركن من اركان البلاد العربية مثل من مجد العروبة الذي يعتز به ويباهي بعظمته .

ولم تغب شمس القومية العربية عن سماء العراق منذ وطئت اقدام العرب شواطىء الرافدين في تلك الايام البعيدة التي بدات فيها هجرة القبائل العربية وجماعاتها من الجزيرة الى ضفاف دجلة والفرات .

ولقد مر بالعروبة في وادي الرافدين كما مر بها في غيره من مواطن العرب كثير من المحن ، وتعرضت فكرة العروبة لبعض الحملات من عناصر كانت تكيد للعرب وتعمل على شل تلك الامجاد التي ورثوها عن آبائهم ، او التي بنوها بسواعدهم ودمائهم وعقولهم وبرزت الحمية العربية على اشدها من ابناء العروبة الصادقين الذين كافحوا بسيوفهم تلك الاحقاد ، وساندتهم في ذلك الكفاح اقلام الكتاب والسنة الخطباء وقرائح الشعراء الذين لم ينوا عن تبصير امتهم بما يراد بها وبالاخطار التي تهدد حضارتهم . وكان صراع عنيف امتد الى ميادين السياسة ومناصب الدولة كما امتد الى ميادين الحرب .

وابلى الادب في ذلك الصراع احسن البلاء .

وحديث «**الشعوبية**» الذين كانوا ينتقصون العرب ويرمونهم بكل مثلبة ، ويجردونهم من كل فضيلة حديث معروف ، كما ان دفاع ادباء العرب وشعرائهم عن فكرة العروبة وامجادها تفيض به كتب التاريخ كما تفيض به كتب الادب ، وفي مقدمتها كتاب ابي عثمان الجاحظ « **البيان التبيين** » الذى شهر فيه الجاحظ قلمه في رد عادية الشعوبية وتفنيد اباطيلها والدفاع عن العروبة وامجادها وفضائلها وتقاليدها وادبها .

وكان ذلك الذي كتب من اهم مايقظ الأمة ونبه

الاذهان الى ضرورة الوحدة فى وجه جماعة الكائدين للعرب ، والواقفين فى سبيل نهضة العروبة وتقدمها

ونضرب لذلك مثلا من احداث الدولة العباسية التى وثق بعض خلفائها بالاجانب فقربوهم واعتمدوا عليهم فى تصريف شئون الدولة حتى استفحل شرهم واصبحوا خطرا يهدد العروبة فى المجد الذى بنته ، والخلافة التى ارست دعائمها ، بل يهدد الخلفاء انفسهم ، اذ عظم نفوذ اولئك الاجانب ، واصبح بيدهم الامر والنهى ، بعد ان كانوا هملا يعيشون من فضل العرب ، وكان من نتيجة ذلك ان استشرى الفساد حتى قتلوا الخليفة المتوكل . وعند ذلك يثور الشعراء العرب ويغضبون لما انتهى اليه الامر من تسلط الاجانب فى شئون دولة بنى العرب ، ويحذرون خلفاء بنى العباس من المصير الذى ينتظر خلافتهم ، ويهدد عروبتهم وقوميتهم من بعدهم . وفى ذلك يقول يزيد المهلبى فى قصيدته التى رثى بها المتوكل ، يخاطب بنى العباس ، ويعيب عليهم ماكان منهم من تنحية العرب وابعادهم . والاعتماد على الاجانب :

لما اعتقدتم اناسا لاحلوم لهم
ضعتم وضيعتم من كان يعتقد
ولو جعلتم على الاحرار نعمتكم
حمتكم السادة المذكورة الحشد
قوم هم الجذم والانساب تجمعهم
والمجد والدين والارحام والبلد
اذا قريش ارادوا شد ملكهم
بغير قحطان لم يبرح بــه اود
اضحى شهيد بنى العباس موعظة
لكل ذى عزة فى راسه صيد

ولا شك ان هذا الشعر الذى يفيض بمرارة الالم التى احسها كل عربى شهد تلك الاحداث يعد مظهرا من مظاهر يقظة الامة العربية ، ودعوة صريحة الى وحدتها وتماسكها .

ومرت كذلك بالامة العربية فى اكثر مواطنها ايام حالكة السواد ، خمدت فيها نار القومية بفعل الاجانب الذين مزقوا وحدة الامة وفرقوا صفوفها ، وبفعل الحكام الذين نظروا الى انفسهم اكثر مما نظروا الى امتهم ، واستعانوا على تحقيق اطماعهم باعداء العروبة الذين استطاعوا ان يخدعوهم ويصرفوهم عن آمال امتهم واماني الشعب العربى فى الوحدة والسيادة ، حتى اصبح الوطن اوطانا ، والحاكم حكاما يكيد بعضهم لبعض ، ويفترون بما يخلعون على انفسهم من الرتب والالقاب :

مما يزهدنى فى ارض اندلس
القــاب معتمد فيهـا ومعتضـد
القاب مملكة فى غير موضعها
كالهـر يحكى انتفاخا صولة الاسد

وكان ذلك اسوا ماوصل اليه المجتمع العربى من التفكك والانحلال ، وكان ذلك نذيرا بان يستجمع الاعداء قوتهم ليجلو العرب عن بلاد الاندلس ، حتى تم لهم ماارادوا ، وبقى ابناء العروبة يندبون حظهم ، ويتغنون بتاريخهم فى « الفردوس المفقود » .

ومثل ذلك كان فى اكثر ديار العرب التى قسمها الطغاة دويلات اخذت تفقد صلتها شيئا فشيئا ، حتى كان العربى اذا دخل بلدا غير بلده لايلقى اخاه ولا يفهم عنه مايريد . وعبر عن تلك القطيعة احد الشعراء بقوله :

وصناعتى عربية وكأننى
القى باكثر ما اقول الروما
فلمن اقول ؟ وما اقول ؟ واين لى ؟
فاسير ؟ لابل اين لى فاقيما ؟

ولقد مرت امثال تلك الفترات المظلمة فى تاريخ الامة العربية بالعراق ، واحس العراقيون بامجادهم الضائعة وحقوقهم المسلوبة التى ضيعها تحكم الاجانب فى مصيرهم ، وعبثهم بكرامتهم .

واستفحل ذلك الشر فى ايام الاتراك الذين ضيقوا الخناق على ابناء البلاد وعلى اقلام الكتاب وعلى نفثات الشعراء . ولكن صيحات الشعب لم تكف عن العذل والتانيب .

واتجه الشعراء والادباء فى تلك الظروف الى الرمز فى تعبيرهم عن امانيهم ، فعبروا عن حنينهم الى بنى جلدتهم فى مختلف الامصار ، وتفاعلهم بالاحداث التى اصابت اطراف الوطن العربى ، ووجدوا فى ذلك الرمز بالتعبير عن ذلك الحنين بعض مايطفىء غلتهم وما يشفى نفوسهم من حكامهم الاجانب وما يدعو اخوتهم الى التنبه الى ماهم فيه

من آلام ، وهم ابناء يعرب المعروفون بالاباء والهيام بتقديس الحرية . استمع الى هذا الحنين ينبعث من قلب شاعر من شعراء العراق :

فاحد بالركب اذا الركب حدا
فيه يوما واقم ما ان اقام
يمن نجدا اذا ما انجدا
واذا اتهم فالسرى تهام
وهو ان يشهد فام المشهدا
وسلام لك من دار السلام
ان نوى جسمي فحل النجفا
ففؤادى عنكم لم يظعن
اين من حلوا بجمع والصفا
من مقيم بالقرى الايمن
ايها العذال كفوا عذلكم
بالهوى العذرى عذرى اتضحا
وامنحوا يا اهل نجد وصلكم
مستهاما يتشكى البرحا
« واذكرونى مثل ذكراى لكم
رب ذكرى قريب من نزحا »
الوفا يا عرب ياأهل الوفا
لاتخونوا عهد من لم يخن
لاتقولوا صدعنا وجفا
عندكم روحى وعندى بدنى

هذا هو شعور العروبة الدفاق . وقد راينا اين يقع غرام الشاعر وهواه وهيامه بالعروبة واشواقه الحرى الى الديار التى تباعدت ، وحنينه المستمر الى الاخوة الذين فرقتهم الاحداث ويستمر الشاعر فى حنينه ونجواه :

انا ماحولت عنكم شغفى
لا ولا من سكرتى فيكم صحوت

عنكم لم اسل فى شيء وفى
قربكم عن كل شيء قد سلوت

ليس فى الدنيا صفى او وفى

انا قد جربت جيلى وبلوت

فلكم جبت اليكم نفنفا
طالبا اوطانكم من وطنى
وحفت عيسي ومن بعد الحفا
لم تجد بالربع غير الدمن
ياعميسيل اللى خذ بيدى
انا فى حبك مشبوب غريق
بت استسقى بدمعى كبدى
كيف يستسقى حريق بحريق
فخذوا دمعى وردوا كبدى
ليس لى فيكم رفيق او رفيق
اسفا من اهل نجد اسفا
كيف اهواهم وهم فى زمنى
واذا نبت البطاح اختلفا
غلب الشوك على الورد الجنى

هذا شيء من تلك الموشحة الرقيقة الرائعة التى فاضت بها شاعرية شاعر عربى ملهم من اكبر شعراء النجف فى الجيل الماضي فى عهد العزلة ، وهو المرحوم السيد محمد سعيد الحبوبى فى غرض من اغراض الحياة ، ولكن ذلك الغرض لم يستطع ان ينسيه التعبير عن الشوق المبرح الذى يكابده فى وطنه نحو اخوانه العرب الذين عرفوا بالنجدة والوفاء . وهو فى الوقت نفسه تعبير عن اثات حبيسة ، ودعوة مستورة الى وحدة العواطف والآمال والاعمال فى سبيل تخليص الوطن من حكامه الطغاة لم يستطع ان يجهر بها امام بغى البغاة .

ثم استمع الى الشبيبى فى ذلك الشعر الفحل الصريح الذى يجعل مواطن العروبة كلها وطنا لابناء العراق :

اننى ذلك العراقى الذى
ذكر الشام وناجى اليمنا
اننى اعتد نجدا روضتى
وارى جنة عدنى عدنا

« دكتور بدوى طبانه »

تجديد الشكل فى الشعر والمسرحية

للدكتور محمد النويهى

هل يمكن اداء المضمون فى الشكل القديم اداء يحتفظ بتمام جدته ؟ .

هذا سؤال اجبت عليه بالنفى . فادعيت ان كل مضمون جديد يتطلب تجديدا فى الشكل يكبر او يصغر ، بحسب درجة المضمون من الجدة ومخالفته للطرق الفكرية والشعورية والجمالية السائدة . وقد اقمت دعواى هذه على الحقيقة الفنية المعروفة من الارتباط العضوى الوثيق بين المضمون والشكل فى كل انتاج جيد اصيل . ثم ادعيت ان زماننا هذا حافل بالمضمونات الجديدة التى يحاول ادباؤنا الصادقون التعبير عنها . نشأت هذه المضمونات من ثقافتهم المعاصرة العميقة ، وحسهم الفنى المشحوذ ، ونظرتهم الجمالية التى وسعها اطلاعهم على قيم جمالية غير قيمنا التقليدية ، وقدرتهم على الغوص فى اعماق النفس البشرية واستكناه متناقضاتها ابعد مما استطاعه او حاوله جميع ادبائنا القدامى كما نشأت عن اختلاف مجتمعهم وسيرهم وتجاربهم اختلافا جسيما .

كل هذه الأسباب تقطع بأن لديهم مضمونات جديدة ، وان يكن وجودها وجودا بالقوة لا وجودا بالفعل ، لأنها لا تتحقق فى عالم الفعل الا اذا عثرت على الاشكال الملائمة لها ، القائمة بتمام جدتها . لذلك لاعجب ان نجد عصرنا هذا متميزا بالبحث الدائب عن اشكال جديدة فى فنون الشعر والقصة والمسرحية . ولذلك دعوت الى ان نتقبل محاولات ادبائنا فى تلمس الاشكال المناسبة بالسماح والصبر وسعة الصدر حتى حين يأتون بأشكال لاتقنعنا بقدرتها على حمل مضمون جديد . لان وسيلتهم الوحيدة هى وسيلة التجربة والخطأ ، ونحن نأمل ان ينتهى بحثهم الجاهد الى العثور على الاشكال الصالحة .

وفى فن الشعر خاصة ادعيت ان شكل القصيدة التقليدى قد اصبح عاجزا عجزا تاما عن ان يقوم بمضمونات الشعراء الجدد ، لطول العهد به وكثرة استعماله حتى استنفدت طاقته ، ولغلبة رنين الكذب والافتعال عليه ، ولشدة ضيقه وتحدده وجموده على نظامه المسرف السيمترية والرتوب . وهذا هو مادفع شعراءنا الجدد دفعا الى ابتكار الشكل الجديد ، الذى اقترحت ان نسميه بالشكل المنطلق ، هذا الشكل الذى لا يلتزم بعدد محدد من التفاعيل فى كل بيت من ابيات القصيدة الواحدة ، والذى يهدم وحدة البيت ويهدم سيمتريته الهندسية المغالية ، والذى يدخل على الايقاع عددا من التنويعات والانطلاقات شرحتها تفصيلا فى دراستى له . بهذه التجديدات الشكلية استطاع الشكل المنطلق ان يؤدى اساليب صياغية جديدة ، وان يحمل من المضمونات الجديدة الفكرية والعاطفية والجمالية ما لم يستطع الشكل التقليدى ان يحمل فى عصرنا الحديث ، مهما تكن اصالة الشاعر ودربته على النظم .

وقد جر على هذا الادعاء كثيرا من الاعتراض من عدد من القراء والنقاد فالقارىء الفاضل السيد **احمد موفق جاد الله** ، فى رسالته المنشورة فى العدد ٤٧ من « الرسالة » ، يعقب على مقالاتى التى نشرتها لى « الثقافة » فى هذا الموضوع ، ويخص بالمناقشة احتجاجى على الاستاذ عامر محمد بحيرى فى محاولته ان يحول شعر صلاح عبد الصبور عن الشكل المنطلق ويقيمه على الميزان العروضي التام ، وادعائى ان الاستاذ بحيرى بعمله هذا قد صنع بشعر الشاعر شيئا ادا ومسخه مسخا وافسده افسادا فظيعا ، لان مضمونه يتطلب شكله المنطلق تطلبا عضويا لا محيد عنه .

والسيد جاد الله فى نقاشه هذا يدلى بملحوظة جيدة ، هى ان الاستاذ بحيرى فى اقامته شعر عبد الصبور على الميزان العروضي كان محتوما عليه ان يدخل على الفاظ الشاعر قدرا من التغيير والتبديل . ثم يقول السيد جاد الله كلاما لا معنى له الا ان يكون معناه انه يعترف بأن هذا التغيير والتبديل قد اخل بمعانى الشاعر ، وعدا على ايجازه واضاع ايماءات كلماته ، فقصر نظمه عن ان يؤدى افكار الشاعر الدقيقة ، وعواطفه المعقدة . ولكن السيد جاد الله — مع هذا التسليم — لا يرى ان فى هذا ما يكفى لأن يثبت عجز الشكل التقليدى نفسه

عن ان يؤدي ما يؤديه الشكل الجديد من دقائق الافكار وتعقيدات المواطف .

وهى ملحوظة منطقية صائبة .لكن السيد جاد الله لو تأمل فيها لوجد انه حرى به ان يوجهها الى الاستاذ بحيرى لا الى انا . ليقنعه بخطأ محاولته وحتمية اخفاقها منذ البداية . فمحاولة الاستاذ بحيرى لم يكن لها مغزى ولا لزوم فى موضوع النقاش بينى وبينه الا اذا اراد بها أن يثبت ان الشكل التقليدى يستطيع ان يؤدى نفس الافكار والمواطف بنفس الأداء الدقيق البليغ فى ايجازه الذى يستطيعه الشكل الجديد . وهذا ما قرر الاستاذ بحيرى نفسه انه هدفه من محاولته ، لانه ادعى وكرر ادعاءه انه يقيم كلام عبد الصبور على الميزان العروضي الصحيح « دون ان يعدو على ذوات المعنى وذوات اللفظ » . فان سلم بانه يدخل على معانى الشاعر والفاظه تغييرا فهو يصر على انه لا يزيد على زيادة او نقص يسيرين تقتضيهما اقامة الميزان العروضي .

لا شك ابدا ان الاستاذ بحيرى كان يعتقد انه بعمله هذا يقدم « شعرا » لا مجرد نظم مستقيم الوزن ، وهو قد سمى عمله بانه هو « الشعر العربى » ، ورفض ان يعد كلام عبد الصبور شعرا ، ورماه بالنثرية ، ورأى انه يطول ويقصر دون ما مبرر فنى مستساغ . تلك اذن كانت محاولته وذلك كان غرضه . اما ان يقصد بمحاولته — كما يدعى الآن له السيد جاد الله — لا شيء اكثر من ان يثبت ان من السهل على كل ناظم تقليدى ان يرص الكلمات فى وزن مستقيم وتقفية مطردة دون مراعاة لدقة المعانى والعواطف ، فهذا شيء لم نكن فى حاجة الى ان يثبته لنا ، وان يتكلف فى اثباته ما تكلف من جهد . فكثيرون ممن ليسوا شعراء يستطيعون هذا اذا كانت لهم اذن موسيقية تميز ضربات الايقاع وقدرة على سبك الالفاظ سبكا يستوى على الميزان العروضي . وقد اعطت مثالا سبكت فيه بيتا لعبد الصبور على الميزان المعدول بطريقة ابسط واقرب الى لفظ الشاعر ومعناه مما فعله الاستاذ بحيرى بنفس البيت .

بل هذه السهولة نفسها تشكك فى الشكل التقليدى . وما فعله الاستاذ بحيرى وفعلته انا — واستطيع ان افعله بكل كلام يقدم الى — كان عبد الصبور نفسه يستطيع ان يفعله لو انه شاء ان يقيم شعره على الميزان العروضي المعدول . لهذا طلبت الى الاستاذ بحيرى ان يسأل نفسه : لماذا لم يشأ الشاعر ذلك ؟ ولماذا آثر ان ياتى بشعره على الشكل الجديد المتفاوت الطول ما دام السبب ليس عجزا منه عن تسويته ؟ والجواب الواضح هو ان الشكل الجديد ، بما يسمح به من تغيير طول البيت ، وبانطلاقاته الأخرى التى شرحتها فى دراستى له ، اكثر انسجاما مع مضمون الشاعر ، واكبر تحقيقا للوحدة العضوية مع هذا المضمون الفكرى والعاطفى .

وادعائى هذا لم اثبته بمجرد جدل منطقى حتى يرد على السيد جاد الله بجدل منطقى صرف ، بل اثبته بالنظر فى ابيات عبد الصبور نفسها ، والتدليل على ان تقلب الفكرة وتموج العاطفة يقتضيان الشكل المنطلق اقتضاء قاطعا ، فلما جئت الى نظم الاستاذ بحيرى الذى الغى اختلاف الابيات فى الطول واختلافها فى القوانى ، تسبكها جميعا فى طول واحد وقافية مطردة ، اريت الى اى حد جنى هذا العمل على دقة افكار الشاعر وتعقيدات عاطفته ، والى اى حد ملأ النظم بالحشو الفظيع الذى لا يفيد شيئا سوى ان يتم الوزن ويصل الى القافية ، بعكس ادعائه المكرر انه لم يأت الا بزيادة ونقص يسيرين وانه لم يعد على ذوات اللفظ وذوات المعنى .

واكتفى هنا بمثل واحد مما ذكرت . فأبيات عبد الصبور فى وصف الناس فى بلادنا :

ويقتلون ، يسرقون ، يشربون ، يجشئون .
لكنهم بشر .
وطيبون حين يملكون قبضتى نقود .
ومؤمنون بالقدر .

لا تختلف فى طولها لمجرد العبث ، ولا لمجرد العجز عن استكمال الوزن التقليدى ، بل هى تصور بمجيء البيت القصير بعد البيت الطويل تصويرا عضويا حيا ما يحدث من انقلاب الفكرة وتبدل العاطفة . ولتقريب ما أعنى الى القارىء ضربت المثل للبيتين الاول والثانى بقولنا عن ولد لنا فى جملة طويلة مفصلة تليها جملة قصيرة خاطفة : يسرق يسرق يقتل يفجر ... برضه ابنى ! ومثلت للبيت الرابع الذى يحمل بقصره رنة الاذعان والاستسلام بقولنا الموجز : بختى كده !

من هذا يتضح ان الغرض الفكرى والعاطفى الذى يريد الشاعر تحقيقه واثارته فينا يستحيل استحالة تامة ان يتحقق على الشكل الذى تكون فيه

الابيات ذات طول واحد . فاذا عاد السيد جاد الله الى نظم الاستاذ بحيرى لهذه الابيات على الميزان التام راى كيف يفسد هذا الغرض باستواء طول ابياته مضيعا بذلك سر الجمال والتأثير فى ابيات عبد الصبور . ناهيك بما اضطر الى حذفه من كلمات الشاعر الدقيقة حين لم تستو على ميزانه ، وما اضطر الى اقحامه من الحشو المخيف حتى يستكمل الوزن ويصل الى القافية المطردة ، مثل تحويله البيت الاخير المكون من كلمتين تحملان بايجازهما ما ذكرنا من دقيق العاطفة ، الى بيت تام مكون من سبع كلمات بالتمام والكمال :

وهمو بما يجرى به القدر المسلط مؤمنون !

اما دعوى السيد جاد الله اننى بحملتى هذه على الشكل التقليدى اناقض ما « احاول الظهور به » من عشق الشعر القديم الذى جاء على هذا الشكل ، فقد اجبت عليها سلفا حين نبهت الى الفرق العظيم بين القدامى حين استعملوا ذلك الشكل لانه كان يفى بحاجاتهم ، وبين الشعراء الحديثين الذين يلتزمونه لمحض الجمود على التقليد من اختلاف ظروف عصرنا الفكرية والنفسانية والمادية اختلافا بعيدا عما كان للقدامى .

فنجاح الشكل القديم فى عصوره الاولى ليس معناه بالضرورة انه يصلح لنا الآن . وعلى هذا ليس من تناقض بين قبولنا لهذا الشكل لحمل عواطف القدامى وافكارهم ورفضنا اياه حين يستعمله المحدثون . فاننا الآن نتطلب من شعرائنا دقة فكرية وتعمقا نفسانيا وتعبيرا جماليا ليس من العدل ان نتطلبها من القدامى، وشعراؤنا لن يستطيعوا ان يؤدوا هذه الدقة والتعمق والتعبير ما داموا يلتزمون الشكل التقليدى .

والكاتب القدير الاستاذ عباس خضر ، تكرم فى العدد ٤٨ من « الرسالة » بنشر تعقيب ارسلته اليه، وعاتبته فيه على الفاظ حادة صدرت من قلمه الذى عودنا منه الاتزان ، فى نقده لمسرحية « الفرافير » التى الفها الاستاذ يوسف ادريس ، ودعوت الى ان نكون اكبر تعاطفا مع ادبائنا المجددين فى بحثهم عن اشكال جديدة تقوم بمضموناتهم الجديدة ، وقلت اننى اتعاطف معهم فى بحثهم هذا حتى حين يبلغ ما سماه ت . س . اليوت حد « التهوس » ، ليتبين من ان هذه هى الطريق الوحيدة ، طريق التجربة والخطأ ، التى نأمل ان تستكشف الاشكال الصالحة بعد تكرار المحاولات .

وقد رد الاستاذ خضر على تعقيبى هذا فرمانى بالتناقض ، اذ كيف اتعاطف مع « متهوسين » ؟ وفهم ان « التهوس » تسليم منى بعدم وجود مضمون جديد يحتاج الى شكل جديد . لذلك كرر فى رده ما رماهم به فى مقالته الاصلية من تهم ، واضاف اليها تهمة جديدة .

على ان هناك فرقا بعيدا بين « التهوس » و « الشعوذة » ، فالتهوس باستعماله المقصود هو الافراط فى الحماسة الناشىء عن الاقتناع الحار العميق بصدق القضية التى يؤمن بها الفرد الى حد قد يدفع بالفرد الى الشطط عن الطريق السوى لخدمة قضيته او اثبات صحتها .

وعلى هذا الاستعمال لم يكن فى كلامى تناقض ، ولم يكن داع لاستغراب الاستاذ خضر ان اتعاطف مع المتهوسين،فان تهوسهم لا ينفى صدقهم واخلاصهم فى محاولة العثور على اشكال جديدة تقوم بمضموناتهم الجديدة ، وانا قد قلت انهم قد يخطئون ويرتكبون كثيرا من الشطط والاندفاع بل كثيرا من الحماقات ، وقلت انى احتفظ لنفسي بحقى النقدى — بل واجبى — فى رفض اشكالهم حين لاتقنعنى . ولكن هناك فرقا جسيما بين اتهامهم بالخطأ والشطط الذى لا يتنافى مع الصدق والاخلاص ، وبين ما فعله الاستاذ خضر من رميهم بالشعوذة ، والتهريج ، والبهلوانية ، ومحاولة الخداع ، ومجرد اثارة الانتباه ولفت الانظار ، ثم اضاف اليها « الهمبكة » فى رده على دفاعى عنهم .

وهذا ما اخذته على الاستاذ خضر وما احزننى ان اراه يفعله،ويزيد من حزنى ان اراه يصر عليه ويضيف اليه . فانه فيما اعتقد قد تجاوز حقه النقدى المشروع فى رفض انتاجهم وتخطئته ، الى اتهامهم فى نواياهم بالكذب وعدم الاخلاص بل بتعمد الخداع، ليس معنى هذا اننى انفى وجود الادعياء الذين يستغلون البحث عن جديد الاشكال لغير مضمون جديد لديهم ، وبهذا سلمت فى تعقيبى ، لكنى ما عنيت هؤلاء بدفاعى ، والمقالة الاصلية للاستاذ خضر تدور على نقده لمسرحية الاستاذ يوسف ادريس ، وهذا المؤلف تشهد له انتاجاته العديدة السابقة بانه يستحيل ان يكون من اولئك الادعياء ، مهما يكن نصيب انتاجه الجديد من الاصابة او الخطأ ، فالناقد الذى يطير الى اتهامه واتهام امثاله بتلك التهم لمجرد انه لم يقتنع بانتاجه الجديد يكون ظالما افدح الظلم . وان لم يميز الناقد بين الادعياء الكاذبين وبين المخلصين المخطئين فاى نفع يرتجى من نقده ؟

هذا هو خلافي الاول مع الاستاذ خضر . وخلافي الثاني الكبير معه هو : ماذا نعني باصطلاح «الشكل»؟ فهو يتحدث كما لو كان الشكل في الشعر مقتصرا على الوزن العروضي . لذلك يرى ان مغزى كلامي هو ان الشاعر الجديد الذي يريد ان يجدد في الشكل لا بد ان يترك البيت القائم على التفعيلة ويأتي ببيت تكون وحدته نصف تفعيلة ، ثم ربع تفعيلة ، وهكذا ... ولست ادري كيف يقع مثله في مثل هذا الخطأ . فالشكل يشمل الهيكل او البناء العام للقصيدة ، وطريقة تقسيمها الى موجات او فقرات متمايزة ومترابطة بالتنويع الايقاعي من ناحية ونظام التقفية او عدمها من ناحية اخرى،والموسيقى الداخلية التي يبنيها الشاعر في حيز الايقاع العروضي العام من ايقاع الجمل الشعرية المتولد من ايقاع المقاطع والكلمات ، ونغم الحروف والحركات ، بل يشمل الشكل الفاظ الشاعر نفسها اي قاموسه اللغوي ، وطريقته الصياغية في اشتقاق الصور وتشكيل المجازات .

وحين اهاجم الشكل التقليدي للقصيدة فانما اهاجمه لانه قد تحجرت فيه هذه العناصر الشكلية العديدة التي ذكرتها ، ولانه قد جمد عليها وتم ارتباطه بها فلم يعد يسمح في نطاقه بتجديد فيها ، وبهذا الجمود والارتباط لم يعد يستطيع الانطلاق مع مضمونات الشعراء الجدد . وهذه دعوى للاستاذ خضر ان يوافقني عليها او يخالفني فيها ، ولكني استكثر عليه ان يخطيء فهم مقصودي فيظن اني اقصر التجديد في الشكل على ابتكار وحدة عروضية جديدة .

وحين اؤيد الشكل الجديد او المنطلق . فلست اؤيده لمجرد تجديده في الوحدة العروضية ، بل لانه يسمح بمجال اوسع لتجديد كل تلك العناصر الشكلية المذكورة ، وبذلك يسمح بانطلاق مضموني كبير ، للأسباب العديدة التي ذكرتها في عرضي لقضية الشعر الجديد . وهذا الاستعمال الذي شرحته هو الاستعمال السائد في الاصطلاح الحديث في المقابلة بين الشكل والمضمون ، فالشكل يشمل كل ما يتصل بطريقة الشاعر واسلوبه في اداء افكاره وعواطفه وقيمه الجمالية وحملها الى القاريء ، ولا يقتصر على الوزن العام ووحدته العروضية . وبهذا الاستعمال لا ازال اصر على ان كل شاعر « عظيم » في مرحلتنا هذه لا بد ان يثبت لنا عظمته بالاتيان بشكل فني جديد يشق طريقا غير مألوف . ومن النقاد من يتطلبون هذا في كل شاعر مهما يكن عصره قبل أن يعدوه عظيما . ومنهم — مثل اليوت — من يقصرونه على عصور الانتقال ، حين يتمخض تاريخ الشعر عن انقلاب في طرق التفكير والشعور والحساسية الجمالية ، ويكون التقليد الشعري السابق قد تم استغلاله واستنفاد طاقاته . ونحن لا شك في عصر من اهم عصور الانتقال في تاريخنا ، وكبار شعرائنا الجدد اذا اتقن الاستاذ خضر دراستهم وجد ان كلا منهم ، في نطاق الشكل العام الجديد القائم على التفعيلة الواحدة وعلى تغير طول البيت ، قد اضاف ابتكاراته الذاتية في العناصر الشكلية المتعددة التي وصفتها .

هذا عن الشعر ، الذي يقوم على تشكيل الالفاظ اللغوية وحدها ، اما في فن مختلط مثل الفن المسرحي — وهو الموضوع الاصلي لمقالة الاستاذ خضر التي اعترضت عليها — وهذا فن يمزج بين الالفاظ والالقاء والحركة ، ويجمع بين الادب والتمثيل والغناء والموسيقى والرقص والتحريك الآلي ، فواضح ان مجال التجديد في الشكل ، اي في طرق اداء المضمون ، اوسع بكثير . ولا شك ان كل مؤلف مسرحي عظيم ثابت العظمة في العصر الحديث ، من ابسن الى شو الى برخت ، قد ادخل ابتكارا شكليا بارزا على فن المسرحية ، يقوم بهدفه المضموني الجديد الذي يخالف به اهداف سابقيه ، دعك مما ادخله المؤلفون المعاصرون من امثال اتوبه وبيكيت من تجديدات شكلية لايزال الخلاف محتدما حولها ، لان الخلاف لايزال محتدما في حقيقة الامر حول المضمونات الجديدة التي يريد هؤلاء ان يحملوها فن المسرحية ، ويرى بعض النقاد — مع تسليمهم باخلاصهم في هذه المحاولة — انها ينبغي الا تكون من اهداف المسرحية . ومن الجلي ان الفن المسرحي بسماحه بمقدار اكبر من التجديد الشكلي ، يسمح بمقدار اكبر من التجربة والخطأ ومن الشطط والزلل، فهو لذلك اكبر حاجة الى سماح النقاد وتعاطفهم مع محاولات المؤلفين الجدد .

اما الناقد الجليل الاستاذ « **مصطفى عبد اللطيف السحرتي** » ، الذي شرفني وكرمني بنقد قيم لكتابي «قضية الشعر الجديد»في العدد ٤٩من«الرسالة» ، فانه يتطلب نقاشا مفصلا لا تتسع له هذه المقالة ، وعسى ان تتسع له صفحات « الرسالة » في عدد قادم .

« دكتور محمد النويهي »

هذا الشاعر منهم

للدكتور : أحمد كمال زكي

(١)

اما الشاعر فهو « سعيد عقل » ، واما « هم » فأصحاب الرفض الذين تحدثنا عن واحد منهم من قبل . والنظر الى سعيد عقل هذه النظرة قد يبدو غريبا بعض الشيء ، غير اننا لو فسرنا الرفض بانه تنكر لمسلمات العرب او عزوف عن آرائهم امكن ان يوضع سعيد عقل فى قمة الرافضين .

وليكن هو قبل او بعد ذلك معلما من معالم شعرنا المعاصر ، فـ على احمد سعيد معلم ايضـا وليكن كذلك خير من يعنى بالفكر والألوان والموسيقى مع اهتمام بارز باللغة ، فنزار قبانى يسـير على دربه حثيثا . وليكن النموذج للشاعر الذى يعقل الوجدان ويجرد بمنطقه اغلب الصور من مادتها ، ويجسـد الأحلام بنجاح مصـطنعا الوان « فيرلين » المظلة وتحتيات « فاليرى » المعقدة ، فكل هذا لا يمنع من أنه رافض ومن أن رفضـه قائم على حس فينيقى يجعل الفن .. كل الفن دفقة تلك الميثولوجية التى تمدن وتحب كما يقول هو فى « كأس الخمر » اى منذ ادونيس وعشتروت رافعى الهوى الى قوة الموت حتى «فخر الدين» النابض قلبه مع تصور فلورنسا ، مرا بموخوس الصيدونى ابى الذرة فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، والبسا مؤسسة قرطاجة .

وسعيد عقل فى الحقيقـة يمثل وثبة الرمزية فى شعرنا المعاصر كله ، وهو يمثلها طاغية تنسف اى حاجز امام المطلق ، وقد استطاع عن هذه الطريق ان يعبر عن ظلمة نفسه او عدمها المبهم ، مقدرا لهـا ايديولوجية بدت فى اول الامر غريبة على شـعرنا العربى ، ثم اصبحت عند كثير من المحدثين حلولية او امتزاج كل فى كل .

لست ادرى كم يرضي هذا الكلام سعيد عقل ، الا اننى اعلم انه يرضيه التنويه باعلان تحرره من قيود اللغة العربية التى يتقنها . وقد ادعى بحسـب اتجاهه الرمزى — على ما اعلنه فىمقدمة جلنار التى وضعها بعامية لبنان — ان لغة الشعر ليسـت هى صور الالفاظ وانما هى موسيقيتها . ومن ثم يسهل استبدل الدارجة بالعربية واستبدال رسم الحرف اللاتينى برسم الحرف الذى ورثناه . ولما كان من المؤكد ان العربية هى — حتى الآن — اقوى دعامة للوحدة المنشودة فان تدميرها على هذا النحو ارساء لدعائم ايديولوجيته .

لا نريد ان نستطرد هذا الاستطراد ، ولا نريد ان نتعرضللبناء الشكلى لهذا الشاعر الماكر ، فاننا نعلم ان مثل ذلك لا يحقق ما نريده من عجالتنا هـذه . اننا لا نشك فى أن سعيد عقل يغرى دائما بمناقشة اسرار نظمه وتقويم بنائه الفنى ، ولكن هذا يبعد بنا عن مضامينه التى من اجلها نتحدث .

ولقد يقال ان تقويم البناء الفنى لا يتعارض مع مناقشة المضمون كمعطى فلسفى لا كموقف سياسي معين — على اساس ان المضمون هو الذى يفرض القالب — غير ان هذا يصح فقط فى حالة اشتغال الشاعر فنيا بالقضية ، اما وانه يعرض عنها ليتغنى بالحب — على ما يظهر فى ديوانيه رندلى واجمـل منك لا — فلا بد ان يكون للمسألة وجه آخر . ولكن الحقيقة ان شعر سعيد عقلباستثناء مسرحيتيه بنت يفتاح وقد موسي ، يبدو لأول وهلة خاليـا من اى مضمون ثم سرعان ما نتبين فيه الموقف المعاند . او قل نرى فيه عزوفا عن الحس العربى ، بحيث تزول عنه تماما خاصة عطائه فى حدود المألوف ، ونستنتج نظريا بعد ذلك ان الشاعر يبحث من اجل ان يجعل البناء الشعرى كله موسيقى غربية .

ويمكن من هنا انتقسم شعره — بحسب المضمون — قسمين كبيرين ، اولهما مسرحياته التى يندفع فيهـا بوجدانه الى الفينيقية او الى كل ما يقوم القومية السورية فى ابعادها الاسطورية والتاريخية ، ومن المعروف ان دمشـق كانت ذات يوم عاصمة لفينيقيا اللبنانية ، وثانيهما شعر الحب الذى يصـدر عنه بصور تتوالد من مادة غربية غريبة .

وبين القسمين وفيهما ثمة لغة ، هى لغة سعيد عقل وحده وان تزيت زيا عربيا مألوفا !

(٢)

اما شـعره المسرحى فلا خلاف فى مسـحته الفينيقية ، بل لا خلاف فى طبيعته المسـتمدة من

ميثولوجية لبنان كما يحب هو دائمـــا ان يعلن . شخوصه ليست مسوخا مثل شخوص الاغريق على الرغممن انالاغريقية عنده منبتها لبنان حتىشاعرها العظيم هوميروس ، وافعاله باعتبار المسرحية فعلا ارسطيا صدى للرحلة وبنــاء الامبراطوريات ولخلق « الحرف » الهجائى الذى اقل الفكر فى بحر الزمان وبحر المكان .

وهو يرى على ما تكشفعنه مسرحيته «قدموس» ان اوروبا بعض عطــاء لبنان القديم ، منذ اختطف زيوس اله الاغريق اوروب اللبنانية ومنذ نقل اخوها قدموس العلم وطريقة الكتابة الى الغرب فى حروب ثاره . وعلى ذلك تكون الحياة الغربية ، حتى اليوم، ثمرة مشاتله التى تبعد فى ارض التاريخ سبعة الاف سنة على الاقل .

ومنذ ذاك كانت صــور وصــيدا وبعلبك وبيريت (اى بيروت ولد اورانوس السماء) وبيبلوس (اى جبيل التى اسسها ايل) تصنع التاريخ كما تشـــاء ، وانطلق هذا الفرع من الكنعانيين انطلاقته الهــائلة التى اقتبس منها الاغريق ما اقتبسوه من شــعر وفلسفة وعلم .

ونحن لا نعترض مطلقا ان ينوه واحد كسعيد عقل بكل ذلك ، فان التخلى عنه تخل عن انســانيته . ولكن ان يتيه به ويهمل الجزء الاحدث من كيانه الذى نبط بدم العرب ثم يرجع تمكن واحد كالاوزاعى الى ارومة لبنانية ، فذلك مالا يستقيم معواقعنا الفعلى .

ان ســـعيد عقل وقد درس الآثار المتخلفة عن الفنون الفينيقية ــ دون الاقتصار علىآثار الساحل الشامى ــ يرى أن العرب لم يعرفوا شيئا ، حتى الشعر الذى اجادوه كان عندهم فنا ساذجا سطحيا لا يعكس شيئا مما تعكسه القصــائد الهومرية . وعلى الرغم من انهم شهروا بالعشق فانهم لم يبنوا فيه شيئا ، ولم يبن من لم يحب !

ان الفقر المادى الذى اوجدتهــم فيه طبيعتهم ــ كما يقول فى كتابه كاس لخمر صـفحة ٨٧ ــ وجه عاطفتهم الى حسن الحيــاة اكثر منــه الى الترف العقلى الذى يدعى الحب .

وباسم هذا الفقر الذى يدعيه ، بالاضــافة الى خطأ الفهم لحس الحياة فارق سعيد عقل العرب ، وارتبط تلقائيا بالفينيقية مع انه يعلم ان هذه كعنصر سامى تمت للعرب بآصرة نسب قوية وان حضارتها كانت فى الواقع ــ على ملاحظ كونتنو ــ مزيجا من حضارات وجدت فى العراق ومصر وقبرص . وازاء مثل هذا الواقع التاريخى يصبح تقبل ماهو غــير عربى ورفض ما هو عربى عملية واعية مقصودة .

ولقد يؤثر فى اغلب الاحيان عدم الكشف عن هذا المسلك الايديولوجى ، غير ان تعصبه يظهر دائما فى معظم اقواله . ولعلنالا نملك هنا اســتظهار تلك الأقوال ، ومن ثم نكتفى باجتزاء هـــذا النموذج كمثال .. مجرد مثال ورد على لســان « اوروب » عندما حطت بها المغامرة فى الغرب .

كن بهــا الصقع باســم اوروب ارض
اليمن ارض النهى وأرض الجمــال
باركتك اليــد « الأهلت » عــلى القفر
عطــاء فالمطــل من بعـــد حال
« السخت » اول الزمان على تربـة
أهلى بالغيــث المحـــرات
آلة الخـــير بالهــا تتحـدى
دنيوات ضـــنت برزق بغـــات

وعلى الرغم من ان اوروب ــ قد علقت بزوش (اى زيوس) زوج هيرا وانها احبت ارضها الجديدة فان سعيد عقل لم يكن ليجعلها تتخلى عن ثراء وطنها الاول وبدفعها الى ان تقول .

وتخيلت اين ضـــمة أمـــى
عن هــوى ماســواه لمـع سراب
عن أب ســـيد الحواضر عن زند
شــقيقى قدموس زين الشــباب
عن قــرى من زمرد عالقـــات
فى جوار الغمــام زرق الضــياء
ينخطين مسرح الشـــمس يركزن
بلادى على حـــدود الســـماء

ان هذه الهالات هى اطار للنفس اللبنانية ، وهى منها الوجدان اللبنانى حيث نما على ثرى كانه من

فت المسك ، وشم ريحا تنشــــقت من عبق التفاح والليمون ، واغتذى جمال السماء وصــلابة الجبل وعمق البحر . وليس يمكن ان يكون هذا فى جدب نجد ولا عنــد لمرىء القيس وعنترة ولا فى شريعة قوم محرومين يقولون دائما على ما يقول : العيش اولا !

(٣)

وننتقل الى شعر الحب او الى كل ما عدا شعره الدرامى ، فان سعيد عقل هو القائل ابدا : شــعر الحب ، يكاد يكون وحده الشعر !

ودارس هذا الشعر يحس على الفور شـيئين . اولهما انه ينحو فيه نحوا رمزيا يكشف عن اثر ترفه العقلى ، وثانيهمـــا انه يغرورب فيه بازميل فينيقى قادر على النحت والتركيب ولا يكف عن الضرب حتى يحس انه سوى الحب والجمال معا تمثال اناقة يسكر كما تسكر الخمر .

لقد اغنى شعرنا المعاصر ما فى ذلك شك ، ولكن اى غنى هذا الذى يرى انه لا وجود لأية شرارة جمال الا فى اعماق الغرب . وكانه يصعب عليه ان يربط واقعنا الشعرى بماضيه الاصيل ، او كانه يرى ان المطلوب هو تحويل ايقاعات العبارة العربيــة الى موسيقية الابهاجيين فى اوروبا . وقد احــل تداعى المعان والكناية محل التسلسل المنطقى ، بحيث يمكن ان نشعر بأن صوره كلها تتحرك على قمم الاوليمب او مع رياح الالب او على شواطىء ايطاليا واليونان وفوق أمواه السين

حتى اذا توغل بعض التوغل فى عشقه طالعتنا بنينا ومركيان ورندلى رنياتار وتلارا ومرتا ودلزا ، ولا تطالعنا هند واسماء ودعد وليلى ومى اذا اراد ان يحمل الى اراجيح الهوى كمــا اعتاد ان يحمل الى المروج الخضر فى الجفون .

وليس من السهل ان نرجع صوره الى تاثر مباشر بشعراء غربيين يوضع على راسهم لا مارتين وفيرلين وفاليرى ، فهو آصل من ان يقتبس : الا ان حدسه ينقله اليهم دون اهتمام بعروبة الاداء ، ولقــد نراه يقول على سبيل المثال :

سمعت بحـــة الحبيب نشـــيدا
واحســـــت آهاته اشـــعارا

فنشعر بانه يصدر عن اداء عربى موروث ، غير اننا سرعان ما ندفع الى آفاق اخــــرى يتردد فيه صوته قائلا :

قوامى الباهر كاس الربيع
تشرب فيه الشمس
من قالها لى أمس
وراح فى اهداب عينى يضيع
يبنى على الغمام
قصرا
مر وما مرا
فى خاطر اليمـام
اللون من علو
والحجر الصارع من عتو
أشبه بى ما أنور
ياخذ عنى الجور
من صدرى المرمر
من نهدى البلور

على انه يكون فى اغلب الاحيان اكثر صراحة فى اعلان انتمــائه الى الفينقية ، فيقـــول فى ديوانه « رندلى » عن مصر الحبيبة :

انــــا ان آنـــت همت بـى
والســـوى حواتـــا يرى
ابتنـــى فى النجـــوم لى
بعابـــكا .. وتدمـــــرا

فاذا راعته حلى الحبيبة ، وهو يقظ جدا الى زينة معشوقته والى لباسها الذى لا يخرج عن لباس نساء الاغريق ، قال :

رنين حليــك من لهـــو صــيدون
بالمجـــد فى ايـــلة لا تمـــل
أباريقوــــا خـــوذ العـــائدين
من الفتـــح والسكب من ذات دل
رنين حليـــك يوقظ صـــورا
وقرطاجـــة والعصــــور الأولى

ولا بأس فى مثل هــذا الموضــع من ان يذكر العــرب ، ولــكن بشرط ان يكونوا فى الجـانب المزرى به .

مركيــان مركيـــان
العمـــر كرات الكنـــارى
اخذت تســاقط الشـــهب

عاينـا ، والـــدراري
ســـــاعة وانفلتـت
ما نجـد ماشم العـــرار

(٤)

اما اللغة فهي عنده — متى اراد — وسيلة مباشرة للتعبير المسدد بحيث يكشــف عن آرائه في تمــكن وثقة ، ونفهم عنها ما نفهمه من عبارته التالية التي وردت في كأس الخمـــر « نحن والاغارقة في اس المدينة ، من العائلة الفكرية الواحدة ، عملنا للانسان قبل ما عملنا للزهرة . ليس من الصدفة ان تكون هرمونيا الاغارقة زوجة قدموسنا العظيم ، وزوش اله الآلهة عندهم مختطف أوروب اميرتنا الصيدونية التي باسمها دون سواه تسمت قارة العقل والجمال والذوق » .

ولكنها احيانا عامل تخريب . وكان قد انتهى الى ضرورة الاقلاع عن استخدام الحرف العربي ، تماما كما ادعى ان عامية لبنان هي وسيلة التعبير المثلى . وبين الامرين التوى بالعبارة العربية الى غير مألوف واستخدم بعض لهجات مهجـــورة كان اللغويون العرب قد انتهوا الى انهـــا — وان تكن لهجة — طفولة من طفولات لغتنا القديمة .

ويبدو انه اســـتراح الى ان تكون اللغة عامل تخريب ، لأنها فضلا عن دورها هذا الخطير تتمشى واتجاهه الرمزي وتلائم من ناحية اخرى تعامله مع الكلمات كايقاعات تعنى بقشعريرة اللفظ وهي تتحد بالموسقى .

والحقيقة ان لغة « سعيد عقل » تدهش وتحير ، وكانت في اشعاره الاولى نموذجا للفصاحة بالمفهوم العربي الضيق . غير انه سرعان ما عدل عن هذه الفصاحة الى اغروراب مقصود حتى ليقول :

آن تظن بكرت على التلال الشمس
اقول : قد فتحته الشباك
آن تظن بكرت على التلال الشمس
وبوغتت في حلمها الاشياء
اقول : قد نزعته الرداء
عن قطعتي ضياء !

كما يقول دون ان يطمس قاموســه العـــربي العتيق :

لا لا كما البطل
نحن ولا كما العـلا عنقك تشرئب

ويقول ايضا ناحتا ماشاء :

والقيـــــر المســــــاطن انحور
لا ان ترى قميـصي الشـــفاف

غير ان هذا كله استدلال على الجانب الاول فقط . . جانب الاستخدام اللغوي غير المألوف في العـــربية اما الجانب الثاني الخاص بالتعبيرات المهجورة فكثيرة كثرتها في شعراء الرفض ولا ســـيما عند يوسف الخال وعلى احمد سعيد . ولقد سقنا نموذجا واحدا له في الابيات التي قالتها « اوروب » وهي تحـــلم باطلاق اسمها على القــارة الاوروبية ، ونرى انه يستعيض فيه عن اسم الموصول بألف ولام يدخلان على فعـــل جملة الصـــلة ، ومن قبيله قوله في قصيدة درج :

الدرج الحالي بزيزفون
والفوقه تعرش يا سمينه
تكوكب السكينة
للحلوة التخطر كالظنون
الدرج الرنا الى عهدا
والكاد لي يشهق من دلال
يقول : جن جن أو اشدا
عايـــك بالازهــــر والظـــلال
الدرج الوشوش : طـــر اليهـــا
حســناؤك البيضـــاء في انتظار
والقـــال : عمـــري قفزتا رجليهـــا
بالبـــال ذاك الـــدرج الثـــرثار !

وهكذا ، هكذا . . مما يضيق المجال عن استقصائه ولكنه على ما ذكرنا يتفق ونزعاته المغروربة . فاذا شئنا ان نضيف شيئا لم نجد الا ان نقول انه في هذا وفي غيره مما بسطناه لا يقدم اكثر من جموح فردي ليواجه التنظيم العربي والمسئولية العربية . وكانني بقائل انه اتجاه عام يفضح عجزه المطلق عن التكيف مع الوجدان المنزه من اجل الاتحـــــاد او التآلف او الارتباط القومي النظيف .

هو بهذا الوضع لا يستجيب لروح العرب ولا يخلص لمنجزاتهم التاريخية والعلمية ، بل يتمرد او يثور على اليوطبيا الرشيدة التي طالما حلمنـــا بها واعددنا لها .

« دكتور احمد كمال زكي »

مشكلات لاذنب للدين فيها

بقلم محمد عبد الله السمان

عندما لقيته منذ أيام كدت انكره ، فهل بضع سنوات كفيلة بان تغير فيه كل شيء ؟ رأيته لاول مرة فى احدى قرى الصعيد ، كان فى الثالثة والعشرين من عمره ، وطالبا باحدى كليات جامعة القاهرة ، يفيض حيوية وشبابا ، وهانذا أراه اليوم كهلا استوفت منه الكهولة كل حاجاتها ، واضفت عليه كل مقوماتها ، وأودعت فيه كل ملامحهــا ، دون أن تمهله يستمتع بشبابه الغض ، وفتوته العارمة .

الشيب الى رأســه فى غير رفق ليتوغل فيــه ويمعن فى التوغل ، ولم يكن هذا الشيب من النوع الذى يضفى على صاحبه مسحة من المهابة والوقار، وانما كان من النوع الذى يعبر عن قلق مزمن فى صاحبه ، وأسى محكم الحلقات على نفسه ، ويأس ممسك بمجامع قلبه .

وسرعــان ماتذكرت صــورة مضى عليها أعوام ثمانية ، جعلتنى اومن ايمانا راسخا . بأن الكثير من الناس يصنعون مشكلاتهم بأيديهم . ويؤيدونها بعقولهم ، ويلتمسون لها أسانيد واهية ينسبونهـا الى الدين زورا حتى اذا أصبحت المشــكلة مأسـاة مســتعصية على العــلاج وجريمة فى حق المجتمع لا يصلح لها دفاع ، ولا تجدى شفاعة ، امســكوا بخناق القــدر يحملونه كل التبعات ، ويلقون على عاتقه كل المسئوليات ، ولهم فى كلتــا الحالين — قبيل وقوع المأساة وبعد وقوعها — منطق لا يقتنع به غير الحمقى ، ولا يستسلم له الا السذج البلهاء .

عندما دعانى مضيفى الى حضور مجلس صلح لم اتردد ، كان صاحبنا طرفا فى الخصومة . ووالده الشيخ الطرف الآخر فيها ، ولم تكن المشــكلة — موضوع الخصومة مما لم يعهده الناس فى القرى ، فهى تتكرر دائما وتتعدد فى القرية الواحدة ، بل ربما فى الأسرة الواحدة ، ولا حيلة فى وضع حد لها ، مادام الوعى الدينى لم يتســلل الى القرية بعد ، ومادامت مفاهيم الدين عند القرويين لم تزل فى مسيس الحاجة الى انقلاب جرىء .

الأب الكهل فى متوسط العقد السابع من عمره ، قوست ظهره السنون ، وانقلت كاهله الأيام ، ماتت عنه زوجه منذ أسابيع ، وتركت له ابنين كلاهما فى سن الاربعين ، يكدح من اجل زوج وبضعة صغار ، وابنا ثالثا فى الثالثة والعشرين من عمره هو صاحبنا يعمل موظفا صغيرا بالمدينة لقاء بضعة جنيهات ، يعول بها نفســه ، ويغطى منها نفقات انتسابه الى الجامعة ، وغير الابناء الثلاثة اربع بنات فى أعمار متفاوتة بين العاشرة والعشرين .

هذا الأب الذى بلغ من العمر عتيا يريد الزواج، ولكنه يصر على الزواج من فتاة فى الثامنة عشرة ، وقد اتفق مع والدها أن يتنازل له عن نصف فدان من الأرض مقابل الصــــداق ، وهو كل ما يملكه وترتبط به اكثر من عشرين بطنا ، وتتفتح عليه كل صباح اكثر من اربعين عينا ، ويتصدى الابن الشاب المثقف للمعارضة ومعه عقله وثقــافته . ويلتزم الابنان الآخران الحياد لأنه مما هو راسخ فى عقيدتهما أن اغضاب الوالد — ولو كان ظالمــا — اغضاب لله سبحانه ، أما البنات الأربع فلا رأى لهن ، ومتى كانت تقاليد الريف تسمح للمرأة بابداء رأيها فضلا عن الفتاة ؟

كانت هناك جبهة دفاع عن الأب ، مكونة من فقهاء القرية الثلاثة: المأذون الشرعى ، وخطيبى مسجدى القرية واماميهما ، وهؤلاء ممن جاوروا بالأزهر فى اوائل هذا القرن بضع سنوات ، وحفظوا عن ظهر قلب فتاوى الشيخ عليش ، ولم يشــعروا على الاطلاق بحركة الاصلاح التى كان رائدها الاستاذ الامام محمد عبده ، ثم عادوا الى القرية يحمل كل منهم فوق رأسه عمامة ضخمة ، وعلى جسده جبة من الصوف ، وعلى وسطه حزام من الحرير ، وفى جرابه بضعة كتب صفراء ، اكل الدهر عليها وشرب،

عادوا الى القرية ليمنحوا أنفسهم القوامة على دين الله ، وحق التوجيه لدنيا الناس .

وعلى الرغم من أن القرية أنتجت شبابا نال قسطا وافرا من التعليم المدني والأزهري الحديث ، الا ان هؤلاء الفقهاء استطاعوا – بمالهم من سلطان ونفوذ – ان يكونوا المرجع الاول الموثوق به في كل مشكلات الناس ، ولم يكن من السهل ان يتمرد عليهم شاب ولو كان عالما من علماء الازهر ، او مثقفا ممن تخرجوا في الجامعة ، فالتعليم الحديث في نظرهم افساد للدين ، والازهر قد انتهى منذ ان ارتفع طلابه من فوق الحصير ليجلسوا على مقاعد خشبية ، ومنذ ان زاحمت فيه العلوم الحديثة من هندسة وحساب وجبر وتاريخ وطبيعة وكيمياء، علوم الفقه والتوحيد والتفسير .

قال الأب وهو يرمق بنظراته المشايخ الثلاثة : هل الزواج حرام يا أسيادنا ؟ وهل حرام ان اتصرف في ملكي كيفما شئت ، فاجابوا بلسان واحد: حاشا لله . فتابع قوله : قولوا لهذا الولد العاق . .

قال الابن : أنا لا اعتراض لي على زواجك ، وانما اعتراضي اولا : على اختيارك فتاة في الثامنة عشرة من عمرها . وأنت في سن جدها ، وثانيا : تنازلك عن نصف فدان هو كل ما تملكه لتضيع عشرين نفسا وثيقة الارتباط به .

هب انك استطعت في السنوات العشر القادمة ان ترزق بأربعة أبناء ، ثم عجزت عن العمل ، فمعنى هذا انك اردت الضياع لهم ، وكتبت الشقاء عليهم . فهل من المعقول أن يحتمل كلا ابنيك تبعاتهم ، ولكل من ابنائه مايثقل كاهله ؟ وهل من العدل ان تحملني تبعاتهم وأنا الذى كافحت كفاحا مرا دون أن اكلفك شيئا ، لاستقبل حياتي الجديدة واهنأ بها . ؟

لا اظن ان الهدف من زواجك الابناء ، فلك من البنين والبنات ما تحمد الله عليه ، ولا اظن ان الهدف المتعة فقد نلت منها ما لم ينله غيرك ، واذا كان لابد من أن تمتع نفسك الى آخر لحظة من حياتك ، فدونك احدى الارامل اللائي بلغن سن اليأس ولازلن يتمتعن بخصائص المرأة ، فمثلهن لا يحملنك أوزار المستقبل ، وممن يبتغي بالزواج منهن ثواب الله .

لم يكد ينتهي الشاب من حديثه حتى زمجر المشايخ زمجرة الاسود ، حتى خيل الى انه لن ينجو من عصيهم الغلاظ ، أو على الاقل لن ينجو من ألسنتهم الحداد .

قالوا : لا حول ولا قوة الا بالله ! هذا الكفر بعينه، انك تشك في قدرة الله ، وتكفر بآياته ، ان مؤاكلتك ومشاربتك ، ومساكنتك ومعاشرتك ، حرام في حرام ، هل افسدك التعليم الحديث الى هذا الحد ؟ ليتك كنت فلاحا كأخويك . اتجهل قول الله تعالى « وفي السماءرزقكم وماتوعدون » وقوله تعالى : « وما من دابة في الارض الا على الله رزقها » ثم اتجهل قول الرسول : « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير » ؟؟

قال الابن في ادب وجراة : انا لم اجهل قول الله سبحانه ، ولا قول رسوله ، ولكن مفهوم هذا عندى غير مفهومه عندكم ، لان ضمان الرزق للمخلوق عند الله مرتبط بسعيه وعمله ، فالسماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ، والا لما كلفنا في الآية الأخرى بأن نمشي في مناكب الارض لناكل من رزق الله ، وفي غيرها بأن ننتشر في الأرض ونبتغي من رزق الله ، ولو أكملتم حديث الطير ، بأنها تغدو خماصا وتروح بطانا لأدركتم أن الله لا يسوق اليها رزقها في عشاشها ، ولكن بعد أن تسعى الى هذا الرزق .

قلت بعد ان دعيت الى الكلام : الحق مع الشاب. والحق احق ان يتبع . فالله تعالى يقول : « بل الانسان على نفسه بصيرة » فالتوكل على الله لايتنافى مع تفكيرنا في مستقبلنا ، فقد قال الرسول للأعرابي الذى ترك ناقته خارج المسجد بدون قيد عندما ساله لم تركها هكذا ، واجابه توكلت على الله ، قال له الرسول : اعقلها وتوكل على الله ، والرسول نفسه في الحديث المتفق عليه ادخر لعياله قوت سنة مع اعتماده على الله ، بل لقد قال : « ان الله جعل رزقي تحت ظل رمحي » فاذا قدر لشيخ هرم لا يعتمد على مصدر ثابت ان يتزوج ويرزق باطفال يتعرضون لضياع مستقبلهم فقد انطبق عليه حديث الرسول : « كفى بالمرء اثما ان يضيع من يعول . »

بالطبع لم يعجب الاب والا المشايخ كلامي ، وارفض المجلس ، والاب مصر على ما عزم ، واريد

للشاب أن يواجه المستقبل بما تخبئه الأيام والاعوام.

وحين جلست وصاحبي على أحد المقاهي نرتشف معا قدحين من القهوة ، تركته يكمل قصة المأساة ، قال : قدر لوالدى ان يرزق خلال الاعوام الثمانية الماضيــة بولدين وبنت اكبرهم فى سن الســـابعة ، واضطر بعد أن عجز عن العمل تماما الى أن يقاسم باسرته الجديدة اللقيمات اللائى تقمن اصلاب اسرتى شقيقى ، والجنيهات المعدودة التى اتقاضاها لم اكن اجود عليهم الا بالضئيل منها ، ولم اكد اعين مدرسا حتى عقد لنا مجلس آخر ضم فقهاء القرية المبجلين ، وكأن منطقهم فى هذه المرة يتجه **أولا** : الى أن هذا قضاء الله ولاراد لقضائه ـ ومظلوم بالطبع قضاء الله وقدره ـ **وثانيا** ان رضا الله من رضـــا الوالدين ، وغضبه من غضـــبهما ، وقبلت عن رضا ان ادفع جنيهات ثلاثة فى كل شهر ، حتى استطيع ان اواجه مستقبلى فى تكوين اسرة لى ، ولكن لم تكد تمضى شهور سبعة على هذا الاتفاق الودى ، حتى فوجئت برفع دعوى من والدى مطالبا بنفقة شرعية حيث انه يعول نفسه وزوجه وابناءه الثلاثة ، وعاجز عن العمل ، وعلى الرغم من انى اثبت للمحكمة رسميا ان صافى مرتبى اربعة عشر جنيها وقروش ، الا ان شهود الزور اقنعوا المحكمة بان دخلى من الدروس الخاصة ضعف مرتبى . وكان أن حكم على بنفقــة قدرها سبعة جنيهات ، وخرجت من المحكمة اضرب كفا على كف ، فقد كتب على ان أواجه الغد بدون حياة ، او امل فى اسرة تواجه معى مستقبلا قاتما ، وأن ادفع ثمن مأســاة صنعها غيرى بكلتا يديه ، والقى تبعاتها على القدر ، والقدر منها براء .

محمد عبد الله السمان

على قبر العقاد

للشاعر العوضي الوكيل

على ربوة من روابى الجبل — نزلت ، فأى خلود نزل
تشير لها الشمس عند الصباح — وتغمرها فى الضحى بالقبل
وترسل اكليل ضوء عليك — رقيق النسيم ندى خضل
وكنت ولوعا بها معجبا — وها انت ذا ولع لم تزل
يحييك كل صباح يطوف — تحية كل مساء يطل
فما انت ميت وان كفنوك — وان رات النعش تلك المقل
وللنجم همس اليك طويل — فما ينثنى هامسا او يمل
ولست غريبا بتلك الربى — ولا عشت منها بعيد المحل
لقد اخذت منك عهد الشباب — وما عدت الالف فى المكتهل
وتحسدها ان حوتك الرياض — فقد ظفرت بالنفيس الاجل
وللنيل من قربها لفتة — اليك ، كلفتة خل لخل
يراعيك مابين شطآنه — وما منكما احد قد رحل
تحولتما ... هو عن منزل — قديم ، وانت بفضل الاجل
وللسد من خلفه روعة — هنالك عن كل وصف تجل
وانتم باسوان اهل الخلود — تحلون منه باسمى محل
يد الله قد وهبت مصر هذا — وذاك ، وذلك منذ الازل
عشقت الحياة فلا ترتحل — وعفت الفناء فلا تنتقل
وقد حسبوك سكنت الرجام — فهزوا عليك رؤوس الاسل
ولكنما السيف بين القراب — هو السيف ان صال او لم يصل
فلا يامنوا صارما حاسما — فما فله الموت فيما يفل
ولا يامنوا غائبا فى التراب — كمثلك يارب امن قتل
ولا يامنوا المائة الخالدات — فرائد منقطعات المثل
بها الكون اوجزته فى صحاف — ونحيت عنه غلاظ السدل
شوامخ انشاتها مبدعا — ولست كمن لص او من نقل
نكاد لروعتها أن نقول — لولا التقى — هى وحى نزل
ولا يامنوا مارسا اصله — يكفيك من قيم او مثل
اباء يصون مقام الاديب — فلا يستباح ولا يبتذل
واين بربك اين السيوف — الابى الكريم الذى يستذل
ولم تكسب المال الا بكد — وكدح ومن رام مالا عمل
فانت الفقير الغنى العظيم — فنعم الاديب ، ونعم الرجل
وعشت كريما فلما اتتك — المنية مت ممات البطل
ومت كما مات اهل الصلاح — واهل الكفاح واهل الغزل
فلا يامنوا خادرا فى السنين — مضي خلف اسوارها فاعتزل
على ربوتيك سلام الوفاء — سلام يطول بطول الاجل
اجل انت حى وان كفنوك — وان وضعوك بلحد ، اجل

ليالي القرية

الشاعر عبد الفتاح عيسى

هناك .. حيث قلب العشب يغفو .. ناعم الامل
ويلقى الشوق للأطيار .. لحن الحب .. والغزل
وترتحل الفراشات الى الزهر .. على عجل
وترقب خطونا فى الليل .. عين السهل .. والجبل
وقفت مع العبير الحى .. نزرع رقة القبل

ومر بموكب الامساء فلاح .. وفلاحه
يضفر شوقه قبلا .. على الخدين .. مرتاحه
وتنسج حبها قصصا .. بعطر الحب فواحه
وحولهما .. رؤى تنساب فى أعماقهما الراحه
فتنمو فى طريق الحب .. اغنية لصداحه

وعادت زحمة القطعان .. توقظ ارغن الراعى
وتلهم نايه المحروم .. سر هتافه .. الداعى
لقد طافت به .. ذكرى ربيع أخضر .. ساعى
مضي .. والفجر قد شدت نواصيه .. باشعاع
وخلفه على ذكراه .. يمضغ لحنه الناعى

وغافت الرؤى انشودة .. مسحورة الوتر
فاغفى الكوخ جذلانا .. ونام الطير فى الشجر
ورفت شهقة الغدران .. الحانا على السحر
ومد النخل من عينيه .. اطراقا الى القمر
فعصبه بتيجان من الاضواء .. والدرر

وعند الكوخ .. غابت شقوة الاقوام فى الموقد
فراحوا يغزلون الوهم احلاما .. بلا مقصد
« فهذى قصة التابوت .. يرقد بينه المسجد »
« وتلك خرافة الشيطان .. يسكن قبة المعبد »
وكل حكاية تلقى مع الاعشاب .. فى الموقد

لقد كنا هنا يوما .. نسير معا .. الى ربوه
وفى عينيك اشواق .. وفى شفتيك لى .. غنوه
وفى خطواتنا ينساب .. لحن الحب والنشوه
وكم من مرة رحنا مع الآمال .. فى غفوه
وكم طفنا مع الاحلام .. فى سبحاتها الحلوه

انا .. لا زلت مسحورا .. بروح الله .. فى القريه
وفى عينى اطياف بسحر جمالها .. حيه
تروح وراء أفكارى .. وترقص بين جنبيه
ومنها انهل الالحان والبشرى .. بعينيه
واسبح فى مجالى النور .. منسابا .. باغنيه

حول المسرح المصرى

بقلم : الحسانى حسن عبد الله

قلم يوسف ادريس يسقط فينزلق على الورق محدثا دويا عظيما لايلبث أن يهدأ حتى يخمد خمودا عظيما . كلام كثير تستنطقه فيفصح بعد عناء ، حتى اذا أفصح كانت فصاحته وعجمته سواء . « نحو مسرح مصرى » .. وتفتش عن الفكرة فاذا شيء مضمحل . « المسرح اجتماع لا بد أن يشترك فيه كل فرد من أفراد الحاضرين » لماذا؟ لا أظن أى جواب قادر على ازالة الاستفهام . وابتداء من هذا القرار يتحسس الكاتب طريقه الى المسرح المصرى فينفى صفة المسرحية عن المسرح الدينى القديم لأن دور الجماعة البشرية فيه « سلبى تماما » ولأن الجمهور فيه « لا يقوم الا بدور المتفرج على احتفال أعد قبلا » مهما يكن من أمر هذا التعليل الغريب الذى ينفى البشرية عمن ليسوا من « الجمهور » فهو لن يستطيع أن ينفى وجود مسرح مصرى . يقرر الدكتور سليم حسن فى كتابه عن « الادب المصرى القديم » أن الدراما المصرية قد ظهرت قبل الدراما اليونانية بنحو ثلاثة آلاف سنة . « ومع أنه لم يكن مسموحا لعامة الشعب أن تشترك فى التمثيل الذى كان يقام داخل المعبد فان ذلك لا يعنى أن هذه التمثيليات كان لها صبغة سرية أصيلة ، وأنه كان من حق المتفقهين فقط أن يعرفوا هذه الاسرار » . فالمسرح المصرى موجود أو كان موجودا أما الذى ليس موجودا فهو تلك الصورة التى لا توجد الا فى خيال يوسف ادريس متمثلة فى الاحتفالات الشعبية الجماعية التى لا تسمى جماعية ولا يصح اطلاق اسم المسرح عليها فى زعمه الا اذا شارك كل فرد من أفراد الجماعة فيها بنصيب، والتى يقرر أن الأديان فى مصر حرمتها وبتحريمها نشأت الاحتفالات المستترة حيث تنقسم الجماعة الى ممثلين ونظارة . تعليل آخر واضح الغرابة واضح الركاكة، فلا معنى للجزم بأن احتفالا ما لا يوجد به متفرج واحد ، فتصور هذا الأمر لا يصح الا على فرض قيام الحفل فى صحراء جرداء ليس بها من خلق الله غير المحتفلين . بل ان الممثل نفسه قد يكون فى فترة من فترات الاحتفال متفرجا، فالاحتفال فى البراديب والكهوف او فى ضوء الشمس وضوء القمر لا بد أن تتوزع فيه الجماعة بين التمثيل والمشاهدة . وليس فى هذا التوزع جريرة حتى يبحث عن المذنب وحتى يكون الدين هو صاحب الذنب . ولكن يوسف ادريس لا يتكلف لاثبات رأيه غير أن يصدره « بلا بد » ، ولا معنى لهذه « اللا بد » التى توفر على الكاتب عناء التعليل الوجيه ، ولا معنى للدعوى من أساسها وهى قائمة على القطع اذ يعود فيقرر جواز قيام الحفل على التمثيل والمشاهدة . فيم اذن كل هذا الضجيج؟ هكذا يقرر الكاتب وجود ظاهرة مسرحية فى الحياة المصرية القديمة ثم يقرر اختفاءها بدخول المسيحية والاسلام الى مصر . فكيف نفرض أن المسيحية قضت على تلك الظاهرة المزعومة اذا لم نعرف على وجه التحديد طبيعتها ، فلا تقبل هذه الدعوى الا اذا كان فى الظاهرة ما يجافى روح التعاليم المسيحية؟ وكيف نحمل الاسلام — وهو تال للمسيحية فى الدخول الى مصر تبعة القضاء على شيء غير موجود؟ الكاتب لايعنيه أن يجيب على مثل هذه الأسئلة قبل أن يسقط قلمه على الورق ، كل ما يعنيه أن يسوق الزعم تلو الزعم بغير ضابط ، وهذا أحد مزاعمه المضحكة عن الاسلام «الانسان فى الدين الاسلامى من صنع الله وأى انتقاد له يحمل فى طياته انتقادا لصانعه . وكذلك ارتداء قناع أو تغيير ملامح الوجه حتى لو كان وجه الشخص نفسه فهو أيضا تشويه فى خلقة الله » يعنى أنه قضى علينا ألا نعرف التمثيل اذ قضى علينا أن نكون مسلمين ، ولا أمل لنا فى هذا الفن اذا أصررنا على أن نظل مسلمين!! هذا الكلام ليس فيه مايستحق النظر الا شبهة ضيق الاسلام بفن التمثيل . هذه الشبهة ينفيها العقاد اذ يقول فى كتابه « التفكير فريضة اسلامية » .

« ليس من الحق ان فن التمثيل يضيق بالمباح المقبول من الشريعة الاسلامية وانه لا يحيا ولايزدهر بغير ترخص فيها ولا خروج عنها فان تاريخ التمثيل الحديث يشهد بمخالفة هذا الزعم للحقيقة الواقعة لأن التمثيل قد عاد الى الحياة ونما وازدهر فى القرن السابع عشر يوم كانت أزياء النساء فى أوربا لاتبدى من المرأة غير الوجه والكفين وقد تحجب الكفين بالقفاز او الأكمام الطوال . وكانت ملابس المرأة يومئذ كملابس القرون الوسطى تفيض حول وسطها حتى تستر قوامها ، وربما تعذر عندهم فى ابان يقظة

التمثيل أن تظهر المرأة على المسرح لجهلها بالقراءة وعجزها عن الحفظ والفهم عن الملقن على مقربة منها وان لها من مباحات الاسلام رخصة أيسر من هذه الرخصة ومجالا أرحب من هذا المجال. وربما ضاقت بالتمثيل عقيدة تعلم ابناءها نبذ الحياة والحذر من النظر في حكمة التحريم والتحليل ، أما الدين الذى يعلم من يدين به أن يحب الحياة وأن يحتكم الى فكره فلا خوف منه على هذا الفن أو على سواه من فنون الحياة والجمال » .

لقد دار الكاتب في دروب متشابكة سعيا وراء شيء واذا به في النهاية يخرج لسانه للقارىء قائلا ان « محاولة العثور على شكل صريح للمسرح المصرى فى العصرين المسيحى والاسلامى تعتبر نوعا من الافتراء على الواقع » .

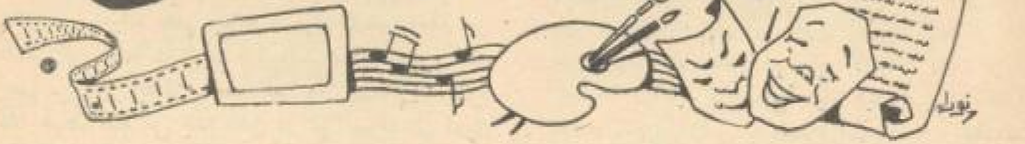
أين المسرح المصرى اذن ؟ فى النكتة أو «القافية» أو فرفور السامر . وهكذا يتمخض الكلام الطويل العريض عن دعوى يعوزها دليل. لقد بقيت التقاليد الاجتماعية القديمة تقاوم الزمن لأنها جزء من التكوين النفسى للسواد الاعظم من الشعب ، وزالت تقاليد المسرح بزوال سلطان الكهنة وفراعنتهم . واندثر معظم الظواهر المسرحية المتمثلة فى الاحتفالات الشعبية الجماعية ـ فكيف يصح مع هذا أن يقال ان شخصية الفرفور فى السامر هى الشخصية المصرية المسرحية من قديم الزمان ونحن لا ندرى عن السامر زمان مولده أو كيفية نشأته ولا ندرى ما طرأ عليه فى تاريخه عبر مختلف العصور ؟ وما معنى «مصرية» السامر أو مصرية « القافية » اذا لم نكن على يقين من وجود جذورهما فى مصر القديمة ؟ ان الكاتب لا يجد ما يثبت به مصرية الفرفورية غير هذا الترتيب الخاطىء فى قوله «الفرفورية اذن علامة واضحة مميزة من علامات التمسرح على هيئة سامر، ولكونها كذلك فهى سمة أصيلة من سمات الشخصية المسرحية المصرية » والاقبال على الحشيش علامة واضحة فى سلوك الشخصية المصرية ولكن لا أحد يقول انه ـ لكونه كذلك ـ سمة أصيلة من سماتها . لست أريد أن أقول ان الفرفورية توازى الاقبال على الحشيش ولكن مرادى أنه لا صلة بين النتيجة والمقدمة فالمصرية لا تثبت الفرفور لأنه علامة واضحة فى السامر .

لقد أنفق يوسف ادريس جهدا فى غير طائل لأنه بدأ من مسلمات خاطئة ، فهو يرى أن لكل شعب شخصيته المستقلة المتمثلة فى لغته وعاداته وتقاليده وفنونه ، ويجب « أن تكون لنا شخصيتنا المستقلة فاذا لم تكن موجودة فعلينا أن نوجدها » ، ولكنه ينسى أن استقلال الشخصية صفة نفسية فى وجدان الأفراد قبل أن تكون أشكالا ومظاهر فاذا فقد الفرد هذه الصفة لم تفلح الأشكال والمظاهر فى ايجادها . العبد لا يصبح سيدا قبل أن يتهيأ نفسيا للانتقال من ذل العبودية الى عزة السيادة . والخصائص القومية لا تفتعل وانما تقوم اصالتها على وجود تلقائى . ولن يجدى احياؤها ـ على فرض أن الفرفورية احداها ـ اذا لم يكن وراءه من دافع غير الرغبة فى الاحياء . لا شك فى أن استقلال الشخصية يتمثل فى تميز الأشكال والمظاهر ـ ولكن الجديد والقديم من الأشكال والمظاهر لا يأخذ مكانه فى الحياة بقرار وانما يحيا بدوافع قوية ، واستقلال كل شعب بشخصيته لا ينفى المفاضلة بين الشخصيات ، فليس لنا أن نفخر بلغتنا لو كانت ضعيفة القدرة على الأداء ، أو نفخر بعاداتنا لو كانت مرذولة ، أو نفخر بتقاليدنا لو كانت عاجزة عن مسايرة التقدم ، أو نفخر بفنوننا اذا تفوقت فنون غيرنا من الشعوب. فعلينا أن نحيى من قديمنا كل ما يرفع من قدرنا ولو تقطعت بيننا وبينه الوشائج ، وأن نقبر منه كل وضيع ولو كان بيننا وبينه ألف وشيجة ، ليس فى الفن وحده وانما فى كل مجال من مجالات الحياة . ان يوسف ادريس ينكر المفاضلة بين الشخصيات لأنه لا يريد أن يتجشم عناء تقديم أسبابه التى رأى من أجلها احياء الفرفورية ، وكأن مجرد احيائها سبب كاف للاحياء. ولكنه ينسى أن قيمة الفن لا تقف عند مجرد التعبير عن حاجات الشعوب وانما تناط قيمته بدوافع التعبير وكيفيته ودلالته على عمق الفكر ورحابة الشعور . بأى منطق يطلب يوسف ادريس مثلا أن يحافظ أكلة لحوم البشر فى أحراش افريقيا على استقلال شخصيتهم ؟ بأى منطق يطلب ألا نقول لمنشد الموال على الربابة انه لن يبلغ مرتبة المتنبى ولو ظل يغنى ألف سنة ؟ بأى منطق يمنع تعاطفنا مع المآسى الاغريقية ؟ ألأننا مصريون ؟ اننا بشر قبل أن نكون مصريين .

هذه الأسئلة لا يصغى اليها قلم يوسف ادريس لأن كل ما يهمه أن يسقط فينزلق على الورق ليحدث الدوى العظيم الذى لا يلبث حتى يخمد الخمود العظيم.

« **الحسانى حسن عبد الله** »

رسالة الفن



نظرة الى المسرح العالمي

بقلم : عبد الفتاح البارودي

ان المسرح العالمى الذى انشاه مسرح التليفزيون لاول مرة فى هذا الموسم ، ادى بلا جدال خدمة فنية كبيرة ، ولكن هل كان يمكن ان يؤدى هذه الخدمة بشكل افضل ؟! لم اكن فى حاجة الى اثارة مثل هذا السؤال لو ان الذين يتصدون للكلام عن المسرح حاولوا تقييم النشاط المسرحى تقييما علميا ومنهجيا

ان هذا المسرح انشيء ليسد فراغا ضخما ، ازداد الشعور بضخامته بعد أن توطدت دعائم المسرح التليفزيونى ، وظهرت الحاجة الى تقسيم فرقه الى عدة شعب تختص كل منها بتقديم نوع معين من المسرحيات ، كما ظهرت ضرورة تخصيص شعبة تتفرغ لتقديم المسرحيات العالمية لنستفيد بها ...

فمثلا نستفيد بها كنصوص ادبية بلغت درجة الامتياز التى اهلتها للبقاء رغم اختلاف الظروف التى كتبت فيها،ونستفيد بها كنماذج تعمق تفكيرنا المسرحى، وطبعا لا يمكن ان تتحقق هذه الاستفادة الا بالدراسة .. فهل درسناها ؟! هل اتاح لنا المسرح العالمى فرصة دراستها بمجرد تمثيلها ؟!

ابحثوا معى الروايات التى قدمها ... قدم **(علماء الطبيعة)** لدورنمات ، و **(عطيل) لشكسبير،** و **(مقالب سكابان)** و **(طبيب رغم انفه) لموليير ،** و **(مجنون ليلى)** لشوقى ... وواضح من مجرد ذكر اسماء الروايات ان المسرح العالمى قدمها بلا منهج معين .. فهى مثلا ليست روايات من عصر واحد ، وليست روايات لمؤلف واحد ، وليست مرتبة ترتيبا زمنيا اى حسب تسلسل العصور ، وليست مرتبة حسب تقسيمات المذاهب الفنية ... هى خليط بلا اى ترتيب ... وطبعا ليس فى تصورى ان يحدد هذا المسرح نشاطه فى روايات معينة ، فأمامه المسرحيات العالمية من جميع العصور ، ولكنى كنت افضل ان يلتزم بمنهج ، اى منهج ، يدل على انه « يختار » رواياته ولا يقدمها كيفما اتفق .

هذه نقطة كان يجب أن يثيرها النقاد ... لماذا ؟

لاننا قبل ظهور مسرح التليفزيون لم يكن للروايات العالمية مجال فى مسرحنا الا فى فرقة واحدة ، هى فرقة المسرح القومى ، وطبعا كان من المتعذر ان نلتزم بمنهج معين فى تقديم التراث العالمى ... اما الآن فان انشاء شعبة كاملة من المسرح التليفزيونى لتقديم المسرحيات العالمية فقط يلزمها بان تقيم مواسمها على اساس منهجى .

انا شخصيا كنت أفضل — ولا إزال افضل — ان تقدم التراث العالمى بالترتيب الزمنى ، فتبدا بتقديم روايات المسرح الاغريقى ، ثم المسرح الرومانى، ثم العصر الوسيط ، ثم عصر النهضة الاوروبية .. وهكذا الى العصر الحديث .

افرض أنها فى بعض العصور ستواجه مشكلة عدم العثور على روايات كاملة ، فماذا تفعل ؟ فى هذه الحالة يمكنها ان تقدم الاجزاء الموجودة تقديما

مدرسيا ، اى تمثل هـــذه الاجزاء وتقيم حولهـــا دراسات .

والفرض ان التزامها بتقــديم الروايات بالترتيب الزمنى سيستغرق منها عدة مواسم ، فما المانع .

ان هذا افضل من تقديم رواياتها كيفما اتفق .. فالمسألة ليست مجرد تقديم روايات عالمية ، وانمـــا الاهم هو تحقيق الاستفادة من تقديمها

والترتيب الزمنى يفيدنا من مختلف النواحى ... كيف ؟!

اننا اذا افترضنا انها خصصت موسما للروايات الاغريقية فستفتح بذلك مجال مناقشـــــة المسرح الاغريقى ، وهذا يزيدنا فهما له ، وهذا الفهم بلا جدال يفيدنا فى معرفة هذا المسرح العريق الذى يعتبر الاساس الاول للفن المسرحى ... فاذا خصصـــت بعد ذلك موسما للمسرح الرومانى فان هذا سيعمق مفهوماتنا الفنية ، لاننا بالمقارنة بين المسرحين سنحاول معرفة لماذا ارتفع المسرح الى ارفع واعمق مستوى عند الاغريق ، ولماذا تدهور عند الرومان ، وهكذا اذا تتابعت المواسم بالترتيب الزمنى فســـتزداد معرفة بقواعد المسرح وخصائصه ومقوماته ومكوناته .

ثم ان التزام الترتيب الزمنى سيعطينا فكرة عن مدى ارتباط التفكير المسرحى بالتفكير الفلسفى ... فمثلا انت اذا شاهدت رواية لشيكسبير او راسين فلا يمكن ان تعرفها بعمق الا اذا عرفت فلســــفة الكاتب فيها ، اى رؤيته الفلسفية ، وفلسفة عصره ، ولكى تعرف ذلك لابد ان تعرف فلســـــفة العصر السابق ، وهذا لايتوافر الا اذا عرفت فلســـــفة العصور السابقة ، وهكذا نجد ان معرفة اى مسرحية معرفة حقيقية تستلزم معرفة النظريات الفلسفية فى تاريخ التفكير البشرى .

هذه المعرفة الحقيقية كان يمكن ان يســـاهم فيها المسرح العالمى ، ويدعو اليها ، لو انه التزم عـــرض مسرحياته بالترتيب الزمنى .

ثم ان هذا الالتزام يقرب التراث المسرحى العالمى للأذهان ، لان عرض الروايات حسب التسلســـل التاريخى ، اذا كان سيفتح مجال مناقشتها وسيربطها بالتفكير الفلسفى ، فان ذلك كله سيلقى الضوء على الروايات نفسها ، وبهذا لا نكتفى بتمثيل ومشاهدة الروايات ، بل نحاول تقييمها وادراك قيمها الفنية ، وبذلك نغتنى بالتراث العالمى ونزداد فهما له كتراث انسانى .

ثم ان التزام الترتيب الزمنى على هـــذا النحو سيكسبنا معرفة معنى التفكير المنهجى واهميته فى فهم التراث العالمى ، واهميته ايضـــــا فى التناول الفنى .

كل هذه مسائل كان جديرا بالنقاد ان يلتفتوا اليها ، وان يوجهوا المسرح العالمى نحوها ، ليؤدى وظيفته التى انشيء من اجلها اداء اكثر جدوى من مجـــرد عرض الروايات بلا منهج ... ان النقاد لم يقصروا فى ذلك فقط ، بل قصروا حتى فى تناول المسرحيات نفسها ... ان بعض الروايات لم تجد ما تستحقه من اهتمام ، او انحصر الاهتمام بها فى مسائل سطحية.

فمثلا مسرحية « **علماء الطبيعة** » لم تكد تظفـــر باكثر من بضعة سطور عابرة لا تعطى فكرة عنهـــا ، ولا تثير اى مشكلة فنية ، بل بلغ الامر بنا اننا لم نسأل حتى الى اى مدى يمكن ان تعتبر هذه المسرحية عالمية ، بينما مؤلفها « دورنمات » لم يصل للدرجة التى تؤهله للمستوى العالمى ... ومع ذلك كان يمكن ان نجد فيها فرصة للتعـــريف بالالوان المختلفة من روايات الادب الاوروبى الحديث ... فعلى الرغم من ان اوروبا انتشرت فيها تيارات فنية لاحصر لهـــا ، فان المسرح ظل الاداة الرئيسية ، او ظلت له اهميته فى عرض المشكلات وتحليل الافكار ، وعلى الرغم من ان كثيرين من المؤلفين ابتدعوا طرقا جديدة للتناول المسرحى فان كثيرين ايضـا رفضوا ان يكون التجديد على حساب الاصالة الفنية ، ومنهم مؤلف هـــــذه المسرحية ... كان من الممكن مناقشة هذه المسائل وغيرها خلال عرض المسرحية ، ولكنها مرت دون ان نستفيد بها فى تعميق مفهوماتنا الفنية ، لاننا للآن ننظر الى المسرحيات كوسائل للتسلية فقط حتى ولو كانت معروضة فى المسرح العالمى المفروض انه يقــدم مسرحياته للدراسة ايضا .

وايضا مسرحية « **عطيل** » لم نستفد بهـــا كما يجب ... ان المسرح العالمى عرضها فى اســــابيع مختلفة ، وكانت هذه فرصة لدراسة هذه الرواية ، ودراسة فن مؤلفها شيكسبير من خلالها ، ولكن معظم ماكتب عنها لم يتجاوز ما يكتب عن شيكسبير دائما كلما عرضت رواية من رواياته ... فما نكاد نرى اى رواية حتى نسمع أن شيكسبير هو اعظم شـــــاعر

مسرحى ، وهو امام المجددين الذين خرجـــوا على الوحدات الثلاث ، وهو الذى تعمق فى اغوار النفس البشرية ... الخ ... عبارات اصبحت محفوظة من كثرة تكرارها ، ولكننا نحفظها غالبا دون ان ندرك مدلولاتها ومغزاها تماما .. لماذا ؟!

لاننا نفتقر دائما الى الشرح التطبيقى ... لو اننا نهتم بهذا الشرح لامكن ان نقيم كل رواية على حدة ، وهذا يفيدنا جدا فى معرفة الجوانب المتعـددة لفن شيكسبير ... فمن البديهى ان رواياته ليست كلهـا من نوع واحد ، وليست كلها ذات قيمة فنية واحدة، وكثيرون من الخبراء العالميين يرون ان رواياته متفاوتة المستوى ، بل يرون ان بعضها ضعيف المستوى ... ونحن اذا كنا نريد الدراسة الحقيقية فمن اللازم ان نجد فى عرض اى رواية من روايات شيكسبير مجالا لتناول الدقائق الفنية التى تساعدنا على فهمه .

من اجل ذلك كان من اللازم ان نجد فى مسـرحية عطيل مجالا لشرحها بحيث نزداد معرفة بها وبمؤلفها وبالتفسيرات المختلفة التى فسرت ولاتزال تفسر بهـا للآن ، وبالوسائل المختلفة التى اخرجت ولا تزال تخرج بها ... الخ ... ولكننا بالعكس لم نسمع غير كلام « عمومى » .

انصافا للحقيقة اذكر ان الندوة التى ناقش فيها « نادى المسرح » هذه المسرحية القت اضواء كثيرة عليها ، ولكن معظم مناقشاتها كانت موجهة الى الكيفية التى اخرجها بها المسرح العالمى ... وفعلا استطاع مخرجها حمدى غيث ان يعبر عن مفهوماته ووجهات نظره ببراعة ، واستطاع الدكتور رشاد رشدى ان يعارضه ـ فيما عارضه فيه ـ ببراعة ، واسـتطاع محمد الطوخى ان يدافع عن الاخراج والتمثيل ببراعة ويهاجم النقاد ببراعة ، واستطاع المتفرجون ان يثيروا اسئلة متعددة ، ولكنهم لم يخرجوا من الندوة بفهم فن شيكسبير ، ولا بالتقييم الحقيقى لمسرحية عطيل .

وطبعا لايمكن ان تتسع ندوة واحدة لهذا التقييم ، ولكن المهم هو : ماذا فعله النقاد ؟ الواقع انهم قصروا تقصيرا شديدا فى تناول هذه الرواية تناولا فنيا ... ولقد حاول البرنامج التليفزيونى « دنيا الادب » ان يتناولها من زاوية العلاقة بين النص الادبى والاخراج، ولكننا خرجنا ايضا « **بكلام عمومى** » !! ان البرنامج استضاف الدكتورين محمد مندور ورشاد رشـدى وحمدى غيث ، وعرض مشهدا من المسرحية التى اخرجها المسرح العالمى ، ومشهدا من فيلم عطيل الذى اخرج فى روسيا ، وطبعا توقعنا ان نسمع مقارنة فنية تعطى فكرة عن اساليب الاخراج ، ولكن البرنامج انتهى دون ان نسمع اكثر من معلومات عادية .

الغريب ان هـذا كله تكـرر فى روايتى موليير « **مقالب سكابان وطبيب رغم انفه** » اللتين قدمهما المسرح العالمى ايضا ... لم يحاول النقـاد تقييم الروايتين او تقييم فن موليير من خلالهما او التعريف بمسرح موليير ... وكذلك أقام احد البرامج التليفزيونية ندوة لمناقشتهما ، ولكن لم نسمع فيها غير «دردشة » تكاد تكون غير ذات صلة بروايتى موليير ، وبموليير ايضا .

الواقع ان المسرح العالمى بذل مجهودا كبيرا فى تقديم لون رفيع من المسرحيات ولكنه لم يبذل نفس المجهود فى محاولة تقريبها للأذهان ... ماذا كان يمكن ان يفعله ؟ المفروض ان المسئولية هنا على النقاد ، ولكنه مسئول ايضا .. كان يمكن ان يقيم ندوات لكل رواية على نحو مايفعل مسرح الجيب.. وكان يمكن ان يعد نشرات وافية اثناء تقديم كل رواية تتناول دراسات عنها وعن مؤلفها وعن مفهوم المسرح العالمى لها ، وكيف ولماذا اختارها ، وكيف اخرجها... الخ

اتمنى ان يحاول ذلك فى الموسم القادم ليستكمل رسالته ... كنت اريد ان اتمنى شيئا للنقـاد ، ولكن المصيبة ان معظم نقاد المسرح لايعرفون المسرح !!

« **عبد الفتاح البارودى** »

تعقيبات

بقلم: عباس خضر

الذاتية والموضوعية فى « ليل له آخر »

« اعتقد ان حياة الكاتب وتجاربه اثمن كنز يستمد منه فى كتابة قصصه ، وان له ان ينتفع بها الى أقصى حد ، ولكن كيف ؟ هذه قضية ، وهناك قضية أخرى تقابلها ، هى قضية الموضوعية التى تقضى بان يكون أشخاص القصة فى صور تختلف عن صورة الكاتب ، بحيث يشعر القارىء انهم خلق آخر ، وبهذا يتيح الكاتب لنفسه الحرية فى تشريح شخصياته من غير أى تحرج ، لأنهم يصبحون موضوعا منفصلا عن الكاتب ، يقف منه موقف الحياد ، فلا مجاملة ولا دفاع ، بل تحليل وفحص كالفحص العلمى المجرد » .

كتبت هذا كمقدمة لمحاولة تقييم رواية « أصابعنا التى تحترق » للدكتور سهيل ادريس فى كتابى « **كتب فى الميزان** » .

وقد رأيت وجه شبه بين تلك الرواية وبين الرواية الجديدة « **ليل له آخر** » **للأستاذ يوسف السباعى** .

وذلك من حيث أن كلا من الكاتبين هو بطل الرواية ، أو أحد أبطالها الرئيسيين ، لا تخفيه غير التغييرات أو الأقنعة الروائية ، وبقية الأبطال بعضهم من خاصة الكاتب تخفيهم أيضا تلك الأقنعة .

البطل الظاهر فى رواية « **ليل له آخر** » هو «**سهير**» البنت السورية التى أصيبت بشلل الأطفال ، فانزعج والداها ، واهتم الوالد بعلاجها فى لندن حيث أخفقت المحاولة الأولى ، وبعد سنين أعيدت تجربة العلاج ، فتمت بنجاح .

هذا الحادث اذا رفعنا عنه القناع الروائى فاننا نعلم أنه وقع فعلا لولد المؤلف ، وهو فى الواقع طبعا يختلف عنه فى القصة ، يختلف فى الهيكل العظمى فقط ، ولكن اللحم والدم والعروق ، وخاصة مشاعر « الأب » مصورة تصويرا لا اخاله الا طبق الأصل ، لما فيه من صدق ونبض وحرارة .

ومن هنا أستطيع القول بأن البطل الحقيقى للقصة هو « الأب » ، وهذا معنى ماقلته من ان البنت هى « البطل الظاهر » .. فقد صور الأستاذ يوسف السباعى مشاعر الأب أدق تصوير ، الأب الحانى الذى يرعى ابنته رعاية مثالية فيجعل من نفسه صديقا لها ، يتفاهم معها وتطلعه حتى على حبها بعد أن كبرت .. فيشاركها فى تذليل مايعترض طريقها ، وييسر لها كل ماتريد .

وفى شخصية الأب نرى الذاتية الواضحة ، فغير خاف أنها منتزعة من شخصية المؤلف نفسه . وهذه الذاتية أمدت العمل بفيض من الحيوية والانطلاق والواقعية ، بفضل ماجبل عليه يوسف السباعى من الصراحة والصدق ، واستطاعته أن يجرد من نفسه شخصا آخر يوضع تحت المنظار المكبر فى التحليل القصصى . وقد فعل ذلك فى معظم قصصه .

وتساعده على النجاح فى هذا المنهج ، القدرة التجردية التى تحدثنا عنها ، وصفات شخصية أخرى ، منها سعة الأفق والجرأة على التعبير دون تهيب ماعسى أن يكون من الوقع أو مما يقال عنه ، وخفة الظل التى تخلق فى السياق القصصى جوا مرحا ممتعا .

غير أننا نلاحظ ان الذاتية فى هذه القصة ، وان نجحت فى التخلص مما يخشى منها عادة فى العمل القصصى على وجه عام ، أوقعت المؤلف فى مأخذ لعله الوحيد فى القصة من حيث الأثر الذاتى ، ذلك أنه صور لنا الابنة « سهير » مدللة من أبويها ، لا يمنع عنها شىء ولا يرد لها مطلب ، دون أن يؤثر هذا التدليل المفرط فيها أى تأثير سيىء ، ويعلل الوالد ذلك فى أحاديثه مع الآخرين بأنها « عاقلة » . وقد يكون ذلك حقا بالنسبة للواقع الخاص ، وهو حينئذ يكون أمرا غير عادى ، ولكن الواقع العام غير ذلك من حيث مايحدث عادة من الافراط فى التدليل مما يعرفه الجميع .

واذا صرفنا النظر عن هذا المآخذ الأخير ، ونظرنا الى القصة ككل تتوافر له أسباب الاجادة بما فيها التجربة الشخصية نفسها ، **فاننا لا نتردد فى الحكم بأن الذاتية فى هـذه القصـة من عوامل نجاحها والاجادة فيها .**

ولا ينبغى أن يقف فى طريق ذلك الحكم مايحتمه النقاد فى العمل القصصى من ضرورة توافر الموضوعية، **فاننا ازاء عمل أدبى ناجح لا يشعر الناقد المنصف فيه بضعف او خلل ،** والعمل الأدبى دائما هو السابق على النقد ، والأديب الأصيل لا يكتب تطبيقا حرفيا لأصل نقدى موضوع ، بل ينطلق على طبيعته الأدبية فان أحس الناقد فى عمله بخلل أو ضعف أرجعه الى احد الأصول الفنية ، وان وجده على العكس عملا ناجحا ولو كان مخالفا لأصل فنى راجع هـذا الأصل نفسه ونظر فى صلاحيته المطلقة .

وبالنظر الى مسالة «الذاتية والموضوعية» فى قصة « ليل له آخر » فاننا بناء على ماتقدم نقول ان الكاتب المتمرس الذى تتوافر له صفات معينة كالتى ذكرناها يستطيع ان يحيل العنصر الذاتى الى عنصر من عناصر النجاح فى العمل الأدبى .

واذا تجاوزنا الابنة والوالدين فاننا نرى بقيـة أبطال الرواية من عمل الخيال البحت ، والأبطـال معظمهم سوريون مصريون . والحوادث تجرى أصلا فى دمشق حيث ينشأ حب بين فتاة سورية هى الابنة وبين شاب مصرى ضابط كان يعمل هناك فى وحدته العسـكرية ، وينشأ حب آخر بين شاب سـورى وأديبة مصرية عينت مدرسة بجامعة دمشق .

وتمتد الحوادث الى لندن مرتين، الأولى عند المحاولة الأولى لعلاج البنت من شلل الأطفال هناك وقد أخفقت العملية ، والمرة الثانية عندما أحست الفتاة ـ اذ كبرت وأحبت ـ بأنها تريد أن تكون جديرة بزواج حبيبها ، فأصرت على تـكرار العملية ، وكانت قد رفضت هذا التكرار الذى أشار به الطبيب فى المرة الأولى . وكانت الرحلة الأولى فى الشتاء ، والثانية فى الصيف ، فوصف لنا المؤلف الحيـاة الضبابية الكئيبة فى لندن شتاء ، وكان ذلك خطا موازيا لخط العملية المخفقة والعودة باليأس . أما فى الصيف فكانت الشمس المشرقة والأشجار المورقة ، فيشرق الأمل والاستبشار ، وتثمر العملية ، وتعود الفتاة على ساقين سليمتين .

وفى دمشـق يحـدثنا المؤلف عن كل مايحيط بأشخاصه فيها من جمال الطبيعة ، ومايسود البلد من تيارات سياسية فى الفترة التى تمت فيها الوحدة حتى وقع الانفصال . وهذا هو موضوع الرواية ، **اذ حلل المؤلف المجتمع السورى السياسى وبين الدوافع الشعبية الساحقة التى دفعت الى الوحدة بسرعة دون ان يكون هناك وقت لدراسة المعوقات الأخرى التى تتمثل فى ذوى الأغراض المختلفة ، من شيوعية وبعث ومأظهر أخيرا من رأسماليين هددهم التأميم والاصلاح الزراعى . تكونت من هؤلاء وهؤلاء اقلية ساخطة يقول المؤلف فى موضع من الحوار ما معناه أن هذه الأقلية انتصرت على تمسك الشعب بالوحدة ، لأن « السخط أشد دفعا للعمل من الرضا » .**

والقصـــة تتكون من خطين متوازيين وان كانا يلتقيان .. الخط الأول هو العلاقات الأسرية أولا بين « سهير » ووالديها ، وبينهم وبين الأسر الأخرى ، والعاطفية الغرامية ثانيا بين سهير والضابط الشاب ، والحبيبين الآخرين .

والخط الثـانى يجرى فى خلال تلك العـلاقات نفسها ، وهو الخط السياسى ، **وهو يجرى بطريقة عضوية لا نشعر فيها بأية مباشرة ، وقد وفق المؤلف فى سياقه سياقا طبيعيا عضويا بالتركيب الواقعى والخيال و « توليفة » الأشخاص .. ما بين وحدوى، وبعثى وشيوعى ، ورأسمالى ، واقطاعى .. فجعـل كلا منهم يتحدث ويتصرف حسب ماتمل عليه عقيدته أو أهواؤه .**

ولم يغفل المؤلف فى خلال ذلك الميول البشرية المختلفة ، فالفتاة سهير مثلا ، وهى من العنـاصر الوطنية الصالحة ، تصرح فى مناجاة نفسها عندما علمت بأن حبيبهـا الضابط أصيب فى معركة مع اسرائيل ، تصرح قائلة فى نفسها : « **جرح الوطن العربى لم يكن شغلى الشاغل وقتذاك .. انما هو جرحك أنت** » ..

وموضوع العلاقات الاجتماعية والعاطفية موجه ، من أول الرواية الى آخرها ، فى خـدمة الموضـوع السياسى العام ، فالفتاة العرجاء تكافح لتجعل لنفسها كيانا اجتماعيا بغض النظر عن شلل ساقها ، ثم تكافح لتشفى من الشلل كى تحصل على حبيبها وهى اهل لزواجه غير قانعة بحبه اياها ورضاه بها كما هى ، ثم تهب الزوابع السياسـية فيقع الانفصـال ويعتقل الحبيب ، وتصاب الفتاة فى مظاهرة للطلبة والطالبات ضد الانفصاليين ، تصاب برصاصة تسبب لها شللا مؤقتا ..

ويستمر الليل الى آخر الرواية، بل تشتد حلوكته .. أما آخر الليل المأمول فهو المأمول .. كما تقول البطلة فى مناجاة حبيبها :

« **سينتهى الليل يا حبيبى .. وتقبل مع الفجر .. لتجدنى أهتف باسمك .. وامد ذراعى لألقاك باسمة وأبقى بجوارك لأكون كما أردتنى .. سيدة الناس .. يا سيد الناس** » .

ولا أعتقد أن الأستاذ يوسف السباعى قصد ان يرمز بشىء الى شىء .. على أنه يمكن أن يقال ان سهير ترمز الى سوريا ، وحمدى « الضابط » يرمز الى مصر ، وان الليل الذى عانيا فيه الفرقة لابد أن ينجلى .. لابد له من آخر .

ولابد من وقفة قصيرة عند كلمات « **سيدة الناس .. وسيد الناس** » التى وردت فى العبارة السابقة .. كان الحبيب قد قال لحبيبته انه سيجعلها سيدة الناس كما هى .. قبل أن تجرى العملية .. فشعرت بانها لكى تكون سيدة الناس حقيقة يجب أن تشفى من الشلل .. وتسير الى جانبه سليمة الساق ويدها فى يده .. سيدة الناس !

شعرت بأن هذه الكلمة لا تتفق مع روح القصة وجوها الديمقراطى الاشتراكى .. الذى لا سيادة فيه لأحد على أحد .. حقا انها من العبارات المألوفة فى الواقع ، ولكنها من رواسب قيم غير ديمقراطية وغير اشتراكية ، فعندما نكتب ادبا جديدا يجب أن ننقيه من أمثال تلك الرواسب .

ثم هى من الوجهة الفنيـة البحت لا تتفق مع الشخصيتين اللتين تتحدثان ، فقد رسمهما المؤلف ديمقراطيين انسانيين لا يعبآن بالمظاهر ، فحمدى مثلا قد احب سهير عرجاء ولم يتردد فى خطبتها والعزم على الزواج منها وهى عرجاء .. وهذا يدل على انه لا يعتد بالمظاهر ولا يدين بسيادة أحد على الناس .

وبعد فان قصة « **ليل له آخر** » هى احدى الروايات التى أخذ فيها الاستاذ يوسف السباعى على نفسه أن يؤرخ بهـا ـ على الطريقة الأدبية القصصية ـ للحوادث الوطنية فى حياتنا العربية منذ ثورة ٢٣ يولية . أولها « رد قلبى » التى بين فيهـا كيف استتبت الثورة ، ومنها « نادية » التى عالج فيهـا التأميم وصور العدوان بصورة منافية للانسانية ، ورمى فيها الى السلام العام . ومنها « جفت الدموع » التى كتبها فى ظروف الوحدة بين مصر وسوريا .

وهذا المنهج الأخير الذى يسلكه الاستاذ يوسف السباعى فى تتبع الأحداث القومية الكبيرة ، يختلف عن منهجه فى قصصه قبل الثورة ، التى كان يهاجم فيها الفساد وهو قائم .

كشكول

● صـدرت الطبعة الثانية من كتاب « **الطاقة الانسانية** » للاستاذ أحمد حسين ، وهو يتناول الظواهر الانسانية بأسلوب علمى رصين ، ويضع للطاقة الانسانية قانونا على شكل المعادلات الرياضية اثبته على الغلاف هكذا :

اى هدف انسانى × درجة ضرورته =

وضوح صورته فى الذهن × شدة التركيز =

طاقة تحقق الهدف فى الخارج . عند غياب الظروف المعاكسة .

● ظهرت فى مجلة صباح الخير قصة جنسية لموسى صبرى عنوانها « الجبان والحب » وهى « أناح » جنسيا من قصص احسان عبد القدوس .. **واذا كانت قصص احسان من أدب الجنس فان قصة موسى صبرى جنس فقط .. أى بدون أدب !**

● نشر أن الشاعرة روحية القلينى وجهت الدعوة الى **الدكتورة عاتكة الخزرجى** الشاعرة العراقية التى تزور القاهرة الآن ـ لحفلة شاى فى منزلها لتقدم لها مجموعة من شاعراتنا .

كنت أفضـل دعوة شعراء وأدباء أيضا ، حتى لا ينقلب حديث الشاعرات من الشعر والأدب الى الأزياء و « الموضات » .

● ظهر كتاب « **فن القصة عند محمود تيمور** » للاستاذ فتحى الابيارى ، وهو دراسة نقدية تحليلية لقصص تيمور خاصة ولفن القصة عامة .

● أعتقد أن النسـاء اللائى يلبسن « المايوه » الفاضح تكون سعادتهن بالرجال الذين يضربونهن ويمنعونهن من لبسه .. أكثر من سعادتهن بالمايوه نفسه .

« **عباس خضر** »

حول الأدب فى اسبوع

يقدمه : عبده بدوى

العقاد .. والشعر ..

لايجادل أحد فى أن « العقاد » أعطى من نفسه للشعر الكثير ، ولسنا هنا بصدد تقييم شاعريته ، ولكننا بصدد آرائه فى الشعر ، ومدى انطباق هذه الآراء عليه .

وهو فى أول الامر يعرف للغته ـ بعد الدراسة المستأنية ـ قدرها فهو يراها « لغة شاعرة » لانها غنية بالشعر والشعراء ، ولانها مقبولة فى السمع، ولأن الحقيقة والمجاز يتلاقيان فيها تلاقيا لايعرف له نظير فى كافة اللغات .

ثم ان لها مزايا فى التعبير ، وعلم منفرد يسمى علم عروض ، وشعر متكامل « بذاته » عن الفنون الجميلة الاخرى .

فاذا انتقلنا نقلة أخرى وجدناه يرى ان الشعر ذخيرة نفس الشاعر وأمته ، ومن هنا فهو يسمو به عن أن يكون للفكاهة ، أو التهذيب ، أو المنظور من الاحداث السياسية والاجتماعية .

وهو لكي يصل الى هذا يحمل على التقليد الذى يقف عند النفس من الخارج ، وعلى الصياغة القديمة التى تعوق النفس عن التدفق ، ذلك لان التقليد يفقد الصدق والاخلاص ، ويشل الاصدار عن روح الامة المترع بالفرح والحزن ، وسيان أن يكون الشاعر عميق النشوة بالحياة ، أو ان يكون متبرما ساخطا ، لانه فى كل من الحالين يفتح للأمة وللنفس كافة النوافذ ، ويجعلهما تنتشيان بالحرية ، وتحسان الحياة كأعمق ماتكون عليه الحياة .

وللوصول الى هذا نراه يطلب من الشاعر أن تظهر فى شعره صورة متكاملة للطبيعة الانسانية ، وأن يمكن أن تستخلص من شعره فلسفة . أو وجهة نظر ، مهما كانت هذه الفلسفة ، ومهما كانت وجهة النظر هذه ، وبمعنى آخر نراه يحدد مايريد بأن « **الشعر هو الطبيعة الانسانية موصولة بالكون** » .

ولما كان هذا الهدف لايتحقق الا « بالحرية » فاننا نراه لايربط الشاعر بالجذور المحلية فقط ، وانما يربطه كذلك بالجذور العالمية .

ونراه يمد فى هذه الحرية بحيث يطالب بأن تكون لكل قصيدة حالتها النفسية التى تنفرد بها ويؤكد أن « البهرج » يناقض الجمال ، وأن على الشاعر الا يقف عند « الحس » فقط ، لان معنى هذا أنه لا يتعامل الا مع قشرة النفس الانسانية ، كما أن عليه الا يطلب به الفائدة القريبة ، والا يبالغ فى الخيال بحيث يصبح « شطحا » فى عالم غريب.

والدعوة الى « الحرية » هنا تجعله يحتاط بالدعوة الى أن الشعر « **بناء للنفس وللحياة** » ومن هنا نراه يحمل على الرقة المتهالكة فى العواطف ، وعلى كل ما يضلل ويخلخل هذا البناء من التأنق ، والتكلف ، واعتساف التشبيه والخاطر ، والجرى المنهوم وراء الافكار والتصورات .

فهو يطلب من الشاعر أن يحس « بمعماره » لان فاقد الشىء لا يعطيه ، وفى ضوء هذا يجب أن يكون ان الشاعر جزءا من حياته ، مهما تكن هذه الحياة، فالشاعر وفنه كائن واحد لا ينفصل فيه الانسان الحى من الانسان الشاعر ، فمع أن الزمن ـ فى الشعر ـ قد ينتهى والمكان قد يندثر ، الا أن كل هجسة من هجسات الشاعر يجب أن يكون لها البقاء .

وهو يوضح هذا بالقول بأنه يجب أن تكون عند الشاعر « يقظة بينة للاحساس بجوانب الحياة المختلفة » ، فهو كما يعطى الشاعر « الحرية » يعتبره مسئولا عن هذه الحرية ، بأن يكون مسئولا لاعن جانب واحد من الحياة ، ولكن عن كافة جوانب الحياة حتى تكون لفلسفته الشمول ، ولنظرته العمق ،ومن الطبيعى أن هذا لايتحقق الا اذا نظر للقصيدة على أنها وحدة عضوية ، وللحياة ـ كأعمق ما تكون عليه الحياة ، والاحساس بمحورها ، ويصبح ـ على هذه الشاعر .

وفى ضوء هذا يصبح الشعر نوعا من تعميق الحياة ، والاحساس بمحورها ، ويصبح على هذه الصورة ـ باقيا لأن بواعثه من محاسن الطبيعة ومخاوفها وخوالج النفس وأمانيها .. باقية ، وفى ضوء هذا نرى أن ماتضفى عليه من أحاسيسنا وخيالنا ووعينا وهواجسنا وأحلامنا وخوفنا .. سيكون نوعا من الشعر ! .

وأول ما يقابلنا من شعر العقاد هـذا التجديد الواضح في المضمون ، ذلك أنه شـاعر مفكر ، وما نظنه كان غافلا عن أن الشعراء الـكبار الذين يذكرون حين تذكر لغاتهم هم الشـعراء أصـحاب الافكار ، ومن هنا كانت أحد مقاييسه الهامة للشعر أن يكون قادرا على التأثير بعد ترجمته .

ومهما يكن من شيء فنحن اذا نظرنا اليه داخل اطاري الصورة المتكاملة للطبيعـة الانسانيـة ، واستخلاص فلسفة شاملة ، أو جهة نظر « خاصة » بالشاعر .. نجده قد استطاع تقديم ما طلبه من الشعراء .

فهو على دراية تامة بالحياة .

قالوا الحياة قشـور
قلنـا فاين الصميم
قالوا شـقاء فقلنا
نعم : فاين النعيم
ان الحيـاة حيـاة
ففارقوا أو اقيمـوا

وهو يعرف ما يبقي هذه الحياة ويجعلهـا جديرة بأن تعاش ..

ليس بين الجنـون والعقـل الا
خطوتا سالك فحـاذر وامسـك
أول الخطوتين : نسـيانك النا
س واما الاخرى فنسيانك نفسك !

وهو رجل يعيش بالحب ، وبالعقل المبصر ..

لك الحمد ربي اني افتتحـ
ت سمائي بالحب شبرا فشبرا
وشتان فاتحهـا مغمضـا
وفاتحهـا مبصر العين حرا

وينظر للحياة نظرة ايجابية (فلسفة حياة : وحي الاربعين) ويأخذ بقانون العظماء « قانون العظماء : الجزء الأول » ولا يحيد عن تكاليفها ..

كن عظيمـا ولا تلومن الا
همة كلفتك همـا جسيما
كل راج يلقى عليك مناه
فاذا خاب كنت انت الملوما
تنصف الامة الضعيف ولاتنصـ
ف يـوما عظيمهـا المظلوما

وهو مقاتل بفرض المعركة ، ويعرف نتائجهـا مقدما ..

ايه يادهر هات ماشئت وانظر
عزمات الـرجال كيف تكون
ماتعسـفت في بلائك الا
هان بالصبر منـه ما لايهون

وهو لا يحب الضعف ..

انصفت مظلوما فانصـف ظالما
في ذلة المظلوم عذر الظـالم

وهو يعشق الحياة الى الحد الذي يطلب في موته أن توافيه بعض أحلامها (أحلام الموتى) وعلى كل فاني أعتقد أن العقاد في ديوان من دواوين ، قد وضـع الخطوط العامة لشعره حين وضعها تحت العناوين الآتية :

(خواطر وتأملات ، صفات وأشباه ، مناجاة ، مترجمات ، حديقة الحيـوان ، قصص وأماثيل ، ترجمة شيطان ، قوميات ، تقدير ، تأبين ، رثاء وعزاء متفرقات) .

وهي في جميعها تعطينا صورة متكاملة للطبيعـة الانسانية ، وفلسفة شاملة وعميقة لوقع الوجودعلى نفسه .. أما الشكل فقد رأى « أن أوزان العروض العربية على احكامها واتقانها قابلة للتوسع والتنويع الى الغاية المطلوبة في كل موضوع يتناوله الشعراء » وقد أدرك هذا شعراء الفارسـية والعبرية والأردية فنظموا فيها ، ثم انها لا تتعذر حتى على العامة الذين قدموا لنا ملاحمهم ، أما التفعيلة فهي لاتخرج عن كونها كلمة لاتتميز عن كلمات اللغة العربية التي تتميز كلواحدة منها بالوزن ، وهو يذهب الى أنهذه الاشياء « **قواعد لاقيود** » ، وأنه اذا كانت لكل لعبة قواعدها ، فمن الاجدر أن تكون للشعر قواعده .

ومهما تكن الحملة على هذه القضية قاسية ، الا أن خطورتها ستظل في أن العقاد قد « برزها » وهـذا ما سيحفظ لها البقاء بجوار عمليات التجديد الاخرى مادامت ستحمل بين نبضها ما هـو جدير بكلمة « **الشعر** » .

عودة .. للحاوي

كنا قد تعرضنا لشعر خليل الحاوي وقلنـا انه شاعر يعطيك شيئا جديدا في كل قراءة له ، وهـو لا يبدو منفصلا عن التراث وعن واقعه المعاصر ، وقد حفظه هذا من أن يصير شيئا أثيريا عدميا لا يحس **بالوجود من حوله الا في حالتي العدم والسكون** .

فسندباد خليل الحاوي كان سعيدا بمغـامراته السبع وبالحديث عنها ، ولكنه يسمع عن أكثر من « سندباد » يطوف بالعالم ، ومن هنا يكون الشوق

الى القيام بالرحلة الثامنة التى لن تكون الا فى داخل النفس ٠

وهو يجاهد لكى «ينشق» عن الطقوس الانسانية المسبقة التى تتمثل على التوالى فى موسى وهو ينحت بازميله الوصايا العشر ، وفى الكاهن الذى يفتض سر الخصب فى العذارى ، وفى زهد المعرى وسلبيته ، وفى مسرحية « عرس الدم » للشاعر لوركا ، وفى سيف الشاعر ديك الجن الذى قتل به حبيبته ، وفى عسل الخليفة ، وقهوة البشير ٠

وبعد أن طهر بيته (نفسه) من كل هذا يعيش فى انتظار ، وانه ليرى أشياء جديدة فى صحرائه ، فبالرغم من أنها صحراء الا أنها تمتلىء بالثلج والزهر والثمار ، كما يرى فيها داره (نفسه) التى كانت قد تحطمت من قبل ، ولكن كل هذا ليس سببه « ملاك الرب » ، وانما الجراح والمعاناة التى شدت عروقه لعروق الارض (الذات) ٠

وهو يتخلص من هذا مرة ثانية ، فيفرغ داره (نفسه) ويعيش ثانية على انتظار ، وهو من أجل هذا يغسل مرآة داره لينعكس عليه هذا الشىء « المنتظر » والذى يقول عنه :

واحتفل بالخلوة البريئة
٠٠ نبتت من زنبق البحار
٠٠ ما عكر الشلال فى ضحكتها
٠٠ تعطى وتدرى كلما اعطت

ثم ان هذا الشىء « المنتظر » لم يتوضح بعد فمازال رؤيا أو شيئا كالرؤيا ٠٠

واليوم والرؤيا تغنى فى دمى
برعشة البرق وصحو الصباح
بفطرة الطير التى تشتم
ما فى نية الغابات والرياح
تحس ما فى رحم الفصل
تراه قبل أن يولد فى الفصول
تفور الرؤيا ، وماذا
سوف تاتى ساعة
اقول ما أقول :

على أن الرؤيا سرعان ماتصبح حقيقة ٠٠ سرعان ما تصبح عالما جديدا جديرا بأن يعاش ٠٠ عالما كل شىء فيه قد تحرك ، فالناس تبتنى الملحمة ، وأعمدة الرخام فرخت ٠

وسواء أكان هذا « الانتظار » العملى الذى لايشبه « انتظار جودو » لبيكت ، هو انتظار معرفة أعماق النفس والالتحام بها ، بحيث لا يصبح الانسان عالمين مختلفين ووجهين متناقضين ، أو انتظار « الانتصار العربى » ورؤيته حقيقة واقعة ٠٠ فان الشاعر يقدم للشعر العربى رؤيا جديدة ، ويخوض به تجارب حادة وعميقة لكل تجربة منها وجهها الشعرى ٠٠

ما كان لى أن احتفى
بالشمس لو لم اركم تغتسلون
الصبح فى النيل ، وفى الاردن والفرات
من دفقة الخطيئة
٠٠ أما التماسيح مضوا عن أرضنا
٠٠ وخلفوا بعض بقايا
سلخت جلودهم
ما نبتت مطرحها جلود

٠٠ وهو ينتقل من هذه الرؤيا الى رؤيا أشمل

وسوف ياتى زمن احتضن
الارض وأجلو صدرها
وامسح الحدود !

ثم يعود الى « التيمة » الاصلية التى هى الرغبة فى البحث ، كان كل ماقاله كان تفريعات موسيقية على هذا الاصل ، وكأنما ليذكرنا أن الحياة بحث وانتظار وأن مهمة الشاعر التنبؤ بما فى رحم الفصول ، لا أن يعدد أنواعها وألوانها ٠٠

رحلاتى السبع روايات عن
الغول ، عن الشيطان والمفاره
عن حيل تعيالها المهارة
أعيد ما تحكى وماذا عبثا

فالشاعر هنا يصدر عن « التجربة الشعرية » المتمثلة ، ويحتضن التراث كله فهو يستعيد موقف محمد من الوحى فى المقطع الثامن، يستعيد اكثر من موقف مسيحى وبخاصة حينما ينبع البلسم من جرح على الجلجلة فى المقطع التاسع ، وهو يحب لوركا وديك الجن ، وما فى تراثه من احاديث الجن والقرينة ومعنى هذا أن الشعر لم يصبح طرطشة عاطفية ، وانما هو هندسة ، وتساؤل كونى ، وعالم مركب ، وموقف خاص للشاعر فى الحياة بكافة ابعادها ، على أن يكون هذا الموقف شموليا يسع جوهر الوجود٠٠ دون أن يتسكع عند دين معين كيوسف الخال ، أو موقف أنثوى مكرر كنزار قبانى ، أو نظرية عنصرية غير مستوعبة كمحمد الفيتورى ، وليس معنى هذا أن خليل الحاوى الآن أشعر من كل من هؤلاء ، ولكن معناه أن فى استطاعته أن يكون أخصب من كل من هؤلاء ٠

« **عبده بدوى** »

الكتب

نقد وتعريف

يقدمه تحسين عبد الحي



رد على نقد رواية « شمس ووحل »

يبدو أن روايتي « شمس ووحل » استطاعت أن تثير صديقنا الاستاذ تحسين عبد الحي وتحرك قلمه حتى كال لها بالكيل الأوفى .

وسواء رضى صديقنا أو سخط فلن يقدم ذلك أو يؤخر ، لان العمل الفني تختلف من حوله وجهات النظر دائمـــا ، تلك قضية مسلمة . الا أن الذي يطمئنني على أن روايتي رواية حية حتى ولو لم يرض عنها « تحسين » انهـا استطاعت ان تحرك قلمه . فالعمل الميت لا يحرك النفس أو يثير القلم أو يجعل الناس ترجمه بالطوب ، وانما يثير الشفقة والرثاء .

وعلى كل سنضع الامر كله بين يدى القارىء من خلال ما كتبه الزميل وله بعد هذا ، أن يختار جانبي أو جانبه .

يقـــول تحسين « وأول ما اســتلفت نظرى في الرواية ، هو أسلوبها المباشر الذي كان يتخذ أحيانا كثيرة شكل الخطب المنبرية » ثم يقول « والقصة في مجموعها عبارة عن مشاهد منفصلة غير مترابطة . » وهذه دعوى لم يأت عليها بدليل ، وليس يكفى أن نقول « حزام » لنصدقها . فليأت لنا بدليل ، والا فحكمه مردود عليه . وغير مسلم به .

ويقول بعد ذلك « ثم الحوار الطويل الذي يسلب دائما العمل الفني قيمته وحيويته ، وكذلك المعالجة الخارجية للشخصيات» فاما عن طول الحوار ، فما رأيه فيما قالته الدكتوره سهير القلماوى في مقدمتها عن الحوار بالذات ؟ لقد قالت « وأسلوب القصة قد التزم الفصحى حتى في الحوار وبدا طبيعيا رغم ذلك ؛ لان المؤلف حرص على أمانة أصله قدر المستطاع مما جعل الحوار لايفقد حيويته» اذن الحوار عندى خادم للنص ، وقائم بوظيفته خير قيام . وهو بعد هـــذا غير ممل بشهادة أستاذة جامعية .

وما رأيه مثلا في « ارنست هيمنجواى » ؟ وهل قرأ له « وداعا للسلاح » ؟ لست أعتقد ، والا لما قال بسلب الحوار الطويل لقيمة العمل . ولمـا قال أبدا بمسالة المعـالجة الخارجية . فان تلك هي السمة الظاهرة في رواية هيمنجواى « وداعا للسلاح » ومع ذلك لم يعبهـا عليه أحد ، مع أن الحوار يطول حتى ليستوعب الثـــلاث الصفحات في أحيان كثيرة . ولست أقصد بطبيعة الحال ان أقيم مقارنة بين عملى وبين عمل «هيمنجواى» ولكنى أقصد أن انبه الزميل الى أن المعالجة الخارجية وطول الحوار ليسا مما يعيب العمل الفني ، وانما هي طريقة في التعبير ، وأسلوب طبيعي يأخذ به كثيرون .

وبعد هذا يريد « تحسين » أن يفرض على خطا لو انى اتبعته لتغير خط سير الرواية . عنـــدما يقول « واعتقد ان المؤلف يتفق معى في أن بطـل روايته كان في حاجة كبيرة الى أن يتزود ببعض الاحاسيس اللازمة لموقف المتخرج بلا عمل ، ثم انه اذا كان قد قرر العمل مسبقا في قريته فلا بد له من التفكير على الاقل في عنصر المفاضلة بين اتجاهين كان من المحتم عليه أن يسلك أحدهما » .

وفي الحق أن ذواتنا مقرونة بظروفهـــا ، فبطل قصتي تخرج ولم يكن امامه مجـال للتوظف . ولم يشأ في الوقت نفسه أن يظل عاما أو أكثر متعطلا تحت الطلب . ولم يشأ أن يسـتسلم للبطالة وفكر بسرعة في عمل ــ أى عمل ــ وليكن ابن بيئته التى نشأ فيها ورضع لبانها . وحبذا لو طعم العمل النابع من تلك البيئة بثقافته ــ التى مهما كانت ضحلة في رأى « تحسين » الا انها من الممكن أن تجعله افضل الف مرة ممن لا ثقافة عنده . وفي هذا يحكى لنـــا البطل « فبعد أن تخرجت من الكلية ، لم يكن أمامى من عمل في الحـــكومة . ولم اشأ ان أقف مكتوف

اليدين ، وفكرت بسرعة أتاحها لى تحررى وعــدم خوفى من نقد مجتمعى الريفى ... ثم يقول بعــد قليل : وقلبت وجوه الرأى بسرعة ماذا أعمل ؟ أفر مدرسة خاصة بمبلغ تافه ، ولكن كيف يكون هذا ؟، اذن كان هنــاك صراع فى نفس البطل وأخذ ورد ، ولكنه حسم أمره بسرعة وصمم على اختيار الطريق وعمل من أجل ذلك كما هو واضــح من السياق . وفى ظنى أن حسم الامور بسرعة واتخاذ قرار فيها . مزية فى البطل كمــا هى مزية فى الحيــاة . تنقذ صاحبها من كثير ، وتدفعه الى الامام دائما ، وقـد امتدحها الشاعر العربى بقوله :

اذا هم أمضى بين عينيــه عزمه

ونكب عن ذكر العواقب جانبا

و « تحسين » يسم ‌البطل « بالبوظان » ويستدل على ذلك بعدم اقباله على المذاكرة طول العام ، لذا هو لا يمكن أن يستفيد من دراسته شيئا يعطيه النجاح فى الحياة .

ومبلغ ظنى ان النجــاح فى الحيــاة غير مرتبط بالنجاح فى الدراسة . فكم من ناجحين فى دراستهم فاشلين فى الحيــاة . وكم من فاشلين فى دراستهم ناجحين فى الحيــاة . وكم قرأنا عن مخترعين كانوا آخر فرقهم الدراسية ومنهم «اديسون» فيما أظن . ويقال ان « تشرشل » عجوز انجلترا الداهية آخر فرقته . فليس بمقياس أبدا أن يرتبط النجاح فى الدراسة بالنجاح فى الحياة . واعتقد أن « تحسين » كان من الممكن أن يقلع عن رأيه فى «بوظان» محمود بطل الرواية لو أنه تمعن فى قوله « وستجد أن نساء المدينة لن يثرن جارحة فيــك ، بل ستجد نفسك عازفا عنهن فمفاتنهن فى متناول عينيك حتى تعـود تلك المفاتن مبتذلة ممجوجة »

اذن مفاتن نساء المدينة ممجوجة فى نظر البطل . وبالتالى هو عازف عنهن وليس « بائظا » .

ثم يقول الزميل : « والغريب أن محمــود كان يتغلب على كل العقبات التى تصادفه بسهولة ويسر فهو عندما يختلف مع مهندس الزراعة يستطيع ان ينقله فورا من القرية . وعندما يتحدى أمين الشونه يجعله يلحق بزميله وكأن القوانين طوع يديه » .

وانى لأسأل . ماذا فى هذا ؟ ألم يكن البطلَ مع الحق ؟ ألم يستطع أن يكون منظما فى تفكيره واتهامه؟ أليس فى هــذا الجزء حث على الاستمساك بالحق ، وبخاصة فى هــذا الوقت الذى تعطى فيه الدولة الحقوق لأصحابها . كان الامر يبدو غريبــا لو أنه استسلم لاهمال الموظفين البيروقراطيين مثل غيره من الناس ، ولم تنفعه ثقافته فى الاستمساك بحقه .

ويقول « تحسين » ان مبدأ المراهنه نفسه ــ يعنى المقامرة ــ شىء ترفضه طبيعة العــادات والتقــاليد الريفية . ولست مع الاســتاذ تحسين فى هذا ، فالمراهنه موجوده فى الريف ويمارسها الريفيون فى اوقات فراغهم ، الا يتراهنون على أعمال القوة مثـل كسر أكبر عدد ممكن من أعواد القصب ، وعلى حمل الاثقال ؟ سيغير الزميل رأيه اذا زار بلدة ريفية يوم مولد لأحد الاوليــاء ، فسيجد أنهم يتراهنون على سباق الخيل ، وعلى الرمى واصابة الهدف ، وعلى غير ذلك .

ثم يقول بعد ذلك عن البطل « وهو يوهمنا دائما بانه انسان رقيق قبل أن يكون حسب وجهة نظرى انســانا مستغلا يملك رصيدا ضخما من الاستعلاء والتطلعات غير المشروعة » ولست أدرى من أين أتاه بهذه الصفات التى ألصقهــا بالبطل : الاستغلال ــ الاستعلاء ــ التطلعات غير المشروعة .

من أين أتاه بصفة الاستغلال . أى امتصــاص مجهود الغير بدون مقابل؟! ان من يقرأ الرواية لايراه الا عاملا فى مشروعه بنفسه مع صبى صغير يسمى أحمد أعطاه بدءا ثلاثة جنيهات . وهى تعـادل أجر رجل يعمل فىالزراعة حتى وقتنا هذا . ثم رفعه الى خمسة جنيهات ، وهو الاجر الذى حددته القوانين الاخيرة أجرا للصبية . ولما استعمل الرجل (عمارة) أعطاه ثمانية جنيهات . وهو مبلغ قررته الدولة حدا أدنى للعامل الصناعى وليس اليدوى من مدة قريبة . فما رأى « تحسين » لو كانت هى الرواية كتبت عام ١٩٥٩ . ألا يكون ذلك تنبؤا بما يجب أن يكون عليه حال الناس وليس من الاستغلال فى شىء .

ثم استدل « تحسين » على استعلاء البطل بقوله « وكذلك أحمد الذى جلس مطرقا عند قدمى » غير أنه أتبع فى استدلاله هذا طريقه (ولاتقربوا الصلاة) ولو انه شرح لنا لماذا جلس أحمد مطرقا عند قدمى البطل ، لوجدنا انه سلوك طبيعى من صبى قضى ليله ساهرا يدافع هجوما ليليا من لص حاول اقتحــام

المكان مرتين وافتقد الامن كلية . فكان طبيعيا أن يحاول وهو الصبي الحصول على الامن ، وليس يعقل أن يلتصق بالبطل على عادة الصبية عندما يبحثون عن الامن ، فليس البطل أمه أو اباه . وإذا تغاضى « تحسين » عن حدب البطل على أحمد ومحاولة تعليمه : « واتفقت مع أحمد أن أعلمه أنا فرضي وشكره» (ص ٣٣) كما ان البطل يجعل أحمد يشاركه مكان نومه . «وذات مساء بينما أنا مستلق على فراشي بعد يوم رتيب ، وقد استغرقت في القراءة حتى لم يعد من حواسي شيء لما عداها ، وقد نام أحمد بعد أن أدى مجهود عنيفا في قراءة واجبه ... ولامني على اني أضيع بصري في كثرة القراءة » اذن البطل يشارك أحمد مكان نومه ويتقبل منه اللوم . فليس هناك من تعال اذن . أما استشهاد تحسين الآخر على استعلاء البطل الذي يقول فيه لأحمد :

« ـ لماذا لم تأت مع أول نداء أيها الكلب ؟

وتقدمت فصفعته وأنا أقول :

ـ أتدعي أنك حضرت بسرعة أيها الكاذب »

فلقد نطق البطل بهذا الكلام تحت تأثير حالة نفسية استوعب التعرض لها أكثر من صفحتين ونصف صفحة (١٥٩ ـ ١٦٠ ـ ١٦١) اذ أصيبت احسان زوجة البطل بألم مفاجيء وتدهورت حالتها بسرعة مما جعل زوجها يظن أنها حالة تسمم . «وخرجت أجري وأنا مضطرب الفكر أحدث نفسي .. الطبيب .. احسان .. نعم الطبيب .. الخ .. الخ» ص ١٦١ فالبطل تحت تأثير حالة نفسية خاصة ، وتصرف تصرفا طبيعيا ، وغير الطبيعي ان يكون هادئا متمالكا لنفسه وهناك موقف آخر يبين لنا أن البطل ليس مستعليا . وذلك عندما صمم أن يجلس أبو أحمد على الكرسي عندما زاره الرجل في بيته وأراد أن يجلس على الارض . « وقلت له :ـ اقعد على الكرسي يا (أبو احمد) » ص ١٦٩ ثم يقول له : «ـ منزله ؟! أي منزله يا (أبو أحمد) كلنا آدميون ليس بيننا فاضل ومفضول الا بمقدار ما يقدمه لأمته ومجتمعه » ص ١٦٩ .

هل يريد تحسين أدلة أخرى ؟

بقيت نقطة : التطلعات . وأنا بدوري أسأل « تحسين » الا يكون الانسان اشتراكيا الا اذا رضي بالفقر ! لست أظن أن الاشتراكية هي الرضا بالفقر . فهي في دولتنا : كفاية وعدل . ولست أرضى لبطل قصتي أن يرضى بالفقر أبدا . وبخاصة ونحن دولة تؤمن اشتراكيتها بالرأسمالية الوطنية حتى انه ما زال عندنا من يملكون مائة فدان . وحتى في روسيا أم الشيوعية تغير مفهومهم للحياة أخيرا حتى ان خروشوف قال : « يقول البعض ان الاقتصاد كلما أينع وازدهر ، والثراء كلما نما والتعشي يقودان البلاد الى نوع من البورجوازية ، واذا كان الامر صحيحا فاني لفخور به » (مجلة الثقافة ص ١٠ عدد ٤٤) .

ثمة شيء آخر يدل على ان البطل يحس باحساس بلده ويشارك في بنائها وليس متطلعا الا في غد أفضل وهو حق كل انسان . يقول في محاورة بينه وبين زوجته : « اني لا أومن باستغلالها ـ يقصد النقود ـ في شراء الارض لان في هذا مزاحمة لآلاف الفلاحين في أرزاقهم ، ولا في بناء المساكن في المدن لاني أحس أن في هذا استنزاف لدم طبقة محدودة الدخل أغلبها من الموظفين والعمال .. الخ » فترد زوجته : « أحيانا تخيل الي يامحمود انك صرت ولا عقل لك بالمرة ، اسمع ماذا لو أسهمنا بهذه النقود في مصنع من تلك المصانع التي تنشئها الدولة في أيامنا هذه فنكون بهذا قد شاركنا في بناء المستقبل لأمتنا ولأبنائنا في آن واحد » فيرد عليها فرحا : « يا لتفكيرك الجميل !! انك يا زوجتي تستحقين ألف قبلة على تلك الفكرة» (ص١٥٧ـ١٥٨)

ما رأي «تحسين» في هذا الحوار أما زال معبرا عن مسألة التطلعات هذه ؟

ولست أدري من أين جاء الزميل بفكر السيد والعبد في الرواية ؟! ليقل لنا وأجره على الله .

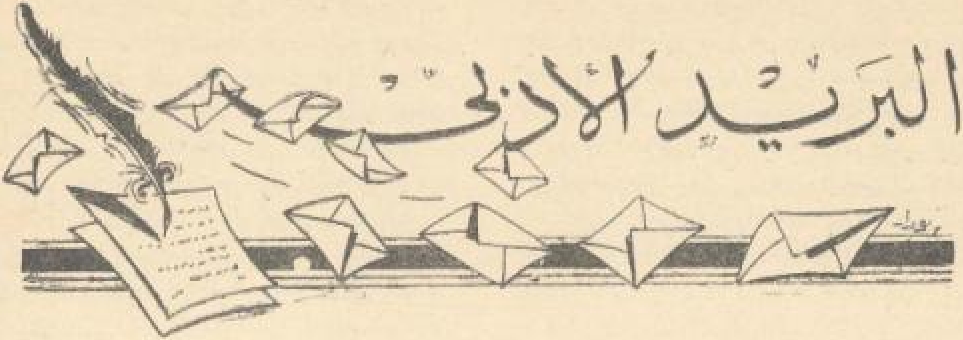
وليبين لنا أيضا مواطن التناقض التي قال بها في البطل . ومنه نستفيد .

وليشرح لنا من أين جاء بصفة الوجه الشاحب «لسامي» صديق البطل . فنحن لانذكر اننا وصفناه بهذه الصفة .

ثم « تحسين » حر في أن يعتقد بحسن حال سامي أو محمود ، فانا لم أقل أيهما أحسن حالا .

وفي النهاية للزميل والصديق «تحسين» شكري وأملي أن اقرأ له عملا متكاملا (كتاب) حتى استطيع بدوري أن انقده فابين محاسنه ومساوئه .

« مصطفى فوده مصطفى »



العيد الحزين

بقلم عامر العقاد

منذ ايام اقام المجلس الاعلى لرعـــاية الفنون والآداب حفل تأبين وتكريم لفقيد الادب العـــربى الاستاذ عباس العقاد

وتحدث اعضاؤه عن الراحل الكريم بأحـــاديث تناولت جهاده فى ميدان الفكر والثقافة . وقـــد اوحى الى ذلك الحفل الكبير بكلمات هــــذا المقال ، كما اوحت الى ندوته الساكتة بعد غيابه عنهـــا فى مثل هذا الاسبوع بهذه الكلمات ايضا وكنت اشهدها من قبل .. الحفل مثل الحفل ... والشعر يتبارى أمام النثر فى حضرة رائده وامامه العقـــاد رحمه الله .

كانت الدار المهجورة من كل احتفال تمسي فى مثل ذلك اليوم معمورة ، وكان المدعوون هم المتفضلين بالدعوة .

وكل ماكان يستطيعه صاحب الدار ان يمسك عند الكلام طوال تلك الندوة ــ ندوة الاحتفال بعيد الميلاد ــ ليستمع الى تهنئات وتهنئات يتقـــدم بها الشاعر والناثر او الصديق والرفيق .

كنا قبل عام نملأ الصومعة حول العملاق ... نرقبه وهو يطفىء لهب الشموع وابتسامته الرقيقة تملأ ذلك الوجه الجميل وينقضي من العمر اربعـــة وسبعون عاما وشبابه يتجدد كل عــــام . واليوم ادخل تلك الحجرة التى طالما عقدت فيهـــا ندوته واقمنا فيها الحفل يتلو الحفل كلما حان موعـــد الميلاد .. فانظر الى مكانه المعتاد فلا أجـــده ، والسكون القاتل كاد ان يطبق على فى تلك الوقفة الحزينة وانا حائر بين التصديق والتكذيب ..

لقد كنت فى العام الماضي وخلال احتفالنا بعيدك الرابع والسبعين اشعر بشيء خفى ينادى من الغيب قائلا : ادركوا الحفل ياصحاب قبل رحيل صاحبه ! وكنت انظر على اثر ذلك الشعور الى عينيك فالمح فيهما بريقا لا ادرى كنهه وفسرته نفسي يومذاك بانه شقاء رغم تلك السعادة التى كانت تغمرنا .. ولكنه شقاء العظيم على كل حال .

وعاودنى ذلك الشـــعور والانقباض اكثر من مرة خلال ذلك اليوم ، بل صرحت به لبعض الصـــحب والاخوان ففزعوا منه ودعوا بطول العمر .. وماكنا ندرى ان صدق ذلك الشـــعور سيمس هذا العـــام حقيقة لامراء فيها فيأتى اليوم الموعـــود ولهيب الشموع هو لهب الشـــموع ، ولكن تلك الانفاس الطاهرة التى كانت تطفئه وسط التصفيق والهتاف هى التى غابت عنا .. فتركت الشموع تنصـــهر رويدا رويدا كما انصهر عمر صـــاحبها والموكل باطفائها وبصدق لسان مثالك بواقع حالنا حينما كنت تقول :

مهنئى انت يا صـــديقى
بمولدى طبت من صـــديق
انســـيتنى انه غـــروب
ســـاعة هنات بالشروق
أسائل الركب اين يمضـــى ؟
وكلهم هـــا هنا رفيـــق
اخالنـــا كلنـــا وقـــوفا
هنا على موقـــف عميـــق

فى ابد لازمـــــان فيــــه
مقترن السـبق باللحـوق
اتمصــب العين حــول سر
والسر فى موضـع سحيق ؟

نعم لقد كان السر فى موضع سحيق ! .. وانما الغرابة فى ان العين كانت معصوبة عن ذلك السر العميق ! ففارقتنا وفارقت الدنيا ومحبوك يستزيدون ايامك لو وسعهم ان يزيدوها الى غاية المدى ،ولكنك تعجلت يومك قبل ذلك بكثير فاوصيت بوصيتك الخالدة حيث قلت :

اذا شيعونى يوم تقضي منيتى
وقالوا اراح الله ذاك المعذبا
فلا تحملونى صامتين الى الثرى
فانى اخاف اللحد ان يتهيبا
ولا تذكرونى بالبكاء وانما
اعيدوا على سمعى القصيد فاطربا

كان العقاد رحمه الله يعلم تمام العلم مكانته بين قومه .. فاعتز بها وصانها وحارب الزمن من اجلها ، بل تحدى النظم السياسية الجائرة التى عاصرها ، وما موقفه من الملكية ومن حكام مصر ايام الحزبية البغيضة ببعيد ! فقد آمن الرجل بالديمراطية الصحيحة فحارب نتيجة لذلك الدكتاتوريات المختلفة .. فحارب هتلر واتاتورك وغيرهما من اصحاب تلك المذاهب محاربة .. وكان وسط هذه الحملات التى تعرض من جرائها للاعتقالات والرغبة فى نفيه خارج البلاد اكثر من مرة ، كان الرجل يدرك تمام الادراك .
مكانته كما لايدركها عظيم مثله ، بل كان يصرخ فى ذلك الحين .

انا شيء فكيف اصبح «لاشيء» اذا تم للحياة مداها
اغلب الظن اننى سوف ارقى غاية بعدها تفوق ذراها.
تفوق ذراها

ان الدنيا قد اخلفت ظنك بالامس على غير حق ، فما انت ممن ينسي وبين ابناء العروبة ذاكرون ،وما انت ممن يحن اليه الناس بذكره ، وانما يحسنون الى انفسهم كلما ذكروك .

لقد عشت فينا اربعة وسبعين عاما حاسبت نفسك خلالها محاسبة الغريم الذى لايعرف الهوادة فى حسابه ، ولم يكن عليك باس من الهوادة لو شئت .. وعشت تلك السنوات جميعها مثاليا فى اخلاقك بين طلاب الكمال على احسن مثال ولم تقبل من نفسك السمحة اوضح المعاذير .

فسلام عليك يوم حاولت قوى المال ان تشترى ضميرك الحي كما اشترت غيرك ضمائر واقلاما .

وسلام عليك يوم اصابتك عقابيل المرض .

وسلام عليك يوم انتهت حياتك التى بلغت نهايتها فى حيز الجسد وفى حيز المجد وفى حيز التاريخ .

عقاد الكنانة

للشاعر السودانى عثمان احمد محمد

ان الذى بالامس كان معلما
ولكل باب فى البلاغة سلما
قد ادركته النومة الكبرى اخى
بعد الكفاح المستميت وبعدما
ادى الرسالة مخلصا ومحققا
لبنيه فى الادب الرفيع تقدما
وانار بالعلم المبين عقولهم
فتبينوا ما كان خلى مبهما
قد مات (عقاد) الكنانة فانطوت
صحف (البيان) تالما وتحسرا
وبكى عليه(السجع) فى ديوانه
و (الاقتباس) دموعه سالت دما
واحسرتاه فقد رثاه توجعا
بين الكواكب تلكم بدر السما
والشمس من هول المصيبة اظلمت
اركانها دهرا فصارت ماتما
رباه ادخله الجنان ودعه فى
ارجائها يوم الحساب مكرما

الصمت

بقلم : أبو المعاطي أبو النجا

حتى هذه اللحظة لا أدرى كيف حدث ذلك ؟ كيف ارتفعت يدى لتهوى على وجه « سعدية » فى صفعة حانقة وأنا أصرخ .

« ألا تكفين لحظة عن هذا الضحك ؟

لا زلت أذكر هذا الوجه ، وجها فى الثانية عشرة من العمر ، يميل الى السمرة يغطى نصف جبهته منديل ريفى أزرق ، وتتألق فيه عينان باسمتان دائما ، وفى لحظة انطفأت ملامح الوجه ، وتحجرت فى العينين الباسمتين نظرة خائفة مذعورة ، فلم أقو على مواصلة النظر اليهما فدخلت حجرتى لأواصل العمل الذى قطعته لأجعل هذه البنت تكف عن هذا الضحك الذى لا معنى له .. !

لم تكن تلك أول مرة أطلب فيها من «سعدية» ان تكف عن هذه العادة السخيفة ، فمنذ أتى بها أبوها من القرية لتساعد زوجتى فى أعمال البيت وصوت هذه الضحكة الرفيعة المتقطعة يتردد فى انحاء الشقة سواء أكان هناك ما يدعو للضحك أم لا يكفى أن تقول سعدية أى كلام ولو كان مجرد رد على سؤال عابر ، حتى تختمه بهذه الضحكة . فى البداية لم نكترث بهذه العادة بل كنا نتسلى بها فالبنت فى الحقيقة ذكية ، وعذبة الروح ، وتؤدى ما يطلب منها فى مهارة ، وأكثر من ذلك لم نعثر عليها الا بعد مفاوضات عسيرة ، شارك فيها جميع أقاربى فى القرية وتوصيات أبيها لا تزال ترن فى آذاننا ، وهو يشد بأطراف أصابعه أطراف الطاقية الصوف على رأسه :

« **لولا خاطركم ، ولولا ثقتى فى حسن معاملتكم ، مافرطت فى ابنتى الوحيدة اننى اتركها أمانة هنا .. ويعلم الله أننى ما مددت يدى عليها ابدا** »

وفى الحقيقة أن عثورنا عليها ، كان اشبه بالعثور على كنز ، ولكن أعجب ماكان يضمه هذا الكنز البشرى ـ وهذا ما اكتشفناه بعد أسابيع ـ هو تلك الثروة الغريبة من الحكايات ، التى تجيد حكايتها .. وتمثيلها وكانت ابنتى التى لم تتجاوز عامها الرابع هى المستمع الوحيد لهذه الحكايات ... القادمة من القرية .. ! ولم تعد « سعديه » تستمع الى الراديو حتى تنوعت حكاياتها وتطورت ، وظهرت قدرتها الفائقة على تقليد أصوات الممثلين ، وأصبحت ابنتى لا تستمتع « ببرامج » الراديو الا بعد أن تقلدها « سعديه » بطريقتها ، تلك الطريقة التى كان من لوازمها أن تنتهى كل فقرة فيها بتلك الضحكة الرفيعة ... والتى أصبحت جزءا من شخصيتها بل كادت أن تصبح جزءا من البيت ولا أدرى متى بدأنا نضيق بهذا الجزء ، ونشعر به كشىء زائد وثقيل على حياتنا ... ، ربما بعد أن سمعت هذه الضحكة الرفيعة تنبعث من فم ابنتى ، وربما بعد أن وجدت ابنتى هى الأخرى تنافس سعديه فى حكاية برامج الراديو وفى تقليد أصوات الممثلين ... ولم أتردد فى تنبيه « سعديه » الى أن تكف عن هذا الضحك بلا مناسبة ... كان الضحك وحده هو الشىء الذى يمكن أن أعارضه ... وتبقى معارضتى معقولة نوعا ... ولكن تنبيهاتى كلها ذهبت دون جدوى .. فقد كانت ضحكاتها لا تنفصل أبدا عن حكاياتها ولم يكن هناك مفر من أن تكف عن الحديث والضحك معا ... اذا أصررت على ذلك .. !

وحاولت أن أتناسى الموضوع ، ولكنى كنت أستيقظ أحيانا من النوم أو أنتبه وأنا غارق فى الكتابة أو القراءة على صوت الضحكة الرفيعة المتقطعة فأحس بها تشد أعصابى كأنها صوت مياه تسيل من صنبور تالف دون انقطاع .. !

وحين تناهى الى اذنى صوت ضحكتها هذا اليوم وكنت غارقا فى عمل يحتاج الى هدوء كامل ، لم أستطع أن أمنع نفسى من هذا التصرف الذى لم أتصور يوما أن أقدم عليه .. !

ومع ذلك فقد رحت بلا شعور أرقب نتيجة هذا التصرف ... لقد مضت ساعات ثم مضى يوم كامل دون أن أسمع الضحكة الرفيعة « تسرسع » فى أرجاء الشقة ... بل دون أن أسمع لسعديه صوتا على الاطلاق ، وفى الحقيقة أننى كنت أعتقد أن حالة الهدوء هذه لا يمكن أن تستمر طويلا ، فمن الصعب

أن يتخلى شخص ناضج وليس مجرد طفلة عن عادة قوية كالضحك أو الثرثرة ... كنت أتوقع بين وقت وآخر ان ترتفع ضحكة سعديه لتبدد هذا الهدوء الذى كنت أحلم به ، وأن تعود لوجهها ملامحه السعيدة المرحة ، ولكن الوجه بقى على حاله ، تحول الذعر فى الملامح الطفلة الى جمود ، وتصلبت الشفتان الصغيرتان عن أى حديث سوى هذا الحديث العابر الذى يحتاجه عملها فى البيت ، وكانت ملامحها الجامدة تشى بحزن دفين يلمع أحيانا لمعة احتجاج فى نظراتها ، ثم ينكسر هذا الاحتجاج الصامت مع أهدابها التى تطرف كلما التقت عيناى بعينيها فى نظرة عابرة !

ومضى يومان وثلاثة وأربعة دون أن تتردد الضحكة الرفيعة فى الشقة ودون أن يرتفع لسعدية صوت ، والعجيب أننى لم استرح لهذه النتيجة ! فلم يكن ما أريده أن تصمت هذه اللعينة هكذا كأنها فقدت النطق ... كنت أريدها أن تضحك كما يضحك جميع الناس وكما يتكلمون حين تكون هناك مناسبة .. ! أما هذا الصمت المطبق فانه لا يقل اثارة للاعصاب عن ضحكتها الرفيعة المتقطعة !!

ومع الأيام بدأت الاحظ شيئا غريبا ، كان صمت سعدية يتسلل الى وجه ابنتى هى الأخرى ويضفى على ملامحها الصغيرة احساسا مضنيا بالكآبة والوحدة ... وأحيانا كانت تأتى الى وفى عينيها توسل حزين بأن أحكى لها الحكايات التى كانت تقصها « سعديه » ... وفى كل مرة كنت أخبرها بأن سعديه هى التى ستفعل ذلك ، ولكن سعديه لم تفعل شيئا آخر غير الصمت !!

ولأول مرة بدأ صمت الفتاة يقلقنى ... ويفرض نفسه على أوقات فراغى بل ويتسلل الى أوقات العمل ... كنت أجد نفسى مرغما على التفكير فيه . مستحيل أن يكون الخوف هو مايدفعها الى هذا الصمت ، فقد حاولت أن أزيل من نفسها أثر هذه الصفعة ، ففى كل مرة خرجت معى لشراء شىء للبيت كنت أعطيها قرشا لتشترى لنفسها ماتحبه ، فكانت تتردد فى البداية ثم تأخذ القرش لتضعه فى جيبها دون كلمة .. !

كما أنها أصغر سنا من أن يكون صمتها هذا مقصودا فمن المستحيل أن تدرك أن صمتها قد بدأ يعذبنى الى هذا الحد ... وأن هذا ماتريده .. !

لقد وجدت نفسى — وجها لوجه — أمام هذا السؤال ...

« هل تنوى سعديه أن تظل صامتة الى الأبد ؟ واذا كان ذلك مستحيلا تماما فماذا تنتظره تلك اللعينة .. ؟ أجل ماذا تنتظر ؟ أين يمكن ان يختفى فجأة هذا العالم الغريب من الحكايات والثرثرة والمرح . كيف تحتمل هى هذا الصمت اذا كنت أنا أعجز عن احتماله ؟؟

وكدت أسأل زوجتى ... كيف تبدو سعديه بقية اليوم حين لا أكون فى البيت ولكنى لم افعل ، فقد كنت الاحظ أن زوجتى لا تعير الموضوع كله أقل اهتمام ، وأنه لا يدهشها صمت سعديه بل ربما أدهشها اهتمامى بهذا الصمت .. !

وفكرت انه ربما كان سلوك زوجتى هو السلوك الطبيعى وأننى — على حد تعبيرها — أفسد الأمور بحساسيتى الزائدة .. !

وحاولت جادا أن أنسى الموضوع كله وأكثر من ذلك أن أجعل ابنتى تنساه أيضا ، فكنت أفتش فى رأسى عما تبقى فيها من حكايات الطفولة لأقصها عليها كلما طلبت منى ذلك ، ولكن ابنتى الصغيرة لم تكن تعجبها حكاياتى ولا الطريقة التى أحكيها بها ... كنت ألمح فى عينيها الصافيتين بوادر الضجر ، وخاصة حين أتوقف فجأة فى منتصف الحكاية لأتذكر أو أؤلف بقيتها ثم تقاطعنى بيديها الصغيرتين لتقول لى :

« **لا يا بابا ... الحكايات مش كده** » .

ثم تبدأ هى فى سرد حكايات سعديه بنفس طريقتها وكأنها تحاول أن تدربنى على ذلك لأعيد عليها نفس الحكايات بنفس الطريقة !! ولكن عجزى عن تقليد « سعديه » لم يكن أكثر منه سوى عجزى عن تجاهل صمتها .. ! لقد أصبحت سعدية تبدو أمام عينى كلغز محير .. !

وأصبح كل ما يهمنى أن أعرف كيف تفكر فى الموقف ؟ وما احساسها به ؟؟ لم يعد ما أشعر به هو الأسف أو حتى الشفقة .. ! كان كل مايدفعنى هو الرغبة فى أن أفهم ... كيف أمكن أن يحدث هذا أن تعيش بيننا سعديه هكذا كعالم مغلق ينطوى على أسراره وحكاياته ومرحه ، عالم غريب وحيد لا يرتبط بأحد أو بشىء ثم لا ينفجر ولا يتحطم

وفكرت أنني لو حاولت أن أقترب أكثر من هذا العالم ... أن أقترب بوسيلة غير القروش التي كنت أضعها في جيبها دون كلمة ... ربما فهمت ما يدور داخل هذا الكيان الدقيق الصامت .

ولأول مرة أحسست أن الحديث مع سعديه ... الحديث الذي أريد أن أنفذ منه الى عالمها المغلق لن يكون سهلا أبدا . لقد اكتشفت في هذه اللحظة فقط ، انه منذ جاءت سعديه الى بيتنا لم اتبادل معها اى حديث ... اجل فمنذ جاءت واحاديثي معها لا تخرج أبدا عن هذا الاطار .

« **سعديه أحضري قدحا من القهوة .**
« **سعديه أريد علبة سجائر .**
« **سعديه نظفي الحذاء .**

وتصبح سعديه امتدادا لي ... مجرد امتداد ، فعن طريقها تتحقق جميع رغباتي ... حتى كلماتها لا تخرج أبدا عن كونها صدى لما اقول أو اطلب اما صوتها هي ... صوت هذا العالم المغلق فلم يصل يوما الى أذني لم يدر بيننا أبدا حوار حقيقي ... الحوار الحقيقي كان يدور بينها وبين ابنتي وفي لحظة رعناء امتدت يدي لتقطع هذا الحوار !

ومع ذلك فقد كنت مصمما على أن ابدأ مع سعديه حوارا حقيقيا ، كان كل ما انتظره هو الوقت المناسب ، حتى لا تفشل المحاولة ، وخيل الى أن الوقت الملائم قد حان في ذلك اليوم الذي خرجت فيه زوجتي مع ابنتي الصغيرة في زيارة لاحدى صديقاتها ، ولم أحاول أن أضيع الوقت ، ومع أنني لم أرتب في ذهني الكلمات التي يمكن أن ابدأ بها هذا الحوار فقد وجدتني أنادي سعدية وأنا في حجرة المكتب .. ! لن أعدم وسيلة أنفذ بها الى قلب سعديه .. !

وكررت النداء ولكن سعديه لم تحضر ولم ترد .. !

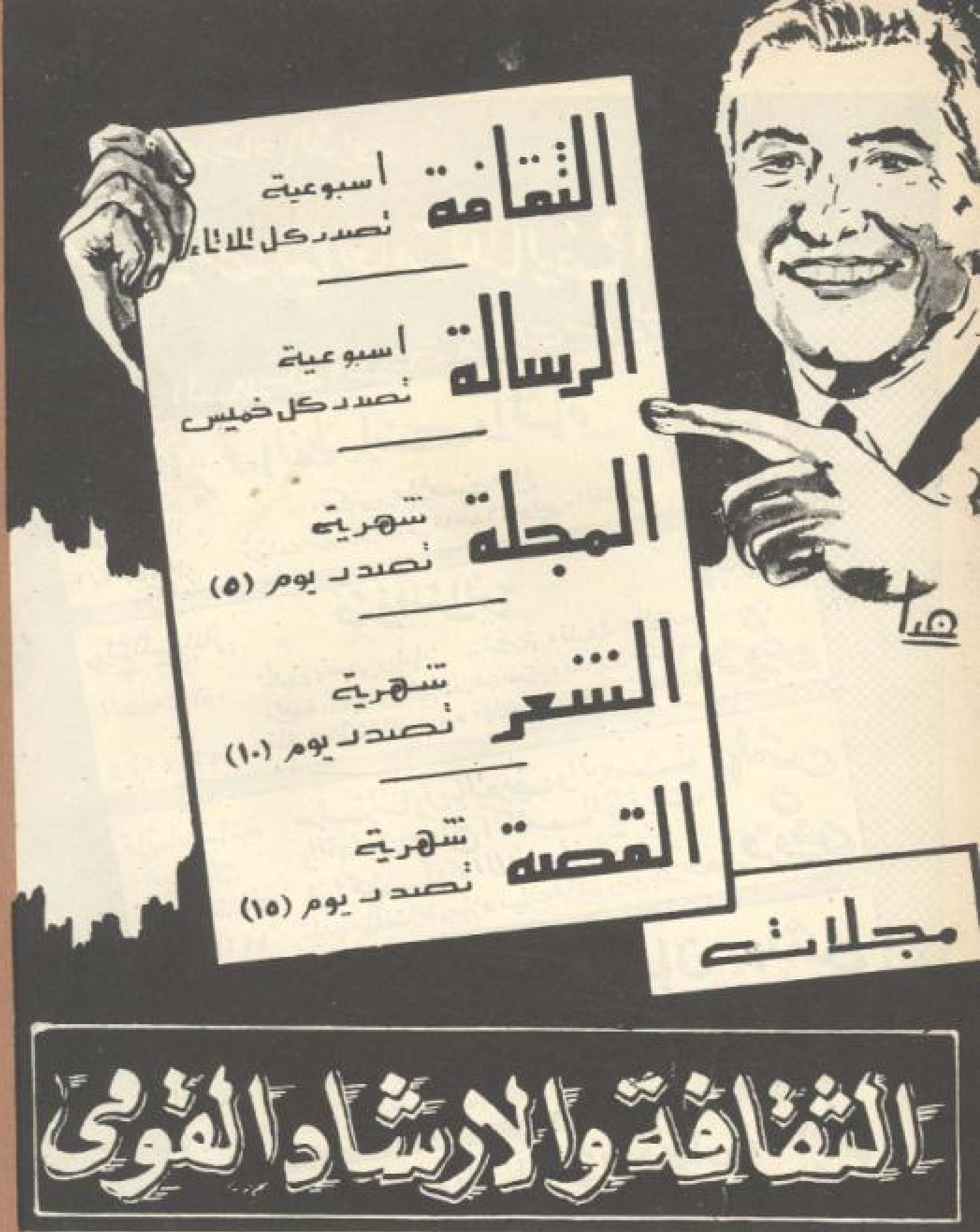
خرجت من حجرتي أفتش عن سعديه في الصاله وفي المطبخ فلم أعثر لها على اثر ، أين اختفت هذه الملعونة ، كانت تقف في الصاله حين خرجت زوجتي ... وفجأة خيل الى أنني أسمع صوتها صوت الضحكة الرفيعة المتقطعة ، وتتبعت الصوت الذي كان يأتي من بعيد ... واكتشفت أن باب المطبخ المؤدي الى سلم العمارة الخلفي موارب .. !

دنوت من الباب في خطوات هادئة ، لمحت من مكاني « سعديه » تجلس على قاعدة السلم الموازية لباب المطبخ مع زميلتها التي تعمل في الشقة التي تقع تحتنا مباشرة .. !

لم تكن أبدا سعديه التي عذبتني ملامحها المذعورة الجامدة ... كانت تثرثر وتمثل برأسها وملامحها ونبرات صوتها الدور الذي تحكيه ، وتنهي كل جزء بضحكتها ، ظللت للحظات مسمرا في مكاني لا أدري ماذا أفعل ؟ كان وجه سعدية يتألق مرحا وسعادة ووجه صديقتها يتابعها في ابهار ، كيف يمكن أن يصبح هذا الوجه حين تكتشف وجودي ؟؟ سوف يتلاشى في لحظة هذا العالم المرح لو فتحت فمي بكلمة واحدة ، كيف يمكن أن تفهم هذه اللعينة أنني لا أريدها أن تكف عن هذه الثرثرة ؟ يجب أن تفهم ولكن كيف ؟ وشعرت للحظات أنني غريب حقا على عالم هاتين الفتاتين ، وانه من الخير لي أن أنصرف في صمت ما دمت قد فهمت سر « سعدية » المستغلق ، ولكن عيني خادمة الجيران لمحتاني قبل أن أنصرف ، وظهر على وجهها ما جعل سعدية تلتفت خلفها لتراني .. !

وفي تلك اللحظة التي التقت فيها نظراتنا حاولت عبثا أن أفتش في رأسي عن كلمة واحدة ... أنقذ بها الموقف ... أرد بها عن ملامح سعديه ذلك الخوف الأصم الذي كسى وجهها فجأة ... ابدأ بها هذا الحوار الذي كنت اريده ... ولم أجد الكلمة .. ! ولكن يبدو أن كل ما كنت أريد ان اقول ، وكل ما أحسست به ، كان يرتسم على ملامحي بأقوى مما كان لو أصبح مجرد كلمات .. ! لقد أحسست بذلك في لحظة غريبة ... في لحظة شعرت خلالها ان حوارا صامتا يدور بين نظراتنا بين خوفها وخجلي .. ! بين ملامح وجهينا .. ! لم أتصور قبل هذه اللحظة انه من الممكن أن يتفاهم مخلوقان بشريان بهذا اليسر ... وخيل الى أنها تحس مثلي بما في هذا الموقف من فكاهة فحين تحولت ابتسامتي الراجية الى ضحكة ... من الموقف ... كانت سعديه هي الأخرى تضحك ... وحتى اليوم لاتزال ضحكة سعديه الرفيعة المتقطعة تتردد في أنحاء شقتنا دون أن تجد من أحد أدنى معارضة .

« **أبو المعاطي أبو النجا** »



العدد ٥٢

الثمن ٣ ص

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
الثقافة والارشاد القومى

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

الادارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بعمارة ... القاهرة

العدد ١٠٧٠ الخميس ٧ ربيع الأول ١٣٨٤ هـ ـ ١٦ يوليو ١٩٦٤ م ـ السنة الحادية والعشرون

الفهرس

النبى الثائر

للدكتور محمد احمد خلف الله

كانت دعوته ثورة فكرية أولا وقبل كل شىء .

كانت ثورة على المعتقدات الدينية التى كان يدين بها العرب فى الجاهلية من الشرك والوثنية .

وكانت ثورة على الانحرافات الدينية التى ألمت بالديانات الكتابية ـ وبخاصة اليهودية والمسيحية .

وكانت ثورة على الأوضاع الاجتماعية فى الجزيرة العربية ـ وبخاصة الوضع الرأسمالى فى البيئة التجارية المكية .

وكانت ثورة على الأغلال التى ضربها رجال الدين على العقل البشرى يكبلونه بها ويحولون بينه وبين الفكر الحر الطليق .

كان رجال الدين يحتكرون لأنفسهم ولمن يرضون عنه خيرات السماء وخيرات الارض ـ وكانت وسيلتهم الى ذلك دفع الناس الى التسليم بأنهم وحدهم الذين يعرفون ارادة السماء ، وأنهم وحدهم الذين يستطيعون تفسير النصوص المقدسة التى عبر بها الاله عن ارادته .

وكان اليهود فى ذلك الوقت يمضون الى أبعد من هذا فكانوا يدعون بأنهم أبناء الله وأحباؤه، وأن النبوة محصورة فيهم ، وأن الكتب المقدسة لا تنزل إلا عليهم ـ انهم وحدهم أهل الكتاب . أما غيرهم

فهم الأميون الذين لم ينالوا بعد شرف أن تكون منهم الرسل ، وأن تنزل عليهم كتب السماء .

وكان الأميون أنفسهم يتطلعون الى السماء راجين ان يكون منهم رسول ، وان يكون لهم كتاب .

وجاء محمد فأنكرته الرجعية ، وانكرته الرأسمالية .

أنكرته الرجعية الممثلة في الاحبار والرهبان ، وفي القساوسة والكهان .

وانكرته الراسمالية الممثلة في اصحاب الثراء الواسع ، واصحاب النفوذ والسلطان .

وتحالف الطرفان وتحالف رجال الدين مع الاغنياء، وعملوا سويا في سبيل القضاء على الدعوة المحمدية .

كان الأغنياء واصحاب النفوذ والسلطان يتالونه بالكلام اللاذع والسخرية المرة فكانوا يقولون عنه تارة « **اهذا الذى بعث الله رسولا** » وأخرى « **اهذا الذى يذكر آلهتكم** » وثالثة « **أأنزل عليه الذكر من بيننا** » .

وكان اعوانهم ينكرون عليه النبوه لفقره ويقولون « **لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم** » كما كانوا يجدون أنفسهم من طبقة أعلى منزلة من طبقة أعوانه ، المؤمنين به وبدعوته « **واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا : أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ؟** »

أما أهل الكتاب فقد أخذوا في مضايقته الى ابعد الحدود . فهم أولا ينكرون أمره ، وينكرون ان يكون النبى أو الرسول المنتظر « **ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به . فلعنة الله على الكافرين** » .

وهم ثانيا يتعنتون معه ويسألونه الأسئلة التى يتخذون منها وسيلة للتشكيك في أمره ، وفى أمر دعوته !!

« **يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سالوا موسى اكبر منذلك فقالوا ارنا الله جهرة** » .

وهم ثالثا يضعون خصومه في منزلة فوق منزلة اعوانه مطنبا في الكيد له ولدعوته « **الم تر الى الذين اوتو نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا** » .

كان هذا الكيد ، وكان هذا المكر وهذا الدهاء من العوامل الفعالة فى نفس صاحب الدعوة

« **ولقد نعلم انه يضيق صدرك بما يقولون** » « **فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز أو جاء معه ملك** » .

وطلب اليه القرآن ان يصبر ويصابر « **واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا** » .

وصبر وصابر حتى كان النصر للدعوة . وحتى ثبت واستقر أنه خاتم الأنبياء والمرسلين .

لقد كان فى نجاح الدعوة الاسلامية الدليل القاطع على أمور كثيرة .

اولها : أن النبوة ليست احتكارا . وأنها ليست وقفا على اناس بأعيانهم ـ « **ولقد بعثنا فى كل امة رسولا** » « **وان من امة الا خلا فيها نذير** »

ثانيها : أن القيمة فى الدعوة للمبادىء التى تنادى بها وللعقائد التى تدعو اليها وليست أبدا فى المعجزات التى قد تصاحبها . بل ان هذه المعجزات لا فائدة منها . « **وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ، أو تكون لك جنة من نخيل واعناب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ، أو تاتى بالله والملائكة قبيلا ، أو يكون لك بيت من زخرف ، أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه** .

قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا » « **ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة ، وكلمهم الموتى ، وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ، ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون** » .

« **او لم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم** » .

ثالثها : أن محمدا خاتم الأنبياء والمرسلين ـ وتلك اهم هدف تحقق .

لقد أصبح المجتمع البشرى فى غير حاجة الى دعوة تنزل من السماء فحسبه القرآن فى باب العبادات والمعتقدات ، وحسبه العقل البشرى فيما هو من شئون الحياة .

لقد أصبح العقل البشرى حرا طليقا يفكر ويتدبر ويصيب ويخطىء ، ويقدر على تصحيح ما يقع فيه من أخطاء .

ان دعوة محمد عليه السلام هى التى منحت العقل البشرى حريته وانطلاقه وطلبت اليه التفكير فى ملكوت الله .

ان محمدا خاتم الأنبياء . وعلينا أن نجابه مشكلات الحياة دون انتظار لمعجزات السماء .

دكتور

« **محمد احمد خلف الله** »

العروبة في الأدب العراقي الحديث

للدكتور بدوي طبانة

- ٢ -

وديوان شاعر العرب المرحوم السيد عبد المحسن الكاظمي زاخر بذلك اللون من الشعر ، ولا تكاد تخلو قصيدة من قصائده من آثار الهيام بالعروبة ، والتغني بأمجادها ، والحنين الى عصور ازدهارها . ومن ذلك قوله من قصيدة يتشوق فيها الى احبابه الذين تقطعت بينه وبينهم الاسباب ، ويفخر بعروبته التي عاش ومات ضحية في سبيلها :

اقول لاحبابي وقد شفني الاسي
صلوني فقد طال التقاطع والهجر

اراني لا استطيع كتمان لوعتي
فسري بعد اليوم في حبكم جهر

احبكم حتى ارى الحب قمه
وحتى يقول الناس قد ضمه القبر

اروح وبرح الصد ملء جوانحي
واغدو وكفي من وصالكم صفر

ولا عجب والطمر ليس بساتري
اذ اكدت ان ابلى كما بلي الطمر

فكم جلت في مرهوبة صبحها دجى
وكم جبت في ديمومة سهلها وعر

افاخر من القى بمجدي وسؤددي
وليس سواكم ايها العرب لي فخر

اذا لم يكن عمري الى المجد سلما
فلا طاب لي عيش ولا طال لي عمر

وان لم تكن نفسي لاوطاني الفدا
فليس لنفس مثلها ابدا ذكر

وقد انتقل ذلك الحنين الى اخوة الدم ووحدة الاماني والغايات الى دعوة اصلاحية تهدف الى استعادة الامجاد ، والادوار التي لعبتها الامة العربية في عصورها الزاهرة على مسرح الحياة . استمع الى هذه اللوعة والحسرة في الموازنة بين ما كان وما هو كائن من شعر الكاظمي :

اكذا تصبح الخطوب وتمسي
ويزول البناء والبانونا ؟

اين باني بغداد ؟ اين مباني
عزها ؟ اين اهلها الصالحونا ؟

اين مامونها المؤسس فيها
دولة من غراسها الافضلونا ؟

دولة تنبت الظباء اسودا
فيسامي بها الكناس العرينا

دولة تنتهي العلوم اليها
وتباهي فيها الفنون الفنونا

وراى الدعاة الى الاصلاح ، واكثرهم من رجال الشعر والقلم ، الا نهضة للعروبة ، ولا امل في بعثها الا اذا اصلحت من اخلاقها ، وقضت على اسباب شتاتها وعوامل فرقتها ، وعملت بعزم على اصلاح المجتمع العربي ، والقضاء على العطب الذي اعترى معظم مناحيه ، وراوا ان ذلك الاصلاح المنشود هو السبيل الى استعادة المجد الذاهب ، واقامة صرح القومية على اسس العمل الدائب والبناء الثابت ، لا على الفخر بالآباء والاجداد او التباهي بالحطام والاشلاء . وفي ذلك يقول الرصافي :

ارى مستقبل الايام أولى
بمطمح من يحاول ان يسودا

فما بلغ المقاصد غير ساع
يردد في غد نظرا سديدا

فوجه وجه عزمك نحو آت
ولا تلفت الى الماضين جيدا

وهل ان كان حاضرنا شقيا
نسود بكون ماضينا سعيدا

فشر العالمين ذوو خمول
اذا فاخرتهم ذكروا الجدودا

وخير الناس ذو حسب قديم
اقام لنفسه حسبا جديدا

وقد كرر الرصافي في هذا المعنى في كثير من قصائده ، التي يذكر فيها امته بماضيها المشرق ، ويحثها على النهوض حتى تصل امسها الحافل بغدها

المؤمل ، ويعيب عليها القعود عن مجاراة ركب الحياة المجد :

لهفى على العرب امست من جمودهم
حتى الجمادات تشكو وهى فى صخر

اين الجحاجح ممن ينتمون الى
ذؤابة الشرف الوضاح من مضر

راحوا وقد اعقبوا من بعدهم عقبا
ناموا عن الامر تفويضا الى القدر

اقول والبرق يسرى فى مراقدهم
ياساهر البرق ايقظ راقد السمر

يايها العرب هبوا من رقادكم
فقد بدا الصبح وانجابت دجى الخطر

ثم يأخذه الأسى لوعورة المسلك وانقسام العرب على انفسهم :

كيف النجاح وانتم لا اتفاق لكم
يا اكثر الناس عدا غير منحصر

ومثل ذلك فى الشعر العراقى كثير ، والذى يعنينا من هذه الاشارات ان شعراء العراق لم يخصوا بشعرهم ونفثاتهم بلدهم ولا مواطنيهم الذين يسكنون بين حدوده ، وانما ذكروا البلاد العربية جميعا ، وارادوا به بنى العروبة فى شتى مواطنهم

***

فاذا عدونا تلك المراحل التى امتلأت بشعر العاطفة ودعوات الاصلاح ، وجدنا ثورات صريحة تغضب لكرامة العرب ، وتنقم من الذين استبدوا بها ، وتندد الحكام بالحمية العربية والغضبة المضرية على الظلم والاستبداد ، والتهديد بالقدرة على الثار للأمة والنيل من مغتصبى سيادتها والمعتدين على كرامتها ، وان بنى العرب اذا ثاروا لن يمترض طريقهم الجيوش الجرارة ، او اساليب العنف والجور ، وان يبخلوا بتضحية وان غلت ، لانها امة طبعت على الحرية والاباء . ومن ذلك ما قال الشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى ينكر على السلطان عبد الحميد .. وهو فى اوج مجده وعظمة سلطانه ماينزل بالأمة العربية والمجاهدين من ابنائها من ضروب العسف والاضطهاد :

ايامر ظل الله فى ارضه بما
نهى الله عنه والرسول المبجل

فيفقر ذا مال وينفى مبرا
ويسجن مظلوما ويسبى ويقتل

تمهل قليلا لا تغظ امة اذا
تحرك فيها الظلم لا تتمهل

وايديك ان طالت فلا تغترر بها
فان يد الايام منهن اطول

وتلك نغمة صريحة ، يهدد الشاعر فيها لا بابناء العروبة فى العراق فحسب ، بل بالامة العربية فى مشارق الارض ومغاربها .

***

وبهذا وكثير من امثاله نرى ان الشعر العراقى لم يقصر فى التعبير عن شخصية الامة العربية والدفاع عن آمالها فى الحرية والكرامة والسيادة والدعوة الى اصلاح المجتمع العربى لكى يصل خدماته السالفة للمجتمع الانسانى .

ولم ينس الشعر العراقى ان يذكر بعض العرب الذين خدعوا انفسهم ، فتناسوا القومية التى تظلهم بالاواصر الوثقى التى تصل بعضهم ببعض من وحدة اللسان والتاريخ المشترك ووحدة الاهداف وتقارب الاسباب لتحقيق تلك الاهداف ، والاتفاق الواضح فى اساليب الحياة وانماط التفكير ، وانهم اسدوا الى الانسانية كثيرا مما تعتز به من حضارة واخلاق ومثل رفيعة . وفى ادراكهم كل هذا ما يشعرهم بمنزلتهم بين امم الارض ، وقدرتهم على مجاراة الامم الناهضة فى ركب الحضارة ، ويدعوهم الى الوحدة التى تشد ازرهم . واصدق مثل على ذلك ما قال الرصافى مخاطبا اهل تونس ومذكرا اياهم بتلك الاواصر التى تصلهم باخوانهم من عرب المشرق والتى عمل الاجانب على فصم عراها :

اتونس ان فى بغداد قوما
ترف قلوبهم لك بالوداد

ويجمعهم واياك انتساب
الى من خص نطقهم بضاد

ودين اوضحت للناس قبلا
نواصع آيه سبل الرشاد

فنحن على الحقيقة اهل قربى
وان قضت السياسة بالبعاد

وما ضر البعاد اذا تدانت
اواصر من لسان واعتقاد

أتونس ان مجـــدك ذو انتماء
الى عليا نزار او اياد

ولقد كان ذلك الشعر الكثير من اعظم الاسباب فى بعث الأمة العربية ، وتنبيه النيام من ابنائها الى انهم امة كبيرة تمتد حدودها ما بين المحيط والخليج ، والى انهم اعضاء فى اسرة كبيرة ترتبط مصـــالحها وتتحد غاياتها .

واذا كانت القومية تفاعلا بالاحداث التى يتعرض لها الاخوة فى شتى ديارهم فان ديوان الشـــعر العراقى فى هذا القرن يزخر بآثار ذلك التفاعل الى درجة تشعر القارىء بان تلك الاحداث لم تقع الا فى أرض العراق ، وذلك من غير شك اثر من آثار اعتناق ذلك الشعب المجيد لعقيدة العروبة والايمان بالقومية العربية الى درجة تدعو الى الاعجاب .

وفى ديوان شاعر عراقى واحد كالرصافى تجد كثيرا من امثال هذه العناوين : فى رحلة — دار الايتام فى القدس — بين تونس وبغداد — فى حفـــلة شوقى — الامة العربية — فى ايلياء — عرس مصر — تحية شركيس — ذكرى لبنان — فيلكس فارس — ليلة فى دمشق — الى الامة العربيــــة — بعد براح الشام — مظاهر التعصب فى عصر المدنية — دمشق تندب حظها — اخفار الذمم او عبد العزيز شاويش — فى طرابلس — . . .

فاذا عدونا هذه القصائد التى تبين موضوعاتها من عنواناتها وجدنا سواها من القصـــــائد العراقية والقصائد الوجدانية وغيرها تنبض بأحاســـيس العروبة ووجدنا الشعر الاجتماعى وان كان قد قيل فى العراق تصويرا للمجتمع العراقى مرآة تنعكس على صفحتها صورة المجتمع العـــربى كله ، لوحدة العوامل التى اثارت شاعرية الشـــعراء . وما كان يشكوه العراقى فى بلده هو ما يشكوه كل عربى فى بلاد منيت بالفرقة والفقـــر وتدخل الأجانب فى شئونها واستغلالها لمواردها .

اما مأســـاة فلسطين فكانت من اهم مظاهر القومية العربية فى الادب العراقى وما من شاعر او كاتب الا تفاعلت عاطفته بالاحداث التى المت بتلك البقعة العزيزة من قلب الوطن العـــربى ، وانطلقت الاقلام تصور هول النكبة ، وتحذر مما يهدد الوطن العربى كله من خطر الصـــهاينة وعملائهم واعوانهم من المستعمرين واعداء العروبة . وبين يدى مجموعة من الشعر الجيد الذى صاغه شـــعراء النجف وجمعوها فى كتاب بعنوان « الفلســـطينيات » . وللمرأة العربية فى العراق آثار جيدة فى هـــذا الغرض ، منه ما كتبت الشاعرة أم نزار فى مأساة فلسطين :

حادث فيـــه العـــــروبة ذل
بعـــد عز قـــد طاول الاحقـــابا

أفترضي الليــــوث أن يطأ الغا
ب عـــدو فيســـتبيح الغابا

لا وحق الاوطان لن يســـكنوها
عنوة ان ســـعيهم قد خابا

ان ينالوا من أرضنا قيد شـــبر
أو تذوق العرب الحمام شرابا

وما كتبت الشـــــاعرة « عاتكة الخزرجية » من قصيدة عنوانها « فلسطين هيا ثورة عربية » :

لقد جمعتنا يا فلســـطين نكبة
كمـــا تجمع الاحزان شمل يتامى

فلسطين حتام الســـكوت عليهم
وقد حســـبونا لا نطيق كلاما

فلســـطين هيـــا ثورة عربيـــة
تصيـــر ابراج الطغـــاة ركاما

فلسطين شنيها ضروسا لقارها
تكون جســـوم الظـــالمين ضراما

فاما حياة تحت راية وحـــدة
واما ترويـنــــا الطحـــون زؤاما

ومن كل هذا يتضح الدور الكبير الذى نهض به الأدب العراقى — الذى اتخذنا الشـــعر مثالا له لسيادته على الوان الادب فى العراق — بما وفى للقومية العربية وعرض لاكثر مشـــكلات المجتمع العربى ، ونبه الى اسباب القوة وعوامل الضـــعف ودعا الى وحدة الصف العربى لحماية العروبة من اعدائها ، وتخليصها من مستعمريها ، كمـــا أن هذا الادب تفاعل بالاحداث التى المت بهذا الوطن الكبير تفاعلا قويا ؛ وتجاوب مع مشاعر العروبة فى كل موطن من مواطنها .

« دكتور بدوى طبانه »

منطق الطير للعطار

للدكتور محمد غنيمي هلال

وعدنا في عدد سابق من هذه المجلة أن نعرف بهذا الكتاب من بين كتب الصوفية ، وهو من أشهرها وأقومها . وعلينا — قبل هذا التعريف — أن ننبه الى أننا يجب أن ننظر الى القيم التي يجلوها الادب الصوفي في قرائنها التاريخية حتى تتميز القيم الحاضرة بالغابرة وأن تستنتج من هذه القرائن الدلالات اللازمة للتعبير الفني ، لا الدلالات المباشرة التي لا يجوز فيها أدب من الآداب .

ولا ننكر أن للأدب الصوفي جانبا سلبيا في حرص أهله على الهرب من هذه الدنيا ، حيث السعادة وهم من الأوهام يساور المغترين ، في سبيل الظفر بالسعادة في العالم العلوي ، سعادة خالدة ، عن طريق العبادة والتعالي بالروح . ولم تكن هذه السلبية طابع الأدب الصوفي كله ، ولا ينبغي أن يصرفنا هذا الجانب فيها عما زخر به أدبها من تعال روحي عن الاسفاف ، وعن الاسفاف المادي . ثم ان هذا التعالي قد بدا في صور الادب الصوفي وتجاربه صادقا أصيلا مشبوب الطابع مما نم عن ضيق أهله بشرور مجتمعاتهم ومفاسدها . فعلى ما في الحرص على الهرب من مواجهة صعاب الحياة في مجتمعاتهم، وعلى مايبدو في ذلك من أثرة في نشدان السعادة الذاتية ، اشبع الادب الصوفي بنوع من السخط ذي الاثر الايجابي في تعاليه ، وبالكشف عن مساوىء اجتماعية أخذ يجلوها ، وهي نفسها التي يحمل عليها الثائرون ليقوضوها . وفي هذا المجال قد يصير طابع الناس في عاقبة الأمر سبيلا الى الامل ، والى الثورة ، والضيق بمواطن الخطل . وكثيرا مايتجاور اليأس والأمل في الفترات التي تمهد للثورات أو تقدمها ، بل كثيرا ما يقترن هذا الضدان في نفوس الثائرين المضحين يحملون أرواحهم على أكفهم في سبيل حياة أفضل ، فيبدو يأسهم من القديم في صورة نقمة جارفة يستهينون فيها بالحياة في ظل القيم البالية ، ويستخفون بالحياة أو تحقق آمالهم في تقدم مجرى التاريخ . ووراءهم — على عادة التاريخ — مشاعل تشحذ عزائمهم ، يتمثل كثير منها في ضحايا النظم الفاسدة ، وفي التجارب الصادقة التي عبرت بها الآداب عن مآسي هؤلاء الضحايا . وأية صور أصدق في التعبير عن هذه التجارب مما عبر به كثير من ذوي القلوب الكبيرة عن مفاسد عصرهم ، وعن معاناتهم لها معاناة زجت بهم الى ما وراء حدود الطموح الى معالجتها . ومن ثم نلحظ — كما قلنا من قبل — شبها واضحا بين أدب الرومانتيكيين الثائرين وأدب الصوفية ، يتضح في هرب أولئك بآمالهم في عالم أحلامهم ، وفي استهانتهم بالحياة ، وتفردهم عن الاختلاط بالمجتمع ، وفي تنصل هؤلاء من تبعة العصر بالهرب في عالم الروحانيات الخالص والهرب والتنصل كلاهما فيه قصور وتخاذل يقف بنادون ما ننشد اليوم ، ولكن علينا الا نغمط أولئك جميعا حقهم في الدلالات الانسانية التي يدل عليها أدبهم في وضوح ، الى جانب ما نشيد به كذلك لهم من أصالة في التأويل، وأصالة فنية في التصوير . ونكرر مع ذلك أنهم أضفوا على الحياة روحانية تسمو بالخلق ، وكثير منهم مع ذلك كان داعية الى سلوك عملي تجاه الأحداث وتيارات الفكر ، والشعور بالطبيعة ، والاشادة بالارادة ، وترك التواكل ، مما نرجو أن تتاح لنا ضرب امثلة عليه فيما بعد .

أما الآن فنتقدم للقارىء العربي كتاب « **منطق الطير لفريد الدين العطار** » وهو منظومة من بحر الرمل في حوالي أربعة آلاف وستمائة بيت .

والعطار يتأثر فيه قطعا باخوان الصفا في رسائلهم العربية . وهؤلاء هم أول من نقل القصة على لسان الحيوان — أو الخرافة كما يدعوها ابن النديم — الى مجال فلسفي ذهني ذي طابع صوفي اجتماعي معا — ففتحوا بذلك مجالات فسيحة لصنوف من الخلق الفني في الأدب القديم ، ومن ثمراتها هذا الكتاب .

ومحور القصة في هذا الكتاب تدور حول اجتماع الطير في مجلس ، كما في اخوان الصفا ، ولكن العطار يحول مجرى الحوار فيها الى مقصود آخر تظهر فيه أصالته . فالطير هنا رموز صوفية ، في معنى الرمز العام لا الرمز الايحائي المذهبي ، لصنوف الخلق في نشدانهم للحق ، وهذا الحق — أو الذات الالهية — يرمز له العطار بطائر خرافي يقابل ما نسميه العنقاء ، ويدعى بالفارسية « سيمرغ » ، وهي كلمة فارسية مكونة من لفظين :

سى + مرغ : ومعناها : ثلاثون طائرا ، ولكنها صارت علما على هذا الطائر الفريد الذى لا نظير له · ويقود الطير فى مجمعها ، ويستقبلها ويرحب بمقدمها فى الاجتماع طائر الهدهد ، وهو رمز لهادى الطريق ، ويدعو الهدهد الطير ـ بعد ان يتم اجتماعهم ـ الى رحلة طويلة ، هى رحلة فى الحقيقة روحية ، فيتعلل كل من هذا الطير بعذر ، رمزا الى علائق المادة المعوقة للروح ، ويجيب الهدهد كلا منها مفندا عذره · ويجمعون أمرهم بعد ذلك للرحلة نشدانا للمثول أمام السيمرغ ، فيقطعون الأودية السبعة فى مسيرهم ، وهى رموز لمراحل السلوك الروحى ، وهى وادى الطلب فالعشق ، فالمعرفة ، فالاستغناء ، فالتوحيد ، فالحيرة ، ثم الفناء فى ذات الله ·

وتتساقط آلاف الآلاف من هؤلاء فى الطريق ، فلا يصل الى تلك الحضرة سوى ثلاثين طائرا ، أو سيمرغ لان سى مرغ معناها ثلاثون طائرا بالفارسية كما قلنا من قبل · وحين الوصول يرون فى مرآة المثول أنفسهم على حقيقتها ، أى ثلاثين طائرا او « سيمرغ » ، وقد بدءوا رحلتهم رجاء الظفر بالسيمرغ (وهو رمز الله ، ومعنى اللفظة نفسها : ثلاثون طائرا) ـ وبذلك يرون الله فى ذات أنفسهم ، أى أنهم رحلوا روحيا حتى عرفوا نفسهم على حقيقتها فعرفوا ربهم ، وفنوا فيه وجدا به · هذا هو جوهر هذه الحكاية الرمزية الصوفية ، تتخللها حكايات عارضة فى كل مرحلة منها تشد ازر المعنى العام ، وتؤكد القيم الروحية الصوفية ، القائمة على الفلسفة العاطفية ، وعلى النظر الى الجمال ـ جمال الروح والكون ـ على انه السبيل للوصول الى الجمال الامثل ، وان الحب الانسانى يجب أن يكون قنطرة للحب الاكبر ، حب واجب الوجود · وعند الصوفية أن الحب قسمان : حب صورى ، يتبدى فى التعلق بالصور ، انسانية أم كونية ، وحب حقيقى ، وهو النفوذ من جمال هذه الصور الى دلالاتها العاطفية الروحية · ومرجع ذلك أن الجمال عندهم قسمان جمال حقيقى ، وهو صفة ازلية لله تعالى ، وقد شاهده الله فى ذاته مشاهدة علمية ، فاراد أن يراه فى صنعه مشاهدة عينية ، فخلق العالم مرآة شاهد فيها جماله عيانا · وهذا العالم هو الجمال الصورى عند الصوفية ، فالعالم كله تعبير عن الحسن المطلق الالهى · وعلى المحب أن يبادر بتجاوز الحب الصورى فى تأمله للجمال الصورى الى الحب الخالد بفنائه وجدا بالجمال الخالد · وهذا هو معنى هذه الحكاية التى يسوقها العطار فى « منطق الطير » :

ـ ١ ـ

العشق الصورى

مثل امام الشبلى مفئود ينتحب
فسأله الشيخ مم تبكى ؟
فاجابه : أيها الشيخ : كان لى حبيب
من جماله كانت نضرة روحى
ثم قضى نحبه ومانذا أقضى هما

وقد اضحى العالم لدى حالك الجلباب حدادا عليه
فاجابه الشيخ : وهل فقد قلبك بهذا الرزء زمامه ؟

حقا لا يجدر بك سوى هذا جزاء !!
الا فاختر لك منه حبيبا آخر

لا يعروه فناء ، ولن تقضى انت انتحابا به
فالحبيب الذى يجلب بالموت النقصان
لا تجلب صداقته للروح سوى الاحزان
وكل من يبتلى بعشق الصورة
يقع من هذه الصورة فى مئات صنوف البلاء

ـ ٢ ـ

الفانى هياما بالله

قال لقمان السرخسى : يا الهى
قد هرمت ، وحرت وجدا ، وتاه بى الطريق
والعهد بالعبد حين يهرم أن يسترضى
وان تخلى سبيله ويتحرر
وانا الآن فى عبوديتى لك ، أيها المليك
قد صار شعرى الأسود ثلجا
وكم عانيت من الهم عبدا ، فهبنى السرور
وكبرت سنى ، فهب لى ان اتحرر
فصاح به هاتف : يامن أنت من خلص الخواص
كل من يرم التحرر من العبودية
يصبح ممحو الوعى والتكليف

فاترك هذين ، وضع قدمك فى الجادة
فقال : أى الهى ، أهيم بك على الدوام
فأى جدوى للعقل والتكليف . هذا حسبى
ثم خرج به الوجد عن حد العقل والتكليف
راقصا به يضرب يدا بيد
قائلا : الآن لا أدرى من أنا
لم أعد عبدا بعد ، فمن أنا
امحت العبودية ، ولكن لم أبق حرا
لم يبق فى القلب مجال لذرة من غم أو سرور
لست أدرى أنا أنت أم انت أنا
قد امحيت فيك ، وضاعت الثنائية .

- ٣ -

الطيور فى المثول

وتجلت أمام الطير شمس القربى ، فولت وجهها باشراقة تلك الشمس ومن انعكاس وجه الطير الثلاثين (السيمرغ) رأوا وجه « سيمرغ » العالم فاذا ألقت نظرة عجلى هذه الثلاثون رأت ذلك « السيمرغ » عن يقين فدارت جميعا رؤوسها حيرة ،

واضحت من جديد حيرى على منحى جديد اذ رأت أنفسها هى « السيمرغ » تماما ، اذ هو دوما ذات أنفسها فاذا توجهت اليه كان هو نفسه المثول

صار هذا ذاك وذاك هذا ، أمر لم يسمع بمثله

فبقيت أسرى الحيرة ، بدون تفكير ، اذ عجزت عن التفكير ، واذ قصر بها العلم عن معرفة جلية الأمر ، سألت — بلا لسان — سؤالا طلبت كشف هذا السر المتين ، ونشدت حل « الأنا ، والأنت »

وبلا لسان أتاهم من الحضرة خطاب : انها تراه كالشمس كل من قدم اليها رأى فيها ذات نفسه ، حسما وروحا

فمحوا ذات أنفسهم . قد فنى الظل فى الشمس . هذا كل ما كان

كانوا يرددون ما ساروا — هذه الكلمات ، وحين وصلوا لم يبق منهم رأس ولا جسد فلا يدع أن أقصروا عن الكلام . لم يبق سالك للطريق ولا منشد . لقد بلغ الطريق المدى

دكتور محمد غنيمى هلال

سياسة الدعوة في الاسلام

بقلم منصور رجب

لعل من المسائل التى عنى الاسلام بها اشد عناية وبينها اقوى بيان مسألة سياسة الدعوة فى الاسلام فقد وضع لها من الاصول والمبادىء . وحدد لها من الرسوم والشواهد ماليس وراءها مطلع لناظر ولا زيادة لمستزيد . فقال تبارك وتعالى - في سورة النحل آية ١٢٥ - : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنه وجادلهم بالتى هى احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين » وقال لنبيه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم - فى سورة آل عمران آية ١٥٩ - : « ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك » . وقال لنبيه موسى عليه السلام حينما ارسله الى فرعون - سورة طه آية ٤٤ - : فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى » . وقال صلى الله عليه وسلم : « انما انا لكم مثل الوالد لولده اعلمكم » .. وقال صلوات الله عليه للطفيل بن عمرو الدوسى حينما قال له : يارسول الله انه قد غلبنى على قومى الربا فادع الله عليهم فقال له صلى الله عليه وسلم : « اللهم اهدهم . ارجع الى قومك فادعهم وارفق بهم » .. بل لما جرح صلوات الله عليه فى غزوة أحد وأخذوا ينشقون الدم من على وجهه الشريف كان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك الوقت العصيب : « اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون ... وهكذا ، لا ترى لسياسة منهاجا بينا واضحا كما ترى لسياسة الدعوة فى الاسلام .

والشواهد فى هذا الباب - باب سياسة الدعوة فى الاسلام - اكثر من أن تحصى وأكبر من ان تزكى ولكنى على سبيل المثال لا على سبيل الحصر اتيت ببعض الشواهد والأدله .

ويرجع انتشار الاسلام فى تلك الرقعة الفسيحة من الارض بما يشبه المعجزة الى اسباب شتى من أهمها التزام دعاة المسلمين بما خطه الاسلام للدعوة من سياسة : هذه السياسة التى تتجلى بعض مظاهرها فى حفظ كرامة المخاطب . والعمل على الوصول الى الحقيقة عن طريق الاقناع والتفاهم بدلا من الفلظة والعنف واحتقار رأى المعارض .

أن دستور الدعاة الى الله انما هو القرآن الكريم وسنة رسوله العظيم . والقرآن الكريم كتاب اقناع بالحجة والدليل والبرهان لا بالفلظة والعنف والبهتان .. ولأجل ان يعطى الله تبارك وتعالى لعباده الحرية الكاملة فى التفكير والتدبر وينفى عن رسوله تهمة العنف لفرض دينه على الناس فرضا امره جل وعلا فى القرآن الكريم - سورة يوسف آية ١٠٧ - ان يقول : « قل هذه سبيلى ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى » .. فالدعوة الى الله تبارك ببصائر الايمان والايقان وتقديم الدليل والبرهان . سبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبيل أتباعه رضوان الله عليهم اجمعين : اما العنف فى النقاش والجدال . واتهام الناس بما لم يقولوا او يقصدوا بالزور والبهتان فذلك سبيل الفتان . وهو -بداهة- بعيد كل البعد عن ادب الاسلام وقريب غاية القرب من ادب الشيطان ان صح ان يقال ان للشيطان الرجيم أدبا .

ولقد منيت الأمة الاسلامية - ولعلها فى ذلك اكثر من غيرها من امم الارض - بقوم انحرفوا عن ادب الاسلام فى الجدال واتبعوا سبيل الشيطان جريا وراء تجارة رابحة او شهرة كاذبة . ونسوا ان الداعى الى الله تبارك وتعالى او الساعى الى اظهار الحق فى شىء يشتبه على الناس: هذا الداعى أو هذا الساعى لابد له من ان ينزه الفاظه ويطهر عباراته من فحش القول والادعاء بالكذب وتقويل الناس ما لم يقولوا .. ولم تنكبنا النكبات وتصبنا الدواهى الا من يوم ان تصدى لتجلية الحقيقة قوم سلبهم الله نعمة الجلالة والبهاء فكذبوا فيما قالوا ورموا عباد الله بالباطل : وهل أكذب على الله من انسان يرمى غيره بالمروق لشيىء هو نفسه يلغ فيه ؟ ... وهل أكذب على الله من شبح يدعى على غيره كذبا وزورا وبهتانا انه تحدث يوما مع الحجيج فى مكة بشيىء لا وجود له أصلا الا فى وهم أخينا الكاتب الكاذب وفى مجلة سياره ؟ ...

يقولون : ان المصاب من حرم الثواب .. فهل للكاذب ثواب ؟ ... وهل لمن ينكر شيئا هو غارق فيه الى ذقنه ثواب ؟ ... انهم فى سبيل تعارض

الرأى أن تقرع الحجة بالحجة والدليل بالدليل .. ولا افهم أبدا ان تخرج عن ادب الاسلام الى قول بذىء وغمز مريب .

القرآن الكريم يقول للنبى صلى الله عليه عندما حاجه قومه فى ربه أن يطلب منهم البرهان على دعواهم فقال — فى سورة النمل آية ٦٤ — : « قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين »

الاسلام دين العقل . ومهمة الداعى الى الله تبارك وتعالى أن يوجه العقول الى تدبر ما أوحى الى نبيه من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على ان يقوم بتطبيق ما يدعو اليه هو على نفسه اولا والا كان نكبة الدعوة والدعاة . وسمى القرآن الكريم فعل هؤلاء من أكبر المقت . فقال تبارك وتعالى — فى سورة الصف آية ٢ و ٣ — : « يا ايها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ؟ ... كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون »

ان القرآن الكريم لم يكلف الناس بأن يؤمنوا باله واحد قادر على ضرهم ونفعهم من غير دليل بل طلب منهم ان يفهموا الدليل بعقولهم فيما فوق رءوسهم وتحت أرجلهم . وحولهم من الاشياء والناس . فقال تبارك وتعالى — فى سورة الرعد آية ٢ ، ٣ ، ٤ — : « الله الذى رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون .. وهو الذى مد الارض وجعل فيها رواسى وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون »

وقال — فى سورة الملك آية ٣٠ — : « قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين ؟ ... »

ويوجههم أيضا الى الدليل فيقول — فى السورة نفسها آية ١٩ — : « او لم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شىء بصير

الى آخر ما فى القرآن الكريم من آيات بينات تثبت انه كتاب اقناع بالدليل والحجه والبرهان .

كان القرآن الكريم يستطيع ان يقول لأولئكم الذين قالوا — سورة الجاثية آية ٢٤ — : « ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومايهلكنا الا الدهر » كان القرآن الكريم يستطيع ان يرد على منكرى البعث هؤلاء وعلى القائلين بانه ما يهلكهم الا الزمان كان يستطيع أن يدلهم على ما يريد بما يشاء من عنف ولكنه سلك معهم سياسة الدليل والحجة والبرهان فيقول مثلا — فى سورة مريم آية ٦٧ — : « أولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا » ؟ ... ويقول — فى سورة يس آية ٨٩ — : « قل يحييها الذى انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليهم » ثم أخذ يسوق لهم الادلة فقال — فى السورة نفسها آية ٨٠ ، ٨١ — : « الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون .. اوليس الذى خلق السماوات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ ... بلى وهو الخلاق العليم » : اما من ناحية الراى والخطا فيه فادبها فى الاسلام أشهر من ان يذكر .

ولعل من حضرات القراء الكرام من قرأ ما يروى عن النبى صلى الله عليه من انه اجتهد فصحح الوحى له اجتهاده : من ذلك ما يروى من انه لما مات عبد الله بن أبى راس المنافقين ذهب ابنه الى النبى صلى الله عليه وسلم فطلب منه ان يعطيه صلوات الله عليه قميصه ليكفن فيه والده . وطلب من النبى صلى الله عليه وسلم أن يتقدم فيصلى عليه فأعطاه النبى صلوات عليه قميصه فكفن فيه والده بالفعل وتقدم ليصلى عليه فاعترضه عمر رضى الله عنه قائلا للنبى صلى الله عليه وسلم : او لم ينهك الله تبارك وتعالى عن هذا ؟ ... فقال صلى الله عليه وسلم : انه قد خيرنى فنزل قول الله تبارك وتعالى — فى سورة التوبه آية ٨٤ — : « ولا تصل على أحد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون » : ولما سئل صلوات الله عليه عن مسألة القميص هذه وكيف يقدمه كفنا لذلك الفاسق ؟ ... فقال : كنت ارجو أن يسلم به الف من قومه .. هذه واحدة من جانب أمام الدعاة سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم .

ولعل من حضرات القراء الكرام أيضا من قرأ تلك القصة التى جرت بين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقدامة بن مظعون : ذلك ان عمر استعمل قدامة هذا على البحرين . فقدم الجارود على عمر فقال : ان قدامة شرب فسكر .. فقال عمر : من يشهد معك على ماتقول ؟ ... قال الجارود : ابوهريره يشهد على ما اقول وذكر الحديث . فقال عمر : ياقدامة : اني جالدك . قال قدامة : ولم تجلدنى ؟.. بينى وبينك كتاب الله . فقال عمر : واى كتاب الله تجد الا اجلدك ؟ ..

قال : ان الله تبارك وتعالى يقول ـ سورة المائدة آية ٩٣ ـ : « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين » .. فانا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا : شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا . واحدا . والخندق . والمشاهد : فما كان منعمر رضى الله عنه الا ان توقفامام هذه الحجة قائلا لمن عنده من الصحابة رضوان الله عليهم : الا تردون عليه قوله ؟ ... فقال ابن عباس رضى الله عنهما : ان هذه الآية نزلت عذرا للماضين وحجة على الباقين . فعذر الماضين بانهم لقوا الله قبل أن تحرم عليهم الخمر . وحجة على الباقين لأن الله تبارك وتعالى يقول ـ سورة المائدة آية ٩٠ ـ : يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » فان كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات . ثم اتقوا وآمنوا . ثم اتقوا واحسنوا فان الله قد نهى ان يشرب الخمر . فقال عمر : صدقت .

كان لعمر رضى الله عنه ان يقيم على قدامة الحد بشهادة الجارود وابى هريره ولكنه توقف حين بدت له شبهه حتى استيقن من خطأ قدامة بن مظعون فى تأويل آية من كتاب الله . وكان عمر يستطيع أن يغلظ القول لذلك الصحابى الجليل الذى اخطأ فى التأويل . ولكنه لم يفعل متأدبا بأدب الاسلام الذى يحارب العنف فى القول ويعادى الغلظة فى الجدل

ان الاسلام قد سلك فى دعوته طريقا واضحة بينة مفهومة رسمها القرآن الكريم وشرحتها السنة والتزم بها قادة الاسلام الصالحون فى الدعوة . ولكنا كما قلت سابقا ـ منينا او بلينا بقوم احترفوا الزود عن مبادىء الاسلام وشريعته تجارة . وهؤلاء اخطر على الاسلام ومبادئه من اى خطر داهم آخر :

اولا : هم بعنفهم وبذاءة السنتهم واتهامهم الناس بالباطل يخلقون العداوة بين الناس ويباعدون بينهم وبين الأخوة : روح الاسلام النابض .

ثانيا : هم انفسهم بوقوعهم عمليا فيما يحاربونه بالسنتهم كلاما يبلبلون عقيدة الناس فى الدعوة والدعاة « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » ولقد جنينا هذا الاثر السيىء وسنجنيه مادام هؤلاء بعيدين عن ادب الاسلام عملا .

ثالثا : قد يصيب العنف بعض الناس ماديا وادبيا فلغة الاهانة قاسية حتى على العجماوات .

والذى اريد ان اخلص اليه من وراء كل هذا ان نتأدب بأدب الاسلام حين ندعوا الى الله بتقرير مبدأ او نقد راى او دفاع عن حجه . اما ان نجرى وراء شهواتنا وهوانا وحقدنا وحسدنا ونجرح عباد الله الآمنين الأبرياء . فهذا فسق والفاسق عدو الاسلام . ان اول شرط يجب أن يتوافر فى الداعى والناقد هو الا يفقد اعصابه اما أولئكم الذين يفقدون أعصابهم فلا يصلحون ابدا لأن يحملوا راية الدعوة الى الله « والله هو الحق المبين » . ولا يصلحون ابدا لأن يعتلوا المنابر العامه حتى لا يتأثر بهم ضعاف العقول الا اذا تابوا وأنابوا . واذا فاتتك التقوى فىالاستقامه فلا تفوتك فى التوبة والانابه .

واخيرا وليس آخرا فانى اقول مع ذلك الذى سمعه أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه يقول من داخل مغارته وهو فى راس جبل يأنس بالوحش فرارا من الانسان :

« اللهم ان قوما سألوك ان تسخر لهم خلقك فسخرت لهم خلقك فرضوا منك بذلك .. اللهم وانى أسألك اعوجاج الخلق على حتى لا يكون ملجئى الا اليك » وانى الجأ اليك يارب من هؤلاء الذين فقدوا ادب الاسلام والسلام .

«منصور رجب»

السلام ومناهضة الحروب
في التفكير العربي الاسلامي

بقلم : محمد عبد الغني حسن

لو أن سؤالا ألقي علينا عن موضوع السلام ومناهضة الحروب في الانتاج العربي الاسلامي فاننا لا نعدم الجواب عن هذا السؤال في اعتزاز بمشاركة الادب العربي في قضية الدعوة الى السلام وتثبيت أركانه وتوطيد دعائمه ، والتنفير من الحرب على الرغم من كونها ضرورة قد تدعو اليها الظروف في بعض الاحيان ٠

واذا ارتددنا الى ما قبل قيام الدعوة الاسلامية بأكثر من قرن رأينا أول صيحة ارتفعت في سبيل مناهضة الحروب من فم الشاعر العربي زهير بن أبي سلمى الذي شهد بعينيه حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان ، ورأى كثيرا من مآسيها وما جرته على الحيين المتحاربين من آلام ، فاشتملت معلقته الميمية المشهورة على أبيات يصور فيها الحرب صورة حية بشعة مشتقة من التجربة العملية لا من الخيال المتصيد والحق ان المعلقة كلها نظمت مدحا لسيدين من سادات العرب هما هرم بن سنان والحارث بن عوف اللذان احتملا ديات القتلى ، حقنا للدماء ، الا أن الابيات الخاصة بتصوير بشاعة الحرب ونتاجها وضراوتها وتكثير الشرور منها تعد دعوة عربية صادقة لمناهضة الحرب والدعوة الى السلام والعيش في وئام ٠ ولايتسع المجال هنا لذكر الابيات كلها ولكننا نجتزء بذكر البيتين الاولين وهما :

وما الحرب الا ما علمتم وذقتمو
وما هو عنها بالحديث المرجم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة
وتضر اذا ضريتموها فتضرم

واذا كان القرآن الكريم قد جاء بآيات كثيرة في « الجهاد » وفيه كثير من المعنى الحربي ، فان ذلك لم يكن عدوانا ولا بغيا ولا مباداة بالحرب ، وانما كان في سبيل الدفاع عن الدين والنصرة له ، مما لايتنافى مع فكرة « السلام » في الاسلام ٠ وقد حرص كثير من كتاب المسلمين ومفكريهم على توضيح هذا المعنى وتقريره ، دفعا لما قد يتوهم من ضده ٠ وكثيرا ماتأتي قضية « السلام » في الاسلام مجاورة لقضية الجهاد وحقوق الحرب في الاسلام ٠ وممن سبق الى هذا المعنى من كتاب العرب المحدثين الاستاذ الباحث محمد عزة دروزة في كتابه « **الدستور القرآني في شئون الحياة** » ، ففي الفصل الرابع الذي عقده عن النظام الجهادي في الاسلام يقرر ان آيات الجهاد قد شغلت حيزا يكاد يبلغ نصف المدني من القرآن ، وأوضح ضرورة ذلك حينما تكون الدولة الاسلامية والكيان الاسلامي والدعوة الاسلامية عرضة للتهجم والتهضم والبغي ٠

وللمرحوم الشاعر الاديب الطبيب الدكتور أحمد زكي أبو شادي كتاب صغير جليل عنوانه « **لماذا أنا مسلم ؟** » وفيه فصل عنوانه : الاسلام هو السلام ، ويقرر أبو شادي بناء على حديث : المسلم من سلم الناس من لسانه ويده ، ان الاسلام هو السلوك السلمي ، ويتصل بهذا السلوك السلمي العمل على استتباب الامن وعلى التآلف السلمي بين الشعوب ٠ وفي سبيل هذا السلام العام يبيح الاسلام الكفاح ٠ وفي سبيل منع العدوان يأمر الاسلام بالجهاد ٠٠

ويخلص الدكتور أبو شادي الى هذه النتيجة : وهي أن الاسلام كان سابقا بزهاء أربعة عشر قرنا لمبادىء « الامم المتحدة » ولجهودها في تحقيق السلام ٠

وقد ألقى المرحوم عباس محمود العقاد دلوه في الدلاء وهو يتكلم عن حقوق الحرب في كتابه « **حقائق الاسلام واباطيل خصومه** » ، فأشار الى توماس كارليل والى انصافه في دفع اتهام النبي عليه السلام بأنه نشر دعوته بالسيف ، وأكد أن النبي محمدا لم يفاتح أحدا بالعداء في دولتي الروم والفرس ولم تقع الحرب بعد هذا البلاغ الا بعد تحريض الفرس والروم القبائل العربية في العراق والشام على غزو الحجاز واعدادهم العدة لقتال المسلمين ٠ ولم يحارب المسلمون قبائل الجزيرة العربية في قريش وفي غير قريش الا حرب دفاع أو حرب مبادرة لاتقاء الهجوم كما أحصاها المؤرخ العصري أحمد زكي « باشا » رحمه الله ٠

ويرى العقاد أن حق السيف كما استخدمه الاسلام في أشد الاوقات حاجة اليه هو حق مرادف لحق الحياة ٠

ولم يفت عالما باحثا كالمرحوم الدكتور محمد يوسف موسى أن يكتب عن « السلام العالمي » في كتابه « **الاسلام وحاجة الانسانية اليه** » ، فهو يرى أن الاسلام لا يعادي غير المسلم لانه مخالف له في عقيدته بل أوجب الاسلام رعاية المحتاجين من غير المسلمين بتيسير الحياة لهم ، واعانة العاجزين منهم على العمل كما فعل عمر بن الخطاب من رفع الجزية عن كل ذمي لايقدر على أدائها ، وكما فعل مع اليهودي الضرير

الذى جاء يتسول على الابواب فأمر خازن بيت المال باتصافه لفقد بصره مع كبر سنه • ويرى المرحوم الدكتور محمد يوسف موسى أن السلام لم تتزعزع اركانه بين دول العالم اليوم ألا بما سيطر عليه من نقض الدول الكبرى للعهود والمواثيق ، على الضد من مبادىء الاسلام الذى يدعو الى احترامها والوفاء بها ، حتى ولو كان غير المسلمين فى حالة عداء أو حرب مع المسلمين ، وحتى لو كان نقض العهد فى مصلحة المسلمين فى بادىء الرأى ، وبهذا جعل الاسلام الوفاء بالعهود هو الاساس الاول الذى تقوم عليه العلاقات الدولية بين المسلمين وغيرهم •

وعلى ذكر العلاقات الدولية والقانون الدولى الذى ينظمها بين دول العالم المضطرب اليوم نرى فرضا علينا فى هذا المقام الاشارة الى كتاب جليل يعد أسبق مما كتبه الاوربيون فى موضوع القانون الدولى ، وهو كتاب « **شرح السير الكبير** » للامام محمد بن الحسن الشيبانى ، الذى أملاه محمد بن احمد السرخسى من علماء المسلمين فى القرن الخامس الهجرى • وقدأملى شرحه هذا وهو سجين فى سجن مدينة اوزكند لانه أفتى برأى صريح ضد الخاقان فى قضية زواجه بعتيقته •• وتعتبر آراء الامام الشيبانى فى القانون الدولى الاسلامى سابقة لآراء الغربيين فيه من امثال جروسيوس الهولندى من رجال القرن السابع عشر الميلادى ، وفيتوريا ، وسواريز وغيرهم • وقد اهتم بهذا الكتاب معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية فتولى نشره واصداره منذ بضع سنوات •

وفى كتاب عنوانه « **الجهاد فى الاسلام** » نرى مؤلفه الاستاذ محمد شديد يعقد فصلا عن السلام أصلا من أصول الاسلام ، فيقرر أن الاسلام مع عنايته البالغة بقوة المسلمين افرادا وأمة ، ومع امره ببذل اقصى ما فى الطاقة للاستعداد للقتال ، فانه لايعتبر الحرب هى الاصل فى الحياة ، وانما يعتبرها ضرورة لدفع العدوان والظلم ، ويعتبر السلام هو الاصل والهدف الذى يعمل لتحقيقه •

ولم يفت « **الميثاق** » وهو يضع الخطوط الكبرى لروح القانون العربى الحديث أن يشير الى « السلام » وأن يشيد به ، وأن يقرر « ان شعبنا الذى شارك فى الجهود الانسانية العظيمة المكرسة لتحريم التجارب الذرية ، وشارك ايجابيا فى العمل من أجل نزع السلاح ، انما كان يصدر عن ايمان مطلق بالسلام ، لانه يؤمن ايمانا مطلقا بالحياة » •

على أن السلام فى « الميثاق » هو السلام الذى يحفظ حق الحياة ، ويصد عدوان المعتدى على أى حق من هذه الحقوق ، فهو ليس استسلاما ، ولا اذعانا ، ولكنه مقاومة للطغيان والعدوان • وقد جاءت هذه العبارة مؤكدة لهذا المعنى : « ان شعبنا يمديده لجميع الشعوب والامم العاملة من أجل السلام العالمى والرخاء الانسانى • ولقد رفع شعبنا ــ حتى فى أحلك ظروف المعارك القاسية التى أرغم على خوضها ــ شعاره الخالد : السلام لا الاستسلام ، ايماءة واضحة الى أنه يقبل التعاون الدولى ، ولكنه يقاوم السيطرة » •

وحينما اصدر الاستاذ المستشار عبدالحليم الجندى من أيام كتابه : « **توحيد الامة العربية** » لم يغفل أن يتحدث عن السلام الايجابى سياسة دائمة للدولة • وهو يؤكد ان السلام عندنا ليس الاستسلام ، فالسلم عندنا ايجابى ، فيه حياة وحركة ومبادرة ، فنحن نستعد بالقوة ، ونتسلح باليقظة •• ويقرر ان الحرب فى التشريع الاسلامى دفاعية مشروطة باعتداء العدو ، فاذا اعتدى كان رد الاعتداء بمثله لقوله تعالى : (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) • فالاصل هو السلم حتى يقع اعتداء • ويلتقى المؤلف مع المرحوم العقاد فى أن النبى عليه السلام لم يتجه لحرب الروم والفرس الا بعد أن قتلوا رسله ، وتأهب كسرى لقتل النبى •• ويعرض الاستاذ الجندى صورا موجزة مشرقة لسماحة المسلمين وانسانيتهم فى حروبهم مع خصومهم ، كما حدث فى المغازى الاولى وفى حروب صلاح الدين ضد الصليبيين •

ولقد عالجت حفنة من الكتب العربية الحديثة موضوع السلام فى الاسلام ، ومنها « **الاسلام والامن الدولى** » لمحمد عبد الله السمان ، و «**السلام والحرب فى الاسلام**» لمحمد فرج ، و « **السلام والاسلام** » لمحمود محمد صدقى و « **السلام العالمى والاسلام** » لسيد قطب • كما عالجت بعض المؤلفات العربية موضوع السلام عامة ، مثل كتاب « **حقيقة السلام** » ليحيى أبو بكر وزميله ، و «**باندونج والسلام العالمى**» لعبد الرحمن الشرقاوى ، و «**الذرة فى خدمة السلام**» للمجمع المصرى للثقافة العلمية ، و « **قوة الطوارىء الدولية ودورها فى قضية السلام** » لمصطفى مؤمن•

على أن هناك أثرين أدبيين رائعين ، هما : « **ابعد من موسكو ومن واشنطون** » للاديب العربى اللبنانى المفكر ميخائيل نعيمة ، و « **أشواك السلام** » وهو مسرحية فاتنة لتوفيق الحكيم ، تعالج فكرة السلام وما يقوم فى سبيلها من أشواك •

« **محمد عبد الغنى حسن** »

المرأة العربية

من رفاعة الطهطاوى إلى على مبارك

بقلم محمود الشرقاوى

عرفنا من اخبار الصحف ان الحكومة السعودية اختارت « **فائزة ابراهيم الدباغ** » مفتشة على مدارس البنات باحدى مناطق التعليم ، وهى فتاة سعودية مثقفة حصلت فى علم النفس على الليسانس من كلية الآداب بجامعة القاهرة ، وعلى دبلوم فى التربية ، ومتخصصة فى علم النفس بالدراسات الفنية والاجتماعية . وقد تكون غيرها ايضا تعمل .

وقرانا ان حكومة السودان وظفت فتيات ايضا.

وقبل سنتين مثلت فى الكويت مسرحية «**صقر قريش**» لمحمود تيمور ووقفت فيها على خشبة المسرح فتاة كويتية مسلمة . وفى هذه السنة تقدم ــ فى الكويت أيضا ــ عضو فى مجلس الامة الكويتى ، الى المجلس بمشروع قانون يعطى المراة الكويتية حق التصويت فى انتخابات اعضاء المجلس. لم يوافق المجلس ولكن مجرد الطلب له فى ذاته دلالة ، وتصويت بعض الاعضاء لمشروع القانون له اكثر من دلالة .

اما فى جمهوريتنا العربية فنحن نعرف الخطوات الواسعة الجريئة التى تقدمت بها المراة العربية نحو اهدافها من الحرية والنشاط والاقتحام .

وعندما نشهد هذه النهضة الوثابة من المراة العربية فى تاريخنا الحديث يبدو غريبا لأعيننا وافهامنا انها وليدة سنوات قليلة ، فقبل ثلاثين سنة أو نحو ذلك كانت المراة العربية ما تزال بعيدة بعدا شاسعا عن اهداف هذه النهضة ، وكانت الفتاة العربية تجد من يصدها عن التعليم ويحول بينها وبين دخول الجامعة . وفى مصر ــ اسبق البلاد العربية الى تعليم المراة ــ لم تنشأ مدرسة ثانوية للبنات الا فى سنة ١٩٢٥ .

وفى القرن الماضى كانت المراة العربية معزولة عزلا تاما عن الحياة بعيدة كل البعد عن التعليم ــ الا فى داخل بيوت بعض الكبراء يتعلمن شيئا من القرآن واللغة ــ وكانت أبعد ما تكون من ذلك بالنسبة للحقوق الاخرى . كان مضروبا عليها حجاب الوجه وحجاب العقل حتى نجد سلامة موسى فى ترجمته حياته يذكر نساء عرفهن كن يطبخن « الخنافس » ويأكلنها طلبا للسمنة !!

وما زلت أذكر من ذكرياتى الصحفية ان مؤتمرا للمراة الشرقية عقد فى طهران سنة ١٩٣٢ وشهدته السيدة ثروت احمد مندوبة العراق ، فلما قدمت مصر بعده حدثتنا فى «البلاغ» عن المراة فى العراق فقالت انها قبل اقل من عشرين سنة ــ اى فى اوائل القرن العشرين ــ كانت قبائل العراق تتصالح فى خصوماتها على دفع مقادير من الاموال والمواشى والعبيد والنساء ... !

ونجد فى كتاب قاسم امين « **المراة الجديدة** » هذه السطور :

النساء فى الوجه القبلى عامة كن محرومات من حقوقهن فى التركات **التى يرثن فيها بمقتضى الشرع**، وبقيت هذه الحال الى دخول نظام المحاكم الاهلية فى الصعيد ، حتى ان بعض المديرين الذين اخذ رايهم فى تشكيل المحاكم فى الوجه القبلى كانوا يعدون من موانع تشكيلها انها سيكون من احكامها ان بعض النساء تعطى حقوقهن فى التركات وان هذا تغيير كبير فى العادات المتبعة فى تلك البلاد...!

ولعل الامام الشيخ محمد عبده ذكر ايضا فى تقريره المشهور عن اصلاح المحاكم الشرعية ومن الملاحظ ، وان لم يكن غريبا ، ان الرواد الذين حملوا لواء الدعوة لتعليم المراة ونهضتها كانوا من الرجال لا من النساء . ذلك لان المراة العربية كانت يوم ذاك فى وضع ثقافى واجتماعى لاتستطيع معه أن تطلب شيئا ولا أن تفكر فى شىء ، حتى فى وضعها هذا .

صحيح انه قد ظهرت فى القرن الماضى بعض كاتبات وشاعرات مثل وردة اليازجى وزينب فواز وعائشة التيمورية وغيرهن ، ولكن واحدة منهن لم تكن داعية لنهضة المراة ، وان كانت كل واحدة منهن قامت دليلا على استعداد المراة للنهضة واستعدادها للتعلم والتفوق . وحجة على صدق تلك الدعوة التى قام يدعو لها الرجال فسبقوا بها النساء العربيات .

ثلاثة رجال بدات على ايديهم الدعوة لتعليم المراة وتثقيفها ، هم : رفاعة الطهطاوى ، وعلى مبارك ، وقاسم أمين .

وهـؤلاء الثـلاثة كانوا أول من دعـا دعوة صريحة مفصلة لتعليم المرأة ، واقاموا دعوتهم هذه على حجج من الدين والمصلحة .

رفاعة الطهطاوى :

اول الدعوات الى تعليم المرأة فى العصر الحديث كانت دعوة رفاعة الطهطاوى . وهو فى ذلك يقول:

ينبغى صرف الهمة فى تعليم البنات والصـبيان معا لحسن معاشرة الازواج .

فهو يرى ان تعليم البنت يعينها على معـاشرة الزوج معاشرة حسنة ، ويجعلها قادرة على الارتفاع لمسـتواه او الى قريب من مسـتواه فى التفكير ، وانهن بعد تعليمهن :

يصلحن لمشاركة الرجال فى الكلام والراى .

وتكون هذه المشاركة وهذا التقارب فى التفكير سببا فى ان تعظم منزلة المرأة فى نظر زوجها :

لزوال مافيهن من سخافة العقل والطيش ، مما ينتج من معاشرة المرأة الجاهلة لامرأة مثلها .

ورفاعة الطهطاوى يدلل على صدق دعوته هذه بادلة واضحة من الدين والمنطق « من الدين يذكر المنكرين بزوجات النبى ، عليه السـلام ، اللواتى كن يقرأن ويكتبن ، مثل حفصة بنت عمر وعائشـة بنت ابى بكر وغيرهما من العالمات المحدثات الفقيهات على مدى التاريخ الاسلامى . ومن المنطق يذكـر ادلة كثيرة ، بعضها حجته السابقة فى ان الـزوجة المتعلمة اقرب الى نفس زوجها واكرم عنده مقاما. وبعضها فى رد حجة من يقول بمنع تعليم المرأة لان من طبعها الدهاء والمكر والمداهنة ، وانه ربما حملها ذلك التعليم على ان تراسل غير اهلها وزوجهـا. وهو يرد هذه الحجة بان النساء لسن جميعا على هذا الخلق ، وان هذه دعوى لا تفيد ان جميـع النساء على هذه الصفة الذميمة :

... ولم يعهد ان عددا كثيرا من النساء ابتذلن بسبب آدابهن ومعارفهن .

ثم يذكر ان كثيرا من الرجال :

اضلهم التوغل فى المعـارف وترتب على علومهم ما لا يحصى من شبه الخروج والاعتزال .

ومع ذلك فالضلال الذى وقع فيـه كثـير من الرجال بسبب تعليمهم لا يقـوم حجة لمنع تعليم الصبيان . وهكذا الحال بالنسـبة للبنات . ثم يضرب مثلا فيقول :

لو فرضنا ان انسـانا اخذ بنتا صغيرة السـن مميزة وعلمها القراءة والكتابة والحسـاب وبعض ما يليق بالبنات ان يتعلمنه من الصنائع كالخياطة والتطريز الى ان تبلغ خمس عشرة سنة ثم زوجها لانسـان حسن الاخلاق كامل التربية مثلها فلا يصح انها لا تحسن العشرة معه او لا تكون له امينة . ومثـل ذلك سائر البنـات فان تعليمهن فى نفس الامر عبارة عن تنوير عقـولهن بمصباح المعـارف المرشد لهن ، فلا شك ان حصول النسـاء على ملكة القراءة والكتابة وعلى التخلق بالاخلاق الحميـدة والاطلاع على المعـارف المفيدة هو اجمل صـفات الكمال .

ثم يقول ان علـم المـرأة اكثر جذبا للزوج من الجمال لان الجمال عرض زائل ولكن العـلم باق ينمو ويزيد ، وهو قـد يغنى عن الجمال ولـكن الجمال لا يغنى عنه .

وينتقل بعد ذلك الى حجة اخرى هى ان :

آداب المـرأة ومعـارفها تؤثر كثيرا فى اخـلاق اولادها ، اذ البنت الصغيرة متى رأت امها مقبـلة على مطالعة الـكتب وضبط امور البيت والاشتغال بتربية اولادها جذبتها الغـيرة الى ان تكون مثـل امها . بخلاف ما اذا رأت امها مقبلة على مجـرد الزينـة والتبرج واضـاعة الوقت بهـذر الـكلام والزيارات غير الـلازمة ، حيث تتصـور البنت من الصـغر ان جميع النسـاء كـذلك فتألف ذلك من صغرها . فشـتان ما بين هـذه وبين من تعتمـد على معارفها وآدابها وتفعل مافيـه ارضاء بعلهـا وتربية اولادها لانها شبت على ذلك .

ثم ينتقل من الحجج الدينية والمنطقية الى واقع التجربة فيقول ان هذه التجربة اثبتت فى كثير من البلاد ان :

نفع تعليم البنات اكثر من ضرره ، بل انه لاضرر فيه اصلا .

ومن هنا نعرف ان رفاعة الطهطاوى ــ كما فى المثل الذى ضربه ــ لا يدعو لتعليم الفتاة القـراءة والـكتابة فقط ، بل لتعليمها ايضـا : « ما يليق بالبنـات ان يتعلمنه من الصـنائع ، كالخيـاطة والتطريز » . وانه يرى ان البنت يحسن ان يقف تعليمها عندما تبلغ خمس عشرة سـنة ، اى الى ما يصل بها الآن مرحلة التعليم الثانوى فى نظمنـا التعليمية الحاضرة .

هذا راى رفاعة الطهطاوى فى تعليم المرأة . وهو

اول دعوة تعرفها لتعليم المراة في تاريخنا الحديث. فما هو رايه في المراة العاملة ؟ .

لا يرى رفاعة الطهطاوى باسا فى ان تتولى المراة المسلمة بعض الاعمال التى تحسنها والتى تليق بها ، عند حاجتها لذلك . وهو يعتقد ان عمل المراة يحول بينها وبين الفراغ الذى يشغلها بالاباطيل ، وانه ، اى العمل ، يصونها عما لا يليق فيمكن لها : « ... عند اقتضاء الحال ، ان تتعاطى من الأشغال والاعمال ما يتعاطاه الرجال على قدر قوتها وطاقتها . فكل ما يطيقه النساء من العمل يباشرنه بانفسهن . وهذا من شانه ان يشغل النساء عن البطالة ، فان فراغ ايديهن عن العمل يشغل السنتهن بالاباطيل وقلوبهن بالاهواء وافتعال الاقاويل . فالعمل يصون المراة عما لا يليق ، ويقربها من الفضيلة . واذا كانت البطالة مذمومة فى حق الرجال فهى مذمة عظيمة فى حق النساء . فان المراة التى لا عمل لها تقضى الزمن خائضة فى حديث جيرانها وفيما ياكلون ويشربون ويلبسون ويفرشون ، وفيما عندهم وعندها ... الخ » .

بقيت هناك نقطة هى : سفور المراة واختلاطها بالرجال . وهذه لم يتحدث عنها رفاعة .

وقد تبدو هذه الآراء الآن من الامور المسلمة التى يتعجب القارىء المعاصر من بذل كل هذه الجهود وسوق هذه الحجج من رفاعة الطهطاوى لتاييدها . ولكن احوال المجتمع حين كتب رفاعة كتابه هذا ـ حوالى سنة ١٨٦٠ (١٢٧٧ـ١٢٧٨)هـ تقريبا ـ كانت تجعل رفاعة مقدما على مجازفة وهو يقرر هذه الآراء ويدافع عنها .

على مبارك :

دعوة على مبارك لاخراج المراة العربية من ظلام الجهل الى نور العلم قريبة من دعوة رفاعة الطهطاوى فى جملتها . فهو يدعو لتعليم المراة ، كما دعا صاحبه من قبل ، ولكنه يزيد عليه الدعوة لان تختلط بالرجل اختلاطا مهذبا فى حدود الادب والاحتشام .

وهنا يحسن ان نذكر امرا ، هو التنبيه الى السبيل الذى سلكه على مبارك للجهر برايه هذا . فقد اختار لاعلان رايه هذا طريق التلطف : ساقه على لسان مستشرق انجليزى يتحدث الى صديقه العالم العربى وولده ، ثم يترك رايه بعد ذلك للتامل والاقتناع وتطور الزمن . ولكنا نحس من حديثه وعرضه انه يؤمن بهذه الآراء ويود لو اقتنع بها اهل وطنه العرب .

ومما يقوله على مبارك فى تبرير هذه الدعوة ان مثل هذه المراة اصون لنفسها واحفظ لكرامة اهلها وزوجها . كما يقول ان المتاع الزوجى وما يستوجبه ويلازمه من الحب ، لا بد ان يقوم على اساس من التقارب الفكرى ، او من المساواة الفكرية . فاذا لم يقم ذلك بين الزوجين : **« ... فكيف يوجد الحب ـ بين الزوجين ـ أو يكون للالفة اثر فى القلب ... »**

وهو لا يكتفى ، فى تعليم المراة ، بذلك القدر اليسير الذى يدفع عنها وصف الامية فقط . بل يدعوها لان تبعد فى الثقافة والمعرفة الى اكثر من ذلك . حتى تشارك زوجها فى تاليف كتاب يقترح ان يسمياه : « الارشاد فى تربية الاولاد » وحتى تستطيع ان تضع ، مثلا ، «حاشية» على كتاب يرى أن تسميه : « غرائب الاشجار وعجائب الامصار » ويرى ان الحياة الزوجية تكمل سعادتها بالتقارب الثقافى والذهنى بين المرء وزوجه . وان على الزوجة ان تهتم بما يشغل زوجها من الوان المعرفة . وان عليها كذلك ان تعاونه فى النواحى المادية ايضا . ولا يرى بأسا فى ان تعمل المراة . ولكنه يدافع دفاعا قويا عن تعدد الزوجات وعن التسرى .

وقد فرق على مبارك دعوته النظرية هذه بالعمل . فانشا ـ وهو وزير للمعارف ـ مدرستين ابتدائيتين لتعليم البنات هما : « مدرسة السيوفية » و «مدرسة القربية» فى القاهرة وجعل التعليم فيهما ـ كما جعله فى جميع مراحل التعليم ـ بالمجان .

وقد كانت دعوة على مبارك هذه ، وبالاخص حديثه عن الاختلاط وعن خروج المراة للعمل ، كفيلا بأن يجد من المعارضة مثل ما وجد قاسم امين من بعده . بل ان يلقى من الحرب والقسوة مثل ما لقى هذا ، لولا انه ، كما قلنا ، تلطف وساق هذه الاحاديث على لسان المستشرق الانجليزى الذى صحب صديقه الشيخ «علم الدين» فى رحلة طويلة وتحدث اليه فى امور كثيرة من شئون العلم والثقافة والحياة .

اما ثالث الرواد الى تعلم المراة العربية والدعاة الى نهضتها : «قاسم امين» فنعتقد ان حديثه ودعوته ، وما لقى فى سبيلها ، يحتاج الى فصل آخر نرجو ان نوفق اليه فى وقت قريب .

محمود الشرقاوى

أعلام منسيون

عبد السلام ذهني

بقلم أنور الجندي

كان ذلك اليوم ، من الايام المشهورة فى تاريخ مصر والعرب واللغة العربية ، خلال فترة طويلة من الزمن ، تبلغ الثمانية والخمسين من الاعوام ، انه فى يوم ١٦ ابريل ١٩٣٤ الذى اختاره الدكتور عبد السلام ذهنى المستشار بمحكمة الاستئناف المختلطة ليعلن احكام دائرته لاول مرة باللغة العربية .

وكانت قنبلة اهتزت لها دوائر الاستعمار وشغلت الصحف ، واثارت ازمة طويلة ، استتبعت استجوابا فى البرلمان ، وانعقادا سريعا للجمعية العمومية للمحكمة المختلطة ، واحتجاجا من الدول المشتركة فيها ،الى الحكومة المصرية اذ ذاك — كيف يحدث هذا الامر الخطير ، اذ يجىء مستشار حديث العهد بمنصبه فى المحاكم المختلطة ليخرق التقاليد القائمة منذ انشئت هذه المحاكم فيقدم احكامه باللغة العربية ، اما المسيو هوربيه رئيس المحكمة فقد رفض ان يوقع الاحكام ، وعبد السلام ذهنى مصر على ان تكون باللغة العربية لايقبل ردها اليه ولا صياغتها باللغة الفرنسية ، وتستمر الازمة فيمنع الدكتور ذهنى من العمل ، ولا توزع عليه القضايا ، ورئيس المحكمة يمضي فيقابل وزير الحقانية ، ويثير ازمة ، والمستشار المصرى ثابت كالطود يقول كلاما واضحا صريحا ، ويدافع عن وجهة نظره بالقانون ، ان اللغة العربية هى اولى اللغات الرسمية المقررة امام المحكمة المختلطة ، والمادة (١٦) من لائحة المحاكم تنص على ان اللغات القضائية التى تستعمل امام المحاكم فى المرافعات وفي كتابة الاوراق والاحكام هى : العربية والانجليزية والفرنسية والايطالية ، ومن الظلم ان تكون لغة البلاد الرسمية مقررة امام المحاكم المختلطة منذعام ١٨٧٦ ويهملها المستشارون المصريون ، بينما هى لغة تسعة اعشار ارباب القضايا ، فلا يصدر حكم عربى واحد ، ولا يكتب محضر جلسة واحدة بها ، ولا يتقدم محام مصرى ليترافع بها ، وهو تفريط الى استعمال الحق الذى خول لهم .

فاذا قال هوربيه : انه لا يفهم اللغة العربية ، كان الرد عليه : اذن لماذا يقبل الاحكام التى يكتبها المستشارون الايطاليون باللغة الايطالية مع انك لاتعرفها ونحن لانعرفها ايضا .

ومضى احد عشر مستشارا من الاجانب فى اقناع عبد السلام ذهنى ، محاولين رده عن هذا الامر دون جدوى ، فلما لم يجدو الى اقناعه سبيلا رجوه الا يثير الصعوبات امام زملائه .

فاصر عبد السلام على ان اللغة العربية مقررة رسميا واعلن انه تمسك بالاحكام التى كتبها بالعربية ومتمسك بالنطق بها كما هى ، واعلن انه لم يحاول اثارة الصعوبات امام زملائه وقال : « لقد راعيت فى الاحكام التى كتبتها باللغة العربية انها صادرة عن مصالح مصرية ، وشئون محلية يجب ان تصاغ بلغة البلاد نفسها ، وانى اعرف ان فى اقلام الكتاب موظفين يجيدون اللغة العربية ويستطيعون اخراج نسخ الاحكام بها ، وانه لامحل لمخالفة (المادة ١٦) فاللائحة عقد بين الحكومة المصرية والدول صاحبة الامتيازات ، ولذا لا تستطيع الجمعية العمومية ان تصدر قرارا يمنع تدوين الاحكام باللغة العربية ولو انها اصدرت قرارا كهذا لوقعت فى خطأ قانونى كبير .. » وقال اننى ثابت على موقفى ارفض كل الرفض نقل هذه الاحكام الى لغة اخرى وان كانوا يجهلون اللغة العربية فما ذنبنا فى عدم توافر الشروط لجلوسهم على منصة الاحكام .

ولم يمض هذا الحادث دون ان يثير فى الفكر المصرى العربى هزه ضخمة فقد كان فاتحة الدعوة الى تعريب احكام المحاكم وخطابات البنوك وفواتير الشركات والمؤسسات ولافتات الشوارع والمحلات .

واهتز الشعر للحادث فنظمت القصائد وانهالت البرقيات من الهيئات المختلفة مؤيدة ، ولم تجد الحكومةسبيلا الا ان تجرى معالتيار الوطنيالشعبى القوى ، وممن نظم شعرا فى ذلك محمد الاسمر وفايد العمروسي .

ووجهاحمد زكى باشا الملقب بشيخ العروبة خطابا مفتوحا الى الدكتور ذهنى جاء فيه قوله : **« لقد اثبت اليوم ياعبد السلام مالم يستطعه اسلافك الاولون من القضاة المصريين فى المحاكم المختلطةوانت اصغرهم سنا واحدثهمعهدا »** .

وقالت الكاتبة مى **« ان عبد السلام ذهنى لن ينهزم ، سيظلثابتا مكانه لا يتحرك ، ولئن منعوا عنه**

القضايا فليس هو الذى يأبه لهذه المناورات ، ولئن تعمدوا اهانته فالاهانة لاتبلغ موطىء قدمه حتى تنقلب لذكره فخارا .. » .

والواقع ان هذا الامر لم يكن غريبا بالنسبة لعبد السلام ذهنى وماضيه الناصع فقد كان واحدا من المدافعين عن اللغة العربية عام ١٩٢٢ واحد اساتذة الحقوق الذين عهد اليهم اذ ذاك تدريس العلوم القانونية فى مدرسة الحقوق باللغة العربية بدلا من الانجليزية ، وقد عاشت معه هذه الفكرة حتى جاء الوقت الذى اتيح له فيه ان يدخل القضاء المختلط وينفذها على هذا النحو المثير .

وقد أدته حصافته ان يبدأ على النحو الطبيعى . فقد امضى ثلاثة اشهر قبل ان يعلن خطوته ، كان خلالها يكتب الاحكام باللغة الفرنسية ، على نحو ادهش زملاءه باجادته وبراعته ، ولعله خشى ان يبدأ باصدار احكامه باللغة العربية فيقال انه انما كتب بها عجزا ، فقد ترك احكامه الاولى بالفرنسية تحقق له تهنئة رئيس المحكمة ومستشاريها ليكون ذلك مقدمة لاعلان حق مصر فى تأكيد لسانها العربى فى المحكمة المختلطة .

ولم يكن عبد السلام ذهنى رجل قضاء وقانون بقدر ما كان احد المفكرين العرب ، اصحاب الاثر الواضح فى مجال الدراسات العمرانية والتشريعية فقد كتب قبل ذلك اكثر من سبعة آلاف صفحة فى ثلاثة عشر مصنفا كانت مرجعا للمحاكم الاهلية والشرعية والمختلطة فى تدعيم احكامهم .

وله بالفرنسية كتاب « مسئولية الحكومة باعتبارها صاحبة الولاية العامة ، وكتاب القطن المصرى واهميته فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى مصر وله بالعربية مؤلفات فى الالتزامات والاموال والتأمينات والتسجيل والقانون التجارى والرومانى .

وقد عمل عبد السلام ذهنى فى ميادين ثلاثة : التعليم الجامعى ، القضاء ، التأليف والصحافة ، وكان منذ شبابه على صلة بالفكر والكتابة ، ففى عام ١٩٠٧ وفى صحيفة المؤيد وبين مقالات على يوسف ومصطفى المنفلوطى وكرد على وعبد القادر المغربى وسليم سركيس تبدو مقالات عبد السلام ذهنى عن «التضامن العمرانى» واضحة الدلاله على اتجاهه الوطنى والفكرى محاولا ان يرسم للامة خطا وينشىء تيارا صريحا فى مجال العمل ، وازالة بعض ما علق بالنفوس من اليأس والقنوط فى السعى ، ثم هو صاحب البحث القانونى فى المؤتمر الوطنى المعقود فى نوفمبر ١٩١٠ عن التشريع والقضاء فى مصر ، وله بحوث مستفيضة عن الصحافة وعن التطور الاجتماعى والتشريعى .

اما فى « الجامعة » فهو واحد من الذين حملوا لواء تعريب التعليم الجامعى بعد ثورة ١٩١٩ حيث عمل مدرسا بالحقوق السلطانية (١٩٢٢ — ١٩٢٧) وتكشفت اذ ذاك شخصيته ذات الطابع المميز وكان له جهده واثره فى تأسيس كلية الحقوق وتحويلها من مدرسة الى كلية جامعية .

وفى مجال « **القضاء** » اصدر مئات من المبادىء القانونية ، حيث فصل فى عديد من النقط الاختلافية على نحو جرىء ، فقد عرف عنه انه اذا اقتنع برأى اظهره فى حكمه ولو خالف به احكاما سابقة مهما علت قيمة الدوائر القضائية التى اصدرتها مدللا على رأيه ومفندا للاحكام السابقة بحجج علمية مبينة .

وقد ولد عبد السلام ذهنى بالاسكندرية من اسرة متوسطة فى اعقاب الاحتلال البريطانى ١٨٨٤ تقريبا وهو من اتراب عبد الحميد بدوى وعبد الحميد ابو هيف ، وعاد من باريس عام ١٩٠٦ بعد ان نال الليسانس حيث عمل محاميا فى بنى سويف وتابع دراسته القانونية حتى احرز اجازة الدكتوراه فى العلوم القانونية من كلية الحقوق فى جامعة ليون عام ١٩١٤ واجازة الدكتوراه فى العلوم السياسية والاقتصادية عام ١٩٢١ وعمل فى التدريس حتى عام ١٩٢٧ .

عندما ولى منصب القضاء مستشارا بمحكمة الاستئناف الاهلية فالمختلطة فى اوائل ١٩٣٤ .

وقد عرف فى حياته القضائية برحابة الصدر وطول الاناة ، يرشد الجمهور الى حقوقه وواجباته وتطول احيانا جلساته الى وقت متأخر من الليل ، وكان يعمد دائما الى تصفية النزاع بين الخصوم فى الجلسة امام الجمهور ولم تعرف جلساته المشادة بين المحامين والقضاء .

وكان الى ذلك مثقفا متصل الاواصر بتطورات الثقافة العالمية ، واسع الاطلاع فى المسائل العامة مولعا بالرياضة ، كريم الخلق طيب النفس ، صريحا يقول مايعتقد انه الحق دون مواربة ويصر عليه ، لا يرهب ولا يخاف ، وقد كانت تجربته فى اعلان احكامه باللغة العربية مثلا عاليا لهذا الخلق فى تأكيده لرأيه « انما اريد ان تكون لغتنا القومية موجودة ، وهى احق من غيرها بالشيوع والاستعمال » وتوفى عام ١٩٤٣ .

« انور الجندى »

القرآن وهذا الشطط

بقلم

محمد عبدالله السمان

لست ادرى لم يصر بعض الناس على ان يحمل القرآن ما لا طاقة له به ، حين يحاول أن يخرج به عن الاطار الذى وضعه الله له ؟

ان الآيات التى حددت أهداف القرآن ، ابانت فى ايجاز انه كتاب هداية ، وتتمثل فى حدود هذه الهداية قيم التربية والتوجيه ، والعظة والتذكير ، على منهج واضح من الترغيب والترهيب ، وذلك لتهذيب السلوك ، وبناء كل من الفرد والمجتمع والدولة على اسس سليمة من المبادىء الرشيدة ، والمثل الرفيعة .

ويظهر ان مثل هذه الأهداف لم تقنع عقليات لها شغف بالغلو ، وولع بالتطرف ، فاخذت فى اجهاد اذهانها تتأول الآيات القرآنية تأولا يفسد المعنى ، ويذهب بالجمال الفنى لهذه الآيات ، لتتوهم بعد ذلك ان القرآن جمع علوم الأولين والآخرين ، بل حتى العلوم التى ستهتدى اليها عقول البشر فى المستقبل القريب والبعيد الى ان يرث الله الارض ومن عليها ، ثم تبنى على ماتوهمته قاعدة تؤكد الاعجاز العلمى فى القرآن .

والذين شاهدوا منذ شهور بعض حلقات برنامج « نور على نور » بالتليفزيون العربى ، التى خصصت لمناقشة فكرة الاعجاز العلمى للقرآن ثم الاقتناع بها ، واشترك فيها استاذ للعلوم الطبيعية بجامعة القاهرة واستاذ للفلسفة بكلية اصول الدين بالجامعة الازهرية ، الذين شاهدوا هذه الحلقات لابد ان المثقفين المستنيرين منهم على الاقل لمسوا كيف استغل تفسير الآيات القرآنية استغلالا سيئا فى محاولة اثبات شىء للقرآن هو فى غنى عنه ، وخير له ان يكون فى غنى عنه ، لان اخضاع الآيات القرآنية لنظريات قابلة للأخذ والرفض ، والاقرار والنقض، قد يعرض القرآن نفسه لشىء من البلبلة . ولا اقول : الشك .

والعجيب : ان المجلس الاسلامى الأعلى التابع لوزارة الاوقاف ، اسند منذ عامين الى لجنة جمعت فاوعت من علماء الدين والمهندسين والأطباء وغيرهم لوضع تفسير علمى للقرآن ، ولم تزل هذه اللجنة تواصل مهمتها الى اليوم ، دون ما اعتبار لجهود ضائع سدى ، **ولو** ان هذه اللجنة الموقرة استهدفت وضع تفسير بيانى حديث للقرآن مجرد من الحشو والاسفاف اللذين عنيت بهما التفاسير الموروثة ، لكان خيرا لها الف مرة ومرة من محاولة لا ترفع من قدر القرآن بل ربما تضر به ، **ولعل** اللجنة الموقرة ايضا قد غاب عنها ان المرحوم الشيخ **طنطاوى جوهرى** سبق أن وضع تفسيرا علميا للقرآن اسماه « **الجواهر** » تكلف فيه وتعنت . وشط وتطرف ، ولا اعتقد انه نال تقدير مثقف مستنير ، وها هى ذى طبعته الأولى منذ زهاء ربع قرن لم تنفد بعد ، واصبح هذا التفسير من التفاسير المهجورة لا المطروقة ، مع ان المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى كان عالما وحكيما واديبا ، واستاذا بكلية دار العلوم ، متقنا بعض اللغات الاجنبية ومن الذين الفوا فى كثير من الفنون وبالأخص الموسيقى العربية .

واعجب من هذا وذاك ان طبيبا معاصرا يتمتع بجانب من الشهرة اضاف منذ شهور الى المكتبة العربية كتابا اسماه « القرآن والطب » اكره فيه الآيات القرآنية على ان تكون طوع تفكيره او طوع خياله بعبارة ادق . ولمثل هذا الكتاب خطورته لان مؤلفه طبيب يثق العوام فيما يكتب باعتبار تخصصه، **وازاء هذا** لاالوم اذن على المشعوذين وكتاب الاحجبة والتعاويذ الذين لم يزالوا يباشرون مهمتهم فى علاج الامراض المستوطنة وغير المستوطنة فى الريف بالآيات القرآنية ، ولازلت اذكر احد المشعوذين فى قريتنا ، كان يعالج كل مريض بكتابة قوله تعالى : «وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم» فى اناء ثم يذيبها بماء يقرأ عليه فاتحة الكتاب وآية الكرسى سبع مرات ، ويسقيه للمريض المغلوب على امره .

***

ان المتعصبين لفكرة الاعجاز العلمى للقرآن يجانبهم الصواب حين لا يقفون عند حد المفهوم للفظة الاعجاز فالاعجاز لغة معناه اتيان شىء خارق للعادة يعجز عنه البشر ، ومن هنا كان القرآن معجزا من الناحية البيانية ، تحدى الله به البشر ، وسيظل تحديه قائما

البقية على صفحة ٢٢

في رحيل العقاد

المعبد الحزين

للشاعر محمود حسن اسماعيل

مع الطارق الأخير لباب المعبد ، وهو يتسلل الى محراب الفكر ، والعبقرية ، والخلود .

من ذلك الطارق ؟ .. لا صوت ، ولا دق يد ..
هز السكون !
ولا عزيف من خيال .. مس صمت الأبد ..
ولا ظنون !
ولا رؤى عقل .. من الأوهام مهتز اليد ..
ولا جنون !
ولا أساطير .. تهاوت من رغاء الأبد
ولا شجون !
ولا شراع .. شيع الريح بهمس الزبد ..
ولا سفين
ولا صدى من دمدمات النفس .. طي الخلد ..
ولا رنين !
الباب صمت ، والدجى صمت .. غريق الكمد ..
ولا عيون ،
ترمق شيئا ، اى شيء ، .. فى سكون المعبد ..
.. ماذا يكون ؟!
.. انامل خفية تنسل .. دون موعد ..
الى الجفون
تستل بالفجاة شيئا ، من كيان الجسد ،
لا يستبين ،
فيطفأ النور .. بلى !! الا على موسد
فى الخالدين !!
تلفت المحراب ، كالمأخوذ فى دهشته
الى الفضاء !
وحومت اسراب طير هجن من حسرته
بلا غناء !
نوادبا ، تنزف نار الثكل من مهجته
بلا بكاء !
تدور حول فجرها المسبل فى رقدته
على الضياء !
مذبوحة الأوتار .. لم تعزف على بغتته
الا دماء !
اذهلها الاعصار ، لم تمهل خطا دورته
يد القضاء !
اذهلها الجبار .. لم تخذله عن قوته
الا السماء !
اذهلها التيار .. لم يفصمه عن لجته
الا الفناء ،
اذهلها الاصرار .. سجاه على وقفته
فى كبرياء !!
اذهلها الموت ، وما يخفيه من فجاته
حين يشاء
فاطرقت للمعبد المخنوق فى دمعته
تبغى العزاء !!
وانتفض المحراب من غشيته يروى أساه
رؤيا نشيد !
ياراهب الفكر ، ويا مايرده المعلى ذراه
فوق الوجود !
جعلته قدسا عتى الافق لا يروى ثراه
الا السجود !
جعلته حرا ، أبى الحرف ، تجتاح خطاه
وهم القيود !
جعلته شمسا على الانسان تسقيه ضحاه
أنى يريد !
جعلته لا يجعل اللقمة همسا فى سراه
شان العبيد !!
جعلته لم يبق للجهل امانا فى كراه
حتى يبيد !!
جعلته دين الخطا .. ان قدس الزحف هداه
يفنى الحدود !!
جعلتنى ديرك . لم تشرك به الا هواه ..
يا للعهود !!
عشنا معا .. حتى اذا المقدور بى القى عصاه ،
وانشق عود ..
بنى لك الدهر على طول المدى ، فوق الشفاه
دير الخلود !!

محمود حسن اسماعيل

الذكرى العطرة

للشاعر محمد هارون الحلو

خير البرية في الخلائق احمد   صلى عليه الله فهو محمد
من عهد ابراهيم ، وهو رسالة   في الغيب يحفظها الزمان الأسعد
بشرى المسيح غدا بها في قومه   ومضي بآيات الهدى يتزود
عبر القرون بهن أحمد ، واستوى   فينا ، وفي يده اللواء الأمجد
هذا النبي ، هو الذؤابة من بني   عدنان ، وهو على العروبة فرقد
يا خير خلق الله يومك آية   للحق نحفظ عهده ، ونجدد
يا خير خلق الله يومك نفحة   علوية من فيضها نتزود
يا خير خلق الله يومك صفحة   وضاءة فيها العلا ، والسودد
ذكرى بها ارتقب الزمان شبابه   غضا ، وندى راحتيه المولد
غيث صبيب في الوجود تدفقت   منه الهداية فهو نعم المورد
وسنا تالق في القلوب • ضياؤه   امل تقر به العيون ، وتسعد
في كل عام للزمان قلادة ..   بالمشرق الأسنى تعز ، وتمجد
الله جل قد اصطفاه لأمة   يوما كريما نوره يتجدد
هو يوم خير الخلق يوم محمد   يوم اغر على الزمان مخلد
نعم البشير ، وقد افاض على الورى   نورا سناه على الصباح مورد
جاء النبي مزودا برسالة   ومضي بها يهدي القلوب ، ويرشد
ويعد للناس الحياة كريمة   ويقيم اركان العلا ، ويشيد
وكتابه بيمينه يهدى به   للرشد ، والله العلي مؤيد
كانت حقيقة دينه في هديه   للناس : أن الله رب أوحد
شمس الهداية ، قد غدوت برحمة   للخلق ، والأيام عيش آنكد
كانت قريش تهيم بين جهالة   جهلاء ، تجثو للضلال ، وتسجد
ويخر للصنم الأصم جبينها   ياسوء ما اعتصموا به ، وتزودوا
سلبوا الخلال كريمة ، واضلهم   ابليس ، وهو على الغواية مفسد
فسطعت في حلك الظلام ، واشرقت   بك في الوجود حقيقة لا تجحد
وغدوت فيهم منذرا ، ومبشرا   تهدى الى الحسنى ، ودينك ارشد
في يثرب انبثق الضياء ، وهللت   بالفرصة الكبرى قلوب تنشد
وافاهم الأمل السنى ، فعانقوه   وآثروه ، وهم له نعم اليد
لك ما قلبوا به من نصرة   المختار ، والمختار فيهم سيد
قد ملكوه رقابهم ، ومضوا على   حكم النبي ، فآزروه ، وايدوا
وهو الحفي ببرهم ، وبودهم   وهو الكريم بما به يتودد
دين السلام اقام منه منارة   للحق تهدى للحجى ، وتسدد
وبنى اساس العدل ، وهو كرامة   في ظله العيش الهنيء الأرغد
طوبى لنا هذا اللواء يؤمنا   وعليه نمضي للعلا ، ونشيد
صلى عليك الله يا فلق الهدى   مارف في افق الصباح مغرد

محمد هارون الحلو

بقية المنشور على صفحة ١٩

ما قامت السماوات والأرض .. اما العلم بسائر نظرياته فمن صنع البشر ،ولايصلح قاعدة للتحدى، لأن نظرياته من الممكن الا تتمتع بصفة البقاء ، وفى كل يوم تظهر نظريات اخرى جديدة ، وسيظل الفكر البشرى ينتج وينتج الى ما شاء الله .

وهؤلاء المتعصبون لفكرة الاعجاز العلمى للقرآن يعتمدون كثيرا فى محاولاتهم على قوله تعالى : « مافرطنا فى الكتاب من شىء » **وازاء هذا** يؤكدون احتواء القرآن على علوم الاولين والآخرين ، **على** ان الآية ليس فيها ما يطمعون فيه ، والمفسرون القدامى والمحدثون على السواء لم يتفقوا على ان المقصود بالكتاب فى الآية القرآن ، **فمنهم** من يرى انه اللوح المحفوظ ،**ومنهم** من يرى انه العلم الالهى المحيط بكل شىء ، **والذين** يرون انه القرآن قالوا فى تفسير الآية **وهذا قول القرطبى** : ما فرطنا فى الكتاب من شىء اى ما تركنا شيئا من أمر الدين الا وقد دللنا عليه فى القرآن ، اما دلالة مبينة مشروحة واما مجملة يتلقى بيانها من الرسول او من الاجماع او من القياس الذى ثبت بنص الكتاب »

ولا جدال بعد ذلك فى ان التعصب لفكرة الاعجاز العلمى للقرآن لابد ان يقترن بالضغط على الآيات القرآنية حتى تستجيب ، وبالتماس تفسيرات لها لاترتبط بمفهومها الذى أراده الله فى شىء ، **ولا اعتبار** بالطبع للتناقض الذى لابد ان يكون . وسأعرض مثلا واحدا ، من كتاب عن القرآن والعلم الحديث ، أصدر مؤلفه غيره عديدا من الكتب فى هذا المجال ، وفى هذا الكتاب وغيره يحاول المؤلف أن يعتبر ان القرآن ليس كتابا علميا وحسب ، بل هو مصدر لكل نظريات العلم الحديثة ، **فهو** يذكر مثلا ان : اهم النظريات العلمية التى بنيت عليها قواعد علم الوراثة الذى يعتبر من اهم العلوم التى يتميز بها العصر الحديث .. وان من ضمن النظريات العلمية فى علم الوراثة التى سبق بها القرآن هذا العلم نظرية وراثة الصفات .. وقد توصل **فرانسيس جولتون** فى عام ١٨٩٧ الى وضع قانون أسماه « **قانون التوارث عن السلف** » استمده من نتائج أبحاثه . ويتلخص هذا القانون فى ان كل فرد يأخذ نصف صفاته من أبيه والنصف الآخر من امه ... ومن عجب أن القرآن الكريم قد قرر هذه النظرية قبل العلم بعشرات المئات من السنين، اذ يقول فى سورة مريم « يا أخت هرون ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا » .. أى ان مريم لا يمكن ان تكون خاطئة او آثمة اذ لم ترث هذا الخطأ من الأب أو الأم .

ولا حاجة بنا الى القول بأن المؤلف يخلط بين الصفات المادية البدنية التى تدخل فى نطاق علم الوراثة او السلالة ، والتى اقام عليها جولتون نظريته ، وبين الصفات المعنوية الخلقية التى اشارت اليها الآية القرآنية المذكورة ، فالصفات الاخيرة لا علاقة لها بالسلالة او الوراثة ، على الرغم من أن الآية القرآنية خاصة وليست قاعدة عامة ، والا فكيف نفعل بنصة ابن آدم قابيل الذى سفك دم اخيه بنص القرآن ؟ فمن أين ورث صفة سفك الدماء هذه ؟ والغلام الذى قتله الخضر امام موسى خشية ان يرهق أبويه المؤمنين طغيانا وكفرا ، فمن اين ورث صفتى الطغيان والكفر وأبواه مؤمنان ؟

وبعد ــ فنحن لا ننكر ان القرآن لا يمكن أن يعارض العلم ، لان العلاقة بينهما قائمة من حيث دعوة القرآن الانسان الى النظر فى الكون وتدبر آياته وعجائبه ، **فالكون** ــ كما يقول الامام **محمد عبده** ــ كتاب مفتوح يقرؤه كل انسان ويتأمل فى خلق الله ــ وازاء هذا الفهم القرآن ، برزت مجهودات بعض المفكرين الاسلاميين فى شتى ميادين العلم امثال : **الخوارزمى والبيرونى وابن الهيثم والبتانى والرازى والكندى والخازن وابن سينا .**

اما الذى ننكره هو الضغط على الآيات القرآنية الى درجة الشطط والاعتماد على قوله تعالى : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » لنخرف بما لايعقل، فهل من المعقول ان نرحب بالقول المنسوب الى ابن عباس : « لوضاع لى عقال بعير لوجدته فى كتاب الله تعالى » ام نطمئن الى قول ابن العربى : « علوم القرآن خمسون علما ، واربعمائة علم ، وسبعون الف علم ، على عدد كلم القرآن ، مضروبة فى اربعة ، اذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومطلع .. وهذا مالا يحصى ولا يعلمه الا الله » ؟؟

« **محمد عبد الله السمان** »



الكوميديا فى مسرحنا

بقلم عبد الفتاح البارودى

ان ظاهرة ضعف التقييم الفنى تبدو بوضوح فى موقف النقاد من الروايات الكوميدية ، سواء الروايات التى قدمتها الفرق التليفزيونية أم الفرق الاهلية ··· وهذه ظاهرة خطيرة ، لان الكوميديا من أقرب الالوان المسرحية الى الناس ، واوثقها ارتباطا بالمجتمع ، واكثرها فاعلية فى النقد الاجتماعى ، فكيف ندرك أسرارها اذا لم نهتم بتقييم الكوميديات التى تعرض على مسرحنا ؟!

خذ مثلا · كوميديا (الخاطبة) التى الفها ثورنتون وايلدر وترجمها صالح زكى واخرجها محمود مرسى للمسرح التليفزيونى ·· هذه الكوميديا ليست من الكوميديات العالمية المستوى ، فان طابع « الفارس » يغلب عليها ، وفيها خطابيات مباشرة ومطولة ، والمؤلف يتعمد الاضحاك أحيانا بوضع الرجل فى ملابس المرأة ووضع المرأة فى ملابس الرجل ، ورغم كل عيوبها فان مؤلفها يسخر بها سخرية شديدة من المجتمعات الراسمالية ··· انه يضحك الامريكيين على أنفسهم ·· انه يصور لهم مساوىء سيطرة المال على المجتمع الامريكى ، وتفاهة اهتمامهم بالمظهريات ·

فنحن نرى «جيلدر» الثرى الذى تجاوز الخمسين يريد أن يتزوج فتاة عمرها ١٨ سنة ، وينظر الى رئيس العمال فى متجره كما ينظر الى حذائه ، وكل هذا لمجرد انه ثرى ··· ونحن نرى من جهة أخرى أن رئيس العمال عندما يسافر الى نيويورك ويدخل أحد المطاعم بها ينظر الى « الجرسون » فيتوهم انه « لورد » لمجرد انه يرتدى ملابس الجرسونات التى تشبه ملابس اللوردات ··· ونحن نرى من جهة ثالثة أن « مسز ليفين » تحتال على « جيلدر » حتى تتزوجه لمجرد طمعها فى ثروته ·· الخ ·

هذا يعطينا فكرة عن قدرة الكوميديا ــ حتى ولو كانت من نوع « الفارس » ــ على النقد الاجتماعى وفعلا يعتبر الفن الكوميدى من أقوى الادوات النقدية ·

ونحن فى مجتمعنا الذى يؤمن بضرورة النقد والنقد الذاتى ، أحوج ما نكون الى ممارسة هذا الفن ، ولكن كيف نمارسه ممارسة فنية سليمة اذا كنا ننظر اليه كتسلية فقط ·· لو كنا ننظر اليه نظرة جادة لاهتممنا بتقييم الروايات الكوميدية التى تعرضها مسارحنا ، وخاصة أن الكوميديات التى قدمها المسرح التليفزيونى ــ مثلا ــ اجتذبت جمهورا ضخما ·· اذن لماذا تجاهلها النقاد ! ··

بعضهم يعلل هذا التجاهل بأن كوميدياتنا ــ غالبا ــ مترجمة أو مقتبسة من كوميديات أجنبية هى بطبيعتها تعتبر نقدا لبيئتها الاصلية التى ظهرت فيها ·· وهذا صحيح ، ولكن هذه الكوميديات نفسها تعتبر بالنسبة لنا نماذج تطبيقية نعرف منها كيف يعالج المؤلفون العالميون هذا الفن ، وكيف ينقدون اخطاء مجتمعاتهم بالاسلوب الفنى ···

وكوميديا (الخاطبة) التى أسلفت الاشارة اليها تعتبر مثالا لذلك ... وهناك طبعا امثلة لاحصر لها من كوميديات اخرى فى مجتمعات أخرى .. فليس فى الدنيا مجتمع واحد لايحتاج الى نقد ، ولهذا تعددت اساليب الكوميديات فى مختلف المجتمعات ومختلف العصور ، ومن المفيد لنا ان نعرض مختلف الكوميديات على مسارحنا لنعرف مختلف هذه الاساليب ، ونحاول ان نؤلف كوميديات خاصة بنا ومرتبطة بمجتمعنا .

واذن فمن الضرورى الاهتمام بالكوميديات المترجمة ، وبالكوميديات المقتبسة اذا كانت عملية الاقتباس سليمة فنيا .. اما اذا كانت مقتبسة بطريقة ارتجالية كما يحدث أحيانا ، فان هذا أدعى الى الاهتمام أيضا لنكشف أخطاءنا ونوجه الكتاب توجيها فنيا ... هذه كلها مسائل يعتبر النقاد مسئولين عنها ، فكيف يتجاهلون واجباتهم نحو تقييم الكوميديات ؟! .

العجيب أن بعضهم يعلل هذا التجاهل - بالنسبة للكوميديات المؤلفة مثلا - بأنها هابطة المستوى ، ولهذا فانها فى نظرهم لا تستحق المناقشة .. وهذا بالبداهة منطق معكوس ، فقد كان الاجدر بهم أن يتناولوها بالشرح والتحليل ، لمعرفة أسباب هبوط مستواها ، ومحاولة معالجة هذه الاسباب .

مهما تكن حالة الكوميديا عندنا فان فرقنا الكوميدية فى حاجة الى تقييم فنى ، لانها - وبخاصة الفرق التليفزيونية - تبذل جهودا ضخمة ، وهذه الجهود يمكن بالتقييم توجيهها وتعميقها ... فنحن فى حاجة الى فهم طبيعة ووظيفة الكوميديا لنضع هذه الاداة الاجتماعية فى خدمة المجتمع .. ونحن فى حاجة الى خلق المؤلف الكوميدى لانه لم يولد بعد فى بيئتنا .. ونحن فى حاجة الى تصحيح مفهوماتنا عن الكوميديا لان كثيرين لايزالون يتوهمون انها ضحك واضحاك فى حين انها أحيانا تقترب من « المأساة » ، كما هو الحال فى بعض كوميديات موليير مثلا .. ونحن فى حاجة الى الانتقال من مرحلة الاقتباس لان كثيرين لايزالون يقتبسون بلا هدف فنى ، بل لمجرد الاستفادة من «التركيبة» الفنية فى الكوميديات الاجنبية وحشوها بالنكت والافتعالات .. الخ .

كان من واجب النقاد أن يتناولوا كل هذه النواحى من خلال تناولهم للكوميديات التى عرضت فى هذا الموسم .

فمثلا كان يمكن من خلال مناقشة المترجمات الكوميدية ان نأخذ فكرةعن أصول الكتابة الكوميدية ولكن عندما عرضت هذه المترجمات لم نجد من يرشدنا الى ذلك ... ان كوميديا « الخاطبة » عرضت منذ أيام ولم نجد من يشرح لنا فن مؤلفها تورنتون وايلدر .. و « مقالب سكابان وطبيب رغم أنفه » عرضتا منذ قريب ولم نسمع شيئا عن فن مؤلفهما موليير .. وهكذا .

لو اننا ناقشنا فن تورنتون وايلدر لأخذنا فكرة عن الصورة التى تطورت اليها الكوميديا فى أمريكا انها صورة أعمق بكثير من الالوان السائدة فى المسرح الكوميدى الامريكى الذى تنتشر فيه الكوميديا الموسيقية والاستعراضية والهزلية ..الخ ثم ان هذه الرواية قدمت لنا ظاهرة جديدة ، أو على الاقل أكدت هذه الظاهرة .. فهى مكتوبة باللغة الفصحى ومع ذلك فهمها الجمهور واقبل عليها وضحك فى مواضع الضحك ... ان هذا يضع حدا للمشكلة الساذجة التى شغلتنا طويلا بلا مبرر ، وهى مشكلة المفاضلة بين الفصحى والعامية فى المسرح ، وفى الكوميديا بالذات ، فالعبرة فى المسرح بلغة المسرح ... كذلك قدمت لنا هذه الرواية ظاهرة اخرى : كيف اقبل المتفرجون على هذه الرواية رغم أن شخصياتها واحداثها تدور فى بيئة امريكية غريبة عليهم ؟! ان هذا يؤكد أن الكاتب الذى يصل الى المستوى الفنى يستطيع أن يعمق الاحداث المحلية عن طريق ربطها بروابط انسانية ، وبذلك يتحول الموضوع المحلى الى موضوع يفهمه الناس فى بيئته وفى غير بيئته .. ان هذا يفيدنا فى ادراك أسرار التاليف الفنى .

أيضا لو ناقشنا روايتى موليير لأخذنا فكرة عن المراحل التى تطور فيها فن موليير تطورا سليما حتى وصل الى ذروة التاليف الكوميدى .. ان الروايتين من نوع « الفارس » ، والشائع بيننا أن « الفارس » ليس له قيمة فنية كبرى .. ولكن موليير استطاع أن يمارسه ممارسة أكسبته قيمة كبرى ، وعلى هذا الاساس استطاع ان يتطور به الى الكوميديا الرفيعة .. هذه أيضا نقطة تفيدنا جدا فى تطوير محاولاتنا التى تشبه « الفارس » الى محاولات تفتح لنا طريق الوصول الى الفن الكوميدى .

واذن فمن الواضح أن تقصير النقاد فى مناقشة الكوميديات المترجمة التى شاهدناها فى هذا الموسم أضاع علينا فرصة الاستفادة من عرضها .

كذلك شاهدنا مقتبسات كوميدية كان من المفيد جدا أن نناقشها .. وليست المشكلة اننا نقتبس . فمن البديهى أننا نلجأ الى الاقتباس بسبب افتقارنا الى « المؤلف » .. وانما المشكلة هى : لماذا نقتبس - غالبا - من الوان معينة لانكاد نتجاوزها ؟! لقد حدث خلال الموسم أن فرقة المسرح الكوميدى قدمت رواية باسم « لوكاندة الفردوس » ، وفرقة الريحانى قدمت رواية باسم « كل ده كان ليه » ، والمدهش أن الروايتين مقتبستان من مصدر أجنبى واحد .. والسؤال هو : لماذا اعتاد المقتبسون عندنا أن يقتبسوا من مصادر معينة ؟ .

الواقع أن مسرحنا فى الماضى لم يكن يعرف أهداف الكوميديا ، ولهذا لم يهتم بها كأداة نقدية بالمعنى الحقيقى .. ان الظروف التى عاش فيها مسرحنا فى الماضى لم تسمح له بالتعمق ، ومن أجل ذلك استخدم الكوميديا بالمعنى الهزلى .. والنتيجة أنه عندما التجا الى الاقتباس اختار روايات لايقصد بها غير اثارة الضحك بأساليب سطحية .. لو أن النقاد ناقشوا الروايات المقتبسة لألقوا الضوء على هذه الحقائق ، ولحاولوا تغيير هذا التقليد الذى سار عليه مسرحنا فترة طويلة ، ولحاولوا توجيه الفنانين المسرحيين الى ضرورة فهم وظيفة الكوميديا ومدى ارتباطها العميق بالمجتمع .

تحدثت عن هذا النوع من المسرحيات المقتبسة لأن فرقنا الاهلية اعتادت تقديمه واعتمدت عليه اعتمادا رئيسيا ، وهى فرق لها جمهور كبير ، ومن واجبنا فى مرحلة الوعى أن نهتم بها لنحاول تصحيح مفهوماتنا الفنية .

اما فرق التليفزيون فرغم أنها قدمت روايات كثيرة من هذا النوع أيضا ، فانها قدمت محاولات كثيرة اخرى من أنواع مختلفة ، وهى فى ذلك كله فى حاجة الى النقد الواعى .. لو أن النقاد ناقشوها لاثاروا مشكلات فنية فى غاية الافادة .

بصرف النظر عن مشكلة الاقتباس من الهزليات التى يجب التوقف عن اقتباسها ، أمامنا مشكلة الاقتباس من الكوميديات ذات القيمة الفنية ، وهل الافضل أن نقتبسها أم نترجمها كما هى ... واذا اقتبسناها فهل نغير فقط اسماء الشخصيات وأماكن الاحداث ، أم ناخذ فقط هيكلها ونضع فيه شخصيات واحداثا محلية ؟ وامامنا مشكلة التناول الفنى .. ان مسرحية « العبيط » مثلا فكرتها جيدة جدا ، والتناول جيد أيضا لولا شىء من الاسراف فى تحضير مكونات الاضحاك ، ولهذا ازدحمت الرواية بالاحداث وبالشخصيات ، ومع ذلك تعتبر من أنجح روايات الموسم ، بعكس رواية « ملكة الاغراء » التى فشلت رغم أن فكرتها جيدة جدا ... انها تحاول تصوير أسباب تخلف الفن السينمائى عندنا نتيجة للجهل المتفشى فى الحقل السينمائى .. فنحن نرى راقصة لادراية لها بالسينما تتحول الى منتجة سينمائية ، وفعلا تنتج فيلما يقوم بتنفيذه فنانون وفنيون فى مثل مستواها الجاهل ، ومع ذلك ينجح الفيلم وتتحول الراقصة الى « ملكة اغراء » يتهافت الصحفيون على نشر اخبارها ، وتفكر فى انتاج فيلم آخر .. المسرحية بهذا الشكل تعرض أزمة السينما عندنا عرضا ساخرا واحداثها مرتبطة بواقعنا السينمائى ، وخاصة عندما كان يسيطر على افلامنا منتجون جهلاء .. اذن لماذا فشلت ؟ السبب الاساسى هو أن التناول الفنى كان سيئا بحيث حول الموضوع الى تهريج .

لو ان نقادنا حاولوا تقييم نشاطنا الكوميدى تقييما فنيا لاستفدنا من الروايات التى عرضت خلال الموسم ، ولأمكن أن نعرف المزايا والعيوب ، ولكنهم تجاهلوا معظم الروايات ، وتركوا المناقشات الجادة ، وتطرقوا الى موضوعات فرعية أو شكلية .

مهما يكن الرأى فى مستوى الروايات فان الفرق الكوميدية قامت بمجهودات شاقة ، واجتذبت جمهورا ضخما ، وقدمت موسما فى غاية الحيوية ، لولا الافتقار الى النقد العلمى الموضوعى الذى كان يجب أن يضىء لها الطريق لتدرك حسناتها وسيئاتها وبذلك تنتقل نهائيا من مرحلة الاضحاك الى التعبير الكوميدى ... سنحقق ذلك بالنقد العلمى ، ولكن أين هو النقد العلمى ؟ .

« **عبد الفتاح البارودى** »

تعقيبات
بقلم : عباس خضر

الهنبقة . .

ناقشني الصديق **الدكتور محمد النويهى** فى مقاله بالعدد الماضي من الرسالة كما لو كنت منكرا على الادباء أن يبحثوا عن اشكال جديدة .. فليبحثوا يا اخي ، بل يجب على كل اديب يشعر ان لديه مضمونا يحتاج الى شكل جديد ـ ان يبحث .

لا اخالفك فى ذلك ايها الأخ الكريم ، ولا حتى فى أن يخطىء الباحث الجاد عن الشكل الجديد ، ولم انكر التجربة والخطأ ... الى آخر ما رحت تبسطه وتعززه ، كأنى وإياك فى ذلك على طرفى نقيض ..

لقد نقلت المسألة من قطاع خاص الى قضية عامة .

كان موضوعى هو المسرحيات التى قلت فى مقالى الاول انها لا تحمل مضمونا مقنعا بانه يحتاج الى شكل جديد ، ووقفت عند مسرحية « الفرافير » ليوسف ادريس كمثال . وجئت انت تقول لى ان يوسف له انتاج سابق يجعل من المستحيل عليه ان يكون ذلك لقد ميزت أنا بين انتاجه السابق وانتاجه اللاحق ، فاعربت عن تقديرى لقصصه القصيرة ، وابديت رأيى فيه من حيث ان القصة القصيرة هى الفن الادبى الذى يجيده .

انسان يجاوز ما يحسن الى مالا يحسن ، افليس من حقنا ان نقول له انك لم تحسن فى هذا واحسنت فى ذاك ؟

اذن ما الوجه فى ان يمنع انتاج سابق لمؤلف من ان يكون دعيا فى لون آخر من التاليف ؟ !

وهل تراني ـ بعد ذلك ـ لم اميز بين الادعياء والمخلصين حتى تقول فى هذا الصدد : « وان لم يميز الناقد بين الادعياء الكاذبين وبين المخلصين المخطئين فاى نفع يرتجى من نقده ؟ » ؟

نقلت المناقشة بيننا من هذا الى قضية عامة عرضت نفسك فيها على انك وحدك نصير المجددين، وانى اخالفك فى الدعوة الى التجديد ..

وانى والله لا اخالفك الا فى اشياء ليست من التجديد فى شيء ، منها « **الهوس** »

اذا كان الاديب عنده مضمون فى حاجة الى شكل جديد ، ويبحث عنه ، ويأتى به ولو مخطئا .. فهل هو « مهووس » ؟ انا لا اراه كذلك ..

واذا لم يكن لديه ذلك المضمون ويشغل نفسه بشراء «البردعة» قبل شراء الحمار ـ ولا تؤاخذنى فى هذا التشبيه فانا فلاح ـ فانه « مهووس » أو قل انه « **يهنبق** » و « **الهنبقة** » كلمة فصيحة حرفت الى « **الهمبكة** » العامية ..

والهوس : الجنون ، وقد كنت اعجب كيف تناصره واعلنت فى تعقيبى على رسالتك انى لا اوافقك عليه ، ولكن تبين لى انك تستعمل الكلمة « الهوس » فى غير مدلولها ، اذ قلت معرضا بفهمى : « **وقد رد الاستاذ عباس خضر على تعقيبى هذا فرمانى بالتناقض ، اذ كيف اتعاطف مع « متهوسين » ؟ وفهم أن « التهوس » تسليم منى بعدم وجود مضمون جديد يحتاج الى شكل جديد** » الى ان قلت : « **على أن هناك فرقا بعيدا بين « التهوس » و « الشعوذة » ، فالتهوس باستعماله المقصود هو الافراط فى الحماسة الناشىء عن الاقتناع الحار العميق بصدق القضية التى يؤمن بها الفرد الى حد قد يدفع بالفرد الى الشطط عن الطريق السوى لخدمة قضيته أو اثبات صحتها .** »

عند ذلك ادركت الا خلاف بيننا فى المدلول .. ولكن ماذنبى انا اذا كنت انت استعملت اللفظ فى غير معناه ؟ **من لى بانك ستجعل المجنون يؤمن بقضية**

ويقتنع بها اقتناعا حارا عميقا ... الخ ؟ لم لم تقل هذا من الاول ؟

ومن الاشياء التي نختلف فيها وصفي للمتهوسين المهنبقين الذين لا مضمون عندهم يحتاج الى شكل جديد ، ومع ذلك يهنبقون كي يلفتوا اليهم الانظار .. وصفي لعمل هؤلاء بالشعوذة والتهريج ... الخ ، والدكتور محمد النويهي يدافع عنهم ، بل هو لا يكتفي بالدفاع ، بل يحزن من اجلهم ، اذ يقول :

« **وهذا - اي ذلك الوصف - مااخذته على الاستاذ عباس خضر وما احزنني ان اراه يصر عليه ويضيف اليه** »

انت رجل طيب يادكتور نويهي .. ولكن ماحيلتي اذا كنت اجد اشياء هي بمثابة المضمون الذي يحتاج الى شكل .. اي كلمات تعبر عنه .. ؟ هل تريدني ان اسكت عن الحق أو الذي اراه حقا ؟ لماذا تتخلى عني هنا ؟ اعتبرني على الاقل متهوسا وتعاطف معي ..

لا تحزن يا اخي ، ان تصرفهم وهنبقاتهم لاتستحق مشاعرك الطيبة ..

ان اتهامنا اديبا بالكذب الفني ليس تجاوزا للحق النقدي ، كما طاب لك ان تقول في ذلك الوصف ، بل هو من صميم عمل الناقد ، **واي عمل للناقد اهم من ان يميز في العمل الادبي بين الصدق والكذب الفنيين ؟** لعل هذا واحد من الاشياء التي نختلف فيها وان كنت اراه بدهيا لا يحتمل الخلاف .

بقي الخلاف الذي وصفته بالكبر في قولك « **وخلاق الكبير معه - معي - هو ماذا نعني باصطلاح « الشكل » ؟ فهو يتحدث كما لو كان الشكل في الشعر مقتصرا على الوزن العروضي ، لذلك يرى ان مغزى كلامي هو ان الشاعر الجديد الذي يريد ان يجدد في الشكل لابد ان يترك البيت القائم على التفعيلة ويأتي ببيت تكون وحدته نصف تفعيلة ، ثم ربع تفعيلة ، وهكذا ... ولست ادري كيف يقع مثله في مثل هذا الخطأ ...** »

احب ان أقول اولا اني لا اعارض الشعر الجديد، بل ارحب بما يقنعنا منه بمضمون جديد .. والمضمون دائما ... فانا من حيث المضمون «متهوس» بالمعنى الذي اتى به الدكتور للتهوس..

واضيف انني قل أن اجد فيما يقال من الشعر - تقليديا كان او جديدا - مضمونا يقنعني بأنه يستحق القراءة ..

ثانيا - لست ادري مم اتى الدكتور باني اختلف معه في اصطلاح « الشكل » ؟ وبان مثلي وقع في مثل هذا الخطأ ! **انه يفترض اولا اني وقعت في خطأ .. ثم يتعجب من وقوعي فيه .. !**

لقد قال ان على اي اديب - لكي يكون عظيما - ان يبتكر شكلا جديدا .

فقلت ان هذا يجر الى ان يبحث كل فرد عن شكل غير الشكل الذي يقول عليه الآخر .. مثلا : على الشاعر الجديد الذي يرى ان الشعر الجديد الآن يقال على التفعيلة الواحدة .. عليه أن يبحث عن شكل لم يسبق اليه ، شكل تكون الوحدة فيه « نصف تفعيلة ! » . وعلى من بعده أن يقول الشعر على « ربع تفعيلة ! » وهكذا ...

وواضح ان ذلك انما هو ذهاب مع القول بأن الاديب لكي يكون عظيما عليه ان يبتكر شكلا جديدا .. ذهاب مع هذا القول الى حد نرى فيه فساده ، وهو ان يقول الشاعر على نصف تفعيلة ! او على ربع تفعيلة !

فاذا كان الدكتور قد اخذ هذا « الذهاب » على اني فهمت انه مغزى كلامه ، برغم السياق وبرغم علامة التعجب بجوار نصف التفعيلة وربعها .. فاني أقول للمرة الثانية انه رجل طيب .

واخيرا ينتقل الدكتور النويهي الى الموضوع الأصلي لمقالتي الاولى فيقول :

« **... اما في فن مختلط مثل الفن المسرحي - وهو الموضوع الأصلي لمقالة الاستاذ خضر التي اعترضت عليها - وهذا فن يمزج بين الالفاظ والالقاء والحركة ، ويجمع بين الادب والتمثيل والغناء والموسيقى والرقص والتحريك الآلي ، فواضح ان مجال التجديد في الشكل ، اي في طرق اداء المضمون ، أوسع بكثير . ولا شك أن كل مؤلف مسرحي عظيم ثابت العظمة في العصر الحديث ، من ابسن الى شو الى برخت قد أدخل ابتكارا شكليا بارزا على فن المسرحية ، يقوم بهدفه المضموني الجديد الذي يخالف أهداف سابقيه** »

عظيم .. ولا خلاف بيننا .. واني اتمنى ان يوجد عندنا أمثال ابسن وشو وبرخت . كل الخلاف في الهوس والهنبقة .. اذ كان اعتراضه على مقالتي الاولى يقوم على انه يذهب مع الهوس وانا اقف دونه .. الهوس بمعنى الكلمة .. وهو الجنون . اما الهوس بالمعنى الذي اتى به وكلفه اياه فلا خلاف .. اعني انه لا خلاف في الموضوع ، فاني لا اوافق على تحميل اللفظ مالا يحتمله ، بل ماينافض معناه.

اما الهنبقة فلا حيلة لى فيها .. ولياخذها الدكتور الصديق على انها شكل جديد اقتضاه مضمون جديد .. فانه يسرنى ان احيى هذا اللفظ القديم لاستعماله بدل « الهمبكة » العامية .

كشكول

● كانت محافظة السويس فى السنوات الاخيرة حقلا خصبا لتجارب الفكر الاشتراكى ، اقيمت بها مؤتمرات وندوات فكرية ، وانشىء بها معهد للتوعيه القومية . وكان لى شرف الاشتراك فى بعض هذا النشاط ، شدنى الى هناك الاخ **شعراوى جمعة** ، *كما شد غيرى من المشتغلين بالفكر فى القاهرة .*

ومنذ ذلك الحين ارقب هذا الرجل من بعيد ، واتوقع منه الكثير ... ولم يكن تعيينه وزيرا فى مجلس الرياسة المشترك غريبا على ، لانى كما قلت اتوقع منه الكثير .

● كتب الى الاستاذ عيسى متولى تعقيبا على مانشر فى الصحف عن مسابقة دولية ستنظم فى شاطىء المعمورة بالاسكندرية لاختيار ملكة جمال الشاطىء ، تدعى اليها ملكات الجمال فى الموانىء العالمية .

يقول الاستاذ عيسى :

« ولو اننا قرانا ان هذه المسابقة ستجرى فى ميناء «نابولى» او «مرسيليا» لما بلغت بنا الدهشة الحد الذى بلغته حين قرانا انها ستجرى فى الاسكندرية .. وكنا نود ان تنظم مسابقات من لون آخر غير هذا اللون الذى يقوم على قياس حجم الصدر والساقين والخصر .. كنا نودان نقرا عن مسابقات لاختيار ملكات تتنافس فى كمال العقل وجمال التفكير وحسن التدبير والتمسك بالمثل العليا للانوثة الفاضلة المتبصرة .. فليس جمال الجسم وحده جواز المرور الى تبوء عرش الجمال !! »

واخيرا يقول : الست معى فى ذلك ؟

لا ، لست معك فى ذلك مع الاسف ..

اولا ـ لان مثل هذه المسابقات يقصد منها الدعوة الى السياحة فى بلادنا . وقد اصبحت السياحة عندنا الآن من اهم مصادر الدخل ، وتكسبنا الى جانب هذا سمعة عالية طيبة .

ثانيا ـ لماذا يمتد خيالك ياسيد عيسى الى الصدر والساقين والخصر .. ؟ ثم ان هذه اشياء عادية جدا فى الشواطىء ، ام انك لاتصطاف .. ؟

ثالثا ـ مسابقات العقل والمثل العليا الى آخره .. لايمكن ان تقام .. **لان من تتحقق فيها تلك الصفات لن تلبى الدعوة !**

● نشرت مجلة القصة (عدد يونيه) حكاية بعنوان « **هزيمة الحب** » للاستاذ فؤاد القصاص . وكتب عليها « **قصة بلا اسلوب** »

والواقع انها .. لاهى قصة ، ولاهى بلا اسلوب .. انما هى تشبه ملخص قصة طويلة .

ويقول الكاتب فى تقديمها :

« **والراى فى هذه التجربة متروك القراء .. والنقاد ..** »

انها كتابة حكاية .. تحكى حوادث فقط .. وليست تجربة ادبية تستحق ابداء راى .

● « **فى صحبة العقاد** » كتاب يوشك ان يصدر عن فقيد الادب الاستاذ عباس محمود العقاد ،بقلم الاستاذ محمد طاهر الجبلاوى الذى لازمه وصادقه اكثر من اربعين سنة . ويتناول ذكريات مطوية تجمع بين الادب والطرافة .

● جاء فى كتاب « **مع العقاد** » الذى صدر اخيرا فى سلسلة « اقرا » للدكتور شوقى ضيف ، ان العقاد « ولد فى ٢٨ من يونيه سنة ١٩٩٨ » وهو ـ لابد ـ تحريف **مطبعى لسنة ١٩٨٩** التى ولد فيها العقاد .

● الاستاذ زكى طليمات جاء الى القاهرة من الكويت ، حيث يعمل ـ فى شيخوخته الشابة .. مشرفا على النشاط المسرحى . **زكى طليمات هديتنا الفنية الى البلد الشقيق .**

● الاديب « **خميس سلمونة ـ ادكو بحيرة** » يقول :

« بالعدد الاخير من مجلة آخر ساعة والصادر يوم ١٩٦٤/٧/١ طلع علينا الاستاذ جليل البندارى بمقال عن (**المرحوم الفنان عز الدين ذو الفقار**) بمناسبة مرور عام كامل على وفاته . وفى نفس اليوم بجريدة الاخبار كتب جليل البندارى تلخيصا للمقال السابق .. واذكر انى قرات نفس المقالين بنفس الكلمات والعنوان فى العام السابق عقب وفاة الفنان المرحوم »

ويطلب منى الاديب خميس سلمونه الاجابة عن سبب ذلك .. والاجابة انما تطلب من الكاتب نفسه ..

« عباس خضر »

حول الأدب فى أسبوع

يقدمه : عبده بدوى

النبى والشعر :

وهذا عام آخر يأتى وأنت لا تزال تضىء .. وأنت لا تزال الاخضرار الذى يكسو الانسانية ، والذى يعطيها أملاوثقة فى الحياة ، والمتتبع لحياتك ورسالتك يعرف أنك قادر على « الحضور » فى كل مكان وزمان، ويعرف أنك احترمت الانسان والحياة والغيب ، وأن الغيب عندك والايمان به ليس تشتيتا للانسان ، وانما استمرارا لعملية البحث والتنقيب وراء الشىء الجديد دائما .

ولقد تحدثت عن معرفتى بك — فى عيد الهجرة — فى القرية والمدينة ، وفى الصبا والشباب ، وأحسست أن دينك يحببنى فى الأديان ، وانسانيتك تجعلنى أعشق كل الانسانية وأضمها الى قلبى .

ولقد أحسست من عدة أيام أن الربيع ما زال يزدهر فى قلمى من طول ما حدقت فى عينيك ، وأن يدى لما تزل دافئة من الشوق الذى أحسست به وأنا اتنهد ثم أنظر فى عمق الى كتاب وضعته أخيرا تحت اسم « الاسلام فى افريقية » . .وحين أردت أن أطرق بابك بالتاريخ أبى على الشعر ، وجاء فى ذهنى أنى سأقدم اليك باقة فجرية فى عيد ميلادك ، ولكنى — ولا أكتمك — وجدت البساتين تكاد تكون خالية من الاشجار المحمدية .. من الأزهار النبوية .. من الأوراق .. من الطيور .. من الأنسام !

وليس معنى هذا أن يسارع انسان فيذكر أن « الدين » لم يعد له مكان فى قلوبنا وحياتنا ، لأن الدعوة الى « التبشير المسيحى » والأفكار المسيحية كالخلاص ، والتطهير ، والانتظار ، والسلبية تكاد تملأ الشعر المعاصر فأكثر الشعراء اللبنانيين اليوم يحولون بلادهم الى « كاتدرالية » كبيرة وينظرون الى الانجيل أكثر مما ينظرون الى الحياة ، ويبالغون فى هذه الدعوة حين تراهم يهاجمون التراث بضراوة ، وحين نرى الشاعر **يوسف الخال** يتزعم هذه الحركة ويهندسها حتى ليخرج بها عن نطاق الشعر ، ولعل الشاعر أدونيس وضح هذا حين ذكر أنه شاعر التجربة المسيحية ، وأن فى مجموعته الشعرية « الحضور وفرح الحضور ، الحضور الخالد الجميل البكر ، حيث نحيا بهاء الارض ، ونحاوره ، ونشارك فيه ، حيث نقيم أعراس الوحدة بين العالم والاله وبين الاشياء والناس » .

فاذا نظرنا الى الشعر خارج لبنان وجدنا أسماء دواوين خارجة من الانجيل مثل : أقول لكم ، وأعطنا حبا ، وعلى الارض السلام .

ووجدنا بعض الشعراء الشعوبيين يحمل على العرب وينتقص منهم، **فمحمد باقر سماكة** فى ديوانه « من حصاد الثورة » يحمل على العروبة المسلمة حربا شعواء ، ثم يختم الحملة بقوله :

سحقا لها من شعارات مضللة

براقة لفقت زورا وبهتانا

ومثل هذا نجده فى قصيدة « أين حقى » للشاعر **محمد صالح بحر العلوم** ، كما نجد ظلا لهذا فى الافساح للافريقية مكان العروبة عند الشاعر **محمد المهدى مجذوب** .

وبعض الشعراء تراهم يرفضون الدين وكافة الأسس التى يقوم عليها .

فالشاعر **حسين مروان** فى ديوانه «اللحن الأسود» يقول :

أنا لا أخاف من السماء

ولست أومن بالقدر

والشاعر **الجواهرى** يقول :

يقولون ان يدا فى الغيوب
تدير على الأرض حكم السماء

فما بال كف القضا لا تدور
على بلد ضل حتى اختزى

ومحمد مفتاح الفيتورى يصرخ فى ديوانه «عاشق افريقية» :

« ما ثم اله يتجبر
كذب ما قالته الأديان »
« فالكلمة فى شفة الله
والله على الأرض سجين
وأحس بشىء مصلوب
ينزع أطرافى المصلوبة »

والى جانب هؤلاء الشعراء نجد من يقدمون لقصائدهم ببعض آيات من الانجيل لغير ضرورة شعرية ، ففى قصيدة العودة **لفوزى العنتيل نجد** هذه التقدمة :

« صوت دم أخيك صارخ الى من الأرض .. فالآن ملعون أنت من الأرض التى فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك : سفر التكوين - ٤ - » .

ونجد من يرتكزون تماما على التراث المسيحى كما فى قصيدة حكاية قديمة **لصلاح عبد الصبور** :

كان له صحاب
وعاهدوه فى مساء حزنه
ألا يسلموه للجنود
او ينكروه عندما
يطلبه السلطان
فواحد أسلمه لقاء حفنة من النقود
ثم انتحر
وآخر أنكره ثلاثة قبل انبلاج الفجر
وبعد أن مات اطمأنت شفتاه
ثم مشى مكرزا مفاخرا بأنه رآه
وباسمه صار مباركا معمدا

فاذا جاء الى الرمز الاسلامى فى قصيدة الخروج وجدناه يقدمه فى صورة « التغليل » .

كما نجد من يتعمد نظم بعض آيات منه وبخاصة نشيد الانشاد ، ومن امثال هذا النظم اليائس المستسلم :

المجد للذين فى العذاب يبسمون
المجد للذين بالرغيف يقنعون

ومثل هذا على تفاوت فى التاثير نجده فى بكائيات بدر شاكر السياب ومعين توفيق بسيسو ، ونزار قبانى فى مصلوبة الشفتين ، والصليب الذهبى وعبد الوهاب البياتى فى صليب الألم ، وأحمد كمال زكى فى باقة مر ، وفى عديد من القصائد التى قيلت فى عيد ميلاد المسيح وفى غيرها من المناسبات .

والظاهرة التى لا يشك فيها أحد ، أن أغلب قصائد الشعر الحر هى التى تحتضن هذا الاتجاه ، ذلك لأن هؤلاء الشعراء اما واقعون تحت تأثير بعض المثقفين الشديدى الذكاء ، واما لأنهم يعيشون فى المناخ الشعرى للبنان، واما لأنهم يعتقدون أن القصيدة العمودية تمت بصلة شديدة الى التراث العربى ومن هنا كانت المبالغة فى الجانب الآخر ، واما أن القوامين على الدين الاسلامى يبالغون فى التحفظ على مثالياته ورموزه .

واذا أخذنا مثالا تطبيقيا نجد أن فكرة «الصلب» تكاد تلمس فى أكثر القصائد المعاصرة ، واذا قبل هذا من شاعر مسيحى يؤمن بالصلب ، فكيف يقبل من الشاعر المسلم الذى لا يعترف دينه بعملية الصلب هذه ، وعلى أى أساس يختار الشاعر المسلم هذا الا أن يكون « متأثرا دينيا » لا «متأثرا شعريا » والا لاختيار « زاوية شعرية » غير هاتين الزاويتين الدينيتين اللتين تتمثلان فى الصلب والرفع .

ونحن هنا لا نصادر تجربة الشاعر لأننا نؤمن بحريته كأعمق ما تكون عليه هذه الحرية ، ولكننا فقط نذكره بأن يكون أعظم رحابة ، وأن يضم اليه كافة التجارب الدينية والانسانية على اختلافها .

.. والآن لاأدرى مالذى دعانى الى هذاالاستطراد، لعله الجهد الذى بذلته فى العثور على **«ازهار عصرية»** ترفع الى الرسول فى ١٢ ربيع الأول عام ١٣٨٤ .

ولعله التذكير بالوجه النبوى الذى أحب الانسان والحياة ، بعد أن فتشت فى الشعر المعاصر فلم أجد أسماء دواوين تخرج من القرآن كما تخرج من الانجيل ، ولم أجد الا الهجوم من بعض الشعراء، كما لم اجد آية قرآنية تظاهر قصيدة ، أو تنسج فى أبيات ، أو مواقف ورموزا تشغل الشاعر كما شغلته بعض المواقف والرموز .

ولعله أن أبلل بالدموع أزهارا قديمة لتزدهر ثم لتكون جديرة بيوم ميلاد **محمد بن عبد الله** !

وشهد شاهد !

فى العدد الثامن والاربعين من مجلة الرسالة تكلمت عن **يوسف الخال والشعر الدينى** ، وطالبت

برفع الوصاية الدينية أيا كانت هذه الوصاية عن الشعر ، وقلت ان هذه العصابة المتشـددة تعرقل الشعر ولا تنميه .. ثم حين فتشت عن مثل تطبيقى لم أجد الا وجه الشاعر اللبنانى يوسف الخال ، وقد كنت حريصا على تقديمه من خلال « مريديه » الذين يصرخون بالتشـكيك فى قيمـة العـربى والعروبة ، ويؤكدون أن المحور الجوهرى للحيـاة العربية هو « الانحطاط » ، وان العربى الآن ليس أكثر من هيكل عظمى لانه يفقد فرديته من « أجل الاندراج فى جماعة لا اسم لها ولا وجه » ، وان تراثه ينحرف ويتشوه وينغلق .

ثم من فوق هذه الانقاض يرفعون «يوسف الخال» لا لشئ الا لانه يقتصد فى اصداره على المسيحية العربية أو الوثنية العربية ، وانه فقـد التلاؤم بين التراث العربى ككل وبين الحاضر ، وأن شعره شعر ايمان مسيحى .

وقد رأينا أنه لايستخدم من الرموز الا مايخدم هذا الجانب، وانه يصدر عن الانجيل أكثر مما يصدر عن الحياة ، وفي الوقت نفسـه يستخدم الاساليب التى لا تجرى على النهج العربى السليم ، ثم ختمنا هذه الكلمة بقولنا :

«ان الالحاح على دين من الاديان بهذه الصـورة فى هذا العصر يحمل على الريبة والشك، وان هموم العربى المعـاصر لم تعد ميتافيزيقية الى حد القول بأن افراز هذا اللون من الشعر يعتبر أمرا ضروريا وان التراث يجب ألا يقسم الى اسلامى وغير اسلامى لان هناك فقط تراثا عربيا يخصب التجارب المعاصرة وأن الشاعر يجب عليه ألا يعمل للفرقة والمناورات وللانغلاق الدينى ، لان الصوت الصادق فى هـذه الفترة هو الغناء للانسان ومباركته وهو يشـكل نفسه فى المنطقة العربية » .

قلت هذا .

وما هى الا أيام حتى طلعت علينا مجلة الحوادث اللبنانية الصادرة فى ٣ يوليو (تموز) بالوجه الحقيقى للشاعر يوسف الخال ، فقد جاء فيها انه مهرج سفح كرامة فنه على أبواب السفارات الاجنبية ، وانه أداة حزبية رخيصة في يد منظمة لعبت وما زالت تلعب فى شرقنا العربى «دور الأداة المشاركة فى تنفيذ مخططات استعمارية بعيدة المدى» .

ثم يقول الكاتب اللبنانى «الياس سحاب» :

ان يوسف الخال ذهب للاقامة فى باريس عشرات الأشهر على حساب السفارة الفرنسية فى أعقـاب حملة السويس ، ويسمسر لغيره من أفراد شـلته لعمليات أخرى من الطراز نفسه ، وعلى حسـاب السفارة نفسها .

ثم أخيرا ان وراءه «منظمة حرية الثقـافة» التى تمولها شركات الاحتكار الصهيونية فى أمريكا .

وبهذا يكون الاستاذ «الياس سحاب» قد أكمل لنا الصورة التى يراد تنصيبها على مقـدرات الشعر العربى المعاصر !

لقد كنت حريصا على أن أقدمه من خلال شعره، وكان الاستاذ الياس سحاب حريصا على أن يقدمه من خلال سلوكه وتطلعاته ، وبهذا تكون الصـورة قد امتصت اللحن الاخير فى الفرشاة ، ويكون قد نزل على بعض الجوانب المزيفة فى حياتنا الادبية .

ويكون قد .. شهد شاهد من أهلها !

الشاعر والفجر وافريقية :

كل شئ يزهر فى أفريقية يخيل الى أنه يزهر فى قلبى ، ولا أحسب أن تجربة انسانية معـاصرة هزت عمرى مثلما هزتنى التجربة الافريقية فى هذا العصر .. ولقـد كانت هـذه التجربة من الخصب بحيث جعلتنى أضع فيها ثمانية مؤلفات ، جعلتنى أحس انى صديق كل شئ فى افريقية ، وانى كنت معها وهى تتعذب ، ثم تنتصر ، ثم يعقد عليها الأمل فى أن تقدم للعالم السـلام واحترام الحياة .

فالى افريقيتى الحبيبة :

والى مؤتمر القمة الذى يعقد الآن فى القـاهرة أقدم هذه الصورة الشعرية تحت عنوان «الشاعر والفجر وافريقية» متأثرا فيها بأن بعض المـدن بجنوب افريقية يحرم على الافريقيين البقاء بها بعد غروب الشمس ، وقد شاق شاعر يعمل فى منجم للماس «بجوهانسبرج» أن يرى فيها لمرة واحـدة الفجر يصدح من عش الأفق .. لمرة واحدة .

المنظر

جماعة من العمال تتحـــدث فى قلق أمام منجم الماس الذى يبعد قليلا عن المدينة ٠٠ فى انتظار خروج الشاعر ليغادروا المدينـــة معا الى قراهـم الحزينة ٠

هيا فلنسرع ٠

افريقية : **فلنسرع نحو الغابات المخضرة ٠**

افريقى : **ولنهر ضلت خطوته فمشى ، وتلوم فى حفره ٠**

افريقى : **ولليل معروق عـار لم يلمس من نور قطره ٠**

افريقى : **فلنسرع حتى لانلقى فى السجن السفاح وغدره ٠**

افريقى : **لم يحضر شاعرنا ٠**

افريقية : **انى ابصرت بمقلته عبره ٠**

افريقى : **من سيغنينا حين نعود بما فى الربوة من نضرة ٠**

افريقى : **وبما فى القلب من الآلام وما فى الأعين من سمره ٠**

افريقى : **ما خطبك يا «جومو» هلا طرزت لموقفنا فكره ٠**

جـومو : **قد بعت الرمح على حزن كى اطعم اولادى العشره ٠**

والدرب لكوخى مفروش بزئير غضبان النبره ٠

ما اجمل ان القى طفل بسام اللفتـــة والنظره ٠

سيقود على الدرب حياتى ٠٠ سيخلص من روحى الحيره ٠

اتراه سيسالنى قوتا وبكوخى لم اترك كسره ؟

أفريقى : **لا تحلم ٠٠ لاتطلب رزقا فى غير الافاق الحره !**

فالارض هنا ، والافق هنا ، وحنـين الشمس المصفره ٠

ملك للبيض ، لحقدهم ، للوجه الممتلىء الحمره ٠

الشاعر : **ـ يخرج صارخا ـ ظهرى جلدوه فى حقد ٠**

افريقية : **أواه ٠٠ قد جلدوا ظهره ٠**

افريقى : **ماذا قد قلت اليوم لهم من فكر لم نسبر غوره ٠**

الشاعر : **قد قلت «بان الماس دم للشعب ونجواه الثره ! »**

قد صحت « رويدك لا تقرب ! احفظ للشعب هنا سره !

المنجم كان يرد يدى ٠ المنجم لم يكتم ذعره ٠

فصرخت بما حسته يداى ٠ بما قد فجر من صخره ٠

لا شىء هنا الا الانسان يحاول أن ينسى ثاره ٠

لن اترك ارض مدينتنا !

افريقى : **ستلاقى الموت على غره ٠**

الشاعر : **بى شىء حر يدفعنى ان اشهد من وطنى سحره ٠**

ساظل احدق طول الليل هناك لـكى القى فجره

لن اخشى الموت وفى قلبى أمل يتفتح٠٠ كالزهره ٠

الجميع : **الليلة سوف ندق الأفق لنعلن ميـلاد الثورة !**

« عبده بدوى »



الكتب
نقد وتعريف
يقدمه تحسين عبد الحى

شخصيات افريقية

تاليف عبده بدوى

ان المتتبع لتاريخ اية أمة يجد دائما خطا معينـا يظهر واضحا أحيانا وغامضا فى احيان اخرى ولكنه لا ينقطع ولا يغيب وانما هــو هناك دائما موجود وقائم بشكل حى وفعال فى صلب تجربة تلك الامة عبر جميـع مراحل تطورهـا يعطى لتلك التجربة خصوصية معينة وذاتية خاصة .

وليس ذلك فقط وانما نلحظ أن لدى بعض الامم التى دخلت التاريخ العالمى وأثرت فى مجرى حياة الانسانية وبالتالى نالت تسمية ((أمة عالمية)) بمعنى أن تجربتها الحياتية لم تكن ذاتية ومغلقة ومنعزلة ضمن حدودها الجغرافية ، وانما امتدت الى خارج تلك الحدود نحو آفاق الانســانية الرحيبـة والى صميم حيـاة الامم الأخرى فأثرت فيهـا وتأثرت وأفادتها واستفادت .

نلحظ لدى بعض الامم وربما غيرها قيمة معينة او مجموعـة قيم تسـعى لتوضيحها وبلورتهـا وتجسيدها مهما وسعها الحال وتمكنت من ذلك . والمتتبع لتاريخ حيـاة الامة العربية يجد الحقيقة الاولى والثانية واضحة ايما وضوح ، فثمة طيبة عربية نلحظها دائما مشرقة فى حياة هذه الامة ، ومضيئة فى صميم تجربتها ونمة ميل للعـدالة والحقيقة .. والحرية .. والمحبة ..

واذا أردنا أن نتتبع هذه القيم العربية الاصيلة، فيجب أن ننظر اليها من خلال روادنا العرب العظام الذين وقفوا فى افريقيا بعناد وصلابة امام قوى الغرب التى كانت قد وضعت فى مخططها احتلال القارة ، وتقسـيمها فيما بينها بوســائل متعددة كالكشف ، والتبشير ، والشركات ، والمعاهدات .. ومن وراء كل هذا قوة السلاح .

ولو قدر لهؤلاء العـرب الافريقيين أن يتلاقوا ويتفاعلوا لامتنعت القــارة الافريقيــة على هـؤلاء المغتصبين ، ولما عرفت افريقيا الاستنزاف والتدمير والتفرقة العنصرية ، فقد عرف القرن التاسع عشر ثورات **السلطان سعيد** فى زنجبار ، **وأحمد عرابى** فى مصر ، **والزبير باشــا** فى حوض النيل الأعلى ، **والســلطان رابح** فى حوض تشــاد ــ الذى هزم الفرنسيين ثلاث مرات متوالية والذى مازال الناس فى أواســط افريقيــا يتغنون ببطولته الخــارقة كأسطورة قومية ضد الاســتعمار ، وكذلك **الامام المهدى وخليفته فى الســودان** ــ وماء العينين فى موريتانيا ، وكذلك ثورة ((**حميد بن محمد بن جمعة الموحبى**)) أو ((تيبوتيب)) فى حوض الكونغو ــ كل هذه الثورات كانت موجهة ضد الغزو الاوربى .

ولعل قول ((جريتغل)) وزير الدولة فى حكومة الشــهيد باتريس لومومبا ما يؤكد القيم العربية الانسانية ، حيث قال فى تصريح له ..

((لقــد زور البلجيكيون كل شىء فى الكونغو فليست مدينة ((ستانلى فيل)) ســـوى مدينة ((تيبوتيب)) الذى أقام هذه المدينــة قبل قدوم الرحالة ((ستانلى)) وليس العرب كما قالوا لنا تجار رقيق ، وانما هم تلك الموجة الانسـانية التى اختلطت بنا ، وصاهرتنا وتركوا لنا لغة متولدة من لغتهم ، ودنيا ، وحضارة وسماحة تسوى بين الناس كمــا تركوا على أرضــنا دماءهم والبلجيكيــون يحصدونهم بالاسلحة الحديثة . وليس أعز علينا

شيء من هذا الدم العربي الذي سال في الماضي كما سال ويسيل دمنا الآن في بلادنا على أيدي نفس اعداء العرب في القرن الماضي » وقد ذكر الكتاب ثورات ومراحل نضال كل من عثمان دون فوديو في نيجريا والحاج عمر تال في غينيا ومنليك الثاني في الحبشة ووصل بنا المؤلف الى الوجه الحديث لافريقيا والى المرحلة الجديدة في نضالها البطولي ضد مغتصبيها فبعد ان كان نضالها في القرن التاسع عشر نضالا يتسم بطابع الدفاع ضد الغزاة الأوربيين نراها اليوم وقد اخذت شعوبها بزمام المبادرة في ايديها في نضال مستمر ملىء بالبطولات السياسية ــ والكفاح المستميت . في سبيل الحرية والمساواة وازالة الفوارق اللونية ، والحواجز الوهمية واسترجاع الأرض الطيبة .. ومن خلال زعماء الاستقلال والقادة الوطنين الافريقيين نستطيع أن نرى وجه افريقيا الحرة .. ولا يفوت المؤلف وهو شاعر قبل كل شيء ان يذكر لنا الاغنية التي كان يرددها شعب كينيا باسره والتي تدور حول عودة الزعيم جومو كينياتا عندما سجنه المستعمرون .. حيث تقول الاغنية .

« .. وحينما تعود ياجومو كنياتا
يامن يدل اسمك على الحربة الملتهبة
ستزدهر حقول الكاكاو ، وتتمايل اشجار البن .
وترتفع اشجار الموز الى أعلى رغم ما يثقلها من ثمار
.. وحينما تعود ياجومو كنياتا
ستنام العيون المفتوحة بعد ان تكون قد ضمت اهدابها على كينيا !
ومن سيموت قبل أن يراك
فسيلقن اغنية عودتك الى طفله
ياجومو كنياتا »

وهكذا وضعت الشعوب الافريقية املها ومستقبلها وتطلعاتها المشروعة لحياة افضل في اشخاص زعمائها وقادتها الوطنيين قبل الاستقلال وبعده ــ **فجوموكينياتا** الذي بلغ السبعين من عمره مازال يتمتع بحيوية رجل الاربعين وهو الرجل الثوري الذي حمل السلاح في كل مكان ليقود كينيا نحو الاستقلال وهو الآن رجل الدولة الذي يحمل الخبرة والفهم لحماية هذا الاستقلال وتدعيمه ..

وكوامى نكروما الذي نشأ بين الكادحين ــ خصبا كالقرية ، قويا كالزمن ، صلبا كالحديد ، مفيدا كالمتجر ــ نراه يتوج دستور غانا الجديد بفقرة تتيح لحكومات غانا المقبلة ان تقرر ايجاد علاقات اتحاد أو وحدة مع اية دولة افريقية اخرى ، ونراه يوثق صلاته بكل الرؤساء الوطنيين في افريقية ، ويسارع الى مؤتمر الدار البيضاء ، ويعلن دائما ان استقلال بلاده ناقص ما لم يظلل القارة علم كبير هو علم الحرية .

وسيكوتوري ــ قائد ــ غينيا ــ الذي يتميز بثوريته وتقدميته الواضحة الذي حشد قوى العمال والفلاحين ووضعها وجها لوجه امام مشكلاتها وامام الاستعمار نفسه ــ نراه وهو يخطو ببلاده خطوات اكيدة فيربط بين التعليم والعقلية الثورية في بلاده ، ويوازن بين اقتصاديات البلاد ويخلق لها مخططا جديدا يتفق وثرواتها ، ويدفع بالمرأة الافريقية الى ميادين الحياة العامة ، وفي خارج بلاده نراه ينادي بنظام الاتحاد الافريقي ويمد يده الى نكروما وموديبوكيتا . في اتحاد يرفع من مستوى القارة في الغرب ، ويقف وراء كل حركات التحرر في القارة مساندا ومؤيدا ، وكل قادة افريقيا ــ من موديبوكيتا رئيس مالي الى دكتور باندا في نياسالاند الى الشهيد الراحل لومومبا ــ الذي اغتالته يد الخيانة والغدر ــ كل هؤلاء زعماء جمعوا بين الذكاء وقوة التصميم والقدرة على تنظيم الجماهير والتأثير فيها .. حتى اصبحت افريقيا اليوم في حركة مستمرة نحو الانطلاق والتقدم والبناء .. ونحو القضاء على البقية الباقية من الجيوب الاستعمارية المنتشرة في القارة ..

ويبدو أن طبيعة الاستاذ عبده بدوى كشاعر قد تغلبت عليه كثيرا في موضوع هذا الكتاب .. فنراه يستخدم اساليب الشعراء الوجدانية الرقيقة في مواضع لا يمكن أن تخدم الموضوع الذي تعرض له فاذا كان يقصد بهذا الكتاب شرح تاريخ العرب في افريقيا فاعتقد ان هذا الموضوع كان في حاجة ماسة الى دراسة عميقة واعية غير أسلوب السرد التاريخي الموجز الذي استخدمه فجاء الموضوع اقرب الى المقالات الصحفية منه الى الدراسة الموضوعية واذا كان يود ان يقدم لنا الشخصيات الافريقية ــ كما هو عنوان الكتاب ــ فاعتقد انه كان في حاجة ماسة

الى أن يتزود بمعلومات كافية عن خطط وبرامج هذه الشخصيات التى ترمز كل شخصية منها الى دولة باكملها .. لها خططها الخاصة بالتنمية ونظم الحكم والعمل السياسى الشعبى الذى يأتى بعد الاستقلال وسوف أضرب للمؤلف مثلا بسيطا وواضحا .. فعلى الرغم من انه لم يكتب عن الرئيس احمد بن بيلا مثلا .. فانه لو كتب عنه فلا يكفى اطلاقا تتبع نشاته فى طفولته الى ان يصير زعيما . كل هذا فى صفحات لا تتجاوز ثلاث صفحات كما فعل مع الرئيس موديبوكيتا .. وانما يجب عليه ان يتعرض للثورة الجزائرية وابعادها وتاثيرها ثم نظامها الاشتراكى والعقبات التى تواجه هذا النظام ثم طبيعة هذا النظام الاشتراكى بمحتوياته كالتسيير الذاتى مثلا — ونظام الحكم عن طريق الحزب الواحد الخ .. الخ ..

ولكن الأستاذ عبده بدوى اكتفى بذكر نبذ عن الحياة الشخصية لزعماء مثل جومو كينياتا وكوامى نكروما وسيكوتورى وموديبوكيتا — مكتفيا بتعبيرات شاعرية — وجملا انشائية مثل — هناك فى غرب افريقيا يتالق عملاق عظيم كالوسام على صدر القارة (يقصد الرئيس نكروما) ثم نراه يكثر من باقات النور — والمناجم التى تتوهج بكنوز الشعب الخ .. الخ .. ثم نراه فى آخر الكتاب يأتى لنا صادقا مع نفسه من حيث يلجأ الى الشعراء والنحاتين الافريقيين — والمغنيين الامريكيين الزنوج لكى يبدع فى وصفهم ويعطى الشاعر السودانى محمد المهدى مجذوب ست صفحات كاملة فى الوقت الذى يعطى فيه انطوان جيزنجا ثلاث صفحات فقط ويعطى الشاعر السودانى محمد محمد على سبع صفحات فى الوقت الذى يخصص فيه للرئيس موديبوكيتا ثلاث صفحات فقط .. وموديبوكيتا يعنى الكثير .. يعنى مالى بنضالها وحريتها واستقلالها ومعاركها مع البناء ومع فرنسا ..

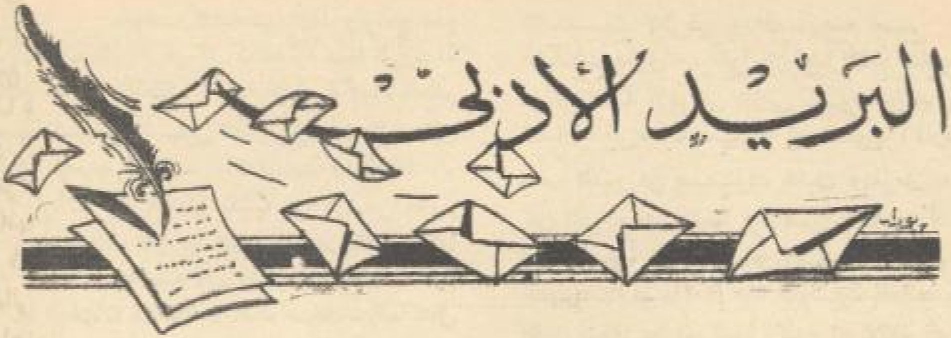
كلمة اخيرة اود ان اقولها ..

ان التقاء رؤساء اربع وثلاثين دولة افريقية فى القاهرة الافريقية بحكم موقعها ، العربية بحكم انتمائها الى امتها العربية التى خدمت قضايا الانسان الافريقى ودافعت عنه ضد التوسع الاستعمارى .. اقول ان هذا الالتقاء التاريخى فى مؤتمر القمة الافريقى الثانى سوف يؤكد ويدعم قضايا الحرية المشتركة بين شعوب القارة التى عانت الكثير من صنوف الكبت والحرمان . واذا كان العرب قد حاربوا فى القرن التاسع عشر من اجل افريقيا ضد التوسع الاستعمارى فانهم اليوم يقفون سدا منيعا امام هذا التوسع بشكله الجديد .. الذى يتخذ من اسرائيل ركيزة له للانقضاض على حرية الافريقيين التى انتزعوها بدمائهم وتضحياتهم وبطولاتهم المجيدة ..

اننا حينما نقف بالرصاد لقوى الامبريالية العالمية المتمثلة فى الصهيونية التى تؤيد التفرقة العنصرية وتضطهد الملونين فى كل مكان انما ندافع عن حرية افريقيا وعن شرف الانسان الحر فى كل مكان — واذا كان معظم الرؤساء الافريقيين العظام الذين يشرفون وطننا بالقدوم اليه قد ذاقوا حياة التشرد واللجوء — فى مراحل نضالهم البطولى ضد الاستعمار . فانه لا يسعنا الا ان نطرح امامهم مشكلة مليون لاجىء عربى طردوا من ديارهم فى اكبر وافظر عملية سرقة استعمارية فى التاريخ الحديث ..

ان وجود اسرائيل المدعم بقوى الاستعماريين الصهاينة فى مواجهة المدخل الشمالى الشرقى لافريقيا لا يعنى سوى مراحل جديدة للتوسع الاستعمارى على حساب حرية افريقيا .. ولاشك ان المناقشات التى ستدور فى المؤتمر سوف تكون طويلة وهامة .. ولابد ان تنتصر فى النهاية كل الآراء التى تحمل عناصر ايجابية وقادرة على حماية الحرية الافريقية من كل الاخطار المتربصة بها وتكون قادرة ايضا على دفع الدول الافريقية الى الامام نحو الوحدة ، لأن الخطوة الاولى التى تمت فى العام الماضى لابد ان تؤدى الى خطوات اخرى فى نفس الطريق .

« تحسين عبد الحى »



وظيفة الشعر
بقلم عبيد الشامية

اخالف الأستاذ « عبده بدوى » فى تحبيذه ذلك اللون من المنثور والاشادة به ، وتوليد المعانى الخفية التى تنطوى عليها ألفاظه وتتلوى كالحيات ، لقد عرض لنا الأستاذ نماذج من كلام الحاوى لا هو بالشعر ولا هو بالنثر الفنى ، ودعاه شعرا والشعر منه براء . أقول ذلك لا عن حسيكة فى الصدر أحملها لهذا العبث الذى ان دل على شيء فانما يدل على أفكار سقيمة نبتت فى صدور ماجنة ونفوس مريضة تتلطخ جوانبها بغيوم الأهواء والمشاعر المسفة المكبوتة، فلا تجد منفذا الا تلك الأساليب الشوهاء، وذلك المسيخ الذى لا يعرف له رأس من ذنب .

ما وظيفة الشعر يا سيدى اذا لم يكن اثارة لحمية ، أو شحذا لهمة ، أو حثا على فضيلة ، أو متعة للنفس ، متعة تعد لها تطهيرا يدفع الى التسامى والعلياء .

اذا لم يكن عمل الشعر هكذا ، فلا كان .

والأمة العربية يا سيدى مقبلة على أمور خطيرة ، وأحداث جسام ، يجب أن يساير فيها رنين الشعر صليل الحسام ، أما هذا التفسخ فانه يقتل النخوة ويشل العزائم .

ولست فى حاجة الى تذكير الاستاذ بقول معاوية لابنه ، قال معاوية لابنه : يا بنى ، ارو الشعر وتخلق به ، فلقد هممت يوم صفين بالفرار مرات فما ردنى عن ذلك الا قول ابن الاطنابة :

أبت لى همتى وأبى بلائى
وأخذى الحمد بالثمن الربيح
واقدامى على المكروه نفسى
وضربى هامة البطل المشيح
لادفع عن مكارم صالحات
وأحمى بعد عن عرض صحيح

فى ذكرى محمد عبده
بقلم عبد المنعم ابراهيم

فى ذكرى الامام محمد عبده أقدم هذه الصورة عن حياة هذا الرجل العظيم تحية منى فى ذكراه .

الامام محمد عبده علم من أعلام الاسلام .. جاهد من أجل رفع رايته وعلو هامته وكيف لا يكون ذلك وهو صاحب الروح الاسلامية الناهضة الثائرة الداعية الى العمل بقول الله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » ووضع للناس كلمة مأثورة جامعة شاملة « انما بقاء الباطل فى غفلة الحق عنه » فكانت دعوة جريئة لمناهضة الفساد والثورة على الأوضاع العتيقة القديمة .. لقد كان الرجل مجددا مناضلا يتمنى أن يرى الحق واضحا جليا .. ويقاوم الباطل بثورة لا تعرف الرضا بالأمر الواقع .. فقد كان فى مقدمة الزعماء الذين أيقظوا مصر من سباتها الذى أسلمها اليه المستعمرون الظالمون .. وهو أول صوت ارتفع فى مصر ينادى بالعدالة الاجتماعية بين الطبقات وفتح أبواب العلم أمام الفقراء أبناء الكادحين .

والامام محمد عبده قائد من قادة الفكر العربى .. فلقد ثار على الجمود وعلى مناهج التعليم ودعا الى معارضة الدراسات النقلية والتقليدية ودافع عن الحرية الفكرية وناصر العلوم العقلية ودعا الى تصفية العقيدة من الأوهام والخرافات والامام محمد عبده مصلح اجتماعى .. ثار على الرشوة والمحسوبية وذم الاسراف والتبذير .. مناديا بمحاربة البدع الضالة التى تسمم أفكار الشعب وهو من المناضلين الذين اشتركوا فى الثورة العرابية بقلمه ولسانه ؟؟ أليس الامام محمد عبده هو الذى وقف فى وجه

الخديوى عباس واليس قلم محمد عبده هو الذى كان يوضح للشعب مساوىء أسرة محمد على ؟ واليس قلم محمد عبده هو الذى كان يعمل على علاج الضعف الموجود فى النفوس فعمل على تطهير العقول من الخرافات والبدع ؟

واليس محمد عبده هو الذى أسهم فى وضع برنامج الحزب الوطنى الأول وكان ينادى بالجمهورية وحكم الشعب نفسه بنفسه ؟

واليس محمد عبده هو الذى ندد بالاحتلال البريطانى فى منفاه .. ؟

واليس محمد عبده هو الذى دعا الى التربية القومية ايمانا منه بأن الاصلاح الاخلاقى يجب أن يسبق الاصلاح السياسى وذلك حتى نخرج للوجود جيلا قادرا على القيام بدوره فى اصلاح حال بلاده والنهوض بها بعد ركود . .

والشىء الذى آلم الامام .. وكان يقف عثرة فى طريق برنامجه الاصلاحى : ما رآه من نفوس ضعيفة تدين بالانتهازية والرشوة والمحسوبية

وكذلك آلمه حال أمته بما فيها من أحزاب متنافرة لا تعترف الا بمصلحتها الشخصية ..

وتمنى الرجل أن تبعث أمته من جديد ولكن للأسف لم يتحقق ذلك وعرف الرجل السر .. كيف يتحقق ذلك والحاكم غير نزيه وغير شجاع وأمين وغير قوى .. والآن لقد تحققت احلام الرجل فى عهدنا المبارك .. عهد الاصلاح والتجديد .. فى جميع الميادين .

« مبكاك حن اليك »

للشاعر : يس الفيل

وسألت .. ما تعنيه ؟ قلت : تصورى
وجزعت .. قلت : اليك قيدى فانظرى
انا قد مللت مع الجمود تمزقى وتحجرى
او تحقدين .. اذا على اذا اقتنصت تحررى
وسخرت يابلهاء .. ويحك .. ما جرى ؟
فنطقت .. كيف تعاف أطباق الثرى !
أو لست تعشقنى وتعشق ما احب وما ارى ؟
لا كان ماضيك الغبى .. فلست الا شاعرا
انا قد رسمتك . هل رأيت ؟ تخيلى
من كنت ؟ قولى .. كيف كنت ؟ تعللى
انسيت يابلهاء .. آوانى ، نسيجى ، مغزلى ؟
يا كم كسوتك مخمل .. لكن ذبحت انامل
من عمق أعماقى رسمتك للطهارة ملحمة
سبحت مع القيثار ، عبر الليل ترشف أنجمه
لم تحس بمس النجم يوم حنا .. رأت ان تحطمه
نار السهاب لما رأى .. ورمى الغباء فحطمه
وسألت .. ما هذا ؟ نطقت ؟ تذكرى
قصص الغباء وئدتها .. ووئدت كل تصورى
كل الخطايا بعتها .. حتاك !! جئت لتشترى
الابيع للنخاس قلبى ؟ أم ابيع تحررى ؟
مبكاك حن اليك ، حن الى الصنم
عودى اليه . بما حملت ، بما حملت من الندم
عودى .. فلن أحيا على شفة الألم
ما زال مبكاك يتوق شوقا للعدم
مازال يبحث عن هواه هناك .. فى مهج الرمم

ميلاد العقاد

للشاعر محمود شاور ربيع

فى ليلة فى سالف الازمان
طلعت نجوم السعدفى «اسوان»
فى بيت «محمود» تالق كوكب
بهر العيون بشدة اللمعان
فى ظل «فاطمة» وفيض هناءة
نشأ «الوليد» كاسعد الولدان
يتلو «الحديث» على الرواة ويرتوى
بهناءة من منهل « القرآن »
وشدا «اللحون» مفردا مترنما
«بالشعر» فى صدق من الاوزان
ورأى «الصعيد» يضيق عن طاقاته
فسرى يحث قوافل الركبان
واتى الى «بلد المعز» يعزها
بفصاحة ، وبلاغة ، وبيان
وعلى هداه «المازنى» وحوله
«شكرى» يقول الشعر فى مطران
وتأججت فى «مصر» نار حماسة
تدعو الى الابداع والاتقان
وعلى « المنابر » صيحة هدارة
يهتز منها شامخ الاركان
وعلى «الصحائف» ثورة مشبوبة
تجتاح مثل قذائف البركان
«عباس» باعقاده اقبل نوركم
فانشر لواءك فى «بنى عدنان »
كانت على يدك الحياة جديدة
للشعر منظوما من المرجان

..ورجعت للبلد الكريم مكـرما
كالشمس تشرق فى ذرا اسوان
يارائد الاجيال ذكرك خـالد
تشدو به روائع الالحـان !

الثقافة بالاسكندرية
بقلم فتحى الابيارى

لايمكن لاحد ان ينكر ما للاسكندرية فى عالم الفكر والفن والثقافة من مكانة مرموقة منذ الماضي السحيق .. الى اوائل القرن العشرين . ولكن بعد الحرب العالمية الثانية ، كان الكتاب والفنانون يزحفون الى القاهرة بشكل ملحوظ ، لذلك التمركز العنيف فى كل النواحى الثقافية والفكرية فى القاهرة . وجاءت الثورة .. وثارت على الاوضاع العتيقة ، وبدات تضع نظام الادارة المحلية حتى تفتت من تلك المركزية التى احتكرتها القاهرة مدة طويلة . ونجح نظام الادارة المحلية ، ولكن للاسف مازال التمركز قائما حتى الآن .

فمثلا .. انشات وزارة الثقافة والارشاد القومى دور الثقافة فى المحافظات لتكون مركز اشعاع فكرى وفنى فى المحافظات والاقاليم . ونجحت هذه الدور فى اداء رسالتها . ولكن نجاح دار الثقافة بالاسكندرية كان ملحوظا لدى جميع المثقفين والمفكرين بالقاهرة ، اذ كان يعقد ندوة يومية يتناول شتى شئون الحياة الثقافية والاقتصادية والقومية والاجتماعية . وتم انشاء اول ناد للقصة ، وناد آخر للشعر . واستمرت رسالة الدار فى نجاح مطرد .

ولكن توقف صرف المكافآت من شهر يوليو عام ٦٣ حتى هذا الشهر للنقاد والادباء والمثقفين الذين بذلوا مجهوداتهم لدفع الحركة الثقافية الى الامام . وكان الرد العجيب الذى اجاب به المسئولون ان الميزانية قد صرفت فى بند آخر !!! .. فكانت النتيجة التى انتهت اليها رسالة دار الثقافة بالاسكندرية ان الحاضرين من اساتذة الجامعة ، والادباء امتنعوا عن الاشتراك فى اى نشاط ثقافى بالمدينة احتجاجا على تلك المعاملة السيئة .

ردود قصيرة :

● تلقت الرسالة كلمة من « **محمد عبد الرحمن السحرتى** » .

يعلق فيها على الأعمال التى تتعمد الكتابة عن الجنس ، ويقول :

« ان الصحافة عمل وجهاد وفن ، وهى كما قال عرست الحياة فى حروف وكلمات .

● **وعنتر عبد السلام مخيمر** .. يتقدم بالمقترحات الآتية للنهوض بالسينما :

● انشاء ادارة خاصة للتوجيه السينمائى تكون مهمتها التوجيه الواعى الحازم لنشاط القطاع الخاص والاشراف عليه اشرافا كاملا .. وقد جاء فى الميثاق « راس المال الفردى فى دوره الجديد يجب أن يعرف انه خاضع لتوجيه السلطة الشعبية »

● تكوين لجنة تقويم ومتابعة تختص بنشاط القطاع العام .

● اصدار مجلة للسينما تستهدف تثقيف المشتغلين بالسينما .. وتعمل فى نفس الوقت على نشر الوعى السينمائى السليم بين الجمهور .

● تنظيم مسابقة سنوية للقصص السينمائية .

● محاربة الابتذال فى جميع صوره .. وتوقيع العقوبات الأدبية على المبتذلين او اقصائهم عن العمل فى السينما .

● الاهتمام بفتح اسواق جديدة للفيلم العربى .. والتدقيق فى اختيار الافلام التى تعرض خارج حدود الجمهورية العربية المتحدة .

● **الشاعر أحمد حمدى** .. ارسل قصيدة بعنوان اغنية .

● **الشاعر بهاء الدين سليم عالش** .. أرسل قصيدة بعنوان شظائر .

● **الشاعر عبد اللطيف عبد الحليم عبد الله** .. كتب يقول :

مرت الأيام والحزن كظيم
قتل الصبر بقلم المستهيم
تفعل الآلام فينا والهموم
ما يراه الشعر اولى بالوجوم

فارس الأيام تذويه السنون
وهو طول العمر يطوى فى القرون
فترة التيه تغشتنا دجون
غاب موسانا على طور سنين

حب الطيور

تأليف: جي دي موباسان

ترجمة: شيخ عبد الجواد كردي

قرأت منذ لحظة وجيزة في احدى الصحف وبين الاخبار العادية مأساة حب ، قتلها ثم قتل نفسه ، ماذا يهم هو أو هي ؟ حبهما فقط هو الذي يهمني . وهو لا يهمني لانه حزنني أو ادهشتني او لانه قواني وجعلني أفكر ، بل لانه أعاد الى ذهني احدى ذكريات شبابي ، ذكرى غريبة لمغامرة صيد حيث تجلى لى الحب كما تجلى الصليب للمسيحيين الاول وسط السماء .

لقد ولدت بكل غرائز الرجل البدائي وتطبعت بمناقشات وضوابط الانسان المتحضر ، فأنا مغرم من كل قلبي بالصيد ومع ذلك فمنظر الطائر الجريح والدم على ريشه ويدى يهز قلبي لدرجة تجعله يكاد يتوقف .

وفي تلك السنة برد الجو فجأة قرب نهاية الخريف ودعاني أحد أبناء عمومتي ـ كارل ده فبتي ـ لأذهب معه لاصطياد البط في المستنقعات عند بزوغ الصباح .

كان ابن عمي هذا زميلا لطيفا في الاربعين ، أحد سادة الريف ، ذا شعر أحمر ولحية ، بدين جدا ومرح يقطن في منزل ريفي يقع في سهل متسع يجري خلاله نهر وتغطى الغابات الجبال التي على اليمين واليسار وهي غابات اقطاعية قديمة ما زالت بها أشجار بديعة وتوجد بها أندر أنواع الطيور الموجودة في ذلك الجزء من فرنسا المزدحم بالسكان . وكانت النسور والطيور المهاجرة التي تجازف بعبور هذا الجزء المزدحم من الوطن تمرق بين أشجار البلوط الضخمة كما لو أنها قد عرفت وميزت في هذه الغابة البدائية ركنا أمينا تأوى اليه خلال عروجها الليلى القصير .

وصلت لدى ابن عمي في المساء وكان الجو صقيعا لدرجة تكفي لشق الحجر ، تناولنا العشاء في حجرة واسعة تغطى جدرانها انواع مختلفة من النسور والبوم والبلابل والصقور والبجع ، منها ما هو جاثم على أغصان سمرت في الجدران ومنها ما هو باسط أجنحته ، وكان ابن عمي نفسه بسترته التي من جلد كلب البحر يشبه طائرا غريبا من بلد بارد . وفي أثناء الطعام أخبرني ابن عمي بالترتيبات التي اتخذها لتلك الرحلة ، وانه علينا أن نبدأ الرحيل في الثالثة والنصف صباحا لنصل الى المكان الذي اختاره في حوالى الرابعة والنصف صباحا وانه قد أقام هناك كوخا من كتلة من الثلج ليحمينا بعض الشيء من الريح العاتية التي تسبق انبثاق الصبح .

وبمجرد الانتهاء من الطعام ألقيت بنفسي على الفراش واستغرقت في النوم على ضوء النار المشتعلة في المدفأة .

وفي الساعة الثالثة أيقظني ابن عمي فارتديت جلد شاة وارتدى هو جلد دب ، وازدرد كل منا فنجاني قهوة وأكوابا من البراندى المسكر ثم بدأنا الرحيل يتبعنا حارس وكلبانا بلونجو وبيروت .

كانت الليلة من تلك الليالى التي تبدو فيها الارض ميتة من البرد والهواء المتجمد ثقيلا لا يقاوم ساكنا لا يتحرك فلا نسمة ريح تحركه . وكان القمر في ربعه الاخير يميل كله الى جانب واحد ويبدو شاحبا وسط المكان ضعيفا حتى انه عاجز عن أن يتناقص ومضطر أن يظل هناك تمسكه وتشله : قسوة الجو ويرسل على العالم ضوءا باردا حزينا ، ذلك الضوء المتناقص الفاني الذي يعطيه لنا كل شهر عند نهاية مدته .

سرنا ، أنا وكارل ، جنبا الى جنب ، ظهورنا محنية وأيدينا في جيوبنا وبنادقنا تحت أذرعنا وأحذيتنا ـ ملفوفة بالصوف حتى تستطيع السير على النهر المتجمد دون أن تنزلق ـ لا تحدث صوتا وأنا أرقب البخار الابيض المتصاعد الذي يكونه زفير كلبينا .

وصلنا الى حافة المستنقع ودخلنا أحد مضايق البردى الجافة التي تتخلل الغابة السفلى ثم أبصرت عند منحنى أحد المضايق كوخ الثلج الذي اقيم ليحمينا من العاصفة .

كان أمامنا ما يقرب من ساعة حتى تستيقظ الطيور المهاجرة فدخلت الكوخ ولففت نفسي في سجادتي لأستدفىء ثم رقدت على ظهرى وأخذت أرقب القمر من خلال جدران الكوخ الشفافة ولكن صقيع المستنقع المتجمد وبرودة الجدران كانا يتخللاني

بقسوة فبدات أسعل وقلق كارل ابن عمي وقال :

ــ لا يهم اذا لم نصطد كثيرا اليوم ، انى لا أريد أن تصاب ببرد ، فلتشعل النار لتستدفىء .

وامر الحارس ان يقطع بعض البردى الجاف .

حفرنا حفرة وسط كوخنا وفتحة وسط سقفه ليخرج منها الدخان وعندما ارتفعت السنة اللهب الحمراء الى القطع البلورية الشفافة بدأت تذوب بلطف وبلا ادراك كأنها تعرق ، وناداني كارل الذى كان قد بقي بالخارج صائحا :

ــ تعال هنا وانظر !

خرجت من الكوخ فأخذتني الدهشة لما رأيت . كان كوخنا المخروطى الشكل يشبه ماسة هائلة قلبها من النار قد غرست فجاة وسط المستنقع المتجمد . وبداخلها رأينا شكلين خياليين هما كلبانا اللذان كانا يستدفئان بجوار النار .

وفجاة قطع الصمت صرخةحادة مرت فوق رءوسنا وعلى الضوء المنبثق من كوخنا رأينا سربا من الطيور البرية المهاجرة . لا شىء هناك يحرك الانسان مثل صرخة الحياة الأولى التى لا يراها الواحد والتى تمرق سريعا خلال الهواء المظلم وتبعد قبل أن يبدو الخط الاول من خيوط صباح أحد أيام الشتاء فى الأفق ولقد بدت لى تلك الصرخة التى حملتها أجنحة الطير فى هذه الساعة الجليدية من الفجر كأنها تنهيده روح من العالم البشرى .

وصاح كارل :

ــ أطفىء النار لقد بدأ النهار يشرق .

وفى الواقع كانت السماء قد بدأت تشحب وكانت اسراب البط تكون خطوطا طويلة سريعة تختفى بسرعة من السماء . وانبثق خط من الضوء فى الليل فقد أطلق كارل النار وانطلق الكلبان الى الامام

وبعد ذلك وبين دقيقة واخرى تقريبا كان كارل تارة وأنا تارة أخرى ، يصوب أحدنا بندقيته بسرعة وبمجرد أن يظهر ظل لسرب من الطيور على البردى ويسرع بيروت وبلونجون ــ وهما يلهثان ــ يسرعان لاحضار الطيور الجريحة ودماؤها ما زالت تنزف .

أشرقت الشمس وكان اليوم صحوا ذا سماء زرقاء وكنا نفكر فى بدء الرحيل عندما مرق فوق رأسينا طائران ممدودا الرقبتين مفرودا الاجنحة فأطلقت عليهما النار وسقط أحدهما تحت قدمى تقريبا كان نوعا من البط البرى ذا صدر فضى . وفى السماء الزرقاء سمعت عويلا ... عويلا قصيرا متكررا لقلب منكوب ، وبدا الطائر الصغير ، الذى بقى طليقا ، يدور فى السماء فوق رءوسنا ناظرا لرفيقه الميت الذى كنت ممسكا به فى يدى بينما كارل راكع على ركبتيه وبندقيته على كتفه يراقبه فى شغف حتى يصبح فى مدى الطلق .

وقال كارل :

وفعلا لم يطر بعيدا ، لف فى دائرة حول رءوسنا واستمر فى صياحه ولم تؤلمنى قط آنات توجع مثل هذا النداء اليائس وذلك النواح المحزن من هذا الطائر المسكين، تلك الانات التىضاعت فى الفضاء .

وتحت تهديد البندقية التى كانت تتبع حركاته شرع فى الطيران بعيدا ، وبدا مستعدا لمواصلة طيرانه بمفرده دون رفيقته ولكنه لم يستطع أن ينفذ هذا العزم فعاد يبحث عن رفيقته ثانية .

فقال لى كارل اتركها على الارض ، سيقترب من مدى البندقية قليلا قليلا .

وبالفعل اقترب منا غير مبال بالخطر مدفوعا بحبه الغريزى ، بعاطفته لرفيقته التى كنت قد اصطدتها منذ لحظة وجيزة ... واطلق كارل البندقية ورأيت شيئا أسود يهوى بسرعة كما لو أن شخصا ما قد قطع حبلا كان يمسك الطائر فى السماء وسمعت ضوضاء سقوطه بين البردى وبعد فترة وجيزة أحضره لى بيروت .

وضعتهما ــ وكانا قد بردا تماما ــ فى حقيبة صيد واحدة وعدت الى باريس فى نفس الليلة .

منيرة عبد الجواد دكرودى



الثقافة والارشاد القومى

العدد ٥٢

الثمن ٣ مـ

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الفهرس

رئيس التحرير

أحمد حسن الزيات

المراسلات جميعها تكون باسم السيد مدير ادارة المجلات ٢٧ شارع عبدالخالق ثروت بريد . محمد فريد . القاهرة

تصدرها الثقافة والارشاد القومي

الاشتراكات ١٥٠ مليما سنويا ويضاف أجر البريد من خارج ج.ع.م

العدد ٥٣ - ١٤ ربيع الأول ١٣٨٤ هـ - ٢٣ يوليو ١٩٦٤ م - السنة الثانية

من هو الثائر ؟



للدكتور محمد أحمد خلف الله

هذا سؤال نطرحه .

ولن نستطيع الاجابة عنه فى دقة ما لم نجب عن سؤال آخر نطرحه الى جواره . سؤال تساعد الاجابة عنه فى الكشف عن الخصائص المميزة للثائر ، وفى بيان الدور الذى يلعبه فى الحياة .

والسؤال الآخر الذى نطرحه ، ونحـاول الاجابة عنه أولا هو :

ومن هو الفوضوى ..

والاجابة عن السؤالين تتطلب هى الأخرى البحث عن العوامل المكونة لكل من الفوضوى والثائر . أو البحث فى تلك التربة التى نمت فيها تلك البذرة التى نمت ، وأينعت ، وأثمرت ، فكان منهـا هـذا الفوضوى أو ذلك الثائر .

والتربة التى نقصدها هى البيئة التى عاش فيها كل منهما ومدى علاقته بها ، أو هى المناخ الاجتماعى والمناخ الفكرى لكل منهما .

والفوضوى والثائر انسانان يعيشان فى مجتمع واحد ، ولكنهما يختلفان فيما بينهما من حيث صلة كل منهما بتلك التربة التى ينبتان فيها ، ويسقيان بمائها .

والفوضوى انسان لم تمتد جذوره فى البيئـة الى الأعماق وانما ظلت على السطح فلم يدرك من المناخ الاجتماعى والمناخ الفكرى الا النذر ، وهو من هذه الناحية يشبه المشردين واللاجئين .

أو هو انسان امتـدت جذوره فى البيئة ولـكن بعض العوامل التى أثرت فيه اقتلعت هذه الجذور وتركتها فى العراء حيث لا تربة ولا غذاء . وهو من هذه الناحية انسان لفظته البيئة بعد أن حطمت آماله وأحلامه .

والفوضوى انسان ذو حيوية ، وتفوق طاقته عادة تحدى البيئة له . ومن حيث أن العلاقة بينه وبين البيئة ليست على خير حال فان نشاطه يتوجه الى الهدم لا البناء . الى الانتقام لنفسه أولا وقبل كل شىء .

يقول الاستاذ رينه حبشى فى بعض محاضراته بدار الندوة اللبنانية ببيروت :

(أ) من أى فئـة من فئات المجتمع يجنـد الفوضويون ؟

الجواب بسيط . انهم يجندون فى اغلب الأحايين من بين المشردين وغير المندمجين فى مجتمعهم . اذ يجب أن يكون المرء قد فقد كل ماليديه من أمل كى يجاذف بآمال الآخرين . يجب أن يكون قد فقد كل صـلة بالآخرين كى يتجرد من ذاته ويجـرد الآخرين من وجودهم .

ان مخيمات اللاجئين أرض خصبة للفوضويين اذ ان الذين يعيشون فيها مطرودون من بلادهم ، ولم يبق لهم فيها جذور .

(ب) قبل أن يصبح الانسان فوضويا كان رجلا مثل سائر الرجال حتى اعترضته قوة عاتية جارت عليه وظلمته فاخرجته من اطار ذاته مدشنة حياته كمتشرد غير مندمج .

سله عن سبب فوضويته .

انه يجيب ! لقد تجاوزوا كل حد .. ان جميع حقوقي مهضومة ... اني كرامتي قد ديست .

(جـ) تفوق الشرارة الحيوية عند الفوضويين تحدى بيئتهم ، وهم اذ يستخدمون خافاتهم الحيوية على عكس طبيعتها ـ حيث لا حاجة اليها ـ تندفع الاخفاقات في حياتهم فينصرفون الى الهدم انتقاما وتشفيا .

انهم باذلالهم الغير يعوضون ذلهم امام الغير

أما الثائر فانسان تمتد جذوره في البيئة الى الأعماق . انه يمتص كل غذاء في التربة . انه يدرك ادراكا كاملا ودقيقا مافي البيئة من عادات وتقاليد ، ومافيها من أفكار ، ومافيها من آراء ومعتقدات .

انه يعرف الصالح من الطالح . ويدرك أن الفساد قد عم ، وأن الباطل قد ساد .

انه لحرصه على البيئة التي فيها نشأ يحاول الاصلاح . يحاول الاحتفاظ بالصالح والقضاء على الطالح .

انه لا يحاول الهدم محبة في الهدم او تشفيا وانتقاما . وانما يحاوله من حيث هو وسيلة للاصلاح .

ان الثائر انما يلجأ الى العنف في حالتين .

الأولى : أن يقف الحاكمون أمام مطالب الجمهور المعقولة ، انه في هذه الحالة يثور لأنه الشخص الذي تركز في وجدانه كل ماللامة من آمال وأحلام. انه يثور باسم الأمة وباسم تحقيق أهدافها .

الثانية : أن تكون الأمة قد بلغت من التخلف حدا لا يفيد فيه غير الاصلاح الجذري الذي لايمكن أن يتم الا على أنقاض المؤسسات التي تمثل التخلف والانحطاط .

والانسان الثائر لا يستحق هذا الوصف بحق الا اذا توافرت فيه صفات أو شروط تحول بينه وبين أن يصبح فوضويا .

١ ـ أول هذه الشروط ان يكون غنيا بالمعرفة .

ان الثائر الذى لاتمكنه ثقافته من ادراك حقيقة الموقف ، ومن النظرة الشاملة لكل ما للموقف من أبعاد ، لايستطيع أن يثور .. اى لايستطيع أن يهدم ويبنى فى آن .

ان الثورة ليست تحطيما وكفى وانما هي عملية هدم من أجل البناء .

ان الثائر الذى يقف عند حدود الهدم قد يكون هو والفوضوى سواء .

٢ ـ وثاني هذه الشروط أن تكون له ذاكرة قوية تعي ماضي أمته ، وتستحضر له في كل موقف تجارب التاريخ .

ان الانطلاق الثورى يجب أن يبدأ من الماضى .

ان الذين يتجاهلون التاريخ ويحصرون ذاكرتهم في الحاضر وحده يكونون اشبه مايكون بالفوضويين. يكونون أصحاب وجدان ضعيف ، أو أصحاب وجدان سريع الانفعال .

٣ ـ أن يكون قادرا على رسم خطة للمستقبل السعيد الذى يجسم أحلام الأمة وأمانيها ، ويحقق لها أهدافها .

ان الثائر انما يرتكز على الماضى من أجل التحكم فى المستقبل .

يجب عليه أن يدرك اين هو ، والى اين يريد أن يسير ، وما المراحل التى يجب ان يقطعها ليبلغ الغاية .

ان الارتجال حين يتعلق بحياة الأمة ينحرف بها الى التناقض ويحدث ردود أفعال تجعل عمل الثوار اشبه بعمل الفوضويين .

٤ ـ أن يشعر بمسئوليته في كل موقف من المواقف .

ويساعد الثائر على ذلك ثقافته الممتدة الى كل أبعاد عمله .

ان الثائر انسان يتمنى النظام دون ان يحول هذا النظام بين الناس وبين الروح الانتقادية .

انه انسان يحب الجمهور ، ولكنه لا يتخلى عن مبادرته الشخصية وصفاء ذهنه .

انه انسان يشعر بالحماسة دون أن تبلغ هذه الحماسة حد الجنون .

انه انسان يعرف العداوة ولكنه لا يصل بها أبدا الى حد الحقد .

انه يثور ولكن لا يدع البغض يسيطر عليه .

انه في كل لحظة حكم على نفسه ، وعلى من حوله، وعلى ما حوله .

انه مسئول عن نفسه وعن الآخرين .

انه رجل .

دكتور

محمد أحمد خلف الله

الثروات الطبيعية والتصنيع
من خلال آيات القرآن الكريم

بقلم : محمد محمد المدني

- ١ -

● القرآن الكريم يخاطب النوع الانساني بعناية وتقدير ، على اساس ان الانسان مخلوق له رسالة عظيمة الشأن استخلفه الله فى الارض لتحقيقها ، ويسر له جميع وسائلها ، حيث زوده بالعقل ، واقدره على الحركة الفكرية التى لها طابع المتابعة واستنباط المجهول من المعلوم ، وزوده باعضاء وجوارح تعينه كذلك ، ثم جعل الارض نفسها مزودة بكل شيء « وبارك فيها وقدر فيها اقواتها » ، وهيأ للانسان فيها جميع الثروات الطبيعية ، والمواد الاولية ، ثم سخر له مع ذلك كل شيء خارج نطاق الارض .

والروح الذى يدرك من هذا كله : ان الارض وماحولها ميادين عظيمة خلقت وهيئت بقوانين وسنن ثابته حكيمة ، وسخرت للنوع الانسانى ، كى يجول فيها ، ويستثمر ثمراتها ، وينتفع بخيراتها . ويولد منها ماشاء وماهداه اليه عقله ، وما استطاعه دون حجر ولا تحديد .

لقد منح القرآن الكريم الانسان بهذا شخصية قوية ، وغرس فيه الاعتداد بالنفس ، والثقة بالقدرة ، والرغبة فى توليد كل مايعينه من الامكانيات الطبيعية والصناعية ، ليتقدم من نصر الى نصر ، ويرتفع من علو الى علو ، تحقيقا لقوله تعالى **« ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معايش »**

وهذه العناية الالهية بشأن الانسان راجعة الى علمه تعالى وحكمته ، ولذلك تساءل الخلق الاخيار — وهم الملائكة — لما استخلفه الله فى الارض ، عن سر اختياره دونهم ، فأعلمهم الله انه أقدر منهم على تحقيق الرسالة التى اختير لها ، لما هياه الله عليه من صفات ، وزوده به من قدرة وامكانيات **« واذقال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة ، قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال : انى اعلم مالا تعلمون »** وهذا حكم فاصل من شأنه ان يرفع معنويات الانسان ، حيث يرى ان الاله الخالق القادر الحكيم العليم اعتبره اصلح لعمارة الكون من الملائكة الابرار الاطهار ، مع انه مخلوق يصدر عنه الفساد احيانا ، وسفك الدماء احيانا ، ومع انهم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون .

ثم حكم حكما آخر على منافس آخر للانسان ، هو ابليس عدو بنى آدم اللدود ، حيث امره بالخضوع لآدم ، فلما لم يخضع تكبرا واستعلاء ، وعصى امر الله ، وقال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ، لعنه الله وطرده من رحمته ، ونصر الانسان عليه فى موقف التحاكم ، وحذره منه ومن ذريته مبينا له انه عدوه المبين **« قال اخرج منها فانك رجيم ، وان عليك اللعنة الى يوم الدين »**

واذن فالانسان هو النوع المختار الذى علم الله جدارته بالرسالة التى استخلفه فى الارض من أجلها ، دون الطيبين الابرار من الملائكة ، والمفسدين الاشرار من الابالسة .

وما دام الانسان مخلوقا له رسالة ، وقد استخلف فى هذا الكوكب لغاية ، فلا يمكن أن يرضى الاسلام الذى يقرر هذا ويؤكده مرة بعد مرة فى آيات من كتابه الخالد ، بأن يقضى الانسان حياته فارغا او قابعا مستسلما لما حوله ، مستمرئا رتابة الحياة ونعيمها السهل الميسر دون ان يعمل ويشقى .

وليس الاسلام هو دين الرهبنة الذى يرضى أو يطلب من الانسان أن يعيش كما يعيش الراهب فى صومعته ، أو كما يعيش المنقطع فى الجبل ، لا يعمل، ولا يزرع ، ولا يحصد ، ولا يفكر ، ولا يؤلف ، ولا يوجه ، ولا يشارك فى اى نشاط ، بحجة انه متفرغ للعبادة ، واداء حق الشكر لله تعالى على ما أنعم ، وانه مؤثر للزهد فى الحياة ، واحتقار الدنيا وزينتها .

وذلك لسبب بديهى هو ان هذا هروب من الرسالة التى خلق لها ، وتخلص من الامانة التى هيىء لتحملها ، وغفلة عن قاعدة اساسية قررها الاسلام ، وهى انه يعتبر كل عمل يقوم به المرء للاصلاح والتعمير ، والتوليد والتثمير ، عبادة لاتقل فى اهميتها عن الصلاة والصيام والحج ، بل ربما تفضلها ، وان الله تعالى حين قال **« وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون »** لم يحصر نوع العبادة بالنسبة للانس فى اداء الفرائض والنوافل الروحية ، وانما بين فى غير هذه الآية ان لكل عمل صالح فهو عبادة مادامت النية فيه حسنة ، والقصد سليما مشروعا، ومادام المرء مؤديا به حقا عليه لنفسه او لمجتمعه ، او لامته ، او للانسانية عامة .

***

اذا تبين لنا هذا علمنا ان الاسلام يريد تهيئة النوع الانسانى للعمل والسعى وتعمير الارض واكتناه شان الكون ، والانتفاع بما سخره الله فيه .

وبذلك يكون قد أمد الارض بالموارد البشرية ، أى هيا لها – باعتبارها منجما كبيرا او مستودعا هائلا – موارد لا تنقطع من القوى البشرية العاملة الدائبة المفكرة المدبرة ، المقبلة على السعى بفطرتها وطبيعة تكوينها ، ولم يحل بالدين بينها وبين هذا السعى والدأب ، بل جعله دافعا لا مثبطا ولا مخذلا ولا معوقا .

فهذا هو المورد الاول والاساسى من موارد الاعمار والكشف والتثمير والتحصيل والتصنيع ، لولاه ما كان للارض قيمة ، ولالثرواتها الطبيعية من ينتفع بها ، ولا لما حول الارض دلالة ولا اشارة تنبىء عن عظمة الخلق ، وبديع الصنع ، ولظل العالم كالقصر المنيف الذى هيىء أعظم التهيئة بكل شىء ، ثم ترك خاليا خربا لا يسكنه احد !

وان هذا ليتفق مع النظريات الاقتصادية كل الاتفاق فانه لا فائدة فى اى مورد من الموارد الاقتصادية الطبيعية الا اذا توافرت لها الموارد البشرية التى تستنبطها وتستحييها وتعمل فيها العقل والفكر ، وتصنعها او تهذبها على نحو من التصنيع او التهذيب .

***

● والقرآن الكريم بعد ان يبين الغاية من خلق الانسان ، وبعد ان يحشد افراد هذا النوع للعمل والسعى والدأب ، كمورد اساسى للاعمار والتصنيع يلفت الانسان فى كثير جدا من الآيات ، الى الثروات الطبيعية التى خلقها الله ، واعدها للانسان لينتفع بها على وجه طبيعى احيانا ، وصناعى احيانا ، **فهو يلفت الى الثروة الزراعية ، او النباتية حيث يقول :**

«هو الذى انزل من السماء ماء ، لكم منه شراب، ومنه شجر فيه تسيمون ، ينبت لكم به الزرع ، والزيتون ، والنخيل ، والاعناب ، ومن كل الثمرات، ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون »

« ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ، ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون »

« ان الله فالق الحب والنوى ، يخرج الحى من الميت ، ومخرج الميت من الحى ، ذلكم الله فانى تؤفكون »

« وهو الذى انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء ، فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ، ومن النخل من طلعها قنوان دانية ، وجنات من اعناب ، والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه ، انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ، ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون »

« وهو الذى انشا جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا اكله ، والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه ، كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين »

« وفى الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان ، يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ، ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون »

« ونزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد ، والنخل باسقات لها طلع نضيد »

« افرأيتم ماتحرثون ؟ أانتم تزرعونه ام نحن الزارعون لو نشاء جعلناه حطاما فظلتم تفكهون ، انا لمغرمون ، بل نحن محرومون »

« افرأيتم النار التى تورون ؟ أانتم انشأتم شجرتها أم نحن المنشئون ، نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين »

« الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا ، فاذا أنتم منه توقدون »

فلينظر الانسان الى طعامه : انا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الارض شقا ، فانبتنا فيها حبا ، وعنبا وقضبا ، وزيتونا ونخلا ، وحدائق غلبا ، وفاكهة وابا ، متاعا لكم ولأنعامكم » .

« وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا ، لنخرج به حبا ونباتا ، **وجنات الفافا** » .

الى غير ذلك من الآيات التى تلفت الى الثروة النباتية التى هى أساس عيش الانسان وغذائه وطعامه وفاكهته ، والتى يرجع اليها شطر كبير من عمل العاملين ، وتجارة المتجرين ، وحركات النقل ، والمصانع .

ويلاحظ ان القرآن الكريم يلفت الانظار الى هذه الثروات بأسلوبه الذى ينتهز كل فرصة تواتيه حتى ينفذ من خلالها الى العبرة والدلالة على بديع القدرة ، وواسع الرحمة ، لانه يربط دائما بين الأشياء والأعمال ، وما توحى به من حقائق توجب الايمان ، وتحول بين الانسان وما قد يعتريه من الطغيان ،وتعرفه بربه وماله من حق عليه .

ولذلك نراه لا يسرد أصناف النبات والزرع سردا كما لو كان يقدم بها جدولا اقتصاديا ، او كشفا حسابيا ، وانما يذكرها موزعة فى مواضع مختلفة ، ويقدمها الى العقول كى ترى فيها عظمة الخالق : « انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه »

« ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون » « ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون » «ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون» « فلينظر الانسان الى طعامه » « أانتم تزرعونه ام نحن الزارعون » وهكذا يأتى لفت الانظار الى الخيرات والثمرات مقترنا يلفت الانظار الى واهبها والمنعم بها ، وهذا من أسرار البلاغة والاعجاز فى القرآن الكريم ، اذ يثير العواطف فى قلوب المؤمنين حتى وهو يقدم صورة اقتصادية تلفت الى بعض الموارد الطبيعية .

ثم يلاحظ أيضا ان القرآن الكريم يلفت فى أثناء ذلك الى تصنيع هذا النوع من الثروات، حيث يقول فى بعض الآيات «تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا» فالاتخاذ لا يكون الا بنحو من الصنعة والعمل والتحويل ، وحيث يقول « وهو الذى انشأ جنات معروشات وغير معروشات » والتعريش انما يكون حيث يتعاون الانسان مع السنن الكونيه للنبات والزرع ، فهو لون من ألوان الصنع الانسانى الذى يدخله الناس على بعض الموارد الطبيعية تنظيما للانتفاع بها ، وتحويلا لها عن اوليتها الفطرية وسذاجتها الاصلية ، ويقول الله تعالى فى التفرقة بين مايكون من فعل الانسان وفعل الخلاق « افرأيتم ماتحرثون أانتم تزرعونه ام نحن الزراعون » فالحرث هو فعل الانسان ، اذ هو الذى يقلب الارض ويهيئها لتلقى البذر ، ويثير باطنها ، أما الزرع فهو صنع الرحمن اذ هو الذى سن قانون النبات ، واودعه القوة التى تجعله يمتص الماء بقدر ، ويأخذ من التربة بقدر ، ومن ضوء الشمس بقدر ، فينزرع وتتمكن جذوره ثم ينمو ويؤتى اكله كل حين باذن ربه ، وليس للانسان فى هذا الجانب اى عمل ، وكذلك قوله تعالى « افرأيتم النار التى تورون أانتم انشأتم شجرتها ام نحن المنشئون » فالشجر فى الغابات وفى غيرها منشأ من الله تعالى بتكوين عناصره التى يمكن معها أن يكون نارا ، وليس للانسان دخل فى تكوين هذه العناصر وتأليفها ، وقد اكتشف الناس فيما بعد ان هذه الشجرة التى توقد منها النار هى الأصل للفحم الشجرى ، وقد مرت عليها أعصار طويلة فى المصنع الالهى حتى صارت فحما يستخرج ويستوقد بفعل الله ، أو كما يقولون بفعل الطبيعة ، وما الطبيعة الا قوانين التكوين والتحويل التى سنها الله ، فسبحان الخلاق العليم !

محمد محمد المدنى

نظرات فى الشعر العراقى المعاصر

لهيب الكفاح فى شعر خالد الشواف

للدكتور بدوى طبانة

لم يكن خالد الشواف معروفا فى عالم الشعر عندما برحت بغداد سنة ١٩٤٧ عقب زيارتى الاولى لها ، وان كانت بعض الظروف قد اتاحت لى ان اعرفه عن كثب يستقبل حياة النضج والاكتمال ، ويجد فى دراسته العالية للقانون فى كلية الحقوق ، مع ولوع ظاهر بالمعرفة ، وهيام بالغ بالشعر والأدب ، وخلق رفيع قبس فيه كثيرا من فضائل ابيه العالم الكبير الاستاذ عبد العزيز الشواف الذى تولى ارفع مناصب القضاء فى وادى الرافدين ، واسرته التى اشتهر منها رجال فى ميادين العلم والحرب والجهاد .

وقد اتاحت لى تلك الظروف ايضا فرصة الاستماع الى محاولاته الاولى فى نظم الشعر . ولكنى على الرغم مما كنت اجد فى اكثر ما قرات او سمعت له من معالم الاصالة ومظاهر الاجادة لم اكن اتوقع ان يسير خالد فى الشوط الى غايته ، فقد عرفت عددا كبيرا من الشباب . وقد كنت واحدا منهم — هاموا فى مطالع حياتهم بفن الشعر ، ثم انصرفوا او صرفتهم بعض شواغل الحياة او الاستغراق فى جانب من جوانب التفكير عن هذا الفن الجميل ، وقل منهم من واصل السعى حتى اصبح من المعدودين فى طليعة اصحاب ذلك الفن الجميل .

وحين عدت الى القاهرة اذ ذاك لم يكن يملأ راسي من شعراء العراق وادبائه الا اولئك النفر الذين استوت ملكاتهم واستقرت منازلهم فى عالم الشعر ، ووصلوا فيه الى درجات عالية من الاجادة والاتقان من امثال الرصافى والزهاوى والشبيبيين — رضا وباقر — والحبوبى ، والجواهرى . . . والا تلك الظاهرة الجديدة فى عالم الشعر العربى المعاصر ، وهى ظاهرة تالق عدد من بنات حواء المجيدات من امثال نازك وعاتكة وام نزار وصدوف ورباب فى سماء الشعر العربى .

وكان من احب المفاجآت الى نفسي ان وصلت الى فى اخريات سنة ١٩٥٨ هدية ثمينة هى ثلاثة من النماذج الادبية المطبوعة للشاعر خالد الشواف ، هى :

(١) مسرحية شعرية تاريخية عنوانها (شمسو) طبعت فى بيروت ١٩٥٢ .

(٢) مسرحية شعرية تاريخية عنوانها (الأسوار) طبعت فى بيروت ١٩٥٦ .

(٣) ديوان شعر عنوانه (من لهيب الكفاح) طبع فى بغداد سنة ١٩٥٨ .

وفى زيارتى الاخيرة لبغداد قدم الى خالد ديوانه الاخير (حداء وغناء) الذى نشرته دار الآداب فى بيروت سنة ١٩٦٣ .

وقد اقبلت على قراءة هذه الآثار بشغف شديد ، لأقف على مدى ما اصاب خالد من توفيق وما تطلع من اشواط فى فن الشعر ، واخيرا وجدتنى امام شاعرية اصيلة ، وفن مطبوع ، تمرس صاحبه وتحنك فيه ، واصبح بحق ركنا من اركان دولة الشعر فى بلد الشعر ، بل فى مواطن العروبة كلها . .

***

ان الوحدة التى تؤلف بين هذه الآثار ، والتى تطل منها معالم الشخصية الفنية لخالد الشواف هى روح العروبة الحية النابضة التى تعيش فى شتى مواطنها وتتفاعل باحداثها وتعزف الحان آلامها وامانيها ،

وتنعى على اسباب فسادها وعوامل تخلفها وقعودها، وتشيد بأمجادها ، وتطرب لروح الحياة اذا رآتها تدب في اوصالها .

فديوان خالد الشواف الاول « من لهيب الكفاح » ليس ديوان خالد الشواف ، وليس ديوان العراق فحسب ، بل هو ديوان كل عربي وديوان العروبة بمشاعرها واحاسيسها ، والشاعر فيه لا يعيش في بيته او بيت ابيه في الاعظمية من ضواحي مدينة السلام ، بل يعيش في مواطن العروبة كلها ، ويتنقل بين ديارها ، بين مغانيها ورموسها ، بين احيائها واشلائها ، في سباتها العميق وفي ثوراتها العارمة .

انه مع الاحياء يشد أزرهم ويقوى عزائمهم، ومع الكسالى ينهضهم ، ومع النيام يوقظهم . ولم ينس خالد في ديوانه بلدا عربيا ، ولا ثورة عربية ، ولا قضية من قضايا العروبة التي تشغل البال ، وتؤرق المؤمنين بحقوق أمتهم ومستقبل اوطانهم ، وانك لتقرأ مظاهر تلك الحساسية وذلك الشعور المرهف في سائر قصائد الديوان ، وتطالعك معالم تلك اليقظة في اول كلمات الشاعر التي اهدى فيها ديوانه **«الى كل من اكتوى باللهيب المقدس من كفاح الشعب العربي في فلسطين .. في سوريا .. في مصر .. في المغرب العربي .. في العراق .. وفي كل بقعة من بقاع الوطن الكبير ، اقدم هذا القبس من لهيب الكفاح الخالد » !**

اجل ، ذكر خالد كل هذا وفى لكل هذا ، وان كان خالد قد نسي شيئا فانه لم ينس الا نفسه وذاتيته التي فنيت في خضم العروبة واحداثها ، وتقرأ آثار التضحية والفداء في اول ما تقرأ من شعر الديوان :

ان كان بحر دماء دون غايتنا
فقد عبرنا على اشلاء قتلانا
او كان مهر الاضاحي قبل جلوتها
فقد نحرنا لها شيبا وشبانا

وشعر الديوان يمثل الى حد كبير وحدة المشاعر التي جمعت بين قلوب العرب ، والتي تجد صداها في قلب كل فرد من افراد الشعب العربي من الذين لم تفسدهم الدعة ولم تستهوهم شهوة الحكم ولا ابهة السلطان ، ولم يخدعهم المستعمرون عن غاياتهم الاصيلة في الحرية لبني جلدتهم ، والسيادة على ارضهم ، والكرامة لكل من درج عليها .

ومن هنا لا نلمح في شعر الديوان الا روحا عربية صافية تحلق في سماء العروبة ، وتحيا في ربوع فلسطين ، وفي ارض الكنانة وعلى ضفاف بردى وفي المغرب العربي وفي وادي الرافدين ... ولكن خالدا لا يحيا على هامشها ولا في لهوها ومفاتنها ، ولكنه يحيا في جراحها وكفاحها وآمالها .

وفي هذا الشعر الحماسي الفياض لايقف الشاعر موقف الباكين على الطلول او النائحين على امجاد الأسلاف ، بل موقف القادة الذين يستنهضون العزائم ويشحذون مواضي الهمم .

فلسطين في لهيب الكفاح

اشرت في كلمة سابقة في « الرسالة » الى أن مأساة فلسطين التي هزت مشاعر الأمة العربية كانت من اهم القضايا التي استأثرت بعناية ادب العروبة في كل مكان ، وان حظ الشعر العراقي من تلك العناية كان عظيما .

وكان خالد الشواف من ابرز شعراء العراق الذين هزتهم النكبة واحداثها السابقة واللاحقة . وشعره في فلسطين هو اول شعر يطالعك في ديوانه الأول « من لهيب الكفاح » وهذا الترتيب الذي جعل فيه خالد اول شعره في الديوان قصائده في فلسطين براعة الاستهلال وآخره شعره في وطنه الأول العراق ان كان له شيء من الدلالة فانه يؤكد عروبة الشاعر الاصيلة التي لا تفرق بين موطن وموطن آخر من ديار العرب .

وقد افتتح خالد شعره في فلسطين بهذا البيت الذي يمثل أمل كل عربي في رجعة الوطن السليب وعودة العرب الى ديارهم بالعمل والجهاد ؛ لا بالبكاء والنواح :

الثار .. ان الثار صرختنا
حتى نعود .. فهل هنا اذن ؟

وهو آخر ابيات قصيدته « اللاجئون » وهي أحر قصائده واحفلها بالعواطف الجياشة التي اتصلت فيها حرارة الأمل بلوعة النكبة .

والقصائد التي صاغتها شاعرية خالد في فلسطين سبع ، وعناوينها : القدس ، والوليد المسخ ، والوتر والثار ، ومصرع الليث ، وصرخة ، واللاجئون ، وطال شوق السيوف للجولة الثانية .

وترتيب هذه القصائد في الديوان ترتيب تاريخي، واولاها واقدمها قصيدة « القدس » التي كتبها اثر زيارته لتلك المدينة في صيف عام ١٩٤٥، ولذلك فانها تعدمن بواكير شاعريته الخصبة ، ويبدؤها خالد باستعادة الذكريات الدينية والامجاد التاريخية التي اعظمت شأن ذلك البلد :

هنا يا رفاق اخشـــعوا وارهبوا
هنـــا البلـــــد القدس الطيب
هنـــا موطن المعجـــزات التى
تغنى بهـــا الشرق والمغـــرب
هنـــا مذبح الاضـــحيات التى
الى الخلــد سار بهـــا موكب
هنـــا سقى الأنبيـــاء الكرام
فيوضـــا من الوحى لا تنضـــب
هنـــا وطئـــت قديما احمـــد
وجبريل اكـــرم من يصـــحب
تحن لمعـــــراجه مكــــــة
وتهفـــــو لمهبطه يـــثرب
هنا جال بين الصفوف صـــلاح
كما انتفض الأســـد المغضـب

واحسب ان اعجاب خالد فى مطلعحياته الشاعرة بشوقى وادمانه قراءة شعره همـــا اللذان اجريا فى فى البيت الاول من هذه الابيات عبارة « البلد القدس الطيب » التى وصف بها شـــوقى مدينة يثرب فى مسرحيته « مجنون ليلى » وذلك فى قوله :

آمن يـــــثرب انـــــت آت
اجل ! من البـلد القدس الطيب !

وربما كانت «القدس» التى يتحدث عنها خالد هى التى جرت الاوصاف الثلاثة التى اخذها من شـــوقى ثم نقلها من « يثرب » الى « بيت المقدس » بالاضافة الى اتفاق الشاعرين فى الوزن والقافية !

ثم أبيات ثلاثة يختم بها الشاعر قصيدة القدس مشيرا الى الصراع بين العرب واليهود آنذاك ، والى دعوى اليهود ان (اورشليم) لهم ، وبذلهم الاموال لدعم هذا الباطل ، ثم جود العـــرب بدمائهم فداء لأوطانهم :

فيا عجبا .. كيـــف يمسي اليهود
ومشـــــربهم وردنا الاعـــذب ؟
وقال : لنا (ارشـــليم) اليهـــود
وقال : بل القدس لى يعـــرب
فسال النضـــار ، وسال النجيع
ولا يخطىء الحـــــق من يطلب

وفى البيت الثانى من هذه الأبيات قليل من التقديم وقليل من التاخير اضعف المعنى وان لم يصل به الى درجة الفساد ، واحسب ان الأصل : وقال اليهود اورشليم لنا ، وقال يعرب : بل القدس لى ! . وان كان يؤخذ على الشـاعر انه اورد دعوى اليهود الباطلة على انها قول ، ولم يزد فى ايراد حق العرب الاصيل على انه قول كذلك !

اما القصائد الست الباقية من شعره فى فلسطين فانها تتصل بالاحداث الكبرى فى معركة فلسـطين ، وفيها يتتبع الشاعر الاحداث التى عاصرها ، ويعبر اقوى تعبير عن مشاعر العـــرب تجاه تلك الاحداث، فالقصيدتان « الوليد المســـخ » و « الوتر والثار » تعرضان لمشروع التقسيم ، وقـــد القيت القصيدة الأولى فى المظاهرات التى انطلقت احتجاجا على هذا المشروع فى اوائل كانون الأول سنة ١٩٤٧ ، وفيها يعبر عن سخط الشعب العربى على ذلك المشروع ، ويهدد بثورته وانتقامه من اليهـــود وممن صـــنعوا المشروع لحمايتهم والكيد للعرب :

سنبعثهـــا مخضـــبة تلظى
لتكبح من خيـــالهم الجمـــاحا
فيصـــبح مهـــده الموعـــود لحـدا
ويصبح روضـــه الموموق ساحا
رعـــاة الشر .. كيف اســـتموهم
ربا الوطـــن المقدس والبطـــاحا
امنتم بطشـــة الآســـاد لمـــا
رأيتم من خـــرافكم النطاحـــا
ســـكتنا عنهـــم انفا فقـــالوا
لقـــد القت لنا العـــرب الســلاحا

اما القصيدة الاخرى « الوتر والثار » فقد كتبها الشاعر بعد قرار التقسيم بعد الاولى بأيام ،والقاها فى احتفال شعبى كبير اقيم احتجاجـــا على ذلك القرار ،وهى احدى روائع خالد التيتفيضبالحماسة، وفيها يتصل فخر العروبة بالبسالة والفداء باثـــارة الحمية وشحذ العزائم ، وتتصـــل الاحتـــاد على الصـــهيونية ودعاتها بالدعوة الى التنبه الى الذين يسندونها من المستعمرين من خلف الستار :

بشرى فى تربك الغـــالى الجـــدودا
زمجر الغـــاب لباء واســـــودا
هذه الأحقـــــاد فى اعـــــراقنا
افعمتهـــا شرة الغـــرب وقـــودا
فتلظـــت حممـــا وانفجـــرت
صـــاعقات ، لابروقـــا ورعـــودا
ظمئت حينا فلمـــا ســـقيت
اكؤس الذل ابت ان تســـتزيدا
ودعـــت ســـاقى الوغى هـــاتفة
فجـــر الكـــرم وريدا فـــوريدا
الكئوس الحمـــــر ما اعـــذبها
كلما انكت يد الضـــيم الحقـــودا

ثم يستعيد الشاعر آيات البطولة ، ويستثير النخوة والحمية ، ويستنهض الهمم للقاء الأعداء والقضاء على مطامعهم ، مذكرا ببطولة صلاح الدين الذى شتت شمل اعداء الامة وبدد جحافلهم،وبذكريات حطين الخالدة التى لاتزال تملأ راس كل عربى ، وتشغل فراغ قلبه ، ولن تعدم الامة فى كل نازلة مثلا من امثال صلاح الدين :

كلما صال عليها بطل
هتفت ان صلاحا قد اعيدا
شرفا يا موطن المجد غدا
تزحم الافق رجالا وحديدا
قد بعثناها كما شئت لظى
ستحيل الحدث المشئوم عيدا
تجعل التقسيم فى اجسادهم
لاعلى الأرض خطوطا وحدودا

فارتقب يا موطن المجد غدا
لترى خلف الدجى الصبح الوليدا
وترى « حطين » فى امجادها
عرس النصر الذى عاد جديدا

ويرسم الشاعر بعد ذلك صورة الغد المأمول والزحف المقدس للثأر من المعتدين ، ومظاهر البطولات العربية تتجلى فى ميادين الوغى تحت الوية النصر الساحق :

موطن المجد غدا تشهدها
رحبات مائجات وبنودا
وترى الأبطال فى سكرتها
تحطم الأحداث او تسقى الصعيدا
كلما عربد فى الساح الندى
هتف النصر بساقيها : المزيدا

ثم يصف الشاعر صحوة العرب ويقظتهم للمهزلة الكبرى ، وهى ما كان يدعيه المستعمرون من عطف على العروبة وما بذلوا للمخدوعين منهم من الآمال الكاذبة والوعود الباطلة ، مذكرا العرب بتلك الخديعة الكبرى وتصديقهم المستعمرين فى دعواهم انهم اصدقاء العرب :

ايه يا غرب لقد علمتنا
كيف نلقى الشر ان شر اريدا
نحن حتى امس كنا نوما
ثم كشرت فنبهت الرقودا
يالها مهزلة ايماننا
بضمير ما راى بعد الوجودا

مثلتها هيئة البغى فما
احكم التلقين فانثال شديدا
اسدل الستر عليها عندما
طعنوا فى قلبه الحق الشهيدا

وفى ذلك اشارة الى ان هذا البغى الذى اضاع حق العرب فى بلادهم ، واقتطع اجزاء منها للأفاقين من شذاذ العالم انما مثلته هيئة الأمم فخرج باسمها للناس ، فلم تكن هيئة العدل والحق بل كانت هيئة الظلم والبغى بما رضيت ان يخرج باسمها على انه رايها ، والحقيقة أن بريطانيا التى كانت تتظاهر بصداقة العرب ، وتخدع انصارها بالوعود الكاذبة والآمال المعسولة هى التى اخرجت تلك المسرحية مسرحية البغى والعدوان على الشعب العربى فى فلسطين ، واختفت هى وراء الأسوار والأستار ،وهنا يصب الشاعر جام غضبه على بريطانيا المخاتلة ، ونقمة الشعب العربى على سوء ما صنعت :

يالجنبول الذى اخرجها
وانتحى عن مسرح الظلم بعيدا
ياله من خاتل مستائم
نسي الوعد ولم ينس الوعيدا
العهود الكثر لن نطلبها
خاب من يطلب من نذل عهودا

ولا وعد بعد ذلك النكث الا وعد السيوف يجردها العرب الاحرار من اغمادها ، ليستخلصوا بايديهم وسيوفهم حقوقهم ، ويثاروا من واترهم ومن العدو المصانع الذى بدا فى صورة الصديق البرىء ، وهو راس الفتنة واس البلاء :

الظماء البيض ان رويتها
خير من ينجز للحر الوعودا
ايها المتسل من غمرتها
سوف تطويك وشيكا او وئيدا
مانسيناك وقد اضرمتها
وطرحت البلد القدس وقودا
احكم القيد فصكته يد
زعموها حررت امس العبيدا
والمناحات على الحق انطوت
فانشروا فى الأرض للباطل عيدا

ذلك شيء من تلك الجزيرة الرائعة التى املتها عروبة خالد الصادقة ، وفجرتها غيرته على امته ، ووجده وحفيظته على اعدائها من المستعمرين ومن المخدوعين المخادعين .

اما « مصرع الليث » فهى ابيات كتبها الشواف فى البطل عبد القادر الحسينى الذى استشهد فى

ربيع عام ١٩٤٨ . وهي على وجازتها تفيض بآيات القوة والاستحكام في معانيها المضطرمة وعباراتها الملتهبة ، وحسبنا أن نتمثل منها بهذه الأبيات :

يايها الضيغم الثاوي بتربته
لسنا ننام وجفن الثار ماانطبقا
سيشرب الثار ما يسقيه مصطبحا
ساقي الدماء وما يسقيه مغتبقا
ان يظما الوتر يطف الحر غلته
وان سقاه نجيع القلب والرمقا

وقصيدته « صرخة » انشدها في اخريات نيسان ١٩٤٨ حينما كانت الجامعة العربية تنعقد وتنفض ، وكانت الوفود الرسمية تطير وتحط ، بينما فلسطين تتمزق والجيوش العربية تنتظر :

وفود تطير وقول يقال
سئمنا الكلام فاين الفعال ؟
افي كل يوم لكم محفل
تقدمه سهرة واحتفال ؟
وينفض عن ثروة في الوعود
وعن امنيات عراض طوال ؟

وكان حكام البلاد العربية آنذاك يتذرعون امام الامة في تباطئهم وتوانيهم عن اقتحام ميادين الوغى لاستئصال شأفة اليهود الدخلاء بدعوى الدراسة والتدبير الذي يتطلب الصبر والاناة محذرين امتهم التي نفذ صبرها من مغبة التسرع والارتجال ، فينشد خالد هذه الأبيات في تهكم مرير :

وحتام يدرس أمر الحمى
مليا ويعرض كل احتمال ؟
افي أمره يذمم الارتجال
وكل الذي تعملون ارتجال ؟
اما منكم مخطيء واحد
يشير عليكم بامر النضال ؟
فلسطين باتت بايدي اليهود
فماذا انتظاركم للقتال ؟

الى ان يقول :

اما فيكم نخوة تستثار
لما لقيته ذوات الحجال ؟
اما هزكم سوء هذا المصير
فقد هز والله حتى الجبال

وخاتمة المأساة « اللاجئون » وهو الاسم الذي اختاره لقصيدته السادسة من شعره في فلسطين ، فكان ان اتمم السادة الحاكمون ، وكانت نتيجة اقدامهم المتردد ، وبسالتهم المصطنعة ضياع فلسطين وتشريد ابنائها الذين اصبحوا بين عشية وضحاها لاجئين .
وقد جعل خالد يتحدث بلسان اولئك المشردين ، فيصف مأساتهم ، كما عرض بالحكام ومنتحلي الزعامة الذين عاشوا على اشلائهم ، وهي قصيدة تثير الاسى وتبعث الشجون :

من أين ؟ لا ارض ولا وطن
لادار لا ماوى ولا سكن
من انتم ؟ الغرباء ، انكرنا
واشاح عن ماساتنا الزمن
اللاجئون .. وليت من وسموا
باللاجئين بارضهم دفنوا

الى ان يقول بلسانهم مشيرا الى اولئك الحكام والزعماء :

قامت على اشلائنا زمر
ماساتنا لقيامهم ثمن
كانت تثبتنا بالسنة
ويحاك بالايدي لنا كفن
واليوم ايديهم تشق لنا
لحدا ودمع عيونهم مزن
يايها الباكون حسبكم
فالدمع لاشبع ولا سمن
الثار .. ان الثار صرختنا
حتى نعود .. فهل هنا اذن ؟

وقصيدته السابعة « طال شوق السيوف للجولة الثانية » هي ختام شعره في فلسطين في ديوانه « من لهيب الكفاح » وفي هذه القصيدة يصف خالد نهاية المعركة او نهاية الجولة الاولى والجراح التي خلفتها احداثها ، وينحى باللوم والتقريع على كل من شارك في تلك المأساة التي اجترحتها فلول من بني الانسان في القرن العشرين ، فاضاعوا الحقوق واهدروا كرامة الانسانية بغيا وظلما . اما سبيل الحقوق واسترجاعها فانه معلوم ، انه في استئناف القتال ، انه في الجولة الثانية :

ايها الآملون للحق بعثا ان ماتاملون احلام نائم
صم سمع الذئاب عن دعوة الحق فخلوا علاجه للزمازم
مل طول القعود كل ابى ان داب المظيم صنع العظائم
طال شوق السيوف بعد صلاح والمثنى وخالد والملاحم

وبتلك السبع الجياد ساير خالد الشواف النكبة من بدئها الى نهاية احداثها ، وعاش فيما عاصره من احداثها بعروبته الاصيلة وحسه المرهف وعاطفته الصادقة وبيانه المشرق العذب الذي يباهي به فحولة الشعراء في عصور القوة والازدهار .

دكتور بدوي طبانه

اشتراكية الثقافة وكيف تكون

بقلم
عبدالكريم الخطيب

المدلول « **الوظيفى** » لكلمة « **الاشتراكية** » لايكاد يختلف كثيرا فى أصل الوضع اللغوى لتلك الكلمة عنه فى المفهوم الذى تقوم عليه اليوم كمذهب أو عقيدة ، أو نظام حياة .. اذ هى فى صميمها مشاركة مادية أو فكرية او وجدانية فيما فى أيدى الناس أو فى عقولهم او قلوبهم ، وان اختلفت وجوه هذه المشاركة فى ابعادها وأعماقها ، وفى دوافعها واتجاهاتها وغاياتها .

وأيا كان الامر فاننا نحيا اليوم فى ظل «**الاشتراكية**» هى نظام ينتظم حياتنا كلها .. السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والثقافية ، وغيرها من وجوه النشاط الانسانى فى المجتمع العربى الاسلامى .

وليس هذا الحديث درسا فى الاشتراكية ، ولا تقييما لها مع المذاهب الاخرى .. وانما هو ملحظ يسير غاية اليسر ، لا يحتاج الى كثير من الوقوف ، وانعام النظر ، للتعرف عليه ، والفهم له ..

ذلك أنه اذا كان من وجوه الحياة ما هو مادى وما هو معنوى ، ثم كان للماديات ضوابطها ومقاييسها ، وكان للمعنويات ضوابطها ومقاييسها كذلك — فانه ينبغى أن تكون ضوابط الاشتراكية ومقاييسها فى مجالاتها المادية غيرها فى المجالات المعنوية .. بمعنى ان يكون لها هنا حساب وتقدير ، وأن يكون لها هناك حساب وتقدير ، اذ أن أى تسوية فى الفهم بين هذه المجالات من شأنه أن يضلل الراى ، ويفسد الحكم .. تماما كمن يطب للعين بما يطب به للقلب ، على مفهوم أنهما عضوان فى جسد !

***

والحق أن مفاهيم الاشتراكية — وبخاصة فى مجالها الثقافى — لم تكن واضحة تماما عند كثير ممن حاولوا أن يكونوا فى السابقين الأولين من دعاة هذا المذهب، وأن يحسبوا فى الكوكبة الاولى من جنده ، على حين أنهم ، أو كثيرا منهم لم يفهم الاشتراكية هذا الفهم الذى يقيم لها فى كيانه صورة واضحة يتأثر بها تفكيره ، ويستقيم عليها سلوكه فى المجتمع ، وتجرى عليها منازعه فى الحياة !

ان الذين يفهمون الاشتراكية فهما واعيا مبصرا هم أقل الناس كلاما عن الاشتراكية وأكثرهم عملا لها وحياة فيها .. وان الذين لايفهمون الاشتراكية ، وبالتالى لا يؤمنون بها — لان الايمان الذى يعتد به لا يكون الا عن فهم وعلم — هؤلاء هم اكثر الناس كلاما عن الاشتراكية ، وأبعدهم عن العمل لها والحياة فيها !

ولك أن ترصد مجرى الحياة لواحد من أولئك الذين يثرثرون فى الاندية ، وفى الاذاعة ، وفى المجلات والصحف ، وفى الرسائل والكتب — انك لو فعلت هذا وتتبعت حياة هذا الانسان ليوم أو لبضعة أيام لرأيت انسانا لا يتحرك حركة ، ولاينطق كلمة الا ليجمع مالا ، والا ليستكثر مما يجمع ، ثم هو بعد هذا أحرص الناس على المال ، وأشدهم ضنا به ، لا ينال منه قريب أو بعيد !

ان أمثال هذا الانسان وجوه شائهة للاشتراكية ، واعلانات رخيصة مزرية لها .. اذ ليس أضر على المذاهب السليمة ، والمعتقدات الصالحة من أن يتفشاها المنافقون ، الذين يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم .. ولقد تنبه الاسلام من يومه الاول لهذا الخطر ، فنصب للمنافقين حربا راصدة دونها كل حرب كانت بينه وبين الكافرين والمشركين .

وماذا تقول عن انسان يتحدث عن الاشتراكية فى جميع مجالاتها الاقتصادية ، والاجتماعية، والسياسية والثقافية بمفهوم واحد ، ومخطط واحد ، وكلمات وعبارات واحدة محفوظة ، لا تتغير منها كلمة ، ولاتنخرم منها جملة ؟ أفيكون لمثل هذا الحديث الذى لا رصيد له فى كيان صاحبه ، ولاتقدير له فى ضميره أو عقله — أيكون لمثل هذا الحديث أثر فى الناس ، أو تأثير فى الحياة ، فان يكن شىء من هذا أو ذاك فهو التشويش والبلبلة ، وتصديع الرءوس وازعاج

الخواطر بهذا الصياح الاجوف ، والصراخ الكاذب .

وانظر لترى عجبا ..

يتحدث بعض المتحدثين عن اشتراكية الثقافة فيرددون كلمات : الاقطاع ، والطبقية ، والعزلة ، والظلم ، والاحتكار ، والتسلط ... الى جميع الكلمات التى تقال فى الحديث عن الاشتراكية الاجتماعية أو الاقتصادية ، مع اضافة كلمة «الثقافية» هنا بدلا من الاجتماعية أو الاقتصادية .. هناك !

فاذا كان من مفهوم الاشتراكية فى المجال المادى ـ الاقتصادى او الاجتماعى ـ هو التقريب بين أفراد المجتمع وتضييق أو اذابة الفوارق بين الطبقات ، بمعنى أن يقوم توزيع الثروة المادية بين أفراد الجماعة على أساس من العدل ، والتكافل ، بحيث لا يجتمع فى المجتمع هذان الطرفان المتناقضان ، الغنى الفاحش المبطر المفسد ، والفقر المدقع المبلس المذل ـ اذا كان هذا هو المفهوم الذى استقرت عليه قواعد الاشتراكية الاجتماعية فانه بهذا المفهوم نفسه ، وبمنطقه كله ، وباحكامه جميعا يتحدث هؤلاء المتحدثون عن الاشتراكية الثقافية فيدعون الى العدالة الثقافية ، والى أن يقوم توزيع الثقافة فى المجتمع على نفس الاساس الذى يقوم عليه توزيع الثروة المادية ، بحيث تتقارب او تذوب الفوارق العقلية بين أفراد المجتمع ، فلا يكون هناك الفيلسوف والجاهل ، ولا العالم والامى ! بمعنى ألا يجتمع العلم الغزير والجهل المطبق !

وينبنى على هذا المفهوم أن تتحكم الدولة فى وسائل الثقافة كما تحكمت فى وسائل الانتاج الاقتصادى ، كى تستطيع تحقيق التوازن بين العلماء والجهلاء كما حققته بين الاغنياء والفقراء !

وهذا لا شك رأى خاطىء وقياس سقيم .. فاشتراكية الثقافة غيرها فى السياسة ، والاقتصاد والاجتماع .. اذ العلم شىء غير المادة .. انه يعظم ويربو على الانفاق ، على حين تضمر الاشياء المادية وتقل بالانفاق ، وهذا وحده كاف فى التفرقة بين اشتراكية الثقافة واشتراكية وسائل العيش فى الحياة !

ومع هذا فان هناك فروقا كثيرة بين المجالات المادية للاشتراكية وبين المجال الثقافى منها .. وأهم هذه الفروق هى :

أولا : الحصيلة الثقافية التى تجتمع للمثقف هى نتيجة جهد شخصى يبذله الفرد فى الجد والتحصيل، دون أن يدخل فى هذه الحصيلة شىء من الغصب ، أو النهب ، أو السرقة ، او الاستبداد ، أو الظلم ، او نحو هذا مما يدخل فى جمع الثروات المادية ، ويكون غالبا عنصرا مهما من عناصرها ..

ومعنى هذا أن العلم الذى يحصله العالم هو عمل خالص له ، ليس لأحد شىء فيه ، ولا لكائن ما متعلق به ، أو حق قبله ، وهذا على خلاف الثروات المادية التى يحصل عليها الفرد ، فانها انما تجىء من تبادل المنافع مع الناس ، ومن الاخذ والعطاء معهم ، وبغير هذا لا يكون للعمل الفردى أثر ، ولا للجهد الانسانى ثمرة فى هذا المجال .

وينبنى على هذا أن الثروات المادية فى يد أصحابها ليست ملكا خالصا لهم بل تتعلق بها حقوق كثيرة للمجتمع الذى نمت فيه وازهرت .. على خلاف الثروات العلمية التى هى ملك خالص لاصحابها .

ثانيا : اذا كان الشره والاثرة وحب الجمع والحرص على ما يجمع ـ من الصفات المذمومة التى يجب أن يحاربها المجتمع فى دائرة الفرد وفى محيط الجماعة فيما يتصل بالمال ـ فان ذلك كله محبوب مرغوب فيه فى مجال الثقافة ، واذا كان على الدولة أن تعمل على أن تخفف من حدة هذه الرغبات الجامحة فى مجال الحياة المادية بالتربية ، وبالتشريع أيضا ، فان واجبها أن تمد هذه الرغبات بما ينميها ويقويها ويشعل وقدتها فى مجال العلم والثقافة .

وينبنى على هذا أن الدولة حين تنظر بعين الحذر والريبة ، بل وعدم الاطمئنان والرضا الى الثراء الفاحش الذى يبطر أهله ، ويفسد أصحابه ، فانها تنظر بعين الغبطة والطمأنينة والرضا حين ترى الأفذاذ من علمائها ، ومثقفيها ، يرتفعون ويرتفعون فى درجات العلم الى غايات لا حدود لها ، بل انها كلما نظرت فرأت طلائع علمائها يقفون عند غاية عملت جاهدة على أن تدفع بهم الى الامام ، وأن تزيح ما يعترض طريقهم من عقبات .

ثالثا : اذا كان من شأن المال الكثير أن يغرى أصحابه بالغرور ، وأن يزين لهم التعالى والتشامخ والتسلط على الناس ، فان من شأن العلم كلما غزر وكثر أن يجعل من صاحبه شعلة مضيئة تبعث فى الناس الأمن والطمأنينة ، وتكشف لهم معالم الخير ، ومسالك الهدى .

رابعا : اذا كان من شأن صاحب المال وجامعه الضن به ، والحرص عليه ، والاشفاق من أن ينقص

بالانفاق ، ويتبدد بالمنح والاعطـــاء ، فان من شأن صاحب العلم أن يسخو به ، وأن يمنح ويسرف في المنح ، وأن يعطي ويبالغ في العطاء ، دون أن يخشى على ما معه من علم أن ينفد أو ينقض ، بل انه ليجد في نفسه أنه كلما أعطى كثر ما عنده . وتضاعف ما لديه ، فان العلم لا يحيا الا بالعطاء ، ولا ينمو ويكثر الا اذا أخرج ثمره للناس ، والا اذا اقتطفته أيديهم ، وتناولته عقولهم .. كالشجرة الطيبة المثمرة لا تبلغ غايتها من النماء والقوة الا اذا أثمرت ، والا اذا جنى ثمرها ، ليخلى مكانه لثمر جديد !

واذن فهـذه المقـاييس التي يحتكم اليها أولئك الذين يتحدثون عن اشتراكية الثقافة ، ويخلطون بينها وبين الاشتراكية الاقتصادية أو الاجتماعية ـ ليست هي المقـــاييس التي تؤدى الى نتيجة سليمة كتلك التي أدتها في المجال المادى .. بل انها لتنتج نتائج عكسية تماما في أغنياء العلم واقطاعييه وفي فقرائه ومعدميه على السواء !

انها اذ تقف في وجه العلماء ، وتردهم الى الوراء حتى يتخففوا من علمهم ، وينزلوا بعقولهم الى مستوى العـــامة ، وحتى تذوب الفوارق الطبقية بينهم وبين سواد الناس ـ انها اذ تفعل فعلها هذا في العلمـاء لا تحصل على شيء من هذا العمل ينتفع به الفقراء ـ فقراء العلم ـ بل انهم ليزدادون فقرا وجهلا حين تخفت من حولهم أضواء هذه الشعل المضيئة ، وحين يتلفت الناس فلا يجدون تلك المنـــارات العـــالية المتوهجة التي يهتدون بها ويجتمعون اليها .

ان الحكماء والفلاسفة والعلماء لا يناقض وجودهم في المجتمع وجود الطبقات الفقيرة في العلم والمعرفة ، ولا يجور عليها ، ولا يذهب بحق من حقوقها .. بل ان هؤلاء الحكماء والفلاسفة والعلماء هم أمل هـذه الجمـــاهير الفقيرة ، وهم الذين يبددون الظلام من حولها ، ويطلعون وجوه المعرفة في آفاقها .. اذ ان شأن ذى العلم أن يعلن علمه في الناس وأن يظهرهم عليه ، وأن يدعوهم الى ما عنده من علم ومعرفة ، بل انه ليلح في دعوتهم ما استطاع الى ذلك سبيلا .. انه لا يعرف بالعلم ، ولا يحسب في العلماء الا اذا أذاع علمه ونشره بكل وسائل الاذاعة والنشر .. بل ان كثيرا من العلماء ليسرفون في ذلك على أنفسهم فيعرضون ما يعرفون وما لا يعرفون ، ويسخون بما يملكون وما لا يملكون .. !

ان اشتراكية الثقافة لا تكون أبدا اذا جاءت على هذا المفهوم الذى يفهمه عليها بعض المثقفين وينادون به .. اذ أنها بهذا المفهوم تقيم سلطانا متسلطا على العقول المستعدة لمدركات الحكمة والفلسفة فلا تسمح لها بالتحليق في تلك الاجواء البعيدة عن تلك الارض التي تغوص فيها أقدام السواد من الشعب .. والا فأين تقارب الطبقـــات واذابة الفوارق بين أبنـــاء المجتمع ؟

ان هذا فهم سقيم للاشتراكية في مجالها الثقافي فيه اعتـــداء صارخ على الطبيعة البشرية ، وعدوان مبين على العلم وحظوظ العقول منه .. انه أشبه بما يفترض أن ينادى به في الناس ـ ان كان هذا ممكنا ـ ألا يشغل أحد حيزا في الهـواء أكثر من قدر معلوم مقدور بأوساط الناس طولا وعرضا !! وما بالناس من حاجة الى هذا ، ولا خير يعود منه على أحد منهم ، اللهم الا ما يلزم به ذوو الاجسام الفارعة وممن أتاهم الله بسطة في الطـــول والعرض من أن يعملوا حسابهم مقدما ، وأن يضعوا أجسادهم في قوالب من حديد ، على وفق القالب المحدد المرسوم .. كما تفعل اليابانيات بتجميل أو تجميد أقدامهن في قوالب من حديد .

ان هذا الفهم السقيم لاشتراكية الثقافة يضر بغير المثقفين بالقدر الذى يضر فيه بالمثقفين ، وذلك ان قدر لهذا الفهم واقع عملى في الحياة ، أو أمكن تحقيقه على صورة ما ! اذ لا سبيل الى اذاعة الثقافة وشيوعها الا بالمثقفين ، والا بالصفوة الممتازة البـــالغة غاية الامتياز في العلم والحكمة ، اذ لا يعد عالما ولا حكيما من علم علما واحتبسه في صدره ، أو وعى حكمة وعقلهـــا في عقله .. وقد قال الله ســـبحانه : « **وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهـــوا في الدين ، ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم** » **.. وقال النبي الكريم :** « **خيركم من تعلم القرآن وعلمه** » **.. وقال :** « **رب حامل علم الى من هو أعلم منه** » .

هذه هي اشتراكية الثقافة في ضمير الافراد فيما بينهم .. أما حين تريد الدولة أن تجعل من سلطانها قوة عاملة في اذاعة الثقافة ، وفي منح المحرومين منها حظهم الذى حرموه لظروف مادية أو اجتماعية ، بل وربما عقلية ـ فانها لا تذهب هذا المذهب في فهم اشتراكية الثقافة ، وفي تطبيقها .. هـــذا الفهم البليد ، وهذا التطبيق الغبى ..

وفي الميثاق نصوص واضحة صريحة نيرة لمفهوم الاشتراكية في الثقافة يحقق تطبيقه تطبيقـا سليما ثقافة تشيع في الناس جميعـــا العلم والمعرفة ، بل وتدفع بهم دفعا الى ارتياد الآفاق التي لا حدود لها من آفاق العلوم والفنون . **عبد الكريم الخطيب**

الشريعة والناس

بقلم : محمود الشرقاوى

«الشريعة والناس » عنوان فصل من كتابى : « **تقويم الفكر الدينى** » ولكنى لا اجد بأسا من استعارته لهذا المقال الذى لا اجد اصدق منه عنوانا لما اريد ان اقول فيه .

وقد دفعنى الى كتابة هذا المقال امران : اولهما ذلك النقاش الحى المفيد الذى قراناه فى **«الرسالة»** بين الاصدقاء الاساتذة الدكتور على عبد الواحد وافى والدكتور خلف الله والاستاذ المدنى . وهو نقاش يدور حول مسالة محددة هى « حكم التسرى فى الاسلام » ولكنه يثير مسالة اكبر اهمية من ذلك هى صلة الشريعة ــ او رجال الشريعة ــ بحياة الناس ومشكلات مجتمعهم . والى هذه المسالة الهامة نقل الدكتور خلف الله موضوع المناقشة والجدل .

والدافع الثانى لكتابة هذا المقال ساجعله ختاما له .

اكثر المشتغلين بشئون الفكر الدينى عندما يقعون تحت مؤثرات خاصة تباعد بينهم وبين واقع الحياة التى يعيشها الناس ، بمقدار ما يقتربون ويتعلقون بالنصوص والحروف الجامدة التى كانت تقال وتكتب لخدمة أوضاع خاصة فى مجتمع باد وانتهى زمنه ولن يعود ، ومن الخير للحياة والناس فى عالمنا العربى المعاصر الا يعود ، ولن يعود .

والمشتغلون بالفكر الدينى يشكون وتتأزم نفوسهم ويغضبون لأن « **الناس** » انصرفوا ، او اوشكوا ان ينصرفوا ، عن شريعة الله ولكنهم لايدركون انهم ــ أى رجال هذا الفكر ــ بعض اسباب هذا الانصراف وانه انصراف عنهم وعن فهمهم للشريعة اكثر مما هو انصراف عن الشريعة نفسها ، وانه ، بعد ذلك وقبل ذلك ، من طبيعة العصر كله فى العالم كله ، ولكنهم ــ اى رجال هذا الفكر ــ جعلوه فى وطننا العربى وفى مجتمعنا انفصاما وصدا يوشك ان يكون قطيعة وعداء وحربا ، حيث لا يجد « الناس » عندهم حلولا لمشكلات حياتهم ومجتمعهم بل أكثر مايجدون صدا وتعويقا وتجريما .

نعيش فى عالم يفور ويمور ، وفى وطن يكافح ويقتحم ويقدم على مشكلات حادة معقدة من مخلفات الماضى يتطلب لها حلا عند كل صاحب راى ، ولكنا نجد من رجال الفكر الدينى من يترك هذا كله ويؤلف الكتب عن « **الجن** » : كيف تتزوج وتنجب .. ! ؟ وكيف يستطيع أن يتزوجها الآدميون وينجبوا منها اولادا .. ؟! ولمن تنتسب هذه الأولاد .. ! ونجد منهم من يؤلف الكتب فى « **اقامة البرهان على نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان .. !** » ومن يكتب عن « **ذى القرنين** » الذى ورد ذكره فى القرآن ، هل هو الاسكندر المقدونى ام غيره .. ! واليوم اقرأ عن كتاب صدر ، او نشر ، يتحدث عن « **ايمان فرعون** » ويتضمن ما قاله علماء كبار اختلفوا فى ذلك وجادل بعضهم بعضا . كأن الناس فى عصرنا هذا الذى يفور ويمور ، ومجتمعنا الذى يواجه ويجابه ويقتحم يشغل بالهم ويؤرق ضميرهم انهم لا يعرفون هل كان ذو القرنين هو الاسكندر المقدونى أم غيره ، وهل كان فرعون مؤمنا أم كافرا أو منزلة بين المنزلتين ... !

* * *

ولا اريد ان اناقش القوم فى ان هذه «**الثقافة**» أو بعضها مما يشغل بعض الناس أو يروق لهم ، ولا فى انها او بعضها مفيد أو غير مفيد وانما اذكرهم بهذه القاعدة التى تعلموها وتعلمناها من قبل : لكل مقام مقال، وهى قاعدة لاشك انهم تعلموها وعلموها تلاميذهم .

فاذا تطلع الناس الى هؤلاء القوم من رجال الفكر الدينى يريدون ان يستمعوا الى آرائهم واحكامهم فى مشكلات حياتهم وشئون يومهم ومعاشهم وجدوا من « بقيتهم » بأن تعليم البنت واختلاطها وعملها

وسفورها حرام ، فأخروا عجلة التطور وتواقحوا على الشرفاء واوقعوا ملايين البنات والامهات والآباء فى الجهل والفقر والشقوة .

ووجدوا من «يفتيهم» بان «الجمعيات التعاونية» حرام ، لانها مخالفة للدين ! — كما قال بعض « العلماء » اول هذا القرن — ومن يقول ان التمثيل حرام ، والسينما حرام ، واخراج شخصيات الصحابة على شاشتها حرام ، ومن يقول ان التامين حرام والاوراق المالية حرام والربا البسيط ، و«يامر» بأن تقفل بنوك الارض كلها وتقف معاملات الناس والحكومات فى العالم كله ، ومن يخالفهم فى ذلك فهو كافر زنديق هرطيق سيصلى نار جهنم ولو كان يحاججهم برأى ابن عباس الذى عرفه الصحابة وعرفه المؤرخون بانه « ترجمان القرآن » .. !

ووجد الناس من يقول ان الغناء حرام والتصوير حرام وشرب القهوة حرام .. !

وتريد الدولة ان تجد حلا لمشكلة حادة عاجلة ملحة لرأى الدين عند الناس فيها شان ووزن ، هى مشكلة تحديد النسل ، بل « فيضان » النسل . فتجد من يقول : تناكحوا تناسلوا فانى ، اى النبى عليه السلام ، مباه بكم الامم يوم القيامة ، وزاد بعضهم : حتى بالسقط . فاذا قلنا لهم ان رجلا من كبار الصحابة كان كاتب الوحى للنبى عليه السلام خطب الناس على منبر المسجد فى يوم الجمعة « فنهاهم » عن « كثرة العيال » ، اذا قلنا لهم ذلك وجئنا بدليله ومراجعه قالوا : حديث مكذوب ونسبة مدعاة منحولة .

وقد حفظت تحت يدى قصاصة من صحيفة تتضمن هذا « البيان » .. !

اصدرت لجنة ... بيانا مفصلا عن « حكم الشريعة الاسلامية » فى اشتراك المرأة فى الانتخاب للبرلمان وقد ذهبت اللجنة — بعد ان اوردت الادلة فى تقص وشمول — الى انه « يتبين ان حكم الشريعة » فى اشتراك المرأة فى انتخاب عضو البرلمان هو كحكمها فى اختيارها لتكون عضوا فيه : « كلاهما ممنوع » .. ! .. كذلك حفظت قصاصة من صحيفة نشر فيها عالم كبير مثل هذا الكلام او هذا « الحكم » ونشر فى وسطه صورة كبيرة له فى « بذلة التشريفة » ؟ !

ولست أدرى ماذا يقول القوم الذين اصدروا هذه الفتاوى ومن نصرهم يوم ذاك وصفق لهم وهم يجدون اليوم سيدات وآنسات ناخبات ونائبات فى مجلس الامة .. ؟ لم يمنعهن من ذلك « مانع » ولا « ممنوع » .. !

ووجه الخطر فى ذلك على الشريعة وعلى تقدير الناس لها وعواطفهم حيالها ، والحرج عليهم فى ذلك ايضا ، ان القوم يقولون آراءهم هذه واصفين لها بانها « حكم الله » او « حكم الاسلام » او « حكم الشريعة » وهى ليست الا فهما خاصا خاطئا لهم اوقعهم فيه ما قلناه اول هذا المقال من انهم «واقعون تحت مؤثرات خاصة تباعد بينهم وبين واقع الحياة التى يعيشها الناس بمقدار ما يقتربون من النصوص والحروف» . وهم ، مع ذلك ، يريدون ان يخضعوا حياة الناس لافهامهم الخاطئة هذه عن الشريعة ويريدون ان تصطبغ مجتمعات الناس — فى العالم كله لو استطاعوا — بصبغة هذه الافهام هم كما وصفهم صديقنا واستاذنا امين الخولى : **يلقون الناس بالسيوف المصلته من حلال وحرام، والرماح المشرعة من احكام مقررة لا ينالها نقض ولا ابرام . فكلمة الله هى ما فى افواههم لا غير ، ورأى الاسلام الاوحد هو ماجرت به السنتهم دون سواهم ، وحكم السماء انزل عليهم دون غيرهم .**

* * *

وقد ذكرنى موقفهم هذا حيال آراء واقوال ليست من كلام الله بل قال بها ناس مثلى ومثلهم ، ذكرنى ذلك بما قرأت من ان فى بلاد الحبشة ستة ملايين حمار لايفيد منها الناس شيئا — رغم فقرهم وحاجتهم لكل شىء — ولا يركبون ، بل يحملون عليها الحطب فقط . يفعلون ذلك و «يحترمون» هذه الحمير لأن السيد المسيح دخل بيت المقدس يركب حمارا .. !

فاذا قالوا فى أمر من اهم ما يشغل الدولة ، مثل الاستيلاء والمصادرة مثلا ، قالوا كلاما لا يقنع الفاقهين للشريعة الحريصين عليها ، وقد لا يكونوا هم مقتنعين به ايضا ، ولعل من الخير للشريعة ولهم ان يستندوا الى المصالح المرسلة وحق الحاكم فى تحريم الحلال لخير الناس وصالح المجتمع ، مثلا ، وقد قال ابن حزم فى ذلك كلاما مفيدا يغنيهم عن ذلك كله .

امثلة يرددونها ولا يتدبرونها :

وقد يكتب بعض القوم يقول ان الشريعة مطاوعة ودين الله واسع وأنه يسر لا عسر وماشاد الدين احد الاغلبه . قديكتب البعض فيقول ويناقش ويستدل ويذكر احكاما من الشريعة تقول ان الاصل فى الاشياء الاباحة وان الامور طلق حتى يرد المنع وانها حلال مالم يجىء نص على المنع والتحريم . ويعرفون من خبر موثق لا شك فيه ان عمر ، وهو خليفة الرسول منع قطع اليد فى عام المجاعة ــ وهو حد من حدود الله

ويعرفون من خبر موثق لا شك فيه ان الطلاق الثلاث كان يقع فى عهد النبى وجزء من خلافة ابى بكر طلقة واحدة اذا كان بلفظ واحد ، ثم شدد عليهم عمر وعاقب الناس على تسرعهم فأوقعه ثلاثا .

ويجدون فى حديث النبى ما يبيح تحديد النسل لاسباب اقل واضعف من الاسباب التى يجدها الناس اليوم ، بل هى الى جوارها لاتعد سببا ولامبررا ولا حجة ولا ذريعة .

يجد القوم هذا وكثيرا غيره ويقرءونه ويحفظونه وقد يكتبونه للناس فاذا جاء مشكل او سئلوا عن قضية من قضايا العصر لم يجد الناس عندهم حلا لهذا المشكل ولا حكما نافعا فى القضية سوى أن يفتحوا كتابا ليتلوا ما فيه ، ثم يريدون أن يقسر الناس انفسهم على ان يعيشوا فى ظل ما يعتقد القوم انه احكام الشريعة وأن غيره ليس منها . او يصيحون ــ داخل الحجرات ــ ويغضبون ويحوقلون ويسخطون ، لان « الناس » تركوا الشريعة . . !

والامر الثانى الذى جعلنى اكتب هذا المقال هو كلمات قراتها لواحد من رجال « الفكر » » الدينى هؤلاء يقول فيها : . . **اما نحن فمنهجنا يقضى بان يقف الاسلام ثابتا فى موضعه لتنقل الى رحابه المدنية الغربية ، وعلى المدنية الغربية ان تعدل نفسها لتقف فى رحاب الاسلام متطامنه الراس ملمومة الاطراف . . !**

فالشيخ لا يريد من المسلمين ان يتقدموا الى المدنية الغربية ولا أن يكيفوا حياتهم على اصولها ولا ان يتأثروا بها اقل التأثر ، بل يريد ، او يأمر ، ان تجيىء « المدنية الغربية » خاشعة خافضة الراس تلملم اطرافها كما يلملم العبد ــ ايام زمان ــ ثيابه أمام سيده ، تواضعا وتصاغرا وذلا ، الى حيث يقف « فهم الشيخ » عن الاسلام شامخا مستكبرا مترفعا فى موضعه .. عساه ان يقبلها فى « رحابه » . . !

ولا اجد تعليقا على ما يقوله الشيخ من أن اذكر له ولقومه هذه القصة القصيرة من عقائد الهنود الحمر : هذه القصة التى تقول ان من الخرافات التى كان « يعتقدها » بعض قبائل الهنود الحمر فى امريكا أن كسوف الشمس سببه ضعف النار التى تشتعل فيها . لذلك كان الرجال الحمر من هذه القبيلة يحملون رماحهم ويعلقون فيها خرقا مشتعلة، ثم يقذفون الرماح الى اعلا. .! وبعد قليل من الزمن أو كثير ينتهى الكسوف ويظهر قرص الشمس ويسطع نورها كما كان ، فيفرح الهندى الطيب الذى « يعتقد » اعتقادا لا تلابسه ذرة من الشك فى ان رماحه المشتعلة هى التى اعادت للشمس نورها ونارها وللنهار بهاءه وضياءه . .!

لذلك بعض القوم من رجال الدين .

« محمود الشرقاوى »

التربية الاشتراكية

بقلم أحمد فؤاد عبد الجواد

قضيتنا اليوم متعددة الجوانب . قضية مجتمع يتحول فكريا وعقائديا وواقعيا من صورة الى صورة اخرى . هذا التحول يقتضى اعادة النظر فى تربية جميع الأفراد على شتى المستويات . ومما يزيد القضية تعقيدا أن حوالى ٧٠٪ من مجموع الشعب اميون بالمعنى الأبجدى أى لا يقراون ولا يكتبون .

واول سؤال يتردد فى هذا المجال أين كنا ؟ وكيف اصبحنا ؟

لقد كانت بلادنا محتلة وجلا عنها المحتل . كنا مستعمرين وأصبحنا مستقلين . كنا غرباء فى بلادنا واصبحنا نشعر — لأول مرة — اننا اصحاب البلاد الأصليين نتصرف فى امورنا بكامل حريتنا ووفق مشيئتنا . كان الاستعمار ينهب خيراتنا ومواردنا ثم أصبحنا نقوم بانفسنا باستغلال أرضنا وبترولنا ومياهنا بل وتدير قناتنا ادارة عربية صميمة . كنا نصدر قطننا ونعاود شراءه مصنوعا ، وأصبحنا نصنع قطننا بأيد عربية خالصة ، ونصدره — اذا شئنا — مصنوعا . كان الاقطاع ورأس المال يسيطران على الحكم لصالح فئة قليلة ، وأصبح الشعب يحكم نفسه بنفسه لنفسه . كنا عبيدا واصبحنا أسيادا . كنا تابعين وأصبحنا قادة . كنا ذيولا تسير فى الركب ، واصبحنا قادة فى الطليعة تحمل الشعلة تضىء الطريق . كنا اذلة ، واصبحنا كرماء . كان صوتنا خافتا لا يكاد يسمع ، وأصبح عاليا مدويا يملأ الآفاق . لم تكن لنا أهداف واضحة ، واصبح لنا أهداف محددة . لم تكن لنا سياسة نسير عليها ، واصبحت لنا سياسة مرسومة . كان البرلمان يمثل الاقطاع ورأس المال ، واصبح لدينا مجلس أمة نصفه من الفلاحين والعمال اختاره الشعب وفق ارادته . كان الفلاحون ملكا لصاحب الأرض ، وأصبحوا مالكين لهذه الأرض . كان العمال تروسا فى عجلة الانتاج ، وأصبحوا يديرون هذه التروس ؛ يمثلهم اكثر من عضو فى مجلس ادارة المصنع ، ودخل العمال الوزارة ، واثبتوا كفاءتهم . كانت المرأة تابعة للرجل ، ونص الميثاق على مساواتها بالرجل فى الحقوق والواجبات ، ونالت حقوقها السياسية ، واحتلت المناصب القيادية ، ودخلت مجلس الأمة ، وتحملت اعباء الحكم ، وثبت نجاحها .

كنا دولة مستضعفة ، واصبحنا قوة يعمل لجيشها حساب . اصبحنا دولة تصون ولا تبدد تحمى ولا تهدد ، تاخذ بيد الضعيف ترد كيد المعتدى .

لقد خضنا فى سبيل ذلك معارك طاحنة مع الاستعمار وأعوان الاستعمار ، مع الرجعيين والاقطاعيين ... مع التركة المثقلة التى خلفها لنا استعمار سنين طويلة ... لقد واجهنا تحديات كثيرة تغلبنا عليها جميعا .

والسؤال الثانى الى أين نسير ؟

لقد تحولنا فى السنوات الاثنى عشر السابقة من حال الى حال يحتاج لشرحه صفحات وصفحات . لقد انتهينا من مرحلة التحول الثورى العظيم بنجاح عظيم . لقد أرسى رئيسنا عبد الناصر أسس ومبادىء تسير عليها فى المرحلة القادمة ؛ مرحلة الانطلاق العظيم . ولمرحلة الانطلاق أهداف محددة لخصها الرئيس فى ثلاث :

١ — هدف التنمية المتواصلة اى خطة شاملة تهدف الى مضاعفة الدخل تليها مضاعفة ثانية ، وهكذا .

٢ — هدف الديموقراطية ، وتوسيع اطارها باستمرار وتعميق مضمونها اى استكمال بناء تنظيم الاتحاد الاشتراكى .

٣ — هدف الوحدة العربية الشاملة .

وطبيعى أن تعترض طريقنا بعض المشكلات التى بصرنا بها الرئيس والتى لا بد أن نجد بالتجربة المقبلة حلولا لها ، وهذه المشكلات هى

١ — مشكلة الزراعة ، وضرورة تطويرها لتفى بدورها فى التقدم الوطنى .

٢ — مشكلة الصناعة الثقيلة . مشكلة التمويل والبناء .

٣ — مشكلة ثلاثة ملايين أو يزيد من العمال الزراعيين فى الريف .

٤ ـ مشكلة الأداة الحكومية . مشكلة البيروقراطية .

٥ ـ مشكلة الأسعار .

٦ ـ مشكلة تنظيم الأسرة .

٧ ـ مشكلة التعود على النقد والنقد الذاتي الشجاع .

والسؤال الثالث كيف تواجه القضية ؟

وتتلخص الاجابة على هذا السؤال في كلمة واحدة هي « **التربية** » . والتربية تهدف الى « **التوعية** » . وكما قلنا ان القضية تقتضي اعادة النظر في تربية جميع الافراد على شتى المستويات تربية الصغار والكبار .

ولا نعني بتربية الكبار هنا محو اميتهم الأبجدية بأن تحيلهم الى أناس يقرأون ويكتبون ، ولكن نعني أن نغير من سلوكهم واتجاهاتهم ومعتقداتهم ، يتساوى في ذلك الذي يحمل أعلى المؤهلات والذي يحمل الفاس يضرب بها الأرض .

اننا مررنا بمرحلة تحول ، ونحاول الآن أن نؤكد ما وصلنا اليه . والتحول يعني التغير من حال الى حال أحسن . كذلك التربية عملية تغير . عملية حية متصلة تتم في سلسلة خبرات متصلة . وكل خبرة تؤدي الى خبرة أخرى مفيدة وهكذا يتفق التحول مع التربية في أن كلا منهما يهدف الى التغير . تغير كل من المجتمع والفرد . كل منهما يهدف الى التطور الى الأحسن .

ان مرحلة التحول تستهدف الديموقراطية والاشتراكية والتعاونية وايجابية المواطنين . وفي مرحلة الانطلاق تعني الديموقراطية الحرية السياسية وتعني الاشتراكية الحرية الاجتماعية وتكافؤ الفرص .

كذلك التربية الحديثة تستند الى الديموقراطية والحرية الاجتماعية وتكافؤ الفرص . كما تقوم التربية على ايجابية الطلاب وتعاونهم بعضهم مع البعض الآخر من ناحية ومع المعلمين في حل المشكلات التي تصادفهم في أثناء الدرس والتحصيل من ناحية أخرى .

ان التربية الحديثة تقوم على أصول علمية وعملية تستخدم فيها الأبحاث والاحصائيات ، وكذلك الحال في مرحلة الانطلاق يجب أن تقوم على أصول علمية وعملية تستخدم فيها البحوث والاحصائيات .

ان التربية الحديثة تهدف الى بناء الأفراد وتنشئتهم مواطنين صالحين لكل منهم خصائصه ومميزاته ، كذلك مرحلة الانطلاق تعتمد على مواطنين صالحين لكل منهم خصائصه ومميزاته .

اذن فالتربية الحديثة يمكن أن تخدم مرحلة الانطلاق العظيم بمدها بالمواطنين الصالحين الاكفاء منهم الفلاح والعامل والموظف والراسمالي الوطني .

والسؤال الآن ما السبيل الى ذلك ؟

ان أسلوب التربية له اهميته في تحقيق الأهداف المنشودة ، وكذلك من يقوم بالتربية سواء كان من بين المعلمين أو الرواد أو القادة أو الكتاب ورجال الفكر . فالواجب تجنيد كل الكفاءات المؤمنة بالرسالة الواثقة في نفسها وفي قيادتها المحبة لها . فان أول ما تعتمد عليه التربية الاشتراكية هو ايمان من يقوم بها وثقته في الرسالة التي يهدف الى تحقيقها . ان التربية الاشتراكية أسلوب قبل كل شيء ... أسلوب عمل مؤمن وليس كلاما يقال . ان التربية الاشتراكية عملية ذوبان ... ذوبان المعلم والطالب ... والكاتب والقارىء .. والفنان والناظر الى فنه ... والرئيس ومرءوسه ... والعامل ومدير المصنع ... والجندي والقائد ... ذوبانهم جميعا في أهداف الاشتراكية ، وفي أسلوب تحقيق هذه الأهداف .

وتحقيق ذلك كله يحتاج الى تنظيم دراسات اشتراكية ... يحتاج الى جهود الاتحاد الاشتراكي وجهود المسئولين ... يحتاج الى تضافر هذه الجهود وبذلها عن رغبة صادقة ... يحتاج الى اقبال الشعب أفرادا وجماعات على الدراسات الاشتراكية . ان اقبال الأهالي يتحقق لا شك اذا ما توافرت الجدية والنظام في هذه الدراسات .

ان الدراسات الاشتراكية تحتاج الى وجود معاهد اشتراكية . وهذه المعاهد لن تكلفنا شيئا اذا ما استغلت الجامعات والكليات والمعاهد العالية والمدارس والمساجد والكنائس والوحدات المجمعة والوحدات الصحية ومقار النقابات والجمعيات والاتحادات النسائية والنوادي والمصانع . ويمكن

استخدامها في المساء او النهار حسبما يقتضي التنظيم ٠

ويجب ان توضع مناهج خاصة لطلاب هذه المعاهد الاشتراكية تشتمل على الاشتراكية العربية وثورة ٢٣ يوليو والديموقراطية والمجتمع العربي والتعاون والميثاق والقومية العربية والجغرافيا ومشكلات المجتمع والاقتصاد وعلم النفس ٠

والخطوة الأولى فى التنظيم هى اختيار بعض رجال الجامعات والمعلمين والرواد والكتاب ورجال الفكر وغيرهم ممن يلتمس فيهم الكفاءة والاخلاص للدراسة بالمعهد الاشتراكى على يد كبار القادة كنواب رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ونواب رئيس الوزراء والوزراء والأساتذة المتخصصين ، وعلى سبيل المثال يختار من كل مدرسة معلم أو اثنان ومن رجال الوعظ بالمحافظة واحد ومن المحامين واحد أو أكثر حتى يقوموا بواجبهم الذى يتفرغون له بعد انتهاء تدريبهم ٠

ان التربية الاشتراكية لازمة لجميع المستويات ؛ فيجب اعداد برامج تربوية على مستوى رجال الجامعات والمعاهد العليا والكليات ورجال القضاء ومديرى الشركات والمؤسسات ومديرى العموم ورجال البحوث العليا مثلا ٠٠ المركز القومى للبحوث العلمية والمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية وتنفذ هذه الدراسات بالجامعات تحت اشراف كبار القادة أيضا ٠

كما تنظم دراسات وبرامج على مستوى طلبة الجامعات والمعاهد العالية والكليات ومراكز التدريب ويشرف على هذا البرنامج رجال الجامعات والمعاهد العالية الذين سبق لهم حضور البرنامج ٠ هذا وقد تقرر تدريس المجتمع العربى وثورة ٢٣ يوليو والاشتراكية العربية ضمن مناهج الدراسة بالجامعات والمعاهد العالية والكليات ٠ ولكن هذا لا يمنعنا من تنفيذ المناهج الخاصة بالمعاهد الاشتراكية فى دراسات خاصة بالاضافة الى ما يدرسونه الطلاب من مقررات دراسية ٠

ويقوم وكلاء الوزارات ومديرو العموم ومديرو المؤسسات والشركات بتنفيذ البرنامج على مستوى موظفى وعمال الوزارات والمؤسسات والشركات والمصانع التابعة لها ٠

ويقوم المحافظون بالاشراف على تنفيذ البرنامج على مستوى المحافظات وخاصة العمال والفلاحين ويمكن استخدام دور العمد والوحدات المجمعة والوحدات الصحية والمدارس ٠ ان طلاب الجامعات والمعاهد العالية يمكن الاستفادة بهم فى نشر التوعية الاشتراكية عن طريق الاتحادات الطلابية ٠

ان اهتماما خاصا يجب أن يوجه لتوعية الفلاحين والعمال ؛ فهم يمثلون الغالبية العظمى للشعب ٠ فيجب ان يعى الشعب معنى الحرية السياسية والحرية الاجتماعية ٠ يجب أن يمارس الشعب هذه الحريات بطريقة عملية ٠ يجب أن يعيش الشعب الاشتراكية ليتعرف على مدلولها ٠ يجب أن يحيا الشعب الديموقراطية ليتذوق مفهومها ٠

ان أجهزة الراديو متوافرة فى كل مكان حتى اننا نشاهد « الترانزستور » يحمله الكثيرون فى الشوارع والنوادى والمزارع ٠ ان الاذاعة يمكن أن تلعب دورا خطيرا فى التعريف بالاشتركية والديموقراطية ٠ ان فاعلية الاذاعة تتضح فى أنها للجميع سواء عرفوا القراءة والكتابة أو جهلوها ٠ كل هذا يؤكد أهمية دور الاذاعة ، تؤثر على مستمعيها عن طريق الكلمة المسموعة أى عن طريق الأذن ؛ فان التليفزيون يؤثر على المشاهدين بالأذن والعين ٠ ان التليفزيون يجمع بين الكلمة والصورة مما يكون له أعمق الأثر فى نفسية المشاهدين ٠ ان البرامج التليفزيونية يمكن أن تحتوى على أحاديث وتمثيليات ومسرحيات هادفة توضح للناس مفهوم الديموقراطية والاشتراكية ، وتبصر الناس بالوسائل الكفيلة بتحقيق الأهداف فى مرحلة الانطلاق العظيم ٠ ولقد بدا التليفزيون يغزو معظم البيوت مما يدفعنا الى بذل كثير من العناية والاهتمام بالبرامج التليفزيونية ورفع مستواها ان الأغنية الجماعية التى ينوى المسئولون ادخالها ما هى الا محاولة للوصول الى ادخال مفهوم جماعية العمل ، وفائدة ذلك ٠ اننا يجب أن نهتم بكلمات الأغنية قبل اهتمامنا بشكل الأداء سواء كانت فردية أم جماعية ٠ ان البرامج التعليمية يجب أن تتطور الى برامج اشتراكية هادفة ٠

ان دور السينما وما تعرضه من أفلام تسهم فى التغير الاجتماعى ٠ ان مرحلة الانطلاق التى نمر بها تحتاج الى أفلام تعليمية خاصة ٠٠٠ أفلام

اجتماعية تعكس واقع حياتنا • ان تاريخنا وكفاحنا يمكن أن يكون مادة سينمائية • ان السد العالى مثلا مادة حية يمكن أن تدور حولها قصة كفاح مصرية صميمة توضح معنى العمل والانتاج ، معنى العمل المشترك بين العمال والمهندسين ، معنى الكفاح والارادة الحرة • ان انتاجنا السينمائى يجب أن يتجه الى تحقيق الاهداف التى ننشدها ، ومعالجة المشكلات التى تصادفنا •

وتشهد البلاد هذه الأيام نهضة مسرحية شاملة ؛ فتكونت كثير من الفرق المسرحية والفرق الاستعراضية • وينبغى أن تطرق هذه الفرق الموضوعية التى تعالج مشكلاتنا وترسم لها الحلول المناسبة ••• يجب أن تكون الموضوعات قومية تحررية ••• وهذا الاتجاه يمهد الطريق لظهور الكاتب الاشتراكى •

ان وسائل النشر كثيرة متعددة • كالصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والكتب والنشرات • كل هذا يمكن أن يؤثر على القارىء ويؤدى الى نتائج بعيدة المدى • ان الصحف والمجلات فى مرحلة الانطلاق العظيم يجب أن تهتم بنشر الوعى الاشتراكى وتبسيط المفاهيم والمبادىء التى تقوم عليها الديموقراطية والاشتراكية • عليها أن تنشر الأخبار التى تهم العمال والفلاحين متحرية الصدق فى القول والأمانة فى العرض • يجب أن تلقى الأضواء على قصص كفاح العمال والفلاحين ، وتتجنب الخوض فى قصص طلاق وزواج فلان وعلان يجب أن تعمل على اذابة الفوارق بين الطبقات بالمقال والكلمة ، وبالقصة والخبر •

ان الصحافة منبر الرأى الحر ، والكلمة المنطلقة•

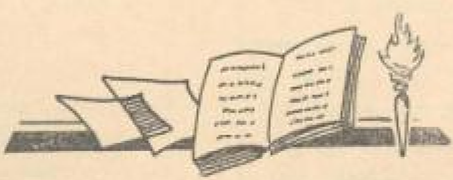
ان واجب الصحافة أن تنشد النقد الذاتى البناء وأن تتجنب الهدم أو اطلاق الاشاعات • اننا فى حاجة الى النقد الهادف حاجتنا الى الماء والهواء حتى نصلح من عيوبنا وحتى نعدل من سلوكنا الى السلوك الاشتراكى الصحيح •

ان الصحافة سلاح ذو حدين ، فيمكن لها أن تؤيد ، ويمكن لها أن تعارض • وهى التى يمكن أن تخدم القضية التى تهدف اليها ، وفى الوقت نفسه يمكن أن تعمل ضدها • ويجب على الصحافة ان تكون صاحبة مبدأ تترسم الخطى الاشتراكية مؤيدة للأهداف التى ننشدها ، كما يجب أن تعرض المشكلات التى تصادفنا على الرأى العام وتبسط له وسائل حلها أو التخفيف من حدتها •

ان الكتب وما تحوى من مقالات وقصص يجب أن تكون صورة لما يحدث فى المجتمع ، تعكس آمالنا وآلامنا •

ان وسائل الاعلام عميقة الأثر بعيدة الخطر فى نشر التوعية الاشتراكية • ان العبرة ليست بالكلام أو القول • انما العبرة بأسلوب التنفيذ • ان الديموقراطية أسلوب حياة يجب أن يمارسه المواطنون بطريقة عملية • ان الاشتراكية طريقة حياة يجب أن يحياها المواطنون • ان الميثاق نص على ان لكل فرد حقوقا وعليه واجبات • اننا يجب أن نهتم فى مرحلة الانطلاق العظيم بتادية ما علينا من واجبات بقدر مطالبتنا بالحقوق • يجب أن يعرف الشعب أن طريق الاشتراكية والديمقراطية طريق ينطلق فيه متحررا من الخوف والياس •

« أحمد فؤاد عبد الجواد »



المفسدون في الأرض

بقلم: أحمد فتحي بهنسي

قال الله تعالى :

« من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن احياها فكأنما أحيا الناس جميعا » .

يستدل بعض المفسرين على أن المفسدين فى الارض يستحقون القتل من أجل الفساد فى الارض.

وفى الواقع أن الاصل فى الشريعة الاسلامية أن القتل قد يكون واجبا أو مباحا ، أو محظورا .

اما القتل الواجب :

١ ـ فهو قتل أهل الحرب من المحاربين قبل أن يصيروا فى أيدينا بالأسر أو بالأمان أو بالعهد . وذلك فى الرجال منهم دون النساء اللائى لايقاتلن ودون الصغار الذين لا يقاتلون فاذا قاتل النساء يقتلن وذلك لنهى النبى صلى الله عليه وسلم عن قتلهن خرجه البخارى ومسلم والائمة . أما الصبيان فقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن قتل الذرية خرجه الائمة كلهم . فان قاتل قتل حالة القتال . فاذا زال القتال قال البعض تقتل المرأة كما يقتل الصبى وقال البعض لا يقتلان وقال آخرون تقتل المرأة لما فيها من المنة والعفو عن الصبى لعفو الله عنه فى مسائل الذنوب .

٢ ـ وقتل قطاع الطريق المحاربين ، رجالا كانوا أم نساء اذا خرجوا ممتنعين وقتلوا وصاروا فى يد الامام قبل التوبة .

قال تعالى : انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم .

٣ ـ وقتل أهل البغى اذا قاتلوا أهل العدل .

قال تعالى : وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله . فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين .

٤ ـ وقتل الساحر والزانى المحصن رجما .

عن جندب النبى صلى الله عليه وسلم قال : « حد الساحر ضربه بالسيف » رواه الترمذى والحاكم وصححه .

فمن سحر فانه يقتل بالسيف وعليه بعض الصحابة والتابعين ومالك وأحمد وقال مالك : انه كافر بالسحر فيقتل ولا يستتاب فان توبته لاتقبل ، وقال الشافعى : لايقتل الا اذا عمل فى سحره مايبلغ به الكفر والا فلا . وهذا كله اذا لم يقتل بسحره . فاذا قتل بسحره ففيه القصاص عند الشافعية . كل ذلك من أجل فساده فى الارض .

٥ ـ كل قتل وجب على وجه الحد .

أما القتل المباح :

١ ـ فهو القتل الواجب لولى الدم على وجه القصاص فهو مخير بين القتل والعفو . يدفع القاتل للامام لينفذ عليه ما يشاء هو فالقتل هنا ليس بواجب .

٢ ـ قتل أهل الحرب اذا صاروا فى أيدينا فالامام مخير بين القتل والاستبقاء قال الله تعالى: ماكان لنبى ان يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم .

قال ابن عباس « حتى يثخن فى الأرض » وذلك يوم بدر ، والمسلمون قليل ، فلما كثروا قال الله : « فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها » فخيرهم الله تعالى . وهكذا قال كثير من المفسرين بعده فاذا انتهت الحرب وأسر الكفار فللأمير أن يفعل ما فيه المصلحة للمسلمين من اطلاق سراح الأسرى من غير شىء أو على أخذ الفداء منهم أو قتلهم .

اما القتل المحظور :

١ ـ القتل عمدا فى دار الاسلام بلا موجب

شرعى . وعلى القاتل القصاص قال الله تعالى : ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما .

ولابى داود والنسائى . كل ذنب عسى الله أن يغفره الا من مات مشركا أو قتل مؤمنا متعمدا .

٢ ـ وتجب الدية فى قتل شبه العمد وقتل الأب ابنه وقتل الحربى المستأمن والمعاهد ، والقتل العمد الذى تدخله الشبهة يسقط فيه القصاص وتجب الدية .

روى أبو داود وأحمد ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عقل شبه العمد مغلظ مثل عقل العمد . ولا يقتل صاحبه » وبه قضى عمر .

كما روى أبو داود والنسائى : ألا ان دية الخطا شبه العمد ما كان بالسوط والعصا مائة من الأبل منها اربعون فى بطونها أولادها .

٣ ـ ويجب التعزير فى ضروب أخرى من القتل هى :

(ا) قتل المسلم فى دار الحرب قبل أن يهاجر الى بلاد المسلمين .

وقال البعض : لا شىء على القاتل الا الكفارة . وقال أبو يوسف : عليه الدية فى الخطا ، وعند الشافعى عليه الدية مع الكفارة فى الخطا والقصاص فى العمد واحتج بالعموميات الواردة فى باب القصاص والدية من غير فصل بين مؤمن قتل فى دار الاسلام أو دار الحرب .

(ب) قتل الأسير فى دار الحرب من المسلمين .

فلو قتل رجل من المسلمين فى دار الحرب ، فان كان قبل القسمة فلا شىء فيه من دية ولا كفارة لأن للامام فيه خيرة القتل ونرى ان فيه التعزير لافتيات القاتل على حق الدولة .

وان كان بعد القسمة أو بعد البيع فيراعى فيه حكم القتل لأن الامام اذ قسمهم أو باعهم فقد صار دمهم معصوما فكان مضمونا بالقتل الا أنه لا يجب القصاص لقيام شبهة الاباحة .

(جـ) قتل المولى لعبده الا اذا قتله غيلة فانه يقتل به . على تفصيل بين الفقهاء لا نرى داعيا الى الدخول فيه .

القتل تعزيرا :

التعزير تأديب على ذنوب لم يشرع فيها الحد وهو مجموعة عقوبات يلاحظ القاضى عند توقيعها على المجرمين أن يتخير ما يناسب كل فرد بحسب ما اذا كان من أهل الجريمة أو ليس من أهلها . ويتدرج فى العقوبات فيبدأ بالأخف فالأشد . فمن المجرمين من يتصلح حاله بمجرد الزجر وقارص القول ومنهم من لا ينزجر الا بحبسه او ضربه أو توقيع أشد العقوبات عليه .

وعلى ذلك فالقاضى يجتهد فى التعزير بحسب المصلحة وعلى قدر الجريمة قال الامام مالك : لاحد لأكثره فيجوز للامام أن يزيد فى التعزير على الحد اذا رأى المصلحة فى ذلك ، لما روى أن معن بن زائدة عمل خاتما على نقش خاتم بيت المال ثم جاء به لصاحب بيت المال فأخذ منه مالا فبلغ عمر ذلك فضربه مائة وحبسه فكلم فيه فضربه مائة أخرى فكلم فيه فضربه مائة ونفاه .

وروى الامام أحمد باسناده أن عليا أتى بالنجاشى الشاعر قد شرب خمرا فى رمضان فضربه ثمانين للشرب وعشرين سوطا لفطره فى رمضان .

انما مثار البحث : هل يجوز أن يصل هذا التعزير الى القتل ؟

ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه لا يحل دم امرىء مسلم الا باحدى أحوال ثلاث : كفر بعد ايمان ، وزنا بعد احصان وقتل نفس بغير حق .

كما توجد أحاديث أخرى نص فيها على القتل فى غير هذه الحالات الثلاث مثل :

١ ـ عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به . رواه أصحاب السنن .

٢ ـ قتل شارب الخمر اذا اعتاد ذلك . فقد

تواردت الروايات على أن شـــارب الخمر يقتل فى الرابعة • عن الترمذى وأبى داود عن معـاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر فاجلدوه فان عاد فى الرابعة فاقتلوه •

٣ ـ قتل السارق اذا اعتاد ذلك •

روى عن عطاء وعمرو بن العاص وعبد الله بن عمر وعمر بن عبد العزيز ان سرق الخامسة قتل •

٤ ـ قتـــل من يزنى بذات محـرم عن الترمذى والنسائى وأبى داود أن البراء بن عـــازب رضى الله عنه قال : مر بى خالى أبو برده بن نيار ومعه لواء فقلت أين تريد ؟ فقال : بعثنى رسول الله صـــلى الله عليه وسلم الى رجل تزوج امراة ابيه ان آتيه برأسه •

وعن عبد الله بن عباس : أن الرسول قال : من وقع على ذات محرم فاقتلوه • فالأصـــل فى جريمة الزنا فى الشريعة أن عقوبة من يرتكبها ان كان غير محصن أى لم يســـبق زواجه « الجلد مـائة جلدة والنفى مدة عام ـ وان كان محصـــنا فجزاؤه الرجم اى القتل رجمـا بالحجـــارة » الا أنه فى الحالة التى ورد بها الحديث أتى الرجل فاحشة تخالف النواميس الطبيعية فكان جزاؤه القتل بصرف النظر عما اذا كان محصنا أم غير محصن •

وقد يوجد من عتاة المجرمين من لا يزول فساده الا بالقتل ولا يلحقه حد من الحدود التى تجيز القتل فهل يجوز للقاضى أو ولى الأمر تعزيره بالقتل ليكف أذاه عن الناس ويرتدع به غيره ؟

يرى البعـض أنه يجوز للامـــام التعزير بالقتل ويستدلون برأى مالك وبعض أصحاب أحمد بجواز قتل الجاسوس المسلم اذا اقتضت المصلحة قتله ورأى مالك وبعض أصحاب الشافعى وأحمد فى قتل الداعية الى البدعة كالتجهم والرفض وانكار القدر للفســـاد فى الأرض لا للارتداد عن الدين • وقد صرح بهـذا الرأى أصحاب أبى حنيفة فى قتل اللوطى اذا أمعن فى ذلك تعزيرا •

عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال : أتى النبى صلى الله عليه وسلم عين من المشركين وهـــو فى سفر فجلس مع أصحابه يتحدث ثم انفتل ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اطلبوه فاقتلوه قال : فقتلته فنفلنى سلبه • رواه البخارى وأبو داود •
قال ابن تيمية :

وقد يستدل على أن المفسد اذا لم ينقطع شره الا بقتله فانه يقتل ، بما رواه مسلم فى صحيحه ، عن عرفجة الأشجعى رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد ، يريد أن يشق عصاكم ، أو يفرق جماعتكم فاقتلوه » • وكذلك قد يقـال فى امره ، بقتل شارب الخمر فى الرابعة ، بدليل مارواه احمد فى المسند عن ديلم الحميرى رضى الله عنه قال : « سالت رسول الله صلى الله عليه وســـلم فقلت : يا رسول الله انا بارض نعالج بها عملا شديدا ، وانا نتخذ شرابا من القمح نتقوى به على أعمالنا وعلى برد بلادنا ، فقال : هـــل يســكر ؟ قلت نعم : قال : فاجتنبوه • قلت ان الناس غير تاركين قال : فان لم يتركوه فاقتلوهم » • وهذا لأن المفسد كالصائل ، فاذا لم يندفع الصائل الا بالقتل قتل •

والحقيقة أن المصلحة العامة تقتضى أن يعزر ولى الأمر بالقتل فهناك من المجرمين طائفة تخصصت فى أنواع من الفســـاد تضر به الأمة فى أموال ونفوس أبنائها ولا تلحقهم نصوص الحدود التى تستأصـــل شافتهم ويلزم ان تشدد عليهم العقوبة التى تبعدهم عن المجتمع السليم حتى يطمئن الناس على أمنهم •

« احمد فتحى بهنسى »

أغنية للعيد الأخضر

للشاعر : يس الفيل

اصعد . فدرب الصاعدين معطر ... اصعد .. فان الدهر خلفك يخطر
اصعد .. فأعوام الصعود وريقه ... درجاتها مهج ـ بزحفك ـ تفخر
درجاتها اصرار جيل لم ينم ... الا ليشعلها لظى يتفجر
جيل اقام على العزيمة صرحه ... اليوم فى ساح الجهاد يكبر
حسبوه من طول التهجد غافلا ... يا طول ما قد ارجفوا وتهوروا
ما كان صمت الريح فوق جدارنا ... الا الدثار .. لثورة تتسعر
والصمت قد يغرى .. فيطمع طامع ... أفلم تروا ؟! ان كان لا .. فتذكروا
اغرتهمو سبعون عاما حملت ... بذنوب أكباد هوت تتفطر
اغراهمو صمت الوجود بأفقنا ... ناسين ما للصمت حين يعمر
ناسين رد الفعل حين تقوده ... نيران قرن فى الحنايا تزفر
وشهدت « يا يوليو » انطلاقة امة ... ورايت شطئان الضياع تدمر
واليوم.. فى وهج الشموع . ألاترى ... أن الفداء بارضنا يتكرر ؟؟
انظر .. فهذا العيد رمز ملاحم ... خفيت .. ومثلك بالملاحم يفخر

* * *

اصعد .. اخى ـ فالمعجزات رهينة ... بالصاعدين وبالذين تحرروا
اصعد .. فان الصرح صرح بطولة ... ارجاؤه بالمعجزات تنور
عشر مضت .. واثنان تلحق ركبها ... والدهر بالعام الجديد يبشر
والدهر اذ يمضى لينظم عقده ... حقبا .. سينقل ما رأى ويصور
سيقول للأجيال ان يد القوى ... عصفت بمن خدعوا الشعوب وغرروا
عصفت بآمال الظلام ولم تزل ... اشلاؤها فى « بور سعيد » تخبر
عصفت بالاستعمار والخور الذى ... كم ساند الاقطاع وهو يعسكر
عصفت بمن سلبوا الأجير حياته ... وبمن أحالوا القوت كاسا تسكر
سيقول للأجيال : ان يد القوى ... بنت البناء ـ وعن قريب ـ يثمر
سيقول : عن وهج الحديد بارضنا ... ويد من الفولاذ فيه تطور
سيقول : عن صاروخنا ، عن جيشنا ... عن قرية من ألف ذنب تطهر
سيقول : عن «صعدا» ويكتب عن دم ... فوق «الجزائر» .. ان تسعة الأسطر
اصعد .. الى قمم تلوح .. وهامة ... شماء .. لا تكبو ولا تتعثر
اصعد .. مع الزحف الكبير الى غد ... زاه .. فنت بنور « سدك » أجدر
ودع الخيال على شواطىء عطره ... يرنو الى مستقبل يتخطر
سترى .. أتدرى أى ملحمة ترى ... خلف الليالى ان سبحت فتخبر ؟
لتعود « يا يوليو » فتشهد يقظة ... عربية فيما ترى وتقرر
ان كان عيدك أخضر ـ فبأفقنا ... عيد الملايين الأبية يظهر
عيد العروبة : فى رحابك وحدة ... بعد الاله لها الشعوب تكبر

العدالة الإجتماعية وكيف تتحقق ؟

بقلم : مصطفى عوض

قرأت فيما قرأت من بين موضوعات مجلة الرسالة العدد ١٠٦٨ الخميس ٢ يوليو ١٩٦٤ م٠ موضوع العدالة الاجتماعية للسيد الاستاذ الدكتور محمد احمد خلف الله وقد أبان سيادته أن العدالة الاجتماعية من الاهداف البعيدة للتخطيط الاجتماعي وأن التخطيط الذى لا ينتهى الى تحقيق هذه العدالة الاجتماعيةانما يكون تخطيطا قد ضل طريقه وانحرف عن غايته وأصبح الى الاستغلال الراسمالى أقرب منه الى أى شىء آخر ٠

وضرب سيادته مثلا لذلك يوضح ان الزيادة فى التقدم الاقتصادى أو فى الانتاج يجب أن يتقاسمها جميع السكان وبخاصة الذين أذلهم الحرمان وأضناهم الجوع والفقر ٠

وهنا أريد أن أوضح أنه لتوخى العدالة الاجتماعية كهدف بعيد للتخطيط الاجتماعى أن يكون قائما علىَ فلسفة اجتماعية قوامها العناصر الآتية :

١ ـ أن يكون التخطيط من أجل المجموع لا من أجل قلة مسيطرة

٢ ـ أن يخضع التخطيط لتيار القوى الاجتماعية

٣ ـ اعتماد التخطيط على الحاجات الاجتماعية

وقد اختلفت الآراء فى تحديد المقصود بهذا المجموع ، هل هو مجموع المواطنين من الناحية العددية أم هو جميع فئات المجتمع دون اغفال لأى فئة منها مهما تضاءلت قوتها دون أن يعنى ذلك الاجماع فى كل فئة ؛ ولكلَ من الاتجاهين فلسفته ٠ فبينما يميل أصحاب الرأى الاخير الى الأخذ بفكرة الواقعية السياسية والاجتماعية باعتبار أن الكائنات الانسانية متفاوتة فى امكانياتها وخصائصها البيولوجية والسيكلوجية ٠ كما أنها تختلف فى ترتيبها لحاجاتها فى سلم الاهمية مما يجعل الاجماع مسالة بعيدة المنال فى التخطيط الاجتماعى ولهذا يذهب أصحاب هذا الراى الى القول بأن التخطيط ينبغى أن يكون من أجلَ رفاهية فئات المجتمع جميعا ويقولون ان العدالة الاجتماعية تقتضى التضحية ببعض الحاجات الثانوية من أجل الحاجات الاساسية ومن هنا أيضا وجبت التضحية بالاقلية من أجلَ الاكثرية اذا استلزم الامر ذلك ٠

ويذهب أصحاب هذا الرأى الى القول بأن العيب لا يوجه الى الفلسفة التى ينتهجها هذا النوع من التخطيط وانما العيب الفعلى قد يرجع الى النظام الاجتماعى نفسه ٠

بمعنى ان المجتمع فى ذاته ينقصه التقارب بيْن طبقاته فى قدراتهم وحاجاتهم مما يؤدى الى اتساع الهوة التى تفصل بين المواطنين ويجعل من العسيرَ ربطهم فى وحدة واحدة أو الفوز باجماعهم فى تأييد خطة بعينها ، لان هذا التفاوت الشاسع يجعل ما يمكن أن يعتبر فى مصلحة احدى الطبقات هو الظلم والعبودية بعينهما بالنسبة لطبقات اخرى ٠

فاعتبار المجموع هو الأكثرية العظمى لكل فئة من فئات المواطنين اتجاه يميل الىتقدير الطبقات الكادحة الاكثر عددا ولكنها أقل ثراء ٠ اما الطبقة الاقلَ عددا والاقل ثراء فان اغفالها او على الاقل وضع حاجاتها فى ترتيب متأخر فى سلم الاهمية لا يعتبر نوعا من الظلم الاجتماعى بلَ هو تأكيد لمقتضيات العدالة الاجتماعية ٠

اما أصحاب الرأى القائل ان التخطيط للمجموع يعنى شموله لكلَ فرد من أفراد المجتمع وعدم

الاقتصار على الاغلبية النسبية لكل فئة من فئاته ـ على نحو ما ذهب اليه استاذنا الجليل ـ ينادى بفكرة المساواة المتناهية .

وهي فكرة لاتؤدى الى الغرض المنشود من التخطيط الاجتماعي بقصد تحقيق العدالة الاجتماعية بل تؤدى الى استمرار كل طبقة في الاحتفاظ بالحقوق التي حصلت عليها وهذا معناه الا يقوم التخطيط من اجل الاغلبية الكادحة فحسب بل من أجل جميع افراد المجتمع وترجع جذور هذا الاتجاه الى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر حيث تصدى له كثير من المفكرين الاحرار وأطاحوا بهذا الاتجاه

ومن أكثر المعارضين لهذا الاتجاه الفيلسوف سان سيمون واتباعه حيث يقولون انه يجب الانتهاء من القضاء على النظام القديم أى القضاء على الحق الممنوح لشخص فى أن يعيش عالة على اقرانه وحق استغلال الانسان لأخيه الانسان .

ويذهب سان سيمون فى مؤلفه عن «اعادة تنظيم المجتمع الاوربى » الى القول بأن التطور التاريخى للملكية يؤكد أن نظم الملكية تسير دائما وفقا للمستوى العقلى والعلمى فى كل عصر فالملكية تعبر فى كل مرحلة من مراحل التاريخ عن معانى مختلفة . ففى العصر الاقطاعى الحربى مثلا كانت الملكية تنتقل عن طريق الميراث لانها قامت على الحروب والسلب والاغتصاب أما اليوم فان الملكية يجب أن يحصل عليها الفرد نتيجة لميزاته الشخصية لا نتيجة لمولده او لعنصره لأن توارث الثروات ينتهى بالسيطرة والتحكم فى ملكية وسائل الانتاج التى تؤدى الى استغلال الطبقة العاملة وهذا ما لا يتفق مع طبيعة العصر ولا مع الدور الفعال الذى تؤديه الطبقة العاملة فى السير بالمجتمع فى طريق التقدم .

ولهذا يرى سان سيمون أنه « لا يمكن وجود اى تغيير فى النظام الاجتماعى دون أن يحدث تغيير فى نظام الملكية . فقانون التقدم الذى تتجه نحوه الانسانية يميل الى اقرار نوع من النظام الذى ترث فيه الدولة ـ لا الاسرة ـ من الثروة ما يطلق عليه رجال الاقتصاد « جوهر الانتاج » وهو لا يحدث نتيجة لشيوع فى الثروة ولا نتيجة لتحديد فى المقدرة على التملك ولكن نتيجة لحق جديد هو حق كلّ فرد تبعا لمقدرته ولكلّ مقدرة تبعا لما تحققه من اعمال .

وهذا يعكس ما جاء فى العبارة الآتية للسيد الاستاذ الدكتور نحو قوله « ليس معنى العدالة الاجتماعية أبدا ان نجعل الاغنياء فقراء ولا أن نجعل الاغنياء عاجزين عن أن يكونوا أكثر غنى وانما معناها أن يتقدم الفقراء نحو مستوى المعيشة الافضل بسرعة أكبر من الاغنياء حتى لا يظل التفاوت الكبير بين الاغنياء والفقراء قائما .

ومعنى ذلك أن السيد الدكتور يرى أنه لا بد أن تعطى الفرصة فى مجتمع اشتراكى للاغنياء أيضا لكى يزدادوا غنى ـ كيف يكون ذلك !!؟

ولهذا ترى المدرسة السان سيمونية أن الملكية يجب الا تظل ملكية فردية . بل يجب أن تصبح ملكية اجتماعية حيث تكون الدولة وحدها هى المالك وحيث تقوم بتوزيع الدخل على كل فرد بحسب مقدرته حتى يتم توزيع الانتاج على كل فرد بحسب عمله .

كما يرى سان سيمون واتباعه ان التخطيط هو السبيل الوحيد الى تحقيق العدالة الاجتماعية ولا يمكن أن تحقق هذه العدالة الا فى ظل تخطيط يقوم على أركان ثلاثة

١ ـ جميع النظم الاجتماعية يجب أن تهدف الى تحسين المستوى الاخلاقى والجسمانى والعقلى للطبقة الاكثر عددا والاشد حرمانا

٢ ـ جميع المزايا المكتسبة عن طريق المولد يجب ان تزول بدون اى استثناء .

٣ ـ يجب ان يمنح كل فرد بحسب قدرته وان يعطى لكل قدرة حسب انتاجها .

وهنا يكون التخطيط موجها لصالح المجموع وأن تدخل الحكومة لا يمكن أن يكون امرا متعارضا مع الحرية الشخصية لان المجتمع لا يتفكك ولا ينحل عندما يحكم أكثر من اللازم .

وبهذا يمكن القول بأن العنصر الاساسى فى فلسفة التخطيط الاجتماعى هو ان يهدف الى صالح المجموع بالمفهوم الآتى :

١ ـ أن تكون الخطة نابعة عن حاجات ملحة معترف بها .

٢ ـ أن توجه لصالح الفئات الاشد حرمانا .

الثورة عند هاشم الرفاعي

بقلم: عبد الرحمن البجاوي

لقد ترك للمكتبة العربية الشاعر الشهيد « هاشم الرفاعي » ديوانا خالدا ، يضم ما نظم فى حياته التى لم تتجاوز خمسة وعشرين ربيعا ، هذا الديوان الزاخر بالخفقات التى تصور مقدار ايمان الشاعر بعروبته وبوطنيته ، ومقدار اعتزازه بالدعوة الى مناهضة الاستعمار فى كل بقاع العالم ، ثم مباركته طلائع التحرير الزاحفة من أحراش افريقيا ومن اواسط آسيا ، مبشرة بميلاد الحرية ، وانتصار رسالة السلام والحب والاخاء .

وقد ولد هاشم فى (انشاص) بمحافظة الشرقية عام ١٩٣٥ ، والتحق بمعهد الزقازيق الدينى عام ١٩٤٧ ، ثم كلية دار العلوم سنة ١٩٥٥ ، وفى القاهرة ابتدأت حياة الشاعر تكون تكوينا جديدا ، واتسعت آفاقه ومداركه ، واخذ صوته يجلجل فى رحاب الكلية ومن فوق منابر الشبان المسلمين ، والغورى ، ونادى القصة ، ونادى الطلبة الوافدين .. ودوت أصداء الشاعر فى كل منتدى واجتماع ، فلقب بشاعر الثورة ، والبحترى الصغير ، والبارودى الجديد ، الى غير ذلك من الالقاب التى أطلقها أساتذته وناقدوه .

ولم يكد عيد الثورة السابع يبتسم فجره حتى كان الغدر يترصد لشاعرنا الموهوب ، فسارعت يد اثيمة ، واغتالته فى غبش الظلام فى الثانى من يوليو سنة ١٩٥٩ وافتقد العالم الأدبى شاعرا ساهم بقلمه فى معركة العروبة والكفاح ..

وسنحاول أن نتحدث عن جانب من شعره الذى يعتبر صورة صادقة لحياة فرد وحياة أمة ، صورة لفرد ذابت روحه حبا للوطن ، وآمنت بالمثل الكريمة التى تسعى جاهدة لتقويض صرح البغى ، وازاحة كابوس الظلم والطغيان ، وصورة لأمة كانت تقاسى من جراء الحكام المستبدين الويل والهوان ، ومن عبث العابثين الذين لم يكن لهم هم الا استنزاف موارد الفقير ، وتسخير الفلاح والضرب بالسياط حتى تدمى الجلود كما عبر هاشم عن هذا فى احدى قصائده :

---

٣ ـ **أن تهدف الى تعديل جوهرى فى نظم ثبت فسادها**

٤ ـ **أن يحقق المساواة الفعلية لا المساواة المتناهية**

٥ ـ **أن يحول الصراع الطبقى الى تعاون واستغلال الانسان لأخيه الانسان الى استغلال لقوى الطبيعة من اجل صالح الانسانية جمعاء .**

وهنا يقول الميثاق الوطنى بصدد عدالة التوزيع ان الامر يقتضى وضع برامج شاملة للعمل الاجتماعى تعود بخيرات العمل الاقتصادى ونتائجه على الجموع الشعبية العاملة وتصنع لها مجتمع الرفاهية الذى تتطلع اليه وتكافح لكى تقرب يومه .

والطريق الاشتراكى ـ بما يتيحه من فرص لحل الصراع سلميا وبما يتيحه من امكانية تذويب الفوارق بين الطبقات يوزع عائد العمل على كل الشعب طبقا لمبدأ تكافؤ الفرص .

ويجدر الاشارة كذلك الى ما قاله السيد الرئيس جمال عبد الناصر من خطاب لسيادته فى المؤتمر العام للاتحاد القومى ٩ يوليو ١٩٦٠ ما كان يمكن ان تكون هناك خطة اقتصادية دون هدف اجتماعى بل لقد كان يمكن أن تؤدى الخطة الى عكس المقصود منها اذا كان الاهتمام يوجه الى ناحيتها الاقتصادية مجردا من كل وعى اجتماعى كانت الخطة فى تلك الحالة لا تصنع الا أن تزيد الاغنياء غنى وتزيد الفقراء فقرا وتزيد بالتالى الهوة التى تفصل بين الذين ملكوا الغنى بالوراثة وبين الذين لم يملكوا بالوراثة غير الفقر وبالتالى يضيع أساس الاستقرار الوطنى الوحيد وهو العدل الاجتماعى كذلك فقد كان مستحيلا بدون خطة اقتصادية واجتماعية فى نفس الوقت أن تطور الخدمات العامة كما طورنا وسائل الانتاج .

« **مصطفى عوض هلال** »

كم غاصب ارضا لهم ، بسياطه
دميت جلود الهبت وظهور

وهذا الجانب هو الثورة ... تلك الثورة التي أخذت عنده مظاهر شتى ، فالباحث في شعره يجد ثورة على الأزهر ، وثورة ضد الملك الفاسد ، وثورة ضد المستعمرين ، وثورة على الشعر الحر .. وفي هذا المقال سنلقى ضوءا على ثورته على الملك السابق أولا ، وعلى الاستعمار وأعوانه ثانيا :

أما ثورة (هاشم) على الملك السابق فقد كانت تسرى في دمائه منذ نعومة أظفاره ، ولم يكن يخشى في الحق لومة لائم ، وجاهر بعصيانه وتمرده على الذات الملكية ، كما يتضح في قصيدته « عقيدة » التي يقول فيها :

حب البلاد عقيدة اشربتها
من ثدى امى حين كنت رضيعا
فاذا دعتنى للكفاح عقيدتى
لبيت داعيها الكريم سريعا

الى أن يوجه نداءه في نفس القصيدة الى حماة النيل ، ويدعوهم الى الثورة على « ابن نازل » فيقول:

يا فتية النيل المجد انما
نابى ونرفض ان نساق قطيعا
هذا (ابن نازل) للهلاك يقودنا
جهرا ، ويلقى في البلاد مطيعا
فالى متى هـذا الخضوع وانه
جرم..اضاع حقوق مصرجميعا؟!

وقد كانت للملك السابق في أنشاص اقطاعيات واسعة ، فيها يسخر الفلاحون ، ويسكبون العرق الغزير تحت لفح الهاجرة ، في حين أنهم كانوا محرومين من كل لذة ، لهم الشوك وللحاكم الثمار !

الغرس غرسهم وقد روى الثرى
عـرق لهم فوق الجباه غزير
عمـلوا له حتى بدت الثماره
ما بال من لم يشق فيه يجور ؟!

ويحزن الشاعر ما يلاقيه الفلاحون من ظلم واعنات ، ويتحدث عن القصور التي كانت مرفأ آمنا للجوارى والغزلان ،وكيف تعج بسهرات حمراء الى أن غادرها ابليس مذموما مدحورا قال هاشم :

حـكم الـكنانة خائن مستهتر
طاغ بشـان بلاده لم يحفـل
ان شيد للاصلاح صرح كرامة
يسعى الى هدم البنـاء بمعول
سائل هناك القصر عن رب الهوى
والليل ، كيف نهاية المستبذل

ويستمر الشاعر في حديثه عن القصر وكيف أنه كان مرتعا للهو والعبث كل ليلة ثم ماذا كانت النهاية ؟

تلك الرياض الناضرات كانها
عدن ، بهـا من كل واد مبقل
ابليس غادرهـا رجيمـا انه
لم يرع حق المنعم المتفضل

وأما ثورة الشاعر الكبرى على الاستعمار فتجده فيها شاعرا رحب الآفاق يتخطى حدود وطنه ويغزو آفاقا بعيدة مطالبا بالحرية والعدالة ، ناقما على الأعداء ، وتبلغ قمة ثورته في رائعته الخالدة (رسالة في ليلة التنفيذ) التي فاز بها في المجلس الأعلى للفنون والآداب، والقاها في المهرجان الأول بدمشق، فعرفه المهرجان شاعرا خصب الخيال، رائع الديباجة، قوى التصوير ، مؤمنا بثورته التي تعتبر في أصلها ثورة على الظلم وصكا مكتوبا بدم الشهيد يدين العدالة الزائفة في شريعة الغاب ... وقبل قيام ثورتنا الحبيبة كانت كتائب الفدائيين تزحف نحو معسكرات الاحتلال ، وكان موقف الحكومة سلبيا تجاه هذه الطلائع آنذاك مما حدا بشاعرنا الذى سرى بروحه مع الفدائيين أن يتهكم بمفاوضة الحاكمين فقال في قصيدته « جهاد ضائع » :

سئم الفؤاد الزور والتضليلا
لا نرتضى غـير الجهـاد سبيلا
قالوا : مفاوضة ، فقلت لهم : متى
اجدت مفـاوضة اللئـام فتيـلا ؟

وأخذ يعرض جرائم المستعمرين ويندد بهم ، ولم يجد وسيلة سوى تجريد السيف حتى يتم الجلاء .. وكان مؤمنا بان الحق لا بد ان تؤيده القوة فقال :

دع السيف يبدى الحق لو كان خافيا
فما مثـله ان شئت للحق قاضـيا
وخضـبه لا ترحـم عـدوا فانه
لـورد دم الأعداء قـد بات صـاديا
اضر بـه طـول الأوام ، مزوه
الى ان يرى في الـكف احمر قانيـا
ارانا اذا لم نطلـب الحـق بالظبى
فلسنا على الأيام نلقى الامانيا

وفي أيام العدوان الثلاثي نجد شاعرنا مؤرق الوجدان ، لا يهدأ باله ، ولا يطيب رقاده ، وذلك حينما سمع دوى القنابل، وانطلاق المدافع ، وأزيز الطائرات ، وسبح فى سبحات الخيال واستوحى قصيدته « معركة القناة » التى تعتبر نفثة صادقة لوجدان شاعر التهب بلهيب المعركة ، واكتوى بشواظها ، فثارت نفسه ، معلنة سخطها على الأعداء، مؤمنة بنضالنا البطولى فى « بور سعيد » واستهل قصيدته قائلا :

بمدفعه المغرور قد صال واعتدى
وراح علينا بالقذائف واغتدى
واغرى بنا عند الحدود كلابه
وارسل للعدوان يضرب موعدا
يحاول بالتهديد اذلال أمة
والقاء شعبفى القيود وفى الردى

ويسترسل الشاعر فيحديثه عن ملحمة بورسعيد التى كتبت بدماء الشهداء حتىيصل الى بيت القصيد فى نهاية حتمية يؤكدها الكفاح المستميت فقال :

وكانت لهم « دنكرك » اخرى ولم تكن
(كباريس) للالمان صيدا معبدا

ويعرج على القناة التى حفرت بدماء أجداده ، ويدعو على هؤلاء المخربين قائلا :

قناتى ، وفى ارضى ، وجدى لحفرها
اكب على الصحراء بالفاس مجهدا
وفوق ثراها فاض ماء جبينه
وادمى له جلاده الظهر واليدا
فلا صلحت هذى القناة ، ولا جرت
بحاجات قوم لا يمرون سجدا

وكلنا يعلم كيف كانت هذه الانشودة تدوى وتملأ الأسماع بنغماتها العذاب والتى صاغ منها الشاعر (محمود حسن اسماعيل) .

انا النيل مقبرة للغزاة
انا الشعب نارى تبيد الطغاة
انا الموت فى كل شبر اذا
عدوك يا مصر لاحت خطاه

ويساهم (هاشم الرفاعى) بقلمه فى معركة التحرير الجزائرية التى شنها الشعب الجزائرى بشبابه الناشىء ضد الفرنسيين الخائنين الذين كانوا يصبون اقسى الوان العذاب بالابرياء والوادعين ، ويقسم شاعرنا بأن الفجر سيحين بعد ، وان افراح الحياة لا بد ان ترقص فوق ذرا (اطلس) وكأنه كان يبصر ما فى سماء الغيب ، فلم تمض أعوام حتى تحررت «الجزائر الثائرة» التى قال عنها :

بهواك ، بالدم فوق تربك يا جزائر
يجرى ، وينبع من حشاشة كل ثائر
بشهيدك الملقى على سفح المجازر
بالسخط يغلى فى القلوب وفى الحناجر
بالرابضين على القمم
الثائرين على الظلم
سنفجر الأضواء فى تلك الدياجر
وتسيل افراح الحياة على المقابر

وقد اتبع شاعرنا احيانا نظام الرسائل الشعرية التى صاغ « نزار قبانى » رسائله – من الشعر الحر – فى معركة السويس .. اخذ هاشم هذا النظام فصور فى « رسالة من افريقية » علىلسان احد جنود الاعداء ما يلاقيه هؤلاء من عدم الثقة. بجهادهم الضائع ، ورغبتهم الاكيدة فى الجلاء عن ارض افريقية العذراء التى دوت فى ارجائها اصداء الحرية ، ولنستمع الى حديث الجندى الذىيقول فى نبرة كلها لوعة وحسرة وأسى :

اوليس يكفينا لكى نحيا نتاج المزرعة ؟ !
حتى أصب على اخى سوط العذاب لاخضعه
ويقض حينا مضجعى واقض حينا مضجعه
واعيش مقتربا هنا بين الرماح المشرعة
يأتى الطعام الى فمى
مرا تلوث بالدم
واصوغ من آلام قوم جنة للمترفين
الحالمين ، وثورة البركان تهدر من سنين

ونمضى مع شاعر الثورة المبدع الذى سبح بوجدانه فى آفاق العروبة واخذ يرقب ببصيرة نفاذة احوال الأمة العربية ، وكيف ان الاستعمار يتربص بنا الدوائر ، ويركز جهوده على مأساة فلسطين التى تشرد اهلها فى بقاع العالم .. ومن هنا نظم « وصية لاجىء » التى يحث فيها والد ولده على عدم البكاء والترعزع أمام نكبات الدهر وأرزائه ويطلب منه الا يسمح لدموعه أن تذرف يوما ما وان كان قد بكى يوما فلما حمل من ثكل وغربة فيقول :

كانت لنا دار ، وكان لنا وطن
ألقت به أيدى الخيانة للمحن

وبذلت فى انقاذه اغلى ثمن
بيدى دفنت اخاك فيه بلا كفن
الا الدماء ، وما الم بى الوهن
ان كنت يوما سكبت الأدمعا
فلأننى حملت فقدهما معا
جرحان فى جنبى : لكل واغتراب
ولد اضيع ، وبلدة رهن العقاب

ويساهم (هاشم) بجهوده فى المؤتمرات الدولية التى كانت تعقدها مصر لارساء دعائم السلام ، فنجده ينظم قصيدة طويلة فى مؤتمر (باندونج) وللأسف لم تنشر هذه القصيدة كاملة فى الديوان المطبوع وانما فى (شعر الثورة فى الميزان) جـ ٢ للدكتور احمد احمد بدوى مما يدعو الى النظر مرة اخرى فى مخلفات الشاعر الباقية وتلك القصيدة مطلعها :

سنا امل ملء الربى والمعالم
واشلاء ليل غاله الصبح قاتم

وكذا نجد شاعرنا فى المؤتمر الآسيوى الافريقى الذى عقد بالقاهرة ١٩٥٨ يصوغ درة خالدة يبشر فيها بميلاد فجر السلام ، ويتحدث عن أواصر القربى والرحم بين ابناء القارتين ـ آسيا وافريقيا ـ وكيف أننا وقفنا وقفة رجل واحد ضد قوى البغى بمختلف الوانه واجناسه فيقول :

فى آسيا وعلى جديب رمالها
شهد الورى ميلاد شعب واع
نبت الهدى والحق فى جنباتها
وجرى الضياء على لسان الداعى
وكما يسيل الفجر سال النور من
هدى السماء على ربا وبقاع
ومشت مواكبه وفى ايمانها
آى تبلغها الى الاسماع
من كل صنديد تضم ضلوعه
احساس قديس وقلب شجاع
وكسا الضباب الارض فى افريقيا
ما بين غابات بها ومراعى
بسطت ذراعيها لتحتضن السنا
طبا يخلصها من الاوجاع

الى ان يقول :

فاذا الوجوه السمر من ابنائها
تطوى خضم البحر فوق شراع
وتدك خلف الماء عرش محكم
فى الناس او ملك هناك مضاع

وحسبنا هذا القدر من الشعر البطولى الرائع الذى يتحدث عن مشاعر الامة وما يجول بخاطرها، ويتحدث عن أصداء ثورتنا فى اقطار العالم العربى ، فى السودان ، والجزائر ، وفلسطين ، ومصر ، وكيف افلح شاعرنا فى رصد الحوادث واقتفاء خطوات القادة وقوافل الثور التى تسير نحو السلام الذى يعمل له :

انى لاعمل للسلام ولغرس أزهار الوئام
الله يشهد ما بذرت بذور شر فى الظلام
لكننى آبى لارضى ان تذل وان تضام
هذى يدى ، فيها الاخاء ، وفى يدى الاخرى سهام ،
فالود منى للصديق ، وللعدا الموت الزؤام.

وفيما سبق من القصائد نجد موقفين لهاشم الرفاعى :

احدهما : موقف تجديدى يتجلى فى مثل قصائده (رسالة من افريقية ، ووصية لاجىء ، والجزائر الثائرة) وهو هنا يقتفى نهج (على محمود طه) ويحافظ على الموسيقى الداخلية للأبيات ، وازدواج القوافى ، وتقسيم القصيدة الى مقطوعات كل منها بقافية تختلف عن الاخرى ، كما نلاحظ عنايته بالالفاظ وانتقائها وتجويد التراكيب والصور الشعرية .

الثانى : موقف كلاسيكى يتجلى فى محافظته على الوزن والقافية وهذا شائع فى قصائد كثيرة وهو وان كان محافظا من ناحية الشكل الا انه جدد مضمونا كما يتضح للباحث فى ديوانه ..

وقد اوجزنا الحديث فى ثورته على الملك الفاسد وكذا ثورته على الاستعمار بكافة الوانه واشكاله.. ثم كيف كان ناقما على الاوضاع الفاسدة، ومشاركا فى الزحف الثورى مع الطليعة الزاحفة من كتائب الفدائيين ، ولا غرابة فى هذا اذا ماعرفنا ان شاعرنا كان على موعد مع القدر، فولد مع الثورة العربية الكبرى ، وشاهد آثار ثورتنا المباركة فى قارتى آسيا وافريقيا ، ثم استمد طاقات خلاقة من هذه الانتصارات الرائعة ، فاودعها فى ديوانه الوحيد الذى تركه ولم يعلم انه سيعرف النور يوما .. حتى أصدره المجلس الاعلى فى طبعة فاخرة واقام حفلة تأبين له .. رحمه الله .

« عبد الرحمن الأبجاوى »

الرئيس

وتبعات الرياسة

للشاعر، على الجندى

حامل هم بنى يـ   عرب : من دان ونـاء
جاهد فى حكمه العا   دل . والحكم شقاء
تبعات شيبت فوديـ   ه . شأن الحكماء
ولبعض الشيب نو   ر ، ووقار وبهاء
الفتى « المصرى » باسا   و « الصعيدى » اباء
و « الصلاحى » اعتزاما   حين يحمر العداء
والذى يصدع بالحـ   ق ، ويأبى الافتراء
والذى ينطق بالفصـ   ـل اذا اشتد المراء
والذى بالراى منه   فى الدياجى يستضاء
والذى اعماله تغنيـ   ه عن كل ادعاء
والذى شاد لنا الـ   سد لتحظى بالرخاء
والذى يمضى اماما   ليس يدرى ماوراء
والذى يهجم كالضيـ   غم من حيث يشاء
والذى كان « لصهيو   ن » من الحمق دواء
والذى باتت لـه « مايـ   سر » من بعض الاماء
والذى راس ابن « غريو   ن » لنعليه وطاء
والذى ايامه نصـ   ر وعز وعلاء
والذى ليلاته سـ   هد وجهد وعناء
وليالى غيره رقص   وخمر ونساء
والذى اخلاقه عطـ   ـف ولطف وحياء
المصلى الطيب الطا   هر فى ظل الفناء
وجمال الدين والد   نيا وزين الأتقياء
وحبيب الشعب والشـ   ـعب يحب الأقوياء
رحماء النفس والقلـ   ـب الرعاة الأمناء
عاش للعرب زعيم الـ   ـعرب خفاق اللواء
كى نرى فى عهد الزا   هر عهد الخلفاء

« على الجندى »

الفجر الخالد

للشاعر ابراهيم عبد الحميد عيسى

الى فجر ثورتنا العربية فى عامه الثانى عشر

يا اخى ما عـــاد يخفينا الحلـك ... كل نور فى سمانا لى ولك
كم صروح شدت .. لكن لم تجد ... بين مـا شـــيدت الا طللك
فزرعنا السحب نارا ولظى ... ثم أمطرنا أســانا فهلك
ومحا الفجر تهــاويل الدجى ... ارأيت النــور لمـا قبلك ؟
وعلى الشاطىء قامت نخـلة ... تبـذل الخير وترعى جدولك
والضـحى شـلال نور فانطلق ... واحمل الفـاس وحرك مغزلك
واسبق الوهم الى دنيا غـد ... ثم هىء فى الحنـايا منزلك
يا اخى ما عـــاد يخفينا الحلـك ... كل نور فى سـمانا لى ولـك

***

شـدت امجادى بروح مؤمنـة ... تنزع الشـوك وتبقى السوسنة
وجراد النور فى كف الضحى ... تسكب الدفء وترعى موطنـه
وانثنى الاسـلام يبنى بـلدا ... فيه للناقوس كف محسـنه
وحد النيـل خطانا للعـلا ... ورعت صوت الصليب المئذنه
كم شهيد رسم النصر لنـا ... بدمـاء وجــراح مثخنـه
فالتقينـا فى طريق واحـد ... ومشينا فوق هـام الأزمنـه
وزرعنا النور فى كهف الدجى ... ورفعنا فى ســمانا المدخنـه
والربيع الطفـل لمـا ابصرت ... عينـه مجـد بلادى لحنـه

***

من أنين الفـأس فجرنا الصراع ... من جراح الأمس . والسوط المطاع
اغرس الأرض .. ويجنى خيرها ... سارق اغرق فى دمعى الشراع
قلبه كالليل .. حقد ومتـاع ... مترف العيش باحلام الجيـاع
كفه مغـلولة . الا عـل ... ذمة تشرى واخلاق تبــاع
فوثبنـا بجحيــم عاقـل ... حطم البغى .. ومزقنا القناع
فبـدا فى كفه ظفر .. وفى ... وجهه ناب ولؤم وخــداع
بلدى ... ياصحوة النور التى ... ايقظت فى خاطر الفجر الشعاع
من دموع الجوع فجرنا الصراع ... من جراح الكوخ شتتنا الضياع

***

ثم اطلقنا الى العرب يـدا ... فسـرت تحمل حبا ونـدى
والتقينا فوق أرض حـرة ... سيدا يلقى عليهـا سـيدا
جمعتنـا وحـدة شـعبية ... وأقمنـا من هـوانا معبدا
يارفاق المجد مـدوا كفكم ... فلدى وثبتنـا يفنى المـدى
كم كسونا الدهر من امجادنا ... وسبقنـا بخطـانا الأبـدا
واشرأبت دفقـة النـور الى ... امة تبنى وتطـوى الأمـدا
وفرشنا القلب حبـا .. وعلى ... جبهة الشمس ضربنا موعـدا
لاتقولوا فى غـد موعـدنا ... نحن اطلعنا مع الفجر غـدا

ملامح أدبنا الثوري

بقلم
كمال نشأت

أثر الثورات في تطور الأدب أثر واضح مطرد يلمسه الناقد في النتاج الأدبي الذي يحمل الخصائص الجديدة للتغيير الجذري الذي تحدثه الثورة في المجتمع المنتج لهذا الادب . وليس من شك في ان لفظة ثورة وما تحمل من معنى الفوران المناقض للهدوء ، وما توحي من تغيير في الأسس وارساء الجدير منها يمتد ليشمل نواحي الحياة جميعا . والثورة السياسية التي تقوم لتغيير اوضاع وتصحيح قيم وبث مبادئ واعية واصلاح عيوب ورفع مستوى تحدث من الانقلاب في حياة الامة ما يدفع ملهميها الى التأثر بالوضع الجديد ثم التعبير عن روحه الجديدة الواثبة الى امام ابدا .

***

واذا رجعنا الى الثورات التي قامت وهي تستهدف اصلاحا ورقيا وتصحيحا لأوضاع خاطئة ، نجد أنها أحدثت دروبا أدبية جديدة واتجاهات رائدة تحمل خصائصها وتستعلن بها . وليست الثورة الفرنسية ببعيدة عنا ولا ثورة ١٩ التي كانت تجميعا لقوى العرب المصريين والتي انتفضت مرة ثانية في ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ . وليس يكفي أن تطلق القول فنقول ان ثورة ٢٣ يولية أثرت في الادب العربي الحديث في مصر دون أن نبين الى أي حد نجحت هذه الثورة في استهداف رسالة اصلاحية مست الوضع الجذري للمجتمع المصري . فمن المعروف أن الأدب هو الصورة الصادقة لنفسية الأمة وحالتها الاجتماعية ، والمقارنة بين الاتجاهات التي نشأت بعد الثورة والاتجاهات التي كانت سائدة قبلها تبين الى أي حد استطاعت هذه الانتفاضة الشعبية أن تغير من أوضاع مجتمع كانت أسسه ترتكز على الفساد بألوانه المختلفة ومن ثم كيف استطاع الأدباء الترجمة عن هذه النقلة النفسية في حياة أمة ناهضة .

على أننا اذا أحببنا أن نضع ثورة ٢٣ يولية في الميزان لنحدد بالضبط مدى النجاح الذي احرزته في سبيل تحقيق الأهداف التي تطلع اليها الأدب العربي في مصر منذ منتصف القرن التاسع عشر وجدنا أن الرجوع الى تاريخنا القريب أمر لا مفر منه ، فمنذ الانتفاضة الشعبية الاولى التي تزعمها أحمد عرابي والتي كتلت المصريين لأول مرة ووحدتهم خلف زعيم فلاح من أبناء الشعب الى ثورة ١٩ كانت الطبقات الشعبية قد بدأ ادراكها ينمو نتيجة لانتشار التعليم ونشأة الصناعات التي قامت أثناء الحرب العالمية الاولى لسد حاجة البلاد الى ما انقطع استيراده من البضائع ، الا أن هذه الثورة لم تحقق أهدافها الوطنية بل أدت الاحداث الى زيادة الارتباط بين طبقة الاغنياء وبين المستعمرين على حساب الحركة الوطنية . ويذهب باحث الى أن ثورة ١٩ لم تحقق أهدافها الوطنية فحسب بل هي لم تؤثر في الادب التقليدي السائد ابان قيامها . فالدكتور ابراهيم سلامة يقارن بينها وبين الثورة الفرنسية التي أنتجت الادب الرومانتيكي فيقول ان الثورة الفرنسية عملت على هدم الطبقة الارستقراطية واغلقت نواديها الادبية وسعت الى تقليل الحواجز بين الطبقات ، فدفع كل ذلك بالادباء الى الاعراض عن الادب القديم والاتجاه الى الرومانتيكية . اما ثورة ١٩ فكانت تطالب بحريتها من المستعمرين لا من طبقة السراة ، فدعاها ذلك الى التمسك بقوميتها والاعتزاز بتراثها فلم تصنع شيئا ولم تغير الاتجاه الادبي المحافظ فظل كما هو . واذا كانت ثورتا عرابي وسعد زغلول قد فشلتا لأسباب خارجة عن ارادة زعيميهما في تحقيق الاهداف الوطنية واذا كانتا لم تؤثرا تأثيرا واضحا في الادب العربي المعاصر فقد حققت ثورة ٢٣ يولية – وهي ثمرة هاتين الثورتين – أمنيات المصريين جميعا . وكانت بعض هذه الامنيات من المعجزات كطرد الاحتلال ممثلا في الجيش الانجليزي الرابض في أرض الوطن ، كما انها حققت مكاسب أخرى كان لها تأثيرها في نفسية الشعب وبالتالي في نفسية المترجمين عنه كتابا وشعراء . ولقد كانت مصر قبل هذه الثورة – كما نعرف جميعا – مباءة الرشوة والظلم والاضطهاد .. وكان الفساد ينمو كالسرطان والاحتلال يجثم قرير العين لما يرى من هذا الانهيار ، ففقد المصريون الثقة بأنفسهم ، وبمستقبلهم ، وتقوقعوا داخل اهتماماتهم

الفردية ، فانتشرت الانانية والوصولية وكثرت الجعجعة بالشعارات الوطنية الزائفة . ونتيجة لخيبة الآمال المعلقة على زعماء السياسة والاحزاب وانتهاء ثورة ١٩ الى عدم تحقيق مطالبها الوطنية ران على المصريين جو من اليأس دفع بادبائهم الى احضان أدب فردي يائس ... نفس الشيء الذي حدث في فرنسا بعد انهيار نابليون وخيبة الآمال المعلقة عليه ، فقد أحدثت هذه الخيبة في نفوس الفرنسيين ما جعل الفريد دى موسيه يقرل (**وانشطر المجتمع الى فئتين .. فئة من النفوس المضطربة المترجعة التائقة الى المثل العليا ، فكان ابناؤها يحنون الرأس ويبكون متلفعين باحلامهم المؤلمة ، وفئة كانت مؤلفة من رجال المادة والشهوات يقفون بلا مبالاة على ركام الملاذ ، ولا هم لهم غير احصاء الاموال التى حشدتها اطماعهم وكان الشعراء يتغنون بالخيبة وعثرات الآمال ..**).

وفى مثل هذا الجو المريض وجد أدباؤنا أنفسهم فارتموا فى أحضان الرومانتيكية التى تأخذ الفردية فيها مكان الاساس والارتكاز، وبالغوا فى احساساتهم وخيالاتهم ولجأوا الى الطبيعة يبثونها آلامهم ومزجوا الحب الذى يمجدونه بصور الطبيعة الام كما كانوا يقولون .

***

وليس من شك فى ان هذا الاتجاه هروب من واقع الحياة ، وهو هروب يعتبر من الناحية النفسية متنفسا للأوضاع الخاطئة فى المجتمع ولخيبة الآمال التى اصطدمت بها نفس الشعب ممثلة فى وجدان أديب ، واذ بأدبنا يتزعهذا المنزع الهروبى، وتشارك حركة الترجمة فى تضخيم أجوائه فلا يلتفت المترجمون الا الى القصص العاطفية الرومانتيكية ، وبعد أن كان الاديب رائد الجماعة ومحمسها ، والمعبر عنها كما فعل الشاعران حافظ وشوقى، أصبح الجيل الذى تلاهم فردى النزعة رومانتيكى الاتجاه ، يلعق جراحه ويغنى آلامه فى صمت حزين وعرف اتجاههم بالتمزق النفسى والفردية المسرفة .

وقامت ثورة ٢٣ يوليـــو وارست قواعد جديدة تخطط للمستقبل القريب بعد أن غيرت أسس الحياة الفاسدة ، وكانت أهم هــذه التغيرات التى لعبت دورها النفسى كنقطة ارتكاز لبعث أدبى جديد ..

ازالة الملكية الفاسدة .. وقيام الجمهورية الاشتراكية الديمقراطية ، وطرد الاحتلال الانجليزى .. وتاميم قناة السويس .. وانهاء سيطرة رأس المال على الحكم .. والقيام بالمشاريع الاقتصادية لرفع المستوى الاقتصادى للشعب . واذ بمصر خصوصا بعد صمودها أمام العدوان الثلاثى يملأ اسمها صحف العالم ويجرى على أفواه الناس فى أرجاء الارض واذ بالمصريين يستردون ثقتهم بانفسهم ، واذ بهم يعملون لغد قريب مرموق ، وتهز الحياة الجديدة وجدان الادباء وما زالت تهزهم .

***

وكما انتفض الوجدان المصرى منطلقا ثاريا لاهبا أثناء العدوان الثلاثى ممثلا فى القصائد والاناشيد والاغانى الشعبية انتفضت مواهب الادباء المنتجين فشاركوا فى هذه الحياة الجادة البناءة معبرين عن آمال الشعب وتطلعه الى مستقبل باسم ، وابتدأوا يخطون مرحلة ثرية للادب العربى تحمل خصائص الروح الجديدة وتتجلى فى ترك الادباء التغنى بامجادنا القديمة وتغنيهم بأمجادنا الحاضرة ، كما ظهرت الواقعية الجادة والبعد عن السبحات الرومانتيكية بعد أن رأى الادباء مواطنيهم يعيشون واقعهم ويبنون بسواعدهم مجدهم ، فقرب الادب شعرا ونثرا من أرض الواقع الخشنة فكانت الواقعية التى سايرت يقظتنا الثورية ، وكان الاتجاه الشعبى ـ بعد أن تبلورت اتجاهات الثورة الشعبية فيما اتخذ من قوانين للارتفاع بالطبقات الفقيرة والاهتمام بالفنون الشعبية والادب الشعبى ـ وقد تبلور هذا الاتجاه فاذا بالاديب كاتبا وشاعرا يهتم بحياتنا الشعبية فى المدن المكتظة وفى القرى الضاربة فى أعماق الريف ، وان كانت القصة بامكانياتها اكثر نجاحا فى تصوير هذه الحياة من القصائد التى تعرضت لوصفها والتعبير عنها .

وكان لابد لهذه الشعبية التي يسجلهـا الادب شعرا ونثرا من أن تكون الوانها التي تحدد خطوطها على اللوحة التي اختارها الفنان شعبية مثلهـا هي الاخرى ، فاذا بالاسلوب البسيط السهـل واذا بالالفاظ المالوفة الجارية على الألسنة تاخذ مكانها في العمل الادبي ما دامت تؤدي مهمتها في دقة وضبط وكان تحطيم ثورة ٢٣ يوليو لطبقة الارستقراطية تحطيم للادب الارستقراطي الذي كان يهـدف الى تسلية السادة دون أن يعنى كاتبوه بتصوير الحياة الزاخرة التي تمنح الخير ٠٠ حياة الشعب المكافح الصابر الجاد ٠٠ ومن مظاهر الادب الثوري الجديد أيضا انتهاء أدب النفاق والمجاملات ، ففي زحمة هذه الحياة الهادرة المنطلقة الى الأمام دون معوقات ، وخلال هذا الاتجـاه الذي يعنى بالشـعب فيصور حياته وامانيه ومشكلاته في ثقة ومحبة وتفـاؤل باسلوب أقرب الى لغة الحياة ، لم يعد هناك موضع لأدب يقوم على تزوير الاحساسات والكذب والنفاق ، واصبح الاديب رائدا وقائدا فكريا وحاديا للركب الصـاعد ومثيرا للهمم بعد أن كان تابعا لعظيم يرصد حركاته وسكناته ، فاذا عاد من سفر هنأه بالعود الحميد واذا أقبل عيد هنأه أيضا بالعيد السعيد ٠

وبذلك انتهى أدب الشحاذين الذي ظلت رواسبه تظهر في دواوين بعض شعرائنا بانتهاء المجـاملات الكاذبة والارستقراطية المحتكرة للأدب ٠

ولاشك أن قيامنا بانشاء السد العالي وماسيترتب عليه من تعمير وتصنيع سيحدث انقـلابا في حياتنا الاقتصادية وبالتالي في حياتنا الفـكرية ، فمجتمعنا سيتحول الى مجتمع صناعي له ايديولوجيته الخاصة، ولهذا أثره في الانتاج الادبي ٠

وليس من شك ايضـا في أن اهتمـام الدولة بالادب والادباء ممثلا في انشاء المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب وقيام اتحاد الادباء وتخصيص جوائز سنوية تشـجيعية وتقديرية وتنفيذ مشروع التفرغ واقامة المسـابقات للادباء الناشـئين والمهرجانات الشعرية الدورية ٠٠ دفع للأدب الى الامام وتشجيع للمتنجين من الادباء ٠

« كمال نشات »

لمحة عن الأدب والفن في غرب افريقيا

بقلم : صديق شيبوب

استيقظ الوعي القومي في غرب افريقيا بعد أن تطور التعليم فيها عقب الحرب العالمية الثانية ، وصار المستعمرون الفرنسيون يسمحون بارسال بعثات للتعليم العالي في فرنسا . واذا كان عدد المتعلمين ظل ضئيلا اذ بلغ عدد التلاميذ في سنة ١٩٤٨ مائة الف تلميذ في منطقة يربو عدد سكانها على السبعة عشر مليونا من الناس فقد عرفت هذه القلة كيف تنبه الوعي القومي والشعور بالكرامة في نفوس المواطنين ، **وتعلمهم أن الزنجي انسان كغيره من الناس ، وان له حقوقه وتقاليده وفنه ، وشرع أولئك المتعلمون يستمدون من التقاليد التي ورثوها والعادات التي الفوها والوان الحياة التي يعيشونها الهاما يساعدهم على انشاء فن زنجي وأدب زنجي يعبر عن احلامهم وأهدافهم وعن الامهم وآمالهم .**

وكان وضع الفن يختلف عن وضع الادب .

والفن قديم في غرب افريقيا، وقد دلت الاكتشافات على أنه بلغ مبلغا طيبا من التقدم وحسن التعبير . ولا غرو فهذا « جوبينو » ، صاحب نظرية التفرقة العنصرية ، يعترف بأن الفنون تنبع من ينابيع غريبة عن الغرائز المدينة وانها كامنة في دم الزنوج ... ويقول أيضا ان الزنجي يتميز ببعض خصائص حسية لا يستقيم الفن بغيرها .

ويطلق بعض النقاد الغربيين لأغراض خاصة على الفن في غرب افريقيا اسم « فن الزنوج » من ذلك ذريعة لمهاجمته . **وقد وصف « ب . جولي » في بحث وضعه عن « فن الزنوج والاستعمار » تلك الحملات المغرضة بانها تدل على جهل اصحابها وقلة تبصرهم في الملابسات التي أحاطت ، ولعلها لاتزال تحيط ، بهذا الفن اليوم .**

ومعلوم ان الفن الصادق ينبعث عن روح كل شعب وغرائزه ويعبر عن العلاقات الاجتماعية والطبيعية القائمة بين افراد المجتمع الذي ينشأ فيه. لذلك عندما تتأمل تمثالا زنجيا يتبادر في الحال الى الذهن أن الفنان عندما نحته كان يتمثل الرجل راقصا . فهو يستمد من استعداده للرقص وقفته المرنة ، وشكل رجليه المتحفزتين ، وانحناء نصف جسمه الأعلى أو استقامته ، وانطلاق ذراعيه .. كل هذا الذي يدل على أنه قد تهيأ للاسترسال مع توقيع الانغام في حرية تامة .

واذا تجاوزنا عن تماثيل الراقصين وجدنا الفن يعبر بطريقة مؤثرة عن حياة الزنوج وعقائدهم واخلاقهم ، لأن النصب على اختلاف أحجامها تمثل بعض الاعمال التي تعردها الزنجي مثل تقديم الضحايا ، ودق الذره ، وضرب (التام تام) ومواقف التناجي بين المحبين . وهناك نصب أخرى تمثل الحيوانات او تشير الى مدلول بعض الامثال الشعبية منها « **انما يحسن العصفور التغريد عندما يصبح في الفخ** » و « **عندما يصطاد الفهد سلحفاة يقلبها عبثا ظهرا على بطن** » و « **ولا يزحف الثعبان على الأرض ولكن الله يهبه العصافير** » .

وهناك أيضا انتاج فني يستطيع أن يتخذ مكانه بين الأدوات المنزلية وغير المنزلية كالوزنات التي تصنع في شكل تماثيل صغيرة أنيقة . ولم تكن هذه الوزنات في الأصل للزينة والزخرف ، بل كانت لوزن مسحوق الذهب الذي كانوا يستخرجونه من المناجم المحلية .

وهكذا نجد فن الزنوج عالقا بحياة الانسان من كل نواحيها وانه فن واقعي .

ولكن الاستعمار أساء الى هذا الفن اساءة بالغة لأنه طوعه للتجارة ونزل بالفنانين الى درجة صناع . لان التجار الاوربيين صاروا يستأجرون الفنانين لعمل نوع معين من الانتاج مثل الاقنعة ، وجعلوهم يقصرون صناعتهم على جزء واحد من أجزاء الجسم كالرأس او الذراع مما يجيدون نحته او صياغته . وبذلك قتلوا الروح الفنية في النفوس وتلاشى الالهام الذي كانت تعمر به القلوب .

ويتساءل « ب . جولي » بعد أن فصل ما اجملناه **متى نستطيع أن نتحدث عن نهضة فنية في غرب افريقيا** . ويرى أن من الصعب الاجابة على هذا السؤال . كان الفن الزنجي من قبل ذا صلة وثيقة بالمجتمع الافريقي ولكن المستعمرين حولوه من مجراه الطبيعي الى سلعة تجارية خاضعة للعرض والطلب ولذوق الجماهير وأزياء النساء ... لذلك نجد نهضة الفن في غرب افريقيا يجب أن تتمشى مع نهضة المواطنين ومدى استجابتهم لها .

ولعل النهضة الادبية كانت أعمق جذورا وأكثر انسانية من النهضة الفنية ، ويكفى أن نلقى نظرة على الادب المعاصر فى غرب افريقيا لنجد انتاجا فى الشعر والقصة حريا بالاعجاب والتقدير · وقد اتجه الادباء والشعراء المعاصرون الى بعث الروح القومية فى النفوس ، والاشادة بفضائل الزنجي وحثه على التمسك بتقاليده وعاداته وأخلاقه ، وتكييفها لتطابق روح العصر الحاضر ، لأن التمسك بالتقاليد لا يعنى استعادة ما عمله المتقدمون فى عصور بائدة وتقليده والنسج على منواله ؛ بل انه يعنى البحث عن الفكرة الرئيسية التى أخذوا بها فى الحياة حتى وصلوا الى الاعمال العظيمة التى قاموا بها ، تلك الفكرة نفسها تستطيع أن تهدى الابناء ليقوموا بأعمال جليلة تماثل فى عظمتها ماعمله الاباء وان كانت تختلف عن هذه الاعمال من حيث النوع والكيف والتمشى مع روح العصر ·

وصف الشعراء فى منظوماتهم الانغام التى تضرب على الطبلة والتى يسمونها (تام تام) فى الليل تحت ضوء القمر فتبعث الغبطة الى النفوس وتحيى ميت الآمال ، أو على ضوء النار الموقدة التى تتناثر فى تلك الاصقاع كما تردد الغابات أصداء الانغام المضروبة ·

ووصفوا حالة الزنجي الذى يعير بسواده وفقره ؛ وضمنوا هذا الوصف انهاض همته وحثه على العمل فى مثابرة وجد ، وعبروا عن حبه للسلام والتفاهم مع جميع الاجناس ·

وهذه قصيدة للشاعر « ديا تيديان » بعنوان « أيها الافريقى اصغ الى موسيقاك » تضمنت الكثير من الاغراض التى ذكرناها · قال ما ترجمته :

« أخى ، أيها الافريقى ، اصغ الى موسيقاك
« انها صوت آلهتك واجدادك ،
« عندما يهبط الليل ، فى أوقات السمر ، بعد أن نؤدى صلاتنا ، اصغ الى القيثارة يضرب عليها نغم من انغام « ثاره »
« تسرى عندئذ رعشة فى الاعشاب فتصمت
« وتتذكر الاشجار القديمة عهد آلهتنا التى كانت تحرس افريقيا الفتية الطاهرة ·
« أخى ، أيها الافريقى ، اصغ الى موسيقاك
« الا تشعر عندما تسمعها أن روحك تهتز وان قلبك مفعم بعطور منعشة وحنين الى وطن بعيد ، لأن القريب مشوه ·
« انموسيقاك ياأخىهى تاريخك هى الفرح والدموع والحسرات على شعب يعيش كما قدر له أن يعيش ·
« وليست أغانى الجزر التى تنطوى على الحنين ، وانغام البرازيل المثيرة ، سوى أصداء لموسيقاك
« أخى ، أيها الافريقى ، اصغ الى موسيقاك ·
« انها تبعث على التامل ، انها تقول :
« لقد كنت أبدا ما أنا عليه ، منبع تعاليم لا ينضب معينه ·
« خلقت للفضاء الواسع لأنى ملك لأبناء الصحارى المحرقة ، ملك لسكان الغابات المرتفعة والسهول الجرداء المنبسطة ، والاراضى الممتدة على ضفتى نهر « بينان » ·
« ان أحضانى ملجأ للمنكودين والبائسين ، لأن من أعماقى الرائعة تتصاعد تنهدات توحى بالأمل ·
« واذا كنت من قبل أوحى بالحرب والنضال فانا اليوم أنادى :
« ثقة وشرفا وحبا وسلاما »
« أيها الافريقى اصغ الى موسيقاك ففيها العزاء
« ساعدها لتتغلب على الداء الذى ينخرها ، واحمها من أرجاس العصر التى تهاجمها
« واحفظها طاهرة لانها عنوان حضارتك حتى تتبوأ مكانها فى افريقيا الغد »

وهناك قصيدة اخرى بعنوان « القمر الجديد » للشاعر « جان مالونجا » ، وهى شبه أغنية من أغانى المهد الوسيط جعلها حوارا بين الفتيان والفتيات ·· تقول الفتيات :

« أيها القمر هبنا حجابك لنخفى خيانات الفتيان وحبهم وعبثهم عندما يتصلون بالفتيات فى غيبة القمر » ·

ويقول الفتيان : « على ضوء القمر يبدو شعركن أحمر لازهر يزينه ، وتفقد وجوهكن نضارتها المغرية ، نحبكن عند غياب القمر لأن الليل يضفى عليكن سواده فتبرق ثغوركن وتجتذب قلوبنا وأجسامنا ·

ويذكر الفتيات للفتيان انهن يشاطرنهم الكد والعمل فى الحقول ··· ويدعوهن الفتيان الى المثابرة على العمل حفظا لمستقبل أولادهن وحبهن ويقولون : «نحبكن عذارى غاباتنا الجميلات ···» وتدعو الفتيات الفتيان الى مشاركتهن فى الغناء والعمل لبلوغ السعادة « لأن العمل على ضوء القمر كفيل بطرد الجوع الذى يستولى على أطفالنا فى الليالى غير المقمرة · »

وتختم هذا الطواف بالقصيدة القصيرة التالية

وعنوانها « الى شقيقتي من المنفى » من نظم « أويس مودى » وهذه ترجمتها :

« انت بقعة سوداء
« في حياتي الناصعة البياض
« يا ابنة الليل الكبيرة
« أيتها العذراء السوداء
« العذراء الطاهرة الجميلة
« العذراء ذات الشعر بلون ثياب الحداد
« انك مليئة بالاسرار
« سوف أعود في بعض الايام
« فارتاح الى صدرك الصامت الحنون
« عندما أتعب من صخب هذه الحياة الغربية »

وقامت القصة بتادية رسالتها في بث الوعي الافريقي كما فعل الشعر ، وساعدت على احياء الاساطير الافريقية والفولكلور . وهذه أقصوصة من النوع الفولكلوري بقلم الاديبة « كينه فودييه » عنوانها : «زواج كانكان» ويلاحظ أن القاصة أشارت الى موسيقى يجب أن تتخلل الأقصوصة في بعض مواضعها . وهذه ترجمتها :

« فتاه ، أيتها الافريقية ، اذا كنت لا تشعرين في نفسك القدرة على التضحية لبلوغ مثل أعلى ، فلا تصغي لهذه الموسيقى ولا لهذه القصة فانهما لم يوضعا لاجلك

انهما تتغنيان بجمال الفضائل التي ترفع الناس وتسمو بهم فوق أنفسهم . وهذه قصة « طابيه بولونكه» التي مثلت أبعد مايتصوره الناس في الوفاق بين الزوجين واخلاصهما .

« أيتها الأخت ذات لون الأبنوس ، مهما بهرك الغرب فلا تقذفي بنفسك وراءه للفوز به ، متناسية افريقيا ، ولا تحاولي أن تفهمي مرمى الموسيقى ، فهي تنشد حكمة تجهلينها ، وانك لتدنسينها عندما تصغين اليها .

« يا أخت الابنوس ، ان هذه الموسيقى الفها العازف « سيكوجالي » وقدمها هدية الى « بولونكه كانكان » ذات الفضائل العديدة بمناسبة زواجها بصديقها .

في ذلك اليوم كان الضرب على الطبالة قد دعا شباب القرية للاجتماع في ميدانها فالتفوا حول العازفين وقامت جوقة من فتيات حي « دينيك » بالافصاح باناشيدهن المتطايرة في جو المساء الخار عن الغرض من هذا الاجتماع .

ووقف « فاجيكى » كبير العازفين أمام جمع من النساء وبينهن العروس فانشد في وصف محامدها والثناء عليها ، في حين كان يخطو خطوات راقصة .

وفجاة ارتفع صوت «كيتايوموسا» فسكت المغنون وتوقف العازفون . قال : كنت أمس أتنزه على ضفة نهر « ميلو » فوجدت رجلا مريضا بثياب ممزقة تقدم مني وطلب حمايتي . وكان يتبعه كلبان هزيلان مثله يحاولان اختطاف قطعة عظم يحملها . واستطعت بعد جهد عظيم ان اطرد الكلبين . وهذا البائس موجود الآن بيننا وارغب في أن يتقدم من فقد بائسا مثله أمام هذا الجمع المحتشد ويعلن ذلك .

وعندئذ تقدمت العروس الى وسط الدائرة وقالت : ايها الزعيم انا التي فقدت مثل هذا الرجل .

وقال يوموسا : هل تستطيعين أن تصفي هذا الرجل أو تتعرفي عليه . ومقدما أؤكد لك انه فقير بائس ، حافي القدمين ، أفاق متشرد ، وانه لايستطيع أن يكون سليل أسرة نبيلة كاسرتك .

واماطت بولونكه الجميلة النقاب عن وجهها واجابت : اعلم جيدا أنه اليوم اضحوكة الناس . ولكنه يستحق ذلك الحب الذي محضته اياه منذ عرفت الحب . وقد أحببته في أيام الرخاء والسعادة ويجب أن أصحبه في أيام بؤسه وتعاسته ، لأن الفرق في الحياة بين السعادة والهناء خطوة واحدة . وامام هذا التصريح العظيم اخذ المجتمعون يهتفون للعروس في حين اسدلت النقاب على وجهها وأخذت تطوف بين الجمهور باحثة عن ذلك الشخص حتى عثرت على الرجل الذي سيصير بعد ذلك اليوم زوجها . ثم انحنت امام الزعيم شاكرة له انه اضفى حمايته على ذلك الرجل ، واسمه « كولامان كونيما »

واستقبلت آلات العزف النبأ بتوقيعات [illegible] سريعة واخذت الفتيات يرقصن وتقدم الرجال بهداياهم للعروسين .

والآن يا أختاه الافريقية فقد مر عشرون عاما على ذلك الحادث ولاتزال « بولونكه » تلك الزوجة [illegible] تفهم زوجها وتعمل على الانسجام معه في حياة زوجية هنيئة .

« صديق شيبوب »

نظرة فى كتاب الانسان العربى

قديمة وجديدة

بقلم : عبد الخالق عبد الرحمن

نظرة فى كتاب الانسان العربى قديمه وجديده

ان العالم اليوم يعانى حيرة فى الفكر ، واختلافا فى الرأى ، واضطرابا فى النظم،ويعانى قلقا فى الحياة، وان النظم التى يكتب لها العيش هى النظم التى تلبى حاجة طبيعية فى حياة المجتمع،وحاجة شعورية فى ضمائر الناس ، وهذه هى الحقيقة الواقعـــة التى سجلت عبر التاريخ ، والدكتور جورج حنا فى كتابه **(الانسان العربى قديمه وجديده)** سبر غور الانسان العربى وتنبأ له بمســتقبل افضــل فتكلم فى الفصل الرابع من كتابه هذا عن الشخصـــية العربية فى العصر الذهبى فقال فى صحيفة (٤٨) عن الدعـــوة الاســلامية « كانت تلاقى نجاحــا كبيرا فى صفوف الشعب ... فى حين كان الزعماء الكبار يقاومونها بضراوة ويعملون كل شيء للقضاء عليها ، ثم تكلم عن العوامل التى ادت الى انتصار محمد صلى الله عليه وسلم فى اكبر ثورة عربية ... وفى مدة لاتتجاوز العشرين سنة ؟ فيقول : « مما لاشك فيه . ان ايمانه الصادق برسالته كان العامل الاول...غير ان الايمان وحده ماكان ليؤتى الانتصار بهذا الوقت القصير لو لم يكن محمد يتحلى بصفات.. لا اميز ولا انبل : بساطة فى العيش .. اخــلاق سامية مغرورة فى صميم فطرته .. احترام العمل ايا كان العمل .. احترام الانسان ايا كان الانسان.. الدفاع فى سبيل الحق الى مالا يحده حـــد .. عبقرية فطرية فى معالجة الامور مهما كانت شائكة.. قلب مفعم بالحب لهذا الكائن الذى اسمه الانسان.. ارادة حديدية فى السعى ليخلص الشعب من الحالة التى كان فيها »

ويرى ان الانسان العربى لابد له الاكبار من شأن الدين وانه يجب ان يكون سنده فى الحياة وذلك انه مهما يكن مركزنا الاجتماعى وضيعا فان الدين يرفعنا يكسبنا الكرامة البشرية التى نحتاج اليها كلمــا رهقتنا الحوادث والتجارب كما يقول الاستاذ سلامه موسى .

والأستاذ جورج حنا ينحى باللائمة على الشعوب العربية لتخلفها علميا ويقول فى صحيفة (٩١) « وان العالم العربى فى جوعه العلمى يحتاج الى الخبز اكثر مما يحتـــاج الى الفواكه والحلوى » . وفى فصل « الشخصية العربية فى عصر العـــرب الذهبى » يقول المؤلف :

« ان الحقيقة التاريخية بين القرن العاشر والقرن الثالث عشر هى بحق عصر العرب الذهبى . ففى هذه الحقبة كان العرب حاملى مشعل الثقافة الوحيدين بينما كانت اوربا تغط فى ديجور الجهل وهذا القول يذكرنى بقـــــول الاستاذ الكبير الزيات « ... **وبينما كان الشرق من ادناه الى اقصاه مغمورا بما تشعه منائر بغداد والقاهرة من اضواء المدنية والعلم ، كان الغرب من بحره الى محيطه يعمه فى غياهب الجهل الكثيف ، والبربرية الجموح ، وكان حظه من الثقافة يومئذ ماتضمه حصـــــون الامراء المتوحشين من بعض الكتب وما يعلمه بعض الرهبان المساكين من قشور العلم وانقضي القرن التاســـــع والقرن العاشر للميلاد واولئك الامراء فى قصـــورهم يتبجحون بالامية ويرتعون فى الدماء ، وهؤلاء الرهبان فى ديورهم يمحون الكتابة من روائع الكتب القديمة لينسخوا على صفحاتها الممحوة كتب الدين ، حتى ازال الله الغشاوة عن بعض العيون ، فراوا من وراء هذا الظلام الداجي بقعة من المغرب تسطع فيهــا شمس المشرق فلما تبينوا ان البقعة هى جزء من اسبانيا ، وان النور قبس من نور بغداد اســـتيقظ فى نفوسهم طموح الكمال الانسانى ، فطلبوا العلم فلم يجدوه الا عند العرب » .**

يقول المؤلف فى صفحة (٥٦) « ان الغزالى كان اكبر فقهاء الاسلام،كان فقيها ولكنه لم يكن فيلسوفا.

ويقول فى صفحة (٥٩) « ان الغزالى هو من انزل الفلسفة العقلية العربية من هذا المقام » .

ونحن نترك الرد على قول المؤلف للغزالى نفسه حيث يقول **(ولم ازل فى عنفوان شبابى منذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين الى الآن . ومذ اناف السن على الخمسين اقتحم لجة هذا البحر العميق ،واخوض غمرته خوض الجسور ، لاخوض الجبان الحذور ، واتوغل فى كل مظلمة واتهجم على كل مشــكلة ، واقتحم كل ورطة واتفحص عقيدة كل فرقة واستكشف**

اسرار مذهب كل طائفة لأميز بين محق ومبطل ومتسن ومبتدع . لا اغادر باطنيا ولا ظاهريا الا واريد ان اعلم حاصل ظهارته ، ولا فلسفيا الا واقصد الوقوف على كنه فلسفته ، ولا متكلما الا واجتهد فى الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ، ولا صوفيا الا واحـرص على العثور على سر صفوته الخ ...)

وهذا يدل دلالة واضحة لاغموض فيها ولا ابهام ان الغزالى يعتبر من الأئمة المجتهدين ومن احرار الفكر فى زمن قل ان نجد فيه من يجار بآرائه التى تخالف آراء معاصر الذين نسج الجمود على عقولهم غشاوة فهم لايبصرون .

وبعزى المؤلف سبب تأخر الانسان العربى الى تغلب الشعور الفردى على الشعور الجماعى الذى يقعده عن العمل من اجل الجماعة التى هو جـزء منها ... وبالتالى يحول دون تقدم الجماعة التى يتوقف تقدمه على تقدمها .

وفى صحيفة (١١٢) يشيد المؤلف بثورة يوليو ١٩٥٢ التى انطلقت من ارض الكنانة ويقول « ومن هناك انتشرت الافكار العربية الاخـرى » ويعتبر المؤلف الرئيس **جمال عبد الناصر** من طراز العربى الجديد فيقول : « والواقع المعروف ايضا .. ان اليد المحركة لهذه الانطلاقة .... صاحبها من طـراز الانسان العربى الجديد » .

وفى ختام كتابه هذا يشيد المؤلف بمؤتمر القمة لملوك ورؤساء الدول العربية ويقول انها ظـاهرة مشجعة ومدعاة تفاؤل . وفى نهاية هذا الكتاب القيم يقول « اننا بانتظار الايام المقبلة قريبا لأصدار الحكم النهائى على الانسان العربى الحاكم . والحكم سيكون عسيرا وبغلية القسوة من قاض لايساير ولا يرحم .. اسمه ، الانسان العربى الجديد » .

« عبد الخالق عبد الرحمن »

من أغانى الصباح

للشاعر : محمد مصطفى المليجى

بدا النور فوق الربى والجبال
وخلف الغصون وخلف التلال
واشرقت الشمس فى هـالة
وبين يديهـا رأيت الجمـال

لهـا غرد الطير حلو النشيد
فاشرق وجـه الصباح الجديد
وماست غصـون بقـد وجيد
وبين يديهـا رأيت الجمـال

وغنت طيـور عـلى الضفتين
وماء الجداول مثـل اللجين
تهـادى ويخطر فى جنتين
وبين يديهـا رأيت الجمـال

وخلف الربى جبـل شاهق
ونهـر جـرى ماؤه الدافق
مواكب أبدعهـا الخالق
وبين يديهـا رأيت الجمـال

وزورق يجرى يشق النهـر
ويسرع بين الربى والزهـر
تغنى به غـادة وجههـا
يفوق الجمـال ويسبى القمر

ترنـح مجدافهـا نشـوة
وغنى الجمـال لهـا وانبهر
وبين يديهـا رأيت الجمـال

محمد مصطفى المليجى

العقاد ومدرسة الديوان

بقلم عبدالحي دياب

من الأخطاء الشائعة لدى الدارسين لمدرسة الديوان التي كان العقاد أحد أعلامها البارزين ، أنهم لا يعرفون في أي وقت التقت آراء القائمين بها ، وفي أي وقت انفرط عقدهم ، وبناء على هذه الأخطاء راح بعض الدارسين يذهبون في أمر هذه المدرسة كل مذهب حسبما يتفق وأهواءهم وأغراضهم ؛ ومن ثم كانت النتائج التي وصلوا اليها أشبه ما تكون بالدجل العلمي منها بالحقائق النابعة من الدراسة الموضوعية .

ومن هذه النتائج والدعاوى العريضة التي لا يؤيدها الواقع ولا يسندها دليل اى دليل راجحا كان أو مرجوحا . من هذه النتائج زعم بعض الدارسين أن العقاد كان السبب المباشر وغير المباشر في خصومة كل من المازني وشكرى ، ومنها أيضا ان شكرى كان مظلوما غاية الظلم ، والعقاد والمازني كانا ظالمين غاية الظلم ؛ ومن هنا استحق شكرى العطف كل العطف ، واستحق العقاد وزميله الجحود كل الجحود ، والنكران غاية النكران .

ومن هذه النتائج كذلك ان شكرى كان أستاذا لكل من العقاد والمازني بمعنى أنه موجدهما وباعثهما ولولاه عليهما لكانا نسيا منسيا .

ولكن الدارس المنصف ازاء هذه النتائج لا يسلم بها على اطلاقها ، ولا يرفضها على اطلاقها ، وانما يمحص الحقائق تمحيصا دقيقا لا يطرقه غرض ولا يعتريه هوى ، وحينئذ سيهوله الأمر .. أمر أولئك الدارسين لمدرسة الديوان ، لأن الحقائق التي ينتهي اليها تقلب حقائقهم التي وصلوا اليها راسا على عقب ، وترد الأشياء الى أصولها ، بعيدا عن البواعث الشخصية ، وبعيدا عن المعاصرة ، لأنها حجاب كثيف يحجب عن عيون الدارسين ضعاف النفوس ضوء الحقائق الصادقة تحت تأثير حب النفس الذي هو شعبة من الجنون كما يقول علماء الفلسفة والنفس على السواء .

وسبيلنا في هذه الدراسة أن نعمد الى تقصي الحقائق في مظانها وهي ولا شك عسيرة على الكسالى من الدارسين الذين يتلمسون الحقائق من بعض الشائعات تارة ، ومن الوقوف على المصادر السهلة الثانوية التي لا تصور الحقيقة تارة أخرى ، ومن تلوين هذه وتلك ببواعثهم الشخصية تارة ثالثة .

والدارس المنصف يرى أن العقاد ليس له دخل أي دخل في خصومة المازني وشكرى ، لأن لهذه الخصومة أسبابها التي ارتكزت على طبيعة كل منهما

والذي يقف عليه الباحث في هذا الصدد هو أن شكرى تقمص شخصية ضابط المباحث وراح يبدى للمازني سرقات من الشعر والدراسات الأدبية في الأدب الانجليزي ، بل انه لم يكتف بهذا لارضاء نفسه الطامحة الى الشر ، ولكنه نبه وزير المعارف « حشمت باشا » الى مقالات كتبها المازني ضد « حشمت باشا » ، وهو مدرس بالوزارة ، وكانت هذه الحادثة من الأسباب التي دفعت المازني الى الخروج من الوزارة .

والذي لا شك فيه أن تعقب شكرى للمازني في أشعاره ودراساته ، واتهامه له بالسرقة كان بعد أن انتهى المازني من مقالاته التي كان يقارن فيها بين شكرى وحافظ ويرفع من شأن الاول ويغض من قيمة الأخير من الناحية الادبية . اذا عرفنا ذلك وقفنا على حقيقة خطيرة تنطوى عليها نفس شكرى وهي ولوعه بالشر ، أو كما ذهب العقاد في حديث خاص بيني وبينه أن شكرى كان مصابا بالضيق والسأم نظرا لاصابته بالعجز الجنسي ؛ ومن ثم أغضى عن سرقات المازني – على فرض صحتها مع تنبيه أحد تلاميذه وهو الاستاذ على أدهم لأستاذه عبد الرحمن شكرى عن قصيدة « فتى في سياق الموت » للشاعر « هود » . أغضى شكرى عن هذه السرقات الى حين انتهى المازني من مقالاته التي كان يشيد فيها بشكرى ، ثم انطلق في اتهاماته للمازني كالاعصار الذي يحطم ما يعترضه ، ولذلك كتب في مقدمة الجزء الخامس من ديوانه الذي صدر في عام ١٩١٦ عريضة اتهام للمازني يعدد فيها مناقبه في السرقة من الشعر والدراسات .

وفي تصورنا أن هذه العريضة أو ذلك البيان يحمل في أطوائه استفزازا أيما استفزاز للشاعر الفنان ابراهيم المازني ، يغضب لهذا الاستفزاز الحليم ويثور له النبي ، ويكفر بالصبر والسكوت عليه الأسوياء من الناس . فما بالنا بالمازني الذي

كان بالأمس القريب يعد شكرى مبشرا بالمذهب الأذلي الجديد في مقارناته بين شكري وحافظ ٠

وقد ذهب بعض الدارسين الى أنه قد وصل الى شكرى أن المازنى ينتقص شعره ، ومن هنا كان استفزاز شكرى على هيئة النقد ردا أبلغ رد على ذلك الانتقاص لشعره من المازني ٠

ولو أمكن الانسان أن يحدث لنفسه اغماء عقليا وهو يرد على هذه الشائعة لكان خيرا ، لأن افتعالها لا يحتاج فى تبيانه الى حالة صحو ونشاط عقلى ٠٠ لأنه من الذى يصدق أن المازنى يعتبر شكرى مبشرا بمذهب جديد ، ويشيد بشعره أيما اشادة ، ثم يهدى شكرى الى المازنى الجزء الثالث من ديوانه ، وبعد ذلك هل هناك مسوغ لأن يرجع المازنى فيما كتبه عن شكرى فى أقل من عام ٠٠ لا تصدق هذا ، بل اننا لنشك كل الشك فيما استند اليه أصحاب هذا الزعم ٠

والذى يؤسف له حقيقة أن المازنى نفى أنه رمى شعر شكرى بالسرقة ، ووصف فى الوقت نفسه نقد شكرى لشعره بأنه عنت ظاهر ٠ وحاول أن يبرر اتهام شكرى له بالسرقة ، ولم يقف ازاء هذا الاتهام مكتوف اليدين ، بل حاول أن ينقد شعر شكرى ٠ وهنا ثار شكرى ثورة جامحة لم تقف عند المازنى فحسب ، بل تجاوزته الى العقاد ، ولم يكتف باتهام المازنى بالسرقة فى الجزء الأول من ديوانه ، ولكنه تعدى ذلك الى شعر المازنى ، الذى لم يكن قد طبع حينذاك ٠٠ ومع ذلك كله حاول المازنى أن يرفع راية السلام فى مقدمة الجزء الثانى من ديوانه لشكرى ، وشكره على تنبيهه له ، وانكر عليه أن يلام غيره اذا ما صح النسب الى المازنى ، لأن الناس تجاوزوه الى غيره ، واتهموا سواء قياسا عليه ٠

ولكن رفع راية السلام من جهة المازنى لم تخفف من وطأة شكرى فى نقده ، ولم ترجعه عن غيه بحيث يقلع عن استفزازه ، لأنه كتب بعد ذلك مقالة فى المقتطف فى يناير سنة ١٩١٧ ضمنها آراءه واتهاماته السابقة دون تحوير أو تبديل ، وادعى فى هذه المقالة أنه يتحدث فى مسألة ليست تافهة ، والا لما تعرض لها ، وأن كل أديب حارس من حراس الأدب ، ومن واجبه ألا يغفل عن حراسته ٠

وتمضى الخصومة بينهما من سىء الى أسوأ ، والعقاد يمسك بالمازنى من تلابيبه ويرجوه ألا يرد على شكرى بدعوى أن هذا يفرح دعاة القديم ، ومن هنا كان المازنى يستمع الى نصيحة العقاد ويطبقها بحذافيرها ، لأنه كان أعرف بسلامة نية العقاد وصفائه ، ولكن سكوت المازنى بناء على رغبة العقاد لم يشفع لدى شكرى حتى يرجع عن غيه ، ويثوب الى رشده ، وانما قام بنشر مقالات فى عامى ١٩١٩ ، ١٩٢٠ فى صحيفة عكاظ ، خلاصة ما يقال فيها أنه غاية فى الاسفاف اللفظى ، وغاية فى الافحاش فى التفكير ، ولم يقتصر فى هذه المقالات على المازنى فحسب ، بل ضم اليه العقاد ، وكان يوقعها بامضاء « ناقد » ، وقام بنشرها فى المدة التى كان العقاد والمازنى على خصومة مع الشيخ فهيم قنديل ٠ فى ذلك الوقت توطدت علاقة شكرى بقنديل حتى أكد لنا العالم الفاضل الاستاذ على أدهم بأن شكرى ــ وهو أستاذ أدهم ــ كان ينقد قنديلا نقوداً من أجل نشر هذه المقالات ٠

والدارس المنصف يرى أن الخصومة قد دخلت طورا جديدا ، خلاصة ما يقال فيه التشهير بأستاذين كانا يقومان بواجب وطنى ابان الثورة ، يتمثل فى تحرير المنشورات السرية ، ومن ثم فانهما يقطنان فى مكان بعيد عن أعين الرقباء من الحاكمين؛ اذ كانا رحمهما الله يقطنان فى حجرة داخل مقابر الامام الشافعى ، ومع ذلك كله فان شكرى كان يثير عليهما الغبار الذى يكشف عنهما بطريقة مبتذلة لا ترقى الى مستوى قطاع الطرق فضلا عن الأدباء والشعراء ٠٠

وكان لا بد لهذه الرواية التى اكتملت مقوماتها الفنية من الفصل الأخير ، وذلك لأن المازنى لم يعد يطيق هذا التجريح الدائم ، وذلك الاتهام السافر من قبل أخيه عبد الرحمن شكرى الذى تعرف عليه منذ عام ١٩٠٥ ، وبعد ذلك لم يرع لأخوة صديقه حرمة ، ولا بصداقته وفاء ؛ ومن ثم نشأ فى المازنى شعور كاد يجتاحه ويخفيه عن العقاد ، حتى صدر الجزء الأول من كتاب « الديوان فى الأدب والنقد » للمازنى والعقاد ، وحتى كان الجزء الثانى على وشك الصدور ، عاود العقاد مرض الصدر الخبيث الذى أصيب به قبل ذلك فى عام ١٩٠٩ ، وسافر العقاد الى أسوان حيث الجو الجاف الذى يتطلبه من أصيب بهذا المرض ٠ وهنا ترك العقاد أصول الجزء الثانى من الكتاب وحذر المازنى كل التحذير أن يتعرض لشكرى بالنقد ، وبعد أن غادر العقاد القاهرة ومضى حيث لا يعرف من المجهول الذى ينتظره

شيئا، تحركت في نفس المازني بواعث السخط والغضب على شكرى ولم تنطفىء تلك البواعث الا بكتابه فصل عن شكرى يشفي به ما في نفسه ، وذلك بوساطه نقده نقدا عنيفا يتمثل في وصفه لشكرى بالجنون والخرس والادعاء والبجم والخفة ، وانه منكود ومائق الى آخره ، وزج بهذا الفصل الى المطبعه ليطبع مع الجزء الثاني الذى تركه له العقاد تحت رقابته ..

وحينما قرأ شكرى نقد المازني له طار صوابه على الرغم من أنه أمضى ست سنوات يهاجم المازني ويستهزء ، ويأخذ في طريقه العقاد أيضا ، ولم يحاول احد منهم أن يرد عليه ولكنه في هذه الحالة يغضب غضبة مضرية ، ولا يعرف لنفسه ضابطا يتنزل عليه ، ومن هنا نجده ينبرى لاتهام صديقيه باتهامات أهونها انهما خنازير الانسانية ، كما تتمثل في المنزلة الوضيعة والعرض المستباح الى آخر ما جادت به قريحته في هذا الضرب من الشتائم والسباب الذى نربأ بأنفسنا وبالقراء من تدوينها ، لأنها لم تنشر الا في صحيفة « عكاظ » وهى صحيفة لا تمثل قيما ، كما أن العصر الذى نعيشه الآن لا يسمح بنشر تلك الترهات والسخافات ، وحسب القارىء أن يرجع الى تلك الصحيفة في أعدادها ٥٨ ، ٦١ ، ٦٥ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٤ وغيرها ليرى صدق ما ذهبنا اليه في تلك المناحة التي أقامها شكرى على زميليه .

والدارس المنصف لهذه الخصومة يعذر المازني في نقده لشكرى ، لأن شكرى هو الذى أساء الى المازني أولا ، واستمرت اساءاته تتكرر حتى غلبت على أمر المازني ، وأصبح لا يجدى معه نصح العقاد بالتريث والاغضاء .

كما لا يسع الدارس المنصف أن يشهد للعقاد بأنه كان سمحا غاية السماحة مع شكرى بالرغم من اسفاف شكرى فيما كتبه عن العقاد ، ونعته له بأنه نشأ نشأة وضيعة الى آخر ما أبدعه يراع شكرى من اسفاف في القول وافحاش في التفكير ، لا يسكت عنها لسان أى انسان فضلا عن عباس العقاد الحساس .

ومما يؤيد سماحة العقاد مع شكرى أنه لم يسكت عن الرد على شكرى خوفا منه ، ولكن خوفا على تبديد شمل الجماعة التى قامت لارساء قيم في الأدب والفن يحتاج اليها الوطن أيما احتياج .

كما ان العقاد بالغ فيسماحته حينماجمعهما ورأب الصدع وعاهدهما على أن يكفا عن التعرض لبعضهما البعض ، فرضيا حكمه ، وكتب العقاد يومذاك مقالة في صحيفة « الأفكار » يصف ما جرى بين المازني وشكرى بأنه مصارعة أصدقاء ، لا مقاتلة أعداء ، وانقشعت السحابة وعادت سماء صداقتهما صفوا لا كدر فيها .

كما وصف العقاد هذه الجفوة بين زميليه وموقفه بينهما حائرا ، وذلك في رثائه لعبد الرحمن شكرى:

ابذل الخلد وافدى بالمدى
ساعة اشفى بها قلبين صدا
ساعة يذهب فيها الغضب
بين صنوين طغى ثم استبدا
نفرا وأسفى بينهما نفرة
ما عرفت في القلب حقدا
لم يكونا عدوين ولا حملا
ضغن عدوين استعدا
أيسر العتب شديد بين من
ألفوا الصحبة كالأملاك ودا
غضبا فافترقا فاسترسلت
فرقة الوطن هجرانا وبعدا
انا أدرى ما انطوى بينهما
من رضى اصفى من الظل وأندى
فيم كان البعد فيم اختلفا
فيم كان الهجر امعانا وشدا
افلا كان لقاء بيننا
قبل ان يفترقا لحدا ولحدا

ولا ينسى الدارس أيضا أنهما بعد أن جمعهما العقاد في منزله قد تتابعت مقالاتهما تحمل تقدير احدهما للآخر في عام ١٩٣٠ حتى عام ١٩٤٧ في جريدة السياسة وغيرها ، وذلك مع افراط المازني في ترضية صديقه شكرى باعتذاره عما بدر منه ، واعلان فضله عليه وتوجيهه اليه ، وتأثيره فيه .

وفي تصورنا أن مقالات المازني في هذا الصدد قد أوحت لبعض الدارسين أن يعد شكرى أستاذا لكل من المازني والعقاد ، وهو فهم يدل على سطحية القائلين به وفهاهة تفكيرهم ، وعيهم عن تناول الأعمال الفكرية بالدراسة .

وتأسيسا على هذا الفهم الخاطىء حاول نفر من الشعراء والادباء ممن لا طاقة لهم بالدراسات الادبية أن يسبغوا على شكرى الفضل كل الفضل في انشاء مدرسة الديوان وأستاذيته لزميله ، وقاموا بنشرهذه الدعاوى العريضة على صفحات مجلة « أبولو » الأمر

الذى جعل العقاد ينشر مقالة بجريدة الجهـاد فى ٤ سبتمبر سنة ١٩٣٤ ، أعلن فيها أنه لم يتأثر بأحد ، وليس لانسان عليه فضـل وليس تلميذا لأى مخلوق ٠

وعلى الرغم من نفى شكرى لزعم هؤلاء الدارسين باستاذيته للعقاد والمازنى ، وفى نفى انه قام بمذهب جديد فى الأدب ، وانه ليس بينه وبين العقاد أو المازنى تنافس على شـهرة أو حرفة رزق ، وانه لا يحمل ضغينة لأحدهما ٠ على الرغم من ذلك كله فقد سار أصحاب الهوى من الدارسين فى متجههم الفكرى خدمة لبواعثهم الدفينة ازاء العقاد ، وراحوا يحملونه تبعة انزواء شكرى التى افترضوها عن الحياة الادبية ، وما دروا ان شكرى لم ينزو قط عن الحياة الادبية ، وانما كان يباشر نقـده ونشر شـعره فى مجلتى الرسالة والمقتطف وغيرهما تحت امضاء (ع ٠ ش) ٠

كما راحوا يواصـلون لجاجتهم وحقدهم الذى يصدر عن طبع أصيل ومزاج لا اختلاق فيه ، أخذوا يواصلون ترهاتهم التى تتمثل فى استاذية شكرى للعقاد والمازنى وهذه الترهات لا تكلفنا لكى ندحضها أكثر من أن نهمس فى آذان هؤلاء الدارسين أن لقاء العقاد مع شكرى وأصطحابه له لم يتجـاوز أربع سنين بعد ان رجع شـكرى من لندن فى أواخر عام ١٩١٢ حتى عام ١٩١٦ وهو العام الذى قدم فيـه المازنى الى المحاكمة أمام محكمة النقد الذى كان فيها خصما وحكما فى آن واحد ، وأن شكرى طلب من العقاد أن يقدم الجزء الثانى من ديوانه عقب تعرفه على العقاد ، وهى ولا شك من الدعائم الثابتة التى ارتكز عليها المذهب الجديد فى الادب والشعر ، كما أنه قدم الجزء الأول من ديوان المازنى بمقدمة تفصح فى جلاء عن المذهب الجديد ٠

والدارس المنصف حينمـا يقف أمام هـاتين المقدمتين يشعر شعورا عميقا أنهما لا تخرجان من دارس ضحل العقل ، أو سطحى التفكير ، وانمـا سينطق بأعلى صوته قائلا : هذا هو انجيل النقد والدراسة الادبية لدعاة المذهب الجديد ، وأن كاتبهما ليس بحاجة الى تلمذة على شاعر أو توجيه من آخر ٠

أما المازنى فدعواه بفضل شكرى عليه وتوجيهه له وتأثيره فيه الى آخر ما أضاف لشكرى من نعوت وصفات فقد يكون هذا حقيقة حيث لا يوجد مانع عقلى يمنع ذلك لطول صحبتهما فى تلمذتهما بمدرسة المعلمين العليا ، وفى زمالتهما فى التدريس ، وتبلغ هذه الصحبة حوالى عشر سنوات ٠٠ قد يصح هذا ولكننى أرى أنه لا يصح وأرجح غيره نظرا لأن المازنى كان ينسى نفسه فى تقديره لاخوانه جريا على منهجه الساخر من الحياة والأحياء على سواء ، لأن الذى فعله مع شكرى فعل أكثر منه مع العقاد فى المقدمة التى قدم بها ديوان العقاد ، مما جعل العقاد يرفض ما كتبه المازنى وأن يعيد كتابتها مرة ثانية ، فكتبها ولكنه أثبت أنه غير راض عنها ٠

كما أن المازنى كان لا يكترث بالشهرة والخلود ، وشأنه فى ذلك شأن الفنان الواثق من نفسـه وفنه ٠٠

وكل هذا يفسر لنا تلك الطبيعة الساخرة التى لا تعبأ بكلمة تقويم فى شعره أو دراساته الادبية ، وذلك لأن الدارس المنصف اذا اتجه صوب أعمـال المازنى الشعرية والأدبية فانه سيقف مع فنـان أصيل ليس هو شكرى وليس هو العقاد ، ولكنه ابراهيم عبد القادر المازنى لا غير ٠

والى هنا نود أن يتقرر فى الأذهان أن الواجب الأوجب واللازم اللازب أن يراجع الدارسون للأدب الحديث بصفة عامة ، ولمدرسة الديوان بصفة خاصة دراساتهم ، وذلك بعد أن يشقوا صدورهم وينظفوها تلك الصدور المليئة غيظا وحنقا على روادنا الأوائل، عليهم أن يقـوموا بذلك لأننا سـنرجع الى تلك الدراسات واحدة واحدة لنعطى كل انسـان حقه فحسب ، وفى الوقت نفسه نبين زيف الدارسـين وعبثهم بالقيم والأخلاق معا بعـد ثورة نفسـية عارمة طلب العقاد النصفة من المصريين الذين مافتئوا ان يكدروا صفو حياته فقال لهم :

انا نريد اذا مـا الظلم حاق بنـا
عـدل الأناسى لا عـدل الموازين
عدل الموازين ظلم حين تنصبهـا
على المسـاواة بين الحر والدون
ما فرقت كفة الميزان أو عدلت
بين الحلى واحجـار الطواحين

فلما لم يسـمع له سامع ، أو يجيب طلبتـه مجيب كان رد الفعل معكوسا على شعره وكان شعره حينذاك يحمل فى أطوائه اتهـاما للمصريين فى رجولتهم وانسانيتهم ٠٠ الى آخره ، كما هو واضح فى الكثير من شعره ٠

« عبد الحى دياب »



مسرح ٢٣ يوليو

بقلم
عبد الفتاح البارودى

ان التغييرات التى حدثت فى المسرح والسينما وكل الفنون منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ هى صورة فنية للتغييرات التى احدثتها الثورة فى حياتنا . . . ان ما حدث فى حياتنا هو اننا استيقظنا .. ولم تكن نتائج هذه اليقظة هي فقط مجرد تصحيح الأوضاع، بل اعادة تشكيل حياتنا من جديد ... والمسرح مرآة للحياة ، بل ميكروسكوب للحياة ، ومن اجل ذلك يخطىء الذين يقيسون التغييرات التى حدثت فى مسرحنا بمظاهرها فقط ، او بمجرد التوسع فى النشاط المسرحى ، او بزيادة عدد الجمهور والروايات .. الخ ... ان هذه كلها حقائق ، ولكن وراءها حقائق اخرى اعمق .

فمثلا جمهور المسرح تضاعف بدرجة مذهلة .. هذه حقيقة ، ولكن لولا ان المسرح فى عهد الثورة اهتم بخلق « **الشغف المسرحى** » لما تولدت فى الجمهور هذه الرغبة الحماسية فى دخول المسارح ومتابعة النشاط المسرحى .

وعدد الروايات تضاعف بشكل ملحوظ ، لدرجة ان فرق مسرح التليفزيون تعرض رواياتها بمعدل ستة ايام لكل رواية ، او بمعدل اسبوعين على الاكثر ، من فرط ازدحام البرامج بالروايات ... هذه ايضا حقيقة ، ولكن لولا ان المسرح فى عهد الثورة اهتم بخلق الوعى المسرحى لما ظهر هذا النشاط الحافل فى الحقل المسرحى لأول مرة فى تاريخنا الفنى .

ان هذا كله لم يحدث عفوا . . . واذا كانت النهضات الإجتماعية فى العالم كله صاحبتها نهضات فنية ، فان ثورة ٢٣ يوليو تنفرد بأنها لم ينحصر تأثيرها فقط فى احداث نهضة ، بل خلقت مجتمعا جديدا ، وبالتالى خلقت فنا جديدا ان هذا ليس معناه ان مسرحنا مثلا بلغ ارفع مستوى ، او بلغ المستوى الذى نرجوه ، او ان مسرحياتنا بلغت المستوى العالمى ، فان فى الحقل المسرحى عيوبا ونقائص كثيرة ، ولكن المهم ان انتاجنا المسرحى بدا يعرف التخطيط الفنى والمنهج العلمى، وبدا «**التفكير المسرحى**» يظهر ويتبلور فعلا ، ومعنى هذا ان تفكيرنا الفنى تغير تغييرا جوهريا .

ما الدليل على ذلك ؟ خذ الدليل من امثلة بسيطة جدا ولكنها قوية الدلالة ... ان مسارحنا عرضت فى الموسمين الاخيرين روايات محلية ومقتبسات سبق عرضها فى المجتمع الماضي .. وفى المترجمات العالمية راينا روايات سبق ان قدمها مسرحنا منذ ٣٠ سنة ، فاين التغيير اذن ؟

ان التغيير ملحوظ جدا .. فالمحليات والمقتبسات القديمة التى اعيد عرضها اضطرارا ، ولمجرد ملء الفراغ الذى ظهر فجاة بعد انشاء عشر فرق جديدة دفعة واحدة ، هذه الروايات قوبلت بدهشة واثارت اكثر من علامة استفهام .. ان الناس تساءلوا لماذا اعيدت ، وبعضهم تساءل — فى البداية — لماذا

انشئت كل هذه الفرق ، ولماذا لم تنشأ بالتدريج فرقة بعد فرقة ما دام عدد مؤلفينا لايكفى لتغطيتها .. طبعا هؤلاء وامثالهم لم يدركوا المغزى الكبير الذى استهدفه هذا التوسع لتعميم النشاط المسرحى بحيث لا يبقى محتكرا للقاهرة فقط ، بل يمتد الى كل المحافظات وكل المدن ثم كل القرى ... المهم ان هذه الروايات المعادة لم تجد ما كانت تجده فى المجتمع الماضى من ترحيب باعتبارها من وسائل التسلية ، وانما اكتشف المتفرج الجديد انها غريبة على بيئتنا الجديدة ، وانها غير ذات موضوع ... هذا بلا شك تغيير جوهرى فى المزاج والاذهان والوجدان .. وامامنا دليل واقعى .. ان مسرحيات الريحانى ، وهى بالنسبة للمجتمع الماضى متطورة ، اصبح المتفرج الجديد يشعر ازاءها نفس الشعور ، بل ان الفنان بديع خيرى الذى اشترك فى اعدادها ، اعلن انه سيحاول تقديم روايات اخرى باسلوب جديد يلائم احتياجات المجتمع الجديد .

ومثل هذا التغيير حدث حتى فى المترجمات العالمية ... كيف ؟! ان نصوص المترجمات لاتتغير ، والعالم كله يقدمها كما هى ، ونحن ايضا نقدمها كما هى باستثناء الاعتراضات التى اثيرت حول الاسلوب او الالفاظ التى ترجمت بها ، وانما الذى تغير هو الاحساس الفنى بها ... فمثلا مسرحيات شيكسبير عندما عرضت فى مجتمعنا الماضى شاهدها الجمهور على انها روايات عالمية لمؤلف عالمى ، ولكن عندما عرضت فى الموسمين الاخيرين تغير الوضع .. ان رواياته تاجر البندقية ومكبث وعطيل اثارت مناقشات فنية عميقة بين الجمهور وبين المشتغلين بالفن وفى الندوات الاذاعية والتليفزيونية ، وفى الندوات التى اقامها مسرح الحكيم ... فمثلا عندما عرضت رواية تاجر البندقية اثيرت اسئلة حول مفهومها وحول تناسب الاداء واختيار الممثلين ، ومع ان مخرجها فتوح نشاطى توخى الدقة فى اخراجها فان كثيرين تساءلوا لماذا لا تحاول اتباع اساليب حديثة فى اخراج التراث العالمى بملابس حديثة وديكورات ايحائية مثلا ، ولماذا لا تحاول تفسير هذا التراث تفسيرا جديدا ... الخ ... وكثيرون غيرهم تساءلوا لماذا ادى حسين رياض دوره اداء غلب عليه الطابع الكاريكاتورى ، واعترض كثيرون على اداء بقية الممثلين وقالوا انهم لم يبرزوا الروح الشيكسبيرية ، وبعضهم امتدح اداء سناء جميل ، وبعضهم اتهم جميع الممثلين بانهم كانوا يتحركون مثل قطع الشطرنج ... الخ ...

كذلك عندما عرضت رواية « مكبث » اثيرت اسئلة كثيرة حول تفسير « العرافات الثلاث » وماذا يقصد شيكسبير بهن ، وهل يعبرن عن مفهومه للقدر ... الخ ... وايضا عندما عرضت رواية عطيل دار الجدل حول الاداء التمثيلى ، واتهم بعض الممثلين بانهم يؤدون نصوص شيكسبير باسلوب خطابى كما يفعلون فى اداء الشعر الغنائى ، ودارت مناقشات حول مفهوم الرواية نفسها ، وانتقلت المناقشات الى الميكروفون والتليفزيون ، وفى بعض البرامج عقدت مقارنات بين اسلوب اخراج الرواية على مسرح التليفزيون واسلوب اخراجها فى الفيلم الروسى الذى نال جائزة الاوسكار ، كذلك ناقش احد البرامج التليفزيونية فن شيكسبير بصفة عامة ، واشترك فى هذه المناقشة اساتذة الجامعات ... الخ

ان هذه المناقشات دارت فى مستويات مختلفة ، ولكن المهم اننا بدأنا نناقش ونعرض مختلف وجهات النظر بينما كانت الروايات العالمية فى الماضى تعرض فى صمت ، باستثناء التصفيق التقليدى الذى يحدث عن اسدال الستار

ان معنى هذا كله اننا تغيرنا .. افكارنا تغيرت .. مفهوماتنا الفنية تغيرت .. تولدت فينا الرغبة فى المعرفة .. والسبب الاساسى هو ان مجتمعنا الجديد تغير تغييرا جوهريا عن المجتمع الماضى ... انتقلنا من مرحلة الحياة الزراعية فى المجتمع الاقطاعى القديم الى مرحلة التصنيع ، وبالتالى انتقلنا حتميا من التفكير الغيبى الى التفكير الواعى ، ولهذا اختلف تفكيرنا الفنى عن التفكير الروتينى القديم ، واختلف استقبالنا للروايات التى تعرض على مسرحنا ، حتى ولو كانت نفس الروايات التى عرضها مسرحنا القديم ، وظهر تفكير جديد فى المؤلفات وفى تناول المشكلات وفى الاخراج ... الخ ... وتبلور هذا التفكير فى مسرح التليفزيون بصفة خاصة ، لانه ولد فى عهد الثورة ، ولهذا تحمل مسئولية انشاء المسرح الجديد الجدير بالمجتمع الجديد .

ليس معنى ذلك اغفال المسارح الاخرى ، فكلها تعيش فى المجتمع الجديد وتتحمل نفس المسئولية .. وليس معنى ذلك ان فرق مسرح التليفزيون فوق مستوى الخطأ ، فقد حدثت اخطاء كثيرة ، وانما المهم انها تعمل بتخطيط منهجى يتجه بمسارحنا كلها الى

خلق المسرح الذى نريده لمجتمعنا الجديد ، والذى يستحق ان نطلق عليه « مسرح ٢٣ يوليو » ... وفعلا راينا الفرق التليفزيونية فى فترة لا تزيد على موسمين اثنين تعطى للحقل المسرحى نتائج فى غاية الاهمية ... فعلى الرغم من ان رواياتها متفاوتة المستويات ، فانها تسير فى المجال المسرحى الجديد وتعبر فى مجموعها عن التفكير الفنى الجديد .

فمثلا رواية « **روض الفرج** » عبرت تعبيرا مباشرا عن تغيير التفكير الفنى ، فان احداثها صورت الفنون القديمة التى عاشت فى المسرح القديم،مسرح روض الفرج ، وانتهت الرواية باسدال الستار على هذه الفنون الى الأبد ، لتبدا فنون جديدة فى مسرحنا الجديد القائم على العلم والثقافة ومواضعات المجتمع الجديد .

ان مجتمعنا الجديد يؤمن بالثقافة ، وظهر ذلك فى مسرحنا الجديد سواء فى عرض التراث العالمى والتجارب العالمية الجديدة ، وتشجيع التجارب المحلية ذات القيمة الفنية ، واتاحة فرصة العمل للفنانين والفنيين والمثقفين .

ومجتمعنا الجديد يفسح مجال ممارسة « مرحلة التجربة والخطا » ، وظهر ذلك فى مسرحياتنا الجديدة ، فرأينا فى مسرحية « **ياطالع الشجرة** » تناولا جديدا لمثل شعبى ، وفى (**رحلة خارج السور**) و (**كوبرى الناموس**) و (**البر الغربى**) تناولا جديدا لأحداث وأفكار مضت ولا تزال لها رواسب ، وفى (**حلاق بغداد**) تناولا جديدا لقصص ادبية قديمة، وفى (**ادهم الشرقاوى وشفيقة ومتولى**) تناولا جديدا لأساطير شعبية... روايات كثيرة جدا تعتبر كلها تجارب جديدة ، ليس فقط فى النصوص بل فى الاخراج والأداء والديكور والموسيقى ، ولهذا كان من الطبيعى ان تثير مجادلات ومناقشات حامية .

ان (**الفرافير**) مثلا اثارت مناقشات متواصلة ومتعارضة حول النص وحول الاخراج ، وكذلك (**الأرانب**) ، و (**الطعام لكل فم**) وغيرها .. والظاهرة الرائعة ان المناقشات دارت بحرية ، لأن مجتمعنا الجديد يؤمن بالحرية ، وظهر ذلك فى مسرحنا الجديد ، واصبح من اهم مزاياه حرية التعبير والمناقشة واصبح المسرح حقل تجارب مهما يكن الراى فى مدى مراعاتها للقواعد المسرحية فانها أتاحت ظهور افكار جديدة وتكنيك جديد .

فمثلا رواية (**الزلزال**) قدمت مناقشات ذهنية فى تكنيك جديد .. ورواية (**القنبلة الثالثة**) قدمت تفكيرا جديدا فى مشكلة انسانية ، وتفسيرا جديدا لاحداث وقعت فعلا ورآها المؤلف برؤية جديدة .

من المهم جدا ان معظم هذه الروايات قدمها مؤلفون يكتبون للمسرح لأول مرة ... ولولا ان مجتمعنا الجديد يحقق تكافؤ الفرص لما اتيح لرواياتهم ان تلقى عليها اضواء المسرح ... ان رواية (**عنتر واتجه**) كتبها مؤلفها منذ اكثر من ٢٠ سنة ولكن المجتمع الماضي لم يكن يسمح بحرية التعبير ، ولهذا كان من المستحيل ان يمثلها مسرحنا الماضي... ايضا رواية (**قهوة مصر**) لم يسمح المجتمع الماضي بتمثيلها لأن مؤلفها المرحوم انور المشرى صور فيها بعض مفاسد ذلك المجتمع تصويرا ساخرا ... وانا حينما اذكر عبارة «المجتمع الماضي» اتصد بالطبع الذين كانوا يسيطرون عليه .

اما الآن فقد تغير مجتمعنا ، واصبح مسرحنا صورة فنية للمجتمع الجديد الذى يؤمن بالثقافة والتجربة وحرية الرى وتكافؤ الفرص ، ولهذا ظهرت التجارب الجديدة والمواهب الجديدة ، ولمع نجوم لو ساروا فى الروتين القديم لظلوا خلف الكواليس عشرين سنة مثلا ... ايضا ظهر فى مسرحنا الجديد ارتباط الفن بالشعب ... واذا كانت المسارح لم تعمم بعد فى مختلف انحاء البلاد ، فان المشروعات الجديدة تتجه الى تحقيق ذلك .

هل معنى هذا ان مسرحنا الجديد منزه عن الاخطاء ؟! ابدا ... ان بعض كوميدياتنا اقل من المستوى الفنى ، وبعضها فيه اسفاف .. وظهر شيء من السطحية فى مناقشاتنا الفنية .. وبعض الفرق المسرحية تعمل بلا منهج واضح .. الاخطاء كثيرة ، ولكن المهم ان باب النقد مفتوح بحرية وصراحة ، وان التخطيط الفنى يدعم موسما بعد موسم ، ومن اجل ذلك — مثلا — شكلت لجان متخصصة لمراجعة الانتاج قبل عرضه على المسرح ... وهكذا نجد ان مسرحنا الجديد يواجه اخطاءه ويحاول معالجتها .

ان مسرحنا الجديد حقق نتائج ايجابية ، ولكن من واجب الفنانين جميعا ان يواصلوا التقدم والتطور بالمنهج العلمى ، ليرتفعوا الى مستوى مسئوليتهم عن تدعيم مسرح ٢٣ يوليو .

« عبد الفتاح البارودى »



الثورة والادب

اذا كان الأدب عندنا قد ساهم في التهيئة لثورة ٢٣ يوليو ، فان الثورة قد سبقته في سنيها الاثنتى عشرة ، وخلفته وراءها مبهور الانفاس لا يستطيع اللحاق بها ، وان كان قد تأثر بهـــا في زحفه البطيء .

واول تأثير للثورة في الادب كان عن طـــريق الانفجار في تصوير الماضي ، اى ماقبل الثورة ، وما كان فيه من فساد حـكم ، واستغلال نفوذ ، وسوء توزيع .

انطلق الادب من عقاله ، وشارك في الثورة على الاوضاع القديمة ، وظفرنا باعمال ادبية كبيرة عنيت بتصوير الجو الذى نبتت فيه الثورة ، وبيان حتميتها عن طريق التجسيد الادبى .

من تلك الأعمال « **انا الشعب** » لفريد ابو حديد، و « **الشارع الجديد** » لعبد الحميد جودة السحار ، و «**رد قلبى** » ليوسف السباعى ، و « **شيء في صدرى** » لاحسان عبد القدوس ، و « **المزيفون** » لمحمود تيمور ، و « **الصفقة** » لتوفيق الحكيم .

واذا رجعنا الى كتابات ما قبل الثـــورة بنظرة عابرة راينا اعمالا تشريحية تومىء من بعيد مثـــل قصص **نجيب محفوظ** التى تنتهى بالثلاثية المشهورة ورأينا نقدا صريحا لمهـــازل الاحزاب والانتخاب والصحافة في « **أرض النفاق** » و « **وراء الستار** » وقصص قصيرة كثيرة **ليوسف السباعى** . كما نرى مسرحية رمزية **لعلى باكثير** تشـــبه ما يتذرع به الاستعمار في البقاء بـــ « **مسمار جحا** » وهذا هو اسم المسرحية .

ونعود بعد انتاج ما بعد الثورة وننظر ... ان معظمه لا يزال يتشبث بالماضي والذى كان .. اما الحياة الجديدة الذى بلغت الآن اثنى عشر عاما وما جد فيها .. فلا نجد في الكتابة عنها ذات المستوى الأدبى الا القليـــل ، من هـــذا القليـــل « **نادية** » و « **جفت الدموع** » و « **ليل له آخـــر** » **ليوسف السباعى** ، و « **السماء والخريف** » **لنجيب محفوظ** ، و « **لاشيء يهم** » **لاحسان عبد القدوس ، التى قلت في كلمة سابقة انه خلط فيها عمـــلا صالحا وآخر سيئا واعنى بالسيء الجنس .**

وهنا نقف عند ما بدات به هذه الكلمة من **ان الثورة قد ســـبقت الأدب وخلفته وراءها مبهور الانفاس لا يستطيع اللحاق بها** . وهذه الحقيقة قد سجلتها اللجنة الثقافية بمجلس الامة في تقـــرير قالت فيه :

« وتلاحظ اللجنة انه على الرغم من الجهـــود الكبيرة التى بذلت خلال الاثنى عشر عاما الماضية ، فان التحول الفكرى الذى ينبغى ان يصاحب التحول الاشتراكى ، ويســـبقه ويبشر به ، في حاجة الى مزيد من الجهد ، حتى يسير التحول الفكرى ، جنبـــا الى جنب ، مع التحول المـــادى في مرحلة الانطلاق القادمة » .

ولا شك انه من المفيد ان نبحث عن اسباب هذا التخلف وتنظر في علته ، وهل هو يرجع الى الادباء انفسهم ، او هو راجع الىملابسات وعوامل اخرى ؟

اما الدولة فاعتقد انها يسرتكثيرا مما كان عسيرا وبخاصـة في مجال النشر،سواء عن طريق مؤسسات الكتاب ونشره ، أم عن طريق المجلات الادبية الوفيرة التى انشئت في العلم الماضي ولا تزال تنشأ . كما هيات الصحف الكبيرة ، صحف الشعب ، لكثير من

الأدباء فرص الانتاج الأدبى بتعيينهم فيها محررين وكتابا ادبيين متخصصين .

يضاف الى ذلك الجوائز الادبية المختلفة والمسابقات المتعددة التى ينظمها المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، ومنح التفرغ للأدباء من وزارة الثقافة ولطلاب الدرجات الجامعية من المجلس الأعلى ، وكذلك ما يفعله المجلس من نشر الكتاب الاول والرسالة الجامعية وغيرها ... وكذلك المسارح المتعددة التى انشئت واصبحت مجالا متسعا للتأليف المسرحى .

حقا ان هناك اركانا فى تلك النواحى تحتاج الى عناية اكبر وعمل اجدى ، مثل تفرغ الأدباء فى الوزارة ، ومثل ما يرجى منتنظيم للمجلات ، وهناك ايضا تكاسل النقاد فى الصحف عن تناول الاعمال الادبية بطريقة جدية بعيدة عن مهازل « الشلل » . وهناك كذلك قلة العناية بانتاج الناشئين .

ولكن الذى لا شك فيه ، وبرغم نواحى النقص الماثلة، أن تلك الوسائل والمنشآت التى وفرتهاالدولة للادب فى السنين الاخيرة ، ذات شان كبير فى الحركة الادبية ، وسيكون هذا الشان اكبر فى المستقبل القريب ، فبعض المنشآت لا تزال فى اوائلها وتجاربها الأولى . وهنا مشروعات أخرى فى سبيل الظهور ، مثل المشروعات التى اقرها المجلس الأعلى وستنفذ قريبا ، كبيت الابداع الأدبى والفنى ، ومشروع الكتاب الوصفى للبلاد العربية ، والرحلات الداخلية والخارجية ، وغيرها .

والواقع ان تلك الوسائل المادية ليست كل ما يسرته الثورة للأدب ، **بل هناك امر اخطر .. امر معنوى ، هو انها لم تتدخل فى حرية الأدباء ، بل تركت جميع الازهار تتفتح .**

ولكن مسالة « تفتح جميع الازهار » استغلت من جانب الأدباء على نحو لا يفيد فى التعبير عن حياتنا الجديدة بكل ما تعج به من قيم ومثل والوان جديدة فاننا اذا استثنينا ذلك الانتاج القليل الذى اشرنا اليه ، واذا استثنينا انتاجا آخر لشبان موهوبين نشر بعضه ونلمح بعضه فى المسابقات التى ينظمها نادى القصة والمجلس الأعلى فى اثناء فحصنا للمواد المقدمة ، ونرى فيه — على قلته بين الكثير المقدم الغث — ملامح المجتمع الجديد ونبضه ، معبرا عنها تعبيرا ادبيا ناضجا — اذا استثنينا هذا وذاك فماذا نرى ؟

طاقات ادبية تستهلك فى اشياء عقيمة ..

رجوع الى « ما وراء الطبيعة » بالبحث فى الغيبيات والكليات الفلسفية الميتافيزقية ، مما يجنى على المتعة الأدبية ، ويشغلمكان المضمون الاجتماعى المطلوب . وقد يحقق هذا الانتاج اغراضا عقلية عند منشئيه ، ويجد صدى مماثلا عند بعض النقاد . **ولكن هذا الشعب ، هذه الجماهير التى نريد ان نصنعها ثقافيا ونخلقفيها وجدانا اشتراكيا جديدا .. اين التعبير عنها وعن اهتماماتها ؟**

واستمرار بل امعان عجيب فى التصوير الجنسي الذى يهدف الى الكسب المادى والشهرة على حساب الفن الصحيح والادب القويم ، وقد ضج مجتمعنا الحاضر من هذا السلوك ، واعلن عليه الثورة التى نرجو ان تحقق اغراضها .

ثم هذا « اللامعقول » الذى هو ابعد شيء عن حياتنا واهتماماتنا ، ولا يحقق شيئا مما نهدف اليه غير ارضاء المصابين بعقدة الخواجة ..

ومسرحيات عرضت فى الموسم الماضي ، لا تعبر الا عن « تهجيص » مؤلفيها ، وقد نالت « تهييص » اصدقائهم من الكتاب والنقاد ..

كل ذلك كان استغلالا سيئا لمبدأ **« دع جميع الازهار تتفتح » على اننا اذا تاملنا هذا المبدأ نفسه نجد انه انما يعنى « الازهار » فقط ، وليس ذلك من الازهار فى شيء . ومن حقنا ان نطالب — باسم الشعب — الا تستغل ادوات الشعب فى نشره ، فان معظمه يقدم على مسارح الدولة ، وينشر فى صحف الشعب . ومما يؤسف له ان المروجين لتلك الالوان من الانتاج يتصدرون اماكن قيادية فى مجال الفكر يملكها الشعب ..**

اننى لا اريد ان يقال لمنتجى الآداب المجردة من اهتمام الشعب : دعوا هذا واكتبوا هذا .. فالأدب بطبعه يابى القيد والاملاء .

انما ارمى الى عدم استئثارهم ، هم وانصارهم المطبلون لهم ، بالفرص ، واتاحة الامكانيات لهم كى يعتلوا منابر الشعب ويخاطبوه بغير مايهمه ولا يفهمه ..

ان اهم ما ينبغى للادب ان يهتم به هو النقد ، نقد الحياة ، الذى اعتقد انه الوظيفة الوحيدة للادب .

ونحن فى مرحلتنا الحاضرة احوج ما نكون الى هذا النقد ، نقد مجتمعنا الحاضر بكل مافيه من عيوب ونقائص ، وادعو الى الكف عن تملقه الضار به نفسه .. ومثلنا الدارج يقول : **يا بخت من بكانى وبكى الناس على ، ولا ضحكنى وضحك الناس على »** .

اننا ، حتى الآن ، اشتراكيون على الورق فقط .. اشتراكيون بالقوانين والنظم الثورية والنيات الحسنة العظيمة لقيادتنا الكبرى . اما ادراكنا واخلاقنا فهى دون المستوى الاشتراكى المنشود ، بل بعضها يعمل على اعاقته .

والخطر الكبير ان ذلك ليس مقصورا على عناصر رجعية ظاهرة فهذه امرها اهون ، وانما هو ملحوظ فى عناصر تتكلم باسم الاشتراكية .. اما بدجل ، واما دون فهم . والاشتراكية تقول لهؤلاء : **اللهم اعنى على اصدقائى ، اما اعدائى فانى اتكفل بهم .**

وهناك فئات من الشعب نالت حقوقا ، ولكنها لم تدرك بعد و لم يغرس فيها الخلق الذى يشعر بأن الحقوق تقابلها التزامات ومسئوليات .

كل هذا وغيره يوجد الآن فى مجتمعنا ، ولا اعرف للادب مضمونا ولا اهدافا اجدر به منه .

واكرر القول بانه **يجب الكف عن تملق الشعب ..** انه شعب عظيم ويصنع المعجزات : حسن ، ولكن اليس فيه عيوب ؟ هل بلغ الكمال المطلق ؟ هل اصبح « مدينة فاضلة » او « يوتوبيا » ؟ .

وذلك « **الضرب فى الميت** » واعنى فساد ما قبل الثورة .. اليس هناك غيره ؟ لقد اصبح مطية العاجز ، فمن أيسر الأشياء على اى مؤلف لتمثيلية اذاعية او تليفزيونية ان يحيى احد الأموات .. باشا اقطاعيا ، أو صاحب مصنع ، رأسماليا ، ويوقف امامه فلاحا او عاملا يصرخ فى وجهه ويخطب .. ذلك ايسر عليه من ان يتأمل الحاضر الذى يعج بالمشكلات والصراعات ويستمد منه موضوعا حيا يكلفه عناء التفكير والغوص فى الاعماق ..

وهناك وهم .. وهم كبير .. هو ان نقد المجتمع الحاضر قد يوهم بأن الجهود الاصلاحية الثورية لا تثمر .. وابسط شيء يرد على هذا الوهم هو ماتدعو اليه القيادة من النقد والنقد الذاتى ، بل تلح فيه وتبين ماله من دور كبير فى بناء المجتمع الجديد . على انه مما لا شك فيه ان جهود الاصلاح لا يمكن ان تثمر الا اذا اهتدت واستنارت بالنقد المخلص البناء الذى يوقفها على ما يعترض الطريق .

كشكول

● فوجئنا وفجعنا فى الأسبوع الماضى بنعى **الأستاذ درينى خشبه** .

كان الفقيد زميلا كريما من خريجى مدرسة « **الرسالة** » وقد عاش حياته يكافح بقلمه ، مؤلفا ومترجما ، مع معاناة اعباء الوظيفة وبأسائها . حتى احيل منها الى المعاش . وظل يحمل القلم ويسدى الى بلاده اطيب الثمرات من روحه ومن عرقه ، حتى أسلمه الكدح الى المرض ، واخيرا اسلمه المرض الى الموت .

كان دريني خشبة يقاسي في حياته ما يقاسيه الشرفاء ، وهو راض قانع بما يقنع به الاعفاء ، قرير العين بالكلمة النظيفة الشريفة التي يخطها قلمه .

عزاؤنا عنه ذكراه الطيبة الخالدة .

● « **طه حسين الشاعر الكاتب** » كتاب صدر أخيرا للأستاذ محمد سيد الكيلاني ، تتبع فيه انتاج الأديب الشاب « طه حسين » في ابان نشأته الأدبية ، وأتى له بكثير من القصائد في الاغراض المختلفة ، اذ كان همه الأول قول الشعر ، ومن شعر طه حسين قوله يخاطب الانجليز في قصيدة نشرها سنة ١٩٠٩ :

فيمموا غير وادى النيل وانتجعوا
فليس في مصر للأطماع متسع

كفوا مطامعكم عنا ، أليس لكم
مما جنيتم وما تجنونه شبع

والكتاب يدل على جهد طيب مثمر في الدراسة الأدبية وتتبع النواحي الطريفة الخفية في تاريخنا الحديث .

● ظهرت طائفة من كتب التراث الحديث في مشروع المكتبة العربية ، منها « **عيسى بن هشام** » و « **ليالى سطيح** » و « **يحكى أن** » و « **سخرية الناى** » و « **احسان هانم** » و « **درس مؤلم** » و « **عذراء دنشواى** » .

لم يكتب عنها احد من النقاد ، مع انها جذور ادبنا القصصي الحديث ، ولعل هذا الاهمال لان مؤلفيها غير موجودين فيجاملون ... اقترح على البرنامج الثاني للاذاعة ان يناقشها في برنامج **(مع النقاد)** .

● « منذ ديسمبر سنة ١٩٦٣ حتى اليوم لم اتسلم كتابي الأول عن « **الأدب في حماسة ابي تمام** » الذي قام بطبعه مشكورا المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب وقد قمت بتصحيح « بروفاته » في ذلك الشهر (ديسمبر) . ويرجع سبب التأخير الى ان الأستاذ مفيد جيد — فيما سمعت — قد صمم غلاف الكتاب مستوحيا التصميم من فكرة الحماسة فكانت صورة حصان واقف ، غير انه لوحظ ان راس الحصان ينبغي أن يرتفع قليلا ليدل على الاباء والشمم ، فاستغرقت عملية رفع راس الحصان نحو ثلاثة اشهر ، ثم مضت ثلاثة اخرى ولا ادرى على وجه التحقيق سر تأخير الكتاب علما بأن اصوله سلمت الى المجلس في ديسمبر ١٩٦٢ » .

ماهر محمود البقرى

جراد اول : بجمرك الاسكندرية

ارجو ان يعمل العاملون في انجاز الكتاب على ان يظل راس المجلس الأعلى مرفوعا ، كما حرصوا على رفع راس الحصان ..

● يلومني الأخ **عثمان صبرى** بالاسكندرية ، لانه اهدى الى كتابه « **نحو ابجدية جديدة**» ولم اكتب عنه ولم انوه به ، على حين خصصت خمسة سطور في الكشكول لظهور قصة جنسية لموسي صبرى .. ويقول : « **تهتم مجلة الرسالة (المجلة الاسبوعية للآداب والعلوم والفنون) بتعريف قرائها الأدباء .. (وضع خطا تحت الأدباء) بظهور قصة جنسية وتهمل اهمالا تاما تعريفهم بظهور كتاب أدبى اجتماعي هام . فيالضيعة الأدب !** » .

اولا — لم يصلني الكتاب .

ثانيا — فهم « المؤلف » مما كتب عن نشر قصة جنسية بمجلة صباح الخير اننا نعرف بها ، ولم يلتفت الى المرمى النقدى لما كتب عنها .. **فيا ضيعة جهودنا !**

ثالثا — ارجو أن يكون ادراكه للأمور في كتابه مختلفا عن ادراك ما كتب عن تلك القصة .

« عباس خضر »

حول الأدب في إسبوع

يقدمه : عبده بدوى

الثورة .. والادب

لا زلت أذكر هذه الجلسة التى قدر لها أن تناقش التزام الفنان بمخططات الدولة ، أو تركه حرا ينفذ مايريد .. فى جلسة من جلسات التفرغ ، وقد كان الاعضاء حريصين على أن يقولوا كلمتهم الحاسمة فى هذه الجلسة التى كان يشهدها **العقاد ، وطه حسين ، ومحمد عوض محمد ، وزكى نجيب محمود ، وعبد الفتاح رزق ، وعلى الراعى ، ومحمد فتحى** .

ثم كانت عملية الالتفاف الكبير حول حرية الفنان حرية مطلقة ، وان كانت الجلسة لم تخل من يرتفع به صاحبه يصبح جماعيا ، وأن المحلية التشكيلية .

وقد ذكر الأعضاء فى هذه الجلسة أنه لا تعارض بين الفردية والجماعيه ، وأن الذوق الفردى حين يرتفع به صاحبه يصبح جماعيا ، وان المحلية لا تتنافى مع العالمية

وذكر أن الفن القومى يجب أن يكون تلقائيا بدون تعمد ، وان كل مغامرة جديدة لابد أن يكون لها أساس .. لابد ان تنطلق من قاعدة مقررة ، صحيح أن « كولومبس » غير اتجاهه ــ فى عالم الاكتشافات الجغرافية فى نهاية الامر ، ولكن ماقام به فى اول الامر كان على اساس مقنن وواضح وذكر أيضا أن كل فن بعد التحليل له أساس فردى ، ولكن يجب أن يرتكز ــ فى تقديمه ــ على أساس جماعى ، وأن الصراعات الفنية الموجودة اليوم لم يخل منها القديم أبدا ، ثم كان أن ضرب احدهم مثلا للسريالية القديمة بأبى الهول .

كما ان أكثر الأعضاء قد اتفقوا على أن بعض الاتجاهات الحديثة السائدة ليست اصيلة ، ولن يقدر لها الاستمرار ، وانه حين « **تخف الحضارة** » يكثر هذا اللون الذى لا يتعمق التجارب والقضايا .

وهكذا انتهت اللجنة الى قرار حاسم يقضى باعطاء الفنان حرية مطلقة ، وان الرقابة عليه يجب أن تكون من نفسه لا من الدولة !

وقد كنت من السعداء وانا أتلقى هذا القرار الأخير من اللجنة ، وان كانوا قد حرصوا على أن يتعرفوا موقف الدولة من هذا القرار ، ثم كانت الاجابة من المسئولين بأن للقرار الذى اتخذته اللجنة احترامه ، وأن الدولة لن تفرض على الفنان اتجاها معينا .

وفى ضوء هذا رأينا الادب المعاصر ــ فى ظل الثورة ــ يتنفس فى جو صحى ، فقد أخذ يرفض بعض الاشكال القديمة ، ويقوم بسلسلة من التجارب على كافة الأشكال التى يمارسها ، وهو فى أثناء ذلك قد يبالغ فى هذه الحرية ، ولكنه يحس فى الوقت نفسه أن الدولة لا تضغط عليه ، ولا تشده شدا الى مالا يحس به .

ومن هنا رأينا « قصيدة النثر » فى الشعر ، واللامعقول فى المسرح ، والتجريدية والسريالية فى الفن التشكيلى ، ورأينا تجاوزا عن القوانين الراسخة فى القصة والرواية .. ومع كل هذا فان أحدا لا يستطيع أن يرفض أن التعرف على الاشكال الحديثة مما يثرى الادب والفن .

بل ان الذى لاحظناه ان الاشكال « الراسخة » قد استفادت من هذه الموجات الغاضبة ، فالشعر التقليدى قد وصل عند بعض الشعراء الى حد الهمس ، وعمق رموزه ، واقتحم عوالم جديدة فى النفس وفى خارجها ، بحيث أصبح حديثا مصورا منغوما مع الشاعر ونفسه ، والشاعر ومجتمعه ..

والمسرح الملتزم بالقوانين أصبح يقتبس تداخل الحوار ، وكسر الايهام ، والتجول بين المشاهدين ، واضفاء وظيفة جديدة على الكورس .. والفن التشكيلي قد اكتسب نوعا من المرونة والحيوية والايحاء لم تكن لديه من قبل .

ولعل مايتصل بهذا ان هذه « الحرية » قد لمست جوهر الفن نفسه ، وأخذت تتعامل معه ، بمعنى أن الآداب والفنون قد كسرت الحواجز التى كانت تقف بين بعضها بعضا ، فاذا كان الشاعر مثلا فى القديم لا يتعامل الا مع مناخه الشعرى الخاص ، فانا نراه اليوم يقتبس من العمارة ، والنحت ، والرسم ، والموسيقى ، والسينما والمسرح .. بحيث يمكن أمام بعض الشعر أن تجد هذا كله ، أو شيئا من هذا كله ، فهو قد يعطيك عملية الرسوخ فى القصيدة ، وقد يجاهد فى ان يحدد لك الصورة الشعرية حتى تصبح كالتمثال ، أو يلفها بالرمز والشفافية والتداخل بحيث لا تقل أثرا عن اللوحة المعاصرة ، أو يجعلها سيمفونية عميقة لها « تيمة » وتفريعات ، وتقابل وتعارض ، أو يجعلها « كادرات » مكثفة وسريعة ، وقد يجعلها عرضا قصصيا بسيطا ، أو لحظة درامية متوترة .

والمطلوب فى ضوء هذه العجالة ، الا يقدم الشاعر شيئا من هذا ، وانما يقدم « كل هذا » بمعنى ان يعطى كل فن فى حدود « تكنيكه » اللحظة الفنية الرائعة ، التى تحفل بها دائما لحظة الالتصاق بجوهر التجربة الثرية فى الفن .. ومن هنا يستطيع الانسان أن يقول انه « عاش مع الفن » لا مع عنصر من عناصر الفن !

ولعل مما يساعد على هذا أن الفنان ـ فى ظل الثورة ـ قد أصبح يصدر عن نظرية انسانية شاملة ، ويخرج بتجارب جديدة لم يكن يتسع لها الشكل المتوارث .. فكانت عملية ولادة الاشكال الجديدة الى جانب الاشكال القديمة ، وكانت لحظات العمق التى تعصم الفنان من التعلق « بشواشى » التجربة ، وكانت أخيرا عمليات تقارب الفنان من الشعب ، ومن القضايا الكبيرة التى تلف العالم بين الحين والآخر ونحن حين نرى عملية الصراع بين القديم والجديد ، أو عملية « التوفيق » بينهما لا نشك انه ـ بعد الخروج من المعركة ـ يصبح كل منهما كما كان فى أول الأمر قديما وجديدا ، لان الذى يحدث دائما ، أن القديم يستفيد من الصراع فيطور نفسه ، والجديد يستفيد من القديم فيقنن وجوده ، ويجعل له مبررات لا يمكن للحياة أن تغفلها .

ولعل مما يساعد على هذا ان الثورة قد « رممت » نفسية الأديب ، وجعلته يتعامل مع النقاء والخصب والاستشراف ، كما جعلته ينتقل من « الثبات » الى « الحركة » ، ومن الحدود المحلية الصغيرة الى الحدود الانسانية الكبيرة .

فالأديب يكتب اليوم وفى قلمه حاسة البناء . وفى نفسه كل ما هو قيم وشريف .. وهذه هى « النغمة الأصيلة » السائدة فى العمل الفنى اليوم صحيح ان هذه الحرية قد جعلت البعض « يخرب » فى بعض القيم التى لا يشك أحد فى ذكائها ، والتى تعتبر من مقومات العروبة ، أو يقف بحماسة متعمدة عند فترة من فترات بلد عربى وكان هذا البلد ليس « كلا » وانما اجزاء ينفصل بعضها عن بعض وفقا للهوى والغرض ، أو يكتب فى مصر بقلم ويكتب فى لبنان بقلم ، أو يزيف ، أو يدس .. ولكن كل هذه « الاعداد الصغيرة » تنحسر وتنكشف وتضع عليها كل عين « شارة » .. ولكن الذى لاشك فيه أن الحرية التى أعطتها الثورة للأديب والفنان كانت مباركة ، وكانت من ثمارها مانشاهده اليوم ، بل ما لانكاد نشاهده ـ لغزارته ـ فى كافة مجالاتنا الأدبية والفنية !

لغة لافريقية

يمكن القول بأن افريقية قد استعصت على الحضارات الخارجة عنها ، فاذا كانت الحضارة الفرعونية لايزال لها أثر الى الآن فى أكثر من بلد افريقى ، بالرغم من أن هذا الأثر قد اندثر بعضه عندنا .. فان مما لاشك فيه أن خطوات الحضارة الفارسية قد توقفت عندهم ، وأن الحضارة الرومانية فى عهد الامبراطورية الرومانية الكبرى ، ووريثتها الامبراطورية الرومانية الشرقية .. لم يتجاوزا عدة قطاعات من الشمال الافريقى ، وأن تأثير هذه

الحضارة كان قشريا لأن رجالها كانوا يفصلون بين أنفسهم وبين البلاد التى يضعون أيديهم عليها .

أما الحضارة التى نفذت الى القارة ، ومدت جذورها الى أكثر من مكان فى شرقهـا ، فقد كانت القوى العربية قبل الاسلام .

ثم حين قدم الاسلام وجدناه يحاصرها من الشرق والغرب والشمال ، ويكون له مايذكر بالهلال حين نحدق فى خريطة لافريقية على حـد تعبير « هوبير ديشان » ، ويكفى للتدليل على خطورة هذا الدور انه قام فى الماضى جنوب الصحراء الكبرى عشر دول اسلامية هى : غانا ، وصوصو ، ومالى ، وصنغاى ، واليوروبا ، وبرنو ، والمرصة ، وكانم ، وموسى ، وبمبارا .

وقد كان من الطبيعى لهـذا أن نجد ان **اللغة العربية** ، هى أقدم اللغات المعاصرة **فى القارة** ، وأى متجول فى افريقية الآن يستطيع أن يسمعها آيات من القرآن ، وأحاديث من الرسول ، ولغة نقية ، أو متداخلة على بعض اللغـات الأخرى فى غـانا ، والسـنغال ، ومـالى ، وبورندى ، والكمرون ، وجمهورية افريقية الوسطى ، والكونغو ، وداهومى ، وجابون ، وغينيا ، وكينيا ، وليبيريا ، وتنجانا ، وكينيا ، والصومال ، واوغنده ، ونيجيريا ، وجنوب السودان ... الخ .

فاذا تركنا اللغة العربية ، باعتبارها أقدم اللغات هناك ، وجدنا ان اللغـات الكبيرة بهـا تتمثل فى **السواحلية ، والهوسة ، والرطانة** ، ولعله ليس من الغريب أن يقول اللغويون على السواحلية أنها بنت العربية ، وان الهوسة ، بنت أختها ، وان الرطانة - فى جنوب السودان مثـلا - تمت اليها بصلة ، ذلك لأنها وراء هذه اللغات بتراكيبها ، والفاظها ، واشتقاقها .

وما نريد أن نصـل اليه هو أن افريقيـة الآن « **بغير لغة** » وان هذا ما جعل كوامى نكروما فى أول عهد بلاده بالاستقلال يؤكد فى البرلمان أنه يأسف لأنه يخطب بالانجليزية ، وانه فى انتظـار اليوم الذى تختار فيه القارة لغة من اللغات التى تعيش فيها ، وان اكثر من شاعر صرخ - فى غرب افريقيـة - بأن بلاده تتمزق فى كلمات فرنسا الباردة .

والحقيقة تؤكد انه لا توجد لغة تصلح لافريقية مثل صلاحية اللغة العربية ، فهى من أقدم اللغات بها ، ويتكلم بهـا الشـمال ، وتكثر فى الشرق ، وتتناثر فى الغرب والجنوب والوسط .. ولا يمكن أن تنافسها لغة افريقية فى هذا .

فاذا أضفنا الى هذا أن تاريخ ما قبل الاستعمار لافريقية لايوجد الا فى اللغة العربية ، وانه الوثيقة الوحيدة لكل من يكتب عنها .. أدركنا أن اللغة العربية فى حاجة الى الافريقيين ، وأن الافريقيين فى حاجة اليها .

فما من أحد يستطيع معرفة ماضى القارة الا من خـلال ماكتبه الاصطخرى ، ومحمـد الأندلسى ، والبكرى ، والمسـعودى ، وابن حـوقل ، وابن سعيد ، وابن فاطمة ، والعمرى ، وابن بطوطة ، وابن خلدون ، والحيمى ، وجلال الدين السيوطى ، والتونسى ، وابن خرداذبة ، والشريف الادريسى .. .. الخ .

ان مما لا شك فيه ان موضوع « **لغة لافريقية** » يشغل الكثيرين من السياسيين والمفكرين فى افريقية ، ذلك لأنه لابد أن يأتى اليوم الذى يطـالبون فيه بلغة من داخل القارة تكون قد مرت على السنة الكثير منهم ، وتكون قد « **تأفرقت** » فى بعض الأحيان ، وتكون محتفظة بشىء من تاريخهم القديم .. ومايدعو الى الطمأنينة أن الشروط المطلوبة فى اللغة التى يراد أن تكون لغة القارة ، وان السوابق التاريخية فى مثل لحظات الاختيار هذه ، لن يكون السبق فيها الا للغة العربية .. ولعل الذين لا يجدون حجة حاسـمة للغة العربية غير ان يظـل العالم العربى مفهوما لدى بعضه البعض ، يجدون فى هذا حجة للغة العربية ، لأننا نرجو ان نكون كذلك مفهومين فى القارة الافريقية !

« **عبده بدوى** »

الكتب
نقد وتعريف
يقدمه محسن عبد الحي



المفهوم الاستراتيجى للثورة
تاليف : عبد الرحمن ابو الخير

يحتفل شعبنا اليوم بالذكرى الثانية عشرة لقيام ثورة ٢٣ يوليو المجيدة .. وعندما تحتفل جماهيرنا بذكرى قيام الثورة تعلم تماما ان هذا الاحتفـــال ـ كما هى العادة دائما ـ لايكون فى صورة الافراح والزينات والاستعراض العسكرى السنوى لقواتنا المسلحة فحسب ، بل هـــو ايضا عيد الالتقـاء المباشر بين القيادة الثورية التى يمثلهـــا الرئيس جمال عبد الناصر والجماهير التى منحته ثقتهـــا ومسئولية قيادتها فى نضالها اليومى المستمر نحو التقدم والبناء .. ولقد تعودت جماهـيرنا ان تلتقى بقائدها عن طريق الحديث العلنى المباشر الذى يطرح فيه القائد على الجماهير ما يسمى بأسرار الحكم قبل وخلال وبعد كل معركة أو ازمة او حدث كبير . ولقد أصبح هذا اللقاء على مسمع من العالم كله ـ أحد قوانين ثورة يوليو التى استنها قائد الثورة ـ وهو قانون يقضي باذاعة أسرار معارك التحرير ومعارك الوحدة ومعارك التحول الاشتراكى ـ ولقد كان العام المنصرم عاما حافلا بالاحداث الهامة المؤثرة فهناك معارك التحرير التى مازال يخوضهـا ابناء شعبنا فى الجنوب العربى تلك المعارك الدامية التى هزت الضمير العربى والعالمى .. وهنـــاك معارك الوحدة العربية الشاملة امل شعبنا من المحيط الى الخليج .. ولقد تميز هذا العام ايضا باللقاء الحى المتفاعل بين ثورة شعبنا فى العراق واليمن بقاعدته فى الجمهورية العربية المتحدة ـ فى الوقت الذى وضعت فيه الأسس المتينة لالتقاء الجبهات الثورية فى وطننا الكبير على صعيد العمل القومى بصورة تساعد على ايجـاد الوحدة والتماثل فى أســاليب العمل والنضال من اجل مســتقبل وحدوى تقدمى افضل لجماهيرنا .

ان تنظيم الاتحاد الاشتراكى العربى فى العراق وما صحب هـــذا التنظيم من قوانين وقرارات اشتراكية ـ وكذلك التقاء الاتحاد الاشتراكى العربى فى الجمهورية العربية المتحـدة مع جبهة التحرير الوطنية الجزائرية ـ كل هـذه الخطوات تؤكد ان القومية العربية اليوم بعد ان تطورت ليست اطارا سياسيا يجمع بين مجمـوعة من الناس فى مجتمع واحد فحسب ، وانما هى نظرة شاملة لحياة الانسان فى مجتمع طبيعى منسجم ومتفاعل .

ولقد توجت ثورة ٢٣ يوليو العربية اعمالها هذا العام بالاسهام فى انعقاد مؤتمر القمة الافريقى الثانى فى القاهرة ـ وفى مبنى الجامعة العربية ـ لتؤكد ماقاله الرئيس جمال عبد الناصر فى مؤتـمر القمة الافريقى الأول الذى عقد فى اديس ابابا ـ عندما قال فى خطابه :

« ان الجمهورية العربية المتحدة اتت الى هنـا بقلب مفتوح ، وعقل مفتوح وتقدير للمسئولية فهم بالنية الصادقة ـ وهى مستعدة أن تتحمل الى كل الحدود مسئولياتها التاريخية تجاه قارتنا . »

واذا اضفنا الى ذلك الصور المتعددة لمشـاركة الجمهورية العربية المتحدة الفعالة ومســاندتها للحرية فى كل مكان من العالم نستطيع أن نرى أن ثورتنا العربية ـ ليست ثورة ذاتية ومغلقة ومنعزلة ضمن حدودها الجغرافية ـ ولكنها ثورة ممتدة الى خارج تلك الحدود نحو آفاق الانسانية الرحبة ..

وثورة ٢٣ يوليو بواقعها التقدمى ونظرتها الشاملة نحو مستقبل افضل للعرب وللانسانية جمعاء تؤمن بالتضامن والمشاركة الموضوعية بين النضال العربى الذى تمثله ـ ونضال الشعوب فى كل مكان وبخاصة

فى افريقيا وكما قال الرئيس جمال عبد الناصر تأكيدا للحقيقة الطبيعية التى تجعل ستة من شعوب الأمة العربية — بالحق وبالعمل وبالمصير المشترك — جزءا لا يتجزأ من القارة الافريقية العظيمة .

وقد استطاع الرئيس سيكوتورى أن يوضح دور حصر الثورة فى مجال العمل العربى الافريقى المشترك حين قال فى خطابه فى المؤتمر ..

«وسوف تعمل القاهرة على خلق افق اوسع للتفاهم بين العالم الافريقى والعالم العربى ، اذ ان مصر تعتبر خير حلقة اتصال بين هذين المجتمعين اللذين يصدمان بصعوبات خلقها الاستعمار وولدتها الامبريالية ..

ان هذا التشابك فى المصالح سيكون الاساس الذى يقوم عليه العمل المشترك الذى يستهدف مستقبلا افضل للانسانية » .

وهكذا سيكون لقاء هذا العام بين الرئيس القائد والشعب العربى — لقاء عظيما ورائعا مدعما بالمنجزات الكبيرة والمتعددة فى مختلف الميادين والجبهات القومية والعالمية ...

ولا شك أن ثورة ٢٣ يوليو العربية بحيويتها وقدرتها ومنجزاتها وارتباطاتها الاقليمية والقومية والعالمية مازالت فى حاجة ماسة الى مزيد من النضال والعمل المستمر من جانب مرتكزاتها النضالية الممثلة فى القطاعات المختلفة لجماهير شعبنا .

وكتاب اليوم — كتاب يتحدث عن المفهوم الاستراتيجى للثورة — وعلى الرغم من اننى اومن بأن مجتمعنا يحتاج فى هذه الفترة الى مزيد من الاعمال الفكرية التى تتميز بالصدق والموضوعية لتجسيد وبلورة الخطوط العامة للمنجزات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية للثورة — فاننى اقدم هذا الكتاب ليس لانه — فى محتوياته واسلوبه ومنهجه — هو الذى نريد ولكن لانه احد النماذج العديدة من الكتب التى قدمت وما زالت تقدم عن ثورتنا ؛ وليس بها اية اضافة جديدة سوى الاجترار المستمر لأحداث مضت وتسجيل مبتور لأشياء نعيشها ..

فالكتاب يحدد الهيكل الطبقى لمجتمع ما قبل الثورة على اساس ثلاث فئات هى .. الطبقة الاقطاعية والطبقة الوسطى المنقسمة على نفسها حزبيا ثم الطبقة الدنيا « طبقة العمال والفلاحين » فيقول الكتاب .. ص ٢٤ .

وهكذا كان هيكل المجتمع الطبقى قائما على طبقاته الثلاث ولكل منها قيمة اجتماعية ، تنطبع على جبين الفرد المنتمى الى الطبقة كعلامة مسجلة ، هذا فلاح ، وذاك عامل ، وذاك وجيه وهذا باشا وابن ذوات .. الخ ..

وبعد قيام الثورة الغيت الالقاب — ثم صدرت قوانين يوليو الاشتراكية سنة ١٩٦١ تهدمت الهيكل الطبقى القديم واقامت بناء اجتماعيا جديدا مؤسسا على الحرية والمساواة والعدل وثورتنا ثورة صاحبة رسالة اجتماعية ، قد شهدنا واقعها التطبيقى ، فى ذلك الهيكل الانسانى للمجتمع الذى تبنيه الثورة على ارض الشعب العربى فى مصر . وهنا تكمن استراتيجية الثورة . هدم الهيكل الطبقى اللاانسانى الذى ساد المجتمع مئات السنين ، واقامة مجتمع جديد مؤسس على هيكل اجتماعى ، انسانى فى خصائصه وسماته التى تنعكس على مظاهر الحياة فى المجتمع وعلاقات الافراد ومستويات معيشتهم .

ان استراتيجية الثورة فى الحقل الاجتماعى تكمن فى هذا التأثير الناجح فى المجتمع ، فى اقامة مجتمع الاشتراكية الانسانية على انقاض مجتمع الطبقات الاقطاعية والراسمالية وهذا هو ثمرة التفاعل الثورى مع البيئة المحلية ذلك التفاعل الناجح الذى غير معالم هذه البيئة المحلية ، تغييرا تاما ... وفى مجال دور ثورة ٢٣ يوليو فى العلاقات العربية يقول الكتاب ..

« لقد جابهت الثورة اوضاعا فى الأمة العربية ليست هى المسئولة عن وجودها بقدر ما هى مسئولة عن تحطيمها ، لقد ورثت الثورة فى الامة العربية من هذه الاوضاع .. التخلف السياسى — والاستعمار — وضياع الشخصية الدولية للأمة العربية — وكذلك التخلف الاقتصادى — ومشكلة فلسطين والضعف العسكرى — والتخلف الثقافى والفكرى ..

وانا اعتقد هنا ان المؤلف قد جانبه الصواب كثيرا فى استعمال تعبير — ورثت الثورة كذا .. وكذا .. فى الوطن العربى .. لان المجال هنا ليس مجال تملك — يورث باى شكل من الاشكال .. فثورة ٢٣ يوليو العربية — قامت على اساس مبادىء واضحة تلك المبادىء التى ساعدت على تنشيط ودفع الحركات النضالية فى الوطن العربى الى مواجهة الواقع المجزأ للوطن — والى مجابهة الاستعمار ومؤامراته والى تحرير أجزاء كثيرة من وطننا — وثورتنا عندما فعلت ذلك ليس لانها تؤمن عن طريق الوراثة بذلك .. ولكن لانها تؤمن بان وحدة النضال والمصير المشترك لجماهير الشعب العربى وحدة — واحدة — وبخاصة ان العدو الذى يواجهنا جميعا

هو عدو واحد .. وعندما قامت ثورتنا بتأميم القنال ودخلت معارك الاستقلال فى عام ١٩٥٦ — كان الشعب العربى فى كل مكان يكافح ويناضل فى جميع مجالاته وأوطانه لنصرة شعبنا فى مصر — وفى هذا الوقت احس الاستعماريون اننا لسنا وحدنا فى المعركة ولكن لنا اخوة حطموا انابيب البترول وآخرون هددوا بنسف منابع البترول ذاتها .. الخ .. الخ.. فاذا كنا هنا نساعد جماهير شعبنا فى نضالها المستمر من اجل الاستقلال وبناء حياة افضل للأمة العربية — فاننا بهذا النضال وهذه المساعدات انما نناضل من اجل انفسنا ايضا .. وعلى الرغم من ان ذكر نحن وهم — تحمل فى طياتها نزعات اقليمية واضحة — فاننا اضطررنا الى ذلك هنا لتوضيح بعض النقاط الهامة .. وهى انه قد اصبح من الضرورى بمكان ان تتلاشى هذه النزعات الاقليمية الضيقة وان يبدا مفكرونا وكتابنا فى النظر بعين الاهتمام الى اننا رغم اوضاعنا المجزاة فى وطننا الكبير اصبحنا — شعبا واحدا فى تطلعاته واهدافه وآماله وخاصة ان الوحدة الدستورية لم تعد هى المظهر الوحيد للوحدة العربية الشاملة .

ولقد كان المؤلف اقرب كثيرا الى الصواب عندما ذكر فى صفحة ٥٢ مايلى ..

« ولقد انتصرت الثورة لقضية الحرية فى العالم العربى بحكم رسالتها القومية واستراتيجيتها فى بيئتها القومية — وكان من نتائج ذلك أن تحررت البلاد العربية من الاستعمار البريطانى والفرنسى.. ويقول كذلك ...

لقد ضحت الثورة فى سبيل تحرير البلاد العربية بكل ما تملك ، لاجودا منها ولكن تضحية فى سبيل الرسالة والمبدا — الحرية والقومية العربية — وما زالت الثورة تعمل على تحرير امارات الخليج العربى ، وجنوب شبه الجزيرة العربية الذى مازال الاستعمار البريطانى جاثما هنك .. قابضا على تلك الارض العربية ، فى انتظار ساعة تصفيته ، فلقد غرب عصر الاستعمار لا فى البلاد العربية فحسب ، بل فى العالم اجمع ، وانحسر الاستعمار عن البلاد العربية بفعل الثورة ، صاحبة الوعى الشعبى وصاحبة رسالة الحرية .

وبالرغم من بعض الفجوات التى جاءت فى هذا الكتاب الا اننا لانستطيع ان نغفل بعض ماجاء فيه.. على ان الموضوع مازال فى حاجة ماسة الى دراسة مستفيضة تبعدنا عن جو الاطراء والمديح الذى لايفيد قضايا امتنا بقدر ما يسبب الضرر لها ..

اننا حملة رسالة الى العالم — هى رسالة الحرية والعدالة ولقد وصلت ارتباطاتنا القومية والعالمية الى مستوى يؤهلنا لان يكون لنا رأينا الواضح فى المشكلات التى تواجه عالم اليوم ..

ان مفكرينا اليوم مطالبون اكثر من اى وقت مضى بان يقدموا المبررات الحقيقية لوجودهم واقلامهم فى ايديهم عاجزة عن ان تبرز الكثير من نواحى تقدمنا — بصورة موضوعية بعيدة عن المديح والاطراء — ..

وعلى كل فان التفاؤل والامل فى المستقبل يجعلنا نؤمن بأن القوميين الحقيقيين والاشتراكيين الحقيقيين سوف يكون فى استطاعتهم ان يجدوا مكانهم الحقيقى بعيدا عن مظاهر التعفن الفكرى والتفسخ الطبقى الذى يستشرى بين معظم كتاب ومفكرى اليوم .. وسيكون دائما البقاء للاصلح

ونحن هنا اذ نحيى عيد ثورتنا العربية الكبرى نؤكد ايماننا بوحدة نضال جماهير شعبنا صانعة الحياة والمستقبل وصانعة وحدتها الشاملة ..

عاشت ثورتنا العربية الكبرى فى سبيل الاشتراكية والوحدة والحرية .

وعاشت امتنا العربية الواحدة

« تحسين عبد الحى »



البريد الأدبي

شروق لا يعقبه غروب

بقلم عيسى متولى

كلما أقبل شهر ربيع الاول، أقبلت معه الذكريات العزيزة الحبيبة ، وتضمخت الاكوان بعبيرها الزكى ، ونسماتها العطرة ، ففى مطلع الثلث الثانى من هذا الشهر الكريم ولد أشرف خلق الله ، وأحبهم اليه ، واكرمهم عنده ...

لقد عاشت الجزيرة العربية أحقابا طويلة فى ظلام دامس موحش ...

قوم يعكفون على أصنام لهم ، يتوسلون اليها أن تجيب دعاءهم ، وتشفى مرضاهم ، وتبارك خطاهم .. يقربون اليهـا القرابين ، ويخرون أمامهـا للأذقان سجدا ، بكرة وعشيا ! ..

وكيف يجيب الحجر الأبكم .. مهما علا النداء ، وطال التضرع والدعاء ؟! ..

وكيف يسمع الصنم الأصم .. وهل يسمعهم اذ يدعون ، وهو لا يملك لهم ضرا ولا نفعا ! ..

فى محيط هذه المعتقدات الباطلة ، عاشت الجزيرة العربية تلك الاحقاب البعيدة ، تتخبط فى ظلمـات بعضهـا فوق بعض ، وقد ران الشرك على القلوب ، فأعماها ، وحجب عنها اضواء الحقيقة ...

وأراد الله بالبشرية خيرا ، فبعث نبيه الهـادى الامين يحمـل مشـاعل الهـداية والتوحيد ، ليقيل البشرية من عثرتهـا ، ويأخذ بيدها ليخرجها من الظلمات الى النور ...

وتحققت رؤيا « آمنة » سيدة الامهات ، اذ رأت قبل مولده قمرا يصعد من جوفها ..

اى قمر هذا الذى بعثه الله رحمة للعالمين ، ليحيل الظلمة نورا ، والضلال هدى ؟ ..

انه « محمد بن عبد الله » .. اليتيم .. الامى .. الفقير .. خرج أبوه من الدنيـا قبل أن يخرج هو اليها ، فرعته السماء ! ..

لقد رأته أمه فى منامهـا قمرا ، ولكنه كان أعظم من ذلك ، فقد وصفه ربه بالسراج المنير ... وهو نفس الوصف الذى وصف الله به « الشمس » .. مصدر الحياة ، والنمو ، والنور !! ..

ولنقف لحظـة صمت ، خاشـعين ، أمام الآيات البينات ، ولندع لها الحديث :

« يا أيهـا النبى انا ارسلنـاك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه **وسراجا** منيرا » ...

« ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا ، وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس **سراجا** » ...

« تبـارك الذى جعل فى السماء بروجا ، وجعل فيها **سراجا** وقمرا منيرا » ...

« وبنينا فوقكم سبعا شدادا ، وجعلنـا **سراجا** وهاجا » ...

نفس الوصف الذى أطلقـه التنزيل المجيد على « الشمس » أطلقه على «محمد» .. الشمس التى لن تغرب ! .

ولم يبالغ « شوقى » فى مديحه ، حين قال :

ولد الهدى فالكائنات ضياء
وفم الزمان تبسم وثناء

سيدى يا رسول الله ..

نفحة من نفحاتك، الطيبات، الزكيات، العاطرات، نستلهمها ونحن نمجد يوم ميلادك الكريم ، تضيىء أمامنا السبيل ، وتهدينا سواء الصراط ...

نفحة من نفحاتك ، تهدى من ضل ، وتزيد من اهتدى هدى ...

تعلم من جهل ، وتزكى من علم ...
تقوى من وهن ، وتزيد أخا القوة بأسا ...
تذكر من نسى ، وتزيد الذاكر ذكرا ...
تدنى من بعد ، وتقرب من دنا ...
تسعد من شقى ، وتضاعف سعادة من سعد ...
تعطى من حرم ، وتجزل العطاء لمن أعطى ...
تصل من قطع ، وتدنى من وصل ...
سيدى أبا القاسم ...

لقد سعدت بزيارة روضتك الفيحاء أياما تفضل العمر ... وعشت فى رحابك ساعات وساعات تولى الدمع فيها عن القلب الحديث ...

وكل ما أبتغيه ، سيدى يا رسول الله ، أن أسعد بلقاء قريب ، قبل أن تطرى صفحة العمر !! ...

من وحى المولد النبوى

للشاعر : عبد البارى ابو العينين

مقامك أعلى فى النفوس وأرفع
وحبك أسمى فى القلوب وأوقع

لذكراك فى نفسى انتعاش ونشوة
فذكراك أجدى للشباب وانفع

وخير ادكار للشباب وعبرة
شعاع به كل الدجى يتقشع

شعاع به سار الشباب وقائد
أعز من الحصن الحصين وامنع

ملائكة الرحمن من بعض جنده
ولكنه من ضيغم الغاب اشجع

ينابيعه بالمعجزات تفجرت
وآياته من وجنة الشمس اسطع

الا يا رسول الله انا على الهوى
وباسمك للتحرير والمجد نهرع

اقمت على التحرير جيشا موحدا
وشعبا الى امجاده يتطلع

الا يا رسول الله قومك ما رعوا
زمامك بل فاتوا هداك وودعوا

حنانيك ياطه ترفق بأمة
رأت فيك محياها فجاءتك تفرع

فانت لها النبراس فى حالك الدجى
وأنت حبيب الله أنت المشفع

ويا مصطفى قد طبت حيا وميتا
وفى روضة التاريخ روضك اينع

وعفوا اذا كان البيان مقصرا
فلولاك ماكان المغرد يسجع

فى أعقاب عيد ميلاد العقاد

بقلم : أحمد محمد المطيرى

احتلفت الأوساط الأدبية فىالعالم العربى ببلوغ خمس وسبعين عاما على ميلاد فقيد الفكر العربى الأستاذ العقاد ولهذا أصدرت دار المعارف فى سلسلة « اقرأ » كتابا هو فى مضمونه تأريخا لحياة العقاد وان تواضع مؤلفه الدكتور شوقى ضيف وسماه « مع العقاد » وكذلك أصدرت « دار الهلال » كتابها الشهرى بعنوان « أنا » وهى بحوث قيمة كتبها العقاد عن نفسه وقدم لهذا الكتاب الأستاذ طاهر الطناحى . هذا وتذخر الصحف والمجلات العربية ببحوث ضافية كلها عنأثر الفقيد فى حياتنا الفكرية ، ولو قدر للفقيد أن يعيش حتى يكمل هذه الحلقة من عمره الحافل الذى بلغ ثلاثة أرباع قرن لكان منار أسئلة وأحاديث بين الأدباء والمتأدبين وبين الفقيد . واذا كانت الأقدار قد حرمتنا من هذهالمتعة الفكرية فان هذا لا يمنعنا أن ننقب فى تراث الفقيد فنراه كيف كان يستقبل أعياد ميلاده ان هناك قصيدة رائعة استقبل بها أحد أعياده وفيها يقول :

يوم ميلادى تقدم
وتأخر .. وتكلم

لا تقل لي قبل عام
كيف كنا .. ؟ انا أعلم

لا تقل لي بعد عمري
كيف نمسي لست تعلم

غاية الأمــر اظانيـ
ـن ، وبعض الظن يأثم

ســــوف نمسي مثـل ماكـ
ـنا ، ولم نولد ونطعم

نظم المـوت اذا قلـ
ـت ، ظلام ليس يرحم

نحن لا بالمـوت اعطيـ
ـنــا ، ولا بالمـوت نحـــرم

من بعـــد يوم كمـــا كا
ن فقـــد تم وتمتم

صفقة الاعمــار فيهـــا
قلة الخسران مغنم

رحم الله العقـــاد فقد كان عيد ميلاده مضمارا يتبارى فيه تلاميذه فترى سباق القرائح الذي كان يثري حياتنا الأدبية وعلى سـبيل المثال أذكر ان الشاعر محمود عماد قد هنأه بقصيدة عندما بلغ السبعين وفيها يقول :

ســـموه عقـــادا
ولم اشهد عليه ماتعقد

سبعين عاما عمـره
في راى من احصى وعدد

وبراى من وزن النهى
سبعون قرنا بل وازيد

يارائد الادب الحديث
ومن اليه دعا وارشد

انى لاشهد ليس غيرك
من زعيم فيه اوحد

حتى بمحكمة العراق
اذا دعيت لذاك اشهد

ردود قصيرة :

جمال الدين سوداني .. من تونس يكتب رسالة رقيقة ، ويدعو الى أن تكون مصطلحات « عروبة ، واخاء ، واسلام » في دائرة التطبيق في كافة مجالات حياتنا في كل بلد من بلدان العالم العربي .

● **ابراهيم عبدالكريم ناصر** .. يناقش ماسبق ان كتبه الدكتور عبد الحميد يونس عن العقـــاد « .. ونحن الآن نتساءل هل يستطيع أحد من المحدثين ان يكتشف المفتاح الذي يتمكن بوساطته ان يواجه أعماق شخصية العقاد .. الخ » ثم يعلق بأن مفتاح شـــخصية العقـــاد يكمن في كلمـــة واحدة هي « العصامية » .

● **فاروق لوقا غبريال..** يذكر أنه تتبع المناقشة التي دارت بين تحسين عبـد الحي ، ومصطفى توده حول كتاب « شمس ووحل » ويرتب على هذا بعض الملاحظات ، الا أنه ذكر أنه لم يقرأ الكتاب «المنقود» والرسالة تعد الاخ فاروق أن تنشر ما يريد بعد أن يعود الى قراءة الكتاب .

● **السيد هاشم القماحي** .. يكتب خواطر ذكية تلفها الشاعرية والاستغراق في جمال الكون ، وقد جاء فيها :

انشق عمود الصبح ، وانبثق النور في الافق ، وطوى الليل خيـــامه ، ولمعت قمم الجبـــال ، ومشت الدواب ، وسعى الناس ، هذا الكون يتحدث بعظمة الله حديثا أروع من كل حديث « ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك ! »

● ووصلت قصائد للرسالة من الشعراء **حاج محمد البراوى بعطبره ، واكرم مهدى التهيمي من العراق ، وعبيد الشامية ، ومن الشاعر فرحات عبـد الخالق** وصلت قصيدة بعنوان صحوة العملاق جاء فيها

زعماء افريقيا عداة شعوبهـــا
جمعت منـــاهم وحدة ووثاق

من كل موهوب القيـادة ملهم
يحـدوه رأى في الدجى براق

قادوا طلائعهـــا فهل هـلالهم
بين الغيـــاهب والزمان محاق

حملوا على أكتافهم عبء السرى
والعبء ضـخم لا يكاد يطاق

حى الذين تجمعـــوا وتآزروا
وسرى لهم في الخافقين وفاق

يا للقرارات التي قـد أبرمـت
فقراتهـــا .. فبنودها ميثاق

صاحب القصر

للدكتور نجيب الكيلانى

الرايات الســـوداء تخفق فى كل مكان ، وبريق السيوف تحت وهج الشمس يكاد يخطف الابصار ، وعشرات الالوف من الجنود ينطلقون فى شتى الانحاء ، هاتفين بالنصر العظيم ، مظهرين تأييدهم وولاءهم للعهد الجديد ، عهد بنى العباس ، ودماء اعدائهم من بنى امية ومن والاهم تخضب الرمال الصفراء ، والتاريخ يقف ليسجل لحظة حاسمه من اخطر اللحظات قيام دولة وافول دولة اخرى ، وانتقال التاج من راس الى راس ، والسادة القدامى يتحولون الى اصاغر يهددهم الموت ، ويستولى عليهم الذعر ، والمضطهدون بالامس يصبحون سادة وامراء يملكون العزة والصولجان ..

وعلى الطريق رجل ملثم ، يجرى ويلهث ، وقلبه يدق من الخوف ، يتلفت يمنة ويسرة ويصيخ السمع لكل صوت وحركة ، انه يترقب الموت فى كل خطوة يخطوها . لقد كان ابراهيم ـ وهذا هو اسمه ـ رجلا مرهوب الجانب ، وكان سيفا من سيوف بنى امية ، يتصدى لاعدائهم ، ويناضل من اجل تثبيت دعائم ملكهم ، ويضحى باعز ما يملك فى سبيل الحكم الذى آمن به وناصره ، لكن ابراهيم عاش حتى اندلعت ثورة بنى العباس ، وانهار حكم الامويين ؛ ولم يعد هناك ادنى امل فى عودة الخلافة الى بنى امية ، وابراهيم رجل معروف ، وخصومه كثيرون ، ولن يرحمه احد فقد كان مبالغا فى تأييده للامويين ، قاسيا فى حربه على اعدائهم ، والثار يطارده فى كل مكان ، ولا نجاة له من الموت .. فماذا يفعل ؟؟ لاشىء سوى أن يتخفى ، ويضرب فى الآفاق بعيدا عن بلده وذويه ، متجنبا الظهور والمخاطر ما امكن ، حتى تستقر الامور ، ويهدا غبار المعارك ، ويأمن على نفسه فيعود الى بلده واهله مرة اخرى ..

لكن الحر شديد ، وحلقه قد جف تماما من شدة الظما ، وبدا ابراهيم يشعر بالدوار فقد تحالف الجوع مع الظما والخوف حتى كاد يرتمى على الارض مغشيا عليه، ومع ذلك فقد كان يغز السير ، حتى يمر بقصر صغير ، تحوطه حديقة وارفة الظلال ، تتوسطها نافورة يتدفق منها ماء عذب ، وبدا الماء فى عينيه كاشهى شىء فى الوجود ، لكن فوق صارية البيت راية سوداء تخفق فى زهو وانتصار ، اذن فالقصر قصر رجل من انصار العباسيين ، ومن الحماقة ان يطرق ابراهيم باب القصر ، غير ان تشبثه بالحياة ، وثقته فى النجاة بفضل الله جعلته يندفع صوب القصر ، ويدق بابه ، ووقف **ابراهيم** مشدوها وهو يرى امامه جارية فاتنة تفتح الباب ، لقد نسى الظما والجوع والخوف وهو يتملى هذه الآية الرائعة من الجمال الفذ ، وكاد ينسى نفسه لولا أن جاءه صوتها ندبا رقراقا :

« أية خدمة استطيع ان اؤديها لك ياسيدى ؟؟ »

فقال وقد ثاب الى رشده :

ـ « جرعة ماء وقليل من الزاد .. هذا كل ما اريده .. »

وقبل أن تتكلم الجارية ، انبعث من داخل القصر صوت اجش اثار الخوف فى قلب ابراهيم :

ـ « من هناك ؟؟ »

فأسرعت الجارية قائلة :

ـ « ضيف أتانا ياسيدى .. »

ـ « اذن فدعيه يدخل .. على الرحب والسعة .. »

واتى صاحب القصر يرحب بالضيف ، ويقدم له ما يحتاج اليه ، واكل ابراهيم وشرب ، ثم تطلع الى صاحب القصر بعيون ضارعة وقال :

ـ « حياة الخوف هى الموت بعينه .. »

فقال صاحب القصر :

ـ « انت فى مأمن هنا .. »

ـ « اتعدنى بالامان .. »

ـ « اقسم بالله على ذلك .. فما الذى يخيفك اذن .. »

هز ابراهيم راسه ، وقد كانت كلمات صاحب القصر كقطرات من الطمأنينة تنسكب فى قلبه المذعور ، وهمس :

ـ « الراية السوداء تخفق فوق قصرك .. ومعنى ذلك انك تتشيع للعباسين .. »

ـ « هذا شرف عظيم لى .. وانت ؟؟ »

ـ « هذا هو بيت القصيد .. لم اكن مثلك .. حاربت فى صفوف الامويين .. وهاأنذا اضرب فى الآفاق طريدا .. ولا اجد ملجأ اختبىء فيه كى انجو بحياتى .. »

وبان الضيق فى عينى صاحب القصر ، كان يكره الامويين ، ويكره كل من دافع عن حكمهم ـ لقد قتل احد الامويين اباه ذات يوم ، فاجتمع لديه كرههم من ناحية المبدأ ومن ناحية غدرهم بأبيه ، امتزجت دوافعه العقيدية بمأساته الشخصية ، فزرعت فى قلبه كراهية مرة للامويين ومن شايعهم ، وقال صاحب القصر :

ـ « لشد ما أكره الكذب.. اننى أمقتك كاموى، ولكنى اشعر نحوك بالعطف كانسان مطارد بائس .. ولن أحنث بقسمى .. لتبق هنا ماشئت .. وستجد الحماية والامان والكرم ..

ولن نخسر كثيرا اذا ما عفونا عن فرد واحد من اعدائنا .. البيت بيتك .. »

ترقرقت الدموع فى عينى ابراهيم ، كان يشعر باحاسيس مختلطة ازاء هذا الموقف النبيل ، فبكى ندما على قسوته السابقة ، وبكى فرحا لنجاته المؤقتة ، وبكى لانه لايستطيع ان ينفث عن أساه وقلقه بغير الدموع ..

وقضى ابراهيم اياما حلوة رائعة بالقصر ، وكان اجمل اللحظات هى تلك التى تأتى فيها الجارية الحسناء وتقدم له الطعام والشراب ، وتتبادل معه بضع كلمات . كان يرى فى عينيها حنانا دافقا ، وفى كلماتها رقة آسرة ، وفى تصرفاتها وسلوكها بساطة معجزة ، ووجد ابراهيم نفسه يدمن التفكير فيها ، يراها بعين الاحلام فى نومه ، ويتملاها بعين الحقيقة وهى تقدم له الطعام والشراب ، ويجد اسعد أوقاته فى لحظات انتظارها ولقائها . وفكر عشرات المرات فى ان يصرح لها بمكنون هواه المبرح ، ويبثها حبه الطاغى ، لكنه كان يتراجع ، ويكبح اهواءه ، انه ضيف .. وضيف مطارد يهدده الموت والخوف ، فلا يصح أن يمارس لعبة الحب تحت سقف البيت الذى اواه وحماه وبسط عليه ظلال الامن والسعادة .. لكن حبه كان أقوى من ارادته واقوى من منطقة ، فوجد نفسه يقول لها ذات مساء :

ـ « انت تعلمين كم احبك .. »

فردت والدموع على خديها :

ـ « لكن ماحيلتى ؟؟ »

فوثب واقفا وقد فاضت مشاعره :

ـ « أفهم من ذلك انك تبادليننى الحب »

فابتعدت عنه قائلة :

ـ « لكن لا تنسى انني ملك رجل آخر .. رجل ذي مروءة وشهامة .. »

فارتمى على مقعده حائرا وقال :

ـ « هنا تكمن المأساة »

واخذت تجفف دموعها وانصرفت وقلبها يفيض بالاحزان .

وادرك ابراهيم ان صاحب القصر يخرج كل صباح ويمتطى جواده ، ويتقلد سيفه ثم يعود فى المساء متعبا حزينا ، وكان صاحب القصر يتردد على ابراهيم من آن لآخر يبادله الحديث ، ويرحب به ، ويلقى على مسامعه احدث الانباء ، وفجأة قال ابراهيم :

ـ « ما سر اسفارك كل صباح ؟؟ »

تغيرت سحنة الرجل ، وبرقت عيناه بالغيظ ، ودمدم :

ـ « انني أبحث عن قاتل ابى .. »

ـ « قاتل ابيك .. »

ـ « أجل .. لن يهدأ لى بال الا اذا اخذت بثأره .. وعندما يحدث ذلك فسأستشعر حلاوة النصر الحقيقى .. اننى اعرف اسم القاتل وان لم اعرف رسمه .. اسمه ابراهيم بن الحكم .. »

وشحب وجه ابراهيم ، وبانت الارتجافة فى يديه ، واخذت انفاسه تتلاحق .. انه هو القاتل .. قتل ابا الرجل الذى اعطاه عهد الايمان ، ولم يخف على صاحب القصر ما اعترى ضيفه من شحوب وارتباك وارتجاف ، فقال فى استغراب :

ـ « ماذا جرى لك ؟؟ »

لم يكن ابراهيم يستطيع ان يتمالك اعصابه ، وذهبت رزانته وصلابته ، وقال دون أن يعى تماما خطورة ما يتفوه به :

ـ « وماذا لو علمت اننى قاتل أبيك !! »

ـ « قاتل ابى فى قصرى !! انت الذى ابحث عنه كل يوم ؟؟ مستحيل .. »

عشرات من المشاعر العنيفة الصاخبة اخذت تموج فى داخله ، أيقتله ؟؟ ايتركه ؟؟ انها اللحظة التى ينتظرها ، لحظة الثار التى سوف تطفىء نار غيظه ، وتبرد وهج أحزانه .. انه قاتل ابيه ..

وانتفض صاحب القصر ، وامسك بذراع ابراهيم وصرخ :

ـ لقد اعطيتك عهدى .. ولن اغدر .. يجب ان تهرب من امامى حالا .. لا اريد ان اراك .. لا اريد ان اراك .. اذهب بعيدا على الفور .. »

كان صاحب القصر يجلس وحيدا ، والحيرة تأخذ بمجامع لبه ، لكنه ـ برغم حيرته وعذابه ـ يحمد الله على أن ضيفه قد رحل بعيدا ، وافاق صاحب القصر على نواح قريب ، واقترب من مصدر الصوت ، كانت الجارية تبكى ، وعندما رآنه قالت ضارعة :

« لقد احببته ياسيدى .. اننى استحق الموت .. ارحمنى .. انه شىء لا حيلة لى فيه .. وانا اعترف بضعفى وحماقتى .. »

تطلع اليها صاحب القصر طويلا ، واخذت مأساة أبيه تنزوى رويدا رويدا ، ومشاعر انسانية فياضه تنسكب فى فؤاده ، اى تحول خطير يشعر به الآن الحياة بسيطة ولا تستحق هذه الاحقاد ولا هذا العذاب كله ، وقال للجارية فى صوت خفيض :

ـ « لا داعى للبكاء .. الامر لا يحتاج لمثل هذا العناء كله .. والثواب الاكبر عند الله .. اتفهمين؟؟

لقد عتقتك .. انت حرة منذ الآن .. وتستطيعين ان تلحقى به .. هيا .. وليكتب الله لكما السعادة .. »

« دكتور نجيب الكيلانى »



العدد ٥٣

الثمن ٣

الرسالة



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الفهرس

رئيس التحرير

أحمد حسن الزيات

المراسلات جميعها تكون باسم السيد مدير ادارة المجلات
٢٧ شارع عبدالخالق ثروت
بريد . محمد فريد . القاهرة

تصدرها

وزارة الثقافة والارشاد القومى

الاشتراكات ١٥٠ قرشاً سنويا
ويضاف أجر البريد من خارج ج.ع.م

العدد ٥٤ - ٢١ ربيع الاول ١٣٨٤ هـ - ٣٠ يوليو ١٩٦٤ م - السنة الثانية

الأعياد الثلاثة

للدكتور محمد احمد خلف الله

العيد الاول عيد دينى هو عيد المولد النبوى الشريف . مولد محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام .

والعيد الثانى عيد وطنى . هو العيد الثانى عشر لثورة ٢٣ يولية من عام ١٩٥٢ .

أما العيد الثالث فعيد المنظمة الافريقية . وهو عيد سياسى واجتماعى فى وقت معا .

والاعياد الثلاثة تحمل فى جوفها معنى واحدا . تحمل هذا المعنى على اختلاف فيما بينها فى الحدود الزمنية المتطاوله . وهذا المعنى هو معنى الوحدة او التوحيد .

والاعياد الثلاثة انما تتخذ من التوحيد قوة — قوة فى الداخل ، وقوة فى الخارج .

فالعيد الاول وهو عيد المولد النبوى كان ايذانا بميلاد الاسلام . والاسلام هو القوة الدافعة التى جمعت العرب على راى ، وجعلت منهم امة بعد ان كانوا قبائل متفرقة .

والاسلام حين جعل من العرب أمة لم يقف عند حدود الجزيرة وانما خرج بالعرب من الحدود الضيقة حدود الجزيرة العربية الى الآفاق الواسعة آفاق العالم ، وجعل من العرب ومن غيرهم امة واحدة هى الامة الاسلامية .

والاسلام قد عمل على التعايش السلمى فيما بين الاديان بشرط أن تجمع هذه الاديان على التوحيد .

والاسلام قد يغتفر للانسان بعض الانحرافات الا ان تكون هذه الانحرافات خروجا عن التوحيد .

والاسلام لم يجعل ابدا قيمة للاعراق والاجناس وانما جعل القيمة كل القيمة للعقائد والمبادىء التى نادى بها ، ودعا اليها .

« ان الذين آمنو ، والذين هادوا ، والصابئون ، والنصارى ، من آمن منهم بالله واليوم الآخر فلهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ،ولاهم يحزنون.

ان الله لايغفر أن يشرك به ، ويغفر مادون ذلك لمن يشاء . »

«ياأيها الناس اناخلقناكم منذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل ،لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم.

والاسلام حين دعا الى التوحيد قد قصد الى ان يخرج به العرب من أمراض الفرقة والانقسام ، ويزج بهم فى ميادين المنعة والقوة .

ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء .

ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم .

واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم .

وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله .

والاسلام لم يكتف بالقوة تستخدم فى وجه اعداء المبدأ والعقيدة وانما عمل على التماسك الداخلى ، واتخذ من الدعوة الى العقيدة وسيلة لدعوة أخرى هى الدعوة الى المضامين الاجتماعية ، والى اذابة الفوارق فيما بين الفقراء والأغنياء ، أو فيما بين المستضعفين والمستكبرين .

وآت ذا القربى حقه ، والمسكين ، وابن السبيل، ولا تبذر تبذيرا .

ولا يأتل (أو لو الفضل عنكم والسعة ان يؤتوا أولى القربى ، والمساكين ، والمهاجرين فى سبيل الله .

ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى ، واليتامى ، والمساكين .

وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا .

اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب ، وتقطعت بهم الأسباب .

والاسلام فى ذلك كله انما قصد الى وضع انظمة شاملة للجنس البشرى كله فى السلوك وفى الأخلاق ـ الى جانب التوحيد فى العقيدة .

والعيد الثانى وهو العيد الوطنى القومى اتخذ هو الآخر من الوحدة قوة . الوحدة الوطنية حين اقام نظامه على أساس من حل الأحزاب ، واقامة نظام واحد يشمل الشعب كله بدلا منها . والوحدة القومية حين دعا الى التضامن الأخوى ، وقيام النظم التى تجمع شمل العرب فى دولة واحدة ، او فى دول متحدة .

والقوة الناتجة عن هذه الدعوة قد استخدمت فى زلزلة أركان الاستعمار فى كل بلد عربى . كما استخدمت فى محاربة التخلف .

وهذه الدعوة هى الاخرى ذات مضامين اجتماعية وقد حددت لها اهدافا واضحة هى الحرية ، والاشتراكية ، والوحدة .

أما العيد الثالث ـ وهو عيد المنظمة الافريقية ـ فقد قام على أساس من وحدات كثيرة اهمها الوحدة الجغرافية وحدة المصلحة العامة ، ووحدة المصير المشترك .

لقد قامت هذه المنظمة على اساس من التحرر السياسى والتحرر الاقتصادى ، والتخلص من الاستعمار والنفوذ الاستعمارى ، ورأى الأعضاء ان ذلك كله قد لا يكفى فانما يجب التعاون والتضامن فى العمل على التنمية وحل مشكلات الدول الأعضاء .

لقد دعا « **الرئيس نكروما** » الى قيام الدولة الافريقية ، ودعا «**الرئيس بن بيلا**» الى اعتبار مشكلة فلسطين احدى المشكلات التى يجب أن تهتم بها هذه المنظمة ، كما يجب أن تهتم بالتغلغل الاسرائيلى فى داخل القارة .

اما **الرئيس جمال عبد الناصر** فقد دعا الى وحدة الفكر ، وهى دعوة جديرة بالاهتمام من حيث ان الفكر الموحد فى قارة كبيرة كقارة افريقية يختلف الناس فيها فيما بينهم من حيث اللغة ، والعقيدة، هو الوسيلة الوحيدة للتضامن والترابط .

ان وحدة الفكر هى التى تدفع الى التجاوب السريع فى كل موقف يحتاج الناس فيه الى التضامن والتعاون .

ان وحدة الفكر هى التى تملأ قلوب الناس ايمانا بالأهداف المشتركة ، وتدفع الناس الى العمل من اجل تحقيقها .

ان وحدة الفكر هى التى تحول بين التنازع والاختلاف من حيث ان الناس يتصورون الامور على اسس من الفكر واحدة . اسس تدفع الى التعاون وتقضى على محاولات الدساسين والعملاء .

ثم ان وحدة الفكر هذه هى التى تخلق الامل وتتصور المستقبل وتدفع الناس فى اتجاه واحد هو اتجاه التقدم . اتجاه اليسر والرخاء .

ان اللجنة الثقافية من لجان هذه المنظمة هى الجديرة حقا بأن تعمل من أجل تحقيق هذه الوحدة فى الفكر ـ وهى حين تحققها انما تكون قد خطت خطوة جبارة فى سبيل تحقيق الوحدة السياسية التى هى الأمنية البعيدة التى نادى بالعمل على تحقيقها بعض الزعماء .

دكتور محمد أحمد خلف الله

الأدب وقضية الحرية

للدكتور محمد مندور

عندما طلب أحد النواب الى الحكومة ايقاف نشر قصة أنف وثلاثة عيون المسلسلة في مجلة روز اليوسف رد السيد نائب رئيس الوزراء **لشئون الثقافة والارشاد القومي بان الحكومة لا سلطان لها على الصحف والمجلات والثقافة والادب لانها جميعا حرة لا تخضع الا للقانون الذى يستطيع ان يلجا اليه النائب صاحب السؤال بان يطلب من النيابة العامة تطبيقه على ما يرى فيه خروجا على احكامه ومن بينها الحكم الخاص بحماية الآداب العامة والاخلاق العامة .**

ومعنى ما حدث في مجلس الامة هو ان الدولة لا تريد ان تستخدم سلطاتها الادارى في الرقابة على الصحف والمجلات أو في الحد من حرية الادب والفكر وانها ترى في القانون العادى ما يكفى لحماية المجتمع ومثله وأخلاقه ومواضعاته السليمة .

وبالفعل لم تمض أيام حتى أذاعت الصحف ان أحد المستشارين بقلم قضايا الحكومة قد تقدم الى النائب العام ببلاغ يطلب فيه اقامة الدعوى العومية على كاتب تلك القصة المسلسلة باعتبار انها قد مست أخلاقيات المجتمع الذى هو عضو فيه ، ومعنى ذلك هو ان أحد المواطنين قد التجأ الى القانون بصفته الشخصية وهو عضو في المجتمع طالبا حماية هذا القانون ، وليست هذه أول مرة تعرض فيها قضية الادب والفكر ومدى الحرية التى يجب ان تكون لهما على القضاء ، ففى فرنسا نفسها التى اشتهرت باطلاق حرية الفكر والادب الى أبعد الحدود شهد القرن الماضى قضيتين كبيرتين من هذا النوع حوكم فى أولاهما الشاعر **شارل بودلير** من أجل بعض قصائده التى اعتبرت اباحية وذلك عند صدور ديوانه الشهير المسمى « أزهار الشر » وحكم القضاء بمنع ومصادرة ست عشرة قصيدة من هذا الديوان ، وثانيتهما كانت محاكمة قصاص فرنسا الكبير **جوستاف فلوبير** عن قصته الشهيرة « مدام بوفارى » حيث اتهم برسمه فيها لوحات مغرية لسقوط زوجة طبيب ريفى بين براثن الغواية وبعد مرافعات طويلة عميقة فى الفن ووظائفه وصلته بالاخلاق ومواضعات المجتمع ومدى الحرية التى تباح للكاتب قضت المحكمة ببراءة فلوبير وان ضمنت حيثيات حكمها بعض اللوم لجرأته القاسية فى تصوير بعض لوحات سقوط تلك الزوجة البائسة ، ولا زالت تلك المرافعات معتبرة من المراجع الهامة فى النقد الادبى والفنى وفلسفتهما وعلاقتهما الحتمية بالاخلاق ومواضعات المجتمع .

وعلى اية حال فان دولتنا قد احسنت صنعا بتخليها عن سلطتها في الرقابة الادارية على الصحف والمجلات ، وعلى حرية الراى وقد اثبتت التجربة الاخيرة السابقة ان تخل الدولة عن سلطاتها الاستثنائية ليس معناه افساح المجال أمام العبث او الاستهتار باخلاق ومثل المجتمع وذلك لان القانون العادى نفسه فيه ما يكفى لوضع حد فاصل بين الحرية من جهة والفوضى او العبث والاستهتار من جهة اخرى ، وباستطاعة كل مواطن ان يلجا الى هذا القانون وان يحرك احكامه .

واذا كان القانون بحكم فلسفته الوضعية ذاتها لايمكن ان يتناول بالعقاب او الردع كل ماقد يستنكره المجتمع من عمل أو قول لانه لايعاقب الا الجرائم التى لابد من ردعها لتستقيم حياة المجتمع فان الرأى العام نفسه يستطيع ان يقوم كل انحراف عن مثله

وأخلاقياته ومواضعاته ، فالقانون مثلا لا يعاقب على الكذب أو المغالطة الفكرية أو انحرافات السلوك التى لا تصل الى حد الجريمة ولكن الرأى العام هو الذى يردع كل هذه الانحرافات ، والايام الاخيرة قد أثبتت لحسن الحظ انه قد أصبح لدينا رأى عام وعقول وأقلام تستطيع ان تناقش وتنقد جميع الاتجاهات الفكرية والادبية لتجلو ما فيها من نفع أو ضرر وجمال أو قبح بالنسبة لمجتمعنا ككل ولوحداته كأفراد ، ولا أدل على ذلك من المعارك النقدية التى تتجدد الآن فى صحفنا ومجلاتنا باستمرار وكلما دعت الضرورة ، ففى الفترة الاخيرة صدر للشاعر صلاح عبد الصبور ديوان جديد « أحلام الفارس القديم » وقد تناوله الاستاذ محمود أمين العالم فى مجلة المصور بالدراسة والنقد حيث أوضح ما يوحى به هذا الديوان من تشاؤم قاتم يكاد يصل الى حد السوداوية ، ولقد يكون هذا التشاؤم القاتم نابعا عن أزمة خاصة بالشاعر ولكن الناقد لم يستطع ان يقر الشاعر على هذا التشاؤم لانه يرى فى حياتنا الحاضرة وما انتهت اليه من تطور ما يدعو الى البهجة والتفاؤل لا الى التشاؤم والسوداوية، وانزعج الشاعر من هذا النقد ولكنه لم يواجهه بصراحة بل أخذ يرد عليه بطريق غير مباشر فى سلسلة من المقالات بملحق الاهرام الاسبوعى ، ناقش فيها حرية الشاعر والكاتب وعدم جواز فرض ناقد أو سلطة وجهة نظرهما عليه كما ناقش قضية التشاؤم وهل هى دعوة الى الانهيار ام هى نوع من الاحتجاج والمقاومة لما قد يحسه الشاعر أو الكاتب من أزمات الحياة أو أوضاع المجتمع ، وقد اتخذ صلاح عبد الصبور لحديثه مادة من سياسة التزمت والحجر على الرأى والاحساس التى كان «استالين» قد فرضها بحكمه الدكتاتورى القاسى على كتاب وفنانى الاتحاد السوفيتى ثم ما تبينه الشعب السوفيتى وقادته بعد ذلك من خطأ هذه السياسة الغاشمة حيث ارتدوا عنها بعد وفاة استالين والتخلص من دكتاتوريته وأبدلوها بسياسة أكثر تحررا وانطلاقا وضرب صلاح عبد الصبور لذلك مثلا موضوعيا بموقف الاتحاد السوفيتى من الاديب التشيكى كفكا عندما حظرت قراءة أدبه فى عهد استالين ثم ما كان من دفاع جان بول سارتر فى سنة ١٩٦٢ بموسكو أمام المؤتمر الدولى لنزع السلاح عن «كافكا» ومطالبته الاتحاد السوفيتى باباحة ترجمته الى لغتهم وقراءته ثم استجابة هؤلاء الكتاب لرأى سارتر بعد ان تغيرت ظروف الحكم فى بلادهم .

وأخيرا

وأنا لا أريد ان أناقش قضية «كافكا» وموقف الاتحاد السوفيتى منه بنوع خاص ، فمناقشة هذه القضية لا بد من التقديم لها بمحاولة جادة لتحديد نظرة «كفكا» السوداء الى الحياة وهل هذه الحياة جريمة فى ذاتها على نحو ما قد توحى مسرحيته الكبيرة «القضية» ولكننى أكتفى بان أقرر اننا لحسن الحظ لم نمر وارجو الا نمر بما يشبه حكم استالين وفى المناقشة التى دارت فى البرلمان أكبر دليل على ذلك ولكننى من جهة أخرى أرفض أن نحرم الناقد من نفس الحرية التى نبيحها للشاعر والكاتب بل يجب ان يتمتع الطرفان بنفس القدر من الحرية اذا أردنا لمجتمعنا ان يتفاعل وأن يحتفظ بتوازنه وأن يعمل على تصفية مثله وصيانة أخلاقه ومواضعاته ولست أرى ما يدعو الى الانزعاج فى ان يلجأ الى القانون العادى أو أن نبيح حرية النقد ما دمنا قد أبحنا حركة الفكر ، فمن المؤكد ان القانون العادى وحرية النقد هما الحارس لقيم حياتنا الجديدة ومثلها السليمة ، ويكفى أن أشير فى ذلك الى عمل النقد فى الفترة الاخيرة عملا مثمرا فى دراسة بعض القضايا الكبرى مثل قضية العلاقة بين الأدب والأخلاق بمناسبة قصة روز اليوسف ، ثم قضية الذوق الفنى والاجتماعى والانسانى بمناسبة ازمة المسرح الكوميدى وماكان قد انحط اليه من اتجاه ، وأخيرا قضية التشاؤم السوداوى والبحث عن منابع هذا التشاؤم لتبين هل هى فردية خالصة أم لها بواعث اجتماعية قريبة أو بعيدة يمكن الكشف عنها لمعالجتها حفاظا على الروح المعنوية لشعبنا الذى لن يستطيع البناء الا اذا سلم له هذه الروح قوية واثقة .

« دكتور محمد مندور »

نظرات فى الشعر العراقى المعاصر

كفاح العروبة فى شعر خالد الشواف

للدكتور بدوى طبانة

عرضنا فى العدد الماضى من الرسالة لشاعرية **خالد الشواف** التى هزتها ماساة فلسطين والتى سايرت أحداثها منذ مشروع التقسيم سنة ١٩٤٧ الى ان تحول الشعب العربى فى فلسطين بفعل الاثرة والخيانة والغدر الى جماعات أو أفراد من المشردين أطلقوا عليهم اسم « اللاجئين » ، وما عبر به الشواف عن شعور العرب الأحرار فى كل مكان نحو تلك الماساة ، وتلهفهم الى جولة أخرى يجمعون فيها شتاتهم ويوحدون كلمتهم وينظمون فيها صفوفهم ليثاروا من أعدائهم ، ويسترجعوا ما ذهب من كرامتهم .

وقلنا ان الميزة الكبرى التى يمتاز بها شعر الشواف فى نكبة فلسطين انه لم يقف من تلك الاحداث موقف الباكين على الاطلال ولا المستجدين عطفا على ذلك الشعب المنكوب وانما موقف المحذر للعرب فى كل مكان من المصير ومن مغبة التقصير ، وموقف المؤمن بالحق والمستنهض للهمم والشاحذ للعزائم .

والحقيقة أن عروبة الشواف لا تقتصر مظاهرها على تصوير النكبة واحداثها وآثارها ، وان كانت ماساة فلسطين فى طليعة القضايا الكبرى التى شغلت العقول وعزت العواطف فى كل قلب من قلوب العرب الذين فقدوا جزءا غاليا له ذكرياته وأمجاده فى تاريخهم ، ثم للاخطار التى اصبحت تهدد سائر أوطانهم من العدو الدخيل ومن ينصرونه من المستعمرين أو المخدوعين ، فان للشواف فى ديوانه الاول « لهيب الكفاح » عدا شعر فلسطين الذى عرضنا له فى كلمتنا السابقة قصائد رائعة فى سوريا ومصر والمغرب العربى ، ثم فى موطنه الأول (العراق) .

ولسوريا فى « لهيب الكفاح » قصيدة واحدة كتبها خالد اثر زيارته لدمشق فى صيف عام ١٩٤٥ بعد عدوان فرنسا الاخير عليها ، وهو العدوان الذى نالت سوريا على أثره استقلالها ، وأجلت قوات فرنسا عنها .

وفى صدر تلك القصيدة حديث الى فرنسا التى بدد الشعب العربى فى سوريا أحلامها فى الاستبداد والطغيان :

ساقيك أيتها الشوهاء ، ساقيك
من أيما خمرة في الحان يسقيك
امن دموع على أحلامك انسكبت
أم من دم بيد الأحرار مسفوك ؟
أهريقت الخمرفي (سدان) وانصرفت
عنك الندامى ولم تلمم بناديك
فكيف غرك من غرته أخيلة
فراح بالنشوة الكبرى يمنيك ؟
أفي ربا الشام يا باريس وهي حمى
رجوت أن يبعث الغاوي لياليك ؟

وفي تهكم مرير من دعاوى الفرنسيين الحضارة والمدنية التي كذبتها وحشيتهم في سوريا وترويعهم للآمنين ، وتخريبهم للمأهول ، وتدميرهم للمعمور ، وسفكهم للدماء ، يوجه الشواف حديثه الى باريس التي يتشدق أهلها بكلمات الحضارة والحرية والمدنية ويزعمون أنهم رسلها والمبشرون بها في شتى البقاع:

هذي الخرائب يا باريس شاهدة
ان الحضارة من ميراث ماضيك
والبرلمان الذي دكت معالمه
أيدي بنيك اذا فاخرت يكفيك
وما احلوا بصرعاه يحدثنا
ان التمدن يا باريس ينميك
فليس سملهم الأحداق عن حنق
لكن ليتنخبوا عقدا يحليك

والبرلمان الذي يشير اليه الشاعر هنا هو برلمان سوريا الذي دكته مدافع الفرنسيين في عدوانهم ، منتهكين حقوق الشعب العربي سوريا في الحرية والاستقلال ، وطالما تغنوا بثورتهم الكبرى وما سجلته من حقوق الانسان :

باريس ! كانت حقوق الفرد مهزلة
في مسرح الثورة الكبرى تسليك
يا أمة المجد والتاريخ ! في سقر
لا المجد يبكي ولا التاريخ يرثيك

ثم تحيات يرسلها الشاعر الى دمشق المجاهدة التي عبقت أكمامها بين قصف المدافع وصليل السيوف ورنقت أضاحيها الجميلة بحمرة النجيع .

والشواف في كل هذا يحيي البطولات التي أبرزتها معركة التحرير في أرض الشام ، تلك البطولات التي لم تكن جديدة في تاريخ العرب والمسلمين ، وانما هي أعراق موصولة ، وامتداد لبطولات الاسلاف ، وأمجاد العروبة في صدر الاسلام :

ايه دمشق .. تحيات كما عبقت
أزاهر روايات من سواقيك
أو مثلما عبقت أكمام باسقة
جادت لها بالدم الغالي أضاحيك
كأنني ببنيك الصيد اذ برزوا
كتائب الحق في ساحات يرموك
يقول كل كريم العرق مستبق
للموت : يا أرض أجدادي أفديك

وينظر الشواف الى جهاد سوريا واستبسالها في رد عادية المستعمرين وأثر ذلك الجهاد في العروبة التي استيقظت على صليل البيض المواضي ، وأمم الشرق وقد انطلقت في قوة تطالب بحقوقها ، ودول الغرب التي أخذت تتقرب من سوريا لا حبا لها ولا اعجابا بكفاحها ، وانما مصانعة ورياء :

دمشق .. ايقظت جيلا من عروبتنا
على صليل خصيب من مواضيك
أصغى له الشرق فاستقرت عزائمه
فاقبل الغرب لاحبا يداريك

تلك خريدة الشواف وقصيدته العصماء في سوريا يصور فيها معركة الجلاء التي أسفرت عن استقلال سوريا وانجلت عن طرد فرنسا عن المشرق العربي الى الأبد :

وندع شعر الشواف في فلسطين وسوريا الى قصائده في المغرب العربي مؤجلين الحديث عن شعره في كفاح الشعب العربي في مصر والعراق الى المقال التالي .

وللشواف في المغرب العربي خمس قصائد أثبتها في ديوانه الأول (لهيب الكفاح) وعالج فيها جهاده في سبيل الخلاص من العبودية ورق الاستعمار .

وفي تلك القصائد الخمس سجل الشواف ايمانه بالوحدة الكبرى للأمة العربية ، وأن مواطن العرب كل لا يقبل التجزئة وان فرقتها المحن والاحداث بما نفث المستعمر الدخيل فيها من سموم الفرقة والشتات .

فاذا كان الشاعر يعيش بجسده في العراق ركن العروبة الاشم في أقصى الشرق ، فانه يعيش بقلبه وبعقله ، وينتقل بعواطفه في ديار العروبة ومواطنها من المحيط الى الخليج . ولعلنا لا نعرف كثيرا من أمثال هذا الشعر في قديم شعرنا وحديثه على السواء في ذلك التجرد في حب العرب والهيام بالعروبة وتتبع الاحداث في ديارها المتقاربة والمتباعدة على السواء والانفعال الصادق بتلك الاحداث .

وقد سخر الشاعر في أولى قصائده في «المغرب العربي» من سياسة المستعمرين في مفاوضة أبناء

البلاد التي يحتلونها ، وقد اتخذوا من المفاوضة وسيلة للمماطلة والتسويف في التسليم بحقوق الشعوب في الاستقلال والحياة الحرة ، ومخادعة الحكام والزعماء والقادة وتمنيتهم بالوعود المكذوبة والآمال المعسولة ، ليستنيمو أمام تلك الوعود ويخدعوا بها شعوبهم • وكلما صحت الشعوب وانتفضت من سباتها أتبعوا المفاوضة بمفاوضة والمعاهدة بمعاهدة، ليئدوا الثورات في مهدها ، ويسلوا الشعوب بالأباطيل والترهات لتضييع جهودها وقتل شعورها •

وما من بلد من البلاد التي ابتليت بالاستعمار الا لجأ المستعمرون الى تلك الخديعة الكبرى والوسيلة البالية في تخدير أبنائه بالمفاوضات والمعاهدات ، والتغرير بهم في المآدب والحفلات والتلطف معهم ومصانعتهم حول الموائد الخضر ، حتى اذا عادوا الى قومهم لم يجدوا في كنائنهم غير الأباطيل والترهات•

ان هذه السياسة لم تعد تجدي نفعا في المغرب العربي الذي وطن أبناؤه من العرب الأحرار أنفسهم على التضحية والفداء :

قل للسياسات العجاف : وراء
حمى الوطيس وأنت لست كفاء
بطلت رقى المتفاوضين ولم تعد
تلقى الموائد للشعوب غذاء
ما اليوم يوم البائعين مدادهم
اليوم يوم الباذلين دماء
والمعرضين عن الأحابيل التي
لايدرك الهاوى بهن نجاء
والحاملين على الدخيل بعزمة
لا تعرف التسويف والابطاء
والمضرمين عليه نار تراثهم
والمطربه الحقد والبغضاء

ان تلك السياسة ، سياسة اطفاء جذوة الوطنية بطريق المفاوضات ومعاهدات الخداع ان جازت على الشعب العربي في المشرق أحيانا ، فان الشعب العربي في المغرب يأباها كل الاباء ولا ينخدع بها ، ولا يعرف للخلاص الا طريقا واحدا هو طريق التضحية وافتداءالاوطان بكل غالمن المهج والأرواح ولم يعد يرى استقلالا يأتي من طريق الآمال والاماني او طلب التفاوض الذي يعده استجداء لا يليق بكرامة العرب الاباة • ذلك ما عبر عنه الشاعر في قوله :

المغرب العربي يعرف دربه
ليست دروب السالكين سواء
نبذ الدروب الدائرات بخطوة
عبثا ، وشق طريقه حمراء
ان الطريق الى الحياة عقيمة
ان لم تكن فيها الصوى أشلاء
ثمن الحياة دم يسيل وأنفس
تشقى وأجسام تصيب عناء
ما عاد ينتظر الفكاك عطية
من كف آسره ولا استجداء
المغرب العربي يلقى درسه
قل للعروبة تحسن الاصغاء

واذا كانت فرنسا صاحب دعوى الحضارة والمدنية وتحرير الشعوب هي المستبدة اذ ذاك بالمغرب العربي كما كانت مستبدة ببلاد الشام ، فان الشاعر لا يخفي تهكمه المرير بتلك الدعاوى التي يكذبها عسفها واستبدادها وسفكها دماء الثائرين لكرامتهم المطالبين بحريتهم ، كما تهكم بها في قصيدته السورية التي ذكرناها :

ايه (محررة الشعوب) أ أنت من
رفعت أمام الثائرين لواء ؟
دعواك أمس خرافة مستورة
اليوم عنها تكشفين غطاء
قسما بتموز الذى اغرقته
بدم كمثل السيل راح غثاء
ان الذين سفحت من مهجاتهم
وعروقهم ما خضب الغبراء
لم يثو في البستيل أروع منهم
عند المنون ترفعا وإباء

وقصيدته الثانية عن الجزائر وقد أنشدها في نيسان سنة ١٩٥٦ ، وفيها شد للعزائم المجاهدة وتبشير بقرب يوم الخلاص :

قربي يا اخت فالعتق قريب
هكذا ينتزع الحق السليب
تقطف النصر وأن حف به
أسل من شوكه الكف الخضيب
قربي يا اخت لا تستكثرى
مهجا في جاحم النار تذوب

ولقد قربت الجزائر ، وما بخلت بدماء ولا استكثرت مهجا ولا ضنت بفداء ، حتى كان جهادها وفداؤها أسطورة الأساطير ، وكتب الله لها النصر المؤزر ، وانضمت الى جحافل العروبة الحية المجاهدة قوية

حرة تضرب أروع الامثال فى التضحية وعمق الايمان بالحق والحياة .

وللشواف بعد هذه القصيدة قصيدتان فى الجزائر أنشأ أولاهما فى تشرين الاول سنة ١٩٥٦ عندما اختطف قراصنة الجو من الفرنسيين بوسيلة دنيئة أبطال الجزائر الخمسة فى طريق عودتهم الى وطنهم لمواصلة القتال فى معركة التحرير بعد أن عجزوا عن مقاومتهم والقضاء على ثورتهم الباسلة ، وقد جعل عنوانها «مرحى للشواهين» ! وهى تفيض بالسخرية اللاذعة من تلك البطولة الفرنسية المزيفة التى فقدت كل صلة بشرف المحاربين ، وعد الشاعر انتصار فرنسا فى اختطافهم قرصنة وعارا ، وأشبعها تهكما واستهزاء :

مرحى فرنسا .. رحضت العار عن شرف
أذيل كاسمك فى الاقذار والطين
تلك الهزائم فى الغبراء صرن الى
نصر على صهوات الريح مضمون
تيهى فخارا فقد ابدعت قرصنة
غدا اذا ذكرت تنمى الى الستين
ست من النافثات الموت تحمله
لصيد غزلاء .. مرحى للشواهين
تلك البطولات والأمجاد فانتفخى
زهوا بابطالك الغر الميامين

وأنشأ القصيدة الأخرى فى تحية احرار الجزائر ، وهى احدى مطولاته الجياد عدةأبياتها واحد وخمسون بيتا .

وقد أحالت حرارة العاطفة هذه القصيدة الرائعة جذوة مستعرة من القريض الحر ، بما قبسته من حر القتال وشرف النضال ، فجمعت بين شرف المعنى الدافق ، وقوة البناء المستحكم ، وهى بذلك ترفع خالدا الى مرتبة الفحول الذين يتباهى بهم الشعر العربى الاصيل . ولكن خالدا يستقل مع ذلك تلك النفحات الخالدة أمام صدق البلاء وثبات الأحرار فى الجزائر :

اين الأساطير مما سطرته يد
ينصب منها الدم المسفوح لا الكلم ؟
اين الملاحم من شعب برمته
على الجزائر يدوى كيف يلتحم ؟
وأين من ناره الحمراء قافية
ان لم يشب بها من مسها ضرم ؟
واضيعة الشعر ان لم ينفجر غضبا
على الطغاة وفى أبياته رجم ؟
وان أشاح وقد نادته آصرة
من العروبة والاسلام تهتضم ؟

ومنها يصف أبطال الجزائروكتائبهم التى استبقت الى التضحية والفداء فى عزم المؤمن واصرار صاحب الحق على حقه كاملا غير منقوص :

بدرية من جنود الله ، موقفها
كموقف القوم فى (بدر) وقد عزموا
كأن أيامها تحذو مطالعها
مطالع الفتح تقفوها وتنتظم
طارت الى الموت تستبقى الحياة به
موفورة العتق لا نير ولا لجم
تجود بالأضحيات الكثر باسمة
وليس يعقب ما تسخو به ندم
عرس القرابين فى الصحراء لاوتر
ينوح فيه ولا تبكى به نغم

وفى تلك الايام الحوالك فى تاريخ فرنسا وتاريخ الاستعمار ، المشرقة بالجهاد والتضحية فى تاريخ الأمة العربية كانت ثورة الجنوب العربى فى (عمان) مشتعلة ، فحيا الشاعر فى هذه الخريدة أحرار عمان وربط بين كفاحهم وكفاح اخوانهم أحرار الجزائر :

يايها المغرب الدامى طلعت بها
شمسا تضاء بها الأغوار والقمم

ثم يقول :

واقسموا ان ينالوا النصر منبلجا
وان يضيع مع استبسالهم قسم

ولولا مخافة الاكثار وضيق النطاق لوضعت هذه الخريدة كلها أمام عين القارىء ليرى فيها حرارة وقوة وفحولة ترفع الشاعر المعاصر الى طبقة أبى الطيب أو أبى تمام ! .

ومن هذا النبع الفياض قصيدة الشواف الدالية فى جهاد تونس ، ومنها :

هذى رباك يضوع من جنباتها
أرج الفدا وعبير الاستشهاد
فى كل ناحية خشاشة باذل
سالت تضمخها ومهجة فاد
فاستشهدى يوما كأمس ولاتنى
عن بذل تضحية ووصل جهاد

ويبقى بعد هذا من شعر الشواف فى لهيب الكفاح ما أنشده فى كفاح العروبة فى العراق ومصر، وموعدنا معه العدد القادم ان شاء الله .

« دكتور بدوى طبانه »

الإلهام الشعرى بين المسيحية والإسلام

للدكتور محمد النويهى

فى مقالتين قيمتين نشرتا بالعددين ٤٨ و ٥٢ من « **الرسالة** » ، تناول الكاتب القدير الاستاذ « **عبده بدوى** » ظاهرة هامة فى الشعر العربى المعاصر ، هى بروز الافكار والرموز المسيحية فى كثير من هذا الشعر . فتجسد الاله فى بشر ، والصلب والفداء ، والخلاص والتطهير والانتظار ، وغيرها من افكار المسيحية ورموزها الاساسية ، تظهر وتشيع ، لا فى انتاج الشعراء المسيحيين وحدهم ، بل فى انتاج عدد غير قليل من الشعراء المسلمين ، ضرب عليهم الاستاذ بدوى امثلة كافية .

وما يقوله الاستاذ الفاضل فى هاتين المقالتين جدير بالاهتمام والنقاش ، لانه لا يتناول المشكلة من زاوية دينية متعصبة او موقف فكرى متزمت ، فهو يقول بصراحة لاتدع مجالا للبس انه يطالب برفع الوصاية الدينية ايا كانت هذه الوصاية عن الشعر . لان هذه الوصاية المشددة تعرقل الشعر ولا تنميه . وينبه قارئه تنبيها قويا الى ان نقده لهذه الظاهرة لا يعنى انه يريد ان يصادر تجربة الشاعر ، لانه يؤمن بحرية الشاعر كاعمق ما تكون عليه هذه الحرية ، وانه انما يريد ان يذكر الشاعر بأن يكون اعظم رحابة وان يضم اليه كافة التجارب الدينية والانسانية على اختلافها ، « **لان الصوت الصادق فى هذه الفترة هو الغناء للانسان ومباركته وهو يشكل نفسه فى المنطقة العربية .** » ويزداد مقصده جلاء حين يقول انه يقر الشاعر حين يربط بين الشاعر والمسيح :

يصلب النفس ليفدى انفسا
مرغت فى شهوة الحس الجباه

ويقره حين يجد الصلاة هى البيت الوحيد الذى يسارع اليه امام مشكلات الحياة ، ويقره حين يعطى حلولا دينية ، لكنه لا يقره حين يعطى كل شىء وجها مسيحيا ، لأن قراءته حينئذ تصبح نوعا من التعذيب الهادىء الذى يستحيل بعده الانسان الى السلبية والصمت والعدم ، فهو يثير فى القارىء احساسا بالضيق حين يجد نفسه محاصرا فى كل فكرة وكل نبضة بوجه دينه وهو يصلب من حوله الحياة ويجره جرا الى مذبح ، او محراب .

على هذا الاساس الانسانى الواسع النظرة السمح الروح يتساءل الاستاذ « عبده بدوى » لماذا لايتجه الشعراء المسلمون الى استلهام المواقف والرموز من دينهم الاسلام ؟ ويقول انه بمناسبة المولد النبوى بذل جهده فى العثور على باقة من الازهار الشعرية يرفعها الى الرسول فى هذه الذكرى ، ويستمر قائلا : « **فتشت فى الشعر المعاصر فلم اجد اسماء دواوين تخرج من القرآن كما تخرج من الانجيل ، ولم اجد الا الهجوم من بعض الشعراء ، كما لم اجد آية قرآنية تظاهر قصيدة ، او تنسج فى ابيات ، او مواقف ورموزا تشغل الشاعر كما شغلته بعض المواقف والرموز .** »

على الاساس الانسانى الواسع الذى تبيناه فى موقف الاستاذ عبده بدوى ، لا يستطيع قارىء يقرا كلامه هذا ان يتهمه بالحسد الذميم او التعصب المغلق بل يضطره واجب الانصاف الى ان يسلم بان هدفه انسانى شامل وفنى خالص . فلا شك ان شعرا يقوم من ورائه دين عظيم لا ريب فى عظمته ، وفى كونه احد الاديان الكبرى للانسانية ، ثم لا ينتفع هذا الشعر بهذا الدين انتفاعا فنيا يخصبه ويغنيه ، يكون قد حرم نفسه احد المصادر العظيمة للالهام الفنى .

الى هنا نوافق الاستاذ عبده بدوى ونؤيد موقفه . ونرجو ان يكون لما قال بعض النفع فى تحذير المسرفين فى استغلال الرموز المسيحية ، وفى تحذير الشاعر « يوسف الخال » نفسه . فالحق اننا وان لم نطعن حتى الآن فى اخلاص يوسف الخال وصدقه الشعرى نخشى عليه اشد الخشية ان تلجئه الفرحة بالكنز الصادق الفنى الذى عثر عليه الى ان ينتهى الى تكراره واجتراره ، فيتحول عنده الى مجرد اكليشيهات رخيصة ، ويتخذه بضاعة سهلة يطير اليها كلما نضب الهامه الفنى او قعد به خياله الشعرى ولم يسعفه . وما نخشاه قد حدث لكثيرين ممن استكشفوا مصدرا جديدا للالهام الفنى فانهكوه استغلالا حتى تلوه تكلفا وافتعالا . فوا اسفا ان لم يستمع يوسف الخال ومقلدوه لهذا التحذير المخلص ...

الا اننا بعد هذه الموافقة نود ان نناقش الاستاذ

عبده بدوى فى تعليله للظـــاهرة ، وخصوصا حين لا تقتصر على الشعراء المســيحيين فتتعداهم الى الشـعراء المســلمين وتصرفهم عن تلمس المواقف والرموز فى دينهم الاسلام واستلهامه بعض افكارهم وقيمهم وأخيلتهم الشعرية . فالاســتاذ بدوى يقدم هذه التعليلات : اما ان هؤلاء الشعراء واقعون تحت تأثير بعض المثقفين الشديدى الذكاء ، واما انهـم يعيشون فىالمناخ الشعرىللبنان ، واما انهم يعتقدون ان القصيدة العمودية تمت بصلة شديدة الى التراث العربى ومن هنا كانت المبالغة فىالجانب الآخر ، واما ان القوامين على الدين الاسلامى يبالغون فى التحفظ على مثالياته ورموزه . ونحن من بين هذه التعليلات لانوافق الا على الأخير منها ، كما سنشرح بعد قليل .

والاستاذ بدوى يضرب مثالا بفكرة الصـلب التى تكاد تلمس فى أكثر القصائد المعـاصرة ، ثم يقول :

« واذا قبل هذا من شاعر مسيحى يؤمن بالصلب ، فكيف يقبل من الشاعر المســلم الذى لايعترف دينه بعملية الصلب هذه ، وعلى اى اساس يختار الشاعر المسلم هذا الا ان يكون متأثرا دينيا لا متأثرا شعرياً، والا لاختار زاوية شعرية غير هاتين الزاويتين اللتين تتمثلان فى الصلب والرفع . »

هنا نعتقد ان الاســتاذ الفاضـــل قد جانب وجه الصواب ، ونلاحظ انه قد نسي ما قاله فى مقـــالته الأولى من قبوله هو لرمز الصلب فىحالة واحدة على الاقل : حين يربط الشاعر بهذا الرمز بين الشــاعر والمسيح . وقبل ان نعطى تعليلنا نحـــب ان ننبه القارىء الى ان ما ســنقوله الآن لا نعنى به يوسف الخال نفسه ، بل نتحدث عنالأدباء المسيحيين عامة ، ونصدر فى كلامنا عن خبرة غير قصيرة بشــعرهم ونثرهم وعن معرفة شخصيةلبعضهم . فهؤلاء الادباء لايستطيعون فكرة الصلب لأنهم بالضرورة يؤمنون بها كعقيدة ، بل يستعملونها استعمالا رمزيامحضا يرفعها على مفهومها الدينى المحدد . ذلك ان الايمان الدينى بهذه الفـــكرة يقتضي الايمان بعقائد اخرى عدة ، من الوهة يسوع ، وثالوث الأب والابن والروح القدس ، والولادة العذراء ، وتضــحية الأب بابنه تكفيـــرا عن خطيئة البشر . وخلاص البشر من هـــذه الخطيئة بمجرد هذا الصلب . واغلب الادباء المسيحيين فيما نقرأ وما نعرف لم يعودوا يؤمنون بهـــذه العقائد كحقائق حرفية ، بل يرونها مجرد رموز ترمـــز الى حقائق عليا .

لست اتحدث الآن عن الأدباء الذين هم مسيحيون بمجرد الاســـم ، اى الذين ولدوا لآباء مسيحيين ونشأوا فى شعوب مسيحية لكنهم انتهوا الى الالحاد او اللاأدرية ، فهؤلاء لا يصحون شاهدا على ماأقول . انما اعنى ادباء لا يزالون يعتقدون انهم «مسيحيون» مخلصون ، يقبلون المســيحية دينا لهم ولا يؤمنون بغيرها ، ولكنهم صاروا الى مرحلة فكرية وايمانية لم يعودوا فيها يعتقدون ان ايمانهم يرغمهـــم على ان يحتفظوا بالفهم الحرفى لتلك العقائد . فهم يأخذونها مأخذا رمزيا صرفا .وان انس لا انس دهشتى وحيرتى والى حين ناقشت منذ بضع وعشرين سنة فى لندن قسيســا مسيحيا ، قال لى انه لا يؤمن بالولادة العذراء ايمانا حرفيا ، ويعتقد ان يســـوع كان ابن يوســـف النجار وانه ولد من امه مريم ولادة طبيعية عادية ، ويحاول ان يفهمنى انه معذلك مسيحى مخلص ، دعك من كونه « قسيسا » رســميا فى الكنيسة الانجليزية المعتمدة تعرف هذه الكنيســـــة آراءه هذه ، ويبرر احتفاظه بمســـيحيته بأنه وان كان يعتقد ان الولادة العذراء ليست فى ذاتها حقيقة مادية حرفية فانه مع ذلك يؤمن بأنها رمز الى حقيقة روحية عليا . وما كان اعجبه من نقاش بين مدرس مسلم يحاول ان يدافع عن حرفية الولادة العذراء للمســيح وبين قســيس مسيحى يرفض حرفيتها ويعدها مجرد رمز !

وواضح ان شعراءنا المسلمين الذين يســتعملون فكرة الصلب فى شعرهم ، والذين ضرب عليهـــم الأستاذ « عبده بدوى » مثالا ، انما يستطيعون هذا لأنهم فى موقف مشابه من هـــذه العقيدة المسيحية . لا داعى اذن لتعجب الاستاذ بدوى وانكاره ، فهؤلاء الشعراء لا يقبلون العقائد المسيحية المقترنة بالصلب كعقائد ايمانية حرفية ، فان دينهم يابى عليهم اغلبها **(هو يابى عليهم جميعها ما عدا الولادة العذراء)**، انما هم يستطيعون ان يفهموا فيهـــا المعانى الرمزية العليا التى يراها اولئك المسيحيون الذين وصفتهم .

من هذا يتجلى شيئان هامان .اولهما الاغراء القوى الذى يجده هؤلاء الشعراء المسلمون فى تلك الافكار ، اذ يستطيعون استغلالها فنيا كرموز واخيلة دون ان يتقيدوا بالقبول الحرفى لها كعقائد ، فيرمزون بها الى قيم انسانية رفيعة ومدركات سامية وتجارب عاطفية عميقة وآمال واحلام بشرية بعيدة لا تزال تلك العقائد رمزا قويا لها . وثانيهما عجزهم عن ان يتخذوا من دينهم الاسلام مصدرا مشابها للالهام الفنى . فالسبب

الحقيقى هو اننا لم نصل فى تفكيرنا الدينى الى نظير المرحلة التى بلغها اولئك المسيحيون من اتخاذ العقائد الدينية مجرد رموز ، ومن التوفيق بين هـــذا وبين احتفاظنا بايماننا واخلاصنا فى نزعتنا التدينية وعدم صيرورتنا الى الالحاد او اللاادرية . فالعقائد الدينية لا تستطيع ان تكون مصدرا للالهام الفنى الانسانى الواسع الذى يعنيه الأستاذ عبده بدوى ما دامت تقبل كحقائق مادية حرفية ولا تفسر تفســيرا رمزيا يوسع من مدلولها ويعمق من مفهومها. فيجعلهاتعبيرا عن تجارب انسانية عميقة وصراعات نفســية دفينة ومشاكل حيوية ومعاشية وروحية واخلاقيةوتناقضات اجتماعية ومحاولات للتوفيق ومطامح وآمال تتصعد اليها ابصار البشرية .

لست اعنى بهذا ان العقائد الدينية فى ذاتهـــا ، حين تقبل قبولا حرفيا ، كانت دائما عاجزة عن الهام الفنانين والادباء . ففى تاريخ الآداب الغربية عدد من الأدباء الذين استلهموا تلك العقائد فى شـــعرهم ونثرهم . لكن هذه القدرة محدودة . كانت فى الماضى نفسه محدودة ، بدليـــل قلة هؤلاء الأدباء من الناحية العددية وكون اغلبهم دون المرتبة الاولى من ناحيـــة الامتياز الادبى . وقد صارت فى عصرنا هـــذا اكثر تحددا ، ان لم تكن قد خلت تمام الخلو من قدرتها على الهام الأديب المعاصر . اما فن الرسم المسيحى فانه لم يحقق ما حققه من روائع باهرة العمق والغنى الا بعد ان تخلص فى عصر النهضة ممـــا كان يحده ويلزمه الجمود فى القرون الوســـطى من الحرفية الدينية ، فصار انسانيا شاملا وامتلأ بالتفاصـــيل البشرية الواقعية وصار يرسم امهات واطفالا نشعر ببشريتهم الاساسية من تفاصـــيل اجســـامهم ولا نرى فـــوق رؤوســـــهم الهـــالة التى كانت ترسم فوقها ولا نجد فى مواقفهم الجمود والصلابة التى توجد فى رسوم القرون الوسطى .

لكى ازيد المسألة توضـــيحا اذكر حقيقة اخرى يعرفها المطلعون على الفكر الغربى الحديث والذين واتتهم الفرصة لمصاحبة بعض المثقفين الغربيين . وهى موقف اولئك المسيحيين الذين عنيتهم من الكتاب المقدس بقسميه العهد القديم والعهد الجديد . فهم لا يؤمنون بأنه كلام الله الحرفى ، بل اقصى ما يؤمنون به وهو انه كلام بشر كتبوه وهم « فى حالة الهام » اى فى حالة اتصال بالذات الالهية انطقهم بما قالوا ولكنه لايزال كلامهم محدودا بحدود لغاتهم وبيئاتهم وعصورهم وعقلياتهم واخيلتهم ومـــدى فهمهـــم وتصورهم للحقائق الالهية الخالدة . اود هنا ان أنبه القارىء مرة اخرى الى اننى لست اعنى مسيحيين بمجرد الاسم ، فهؤلاء لا يعتد بهم فى مجالنا الراهن . بل اعنى اناسـا لا يزالون يصرون على انهم مسيحيون مخلصـــون يقبلون المسيحية دينا ويتخذون الكتـــاب المقدس كتابا دينيا لهم . ومن الجلى ان مثـــل هذا الموقف يعطيهم حرية اوسع بكثير فى فهم نصوصه وتفسير اساليبه وصوره واتخاذ الموقف الرمزى منها ومن الجلى ايضا ان نظير هذا الاتجاه لا يتحقق فى موقف المسلمين الراهن من القرآن الكريم ، وان يكن بعض المفكرين « المسلمين » القدامى قد قالوا بشيء شبيه به عن علاقة الرسول عليه السلام بالوحى .

لست اعنى بشيء مما تقدم اننى « ادعو » الى ان تطور فكرنا الاسلامى وقبولنا الايمان حتى نبلغ هذه المرحلة من الفهم الرمزى ، فليست محاولتى الراهنة ان « ادعو » الى هذا او الى نقيضه ، انمـــا هى مقصورة على التفسير لواقع الحال . فهذا تفسيرى لتلك الظاهـــرة الهامة التى تناولهـــا الأســـتاذ عبده بدوى ، وانا ارحب واسعد بان يخضعه الادباء والمفكرون للنقاش والتصحيح والاكمال او التفنيد . فان كان صحيحـــا اتضح انه لا جدوى من مطالبة شعرائنا المسلمين بان يستلهموا دينهم مادام القبول الحرفى للعقائد هو الموقف المسيطر .

ان شعراءنا بين متناقضين ليس من المنطق ولا من العدل ان نطالبهم بالجمع بينهما . فاما ان نصر على تناولهم الحرفى لعقائد الدين ، وحينئذ ليس لنا ان نشكو افتقار شعرهم من اى اســـتخدام عميق غنى للمهمانه ، واقتصـــار اشاراتهم الدينية الاسلامية على ما نلاحظه فيهـــا من السطحية والابتذال . واما ان نسمح لهم بحرية الفهم الرمزى ، وحينئذ نصـــل الى ما يريده الاستاذ عبده بدوى من اغناء شعرنا بالمواقف والرموز الدينية مفهومة فهما انسانيا شاملا . فما دمنا نؤثر الموقف الاول فلنتقبل افتقار شعرنا من تلك الرموز والمواقف ، وليكن لنا عزاء فى اننـــا نحتفظ بحرفية الايمان وان حرمنا اغناء الالهام الشعرى . اما ان نطالب بالاثنين معا فهذا مالا سبيل اليه ، فنحن لا نستطيع ان « نأكل كعكتنا ونحتفظ بها »

« دكتور محمد النويهى »

أين نحن؟

للدكتور احمد كمال زكى

- ١ -

تشهد هذه الأيام انبثاق حركة ادبية تختلف شكلا ومضمونا عن الآثار التى خلفها جيل الثلاثينات والأربعينات من هذا القرن . وكانت كتابات النقاد اذ ذاك مع التفتح على الوافد من آثار باوند واليوت وجيمس جويس وبرتولد بريخت قد كشفت تماما عن ضحالة الانتاج الذى طالما دار فى فلك التقليديين . وقد نجم عن التأثير المشترك لهؤلاء والاحساس بقيمة انسان العصر لون من الأداء هيأ من غير شك الى ذلك التمرد الفنى الذى يحاول به الأدباء استكناه قضاياهم . فلما وقعوا على انتاج العبثيين - وهم مرحلة وجودية لا ريب فى اصالتها - وجدوا فيه تلك اللغة التى ثبت أنها ان لم تكن تقدم حقيقة انسان العصر فهى تقدم ازمته .

ولقد نتج عن الاتساع السريع فى التعليم العام داخل بلادنا وعن اعادة تقويم الحاجة التى تفتقت عنها ثورتنا وعن البناء فى المجالين الاجتماعى والفكرى ، خصوبة فى لغة الأداء بلغت حدا دعا الفنان الى أن يستعير أنماط العبثيين . وكما كان اليوت مثلا يرفض فى الشعر أن يستقطب مضامين الاليزابيثيين ، راح الصلاحيون - مع الاعتذار للدكتور النويهى - يوجهون عنايتهم الى الشكل الذى تحرر من العمودية . وكذلك انطلق نجيب محفوظ - على سبيل المثال أيضا - من دائرة الرومانسية والفيكتورية المتأخرة الى الأشكال الأثقل شحنة والأوسع عطاء . فى حين أبى توفيق الحكيم بدوره الا أن يسهم بعطاء مسرحى لم يئن الأوان بعد للحكم عليه نهائيا ، وان يكن يلفت ويثير .

اما الآخرون الذين تتصل أسماؤهم بهذه الحركة، مثل يوسف ادريس وكمال نشأت وعبده بدوى وأحمد عبد المعطى حجازى وشوقى عبد الحكيم وفاروق خورشيد وسعد الدين وهبة ، فانهم يكشفون فى كتاباتهم مهما تتباين مذاهبهم عن رغبة فى الوقوف مع الثائرين على التقليد سواء أكانوا على تنافر معهم أم تآلف .

فهل بلغنا اليوم مرحلة أقرت فيها ثورتنا مقاييسها النهائية ؟

هل هذا الجديد فى الأدب تطور طبيعى للأحداث التى مرت فى ربع القرن الماضى كله ؟

اننا ونحن نشاهد جيلنا المعاصر ينتج الوانا متعددة مما يهدم به آثار التقليديين ، وكتبا تزداد اقترابا يوما بعد يوم من العبثيين ، علينا أن نتوقف قليلا لنتأمل هل حقا ادركنا النقطة التى بدأ من عندها هؤلاء العبثيون ؟

نحن نريد أن نتتبع تيار التطور على النحو الذى تحتمه حاجة مجتمعنا . ولكن لما كان مجال التعبير الأدبى واسعا فسنقتصر على ضرب واحد من ضروبه ، وليكن الأدب المسرحى على أن نتبعه بمناقشات فى القصة والقصيدة ما دعت الضرورة فى المستقبل ان شاء الله .

- ٢ -

فى اوروبا جمهور يتذوق الدراما بأشكالها المختلفة ، كما تبدو عند شيكسبير فى موضوعاته التقليدية ، وكما تبدو عند بريخت فى موضوعاته التبشيرية التى تفضح أساليب الكبت والاضطهاد ، وكما تبدو عند صمويل بيكيت فى موضوعاته العبثية التى تنساب انسيابا من اليأس . وكلها من غير شك مرت فى الطريق الذى مهده الاغريق ، ووضح معالمه

ارسطو في كتابه العظيم « فن الشعر » ·

شيكسبير محصلة من محصلات القدماء ، تماما كما كان ابسن وبيرانديلو ، مع اضافات اقتضتها ظروف التطور الواقعة · وعلى هذا النحوبيدو بيكيت وهو يمزق القواعد التي اجمع على الأخذ بها كل الفنانين ، الا أنه من غير شك مر بالمراحل التاريخية التي رصدتها عجلة الأيام منذ الاغريق الى اليوم ·

فهو ابن الماضي كله ، وهو عندما يخطط لمسرحياته يعتمد المسرح الاغريقي ومسرح شيكسبير ومسرح ابسن ومسرح بيرانديلو ، بل قد يستمد المسرح الفرعوني والمسرح الصيني على ايغالهما في القدم · ولعل هذا ، لعل عنصر الأصالة ، هو من العوامل الأساسية التي جعلت لبيكيت جمهورا يتذوق آثاره اكبر بكثير مما يتوهمه المشتغلون بالأدب ·

هذا في اوربا ، فماذا عندنا ؟

ان مسرحنا المعاصر لا يعدو عمره قرنا ، ولا يوضع فيه اعلام اكبر من محمد عثمان جلال ويعقوب صنوع وجورج ابيض ومحمد تيمور وشوقي وخليل مطران ، وبعدهم جيل كتب أو اقتبس ووعيه لا ينصب الا على اعمال مستوردة من الخارج لا تنغمس فيها حياتنا العقلية والوجدانية · ومعظم الأرض التي وقفوا عليها كانت غريبة التربة ، أو متميعة الأعماق ، واهون ريح كانت تذروها في الفضاء ·

ومع ذلك فقد وجدنا تجارب خطيرة تريد ان تستوعب بريخت ويونيسكو وبيكيت دون أن تتصل تاريخيا بالمسرح القديم · وللأسف وجد النقاد الذين احاطوا تلك التجارب بهالة من التقدير ، زاعمين أن الخروج على المسرح التقليدي في مجتمعنا ، ليس في الحقيقة الا محاولة لاتاحة كل الفرص أمام التعبير الحر الذي يجسم واقعنا الاجتماعي في كل ابعاده وبكل عقده وخفاياه ·

بل يسمون اصحاب تلك التجارب أعداء المسرح كما سمي يونيسكو وبيكيت وجينيه ، على أساس انهم يرفضون الأيديولوجيات المقننة ويعيشون قلقا اساسه النكسة ، وموضوعاتهم لا يمكن لها أن تظهر في الاطار الذي اقترحه الاغريق وأخذ به شيكسبير وابسن !

وغير هذا صحيح ، الا انه لا يقل خطرا عنه ، او ليس أقل حاجة منه الى المناقشة الدقيقة · ولكن حالما ينظر الانسان النظرة الشاملة يرى أننا نعيش تجربتين فجتين في الأدب المسرحي : الأولى تجربة التقليديين الذين يأخذون بنظام المنظر المسرحي والفصل والديكور والعرض المتدرج والترتيب الذي يربط الشخصيات بأحداث تكشف عن الصراع وعن تطوره بمنطق ارسطو المعروف ، والثانية تجربة أعداء المسرح الذين لا يتقيدون بهذا التكنيك الموروث ولا يعنيهم أن يستوعبوا في أعمالهم – مع أنهم قادرون – دقائق الدراما بالمعنى الذي يفهمه المحافظون ·

ومع ذلك فقد كان كل شيء يوحي بأن الدراميين المصريين يؤثرون الأخذ بالتجربة الأولى ، يساعدهم على ذلك أن الثقافة الانجليزية – وهي محافظة في الجملة – كانت السائدة بينهم · في حين كانت الثقافة الفرنسية تجد مرتعا خصبا في المغرب العربي وفي لبنان ، واستطاعت هذه الأجزاء من الوطن العربي ان تفتح صدرها لسارتر وتلاميذه وكل أصحاب اللامعقول · فوجد المصريون لونا من التعبير الدرامي يمكن أن يصور حالتهم ، في الوقت الذي كانت فيه ثورة يوليو تنبه الأذهان الى فساد كثير من القيم التي ارسيت دعائمها في ظل التحكم البريطاني واعوانه ، وتهيىء في الوقت نفسه فرصة لانبثاق التفكير الحر او قل تشجع على الانطلاق ·

هذا بصفة عامة ، وكان من الممكن – في ضوء هذه الظروف كلها – أن يعكف الدراميون على التأهب لما يقوم تطرهم وعلى ما يوفر لهم التوازن الصحيح بين حاجات المجتمع المصري وحاجة الفن الاصيل ، بين القضية التي يحتشدون لها وبين الاطار الذي يناسبها لقد كان توفيق الحكيم – الذي كتب أخيرا كما يكتب اللامعقوليون – مثلا مشجعا على هذا التوازن ، وسار سيرا ثابتا عبر التاريخ ، وعلى الرغم من انه «طفره» طفرة غير طبيعية فانه لم يفسد عطاءه على نحو ملموس ·

وقد استشهدت بتوفيق الحكيم لأن وقوفه الواعي على الفنون كلها وعلى تواريخها ينقص كثيرا من كتاب المسرح عندنا ، ولعل هذا يفسر لنا اختلاط التجربتين عند أكثر من واحد ، واضطراب طائفة بين الاستمرار في تجربة التقليديين وبين التمرس على تجربة العبثيين ·

ولست أدري في الحق الى أي مدى يمكن أن نقدر أصالة الجميع ، ولكننا نستطيع أن نتبين التالي :

مصر المعاصرة – **كرائدة في المسرح العربي** – لم يظهر فيها بصفة عامة المسرحي العظيم الذي يمكن ان تحتفل بذكراه كما يحتفل الانجليز مثلا بشيكسبير ، وهذا معناه أنها حتى اليوم لم تستظهر

أسرار التخطيط للمسرح الكلاسيكي . وهو من أجل ذلك أو بناء على حقيقة التطور الطبيعي لأعجز من أن تقف على ما يقف فوقه العبثيون ، لأنها لم تسر في الطريق الشاق الطويل الذى ساروا فيه حتى اليوم . والنتيجة أن الطفرة العبثية تبدو واهنة لا ينفع فيها تمكن بعض الفنانين من الثقافة الأجنبية ، ولا كذلك الادعاء بأن العالم يعيش ثورات امتدت حتى شملت قواعد العلم المقررة ولا بد أن تشمل هذه الثورات كل أسباب التعبير الفنى .

أجل ، ولكن هذا من الناحية النظرية فقط ، فضلا عن أنه لا يعنى أكثر من أن المسرحيين عندنا أولعوا بنزوة « الموضة » ولم يفهموا الجوهر . ولهذا يجب أن نتقصى نحن حقائق هذا الجوهر ، كما يجب أن نسأل فى سبيله هذا السؤال : هل استطاع الأديب المسرحى أن يؤكد العلاقة بين طبيعة الموضوع وأسلوب التعبير عنه ؟

- ٣ -

وبهذا نصل الى المادة بعد أن اكتشفنا انه لم يكن ثمة تدرج تاريخى مؤكد يؤدى الى الأخذ بتكتيك العبثيين ، وبعد أن اعترفنا بأننا ينقصنا المسرحى الكلاسيكى العظيم ، برغم نجاح بعض روادنا فى الكتابة القائمة على التهجين ومزج التيارات . والمادة بدورها - واعتذر عن هذه المصادرة - لم يظهر أنها فى حاجة عندنا الى اطار العبثيين ! فرشاد رشدى مثلا يكتب « رحلة خارج السور » وشوقى عبد الحكيم يكتب « شفيقة ومتولى » ، وكلا الكاتبين يثور على الصياغة الفنية الموروثة مع أن الموضوع لا يحتاج الى هذه الثورة ، وكان يكون توفيقهما اعظم لو أنهما وقفا عند حدود التصميم الكلاسيكى بكل دقائقه .

لقد رأينا شوقى عبد الحكيم - برغم اعجابى بمسرحيته شفيقة ومتولى - يحمل مادته بما كان لا ينبغى ، ويزحمها بما زحم به بيكيت مسرحيته « فى انتظار جودو » ورأينا الدكتور رشاد رشدى يعقد صياغته بلا طائل وراءه بغض النظر عن ذكاء حواره والمعيته ، ويقدم على مافقد عمله وحدة الأداء المنشود .

أنا لا أزعم أنهما لم يحسنا تعمق موضوعيهما ولم يجعلا « الفعل » هو الدراما كما قرر الاغريق ، ولكنى أزعم أنهما لم يحكما السيطرة على فنهما فتراوح بين شتى أساليب ومذاهب ، ولم يقترب مع وذلك من العبثيين كثيرا . وليس من الضرورى فيما ارى أن نصر على أن أى أديب يجب أن يكون قادرا على كل أساليب التعبير ، فينجح كما نجح توفيق الحكيم فى أهل الكهف وفى يا طالع الشجرة على حد سواء .

وهناك خطر يهدد كل مادة درامية بسبب عجزنا عن أن نبقى لمجتمعنا المنفصم توازنه الصحيح ، وهذا الخطر هو الالتفات دائما الى الغرب دون أن نعنى العناية الكافية بتراثنا العربى من ناحية وبالفولكلور واساطيره من ناحية أخرى . ويبدو أن أكثر من فنان قد أخذ يهتم مؤخرا بهذه القضية ، مقررا أن علينا فى النهاية أن نبرز المادة ونبلور مضمونها فى اطار هو من صنعنا وليس للغرب فيه يد .

واذكر هنا يوسف ادريس ، لا لأنه قدم «**الفرافير**» ولكن لأنه دعا فى مقدمتها الى خلق مسرح مصرى بعد أن رأى أننا لا نعرف أين نحن فى الطريق ، وبعد أن رأى أننا نستعير الأقنعة ونتحدث بلغة تبدو غريبة فى مجتمعنا . وان أى مسرحى لينتهك الحرمات ويصب علينا التفاهات المؤسية فى سبيل الادعاء بأنه عثر على الموضوع الدرامى المصرى المناسب .

وما هكذا تخلق الدراما المصرية - كما يرى يوسف ادريس - وانما هى تخلق بما يجمع بين السامر الشعبى واهمال الحائط الرابع ، وما يجرى هذا المجرى . وعلى الرغم من أن نتائج عمله لم تكن طيبة فى « الفرافير » وأن مسألة السامر الشعبى سبقته اليها الدراما الكنسية فى أوروبا والغاء الحائط الرابع شىء يعرفه المسرح الشرقى من قديم ، فان دعوته تدل على احساس حقيقى بضياع ملامح الدراما المصرية فى زحمة التقليد والاقتباس .

ونحن لا نقول بامكان خلق المادة المصرية وبالتالى خلق المسرح المحلى الذى يوضع فى اطاره المناسب ، وانما نقول بضرورة اصطناع عنصر الأمانة فى التعبير عن أى موضوع . ان برتولد بريخت الذى يوضع فى الجانب المقابل للتقليديين ولا يدرج مع العبثيين فى قائمة واحدة ، لم يدع أنه خلق مسرحا محليا ، ولم يفتعل للتعبير أى أسلوب مشروع أو غير مشروع . لقد كان يكتب وهو يضع أمامه هدف الافادة والتوعية ولكنه لم يفرض رأيه السياسى فرضا ، وعلى الرغم من ايمانه بجدوى التخلص من قيود الكلاسيكيين فهو مثلهم يستخدم الكورس ، وهو يتجه بممثليه الى المشاهدين ، وهو قد يستعين باللافتات المكتوبة استعانته بالمشاهد السينمائية والأقنعة وغيرها !

تأملات في الفكر الإسلامى

بقلم : فؤاد أبو الغيط

- ٢ -

بينا في مقالنا السابق ، وفي مقدمات عامة ، ان القيم المعنوية لا تعد جوهر أهداف البشرية وآمالها فقط .. وانما تعد ، بايحاءاتها الكثيرة ، ضمانا للارتباط بها أيضا . وان من الضرورى ايجاد نظرية مدركة تستوحى هذه القيم وتؤمن العمل فى سبيلها .

. ومن ناحية أخرى خلصنا الى ان القيم الاسلامية طاقة ايجابية غير محدودة ومصدر خصب للاضافة واثراء القيم الانسانية فى النطاقين الاسلامى وغير الاسلامى معا .. ومع هـذا فقد بقيت ، لاسباب لا يتحملها العصر وحده وانما هى وليدة ظروف كثيرة تراكمت عبر الزمن ومن خلال الاحداث ، معزولة بامكانياتها الايجابية الهائلة عن ممارسة دورها فى تحقيق اهداف البشرية . ورغم تعدد أسباب هذه العزلة وتشعبها فاننا نكتفى ، فى نطاق روح المقدمات العامة ، بتلمس معالمها دون استطراد فى التفصيل :

عدم اكتمال تجربة المطابقة فى الدولة العقائدية الاسلامية :

والمقصود : عصر الدولة الاسلامية خلال محاولة التطبيق الشامل لتعاليم العقيدة فى مختلف المجالات .. وبمعنى آخر **خلال تجربة التصدى الهائلة للواقع البشرى ومحاولة الكشف عن اسلوب الحياة الأمثل** **وفقا لهذه التعاليم بتحقيق التجانس والمطابقة بين قيم الدين وواقع الحياة** .. وتصنيف الامكانيات الحياتية للعقيدة فى نماذج مشعة واضحة الابعاد والدلالة . وهى التجربة التى حال مصرع الامام دون بلوغ أهدافها وبالتالى لم تقدم لنا مضمونات تجريبية كاملة ، وان قدمت أسسا صالحة ، فى أى من المجالين السياسى والاجتماعى .

.. فمن الناحية السياسية : تحققت روح الديموقراطية وابتعدت السلطة تماما عن أساليب الاستبداد والفردية التى كانت شائعة فى نظم الحكم المعاصرة حينئذ .. الا ان اختيار القيادة لم يحظ بأسس ثابتة واختلف الامر من خليفة الى آخر .

ومع هذا .. فان التجربة الديموقراطية ، بالذات وعت طريق تطورها الصحيح باتجاهها المتزايد نحو توسيع قاعدة الاختيار وتلمس معنى الشورى الى اقصى مدى سمحت به الاحداث والظروف .

.. ومن الناحية الاجتماعية : **لم تصل التجربة الى حدود تحقيق العدالة او ضمانات المحافظة عليها** — وقد اختلف اجتهاد الخلفاء فى تفهمها .. فابو بكر يرى المساواة الكاملة .. وعمـر ، وان لم ينازعه المبدأ ، يرى ان من حارب مع رسول الله ليس كمن حارب ضده . وترتفع فى عهد عثمان هامة الطبقية التى يتصدى لها الامام ويحاول العودة بالمجتمع الى

انه نموذج ، ولكنه ليس صاحب دعوة كيوسف ادريس ، ولا يمكن أن نزعم أنه لا يصدر عن دلالات قومية . بالعكس ، فقد أثار أكبر المشكلات ذات الدلالات القومية ، ولكنه أعطى البرهان المحسوس على أن الفنان ما دام يصدق مع نفسه ومع مادته ، مع مضمونه يصبح كل تكنيكه موافقة للتجربة الحية التى يعيشها .

وأين أى واحد هنا من بريخت ، ثم أين أى واحد من بيكيت ؟

اننا نعلم أن مسرح الجيب يريد أن يهيىء السبيل لكل تجربة طريفة ، ولكنى أؤكد أن أية تجربة قادمة لن يكتب لها النجاح حتى يوجد عندنا المسرحى الكلاسيكى العظيم ، نحتفل بذكراه كما يحتفل الانجليز بذكرى شيكسبير .

« دكتور احمد كمال زكى »

المساواة الكاملة ويخوض من أجل ذلك نضالا رائدا وفريدا .

ورغم هذا الاختلاف فان التجربة قد كشفت عن ارتباط العدالة الاجتماعية بجوهر العقيدة الاسلامية وعن وعى الروح الاسلامية لاهميتها وضرورتها للتطبيق العقائدى المنشود .. كما بينت ان الحدود ليست فاصلة بين العدالة الاجتماعية والديموقراطية .. وانهما معا يكملان الصورة الخلاقة للتنظيم الاجتماعى .. بدليل ان ظهور الطبقية قد عرقل تقدم التجربة الديموقراطية وتمثل سياسيا فى اضعاف الخلافة وتجريدها عن سلطانها وقدراتها على هذا النحو الذى اودى بحياة الخليفة والذى لم يكن عصيانا ضد عثمان بالذات بقدر ما كان تعبيرا عن وجود وحدة الصراع الاجتماعى .

التحول الى دولة ذات اطار اسلامى دون عمق حقيقى

اغتالت الرجعية الدولة العقائدية الاسلامية قبل نضوج التجربة وبلوغ اهدافها .. وتمكنت من احراز النصر فى الصراع الطبقى والسيطرة على مقاليد السلطة واعادة توجيه الامور لصالحها . وقد ادت النكسة الى احتجاب الروح الاسلامية الحقيقية وظهور مكونات لاعقائدية من خلق التحالف الرجعى ضد حقوق الجماهير فى العدالة الاجتماعية والديمقراطية .. وهى الحقوق التى تعبر عن الجديد الخالد فى العقيدة وترسم أبعاد المجتمع الاسلامى المرتبط بتعاليمها والتى تصنع الارادة العقائدية الواحدة وتنمى صلابتها وتزيد من قدراتها على مواجهة التحديات وحماية المكاسب العامة وتوسيع مداها .

.. ولا ينبغى ان يعد هذا التحول الذى صنعه الحكم الرجعى دليلا للمساس ، على اى صورة ، بالعقيدة .. وانما هو تجربة واقعية تعكس طبيعة الانقلاب الذى انهى عصر الخلافة .. بمعنى انه لم يكن معارضة عقائدية حتى يمكن ان تنسب أخطاؤها للعقيدة بل كان ردة رجعية غير مرتبطة بها احدثتها القوى صاحبة المصلحة ، بحكم وضعها الطبقى وظروف اعتناقها الاسلام ، فى عدم استمرار التجربة العقائدية والتى لم تلبث ان كشفت عن طبيعتها ودوافعها بتجاوزها عن القيم العليا الاسلامية واغتيالها — كما قلنا — لمقومات وأصول المطابقة الايجابية التى حددت التجربة طريقها وملامحها .

.. ولا يمكن نفى مسئولية التحول بتجاهل دلالاته والاكتفاء بنظرة تقييم جانبية تحكم على الواقع التاريخى بمقاييس لا عقائدية وتستند . فى محاولة لتخفيف مسئولية القوى الرجعية صانعة التحول ، الى اتساع رقعة الدولة وفترات الازدهار العلمى والحضارى التى مرت بها .. فكل هذه المظاهر ، وان كان فيها معنى القوة والقدرة أحيانا ، ليست من طبيعة العقيدة الاسلامية بالذات ولا مقصورة عليها ، كما ان الجديد فى الاسلام لم يكن قدرته على الفتح وتحقيق الازدهار .. وانما كان الجديد فيه هو نهوضه على قيم عليا تنظم الحياة وتنسق العلاقات البشرية خلالها بصورة ترفع كرامة الانسان وتقدس ارادته وتؤمن حقوقه فى المساواة والعدالة . **ومهما بلغت قوة الدولة ونضوجها العلمى والحضارى دون تحقيق هذه القيم والارتباط بها فانه لا يمكن القول بانها قد اخذت عمقا عقائديا حقيقيا .**

قفل باب الاجتهاد وعدم كفايته :

لا ينبغى ، ونحن بصدد تأمل موضوعى ، ان نحكم على التراث الفقهى الاسلامى قياسا على مجالات التصدى الفعلية .. **وانما تقتضى الامانة النقدية ان ننظر اليه فى مواجهة كل المجالات التى كان من الواجب التصدى لها .. وعليه فبقدر ما كان الاجتهاد عميقا وبارعا فى حدود نواحى معالجتها الفعلية فانه لم يكن كافيا ، حتى ابان اكثر لحظات نضوجه — لوقوفه عند العبادات والمعاملات بالمعنى الضيق دون تلمس القضايا العامة التى تهم حياة الجماهير .**

.. ولا يعنى ذلك نفى القدرة العقلية والاستنباطية لدى الفقهاء المسلمين .. كما لا يعنى افتقار العقيدة الى مصادر كافية لمواجهة هذه الحاجات .. وانما نرى فيه دليلا جديدا على روح الانقلاب الرجعى فى الفقه الاسلامى .

.. وخلاصة ما نود قوله .. ان عدم كفاية الاجتهاد ثم قفل بابه ، وهو التصدى للجديد فى الحياة والكشف عن حدود المطابقة بينه وبين تعاليم العقيدة وضماناتها ، كان محنة حقيقية للقيم الاسلامية فى مجالاتها التطبيقية وسببا مباشرا للعزلة التى حرمت البشرية من الاستفادة ، على النحو المرجو ، من أغلى كنوزها المعنوية . ولو قدر للاجتهاد ان يعى كل مجالاته وان يتصدى لها جميعا بنفس الدرجة من الاهتمام والوعى والمقدرة .. لأدى ذلك الى خلق

رقابة عقائدية ايجابية تمنع الانحراف وتبقى على روح الارتباط الوثيق بين الدين والدنيا حية فى نفوس الجماهير ٠٠ ولأمكن ، حينئذ ، معاودة المناضلة الفعالة ودحر الرجعية والقضاء على سلطانها .

الاستعمار يضعف الثقة فى

القدرة الفردية والجماعية

فقدت الدولة الاسلامية ، للعوامل السابقة ، وحدتها الاجتماعية والسياسية ٠٠ واستبدت بها المنازعات حتى سقطت صريعة التجزئة وانعدمت فاعليتها وقدرتها على توجيه الامور ٠٠ ولم تجد الدول الاستعمارية ـ بعد نهضتها ـ صعوبة حقيقية فى احتلال أراضيها وامتهان سيادتها ٠

٠٠ وعلى المدى انعكست مرارة التحول الرجعى بكل آثاره ومضاعفاته فى نفوس المسلمين وانتقلت الى اجيالهم المتعاقبة دون ان تخف او تهدأ حدتها ٠٠ بل على العكس زاد الشعور بالضياع على مدى الايام وافتقد المسلمون مقومات الثقة فى النفس كأفراد والثقة فى القدرة الجماعية كأمة ٠٠ واخذت روح التفضيل تحيط بكل ما هو اجنبى وتنحسر تدريجيا عن كل ما هو قومى اسلامى ٠ وقد كان من الطبيعى ان ينمى الاستعمار من جانبه الاحساس بالضياع ويوسع ، بكل اساليبه ، من مداه فى نطاق خطة الاضعاف العامة التى يواجه بها كل ما من شانه ان يزعزع سلطانه الاستعمارى ٠

تلك هى اهم الاسباب ٠٠

٠٠ ولا جدال فى ان مجرد الكشف عنها لايضيف شيئا له قيمته ما لم يقترن باستغلاله لاثراء المعانى الايجابية فى حياتنا ٠٠ وبمعنى آخر ما لم يعطنا القدرة على مواجهة جديدة ٠٠ لا تقف بمدلولات التاريخ عند لمعانها التراثى وانما تمتد بها وتصنع منها قوة دافعة للحياة ٠٠ تنمى القدرة وتضاعف الامكانيات ٠ ولكى يتحقق ذلك ٠٠ فان عملية اعادة تقييم ذكية يجب انتتم للاستفادة منالتجربة وتجنب اخطائها والكشف عن الطريق وتحديد الدلالات الايجابية المعبرة عن الغاية فيه ٠

٠٠ والتجربة الاسلامية ، تجربة الدولة العقائدية، تجربة عريضة زاخرة بالحيوية والاصالة رغم عوامل الوهن التى قضت عليها قبل ان تكتمل ورغم الواقع التاريخى المؤلم طويل المدى الذى عاشته الامة الاسلامية ، بعد ذلك ، صريعة الانحراف ٠ واستمرار حيوية هذه التجربة ، ودوام اشعاعاتها للآن ، دليل فعلى على ارتباطها المتمكن بالقيم العقائدية وعلى ان هذه القيم ذات طبيعة ممتدة اكبر واعم من مقاطع الزمان ـ مهما طالت ـ ومراحله ٠

٠٠ واذا كنا نرى فى اعادة التقييم ضرورة حتمية باعتباره مصدر الوعى والخبرة ٠٠ فاننا نعلم ايضا ان الغاية هنا لا يحققها مجرد الجهد العادى ٠٠ وانما تحققها معركة فكرية شاملة تتوافر لها من الاصرار والفاعلية القدر الكافى لمجابهة رواسب الانحراف الطويل والتغلب على ايحاءاته الانهزامية ٠٠ وفى الوقت نفسه تتوافر لها القدرة العقائدية المناسبة لتحديد الخط العقائدى الاصيل ودفع التفريعات التى لا تنصرف الى جوهره والتى الحقت به بفعل عوامل الوهن التى اصابت المجتمع الاسلامى ٠

٠٠ والسؤال : كيف يتم اعادة التقييم وما هى حدوده بعد ذلك ؟؟ ٠ ولكى نجيب نذكر ان الطاقات المطلوبة لسلامة جوهره ، وهى ما ذكرناه فى التو ، لا تكفى وحدها لبلوغ أهدافه وانما يلزم بجانبها أن تتوافر له الظروف الموضوعية التى تمكنه من غايته والتى تتحقق بالاحساس بوجوبه٠٠لا باعتباره ترفا فكريا ولا متعة تاريخية مجردة وانما باعتباره ضرورة أولية واساسا جوهريا تتمثل فيه ، الى حد كبير ، امكانيات ثورية صلدة ينبعث عنها الكثير من عوامل نجاح النهضة اليوم وعوامل منع الانحراف فى المستقبل أيضا ٠

٠٠ وحينما نعطى لاعادة التقييم كل هذه الأهمية فليس فى ذلك غير التقدير العادل لدوره ٠٠ لأننا لسنا بصدد مراجعة تقليدية لمرحلة تاريخية عادية وانما نعيد بهذه المراجعة الارتباط المفقود بينالعقيدة الاسلامية ونواحى الحياة المختلفة باستقراء دلالة التاريخ ، قياسا على تعاليمها وايمانا بها ، من خلال تجربة طويلة انبثقت فى بدايتها عن القيم الاسلامية ٠٠ ومن ثم تعطى هذه المراجعة فكرة موضوعية عن الخطأ والصواب ٠ وهو ارتباط لازم وضرورى للقضاء على العزلة العقائدية بما يعطيه من مقاييس المطابقة بين قيم الدين وواقع الحياة فى كل آفاقها ٠

« فؤاد ابو الغيط »

الدكتور محمد يوسف موسى ..

بمناسبة الذكرى الأولى لوفاته

بقلم محمد الدسوقي

١ ـ عرفت استاذنا المرحوم الدكتورمحمد يوسف موسى معرفة لقاء قبل وفاته بعام واحد ـ وان كنت قد عرفته قارئا منذ أكثر من خمسة عشر عاما ـ فقد سعيت اليه ، لأعرف رأيه في موضوع أعدفيه رسالة جامعية ، وقد ابدى رغبة طيبة في مساعدتي ، فأمدني بما لديه من آراء ومصادر كنت لا أعرف‌عنها شيئا ، كما عرفني ببعض الاساتذة الذين عاونوني معاونة صادقة ، وأفدت منهم خيرا كثيرا .

واليوم أكتب هذا البحث الموجز ، تحية تقدير ووفاء نحو أستاذ جليل عاش حياته كلها لطلب الحق والدفاع عنه ، وكان له في مجال الدراسات‌الفلسفية والفقهية آثار اتسمت بسعة الافق ، وأصالة التفكير وحرية الرأي ، راجيا أن تتاح الفرصة باذن الله لدراسة وافية عن حياة وآثار ذلك الاستاذ الجليل .

٢ ـ نشأ الدكتور محمد يوسف موسى في بيئة صالحة ، ودرج في بيت يحب العلم ، ويقدر العلماء ، فأبوه درس في الازهر فترة من الزمن ثم عاد الى القرية ليشرف على شئون الزراعة ، كما كان يفعل الكثير في ذلك العصر ، يطلبون العلم لا يرجون من ورائه جاها ولا مالا . وأمه كانت بالنسبة لأترابها مثال نادر ، فهي متعلمة حافظة للقرآن الكريم ، تقية صالحة ، من بيت كله علماء ، فأبوها الشيخ حسين والى الكبير ، وأخوها الشيخ حسين والى أحد أعلام الازهر . والذى كان سكرتيرا عاما لمجلس الازهر الأعلى ، وعضوا في أول مجلس للشيوخ وعضوا في مجمع اللغة العربية ، والدكتور حامد والى الذى درس في الازهر ودار العلوم ثم سافر الى برلين مدرسا للغة العربية بمدرسة اللغات الشرقية ثم درس الطب هناك ، وعاد كبيرا للاطباء بوزارة المعارف ، وكذلك الدكتور أحمد والى الذى سلك مسلك أخيه الدكتور حامد في الدراسة فعاد من برلين طبيبا ايضا والاستاذ ابراهيم والى الذى‌درس في الازهر ودار العلوم ثم سافر الى انجلترا للدراسة ، وعاد مدرسا بدار العلوم، ومفتشا بوزارة المعارف .

٣ ـ وقد توفى والده في السنة الأولى من حياته فأشار عمه أن يعد الطفل الوليد ليكون فلاحا‌يشرف على شئون الزراعة ويفتح البيت في القرية ، غير أن الأم التقية الصالحة الحافظة للقرآن الكريم أبت ذلك قائلة : ان ابني هذا سيكون صاحب عمود وتعنى بهذا أن ابنها سيكون‌عالما أزهريا يلتف الناس حوله ، ليدرسوا عليه ، ويستفيدوا من علمه .

وتحققت نبوءة الام الصالحة فصار وليدها هذا عالما مرموقا ، ودكتورا في الفلسفة ، وفقيها له دراساته العلمية الرصينة .

٤ ـ حفظ الدكتور محمد يوسف القرآن الكريم وهو صغير ، وكان نادرة في الحفظ والذكاء ، يحفظ لوحه بمجرد كتابته ، وبعد أن أتم حفظ القرآن ، طلب العلم في الازهر في سنة ١٩١٢ ، وكان طالبا مجدا ، مخلصا في طلب العلم متفرغا له ، لا يعرف اللهو ، ولا يقضي أوقات فراغه الا في القراءة المثمرة وفي سنة ١٩٢٥ نال شهادة العالمية بتفوق ، ثم عين مدرسا في معهد الزقازيق ، وعندما تولى مشيخة الازهر الامام المراغي سنة١٩٢٨ طلب‌الكشف الطبى

على جميع المعينين فى الازهر ، فلم ينجح الشيخ محمد يوسف ، لضعف ابصاره ، وفصل من وظيفته .

٥ - وكما كان ضعف ابصاره سببا فى فصله من وظيفته ، كان سببا أيضا فى الحيلولة بينه ، وبين ان يكون طالبا منتظما فى قسم التخصص ، ولكن الامام المرحوم الشيخ عبد المجيد سليم ، كان رئيسا للقسم فى ذلك الوقت ، وكان يعرف الشيخ محمد يوسف ، فقبل منه أن يكون طالبا منتسبا على أن يمتحن فى مواد الفرق الثلاث التى كان يتكون منها نظام التخصص جميعها فى آخر العام ، وقبل الطالب هذا الشرط ، واقبل على دروسه فى دأب ونشاط ومثابرة وامتحن فى آخر العام مع الفرقة الاولى ، ثم مع الفرقة الثانية ، ثم مع الفرقة الثالثة ، ونجح ، وكان ترتيبه الاول فى الامتحانات كلها .

وكان المنتظر أن يشفع هذا السبق للطالب المجد فيعين فورا فى وظيفة تتناسب مع مؤهله وتبوغه ، واستعداده وتقدير اساتذته له ، وعلى رأسهم الشيخ عبد المجيد سليم ، ولكن المرحوم الشيخ الظواهرى شيخ الازهر ، رفض تعيينه بحجة انه كان طالبا منتسبا لا منتظما وهذه حجة لا أساس لها من المنطق ويبدو أن عدم تعيينه يرجع الى أسباب اخرى ، واهمها أن العلاقة بين الشيخ الظواهرى ، والشيخ حسين والى خال الشيخ محمد يوسف لم تكن على وفاق دائما .

٦ - ولما يئس من تعيينه فى الازهر ، اتجه الى تعلم اللغة الفرنسية لتكون وسيلة لدراسة الحقوق ، والاشتغال بالمحاماة فيما بعد وتفرغ لها حتى أنه انفصل فى السكنى عن أخيه المتزوج ، وأقام مع أحد اخواته الازهريين ، الذين سبقوه الى دراسة هذه اللغة وعاشوا فى باريس زمانا ، وعادوا متزوجين بفرنسيات ، فعل ذلك ليتقن الفرنسية ، وينطلق بها لسانه .

وفى سنة ١٩٣٢ اشتغل بالمحاماة الشرعية متمرنا فى مكتب المرحوم محمد بك عز العرب ، وفى فترة وجيزة كان المحامى المتمرن ، هو القائم بالعمل كله ، لانصراف عز العرب الى السياسة ، واشتغاله بها ، وقد سما مركزه فى المحاماة ، ونال الشهرة عند المتقاضين والثقة لدى القضاة ، وأصبح من المحامين المعروفين .

ولما توفى عز العرب تحولت قضاياه كلها الى مكتب المحامى الشاب اللامع الشيخ محمد يوسف ، وقد أقبلت عليه الدنيا بعد عمله هذا ، وجاءه الخير الكثير .

٧ - وفى سنة ١٩٣٦ عاد الامام المراغى شيخا للازهر ، فطلب الشيخ محمد يوسف للتعيين مدرسا بالمعاهد ، وقد قبل العمل بالازهر تاركا المحاماة مع ما كانت تدره عليه من مال وفير وشهرة ذائعة ، استجابة لميله الفطرى الى الدراسة والعلم ، وايمانه بمكانة الازهر الدينية والعلمية ، يضاف الى هذا أن أسرته كلها واخواله كانوا أزهريين يعملون فى الازهر ووزارة المعارف وعندما استشار اخويه وهما أكبر منه سنا ودرسا فى الازهر ودار العلوم - فضلا أن يعود الى الازهر .

عين الشيخ محمد مدرسا فى معهد طنطا ، ثم رقى عام ١٩٣٧ مدرسا للفلسفة والاخلاق بكلية أصول الدين ، وفى هذه الكلية درس الفلسفة والاخلاق بمنهج جديد لم يكن مألوفا فى الازهر ، وأخذ يكتب فى المجلات العلمية عن الفلسفة الشرقية والاسلامية ، مؤكدا أن دراسة الفلسفة يجب أن تكون عونا لنا على حل ما يعترضنا من مشكلات ومعضلات ، وأن نتخلص من الرواسب التى جعلتنا نعد الفلسفة أمرا ثقيلا ، وأن نرى فيها تفكيرا يجافى الدين .

٨ - وفى صيف سنة ١٩٣٨ سافر الى فرنسا للاتصال بأساتذة الفلسفة فى جامعة باريس ، استعدادا للحصول على درجة الدكتوراه فى الفلسفة وقد تعرف هناك الى المسيو ماسينيون المستشرق المعروف الذى كان عضوا فى مجمع اللغة العربية ، واتفق معه على خطة الدراسة والبحث ، غير أن نشوب الحرب العالمية بعد ذلك منعه من السفر ولكنه ظل يراسل أستاذه ويستشيره ، وبعد انتهاء الحرب أخذ اجازة بدون مرتب ، وسافر على نفقته الخاصة الى باريس ولما جاء المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخا للأزهر ، وكان يعرف الشيخ محمد يوسف ، ويقدر جهوده المخلصة من أجل الدراسة والعلم ، ألحقه بالبعثة الازهرية فى فرنسا .

٩ - وبعد ثلاث سنوات قضاها الطالب الشيخ يبحث ويدرس نوقشت رسالته التى أعدها عن ابن رشد الفيلسوف سنة ١٩٤٨ ، وقد نال دكتوراه الدولة من السربون فى الفلسفة بدرجة مشرف جدا وهى درجة لم يحصل عليها أزهرى بعده الا الدكتور محمد عبد الله دراز ، وبذلك يكون المرحوم الدكتور محمد يوسف أول أزهرى ينال هذه الدرجة العلمية الممتازة فى ذلك الزمن الوجيز .

واختير وهو طالب فى فرنسا خبيرا فى لجنة الميتافيزيقا بالمجمع اللغوى ، رشحه لها أستاذه ما سينيون ، وظل بعد عودته من فرنسا يشارك فى أعمال هذه اللجنة التى سميت بعد ذلك بلجنة الفلسفة حتى آخر حياته .

ومما هو جدير بالذكر ان الدكتور طه حسين حضر مناقشة رسالته فى فرنسا ، وقد عرض على الدكتور محمد يوسف ، أن يعمل بالجامعة فاجابه : لا ارضى بالازهر بديلا . فقال له الدكتور طه : سوف لا يقدرك الازهر . فقال : لا أريد غير خدمة الأزهر .

١٠ ـ وصدق الدكتور طه حسين ، فقد عاد الدكتور محمد يوسف من فرنسا . يحمل أرقى الدرجات العلمية ، ليعمل مدرسا فى نفس الفصل الذى كان يدرس فيه قبل ذلك ، ويأخذ نفس الراتب الذى كان يأخذه ، ويدرس المناهج العتيقة التى لا تخدم الفكر المعاصر وتدور فى حلقة مفرغة ، ولم يؤلمه عدم تقدير الازهر له بقدر ما آلمه أن يجد الازهر متخلفا عن الحياة ، مهتما بالدراسات القديمة والفرق التى لاتسمع لها ركزا فى هذه الايام ، على حين أن العصر الحديث يموج بمختلف المذاهب والنحل التى تحتاج الى البحث والمناقشة فضلا عن الدور الذى يمكن أن يقوم به الازهر فى خدمة الفكرالاسلامى والحضارة الانسانية ، لواحسن القيام عليه ، لذلك أخذ يدعو الى اصلاح الازهرحتى بعد أن تركه ، وانتقل الى الجامعة ، وسأتعرض بشىء من التفصيل لموقفه من الازهر وتطويره بعد ذلك .

١١ ـ وفى سنة ١٩٥١ رشح أستاذا مساعدا للشريعة الاسلامية بكلية الحقوق جامعة القاهرة ، وقبل أن ينقل الى الجامعة بعد أن اشتد الخلاف بينه وبين كبار المسئولين فى الازهر حول اصلاحه ، ثم رقى سنة ١٩٥٥ أستاذا ورئيسا لقسم الشريعة بكلية الحقوق جامعة عين شمس ، وظل بها حتى أحيل الى المعاش سنة ١٩٥٩ .

وقد انتدب ثلاث مرات فى أثناء عمله بالجامعة لالقاء محاضرات فى الشريعة الاسلامية فى كلية الحقوق جامعة الخرطوم ، وكان منهج هذه الكلية يختلف عن منهج كليات الحقوق فى مصر فهو يشمل شيئا من الفقه ، وبعضا من التفسير والحديث ، فغيره وجعله على غرار منهج الجامعات المصرية كما أن دراسة المواد جميعها ـ ماعدا الشريعة ـ كانت بالانجليزية فسعى حتى غيرت لغة الدراسة الى العربية فى كثير من المواد ، وكان من نتيجة هذا ، اختيار عميد الكلية من الاساتذة السودانيين ، وكان من قبل لا يختار الا من الانجليز .

وأيضا كانت الكلية تطلب كل عام بعض المستشرقين ، للاشراف على امتحان الطلبة فى مادة الشريعة ، فوقف ضد هذا ، وأصر بان أستاذ الشريعة المسلم هو الذى يجب أن يتولى هذه المهمة دون سواه مهما بلغت مكانته العلمية ، فأجيب الى طلبه ، ولم يدع مستشرق بعد ذلك لهذا الغرض .

١٢ ـ ولم يمنعه عمله الجامعى ، ونشاطه العامى من الاسهام فى كثير من الميادين المختلفة ، فدعى للاشتراك فى لجنة اصلاح الاسرة بوزارة الشئون، وفى لجنة اصلاح منهج الدين ، ووضع الكتب فى وزارة التربية ، وشارك بجهود عظيمة فى أعمال المؤتمر الاسلامى ، وكان له برنامج ثابت فى الاذاعة الدينية الصباحية ، وبعد بلوغه سن التقاعد ، عين مستشارا للشئون الدينية والثقافية بوزارة الاوقاف وبقى فى هذا المنصب ستة شهور ثم استقال لظروف صحية ، بعد أن وضع أسسا صالحة لنشاط جم فى مختلف المجالات الثقافية والعلمية .

وبعد استقالته لزم بيته يقرأ ويكتب ويشترك فى الندوات وينشر فى الصحف والمجلات ، ويذيع فى المذياع والتليفزيون وفى العام الاخير من حياته المباركة ، تأثر نظره من داء السكر الذى أصيب به فى سنواته الاخيرة ، وقد منعه الاطباء من القراءة ، أو الكتابة ، فكان يملى على شقيقه ، أو أحد تلاميذه ما يطلب منه حتى وافاه الاجل على غير انتظار ، وترك على مكتبه فتاوى واجابات للشعوب الافريقية والآسيوية ، أذيعت بعد وفاته .

١٣ ـ ترك الدكتور محمد يوسف مؤلفات كثيرة فى الاخلاق والفلسفة ، والشريعة عدا ما نشره فى الصحف والمجلات من مقالات ودراسات ، وقد ترجمت بعض مؤلفاته الى اللغات الاجنبية وكانت له آراء ثورية فى اصلاح الازهر وتطويره ، والدعوةالى فتح باب الاجتهاد ، ودراسة تراثنا الفقهى دراسة جديدة ، والاعتزاز بهذا التراث المجيد ، وعدم التهافت على ما لدى أوربا تهافتا ينال من كرامتنا ويظهرنا عالة على غيرنا ، وان تكون لنا شخصية متميزة مستقلة ، تستفيد بما لدى الآخرين من علم وفن دون أن تنسى خصائصها الذاتية ومقوماتها الاساسية والحديث عن مؤلفاته العلمية الغزيرة وآرائه المتنوعة فى الدين والحياة حديثا وافيا ، يحتاج الى

تتبع واستقصاء ، ودراسة علمية متأنية ، وهـــذا ما أرجو أن أقوم به في المستقبل انشاء الله ، ولكني هنا أحب ان اتحدث عن أمرين :

١ ــ موقفه من الازهر وآرائه في اصـــــلاحه وتطويره ٠

٢ ــ موقفه من تراثنا الفقهي ، ودعوته الى انشاء مجمع للفقه الاسلامي ٠

وذلك لاننا اليوم نشهد ميلاد الثورة الاصلاحية في الازهر ، وانعقاد اول مؤتمر لمجمع البحـــوث الاسلامية في القاهرة ٠

١٤ ــ رأينا فيما سبق كيف حرص الدكتــــور محمد يوسف على أن يكون أزهريا يعمل في الازهر فلم يسلك طريق أخويه في الالتحاق بدار العلوم ، ولم يفضل الاستمرار في المحاماة مع ماكانت تدره عليه من رزق وفير ، وعندما عرض عليه الدكتــور طه حسين العمل في الجامعة لم يقبل ، وبعـــد أن انتقل الى الجامعة لم يتخل عن دعوته في اصــلاح الازهر ، وكان هذا ايمانا منه بان الازهر جامعـــة الاسلام العتيقة وانه يمكنه أن يؤدى للانسانية خير رسالة ارسلت للناس ، لو أحسن القيام عليــه ، ونفض عنه غبار الزمن ، وشارك في الحياة مشاركة عملية فعالة ، فأثر فيها وطابعها بطابع الاســـلام وكان يؤلمه أن يجد الازهر قد تخلف وأن يرى شبابه وخريجيه يعيشون في عصر يموج بمختلف المذاهب الفكرية والدينية بافكار قديمة لا وجود لها ، فهم غرباء في زمنهم ، يعجزون عن مواجهة تيـــارات الالحاد باسلحة عصرية منتجة في احقاق الحق ، وابطال الباطل ٠

وكان يرى أن الاستعمار قد عمل على عزل الازهر واهماله والنظرة الى طلابه وخريجيه نظرة أدنى من طلاب الجامعات الاخرى ، وكانت هناك سياســـة مرسومة للقضـــاء على الازهر بمرور الزمن ، وفي القضاء عليه ، قضاء على الدين واللغة والتقاليـد ، وهذه هي مقومات القومية ، والاستعمار دائما اذا حل في مكان يسعى جاهدا للقضاء على قوميته ، ليأمن ثورته عليه ، ويطمئن الى خضوعه له ، ولكنه مـع هذا كان يتهم شيوخ الازهر ومفكريه بالاهمـــال والتفريط ، والركون الى التقليد والاستسلام ٠

١٥ ــ كل هذا وغيره دفعه الى الدعوة الى تطوير الازهر وكان في دعوته جريئا لا يخشى في الحق لومة لائم ٠ وينحصر رأيه في اصـــلاح الازهر في نقطتين :

الاولى ــ توحيد التعليم في المرحلة الثـــانوية وما قبلها ، على أن يمكن الشباب في هذه المرحلة من الثقافة الاسلامية وأن تكون في نهايتها مرحلة توجيهية في الدراسات الاسلامية يغذى المتخرجون فيهـــا كليات الازهر ودار العلوم ٠

الثانية ــ أن تكون الدراسة الجامعية الازهرية ، جامعية اصيلة فتكون المناهج جـديدة ، تجمع بين القديم والحديث ، وتعنى بدراسة الاسلام دراســة شاملة ، مع الاهتمام باللغات الاجنبية ، وأن يكون اختيار المدرس الجامعي على أساس من الانتاج العلمي الرصين ٠

وبهذا يمكن للازهر أن يخرج للأمة جيـــلا من الناس يتميز بفهم الاسلام وتعاليمه الاصيلة فهمـا عميقا ، كما يتميز بالتسلح بالثقافة الحديثة واللغات الاجنبية التى تجعله أهلا لنشر الاسلام في كل مكان والدفاع عنه بكل لسان ٠

١٦ ــ وقد قوبلت هـذه الآراء من رجال الازهر بالانكار والرفض ، ورأوا فيهـــا افســـادا للازهر وتضييعا له ، وقد فتحت جريدة الاهرام باب الرد على هذه الآراء ، وعندما كان الســـيد كمال الدين حسين وزيرا للتربية والتعليم ، اهتم بهذا الموضوع وطلب من الدكتور محمد يوسف تقريرا برايه في اصلاح الازهر ، فقدم التقرير الى الاستاذ محمـد سعيد العريان ٠

ونحن اليوم نجد أن مانادى به الدكتور محمد يوسف ، ورفضه كثير من الازهريين ، يتحقق بصورة عملية ، وان كان يختلف في بعض النـواحي عما نادى به ٠

لقد كان أزهريا ثائرا ضد نظام متخلف ، لايؤمن بفعل الزمن ولا يلقى بالا الى كل جديد من الآراء والافكار ، وكان في ثورته هذه صريحا ، وشجاعا ، عاله بعد عودته من فرنسا ومقارنته بين الحيـــاة الجامعية في السربون ، وبين ما يجرى في الازهر من اهمال وتفريط تغلغل بين الجميع ، الطلاب ، وطبقـة الشيوخ ورجال الادارة ، فكتب مقالة صريحـــة بعنوان « **تفريط** » تحدث فيها عن أمور خطيرة ، ولم يهتم بما قد يناله من أذى ، لأنه كما ذكر في كلمته صريح بحكم منبته وطبيعته ، يقول كلمة الحق ، دون أن يعبأ بعد ذلك بأى شيء ٠

١٧ ــ أما موقفه من تراثنا الفقهي ، فان الملاحظ أن صلته بهذا التراث ترجع الى بدء عمله في الجامعة وكان قبل ذلك يعكف على الكتب الفلسفية ، فلما نقل أستاذا مساعدا للشريعة الاسلامية سنة ١٩٥١ أقبل على هذا التراث باخلاص ونشاط متواصل ، وان كان هذا لم يقطع صلته تماما بالدراســـات الفلسفية وقد أخرج بعد عمله في الجامعة كثيرا من المؤلفات الفقهية والدراسات الاسلامية ، عالج فيها بعض القضايا المالية المعاصرة ، معالجة تنم عن ملكة

فقهية ممتازة ، جمعت بين الثقافة القديمة والحديثة، وتخلصت من ربقة التقليد والجمود ، فهو لا يمجد الماضي لأن الزمن قد أكسبه جلالة وقداسة ولايبخس التفكير المعاصر لأنه لم ينل بعد من الزمن بعض الجلال ، ولكنه ينظر للقول لا للقائل ثم يكون بعد هذا الحكم والتقدير .

١٨ ـ والقارىء لمؤلفاته الفقهية ، يجد أنه يقدر هذا التراث العلمي حق قدره ، ويعده مفخرة من مفاخر حضارتنا الانسانية الخالدة ، ويرى ان فقهاءنا الماضين ، قد نظروا لدينهم وأمتهم وأنفسهم، وبحثوا عن أحكام الله في كل ماكان في أيامهم من حوادث ونوازل ، وما جبنوا عن مواجهة شيء منها ، ولاقصروا في بيان حكم الله ورسوله فيها .

ولكن الزمن يتغير والمعاملات تتجدد وتتطور فكان أن وجد منها اليوم ما لم يكن موجودا بالامس فليس لنا أن نمسك عن بيان حكم الفقه في كل منها متعللين بأن فقهاءنا الماضين لم يتكلموا فيها ، بل علينا أن نجتهد في ذلك مستفيدين من جهود الماضين ، ومعتمدين قبل كل شيء على كتاب الله المحكم وسنة رسوله الصحيحة .

لقد اتهم الدين الاسلامي بعدم قدرته على مسايرة الوقائع وحل المشكلات الطارئة ، والقول بأنه صالح لكل زمان ومكان دعوى عريضة تحتاج الى توضيح وتدليل ، وقد رأى بأن الفقه الاسلامي يجب أن يعود له شبابه وقوته وحيويته ، حتى يمكن أن يكون مصدرا للتقنين في جميع مجالات الحياة اقتصادية واجتماعية وسياسية ، وحتى لا يقف عاجزا أمام كل جديد يطرأ ..

١٩ ـ والسبيل الى ذلك ، فتح باب الاجتهاد ، وأن يكون لنا مجمع للفقه والتشريع الاسلامي بجانب مجمع اللغة العربية ، فان مجمع اللغة يؤدي للعروبة خدمات جليلة حقا ولكن حاجتنا لمجمع الفقه أشد بلا ريب ، وذلك لأن المسائل التي يجب بيان حكم الله ورسوله فيها أكثر تنوعا وأدق بلا شك من مسائل اللغة ، ولن يستطيع فرد واحد ، أو أفراد منا ، كل منهم يعمل مستقلا ، أن يقوم بالعبء كله في هذه الناحية .

ان انشاء مجمع للفقه أمر ضروري في هذا الزمن ، ويجب أن يضم رجالات الفقه الاسلامي والقانون ، وأن توضع له خطة منهجية في الدراسة والعمل ، وأن يهتم اهتماما كبيرا ببحث المشكلات المعاصرة ، كالشركات وأعمال البنوك والعقود المستحدثة ، وأن يدرس الفقه الاسلامي في مختلف مذاهبه دراسة تاريخية مقارنة ، بين بعض مذاهبه وبعضها من ناحية ، وبينه وبين ضروب الفقه والقوانين الحديثة من ناحية أخرى .

٢٠ ـ لقد دعا الدكتور محمد يوسف الى انشاء هذا المجمع منذ سنة ١٩٥١ وأخذ يكرر هذه الدعوة في كل مناسبة تجدها غالبا في كل مقالة كتبها أو كتاب ألفه عن الفقه وقد أثمرت هذه الدعوة، فظهر مجمع البحوث الاسلامية الذي عقد أول مؤتمر له في القاهرة في الشهر الماضي ، وقد حضره فقهاء وعلماء الوطن الاسلامي ، وكم كان يسر صاحب هذه الدعوة الى هذا العمل الجليل شهود هذا المؤتمر ، وجمهرة المؤتمرين يعرفهم ، ويعرفونه معرفة شخصية أو علمية ، ولكن الموت حال بينه وبين المشاركة في أول مؤتمر لمجمع طالما تمناه ورجاه .

وبعد فان في حياة الدكتور محمد يوسف جوانب متعددة تستحق الدراسة والاهتمام ، لقد كان منقطعا للعلم لم يشغله زوجة وأولاد ، وكان صورة للفقيه الذي يحترم نفسه ، ويراقب ربه ، ويعطف على الفقراء والضعفاء ، كما كان صريحا دائما ، فلا يعرف المواربة ، ولا السكوت على الباطل ، أو التغاضي عن منكر ، وهذه احدى كلماته التي توضح صفاته الخلقية ، وتعد ـ فيما أرى ـ دستورا للشجاعة الأدبية ، والكرامة الانسانية قال :

« ليس برجل من لا يستطيع أن يقول : « لا » اذا سيم خطة خسف ليس برجل من اذا ضمه مجلس لكبير من الناس قعد منه مزجر الكلب وجعل نفسه بوقا يردد ما يقول ، ويؤمن بما يحدث ، ويتابع ما يرى .

ليس برجل من يقبل عليك مع الدنيا حين تقبل ويدبر عنك معها حين تدبر .

انما الرجل من آمن بالله ، وأنه الضار والنافع ، وخالط هذا الايمان قلبه وروحه ، فهو يصدع بالحق وان هدد بالويل والثبور .

انما الرجل من عرف حقا أن الدنيا عرض زائل ، فاحتفظ برجولته وكرامته ، ولم يرض لنفسه أن تثلم هذه الكرامة ولو كان البدل الدنيا بأسرها .

انما الرجل من ينصح لأمته وأولى الأمر فيها ان تملق لهم أشباه الرجال الذين يدورون مع الريح ويغيرون ما سبق أن اعتقدوا من آراء كما يغير المرء قميصه وجلبابه ان غدا لا يتفق مع البدع » .

رحم الله الدكتور محمد يوسف موسى رحمة واسعة ، وجزاه عما قدم لدينه وأمته خير الجزاء .

« محمد الدسوقي »

كانت في الفلسفة النقدية

تأليف الدكتور زكريا ابراهيم

بقلم عبد الفتاح الديدي

كنت سعيدا حين رأيت مكتبتنا العربية تزداد كتابا عن فلسفة «كانت» وهو الفيلسوف الصعب المبهم الذى أراد الدكتور زكريا ابراهيم أن يذلل أفكاره للجمهور وأن يبسطها على نحو يجعل الناس جميعا قادرين على فهمها ، وأغلب الظن – كما يقول الدكتور فى كتابه – أن كانت يظن انه يكتب للانسانية قاطبة . فانه كان حريصا على أن تصل تعاليمه سليمة غير مشوهة الى الغالبية العظمى من الناس . وكانما هو كان يعتقد أن الحقيقة لا يمكن أن تظل وقفا على فئة قليلة من العقول الممتازة بل هى لابد من أن تنتشر فى جميع الاوساط لكى تصبح ملكا مشاعا للكل دون تمييز » .

ويبدو من ناحية أن الدكتور قد أصر على هذا الموقف بأى ثمن لان الذى أوحى اليه بهذه الفكرة هو الكاتب الماركسى جوليان بندا الذى اشار الى كتابه كمرجع فى هذه النقطة بالذات . ولهذا ينبغى بالتالى ان يتحول كانت الى فيلسوف شعبى وان يقرأه الجميع ولو تحطمت رءوسهم وأفهامهم . وكان هذا هو الهدف الاقصى من تاليف الكتاب عن كانت بأسلوب غير فلسفى يستعرض فيه الدكتور قواه الخطابية مع اشهار أسلحته فى وجه الجميع . ويمكنك أن تتبين أسلوبه من النص السابق وكذلك من هذه الكلمات : (والمشكلة الآن هى فى أن نعرف كيف قد العقل على قد الطبيعة) أو قوله (ومن هنا فان كانت لا يؤمن بوجود ادراكات عقلية مفطورة أو حدوس ذهنية مفروزة فى طبيعة العقل) .

ويبدو أيضا من ناحية أخرى ان هذه الرغبة فى التبسيط قد جعلته لا يتدخل كثيرا فى تفصيل نظريات كانت أو تحليلها . فهو يمر عابرا بالمسميات ويترك الفاظه الخطابية تقوم مقام التعبير العلمى الدقيق . ويعتبر الدكتور زكريا ابراهيم نفسه المؤلف الاول لكتاب عن كانت ويبنى على هذه الاولوية جملة من الحقوق منها انه صاحب الكلمة الاولى والاخيرة عن الفلسفة النقدية .

وقد عاب الدكتور زكريا ابراهيم على من سماه فى كتابه (أحد الباحثين) وقصد به استاذنا الدكتور زكى نجيب محمود انه قال : « فان أردت أن تقرأ كانت فآخر ما يجب أن تقراه هو كانت نفسه .. فهو يقصد بكتابه الى الفلاسفة المحترفين وليس هؤلاء بحاجة الى الشرح والايضاح » ، ويعلق الدكتور زكريا ابراهيم على هذا بقوله : « بيد أننا نخالف هذا الكاتب فيما ذهب اليه من عدم جدوى قراءة كانت نفسه . فاننا نعتقد ان شيئا مما كتبه الباحثون ومؤرخوا الفلسفة لا يمكن أن يغنينا عن العودة الى كانت نفسه » .

واولى بمن يسدى النصيحة أن يعمل بها هو نفسه . اعنى ان من ينصح الناس بقراءة كتب الفيلسوف كانت عليه هو أولا أن يقرأها وأن يكشف فى ثنايا كتاباته ما توصل اليه من النتائج . ولن أنكر على الدكتور زكريا ابراهيم الذى يشتغل بتدريس مادة الفلسفة انه قرأ مؤلفات كانت وانه رجع اليها اثناء تاليف كتابه عنه . ومهما أقسمت أن الدكتور لم يقرأ مؤلفات كانت فلن يصدقنى أحد لأن هذا هو عمله الذى يقوم به كوظيفة .

ولا علينا أن يكون قد اعتمد اعتمادا كبيرا على كتاب رويسين عن كانت فى التبويب والتاليف مع اسقاط بعض فصول كتابه . ولكن هذا لم يمنع الدكتور زكريا ابراهيم من أن يعارض رويسين فى نقطة واحدة تمشيا مع رغبته القوية فى تقريب كانت من الجماهير وجعله فيلسوفا للعامة . وكانت فى الواقع فيلسوف خاصة الخاصة وقال عنه رويسين فى دراسته انه كان مفكرا متوحدا معتزلا . وأراد الدكتور زكريا ابراهيم أن ينفى عنه هذه الصفة فظل يروح ويغدو فى عبارات خطابية قائلا : « ان معاصريه قد شهدوا له بأنه كان رجلا اجتماعيا من الطراز الأول . ومعظم ما يرويه المؤرخون عن حياة كانت حتى فيما بعد تلك الفترة انما هو أدخل فى باب الخرافة منه فى أى باب آخر .. وكل هذه أقاويل رومانتيكية لا صحيح فيها الا أنها غير صحيحة » .

وفى غمار هذا الحماس يتهرب الدكتور من سوق الأدلة على قوله فى أول الأمر ثم يعود الى نفس الموضوع عرضا فيورد دليلين على أن كانت كان من المهتمين بالأحداث العامة وبالصداقات الشخصية . وأول دليل له هو اهتمام كانت بالثورة الفرنسية . والثانى هو صداقته للانجليزى جرين . ولكنه نسى شيئا كان يمكنه أن يستدل به على رأيه فى عرض

كلامه عن صداقته لجرين . فقد كان كانت من أشد المتحمسين للأمريكيين فى حرب الانفصال وكان هذا الحماس الشخصى سببا فى ان أحد المجتمعين أثناء احدى مناقشاته مع الانجليز ثار على رأيه وطلب مبارزته . ثم دارت الأيام واصبح هذا الانجليزى من أعز اصدقاء كانت . وهذا الانجليزى هو جرين نفسه .

وهذه حادثة مشهورة تضاف الى مواقف الصداقة الكثيرة فى حياته كما تضاف الى اهتمامه الزائد بالأحداث العامة . ولكن الغريب هو ان يسترسل الدكتور مع مشاعره حيال كانت حتى يقول عنه : « وبانتصار كانت للديمقراطية والحرية يعلن ان واجب الدولة الأول نحو المواطن هو ان تعامله باعتباره شخصا لا باعتباره شيئا . فليس المهم هو تحقيق الرفاهية الاجتماعية على حساب الحرية الفردية . بل المهم هو احترام الكرامة الانسانية وتوطيد دعائم الحرية » ولا ادرى كيف امكن ان تفلت هذه الكلمات من قلم الدكتور زكريا ابراهيم !

وللدكتور موقفان يشبهان موقف العقاد فى تناوله لحياة كانت وفلسفته . والموقف الأول فى مطلع كتابه عن كانت والموقف الثانى فى نهايته اذا تغاضينا عن تسميته للكتاب بالعبقريات . فالعقاد هو الذى أشار الى أن حياة كانت لم يكن فيها ما يسترعى الانتباه فى مقاليه عن كانت بكتاب المطالعات سنة ١٩٢٤ . والعقاد هو الذى أورد بهذا الصدد كلام الشاعر الساخر هينى عن صعوبة تاريخ حياة كانت . وهذه اللفتة العقادية هى التى عمل منها الدكتور زكريا ابراهيم موضوعا انشائيا فى صفحتين . وفى ختام عرض العقاد لفلسفة كانت نراه يقول انه لا ينبغى أن نجترىء على فلسفة كانت أو أن نستسهل نقضها . وكذلك فعل الدكتور زكريا ابراهيم حين قال فى نهاية كتابه « لا ينبغى ان نتطاول على فلسفة كانت » واعتبر هذه العبارة تبريرا لذمته عن فحص فلسفة كانت فحصا نلتمس منه النظرة الشخصية .

وتتوالى بعد ذلك فى الكتاب مجموعة من الأحكام غير النقدية أو غير الدقيقة. فهو يريد مثلا أن يشيد بمعرفة كانت بالشعر فيقول ان كانت كان ملما الماما واسعا بالشعر . ويبنى الدكتور تأكيده هذا على ولع الفيلسوف كانت بميلتون وبوب وهالر . وكأن هذا يكفى لوصف كانت بأنه كان ملما الماما واسعا بالشعر . وميلتون هو صاحب الفردوس المفقود والشعر الحكمى بينما لا يعدو هالر ان يكون طبيبا نظم الشعر فى الأغراض التربوية والأخلاقية وله رسالة فى أصول النثر . وكان يكفيه ان يقول — لو اراد — ان فن الشعر كان أقرب الفنون الى قلب كانت وانه انتقل الى كونجسبرج ليشغل كرسى الشعر بجامعتها لأن تلك الجامعة لم تكن مشهورة بالعلوم حينذاك .

ويقول الدكتور زكريا ابراهيم أيضا « ان الكثيرين لم يفهموا كتاب كانت الأول فى النقد على حقيقته خصوصا وأن البعض قد نسب اليه نزعة مثالية ذاتية هو براء منها » . وليس ثمة ما يدعو الى استخدام هذه اللهجة فى مجال الفلسفة خاصة وان وصف كانت بهذه الصفة غير مستغرب . وكرر الدكتور هذه الملاحظة عدة مرات فى غضون كتابه . وعلى الرغم من ان الدكتور قد استمد هذا الموقف من هوفدنج فى تفسيره لكانت فان وجهات النظر فى فلسفة كانت كثيرة ومتعددة . وبرجسون نفسه قال عن كانت ان فلسفته لا تعدو ان تكون افلاطونية متجددة وأشاد الفيلسوف ألان بهذه العبارة فى رسائله عن كانت . وقد اشار الدكتور زكريا ابراهيم (ص ١٢١ — ١٢٢) الى ان كانت استعار لغة أفلاطون عن المثل وانه استبقى هذه النظرية فى فلسفته !

ولكن الشىء الذى يدعو الى الدهشة حقا فى كتاب الدكتور عن كانت هو كلامه عن الملكات الانسانية . فالعقل النظرى ملكة والعقل العملى ملكة وتضاف اليهما ملكة ثالثة هى ملكة الوجدان أو الحكم الجمالى ثم هناك ملكة الفهم وملكة الحساسية . ووسط هذا كله لم يبذل الدكتور أدنى جهد لمحاولة التفسير أو التحديد بل اكتفى بأن ينقض قوله السابق بهذه العبارة «ولكن الظاهر ان كانت قد سلم ضمنا بنزعة حسية متطرفة . فلم يكن فى استطاعته من بعد أن ينقذ الكليات والمبادىء الضرورية الا برد المقولات والمعانى الأولية الى ملكة ذاتية خاصة هى ملكة الفهم» (ص ١١٠) فما وضع هذه الملكات وما دور كل منها وما معنى عبارة (ولكن الظاهر ان كانت ...) ؟

ثم من ذا يقترب من مشكلة الجمال والذوق الجمالى عند الفيلسوف كانت دون ان يقوم بتحديد استخدام كانت للفظة استتيك وهى الكلمة التى يقوم عليها العصب الأساسى لكل فلسفته ؟ من ذا يتعرض للمعرفة عند كانت دون ان يميز للقارىء معانى هذه الكلمة كما استخدمها كانت والدور المنوع الذى

تقوم به فى فلسفته؟ وما الفرق بين الحسى والحساسية؟ وماذا تؤول اليه نظرية كانت فى المعرفة وفى العلوم اذا لم نخص الحساسية بالتعالى ؟ ثم لماذا لم يشر الدكتور الى نظرية الحساسية المتعالية عند كانت مع انها حجر الأساس فى فلسفته بل هى التى تحتوى أسس نظرية كانت عن العلوم · من المؤكد ان الدكتور أشار الى رأى كانت فى المعرفة وفى العلوم وفى الرياضيات ولكنه فعل ذلك عابرا بغير اللجوء الى مصدر الذكاء والقوة فى هذه النظريات وأعنى به الحساسية المتعالية · وكانت هو الذى يقول « ان الحساسية المتعالية لاتزكى نفسها بوصفها فرضا كليا وحسب بل لأنها أيضا مؤكدة ولا تقبل الشك حتى يمكن استلزام وجودها كنظرية تقوم مقام الأورجانون (أو النظام المنهجى الذى يشمل المبادىء التى تستنبط بها المعرفة الخالصة) ... »

ولا يقف الأمر بالدكتور زكريا ابراهيم عند هذا الحد · بل هو يجرى وراء الادعاءات التعميمية التى تجعله ينتهى من الموضوع فى كلمة · ويقول الدكتور عند حديثه عن نقد نظرية كانت فى العلم الرياضى « ومعنى هذا أن رسل ينكر وجود أحكام اولية تركيبية لكى يقول بأن هناك أحكاما تحليلية اولية وأحكاما تركيبية تجريبية فقط . وربما كان هيجل قد سبق رسل الى هذا النقد · فاننا نجده فى المنطق الكبير يأخذ على نظرية كانت فى العلم الرياضى مآخذ من هذا القبيل » · فما معنى (ربما) وما معنى (من هذا القبيل) ؟ هل تتساوى نظرة هيجل ونظرة رسل فى المنطق الرياضى ؟ هل الموضوع من التفاهة بحيث لا يتطلب بعض الجهد فى الشرح والتحليل ؟ أو لم يكن فى امكان الدكتور أن يرجع الى هيجل ليبحث الطريقة التى تناول بها موقف كانت ؟ لقد كان نقد هيجل مبنيا على فكرة المفهوم والماصدق يا دكتور ولم يكن مبنيا على مبدا القضايا التحليلية والقضايا التركيبية · والموازنة بين هيجل وكانت من الموازنات التى تستهوى كل قارىء للفلسفة فما بالها لم تستهوك يادكتور وأنت بصدد البحث فى هذا الموضوع ؟

ويقول الدكتور بصدد نظرية كانت الجمالية « ان كانت قد أقام منذ البداية فاصلا حاسما بين دائرة الحساسية ودائرة العقل » (ص ٣٩٩) · والكتاب كله ملىء بالاحساس بالمشكلات المتشعبة من هذه النقطة مما أصاب عرضه للنظريات بنوع من عدم التوازن · وأعتقد ان السر فى ذلك هو عدم التفات الدكتور الى حقيقة الحساسية المتعالية من جهة ثم عدم تمييزه لمهمة الرسوم التخطيطية من جهة أخرى · ويعود فيؤكد موقفه هذا فى خاتمة كتابه حين يقول « وهكذا ظلت الفلسفة النقدية محتفظة حتى النهاية بهذا التعارض الأصلى (الذى تحدثنا عنه أكثر من مرة) بين العلم والايمان ، بين الظاهرة والشىء فى ذاته ، بين الطبيعة والحرية · وقد كان غريبا ألا يحاول كانت ــ وهو الفيلسوف الذى جعل من الفكر نفسه وظيفة تاليفية ، ونسب الى فكرة الوحدة أهمية كبرى فى كل فلسفته ــ أن يعلو على هذه الثنائية الجذرية التى لا سبيل الى تصفيتها بين مرحلتين متعاقبتين من مراحل التفكير ألا وهما مرحلة المعرفة ومرحلة الاعتقاد » ·

بل الغريب فعلا هو أن الدكتور لم يحاول أن يفتح صفحات كتاب مر بين أصابعه اذا صدقنا ثبت المراجع بآخر الكتاب · وهو كتاب روجيه دافال عن ميتافيزيقا كانت · وهو كتاب فى تاريخ فلسفة كانت متمسك بمتابعته للنصوص · ولو قرأ كلمة واحدة فى ثنايا هذا لما قال (ص ٩٩) وهو يتكلم عن الرسوم التخطيطية فى فلسفة كانت « لم نر داعيا للاسهاب فى بيان التقابل الذى وضعه كانت بين الرسوم التخطيطية والمقولات · ولسنا نريد أن ندخل فى تفاصيل نظرية كانت فى المخيلة » ·

فان دافال الذى تابع نصوص كانت كلمة كلمة قد استخرج فى سياق بحثه نظرية كاملة فى تفسير فلسفة كانت على أساس الرسوم التخطيطية · وحل كل الاشكالات التى تشعبت من النظريات الكانتية والتى جعلت الدكتور زكريا ابراهيم تائها بين عوالم الفكر الكانتى انما يبرز من كتاب دافال بوضوح · وكان من الممكن أن يستعين الدكتور بشروح دافال أو أن يقدم تحليلا سريعا لنظريته فى هذا الشأن · وحسبى أن أشير الى عبارة دافال « ان الرسوم التخطيطية هى التى كانت المعبر بين العقل والفهم وكذلك بين العالم الذهنى الذى يرمقه العامل الأخلاقى وعالم الحس الذى يأخذ على عاتقه القيام بترجمته · بينما كانت الرمزية تسمح للمحسوس بأن يلحق بالفكرة عن طريق لا نهائية الصور » (ص٢٦٨) · ولو قرأ الدكتور زكريا ابراهيم مقدمة هذا الكتاب وحدها لأنقذ كتابه من عدم التوازن والاجتزاء ولأمكن قراءته على الأقل كتعليق طريف على فلسفة كانت ·

« عبد الفتاح الديدى »

التجربة والخطأ في الشعر الجديد

بقلم عامر محمد بحيري

أطلعت في العدد السابع والأربعين من « الرسالة » على كلمة للأديب الفاضل الأستاذ أحمد موفق جاد الله ، عنوانها « أنصار الجديد متناقضون » .. وقد عرض فيها لما كان بيني وبين صديقي الناقد الدكتور محمد النويهي ، في مجلة « الثقافة » ، من مساجلة حول شعر الشكل الجديد وما قمت به حينئذ من « ترجمة » لبعض نماذج هذا الشعر المحدث الى شعر الشكل الاصيل . وما أوضحته من أن مافعلته لم يكن سوى « محاولة » مني لاقامة هذا النظم المفتعل ، على ميزان الشعر الأصيل ، قدر ماتستطيع « الترجمة » أن تفعل ، حين يعمد الشاعر الى نقل شعر لغة الى شعر لغة أخرى مثلاً .

وقد تفضل الأستاذ موفق ، فدافع عن وجهة نظري دفاعا صحيحا ، قال فيه :

« .. واعتقد أن الاستاذ عامر بحيري لم يقصد التزام الدقة الحرفية الصارمة ، بقدر ما قصد الى اظهار سهولة النظم بالنسبة للشاعر المفطور ، الذي يستطيع احد منهم أن يقف على قدميه ، ويفرض واستجابة لكل غرض من اغراض الشعر ، لاننا لم نسمع عن شاعر موهوب مجيد خرج على عمود الشعر ، مدعيا انه قاصر عن تناول أفكاره ومشاعره .. وكل شعراء الشكل الجديد بغير استثناء لم يستطع احد منهم أن يقف على قدميه ، ويفرض نفسه وفنه على الناس . ولو كان النظم التقليدي قاصرا عن تناول الافكار الدقيقة والمشاعر المعقدة ، لكان شعراء المهجر المبرزون أمثال ايليا أبي ماضي ، وميخائيل نعيمة أولى بهذه الدعوى ، وهم اكثر اقترانا وتأثرا بالادب الغربي من دعاة هذا الشعر الحر .. وقد قاموا فعلا بمحاولات للتجديد ، ولكنهم لم يقصدوا الى هدم أصول الشعر التي بدونها لا يصير شعرا ، ومع هذا فهم - بنظمهم التقليدي - يتناولون ادق المعاني ، واعقد العواطف ، فيعبرون عنها ، ويحسنون التعبير ، كما لم يحسنه قائلوا الشعر الحر ... »

وقد وفق الأستاذ موفق ، في نظري ، الى توضيح هذا الجانب الهام الذي قصده من جوانب القضية .. وانما أقول ذلك ردا على صديقي الدكتور النويهي ، الذي عاد يشرح القضية من جديد ، في العدد الحادي والخمسين من « الرسالة » .. ويتناول من حديثي السابق نقطة جانبية ، هي انني في محاولتي اقامة شعر الشكل الجديد على الميزان العروضي ، كان محتوما على أن أدخل على الفاظه قدرا من التغيير والتبديل .. وقد استرسل الدكتور النويهي في شرح دخيلة نفسي ما شاء له الاسترسال .. فكان مما قال :

« فمحاولة الاستاذ بحيري لم يكن لها مغزى ولا لزوم في موضوع النقاش بيني وبينه ، الا اذا اراد بها أن يثبت أن الشكل التقليدي يستطيع أن يؤدي

نفس الأفكار والعواطف بنفس الأداء الدقيق ، البليغ في ايجازه ، الذي يستطيعه الشكل الجديد » .

وكل حديثه بعد ذلك معاد ، يتناول فيه نفس المثال الذي تناقشنا حوله من قبل في الثقافة ، ولا يأتي فيه بجديد .. حتى تساؤله ، لماذا لم يشأ شعراء الشكل الجديد أنفسهم ، أن يقيموا شعرهم على الميزان العروضي المعدول ؟ ولماذا آثروا أن يأتوا بشعرهم على الشكل الجديد ، المتفاوت الطول ، مادام السبب ليس عجزا منهم عن تسويته ؟ واجابته على ذلك بأن الشكل الجديد ، بما يسمح به من تغيير طول البيت ، وبانطلاقاته الأخرى .. أكثر انسجاما مع مضمونه ، وأكبر تحقيقا للوحدة العضوية مع هذا المضمون الفكري والعاطفي .. أقول : حتى تساؤله هذا ، واجابته على تساؤله .. لا يأتي فيهما بجديد .. فقد قال في هذا الشأن ما فيه الكفاية ، ورددنا على ذلك بما فيه الكفاية أيضا ..

على أن الذي يهمنا الآن ، هو الرد على صديقنا الدكتور النويهي ، حيث يقول ان هذه المحاولة منا ، محتومة الاخفاق ، ولم يكن لها مغزى ولا لزوم في موضوع النقاش بيننا وبينه .. ان جوابنا على ذلك هو ان هذه المحاولة قد أثبتت ضرورتها ، وحيويتها ، بما أثارت من جدل ونقاش حولها من ناحية ، وحول الموضوع في ذاته من ناحية أخرى .. ولا زلت أقول انها محاولة ضرورية وحيوية ، نستطيع عن طريقها أن نتبين حقيقة الفرق بين الشكل الأصيل ، والشكل الدخيل .. ويكفي أن نشير هنا الى ما ذكرناه في العدد الثاني والثلاثين من مجلة « الثقافة » ، من أن هذه المحاولة ، توصلنا الى ما هو أهم من مجرد ترجمة شعر الى شعر ، أو نظم الى نظم ، أو تعديل المكسور الى موزون ، والمختل الى صحيح .. لأنها كما قلنا في ذلك العدد :

« توصلنا الى الكشف عن شخصية الشاعر الحقيقي .. هذه الشخصية البراقة ، الشفافة ، التي يصر صاحبها على أن يخفيها تحت ركام ، وركام .. من الزحافات ، والعلل ، والجريورا ، التعبيرات الاجنبية، تحت اسم تجديد العربية .. في حين أن العربية لا تضيق بأي تجديد ، مع احتفاظها بأصالة طبيعتها ، وقوة أسر عبارتها .. » الخ ..

وعلى ذلك فانني ما زلت أعتقد اعتقادا جازما ، بأن هذه المحاولة هي الطريقة الوحيدة الصالحة ، التي يمكن أن توضح لنا الفرق بين روعة الشعر الاصيل ، المبنية على جمال الموسيقى الناشئة عن تكامل التفاعيل وتتابعها ، ورنة القافية وحسن أدائها .. وبين المحاولات « المنطلقة » ـ كما يسميها الدكتور النويهي ـ التي تفقد الشعر كثيرا من جمال هذه الموسيقى الناشئة عن الوزن والقافية .. انها محاولة ، ويستطيع زميلنا الناقد أن يحاولها ، وقد يصل فيها الى أدق مما وصلنا اليه ، وبطريقة أبسط وأقرب الى لفظ الشاعر ومعناه مما فعلنا به ، كما يقول .. وليس في هذا ما يضير المحاولة بشيء .. لأن أكثر من شاعر قد يتعرضون الى ترجمة شعر شيكسبير مثلا ـ والتشبيه مع الفارق ؟ ـ فيأتي كل منهم بترجمة مخالفة للآخر ، وقد يكون بعضها شعرا ، وبعضها نثرا ، ولكنها تحمل دائما معاني الشاعر الأصلية ، ولكن في الثوب الذي يختاره لها المترجم .. وان كنت أخشى أن يأخذ صديقنا النويهي من ذلك أننا نشبه محاولتنا اقامة الشعر الجديد على الميزان العروضي ، بترجمة الشعر الأجنبي الى شعر عربي .. مع ما في ذلك من البعد الواضح بين لغة ولغة ، وتعبير وتعبير .. لذلك ابادر فاوضح له من جديد أن المقصود هو اثبات « القرب » الشديد ، بين الأصيل ، والدخيل .. لا فرق بينهما في ذلك الا الاخلال بالأوزان والقوافي، اخلالا متعمدا ، ومفتعلا ولا داعي له ، عسى أن يعجب هذا « الشكل الجديد » أقواما ، يضيقون ذرعا بذلك الشكل القديم !

وقبل أن أنتقل الى أنموذج جديد .. في هذه المحاولة الخصبة .. التي لا أقصد بها أحدا من الشعراء .. وانما أقصد بها الشعر لذاته .. اريد أن أنوه بفقرة بالغة الأهمية وردت في مقال الدكتور النويهي الذي نحن بصدده .. عن « تجديد الشكل في الشعر والمسرحية » .. ولكن في معرض رده على صديقنا الناقد الاستاذ عباس خضر ، حول مسرحية « الفرافير » .. اذ قال ما نصه :

« ودعوت الى أن نكون أكبر تعاطفا مع أدبائنا المجددين في بحثهم عن أشكال جديدة تقوم

بمضموناتهم الجديدة ، وقلت انني أتعاطف معهم في بحثهم هذا حتى حين يبلغ ما سماه ت . س . اليوت حد « التهوس » .. ليقيني من ان هذه هي الطريق الوحيدة ، طريق التجربة والخطأ ، التي نأمل أن تستكشف الأشكال الصالحة بعد تكرار المحاولات » .

ولست بطبيعة الحال أرد على ماورد بشأن مسرحية « الفرافير » .. فهذا ما يعني الاستاذ عباس خضر أن يجيب عليه .. ولكني أقصد هذه الاشارة الى طريق التجربة والخطأ ، التي لم يشر اليهـا اليوت وحده ، وانما أشار اليها « الميثاق » أيضـا .. واتخذنا منها منهجا تسير عليه في بناء أنفسنـا ، وبلادنـا ، وثورتنـا .. آملين من وراء ذلك أن نستكشف الاشكال الصالحة ، بعد تكرار المحاولات .. في شتى شـئوننا ... فماذا نعني بطريق التجربة والخطأ ؟ اننا ولا شك نعني الحرية التي تمنح للأفراد ليجربوا .. ولكن الحرية لا تعني الفوضى .. والمحاولة المبنية على الحرية تصـل في أكثر الأحيان الى الخطأ .. ولا بد للعودة إلى « الصواب » .. من الاعتراف بالخطـأ أولا .. ومهمتـه النقد الذاتي والموضوعي ، تفرض عليه أن يسير دائما في طريق العودة الى الصواب .. لا طريق الاندفاع مع الخطـأ .. وعلى ذلك ففي رأينـا أنه من واجب نقـاد الأدب عنـدنا أن يطبقوا هـذا المبدأ .. ان شـعر الشـكل الجديد ، محاولة تسـير في طريق التجربة والخطأ .. ولن نصل الى الشـكل الصالح الا بعد تكرار المحاولات .. كما يقـول الدكتور النويهي .. فلماذا لا نعترف من الآن بأن شعر الشكل الجديد « خطأ » .. أو أن فيه على الأقل « قدر من الخطأ » .. ثم نمضي في نقدنا ، وتقويمنا للأدب المعاصر .. على هذا الأساس ؟! .

وبعد .. فان الانموذج الجديد .. الذي أردت أن أعرضه اليوم ، في هذه المحاولة الخصبة .. هو قصيدة للشـاعرة ملك عبد العزيز .. نشرت في العدد الأول من مجلة « الشعر » .. وعنوانهـا « لو تعود » .. والقصيدة جيدة المضمون ، وتشتمل على تجربة من أروع التجارب الشعرية ، وأرقها ، وأخصبها .. وكل ما آخذه عليها هـو اختيار الشاعرة لنقل فكرتها طريق هذا الشـكل الجديد ، الذي أراه قد أضربها ضررا بليغا .. فقد كنت أود أولا أن تختار الشاعرة بحرا غير هذا البحر ، الذي يكاد أن يكون هو البحر المختار لكل نماذج الشعر الجديد ، أو أغلبها .. مع وفرة البحور العربيـة ، وخصوبتها ، ومطاوعتها للأغراض الشعرية المختلفة .. كما كنت أرجو ألا تقع الشاعرة في أخطاء تحطيم التفعيلة ، كما يفعل غيرهـا .. وكذلك في بعض أخطاء العجلة والنثرية .. فقد كانت هناك مندوحة بالشاعرة التي تقول :

« **وشاح نومي مسدل ، وشعرى الطويل ملقى للرياح ..** »

عن أن تعود فتقول :

« لو عدت يا مطر ..

لو عدت ..

لو تعود ! .. »

ولست أريد أن أحاول هنا ترجمة هذه القصيدة، أو اقامتهـا على بحر آخر غير هذا البحر ، وميزان عروضي غير هذا الميزان .. فقد سبق ان قلت في العدد الخامس والثلاثين من « الثقافة » حول هـذا الموضوع ، ما يلي :

« .. **اما عن اضاعة الوقت الثمين في ترجمة هذا الشعر الجديد ، فلها الا تخشى أية محاولة منا لاتلاف الزهرات الجميلة ، التي تدبجها باتقان منذ سنوات .. وتتفوق فيها ـ كما نقول ـ على كثيرين ممن يتزاحمون على الصدارة في هذا الفن الجديد نفسه قبل ان يستقر له قرار .. وان كنا نتمنى صادقين أن تقوم هي بترجمة بعض شعرهـا الجميل . الى شعر اصيل .. ولن يكون ذلك تضييعا لوقتهـا الثمين ، بقدر ما سيكون زيادة في تجميل باقات الزهر الرقيقة التي أوحت بها من قبل نفسهـا الشاعرة !** » .

لذلك سوف أبقى عند وعدي .. وان أسفت على شيء ، فهو أن تضـيع المعاني الجميلة في هـذه القصيدة ، بين طيات الثوب المهلهل الذي أختير لها .. وكل ما أرجوه هو أن تقوم الشاعرة على بهـذه المهمة الجليلة فتستبدل بهذا الثوب المهلهل ، ثوبا رائعا قشيبا ، من أثواب الشعر الأصيل ! .

ولعلنا نستطيع أن نعرض لشعراء آخرين .. في محاولات مقبلة ، ان شاء الله !

« **عامر محمد بحيري** »

تحقيق لغوي في كلمة

"عضوة" وجمعها على "عضوات"

بقلم منى العوف

قرأت للاستاذ عباس خضر في العدد (١٠٦٣) من مجلة « الرسالة » تعليقا على استقبال خروشوف « لعضوات » مجلس الامة ، قال فيه ما نصه :

كلمة « عضوات » خطأ لغوي واجتماعي ، الأول : لأنه ليس في اللغة « عضوة » حتى تجمع على عضوات ، واستعمال العضو مأخوذ من عضو الجسد باعتبار أن الافراد في جماعة ما ، كمجلس الأمة مثلا ، يكونون جسما واحدا كالأعضاء ، والمرأة عضو كالرجل سواء بسواء ، وهنا تأتي الدلالة الاجتماعية من حيث المساواة بين الرجل والمرأة في مجال يشتركان فيه دون تفريق .

أريد أن أقول تعليقا على هذا الموضوع ، أن كلمتي « **عضو وعضوة** » قد كثر اللغط حولهما ، وبات ضروريا وضع حد علمي له . بعد أن اتجه كثيرون الى اطلاق كلمة « عضو » على المذكر والمؤنث ، مع أن احكام اللغة صريحة في هذا الموضوع ، وهي تقضي بضرورة اضافة التاء على كلمة « عضو » في حالة التأنيث ، كما تقضي بجمعها على « عضوات » في حالة الجمع ، ولا يصح فيها غير ذلك ، واليك البيان :

قال في القاموس : العضو والعضو : الواحد من أعضاء الشاة وغيرها . وقيل ، كل عظم من الجسم وافر بلحمه .

ولم يرد في كتب اللغة المعتمدة تفسير آخر لمعنى كلمة العضو ، وواضح من ذلك أنك تستطيع أن تطلق كلمة عضو : على كل جزء يؤلف مع غير أعضاء مجتمعة في جسم واحد كجسم الشاة أو الانسان أو غيرهما ، وذلك على وجه الحقيقة لا على وجه الاستعارة أو المجاز ، اذ الاصل أن يكون الجسم واحدا وفيه أعضاء متصلة فيه ، أما حين تنقل الكلمة الى استعمال آخر على طريقة المجاز ، كقولك (عضو في جمعية أو جماعة أو مجلس) فانه يتوجب عليك في هذه الحالة ان تطبق احكام اللغة بدقة ووضوح .

واذا قال قائل : ان مجلس الأمة يكون جسما واحدا ، وكل من فيه ، مذكرا كان أم مؤنثا هو (عضو) . كان علينا أن ننسف قواعد اللغة كلها ، لان الطلاب والطالبات في الجامعة مثلا يشكلون ايضا جسما واحدا وحينئذ لا نقول طالب وطالب وكذلك شأن العمال والعاملات في المعمل فلا نقول (عامل وعاملة) أو في المكتب فلا نقول (كاتب وكاتبة) الخ ... وهذا خطأ فادح .

نعم .. ربما لاتجد في قواميس اللغة كلمة «عضوة» وقد لا تجد أيضا كلمة « تاجرة » أو كلمة «سهلة» فهل معنى هذا أن كلمة عضو وتاجر وسهل مثلا تشمل المذكر والمؤنث معا ؟!

لا .. ان في علوم اللغة أحكاما صريحة تستطيع أن تطبقها بسهولة فنقول :

ان العضو في مجلس الأمة يحمل صفة العضوية في المجلس على سبيل المجاز ، لأنه ليس في حقيقته جزءا من شيء يسمى « مجلسا » لجسم واحد ، ومعنى هذا أن كلمة « عضو » تعرب على أنها « صفة » او « صفة مشبهة » .

تعريف الصفة في اللغة ، هو ما دل على حال علقت بذات ، وهي بهذا منطبقة على عضو مجلس الأمة .

واذا كان المذكر لا يحتاج الى علامة تدل على تذكيره فان تأنيث الصفة له عدة أحكام ، أولها الحاق

التاء المربوطة بآخــر الكلمة كقولك (عالم وعالمة) و (سهل وسهلة) و (طبيب وطبيبة) : وهذا هو المؤنث اللفظي ، وهناك أيضا مؤنث معنوي ليست (التاء) علامته ، بل يستدل على تأنيثه بمعناه ، كاعلام الاناث : (مريم) ، وأسماء القبائل والبلاد : (غسان ومصر) والاسماء المختصة بالاناث (أم) أو (طالق ومرضع) ، واذا قصد بهاتين الكلمتين معنى الحدوث ، فتلحق بهما التاء فنقول (طالقة ومرضعة)

أما اذا كانت الصفة على وزن (أفعل) فانها تؤنث بـ (فعلاء) كقولك اخضر وخضراء ·

واذا كانت على وزن (أفعل التفضيل) فتؤنث بـ (فعلى) مثل (أكبر وكبرى) ·

وان كانت على وزن (فعــلان) فتؤنث بـ فعلى كقولك (عطشان وعطشى) ·

بقيت الصفات التي يستوى فيها المذكر والمؤنث ، وهى فى اللغة كثيرة ولهـــا شروط وحالات معينة لا يتسع المجال لشرحها بالتفصيل ، ويمكن تلخيصها بثمانية أوزان هى التالية :

١ ــ بوزن مفعال مثل مفضال

٢ ــ بوزن فعالة مثل علامة

٣ ــ بوزن مفعيل مثل معطير

٤ ــ بوزن مفعل مثل مغشم

٥ ــ بوزن فعلة مثل ضحكة

٦ ــ بوزن فعلة مثل هزاة

٧ ــ بوزن فعول مثل صبور

٨ ــ بوزن فعيل مثل قتيل

هذه الأوزان تطلق على المذكر والمؤنث فتقول مثلا (رجل قتيل وامرأة قتيل) أما أن تقول (عضو في مجلس الامة عن المرأة والرجل) فهذا مالا يقوم له وزن ولا يشهد له قياس ، والصحيح أن تقول : (امرأة عضوة في المجلس وتجمعها على عضوات) ·

واستطرادا في هــذا البحث حــول كلمة الاستاذ عباس خضر التي قال فيها ليس في اللغة (عضوة) نحب أن نقول جاء في « لسان العرب » بحث مطول يستطيع الباحث أن يعود اليه ، ونذكر بالمناسبة أن أهل العربية ، اختلفوا فى تفسير الآية الكريمة : (الذين جعلوا القرآن عضين) ، اختلفوا في اشتقاق أصل كلمة عضين وتفسيرها فمنهم من قال واحدتها (عضة) وأصلها (عضوة) من (عضيت الشيء اذا فرقته) أى جعلته أجزاء وأعضاء ، فانقصوها الواو فصارت (عضة) ·

وقال في الصحاح : « **العضاه : كل شجر يعظم وله شوك** » والعرب تسمى كل شجرة جازت البقول (عضة وعضاه) وكذلك شجر الزيتون ويستدلون على كونها من الواو بقولهم (عضوات) وقد أنشد سيبويه :

هــذا طريق يأزم المآزما

وعضوات تقطع اللهازما

نستنتج من هذا أن العضه والعضاه هى واحدة الشجرات في بســـتان كبير ويمكن فى ظننا اعادة الكلمة الى أصلها : (عضة = عضوه) لتكون واحدة العضوات في مجلس الامة الكبير ·

اما الصواب فهو فى الحفاظ على فقه اللغة وانسجامه مع أحكامها اذ لا يجوز كسر الأوزان وتحطيم المقاييس بين اختراع المعانى وتوليد الألفاظ ·

ولابد من الاشارة في الختام الى الاستنباط اللطيف الذى أحب أن يدسه فى الموضوع الاستاذ عباس خضر حين اعتبر اطلاق كلمة (عضو) على المؤنث والمذكر دلالة اجتماعية على المساواة بين الرجل والمرأة سواء بســـواء ، فاقول ليس هذا هو الذى يعطى الدلالة الاجتماعية على ما قصده الاستاذ خضر بل هناك امور أخرى كثيرة ، من الافضل له ولنا أن لا يحشر فيها أمور اللغة وأحكامها · ذلك لأن تاء التانيث التى تلحق كل فعل تقوم به انثى ، والتى تلحق تقريبا كل اسم يطلق على مؤنث ، قد قصمت ظهر هذه المســـاواة ، ولم تبق لنا فيها أى أمل · ففتشوا عن المســاواة فى غير مسـالك اللغة ، ومغاور أحكامها ان كنتم تريدون ·

« مثنى العوف »

عرس الدموع!

للشاعر محمد الجبار

يالها من صبيحة .. طلع النور عليهــا .. مذوبا .. فى دموعى ! !
همت فيها كروح ام تنادى ... عالم الارض ... من فضاها الوسيعى
لمحت قبر طفلها . . فتهاوت . . . تطرق القبر .. بالصدى المفجوع
من اقام الأفراح .. فى هــذه الدار .. ومن قال : يا أزاهر ضوعى !
انا وحــدى .. من يملك الدار بالحب .. وان كنت كالغــريب المروع
ان هــذى الأستار . . يا سارق الروض . . لمصفقة على ينبوعى
ان هــذا الربيع ملــكى . . وهذى قبــلاتى . . على شــفاه الزروع
وعلى كل دوحــة . . قد حفرنا . . رسم قلب .. يدق طول الربيع !
جئت .. ألقى . بالتهنئات . مع الناس . وهل كنت . غير بعض الجموع ؟
شاحب الوجه.. هل رايت شحوبى .. دامع الروح.. هل لمحت دموعى؟
مطرق الرأس .. فى زحام الأغاريد .. وقلبى متمتم .. فى خشوعى
يا عــروسى انا .. ومن خطب الليــل صباها .. الى صــباى الوديع
يا عروسى انا .. ومن عقــد الفجــر علينا .. مستشــهدا .. بالربوع
اشــهدى . باركتهما الشــمس .. فعاشا .. مع الهــوى فى ولوع

***

تهنئات الدموع .. فى غنوتى العبرى .. تنــاغيك بالحنان الولوع
انا نوح القيثــار فى عرســك الوضــا، هــل تفهمين ما توقيعى ؟
انا وحــدى من لحن الدمع حتى . . رحت أصــغى لخطوه المسموع
عرفتنى عينــاك فى زحمــة النــاس وألقت بالطوف نحــو الصريع
لا .. لن تموت يا شاعر النــاس .. اضىء شــمعة بليــل الصقيع
عد الى الناس . . غنهــم لحن حب .. أنت دفء الحنــان بين الجموع
قلت حقا .. وهل اعود اليهم . . زورقا .. كفنتــه تلك القــلوع
وادعــائى بحب غيرى نفــاق .. أنت ناسى . . وموطنى . . وربيعى
هــل رايت المــلاح عاد عجوزا . . بعد ليــل من البــكاء الوجيع
غاص يسترفد العباب محارا .. فطفا .. فى يديه .. وشم النجيع
ســار فى خطوه يؤبن دنيــاه . . ويرنو للفجر . . كالمفزوع . .
وراى مقلتيــك خلف ضبابات ظنون . . حملن شــجو الهزيع ..
لم يجــد فى يديه الا شراعــا . . مزقتــه أوهــام بحر هــلوع
فخــذى ذلك الشراع . . ومــديه على راحــة الجمال البــديع
واجعلى منه فى الشــتاء دثارا ... فيــه خفقة الهوى من ضــلوعى

***

ليت لى ثغر عنقــودك البر .. عليــــه غفت شــفاه الرضيــع..
انا ضيف للذكريات قديم . . . فارقبى طــارق الصدى فى ولوع ..
ســوف أنســل قبلة من شعاع من كوى ســجنك الشموخ المنيع
من ســيدى بانثى فى خطى الريح تسللت ســاقيا لــزروعى ؟
فاهنئى .. باركتك فى الدفء روحى .. ودعينى لوحــدتى فى صقيعى
فى غد قد أحب حبا جديدا .. وأرى الفجر رقصة فى شــموعى ..

الجدران المصمتة

للشاعر كيلاني سند

قالت ، وانتفضت غاضبة .. أتراني ، وترد الباب
فضحكت ، وقلت لها : كلا.. من يزعم ذلك كذاب
بالامس عرفتك ساذجة .. لم تقرأ فى الحب كتاب
وأنا من دأبى أن أعبث ، أن أحطم بعض الأكواب

فالعشب اليابس يغرينى أن أبحث عن عود ثقاب
والنهـر الراكد لا أهـدأ حتى أبصره ينسـاب
ورأيتك برعمة خجـل ، ملقاة ، بين الأعشـاب
طوت الاوراق كراهية ، والتفت فى ألف نقـاب

فاجتزت دروبا مظلمة . . لأدق عليـك المحراب
فالشمس لمن تنثر درا ، وتخيط من الدفء ثياب
عبثا قد عدت ولم أفتح فى صـدرك قفـل الدولاب
ومضيت ولم أعرف أنى أدخلت الضـوء بسرداب

فامتلأت عينـاك حياة ، وانتفض النهدان شباب
واليوم رأيتك حائرة ، يضطرب بعينيـك عتاب
أمضى ما كان فلا يرجع ؟ هل يرجع ما كان وغاب ؟
فلتنسى فالطير كثير سـتجيئك منـه الأسراب

وأنا ما كنت سوى سطر فى احدى صفحات كتاب
سيزول ، فعشرون جدارا تفصلنـا ، ما فيها باب

كيلانى حسن سند

سراب

للشاعرة روحية القلينى

يا قلب ما هـذا الوجو ... م وتلك أيام تمـر ؟
وتعيش فى خـدع المنى ... ومن المـآسى كم تفر
تتبادل الناس ابتسـا ... ما خلفـه حلو ومر
وتود له تحيـا طويـ ... ـلا فى الحياة وتستقر
فسرابها يغرى النفـو ... س وليس فيهـا ما يسر
لـكننا نبقى عليهـا ... كالأمين يصـون سر
صور تروح وتغتـدى ... بالخـير يوما أو بشر
وبهـا تهيـم نفوسنا ... والقلب يسـعد والنظر
ونحبهـا رغم التنـا ... قص ان تسر وان يضر
حب الحياة طبيعـة ... ولو انها ليست مقـر
مهما انطلقت مع الحيـا ... ة فانت فيها غـير حر
جسر سـتعبره الى ... حيث المقـام المستقر
هل نحن نملأ كاسنا ؟ ... والـكاس يملؤها القدر
مهما يكن من مرهـا ... أو حـلوها لا ننتظر
وبلهفـة المشتاق نشر ... بها اذا السـاقى أمر
ولردهـا لا نستطيع ... وهـكذا يمضى العمـر
وانا أطيـل بحـيرتى ... ويدور رأسى بالفـكر
قـدر يكيف أمـرنا ... وعـلى هـوانا ينتصر
فلم التـكبر والغرو ... ر ؟ لم الرياء ؟ لم البطر ؟
ولم التكالب فى الحيـا ... ة ؟ فيالأطماع البشر ! !
يومان أو يوم تقضـ ... ـيه ويعقبه السفر
كل سيمضى فى الحيـا ... ة وان تطل فالى الحفر
لم لانعيش حيـاتنـا ... بالحب نملؤها صـور
ونحب كل النـاس من ... يحنو علينـا أو غدر
بالحب نقهـر من يسى ... ء ودائما فى الحب سر !

روحية القلينى

هل التليفزيون حرام ؟

بقلم محمد عبد الله السمان

كدت اشك فى عينى وانا اقرا هذا الخبر منذ ايام فى جريدة الاخبار :

« فوجىء المصلون فى مسجد عصفور ببنها بخطيب المسجد يحذرهم بعد صلاة الجمعة فى حديثه من استعمال التليفزيون . قال : ان الاسلام يحرم مشاهدة التليفزيون ووصفه بانه رجس من عمل الشيطان !! مارأى وزارة الاوقاف ؟! »

هذا نص الخبر كما قرأته فى **جريدة الاخبار** ، وليس للخبر خطورته من الناحية العملية ، لان هذا القول لايقابل الا بمصمصة الشفاه ممن لا يملكون من المصلين اجهزة « التليفزيون » ولا ينتظر لهم ان يملكوا ، اما الذين يملكون فقد اشتروا اجهزتهم وهم مقتنعون بأن « التليفزيون » لايمكن ان يكون جملة واحدة رجسا من عمل الشيطان .

ولكن خطورة هذا القول من الوجهة الدينية مما لايحتاج الى بحث ، مادام لمثال هذا الشيخ يتحدث باسم الاسلام ، وكأن مفاتيح الاسلام بكلتا يديه يحل ما شاء له ان يحل ويحرم ما شاء له ان يحرم . لاسيما وهو فوق منبره ، وقد يكون ممسكا بسيف خشبى من عهد قنصوه الغورى ، فيخيل اليه انه الحجاج الثقفى عند ما وقف يعلن على المنبر ان هناك رقابا قد اينعت وطاب قطافها . .

انا اشك اولا ان يكون هذا الخطيب من علماء الدين ومن موظفى وزارة الاوقاف الذين يقدرون المسئولية الملقاة على عاتقهم . **وليس** معنى هذا الا يوجد فى علماء الدين من هو مثل هذا الشيخ فى ضيق افقه ، وجمود تفكيره ، وتزمت عقليته ، **ومع ذلك** وفى كلتا الحالين ـ سواء كان هذا الخطيب عالما دينيا او غير عالم دينى ، فالمسئولية ملقاة على كاهل وزارة الاوقاف بحكم اشرافها على المساجد الرسمية وغير الرسمية .

ولو ان هذا الشيخ قال : ان التليفزيون حرام وهذا رايى ، ولم يضف التحريم الى الاسلام لهان الامر ، **ولكن** تأكيده ان الاسلام يحرم التليفزيون مما يجعل المسألة اخطر مما نتصور ، واذا كنا فى عصر الذرة وغزو الفضاء يوجد فينا هنا من يقول بتحريم التليفزيون ، فاية وصمة يمكن ان يصم بها الاسلام اولئك الذين يتربصون به الدوائر من الملدين وغيرهم، ممن يعتبرون الدين معوقا للحضارة والمدنية ، **ولو قدر** لأحد المراسلين الاجانب ان يلتقط مثل هذا الخبر المنشور على صفحات **جريدة الاخبار** ، **لأصبح** فى صحف الغرب مادة دسمة للتهكم والسخرية بمفاهيم الاسلام وعقليات علماء الدين فى بلد الازهر .

هذا الشيخ ـ بالطبع ـ ليس نسيج وحده ، فقد ابتلى الاسلام بعدد ليس بقليل من هذه النماذج الدينية التى تمنح نفسها القوامة على الدين ، وتتعقب كل جديد لتعلن عليه الحرب دون هوادة ، وهى لاتملك فقها وانما تملك حماقة فى عقلياتها وتهورا فى السنتها ، وغرورا فى انوفها .

ليست ...

وليست هذه النماذج الدينية المتخلفة فى مصر وحدها ، بل فى سائر بلاد المسلمين ، ولم ازل اذكر ان اول مكبر للصوت دخل المملكة العربية السعودية لم يسمح له بالاستعمال لانه اعتبر بدعة ، ولم يكن موجودا فى عهد الرسول ، ولم يقتنع فقهاء الدين هناك يومئذ ، ان الدولة تستعمل الطائرة والسيارة والكهربا وما الى ذلك ، وباعتبار منطقهم يجب أن

تحرم هذه الاشياء لانها بدع مستحدثة لم تكن على عهد الرسول . !

ومنذ سنوات قلائل اثير على صفحات بعض المجلات الدينية مسألة الصلاة فى الملابس الافرنجية اهى جائزة أم غير جائزة ، ومسألة التصوير الفوتوغرافى اهو حلال أم حرام ، ومسألة فرش المساجد بالبسط المنقوشة اهو مما يقره الدين أم يرفضه ، وغير هذه من المسائل التى تنم مناقشتها عن عقليات لها شغف بالاسفاف .

والحق ان مثل هذه العقليات الدينية الراكدة لم تصب بشيء من التزمت وحسب ، **بل هى** مصابة ايضا بطاقة كبرى من الهوس الدينى ، وعقدتها المركزة هى انها واهمة بأن لها القوامة على الدين ، **بمعنى هذا** الصاق الكهنوتية بالاسلام وهو منها براء ، اذكر منذ سنوات **أن** شيخا ممن يدينون بالكهنوتية الدينية **كان** يعظ الناس فى مصلى بالزمالك . فأزعجه مكبر صوت يذاع القرآن منه ، **ولم** يكد يعلم ان مصدر هذا المكبر منزل مطرب معروف يحتفل بذكرى وفاة شقيقته المطربة المشهورة ، حتى زمجر الشيخ واخذ يسب ويلعن من مكبر الصوت الذى يذيع منه ، ومثار غضبه هو كيف تحيي ذكرى مطربة (فاجرة) على حد تعبيره بالقرآن الكريم ، **ودهش** المستمعون لهذا الشيخ الذى يحجر رحمة الله التى وسعت كل شيء ، وكأنه لم يفقه ابدا ان الاموات افضوا الى ما قدموا وامورهم مفوضة الى ربهم ، **ومن** يدرى فربما كان عمل واحد صالح للمطربة جب ما قبله ، بل رب عبارة واحدة خرجت من قلبها متجهة الى الله تغفر الله لها ، **ورحم الله الحسن البصرى** ، قيل له : ان آخر كلمات الحجاج الثقفى : « اللهم اغفر لى فان عبادك يقولون : انك لن تغفر لى ، فقال الحسن: لو كان قالها خالصا لغفر الله له ..

وهذا الشيخ نفسه ساله احد المسلمين عما يفعله ازاء زوجته التى اضربت عن الصلاة ، فأمره ان يعظها فان لم تصل هجر مضجعها ، فان لم تصل ضربها حتى تصلى ، **واجابه الرجل** انه فعل كل هذا دون ان تقبل على الصلاة ، **فقال** له الشيخ اذن فطلقها ..

لا اظن ان الشيخ يجهل أن للمسلم ان يتزوج الكتابية التى لاتدين بالاسلام ، وليس له أن يمنعها عن اداء شعائر دينها ، فكيف يضيق الاسلام بزوجة مسلمة لا تصلى ؟ ولكن يظهر ان للشيخ فقها غير فقه الأئمة الاعلام المستمد من روح الاسلام الصافية .

أما بعد

لست بصدد الدفاع عن التليفزيون باعتباره خيرا كله ، ولكن بصدد الدفاع عن روح الاسلام الصافية وتبرئتها من هذا التزمت المقيت ، فالتليفزيون وسيلة ليست قاصرة على التسلية كما فهم خطيب بنها ، ولكنها الى جانب ذلك وسيلة ثقافية لها اثرها ، **ولو أن** الشيخ حمل على البرامج المسفة لكانت عظته مقبولة ، **ولكن** يظهر ان الشيخ من هواة الهدم وكفى ..

لقد تعرض التليفزيون لكثير من النقد البناء ،وكانت نتيجة هذا النقد لائحة التليفزيون الاخلاقية التىصدرت فى الاسبوع الماضي ، وخلاصتها انه ممنوع تبرير الرذيلة وجرائم الثأر وخطف الاطفال ، وممنوع كذلك عرض صور الانبياء والصحابة والخلفاء ، وممنوع ايضا اظهار المناظر المروعة او التعذيب او عمليات الاعدام الرهيبة او المشاهد التى تثير غريزة الجنس عند الحدث ... وهكذا يكون الاصلاح .

اننا كثيرا مانسيء الى الاسلام بمثل هذه العقليات، ونجعله مضغة فى الافواه ، واى جريمة نرتكبها اشد من الصاق التزمت الممقوت بهذا الدين الحنيف الذى لاجمود فيه ولا تعقيد ، **لقد** ورد فى الحديث المتفق عليه : **ان جاريتين كانتا تغنيان فى بيت عائشة ، ودخل ابو بكر فقال : أمزمار الشيطان فى بيت رسول الله ؟ فقال عليه السلام:دعها يا ابا بكر : لكل قوم عيد وهذا عيدنا**، كما ورد ان امرأة جاءت الرسول فقالت : انى نذرت ان رجعت من سفرك سالما ان أضرب على راسك بالدف ، **فقال لها** : اوفى بنذرك .

أليس الرسول هو القائل : خير دينكم اليسرة ــ يسروا ولا تعسروا ــ لاتشددوا على انفسكم فيشدد عليكم ، فان قوما شددوا على أنفسهم فشدد عليهم ، فتلك بقاياهم فى الصوامع والديار رهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم ؟

وبعد ..

فليت الشيخ اقتدى بالشعبى حين قال له قائل افتنى ايها العالم . فقال له الشعبى : انما العالم من اتقى الله ..

او ليته حفظ قول الرسول : **اذا اراد الله بعبد خيرا فقهه فى الدين والهمه رشده !!**

« محمد عبد الله السمان »

لغة "الأردو" وتطوراتها وآدابها



مولانا أبو الكلام آزاد عميد الأدب الأردي

بقلم: محي الدين الألوائي

«الأردو» احدى اللغات الحية السائدة فى القارة الهندية ــ الباكستانية ، بينما يتحدث بهـا مئات الالوف من الناس فى كل من أفغانستان ، وبورما ، والملايو، وسيلان ، والخليج العربى، وجنوب افريقيا، وتكتب الأردو بخط عربى ، وتحوى ثلاثين فى المائة من الالفاظ العربية ، واعترفت بها الهند كاحـدى اللغات الوطنية الدستورية للبلاد ، وكما انها اللغة الرسمية للباكستان ٠

ونشأت الاردو فى الاراضي الهنـدية ، وتكونت أجزاؤها من عدة لغات هندية وأجنبية ، فيقال بوجه عام بأنها مزيج من اللغات الاربع الآتية : السنسكرية، والفارسية ، والعربية والتركية ، وهذه الدعـوى قائمة على القياس والمظاهر اللغوية ، ولكن الوقائع التـاريخية وآراء علمـاء اللسـان ــ من الهنـود والاجانب ــ لا تؤيد هذه الدعوى الشائعة ٠ ولدى هؤلاء المحققين ان لغـة «الأردو» كانت فى نشأتها مزيجا من اللغات الآرية الحديثة واللهجات المحليـة القديمة ٠ ومن اللغات التى تركت أثرا فعـالا فى بناء لغة «الأردو» ــ «السنسكرية» ، و «برج بهاشا» و «راجستانية» ، و «كشميرية» و «بنجابية» ولهجات شتى لأهالى «دلهى» وضـواحيها مثل «هـريانى» و «كهرل بولى» و «ميواتى» وغيرها ٠

وبعد وصول المغول الى الهند واستقرار حكمهم فيها تشكلت هذه اللغة بشكل خاص وبدأت الكلمات الفارسية والعربية والتركية تتسرب اليهـا وكتبت بالحروف الفارسية ، كما هو الحال فى البنجابيـة والجراتية والسندية ٠ وان كتابة لغـة بحـروف خاصة لن تكون دليـلا على مصـدر تلك اللغة لان الحروف ليست من الاجـزاء الحقيقية للغة مطلقا ، ويمكن ان تكتب أية لغة بحروف لغات أخرى ، وأما الخط فشىء مستقل بذاته فما الحروف الا وسـائل لتنسيق الاصوات ، والخط عبارة عن مجموعة من النقوش التى تدل على الكلمات ذات المعانى ، وأكبر دليل على ذلك «الحروف الرومانية» المستخدمة فى معظم اللغات الاوربية مع اختـلاف بين فى معانى الكلمات ومفاهيمها ٠ وقد مرت أيضا عدة تطورات فى خط الحـروف البنسكرية فكانت تكتب أولا بالخط «البرهمى» ثم بالخط «الخاروشتى» وتبعتـه خطوط شتى مثـل : «أشوكا» و «كوتيا» و «بلواه» و «ساراسواتى» و «سردا» وكل هذا وذاك لم يحدث تغييرا ما فى الاساليب والمعانى ، وحتى فى يومنا هذا تكتب لغة من لغات الهنـد ــ فى عدة أشكال من الحروف ٠

واذا ثبت من المستسـاغ ان تكتب أية لغـة فى حروف اللغات الاخرى فلا يدل الخط على مصدر لغة أو أجزائها المركبة ٠ وهنا أمر آخر يجب ان نضعه نصب الاعين عند البحث عن لغة أو فيها ٠ وهو مدى تأثير اللغات الراقية فى اللغات الاخرى ، وهذا ليس ببدع فى تاريخ اللغات والثقافات ، فكان من طبيعة الحضارات البشرية فى كل دور من الادوار المدنية

تبادل الافكار والنظريات والاساليب والكلمات ، وان اللغة التي تتمسك بتراثها القـــديم وتسد أبواب الاستفادة وتعيش في منأى عن طرق اللغات الشقيقة ـ سيما الراقية منها ـ لتحرم نفسها عن الترعرع والازدهار ، وتتخلف عن ركب الحياة المتطورة وتكون في ممر الايام جامدة تمجهـا الاســـماع وتلفظها الالسنة ٠

اسم «اردو» :

ولم يطلق اسم «أردو» على اللغات الادبية السائدة في دلهي ونواحيها الا في القرون الاخيرة ، بعد ان بلغت درجة اللغة الوطنية العامة بأيدي الجيـــوش التي توجهت من عاصمة دلهي والشعراء والادباء الذين اتخذوها مطية لكلامهم وكتبهم ، واكبر دليل على جدة هذا الاسم كتب العلامة البيروني الذي قام برحلة طويلة في انحاء الهند عالما باحثا ومحققا واعيا من عام ١٠١٧ ـ ١٠٢٩ للميلاد وصار بمثابة حجة في الشئون الهندية في تلك العصور ، واستخدم كلمة «الهندية» في معرض الكلام عن اللغات الهندية مع كونه عالـما متقنـا في اللغـــة السنسكرية وعلومها وآدابها ، وان الالفاظ والمصطلحات العـــديدة التي وصلت الينا بطريق البيروني ليست من السنسكرية بل من اللغات الدارجة حينذاك من البنجاب الغربية الى ملتان والســـند ، ولا يزال معظم تلك الالفاظ مســـتعملة في الوقت الحاضر ، في لغـات هـذه المناطق ٠

واذا القينا نظرة عامة على الموقع الجغرافي لمدينة دلهي فيتبين لنا انها كانت ملتقى عاما لبرج بهاشا ، وهريانى وكهرى بولى وميواتي ٠ ٠

واما «دهلى» ، أو «دلى» التي كانت عاصمة راجبوت فكانت واقعة في مناطق هريانة ، وجاء ذكرها في آداب «بهرتش» باسم «دهلى» ، وكانت «دلهي» التي هي عاصمة «شاهجان» على بعد بضـــعة أميال في الناحية الشـــمالية للمذكورة ، وكان سـكانها من الناطقين بلغة «برج بهاشا» وهكذا تكونت اللغــة الهندستانية المزيجة من البنجابية والهندية الشائعة في المناطق الغربية الشمالية وبرج بهاشا ، وكهربولى ، وهريانية ، وميواتيـة ، وطارت آثارها الادبيـة الى شتى أنحاء الهند ، واتخذت مكانة اللغة الوطنيـة العظمى ٠

نشأة أردو :

واما لغة «اردو» الحاضرة فهي نفس لغة دلهي «كهرى بولى» ولكن الاسم هـــو الجديد ومعنـاه «المعسكر» لانها ترعرعت وتطورت في عاصمة الهند محط الجيـــوش والعســـاكر ، ثم انتشرت بأيدي الجيوش المرابطة في مختلف مراكز الدولة ، وبصفة كونها لغة العاصمة والدولة والجيوش نالت مكانة كبرى في طول البلاد وعرضـــها ، وتسابق فيهــا الشـــعراء والادباء والصوفيون والمبشرون الدينيون لاظهار افكارهم ووضع كتبهم ودواوينهم ٠

واما الصوفيون المسلمون والنساك الهنـــدوس والسيخ فقد اتخذوها مطيـة لمبادئهم ودعواتهم ، ووسيلة لنشر آرائهم ٠ وتجد شواهد بينة على هذا من كلام «كبير داس» و «نام ديو» و «جرونانك» والامير «خسرو» ٠

وامتازت القرون الوسطى للهند بحركات دينيـة عديدة ، وفي مقدمتها الحركة الدينية «بهجتي» التي اتخذت طابعا عالميا واختار زعماؤها لغة تصلح لان تكون حاملة لدعوة عالميـة فاتخـــذ «نام ديو» في «مرهواري» ، وكبير داس» في المشرق ، و«جرونانك» في بنجاب و «خسرو» في دلهي اللغة الاردية المعروفة بلغة دلهي ، والتي انتشرت بأيدي الجنود والتجار في انحاء الهند ، وسيلة لنشر دعواتهم ومخزنا لنتاج افكارهم وزبدة نظرياتهم ٠ وهكذا نرى الضوء المنبثق من الشعاع الذي وصل الى شتى أنحاء الهند من عاصمة دلهي ، في أفق البلاد الواسع ، وعلى من يتوق الاطلاع على هذه الحقيقة مطالعة أشعار كبير داس ، وكلام «نام ديو» ودواوين «جـــرونانك» ٠ وهي بمثابة دليل قاطع على ان جذور «أردو» قـد

تأصلت في «دلهي» قبل ان فتحها «بابر» — اول الاباطرة المغول — في عام ١٥٢٦ م ٠ فكان فطاحل الشعراء فيها يتوافدون الى بلاط «بابر» و «همايون» و «اكبر» وغيرهم فكانوا يحترمونهم ويكرمون وفادتهم ٠

مكانتها الادبية

كانت تسود المناطق الشاسعة الممتدة فيما بين بنجاب وبنغال لغة واحدة من الناحية الادبية والعلمية ، فيقال بانها كانت مبنية على اللهجات التي يتحدث بها اهالي دلهي وميرت وحواليهما ، وفي مقدمة تلك اللهجات «كهري بولي» و « برج بهاشا» و «البيهارية» و «البنجابية» ولم تكن فيها لهجة وصلت الى درجة ادبية ، ولا يجد الباحث في تلك المناطق من ضمن اللغات الادبية الا «الأردو» أو «الهندية» وكلاهما منحدران من « كهري بولي » السائدة في تلك البقاع الواسعة ٠

وجدير بالاستعادة الى الأذهان ان المكانة الادبية التي احرزتها «كهري بولي» لم تنلها لغة ما في تاريخ اللغات الهندية ، وعلى رغم هذه الدرجة المرموقة لم تحز «كهري بولي» مكانة اللغات المحلية السائدة في مختلف المقاطعات ٠ وفي الواقع كانت حالات اللغات يشبه بعضها بعضا في جميع الأزمنة والأمكنة ، فان بروز لغة ذات أدب وعلم وافرين من بين اللغات واللهجات العديدة في شتى جهات بلد أو قارة لمن العادات التي يتطلبها حكم الطبيعة ، ولكن من الامور المسلم بها ان المد والجزر لهذه اللغة يتأثر كثيرا بالتطورات السياسية الجارية في العالم بوجه عام - وفي مراكزها بصفة خاصة ٠

وكانت الفترة التي مرت بها الهند منذ وصول الآريين اليها قبل الف وخمسمائة عام قبل الميلاد الى عهد استقرار الحكم الاسلامي فيها في القرن الثامن للميلاد فترة قيام امبراطوريات جديدة وانقراض أخرى ، وشاهدت الهند خلالها تقلبات الدول وتطورات سياسية هامة في ربوعها ٠

وعندما يفوز قوم في تأسيس حكم خاص لهم في جهة من جهات القارة الهندية فبحكم الطبقية تترعرع لغتهم وتحتل مكانة اللغة العلمية والادبية ، بل والرسمية في الهند كلها ، او جلها ففي عهد «اشوك» تقدمت لغة «ماكدهي براكرتيه» بطريقة ملحوظة وتركت أثرا فعالا في جميع اللغات البراكرتية السائدة في الجهات الغربية للهند ٠ وفي عهود حكام «هرش» و «راجبوت» انتشرت «شورسيني آب بهرنسي» و «برج بهاشا» في شتى بقاع البلاد ، وصارت لغة أدبية ذات قيمة عظمى لدى الادباء والعلماء والساسة على حد سواء ٠ وكذلك تعد «كهري بولي» أي «الهندستانية» الى يومنا هذا لغة سائدة في كثير من نواحي الهند الشمالية ، وذلك — بدون شك — نتيجة لاتخاذ الحكام المسلمين مدينة دلهي عاصمة لدولتهم ٠

تطوراتها

كانت الحركة الوطنية التي اندلعت في عام ١٨٥٧ م نقطة تحول في تاريخ اللغة الأردية وانهارت الامبراطورية المغولية وتسرب الوهن والخمود الى القيم الثقافية التي كانت تدافع عنها وتشجعها خلال القرون الثلاثة التي سبقتها ٠ ووصلت بريطانيا الى الهند مع جميع مصادرها الصناعية الثورية وفي حوزتها العلوم العصرية ، والتكنيكية فوطدت اركانها أولا في شتى مرافق الحياة فيها حتى صارت في موقف تستطيع فيه استغلالها لتحقيق أهدافها المنشودة ٠ وبدأت الحادثات القديمة والنظام التقليدي ووسائل الاهلية للحياة تتخلى عن مكانها لنظام جديد غير معروف في البلاد ، وهذا التطور قد قرب الطبقة المثقفة فيها الى العلوم الغربية والثقافة الاوربية فاحدث كل هذا وذاك تغيرا شاملا في حياة الهند الاجتماعية والاتجاه الذهني ٠

أدى تدفق الاستعمار البريطاني الى صدام عنيف في المصالح الداخلية والخارجية في الميدانين الاقتصادي والسياسي ٠

وأما ثورة عام ١٨٥٧ فلم تكن حدثا فجائيا أو مجرى عاديا في مجال التاريخ بل كانت نتيجة لنفاد مدى الصبر والتحمل في وجه المأساة والمشكلات التي كانت تعانيها الشعوب الهندية في نير الاستعمار الاجنبي سياسيا وثقافيا . ولم تكن ثورة عسكرية بل ثورة عامة في النفوذ الخارجي في لب الشئون الاهلية للوطن وفتحت الابواب على مصاريعها امام كفاح مستمر في المستقبل لأجل الحرية الكاملة . وبعد عام ١٨٧٠ برزت قوى اجتماعية جديدة في شتى انحاء البلاد . ففي عام ١٨٨٥ اتى المؤتمر الوطني الهندي الى حيز الوجود .

وامتازت الفترة التي فيما بين عامي ١٨٧٠ و ١٨٨٠ بانبعاث عدة قوى شعبية ونهضة الصحافة الوطنية ، والتقدم الصناعي والزراعي ، وتأثرت الطبقة المتوسطة المتنورة المتعلمة والعقول المتحررة بالثورات الامريكية الشعبية لاجل الحرية ، والكفاح الابطالي للتحرير الوطني ، من الحكم النمسوي ، ولعب هؤلاء الاحرار الهنود دورا هاما فيسبيل الكفاح القوي في سبيل الاستقلال . ولكن البطالة المتزايدة في البلاد وعدم التنور الشعبي أو قلته لم تسرع باشعال حماس الوطنية في عامة الشعب ولم تدخل الحركة الوطنية الى نطاق واسع ولم تبدد الغيوم من سماء الوعي القومي الا بعد عام ١٩٠٥ . فكانت الفترة التي تلته الى عام ١٩١٨ نقطة تحويل في تاريخ استنهاض الوعي الوطني والفكرة القومية في قلوب الشعب وتوطيد اركان الحركة الوطنية في شتى انحاء البلاد .

تحولها الجديد

من اهم العوامل التي ادت الى هزة دعائم الامبراطورية البريطانية في الهند ، الحرب العالمية الاولى ، والازمات الاقتصادية التي تلتها ، الثورة المندلعة لاجل الحكم الذاتي ، وغيرها . واما قانون الحبس الاحتياطي الخاص وعهد الاحكام العرفية في بنجاب ، وحركة الخلافة فقد ترك آثارا كبرى في تيار مجرى الحركة الوطنية والوعي القومي ، واضطرت الحكومة لاتخاذ اجراءات شديدة قاسية ضد زعماء الحركة السياسية لصيانة مصالحها الاستعمارية ، ومطامعها الاقتصادية ، ومقدرتها السياسية ، وصادرت عدة مجلات وصحف تنطق بلسان الحركات الشعبية ومنها «الهلال» لمولانا آزاد، «وكومريد» (الزميل) و «همدرد» لمولانا محمد علي . واعتقلت أيضا الشخصيات السياسية البارزة فيعام ١٩١٥ . وأيد المهاتما غاندي حركة الخلافة بحماس بالغ . وفي عام ١٩٢١ بدأ المهاتما غاندي حركة «عدم التعاون» المعروفة . وهكذا استمرت الحركات التحريرية واشتدت وطأتها وتوحدت عناصرها حتى نالت الهند استقلالها الكامل في عام ١٩٤٧ ، لسبب او آخر فقد ادت الظروف وساعد القدر لتقسيم القارة الى الدولتين الهند والباكستان . واما مدى الاثر الذي تركه التقسيم في النهضات الادبية والعلمية لكلا البلدين فامر تبديه الايام .

كانت لغة «الأردو» وآدابها من الاشعار ، والتمثيليات والقصص والروايات ، تساهم مساهمة فعالة في جميع أدوار الحركات الوطنية وكفاح التحرير في الهند ، وسجلت صفحات بيضاء في مراحل تاريخ التطورات السياسية والشعبية فيها ، وصارت بمثابة مرآة تنعكس فيها مطامح الشعب وآمالهم ووجهات نظرهم واتجاهاتهم الذهنية ونظرتهم نحو الحياة . وان انتشار العلوم الغربية والثقافة الاوروبية في الشرق قد ترك أثرا فعالا في الآداب الشرقية واهدافها ، وحدث تطور هام ـ بحكم الطبيعة ـ في اللغة الاردية وآدابها في منتصف القرن التاسع عشر . وكانت تلك الفترة ـ بحق ـ بمثابة بداية تحويل جديد عام في تاريخ «الأردو» وآدابها ، ونهض نفر من فطاحل الكتاب والشعراء فيها لادخال العلوم العصرية والاكتشافات الغربية في الآداب الأردية ومكتبتها ، ولكن بدون اي تغيير اساسي في الاساليب المعروفة والطرق التقليدية التي امتازت بها طوال المراحل التي مرت بها منذ نشأتها ، ولم يكن هدفهم الوحيد الا جعلها متمشية مع اساليب النهضة العصرية الحديثة ، ومطابقة لواقع الحياة ومرافقها .

وهكذا دخلت « الأردو » في دور الاصلاح والتجديد ، وقد أصبحت فعلا مظهرا حيا لميول الشعب وأمانيه ، كما ان لها أهمية كبرى في ميدان نشر روح الانسجام والود والوئام بين مختلف الطوائف والجماعات في شبه القارة ، وتساعد على توطيد أواصر المحبة والتفاهم بين شعوبها .

« محيي الدين الألوائي »

كتاب من التراث

الجماهر في معرفة الجواهر للبيروني

بقلم احمد سعيد الدمرداش

تمهيد :

انبلجت من بين طيات الزمان الغابر ، مدنيات وحضارات شتى، انبلاج النوء عن مطره، وابتسمت الحياة زينتها وزخرفتها لكثير من الملوك والأباطرة ابتسام الروض عن زهره ، فكانت هناك أمجاد ، وكانت هنـاك ثروات قد يسمن بهـا ، وما تغنى العناقيد ، فأرادوا لبعضها اكتنازا لعلهم يلوذون بهـا اذا ما الزمان بسر ، وهوت نجوم ثم أودت أطنابها ، او أضحى لونها وهو أسفع ، فلم يجدوا خيرا من الجواهر والاحجار الكريمة يركزون فيها ثرواتهم ، فهي يسيرة في حملهـا ، أكيدة في أسعارها في كل مكان نظرا لندرتها النسبية .

يقول البيروني في مخطوط الجماهر :

« لما احتاج الملوك في حركاتهم وانتقالاتهم الاختيارية والاضطرارية الى أصحاب أموال تصحبهم من أجلها خدمهم ويتزاح بهم العلل في اخراجاتهم وعوارضهم ، وكان الورق أخف محملا من المثمن به في المصالح ، نظروا الى الفاضل عليـه في ذلك فوجدوه العين .. فان المثمن من المطالب يكون عشرة أضعاف ما يحصل بالورق على الاصل القديم المعين..وان الذهب أعز وجودا من الفضة ، والفضة أقل وجودا من النحاس، ويناسبها صغر الحجم وعظمه ورجحان الوزن ونقصانه.. وعطية الوقر من الذهب وزن عشرة دراهم ، ومن الفضة وزن خمسين درهما ومن النحاس خمسة عشر منا ، فلهذا آثروا العين على الورق في الاصطحاب وخف عليهم محمله . ثم مالوا الى الجواهر اذ كان حجمهـا عند حجم الذهب أقل قدرا من حجم الذهب عن الفضـة ، وحجم الفضة عندما يشترى بها من المصالح فاصطحبوها معهم » .

ولقد ذكرت الجواهر في الكتب المقدسة ، ففي سفر الرؤيا – رؤيا يوحنا اللاهوتي – الاصحاح الحادي والعشرين جاء مايلي .

«وقاس سورها مائة واربعا واربعين ذراعـا ، ذراع انسان . أي الملاك ، وكان بناء سورها من يشب ، والمدينة ذهب نقي شبه زجاج نقي ، وأساسات سور المدينة مزينة بكل حجر كريم ، الأسـاس الاول يشب ، الثـاني ياقوت أزرق ، الثالث عقيق أبيض ، الرابع زمرد ذبابي ، الخامس جزع عقيقي ، السـادس عقيق أحمر ، السابع زبرجد، الثامن زمرد سلقي، التاسع ياقوت اصفر العاشر عقيق أخضر ، الحادي عشر اسمانجوني ، الثاني عشر جمشت ، والاثنا عشر بابا اثنتا عشرة لؤلؤة كل واحد من الابواب كان من لؤلؤة واحدة وسوق المدينة من ذهب نقي كزجاج شفاف .

وفي القرآن الكريم ذكر للجواهر في الآية : **(يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ، فبأي آلاء ربكما تكذبان)** . ثم قوله تعالى : **(وتستخرجون منـه حلية تلبسونها)** ، وشبه بها ساكنات الجنة فقال : **(كأنهن الياقوت والمرجان)** .

ولقد عاش البيرونى العالم الرياضى والفلكى والجغرافى والكيميائى نديما للملوك والسلاطين .. وصحبه السلطان محمود الغزنوى ثم ابنه مسعود الى الهند فى غزواتهما لها ، وكان لابد للجيوش المغيرة من اجتياز جبال ووديان ذواتى آكل خمط وصحارى لا نبت فيها ولا زرع ، وجبال ايران وبدخشتان ذواتى حافات ملتوية وعرة تتعرض لمختلف الرياح العنيفة المتقلبة ، لهذا كثيرا ماتصرف فيها حزوم ، وتخرم صرود .



والجبال الشامخة المتركبة من الرضراض المللس المختلفة الألوان ، والرضراض والحصى هى حجارة تتكسر من الجبال بالانصداع والانصدام ، تخرج أثقالها من احجار كريمة وغير كريمة ، كان لابد للبيرونى أن يكون خبيرا فى الاحجار كما كان خبيرا فى كل العلوم التى كانت سائدة فى عصره ، أى القرن الحادى عشر الميلادى ، وكان عليه أن يميز اذا ما سئل فى حضرة السلطان بين الغث والأصيل منها بطرق علمية وقد رتب الجواهر طبقا لصلابتها مبتدئا بالياقوت حسب الجدول المنشور .

مخطوط الجماهر فى معرفة الجواهر :

يعتبر البيرونى أول مؤسس لعلم الجيوكيميا ، وكان ذلك عام ٤٣٤ هجرية أى قبل العالم الروسى لومونوسوف بسبعماية عام وهو الذى يفتخرون به كمؤسس لهذا العلم ، والمخطوط ذو شقين :

١ - شق جمالى نسيجه الشعر الرصين ، يعبر به وصفا وحديثا متواترا عن كل جوهر يذكره فى مناسبته .

٢ - شق علمى جيوكيميائى يبحث فيه تكوين ثم طرق تعدين كل جوهر .

وسنحاول هنا فى هذا المقال الموجز اقتطاف بضع زهرات من هذا النسج الشعرى الجميل فهو يقول فى موضع الياقوت :

جمان وياقوت كأن فصوصه
وقود الفضا زان الجيوب الروادعا

ثم يذكر قول أبى النواس فى وصف الخمر :

انى بذلت لها لما سمعت بها
صاعا بصاع من الياقوت ما ثقبا

والثقوب من القوادح فى محاسن الياقوت .

ويقول فى التركيب الجيوكيميائى للياقوت مايلى :

« ان الياقوت الاحمر بالغ غاية كماله ، كما الذهب الابريز فى غاية اعتداله ، وظنوا ان الياقوت تردد فى الوانه وتدرج فيها الى الحمرة ، ثم وقف لديها اذ ليس وراء الكمال شىء ، وأن الذهب ايضا يتردد فى أنواع الذائبات من عند أبويه الزئبق والكبريت، واجتاز على الرصاص والنحاس والأسرب والفضة الى أن يستوفى الصبغ والرزانة فوقف ، فلا يتجاوز رتبة الكمال ، لذلك زعموا أنه يزداد فى التراب وزنا ، ولا يستحيل فيه، ولم يعن الطبيعيون فيها الا ما يعنون فى الانسان أنه بالغ أقصى رتبة الكمال بالاضافة الى مادونه من الحيوان ، ويذهبون فيه الى جوهره لا انه صعد الى الانسانية من انواعها حتى ارتقى من الكلبية الى الدببية ثم الى القردية الى أن يأنس .

أليس هذا تقرير لنظرية النشوء والارتقاء التى نادى بها دارون بعده بثمان مائة سنة تقريبا ! ثم يستطرد :

كذا اليواقيت فيما قد سمعت به
من طول تأثير جرم الشمس في الحجر

ويذكر البيروني : « ان بارض الهند من جملة الحبوب المأكولة من الارز والعدس وانواع الماس حبا يسمى «كلت» أغبر اللون رماديه كأنه كرسنة أو جلبانة قد عصرت بالأصبعين حتى عرضت وتفرطحت على هيئة العدسة ، وأعرض منها لفضل جثته ، وله في تفتيت حصى المثانة خاصية وقوة بليغة مذكورة في الكتب ، وزعموا أن فعله يتجاوز هذا الحصى الى الاحجار الجبلية ، ويبلغ الى مستنبطي الياقوت اذا انتهوا في المعدن الى موضع صلب يتعذر عليهم حفره ، صبوا عليه طبيخ كلت وتركوه مدة يعرفونها ، فيسهل عليهم بها كسره وتفتيته ، كما يوقد في معادن الذهب والفضة على مثله بالخشب والأدهان .

وعن اختيار الماس يذكر البيروني « وأما الهند فيختارون من الماس ماصح شكله وسلم ، واحتدت أطرافه ولم يلتثم ، ولا يرضون بما انكسر منه طرف بل يتشاءمون به وكأنه من جهة انه غلب بغيره ، وهذه أيضا عاداتهم في أصنامهم وآلاتهم اذا حدث فيها كسر او عيب عارض» .

ويقارن البيروني بين العرب والهند في الأصنام ففي ذكر أخبار من العقيق يقول : «وقيل ان صنم هبل الذى كان في الكعبة أيام الجاهلية كان من عقيق مكسور اليد اليمنى قد أضافوا اليه يدا من ذهب ، وذلك عجب ، فان أهل الهند لايستحسنون من أصنامهم ما أصابته آفة كسر او نقر او امثالهما ، ويبعدونه فكيف استجاز أهل مكة تعظيم صنم أقطع ؟ » .

ثم يذكر شعر النابغة :

بالدر والياقوت زين نحرها
ومفصل من لؤلؤ وزبرجد

ثم شعر ابراهيم النظام :

يسقى بلؤلؤة في جوف لؤلؤة
من كف لؤلؤة فاللون حبى

ماء وماء وفي ماء يديرهما
ماء جرى فيهما والفكر وهمى

ثم يستطرد قائلا ، وكلهم في هذا عيال على أبي نواس الذى أصمى وأشوى في قوله :

فالخمر ياقوتة والكأس لؤلؤة
في كف لؤلؤة ممشوقة القد

وفي المرجان يذكر شعر ذي الرمة :

كأن عرى المرجان منها تعلقت
على أم خشف من ظباء المشاقر

وعلى وجه العموم فان مخطوط الجماهر قد اشتمل على وصف وذكر الاحجار الكريمة الآتية :

الياقوت ـ أشباه اليواقيت ـ اللعل البدخشي ـ البيجازي ـ الالماس ـ السنباذج ـ اللؤلؤ ـ المرجان الزمرد واصنافه ـ الفيروزج ـ العقيق ـ الجزع ـ البلور ـ اليسر ـ الجمشت ـ اللازورد ـ الدهنج ـ اليشم ـ السبج ـ حجر الباذزهر ـ حجر التيس ـ المومياى ـ خرز الحيات ـ الختو ـ الكهربا ـ المغناطيس ـ الخماهن والكرك ـ الشاذنج ـ حجر الحلق ـ الحجر الجالب للمطر ـ حجر البرد ـ الزجاج ـ المينا ـ القصاع الصينية ـ الأذرك .

وفي المقالة الثانية في الفلزات ذكر الآتي :

الزئبق ـ الذهب ـ الفضة ـ النحاس ـ الحديد ـ الاسرب ـ الرصاص الخارصيني وأشباهه ـ الشبه المعمولات والممزوجات بالصنعة ـ الاسفيزروى ـ البتروى ـ الطاليقون .

أما التقسيم الحديث للاحجار الكريمة فهو على أساس التركيب الكيميائي لها فمثلا الكورندوم وهو اكسيد الالومنيوم لو ٢ أ ٣ فيدخل تحته السفير الازرق والياقوت الاحمر والتوباز الاصفر والكريزوليت الاخضر المصفر والاكوامارين الاخضر المزرق والأميتست البنفسجي ، وهذه الالوان ناتجة من شوائب معدنية داخلة ضمن الشبكة البللورية للكورندوم .

أما فصيلة التوباز فأساس تركيبها فلوسليكات الالومنيوم .

أما فصيلة السبينل فأساس تركيبها الومنيات المغنسيوم .

أما فصيلة العقيق فأساس تركيبها سليكات الالومنيوم والكلسيوم ومنها البيروب والالماندين وغيرها .

أما فصيلة التورمالين فهي مركبات معقدة من بوروسليكات الصوديوم والالومنيوم .

ونحن لا نستطيع أن ننطلق في دراسة هذه المركبات في هذه العجالة ، ولكننا نكتفي بهذا القدر وقد نعود الى الموضوع مرة أخرى .

« **احمد سعيد الدمرداش** »

حول المسرح المصرى

بقلم الحسانى حسن عبدالله

وما أعجبتنى لابن آدم شـــيمة
على كل حال من مسود وســـائد
« أبو العلاء »

يأتى هذا المقال فى نهاية الضجة العظيمة التى أثارتها مسرحية «**الفرافير**» ليسأل : فيم كانت تلك الضجة؟ احياء السامر أو احياء الفرافير فضلاً منوط بما يحققه لمسرحنا من نفع . فهل نجد فى المسرحية هذا النفع ؟ الملاحظ على النكتة المصرية انها تسخر من كل الناس ومن كل الاشياء بلا تمييز بين الحسن والقبيح ، والملاحظ على الحوار فى « **القافية** » انه تسابق على « **الغلبة** » . وفى العامية المصرية تجاوزت كلمة « الغلبه » معناها الى معنى الحرص على التفوق بحق أو بغير حق . هذا المعنى الجديد للكلمة ينم عن ظاهرة نفسية لا يرتضيها خلق قويم . أما الظاهرة التى تنم عنها النكته فهى الحرص على الاساءة والتشويه .

النكتة

وكلتا الظاهرتين تمثل ضعفا فى الشخصية المصرية صنعه تاريخ فى القهر طويل . نحن نستقبل النكتة باحتفال ولكننا لا نستقبلها باحترام . نشهد المتحاورين فى « القافية » كما نشهد خرافا تتناطح . نضحك ولا ننفعل ، فالسخرية من كل شىء ليست سخرية بشىء . والغالب والمغلوب من المتسابقين على « الغلبة » كلاهما فى النهاية سواء لأن المسابقة غير ذات موضوع . لقد وقفت وظيفة السخرية عند التنفيس عن الغل وبهذا فقدت ما كان ينبغى لها من أثر اجتماعى . وماهذا الا لانبعاثها عن رغبة فى التجريح لا عن شعور بالظلم . وفى عاميتنا مترادفات للغلبة « كالحداقة والشطارة والفهلوة » تلتقى جميعها فى دلالتها على ضعف فى الشخصية بدانا نشعر به يتزايل محليا الطريق لشخصية ناضجة . ولكن فرفور يوسف دريس الذى يسخر بحق وبغير حق يضعف من هذا الشعور . انه ينقل صورة طبق الاصل مما يجرى على لسان رجل الشارع تتطاير منها النكات على الجميع فيضحك الجمهور بغير انفعال وبنصف وعى . نقول طبق الاصل لانها لم تنقل لتصبح فى المسرحية جزءا من بنية حية وانما تظل عالقة بالموضوع كرقعة فى ثوب مهلهل دون تغيير يقتضيه الاتساق بين وظائف الأعضاء فى البنية الحية

ولو فطن الكاتب الى طبيعة النكتة المصرية لامكن له أن يعدل منها لتكون قادرة على نقل انفعال او التعبير عن فكرة بنفى التعريفات اللاذعة التى تستلهم « البعكوكة » قديما والصفحات الضاحكة فى بعض المجلات الآن . فليس من شـــأن هذه التعريفات الساخطة على كل المهن وكل الفئات أن تثير فى المسرح أكثر مما تثيره فى الصحيفة الضاحكة او فى « قعده » من قعدات الحشيش .

ولقد أثار عجبى ان مالم يفطن اليه الكاتب فطن اليه رجل من العامة ســـمعته ذات يوم يحدث صاحبا له فى «الاوتوبيس» مستنكرا « الشطارة » و «الحداقة» و«الفهلوة» ويراها جميعا غشا وخداعا

ووسيلة لابتزاز حقوق الناس . فرحت بهذا النضج فى شخصية رجل الشارع بقدر ما أسفت لابقاء مسرحنا على تلك الصورة المتخلفة من شخصيتنا . تلك الصورة التى رأينا مثلا فيها فى «حلاق بغداد» او حلاق « الفريد فرج » الذى رأى فيه **الدكتور مندور** تمثيلا للسخط على الفساد والثورة على الواقع المريض بينما نراه وهو يمد يده ليسرق « الشيء لزوم العشق » يبحث عن اناء يحمله فيه فلا يجد فى متاعه غير زجاجة العطر فيريق ما بها هامسا :

ـ عطر ايه يا أبو الفضول دا كلام للزباين بس . ويهمس مرة أخرى اذ يبهره جمال امرأة تطلب منه العون :

ـ يا ألطاف الله ، هذا وقت المروءات .

هذا الحلاق يمت بصلة قرابة الى فرفور يوسف ادريس وكلاهما وجه لأحط ما فينا ، ولكن المطمئن أن « الفريد فرج » لا يرى فى حلاقه ما يراه الدكتور مندور فهل يرى يوسف ادريس ما نراه فى فرفوره ؟

لو وقف الفرفور عند هذا الحد لهانت خيبته ، لكنه يريد أن يكون ناقدا تاريخيا وناقدا فلسفيا كما حاول أن يكون ناقدا اجتماعيا ، فهو غير راض عن تاريخ البشرية منذ آدم حتى وقوفه على خشبة المسرح وغير راض عن كل الفلسفات التى تفتق عنها العقل فى تاريخه الطويل . وليس من الضرورى أن يتواضع فيبدى أسباب عدم الرضى فليس بفرفور هذا الذى يرهق فكره !

لقد اراده المؤلف مفكرا فاذا به فى كلمات قلائل يسفه الفكر والمفكرين . انها « القافيه » المصرية

مرة اخرى فى زى آخر تجرح بحق وبغير حق . افهكذا يكون المسرح الفكرى ؟!

ولكن صبرا فللفرفور مشكلة يحاول أن يوهمنا انها مشكلة البشرية منذ كانت السيادة . لماذا يكون سيد ومسود او رئيس ومرؤوس ولا يكون الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى بالتقوى أو بغير التقوى الفرفور لا يريد مساواة تعكر صفوها « الا » . طيب يافرفور وماذا بعد ؟ لنكن جميعا فرافير . غير ممكن . لنكن جميعا ساده . غير ممكن . ما هو الممكن اذن ؟

ـ الانتحار .

وليس الفرفور وحده هو الذى يعزم على الانتحار بل يبدو أن السيد ضاق بالسيادة فشاركه العزم ولكن الموت لن يحل المشكلة فسيدور الفرفور حول السيد كما يدور الالكترون حول البروتون . وتنزل الستار على استغاثات الفرفور فى طلب الحل ونحن نحس أن السيد ايضا ـ الذى يبدو أن كرامته ابت عليه طلب الغوث ـ ليس اسعد حالا فى جموده الصنمى الرهيب .

يسأل المؤلف . ما الحل ؟ ويسأل الجمهور ما المشكلة ؟

لقد سبق ان فتش الاستاذ عباس خضر على صفحات هذه المجلة عن المشكلة دون جدوى ، فالمؤلف لا يسخط على نوع من أنواع العلاقة بين السيد والمسود او الرئيس والمرؤوس وانما هو ساخط على مجرد قيام العالم على مبدأ التقابل بين القوى والضعيف ، بين الذكى والغبى ،بين العامل بفكره والعامل بعضلاته فهل يكون الحل الغاء ذلك التقابل وتحقيق المساواة المطلقة ؟

المساواة المطلقة لا خير فى بلوغها ولا رجاء . لايختلف فى هذا عاقلان . ما الخير فى أن يفتح يوسف ادريس عينيه ذات صباح فيجد كل الناس ادباء ، او ما الخير فى ان يكون لكل انسان عقل ارسطو وقلب المتنبى وسيف نابليون ومال قارون ؟ واذا كان هذا خيرا فهل هو ممكن ؟

ان الكاتب لا يقتنع ـ اذ يدرك ان المساواة المطلقة مستحيلة ـ بان يقول مع الغزالى ليس فى الامكان ابدع مما كان . هنا تبدو أصالة المفكر يوسف ادريس فلقد استطاع ان يخلق مشكلة من لا شيء . فهو يستدرك ما فات الفلاسفة والمفكرين ودعاة الاصلاح والثائرين فى تفاؤلهم الساذج ـ من العلم بعلة الفساد الكامنة فى قيام العالم على التناظر بين السيد والمسود . ومعنى هذا ان سؤال الكاتب عن الحل

هو سؤال انكارى . ولا اعتراض على الانكار فمن حقه ان يذهب فى التشـاؤم الى غايته ومن حقه الا يقنع بما قنع به الغزالى ، ولكن من حقنا عليه قبل ذلك ان يقنعنا بالمشكلة .

هنا يرتعش يوسف ادريس اذ يقال انه متشائم لأن التشـاؤم ضـد ما يؤمن به ، ويكتب فى « الجمهورية » كلاما فى غاية التخبط ينكر فيه ان يكون انتحار السيد والفرفور » دالا على اليأس ، وينكر ان يكون المشهد الاخير الذى يدور فيه الفرفور حول السيد بعد ان انتقلا الى عالم الذر والا على ابدية المشكلة . وهذه كل اسبابه التى لايجاريها فى عدم الاقناع الا وضعه للمشكلة . يقول **« المشـهد الأخير فهمه البعض على انه انتقال الى العالم الآخر ، ولكن ببساطة ليس سوى تجربة من التجارب التى قام بها فرفور والسـيد لايجاد حل المشكلة فكما حاولا ان يصنعا الدولة كحل يحاولان تجربة حل الموت وليس الموت نفسه ، ووضع نهاية لحياتهما ككائنين حيين »** .

ليس فى قدرة قلم ان يعقب !! فهـذا كلام يهين السفسطة اذا وصفناه بها .

يرى الكاتب ان فى الموضوع « نكتة درامية » ولكن يطلب من غيره ان يشرحها فهو لا يريد ان يتدخل فى عمل النقاد . والى ان يتطوع ناقد من اصحاب الاقلام العـاقلة بتلبية ندائه ستظل هذه المسرحية ومقالات « الكاتب » الثلاث و « خواطر » الجمهورية نكتة لا نظير لها بين النكات لانها نكتة مبكية .

ويرى ايضـا ان مسرحيته «صرخة احتجاج غاضب » أو « استغاثة عاجلة » لتغيير العلاقة بين الفرفور والسيد وحل « المشكلة » ولكن بصيصـا من الحل يلمع فى الوداد الذى يبدو بينهما بين حين وآخر اذ ينادى الفرفور السيد كما ينادى صديقا : « واد ياسيد » وينادى السيد « واد يافرفور » دون ان يأنف من هذا النداء المتبادل . وفى بداية المشهد الثانى يفتقد السيد الفرفور وعندما يجده يتعانقان بل ان هذا الوداد يبدو فى احلك تجربة لهما ــ وهى تجربة الموت اذ يعزمان على الانتحار معا واضعين راسيهما فى مشنقة واحدة ، كان احدهما لا يريد ان يشهد رفيقه يموت امامه ولو جرت العـلاقة بين الناس على هذا المنوال لما احتاج الكاتب الى صرخة احتجاج غاضب أو استغاثة عاجلة لتغييرها . قد يكون فى هذا الامر ما يوحى بأن العلاقة بين السيد والمسود ينبغى ان تقوم على ان يمثل كل منهما دوره وهو شاعر انه يمثّل ، فلا ينسى السيد دوره وليطغى ولا ينسى ولكن لا شك ان يوسف ادريس سيرفض هذا البصيص رفضا باتا لانه يناقض بناء المسرحية ولان التمثيل فى الحياة هو الدجل بعينه فالواقع ينحط بمقدار ما تفتقر العلاقات بين الناس الى الصدق والاخلاص وتصبح محض تمثيل .

اذن لا حل ولا بصيصـا من حل فليس ثمـة مشكلة ولا بصيص من مشكلة .

لقد كان المعرى اصدق حسا وهو يعبر عن ضيقه بطبيعة الانسـان فى بيته الذى يتصدر هذا المقال . وسيظل تاريخ الادب يذكر ذلك البيت لانه وقف بالحقيقة عند حدها الذى ينبغى عنده الوقوف ، وسيقضى عن « الفرافير » لانها تجاوزت ذلك الحد الى اختلاق ازمة لا محل لها .

« **الحسانى حسن عبد الله** »



السينما بعد ثورة ٢٣ يوليو

بقلم عبد الفتاح البارودي

ماذا حدث للسينما ؟!

ان ثورة ٢٣ يوليو التى احدثت تغييرا جوهريا فى حياتنا ، كان لا بد من أن تغير تفكيرنا الفنى .. ان هذا التغيير ظهر بوضوح فى المسرح مثلا ، ولكن الى أى مدى ظهر فى السينما ؟!

قارن بين افلامنا قبل وبعد الثورة ... ربما يبدو أن المستوى العام للأفلام لايزال هابطا ، أو على الأقل لم يرتفع بالدرجة التى نريدها فى مجتمعنا الجديد ، فما السبب ؟! ان معظم القصص السينمائية لاتزال تافهة : ولا نزال نرى سيناريوهات غيرذات حبكة فنية أو تركيب فنى .. وبعض المخرجين لانزال نلمس فيهم ضعف الخبرة بالتكنيك وبالتنفيذ ... والمغزى .. اننا نرى أفلاما كثيرة لا مغزى لها أو ذات مغزى ساذج ، وقلما نجد افلاما مرتبطة بمشكلات مجتمعنا الجديد .. والوجوه السينمائية التى طال عليها العهد فى الظهور على الشاشة لا تزال تتكرر ... والتصوير السينمائى لا يزال يذكرنا بأن بعض المصورين لا يعرفون الفرق بين الكاميرا والفوتوغرافيا ... عيوب كثيرة جدا لا تزال موجودة فى الحقل السينمائى ، ولكن حدثت تغييرات أساسية فى التفكير السينمائى .. كيف ؟

راجع نتيجة مسابقة جوائز السينما التى أعلنت فى الأسبوع الماضى .. ان هذه المسابقة خاصة بالافلام التى عرضت فى الموسم الماضى ، ونتائجها تدل على ظهور بشائر اتجاهات جديدة فى السينما العربية .

فمثلا بين الأفلام الفائزة فيلم « **الأيدى الناعمة** » ان هذا الفيلم هو اعداد سينمائى لرواية من تأليف توفيق الحكيم ، وهو يدل على ان السينما بدأت تتجه نحو المؤلفات الادبية ، وهذا اتجاه جديد .. فقد كان السينمائيون فى المجتمع الماضى يطلقون اشاعات توهم الناس بأن السينما شيء والأدب شيء آخر ، وبأن الأدباء لا علاقة لهم بالسينما ... وبأن السينمائيين هم وحدهم أصحاب الدراية بالفن السينمائى مثل هذه الاشاعات بدأت تختفى ، وبدأت الافلام تجد مادتها السينمائية فى الاعمال الادبية ، وهذه خطوة نحو فهم الادب السينمائى ونحو ادراك ان السينما ادب .

ايضا بين الأفلام الفائزة فيلم « **اللص والكلاب** » وهو اعداد سينمائى لقصة من تأليف نجيب محفوظ ... هذا يؤكد نفس الاتجاه ، فضلا عن انه يؤكد اتجاه السينما نحو استلهام قصصها من واقعنا .. ان قصة الايدى الناعمة تعالج مشكلة لم يكن من الممكن ان تظهر فى المجتمع الماضى ، وهى مشكلة العاطلين بالوراثة ، والفيلم لايتناول هذه المشكلة لمجرد تصويرها ، بل ان فيه دعوة للعمل ، وهذه الدعوة لم يكن يعرفها المجتمع الماضى ، وعرفها مجتمعنا الجديد الذى ادرك ان العمل شرف وحق وواجب ... كذلك قصة « اللص والكلاب » تتناول احداثا واقعية ، والفيلم فيه تعميق للتفكير فى هذه الاحداث ، ودعوة لمعرفة الاسباب الحقيقية لحدوثها، ومن اجل ذلك تناولها ليس كمجرد احداث فردية ، بل كاحداث يجب استخلاص العبرة منها ... وهذه

كلها خطوات نحو فهم ارتباط السينما بالواقع ، وادراك مدى واقعية السينما .

ايضا بين الفائزين بالجوائز مخرجون وسيناريست ونجوم وفنانون وفنيون يلاحظ فيهم — سواء كانوا من المعروفين أم من المغمورين — انهم بصفة عامة من المثقفين ... فى المجتمع الماضي لم يكن للثقافة اى اعتبار فى الوسط السينمائى ، بل بالعكس كان الحقل السينمائى محتشدا بالأميين وانصاف المثقفين ... واذن فظهور الثقافة كعنصر سينمائى خطوة جديدة نحو ادراك اهمية الثقافة فى السينما .

هذه الخطوات الجديدة تعتبر بلا شك تغييرات جديدة فى السينما ، ولكنها — بلا شك ايضا — ليست كل التغييرات التى يجب ان تحدث فى هذا الحقل الفنى البالغ الأهمية ... ان التغييرات الجوهرية التى نترقبها لم تظهر بعد بالدرجة التى نرجوها ، والتى ستحدث حتما نتيجة للتغييرات التى حدثت فى حياتنا ، فلماذا لم تحدث للآن فى السينما ؟!

لأن السينما عندنا تعانى رواسب كثيفة من مخلفات المجتمع الماضي فقد كان الحقل السينمائى مصابا بامراض كثيرة تفشت ميكروباتها فى (**موزعين**) استغلاليين لم يكن لهم اى هدف غير خطف ثمن التذكرة من جيوب المتفرجين بأى شكل ، وتفشت ميكروباتها فى (**منتجين**) لا هدف لهم غير الضحك على الموزعين والمتفرجين للوصول الى نفس النتيجة ، اى خطف ثمن التذكرة ، واتسلم «**الغنائم**» من شباك التذاكر كل هذه الميكروبات كانت تتكاثر فى السهرات التى يدبرون فيها جرائمهم ، ويغررون فيها بعشاق الظهور على شاشة السينما . . .طبعا لم يكن كل السينمائيين من هذا الطراز ولكن هذه المساوىء كانت سائدة فى الحقل السينمائى ، ولهذا احترف السينما كثيرون ممن لا علاقة لهم بهذا الفن ، ولا بأى فن ، ونتيجة لذلك ظهرت افلام اطلق عليها « **من انتاج وكالة البلح** » ، واشتهرت أسماء سينمائية بلا اى مبرر سينمائى ، وغلبت التفاهة على الأفلام ، وكان الجمهور هو الضحية الوحيدة .

لم يكن الضحية فقط بسبب انه هو الذى كان يدفع ثمن التذكرة ، بل كان الضحية ايضا لأن التفاهة أثرت فى مزاجه الفنى .

كل هذا تغير فى عهد الثورة ... طبعا كان من المستحيل ازالة المساوىء والرواسب فى ٢٤ ساعة ولكن المهم ان الحقل السينمائى بدأت معالجته معالجة علمية ... فأولا انشيء معهد السينما لتخريج سينمائيين مثقفين ، وانشيء معهد السيناريو لتقديم دراسات سينمائية ، وانشيء القطاع السينمائى العام لتتخلص السينما من الاستغلاليين والاحتكاريين ، وليتعاون هذا القطاع مع ذوى الجدارة من السينمائيين فى القطاع الخاص .

لا جدال فى ان هذه خطوات علمية وعملية قائمة على اساس علمى وتخطيط منهجى ، ولكن معهد السينما لم يخرج بعد غير عدد قليل من الدارسين ، فضلا عن ان دراساتهم غير كاملة ، ومعهد السيناريو محدود الدراسات ، والقطاع العام لم ينتج بعد الافلام التى تشعرنا بالتغيير الجوهرى فى التفكير السينمائى .. ان بعض افلامه فى مستوى الأفلام التى نشكو منها ، ومع ذلك فان المشروعات الجديدة التى اعدت للحقل السينمائى ستؤدى الى تصحيح مختلف الأوضاعات .

فمثلا مشروع بناء « **مدينة السينما** » سيزيد الامكانيات الفنية التى تهيء للسينمائيين تطوير اتجاهم .. لأن هذه المدينة ليست مجرد مبان وبلاتوهات ، وانما هى الى جانب هذه الماديات مجال فسيح للخلق الفنى ... فكما ان بناء المسارح مثلا يمهد لوجود المؤلف والممثل والمخرج المسرحى ، فكذلك بناء المدن السينمائية يوجد الفنانين السينمائيين . . . ان بناء هوليوود وبابيلوود وسائر المدن السينمائية العالمية كان من عوامل ظهور التيارات الفنية المتعددة فى السينما العالمية ، وهكذا سيؤدى بناء مدينتنا الى ظهور التجارب الفنية التى ستتحول الى تيارات فنية فى السينما العربية ... يضاف الى ذلك ان توفير المعدات والادوات الحديثة سيسد النقص الذى يشعر به السينمائى العربى كلما فكر فى ممارسة تجارب تحتاج فى تنفيذها الى هذه المعدات والادوات .

ايضا من المشروعات الجديدة انشاء شركات سينمائية فى نطاق القطاع العام للانتاج المحلى

والانتاج العالمي والتوزيع والاستوديوهات ودور العرض ... هذا التقسيم سيمكن هذه الشركات من التفرغ لاداء الوظيفة التى اسندت الىكل شركة... فمثلا شركة الانتاج العالمي ستنتج افلاما مشتركة بيننا وبين الدول ذات الخبرة السينمائية .. وطبعا سنستفيد من خبرات هذه الدول ، وسيتوسع مجال توزيع افلامنا ، وسيرتفع مستوى مخرجينا وممثلينا ومصورينا بالعمل المشترك مع مخرجين وممثلين ومصورين عالميين .

وكذلك شركات التوزيع والاستوديوهات ودور العرض ستفيدنا كل منها فى دراسة الحقل الذى تعمل فيه ، وهذا سيؤدى — بالنسبة للتوزيع — الى ايجاد اسواق جديدة لافلامنا ، وكلما كثرت الاسواق زاد احساسنا بمسئوليتنا عن رفع مستوانا الفنى ، فمن غير المعقول ان نعرض افلاما لا يشرفنا عرضها، ولهذا سنحاول التدقيق فى مختلف العمليات بحيث ننتج افلاما جديرة بالتعبير عنا ... وبالنسبة للاستوديوهات سيكون الاهتمام بها دافعا الىتجويد عمليات تنفيذ الافلام ... ان معظم استوديوهاتنا كانت فقيرة فىمختلف النواحى ، وهذا اصاب افلامنا بتشويهات كثيرة .. ان المصور مثلا اذا لم يجد العدسات التى يحتاج اليها يضطر الى ممارسة عمله كيفما اتفق ، والنتيجة الحتمية هى هبوط مستوى لقطاته وكادراته .. وهكذا المخرج والمونتير وفنان المعمل .. الخ ... وبالنسبة لدور العرض لاجدال فى أن زيادة عددها وزيادة امكانياتها وزيادة وسائل اجتذاب الجمهور اليها ، كلهذا سيساعد على زيادة الاهتمام بالقيمة الفنية فى الافلام .. ان الافلام غير ذات القيمة سيهرب منها الجمهور ، ولهذا سيحاول السينمائيون ان تكون افلامهم منالجودة الفنية بحيث يقبل عليها اكبر عد ممكن من الجمهور فى اكبر عدد ممكن من دور السينما .

والانتاج المحلى اصبحت له شركتان ، وهذا سيخلق التنافس الفنى الشريف بينهما ، والنتيجة فى صالح الفن السينمائى ، وقد بدانا نلمح الآن بوادر هذا التنافس بين الشركة التى يشرف عليها صلاح ابو سيف والشركة التى يشرفعليها جمال الليثى.. ان صلاح ابو سيف اعلن انه سيقدم مفاجآت جديدة فى افلام شكلت لجان فنيه لمراجعة موضوعاتها وسيناريوهاتها ، وستكون العبرة فىالاختيار بالقيمة الفنية من حيث الموضوعات ، وبالصلاحية الفنية من حيث الفنانين والفنيين والممثلين ، بل ان بعض هذه الافلام ستؤديها وجوه جديدة من البراعم المثقفة .. وايضا اعلن جمال الليثى ان الشركة التى يشرف عليها لن تنتج اكثر من عشرة افلام فى السنة ، ضمانا لانتاج الافلام الرفيعة المستوى فقط ، وسيستعين بلجان مثقفة تتولى اعداد ومراجعة مختلف العمليات السينمائية ابتداء من الفكرة السينمائية الى الموضوع الى السيناريو ، وهكذا الى ان يخرج الفيلم من الاستوديو للعرض على الجمهور.

وهناك مشروعات اخرى كثيرة اعدها القطاع العام ، وكلها ستؤدى فى النهاية الى تصحيح الاوضاعات والقضاء على المساوىء وازالة الرواسب التى ترسبت من الماضى .

وبديهى ان اعداد المشروعات لا يكفى لانقاذ السينما من المحنة التى عاشت فيها سنوات طويلة ، ومن الضرورى ان يكون تنفيذ هذه المشروعات كفيلا بتحقيق الاغراض التى انشئت من اجلها ليمكن خلق السينما الجديدة الجديرة بمجتمعنا الجديد .

ولهذا يجب ان يتعاون المفكرون مع السينما فى نشر الوعى السينمائى .. ان السينما التى نريدها سيكون الوعى من اهم عوامل ايجادها .. من اجل ذلك يجب على المفكرين مراقبة عمليات تنفيذ المشروعات الجديدة وتقييمها تقييما علميا ونقدها بصراحة ... ان النقد سيساعد على توجيهها توجيها سليما .. الى جانب ذلك يجب تدعيم معهد السينما ومعهد السيناريو لتخريج المثقفين الذين يمارسون العمل بوعى وفن فى افلامنا الجديدة ... كذلك يجب على القطاع العام بالذات ان يعلن عن مشروعاته وافلامه ليشترك المفكرون فى ابداء وجهات نظرهم .. ان تبادل الآراء يساعد على رفع مستوى افلامنا بحيث تنتج فى المستوى الفنى وتعالج مشكلات المجتمع الجديد ويكون هدفنا الاول هو خدمة الشعب .

« عبد الفتاح البارودى »

حول الأدب في إسبوع

يقدمه : عبده بدوى

صراع على الحافة :

لا أريد أن أزعم أني كنت مستطار القلب ، متردد القلم حين كتبت عن الدين والشعر في العددين ٤٨، ٥٢ من الرسالة ، وان كان هـذا لا يمنع من القول بأني كنت أحس وأنا أكتب أني على « حافة » الموقف .. وان أي تشويه لحماسي للشعر ، وايماني بدوره قد يغير من مكاني على هذه « **الحافة** » .

فانا أومن ايمانا كاملا برفع وصـاية الاديان عن الشعر ، ولم يحركني الى هذا حماس شعراء لبنان للشـعر الدينى المسيحى ، ولا تهجمهم الواضح على التراث الاسلامى ، واعلان بعضهم أن تراثهم الوحيد هو التراث المسـيحى ، والجاهلى فى العربية .. ولم يحـركنى كذلك أن أغلـب الشـعر المعاصر يعتبر ـ وبخاصة الشعر الحرـ عن وعى أو غير وعى امتدادا لهذا الاتجاه ، الى حد أنا نرى أسماء دواوين تخرج من الانجيـل ، وآيات من الـكتاب المقـدس تساند بعض القصائد من غير ضرورية شـعرية ، واهتماما مهندسا بالمواقف والرموز المسيحية .

ولكن الذى حركنى حقا هو عدم اقتناعى بالتجربة الدينية الضيقة فى الشعر ، ولاكبارى الشعر عن أن يكون « **خادما عصريا** » للمبشرين الجـدد ، ثم أخيرا لاتخاذ الاديان ، حربا باردة ، فى هـذه الفترة التى تشكل فيها حياتنا . فاذا أضفنا الى ذلك أن الانسان المعـاصر لم تصبح همومه ميتافيزيقية فى المنطقـة العربية .. أدركنـا أنه كان لا بد من أن تقال كلمة فى هذا المجال .

فأكثر من ناقد قد ذكر لنا ان الدين يقص أجنحة الشـاعر ، وأن الشـعر الذى يعبر عن ايمـان وولاء لا يقدر على حمل السرور الى أنفسنا ، وأن القـراء « الاخلاقيين » لا يهتمون الا بمن يدافع عن حقـائق دينهم ، ولعل عظمة ت . س . اليوت ترجع الى أنه يجيد الوقوف الى جانب اليقين نفس الاجادة الى جانب الشك ، وهو نفســه يقول « **انى اسـأل نفسى لماذا كان الشعر الدينى رديئا ، ولماذا لم يبلغ أبدا مرتبة سامية فى الشعر ، ذلك فى نظرى يرجع الى حد كبير الى نوع من النفـاق الدينى ، ذلك أن الذين يكتبون الشـعر الدينى انمـا يكتبون عمـا كانوا يودون أن يحسوا به ، لا عما يحسـون** » .

وليس معنى هذا أن التجارب الدينية غير ضرورية للشاعر ، أو أن هناك ، حجرا على استعمالها ، ولكن معناه أن تكون جميعها من قوت الشاعر ، لا أن تكون كل القوت، ومعناه الا يوافق الشاعر ويبشر أو يعظ، ولكن أن يتعاطف ويسـتعمل خيوطها فى نسجه ، كمـــا أن له أن يرفض ما يريد أن يرفض فى رؤيا شاعرية عميقة .

ومن هنا كان على الشاعر أن يستوعب الاديان لا أن تستوعبه الاديان ، بل انى أذهب الى أكثر من هذا وأدعو الى تجربة رائعة مكملة للدين وهى تجربة الانســان « الوثنى » فى افريقيــة ، فالانسان الذى يصلى للمطر والخصب ووجهه وقلبه ممتلئان بالدموع لا يقل أثرا ـ حين يؤخذ كتجربة شعريةـ عن التجربة التى تتحدث عن الصلب أو الرفع ، فالشاعر محتاج الى جانب تجربة الاديان الكتابية ، الى هذه التجربة العميقة بما فيها من سذاجة ، وضراوة ، وعذرية .. على أن يكون كل هذا الرصيد من التجارب « **لهبا خلفيا** » لا يشغل الشاعر عن نفســه وعصره ، وانما يعمق له التجربة الذى ينزفها فى معاناة !

والمتتبع للنشــاط الأدبى والفنى يرى أن القصة والرواية والمسرحية والفن التشكيلى لم توضع ـ فى أشكالها الرفيعة ـ فى خدمة الدين ، أو بعبـارة أدق فى خدمة الذين يسخرون الدين لأغراض خفية

٠٠ ما عدا الشعر ، فهو فى لبنان تراتيم انجيلية لا تنتهى ، ثم ان هذه التراتيم لم تقف عند حدود لبنان وانما «صدرت» ، ووجدت من يروج لها بحماس وصل الى حد محاولة تنصيب الشاعر «يوسف الخال» على مقدرات الشعر العربى لا لشىء الا لأنه تمكن من تحويل التجربة المسيحية الى شعر ٠ ثم قصر شعره عليها ٠

واذا أردنا ان نقربه الى ذهن القارىء فانا لن نذكر عنه ما تقوله صحف لبنان من أنه مهرج وعميل وضد الأمانى العربية ، ولكن نذكر انه يماثل فى التجربة الاسلامية الشاعر محمود جبر ، فالأول يفتح الانجيل ويترجم ، والثانى يضع نفسه فى دائرة صغيرة هى دائرة «آل البيت» ٠

٠٠ وفى ضوء هذا يتضح ان ما يحركنى هو « **الغيرة** » على الشعر ، وانه يجب الا تكون هناك مناطق مقفولة يمتنع الحديث عنها ايثارا للسلامة والعافية ٠٠ ولذلك كنت سعيدا وانا اتلقى مقال الأستاذ الدكتور **محمد النويهى** ـ المنشور فى هذا العدد ـ لأنه كان حريصا على أن يستشف حقيقة موقفى ونواياى ، وان يفوت الفرصة على الذين كان يمكن أن يديروا وجهى مرة الى الكفر وأخرى الى التعصب ٠

ولقد تحدث فى استاذية عن بعض الخلافات الفرعية ، فذكر ان الادباء المسيحيين لا يستعملون فكرة الصلب باعتبارها جزءا من العقيدة « **٠٠ بل يستعملونها استعمالا رمزيا محضا يرفعها على مفهومها الدينى المحدد ، ذلك ان الايمان الدينى بهذه الفكرة يقتضى الايمان بعقائد أخرى عدة من الوهة يسوع ، وثالوث الاب والابن والروح القدس والولادة العذراء ، وتضحية الأب بابنه تكفيرا عن خطيئة البشر ، وخلاص البشر من هذه الخطيئة بمجرد هذا الصلب ، واغلب الادباء المسيحيين فيما نقرأ وما نعرف لم يعودوا يؤمنون بهذه العقائد كحقائق حرفية ، بل يرونها مجرد رموز ترمز الى حقائق عليا** »

ثم ذكر الدكتور النويهى ان الشعراء المسلمين لا تخرج نظرتهم عن هذه النظرة ، ومن هنا كان الاغراء الذى يجدونه فى محاولة تحويل هذه الأفكار الى رموز وأخيلة ، فى الوقت الذى يجدون انفسهم فيه عاجزين عن اتخاذ الدين الاسلامى مصدرا مشابها « **للالهام الفنى** »

وانا بدورى لا اخالف فى نظرة المسيحيين الى دينهم ، ولا فى نظرة الشعراء المسلمين الى المسيحية ، ولا أجد مانعا من الرمز بالصلب ـ لافى حالة واحدة ـ وانما فى كل الحالات التى يمكن ان تخدم التجربة الشعرية ، بل ان هذا الرمز يتردد فى شعرى بعدة وجوه ، ولعل الذى لم يجعل الفكرة واضحة عندى انى كنت اتكلم عن حالة واحدة هى حالة « يوسف الخال » وانى ذكرت انى اقبل منه ان يجعل الشاعر مسبحا ، وان يفر الى الصلاة كلما دقت وجرده المشكلات ، ولكنى لا اقبل منه ان يركب لكل شىء فى الوجود وجها مسيحيا ٠

ثم انى حين كنت انقب عن وجود الرموز الاسلامية فى الشعر ، لم اكن اصادر الشاعر المسلم عن ان يستوحى التجربة المسيحية بل قد ذكرت انها خصبة وضرورية ، وان كان هذا لم يمنع من ان اعللها بان الشعراء واقعون تحت تاثير بعض المثقفين الشديدى الذكاء ، واما انهم يعيشون فى المناخ الشعرى اللبنانى ، واما انهم يعتقدون ان القصيدة العمودية تمت بصلة شديدة الى التراث العربى ومن هنا كانت المبالغة فى الجانب الآخر ، واما ان القوامين على الدين الاسلامى يبالغون فى التحفظ على مثالياته ورموزه ٠

واذا كان الاستاذ الدكتور محمد النويهى لم يوافق الا على الراى الأخير ، فان هذا يجعلنى أتساءل لماذا وقف التأثير كله عند التجربة المسيحية ، ولم يتعدها الى اليهودية ، أو الاعتقادات الافريقية او ما يأخذ به اهل الشرق الأقصى انفسهم من اعتقادات ، وفى كل من هؤلاء من الرموز ما يتعادل مع المسيحية أو يفوقها ، ولناخذ مثلا رموز التيه والخروج ، والضياع ، والحرص على اية حياة ، والسحر ، والولع بالذهب ، او لناخذ مثلا تجلى الله لموسى على الجبل واختفاء الجبل .. أومايشبه هذا فى معتقدات «الكيكويو» من أن الاله «موجاى» قد جعل من بعد الطواف جبل كينيا مستقرا له ، وانه خاطب جد القبيلة الاعلى وارشده الى المراة ، ونضر الحياة من حوله فى أول لقاء كان بينهما ، وان كل انسان يستطيع ان يوجه اليه الحديث فى الجبل ،

او ينظر الى هذا الاله كما فى بعض قبائل غانا على انه « **الجد العظيم والجدة العظيمة** » .. أو تستلهم تلك الحياة التى يرى فيها الانسان نفسه ولا يشغل عقله بما وراءها !

ثم انى أؤكد صادقا أن اية قراءة مقارنة للشعر الحديث بلبنان والشعر فى البلاد العربية سيلمع من خلالها التأثير الواضح للمواقف والرموز المستعملة فى الشعر اللبنانى ، ولولا انى — على الحافة — الآن لأوردت الكثير من هذه التأثرات الواضحة .

ثم هل من المصادفة أن يحمل بعض شعراء لبنان رفع راية التبشير المسيحى فى الشعر ، وضرب الشعر العمودى ثم الشعر الحر بقصيدة النثر ، والعمل على اخفاء الملامح العربية تماما من هذا الشكل من اشكال الفن ؟ ثم هل من المصادفة ايضا احتقار كل ما هو عربى ، وتنحية التراث الاسلامى دون التراث المسيحى والوثنية العربية فى تقييم بعض الشعراء ؟ وهل صحيح ان العربى الآن يقف عاريا كالعظم ، ويمشى ويتكلم نائما ، وانه ليس اكثر من طفل او هيكل عظمى كما يقولون ؟

اما « **النقطة الساخنة** » التى تقول ان الالهام الفنى لا يكون رائعا حين يؤخذ من الحقائق المادية ، وان العقائد الحرفية لم تقدم « الفنان العظيم » وان فن الرسم فى عصر النهضة لم يقفز قفزته الرائعة — واعتقد ان هذا ينطبق على كافة الفنون والآداب — الا بعد التخلص من القيود الدينية .. فشىء لايمكن الخلاف عليه ، بل ان المصريين كانوا ابرع من الاغريق فى الاحساس بالملامح وتنفيذها ولكن ما اخر فنهم انهم ربطوه بالآخرة ، بينما شد الاغريق فنهم الى الحياة .

اما القول بان الالهام يأتى من الاعتقاد بان ما جاء فى الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ليس من كلام الله الحرفى وانما من كلام بشر فى « **حالة الهام** » وان هذا يعطى حرية اوسع فى الوقت الذى لا يمكن ان يتحقق هذا فى موقف المسلمين الراهن من القرآن الكريم .. فان قبوله قد يبدو صعبا ، لان كثيرا من النقاد — من وجهة النظر العامة — لا يقسمون الظواهر الى ما هو شعر وما هو ليس بشعر ، وأن الشاعر العظيم قد يحول حقائق الوجود الى شعر مهما كانت هذه الحقائق ، وانه لا يوجد نص يحجر على حرية الفنان الخلاقة

هذا من ناحية ومن ناحية اخرى هل القرآن — بصرف النظر عن كافة السلوك الاسلامى — يقف جامدا امام الشاعر فى الوقت الذى يسمح فيه للفقيه بالعديد من وجهات النظر ، ثم هل يعجز القرآن عن أن يعطينا رموزا للخصب ، وانسجام الحياة ، وبهجة النفس ، والاسراء ، والبعث والطوفان ، والحصار ، والحزن فى يعقوب ، والجمال فى يوسف ، والرغبة فى امراة العزيز ، والشذوذ فى قوم لوط ، والتطلع فى ابراهيم ، والفرح بالحق فى محمد ، والمحنة فى الولد بالذبح او الالقاء فى الماء ، او تطلع العاقر حتى بعد ان جاوزت سن اليأس .. ثم هل يمتنع بعض هذا عن أن يدخل فى « التركيبة الشعرية المعاصرة » ما دام الشاعر لن يعظ ، او يحاول الاقناع ، وفى الوقت نفسه فان وجود الروافد الدينية لا يعنى شدة الايمان بها « فبيكت » يستعملها ويرفض الدين ، و « كيركجارد » يستعملها للدعوة غير المباشرة للمسيحية .. وبعض ادباء لبنان يستعملها للدعوة المباشرة للمسيحية .. ولسنا الى الى أى من هؤلاء نميل ، لأنها تدعو فقط الى اخصاب التجربة الشعرية بحيث يكون هذا الاخصاب غير مفروض على الشاعر من الخارج ، او يكون تقليدا لبلد من البلدان ، او انسياقا وراء وهم ، او خوفا من المجازفة ، وفى الوقت نفسه احتضان لكافة التجارب التى مرت بالبشرية !

وفى ضوء هذا لا تصبح المشكلة هى ان « **ناكل الكعكة ونحتفظ بها** » وانما ستكون مشكلة البحث عن الدقيق الجيد ، وهو لا يعرض فى « دكان » حضارة واحدة ، وانما فى اكثر من « دكان » .. فى اكثر من حضارة

« **عبده بدوى** »

اغنية لجوموكنياتا

للشاعر عبده بدوى

من ارض مجـــدبة التربه — وسماء صـــامتة القبـه
من شمس غاضـــبة تلقى — فى وجه المستجلى .. حربه
من غاب مزنحـم جهـــم — يتجمـع فى الافق كغضـــبه
.. صعدت فى كينيــا قامته — وترامت شامخة . صـــلبه
فاخضر النور .. اهتز الافق — .. اشـــتاقت ايام جدبه
غنى الرعيان فجاوبهـــم — واد .. يســـتلقى فى هيبه
واذا بالخصـــب يمد يديه — فتورق اعمـــاق رحبـــه
قد حركَ جذرا .. واستعلى — جذعا .. وتغنى فى جبـــه !!
قد اقبل يحمـــل تاريخـــا — يتصاعد فى النفس كهضـــبه
واثين شـــعوب مرهقـــة — تتهـالك من فوق الركبـــه
والجـــدب الاصـــفر محزونا — كوجوه ضـــاعت فى غربه
.. فاذا الايـــــام تضىء به — وترى الدنيا فيـــه شـــعبه
وصـــباحا ثوريـــا يمضى — فتضىء بخطـــوته التربه
.. فتمهـــل فالجو حنـــين — ولتنصت فى فرح قـــريه
فالشـــيخ عجـــوز هزته — قضـــبان ضـــارية ذئبه
لكن ذراعيـــه وســـعت — الارض العـــالية الخصـــبه
وتراءت افريقيـــا الخضـــرا — ـ فى زهوة فرحتها ـ قلبه

« عبده بدوى »

الجمهورية العربية المتحدة
القوات المسلحة ـ قيادة القوات البحرية
ادارة شئون الضباط

اعـــلان

تعلن القوات البحرية عن حاجتها الى مهندسين من خريجى كليات الهندسة اقسام (هندسة بحرية ـ ميكانيكا ـ كهرباء ـ كيمياء) وذلك توطئة لتعيينهم ضباطا بها .

ويشترط الا يزيد سن راغب الالتحاق عن (٢٨) سنة فى اكتوبر سنة ١٩٦٤ ويمكن الاطلاع على باقى الشروط بادارة شئون الضباط بقصر راس التين بالاسكندرية او بمركز القوات البحرية بالجزيرة بالقاهرة .

وتقدم الطلبات بعد استيفاء جميع المستندات والبيانات والشروط باليد الى احدى هاتين الجهتين .

وآخر موعد لقبول الطلبات هو يوم ٨ اغسطس سنة ١٩٦٤ .

الكتب

نقد وتعريف

يقدمه تحسين عبد الحي



رد على نقد كتاب المفهوم الاستراتيجي للثورة

تحسين عبد الحي ٠٠ وكبش الفداء

فى مجلة الرسالة

فاجأتني مجلة الرسالة فى عددها الصادر يوم الخميس الماضى بنقد لكتابى «المفهوم الاستراتيجي للثورة» ، أحسست من خلاله أننى كبش فداء قد ذبحه الزميل تحسين عبد الحى ، ضحية لظاهرة عامة متفشية فى المجتمع ٠ ٠ الا وهى ظاهرة «التعفن الفكرى ، والتفسخ الطبقى» لدى اصحاب منطق وطنية البطون ، ممن لبسوا رداء ثوريا ، وهم اصلا مضادون للثورة فى واقعهم من بعض رجال الفكر وكتاب الصحافة ، والذين اذا أردنا أن نطلق عليهم لفظا دقيقا يعبر عن واقعهم الموضوعى ، لم نجد أصلح للتعبير عنهم من عبارة «وطنية البطون» ، اى الذين لايعرفون الوطنية الا من خلال بطونهم ٠ ٠ أى من خلال المرتبات العالية ٠٠ والملابس الفاخرة وشهرة القلم الذى يحتكر صفحات من المطبوعات الدورية واليومية ، تحقيقا لنزعة «عدم حرية الفكر» التى يفرضها كتاب وصحفيون يستلهمون وحى أفكارهم من خارج النطاق الحضارى للعرب ٠٠ وهم موجهون دائما من ذلك الخارج ٠٠ الذى تكمن فيه القيادة الأيديولوجية لأمثال هؤلاء اللاعقائديون ٠

وأظن أن هذا ما كان ينبغى أن يعبر عنه الزميل تحسين عبد الحى بدلا من أن يتخذنى كبش فداء فيتهمنى فى صلب عقيدتى السياسية ليجردنى من قوميتى واشتراكيتى ، كمواطن فى مجتمع الثورة الانسانية العظيمة ، ثورة جمال عبد الناصر ٠

ولهذا فانى أجدنى لا أوافق الزميل فى تعبيره الصادق الفحوى بالنسبة للظاهرة المشار اليها أعلاه ٠٠ الخاطىء الأسلوب لانه قد شكك اخوتى قراء الرسالة فى عقيدة مواطن يشهد تاريخ حياته بأنه قد فقد مكانته فى جريدته من أجل مبادىء الثورة ، وآثر الجوع والضياع على خيانة هذه المبادىء من خلال التلون فى الرأى ، ذلك التلون الذى لاقى فى سبيله الاغراء وعلم الثراء ٠

ماذا قال الاستاذ تحسين عبد الحى اذن ؟ : — لقد قال فى ختام تحيته لثورة ٢٣ يوليو ونقده لكتابى المذكور :

« ان مفكرينا اليوم مطالبون اكثر من أى وقت مضى بأن يقدموا المبررات الحقيقية لوجودهم ، واقلامهم فى أيديهم عاجزة عن أن تبرز الكثير من نواحى تقدمنا بصورة موضوعية بعيدة عن المديح والاطراء ٠

وعلى كل فان التفاؤل والأمل فى المستقبل يجعلنا نؤمن بأن القوميين الحقيقيين والاشتراكيين الحقيقيين سوف يكون فى استطاعتهم أن يجدوا مكانهم الحقيقى بعيدا عن مظاهر التعفن الفكرى والتفسخ الطبقى الذى يستشرى بين معظم كتاب ومفكرى اليوم ٠ وسيكون دائما البقاء للأصلح» ٠

نعم لقد صدقت ايها الشاب الوطنى فى أن البقاء سيكون دائما للأصلح ، وأن منهج الكتابة عن الثورة ينبغى أن يكون من خلال المنهج الموضوعى الصرف لا عبارات المديح والاطراء الانشائى لان المديح والاطراء يستقبلها القارىء بعينه ولا يستسيغها بعقله فى حين أن المنهج الموضوعى فى دراسة الثورة تستقبله العين ليستقر فى العقل لانه يخاطب العقل قبل المشاعر ٠٠ والثورة اليوم

قد تخطت مرحلة المراهقة الثورية من سنوات ثلاث وأصبحت تغييرا جذريا شاملا للهيكل الاجتماعي والمادي (المدنية) للمجتمع .. وتغييرا أيضا للانسان ذلك التغيير الذي عبر عنه جمال عبد الناصر بقوله: « ان بناء المصانع سهل ولكن بناء العقول صعب » وهذه الصعوبة في بناء العقول تصبح مسئولية تقع على عاتق المفكرين القوميين .. المؤمنين بالحضارة العربية ، وليس بالعقائد المستوردة .. أو الأيديولوجيات التي يخطط لها أناس رجعيون .. توصف رجعيتهم بالجمود الفكري وايمانهم بان نظرياتهم هي النهاية التي لابعدها نهايات للتفكير الانساني، ولذلك فهم رجعيون مستحدثون جامدون كان ينبغي لك ياتحسين أن تهاجمهم بدلا من أن تهاجم مواطنا يؤمن بالحضارة العربية ايمانه بالله وبالاشتراكية الانسانية التي هي أسلوب لتحقيق العدالة الاجتماعية ، وليست قواعد جامدة يعد الخروج عليها كفرا أو الحادا ، ولهذا اجدني لأستطيع أن أوافقك على الشطر الثاني من تعبيرك عن القوميين الحقيقيين والاشتراكيين الحقيقيين كما لا أوافقكم أيضا على تعبيركم الذي تقيم فيه كتابي بانه ليس سوى الاضرار المستمر لأحداث مضت وتسجيل مبتور لأشياء نعيشها ، فتعبيركم هذا اذا كان صادقا على كثير من الكتب التي يحمل سور الأزبكية وعربات بائعي الترمس أكواما منها فانه ليس صادقا بالنسبة لكتابي الذي يتناول الثورة كقضية ذات استراتيجية خاصة بالنسبة لبيئاتها الثلاث : البيئة المحلية مصر .. حيث هدمت الثورة الهيكل الطبقي للمجتمع واقامت وتقيم بديلا عنه الهيكل الانساني .. على أسس من الاشتراكية الانسانية المستمدة من روح الاسلام مسئولية بعث الشخصية الدولية للأمة العربية من جديد .. من خلال الوحدة ، والقومية العربية ثم البيئة العالمية .. التي حملت فيها الثورة على عاتقها مسئولية الاشتراك في الدفاع عن السلام العالمي ، وقضية الحرية في العالم من خلال مبدأ الحياد الايجابي .. ومساعدة الشعوب المستعمرة على التحرر من عبودية الاسترقاق السياسي للاستعمار .. وبذلك حق لنا في نهاية الكتاب أن ندرك الثورة من خلال طبيعتها الانسانية .. كثورة انسانية لها استراتيجية كاملة في بيئاتها الثلاث المحلية والقومية والعالمية .

لهذا كله أعتب على الزميل تحسين عبد الحي أن يتخذني كبش فداء للاعلان عن المثل القومية والانسانية التي يؤمن بها والتي يرى من الخطر عليها وجود ظواهر الاقلام المتلونة والنفعية والتفسخ الطبقي والتعفن الفكري .

عبد الرحمن أبو الخير

تعقيب على الرد

شيء واحد أثار اهتمامي .. في رد الزميل عبد الرحمن أبو الخير .. وهو أنني اتخذت منه كبش فداء - لآراء أردت أن أقولها .. ومن قبل اخذ الزميل مصطفى فوده مصطفى ، الدراسة التي قدمتها على روايته شمس ووحل بانزعاج شديد.. والذي استلفت نظري في كل ذلك هو أن الفكر قد أصبح يمارس على المستوى الشخصي وبصورة تجعل من المجامل المنافق قديسا ، ومن الصادق مع نفسه مدعيا - بل وربما كاذبا .. وعلى الرغم من أن هذه الاتجاهات تشكل قيدا وهميا له خطورته على حرية العمل الفكري الا انها أصبحت تشكل أكثر من قيد وهمي وذلك لانعكاسها على مستوى العلاقات العادية بين الأفراد .

يجب أن نؤمن جميعا بان الفكر الجيد ، وتطور هذا الفكر الى المستويات التي تؤهله لخدمة قضايا أمتنا ، لايمكن له أن يبرز بصورة حية وفعالة دون اختلاف في وجهات النظر ، اذ أن كل من يتعرض لعمل فكري - ليس قديسا أو ملهما - وانما هو انسان يقدم مجهوده ليس الا .. والطاقة والجهد الانساني للفرد لهما حدودهما بلا شك ، ولكن عندما تختلف وجهات النظر ، وبصورة موضوعية سوف يستطيع كل من يتعرض لقضية ما أن يعدل رايه فيها أو يضيف اليه ما يقتنع به من خلال مناقشاته مع غيره.. ومن هنا تخرج الافكار الجيدة المفيدة .. بعمقها واصالتها لانها تكون في ذلك الوقت أقرب الى الافكار الجماعية منها الى الافكار الفردية ، تخرج مزودة بتجارب الآخرين ومنقحة بقدراتهم الفردية أيضا .

لقد قلت في العدد الماضي من مجلة الرسالة في مجال تحيتي لثورة ٢٣ يوليو ما يلي :

« ولقد تميز هذا العام أيضا باللقاء الحي المتفاعل بين ثورة شعبنا في العراق واليمن بقاعدته في الجمهورية العربية المتحدة في الوقت الذي وضعت فيه الأسس المتينة لالتقاء الجبهات الثورية في وطننا الكبير على صعيد العمل القومي بصورة تساعد على ايجاد الوحدة والتماثل في اساليب العمل والنضال من اجل مستقبل وحدوي تقدمي افضل لجماهيرنا .

ان هذه الأسس المتينة التي وضعت لالتقاء الجبهات الثورية في وطننا هي في صورتها الحالية اتفاقيات تنسيق ووحدة على مستوى شبه رسمي . وهي شبه رسمية باعتبار ان القيادات التي تمارس العمل في القمة غير منفصلة عن الواقع الذي تعيشه الجماهير .. ولهذا لا نستطيع أن نقول عنها أنها رسمية بالمعنى المألوف .. الا ان صفتها الحالية ـ هي أساس فقط ـ ، وهذا الاساس لكي يتطور ويصبح تلاحما حقيقيا بين جماهير شعبنا في العراق واليمن والجزائر والجمهورية العربية المتحدة أقول ان هذا التلاحم والاندماج ، لابد له من ان يتجرد من العقد الذاتية في سبيل المصالح العليا لمستقبل امتنا الوحدوي . والعقد الذاتية على المستوى الفكري هي الا يتصور أي فرد أن مايراه هو الصواب وما عداه هو لغو في لغو .. وفي غير المستوى الفكري لابد من توافر العامل النفسي لدى الفرد العادي في أنه من الضروري له أن يتقبل ما يراه غيره بكل تقدير واحترام مضيفا ما يستطيع اضافته مكتسبا ما يستطيع اكتسابه للصالح العام .. ومن جهة اخرى وبنفس المستوى ، لابد أن يتلاشى من حياتنا ما يسمى بنقد القبلات والاحضان وتصفيق الاستحسان في غير موضعه .. وليكن رائدنا في العمل الفكري في مستقبلنا الوحدوي المقبل .. المثل القائل :

« قد اخالفك في ارائي ولكني على استعداد لأن ابذل دمي فداء لنصرتك في ابداء رأيك » .

اما بالنسبة لرد الزميل عبد الرحمن ابو الخير فانه على الرغم من موضوعيته الا أنه استطاع أن يرتفع الى مستوى جعله يفرض على احترامه ، اذ انه بدلا من أن يكيل السباب على الطريقة المألوفة ـ عرض رأيه ـ الذى اتفق معه فيه الى حد كبير . ولعل هذا الموقف هو الذي دفعني الى ان أعقب على رده .. فقط ، وما زلنا في انتظار أعمال جديدة للزميل عبد الرحمن ابو الخير ليؤكد فيها ويدعم مايؤمن به ونؤمن معه به .

« تحسين عبد الحي »

قراءات في المجلات العربية

يقدمه
مصطفى فوده مصطفى

هذه الآمال بصدد التحقيق :

تحدثت الجمهورية عن **آمال ثقافية في عيد الثورة** » في عددها الصادر في ٢٣/٧/١٩٦٤ . وقد بدأ المحرر حديثه بكلمة عن نهضتنا الثقافية والخطوات الهائلة التي حققتها في ظل الثورة وأعوامها الماضية . ثم انتقل الى مايرجوه مستقبلا ، وكان أهم ماركز عليه هو المسرح والسينما والكتاب والتفرغ للأدباء والفنانين راجيا أن تكون أبوابه أكثر سعة بحيث تتاح الفرصة لطاقات فنية أكبر .

ويبدو أن المحرر لايتابع مايكتب عن هذه النقاط في مجلات وزارة الثقافة وبخاصة مجلة الثقافة ، التي لو قرأ الكاتب اعدادها الأخيرة لوقع بصره على « سلسلة شمس الفكر » للسيد الدكتور « محمد عبد القادر حاتم » وفيها يتحدث عما حققته الثورة وماهي بصدد تحقيقه . وكنت مستطيعا أن ألخص هذه المقالات للسيد المحرر غير اني رأيت أن احيله عليها بدءا من العدد الخامس والعشرين حتى تكون الفائدة أتم . وأرجو قبل أن يكتب مستقبلا في هذه الموضوعات أن يتابع مجلات الثقافة فقد يجد فيها مايوفر عليه قلمه وحبر المطبعة .

***

ومن قال انها غير معقولة !

خرجت الآداب لهذا الشهر بحديث عن « معقولية الطعام لكل فم » وكأن هناك اجماعا على لامعقوليتها ! او حتى تغليب . **وفي الواقع ان هذه المسرحية شأنها شأن مسرحيات ((الحكيم)) من يوم ان نشرت الى يوم ان قدمها المسرح تحظى باهتمام النقاد عندنا . الذين لايهتمون الا بما يقدم المشاهير ـ ومن جاور السعيد يسعد ـ كل منهم يدلي بدلوه ويقول رأيه . وقد تتبعت جل هذه الكتابات . ولم أجد فيها تغليب لجانب اللامعقول . بل انها مالت في النهاية الى القول برمزيتها .**

فلم يكن هناك داع اذن لأن يأتي « محمد محمود عبد الرازق » بعد كل ماقيل ، ليقول لنا ماقيل .

ولكي يصل الى مايريد قوله تحدث بدءا عن « ياطالع الشجرة » التي ربما بدت أقرب الى اللامعقول ، وقال انها معقولة ، وكأنه يريد أن يقول لنا ، لئن كانت هذه معقولة ، فمن باب أولى تكون « الطعام لكل فم معقولة » .

ويبدأ حديثه بكلمة عن التداخل المكاني والزماني في المسرح ، ويقول : ان مسرح الحكيم عرف التداخل الزماني في « أهل الكهف » ، أما التداخل المكاني فقد عرفه في « الطعام لكل فم » ، وان كان هذا التداخل قديم قدم المسرح ، ويرى ان التخلخل المنطقي جاء نتيجة لهذا . أما الغموض فقد جاء من كثرة الرمز .

ولقد سبق أن قلنا رأينا في هذه المسرحية ، ولعلنا نرى أنه ان كان هناك تخلخل ، فانما مصدره الضفيرة في الحوار الذي كان يعلق به حمدي وزوجته على حديث الأسرة المتوهمة ، التي أظهرها الماء على الحائط . ولعل مايؤكد قولنا انه عندما فك المخرج تلك الضفيرة عند تقديم المسرحية على المسرح ، انتفى هذا التخلخل كلية ، ولم يعد يحس به المتفرج الذي عاني منه عند القراءة . ومما لا شك فيه أن هذا العمل من جانب المخرج ، كان فيه اضعاف للنص ، اذ أوقف نمو ، حمدي وزوجته بقية الفصل ، أو على الأقل لم يشعرنا بهذا النمو ، فحالهما وهما جالسان في ركن المسرح المظلم يتفرجان على مايحدث على الجدار ، لم يزد عن حال المتفرجين في الصالة ، حتى اننا نكاد نكون نسيناهما كلية ونحن نشاهد العرض . والحكيم لم يرم الى هذا بالطبع ، والا لكان قد بنى مسرحيته على هذا الأساس ، وهو قادر ولا شك على بنائها كذلك .

ولعل هذا يثير السؤال الذي لايجد جوابا شافيا حتى الآن ، الى أي مدى تصل حرية المخرج في اللعب بالنص ؟ وهل هو مفسر فقط ؟ أم وخالق أيضا ؟ وان كان خالقا . فهل من حقه أن يعيد خلق ماخلق ؟ نرجو ان نجد لهذا السؤال اجابة عند القراء وعند حضرات المخرجين .

أما الغموض ففي اعتقادنا أن مصدره التخلخل

وليس كثرة الرمز ، فان كثرة الرمز لا تكون سببا فى الغموض مادامت هناك علاقة تربط بين المعنى الأصلى والرمز المراد • فالغموض يأتى من انتفاء تلك العلاقة أو بعدها بعدا لايجعل الذهن يتصرف الى مابين الرمز والأصل من وشائج • وفى ظنى ان الغموض - ان كان - مصدره الضفيرة أيضا •

ثم يتهم الكاتب بعد ذلك « الحكيم » بانه مغرم بالصمت وسط الضجيج المثار حوله •

ولعل أرى أن حب الفنان للضجيج حول أعماله امر طبيعى . فتلك علامة الحياة التى يتمناها كل فنان مهما رسخ قدمه فى الفن ، واقسى شىء على نفس الفنان هو « الصمت » فلئن كان « الحكيم » يثير الضجة من حوله فتلك حصافة تمكنه من أن يقول فنه للناس ماذا عنى به •

ويتكلم بعد هذا عن «الطعام لكل فم» فيعرضها ، ثم يقول ان أمامنا فيها : أسرة حقيقية ، وأخرى خيالية ، لم يقدمها لنا الحكيم نابعة من حلم ، وانما استعاض عن الحلم بالنشع على الحائط بعد ان صار استعمال الحلم عقيما وغير مقنع • وفى نظره أن الحكيم لم يزد على أن وضع تليفزيونا على المسرح وعرض لنا من خلاله ، مشكلة تلك الاسرة « فكان الفاصل بين الحقيقة والخيال قائما ، فلكل مكانه الذى يدل عليه » على أن مثير الرؤية فى نفس حمدى وزوجته هو الغيرة من أخت زوجته وزوجها الذى يتمتع بمركز أفضل من مركز حمدى الذى تعيره زوجته بقلة قيمته • اذ بعد معايرة يجلس ليرى تلك الرؤيا على الحائط •

ومهما يكن من امر هـذا التعليل الذى ان بدا مقنعا بالنسبة لحمدى ، حتى صهر نفسه وجعله يتخيل هذا الاكتشاف العجيب « الطعام لكل فم » فهو غير مقنع بالمرة بالنسبة لزوجة حمدى ، وكان يمكن ان يكون مقنعا لو ان حمـدى راى ما راى ، وحده . لان لاوعيه متازم من الغيرة ، اما ان يرى وترى معه زوجته . وليس هناك ما هو مؤثر فى لاوعيها . فذلك غير مقنع بالمرة . وحتى ان كان هناك ما يؤثر فى لاوعى الزوجة ، فمن غير المعقول ان يكون فى نفس المستوى الذى اثر فى لاوعى الزوج حتى تكون الرؤيا فى نفس درجة الوضـــوح لكل ، فحمدى وزوجته بشر تختلف نفسيهما قوة وضعفا ، ولهذا لايمكن ابدا أن يريا بدرجة واحدة كما حدث فى المسرحية ، وعلى هذا نرجوا أن يبحث الكاتب عن تعليل آخر غير الغيرة يسبب به الرؤيا •

ويتكلم بعد هذا عن تقديس العمل عند «الحكيم» ويقول انه موجود فى أعمال كثيرة أهمها « رحلة الى الغد » غير أن مافيها لم يثر ضجة لأن أحداث الفصل الثالث منها يدور فى عالم آخر ، ويجوز أن يستساغ فيه مالا يستساغ فى عالمنا هذا • أما « الطعام لكل فم » فانها تحدث هنا على ارضنا •• وهنا يرفع القلم سنانه للمناقشة والتحليل ، وينتقل بعد هذا الى الحديث عن الرمز فى المسرحية • ولسنا نرى انه أتى فيـــه بجديد ، كما يتكلم عن حلم « الطعام لكل فم » •

صفحة الحب بين المخرج والمؤلف :

وما دام حديثنـا تنى بالمسرح فلنختمه بالمسرح أيضا وتتكلم عن مسرحيـة أخرى هى : (صـفحة الحب) التى عرضت على مسرح « ميامى » من أيام وكتب عنهـا الأستاذ « البارودى » الذى سـألته مشافهة عنها فقال : انها ممتازة •

ولئن عنى بامتيازها الاخراج فنحن معه ، اما ان عنى الجدة فى الموضوع فلسنا معه •

ولنر معا من خلال عرضنا لها ، لماذا هذا الرأى ؟

فتح الستار عن شـقة خالية يلعب فيهـا أولاد العمارة ، وفى الوقت نفسـه يتفرج عليها شاب نرى (محسن سرحان) وصديقه أو سكرتيره • وفتاتان احداهما ابنة باشا سابق من أصحاب الذكريات ، وصديقتها (ليلى طاهر) وكل من الشاب وصديقه والفتاة وصديقها يبدى رأيه فيمـا يجب أن تكون عليه الشقة بعد أن يؤجرها • ويتصرف على أساس أنها أصبحت مؤجرة له بالفعـل • وكان لا بد أن يحدث صدام نتيجة لهـذا التسابق • وكان هـذا ما يبغيه المؤلف ، صدام بين الشـاب (محسن) وصديقة ابنة الباشا (ليلى) ومبارزة كلامية ويتقدم الوقت ويقترح الشـاب طعاما ، وعلى الطعـام يتم التوافق ، والاتفاق على الزواج بشرط : المواجهة ، اذا دخل طرف ثالث ، والا صـارت شركة الزواج منفضة ، ويبدأ الفصل الثانى بحديث بين الشاب وصديقه يطلب اليه فيه أن يتمارض ويتصـل به بعد قليل ويطلب اليه ان يوافق ليصحبه للطبيب . ولم يتنبه لزوجته التى كانت تسمع ، ثم حديث طريف بين الزوجة وزوجها وآخر غير مقنع بينهما وبين ضيفان ثقلاء عندهما . ويخرج الضـيوف فالزوج ويترك الزوجة وصـديقتها التى كانت هى الاخـرى قد تزوجت رجـلا لا يخلص لها ، وكان المؤلف يريد أن يقول الرجال كلهم هكذا .

وتبرز براعة المخرج (فوزى درويش) من هذه النقطة حيث يبين لنا على مدى بعيدين ثان وثالث ما يدور بين الزوج والمراة التى هى مشروع (صفحة حب) له . اذ تراهم الزوجة ببصيرتها المجة على هيئة خيال صامت ، خيال وليس بخيال . واقعى وليس بواقعى . وتعلق على كل حركاته ، هو والمراة الاخرى لصديقتها فى الوقت الذى لا تكاد تفهم فيه الصديقة شيئا ، لانهـا لا ترى ما تراه الزوجة المفجوعة فى اعز شيء عليها : زوجها .

وتظل فى حيرة وقتا ليس بالقصير . الى أن تهتدى لحل هو : أن تكلم زوجها تلفونيا ، فى منزل (صفحة حبه) وتتصل به بالفعل لسبب تافه . وبعدها تجلس مرتاحة لان زوجها لن يخونها بعد هذا الحديث .

ويبدأ الفصل الثالث باستعداد الزوج للرحيل بعد أن انكشف أمره وصار مستحيلا أن يعيش مع زوجة عرفت حقيقة خيانته ، فى الوقت الذى تعمل فيه الزوجة جاهدة لابقائه الى جانبها . ويكاد عشهما ينهار لولا انها تستطيع — ببراعة المرأة المفاوضة عند الزواج — ان تقنعه بالبقاء معها فى آخر لحظة .

ويستأنفان حياة كانت على شفا الهاوية . بعد أن تخرج من حياة الزوج (صفحة الحب) الكاذب ، وتبقى (صفحة الحب) الحقيقى بينه وبين زوجته .

والموضوع كما نرى مستهلك لا يزيد عن صدفة ادت الى زواج ، ثم محاولة خيانة كادت تهدمه ولكن حرص الزوجة وذكاءها ابقيا عليه . كم قرانا مثل هذا الموضوع . وكم رايناه فى السينما العربية والافرنجية . اذن الموضوع ليس بجديد فى شيء ولكنه عادى بل مستهلك ولولا جهد المخرج (فوزى درويش) الذى استطاع أن يقنعنا به (ما نزل لنا من زور) كما يقول المثل . ولا شك ان المخرج بذل مجهودا كبيرا حتى جعل الممثلين يلعبونه ببراعة وساعده على ذلك كفاءة «محسن سرحان وليلى طاهر» وظهرت كفاءة المخرج فى نهاية كل من الفصلين الاول والثانى . فقد جعل الحركات سجالا فى نهاية الفصل الأول بين محسن وليلى حتى تم التقارب بينهما بصورة طبيعية ، كما اقنعنا بانفعال الزوجة المتفجعة على زوجها فى نهاية الفصل الثانى .

وكان يمكن أن يفلت منه الموضوع بسهولة لولا انه جعل (ليلى) تتحرك بسرعة وتعلق على كل ما تراه بعين بصيرتها . كما استعمل بعداً على مستويين مختلفين دارت فيهما الأحداث بين الزوج والعشيقة، واستعمال البعد على مستويين مختلفين ليس معهودا فى مسرحنا وان كنا نراه كثيرا فى السينما ، وقد اثبت استعماله على المسرح جراة الأستاذ (فوزى درويش) ومرونته .

غير ان المسرحية كانت مليئة بالحوادث التى لا تساعد على انماء الخط الدرامى فيها . ولقد سألت الأستاذ فوزى درويش عندما ناقشته فى ذلك .

— ماذا ترى فى المخرج، أتراه مفسرا للنص فقط. أم هو خالق أيضا ؟

— انه مفسر وخالق .

— على هذا ترى أن من حقه التصرف فى النص ؟

— نعم .

— لماذا اذن لم تتصرف بالحذف فى مثل هذا الحشو الذى لا يثرى الخط الدرامى ؟

— مثلا ؟

— عندما فتحت الستار كانت هناك أريكة تتحرك وسط (الصالة) وتوهم بحركتها أن الشقة مسكونة بالعفاريت . ولكن تبين لنا بعد هنيهة أنهم عفاريتنا الصغار : أولادنا ؟

— لقد أردت أن أرحص للمشاهدين بأنهم مقبلون على مسرحية كوميدية .

— وما رايك فى بدء الفصل الثانى . لقد احسست، ولعلك معى فى أنه غير معقول ابدا وجود مثل هؤلاء الضيوف الأراذل فى مجتمعنا . وتلك الحركات وطريقة الكلام التى أتى بها الموسيقار وزوجته . كانت مبتذلة وممجوجة . ومصنوعة أكثر من اللازم يخيل الى أننا كنا نستطيع أن نستغنى كلية عن هذا الجزء ؟

— لقد تركته ، لأبين القلق الذى يعانيه الزوج الذى يريد أن يسرع فى الخروج ليقابل (صفحة حب جديدة) .

ومع هذا كانت لنا بعض المآخذ منها :كثرة الدخول والخروج فى الفصل الأول لكل من المتنافسين على الشقة (محسن) و (ليلى) . ومنها : ذلك الخادم الذى اظهره الأستاذ (فوزى) بصورة كاريكاتورية مغرقة فى البلاهة ، ولست أعتقد ان هناك من يتقبل خادما كانه خشب مسند. ومنها ان الصلة بين الشاب (محسن) وبين صديقه ، أو لعله سكرتيره لم تكن واضحة . ومهما يكن من أمر . فان الأستاذ فوزى بذل مجهودا كبيرا فى تلك المسرحية التى لا جديد فى موضوعها ، حتى انه استطاع ان يقنعنا بها وأن ينفخ فيها روحا جعلتنا نضحك ملء نفوسنا .

تحية لهذا الرجل الذى يعمل فى صمت وتفان .

« مصطفى فوده مصطفى »

البريد الأدبي

في عيد الثورة ـ للشاعر محمد محمد مسعود

من ترى القائد الجسور المظفر
هاديا ملهما يصول غضنفر

بسمة الفجر في محياه بشر
والردى المدلهم حين يزمجر

انت من انت يا سليل المعالي
أي شيء تكون فيما تقدر ؟

نفحة من ثرى العزيز تدوي
في سما الخافقين «الله اكبر» ؟

وعبير سرى من الخلد بشا
ب للكادحين في الارض كوثر ؟

وسلام يهفو اليه فؤاد
راجف خشية الدمار تفطر ؟

وانتفاضات امة من خمول
قاتل يائس المنى غير مثمر ؟

ايه يا صانع الخوارق هل اظ
ت براك البديع منها وصور ؟

ومعانيك يا ابي بطولا
ت ابى في كل سفر تسطر

في كتاب الخلود آيات فخر
تتحدى بها الفروق وتفخر

يا لها من روائع باقيات
مجدها يدهش العقول ويبهر

مارواها قبل الخيال ولا طا
فت بلب ولم يسعها تصور

امنيات على يدى عبقرى
تذهل الشمس من روائع عبقر

تتراءى للعالمين « جمالا »
فاذا بالوجود هيمان ينظر

دريني خشبة ـ بقلم عبد المنعم ابراهيم البحقيري

دريني خشبة .. علم يرتبط اسمه بالمسرح العربى .. فهو رجل ودعنا بالامس بعد أن افنى حياته في خدمة التأليف والفن المسرحي فلقد ألف وترجم وقدم للادب العربى اعمالا شتى .. ولقد قدم لقراء الرسالة فصول الالياذة والاوديسيا .. كما قدم للقارىء العربى كتبا مثل : اشهر المذاهب المسرحية وعلم المسرحية وتاريخ المسرح وفي الفن المسرحي وحيالي في الفن والتشريح المسرحية مترجمة لرجال المسرح الاجانب

ولقد قال ذلك الرجل موجها كلامه لرجال المسرح عندنا « يجب أن يقوم المسرح بعرض مشكلات الاغلبية وتحليلها والتبشير بالمبادىء والافكار الاشتراكية تبشيرا يحبب الحياة الاشتراكية للجميع لانها تبغى الخير للجميع .. انها الحياة التي تقضي على أسباب التحاسد والتباغض بين الطبقات وذلك بتقريب مسافة التفاوت بينها .. انها الحياة التي تكاد تجتث جذور الشر من نفوس البشر بما تتيحه من تكافؤ الفرص للجميع »

ثم يقول الرجل للكاتب المسرحي «ان انفعال الكاتب المسرحي باحداث بلاده امر لابد منه .. وكيف لاينفعل الكاتب المسرحي عندنا .. كيف لاينفعل بما تحاوله الثورة من اقامة ميزان العدل بين المالكين وغير المالكين ؟

كيف لا ينفعل بما تحاوله الثورة من اعادة توزيع الدخل وتقديم قسط للعمال من أرباح العمل .

كيف لاينفعل بما وصلت اليه بلادنا في عهد الاشتراكية في جميع مظاهرها وما نراه في واقعنا اليوم حقيقة لا خيالا »

ثم يقول الفقيد ان معركة الاشتراكية معركة مقدسة ينبغي لذوى المواهب أن يجندوا اقلامهم لنصرتها والايمان بها انها معركة العدالة والعزة والقضاء على الفقر ومعظم رذائلنا »

ان مجهود الفقيد العظيم .. في ذلك الميدان .. ميدان

المسرح هذا الميدان الذى يجب ان يعالج جميع مشكلات مجتمعنا ويضع لها الحلول

وقد اتجه الرجل في حياته الى تشجيع المسرح الدينى ودعا الى انشائه في مدارسنا ومساعدنا وجامعاتنا لانه يؤمن بأن الفنون المسرحية تجرى في حياة الناس وتدخل بيوتهم عن طريق الاذاعة والتليفزيون ومسارحنا المنتشرة في جميع أنحاء بلادنا .

راى فى مقال ـ بقلم احمد موافق جاد الله

وفي العدد ٤٠ من مجلة الثقافه وردت فيه مقالة للدكتور النويهى تحت عنوان « العقاد ناقد الشعر » وفي هذه المقالة استند الدكتور الى اراء العقاد في الشعر التى دعا اليها في شبابه ، وما زال حتى ايامه الاخيرة يدافع عنها دفاع المستميت فاتخذها الدكتور النويهى وسيلة يدعم بها موقف الشعر الجديد ، رغم أن العقاد صاحب هذه الاراء كان من اشد الناس نفورا من هذا الشعر وعداء له ، ولجأ الدكتور النويهى الى وسيلة حاول بها تأييد دفاعه ، فقسم العقاد قسمين ، عقاد أول ، وعقاد ثان ، والعقاد الأول مجدد أصيل ذو أهداف ومعايير واصول يبثها ويؤكدها ويلح في الدفاع عنها وهذا العقاد هو الذى يقف موقف المؤيد من الشعر الجديد ، والعقاد الثانى قد اختلف معهم وخاصمهم وخاصموه في اخريات سنيه ، وما كان هذا الخصام وذاك الخلاف الا لانه ينكر عليهم أن يسيروا وفقا للمبادىء التى دعا اليها العقاد الاول ، وكان يجب الا يفوت عن بال الدكتور ان يحذرنا من السخرية وعندما نقرأ مثل هذا القول كما فعل وهو يلقننا طريقة قراءة الشعر القديم ، لانه يلجأ الى هذه الوسيلة رغم علم المثقفين من القراء بان العقاد لم يتنكر لاى مبدأ من مبادئه التى آمن بها في شبابه ، بل كان رحمه الله لايخرج لنا برأى الا بعد أن يكون ناضجا ممهدا له بكثير من الدراسة والبحث وعمق التفكير ، ومثل هذا الرجل لا يمكن أن يكون متذبذبا في ارائه ،يطلع علينا برأى ليناقضه في اليوم التالى ،ويكون داعيا الى الاخذ بأسباب التجديد فاذا اخذ الناس بهذه الاسباب تعرض لهم وخالفهم الرأى وبادلهم الخصومة .

ومقارنة بسيطة بين آراء العقاد في الشعر وبين هذا الشعر تدلنا على مدى الوسائل التى يلجأ اليها الدكتور النويهى، والتى يراد منها اتخاذ آراء العقاد ـ التى يقدسها رجال الأدب ـ وسيلة يدعم بها موقف الشعر الحر ..

ان العقاد لم يثر على قواعد الشعر ،وانما ثار على بعض اغراضه وما تتناوله هذه الاغراض من معان مفتعلة غير صادقة، ولمثل هذا السبب ثار على شعراء الشكل الجديد ، بالاضافة الى ثورته عليهم من أجل هدم قواعد الشعر في صيغة المطالبة بالتجديد المزعوم (رأى في الشعر للأستاذ عباس محمود العقاد العدد الاول من مجلة الشعر) ، ولو كان العقاد قد تنكر لمبادئه في الشعر لكان أولى أن يتنكر لكل دواوينه التى نظم قصائدها في شبابه ، وتجنب فيها الوسائل التى يلجأ اليها الشعراء المتكلفون .

ولا يكفى الدكتور النويهى هذه الوسيلة ، بل انه يلجأ الى اكثر من هذا ، فيهاجم الأستاذ العقاد ويتهمه بأنه كان في اخريات ايامه جامدا عنيدا ضد التحركات الجديدة في الفكر والفن والشعر والنقد ، ويلجأ الى هذه الوسيلة في مقام تكريم الرجل ليخلق مبررا لعداء العقاد للشعر الحر ، وكلنا نعلم أن العقاد لم يكن جامدا ،وانما كان حازما مع هؤلاء الذين يحاولون هدم القيم التى نستمدها من ذخائر تراثنا العربى والاسلامى .

ميت يتكلم ـ للشاعر محمود شاور ربيع

طلع الصباح وضرت في الأموات
وعلا الصراخ وصادق الأنات
وعجزت عن نطق وكنت مفوها
وعييت يا جبار عن حركات
وغدوت شيئا كالجماد ، مجردا
من روحه ، ينقاد للممات
طوع البنان فما ترد لطالب
طلبا ، ولا تقوى على الافلات
وحملت للجب العميق ، وأعولت
ام ، وزوج امسكت بينات
وسعى رفاقك للتراب ودمعهم
ينساب فوق الخد والوجنات
ووضعت ، والاعمال في جوف الثرى
لتنال ما قدمت من حسنات
وذكرت يومك في احتفال حاشد
تليت عليك روائع الآيات
ومضى الزمان وغاب ذكرك وانطوى
وكأنما لم تكتحل بحياة
وتدور أفلاك السماء وتختفى
أقمارها في لجة الظلمات

شكر ورجاء ـ بقلم عبد الحليم عبد الفتاح عويس

اما الشكر فبه أتوجه الى الأديب والشاعر الاستاذ عبده بدوى ـ على ماخطه قلمه السيال في عدد ٧ ربيع الأول ١٣٨٤هـ تحت عنوان (النبى والشعر) ... أن هذه العاطفة الوهاجة التى أبدع رسمها قلم سيادته الغيور نحو شخص سيد المرسلين

صلوات الله عليه وسلامه كانت ـ يشهد الله ـ نهرا ابرد نيران قلبي الظامئة الى السلام والاشباع .. وشمعة أخرى في طريق الأمل تشعر المسلم ان عاطفة المسلمين مهما خفتت لم تمت وأن هذا الدين سيظل يحمل الى الانسان الحب والأمن مهما حنق الحانقون وطعن الحاقدون ... لم كانت ثورته ـ جزاه الله عن الاسلام والنبي خيرا ـ كانت ثورته على الشعراء الذين ماتت فيهم العاطفة نحو كرامة دينهم وكرامة نبي الهدى والنور ... التي على صفحات الرسالة ـ اوجه ـ بالرجاء الى كل شاعر يحمل بذرة من حب لهذا الدين ـ أو قطرة من عاطفة نحو رسول هذا الدين ـ أو فضلة من ايمان بدستور هذا الدين بأن يؤدي ضريبة الالتفات نحو هذا الدين ونحو رموزه العميقة ، فهو منبع خصب يثري الشعر ويبهج الحياة.

بعض خواطرى ـ بقلم عنتر عبد السلام مخيمر

● سعادة الانسان ليست في يده وحده .. لانه لايعيش وحيدا بمعزل من الناس .

● لايمكن للانسان أن يفعل كل ما يريده لان ثمة قوى متعددة أقوى بكثير من ارادته وقدراته تدفعه الى أن يفعل غير مايحب أو يريد .

● على الانسان أن يتعلم كيف يتقبل الفشل أحيانا والا فانه لن يقدر على المشي في طريق الحياة الشاق الوعر الطويل

● الحياة أقبح مما يظن البعض وأجمل مما يظن البعض الآخر

● اذا كنت متشائما فأنت تعيش في جحيم وهم أسود ، أما اذا كنت متفائلا فأنت تعيش في نعيم وهم وردى !

● الملل ثمرة الاحساس بالضياع وبأن الحياة عبث في عبث.. وهذا الاحساس يولده الفشل ، وينميه تواتر انطفاء كل أمل يومض في ظلام الفشل .

● تسألني .. ماهو الحب !؟.. هو أن تكون سعادتك في يد غيرك .. انه عبودية قد تسعدك وقد تشقيك بيد أنك لن تمقتها أبدا .

ردود قصيرة

● محمد الانور شفيق .. بنيابة الوسكى : اشكرك على رسالتك الرقيقة واحيي نقدك البناء الذى ارسلته الى بشأن احدى المجلات ، ولنضج ما فيه ، وقيمته ، حول الى السيد المختص بمثل هذه الشئون للاستفادة منه ، ولتفادى ما نبهت عليه .

● وصلت قصائد من الشعراء ، ياسين شبانه ، وحسين السيد سالم ، وفرحات عبد الخالق ، وابو الفتوح أحمد القمرى ، والشاعر الجزائرى عثمان علي بمصلحة الدروس والوثائق ، كما وصلت قصيدة بعنوان « قالت الميتة » للشاعر الانجليزى توماس هاروس ، وقد قام بتعريبها الشاعر الواعد حسين كامل عزمى ، واهداها الى روح الاستاذ العقاد الذى سبق ان ترجمها نثرا .

والرسالة تشكر هؤلاء الشعراء ، وتتابع اتجاهاتهم ، وتعد في اعداد قادمة ان تفسح لهم مكانا في البريد الادبي .

● عبد السلام عبدالغنى القشلى كتب رأيا قاسيا في المرأة يقول « ما اجملها ! انها زينة الدنيا وبهجة الحياة ومتعة الوجود ، لا تستقر على حال ، ولا يهدأ لها بال ، طبعها التغير وعدم الثبات ، ان كانت في الارض تمنت ان تكون في السماء ، ولو كانت في الفردوس لودت ان تحترق في اللهب ... انها صنوان لشيء واحد وليس لهما من ثالث سوى الشيطان

● ومن الشاعر حسن شكرى وصلت هذه الأبيات :

انراه يذكر ما جرى ... من بعد ما التقى السلاما
لما سمعت حديثه ... أنسيت ساعتها الكلاما

❊❊❊

وسرى الجمال يهزني ... والوجد يشعلني هياما
فقضيت ليلي كله ... والنار في كبدى ضراما

❊❊❊

حبى يجسد رسمه ... واراه يحسو لى الظلاما
حتى لمحت خياله ... والفجر يزدهر ابتساما !

خواطر ... بقلم صلاح الدين اسماعيل

● انه رجل عظيم .. لا لشيء الا لأنه أقوى من عقده وأزماته .

● أصفى من الصفاء أن تشعر أنت بالناس .. ولكن لا تحاول أن تجعلهم يشعرون بك .

● ينبغى أن تغطى أنانيتنا فى حب الناس كل أنانية سواها .. فهذا هو الطريق الى قلوبهم .

● ان القلوب الكبيرة أكثر القلوب شعورا بالألم .. ولكنها تبرز هذه المشاعر حكما بالغة .. أو فنونا رائعة .

من الأدب الأسبانى

رماد

للكاتب الأسبانى : هرناندو تيليز

ترجمة : كامل عبد المجيد

كان للرجل مظهر شرير ، وكان يحاول — دون أن يقبح — لمدة نصف ساعة على الاقل ، ان يلفظ بما كان عليه ان يقوله . فقد جلس على كتلة خشبية غليظة بجانب باب المنزل دون ان يخلع عن راسه قبعته الرخيصة التى يعلوها الشحم واخذ يتحدث وعيناه مثبتتان فى الارض .

كان « جوان » يعرفه جيدا ، فقد كان ابن سيمون آريفالو وزوجته لورا ، وكان سيء السمعة منذ أن كان صبيا صغيرا ، ولم يكن احد يظن — او يحلم — بان هذا الصبى قد يفعل ما يفعله اليوم مع اصدقاء والديه القدامى وجيرانهم . لم يصدق جوان ذلك ولكن الآن . . « من الافضل لك ان تترك هذا المكان » كرر الرجل تلك الجملة دون أن يرفع عينيه عن الارض . . ولم يحر جوان جوابا . وبدا الفجر القاتم يلوح فى الافق ، وكانت السحب المثقلة تهدد بأمطار غزيرة بينما خلا الهواء من كل حركة .

ومن خلف قبعة الزائر تراءى لجوان منظر الحقول الخضراء والصفراء ،

« من هناك ؟ » كان هذا هو صوت زوجته الصافى الرنان يأتى من ناحية المطبخ . ولكن لم تكن هناك اجابة . جلس الزائر مخفض الراس يسوى باحدى فردتى حذائه المتربتين كومة صغيرة من التراب الناعم ثم يمسح احدى الفردتين فى الاخرى ليضغط بعد ذلك — بحرص وعناية — على الكومة حتى يجعلها مسطحة بنعل حذائه .

« من الافضل لك ان تجلو عن هذا المكان » قال الزائر ذلك للمرة الثانية رافعا راسه هذه المرة . ونظر جوان اليه واخذ يفكر ! لقد كان هذا الرجل يشبه والده الى حد كبير ، وكانت عيناه اللتان كانتا فى لون اوراق الدخان مثل عينى امه .

« من هناك ؟ » فى هذه المرة رن صوت زوجة جوان من مكان قريب ، ثم بدت (كارمن) واقفة بالباب المفتوح المؤدى الى الباب الامامى تحمل طفلا بين ذراعيها . فنهض الزائر واقفا عن الكتلة الخشبية واخذ يحك — احدى يديه — بطريقة ميكانيكية فى سرواله من الخلف ثم خلع قبعته فاندفع من تحتها شعره الكث المتلبد — كما لو كان قد اطلق سراحه من الحبس — وبدا عليه انه لم ير «المشط»لفترة طويلة.

« صباح الخير يا سنيورا كارمن » وجه الزائر كلامه للزوجة بينما اخذ الطفل يعبث فى رقبة امه محاولا ان يغرز اصابعه فى لحمها الطرى . لم يتجاوز عمر الطفل — الذى كان يلعق لبن والدته — بضعة اشهر بينما كانت القذارة تغطى لفافاته .

لم يتفوه جوان بشيء بينما بدا على الزائر بوضوح انه شرس الفكر ، ولم يتردد صوت لبضع ثوان سوى سكون الريف .. ووسط هذا السكون العميق الذى كانت تتخلله ضوضاء الطبيعة الخفية كان الوادى ينبض ببدء الحياة فى مستهل الصباح الكئيب .وقال جوان فى نفسه « ولكن الشمس على وشك الشروق» وهنا قال الزائر « حسنا .. سأذهب الآن » ثم ودع كل من الرجلين صاحبه .

ظلت كارمن صامتة وعيناها على زوجها ، بينما وضع الزائر قبعته فوق راسه مرة اخرى واولاهما ظهره ومشي ببطء الى باب الحديقة الذى كان يبعد عن المنزل بحوالى خمس عشرةياردة ثم فتحه بعناية. ولكن هذا الحرص فى فتح الباب لم يمنع صرير مفصلاته المعتاد ، فقد كانت مفصلات من النوع العادى من صنع الحداد المحلى ، هذا بالاضافة الى انهاكانت فى حاجة الى (تزييت) .

« من الافضل أن تغادر هذا المكان ؟ » .. لماذا .. لقد حاول ابن سيمون آريفالو وزوجته المتوفاة لورا ان يشرح الاسباب لما يقرب من نصف ساعة ولكنه كان فى غاية الاضطراب .

لقد كانت الاعمال المتصلة بالسلطات السياسية دائما معقدة ، وكذلك لم يكن ابن سيمون آريفالو واضحا تماما ــ حتى بالنسبة لنفسه ــ بخصوص هذا الامر ، وذلك لانه الآن يعمل مع السلطات ويؤازرها .. بل ويؤدى لها عملها القذر .

« الوغد » قال جوان فى نفسه « لقد قال اننا اذا لم نرحل فى نهاية الاسبوع فسياتون لطردنا » وفى نفس اللحظة قالت كارمن « ان عليهم ان يقتلوننا اولا » . هذا هو ما اجبته به كان ذلك رد جوان الذى غطى وجهه قناع من الوجوم . ولم يفه الاثنان بأكثر من ذلك .. ذهبت كارمن الى المطبخ محتضنة طفلها بين ذراعيها بينما ظل جوان واقفا وحده كشجرة امام منزله .

لقد كان جيرانه فقراء ، وبدا لجوان أنه لايوجد سبب واحد معقول يجعل السلطات تهتم بمنزله والحقول المحيطة به الى هذا الحد ، فلم تكن هذه الحقول سوى رقعة صغيرة من الارض يزرع فيها القمح ولا يوجد بها سوى بضع كومات من البطاطس وحديقة خضراوات ذات مجرى مائى يتدفق خلالها.

« الشكر لله » هكذا قالت كارمن مائية هذا بالنسبة لهير تادوس .. المكان الكبير الجميل .. الجدير بالاهتمام الفعلى اما بالنسبة للمنزل فلم يزد عن كونه نصف كابين او كوخ ونصف منزل . .واخذ جوان يقول لنفسه انه اذا استولت السلطات على منزله فان عليها ان تدفع له مايوازى من النقود ما اقترضه منذ سنوات مضت انفقها على بناء المطبخ الذى وضع فيه صهريجا عفنا . ولكن هل من الممكن ان يكون صحيحا ان عليه ان يغادر هذا المكان كما اخبره ابن آريفالوا ؟ بالتاكيد ، فقد ادلى بصوته فى الانتخابات الأخيرة . اذن ماذا ؟ من الذى لم يفعل ذلك ، فالبعض قد اعطى صوته لجانب والبعض للجانب الاخر ولم تكن هناك مشاعر او احاسيس تحمل البغض « لأنه دائما يوجد رابح وخاسر » ثم اطلق جوان ضحكة وقال « انه يحاول ان يخيفنى .. ولكن .. لا لم يكن الأمر كذلك » .

وتذكر جوان ما حدث عندما كان فى المدينة منذ اسبوع مضى .. لقد شاهد هناك امرا غريبا . فقد راى بعض رجال الشرطة يحملون اسواطا بالاضافة الى بنادقهم ، لاضير هناك فى حملهم للبنادق ، لان ذلك ليس شيئا غريبا ، ولكن ... لماذا السوط ؟ حيره ذلك ، لأن القانون اذا حمل السوط فى يده كان يخيفه او بالاضافة الى ذلك فقد لاحظ على الناس امرا غريبا.حين ذهب الى متجر دون رومولو ليبتاع زيتا رفض ان يبيعه شيئا منه وقيل له انه لا زيت هناك بينما شاهد جوان الزيت براقا وكثيفا يبدو من خلال احد القموع . ولم يرد عليه جوان بسبب الاسلوب العابس الذى خاطبه به لانه لم يشأ ان يتبادل معه السباب . وكذلك راى اربعة من رجال الشرطة يذرعون السوق بينما لم يكن هناك اناس كثيرون .

اشترى جوان اشياء قليلة ــ اناء للطبخ من الفخار وقطعة صابون وزوجا من الصنادل ثم ولج مخزنا لبيع العطور لشراء زجاجة من الفازلين المعطر ولفة من القطن ، فساله (بنيفادس) صاحب المخزن بابتسامة غامضة « الم يحدث لك شيء بعد ؟ » وبينما جوان يهم بفتح فمه للاجابة اشار له بنيفادس من طرفخفى أن يصمت وذلكلدخول رجال الشرطة ثم قال : « اذن انت ايضا احد المعارضين » وكان لابد ان يمتنع جوان مثل بنيفادس لانه شعر بقلبه يخفق بعنف ، وشعر برغبة شديدة فى ان يضع رجل البوليس على وجهه ، لانه ليس له اى حق ــ لكونه رجل شرطة ــ ان يتحدث بهذه الطريقة الى مواطن مسالم يشترى زجاجة من الفازلين المعطر ولفة من

القطن من احد مخازن المطارة وكذلك لانه لم يضايق بذلك احدا . وعندئذ تحدث اريفالو فقال : « نعم ، هو احد الحمر ويعيش بالقرب من هذا المكان .. على الطريق الى (تريس اسيجاس) .

وقف جوان كما لو كان مزروعا فى الأرض وعيناه مثبتتان على مقبض السوط المثقوب من احد طرفيه ، والذى شدت من خلال ثقوبه السنة الكرباج . وكان مقبض السوط مصنوعا من الخشب المعقد الذى بدا كالاصبع الطويل المنتفخ بفعل الروماتيزم . اخذ السوط يتأرجح ويفرقع على الزى الرسمى الخشن ذى اللون الكاكى :

« م — هم ، م ، هم » اخذ رجل البوليس يزمجر مهددا ، وهنا قال آريفالو : « ولكنه احد الهادئين ، انا اعرفه » وهنا توقف ضرب السوط على القماش « سنرى . سنعرف حالا .. كلهم أولاد ... » وارتسمت ابتسامة هازئة على وجه رجل البوليس ثم قال « لن يكون هناك مزيد من النباح هنا ، هل تسمع يا بنيفادس ، يكفيك هذا ... » ثم غادر المكان .

جف فم جوان ، والتقط ربطته من على البنك واخذ يبحث فى جيوبه عن الخمسة والأربعين سنتا التى كان عليه ان يدفعهما ثم ودع بنيفادس الذى كانت لا تزال يداه ترتعشان وشحوب وجهه يحاكى الشحوب الذى ينتاب من يصاب بتشنج فجائى .

لقد تشكل التهديد الآن فى شخص ابن سيمون آريفالوا وتذكر جوان ان سيمون اريفالو كان صديقه وان هذا الصبى لم يكن يبدو عليه انه شرير ، فقد كان يتشدق بالسياسة فقط . والآن كيف اصبح ؟ اذا كان قد انضم الى قوات السلطات فلا بد ان يبدو هذا واضحا ، ولكنه لم يكن يرتدى الزى الرسمى ؟ فمنذ ان التهبت الأمور وضع آريفالوا يده فى يد السلطات ، واصبح الناس فى المدينة يقولون عنه انه دائما فى مكتب العمدة أو يتبادل الشراب مع رجال البوليس لقد كان مبلغا ... أو دسيسة ...

ايقظت الطلقات كارمن أولا ثم جوان بدا الطفل يصرخ . كان الضوء قد بدا فى الظهور وبدات محتويات الحجرة تتضح وحين قفز جوان من سريره استطاع ان يقدر الوقت بحوالى الخامسة . وتكررت الطلقات ولكنها فى هذه المرة كانت تسمع عن قرب

وحين انتهى من ارتداء سرواله وشد حزامه ، اندفع نحو الباب فوجد ان تقديره للوقت كان مضبوطا فقد كانت السماء ترسل ضوءا فى لون اللبن فوق الحقول .

«نعم ... انها الخامسة صباحا وسيكون جميلا» اخذ يفكر دون ان يحاول ان يتحقق من ذلك . واعلن صرير المفصلات للباب الخارجى دخول شخص . سار رجلان الى الداخل تعرف عليهما جوان فى الحال ..

اطلق رجل البوليس طلقة اخرى فى الهواء عندما اقترب من جوان « ان الصوت جميل اليس كذلك ؟ » قال رجل الشرطة « ستسمع غدا كمية اكبر من ذلك فى مثل هذا الوقت اذا لم تبتعد عن هذا المكان ، هل تفهم ؟ ثم رفع مسدسه مرة اخرى وصوبه نحو اعواد القمح الرشيقة لمجرد الدعابة فقط .

وقف آريفالو براس معلقة دون ان ينظر الى جوان او الى كارمن التى اتت تجرى لترى ماذا كان يحدث « لقد تلقيتم انذارا عادلا ، فغادروا هذا المكان واتركوه بسرعة » ثم وضع رجل الشرطة المسدس فى قرابه وامسك آريفالوا من ذراعه ثم غادرا المكان مبتعدين وحينئذ فقط تحقق جوان من ان انفاس الشرطى كانت تفوح منها رائحة الخمر .

لقد قام الكل بواجبهم ، اريفالو والقانون وجوان وكارمن والطفل . وهكذا اشتعل المنزل بسرعة

كان رجل البوليس حامل السوط يستمتع بحياته اكثر من رفقائه الاربعة وكذلك آريفالو الذى حضر ليحمل خبر مغادرة جوان مارتينيز للمكان او مقاومته ورفضه . وحين عادوا الى المدينة توقفوا عند مخزن ليقارس حيث وجدوا العمدة هناك يستند فى تكاسل على اجولة القمح .

— « كيف تسير الأمور ؟ »

— «حسن يا سيدى» اجاب آريفالو فى اقتضاب

— « هل غادر مارتينيز المكان ؟ »

— « لا » اجاب الشرطى « ان المغفل الملعون اغلق الأبواب وبقى فى المنزل .. وانت تفهم ... لم يكن لدينا وقت نضيعه ... »

ونزل الزيت قطرة قطرة من البرميل الى القمح ومن القمح الى الزجاجة .

« كامل عبد المجيد »



العدد ٥٤

الثمن ٣

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الفهرس

رئيس التحرير

احمد حسن الزيات

المراسلات جميعها تكون باسم

السيد مدير ادارة المجلات

٢٧ شارع عبد الخالق ثروت

بريد محمد فريد . القاهرة

تصدرها

الثقافة والارشاد القومي

الاشتراكات ١٥٠ قرشا سنويا

ويضاف أجر البريد

من خارج ج.ع.م

العدد ٥٥ - ٢٨ ربيع الأول ١٣٨٤ هـ - ٦ اغسطس ١٩٦٤ م - السنة الثانية

التجديد الديني

للدكتور محمد أحمد خلف الله

في التشريعات المدنية يطلب التجديد حين يعجز التشريع عجزا تاما عن أن يكون معيارا دقيقا توزن به أمور الناس ، وتقيم بمقتضاها العلاقات بين الناس والناس ، أو بين الأشياء والناس .

والتشريعات المدنية لايصيبها العجز مرة واحدة ، وانما يجيء على دفعات تكون مرتبطة أبدا بالمجتمعات من حيث نموها ، ومن حيث تحولها وتغيرها ، وذلك يكون بفعل الزمن .

والتجديد لا يكون هو الآخر مرة واحدة الا حين يكون التغيير في المجتمع تغييرا جذريا ، وبعمل ثوري ، أما حين يكون التغيير في المجتمع قائما على أساس من التطور الهادىء فان التجديد الديني يكون هو الآخر نوعا من الاصلاح الهادىء الرزين الذي يقوم على تعديلات في نصوص المواد بعد تجارب عديدة من التفسيرات المختلفة للمواد ، والتخريجات التي تكون قسرية أو اضطرارية في بعض المواقف .

والتجديد في التشريعات المدنية لا يكون الا على يد الهيئة التي تملك أصلا وضع التشريع ، وهي الهيئة التشريعية .

***

والتجديد في التشريعات الدينية لا يكون على هذه الشاكلة في جملته وفي تفصيله ، وذلك لاعتبارات عديدة نلحظها في الفروق الواضحة التي تكون دائما بين التشريعات الدينية والتشريعات المدنية :

١ ـ ولعل أول هذه الفروق أن التشريعات الدينية لا تقف عند حدود عالم الشهادة ، فانما تمتد الى عالم الغيب فتشمل الملأ الأعلى ، وتشمل الأرواح الخفية ، وتشمل الحياة الآخرة وما فيها من ألوان عديدة مختلفة للثواب والعقاب .

٢ ـ والثاني من هذه الفروق ـ وهو من أهمها في نظري ـ أن في التشريعات الدينية عناصر ثابتة خالدة لا تتأثر بزمان أو بمكان . ومن هنا تظل ثابتة خالدة ما خلدت الدنيا ومن عليها ، وتلك من أمثال المعتقدات الدينية الخاصة بالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وبالوحدانية .

والقرآن الكريم قد أشار في آياته البينة الى ان هناك عناصر ثابتة تكون في الأديان جميعها ، وأنه انما شرع لمحمد عليه السلام مثل ما شرع للأنبياء السابقين (**شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه**) .

والقرآن الكريم لم يترك المسألة عند هذا الموقف، وانما أشار أيضا الى أن هناك عناصر أخرى تكون غير ثابتة ، وهذا هو الذي فهمه المفسرون من الآية القرآنية الكريمة التي أشرنا اليها سابقا .

يقول الرازي بصدد تفسيره لها ما يلي :

(وبالجملة فالمقصود من الآية أن يقال : شرع لكم من الدين دينا تطابقت الأنبياء على صحته ـ وأقول يجب أن يكون المراد من هذا الدين شيئا مغايرا

للتكاليف والأحكام ، وذلك لأنها مختلفة متفاوتة . قال تعالى « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » فيجب ان يكون المراد منه الأمور التي لا تختلف باختلاف الشرائع وهي الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .) .

هناك اذن - كما هو الواضح من قول الرازى - عناصر ثابتة خالدة لاينالها تغيير أو تبديل ، وأخرى غير ثابتة ولا خالدة وينالها التغيير والتبديل - وتلك هي التكاليف والأحكام .

٣ - وثالث هذه الفروق هو أن نصوص الشرائع السماوية نصوص مقدسة ، وهي لقداستها لا يمكن أن تكون محل تغيير . انها انما تقبل فقط التفسير والتأويل حسب الظروف والمناسبات .

والأقدمون انفسهم قد ذكروا لنا أن الآيات التشريعية التي نسخت من الكتاب الكريم ظلت قائمة، وتتلى - انما نسخت حكما فقط

٤ - ورابع هذه الفروق هو أن الهيئة التشريعية الدينية قد توقفت عن العمل بتوقف الوحي عن النزول .

لقد كان الرسول يجيء بعد الرسول ليجدد التشريعات الدينية ، وظل الحال كذلك حتى كان محمد عليه السلام الذى اعتبر خاتم الأنبياء ، والذى توقف الوحى بعده عن النزول .

ولقد كان التغيير يصيب بعض الأحكام الدينية فى زمن النبى عليه السلام بفعل الوحى - الأمر المعروف عند عامة المسلمين بالنسخ ، ولكن بعد وفاة النبى عليه السلام ، وتوقف الوحى عن النزول ، أصبح التجديد عن هذا الطريق موقوفا .

والسؤال الآن : ما العمل الآن فى آيات الأحكام والتكاليف التى يمكن أن تتأثر بفعل الزمن !

ان ابن خلدون وغيره من العلماء المسلمين قد أثبتوا بحق قابلية التشريعات للتغيير والتعديل .. يقول ابن خلدون : (ان أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ، ومنهاج مستقر . انما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال الى حال - وكما يكون ذلك فى الأشخاص والأوقات والأمصار فكذلك يقع فى الآفاق والأقطار والأزمنة والدول ، سنة الله التى قد خلت فى عباده) .

ويثبت ابن القيم فى أعلام الموقعين هذه الجملة القيمة : (تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد) .

وان بعض علماء المسلمين قد وصلوا الى أشياء تعتبر من القواعد المهمة فى هذا الباب :

١ - لاتجوز مخالفة الأحكام المأخوذة من النصوص الدينية الا فى أحوال الضرورة ، وذكروا لنا أن دليل الترخيص للضرورة الآيات القرآنية الكريمة: (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم) . (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) .والاحاديث النبوية الشريفة (الدين يسر) (أحب الدين عند الله الحنيفية السمحة) (يسروا ولا تعسروا) .

ومما سبق كان الرأى الذى انتهى اليه الغزالى (جميع المحرمات تباح بالضرورة) ، وكانت القاعدة الضرورات تبيح المحظورات .

٢ - وفي غير حكم الضرورة يقول البعض بجواز ذلك في حالتين :

الأولى : زوال علة الحكم الشرعى .

والثانية : تغير العرف والعادة .

وفقهاء المسلمين قد وضعوا بعض القواعد الأصولية التى تفسح المجال أمام المجددين فى هاتين الحالتين، ومن ذلك قولهم : (ان الحكم الشرعى المبنى على علة يدور مع علته وجودا وعدما) .

ويضرب الفقهاء المسلمون لذلك مثلا ما فعله عمر ابن الخطاب حين عطل بعض النصوص القرآنية الواردة فى الآية الكريمة : انما الصدقات للفقراء والمساكين ، والمؤلفة قلوبهم ..

لقد الغى عمر بن الخطاب حصة المؤلفة قلوبهم من الصدقات . وردهم بقوله : (هذا شيء كان رسول الله يعطيكموه ليتالفكم على الاسلام ، والآن وقد اعز

الله الاسلام ، واغنى عنكم ، فان ثبتم على الاسلام والا فبيننا وبينكم السيف .

انا لا نعطى على الاسلام شيئا ، فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر .

لقد بنى النص الكريم على علة هى نصرة الدعوة الاسلامية فى بدء الاسلام ، ولكن هذه العلة زالت بعد أن قويت شوكة الاسلام فى أيام عمر بن الخطاب

ان الحكم الشرعى المبنى على تلك العلة قد زال بزوالها .

لقد أعطى عمر بن الخطاب هذا النص تفسيرا جديدا ، وعدل الحكم المبنى عليه تعديلا يمضى مع حكمة التشريع ومقصد الشارع .

ويذهب الامام الحنفى أبو يوسف الى جواز ترك النص واتباع العادة (**لان العادة كانت هى المنظور اليها**) .

اننا نضع هذه القواعد بين ايدى القراء لنعيد عليهم من جديد السؤال السابق :

ما العمل الآن فى آيات الاحكام والتكاليف التى تاثرت فعلا بفعل الزمن ؟

ان الأمر يحتاج الى تشمير السواعد من الفقهاء الأجلاء وخاصة فى الميادين التى طرحت فيها مشكلات جديدة لمجتمع جديد يحدث تغييرات جذرية بأعمال ثورية .

كلمات

لا خوف على العروبة من اى نظام اشتراكى ، لان كل ما ينصف العامة من الخاصة ، وياخذ حق الضعيف من القوى ، يلائم سجيتها ويرضى دينها وان فى روحانيتها العميقة جوهرا علويا يعصمها من الانحدار الى مادية اى واحد من النظامين اللذين يتجاذبانها . وقد سبقت العروبة كليهما فى ضرب المثل الأعلى للديمقراطية الحقة ، فهى لا يعوزها بعض ماجد فى دساتير الناس بقدر ماتعوزها حكومة منها قوية ، تحترم وتطبق دستورها هى .

قبل الثورة الفرنسية وقبل شريعة تحرير العبيد الاسمية فى امريكا باكثر من الف سنة جهر شارعنا العربى الأعظم بمبدأ الحرية والاخاء والمساواة، فجعل فك الرقاب كفارة عن الذنوب وزلفى الى الله . وقال فى حديثه « الانسان اخو الانسان حب ام كره » . فبقليل من الاجتهاد نتلافى التصادم مع الأنظمة الاقتصادية ، اذ نعلو بما نسميه صدقة ومترادفاتها من دركة هذه الاسماء الزارية بالقيم ، الى اسمه العادل النبيل: الا وهو حق المواطن على اخيه المواطن فمبدأ التعاون يقضى بان يكون كلنا خادما وكلنا مخدوما . وما السيادة العليا الا لمجموع الأمة .

تجمعت مياه فى أوطا الأمكنة فكانت البحار . وشغل جماهيرمن الناس اوضع المهن فكانت الشعوب. وفضل هذه فضل تلك . يرتفع سحابها من الأدانى فيظلل الأعالى ثم ينسكب عليها ريا ، وخصبا ، وحياة . فلا من للتلب اذا ساوى بين الاطراف والأعضاء الرئيسية فى توزيع الدم ، لان فى اختلال الدورة علة شاملة قاتلة لا يغنى فيها راس عن قدم .

هذه حقائق لا تخفى على العروبة وحكامها الأتقياء العادلين . وان لها من فطرتها السليمة ، ومن شغفها بالعلم ، مرونة تساير بها مستحدثات العصور دون ان تفقد عنصرا من عناصرخلودها الروحية ، وتجعلها ابدا هى العليا .

فلا يخوفننا الاستعمار مما لا يخيف غير لصوصه وقرصانه . فوالله لو ان لنا باهله متاتا من لغة ، ونسب ، ونظام ، ودين ، وكنا نحن الأقوين ، لاستعدى علينا وحالف الذين يخوفنا منهم ، ويحتقر جنسهم ولونهم .

فما الى الرفق بالغنم تدعونا ايها الذئب الأغبر ، بل الىمشاركتك فى الاثم والعدوان على بعبعك الاكبر، وهواته الأصفر .

وما ادرانا ان يكونوا اصدق منك دعوة واهدى سبيلا .

دكتور
« محمد أحمد خلف الله »

الوصف القصصي بين الاحتياد والاستقصاء !

للدكتور محمد مندور

روى الاستاذ صلاح عبد الصبور فى ملحق الأهرام الصادر فى ١٧ يوليو الماضى عدة آراء جديدة للمستشرق الفرنسى الاستاذ جاك برك ، الذى كان فى زيارة للقاهرة عندئذ حيث التقى بعدد من ادبائنا، وكان من اهم تلك الآراء قوله : « **ان يحيى حقى هو اكبر قصاصينا المصريين وان يوسف ادريس يلى يحيى حقى فى المرتبة وان نجيب محفوظ عندنا يشبه بول بورجيه فى الادب الفرنسى فكلاهما يصف المجتمع بدقة مفرطة وكلاهما ثروة بالنسبة للباحث الاجتماعى ، أما مقارنة نجيب محفوظ ببلزاك او زولا فهى مقارنة مميتة .**

والظاهر ان نشر صلاح عبد الصبور لهذه الآراء القاطعة قد أزعج الاستاذ برك كما أزعج أدباءنا . فرأينا الاستاذ الفرنسى يبعث الى الاهرام برسالة قصيرة نشرها فى ملحق يوم الجمعة التالى ٢٤ يوليو جاء فيها « انتم تعلمون حق العلم ان كل حوار بين المثقفين يشتمل بالضرورة الى جانب الميل الى التعميق والى استخدام الظلال ـ على قدر من التنازلات الفكرية واحيانا على بعض المفارقات ، وهو فى جميع الاحوال لا يمكن ان يفضى الى تبويبات مسرفة فى التبسيط ، ولا الى احكام حاسمة ، وربما كانت سيطرتى غير الكافية على لغتكم الجميلة قد ساعدت على اساءة تفسير ما قصدت اليه على نحو ما ، يجعلنى وحدى ضحية ذلك لسوء الحظ، ومهما يكن من شىء فأنتم توافقوننى على ان الفكرة لا يمكن فصلها من السياق الذى وردت فيه، وبما ان الفرصة قد اتيحت لى مؤخرا للتعبير عن آرائى حول الادب العربى الحديث فى مقدمة كتبتها لمختارات فى الادب العربى ـ فانى احيل من اراد من قرائكم ان يطلع على موقفى فى هذا الموضوع الى هذه المقدمة التى اتحمل مسئوليتها كاملة »

ولست أريد أن أقوم بتحقيق عن آراء الاستاذ المستشرق الفرنسى برك فى فننا القصصى الحديث وأصحابه والمفاضلة بينهم ، ولكننى تحركت للكتابة لأن هذه الآراء قد أثارت فى نفسى عدة قضايا عامة تتعلق بفن الوصف القصصى واساليبه ووظائفه . واكبر الظن أن وصف الاستاذ برك لأدب نجيب محفوظ القصصى ، انما أوحت به اليه ثلاثية نجيب محفوظ «بين القصرين» و «قصر الشوق» و «السكرية» وبخاصة الجزءان الأول والثانى من هذه الثلاثية حيث نحس عند الكاتب نوعا من الاستقصاء فى الوصف يكاد يحيل هذا الوصف الى وثيقة اجتماعية، واحيانا الى ما يشبه محاضر المعاينة او تقارير الباحثين الاجتماعيين. ومن المؤكد ان هذا الاسلوب الاستقصائى فى الوصف القصصى نجد له مثيلا عند الكاتب الفرنسى بول بورجيه ، وذلك بالرغم من أن بول بورجيه لم تمتد لوحاته القصصية الوصفية الى جميع قطاعات المجتمع الفرنسى كما امتدت لوحات بلزاك مثلا ، ولكننا نجد الفارق الاساسى بين بلزاك وبورجيه فى أسلوب الوصف من الناحية الفنية ، فأسلوب بلزاك صادر عن عين الفنان التى تلمح فى سرعة القسمة المميزة للموصوف ، وتصورها بلمسة عميقة سريعة موحية تحرك خيال القارىء وتعينه فى يسر على استكمال الصورة بنفسه ، وذلك بينما نرى بورجيه يحشد التفاصيل والجزئيات حشدا استقصائيا لا يترك لخيال القارىء شيئا يستكمله ، وعلى العكس يصيب العنصر القصصى بالبطء والركود والاملال وكل ذلك فضلا عن ان بورجيه قد صدر فى أدبه عن وجهة نظر رجعية ضيقة لأنه كان لا يؤمن الا بعراقة الحسب والنسب على نحو ما هو واضح فى قصته «التلميذ» وغيرها . فهذه القصة تكاد تكون ايضاحا وتجسيدا لتلك الفكرة الرجعية السقيمة

البالية التي كانت تقـول « لا تعلموا أولاد السفلة العـلم » حيث نرى التلميـذ الذى تثقف على يد الفلاسفة لا يخرج مع وضاعة أصله من هذه الثقافة الا بالجبن والنذالة ومحاولة استخدام هذه الثقافة على نحو سفسطائي في تبرير انحلاله وتذالته في مواجهة نبيل لم ينل من الثقافة شيئا ولكنه مع ذلك احتفظ بالنبل والشجاعة وكرم الخلق الذى ورثه عن ذويه وبيئته الارستقراطية . ومن المؤكد أن الخمول الذى أصاب أدب بول بورجيه لايرجع الى أسلوبه الفني فحسب ، بل يرجع الى مضمونه الفكرى أيضا ، ذلك المضمون الرجعى المنافى للتطور التاريخي العام ولروح العصر الديمقراطي المتفتح .

واذا كان **نجيب محفوظ** قد جنح في ثلاثيته منحى الاسـهاب والاستقصاء في الوصف القصصى ـ فانه لا ينبغى أن نتخذ من هذه الثلاثية وحدها أساسا لاصدار حكم عام على فنه ، وذلك لان لنجيب محفوظ قصصا أخرى سابقة ولاحقة لهذه الثلاثية ، ومن المؤكد ان أسلوب نجيب محفوظ في القصص الوصفي يختلف في « خان الخليلى » و « بداية ونهاية » مثـلا عن اسلوبه في الثلاثية . وكذلك في قصصه اللاحقة « **اللص والكلاب** » و « **السمان والخريف** » و « **الطريق** » . بل من المؤكد أن نجيب محفوظ بعد أن أخذ يتحلل قليلا من الواقعية في مرحلته الأخيرة وذلك بتطعيمها بالعناصر الرمزية التى تستوجب بطبيعتها السرعة والاختيار بدلا من البطء والاستقصاء ـ قد تخلص الى حد بعيد من ذلك الأسلوب الذى ساق المستشرق الفرنسى الكبير الى وصف أدبه بانه وثائق اجتماعية ثم تشبيهه بادب بول بورجيه الذى عفى عليه الزمن بجمعه بين سوأتين : سوأة الاسلوب الفنى ، وسوأة التفكير الرجعى البالى ، في حين ان نجيب محفوظ رغم اتزانه الصارم يعتبر كاتبا تقدميا متمشيا مع روح العصر ومنطق التطور التاريخى وحتميته ، فضـلا عن أن الثلاثية ليست انتاجه الوحيد في الادب القصصى ، وقد لا تكون خيره ، وانما تمثل احدى مراحل فنه القصصى فحسب .

ولا أريد أن أتعرض هنا لفن **يوسف ادريس** القصصى لأننى أحس أن هذا الكاتب وان يكن قد بدأ بدءا رائعا في قصصه القصيرة الأولى ـ الا أننى لا أدرى الى أى ناحية أخذ يتطور هـذا الكاتب ، وأخشى أن يكون التطور الذى مر به أدبه في غير صالحه ، وكل ذلك فضلا عن أن أدبه ليس هو الأدب الذى تمكن معارضته بأدب نجيب محفوظ من حيث أسلوب الوصف القصصى ، وانما تصـدق هذه المعارضة وتنتج عنـد مقارنة أسلوب يحيى حقي بأسلوب نجيب محفوظ وأزيد الامر تحديدا بامكان المقارنة بين قصة قنديل أم هاشم **ليحيى حقى** وثلاثية نجيب محفوظ بالذات . فقصة «قنديل أم هاشم» من حيث أسلوب الوصف فيها هى التى يمكن القول عنها بأن كاتبها قد طرزها بسنان الابرة وتمهل عند كل قسمة أو لفظة اختارها ، وأنت تحس فيها بصبر الفنان وجهده وحرصه على اختيار اللمسة الدالة الموحية ، بدلا من اللملمة والاستقصاء الممل وكل ذلك بالرغم من تحفظى الشديد فيما يختص بالخاتمة التى اختارها يحيى حقى لقصته وربطى لها حق على أساس من واقع حياتنا وتطور هذا الواقع عندما كتب يحيى حقى قصته منذ ربع قرن أو يزيد ، فمن غير المعقول ، بل من الضار أيضا أن يزعم الكاتب في هذه القصة أن الشعوذة قد انتصرت عند الطبيب المصرى نفسه على العلم ، وهزمت في نفسه الايمان به ممثلا في الطب ، كما تمثلت الشعوذة في زيت قنديل ام هاشم الذى اضطر الطبيب الى استخدامه أو التظاهر باستخدامه في النهاية لشفاء العيون المريضة .

واترك جانبا المضمون الفكرى لقصة يحيى حقى هـذه لأقصر حديثى على الاسلوب الفنى الذى استخدمه الكاتب للوصف القصصى بها ، فالاحظ ان الاستاذ يحيى حقى وان احتفظ فيما كتب بعد ذلك من قصص قصيرة أو ذكريات بنفس الأناقة الفنية في الأسلوب ودقة الاختيار ـ الا أنه لم يستطع لسوء الحظ أن يحتفظ بنفس القمة التى وصل اليها أسلوبه في قصة قنديل أم هاشم .

ولعل الصحافة ـ سامحها الله ـ وما تقتضيه من سرعة هى المسئولة عن هذا الهبوط ، لأن معظم هذه القصص القصيرة والذكريات قد كتبها يحيى حقى للصحف قبل أن يجمعها في كتب .

وعلى أية حال فالمقارنة التى نرى امكان عقدها بين أسلوب الوصف القصصى في كل من الثلاثية وقنديل أم هاشم يمكن أن تعيننا على استخلاص عدد من المبادىء الفنية العامة التى يحسن أن يتأملها كتاب القصة في أدبنا المعاصر :

اما المبدأ الأول : فهـو أن الوصف في القصة لا يقصد لذاته بل لأداء وظيفة قصصية معينة كالفاء

نظرات فى الشعر العراقى المعاصر

كفاح مصر والعراق

فى شعر خالد الشواف

للدكتور
بدوى طبانه

ويأبى القلم ان يقف من خالد عند ذلك الشعر الذى بلغه شعره فى العروبة وكفاحها فى العشرين السنة الأخيرة ، وهى الفترة التى عاصر الشاعر كثيرا من الأحداث الكبرى التى المت بالامة العربية فى مختلف اوطانها ، وهى أحداث الانتفاضة الكبرى على السدود والحدود ، ويأبى القلم الا ان يلم بسائر هذا الشعر الوطنى الذى دبجته براعة الشاعر فى كفاح مصر وكفاح العراق .

وقد بان مما اوردناه أن عروبة خالد او عروبة شعره قد تخطت الحواجز وتجاوزت الحدود المصنوعة التى لايعترف بها الا دعاة التسليم بالواقع والرضا بما هو كائن من المستضعفين أو المخدوعين . ولذلك رايناه يبدا ديوانه بشعره فى مأساة فلسطين ، أما شعره فى العراق وطنه الاصلى او وطنه الرسمى فانه يجعله خاتمة ذلك الديوان . وتلك روح جديدة جديرة بالاعجاب والتمجيد .

ومن الممكن تقسيم الشعر الوطنى او الشعر العربى الذى جادت به شاعرية الشواف ، وزودت به ادبنا العربى الحديث من حيث دوافعه ونوازعه وغاياته الى اقسام ثلاثة :

١ — تتبع الاحداث التى المت بالامة العربية فى سائر مواطنها ، ووصفها لا وصف السرد والحكاية ، ولكن وصف المفاعل بها ، وشرح آثارها

ضوء على بيئة القصة أو المشاركة فى تفسير سلوك احدى الشخصيات على نحو ما فعل فلوبير مثلا عندما وصف نعومة الطبيعة المحيطة ببطلة قصته مدام بوفارى عندما تآمرت على تلك النعومة مع اغراء الكونت المتحل على سقوط اما بوفارى بين براثنه .

والمبدا الثانى : هو ان الاسلوب الفنى فى الوصف القصصى يجب أن يقوم على الاختيار لا الاستقصاء بمعنى ان الكاتب الفنان هو الذى يلمح القسمة المميزة للموصوف ويبرزها بلمسة فنية سريعة تاركا للقارىء اعمال خياله لاستكمال الصورة عن طريق الايحاء الناجح بفضل تلك اللمسة المختارة . وأما الاسهاب والاستقصاء فانه يصيب العنصر القصصى بالبطء والركود والاملال ، كما انه يضع القارىء فى موضع سلبى عقيم مضن ، وفى رأيى أن التزام الكاتب القصصى لهذين المبدأين البالغى الوضوح والبساطة يمكن أن يقيه شر أخطاء كثيرة فى فنه تد تخرج بهذا الفن من مجاله الحقيقى الى مجال الوثائق الاجتماعية أو ما سميته بمحاضر المعاينة أو تقارير الباحثين الاجتماعيين وما شابها مما لا يمت الى الفن بصلة وثيقة .

« دكتور محمد مندور »

القريبة والبعيدة فى مستقبل الامة التى تبنى مجدها وتوطد مستقبلها .

٢ — الثورة العارمة على حكامها المستاسدين على اخوانهم ، العاملين بوحى سادتهم المستعمرين لاخماد جذوة الوطنية المشتعلة فى النفوس وقتل روح النضال بالوعد والاغراء تارة ، وبالايعاد والتخويف تارة اخرى .

٣ — الاشادة بروح الجهاد فى الوطن العربى حيثما كانت ، والتهليل للابطال المكافحين ، ولكل نصر يحرزه الركب العربى الزاحف نحو غايات الكرامة والمجد ، وضرب الامثال بجهادهم وبانتصاراتهم حتى يجتذبهم اصحاب الامل فى الاستقلال والخلاص من نير العبودية والاستغلال ومن وطاة الاستعمار والطغيان من اجنبى دخيل او وطنى منحرف .

والمطلع على القصائد السبع التى قالها الشواف واثبتها فى لهيب كفاحه يرى عاطفة صادقة وشعورا متألقا وقلبا عامرا بحب الكنانة واهلها ، ويستشعر اساه لكل ما يصيبها ، وتطلعه الى جهادها، ومباهاته بابطالها ، لأن الشواف يؤمن ان مصر مجد العروبة ورمز نضالها :

لواء الحق قد حملته مصر
فبورك من اباء وما اباء

ومن خلف الكنانة كل شعب
ابى ظهره بالعبء ناء

فيا اخت الجهاد ثبى وثورى
فان لنا بثورتك اقتداء

سيعصف بالسلاسل كل حر
تمرا معصماه بها اكتواء

وفى غمرة العدوان الثلاثى على مصر ، وحين كان حكام العراق اذ ذاك يؤيدون المعتدين على الشعب العربى فى مصر ويزودون نفاثاتهم بالوقود لاذلال هذا الشعب ، وينصرونه باذاعاتهم ونشراتهم واشاعاتهم ، كان قلب الشواف ينبض بحب مصر ، ويشد بشعره الحر عزمها ، ويبارك كفاحها ويحيى ثباتها . وكان يتحدث فى كل ذلك بلسان الشعب العربى فى العراق ، ويعبر عن مشاعره الصادقة نحو الشعب العربى فى مصر ازاء العدوان الذى تحالفت فيه قوى الشر فى فرنسا وانجلترا مع الصهيونية لاخماد ثورة العرب على الصهيونية والاستعمار ، وما ابدع ماقاله مخاطبا الرئيس جمال عبد الناصر فى اثناء ذلك العدوان ، وهو يعرف موقع مثل هذا القول من نفوس الطغاة من حكام بلده اذ ذاك :

يا جمالا خط فى تاريخنا
صفحة تنفح نورا ونفاحا

يا جمالا جذ من حاضرنا
كل قرح بصديد الذل قاحا

يا جمالا .. عربيا .. رائعا
بعث العزة فينا والطماحا

يا جمالا نسخ القبح الذى
اولد النكبة مولودا سفاحا

(خالدا) كنت بمصر ، فلتكن
يوم تدعوك فلسطين (صلاحا)

واولى المصريات فى لهيب الكفاح تحية لمصر فى كفاحها من اجل تحرير وادى النيل من قوات الاحتلال البريطانى والغاء معاهدة الاحتلال التى كانوا يسمونها معاهدة الشرف والاستقلال . ولا ينسى خالد فى تحيته التعبير عن واجب الامة العربية فى تأييد مصر فى كفاحها المستعمرين والطغاة ،والاشارة الى تخاذل بعض الحكام ، وحيلولتهم بين الشعب العربى فى مواطنه المختلفة وبين استجابته لنداء الاخوة وواجبه فى البذل والفداء ، ويأسى الشاعر اشد الاسي لانه لايستطيع الا تحية كلامية لاتجدى عن المشاركة الفعلية :

ياجيرة النيل .. لو تجدى تحايانا
لقد نفحنا بها اهلا واخوانا

اقل حق لديكم عند اخوتكم
بذل الدماء ويوم البذل قدآنا

لكن يومكم الموعود طالعكم
ويومنا ، ويح من اقصاه ، ماحانا

واذا كان حكام العراق قد قصروا فى نصرة اخوانهم فى جهادهم لطرد المستعمر ، فلا اقل من اقتدائهم بهم فى محاولة لتحرير اوطانهم والخلاص من نير المعاهدات او صكوك الاستعباد التى قيدوا بها امتهم وحرموها الافادة من ثرواتها ، فيتساءل الشاعر :

ترى خلا الغاب فى بغداد ام مسخت
زرق الرقاة ليوث الغاب غزلانا

ام الحقـوق التي كنـا نغـذ لهـا
فوق القتاد خطـانا نيلت الأنـا ؟

ويحذر الشواف احرار بلاده من الرضا والقناعة بما هم فيه والمستعمر يجوس خلال ديارهم وينهب خيراتهم . وقد كان نوري السعيد يدعو العراق آنذاك الى الاقتناع بما يحصل عليه من عوائد النفط ، ويباهي بانه « ربح المقل والبترول » فتنطلق شاعرية خالد :

احرار هذا الحمى لاتسمعوا الصدى
يدعو العراق ليرضي بالذى كـانا

القيد .. القيد .. ولتقصم سواعدكم
عراه ، ولتصرخوا فى وجه من لانا :

يارابح المقـل والبترول .. معذرة
اذا وجدنا بهـذا الربح خسرانا

لا المقل فك قيودا فى معاصـمنا
حزت طويلا ولا البترول اغنـانا !

ولم يزل خالد يشيد بنضال مصر فى سبيل اجلاء المحتل ، ويشد من عزمها ، ويحثها على المضي والثبات فى كفاح المستعمر ، والحذر من دسائسه واحابيله :

واخفرى النيـل باطـراف القنا
يمنع الحـوض بغـاب من رماح

واسـهرى الليل فمن حولي الحمى
يسـهر الشر بخرسـاء رداح

زحف الغرب على الشرق فلا
تغفلى يا مصر عن سيف (صلاح)

ويشرح اثر جهادها فى ايقـاظ الشرق وتنبيه النيام ، واقتفاء اثرها فى الاستبسـال ، ويحذر ابطالها الرضا بانصاف الحلول التى يتلهى بهـا العاجزون اليائسون :

مصر .. كـانت خطـوة جبارة
فى ميـادين من العـزم فساح

سـوف يقفو اثرهـا الشرق وان
زرع الدرب قتادا لا اقـاحى

خطوة اخرى ، وان طـال المدى
تبلغى يا مصر اسـباب النجاح

فسـبيل المجد صـعب المرتقى
يؤخـذ الضـارب فيه باللـواح

واحذرى من (نصـف حل) ينتهى
بك يا مصـر الى بيع السـماح

واذا لانت قنـاة فـاصرخى
يا لثـارات القتيل المستباح

ويسمى الشاعر مصر « ام البطولات » ويصف صفحتها فى الجهاد بالنصاعة والاشراق منذ القدم وهى ترسل النور وتشع الامل فى شتى الارجاء :

ايـه يا ام البطـولات التى
غـذت الاسـفار من عهـد (فتاح)

سفرك اليوم وضـىء ناصـع
مشرق الاسطر مثل الصبح ضاح

يا لـه سـفرا عليـه ارج
من دم الاحـرار عباق النفـاح

ضاع فى الارجاء كالورد شـذى
وذكا مثـل الخـزامى فى النواحى

وفى قصيدته « كتائب الحق » التى انشـدها فى ذكرى معارك الجلاء يؤكد هـذا المعنى :

يا مصر .. والشرق ماضيه وحاضره
له من النيل اصـدار وايـراد

انى يحييك والذكرى تطـوف بـه
فعبرت عن ضـمير الشرق بغداد

وللفدائيين المصريين الذين اقضوا مضاجع اليهود فى الاراضي العربية المحتلة من فلسطين ابيات خمسة كتبها الشاعر فى نيسان سنة ١٩٥٦ ، ولا تستقل هـذه الابيات فى الفدائيين لان المصريات فى لهيب الكفاح كلها تفيض بتمجيد روح التضحية والجهـاد والفداء .

اما « بور سعيد » وحدها فقد حظيت من مصريات الشواف بقصيدتين عاطرتين ، كتب اولاهما «المخاض المقدس » فى غمرة العدوان الثلاثى ، واهداها الى « مصر .. التى صمدت ترقب مولد صباحها من الافق الخضيب » . وكتب الاخرى بعد اسبوع العدوان ، ولم يتح لها أن تنشد او تنشر فى العـراق آنذاك ، فالقاها صاحبها فى حفل لوفود مؤتمر الادباء العرب بالقاهرة فى كانون الاول سنة ١٩٥٧ وجعل عنوانها (بور سـعيد) . والشاعر فيهما يعيش فى ميدان الجهاد مع ابطال مصر وابطال بور سعيد بقلبه وروحه

شاعريته ، وهم عنده احق بالتكرمة والخلود من ابطال الاساطير :

يابر سعيد .. ولم تكن (طروادة)
اقوى واصلب فى الجلاد الصابر

تحدى الخلود بحقه احدوثة
تروى ومفخرة لكل مفاخر

يابر سعيد لقد بذلت فعشت فى
مثل شرود للبطولة سائر

وخلدت مشعلا بكف مناضل
حر وملحمة على فم شاعر

وهى ابيات من قصيدة رائعة لانكاد نجد لها نظيرا فى سائر ما انشد من الشعر الذى لايحصى كثرة فى وصف العدوان وبسالة الدفاع عن تلك المدينة الخالدة التى يخاطبها بقوله :

خوضت ثمة فى الحديد وفى اللظى
والصاعقات وفى النجيع الغامر

وصمدت بالدم والجراح وبالفدا
والتضحيات وروح (عبد الناصر)

ورفعت راسك رغم جرح قاطر
ونصبت صدرك رغم جرح غائر

فطلعت أشرف ماتكون مدينة
فى غابر ، واعزه فى حاضر

وكتبت اروع ماتخط مدينة
واجل فى سفر الفداء الباهر

وهى مع جودتها طويلة عدة ابياتها ستة واربعون بيتا تزخر كلها بجودة السبك ومتانة القوافى واصالة المعانى .

و «المخاض المقدس» يتحدث فيها عن الحقوق المسلوبة التى لاترد بغير الدماء وقد عرف المصريون الجود ببذلها فى سبيل حقوقهم وكرامتهم :

صدرك الصامد لا يابى الجراحا
فسماحا بالدم الغالى سماحا

لا مخاض دون أن يجرى دم
فارتقبى اذ يلد الافق الصباحا

من دم الاحرار فيه الق
صارخ : يأيها الليل .. براحا

وفى هذه القصيدة يصف الشاعر ما لقى العدو وما جرت عليه مغامرته فى العدوان على مصر التى حطمت شوكته ، وقصمت ظهره ، وادنت يوم نهايته :

يا لها معجزة صارخة
خاب من ظن حمى مصر مباحا

فيما ادنيت يوم المعتدى
وحفرت القبر بحرا وبطاحا

انه النزع الذى اركبه
ذلك الاجرام والبغى الصراحا

فاضحكى يا مصر من محتضر
لم يزل فى بكرة النزع وقاحا

ونجتزىء بهذه الاشارات الى شعر الشواف الذى ناجى فيه مصر ، وتابع احداثها ، ومجد كفاحها ، واشاد ببطولتها وابطالها ، لنلقى نظرة على شعره الوطنى فى كفاح العراق .

كان حظ العراق فى «لهيب الكفاح» ثلاث قصائد عناوينها « الوثبة » و (الانتفاضة) و (الثورة) وهى آخر شعر فى الديوان .

والقصائد الثلاث كما يبدو من عناوينها صورة لروح الشعب العربى فى العراق الذى عبر خالد عن آلامه وأمانيه ومشاعره وعواطفه فى صدق وحماسة :

ولا اعرف ان خالدا كان من اولئك الشعراء الذين باعوا شاعريتهم وفنهم لكل من اغلى الثمن او زاد فى العطاء ، وانما كان شعره دائما مرآة نفسه الصافية المؤمنة بأمته وكرامتها ، وقد انعكست على صفحة تلك المرآة المشاعر الحقيقية التى خلقت منه شاعرا وطنيا من الطراز الأول .

فاولى عراقيات خالد كانت تصويرا لوثبة الشعب التى مزقت معاهدة بور تسموث فى كانون الثانى سنة ١٩٤٨ بعد ان رآها صك استعباد لا معاهدة حرية وكرامة :

اقسمت بالدم أن تمحو السطور
أمة صيرت الوادى سعيرا

ومشت عجلى الى اهدافها
تزرع الدرب ضراما وزئيرا

تحسب الأشواق فى اقدامها
حيث تحدوها البطولات زهورا

وثبت فوق اللظى باسمة
وثبة الصادى اذا شام الغديرا

ليس تدرى وهى فى جاحمها
اهى تستاف دخانا ام عبيرا

ويتحدث الشاعر فىهذه القصيدة عن احداث تلك الوثبة وعنرسالة الشباب والشيوخوالنساء ، وعن « جسر الضحايا » الذى استشهد عليه كثير منهم ، ويصب النقمة على المعتدين ، ويشرح اثر هذه الوثبة وتلك التضحيات فى امل الامة فى الشورى والكرامة والعدل والمساواة :

كلما صرف شانا جللا
فيه باسم الشعب دستور وشورى

كلما امضى وزير ماراى
لم يشاور «مستشارا» او «سفيرا»

كلما طاطا للحق به
من تولاه ولم ينحر ضميرا

كلما لم يعرف العدل به
والقوانين غنيا وفقيرا

كلما قام غدا فى محفل
من تماه رافع الراس فخورا

وقصيدته الثانية فى العراقيات فى وصف « الانتفاضة » الشعبية التى استماتت فى طلب الاصلاح فى تشرين الثانى سنة ١٩٥٢ وفيها يمجد روح الكفاح فى الشعب على الرغم من السجون ولظى النار والحديد :

لم تنل من روحك الجبار نار
يومك الرائع كالأمس فخار

كلما نوديت للبذل جرت
غاليات من وريديك غزار

ايها الشعب كما عودتنا
بك ماطال على الضيم قرار

ويتساءل عن الذنب الذى اقترفه الثائرون ، وهم لم يثوروا الا على الظلم والاستبداد والجوع والجهل والقاء الأحرار في غياهب السجون :

اى ذنب اخذوا اليوم به
غير ان نودوا لاصلاح فطاروا ؟

اهو ذنب انهم خفوا وقد
جارت مما بها تشكو الديار ؟

صرخت وهى التى تنتاشها
اسهم من حاكميها وشفار

صرخت من جوعها .. من دائها
من حديد حول رسغيها يدار

من ظنون غيبت احرارها
فى سجون غشيت منها القفار

من عمى الجهل الذى اقعدها
ان ترى اين بها الليل يسار

من عتو ركب القوم الالى
حكموا فاستعبدوا الشعب وجاروا

اما القصيدة الثالثة والاخيرة فى عراقياته وفى ديوانه فهى قصيدة « الثورة » وقد وصف فيها الاحداث والكوارث التى حاقت بالشعب العربى فى العراق وادت الى ثورة ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ التى اطاحت بالعهد الملكى وكل سوءاته :

الله!هم من اجاعوا الشعب اذ شبعوا
واظمئوه على ورد وقد شربوا

الله!هم من مشوا فوق الرقاب على
حرمانه اللقمة السوداء واستلبوا

وانهم لهم القوم الالى سجنوا
وانهم لهم القوم الالى ضربوا

وانهم من ارادوا ان يفرقنا
عن الاشقاء مابئوا وما كذبوا

واعتقد ان هذا الطراز العالى من القريض المحكم والوطنيةالمتاججة والعروبة الصادقةجدير بالدراسة وجدير بالتقدير ، وان هذه الكلمات التى تحدثنا فيها عن عروبة الشواف تطمع فى المزيد ، لولا شعورنا بالحاجة الى عرض بعض الالوان الاخرى من الشعر العراقى المعاصر الى جانب هذا اللون الممتع الفريد .

« دكتور بدوى طبانه »

خمس مسائل في قضية الشعر الجديد

للدكتور محمد النويهي

حملت الرسالة في عددها التاسع والاربعين مقالة نقد فيها الاستاذ **مصطفى عبد اللطيف السحرتي** كتابي « **قضية الشعر الجديد** » . وقد جاءت المقالة مثالا على النقد الرفيع. والاستاذ السحرتي يشاركني تأييدي لهذه القضية . ومثله تعتز قضايا الادب بتأييده ، لما تشهد به مؤلفاته الممتازة ومقالاته القيمة من عمق النظرة ، ونضج الذوق ، ودقة العلم بالادب العربي قديمه وحديثه ، وجودة الاطلاع على الادب الغربي في مصادره الأصيلة . فمثله لا يمكن أن ينسب تأييده لقضية الشعر الجديد الى جهل بتراثنا القديم أو عجز عن تقديره ، ولا الى معاداة له ومحاولة لهدمه وسعي لافساد لغتنا الشريفة ، ولا الى تقليد ببغاوي لذوق أعجمي او ادعاء للتجديد لمجرد كسب الشهرة واتباع « المودة » . وهذه هي التهم التي يغرم خصوم الشعر الجديد بصبها على رءوس أنصاره .

لكن الاستاذ السحرتي ، بعد اتفاقه معي على القضية العامة ، يخالفني في تفصيلات عديدة ، شرح فيها وجهة نظره بما هو معروف عنه من الجد والهدوء ، والتواضع والتحفظ ، وهي سمات العالم الحق . وساحاول ان ابين وجهة نظري فيما أثار من المسائل ، بالقدر الذي يسمح به المجال في هذه المجلة ، وليس الاستاذ السحرتي بالذي يحتاج الى اطناب القول على أي حال .

(١)

يأخذ الاستاذ السحرتي على كتابي خلوه من نماذج منوعة قيمة للشعر الجديد ، ماعدا بعض المقطوعات لشاعر واحد هو صلاح عبد الصبور . فالكتاب لم يخدم القضية الا ببعض مقطوعات ، ليس بينها قصيدة كاملة ، وقد كان يريد أن يجد فيه للشعر الجديد نماذج كثيرة ممتازة « **تخدم الغرض الذي قام من أجله هذا البحث الجريء المناصر لتيار جديد يلقى من الكثيرين كل ضروب الاعاقة والمجاهدة ، من كثير من النظامين ومن المتخلفين** » .

والاستاذ السحرتي محق في ملحوظته هذه . ولكن تبريري لهذه الظاهرة هو هدفي المحدد من الكتاب ، الذي شرحته منذ الصفحة الأولى في تقديمه . والاستاذ الجليل بلا شك أول من يسلم بأنه ليس من العدل أن نطالب كتابا بما يخرج عن الغرض الذي استهدفه مؤلفه ، وان يكن من المشروع للناقد أن يناقش المؤلف في قيمة الغرض الذي استهدفه في حد ذاته ، وان يحكم على مدى نجاحه في تحقيق غرضه المرسوم .

والذي منعني من الاستشهاد بنماذج الشعر الجديد ، ماعدا مقطوعات سقتها لتوضيح فكرة واحدة ، هو أن هذا الاستشهاد مهما نكثر منه ، يضيع هباء مع من سماهم الاستاذ السحرتي « النظامين والتخلفين » ، الذين يلاقون الشعر الجديد بما ذكر من ضروب الاعاقة والمجاهدة . فهؤلاء ليسوا مستعدين لأن يستمعوا الى هذا الشعر بالتعاطف اللازم ، ولا بمجرد الحياد المنصف ، وليسوا مستعدين لأن يحدثوا في نفوسهم التطور الذوقي الكبير الذي يلزم لتقبل هذا النوع الجديد من الشعر .

لذلك كان غرضي من هذا الكتاب أن استكشف الاسباب العميقة والعقد المريرة التي تصدهم عن هذا الشعر ، وتجعلهم يصمون دونه آذانهم ويغلقون قلوبهم ، وبدأت في معالجتها منذ الصفحة الأولى . فالكتاب في حقيقته لم يحاول الاقناع الفني ، وانما حاول علاج الاسباب العديدة التي تقوم حاجزا دون هذا الاقناع الفني . ولست أدري هل يوافقني الاستاذ السحرتي على أن هذا في حد ذاته غرض يستحق أن يستهدف وأن يوضع له كتاب . ولهذا السبب أيضا لم أبدأ في الاستشهاد المحدود ببعض النماذج الا

بعد مائة وتسع من الصفحات ، واسترشدت في هذا بالمحاضرات الشفوية التي بني عليها الكتاب ، والتي كانت مليئة بالجدل والرفض والخصام . وقد أجزت لنفسي في هامش صفحة ١٢٠ أن اسجل انني حين بلغت هذه المرحلة من المحاضرات بدأ طلبتي يتقبلون الشعر الجديد ويطربون له ، وكان اكثرهم من خصومه وأعداء شكله الجديد . واضيف هنا أن كثيرين منهم بدأوا يجمعون دواوينه ويقرأونها في شغف واهتمام .

هذا التدرج والتمهيد الذي اضطررت اليه في تدريسي لطلبة الدراسات الجامعية العليا ، اعتقد اننا نحتاج الى مثله ان لم يكن الى أزيد منه في مخاطبتنا لجمهور القراء في العالم العربي . وسيحكم الزمن حل يكون للكتاب بعض اثره المرجو في هدم العوائق العاتية وتمهيد الطريق الى الاقبال الصحيح على الشعر الجديد . وحين قصرت الكتاب على هذا الغرض كنت اعتزم ان اتبعه بآخر احقق فيه مايريده الاستاذ السحرتي من الدراسة الفنية لروائع هذا الشعر . وانا ارجو أن أتمكن من هذا في فرصة مقبلة ، ويسعدني أن أرى الاستاذ السحرتي قد بدأ مثل هذه الدراسة في مقالاته بالرسالة .

- ٢ -

الاستاذ السحرتي ، وان شاركني تاييد الشكل الجديد ، يخالفني مخالفة قوية في ادعائي ان الشكل القديم قد استهلك استهلاكا تاما ولم يعد في طوقه أن يقوم بمضموناتنا الجديدة . وهو يذكر من الاسباب التي أقمت عليها دعواي هذه ان الوزن التقليدي فيه حدة وشدة بروز ، وان الشكل القديم فيه دوي وضجيج ، ثم يناقش هذين السببين كما سنرى بعد . لكنه ترك أسبابا أخرى اقمت عليها دعواي ، الامر الذي عرض دعواي عرضا ناقصا ، وان كنت واثقا من ان ضيق المجال هو الذي اضطره الى هذا .

ثم يستشهد الاستاذ الفاضل على في دفاعه عن صلاحية الشكل القديم بما يوجد في كتابي نفسه من « طيرانه اعجابا بالشعر القديم ، جاهليا أو امويا أو عباسيا ، ووقوفه وقفة طويلة ... قائلا انه لم يجد لهذه القصيدة مثيلا في حيويتها وصدقها المثير الهزاز بين جميع ما أنتجته المدرسة التقليدية في عصرنا الحديث . » ويرى ان هذا القول مني يؤكد قدرة الشكل القديم على انتاج قصائد حية صادقة .

لكنني فرقت تفريقا تاما — كما يشهد كلامي الذي اقتبسه — بين استطاعة الشكل القديم ان يقوم بحاجات القدامى ، قياما مكنه من حمل روائع مطربة لايزال في استطاعتها أن تمتعنا وتشجينا ، وبين صلاحيته لأداء مضموناتنا الجديدة ، وهي لا شك مختلفة في أشياء كثيرة ، دعك من كونها اوسع وأعمق وأكثر تعقيدا . فهناك فرق بعيد بين قبول الشكل القديم حين استعمله القدامى للتعبير عن حاجاتهم الحيويه والفنية ، وبين قبوله حين يستعمله شعراؤنا المحدثون فلا يقوم بحاجاتنا الجديدة المختلفة . وليس معنى اعجابنا بشكسبير مثلا وتسليمنا بامتيازه اننا نقبل شاعرا معاصرا ينسج على نفس منواله ويتبع نفس أدائه واشكاله . والاستاذ السحرتي نفسه قد سلم بان الشكل القديم يحتاج قبل أن يصلح لنا الى تغييرات توجبها التجديدات الكثيرة الباهرة التي دخلت على فن الموسيقى ، وليس هذا في نظري الا جانبا واحدا من جوانب النقص في الشكل القديم .

وقد كنت اعتقد انني وضحت هذا الفرق ، بين استعمال القدامي له واستعمالنا له ، توضيحا كافيا في كتابي ، وبخاصة في هامش صفحة ٩٣ . ولكن ان رأى الاستاذ السحرتي انه يحتاج الى مزيد من الشرح أو مزيد من البرهنة ، فساحاول أن احقق هذا في طبعة قادمة .

- ٣ -

يعارضني الاستاذ السحرتي في كون الوزن التقليدي ذا حدة وضجيج . ويعرض — بتواضعه وتحفظه الرائعين — رأيه في ان طبيعة الاوزان لايمكن وصفها بالحدة أو الضجة ، لانها أدوات يشكلها الشاعر الفنان كيفما يريد ، وطبيعته هي التي تهب هذه الاوزان الحدة أو الجهارة أو الهدوء والهمس ، تبعا لنوع التجربة التي يؤديها .

والناقد الجليل مصيب الى حد في دعواه هذه ، لكنني لا اوافقه على تجريد الوزن تجريدا تاما من اية خاصية ايقاعية طبيعية ، وارجاع خصائصه ارجاعا تاما الى طريقة استعمال الشاعر ونوع تجربته . بل اعتقد ان بعض الاوزان لها خاصية الجهارة

والبروز بطبيعتها الايقاعية ، وبعضها لهـا خاصية الخفوت والخفة بطبيعتها الايقاعية · وليس علماء الاصوات هم الحكم فى هذا الشأن حتى نترك لهم التقرير كما يقترح الاستاذ السحرتى ، بل نقـاد الادب هم الحكم ، لأنهم يستمدون أحكامهم من ذخيرتهم العلمية والفنية التى يكتسبونها من علماء اللغـات وعلماء الاصوات ، ومن علماء الموسيقى ، ومن نقاد الفنون الاخرى ، ومن تجاربهم النقدية هم أنفسهم فى دراسة الادب · والاساس الايقـاعى لموسيقى الشعر الانجليزى مثلا ـ كما شرحت فى كتابى ـ هو بطبيعته أقل بروز ضربات من الاســاس الايقاعى التقليدى عندنا · وموسيقى القبـائل البدائية هى بطبيعة ايقاعهـا ، لا بطبيعة أهلها ونوع تجربتهم فحسب ، أشد حدة وبروزا من الموسيقى الكلاسيكية الغربية ، بحيث لو استعملها آخرون لما استطاعوا ان يخففوا من بروزها وحدتها الا فى مدى ضئيل ، كما نشهد فى موسيقى الجاز والانواع الاخرى التى تولدت منها وظهرت بعدها · أضف الى هذا ان بعض الاشكال الشعرية باسرافهـا فى القيود التى يلزم اتباعها أقل مرونة وطواعية وأقل سماحا بالتنويع ومنع الرتوب من بعض الاشكال الاخرى ·

وهذا يقودنى الى دعواى التى ادعيتها فى القسم الاخير من كتابى ، والتى كنت متشوقا الى ان اسمع فيها رأى ناقد أجله مثل الاستاذ السحرتى ، وهى **اعتقادى ان الشكل الشعرى الجديد اذا استمر فى تطوره فسينتهى الى تغيير جذرى فى أساس الايقاع العربى نفسه ، كتحويله من الاســاس الكمى الى الاساس النبرى · ولعل الاســتاذ الجليل تواتيه فرصة مقبلة فيناقش هذا الرأى الذى يحتـاج الى نقاش مثله ·**

– ٤ –

يرى الاســتاذ السحرتى انى كنت مبالغـا حين ادعيت وجوب اقتراب الشعر من لغة الحديث الحية · ويقول اننى اعتمدت فى هذا على ماقاله ت·س·ت·اليوت **(وياليت المجال قد سمح له بأن يضيف انى لم اقتصر على الأخذ من اليوت لمجرد المحـاكاة والتقليد ، بل حاولت أن أدلل على صحة كلامه بالنظر فى الطبيعة الاصيلة لشعرنا القديم نفسه)** · ويعلل قول اليوت بان اليوت أراد مصطلحا لغـويا يخالف المصطلح الرومانسى المجنح ، وهو ما ذكرته فى كتابى أيضا ، ويضيف تعليلات أخرى تشـهد بدقة فهمه وجودة تتبعه لتيارات الشعر الغربى الحديث · ثم يقول ان التعبير الشعرى يختلف باختـلاف شخصية الشاعر ومزاجه ، فقد يميل أحدهم الى الاناقة ، والآخر الى المـلاحة ، واللطافة الاسلوبية ، وليس لنا أن ننعى عليه أسلوبه مادام يحمل لنا ما ينطوى عليه وجدانه فى صدق · وينتهى الى ان الحقيقة التى لا يختلف عليها احد هى أن الاساليب متنوعة فى كل جيل ، ومختلفة باختلاف كاتبيها ، والمقياس الذى يكتفى فى تقويم الشعر بالنظر الى ما يحمل من لغة الكلام هو مقياس ابتر وضئيل الشأن ، فهناك قيم فنية أخرى لابد أن ينظر فيها ويحكم عليها ·

هنا ايضا اجدنى أوافق الاستاذ الجليـل موافقة تامة على بعض آرائه ، وموافقة جزئية على بعضهـا الآخر ، وليس من آرائه هذه ما أرفضه رفضا مبدئيا باتا · فلا شك ان الاساليب تتنوع فى كل جيل ، وتختلف باختلاف كاتبيها ، ولكنى أعتقد انها يمكن ادراجها فى نهجين واسعين عظيمين : الاسلوب الذى يقترب من لغة الكلام الحى ويستمد منهـا حيويته ونبضه وتهدجه مع واقع الانفعالات الانسـانية ، والاسلوب الذى يبتعـد عن هذه اللغة فيزيد فى التأنق أو التلطف والتـظرف أو التفخيم والتضخيم أو التنغيم والترقيق · وأحد النهجين قد يغلب على بعض العصور ، ثم يعقبه امتداد أو ارتداد الى النهج الآخر ، وان يكن كل عصر لا يخلو كما يقول الاستاذ من متبعين لكلا النوعين ·

ولا شـك ان اليوت فى تفضيله للاسلوب الاول ودعوته الى العودة اليه كان مدفوعا بالعـوامل التى ذكرها الاستاذ السحرتى ، ولكنى حاولت أن أدلل فى كتابى على ان مرحلتنا الشعرية الراهنة تسودها عوامل مشابهة شديدة القرب ، فنحن ـ فى فترتنا هذه ـ فى حاجة الى نظير ثورة اليوت على المصطلح الشعرى السـائد ، ودعوته الى العودة الى الاقتراب من لغة الحديث الحية · ولا أظن الاستاذ السحرتى سيخالفنى فى طغيان أسلوب الاصطناع والتفخيم أو المبالغة فى الترقيق فى أغلب تقديرنا الادبى السائد · وأنا أوافقه على ان أى أسلوب يكون عصريا اذا عبر باقناع وصدق عن عقل الانسان المعاصر وعاطفته ، ولكنى أعتقد ان هذا العقل وهذه العاطفة للانسـان المعاصر الحق لا يعبر عنهما أسلوب الاصطناع «باقناع وصدق» ، فقد بلغ هذا الاسلوب عندنا نهاية استغلاله حتى استنفد وتاقت النفوس الحسـاسة والاذواق الناضجة الى تعديل على هذا الذوق المسيطر ·

ولا شك أبدا فى أن الاستاذ السحرتى محق تمام

الحق فى قوله ان الاكتفاء فى الحكم على الشعر بمدى اقترابه من لغة الكلام يكون مقياسا أبتر . فان كنت فى بعض فصولى قد وضعت هذا المقياس فى المحل الاول فان ذلك لم يكن الا محـــاولة لعدل الميزان الذوقى المختل الذى يؤثر فى أغلب الاحيان أسلوب الاصطناع والتحلف على الاسلوب المقترب من الكلام الحى فى بساطته وصدقه وتهدجه مع الانفعال الحقيقى الحار . فان تكن هناك قيم فنية اخرى يجب أن تدرس فلعلى لم اغمط هذه القيم حقها فى دراساتى المتعددة لتراثنا الشعرى ، بل قـد درست فى بعض فصولى ومقالاتى أسلوب الجهارة والفخامة نفسه فأوفيته حقه من التقدير حين يصدر عن طبيعة شعرية صادقة وحين يتناول موضوعا صـــادقا يستدعى الجهـارة والفخامة ، كما حللت شعر المتنبى البطولى وحاولت الاهتداء الى أسرار اجادته الفائقة فى مقالتى المنشورة بالعدد ٢٨ من الثقافة .

أما وقد أديت واجبى النقدى هكذا فلا أظن أحدا ينكر على أن أبين تفضيلى للنهج الآخر من الاسلوب ، وبخاصة اذ هو النهج الذى اعتقد اننا الآن فى حاجة الى تغليبه . وأنا بعد مازلت أعتقد ان النبع الاصيل الذى يستقى منه كل شعر هو روح الشعب الممثلة فى كلامه اليومى الحى . فاذا كنا نسمح للشعراء حينا بالمضى فى التانق ، فان لنا أن نراقبهم حتى لايوغلوا فيه الى حد الاسراف فى الاصطناع الذى يوقعهم فى الكذب والافتعال وينأى بهم عن حقيقة اللغة الانسانية الحية ويعزلهم فى أبراج متعـــالية أو ينقطع بهم فى اودية تامة الزيف والتزوير . فاذا وجدناهم قد بلغوا هذا المدى أو قاربوه ــ وهو ما يحدث دائما فى نهاية كل عصر أدبى حين يستنفد العصر مصطلحـه الفنى الخاص ويأخذ فى تكراره واجتراره والمغـالاة فيه ــ كان حقا لنا ، بل كان واجبـا علينا ، أن نزجرهم ونحاول ردهم الى ذلك النبع الاصيل ليستقوا منه ما يعيد الصدق ويجدد الحيوية فى شعرهم . وهذه هى المرحلة التى انتهى اليها شعرنا العربى ، وجمد عليها منذ مئات السنين ، حتى بدأنا نثور عليها فى عصرنا هذا ، وبلغت هذه الثورة أقواها فى شـعر الشكل الجديد .

ــ ٥ ــ

يرى الاستاذ السحرتى ان الغثاثة التى شكوتها فى كثير من الانتاج الذى نظم على الشكل الجديد ، ليس سببهـا ما ذكرت من الاسراف النـاشىء من التعصب الشديدللمذهب الواقعية ، أو تصنع التجديد، بل أساسها عدم وجود نظام ايقاعى منظم ذى قواعد يسير عليها الشاعر ، الامر الذى أشاع الفوضى ، والقيود التى توضع على الحرية خير مرات من العبث والفــوضى ، وهى اذا عرفت وأصــبحت غريزية م تتعارض مع الحرية والطلاقة .

وانا أوافقه بطبيعة الحال على ان كل شعر لايمكن أن يتحرر من كل قيد ، وقـد خصصت من كتابى فصلا أثبت فيه ضرورة النظام الوزنى لكل شعر . وكل مذهب شعرى يضع لنفسه قيوده التى يتبعها عن طواعية ورضى ، لانسجامها مع طبيعته وأهدافه الفنية ، فلا يتعارض اتباعه لها مع حريته وطلاقته . وانا لم أعترض على القيود التى حاولت «نازك الملائكة» فرضها على الشعر الجديد ــ والتى يقول الاستاذ السحرتى انه هو ايضا كان من بين المعترضين عليها، لكنه يدعو الى اعادة النظر فيها ومحاولة تعديلها ان امكن ــ لم أعترض على تلك القيود الا لتعارضها التام مع طبيعة هذا الشعر وأهدافه ، كمـــا شرحت فى كتابى تفصيلا .

لكننى لا ارى ان الشعر الجيد الذى انتجه خيرة شعرائنا الجدد ، والذى يعجب به الاستاذ السحرتى بما لايقل عن اعجابى ، هو كما اتهمه خصومه خلو من جميع القيود . فان يكن مصطلحه الفنى لم يتحدد بعد ، وان كان لم يصل بعد الى ما يطلبه الاستـاذ السحرتى من « **طراز شعرى بسيط ثابت يستطيع القارىء أن يفهمه ويتذوقه غريزيا** » ، فهذا شىء طبيعى يجب ألا نستغربه ، اذا راعينا حداثته ، فعمره لايزيد على سبع عشرة سنة ! وبخاصة اذا راعينا انه جاء بعد قرون متطاولة من سيطرة الشكل التقليدى .

وأنا لااتعجل وضع هذا المصطلح وتحديده كمـا يتعجله الاستاذ السحرتى ، بل أرحب بفرصة اطول للتجربة والمحاولة والتلمس والاستكشاف . فان كنت اسلم بان التجربة بطبيعتهـا لا تخـلو من الخطـأ والشطط ، واسلم أيضا بان عدم تحـديد المصطلح يترك الباب مفتوحا للأدعيـاء المتطفلين ، فهذا عندى خير من التعجيل بوضع قيود تبنى على انتاجات غير كافية ، وتتسبب فى تضييق الخناق على الشعـر الجديد . وضريبة الخطأ وسهولة التطفل هى الضريبة التى يجب أن نؤديها عن طواعية وصبر فى سـبيل توفير الجو المنطلق الذى يلزم هذا الشعر بعد القرون الخانقة التى كتمت أنفاس شعرنا العربى .

« **دكتور محمد النويهى** »

مع النيل ..

للدكتورة نعمات أحمد فؤاد

- ٨ -

البعثات الأجنبية والمصرية التى أسهمت فى مشروع إنقاذ آثار النوبة من سنة ٦٠ - ١٩٦٤

١ ـ بعثة مركز البحوث الامريكية : فى منطقة جبل عدا جنوب (ابو سمبل) وقد عملت موسمين سنتى ٦٣ ، ٦٤ .

٢ ـ بعثة جامعة شيكاجو : فى منطقة بلانة وقسطل وقد عملت فى مواسم سنة ٦١ ، ٦٣ ، ٦٤ (الموسم اربعة شهور وتفضل عادة شهور الشتاء) .

كما قامت بعثات لمصلحة الآثار عام ١٩٥٧ ، ١٩٥٨ بحفر الجبانات الملكية فى قسطل وبلانة التى لم تكشف عنها بعثة الاستاذ امرى استاذ المصرولوجيا بجامعة لندن عام ١٩٣٤ ودلت نتائج الكشف كما يقول كتاب (مشروع انقاذ آثار النوبة) « على انه لاتزال هناك آثار غنية ، حتى فى المواقع التى تناولها من قبل معول الحفار »

٣ ـ بعثة جامعتى بنسلفانيا وييل معا : عملت مواسم سنة ١٩٦٠ ، سنة ١٩٦١ ، سنة ١٩٦٢ ، سنة ١٩٦٣ ، سنة ١٩٦٤ فى منطقة توشكى وارمنا جنوب عنيبه .

٤ ـ بعثة جامعة ييل : وهى بعثة اخرى قامت سنة ٦٤ بمسح اثرى للمنطقة كلها شرقا من ادندان وهى آخر قرية مصرية فى الجنوب تقع على الحدود بين مصر والسودان ، الى كروسكو .

وقد قامت قبل ذلك اى سنة ٦٣ بجس منطقة كوم امبو تمهيدا لتهجير النوبيين اليها واستصلاح الأراضى الزراعية

٥ ـ بعثة جامعة مدريد : عملت : فى منطقة توماس ومصص اربعة مواسم من سنة ٦١ ، الى سنة ١٩٦٤ .

٦ ـ البعثة النمساوية : عملت فى منطقة السيالة ثلاثة مواسم من سنة ٦٢ الى سنة ١٩٦٤ .

٧ ـ البعثة التشيكية : عملت بادىء الامر فى منطقة طافا سنة ١٩٦١ ثم فى منطقة كروسكو سنة ٦٣ . وهى الآن تقوم بمسح اثرى من كلابشة الى كروسكو .

٨ ـ البعثة الروسية : عملت (بالعلاقى) سنة ٦٢ و سنة ١٩٦٣ .

٩ ـ البعثة الهندية : عملت موسما واحدا وهو موسم سنة ٦٣ فى منطقة عافية .

١٠ ـ بعثة معهد الآثار الالمانى : عملت فى موسم سنة ٥٩ و سنة ٦٠ فى منطقة عمدا (شمال معبد عمدا) وفى صيف سنة ٦٣ وقد قامت بحفائر فى اساسات معبد كلابشة بحثا عن اشياء دفينه تحت المعبد . وقد عثرت على حجارة معبد يعتبر اقدم من معبد كلابشة .

١١ ـ بعثة معهد الآثار الفرنسى :

وقد قامت بحفائر فى منطقة معبد السبوع سنة ٩٦١ و سنة ٩٦٤ اى موسمين .



« معبد وادى السبوع »

١٢ ـ **البعثة اليوجوسلافية** : قامت بنقل نقوش الكنيسة التى كانت موجودة فى معبد وادى السبوع، وكذلك نقوش كنيسة (ابو عوده) وذلك اواخر سنة ٦٣ واوائل سنة ١٩٦٤ .

١٣ ـ **بعثة ستراسبورج** : قامت بحفائر فى قرية الشيخ داود احدى قرى منطقة توماس موسمين سنة ٦١ ، سنة ١٩٦٤ .

١٤ ـ **البعثة الانجليزية** : قامت بمجهود جبار يعتبر اول مسح اثرى للمنطقة من وادى حلفا حتى الشلال الاول وذلك فى موسمى سنة ١٩٦٠ ، سنة ١٩٦١ ثم قامت بحفائر فى منطقة (قصر ابريم) فى موسمى سنة ٦٣ ، سنة ١٩٦٤ .

وقد وجدت البعثة الانجليزية مسجدا كان اصله كنيسة ثم حول الى جامع وجدوا به « سلما » كشف تنظيفه عن كنيسه يرجع تاريخها الى العصر الذى وقعت به موقعة الشهداء حين كان المسيحيون يلجأون الى التخفى ويبنون كنائسهم تحت الأرض وقد وجدت البعثة قسيسا مدفونا بملابسه وفى جيوبه كتابان باللغة القبطية ستقوم البعثة بتقويتهما حتى يمكن قراءتهما . كما وجدت البعثة اوراق بردى .. ومخطوطات قبطية ويونانية وعثرت على لفة كبيرة من الورق يبلغ طولها بضعة امتار ويرجع تاريخها الى العصر القبطى مكتوبة باللغة العربية لم تنشر بعد نشرا علميا . كما تعرفت البعثة الى اسم امنمحت الاول منقوشا على الجدار ويؤيد هذا الرأى القائل بان امه نوبية . ومعنى امنمحت :

الآله آمون فى المقدمة او الآله آمون يرشدنى .

واسم المدينة باللغة اليونانية (بريمس) وقد أخذ اليونان الاسم سنة ١٩٢٧ قبل الميلاد تقريبا عن الاسم الفرعونى (عم) الذى تطور الى برعم (بر = بيت) ثم برم .

فقال اليونان بريموس ثم بريمس وجاء العرب فقالوا ابريم ...

وتحت هذه الكنيسة وجدت البعثة الانجليزية كنيسة اخرى يفضى درجها الى مدخل خارجى يرجح انه كان مدخلا سريا .

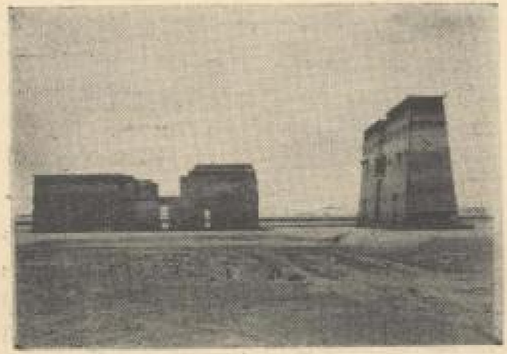
١٥ ـ **البعثة الهولاندية** : عملت بالمنطقة شمال معبدى (ابوسمبل) فى موسمى سنة ٦٣ ، سنة ١٩٦٤ وقد اكتشفت فى هذه المنطقة كنيسة بها نقوش تمثل القديسين والكنيسة مبنية من اللبن والحجرات مغطاة بالرمال مما ساعد على حفظ النقوش بها .

١٦ ـ **البعثة البولاندية** : قامت بحفائر سنة ٦١ فى دابود بعد ان كانت مصلحة الآثار قد قامت بنقل المعبد سنة ١٩٦٠ ولكنها لم تجد شيئا .

١٧ ـ **بعثة جامعة القاهرة** : برئاسة الدكتور عبد المنعم ابو بكر . وقد قامت بحفريات فى منطقة عنيبة من سنة ١٩٥٩ حتى سنة ٦٤ وقد عثرت على مبان من العصر المتأخر ما بين ٦٠٠ سنة و ٧٠٠ سنة قبل الميلاد .

كما عثرت على [illegible] وعقود وجبانه من الدولة الحديثة .

١٨ ـ **البعثة الايطالية** : فى سنة ٥٩ ، سنة ١٩٦٠ درست قلعة سباجور او قلعة اخمندى دراسة علمية . وفى صيف سنة ٦٢ ، سنة ٦٣ عملت البعثة الايطالية بقلعة كوبان شرق الدكة .



« معبد الدكة »

١٩ ـ **بعثة متحف تورينو بايطاليا** : عملت موسمين ، موسم صيف سنة ٦١ والموسم الثانى صيف سنة ١٩٦٢ .. وقد قامت بحفائر فى قرية دهميت وعثرت على لوحات حجرية مكتوبة وقامت بدراسة بعض المقابر التى قام الدكتور احمد فخرى بكشفها سنة ١٩٣٠ عند التعلية الاخيرة لخزان اسوان .

وقد سبقت هذه البعثات ، بعثات اخرى مصرية واجنبية فى القرن العشرين وخاصة منذ بدأ التفكير فى انشاء السد العالى .

وبالمناطق الاثرية فى النوبة ، غير البعثات ، شركات عدة فهناك شركة بشور للمقاولات ومجالها :

بيت الوالى ــ معبد وادى السبوع ــ مقبرة « حاكم بلاد النوبة فى عهد رمسيس السادس » ــ بنوت عنيبه .

وتتولى معبد عمدا شركة فرنسية تعاونها شركة مصر للاسمنت المسلح .

واظهر الشركات فى المنطقة شركة « هوختيف » الالمانية وان كانت فى الحقيقة شركة مساهمة من جميع الدول .

وقد ظفرت شركة « هوختيف »بامتياز مشروع رفع « ابوسمبل »

وشركة هوختيف هذه هى التى نفذت كهرباء خزان اسوان سنة ١٩٥٦ ــ سنة ١٩٥٨ بعد العدوان الثلاثى وكان المشروع فى يد شركة مرسيليا الفرنسية سنة ٥٣ ــ سنة ١٩٥٦ .

عند معبد «ابوسمبل» تتحرك اسطورة حية وجه مصرى سمح لوحته الشمس ترف عليه دائما ابتسامة طيبة ... الوجه والابتسامة لحجار مصرى يناديه المهندسون والخبراء مخلصين « الريس حبشى » ويعاملونه وهم المثقفون والاعلون فى سلم التمدن الاجتماعى معاملة الاتباع للرئيس . لكل مشكلة عنده حل ولكل سؤال جواب هكذا يعتقدون ويقولون . وليس الامر وقفا على الهندسة والبناء والاحجار بل الطب ايضا يلجأ النازلون بساحة ابوسمبل ، كلهم اليه من متعلمين واميين فهو يجبر الكسور ويطب للملدوغ وسيظل وحده صاحب هذا الامر حتى تنتقل وحدة طبية صغيرة الى المكان السحيق .

واقبل الرجل من بعيد وتدافعت الاصوات والاصابع كلها تقول : الريس حبشى . حسبته فى الاربعين من خطوته السريعة المتدفقة وقامته المنتصبة ووجهه المتورد وبشرته المستوية وبشره الفياض واكثر من هذا استهانته بالصعاب التى تفغر لها افواهنا من الدهشة .

وكم من قصص للريس حبشى .

وهذه قصة :

كان ذلك سنة ١٩٤٧ حين خرجت بعثة فى مهمة الى معبد هيبس فى الواحات الخارجة لترميمه . ولم يكن الطريق ممهدا او معبدا فاستقل افرادها عربات الحدود . وسار الريس حبشى وعماله واسرائهم ومعه المهندس ابراهيم عبد العزيز فاختلفا على الطريق وانصاعت الرحلة لراى المهندس بالطبع فلم تبلغ الغاية لأنها ضلت الطريق دونها وتعطلت السيارة فتحرك (الريس) حبشى من جديد وتطوع .. للاستطلاع . ولمح طريقا سار فيه وحين كر راجعا استهدى جبلا آخر فضل بدوره طريقه وظل ضالا ثلاثة ايام كانت البعثة اثناءها بلغت الحدود وابلغتها وقامت الحدود بابلاغ مصلحة الآثار . وخفت الطيارات تجوب المكان بحثا عن الرجل الجواب .

وفى فترة انقطاعه عن الركب لمح سيارة كبيرة محملة بالصفائح فجر نفسه اليها يتوكأ على عصاه اغبر اشعث فخافوا منه حتى اطلقوا سيقانهم للريح وهو ينادى بهم مستنجدا حتى زايلهم الخوف ورقوا له فعادوا ادراجهم .

ويبتسم الريس حبشى من قسوة الانسان احيانا ، ويقول : عرفوا قصتى فطلبوا الى مقابل مساعدتهم ان انقل الصفائح التى كانوا خلفوها حين ولوا هاربين منى ، الى سيارة النقل التابعة لهم . انا الذى لا اقوى على حمل جسمى الواهن من الجوع والطريق ..

ــ وماذا صنعت ياريس حبشى .. ؟

ــ ان المضطر يا ابنى مجبور .. امتثلت للأمر وحملت الصفائح المملوءة بكل ضعفى .. بكل عذابى .

وروى لى الاستاذ عبد الحفيظ عبد العال كبير مفتشى الآثار وامين منطقة الاهرام المنتدب انه حين تقرر نقل آثار تونه الجبل والمنيا الى مبنى .. المطاق فى ملوى لتخزينها . حدث ان تخلف ناووس من حجر الجرانيت الرمادى فى الشارع امام تفتيش

الآثار بملوى . وحدث بعد هذا ان انتقل التفتيش الى شقة على النيل وتركوا الناووس اعتمادا على ثقله وعدم امكان سرقته .

ويبدو ان الناووس راق اطفال الصعيد فدار لعبهم حوله ..

وذعر صاحب البيت فكتب الى مصلحة الآثار طالبا نقله اخلاء لمسئوليته . فطلبت المصلحة الى كبير مفتشى الآثار نقله الى المخازن الجديدة اى مطاقى ملوى . يقول الاستاذ عبد الحفيظ عبد العال :

احضرت عمال تونة الجبل ورئيسهم السيد بشارى من قفط واخذنا فى نقل الناووس فى الساعة الثامنة صباحا ، الى المخازن .

واقترح رئيس مجلس مدينة ملوى الدكتور ناجى سيف النصر ان يوضع امام مدخل مجلس المدينة وهو فى الطريق الى المخازن (المطاقى) فسررت لانه يوفر جهدا كبيرا .

ولما لم يكن عندنا ونش فقد وضعناه على درافيل (مواسير) تستند الى حصيرة من الواح الخشب تجرى عليها . واخذ العمال يسحبونه بالحبال حينا ويدفعه آخرون .

واستمر العمل من ٨٫٥ صباحا الى ٥٫٥ مساء والشهر رمضان والجوحار والمسافة خمسون مترا فاعتبرناه عملا عظيما حتى بلغ من سرورى انى نفحت العمال مالا تقديرا لجهودهم ..

ومر عام وجاءت عملية نقل آثار فى ملوى .. فكتب المفتش الذى عهد اليه بالناووس ، الى مصلحة الآثار راجيا نقله الى المخازن اخلاء لمسئوليته . وهنا وقع العبء على من جديد ولم اجد بدامن مصارحة المسئولين .

لا .. ابحثوا عن مهندس ينقله بوساطة ونش او كلفوا الريس حبشى بنقله . ليس لهذا الامر غيره .

(فكلفوا) الريس حبشى واستدعوه الى ملوى لنقل الناووس ..

ونظر الريس حبشى الى الناووس ونظرنا اليه ماذا عساه فاعلا ولم يطل انتظارنا لقد اختار الرجل العتيد اربعة من عمال تونه الجبل الذين سبق لهم العمل فى نقل الناووس .

وبدأ الريس حبشى العمل الساعة ١٢ ظهرا وبعد ساعة ونصف اى فى الواحدة والنصف كان الناووس داخل مخازن المطاقى .. وبقى ان نعرف ان المسافة الثانية كانت ضعف المسافة الاولى ..

ـ كيف ؟

ـ احضر الرجل الخبير درافيل اكبر قطرا واستخدم ثلاثة درافيل بدلا من اثنين ووضعها تحت الناووس على مسافات فى وقت واحد ، وبدأ رجلان من أمام يشدان الناووس بالحبل حين كان حبشى والعامل الثالث يدفعانه من الخلف وكلما خلا الدرفيل الخلفى اسرع « الريس » بوضعه امام الناووس ، هذا وحركة السحب والدفع مستمرة .

وفى استحياء واكبار معا يقول الاستاذ عبد الحفيظ : لقد استخدمت انا درفيلين فكان الناووس فى تدافعه الى الامام يقع على الارض من خلف فنحضر (عتلة) ونرفعه من الارض ونحمله على الدرفيل الامامى ريثما نضع الدرفيل الثانى فى الامام هذا فضلا عن ان كثرة عدد العمال يحدث ارتباكا ..

والآن يضطلع الريس حبشى بنقل اللوحات الضخمة فى معبد «أبوسمبل»وعددها٦٥ لوحة يبلغ وزن الواحدة منها عشرات الاطنان . ويسرح ببصره الى مقر شركة هوختيف التى ستتقاضى عشرة ملايين من الجنيهات مقابل نقل المعبد ويبتسم وأسمع ابتسامته تقول بغير حروف :

آه لو عهدوا بالمعبد الى ...

ولكنها شركة هوختيف اما هو .. فرجل بسيط اسمه .. حبشى .

« دكتورة نعمات احمد فؤاد »

هل لشريعة القصاص أثر في

التشريع الحديث

بقلم أحمد فتحي بهنسي

قال الله تعالى :

« ولكم فى القصاص حياة يا اولى الالباب . »

وقال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم :

« كتاب الله القصاص »

ومن يتدبر هذه النصوص يجد التشريع الاصيل الذى يقضي على جرائم الدم .

وقد اختلف الفقهاء المحدثون فيما اذا كان لعقوبة القصاص اثر فى التشريع الوضعى الحديث . فيقول بعضهم : ان القصاص ما زال جزءا من التشريع المصرى حتى اليوم ومن الواجب على المحاكم الجنائية ان تحكم به متى طلب منها ذلك وان رفضته كان حكمها مخالفا للقانون .

ويستدلون على ذلك بالحجج الآتية .

١ — تنص المادة السابعة من قانون العقوبات الحالى : « لا تخل احكام هذا القانون فى اى حال من الأحوال بالحقوق الشخصية المقررة فى الشريعة الغراء » فيظهر من وضوح هذا النص ان المشرع يقرر ان هذا القانون لا يمكن ان يلغى حقا شخصيا قررته الشريعة .

٢ — احكام الشريعة الاسلامية كانت متبعة فى الامور الجنائية من قبل ان يبدأ التشريع الحديث فى سنة ١٨٨٣ بما فيها من حدود وتعازير وديات وقصاص .

٣ — سكوت المشرع المصرى الحديث فىنصوصه عن مبدأ القصاص دون التكلم عنه بالابقاء او بالالغاء مع نصه على الديات اقرار للحالة السابقة على تشريعه فى هذا الشان .

ويرى آخرون ان حق القصاص قد زال من الوجهتين العملية والنظرية ويستدلون على ذلك بالحجج الآتية .

١ — روح التشريع الحديث بما قرره من عقوبات وضعية تتولاها الدولة دون الافراد وبما رتبه من محاكم جنائية تختص بنظر الجرائم ، وبما احتواه من المبادىء الجوهرية التى تعتبر اسسا لكل تشريع جنائى ومنها مبدأ ان لا عقوبة بلا نص فى القانون ، انما يقتضي بكل ذلك فى صورة قاطعة زوال الانتقام الشخصي والغاء حق القصاص من الوجهة العملية ومن الوجهة النظرية معا .

٢ — حرص المشرع عند وضعه القانون الاهلى فى سنة ١٨٨٣ على ان يستبعد من نصوصه كل اثر لفكرة القصاص فلم يجار القانون العثمانى الصادر فى سنة ١٨٥٨ ولم يجار القانون المختلط الصادرفى سنة ١٨٧٥ فى النص على جعل عقوبة الاعدام فى القتل متوقفه على ارادة اولياء الدم ، بل اغفل هذا النص مجاراة لروح العصر الحديث .

وبناء على ما تقدم لا يمكن ان يدخل حق القصاص فى نطاق الحكم الوارد فى المادة السابعة .

والواضح انه لا اثر لتطبيق تشريع القصاص فى مصر ، وهذا استتبع كثرة جرائم القتل لاسبابمختلفة ودعا البعض الى الثار بانفسهم لقتلاهم معتقدين بأن الاحكام التى وردت فى القوانين الوضعية لا تشفى غليلهم ولا تأخذ بتلابيب القاتل .

لذلك انصرفتطوائف منعلماء الاجتماع والقانون لبحث هذه المشكلة فدعا ذلك المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية بالجمهورية العربية المتحدة الى ان يخصص فى اعمال الحلقة الاولى لمكافحة الجريمة المنعقدة فى القاهرة فى المدة من ٢ الى ٥ يناير سنة ١٩٦١ قسما منها لبحث جرائم الثار ومكافحتها .

ومما جاء فى أعمال هذا القسم :

« ان مشكلة الثار ومكافحته مشكلة بالغة الأثر رغم ما يبذل من مجهود لوضع حد لها وهى بالغة الأثر — بصفة خاصة — فى مجتمعنا العربى حيث لم

تستطع النظم القانونية تحقيق فاعليتها الكاملة فى جميع انحاء البلاد وفى مختلف الظروف ، مما اتاح لهذه الظاهرة ان تظل قائمة حتى اليوم .

وتعنى الحلقة بالثار « القتل للقتل انتقاما » وهى ظاهرة انحدرت تاريخيا من عهود كانت السلطة العامة فيها قاصرة عن اداء وظيفة القصاص كاملة : والثار بهذا المعنى انتقام لجريمة قتل سبقته مما يقتضي مكافحة جريمة القتل بصفة عامة والثار بصفة خاصة وتعقب عوامل كل منها والكشف عن الوسائل اللازمه للتغلب على هذه العوامل وتلك » .

ومما جاء فى توصيات هذه الحلقة علاجا لهذه المشكلة :

(أ) ان تكفل الاجراءات القضائية سرعة البت فى جرائم القتل ، وان تكون عقوبة القتل للثار رادعة بالقدر الكافى لتهدئة ثائرة ذوى المجنى عليه وردهم عن محاولة القصاص بانفسهم ولارضاء الشعور العام .

(ب) أن يتوافر على القضاء فى جرائم القتل عامة وجرائم الثار خاصة قضاة لهم من الخبرة والتخصص ما يجعلهم اقدر على معالجة هذه المشكلات قانونيا واجتماعيا مع زيادة الاهتمام بالعلوم الاجتماعية فى مجال الدراسات القانونية .

(ج) العناية بايفاد الاخصائين فى الارشاد الدينى الى المناطق التى تكثر فيها جرائم الثار .

***

وفى الواقع ان المشرع الاسلامى كانت رغبته اكيدة فى ان يسترعى النظر الى ان جريمة القتل جريمة شنيعة لا تخص المجنى عليه او عائلته وحدها بل تخل بأمن المجتمع ونظامه .

قال الله تعالى :

« من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا »

ولذلك فمن يقول ان فكرة القصاص فى الاسلام تجعل من جريمة القتل جريمة خاصة غير مصيب لسببين :

١ ــ ان الذى ينفذ القصاص هو ولى الامر أو من يفوضه فى ذلك ، وليس هو المجنى عليه او ولى الدم والا كان فى ذلك فساد وتخريب .. وولى الامر ينفذ ما يختاره المجنى عليه من قتل او عفو او دية .

وورد فى الجامع لاحكام القرآن للقرطبى : لا خلاف ان القصاص فى القتل لا يقيمه الا أولو الامر فرض عليهم النهوض بالقصاص واقامة الحدود وغير ذلك ، لان الله سبحانه طالب جميع المؤمنين بالقصاص ، ثم لا يتهيا للمؤمنين جميعا ان يجتمعوا على القصاص فاقاموا السلطان مقام انفسهم فى اقامة القصاص وغير ذلك من الحدود .

٢ ــ اذا عفا ولى الدم عن الجانى فلا يسقط حق السلطة العامة فيعزر بالجلد مائة والسجن عاما .

وبهذا قال مالك والليث وعمل به اهل المدينة وروى عن عمر بن الخطاب ، ورد فى حاشية الدسوقى على الشرح الكبير :

« وعلى القاتل عمدا البالغ اذا لم يقتل لعفو جلد مائة وحبس سنة » .

واختلف فى المقدم منهما فقيل الجلد وقيل الحبس ولم يشطروها بالرق لانها عقوبة والرق فيها سواء ، والجارح عمدا يؤدب وان اقتص منه او اخذت منه الدية فى المتالف .

ان علاج مشكلة القتل لن يكون بغير تطبيق القصاص فهو كتاب الله به ينصلح ما اعوج من امورنا .

قال الفقيه العظيم ابن قيم الجوزية :

« لولا القصاص لفسد العالم ، واهلك الناس بعضهم بعضا ابتداء واستيفاء .فكان القصاص دفعا لمفسدة التجرى على الدماء بالجناية وبالاستيفاء . وقد قالت العرب فى جاهليتها **« القتل انفى القتل »** وبسفك الدماء تحقن الدماء ، فلم تغسل النجاسة بالنجاسة ، بل الجناية نجاسة والقصاص طهرة، واذا لم يكن بد من موت القاتل ومن استحق القتل فموته بالسيف انفع له فى عاجلته وآجلته ، والموت به اسرع الموتات واوحاها واقلها الما ، فموته به مصلحة له ولاولياء القتيل ولعموم الناس .

***

كم لله سبحانه على عباده الاحياء والاموات فى الموت من نعمة لا تحصى فكيف اذا كان فيه طهرة للمقتول ، وحياة للنوع الانسانى ، وتشف للمظلوم ، وعدل بين القاتل والمقتول » .

« احمد فتحى بهنسي »

أوديب

بين سوفوكليس وتوفيق الحكيم وعلي باكثير

بقلم
علي شلش صلاح

أسطورة الأساطير ... انبثق منها عدد ضخم من الروافد الأسطورية ، وشغلت الكثير من الشعراء والمؤلفين في العصور القديمة والحديثة منذ القرن الخامس قبل الميلاد حتى يومنا هذا .

حاكاها الشاعران اليونانيان (**اسكيلوس**) و (**يوريبيدس**) فكتب كل منهما مسرحية عنها . وحاكاها عدد من شعراء الرومان .

واستمرت المحاكاة متصلة في العصور الحديثة .. فنرى الشاعر الانجليزي (**دريدن**) في القرن السابع عشر يضع قصة (أوديب) .

ونرى الشعراء الفرنسيين منذ أواخر القرن السادس عشر قد عرضوا لها أيضا :

فوضع شاعرهم الكبير « **كورني** » قصة ممتعة أعجب بها معاصروه اعجابا شديدا عندما رأوها ممثلة على مسارحهم .

كما وضع (فولتير) قصة أخرى عنها في أول القرن الثامن عشر .

وفي قرننا هذا ـ القرن العشرين ـ اهتم بها كاتبان كبيران من الكتاب الفرنسيين هما (**أندريه جيد**) و (**جان كوكتو**) .

وهذه الأسطورة قديمة العهد ترجع الى عصور سحيقة وقد تحدثت عنها «الأوديسة» وذكرت خبرها في أحد أناشيدها ، والرأي الثابت عنها أنها أعظم الأعمال المسرحية الاغريقية على الاطلاق .

وتدور تلك الأسطورة حول أن (لايوس) ملك (طيبة) ، كان رجلا غير معقب ، فشكا ذلك العقم الى الاله (أبولون) ذلك الاله القوي ذي القوس الفضية الذي لا يسبقه في القوة سوى (زوس) وحده والذي يرتعد أمامه الآلهة الآخرون ، فأمر (أبولون) أن يولد له ولد ولكنه أخبره بأن ذلك الولد سيقتله ، وأن (لعنة) قاسية قد كتبت عليه نتيجة لجرم قديم كان قد ارتكبه وظن أنه قد أفلت من عقابه الى الأبد !.

وذلك الجرم هو أنه عند ما طرد من مملكته فر لاجئا الى الملك (بيلوبس) ملك (طنطالة) فآواه ذلك الملك الكريم وحماه من الأذى ، ولكنه بدلا من أن يعترف له بهذا الجميل جزاه جزاء (سنمار) ! فاختطف ابنه الطفل (كريسبس) !

ولما ولدت له زوجته (جوكاستا) ذلك الولد الذي أمر به الاله (أبولون) اضطرب باله واستبد به الخوف من تحقيق تلك النبوءة التي أنبأته بأن ابنه هذا سيقتله ، وأمر أن يؤخذ هذا الغلام ويطرح على قمة جبل يسمى جبل (كيترون) يقع في منعزل بعيد عن الناس ، وأن يقيد من رجليه ويترك هناك حتى يموت .

ولكن الصدفة ساقت راعيا من رعاة (كورنثوس) الى هذا المكان المنعزل فأبصر ذلك الغلام وفك القيود عن رجليه وحمله الى (بوليب) ملك (كورنثة) وكانت الملكة ـ واسمها « ميروب » ـ لم تنجب أطفالا ففرحت بالغلام فرحا كبيرا وعنيت به وأطلقت عليه اسم (أوديب) أي ذي القدمين المتورمتين !

وشب الغـلام فى ذلك القصر محوطا بالعنـاية والرعاية وهو لا يدرى شيئا عن نشأته الأولى ولا يداخله أى شك فى أنه ابن للملك (بوليب) وللملكة (ميروب) ..

ولكنه أخذ يسمع همسا خافتا يحمل تعريضا به وبمولده ، وأخذ هذا الهمس الخافت يتحول الى كلام سافر صريح حيث عيره أحد السكارى يوما بانه ليس ابنا للملكة والملك وانما هو لقيط !

ففزع الفتى من هذا الذى سمعه وأسرع الى معبد (دلف) يسال (أبلون) عن وجه الحقيقة فيما سمع ، ولكن (أبلون) لا يجيبه عما يسال عنه ولكنه يخبره بمـا هو ادهى وأمر ! ويؤكد له انه سـيقتل أباه ويتزوج أمه !

ويرتعد الفتى من هول ما يخبره به الاله ويقرر عدم العودة الى القصر فى (كورنثة) خشية أن يتحقق ذلك الأمر ويمضى بعيـدا عن أبيه (بوليب) الذى أنبـأه الاله بأنه سـيقتله وعن أمه (ميروب) الذى انباه بانه سيتزوجها حيث لم يكن يدرى بان له أبا او أما غيرهما !

ويأخذ طريقه الى (طيبة) ليأمن عدم تحقيق تلك النبوءة التى قيلت له فلا سـبيل الى تحقيقها وهـو بعيد عن أبويه هذين !.

وفيما هو سائر الى (طيبة) اذ يلتقى بعربة تحمل رجلا متقدم السن فيطلب اليه سائق تلك العربة أن يفسـح له الطريق فيـأبى عليـه ذلك ، فيشاجره السائق ويضربه الرجل الراكب بسـوطه فلا يسع « أوديب » الا أن يقتـل ذلك الراكب ويمضى فى طريقه الى (طيبـة) وكان ذلك الراكب هـو الملك (لايوس) !

فلما بلغ (طيبـة) وجد أهلهـا فى محنة عظيمة وبلاء شديد فقد وقف على بابهـا حيوان غريب ذو شـكل عجيب ، فهو يحمل وجه المرأة وصدرها كما يحمـل جسم الأسد وذنبـه وله جناحان يشـبهان جناحى الطائر .. وكان هذا الحيوان يسال كل من يمر به من أهل المدينة سؤالا واحدا وكان الجميع يعجزون عن اجابة هذا السؤال فيصرعهم واحدا اثر واحد ، فكانت المدينة من جراء ذلك فى فزع كبير ، وكان هذا السؤال هو : ما الحيوان الذى يمشى على أربع فى الصباح وعلى اثنين اذا غابت الشمس وعلى ثلاث اذا حل المساء ؟

وقد عظم شر هذا الحيوان واشتد بلاؤه على الناس حتى أعلن « كريون » أخو الملـكة والقـائم على أمور المدينة بعد مقتل الملك (لايوس) أن من ينتصر على هذا الحيوان وينقذ المدينة منه فجزاؤه أن يكون ملكا عليها وأن يتزوج ملكتها « جوكستا » .

فلمـا بلغ (أوديب) أبواب المدينـة التى عليـه الحيوان هـذا السؤال فأجابه بأنه الانسـان ! فهو الذى يمشى على أربع ـ همـا يداه ورجـلاه اللذان يزحف عليهمـا ـ وهو طفـل ، ثم يمشى على اثنين ـ هما رجلاه ـ عندما يبلغ الشباب ، ثم يمشى على ثلاث ـ هما رجلاه والعصا الذى تساعدهما ـ عند ما يبلغ المشيب الذى هو مساء الحياة !

وكان هذا هو الجواب الصحيح الذى عجز الجميع عن أن يأتوا به ، فيغتم ذلك الحيـوان لتلك الاجابة ويلقى بنفسه من فوق الصخرة فيخر ميتـا ويفرح أهل المدينة لذلك فرحا شديدا ويولون (أوديب) عرش المدينة ويزوجونه ملكتهم (جوكستا) .

ويعيش (أوديب) ملكا على المدينـة سبعة عشر عاما وينجب من (زوجته) ! هذه أربعة أولاد : ابنين هما (ايتوكليس) و (بولينيس) .. وبنتين هما (انتيجون) و (اسمين) .

وبهذا يتم الوحى كله وتتحقق النبوءة كلها دون أن يدرى (أوديب) من هذا شيئا !

وظهر فى المدينـة وباء الطاعون وعظم خطره على النـاس وأرسل الملك الرسـل الى معبـد (دلف) يستشيرون الآلهة فى أمر هـذا البلاء فاوحى الآلهة بأن هذا الوباء لن يرفع عن المدينة حتى يطرد قاتل (لايوس) منها ويعاقب على فعلته الشنعاء ، فأعلن (أوديب) أن هذا القاتل عدو للشعب لا ينبغى أن يأويه أحد أو يتستر عليـه احد ، وأخذ هو نفسه فى البحث عن القـاتل لينقذ المدينة منه ومن هـذا الوباء الذى يجره وجوده عليها فتهلك بسببه البذور فى الأرض والقطعـان فى المراعى وتصـاب النساء بالاجهاض العقيم ..

وفى سبيل ذلك يستدعى الكاهن العليم بالأمور (تريزياس) ليسأله عن ذلك (القـاتل) فيمتنع عن الاجابة ويستعطفه (أوديب) فيستمر فى امتناعه،

ثم يتوعده ويتهدده فيبوح بالحقيقة الكبيرة وهي أنه هو (القاتل) !

ويشك (أوديب) في هذا ايحسبها مكيدة دبرها (كريون) ليغتصب الملك منه ، ويأخذ في بحث الأمر من أوله مبتدئا باستدعاء الراعي الذي كان قد أخذ الطفل ليربطه في قمة الجبل ليسير التحقيق خطوة فخطوة حتى ينتهي الى غايته وتنكشف الحقيقة ناصعة لا تشوبها شائبة أو تعلق بها شبهة ..

وفي خلال ذلك يقدم من (كورنثة) رسول يطلب الى (أوديب) أن يعود ليكون ملكا عليهم بعد أن توفي ملكهم (بوليب) فيطمئن (أوديب) الى أن الشق الأول من النبوءة ـ وهوقتل أبيه ـ لن يتحقق لأن أباه قد مات !.. ولكنه ما زال خائفا أن يتحقق الشق الآخر من النبوءة ـ وهو زواج أمه ـ لأنها ما زالت هناك في (كورنثة) على قيد الحياة !

ويأبى العودة مع الرسول وتؤيده زوجته (جوكستا) في ذلك ، فيخبرها الرسول أنه ليس هناك ما يدعو الى الخوف من تحقيق تلك النبوءة لأن (أوديب) ليس ابنا للملكة (ميروب) التي يخشى الزواج منها وانما هو ذلك الطفل اللقيط الذي جاءوا به من قمة الجبل !

وفي تلك اللحظة يحضر الراعي الذي كان قد حمل (أوديب) الى الجبل وتتضح الأمور شيئا فشيئا ويجزم (أوديب) أنه دون سواه هو القاتل فيفقأ عينيه ويخرج من المدينة هائما على وجهه تقوده ابنته (أنتيجونا) ، وتقتل زوجته ـ التي هي أمه ـ (جوكستا) نفسها خنقا ..

***

تلك هي الأسطورة كما هي عند « **سوفوكليس** » اي في القرن قبل الميلاد ..

ونحن نعلم من حياة « سوفوكليس » انه كان محبا للآلهة يعظمهم ويجلهم كثيرا ، حريصا على المأثور من العادات ينزلها من نفسه منزلة القداسة .

ونعلم أنه تأثر الى حد غير قليل بحياة عصره الذي ظهرت فيه الفلسفة وخاصة فلسفة السوفسطائيين التي تقوم على التفنن في الجدل والمحاورة والاجتهاد في ايقاع المحاور والأخذ بتلابيبه والاحاطة به من كل جانب وتضييق الخناق عليه حتى لايجد لنفسه منفذا أو منصرفا ..

كما نعلم أن عصره هو عصر الكلاسيكية الجامدة التي تخضع للقواعد وللقضاء وللأوضاع المقررة ولا تحاول أن تخرق شيئا منها وان قل ..

كل هذا وسواه انعكست آثاره وبرزت مشاهده على (أوديب) سوفوكليس واضحة ملموسة .

فهو يجعل (أوديب) العوبة في يد المقادير تحركه لتنفيذ ما سطرته عليه وتدنيه منه خطوة خطوة وهو يحسب أنه ينأى عنه ويفر منه ! بل تجعله هو نفسه الذي يسعى الى حتفه بقدمه ، ويجد في البحث والاستقصاء والتحري ليصل في النهاية الى أنه هو القاتل الذي يجب أن يقتل جزاء وفاقا على جريمته ! وتتحقق بذلك النظرة اليونانية الكلاسيكية القديمة التي تجعل الانسان ضعيفا متناهيا في الضعف أمام قوى الآلهة ..

وهو يصب « اللعنة » على أوديب ، تلك «اللعنة» اليونانية الشهيرة التي لا يقتصر شرها على الانسان وحده وانما تتعقبه في ذريته واحدا بعد واحد حتى تأتي عليها جميعها ، فأوديب عندما تنكشف له الحقيقة ويعلم أنه قد قتل أباه وتزوج أمه يفقأ عينيه ويخرج من المدينة هائما على وجهه تقوده ابنته « أنتيجون » ، وتقتل أمه جوكستا ـ التي هي زوجته ـ نفسها ، ويختلف بعد ذلك ابناه « ايتيوكليس » و « بولينيس » على العرش ويؤول ذلك العرش الى « ايتيوكليس » ويخرج أخوه من المدينة وهو يضمر الشر لأخيه حتى يصل الى « أرجوس » فيتزوج من ابنة ملكها ويعود الى وطنه محاربا لأخيه ، ويقتل كل من الاخوين بيد أخيه ! وهكذا حتى تتحقق اللعنة الى آخر مراحلها !

***

وينظر **توفيق الحكيم** الى الأسطورة نظرة أخرى تتفق كذلك مع عقيدته الاسلامية التي « **ترفض فكرة الله المدبر لأذى الانسان تدبيرا سابقا دون مقتض أو جريرة** » كما يقول .

وهو يرى « أن « الموجب » لكارثة أوديب لا يمكن أن يكون حقد الآلهة المنطوى على الكيد والشر » ولا

يمكن كذلك ان يكون قد أراد اسقاط المسألة لتعارضها مع عقيدته كما يقول أيضا ، ولكنه قد جعل الموجب للكارثة « طبيعة أوديب ذاتها ، طبيعته المحبة للبحث فى أصول الأشياء الممعنة فى الجرى خلف الحقيقة » ٠

كما ان لها عنده « موجبا » آخر وهو « عمل ترسياس وتدخله فى الأمور السائرة فى مجراها ٠٠ لأن كثيرا من الانقلابات التاريخية والمحن البشرية يرجع فى أغلب الأحيان الى ارادة رأس كبير وتمرد بصيرة عمياء » ٠

وهو يفسر سلوكه فىالمسرحية وتجريده (أوديب) من عظمته الأسطورية ليضفى عليه عظمة أخرى صادرة عن فضيلته البشرية ٠٠٠ يفسر هذا بأنه رجوع الى روح الدين الاسلامى الذى يفاخر نبيه العظيم بأنه « بشر » يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ٠

أما على أحمد باكثير ـ وهو آخر من كتب تفسيرا لهذه الأسطورة فى مسرحيته ـ فلن يتأتى لك أن تفهم طبيعة مسرحيته هذه التى أطلق عليها ـ عن قصد ـ اسم « مأساة أوديب » الا اذا فهمت طبيعته هو ، فهو رجل لا يشغل نفسه شاغل سوى قضايا العرب ، يراها فى يقظته وفى أحلامه وتملك عليه وحدها كل أمره ٠٠

فلما حلت « النكبة الكبرى » ـ أى نكبة فلسطين ـ بالعرب امتلأ الرجل هما وغما وذهبت نفسه حسرات على تلك الهزيمة النكراء ٠٠ والرجل صاحب قلم يكتب به المسرحيات ينفض فيها آلامه ٠٠٠ ولقد ظلت تلك الهموم تعتمل فى نفسه وتضطرب فى حشاياه وهو يبحث عن الموضوع الذى يفرز فيه هذه الهموم دون وعى ودون شعور الى أن اهتدى الى موضوع « أوديب » دون أن يدله عليه أحد سوى ما يفيض بنفسه من آلام ٠٠

لقد وجد فى « مأساة » أوديب مشابه قوية من « مأساة » العرب فى فلسطين !

أليست النبوءة التى اطلقها « الكاهن الاكبر » قبل مولد أوديب ثم وجه جميع الأحداث لتحقيقها ، هى تماما « وعد بلفور » الذى اطلقه هذا الوزير الانجليزى ثم حورت انجلترا جميع الأحداث لتحقيقه ؟

وأليس الطاعون الذى انتشر فى « طيبة » بسبب استيلاء المعبد للاراضى وعدم تركه شيئا للشعب ، هو « الاقطاع » المنتشر فى البلاد العربية والذى كان من أهم أسباب هذه « المأساة » ؟

ثم أليست « مصادرة » أملاك هذا المعبد هى نفس « مصادرة » ذلك الاقطاع ؟

وهكذا وهكذا نجد الشبه قويا بين المأساتين وبين القضيتين ، مما جعل المؤلف يكاد ينسى قصة « أوديب » ولا يرى فيها الا أنها قصة « نكبة فلسطين » ٠٠

ولقد أحدث الأستاذ باكثير الكثير من التغيير والتبديل فى حوادث المسرحية أو على الأصح فى تفسيرحوادثها ليجعل منها صورة تعكس واقع البلاد العربية فجعل ـ مثلا ـ النبوءة فرية افتراها الكاهن لتظل الأموال تتدفق اليه ، وجعل ذلك « الوحش » المزعوم دمية اصطنعها ذلك الكاهن وأخفىفى داخلها أحد عماله وأمره أن ينصرع عندما يجيبه أوديب لتمضى الحيلة الى آخر مداها !٠٠٠ وألبس المسرحية بذلك صورة جديدة لتؤدى ذلك الايحاء الذى يهدف اليه المؤلف ، والذى لا يمكننا فى هذا الحيز أن نأخذ فى تفاصيله ودقائقه ٠

ولكننا نقرر أنه النهج الذى ينتهجه الأستاذ باكثير فى كل ما يكتب من مسرحيات ، فهو مشغول بأمر العرب دائما ، مما يجعلنا نستطيع أن نقول عن مسرحه ونحن مطمئنون انه « مسرح العرب » ٠٠

« على متولى صلاح »

شعر اليوم

عرض وتقدير

بقلم مصطفى عبد اللطيف السحرتي

فى مقال سابق ، اتينا ببضعة نماذج من شعر اليوم دالة على اتجاهه الانسانى ، والسياسى ، والتأملى ، والنفسى ، وهى نماذج نظرنا فيها الى حساسية الشاعر ، وما شعرنا به من تأمله وتفكيره قبل عملية الخلق ، ونبذنا تلكم النماذج الكثار التى زحمت البيئة الادبية العربية ، مما يلقى فى المهرجانات ، أو الندوات ، أو ما يسطر فى المجلات الادبية ، لان أغلبها لا روح فيه ولا ذكاء ، ولا تحمل فكرة عميقة مختبئة ، أو رؤية واضحة مهمة .

لان شعر كل عصر لا يحكم عليه الا بالنماذج الممتازة ، التى يكتب لها البقاء ، أما النماذج الرديئة مقفاة أو غير مقفاة ، والتى تحمل أفكارا ضحلة ، أوعاطفة بسيطة يستعرض الشاعر عضلاته لابرازها ، فانها نماذج ستموت بعد ولادتها ، ومن التعسف البالغ ، أن يتخذها الكاتبون مادة لمساجلاتهم التى تدور بين الحين والحين فى المجلات ، للغض من شعر اليوم فى شكله القديم أو الجديد .

وها نحن أولاء نعود لعرض وتقدير ، النماذج الجيدة فى شعر اليوم ، متوخين ابراز ميزات هذه النماذج فى أنواع الشعر المختلفة وأغراضه التى تتناول التجارب الكاشفة عن الذات أو التجارب الكاشفة عن البيئة ، أو حياة الناس . وسنرى فى هذه النماذج ، رؤى أعمق ، وفنا أصدق ، من نماذج الجيل الماضى فى أحسن حالاته .

فمن النماذج الوجدانية ، نماذج تعمقت فى الوجدان وأداها الشعراء فى حساسية ظاهرة ، ونكتفى هنا بمثالين أحدهما للشاعر الشاب فاروق شوشة ، وهو يصف لواعج نفسه الحزينة فى غربته بالكويت ، وفى قصيدته « دعوة الى النسيان » يقول فى احدى فقراتها :

اتينا بابكم .. يا اهلنا الاحباب .. جئناكم .

فهل فى ارضكم عن حلمنا المخبوء اخبار ؟
طرقنا ! لم نجد ضوءا ، ولا صوتا ولا نامة
وحين تحشرج الصبر الطويل ، وغاضت البسمة
تقلص فى جوانحنا هوى مضنى ، وتذكار
وفاضت فى محاجرنا ، رؤى لهفى وأسرار
كتمناها وراء الصمت ، خوف الصمت يفضحها
وخوف تلفت العينين فى احداقنا الجهمة
سنرجع ، لا دليل يؤنس السارى ، ولا نجمة
وقبض الريح والأحزان ، ما ملكت مصائرنا .

***

وفى هذه الفقرة يجسد الشاعر والانسان ، الحزين الواجم ، فى صور معنوية متتالية ، وايقاع هادىء وقور يمثل وجدان الشاعر تمثيلا حقيقيا .

ويصافحنا من شعر الوجدان ، مثال آخر للشاعر الشاب « عبده بدوى » فى قصيدته « الغائب » بديوانه « شعبى المنتصر » يصف فيها غيبة الأب الراحل الذى ترك داره الى الأبد ، وفى عبارات ملونة ، وفقرات مفتوحة متصلة اتصالا قويا ، وفى انغام مؤثر هامسة يقول الشاعر :

فى ذلك البيت الوسيم ، وراء شلال الحياة
كنا نعيش مع الطبيعة كالسكينة فى الصلاة
هذى خطايا على الطريق ، فاين قد ذهبت خطاه ؟
اتراه يرجع ثانيا ، ام لست يا بيتى تراه !

***

هذا سريرك لم يزل للباب مثل يرقب
والعمر يفتح ساعديه لكل وهم يقرب
وعلى دمى حب يجف الهمس فيه ويغرب
اتراه يرجع ثانيا ، ام لست يا بيتى تراه !

***

انا فى انتظارك والمساء ، وشوق أيامى معى
واذا غفوت ، فسوف أترك شمعة فى مخدعى
لتسير فى آهاتها البيضاء خلف الأدمع
اتراه يرجع ثانيا ، ام لست يا بيتى تراه !

وعلى هذا الطراز سار فى قصيدته ، التى تكشف فى جلاء عن قدرة الشعر المقفى على الاعراب عن خواطر الشاعر فى انسياب رائع مترابط وصور أصيلة ، وايقاعات مؤثرة .

ويصافحنا فى شعر اليوم ، غزل الشاعر وأشواق قلبه ، وهو غزل لا يدور فى المطلق ، كغزل الكلاسيكيين ، ولا يتناول أوهام الشاعر وأحلامه

البعيدة كغزل الرومانسيين . ولكنه غزل معبر عن التجارب الانسانية العامة ، وعن أشواق القلب الحقيقية ، ومن هذه التجارب ، نذكر ثلاثة أمثلة احدهما للشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان ، بعنوان « لحظة » والثاني للشاعر الموهوب ، كمال نشأت ، يعبر فيه عن أشواق قلبه وحنانه لابنته بعنوان «نامت نهاد » والثالث للشاعر السوداني سيد احمد الحردلو بعنوان « مع مغزل » .

وقصيدة «لحظة» تجربة جديدة طازجة ، تعبر الشاعرة فيها عن أشواق قلبها نحو حبيبها في لحظة تنسى فيها الزمن ، ولا تدرى أبعادا له ، كأنما تعيش فى لا نهائية ، وهي تجربة تجمع بين الفردية والعمومية ، تجربة الحبيب الصافى القلب الذى يشعر بالايناس الباطنى فى لقيا عابرة ، وفيها تقول فى نهج متحرر :

منيتي ، صمتا ، هدوءا لا تقل لى كان او سوف يكون
لا تحدثنى عن الأمس ، ولا تذهب لغد
هذه اللحظة عندى مالها قبل وبعد
لم يعد للزمن المحدود عندى اى معنى
قد تلاشى الأمس اصداء وظلا
والغد المجهول يمتد بعيدا ليس يجلى
ربما كان سوى ما رسمت
يد احلامى واحلامك فيه
ربما كان سوى ما نشتهيه
لم يعد للزمن المحدود عندى اى معنى
منيتى ، صمتا ، هدوءا
هذه اللحظة ، لا شيء سواها
زهرة قد فتحت بين يدينا
لا ثمار لا جذور
زهرة آنية الروعة فلنمسك بها قبل العبور

يا حبيبى !

ويعرب كمال نشأت عن لهفة قلبه وأشواقه البريئة نحو طفلته الصغيرة ، وهى نائمة يقول :

نامت نهاد
فالبيت صمت واتئاد
خطواتنا وقع صموت
لا يستبين
وحديثنا همس خفوت
فعلى الوساد
أملى واحلامى البعاد

ثم يقول :

نامت نهاد
وبقية من بسمة فوق الشفاة
لما تزل فوق الشفاة
ويد بجانب خدها
ويد تنام بصدرها
والأرنب المنقوش فى الثوب الصغير
نزق المسير
وعلى الوساد
كالزهرة المتفتحة
نامت نهاد .

وبهذه القصيدة تمكن الشاعر ، بهذا القالب المتحرر من بث أشواقه فى انسياب شعورى وبنائى، ونغمة هادئة هامسة تكلل وجه القصيدة كله .

ويبدع سيد احمد الحردلو الفتى السودانى الشاعر ، فى وصف فتاة تعمل فى ضوء القمر على مغزل ، عاكسا خواطره على المغزل وأدوات الغزل ، فالمغزل يصيح بين يديها والقطن يحملق فى عشق ، والفتلات من جمالها تشهق .

وقد تناول القصيدة تناولا لطيفا ، طاعت له القافية الصعبة طواعية جلية ، وسار الروى فيها سيرا متماسكا مرتبطا .

وفيها يقول :

كانت على مغزلها
وكان يزهو الغسق
تلملم الفتلات
والفتلات منها تشهق
مروع مبعثر محطم يحملق
فى راحتيها يصرخ
المغزل يمشى الألق
والقطعة الليلية القمراء
زهر مورق
صبية مزهوة
بخمس عشر تحرق
فى صدرها يقال لى
طفل شقى احمق
فتارة يبكى واخرى
راقص مصفق !

وبمثل هذه القصيدة الشهية تمكن هذا الشاعر من الاعراب عن خواطره الغرامية بطريقة مألوفة، بعيدة عن مباشرة التقليديين وعن تمويهات الرومانسيين، وأثبت ان الشعر المقفى قادر على التعبير عن الواقع في ابداع وجدة .

***

كما أثبت الشعر المقفى قدرته الفائقة على الوصف والتصوير، وصف الواقع المادي، وتصويره، أو وصف أبناء الطبيعة وبناتها وحالات الانسان فيها، أو وصف الاحداث، وغير ذلك من النواحي التي يضمها الشعر الوصفي، وأحسب ان الشعر المقفى كان أقدر على التعبير من الشعر المتحرر في هذه النواحي .

ومن الذين تفننوا من شعراء اليوم في الوصف والتصوير الشاعر اللبناني فؤاد الخشن، وفي ديوانه « غابة الزيتون » تقع على قطع وصفية ذات اشعاع ونضارة، لا عهد لشعر الجيل الماضي بهما، ونذكر على سبيل المثال قصيدته « صنوبرة » التي صور فيها صنوبرة هرمة تظلل مغارة قديمة، وتمد جذورها حيث مرقد الآباء، ومما جاء فيها :

في المنحنى صنوبرة
تظلل سطح المقبرة
كأنها عبر الفضا
مظلة مدورة
لليل فيها من سنى
أدمعه المنورة
لآلي في مخمل التا
ج بدت منتشرة
فتارة عالقة
وتارة منهمرة
حبات نور ترتمي
خضيبة مستعرة
وللضحى من ذوبه
سنابل مكسرة
تنساب من أوراقها
الدقيقة المعطرة
جذورها تغلغلت
في مهج مبعثرة
تمتص من رمادها
أشواقها المحتضرة
فترتوي ثمارها
البتية المسكورة
دما كثيفا أشقرا
طيوبه مختمرة
في المنحنى صنوبرة
تظلل سطح المقبرة
والصمت لا يشوبه
سوى غناء القبرة

وبهذه القصيدة، لم يقف الشاعر فؤاد الخشن على مجرد وصف الصنوبرة وصفا موضوعيا . ولكنه ضمن هذا الوصف الاحساس القوي بصلة الأحياء بالموتى، وانتفاعهم بتراثهم، وهذا مما يضفي على القصيدة الوصفية، روعة وحياة، لما تضمن من فكرة باقية .

***

وفي ديوان « طائر الليل » للشاعر السوداني حسن عباس صبحي تقع على قصيدة وصفية متحررة القالب، يصف فيها ما يدور باحدى حانات لندن من صخب وضجة، وما يجري فيها من طبل وزمر ورقص، ولا يقف الشاعر عند هذا الوصف الموضوعي، بل يكشف عن مشاعر استيائه وقرفه في هذا الجو المعربد، يقول : في قصيدته «تابو» ..

في حانة عربيدة مستهترة
راح السكارى يشربون ويصخبون
وكأن في نظراتهم شبح المنون
ألفاظهم مسعورة مخمورة
وهم ذئاب كاسرة
تعوي وتصرخ في خبل
في الحانة العربيدة المستهترة
ما بين تصخاب الجميع
والقهقهات الساخرة
تتصاعد الأكداس من سحب الدخان
وتحوم في طي المكان .

وبعد أن يصف جلبة دقات الطبل يقول :

وبصاحب الطبل العتيد
مزمار عملاق مريد
يحلو لأرباب المجون
أن يسمعوه بلا انقطاع
فيثير أشجان القلوب
في الحانة العربيدة المستهترة
والأفعوان الراقصة
كانت كطيف من جنون

بين ارتعاش الضوء في سحب الدخان
ترمي شباك الصيد ترتاد المكان
فيهيم فرسان الهوى
بالسحر من غمزاتها
واللطف من بسماتها
ويصفقون ويهتفون
بحياتها وشبابها

ثم يكشف في آخر القصيدة عن مشاعره في هذه الحانة فيقول :

ووجدت نفسي
قطعة من ذلك الليل البهيم
اتشرب الآهات والآنات
في جرح أليم
وتطوف احداقي بارجاء المكان
فارى خيالي لوحة تعساء لونها الزمان
فتطير منها القهقهات الساخرة
وتلف اشباح المئون
في دمدمات هادرة .

ومن هاتين القصيدتين يتبين ان الشعر الوصفي في شعر اليوم لا يقف عند الوصف الموضوعي للاشياء المحسوسة ، أو لمشاهد الحياة ، ولكنه يضم اهتمامات الانسان ، ومشاعره وخواطره .

***

واذا تركنا هذه النواحي الوجدانية والغزلية والوصفية ، وجدنا شعر اليوم يتفتح على مشاهد الحياة اليومية ، وما يجري بين ناسها ، معبرا عن ذلك في واقعية لا عهد لنا بها في شعر الجيل الماضي .

ونسوق في هذا المجال قصيدة فريدة للشاعرة النابغة « جليلة رضا » بعنوان « الصلح خير » تصور فيها مشادة بين زوجين ، متخاصمين ، تصويرا حيا ناطقا ، تستخدم فيه المصطلحات الشعبية ، لتضفي على القصيدة حيوية رفافة . وفيها تقول :

دعني . دعني . لا تتبعني
لا تتبع خطوي . لا تأت
ابدا لن ارجع للبيت
ساضم البنت الى حضني
هي بنتي لن تبعد عني
وساعرف كيف أقاضيك
واهدم كل امانيك
وساقصم ظهرك بالنفقة
ابدا لن تاخذني شفقة
لا تحسب اني لا أقدر
سترى من هو منا « الأشطر »
لا تتبع خطوي ، لا تأت
ابدا لن ارجع للبيت

وبعد أن تكاشفه بالها زواجه بامرأة ثانية . تقول :

انسيت التضحية الكبرى
عاما لم اغضب او احزن
والضرة تمرح في المسكن
امك تؤثرها باللحمة
وتعد على شدقي اللقمة
وأبوك . المراة اغرته
فلكل جديد زهوته
ابدا .. لن .. او ...
لا تقرب ، اي . اي . لا تقرب
ما زلنا في ضوء المغرب
والناس عيون تاكلنا
وامراة ترقب ظلينا
خلف الشباك «المردود»
وحياتك لم انس عهودي
فاسبق وتسلل في صمت
ساعود .. اليك .. الى البيت !

***

ونكتفي بهذا المثال ، ونراه حجة قائمة على أحد كتابنا الذي وقف عند قصيدة جاهلية ، تصف شقاقا بين زوجين ، معجبا باتجاهها الحياتي ، وروعتها وزاعما أن شعر اليوم لم يفتح النافذة على مثل هذه الشئون ، ولعله لو رجع الى شعر اليوم وتقصاه ، لوجد لهذه الشاعرة ذاتها قصائد أخرى أطلت اطلالات نافذة على حياة الناس ، ونذكر منها « رسالة الى الله » بديوانها الاخير « أنا والليل » .

ولعل الانصاف يتقاضاه ، بعد الاطلاع على هاتين القصيدتين ، وأخوات لها لشعراء آخرين ، أن يعدل عن أحكامه البعيدة عن الانصاف .

« مصطفى عبد اللطيف السحرتي »

قصة قصيرة :

الكفن

بقلم فخري فايد

« ربنا يعوض يا سيدتي ..

وتنتهي تنهيدتها ، تسكت ، لتطفح اوجاعها فترتعش التجاعيد البارزة التي تدفن فمها : انا أعرفه .. ليس هناك أحد غيره .. عودة .. عودة هو الذي سرق القرط .. سرق ثمن كفني . وتغيم عيناها بحزن وكآبة .

كنت اتمنى الا اضايق أحدا لما اموت ، فكفاكم انى اضايقكم وانا حية ، فقط كنت اخلف ولو ثمن كفني .. لكنه راح .. راح يا سيدتي .. اكل .

وتقفز فوق مخيلتها صورة عودة وهو جالس وسط الزقاق ينادي على اللحم وفمه المفتوح عن آخره يكاد يبتلعها وسط عوائه : كل .. كل وتغذى بعشرة قروش الضأن يا حلو . فتلهث وقد فاضت الدموع من مآقيها .

والنبي هو .. هو اللص يا سيدتي ... ليس هناك احد غيره اخذ القرط من الصندوق اثناء غيبتي عن الدار وباعه .. باعه واشترى لحما ليتاجر فيه .. اشترى لحم بثمن كفني ياسيدتي .

ويرتعد جسدها وتزداد عيناها احمرارا ، وتسرع حبات الدمع في تساقطها لتتعثر على وجهها ، وتفتح فمها لتكمل . تدعو على عودة . لكن صوتها محتبس . تخنقه غصة تملأ حلقها وتدفن معظم كلماتها .

كل ما يسمع حشرجة تطفو وتغوص كأنين حيوان جريح ، ثم تذوب الحشرجة في نشيج حاد .

وتنحنى السيدة من فوق المصطبة تربت على كتفها مواسية .

: اصبرى .. اصبرى ياخالتي ولك على ان اجعل العمدة زوجي بمجرد عودته من الخارج يستدعى عودة ويلزمه باعادة ثمن القرط او يسفره للمركز حيث ينال جزاءه .

وتنتفض العجوز دافعة الهواء بذراعيها .

لا ... لا داعي للأذى يا سيدتي . قد تكون ظالمة ، دعيه .. دعيه لله يا سيدتي وياويل من يرتضى لنفسه أن يسلب الأرامل ثمرة شقائهم . فقط .. آه .. آ .. آ .. ه . من الخوف . اصبحت أخاف ياسيدتي وانا التي لم تعرف الخوف طيلة حياتها . انظرى .. انظرى يا سيدتي .

وتجذب جلبابها الاسود كاشفة ظهرها . وعلى عظام كتفها تبدو كدمة زرقاء .

ليلة البارحة خرجت الى الخلاء لأقضى حاجة فوجدت الظلام يغص باللصوص . كانت وجوههم مخيفة ، بينما عيونهم يتطاير منها الشرر ، ولما رأوني صرخوا : امسكوها .. امسكوها . خفت .. خفت يا سيدتي ورجعت اجرى الى دارى فتعثرت بعتبة الباب ووقعت .. وقعت والنبي يا سيدتي ... وقعت

وتتاوه رادة الجلباب على كتفها وعبراتها تسح في هوان .

فقط .. ماذا جنيت في حق عودة حتى يفعل بي كل هذا ؟ .. انني امراة وحيدة .. غلبانة .. في حياتي لم أوذ أحدا .. وكيف أوذى أحدا من الناس وأنا أعيش برضاهم . يا ربى .. ألم يجد عودة في القرية أحدا غيرى ليذيقه كل هذا العذاب الذي لا أستحقه ، أبدا لا أستحقه والله يا سيدتي فأنا وحيدة .. غلبانة .. غلبانة . كل ماكنت املكه من دنياى : القرط . ثمن كفني . ومع هذا لم يجد عودة في القرية كلها من يستاهل السرقة سواه . سوى كفني . أم ترينه ياسيدتي سرقني لأنني وحيدة .. غلبانة .. ليس لي معين ؟ .

وسيدتها تنزل من فوق المصطبة تتتابع كلمات عن ضرورة الصبر ، واصابعها ممتدة بقروش، لكن العجوز تبعد الأصابع الممتدة بيد وتستند على يدها الاخرى وتكافح حتى تنهض .

ابقها .. ابقها ياسيدتى . فمنذ الساعة سآتيك بكل مليم احصل عليه لتخفيه لى ، فلن احتفظ بشىء فى الدار فالدنيا لم يعد فيها امان . اصبح ناسها وحوشا تستحل سرقة الأموات .

وتستجيب السيدة فتسحب اصابعها ، وترفع العجوز ذراعها وتمسح دموعها ثم تمضى خارجة وهى تدعو للسيدة بطول بقاء .

وتروح العجوز تتنقل من دار لدار تحكى حكايتها، ولما اوشكت الشمس على المغيب ، اتجهت الى دارها واغلقت الباب . ثم دست يدها فى جيب جلبابها وراحت تتحسس ما جمعت من نقود : اربعة ... اربعة قروش ونصف قرش . لو لم أرفض القروش الخمسة التى كانت زوجة العمدة ستعطيها لى لأصبحت تسعة .. تسعة قروش ثمن متر دمور ويتبقى على استكمال الكفن ثلاثة امتار ، ولكن اين هو ثمن المتر ؟ هكذا أنا دائما قليلة البخت ، ويجتاحها شعور بالمرارة والعجز فتروح تتمتم من خلال دموعها .

الله يسامحك ياعودة .. الله يسامحك ياعودة.

وتنحنى تنبش الارض باظافرها . تحفرها .

انه حظى فى الحياة . لقد كتب على أن اعانى الشقاء حية وميتة .

وتتسع الحفرة . فتعتدل العجوز وتكور مابجيبها من قروش فى خرقة توسدها باطن الحفرة وتهيل فوقها التراب .

ويبهت النور المنصب من الكوة التى بأعلى الجدار ويروح يذوى حتى يستحيل سوادا . وتريح العجوز جسدها فوق الأسمال البالية التى تتخذ منها حشية واحاسيسها مضعضعة تماما ، وتغمض عينيها ومن بعد سحيق يتردد فى اعماقها صوت عودة : كل.. كل وتغذى بعشرة قروش الضان .

فتنكمش فى رقدتها وتتجمد الدموع فى مآقيها. وفى توجس ترتفع جفونها المتآكلة مترددة لتصطدم بعظام جبهتها . فيبدو عودة واقفا أمامها فتعتدل جالية على ركبتيها وتزحف تجاهه وصوتها يتحشرج متوسلا فى رعب .

خذها .. خذها يا عودة .. القروش عندك.. هناك .. هناك فى الحفرة جوار الحائط . خذها يا عودة . خذها وساعطيك كل مليم احصل عليه ، فقط .. لما اموت اشتر لى الكفن. هه يا عودة .. اشتر لى الكفن ـ الكفن ..

واتكفأت على وجهها تبكى وتصرخ فى جنون .

« فخرى فايد »

فتن الشواطئ !!

للشاعر على الجندى

يا حبذا المصطاف تحت ظلاله … اجسامنا نشوى تكاد تطير

ما كان انداه على اكبادنا … لو لم تشبه بوائق وشرور

هو معرض للحسن بل هو ملعب … يلهو به من شاء ، وهو قرير

لو حله الرهبان ضاع رشادهم … فخلت صوامع منهم وديور

ما تشتهيه محلل في شرعه … الا الوقار ، فانه محظور

خلع الزميت به العذار مجانة … وهفا الخليع اليه والمستور

واختل مقياس العدالة فوقه … فالصدق افك ، والحقيقة زور

والنسك اثم ، والتصون بدعة … والرشد غي ، والصلاح فجور

لا شيء في الدنيا صفا من كدرة … حتى الشهاد له الذباب سمير

حتى البدور وجوهها ملطومة … حتى الكواكب في السماء تغور

حتى الوراد تحفها اشواكها … حتى الفتوح لها الدماء مهور

حتى التهتك بالجمال موكل … حتى الخرائد برقهن غرور

حتى الجهول على العليم مسلط … حتى المشيب على الشباب أمير

حتى النوائب بالكرام غرية … حتى الحياة سخاؤها تقتير

فتن نواز في الشطوط كأنها … بحر على البحر الخضم يغير

يعيا المبين بوصفهن ، وينثني … عنها جرير الشعر وهو حسير

في ظلها تلقى الملاحة حتفها … والدائرات على الجمال تدور

بيض وسمر للنواظر نهبة … لهفي !! أليس على الجمال غيور

وتقاصرت اذيالهن وقلصت … فبدا لنا المكنون والمستور

الا الذى تأبى الطبائع كشفه … وبكل لحظ ان يراه نفور

انى وفدت عليه اطلب راحة … فرجعت والقلب الصحيح كسير

وفررت منه ناجيا بحشاشتي … ولقد يفر الليث وهو هصور

ما حازه غيري أنهنه رغبتي … عن نيله ، والطيبات كثير

هى زفرة صعدتها كانت على … قلبى يحر • وينفث المصدور

على الجندى

العائشة على الجليد

للشاعر محمد أحمد العزب

هى لا تصلى .. انهـا بلهـاء جامدة الشـعور
لا تعرف الله الذى عرفـوه من ماضى العصـور

* * *

لم تقرأ القرآن يوما .. لا .. ولم تألف عبـاده
فحياتهـا مصلوبة فى الحقل تسـتجدى حصاده

* * *

غابت عن الدنيا هنـاك . وراء شطآن الضـباب
وتعلقت بالوهـم .. بالأمل المعذب .. بالسراب

* * *

بقصـيدة الدمع الذى نثرته يومـا فى الخميلة
ليعيـد للأرض الشـهيدة حلم افراح جميلة

* * *

بمسائهـا المخنوق تحت ظلال كوخ من جريد
مترنح الآفاق .. موهـون الصدى .. قلق النشيد

* * *

بيمينهـا المخضـوبة الوسنى على فاس كبـير
تروى له حلم الضـياع .. وقصـة الأمس الحقير

* * *

والفاس .. هذا العاشق الأعمى الذى عبد التراب
يصغى .. وقد جمدت على فمه ارتعاشـات العذاب

* * *

يوما .. وقد عادت من الحقـل الجموع مع المسـاء
والشمس غارقة هناك وراء قضـبان الفضـاء

* * *

قالوا انطوت .. ماتت .. وهمهمت الجموع العائدة :
أترى سترحمها السـماء بلا صـلاة واحدة ؟

وغرقت فى ظنى .. وقلت : أجل .. ايرحمها الاله ؟
وهى التى عاشت فلم تولد على فمهـا صـلاة ؟

* * *

لكننى والوهـم يطوينى .. صحوت على قسـم
يعوى بأعماقى .. جليلا .. رائعا .. ضخم النغم :

* * *

بكفاحهـا .. بالفاس . بالحقل المعذب . بالأنين
بجراحها .. بالليل يطويها .. بأحزان السـنين

* * *

بقداسـة الزهر الذى أغفى على يدها عبـيره
بالجدول البـاكى الذى غنى لمقدمهـا خريره

* * *

بصلاتها حين انحنت فوق التراب مع الصـباح
بركوعها والفاس فى يدهـا .. بأنات الكفـاح

* * *

لن تخرس النيران حجتهـا .. ستنتفض الدموع
وسـيصرخ العرق الذى شهدته بالأمس الربوع

* * *

ستضج كل الأمسـيات الضائعات بلا أمل
وتصيح فى وجه السماء .. بلا خفوت .. أو وجل :

* * *

الجنة الفيحاء .. ان لم تحتضن تلك الشـهيدة
فالأنبيـاء معـذبون . وكل ناسـكة طـريدة !!

« محمد أحمد العزب »

شخصية الأسبوع



ابن أبي عتيق

مثل للشخصية العربية المبدعة

بقلم

عبد الاله عبد الرزاق

تنفرد شخصية ابن ابى عتيق بمزايا عديدة قلما نعثر على نظير لها لدى الشخصيات العربية القديمة فقد احتشدت لدى هذه الشخصية العجيبة مظاهر حياتية يكاد يتفذ الى بعضها التناقض احيانا ، كان اديبا ناقدا للشعر وفنانا عميق الفهم باصول الفن ذا نظر نفاذ فى نقده ، صاحب نادرة وطرفة ، ورعا تقيا من اهل العفاف والصلاح وكان ايضا ذا عبث مستظرف ولهو مستملح يتدنى احيانا الى حد المجون الذى تنأى النفس التقية الورعة عن سماعه او قراءته ، ومن هنا يلمس القارى الكريم وجها من وجوه التناقض الظاهر فى شخصية هذا الرجل فهو فى الوقت الذى نجده ورعا تقيا من اهل الصلاح نجده ايضا ينضوى تحت لواء اهل الطرب والمجون ، وكل هذه المزايا المتناقضة - احيانا - تراكمت على شخصيته بفضل عاملين مهمين طبعا شخصه بطابع تلك المزايا وهما المنزلة والبيئة اللتان استظل بظلالهما ، فهو سليل بيت شريف معمد كيف لا .. وهو حفيد ابى بكر الصديق خليفة رسول الله وصديقه الوفى ، وهو قد نشأ فى ظل بيئة كانت تنعم بفيض ثر من الامن والطمأنينة والغنى أعنى البيئة الحجازية فى القرن الاول الهجرى .

ومن المؤسف حقا ان شخصية مثل هذه الشخصية الفريدة لم تحظ بعناية ما من لدن المؤرخين والادباء قدماء ومحدثين عدا بعض الاشارات الموجزة فى بعض الكتب القديمة ، بل ان بعض الكتب ممن تعنى بالترجمة لشخصيات عربية واسلامية قد اغفلته واعرضت عنه مثل **(وفيات الاعيان ، والاعلام)** .. الخ .. وكتاب الاغانى هو من اكثر الكتب التى ضمت اليها اشتات متفرقات وطرائف متباينه له ، وفى رأيى انه لم يعمد الى ذلك الا حين ترجم لشعراء ومغنين عديدين امثال عمر ابن ابى ربيعة وقيس بن ذريح وعروة وابن عائشة ومعبد وابن سريج .. الخ ، ولما كان ابن ابى عتيق قد عاصر هؤلاء وملء حياتهم اثارة وعطاء فقد لجأ صاحب الاغانى الى ذكر اخبار وطرف عنهم شاطر بعضها ابن ابى عتيق ، وفى اهمال الاصبهانى وعدم تخصيص صفحات يترجم فيها لحياته كما قد فعل لكثير ممن يقلون عنه فى المكانة والخطر ، ما يثبت رأينا السالف وهو أن الاصبهانى حين ذكر اخبارا له لم يذكرها الا فى معرض ترجمته لتلك الشخصيات التى عرفت بادبها وشعرها وغنائها ، ونحن على كل حال سنحاول أن نلقى أضواء على جوانب هذه الشخصية مستنيرين بهدى ما لدينا من كتاب الاغانى وبعض الكتب القليلة

وابن ابى عتيق هو حفيد ابى بكر رضى الله عنه كما ذكرت واسمه عبد الله بن محمد بن ابى بكر الصديق ونحن سنكون مضطرين الى ان ننأى عن

ذكر الكلام حول تاريخ ميلاده وطعونته وحتى شبابه ما دامت الكتب قد أطبقت الصمت حول ذلك ـ كما اسلفت ، لذلك سنختصر مراحل عمره تلك لنقف عنده كشخصية مكتملة النضج والحيوية وتستعرض مزاياها التي سلف تعديدها .

١ ـ التقى الصالح :

هل كان ابن ابي‌عتيق تقيا ورعا حقا ؟ الواقع اننا لا نستطيع‌ان‌نزجي جوابا قاطعا في‌ذلك، لان‌ما اورده كتاب الاغاني وغيره لايكاد يشير الى ذلك الا عرضا فيقول صاحب الاغاني الجزء ٨ ص ٩ (.. وكان من اهل الفضل والعفاف والصلاح ..) بينما ابن عبد ربه يذكر انه كان (صاحب هزل ولهو ..) العقد الفريد جزء ٢ ص٤٧٠ ثم لايتحرج في ان‌يذكر له ملحة ماجنة مما يزيد الغموض في هذه المزية ، ولكننا نستطيع أن نركن الى بعض صواب الراى القائل بورعه وعفافه ، من شرف نسبه ، فليس من المعقول ان يعرض عن تقواه وعفافه وهو حفيد ابي بكر ـ رضي الله عنه ـ فخطر منزلته وعلو محتده وشرف أصله مما يدعوه ابدا الى التمسك بالصلاح والتقوى ،وصلاحه‌يتمثل كاشد ما يكون‌من‌الاشراق والوضوح في‌مواقفه المشرفة بجانب‌الكثير‌من‌العشاق والمتيمين الذين لم يسعدهم الجد في نيل من يحبون ولحسن الحظ أن ابن أبي عتيق عاصر أشهر العشاق والمغرمين وساندهم بكل ما ملكت يداه .. من هؤلاء قيس بن ذريح وعروة بن حزام ونصيب وعمر بن أبي ربيعة .. وغيرهم كثير ، وفي الاغاني قصة تبين كيف استعان ابن أبي عتيق بالامام الحسين ـ رضي الله عنه ـ من أجل تزويج قيس بلبنى وكيف تم ذلك حتى ان قيسا مدحه بأبيات منها :

جزى الرحمن افضل ما يجازي
على الاحسان خيرا من صديق

فقد جربت اخواني جميعا
فما الفيت كابن أبي عتيق

ورغم ان الرواية يبدو عليها الوضع لاسيما اذا عرفنا منها ان قيسا قد كسب لبنى بعد طلاقها من زوجها الذي آثر ذلك‌احتراما وهيبة للامام‌الحسين الذي جاء بنفسه اليه مع ابن ابي عتيق ، الا انها رغم ذلك تدل على عناية الرجل في اسداء العون ورفده لمن يطرق بابه في حاجة له وان التمس في اسدائه لهذا العون أسباب الدهاء او الحيلة والمكر احيانا ، على ان كل ذلك لم يكن لينال اى شيء من شخصه ومكانته .

٢ ـ الاديب الناقد :

والمتتبع لاخبار ابن ابي عتيق لياخذه العجب ببراعته في علم الادب ونقده وبسمو ذوقه ورهافة حسه ، وتعمقه البالغ بمواطن الجمال وتحسسه المتناهي بأسباب العمل الادبي والفني ، وآراؤه في ذلك رغم ما يعتري بعضها من غلو شديد احيانا الا انها في أكثر الاحيان تكون دقيقة محكمة تجد لها في نفوسنا صدى عميقا واعجابا لا يخلو من دهشة ، جاء في الاغاني أن عمر بن ابي ربيعة حين شبب بزينب بنت موسى الجمحية قال :

لا تلمني عتيق فحسبي الذي بي
ان بي يا عتيق ما قد كفاني

لا تلمني وانت زينتها لي

وقبل ان ينطق الشطر الثاني بدره ابن ابي عتيق انت مثل‌الشيطان للانسان، فقال ابن‌ابي‌ربيعة هكذا ورب البيت قلته فقال ابن ابي عتيق ان شيطانك ورب القبر ربما الم بي فيجد عندى من عصيانه خلاف ما يجد عندك من طاعته فيصيب مني واصيب منه . وروى ايضا ان عبد الله بن قيس الرقيات شاعر الزبيريين ورد على ابن ابي عتيق فقال له السلام عليك فقال له لا عليك السلام يافارس العمياء ، فأجابه ابن قيس الرقيات ما هذا الاسم الحادث يا أبا محمد قال انت سميت نفسك حيث تقول :

سواء عليها ليلها ونهارها

يشير الى بيته :

تقدت بي الشهباء نحو ابن جعفر
سواء عليها ليلها ونهارها

فما يستوى الليل والنهار الا على عمياء قال: انما عنيت التعب قال فبيتك هذا يحتاج الى ترجمان يترجم عنه ، ورايه هذا غاية في الدقة والاحكام .

وذكر ايضا ان كثير عزة أنشده قوله :

ولست براض من خليل بنائل
قليل ولا ارضى له بقليل

فقال له هذا كلام مكافىء ليس بعاشق ، القرشيان امنع واصدق منك ابن ابى ربيعة حيث يقول :

ليت حظى كلحظة العين منها
وكثير منها القليل المهناء

فصدى نائلا وان لم تنيلى
انه يقنع المحب الرجاء

وابن قيس الرقيات حيث يقول :

رقى بعيشكم لا تهجرينا
ومنينا المنى ثم امطلينا

عدينا فى غد ما شئت انا
نحب وان مطلت الواعدينا

فاما تنجزى عدتى واما
نعيش بما نؤمل منك حينا

ونجد احيانا آراءه واحكامه لما يسمع مغلفة بالنادرة محمولة على اكتاف الطرفة تبعث البهجة فى النفوس وتزيدها فائدة ، وكل ذلك مثل لعبقريته المبدعة والامثلة على ذلك كثيرة نورد طرفا منها :

انشد نصيب الشاعر قوله :

وكدت ــ ولم اخلق من الطير ــ ان بدا
لها بارق نحو الحجاز اطير

فسمعه ابن أبى عتيق فقال يا ابن أم قل غاق فانك تطير : يعنى انه غراب اسود ، وقال ابن ابى عتيق لنصيب : انى خارج افترسل الى سعدى بشىء قال : بيتى شعر ، قال قل فقال :

اتصبر عن سعدى وانت صبور
وانت بحسن الصبر منك جدير

وكدت ولم اخلق من الطير ان بدا
لها بارق نحو الحجاز اطير ..

فانشد ابن ابى عتيق سعدى البيتين فتنفست تنفسة شديدة فقال : اوه اجبته والله باجود من شعره ولو سمعك خليلك لنعق وطار اليك .

وروى انه حضرعند عمر بن ابى ربيعة وهوينشد:

ومن كان محزونا باهراق عبرة
وهى غربها فليأتنا نبكه غدا

نعنه على الاثكال ان كان ثاكلا
وان كان محزونا وان كان مقصدا

فلما أصبح ابن أبى عتيق أخذ معه خالد الحريت (يقصد خالد القسرى) وقال قم بنا الى عمر فمضيا اليه فقال له ابن ابى عتيق : قد جئناك لموعدك، قال أى موعد بيننا قال قولك : فليأتنا نبكه غدا . قد جئناك والله لانبرح او تبكى ان كنت صادقا او ننصرف على انك غير صادق ثم مضى وتركه .

ويتجلى عمق بصيرته بالشعر والجيد منه فى النادرة التالية كما جاءت فى الاغانى .

شهد رجل عند قاض بشهادة فقيل له من يعرفك قال ابن ابى عتيق فبعث اليه يسأله عنه فقال : عدل رضى ، فقيل له اكنت تعرفه قبل اليوم قال لا ولكنى سمعته ينشد :

غيضن من عبراتهن وقلن لى
ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فعلمت أن هذا لا يرسخ الا فى قلب مؤمن فشهدت له بالعدالة .

وبين ايدينا نادرةمروية فى كتاب الاغانى تدلعلى مدى نفاذ احكامه وخصب دلالتهاسنحاول تلخيصها

روى ان ابن ابى عتيق كان فى مجلس ضم بعض الادباء فافتخر أحدهم بشعر الحرث بن خالد وفضله على عمر ابن ابى ربيعة فقال له ابن ابى عتيق :

بعض قولك يا ابن اخى ، لشعر عمر نوطة فى القلب وعلوق بالنفس ودرك للحاجة ... وماعصى الله جل وعز بشعر اكثر مما عصى بشعر ابن ابى ربيعة فخذ عنى ما اصف لك ، اشعر قريش من دق معناه ولطف مدخله وسهل مخرجه ومتن حشوه وتعطفت حواشيه وانارت معانيه واعرب عن حاجته .

ثم قال الذى يفضل الحرث : اليس صاحبنا الذى يقول :

لو بدلت اعلى مساكنها
سفلا واصبح سفلها يعلو

فقال له ابن ابى عتيق : يا ابن اخى استر على نفسك واكتم على صاحبك ولا تشاهد المحافل بمثل هذا ، اما تغير الحرث عليها حين قلب ربعها فجعل عاليه سافله ، مابقى الا ان يسال الله تعالى لهـا حجارة من سجيل ، ابن ابى ربيعة كان احسن صحبة للربع واجمل مخاطبة حيث يقول :

ســـألا الربع بالبلى وقـولا
هجت شـوقا لى الغداة طويلا

وذكر الابيات .. فانصرف الرجل خجلا .

وفى دقة احكامه وبراعة اســـتنباطها وبداهته البعيدة المدى ما يبعث على الاعجاب حقا .

٣ ـ صاحب الطرب والغناء :

مزية اخرى من مزايا هذه الشخصية العجيبة زحمت حياته وشغلت فكره ، وعرفت به ابدا وجعلت منه علما فريدا فى بابها ، بل استاذا يستطيع ببراعته ان يعرف جوانب القوة والضعف والجودة والقصور عنها لدى المغنين والمغنيـات ويتنبأ ـ بمـا لهم من ملكة يوحيها اليه احساســه المتناهى فى الدقة ـ بمستقبلهم الذى ينتظرهم .

كان ابن ابى عتيق قد خرج الى مكة فجاء معه ابن سريج الى المدينة فاسمعوه غناء معبد وهو غلام وذلك فى ايام مسلمة بن عقبة المرى وقالوا ماتقول فيه فقال : ان عاش كان مغنى بلاده ... وتحققت نبوءته فقد اعترف لمعبد بالتقدم على اهل عصره .. وقد كان كثير التردد على اماكن الطرب والغنـاء يختلف اليها ليلتمس اللذة والفائدة ، فهو يسمع لأشهر المغنين والمغنيات ويبدى اعجابه او نقده لما يسمع وهو فى كلتا الحالتين بارع فى اعجابه ونقده وآراؤه مسموعة مرهوبة الجانب يجد فيها الباحث المتامل عمق مغزاها وصدق احساسها المتدفق ومن المغنين والمغنيات الذين تردد عليهم كثيرا واستمع الى غنائهم : جميلة مولاة بنى سليم ، وســــلامة القس ، وعزة الميلاء ومعبد وابن سريج وابن عائشة والدلال ... الخ .. كان شديد الرعاية لاولئك يحفهم بعطفه ويضفى عليهم ظل رعايته بل انه يغدق عليهم الاموال والخلع ، والاكثر من هذا انه كان يذب عنهم شد ما يتهدد صناعتهم . يقال ان عثمان بن حيان المرى جاء واليا على المدينة فحـاول تطهير المدينة من الغناء والزنا بعد ان ضج وجهاؤها وشكوا اليه ذلك فاجل اهلها يخرجون فيها من المدينة ، وكان ابن ابى عتيق غائبا حينذاك فلما عاد فى آخر يوم من الاجل دخل على سلامة القس المغنية فعلم منها الخبر ثم استاذن بالدخول على الوالى ، وبعد ان اثنى على عمله فى تطهير المدينة قال له : ما تقول فى امراة كانت هذه صناعتها وكانت تكره على ذلك ثم تركتها واقبلت على الصلاة والصيام والخير . واني رسولها اليك تقول : أتوجه اليك واعوذ بك ان تخرجنى من جوار رســول الله قال الوالى فانى ادعها اليك ولكلامك قال ابن ابى عتيق : لا ولكن تاتيك وتسمع من كلامها وتنظر علمها فان رايت ان مثلها ينبغى أن يترك تركتها قال نعم . فجاء بها ابن ابى عتيق محجبة وطلب منها ان تتحدث عن آباء الوالى وامورهم وافهمها فى ذلك ففعلت أمام الوالى فتعجب وطلب منها ان تقرا فقـرات وان تحدى ففعلت فقال له لوسمعتها فى صناعتها ، فلم يزل ينزل شيئا فشيئا حتى أمرها بالغنـاء فغنت له فقام الوالى من مجلسه وقعد بين يديها ثم قال : لا والله مامثل هذه يخرج . قال ابن ابى عتيق لا يدعك الناس يقولون اقر سلامة واخرج غيرها . قال فدعوهم جميعـا فتركوهم جميعـا ، وهذه الحادثة رغم المكر والدهاء اللذين لعبا دورا كبيرا فيها الا انها تستطيع ان تنهض كدليل على مدى رعاية الرجل لاهل الغناء والفن وعلى جهده البالغ فى الحفاظ عليهم ورعايتهم وان التمس فى حفاظه ورعايته اسباب المكر والدهاء ..

هذا هو ابن ابى عتيق صورة مشرقة للشخصية العربية النابضة بمعانى الحياة الخائضة فى مجالاتها والمبدعة فى اكثرها ، وهى مثل قوى لما ينبغى ان تكون عليه الشخصية المتكاملة فى صلاح وتقوى وعلم وثقافة يشد بعضها الى بعض نفس مرحة طروب ذات ظرف مستملح وروح فكهة وان يشوبها احيانا مجون لايقدح فى صفاء هذه النفس ورونقهـا . والى هنا انتهى من هذا العرض الذى اردت له الايجاز فطال ، وآمل بعدها ان اكون قد وفيت هذه الشخصية العربية بعض حقها ولكنها ستظل تلح علينا لنجاو ما غمض منها وما استتر وتهيب بنا لدرسها بصورة اوسع واتم ..

« عبد الاله عبد الرزاق »

وجه السودان في الشعر العربي الحديث

بقلم سعد دعبيس

من طبيعة السودان الجميلة ، ومغانيه الخضراء ، وبطولاته الخالدة ·· استوحى الفنانون والشعراء لوحات فنية معبرة ، والحانا عذبة ساحرة ، وقصائد خلاقة مبدعة ·· وسنحاول في هذا المقال القاء الأضواء على الصورة المتخيلة للسودان الحبيب في مخيلة الشعراء وأحاسيسهم ، لنرى كيف يرتسم وجه السودان في انتاج الشعراء العرب في العصر الحديث ، سواء أكانوا مواطنين من أبناء السودان ، ام اخوة أشقاء من جيرانه وأحبابه ونحن حين تعتمد في دراسة البيئة السودانية على الشعراء الثلاثة الذين تناولناهم في هذا المقال ، وهم الشاعران السودانيان : « محمد محمد على » و « محمد المهدى المجذوب » ، والشاعر المصرى « عبده بدوى » ·· حين تتناول هؤلاء الثلاثة فذلك لايعنى مطلقا أنهم وحدهم الذين عبروا عن الروح الشعبية السودانية ، فهناك ممن تنطبق عليهمهذه الظاهرة كثيرون وفي مقدمتهم: شاعر السودان الكبير : محمد سعيد العباسى الذى توفى في العام الماضى والشاعر « الحردللو » الذى يعتبر امير الشعر الشعبى في السودان، والذى يرى استاذنا خالد الذكر « عباس محمود العقاد » انه يشبه الى حد كبير « البحترى » في رقة ديباجته ، وجمال صوره ولنبدأ دراستنا بالشاعر :

١ ـ محمد محمد على ، في ديوانه : « ألحان واشجان » ·

لعل من المفيد هنا أن نرجع للدراسة النقدية الضافية التى قدم بها الناقد الشاعر الأستاذ « محمد المهدى المجذوب » لديوان « ألحان واشجان » حيث يرى هذا الناقد أن محمد محمد على ، في ديوانه هذا يمثل الشعر السودانى الأصيل ، وانه بهذا الشعر قد مهد طريق التجديد الذى يسعى فيه الشعر السودانى الى غاياته الكبرى ، وما جاءته أصالته الا لصلته العريقة بالبيئة السودانية ، ونستطيع أن نؤيد رأى الأستاذ « محمد المهدى المجذوب » حين نستعرض قصائد الديوان ، فنجد شاعرنا في أول قصيدة يفتتح بها ديوانه يرسم للانسان السودانى ممثلا في نفسه « كاريكاتيرا » معبرا أصدق تعبير عن خصائص الانسان السودانى، وذلك في قصيدته « حداء الحراث » :

اكسف لونى جاحم الهجير
وشدى المحراث في البكور

ثم يقدم لنا صورة لجغرافية بلاده بمافيها من مناخ متقلب ، وغدران وبساتين ، وصحارى :

فمن جحيم صاخب السعير
ومن بحار جمة الهدير
ومن غدير سال في غدير
ومن مرامى سبسب مهجور
يهتز فيه الآل كالبحور
هذا ثرائى في الدنى وخيرى
فهل ترى بأسا على مصيرى؟

ولعل القرية السودانية ، ومجتمعها الريفى يتمثلان اجمل ما يكون التمثيل في قصيدة الشاعر « قرية تحت ظلال الخريف » التى رسم فيها صورة واقعية للقرية السودانية في فصل الخريف ، عندما تتلبد السماء بالغيوم الكثيفة ، ويلمع البرق، ويدوى الرعد وتضل قطعان الأبقار والشياه، ويخيم الحزن والخوف من المجهول سويعات تعربد فيها الطبيعة ، ثم لا تلبث الطبيعة أن تصفو وترق ، فتبدو الأرض غب المطر جنة خضراء ، وارفة الظلال، وفى هذه القصيدة يقول :

وفد الخريف على المروج رخية انسامه
فى اسحم متدافع زحم الفضاء زحامه
حجب السماء مجلجلا متواصلا ارزامه
خنق الرياح جناحه ، واد الضياء ظلامه
يفتر فى ارجائه لهب يشب ضرامه
يزود من لمعانه شيخ طفت آلامه
خبر الحياة وملها ، وتنوعت أسقامه
ذعرتطاير فى الفضاء، وفى الصدور مقامه
فى طيه فرح يرف على القلوب سلامه
دوى الصراخ مولولا مجنونة انغامه
من قرية او مهمه مطموسة اعلامه
ام تنهنه طفلها ، واب يثور كلامه
تاهت مطيته ، وضلت شاؤه وغلامه
وهناك قوم أسندوا كوخا يميد قوامه
والشاء تثغو والسحاب مدوم ضرغامه

ثم يصور لنا الطبيعة الخضراء الجميلة غب المطر قائلا :

بالتل راع جاثم حفت به أغنامه
فكأنه متعبد من حوله اصنامه ٢٠٠
شاع الرضا فى ناظريه ، وحلقت اوهامه
مزماره متهلل ، سحرية انغامه
سحر القطيع فطوفت تحكى اللحون بهامه

وفى هذه القصيدة نلمح فى الخصائص الفنية لأسلوب الشاعر مزاوجته بين الرومانتيكية والواقعية فهو يصور لنا السحاب والرعد تصويرا رومانتيكيا يشيع فينا الرعب من المجهول ، وفى نفس الوقت يرسم للقرية صورة واقعية يستطيع أن يلمسها كل من عاش فى السودان ، وكذلك نلمح فى القصيدة اعتمادها على البناء الدرامى الذى يهتم بالجزئيات التى توحى فى النهاية بمضمون له أهميته وخطره ، وذلك حين يصور لنا فى نفس القصيدة الفتى اللاهى فى الحانة حين يخبره انسان مجهول بتشتت أنعام أخيه فى الصحراء عند المطر ، فيقوم هو ورفاق الشراب لنجدة الأخ المنكوب فى متاهات الصحراء المظلمة الموحشة .

كما نلمح فى شعره غراما بصحراء السودان يتجلى فى اختياره الفاظا بدوية كثيرة قد يتعجب لها من يعرف أن شاعرنا درس فى الخرطوم والقاهرة ، وقضى معظم حياته فى المدن ، ولكن عجبه يزول اذا عرف أن الصحراء جزء لاينفصل عن نفسية الشاعر، يميل اليها حيثما كان ، فمن الفاظه المغرقة فى صحراويتها « أسحم، أرزام ، مهمه، تمام «سبسب، سحام بهام ، آجام » وهو بجانب ذلك له غرام شديد باللهجة المحلية السودانية ، وذلك واضح فى استخدامه أحيانا الفاظا محلية ، لأن لها من الرصيد النفسى والتاريخى ما يجعل استخدامها ضروريا للتعبير عن بعض المواقف ، ومن هذه الألفاظ فى قصيدته « من ذكريات البطانة » : « العدار » أى « الذرة البرية » و « الدليب ـ الكسرة » وفى قصيدة « قصة شاعر » « الطار ـ المداح ـ الرق ـ الحلة » .

ومن هذا الحب العميق للطابع الشعبى ، ولكل ما هو سودانى تنبع قصائد ديوان «ألحان وأشجان» .

٢ ـ اما الشاعر السودانى الثانى الذى يعكس لنا فى شعره وجه السودان جليا واضحا فهو :

« محمد المهدى المجذوب » .

فشعره تجسيم للبيئة السودانية بما فيها من تقاليد وعادات ، ومثل وقيم ، وقصائده ما هى الا لوحات ناطقة تستوحى جغرافية بلاده ، وحياتها الشعبية بكل ما تحمله كلمة الشعبية من معان .

ولا نذهب بعيدا اذا قلنا ان من أبرز القيم الفنية لهذا الشاعر ارتباطه بالروح الشعبية الأصيلة ، ومقدرته التصويرية الرائعة ، وروح الوطنية القوية التى أملت عليه أن يخلد ذكريات أبطال السودان الخالدة ضد الاستعمار البريطانى . أما ارتباطه بالروح الشعبية السودانية فواضح فى كثير من قصائده ، ففى قصيدة «قرية قمراء» يصور لنا حفلات الزفاف السودانى ورقصة « الدلوكة » :

« دلوكة » فى الليل ترتعد
بكمت وأرسل شجوها الكمد
مجنونة نفضت اضالعها
وتكاد فى اجلادها تقد
رقصت مع الأحلام عذراء
وبرقصها للحب انباء

تكنى وتعلم كل خافية
وقلوبنا لهف وايماء

ويهيج بالفتيان « شبال »
والى حنين عبيره مالوا

والسوط ياكل ظهر مبتدر
فى كل جرح منه تامال

أما روحه الوطنية فتبدو جياشه بالكفاح والنضال فى قصائده التاريخية التى سجل بها انتصارات بلاده على حملات الاستعمار البريطانى ، وبطولة المهدية فى هذه المعارك ، ومن هذه القصائد قصيدته التى يصور فيها « غوردون » وهو محاصر فى الخرطوم ينتظر النجدة :

و« غوردون » امسى لدى شرفة
بمنظاره كم يعيد النظر

وقد أمسك النيل امواجه
واخفى عليه وجوه الخبر

يرى الغرب نارا على ومضها
يهز الرماح رعاة البقر

ظلام وغوردون فى صدره
ظلام الفلا وسكون الحفر

كما تبدو روحه الوطنية فى تمجيده للكفاح الافريقى ، فهو يشيد بكفاح « كينيا » ويدعو أبناء القارة الى الكفاح الدامى العنيف :

بنى وطنى للنار فى كل بقعة
لسان دخان فى السموات أسود

لكم جيرة فى كينيا قد تمردوا
واشربهم «جومو» سلاف التمرد

طوى الغاب من أسواره كل ضيغم
ابى الدم الا ملء خد مورد

فلا ترحموا لم تبق فى الأرض رحمة
والا هلكتم بين عيسى واحمد

وفى السنوات الأخيرة اتجه هذا الشاعر فى بعض قصائده للشعر الحر ، ومن هذا اللون قصيدته « النشال » التى نشرتها جريدة السودان الجديد هذا العام ، ولكنه فى أغلب قصائده يتمسك بالقيم الأصيلة للشعر العربى ، وعسى أن يظهر ديوانه للقراء قريبا .

٣ ـ وأخيرا يجدر بنا وقد استعرضنا وجه السودان فى انتاج أبنائه الشعراء أن نحاول استكناه هذا الوجه الحبيب فى مخيلة شعراء أصدقاء زاروه فاكرم وفادهم ، وألهمهم روائع من اشعارهم ، ومن هؤلاء الشعراء الشاعر المصرى :

عبده بدوى فى ديوانه «شعبى المنتصر»

وتنساب قصائد هذا الديوان حبا فياضا للسودان وافريقيا ، ومشاعر جياشة بالاخلاص والوفاء لشعب السودان الوفى الكريم ، وتتجسم هذه المشاعر النبيلة فى أول صفحة فى اهدائه الديوان (الى الحياة المرتفعة فى اصرار تحت شمس السودان الحبيب) وبعد ذلك تتوالى همسات الحب العميق الذى تمتد جذوره بعيدا بعيدا مطلة على أربع سنوات قضاها شاعرنا الضيف بين أحبته وأصدقائه من الشعراء السودانيين وتلاميذه الذين كان يقوم بالتدريس لهم حيث جاء الى الخرطوم منتدبا للبعثة التعليمية العربية بالسودان من ١٩٥٤ ـ ١٩٥٨ و (عبده بدوى) كشاعر يمكن أن ينتمى الى مدرسة من مدارس الشعر الحديث هى مدرسة «الشعر الهامس» التى دعا اليها الناقد المعروف الدكتور (محمد مندور) فشعره شعر هامس يعبر بالصورة والرمز ويبتعد عن التقريرية المباشرة ، وفى شعره تستطيع أن نميز خطين واضحين هما : تعلقه بالطبيعة الجميلة الساذجة فى الريف ، وحبه الشديد لأفريقية. فمعظم قصائده تدور حول هذين الاتجاهين ، وعندما يتناول هذا الشاعر السودان كموضوع لقصائده تجد هذه الخصائص الفنية واضحة جلية ، فالحب ، والتعلق بالطبيعة الجميلة ، وحبه لافريقية ، والتعبير الهادىء الهامس ، كل ذلك واضح فى قصيدته «مدينة الخرطوم» وفيها يقول :

سمراء يا مرح الغيوم ، ويا ظلال الأمسيات
طرزت تحت جفونك الوطفاء أجمل ذكرياتى
وزرعت فجرك فى دمى ، وغرست شمسك بين ذاتى
قالوا الجحيم يشق بين دخانها العاتى سبيله

فصرخت : كل ثنية فى « أم درمان » خميلة
جدرانها عطر تجمده حدائقها الخجولة
وسماؤها شدو الطيور وبحة الناى الظليلة

شبهتها بالخال يحلم فى حمى شفة جميلة
ومدينة نسى المساء على نوافذها سدوله

علمت شعبك أن يعز فمس أطراف السماء
ومضى تعممه الأشعة كالصباح على المساء
كم وقفة فى ملتقى النيلين هزت كبريائى
وتمددت فى خاطرى شعرا وغاصت فى غنائى
فحسبتنى فى موطنى فرحان مشبوب الدماء
وبكيت دمعا باسما لما تشابهت المرائى

ومن قصيدة له فى «التوب» الذى يمثل الزى القومى للمرأة السودانية :

رفت بالتوب المنفعل
كنشيد غرد لم يطل
فلقد غاصت بين القبل
بينا أتصاريح انك لى
يا غابا يخطر فى خجل

وطابع المحبة والصفاء الذى يميز الشخصية الفنية لعبده بدوى واضح فى هذه الموجات العاطفية المتدفقة فى قصيدته الى « أخى فى السودان » :

أخى يا من يصلى النور فى مرح بأهدابه
ومن للعطر والعصفور ميعاد على بابه
ويقفز من يدى العنقود فى شوق لأكوابه
ويسبقنى لمحرابى ، وأسبقه لمحرابه

أخى يامن يوسده متى جاء الدجى نجمى
ويغفو فى جفون الليل متكئا على حلمى
يدق الطير شباكا له ، فأفيق من نومى
ويحمل فى يديه الشمس حتى ينتهى يومى

أخى ياصحوة التاريخ فى قلبى وتفكيرى
أساطيرك تحت الليل مازالت أساطيرى
وتحت ظلالك الوطفاء قد أغفت نواعيرى
وفى قبلتك السمراء تلقانى بتكبيرى
أخى فى الشرق والتاريخ والنهر الذى يجرى
أضم غدى والثمه على أهدابك السمر
فمن يلقاك يلق الفجر ملتفا على عمرى
تعال لنرفع الشعلة فى أعماق أفريقيا
ونرجع فوق هذا النهر تاريخا لنا حيا

وهذا الحب الفياض للسودان وأفريقية تلمسه فى قصائد أخرى مثل « زنجى ، أسطورة النيل ، الضوء المنفعل ، دماء فى أفريقيا .

وباختصار فديوان «شعبى المنتصر» يمثل قلبا عربيا هام بالسودان العربى وتغنى بشعبه الكريم وأرضه الطيبة .

وما أكثر ما يوحى السودان من لوحات جميلة رائعة .

« سعد دعبيس »

مؤلفات العقاد وتاريخ صدورها

بقلم: احمد ابراهيم شريف



لم يكد يمضي على انتقال **العقاد** — عليه رحمة الله — الى جوار ربه زمن طويل ، وما من كاتب كتب عنه الا وقد عاصره ورآه ملء السمع والعين والعقل والفؤاد ، ومع هذا فما أكثر الخطأ الذي وقعوا فيه ، أو وقع فيه معظمهم ، وهم يقررون أحداث حياته ويبنون آراءهم على هذه التحريفات ولا سيما في كتبه وتواريخ صدورها

فان كان هذا هو مايقع من دارسينا الذين عاصروا العقاد ، فأي مدى من الخطأ والخلط لا يصل اليه دارسوه بعد أجيال وأحقاب ؟!

في هذا وحده الدليل على أهمية ما حاوله — مشكورا — الاستاذ عبد العظيم ابراهيم المطعني الذي نشرت له الرسالة الغراء (في العدد ١٠٥٦) قائمة مؤرخة بكتب العقاد .

غير أن القائمة نفسها لم تسلم من الخطأ . فقد وقع فيها التحريف في تاريخ صدور ثلاثةعشر كتابا هي : « الشذور » و « عبقرية الامام » و « عبقرية الصديق » و « مطلع النور » و « بين الكتب والناس» و « الشيوعية والانسانية » و «التعريف بشكسبير» و « مطالعات » و « على الاثير » و « القرن العشرون » و « شاعر اندلسي وجائزة عالمية » و « ابليس » و « محمد عبده »

ووقعت في خطأ آخر حين خلطت بين عنوانين مختلفين لكتابين مستقل أحدهما عن الآخر من كتب العقاد هما « ساعات بين الكتب » و « بين الكتب والناس » فأطلقت على الكتاب اسم — « ساعات بين الكتب والناس »

وخطأ ثالث لم تتنبه اليه هو حساب الطبعات المعادة كتبا مستقلة ، مثلما فعلت مع « العبقريات الاسلامية » الذي أعيد فيه طبع العبقريات التي صدرت حتى ذلك الحين ، ومع « سعد زغلول زعيم الثورة » وهو اعادة طبع « سعد زغلول سيرة وتحية » ، ومع « حياة المسيح » وهو اعادة طبع « عبقرية المسيح » .

والى جانب هذا قصرت القائمة فلم تدرج بين كتبها كتاب « أبو الانبياء »

ولعل أفحش ما وقعت فيه هو أنها نسبت الى العقاد كتاب « الاسلام والتجديد » ، بينما هو كتاب لمؤلف امريكي يقال له شارلز آدمز ، ترجمه عن الانجليزية الاستاذ عباس محمود ، وهو كاتب معروف وله آثار غير منكورة ولا مجحودة الفضل .

وأنا التمس العذر للاستاذ المطعني ولا شك ، فالعقاد ذو أجل طويل فى ميدان التاليف اربى على نصف قرن ، وذو أفق واسع اشتمل على كل آفاق الآداب والفنون ولم يتخصص فىجانب واحد يسهل على الباحث أمر تعقب مؤلفاته ، وهو كاتب مكثر ذو قلم ثرار بلغت كتبه المائة كتاب عدا ـ ولعل هذا يغنينا عن أن نذكر من كتبه مالم ينشر بعد كديوانه المنوى طبعه وهو « ما بعد البعد » ـ

الا أن هذه المبررات لايجب أن تثنينى ـ أنا قبل غيرى ـ عن محاولة تصحيح هذا التراث خدمة للباحثين فى فقيدنا العظيم وأدبه فما هو عندى بجهد من العبث المرذول

وهاندا أضع بين يديك القائمة المصححة الكاملة لآثاره التى ظهرت حتى اليوم مقرونا كل كتاب منها بتاريخ صدوره الصحيح ، مصنفة جميعها حسب موضوعاتها ، متسلسلا كل صنف من أصنافها حسب الاسبقية فى الصدور :

اولا ـ الشعر

يقظة الصباح	١٩١٦
وهج الظهيرة	١٩١٧
أشباح الاصيل	١٩٢١
أشجان الليل	١٩٢٨

وقد جمعت الاربعة فى مجلد واحد بعنوان ديوان العقاد

وحى الاربعين	١٩٣٣
هدية الكروان	١٩٣٣
عابر سبيل	١٩٣٧
أعاصير مغرب	١٩٤٢
عرائس وشياطين (مختارات مترجمة)	١٩٤٥
بعد الاعاصير	١٩٥٠
ديوان من دواوين (مختارات من الدواوين مع بعض الشعر الجديد)	١٩٥٨

ثانيا ـ النقد والادب واللغة

الديوان (جزءان) (بالاشتراك مع المازنى)	١٩٢١
ابن الرومى : حياته من شعره	١٩٣١
تذكار جيتى	١٩٣٢
قمبيز فى الميزان	١٩٣٢
شعراء مصر وبيئاتهم فى القرن الماضى	١٩٣٧
رجعة أبى العلاء المعرى	١٩٣٩
شاعر الغزل	١٩٤٣
جميل بثينة	١٩٤٤
برنارد شو	١٩٥٠
ابو نواس : الحسن بن هانىء	١٩٥٣
الوان من القصة القصيرة فى الادب الامريكى	١٩٥٤
التعريف بشكسبير	١٩٥٨
شاعر أندلسى وجائزة عالمية	١٩٦٠
اللغة الشاعرة (محاضرات فى المجمع اللغوى	١٩٦٠
أشتات مجتمعات فى اللغة والادب (مقالات فى مجلة الازهر)	١٩٦٣
جوائز الادب العالمية ـ مثل منجائزة نوبل (أحاديث اذاعية ـ آخر مانشر من كتبه فى حياته)	١٩٦٤

ثالثا ـ الفلسفات والاديان والمذاهب الاجتماعية

الانسان الثانى	١٩١٢
مجمع الأحياء	١٩١٦
الحكم المطلق فى القرن العشرين	١٩٢٨
اليد القوية فىمصر (مقال ضد وزارة محمد محمود باشا ووقف الدستور)	١٩٢٨
عالم السدود والقيود	١٩٣٧
النازية والاديان (أحاديث اذاعية)	١٩٤٠
هذه الشجرة	١٩٤٥
فى بيتى (محاورة)	١٩٤٥
أثر العرب فى الحضارة الأوربية	١٩٤٦
الله : بحث فى العقيدة الالهية	١٩٤٧
الفلسفة القرآنية	١٩٤٧
عقائد المفكرين فى القرن العشرين	١٩٤٨
فلاسفة الحكم فى العصر الحديث	١٩٥٠
الديمقراطية فى الاسلام	١٩٥٢
الاسلام فى القرن العشرين	١٩٥٤

الصهيونية العالمية (أحاديث اذاعية)	١٩٥٥
مطلع النور : طوالع البعثة المحمدية	١٩٥٥
فلسفة الثورة فى الميزان (مقال)	١٩٥٥
ابليس	١٩٥٥
جحا : الضاحك المضحك	١٩٥٦
الشيوعية والانسانية	١٩٥٦
أفيون الشعوب	١٩٥٦
الاسلام والاستعمار (كتيب)	١٩٥٧
حقائق الاسلام واباطيل خصومه	١٩٥٧
لا شيوعية ولا استعمار	١٩٥٧
القرن العشرون : ما كان وماسيكون	١٩٥٩
المرأة فى القرآن الكريم	١٩٥٩
فلسفة الغزالى (محاضرة فى الازهر)	١٩٦٠
الثقافة العربية أسبق من الثقافتين : العبرية واليونانية	١٩٦٠
الانسان فى القرآن الكريم	١٩٦١
التفكير فريضة اسلامية (ألف سنة ١٩٥٧)	١٩٦١
مايقال عن الاسلام (مقالات فى الازهر)	١٩٦٣

رابعا ـ السير والتاريخ

سعد زغلول : سيرة وتحية	١٩٣٦
هتلر فى الميزان	١٩٤٠
عبقرية محمد	١٩٤٢
عبقرية عمر	١٩٤٢
عبقرية الصديق	١٩٤٣
عبقرية الامام	١٩٤٣
الصديقة بنت الصديق	١٩٤٣
عمرو بن العاص وفتح مصر	١٩٤٤
ابو الشهداء : الحسين بن على	١٩٤٥
داعى السماء : بلال بن رباح	١٩٤٥
عبقرية خالد	١٩٤٥
فرنسيس بيكون مجرب العلم والحياة	١٩٤٥
الشيخ الرئيس : ابن سينا	١٩٤٦
روح عظيم : المهاتما غاندى	١٩٤٨
١١ يوليو وضرب الاسكندرية	١٩٥٢
القائد الأعظم : محمد على جناح	١٩٥٢
شعن ياتس	١٩٥٢
عبقرية المسيح	١٩٥٣
أبو الأنبياء	١٩٥٣
فاطمة الزهراء والفاطميون	١٩٥٣
ابن رشد	١٩٥٣
ذو النورين : عثمان بن عفان	١٩٥٤
معاوية بن أبى سفيان فى الميزان	١٩٥٦
بنيامين فرانكلين	١٩٥٦
الرحالة كاف : عبد الرحمن الكواكبى	١٩٥٩
محمد عبده	١٩٦٢
رجال عرفتهم (مقالات فى المجلة)	١٩٦٣
أنا (مقالات فى دار الهلال نشرت بعد موته)	١٩٦٤

خامسا ـ القصص :

سـارة	١٩٣٨

سادسا ـ المجموعات المصنفة :

خلاصة اليومية(أول كتبه)	١٩١٢
الشذور	١٩١٥
الفصول	١٩٢٢
مطالعات فى الكتب والحياة	١٩٢٤
مراجعات فى الآداب والفنون	١٩٢٥
ساعات بين الكتب : جزء أول	١٩٢٧
ساعات بين الكتب : جزء ثان	١٩٥٠
يسالونك (أحاديث اذاعية)	١٩٤٧
بين الكتب والناس	١٩٥٢
على الأثير (أحاديث اذاعية)	١٩٥٣
مطالعات (أحاديث اذاعية)	١٩٥٦
يوميات (جزء ١)	١٩٦٤

« **أحمد ابراهيم الشريف** »

العودة في نيسان

الشاعر أنس داود

ها أنا عدت الى مغنـاك يا دنيـا غرامى
بعد عـام مزقتني فيـه أشـباح الظلام
فافتحى نافذة الحب ، وحيى بابتســام
نحن كنـا فى الشـتـاء
نملأ الدنيـا غنـاء
نضر الأكوان فى أعيننا سـحر اللقـاء
ها أنا أسعى الى مغناك فى صحو الربيع
فأرينى البسمة السكرى على الثغر الوديع

* * *

ها هـو النهر الذى ضم خطانا فى الشتاء
شهد الفرحة فى عينى ، واصـغى للنداء
كم على شاطئه المسحور همنا طلقـاء
وعلى خفق الشـموع
كم نثرنا من دموع
وسألنا الله للأغصـان أن يأتى الربيـع
هـا أنا عـدت لعينيك ونيسـان معى
فافتحى نافذة الحب ، وضـمى أدمعى

* * *

بيتها الرافه يغفو بين أطيـاف السنا
وعلى الشرفة زهـر ضـاحك مثلى أنا
يد نيسـان فما أبهج نيسـان هنـا
وصـدى قلب خفوق
يقطع الصمت العميق
يطرق الباب ويرجو أن يرى الوجه الصديق
فتح الباب .. رآنى .. طال تسآل العيون
أنكرتنى .. أى ريح حملتنى؟ .. من أكون؟
ان يكن نيسـان قد عاد لهـذا المنحنى
طيره الصـادح فى كل سـماء دندنا
زهره النـاضر روى من سـناه الأعينـا
فأنا عـدت كئيبـا
ضائع القلب .. غريبـا
حاملا ـ من جرح أيامى ، واحلامى ـ صليبا
مات حبى فى رواء النور ، فى صحو الربيع
بعد أن أينع ـ يالله ـ فى كف الصقيع

« أنس داود »



موسيقانا بعد الثورة

بقلم : عبد الفتاح البارودى

لابد من مناقشة صريحة للانتاج الموسيقى الذى ظهر فى حفلات اعياد الثورة .. وانا لا اريد فقط مناقشة هذا الانتاج فى ذاته ، وانما اريد اولا ان نعرف مدى التقدم الذى احرزته فنوننا بعد ١٢ سنة من الثورة .

لقد كانت فنوننا متخلفة لأن حياتنا نفسها كانت متخلفة فى الماضى ، وكان لابد ان يتحمل الفنانون - بعد الثورة - مواجهة اسباب التخلف ، وتطوير انتاجهم بحيث يساير ما حدث فى حياتنا من تغيير جوهرى ، فالى اى مدى تحقق ذلك ؟

ان ابرز ماقدموه خلال الأسبوع الماضى هو الانتاج الموسيقى والغنائى ، ومن اهم ما فى هذا الانتاج - فنيا - الكونشرتو الذى عزفه اوركسترا القاهرة السيمفونى ، وهو كونشرتو من تأليف الموسيقار الروسى **اميروف**، وقدادخل فيه بعض جمل موسيقية من الألحان القديمة **لمحمد عبد الوهاب** ... وهذا الكونشرتو يجعلنا نتساءل :لماذا لم يؤلف عبد الوهاب عملا مماثلا له؟ ولماذا لم يؤلف مثله احد من ملحنينا؟! ان كثيرين اعتقدوا بعد سماع هذا الكونشرتو ان الحاننا صالحة للكونشرتات ، فهل هذا صحيح ؟

اولا من الاسراف - فنيا - ان نظن ان هذا الكونشرتو مرتبط باسم او بفن اى ملحن من ملحنى الاغانى التى ادخل المؤلف الروسى بعض اجزائها فى عمله ، فهو لم يدخل فقط بعض الحان عبد الوهاب، بل ادخل الحانا اخرى ، منها الحان شعبية شائعة، ومنها الحان للملحن عبد الغنى الشيخ ، واصحاب هذه الالحان هم ملحنوها بلا جدال ما دامت فى صورتها اللحنية ، اما بعد ان ادخلت فى الكونشرتو فقد تحولت الى شيء آخر .. تحولت الى خامات ذائبة فى العمل الجديد ، واصبح مؤلف الكونشرتو هو المؤلف الروسى فقط .

هذه نقطة دقيقة يجب ان ندركها ادراكا فنيا .. ولزيادة الايضاح نذكر ان كثيرين من مؤلفى الكونشرتات يستخدمون خامات من الطبيعة ، فيصورون بالموسيقى خرير الماء ونقيق الضفادع وحفيف الشجر وصهيل الخيل ، دون ان يقال - مثلا - ان للأمطار والأنهار والضفادع والخيول اى صلة او ارتباط بالكونشرتات نفسها .. لنفس السبب لا يجوز ان نقحم فى كونشرتو المؤلف الروسى اى اسم سوى اسم اميروف ، اى المؤلف نفسه فقط ...

فاذا افترضنا انه عندما اختار بعض الجمل الموسيقية لملحنينا ، اختارها بسبب صلاحيتها او سلامة تركيبها اللحنى ، فان هذا يواجهنا بسؤال فى غاية الأهمية :كيف وجد فيها المؤلف الروسى هذه الصلاحية ، وكيف استخدمها كخامات فى عمل موسيقى كبير ، بينما وقف بها ملحنونا عند مرحلة الغناء الفردى او مرحلة التطريب ؟!

ان الفرق - بلا جدال - فى الدراسة ... لأن المؤلف الروسى «دارس» استطاع ان يؤلف كونشرتو

اعتمد فيه على الحانثا ، ولأن ملحنينا او معظمهم غير دارسين لم تتهيأ لهم القدرة على تأليف مثل هذا النوع من التراكيب الفنية فى الموسيقى ...

واذن فاهم ما فى هذا الكونشرتو الذى عزفه اوركسترا القاهرة السيمفونى انه يلقى بعض الضوء على اسباب عجزنا عن ممارسة تأليف الكونشرتات وغيرها من التراكيب الفنية ،واهم من ذلك انه يدفعنا الى معالجة هذه الاسباب .. وطبعا فى الماضى كان ملحنونا مضطرين الى الارتجال الذى سجنهم فى مرحلة التطريب، لأنهم لم يجدوا المعاهد التى تثقفهم، بل ان معاهدنا الموسيقية كانت ايضا فى نفس المرحلة ...

اما الآن فان مجتمعنا كله تغير ، ويجب ان يتغير تفكير ملحنينا ، وتتغير مناهج معاهدنا الموسيقية ، وتزداد المعاهد التى تعطى الثقافة الموسيقية الحقيقة.

ومن جهة اخرى يجب اتاحة الفرصة للموسيقيين الدارسين نسبيا ... وهذه وسيلة أخرى من وسائل انهاء مرحلة الارتجال ، ولكننا لانزال نلاحظ ان الارتجاليين اكثر انتشارا من الدارسين ... بل ان الأوركسترا السيمفونى ــ وهو مجال كبير للأعمال الموسيقية المدروسة ــ يعتمد فى معظم برامجه على المؤلفات العالمية .. وصحيح انهذه المؤلفات مرتفعة المستوى الفنى ، ولكن اين يجد المؤلفون المحليون فرصة تقديم تجاربهم ؟!

ان هذا يقتضى بحث مشكلة الموسيقيين الدارسين سواء بالنسبة للأوركسترا السيمونى او سائر الأجهزة الموسيقية ، لتشجيع المؤلفات والأعمال المدروسةسواء منها الاعمال السيمفونية او الكورالية او الأبرالية .

ان الأوركسترا السيمفونى يستخدم مايستروهات من الخارج ، وعددا كبيرا من العازفين من الخارج ايضا ، وهذه ضرورة حتمتها قلة المايستروهات المحليين والعازفين المحليين ، ولكن من اللازم تدريب العناصر المحلية ... ان لدينا مايستروهات ولكن لاتتاح لهم اى فرصة لقيادة برامج الاوركسترا ... لماذا لا يقود كل واحد منهم ولو حفلة واحدة فى السنة ؟! .

وبالنسبةللعازفين: من الممكن ضم عدد من العازفين المحليين ليجدوا فى الأوركسترا فرصة التدريب على العزف الأوركسترالى .. وحتى اذا زاد العدد عن حاجة الاوركسترا فيمكن تقسيم العازفين الى مجموعتين تقوم احداهما بالاشتراك فى الأوبرات ، وتقوم الثانية بالاشتراك فى الأعمال السيمفونية .. اننا الآن فى حاجة الى التوسع فى تقديم الأوبرات والسيمفونيات والأعمال الموسيقية المتطورة ، ليس فقط فى القاهرة ، بل فى مختلف المحافظات ، لنشر الثقافة الموسيقية والوعى الموسيقى .

وبالنسبة للمؤلفات يجب توسيع مجال تقديم الاعمال المحلية ... لقد اصبح لدينا عدد من الموسيقيين الذين يؤلفون أعمالا سيمفونية ، وهذه الاعمال لا يكفى ان تؤلف فقط ، بل لا بد من ان تعزف ليعرف مؤلفوها اخطاءهم التى لا يمكن ان تكتشف الا بعد عزفها ... وطبعا من المستحيل ان تكون هذه المؤلفات فى مستوى المؤلفات العالمية ، ولكنها بالبداهة افضل بكثير جدا من الموسيقى الارتجالية ... يكفى اننا بدانا ممارسة التأليف السيمفونى ، وهى عملية شاقة وغير مجزية ماديا ، فكيف نبخل على مؤلفيها بالتشجيع ؟!

اذن لابد من تكليف المايستروهات بتحضير الأعمال المحلية الجيدة للعزف ، وتخصيص نسبة معينة من برامج الأوركسترا السيمفونى للمؤلفات المحلية .

هناك مشكلة اخرى فى جهاز موسيقى آخر ، وهو **«كورال الأوبرا»** ...ان هذا الجهاز يعمل منذ ثمانى سنوات ،واعضاء الكورال اثبتوا صلاحيتهم وجدارتهم فى مختلف الحفلات التى اشتركوا فيها ، ومع ذلك فانهم فى حاجة الى الاستقرار ... ثم انهم يتدربون طول السنة ليشتركوا فى موسم الأوبراالايطالى الذى يقام كل سنة ، وهذا الموسم يستغرق حوالى شهر فقط ، فلماذا لا يتدربون على الأوبرات المعربة والأوبرات او الأعمال الأوبرالية المحلية ؟!

هذه مشكلة اخرى ، فان الأوبرات المحلية لاتجد اى تشجيع ... ان الأعمال الأوبرالية المحلية ــ مثل الأعمال السيمفونية المحلية ــ لا يمكن ان ترتفع الى المستوى العالمى ، ولكن كيف ترتفع الى هذا المستوى اذا كنا لا نقدمها على مسارحنا ؟!

اننا بدانا تعريب الأوبرات ، وفى هذا الموسم قام المهندس الدكتور ابراهيم رفعت بتعريب أوبرا فردى **(لاترافياتا)** ، وعرضت فعلا فى دار الأوبرا ...

وكانت محاولة ناجحة بالنسبة لامكانياتنا ، ولكن ماذا فعلناه لتشجيع مثل هذه المحاولة ؟!

ثم ان لدينا محاولات لأوبرات مؤلفة فعلا ، مثل اوبرا عنتره ، واوبرا مصرع كليوباترة ، ولكن هذه المحاولات وغيرها مازال مختفية ، وهى فى حاجة الى القاء الأضواء عليها بعرضها فى دار الأوبرا مثلا، فلماذا لا نحاول عرضها ولو من قبيل التجارب ؟! اذا كانت دار الأوبرا متمسكة بعدم عرض اى عمل الا اذا كان فى المستوى العالمى ، فمن المستحيل أن نجد هذا المستوى ، ومن المستحيل ان يوجد الا بعد تجارب متكررة .

ان كل هذه المشكلات ساقتنا اليها تجربة تقديم كونشرتو اميروف فى احتفال اوركسترا القاهرة السيمفونى باعياد الثورة ، والواقع انها مشكلات تستحق البحث العميق ، ليمكن تعميق مفهوماتنا الموسيقية فى مجتمعنا الجديد .

وهناك مشكلات اخرى تسوقنا اليها التجارب الغنائية التى قدمت ايضا فى حفلات اعياد الثورة .

ان هذه التجارب نالت اهتماما شعبيا اكبر ، لان جمهورنا لا يزال يهتم بالأعمال الغنائية اكثر مما يهتم بالأعمال السيمفونية او الأوبرالية ، وهذه وحدها مشكلة كبيرة يجب ان نعالج اسبابها بابراز الحاجة الى تعميم الوعى الموسيقى والثقافة الموسيقية .

ومع ذلك فما هى القيمة الفنية للتجارب الغنائية؟!

ان ابرز هذه التجارب هو قصيدة (**على باب مصر**) التى كتبها كامل الشناوى ولحنها عبد الوهاب وانشدتها ام كلثوم ... ان عبد الوهاب اثبت انه لايزال الملحن الأول ، فهو على الاقل قدم عملا يعتمد على الموسيقى والغناء والكورال ، ولم يقحم فيه — كما فعل غيره — تعبيرات غير موسيقية ، ولكن هل هذا اللحن نشيد ام اغنية جماعية ام اغنية فردية؟ ثم ماذا فعله « اندريا رايدر » عندما وقف أمام التخت ليقود الأداء الموسيقى بالاشارة بيديه اشارات مضحكة ؟وهل مثل هذا اللحن يحتاج الى مايسترو؟ وهل فى الدنيا مايسترو يقود الفرقة الموسيقية بيديه؟ هذه عملية « تهويش » فقط ... نترك الناحية الشكلية وندخل فى الموضوع .. اولا اذا استبعدنا صوت ام كلثوم فسيفقد اللحن معظم اسباب نجاحه وثانيا فى اللحن « خليط » من الجمل الموسيقية ، فمثلا بينما تسمع الكورال فى جمل استطرادية تسمع بعده انغاما راقصة او ايقاعات رتيبة ...اين الوحدة الفنية ؟ واين « الفورم » ؟ واين التطور الفنى فى جزئيات اللحن ؟! ثم « الكورس » ، هل ادى وظيفة معينة فى الأغنية ، ام كان اداؤه مجرد ترديد جماعى لأنغام فردية ؟! المفروض فى الكورس ان يتحاور مع المطرب او المطربة تحاورا فنيا ، ولكن لم يحدث هذا فى هذه الأغنية ... وفى الأغانى الشعبية المفروض فى الكورس ان يكون اداؤه سهلا بحيث يمكن ان يؤديه اى فرد .. وهذا ايضا لم يحدث فى هذه الأغنية .

هناك تجربة اخرى فى اغنية اخرى كتبها مرسى جميل عزيز ولحنها كمال الطويل وغناها عبد الحليم حافظ ، وهى اغنية مفروض أنها شعبية ، ولكن الملحن وضع فيها سكتات وقفزات وتعريجات بحيث يستحيل ان تؤديها المجاميع ... ثم انها — بعكس طبيعتها — استخدم فيها التوزيع الذى اصبح « موضة » .. وايضا وقف الموزع على اسماعيل امام الأوركسترا لقيادته ، وهذه « موضة اخرى ». ثم ان اللحن اقحمت فيه ابتداعات جديدة جعلت الأغنية اقرب وانسب « للمونولوجست »

وتجربة ثالثة قدمها فريد الأطرش فى اغنية اشتركت معه فيها ثلاث مطربات وكورس ، وهذه الأغنية عبارة عن فقرة واحدة تتكرر بينهم جميعا .

وهناك تجارب اخرى تعتبر فكرتها أهم من الناحية الفنية ، وهى تجربة الأغانى الجماعية ،ورغم اهمية هذه التجربة فان الاذاعة — التى قامت بها — لم تهتم بها اهتماما فنيا ، سواء فى تنفيذها او فى تقريبها للأذهان ، فان معظم هذه الأغانى عبارة عن أغان فردية تؤديها المجاميع ، وهذا خلط بين نوعين مختلفين تماما ويظهر أن الاذاعة لم تدرك بعد هذا الفرق .

الخلاصة ان كل التجارب الموسيقية والغنائية تعبر عن الرغبة فى تطوير الفن الموسيقى والغنائى ، ولكن لا تزال تعوزنا الأداة الأولى لتنفيذ هذه الرغبة. لماذا ؟ لأننا لا نزال فى حاجة — أولا — الى الثقافة الموسيقية !!

« عبد الفتاح البارودى »

حول الأدب في أسبوع

يقدمه : عبده بدوى

مهيار الديلمي .. وأغاني مهيار الدمشقي

اعترف أن « مهيار الديلمي » لم يكن في سابق اهتمامي ، وأني لم أقف عنده وقفة المتأمل المحاور ، فقد كنت أكتفي منه بأنه كان أحد الذين يمدحون فيجيدون ، وأنه كان يزاحم الممدوح في قصائده ، ولا يصل اليه الا بعد أن يكون قد « ثرثر » كثيرا عن أشياء كثيرة تهمه .. قد تكون الحب ، وقد تكن التبرم بالحياة والأحياء ، وقد تكون الاحساس « بالمكان » احساسا واعيا وعميقا .

ولقد كان له دائما في ذاكرتي « مذاق خاص » يجعله يختلف اختلافا عميقا عن الشعراء الضاربين في العربية بأفكارهم وعواطفهم — وقد كان هذا يكفيني منه — ولكنه عاد الينا ثانية بوجه عصري ، عاد في الشاعر علي أحمد سعيد (**ادونيس**) الذي آثر أن يقول كلمته الدمشقية ، من خلال الوجه الديلمي القديم :

ولما كان «ادونيس» عميق الثقافة واعيا بالمعاصرة ، فان اختياره لشخصية مهيار الديلمي لن يكون اختيارا عشوائيا بليدا ، ولما كنت اريد أن اقف مع هذا الشاعر وقفة شاعرية ، رأيت نفسي تسبقني الى التحديق في وجه مهيار القديم ، ورأيت انه الدرب الذي يؤدي الى عالم ادونيس !

واذا كان لابد أن نضع « **مهيار الديلمي** » في الاطار الفكري لعصره ، فانا نضعه في الامتداد الطبيعي لاول حزب معارضة الف في الاسلام ، وهو حزب « **الرافضة** » او ما اصطلح على تسميتهم بعد ذلك بالخوارج ، ولقد كان هذا الحزب الثوري ينادي بالا تكون الخلافة في قريش أو العرب بصفة عامة لأنها ملك لكافة المسلمين — وهم على حق في هذا — ثم انهم رفضوا بعد ذلك « سلطة الحكومة الممثلة في الخليفة ، تحت شعار « لا حكم الا لله » ، وهو الشعار الذي قال عنه علي بن أبي طالب « كلمة حق يراد بها باطل » ومن خلال هذا الحزب الغاضب وفروعه تحدث كل الغاضبين على العرب ، وعلى الاسلام ، وبهذا يكون قد تحدد المصطلح المعروف في العربية باسم « **الشعوبية** » .

فقد ارتفعت اصوات غريبة كان موطنها في الغالب فارس ، ولقد كان من هذه الأصوات المناداة بالمعتقدات الفارسية القديمة ، فقد أباح « ميمون بن عمران » الزواج ببنات البنات وبنات البنين ، وأجاز « الضحاك » للمسلمة التزوج من غير المسلم ، كما كانوا وراء فكرة « الحق الالهي للملك » ، وقد تحمسوا كأقصى مايكون الحماس للعلويين حين تزوج « الحسين بن علي » من « شهر بانوه » ابنة « يزدجر الثالث » آخر ملوك آل ساسان ، وقالوا فيما قالوا اننا ننتظر الحاكم الذي يجمع بين شرف الدم الفارسي والعربي .

وقد كانوا وراء « الكيسانية » التي قالت بتناسخ الأرواح ، وبرجوع الامام « محمد بن الحنفية » بعد موته ، وانقطاع الالتزام بين الانسان ومواصفات الاسلام .

كما كانوا وراء « المرجئة » و « الجهمية » اللتين من أقوالهما : الجبر ، والتظاهر بالاسلام بينما يكون القلب مستقرا على الوثنية ، والاكتفاء بالايمان القلبي دون الحاجة الى القيام بأركانه .

فاذا اضفنا الى هذا .. الصوت الرتيب الذي كان الشعوبيون يرددونه دائما ، والذي كان يقول بفضل الرومان ، والهند ، والصين ، وأنه ليس للعرب القدامى أي فضل .. اذا اضفنا هذا عرفنا أن هذا التيار كان قد أصبح حادا ومسموما في الوقت نفسه !

ونحن حين نلمس هذا التيار ونتتبعه نراه قد وسع دائرة الخلاف بعد «التحكيم» ونراه قد ضرب الأمويين أكثر من مرة ، ولعل « نصر بن سيار » قد تمكن من اداتتهم حين قال .

قوم يدينون دينـــا ما ســـمعت به
عن الرسول ، ولا جاءت به الكتب
فمن يكن سائل عن أصل دينهـــم
فان دينهـــم أن تقتـل العرب !

ثم نراه يعمل على تقويض العباسيين ، وعلى نقـل الخلافة من بغداد الى خراسان ، وعلى توسيع الشـقة بين الأمين والمأمون ، وعلى عزل خراسان من الدولة ، وعلى استبدال « مرو » ببغداد .

وفي خلال هذا نرى فتنة « بيها فريد » الذى ادعى النبوة واعد كتابا مقدسا بالفارسية ، وفرض سبع صلوات ، وقال بالركوع على رجل واحدة ، ثم امر أن تتابع الشمس بالنظر الدائم .

كما رأينا فكرة « الحلول » و « الرجعة » ، وحركة « سنباذ » الذى أعلن أنه ســـيهدم الكعبة ، وحركة « اســـحق التركى » الذى كان يردد آراء الفرس ، بالاضافة الى « الراوندية » التى تقول بحلول روح الله فى الأئمة ، ثم تضع الأئمة فى مصاف الآلهة .. و « المقنعية » و « الخرمية » و « المازيارية » .. ولما كانت الحكومة العربية تحبط هذه « الاحتجاجات » بعنف ، فانا نراها تتجه بعد ذلـــك الى « المنظمات السرية » التى تمثل بعضها فى « البـــــاطنية » و « القرسطية » .

والخلاصة .. أن هذا المذهب السياسى كان فى أول أمره « صرخة احتجـــاج » ، وكان « تقدميا » بكل ماتعنيه هذه الكلمة ، ولكن « الشعوبيين » أو بعبارة أخرى الكارهين للعرب عرفوا كيف يتنفســـون فى جوه ، وكيف يتنفسون ، ثم يسيطرون ـ عن طريق الفكر ـ وتصبح مهمتهم الحقيقية هى ضرب الحضارة العربية والسخرية منها :

وفى هذا المناخ يمكن القول بأن « مهيار الديلمى » قد عاش ، وامتلأ ، وعبر ـ فى ســـلبية ـ عن هذا المناخ :

ومهما يكن من شيء فانا نرى أن المؤرخين القدامى قد نظروا اليه نظرة رحيبة ، ويمكن أن نحس هذا عند **«ابن خلكان»** فى «وفيات الأعيان» ، وعند **«أبى الحسن الباخرزى »** فى دمية القصر » وعند « **أبى الحسن على ابن بسام** » فى « الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة » .. أما الجانب الآخر من الصورة فنراه عن الامام « **ابى الفرج الجوزى** » فى « تواريخ الملوك والأمم »

فهو يذكر عنه أنه كان مجوسيا وأسلم ، وصار رافضا غاليا ، وكان لايكف عن تجريح الصحابة الى حد أن « أبا القاسم بن برهان » قال له « يامهيـار انتقلت باسلامك فى النار من زاوية الى زاوية » .

ونحن لايؤثر علينا كل ما قيل فيه ، مادمنـــا سنتعرف عليه من خلال شعره ، فهو يقابلنا فى أول الامر وهو يدخل الى حصن الاسلام غير متهيب .

وبلغ اخا صحبتى عن اخيك
عشيرته نائيـــا أو قريبـــا
تبدلت من ناركم ربهـــا
وخبث موالدهـــا الخلد طيبا
نصـحتكم لو وجـدت النصيح
وناديتكم لـو دعوت المجيبـــا
افيئـــوا فقـــد وعـد الله فى
ضـــلالة مثـلكم أن يتوبا
والا هـــلموا أباهيـــكم
فمن قام والفخر قام المصيبا
أمثـل محمـــــد المصطفى
اذا الحكم وليتموه لبيبـــا :

ولكن الاسلام ما كان ليمحو « خليفة الشـــاعر » تماما ، فهو نفسه يقول :

خلقت رقيق القلب صعبا تقلبى
ارى لبعيـــد ما أرى لقـــريب
ومازلت اهدى كل شيء الفته
وصاحبته حتى ألفت مشيبى :

ولعل هذا الاحســـاس هو الذى جعله من أعظم « الرثاة » فى العربية ، وجعله يكثر دائما من الجمل المعترضة ، وفى ضوء نظرية الاسلام الجديدة ، وحنين الشاعر لماضيه نعرف أول قسمة من قسمات الشاعر النفسية ، ونعرف أنه لايمثل « ثورة » ، وانما يشكل تيار رفض عادىء للحياة من حوله ، وشريط تذكر للماضى الذى يعيش فيه ، فهو فى أكثر مدائحـــه يربطها بالاعياد الفارسية ، ففى (قافيـــة الباء فى الديوان) نجـده يتعرض لهـــا فى اثنتى عشرة مرة ، ثم حين يفاخر نراه يركز على دور الفرس أكثر ممـا يركز على دور العرب .

اعجبت بي بين نادي قومها
« أم سعد » فمضت تسال بي
سرها مـــا علمت من خلقي
فارادت علمهـــا ما حسبي
لا تخـــال نســـبا يخفضني
أنا من يرضيـك عند النسب
قومي استولوا على الدهر فتى
ومشـــوا فوق رءوس الحقب
عمموا بالشمس هـــاماتهم
وبنوا ابيـــاتهم بالشـهب
وأبـــى كسرى على ايوانه
أين في الناس أب مثل أبي ؟
ســورة الملك القدامى وعلى
شرف الاســـلام لي والأدب
قد قبست المجد من خير أب
وقبست الدين من خـير نبي
وضممت الفخـــر عن أطرافه
سؤدد الفرس ودين العرب !

وتستمر هذه النبرة :

● عـــرب الأكف نمتهم
من فـــارس احرارهـــا

● علا شـــادها عبد الرحيم
على خطة خطهـــا « اردشير »

● سماء من عبد الرحيم لهـا
عرق يمـــد الى « منوجهر »

● تضوع راندافارسيا لجنسها
وللعـرب فيهـــا حنوه وعرار

● مماولدت وان خالفت منصبها
كسرى أبي وابوها نسبة مضر

● لـــولاك والايام دوالـــة
ما اسـتبعد الفرس الأعاريب

● واعجب ماحدثته ان ذمة
وفت فارس فيها وخاست بها
العرب

● فاليوم لا ابت الصغار ولا
اعتزت
لا عبيـــدا فارس الاحـــرار
وتطاطات ذلا فطالت ماشتهت
شرفا عليهـــا يعـرب ونزار

كنـــا وان كرمت نفاخرها به
فالآن ما بعـــد الحسين فخار

● اخوتي من بني الوفاء ورهطي
- يوم أغزو - بالملوك من آل
كسرى

فاذا تركنا هذه الدائرة الى دائرة فلســـفته الشعرية ، وجدناه يركز على « الثنـــائية » ، ويؤمن بالقدرية ، وبالاستمتاع بالفرصة المتاحة ، كما نراه في الوقت نفسه عارفا بالناس وبالحياة .

● وزادني خبـــرا بمن اتقى
أني بمـــا آمن منكـوب
مالك تحت الهـون مسترزحا
وانمـــا رزقـك مكتـــوب

● يطير لي حمـامة فاذا رأى
خصـــاصة دب وراني عقربا
ما أكثر النـــاس ومـــا اقلهم
وما أقل في التليـل النجب !

ثم انه كان يكمل هذا كله بانه كان من الشيعة الآخذين بمبدأ « التقية »

وتناذروا أن يندبونك « تقيـــة »
فالحـــزن بينهم عليـك سرار !

واذا تركنا هذا الى النواحي الفنية وجدنا شاعرا خصبا يكثر من رموز الحية والسم والانتقام والحسد والريبة والنار والفتنة والتهييـــــج والذئب والدم وثنائية الخير والشر وقد ينتفع بأحداث التـــاريخ ، وببعض القصص الشعبي، كما أنه كان على احساس بالحضارة السريانية أو النبطية في قوله

على المهـرجان وسمة من جمالها
عروبة منهـــا فاصـل وشـيار

فهو يريد تشبيه قصائده بيومي الجمعة والسبت ، عروبة اسم ليوم الجمعة ماخوذ من « أربا » النبطية ، أو « عروبتا » السريانية .

ثم انا نجد عنده ما يمكن أن يســـــمى « بعبقرية المكان » ذلك لأنه يحدد «المكان» في القصيدة ، ويلح عليه الى حد تهدأ فيه حركة « الزمن » أو تكاد تموت على أن الظاهرة التي يقف عندها القارىء مبهورا هي ظاهرة « الحس » عنده ، وان كانت هذه الظاهرة تظهر واضحة في رؤاه البصرية ، ثم تتحـــدد في خاصية اللون ومشتقاته ، وان كان يفضل في لقطاته دائما

« الأبيض والاسود » على أن ما يبهر منهما هو التجاور أو التقـــابل أو التحرك ، واللون الابيض عنده يستعمل فى المشيب والترائب والدمع والجــواهر والانطلاق والنقاء ، وقد يستعمل فى غير المحسوس

ويوم كلون المشرفيـــة ابيض
ولــكنه مما يفجـــر اصــهب !

واللون الأخضر يستعمل للرزق والشـــباب والمنى ، والأسود للحاظ والهضاب والشـــباب والحزن ، وفى الوقت نفسه نراه يستعمل مشتقات الألوان فيتحدث عن السواد الخفيف ، والنصــول ، والخضيب ، والاغبرار ، والشحوب ، والصورة عند الشاعر دقيقة وحاسمة يصور فيها الانسان داخل « موقف » كما فى رثائه « لأبى الحســين احمد بن عبد الله»، ثم ان الصورة عنده ليست بسيطة وانما مركبة ومتداخلة .

فمثلهـــا لاعطفهـــا متشمس
ولامسـها تحت الـكرى متصعب
تحمى تشاوى من سرى الليل انصفو
جنـــوبا بجلـــد الارض ما تتقلب
اذا انســوا بالليـــل جاذب هامهم
خوافر قطع الليل والنوم أطيب

ولعل مايعطى الصورة قيمة خاصة أنها «**متحركة**» لا « **ساكنة** » ثم انا نراه يستخدم بطريقة جديدة الحوار الجانبى فى القصيدة ، ويستعمل أســاليب الرمزيين فى تبادل وظائف الحواس .

والصورة الختامية .. لكل هذا انا أمام شــاعر كبير من شعراء المواقف السلبيـــة ، فهو لم ينس الولاء للفارسية ، ولكنه أمام الوجود الاسلامى لم يترتر كثيرا بما فى نفسه ، ومع انا نقر الشـــاعر الذى « يحتج » على المجتمع ، ونعطيه حق ان يقول كلمته ويتمزق دونها ، الا أن من الواجب أن نضعه فى اطار عصره ، وأن نتعرف على دوافعه ، ولا شك أن من هذه الدوافع الحنين الى المجوسية الفارسـية والحسرة على ضياعها ، والنقمـــة على العرب الذين ازالوا الملك الفارسي ، والحقد على ممثلى الاســلام الى حد سب الصحابة الذين كان عهــدهم يعتبر من « **انقى** » العهود الاسلامية ، وأن هؤلاء « الشعوبيين » كانوا عاجزين فى الغالب عن تكوين جبهة ، ومن هنا رأيناهم يتكلمون دائما من داخل الشيعة والخوارج باعتبارهما الممثلين للمعارضة الحكومية ،وباعتبارهما « واجهة اسلامية » .. ولكنهم من وراء الواجهـــة كانوا يخربون فى الدولة ، ويسفرون عن أغراضهم العدائية ، ويدسون السم فى الفكر وفى الفن ..

والآن فلنترك « مهيار الديلمى » لنحدق فى وجه « مهيار الدمشقى » فى الاسبوع القادم .

« عبده بدوى »



الكتب نقد وتعريف

يقدمه محسن عبد الحي

السد العالى والتنمية الاقتصادية

تأليف : الدكتور يوسف ابو الحجاج

لا شك أن أعظم المعاني في قصة السد العالى الخالدة ـ منذ ان كان مشروعا على الورق الى ان اصبح معارك تمويل استخدمت فيها كل الاساليب المعروفة وغير المعروفة في المجالات السياسية ـ تكمن في ارادة شعبنا وتصميمه على أن يقوم السد ـ تحت اية ظروف يمكن أن تفرضها القوى الخارجية ٠

فعلى الرغم من ان مشروع السد العالى في حد ذاته ـ كان احدى المحاولات الباسلة لشعبنا ـ في الطريق الى رفع مستواه ومضاعفة دخله القومى ٠٠ الا أن هذه المحاولة تحولت فجاة بفعل الضغط والغدر الاستعمارى الى معركة حياة أو موت بين قوى الشعب العربى المناضل في سبيل تحقيق واستكمال الجوانب الخفية من استقلاله ـ تلك الجوانب ـ التى يتركها الاستعمار عادة بعد انتهاء احتلاله العسكرى ـ وهى السيطرة الاقتصادية عن طريق رءوس أمواله المستثمرة والممثلة في كثير من البنوك والشركات ـ والتى يحركها الاستعماريون حسب اغراضهم ومصالحهم ٠٠

انا مدينون لهذا المشروع العظيم بحياتنا الحاضرة ـ حتى قبل ـ أن نجنى ثمار انشائه ٠٠ ولا شك انا نعرف جميعا انه بعد سحب مشروع التمويل الامريكي والبريطانى وكذلك البنك الدولى ـ سارعت قيادتنا الثورية القومية بتاميم قناة السويس ونعرف كذلك ما ترتب على هذا التاميم من حرب دعايات متعددة الاشكال والاغراض الى مزيد من الضغط الاقتصادى والسياسى ـ الخ ٠٠ ـ ثم الحرب ٠٠ تلك الحرب التى خاضتها جماهير شعبنا للدفاع عن مقدراتها ـ ولاثبات مقدرتها في العمل على تثبيت استقلالها الذى انتزعته انتزاعا ٠٠ ثم كانت حرب السويس هى المنطلق الاكيد الذى انطلقت منه الارادة العربية الجبارة في انتزاع حقوقها المسلوبة ـ داخل حدودها وخارجها ـ فكان الاستيلاء على المؤسسات الاقتصادية الاجنبية وتمصيرها وادارتها بايد عربية ٠٠ كل هذه الخطوات كانت الاساس المتين الذى اتخذت منه قيادتنا الثورية ركيزتها الكبرى في الانطلاق نحو تحقيق العدالة الاجتماعية بمحتوياتها الاشتراكية ـ والانسانية ٠٠

وكتاب اليوم يعالج موضوع السد العالى وأهميته في مجالات التنمية الاقتصادية ٠٠ وأول ما استرعى انتباهي في هذا الكتاب أن مؤلفه لم يحاول أن يقدم لنا هذا المشروع العظيم من خلال التعقيدات الرقمية ـ التى لا تشغل الا بال المختصين فقط ٠٠ وانما قدمه لنا في صورة أدبية جميلة لا تخلو في نفس الوقت من الارقام والاحصاءات البسيطة التى يمكن استيعابها بسهولة ويسر ٠٠ ولم يقدم لنا المؤلف مشروع السد العالى كأحد المشروعات المتجردة من أوجه الضرر ٠٠ الا أنه قدم الصورتين : صورة الفوائد الضخمة التى تعود علينا من هذا المشروع العظيم وصورة بعض الاضرار البسيطة التى اذا ما قيست بفوائده المتعددة ـ تلاشت نهائيا ـ بلا أى تأثير ظاهر ٠ أو ملموس ٠٠

ولنبدأ مع السد العالى وأثره على تقدمنا الزراعى أولا ٠٠ فالزراعة تعنى الطعام الذى ناكله خبزا ـ ولحما وفاكهة وخضرا ، وتعنى الوسيلة الوحيدة لكسب العيش عند غالبية السكان ، وتعنى الخامات الاساسية لطائفة من الصناعات الخطيرة في حياتنا الاقتصادية ، وتعنى أهم سلعنا في قائمة الصادرات ٠

وأزمة الارض عندنا أمر يدركه كل مواطن، حيث لا تزيد مساحة الاراضى المستثمرة فى الزراعة عن ستة ملايين وربع المليـون فدان ـ وشعبنا يزيد تعداده على خمسة وعشرين مليونا من الانفس .. وبحسبة بسيطة يقوم بها القارىء فى ثوان معدودة، يجد أن متوسط نصيب الفرد هو ربع فدان فقط ، وهو رقم ضئيل جدا فى بلد للزراعة فيه ما أسلفنا من شأن خطير .. وهو فضلا عن ذلك رقم متناقص ان ظل على حاله حيث يقدر أن يصل عدد السكان الى نحو ثلاثين مليونا عام ١٩٧٠ . ولا سبيل الى حل مشكلة الارض . الا بحل أزمة الماء اى بتدبير مزيد من مياه النهر لمواجهة حاجة الرى فى اى أرض جديدة ، والارض التى تنتظر الماء تمتد فى مساحات كبيرة فى أكثر من موضع ، فى الوادى وفى الصحراء على حد سواء ، تراها وانت فى طريقك من القاهرة الى سواحل البحر المتوسط فىصورة برارى موحشة فى شـمال الدلتا ، وتراها وأنت فى طريقك الى بورسعيد ، وتراها اذا عبرت القناة الى شبه جزيرة سيناء أو اذا خرجت من حدود الدلتا الغربية الى مديرية التحرير .

بل تلقاها حتى فى ذلك الشريط الضيق الطويل الذى يؤلف أرض الصعيد ـ كلها ارض طيبة ولكنها لا تجد ما تحتاج اليه من الماء اللازم لديها وبث الحياة الزراعية فى أرجائها .

ويأتى السد العالى فيمد يده الخيرة لحل المشكلة فيقدم لنا ما يزيد على المليون فدان .. تسـاوى مجموع مساحة الاراضى المزروعة فى الوقت الحاضر فى خمس محافظات هى : المنوفية والقليوبية والجيزة وبنى سويف وأسوان ..

تلك هى الاراضى التى يمنحها السد العالى لوادينا ـ وفى وسعنا ان ننظر الى مستقبل جد قريب تزهو فيه هذه البرارى الموحشة والرمال المقفرة بالخضرة اليانعة التى تسر الناظرين وتدر الخير العميم ..

خضرة شاملة بأطراف قلب الدلتا الشمالية ، فى محافظة كفر الشيخ ، تمتد حتى شـواطىء بحيرة البرلس وسواحل البحر ويجفف فيها جزء من تلك البحيرة ، ويتضاءل أمام اتساعها تلك المسـاحات الصغيرة التى استصلحت قبل السـد العالى فى بقاع تزحف على البرارى ولكن فى بطء واستحياء ، وتمتد فى ذلك السهل الفسيح الذى يقع بين بحيرة المنزلة من ناحية وترعة الاسـماعيلية من ناحية أخرى . شاملا تجفيف شطر كبير من سطح تلك البحيرة .. وتلقى الخضرة اليانعة فى الغرب أيضا ، وفى الشمال الغربى ، وتلقاها فى الجنوب ، وفى بقاع من الصعيد يسودها البوار اليوم . والى جانب هذه المليون فدان سوف يسـاعد السد العالى على تحويل أكثر من سبعمائة الف فدان ـ تروى بنظام الحياض ـ وتعطى محصولا واحدا فى العام الى نظام الرى المستديم الذى يعطى محصولين فى العـام ـ وتقع غالبية أراضى الحياض فى محافظات قنا وجرجا وأسيوط .. وأهمية هـذا المشروع ـ هى انه الى جانب السنوات المتعددة لرى الحيـاض فهناك آفة أخرى ، هى اشاعة البطالة بين العمـال الزراعيين فترة طويلة من العام ، والبطالة فى أرض لا تدر الا محصولا واحدا ، تعنى فترة حرجة قوامهـا شظف العيش وضيق ذات اليد عند هؤلاء العمال المعدمين، فمنهم من يستسلم لقدره ، ومنهم من يهاجر ، ومنهم من يلجأ للسرقة ، ولا عجب اذن ان تكون منـاطق الحياض أقل رخاء ، وأقل أمنا من منـاطق الرى الدائم ، حيث الزراعة دائمـة تدر دخـلا أوفر ، وتشغل وقت المزارعين طيلة العام .

ولو أن مليونا من الافدنة الجديدة تضـاف ، وسبعمائة الف فدان من الحياض تحال الى نظـام الرى المستديم هى كل مايحققه مشروع يقـام على ارضنا ، لكان ذلك وحده خيرا وفيرا من هذا المشروع ولنذكر فى هـذا المضمار أن برنامج عام ١٩٤٩ لمشروعات ضبط النهر ، شمل خزانا على بحيرة فكتوريا ، وآخر فى بحيرة البرت ، وقنطرة موازنة على بحيرة كيوجا ، وقنـاة فى منطقة السـدود .. وخزانا عند الشلال الرابع قرب بلدة مروى ، كان مقدرا له أن يستغل من مياه النيل صافيـا قدره ستة وستون مليارا من الامتار المكعبة مقدرا عند أسوان (مقابل سبعين مليارا تستغل بالسد العالى للرى) . وان السعة المحدودة لخزان مروى لم تكن لتكفل لمصر الوقاية التامة من الفيضانات الخطيرة ،

هذا فضلا عن ان هذه المشروعات العديدة كانت ستقام كلها خارج الحدود .

ولكن السد العالي لايحيي أرضا جديدة ، ويعمم الري الدائم فحسب ، بل انه ـ هذا المشروع العملاق ـ يحقق لنا مزيدا من الخيرات ، ومن هذه الخيرات ذلك الاطمئنان التام الذي يمنحنا اياه عند كل فيضان ، مهما ارتفع مقداره ، وما اكثر مافاجأ النيل الأرض الطيبة بفيضان مجنون ، حطم ما اعد من جسور على ضفاف النهر ، واغرق ما اغرق من زرع ، وهدد ما هدد من قرى ـ بل من مدن ـ دون سابق انذار فليس هناك حتى اليوم من وسيلة للتنبؤ بحالة الفيضان ، وانما هي أمطار تتذبذب في شدتها وفي مدتها من عام لعام ، على غير نسق معروف ، تهطل على هضبة الحبشة كل صيف ثم تنحدر بسرعة الى النيل ، وتقطع المسافة من بلدة الرصيرص عند حضيض تلك الهضبة الى حدود مصر في مدة قد لا تزيد على عشرة أيام ، وهي مدة قد لا تكفي لاكتمال الاستعداد لصد الخطر ان كان الفيضان بالغ الارتفاع .

وهكذا يكفل السد العالي الاطمئنان الى ايراد من الماء ثابت ، والاطمئنان الى فيضان مهذب ، محكوم عليه بالتهذيب ، وبالايراد الثابت يتحقق للارض الطيبة ـ القديم منها والجديد ـ ماتحتاج اليه من ماء الري كل عام ، فمهما شح الفيضان . فالرصيد موجود . ومشكلة الاطماء ـ آفة التخزين في مياه الانهار يحلها ـ ولمدة خمسمائة عام ـ تلك السعة الهائلة في حوض السد العالي الذي يخصص منه ثلاثون مليار متر مكعب لاستيعاب طمي الفيضان . ولهذا الثبات في ايراد النهر قيمته أيضا في ضمان زراعة مساحة كبيرة من الارز كل عام مهما كان ايراد النهر في ذلك العام ، فسوف تضمن الزراعة في وطننا سبعمائة الف فدان من هذا المحصول الذي تزداد حاجتنا اليه بازدياد عدد السكان ، والذي نحتاج اليه كمحصول نقدي يحتل مركزه الهام في قائمة الصادرات .

والى جانب هذه الفوائد الكبرى يعطي السد العالي عشرة مليارات كيلوات ساعة من الكهرباء كل عام . فنحن نعيش في بلاد يعز الفحم في صخورها ولا تنتج من البترول الا نحو ستة ملايين طن في العام ولا تملك المساقط المائية الطبيعية ، وتستهدف مزيدا من التصنيع اللازم لاي رخاء حقيقي في العصر الحديث . وبهذه العشرة مليارات كيلوات ساعة وهي طاقة ثابتة رخيصة كل الرخص تتفتح أمامنا آفاق جديدة فسيحة في ميدان التصنيع ، صناعات قائمة تدعم ، وصناعات جديدة تنبثق ، ومزيد من الرخاء من حصيلة هذه وتلك ، ومزيد من الاعمال للعاطلين . ولنترقب منظر عديد من القرى تضاء بالكهرباء لأول مرة ، وعديد من المصانع الجديدة في مختلف الانحاء بالاضافة الى التوسعات المنتظرة في المصانع القائمة الآن وزيادة انتاجها .

واذا ماتركنا الزراعة والصناعة ، نجد أن السد العالي سوف يساعدنا على استثمار ثروة سمكية ضخمة ـ فبحيرة ناصر بحيرة هائلة ـ تزيد مساحتها على المليون فدان ، أي ما يقرب من ضعف مساحة جميع بحيراتنا الحالية (المنزلة والبرلس وادكو ومريوط وقارون) ومن ثم يتحقق لنا مستودع مائي كبير يمكن ان يستغل في تربية الاسماك النيلية وغيرها مما قد يسفر البحث عن صلاحيته لظروف البحرية مثل جبري المياه العذبة الذي لم نعرفه بعد في بلادنا ، والذي تتجه النية الى ادخاله . ويقوم الخبراء المختصون في الوقت الحاضر باجراء مختلف التجارب في هذا الصدد .

وهكذا سوف يظل السد العالي ـ رمزا للرخاء والتقدم لجماهير شعبنا وسيظل كذلك مثلا رائعا لقدرة الانسان على فرض ارادته على أعتى القاهرات الطبيعية .. وبالاضافة الى ذلك سوف تظل ذكرى معاركه حية في أذهان الاجيال الصاعدة كنقطة تحول ضخمة وعظيمة في تاريخ الامة العربية المجيدة .

« تحسين عبد الحي »

قراءات في المجلات العربية

يقدمه
مصطفى فوده مصطفى

لا يمكن أن يكون هذا شعرا :

أيمكن ان يكون هــذا شعرا ! ذلك هــو مضمون رسالة بعث الينا بها احد أدباء المنصورة « أحمــد نصار » مشيرا بتساؤله الى قصيدة «عراف الريح» التي نشرتها « حوار » في عددها السابع ·

والحق ان تلك القصـيدة استرعت نظـرى أيام صدور حوار متضمنة لها ، وجعلتني أتساءل نفس التساؤل ، وعولت ساعتها على مناقشة هذا الاتجاه المغـرض الذي يهـدم لغتنا ويميعها وبالتـالي يأتي قوميتنا في أهم أركانها : اللغة · غير أن شيئا ما صرفني عنها الى أن جاءتني تلك الرسالة ، فكان لا بد من عود ·

وقبل أن نقول رأينا في هذه القصيدة نتساءل : هل يمكن ان نرص ألفـاظا سـهلة الى جوار ألفاظ غريبة ، ثم نقول هذا شعر ما دام لم يفهم ؟! فاذا ما سألنا احد ما هذا ؟ قلنا له : علام التساؤل ، وفلان الشاعر الغربي المعروف يقـول ما هو أشـد اغراقا في الاغراب · وننسى في الوقت نفسه ان كلام الشاعر الغربي ليس بغريب على بنى جلدته لان ما فيـه من غـريب ، انما يرتد الى أشـياء في تراثهم ، أو في دينهم يعرفونها حق المعرفة ، أو على الأقل يسـتطيعون التوصـل الى معرفتهـا بسهولة ويسر ·

ولعله لا داعي عندنا لهذا التقليـد الاعمى الذي تاباه لغتنا ويأباه تراثنا الذي بنى على البـلاغة ، التي اخذت من تبليغ الافكار الى الآخـرين بأجمل طريقة وأسهل طريق ·

فلئن اتجهت فئة من معاصرينا الى تقليـد بعض شعراء الغرب متناسية تراثنا وأساس لغتنا ، فليس لها منا الا الاستنكار بل الرفض كلية لانها والحالة هذه لا تؤدى معنى ولا توضح فـكرة ولا تثرى لغة او فكرا ·

ولقد لجأت الى معجمين لغويين ، أفسر بهما بعض ألفاظ القصيدة · فلما انتهيت لم يكن هناك أدنى صلة بين معاني الالفاظ المتجاورة التي يتكون منهـا المعنى · مما يدل على أن الشاعر ـ ان جاز أن نسميه شاعرا ـ أتى بهذه الالفاظ ، ورصها بجوار بعضها على طريقة « اللامعقول» ، وكأنه يقول لنا : اذا كنتم تجلسون في مسرح اللامعقـول سـاعتين أو أكثر لتسمعوا كلاما لا صلة بين جمله أو رابطة ، فلم لا تجلسـون الى عشر دقائق فقط تقرءون فيهـا قصيدتي !

ولنر معا بعض أبيـات قصـيدة شاعر العبث « مصطفى خضر » التي تقول :

جسدى يهر يلوب أدعية
باتت تغاوى سقطة الوسن
عباده الاشباح في دعة
غابت تراود عذرة الزمن
اطفاله لغة بلا شفة
طقس العراء هنا يضللني ·· الخ ·· الخ ··

فاذا ما سألنا عن بعض الالفاظ وجدنا القاموس المحيط يقول :

« هر الشوك اشتد يبسه ، وهر الشيء كرهه · والكلاب كررت نباحها · »

« لاب • احتاج الى المـــاء • » ، تغاوى • مفاعلة من الضلال » « الوسن • شدة النوم أو أوله • »

وعلى هـذا يكون معنى البيت الاول : جسـدى يشتد يبسه يحتاج الى المـاء • والى هنـا والمعنى محتمل ، ولكن كلمة «ادعية» ـ جمع دعاء ـ التى عملت فيها كلمة «يلوب» قلبت هذا القبول رأسا على عقب • اذ لا يمكن أن يقبل عاقل قول شاعر يقول :

جسدى يشتد يبسه يحتاج الى الماء ادعية • فهذا كلام لا معنى له ولا يقبله ذوق • أو يقول به عاقل:

فاذا حاولنا ربط البيت الاول بالبيت الثـانى ، كانت المصيبة اعظم ، اذ نجد ان «ادعية» فى آخر البيت الأول موصوفة بانها « باتت تغاوى سـقطة الوسن » وكما علمنا : تغاوى مفاعلة من الضلال ، وسقطة الوسن شدة النوم او اوله • وعلى هـذا يكون المعنى الذى يؤديه البيتان هو :

« جسدى يشتد يبسه يحتاج الى الماء ادعية باتت تضلل وتضلل سقطة شدة النوم » •

وهكذا اذا سرنا مع القصيدة « المستشزرة » الى الاغراق فى اللامعنى والكلام الفارغ • ولا يؤاخذنى القارىء فى كلمة المستشزرة هذه فمثلنا يقـول : سوء الخلق يعدى ، ولعله يصح أيضـا ان نقول : سوء الاختيار يعدى • وان كنت اعتقد أننا فى مأمن من ذلك الغرض الخبيث الذى يقصد من غير شك هـدم بنيان لغتنـا من اساسـه وتخـريب تراثنا وقوميتنا •

اما ان كان الشـاعر يقصد بهـذه الألفاظ التى رصها من غير رابطة ولا ترابط ، معنى فى بطنه ، فانا ندعوه الى كلمة يشرح لنا فيها ما خفى ، كما نضع القصيدة بين يدى القراء ليفسرها من يستطيع حتى أستفيدويستفيد معى أديب المنصورة• على أنى أعتقد أن العيب فى المضللين وليس فينا •

ومع كل فاننا لو نحينا القاموس جانبا ، ووضعنا القصيدة فى الذوق والاحساس الشعرى لما كانت من الشعر فى شىء •

لا خير فيمن لا خير فيه لبلده :

من غـير قصـد رد «أنيس منصـور» فى مجـلة المسرح ، على اولئك الذين ذرفوا الدموع على الفن ، ثم ذرفوها على الانسان ، ناسين او متناسين ان مصـير الفن والانسان مرتبط بمصـير بلده الذى يعيش على أرضه •

فالفنان الذى يعيش على أرض ما ، عليه ان يلتزم بفنه تجاهها ، أما أن تكون هى صائرة الى الشرق، ويأخذ هو طريق الشمال أو الجنوب محتجا بحرية الانسان داعيا الى الرفق بالفن ، فهذا ما لا يقبله منه أحد ، اللهم الا أن يكون رافضا للنظام القائم من أساسه ، وساعتها عليه ان يجاهر برفضه فى صراحة ووضوح لا يقبل اللبس أو يحتمل الوجهين حتى نعرف من هو ؟ اما ان يعايش الدولة ويتولى قيادة ترس من تروسها يدر عليه من الدخل مايحفظ عليه آدميته ، بل يعطيه مستوى أحسن بكثير مما اعطى غيره • ثم يأتى بعد هذا ويقول لنا ما معناه : عيشوا كما تحبون ، ولكن دعونى وشأنى فانا فنان أموت ان لم أحلق كما أشاء واحلم بما أريد وليس لكم بى شأن •

ان الفنان ان لم يكن ابن بلده يحس باحساس ناسها ويحلم لخيرهم ، فلا خير فيه وليبحث له عن بلد آخـر • وانا موقن ان بلدا لن يقبلـه ، فمن لا خير فيه لبلده وناسه ، لا خير فيه للآخرين •

« وأنيس منصور » يبين لنا ـ وربما من غـير قصد ـ واجب الفنـان ازاء بلده وبخاصة اذا كانت فى خطـر بعرضـه لأثر المسرح على الراى العـام الفرنسى ابان الاحتلال الالمانى لباريس • وتعبئتـه للشعور القومى ضد المحتل حتى ادى ذلك الىتنظيم المقـاومة • حتى ان مسرحيـات «جان دارك معنا » و «حذاء الشـيطان» و «أنتيجـون» ، كانت بمثابة ارضية للشعور القومى يقف عليها من جديد بعـد ان هد الاحتلال الارضـية السابقة • فاذا ما قدم «سارتر» مسرحية«الذباب» ادرك أهل باريس بوضوح ان هذه المسرحية هى منشور ثورى ••• وان المسرح محطة لتوليد الطاقة والكرامة الوطنية •••واصبحت مسرحية الذباب فرصة نادرة لكى يعرف الفرنسيون ما الذى يجب أن يفعلوه ، وأين هم من تاريخهم • وما هو الموقع الجغرافى لكرامتهم • ثم يقول :

فقد كان من المستحيل على الفنان الفرنسى ، أن ينعزل عن هذا الوضع المهين ··· وكل فنان لا بد أن يلتزم وأن يكون ممثلا للواقع والظروف التى يعيشها · »

ومن هنا يحق لنا ان نتساءل: ماذا يكون الوضع لو ان فنانى فرنسا فى تلك الفترة قالوا لمواطنيهم: رفقا بالفن ورفقا بالانسان كما قال بعض فنانينا ، وراحوا يحلقون فى سمائهم ، ويعيشون مع مللهم ، وينفخون اراجيلهم ، او يقدمون لوحات تنضح استسلاما ويأسا · كما يفعل بعض رسامينا، فاذا ماسألهم احد قالوا : رفقا بالفن ، ورفقا بالانسان ؟ مما لا جدال فيه ان مقاومة الفرنسيين كانت تاخرت وعنفهم كان قد هزل ، واحتلالهم طال ·

ان مرحلة الثورة التى تمر بها امتنا العربية ، والانطلاق الى مستقبل افضل لهى اخطر من ان يشرد كل منا فى اتجاه ويغنى فى غير ما يهم امته ثم يقول لنا : انا فنان فرفقا بى · او لعله اراد ان يقول : رفقا بالقوارير · فخانه التعبير ، ان لم يكن الفنان ابن بلده اولا فلا خير فيه ولا حاجة بنا الى فنه ·

مصطفى فودة

« الارهاص فى الشعر »

نسمع كثيرا فى هذه الايام كلمات يتشدق بها قائلوها فى المجلات الادبية ، والندوات العامة والخاصة وهى ان فلانا الشاعر قد أرهص للثورة وتنبأ بها ، وان كان هذا الكلام لا يقبل هكذا قضية نسلم بها دون جدل وتمحيص ، ان القضية فى حد ذاتها فى أشد الحاجة الى ناقد حصيف محايد لا يميل مع الهوى ولا يضطرب فى يديه ميزان النقد ليكتب لنا بحثا ضافيا عن بذور الثورة فى شعرنا المعاصر ·· وان كنا لا ننكر أن هناك شعراء ملهمين قد استشفوا بروحهم الشاعرة المرهفة مايسمونه الارهاص فى الشعر ، ومن بين هؤلاء الشعراء على سبيل المثال لا الحصر : الشاعر « محمد التهامى » الذى وقف يلقى قصيدته « الصيحة » فى مؤتمر الشعر الذى عقد فى دمشق قبل الانقلاب الرجعى بيوم واحد أى فى ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٦١ والتى يقول فى مطلعها : « باب العروبة مفتوح لمن يفد » وفى هذه القصيدة بيت اعترض عليه مقرر لجنة الشعر فى المؤتمر « شفيق جبرى » ولكن الشاعر أصر على القائه وهدد بالانسحاب من المؤتمر اذا حذف هذا البيت ولما رأى المسئولون اصرار الشاعر على ذلك رضخوا فى النهاية لطلبه ، وهذا البيت هو بيت القصيد ـ كما يقولون ـ أو هو الارهاصة بالنكسة الرجعية المشئومة بعد ذلك وفيه يقول الشاعر :

بنى العروبة هذا يوم وحدتنا
فلا تقولوا غدا قد لا يجىء غد

ولقد جاء الغد محملا بأقداره وأسراره، وكان ماكان من جراء الانفصال الذى لاتزال الأمة العربية تعانى من بلائه حتى الآن · فهل نسمى هذا ارهاصا ·· ؟! الجواب عند نقادنا الكبار الذين يمسكون بتلابيب الانتاج الادبى فى العالم العربى وهم وحدهم الذين يجيبون عن هذا السؤال ·

ومادمنا نتحدث عن الارهاص فى الشعر فان الشىء بالشىء يذكر كما يقال :

فهل كان شاعر النيل حافظ ابراهيم يتنبأ بثورة ٢٣ يوليو وهى لاتزال جنينا فى بطن الغيب ، ومن اجل هذا نادى « تموز » ـ يوليو ـ بقوله :

تموز انت ابو الشهور جلالة
تموز انت منى الأسير العانى

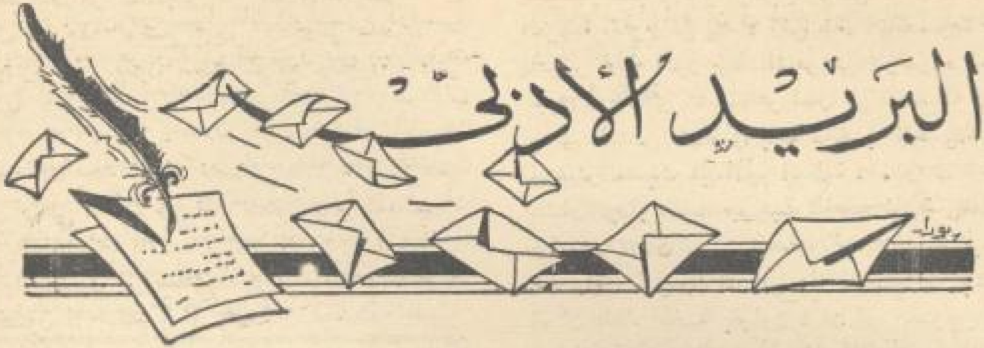
هلا جعلت لنا نصيبا علنا
نجرى مع الاحياء فى ميدان

ايعود منك الآثمون بما رجوا
ونعود نحن بذلك الحرمان

تموز ان بنا اليك لحاجة
فمتى الأوان وانت خير أوان

صب الله شآبيب الرحمة على حافظ فقد كان بحق شاعر الشعب الذى يحس بأحاسيسه ويعبر عن مشاعره ويتغنى بآماله وأمانيه ·

احمد محمد المطيرى



حول عود على بدء
للكاتب السوداني
محمد الخير عبد القادر

عندما عادت مجلة الرسالة بعد احتجاب تلقفها قراء العربية فى لهفة ووجوههم تطفح بشرا ، بعد ان لمسوا الفراغ الادبى الكبير الذى خلفته يوم توقفت عن الصدور ، وكان ظهورها للمرة الثانية ايذانا بمواصلة جهدها العظيم فى خدمة الادب والعلم .

وعهد القراء بالرسالة انها تسمو بهم الى آفاقها العليا بما تقدم لهم من روائع الفكر والادب والفن، وكنت احسب ان ما ينبغى أن ينشر على صفحاتها وما لا ينبغى نشره رهين بجدية الموضوع وعمق البحث واصالة الفكرة وسلامة الاسلوب وبمايضيفه الموضوع من جديد الى الروافد التى تغذى المعرفة الانسانية وتكسب الثقافة والفكر اخصابا ونماء وازدهارا . ولكن حديث الدكتور محمد خلف الله المنشور فى عدد الرسالة رقم ١٠٦٩ بتاريخ ٩ يوليو ١٩٦٤ جعلنى أعيد النظر فيما كنت اعتقد ، فلاول مرة أسمع أن مجلة الرسالة لها مهمة تختلف عن «مهام الاجهزة الثقافية الاخرى» لأنها مجلة « للثقافة العامة » ولاول مرة اسمع ان مجلة الثقافة العامة لا ينبغى ان تتصدى « للموضوعات التى خرجت من حياتنا ، ودخلت فى ذمة التاريخ » وعليها ألا تعنى الا « بالموضوعات الحية الدافئة التى تلف حياتنا فى كل جانب من جوانبها » .

وهذا قول لم استطع ان افهمه !! وخاصة عندما يصدر من عالم فى منزلة الدكتور خلف الله !

اليس معنى ذلك ان جميع الموضوعات التى دخلت فى ذمة التاريخ تفتقر الى الحيوية والدفء ، وانها لا تلف حياتنا من كل جانب ؟!!

انني لا اكاد اصدق ان الدكتور خلف الله يعنى ذلك حقا ! لان الامة العربية التى نخطط لها اليوم فى كل ميدان والتى انبثقت من تاريخ زاهر مشرق هى نفسها اقوى دليل على حيوية ذلك التاريخ ودفئه .

فما الذى يسوغ معالجة الموضوعات النابعة من تاريخنا على كل الصفحات ولا يسوغه على صفحات « الرسالة » ؟؟

ومن أجدر بمعالجة تلك الموضوعات من كتاب الرسالة ؟!

لقد عهدنا « الرسالة » ــ فى ماضيها وحاضرها، كما عبرت عن نفسها بحق « مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية ، تصل الماضى بالحاضر وتربط الشرق بالغرب على هدى وبصيرة » وعهدنا مجموعة اعدادها « ديوان العرب المشترك وسجل الادب الحديث ودائرة معارف عامة »

انني لا اذكر ان مجلة الرسالة ــ فى تاريخها الحافل ــ قد اوصدت ابوابها امام الذين يعالجون قضايانا المعاصرة او الموضوعات التى تلف حياتنا بل أراها رحبت بذلك ترحيبا حارا والدليل على ذلك المقالات التى يكتبها الدكتور خلف الله نفسه على صفحاتها !.

وليسمح لى الدكتور خلف الله بأن اعلق على رأيه فى موضوع التسرى والاماء والجوارى فهو يصف البحث الجاد حول هذه الموضوعات بأنه حديث عن « المتعة الجنسية بما ملكت الايمان » وقد يكون هذا الرأى نتيجة دراسة قام بها الدكتور خلف الله فى هذا المضمار ولكن من حق قراء الرسالة أن يطلعوا

على نتاج الذين درسوا هذا الموضوع دراسة استيعاب وتخصص من امثال الدكتور على عبدالواحد وافى ، ليصدروا احكامهم على ضوء الحقائق التى تبسط امامهم وقد يصلون الى نتيجة غير النتيجة التى اهتدى اليها الدكتور خلف الله وقد يقتنعون بأن موضوع التسرى والاماء اخطر واعمق من ان يكون حديثا عن المتعة الجنسية بما ملكت الايمان !! وتلك اسمى غايات البحث العلمى واقيم ما تؤديه « الرسالة » للمعرفة الانسانية .

تصويبات
بقلم محمد عبد الغفار حمزه

١ ـ فى القرآن الكريم :

القرآن الكريم كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لانه تنزيل من حكيم حميد . ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهدية امته لتكون به خير امة اخرجت للناس ، ولهذا يجب أن تكون له عناية خاصة تصونه عن التحريف واللحن ولا سيما من الذين هم فى موضع القيادة للامة فى الدين والفكر واذا كانت الدولة خصصت اذاعة لترتيله ، واختارت لها افضل المجيدين ، وانشات دارا لتحفيظه وابقائه فى نفوس الناشئين من جيل الاسلام ، وجعلت لمجمع البحوث الاسلامية الوصاية بكل ما يدار حوله من بحوث ، فاولى أن يرجع الكاتب المستشهد الى كتاب الله اذا غفلت ذاكرته، وان تكون هناك مراجعة دقيقة عند الطباعة حتى لا تقع فى الخطأ الذى يتردد كثيرا فى المنتديات والصحف ومجلة الرسالة احدى المجلات التى تعمل على صون الدين واللغة من كل دخيل . ولذلك تألمت اذ وجدت فى مقالين لألمع كتابها هذا التحريف .

فى مقال « النبى الثائر » العدد ٥٢ ما يأتى :

ولقد نعلم انه يضيق صدرك بما يقولون : وصواب الآية ، ولقد نعلم انك يضيق صدرك الخ .

وفرق كبير بين نوعى الضمير فى المدلول والتذوق، فضلا عن التبديل .

وفى نفس المقال « أو تكون لك جنة من نخيل واعناب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا » .

وصواب الآية : « او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار الخ .

وفى مقال « من خلال آيات القرآن الكريم » ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون » الآية ٩٩ من سورة الانعام صوابها « ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون » والله الموفق .

٢ ـ فى اللغة

فى العدد «٥٢» فى باب «الكتب نقد وتعريف» « عند الحديث عن الامم العالمية » .

ان تجربتها الحياتية لم تكن ذاتية ومغلقة » وصوابها « ان تجربتها الحيوية » لان النسب الى « حياة » لا يكون الا على هذا الوضع الذى ذكرته اذ ان علماء اللغة يقولون « ان كل مختوم بالتاء تحذف تاؤه عند النسب وعلى هذا يقال فى النسب الى مكة او كوفة مكى وكوفى ويعللون ذلك حذرا من اجتماع التاءين احداهما قبل الياء والاخرى بعدها لو لم نحذفها ونسبت الى المختوم بها مؤنثا اذ كنت تقول مثلا « امراة كوفتيه » واطرد حذفها من المذكر طردا للباب ، وانما قلبت الالف واوا لانها ثالثة وهى عند النسب تقلب واوا . والمحافظة على اللغة فى التعبير والنطق ضرورى .

درينى خشبة
بقلم محمد يوسف القعيد

لا احد ينكر ان المسرح العربى قد مات بصورة واضحة فى فترة ما بين الحربين عقب النهضة الاولى التى قامت على يد المهاجرين من بلاد الشام فى اواخر القرن التاسع عشر حتى عام ١٩١٩ ثم تلقف هذه النهضة عزيز عيد ويوسف وهبى والريحانى وقدموا مسرحيات عربية غطت بلحم ودم .. مصريين لم انت فترة ما بين الحربين ومات المسرح تماما ... وكان الكتاب المسرحيون حينذاك قد فقدوا الثقة فى قيام مسرح عربى . فاتجه الحكيم الى مسرحه الذهنى الذى اسماه (المسرح المقروء) تمييزا له عن الادب المسرحى الضائع حينذاك . وحذا حذوه كل من محمود تيمور وعلى احمد باكثير وكتب عزيز اباظه واحمد شوقى مسرحيات شعرية فيها شعر كثير ومرح نادر الوجود . ثم قامت الثورة ووجد المسرح المعبر عن الوجه الجديد للحياة على ضفاف النيل فقدمت الناس اللى تحت وجمهورية فرحات والصفقة وقهوة الملوك والمحروسة والفراشة وكانت هذه الاعمال بمثابة البداية الحقيقية لمسرح مصرى معاصر .

وكانت هذه البداية الجادة للمسرح العربى فى

حاجة الى اساتذة يرسون فن المسرح . وتاريخ المسرح وينيروا الطريق امام مثل هذه الاعمال . وكانت التركة ثقيلة والعبء اكبر من ان يحمل ومع هذا فلقد وجد من يستطيع حمله والقيام به. وكان المرحوم الاستاذ دريني خشبة - الى جانب غيره من الاساتذة - احد الذين ارسوا دعائم هذا المسرح المعاصر .. واخذ على عاتقه بالدرجة الاولى ... ارساء كل النواحي الفنية لهذا الفن الجديد في العالم العربي .

ودريني خشبه الذي له الفضل - كل الفضل - في عالم مسرحنا المعاصر قدم لهذا المسرح خدمات جليلة جدا واستطيع ان اقول ان خدمات هذا الباحث والمترجم يمكن حصرها في :

اولا - ترجمة الابحاث الاكاديمية عن المسرح .

ثانيا - التاليف عن المسرح

ثالثا - ترجمة بعض المسرحيات العالمية وكتابة مقدمات كثيرة للمسرحيات التي تصدرها سلسلة روائع المسرح العالمي ...

رابعا - التدريس في المعهد العالي للفنون المسرحية .. هذا الى جانب بعض القصص التي كتبها الراحل في سلسلة (احكي لي يا ماما) وهي قصص للاطفال .. والمقالات المتناثرة في مجلاتنا الادبية .

فأولا - من ناحية الترجمة للابحاث المسرحية ترجم دريني خشبه كتب : فن كتابة المسرح ... للايوص أجري وعلم المسرحية لالارديس نيكول وتاريخ المسرح تأليف شيلدون تشيني وهذا الكتاب من ثلاثة اجزاء وكتاب من الفن المرح للمخرج جوردن كريج وكتاب (حياتي في الفن) للمخرج الروسي الشهير (كونستانتين استنسلافسكي) والكتاب من جزاين وكتاب (تشريح المسرحية) من تأليف جوري بولتون .

ثم ثانيا - من الكتب التي الفها ذلك الكتاب الذي القاه كمحاضرات في المعهد العالي للفنون المسرحية .. ثم طبعت في كتاب بعد هذا وهو كتاب (اشهر المذاهب المسرحية منذ الكلاسيك حتى الوجودية مع نماذج من أشهر المسرحيات في كل مذهب ... كذلك فللكاتب الذي .. أصدره (أساطير الحب والجمال عند الاغريق) والتلخيص الذي قدمه لكل من (الالياذة) والاودية لشاعر اليونان هوميروس

وثالثا - من ناحية ترجمة مسرحيات عالمية ... وكتابة مقدمات لمسرحيات سلسلة روائع المسرح العالمي ... فان هذا شيء كثير والذي يقرأ احدى هذه المقدمات ولاسيما مقدمة آخر عدد من السلسلة وهو مسرحية وليامز (فترة التوافق) والذي يقرأ مقدمة المسرحية التي كتبها دريني خشبة في مايقرب من ثمانين صفحة عن تنسي وليامز وفنه وخصائصه ثم دراسة عن المسرحية نفسها بعد هذا .. اقول ان الذي يقرأ هذه .. المقدمة يشعر بمدى قدرة هذا الرجل وفهمه العميق للمسرح ..

ومراجعة الترجمات وآخرها المراجعة والتصوير لكتاب صدر عقب وفاته هو كتاب (فكرة المسرح) من تأليف فرنسيس فرجون وغني عن القول ان الحديث عن ابحاثه المتناثرة في مجلاتنا الادبية وهذه المجلة (الرسالة) التي كتب فيها فترة طويلة ..

ردود قصيرة

وصلت « للرسالة » كلمات صادقة وذكية ، ولولا ضيق المساحة ، والتزام المجلة بالصفحات المحددة في كل عدد ، لاتخذت طريقها للنشر ، والرسالة في الوقت الذي ترجو فيه ان تظل دائما على علاقة بهؤلاء الأبناء ترجو لهم التوفيق والمثابرة ، وستظل دائما على وعي بكل ما يصل منهم ، وأبراز ما تراه صالحا للنور منه ومن هذه الكلمات التي وصلت للرسالة :

محاضرة بقلم محمود يونس عبد العال بالمنيا

كلمة بقلم سعد محمود العشماوي بوزارة الثقافة وقد نفذ ماطلبه فيها .

في الطريق الى السيدة أم هاشم مرة اخرى بقلم محمود محمد عيد

محمد اقبال بقلم حلمي محمد القاعود بمرقص بحيرة

اللحن الحزين بقلم مصطفى احمد تودة بالاسكندرية

كلمة مخلصة بقلم محمد حامد عبد الكريم الشرقاوي

المنفلوطي في ذكراه بقلم عبد المنعم ابراهيم البحقيري

الربيع بقلم خميس سلمونه

مبروكة بقلم عنتر عبد السلام مخيمر

حول الشعر الحر بقلم محمد الصغير ابراهيم

الأعماق

بقلم
أحمد أحمد فريد

١

هناك على الشاطىء .. فى هذه البقعة يجب ان اقف ٠٠ سواء أردت ذلك أم لم أرد ٠٠ فاننى أجد نفسى مسحوب القدمين الى هنا . يوميا .. فى نفس المكان .. فى نفس الوقت .. لأقف على عتبة القبر الواسع الجليدى بلا جليد .. الصامت بلا صمت.

كيف !! هل قلت اقف !! كلا !! ليس بالضبط. فانا اشعر كأننى فقدت كل ادراكى ولم اعد احس بشىء مما حولى . احس اننى تقوقعت على نفسى. كان جدرانا سحرية انتصبت فى لحظات تحوط اعماقى .. وافقد ارادتى .. اصبح منوما .. طيفا يتحرك .. مسوق القدر الى هنا !!. فالنداء ينبعث من اغوار هذه البقعة .. ويصل الى حيثما اكون. مهما حاولت ان اهرب او ابتعد .. فسرعان ماارى المرئيات تبهت . ثم تتلاشى امام باصرى .. لتظهر فقاعات الهواء . وتتسع الدائرة فتصبح دوائر تتزايد رقعتها على صفحة الماء الرقراقة . وشيئا ما ٠٠ اعرفه ٠٠ واحاول نسيان قسماته يبين لى من تحت الستار الشفاف. فاود لو أطلقت قدمى تسابقان الريح .. لكننى لا افعل .. فانا اتلذذ بالعذاب.. لذا ، فاننى اترك نفسى تهوى فى تلك البؤرة العميقة السوداء التى تحملق فى . واحس بالتساؤل المفزع فى حدقتها يدوى فى أعماقى كانه طبول وحشية تزف فريستها لاله لا يعرف الرحمة .

مرة اخرى اسأل نفسى .. لماذا حدث ذلك ؟ لماذا ؟! انا نفسى لا اعرف .. فانا لا اجسر ابدا على بعث التفاصيل الى خيالى مرة اخرى .. لم تعد لى مقدرة على التفكير فى اى شىء . كيف ذلك؟! اوه !! لأن السؤال اصبح يستشرى فى بدنى وعقلى وروحى كالداء . عقلى الواعى غرزه فى عقلى الباطن كما يغرز صيادو الحيتان رماحهم فى جسد الفريسة ٠٠ مهما تغطس فى القاع٠٠ فحتما ٠٠ ستظهر على السطح .. ميته ... تظل من جسدها حربة الصائد !!.

ـ الا تريد أن تغسل وجهك أيها الطفل القذر !! طيب ٠٠ تعال !!

وتناولت وجهى بوحشية ، كان كحبة البطاطس فى كفها الضخم ٠٠ وكانت هناك حلة مملوءة بالماء فى الحمام تنتظر الغسيل القذر .. حلة ضخمة قعرها أسود ٠٠ تبدو واسعة كبئر بلا نهاية ٠٠

ودارت المرئيات امام باصرى. احسست بالجدران تميل .. ثم تتقلص .. وتنحنى حتى تطبق على انفاسى .. ولم تجد صرخاتى الفزعة شيئا امام اطباقها . فاخذت تميل .. وتميل .. حتى بات الحمام اشبه بقبر صغير يجاهد ليبتلعنى ، واحسست بالحقد كله يتحول فى اعماقى الى خوف قاتل . وصرخت استنجد بابى . كان الموت يحملنى مسرعا .. وكانت تكفى اشارة من والدى فتعود انفاسى الضائعة الى صدرى ويختنق رعبى. اشارة كنت اتوقعها بكل أمل الطفولة المنسحقة رعبا !! لكنه لم يزد عن أن رنا الى بنظرة باردة ، لم يزها وجدانى المرتعش مناسبة لهول الموقف . ورغم ان أنظارى تعلقت به وفيها الرعب كله٠٠ والذل كله٠٠ والرجاء كله ، رغم هذا فلم يزد عن ان قال وهو يعود بوجهه الى جريدته .

ـ اغسل له وشه ٠٠ الكلب ده ٠٠

هل كنت طفلا !! اقصد .. هل احسست يوما

ما بالرعب والشخص الذى استنجدت به يدفعك الى حتفك بنفسه .. ويتخلى عنك وكانك لاتعنيه. رغم ٠٠ رغم انه يعرف انك لا تطيق أن تحبس انفاسك للحظة ٠ ولا أن يلوى أحد رسك فى شىء ما ٠٠ فساعتها تحس بالاختناق ٠٠ وبكل ما يصاحب هذا من خوف ورعب ٠

ورغم اننى كنت قادرا على ان اصيح مجلىء صوتى قائلا اننى اخاف هذه الحلة كما اخاف القبر تماما .. منذ ان تزحلقت مرة اثناء الاستحمام وسقط وجهى فى فتحتها الواسعة المملوءة بالماء . ويومها كدت اختنق .. ضاعت صرختى فى الماء.. وتسرب الماء الى رئتى فانحبس نفسى . وشل الخوف تفكيرى وجسدى حتى لم اعد ادرى ماذا اصنع . ولولا ان ابى دخل مهرولا وانتشلنى لفقدت حياتى .

ويومها . وبعد ان جفت دموعى وهدات نفسى، فجاة .. احسست بالعاصفة تزار فى اعماقى من جديد عندما كانت ذاكرتى تجتر التفاصيل ٠ وكان ذعرى لاننى .. فجاة .. تبينت اننى لم ابذل حتى مجهودا فى زحزحة راسى المنغمس فى الماء ... ولا وجدت فى ذراعى قوة لأرفع جسدى بعيدا ٠٠ تجمدت تماما .. لا صوت .. ولا حركة .. هذا تفكيرى الذى كان يرى ويحس ويرسل استغاثاته الى اعضائى دون أن تستجيب له ٠٠ ولما يئس ٠٠ زحف عليه الشلل هو الآخر . فنمت مستسلما لمصيرى الأسود !!..

اجل ... كنت استطيع ان اقول ذلك ... بالدموع ... او بالصراخ وهى تسحبنى من راسى الى الحمام . حيث الحلة اللعينة لكن شيئا مامنعنى من ذلك. ربما احتبس حلقى.. او ضاعت الكلمات من لسانى . وشعرت اننى اغرق .. ثانية بثانية منذ ان غمست راسى فى الماء . احسست اننى اهوى واهوى حتى تمددت فى قعر الحلة . وكانت المسافة من سطح الماء حتى قعر الحلة .. طويلة.. رهيبة .. توقف قلبى فيها عن النبض.. وانقطعت انفاسى . وماتت كل حواسى سوى شعور واحد.. اننى اموت . وانا ذاهب الى حيث لا ادرى . لا املك مقاومة لهذا الشىء . بل اذهب مستسلم الارادة رغم ما احس به من رعب والم وضيق !!.

اوه .. كم مضى على هذا اليوم !! حوالى خمسة وعشرين عاما كاملة ٠٠ لكنه لم يزل ماثلا امام باصرى . لم اكن ادرى ان الاحداث الرهيبة التى تمر بنا تحفرها يد مجهولة فى أعماقنا وتواريها التراب .. حتى لحظة ما. فاذا بها تنبعث ماثلة امامنا ٠٠ بكل جبروت الذكرى ٠٠ وسحق التفاصيل . حسنا !! يبدو ان فى داخلنا اقفاصا تختزن كل شىء كرهناه أو خفنا منه يوما٠٠ اقفاص مفاتيحها ضائعة ابدا !!

المهم ، عندما كبرت .. وحملتنى السنون شوطا بعيدا فى طريق الحياة حتى بلغت العشرين. كنت اظن ان خوفى من الماء والاشياء المقفولة التىتحتبس لها انفاسى قد تلاشى . فقد بهتت فى ذاكرتىصورة الحلة اللعينة . وظننت أننى افلحت فى تدمير هذا الشعور . اجبرت نفسى على تعلم السباحة . واصبحت سباحا ماهرا .. اغوص فى الاعماق دون وجل .. ومرة.. او مرتين .. احسستبالاختناق لكننى لم أبال ٠ وتملكنى عناد عجيب ٠٠ تشوبه لذة الانتقام من شىء مالم ادر كنهه !!.. ويوم ان تخرجت . بعد ان حصلت على بكالوريوس الهندسة ... بعد عشرين عاما ... عشرين عاما امتصت والدى حتىاحالته الى عود أعجف. ملىء بالغضون، مرهف كطيف يوشك على الزوال . ولست ادرى ان كان القدر هو الذى دفع بالكلمات علىشفتيه.. ام ان الامر جاء صدفة ... وهو يقول فى فرحة صبيانية ــ يالله نجيب فلوكه .. ونتفسح شويه فى النيل .. انا اعصابى تعبانه شويه .. إخذت اجدف مبتعدا عن الشاطىء . رغم اننى فى بادىء الأمر كنت قد قررت ألا ابتعد عن اليابسة ٠ كنت

احس بالطمانينة وأنا ارى الناس تسير ·· والعربات تتدافع · كانت الحياة أمامي أشد وأعنف ما تكون · ولست أدرى ما الذى غير تصميمى هذا ودفعنى الى الجنوح بعيدا عن الشاطىء ··

كان النيل هادئا .. والهواء نسيما حنونا . واخذت أفكر فى اشياء تبدو جميلة .. كنت اقاوم شعورا لا ادرى كنهه .. واقتنصت افكارا عديدة مبهجة حاولت ان اجعلها تستغرقنى . وافقت على صوت والدى وهو ينظر الى احدى العائمات السكنية ويقول ـ أنا عطشان ·· قرب لكى نطلب « قلة » من هناك . وقام واقفا ليمسك قلة الماء الممدودة اليه . فارتكز خطأ على سور العائمة الخشبى ، وفى اللحظة التالية شاهدت الفلوكة الصغيرة تجنح للخارج بتأثير ثقله ·

اننى اختنق !! لا ادرى ماذا اقول .. هل يتحول الانسان الى كتلة !! هل يمكن هذا !! هل تتجمد مئات الاعصاب الدقيقة وتصبح عدما !! هناك فكرة تؤرقنى وتسحقنى ... لو اننى كنت حيوانا لما تصرفت هكذا .. لكننى آدمى .. اذن لماذا ؟ هل لأن الواحد منا يظل اسيرا لأعماقه طول حياته وهو لا يدرى .. هذا الشىء الذى يسمونه العقل الباطن .. هذا الشىء الشبيه بالعنكبوت .. يظل ينسج وينسج لا يمل مرور السنين حتى اذا ما تكامل نسجه اقتنص فريسته بوحشية القاتل الواثق من نفسه ومن احكام تدبيره !! هل يمكن ان يكون هذا هو ما حدث .. ان العنكبوت الذى ظل ساكنا طوال عشرين عاما استيقظ فى هذه اللحظة وانا ارى ابى يختل توازنه ·· ثم يهوى الى الماء !!··

ليتنى اموت .. كلما غصت وراء نفسى لاح لى شىء كريه .. لا ادرى كيف أعبر عنه ... بل لا اتجاسر على النظر اليه هذا العقل الباطن .. هل يدفعنى الى ذلك !! مستحيل .. لا يمكن .. ولكن .. هل بوسعى ان انكر ما حدث !!. رغم اننى ظللت انكره فى كل لحظة .. خوفا من أن ارى نفسى .. وظللت اعيش فى دوامة قاتلة من الرعب ... كانت رأسى دائما منحنية الى الارض ، وظللت اهرب بعيدا ... بعيدا وكلمات الناس تلاحقنى وهم يمصمصون شفاههم حسرة ـ خسارة .. دا لسه شاب .. يا خسارة عقله ..

لكنهم لم يروه مثلما رايته . كانت نظراته تحملق فى وهو يغالب الموج فيغلبه . ولا ادرى ما الذى الم بى .. لم أعد قادرا على اى حركة ... تجمدت تماما . كنت أريد أن أتحرك .. ان افعل شيئا .. لكن قوة غير منظورة شدتنى . الى مكانى برغم هول الموقف ·· واصبحت عينين مجردتين من كل حركة ·· وشعرت باحساسى يرجع لعشرين عاما الى الوراء .. الى تلك اللحظة الرهيبة والجدران تتحرك ... ثم تنثنى لتطبق على أنفاسى · ورأيت حدقتيه تتسعان وتتسعان . ووجهه يكتسى بتعبير غريب .. كنت اعرفه انه يرى فى هذه اللحظة شريط حياته يعبر في لحظات أمام عينيه ·· فهكذا كل انسان فى لحظات الاختناق . وكنت ادرك انه يحس بالذعر والوحدة والضياع ·· كان شخصا ما تخلى عنه فى قسوة · وعاد يغطس ثم يظهر فوق سطح الماء مرة أخرى · وفى هذه المرة رأيت وجهه جيدا ·· كانت رأسه كثمرة البطاطس تحملها كف ما ·· ويدفعها فى حلة بغيضة ملآنة بالماء رغما عنه . وكانت عيناه باكيتين ·· تنظران الى بذعر ·· وتوسل ·· وتساؤل مرير ·· قبل أن تتسعا ·· وتتسعا · وتصبحا هوة عميقة كبئر بلا نهاية .. اعماقه سوداء مليئة بالعفاريت .. وفيها طفل يصرخ باكيا .. ثم لا يلبث ان ينحدر الى الاعماق .. لينام متمددا فى جوفه الاسود .

« أحمد احمد فريد »



العدد ٥٥

الثمن ٣ ص

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الفهرس

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

المراسلات جميعها تكون باسم
السيد مدير ادارة المجلات
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد . محمد فريد . القاهرة

تصدرها
الثقافة والارشاد القومي

الاشتراكات ١٥٠ مليما سنويا
ويضاف أجر البريد
من خارج ج.ع.م

العدد ٥٦ - ٥ ربيع الآخر ١٣٨٤ هـ - ١٣ اغسطس ١٩٦٤ م - السنة الثانية

التجديد الديني

للدكتور محمد أحمد خلف الله

- ٢ -

أثرنا في مقالنا السابق بعض المسائل التي يمكن الاعتماد عليها في احداث حركة فكرية جديدة في ميدان العلاقات بين أوضاعنا الراهنة والروح الدينية الاسلامية ، حركة فكرية تفسر حياتنا ، وتقدم الحلول لمشكلاتنا ، وتجعلنا أبدا أبناء تراثنا الديني وثقافتنا القومية .

وكان من المسائل المذكورة الطريقة التي يتم فيها التجديد ، ولقد رأينا أن هذا التجديد يتم في ميدان التشريعات المدنيـــة عن طريق استبدال نص قديم بآخر جديد . وأن الذي يملك الحق في احداث هذا الاستبدال انما هي الهيئات التشريعية التي تملك حق وضع القوانين ابتداء .

والآن نريد أن نتخذ من هذه المسألة نقطة انطلاق في التجديد الديني عن طريق أصل من الأصـــول الأربعة ـ وهو الاجماع .

انهم يقولون ان الاجماع انما يكون حين لا يوجد نص من كتاب أو سنة صحيحة ـ ومعنى ذلك أن الحكم الشرعي الذي يجيء عن طريق الاجماع يكون حكما شرعيا مستحدثا ، وانه حكم في مسائل لم تكن موجودة زمن النبي والا نزلت فيها الآيات أو قيلت في شأنها الأحاديث .

والاجماع حين يكون فيما لا نص فيه يجيء في عبارات هي من صنع المجتهدين من رجال الدين ـ ومعنى ذلك أيضا أن القداسة التي تكون لنص الكتاب الكريم ، وأن الحرمة التي تكون لنص الحديث النبوي الشريف ، لا تكونان هنا .

والسؤال الآن : هل من الممكن اعتبار الاجماع من وادي التشريعات المدنيـــة فيكون لنا الحق في استبدال الأحكام الواردة عن طريقه بأحكام أخرى تتفق وحياتنا الجديدة ـ أو لا ؟

ان الاجابة عن هـــذا السؤال تفتح أمامنا أبوابا واسعة وميادين هامة في التجديد الديني . وفي ربط حياتنا المعاصرة بالروح الدينية الاسلامية التي أثبت تاريخ التشريع الاسلامي أنها كانت جريئة مقدامة .

والاجابة عن هذا السؤال واضحة . وقد اكتفي في ذلك بايراد بعض العبارات التي تقرر ، وتؤكد ، ماتريد الانتهاء اليه .

يقول الســيد محمد اقبال شاعر الهنـد العظيم وفيلسوفها الكبير :

هب ان اجماع الصحابة قد انعقد على أمر أيكون اجماعهم هذا ملزما للأجيال التي تأتي بعدهم ؟

لقد أفاض الشوكاني في مناقشـــة هــذا الأمر ، وأورد آراء فقهاء المذاهب المختلفة . وأعتقد أنه يجب أن نفرق هنا بين اجماع يتعلق بواقعة من الوقائع واجماع يتعلق بحكم شرعي ـ أى نقطة قانونية .

ففي الحالة الأولى ، كما حدث مثلا عندما نشــا البحث في كون الســورتين القصـــيرتين المعروفتين باسم ـ المعوذتين ـ يكونان جزءا من القرآن أم لا ، وانعقد اجماع الصحابة على أنهما جزء من القرآن ، نكون ملزمين باجماعهم هــذا ، لأن من البين أن الصحابة وحدهم كانوا بحيث يعرفون حقيقة الأمر .

أما الاجماع الخاص بتقرير قاعدة شرعية فان الأمر فيه لا يعدو أن يكون موضوع تأويل .

واني لأجرؤ على القول ـ معتمدا على قول الكرخي

ـ بان الأجيال اللاحقة ليست ملزمة باجماع الصحابة .

يقول الكرخي : ان سنة الصحابة تكون ملزمة في الأمور التي يجلوها القياس ، وليست كذلك فيما يمكن ان يتقرر بالقياس .

ان هذا الكلام واضح . وعلى كل فطبيعة الاجماع هي بعينها طبيعة التشريعات المدنية . انها وضع القوانين أو القواعد المنظمة للعلاقات بين الناس والناس أو بين الأشياء والناس بواسطة الهيئة التشريعية .

ان الاجماع ليس الا اتفاق المجتهدين على حكم شرعي . والقوانين المدنية لها نفس الطابع ، ولعل نظامها يكون أدق .

ان التشريعات المدنية الحديثة تمر بادوار قبل أن تنتهي الى أن تصبح قانونا ملزما . ففيها العمل الفني الذي يقوم به المتخصصون ـ أي المجتهدون في كل علم وفن من امثال الأطباء ، والمهندسين ، والقضاة ، والمعلمين ، وكل ذي حرفة ومهنة .

وفيها العمل القانوني الذي تتم فيه الصياغة . ويتم فيه التوزيع على مواد وعلى فقرات .

وفيها الاجتماعي الذي يقوم فيه أعضاء مجلس الأمة بتقرير مدى أهمية هذه التشريعات ، ومدى تحقيقها لمصلحة الأمة او الجماعة .

ثم يجيء بعد ذلك اصدار التشريع وجعله ملزما .

مرة ثانية نقول ان طبيعة الاجماع هي طبيعة الأعمال التشريعية المدنية ، وان تكن الأخيرة أدق وأكمل تنظيما .

والسؤال الآن : ألا تعتبر التشريعات المدنية الحديثة الخاصة بالمعاملات والصادرة عن الهيئات التشريعية الحديثة من قبيل الاجماع ؟

اني أعتبرها كذلك ، ولا عبرة في هذا الموقف بمخالفتها لاجماع سابق حتى ولو كان هذا الاجماع اجماعا للصحابة رضي الله عنهم .

ان من المسلم به عند فقهاء المذاهب أن الأحكام الشرعية المبنية على اجتهاد الفقهاء ، والتي لا نص عليها لا في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية الشريفة قابلة لاجتهاد مخالف، ومعنى ذلك أنها قابلة للتعديل والتغيير وفق مصالح الناس وحاجاتهم ، ووفق ظروف المجتمع والمكان والزمان .

وانني من هنا أعد التشريعات الحديثة من قبيل الاجماع .

قد يقول قائل : ان هذا يوجد اختلافا في الاحكام الشرعية ـ في كل أمة على حدة ـ مادام المسلمون أمما مختلفة ، ومادامت مجالس الأمم متعددة من حيث أن لكل دولة مجلسها .

والظاهرة توجد حتما ، ولكن لا ضير.فالواقع أن الأمم الاسلامية لا تدين بمذهب واحد . فالتيارات الدينية مختلفة بين شيعة وسنة ، والمذاهب في كل فرقة متعددة .

ان هذا الاعتراض انما يكون لو أنا ندين بمذهب واحد ـ ونرجو ألا نصل الى هذا الوضع والا وقف العقل عن التفكير ، وجمد الفكر الديني على وضع بعينه وعند ذلك ينصرف الناس عن التشريعات الدينية .

ان في الحركة الفكرية بركة ، وبركة ، وبركة .

وقد يقول قائل آخر : ان الاجتهاد كان سهلا يسيرا على العلماء السابقين اما اليوم فمن الصعوبة بمكان ، وانه من أجل هذا يجب الا نفتح هذا الباب مرة ثانية .

والقول غير صحيح . ولعل العكس هو الصحيح .

ان تفاسير القرآن الكريم ، وشروح الأحاديث النبوية الشريفة ، قد تعددت الى الحد الذي يجعل المواد اللازمة للاجتهاد حاضرة ميسرة لكل مجتهد .

وان التقدم العلمي والرقي الفكري يساعدان على المضي في الاجتهاد دون خشية من الانحراف أو الخطأ .

وان الدراسات قد تعددت الى الحد الذي يجعل ثقافة من يريد أن يجتهد أدق وأعمق من ثقافات السابقين .

ان رجال اليوم ، وبخاصة من يتصدون للتشريع منهم ، أقدر على ادراك سر الحياة من السابقين .

انهم وحدهم القادرون على بث الحركة ، وبعث القوة والنشاط ، في التشريع الاسلامي .

انهم وحدهم القادرون على احداث حركة التجديد والتطور ، فافتحوا أمامهم الابواب ، ولا يضير الدين في شيء أن يأتوا بما يخالف آراء السابقين .

ان الخطر قد يكون فيما يخالف النص لا فيما يخالف الاجماع أو اجتهاد المجتهدين السابقين

(للبحث بقية)

الثروات الطبيعية والتصنيع من خلال آيات القرآن الكريم

بقلم: محمد محمد المدني

- ٢ -

يتصل الانتاج الحيواني بالانتاج الزراعي اتصالا وثيقا ، فكلما كان هناك رواج زراعي ، كان هناك رواج حيواني .

وسبب ذلك واضح ، وهو ان الحيوان ككائن حي يحتاج الى الغذاء ويفتقر الى العوامل الطبيعية للنمو والتوالد ، وهو يجد ذلك بصورة سهلة منتظمة في البيئات الزراعية .

حتى ان علماء « **الجغرافية الاقتصادية** » يعتبرون أن الانتاج الزراعي بمعناه الواسع يشمل الانتاج الحيواني ، وهذا صحيح في واقع الأمر ، لأن الحقل الذي ينتج الحبوب والمراعي ، ينبت أيضا اللحوم بطريق غير مباشر ، اذ أن الحيوانات المقصودة للحم تتغذى مما ينتجه الحقل فيتحول غذاؤها الى لحم بنمو الحيوان وتوالده .

والقرآن الكريم يربط بين الزراعة والانتاج الحيواني حين يصرح بأن ما تخرجه الارض من النبات يقصد منه فيما يقصد أن يكون طعاما للانسان والحيوان ، وان الماء الذي تروى منه الارض لتنبت زرعها ، يسقى منه الانسان والحيوان كذلك . فالله تعالى يقول :

« فلينظر الانسان الى طعامه : أنا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الأرض شقا ، فأنبتنا فيها حبا ، وعنبا وقضبا ، وزيتونا ونخلا ، وحدائق غلبا ، وفاكهة وأبا ، متاعا لكم ولأنعامكم » .

« الذي جعل لكم الأرض مهدا ، وسلك لكم فيها سبلا ، وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى ، كلوا وارعوا أنعامكم ان في ذلك لآيات لأولى النهى » .

« أخرج منها ماءها ومرعاها ، والجبال أرساها ، متاعا لكم ولأنعامكم » .

« أولم يروا أنا نسوق الماء الى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم ، أفلا يبصرون » .

ونجد في الآية الأخيرة من هذه الآيات تقديما في الذكر للانعام على أنفس الآدميين ، تأكيدا لحق الأنعام في الزرع ، كما نجد في الآية التي قبلها تسوية بين النوعين في اعتبار ما تنبته الأرض متاعا لهما ، اذ تقول « متاعا لكم ولأنعامكم » .

ويقول الله عز وجل في شأن الماء الذي أنزله :

« وأنزلنا من السماء ماء طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا » .

فالماء أيضا شركة بين الناس والأنعام والنبات .

والقرآن الكريم يشير الى ارتباط العوالم الثلاثة : عالم الانسان ، وعالم الحيوان ، وعالم النبات ، فيما يتصل بالحجم العددي لأفراد هذه العوالم ، وانها وجدت على قانون يجعلها متوازنة ، وذلك باستعماله لفظ «ذرأ» الذي يدل على الايجاد بالبث والكثرة والتوليد ، لا على مطلق الايجاد .

فالله تعالى يقول في شأن الناس :

« وهو الذي ذرأكم في الأرض » .

وفي شأن النبات :

« وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه » .

وفي شأن النبات والحيوان جميعا :

«وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا» .

وفي شأن الانسان والأنعام :

« جعل لكم من أنفسكم أزواجا ، ومن الأنعام أزواجا ، يذرؤكم فيه » .

فالقانون الالهي العام الذي جعل سنة كونية ثابتة لتحقيق النسبة بين الانسان والنبات والحيوان ، هو قانون « **الذرء** » أي البث والتكثير والتوالد

والتضاعف ، فكلما كثر الناس ، كثر الزرع والنبات، وكثرت الأنعام .

وكما وصف الله تعالى فى لسان الشرع بوصف «البارى» الدال على مجرد الخلق والابداع ، وصف بوصف «الذارى» الدال على الايجاد بسنة التكثير والتضعيف والتوليد .

والقرآن الكريم كما يلفت الى الموارد والثروات الحيوانية فى آيات كثيرة أيضا ، وأسلوبه هنا هو أسلوبه هناك : لا يكتفى بأن يمر على الاشياء ، مرا عابرا ، ولكن يقف وقفات يربط فيها بين النعمة والمنعم ، ويهدى الناس الى الاساس الذى يجب أن يقيموا عليه صروح انتفاعهم واستغلالهم ، وهو أساس الايمان بالخالق الوهاب ، ومعرفة حقه وما أمر به فيما بين أيديهم من هبات .

والثروة الحيوانية التى أنعم الله بها على الناس أصناف :

ـ فمنها ما يراد للانتفاع بلحمه وشحمه ، ومنها ما يراد للبن الذى يدره ، ومنها ما يراد لأشعاره وأوباره ، ومنها ما يراد لجلوده أو ريشه ، ومنها ما يراد لغرائه أو أنيابه ، ومنها ما يراد للركوب والحمل والجر والحرث ... وهكذا .

وقد ذكر القرآن الكريم ، وبينت السنة ، هذه الاصناف ، وكان أسلوب القرآن فى عرضها أسلوبا رائعا من شأنه أن يهز النفوس ، ويثير اعجابها واقرارها بعظمة الله تعالى ، كما يثير انتباهها الى هذا اللون من الثروات .

يقول الله تعالى :

« والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ، ومنها تأكلون ، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ، وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الأنفس ، ان ربكم لرءوف رحيم ، والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ، ويخلق ما لا تعلمون » .

وهذه الآيات تقرر فى مطلعها حقيقة يريد الله من الانسان أن يعلمها ويجرى فى حياته على مقتضى علمها ، وهى أن هذه الأنعام مخلوقة للانسان ، أى ان له أن يملكها ، وأن يستهلكها فى مصالحه ، وأن يسخرها كما يشاء ، وذلك قوله تعالى « والأنعام خلقها لكم » .

ثم تبين الآيات ما تقصد له هذه الأنعام ، فتراها تذكر : الدفء ، والمنافع ، والأكل ، والتجمل والزينة ، وحمل الأثقال ، وبلوغ الأهداف بعد قطع المسافات الطويلة .

وفى هذا استقصاء شامل لكل ما تراد له الأنعام، فاذا نظرنا الى قوله جل شأنه « فيها دفء» امكننا أن نفهم منه هذا الدفء الذى يحصل لنا بأصواف الغنم ، أو أشعار البقر ، أو أوبار الابل ، كما قال تعالى فى آية أخرى :

« ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين » .

ولنا أن نفهم منه ذلك الدفء الذى يحدثه أكل اللحم ، فانه مكون من عناصر فيها كثير مما يبعث الحرارة والقوة والقدرة على مكافحة تيارات البرد ونزلاته .

وقوله تعالى «ومنافع» فيه اجمال تام لكثير مما يراد له مصدر الدفء ، وهو الجلود والاصواف والأشعار والأوبار، فليست منافعها أو منافع الحيوان الذى تصدر عنه قاصرة على التدفئة ، بل هناك عشرات من وجوه الانتفاع يعرفها أهل الصناعات ، ونشهدها فيما بين أيدينا من أمتعة مستخدمة ، وكلما تقدمت الصنعة ، وقوى الانسان بالعلم ، ازدادت معرفته بهذه الوجوه ، وظهرت له ألوان المنافع .

ولسنا بصدد تفسير الآيات ، ولكننا نريد فقط أن توجه الأنظار الى منافعها من أسرار ترشد الى الثروة الحيوانية ووجوه تصنيعها والانتفاع بها .

وما أحسن قوله تعالى بعد ذكر الخيل والبغال والحمير :

« ويخلق ما لا تعلمون » فان فيه اشارة الى أن الله تعالى سيعلم الانسان ما لم يكن يعلم ، وأنه اذا كانت هذه الحيوانات يراد بعضها للركوب والزينة والحمل والجر والحرث وغير ذلك ، فان زمان الآلة سيأتى على الناس ، وسيؤدى كثيرا من وظائف هذه الحيوانات ، وقد حدث ذلك فلم يلبث الناس حتى رأوا « الموتورات » تأخذ المكان الاول فى التصنيع ، والتحريك ، والحمل والجر ، والغوص ، والطيران، وكل ذلك مندرج تحت قوله تعالى « ويخلق ما لا تعلمون » ، ولو أن القرآن يوم كان ينزل زاد الناس افصاحا ، وصرح بهذا الذى أشار اليه ، فذكر الحديد الطائر ، أو الغائص ، أو المتحرك ، أو المحرك ، لشق ذلك على أذهان الناس يومئذ ، وما قبلوه ، ولو أنه اكتفى بذكر الأنعام والخيل والبغال والحمير ، ولم يشر الى ما سوف يكون من آلات ، لكان لنا أن نقول

فى عصرنا : أين هذه الحيوانات من الوسائل الآلية التى استحدثها العلم ، وازدهرت بها الصناعة : فسبحان الحكيم العليم !

ويقول الله تعالى فى شان نوع من أنواع الحيوان سخره للناس :

« وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ، ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون » .

ولا شك أن عالم النحل وما يمتاز به من نظام ، وما يؤديه لبنى الانسان من خدمات وثمرات هو عالم جدير بالتأمل والاعتبار والاستفادة بما يرشد اليه من جوانب القدوة فى الدقة والمثابرة وقوة الصبر على المتابعة . فالمناحل ما هى الا مصانع مدوية تمتلىء بألوان النشاط والسعى والعمل الدائب ، ولكل عامل فيها دوره ، وليس فيها موطن لكسلان أو متخلف أو متعطل .

وما زالت الأبحاث العلمية فى الشرق والغرب ، دائبة على محاولة استكشاف ما فى عسل النحل من شفاء للناس ، وقد عرفوا بعض الحقائق فى ذلك ، وسوف يعلمون اكثر منها « ولتعلمن نباه بعد حين » .

ويقول الله تعالى واصفا لنوع من أنواع الانتاج الحيوانى وهو اللبن :

« وان لكم فى الأنعام لعبرة : نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين » .

ولا شك أن هذه الآية الكريمة تشير، بل تصرح، بوجوب الاعتبار عن طريق التحليل الكيماوى للبن، وكيف انه يخرج خالصا سائغا للشاربين من بين «الفرث» الذى هو الزبل فى الكرش ، والدم الاحمر المعروف !

ويقول الله تعالى ذاكرا الأنعام وما يستند اليها من صناعات :

« والله جعل لكم من بيوتكم سكنا ، وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم . ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين » .

وان هذه الآية لتشمل كثيرا من وجوه النشاط الصناعى المتصلة بالجلود والاصواف والاوبار والأشعار ، فكم قامت على ذلك صناعات ، وأقيمت مصانع ، وعملت أيد ، وفكرت عقول ، وراجت أسواق ، ودرت أرزاق !

ويقول الله تعالى فى لفت الانظار الى اختلاف الوان الدواب والأنعام ، كما تختلف الألوان فى الثمرات ، وفى الجبال ، وفى الناس :

« الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف الوانه كذلك » .

الى غير ذلك من آيات القرآن الكريم التى تلفت النظر الى ما وهبه الله الانسان من ثروات حيوانية سخرها له ، ومكنه منها ، وحثه على الانتفاع بها ، وهيأه لتحويل منتجاتها بالصناعة الى ملابس وأثاث وزينة ووقاية وبيوت مستخفة فى السفر والاقامة ، وغير ذلك من وجوه التصنيع والانتفاع .

* * *

وقد اباح الله أنواعا من الحيوان فأذن بأكلها والانتفاع بلحمها وشحمها وجلودها وسائر أعضائها ومستخرجاتها فيما وراء الأكل ، وحرم أنواعا أخرى فلم يبح اكلها لما فيها من مضرة علمها ، كتحريمه — على لسان رسوله — كل ذى مخلب من الطير ، وكل ذى ناب من السباع ، وكتحريمه فى القرآن الكريم اكل لحم الخنزير ، وأباح الانتفاع ببعض اشياء من تلك المحرمات فى غير الأكل ، كالفراء أى جلد النمر أو السبع أو نحوهما ، فانه داخل فى قوله صلى الله عليه وسلم « أيما اهاب — أى جلد — دبغ فقد طهر » وكذلك ورد تحليل الانتفاع بناب الفيل ، ومن الفقهاء من يجعل الفيل نفسه مباح الأكل .

واذن فالمدى واسع امام الانسان، للانتفاع بسائر انواع الحيوان ، وليس فى الشريعة ما يحول بين الانسان وهذا الانتفاع المباح .

وقد سفه الله أحلام قوم حرموا ما لم يحرمه الله من الأنعام افتراء عليه فقال :

« ومن الأنعام حمولة وفرشا ، كلوا مما رزقكم الله ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين » .

« قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم» .

بين شوقي وابن زيدون

للدكتور احمد احمد بدوي

كان هذا المقال آخر مقال كتبه المرحوم الدكتور احمد احمد بدوي ، وكأنه أراد - في لحظات الوداع الأخيرة - ان يلتفت بقلمه وبقلبه لكل الأشياء العزيزة عليه ، فهو أحد كتاب الرسالة القديمة .

واذا كان قد أحسن «وداع» القراء بهذا المقال . فالرسالة تطلب له من الله المغفرة والمثوبة ، لقد كان آخر بيت استشهد به في المقال هو :

نسقى ثراهم ثناء كلما نثرت دموعنا نظمت منها مراثينا
ونحن نسقى ثراه « ثناء ! » .

كانت **اشبيلية** من البلاد التى زارها **شوقي** ، وهو فى منفاه بالاندلس ، ولا تكاد تذكر هذه المدينة حتى يذكر ابن زيدون وزير المعتضد صاحبها .

وكان ابن زيدون شاعرا مبدعا ، وكاتبا قديرا ، فليس بغريب أن يصاحب شوقي ديوانه وهو يزور مدينته ، وان يقف متمهلا عند بعض قصائده يرددها فى حب واعجاب ، وكان من بين ذلك تلك القصيدة التى نالت قدرا كبيرا من الشهرة ، وكان ابن زيدون قد أرسل بها الى حبيبته : ولادة بنت المستكفى عندما حيل بينه وبينها ، يصف فيها شوقه المبرح ويحن الى أيام سعادته الغابرة عندما كان يلتقى بحبيبته ، ويؤكد لها أنه باق على العهد لن يحول ، ويسألها أن تبقى على حبه ، مهما طال أمد الفراق .

وقد أغرم شوقي وهو فى الاندلس بمعارضته بعض كبار الشعراء ، فعارض البحترى وابن زيدون والمتنبي ، ولقد كان يريد أن يطمئن الى مقدرته على مجاراة هؤلاء الفحول ، وانه لايقصر عن شأوهم ، فاختار من عيون أشعارهم قصائد نظم فى أغراضها وعلى وزنها وقافيتها .

وقد شهر ابن زيدون بقصيدته النونية حتى ليقال فى تاريخه : انه صاحب قصيدة :

أضحى التنائى بديلا من تدانينا
وناب عن طيب لقيانا تجافينا

فليس بغريب أن يختارها شوقي فى ميدان المجاراة ولا سيما أن معانيها فى الشوق والحنين تتجاوب مع مايدور منهما فى نفس شاعرنا المغترب ، ولعل شوقي رأى مشابهة بينه وبين ابن زيدون عندما رأى أنه مثله قد ظفر بسعادة فى حياته الماضية ، ولكن الدهر لم يغفل عنه ، بل آله وآذاه ، وقد سجل شوقي تلك المشابهة، مقتبسا شطر بيت لابن زيدون اذ يقول :

ولم ندع لليالى صافيا ، فدعت
بأن نغص ، فقال الدهر : آمينا

وتشترك القصيدتان فى الحنين الى العهد القديم ، وذكريات السعادة التى ظفرا بها فيه ، فنجد ابن زيدون مرة يقول :

اذ جانب العيش طلق من تألفنا
ومربع اللهو صاف من تصافينا
واذ هصرنا فنون الوصل دانية
قطوفها ، فجنينا منه ما شينا

ليسق عهدكم عهد السرور فما
كنتم لأرواحنا الا رياحينا

ويسجل ذكريات السعادة مرة أخرى ، فيقول :

كأننا لم نبت والوصل ثالثنا
والسعد قد غض من اجفان واشينا
سران في خاطر الظلماء يكتمنا
حتى يكاد لسان الصبح يفشينا

ويحن الشاعر في تلك الابيات الى هذا العيش الطلق الذى كان يظفر فيه بالسعادة متى شاء ويرى حبيبته ريحانة لروحه يحس الى جانبها بصفاء العيش وجمال الحياة، ويستعيد فيألم ذكريات غالية لوصل الحبيب .

اما شوقى فيحن الى عهده الماضى قائلا :

سقيا لعهد كأكناف الربا رفة
أنى ذهبنا ، واعطاف الصبا لينا

اذا الزمان بنا غيناء زاهية
ترف أوقاتنا فيها رياحينا

الوصل صافية ،والعيش ناغية
والسعد حاشية ، والدهر ماشينا

ويحس شوقى بالعهد الماضى ناضرا كأزهار الربى لينا كريح الصبا ، مشرقا كالنبات الاخضر ، مزدهرا يملأ القلب بالسعادة ، كما تملأ الرياحين القلوب بالبهجة والاستبشار ، واذا كان ابن زيدون يجد حبيبته ريحانة قلبه فان شوقى يجد الحياة كلها فى ذلك العهد ريحانا يرف وسعادة تحيط به ، واذا كان ابن زيدون يجنى من فنون الوصل مايشاء فان شوقى يجد الدهر طوع مايريد .

وتشترك القصيدتان فى وصف ما أحس به الشاعران بعد الفراق ، أما ابن زيدون فيقول :

بنتم وبنا ، فما ابتلت جوانحنا
شوقا اليكم ، ولا جفت مآقينا

نكاد حين تناجيكم ضمائرنا
يقضى علينا الأسى لولا تأسينا

حالت لفقدكم أيامنا ، فغدت
سودا ، وكانت بكم بيضا ليالينا

والشاعر هنا يصف شوقا جامحا ، وهوى مبرحا يكاد يقضى عليه ، عندما يناجى حبيبته فى ضميره ، أو يصورها له خياله .

اما شوقى فيبلغ قمة عالية ، وهو يصف أثر هذا الفراق ، فيخلع على الطائر ما يحس هو به من آلام الفراق ، ويقول له :

كل رمته النوى ، ريش الفراق لنا
سهما ، وسل عليك البين سكينا

اذا دعا الشوق لم نبرح بمنصدع
من الجناحين ، عى ، لا يلبينا

فان يك الجنس يابن الطلح فرقنا
ان المصائب يجمعن المصابينا

لم تأل ماءك تحنانا ، ولا ظمأ
ولا ادكارا ، ولا شجوا افانينا

تجر من فنن ساقا الى فنن
وتسحب الذيل ترتاد المؤاسينا

اساة جسمك شتى حين تطلبهم
فمن لروحك بالنطس المداوينا

فهو فى حقيقة الامر يصف نفسه ، ويصف قلبه المتصدع ، ويصور تحنانه وظمأه ، وادكاره وافانين شجوه ، ويصور انتقاله من بلدالى آخر كأنما يلتمس بذلك دواء قلبه ، فلا يجد الى ذلك من سبيل .

وتشترك القصيدتان كذلك فى ارسالهما التحية مع البرق والنسيم ، فنجد ابن زيدون يقول :

ياسارى البرق ، غاد القصر ، واسق به
من كان صرف الهوى والود يسقينا

واسأل هنالك : هل عنى تذكرنا
الفا تذكره أمسى يعنينا

ويا نسيم الصبا ، بلغ تحيتنا
من لو على القرب حيا كان يحيينا

وهو هنا يستخبر البرق عن حال من يحبه بعد هذا الفراق ، ويرسل اليه مع النسيم تحية يتمنى ان يردها الحبيب عن قرب .

اما شوقي فيطلب الى البرق أيضا أن يحمل الى مصر تحيته ، ولكنه يستشهد بالليل والنجم على حنينه الى مصر ، فتعود الى الشاعر صورة هذا الوطن بسماته اللاوردية وأرضه الزبرجدية ، وريفه المونق الجميل ، فيقول :

يا سارى البرق يرمى عن جوانحنا
بعد الهدوء ، ويهمى عن مآقينا

الليل يشهد لم تهتك دياجيه
على نيام ، ولم تهتف بسالينا

والنجم لم يرنا الا على قدم
قيام ليل الهوى للعهد راعينا

بالله ان جبت ظلماء العباب على
نجائب النور محدوا (بجبرينا)

حتى حوتك سماء النيل عالية
على الغيوث ، وان كان ميامينا

واحرزتك شفوف اللازورد على
وشى الزبرجد من أفواف وادينا

وحازك الريف أرجاء مؤرجة
ربت خمائل ، واهتزت بساتينا

فقف الى النيل ، واهتف في خمائله
وانزل كما نزل الطل الرياحينا

وآس ما بات يذوى من منازلنا
بالحادثات ، ويضوى من مغانينا

اما النسيم فيستطيبه شوقي قادما من مصر، يجد فيه برد الراحة ، ويشعر عنده بسعادة يقل لها أن يجزيه باعز ما يملك ، وهو الروح ، ثم يطلب الى هذا النسيم أن يحمل شوقه الى المخلصين من أهل وده ، فيقول :

هل من ذيولك مسكى نحمله
غرائب الشوق وشيا من أمالينا

الى الذين وجدنا ود غيرهم
دنيا ، وودهم الصافى لنا دينا

وتشترك القصيدتان أيضا في أن الشاعرين قد ناجيا من أحبا ، فابن زيدون يقول :

يا روضة طالما أجنت لواحظنا
وردا جلاه الصبا غضا ونسرينا

ويا حياة تملينا بزهرتها
منى ضروبا ، ولذات أفانينا

ويا نعيما خطرنا من غضارته
في وشى نعمى سحبنا ذيله حينا

فهو يحس بحبيبته روضة وارفة الظلال ، متنوعة الأزهار، وحياة مزدهرة يجد عندها السعادة وتحقيق الأماني ، ويجدها النعيم السابغ .

اما شوقي فيغار على أحبائه ، حتى من ضميره عندما يناجيهم ، ومن قلبه ، وهو يصون حبهم ، ويقول :

يا من نغار عليهم من ضمائرنا
ومن مصون هواهم في تناجينا

ناب الحنين اليكم في خواطرنا
عن الدلال عليكم في أمانينا

وكان شوقي أبرع من ابن زيدون في حديثه عن الصبر ، فقد لجا شوقي اليه كعادته ، ولكن الصبر لم يلبه ، مع شدة جلد الشاعر قبل هذا الفراق :

جئنا الى الشوق تدعوه كعادتنا
في النائبات ، فلم ياخذ بايدينا

وما غلبنا على دمع ولا جلد
حتى اتتنا نواكم من صياصينا

أما ابن زيدون فينسى الصبر ، ويذكر الأسى لانه قرأ الحزن مكتوبا يوم الفراق ، وأخذ الصبر تلقينا عن سواه :

لا غرو في ان ذكرنا الحزن حين نهت
عنه النهى ، وتركنا الصبر ناسينا
انا قرأنا الأسى يوم النوى سورا
مكتوبة ، وأخذنا الصبر تلقينا

واذا كان ابن زيدون يلح على حبيبته أن تحافظ على العهد ، ويؤكد لها أنه سيظل محافظا عليه ، ولن يحب غيرها ، ولو تعرض له بالحب بدر السماء ، وانه سيقنع منها بالطيف وان تذكره اذ يقول :

دومي على العهد ، ما دمنا ، محافظة
فالحر من دان انصافا ، كما دينا

فما استعضنا خليلا منك يحبسنا
ولا استفدنا حبيبا عنك يثنينا

ولو صبا نحونا من علو مطلعه
بدر الدجى لم يكن ، حاشاك يصبينا

ابكى وفاء ، وان لم تبذلى صلة
فالطيف يقنعنا ، والذكر يكفينا

فان شوقي كان مؤمنا ببر مصر له ، ووفاء من فيها لوده ، فلم يكن في حاجة الى أن يطلب المحافظة على الود ، والبقاء على الوفاء :

لكن مصر ، وان أغضت على مقة
عين من الخلد بالكافور تسقينا

بنا ، فلم نخل من روح يراوحنا
من بر مصر ، وريحان يغادينا

ومن الطبيعي أن تنفرد قصيدة ابن زيدون بوصف الحبيبة البعيدة ، وكانما يستعيض بوصفها في الشعر عن رؤيتها في عالم الحقيقة ، واذا كنا قد رأيناه وهو يناجيها يتحدث عن احساسه نحوها ، فيشعر أنها حياته ونعيمه ، فانه قد أحب كذلك أن يصور بقلمه جمالها الجسمي ، فراى كانما انشئت وحدها من المسك في حين أن الناس قد خلقوا من الطين ، وكانما صيغت من الفضة الخالصة ، وتوجت بالذهب الناصع ، مترفة ، كانما ارضعتها الشمس ، او اضاءت وجنتيها كواكب السماء فيقول :

ربيب ملك كأن الله أنشاه
مسكا ، وقدر انشاء الورى طينا

أو صاغه ورقا محضا ، وتوجه
من ناصع التبر ابداعا وتحسينا

اذا تاود آدته رفاهية
توم العقود ، وادمته البرى لينا

كانت له الشمس ظئرا في أكلته
بل ماتجلى لها الا احايينا

كانما اثبتت في صحن وجنته
زهر الكواكب تعويذا وتزيينا

وتلك صفات تجعل الحبيبة في خيال القارىء بالغة حد الروعة والجمال ، اذ يجعلها من طينة غير طينة هذا البشر .

ولم يكن وصف الحبيبة من مجالات قصيدة شوقي ، وان كان من الممكن أن يكون وصف ابن زيدون لحبيبته مما أوحى الى شوقي بما جاء به من وصف ما امتاز به الوطن من جمال في سمائه وشمسه ، ونيله ، ووادية .

وحب ابن زيدون حب يستعان على نسيانه ، أو على التخفيف من حدته بالخمر والغناء ، وهنا يعلن الشاعر انهما لم يجديا فيه فتيلا ، بل كانا مثيرين لآلامه ، اذ يقول :

نأسى عليك ، اذا حثت مشعشة
فينا الشمول ، وغنانا مغنينا

لاأكؤس الراح تبدى من شمائلنا
سيما ارتياح ، ولا الأوتار تلهينا

ولم ترد هذه الخواطر في قصيدة شوقي ، لان

حب الوطن والشوق اليه مما لا يستعان على نسيانه بمثل تلك الوسائل ٠

واذا كانت نغمة الياس تسمع من قصيدة ابن زيدون عندما يقول :

كنا نرى الياس تسلينا عوارضه
وقد يئسنا فما للياس يغرينا

وفى قناعته بالطيف والذكر ــ فقصيدة شوقى لا تسمع فيها تلك النغمة اليائسة ٠

ولأن قصيدة شوقي تتحدث عن فراق وطنه ، ومعيشة الشاعر فى أرض غير ارضه ، وكانت ذكريات هذا الوطن تنهال على خياله ــ راينا فى القصيدة من هذه الذكريات تلك الطبيعة الساحرة التى امتاز بها هذا الوطن الجميل ، وذلك التاريخ المجيد لهذا الوطن ، وما لأهله من ثبات على العهد ، وقوة لم تضعف منها يد العدو المشتتة ، ويبلغ شوقى وهو يتحدث عن ذلك مبلغا لا يدانى ، وينقل الينا نقلا صادقا مايشعر به الشاعر من عزة واعتزاز بهذا الوطن وبنيه ، اذ يقول :

والنيل يقبل كالدنيا اذا احتفلت
لو كان فيها وفاء للمصافينا

له مبالغ ما فى الخلق من كرم
عهد الكرام ، وميثاق الوفيينا

لم يجر للدهر اعذار ولا عرس
الا بايامنا او فى ليالينا
نحن اليواقيت خاض النار جوهرنا
ولم يهن بيد التشتيت غالينا

لم تنزل الشمس ميزانا ولا صعدت
فى ملكها الضخم، عرشا مثل وادينا
وهذه الارض من سهل ومن جبل
قبل (القياصر) دناها (فراعينا)
ولم يضع حجرا بان على حجر
فى الأرض الا على آثار بانينا

وطبيعى أن تنفرد قصيدة شوقى بهذا اللون من الوصف ٠

كما تنفرد كذلك بالحديث عن الاندلس التى حل فيها ، ويبدو فى هذا الحديث الحب والاجلال لتاريخ العرب فى تلك الديار ، والأسى لما انتهى اليه امرهم من ضياع ملك رفيع الذرا شامخ البنيان ، واستمع الى شوقى اذ يقول :

رسم وقفنا على رسم الوفاء له
نجيش بالدمع ، والاجلال يثنينا

لفتية لا تنال الأرض ادمعهم
ولا مفارقهم الا مصلينا
لو لم يسودوا بدين فيه منبهة
للناس كانت لهم اخلاقهم دينا
نسقى ثراهم ثناء ، كلما نثرت
دموعنا نظمت منها مراثينا

وهو هنا يسجل ماأحس به من الاجلال لدرجة انه يثنيه عن البكاء ، ولم لا يجل قوما ذوى عزة وأنفة ، لا يبكون ، ولا يخفضون رءوسهم الا للخالق وهم يصلون ، قد بلغوا من الخلق الرفيع مايصلح أن يسودوا به الناس ، لو لم يسودوا بدينهم ، ان دموع الشاعر فوق ثراهم قصيدة باكية من الرثاء ٠

وبعد فقد كانت القصيدتان معبرتين عن تجربتين صادقتين للشاعرين ، وقد استطاعا فى مهارة وقوة ان ينقلا الينا هاتين التجربتين ، فشعرنا بلوعة ابن زيدون وحسرته ، وتحرقه على عهد سعيد مضى ، وتلهفه على أن يظل العهد باقيا ، ولو فى اضعف مايمكن من البقاء ، كما شعرنا بالم شوقى لفراق وطنه ، وحبه لهذا الوطن وشوقه الى من فيه ، واعجابه باهله ، وتقديسه لتاريخه ، وشوقه الى العهد الذى قضاه فيه ٠

ولم تكن معارضة شوقى لابن زيدون تحمل معنى التقليد ، وان كان قد استوحى بعض المعانى فانه قد مضى يعبر عن هذه المعانى على النحو الذى أحس به ، وبالطريقة التى تدل على شخصيته ٠

واذا كان الشاعران قد حملا البرق والنسيم تحيتهما فقد جريا من ذلك على المألوف عند العرب٠

وحظ القصيدتين من الأسلوب القوى الجذل متميز واضح ، وربما كان لشوقى من هذا الحظ اكبر مما لابن زيدون ٠

وفى معظم معانيهما يكاد الشاعران يبلغان درجة متكافئة فى تصوير المعنى ، ليظل خالدا فى سمع الزمان ٠

شاعرية حافظ جميل

للدكتور بدوى طبانه

وقد أتاحت لى تلك الزيارةالقريبة لبغداد التعرف القريب على طراز فريد فى الادب العراقى المعاصر يتمثل فى علم من أعلام الشعر العربى فى البلد الشقيق .

وكان الفضل فى ذلكاللقاء للاديب الشاعر حارث الراوى الذى أغرتنى بزيارته دواعى الوفاء لذكرى أبيه المرحوم الاستاذ طه الراوى الذى كان ركنا من اركان الثقافتين العربية والاسلامية فى العراق وطالما استمتعت بصحبته وأفدت من مكتبته العامرة فى صوب الكرخ حينما جمعتنا ظروف العمل فى دار المعلمين العالية فى أثناء الزورة الاولى ، وكان الاستاذ طه الراوى اذذاك رئيسا لقسم اللغة العربية ، وكنت واحدا من أعضاء ذلك القسم ، وأغرانى الحارث باننى سالقى هناك — فى دار الراوى — شاعرا كبيرا لاينبغى لمثلى من الذين زاروا العراق وأولعوا بتتبع النهضة الادبية فيه أن يجهله .

وكان الحارث على حق فى كل ما أطرى به شاعرية **حافظ جميل** وأسيت أشد الأسى لتأخر معرفتى بهذا الشاعر الكبير، ولم يذهب عنى ذلك الأسى الاماقرأته للاستاذ خالد الدرة فى لمحته عن حافظ التى كتبها فى مقدمة ديوانه **نبض الوجدان**، وهو أن حافظا حين عاد الى العراق بعد دراسته فى الجامعة الامريكية ببيروت صرفته مشاغل الوظيفة الجديدة عن مواصلة الشعر مدة من الزمن ، غير أن ظروفا سياسية اضطرته بعد ذلك الى اعتزال الوظائف الحكومية ، فبدأ اسمه يلمع فى المحافل السياسية والاندية الادبية بحيث أصبح يلى اسمى الرصافى والزهاوى مباشرة ، حتى شاع الامل بانه سيكون من كبار شعراء عصره على الرغم من حداثة سنه ؛ لولا أن تعود الحكومة العراقية فتزجه من جديد فى احدى الوظائف المالية ، فيعتزل حافظ الشعر اعتزالا تاما قرابة اثنتى عشر سنة .

وهكذا قدر لحافظ أن يختفى اسمه فى عالم الشعر ، وينقطع هو عن مواصلة النظم ، حتى نشأ جيل جديد لم يسمع حتى باسم ذلك الشاعر الموهوب الذى أكره ما يكره فى دنياه أن يبث الدعاية لنفسه ولشعره .

ذلك ما وجدت فيه شيئا من العزاء عن تأخر معرفتى ثم تأخر دراستى لحافظجميل الشاعر المبدع الكبير .

وقد نشر حافظ جميل ديوانه الانيق الذى تزيد صفحاته على ثلثمائة صفحة وتبلغ قصائده سبعا وأربعين قصيدة سنة ١٩٥٧ وآخر شعر نشره فى ذلك الديوان (نبض الوجدان) نظمه الشاعر سنة ١٩٥٦ ومعنى ذلك أن شعره فى الاعوام الثمانية التى تلت صدور هذا الديوان لم ينشر مجموعا فى ديوان، وان كان كثير منه قد نشر فى بعض الصفحات الادبية التى تتخطف ما تجود به قريحة الشاعر المطبوع حينا بعد حين ، وآخر ماقرأت له احدى قصائده الخمرية

التي يناجي فيها كأسه مناجاة لم نقرأ مثلها لشعراء الخمر المختصين المبدعين ، وأولها :

دومى دوام العمر يا كأسى
يا كوثرى العذب وفردوسى
لولاك غام الكون فى ناظرى
وعشت فى داج من اليأس
وظل صدرى جدثا حالكا
لم ير لولاك سنى الشمس

وقد نشرت هذه الخمرية جريدة (البلد)البغدادية فى ١٩٦٤/٣/١٥ وقالت فى تقديمها ان الشاعر الكبير خصها بها لتكون « عينة » لقصائد ديوانه المنتظر « **اللهب المقفى** » .

ومعنى ذلك أن أكثر ما يحتويه الديوان المنتظر هو قصائد حافظ جميل الخمرية التى ستحيى فى عالم الشعر العربى الحديث ذكرى المدرسة النواسية .

والخمريات فن احتل منزلته بين فنون الشعر العربى فى سائر العصور . وفى بعض هذه الخمريات أصالة وفى كثير منها تقليد ، ولكن خمريات حافظ كلها تعبير رائع عن تجارب صادقة ، ولعل اغراق الشاعر فى مثل تلك التجارب أو اغراقه في وصفها هو الذى دعا الاستاذ خالد الدره الى القول بان حافظا «لايزال يولى عنايته الخاصة لأحاسيسه الذاتية » وذلك لان الوظيفة الحكومية لاتسمح له باكثر من ذلك رغم وطنيته الجامحة واحساسه المناوىء للاستعمار فان الاحاسيس الذاتية فى مثل ظروفنا العربية الراهنة هذه لاتجعل من صاحبها عظيما فى نظر أبناء شعبه الذين يتطلعون الى الحرية والانطلاق، ويريدون من الشاعر أن يتجه كليا الى هذا الهدف بدلا من الضرب على وتر الحس الذاتى أو الوجدانى المحض » .

وقد يفهم من يقرأ مثل هذا الكلام أن شاعرنا لايعيش الا لنفسه ، ولا يحيا الا فى برجه العاجى ، ولا يعبر الا عن أهوائه ونزعاته بعيدا عن قومه لايبلغ شكاتهم ، ولا يعنيه شىء من متاعبهم وآلامهم .
واذا لم يكن حافظ شاعر المحافل والاندية ، ولا من الشعراء الذين يجتذبون التصفيق من آكف الجماهير ، أو الذين تستهويهم الشهرة أو يهزهم الهتاف فليس معنى ذلك أن الشاعر قد نأى بمشاعره عن قومه أو أنه لايحس ما يحسون فى عالم السياسة أو عالم الاجتماع ، فاننا نجد فى كثير من شعره آيات المشاركة والتفاعل مع الاحداث ، وان كان لا يعبر عنها مجردة وانما يمزجها بأحاسيسه المضطرمة وانفعالاته وعواطفه بعيدا عن الصخب والضجيج ، شأنه فى ذلك شأن الصياد الذى لايحلو له الا ان ينضج صيده على تنوره وفى حر ناره التى جمع حطبها بيده وأوقدها بنفسه .

وعلى هذا فان شعر حافظ جميل يفيض بالاشادة بالأوطان والهيام بحبها ، وان لم يجرد لهذا الغرض قصائد كاملة فى ديوانه الضخم ، وانما هو تيار جياش بكل عواطف النفس وما يعتلج فيها من مشاعر وأحاسيس، تبدو فيها بوضوح آيات الوطنية متفاعلة مع غيرها مما اثر او اثار . ومن أمثلة ذلك قصيدته التى جعل عنوانا لها كلمة (شاعر) ولم يعن حافظ جميل بهذا الشاعر الا نفسه ، وهى من أرق شعره واغزره بالمعاني وأحفله بالعواطف ، وقد بدا فيها أثر الحنين العجيب والهوى المؤرق بالوطن الذى لايبغى عنه حولا على الرغم مما يكابد فى المقام من آلام ، على الرغم من حديث نفسه بالهجرة والرحيل فرارا من وقوع عينه على مالاترضى ، فيقول عن نفسه :

ان سار خلف هواه أنبه
وجدانه وتهاه محتده
أو رام نزحا رده وطن
فيه شبيبته ومولده
وطن تغلغل فى عقيدته
يدري به صنما ويعبده
عش سيد الاوطان يا وطنا
فى ذروة العلياء سؤدده
عش حاميا للحق يا وطنا
لا شىء غير الحق ينشده
عش مرتعا للخير يا وطنا
بنديه أزهى العيش أرغده

وفى القصيدة نفسها ثورة على الحكام ونقمة على فسادهم وطغيانهم ، ووعيد لهم بسوء العاقبة اذا ظلوا سادرين فى بغيهم وضلالهم :

يا مالك الدنيـا وسـيدها
أأباح أكل العبـد سـيده

ومطـاول بالمجـد ليس له
من قـدره شرف يمجـده

أسـتغفر الانصاف ان له
سـوداء ناصية تسـوده

باغ ومن يدرى لعـل له
بين البقـايا من يؤيـده
قاس ومن يدرى لعـل يدا
اقسى اذا ما رق تجـلده
دسـتوره وطن يمـزقه
وشعاره شعب يقيـده

هذا شيء قليل من وطنية حافظ جميل وغيرته على أمته ووطنه فى قصيدة واحدة ، وفى قصيدة أخرى ينحى على أولئك الحكام باللوم والتقريع على ما نهبوا من دماء الشعب ، وتقتيرهم على هـذا الشعب الذى أكلوا رزقه واستنزفوا دمه .

هل توج الدهر بالحسنى اباطرة
صاغوا لهم من دموع الشعب تيجانا

أزرى بقـارون أنداد اذا ندبوا
خروا عـلى شحهم صما وعميـانا

تناهبوا رزق هذا الشعب وابتدعوا
للجوع نعتـا وللحرمان عنـوانا

قل: كل من عجموا البلوى سواسية
فاستحدثوا من ضروب النعت الوانا

أما الثورة على الثراء الفاحش وعلى الفقر المدقع اللذين جعلا الناس فئتين فئة تباهى بكنوزها .. وتفاخر بعبثها وفسادها ، وفئة أخرى حطمها الفقر وآدها الحرمان ، فان حافظا يعد بشـعره فيها فى طليعة الشعراء المعاصرين والقدامى على السواء .. وليست طبقته فى هذا الشعر دون طبقة شاعر النيل حافظ ابراهيم ولا طبقة شاعر العراق معروف الرصافى بل هو فى بعض قصائده يفوقهما فى متانة الشعر وعذوبته ، وفى قدرته على رسم الصور المعبرة ، وفى حلاوة قوافيه ، وفى طول نفسه ، فقصيـدته التى أسماها «أصنام المال» يعبر فيها فى أربعين بيتا من الشعر الممتاز عن تلك الثورة ، ومنها قوله :

هل عاهـد الطغمة المثرون انفسهم
الا يجودوا بمعروف وان هـانا ؟

وهل قضى العرف ان تطمو خزائنهم
سحتا ويهلك هذا الشعب حرمانا ؟

تملئوا من حرام الرزق وادخـروا
مع القنـاطير لوعات واحـزانا

ومن عجائب صنع الله مملـكة
تغور فى جيبهم ارضـا وسـكانا

وفى هذه القصيدة يتحدث الشاعر عن « الدينار» الذى اتخذته الجماهير معبودا تنحنى له رءوسها .. وتذل لهيبته كبرياؤها ، وأصبح مقياس الشرف ، ومعيار المفاضلة بين الناس ، وهو قرطاس يطبعونه بأيديهم ويتداولونه بينهم ، وهو يفرقهم ويقسـمهم طبقات بحسب الحصول عليه والحرمان منه ، وبحسب وفرته فى أيدى البعض وندرته فى أيدى الآخرين ، وهو حديث مر يقول فيه :

حم الرجـال جنونا فى تفـاضلهم
فما وجدنا سوى (الدينار) ميزانا

كفى بمومس قرطاس نداولهـا
ان تجعـل الناس أسيادا وعبدانا

ياما حنينا الى (الدينار) جبهتنـا
ياما رفعنـا الى (الدينار) شكوانا

ياما عرضنا على (الدينار) أزمتنـا
ياما اخذنا من (الدينار) فتـوانا

ياما شرينـا به جاهـا ومنـزلة
ياما دفعنـا له الاخـلاق ألمـانا

ياما خـلونا به فى سر عزلتنـا
نشكو له أمر دنيـانا واخـرانا

حتى لصـار نشيدا فى كنائسنـا
حتى لصـار دعاء فى مصـلانا

لم يبق فى الـكفر الا ان نقـول له
قم يا مسـيح وكفر عن خطـايانا

ولعلنا لم نظفر فى الشعر العربى بكثير من أمثال

رائعة حافظ جميل التصويرية التي جعل عنوانها «ثرى عابث» وفيها وصف مستفيض لحياة تلك الطبقة من الناس التي استأثرت بالاموال ، ولم تجد سبيلا لانفاقها الا في متابعة الشيطان ، واشباع شهوات النفس بكل متعة حلت أو حرمت ، وتحصيل اللذائذ وصنوف المتاع التي لاتنقاد الا لاصحاب الكنوز التي لايهددها اسراف ·

***

وتدور هذه القصيدة حول فقير مدقع ارادت له الاقدار أن يكون من ذوى الثراء ، فاقتنى القصور الفاخرة وعمرها بالاماء والجوارى ومجالس القصف والعبث ، وأخذ يباهى بنى جلدته بما حوى قصره من غالى الاثاث والرياش ، وما حوت حديقته من الاشجار الباسقة والغصون المورقة والثمار اليانعة والارض الموشاة بالنبت والازاهير ، والاركان التي اعدها للهو والفجور والطرب والغناء · وقد طال نفس الشاعر في تلك القصيدة فصور فيها حياة ذلك الصنف من الناس الذى لاهم له الا ارضاء الشهوات واقتناص المتع والملذات في مائة بيت واثنين من الشعر الرقيق الرشيق الذى يلائم غرضه ، وأخذ حافظ يتحدث بلسان ذلك الثرى العابث :

حسبى من الدنيا نعيما بسطتى وثرائيه
لاالجاه يعوزنى ولا ترف الحياة الراقيه
سكناى فى قصر ينيف على القصور العاليه
ابراجه تياهة ، وقبابه متسامية
وصحانه مد الفضاء وسيعة متناهيه
تثبت فى ارجائه العشرات من خداميه

ويصف حديقة داره وخمائلها وأزاهيرها ، وما أعد فى جنباتها من أسباب اللهو والقصف :

وحديقتى منسوقة ممتدة مترامية
انى عطفت بها مررت على خمائل حاليه
وقطفت اندى زهرة وحسوت اجود صافيه
لم يخل من متع الهوى طرف بها او ناحيه
فى كل مخدع ايكة وتر يرن وشاديه
وبكل ظل جدول من خمرة او ساقيه
تهفو على جنباتها اكمام ورد نادية
مطرت بصوب البابلية لا بصوب الغاديه

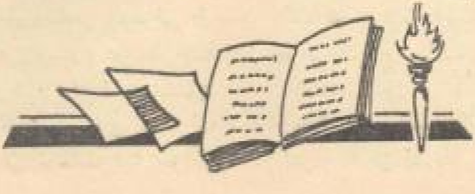
ثم يصف سيارته التي يمضى بها نشوان من العجب والخيلاء ، وعلى يمينه ويساره الجوارى والقيان ولو شاء كانت الخلوة الحمراء او كان العزف والطرب ن نداماه :

احتثها طول النهار متابعا غزواتيه
وانيخها عند الظلام الى جوار مناخيه
حيث الظباء السارحات العابثات اللاهيه
حيث الخصور مزنرات والخواصر عاريه
حيث الخدود مشعشعات والمراشف داميه
حيث القدود مرنحات والسرائر صاحيه
حيث التناجى بالحواجب والعيون الساهيه

والقصيدة كلها من هذا الطراز المتانق فى الوصف المستقصى للمعانى ، المطرب فى وزنه وقافيته ، وليس لنا أن نسأل الشاعر سؤال المتردد أو المرتاب فى صدق التجربة وصدق دلالتها على الشاعر ، فانها صورة حية ناطقة لنماذج من البشر رآها الشاعر فى بيئته ، وكثيرا مارأيناها فى بيئاتنا ولا تزال تعيش فى كثير من البيئات المتخلفة التى منيت بالفوارق المذهلة بين الطبقات ، وعاش أفراد منها مثل هذه العيشة المترفة المنحلة تنتهب الملذات وتتسابق فى الغواية والفجور كما انتهبت عرق الشعوب ودمائها ·

***

واذا كان حافظ ابراهيم ومعروف الرصافى قد أجاد كلاهما فى وصف حياة البؤس والحرمان وآلام الفقراء والمعذبين فان حافظ جميل قد أجاد كل الاجادة فى أمثال هذا الشعر الذى عبر فيه عن حياة الغنى والعبث والاسراف والمجون ووصفها مثل ذلك الوصف المستقصى الممتع الذى يدل على النظر الفاحص والتامل العميق ويفيض بالتهكم المر والنقد الساخر ·



من روائع الشعر الإسلامي

جلال الدين مولوي

للدكتور محمد غنيمي هلال

ويقال له أيضا « **جلال الدين الرومي** » ولد في بلخ وتركها في طفولته ابان حملة المغول ، ليذهب مع والده الى آسيا الصغرى، واستقر بها مع أسرته، وتوفى بها عام ٦٧٢ هـ (١٢٧٣ م) ويعد أعظم صوفية الفرس على الرغم من أنه بمثابة الامتداد لعطار الذى تحدثنا عنه فى هذه المجلة من قبل .

وقد تتلمذ أولا على والده ثم على تلميذ والده سيد برهان الدين ، وقد رحل زمنا الى الشام ليحصل العلوم العربية والفلسفية ، عاد بعدها الى « قونية » ليشتغل بكسب العلوم والمعارف الدينية حتى تعرف على أحد الصوفية الكبار « **شمس الدين تبريزى** » فترك تحصيل العلوم الى الاشتغال بالتصوف واسس فيه طريقة المولويين الذين ينشدون الوجد فى حلقات الذكر ، وعلى سماع الانغام ، ومن ثم عظم شان هذه الانغام فى الاثارة الروحية عند المتصوفين ، وعندهم أن هذه الانغام أقرب الى الروحانيات فجمالها تجريدى ، وهو لذلك أطوع الى التعالى بالروح ، وقد ترك « **جلال الدين** » آثارا أدبية، صار بها سيد الصوفية الفرس من الجانب النظرى والعملى معا فى عالم الصوفية .

واشهر هذه الآثار ديوانه المسمى « **مثنوى** » فى حوالى ستة وعشرين الف بيت من بحر الرمل ، بها تصوير كثير من المسائل الاخلاقية والدينية ، والصوفية النظرية ، وبها وصل الشعر الصوفى الى قمته لدى الفرس ، وبالرغم من سيره على طريقة العطار فانه أنضر منه أسلوبا . وله غير المثنوى ديوان غزل باسم « **شمس الدين تبريزى** » اذ انه ألفه بتأثيره ، وهو غزل صوفى تختلط فيه خواطر الحب بالوجد الالهى المشبوب ، المعشوق فيه الذات القدسية ، ويعزى اليه كذلك مجموعة من « الرباعيات » .

ولا بد فى قراءته من معرفة مبادىء عامة صوفية هى مفاتيح خواطر فلسفية منها أن الجنون عند الصوفية معناه الوجد الالهى الذى يصل به المحب الى درجة النشوة الالهية ، وهى أعلى درجات المدح لديهم ، ومنها أن الخمر فى كلام الصوفية معناها النشوة الالهية فى حياة التأمل الروحى ، وقد أخذ الصوفية مفهوم هذين الاصطلاحين عن « **افلوطين** » ومدرسته ، التى تأثرت بدورها بافلاطون ، ومنها أن الجمال فى الخلق طريق للهداية الى الجمال الحقيقى لأن ذلك الجمال صورى شفاف ، معناه روحى لدى ذوى البصائر ، وليس سوى وسيلة للهداية ، وانما ينطمس معناه على من يستغرق فى المادة ، فيصبح الجمال الظاهرى لدى باصرته كثيفا لا يشف عن شىء ، لأن بصيرته قد ران عليها صدأ المادة فأغراه التكالب عليها .

ومن ثم يجب أن نفهم ما يتردد من ذكر الخمر والخمارة ، وذكر الجمال ، ثم ذكر ما يتصل بهذين الأمرين من أوصاف تبدو مادية ، وهى فى الحقيقة رموز يضل المرء فى فهمها اذا وقف عند ظاهرها ، فما أشبهه عندهم بمن يحاول القراءة وهو لا يعرف حروف اللغة ، أو بمن يقرأ لغة لا يفهم معنى كلماتها ، فلغة الجمال روحية ، لا ينفذ اليها سوى طاهر الروح ، كذلك لغة الادب الصوفى مشعة تستعصى على من لا يعرف مفاتيحها الفلسفية ، ونقدم فى ضوء هذا التمهيد الموجز بعض نماذج نترجمها من أشعاره ، لعل القارىء يتذوقها بعد هذا

التمهيد ، ولا أقصد الى غير التذوق الفنى فى التصوير ، وقوة دلالته على الاشعاع الروحى ، على أن يحتفظ القارىء بعد ذلك باستقلاله لأن هذا الادب يجب أن يقوم فى قرائن عصره فيما يخص مضمونه ، كما أشرت ، وكما شرحت ، أكثر من مرة ، فى حديثى بهذه المجلة (الرسالة) :

١ ـ التعصب :

هذا العالم ـ اى بنى ـ مثل الشجرة
ونحن عليها مثل الثمرات نصف الناضجة
فغير الناضجة منها يشتد تعلقها بغصنها
لأنها ليست طيبة ولا تروق لأهل القصور
واما حين تنضج وتصير اهلا لمذاق حلو الشفاه
فان تمسكها بأصلها من الغصن يهن على الأثر
فشدة الاستمساك والتعصب سذاجة
وما دمت جنينا فلا شأن لك سوى شرب الدم

٢ ـ ضيق النظرة :

جلس فى سفينة نحوى من النحاة
وتوجه مغترا بذات نفسه شطر الملاح
وقال : أتعرف من النحو شيئا ؟ فأجاب الملاح : كلا
فقال النحوى : لقد ضاع منك نصف عمرك !!
فانفطر قلب الملاح حزنا ، ولكنه
في تلك اللحظة قد صمت فلم يحر جوابا
والقت العاصفة بالسفينة فى لجة الموت
فتوجه الملاح شطر ذلك النحوى الجليل :
خبرنى : اتدرى من السباحة شيئا ؟
فأجابه : كلا لا تنشد فى سباحا
فقال الملاح : لقد ضاع كل عمرك ايها النحوى
اذ السفينة بسبيل أن تغرق فى اللجة
الذى يلزمك هنا هو المحو (الفناء فى الله) لا النحو
واذن فاعبر الماء ولا خطر عليك
فماء المحيط يعلو مفرق من يموت به
وان بقى المرء حيا فيه فكيف له بالخلاص من مياهه؟
اذا تجردت من صفات البشر (بالفناء فى الله)
فان بحر الأسرار سيحملك على مفرقه

٣ ـ التعلل باسم الجبر :

كل من يظل من الكسل بلا شكر وصبر
يرى مع ذلك أن الجبر هو الذى قيد خطاه
وكل من يتعلل بالجبر انما يزج بنفسه فى العناد
ويظل كذلك حتى يسلمه للقبر
والجبر ما هو ؟ أن تضمد عضوا كسيرا
او أن تصل بضمادتك عرقا قطيعا
فاذا كنت فى هذا الطريق غير كسير القدم
فبمن تسخر حين تلفه بالعصائب ؟
وأما من جهدت قدمه فى طريق الكفاح
فان البراق قد أتاه فاعتلاه
قال لص لحاكم : أيها الأمير
ان ما أتيته انما كان بحكم الاله
فأجابه الحاكم : وكذلك ما أفعله أنا بك .
انما هو حكم الحق يا من أنت ذو عينين تبصران

٤ ـ المرآة :

يامن تشاهد الظلم سائدا بين الناس
ان محنتك من محنتهم يا هذا
ففيهم يتراءى وجودك أنت
من نفاق وظلم وعربدة
ان ذلك الانسان هو أنت وذلك الأذى انما تمارسه على نفسك
وحق أن تلعن فى تلك الساعة نفسك
الا ترى عيانا هذا الشر من ذات نفسك
والا فأنت اذن عدو نفسك
فالمؤمنون مرآة بعضهم لبعض
كما ورد فى الخبر المروى عن النبى

٥ ـ مدينة العشق :

قال معشوق لعاشق : أيها الفتى
لقد رأيت فى غربتك مدنا كثيرة
فخبرنى : أية مدينة من هذه أطيب ؟
فأجاب : تلك المدينة التى فيها من اختطف قلبى
وانه لأطيب من الدارين ذلك المكان
حيث أنال فيه سؤلى ـ اى الهى ـ بحضرتك

٦ ـ الطائر القدس أو الروح :

ظللت أياما أفكر نهارا وطول الليل

لماذا أظل فى غفلة عن شئون قلبى ؟

من أين اتيت ؟ ولأى جدوى كان مقدمى ؟

والى أين أذهب آخر الأمر ؟ اذ لا يتراءى وطنى هناك

وبقيت فى عجب بالغ أن لماذا خلقت

او ماذا كان مراده من صنعى ؟

انا على يقين من أن الروح من العالم العلوى

فاما أن أشد رحلى من جديد الى هناك حيث قدمت

واما أن تحملنى الروح الى حان المليك

حيث يقيم ساقى ، وثم سأفض ختم الدنان

فطائر ملكوتى ليس من عالم الأرض

وانما صنع له من بدنى قفصا لاقامة موقوتة

فيا لطيب ذلك اليوم الذى أطير فيـه حتى باب الحبيب

ناشدا أن أخفق بجناحى على عتبات ذلك الحى

فمن ذلك الذى صاغ فى مسمعى تلك الأصوات

وأية كلمات وصفها على لسان

ومن هو الذى ملء باصرتى التى بها أرى

وأية روح تلك التى أنا لها لباس ؟

اذ طالما لا يبدو لى منزل ثم ولا طريق

فلن أستريح لحظة ولن أقر بالا آونة

فأذقنى خمرة الوصال فى هذا السجن الدنيوى

حتى احطم بابه فى عربدة السكر ، شأن السكارى

أنا لم آت هنا اختيارا ، فلاعد هناك عن اختيار

وليحملنى حتى موطنى الأخروى من قدم بى هنا

لا تظن أنى أقول هذا الشعر اختيارا

فطالما أنا على وعى ويقظة لا أنبس لحظة

٧ ـ سكران :

انا ثمـل وانت مجنون فمن ذا الذى يقودنا الى المنزل ؟

لقد نصحتك مائة مرة أن تقل من الشرب كأسين او ثلاثة

فى المدينة لا أرى شخصا واحدا صاحيا من السكر

كل امرىء أسوأ من الآخر ولهان ومجنون !

أى حبيبى ! هلم بنـا الى الخربات حتى ترى لذة الروح

وكيف يطيب للروح أن تكون بدون صحبة الحبيب

فى كل ركن شخص ثمل يده فى يد نجيه

والرأس يدور ثملا من يدى السـاقى بالـكأس الالهية

أيها الخفيف الروح ! اعزف على العـود ٠ اأنت اوغل فى السكر أم أنا ؟

فيا أيها العاقل حين تثمل أنت فسحرى أسطورة !

انت وقف على الخربات لا شأن لك سوى الخمر

فلا تدع حبة من عقل لدى القادمين الصاحين

لقد خرجت من المنزل فاسرع الى بالسكر

وكل نظرة منه تخبىء وراءها مائة بستان ومنزل

مثل سفينة ضلت المرسى وجنحت للغرق

وعلى الأسى بها آلاف العقلاء والحكماء صرعى

قلت من أين أنت أيتها النفس فهزأت قائلة :

نصفى من تركستان ونصفى من فرغانة

شطرى ماء وطين وشطرى روح وقلب

شطرى من شـط المحيط والبـاقى كالجوهـرة الفريدة

فقلت لها : كونى لى رفيقا فانا من أهلك

فأجابت : لم أعد أعرف أنا قريبا لى من غريب

لقد فقدت رأسى وتاج رأسى فى منزل السـاقى

ولى صدر به كلم ـ أأشرحها أم أكتمها ؟

كيف نقرأ الشعر وتربط شكله بمضمونه

للدكتور محمد النويهي

نواصل دراستنا فى **الشعر العربي القديم** ، متبعين طريقتنا التى رأى القارىء امثلة عليها فى مقالاتنا السابقة · ونحن ندرك ان هذه الطريقة لا تزال غريبة على كثيرين من القراء ، ولكننا نرجو ان يكون فى امثلتنا القادمة ما يزيدهم الفة بها ، ومقدرة على متابعتها ، فاننا نعتقد مخلصين انها لا تخلو من فائدة فى ارشاد القارىء الحديث الى روائع تراثنا الشعرى ، وتدريبه على قراءته قراءة صحيحة ، والاستماع اليه استماعا دقيقا ، واستجلاء متعته العظيمة وقيمته الجليلة ، والاهتزاز لحيويته الباقية التي لا يبليها كر الدهور ، والاهتداء الى أهميته الانسانية العامة التى لاتحدها بيئة محلية معينة ·

وطريقتنا هذه ، كما لاحظ القارىء بلا شك ، قائمة على الربط الوثيق بين مضمون الشعر وشكله· ذلك اننا نعتقد ان افدح خطأ يرتكب فى دراسة الشعر هو ان يفصل بين مضمونه وشكله ، أو بين ما سماه القدامى معناه ولفظه ، وهذا ما فعله معظم نقادنا القدامى ، وما لا يزال يفعله كثيرون من نقادنا المحدثين ·

هذا الفصل الخاطىء لا يرتكبه الذين يفضلون اللفظ على المعنى وحدهم ، فلا يرون فى الشعر الا الألفاظ الجزلة الفخمة ، أو الحلوة الرقيقة · بل يقع فيه أيضا من يفضلون المعنى على اللفظ ، ويظنون انهم بهذا التفضيل يثبتون رجاحة عقلهم وامتياز ذوقهم ، ويدللون على انهم ليسوا ممن يأخذهم بريق الألفاظ وبهرجها السطحى ·

فالعلاقة بين المعنى واللفظ فى الشعر ، كالعلاقة بين المضمون والشكل في الفن جميعه ، علاقة جوهرية جذرية ، لا علاقة عرضية سطحية · بين المضمون الشعرى والشكل الشعرى ارتباط عضوى تام بحيث لا تتحقق الحياة لأحدهما بدون الأخر · فهما يتكونان معا ، ويتشكلان معا ، ويولدان ·· أى يبرزان الى عالم الوجود معا · وليست عملية الخلق الشعرى التى يقوم بها الشاعر الا محاولة لتحقيق المضمون بالبحث عن الشكل الذى يحققه ، ولولا اللفظ لما ولد معناه ، ولولا المعنى لما كانت هناك حاجة للفظ · ومنذ اللحظة الأولى التى يبدآن فيها فى التكون يؤثر كل منهما فى الآخر علوا وهبوطا ، وطولا وقصرا ، واهتزازا وسكونا ، بحيث يؤدى اقل تغير يطرأ على احدهما الى تغير جوهرى فى قرينه وتوامه ·

حقا اننا لغرض الدراسة ربما نميز ـ تمييزا مؤقتا ـ بين الجانبين ، فننظر فى المضمون ونحاول ان نزيده تفهما ، وننظر فى الشكل ونحاول ان نرهف الاستماع اليه وتحليل عناصره وكمه ونبره· ولكن ان تركنا دراستنا هكذا ظل عملنا النقدى عملا ناقصا · انما يتم عملنا النقدى حين نعود بعد هذا التمييز الموقت فنصل بين الجانبين ، ونرى مدى ارتباط ترابطهما وتبادلهما التأثير ·

من هنا نستطيع ان نضع تعريفا لمدى جودة الشعر ، فنقول : ان الشعر الجيد هو ما ارتبط مضمونه وشكله · هذا هو المثل المبتغى ، وتزداد درجة الشعر علوا كلما اقترب من تحقيقه · فكلما زاد هذا الترابط واقترب من درجة الاتحاد العضوى التام علت منزلة هذا الشعر فى مراتب الفن العظيم ، وكلما قل هذا الترابط هبطت درجته ، حتى اذا

وجدنا نظما ينفصم معناه ولفظه ، أبينا ان نسميه شعرا ، وألحقناه بالنظم الكاذب المفتعل الذي يزيد طنينه الضخم على قيمة معنـاه ، أو الغث الردىء الذي يقصر لفظه الكسيح عن معناه الطموح .

لسنا نعنى بهذا الترابط مجرد الملاحظـات السطحية التى اكتفى بها معظم نقادنا القدامى ، حين قالوا ان المعنى الشريف الفخم يحتاج الى لفظ قوى جزل ، وان المعنى الرقيق السهل يحتاج الى لفظ رشيق عذب . بل نحن نعنى اشياء ادق من هـذا بكثير ، وادخل الى بواطن الافكار وظلال العواطف ، والى دقائق الحروف والحركات والمقاطع والكلمات ، بما لها من جرس وايقاع ونبر ، مما رأى القـارىء عليه امثلة فيما تقدم من مقالاتنا ، وما سنضرب عليه امثلة أخرى ، بتوفيق الله .

فى استماعنا الى الشعر اذن ، لانسـتطيع ان تتذوق جانبه الشكلي من ايقاع ونغم تذوقا صادقا يحقق المتعة الفنية الرفيعة ، الا اذا ربطناه بجانبه المضمونى ، من فكرة يحملها الشاعر الى سـامعه ، ومن انفعال يحاول ان ينقله اليه وان يعديه بعدواه . وهذه حقيقة تصدق على جميع الأشعار ، ولكنها فى اعتقادنا الشخصى اشد انطباقا على شـعرنا القديم فى قرونه الأولى ، حين كان الشاعر يخلق النتاجـه الشعرى بالنطق والتفوه المسموع ، منه على الأشعار التى ينتجها اصحابها كتابة صامتة بقلم أخرس على ورق جماد .

فلنذكر دائما ونحن نقرأ شعرنا القـديم ، ان الشاعر كان ينتجه بان يلـوكه فى فمه ، ويدير حروفه وحركاته ، ومقاطعه وكلماته ، فى جميـع اعضاء جهاز النطق ، منذ ان تتكون الأصـوات فى اقصى الحنجرة ، الى ان تخرج من الشفتين ، وواضح تمام الوضوح ان هذه الأعضاء الحية ، المكونة من لحم ودم وعظم واوتار وغضاريف وعضلات ، كانت تهتز اهتزازا دقيقا ينطبق على دقائق الانفعال الذى كان يعانيه الشاعر فى اثناء تحقيقه لفكرته وابرازه لعاطفته ، لذلك كان مضمونه يخرج منصهرا بحرارة هذا الأتون الفكرى العاطفى الحى ، ان كان شاعرا صادق الشاعرية ، حتى وان لـم يع هو ذلك او يحاوله عمدا . فما بالك به ان كان شاعرا قديرا ذا خبرة ودربة ، وذا وعى فنى عامد .

اننا حين نجيد الاستماع الى كلام الناس الحى ، نجد انهم حين يشتد بهم الانفعال ، وان لم يكونوا شعراء ، يتخذ كلامهم انماطا من الايقاع والتنغيم تتموج مع اهتزازهم القوى ، وتتراوح بين العلـو والانخفاض ، والحدة والعمق ، والطـول والقصر ، تراوحا يسـاير تقلبات انفعالهم . فلنتذكر ان هكذا كان ينتج شعراؤنا القدامى شعرهم ،بالنطق الجاهر والتفوه المسموع ، ولنربط اذن بين مضمون انتاجهم من فكرة وعاطفة ، وبين تشكيله اللفظى فى مختلف عناصره اللفظية . حتى نصل الى هذه العلاقة الحية العضوية التى ذكرنا ، فنكون بذلك قد « درسنا » شعرهم حقا .

هنا نكتفى بما تقدم من شرح عام ، فلسنا ممن يحبون ان ينفقوا كل مقالتهم فى حـديث نظرى محض وجدل ذهنى صرف ، لأننا نرى هذه الوسيلة قليلة الجدوى فى تبصير القارىء واقناعه . لذلـك نؤثر دائما ان نسند قضايانا على امثلة عمليـة ، بدراسة نصوص معينة تدعو القارىء الى النظر فيها والاستماع اليها ، ومنها هى نستخرج احـكامنا ونرسل دعاوانا . اما وقد اخترنا للقـارىء فى مقالاتنا الأربع الماضية قصـيدة تدور على تجربة مرحة ، هى معلقة الأعشى ، فلنختر له الآن ابيـاتا تدور على تجربة مخالفة تماما ، من مرثية ابى ذؤيب الهذلى لاولاده الخمسة . ويستطيع القارىء الـذى يحب ان يدرسها أولا فى شروحها القديمة ان يرجع اليها فى كتاب « المفضليات » الذى جمعه المفضـل بن محمد الضبى ، وشرحه ابن الانبـارى ، ولخص شرحه الاستاذان احمد محمد شاكر وعبد السـلام محمد هارون ، وطبعته دار المعارف ، وهى القصيدة رقم ١٢٦ من هذا الكتاب .

وابو ذؤيب هذا شاعر ولد فى الجاهليـة وأدرك الاسلام ، فأسلم وحسن اسلامه . ومرثيته هـذه تدور على تجربة فظيعة حقا ، فهـو لم يمت له ولد واحد ، بل هلك اولاده الخمسة ، وتعاقب موتهم فى سنة واحدة . اما كيف حدث هذا فانهم كانوا قد هاجروا من موطنهم فى الحجاز ، الى مصر ، فأصابهم الطاعون ، ونحن نعرف من التاريخ ان طاعونا عظيما اصاب مصر فى سنة ١٨ هجرية ، وهذا يسـاعدنا على تأريخ القصيدة (ونحن مدينون فى هـذا الى

المستشرق سير جيمز ليال ، الذى حقق المفضليات وشروحها القديمة تحقيقا جليلا ، وطبعها طباعة رائعة ، وترجمها الى الانجليزية مصحوبة بالملاحظات والتعليقات ٠) وهذه هى الأبيات التسعة الأولى من هذه القصيدة :

امن المنون وريبها تتوجع
والدهر ليس بمعتب من يجزع
قالت اميمة : ما لجسمك شاحبا
منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع
أم ما لجنبك لا يلائم مضجعا
الا اقض عليك ذاك المضجع
فاجبتها : اما لجسمى انه
اودى بنى من البلاد فودعوا
اودى بنى وأعقبونى غصة
بعد الرقاد وعبرة لاتقلع
سبقوا هوى وأعنقوا لهواهمو
فتخرموا ولكل جنب مصرع
فغبرت بعدهمو بعيش ناصب
واخال انى لاحق مستتبع
ولقد حرصت بأن ادافع عنهمو
فاذا المنية اقبلت لا تدفع
واذا المنية انشبت اظفارها
الفيت كل تميمة لاتنفع

فلنفكر برهة فى حالة اب يموت ولده ، ويكون هذا الاب شيخا اصابه الكبر ، ويكون ذلك الولد قد شب ونضج واثبت رجولته (والشراح القدماء يروون لنا ان ابناء ابى ذؤيب كانوا رجالا ولهم باس ونجدة) ٠ واطمأن الأب الى ان ابنه هذا ، بعد ما عانى فى تنشئته وتربيته وحمايته والحفاظ عليه السنين الطوال ، قد رسخت قدماه فى الحياة ، وانه سيخلفه ويعيش بعده ، ويحمل اسمه ويحيى ذكره، فهو عزاؤه الاكبر حين تفجؤه فكرة الموت ، ويتذكر انه هالك لا محالة بعد عدد قليل من السنين ٠

وهذا من اقوى الاسباب لحبنا لأبنائنا ، اننا نعرف انا ميتون ولن نستطيع الخلود فى هذه الدار ، فاذا تركنا ولدا يحيى بعدنا ويحمل اسمنا ففى هذا نوع من العزاء ٠ وهذا هو النوع الوحيد من الخلود الدنيوى الذى نستطيعه ، أن نخلد فى ابنائنا الذين هم نطفة من اجسامنا واستمرار لعرقنا والذين يحملون اسمنا ٠ ويزيد هذا الشعور فينا كلما علت سننا فى الشيخوخة ، واشرفنا على نهايتنا المحتومة ، اذ ذاك يكون لنا فى ابنائنا عزاء كبير حين نتأملهم ونشهد رجولتهم وقوتهم ونفكر فى نجاحهم فى حياتهم وفى اعمالهم المشرفة وصفاتهم الطيبة ٠ فاذا فقدناهم فجأة فماذا نحس به من الانهيار ؟ وكيف نشعر كما لو ان جذورنا فى الأرض قد اقتلعت فاصبحنا كأعجاز نخل خاوية انقطعت صلتها بعروقها التى ترسخها فى التربة وتحمل لها عصارة الحياة ، او جفت هذه العروق فلابد ان يتبعها جفاف الأعجاز وموتها بعد قليل ٠

هذا الشعور الدقيق من الزعزعة العنيفة والانهيار المذهل هو ما يشعر به الوالد الشيخ الذى يموت ولده قبله ٠ وربما يستطيع القارىء ان يحققه اذا تذكر بين من عرفهم فى تجاربه ابا شيخا فقد ولده ، فتذكر حالته وسلوكه وكلامه ٠ ومن عجيب ما اذكره اما انجليزية مات ولدها الوحيد فى الحرب العظمى الثانية ، فشبهت نفسها بشجرة اجتثت من جذورها فهى لاقرار لها ، مع انها لم تعرف التعبير القرآنى ٠

ولكن عد الآن الى ابى ذؤيب فى حالته الخاصه ، وهو فى كبره يأتى اليه النبأ بموت احد ابنائه ، ثم ما يلبث ان يتلوه النبأ بموت ولد آخر ، فثالث فرابع فخامس ٠ الى اى مدى يصل شعوره بالزعزعة والانهيار ٠ وماذا ننتظر من مثل هذا الأب الشاعر حين ينظم قصيدة يضمنها استجابته لتجربته هذه ؟ الا ننتظر ان تكون استجابة عنيفة شديدة التزعزع والجلجلة ؟

بلى ، وهذا ما سنجده فى ابياته ان احسنا النطق بها والاستماع اليها ٠ لكن نسأل أولا : اى نوع من التعبير عن التزعزع ننتظر ؟ اما ان كنا ننتظر النوع الرخيص المبالغ فى التهويل ، الذى يطير فيه الناظم الى الاكليشيهات المطروقة المبتذلة ، فيدعى ان الكون كله قد تزعزع واضطرب لوفاة من توفى ، وان نظامه قد اختل ، وان عقد الأفلاك قد انحل ، وان النجوم قد تساقطت والشهب قد تهاوت ، والشمس قد انكسفت ، والأرض قد تفجرت براكينها وزلزلت زلازلها ومادت جبالها ٠٠ اذا كنا ننتظر مثل هذا من التهويل الكونى الذى يكثر فى الرثاء الكاذب المفتعل ، والذى يلجأ اليه اكثر الشعراء المقلدين ولا يعرفون سواه وسيلة لتصوير كارثة الموت ، وفداحة الخطب ، مكتفين بتكرار هذه الاكليشيهات

المعروفة المألوفة ، فاننا لن نجد شيئا من هذا لدى ابى ذؤيب ٠

اما الذى نجده عنده ، فتعبير صادق شخصى عظيم الشخصية ، يقتصر على أب محزون قابع فى ركن من اركان داره ، الى جانبه امرأة واحدة تحاول ان تخفف من ألمه ، فيرد عليها ويناجى نفسه وينفس عن انفعاله بأسلوب يعبر عن اهتزازه هذا ، لا بالتهويش والتهويل والادعاء المحض والتقريرات العارية ، بل تعبيرا عضويا بايقاعه ونغمه اللفظى ٠ فايقاعه ونغمه ، حين نحسن النطق بهما وتتقن الاستماع اليهما ، وحين نسمح لكياننا بان يهتز معهما فى مجاوبة فنية صادقة التعاطف ، يعبران عن حالته ، لا بمجرد معانيهما اللغوية ، بل بدقيق ما يتخذان من حروف وحركات ، ومقاطع وكلمات ، فى انسجام عضوى تام مع تقلبات فكرته وتموجات عاطفته ، وهذا ما نرجو ان نوفق الى استجلائه الآن فى مقالتنا هذه والمقالات التالية ، طامعين فى ان يسايرنا القارىء ويبذل معنا جهد المشاركة الذى ينتظر منه ان أراد أن يحسن دراسة الشعر ومتابعة النقد ٠

أول ما نود أن يلتفت اليه القارىء من الجانب اللفظى لهذه الابيات هو رويها (والروى ، بفتح الراء وكسر الواو وتشديد الياء ، هو حرف القافية الذى يتكرر فى الجزء الأخير من كل بيت ، والذى تبنى عليه القصيدة وتنسب اليه ، وهو هنا حرف العين ، ولذلك تسمى هذه القصيدة « عينية ») فلماذا جاءت هذه الأبيات على روى العين ؟ أحدث هذا اعتباطا ، ام لهذا الحرف المعين صلة بانفعال التفجع الذى تؤديه الأبيات ؟

بل توجد صلة ، ويستطيع القارىء ان يستكشفها اذا نطق بحرف العين بضع مرات (نعنى النطق الجهرى فعلا ، الآن !) ثم تامل فى « طعمه » فى الفم وهو يخرج من مخارجه الصوتية ، وانصت الى جرسه حين يقع على سمعه ٠ فانه سيشعر للتو بما لهذا الحرف :

اولا ــ من مرارة غجيبة ، فى اثناء تكوينه واخراجه من وسط الحلق ، ولهذا كان هو الحرف الذى ننطق به ونكرره حين نريد ان نعبر عن مرارة الدواء الذى شربناه ، او عن استبشاعنا لمنظر بشع او فعل بشع ، فنقول : اعععع ! بل لاحظ كاتب هذه السطور ان البريطانيين الذين لايوجد هذا الحرف فى لغتهم ، حين يريدون ان يعبروا عن نفس المعنى ، يصدرون صوتا قريبا منه ، او بينه وبين حرف الغين ، والغين ايضا حرف حلقى يقارب العين فى تكوينه واخراجه ، ويرمزون الى هذا فى كتابتهم ، لعدم وجود عين او غين فى خطهم ، بحروف ثلاثة هى حروف « يو ـ جى ـ ايتش » !

ثم يشعر القارىء **ثانيا** بما لوقع العين على الأذن من قرع خاص ، قوى التمثيل لانفعال الروع ، والجزع ، والفزع ، والهلع ، كبير الملاءمة لمشاعر التوجع ، والتفجع ٠ ولعل هذا هو السبب الذى جعل جميع هذه الألفاظ اللغوية تختتم بحرف العين !

هنا نرجو الا ينسب الينا بعض القراء مبالغة لم نقصدها ، فيظنوا أننا نعنى ان كل كلمة عربية يرد فيها حرف العين فهى تحتوى على طعم مر ، او تدل على انفعال موجع مفزع مروع ، كما فعل استاذ جليل فذكرنا بأن كلمة « العسل » تبدأ بحرف العين ! فنحن انما نتحدث عن هذه الالفاظ التى عددناها ، والتى نعتقد ان كل قارىء سيوافقنا على ما ادعيناه فيها اذا كرر النطق بها والتفت الى موقع العين منها بضع مرات ٠

والذى نستطيع ان نؤكده على أى حال ، هو طعم العين ووقعها حين تأتى رويا لأبيات القصيدة ، فانها ترتبط ارتباطا قويا بينا بالانفعالات المذكورة ٠ وحتى هنا لا ندعى أن كل قصيدة عينية فلا بد أن تؤدى هذه الانفعالات ، وانما نعنى حقيقة لا نرى كيف يشك فيها قارىء مطلع ، وهى أن العين حين تأتى رويا لقصائد الرثاء يكون لها ارتباط كبير بمضمون القصائد ، وفعل قوى فى خلق الجو الانفعالى الذى يبتغى الشاعر أن يهيئه ٠ ومن هنا ورودها رويا لكثير من أروع المراثى القديمة وأصدقها وأشدها تأثيرا فى نفوسنا ٠ ويكفى الآن أن يجهر القارىء بنطق الكلمات التى تختم الأبيات التسعة السابقة ، ويتأمل لوكتها فى الفم وقرعها للسمع ،

وعليه فى النطق بها أن يشبع الضمة اللاحقة بها حتى تصير واوا فتطيل النغم وتردده :

تتوجعو · يجزعو · ينفعو · مضجعو · ودعوا· تقلعو · مضرعو · الخ ...

ان كان القارىء قد استجاب لرجائنا ونطق بهذه الألفاظ جهرا ، فما نشك فى أنه قد أدرك تماما ما نعنيه وتحقق من صدق ما ادعيناه ·

أعد الآن قراءة الأبيات كلها جهرا ، ملتفتا فى كل منها الى اثر روى العين-حين يجيء نغماختاميا للبيت، ومتتبعا تعاقب هذا النغم فى البيت بعد البيت وما يحدثه هذا التعاقب من ترديد الصدى وبناء الهيكل العاطفى العام فى وحدة شاملة تبنى لبنة لبنة ، وتشتمل فى داخلها على ما سنرى من دقائق التقلب الفكرى والتنويع العاطفى ·

والآن ندرس الابيات لنفعل ثلاثة أشياء · ننظر فى مضمون كل بيت من فكرة وعاطفة · وننظر فى جانبه اللفظى من حروف وحركات ومقاطع وكلمات· ثم نربط لفظه بمضمونه ربطا عضويا حيا · وبعد أن نحقق هذه الأعمال الثلاثة ننظر أخيرا فى اثر كل بيت فى الاضافة الى المضمون الكلى جزءا بعد جزء ، لبناء الوحدة الفكرية والعاطفية المنسجمة ، واثره فى تنمية الجانب اللفظى تفصيلا بعد تفصيل حتى يتكون من مجموع الابيات الشكل الشامل الذى يحتوى جميع العناصر المضمونية فى القطعة الشعرية فى انسجام نهائى فكرى وعاطفى ولفظى ·

وهذا ما سنحاوله بدءا من المقالة القادمة ، وراجين أن يستغل القارىء المهتم هذه الفترة فى الرجوع الى الأبيات فى شرحها المذكور ، تمهيدا لما سنقوله عنها وندعى وجوده فيها من دقائق الايقاع والنغم ، المنسجمة مع دقائق الأفكار والعواطف ·

الملكية الإسلامية والمجتمع الاشتراكى

بقلم [illegible]

لا مراء ولا جدال فى ان الملكية الاسلامية ملكية ذات وظيفة اجتماعية ، فهى لم تشرع الا لخدمة الفرد والجماعة على السواء ، وهى فى هذا انما تختلف اختلافا بينا عن الملكية فى القانون الرومانى الذى جعل الملكية فردية بشكل مسرف لا حد له ولقد كان القانون الرومانى مشبعا بروح فردية مسرفة فى فرديتها . ثم أتت القوانين التى نقلت عنه كالقانون الفرنسى لسنة ١٨٠٤ مسرفة هى الاخرى فى فردية الملكية الخاصة ·

وكان لا بد من مرور زمن طويل وتطور ذى خطوات جبارة قبل ان تتشبع مثل تلك القوانين بالمبادىء الاشتراكية ، وتصبح الملكية ذات وظيفة اشتراكية ، اذ قد بدأت فى القانون الفرنسى وفى كثير من القوانين الاوربية حركة تشبيع نظم الملكية الاشتراكية منذ منتصف القرن الماضى ، وهى الحركة التى عرفت عند علماء علم الاجتماع القانونى باسم « **ادخال المبادىء الاشتراكية والاخلاقية فى القانون** » بسبب عدة عوامل اثبتت ان نظام الملكية الخاصة فى صورته الفردية المسرفة أضحى غير ملائم ، ومن هذه العوامل الحروب الكثيرة التى نشبت فى أوربا فى القرن التاسع عشر كالحرب السبعينية ثم فى القرن العشرين ولا سيما الحرب العالمية الاولى التى اضطرت الدول الى اصدار قوانين تحد من حرية المالك لتوفير التموين والمساكن اذ اصبح مستحيلا أن يترك المالك حرا فى فرض الاسعار التى يراها والخضوع لقانون العرض والطلب التقليدى فى استثمار سلعة او غير ذلك ·

ومن هذه العوامل ايضا التصنيع أو الحركة الصناعية الحديثة ، التى أدت الى وجود آلاف العمال فى آلاف المصانع واصبح من المستحيل الاستمرار فى تطبيق المذهب الحر وترك اصحاب الاعمال فى مصانعهم أحرارا يتصرفون على أهوائهم فى فرض شروط العمل والاجر على العمال وانتصر أصحاب مذهب التدخل ، كما انتصرت الحركات العمالية

ونظام النقابات فى فرض تشريعات العمل لحماية العمل والعمال ، وهى من اهم مظاهر اشتراكية الملكية وتحويلها من النظام الفردى الى نظام أصبحت فيه ذات وظيفة اجتماعية ومن بين العوامل كذلك اتساع ظاهرة التمدين فى العصر الحديث اذ اتسع العمران وكثرت المدن واكتظت بالسكان واصبحت ممارسة الملكيةالفردية فى حدودها المسرفةمستحيلة لأن ذلك يؤدى الى عرقلة الحيـــاة الاجتماعيـــة بلا شك .

واخيرا كان من بين تلك العـــوامل الازمات الاقتصادية التى كثرت فى أواخر القرن الماضى واثناء هذا القرن ممـــا ادى الى تدخل الدولة فى كثير من الاحيان والقيام باجراءات من شأنها أن تخفف من حدتها ، وكانت نفس هذه الاجراءات بمثابة انتهاك صريح لمبادىء الملكية المسرفة فى طغيانها ، وذلكمثل تأجيل دفع الديون وتقليل سـعر الفـائدة وتغيير العقود المبرمة للتخفيف من غلوائها ...

واذا كانت الملكية الرومانية وما ادت اليه مننظم الملكيـــة الفـرديـة فى الدول الاوربيـــة الحـديثة قد استغرقت هذا التطور الكبير وتلك الخطواتالطويلة حتى تصير ملائمة للحياة الاجتماعية الحديثة ، فان الملكية الاسلامية كانت منذ اللحظة الاولى التى نزل فيها القرآن على محمد بن عبد الله ملكية اشتراكية تضم كل هذه المعانى الســامية من أن لها وظيفـة اجتماعية فهى لم تشرع لمصلحة المالك وحـده بل شرعت لتعود على صاحبها وعلى المجتمع الذىيعيش فيه بالنفع والخير ، فالاصل ان كل شيء لله وانما الملاك هم مجـرد اوصـياء او موكلين يتصرفون فى ملكيتهم وفق النظام الذى سنه الشرع الحنيف فى ذلك ، ولقد اكد القرآن الكريم هذا المعنى فىمواضع كثيرة ولا يسعنا هنا الا أن نبين اهمها : قال تعالى: « **له ملك السموات والارض ، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير** » . وقال « آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم أجر كبير . وقال أيضا « وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض» وفى هذه الآيات يتضح بجلاء ان الاصل فى الملكيـة انها لله ، وان الملاك مجرد أوصياء او وكلاء يتصرفون وفق الحدود التى رسـمها الله فهـو الذى يمنح ويعطى ويمنع ويحرم « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك منتشاء وتنزع الملك ممنتشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير » ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى : « أو لم يعلموا انالله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أن فى ذلكلآيات لقوم يؤمنون »

وكذلك دعاء سليمان لربه طالبـا الملك والعطاء « رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى انك أنت الوهاب » .

ولقد قيدت الملكية الاسلامية بقيود هامـة لكى تؤدى وظيفتها الاجتماعية .

واول قيد فى هذا هو الزكاة التى أوجب دفعهـا وفق انصبة خاصةولفئات معينة وفى أوقاتمحددة وبشروط حددت تحديدا دقيقا «انما الصـدقات للفقراء والمسـاكين والعاملين عليها والمؤلفـة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابنالسبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » اما غيرالمسلمين فقد فرضت عليهم الجزية وهى ضريبة تفرض على الرءوس بشرط أن يكون أصحابها من أهل الذمة . والجزية كانت توقع بنسب خاصــــة وفق المركز المالى للذمى . كما فرض أيضا الخراج وهو نوعمن الضريبة النقدية والعينية كانت تفرض سنويا على الاراضى التى يستولى عليها المسلمون وفق شروط خاصة تبعا لنوع الارض ومابها من زراعة ، كمـا فرضت ضرائب الجمـارك وغيرها من الضرائب الاخـرى التى كانت تفـرض على التجار وعلى السفن وكانت هذه الضرائب تبلغ عادة العشر ومن هنا سمى من يجبيها باسم العشار بل ان الاسلام ليقـرر من حق الامام ان يفـرض من الضرائب فى صورة دائمة او مؤقتة ماتدعو اليه حاجة المسلمين او مايقتضيه الصالح العام .

ومن الحدود الهامة للملكية الاســلامية تكليف المالك بالاعتدال فى الانفـاق بلا تبـذير أو اسراف ولا تقتير . قال تعالى « ... ولا تبذر تبـذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشـياطين وكان الشـيطان لربه كفورا » وقال «ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولاتبسـطها كل البسـط فتقعد ملوما محسـورا » ولذلك أباح الاسلام نظام الوصـاية أو الحجر على الافراد المبـذرين أو الذين لايحسنون التصرف فى ملكيتهم ، بحيث يعين عليهم قيم يتصرف مكانهم بما يعود عليهم وعلى المجتمع بالفائدة والنفع ، قال تعالى « **ولاتؤتوا السـفهاء أموالكم التى جعل الله**

لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا » .

وكذلك قيدت الوصية والهبة ، ويقول فى هذا المقام الامام الغزالى رضى الله عنه « المال خلق لحكمة وهو اصلاحه لحاجات الخلق ، ويمكن امساكه عن الصرف الى ماخلق للصرف اليه . ويمكن بذله بالصرف الى مالا يحسن الصرف اليه ، ويمكن الصرف فيه بالعدل وهو ان يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل ، فالامساك حيث يجب البذل بخل ، والبذل حيث يجب الامساك تبذير وبينهما وسط وهو المحمود ...

قال تعالى « والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » .

ومن التزامات المالك الاجتماعية النفقة الواجبة شرعا على كل مالك ازاء زوجته وأولاده وطبقات الاقارب الذين حددهم الاسلام تحديدا دقيقا ، وهذه ليست منة يمن بها المالك على هؤلاء وانما هو حق لهم فى ماله وملكه يدفعه اليهم كالدين سواء بسواء . ومن أوضح الدلائل على اشتراكية الملكية الاسلامية نظام الميراث ، وهو توزيع الثروة على الاولاد والاقارب بنسب محدودة ، وهذا يؤدى الى تقليل الفوارق فى الثروة على ممر الاجيال ، فالملكية الاسلامية تختلف عن الملكية الجرمانية مثلا التى كانت تعطى كل الميراث للولد الاكبر ، وهذا كان يؤدى الى تكدس الثروات فى أيدى أفراد قلائل على ممر العصور . فنظام الميراث الاسلامى ونظام الزكاة هما من أبرز صفات اشتراكية الملكية الاسلامية . وآيات الميراث ولا سيما فى سورة النساء تعطى صورة صادقة لروح الاسلام تجاه الملكية وكيف يستخدم الميراث كوسيلة للتقربة بين الناس ولذلك احاط الشرع الميراث بضمانات حتى لايتلاعب الناس فى شأنه فحرم عليهم التصرف فى الوصية الا فى حدود كما حرم الوصية للورثة حتى يأخذ كل ذى حق حقه ، اذ لا وصية لوارث كما يقول الفقهاء .

وحرم الاسلام على المالك الاسلامى أن يكنز نقوده ويمنعها من التداول أو الاستفادة منها فى تجارة أو صناعة أو صدقة أو فيما يعود نفعه على المجتمع ، فقال تعالى « **والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ماكنزتم لانفسكم فذوقوا ماكنتم تكنزون»** وبجانب كل هذه التحديدات حث الاسلام على البر والاحسان يؤتيه المؤمن من ماله عن طواعية « وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » وقال « يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ماكسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون » « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولا شكورا » .

ومن التكاليف التى تثقل الملكية كذلك الكفارات الكثيرة مثل الكفارة التى تدفع عند عدم القدرة على الصوم فى ظروف معينة ، وحلف اليمين الكاذب والقتل الخطأ فى ظروف معينة ... وغير ذلك مما لايحصى من الحالات التى أوجب الاسلام فيها حقوقا فى مال المسلم يلزم بأدائها .

كما أن الاسلام يقف موقفا لا لبس فيه ضد تركيز الملكية فى أيدى فئة قليلة من الناس وترك الباقين بلا ملكية ، وفى هذا الصدد نجد واقعتين تؤيدان ذلك : الواقعة الاولى ما حدث فى توزيع الرسول للفىء عندما ارسل اهل فدك اليه يصالحونه على نصف أرضهم وكذلك توزيع فىء بنى النضير اذ منح هذا الفىء الاخير للمهاجرين خاصة ولرجلين فقيرين من الانصار ، وكان الغرض من كل ذلك التقريب بين ثروات المهاجرين والانصار . لأن المهاجرين وقد تركوا ديارهم فى مكة لم يكن لديهم شىء ، على حين ان الانصار كانت لديهم ثروة كاملة ومن اجل ذلك نزلت الآيات الشريفة فى سورة الممتحنة لتأمر بايجاد التناسب بين ثروات أفراد المجتمع الاسلامى فى ذلك الوقت ، قال تعالى «ما أفاء الله على رسوله من اهل القرى ، فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب ، للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله وأولئك هم الصادقون . والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولايجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » .

وهنا نجد كيف يحذر القرآن الكريم المهاجرين

الذين استقروا وسبق ان وزعت عليهم الثروات وكذلك الانصار من أن يضايقهم توزيع الفيءالجديد على اخوانهم دونهم .

وفي هذا نلمس موقف الاسلام واضحا في عدالة التوزيع وفي أن تكون الفوارق ضئيلة بين الملكيات.

اما الواقعة الثانية فهي أن الغنائم كانت توزع على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم على عهد ابي بكر الصديق رضي الله عنه بعد وفاته اي بعد وفاة الرسول عليه السلام ، وفقا للآية الكريمة « واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ... » اذ كانت الغنائم توزع بحيث يخص بيت المال وبني هاشم وقيل قريشا كلها واليتامى والمساكين .. الخمس وكان الباقي يوزع على المحاربين . ولكن عندما ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه واستولت جيوش المسلمين على غنائم كثيرة لاتحصى في مصر والعراق وفارس وغيرها واصبح على كاهل الدولة الاسلامية التزامات تستوجب اموالا وذلك الى جانب ما لاحظه عمر (وهذا هو المهم هنا) من أن كثيرا من المحاربين كانوا قد أخذوا من الغنائم أموالا طائلة وأثروا أمر بعدم توزيع الغنائم وضمها لبيت المال مطبقا الآية الكريمة التي سبق ذكرها « **كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم**» .

فقوانين الاصلاح الزراعي والتاميم التي قامت اساسا لتقريب الفوارق بين الناس الى جانب اعتبارات أخرى كثيرة لاشك تجد في كل ماقدمنا اساسا اسلاميا لها : فالزكاة والميراث وتوزيع الغنائم والفيء والاحسان الحر الطليق والوقف والمناسبات التي حدد الاسلام الكفارة فيها أموالا وثروات تدفع للفقراء والمساكين وابناء السبيل في صورة نقدية او عينية ... كل ذلك يدل بما لايدع مجالا للشك على روح الاسلام في التقوية بين الطبقات وكذلك على روحه التي تجعل الملكية في خدمةالمجتمع لا المالك وكذلك نجد حالات الحراسة العامة أو الخاصة أساسها الاسلامي في قواعد الحجر الاسلامية أنها شرعت لصيانة الملكيةوتوجيهها الوجهة الاجتماعية.

ومن اجل ذلك حرم أن يكون اساس الملكيةلهوا ولعبا بلا عمل حقيقي او نشاط فعلي من جانب الافراد ، فحرم الربا ، والميسر وماشابههما من وسائل ، كما حرم اكتناز النقود ، بل امر بضرورة العمل على الانتفاع بها في وجوه البر والاحسان . والبر والاحسان ليس معناهما الانفاق على الفقراء والمساكين فقط بل القيام بأية مشروعات يفيد منها المجتمع الاسلامي . كما حرم الغش والاحتكار في التجارة والرشوة والربا .

ولقد أجاز الاسلام مصادرة الاموال التي اتت ملكيتها عن طريق غير مشروع او التي يستخدمها صاحبها في الضرر، وذلك لانفاقها في المصالحالعامة التي تعود بالخير على المجتمع الاسلامي . وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يصادر ماكان يكسبه الولاة من اعمال لايجوز لهم الاشتغال بها كالتجارة وما اليها ، او ما كان يأتي لبعضهم من رشاوى أو هدايا ، فكان عمر رضي الله عنه يطبق تقريبا «قانون من اين لك هذا » كما نسميه في العرف الحديث . ولجأ الى نفس الطريق بنو أمية اذ كانوا يحاسبون ولاتهم على كسبهم غير المشروع ، او الاموال التي اتت لهم عن طريق استغلال نفوذهم.

ولقد طبق مبدأ المصادرة خصوصا في عهد الدولة العباسية وكان من اشهر الولاة الذين صودرت ثرواتهم في عهد بني العباس محمد بن سليمان الذى بلغت أمواله المصادرة خمسين مليون درهم ، الى جانب الدور والضياع الكثيرة .

وكذلك ثروة على بن عيسى بن هامان وكذلك ثروة البرامكة التي صادرها هارون الرشيد وقد بلغت مئات الملايين من الدراهم غير الضياع والدور . فالملكية الاسلامية اذن ملكية ذات وظيفة اجتماعية شرعت لمصلحة المجتمع ، والافراد مجرد حفظاء او رقباء عليها ، فان اساءوا استغلالها جاز للمجتمع أن يوجهها الى ما شرعت له .

من ملحمة عمر

فتح بيت المقدس

المشهد الثاني

بقلم
علي احمد باكثير

(ترى عاتكه وبيدها ثوب ترفوه)

يرفا : (يدخل) مولاتي الم تفرغي بعد من رفوه ؟

عاتكة : رويدك يايرفا ماذا يعجلك ؟

يرفا : الا تعرفين يامولاتي ماذا يعجلني ؟

عاتكة : (ضاحكة) قميص امير المؤمنين الذي عليك ؟

يرفا : هو ذاك يامولاتي . ماذا انا قائل له لو جاء ووجد قميصه على ؟

عاتكة : لا تقل شيئا حتى يسالك .

يرفا : واذا سالني ؟

عاتكة : فقل له اني أمرتك اياه ريثما ارفو قميصك .

يرفا : لا يامولاتي لا استطيع .

عاتكة : ويلك كم لك في خدمة هذا الرجل ؟

يرفا : عشرون عاما ونيف .

عاتكة : ولم تعرف بعد ما يرضيه مما يغضبه ؟

يرفا : ذلك يا مولاتي خطبي معه . اني لاعمل الشيء ابتغى فيه مرضاته فاذا هو يسخط ويخفقني بالدرة ، واقع في الشيء أخشي فيه غضبه وعقوبته فاذا هو يحمده لى ويثيبني عليه .

عاتكة : فهذا يا يرفا مما يحمده لك ويثيبك عليه .

يرفا : كلا يامولاتي لا اجرؤ . نشدتك بالله الا ما اعدت قميصي الى

عاتكة : قبل ان اتم رفوه . ؟

يرفا : اتميه يوما آخر يامولاتي .

عاتكة : ويلك اتريدني ان ارفو لك كل يوم ؟

يرفا : ان امير المؤمنين يوشك ان يعود .

عاتكة : ليعد !

يرفا : مولاتي !

عاتكة : لو لم تشغلني بدخولك وخروجك وسؤالك وجدالك لفرغت منه

يرفا : صدقت والله . انا الذى جنيت على نفسي . (يهم بالخروج)

صوت : (يسمع من الخارج) اهذا بيت امير المؤمنين ؟

ثان : نعم .

الاول : بابه مفتوح !

الثاني : اقرع الباب واستأذن . اني منصرف

الاول : جزاك الله خيرا اذ دللتني (يقرع الباب)

عاتكة : انظر من الطارق ؟

يرفا : ويراني في قميص امير المؤمنين ؟

عاتكة : وماذا يدريه انه قميص امير المؤمنين ؛ (تدنو من الباب) من الطارق ؟

الاول : انا سعد بن عميلة الفزاري رسول سعد ابن ابي وقاص الى امير المؤمنين .

عاتكة : ادخل ادخل .. الفتح ان شاء الله ؟

سعد : (يدخل) الفتح والنصر .

عاتكة : الحمد لله . انا عاتكة بنت زيد زوج عمر ابن الخطاب . وهذا يرفا مولى امير المؤمنين .

سعد : واين امير المؤمنين .

عاتكة : الم تجيء انت من طريق الربذة ؟

سعد : بلى ..

عاتكة : فكيف لم تلق امير المؤمنين في طريقك ؟

سعد : القى امير المؤمنين في طريقي ؟

عاتكة : انه يخرج كل صباح الى ظاهر المدينة يسال الركبان عن اهل القادسية فاذا انتصف النهار رجع .

سعد : اني ما لقيت غير رجل واحد سالني فقلتله خبرا فطفق يخبمعي ويسالني سؤالا بعد سؤال فخشيت ان يلهيني عما كلفت به ، فنخست ناقتي حتى فته وهو يركض خلفي ويقول مهلا مهلا .

يرفا : هذا امير المؤمنين .. القميص يامولاتي القميص ..

عاتكة : (متمسكة بالقميص) صفه لى يا اخا فزارة .

سعد : رجل اصلع طوال في اسمال .

عاتكة : هو امير المؤمنين بعينه .

سعد : ياويلنا قد هلكت .

يرفا : مصيبتي انا اعظم من مصيبتك .

عاتكة : اجلس واسترح حتى يجيء امير المؤمنين (تهم بالخروج) .

برفـا : مولاتي ..
عاتكة : ابق انت معه (تخرج)
برفـا : باويلتا قد هلكت .
سعد : خبرني ايها الشيخ ما خطبك ؟
برفـا : هذا القميص الذي على
سعد : ما باله ؟
برفـا : قميص امير المؤمنين .
سعد : لو لم اره اليوم ماصدقتك .. هذا احسن حالا من القميص الذي رايته عليه .
برفـا : اجل . هذا لشقوتي خير قميصيه .
سعد : وما حملك على لبسه ؟ اليس لك قميص؟
برفـا : قميصي ذاك الذي في يد مولاتي عاتكة ترفوه .
سعد : ان كنت تخشي ان يراه امير المؤمنين عليك فاخلعه .
برفـا : ليراني امير المؤمنين بغير قميص ؟
سعد : اطلب قميصك من مولاتك .
برفـا : قد ناشدتها فابت الا ان تكمل الرفو .. وى ! هذا امير المؤمنين قد اقبل !
سعد : ادخل الى مولاتك لعلها قد اكملت رفو قميصك .
برفـا : بل خير لى ان افوض امرى الى الله . (يتوجه نحو الباب ليستقبل مولاه) .
عمـر : (صوته) برفا الم يأتكم احد ؟
برفـا : بلى يا امير المؤمنين . .بشير القادسية .
عمـر : اين هذا الذي فاتنى بشاته ولم يرحم ضعفى ؟ (يدخل) السلام عليك يا بشير الفتح .
سعد : (فى خجل وارتباك) وعليك السلام يا امير المؤمنين .
عمـر : (يصافحه) ما اسمك ؟
سعد : سعد بن عميلة الفزارى يا امير المؤمنين
عمـر : مرحبا بك ياسعد بن عميلة . .اجلس .
سعد : هلا اخبرتنى يرحمك الله انك امير المؤمنين ؟
عمـر : لا باس عليك يا اخى .. اجلس على هذه الوسادة .
سعد : كان ينبغى يا امير المؤمنين ان انزل لك عن راحلتى .
عمـر : لذلك لم اخبرك بحقيقتى .. ولقد وددت لو بقيت على سيرك الاول لاسمع منك اكثر مما سمعت .. ولكنك وكزت الناقة ففتنى .
سعد : سامحنى يا امير المؤمنين .
عمـر : لا عليك يا اخا فزارة . هات فانا ننتظرك على جمر .
سعد : هذا كتاب سعد يا امير المؤمنين .
عمـر : (ياخذ الكتاب فيتصفحه ثم يلتفت الى سعد) الملك جائع ياسعد
سعد : لا ياامير المؤمنين قد تبلغت فى بعض الطريق .
عمـر : بلى يا اخا فزارة انى لأرى الجوع فى عينيك .. (ينادى) ياعاتكة ياعاتكة ..
عاتكة : (صوتها) لبيك يا امير المؤمنين .
عمـر : ادخلى لتسمعى كتاب الفتح . (تدخل عاتكة) .. اسمعى ما يقول سعد فى كتابه : اما بعد فان الله نصرنا على اهل فارس ومنحهم سنن من كان قبلهم من اهل دينهم بعد قتال طويل وزلزال شديد . وقد لقوا المسلمين بقوة لم ير الراؤون مثلها فلم ينفعهم الله بذلك بل سلبهموه ونقله عنهم الى المسلمين . واتبعهم المسلمون على الانهار وعلى طفوف الآجام وفى الفجاج واصيب من المسلمين سعد بن عبيد القارى وعمرو ابن ام مكتوم ورجال كثيرون معروفون، ورجال لاتعلمهم الله بهم عالم ، كانوا يدوون بالقرآن اذا جن عليهم الليل دوى النحل (تخنقه العبرة فيبكى بكاء شديدا ثم يمسح دمعه ويواصل القراءة) وهم آساد الناس لا يشبههم الاسود ولم يفضل من مضى منهم من بقى الا بفضل الشهادة اذ لم يكتب لهم .
(يلتفت الى برفا) انطلق يا برفا فمرهم ينادوا الصلاة جامعة
برفـا : (مترددا) ...
عمـر : ماخطبك .. انطلق .. ينبغى ان نبشر بها المسلمين الساعة
برفـا : هذا القميص يا امير المؤمنين .
عاتكة : اخلعه وخذ قميصك فقد رفوته (تلقى اليه بالقميص) .
عمـر : هات هذا القميص (يأخذه منه) اخرج فى القميص الذي عليك .

في طريق الوحدة الكبرى

كانت مصر والعراق بلدا واحدا

بقلم محمود الشرقاوي

وانا أكتب هذا الفصل من الأحاديث التى أوجزها عن : « وحـــدة مصر وســوريا على مدى التاريخ » سمعت وقرأت ما سمع الناس وقرءوا من نبأ هذه الوحدة الجديدة بين مصر والعراق .

فقد وقع الرئيسان **جمال عبد الناصر وعبد السلام عارف** قبل أسابيع اتفاقا ينسق سياسة البلدين حتى ينتهى بهما الوضع الى وحدة كاملة :

« ايمانا بوحدة الأمة العربية وحدة نابعة من وحدة اللغة والتاريخ ووحدة النضال والمصير العربى » .

كما نصت على ذلك المـادة الاولى من اتفـاق التنسيق . ثم توالت بعد ذلك التصريحات والخطوات لانجاز هذه الوحدة على أساس هذا التنسيق .

عند ذلك آثرت ان انعطف ـ شيئا ما ـ من حديث الوحدة مع سوريا الى ايجاز قليل أذكر فيه ، لهـذه المناسبة ، فترة من تاريخنا قامت فيها وحدة متكاملة بين مصر والعــراق فى القرن الخامس الهجرى : « الحادى عشر الميلادى » .

فترة من تاريخنا العربى كانت مصر والعراق فيها بلدا واحدا لا تقوم بينهما حدود ولا تقف سدود .

كان ذلك فى العقــد الســادس من هذا القــرن الخامس ، مصر يحكمها الخليفة الفاطمى معد بن الظاهر ابن الحــاكم بأمر الله خامس الخلفـاء الفاطميين فى مصر ، الذى عرف بلقب : « المستنصر » ، والعراق يحكمه الخليفة العباسى القائم بأمر الله .

أما الناس فى العراق فقد كانت نفوسهم تفيض بالمرارة والألم ، وقلوبهم تمتلىء بالغضب والثــورة بما كانوا يلقـــون من ظلم جنـد الأتراك وعسفهم وطغيانهم ، وكان جنـــد الأتراك هم عدة الخليفة وسوط عذابه .

وثارت فتنـة وجرت امور وقامت حــرب بين السلطان «طغرل بك» ، أول ملوك الدولة السلجوقية ، وبين اخيه ابراهيم ينال والب أرسلان ، ثانى ملوك هذه الدولة ، لقى الناس فيها فوق ما كانوا يلقون من ظلم جند الخليفة :

يرفــا : هذا قميصك يا امير المؤمنين .

عمــر : لبس قميصك بخيرمنه . انطلق (يخرج يرفأ) خذيه ياعاتكة فما اراك اكملت رفوه . وهاتى للبشير احسن ماعندك فانه ساغيب لاغب .

عاتكة : حبا وكرامة .. (تخرج ثم تعود بشيء من التمر وكسرة من خبز الشعير على خوان فتضعه امام البشير) .

عمــر : تمر وخبز شعير .. اليس عندك خير من هذا لبشير الفتح ؟

عاتكة : ماعندى والله خير منه .

عمــر : بسم الله كل ياسعد .. تبلغ بهــذا والليلة تتعشى بدار الضيافةفتأكل خيرا من هذا الذى قدمته لك عاتكة ان شاء الله . هل تستطيع ان تصف للمسلمين ماوقع فى القادسية .

سعد : نعم يا أمير المؤمنين .

عمــر : تكل اذن حتى لا تحدثهم وانت جائع .

صــوت : (يرتفع من ناحية المسجد) الصلاة جامعة .. الصلاة جامعة .

على احمد باكثير

« ... ووقع ببغداد وأعمالها أمور هائلة شنيعة » .

كما يقول الذهبي .

وكان في بغداد والعراق كلها رجال يؤمنون بمصر ويعملون لها ، على رأسهم أبو الحارث أرسلان المعروف « بالبساسيري » ، فاهتبل الفرصة ، بل لعله كان من العناصر التي مهدت لها وأوجدتها ، فان بعض المؤرخين - كابن الأثير - يقول انه كان على صلة بمصر ، وقد أوقع بين الأخوين طغلر بك وابراهيم ينال ليصل الى غرضه من خلع القائم بأمر الله والانضمام الى مصر .

وفي اليوم الثامن من ذي القعدة سنة ٤٥١ : « يناير ١٠٦٠ م » دخل البساسيري بغداد - بعد وقائع وأهوال - يرفع رايات مصر ، ويعلن الولاء للمستنصر ، ويقيم وحدة بين العراق ومصر يحكمها ، من القاهرة ، الخليفة الفاطمي . وكان يوم الجمعة في الثالث عشر من ذي القعدة هذا فخطب الخطباء باسم المستنصر على منابر بغداد . وكان هذا هو « الاعلان الرسمي » عن قيام الوحدة .

ثم جرت أحداث طويلة انتهت بالقبض على وزير الخليفة العباسي القائم بأمر الله وقتله ، وأسر الخليفة . وفي الجمعة التالية كانت الخطبة في مساجد العراق باسم صاحب مصر المستنصر ، وقطعت الخطبة العباسية بالعراق كله :

« وهذا شيء لم يفرح به أحد من آباء المستنصر »

كما يقول المؤرخون .

***

وكان أهل بغداد وأهل العراق يعتنق بعضهم مذهب الشيعة وبعضهم المذهب السني ، ولكنهم كانوا جميعا يسارعون الى معونة البساسيري على اختلاف مذاهبهم :

« أما الشيعة فللمذهب - حيث كان مذهب الشيعة هو مذهب الحاكم في مصر - واما أهل السنة فلما فعل بهم الأتراك » ، كما قال ابن الأثير . فقد كان أهل العراق - كما أشرنا - يلقون من قوة الجند الأتراك - جند الخليفة القائم - شرا لا يطيقونه ، فآزروا الدعوة للوحدة مع مصر والاندماج فيها لينحسم عنهم هذا الشر العظيم .

ثم يجيء بعد ذلك العيد . فكان مناسبة يرفع فيها البساسيري عن أهل العراق بعض ما لحق بهم من الأذى ويذيقهم فيها بعض ثمار الوحدة مع مصر : (... فلما جاء عيد الأضحى ركب البساسيري وعلى رأسه الألوية : « الاعلام » المصرية وعبر الى المصلى بالجانب الشرقي من بغداد - وأحسن الى الناس ، وأجرى الجرايات على الفقهاء ، ولم يتعصب لمذهب . وأفرد لوالدة الخليفة دارا وراتبا ، وكانت قد قاربت التسعين) . ثم بعث البساسيري البشائر الى مصر . ومن هنا نعرف أن تلك الوحدة بين مصر والعراق كان استهلالها الخير والاحسان الى الناس ، وتكريم العلماء ، والبعد عن التعصب المذهبي - وقد كان طابع العصر كله والحكام - والبر بأم الخليفة العجوز والبعد بها عن الأذى والخصومة .

***

ودخل الفن في هذه الأفراح والمباهج : يقول مؤرخ مصر جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي صاحب « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » : (... ولما خطب البساسيري في بغداد باسم المستنصر معد هذا غنته مغنية بقولها :

يا بني العباس صدوا
ملك الأمر معد
ملككم كان معارا
والعواري تسترد

فطرب المستنصر لذلك ووهبها ارضا بمصر رزقة لها ، جائزة لانشادها هذا الشعر ، وتلك الارض الآن تعرف بأرض الطبالة بالقرب من بركة الرطلي لكونها غنته بهذه الابيات ، وهي تطبل بدف في يدها ، فعرفت بأرض الطبالة) ثم يقول : (وكان ما وقع للمستنصر هذا تمام سعده .) و « أرض الطبالة » ماتزال حيا معروفا في القاهرة .

وقد رأينا في بعض هذه الفصول عن الوحدة مع سوريا أن مصر كانت ، في فترات غير قليلة من تاريخها ، تقيم وحدة مع اليمن ، أو مع الحجاز ، أو مع الموصل، أو مع بعض هذه البلاد متفرقة ومجتمعة . ولكن وحدة العراق هذه في عهد المستنصر ، كانت أشمل من كل ذلك وأكمل . فقد كانت ، في أيامها ، ترفع الرايات المصرية على الحجاز واليمن وسوريا .

ثم رفعت على العراق ، كما رأينا ، فهي بذلك كانت تنتظم بلاد الشرق العربي كله .

ثم نعود لوصل ما كنا نتحدث فيه — قبل هذا الانعطاف — عن : « وحدة مصر وسوريا على مدى التاريخ » .

لم تكن تلك الوحدة التي شملت مصر والشام في ظل الدولة الفاطمية سالمة من المنغصات ولا من الشر والشغب ، فان الكارهين للوحدة في الداخل كانت نفوسهم حاقدة عليها ، والحاقدين عليها في الخارج كانت نفوسهم موتورة من نجاحها وتوفيقها وسطوتها وبأسها . أما الكارهون في الداخل فقد تمثلت أحقادهم في ثورة قاموا بها في سوريا سنة ٤٢٠ : « ١٠٢٩ م » في عهد الظاهر الفاطمي ، وكان صاحب وزرها وكبير اثمها رجلان جمعتهما الخيانة وحركهما الطمع وانتهى أحدهما الى الفرار وثانيهما الى القتل : « صالح بن مرداس » و « حسان ابن المفرج بن الجراح » ، خرج معهما كثير من الاعراب والأوشاب . ونجحت الخيانة في أول أمرها حتى استولى الأوشاب على البلاد ووصلوا الى غزة . وتغلبوا على الجند وأفسدوا في البلاد وطغوا وظلموا حتى فر من أهل الشام كثير . ثم أخرج لهم الظاهر جيشا من القاهرة قهرهم ، وفر حسان وقتل صالح وولد له . ودخل جيش مصر دمشق فأعادها الى الوحدة وأرسل برأس الخائن الى القاهرة . وسجل ذلك شاعر الشام يوم ذاك : « ابن حيوس » في قصيدة له طويلة يقول فيها :

يومان للاسلام عز لديهما
دين الاله وذلت الأعراب

يريد باليوم الأول يوم فتح مكة ، وبالثاني يوم هزيمة الخيانة . ثم يقول :

كانوا حديدا في الوغى لكنهم
لما اصطلوا نار المظفر ذابوا

يريد بالحديد الثائرين من الأعراب والأوشاب ، ويريد بالنار التي أذابت الحديد جيش مصر المظفر . وظلت الفتنة تثور وتخمد حتى استطاع جيش مصر أن يقتلها فلا تقوم لها بعد ذلك في عهده حياة .

وأما الحاقدون عليها — على الوحدة — من الخارج فقد تكاتفوا وجمعوا جموعهم متكالبين على غزو سوريا أو استنقاصها من أطرافها . وتآمر الحقد الأوربي والتعصب الصليبي على ذلك فجيشا الجيوش الكثيفة وتعاونا على الاثم والعدوان ، وأغار الامبراطور « نقفور » ، وخليفتاه على سواحل سوريا بين سنوات ٣٥٢ : (٩٦٣ م) و ٤١٦ : (١٠٢٥ م) حتى استطاعوا أن يمتلكوا بعض المدن على سواحلها وأن يستولوا على كثير من بلادها ، حتى نهر العاصي وأقاموا في أنطاكية « دوقية » أوربية صليبية دام حكمهم فيها أكثر من قرن .

ولا أريد أن أفيض في ذكر هذا الطوفان من الحقد الأوربي والتعصب المسيحي ولا أن أذكر نجاحهما في دخول بيت المقدس وإقامة مملكة لهم فيه ، ثم عدوانهم على سواحل مصر عند دمياط وما لقوا عندها من الذل والأسر والهوان ، لا أريد أن أفيض في ذلك الا بمقدار مايشعرنا ويذكرنا بما قام به هذا الحقد والتعصب من محاولات جبارة وما بذل من جهد ناتق ليخفض رايات الوحدة ويطفيء نور الاسلام ويقضي على كلمة التوحيد ، ويستخلص هذه البلاد وخيراتها لنفسه ويستذل أهلها ويمحو أمجادها .

في هذه الفترة الحاسمة من تاريخ الوطن العربي ، وقبلها بوقت قصير ، أهدت سوريا لشقيقتها مصر رجلين من أصلب الرجال عودا وأعظمهم توفيقا وأعمقهم اخلاصا : بدر الجمالي الذي خرج من عكا ثم جاء الى مصر فانشأ فيها وأقام ، وأصلح وعمر ، وقوم فسادا كاد يزيد ويطغى ، وصلاح الدين الأيوبي : بطل من أبطال الوحدة وأبطال العالم كله ورجل من رجال التاريخ .

البحر فى بلادى

للشاعر خليل جرجس خليل

الشاعر يصف رحلة قام بها فى البحر الاحمر
بالباخرة العربية « عايدة »

ودعت اولادى باشواقى
وتركت اقلامى واوراقى

وسعيت نحو البحر اركبه
وابثه اسرار مشتاق

كاشفته بالسر فى هربى
وكشفت عن صدرى وعن ساقى

فى البر كم عانيت من نصب
وشواغل كثر وارهاق

* * *

وطبيعتى فى الخلق تبعد بى
عن ضجة وزحام طراق

هذا يكيد لكى يعذبنى
وسواه معنى باقلاقى

وتميمتى من كل شرهمو
ادبى وايمانى واخلاقى

وجنوحى ـ الايام ـ مرتحلا
اعتاض عن سام بترياق

* * *

ان الطبيعة وهى حاسرة
معبودتى وجماع اشواقى

فى حضنها لا معطف قشب
او حلة من صنع حزاق

وتانق وتزمت نزق
وهوى مبالغة واغراق

ومشقة لتقيم من أود
من بعد ما سعى بأسواق

* * *

فهنا ، بقرب البحر ، لا زهو
فى الزاد او فى خمرة الساقى

بالصيد تظفر بالأطايب من
جوف المياه لكل سباق

والله سخر كل سابحة
للناس انصبة باغداق

البحر دنيا وحده ملئت
من راحة كبرى وأرزاق

* * *

قضيت اياما على ظما
لكنها احلى اويقاتى

استاف عطر البحر مبتهجا
واعبه عب النسيمات

وانا اطالع فى صحائفه
وجه الطبيعة كل ساعاتى

الشمس تطلع مثل غانية
كشفت بكفيها الغلالات

* * *

والتوت فى يدها بلا ورق
لا باس وهى بغير عورات

انتظري..!

للشاعر حسن عبدالله القرشي

انتظري انتظري توقدي كالشرر !
وارتفقي النافذة الـ ـحمراء ولهي النظر
مجمرة الرماد مثـ ـوى قلبك المستعر
فلن اعود لن اعو د لن اضيع عمري
لن احرق الحياة قر بانا اليك فاذكري
انتظري يا طالما اثرت كل ضجري
يا طالما اشعلتني وهجت اشجى ذكرى

كويت قلبي بالجوى والدمع اعشى بصري
وكم مشيت فوق اشـ ـواكي وطال سهري
وعاد صبحي كابيا كالأمل المنيحر
حتى تناسيت الهوى وعفت مر الثمر
شفيت من حبك وانجا ب الدجى عن نظري
فانتظري وحدك ما شئت هنا واصطبري !

حسن عبد الله القرشي

والللازورد هنا يصافحها
بالموج ، يسقيها بكاسات
وتكاد لولا الصحو تحضنها
بيديك من شغف ولوعات
ولها الأشعة غير لاهبة
ولها الحرارة غير ثارات

❋ ❋ ❋

كم كان يحلو لي بلا ملل
ان استحم بعطرها الذاتي !
ان الطبيعة ههنا سكني
ومناط احلامي وراحاتي
وتنقلت بي مركبي صعدا
من مرفا للمرفا الثاني
لا يشبع الانسان عندهما
من مشهد ريان مزدان

الرمل مثل التبر منسرح
والشط مكسو بعقيان
اسعى اليه لكى اعانقه
فاراه بالاحضان يلقاني
ويكاد ، ان ودعت ، يتركني
من اجله ، قلبي والحاني
هذى بلادي في مفاتنها
جمعت لنا من كل فتان
هذى بلادي لا اشبهها
بموانيء وربى وشطان
من يات يلق الحسن في بلدي
والسحر مشغولا باوطاني
قم يا اخي واشهد محاسنها
في رحلة ، بحرنا الداني

خليل جرجس خليل

من آثار العرب في صقلية

بقلم : الغزالي حرب

في خلافة الخليفة الراشد الثالث ، عثمان بن عفان ، وفي العام الرابع والثلاثين من الهجرة ، انتصر الاسطول العربي بقيادة معاوية بن أبي سفيان، على الاسطول الرومي بقيادة قسطنطين بن هرقل في غزوة « ذات الصواري » بالبحر المتوسط الذي اتى عليه حين من الزمن وهو يعرف باسم «البحر العربي» لان العرب والمسلمين ــ كما قال ابن خلدون ــ ، قد امتطوا ظهره للفتح سائر أيامهم ، فكانت لهم المقامات المعلومات من الفتح والغنائم ، وملكوا سائر الجزائر المنقطعة عن السواحل فيه مثل ميورقة ومنورقة ويابسة وسردانية وصقلية وقوصرة ومالطة واقريطش وقبرص وسائر ممالك الروم والافرنج ، ·· واكبر هذه الجزائر جزيرة صقلية التي أطلق عليها القدامى «اتريتا كريا» ومعناها «المثلث» لانها تنتظم هيئة مثلث كبير متساوي الاضلاع تقريبا جنوبي غربي ايطاليا ·· وقد شجع انتصار العرب في « ذات الصواري » ــ فيما شجعهم ــ على محاولة غزو هذه الجزيرة البحرية الكبرى أكثر من مرة ··

ففي العام الخامس والاربعين غزوها بقيادة عبد الله بن قيس الفزاري ·· وفي أخريات القرن الاول الهجري غزاها عياش بن أخيل أحد قواد موسى ابن نصير وفي مطلع القرن الهجري الثاني غزاها محمد بن يزيد الانصاري ··

وفي عام ١٣٠ هـ غزاها وغزا سردانية عبد الرحمن ابن حبيب الفهري · ولم تفلح هذه المحاولات كلها في الاستيلاء على صقلية التي ظل العرب يتحينون لها الفرصة حتى واتتهم من حيث لا يحتسبون ، فقد اشتد الخلاف بين أوفيميوس الرومي حاكم صقلية وبين امبراطور الروم ميخائيل الثاني · وتوعد كلاهما الآخر بالقضاء عليه · والتخلص منه ، ولما أحس اوفيميوس بخطر زحف القوة العسكرية التاديبية التي سيرها الامبراطور اليه ، أرسل الى الحاكم العربي على تونس زيادة الله ابراهيم بن الاغلبي ، يستعين به على قوة الامبراطور الزاحفة اليه ، فانتهز زيادة الله الاغلبي هذه الفرصة التي لم تسنح لابيه ابراهيم من قبل ، وسارع الى ارسال حملة عسكرية عربية بقيادة اسد بن الفرات بن سنان يوم الاحد ١٤ ربيع الاول عام ٢١٢هـ الموافق ١١ يونية ٨٢٤م وأقلعت من تونس الخضراء مائة سفينة تحمل عشرة آلاف من المقاتلين، وسبعمائة من الفرسان الصناديد ·· الى ساحل صقلية التي رحب حاكمها بالعرب المنجدين الذين سرعان ما اتخذوا من بلدة « مازارا » الصقلية أول ميناء جعلوه قاعدة عسكرية لهم ، ومن هذه القاعدة أخذوا يحملون بقوة وبسالة على الحصون والمدن التي اعتصم بها الاعداء ولا سيما بالرمو وسرقوسة ومسينا ·· وكان النصر حليفهم في معظم معاركهم ، وبعد ثلاثة عشر شهرا من الجهاد الباسل، والكفاح الموصول ، استشهد القائد العربي أسد ابن الفرات ، فدفنوه حيث استشهد تحت أسوار سرقوسة · وخلفه القائد العربي الآخر محمد بن أبي الجواري ، الذي انتصر على القائد الروماني «بلاطة» وثبت دعائم الحكم العربي في انحاء الجزيرة ، وخاصة بعد نجاح البطل العربي زهير بن عوف في اخضاع عاصمتها « بالرمو » ، وبعد مصرع الحاكم اوفيميوس بأيدي أنصاره الذين مثلوا بجثته عقب قتله شر تمثيل ··

وهكذا استقر العرب في صقلية أيام المأمون العباسي من عام ٢١٧ هـ الى عام ٤٥٠ هـ على ايدي الأغالبة ودام الحكم العربي بها ٢٣٣ عاما وقد أشاد جستاف لوبون في كتابه « حضارة العرب » بسماحة هؤلاء العرب الفاتحين وانسانيتهم في معاملة أبناء الجزيرة الذين تركوا لهم تقاليدهم وعاداتهم وحريتهم الدينية كاملة غير منقوصة، دون أن يتقاضوا منهم الا جباية أقل كثيرا مما كان اليونان يتقاضون منهم من قبل ، وأعفوا من هذه الجباية الرهبان والنساء والاولاد ، تأدبا منهم بسماحة الاسلام في معاملة غير المسلمين ·· ومن آثار الحضارة العربية والمدنية العربية في صقلية ، على الرغم من قسوة الظروف ، واضطراب الاحوال ، وحداثة العهد ، زراعة مزروعات عربية جديدة مثل « البردى » و « المران » ، واقامة المجاري لاول مرة في تاريخ الجزيرة ، وانشاء مصانع الورق التي انتفعت بها ايطاليا نفسها ، وانشاء مصانع الحرير كما ينطق بذلك الرداء الحريري الاثري الذي ما يزال في متحف

نورمبرغ بألمانيا حتى اليوم ، وهو الرداء الذى كان الحكام العرب فى صقلية يرتدونه ، وتسجل الكتابة الكوفية التى على نسيجه التاريخ الهجرى ٥٢٠ هـ وهو الموافق للتاريخ الميلادى ١١٣٣ م ٠٠ ، مما يدعو الى الاعتقاد بأن صناعة صبغ الثياب انتشرت فى أوربا نفسها من صقلية ، ومن هذه المصانع العربية فى صقلية العربية ، كانت الثياب المحلاة بالجواهر كما كانت الطنافس المصورة ، والجلود المدبوغة ٠ تصدر الى الخارج ، والى الحضارة العربية فى صقلية ، أيضا ، يرجع الفضل فى تعدين مناجمها التى حفلت بالذهب والفضة والشب والكحل والزاج والحديد والرصاص والنوشادر.. كما يرجع الفضل اليها فى معرفة الصقليين للقنوات ذوات الانابيب المعقوفة المعروفة باسم «السيفونات» والى اخذهم بكثير من الوان الفنون المعمارية وغيرها وما اصدق المؤرخ المنصف « دبيل » اذ يقول :«ان العرب قد حملوا معهم الى جزيرة صقلية مظاهر غريبة من فنونهم وقناطرهم العالية الجميلة ونقوشهم من المقرنصات وجمال قاشانيهم ذى الميناء، وفسيفسائهم المعمولة من الرخام الملون وصورهم الجميلة » ٠٠ ثم يقول : «ولما سقطت بلرم فى أيدى العرب عام ٨٣١ م ، ولم يكن فيها سوى ثلاثة آلاف نسمة ، دخلت حالا فى مضمار الفنون ، وكانت فى درجة عالية من الحضارة لم يسمح بمثلها » .

وفى « بلرم » هذه انشا العرب اول مدرسة للطب فى العالم ، وقد افادت منها أوربا فى مدارس الطب التى انشاتها بعد ذلك ، وكما أشاد جوستاف لوبون وديبل بمدينة العرب وافضالهم على صقلية ، اشاد بها المؤرخان المنصفان الآخران : آمارى فى كتابه : « المسلمون فى صقلية » وتوفنر فى كتابه : « فلسفة التمدن » ٠

أما آمارى فحسبنا قوله : « ان من غلبوا على أمرهم من سكان الجزيرة كانوا فى راحة وسرور على عهد أمراء المسلمين ، وكانت حالهم احسن بكثير من حال اخوانهم الايطاليين الذين كانوا يرزحون تحت نير اللنجو ردانيين والفرنجة » ..

وأما توفنر فيقول : « منذ الفتح الاسلامى الى القرن التاسع عشر ، لم يبرح الشعب النصرانى فى صقلية ينتقل من يد غريبة الى يد غريبة ، وما استطاع أن يحكم نفسه بنفسه، وقد بلغ أعلى درجات حضارته بعد القرن الرابع على عهد حكومة المسلمين » ! ٠٠

وفى ظلال هذا العهد العربى الاسلامى بصقلية ، قامت نهضة ثقافية عظيمة لا يستهان بها ، وعلى أيدى كثير من أبناء الجزيرة الاعلام ، الذين نذكر منهم على سبيل التمثيل لا الحصر :

أعلامها

فى ميدان السياسة والقيادة جوهر الصقلى وأسد بن الفرات ٠٠ وفى ميدان الفقه والتشريع والقضاء الاسلامى أسد بن الفرات ايضا فى الفقه المالكى وأسد بن الحارث صاحب « الاسديات » فى الفقه ٠ والقاضى ميمون بن عمر وعبد الرحمن بن أبى العباس وعيسى بن عبد المنعم والحافظ المازرى والحافظ القللورى الذى ينسب الى ما يعرف اليوم باسم « كالبريا » .

وفى ميدان الشعر والادب نذكر عبد الرحمن بن ابى العباس وعيسى بن عبد المنعم وعمار بن المنصور وأبا محمد عبد الجبار المشهور بابن حمديس الصقلى الذى طبع له ديوان فى بالرم عام ١٨٨٣ م وفى رومية عام ١٨٩٧ م كما حقق ذلك جورجى زيدان

وقد احصى ابن القطاع سبعين ومائة شاعر من شعراء صقلية فى كتابه : « الدرة الخطيرة والمختار من شعراء الجزيرة » ٠٠

ويروقنى هنا قول الأستاذ عباس العقاد ص ٦٦ من كتابه «أثر العرب فى الحضارة الاوروبية» ما نصه:

« وقد قال دانتى : ان الشعر الايطالى ولد فى صقلية وشاع نظم الشعر باللغة العامية فى اقليم بروفنس حيث تلتقى الامم اللاتينية فى الجنوب ، فانتشر من ذلك الاقليم الشعراء الجوالون الذين عرفوا باسم التروبادور، واشتق الاوروبيون اسمهم هذا من كلمة طرب او طروب وان اسم قصيدهم « تنزو » مأخوذ من كلمة « تنازع » العربية لأنهم كانوا يلقون الشعر سجالا ، يتنازعون فيه المفاخر والدعاوى ٠ كما يفعل القوالون حتى اليوم بين أبناء البادية المحدثين » ٠

وفي ميدان علوم اللغة العربية نرى ابن ظفر مؤلف « الاشتراك اللغوى والاستنباط المعنوى » و « طفولة العظماء » و « ينبوع الحياة » و « أعلام النبوة » كما نرى ابن القطاع السعدى الذى ذكر ابن خلكان وياقوت وغيرهما من مؤلفاته « أبنية الافعال » و « العروض البارع » فى علم العروض و « الشافى فى القوافى » و « الملح البصرية » و « طبقات الشعراء» و « الدرة الخطيرة » كما سبقت الاشارة الى ذلك آنفا ..

وفي ميدان الجغرافيا والتاريخ والرحلات نذكر الشريف الادريسى مؤلف : « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » الذى يحتفظ له متحف «سان مرتين» بفرنسا - كما قال جورجى زيدان - بخريطة تثبت أنه كان « على بينة من حقيقة منابع النيل » كما نذكر ابن الخزاز مؤلف : « تاريخ صقلية » وابن حوقل مؤلف : « محاسن أهل صقلية » ..

وفي ميدان الهندسة والنجوم والحكمة والطب نذكر محمد بن عيسى وأبا سعيد بن ابراهيم مؤلف « المنجح فى التداوى » والمازرى صاحب المؤلفات العظيمة ..

هذا غيض من فيض النهضة الثقافية التى تمت بصلة قرابة أو نسب الى حضارة العرب ومدنيتهم فى صقلية ، فلا عجب أن عنى بعض المستشرقين بضم أجزائها بعضها الى بعض ، واطلقوا عليها اسم « المكتبة الصقلية » .

وظلت اللغة العربية هى اللغة الرسمية الأساسية فى هذه الجزيرة ، زمنا ليس بالقصير - كما قال « لويجى رينالدى » فى مجلة المقتطف م ٥٩ ، وبها ضربت النقود وعليها « لا اله الا الله محمد رسول الله » .

ومن الألفاظ والكلمات العربية التى ما تزال حتى اليوم تشير الى تراثنا العربى فى «صقلية» ماياتى :

كلمة « قلتا » المحرفة عن « قلعة » مثل « قلتا نسيتا » أى « قلعة النساء » . وكلمات « مرسى » و «منزل الأمير » و « منزل يوسف» و «رمل الموز»

و « رمل السلطانة » و « القنطرة » و «وادى الطين» و « جمهورية » و « مفيش » و « القصر » و « القبة » و « رأس القلب » و « رأس الخنزير » و « الفوارة » و « قلعة العزيزة » و « لازيزا » أى قصر العزيز ، و « قلعة الحسن » و « قلعة البلوط » و « الله » و « موسين » أى « رياح الموسم » و « دار سينا » أى دار الصناعة و «أمارا» أى «أمراس» بمعنى الحبال القوية ، واليها أشار امرؤ القيس ببيته المشهور :

كأن الثريا علقت فى مصامها
بأمراس كتان الى صم جندل

وهذا غيض من فيض الكلمات العربية التى تسود جزيرة صقلية حتى اليوم فلا عجب أن قال «رينالدى» ان الجزء الاعظم من الكلمات العربية الباقية فى الايطالية والتى تفوق الحصر لم تتسرب الى اللغة الايطالية عن طريق الاستعمار العربى وانما تسربت اليها عن طريق المدنية العربية التى كثيرا ما تؤلف بين مظاهر الحياة المختلفة .

وبعد أن أحصى رينالدى كثيرا من هذه الكلمات وبخاصة فى العلم والهندسة والموازين والمكاييل والبحرية قال : « ان جنوة اضطرت أن تؤسس مدرسة لتعليم اللغة العربية عام ١٢٠٧ م » .

والى أى مدى مدن العرب أهل صقلية وحضروهم وثقفوهم أحسبنا فى الاجابة عن ذلك قول «جوستاف لوبون » : « ان التحسين الذى يدخله شعب على شعب هو معيار نفوذ الحضارة التى يحملها الأول الى الآخر »

ولولا قسوة الظروف واضطراب الاحوال وقصر المدة التى مكثها العرب حكاما على هذه الجزيرة لوصل التحسين العربى والتمدين العربى بها الى أبعد وأعظم مما وصل اليه وقاربت أو فاقت مدنية العرب فى صقلية مدنيتهم فى الاندلس .

وهكذا الأيام يداولها الله بين الناس ورحم الله أبا عبادة البحترى اذ يقول :

والدهر ذو دول تنقل فى الورى
أيامهن تنقـــل الأفيـــــاء

أما بعـــد .. فكم هو عجيب معيب ، ان يعنى الأجانب والمستشرقون بالبحث الجـــاد ، والتنقيب الموصول ، فى أطواء مدنيتنا العربية ، وحضـــارتنا الاسلامية بصقلية ، عناية فائقة ، ليس لنا منهـــا نصيب مع الأسف الشديد ..!!

لقد سالت أكثر من مرة فى دار الكتب المصرية عن ديوان ابى محمد عبد الجبار بن حمديس الشـــاعر الصقلى كما سالت عنه فى كثير من المكتبات العامة والخاصة ، ولاسيما مكتبـــات الجامعات المصرية والأزهرية .. فلم اعثـــر له على اثر ، وتبينت ـ وباللحسرة ـ ان هذا الديوان لم يطبع كاملا فى مصر حتى الآن ، وان طبعت منه بعض المختـــارات . وذكرت ـ وما أمر الذكرى ـ ان العـــالم البحاثة جورجى زيدان ، قال فى الجزء الثـــالث من كتابه الخالد « تاريخ آداب اللغة العربية » : ان ديوان ابن حمديس الصقلى طبع فى بالرم عام ١٨٨٣ كما طبع فى رومية عام ١٨٩٧ م .

ولم يقل لنا سيادته : باية لغة طبع ؟ ونقول طبع باللغة الايطالية ، وبعض اللغات الاجنبية الاخرى ، وهانذا أهيب بوزارة الثقافة والارشاد أن تســارع الى طبع ديوان هذا الشاعر باللغة العربية ، بعـــد عثورها عليه مخطوطا ، أو تسارع على الاقل فتترجمه من الايطالية أو غيرها الى اللغة العـــربية التى عاش لها وبها ومات عليها هـــذا الشاعر عام ٥٢٧ هـ فى جزيرة « مايورقة » ... لا سيما وأن هذا الشاعر الصقلى ـ كما قال الدكتور أحمد ضيف فى محاضراته الجامعية ـ : « له صبغة خاصة فى شعره ليســـت معروفة كثيرا فى الشعر العربى » .

واستمعوا معى ـ على سبيل التمثيل لا الحصر ـ اذ يقول عقب نكبته بالنورمانديين الذين فجعوه فى وطنه الحبيب ، وأخرجوه من فردوسه ظلما وعدوانا:

ذكرت صـــقلية والأسى
يهيـــج للنفس تذكارها

ومنزلة للتصـــابى خلت
وكان بنو الظرف عمـــارها

فان كنت أخرجت من جنة
فانى احـــدث اخبارها

ولولا ملوحـــة ماء البـــكاء
حسبت دموعى انهـــارها

فمتى تجفف دموع ابن حمديس وزملائه من شعراء صقلية وعلمائها وأدبائها وأعلامها . بعـــد أن ظلت تنهمر ـ ومازالت ـ منذ تسعة قرون ..؟! ومتى نرى فى مكتباتنا العامة الكبرى جناحا خاصا بصقلية وتراثها وماضيها العربى العريق ...؟ ومتى يتوافر اساتذة التاريخ والأدب فى ســـائر بلادنا العربية ، على العناية الكافية بهذا التراث العربى الصقلى ، ولهم اسوة حسنة ـ وعفوا ومعـــذرة ـ فى المستشرق الايطالى ميخاليل امارى مؤلف « المكتبة الصقلية » فى مجلدين حافلين ؟ الم يكن الأزهر الشريف هـــو الأولى بعمل هذه المكتبة الصقلية ، وفاء منه للقـــائد العظيم جوهر الصقلى بانى الأزهر الشريف ..؟

وحيا الله اساتذتنا الأمجاد الذين استجابوا لوعيهم الباطنى فى تاريخهم العـــريق وتراثهم المجيـــد ، فأضاءوا بعض المشـــاعل على الطريق الى صقلية ، لا يبغون من وراء ذلك جزاء ولا شكورا .. وأخص من هؤلاء الأساتذة الاعلام : استاذنا الرائد الأمين : أمين الخولى ، ومؤرخنا الفذ العظيم : محمد عبـــد الله عنان ، ومؤلفنا البحـــاثة الغيور : محمد كرد على صاحب « الاسلام والحضارة العربية » .. جزاهم الله عن المدنية العربية ، والتراث الاسلامى خير الجزاء ..

ألا قد بلغت ... اللهم فاشهد .. !!

أعلام منسيون

محمد تيمور

بقلم أنور الجندي



المرحوم

محمد تيمور

اذا ذكرت اليـــوم « **المسرحية العربية** » بعد أن بلغت أوج نضجها واكتمالها فنيا ، فلابد أن يذكر ذلك الكاتب الذى كان أول من كتب مسرحية مصرية « **محمد تيمور** » ، ذلك الشاب الذى انطوت حياته فى مثل عمر الزهر ، وقبل ان يبلغ الثلاثين والذى خلف فى هذه الفترة القصيرة طلائع أعمال جديدة فى الأدب والمسرح غير مسبوقة .

وكأنمـــا كان محمد تيمور يحس بقصر عمره ، فكانت أعماله أشبه بأعمال من يزمعون سفرا ، أو تسوقهم نهاية مجهولة ، يبدأ فى مجالات متعددة ، ثم يدعها الى غيرهـــا متنقلا ، كأنما يخطف الأمور خطفا ، فهو شاعر وكاتب مسرحى وناقد وصـــحفى ومترجم ، وله مسرحيات وقصص مؤلفة وقصـــص مترجمة ، ومقالات فى النقـــد المسرحى ومقـــالات وطنية وأبحاث عن تطور المسرح الفرنسى وقد خلف من بعده أعمالا كثيرة لما تكتمل فى مجال التأليف والترجمة ، وكأنما كان يعلم أنه لن يطيل الاقامة ، فاختصر الرحلة ، وترك لمساته هنا وهناك ..

ولقد كان محمد تيمور نبتـــا غريبا فى بيئتـــه الارستقراطية الموسره ، فلم يلبث ان خلفها وهـــام على وجهه مع صحبة الفن ، فنزل الى الشارع ، ومضى يسمع شـــاعر الربابة ، ويزور (تيـــاترو السرك) ويحضر روايات (مسرح الكلوب المصرى) ولم يلبث ان اشـــتغل فى دار التمثيل مؤلف روايات ، بل ممثلا فقد اعتلى خشبة المسرح وكتب اســـمه فى سجل هؤلاء الفنانين الأول ..

وهو من اجل حبه الذى لا حد له للفن ، تحول عن الدراسة التى وجهه اليها والده العظيم (أحمد تيمور) حين بعث به الى فرنسا لدراسة القانون ، واتجه الى الفن وسجل ذلك فى مذكراته « جاء الى باريس ليدرس الحقوق ، وما كان بنفسه ميل للعلوم والشرائع ، ولكن والده لم يسمح له بمغادرة القاهرة الا ليلقى بنفسه فى احضان تلك العلوم ، فسافر وفى قلبه غصة ، ولكنه وطن نفسه على الدأب والعمل جامعا بين علوم الحقوق التى كانت تجشم نفسه مالا يستطيع احتماله وبين علوم الآداب التى يرى فيهـــا مسكة الأمل وقرة العين .. »

وليس من شك فى أن البيئة التى ولد فيها محمد تيمور ، والجو الذى عاش فيه كان يوحى بالاتجاه الى مجال الفكر والادب والثقافة ، ان قصر تيمور باشا فى درب سعادة ، ومكتبته الضخمة ، وصحبته من العلماء والمفكرين ، وعمتـــه « عائشـــة التيمورية » الشاعرة النابغة ، لا بد أن تكون هذه كلها قد فتحت الآفاق أمام هذا الشاب الطموح وأمام أخيه الأصغر « محمود » الى تطلعات الفكر والأدب ، من اجل هذا لم يلبث محمد تيمور أن قرض الشعر وكتب فى الصحف ، وطالع دواوين الاقدمين : المتنبى والمعرى وابى نواس ، وتعلق بالتمثيل منذ الصـــغر فكان يتردد على (جوقة) الشيخ سلامة حجازى لمشاهدة رواياته ويقيم مسرحا فى دارهم .

ولكنه الى ما قبل سفره الى أوربا عام ١٩١١ لم يكن يدرى بعـــد ماذا يريد شأنه فى ذلك شـــأن الكاتبين فى مطالع الحياة ، فهو يكتب فى « المؤيد » مقالات فى نقد المجتمع ، ومقالات أخرى فى الوطنية،

وفى مقالاته طابع السخرية والتصوير وبذور القصة ..

فهو يسخر من اسم شارعهم « درب سعادة » فيقول ان التنظيم اطلق عليه اسم السعادة بينما هو غارق فى الأوحال ، وتعجبه صورة المقهى فيقول : « ما أجمل النغمات الموسيقية فى قهوة « ماتاتيا » نغمات أحجار الطاولة ممتزجة بأصوات بائعى أوراق اليانصيب ، ما أجمل قهوة ماتاتيا وهى تنظر لحديقة الازبكية نظرة الهازئ ، وتقول لها وهى تبتسم : انت شاسعة الارجاء ، كثيرة الاشجار ، طويلة الطرق والدروب ، وأنا اضم تحت لوائى عددا من الناس لم تطأ أرضك بعد ربعه ولا خمسه ... »

ويمضى فى رسم صورة الرجل الاسرائيلى الذى يبيع الفول المدمس ، وصور رمضان ورمل الاسكندرية والصيف ..

ثم هو ينظم الشعر ، ويعارض قصيدة البارودى « هو البين حتى لا سلام ولا رد » ، وهو شعر تغلب عليه فى مجموعه رنة الحزن العميق ، وطابع الاحساس بالحرمان وأشواق اللوعة والغربة النفسية ..

هيئوا لى فى باطن الأرض قبرا
ودعونى أنام تحت التراب

فى ظلام القبور راحة نفسى
ومن النور شقوتى وعذابى

وادفنوا فى التراب ديوان شعرى
فوق قلبى المملوء بالأوصاب

فيه مكنون ما احتواه جنانى
وعزيز فراق ذاك الكتاب

هو بعضى فهل أموت وانسى
فى ظلام الحياة نور شبابى

ومن خلال هذه الصورة المبهمة الغامضة التى يعيشها محمد تيمور تبدو صورته النفسية وهو يزمع السفر الى أوربا ليتم تعليمه العالى ، فيتجه أولا الى برلين لدراسة الطب ، ثم لا يلبث أن يؤثر دراسة القانون فى فرنسا على غير ميل لاحداهما فيمضى بين ليون وباريس ثلاث سنوات ، ثم يعود وقد اندلعت نار الحرب العالمية الأولى فى صيف ١٩١٤ فحالت بينه وبين العودة ، هنالك بدأ حياته القصيرة فى دنيا الفن والمسرح والتمثيل على نحو جديد ، غير ما عرف عنه قبل سفره الى أوربا ، ويرى كل الذين عرفوه فى هذه الفترة ان سنوات أوربا الثلاث ، كان لهما أثر عميق فى تكوينه الفكرى والنفسى ، وفى تطوره وتحوله ، وفى الكشف عن شخصيته وطابعه الخالص .

وقد ظهر هذا فى كتاباته نثرا ونظما ، وكان العمل الأول الذى أخذ به نفسه : تمصير القصة والمسرحية فلم يلبث أن اشترك فى جمعية أنصار التمثيل ، وبدأ فى اخراج (هملت) لشكسبير ، واعتلى بعد خشبة المسرح ، فى دور (سيف الدين) فى رواية ابراهيم رمزى « عزة بنت الخليفة » .

واستطاع صفوة من أصدقائه واترابه ان يكونوا « ندوة فكرية » ، كان من ابرز رجالها أحمد خيرى سعيد ، تجتمع فى حديقة محل « لبتون » غروب كل يوم ، ويؤمها هذا الرعيل من الشباب الطامح الساخط الراغب فى نقل ثقافة الغرب ، وتعريب آثاره الفنية ، ولمحمد تيمور فى هذه « الاكاديمية الصغيرة » دور واضح ، حيث يدور « عراك جدلى » طويل حول مفاهيم الفن والفكر .

وقد صور (خيرى سعيد) دور محمد تيمور فى هذه الندوة حيث يقول : ان المدرسة التى كونها محمد تيمور تركزت على أعمال العبقريين فى الغرب والشرق فى جميع العصور وقد كان « محمد » أحد افراد مدرستنا التى اسستاها منذ عقد الهدنة (١٩١٨) وكنا ساخطين عليه وهممت بنقده على صفحات الجرائد الادبية لوضعه الرواية (الممصرة) لجوقة محمد بهجت ، لأننا كنا نكبره ونقيسه الى مثله الأعلى .. على أننى كنت أحترم تيمور لاعتداده بقواه ، وثقته بالجيل الحاضر ، وقد أثر فى نفسى رأى تيمور فآمنت بآرائه ، واعتقدت أن الخطوة الاولى بعد (التعريب) لايمكن أن تكون الا (التمصير) وان التعريب لا يفيد الذى يقوم بعملية التمصير والتأليف ، بل يفيد الأمة فى مجموعها ..

وفى هذه الفترة اتجه تيمور الى العمل بكل قواه ، فألف روايات «العصفور فى القفص» ، و «عبد الستار افندى » و « العشرة الطيبة » و « الهاوية » و «عرب رواية الأب ليونار واتجه الى النقد المسرحى ، فكتب فصولا عديدة فى مجلة المنبر ١٩١٨ ثم أجرى ما اسماه محاكمة المؤلفين والروائيين : فحاكم فرح

أنطون وابراهيم رمزى ولطفى جمعة وخليل مطران فى مجلة السفور ، وجعل شكسبير رئيسا للمحكمة وموليير وجوته وكورنيل وراسين اعضاء .

وأصدر مع زملائه أصحاب الاكاديمية عديدا من الصحف الأسبوعية واستأجر جريدة السفور وأصدرها ثلاث سنوات .

وواجه فى عالم التأليف المسرحى والنقد معارضات وخصومات ، فقد كان يتطلع الى الفن الرفيع بينما كان المسرح اذ ذاك لا يقدم الا ما يضحك ويسلى .

يقول خيرى سعيد «ان رواية عبد الستار افندى» مثلت فى دار التمثيل العربى ، وكان أصدقاء المرحوم تيمور يوزعون التذاكر مجانا ، فكان الناس يهملونها اهمالا تاما ، لأن الرواية قطعة من الحياة البائسة التعسة ، صبت فى قالب سخرية وفكاهة ، ولكن الناس لا يحبون الفن لأجل الفن ، وانما يحبون الضحك والهزؤ الذى لا غاية له ولا مرمى وراءه ..»

وفى هذه الفترة نظم محمد تيمور كثيرا من المقاطع الشعرية الرقيقة ، متأثرا باللون المهجرى الذى كان يكتبه اذ ذاك أمين الريحانى وجبران خليل جبران وكتب مذكراته فى باريس ونشرها فى السفور ، كما بدأ كتابته فى تاريخ مصر والنيل بأسلوب قصصى مثير (نشر الفصل الأول منه فى سفور السنة الخامسة ١٩٢٠) كما كان يعمل اذ ذاك فى كتابة رواية مصرية بالفرنسية عنوانها (الفتوة) وقد أتم الفصل الأول منها ..

وقد وصفت فصوله فى النقد بالدقة والاتزان والصراحة والبعد عن المجاملة والتحامل، اما قصصه فقد انتزعها من واقع الحياة وصميم المجتمع ، متأثرا بالدعوة الى « المصرية » التى كانت طابع الدعوة الوطنية اذ ذاك فى مواجهة الاستعمار والاحتلال . وقد اراد أن يدلل بأعماله المتعددة على امكان ظهور قصة عربية تغنى عن الترجمات للقصص الغربى (الذى لا يمثل مشاعرنا ولا يصور حياتنا .)

وقد صور فى قصصه مشاكل مجتمعنا ، ففى قصة « العصفور فى القفص » رسم صورة لفساد أسلوب التربية القاسية حين يسرف الاب فى القسوة على ابنه ، وفى قصة « عبد الستار » صور استبداد الزوجة الجاهلة ، وضعف الزوج الطيب .

وكان محمد تيمور أول من نادى بأن لغة المسرح غير لغة الكتابة ، ومن الرواد الذين دعوا الى تصوير المجتمع المصرى تصويرا واقعيا ، وكانت قصصه وأعماله كلها محاولات تهدف الى تأكيد قدرة الأدب العربى على تقديم قصة فنية تضم تجربة كاملة ، وان فى صميم المجتمع المصرى صورا وأحداثا صالحة لكتابة القصة ، وان استحياء البيئة المحلية يحقق نتائج بعيدة المدى فى خلق القصة العربية .

وقد التقط هذا الخيط وسار فيه من بعد ولمع : محمود تيمور وزكى طليمات ويحيى حقى وكثيرون.

وكان من فرط ايمانه بالمسرح يحاول أن يكسب له من كل بيئة ، لقد ذكر الشيخ التفتازانى شيخ الطرق الصوفية : ان محمد تيمور اغراه وحاول جره الى اعتلاء خشبة المسرح وانه كاد يفعل لولا وقار المنصب ..

***

ومع هذا النجاح الذى حققه **محمد تيمور** فى مجال العمل الذى أحبه ، وتجرد له ، فقد ظل منطويا حزينا ، يغلب عليه طابع الألم النفسى العميق ، ففى احدى رسائله من باريس الى شقيقه محمود تيمور يقول :

أخى محمود : قمت من فراشى فى الصباح ونظرت من النافذة راجيا ان ينكشف عنى ذلك الهم القاتل الذى أحس به يدب فى قلبى دبيبا ، فاذا بالسماء سوداء اللون ، واذا بالغيوم تتكاثف فى الجو فخشيت ان تسيل المعصرات وتسقى أرض باريس ماء ثجاجا .. وما كان أحوجنى فى تلك الساعة الى شىء جميل يطلق عنى وثاقى ويدخل السرور الى قلبى .. »

ونذهب لنسأل صديقه خيرى سعيد عنه فيقول : كان اذا جلس اليك خلت ان به لوثة خفيفة هى لوثة اهل الفن ، .. وكأنى أرى جبينه وقد أزيح عنه الطربوش المائل الى الوراء قد اتصل اشراقه بالسماء .. »

والحق أن تيمور وزملاءه ممن تصدروا مجال العمل الأدبى فى هذه الفترة كانوا يعانون صراعا نفسيا ضخما بين واقع الحياة التى يعيشونها والآمال التى يتطلعون الى تحقيقها ، وكان الظلام اذ ذاك لايزال يمد بساطه ، والحركة خطوها وئيد ، فلاشك ان هؤلاء كانوا شموعا تحترق وهى تضىء فلنذكرهم اليوم ، ولنذكر هذا الشاب الذى مضى فى الثلاثين ربيعا فى ٢٤ فبراير ١٩٢١ .

العطارات الدوائية

في تذكرة داود الانطاكي

بقلم احمد سعيد الدمرداش

تمهيد

محنة صادفت القس السوري نسطوريوس ، ما فتئت أن سببت ازدهار العلوم الهيلينستية في أنطاكية ، كان بطريركا على القسطنطينية عام ٤٢٨م حينما تكاتفت عليه قوى الرجعية فطردته من منصبه ، فهاجر هو وأتباعه النساطرة الى بلاد الشرق الواسعة ، متخذين لهم مراكز اشعاعية في أديرة انطاكية والرها وجنديشابور ، وتوفي هو بصعيد مصر .

وما وافى القرن السابع الميلادي حتى كان للنساطرة أكثر من خمسين مدرسة للطب والعلوم الفلسفية ، من رياضيات وطبيعيات ومنطقيات والهيات ، في جزر منعزلة وسط امبراطورية آل ساسان ، كل سرب نسطوري قد تلاقى فيها واحتشد .

وترجمت مؤلفات ابقراط وفيثاغورس وارسطو الى اللغة السريانية ، ومن أشهر مترجميهم سرجيوس الرأس عيني ، وتيودورس الطبيب . ثم غمر الاسلام هذه الجزر التي كانت تضج بالعلوم الهيلينستية ، فبعث في انطاكية روحا جديدة كانت لها ري ، أما جنديشابور على الجانب الآخر من الخليج العربي بايران ، فقد ترعرعت فيها أسرة بختيشوع الطبيب المرموق لدى الخليفة العباسي « المنصور » ، واستمرت زعامة هذه الأسرة في العلوم الطبية زهاء ستة أحقاب حتى عام ١٠٠٦ ميلادية .

فليس بغريب اذن على انطاكية في مدى الزمان الوجودي ، أن تنجب علماء في الحكمة ، طالما كانت هناك ديمومة في العرفان المتراكم ، وفي عام ٩٥٠ هجرية ولد شيخنا الضرير داود بن عمر الانطاكي من أصل سوري بانطاكية ، وحفظ القرآن ولما يبلغ السابعة من عمره ، ثم توفي والده فانتقل الى دمشق ثم الى البلاد الاخرى الشامية ، مجتمعا بحكمائها وعلمائها، يأخذ العلم عنهم في قدرة عجيبة وذاكرة لماعة . لقد سبق لسوريا ان انجبت ضريرا آخر هو أبو العلاء المعري شاعر المعرة ، كلاهما كان يتمتع بعقل موسوعي جبار، أحدهما في اللغة والشعر والثاني في الحكمة .

ثم انتهى المطاف بشيخنا داود الأنطاكي الى مصر ، وهي البلد الطيب ، فأقام بها ما وسعه المقام يصنف الكتب ، مثل ما حدث للعالم العراقي الحسن بن الهيثم حيث هاجر الى مصر وسكن بجوار الجامع الأزهر ، يكتب في علم المناظر ، ويؤلف البحوث المبتكرة في علم الفيزيقا .

ومن أشهر مؤلفات داود الانطاكي ما يلي :-

١ - تذكرته المشهورة وهي « تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجاب » .

٢ - كتاب البهجة والدرة المنتخبة في ما صح من الأدوية المجربة .

٣ - كتاب غاية المرام ونزهة الادهان في صلاح الأبدان .

٤ - شرح قصيدة ابن سينا الذي يتكلم فيها عن النفس .

٥ - رسالة في الهيئة وكفاية المحتاج في علم العلاج .

وتوفي شيخنا داود بمكة اثر اسهال حاد ، وقيل مسموما وحدث ذلك عام ١٠٠٨ هجرية ، وكا شيعيا شديد التشيع ، مخالفا لمذهب أهل السنة في كثير من الأمور والعقائد .

والآن دعونا نقبض قبضة مما كتب في العطارات الدوائية التي ذكرها في تذكرته وهي :

الكندر - المر - الجاوي - البلسم - الحنتيت - الميعة السايلة - المصطلي - الكثيرا - العنبر - قنا دشق - سكبيج - قلفونيا - كهرمان - والينابيع التي استقى منها مراجعه مصدرها ما يلي :-

(أ) كتاب العقاقير البسيطة للفاضل الحكيم جالينوس .

(ب) كتاب « كناشة في الطب » للعالم أهرن القس .

وقد سبق لهذه المراجع أن ترجمت من اليونانية أو السوريانية الى العربية ، فعمد داود الى نقلها مع

الزيادة والتعديل فيها ، مستعينا بمؤلفات من تقدمه من حكماء العرب ، مثل كتابي « الحاوي في الطب » و « الاقرباذين » لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي ، وكتاب « الجامع لمفردات الأدوية والاغذية » لضياء الدين بن البيطار ، وكتاب « الأدوية المفردة » للعالم الاندلسي الكبير أبي جعفر أحمد بن محمد بن السيد الغافقي .

« الكندر »

يقول داود في تذكرته عن الكندر ما يلي :

« الكندر هو اللبان الذكر صمغ شجرة نحو ذراعين تنمو بجبال اليمن ، الذكر منه المستدير الصلب الضارب الى الحمرة والأنثى الأبيض الهش، يحبس الدم ويصفي الصوت ، وينقي البلغم خصوصا مع المصطكى ، ويقطع الرائحة الكريهة وعسر النفس والسعال والربو مع الصمغ أو الكثيرا ، والرياح الغليظة ورطوبات الرأس بالعسل أو السكر ، وامراض الأذن بالزيت مطلقا ، ويزيل القروح كلها باطنة كانت أو ظاهرة شربا وطلاء ، والغثيان والقيء بالصمغ ، ودخانه يطرد الهوام ، ويصلح الهواء والوباء والوخم ، واكثاره يحرق الدم ، والذي يلتهب منه مغشوش ينبغي اجتنابه » .

هذا ما كتبه داود فلنقارنه بما كتبه ابن سيناء في قانونه :

« الكندر صمغ شجرة لا غير ، وقد يكون بالبلاد المعروفة عن اليونانيين بمدينة الكندر ، وقد يكون أيضا ببلاد الهند ولونه الى اللون الياقوتي ، وهو بعد زمان طويل يصير لونه الى الشقرة وأجوده المسمى الذكر ، وقد يكون الكندر ببلاد العرب وهو دون الاول في الجودة ، وهو حابس للدم والاستكثار منه يحرق الدم ، مدمل جدا وخصوصا الجراحات الطرية ، ويمنع الخبيثة منها من الانتشار ، ويصلح القروح الكائنة من الحرق وينفع الذهن ويقويه، ومن الناس من يأمر بادمان شرب نقيعه على الريق والاستكثار منه مصدع ، ويدمل قروح العين، ويقطع سيلان الرطوبات الفاسدة ويحبس القيء ، وقشاره يقوى المعدة ويشدها وينفع من الحميات البلغمية » .

وعلم النبات الحديث يوافق داود وابن سينا في كون الكندر افراز صمغي لنوع من الاشجار المختلفة، تتبع فصيلة أشجار اللادن التي يطلق عليها تفرزها الاشجار فوق الجزء المجروح منها دفاعا عن نفسها ضد الحشرات التي تهاجمها ، والصورة المنشورة توضح كيف يقوم الاهالي بازالة بعض لحائها بطول ٤ ـ ٨ سم في أماكن مختلفة منها بآلة يسمونها «المنجاف» في أواخر شهر مارس أو ابريل حتى نهاية شهر سبتمبر وفي بعض الانواع الاخرى حتى نهاية شهر ديسمبر في أشهر الجفاف حيث أن الامطار تتلفها .



وتنمو هذه الاشجار في الصومال وجنوب الجزيرة العربية والشمال الشرقي لافريقيا وتصدر الى عدن وبومباي فهي مراكز لتجميعها ، ويستمر استغلال شجرة اللادن مدة ست سنوات ثم توقف عملية تشريطها حتى تستريح ، والدفوع التي تسيل منها تتصلب بعد أسبوعين من مواضع التشريط ، وهي مشفة ذات لون أصفر واذا احتوت عروقا معتمة فهي من النوع المنخفض القيمة .

ولا يزرع الاهالي هذه الاشجار بل تسقط بذورها فوق الصخور ، أو تذروها الرياح فتنبت بمفردها.

وللكندر رائحة عطرية مقبولة وطعم فيه شيء من المرارة قليل ، وهو يتركب من ٦٠ ـ ٧٠٪ راتنج ونحو ٣٠٪ من الصمغ ، ٣ ـ ٨ ٪ زيوت طيارة .

واهم المركبات التي تدخل في تركيب الكندر مركب عيدروكربوني يعرف بالاولبين «ك١٠ يد١٦» وبتقطير هذا الصمغ نحصل على زيت قريب الشبه

بزيت التربنتين كثافته ٨٧٥ر ــ ٨٨٥ ر ــ جم ويذوب في كل من الأثير والكحول .

والطب الاوربى لا يؤمن بفائدة الكندر رغم ثبوت فائدة منقوعه في الماء في ازالة السعال ، ولكنه يكتفى فى ادخاله فى تركيب كثير من الضمادات (اللزقات) والتبخير ضد العدوى ، ويستخدم فى الكنائس والبلاد الشرقية فى البخور مع أنواع أخرى .

« المر »

ذكره داود كما يأتى :

المر هو السمرى فى المقالات ، وهو معروف مشهور بسيل من شجرة بالمغرب كأنها القرظ ، تشرط بعد فرش شيء تسيل عليه فى طلوع الشعرى ، فيجمد قطعا الى حمرة صافية ، تتكسر عن نكت بيض فى شكل الأظفار خفيفة هشة، وهذا هو الجيد المطلوب، ويترجم بالمر الصافي ، ومنه ما يوجد على ساق الشجرة وقد جمد كالجماجم ، وهذا هو المعروف بمر البطارخ ، لانه يحكى بيض السمك فى دسومته وصفرته ، وليس بالرديء ، ومنه ما يعصر فيسيل ماء ثم يجمد مائلا الى السواد ويحكى الميعة السايلة، ويسمى المر الحبشى ، وهو دون الثانى ، ومنه صنف يؤخذ بالطبخ والتجفيف قوى الزهومة والحدة والصلابة والسواد ، وهو قتال فليجتنب من داخل وتبقى قوته لسائر أجزائه عشرين سنة .

وهو حار فى الثالثة يابس فى الثانية ، عنصر جيد وركن عظيم فى المراهم والأكحال على اختلاف أنواعها ومنافعها ،وهو ينفع سائر النزلات والصداع، ويشد اللثة ويزيل قروحها وأوجاع الاسنان بالخمر والزيت مضمضة ، والسعال وأوجاع الظهر وخشونة القصبة استحلابا فى الفم ، والرياح وأوجاع الكبد والطحال والمفاصل والنقرس والسموم شربا وطلاء ، ويطرد الهوام بخورا مع الكندر ، ويحفظ الموتى طلاء، واعلم انه يشارك كل دواء فيما أعد له فيساعد الكبريت فى الجرب ، ومع دهن اللوز المر أمراض الأذن ، ومع النعنع أمراض الأنف ، وهو يضر المثانة ويسقط الأجنة » .

هذا ما كتبه داود فلنقارنه بما كتبه ابن سينا فى قانونه :

صمغ منه خالص ومنه مشوب مغشوش ، أجوده ما هو الى البياض والحمرة ، غير محفوظ بخشب شجرته ، طيب الرائحة ، محلل للرياح ويقع فى الأدوية الكبار لكثرة منافعه ، ويمنع التعفن حتى أنه يمسك الميت ويحفظه عن التغير والنتن ، واذا خلط بدهن الآس فانه يجلو آثار القروح ويبرء الجراحات المتعفنة ، ويلطخ بالشب على الآباط فيزيل صنانها .

قال جالينوس : رائحة المر تصدع الأصحاء فضلا عن المصروعين ، وهو يطيب نكهة الفم ، ويتمضمض به بشراب فيشد الأسنان جيدا ، ويقويها ويمنع تآكلها ويشد اللثة ، وينفع المر الخالص استرخاء المعدة ، ويخرج الديدان لمرارته ، ويشرب لقروح الأمعاء والاسهال » .

وعلم النبات الحديث يرى أن أشجار المر تتبع مائة وستين نوعا يطلق عليها فصيلة البلسم وجميعها افريقية ما عدا اثنى عشر نوعا منها تنبت فى جزيرة العرب والهند .

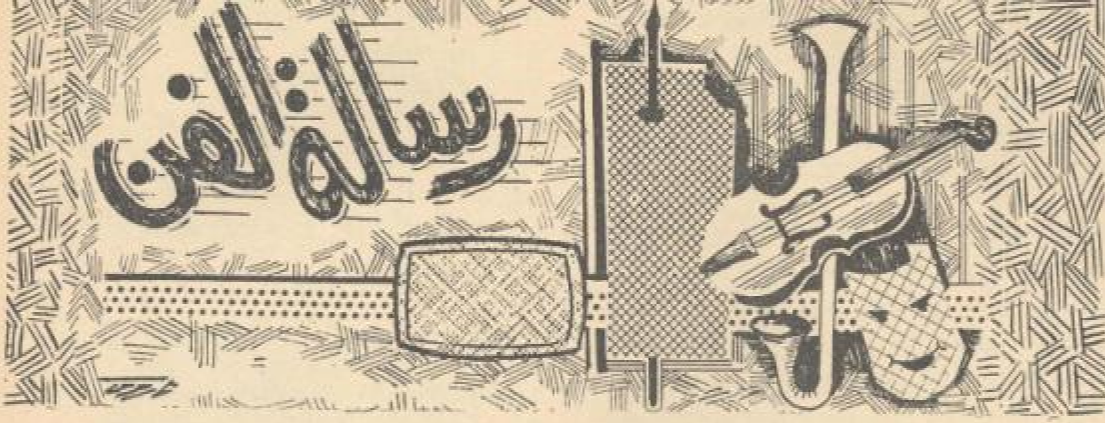
والمر راتنج عطرى يسيل من الاشجار بعد تشريط سيقانها ، وتتجمد عند تعرضها للهواء ، وهو يتركب من ٢٥ ــ ٤٠ ٪ مواد راتنجية ، ٥٧ ــ ٦١ ٪ صمغ، ٥ر٢ ــ ٨ ٪ زيت طيار ، ومركبات أخرى أهمها حمض الكوميفوريك ، واسترات هذا الحمض مع بعض الكحولات ذات الأوزان الجزيئية الكبيرة ، ويحتوى الزيت الطيار على الالدهيد ١٠ك ١٢يد أ، واليوجينول ١٠ك ١٢يد أ ، وحمض خليك وحمض نمليك وبعض الكريسولات .

وللمر رائحة عطرية زكية ، ولذا يدخل فى تركيب كثير من أنواع البخور ، ويستخدم أيضا فى عمليات التصبير والتحنيط ، وأهم مزاياه الطبية أنه يقوى المعدة ويعمل على طرد الغازات منها ، كما أنه يفتح الشهية ويساعد على افراز العصارة المعدية ،ويضاف الى بعض المسهلات أحيانا كى يمنع المغص الذى يصحب تناولها .

وهناك نوع من المر يستخرج من الصومال يطلق عليه (هاباك وتكل) يستخدمونه فى سم الفهود .

وكان قدماء المصريين يستوردون المر من بلاد بونت لاستخدامه فى التحنيط وأنواع البخور .

ولا يتسع المجال هنا للمزيد من دراسة هذه الراتنجات ، فقد نعود مرة أخرى لهذا الموضوع .



مسئولية الفنانين بعد الثورة

بقلم عبدالفتاح البارودى

ان الفنانين الذين لم يتطوروا ـ بسبب جهلهم وعدم شعورهم بمسئوليتهم الفنية ـ ليس عدم التطور فقط هو الاتهام الوحيد الذى يوجه اليهم ، وليست تفاهة انتاجهم فقط هى المصيبة الوحيدة التى يوجهونها الى الفن ٠٠ لو كان الامر كذلك لأهملناهم وأهملنا انتاجهم٠٠ ولكن المشكلة الحقيقية هى أنهم ـ أيضا ـ عقبة ضخمة فى طريق التطور٠٠ لماذا ؟!

لانهم يحتشدون فى الحقل الفنى وكأنهم توارثوه، ولانهم يتساندون بدافع مصالحهم الفردية المشتركة، وبحكم التفاهة المشتركة ، ويجتذبون اليهم كتابا فى مستواهم يقيمون حولهم ضجة جوفاء ، وهذه الضجة تكاد تحجب عن الناس الانتاج الفنى المرتفع المستوى الذى يقدمه أى فنان مثقف ٠

فى الماضى كانوا يعملون بمقاييس خاطئة ، وكان هذا منطقيا مع ظروف الماضى ، فلما تغيرت حياتنا كان يجب أن تتغير مقاييسهم الى مقاييس فنية ، ولكنهم لم يغيروها ، لان تغييرها يحتاج الى علم ٠٠

من أجل ذلك ظلت مقاييسهم القديمة ، و «بالفهلوة» المعهودة فيهم ولكنهم أوهموا كثيرين أنهم تطوروا بالمقاييس وبالانتاج ، والحقيقة أن هذه التطورات مظهرية ومرتجلة ٠٠٠ ولهذا ظهرت ابتداعات كثيرة ولكنها سطحية ، وظهرت مفهومات كثيرة ولكنها زائفة ٠

اصبحنا نسمع مثلا أن « الفن موهبة » ، لان المواهب من السهل ادعاؤها ٠٠ وأصبحت «الشهرة» من علامات العبقرية ، لان من المتعذر عليهم اثبات عبقريتهم بالانتاج الفنى ٠٠ الخ ٠ ماذا نفعل لمعالجة هذه المشكلة ؟!

أمامنا حلول كثيرة ، ولكن المهم هو أن يتحمل الفنانون والمشتغلون بالفن والمفكرون مسئوليتهم عن تنفيذ هذه الحلول بالدعوة لها والمطالبة بها ومتابعة تنفيذها ٠٠٠ ان الهدف هو مكافحة التخلف الفنى، بالوعى القائم على المناقشة المستنيرة ، وبالمناقشات المؤدية الى الاقتناع ، وبنشر العلم والشعور بالمسئولية بين الفنانين ٠

فى الفن الغنائى مثلا مطلوب من المشتغلين بهذا الفن أن يدركوا أن المقاييس الارتجالية التى كانت سائدة فى فن المجتمع الماضى أصبحت غير صالحة للفن الجديد الذى نريده فى المجتمع الجديد ٠٠٠ مطلوب نقل الاغانى من التهويمات والتشنجات « والوشوشة » الى أغان تعبر عن الناس والحياة ٠٠ ومطلوب نقلها من الذاتية المريضة الى الموضوعية ، ومن الزخرفة الى التعبير ، ومن الاشكال المختلطة المرتجلة الى تشكيلات علمية ٠٠٠ لن نضع فيها مادة علمية أو لوغاريتمات مثلا، ولكن نضعها فى «الفورم» الفنى ٠٠٠ لقد ظهرت الحاجة الى هذه النقلة العلمية

منذ ان قامت ثورة ٢٣ يوليو واقامت مجتمعنا الجديد على أسس علمية ٠٠٠ ولقد تاكدت هذه الحاجة - بالنسبة للاغاني - بعد أن تاكد عجز الملحنين خلال ١٢ سنة - عن تلحين اغنية واحدة يمكن ان يرددها الشعب ٠٠٠ ويكفي أنهم في حفلات عيد الثورة في الشهر الماضي قدموا أغاني أقل ما يقال فيها انها غير ذات مستوى فني ٠

في هذه الاغاني ظهرت مفهوماتهم الخاطئة لمعنى التطور الفني ٠٠ انهم يتوهمون أنهم تطوروا لمجرد استخدام «الكورس» والترزيع والمايسترو ، ولكن كيف استخدموها ؟!

بالنسبة للكورس مثلا رأينا الملحنين يضعون أنفارا خلف المطرب أو المطربة لترديد ما يغنيه أو تغنيه ، أو لاحداث ضجة غنائية ٠٠٠ وهذا خطأ واضح ٠٠ لان الكورس عنصر له كيانه المستقل ، ويجب ان يكتب له الملحن جملا موسيقية خاصة به ، وهذه الجمل تتفاعل مع الجمل التي يؤديها المطرب أو المطربة في « حوار فني » ان هذا يحتاج الى دراية بوظيفة الكورس، ولكن أين الملحنون الذين يعرفون هذه الوظيفة ؟!

وبالنسبة للتوزيع يجب أن يدرك الموزع الموسيقي ان عملية التوزيع هدفها أن يغتني اللحن باضافات معينة لها اشتراطات معينة ، ومن هذه الاشتراطات الا تطغى الاضافات على « الميلودى » مثلا ، ولكننا رأينا في هذه الاغاني أن التوزيع كان مجرد تضخيم للأنغام ، لدرجة أنه استخدم في الجمل الميلودية والايقاعات الراقصة ٠

وبالنسبة لعملية المايسترو ، وهي عملية قيادة الاوركسترا رأينا مشاهد مضحكة ٠٠٠ المفروض ان الاوركسترا يعزف حسب « نوتة موسيقية » مكتوبة لمختلف الآلات ، وكل مجموعة من الآلات لها «نوتة» خاصة بها ٠٠٠ والمفروض أيضا أن المايسترو يقود حسب نوتة موضوعة امامه مدونة فيها كل «النوت» وهو في قيادته مسئول عن ضبط دقة العزف ، اى مسئول عن مجموعات الاوركسترا كله ٠٠٠ وهذه عملية شاقة ودقيقة ، والمايستروهات في العالم كله « يذاكرون » المقطوعات التي يقودونها لضمان أداء هذه العمليات كلها ٠٠ ولكن المايستروهات الذين رأيناهم في أغانينا لاحظنا أولا أنهم يعملون بلا « نوت » ، ويقودون بلا عصا ، ويحركون أيديهم حركات تثير الضحك كانهم يؤدون حركات جمبازية !!

ان هذا يؤكد أننا لا ندري معنى العزف الفني ولا التاليف الموسيقي ولا النوت الموسيقية ٠٠٠ وهذا منطقي ٠٠ لان معاهدنا الموسيقية لا تهتم بتدريس فن التاليف الموسيقي ٠٠ واذن فالمطلوب من هذه المعاهد أن تغير مناهجها تغييرا علميا ٠٠ ان معاهدنا تدرس العزف بأسلوب ارتجالي ، ولهذا تخرج عازفين ارتجاليين لا يكادون يقرأون النوتة الموسيقية ٠٠٠ ومن الضروري وضع منهج لتدريس التاليف ، وهذا المنهج يقتضي تدريس مختلف الفنون المتعلقة بذلك ٠٠٠ لقد زار بلادنا منذ سنتين الموسيقار العالمي خاتشادوريان ، وعقد مع الموسيقيين اجتماعات كثيرة قال فيها انه بعد أن درس الموسيقى دراسة عادية التحق بأحد الكونسرفاتوارات ودرس فيه فن العزف لمدة ست سنوات ، ثم التحق بكونسرفاتوار آخر ودرس فن التاليف لمدة ست سنوات أخرى ٠٠٠ ان هذا هو ما يتبعه أي موسيقار في الخارج ، بينما في معاهدنا لا تزيد الدراسة كلها على ثلاث أو أربع سنوات ، فضلا عن أن مناهج الدراسة نفسها ضعيفة المستوى ٠

ومطلوب من الاذاعة والتليفزيون والاجهزة الفنية التي تنشر الانتاج الغنائي والموسيقى الا تسمح باذاعة او نشر أى انتاج غير مدروس ٠٠٠ ان الاذاعة - مثلا - بسبب الحاحها على نشر الاغاني الفردية الهزيلة ساهمت في تحريف مزاج الجمهور ، وفي اعطاء الشهرة المفتعلة لموسيقيين من أنصاف المثقفين، وهذا تعبير مهذب لمستواهم العلمي الهابط ٠٠ ان من واجب الاجهزة الفنية أن تساهم في مكافحة هذه الامية الفنية عن طريق فحص الانتاج الغنائي فحصا دقيقا قبل أن تقرر اذاعته ، والا فانها ستكون سببا في استفحال خطورة الانتاج غير المدروس ٠

ومطلوب اعادة المسرح الغنائي بشكل مدعم فنيا ٠٠٠ لان هذا المسرح بتقديمه للاوبريتات مثلا سينشر الوعي الموسيقي والغنائي بحيث يقضي أو يساهم في القضاء على تفاهة الاغنية الفردية المريضة٠٠ كيف ؟ ان الاوبريت بذاته عمل موضوعي وفن درامي ، واذن فتشجيع انتاج الاوبريت سيعطي نماذج حقيقية للألحان الموضوعية والدرامية ، وشيئا فشيئا سيدرك الناس الفروق الشاسعة بين الاوبريتات والاغاني ٠٠٠ ان الفنانين الارتجاليين يحاربون المسرح الغنائي لانه سيقضي على تفاهتهم ، واذا كانوا قد استطاعوا تحطيمه فعلا منذ ٤٠ سنة

فلا يجوز في مجتمعنا الجديد أن يتمكنوا من مواصلة محاربته .. ان تحطيم المسرح الغنائي القديم كان منطقيا ، لان المجتمع الماضي كان يسيطر عليه حكام ليس من صالحهم نشر الوعي الفني ، أما الآن فان المجتمع الجديد يقوم على الوعي ، ولهذا يجب أن يعاد انشاء المسرح الغنائي ، وأن يوضع له تخطيط علمي بحيث يعيد تقديم أوبريتات العمالقة من أمثال سيد درويش وداود حسني وزكريا أحمد ، بعد تجديدها واخراجها في أسلوب حديث ... أيضا يجب أن يشجع المؤلفون الدارسون على تقديم أوبريتات حديثة ، وعلى تعريب الاوبريتات والاوبرات العالمية على نحو ما حدث في أوبرا لاترافياتا التي قدمت منذ عهد قريب ، وذلك لان هذه الاعمال العالمية تعتبر نماذج عملية يحتذيها الدارسون .. كما يجب أيضا أن يمهد لظهور فن الاوبرا ، وهذه خطوة وان كانت بعيدة نسبيا الا أن من اللازم أن تتجه اليها باعتبار أن الاوبرا هي أنضج وأرقى تشكيل موسيقي غنائي .

وفي الموسيقى البحتة مطلوب أيضا تشجيع المؤلفات المحلية وتقديم المؤلفات العالمية كنماذج تحتذى ... ان لدينا تجارب محلية سواء في التأليف الاوبرالي أو التأليف السيمفوني ، ولكنها لا تجد مجال اخراجها للناس ... فمثلا بخلاف أوبريتات القدامى حاول بعض الدارسين تقديم أوبريتات وأوبرات أيضا ، وهي بالطبع محاولات لا ترتفع الى المستوى العالمي ، ولكنها محاولات ذات قيمة فنية ونحن أيضا لدينا سيمفونيات أو أعمال سيمفونية محلية ولكن لاتلقى عليها الاضواء الا بين حين وآخر ... ان الاوركسترا السيمفوني يجب أن يلزم مايستروهاته بتحضير الاعمال المحلية بنسبة خمسين في المائة مثلا ليجد المؤلفون المحليون متنفسا لهم ، وخاصة أنه ليس أمامهم اى مجال آخر سوى هذا الاوركسترا .

ومن الممكن تقسيم الاوركسترا الى مجموعتين ، فقد بلغ عدد عازفيه الآن حوالى ١٢٠ عازفا ، ويمكن بسهولة أن تضم كل مجموعة ستين عازفا، وتخصص احداها للأوبرا والثانية للسيمفونيات فهذا العمل فضلا عن أنه يتيح للدارسين الموسيقيين فرصة عزف مؤلفاتهم ، فانه أيضا يتيح للاوركسترا أن يطوف بمختلف المحافظات لنشر الثقافة الموسيقية في أنحاء البلاد .

ويمكن أيضا أن تستمر مواسم الاوبرات والسيمفونيات طوال السنة بدلا من اقامة موسم واحد قصير جدا في القاهرة فقط .. ومن الممكن اقامة حفلات للتوعية الفنية تقدم فيها المؤلفات الموسيقية وتقام أيضا ندوات فنية لمناقشة هذه المؤلفات .

كذلك من الممكن اختيار أحسن المؤلفات وطبعها على اسطوانات ليسهل نشرها في بلادنا وفي الخارج، وليسهل سماعها ودراستها في المعاهد الموسيقية .. وأيضا تمكن اقامة مسابقة بين المؤلفين الدارسين وتخصص لها جوائز مجزية ، فان هؤلاء المؤلفين لا يجدون جزاء مجهوداتهم ، بينما يتقاضى فنانو الاغاني التافهة جزاء ضخما .

هذه كلها اقتراحات ممكنة ، بل مطلوبة ، وكلها مطالب ليس من الصعب تنفيذها ، بل من الممكن تنفيذها فورا ، لو وضعت خطة فنية يبدأ العمل بها بعد انتهاء فترة عطلة الصيف مباشرة .

وفي المسرح أيضا مطلوب تدعيم الخطوات الجبارة التي قطعها النشاط المسرحي .. ان المسرح نهض نهضة ضخمة ، ولكنه من الناحية العلمية ، ومن الناحية الاكاديمية بصفة خاصة لا يزال في حاجة الى خطوات أخرى .

ان من المتناقضات الواضحة ـ مثلا ـ أن تحدث هذه النهضة المسرحية دون أن تحدث نهضة مماثلة في المسرح الجامعي ... مطلوب تدريس الفنون المسرحية في الجامعات والمعاهد والمدارس كمادة رئيسية ضمن المواد التي يمتحن فيها الطلبة ... ان المسرح الجامعي في أوروبا وأمريكا وروسيا هو مجال الدراسة الفنية الاكاديمية، وهو معمل تفريخ الفنانين الدارسين ، وهو حقل تجارب الاعمال المسرحية الجديدة ، بينما عندنا لا نجد للمسرح الجامعي أثرا في المحيط الاكاديمي أو المحيط الفني ... وليس معنى التدريس الاكاديمي أن تنحصر الدراسة في مدرجات المحاضرات ، بل ان الاكاديمية الحقيقية هي التي تنشر الروح العلمية في الجامعات وخارجها .. وهذه المهمة مطلوب من جامعاتنا أن تنهض بها في المجال المسرحي ، وخاصة أن المسرح هو أبو الفنون، ولا جدال في أن نشر الوعي المسرحي سيؤدى الى نشر الوعي الفني في مختلف المجالات الفنية .

ان كل هذه المطالب أصبحنا نشعر بحاجتنا اليها، لاننا في مجتمعنا الجديد نشعر بالمسئولية عن تصحيح كل الاوضاع ، فلماذا لا نبدأ التنفيذ فورا ؟!



حول الأدب في أسبوع

يقدمه عبده بدوى

٢ ـ مهيار الديلمى .. وأغانى مهيار الدمشقى

لقد وعدنا فى العدد الماضى أن نحدق فى وجه مهيار الدمشقى .

« **على أحمد سعيد : أدونيس** » بعد أن ملأنا عيوننا من وجه صاحبه القديم مهيار الديلمى .. ومن النظرة الأولى لأدونيس نحس أننا أمام شاعر له مذاق جديد فى الشعر المعاصر ، ذلك لأنه لا يصدر عن « تجربة سريعة خاطفة » وانما عن « نظام هندسى متكامل » عرف كيف يصل به الى حد « الرهافة » بحيث تكتم الكلمات أصواتها التقليدية وتعطى أصواتا جديدة هارمونية لانحسها تماما عند غير «أدونيس» .

ثم اننا نجد عنده هذا التوتر الذى يحس به الواقف عند «**خط النار**» والمدير ظهره للعالم ، ولقد اختار أدونيس هذا الموقف من الحياة ، وما زال عند هذا الموقف .

ومهما يكن من شىء فهو شاعر لا يمكن أن نجد فيه تأثير شاعر آخر ، ذلك لانه ملتصق كاشد ما يكون الالتصاق « **بذاته** » ، ولأنه يرفض كل شىء مسبق ، ولا يتعاطف الا مع «**الموقف الساخن**» الذى يغزله بيده يوما بعد يوم وقصيدة بعد قصيدة .

وهو من أجل تأكيد هذا « **الموقف الشعرى** » نراه يرفض الحياة بماضيها وحاضرها ، ونراه يرفض ما فيها من قيم مهما تكن هذه القيم ، ثم يعكف على رسم خريطة جديدة للعالم .. فهو فى كل هذا يأخذ موقف الانسان « المنفى » من العالم الانسان الذى يرفض القيم الجاهزة ، ويرفض أن يكون فى العصر «رقما» أو «وظيفة» ، كما يرفض أن يكون هناك شىء ثابت «كاعتقاد» ومن هنا نراه انسانا يقف فى «ذاته» ليدين الماضى والحاضر .. انسانا يلتقى فيه نيتشه وسارتر والبيوت .. انسانا يلخص وجهة نظره فى قوله :

« **مسافر تركت وجهى على**
زجاج قنديل
خريطتى ارض بلا خالق
والرفض انجيل »

واعتقد انه كان موفقا كل التوفيق حينما اختار «**مهيار**» ليكون لسانه العصرى الذى يتكلم به ، فهو هنا يستند الى شاعر عظيم سبقه بالاحتجاج ، وهو فى الوقت نفسه يثرى تجربته الشعرية ، ويجعل له قاعا يردد صوته ويكثف تجربته .. فاذا عرفنا أن الشاعرين يلتقيان ـ حسب اعتقادهما ـ فى الوطن المفقود ، والحضارة القديمة

الضائعة ، والرغبة في تخريب الحضارة الجديدة، وفي الشعور الحزين بالنفي غير المنظور ..أدركنا أنهما وجهان لعملة واحدة ، بل أدركنا أنهما وجه واحد على اختلاف في الزمان والمكان !

على أن ما يلفت النظر هنا أن النقاد جميعا قد أجمعوا على أنه يمثل فكرة الرفض الخالصة كشكل ميتافيزيقي ، وانه ضد «التقبل» ، وأنه يقول لكل شيء «لا» على المستويين الكوني والحياتي ، ومن هؤلاء الدارسين حليم بركات ، عادل ضاهر ، وزكي نجيب محمود ، د . أحمد كمال زكي ، أحمد عبد المعطي حجازي ، مجاهد عبد المنعم مجاهد ، كما ان « جاك برك » قد ذكر في مقدمة كتاب « مختارات من الادب العربي المعاصر » أنه في مقابل الكلاسيكية والرومانسية الثورية للجواهري ، وفي مقابل واقعية المصريين .. قامت في بيروت مدرسة تموز التي تعمل على التخلص من الفصاحة والظروف ، وتطارد ـ في الوقت نفسه أي نوع من العروبة تشتم منه رائحة التراث ، ثم يضع على رأس هذه المدرسة أدونيس *.

ولكن هل صحيح أن «أدونيس» يتحرك بهذه الشمولية ؟ وهل من الحق اعطاؤه هذا الاطار الفلسفي ؟ وهل وصل الى هذا الاطار فجأة ـ كما يحاول اثباته البعض ـ أم أنه وصل اليه عن طريق رفضه للحياة في وطنه سوريا ثم اطلالته الدائمة على هذا الوطن من بيروت ؟ أم أن أزمته لاتتعدى خلافه مع التيار العربي في المنطقة ؟ هذا ما سنحاول الاهتداء الى ملامحه .

ونحن لن نطارده بأنه ترك التيار العربي الكبير، الى تيار « القوميين السوريين » وانه ترك الاسلام الى المسيحية في احتفال مشهور في بيروت ، وأنه هاجر من سوريا حين تمت معها الوحدة ثم باع نفسه للشيطان .

ونحن لن نضعه في مواجهة آرائه المكتوبة التي تجعله يقبل التراث الجاهلي والمسيحي ويرفض التراث الاسلامي ، وتجعله يركز دائما على أن الحياة العربية ليس لها محور غير الانحطاط ، وأن العربي لا يخرج عن كونه طفلا أو هيكلا عظميا ، وأنه ليس الله في المنطقة العربية هو الميت ولكنه كذلك العالم والانسان ، وأن القرآن « خلاصة تركيبية لمختلف الثقافات التي نشأت قبله » وأن عودة العربي الى نقائه الأول لا يمكن أن تتحقق الا في ضوء عودة الشاعر يوسف الخال الى المسيح .

« نحن لن نهتم بهذا ، لأننا سنتعرف على « حقيقة الرفض » من خلال شعره ، وان كنا نسارع فنعزلها عن فكرة «الزنجية» التي قام بها المثقفون الكاريبيون والافريقيون في فرنسا بعد الحرب العالمية الأولى ، والتي اعتبرها « جان بول سارتر » رفضا للعالم الغربي الذي لا يهتم بهم ، ذلك لأنها لم تكن رفضا للثقافة الفرنسية ، وانما كانت توسيع عين ، وانفتاح قلب على كل ما هو محلي في حياة هؤلاء الشعراء .

ونحن لا نجد لها شبيها في تاريخنا العربي ، الا بما اصطلح على تسميته بتيار « الشعوبية » ، والذي تتحدد ملامحه في « تخريب » القوى العربية « من الداخل » تحت شعارات التقدم والتسامح ، وفي ظل ظروف التحولات التاريخية الكبرى !

وعلى كل فنحن قبل أن نتوغل في نفس الشاعر نجدنا محاصرين بعدد غزير من الرموز التي تدور حول : النار ، وفينيق ، والصلب ، والجلجلة ، والطوفان ، والمطر ، والجرح ، والوثنية ، وعذاب سيزيف ، والفراعنة ، والرمل ، والوثنية ، ثم نجده يبدأ رحلته بتقديم نفسه .

« ليس وجها ليس ايحاء نبي
ليس وجها خاشعا للقمر
هو ذا يأتي كرمح وثني
غازيا ارض الحروف
نازفا ـ يرفع للشمس نزيفه
هو ذا يلبس عري الحجر
ويصلي للكهوف ! »

ولكننا نكتشف أن هذا الصوت نابع من مهيار ، حيث يعيش في « حدائق النار » وحيث يقدم شكوى باسمه الى العالم المعاصر .

« مهيار وجه خانه عاشقوه
مهيار اجراس بلا رنين
مهيار مكتوب على الوجوه
اغنية تزورنا خلسة
في طرق بيضاء منفية
مهيار ناقوس من التائهين
في هذه الأرض الجليلية . »

ثم يبدأ رحلة الضياع والقلق والتمرد ، فقد تعبت عيناه من الأيام الى حد أنه يريد تقبها بحثا عن يوم آخر ، وهو فى أثناء هذا ينزع قشرة الحياة فيرى بلاده صارت بلاد الوحول ، وميتة ، وزوجة للاله والطغيان ، ومن هنا نراه ينضم الى التائهين الذين يتامون فى أيديهم مثله ، والذين ينادون باعلان « بعث الجذور » ورفع الرمال (والرمال يرمز بها دائما الى العرب كما أن الجذور عنده هى ما كانت عليه بلاده قبل التقدم الاسلامى) وهو يحس أنه وحده « البذرة الامينة » وأنه قد أصبحت له لغته الخاصة به ، ما دام قد تخطى تخوم « **الخليفة** » ورفض « **الامامة** » ومن هذا الموقف الجزئى الخاص به يدين العصر « عصر يتفتت كالرمل يتلاحم كالتوتياء ، عصر السحاب المسمى قطيعا والصفائح المسماة أدمغة ، عصر الخضوع والسراب ، عصر الدمية والفزاعة ، عصر اللحظة الحرجة ، عصر انحدار لا قرار له » .

ثم ينتقل نقلة كبيرة الى ما يمكن تسميته الرفض الكونى .

● **لا الله اختار ولا الشيطان**
كلاهما جدار
كلاهما يغلق لى عينى

● **اعبد فوق الله والشيطان**
دربى أنا أبعد من دروب
الاله والشيطان

● **خريطتى ارض بلا خالق**
والرفض انجيل

ولكنه ينتظر الها آخر ، وربما يعنى به حضارة بحرية قديمة .

« **انتظر الله الذى يجىء**
مكتسيا بالنار
مزينا باللؤلؤ المسروق
من رئة البحر من المحار
انتظر الله الذى يحار
يغضب يبكى . ينحنى . يفىء
وجهك يا مهيار
ينبىء بالله الذى يجىء »

وهو يؤكد أنه لم يعد هناك التقاء بينه وبين اخوته فى الوطن :

« **بينى وبين اخوتى قابيل**
بينى وبين الآخر الطوفان
حين ينام الليل والنهار
اغافل السفاح
أمشى ويمشى خلفى الغبار
لكننى أمشى بلا مصباح »

وهو حين يعرف أن الغابة شاقة ييأس ، ويبكى، ويتوعد فى وقت واحد فيقول : انه الذئب الالهى الجديد ، وانه الراية العالقة ولهجة البرق والصاعقة ، وريح السموم ، وأمير الفراغ ، وسيد الأشباح ، وأخرس كالمسمار ، وانه ليس أمامه غير طريق النار وجحيم الرفض :

● **اننى مهيار هذا الرجيم**

● **اننى خائن ابيع حياتى**
اننى سيد الخيانة !

ثم يرتفع يأسه وصراخه وهو يقول « تريدون أن أكون مثلكم ، تطبخوننى فى قدر صلواتكم ، تمزجوننى بحساء العساكر وفلفل الطاغية ، ثم تنصبوننى خيمة للوالى وترفعون جمجمتى بيرقا .. آه يا موتى »

وهو قد يسترجع ماقدمه فى وطنه فيذكر مواقفه هناك ، ورد الفعل لها :

● **دفنت فى أحشائك الذليلة**
فى الراس والعينين واليدين
مئذنة .. دفنت جثتين
الأرض والسماء

فهو حريص على أن يؤكد أنه دفن « المئذنة » ! مع أنه كان يكفى دفن جثتى الأرض والسماء، وهو حريص على أن يسوق فى حوار قصة حدثت له أو كان يمكن أن تحدث له مع السلطات :

● **جره يا شرطى**
ـ سيدى اعرف أن المقصلة
بانتظارى
غير انى شاعر أعبد نارى
وأحب الجلجلة
آه يا عصر الحذاء الذهبى

وهو ما يكاد يصل الى هذا « التذكر الشعرى » حتى ينهال على وطنه :

- **تزيني بالرمل والذئاب**
يا امراة الريح الدمشقية
- **كلنا في بلادي نصل كلنا نمسح الأحذية**
- **يا امراة الآلام والصوان**
يا اخت قاسيون
- **يا وطنا مصمغا مكسور**
يسير مشلول الخطى قربى
- **هربت مدينتنا**
والرفض لؤلؤة مكسرة
ترسو بقاياها على سفنى
والرفض حطاب يعيش على
وجهى - يلملمنى ويشعلنى
والرفض أبعاد تشتتنى
فارى دمى وارى وراء دمى
- **انهم اسلموا لحمهم للصخور**

ثم ينتقل انتقالة شعرية أخرى حين يعلن من خلال الرموزالمسيحية أنه «سينعكس وجه الحضور»، وأن ناره تتقدم نحو الوطن ، الذى يعتبر البطل الحقيقى فى الديوان ·

« اركض خلف الوطن المسجون
وأسرج الأفراس
نحوك يا بلادى »

وهو لكى يجعل صوته عميقا وذا صدى لايكتفى بمهيار الديلمى · وانما يستنجد ببعض الشعراء الشعوبيين الكارهين للعرب ، فنراه يرثى الشاعر **« أبانواس »** ويرى ان « الدمن » التى لفته فى الماضى تلفه الآن ، وأن أحباءه طغاة ومراءون كالسماء ، كما يرثى الشاعر « **بشارة** » الذى يراه ما يزال الى الآن يهدر فى الشوارع وفى أعماقنا ، ثم يأخذ فى رثاء الأيام الحاضرة التى يراها تغص بعربات النفى ، وبالتاريخ العربى المضمخ بمسك العوانس والأرامل والعائدات من الحج ، ثم يضغط على القلم أكثر وهو يرى سوريا صارت امرأة محمومة وجسرا للملذات يعبره « الفراعنة » فى الوقت الذى تصفق فيه لهم حشود الرمل (يقصد بهذا المتحمسين من العرب للوحدة) ثم يضغط أكثر وأكثر حين يقول « حيث يبدأ الفراعنة يأكل الناس بعضهم بعضا ، وتنتهى الكلمة ، وحيث يبدأ الفراعنة أحمل كتبى وأمضى·· أترك ورائى أصدقائى قضبان الحديد والسجون ، وأترك بلادى لاولئك الرواقيين المجانين، وداعا ياعصر الذهاب فى بلادى » ، وهو يرى أن هذا ليس اول عملية بيع لبلاده لأنها بيعت من قبل « لفيل أعمى » ثم تراه يكتب رسالة البيع للعروبة قديما فيقول :

« لفيل أعمى كتبنا رسالة البيع ·· رجل يتبرك بخف الوالى ، رجل يسقط شفتين مغطوعا بأشراف ، رجل يمشى بساقين خيطين ، رجل مهروس بالتذير ، رجل يتكلم ولا رأس له ، رجل لا اسم له ، رجل يرسم وجهه بحليب ناقته ، رجل يعرف امه فى ولائم الملك ، رجل يرقد مع زوجته تحت عباءة الأمير فى حرير التسرى والرعب ، رجل يحشى جلده بالقش ويعرض فى الشوارع ، رجل ميت يجلد ثمانين سوطا، امراة بنهد واحد تجر على الأرصفة ، طفل يلبس رداء المثخنة ·

أحمد أبوالفوارس · كافور أبوالمسك ، تيمورلنك هؤلاء أسياد أرضنا ، همامراؤنا وهم تيجاننا الفاتحة هؤلاء شعبنا · هؤلاء حياتنا على الأرض ·

والنجوم جيش يبصق علينا باسم سيد الأعالى؟؟

هو ذا شعب يفرش وجهه للسنابك ، هى ذى بلاد اجبن من ريشة وأذل من عتبة !!

(الرمل) يمحو مناراتنا ، والشمس تهترىء فى تجاعيد أيدينا

آه يا بلادى يا جلد الحرباء ·· هو ذا سيدك ياخادمة، هاتى له قهوة عدن ، هيئى سريره

··وأين أنت يا رعد يا رسول الطوفان

·· يارجل قل لنا اية تاتى »

تلك هى الوثيقة التى يظلم بها الحضارة العربية، والتى يرى أنه لم يعد أمامه الا ان تنطرح آلهة «الرمل» والا أن يعود الى بلاده «حيث المصباح كنيسة والنخلة راهبة »

***

من كل هذا نرى أن الشاعر يفهم على مستويين:فى المستوى الاول هو أن الشاعر يأخذ موقفا معارضا من الكون ، ومن كل ما يمكنه أن يلقى على الانسان ثقلا من الماضى ، وأن عليه أن يصنع وجوده ، وهو نتيجة لهذا ممزق ، ويائس ، وقلق ، وغاضب ، وقد كان هذا المستوى ثمرة ميتافيزيقية للمستوى «الخلفى»

الذى كان نتيجة احتجاج الشاعر على عهد الوحده في سوريا ،وعلى انضمامه لأعداء هذه الوحدة ،والذين يقولون – في سلسلة شعوبية طويلة – ان حضارة العرب هي حضارة الرمل ، ثم يوزعون الضربات – حسب الظروف المواتية – فمرة ضد الاسلام ومرة ضد العروبة وثالثة ضدهما معا ! والشاعر **علي احمد سعيد : ادونيس** كما ذكرنا لايشك انسان في مقدرته الشعرية ،وفي اصداره التركيبية الشعرية الاوركسترالية ، وفي استخدامه الرموز وتلاحم الصور ، الى حد أن القارىء يجده «مبشرنا» لمقدرته بين أكثر الشعراء المعاصرين .. الا انه يبقى سؤال هو .. هل نلوم الشاعر على خطأ في الموقف ؟ .. ان الكثيرين يقولون .. ويكفينا منه العمل الجيده ولكن اما كان من الممكن لكل هذه الطاقات الشعرية ، التى يمكن وضعها في اطار « الشعوبية » أن يكون ابداعها اعمق لو أنها أخذت الموقف الصحيح ؟ .. اننا هنا لا ندعو الى عمليات الحشد المساند الخطابي للأمة ، فقد تكون الأمة في أى مكان في فترة من فترات تاريخها على خطأ ، وقد يكون الشعراء الخارجون على صواب ،ولكننا نقطـدون مصادرة لتجربة الشعرية- نريد ان نتعرف على الدوافع التى يمكن ان يتجه اليها الشاعر المخالف في المواقف التى لايختلف عليها التاريخ والشعب والحقيقة ، ثم حين يجد الشاعر من «يزين» له الشقاق مع بلده وتاريخه ومستقبله ،ومن يربت عليه دائما بالدولار أو الفرنك .

لقد احتفظ « **مهيار الديلمي**» بنار المجوسية الفارسية في صدره وبكراهيته للعرب ، ورفع «**مهيار الدمشقي**» راية رفضه لكل ما هو عربي ، وكل ماهو حتمى وضرورى في حياتنا المعاصرة ، ومن خلال « النار المضرمة » التى أوقدت من أول عهد الخوارج والتى أكلت قلب مهيار القديم ومهيار الجديد .. تسير العروبة دون أن تقتص من كل منهما ، بل انها تبتسم في وجهيهما الحاقدين ، ولا تصادر حتى متعة «لعبهما بالنار المشبوعة » فالتاريخ الأدبي هو الكفيل بالحساب ، واظهار الدوافع ، واسقاط الأقنعة ، وأعتقد أن هذا أشد من حساب السياسة .



يقدمه تحسين عبد الحى

أضواء على الاتحاد الاشتراكى العربى
تاليف : عبد الواحد حافظ الوكيل

تجتاز جماهير شعبنا اليوم مرحلة من أهم مراحل نضالها فى سبيل حريتها واشتراكيتها ووحدتها المنشودة ـ وتتعدد صور هذا النضال اليومى فى كل جزء من أجزاء وطننا العربى .. ففى الجنوب العربى المحتل تواجه جماهير شعبنا حرب الابادة الطاحنة التى تشنها بريطانيا بصواريخها وأساطيلها ـ وفى الجزائر يواجه شعبنا أشكالا متعددة من الضغوط الخارجية والتآمر المباشر والمستتر على مقدراته ووجوده القومى ـ وفى اليمن يحارب شعبنا بشجاعة منقطعة النظير عوامل التخلف والتفكك ـ وكذلك بقايا التآمر الامامى الاستعمارى المتخاذل ... وفى عراقنا الحبيب تواجه جماهيرنا أوضاعا متخلفة من بقايا الحكم الرجعى ، لترسى بثوريتها المعهودة الأسس السليمة لقيام الوحدة العربية وتدعمها انتظارا لليوم الموعود ـ يوم ـ الوحدة العربية الشاملة ومن خلال عالم اليوم المضطرب فى كثير من اجزائه ومن خلال ايمان شعبنا بقضاياه العادلة ـ فى الحرية والاشتراكية والوحدة ـ ومن خلال ايمانه بالسلام القائم على العدل ـ من خلال الأمانى والآمال وتطلعاته الوحدوية المشروعة ـ تنبثق ارادته القوية فى اقامة تنظيماته وتشكيلاته القومية ـ التى تنظم صفوفه وتحدد له أساليب العمل والنضال من أجل الوصول الى أهدافه القومية .. فجبهة التحرير الوطنية الجزائرية ـ بتنظيماتها المنبثقة من واقع شعبنا فى الجزائر ـ تشكل الأساس الثورى المنظم ـ لوحدة العمل القومى على المستوى الاقليمى والقومى والعالمى .. وجبهة التحرير الوطنية الجزائرية بمحتوياتها ودعائمها ومنجزاتها .. انما تمثل جزءا من الحركة العربية الواحدة ـ واذا كانت معارك التحرير قد ساعدت على خلق تلك النوعيات الفذة من الرجال ـ الذين يمتازون بالوعى والمقدرة الفائقة على العمل المباشر السريع .. فان الجبهات الأخرى التى نبتت من نفس الظروف والمشتركة مع جبهة التحرير فى الأهداف والغايات ـ وأقصد بذلك التنظيمات الشعبية للاتحاد الاشتراكى العربى فى كل من العراق والجمهورية العربية المتحدة ـ انما تشكل النقاط الأساسية والمرتكزات النضالية لصنع المستقبل العربى الوحدوى المنتظر .

وكتاب اليوم يلقى الضوء على الاتحاد الاشتراكى العربى كتنظيم شعبى أصبح من المحتم عليه أن يتحمل تبعاته فى هذه المرحلة الهامة من مراحل تاريخ أمتنا الحديث .. والكتاب يعالج الاتحاد الاشتراكى العربى

ـ فكرة وتنظيما وأهدافا ، محددا الظروف التي حتمت تنظيمه وكذلك الواجبات والمسئوليات الملحة التى يجب أن يتحملها كل عضــو من أعضاء الاتحــاد الاشتراكى ..

« واذا كانت الثورة الاشتراكية تقوم على نضال الشعب العامل .. فانها من أجل هذا الشعب وبه ـ وهى لا تستطيع أن تعمل من أجله الا اذا آلت الأمور اليه ولن يكون ذلك الا اذا أمسك بالزمام ممثلوه الحقيقيون ـ والا اذا أتيحت للشعب الحرية لينطلق بأقصى طاقاته ـ ويعبر عن ارادته ـ ويحمى مكاسبه من أى عـدوان أو انحراف فالديمقراطية السـليمة بالمنطق الاشتراكى ـ تصبح وسيلة وغاية للنضال الوطنى فى وقت واحد » .

« والاتحاد الاشــتراكى العربى يجب أن ينبع ديمقراطيا من الجماهير المؤمنـة بالثـورة باعتبارها الطريق الذى لا طريق غيره الى اعادة تشكيل المجتمع . ويجب أن يعبر ديمقراطيا عن ارادة الجماهير ـ ويجب أن يوجــه ديمقراطيا جميع خطط العمـل الوطنى وأساليبه بما يحقق صالح هذه الجماهير .. وكما يقول الميثاق الوطنى :

« ان وعى كل مواطن بمســئوليته المحدودة فى الخطــة الشاملة ، كذلك ادراكه المحدود لحقوقه والتيقن من نجاحها انما هى فضلا عن كونها توزيعا للمسئولية على نطاق الأمة كلها بما يعزز احتمالات الوصول الى الأهداف .. هى فى الوقت ذاته عملية انتقال ثورية بمعنى العمل الوطنى ـ من العموميات الشائعة المبهمة والغامضة الى وضوح ذهنى وعملى يربط الانسان الفرد فى نضاله اليــومى بحركة المجتمع كلها ، ويشده ، فى اتجاه التاريخ ، كما انه يوجه به حركة التاريخ فى اللحظة نفسها » .

ان فلسفة العمل الوطنى يجب أن تصل الى جميع العاملين فى الوطن فى المجــالات كافة .. بل يجب أن تصل اليهم بالطريق الأكثر ملاءمة بالنســبة لكل منهم .

ان ذلك يكفل دائما أن يكون الفكر على اتصال بالتجربة ، وأن يكون الرأى النظرى على اتصــال بالتطبيق التجريبى .

والاتحاد الاشتراكى العربى : « هو الوعاء الذى تلتقى فيه مطالب الجماهير واحتياجاتها » .

ان هــذه المسئولية الكبرى للاتحاد الاشــتراكى العربى تفرض أن تقع الخطوات الهــامة على عاتق القيادات الشعبية التى تثبت مقدرتها ـ بـكفاية وأمانة ـ فى المشاركة على حمل هــذه المسئولية التاريخيـــة . ومن ثم .. فان عضوية الاتحــاد الاشتراكى العربى انما هى تكليف بالخدمة للقادرين على الوفاء بها ، والذين يستطيعون أن يعطوا الميثاق من ذات أنفســـهم ، ومن الطاقات المؤمنة الخلاقة ما ينقل فكرة العمل الثورى الى الواقع الفعلى .

وهكذا ـ فان الاتحاد الاشتراكى العربى كتنظيم سياسى لا يمكن أن يستقيم أمره أو أن يكون مثمرا أو مجديا الا اذا أحسن اختيار أعضائه .

ويجب أن تتوفر فى عضو الاتحاد الاشتراكى ـ بعض الكفاءات الخاصة التى تمكنه من النهـوض بالمسئولية الملقاة على عاتقه ـ لكى يكون نواة ثورية حية تلتقى مع غيرها على طريق النضال والتعــاون المثمر .. اذ يكون من واجبــه أن يعمل على التعرف على محيطه المحلى ، وأن يقـوم بالتوعيــة والتثقيف الاشتراكى العربى بين أفراد هذا المحيط بطريقـة عملية ناجحة .

« والقيام بالتوعية والتثقيف الاشتراكى العربى يتطلب مقـدرة خاصة تتوافر فى أناس بذواتهم . أناس موهوبين سبق لهم نشاط ثقافى واجتمــاعى واثبتوا وجودهم ، ونجحوا فى رسالتهم .. أناس يؤمنون بالاشتراكية ويفهمونها على وجهها الصحيح، وليست لديهم تطلعات طبقية أو محبة فى الظهور .. أناس عاملين لا متعالين ، متواضعين لا متضعين ، عاملين لا خاملين، أناس تنبع كلماتهم من القلب لتنفذ الى القلب ، أناس يثق فيهم الجمهور ، ويلبى نداءهم ، وينصت اليهم .. أناس يعرفون ماذا يقولون وكيف يقولون ، أناس يتسمون بالوضوح فى الفكرة ولهم قدرة على التبسيط والافهام » .

ويجب أن يمارس عضو الاتحاد الاشتراكى النقد الذاتى ، ويعمل على تصحيح أخطائه بروح طيبة . والنقد والاعتراف بالخطأ لهما أهميتهما فى الحياة الديمقراطيـــة ـ والتنظيم السياسى الذى يفقدهما يكون تنظيما شكليا ، بل انه لا يلبث أن ينهار من أساسه اذ بدونهما تسلب روحه وحيويته وفعاليته وتماسكه .

ان الاتحاد الاشتراكي العربي مطالب بالنضال المستمر في جبهات متعددة وبصور مختلفة ٠

انه مطالب بالنضال ضد تسلل الرجعية التي تم اسقاطها ٠٠

« فالرجعية التي جردت من اسلحتها ، واسقطت من عليائها ، وهزتها الاشتراكية هزا عنيفا ـ مازالت تحاول أن تسترد قوتها ، وأن تتجمع في الخفاء ليعود اليها سلطانها ٠ والرجعية هي الخطر الذي يهدد مكاسبنا الاشتراكية ، وقد حدث أن طعنت الوحدة بين مصر وسورية بعد أن تحالفت الرجعية مع الاستعمار ، فمن واجبنا أن نضيق الخناق على الرجعية ، وأن نعلن الحرب عليها ، وأن نسد عليها كل طريق للعودة مرة أخرى ، وذلك لا يتأتى الا اذا وقف الشعب على اخطارها أولا بأول ، ولاحقها في كل مكان تحاول أن تنفذ منه والا يمكن لها سواء في المؤسسات أو الشركات أو الوظائف الرئيسية أو القيادات الشعبية » ٠

« وكذلك لابد للاتحاد الاشتراكي العربي من المقاومة الحقيقية لتسلل الانتهازيين فقد كانت الانتهازية مرضا وبيلا ينفث سمومه في المجتمع الاقطاعي والرأسمالي المنهار ، والآن ـ بعد أن حدث التحول الاشتراكي ، وبعد أن أصبح مصير الشعب بيده ٠٠ مازالت الانتهازية تحاول أن «تلعب بذيلها» مهددة قيام المجتمع الاشتراكي وكيانه٠٠ فالانتهازي هو الأناني الذي لا يعرف الا ذاته ، والانتهازي هو الذي يحطم الأساليب الشريفة في سبيل تحقيق مآربه ، فهو عامل تخريب وتدمير ، ونحن أحوج مانكون في هذا الظرف الى أن نطهر صفوفنا من أمثال هؤلاء الذين لا يحفلون بمستقبل الوطن أو حاضره ، والا ندعهم يتسللون الى المناصب الرئيسية او القيادات حتى لايفسدوا العمل العظيم ، أو يعوقوا عجلة التقدم ٠٠ أو يخيبوا الآمال الكبار المعقودة على المبادىء الاشتراكية » ٠

ويهاجم المؤلف ـ السلبية والانحراف بكل صورهما ٠٠ فيقول : « ان السلبية عامل من عوامل الهدم والتجمد ، وفي هذه الفترة من تاريخنا ونحن نعمل للقضاء على التخلف ، ونعمل على التقدم بخطوات سريعة ، ونحن في حاجة الى كل جهد والى كل طاقة ، فاننا في حاجة ماسة الى مقاومة السلبية ومحاربتها ، حتى يبذل المواطنون كل جهودهم لتحقيق الأهداف التي رسمناها لأنفسنا ، وحتى يمكن أن تنفذ الخطة أو الخطط التي عقدنا العزم على انفاذها في الوقت المحدد لها ٠

ان السلبية لا تكتفي بأن تشل حركتنا ولكنها ايضا تعطي أعداءنا الفرصة ، وتسلبنا النشاط والمبادرة وتحرمنا القدرة الايجابية على الخلق والنضال ، وتجعلنا عاجزين عن ممارسة واجباتنا ٠٠ ان السلبية هي الجرثومة الخطيرة التي تقتل في صمت ، والتي تحيل الحياة الى موت ، وتجعل من الفكر العظيم شيئا لا قيمة له ٠٠ ومن هنا كان الواجب الحتمي ـ هو القضاء على السلبية وعلى كل مدلولاتها ٠

اما الانحراف ٠٠ فهو البلبلة وعدم اليقين والتفسير الخاطىء وسوء النية ٠٠ وكثيرا ما يؤدي الانحراف الى عكس العمل المطلوب ٠٠ انه غالبا مايتظاهر بتحري بلوغ الغاية ولكنه في الواقع لايهدف الا الى ضدها ٠٠ انه من الأساليب الانتهازية ومن ثم كانت مقاومته أمرا محتوما حتى لا يكون النضال الا من داخل نظريتنا التي أوضحت كل مقومات الاشتراكية العربية ٠

ان هذه الواجبات الملقاة على عاتق الأعضاء العاملين في المجتمع الاشتراكي واجبات خطيرة ، ولن ينهض بها الا الصفوة المختارة المؤمنة المخلصة الواعية المدركة لما حولها من أخطار ، الدارسة للمبادىء الاشتراكية دراسة مستوعبة ، الواقفة على مدى الأضرار التي لحقت بنا في الماضي المتطلعة الى آفاق المستقبل الرحيب حيث تصير الاشتراكية هي واقع شعبنا ٠

ولا يسعنا هنا الا أن نختتم هذا الموضوع **بقول الرئيس جمال عبد الناصر في خطابه امام اعضاء مجلس الأمة :**

« لقد قمنا برحلة طويلة ٠٠ لكنه كان من المهم ان نعود الى قياس الطريق الذي قطعناه ٠٠ لكي نتأهب لمسئولية الطريق الذي مازال يمتد امامنا ٠٠ لكي يكون لنا مما حققناه دافع الى ماينبغي أن نحققه ٠٠ لكي ندرك بتقدير للمسئولية لا يشوبه الغرور او الاستعلاء ٠٠ أن أكتافنا تستطيع ان تتحمل عبء عصرنا وامانته » ٠

قراءات في المجلات العربية

يقدمها : مصطفى فوده مصطفى



● ماذا قال عن نهرو ؟

كنا ننتظر من عالم مثل الدكتور «احمد زكى» عندما يتكلم عن شخصية عالمية كنهرو ، ان يوفيها حقها من جميع جوانبها : كفاحها من أجل قوميتها وكفاحها فى سبيل سلام العالم ، وشخصيتها الخ

غير اننا ماكدنا نصل الى نهاية حديث الدكتور « زكى » حتى وصلنا فى الوقت نفسه الى غير ماكنا نتوقع ، وتركناه غير مصدقين أن مثل الدكتور يكتب عن رجل كنهرو ، دون أن يعطينا حقنا ، ويعطى نهرو حقه ! فبعد أن تكلم عن احقية الموت على البشر واختلاف وقعه على الاحياء باختلاف اختيار المنية للفرد قرب رحم أو بعده ، والتصاقا بالناس أو ابتعادا عنهم ، وتأثيرا فى مستقبلهم ·

بعد أن يتكلم عن هذا ينتقل الى لمحة عن « نهرو » لا تغنى من تعريف · ويذكر مقابلة معه لا تعطى ابعادا لتلك الشخصية العظيمة حتى من الخارج ·· اللهم الا عن لهجته ولطف محضره ·· وليس يكفى هذا فى نهرو بالطبع ·

كنت اتوقع أن يعطينا حتى مثل تلك العجالة وهذا اضعف الايمان :

لقد ولد نهرو لأسرة ثرية فى مدينة ـ الله آباد ـ عام ١٨٨٩ فى الشهر الحادى عشر واليوم الرابع عشر ، وأنه تلقى تعليمه بدءا من سن الخامسة عشرة فى مدارس انجلترا وجامعاتها ، حتى اذا ماعاد الى الهند اشتغل بالمحاماة · ولكنه وجد أن باستطاعته أن يدافع لا فيما يجد بين الاشخاص ، ولكن فيما جد بين أمته ومستعمريها الانجليز الذين امتصوا ماء حياتها ، على حين أن جل أهلها فى فقر مدقع ، لايكادون يجدون قوت يومهم أو مايستر عورتهم او يؤويهم ·

ولم تكن تلك الحال بالطبع ترضى نهرو المحامى ، فقرر أن يترافع فى قضية واحدة هى قضية شعبه · فزامل غاندى أبو الهند بحق ودخل السجن مرات ، وفيه كتب كتابه « نظرات فى تاريخ العالم » الذى كان يرسله على هيئة رسائل لابنته « أنديرا » ·

ومع ايمانه بشعبه واصراره على الكفاح من أجله انتصر هذا الكفاح فى النهاية وحصلت الهند على استقلالها · فبدأ نهرو صفحة جديدة فى الكفاح من أجل مستقبل أفضل لشعبه ، كانت صفحة صعبة ومريرة فى نفس الوقت · غير انه وجد فى الاشتراكية حلا لهذه العقد فآمن بها وراح يطبقها لا كما تخيل ماركس ، وانما كما املته قيم شعب الهند الروحية وظروفه المعيشية وطباعه الحياتية وتطور فكرتها بتطور وسائل العلم والتقنية وتقدمها ، مما اعطاها مرونة أكثر مما وضع ماركس ·

كان « نهرو » يضع انسانية الانسان فى الاعتبار

الاول ، لذا لم يكن يفرض على شعبه وضعا معينا عن طريق السلطة والتسلط ، وانما كان يطرح للنقاش ما يؤمن به وعن طريق الاقناع والاعلام والتوجيه والتخطيط ثم الديموقراطية البرلمانية ، يختار الشعب طريقه ويسير نحو مستقبل افضل

ولم يكن ايمان نهرو بالانسان الهندى فقط ، وانما كان يؤمن بالانسان فى كل مكان على ظهر ارضنا هذه ، وايمانه هذا جعله يشجب التفرقة العنصرية ويندد بمطبقيها ويحاربهم فى كل مناسبة • وجعله يدعو الى التعايش السلمى بين الشعوب بعامة ، فلا قنابل الذرية تهدد بمحو البشرية بين عشية وضحاها ولا قواعد للعدوان او نهب لخيرات الشعوب • ولا أحلاف عدوانية همها السيطرة وحماية الاحتكارات • ولا حرب لحل الخلافات ، وانما انسانية واحدة مصيرها واحد •

ولايمانه هذا كان معنا أيام العدوان الثلاثى بكل وجدانه ، واننا لنذكر مابذله وزير خارجيته آنذاك « كرشنا منون » من أجلنا • رحم الله نهرو فقد كان من أولئك الرجال الذين أحبوا الانسانية فاحبتهم ابان حياتهم وبكتهم بدموع غزار بعد مماتهم •

● لاخطر من أدب الجنس مادام أدبا بحق :

يخيل الى انه لا جدوى مطلقا من مصادرة أفكار الفنان سواء وهى جنين يعتمل فى نفسه ، أو بعد انتفاضها كائنا حيا يؤثر فى الناس ويشدهم اليه أو ينفرهم منه • فالفنان لايستطيع أن يكبح جماح أفكاره مهما كانت شاردة أو شاذة خارجة على قوالب مجتمعه • وكثير من الشعوب تعرضت لفترات عسف وحجر على الافكار خيل للناس معها أن الفنانين يسيرون بانتاجهم فى صف أشبه بصف الجند لا يحيدون عنه قيد شعرة • ويصدرون عن بوق واحد وبنغمة واحدة رسمها الحاكم • غير أنه يتبين بعد الدراسة الجادة لتلك الاعمال أنها تحتوى على كثير من الرمز ، وعلى المعانى المطلة من بين السطور • وأدبنا لما قبل الثورة وبخاصة المقال السياسى منه خير مثال لهذا • وقد عاصرناه جميعا

وقد يشتد الحاكم فيكمم الأفواه أكثر ويخيل اليه أنه بهذا وأد الفكر فى بطن الغيب ، ومنعه من رؤية النور ، غير أنه يكون واهما كما أثبتت التجارب •

عرف تلك الحقيقة كثير من الحكام ، فتركوا الفنان يتحرك كما يشاء ويقول كل ما يريد ، حتى ولو كان على غير هواهم ، وكل ما عملوه أنهم جندوا من يناقش ما جاء منه على غير الهوى • وبهذا أمنوا غوائل الفكر وعواصف الكلم •

وقد حدث أن قدمت أخيرا الأديبة « ليلى بعلبكى » فى لبنان للمحاكمة بتهمة : افساد الاخلاق بكتابتها• ولست أعتقد أن الادب الصادق الذى وراءه أديب مؤمن ببلده وناسها بخاصة — والانسان فى كل مكان بعامة — يفسد الاخلاق مهما عرى الانسان وكشف من سوءته ، والا لأفسد الشعر العربى فى الجاهلية والاسلام أخلاق الأمة العربية • فكم فى الشعر الجاهلى من أشياء تقبلها العرب وتناقلتها ألسنتهم حتى فى المعلقات :

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب
ببهكنه تحت الطراف المعمد

والشعر فى عهد العباسيين فيه كثير وكثير وكلنا نعرف شعر أبى نواس وما فيه •

ومع مثل هذا الشعر لم يفسد الناس بقدر ما اطرد القياس •

على أننى أتساءل لماذا كل هذا الخوف من الحديث عن الجنس وهو فى حياتنا كلنا من قبل أن نولد الى أن نموت حتى ان « فرويد » يقول بأن تصرفاتنا جميعا يحكمها شىء واحد هو الغريزة الجنسية • فعلام اذن كل هذا الهلع اذا تعرض له كاتب • لعلى ارى أنه لا غبار على أى كاتب ولا حرج فى أن يقول لنا ما يريد ما دام هدفه بناء المجتمع ومعالجة مشكلاته • أما الهرب فسمة الضعفاء غير المقدرين •

ان ما علينا عند ما يتعرض فنان للجنس بأى وسيلة كانت ، أن نبحث عن الهدف من وراء هذا التعرض ، أهو معالجة وبناء ، أم هدم مغرض • فان كان الأول فمرحبا به ، وان كان الآخر ، فأحسن علاج له هو كشفه واظهار غرض صاحبه ،لا مصادرته لان كل ممنوع مرغوب كما يقولون • فالمصادرة تأتى بنتيجة عكسية ، كما أثبتت التجربة فى رواية « عشيق الليدى تشاترلى » التى طبعت مرات كثيرة سرا ابان فترة مصادرتها • فحب الاستطلاع

المركوز فى طبع الانسان يدفعه دائما الى الكشف عما هو مخبأ ومستور .

ثم لماذا شاع اطلاق « أدب الجنس » على مايتعرض لما بين الذكر والانثى ؟

فى اعتقادى أنها تسمية خاطئة ، وأن الأولى أن نبحث عن اسم آخر ، ان كان لابد من تسمية ، فمن المعروف أن الجنس أعم من النوع ، وكل ما ينتجه الانسان خاص بجنس الانسان، سواء ما عالج مابين الذكر والانثى ، وما عالج مابين الذكر والذكر ، وما عالج مابين الانثى والانثى ، وما عالج مابين الانسان وما يحيط به . كل هذا أدب الجنس البشرى . فلنبحث اذن عن تسمية غير هذه عندما نسمى هذا النوع من المعالجة لما بين الذكر والانثى .

● كتاب لم يأت بجديد :

بالرغم من اعتراف « د. محمود السمرة » بأن كتاب « انفتاح العرب على الغرب فى العصور الحديثة » لايضيف جديدا حيث يقول عنه : « ولكنه لايضيف جديدا للمطلع الراغب فى الاستزادة » نعم بالرغم من اعترافه هذا فانه يقدم الكتاب لنا فى « العربى » كتابا للشهر .

وموضوع الكتاب مستهلك درسناه حتى فى أول مراحل الدراسة . وعرفنا أثره وعاد الحديث فيه غير ذى فائدة. اذ انه «يبدأ بحملة نابليون وآثارها، ثم ينتقل الى بعثات محمد على الى فرنسا وما قام المترجمون من جهود فى نقل الكتب الغربية الى العربية وينتهى الحديث عن الرحالة العرب الى الغرب » .

والكتاب كما نرى يشتمل على ثلاثة أقسام اولها وثانيها قتلا بحثا . أما ثالثها فهو الذى ربما كان فيه جديد .

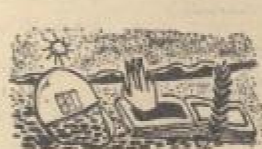
ولست أدرى سر تقديم مثل هذا الكتاب ما دام لم يضف جديدا باعتراف مقدمه . الأولى بكتاب الشهر أن يكون موضوعه جديرا ومثريا وطريفا . أو يكون ذا مناسبة قائمة على الاقل . اما أن يقدم كتاب لا جديد فيه فذلك مالا يقبل ولا يستساغ ، لاننا بهذا نفقد الهدف من التعريف بكتاب يفتح آفاقنا على جديد ويدفعنا الى التهام الأصل ذاته ، بعد ان نقف على اهميته من خلال النقد والعرض .

ولعل مما يقلل من أهمية الكتاب اعتماد المؤلف على مراجع مشكوك فى قيمتها العلمية كما أشار الناقد وضرب لذلك المثل . ولنعرض لما عرضه الناقد حتى يرى القارىء أننا لم نتجن على الناقد بقولنا كان الأولى أن يقدم لنا سواه :

« يتكلم عن نزول الفرنسيين مصر وما أحدثوه من تغيرات فى الادارة والتشريع . ثم تلك المطبعة العربية التى اصطحبوها معهم » .

ولعلى أشك فى قيمة تلك المطبعة ، اذ لا يعقل **أن يجعل محتل ـ قدم أساسا لامتصاص خيرات البلاد ـ نور العلم يضىء طريق تلك البلاد عن طريق مطبعة ، والا كانت الهند الآن فى نفس المستوى الحضارى الذى تعيشه انجلترا.. ان المستعمر لايهمه الا أن يخيم الظلام على النفوس والعقول للشعوب المستعمرة . حتى لاتستطيع له دفعا أو طردا. وفى يقينى أن مطبعة نابليون ما كانت الا لطبع منشوراته التى تخدمه .**

ثم يتكلم عن منشور فرنسى ويقول ان البلاد ـ مصر ـ « لأول مرة تسمع بكلمة الجمهورية » فى هذا المنشور وينتقل بعد هذا الى البعثات والرحلات التى ذهبت الى أوربا وما استرعى اهتمامها من نظم سياسية وتعليمية . وحكم للقانون والدستور لا للرجال وفصل بين السلطة الزمنية والسلطة الدينية .





فكرة : للمواطن التونسى جمال الدين سودانى

وقفت عند افتتاحية الرسالة التى بعنوان « الدين ومشكلات حياتنا » ، والذى كان يدور حول المناقشات التى دارت بين الدكتور محمد أحمد خلف الله وزميلين له . وانى أحبذ موقف الدكتور محمد احمد خلف الله الى حد ما ، غير انى أود أن أعرف لماذا لا يتصدى علماؤنا للمشكلات العصرية الحديثة التى تتعرض للاختراعات والابتكارات فمثلا: مارأى علماء المسلمين فى نظرية التطور بين الاجناس وما موقف العقيدة من وجود سكان للاجرام السماوية ، وهل من الممكن فهم مسالة القضاء والقدر على غير النمط المعروف لدى أسلافنا ، وهل يمكن للبشر تغيير مزاجهم بحيث يصيرون أصحاب خلق جديد .. هذه بعض الآراء التى نود الوقوف عليها

● الرسالة تشكر السيد /جمال الدين سودانى وتطرح هذه الافكار القيمة للكتابة فيها .

« الكتاب المختفى »
بقلم محمد الأنور محمد شفيق

لا أحسب كتابا يحدث فى نفس قارئه أثرا أعمق وأبقى مما يخلفه ذلك الكتاب الذى سماه الاستاذ العقاد ــ رحمه الله ــ بحق « الكتاب الجهنمى » ..

بدىء فى نشر بعضه فى مجلة الرسالة فى نهاية سنة ١٩٤٩ وأوائل سنة ١٩٥٠ ثم نشرته جريدة (منبر الشرق) فصولا متتابعة من ١٩٥٠/١١/٢٤ الى ١٩٥١/٨/١٠ ، ثم صدرت الطبعة الاولى فى سبتمبر سنة ١٩٥١ تحت عنوان «الخطر اليهودى ــ بروتوكولات حكماء صهيون » تقديم وترجمة الاستاذ (محمد خليفة التونسى) .. وما زال أثر الكتاب حيا فى نفسى يدفعنى الى التحدث عنه والتحريض على قراءته لكي نستطيع أن نفهم ونفسر ما يقع حولنا من أحداث لا تظهر الا على ضوء ما تواصى به حكماء صهيون وفضحهم نشره ..

وسرعان ما تحرك اليهود لدرء ما يتهددهم من خطر ظهور الكتاب بالعربية ولم تكد تنقضى على صدوره أيام حتى اختفى تماما من السوق وانقطعت الاشارة اليه فى الصحف وتحقق بذلك ما أشار اليه السيد المترجم فى مقدمته ..

وهبت الثورة فى مصر يوم ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢ فكانت مفاجأة للصهيونية لم تحسب لها حسابا . وبادرت حكومة الثورة بتطهير البلاد من الفساد وارساء دعائم الاصلاح للمجتمع الجديد . وحرصت الحكومة الرشيدة على بث الوعى القومي فقامت لجنة كتب سياسية باصدار كتابها الاول (أسرار الصهيونية) للاستاذ عبد المنعم شميس فى مستهل سنة ١٩٥٧ ، وتوالت كتبها أسبوعيا ، وكان الكتاب الخامس ترجمة أخرى «لبروتوكولات حكماء صهيون» وتتابعت كتب كثيرة حول نفس الموضوع اذكر منها من سلسلة كتب سياسية (اسرائيل والفكرة الصهيونية ، وشعب اسرائيل عندما يحكم، والذبائح الصهيونية ، والصهيونى العالمى ، وأزيلوا اسرائيل، والطابور الخامس لصهيون) ــ ومن سلسلة كتب قومية (فضائح اسرائيل ، ومن جرائم الصهيونية

بين القاهرة والقدس ، والاسرائيليون والمؤامرة الكبرى) ومن مجموعة ، اخترنا لك ، (تاريخ بنى اسرائيل من أسفارهم فى ثلاثة أجزاء ، واليهودية دين لا قومية) ... وهكذا يتضح أن المسئولين يدركون خطر ذلك الكتاب ، فصدرت تلك الكتب وكثير غيرها ما بين مؤلف ومترجم مبينة مدى تأثر الكتاب والمفكرين بذلك الكتاب .

ولا شك أن ذروةالتحذير من الجهل بذلكالكتاب تتضح من حديث منشور بين السيد/الرئيس جمال عبد الناصر والصحفى الهندى الكبير ديل كارانجيا وقد أهداه السيد الرئيس نسخة انجليزية من البروتوكولات .

ولكن هل كف اليهود عن محاربة نشر الكتاب والحد من تداوله بين القراء ؟ وتجيء الاجابة عن هذا السؤال على لسان الاستاذ أحمد سعيد من اذاعة صوت العرب - منذ سنوات - وهو يعتذر لمستمع كويتى أرسل اليه طالبا نسخة من الكتاب الجهنمي- ذلك بأن السيد مدير صوت العرب لا يملك نسخة من الكتاب .

وتصدر طبعة ثانية من الترجمة الاولى للكتابفى مارس سنة ١٩٦١ تحت نفس العنوان ، وقد زادت مقدمته عدة فقرات فضلا عن مقدمة الطبعة الثانية ومقال للاستاذ العقاد كان قد نشر تقديرا للكتاب عقب صدور الطبعة الاولى ..

ويلاحظ فى هذه الطبعة أن نص البروتوكولات يكاد يغيب بين المقدمات الطويلة والهوامش الكثيرة التى أثبتها السيد المترجم دون تعديل يطابق ما جد فى العالم من تغييرات خاصة فى الاتحاد السوفيتى تبرىء حكومته الجديدةـبعد موت «ستالين»والقضاء على « بريا » وعصابته - من الانضواء تحت لواء الصهيونية ، مما يجعل القارىء مشتت الذهن بين واقع يشهده ويعيش فيه وشروح وهوامش تناقض ما يحسه ويلمسه من وعى ويقظة لكثير من الشعوب والحكومات التى غيرت سياستهاالداخلية والخارجية لحرب أصحاب البروتوكولات وعملائهم .

وبعد ، فلا شك أن النصر يعدى ويعمل علىشحذ الهمم وتضافر العزائم لاحراز مزيد من الانتصارات لاستئصال شأفة تلك الطائفة الضالة المضلة التى تبغى الفساد فى الارض وتتوسل لذلك بأخبث ما تمخض عنه العقلالبشرى لتوجيه التربيةوالتعليم وتنظيم الاقتصاد واشاعة القيم الفاسدة فى الدين والاخلاق حتى يعم تحلل المجتمعات - غير اليهودية- فيسهل على بنى اسرائيل أن يتخذوهم عبيدا تنفيذا لما توارثوه من عقائد وأساطير جعلتهم يعتقدون أنهم شعب الله المختار ، وذلك لان الله فى زعمهم خلقهم من روحه بينما خلق غيرهم من أرواح شيطانية مثل أرواح الحيوانات .

ولئن كانت اولى بواكير النصر تتمثل فى قيام ثورتنا الكبرى يوم ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢ وادراك قائدنا وزعيمنا جمال عبدالناصر لحقيقة الخطرالذى يتهدد الانسانية عامة من عصابة بنى اسرائيل ، فان حدوث تلك التحولات الجذرية الخطيرة فى حكومات كثير من بلاد العالم وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى تبشر بانتشار الوعى لاحراز نصر حاسم على عدو الانسانية اللدود اسرائيل . وها هى ذى الاخبار تترى حاملة الينا أنباء قيام المظاهرات فى كثير من الدول ضد الصهيونية العالمية ...

من أجل ذلك ألا ترى معى أن نطالب المسئولين باصدار طبعاتمتتالية بمختلفاللغات للبروتوكولات وتعمل على نشرها على أوسع نطاق حتى يأخذ الناس حذرهم من عدوهم المشترك فيغيروا ما أصابهم من مسخ وتشويه بفعل ما تواصى به بنو اسرائيل طيلة أجيال عديدة لاشاعة الفوضىوالفساد وتوجيهوسائل الاعلام المختلفة لتحقيق أغراضهم الشائنة . وانى لعلى يقين أنه ما من عاقليطلع علىتلك البروتوكولات ألا ويبين له ما لحقه ولحق غيره من آثار مدمرة فى روحه وخلقه كنتيجة مباشرة لما تواصى به حكماء صهيون .

ولنذكر جميعا قوله تعالى : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » وكل تغيير يستدعى معرفة سابقة تكشفعما يراد تغييره .. ولن يتيسر لأحد منا معرفة ما أصابه من انحراف وضلال ما لم يطلع على ذلك الكتاب الجهنمى المختفى .

الخال .. والكنز ...
بقلم حلمي محمد القاعود

تابعنا باهتمام ما دار على صفحات « الرسالة » حول قضية الشعر الحر وما تبعها من استعمال شعراء لبنان الرموز المسيحية فى هذا الشعر -

ورفض كثير منهم لمسلمات العرب والعروبة ..

ومما لفت نظري ان الدكتور محمد النويهي ـ كان محور أغلب المناقشات .. فقد ناقش قضية الشعر الحر وناقشها معه كثيرون وفي هذه الايام.. وبالتحديد .. في العدد الاخير من مجلة الرسالة «٥٤» تناول في مقال له ما أوضحه الاستاذ الفاضل عبده بدوي في أعداد سابقة من الرسالة .. في اتخاذ شعراء لبنان وعلى رأسهم يوسف الخال .. الرموز والافكار المسيحية في شعرهم .. ثم رد الاستاذ بدوي في العدد نفسه على الدكتور النويهي .. وفي رأيي أن الاستاذ عبده بدوي أصاب الحقيقة كل الحقيقة في رده وفي كلامه السابق في الاعداد السابقة . غير ان الذى أدهشني كثيرا..أن الدكتور النويهي في مقاله الاخير يتطوع مخلصا : بالتحذير المخلص..للشاعر اللبناني يوسف الخال هو وزملاؤه من المسرفين في استغلال الرموز المسيحية .. والدكتور النويهي خائف على ضياع الكنز من يوسف الخال وهو كنز صادق غني عثر عليه يوسف الخال وبه صدق شعري يخشى عليه من التكرار والاجترار .. والدكتور النويهي لم يطعن حتى الآن فيصدق يوسف الخال واخلاصه..

واحب ان اقول للدكتور النويهي أن الاستاذ بدوي كتب عن يوسف الخال تحت عنوان « وشهد شاهد » وبين فيه ـ نقلا عن مجلةالحوادث اللبنانية ـ الوجه الحقيقي ليوسف الخال .. » وجاء فيها انه مهرج سفح كرامة فنه على أبواب السفارات الاجنبية .. وأنه أداة حزبية رخيصة في يد منظمة لعبت وما زالت تلعب في شرقنا العربي « دور المشاركة في تنفيذ مخططات استعمارية بعيدة المدى » .. ثم انه ذهب الى باريس ليقيم عشرات الاشهر على حساب السفارة الفرنسية في أعقاب حملة السويس ، ويسمسر لغيره من أفراد شلته لعمليات أخرى من الطراز نفسه ، وعلى حساب السفارة نفسها ثم أخيرا أن وراءه « منظمة حرية الثقافة » التي تمولها شركات الاحتكار الصهيونية في أمريكا .

ان هذهالحقائق تؤكد وجود أهدافمعادية للعرب وغزو حثيث لصميم آدابهم وتراثهم الانساني العظيم . .

والدكتور النويهي بعد ذلك البيان والتوضيح الذي قام به الاستاذ بدوي عن يوسف الخال .. يخشى ويخاف على كنزه الصادق الفني من التكرار والاجترار .. اليست السفارات الاجنبية ومنها سفارة فرنسا وشركات الاحتكار الصهيونية كلها تخدم قضية الغزو الصهيوني أو الاسرائيلي وتثبت اقدامه باموالها وجهودها في ارض العرب التي منها لبنان .؟؟!!!

ثم ان الجراح في فلسطين .. أو جراح العرب ما زالت تدمى وتنزف بغزارة .. ونحن هنا نصفق ونهلل ونقيم الافراح والزينات لن تستروا بستار الشعر ، بعد ما زلزلوا كيانه ـ لكي يباركونا .؟! وبعد ذلك لا خوف على الخال .. والكنز .. وواأسفاه !!..

مع الشعراء

وصلت للرسالة القصائد الآتية :

الى مجلة الرسالة .. للآنسة ن.ز بالبحرين

- عروس المعبد .. للشاعر صلاح مهدي من بغداد
- غاض بحر العلوم .. للشاعر تادرس يعقوب الفرشوطي من السودان
- اللوعة الحائرة .. للشاعر زهير غازي زاهد من العراق ، وقد جاء فيها :

ايه يا واهب الحياة حياة
ومروى رؤى الدهور الصوادى
يا سكون الكتاب يا واحة النو
ر وياروضة الصباح الهادى
يا رواء الربيع يا منية الفن
ويا حلم خاطر الرواد
يا نشيدا حلو التلاحين غضا
رددته حواضر وبوادي
قد وهبت الخلود عمرا سنيا
فبلغت المنى وحلو المراد

- قصيدة مهداة .. للشاعر « أبو اليزيد عرفة »
- مناى ترفقي .. للشاعر ابن زياد أحمد من الجزائر
- الى حبيب .. للشاعر عثمان أحمد محمد من السودان

والرسالة تشكر هؤلاء الشعراء ، وتؤكد لهم أنها ستفسح لهم في القريب ـ ما داموا يواصلون الانتاج ـ مجالا ، ذلك لأنها تؤمن بكل الازهار الجديدة

برق فى عينيه

بقلم فوزى شاهين

كانت ليلة شتاء قارسة لم يهنأ فيها **سعدون** بالنوم ، فرغم النار الموقدة طوال الليل ، وتكدس السردين ـ كما كانت الشلة تسمى نفسها ـ صفوفا متراصة ومتداخلة ، كانت الريح الصرصر الباردة تحرق عظامه ، وتنفذ الى يافوخه المتدثر بطرف جلباب عوضين ، فيحس برعدة لا يستطيع أن يعبر عنها برجفة من جسمه ، فقد كان عندما يرتجف ينال لكزة قدم أو رفسة ركبة أو قرصة من يد مغلولة .

لقد انتهى يوم طويل شاق ذرع فيه السردين أطراف القاهرة من أقصاها الى أقصاها ، وجربوا كل ألوان المواصلات فى العاصمة ، فمن التعلق برفرف السيارة الى عارضات العربات الكارو ! وضج منهم ركاب المترو وقطارات الضواحى والترام ، وراوغوا فيه السائقين والكمسارية ، وعادوا هم أنفسهم متعبين مكدودين ، فى جيوب قلة منهم قروش قليلة ، هى حصيلة ماباعوه طوال اليوم من دبابيس وابر وأمشاط ، وباغات للقمصان ، وأوراق اليانصيب ، أو الثمن الذى دفعه اليهم المعلم محروس فى مقابل أعقاب اللفافات التى جمعوها من كل ركن من أركان الدنيا التى يعرفونها .

كان **سعدون** أول من نهض من الفراش .. كومة القش بالقرب من النار التى أشعلوها من الحطب ومخلفات الجريد . وكذلك كان يفعل حتى فى الأيام التى يهنأ فيها بالنوم المتصل ، فقد كان سعدون حريصا على أن يبكر بالنهوض ، وسبق السردين الى استقبال اليوم الجديد بما يحمله من متاعب وأعباء جديدة ، ولف ودوران ، وسعى وراء الرزق الذى لايرجى اتساعه، فالسردين لايزال هشا طرى العود ، لايقوى على تحمل أعباء الرزق الكبير الذى يسعى اليه السمك ويحققه بعزم واقتدار ، فعليه أن يقنع بقدره المتواضع حتى تواتيه الفرصة ويثبت أنه جدير بما هو أخطر .

ان السردين لا يجرؤ على الاقتراب من أوكار السمك وان لم تكن بعيدة ، فهى تغفو على الجانب الآخر من النار الموقدة أسفل السلم الحجرى الطويل فى نفق المترو بمحطة كوبرى القبة ، والسمك من حقه أن يسهر كيف يشاء ، وأن يدخن اللفافات الرخيصة اذا قل الصيد ، أو الغالية التى يحصلون عليها بالخطف أو يمتعون بها أنفسهم عندما تكون الغنائم ذات بال ... كم تمنى سعدون لو اشتد عوده وصلب ، واستطاع أن يغامر كالسمك الكبير الذى يخطف رزقه وينتزعه من جيوب أصحابه فى غفلة منهم ، أو بالسطو الذى يحتاج الى جراة وقلوب صلبة كقلب محروس .

ربما يكون **سعدون** قد حدث نفسه بصوت مسموع ، فقد انتفض عوضين وزفر زفرة غاضبة وهو يقول :

ـ أتظن أنك ستفلت منى .. وراك وراك ولو ذهبت الى السبتية .

ولم يشأ **سعدون** أن يبدأ نهاره بالشجار مع عوضين ، فهو يخسر معه المعركة دائما ، ويفوز عوضين بجزء من بضاعته دون أن يدفع ثمنها ، ومع هذا فهى بضاعة خاسرة لا تساوى الجهد الذى يبذل فى سبيل الحصول عليها .

قفز **سعدون** الى أول قاطرة تتجه الى العاصمة فى

نفس اللحظة التي كانت الابواب تغلق فيها ، واحس بالنحس يلازمه ، فرغم أنه أفلت من يد عوضين ، الا أن الكمسارى كان كالمارد يسد أمامه السبيل ، وتململ الركاب وهو يدافعهم ليشق طريقه الى داخل العربة، وتجاهل نظرات الكمسارى الساخطة، واطلق صوته مناديا :

ـ تلات ورقات بقرش ·· الباغة بتاعة القمصان .

واخذ الصبى ينقل نظراته بين وجوه الركاب الذين تكدسوا داخل العربة كالسردين ·· وضحك سعدون بالرغم منه وهو يرى الركاب في وضع لا يختلف كثيرا عما اعتاد عليه مع أفراد الشلة ، ولكنه تجهم وهو يرى ثيابهم النظيفة ، وعبيق الدخان المتصاعد من لفافاتهم ، وسال لعابه وهو يرى تلميذا فى مثل سنه يقضم شطيرة فى نهم ، وكأنما تنبهت معدته فجأة فانطلقت تصوصو ، وتذكر انه لم يتناول لقمة فى العشاء ، ولكزه أحد الركاب الجالسين في جنبه وهو يحاول أن يقلب صفحة الجرنال الذى يطالعه ، وأطلق سعدون نداءه :

ـ الباغة بتاعت القميص ··

وكأنما لم يكف الراكب قارىء الصحيفة ماسببه لسعدون من الم ، فنظر اليه نظرة هائلة كادت تتهاوى لها ركبتا الصبى، وقال الراكب وهو يشيح بوجهه ملتمسا من جاره تأييد مايقول :

ـ اصبح المترو ألعن من الترام ·· لم يكف زحام الركاب حتى يضايقنا الباعة السريحة على الصبح ·

ولم يجد الراكب استجابة من جاره ، فاشاح عنه بوجهه ورمى الصبى بنظرة ازدراء وهو يتأفف من الهلاهيل التى يرتديها ، وانكمش قليلا ليفسح له طريقا يمر منه حتى لا يلمس بذلته الانيقة ، والتفت الصبي الى الوراء ليلقى نظرة أخيرة على التلميذ الذى ياكل ، ورآه يغيب آخر قطعة من الطعام فى فمه ، وخيل لسعدون أن صوتا يناديه فلم يصدق سمعه ، ومضى فى طريقه نحو الباب الآخر لينزل فى منشية الصدر ، ولكن الصيحات كانت واضحة هذه المرة :

ـ يا ولد ··· يا ولد ·

والتفت سعدون الى المنادى وهو يتساءل بدهشة:

ـ انا يابيه ؟

ـ امال خيالك ·· ماتقرب ولا عايزني اجيلك لحد عندك ؟

واسرع سعدون الى الرجل الذى تجاوز سن الشباب خوفا من أن يغير رأيه ، وكان الرجل يضع دبوسا لامعا فى ربطة عنقه ، ولا يدرى لماذا فكر فى المعلم محروس ، هو الذى يستطيع فى لمحة خاطفة أن « يعلق » الدبوس دون أن يحس به احد ، ولكنه استعاذ من الشيطان فى سره ، وتقدم من الرجل يعرض عليه بضاعته ، وساله الراكب :

ـ ما معاكش أحسن من دا ؟

واندفع سعدون يقول برجاء :

ـ دا أحسن صنف والله ما معايا غيره ·· التلاتة بقرش عشان افطر ·

والتقط الراكب ورقتين من يده وألقى القرش في العلبة الكرتون حتى لا يلمس يده الصبى ، وقال سعدون :

ـ خد لك كمان واحدة ··

واشاح الراكب بيده ولم يصدق سعدون ، وتمتم الصبى بصوت متلعثم :

ـ ربنا يخليك ويطول عمرك ·

وهمس لنفسه : الدنيا لسه بخير ·· ياما فيه ناس فى قلوبهم رحمة ·

وانقبض قلبه عندما بلغت افكاره هذا الحد ، ويله من المعلم محروس لو اطلق عليه زبانيته أو فكر فى أن يؤدبه بنفسه وهو قلمايفعل مع السردين لأن كثيرين يسارعون الى تنفيذ مشيئته مرضاة للمعلم محروس ·· وتذكر سعدون أن عوضين توعده ، وخشى أن يغادر المترو فى منشية الصدر حتى لا يلحق به خصمه لو أنه ركب القاطرة التالية، لو علم عوضين أنه كسب قرشا كاملا فى الصباح الباكر لما تركه ، ولن يتمكن سعدون من شراء الفطيرة التى نفذت رائحتها الى خياشيمه وهو يقبض بقوة على القرش حتى لا يفلت من يده ، ان اليوم ليس كسابقه من الأيام ، وهو لن يفرط فى القرش بحال ، لماذا خلقه الله ضعيفا هكذا ، كل واحد من السردين ينظر اليه باستخفاف ، وعوضين القصير النحيل ذو العظام الناتئة يسلبه فى أغلب الأيام ربحه، فاذا لم يجد معه قرشا جرده من بعض أوراق الباغ ليحتال على بيعها بنفسه ، وسال سعدون

نفسه : لماذا ينتصر على عوضين دائما ؟ ولماذا استسلم له فى كل مرة ؟

وفكر فى الفطيرة والسكر الذى يعلو وجهها فسال لعابه ، واقترب من الباب ليغادر القاطرة فى غمرة ، ولكن الباب لم يكد يفتح حتى أغلق قبل أن يتمكن من شق طريقه بين الجموع المتدافعة ، وحمد الله فقد ضمن الوصول الى ميدان المحطة قبل أن يلحق به عوضين، ربما ساعده الحظ وأفلت، سوف يقفز من القاطرة بمجرد أن يفتح الباب ويختفى بين زحام المارة فى الميدان الكبير ، وليس يهمه بعد ذلك أن يلحق به عوضين اذا تمكن من شراء الفطيرة والتهامها ·

القى **سعدون** نظرة من خلال فرجة من الباب المغلق الى قطار الضاحية الذى كان يسابق المترو ، وفى نفس اللحظة قفزت صورة المعلم محروس الى شاشة الذهن الصغير ، انه سمكة كبيرة كهذا القطار الذى يندفع كالغول المخيف يشق طريقه فى عزم واطمئنان ، وتمنى لو انه أصبح يتمتع بمثل مهابته عندما يكبر ، لماذا تخافه الأسماك الأخرى ؟ الأنه صلب العود مفتول العضلات ؟ لا يظن ذلك ، فبين الأسماك من هو أشد ضراوة وأصلب عودا ، ربما كانت جرأته التى لا تعرف الحدود ، واقدامه الذى لا يطامنه التردد ، وغضبه السريع الذى يحمر له وجهه وينعكس فى بريق عينيه الخاطفتين· ان المعلم محروس عندما يغضب ويحمر وجهه ويلتمع البريق الخاطف فى عينيه ، لا يتريث حتى يحسم الكلام موضوع الجدل ، فان يديه تعرفان كيف تسارعان الى اختطاف النصر قبل أن يفيق الخصم ، والويل كل الويل لمن يتصدى له فى معركة ، ان مدية المعلم محروس لم تشرع سوى مرة واحدة ، وكانت تلك المرة كافية لجدع أنف خصمه ، ودخل المعلم محروس السجن ليخرج منه بطلا تهابه جميع الأسماك ، وتعمل لمديته الف حساب وحساب ،وكذلك قفزت الى الذهن الصغير صورة الندبة التى فى العنق ميدالية الشرف التى يفاخر بها المعلم محروس ، انها اثر من معركة خاضها قبل أن يصبح السيد المهاب الذى لا يجرؤ على أن يتصدى له انسان ·

لم يبذل **سعدون** جهدا فى النزول ، فقد تكفل بذلك السيل البشرى المتدفق ليلحق المواعيد فى زحمة الحياة ، وتذكر القرش والفطيرة ، وسال لعابه من جديد ، فى الجانب الآخر من الميدان بائع الفطير، وعلى العشب الأخضر على حافة الحوض الكبير المملوء بالماء يستطيع أن يقضم الفطيرة وهو ينظر الى رمسيس العملاق فى زهو وخيلاء ، ولكن صوتا ساخرا جاء من الخلف يبدد أحلامه :

ــ قفشتك يا سعدون !

أحس **سعدون** بقلبه يغوص بين قدميه ، كان قد نسى عوضين ، ولم يعد يفكر فى غير الفطيرة والجوع الذى ينهش معدته ، ولم يكن يظن أن عوضين سوف يلحق به بمثل هذه السرعة ، وسخط فى تلك اللحظة على أمه التى تزوجت بعد موت أبيه مثلما لم يسخط عليها يوم طرده زوجها ، لو تركوه فى البيت وضربوه وقطعوا ظهره بالسياط لما بلغ شقاؤه معشار ما يقاسى منه الآن ، وأحس بيدى عوضين تأخذان بتلابيبه ، والقى القصير النحيل نظرة ماكرة على اليد التى تقبض على البضاعة وهو يقول :

ــ مرزوقه على غبار الريق ·· نهارنا نادى ! لايمنى عالفكة ·

وقال سعدون بصوت مرتجف وهو يحاول اقناعه:

ــ والله ــ لسه ما استفتحناش ·

واطلق عوضين ضحكة ماكرة تجاوبت لها ضحكات السردين الذى كان يقتفى أثره ليرى فصلا جديدا فى الرواية التى اعتادوا رؤيتها منذ زمن ، وقال عوضين وهو يشد قبضته :

ــ أنا عادد الورق ·· بعت كام ؟

ــ بقرش ·

قالها سعدون وهو ينكس رأسه فى استسلام، وانتشله صوت عوضين :

ــ ناولنى ·· بسرعه يا واد ·

ــ لا !

قالها سعدون باصرار هذه المرة والدم يصعد الى رأسه ، واخترقت أذنه ضحكات ساخرة ، وعاد يقول وهو يضرب الأرض بقدميه :

ــ بقولك لا !

وسمع واحدا من السردين يقول :

ــ شوف عينيه بتبرق ازاى ! ما تقولش المعلم محروس ؟!

تقافزت الى الذهن الصغير صور شتى ، أمه وأبوه الذى مات ليترك لهما البؤس والشقاء ، والمعلم

محروس وبقية الأسماك ذات الزعانف القوية والأشواك الحادة ، وزوج أمه ذو القسمات الجامدة والقلب الذى لايلين ، والتلميذ الذى يقضم الشطيرة فى كسل لذيذ وهو يجلس فى راحة تامة لا يحمل هما أو يفكر فى غد ، والراكب الذى يطالع الصحيفة فى تأفف ظاهر كأنما لايعجبه فى الدنيا شىء ، والرجل الذى نفحه قرشا كاملا دون مساومة ، ونفذت الى خياشيمه رائحة الفطير ، وأفاق على الألم الذى أحسه للصفعة التى نزلت على خده البارد ، ولأول مرة فى حياته جمع سخطه على الدنيا فى اللطمة التى رد بها على عوضين ، وطرقع القلم وأحدث دويا هائلا صفق له السردين ، وسمع واحدا يقول :

ـ وقعتك طين يا سعدون !

وبادل سعدون المتكلم نظرة بنظرة يتقد فيها الغضب ، وفى سرعة خاطفة تخلص من قبضة عوضين وهو يلوح فى وجهه مهددا ويقول متوعدا :

ـ لو مديت ايدك على النهاردة حاقطعها !

وشد عوضين قامته ومد رأسه مناطحا سعدون ، وقال وهو يتلفت حوله مستمدا العزم من أقرانه :

ـ يظهر ان آخرتك قربت .

ولوى عوضين رقبته حتى لامست رأسه المشدود ذقن سعدون ، ودفعه بكلتا يديه الى الوراء ليطرحه أرضا ، ولكن سعدون كان أسبق منه هذه المرة ، فقد تراجع خطوة لينقض عليه لاويا عنقه ، مقيدا كتفيه ، وفوجىء عوضين الذى لم يكن ينتظر كعادته أدنى مقاومة ، ولم يدخل فى روعه أن سعدون قادر على أن يرد الاعتداء بمثله ، لقد كان يكفى ان يناوش سعدون ويتوعده ليسلم دون مقاومة ، ووجد عوضين نفسه ملقى على العشب الأخضر وسعدون جاثم فوق صدره ، وهلل السردين وتعالى الهتاف ، وتخلى **سعدون** عن خصمه وهو ينفض التراب والحشائش الجافة التى علقت بجلبابه المهلهل ، ونهض عوضين وهو يقول بصوت خلا من رنة الثقة التى كان يتكلم بها من قبل :

ـ أنا اتزحلقت لكن المرة دى مش حاعتقك .

وابتسم سعدون ابتسامة الضعيف الذى واتته شجاعة المارد بعد أول نصر أحرزه فى حياته ، لم يعد يخاف خصمه الذى كان ينتصر عليه بلا معركة ،

ليس فى الحياة مكان لضعيف ، لقد كان هو السبب فيما أحرزه عوضين من انتصارات سابقة ، وهو لن يسمح له بالنيل منه بعد اليوم ، ولم يتردد سعدون هذه المرة ، فاندفع نحو خصمه ليجرب حظه من جديد ، ولم تطل المعركة ، فقد تهاوى عوضين وجثم سعدون فوق صدره مرة أخرى ، ونهض الصبيان وقد نكس عوضين رأسه فى مذلة ، وسعدون يشمخ بأنفه كأنما امتلك بيده النجوم ، وأراد السردين أن يتمتع بيوم حافل ، فقال له أحد الصبية متحديا :

ـ ايه رأيك بقى يا بطل تخش باط لحسونة ؟

حسونه ؟! قالها سعدون لنفسه وقد طارت حلاوة النصر من رأسه ، ومن هو حتى يتحدى حسونة أقرب السردين شبها بالأسماك ؟!

وشجعه هتاف السردين وتصفيقهم ، وألقى نظرة خابية على حسونة الذى وقف يرمقه باسما فى استخفاف، واضعا ذراعيه حول وسطه فى ازدهار، وسمع صبيا آخر يقول :

ـ هو يستجرى !

ونظر سعدون الى عوضين فلمح بريق التشفى فى عينيه ، وصعد الدم الى رأسه من جديد ، والتمع فى عينيه البريق الخاطف فلم يتردد فى اقتحام الخطوات التى تفصله عن حسونه ، ودارت المعركة والسردين يرقب النتيجة فى ثقة صرفته عن متابعتها فى جدية ، ولكن حسونة سرعان ما وقع على الارض وسعدون يشدد الضغط على عنقه ، وتحشرج صوت حسونه وهو يطلب العون من أنصاره ، فخلصوه من بين يدى سعدون الذى تقمصته الشياطين وزودته بقوة مجنونة ، ونهض سعدون فى هذه المرة أكثر ثقة فى نفسه ، وأحس بالسردين ينكمش وهو يفسح له الطريق ، وخيل اليه أن أنفه تكاد تبلغ تاج رمسيس ، ورأى فيما يرى الحالم أن وجه التمثال يتقمص شكل محروس ، وود لو ينطحه برأسه ويثبت له أنه لم يعد يخشى أحدا ، وأنه قادر على تحدى الزمان بكل قسوته ، ووضع يده فى جيبه ليبحث عن القرش الذى ضمن أن يبتاع به الفطيرة، ولكنه أخرج يده فارغة ، وبحث عن القرش ما وسعه البحث حتى أدرك الا أمل فى العثور عليه ، وأحس ببعض الضيق ، ولكنه سرعان ما نفض الضيق عن نفسه ، لقد أصبح قادرا على أن يكسب ما يشاء من القروش ، فما يضيره أن يضيع فى يومه قرش ؟!



العـــدد ٥٦

الثمن ٣

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الفهرس

رئيس التحرير

أحمد حسن الزيات

المراسلات جميعها تكون باسم
السيد مدير ادارة المجلات
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد . القاهرة

تصدرها

الثقافة والارشاد القومي



الاشتراكات ١٥٠ مـ سنويا
ويضاف أجر البريد
من خارج ج.ع.م

العدد ٥٧ الخميس ١٢ ربيع الآخر ١٣٨٤ هـ ــ ٢٠ أغسطس ١٩٦٤ م ــ السنة الثانية

التجديد الديني

للدكتور محمد أحمد خلف الله

- ٣ -

للتجديد الديني طرق مهدها الاقدمون وعبدوها.
مهدها **احمد بن حنبل**
وعبدها **ابن تيمية وابن قيم الجوزية** .
وسار في طريقها **ابن تومرت** بالمغرب ، **ومحمد ابن عبد الوهاب بالمشرق** .

وافاد منها في الصراع مع الرجعية الدينية التي لا تعرف الا التقليد مذهبا ودينا كل من **السيد جمال الدين الافغاني ، والاستاذ الامام الشيخ محمد عبده** .

وجميع من ذكرت من السلفيين - أي من الذين يتبعون سنة السلف الصالح وطريقتهم في التفكير الديني ، وفي السلوك الديني .
والسلف الصالح هم الصحابة ومن جاء بعدهم حتى العصر العباسي .

والسبب في وقوفهم عند هذه الحقبة الزمنية أنها تفصل بين عهدين يتميز كل منهما بميزات معينة من حيث الاصول الدينية التي يمكن الرجوع اليها عند فهم مسالة ، واصدار فتوى شرعية فيها .

وتاريخ التشريع الاسلامي هو الذي يكشف لنا عن هذه الخصائص وهذه المميزات .
انا نعلم جميعا أنه حتى نهاية العصر الاموى تقريبا ، لم يكن مدونا الا القرآن الكريم .
ونحن نعلم جميعا ان تدوين الحديث قد بدىء به في العصر الاموى ، ولكنه لم يتم ، ولم تصبح كتبه من المراجع التشريعية الهامة الا في العصر العباسي الاول تقريبا ، يوم أن تم جمع الكتب الصحاح من الاحاديث النبوية الشريفة .

وفي هذه الحقبة الزمنية كان المجتهدون يرجعون أولا وقبل كل شيء الى القرآن الكريم ، ثم كانوا يرجعون الى السنة العملية - وكانت هذه السنة تدور اكثر ما تدور حول العبادات . أما المعاملات فكانت عبارة الرسول عليه السلام : **انتم اعلم بامور دنياكم** تلك التي قالها في حادثة أبر النخل ، ماتزال ترن في الاذهان .

والسنة النظرية كانت تجمع وتدون ، وكان الرجوع اليها ، وبخاصة في باب المعاملات ، قليلا. وكان ائمة المذاهب جميعا يذكرون أنهم يعتمدون على الكتاب ، وعلى ماصح من الحديث . وكان بعضهم يذكر أنه لم يصح عنده من الحديث الا أربعون حديثا مثلا .

والظاهرة الكبرى التي نعرفها لهذه الفترة الزمنية هي أن العقل الاسلامي قد جابه من المشكلات الاجتماعية والثقافية ما جعله يرتفع الى مستوى هذه المشكلات ، ومرات كثيرة فوق مستوى هذه المشكلات .

أمثلة

لقد كانت هذه الفترة هي فترة الفتوحات العربية، فالتقى العرب فيها بحضارات، وتقاليد وعادات، تختلف اختلافا كثيرا عما كانوا يعرفونه في الجزيرة العربية

وكان عليهم أن يرجعوا الى المصادر الاولى للتشريع الاسلامي يلتمسون فيها حلولا لهذه المشكلات الجديدة وكان **القرآن الكريم** أولا هو مصدرهم ، وكان ماصح **من الحديث النبوى** أيضا مصدرهم ولكن المصدر الذى لفت اليهم انظار المتأخرين هو **الاجتهاد** .. الاجتهاد الذى أنتج هذا التراث الضخم من التشريع الاسلامى ذلك الذى تركز فيمـــــا بعد فى كتب أصـــحاب المذاهب .

ولقد كانت هذه الفترة هى فترة الحركة والنشاط بالنسبة للعقل الاسلامي، اذ اختلف المجتهدون فيما بينهم ، ونشأت عن هذا الاختـــلاف مدارس كثيرة ومذاهب عديدة ، وهذا التنوع فى المدارس والمذاهب أوجد ظاهرتين مختلفتين فى تاريخ الفكر الاسلامى :

الأولى : أن هذا الاختــــلاف كان يدفع هؤلاء المختلفين الى أن يجرح بعضهم بعضا ، والى أن يرمى بعضهم بعضا بالالحاد .

الثانية : أن من جاء بعد هؤلاء المختلفين كان يحاول ان يوفق بين آرائهم ، وينتهى منها الى رأى واحد او حكم شرعى واحد .

ولم يخف أن ذلك كله كان مبعث حـــركة فى التشريع ، وقوة فى التفكير ، ونشاط فى المجتمع .

***

ان الفترة التى جمدت التشريع الاســلامى ، ووقفت العقـــل العربى عن الحيوية والنشاط هى الفترة التى تلت .. هى الفترة التى قالوا فيهــــا بشروط معجزة للاجتهاد ثم وقفوا فيها الاجتهاد .

لقد كانت هذه الفترة فترة عجز فيهــــا العقل الاسلامي عن أن يواجه الحضـارات ، وعن أن يجد الحلول لكل ما يصادف فى حياته من مشـكلات . لقد اكتفى بحلول جاهزة تجيئه من كتب الاقدمين، او من الفقه الاوروبى . أما أن يفكر هو ، ويقدر هو فقد كان الامر الذى لايليق لان الاجتهاد قد اغلق بابه .

وفى هذه الفترة كثرت البدع المستحدثة ،وكثرت الخرافات ، وانتهى أمر الدين الى طائفة ليست من العلم فى شيء .

وهذا هو الذى حير بعض العقول ، وهذا هو الذى دعا الى الثورات التجديدية التى تمت على يد أصحاب العقول الحرة من أبناء الامة الاسلامية .

ونحن اليوم حين ندعو الى التجديد انمـا ندعو حتما الى سلوك مذهب السلفيين فى التجديد .

ان هذا المذهب هو الذى يفتح الباب واسعا امام العقل الاسلامى ، وهو الذى يدفع العقل الاسلامى الى التفكير فى مشكلات الحياة اليوم ، متخذا من كتاب الله الكريم مصدره الاول ، ومن الحديث النبــوى الصحيح الذى يثبت بالتواتر ، ويصـــبح دليلا من الادلة القطعية ــ مصدره الثـانى . اما ماعدا ذلك فاقوال المجتهدين له من الحق مثل مالهم .

ان اجتهادات المجتهدين السابقين ، وان اجمـاع السابقين **ليس حجة علينا وبخاصة فى باب المعاملات** انا انما نستأنس برأيهم فقط فما وافق مصلحتنــــا **قلنا به ، وما لم يوافق أعرضنا عنه .**

فالاساس فى ميدان المعاملات هو رعاية حاجات الناس ، والمصلحة العامة .

ولقد كان **جمال الدين ومحمد عبده** يعتقدان أن الاصلاح الدينى هو أساس كل اصلاح .

لقد كانا يذهبان الى أن اشتغال العقل الاسلامى بمشكلات الحياة واعراضه عن هذه الوصفات الجاهزة التى تجيئه من مشرق قديم أو من غرب حديث هو سر البلاء .

ان العقل اذا استيقظ وشغل نفسه بالمشكلات قوى واشتد وأصبح قادرا على مواجهة الواقع .

والعقل الذى يجهـد نفسه فى سر الحكمة فيما خلق الخالق من خلق ، وفيما أنزل الخالق من تشريع سيجهد نفسه حتمـا فى معرفة الاسرار التى تبعث الحاكم على سلوك أمر بعينه ، وسيجهد نفسه حتما فى ادراك الحكمة من هذا أو ذاك من التصرفات .

وهذه اليقظة العقلية الناتجة عن الادراك الجديد لمسائل الدين وقضاياه هى كل ما نصـبو اليه من أمر .

ان امامنا مشكلات كثيرة تحتاج الى تفكير جديد . امامنا مشكلات الحياة الناتجة عن التمسك بالعادات القديمة والتقاليد البالية فى مجتمع حديث .

وأمامنا مشكلات الحياة الحاضرة بما فيها من علم قفز قفزات سريعة فى سبيل التقدم ، وقفز معه العقل الاجتماعى الى حيث الحياة الجديدة المعقدة المتشابكة ·

***

ان مشكلتنا اليوم أنا نستورد الوصفات الجاهزة لنحل بها مشكلاتنا ، وننسى أن هذه الحلول ليست لها جذور من تراثنا ، بل هى من هذه الناحية تظل الهشيم الذى تذروه الرياح ·

علينا ان ننظر فى مشكلات حياتنا الحاضرة نظرة جديدة · نظرة توفق بين كتاب الله وبين ما وصل اليه العقل الحديث من ثقافات فنية ، واجتماعية ، وعلمية·

فالوصفات الجاهزة من الشرق القديم أو من الغرب الحديث لا تليق أبدا بأمة ناهضة ·

ان الوصفات الجاهزة هى أسلوب العجزة · أما الاحياء الذين يملكون عقلا واعيا فانهم يصنعون لانفسهم كل شىء ·

ولسنا من العجزة ،وانما نحن من الذين يفكرون· والى لقاء آخر فى هذه الموضوعات ·

كلمات

ان من تتناوبه سلسلة من نفس الافكار المتكررة، ونفس الشعور المتكرر ، لا تنتابه افكار ولا شعور مطلقا ·

ان معظم علماء المسلمين اليوم يكررون القول بالقيم التى قال بها السلف بطريقة آلية ، بينما يخطو العالم اليوم فى سبيله لاستحداث قيم جديدة ·

لقد مرت على العالم اليوم تجارب عظيمة كشفت له عما فى خبايا نفسه ، وأخذت الحياة عنده تتحرك، وتتغير ، وتنمو ، وتلد رغبات جديدة ، وتخلق مصاعب لا عهد له بها ، وتوحى له بتأملات جديدة ·

يقول الآمدى :

كان المسلمون عند وفاة النبى عليه السلام ، على عقيدة واحدة وطريقة واحدة ، الا من كان يبطن النفاق ويظهر الوفاق ، ثم نشا الخلاف فيما بينهم اولا فى امور اجتهادية لاتوجب ايمانا ولا كفرا · وكان غرضهم منها اقامة مراسم الدين وادامة مناهج الشرع القويم ، وذلك عند قول النبى فى مرض موته : ائتونى بقرطاس اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدى ، حتى قال عمر :

ان النبى قد غلبه الوجع ، حسبنا كتاب الله ·

لقد ظهر فى الاسلام مالا يقل عن مائة فرقة من الفرق الدينية ، وهو امر قاطع الدلالة على مرونة التفكير الاسلامى ·

كما يدل على مابذله مفكرونا الاوائل من نشاط موصول ·

***

ان التعمق فى درس كتب الفقه والتشريع الهائلة العدد لابد من أن يجعل الناقد بمنجاة من الرأى السطحى الذى يقول بان الشريعة الاسلامية غير قابلة للتطور ·

انه لمن سوء الحظ أن نرى جمهور المسلمين المتمسكين بالقديم فى بلدنا هذا لم يستكملوا الأهبة بعد لدرس الفقه الاسلامى دراسة نقدية ·

ومن المسلم به أن مثل هذه الدراسة تسوء معظم الناس وتثير خلافات ·

نظرات فى الشعر العراقى المعاصر

شاعرية حافظ جميل

للدكتور بدوى طبانه

— ٢ —

وعلى هذا فان حافظ جميل لم يكن الشاعر الذاتى او شاعر البرج العاجى كما حسب كثير من الذين راوا آيات الابداع فيما قرءوه من شعره التصويرى العذب الذى وصف فيه احاسيسه وصور فيه مشاعره .

وربما كان فى مقدمة اسباب هذا الزعم — فيما ارى — انهم وجدوا حافظا رجلا لا يغشى المحافل العامة ، ولا يخطب بشعره فى المجتمعات والاندية ليستجدى التصفيق ، ويلهب حماسة الجماهير . واذا كان هنك فرق بين فن الشعر وفن الخطابة ، وبين الشاعر والخطيب ، فان هذا الفرق يبدو واضحا فى شعر حافظ جميل الذى يختلف عن شعر غيره ، وفى سلوك حافظ جميل الذى تمحض لشاعريته وفنه بعيدا عن حياة الصخب والضجيج ، وعن عوامل الاثارة والتاثير . ولعل ذلك كان من اثر ما طبع عليه الرجل من الحياء الذى جعله يقتصد فى لقاء الجماهير ، ويعزف عن المشاركة فى الحياة السياسية المضطربة ، او فى النشاط الحزبى الذى لا يرضى عن وسائله وغاياته ، ولم يزعم حافظ لنفسه انه قطب من اقطاب السياسة او زعيم من زعماء الاصلاح كما اراد غيره من شعراء جيله او من بعضهم ان يكون :

تعلم ان قومك اهل غزو
وكلهم غداة السلب شوس

فما لك لا تغير اذا اغاروا
وتجبن حين يحتدم الوطيس
اخذت بشرعة الأخلاق نهجا
وفاتتك التجارب والدروس

ولكن هل معنى ذلك ان الشاعر يعيش فى عزلة عن الناس منطويا على نفسه ؟ لقد عرفت أن لحافظ نخبة من الأصدقاء والالاف اخوان الصفاء اطمأن اليهم ووثق بهم ، يقصدونه فى داره ، ويعمرون مجالسه ، ويتبادلون الزيارات ، ويقضون سمرهم فى جو شاعرى جميل ، يتراوون فيه الاشعار وينتقدونها ، ويعرض بعضهم على بعض ما استحدث من نتاجهم وروائعهم ، وفى طليعة اخوان الصفاء الشاعر العربى المعروف اكرم احمد ، والشاعر المترجم « الصراف » صاحب الدراسة المستفيضة فى خمريات عمر الخيام وفلسفته وصاحب المعرفة الواسعة بالآداب العربية والفارسية والكردية والشاعر الأديب «حارث الراوى» صاحب التباريح وغيرها .. وغير هؤلاء من أصدقاء حافظ والافه . والى جانب هذه النخبة من الاصدقاء ما لايحصى من المعجبين بادب حافظ والمكبرين لشاعريته ..

والحقيقة التى تؤكدها الدراسة العميقة لشعر حافظ جميل انه وان كان فى طليعة شعراء الوصف والتصوير الذين اجادوا وصف المشاعر وتأنقوا فى تصوير الاحاسيس وبرعوا فى التعبير عن عواطفهم وامانيهم ، لم يعش شعره بعيدا عن الاحداث ، ولا

تكاد تخلو قصيدة من قصائده الوجدانية من اللفتات والتاملات الوطنية ، ومن الثورة على كل مايفت فى عضد الأمة ، وكل ما يعوق عجلة تقدمها .

ذلك من ناحية المشاعر الوطنية التى انتثرت فى ثنايا شعره الوجدانى ، وفيما عدا ذلك نجد فى ديوانه الفخم الضخم كثيرا من القصائد الخالصة للوطنية والعروبة وآلامها وامانيها والنقمة على اعدائها ، وعلى بطش حكامها .. وفى مقدمة تلك القصائد قصيدته « الجميل الضائع » التى يقول فى اولها :

آويت افعى وازدهاك رجاء
ارايت كيف اثابت الرقطاء
آويت موتورا اسوت جراحه
زمنا فلم يكتب له استشفاء
آويت أرقم لا الجميل بطفىء
حرى سخيمة ولا الايواء
او كلما لانت بعطفك شرة
مرت عليها كفك السمحاء
نهض الذليل على يديك فما استوى
حتى اطار فؤاده الخيلاء
انحى يجازيك الجميل بمثله
فاذا به المسنونة السمراء

ان تلك الافعى الرقطاء الجريحة الشريدة التى استعصي شفاؤها واطفاء احقادها ، والتى لم تذكر معروف الذين آووها ، هم جماعة اليهود الصهاينة المشردون الذين عاشوا فى ديار العرب يختطفون ارزاق اصحابها وينهبون ثرواتهم وخيراتهم ، وكان العرب فى ايواء هذه الشرذمة من الأفاقين مدفوعين بسماحتهم ونجدتهم ، حتى انسوهم حياة الذلة والمسكنة والتشرد ، حتى اذا احسوا بالقوة انقلبوا يطعنون الامة التى آوتهم ، ويقطعون الأيدى التى احسنت اليهم .

والقصيدة كلها فى ذكر هذا البلاء الذى انتهى الى دولة صهيون تعيث فى بلاد العروبة وتعتدى على امنها ، ومع ذلك فان عنوانها لا يوحى بموضوعها ، بل ان القارىء الذى يطالع ثبت ديوان « **نبض الوجدان** » لا يجد فيه قصيدة تحمل اسم فلسطين ، ولم تكتب تحت العنوانات التى تخيرها الشاعر كلمات تشير الى موضوعاتها او ظروف تاليفها :

وربما كان ذلك سببا آخر لزعم بعض القراء ان حافظ جميل ليس شاعر السياسة ولا شاعر الوطنية ، ومن امثلة ذلك تلك القصيدة التى بلغت ابياتها خمسين بيتا ، وليس فى ظاهر عنوانها ما يدل على ماتضمنته من المعانى الجياد فى وصف النكبة ، بروح الشر والعدوان التى تتمثل فى دولة اليهود التى قامت على الخيانة والغدر ، وعلى اشلاء الشعب المنكوب ، ولا تجد حياة لها الا فى تعكير صفو الأمن والسلام ، فيخاطبها الشاعر بقوله :

امثار سخطك ان يطل على الورى
سلم ينير حياتهم ورخاء ؟
ام ان اهراق الدماء شريعة
افتى بها احبارك الفقهاء ؟
تابى حقودك ان تسود محبة
بين الشعوب وان يسود اخاء
وكان غلك لا يبل اواره
الا اذا عم الجميع شقاء

وليس ببعيد ان يعيد التاريخ نفسه حينما تستيقظ الهمم وتحيا العزائم ، فتعود الى فلسطين الشهيدة عروبتها واهلها ، ويساق المجرمون الى مثل ماعرف تاريخهم الأسود من السبى والاسر ، فلتحذر عصابات اليهود مغبة التمادى فى غرورها وفى عدوانها ، فان يوم الفتح قريب :

انى لاخشي ان يزورك فاتح
لا السبى يقنعه ولا الأسراء
ويح العواقب كم تكون وخيمة
ان فات طول حسابها استقراء
صبرا فلسطين العزيزة انها
غماء تزلف خلفها سراء
زعم الذين تقاسموك ذبيحة
ان ليس ينفع ميتا احياء

ويسير الشاعر على هذا النسق من العتب على العرب الذين آووا اليهود فى بلادهم ، وانخدعوا بمصانعهم وهم يعرفونهم افاعى تستكن لتنهش ، وتستكين لتصل الى غايتها ، ومن الحقد على آثام اليهود وجرائرهم فى فلسطين وغيرها وعلى الذين ظاهروهم من اعداء العروبة ومن المستعمرين فى القصيدة كلها . وتتكرر هذه المعانى فى قصيدة اخرى من قصائد « **نبض الوجدان** » سماها الشاعر

« صرخة الشريد » وتطل منها الثورة العارمة على ساحة العرب ومروءتهم التى تشبه الغفلة مع الأفعى التى لا يؤمن جانبها ، وفيها يقول :

كفى باللين فى معوج طبع
يظل يزيده اللين اعوجاجا
حدبت على اللئيم طويل دهر
فلم تصقل حواشيه السماجا
وهل يتألم الشرير طبعاً ؟
وهل تتبدل الأفعى مزاجا
يظل الصاب حيث غرست صابا
وكيف سقيت عذبا ام اجاجا

وقد كتب حافظ هذه القصيدة سنة ١٩٤٨ وهى السنة التى حدثت فيها نكبة فلسطين ، وكان اليهود يعيشون فى بلاد العروبة ، ويستظلون بلوائها ، ويظهرون الولاء لها جهرا ، وهم يهدمونها ليبنوا على اشلائها وطنا لهم ، حتى اذا واتتهم الفرصة وثبوا يصرحون بالشر ، ويسفكون الدماء العربية الطاهرة :

ابى الذمى بعد اليوم كبتا
لنزعته وقد دارى وداجى
مضي يبنى لعنصره كيانا
وكنت ظننته انصهر اندماجا
وكان كهامد الموتى سكونا
فماذا جد فاستشرى وهاجا ؟
اكب يريك اى لئيم غدر
تتيح له ضحاياك ابتهاجا
وامعن فى محارمك انتهاكا
وكان يطوف يستلم الولاجا

تلك بعض لمحات من شعر حافظ جميل فى فلسطين ونكبتها ، وكانت مأساتها كما قدمنا فى مقدمة ما شغل شعراء العرب ، واثار الانفعال بأحداثها شاعريتهم ، ولم يقتصر حافظ جميل فى هذا الجانب من جوانب الحس العربى ، بل منحه طاقة كبيرة من شاعريته الثرة المبدعة التى تدل على ايمان عميق بالعروبة وكرامتها

وربما كانت أحر قصائده الوطنية وازخرها فيضا بالثورة والنقمة على الاستعمار ممثلا فى انجلترا التى عاشت اركان كثيرة من بلاد العروبة ضحية ختلها وفريسة خداعها بمعسول الآمل ومكذوب الوعود ، قصيدته التى عنوانها **«جونبول»** والتى وجه اليه الخطاب فيها بقوله :

أمحيل تسوة وجهه دعة
نصل الخداع وعز ان يطلى
لن الوعود تظل تعسلها
من بعد ما أرمضتها عسلا
ولن تعيد قديم اغنية
سمع الزمان لطولها ملا
لم يبق غر بعد تخدعه
او غافل تصطاده ختلا
كم من أرقاء وعدتهم
بالعتق ثم قتلتهم مطلا

ثم يعدد مانزل بالبلاد التى اوقعها حظها المنكود فى شرك الاستعمار البريطانى من الوان البلاء ، ولا يزال يخدرها بالآمل ، ويسكرها بنشوةالوعود ، وهو يستنزف قواها ، ويحطم قدراتها ، ويدعها فريسة الجوع والمرض والجهل والشقاء . وهو فى هذه الابيات يحصي مآثم الاستعمار ، ويضرب الأمثال بما صنع بالأمم والشعوب التى وقعت تحت نيره ، وهو يدعى انه انقذها واحياها :

عدد لنا سعداء من نهلوا
من راحتيك فاطفئوا غلا
أهم العبيد السود ان شخصوا
لك بالعيون نقاتها سملا
اهم الحفاة اذا مشوا جعلوا
رمضاء لابتهم لهم نعلا
اهم العراة وشمسهم لهب
ريف الظلال بنارها يصلى
اهم الجياع وارضهم ذهب
يتقصدون ليشبعوا طفلا
امداعب الامال كم امل
حققت فيه لسائل سؤلا !

واذا كان الحديث عن انجلترا وعن سوء ما صنعت فلا بد ان يعرض الشاعر العربى الملهم لما نعلت فلسطين التى مزقت مأساتها مواطن العرب وادمت قلوبهم بعد تشريد اهلها وتسليمها غنيمة باردة لشذاذ الآفاق ، وجونبول مع ذلك يدعى ان العدالة تصاحب ظله وتمشي فى ركابه :

كم ود عدلك لو تشـــــيد به
نصـف الذين غمرتهـــم عدلا
اهم الذين غصبت موطنهــــم
وصدعت من ملمومهم شـملا ؟
اهم الذين نســفت موئلهــم
لتحيـــل منه لمجـــرم والا ؟
اهم الــذين منحت اصـــبرهم
جفنا يظـل الدهر مبتـــلا ؟
اتظن انك بعـــد ملتمـــس
للصفح عنـد قلوبهم ميــــلا ؟

واذا كان حافظ قد عرض لماساة فلســــطين ، واســتكانة اليهود ثم اســـتشـادهم وانتهاكهــم الحرمات وسفكهم الدماء فى سبيل اقامة دولتهم ، واذا كان حافظ قد الهب الاستعمار ممثلا فى انجلترا بسياط شعره الرصين ، فانه لم يســكت على ما اصاب بلده من جور الحكام وبطشهم بابناء البلاد ، وقد هاله ان اتخـــذوا من كراسي الحـــكم اداة لاشباع نهمهم فى التسلط والجبروت ، وفى اذلال الشعب واهدار كرامته ، وبث الرعب والفزع فى نفوس الرعايا تمكينا لهيبة السلطان .

ومن العسير ان ندع هذا المقام من غير ان نشير الى رائعة من روائعه فى هذا الغرض وهى قصيدته التى جعل « **الطاغية فى العيد** » عنوانا لها ، والتى استهلها بتوجيه الخطاب الى الطاغية :

يمنـــاك ما تركت عذرا لمعتـذر
فاضرع ليسراك ان تبقى على البشر
تعنو لامرتك الاعنــــاق خاشعة
كانك الاجل المسطور فى القـــدر
وان اقمت اقام الدهـــر محتشـــدا
وان مشيت مشي الطاغوت فى الاثر
فى غرب عينيـك نار الشر موقدة
اذا نظرت بعثت الروع بالنظــــر

وقد سرد حافظ فى تلك القصيدة مظاهر الزهو والغرور التى احاط بها الطاغية نفسه ، ووصف فيها مجده الذى بناه على اشلاء الضـــحايا من ابناء جنســه ، وقد جددت هذه الذكريات أيام عيد النحر والتضحية ، وخير اضاحى الطاغية بنو جلدته :

هذى ضـحايك اكبـــاد وافئدة
واين منها ضحايا الشـاء والبقر
جزرت قبل اوان النحر حافلهـــا
فكم تركت ليــوم النحر من جزر

وفيها يقول :

يا عابثا بحقوق الناس ينفقهـــا
حينا جزافا واحيـــانا على قدر
ان الحقـــوق امانات مقدســـة
ليست بضـــاعة دلال ومتجــر
ظننت سود الليـــالى عنك غافلة
فنمت عنها وظل الناس فى سهر

وهى من احر قصـــائده واكثرها لذعا وايلاما ، وازخرها بمعانى السخط والثورة ، ويبـــدو من سياقها ان حافظا كان يقصد بها طاغية بعينه فى مناسبة معروفة هى مناسبة حلول عيد الاضحى ، وقد سجل الشاعر فى ثبت الديوان انه نظمها سنة ١٩٤٥ ، ولكنه لم يصرح باسم ذلك الطاغية لا فى عنوانها ولا فى ابياتها ، وان كانت معانيها لا تعدم من تنطبق عليهم من جبابرة الحكم فى الســـنين الماضية ، وربما كان التصريح فى هذا المقام بذكر ذلك الجبار الطاغية خيرا للحقيقة وللتاريخ حتى تسجل امثال هذه القصيدة مثالبه ومخازيه وتضـــاف الى صفحة تاريخه السوداء ، وحتى يســـتطيع الناقد والمؤرخ ايضا ان يتخذ من سيرة هذا الطاغية ثم من اوصافه التى ذكرها الشاعر سبيلا لمعرفة الحقيقة او الحكم للشاعر بالصدق ، او عليه بارضاء شهوة الانتقام ومتابعة الهوى . ومن سياق القصيدة يبدو ايضا ان الشاعر تحدث وقت نظمهــا عن حاكم من الاحياء ، فى حين ان الشـاعر اهداها كما كتب تحت عنوانها « الى الذى تصلى فى قبره ارواح الشياطين تمجيدا لعهد البطش والطغيان » .

كيف نستمع الى الشعر وتذوق إيقاعه ونغمه ؟

الدكتور محمد النويهى

نريد ان ندرس الأبيات التسعة الأولى من مرثية ابى ذؤيب الهذلى بيتا بيتا . فنحقق فى كل بيت مضمونه ، ولفظه ، والارتباط العضوى بين مضمونه ولفظه ، ثم أثر كل بيت فى بناء الوحدة الشاملة للقطعة الشعرية .

فى البيت الأول :

امن المنون وريبها تتوجع ؟
والدهر ليس بمعتب من يجزع

نجد هذا الشيخ المسن ، هذا الأب الذى رزىء ذلك الرزء الجلل بموت أبنائه الخمسة فى عام واحد ، يصر برغم ذلك على المقاومة ، ويحاول الظهور بمظهر التماسك . لا يبدأ قصيدته بالثورة ، ولا بالتفجع ، بل يبدؤها بجهد قوى فى التصبر والتعزى . ذلك انه يعتقد ان وقار سنه لا يناسبه اظهار الوله والتصريح بالحزن . وهو يتلمس الى ذلك التجلد مختلف الوسائل . فى شطره الأول يخاطب نفسه بحجة دينية ، وفى شطره الثانى يخاطبها بحجة عملية .

فالشطر الأول يقوم على نبرة متعجبة مستخزية مما تهم به نفسه من ابداء الوجع . فى صيغة الاستفهام الانكارى يقول لنفسه ان ابداء الوجع من ريب المنون أمر لا يليق به . وهذه حجة استمدها من الدين الجديد الذى آمن به فصدق الايمان . فلا شك ان الفكرة التى يسوقها الى نفسه فى هذا الشطر هى الفكرة التى تعلمها العرب من هذا الدين . فبعد ان كان شعراؤهم فى أغلب الأوقات لا يذكرون حتمية الموت الا ثائرين عليها ، برمين بها ، معلنين سخطهم البشرى على هذا القدر الغاصب ، تعلموا من عقيدتهم الجديدة ان الموت من تقدير الله وأمره ، وأنه خليق بهم اذن ان يقبلوه ويرضوا به .

ولكن هذه الحجة الدينية لاتكفى فى جلب العزاء اليه ، وأنى للعقيدة الجديدة ، التى تطالب الانسان بسلوك مثالى ، ان تتغلب بهذه السرعة — فى أقل من جيل كامل — على عقلية صاغتها القرون ، ووطدتها المؤثرات الثقافية الجاهلية . واذ تخفق هذه الفكرة فى جلب العزاء المنشود فى الشطر الأول ، يحاول الشاعر فى شطره الثانى ان يتلمس عزاء آخر ، ليس عزاء دينيا ، بل هو مأخوذ من الحكمة العملية التى عرفها الجاهليون من قبل الاسلام ، والتى تعرفها الانسانية فى حياتها اليومية العادية . وهى ان ابداء الجزع من صرف الدهر لن يفيد شيئا على أى حال ، فالدهر اذا رأى جزعنا لن يرق قلبه فيندم على ما فعل فيعيد الينا ما أخذ منا . فما فائدة الجزع اذن ؟ أو ليس الأخلق بالانسان ، والأليق بكرامته وجلاله ، أن يكتم حزنه فلا يسمح له بالظهور ؟ بلى ، وهذا هو رده الوحيد على تلاعب القدر به ونكايته فيه . وبهذا وحده يستطيع الانسان أن يثبت تعاليه على كل ما يرميه الدهر به ، فيحتفظ لنفسه على أقل تقدير بوقارها وكبريائها .

هذه هى الأفكار التى تراود الشاعر فى

شطريه ، وهذه محاولته القوية المكررة فى التماسك وعدم الاستسلام للانهيار ، وهى محاولة لها مدلولها العكسى ، فما كان يحتاج اليها لولا شدة تزعزعه من أثر الكارثة عليه ، وادراكه انه مقبل على ثورة عاتية لن يستطيع لها كبحا ٠ ولكن انظر الآن كيف يصوغ هذه الخواطر بعبارات عظيمة البساطة **اولا** ، شديدة الايجاز **ثانيا** ٠

فلو حاولت أن تحل نظم البيت وتعيده نثرا لما استطعت أن تعيد ترتيب الفاظه بترتيب اسهل ولا اكبر طبيعية من ترتيبه لها ٠ وانظر تحول الأسلوب من صيغة الاستفهام الانكارى فى الشطر الأول ، الى صيغة الجزم اليائس فى الشطر الثانى ، لما تبين له عدم جدوى الطريقة الانكارية ٠ والى ابتداء الشطر الثانى بواو الاستئناف دلالة على أن الشطر الأول لم ينفعه فى محاولة التجلد ٠٠

وتامل كيف أن البيت ظاهره الهدوء وتكلف الوقار ، ولكن باطنه يغلى بالانفعالات العارمة المكبوحة كبحا قويا ، لكنها تحاول الانبثاق فى تقطيعات هذا الوزن لبحر الكامل ، وفى العينين المتاعتين اللتين تختمان الشطرين ٠

وبحر الكامل كثير الحركات السريعة المتتالية ، بل هو أكثر البحور العربية الستة عشر عدد حركات ، ومن هنا تسميته بالكامل ٠ فالبحر نفسه لا يلائم محاولة التجلد التى يحاوله الشاعر، ولو نجح فيها لاختار بحرا أكثر هدوءا واقل حركة واكبر سكونا ، كبحر الطويل أو بحر الخفيف ٠

ثم انظر أخيرا كيف لايزيد الشاعر فى سوق هذه الخواطر على هذا البيت الواحد ، لا يطنب ولا يكرر، ولا ينساق فى ثرثرة هاذرة الى تصيد الحكم وضرب الامثال فى عبث الاحتجاج على صرف الزمان ، كما يفعل شعراؤنا المقلدون حين يستحلون ضرب الحكم والامثال فيسفون ويهذرون ، ولا يتركون المعنى الواحد البسيط حتى يمطوه مطا ويقتلوه قتلا فى أبيات عديدات دون أن يضيفوا الى مضمونهم شيئا قيما ، أو ياتوا بجديد فى الفكرة أو فى الصياغة ٠ لكن ذلك الشاعر القديم الصادق الشاعرية ، الذى كان ينظم فى عصور اصالة الشعر العربى ، كان رائعا فى ايجازه ، اكتفى بذلك البيت الواحد ، وانتقل بعده الى شىء آخر مختلف جديد ٠ فانظر الآن الام ينتقل فى بيتيه القادمين :

قالت أميمة : ما لجسمك شاحبا
منذ ابتذلت ! ومثل مالك ينفع !

أم ما لجنبك لا يلائم مضجعا
الا أقض عليك ذاك المضجع !

ترك الشاعر محاولته العزاء وضرب الحكمة تركا سريعا ، لكنه لم يتركهما الى اعلان الثورة والانفجار مباشرة ، بل مهد فى هذين البيتين لما سيتلو فى الأبيات القادمة من اعلان الثورة ٠ واختار لتمهيده وسيلة قصصية بارعة ٠ فهو الآن يحكى لنا قصة ، فيستحوز على اهتمامنا وتشوقنا الى معرفة ما حدث وهى الغريزة الاستطلاعية التى ينبع منها شغفنا بالقصص ٠ فماذا كانت قصته ؟ كانت قصة منزلية بسيطة ، قصة « عائلية » متواضعة ، لكنها رائعة الصدق فى قربها من تجارب الحياة اليومية الواقعة فهو يروى لنا كيف جاءت أميمة هذه اليه ، تتصنع معاتبته على ما حل به من شحوب وعدم استقرار ٠

ونحن لا نعرف بالتاكيد من تكون اميمة هذه ٠ اهى امة خادمة له ، أم هى زوجة ، أم تراها ليست زوجة فحسب بل هى أم اولاده الذين ماتوا او ام بعضهم ٠ هى على أى حال امرأة شديدة القرب اليه قوية الحدب عليه ، عظيمة الحزن على ما اصابه ،تبذل جهدها فى التسرية عنه ، بطريقتها الأنثوية الخاصة الماهرة ٠ فان كانت اما لأولاده او لبعضهم ، فهذا يزيد من روعة ما فعلت ، اذ يكون مغزاه انها فى شدة حرصها ورأفتها به تناست حزنها العظيم بثكلها ٠ تناست هذا الحزن فى محاولتها ان تسرى عن زوجها وأبى ولدها ٠ وليس فى هذا من غرابة، فهى حقيقة نشهدها فى كثير من الزوجات الوفيات الى يومنا هذا ، لم تخل الانسانية منهن لحسن حظنا وهى حقيقة تزيدنا تقديرا بل تقديسا لمنزلتهن فى العمران الانسانى ، وتزيدنا شكرا لخالقنا أن انعم علينا معاشر الرجال بهذه النعمة العظمى ، نعمة الزوجات الرفيقات الوفيات المضحيات ، مهما يصدر منا احيانا معاشر الرجال من دلائل الجحود والعقوق واعمال البطر والغرور ٠

فاستمع الآن الى ما تقوله أميمة هذه كائنة من كانت ، ولاحظ ان الشاعر يصوغ حديثها صياغة درامية صادقة ، لاتقل اجادة وتركيزا وتشبعا بالمعاني والعواطف المتضاربة عن حديث مماثل الطول

لشخصية درامية في مسرحية عالية • فانك اذا اجدت الانصات الى لهجتها وجدتها مزدوجة النبرة : بين جزع لما اصاب جسمه من شحوب وجنبيه من قلق ونبو عن المضاجع ، وبين محاولتها ان تخفي جزعها هذا تحت اسلوب تتصنع فيه الحدة عليه والغضب من سلوكه • فصوتها يمزقه هذان الانفعالان المتعارضان ، انفعال الجزع من أجله وانفعال الخشونة المتصنعة عليه •

عليك اذن أن تقرأ البيتين بهذه اللهجة المعقدة المزدوجة المتنازعة بين اشتداد تحاوله ورقة تخونك وتكسر صوتك • ولكى تحسن أداء هذه اللهجة تذكر اسلوب حديثك الى ابن او اخ صغير لك جرح يده مثلا ، فأنت تضمد له جرحه وتعنفه على بكائه وتتصنع الخشونة والشدة فى خطابه • لكن صوتك بالطبع يتهدج حنانا ويتكسر عطفا على ما اصابه من الم • فاذا انت احسنت قراءة البيتين فستجد انهما برغم وجود اللهجة المزدوجة فى كليهما ، تغلب على اولهما نبرة الخشونة ، بينما تغلب على الثانى نبرة الرقة •

ففى اولهما تنجح اميمة فى الاحتفاظ بنبرة الشدة التى تتكلفها ، اذ تصيح به : ما هذا يا رجل؟ لماذا شحب جسمك هذا الشحوب ؟ أهذا شيء يليق بك ؟ فاذا انعمت النظر فى حديثها فى هذا البيت وجدته يقوم على ادعاء الجهل بسبب شحوبه • هى اذن تدعى انها لاتعرف ان سبب شحوبه هو موت اولاده ، لكنها لا تقتصر على هذا الادعاء ، بل تمضى خطوة اخرى ، فتنسب شحوبه هذا الى سبب غير حقيقى ، وهى تعرف انه غيرالسبب الحقيقى ،فتدعى انه لم يسبب له هذا الشحوب الا ابتذاله لنفسه ، اى ارهاقه نفسه فى العمل ، وهذا قولها « منذ ابتذلت » ببناء الفعل للمجهول •

وما ان تعرض لها هذه الحيلة الجديدة فىالتجاهل حتى تمضى فى تأكيد سببها المدعى ، فتزعم عليه انه لم يسقه الى هذا الانهاك فى العمل الا بخله وتقتيره على نفسه ، فهو لبخله هذا لايريد ان يستأجر أكراء يقومون على خدمة ضيعته وتعهدها ، بل يصر على ان يعمل كل الاعمال فى ضيعته بيديه هو ، مع ان عنده من المال ما يكفى لاستخدام العمال الذين يريحونه من كل هذا العناء ، فينجو من هذا الشحوب ! •

وهذا هو المعنى الكامل لقولها ، « ومثل مالك ينفع » ، كما ينبهنا الشراح القدامى • فكأنها تقول له : ايها البخيل المقتر على نفسك ، اما ترحم ضعفك وشيخوختك ؟ حتى متى تظل بخيلا على نفسك هكذا تجمع المال تجميعا وتكنزه كنزا ؟ انظر كيف تسبب ارهاقك لنفسك فى شحوب جسمك ! الم يأن الأوان لتدرك انك الآن شيخ ضعيف فتخفف على نفسك وتستقدم ببعض هذا المال الذى كدسته فى استئجار من يقوم عنك بالعمل ؟ ما اشد بخل هذا الشيخ المسن «العجوز الجلده الميت ع الفلوس » ! •

اعد اذن قراءة البيت لتستمع الى لهجتها الانثوية الصادقة فى معاتبة الرجل ، وانظر الى التوافق الايقاعى والترديد الموسيقى بين القسمين الأخيرين فى الشطرين :

ما لجسمك شاحبا
مثل مالك ينفع

ينتهى اولهما بأنين نون التنوين ، وينتهى ثانيهما بلوعة العين ، وتتوسط كلا منهما كاف الخطاب ، وهى صوت شديد مهموس يتكون فى اقصى الحنك ، وحين ينتهى الى خارج الفم ينفجر فى دفعة شديدة من الهواء ، فهو فى توسطه لكلتا الجملتين ينفس عن حرقتها القوية التى تحاول فى هذا البيت كبحها • ثم استمع الى تكرار الميم البادئة فى الكلمتين المتعاقبتين « مثل مالك » ، والى تكرار اللام فيهما أيضا ، والى التقاط هذا التكرار لنغم مقطعيها الأول والثانى فى قولها « مالجسمك » وما يصوره كل هذا التكرار الجرسى للميم واللام من تململ صوتها فى عتابه والالحاح عليه بتقريعها الانثوى المردد وهو يستمع اليه صامتا قبل أن ينفجر •

وكلما انعمنا النظر فى غضبها المدعى هذا ازددنا اعجابا وتقديرا لمحاولتها الشجاعة ، واهتز قلبنا لها هى ايضا لا للشاعر وحده ، ولا شك ابدا ان هذا هو ما يريده الشاعر ويتعمده ، يريد منا ان تعجب بها وباخلاصها له ومحاولتها الانثوية الماهرة فى التسرية عنه • فحقيقة هذه المحاولة هى انها تثير كل هذه المشاجرة وتتهمه بهذه التهمة الظالمة حتى تعطيه الفرصة لكى يثور ويحتج ، ويصيح وينفجر •

فنحن ندرك من تهمتها هذه ماذا حـــدث لابى ذؤيب حين مات اولاده الخمسة ، ندرك انه قد كبح حزنه الى الآن كبحا قويا ، واخذ نفسه أخذا شديدا لا يرحم ، لم يسمح لنفسه بالتعبير القوى الواضح عما تشعر به ، بل اختزن حزنه فى احشائه ، وهذا قد يكون شر ما يفعله انسان ، لأن الحزن الدفين حينئذ يأكل احشاءه ويمزقها . وندرك ايضا لماذا ابتذل نفسه فى العمل ، فقد اتجـــه الى عمله فى ضيعته فانشغل به انشغالا شـــديدا ، وارهق به جسمه يتلمس فى اضناء الجسم اجهاد العقل ، وفى الانشغال بمشكلات العمل ومتاعبه صرفا لفـــكره عن تذكر مصابه الأجل .

وهذه نفس الوسيلة التى يلجأ اليها بعضنا فى محاولة تناسى همومهم . ونحن نختلف فى وسائلنا: منا من يعبر عن حزنه تعبيرا صريحا مباشرا قويا فيفرج عنه ويطهر نفسه منه . ومنـــا من يلتمس النسيان فى الكأس يغرق فيها همومه كما يقال . ومنا من لاترضى رجولته او اخلاقه او تدينه باحدى هاتين الوسيلتين ، فيقبل على عمله اقبالا عظيما غير معهود ولا ضرورة مادية له . وهذا ما فعله ابوذؤيب فى محاولته كتم حزنه . وهذا هو ما يخيف اميمة عليه . فهى بغريزتها الأنثوية المرهفة تعرف انه خـــير له لو صرح بحزنه وانفجر حتى يخرجه من احشائه ويبرىء من جرحه المتقيح اعماق نفسه . فهى لاتتهمه بالبخل ولا تثير هذه المشـــاجرة الا لتقدم له فرصة يكذب فيها اتهامها وينفجر بالسبب الحقيقى لشحوبه وقلقه .

وسنرى انها نجحت فعلا بعد قليل . ولنلاحظ ان حيلتها هذه هى نفس الحيلة التى تلجأ اليهـــا بعض الزوجات فى حياتنا المعاصرة .

تعود الى منزلك وتجلس لتنـــاول غدائك واذا بزوجك قد أشاطت الطعـــام مرة أخرى برغم كثرة شكواك ونصيحتك من قبل . ولكنك تصر هذه المرة على الصمت التام ، فتزم شفتيك بعزم وحزم وتقبل على المضـــغ باصرار وتصميم . فتتلمس الزوجة سبيلا الى اخراجك من صمتك المخيف فتقول : انت غاضب لانى اضعت القروش الخمسين ثمن كيـــلو اللحم سدى ! وهنا لا تملك غضبـــك ان ينفجر فتصيـــح : أنت تعرفين جيـــدا اننى لست غاضبا للقروش المضـــاعة ، لـــكنى غاضب من جهلك و «خيابتك» الخ ... وبذلك تنجح حيلتها فتنفس عن حنقك ، ويتبع هذا ما يتبعه من التفاهم والتصالح

هـــذا فى اول هذين البيتين الرائعين . أما فى ثانيهما فان أميمة لا تستطيع أن تحتفظ بغضبهـــا المدعى طويلا ، فيتهدج صوتها بالحسرة القوية لمـــا أصاب رجلها . فانظر كيف ينبض أسلوبها فى هذا البيت بالحنان والتحسر الذى يبلغ أقصـــاه فى صيحتيها المتهدجتين «عليك ذاك» . استمع الى الكاف المكررة مرتين فى آخر الكلمتين المتتاليتين ، واولاهما تسبقها صرخة حادة فى الياء الساكنة ، وثانيتهما تسبقها صيحة عالية فى الالف الممدودة . نقف أمام هاتين الكلمتين مليا ، واقرأهما بحيث تطلق صرخة حادة مع الياء الســاكنة ، وصيحة عالية مع الالف الممدودة ، وانظر الآن كيف تجد الكلمتين فى تعاقب ايقاعهما واختتامهما بالكاف التى شرحنا قيمتهـــا الصوتية فيما مر ، تمثلان تفجعها القوى من أجله ، وتحسرها على ما أصابه ، حتى لنكاد نراها بعيوننا تحرك ذراعيها وكفيها مع الكلمتين فى الحركة التى نصفها فى لغتنا الدارجة حين نقول انها «تشلشل» . اى تحرك كفيها حركات سريعة امام صدرها ذهابا وارتدادا وأصابعهما تنقبض وتنبسط ، حين تقول المرأة من نسائنا : يا حسرتى عليك يا حسرتى ! يا خيبتى عليك يا خويا !

ولكن انظر كيف تحتفظ اميمة مع ذلك بشىء من الخشونة فى نبرتها ، تتجلى فى كلمة « مضجع » المكررة مرتين بضادها الساكنة وجيمها ، وفى الفعل « اقض » بهمزته القاطعة وقافه وضاده المشددة التى تردد نغم الضاد فى « مضجع » وتضاعفه . وهـــذا ينسجم مع محاولتها التى تحتفظ ببقية منهـــا فى البيت الماضى فى أن تشتد عليه فى اللوم والعتاب . ولكن له سببين آخرين عضويين ، أولهما ملاءمة المعنى الذى تعبر عنه من نبو المضجع به وعدم ارتياح جنبه اليه . وثانيهما التعبير عن هذه الصفة الجشـــاء البحاء التى تأخذ صوتنا حين تســـتدعى عاطفتنا الحقيقية أن يكون صوتنا رقيقا حانيا ولكننا نرغمه على التخشن والتشدد فيصير «أجش أبح» . فانت استمعت جيدا الى كلماتها الثلاث هذه ، «مضجعا . أقض . المضجع » سمعت اختنـــاق صوتها بالدمع الذى تجاهد فى حبسه .

نريد الآن أن نأتي الى الابيات التالية التي ينفجر فيها ابو ذؤيب بثورته المكظومة ، لنرى كيف نجحت حيلة اميمة ، وهي الابيات التي تبدأ بقوله :

فاجبتها : اما لجسمي انه
اودى بني من البلاد فودعوا

كأنه يقول لها : ما فائدة هذا التجاهل يا امرأة ! انت تعرفين جيدا سبب شحوبي واقضاض المضجع علي ! ليس هو ارهاقي نفسي بالعمل لبخلي المزعوم ، بل هو هلاك اولادي ، ومغادرتهم لي مغادرة نهائية ، فلن القاهم أبدا ٠

تأمل اولا في هذه الهمزات الاربع التي يبدأ بها كلماته : اجبتها ، أما ، انه ، اودى ، وانظر كيف تعلن بشدتها الصوتية المكررة في دفعات متعاقبة عن تصميمه على أن يبوح الآن بسره وينفجر بثورته التي طال اختزانه لها ٠

وتأمل ثانيا في قوة المعاني التي تحملها الفاظ الشطر الثاني ، وفي انسجامها الصوتي مع معانيها ٠ فمعنى « اودى » هلك هلاكا تاما ، وقد وضعت اللغة لهذا المعنى لفظا يتكون من صيحتين حادتين متواليتين ، تبدأ اولاهما بالهمزة ، والهمزة هي أشد الاصوات العربية جميعا ، وتنتهي بتأوه الواو الساكنة ٠ وتبدأ الثانية بالدال ، وهي حرف انفجار قوي ، وتنتهي باطلاق الصوت في مدة الالف التي تطلق الانفجار وتردده ٠ ومعنى قوله «البلاد» انهم تركوا هذه الدنيا جميعها ، فلا وجود لهم في الحجاز وطنهم الاصلي ، ولا وجود لهم في مصر البلد الذي هاجروا اليه ٠ فهو كان يتعزى عن فراقهم اياه وهجرتهم الى البلد الجديد الحديث الفتح بأنهم لايزالون احياء على وجه الارض ، يقومون بالاعمال العظيمة ويؤدون رسالتهم العربية الاسلامية في البلد الجديد ٠ أما الآن فقد تركوا ظهر الارض كلها، وخلت منهم الدنيا بما رحبت ، وهجروها هجرا مطلقا ٠ وهذا الاطلاق يعبر عنه باطالة مدة الالف في « البلاد » ، وخاصة اذا أنعمت النظر في موقع هذه الكلمة من الشطر الثاني ٠ ولابد أن تطيل من هذه المدة اطالة مضاعفة ، وانت تسمع لصوتك في النطق بها بالتموج والرعشة ٠ ومعنى « ودعوا » انهم قد تركوه الآن لا الترك المؤقت الذي يرتجى بعده لقاء ، بل الترك النهائي الحاسم ، الترك الاخير الذي لا لقاء بعده ٠ والفعل «ودعوا» يعبر عن هذا بجميع حروفه ، الواو البادئة المتأوهة ، والدال المشددة القوية الانفجار ، والعين المروعة المتفجعة ، ثم بمدة الواو التي تشبع حركة الضمة وتطيل الصيحة الملتاعة وترددها ٠

فان ظن القارىء اننا نتكثر في ربط المعاني بحروف الكلمات ، فليرجع الى مقالتنا المنشورة في العدد ٣٠ من مجلة « الثقافة » تحت عنوان «المحاكاة الصوتية : اصالتها في لغتنا وتراثنا الادبي » ، وليعد قراءة ما نقلناه فيها من أقوال العالم اللغوي القديم ابن جني ، وليدقق النظر فيما قاله ابن جني عن ارتباط دقائق المعاني بحروف الافعال : بحث ، وشد ، وجر ، والفرق بين خضم وقضم ، ونضح ونضخ ، وسد وصد ، وغيرها من الامثلة التي عددها ، لعل القارىء ينتهي الى اننا لم نتكثر ولم يجمح بنا الخيال ، وان ما ننسبه الى اللغة العربية هو امر يستقيم مع طبيعة هذه اللغة في دقتها البعيدة وغناها التصويري المرهف ٠

ولكن ما شرحناه في الشطر الثاني من هذا البيت ليس كل مافي هذا البيت العجيب من دقائق الايقاع والنغم ، بل فيه روائع أخرى تحتاج منا الى جهد أكبر في الشرح ، ومن القارىء الى جهد أكبر في المتابعة والاستجابة ، لذلك نؤجل اتمام الحديث عنه الى مقالتنا القادمة ، داعين القارىء في أثناء هذه الفترة الى أن يرهف الاستماع الى مداته المتوالية ، والى يائه المشددة في «بني» ٠ ثم لينظر هل يوافقنا على ما سندعي عن هذا البيت في الاسبوع المقبل ٠

مع النيل

للدكتورة نعمات أحمد فؤاد

- ٣ -

ومعبد **بيت الوالي** نحت في الجبل كمعبد **(ابو سمبل)** على مسافة ٥٦ كيلومترا جنوب خزان أسوان ويتكون من :

١ ـ الصالة المفتوحة أو الفناء الخارجي حيث رسم الفنان المصري على الجدار الايسر أعداء رمسيس الجنوبيين وقد حاربهم فرعون وانتصر عليهم فدانوا له وقدموا اليه الهدايا من الذهب والزراف والأسود ومنتجات الجنوب ، لتقربهم اليه زلفى .

وعلى الجدار الأيمن رسم الفنان المصرى أعداء ملكه الشماليين ، وقد انصاعوا له والتمسوا الى رضاه الأسباب من هدايا وطرف .

ومن الطريف أن النقوش تصور **(رمسيس)** على الجدار الأيسر ـ وقد تحمس للحرب وشمر لها كما يقولون فربط لجام فرسه فى وسطه لتتفرغ يداه للطعن والضرب .

وفى الصالة الداخلية عمودان من الطراز البروتودورى يرجع تاريخهما الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد وهذه الاعمدة سابقة على الاعمدة الدورية التى عرفتها اليونان فى القرن السادس قبل الميلاد نقلا عن مصر .

وفى مواجهة الداخل الى صالة الاعمدة طاقتان احداهما الى اليمين والاخرى الى الشمال بكل منهما ثلاثة تماثيل تمثل الملك رمسيس الثانى فى الوسط مرة بين الالهة **(عنقة)** والاله **(خنوم)** اله منطقة أسوان خالق البشرية الذى كان يمثل براس كبش ومرة بين الآلهة **(ايزيس)** والاله حورس سيد **(باكى)** المنطقة المعروفة الآن باسم كوبان .

وتلى الصالة الداخلية حجرة صغيرة تسمى قدس الأقداس وهى أقدس مكان فى المعبد حيث يوضع تمثال الاله .

وفى قدس الاقداس بمعبد بيت الوالى نقش يمثل الالهة عنقة ترضع (رمسيس) .

وعلى الجدار الآخر الالهة ايزيس ترضع (رمسيس) أيضا .

ومعبد بيت الوالى من المعابد التى حولت الى كنائس فى العهد المسيحى .

كما حول معبد دندور الذى بناه الامبراطور أوغسطس الى كنيسة وبينه وبين معبد بيت الوالى حوالى ٢٢ كيلومترا ومعبد دندور به نص باللغة القبطية يشير الى تحويله الى كنيسة وبه كثير من الرسوم القبطية .

والعمل فى بيت الوالى يجرى بهمة مصرية لتقطيعه ونقله ، وقد غطيت النقوش البارزة والغائرة بالشاش الابيض حتى لا تخدش أثناء عملية النقل وهى التى أبدع الفنان المصرى نقشها ورسمها حتى غدت المحافظة عليها دين وطن ومسئولية عصر أمام تاريخ الانسان وقبل حضارة الانسان .

والشباب المصرى المثقف فى المناطق الأثرية سعيد بعمله بين أمجاد ماضيه ، غير أن ما يقلقه هناك انما هو نقص الرعاية الطبية ، فطبيب القاهرة المجرب يأبى ان يترك عيادته وأمنه الى المناطق النائية حيث المستقبل أمامه غامض ولو أجزلت له العطاء . والطبيب الحديث التخرج يلهث وراء القاهرة حيث يجد فيها رضا خياله .. يقول محدثى المهندس يحيى شكرى : ان المقاولين يعرضون مرتبا قدره ١٥٠ جنيها فى الشهر . أليس هذا مجزيا ؟ بل مغريا ؟ هبى ان المصران الاعور مثلا هاجم أحدنا أو لدغته حشرة مؤذية فماذا يصنع ؟ ثم يبتسم فى هدوء ويقول : الله كفيل بحمايتنا .

وأرى العاملين بالمناطق الأثرية من شبابنا المثقف الجاد الواعى العميق الايمان بمصر خليق بالرعاية الشاملة ولعل الرعاية الطبية من أبسط حقوق المواطن المصرى بله الفدائى الذى يعيش بين الصخور يستنطق الحجر ويستكشف الأثر .

نحن الآن امام قرية **(ابو هور)** أجمل قرى النوبة وقد استطعت أن أتبين نقوشها البسيطة الجميلة .. انها مستمدة من البيئة التى حولها فالوحدات الزخرفية فيها قوامها سمكة .. باخرة .. مركب .

ويتسع النيل حتى يخيل اليك ان عرضه طول فاذا بلغنا حافة الجبل المتربع فيه لمحت النيل يدور بالحافة ، أى ان المجرى له بقية خلف الجبل كأنه نهر آخر .. كم كافح هذا النهر العظيم !؟

وفي منطقة (مرواو) يربض الجبل على شكل أسد جاثم الى جانبه آساد في مثل هيئته وكأنه نموذج مضخم من طريق الكباش .. والنيل يتدافع في ثقة كأنه جيش من مياه يغزوه ويقلم اظافره ويطوقه كمن يضرب حوله حصارا .

ومن الطريف ان أهالي «**أبو هور**» و «**مورواو**» و « **ماريه** » وطنوا أنفسهم في مدن القنال الثلاثة : بورسعيد والاسماعيلية والسويس .

وبين قرية مارية وقرية قرشة (وينطقها أهلها جرشا) توجد قلعة «سباجورا» ...

وهي قلعة رومانية من أواخر العصر الروماني .

وهذه القلعة قامت بالحفائر فيها بعثة ايطالية أربع مواسم متتالية في سنة ١٩٥٨ ، ١٩٥٩ ، ١٩٦٠ .

وتقابل (**قرشة**) قرية جرف حسين على الضفة الغربية وفيها معبد جرف حسين وهو معبد الاله بتاح ويقع على مسافة ٩٠ كيلو مترا من خزان أسوان ومعظمه منحوت في الصخر ... والى الجنوب من المعبد خمس مشايخ :

الشيخ عبد الجليل ـ الشيخ عبد الرحيم ـ الشيخ سعد ـ الشيخ يزيد ـ والشيخ ازيد .

وعند قرية توشكا غرب في الجنوب من عنيبة شركة يوجسلافية تقوم بأبحاث على التربة هناك حتى تتوصل الى مبدأ امكان حفر ترعة تغذى (الوادى الجديد) ـ بدلا من الآبار ـ الذى يقع الآن في الجنوب الغربى من أسيوط .

نحن الآن أمام قشتمنة ويشتهر أهلها بفراهة الطول . وعلى الضفة الغربية قرية الدكة وفيها أربعة آلاف فدان استصلحت وكانت تروى بالطلمبات ولكن أهالى الدكة هاجروا أيضا وسوف تغمر المياه الجديدة هذه الارض الجديدة التى كانت تجود بأفضل ثمار المانجو والليمون .

وبالدكة معبد يقع على الضفة الغربية للنيل على بعد ١٠٧ كيلو مترات جنوب خزان أسوان ـ كان يعبد به الاله (تحوت) اله الحكمة كما عبد به خنوم وايزيس . وبالمعبد نقوش من عهد حتشبسوت وتحوتمس الثالث وسيتى الاول ومرنبتاح ، وبه رسوم تمثل القديسين حيث حول المعبد الى كنيسة . لسنا وحدنا في ركاب النيل الآن فالليل معنا .. تتملاء نجومه مثلنا .. الليل والنيل وبقايا ألوان الشفق وراء الجبل منظر جميل مشحون بالاسرار .. ويعمق الليل ويعمق وتكثف دكنته فتبدو قطع الظلام من بعيد على صفحة النيل كالجبال .

وبعد الدكة قرية (**العلاقى**) وهذه القرية كانت بها المحاجر والمناجم التى كان الفراعنة يستخرجون منها الذهب الذى كانوا يسمونه «نوب» واليه ينتسب اسم النوبة أى بلاد الذهب وهناك اغنية نوبية تقول :

(**دهب نرى ونوبه**) ومعناها يا اسم الدهب يا نوبه .

والتاريخ يذكر قيام الملك «جر» أحد ملوك الأسرة الأولى ، بحملة بحرية ، وصل فيها الى «بوهن» حيث ترك لنا نقشا على صخور جبل الشيخ سليمان يوضح المعارك البحرية التى انتصر فيها على القبائل هناك .

وقد زاد اهتمام الملوك بالنوبة السفلى بعد هذا التاريخ وذلك لأهميتها كطريق للتجارة الى الجنوب، ولغناها بالذهب ، والاحجار والاخشاب. وقد كشف حديثا عن محاجر « الديوريت » الواقعة شمال غرب «توشكة» وعرف لأول مرة المصدر الذى جاءت منه تماثيل الملك خفرع التى عثر عليها في معبده بالجيزة كما عرف أيضا مصدر الأوانى «الديوريت» الجميلة التى شاعت في عهد العصر العتيق ، كما وجدت في هذه المحاجر أسماء بعض ملوك الدولة القديمة مثل خوفو ، وسحورع ، وأسيسى مما يدل على اهتمام هذه الدولة بجلب الاحجار من هذه المحاجر .

وبعد العلاقى قرى «قورته» و «المحرقة» وبالمحرقة معبد صغير من العصر الرومانى رمم سنة ١٩٠٨ وبها قلعة من العصر البيزنطى . وبعد المحرقة «السيالة» والمضيق ووادى السبوع ، وهو يقع على بعد ١٥٠ ك.م من أسوان وبه ثالث معابد رمسيس الثانى في بلاد النوبة (مرتبة من الشمال الى الجنوب) .

ويتفرد معبد وادى السبوع بأكبر عدد من أبناء وبنات رمسيس الثانى تراهم على جانبى الفناء المفتوح ، وبه عشرة تماثيل على الجانبين تمثل الملك على هيئة الاله أوزوريس وعلى جدران هذا الفناء نجد صور جميع أبناء وبنات رمسيس .

ولما كان المعبد قد حول الى كنيسة في العصر القبطى فاننا نجد مدخل صالة الاعمدة على الطراز القبطى يعلوه صليب . والاضافات القبطية في البناء

كانت مبنية باللبن كالمذبح الذى تراه فى صالة الاعمدة . وبالطبع عند نقل المعبد سيقام على صورته الفرعونية فقط ، وقد جاءت بعثة يوغسلافية ونقلت النقوش القبطية نقلا علميا قبل ازالة المبانى الطينية .

وصالة الأعمدة بها اثنا عشر عمودا مربعا على جوانبها مناظر تمثل الملك فى علاقاته مع الآلهة المختلفة .

أما قدس الأقداس بهذا المعبد فعلى جداريه الأيمن والأيسر منظران يمثل كل منهما الملك رمسيس الثانى يقدم القرابين ويحرق البخور أمام قارب مقدس تدل الابحاث على ان احدهما للاله آمون والآخر للملك رمسيس الثانى باعتباره آلها .

والمعروف أن لكل آله من الآلهة الرئيسية فى مصر الفرعونية قارب خاص عليه الناووس الذى يحوى تمثال الآله .

وفى الطاقة بالجدار الغربى من قدس الأقداس تجد صورة بالألوان للقديس بطرس بعد أن قام الأقباط فى العصر القبطى بازالة التماثيل الثلاثة التى كانت قبلا ومنها تمثال للاله آمون رع ملك الالهة الذى أقيم من أجله المعبد . وعلى جانبى الطاقة صورتان لرمسيس بالتاج الملكى يحمل الزهور ويبدو الآن كما لو كان يقدم القرابين للقديس بطرس .

وعلى الجدار الشرقى لقدس الاقداس الذى به المدخل صورة لرمسيس فى حضرة الالهة موت زوجة الاله آمون رع ملك الآلهة على جانب .

وصورة لرمسيس فى حضرة الالهة حتحور على الجانب الآخر .

والى يمين الداخل الى قدس الأقداس وفى الصالة المؤدية اليه منظر يمثل رمسيس الثانى أمام الاله رع حوراختى ورمسيس الثانى كاله والالهة ابو عاس والى اليسار منظر آخر يمثل الملك امام الاله آمون سيد الكرنك والملك كاله والالهة موت زوجة آمون .

وعلى جانبى صرح معبد وادى السبوع تمثالان (**للاله رمسيس**) وقد امتد أمامه صفان من الاسود يعلو الجسم منها رأس رمسيس لابسا التاج الموحد رمزا الى انه فى قوة الاسد من حيث الضلاعة الجسدية الى جانب عقل الانسان وقوة الملك الحاكم .

وهذان الصفان من (السباع) وراء تسمية المنطقة التى أطلق عليها أهلها (وادى السبوع) .

وقد غمر النيل الآن الصفين فلا يظهر منهما الا التيجان وكأنه تراجع عن امارة العز ورمز الهيبة والجلال ... كم أعطيت يا وهاب وكم أبقيت ..

وفى وادى السبوع مد العمال طريقا معبد مرصوفا طوله ٥ كيلو مترات من المعبد فى موضعه الحالى الى المكان المزمعة اقامته فيه ، وهو غرب الموضع الحالى وقد تم هذا الطريق .

وفى ساحة المعبد عمال كثيرون ينشرون الحديد وعمال ينقلون أعمدة الخشب الغليظة وعمال يتعايشون مع أحجاره وآخرون مع رسومه ونقوشه ، حتى ترابه يحسب له حساب .

ووراء العمال مهندسون مصريون وكيمائيون وأثريون ومرممون يحملون الاجازات العالية والجميع يعرفون القيمة الحقيقية للمعبد فلا يبرحونه الا بالمناوبة .

وفى وادى السبوع لفت انتباهى (بيت الغفير) برسومه وزخارفه حتى ليسأل عنه كل من يزور وادى السبوع لشهرته فى المنطقة . وقد هجره صاحبه مع من هاجر .

وقد حرص المقاول الايطالى على شرائه منه .

وبعد وادى السبوع تقع قرية المالكى وأظهر مافيها بناء لمدرسة هجرت هى الأخرى .

نحن الآن أمام قريتى شاتورما وسنكالى وعندهما يسير النيل فى انشناءة شبيهة بانشناءة قنا .

ثم مررنا أمام قرية كورسكو . ومما يذكر ان أهلها ما زالوا بها لم يهجروها بعد على ان هناك قرى جنوبها هاجر أهلها . والجبال فى هذه المنطقة رءوس مثلثات والاشجار غرقى والنخيل غطس غير انه يشرئب من آن الى آخر فيخرج رءوسه على صفحة الماء .

وفى هذا المكان طابية كان السائحون قبل التعلية الثانية للخزان ، يصعدون منها الى الجبل يحملون النظارات المعظمة ليروا منها شروق الشمس . ويقال ان هناك طريقا للقوافل فى الصحراء بين كورسكو وابو حمد فى السودان . ولعل الاغنية النوبية تؤيد هذا ومطلعها :

من كروسكو الغيب شديت

ابو حمد جبل النميمية طبيت

والغيب هنا معناه الغروب ، شديت أى شددت الحمل للسفر .. والنميمية أى النوم وطبيت أى وصلت ، وبهذا يكون المعنى العام ان القائل بدأ رحلته من كروسكو عند الغروب فوصل الى «ابو حمد» قبل النوم اى ليلا .

نحن الآن فى طريقنا الى قرية « ابو حنضل » وبهذه المناسبة أقول ان النوبة قسمان : .... هنا موضوع حديثى القادم فمن حق النوبة أن يفرد لها حديث خاص .

نهضة البحث الجنائي في العالم العربي

للدكتور فوزى البحطيطى

لقد خطت النهضة العلمية الحديثة خطوات واسعة فى سبيل التقدم العلمى لخدمة الانسانية ، وتطورت العلوم والفنون فى مختلف المجالات لتحقيق هذا الهدف السامى .

ولم يقف فن البحث الجنائى جامدا ازاء هذا التقدم الجارف فى كل مجال ، بل لمسته نفحة التطور العلمى الحديث فسار سيرا حثيثا ليسابق العلوم الاخرى فى مجال التقدم الانسانى الحديث ، وحرص على أن يتابع ركب التقدم فلم يتخلف عنه ، كما حرص على اقتباس كل جديد فى مجال البحث العلمى للافادة منه فى مكافحة الجريمة .

فلو تتبعنا الظروف التى أحاطت بالجريمة وطرق ارتكابها ووسائل الكشف عنها فى العالم العربى نجد أنها تسير جنبا الى جنب مع مدى التقدم والرقى الذى وصل اليه مجتمعنا العربى .

ففى المجتمعات المتخلفة نجد أن طرق ارتكاب الجريمة بدائية وبسيطة فى فكرتها وتنفيذها ، وكان يكفى للكشف عنها واثباتها أن يأخذ المحقق أو الباحث الجنائى بالقرائن المعنوية كالاستجواب وشهادة الشهود ويعتبرها أدلة اثبات قاطعة لامجال للشك فيها ، واذا استعصى عليه الحصول على القرائن المعنوية بواسطة احدى الوسائل البدائية السابقة ، فانه غالبا ماكان يلجأ الى أساليب العنف والقسوة كالضرب والتعذيب للحصول على اعتراف المتهمين . وبارتقاء الحضارة والعلوم الانسانية تغيرت كل هذه الاصول من جذورها وأصبح المجتمع العربى ينفر منها وينظر اليها على أنها أعمال تتنافى والعدالة البشرية وتنطوى على اهدار للروح الآدمية . مما اضطر رجال القانون تحت ضغط العدالة الانسانية **عدالة الضمير** الى اعتبار مثل هذه الوسائل اللا آدمية فى الحصول على اعتراف المتهمين جريمة يعاقب مرتكبوها أشد العقاب .

***

وبانشاء الطب الشرعى بدأ الباحث الجنائى محاولته الاستعانة بالعلوم الحديثة والاستفادة من آثار الجانى المتخلفة فى مسرح الجريمة ولم يتناول منها الا الآثار البارزة فقط كتشريح الجثث لمعرفة أسباب الوفاة وذلك بالاستعانة بعلوم الطب وتحليل الدم لمعرفة أصله وفصيلته .. وتحليل المخدرات لمعرفة نوعها ، وهل هى مواد مخدرة أم لا . وذلك بالاستفادة بعلوم الكيمياء . وقد نالت جرائم القتل والمخدرات نصيب الاسد من الخبرة فيها ، لانها من أقدم الجرائم التى كانت وما زالت تنغص حياة العدالة الانسانية ، ثم بدأ الاهتمام بالكشف عن جرائم التزوير والتزييف وذلك بالاستعانة بعلوم الكيمياء والطبيعة .

ولقد أسهم الطب الشرعى مساهمة فعالة فى ميدان الجريمة وساعد على ازاحة ستار الغموض عن كثير من الجرائم الخطيرة مما ساعد على الحد من ارتكابها وصد معظم الوباء الاجرامى عن التغلغل فى مجتمعنا العربى .

ولكن ظهرت بعض نقاط يتطرق اليها الشك وترتسم علامات الاستفهام عليها .. وهى اعتماد الطبيب الشرعى فى فحصه وتحليله لهذه المواد والآثار على مايرسل اليه منها دون النظر الى مكان العثور عليها أو طريقة رفعها أو صلتها بالحادث ، فمثلا اذا كانت هناك حالة وفاة اشتبه فى أن تكون جريمة تسمم وأرسل القىء أو البراز فى وعاء محرز أو مختوم الى الطبيب الشرعى لفحصها وتحليلها وثبت من التحليل الدقيق وجود مادة سامة بهذه العينة . فان تيارات كثيرة تتطاحن بين الشك واليقين .. لتترك سؤالا بلا جواب .. وهو ماالمصدر الحقيقى لهذه المادة السامة .. ؟ أهو حقا القىء ذاته ؟ .. أم الوعاء الذى وضعت فيه العينة .. ؟ أم الارض التى وجد عليها هذا القىء .. ؟

وعلى هذا التقرير كان يبنى القاضى حكمه ويصدره على متهمه الذى قد يكون بريئا من تهمته التى عجز الشرع والقضاء والقانون عن أن يتعرف على الجانى الاصلى لبدائية الاجراءات القديمة التى لم تمكن من التعرف على الجانى .

فكان لزاما على الطب الشرعى أن يتسع ويتقدم ويتطور بعد أن كان قبل ذلك قاصرا على تبيان بعض هذه النقاط وان كان فى بعض الاحيان يصل الى احداها ولكن بنفس الوصف السابق الذى ذكرناه .

***

وبمرور الزمن تقدمت طرق الاجرام وبرع المجرمون وتمادوا فى ارتكاب جرائمهم وتفننوا فيها وأصبح أكثرهم يستخدم العلوم والوسائل العلمية الحديثة التى تسهل له ارتكابها واخفاء معالمها للافلات من قبضة العدالة . ومن هذه الطرق استخدامهم لوسائل المواصلات السريعة والآلات الميكانيكية والكهربائية والمواد الكيميائية . فليس من المستغرب أن نرى المهربين قد استخدموا الطائرات فى نقل المواد المهربة من مكان لآخر مستعينين فى ذلك بتقدم فن الطيران وامكان استخدام الاماكن الضيقة أو غير المطروقة كوسط الجبال أو الصحراء فى الهبوط والتحليق بطائراتهم لتجنب أخطار القبض عليهم أو مطاردتهم .

ونجد مغتصبى الخزائن يستخدمون آلات فنية صغيرة لا تثير الشبهات فى أمر حاملها عند دخوله أو خروجه من محل الحادث وبواسطتها يمكن فتح الخزائن الحديثة فى أقصر وقت دون احداث أى صوت أو ضوضاء .

***

ونجد مزيفى النقود ومزورى الاوراق الرسمية قد استعانوا بتقدم فن الكيمياء والطبيعة والتصوير فى اتقان عملهم اتقانا يصعب معه اكتشاف التزييف أو التزوير بالوسائل القديمة مما يلقى أعباء جسيمة على كاهل المحقق والخبير الجنائى . وكان لزاما على رجال الامن والباحثين فى ميدان الجريمة الاستعانة بنفس سلاح المجرم وهو العلم فى مختلف نواحى تطوره ورقيه حتى يتسنى لهم اكتشاف خطط المجرم وافسادها عليه . فاستعانوا بالمواصلات السريعة وجهزت لاسلكيا وانشئت الشرطة النهرية وزودت باللنشات السريعة ودرب رجالها على أعمال مطاردة المهربين فى الانهار والبحيرات والبحار واستعانوا بالطائرات للكشف عن أوكارهم واستخدموا العربات المدرعة لمداهمة المجرمين والسيارات اللاسلكية والموتوسيكلات .. ووجد أن خير وسيلة لتعويق نشاط المجرمين والحيلولة دون هروبهم من بلد لآخر هو التفاهم بين رجال الشرطة فى الدول الاخرى فانشئت الشرطة الجنائية الدولية . كما أنشئت المراكز العلمية لابحاث الجريمة لدراسة تطور وسائل ارتكابها ومكافحتها .

وبالرغم من كل هذه الاستعدادات الآلية والفنية فمازالت بعض الجرائم ترتكب ويقف أمامها الخبير الجنائى مكتوف الأيدى دون الحصول على أى دليل مادى يمكنه من أن يكشف عن الجانى أو يدينه ولا يستطيع المحقق أن يجمع عنها الا القرائن المعنوية كالاستجواب وشهادة الشهود ويخرج تقريره بلا نتيجة ، أو بأنها قضاء وقدر مثل معظم جرائم الحريق واغتصاب الخزائن وبعض قضايا التزييف والتزوير .

وتحت ضغط تطور الجرائم وتشعبها وجب القيام بثورة علمية حديثة فى البحث الجنائى الفنى ، فانشئت المعامل الجنائية وهى تعتبر بمثابة الضربة القاضية التى تترنح تحت وطأة ابحاثها أنواع الجرائم المختلفة ففيها جندت كل الكفاءات العلمية العالية واستخدمت أحدث الاجهزة الالكترونية الحديثة

والدقيقة للاستعانة بكل جديد فى مختلف العلوم الحديثة والاستفادة من الآثار والمواد المتخلفة عن الجانى فى مسرح الجريمة مهما بلغت ضآلة هذه الآثار وتحليلها تحليلا دقيقا لا يدخل أى مجال للشك فيه ويشمل أقساما مختلفة لجميع الجرائم التى كانت لاتفحص بواسطة الطب الشرعى وتزويدها بالاجهزة العلمية الحديثة كما تداركت المعامل الجنائية الفجوات والاخطاء التى كان يقع فيها الطب الشرعى والتى يحتمل أن يتطرق اليها الشك فدربت خبراءها تدريبا خاصا حيث يقوم كل خبير مختص بتحليل عينة معينة فى دائرة اختصاصه وعليه أن يرفعها من مكانها بنفسه فهو خير من يقدر قيمة هذه العينة من الوجهة العلمية وكيفية تجنب تلفها والحفاظ عليها ومعرفة موقعها فى مكان الحادث ويمكنه بعد ظهور نتيجة تحليله وموقعها فى مكان الحادث معرفة صلتها بالجريمة .

وبما أن الدليل المادى فى القضية يعتبر هو الشاهد الصامت الحقيقى على الجانى الذى لا يتعرض لانواع الانفعالات والتهديدات والنسيان . فان اثبات الادلة المادية على المتهم تؤكد ادانته وهو المبدأ الذى أخذت المعامل الجنائية على عاتقها اثباته وتوصلت الى الجانى الحقيقى فى كل جريمة بالدليل المادى والطرق الحديثة والخبرات العربية وبفضل التطوير الحديث المساير لكل نشاط اجرامى حديث ، مما سد كل الطرق أمام تفنن المجرمين فى طرق اجرامهم .

***

ولقد ثبت علميا أنه كلما كان المجرم أكثر تثقيفا وتعليما كلما كانت الجريمة أكثر تعقيدا ، فانه يستغل علمه وثقافته وتعليمه فى اخفاء الجريمة ، واخفاء أثرها ومحاولته عدم ترك أى أثر يدل عليه .

وكان لزاما على الخبير الجنائى أن يكون أكثر علما وفطنة من الجانى وملما بطرق البحث ووسائل الجرائم والاساليب التى يلجأ اليها المجرمون لاخفاء آثارهم .

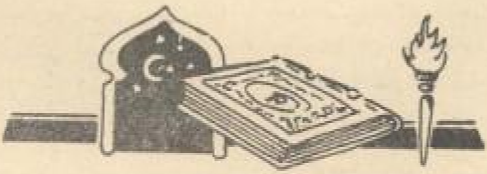
فالمجرم أثناء ارتكابه للجريمة يكون مضطرب النفس متوتر الاعصاب يخشى اكتشاف أمره أو ضبطه وهذه الحالة تؤدى الى عدم تحرزه أو انتباهه مما يجعله لابد أن يترك أثرا يدل عليها مهما وصلت به الدقة فى الحرص على اخفاء جريمته .

لقد وقف المعمل الجنائى بأجهزته العلمية الالكترونية الحديثة وخبرائه وعلمائه العرب ليسدوا الطريق أمام تطور الاجرام وحيل المجرمين والحد من كل هذا بوسائل العلم والخبرة والدراسات التى احرزت نصرا كبيرا فى عالم الجريمة وحازت اعجاب كل من زار المعامل الجنائية العربية من عرب وأجانب .

***

ولم يقف المعمل الجنائى العربى عند الحد من الجريمة فى النطاق العربى فحسب بل انه يقدم كل التسهيلات لطالبى الخبرة فى هذا المجال من الدول العربية الشقيقة كالكويت والمملكة العربية السعودية وباقى الدول العربية والافريقية الاخرى .

وبهذه المساهمة الفعالة والتعاون الكامل البناء يمكن القضاء التام على دابر الوسائل الاجرامية المختلفة ، وتضييق الخناق على المجرمين ، بل يمكن القضاء على الجريمة رأسا ، وكلما شعر المجرم بمدى دقة الاختراعات الحديثة فى الكشف عن الجرائم الغامضة مهما حاول اخفاءها ، فانه سيجد نفسه مضطرا الى اعتزال الاجرام بسبب قوة وخبرة الخبراء الجنائيين العرب .



تثقيف إنسان القرية

بقلم محمد محمود شمس

القرية المصرية ، كانت الأرض التى عشش فيها الاقطاع والاقطاعيون ، السنين الطوال ، يملكون انسانها ، ويسخرونه ، بل يستعبدونه وذويه ، قضاء لحاجاتهم ، وشهواتهم ، دون مبالاة باحتياجاته هو ، ويكفيه أن ينتج الثمار ، ويقتات بالأشواك ، ومتى كان للعبد حقوق ، وهل يتساوى البشر ؟!

وفى الأيام الأولى لثورتنا ، تهدم صرح الاقطاع ، ونفض انسان القرية عن كاهله أثقال هذه السنين الطوال .. فاعيدت اليه حقوقه فى ارضه ، وسار حتى اشترك أخيرا فى التنظيمات الشعبية ، والمجلس النيابى ، ولكنى هنا ازعم أن انسان القرية - بالرغم من كل ما اكتسب فى ظل ثورتنا - فى حاجة الى المزيد ، حتى تكتمل انسانيته ، ويقدر على القيام بمسئوليته ، ويقوم بحراسة مقومات حياته ، بنفسه وبقدراته وايجابيته .

ان ثورتنا غيرت مجتمعنا فى مجالاته المختلفة ، ولكنها لم تغير بالدرجة نفسها وعلى ذات المستوى انسان القرية . وتقدم القرية نفسه يسبق تقدم انسانها ، ذلك لأنه آت من خارجها .. من المدينة ، فقد تعبد الطرق ، وتطور وسائل الزراعة ، وتردم البرك .. بل تنار القرية .. الخ ، ولكن انسانها لا يستطيع أن ينظر الى كل ذلك الا النظرة العشوائية التى لا تعنى شيئا .. والتى عاشت معه السنين الطوال .. سنين التخلف ، والتى تعود فيها على اللا مبالاة والسلبية ، والحياة وفق ما تريد الظروف والأقدار . أو هو على أحسن الفروض يقف ازاءها مبهور الأنفاس !

ان تقدم انسان القرية الفكرى يسير ببطء لا ينسجم ولا يتناسب مع السرعة التى نعيد فيها بناء حياتنا وحياته ، ولا مع ما وصلنا اليه فى أثنى عشرة سنة من تقدم ، أذهل القارة الأوربية ، وأيقظ القارة الافريقية واصبح حديث العالم ..!

وأى بأس فى أن تقال الحقيقة ؟!

ان ثورتنا التى أعادت الينا ارادتنا ، فخلقنا بها المعجزات ، قادرة على السير بهذا الانسان خطوات وخطوات ، حتى تصل به الى المستوى الفكرى اللائق ، انما البأس فى أن ننسى مستوى هذا الانسان ، ونزعم أنه يساير الركب وأنه قد تخلص فى سنوات الثورة الاثنتى عشرة من الرواسب الأخلاقية والفكرية والنفسية لعصور التخلف الطويلة .. بينما نجد هذه الرواسب فى نفوس بعض الذين نالوا حظا من الثقافة .. لم يستطيعوا الخلاص منها بعد !

وميثاقنا يقرر أن بناء المصانع سهل يسير ولكن بناء الانسان صعب عسير .!

وأحسب أن تثقيف انسان القرية ينبغى ان يكون هدفا من أهداف الحكم المحلى ، لامكان اختيار الوسائل الثقافية ، التى تلائم البيئة ، وتتفق معها ، ومع احتياجات انسانها .

غير أنك - وهذا أمر يبعث على الأسى - تجد للمدينة أيضا فى ظل هذا النظام نصيب الأسد من الاهتمامات ، ولانسان القرية ، الفتات او العدم !.

ولنسأل مثلا محافظة الدقهلية ، التى اقامت مؤتمرا لأدبائها فى عاصمتها المنصورة ، ماذا قدمت من وسائل ثقافية لانسان القرية الذى لا يستطيع أن يقرأ الصحف فضلا عن المجلة والكتاب ؟ بل ماذا يعود على سواد الشعب فى قراها من مجلتها « المنصورة » ومعظمهم أميون ؟! بدليل انك كثيرا ما تجد هذه المجلة مع باعة الصحف فى القاهرة - الزاخرة بالمجلات - وعواصم المحافظات الأخرى .. تصرخ .. هل من قارىء ؟!

وهل نطمع فى أن تطلعنا المحافظة مثلا على مشروعاتها فى القضاء على التخلف الفكرى عند انسان قراها ، على نحو ما تطلعنا على مشروعاتها « **الجمصية** » !

ويقول قائل ، ما لهذا الحديث ، وأجهزة الراديو ، قد غزت كل الفجاج ، ونشرت الوعى والنور ، ووحدت بين القرية والمدينة ، بل بين القطر والقطر ، والقارة والقارة ؟!.

انه لا سبيل الى انكار أثر انتشار هذه الأجهزة فى توعية انسان القرية ، وكما قال السيد الدكتور عبد القادر حاتم : « ان المواطن يستطيع أن يحصل

على نصيب من متع الثقافة عن طريق الكلمة المسموعة ، وأن يجد غذاء عقليا ونفسيا ، خصبا ولذة فنية وفيرة . والكلمة المسموعة أكثر امتدادا وأوسع انتشارا من الكلمة المقروءة ، ومن هنا كان أثرها البالغ وأهميتها الكبيرة » .

ولكن الحالة التى أرى عليها انسان القرية تحتم اعطاءه الثقافة الخاصة به ، وعلى مستوى معين يحقق فعاليته ، قد يتفق مع المستوى العام لاذاعاتنا وقد يختلف ، وان توحد الهدف ، وهو :

« ضرورة وصول فلسفة العمل الوطنى الى كافة العاملين فى الوطن بالأسلوب الأكثر ملاءمة لكل منهم » . وفقا لنص الميثاق .

ومعنى هذا أنه لا يكفينا من انسان القرية أن يرضى بما قسم له ، وانما نريده الانسان الثائر الذى يحس الاحساس الصادق ، ويفكر التفكير المستقيم ، وعلى هذا ملكناه زمام الأمر ، ولكثرة ما لاقى من حرمان مادى وفكرى وروحى .. ينبغى أن تعيد اليه الحياة .

ووسيلة ذلك « الاسلوب الاكثر ملاءمة له » .

ومن هنا لا نستطيع أن نكتفى بالوسائل العامة فى صدد غرض هام وجوهرى بالنسبة لقطاع هام كذلك ، وقد كان حرمانه من اكبر الأسباب والدوافع لقيام ثورتنا العربية .

وما بالنا لا نكتفى بالوسائل الثقافية المنتشرة فى عواصمنا الكبيرة ، التى فى متناول كل الأيدى ، ونخصص لتثقيف العمال « مؤسسة الثقافة العمالية » ؟! أليس ذلك ليساير العمال الركب الصاعد ؟!

ان انسان القرية تنعدم كل الوسائل الثقافية فى قريته ، بل قد تنقلب أعظم هذه الوسائل الى معوقات !.

ان انسان القرية يقدس المسجد لارتباطه بدينه ومعتقداته ، والمسجد كان مدرسة للحياة فى عصور الاسلام الأولى . .ولكن اذهب الى احدى القرى وانصت الى حديث خطيب مسجدها ، تسمع عجبا يحول دون الاستفادة مما تبثه اذاعاتنا وصحفنا من وعى وثقافة، « ارجع فى ذلك الى ما كتبه الأستاذان محمد عبد الله السمان ومحمود الشرقاوى ، على صفحات الرسالة » .

ان مفهوم الحياة عند انسان القرية صدى لمفهوم المجتمعات المتخلفة المتقرضة للدين ، ومن هنا استطاع الاقطاع والاستعمار السيطرة والاستغلال مدة طويلة ، ذلك أنهم غرسوا ما يريدون لضحاياهم من مفاهيم وجعلوها تنبع من بين مقدساتهم !. فهو مفهوم يعتمد على عقائد وموروثات صعب محوها فضلا عن تغييرها !

ومن المسجد ينبغى أن يتفف انسان القرية ، وخطيب المسجد ينبغى أن يدرك تماما صلة الدين بالحياة ، ودور المسجد فى التطوير والتعمير والتثقيف ، وهل كانت رسالة الاسلام الا تكريما للانسان على الارض ، وتأكيدا لعزته عليها ؟!

وعن المرأة فى القرية ، كم وددت أن أسأل المنظمات النسائية فى العاصمة ماذا تعلم هذه المنظمات عن المرأة فى القرية ؟! و « البردة » التى ترتديها المرأة الصعيدية فى بعض أقاليم الصعيد ، ولا يبدو منها شىء ، فاذا قابلت رجلا فى الطريق جلست ، حتى يمر ، ذلك أن مجرد رؤيتها ، واقفة فى سوادها ، يتنافى والتقاليد !

ان أكثر من نصف مجتمع القرية : نسائها وأطفالها، حياتهم هى الميدان الحقيقى لعمل المنظمات النسائية فى القاهرة ، ولكن كيف السبيل الى ترك العاصمة بحياتها المترفة ، والذهاب الى حيث البعوض الذى يمتص الدماء ، ومن هنا رقيقات ورشيقات ومدللات ؟!

واذا كنا سنجنى ثمار سدنا العظيم فى سنواتنا القليلة القادمة ، واذا كنا نقيم الآن صرح الحضارة العربية المنشودة من أجل الانسان العربى فان كل انسان على الأرض العربية ينبغى أن يكون على وعى ناضج ورؤية واضحة ، وفكر مستنير ، وهو يؤدى رسالته بالعمل الدائب .

ولا يكفى مطلقا أن نعطى انسان القرية الخبز ، بعد أن أخذناه منه قمحا !. فليس بالخبز وحده يحيا الانسان .

من ملحمة عمر

فتح بيت المقدس

« المشهد الثالث »

بقلم علي أحمد باكثير

في المسجد النبوي

عمر ينتحي ركنا فيه ومعه أهل الشورى ، فيهم عثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف والزبير وطلحة. وقد وقف دونهم أبو طلحة الأنصاري يحجبهم وفي يده السيف .

عمر : أكمل يا عثمان قراءة الكتاب ..

عثمان : (يتلو من رسالة في يده) واني يا أمير المؤمنين أعالج حربا كؤودا صدوما، وبلادا قد ادخرت لك فرأيك والسلام .
(يطوي عثمان الرسالة ويعيدها لعمر) .

عمر : ها أنتم أولاء قد علمتم ان أهل ايلياء قد اشجعوا عمرا وأشجاهم واني قد رأيت ان امده بالجيش الذي كنت جمعته لامداد سعد بالقادسية ، وان أسير بنفسي اليه فماذا ترون ؟

عثمان : يا أمير المؤمنين أما المدد فارسله على الفور ولكن لا تسر اليهم فليس ما يستوجب ذلك .

الزبير : وهذا الصلح الذي عرضوه اليس جديرا أن يرحل أمير المؤمنين من أجله

عثمان : لو كانوا يريدون الصلح حقا لعقدوه مع عمرو بن العاص فهو عندهم .

الزبير : انهم يرون مدينتهم مقدسة فيحبون أن يعقدوا صلحها مع امير المؤمنين بنفسه .

عثمان : لا شك انها مكيدة من داهية الروم الاطربون .

الزبير : أتذكر أطربون الروم ياعثمان وتنسى اطربون العرب ؟

عثمان : أطربون العرب لم يقدر منه على شيء .

الزبير : ويحك يا ابن عفان وهل قدر هو ان ينال شيئا من عمرو ؟ الم يكد له عمرو في أجنادين اذ ذهب يقابله بنفسه على انه رسول من عمرو حتى اذا ألقى في روع العلج انه عمرو او انه الذي يأخذ عمرو برأيه واسر له الغدر وعزم على قتله ، كاد له عمرو كيدة أخرى فتخلص منه بسلام ؟

عمر : (معجبا) هيه يا زبير .. لقد والله أنصفت أطربون العرب .

عثمان : فما بال أطربونكم هذا وقف عاجزا دون أسوار ايلياء زهاء عام ينتظر ؟

عمر : كلا ياعثمان انه لم ينتظر هناك وانما ضرب عليها الحصار وتركها لبعض رجاله وذهب يفتح غزة ، ورفح وسبسطية، ونابلس، ولد، وعمواس،

ويافا ، وبيت جبرين ، ومرج عيون وغيرها من مدن فلسطين .

طلحة : (متعجبا) عجبا يا أمير المؤمنين انك لتحفظ أسماء هذه المدن .

عمر : ويحك يابن عبيد الله ، من حمل أمانة فعليه ان يحفظها .

الزبير : اني أرى يا أمير المؤمنين أن تتوكل على الله وتسير اليهم بنفسك فان أرادوا صلحا عقدته معهم ، وان أرادوا غير ذلك فسيكفيك الله أمرهم .

عثمان : كلا ، لا تفعل يا أمير المؤمنين . انك ان أقمت ولم تسر اليهم وقد طلبوا قدومك رأوا انك بأمرهم مستخف ولقتالهم مستعد ، فلم يلبثوا الا اليسير حتى ينزلوا على الصغار ويعطوا الجزية .

عمر : وماذا ترى يا أبا الحسن فانا لم نسمع رأيك .

علي : أما انا فارى ان تذهب يا أمير المؤمنين فقد أصاب المسلمين جهد عظيم من البرد والقتال وطول المقام فاذا انت قدمت عليهم كان لك وللمسلمين الأمن والعافية والصلاح والفتح ان شاء الله . ولست آمن ان لم تفعل ان ييأسوا منك ومن الصلح ويمسكوا حصنهم ويأتيهم المدد من بلادهم وطاغيتهم لاسيما وبيت المقدس معظم عندهم واليه يحجون .

عثمان : لكن أبا الحسن أشار بغير هذا الرأى يوم صرار .

علي : ذلك ان أمير المؤمنين لا يقدم اليوم على خطر فقد أذل الله الروم للمسلمين وانما هي مدينة مستعصية بأسوارها طال عليهم حصارها، فارى ان قدوم أمير المؤمنين على المسلمين هناك أندى على نفوسهم وابعث لعزائمهم وأهيب في صدور العدو فتوكل على الله فان لك بكل خطوة تخطوها حسنة وفي كل ظمأ ومخمصة حسنة ، وفي قطع كل واد وكل فج وكل شعب .

عمر : لله أنت يا أبا الحسن لقد والله أرويت وشفيت .

عبد الرحمن : لا تعجل يا أمير المؤمنين حتى تسمع ما عندى .

عمر : قل يا عبد الرحمن ما عندك .

عبد الرحمن : مابرح في نفسي شيء من مسيرك الى الشام وتركك المدينة وليس مايلجئك الى ذلك . هذا أبو عبيدة يمضى فاتحا في شمال الشام مضى الشفرة في قطعة العجين .

طلحة : لا تنس يا ابن عوف ان معه هناك سيف الله خالد بن الوليد ... ألم تر كيف قال لأهل قنسرين لما تحصنوا في قلعتهم بعد ما هزمهم في حاضرها وقتل كبشهم ميناس : والله لو كنتم في السحاب لحملنا الله اليكم او لأنزلكم الله الينا . كلمة والله لا يقولها الا خالد .

عمر : صدقت يا أبا محمد . عجزت النساء أن يلدن مثل أبي سليمان . والله لأستعملنه على قنسرين وما حولها ليكون نكالا للروم اذا حدثتهم أنفسهم بالكرة .

عبد الرحمن : أما انك لراض عنه اليوم يا أمير المؤمنين .

عمر : أجل لقد أمر خالد نفسه .. رحم الله أبا بكر . هو كان أعلم بالرجال مني .

عبد الرحمن : فهلا أمددت به عمرو بن العاص يا أمير المؤمنين فاني لأحسب ان ليس لايلياء غير خالد .

طلحة : اى والله يا أمير المؤمنين ليس لها غير سيف الله .

عبد الرحمن : وتبقى أنت يا أمير المؤمنين بالمدينة وخلاك ذم .

عثمان : هذا والله الرأى يا أمير المؤمنين .

عمر : (بعد صمت قصير وهو ينظر مليا الى عبد الرحمن) لا يا ابن عوف لقد أبعدت مرماك .. اما ان في سيف خالد لرهقا وانك لأول من يعلم ذلك وهذه مدينة مقدسة عندنا وعند أهل الكتاب .

علي : هديت الرشد يا أمير المؤمنين .. ان لك في رسول الله لأسوة حسنة فقد أوصانا يوم فتح مكة بالرفق بأهلها ونهانا عن العنف ، وان بيت المقدس لفيه المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله والذي كان قبلتنا الأولى قبل ان نؤمر بتولية وجوهنا شطر الكعبة .

عمر : بوركت يا ابن أبي طالب لاعدمنا رأيك وعلمك . اما والله ان رفق عمرو بن العاص لخير عندي من عنف خالد بن الوليد .

علي : فاذا ضممت الى رفق عمرو رفقك يا أمير المؤمنين كان ذلك أجدر بمكان بيت المقدس وأوفى بما هو أهل له من التوقير والتعظيم .

عمر : يا أبا طلحة . ائتني الآن برسول عمرو بن العاص .

(يخرج أبو طلحة ويغيب قليلا ثم يعود ومعه عقبة بن عامر الجهني) .

عمر : هلم يا أخا جهينة .. ابشر فقد أنجح الله مهمتك .

عقبة : (فرحا) الحمد لله يا أمير المؤمنين .

علي أحمد باكثير

عناق الثوار

للشاعر اسماعيل الصيفي

منتف الملاح في نهر الفرات .. وتغنى آسره
رسري الشعب ذليل الخطوات .. في الليالي المظلمة
ما الذي خلف وضوح البسمات .. من معان مبهمة
ما الذي تحت هدوء الظلمات ..من مني مضطرمة ؟
ثورة ؟ صه !.. انما الجلاد عات .. بالها من كلمة

بيد ان الحلم الصخاب هز النائمين .. فاستفاقوا
واذا الصحوة همسات ، فتدبير مكين .. فانطلاق
واذا ثورتك الكبرى تهز العالمين .. يا عراق
واذا نحن على الشطئان وجد وحنين .. وعناق

عانقت ثورتك الكبرى شعاري .. وأجابت روحيه
أمل يتداح من دار لدار .. ويغني أغنيه
وقلوب ضمها ذل الاسار .. وحدتها أمنيه
وشجاها ثارك المر وثاري .. من عهود باغيه
كانت الظلمة شماء الجدار .. والسوافي عاتيه
فاضاءت ثارك الكبرى وثاري .. للسنين الآتيه

البر الثانى في رحلة خارج السور

بقلم

الحسانى حسن عبد الله

قرأت « رحلة خارج السور » وشاهدتها فخرجت منها بمعنى فتشت عنه فى كل ما كتب عنهـا فلم أجده ، فقلت لنفسى : أأنت المصيب والآخرون جميعا على خطأ ؟ وظل الاستفهام بلا جواب ، ولكن الغريب فى أمر هذه المسرحية ليس اختلاف التفسيرات بل اتفاقها جميعا على فكرة ثانوية فحواها نقد مفاسد عهد الملكية والتبشير بالعهد الحاضر . وبناء على هذه الفكرة اتهمت بعدم التناسب بين أسلوبها وفحواها.

هذه التهمة لا تعنينا الآن وانمـا يعنينا أن فهم المسرحية على هذا النحو يجعل أكثر من نصفها لغوا. وليس من المعقول أن يفى جزء من العمل بمعنـاه ويبقى معظمه بلا معنى . لكن هذا الذى ليس معقولا كان هو المعقول فى تناول النقاد لها ، فقد اعتمدوا على جملة أقوال ترددها شخصيات ثانوية غافلين عن حقيقة بديهية تجعل معنى العمـل المسرحى منوطا بشخصياته الرئيسية . فأول خطـوة فى الفهم أن نكشف الرمز على ضـوء معرفة ما تعـانيه هذه الشخصيات . وليس من الحتم أن تنتهى بنـا هذه الخطوة الى تفسير مانع فقد نبدأ منهـا ونصل الى تفسيرات مختلفة ، لأن الأدب حياة وليس قضـايا رياضية ولكن المهم فى هذه الحالة أن يتغلغل التفسير الى البـاطن بحيث لا يترك فى العمل ما يمكن أن يتناقض معه .

هذه المسرحية دعوة غير صريحة الى اطلاق العنان للغريزة الجنسية . بل هى دعوة تصل الى غايتهـا فى التواء شديد . وقد يكون ذلك لأن الدكتور رشاد رشدى يخشى أن يجهر بما يريد ، ولعل هذه الخشية هى المسئولة عن غموض الفكرة وتعقد الحوار . وربما كان لهذه الخشية ما يسوغهـا فلست أنكر أن فى مجتمعنا ميلا الى محاربة الكلمة بغير الكلمة وانمـا أنكر أن يمنعنا هذا من تحمل التبعه . نحن فى حاجة الى تفكير جرىء ولكنه لن يكون جريئا اذا بلغ الغاية فى الالتواء .

تتطلع الشخصيات الرئيسية الى بر ثان تتخلص فيه من مشكلاتها باحثة عن معبر يوصلها اليه. وكل ما نعرفه عن ذلك البر الثانى أن الورد يتفتح فيه ، ولكن الورد ليس بغية الجميـع فبينما يتلهف عليه « حامد ، وفريد ، وكريمة » نجد «سعيدا» يضيق به أشد الضيق . فما حقيقة ذلك الورد ؟

انه دليل حب يقوم على علاقة جنسية . «محاسن» تحب « فريد » وعندما تحس بالعـلاقة بينه وبين « كريمه » تتهمها بخيانة زوجها « سعيد » أما دليل الاتهام فهو وردة اتى بهـا «فريد» من البر الثانى ليهديها الى «كريمة» .

محاسن : من امتى العلاقة اللى بينك وبين فريد؟

كريمه : انت اتجننت ؟

محاسن : انت اللى اتجننت . واحده متجوزه ..

ولما تنكر «كريمه» تواجهها «محاسن» بالدليل :

ـ يعنى مفيش حاجه ؟ أمال الورده دى ايه ؟

« أمال الورده دى ايه » هذا السؤال الانكارى من «محاسن» يعنى ان الوردة رمز العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة ، وعلى هذا المعنى تفهمه «كريمه» .

فاذا انتقلنا لنتبين حقيقة المشكلات التى يعانى منها أبطال المسرحية وجدناها لا تتعلق بغـير الجنس . «شهيره» زوجة «عم كامل» تنتحر لانها لم تحتمـل خيانتها لزوجها مع صديقه «أبو العيون» و «محاسن» تحب «فريد» وتخونه مع «اسماعيل» . و «سعيد» يخون زوجته «كريمه» مع «صابره» . وكريمة تقبل «الورد» مرة من «فريد» ومرة من «حامد» . «وزاكيه»

يشترك في جسدها ثلاثة : عم كامل وصديقه «ابو العيون» الذى عمى وهو يحاول انقاذ «شهيره» من الموت ـ و«سندس» الخادم الذى يعلم ما يفعله بها الآخران ·

والآن ما الذى يريد أن يقوله رشاد رشدى ؟

يريد أن يقول ان «شهيره» لم تنتحر لانها خانت الزوج فى شخص «عم كامل» وانما انتحرت لخيانتها انسانا يحبها ، فلو لم يكن الحب لما كان لقداسة الزوجية أن تشعرها بالذنب ·

شهيرة : كامل بيحبنى · ما اقدرش أسيبه · ياريته يكرهنى ·

ان ما يحول بينها وبين الرضاء بمنع جسدها لصديق زوجها هو تلك العاطفة التى يكنها الزوج لها فلو انه كان يكرهها لرضيت مطمئنة الضمير بالخيانة ·

يريد أن يقول ان «محاسن» همت بالانتحار لانها عانت التجربة نفسها التى عانتها أمها «شهيره» فهى تبادل «فريد» الحب وتخونه مع اسماعيل العريض الأسمر ·

يريد أن يقول ان وثيقة الزواج لن تمنع الخيانة وان الحب أضعف من الشهوة · ولكى لا ينتحر الناس تخلصا من عذاب الضمير يجب الا تكون وثيقة الزواج وثيقة ، والا تكون العاطفة مكبلة لنوازع الهوى · يعنى ينبغى أن يقوم عرف آخر لا يرى فى نزوة الجنس جريمة · عرف يتيح لكريمة ان تمنح جسدها مرة لحامد وأخرى لفريد بغير خوف من زوجها :

كريمة : فريد · انت قلت لى البر التانى فيه ورد جميل · مش كده ؟

فريد : أجمل ورد ممكن تتصوريه ·· بكره لما أبنى الكوبرى تبقى تروحى تقطفى منه زى ما انتى عاوزه ·

زاكيه : واحده بيضه وواحده حمره

كريمة : (بفرح) مدهش · (بانكسار) لكن سعيد

فريد : ماله سعيد ؟

كريمه : ما بيحبش الورد

حامد : أما جنينة الحاج بسيونى فيها شوية ورد · بكره وانا جاى من المدرسة أجيب لك معايا شوية ·

كريمة : صحيح (بخوف) لأ بلاش بلاش

زاكيه : واحده حمره وواحده خضره

كريمة : تيجى نروح نشوف الورد ؟ نشوفه بس

حامد : «وهما خارجان» نشوفه ·· نقطفه ·· زى ما انتى عاوزه «يخرجان» (صوت الفرس يصهل أعلى من الاول ويستمر تحت كلام زاكيه)

هذا مشهد جنسى كامل تبدأ فيه الرغبة على استحياء وخوف وتنتهى بصهيل الفرس الذى يصهل دائما عند أى بادرة من بوادر الاشتهاء ، أو تنتهى بالاشباع الذى ترمز اليه السرعة الشديدة أو الايقاع الجنسى المتوفر فى كلمات زاكيه (واحده خضره وواحده حمره) ·

أما «سعيد» فى المشهد فهو يمثل عائقا أو يمثل سطوة التقاليد فهو لا يرضى أبدا بالورد أو لا يرضى لزوجته ان تخونه ، ولكنا نعلم انه يخونها مع «صابره» ، فالمؤلف يقول اذن ان العرف القائم الآن عرف جائر لانه يتيح للزوج أن يعبث ولا يعطى للزوجة حقها فى العبث ·

سعيد بيكره الورد وبيحب كريمه · واهم قاعدين فى بيتهم الصغير الجميل والياسمين قافل الشباك (بفزع مفاجىء) وعلى الياسمين تعابين تعابين · وكريمة فى حضن سعيد · حتروح فين من التعابين

محاسن : كريمة · اصحى فتحى عنيكى · انت هنا فى بيت عم كامل ·

كريمة : (تفتح عينيها) عارفه (تنظر حواليها)

محاسن : شفتى ؟ مافيش تعابين ولا حاجة

كريمة : (بحنين) لو كانوا يبنوا الكوبرى

او لو كانوا يتنازلون عن تقاليدهم الجائرة التى لاتحسب للنزوات الطارئة حسابا ، لو يعطون للمرأة نفس الحق الذى يعطونه للرجل · ولكن التقاليد قوية · انها فى قوة «السراى» التى أصدرت قرارا بوقف « فريد » عن العمل ·

معنى هذا ان الكاتب يرى التقاليد والسراى قوة واحدة ينبغى الا يزول جزء منها ويبقى جزء · والآن وقد زالت قوة السراى ينبغى أن تزول قوة التقاليد·

الكوبرى اذن هو معبر الى نفسية جديدة يرى فيها بضعة أشخاص وسيلة الخلاص ، أما بالنسبة الى السواد الاعظم من الشعب فلا أهمية له · فهذا الشعب كما تعرضه المسرحية فى حالة من التخلف والغفلة عن جذورمشكلاته تدعو الكاتب الىالسخرية وتدعو المشاهد الى الرثاء · وعرض الشعب فى هذه الصورة لا يستقيم على فرض أن السور يرمز الى مفاسد العهد الماضى الا اذا كان رشاد رشدى يريد ان يقول ان الشعب قبل الثورة كان على قدر مخيف

من البلاهة ، وان الثورة نبات شيطاني لم يصنعها وعى الأمة وانما صنعها وعى متفرد لبضعة أشخاص من الأمة • ولا احسبه قصد الى شيء من هذا • السور شيء يحاصر كل فرد على حده هو الذى صنعه وهو الذى يهدمه • يقول «فريد» (اللى عملوا السور هم نفسهم اللى يهدوه • كل واحد يهدم بايده الحته اللى بناها • دى الطريقة الوحيده)

ان المؤلف على وعى بفكرته وعيا دقيقا • ومن شواهد هذا الوعى انا نجده يكرر ذكر اسم « الحاج بسيونى » فى موضعين متباعدين • والحاج بسيونى ليس شخصية فى المسرحية وانما هو اسم عارض يرد ذكره فى الصفحة الثامنة عشرة للدلالة على شيء وفى الصفحة الرابعة والثمانين للدلالة على الشيء نفسه • الحاج بسيونى صاحب « الجنينة » التى ذكرت فى حوار سابق والتى تحتوى على ذلك الورد الذى تخشى كريمة أن يقطف لها حامد بعضا منه هو نفسه الحاج بسيونى الذى يرد فى هذا الحوار :

محاسن : فريد • اخص عليك خضتنى افتكرتك العفريت

فريد : عفريت ايه ؟

محاسن : (بحماس) العفريت اللى طلع لخالتى مراة الحاج بسيونى • تصور العفاريت بقت بتطلع بالنهار •

فريد : كلام فارغ • موش معقول

محاسن : موش معقول • لكن حصل • دى الست فى المستشفى • تصور من اجرامه يطلع لها الساعة التناشر عز الضهر • قاعده تخبز تلاقى ده واقف فوق راسها وشه كله شعر • طويل واسود زى الفحم • صوتت • جم ولادها والخدامين والجيران • وده برضه واقف مطرحه • يشتموه • يرموه بالتراب ما يتحركش • مامشيش الا لما سمع وابور الحريقه • دخل فى خرم صغير فى الفرن • خرم صغير خالص قد كده • رجالة الحريقة يسلطوا خراطيمهم على الفرن لكن كل ما يرشوا الفرن بالميه النار تقيد فيه زياده • خافوا لحسن يعملوا حريقة فى البيت • مشيوا • تو ما مشيوا النار انطفت •

اسماعيل بيقول دى حاجة طبيعية • طبيعية كيماوية مش فاكره • امراة « الحاج بسيونى » تخونه مع العفريت • وجنينه «الحاج بسيونى» هى التى تتحرق «كريمة» رغبةفى وردها ورد الشهوة أو ورد الخيانة، والخيانة كما يتضح من الحوار لا مناص من وقوعها، فقد حاولت الخراطيم أو حاولت التقاليد أن تطفىء شهوة المراة ولكن الشهوة تلتهب اكثر ، ولم تنطفىء الا بعد انسحاب الخراطيم أو بعد اشباع الغريزة الجامحة فى غفلة من سطوة التقاليد • أما اسماعيل الذى سبق أن رأينا «محاسن» لا تستطيع أن تمتنع عن منحه جسدها – لا لشيء الا لانه عريض أسمر – فيرى فى هذا الامر حاجة طبيعية • وهذا ما يراه معه الدكتور رشاد • انه يريدنا أن نتحرر من تلك السطوة التى قضت على « أبو العيون » أن يعيش فى خوف دائم من افتضاح أمره مع «شهيره» هذا الخوف الذى يبدو فى استفهامه المتكرر «هم قالوا ياوله ؟» كانما يريد أن يستوثق من أن أحدا لم يفش سره ، السطوة التى قضت على « زاكيه » التى تشبع عن طيب نفس أو عن طيب جسد رجالا ثلاثة بالجنون •

يقول الدكتور رشاد رشدى : كلنا يخون • كلنا يحافظ على التقاليد وكلنا يخرقها لان الحاجات الطبيعية أقوى • هذا هو التناقض الذى مزق «محاسن» «الدنيا مليانةرجالةوستات خاينينوعايشين مبسوطين » • التناقض بين ما نقيمه بأنفسنا ونهدمه بأنفسنا • لنعترف اذن بالامر الواقع حتى تزول من القواميس هذه اللفظة البشعة « الخيانة » • ولن تزول الا اذا ارتضى كل منا أن يحترم نداء الشهوة فى جسده وفى أجساد الآخرين • المرأة لن يشبعها رجل واحد فهى تريد الاسمر العريض وتريد الدمث الذكى ، وتريد غيرهما على اختلاف الاوصاف • والرجل لن تشبعه امراة واحدة فهو يريد « واحده بيضه وواحده سوده ، واحده حمره وواحده خضره»

هذه هى الفكرة التى خرجت بها من « رحلة خارج السوره والتى يقوم عليها فى اعتقادى بناء المسرحية• وهى – كما نرى – فكرة لا يتطلب ردها غير اعمال الخيال قليلا فيما يكون عليه حال البشرية لو أطلقنا العنان للأهواء • ان البشرية لم تصطنع التقاليد الا هربا من الدمار الذى يتهددها فى شيوعية الجنس • ذلك ان تحقيق الرغائب مع تباينها بين فرد وآخر امر مستحيل ، وأى محاولة لجعله ممكنا تؤدى الى صراع مرير بين صاحب الرغبة وصاحب الرغبة المباينة لن تكون نهايتها حميدة على أى حال •

فعلى «الدكتور رشاد رشدى» أن يسلم – الى ان يخترع لنا آدم آخر – بحتمية التباين فى الكائنات• ولا سبيل الى تجنب الوبال غير العرف او التقاليد او القانون • ولا خلاف على أن فحوى الكلمات الثلاث لا يضمن تنظيم العلاقات بين الناس تنظيما يرضى الجميع ولكن قانونا يحرق أهون بكثير من الفوضى •

الإسلام المصدر إلى إفريقيا

بقلم محمد عبد الله السمان

منذ أسابيع التقيت بأحد تجار أفريقيا الأثرياء ، وحدثنى عما يلقاه الاسلام فى غربى أفريقيا من معاناة ازاء نشر الثقافة الاسلامية ، فبينما مدارس الارساليات التبشيرية ومعاهدها تزدهر وتتلقف عشرات الألوف من أطفال المسلمين وشبابهم ، تتضاءل الكتاتيب وتكاد تختنق ، وهى الوحيدة فى البلاد التى تقوم على تعليم القرآن الكريم واللغة العربية ، وذكر لى أنه كلما قدم الى القاهرة حرص على أن يصدر عددا من الكتب الدينية الى بلاده ، واعتبر ما دفعه ثمنا لهذه الكتب الدينية بمثابة زكاة لماله .

وسألته عن الكتب الدينية التي يحملها معه فى هذه المرة ، فأذهلنى جوابه ، اذ عرفت أنه يعتزم شراء ثلثمائة مصحف من الورق الأصفر ، وخمسمائة نسخة من « **دلائل الخيرات** » وخمسمائة نسخة من « **دقائق الأخبار فى ذكر الجنة والنار** » وخمسمائة نسخة من « **المجموعة المباركة** » التى تحكى قصة استغفار **عبد الله بن السلطان** » ثم بضع مئات من **قصص الغزالة والضب مع رسول الله** ، ومن الجدير بالذكر ان أخطر ما فى هذه الكتب المنسوبة الى الدين ، قصة استغفار عبد الله بن السلطان ، ومؤداها أن عبد الله بن السلطان هذا كان سكيرا عربيدا منحلا خلقيا ودينيا ، يجاهر بالمعاصى ويتمادى فى غيه وضلاله ، وحين مات أوحى الى الرسول — صلوات الله عليه أن يصلى عليه ويشهد جنازته ، ويوارى بيده جسده الى مثواه الأخير وشوهد الرسول وهو يسير فى الجنازة أنه يخطو على أطراف أصابعه ، كما شوهد يبتسم وهو يوارى الجسد فى التراب ، وحين سئل قال : كنت أسير على أطراف أصابعى لزاحمة الملائكة ، أما سر ابتسامته فهو أنه شاهد الحور العين تتنافس فى استقبال ابن السلطان ، وبعد أن انتهى من مواراة الجسد القبر ، قال الرسول : هلم بنا الى بيت عبد الله بن السلطان نسأل أهل بيته عن عبادته وصلته بالله ، وفوجئوا بأن كل ما يعرفه أهل بيته عنه ، أنه كان يعيش فى قمة فسقه وفجوره ومجونه وتمرده على الفرائض الدينية جميعها ، غير أنه كان اذا جاء شهر رجب داب على تلاوة استغفار طويل ، وحين جىء بهذا الاستغفار وتلاه الرسول ، قال : من قرأ هذا الإستغفار مرة واحدة فى حياته غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ولو كان مثل زبد البحر ، وكتب الله له ثواب سبعين نبيا وسبعين صديقا وسبعين شهيدا ، وسبعين حجة ... الخ هذا التخريف .

وليس العجيب فى أن تكون قصة استغفار عبد الله بن السلطان ذائعة الصيت ومشهورة لدى العامة والبسطاء من المسلمين فى آسيا وأفريقيا ، ولكن وجه العجب أن هذه القصة تباع فى مكتبات على بضع خطوات من الأزهر ، وتصدر الى العالم الاسلامى منها عشرات الألوف على مرأى ومسمع منه .

قلت لصاحبى التاجر الافريقى : أتعتقد أنك بهذا العمل تكون قد أرضيت ربك ، وزكيت عن مالك ، وأديت خدمة لدينك تؤجر عليها ؟

قال : وهل فى ذلك أدنى ريب ؟

قلت : لو أنك اقتصرت على تصدير المصاحف الى بلادك لكان لك فيما أقدمت عليه مثوبة ، ولكنك حرصت على أن تصدر اسلاما مشوها لا يسىء الى العقيدة — فحسب — بل يصيب المسلمين أنفسهم ويعوق نهضتهم ويطوق عقولهم بأغلال الجمود والتأخر ، ويجعل الاسلام فوق ذلك مضغة فى أفواه المبشرين ، وبعد نقاش عنيف طويل اهتدى الى أن تصدير كتاب واحد الى جانب القرآن ،يعرض العقيدة الاسلامية ، ومفاهيم الاسلام عرضا سليما خير ألف مرة ومرة من عشرات الالوف من هذه الكتب الدينية الغثة التى تجلب العار الى الاسلام وثقافته ، والى وجود المسلمين أنفسهم .

اننا نعلم علم اليقين أن الاسلام دخل الى أفريقيا السوداء ومجاهلها عن طريق التجار العرب ، الذين هاجروا من الجزيرة العربية ومن منطقة الخليج الفارسى ، وهؤلاء العرب هم الذين كونوا الامارات الاسلامية فى شرقى أفريقيا ، وصمدوا أجيالا

ازاء هجمات المسيحية والاستعمار معا ، ولكن الى جانب ذلك لا يمكن أن نتجاهل الدور الخطر الذى لعبته الطرق الصوفية فى السيطرة على توجيه الاسلام فى شتى بقاع أفريقيا السوداء ، وربما كان انجذاب الافريقيين الى الطرق الصوفية لدعوتها الى الايمان بالخوارق والأساطير ، يقابله انجذاب الوثنيين الافريقيين الى الكاثوليكية لايمانها بالمعجزات والخوارق أيضا ، وأمام انتشار الصوفية المخرفة فى أفريقيا ، لا يمكن أن تروج الا الكتب الدينية المسفة هناك ، وقد حدثنى بعض طلبة البعوث الاسلامية من أبناء السنغال ، أن الكتب الاسلامية الهادفة الناضجة تقاومها الطرق الصوفية فى بلادهم مقاومة عنيفة وهى صاحبة النفوذ ، وأن الشباب الأزهرى حين يعودون الى بلادهم يعجزون عن تأدية رسالته وسط غوغاء الصوفية المتخلفة ، لأن أهون تهمة يتهم بها الأزهرى هى الزندقة والمروق من الاسلام ، ومثل هذه التهمة كفيل بأن يجعل أقرب الناس اليه مودة ورحما لايتورعون عن مقاطعته ٠

وهنا سؤال يتبادر الى الذهن : هل نستطيع ان نعتبر أننا ادينا بهذا بعض الواجب فى محيط الثقافة الاسلامية ـ تجاه أفريقيا السوداء ـ هذه القارة الفضة ، ومصر لا شك أنها اليوم كعبة العروبة ، ومطمح أنظار الاسلام فى أفريقيا ٠ ؟

نحن لا ننكر أن الأزهر يرسل عشرات من المبعوثين الى أفريقيا كل عام ، ولكن نصيب كل دولة من أفريقيا السوداء لا يتعدى الاثنين أو الثلاثة اذا استثنينا السودان القطر الشقيق ، ومهمة المبعوثين لا تتعدى التدريس بالمدارس الى القيام **بمهمة أخرى هى نشر الثقافة الاسلامية الواعية** بين الشعب الافريقى ، ولن يكون القياس الى جانبنا اذا علمنا أن فى أفريقيا **٤٥٠٠ مبشر امريكى من المذهب البروتستانتى وحده ، وأن فى أوغندة التى** يبلغ تعداد سكانها نحو خمسة ملايين ١٢٠٠ مبشر بريطانى ، ومما هو معلوم أن عدد المسيحيين فى أفريقيا واحد وعشرون مليونا ، وأن عدد المسلمين ستون مليونا ، وعدد الوثنيين ١١٢ مليونا ، وأن كلا من الاسلام والمسيحية يتنافسان فى جذب هذه الملايين من الوثنيين ٠

وفى مجال الدراسات الافريقية لا يبدو أن لنا مجهودا يذكر ، ولا زلنا نتلقى معلوماتنا عن أحوال الاسلام والمسلمين من مؤلفات كتاب الغرب ولاسيما المستشرقين والمبشرين منهم مثال : **«داخل افريقيا»** لجون جنتر ، **«ويقظة العالم الاسلامى»** لـ ف ٠ و ٠ فرنو و **« الاسلام فى افريقيا الشرقية »** للدكتور ليندون هاريس وهو علم من أعلام التبشير فى أفريقيا ، **و « افريقيا الجديدة » لصحفى امريكى ، و « افريقيا الاستوائية »** لجورج كامبل ، **و « شبه جزيرة سيراليون »** لكريستوفر فايف ثم **« دور العرب فى افريقيا »** للصحفى الفرنسى جاك بولن ، ولولا أن المرحوم **الاستاذ العقاد** تعرض لكثير من هذه الكتب بالنقد فى كتابه الاخير **« ما يقال عن الاسلام »** لظل مجرد صدورها مجهولا بالنسبة الينا ٠

***

وبعد فلسنا نملك الا أن نردد ما سبق أن كتبه الأستاذ **فائق السمرائى** على صفحات **«اخبار اليوم»** منذ أقل من عامين ، حين كتب يقول : **« ان العرب والمسلمين فى افريقيا العربية ذخيرة حية لم نحسن الافادة منها لتوجيه قضايانا القومية »** وفى خلال العامين الأخيرين استقلت دول افريقية كثيرة للاسلام والعروبة فيها نفوذ ، والى جانب ذلك بدأت الصهيونية تتسلل الى افريقيا لتاخذ لها مكانا ، وهذا يحتم علينا أن نفتح أعيننا على افريقيا لنحسن الافادة من الطاقة الاسلامية العربية ، أو الذخيرة الحية كما أسماها الاستاذ فائق السمرائى ٠

اما ما قاله « اندريه جيد » من ان اتصال الاسلام بالشعوب الافريقية يرفعها ويسمو بروحها » فهو يقصد بالطبع الاسلام بمفاهيمه الحية ، ومعانيه القوية ، وحساسيته الفعالة ، **لا الاسلام الذى تصدره الى افريقيا مكتبات حى الأزهر فى شبه كتب دينية لا ترتبط بالاسلام الصحيح فى كثير او قليل ٠**

الدين والشعر

بقلم: محمد يوسف القعيد

فى المقالات المتبادلة بين الدكتور محمد النويهى والشاعر عبده بدوى حول الشعر والدين او بالاحرى بحث تلك الظاهرة . ظاهرة انصراف معظم الشعراء – وفهم المسلم والمسيحى – الى حقائق الدين المسيحى محاولا .. استلهام هذه الحقائق خلال القصائد الشعرية . وفى مقالتين حدد الشاعر عبده بدوى الظاهرة وبحث اهم اسبابها وفى رد للدكتور محمد النويهى نفهم ان موقفه من هذه الظاهرة . انه على الشاعر المسلم احد الحلين .. اما ان نكتفى بالتناول الحرفى لهذه العقائد ، واما ان نضحى بهذا التناول الحرفى كى يتناولها الشعراء تناولا رمزيا محضا فليس امامنا الا (اننا نحتفظ بحرفية الايمان وان حرمنا من غناء الالهام الشعرى اما ان نطالب بالاثنين معا ، فهذا مالاسبيل اليه فنحن لانستطيع أن ناكل كعكتنا ونحتفظ بها) المشكلة لدى الدكتور النويهى اذن بتحديد أكثر هى ان التناول الرمزى لحقائق الدين يتناق مع الايمان الحرفى بهذه الحقائق وليس امامنا كما يقرر الدكتور النويهى سوى التضحية باحد الشيئين فى سبيل بقاء الشيء الآخر ..

ولكن الشاعر عبده بدوى يرى المشكلة من خلال منظور آخر انها لديه (مشكلة البحث عن الدقيق الجيد وهو لايعرض فى دكان حضارة واحدة وانما فى اكثر من دكان فى اكثر من حضارة) ان الشاعر عبده بدوى اذن ينفى وجود هذا التناقض بين التناول الحرفى لهذه الحقائق والتناول الرمزى لها خلال القصائد الشعرية .

وخلال بحث هذه الظاهرة تبرز لنا عدة قواعد تضيء لنا الطريق :

● ان طبيعة الشعر – من الوجهة الفنية – تسوغ علاقته بالرموز الدينية بطريقة لابد وان تسمح للشعر بان يظل شعرا مهما كانت درجة الارتباط بالنواحى الدينية . ومهما ارتبط الشعر بمجالات خارجية عنه فالمحافظة اولا على نوعية الشعر كفن أدبى دائما فى الأهمية من الدرجة الاولى ..

● ان الايمان الحرفى بالقواعد الدينية – اى دين كان – اقول هذا الايمان بقواعد الدين .. لايتناقى اطلاقا مع التناول الرمزى لها خلال القصائد الشعرية ، والدكتور النويهى يقرر هذا بنفسه فى مقاله (لست اعنى بهذا ان العقائد الدينية فى ذاتها حين تقبل قبولا حرفيا كانت دائما عاجزة عن الهام الفنانين والادباء ..)

● ان التناول الشعرى – لدى شاعر ما – لحقيقة دينية معينة لايعنى ان هذا الشاعر مؤمن بهذه الحقيقة على مستواها الحرفى فقد يكون الشاعر غير مؤمن بهذه الحقيقة على البساط الحرفى ولكن لامانع لديه من استخدامها كرموز شعرية فى القصيدة .

● ان الفكرة الدينية حين يخضعها الشاعر للقصيدة الشعرية ولجوها انما تفسر على اساس من القصيدة بصرف النظر عن وضع هذه القضية الدينية خارج اطار القصيدة وهذا مثلا يفسر قول الناقد غالى شكرى فى معرض حديثه عن الشاعر يوسف الخال (اننى لاارى فى الفكرة المسيحية – قديما وحديثا – اى مضمون تقدمى ممكن له ان يشد عالمنا الى مستقبل مضيء) ولكن غالى شكرى يقول فى الوقت نفسه عن يوسف الخال (هذا شاعر مسيحى استطاع أن يجعل من أيديولوجيته شعرا) الحقيقة الدينية عندما تقبل على المستوى الحرفى لها . يكون لها وضع خاص . ولكن قبولها على المستوى الرمزى يضع الحقيقة الدينية فى مستوى آخر ..

خلال هذه الحقائق تتضح لنا هذه العلاقة . فالشعر اولا يجب أن يظل شعرا .. يجب ان يظل مستمدا عناصر البقاء من نوعيته الفنية الخاصة .

هذا هو الوجه الاول للقضية . والحقائق الدينية عندما تدخل فى القصيدة كرموز ودلالات يجب ان نتلقاها على أساس جديد متناسين فى الوقت نفسه كونها حقائق دينية حرفية أولا وقبل كل شيء آخر .. هذا هو الوجه الآخر للقضية .

ان عملية الترجمة والمزج هذه . مع عدم المساس فى وقت واحد بالشعر كفن له قواعده وبالقيم الدينية فى الوقت نفسه كحقائق دينية حرفية . اقول هذه العملية هى العملية الصعبة المعقدة التى من الواجب على الشاعر أن يراعيها خلال هذه العملية.وهذا ما يقصده الشاعر عبده بدوى بالبحث عن الدقيق والجيد .

هذه اذن هى ابعاد تلك العملية . استخدام الرموز الدينية واستبطان تلك الرموز كى يقوم الشاعر باستخراج كل الدلالات الممكنة من هذه الرموز . هذا الكلام بصفة عامة وان جاز لنا التحديد وتطبيق هذا الحديث على ظاهرتنا . وهى ظاهرة انصراف الشاعر المسلم الى الدين المسيحى .. مع العلم بان دينه مليء بهذه الرموز . ما هو السبب فى هذه الظاهرة ؟ ان **الدكتور محمدالنويهى** يعتقد أن : الاغراء الشديد لهو هذه الرموز سبب أول،والسبب الثاني : (اننا لم نصل فى تفكيرنا الدينى الى نظير تلك المرحلة التى بلغها أولئك المسيحيون من اتخاذ العقائد الدينية مجرد رموز) **والشاعر عبده بدوى** يعتقد ان اسباب هذه الظاهرة هى : وقوع الشعراء تحت تأثير مثقفين شديدى الذكاء ، او العيش فى المناخ الشعرى للبنان ، أو الاعتقاد بأن القصيدة العمودية تمت الى التناول الدينى . او تحفظ علماء على حقائقه ..

ونحن نود ان نفرق بين الشعر الدينى وبين التناول الرمزى لحقائق الدين فى القصيدة . ففى الحالة .. قد تقبل القوانين الدينية بالحرفية الاولى لها .. وان كان هذا ينقص من قيمة الشعر كفن خالص مثل قول شوقى :

الدين يسر والخلافة بيعة
والأمر شورى والحقوق قضاء

اقول هذا شيء والتناول الرمزى لحقائق الدين شيء آخر على طول الخط .. ومن هنا ايضا يأتى الثقل الفنى خلال الاستخدام الرمزى لهذه الحقائق الدينية فى القصيدة . فالبعد عن المباشرة والتقريرية والهتافات (وهى واضحة فى بيت شوقى) لابد اذن ان تدخل هذه الرموز بلا تصنع واضح داخل القصيدة دون ان يحدث هذا التركيب اى صرع فى البناء الفنى للقصيدة ..

ان فى الدين الاسلامى وفى القرآن الكريم واحداث الاسلام مايكفى فعلا لتوسيع العالم الشعرى واثراء القاموس الخاص بكل شاعر ولاتوجد فى الميدان تضحية بشيء فى سبيل بقاء الآخر كما يقرر الدكتور النويهى .. الميدان فقط فى حاجة الى فارسه الجديد . ليس فى الامر كعكة نحاول أكلها والاحتفاظ بها ولكننا فى حاجة الى (معادلة صعبة) توفق بين نوعية الشعر كفن قائم بذاته - ومعنى هذا الا تتم العملية على حساب الشعر من الوجهة الفنية وفى الوقت نفسه فان استخدام الحقائق الدينية - كرموز دينية خلال القصيدة - اقول - هذا الاستخدام لايتنافى مع الإيمان الحرفى - او عدمه بهذه الحقائق . فالحقيقة الدينية كحقيقة قائمة بذاتها لها وضعها الخاص ولكنها حين تستغل كرمز شعرى يتغير هذا الوضع ..

ومهما كانت الأسباب التى حالت دون الشعراء من استخدام هذه الحقائق فانه لاتوجد .. تلك الكعكة .. التى هناك ازمة محاولة اكلها ومحاولة الاحتفاظ بها .. هناك فقط حل المشكلة الكبرى . مشكلة (المعادلة الصعبة) - وآسف لان هذا الاصطلاح اقتصادى - ان المشكلة بالدرجة الاولى هى : « مشكلة البحث عن الدقيق الجيد . وهو لايعرض فى دكان حضارة واحدة .. وانما فى اكثر من دكان واكثر من حضارة .. »

سحر الأعوام

للشاعر محمود عماد

ومرت سنة أخرى وعدت أشاهد البحرا
فكم من مثلها فى الغيب استوفى به العمرا ؟
وامضى لا ارى بحرا على الدنيـا ولا برا
ولا استلهم الشعر ولا أستلهم النثرا
كأنى لم أعش سنة بهذا الكون او شهرا
أما هى سنة العيش التى قد سنها قهرا
فاين مضى عن الثغر الذى قد انشأ الثغرا
ثوب اسكندرية وانطو ى اسكندر دهـرا
وقيل بنى له قبـرا بها فاضاعت القبرا
وعنها غاب انطنيـو س اذ غـابت كلوبطرا

❊ ❊ ❊

ومات وراءها الصـل الذى قد نفذ الأمرا
ولم يشفع له فى العيش سم فيه قد قـرا
وولى بعد اكتفيـو س والاجنـاد والأسرى
وكم ناس تلت ناسا بقطر قد تلا قطـرا
فمنهـم عابدو الله ومنهم عابدو الشعرى
ومن للات والعزى انتمى ومناته الاخرى
ولم يلبث سوى البحر الذى عـاصرهم طـرا
وهذا البحر يشهدنا ولا يالو لنـا ذكرا
وفى الغد سوف ينسانا ويلحقنـا بمن مرا

❊ ❊ ❊

فناء يدرك الاحياء منه الموج قد فـرا
فيا عالم سر الخـلـد من علمك السرا ؟
سالت ولم أكن بالخـلـد اذ اسـال مغترا
فلو عشـنا بلا مـوت لمتنا الميتـة الكبرى
عشية لا نرى أرضـا ولا كوخا ولا برا
ولا نلقى لنـا ثوبا يقينا البرد والحرا
فموتانا قناطر قد عبرنا فوقها النهرا
تشيع صاحب القصر لنسكن بعده القصرا
ويدفع بعضنا بعضا ليكسب فى الثرى شبرا

❊ ❊ ❊

أطار العلم يستجدى لنا المريخ والنسرا ؟
ولو بر بنا العـلـم لأعفى الأنجـم الزهرا
وظل بأرضنا يعنى فحول شرها خيرا
كأن العلم لم يترك عليها موضعـا قفرا
وجلى كل خافيـة ونحى الخوف والفقرا
ولم يبغ الدمار لنـا ففجر حولنا الذرا
وراح يعد للدنيـا خرابا شاملا وعرا
فبت يابدر فى حذر والا صرت لا بدرا

❊ ❊ ❊

الا يا بحر معـذرة اذا لم انشرح صـدرا
ولم يحمل حـديثى لك مثـل الأمس ما سرا
فانى اليوم غيرى امس والغد لى حوى غيرا
اصيلك كان يبهرنى ويملا خاطرى بشرا
وكنت ارى اشعته بعينى عسجدا نضرا
فصارت مثـل أوراق الخريف تساقطت صفرا
وما حالت بك الشمس ولم يتحول المجرى
ولا رقرق (باخوس) على شطآنك الخمرا
ولكن سحر أعـوام فمن بى يبطل السحرا ؟

دمعة على الشاعر محمد على الحوماني

للشاعرة جليلة رضا

صاحت جبال الأرز في لبنان ... ركن هوى بالأمس من أركاني
فأجابها وطني الحبيب « ترفقي ... اذ نحن في هذا الأسى أخوان »
وتساءلت نفسي وكلي لوعة ... ماذا لدي أنا سوى الحاني
سلوى ! أيا بنت الفقيد وارثه ... يا درة الاشعار في الديوان
أرثى أباك ؟ وكيف أرثى شاعرا ... رسم الخلود بريشة الفنان
وفى العروبة حقها بأمانة ... وشدا بها متدفق الوجدان
ومشى الى حواء منبع وحيه ... حيث الهوى والطهر يلتقيان
وسما بشعر الدين حتى خلته ... في شعره أربى على « حسان »
لو لم يقل شعرا لغير محمد ... لكفاه أمجادا على الأزمان

* * *

يا مصر يا قلب العروبة أكرمى ... شيخ العروبة ، بل فتى الفتيان
هو ثورة مشبوبة جياشة ... جرفت خطى الأعداء كالطوفان
قد عذبوه فصاح في سخرية ... « لا السجن يرعبني ولا سجاني
أنا لن أبيع لأجلكم وطنيتي ... وعقيدتي وكرامة الانسان
فاذا ركعت فما لرب آخر ... واذا سجدت فما لرب ثان »

* * *

قد كان حرا كالهواء وصافيا ... كالنور .. فيه توهج النيران
عاش الحياة بطولها وبعرضها ... واحبها كالعاشق الولهان
متحديا آلامه بعزيمة ... ومجابها طيف الردى الخوان
متنقلا كالطفل غير محاذر ... غضب الطبيب وذبحة الشريان
سلواه كم عانت خطورة عنفه ... ونهته في عطف وفي تحنان
كانت تقول له «استرح» فيجيبها ... « النوم للمهزوم والكسلان »
كانت تناقشه فيهدر دافقا ... متدفقا بالعلم والعرفان
الى أرى التاريخ يحنى رأسه ... ليمر تحت لوائه الحوماني

* * *

يا أيها العربى فى اخلاقه ... يا شاعر التوحيد والايمان
أمثالك الأحرار لا يفنون بل ... هم خالدون على مدى الأزمان
اصداؤهم صوت المؤذن معلنا ... حق الشعوب ووحدة الأوطان
نم فى حمى الرحمن نوم مكرم ... عف السريرة طاهر الاعلان
واليك من كل القلوب تحية ... والرحمة الكبرى على الحوماني

على جسر الترعة

تأليف : د. سعيد عبده

بقلم
علاء الدين وحيد

احد اسباب النكسة التى اصيبت بها القصة المصرية القصيرة منذ الخمسينات ، يكمن فى تخلى بعض روادها عن كتابتها ، مثل : **محمود كامل المحامى ويوسف جوهر ودكتور سعيد عبده** • فقد أدت هذه الهجرة الى احداث فجوة لازلنا نستشعر وجودها حتى اليوم رغم ما يعج به حقلنا الأدبى من قصاص •

لقد تخلوا عن القصة فى وقت كانت فى أشد الحاجة الى تكتل جميع الجهود لمتابعة تطورها والوصول بها الى درجة من النضج تدعم به قواعدها لتصبح طودا شامخا لايمكن ان تزعزعه الأعاصير كفن أصيل ثابت فى أدبنا الحديث .

ولذلك عندما يعود واحد مثل سعيد عبده الى اصدار مجموعاته ، فهذه العودة تعد كسبا حقيقيا لقصتنا وقارئها على السواء ، و « **على جسر الترعة** » هى آخر ما أصدره قاصنا الكبير بعد سنوات طويلة•

صفة واحدة على تعدد الصفات هى اجدر بطبيعة الانسان والفنان سعيد عبده ؛ وهى المقاومة •

انها المعدن الأول الذى يدخل فى تركيب أديبنا الطالب المكافح الذى يتألم من مرضه الى درجة الاقتراب من حافة الانتحار ،وصاحب القلم الحر الذى يناضل باستماتة المستعمر وصنائعه من المصريين ، والقاص الذى يعرض لأبطال ركب فى طبيعتهم الصراع سواء أكانوا انسانا أم حيوانا ، وللنموذج الأخير نذكر على سبيل المثال (مصرع حمار) !

وهكذا تضع المقاومة بصمتها على كل ما ينبع من صاحبنا • فى قصة (الجمعة اليتيمة) مثلا ، رغم اختلافنا مع الكاتب حول عنصر استشعار الخطر ومأساة القدر المفتعلة فيها ، نلمس اجادة تصويره لمقاومة الأب ـ اثر فجيعته فى سقوط ابنه الشاب المؤذن الجديد من فوق المئذنة ـ وهو يجمع شتات نفسه المبعثرة المكلومة وقواه المتخاذلة ، ليأخذ مكان ولده وليؤذن فى الناس •

ولا بد لنا ازاء هذه اللمسة الى ضرورة الاشارة الى ماتبدى به غالبا مقاومة سعيد عبده، انه يغتبط بان يظهرها فى ثوب من الواجب • ليس هذا الواجب الذى ينجم عن رغبة أو رهبة من سلطة القانون الوضعى ، بل الواجب الذى يدفع اليه القانون الأدبى والذوق الانسانى • وهى سمة تتضاءل فى عصور الضعف • وأكبر الظن ان العمل على احيائها والاحتفال بها هو ما بعثها ثانية فى قصص صاحب (على جسر الترعة) •

وفى مجال المقاومة أيضا تشى قصص سعيد عبده بشىء آخر • فاذا كان ثمة اضطرار الى استسلام ، فأديبنا يرفض مبدأ الاستسلام على طول الخط • وفلسفته فى هذا الشأن ، ان ضعفنا فى المعركة الكبيرة ـ التى ربما لاقبل لنا بها ـ لايعنى أبدا رفع الراية البيضاء فى المعارك الصغيرة ، وبخاصة اذا لم نكذب ان معظم النار من مستصغر الشرر حقا •

وهناك عامل لا يمكن تجاهله فى تكوين قصة سعيد عبده بابعادها المعروفة ، وهو مهنة صاحبها نفسه التى يشغلها فى الحياة • فقد شارك الطبيب سعيد عبده فى اضفاء لمسات جديدة لم يكن ليتقنها الا من يلتقى بالجسم الانسانى ـ وبالنفس الانسانية أيضا ـ عاريا الا من ضعفه ومرضه •

وربما كان أثر هذا العامل ـ الطب ـ محدودا فى مجال قصص سعيد عبده الريفية ، لو أن أديبنا اقتصر على العمل بالمدينة ولم يغش القرية أو يندمج

فى أهلها . فالعكس هو الصحيح ، فقد خالط كاتبنا الريفيين طويلا وعايشهم لا كما كانت تفعل الغالبية العظمى من أصحاب الشهادات — فى الجيل الماضى — اذ تستعلى على جمهور القرية وتشمئز منه وتظن فى وجودها بينهم تواضعا أى تواضع ، اذ تتحدث عنهم من شرفة السياح ، كما يقول الطبيب راوى (هياكل فى الريف) .

وهكذا انعكس هذا كله على قصص هذه المجموعة ولعل اتفاق المنهل والتناول الممتاز والاشتراك فى التعاطف الصادق مع الناس ، هى التى تجعل قارىء (على جسر الترعة) يذكر **توفيق الحكيم** ورائعته (**نائب فى الأرياف**) . فاستيحاء الريف والاشادة بمعدنه والالتفات الى التناقض الاجتماعى والمعالجة الفنية ، تصل فى كل من العملين الى درجة التوهج ، ولكن الفنان فى مجموعتنا هذه يقترب أكثر من الفلاح الى حد الالتصاق .

والريف الذى يصوره « **سعيد عبده** » ليس الريف المصطنع القريب من المثالية الذى تقدمه كتب المطالعة فى المدارس، او الجنة الخضراء النقية الهواء التى يتخيلها ساكن المدينة أو النفوس الجاهلية القاسية التى تعرضها صفحة الحوادث فى جرائدنا . انه شىء آخر غير هذا كله ، يجتاز القشرة الظاهرة التى تصطدم بها العين فى النظرة الاولى الى ما وراءها من أغوار عميقة يحدد عالمها الحزن والشقاء والبؤس ، فالواقع القاتم الذى كان يعيشه الريف حتى يوم قريب كان بالغ العنف الى درجة مذهلة لم تدركها المدينة من اذلال كامل للكرامة الانسانية والاستهانة بكل حق ، وتجاهل لأى اصلاح . وهكذا كان لابد ان تتلون نظرة المؤلف الى واقعه بهذه الصبغة القاتمة ، حتى النواحى المبهجة غالبا بطبيعتها لم ينتق القاص منها الا جانبها المنطفىء . كما فى قصة (بنت الأكابر) ببطلتها صابحة أم الحاج ، فأول لقطاتها ابتهاج الصبايا « بشوارها » وغنائهن لها ونعت صاحبتها بالعذراء بنت الأكابر ، التى يقدمها القاص فى نفس اللحظة بأنها فاقدة عذريتها وعشيقة ابن العمدة !

والعلاقة التى تربط الفلاح المصرى بحيوانه الذى يخدمه يضرب بها الأمثال فى القوة والمتانة .

لذلك كان طبيعيا وقاصنا يتناول الريف أن يعرض لهذه العلاقة الوثيقة التى تصل بين فلاحنا وعدته فى الحياة ، البقرة والجاموسة والحمار . واذا اكتفى فى بعض قصصه بلمسها من بعيد ، فقد أفرد لها وحدها قصصا أخرى مثل (مصرع حمار) الممتازة التى تروى بطولة هذا الحيوان حتى نفسه الأخير فى خدمة صاحبه الحاج ياسين .

ولا يقف المؤلف عند الزوايا التقليدية التى يلتقط منها العلاقة بين الفلاح وحيوانه ، بل هو يلتمس افقا أرحب من ذلك يكون فيه الحيوان نفسه محور فهم وحب انسانى ، ولا يتم اكتمال هذه الدائرة الا تحت شرط خاص يجعله لايهبط بمستوى اللقاء الى ما دون الرؤية الدقيقة .

« ان الفهم والادراك لا يتاح الا لاولئك الذين يعاشرون الحيوان معاشرة درس لا معاشرة سيطرة وتسلط ، وهم لسوء الحظ اشخاص قلائل . » (ص ١٠٧) .

فى (صديق قديم) يتعرف حمار بعد سنوات على الطبيب الرحيم الذى عالجه مرات فى جمعية الرفق بالحيوان ، فيقصده بعد أن يميزه بين جماعة من الناس ، وكأنه يستغيث به من مالكه القاسى الذى يحمله مالا طاقة به من أثقال . يقول راوى القصة الطبيب البيطرى نفسه « اننا أنانيون ظلمة عندما نقصر العقل والشعور والذكاء على أنفسنا ونجرد منها هذه البهائم العجماوات » .

من الصور التقليدية المعروفة فى الادب والواقع المعاش ، تعصب الفلاح المصرى لعرض نسائه . فايمانه بأن الشرف الرفيع لا يسلم من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم ! ايمان جازم حازم صارم . ولكن هذه الصورة تهتز اهتزازا عنيفا فى هذه المجموعة الى درجة التضاد ! فلقاصنا وجهة نظر أخرى فى هذه القضية ، فهو لا يرى لها الحدة التى تبدو بها للآخرين ، ولا يصدق أن العنف أحد تكويناتها الاولى الداخلية. ويكاد يتهم صورتها المعروفة بالزيف والبهتان .

ففى قصة (الشرف الرفيع) نجد «سالم» العامل الزراعى يضبط صاحب الأرض ، الذى تصل الشائعات بينه وبين زوجته الفاتنة ، فى منزله . ويثور ويحزن لا لعرضه الذى مرغ فى الوحل ، بل فزعا من ان يرفض العاشق الحانق بلا شك من الزوج الذى ضبطه ، اعطاءه نصيبه فى البقرة «الشرك» ! وفى قصة أخرى مثل (هياكل فى الريف) أو

(ليلة فى زريبة) والبطل فى كل منهما طالب يعبث بأجيرة فى الحقل ، يمر موضوع العبث نفسه وكأنه محور مغامرات لزئر نساء ، بلا أى انعكاس اجتماعى او اخلاقى أو نفسى ، بعكس قصة يوسف ادريس المعروفة (الحرام) .

وكان سعيد عبده بهذا التناول يرفض اعطاء هذا الجانب أكثر مما يستحق فى نظره .

واذا كان هذا موقف قاصنا وهو يصور العرض عند الفلاح ـ البحراوى ـ ، فالأمر يختلف كلية وهو يتناول نفس الموضوع عند الصعيدى فى « أم قويق » . فالصورة هنا لا تختلف عن مثيلاتها التقليدية عند غيره ، وهو ما كان ينأى بقلمه عنها . فما مبعث هذا الموقف ؟

هل تكون قصة (أم قويق) سابقة أو لاحقة لما ذكرنا قبلا من اعمال ، فحملت تغيير وجهة النظر الأخرى ؟ أم لأن المؤلف يرى اختلافا واضحا فى التكوين النفسى بين قاطن الشمال وقاطن الجنوب ؟

وسعيد عبده يهتم كثيرا بالحدث ، وأكثر مجموعته من القصص التى تعالج هذا اللون ، ففى (ليلة فى زريبة) مثلا ، نجد ان شخصية فاطمة القروية التى غرر بها محسن التلميذ الثانوى ، لا تجد احتفالا بقدر ما تجده الخيوط التى تشكل حادث ولهه بها فى البداية واهماله وهجره لها بعد ان قضى لبانته ، ثم ثأرها منه وقد تجدد غرامه بها عندما استرجعت صحتها ثانية وعادت اليها حلاوتها وجمالها ، بنفس الأسلوب المهين الذى عاملها به قبلا .

والوضوح سمة أخرى من سمات قصص كاتبنا ، حتى عندما يترك واقعيته ويلتمس الرمز ، لا تغشى رؤيته الصافية ضبابية مصطنعة ترمى بتناوله الى وادى التيه فيغمض ويتعقد ويضطرب الفهم . فرمزه متابعة الخطو نحو المزيد من التعمق ، وتمزيق الحجب المسدلة على حقائق الحياة . ولا يستوجب أن تكون هذه الحقائق متطرفة ، أو مسرفة فى الابهام ، مغلقة على نفسها تماما تعايش الناس نادرا . فهذا شىء ربما لا يتعلق به الفنان كما يعمل الصوفى مثلا على استشرافه . ولكن القاص يجد الكثير مما يشغله ويستوعبه أدبه فيما يحيط به فى الحياة العادية التى يخفى روتينها الدائم وقربنا منها وانغماسنا فيها ، حقائق الوجود .

فى قصة (شجرة التوت) مثلا نقرأ لسعيد عبده معالجته لقضية عقوق الابناء من خلال عدم اعتراف غصن شجرة مغرور بالأصل الذى يستمد منه جذوره . ولكن رمز قاصنا لا يقيمه خط منفرد ، بل اكثر من واحد يعرض وجوها اخرى . ولذلك فنفس القصة تتناول أيضا ، التقليد الاعمى الذى ينزلق بصاحبه الى البوار ، كطمع غصن التوت فى التشبه بالورد . وكذلك تلهف الغصن على الاستقلال بنفسه وتأكيد ذاته ، وتمرده على مقامه الصغير الضئيل .

لا يجد القارىء فى (على جسر الترعة) اختلافا فى مستوى الاخلاص والحرارة والصدق والنضج ـ وهى خصائص تشيع فيها أصالة قاصنا ـ التى يتناول بها سعيد عبده موضوعاته . ولكنه يلتقى بهذا الاختلاف أحيانا فى القالب الذى يستوعبها ؛ ولعل مرد ذلك الى عاملين ، الأول ممارسة الكاتب لنوع من الالتزام تجاه الطبقات المظلومة دفعه كما يفعل الالتزام غالبا الى مجاوزة القصد قليلا أو كثيرا بالتكنيك الفنى . والثانى الزمن المتقدم الذى كتب فيه أديبنا هذه المجموعة ـ المختارة من مجموعاته الأربع السابقة ! ـ وفن القصة العربية فى طفولته . وتبلور هذا الضعف فى مستويين : قصص غير مكتملة مثل (قصور على الرمال ـ نائب ديروط ـ بغل الحكومة .. الخ) وصور قصصية مثل : (بين صلاتين ـ القرية التى سكنتها الشياطين .. الخ) .

وقارىء هذه المجموعة ليس فى حاجة الى دليل او مفسر حتى لو كان المؤلف نفسه ، ليحدد له التوقيت الزمنى لقصصها ، أهو قبل فجر ٢٣ يوليه ١٩٥٢ أو بعده ، فقد سبقته قصصه ذاتها الى بلورة الجواب بدقة وعمق عندما هاجمت السمات البارزة التى تكون وجه الاقطاع وتوقف عجلة الاصلاح والتخلف الذى يكاد يكون تاما بشتى الوانه فى الريف . هذه الأشياء التى كانت بعض ملامح العهد الملكى . ولذلك عندما تشير بلفظ صارخ واحدة من القصتين الاخيرتين اللتين كتبتا بعد عام ١٩٥٢ وهى (أخيرا ولدت الست) الى وقوع هذا الحدث الضخم ـ ثورة الجيش ـ وأثره فى تحويل مجرى القصة ، يشوب الخطوط بعض التكلف والمباشرة الصريحة . وليس مثل الجهر ـ هذا العامل المتطفل ـ افسادا لفن القصة ، لأنه يتدخل فى عملية بنائها ويحاول أن يفرض عليها أشياء من خارجها ، فينتج من هذا الصدام هذه الخطابية التى نلحظها . كما ان هذا الاعلان من ناحية أخرى يتهم ذكاء القارىء ووعيه ، فيلفته لفتا غير كريم الى ما يظنه قد فاته !

الآداب الشرقية المعاصرة

الأدب السنسكرتي

بقلم محيي الدين الألوائي

يرجع تاريخ اللغة السنسكرتية فى القارة الهندية الى اربعة آلاف سنة مع ان اقدم الآداب الهندية فى هذه اللغة الكلاسيكية هو الكتاب المعروف « ركفيدا » ويعتبر اقدم الكتب عن سلالة الآريين باكملها .

وبدات السنسكرتية تبث نفوذها وترسل شعاعها الى مناطق آسيا الوسطى والشرق الاقصى مثل القرن الاول قبل الميلاد بطريق « البوذية » ، ومنذ القرن الثانى للميلاد صارت اللغة السنسكرتية مطية الثقافة الهندية الى جنوب شرقى آسيا ومنحت لهذه البلاد تراثا مليئا بالتمثيليات والروايات والأشعار والموسيقى والرقص والنحت، وهكذا لم تعد السنسكرتية عامل التجانس للقارة الهندية فقط ، بل جعلت الشرق الاقصى وجنوبى شرقى آسيا تحت تجانس ثقافى متين . وخلال هذه الفترة الذهبية ، تركت السنسكرتية اثرا فعالا فى جميع الميادين الادبية والفلسفية والفنية والعلمية وغيرها .

ومن بواعث الاسف للعالم الأدبى ان صفحات مجيدة من الادب القديم مازالت فى غياهب الجهل والاهمال فى المخطوطات السنسكرتية المحفوظة فى مختلف المكتبات الاثرية مع أن جزءا كبيرا منها قد فقد على ممر العصور وملمات الزمن ، ولم يبق فى ايدينا منها الا ما طبع أو تناقلته الالسنة جيلا بعد جيل ، ولا يستطيع احد ان ينكر النظام الفلسفى والتمثيل والروائى الذى ينطوى عليه الادب السنسكرتى القديم مثل « آبانيشاد » و « كيتا » وغيرهما من التراث الهندى الذى صار جزءا هاما للفكرة العالمية وأما الأساطير السنسكرتية فلم تشجع آداب اللغات المحلية فقط ، بل أوجدت بفضل شخصياتها الروائية والمبادىء القيمة - نظريات انسانية ، ومبادىء سياسية ، وأفكارا وطنية وقواعد خلقية عظيمة ،وتعتبر تمثيليات كاليداس وسدراكا واشعارهما فى المكانة الاولى من هذا الحقل الزاهر.

ومن الميزات التى تركتها اللغة السنسكرتية فى اللغات المحلية الاخرى ان كل كاتب او خطيب عندما يصل الى قمة الأساليب الادبية فى اللغةالتى يتناولها ينساق الى اقتباس كلمات او فقرة من الآداب السنسكرتية الخالصة ليزيد ما يقوله روعة وبهجة . وقد صارت السنسكرتية جهازا مشتركا لا يمكن الاستغناء عنه لكاتب او اديب فى لغة محلية، ويمكن ان يقال بان الوعى الجديد الذى ساد البلاد بعد الاستقلال يرجع الفضل الكبير فيه الى التراث القديم الزاهر للبلاد . المنبعث من اعماق الآداب السنسكرتية ، وكذلك الروح التى تلعب وراء الانتاج الأدبى الحديث للسنسكرتية ولو كانت اللغات المحلية هى الواسطة المباشرة .

وتمتاز الآداب السنسكرتية الكلاسيكية القديمة بجميع انواع جودة الاسلوب ، ودقة المعانى ، ووفرة الخيال ، والتشبيهات الخصبة الجذابة .

وبلغت التمثيليات السنسكرتية أوجهـا فى اختيار الشخصيات الروائية والمشاهد والمحاورات الكلامية بحيث تدانى تماما التمثيليات والمسرحيات العصرية ، وان فن « التحسينات » السنسكرتية المعروفة باسم « النكار شاسترا » لتساعد مساعدة فعالة فى سبيل النهوض بالآداب الحديثة للغات المحلية الهندية العديدة . ومن هذه الناحية لا نرى

مانعا من القول بان السنسكرتية لها جذور متاصلة فى عالم الآداب ، وان لم تكن معدودة الآن فى مقدمة اللغات الحية الحديثة .

وان الآداب السنسكرتية لحية خالدة الى يومنا هذا فى طيات الكتب الدينية الهندوسية المعروفة بـ «ويداس» والكلاسيكية الهندية الاخرى العديدة، وان الاسلوب الادبى الرائع لهذه المؤلفات القيمة ، والقواعد اللغوية والقوانين النحوية وطرق الانشاء فى التمثيليات السنسكرتية القديمة ليدل على انها كانت فى تلك العصور المديدة لغة حية شائعة فى اوساط الشعب والميادين العلمية والادبية والدينية ، وفى الوقت ذاته كانت تحتل مكانة اللغة الرسمية والثقافية .

وينحدر معظم اللغات الهندية المحلية من اصل سنسكرتى لا يزال نقطة الالتقاء بين هذه اللغات الاقليمية المختلفة ، وليس من المبالغة فى شيء ان يقال بان اللغة السنسكرتية تلعب دور العامل الفعال فى خلق ثقافة مشتركة ووحدة ادبية فى شتى انحاء القارة الهندية ، فاننا نرى الاصول السنسكرتية متمكنة فى القواعد النحوية والتراكيب اللغوية بعدة لغات هندية محلية سيما اللغات الشائعة فى جنوب الهند مثل « مليالم » و « تلجو » و «كندية» و « تمل » والحروف الهجائية لها جارية على اصول الهجائية السنسكرتية نفسها ، بل ان هذه اللغات سيما « مليالم » و « تلجو » مزيجة من السنسكرتية واللهجات المحلية .

اثر اللغات الاخرى فى تطوراتها

ان شان السنسكرتية فى الاخذ والعطاء شان اللغات العالمية الاخرى ، وتبدو من تاريخ تطورات هذه اللغة خلال العصور الطويلة وخصوبتها ونموها الانطباعات الخارجية الطارئة عليها ، والاثر الذى تركته اللغات المعاصرة الاخرى فى مختلف الميادين الادبية والالفاظ والاوزان والبحور والمصطلحات الاخرى ، وكما انها تلقت واحتضنت فى حجرها التقاليد والاشكال والمظاهر التى كانت تسود المناطق التى احتلتها بنفس الروح التى منحت الكثير للغات الاخرى ، واعتقدت السنسكرتية ــ اذا صح هذا التعبير ــ فى مبادىء التعايش السلمى القائلة: « عش ودع الغير ليعيش » وراث عناصر الجمال فى الثقافات العالمية كلها .

وامتازت اللغة السنسكرتية بمقدرتها على الذيوع فى جميع انحاء الهند وبث أجنحتها فى أوساط اللغات المحلية كلها مع الاحتفاظ بقيمها وقيم شقيقاتها بعيدة عن التصارع او التنافس . وكان الكتاب السنسكرتيون يلمون باستمرار بالحوادث المعاصرة لكى يستفيدوا من كل حدث هام بحرية كاملة ، وفى العصور الاولى استفادوا من اليونان والروم، خصوصا فى الرياضيات، وفى الايام المغولية تعلموا الفارسية وترجموا منها ومن العربية بحيث نشأ لديهم امتزاج سنسكرتى ــ فارسى وطيد الاركان ، ومزجوا العناصر التى اخذوها من الخارج بالاساليب السنسكرتية الاصيلة مع الاحتفاظ بشخصيتها الخاصة ، وفى العصور الاسلامية الذهبية اشتدت روابط السنسكرتية مع بلدان غرب آسيا ، اذ قام الخلفاء العباسيون بنقل العلوم الطبية والرياضية والحسابات الى العربية ، ومن المؤلفات الهندية السنسكرتية القديمة المنقولة الى العربية، والمتداولة الى الآن بكل ذيوع وانتشار « كليلة ودمنة» ترجمة « پنج تنترا » ، واما الغرب فقد اخذها بطريق التراجم العديدة القيمة التى رعاها العرب، ويمكننا أن نقول الآن بأن الاتصالات الاوربية الجارية فى العصور الحديثة بمثابة استئناف لعلاقات الهند الفكرية القديمة مع اثينا والاسكندرونة وروما وبلدان البحر الابيض المتوسط الاخرى . ودخل الأدب السنسكرتى فى مرحلة جديدة نتيجة لازدياد النفوذ الاوربى الحديث سواء فى ذلك المناهج التعليمية والنظم الادارية والميادين الفكرية والاساليب الأدبية ..

النقد الادبى

من ميزات اللغة السنسكرتية انها كانت تصرف اهتماما خاصا ــ منذ القدم ــ فى دراسة تاريخ الآداب السنسكرتية حتى فى المكاتب التعليمية القديمة ، ومن هذه الناحية بلغ النثر السنسكرتى درجة ممتازة فى ميدان فقه اللغة وتاريخ الآداب السنسكرتية . ول « راجا راجا ورما » مؤلف قيم عن اللغات الهندية ــ الاوربية . ويمكن ان يعد

العصر الذى قضاه الادب السنسكرتى فيما بين عامى ١٩٢٥ ، ١٩٥١ عصر الحركات الجديدة فى الميادين الاجتماعية والدينية والفلسفية . ومنذ ان بدأ الهنود يلتقطون طرق الحياة الاوربية وعمت الرحلات الخارجية واخذت الاصلاحات الاجتماعية والدينية طريقها فى المجتمع الهندى ، قام الهندسيون الارثوذكسيون لحفظ التقاليد والطقوس الهندية القديمة فلم يأل «البانديت» رجل الدين الهندوسى جهدا فى الكتابة ضد الرحلات فى الخارج ، والزواج الحر ، وزواج الارملة ، وغيرها من التقاليد التى يتمسك بها الهنادك القدامى .

واتت حركة « آريا سماج » التى دعت الى العودة الى صفوة مبادىء الديانة « الويدية » الهندوكية ، وساعدت هذه الحركة على نشر التعاليم السنسكرتية ووضع عدة كتب مدرسية فى هذه اللغة ، وصدرت عدة مجلات دينية ادبية تدعو الى التمسك بالتقاليد الهندية القديمة ونشر مؤلفات الادباء السنسكرتيين وتعارض السير قدما بتيار الاصلاحات الدينية والاجتماعية الذى كاد يكتسح البلاد بسرعة فائقة . وهذا لا يؤدى الى انكار الدور الذى لعبه بعض الادباء السنسكرتيين المتنورين فى ميدان تحقيق اهداف هذه الاصلاحات الجارية فى انحاء العالم .

التواريخ الشخصية

اذا نظرنا بعين التحقيق نرى فرقا دقيقا فى الاساليب المتبعة قديما وحديثا فى وضع التواريخ الشخصية لان الادب القديم فى التواريخ الذاتية كان يتناول — الى جانب حياة الشخص المعنى وطرق عيشه — الحالة السائدة فى زمنه والظروف المحيطة به والبيئة التى عاش فيها ليكون بمثابة جولة شاملة تاريخية فى ذلك العصر . واما الاسلوب الحديث فى هذا المضمار فينحصر فى معالجة الحوادث والظروف المحيطة بشخصية معينة ، بناء على ان الكاتب العصرى يفرق بطريقة علمية بين شتى أنواع التاريخ وفروعه من العلمى والدينى والسياسى والاجتماعى والاقتصادى وغيرها ، وفى التواريخ الذاتية ايضا يتنوع فى اختيار الشخصيات من العلماء والشعراء والادباء والساسة الكبار والمصلحين الدينيين او الاجتماعيين .

ومن التواريخ الشخصية الشهيرة فى السنسكرتية « شيوا راجا وجيا » للكاتب المعروف « امبكا دتا وياسا » من جيبور عن تاريخ حياة « شيواجى » و « بهارتا ويرا وتناهالا » للمؤرخ « سرى بدا شاسترى هسور كار » عن عدد من ابطال الهنود مثل «بريتوى راج » و «شيواجى» و «رانا پرتاب سنغ » وكتاب « سيكهرم شاسترى » عن « رانى اهليا باى » فى منظومة سنسكرتية . هذا الى جانب عدة مقالات ورسائل كتبت عن تواريخ عائلة معينة او شخصية خاصة ، تتناول بعض النواحى من نشاطها السياسى او العلمى وما الى ذلك .

وصار الصوفيون والنساك ايضا من مختلف انحاء البلاد موضوع المؤرخين جماعات او فرادى حيث نرى مؤرخا يكتب عن عظيم من هؤلاء ، ويحاول الآخر الكتابة عن جماعة منهم أو الذين ينتمون الى مذهب بعينه . ومثلا وضعت الكاتبة السنسكرتية من ولاية ميسور «الملاما» كتابا قيما عن بوذا ودعوته فى اسلوب جذاب سهل المنال باسم : « بدها جرترا مريتا » بينما نجد « هسور كار » قد ألف كتابا جامعا عن « ولبها جاريا » و « رام داس » باسم « بهارتا ساد هو رتنا مالا » وقدم « كاليهار داسا واسو » تاريخ حياة كل من « سرى جيتينا » ومعاصره « أدوايتا » فى نثر خلاب سلس . واما الكاتب القدير « اكيلا نندا سرما » فقدم تواريخ زعماء الديانات الجدد كلهم فى كتابه المعروف عن حياة « ديانندا » وسماه : « ديانندد جوجيا»

وقام عدد من المؤرخين بوضع كتب طويلة عن علماء البلد وادبائه فى مختلف العصور ، فكتب «جندرا بهوش شرما» عن حياة الاديب السنسكرتى الشهير « بجناراما » من بنارس ، ووضع « نارايتا شاسترى » كتابا شاملا عن حياة خمسة من مشاهير الادباء ، بينما نشرت المجلة الادبية السنسكرتية المعروفة « سنسكرتا جندركا » سلسلة مقالات تاريخية وادبية عن ابرز الادباء فى اللغة السنسكرتية قديما وحديثا ، واما السير الذاتية فلم تتمكن فى الادب السنسكرتى الا فى السنين الاخيرة ، وكتب الاديب « درجا تندسوامى » تاريخ حياته باسم : « وديوديا » ومن السير الذاتية الصادرة فى السنين الاخيرة « ايشورا درشنا » لسوامى « تيوونم » من

« مالابار » بولاية كيرالا وهو الآن يقيم فى صومعة بمنطقة الهمالايا .

وطرق الادب السنسكرتى باب التقدم الذى احرزه بعض جهات البلاد بفضل حكامها البارزين فوضعت القصائد والقصص فى اللغة السنسكرتية عن الفقيد « كريشنا راجا » مهاراجا « ميسور » الذى نالت الولاية فى عصره نهضة شاملة فى شتى الميادين ، وكذلك عن المهاراجا « راما ورما » فى امارة « كوتشين » ١٠ « كنجان وأريار » المطبوع فى عام ١٩٣٠ م واما آخر مهاراجات كوتشين فقد وضع عدة مؤلفات بنفسه فى اللغة السنسكرتية .

« العلوم الحديثة »

منذ انبثق فجر العصر العلمى الحديث وبدأ الجيل الجديد يتوق للرى من مناهله العذبة ، جرى تيار فى اذهان الكتاب السنسكرتيين عن ضرورة ادخال العلوم الحديثة ومنافعها ونجاحها فى ميدان اكتشاف المواهب الكامنة فى الهيكل الانسانى لصالح البشرية ونفعها العام ، الى قلوب الذين لم ينالوا قدرا وافيا من الدراسة الانجليزية ولعبت المجلات السنسكرتية مثل «سنسكرتاجندركا لاباشاسترى » و « ساه » دورا نافعا فى تحقيق هذا الهدف النبيل . وكتب «التور راما سوامى شاسترى » و «يوجادبانا مرا» رسالتين عن الهندسة بينما كانت مجلة «ساه» تنشر مقالات متتالية عن شتى فروع العلوم الحديثة مثل الرياضيات ، والكيمياء ، والفلكيات والحساب ، وعلم الانسان ، والاختراعات العديدة العصرية ، ووضع «ونكتاراماتيا» من ميسور مؤلفا قيما عن الكتاب الهنود القدامى فى العلوم والفلسفة . وتقف ميسور فى مقدمة المناطق التى تبرعت بمؤلفات ذات قيمة كبرى فى بحث علمى دقيق عن الاكتشافات والاختراعات العصرية فى اللغة السنسكرتية ، وبينما نرى اشخاصا كتبوا كثيرا عن التقدم العلمى الغربى نجد اناسا يقصون الفشل الذى منى به العلم الحديث فى ميدان البلوغ الى غاياته المطلوبة واكتشاف أسرار الحياة الانسانية .

ومن المؤلفات السنسكرتية الموضوعة فى العلوم الحديثة «براتياك شريرا» فى «علم التشريح» لمؤلفه «كاوى راج جنتات شن» (١٩١٩ م) و «سدهانتا تدانا» فى «علم الامراض» لنفس المؤلف (١٩٢٢ م) فى «الكيمياء الهندية» وكتب اطباء «آيور ويدا» فى مالابار مؤلفات هامة فى ذلك الموضوع بطريقة حديثة علمية ، فوضع « وى . ان «نايره «أنوجراهاميمامسا» فى «نظرية الجراثيم» (١٩٣٨ م) ويتناول اطباء آخرون مثل ، ك . اس . مهاسكر ، وان . اس . واتوا ، فى : «سواسيتا وريتا» المواضيع التى تتعلق بالصحة وطول العمر ، وقام كاشيكار من بونا ببحث طويل عن منشأ آيورويدا وتطوراته وتقلباته خلال العصور الطويلة التى مرت عليه ، وطبع كتابه القيم فى هذا الموضوع « آيورويدا بتارتها وجنانا » فى عام ١٩٥٣ م .

«القصص القصيرة فى السنسكرتية»

ان فن القصص القصيرة ليس بجديد فى الادب السنسكرتى وان كتاب «بنج تنترا» بنفسه مثال حى لانتشار هذا الفن فى الآداب الهندية القديمة ولكن نظرا للشكل الحديث الذى يمتاز به اليوم قد صارت السنسكرتية مدينة للآداب الغربية ، ومنذ انبثق فجر العصر الحديث بدات القصص القصيرة بأساليبها الحديثة ومواضيعها العصرية تاخذ مكانة مرموقة فى الادب السنسكرتى . وفى مسابقات القصص القصيرة المعقودة فى « ناكبور » و « مدراس » وغيرهما ساهم الكتاب السنسكرتيون مساهمة فعالة تتفق والتطور الحديث .

وكانت الحكايات والقصص الشعبية تلعب دورا هاما فى العهود الماضية فى الهند ، فى سبيل شحذ الهمم واثارة المواهب الكامنة فى الانسان ، وكذلك كان يستخدمها المعلمون لتثقيف التلاميذ وتمكين المبادىء النبيلة والافكار الثمينة فى اذهانهم ولم تتخذ صورة فن خاص قائم بذاته . ونرى الكتب الهندية والملاحم القديمة مليئة بأنواع من الحكايات والقصص تتخللها الامثال والشئون السياسية والعلمية والدينية وغيرها .

واما الروايات فتطور حديث فى الادب السنسكرتى تتجلى فيها مظاهر الاثر الغربى .

ونرى فى السنسكرتية ثلاثة انواع من الروايات الشائعة الموضوعة على اساس هندى خالص ، والمقتبسة من الافكار الغربية والمترجمة من الروايات الاوربية او من اللغات الهندية الاخرى ، ونشر الروائى السنسكرتى الشهير «اباشاسترى» رواية «لوانيامای» لـ «بنكيم جندرا» اولا فى صحيفته «سمسكرتاجدركا» ثم فى شكل كتاب خاص . وترجم الكاتب «هرى جران» الرواية القيمة «كيلا كندالا» لنفس الكاتب البنغالى ، واما الاديب «ابندرانات سن» فوضع ثلاثا من الروايات الشهيرة «بلىتشاوى» و «مكاراندكا» و «كنداماالا» وكتب «هريداسا سدهاندا» رواية باسم : «سرالا» .

ونشرت فى صفحات المجلات الادبية السنسكرتية عدة قصص طويلة وروايات خيالية ومسرحيات شتى . وان القصائد القصيرة التى تدور حول موضوع خاص او نظرية مفردة ماكانت تعرف الا نادرا فى الادب السنسكرتى ولكن نتيجة للتحول الغربى الذى تسربت آثاره الى الآداب الهندية ، بدأ الشعراء السنسكرتيون ايضا ينتهجون النهج الغربى فى هذا المضمار الادبى . ومن البحور السنسكرتية القديمة الشهيرة ، مكتكاس ، و «يكمكاس» و «كليكاس» و«كلاكاس» و «ساتاكاس» وظهر معظم الاشعار السنسكرتية الحديثة فى صفحات المجلات والنشرات الدورية الا ان بعض الشعراء الجدد قد بذلوا محاولة ضئيلة لنشر مجموعات شعرية حديثة ، ومنها المقتبسات من الادب الانجليزى أو المترجمة عنه .

« الروايات والتمثيليات »

اما الروايات والتمثيليات الجدية ــ غير الهزلية ــ فلاتعد ولاتحصى خلال العصور الطويلة التى مر بها الادب السنسكرتى ولكن كلها أو جلها صيغ فى اسلوب قديم ، وقد الف الكاتب الكبير «بهتا سرى نارينا شاسترى» وحده ستا وتسعين تمثيلية . ولاتزال تلك التمثيليات متداولة بين الكتاب الجدد والقدامى على حد سواء . لان النظريات والمبادىء الانسانية الخالدة لاتقبل التغير أو الزوال مع مرور الزمن ، وكم من اعمال ادبية قديمة تمنح للكاتب الحديث افكارا جديدة وعوامل حية لشحذ همته وايقاظ قريحته !

التراث السنسكرتى

لكل لغة أو أدب تراث خاص يمتاز به عن الآخر ومن مميزات اللغة السنسكرتية روح التسامح ، وبينما جاهدت السنسكرتية فى عصورها المديدة لأجل الدفاع عن أفكارها ومبادئها فانها لم تنس حقيقة أن الوسائل المتنوعة تؤدى الى الهدف الواحد ، وأرسلت آثار هذه الروح العظيمة فورا قبسا على الفكر الهندى الحديث . وربما يبدو هذا الرأى غريبا بالنظر الى ماتقدم من مقاومة الادباء السنسكرتيين ــ وان لم يكن كلهم ــ الاصلاحات وتمسكهم بالتقاليد القديمة ، ولكن روحهم المتسامحة قد وسعت صدورهم لقبول آراء اربع مدارس مختلفة لـ «ويدانتا» الهندوكية ودعوا ايضا الى محو الفوارق الطبقية والطائفية والى التفاهم المتبادل ، وان لم يكن لهذه الروح الهندية القديمة أثر على فلسفة «التعايش السلمى» المعروف فى يومنا هذا ؟

وان ارتفاع معدل دراسات الفلسفة الاوربية فى الكليات المحلية ، ومنها المنطق ، وعلم النفس ، والنظريات التى تطابق الآراء التى ابداها الكتاب الغرب ، قد أثار اهتمام البعض لنشر هذه الفلسفة فى أوساط قراء السنسكرتية أيضا ، وقام عدد من الكتاب النابغين فى اللغات الهندية والاوربية بمهمة ترجمة عدد لابأس به من المؤلفات الغربية الى اللغات الهندية وفى مقدمتها السنسكرتية . ونشرت مجلة «بانديت» الصادرة من بنارس ، الترجمة السنسكرتية «لمبادىء العلوم الانسانية» «لبركلى» ورسائل «لوكة» ، عن «الفهم الانسانى» . وكتب الدكتور «سياما ساسترى» فى عام ١٩٢٩ م كتابا بعنوان : «باشجاتيابراماتا تتواومنساتتوا» عن المنطق والفلسفة . واحدث الكتب السنسكرتية فى هذا المضمار ما لـ «وسواسوراسدهانتا سرومنى» باسم : « نيتى شاستر » ، عن الاخلاق والفلسفة .

النظرية الذرية لدالتن
والجوهر الفرد عند علماء الكلام

على أحمد سعيد الدرواش

تمهيد :

يقول بريفو فى كتابه تكوين الانسانية « العلم هو أجل خدمة أسدتها الحضارة العربية الى العالم الحديث ، فالاغريق قد نظموا ، وعمموا ، ووضعوا النظريات ، ولكن روح البحث ، وتركيم المعرفة اليقينية ، وطرائق العلم الدقيقة ، والملاحظة الدائبة المتطاولة ، كانت غريبة عن المزاج الاغريقى ، وانما كان العرب هم أصحاب الفضل فى تعريف أوربا بهذا كله أى ان العلم الاوربى مدين بوجوده للعرب » .

أما جورج سارتون الامريكى وأكبر مؤرخ لتاريخ العلم فى العصر الحديث فيقول فى كتابه العظيم « مقدمة لتاريخ العلم » ، عندما أمسى الغرب مستعدا استعدادا كافيا للشعور بالحاجة الى معرفة أعمق ، وعندما أراد آخر الامر أن يجدد صلاته بالفكر القديم ، التفت اول ما التفت ، لا الى المصادر الاغريقية ، ولكن الى المصادر العربية .

ان جداول المعرفة وخبرات البشرية دائمة التنقل من حضارة الى أخرى ، وهذا ما حدا بالذهن الغربى الى الاعتماد على علوم العرب ، ولقد أخذت مناشط الترجمة تغترف من كنوز علماء العرب بوساطة مترجمين يهود ونصارى ، نذكر منهم قسطنطين الاغريقى الذى نعت بأنه «عالم الشرق والغرب» فقد ترجم جملة كبيرة من تراث العرب الى اللاتينية فى دير « مونت كاسينو » حيث توفى سنة ١٠٨٧ ، ثم أعقبه يوحنا الأشبيلى ، بالاضافة الى أنبه المترجمين ذكرا ، وابقاهم على الاحقاب : جيرار الكريمونى الذى قام بترجمة كتاب « المجسطى » بمدينة طليطلة سنة ١١٧٥ من العربية الى اللاتينية بدرجة أذلت معها الترجمة الأولى لهذا الكتاب من الاغريقية الى اللاتينية عام ١١٦٠ فى صقلية .

وفى القرن الثانى عشر الميلادى كانت الحضارات الثلاث : اليهودية والمسيحية والاسلامية فى سباق كبير ، ثم مضت الحضارة الاسلامية تنحدر نتيجة لمحنة المغول والتتار فى الشرق ، ومحنة العرب بالاندلس، ومحنة الفرق الاسلامية المتنابذة فى صميم القلب ، واخيرا محنة الحروب الصليبية الغاشمة فى القرون التالية ، فخرجت الحضارة الاسلامية من حلبة السباق ، وامتدت المنافسة بين النصارى واليهود ، غير أن اليهود قد أمعنوا فى التعصب الصارخ ، وعمدوا الى الايغال فى العزلة وحولوا كل نشاطهم الى الميدان الاقتصادى ودراستهم التلمودية ، حتى اذا ما حل القرن السادس عشر اصطبغت الحضارة بصبغة غربية واضحة المعالم ، واهمل ذكر العلماء العرب عمدا .

الاتجاه الذرى العام فى الميتافيزيقيا والعلوم :

لما انقضى هذا القرن ، انفصمت عروة الاتصال بين العلم واللاهوت ، وظهرت فى القرن السابع عشر

ومضات من الفكر العلمي تنـــادى بالاتجاه الذرى ، قالف الفيلسوف الرياضي ليبنتز عام ١٦٦٣ مذهبه فى الذرات الروحية أو المونادة • وهى جوهر بسيط تشتمل عليه المركبات ، والمقصود بلفظ بسيط انه لايتجزأ ، وحيث لاتكون أجزاؤه ، لايكون الامتداد ولا الشـكل ولا الانقسـام ممكنا ، وهـذه الذرات الروحيـة هى الذرات الحقيقية ، وهى بالاختصـــار عناصر الأشياء •

وفى مجال علم البصريات قدم نيوتن نظريته بأن الضوء ذرى فى تكوينه •

وفى مجال الكهرباء ظهرت النظرية التى تنادى بأن سيلان التيار الكهربى ذرى فى عنصره •

وفى مجال علم الميكانيكا قسم جاليليو ونيوتن المكان والزمان الى وحدات متناهية فى الصغر هى △ س ، △ ن ، وهذا يتمشى مع نظرية الرازى فى الجوهر الفرد فى الاعراض •

وفى مجال العلوم الرياضية ظهرت المتناهيات فى الصغر أقرب ما تكون الى وحدات ذرية ، فكان ذلك ايذانا بتكوين علم التفاضل والتكامل على يد «فرماء و « نيوتن » و « ليبنتز » •

وفى هذه الاثناء كان علمـاء الكيميا يخلقون هذا العلم وهو جنين ، فلم يبق غيره ليكون من نصيبه لبنات ذرية تتالف منها العناصر ، وقد كان ، وحدث هذا عام ١٨٠٣ على يدى الكيمائى الانجليزى «دالتن» الذى كان يشتغل مدرسا بالمدارس الثانوية •



دالتن

فمن أين لهؤلاء العلماء هذه الطفرات العلمية ، التى لم تكن تتمشى مع المستوى الفكرى لعصورهم ؟

لقد كان القرن السابع عشر بداية عصر القرصنة فى البحار، ونهب ثروات شعوب: بيرو ــ وفنزويلا بأمريكا الجنوبية ، ثم شعوب افريقيا غربها وشرقها ، ثم الهند وآسيا •

فلم لا تكون هناك قرصنة فى العلم أيضا ؟

وفعلا حدث هذا ، ونسب ديكارت ونيوتن بحوث الحسن بن الهيثم فى ديناميكية الضوء لأنفسهما ، وهى التى أجراها بجوار الجامع الازهر ، ممثلة فى ارتداد كرة صغيرة متحركة ، اذا قابلت جسما مانعا لها عن الحركة ، حين تكون الممانعة كما يقول فى الغاية ، ثم فسر قوانين الانعكاس والانعطاف بحسب الممانعة وسرعة الضـوء فى الوســط الألطف عن سرعته فى الأغلظ ، وكانت التراجم اللاتينية لكتب ابن الهيثم تدرس فى جامعة كمبردج على يد الاستاذ باروز أســتاذ نيوتن ، فكانوا يلقبـون ابن الهيثم « بالهازن » •

وكانت بحوث ابن سينا فى الكهرباء نقطة انطلاق لهذا العلم على يد جلبرت بانجلترا ، فهو الذى يقول عن شــجر الحور الرومى أنه « هو الذى ينبت فى النهر الذى يسمى ليردانوس ، له صمغ يسيل من تلك الشـجرة ، وعندما يخرج الصمـغ يجمد فى النهر ، وهو الذى يسمى فى الرومية ايلقطرون وهو الكهـرباء » ثم أردت شـارحا فقلت ان هذا الصمغ كالسندروس مائل الى الصفرة يجذب التبن والهشيم الى نفسه ، فلذلك يسمى « كاه ربا » اى ســالب التبن » •

أما النظرية الذرية التى تقـدم بهـا دالتن عام ١٨٠٣ ، فقد سرق فكرتها الأولية من زميله وليم هجنز العضو بالجمعية الملكية ببرلين ، وكان قد سبقه اليها ، غير ان دالتن البسها لباسا شعبيا ، هـذه النظرية كان نسيجها كالآتى : ــ

١ ــ ان الذرات هى أجزاء حقيقية فى المادة ، وهى لا تنقسم باية طريقة كيميائية معروفة •

٢ ــ ان الذرات المختلفة للعناصر : مختلفة كذلك فى الخواص مثل الوزن والنشاط الاتحادى •

٣ ـ ان المركبات الكيميائية تتالف باتحاد ذرات العناصر المختلفة بنسب حسابية بسيطة .

٤ ـ ان ذرات العنصر الواحد متشابهة ومتساوية في الوزن .

٥ ـ الاوزان الاتحادية للعناصر هي نفسها الاوزان الاتحادية التي تحدث بين الذرات .

وعلى سبيل المثال ، وجد أن وزنا واحدا من غاز الهيدروجين يتحد مع ثمانية أوزان من غاز الاكسجين لتكوين الماء ، مما يدل على أن النسبة بين وزن ذرة الهيدروجين الى ذرة الاكسجين كنسبة ١ : ٨ .

ثمن أين لهذا الكيميائي الانجليزي بهذه الآراء ، وهو المدرس المغمور بمدينة منشستر التي ليست بها تقاليد علمية مثل كمبردج واكسفورد ولندن !!

قرأ دالتن رسالة الكيميائي الفرنسي لافوازييه في مبادىء الكيميا ، وفيها يقترح بان أجزاء الغاز ، أي غاز ، يفصل بينها جو من حرارة ، سماه «كالوريك» : وكتب يقول « لنوضح هذا ، علينا أن نتصور وعاء ملأناه بكرات صغيرة من الرصاص ، من رش البندق ، وصببنا في هذا الوعاء شيئا من الرمل ، أما كرات الرصاص فتمثل أجزاء الهواء ، وأما الرمل وهو يفصل بينهما ، فيمثل الكالوريك ، مع فارق هو أن كرات الرصاص في وضعها هذا يمس بعضها البعض ، أما في أجزاء الهواء ، فالكالوريك يباعد بينها قليلا ، وعلى هذا فسر انتشار الغازات في بعضها .

أليست هذه هي نظرية الخلاء والمماسة للجوهر الفرد عند علماء الكلام ؟

لقد كانت النظرية الذرية في أول مبدئها رغم استنادها الى قانون النسب الثابتة الذي اكتشفه الكيميائي العربي الذي عاش بين القاهرة ودمشق ١٣٤٤ ـ ١٣٦٠ م ويدعى عز الدين الجلدكي ، غريبة عن المزاج المسيحي ، لأنها في تناهيها الى الذرة التي لاتتجزأ ، وهي الجوهر الفرد عند المتكلمين ، تحمل معنى التجريد والتوحيد ، بينما روح الحضارة المسيحية تحمل في أحشائها عناصر التثليث !!

لذلك اعتبرها العالم الكبير المعاصر لدالتن «همفرى دافي» ، مكتشف عنصر الصوديوم نشازا ، قائلا : « أنا لنعجب لرجل ، اي رجل ، له عقل ، أو له علم ، يأذن لنفسه أن يخرج بمثل هذه « الترهات » ، فقام دالتن يملأ الدنيا ضجيجا ويحاضر في نظريته في اسكتلندا وانجلترا وفرنسا منذ عام ١٨٠٧ حتى مماته عام ١٨٤٤ ، فأصبحت تدرس في المدارس الثانوية والجامعات دون تفسير منابعها الأصلية من مذهب الجوهر الفرد .

مذهب الجوهر الفرد في علم الكلام .

هذا المذهب هو من صميم مذهب الأشاعرة ، فالمخلوقات جميعا في نظرهم ، تنقسم الى جواهر أفراد سواء أكانت أجساما أم أعراضا أم مكانا أم زمانا وكل حادث يقع في الزمان انما ينقسم الى أجزاء منفصل بعضها عن بعض تمام الانفصال ولا تربط بينها الا ارادة الله .

لقد أخذ الفكرة ليبنتز ومزجها بالعنصر الاغريقي باعتبار أن الانسان هو الكون الأصغر، وقال في نظرية المونادا بان الانسان هو الذي يؤلف بين الذرات الروحية ، ولقد استعمل المتكلمون في تعبيرهم عن مفهوم الجوهر الفرد في الدور الذي يواجهنا عند الأشعري عبارات الجزء الذي لايتجزأ ، الجزء الواحد، الجوهر الواحد الذي لا ينقسم ، ويطلق على حصول الأجسام (أو الهيولى عند الرازي) من جواهر لا تنقسم لفظ التاليف ، وهو الذي عبر عنه دالتن بلفظ الاتحاد الكيميائي بين الذرات التي لاتنقسم .

أما في مسألة أقل عدد من الاجزاء لابد منه لتاليف جسم ذي ثلاثة أبعاد ، فالآراء مختلفة بين المتكلمين، قالت الأشاعرة ، بوجوب جزءين ، واوجب غيرهم أربعة ، وآخرون ستة ، والجميع متفقون على ان ثمانية أجزاء تؤلف جسما ذا ثلاثة أبعاد .

هذه الاقوال هي بعينها ما ذكره دالتن في البند الثالث من نظريته، ويدلل ابن حزم على وجود الجوهر الفرد بالادلة التالية .

١ ـ لو لم يوجد الجوهر الفرد لكان الماشي الذي يقطع مسافة متناهية يقطع مالا نهاية له ، لأن هذه المسافة تقبل القسمة الى غير نهاية .

٢ ـ لابد أن يلي الجرم من الجرم الذى يليه جزء ينقطع ذلك الجرم فيه ، ويقـوم هـذا الدليل على ما يزعمه البعض من استحالة القول بأن جزءا لانهاية لانقسامه من الجسم يمكن أن يماس جسما آخر .

٣ ـ لو كان لا نهاية للجسم فى التجزؤ لكان فى الخردلة من الأجزاء التى لانهاية لها مثل مافى الجبل .

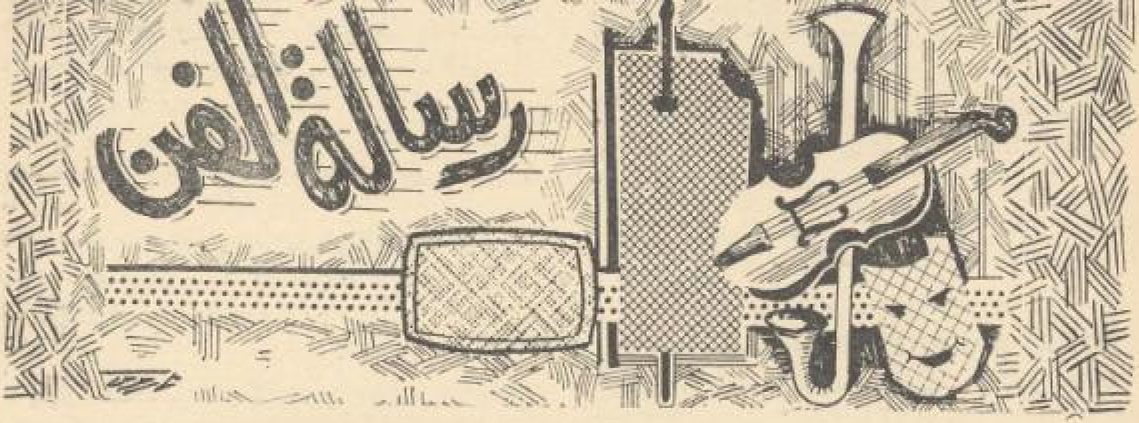
أما تعبير فخر الدين الرازى فى المباحث المشرقية فيقول « لصح أن يوجد من الخردلة مايغشى به وجه السماوات السبع » .

يقرر الـكتاب الانجليز تحيزا منهم ، بأن دالتن استقى منابعه من عناصر هندية ، كما قرأها عن كنادا الفيلسوف الهنـدى ، ولكننا نجزم بأن العنـاصر الهندية المتعددة المذاهب فى الجوهر الفرد ، متشابكة ومشوشة ، على حد قول البيرونى « انى لاأشبه مافى كتبهم ونوع التعاليم الا بصرف مخلوط بخزف أو بدر ممزوج ببعر أو بمهى مقطوب بحصى ، والجنسـان عندهم سيان » .

وأما القول بأن دالتن قد اقتبس أيضا منابعه من مذهب ديمقريط الاغريقى (٥٠٠ ق.م) فهو مردود عليه بأن المادة فى عرف هذا المذهب ، كما للجواهر الافراد التى تتألف منها المـادة خصائص أساسية معينة ، تكون ماهيتهـا ، وهى الصفـات الأولية بالاصطلاح الحـديث ، أما عند المتكلمين ، فان الجزء الذى لا يتجزأ هو القاسم المشترك الاعظم الموجود فى كل المواد وأعراضها ، ويعلل الرازى اختلاف العناصر باكتناز تاليف الجواهر الفردة وحده ، لذلك ترى أن نظرية دالتن بعيدة كل البعد عن مذهب ديمقريط ، وقريبة من مذهب المتكلمين وأبى بكر الرازى الطبيب الاسلامى والفيلسوف .

واخـيرا نسـتطيع الآن أن نجيب على سـؤال جورجياس وكان لوطيا مسيحيا على حد تعبير جريدة الاهرام فى ملحق يوم ١٩٦٤/٨/٧ ـ « هل ماء النهر هو النهر ؟ » نعم ان نهر الحضارة الاوروبية الذى ملأ الدنيا خريرا منذ القرن السـابع عشر حتى الآن ، ما كان له أن يمتلىء لولا روافد العلوم الاسلامية التى غذته ، ومياهها هى التى أطعمت هؤلاء العلمـاء من جوع ، وآمنتهم من خوف ، خوف البطش من رجال الكنيسة ، ذلك لان المنطق الاسـلامى العلمى كان أقوى دليلا وأعز نفرا ، ويعرف ذلك رائدهم القس توما الاكوينى الذى استند الى علم ابن رشد ، كما فضحه المستشرق الاسبانى آسين بلاسيوس ، هـذا هو تفسيرى من وجهة نظر تاريخ العلوم .

ولولا المحبة التى صادفتها الحضارة الاسلامية كما سبق أن قلنـا ، لاستمر ينبوع علومها دفاقا منقطع النظير ، وما يدرينا لعله كان اليوم أعلا مقاما وأزكى طعاما .



الفن فى الاسكندرية

صفحة ١٠

بقلم : عبد الفتاح البارودى

اذا لم يهتم الفنانون فى كل محافظة ببحث مشكلاتهم الفنية والمشاركة فى النشاط الفنى مشاركة حقيقية ، فكيف نرفع المستوى الفنى ؟ واذا لم يهتموا بتعميق المفهومات الفنية وادراك طبيعة ووظيفة الفنون ، فكيف ننشر الوعى الفنى ؟ واذا لم يهتموا بالانتاج الفنى ومناقشته ومعرفة اسراره وربطه بحياتنا وواقعنا ، فكيف نحقق معنى **«الفن للشعب»**

وانا اسأل الفنانين فى محافظة الاسكندرية : ماذا فعلوه ؟! اننا الآن فى شهر اغسطس ، حيث يتضخم النشاط الفنى فى الاسكندرية .. وفعلا كل المسارح محتشدة بالجمهور ، والاضواء الفنية تغمر معالم المدينة الجميلة جدا على امتداد الكورنيش ، والفنانون فى حركة مستمرة ، والسيارات تحمل الآلات الموسيقية وتنقل الديكورات من مسرح الى مسرح آخر ، وكاميرات التليفزيون تسجل هذا النشاط الفنى فى الاسكندرية .. وفعلا كل المسارح فنى ، ولكن الانتاج الفنى كله او معظمه وافد من القاهرة !!

بأى منطق يحدث هذا ؟ ايام زمان كان هذا منطقيا .. كان النشاط الفنى ضئيلا وكانت القاهرة تحتكر هذا النشاط الضئيل ثم تنقله الى الاسكندرية خلال الصيف فقط .. اما الآن فاننا نعيش فى نهضة فنية ، وصحيح ان اليقظة الفنية بدات من القاهرة ، ولكن التغيير الذى حدث فى حياتنا وتفكيرنا استهدف — فى الفن ايضا — نشر الوعى الفنى فى كل انحاء البلاد ، بحيث اصبح فى ذهن كل فنان انه ينتج للجمهور العريض وليس لجمهور القاهرة فقط وينتج لخدمة الجمهور العريض وليس لخدمة جمهور معين ، وكذلك اصبح كل شبر فى بلادنا مجالا لظهور الفنان ، بعد ان كانت القاهرة هى المجال الوحيد الذى يولد فيه الفنان .. هذا التغيير الجوهرى فى حياتنا الفنية كان من نتائجه ظهور تشكيلات فنية — لاول مرة — فى محافظات كثيرة ، فراينا لاول مرة مسارح وفرقا مسرحية تنشأ بشكل جاد فى الاسكندرية ودمنهور وطنطا وبور سعيد .. الخ .

***

ولكن هذا النشاط الفنى الاقليمى لا يزال فى حاجة الى تدعيم مقوماته تدعيما ايجابيا ، والمسئول عن ذلك هو الفنان الاقليمى نفسه اولا .. لماذا ؟ لانه اذا كان وجود المسرح مثلا بوجد الفنان المسرحى ، فان خشبة المسرح لا تكتب الروايات ولا تمثلها ولا تخرجها ... لابد من أن يتحمل الفنان المسرحى مسئوليته عن ممارسة المسرح بالمفهوم الحقيقى ، اى

بأن يدرك اولا اهميته فى مجتمعنا الجديد ، وبأن يدرك ثانيا واجب الفنان نحو مواصلة نشاطه المسرحى ... ولهذا يجب ان يواصل الفنانون الاقليميون مساهمتهم فى نهضتنا المسرحية .. هذه بديهيات .

والمؤسف ان الفنانين السكندريين متناقضون مع هذه البديهيات ... بداوا بداية طيبة ناجح فيها نشاطهم الفنى ، ثم سكتوا ، ثم ناموا !! والغريب انهم سكتوا بينما النهضة المسرحية تتدافع الى الامام وتمتد الى كل مكان وناموا فى الموسم الذى تستيقظ فيه مدينتهم .

وهم يحتجون بحجج ينبغى ان نناقشها بصراحة انهم يحتجون — مثلا — بأن الفرق القاهرية وفرق مسارح التليفزيون احتلت كل المسارح ، ولم تترك لهم غير مسرح واحد ، هو مسرح « **الانفوشى** » وحتى هذا المسرح بعيد عن الاضواء الفنية ... ويحتجون ايضا بأن نجوم القاهرة اكثر اجتذابا للجمهور ... ويحتجون كذلك بضعف رصيدهم من الفنانين والروايات والانتاج الفنى ، لأن مدينتهم خالية من المعاهد الفنية ، فليس فيها معهد للتمثيل ولا معهد للسينما ولا كونسر فاتوار .. الخ .. فكيف اذن ينافسون القاهرة ؟!

من وجهة نظرهم هذه حجج لها منطقها ، ولكنها فى جوهرها حجج واهية .. **لماذا ؟** لاننا جميعا نعلم ان الاغريق مثلوا مسرحياتهم فى جبل ، وكانت ولا تزال اروع مسرحيات عرفتها البشرية .. وشيكسبير مثلت بعض رواياته فى امكنة تشبه الخيمة او السرادق .. وموليير مثل بعض رواياته فى القرى ... وصحيح ان بناء المسارح المجهزة بالامكانيات الفنية اصبح ضرورة فى العصر الحديث ، ولكن الأهم هو وجود « **التفكير المسرحى** » .

ان مشكلة الفن السكندرى والمسرح السكندرى والفنانين فى الاسكندرية هى اولا **مشكلة (التفكير)** والعلاج هو اولا خلق التفكير الفنى ، ولكن هؤلاء الفنانين لا يكترثون بالنواحى الفكرية بقدر ما يكترثون بحججهم التى اسلفناها ...

***

وامامى اكثر من دليل على ذلك ... خذ مثلا دليلا واقعيا ملموسا : فى الاسبوع الماضى افتتح فى دار الثقافة ناد اول للمسرح فى الاسكندرية وكان من الملاحظات الواضحة انه لم يحضر حفل الافتتاح احد من المؤلفين او الممثلين او المخرجين او المشتغلين بالمسرح فى الاسكندرية ... لم يكن حفلا لتناول الشاى وتبادل التحية ، ولكنه كان حفلا لمناقشة « **المسرح والدراما كظاهرة اجتماعية** » ، وقد حضرت هذه المناقشة التى اشترك فيها الدكتور عاطف سلام وحسين ابو المكارم وفتحى الابيارى ، وكان المفروض — بالبداهة — ان يشترك فى المناقشة اكبر عدد ممكن من فنانى المسرح بالاسكندرية ولكن لم يحضر اى واحد منهم على الاطلاق .

هل بعد هذا دليل على انهم لا يزالون يفتترون الى الاهتمامات الثقافية ؟! نفس هذه الظاهرة تتكرر فى مختلف الندوات والاجتماعات التى تعقد فى الاسكندرية لمناقشة اى عمل فنى او اى موضوع ثقافى ...

ثم اين الندوات المفروض عقدها لمتابعة وشرح وتحليل المسرحيات التى تعرض فى الاسكندرية ؟! اننى منذ ان انشئت فى العام الماضى « فرقة الاسكندرية المسرحية » « ثم فرقة عادل خيرى » اطالب بعقد هذه الندوات واقترح أن تعقد بصفة دورية ، وهم يرحبون بذلك ، فلماذا لم ينفذوه ؟!

ثم اين اذاعة الاسكندرية ؟ كان المفروض ان تتابع بميكروفوناتها مختلف المسرحيات والندوات لتنقل للناس صورة اذاعية لها ، ولكنها لم تتحرك حتى فى افتتاح نادى المسرح ، مع انه حدث جديد ومفيد... ان المتحدثين فى هذا الافتتاح تناولوا مدى ارتباط المسرح بالمجتمع فى مختلف العصور منذ عصر الاغريق الى الآن ، واشكال هذا الارتباط ، وعلاقة المسرح بحرية التفكير والتعبير ، وبالتيارات الفنية ، وبالاقتصاديات ، وبالتراكيب الاجتماعية ، واستطردوا الى تفصيلات وتفريعات كثيرة للرد على اسئلة الجمهور ، وكانت اسئلة دالة على ان اهتمامات الجمهور بالمسرح اكبر واعمق من اهتمامات الفنانين ... كل هذا كان من واجب اذاعة الاسكندرية ان تسجله وتنقله للناس .

الواقع انى فى بداية كل موسم صيفى اشعر بخيبة امل فى الاجهزة الفنية بالاسكندرية وفى الفنانين السكندريين ، لانى فى كل موسم شتوى اسمع وارى تحفزا لنشر الوعى الفنى وتشجيع

الانتاج الفنى فى الاسكندرية ، ثم ينتهى كل هذا بلا نتيجة ، ثم لا نسمع غير الحجج الواهية .

ان هذا لا يليق اطلاقا بفنانين يعيشون فى مدينة كانت عاصمة عالمية للثقافة ، ويعيشون فى مجتمع يؤمن بالثقافة ... بل كان المفروض أن تصبح الاسكندرية قدوة لسائر المحافظات والمدن .

انظر ماذا يحدث فى الخارج ، ليس فى المدن الكبيرة فقط ، بل الصغيرة والقرى ايضا .. ان تلاميذ الجامعات والمدارس يمضون موسم الصيف فى تقديم اروع الوان الانتاج الفنى .. ومنذ ايام نشرت بعض صحفنا مشاهد من (فاوست) لجوته يمثلها طلبة المدارس الالمانية ، وقد اشتهر هؤلاء الطلبة بتقديم اعمال جوته ، كما اشتهر طلبة المدارس الانجليزية بتقديم اعمال شيكسبير ، وهم لا يقصرون نشاطهم على تقديم اعمال عمالقة المسرح ، بل انهم يقدمون ايضا التجارب الجديدة فى المسرح وفى السيمفونيات والكونشرتات والاوبرات .. الخ ..

كل هذا يحدث فى المواسم الصيفية ، ويتيح فرصة ضخمة لفهم الروائع العالمية وتجربة الاعمال المحلية واثارة مناقشات تطبيقية حول التيارات الفنية والنظريات الجديدة ، وتحويل الحقل الفنى الى حقل تجارب .

بهذا الشكل يزدادون فهما وعمقا ، وتتطور فنونهم يوما بعد يوم ، ويتجدد انتاجهم الفنى ... وبهذا الشكل يعطون طابعا لكل موسم يختلف عن المواسم الاخرى ، ومن هذا الاختلاف وبسببه تظهر طاقات فنية ومواهب جديدة تصنع مع بقية المواهب مواكب تدفع الفن الى الامام ... فمثلا اختلاف اخراج روايات شيكسبير فى المسارح الصيفية والارض الفضاء عن اخراجها فى المسارح التقليدية يتيح فرصة ابتداع اساليب جديدة فى فنون الاخراج والأداء والاضاءة والديكور والموسيقى .. الخ .. لأن مجال العرض نفسه له اثر فى تكييف المسرحيات تكييفا جديدا ... وقد شاهدنا تجربة من هذا القبيل فى بلادنا عندما زارتنا فرقة من **الأولدفيك** ، وقدمت فى منطقة الهرم روايتين لشيكسبير وبرنارد شو ، فماذا رأيناه ، ان المساحة الشاسعة جدا التى حلت محل خشبة المسرح ، والديكور الخلفى الطبيعى الذى حل محل الديكورات التقليدية ، والاضاءة الموحدة التى اضطرت الفرقة الى استخدامها بدلا من ادوات الاضاءة المكيفة ، كل هذه التغييرات واجهت الفرقة بضرورات جديدة ، واستطاعت بالقدرة على مواجهتها ان تقدم عرضا جديدا بلغ غاية الروعة .

لم يكن من الممكن ان يحدث هذا لو ظلوا متجمدين فى الروتين التقليدى ... انهم يتغيرون ويتغير تفكيرهم الفنى ، وهذا يزيد انتاجهم الفنى غنى وخصوبة ... لو ادركنا هذا لأدركنا مدى ما يصيب فنوننا من ضعف بسبب « نوم » بعض الفنانين .. ان نوم فنانى الاسكندرية خلال الصيف يضعف نشاطنا الفنى بلا جدال ، فمتى يستيقظون؟! هل يستيقظون فى الشتاء فقط حيث تقل فرصة عرض انتاجهم ؟ لقد كنت اتوقع ان يجدوا فى موسم الصيف مجالا للمقارنة بينهم وبين فنانى القاهرة الذين يتوافدون على مدينتهم .. ولقد كان من اهم مشروعاتهم انهم فكروا فى منافسة فنية شريفة تتمثل فى تقديم نفس الروايات التى تقدمها مسارح القاهرة ، ثم عرض هذه الروايات فى القاهرة نفسها ... عندما فكروا فى ذلك صفقنا لهم وانتظرناهم لنصفق لهم مرة اخرى ، ولكنهم لم ينفذوا شيئا ، بل بالعكس تهافت نشاطهم ، حتى اذا جاء الصيف وذهبت فرق القاهرة اليهم وجدتهم نائمين .

ان هذا النوم ليس فى المسرح السكندرى فقط بل فى مختلف الفنون السكندرية ، ويظهر انهم سيظلون نائمين بحجة عدم وجود مسارح ومعاهد للتمثيل وسائر الفنون فى الاسكندرية ... لو كانوا جادين لمثلوا رواياتهم فى الخلاء كما فعلت فرقة الاولدفيك .. ولو كانوا جادين لطالبوا اساتذة جامعة الاسكندرية بانشاء دراسات درامية فى المسرح والموسيقى تعوضهم عن معهد التمثيل والكونسرفاتوار .. بل ان الدراسات الاكاديمية اكثر اهمية وجدوى ... وهذا هو مايحدث فى بلاد كثيرة متقدمة فنيا . ان الجامعات هى المكان الاول لدراسة المسرح والموسيقى وسائر الفنون ، وبعد ذلك تقوم المسارح بعمليات التدريب والتطبيق والاداء العملى .

ان من واجب **الفنانين السكندريين** ان يفعلوا شيئا — اى شيء — ليثبتوا انهم يريدون فعلا ان يشاركوا فى تطوير الفنون وتعميق المفهومات الفنية ونشر الوعى الفنى ... ولا احد يطالبهم بأن يفعلوا المستحيلات او يصنعوا المعجزات .. فقط نطالبهم بأن يستيقظوا ، وبأن يتحركوا !!



حول الأدب في أسبوع

يقدمه عبده بدوي

الشعر .. والظاهرة الساخنة

نحن من المنـــادين برفع « وصـاية » الدين عن الشعر ، لأننا نؤمن به قوة فعالة مستقلة لاثراء الحياة وعمق الاحساس بها ، وان كان هذا لا يمنع من أن « التجربة الدينيـــة » يمكن أن تخصـــب التجربة الشعرية ، حين لا تكون متعمدة ، أو مستغلة ، أو متدروشـــة .. والا كانت حصـــارا يقصر أجنحة الشاعر ، ويميت في نفسه اللهب ، ويجعله «الشيخ الوقور » لا « الشاب المتوهج » .

وقد رأينا من قبل في مقال سابق ـ عن طريق المسح الشعرى ـ أن الشعراء المعاصرين ـ مسلمين ومسيحيين ـ مشدودون شدا محكما لا الى الجوهر الدينى العام للانسانية ، ولا للدين الذى ينتمى اليه الشاعر ، ولكن الى الجوهر الدينى المحدود للمسيحية مواقف ورموزا ، الى مدى أصبح فيه الشعر المعاصر مهددا بالخنق فى هذه الدائرة الصغيرة ، والى حد وصل فيه الشاعر الحديث ـ كما كان يفعل بعض الشعراء من الاهتـــداء الى القوافى قبـل الدخـول فى لحظة الابداع ـ الى أن يستحضر دائما فى هندسة واعية ـ قبل العمل الفنى وفى أثنـــائه ـ الرموز والمواقف المسيحية التى تدور حول الصلب ، والجلجلة (مكان الصلب) ، والخلاص ، والتطهير ، والخطيئة .

ونحن لسنا ضد أن تكون « التجربة الدينية » فى خدمة الشعر ، ولكنا ضد أن تكون التجربة الشعرية فى خدمة الدين ، أو أن تكون شيئا موافقا مستسلما حزينا .. بلا صبوة أو بريق أو اقتحام .

فاذا انتهينا من هذا الى التطبيق وجدنا أنه على الرغم من التركيز على « كاثوليكية » ت.س. اليوت » وأثر هذه الكاثوليكية فى شعره الا أنه لا يخرج كثيرا عما نريد أن نقوله ، ولعل أول ما يسعفنا فى هذا هو كتاب (شعراء المدرسة الحديثة تأليف م . ل . زوزنتال ، ترجمة جميل الحسينى) فنحن نجده يقول « ان صوفيته الفكرية وايمانه بالعدل المطلق للعناية الالهية واهتمامه باللاهوت بوجه عام واتجاهـــاته الفلسفية قد برزت بروزا هائلا بســـبب ما أضفى عليها من اهتمام زائد ، فقصيدة « الارض اليباب » يمكن ، بل يجب أن تقرأ على انها موعظة مسيحية مستترة ، و « القصائد الاربع » على أنهـــا تأملات دينية صريحة ، ومع ذلك فليست أى من القصيدتين فى نهاية الامر بالموعظة الدينية أو القصيدة الدينية ، وكلتاهما تستكشف العلاقة بين المتحدث واحساسه الدينى من الناحية الشعرية بطريقة تخلق شـــيئا أكثر مرونة من العقيدة اليقينية المتطرفة ، والنتيجة هى أنا نجد بين أيدينا اطارا متنـــوعا يتركب من غوامض سيكولوجية من النوع الذى يشغل العقـــل الحديث حين يواجه قضايا العقائد والاخلاق » .

ولعل من المفيد أن نذكر أن «الاحساس الديني» عنده لم ينضج على نار المسيحية فقط ، وانما على نحو ما قرر النقاد من أنه كان على وعى « **بالفيدا** » التي تعتبر الكتاب المقدس عند الهنود ، وانه وجد عنده ما يماثل كلمات « الاله كريشنا » ويستدلون على هذا بالآتي :

« سيروا الى الامام يامن تظنون انكم راحلون فانتم لستم اولئك الذين رأوا شاطىء المرفا ينحسر ، أولئك الذين سيهبطون الى البر »

ثم ان الشاعر « **ييتس** » يضفر دائما الاحداث المقدسة المكونة من الاساطير والاديان ، لتكون فى نهاية الامر مكثفا للتجربة ، كما في قصيدة « ليدا والبجعة » و « الاقلاع الى بيزنطة » و « الصورة الثانية» التي تدور حول أن العصر المسيحى سيتحول فى عام ٢٠٠٠ الى بشرى جديدة فى الحياة ، كما انه فى قصيدة « أخبار لمهبط الوحى فى نفسى » يمزج بين الرموز الوثنية ، والمسيحية ، والتاريخية ، ويصهرها فى نهاية الامر فى تشكيلة شعرية متماسكة .

***

.. ومعنى هذا أن التجربة الدينية لابد أن يتوافر لها شرطان **أولهما** : أن تتحول تماما الى شكل شعرى بمعنى ان تصبح فقط خلفية فى خدمة الصورة ، أو مجرد خيوط ضئيلة فى النسيج العام للتجربة ، **وثانيهما** : أن هذه التجربة عند الشاعر ـ لتكون ثرية وهامة ـ يجب أن تخترق الدين الواحد الى الجوهر العام الذى تقوم عليه الاديان جميعا كتابية كانت أو غير كتابية ، ومعنى هذا أن يكون غير قابل للتصنيف الوثنى أو المسيحى أو الاسلامى ـ وان أخذ بعض ما فيها من الرموز ـ وانما يكون درجة احتكاك بالمحور الالهى ، وبكل ما هو طيب ومضىء فى الحياة !

وفى ضوء هذا يكون حديث الشاعر شوقا وحنينا ووداعة، ويكون تاثرات عن البهجة الواعية، والسلام النفسى ، والاتحاد الطيب ، والدعوة الى الخصب والخير ، والرغبة فى استمرار الحياة .. لا حديثا عن الصلب والجلجلة ، أو هجرة للنبى الى المدينة ، أو همهمة لعراف افريقى فى بعض المناطق . صحيح ان الدين الواحد قد يعطى التجربة الشعرية ، ولكنها لن تكون خصبة الا اذا كان الشاعر محتضنا لكل الاديان ، أو على الاقل محتضنا ـ فى الاصل ـ لدينه الذى يأخذ نفسه به !

ونحن عندنا العديد من التجارب فى الشعر العربى ، فحين كان الشعراء يقصرون أنفسهم على الدين كانوا ينتهون الى مراحل «الوجد» و «الهيام»، ويجدون أنفسهم داخل دائرة التصوف المغلقة ، ماعدا واحدا « **كابن عربى** » لانه كان له من الظروف، والاحساس الحضارى ما يجعله لا يضيق على نفسه الخناق .

***

أما حين كان الشعراء يمزجون بين الدين والحياة وملكية التاريخ ، فانا نحس انهم كانوا يتنفسون فى جو صحى .

ولعل أحدا لم يصل بالدين الاسلامى الى العالمية الشعرية مثل « **محمد اقبال** » لانه نظر اليه من خلال أكثر من منظور ضوئى ، لقد طلب فى دعاء له ان يهب الله المسلمين العشق وحرقة السمى ، كما شكا من نار الشعر التى كانت مضرمة فى صدره ، وسال عن « آخر » يتلقى منه هذه الشعلة ، ولعله لم يوجد هذا « الآخر » الى الآن .

ومهما يكن من شىء فالذى ندعو اليه هو الاستفادة من التجربة الدينية الخاصة ، ومن الجوهر المشع لكافة الاديان ، ثم بعد اقتباس هذه الشفافية لا بد للشاعر من أن يسند اليها ظهره ، ثم يغنى وعيناه وقلبه على الحياة !

ولعلنا لو أردنا التعبير عن الدين « **كظاهرة صارخة** » فى الشعر المعاصر لن نراها فى شاعر مسلم ، ولكنا نراها فى الشاعر المسيحى اللبنانى **يوسف الخال** ، ترى ما مدى استفادته من هذه التجربة الدينية ؟ وما مدى استفادة هذه التجربة منه كشاعر ؟ ولنكون منصفين يجب أن ننظر اليه اولا من خلال المهللين له **فانسى الحاج** يقول « ان شعره شعر تقدمة الهية اكثر مما هو شعر من أذى الفرض »

وجبرا ابراهيم جبرا يقول « يوسف الخال يجسد الالم بقدر مايجسد اللذة ، ويجعل من كليهما مشكلة دينية بالمعنى الفلسفى الاعمق » **وعلى أحمد سعيد (ادونيس)** يقول فى فقرات كاملة :

● ربما يستحيل النظر الى هذه التجربة من زاوية شعرية أو جمالية خالصة فى معزل عن الاطار

والبعد الميتافيزيقيين ، فالشعر الذى يصدر عنها مغامرة روحية ، ايمان هو فى المعنى الاخير اكثر اهمية من الشعر .

● هكذا يدخل يوسف الخال مملكة المسيح ، الشخص الاله . المسيح الحرية ، الحضور الابدى الخلاق ، المسيح الشخص ، هو البداية ليوسف الخال والنهاية ، هو الجذر والخلاص ، وكل ما يدخل مع الشاعر من أشياء هذا العالم فى حوار وتآلف هو من أجل توكيد المسيح ، وهو يجرى تحت رايته وباسمه جهد الشاعر لذلك

● وانما هو أيضا شعر ايمان مسيحى يؤكد بوعى وشعور كاملين أن الله تجسد انسانا وانه مات وبعث ، ومعنى التجسد على الصعيد الجمالى هو أن تعيد بشكل أجمل ، خلق الاشياء التى أجاد الله خلقها وشوهتها الخطيئة .

● يوسف الخال مريد يقرأ فى وجه الارض رسالة الفرح والمحبة رغم الجرح الذى يختبىء فى خاصرته !

وليس لهذا الكلام من معنى الا أن الشاعر سيلقى علينا «موعظة دينية» قد تكون بحروفها من الانجيل، فى كنيسة مغلقة هى ديوانه ، ومن هنا نراه ضعيفا يائسا مهزوما .

● انا لا اجرؤ لا اقوى على
طمر العظام
قبضتى كلت واظفارى براها
الزحف من دار لدار
منذ ما سمرت فى الحرف مصيرى
أترانى اهجر الدار وأمضى
« يدفن الاموات موتاهم » وأمضى
اين أمضى ؟

وقد نراه يغزل مواقف الانسان من الذل والخطيئة والموت ، ويظل يضغط عليه بالصليب حتى يستحيل الوجود الى عدم .

● عبيد نحن للماضى . عبيد نحن
للآتى . عبيد نرضع الذل
من المهد الى اللحد خطايانا
يد الأيام لم تصنع خطايانا
خطايانا صنعناها بايدينا

لعل الشمس لم تشرق لتحيينا
هنا مقبرة النور ، هنا الرمل
هنا يستنسر البغثان . تفنى القمحة
الأولى . هنا ينعدم الشك
يموت القول فى الألسنة الحق
صليب الله لم يمسح خطايانا
غراب البين لم يرحم ضحايانا
ولم ينهض من القبر سوى الله
سوى شيء هو الله . أكلنا لحمه
خبزا ، شربنا دمه خمرا
فما أشبعنا الخبز ولا أسكرنا
الخمر . وهلا ينفع الضوء
اذا ما خبىء الضوء بمكيال
ترى يدركنا الموت كما نحن
حيارى لا الذى صار فهمناه
قبلناه ولا ذاك الذى كان
كفرنا لايد الايمان تفدينا
كاسحق ولا كفارة الحب
وما زال صليب الله مرفوعا
على رابية الدهر .. به تمحى خطايانا

وقد يحول الشعر الى ترنيمة دينية خالية من المذاق الشعرى وان كانت حارة المذاق الدينى

● وقبلمانهم بالرحيل نذبح الخراف
واحدا لعشترون ، واحدا لأدونيس
واحدا لبعل ، ثم نرفع المراسى الحديد
من قرارة البحر
ويبدا السفر
هللويا
هللويا
وفى هنيهة تغيب عن عيوننا
الجبال ، والمرافىء الأمان ، والمرابع
المليئة اليدين بالزهر
هللويا
هللويا

ويشتد الغموض عند الشاعر ويصبح وكأنه استحال الى رؤيا سديمية لايرى فيها وجه الانسان ، لانه يضحى بالتجربة الشعرية من أجل أن يؤكد المعنى الدينى القائل : المجد للثلاثة فنحن نراه فى قصيدة « المجد للثلاثة » يقول :

● **المجد للرغيف يستدير**
قمرا ، يقدم النعاس
للجفون ، للجياع كذبة
عريضة
سلوى من السماء
والمجد للواتى
يسلبن من عيوننا الضياء
والأمل السحيق ان
يجىء موعد
وينتهى
ونحن للمسير جبهة
وركبتان
والمجد للذى يعانق الحرير للذى
يجوف المكان

فاذا تركنا الشعر الى قصيدة النثر التى يدعو اليها يوسف الخال ، وجدنا هذا النوع من الشعر :

«اصغى الى · أمى عاقر ، وأبى كاهن فى هيكل · معتوه انا وصانع عجائب ، الهى يخبر عنى ، جسدى يخبر عنى · ضع اصبعك يامولاى فى اثر المسامير ، الساعة ملأوا رحاب الهيكل ، اما انا فامرأتى أيضا تخلت عنى ، لغيرى أن يتكلم فدعونى أصمت · تساؤنا على الرصيف أثداؤهن سلعة فى الحوانيت شفاههن لافتة مضاءة بالنيون ، الخنافس ابتلعت رءوسها فى مدائن الجراد · القطط تتضاجع فى الحدائق · الجرذان عسكر فى دولة الملك ، سلاحها أرجل ذباب غرقت فى الوحل · لمن العيون الفستيقية · لمن الكسل فى الأرداف · لمن البطون العامرة بالهز ·· الثالوث الذى أرعبكم صار واحدا ، الخبز حجرا ، النبيذ قطرانا للجرب ·· لعبد نائيل أروى حكايتى ، لعبيده وجواريه هذا النشيد العابر ·· أعطنا علامة الرب »

ان موقف يوسف هنا قائم على « الموافقة » ، بينما موقف اليوت مثلا قائم على « التعاطف » ، وموقف يوسف قائم على المباشرة والترجمة الحرفية من الأنجيل وما أكثر ما يضمن بين الأقواس ، فى الوقت الذى يرمز فيه اليوت للكنيسة بالصخرة الحمراء ذاكرا أن فيها الخلاص ، وينتهى باحدى بطلاته الى اليأس ويتركنا نحس أنها تفتقر الى العقيدة الدينية ، بل ان الفكرة التى تدور حولها « موعظة النار » تؤكد السخرية من فكرة « الكأس المقدسة » ومن هنا نرى أن يوسف الخال يعتقل قارئه فى كنيسة ثم لايتحدث الى القارىء المسكين الا بآيات من الانجيل أو بأفكار لاتخرج عن الانجيل ، ولا شك أنا نرفض هذه التجربة الشعرية الضيقة من الشاعر الوثنى والمسيحى والمسلم ، ثم لاضير علينا أن نصرخ « لاتحاولو أن تكونوا كل الحياة لأنه يكفى أن تكونوا بعض الحياة ! »

وفى ضوء هذا **نقول** ليوسف الخال منصفين « تجربتك معزولة وعدمية ولم تعد تكفى الانسان المعاصر » **ونقول** للذين يقولون عنه انه مهرج ، وقومى سورى ، ويقيم أمام السفارات الأجنبية ، وله موقف مشين أثناء حرب السويس وبعدها ، وأنه أداة ــ تجلب الزبائن ــ فى يد منظمة تقوم بمخططات استعمارية وصهيونية فى المنطقة العربية ··· الخ الى هؤلاء نقول لهم « انا لم ننظر اليه من خلال هذا السلوك ولكنا حدقنا فيه من خلال شعره »

ونقول للذين يصفقون له وقد كثروا فى هذه الأيام « انه لايعدو ان يكون أسطورة



يقدمه: تحسين عبد الحي

اصول النضال الثورى القومى

تاليف : الدكتور عبد العزيز رفاعى

لقد عاش شعبنا مراحل حياته المختلفة يمجد الحرية ويناضل من اجلها ـ وهو يقدم دائما المبررات الحقيقية لاثبات قدرته على العمل من اجل حريته تحت اقسى الظروف ضراوة .. وعلى مختلف المستويات ..

ان شعبنا شعب صبور ، وصبره نابع من طبيعة حياته الزراعية التى يمارسها .. ولكن عندما تنتهى حدود الصبر التقليدية ينتفض عملاقا ـ رغم قيوده الاجتماعية والاقتصادية والطبقية .. لكى يعطى لمن يستذله درسا قاسيا ـ ينتهى دائما بسحقه ـ ولو جزئيا ..

تمهيد

والمتتبع لتاريخ نضالنا الوطنى ، واقول هنا الوطنى ـ لا القومى ـ يجد دائما حركة الجماهير المتعطشة للحرية تسير فى خطوات قوية لصنع مستقبلها .. ولا شك ان مستقبلها الذى صنعته بتضحياتها المستمرة.. هو حاضرها اليوم، ونضالها فى حاضرها يشكل مرحلة جديدة فى بناء مستقبلها المنشود .. هى أشياء مترتبة بعضها على بعضها الآخر .. اذ انه من المبالغ فيه حقا أن حاضرها مهما كان مشرقا ورائعا .. قد خلق من العدم .. ولكنه وجد كبناء ضخم ـ كل لبنة فيه تؤلف مرحلة نضالية متقدمة تعتبر اساسا لبناء الحرية الكبير ..

ونضالنا الوطنى ليس نضالا منفصلا يحمل طابع الذاتية المغلقة ، ولكنه نضال مرتبط ـ ولو بشكل غير مباشر ـ بنضالنا القومى على مستوى وطننا العربى الكبير ، والمتتبع لحركة نضالنا القومى ككل يجد دائما خطوطا واضحة تربط هذا النضال وتشده بعضه الى بعض..ويكون ذلك احيانا من جهة التوافق الزمنى للانتفاضات الشعبية، وأحيانا أخرى من جهة تشابه أساليب هذا النضال كما ونوعا .. ووطننا العربى الكبير يتعرض دائما وفى كل العصور لأساليب متشابهة من العمل المضاد .. فى الخارج والداخل .. ولم يدخل منطقتنا العربية اى غاز او مستعمر الا واعتبر أن الاستيلاء على جزء معين من منطقتنا .. هو مقدمة لفرض سيطرته على الاجزاء الباقية .. فمن الاسكندر الأكبر الى الامبراطورية الرومانية كانت منطقتنا العربية ـ وان اختلفت أسماؤها ومسميات أقاليمها فى ذلك الوقت ـ مجالا لتحرك اليونان والرومان ـ وفى عصور الازدهار العربى ـ الذى حمل لواءها الاسلام كانت منطقتنا العربية بوحدتها وانتمائها الى فكرة الهدف الموحد ـ هى الأساس أو الوطن الأم لكل الانطلاقات الاسلامية العربية .

وفى عصور الانتكاس الأولى تعرضت منطقتنا لعوامل التفكك المزدوج الذى أدى فى النهاية الى انعكاس المفاهيم الدينية عن حقيقتها ، فبدلا من أن يكون الدين هو الدافع الى الوحدة والعدالة ، انقلب فى عهد الدولة العثمانية الى عامل من عوامل الاستغلال استخدمه العنصر التركى فى السيطرة على منطقتنا العربية .. وباندثار الامبراطورية العثمانية وظهور عهد القوميات كانت منطقتنا العربية تسير فى حركة التاريخ الانسانى من حيث كونها جزءا لا يتجزأ منها فاندثار الدولة العثمانية كامبراطورية ـ صاحبته انهيارات متشابهة لامبراطوريات آل رومانوف فى روسيا ، وأسرة الهوتزلرن فى النمسا .. لكى تدخل ميدان التاريخ العالمى عناصر جديدة مدعمة بافكار أخرى منتمية الى نظام اقتصادى امبريالى معروف، وكان مانعرفه الآن باسم الحضارة الغربية.. وعندما تقدمت الحضارة الغربية بنظمها الاستعمارية وقدراتها الصناعية الممثلة فى الانقلاب الصناعى وعصر البخار .. وغيره نظرت الى منطقتنا ـ ككل ـ واستعمرتها أيضا ـ ككل ..وعندما قامت الحركات العربية المضادة لطرد المستعمر كانت ـ رغم عدم انتمائها الى تنظيم واحد ـ تتخذ أشكالا ـ كما قلت سابقا ـ متشابهة ، والفرق الوحيد الذى يمكننا أن نستخلصه ـ وان كان لا يعتبر فى رأيى فرقا بمعنى الكلمة ، هوأن الاستعماريين عندما استعمروا وطننا قسموه الى وحدات مختلفة وجزءوه الى كيانات تختلف فى صغرها وكبرها عن بعضها الآخر .. وكانت مصر كوحدة كبرى من الناحية البشرية ـ وكذلك من الناحية الادارية وغيرها ـ تساعدها على أن تكون من ناحية الكم والنوع وطبيعة المجتمع ـ طليعة النضال القومى من أجل تحرير الوطن الأم ووحدته .. هى أشياء كثيرة فى حاجة الى توسع أكثر من هذا .. ولكننى ذكرتها لكى أوضح نقطة هامة وهى أن نضال مصر الوطنى كان نضالا قوميا على مستوى الوطن العربى الكبير تحت مختلف الظروف وعلى كل المستويات .

شىء آخر أود أن أقوله قبل ان اقدم كتاب اليوم. وهو أن الكتاب يحمل عنوان .. « أصول النضال الثورى القومى » ، وقد حصر المؤلف نطاق بحثه فى مصر فقط .. بالاضافة الى أنه أقرب الى تقديم تاريخ مصر السياسى منه الى دراسة للنضال نفسه .. فهو كتاب للتاريخ أعتقد أن موضوعه قد قتل بحثا وبخاصة أن منهج المؤلف ـ بخلاف البعض اليسير ـ هو دراسة لتاريخ مصر من خلال الاشخاص ، وليس من خلال الواقع الاجتماعى .

والذى أود قوله هنا أنه قد حان الوقت لكى نقدم تاريخنا على حقيقته من خلال حركة الجماهير وليس من خلال الزعامات التى أصبحنا نعرف دورها جيدا . ان تاريخ شعبنا ملك له وليس ملكا لزعماء معينين مهما كان دورهم فى قيادة الحركة الوطنية ..

ويجب أن تكون دراستنا لتاريخنا ليس لمجرد السرد المعهود ، ولكن لكى نستخلص منه مايدعم حاضرنا ويقويه ..وأنا هنا لا أصادر تاريخا يكتب ، ولكننى أدعو الى كتابة تاريخ حقيقى يهتم بتحركات الشعب ونضاله على مستوياته المختلفة .. ولنبدأ فى استخلاص اليسير الذى أشرت اليه سابقا من كتاب أصول النضال الثورى القومى..ويتحدث هذا الكتاب عن الحملة الفرنسية من حيث كونها أول لقاء بين الغرب والشرق فى العصر الحديث .

« بين حضارتين تمثلان مجتمعين مختلفين فى التكوين والنظرة الى الوجود والقيم .. الأولى كانت حضارة حديثة تمثل مجتمعا حديثا ، والثانية كانت حضارة وسيطة فى مجتمع وسيط يعيش فى قيمه ويتعصب من أجلها ، وقد جاء لقاؤهما فى ظل عدوان يطرق مكامن ذلك المجتمع الوسيط ، ويحاول السيطرة على قيمه ، ومن ثم طرقت قلبه وحركته ، فاخذت مصر تدرك من خلال قيمها حقيقة هذه الحملة بما يشبه التذوق ، فكان ثمرة هذا اللقاء انتفاضة مصر للحفاظ على ماعاشت من أجله قرونا ، وصراعا ينبثق فى مصر ويزداد كلما زادت ذاتها اتصالابحقيقة الحملة ، وكلما ازدادت هذه الحملة احتكاكا بهذه الذات فى محاولاتها بأساليبها الجارحة ، واهدافها المسيطرة على قلب المجتمع المصرى وقيمه ، كانت استجابة المجتمع المصرى لتحدى الغرب على يد هذه الحملة روحا تمثلها مقاومة اشتركت فيها جميع عناصر الشعب » .

وتجلت ارهاصات النضال القومي الثوري في مقاومة الحملة الفرنسية ، اذ كانت تستثير أساليبها وجنودها الشعب في مساسها بمقومات حياته ، فتحركه لمقاومتها وقد نمت فيه معان من التضامن والشعور بالمسئولية والنفور من الظلم على ضوء ما قدمته اليه من زاد فكري جديد ، مما أخذ يتبلور من خلال الفكرة الاسلامية ويتجلى في مقاومة الحملة .

« وجلت الحملة بعد ثلاث سنوات عن مصر بفضل مقاومة شعبها الأبي ، ومساعدة الدولة العثمانية وانجلترا خدمة لأغراضها ، ولكنهما تركتا وراءهما روحا أيقظت حكمة الاسلام الخالدة حول الحكم الصالح والنضال من أجل الوجود الحر » .

وقد ظهرت الثورة الشعبية كامتداد لسابق ظهورها ابان الحملة ، وبدأت في أعقاب الجلاء الفرنسي عن مصر تتفاعل مع المطامع المتضاربة حول تقرير مصير البلاد وتنمو وتتطور في ظل ثنائية الصراع الذي كان طرفاه القوة التركية التي كانت تستهدف اذ ذاك بسط حكمها المطلق على مصر بحجة انها قد فتحتها بحد السيف ، ثم المماليك الهادفون لاستعادة حكمهم على مصر متحالفين مع الانجليز لبلوغ غايتهم على أساس اقتحام النوافذ . وبقدر صراع هذه الثنائية - بين الأتراك ، ثم المماليك ومن خلفهم الانجليز - كان مقدار القوة الشعبية وصعودها على أنقاض ما كان كل طرف يهدمه من الطرف الثاني حتى انتهى الامر بان صارت على يديها مسئولية الفصل في الصراع القائم فيما تجلى من بروز لارادتها باختيار حاكم مصر في شخص « محمد علي » .

« وكانت هزيمة انجلترا في رشيد نصرا للوعي الطالع ، واعلاء لروح مصر المكافحة منذ أن بزغ فجرها في طليعة القرن التاسع عشر ، وهزيمة للخطة البريطانية التي سايرت مجرى هذا التطور الروحي في نموه حتى تجلى في صورة أوضح في موقف رشيد ، ومن ورائها شعب متساند مع جيشه في صد العدوان البريطاني الذي تمثل في حملة فريزر سنة ١٨٠٧ .

واذ تبدو هذه الطليعة اشراقا شعبيا ، وقوة روحية تمثل بذور وعي قومي ينمو في اطار الفكرة الاسلامية في مشرق مصر الحديثة ، فقد كانت طبيعة تكوينها الفكري ، المبنية على بساطة تفكير العصر السياسي في تخير حاكم البلاد في حدود الولاء للخلافة الاسلامية ، عاملا فرض عليها فرضا .. عاملا حرمها من تخير حاكمها من غير بنيها ليكون هذا الحاكم في شخص « محمد علي » ذي النزعة الطبيعية الأوتوقراطية .

واذا كان ذلك مقدورا تفرضه المقدمات فقد قدر من ثم لهذه الروح الجديدة أن تخمد على يدي محمد علي وتصاب بالنكسة .

ولم تكن مصر اذ ذاك في بنائها الفكري وهي تكافح في تعثر للخروج الى العصر الحديث بقادرة على التجاوب في تخير حاكمها في نظرة مثالية ترنو الى المستقبل الا في حدود تفكير العصر ، فاستمدت من الماضي مقاييس الحاضر ، وعليها سمات عصر حديث ، ولم تستطع ان تطبق معنى الحكمة الاسلامية في تخير حاكمها الا في حدود الولاء للخلافة الاسلامية ، لذلك لم يكن تخيرها قوميا تماما لأنه قام بدافع الولاء للجماعة المصرية من خلال الولاء للخلافة » .

ويستعرض الكتاب بعد ذلك عصر محمد علي وخلفائه ثم ثورة عرابي حتى يصل الى ثورة سنة ١٩١٩ .

« فمن أصول كانت تتهيأ مع الايام وتعبر عن ذاتها في سلسلة من الانبثاقات القومية لمعالجة المسألة المصرية انطلقت ثورة سنة ١٩١٩ بعد أن عملت فترة الحرب على بلورة حقيقة الاحتلال واظهاره سافرا بأساليبه الجارحة لجميع المصريين حتى استثارت روح الشعب القومية وهيأته للثورة ولا سيما عندما انتهت الحرب فتفتحت عن أمل اقرار حق الشعوب في المصير ، انطلقت تمد أصولها في أعماق تاريخنا القومي وترسي مجرى النضال القومي أساسا متهيئة لمرحلة أعلى في تاريخ هذا النضال وان حالت الظروف دون تحقيق أهدافها تماما » .

وقطع النضال القومي بثورة سنة ١٩١٩ مرحلة كان لابد أن يجتازها لينتقل الى مرحلته العليا .. وكان عليه أن يمضي بحكم المقدمات وما انتهت اليه

هذه الثورة من عوامل ونتائج • كان طبيعيا ان تحثه على السير ليستكمل أهدافه وان قضى عليه أن يمضى محورا •

فعلى الرغم من ان مصر لم تنعم بحكم ذاتى مستقر يحقق آمالها فى الفترة مابين ١٩٢٤ ، ١٩٥١ فقد كان هذا الحكم وماخلفه من آثار اداة عملت بطريق غير مباشر على مد المجتمع بعناصر جديدة طليعية ، وكانت بطريق غير مباشر أيضا اداة غذت هذا الجيل بمعاونة جديدة من طريق النضال الثورى ومهدت الطريق لميلاد جديد •

وكانت العلة ان الدستور يسبق مكونات الوضع السياسى القائم ، وان كان يصلح على علاته أداة ترشيد سياسى ، الا أنه على الرغم مما كان واضحا من اندفاع الشعب للثورة فى المجال الاجتماعى فقد أهمل علاج هذا الأمر عند التنظيم الديمقراطى الجديد ، ومن ثم عزله عن تحقيق أهدافه ومكن العناصر التقليدية فى النظام الحزبى الذى خلفه الحكم الذاتى من الاقطاع والرأسمالية والسراى ومن ورائهم الاستعمار — من السيطرة على أداة الحكم وتوجيهه لدعم مصالحهم مقدمة على مصالح الجماهير ، فانحرفت الحياة البرلمانية •• فبدأ بهذا التناقض بين القاعدة الشعبية وبين جمهور العناصر الرجعية بحيث ينمى شعور التبرم والتذمر فى القاعدة •

« على أنه على الرغم من هذا لم يستطع هذا التناقض الذى زاد فى خلل توازن المجتمع أن يخلق من هذه الفترة الطويلة دورة مغلقة على نفسها فى مجرى النضال القومى ، بل كانت مقدمة لمرحلة أعلى • فبينما كان الصراع بين عناصر القمة يستنفد قواها ، فان المجتمع فى ظل الحكم الذاتى كان يتجدد ماديا وفكريا بما توفره له الطليعة الواعية ، وكان الصراع بين القمة والقاعدة الذى أهملت فى ظله مصالح الفرد المادية والفكرية — ذلك الحرمان فى القاعدة من الحقوق الاجتماعية متناقضا مع الرخاء فى القمة التى تحالفت مع الاستعمار والسراى — من العوامل التى كانت تهيىء الطليعة بمعانى النضال الثورى كل يوم » •

وبعد الثورات المتعاقبة والضغط الشعبى المتزايد كانت معاهدة سنة ١٩٣٦ وفرض الضغط الشعبى ظروف الغاء المعاهدة التى أذكت الروح القومية وتطوراتها •• الى أسلوب المواجهة المباشرة مع الاستعمار •

وقد بدأ الاتجاه القوى الثائر يساير الاتجاه المعادى لمصر فى الداخل والخارج ، ويسايره نموا فى صراع من أجل دعم استقلال مصر بتحررها من الاستعمار والتحرر من التحكم الداخلى ، وكان ذلك فى شكل انبثاقات تعلو وتنخفض ، وكان طبيعيا أن يستمر فى سيره قدما وهوينبعث من أعماق المجتمع العريق الى غايته حتى يحققها ، فلما تحالفت فى نهاية الشوط قوى الاتجاه المعادى للاستعمار والاستبداد السياسى والاجتماعى الداخلى ، وبلغ ذلك التحدى ذروته ، كانت حتمية التاريخ لهذا المد القومى أن يبلغ مراحله العليا استجابة لهذا التحدى بثورة يكون مركز الثقل فيها طليعة ثائرة من الجيش وبأسلوبه بعد أن انتهت اليها حوافز الثورة لتعالج الموقف علاجاً جذرياً •• ومن صميم هذا المجتمع العريق نشأت هذه الطليعة الواعية الثائرة من وحدة بناء الجيل الصاعد الذى نشأ حراً فيما بين الحربين يجدد من الطبقة المتوسطة ، ويساير الحوادث ويراقبها ويتابعها •

وفرضت أصالة الوعى ان يكون الحدث الكبير ليلة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ على طريق تغيير شامل يعيد الأمانى الوطنية الى مجراها الثورى السليم الذى ضاع منها بسبب عدم نجاح ثورة سنة ١٩١٩ نجاحاً تاما ، فلم تكن احتياجات الوطن تتطلب ترميما للبناء القديم المتداعى ، ولكنها تتطلب بناء ضروريا ثابت الاساس • ومضت الثورة تبنى منذ أن قامت حتى اليوم ، فكانت كل خطوة تسفر عن نصر جديد فى استقرار قومى بارز حتى حققت أمل مصر فى نضالها وغدت للمجتمع العربى منارا للحرية والقيادة المجيدة •

قراءات فى المجلات العربية

يقدمها : مصطفى فوده مصطفى



● **البحث عن اله فى المحاكمة الناقصة :**

الانسان فى حياته فى حاجة الى ايمان بحقيقة ما، تساعده على بلوغ حالة من الرضاء والانسجام النفسى . ولما كان معنى الواقع يختلف من زمن الى زمن ومن عقيدة الى عقيدة ومن نظام الى نظام ومن فرد الى آخر ومن لحظة الى أخرى فى حياة الشخص نفسه . فان حاجة الانسان تختلف باختلاف درجة تمدنه . فالمجتمعات البدائية تأخذ السحر والأرواح والطوطم والاساطير على أنها حقائق مسلمة وتفسر بها كل ما يحيطها أو ينزل بها من خير أو شر . والمجتمعات الأقرب درجة الى المدنية ، يقل ايمانها بالأرواح والسحر وما اليها ، ويسودها الايمان بالدين على أنه الحقيقة الوحيدة التى لايتسرب الشك الى ما جاءت به . وكلما ارتقى الانسان درجة فى السلم الحضارى وضع تحت مجهر العقل ما كان يسلم به من حقائق وراح يمعن فيها النظر لرفضها أو يزداد بها ايمانا .

وهكذا أخذ الانسان يصفى ما ترسب فى نفسه على مر الدهور ، حتى عاد فى النهاية لا الأسطورة تقنعه أو تفسر له شيئا . ولا حتى الدين له السلطان الكامل عليه . فراح يضع لنفسه القيم يتلمسها فى المذاهب المادية التى قامت على بعضها دول ، ثم انهارت لتقوم دول على مذاهب أخرى ، الا أنها صائرة حتما الى زوال شأنها شأن أى نظام وضعه العقل البشرى يبغى به السعادة ، فاذا السعادة المطلقة لاتتحقق ، واذا النظام يتفحص العقل ما فيه من قصور لايحقق السعادة ، فاذا بتعديل يتبعه ثان ولا سعادة وثالث وعاشر ولا سعادة . اذن النظام معيب فليستبدل به آخر ، وهكذا يفعل العقلاء من الحكام قبل أن تأتى الثورة لتجتثهم ومعهم نظامهم وتقيم نظاما آخر تبغى به السعادة . ولكن هل تتحقق السعادة ؟

وحكمنا على التجربة هو نفسه تجربة ، والحقيقة **التى يتضمنها هذا الحكم هى حقيقة التجربة الجديدة والتجربة الأولى نفسها لايمكن أن تتضمن حقيقة ما ، الا انها تنطوى على حكم ما . وتذلك نستطيع أن نقول ان الحكم على أى نظام قائم يبغى اسعاد البشر وراحتهم النفسية والجسمية يرتبط بقيام شىء ما خارجنا بغض النظر عن حقيقة هذا الشىء فى ذاته أو قيمته .**

ولعل الحقيقة الأدبية من حيث انها تجربة انسانية ناشئة من علاقة بين الذات والموضوع تمدنا بحقيقة أو مجموعة من الحقائق، فاذا خرجت تلك الحقيقة الى البحث فى متاهات ما وراء الطبيعة كانت أقرب أن تكون فرضا منها الى أى شىء آخر ، انها والحالة هذه مجرد فكرة أو مثال لايقوم الا فى الذهن وفى حالات فردية .

وهى بهذا خرجت عن مهمة العمل الأدبى ، الذى هو محاولة لتفسير الواقع واضفاء القيمة عليه سواء كان متمثلا فى الطبيعة او فى النفس

فاذا جاء الدكتور « لويس عوض » وهو سيد العارفين بتلك الحقائق وقال فى « محاكمته الناقصة » التى قدمها عن « طريق » نجيب محفوظ : **ولكنه طريق الانسان من يوم ولادته الى يوم يموت . والبحث الدائب الذى يبحثه صابر عن ابيه الذى فى السموات كما تسميه بعض الأديان** » ثم قال : **وباختصار بدأ الانسان رحلته للبحث عن الله خالقه وليس معه من اثبات لبنوته الا شهادة ميلاده وصورته التى تشبه صورة الخالق** . وفى النهاية يؤكد هذا المعنى حين يقول : **هى قصة غربة الانسان عن الله خالقه ، وبحثه عن الله خالقه ، بعد أن غدت أمه الأرض لا تملك له نفعا .**

وانه لطريق وعر : طريقنا الى الله محفوف بالآثام والمهالك ، ولكنه فى الوقت نفسه كالطريق الى الجلجثة حيث حمل المسيح صليبه الذى صلب عليه . وانها لمأساة كبرى لانعرف فيها ان كان الانسان جانيا ام مجنيا عليه .

وكل هذه الشواهد تؤكد رأى الدكتور فى القصة وأنها وراء الحقيقة المجردة أو المطلقة . وهى على هذا لم تعطنا شيئا ذا قيمة معينة . وكيف تعطى وهى تبحث وراء فرض أو فكرة أو مثال لا يقوم الا فى الذهن وفى حالات فردية . وهى على هذا أيضا ليست من الأدب فى شىء . وربما كان الدكتور يريد أن يقول هذا غير أنه أشفق علينا وعلى اديبنا الكبير نجيب ، فلم يصفعنا بأن الحقيقة المجردة أو المطلقة عسرة المعالجة الأدبية على الأقل ان لم تكن مستحيلة ، لأن ما قام على الفرض لايعطى الا يقينا .

***

لئن كان نجيب محفوظ قصد بحق الى ما ذهب اليه الدكتور ـ وهو ما نستبعده ـ فانه يكون قد خرج عن كونه أديبا الى سمة أخرى هى كونه فيلسوفا . ونحن بالطبع لاننكر أن يتطلع أديب الى المجهول . فمن حق كل ذى عقل أن يتطلع الى المجهول ليستكشفه فيقبله أو يرفضه ، ولكن معالجة التطلع الى المجهول فى الأدب لاتنتج يقينا يريح الكاتب أو يؤمن به القارىء ، ومن هنا كانت خطورة مثل تلك المعالجة . لأن الأديب رجل موهوب يملك طاقة يستطيع بها أن يعبر للناس عن المعانى التى يدركها من الحياة ، فاذا ما عرض عليهم ما لم يصل هو فيه الى يقين ، فهو بين أمرين :

اما ان يقول لهم مالا يستطيعون ادراكه أو فهمه . وهو بذلك يطلب الى الناس أن يتلقوا عنه ما يريد ، وهم مغمضو الفكر والعقل .

واما أن يغرق فى الرمز ويخرج بذلك عن قصد الأديب الذى هو فى المحل الأول الاتصال بقرائه عن طريق الفهم والتجاوب بين قرائه بعامة لابينه وبين خاصته من الأدباء الآخرين الذين يرجى منهم أن يقوموا بمهمة الوساطة بينه وبين القراء ليوصلوا اليهم ما عند الأديب من معان .

يقول الأستاذ الكبير « فريد أبو حديد » فى التطلع الى المجهول : ان التطلع الى المجهول اذا كان عقيما فانه لايفضى به الا الى ضياع جهوده عبثا والى حماقة خالية من القصد ، اذ يتجه حينئذ الى خيال وفراغ لايجديه شيئا فى حياته بل يغرق جهوده التى كان يستطيع أن يبذلها فى بحثه وراء معرفة تفيده فى حياته فيعدل بها الى نشاط عابث أحمق للبحث عن وهم . وعن طريق تعود وهمى يملأ عقله ويضل به ، ولا يحقق من وراء ذلك فائدة سوى ما يصيبه من البلبلة والضلال والقلق الباطل أو اليأس والشعور بالضياع . **ان البحث عن وجود الله قائم على معرفة الدلائل التى تثبت وجوده لاعلى معرفة حقيقة وجوده . ان الغرور نفسه هو الذى يسأل نفسه عن حقيقة الله ، فهو أعظم من ذلك . ويتعالى عن الادراك والحواس والعقول . وكل مايستطيع الانسان المحدود ان يعرفه هو الآيات التى تدل على وجوده وهذه المعرفة تبدأ تلقائيا بأن الله موجود فى كل مكان ودلائل وجود قائمة فى كل شىء .**

وحتى اذا سلمنا بأن الالحاد ضرورة محددة بزمان فى تطور الحضارة ، وليس باستطاعة كائن ما ، ممن يحيا فى هذا الزمان أن يتخلص منه مهما أظهر من تدين وتقوى ، لأن الالحاد تعبير ضرورى عن عقلية كاملة فى ذاتها قد استنفدت كل امكانياتها الدينية ، الا اننا مع ذلك نسلم بأن الايمان عنصر أساسى من عناصر الطبيعة البشرية ، وقد عرف الايمان بأنه اعتقاد بشىء يمكن أن نشك فيه من الناحية النظرية .

وحين ينكر الذهن فليس الذهن هو كل شيء في الطبيعة فهناك الوجدان والارادة وكلاهما يحس بوجود الله ٠

ولعل الدكتور يسلم معنا بأن نجيب محفوظ من العقليات الكاملة ، بدليل هذا الفيض من الانتاج الذى لا يمكن لعقلية ناقصة أن تأتي بمثله ، ولا حتى بعشر معشاره ٠ واذا كان نجيب عقلية كاملة بحق، فلا مراء في أنه لا يمكن أن يلحد ، لأن الالحاد سلب والايمان ايجاب والعقلية الكاملة تنحو منحى الايجابية وليس السلبية ٠ فاذا أضفنا الى ذلك بيئة نجيب الأولى التى لا يمكن فصل لاوعيه عن التأثر بها ، وجدنا أنها بيئة مؤمنة ، بل الايمان أبرز سماتها ، فحتى اذا أراد الالحاد ، لايستطيعه الا ظاهرا ٠ لأن ما ترسب في لا وعيه من ايمان لا خيار له فيه ، فالله مشعور به في القلب رضي الكاتب أم رفض ، تؤكد ذلك ٠ البيئة والتربية والتراث الذى ينتمي اليه نجيب ٠ وكون الايمان عنصرا أساسيا من عناصر الطبيعة البشرية ٠ وعقلية نجيب الكاملة ٠

اذن من أين هذا التفسير الذى غلبه الدكتور لويس على ما عداه ؟

فى ظنى أنه نابع من الحقيقة التى تؤمن بها ذات الناقد ، وليس نابعا من طريق نجيب ٠ فالانسان يفسر الظواهر بما يؤمن به أو على الأقل بما اتخذ لنفسه من منهج يريد أن يعرف به فى الناس ٠
فمن المعروف أن الدكتور لويس يؤمن بالماركسية التى من أهم أسسها تحطيم الايمان الديني ، لاعتقادها انه الأفيون الذى يعوق تقدم الشعوب ٠ فلا يعقل والقيمة عنده هكذا أن يفسر لنا الطريق بغير ما اتخذ لنفسه من منهج ٠ وليس هذا مما يعيب الدكتور بالطبع ، بل انه مما يدعو لاحترامه أكثر ، لأنه يدافع عما يؤمن بأنه حق ويناضل في سبيله عن الطريق الذى يراه موصلا ٠ أما أن نقبل نحن هذا التفسير أو نرفضه فذلك شأننا ٠

وليس قدر الشقاء الذى رآه الدكتور معلقا في رقبة الانسان هو ما نؤمن به ٠ لأن الله ما خلق الانسان ليشقيه ٠ وانما خلقه وخلق له العقل ٠ وعن طريق العقل يشقى الانسان أو يسعد ، فلئن كان هناك من شقاء عند الأفراد أو الامم ، فانما منبعه تغليب الهوى على العقل ، فهل من العقل هذا الذى تسعى اليه البشرية من تسليح ؟! ان ثمن طائرة واحدة يبني عشر مستشفيات على الأقل ، فما لنا ببارجة أو غواصة أو قنبلة ذرية ! لو أن البشرية حكمت العقل وغلبته لما كان هناك بؤس ولعم الخير البشر فى سنة أو سنتين ولكن البشرية لا تحكم العقل ٠ وهى لهذا شقية فى عيشها ، غير آمنة فى سربها ٠ وربما كان هذا التدافع فيه خير للبشر ، فالتدافع يدعو الى الحرص والحرص يدعو الى الاختراع والاختراع ان بدأ مهلكا انتهى رحمة وخيرا ٠

ولسنا متسائلين مثل الدكتور من أن : **مشكلة الانسان، اهو ابن الطبيعة من الزنا بلا خالق معروف ينسب اليه، أم أنه ابن شرعى انجبته الطبيعة من الله فهو ابن الله كما تقول بعض أديان التوحيد مجازا وكما يسعى لتاكيده ٠**

لأن الانسان لو كان ابن الله لكان الها مثله ، وللزم أن يكون كل البشر آلهة ٠ ولو كان كذلك لكان الاله والانسان من طبيعة واحدة ٠ وبالتالى يكون الاله كائنا ناقصا ، شهوانيا جحودا « جبانا » مترددا ٠ شاكا ، معقدا نفسيا ، الى آخر ما هناك من صفات الانسان ، فهل هذا اله ؟!

ومع هذا فالدكتور يقول : « ان الايمان الدينى حل المشكلة لنجيب » ٠ أى ايمان هذا ان كان نجيب يؤمن ببنوة الانسان الشرعية لله معنويا وماديا ٠ كما يقول الدكتور ؟!!

ثم ما جدوى أن ينكر الانسان الله : « انت تنكر ابنك وابنك سينكرك ، ليس فى حاجة اليك ٠ سيبحث عن الحرية والكرامة والسلام عند غيرك ٠ ها أنت تتثاءب ياعم خليل، فحتام تغالب النوم الأبدى ٠ وحين يقف صابر على شفا اليأس يتحدد مصيره مادام الله ينكر الانسان فالانسان ينكر الله ويحل مشكلاته على طريقته الخاصة » ٠

هل انكار الانسان لله يحل مشكلاته ! وهل ايمان الانسان بالله يعوق بحثه عن الحرية والكرامة والسلام ٠ ان أقوياء الايمان فى كل دين ، أكثر الناس تمسكا بحريتهم وكرامتهم وأشد الناس دعوة الى السلام ٠ وليست قوة الايمان مرتبطة بالمنصب الدينى ٠ بل ذاك شيء وهذا آخر ٠ فلئن روى التاريخ نقائص لرجال من ذوى المناصب الدينية ، فانه ليروى فى الوقت

نفسه مكارم لرجال منهم ذلك الرجل الذى دخل عليه الحاكم فى المسجد وكان يمد رجله منصرفا الى التدريس فظل كما هو لم يغير من حالتـــه ، فاراد الحاكم ان يذله بالمال يرسله اليه ، فرفضه الرجل وقال لحامل المال : قل لسيدك : من يمد رجله لا يمد يده ٠

وما المقصود « بابى كل البشر » أهو آدم أم الله ان الدكتور يميل الى الايحـاء بانه الله ٠ اذ يقـول عندما يتكلم عن الأرض « لأن العالم منذ القدم قال آنا انها المادة الرعناء التى انجبت الانسان سفاحا بلا أب محدد ٠ وأخرجت الحياة من اللا حياة ٠ وهو لغز عظيم ٠ وقال آنا آخر انها المادة الرعناء التى انجبت المردة أو العمالقة أو بنى الانسان بالتدخل الالهى ٠ سواء باستقبال منى اله الخلق ونظائره كما فى الأديان الوثنية ،أو باستقبال كلمة الله كن فيكون ، فالانسان فى أديان التوحيد أصله من طين الأرض سواه الله ثم نفخ فيه من روحه او ألقى اليه كلمته كما فعل بآدم أبى البشر » ٠

ومهما يكن من أمر فان ايحاء الدكتور هذا ليس له موضع فى نفوس الكثرة الكاثرة من شعبنا بعامة٠ اللهم الا اذا استثنينا قلة تلحد بأفواهها وتؤمن بقلوبها رضيت أم كرهت ٠ الا أن الذى صفعنا بحق هو التسوية فى الاعتقاد بين كلمة الخلق واستقبال منى اله الخلق ونظائره ٠ **فاذا نحينا عقيدة التوحيد جانبا٠ لكان هناك فرق فى السلم الحضارى بين اعتقاد وثنى بدائى ٠ وبين اعتقاد اقرب الى احترام العقـل ومخاطبته ٠ فالتسوية هنا غير مستساغة لهذا ولأن حضارتنا الاسلامية شجبت الوثنيات حتى لم يعـد من رواسبها شىء فى نفوسـنا ٠ فتفسيرنا للاعمال الأدبية بالوثنيات ما هو الا تقليـد للغرب الذى امتزجت حضارته المسيحية بالحضـارة الهلينية ذات الديانات الوثنية ٠ التى تطل من آن لآخر فى آدابهم وبخاصة فى الشعر ٠ اما نحن فمن منا فى نفسه وثن؟** لست أعتقد أن هناك من تترسب فى نفسه وثنية ٠ لأننا جميعا مسيحيين أم مسلمين رسب آباؤنا فى نفوسنا العقيدة الحقة البعيدة عن الوثنيات لأنهم هم تربوا على ذلك ٠

بقيت نقطتان اولاهمـــا ان الدكتور يقول : ان بسيمة رمز للأرض لأنها بغى والبغى فى الوثنيات هى الأرض ٠ ثم يقول مامعناه ان سيد سيد الرحيمى رمز للاله « لاله فى اسمه معنيان معنى من السيادة ومعنى من الرحمة » ٠

ولئن جاز الرمز للارض بالبغى تسليما بما قالته الوثنيات ، الا أنه لايجوز بالنســـبة لله لأن معنى السيادة والرحمـة لا يكفيان رمزا اليه والا لجاز أن نقول : **ان معوض معوض عبد العظيم النجار** مثلا فى قصة (أى قصة) رمز لله ، لأن فيه معنيين من التعويض معنى من العظمة ومعنى من الصنعة ٠ ولجاز أن نقول ان أكبر أكبر الكبير فى قصـــة أخرى رمز لله لأن فيه ثلاثة معان من الكبر وهكذا ٠

ان هـذا ليشبه تفسير الباطنيـة للقرآن ٠ فلقد حدث أن تقابل باطنى وسنى وتناظرا فى تفسير قوله تعالى « **يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيـه شفاء للناس** » **ففسرها السنى على الوجه الظاهر ٠ وقال الباطنى ان المقصود ببطونها: بطون بنى هاشم٠ والذى يخرج من بطون بنى هاشم هو الامام المنتظر٠ فلم يجد السنى بدا من ان يقول له : سقاك الله مما يخرج من بطون بنى هاشم** »

اما الثانية فهى: « هل من الممكن أن يجلس الكاتب ليضع خطوط قصته ٠ فيقول سأرمز الى كذا بكذا والى كذا بكيت ثم يبدأ فى القصة او العمل الفنى ٠ لست أعتقد ٠٠ يمكن أن تكون القوالب محبوكة فى البحث ٠ أما فى الخلق الفنى ٠ فالقوالب تقتـله فى مهده وتمنعه من النمو ٠ فنجيب بالتأكيد لم يقصد الى كل هذه الرموز ٠ والا ما أتى بمثل هـذا العمل الكبير ٠



تعليقات ٠٠ بقلم محمد عبد الغفار حمزه

اتابع ما يدبجه يراع الدكتور خلف الله في مجلة الرسالة وأحرص على قراءة ماتنتجه قريحتـــه لانه يتميز بفكر ناضـج ، وتعبير صاف ، وغيرة عربية وقومية ، وتقدمية في الفهم والتذوق يساعده على ذلك ثقافة متعددة ، ووطنية متاصلة ، وخبرة كافية، وملاحظة دقيقة ٠ واعجابي بما يكتب لا يمنعني من مخالفته في بعض مايقول أحيانا ، واستيضاح بعضه احيانا أخر ومن ذلك :

١ ـ حملته على استاذين من أساتيذ الجيل ، وكلاهما له جهد كبير مشكور في شـــئون الدين والتربية والاجتماع وفهم الحياة ، يشهد بذلك كله وسائل الاعلام المتعددة من صحافة واذاعة وكتاب بسبب اجتهاد خاص أتى به فضيلة الاستاذ المدنى في تفسير آية « وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم » حيث هداه تفكيره الى احتمال أن يكون « ماملكت أيمانكم » معطوفة على ماطاب لكم وبذلك يكون القيد « مثنى وثلاث ورباع » ثم « وان خفتم ألا تعدلوا فواحدة » شاملا للحرائر والمملوكات ، وبســـبب رد الاستاذ الدكتور وافى على هذا الاحتمال ومايترتب عليه بحجة أن هذا الموضوع من الخير للاســـلام الا يبحث وأنه خارج عن حاجاتنا ، وهـــو مالا أقره عليه ، لان هذه القضية وأمثالها تراث اسلامي يجب على كل غيور على دينه أن يتابع مايقال في أصــوله وفروعه على صفحات المجلات المتخصصة لانها أوسع انتشارا من الكتب ، بالاضافة الى دفع احدى التهم المرددة من أدعيـــاء الاسلام والكائدين له وأنصاف المثقفين فيه حيث تبين أن نظام التسرى يهدف الى التحرير عن طريق التمتع ، والتخليص من مشكلة الرق التى عاصرت الاسلام وسن تشريعاته للخلاص منها بالعتق تقربا الى الله ، وبالمكاتبة ، والتكفير عن الذنوب والوقوع في الاخطاء والتسرى ، ولو سرنا على ما رآه الدكتور لوضع كثير من الثقـــافات في المتـــاحف ، وفقدت مجلة الرسالة شطر هدفها ، والاشتغال بتفسير آيات الاحكام أولى من البحث عن أصل ألف ليلة وليلة والرقص التوقيعى ٠

٢ ـ اطلاق وصف الثـائر على النبى في مقاله « النبى الثائر » ولعل الذى دعاه الى ذلك أن هـــذا المقال كتب في موكب الاحتفال بعيد الثورة الثاني عشر والذى أراه أن اطلاق هذا الوصف أو هـــذا الاخبار غير مناسب رغم هذه المناسبة وهذا الايحاء ولا سيما بعد تحديد أوصاف الثائر في المقال التالى وهو « من هو الثائر » وذلك لان القـــاموس يفسر الثائر بالغضب والغضب يتبعه الاندفاع وعدم التروى والعمل على الوصول للهدف بأية وسيلة ، وبين أن الهدف قد يكون ذاتيا أو طائفيا أو قوميا، والوسيلة تختلف كما قرأناه ونقرؤه في الثورات المتعددة ٠ ولكن محمدا عليه الصلاة والسلام رسول يســـير حسب خطة مرسومة له من الله ليبلغ هذه الرسالة «وما ينطق عن الهوى» « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » « وجادلهم بالتى هى أحسن » هدفه سعادة الدنيا والآخرة ٠ «وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » ودعوته ليس فيها الزام ولا قهر « ان عليك الا البلاغ » « فذكر

انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر» والناس مثابون او معاقبون بقدر موقفهم منه لأنه رسول الله اليهم وأعتقد أن هذه الجوانب لا يشملها لفظ التأثر لا بالمعنى اللغوى ولا بالحس الاجتماعى . وأن القرآن الكريم قد حدد الغايات بقوله « يأيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » .

٣ ــ وفي مقال « التجديد الدينى » يطرح الدكتور سؤالا على القراء هو « ما العمل الآن فى آيات الاحكام والتكاليف التى تأثرت فعلا بفعل الزمن ؟ » .

ونحن بدورنا نسأل الاستاذ الدكتور ماذا يقصد بالتجديد ؟ أيقصد فهم الدين من مصادره الصحيحة نقيا من الآراء العفنة ، والتفسيرات المغرضة ، وتصفيته من الرواسب التى لحقته بالعلم المبتور والخرافة الشائعة ، والهوى المضل، حتى يكون واضحا كما فطره الله ؟ أم يقصد تطوير الفهم حتى تلوى أعناق الآيات والنصوص لتناسب مانحن عليه من عادات وأهواء ؟ وبذلك يلتمس التأويل لحل الربا وشرب الخمر وخروج النساء عاريات باعتبار أن هذا بعض ما يؤمن به بعضنا الآن . ثم : متى تكون الضرورة ؟ وهل نعتبر الآن فى وقت ضرورة ؟ ثم ما الآيات التى تأثرت بفعل الزمن وتستفتى سيادتك فيها القراء ؟ نريد ايضاحا وأمثلة يادكتور لنعرف الى أين نسير .

من وحى القرآن .. قصة مريم
للشاعر أبو معد

.. ومريم جاءت ثم وانتبذت لها
مكانا بشرقى هناك قصيا
ومن دونهم شدت هناك حجابها
ومثلته روحا اليها سويا
فقالت ، وقد أودى بها الروح خيفة:
معاذك ربى أن يكون تقيا
فقال لها : انى رسول منزل
وهبتك عن ربى غلاما زكيا
فقالت : وانى لى غلام ولم أكن
ضجيعا ، وما كنت الغداة بغيا !
كذاك اراد الله للناس آية
من الخلق ، ما كان القضاء ابيا
وكانت ، وكان الحمل وانتبذت به
مكانا عن الأبصار اضحى قصيا
وثم راى جذع النخيل مخاضها
«.. فياليتنى ..او كنت نسيانسيا»
فنادى لها من تحتها لا تحزنى
فتحتك انى قد جعلت سريا
وهزى اليك النخل يساقط النوى
خذى رطبا منه وتمرا جنيا
كلى واشربى مما رزقت وتممى
نذورا ، وصومى فى الحديث مليا
فجاءت به قوما لها .. وبحملها
فقالوا الا قد جئت شيئا فريا
وياأخت هارون ابوك مطهر
وامك هذى ما تراها بغيا
اشارت له فى حجرها ، فتعجبوا
وقالوا : نراه فى المهاد صبيا
فانى عبد الله آتانى الحجا
كتابا ، وارسلت الغداة نبيا
وأوصيت دوما بالصلاة ومثلها
زكاة ، وذا الفروض ما دمت حيا
وبربهم .. بالوالدين ، وطاعة
وما كنت جبارا بهم وشقيا
على سلام فى ولاد وميتة
على سلام يوم أبعث حيا

ردود قصيرة :

● القصاص سعيد فايد .. حولت قصتك « الحراميه » الى مجلة القصة ، وكتب عليها انها فازت بالجائزة الأولى فى المسابقة التى نظمتها الهيئة المحلية للفنون والآداب بالاسكندرية هذا العام

● عبد المنعم ابراهيم البحقيرى .. نشكرك على رسائلك الخاصة بنفحات فى ذكرى الرسول ، وذكرى القاء القنبلة الذرية على هيروشيما ، وسنعود الى بقية رسائلك

الخيرُ والجبل

بقلم عبد الرحمن صالح

فى أعماق كل منا يكمن الخير ، قد تحجبه ضبابات الاحقاد والضغائن ، ولكنه فى لحظة ما ينبثق فجاة كنبع ماء عذب فى صحراء جدباء ..

وقد كان صدرى يموج بالحقد والضغينة ، ولكن فى لحظة ما انبثق فجاة الخير الكامن فى أعماقى فاذا بى أتحول الى انسان آخر .. أحب من كنت أظنه عدوى وأجد فى البحث عنه طلبا للانتقام ..

فحين خرجت من قريتى الصغيرة ذات يوم من أيام صيف بعيد لم يكن لى من هدف فى الحياة الا ان أعثر على محمدين أبو عثمان لكى أصرعه انتقاما لأخى الذى قيل ان محمدين هو قاتله ، وكانت آخر كلمات امى العجوز وابى الشيخ لى وهما يودعانى حتى مشارف القرية عند الجسر الصغير ودموعهما تبلل وجهيهما وتجرى عبر أخاديد عميقة حفرها الزمن .. الا أنسى أخى المرحوم والثار له .

والحق اقول .. لم يكن الثار هو الذى دفعنى الى الهجرة حينئذ من قريتنا الحبيبة وترك مراتع الصبا فيها بين نخيلها الباسق وحقولها الخضراء والترعة الرقراقة التى طالما ضمت مياهها الباردة أجسادنا الضامرة وامدتها بالحيوية والنشاط ، كما بعثت فى ارواحنا الصغيرة السعادة والهناء .. ولكنه الفقر المدقع الاليم بعد أن باع أبى قراريطه الست التى كنا نعيش على زراعتها ليعطى ثمنها لعبد المعبود القاتل المحترف حتى يعثر على محمدين أبو عثمان ويقتله انتقاما لأخى ..

و « لطش » عبد المعبود القرشين .. ولم يستطع العثور على محمدين ، وبالتالى لم تبرد نار الوالدين المكلومين .. وبدءا وأنا معهما - يعانيان شظف العيش ، فلم يعد يدخل منزلنا الصغير خزين العام من الاذرة - أو تعمير جيوبنا بثمن القطن كل سنة ، كما باع أبى الجاموسة الوحيدة التى كانت تمدنا بالزبد والجبن بعد أن عز علينا اطعامها ..

وكان لابد أن اضرب فى الارض بحثا عن الرزق وأنا مازلت صبيا وان أحاول من بعيد امداد العجوزين بما يقيم الأود ويحفظ الرمق .

وهكذا حملتنى أرض ووضعتنى أخرى ، أتنقل فى بلاد الله الواسعة من مدينة الى مدينة أزاول مختلف الاعمال فأنا هنا « فاعل » أحمل على كتفى الحجارة وجوالات الاسمنت وقصعات المونة عبر السقالات العالية ، وأنا هنا أحفر الترع والقنوات وأعمق المصارف وأقيم الجسور ، ويرتفع صوتى بغناء خاو لا معنى له الا الشقاء كأنات المتوجع أو حشرجات الذبيح ..

ومن خلال العرق المنهمر ، أبعث لوالدى بفضلات نقودى التى تتبقى بعد أثمان وجبات الفول والعدس والجبن القديم وجرعات الشاى الاسود التى تبعث فى جسدى شيئا من المقاومة والصلابة .

وفى كل هذه الجولات لم أنس الثار أبدا ، كنت أسأل كل من أقابله عن محمدين أبى عثمان فلا أعثر عليه ، كانت وصايا العجوزين تطاردنى حيثما حللت بلا فائدة .

وذات يوم .. قال لى المعلم :

ـ واد يا علي انت من بكره حتروح أسوان حتشتغل في السد العالي وحتاخد خمسين قرش يومية غير أكلك وشربك ونومك .

خمسين قرش .. !! « مرة واحدة » .. !! وملأني الفرح . وبت ليلتي احلم بجلباب جديد ولاسة براقة . بدل الخرق الممزقة التي تكشف من جسدي أكثر مما تخفي .

ولم أصدق كلام المعلم الا حين احتواني القطار ينهب الطريق الطويل طول الشقاء الذي عانيته .

وبعد يومين كنت أتسلم حذاء ثقيلا كأحذية الجنود ، وبنطلونا أصفر أرتديه لأول مرة في كراكة ضخمة في قناة التحويل وسط صخور حياتي ، وخوذة حديدية فوق رأسي ، واقف بجانب جرانيتية كبيرة أجمع الصغير منها لتنهال عليه الكراكة بكلابتها الوحشية تنقله الى عربة هائلة لتحمله الى بعيد ..

ولأول مرة في حياتي .. عرفت معنى الشبع في « الميز » الكبير يقدم لنا اللحم والارز والخضر بلا ثمن وعرفت معنى النوم على الحشايا والوسائد في العنبر المقام بالقرب من موقع العمل .. وعرفت معنى العمل الدائم بلا بطالة .. وعرفت معنى الوطنية حين أخبرنا الباشمهندس الشاب أننا نبني أعظم مشروع يؤمن مستقبل الوطن مئات السنين ..

ولكن شيئا ما كان ينقصني .. الثأر .

أين أنت يا قاتل أخي .. أريد ان تهدأ نفسي كما هدأ جسدي .. اريد أن أقتلك .. !

ليت كل أماني الانسان تتحقق بمثل تلك السرعة التي تحققت بها أمنيتي . لقد رأيت ذات يوم محمدين أبي عثمان .. يرتدي مثلي الحذاء الثقيل والبنطلون الاصفر والخوذة الحديدية ويعمل معي على نفس الكراكة ..

ودق قلبي بشدة وعلا وجيبه كأصوات هذه الآلات التي تملأ الدنيا ضجيجا من حولي . وأطل من الافق شبح وجهين عجوزين تجري الدموع عبر أخاديد عميقة حفرها عليهما الزمن . وامتلأ الأفق بصدى صوتيهما ..

ـ ماتنساش تار المرحوم يا علي ..

وفي جانب آخر من الافق .. تراءى لي شبح الطعام الوفير « بالميز » والحشايا والوسائد المريحة بعنبر النوم . والخمسين قرشا . التي ساحرم منها جميعا حين أنفذ انتقامي الموعود ..

وفجأة أيقظني من خيالي صوت يهمس :

ـ ايش حالك يا علي .. حمدالله على السلامة .. وصلت ميتى . ؟

لقد كان هو صوت محمدين ابي عثمان .

ولا ارد بل أبتعد عنه في صمت غاضب .

ـ انت لسه نفسك شايله مني يا علي ، على الحرام من بيتي يا شيخ انا ماجتلت المرحوم .. باللصفاقة . انه مازال يتبعني .. ويصر على الحديث معي .

واصرخ ..

ـ ابعد عني يا محمدين يا بو عثمان . وخلي يومك يفوت على خير . دنا بيني وبينك تار . عمره ما يبرد .

ويغلي الدم في رأسي .. ويطفح مخزون هائل من الحقد والضغينة على وجهي . وارفع « الكريك » لأهوى به على على رأسه .. ولكن زملاءنا يتدخلون ويفرقون بيننا .

ونعود للعمل ..

وفجأة نسمع زمجرة رهيبة .. وصرخات عالية « حاسب يا جدع انت وهوه الجبل بيقع » .

وأحس بقبضة تشدني الى أسفل الكراكة الهائلة . في اللحظة التي امتلأت الارض حولها بالصخور والاحجار ..

وعندما أرفع رأسي أرى وجه محمدين أبو عثمان ينظر الي في حنو وهو يقول :

ـ ماتخافش يا علي ـ دول شوية حجارة مطرح الدسف . وقعوا من الجبل . الحمد لله . ربنا ستر .

لقد انقذني من كنت أظنه عدوي .

وفي هذه اللحظة ينبثق الخير الكامن في أعماقي . وانفجر في البكاء . ومحمدين أبو عثمان يهدهدني كأب حنون .



العدد ٥٧

الثمن ٣ مـ

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الفهرس

		الصفحة
التجديد الديني – ٤ –	للدكتور محمد أحمد خلف الله	٢
الثورات الطبيعية والتصنيع من خلال آيات القرآن الكريم	بقلم محمد محمد المدني	٥
نظرات في الشعر العراقي المعاصر: شاعرية حافظ جميل – ٣ –	للدكتور بدوي طبانة	٩
الأنغام الدقيقة للعواطف الدقيقة:	للدكتور محمد النويهي	١٢
الاحتفال بوفاء النيل في مصر الإسلامية	للدكتور جمال الدين الشيال	١٧
شعراؤنا المعاصرون وشعر النخيل	بقلم محمد عبد الغني حسن	٢٠
مع النيل – ٤ –	للدكتورة نعمات أحمد فؤاد	٢٣
من ملحمة عمر	بقلم علي أحمد باكثير	٢٦
تنوع العقوبات في الشريعة	بقلم أحمد فتحي بهنسي	٢٩
عازف الحزان (قصيدة)	للشاعر محمود حسن اسماعيل	٣٢
مع أبي قاسم الشابي	بقلم مظلوم خضر	٣٤
عالم النظائر	عرض رءوف زكي	٣٦
حكاية انسان (قصيدة)	للشاعر فتوح أحمد	٣٨
ملابس العيد (قصة)	بقلم عوض السني	٤٠
هذه الآفاق الضيقة	بقلم محمد عبد الله السمان	٤٢
التقاء فاسكودي جاما بأحمد بن ماجد	ترجمة منير مرسي	٤٤
اتجاهات جديدة في المسرح والسينما	بقلم عبد الفتاح البارودي	٤٦
حول الأدب في أسبوع	يقدمه عبده بدوي	٤٩
الكتب : نقد وتعريف	يقدمه تحسين عبد الحي	٥٣
قراءات في المجلات العربية	يقدمه مصطفى فوده مصطفى	٥٧
البريد الأدبي		٦٠
البحث عن متى (قصة)	للدكتور نجيب الكيلاني	٦٢

رئيس التحرير

أحمد حسن الزيات

المراسلات جميعها تكون باسم السيد مدير ادارة المجلات

٢٧ شارع عبد الخالق ثروت

بريد محمد فريد . القاهرة



تصدرها

الثقافة والإرشاد القومي

العدد ١٠٧٦ – الخميس ١٩ ربيع الثاني ١٣٨٤ هـ – ٢٧ أغسطس ١٩٦٤ م – السنة الثانية والعشرون

التجديد الديني

للدكتور محمد أحمد خلف الله

- ٤ -

وهذه قضية أطرحها وأناقش مسائلها على أساس من فهمي للتجديد عند المسلمين .

ومناقشتي لهذه القضية ودراستي لها انما تبدأ من القرآن الكريم ، وتنتهي الى حيث تكون النتائج ملائمة للعادات والتقاليد التي نعرفها في النصف الثاني من القرن العشرين .

وانا حين اقول بملاءمة النتائج لروح العصر الذي نعيش فيه لا أقصد أبدا الى أن أفهم الآيات القرآنية فهما ملتويا ، ولا أن أقوم بتأويلها تأويلا قسريا بعيدا عن روح الآيات وعن روح الاسلام كما عرف به القرآن الكريم ـ وانما أقصد الى أن معاني الآيات القرآنية كانت ولا تزال تعبيرا عن خطوط رئيسية كبرى في التشريع ، وانها كانت ولا تزال من المرونة بحيث تلبي الاحتياجات البشرية ، وبحيث تثبت حقا أن التشريع الاسلامي تشريع خالد ، وانه صالح لكل زمان ، ولكل مكان .

ان صلاحية القرآن الكريم لكل زمان ومكان لا تكون أبدا بحيث نعمل على رد أحوال المعاصرين الى عادات الأقدمين في المعاملات . وانما تكون بحيث نعاود فهم الآيات القرآنية على أساس من التقدم العلمي ، ومن الحركة الفكرية الناشطة ، ومن الثقافات الانسانية التي انتهت اليها البشرية في أيامنا هذه .

والقضية التي أطرحها اليوم ليست قضية خاصة بالمعاملات التي يدور حولها حديثي عن التجديد الديني ، وانما هي قضية من قضايا العبادات ، انها قضية تتصل بركن من أركان الاسلام هو الحج .

واختياري لهذه القضية يقوم على عدة أسباب :

الاول : أن التجديد الديني حين يثبت لهذه القضية باعتبارها من قضايا العبادات ، يثبت حتما لقضايا المعاملات ، تلك التي تقوم أولا وأخيرا على المصلحة العامة ، واحتياجات الناس .

الثاني : أن الجانب الاجتماعي في مسائل الحج من الوضوح بحيث يستطيع الباحث أن يدرك الحكمة في كثير من مسائله على أساس اجتماعي خالص ، أساس تراعى فيه مصلحة الجماعات التي تجيء من كل فج ، والقرآن الكريم هو الذي يشير الى هذا حين يقول :

« وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا ، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير » .

الثالث : ان الحج من مسائل العبادات القديمة التي ادخل عليها الاسلام كثيرا من التعديلات لتصبح ملائمة لروح العصر الذي نزل فيه القرآن الكريم .

والتعديلات التي أدخلها القرآن الكريم كانت تغييرات في العادات والتقاليد ، كما كانت تغييرات

فى الأفكار الدينية التى قامت عليها هذه العادات الدينية او تلك التقاليد الاجتماعية ٠

والآيات التى نزلت فى شأن هذه التعديلات كثيرة نذكر من بينها :

١ ـ كان رجال من الطبقة التى تعد نفسها رفيعة أو ممتازة ـعن قريش خاصةـ يرون لانفسهم امتيازا على الناس بسبب شرف بيوتاتهم ، وكانوا يرون أن هذا الامتياز يخولهم الا يسلكوا طريق الحجاج العامة فى الرجوع من عرفات أو المشعر الحرام ٠

كما كانت هناك بطون أو بيوتات معروفة ترى أن لرؤسائها الحق فى الافاضة أولا بحيث لا يفيض أحد الا اذا أفاض رئيس هذا البطن أو البيت ، فكان الناس يقفون محجوزين ينتظرون افاضة هذا الرئيس ليفيضوا من ورائه ٠

وعمد القرآن الى تغيير هذه العادات ، والى تقرير حق المساواة ، فقال تعالى :

(ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام ، واذكروه كما هداكم ، وان كنتم من قبله لمن الضالين ، ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم) ٠

٢ ـ وقد كان للعرب تقليد هو عقد مجالس المفاخرة ، وانشاد الأشعار ، وتعديد مفاخر الآباء والقبائل ٠

ولقد كان يدور جدل عظيم حول كل هذه الاشياء قد ينتهى بالمهاترة ، فانزل الله الآيات البينات التى تبطل بعض هذه العادات أو تحل أخرى محلها ٠

يقول تعالى : **(الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ، ولا فسوق ، ولا جدال فى الحج، وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فان خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولى الألباب) ٠**

ويقول تعالى : **فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو اشد ذكرا) ٠**

٣ ـ وقد كانوا يذبحون الهدي عند الأوثان والأنصاب فى فناء الكعبة ويذكرون أسماء أوثانهم وانصابهم أثناء الذبح فنهى القرآن الكريم عن هذا وأوجب ذكر اسم الله عند الذبح ٠

يقول الله تعالى : **(والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف ، فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون) ٠**

ويقول : **(حرمت عليكم الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ، ٠٠٠٠٠ وما ذبح على النصب)**

٤ ـ وقد كان من عادتهم أن يلطخوا جدران الكعبة بدماء الهدى ظنا منهم أن فى هذا تقربا الى رب البيت ٠

كما كانوا يتأثمون من أكل لحوم الهدى ٠ ويتركونها للفقراء والمساكين والسباع والجوارح ٠

وجاء القرآن فأبطل عادة تلطيخ جدران الكعبة بالدماء وأباح لهم أن يأكلوا من لحوم الهدى والقلائد (الأضاحى) ٠

يقول الله تعالى : **(لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم، كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ماهداكم وبشر المحسنين) ٠**

ويقول تعالى **(فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر) ٠**

ويقول : **(فكلوا منها واطعموا البائس الفقير) ٠**

تلك هى الاسباب الدافعة الى الاختيار ٠

اما القضية المطروحة الآن فهى :

ان حجاج بيت الله الحرام يسوقون معهم الهدى والقلائد او الاضاحى يقدمونها قربانا لله .

وهذه العادة قديمة يردها القرآن الكريم الى زمن ابراهيم عليه السلام .

وقد عدل القرآن الكريم بعض العادات الجاهلية التى تتعلق بالاضحيات كما سبق أن وضحنا ، ولم يذكر القرآن الكريم فيما ذكر من آيات أن تترك هذه الاضاحى نهبا للسباع والجوارح .

لقد ذكر القرآن الكريم اطعام القانع والمعتر ، واطعام البائس الفقير .

وأباح القرآن الكريم للذين يسوقون الهدى والقلائد ، ويقدمون الضحايا - أن يأكلوا من لحومها .

وكانت الأضاحى فى تلك الايام من القلة العددية بحيث يمكن أن تؤكل جميعها ، أو بحيث لا يبقى منها للسباع والجوارح الا الأجزاء التى لاتطيب للانسان .

لقد كان الاسلام أيام نزول القرآن الكريم محصورا فى الجزيرة العربية ، أما بعد أن وقف نزول الوحى بوفاة النبى عليه السلام ، فقد خرج الاسلام الى بلدان كثيرة بحكم الفتح ، وبحكم انتشار الدعوة بفضل الدعاة ، وترتب على ذلك زيادة عدد المسلمين زيادة كبيرة .

***

ان المسلمين اليوم يسوقون معهم عند حج بيت الله الحرام من الهدى والقلائد ومن الأضاحى ما يتجاوز المليون .

وان حجاج بيت الله يتركون هذه الأضاحى فى محال ذبحها - يتركونها لتكون مستنقعاللقاذورات، وموطنا للأوبئة .

وان حجاج بيت الله حين يفعلون ذلك انما يضيعون على أنفسهم وعلى الفقراء والبائسين مايجاوز عشرة ملايين من الجنيهات هي أثمان هذه الأضاحى .

ونحن ندعو اليوم الى تغيير هذه العادة .

ندعو الى استخدام النظريات العلمية والصناعات الحديثة فى الاحتفاظ بهذه اللحوم أطول مدة ممكنة لتكون طعاما للبائس الفقير .

ان الصناعات الحديثة يمكنها الاحتفاظ بهذه اللحوم فى ثلاجات كبيرة ، كما يمكنها أن تعلبها لتبقى محفوظة للفقراء والمساكين طوال العام ، أى من العام للعام .

اننا ندعو الى اقامة شركة للانتفاع بهذه اللحوم، شركة يتكون راس مالها من بعض رسوم الحج .. ويكون عملها الانتفاع بهذه الضحايا - الانتفاع باللحوم والجلود ، والانتفاع بالروث والعظام ، وكل ذلك لصالح الفقراء والمساكين .

ان مثل هذه الشركة تفتح أبواب الامل أمام الفقراء .

ان طعامهم سيوفر لهم طول العام .

وان الأيدى العاملة ستكون منهم لتنقذ بعضهم من وهدة الفقر وسوء الحال .

ان الجلود تستخدم فى صناعة الاحذية ، وان الروث يستخدم فى صناعة الاسمدة ، وان العظام تستخدم فى كثير من الصناعات .

وهذه الدعوة تصطدم بالعادات والتقاليد .. ولكنها لاتصطدم أبدا بآيات القرآن الكريم .

ليس من الآيات البينات ما يعارض هذه الدعوة ، وانما الذى يعارضها هى العادات التى جرى عليها المسلمون .

***

والآن اى الدعوتين اسلم ، واليق بروح الدين ، وبحضارة القرن العشرين ، دعوتنا الجديدة او عاداتنا وتقاليدنا القديمة ؟ .

انى اترك القضية بين ايدى القراء ، ويكفينى ان اقول : ان هذا لون من الالوان التى اقصد اليها حين ادعو الى التجديد .

الثروات الطبيعية والتصنيع من خلال آيات القرآن الكريم

بقلم: محمد محمد المدنى

- ٣ -

لفت القرآن الكريم انظار الناس الى **البحار والانهار** فى كثير من الآيات ، وتحدث عن الثروات الطبيعية فى كل منهما ، مبينا انواع هذه الثروات المسخرة الميسرة للانسان ، من حيوانات حية كثيرة التوالد تنتج اللحوم الطرية ، ومن أصناف معدنية تختلف قيمتها ونفعها ، كالملح ، واللؤلؤ ، والمرجان ، والأصداف ، ومن طاقات هوائية تحرك المياه ، وتجعل منها امواجا مضطربة احيانا ، هادئة احيانا ، دافعة للسفن الكبيرة والصغيرة ، تزجيها الى حيث يريد الانسان ان يرحل عن طريق البحار والأنهار ، كما يرحل فى البر الى حيث يشاء عن طريق الدواب المسخرة ، والمراكب الميسرة :

فيقول الله تعالى فى شأن الانعام بنعمة البحار:

« وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون »

وقد تضمنت هذه الآية الكريمة على ايجازها عدة معان ينبغى الوقوف عند كل منها للتأمل فيه ، وادراك مدى الفضل والانعام به ، ثم لادراك مايوحى به من توجيه الى العمل والسعى والاستخراج والصنعة والانتفاع :

فاول ذلك انه جل شأنه اخبرنا بانه « **سخر البحر** » والتسخير سوق الى الغرض المختص قهرا ، والمسخر هو المقيض للفعل ، والله تعالى هو وحده المسخر للاشياء المهيىء لها على طبيعة وقوانين كونية تجعلها منبعثة الى اداء وظيفتها ، وتحقيق الغاية منها ، وليس هناك احد غير الله يقيض ويسخر ويهيىء الأشياء على هذا النحو ، فاذا رأينا الانسان يسخر شيئا أو يقيضه لأداء وظيفة وجهه اليها بالعلم والاختراع ، فلنعلم انه انما استطاع ذلك لاستعماله القوانين الطبيعية ، وانتفاعه بالنواميس الكونية التى هى من صنع الله وحده ، فكل اختراع وكل تسخير يستطيعه الانسان انما هو من الله أصلا ، لان جميع مواده وقوانين صنعه واختراعه ، والهداية اليه ، كلها من الله « الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى »

والقرآن الكريم حريص على ان يذكر نعمة الله فى ذلك وفى امثاله على اسلوب الحصر المفيد انه من الله وحده ، ليغرس فى نفوس العباد الجذور العميقة للايمان بجانب لفتهم الى الحقائق فى ذاتها ، ولذلك قال « وهو الذى سخر البحر » وعلى هذا النحو قوله تعالى «الله الذى خلق السموات والأرض وانزل من السماء ماء فأخرج به الثمرات رزقا لكم ، وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بامره ، وسخر لكم الانهار ، وسخر لكم الشمس والقمر

دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار » وقوله جل شانه « الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » وقوله تبارك اسمه « وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير » « انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق » الى غير ذلك .

والتسخير الذى معناه التهيئة والسوق الى الغرض المختص ، يظهر أنه من فعل الله وتدبيره اذا تاملنا البحر فعرفنا انه يشغل ثلاثة أرباع الكرة الأرضية ، وان أعماقه تختلف باختلاف الجهات فمنها ما يصل الى اثنى عشر الف من الأمتار او اكثر ، ومنها ما هو قريب جدا حتى ان البواخر ترتطم فى شعابه ، وان فيه جبالا تشبه جبال الأرض ووديانا تشبه وديانها ، وان جزره ما هى الا قمم جبال بحرية بلغت سطحه وارتفعت عنه ، وان الآراء العلمية قد اختلفت فى سبب ملوحة مائه فلم تصل الى تعليل واضح ، وأن أوزان مائه تختلف أيضا باختلاف المناطق كما تختلف اعماقه ، وكذلك انواع اسماكه وحيواناته، وسرعة امواجه ، وقوانين مده وجزره ، كل ذلك فيه دلالة عظمى على رب الكون الاعظم جل جلاله، وعلى انه سخره ويسره واقام امره على قوانين ونواميس منه لا من غيره فسبحان الخلاق العظيم.

والثانى مما تضمنته هذه الآية الكريمة هو المذكور فى قوله تعالى « لتاكلوا منه لحما طريا » ، وهو حديث مجمل يراد به لفت الانظار الى أهم الثروات الطبيعية فى البحار ، وهى الثروة السمكية .

والقرآن الكريم لا يسميها « الثروة السمكية » كما تعودنا ، بل لايذكر لفظ السمك نفسه فى مجال الامتنان بما هيأ لنا فى البحر من طعام ، وذلك لأن حيوانات البحر متعددة متلونة مختلفة الأحجام والاشكال متفاوتة الطبائع والمذاقات ، وهى تكون عالما باسره اعظم واوسع واعجب من عالم البر ، فالتعبير عن هذه الحيوانات بلفظ الأسماك لايصور حقيقة امرها تصويرا مستوعبا ، ولذلك لجأ القرآن الكريم الى الوصف لا الى التسمية فقال « لتاكلوا منه لحما طريا » ليشمل هذا الوصف كل لحم لأى حيوان بحرى

والحيوانات البحرية كثيرة ، بعضها صغير ، وبعضها كبير ، وبعضها يشبه بعض الحيوانات البرية ، وبعضها لاشبيه له فى البر ، كما أن ماءه لا ينضب ، فحيواناته لاتنفد ، وقد هياها الله على وضع من شانه ان يكثر معه توالدها وتكاثرها .

وفى عالم البحار مناطق مازالت بكرا لم يطرقها الانسان بعد ، ومناطق طرقها وخبر انواعها ، واستغلها فى حرفة الصيد استغلالا عظيما ، ومنها تصدر ملايين الأطنان من الاسماك ، وعلى هذه الأطنان التى تتوالى ولا ينفد مددها تقوم بلاد باسرها ، وصناعات بفنها ، وتجارات باسواقها وارباحها .

والثالث مما تضمنته هذه الآية قوله تعالى « وتستخرجوا منه حلية تلبسونها » وهذه الحلية أنواع ، منها المتخذ من اللؤلؤ ، ومنها المتخذ من المرجان ، ومنها المتخذ من الأصداف ، ومنهاالمتخذ من القواقع التى تجمع فتصير عقودا ، والتى يصنع منها كثير من انواع الزينة فى المتاع المنزلى وغيره .

وان فى هذه الانواع وغيرها لثروات طبيعية هياها الله تعالى للانسان ، ووجهه الى ترقيتها وتهذيبها بالصناعة والفن حتى يبلغ بها أوج التثمير والتعمير ، ويستنبط منها ما يصلح به شانه ، وتسعد به حياته .

والرابع مما تضمنته الآية الكريمة قوله تعالى «وترى الفلك مواخر فيه» وهو حديث عن السفن

فيه امتنان بها كأدوات يستعملها الانســـان فى أسفاره عبر البحار وينتقل بها من قارة الى قارة ، ومن دنيـا الى دنيـا ، ويرتبط بهـا ادنى من فى المعمورة باقصى ســاكنيها ، وفيه ايضـا امتنان بالريح المســخرة لدفع الفلك وتسييرها ، اذ هو يقول « وترى الفلك مواخر فيه » ، فهو من مخرت السفينة مخرا : اذا شقت الماء بمقدمها مستقبلة له ، والسفينة ماخره ، والجمع مواخر ، وانما يكون شقها للماء بدفع الريح اياها ، وقد سميت السفن الحديثة بالبواخر جمع باخرة ، لأنها تسير بالبخار فاشتق لهـا هذا الاسم منه ، او ابدلت الميم باء فصارت الماخرة والمواخر باخرة وبواخر ٠

والله تعالى يمتن على عبــاده بالفلك وبتعليمهم صناعتها ، فى مثل قوله جل شــانه « ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر » ، « فاوحينــا اليه أن اصنع الفلك باعيننا ووحينا » ، « فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين » ، « ويصنع الفلك وكلما مر عليــه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تســخرون » ، « وحملناه على ذات الواح ودسر ، تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر ، ولقد تركناها آية فهل من مدكر » ٠

وتاريخ صناعة السفن يدل على أن الانســـان كان فى أقدم عهوده بدائيا يتخذ من جذوع الأشجار ما يسير به فى الماء ، محاذيا الشواطىء لا يجرؤ على الابتعاد عنها ، ثم ترقى فافرغ تلك الجذوع وسواها قصار لها تجويف يستطيع أن يســتقر فى داخله مبتعدا عن بلل الماء ، فلما عرف الحديد اتخذ منه آلات للنشر والنجر والقطع ، وأدوات للوصــل والتثبيت ، وهكذا صار يترقى من حال الى حال ، حتى وصل الآن الى ما لم يكن يخطر للأولين على بال ، اذ هناك من السفن الآن ما يعد مدنا عائمة فيها كل مافى المدن الثابتــة على ظهر الارض من متــاع ورسائل حياة ، وهذه السفن كما هو معروف ٠٠ منهــا ما هى ناقلات بضــائع أو جنــود ، ومنها ما هى حاملات طائرات وعتاد ، ومنها ما هى بوارج ، ومنها ما هى سفن أسفار ورحلات ٠٠ الى غير ذلك ٠

ولا شك أن السفن وصناعتها وما تحققه للانسان من أغراض عظيمة ، هى بذاتهــا عالم واســع الأرجاء ، ونعمة من النعم العظمى التى أنعم الله بها على الانسان ٠

والخامس مما ذكرته الآية الكريمة فيما سخرت له البحار ، قوله تعالى « ولتبتغوا من فضله » ٠

وهو حديث عن التجارة التى تعتمد على النقل البحرى ، والتنقل بين البلاد والقارات ٠

والقرآن الكريم يعبر عن التجـارة بالابتغــاء من فضل الله لما فيها من التوكل عليه جل شانه بعد اتخاذ الأسباب ، واصطناع الوسائل ، ومن ذلك قوله تعالى « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله » ، « وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله » ، « فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له » ٠

والتعبير بالابتغــاء يدل على التطلب بمحـاولة السعى والعمل لا على مجرد الطلب أو التمنى بدون وسائل ٠

والتجارة التى تعتمد على النقل البحرى ، وقطع المحيطات هى أساس الرفاهية العالمية ، وهى وسيلة النفع والانتفاع بين الأمم والشعوب ، وهى التى تيسر لمن فى أقصى المشــارق أن ينتفعوا بما فى أقصى المغارب من سلع ومنتجات ومصنوعات ولولا هذا الترابط بين أطراف العالم لتأخر عمران الأرض ولشقت على الانسان حياته فيها ٠

والسادس قوله تعالى « ولعلكم تشــكرون » ، وهو معنى تهذيبى تربوى ذكر بعد الامتنان بالبحر وما يؤديه من وظائف ، فان المؤمن اذا تدبر نعم الله ، وتابع آثارها فى الوجود ؛ عرف مدى الفضل

الالهى ، وأدرك أن عليه مقابل هذا الفضل حقوقا يجب أن يؤديها ، هى حقوق الشكر للمنعم المتفضل ، وحينئذ يكون مرجوا خيره ، متوقعا بره .

وفى هذا جرى مع الأسلوب المعهود فى القرآن الكريم ، حيث يجمع بين ذكر المنافع المادية والمنافع المعنوية الروحية ، ولا يأتى بالأمور فى صور جافة خالية من جمال التوجيه الى الخير والشكر ، ثم ان الشكر فى كل حالة بما يلائمها ، فشكر الله تعالى على نعمه المادية يقتضى من المنعم عليه أن يبذل فى سبيل اسعاد الناس كما أسعده الله ، وأن يذكر مجتمعه الذى يعيش فى رحابه ، يتقلب فى حمايته وأمنه ، فيعطيه مما أعطاه الله ، غير باخل ولا كانز ولا منعزل منكمش .

● ويقول الله تعالى فى شأن الانعام بنعمة الأنهار :

« وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهارا » .

« والقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون » .

« أم من جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا ؟ أاله مع الله ؟ بل أكثرهم لا يعلمون » .

ونعمة الله تعالى فى الأنهار لا تقل جلالا وعظمة عن نعمته فى البحار ، والأنهار موارد لكثير من الثروات الطبيعية التى لا يمكن الاستغناء عنها ، وللقدرة الالهية والرحمة والحكمة سنن رائعة فى تكوينها وتوزيعها وأماكن جريانها ، وازمان فيضانها ، وما تحمله من عناصر اخصاب للنبات ، وما ينبت بها من أعشاب لا تصلح الا على الماء العذب ، وتفسدها الملوحة :

فما تزال حرارة الشمس منذ خلقها الله وخلق البحار الملحة تبخر المياه وتنقيها من أملاحها وتسوقها الريح الى حيث يريد الله لها أن تنزل ، فترى السحب متراكمة تسير سيرا سريعا الى منابع الأنهار فى البحيرات وما بين الجبال ، ثم تهطل هناك هطلا ، وتفيض فيضا ، وتجرى سيولا عارمة لا تقف الا حيث تجد مصابها الى البحر فتعود اليه من جديد بعد أن تكون مياهها قد سلكت سبلها الى الأنهار ظاهرا ، والآبار باطنا ، وبعد أن تنتفع بها السهول والوديان ، والانسان والنبات والحيوان ، بل ان ما يجرى تحت الأرض من تلك المياه هو أيضا أنهار تحتية ، ولعلها هى المقصودة بمثل قوله تعالى « وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم » فالعيون انما هى منابع لأنهار جوفية تجرى فى باطن الأرض بأمر الله وسنته ، وتختزن الى أوقاتها المعلومة « وان من شىء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم » « فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما أنتم له بخازنين » أى : بل نحن الذين نخزنه ونحفظه لكم ، فلا نجعل جميع الأنهار تنصب فى البحار ، لتعتمدوا على الينابيع الباطنة كما تعتمدون على الينابيع الظاهرة .

والأنهار بعد ذلك شرايين مبثوثة فى البلاد ، يتصرف الانسان فيها ، فيشتق منها أنهارا أصغر ومراوى وقنوات ، وينتفع انتفاعا قريبا ميسرا بمياهها فى السقى والزرع والتطهير وغير ذلك من وجوه الانتفاع التى يعجز عنها الحصر . ولولا ماؤها العذب لاقفرت الأرض وصوح النبات ، وشقى الانسان والحيوان .

وقد حجز الله بين مياه البحار ومياه الأنهار بقوانينه وسننه الكونية أن تختلط أو يعدو ملحها على عذبها « مرج البحرين يلتقيان ، بينهما برزخ لا يبغيان ، فبأى آلاء ربكما تكذبان » .

فسبحان المنعم الوهاب العليم العزيز الحكيم

نظرات فى الشعر العراقى المعاصر :

شاعرية حافظ جميل

للدكتور بدوى طبانه

- ٣ -

وفى هذا القليل الذى سقناه من امثلة لشعر حافظ الملتهب بحرارة الوطنية مايقضي على كل تردد فى عدة من شعراء الطليعة الذين عبروا عن امانى امتهم فى حياة الحرية والكرامة والسيادة فى غزارة واتقان .

ومع هذه الأدلة البينة يبدو ان ذلك التقسيم الذى يجعل من هذا الشاعر شاعرا ذاتيا ومن غيره شاعرا وطنيا او سياسيا او اجتماعيا تقسيم لايعتمد على اساس سليم ، فان الشاعر لايكون الا ذاتيا أيا كان الغرض الذى يعالجه وأيا كان الموضوع الذى يتناوله فى شعره ، والشاعر فى كل حال لايصف الاشياء ولا يصور المشاهد والأحداث مستقلة عن نفسه ، ولا يصورها تصويرا مجردا كما هى ، وانما يصورها متصلة بنفسه ، مؤثرة فى شعوره ، مثيرة لانفعالاته وعواطفه ، ثم يبرزها متحملة طاقات من احاسيسه ومشاعره تجاهها .

وذلك الوصف المجرد — لو كان — ليس له فى معيار الشعر والفن حساب الا حساب الشكل ، او حساب الوزن والقافية ، ونحن نقول بمقياس العقل والمعرفة والمنطق لمن يصطنع ذلك اصبت او اخطأت ، ولكنا نقول للشاعر بمقياس العاطفة والشعور — اذا استطاع ان يعبر عن تجربة ، أى تجربة ، بمهارة — اجدت وابدعت !

وعلى هذا فان ذاتية الشاعر ملحوظة فى كل حال ، سواء عبر عن معنى لايعنى الا نفسه ، او عن معنى يتصل بالحياة العامة ، ويعالج مشكلاتها التى لاتنتهى .

واذ كان **حافظ جميل** شاعر الحس المرهف والتأمل العميق ، واذ كان الشعراء بابداعهم وافتنانهم يشاركون فى رسم المثل التى تتطلع الانسانية الى تحقيقها ، ويكملون بفنيتهم صور النقص التى يجدونها فى الحياة والأحياء ، فان حافظا لم يكن بمنأى عن المجتمع الذى يضطرب من حوله ، وقد استطاع ان يرسم فى شعره صورة واضحة المعالم للأحياء الذين يعيشون فيه . واستطعنا ان نقرأ فى هذا الشعر العذب الأنيق صورا من عيوب الجماعة ومثالبها وهى عيوب ومثالب لاينفرد بها الناس فى بلد دون بلد من البلاد التى تناولتها ظروف الحياة القاسية وكان من جرائها اشاعة الفساد والانحلال ، وكلها عيوب اخلاقية استشرى داؤها فى النفوس ، وكانت السبب الأصيل فى تدهور هذه البلاد فى مختلف مناحيها :

واذا اصيب القوم فى اخلاقهم
فاقم عليهم مأتما وعويلا

وفى قصيدة واحدة من نبض الوجدان عنوانها « **بلد العجائب** » جمع حافظ كثيرا من المثالب والعيوب التى آدت المجتمع وحطمت كيانه واولها :

تعلم كيف تنحدر النفوس
وتلثم موطىء القدم الرءوس
وصانع لايفتك رخيص قدر
تجاهله ولا رذل خسيس
وحاول ان تساير كل عهد
فلايندى محياك اليبيس
جلال القدر انك حين تمشي
يلوذ بنعلك الشرف المدوس

فكم من ظافر بمريض جاه
وخير سلاحه العرض الدنيس

وقد صور حافظ تلك العلل والآفات ، ونقدها بأسلوبه التصويري البديع الذى تشيع فيه روح السخرية من أصحاب تلك الآفات ، ومن المجتمع الذى تنخر فى عظامه وتحط من قدره ، ومن الناس الذين كثيرا ماينزلون أصحاب تلك النقائص من رفيع المنازل ، وهم أجدر الناس بالضعة والهوان .

وابرز حافظ تلك النقائص والرذائل النافقة فى أسواق الفساد والاختلال فى مقابلة الفضائل التى خمدت نارها وسكنت ريحها ، ولم يعد لها فى حساب الفضل شيء ،ولم يبق لأصحابها المستمسكين بالمبادىء والمثل اى اعتبار ، ومن امثلة ذلك قوله :

تعلم ان تميل وان ترائى
فقد اخنى على الصدق الطموس

اذا حاججت مهذارا فاهذر
فما يجديك منطقك النفيس

تهود حين يخذلك النصارى
واسلم حين يرفضك المجوس

فحالات النفاق لديك شتى
فلا ينقصك من حال لبوس

وعلى هذا النحو من السخرية عدد الشاعر الرذائل السائدة فى مجتمعه وكيف نال اصحابها مآربهم فى الحياة ، وذكر اضرارها من الفضائل التى تعدت بأصحابها ولم تعد تجديهم شيئا ، حتى فقدت المعايير والفضائل وقواعد السلوك قيمتها :

تعلم ان اوفى الناس عهدا
يدوس يمينه فيما يدوس

فلا يردعك عن اثم ضمير
فعبد ضميره ابد تعيس

ولا يخدعك فى الأخلاق عرف
ولا فى الدين شرع او طقوس

ان هذا الأسلوب النقدى الساخر فى تناول اخلاق الناس ورذائلهم واضطراب المقاييس وتباين الحظوظ ليذكرنا بنقد ابى العلاء المعرى للمجتمع ومساوئه وسخريته اللاذعة ، وثورته على الفساد والنفاق ومساوىء الأخلاق التى افسدت المجتمع ، وقضت على القيم والمعايير التى يقاس بها الانسان الكامل والرجل الفاضل . وما اشبه **ثورة ابى العلاء** على المتجرين بالدين **بثورة حافظ جميل** عليهم فى القرن العشرين فى قوله :

وفقيه دين مسلم ورع
لم يخل يوما منه مسجده

مراى الحرام يثير نقمته
ويقيمه، غضبا ويقعده

لم ينقطع صبحا تضرعه
او ينقطع ليلا تهجده

الدين اشرفه ديانته
والرسل اكرمهم محمده

لكن بدينار تنصره
وبنصف دينار تهوده

ولعل شعرنا المعاصر لم يظفر بكثير من امثال هذه الشاعرية الفذة التى ملكت اعنة البيان فانقاد لها عذبا مشرقا فى تدفق وغزارة لاتشعر معها بأن الشاعر يبذل جهدا فى طلب الكلمة او يتكلف فى تنسيق العبارة ، ومن ثم فان ميزة هذا الشعر الكبرى ما اجتمع له من وضوح الفكرة وقوة المعنى وجمال الصياغة ، وتلك امارات الطبع الاصيل .

فاذا عدونا ذلك التحريض الهادر بالوطنية ، الثائر على الاستعمار ، المندد بعسف الحكام ، الباكى على اهل التعاسة والشقاء ، الحادب على الفقير العانى ، الساخط على الفساد والانحلال، الساخر من المجتمع ومما انحدر اليه ـ الفينا انفسنا أمام شاعرية خصبة لايئودها فن من فنون الشعر ، ولا يستعصي عليها غرض من اغراضه .

وحافظ جميل وصاف بارع ، وحق لمثله من ذوى الاحساس والتأمل والبيان ان يجود فى الصفات، وان يمتاز وصفه بالبراعة فى الاستقصاء، وبتلك الصور التى ترسمها وتؤلف بين اجزائها براعة فنان صناع ، يصل المادى المحس بالخيال المحلق الساحر ، حتى تجد نفسك وانت تقرأ اوصافه بين رياض فيها اجمل ماتدركه الحاسة ، وآنق ماتؤلفه خيال ، واحر ما ينبض به وجدان .

اقرا معى بعض ماصاغه فى وصـــف ليلة فى الشوير لترى مصداق ماقدمت :

ربوة من جنــان لبنــــان حلت
من اعــالى الشوير عالى ذراها
شارفت ليل عرسها فاســتحالت
جذوة من مصـــوغها وحلاها

مــارج الدر فوقهــــا يتلظى
فى خضــم من عسجدى سناها

وشظايا اللجين تومض فى الافق
وتهوى كالشــهب فى ارجاها

اتراهــا تضرمت عن عتيـــق
ام على الماس لالأت صفحتاها

ام بحافاتهــــا قــذائف تبــر
تتهــاوي فى ســندسي حشاها

اما المراة فان حديث حافظ جميل معها حــديث طويل ، وحالاتها معه شتى ، وقــد صورها حافظ فى جميع حالاتها صادقة وكاذبة ، مقبلة ومعرضة ، واصلة وهاجرة ، وانتهى بعد طول الطواف بهـــا ، وكثرة الجولات معها ثائرا عنيفا ، كانه لم يعرفها ، او كانه عرفها ولم ير فيها الا السم الزعاف ليس له الا ان يراق ويغيب فى الثرى ، او الحية الرقطاء ليس الا ان يحطم راسها ، ثم يقطع ذنبها !

واولى تجاربه مع المراة تجربته مع «التين» وهو الاسم المستعار الذى اختاره لزميلته فى الجـــامعة الاميركية ببيروت ، التى هام بها ووقع فى شـــراك هواها ، فصاغ فيها كثيرا من قصائده التى تراواها زملاؤه فى الجامعة ، حتى فاض حديث الهـــوى وهدده مدير الجامعة بالفصل ان لم يمسك عن هذا التشبيب ، ويكف عن اذاعته ، وكان ذلك فى شباب حافظ منذ سبع وثلاثين سنة .

ومن تلك القصائد واطرفها قصيدته « تين »التى يقول فى اولها :

ياتين ياتــوت يارمان يـــاعنب
ياخير ما اجنت الاغصان والكثب

وفيها اوصاف حسان لفاكهة التين ، وموازنات بديعة بين فاكهة التين وسائر الفواكه تنتهى كلها بايثار التين .. وكلها من الشعر الرمزى الرائع حتى ان القارىء اذا تابع قراءتها لن يسهل عليه الاهتداء الى حقيقة « التين » التى يعنيها حــافظ جميل .

ومنها قصيدته « **التينة العاشقة** » وهى واضحة المغزى ، وفيها عتب شديد على التين الذى تجاهل حبه وهيامه ، وصبا الى عاشق آخر اســـمه « **فيليب** » وفيها يقول :

يا من صـــبوت الى (فليـــب)
ســيطول حزنك او تــــوبى
اســـف لمثلك ان تهيــــم
بحـــب خـــداع كـــذوب

يـــزور عنــــك اذا رآ
ك وانت فى شــــوق عجيــب
ويشـــيح وجهـــا قــاطبا
يحكى فــؤادك فى القطوب

ويبدو من هذه القصيدة أن صدود « تين » عنه قد اشعل جذوة حبه لها ، وحقده المر على غريمه « فيليب » !

وبعد طول التجارب التى طالما اضــنته وارقته ينفجر حافظ جميل فى ثورة عارمة على الجنس كله الذى لم يشفع له حب التين ولا غيره من الفــواكه المحرمة ، وذلك فى خمسين بيتا ضمنها قصيدته التى جعل عنوانها « النساء » واولها :

لله النســـــــاء وذكــرهنه
شـــر الحــديث حديثهنــه

من المكيـــــدة والخــداع
وهــــن كـــل الشـــر هنه

مافتنة الا ونافـــــخ نارهــا شـــــيطانهنه
او محنـــة ضـــاقت بليتهــا عظيـم بلائهنـــه
او شـــدة ادهى شـــقاء من جحيـــم شقائهنه

وهى من اروع واجود ما الفت شاعرية حافظ ، وقد اثارت عليه بنات حواء فصببن عليه جـــام غضبهن ، بعد ان اصبح ذكرها يجرى فى كل بيت وعلى كل لسان .

الأنغام الرقيقة للعواطف الرقيقة

للدكتور محمد النويهى

نجحت حيلة أميمة فى حمل ابى ذؤيب على البوح بذلك الحزن الدفين الذى كان يأكل أحشاءه ، والذى سبب له شحوب الجسم ونبو المضجع ، فانفجر أبو ذؤيب بما كان يكتمن لوعة على موت أولاده الخمسة ، فى ثورة طاغية يبدؤها بهذا البيت :

فاجبتهـا : اما لجسمى انه
أودى بنى من البلاد فودعوا

وقد بدأنا فى مقالتنا الماضية ننظر فى هـذا البيت ، فرأينا أن الهمزة البادئة التى يكررهـا اربع مرات فى : أجبتهـا ، أمـا ، أنه ، أودى ، تعلن بشدتها الصوتية عن تصميمه على أن يبوح الآن بسره وينفجر بثورته المختزنة .. ورأينا ماق كلمـاته الثلاث : أودى ، البـلاد ، ودعوا ، من انفعالات متعاقبة ، ورأينا ارتباط هذه الانفعالات بحروف هذه الكلمات التى استخدمهـا . ونريد الآن أن نتم النظر فى هذا البيت لنرى فيه دقائق أخرى من انسجام اللفظ مع مضـمونه الفكرى والعاطفى . لكننا نحتاج الى مقدمة قصيرة نشرح فيها الخصائص الصـوتية الثلاث التى توجد فى الألفاظ اللغوية ، وما ينتج عنها من قيم موسيقية ثلاث .

أولاها « الشدة » ، وبها تختلف الأصوات فى نصيبها من الوضوح او الخفوت ، أى فى نصيبهـا من العلو أو الانخفاض ، وتنقسـم الحروف الى انفجارية أو شديدة ، وغير انفجارية أو رخوة ، ومائعة أو متوسطة ليست بالشديدة ولا الرخوة . وهذه القيمة الصوتية تعتمد على حجم الذبذبة أى على مدى اتساعها أو ضيقها . فكلما ضاقت ازداد الصوت شدة أى وضوحا وعلوا .

وثانيتها « الدرجة » ، وتعتمد على سرعة توالى الذبذبات ، أى على عـدد الذبذبات فى الثـانية الواحدة ، وبها تختلف الأصوات فى نصيبها من الحدة أو العمق . فالصوت الحاد أكثر عدد ذبذبات فى الثانية ، والصوت العميق أقل . وبهذه القيمة تختلف الحروف بين مجهورة ومهموسة .

واجتماع هاتين القيمتين ، الشدة والدرجة ، هو ما يعطى الكلمة الواحدة بحروفها المجتمعة ، والجملة بكلماتها المجتمعة ، صفة صوتية عامة نسميهـا « النغم » ، ونترجم بهذا الاصطلاح ما يسمى فى الانجليزية « مليودى » ، ونفصله عن « الايقاع » (بالانجليزية ريذم » ، الذى ينشـأ فى العروض العربى عن القيمة الصوتية الثالثة ، وهى « الكم » .

وهذا الكم يقابل ما يسـمى فى الموسيقى « الدوام الزمنى » ، وهو ينتج من اختلاف المقاطع قصرا وطولا . فالمقطع القصـير يتكون من حرف واحد متحرك بحركة قصيرة ، مثل واو العطف أو لام الجر . والمقطع الطويل يتكون من حرف متحرك بحركة قصيرة يليه حرف ساكن ، مثل أداة الجزم « لم » ، أو يتكـون من حرف متحـرك بحـركة ممدودة ، مثل « لا » و « فى » و « ذو » . والدوام الزمنى للمقطع الطويل هو ضعف الدوام الزمنى للمقطع القصير . واختـلاف البحور العروضـية الستة عشر ينشأ عن اختلاف نظامها فى ترتيب المقاطع القصيرة والطويلة . وهناك نوع ثالث من المقاطع زائد الطول نهمله هنا ، لأنه لا يعرض فى الشعر العربى الا فى القافية ، ولا يوجد فى قافية القصيدة التى ندرسها الآن .

هذه هى القيم الصـوتية الثلاث التى توجد فى كل كلمة وكل جملة ننطق بها . لكننا نريد الآن أن ننبه الى حقيقتين هامتين : أولاهما ان اعتمـاد

العروض العربي التقليدى على الكم وحـــده فى التفريق بين البحور العروضـيـة ، أغفل معـظم الدارسين والنقاد عن القيمتين الأخريين · ويتجلى هذا الاغفال بأقبح صورة فى القراءة العروضـيـة المدرسية التى لا تهتم الا بالتقطيع العروضى للتأكد من صحته واستقامته ، وتنطق بجميع الأصـوات بنبرة واحدة رتيبة تزيل منها نبراتها الحية المنوعة بتنوع الأفكار والعواطف ·

والحقيقة الثانية هى أننا فى نطقنا الواقعى الحى نتوع من نصيب الكلمة فى كل من هـذه القيم الثلاث طبقا لما تمليه الحاجـة الى تأكيد المعنى أو تأكيد العاطفة · فكلمة « راح » مثلا يختلف نطقنا بها فى جملة تقريرية عادية مثـل « التلميـذ أخذ كتبه وراح » ، عن نطقنا بها فى جملة انفعـالية قوية عن ولد مات « ابنى راح » · فهى فى الجملة الثانية أكبر شدة ؛ وأحد درجة ، وهى أيضـا أطول زمنا : « راااح ! » · هذا مع انها هى نفس الكلمة بنفس الحروف ونفس الحركة ·

وهذا الاختلاف الثالث فى طول المقطع هــو ما نهمله اهمالا تاما أو شـبه تام بنوع خاص ، لحرصنا فى قراءة الشعر على تحقيق استقامة الوزن العروضى ، والنتيجة هى اننا نفقد الشعـر جزءا كبيرا من تنويعه الحى · وسيرى القارىء بعد قليل لماذا لفتنا نظره الى هذه الحقيقة بخاصة ·

وجميع هذه القيم الثلاث قد عرضنا لها فى أمثلتنا الشعرية الماضية ، تصريحا أو تلميحا ، ورأينا مدى ارتباطها بما تؤديه الـكلمات من دقائق الأفكار والعواطف · لكننا أعدنا شرحها وتمييزها هنا لأننا سنحتاج اليها حاجة قوية فى احسان النطق بالبيت المذكور ، فهو يتكون من مقاطع تختلف فى هذه القيم الثلاث جميعا : الكم ، والدرجة ، والشدة ·

أعد الآن قراءة ذلك البيت :

فاجبتها : أما لجســـمى انه

اودى بنى من البـلاد فودعوا

لكى تستمع الى المدات الموجودة فى شطره الأول، تجد فى هذا الشطر أربع مدات ، ونستطيع الآن أن نهمل المدة الثانية منها فى «أما» لأنها ثانوية ، ونقصر نظرنا على المدات الثلاث الأخرى ·

ماذا يفعل الشاعر بهذه المدات ؟ هو يريد بها أن يتدرج فى اخراجه لثـورته المختزنة دفعـة بعد دفعة · فعليك لكى تحسن النطق بها أن تزيد من كمها تدريجا ، فتجعل الثانية ضعف الأولى فى الطول ، وتجعل الثالثة ضعف الثانية ، هكذا :

فاجبتها ا ·

اما ا · لجسمى ى ى ··

أنهو و و و و ····

هكذا يتدرج اخراجه لعاطفتـــه المكبوتة فى موجات ثلاث متعاقبة · الموجة الأولى منها مختومه بمدة الألف · وعليك أن تقرأ هـذه المدة بالطول الطبيعى للمدة ، ومقدار هذا الطول يعتمد بالطبع على معدل السرعة التى تتخذها فى قراءة البيت ، وهـو على أى حال ضـعف طول حركة الفتحة القصيرة · وقد رمزنا لطول مدة هذه الألف بتكرار الألف مرة واحدة ، ووضع نقطة واحدة بعدها ·

كذلك مدة الألف فى آخر « أما » التى تبـدأ الموجة الثانية ، طولها هو الطول العادى للمدة · ولكن حين تأتى الى مدة الياء التى تختم هذه الموجة فعليك أن تطيلها ضـــعف طول مدة الألف ، أى ضعفى طول الحركة القصيرة ، لأن من الواضح أن انفعال الشاعر يزداد هنـا انطلاقا عن انطلاقه فى الموجة الأولى · ولذلك رمزنا اليه بتكرار اليـاء مرتين ، وبوضع نقطتين بعدها ·

اما حين تأتى الى الموجة الثالثة ، فانفعال الشاعر يبلغ أقصاه فى الانطلاق ، فاقرأ مدة الواو التى تختم هذه الموجة بضعف الطول الذى قرأت به مدة الياء السابقة ، أى بضـــعفى طول مدة الألف فى آخر « فاجبتها » · ولذلك كررنا الواو أربع مرات ووضعنا بعدها أربع نقط · (ولو اسعفتنا مطبعة «الرسالة» برموز النوتة الموسيقية لما احتجنـا الى هذه الوسيلة البدائية بتـكرار الحرف ووضـع النقط ·)

ولكن لا تكتف بمضاعفة الطول فى المدة بعـد المدة ، بل ضاعف أيضا من درجة صوتك أى من حدته ، تبدأ من الصـوت العميق « القرار » ، ثم تأخذ فى الاحتداد درجة بعد درجة ، بزيادة عـدد الذبذبات فى صوتك ، حتى يصل صوتك فى مدة الواو الاخيرة فى « أنهو » الى أكبره حدة · ولاتخش فى هذا انك تأتى شـيئا مصـطنعا ، فانما انت تطابق النطق الطبيعى الصـادق الذى يتهدج به الصوت البشرى حين تزداد به العاطفة موجة بعد موجة ، والا فاستمع فى الفرصة الأولى التى تسنح لك الى شخص يطلق العنان لانفعاله وصوته خطـوة بعد خطوة ·

ولكن هـذا ليس كل شىء ، بل تأمل الآن فى

تنويع ثالث يأتي به هذا الشاعر الأصيل ، وهو تنويعه في « شدة » صوته ، أي تصبيبه من العلو والوضوح ، بتضييقه لمسافة الاهتزازة . فهو يختم موجته الأولى بمدة الألف ، وهي أقل المدات العربية شدة ، واسهلها نطقا ، لأنها أكبرها اتساعا . ثم يختم موجته الثانية بمدة الياء ، وهي أضيق من مدة الألف وأقل ضيقا من مدة الواو . ثم يختم موجته الثالثة بمدة الواو ، وهي أشد المدات العربية ضيقا ، وهي لذلك أصعبها في النطق . وهذا الاشتداد المتدرج ينسجم بطبيعة الحال مع اشتداد انفعاله موجة بعد موجة .

وبهذا يستعمل الشاعر جميع المدات الثلاث التى تعرفها العربية ، ويرتبها هذا الترتيب البارع المتدرج في الشدة والضيق ، ألف فياء فواو . فانظر الآن نظرة شاملة في هذا الشطر العجيب :

فاجبتهــا ا . امـا ا . لجسمي ى ى . .
انهو و و و و ....

والى تدرج الصوت فيه طولا ودرجة وشدة حتى يصل في آخره الى اقصاه طولا زمنيا ، وحدة درجة ، وشدة ارتفاع . وتعال الآن الى هذه الضربة المفاجئة العظيمة المفاجاة في قوله في الشطر الثاني :

اودى بنى !

فاستمع الى هذه الياء المشددة في آخر « بنى » ،

وانظر كيف تأتى حادة عالية ، صارخة نافذة ، بعد تلك المدات الثلاث الطويلات المتموجات ، وكيف يبلغ فيها الصوت اقوى طعنه واختراقه للقلب ، فكأن الشاعر قد علا بصوته في الشدة وزاده في الحدة وضاعفه في الطول طبقة فوق طبقة حتى ينتهى به فجاة الى هذه الطعنة النافذة التي تخترق القلب كالمدية المسنونة . وهذا يذكرنا بما يحدث في بعض التاليفات الموسيقية من توالى قرع الطبول في موجات مستمرة متعاقبة متزايدة في الشدة والدرجة ثم اختتامها اختتاما مفاجئا بقرعة من الآلات النحاسية « سيمبال » أو الصنج وما يكون لهذا من الوقع العنيف والنجاح في تصوير وصول العاطفة الى أقواها .

ولاحظ أن حرف الياء ، مع انه حرف رقيق اذا جاء مفردا متحركا ، يصير حادا عاليا اذا جاء ساكنا ، وتزداد طعنته الواخزة اذا جاء مشددا ، حتى ليقترب في جرسه من الجيم الشامية البالغة التعطش المشبهة للحرف الفرنسي «جا» بنقط ثلاث .

ثم تذكر ما قلناه في مقالتنا الماضية عن هذا الشطر الثاني ، حتى ترى كيف ان طعنة الياء المشددة في « بنى » تسبقها وتمهد لها طعنتان أخريان فرعيتان في مقطعى الفعل « أودى » ، ثم كيف يعود الشاعر بعدها الى وسيلة الألف الممدودة في « البلاد » ، وعليك — كما قلنا سابقا — أن تطيل من صوتك في النطق بهذه الألف ، وأن تموج فيها صوتك باكبر ما تستطيع من الرعدة والاهتزاز . ثم ترى كيف يختتم البيت بهذه الكلمة « ودعوا » — بتشديد الدال ، بما فيها من الواو المتأوهة ، والدال المشددة القوية الانفجار ، والعين المرة المرتاعة تشبع ضمتها بمدة الواو فتبلغ العين أقصى مرارتها وتفجعها .

وأخيرا ألق نظرة شاملة على كل هذه الملاحظات التي لاحظناها في هذا البيت وما به من دقائق الإيقاع والنغم ، لترى كيف تتتابع وتترابط ويقود بعضها الى بعض وتأتلف جميعا في وحدة منسجمة عظيمة الروعة قوية التاثير .

نقف هنا برهة لنجيب على سؤال أغلب ظننا ان القارىء يهم به ، ولنسال نحن سؤالا من جانبنا .

أما السؤال الذى نتوقعه من القارىء فهو : هل تعنى بهذا كله أن أبا ذؤيب أتى بهذه الوسائل الصوتية عن عمد وتخير وانتخاب لحروفه وحركاته ومقاطعه وكلماته ؟ هل قال أبو ذؤيب لنفسه مثلا : أنا أريد أن أصور بوحى المتدرج بانفعالى خطوة بعد خطوة ، فلابدان كل موجة من موجات تنفيسى بحرف الهمزة الشديد القاطع ، ولأختمن موجتي الأولى بمدة الألف لأنها أكثر المدات العربية اتساعا ، ثم لأختمن مومجتى الثانية بمدة الياء لأنها اضيق من مدة الألف ، ثم لأختمن موجتى الثالثة بمدة الواو وهى أكثر المدات العربية ضيقا واعظمها لذلك شدة ؟

واضح كل الوضوح اننا لا نعنى شيئا من هذا ، فابو ذؤيب لم يات بهذا النوع من التعمد والاختيار ، بل هو لصدق شاعريته ، وصدق أصالته ، وصدق انفعاله بعاطفته ، وقوة تمثله لها وهو ينظم بيته ، اخلص في محاولته التعبير الشعرى عنها ، وكان ذا دربة على النظم وامتلاك لناصية اللغة ، فواتته هذه الألفاظ كما تواتى كل شاعر صادق أصيل

حاذق . هكذا نفسر توفيقه البعيد في الربط بين مضمونه ولفظه ، ولكن تفسيرنا هذا لاينفى ما يكون من الشاعر القدير من عودة الى شعره بعد نظمه الأول له يهذبه وينقحه ، ويزيده دقة تعبير وتمام انسجام بين اللفظ ومضمونه ، وهذا التهذيب حقيقة معروفة عن كثير من شعراء الجاهلية أنفسهم، فليس الشعر الجيد بالفورية والمباشرة وعدم المراجعة التى يظنها كثيرون من القراء ، حتى فى أقدم عصور الشعر العربى . نحن نعتقد اذن أن أبا ذؤيب فى هذا البيت وفى سائر الأبيات ، واتته معظم هذه التوفيقات فى نظمه الأول الذى صدر عن ارهافه الفنى وقوة استجابته لعاطفته ، ثم عاد الى هذا النظم يزيده شحذا وتنسيقا على هدى ثروته اللغوية وخبرته الفنية . هذا هو جوابنا الكامل على ذلك السؤال .

لكننا نريد نحن أن نسأل : ترى ماذا فعل القارىء بكل ملاحظاتنا السابقة وشرحنا المفصل ؟ هل اتخذ منها منذ البدء موقف الرفض والانكار أو السخرية والاستهزاء ، فلم يمض فى قراءتها الا ليزداد تفكها ومرحا وضحكا علىهذا الكاتب الحرف، او غضبا وسخطا على هذه الطريقة الغريبة الشاذة الملتوية ؟ هل اكتفى بقراءة ملاحظاتنا وارشاداتنا قراءة بصرية صامتة ؟ أو تراه اقبل عليها الاقبال المبدئى المتعاون الذى شرحناه فى مقالاتنا الماضية وأكدنا ضرورته لكل تقدير نقدى عادل ومشاركة فنية ناجحة ، وبذل جهده فى قراءة البيت قراءة جاهرة مسموعة تتبع الارشادات التى وضعناها ، وتحاول محاولة مخلصة ـ قبل أن تسرع الى الرفض أو القبول ـ أن تحقق فى هذه الحروف والحركات ، والمقاطع والكلمات ، ما ادعينا وجوده فيها ؟

اننا لندرك ما فى طريقتنا هذه فى قراءة الشعر وتحليله من غرابة ، وما تسببه هذه الغرابة من صعوبة فى المتابعة ، ثم يزيد من هذه الصعوبة أننا نحاول بالخط الصامت على الورق الأخرس شرحا مجاله الصحيح هو المحاضرة المسموعة الحية . ولكننا برغم هذا كله نرجو قارئنا ونلحف فى الرجاء ، أن يأخذ ملاحظاتنا وارشاداتنا ماخذ الجد ، فلا يسرع الى رفضها وانكارها ، ولا يسرع الى السخرية منها ، والتندر على صاحبها ، وأن يتذكر واجبه كقارىء للأدب ، ودارسٍ للنقد ، وليذكر أن التقدير الفنى كله يبدأ دائما بالمطاوعة وبذل الجهد فى المشاركة ، ولهذا قيل ان التذوق الفنى عمل من أعمال الايمان .

وكاتب هذه السطور يذكر من سنواته السبع التى عاشها فى انجلترا ، كيف كان يرى الأمهات الانجليزيات يدربن أطفالهن على الالتفات الى جمال الطبيعة ، فلا تزال الواحدة منهن تهيب بولدها : انظر الى هذه الزهرة ! أليست جميلة ؟ وانظر الىهذا الجبل ! اليس رائعا ؟ والطفل يجيب فى صوت يتكلف الأدب والطاعة : ييس مام ! (نعم يا أمى) ، وهو بالطبع لا يرى بعد جمالا ولا روعة ، ولكن بتكرار التوجيه وتكرار الطاعة يبتدىء فى ان ينتبه حقا الى ما فى طبيعة بلاده من جمال وروعة ، وينتهى الى ان يبصرهما ابصارا صادقا ، ويطرب لهما طربا مخلصا . وهكذا يبتدىء التقدير الفنى جميعه .

وأذكر أيضا كيف كان أبى ، عليه رحمة الله ، ينفعل انفعالا قويا بالاستماع الى القراء المجيدين للقرآن ، وكيف كان فى صغرى يحاول أن يقنعنى وان يثير فى نظير انفعاله ، وكيف تدرجت بى المحاولة الى الطرب الصادق الذى لا زيف فيه ولا ادعاء . وهكذا أيضا يبتدىء التقدير الفنى جميعه .

والحقيقة التى لا شك فيها هى أن تراثنا الشعرى العظيم لم ينل منا بعد ما يستحقه من تقدير ، وأن المناهج البلاغية التقليدية قد ثبت عجزها عن أن تبصرنا بمدى جماله وغناه ، وأن الكثرة الغالبة من شبابنا غير مقتنعة بأن فى تراثنا العربى ما يقدم اليها ما يبتغى فى الأدب من امتاع العاطفة وشحذ الروح واغناء التجربة الانسانية وتوسيع الخيال . وأنهم زاهدون فى هذا التراث عزوفون عنه ، وأن طائفة منهم قد انصرفت الى الاشعار الغربية تلتمس فيها ما عجزت عن وجدانه ، أو بعبارة أصح وأكثر بدلا ، ما عجز معلموها عن اقناعها بوجوده ، فى تراثها العربى .

وما نظننا نحتاج الى أن نطيل فى شرح ما لهذه الحالة المحزنة من خطر بعيد واضرار بليغ بنهضتنا القومية الجديدة ، التى لا بد أن ترتكز على اعتزاز صادق مخلص بتراثنا الثقافى العربى ، اعتزاز من المحال أن ينشأ الا اذا بنى علىعلم حقيقى واستجابة مقتنعة لما يزخر به هذا التراث من روائع الفنى والامتاع . ما أشد حاجتنا اذن الى أن نقبل على تراثنا هذا اقبالا جديدا ، وأن نوسع من صدورنا لدارس يأتى فى دراسته بطريقة تبدو لنا غريبة

محيرة • لسنا نزعم بهذا كله أن كل قارىء يجب أن يقبل كل ما قلناه في مقالاتنا هذه ، وما سنقوله في مقالاتنا القادمة • بل أقصى ما نطالبه به أن يبذل معنا جهد المشاركة الذى شرحناه ، وما يدريه لعله ينتهى الى أن يقبل بعض ادعاءاتنا على الأقل ، فان قبل بعضها اليوم فما يدريه لعله يزداد لطريقتنا قبولا كلما ازداد بها ألفة وقدرة على المتابعة •

بعد هذا الاستطراد الذى نرجو الا يكون قد أمل القارىء وزاد من حنقه علينا ، نعود الى أبيات أبى ذؤيب ، لنقرأ بيته التالى :

اودى بنى ! واعقبونى غصة
بعد الرقاد وعبرة لا تقلع

فنلاحظ في الحال أن الشاعر قد كرر طعنته الواخزة (أودى بنى !) التى تقدمت فى البيت الماضى • كأنه لم يكفه أن يطعن صدره مرة واحدة حتى أعاد المدية الممزقة يدفعها فى صدره مرة ثانية • فاستمع الى ما لهذا التكرار الموسيقى من جمال فائق وتأثير مضاعف يذكرنا بروعة الجمل المكررة فى التاليف الموسيقى الجيد ، وكيف انها اذا كررت بمهارة وكانت هناك حاجة فنية قوية الى تكرارها يكون لها اثر فنى مضاعف يزيد على أثرها حين وردت أول مرة ، اذ تزيدنا انتباها الى قيمتها الصوتية وتقديرا لأهميتها فى التنفيس عن العاطفة المرددة ولدورها العضوى فى الربط بين فقرات البناء الموسيقى الشامل •

هذا عن قوله « أودى بنى » • ولكن قبل أن نستوفى الكلام فى الجانب اللفظى لهذا البيت الجديد دعنا ننظر برهة فى مضمونه ، لنعجب كل الاعجاب بتواضع الشاعر وعزوفه عن المبالغة والتهويل وايثاره الاقتصاد والاقلال • فهذا الشاعر الأب الذى مات بنوه الخمسة فى عام واحد لم يدع ان موت أبنائه قد حرمه النوم والزمه السهاد ، بل يعترف بأنه يأوى الى مضجعه التماسا لراحة الرقاد بعد كد العمل • وكل ما يقرره هو أنه حين يستيقظ من رقاده تبادره ذكرى الفاجعة التى ألمت به فتأخذ حلقه غصة وتترقرق فى مقلته عبرة • أما الغصة فتدل على محاولته القوية التى أصر على بذلها الى أن جاءته أميمة تعاتبه ، محاولته أن يكبح حزنه كبحا يؤدى الى اختناق حلقه بمرارة نكبته • وأما العبرة فلاحظ كيف انه لا يدعى انه يذرف الدموع مدرارا ويفجرها انهارا وبحارا دعك من أن يدعى انه يبكى بدل الدمع دما كما يقول الكذابون الذين لا يفهمون الرثاء الا رخصة للمبالغة والتهويل • بل هى عبرة واحدة وحيدة تجول فى مآقيه حائرة لأنه يبذل جهده فى أن يكبحها ولا يسمح لها بالانحدار على خده ، فهى فى مقلته قلقة تذهب وتجىء كما نرى أحيانا من رجل يبذل الجهد فى حبس دمعته من السقوط من عينه فتكسو مقلته بسحابة رقيقة تتحرك فوقها ، أو كما يقول التعبير الافرنجى « تغشيها بفيلم مائى » •

والآن وقد ادركنا مضمون البيت ننظر فى أدائه اللفظى لنرى كيف ينسجم انسجاما تاما مع هذا المضمون • فاستمع بعد صرخته المكررة « أودى بنى » ! كيف يعبر باقى البيت بجرسه اللفظى عن تلك الغصة المختنقة التى تأخذ حلقه نتيجة لمحاولته الجاهدة فى كبح انفعاله • يعبر عنها تعبيرا بارعا بالاكثار من « حروف الحلق » • حتى لا تخلو كلمة من كلماته الست من أحد هذه الحروف ، ويجتمع فى بعضها حرفان حلقيان • ففى « أعقبونى » عين وقاف • وفى « غصة » غين • وفى « بعد » عين • وفى « الرقاد » قاف • وفى « عبرة » عين • وفى « لا تقلع » قاف وعين • فاقرأ هذا البيت — ونستحلفك الله أن تنطق به جهرا ! — موليا انتباهك الى لوكة العينات الأربع والغين والقافات الثلاث فى الفم ، وكيف تصور هذه الحروف الحلقية الثمانية حين تتوالى هكذا :

اعق بونى — غصة — بعد — الرقاد — وعبرة — لا تقلع •

كيف تصور تصويرا دقيقا بالغ الفعل والنجاح حركة الازدراد الصعبة المرة فى الحلق حين تأخذ أحدنا غصة من محاولته كظم انفعاله فلا يستطيع أن « يبلع ريقه » •

أترى اللفظ يستطيع أن يزيد على هذا صدق ارتباط مع المعنى وعضوية اتحاد مع العاطفة ودقة تجاوب مع الانفعال ؟ أولا تجد فى هذا البيت العجيب دليلا حاسما جديدا على ما ادعينا من الرابطة العضوية الحية بين الشكل والمضمون فى الشعر الجيد ؟

وفى مقالتنا القادمة نتم حديثنا عن هذه الأبيات المعجبة التى نظمها شاعر عربى منذ ما يقرب من الف وأربعمائة سنة — ستة وخمسين جيلا !

الاحتفال بوفاء النيل في مصر الاسلامية

للدكتور جمال الدين الشيال

كان المصريون منذ أقدم العصور يحتفلون بوفاء **النيل** ، ويفتنون فى هذا الاحتفال الذى كان يتخذ اشكالا متباينة وصورا مختلفة ، تبعا لاختلاف العصور والحكومات والأديان .

أما المصريون القدماء فقد ألهوا النيل وعبدوه لأنه مصدر الخير والبركة ، يشربون من مائه العذب السلسبيل ، واذا فاض سقى أراضيهم ورواها ، وبعث فيها الحياة ، فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، وعلى صفحته تسير قواربهم تصيد الأسماك ، وسفنهم الشراعية تحمل التجارة من حب وفاكهة الى أهالى الشمال من الجنوب ، والى أهالى الجنوب من الشمال .

وتقول الرواية العربية التى تنقلها جمهرة المؤرخين المسلمين عن ابن عبد الحكم :

ان المصريين كانوا يزينون للنيل فتاة بكرا جميلة ، فيطيبونها ويعطرونها ، ويحملونها اجمل حليها ولآلئها وجواهرها ، ثم يلقونها الى النيل قربانا ، فلا يلبث ان يزيد ماؤه ويفيض ويغطى الأرضين .

غير أن معظم المؤرخين المحدثين يشكون فى صحة الرواية ، وبرهان شكهم أن العرب دخلوا مصر وهى مسيحية حكومة وشعبا ، فلو فرض أن مصر الفرعونية الوثنية كانت تقترف هذا الاثم ، فليس من المعقول أن تستمر على اباحة اقترافه المسيحية وهى دين سماوى يمنع قتل النفس دون جريرة .

غير أن الأمر الذى لا شك فيه أن الحكومات المختلفة التى توالت على مصر كانت تهتم الاهتمام كله بمقاييس النيل لتترقب وفاءه ولتحتفل بهذا الوفاء لأن فيه صلاح الأرضين وخصبها ، وحياة النباتات وازهارها واثمارها ، وكيف يستطيع المصرى الحياة اذا قصر النيل ولم تنبت الأرض ؟!

وقد تغير مكان المقياس فى العصور المختلفة ، وان كان المتفق عليه بين مؤرخى العرب انه قد كان بمصر قبيل الفتح مقاييس كثيرة فى بلدان مختلفة، غير أننا لا نستطيع تحقيق أماكنها أو أسماء الملوك الذين انشأوها ، **فالمسعودى** يقول مثلا :

« ووضعت دلوكة العجوز ملكة مصر بعد فرعون مقياسا بأنصنا صغير الأذرع ، ووضعت مقياسا آخر باخميم ، ووضعت الروم مقياسا بقصر الشمع »

ويقول **القضاعى** :

« ثم جاء الاسلام ، وفتحت مصر والمقياس بمنف»

ويذكر **القلقشندى** أن مكان المقياس كان بمنف معروفا حتى عهده (القرن التاسع الهجرى ـ الخامس عشر الميلادى) فيقول :

« وموضع المقياس بمنف الى الآن معروف على القرب من الأهراء اليوسفية من جهة البلدة المعروفة بالبدرشين » .

وبقى النيل بعد دخول العرب بمدة يقاس بمنف ، ويدخل القياس الى الفسطاط فينادى به ، ثم بنى عمرو بن العاص مقياسا بأسوان ، وآخر بدندرة ، وفى أيام معاوية بنى مقياس ثالث بأنصنا ، ولما ولى عبد العزيز بن مروان حكم مصر، واتخذ مدينة حلوان مقرا لحكمه ، بنى بها مقياسا صغير الأذرع ، كذلك بنى أسامة بن زيد التنوخى سنة سبع وتسعين من الهجرة (٧١٥ م) فى عهد ولايته لمصر مقياسا فى جزيرة الروضة (او جزيرة الصناعة كما كانت تسمى) وذلك بأمر سليمان ابن عبد الملك الخليفة الأموى . ويقول صاحب **صبح الاعشى** :

« ثم بنى المتوكل مقياسا أسفل الأرض بالجزيرة المذكورة (جزيرة الروضة) فى سنة سبع وأربعين ومائتين (٨٦١ م) فى ولاية يزيد بن عبد الملك على مصر ، وهو المعمول به الى زماننا هذا » (القرن التاسع الهجرى)

ونضيف نحن ايضا ان هذا المقياس هو المعمول به الى سنتنا هذه (١٣٨٤ هـ) اى ان عمر هذا المقياس هذا العام الف ومائة وسبعة وثلاثون عاما .

وكان المتفق عليه فى تاريخ مصر الاسلامية ان يحتفل بوفاء النيل اذا بلغ ستة عشر أو سبعة

عشر ذراعا ، ويعتبر النيل مقصرا اذا قل عن الرقم الأول ، ويعتبر الفيضان خطرا اذا زاد على الرقم الثانى ، وفى هذا المعنى يقول الصلاح الصفدى :

قالوا علا نيل مصر فى زيادته
حتى لقد بلغ الأهرام حين طما
فقلت : هـذا عجيب فى بلادكم
أن ابن ستة عشر يبلغ الهرمـا

وكانت النصارى تتولى قياس النيل منذ الفتح العربى الى زمن الخليفة المتوكل العباسى ، فعزلهم واختار له رجلا مسلما صالحا يسمى عبد الله ابن عبد السلام بن ابى الرداد المؤدب ، واجرى له سليمان بن وهب صاحب خراج مصر يومئذسبعة دنانير فى كل شهر ، بقيت هذه الوظيفة فى نسل هذا الرجل حتى القرن التاسع الهجرى ، كما يقرر ذلك السيوطى فى حسن المحاضرة ، والمقريزى فى الخطط ، والقلقشندى فى صبح الأعشى .

وكان النيل اذا بلغ ستة عشر ذراعا (وهو المعبر عنه بماء السلطان) كسر خليج القاهرة ، ولكسر خليج القاهرة ـ كما يقول المقريزى ـ : « يوم معدود ومقام مشهود ، ومجتمع خاص يحضره العام والخاص » ، ويقول عنه القلقشندى هو : « يوم مشهود وموسم معدود ، ليس له نظير فى الدنيا ، وفيه تكتب البشارات بوفاء النيل الى سائر أقطاب المملكة ، وتسير بها البرد » ، ويقول السيوطى : « جرت العادة كل سنة اذا وفى النيل أن يرسل السلطان بشيرا بذلك الى البلاد لتطمئن قلوب العباد وهذه عادة قديمة ، ولم يزل كتاب الانشاء ينشئون فى ذلك الرسائل البليغة » .

ويورد السيوطى بعد ذلك أربع رسالات فى هذا المعنى ، احداها من انشاء القاضى الفاضل ، والثانية من انشاء القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر ، والثالثة كتبها الصلاح الصفدى ، والرابعة كتبها الاديب تقى الدين أبو بكر بن حجة .

حفلات الوفاء :

حافظ المصريون بعد اسلامهم على تقاليدهم القديمة ، فعنوا بمقاييس النيل والاحتفال بوفائه ، وان كانوا قد أدخلوا على هذا الاحتفال بعض التعديل الذى يتفق والدين الجديد ، واقدم وصف عثرت عليه لهذا الاحتفال هو لابن رستة (جغرافى عاش فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى ـ التاسع الميلادى) فى كتابه « الاعلاق النفيسة » ، وهذا الوصف يبين جمال الاحتفال وبساطته فى أول العهد فقد كان الموكلون بقياس النيل يترقبون الزيادة اصبعا اصبعا ، وذراعا ذراعا ، فاذا وفى ساروا فى موكب جليل الى المسجد الجامع (جامع عمرو) يحملون الزهور والرياحين ، ويقفون هناك حلقات حلقات ، يعلنون وفاء النيل ، ويشكرون الله ، ويتراشقون بالازهار ، ولا شك عندى أنهم كانوا يعلنون هذا كله فى اهازيج وأناشيد خاصة .

ويبدو ان المتولين امر المقياس كانوا ينادون فى الناس معلنين الزيادة اصبعا اصبعا ، وذراعا ذراعا ، حتى أتى المعز لدين الله الفاطمى فمنع من النداء بزيادة النيل ، والا يكتب بذلك الا اليه والى القائد جوهر ، فاذا بلغت الزيادة ستة عشر ذراعا اباح النداء وكسر الخليج ، يقول المقريزى فى الخطط معلقا على هذا التعديل : « فتأمل ماابدع هذه السياسة ، فان الناس دائما اذا توقف النيل فى ايام زيادته او زاد قليلا يقلقون ويحدثون أنفسهم بعدم طلوع النيل ، فيقبضون أيديهم على الغلال ، ويمتنعون عن بيعها رجاء ارتفاع السعر ، ويجتهد من عنده مال فى خزن الغلة ، اما لطلب السعر ، او لطلب ادخار قوت عياله ، فيحدث بهذا الغلاء ، فان زاد الماء انحل السعر ، والا كان الجدب والقحط ، ففى كتمان الزيادة عن العامة اعظم فائدة وأجل عائدة » .

وكانت الحفلات التى تقام ، والمهرجانات التى تعقد ابتهاجا وسرورا بوفاء النيل فى عهد الفاطميين بالغة الحد الاقصى من الجمال والبهجة والروعة والاناقة، وأهم هذه المراكب موكبان: أحدهما لتخليق المقياس ، والثانى لكسر الخليج ، وبينهما ٣ أو ٤ ايام ، وكانت الدولة كلها ، خليفتها ووزراؤها وقضاتها وقوادها وفقهاؤها وأدباؤها وشعراؤها وفنانوها وموسيقيوها وشعبها أخيرا ، فلا غرو اذن أن قامت للآداب والفنون دولة عظيمة الشأن فى هذا العصر ولا غرو اذا سعد الشعب المصرى ونعم ، وأحس السرور يفيض فى جنبات حياته تحت حكم الفاطميين .

وفى كتب المؤرخين صور واضحة لهذه المواكب نحاول هنا نقل صورة لجمالها وروعتها .

موكب التخليق :

كان الموكلون بالمقياس يرفعون الى ديوان

الانشاء كل يوم رقعة بها مقدار الزيادة ، فلا يطلع عليها الا الخليفة والوزير ، فاذا بلغت الزيادة ستة عشر ذراعا امر بان يبيت فى جامع المقياس ليلة الوفاء قراء الحضرة والمتصدرون بالجوامع بالقاهرة ومصر لختم القرآن الكريم، وتمد لهم الأسمطة وتوقد الشموع الكثيرة ، وفى الصباح يلبس الخليفة الحلل الفاخرة والتاج الذى فيه اليتيمة ، ويخرج من القصر فى موكب زاخر، وفى ركابه الوزير والامراء والجند، فيشق القاهرة ويمر من باب زويلة الى الصليبية ، ثم يعرج على جامع ابن طولون ، الى أن ينتهى به السير الى دار الصناعة ، ويشق الفسطاط حتى يصل الى شاطىء النيل ، وتكون سفينته الخاصة (الحراقة) معدة فى النيل .

« وقد حمل اليها من القصر بيت مثمن من العاج والأبنوس، كل جانب منه ثلاثة أذرع ، وطوله قامة رجل تام ، فيركب فى السفينة وعليه قبة من خشب محكم الصنعة وهو وقبته ملبس صفائح الفضة المذهبة » ..

«ثم يخرج الخليفة ومعه الوزير وبعض خاصته الى هذه السفينة ، ويجلسون فى هذا البيت المثمن ، وتسير بهم الى المقياس فينزلون ويدخلون الى الفسقية التى فيها المقياس ، ويصلى كل منهم ركعتين وحده، ثم يتناول الخليفة اناء بيده ويذيب فيه الزعفران ، ويتناوله صاحب بيت المال فيعطيه لابن أبى الرداد الذى يتولى امر المقياس ، فيلقى هذا بنفسه وهو بملابسه فى الفسقية ، ويمسك بالعمود برجليه وبده اليسرى ويخلق المقياس بيده اليمنى ، وبعد التخليق يعود الخليفة الى حراقته التى تقله الى البر حيث يعود الى القاهرة . ويكون فى البحر ذلك اليوم نحو الف مركب مشحونة بالناس للتفرج واظهار الفرح » ..

موكب كسر الخليج :

وبعد ٣ أو ٤ أيام تقام فى بيت المال موائد من « التماثيل المختلفة من الغزلان والسباع والفيلة والزراريف وغيرها ، منها ما هو ملبس بالعنبر ، ومنها ماهو ملبس بالصندل مفسرة الأعين والأعضاء بالذهب ، وكذلك تعمل أشكال التفاح والأترج وغير ذلك .. » . وتخرج خيمة الخليفة الكبيرة فتنصب على البر الغربى للخليج عند منظرة السكرة، وتنصب بحريها خيام للأمراء والخاصة حسب مراتبهم .

وفى الصباح يلبس الخليفة ثوبا يسمى البدنة ، وهو حرير مرقوم بذهب لا يلبسه غير ذلك اليوم ، ويخرج فى مثل موكبه السابق فى اجمل هيئة وأكمل أبهة ، ويسير الخليفة فى موكبه من القصر وحوله الوزير والأستاذون المحنكون فى الطريق السالف الذكر الى أن يصل جامع ابن طولون ، حيث يجد قاضى القضاة والشهود فى انتظاره على بابه ، فيسلم عليهم ، وينضمون الى موكبه الذى يستانف السير الى أن يصل الى الخيمة ، فيترجلون ويجلسون على نظام خاص مقرر ، وقراء الحضرة هناك يتلون القرآن الكريم لمدة ساعة ، فاذا انتهوا استاذن صاحب الباب للشعراء فيدخلون حسب مراتبهم ، وينشد كل واحد فيما يناسب الحفل ، والحضور ينتقدون ما يسمعون ، فيقرظون شعر البعض ، ويجرحون شعر البعض الآخر ، وفى المقريزى (الخطط ، جـ٢ ، ص ٣٦٥ ، مطبعة النيل صورة طريفة لهذا المهرجان الأدبى وآراء الحاضرين فى نقد ما قيل فيه من شعر .

وبعد ، فهذه هى مواكب الفاطميين ومهرجاناتهم للاحتفال بوفاء النيل وتخليق المقياس وكسر الخليج، سار على نهجهم فيها الأيوبيون من بعدهم ، ثم أتى المماليك فزادوها بهاء فوق بهاء ، وابهة فوق أبهة حتى غدت أروع وأجمل وآنق من احتفالات سابقيهم من الملوك والخلفاء .

وقد ظل المصريون يحتفلون بوفاء النيل فى العصور الحديثة حتى وقتنا هذا، وتركز الاحتفال فى الموكب الذى تقوده سفينة العقبة وفى الاحتفال الذى يحضره كبار رجال الدولة ، وفى حجة الوفاء التى يكتبها القاضى الشرعى .

وبعد ثلاث سنوات ، وبعد اتمام بناء السد العالى ستحجز مياه الفيضان كلها وراء السد ، وسيمتنع وصول مياه الفيضان الى شمال الوادى ، وسيمتنع تبعا لذلك الاحتفال بوفاء النيل على الطريقة القديمة، ولكن النيل سيظل مصدر الخصب والنماء لمصر ، ولهذا أرجو أن تفكر الدولة وأن يفكر المصريون من الآن فى اعداد طريقة جديدة للاحتفال بوفاء النيل .

شعراؤنا المعاصرون وشعر النخيل

بقلم: محمد عبد الغني حسن

أشار الشاعر **احمد شوقي** في قصيدته البائية عن « **النخيل** » الى خلو الشعر العربي من وصف النخلة ، وعطل الكتب من تصويرها ، فارسل بيته في استفهام انكاري يحمل معنى التحسر قائلا :

أليس حراما خلو القصائد
من وصفكن وعطل الكتب ؟

والحق أن هذا السؤال من شوقي لا معنى له ، ولا أدري كيف ند عن شوقي ـ وهو الشاعر القارىء الواعي ـ احتشاد كتب الأدب واللغة والشعر بأدب النخلة ؛ فتناولها الشعراء نواة وشجرة وصاحبة ثمر ، وذات ظل ، ومذكرة بأرض الوطن . وتناولها اللغويون بالتسميات اللغوية الكثيرة لنواتها وجذعها وطلعها وسعفها وبلحها وتمرها وليفها وطولها وقصرها وجماعاتها ، وأجزاء ثمرتها حتى القطمير ... وبلغ مادونه اللغوى الكبير « ابن سيده » من ذلك بابا طويلا جدا في كتابه الضخم : «المخصص» الذى اختصره الأستاذان حسين يوسف موسى ، وعبد الفتاح الصعيدى في كتابهما النفيس : « الافصاح » .

ولقد كان العرب في القديم والحديث ابر بالنخلة ، كما كانوا أبر بالحصان .. فاكثروا من ذكرها وصفتها ، على غير ما ذهب اليه الشاعر أحمد شوقي .

ولعل اهتمام الشاعر أحمد شوقي بأدب النخلة في شعره قد وجه الى هذه الشجرة المباركة أنظار الشعراء المعاصرين واهتمامهم . فوجدنا كثرة كاثرة من شعراء عصرنا هذا وصفوا النخلة وصوروها في بسوقها وسموقها وتنظيم صفوفها وتنضيد طلعها ، بل ذهب بعضهم أكثر من هذا فجعل من شموخها علامة على الكبرياء ، وهي صفة العربي الرافع الرأس ، الذى لا يحنيه أبدا مهما عصفت به الأيام ، فقال فيها الشاعر **ايليا ابو ماضي**:

أحببت حتى الشوك في صحرائها
وعشقت حتى نخلها المتكبرا

اللابس الورق اليبيس تنسكا
والمستمخر الى السماء تجبرا

ولعلك تلاحظ أن شاعرنا المهجرى جعل النخل مع كبريائها ناسكة ، فان زهدها ونسكها وعرى جذعها لم يمنعها من شموخ الرأس ، وعزة الكبرياء ..

والشاعر العربي الحديث ـ على الرغم مما احاطته به الحضارة من مظاهرها ـ لم يتنكر للنخلة التى ترتبط دائما بالبادية والصحراء ولا تنفصل عنهما، وقد لاحظ هذا المعنى الشاعر العراقى **احمد الصافى النجفى** حينما أقام بأرض الشام بعض الزمن ، فرأى فيها نخلة غير نامية ، لانها غرست في غير مغرسها ، فضويت كما ضوى هو في غير بلده ، فأخذ يخاطبها قائلا : ـ

لا أنت نامية ولا أنا نامى
يا نخلة غرست بأرض الشام

عشنا ولكن بانتظار مماتنا
كمعيشة المحكوم بالاعدام

لا فرق بين شبابنا ومشيبنا
فكلاهما وهم من الأوهام

طالت بنا متجمدين حياتنا
لسنا نحس بنكهة الأعوام

وقد تأثر شاعر عراقى آخر هو « **عبد الزهراء الصغير** » حينما زار مدينة شيراز ، فرأى فى أحد بساتين سراتها نخلات ذكرته بالعراق ونخيله ، فنظم قصيدة مؤثرة عنوانها « نخيلات شيراز » .

وهذا التذكر والحنين الذى تثيره رؤية النخيل فى غير أرض الوطن يعود بنا الى ذلك الموقف المؤثر الذى تصفه لنا كتب التاريخ الاندلسى ، حين تروى أن **عبد الرحمن الداخل** – أو صقر قريش – نظر الى نخلات مغروسات فى وادى آش بمدينة قرطبة ، فامتدت به الذكرى الى وطنه العربى فى المشرق ، وحن الى قومه وأهله فى أرض العرب الطيبة النازحة ، فخاطب تلك النخلات قائلا :

يا نخل ! أنت غريبة مثلى
فى الأرض نائية عن الأهل

وللشاعر العراقى الكبير **المهدى الجواهرى** – هداه الله الى عروبته وأمته – مثل هذا الموقف حينما زار مدينة سامراء ، فتذكر وهو بها نخيل الفرات فقال من قصيدة :

أحبابنا بين الفرات تمتعوا
بالعيش بين مياهه ونخيله !

ومما يلفت النظر أن الشاعرة العربية المعاصرة – على الرغم من مظنة التصاقها بالحضارة الحديثة أكثر من الرجل – وصفت النخلة وصورتها فى شعرها ، واتخذت من تلك الشجرة السامقة مجالا للتعبير عن مختلف انفعالاتها وتأثراتها . فالشاعرة العراقية « **نازك الملائكة** » ترى فى قصيدتها « صوت الأمل » انفراج الأزمة بصفاء الموج فى لجة النهر ، وخبو الاعصار ، وعودة النخيل الى الضحك للشطآن كما كن يفعلن قبل العاصفة ، وتقول فى ذلك :

سوف تصفو الأمواج فى لجة النهـ
ـر ، ويخبو الأعصار خلف التلال

وتعود النخيل تضحك للشطـ
كما كن فى الليالى الخوالى ...

وليست النخيل وحدها هى المنفردة بالضحك فى مجال البهجة والهدوء ، ولكن الشطآن من ناحية أخرى وفى قصيدة أخرى لنازك تضحك تحت أشجار النخيل ...

وتذكرنا مشاركات الشاعرة نازك الملائكة فى أدب النخيل بمشاركة أخرى لزميلتها الشاعرة العراقية الرصينة العبارة الدكتورة **عاتكة الخزرجى** ففى ديوانها « أنفاس السحر » الذى صدر مطبوعا لها فى مصر منذ أشهر قليلة نجد لها قصيدة : « تباركت يا نخلة الشاطئين » تخاطب فيها النخلة وقد شاب من حولها الزمان ، وهى لا تزال شابة فتية متمتعة بالصبا الدائم ، تسقى من مياه الرافدين وتسقى الناس من حلاوة ثمرها :

أيا حلية النهر فى الضفتين
تباركت من آية سامية

فهذا الزمان انطوى عمره
وانت على رغمه باقية

وذا شعره أبيض فى عارضيه
وانت ببرد الصبا حاليه

نهلت الخلود من الرافدين
فبوركت مسقية ساقية

ثم تتوسل بعد أبيات الى النخلة أن تظل فؤادها بأفيائها الحانية ، وأن تصونه من لفحات الهجير .

وللشاعرة المصرية المعاصرة السيدة **جليلة رضا** قصيدة عنوانها : « النخلة الحيرى » تصور فيها سبعا من النخل الرطيب فى روضة ، وقد اجتمعن كأنهن فى ندوة ، وتمايلت أعطافهن كأنهن عاشقات متيمات ... ولكن بينهن نخلة صغيرة فرقها الدهر عن لداتها ، وعزلها عن صواحبها فغدت وحيدة ، وتعيب الشاعرة على النخلة الحائرة المنفردة وحدتها التى هى صدى للكبر والشموخ فان قوة الابطال لا تكمل الا بالاتحاد . وفى هذه القصيدة من الرمز الواضح ما فيه ...

ولم يستقل الشعر العمودى المعاصر بأدب النخلة ، بل رأينا الشعر الجديد الخارج على العمود يشارك فى هذه الظاهرة ؛ فالشاعر العراقى

بدر شاكر السياب يصف « غريبا على الخليج » ويصور أشباح النخيل ـ فى خلال الوصف ـ حين تلقى الفزع فى النفس عند الغروب قائلا :

هى وجه أمى فى الظلام

وصـوتها ، فيزلقـان مع الرؤى حتى أنام

وهى النخيل أخاف منه اذا ادلهم مع الغـروب
فاكتظ بالأشباح كل طفل لا يؤوب من الدروب

وقد وجد الشـعراء المعـاصرون ـ كما وجد الأقدمون ـ فى النخلة مجالا واسعا للتشبيه على طريقة القدماء ... فالشـاعر **محمود سـامى البارودى** يشبه البلح بالأنامل المخضوبة : ـ

للبسر فيها قانىء وناصل
مخضب كأنـه الأنـامل

والشاعر **احمد شـوقى** يشـبه البلح الأحمر بفصوص العقيق :

قد اعتصبت بفصوص العقيق
مفصـلة بشذور الذهب

والشاعر العراقى الذى تعرفه مجلة « الرسالة » قديما : المرحوم **عبد القادر رشيد الناصرى** يشبه البلح باليواقيت ، أو بدماء المحبين فيقول :

تلك اليواقيت فى الأعذاق قانية
دم المحبين ، لا ضرب من الثمر

والشاعر المصرى **محمود غنيم** يشبه البـلح على النخلة بحبات من العقيق ـ مثل شوقى ـ قائلا :

وبدا النخيل ، غصـونه فيروزج
يحملن من صافى العقيق حبوبا

اما النخل ذاته ، فقد شبهه أحمد شوقى بالمآذن تارة ، وبالسارية والمسلة والفنارة تارة أخـرى ، كما شبهه مرة ثالثة بوصائف فرعون او بناته :

والنخل ممشوق القدود معصب
متزين بمنـاطق ووشـاح

كبنات فرعون شهدن مواكبا
تحت المراوح فى نهـار ضـاح

ولجا بعض الشعراء المحدثين الى تشـبيه النخل بالعرائس ، كما فعل الشـاعر العراقى **محمود الحبوبى** ، وكما فعلت الشاعرة جليلة رضـا حين شبهته بعرائس من الجن ... والتشبيه بالجن هنا يذكرنا بتشـبيه الشاعر **الياس فياض** للنخيل بمردة طوال ..

اما سعف النخل فقد شـبهه بعض المعاصرين بشعر النساء ، أو بالغدائر ، كما نجده عند الشاعر صـالح جودت فى قصـيدته : « **ليالى الهرم** » ، وعند الشـاعر **محمد هارون الحلو** فى قصيدته : على الشاطىء المسحور .

اما رأس النخلة فقد شبهه الشاعر الســورى **انور العطار** بالمروحة ، وشبهه الشاعر أحمد شوقى بالقبة ، وشـبهه الشاعر عبد القادر رشـيد الناصرى بالمظلة .

وشبه الشاعر **محمود حسن اسـماعيل** عرجون النخلة بمنبر يتأرجح عليه راهب النخيل ـ وهو الغراب ـ عند صاحب ديوان : « هكذا أغنى »

أما وقفات أشـجار النخيل بقوامهـا الثابت الباسق ، فقد جعلهـا الشاعر « **على محمود طه** » وقفة الثاكل بجوار قبر الشـاعر المهجرى فوزى المعـلوف (وكانت هنـاك نخلة بجوار قبره) . وجعلها الشاعر **الياس فياض** وقفة المسحور ... فقد جاءت النخلة تغتسل من النهر فسحرهـا واقفة على ضفته ، وجعلهـا الشـاعر الاجتمـاعى العراقى **معروف الرصافى** وقفة الاحتفال والابتهـاج حين اسـتقبل الأديب العربى اللبنانى الكبير فى أرض العراق قائلا :

ان العـراق بعرضـه وبطوله

وبرافديه وباسقات نخيله

يهتز مبتهجـا بمقدم ضـيفه

ويبش مبتسـما بوجه نزيله

مع النيل

الدكتورة نعمات أحمد فؤاد

- ٤ -

وقفنا بالحديث فى المرة السابقة عند قسمى النوبة ، وقسماها هما :

١ ـ النوبة العليا .

٢ ـ النوبة السفلى وهى النوبة المصرية .

النوبة السفلى المصرية : وفيها ثلاث لغات :

١ ـ اللغة العربية

٢ ـ اللغة الكنزية

٣ ـ اللغة الفاجدنا

اللغة الكنزية : ويتكلمها الاهالى من شمال اسوان حتى بلدة (المضيق) . وهى لغة حامية فيها بعض الالفاظ العربية . وهى لغة الحديث بين أصحابها وليست لغة كتابة اذ أنهم فى مكاتباتهم يستخدمون العربية . واصحاب هذه اللغة سموا ... (الكنوز) نسبة الى (كنز الدولة) كان ايام الحاكم بأمر الله شخصا معارضا فاضطهده الحاكم ففر الى الصعيد فجعل الحاكم جعلا لمن يقبض عليه فقبض عليه حاكم منطقة اسوان فكافاه الحاكم بالطبع . ويبدو ان المصريين تندروا عليه كعادتم فسموه (كنز الدولة) اشارة الى المال الذى قبضه من الحاكم ثمنا اوشايته وسموا اتباعه (الكنوز) .

اللغة الفاجدنا : وهى شائعة فى المنطقة من قرية ابو حنضل حتى الجندل الثانى المعروف باسم الشلال الثانى وهى لغة حامية كاللغة الكنزية غير انها يغلب عليها الطابع التركى أو المملوكى . ولهذا قصة .. فعندما اقترف محمد على مذبحة القلعة المشهورة فر المماليك والالبان الى الصعيد ومنه الى بلاد النوبة وتجمعوا فى منطقة (ابريم) على مقربة من عنيبه وهناك اختلطوا بالاهالى وتزاوجوا معهم .

ومما يذكر ان الجمال فى هذه المنطقة عالى النسبة وله طابع جميل فالبشرة الخمرية المشوبة بصفرة خفيفة رقيقة تزيدها شفوفا وحلاوة ، والعيون السود والشعر الفاحم .

والاسماء هناك تسمع بينها (اغا) و (الكاشف) وغير هذا كثير من الالفاظ التركية نجدها فى لغة الفاديجا كما ان بينها وبين اللغة الكنزية الفاظا مشتركة .

ولغة الفاديجا لغة كلام فقط لانهم يكتبون بالعربية ...

ويقول الاستاذ مصطفى عامر فى بحثه (بلاد النوبة السفلى) من كتاب (بلاد النوبة)

يبدو أن اللغة النوبية هى من اصل حامى ، وأنها تأثرت بمؤثرات لغوية خارجية ، وصلتها من الجنوب ومن الغرب ، من أجل هذا كانت اقل نقاوة من لغة البجة . وقد اخذت من اللغة العربية كلمات كثيرة كما تأثرت فى الماضى باللغة المصرية القديمة واللغة القبطية .

وقد بقيت اللغة النوبية مدة طويلة دون ان تكتب ، واستمرت كذلك حتى العصر المسيحى قبيل دخول الاسلام . والمخطوطات النوبية الموجودة ترجع الى العصور الوسطى ،وهى مدونة اساسا بالحروف اليونانية، وتشبه فى شكلها وصفاتها اللغة القبطية. ويقول :

« ومما هو جدير بالملاحظة أن اللغة النوبية قد قاومت اللغة العربية فى بلاد النوبة ، وحافظت على كيانها بالرغم من الهجرات والغزوات العربية ، وبالرغم من انتشار اللغة العربية فى الشمال من مصر وفى السودان ، ابتداء من دنقلة فى الجنوب ، بل بالرغم من وجود جماعات عربية متغلغلة فى الاقليم مثل قبائل العليقات والعربية بين جماعات الكنوز والفدجة ، وقبائل الشايقية والجوابرة بين جماعات المحس ودنقله .»

ولعل من الطريف ان جماعة مثل اهل البوسنة الذين استقروا فى النوبة منذ الفتح التركى قد تركوا ولا يتكلم من الكنوز اللغة العربية الا الرجال الذين لغتهم الاصلية وجعلوا اللغة النوبية لغتهم . هذا زاروا مصر .

اذن فالاثر هو أثر مصر . وبهذه المناسبة أقول ان انتشار اللغة العربية في مصر كانت وراءه اعتبارات لم تكن بالنوبة يبعد بنا تفصيلها عن الموضوع .

هذا من حيث اللغات اما من حيث الطبيعة فالنوبة المصرية قسمان أيضا :

القسم الشمالى (البحرى) وهو جدب غالبا ..

القسم الجنوبي وهو ممرع فيه زرع ونخيل ..

اما النوبة السودانية فهى تبدأ من وادى حلفا او على التحديد بلدة (فرس) حيث انقذت البعثة الهولاندية كنيسة فرس .

وصلنا الآن الى قرية (أبو حنضل) التى يتكلم أهلها لغة الفاجدتا . على البعد أرى انسانين كأنهما عصوان سوداوان يدبان على الارض أرجح أنهما من الصيادين لأن الشاطىء عندهما يركن اليه قاربان صغيران من قوارب الصيد .

وبعد قرية (ابو حنضل) مرت باخرتنا امام قرية (الديوان) ويلاحظ ان اسم القرية عليه الطابع المملوكى التركى .

نحن الآن امام قرية (الدر) وكانت قديما قبل انشاء خزان اسوان عاصمة النوبة . وفى الدر معبد لرمسيس الثانى ، وفيها مسجد وفيها مدرسة ابتدائية ونسبة التعليم بالدر مرتفعة نسبيا (بين الذكور بالطبع) .

ويقابل الدر فى الغرب (توماس) وقرية توماس دون سائر قرى بلاد النوبة ، **ستهجر** الى اسنا وذلك ان كثيرين من قريتى توماس وعافية ، هاجروا من تلقاء انفسهم الى اسنا عند التعلية الثانية للخزان واستوطنوا بها . فلما جاء التهجير الجديد احست توماس أن اسنا هى اقرب البلاد اليها .

وتضم قرية توماس نجع الشيخ داود .

وعلى صخور توماس سجل قدماء المصريين فى عهد الدولة القديمة نقوشا كثيرة تنم على اهتمامهم بالنوبة السفلى وقد عثر فى توماس على نصوص ترجع الى عهد ملوك الاسرة الخامسة والسادسة لا بل استشرف اهتمام مصر بالنوبة فى عهد هذه الاسرة الى اكتشاف مجاهل افريقية فوصلت الى الشلال الثانى ثم امتد النفوذ المصرى حتى «كرمه» عند الشلال الثالث . وعند (كرمه) هذه بنى أمنمحات الاول قلعة كما يعزى الى سنوسرت الاول بناء قلعة « كوبان » لفتح مناجم الذهب فى وادى العلاقى .. واتصلت عناية الملوك الفراعين بالنوبة حتى بلغت هذه العناية ذروتها فى عهد رمسيس الثانى صاحب معابدها المشهورة التى تختلف الدنيا فى اشياء كثيرة بصددها وتتفق على انقاذها ، وتذهب الدول مذاهب شتى وتلتقى عندها أثرا نفيسا تعتز به حضارة الانسان .

الآن اتوقف قليلا لاصف معبد (عمدا) والطريق الى عمدا على يمين السابح اليه جبل املس رماله حرير اصفر فى لون المشمش تسطع عليه الشمس فتجعل لونه براقا . وعند القمة تطل رءوس صخور بنية اللون ولكن الجبل فيما يلى النيل قطيفة برتقالية وكأنه حلية للضفة المدلة بالنهر العظيم .

ويلى هذا فى شبه قوس ، جبل تعلوه بيوت صغيرة واشجار طفلة .. تكسو الجبل طبقة رمادية اللون فى مواضع منه ، وفى مواضع اخرى طبقة صفراء وتلمس الشمس المنظر فتجعل الرمادى على البعد بنفسجيا مشربا بحمرة ، وتجعل الاصفر قرمزيا . ويتكرر المنظر على يسارى فيخيل الى أن الجبل يطوق النيل ويجعل من ذراعيه دائرة حوله ، فما تكاد تصل الى محيطها الموهوم حتى تنفرج ذراعا الجبل امام الدافق المنساب فيمضى فى موكبه ونحن فى ركابه ... والجبل فى خدمته مايزال ، فهو يقف آنا ممتثلا ويبدو احيانا على شكل صف من وحوش ضخمة رابضة فى تربص تقوم على حراسة النيل .

اما معبد (عمدا) فقد بناه الملك تحتمس الثالث من ملوك الاسرة الثامنة عشرة من الدولة الحديثة ويعتبر تحتمس أعظم ملك مصرى يعتز به تاريخنا سواء فى فتوحاته الحربية ام اعماله الانشائية .

وقد مات العظيم تحتمس ولم يكمل معبد عمدا فأكمله ابنه امنوفيس الثانى ثم تحتمس الرابع .

وفى مدخل معبد عمدا تتضح الثنائية المصرية فعلى يمينه الملك تحتمس الثالث لابسا تاج الوجه البحرى (الاحمر) فى حضرة الاله حورآختى وعلى اليسار نجد تحتمس لابسا تاج الوجه القبلى ، فى حضرة الاله حورآختى .

وفى المدخل نجد (خراطيشا)تحمل اسماء (من معات رع) وهو سيتى الاول والد رمسيس الثانى الذى نقش اسمه على معبد عمدا . وكانت هواية رمسيس الثانى نقش اسمه على المعابد .

وتلى المدخل صالة الأعمدة وفيها ستة أعمدة وعلى الجدار الأيمن من صالة الأعمدة نجد الملك تحتمس الثالث فى حضرة الاله خنوم ثم صورة (تحوت) فى يده قلم على بروز فى الحائط . وتحوت اله الحكمة والمعرفة فى مصر القديمة وكان فى عصر من العصور يعتبر وزيرا للاله رع . وفى هذه الصورة يرمز الفنان المصرى لتحوت بطائر الابيس كما يرمز للاله تحوت بالقرد .

ومن الاله تحوت جاء اسم (التحامسه) فموس معناها مولود . وتحتمس .. (تحوت موسى) الاله تحوت . ويذكرنا هذا بموسى (موسى ى) أى هاتوا المولود : هتفة فرعون عندما رقى اليه الخبر فى القصة المعروفة .

والاله تحوت هو الذى اتخذته جامعة القاهرة شعارا لها .

فاذا تجاوزنا اله الحكمة رب القلم وجدنا صورة اخرى له وهو يسجل سنى حكم الملك فى شجرة تسمى الشجرة المقدسة والشجرة المقدسة ظاهرة نراها فى كل المعابد .

ثم تحتمس فى حضرة الاله حتحور .. ثم فتحة مكتوبة عليها الدعوات ...

وعلى الجدار الغربى من الصالة الملك تحتمس الثالث بتاج الوجه البحرى فى حضرة الاله خنوم ذو رأس الكبش والاله يعطى رمز الحياة الى الملك . ثم تحتمس فى حضرة الاله حورآختى ثم حضرة آمون رع ملك الآلهه .

ثم تحتمس فى تاج الوجه البحرى ثم تحتمس فى تاج الوجه القبلى ..

وعلى الجدار الايسر الملك تحتمس فى حضرة الالهة ايزيس ثم الاله آمون رع ثم الاله تحوت ثم الملك تحتمس الثالث .

ثم تحتمس الثالث بين الاله حورآختى والالهه سانت زوجة الاله خنوم . وبعد هذا تدخل صالة مستطيلة على الجدار الغربى منها ثلاثة مداخل تفضى الى ثلاث حجرات صغيرة .

الحجرة الاولى : على جدارها الايمن نجد الملك امنحتب الثانى فى حضرة الاله رع حورآختى .

وعلى الجدار الايسر نجد الملك تحتمس الثالث فى حضرة الاله رع حورآختى .

وعلى الجدار الغربى الملك امنحتب الثانى فى حضرة الاله آمون رع .

الحجرة الوسطى : على الجدار الايمن نجد الملك تحتمس الثالث فى حضرة الاله آمون رع والالهه سانت والاله حورآختى .

وعلى الجدار الغربى لوحة تذكارية تسجل تاريخ بناء المعبد .

وعلى الجدار الايسر امنحتب الثانى فى حضرة الاله آمون رع ثم فى حضرة الاله حورآختى ثم فى حضرة الالهة حتحور . وفى نهاية هذه الحجرة نجد مدخلين على يمين ويسار يفضيان الى حجرتين صغيرتين كانتا فى الحقيقة جزءين من الحجرة الاولى والحجرة الثالثة ثم عزلا عنهما فى العصر القبطى .

الحجرة الثالثة : وبها صور للملك فى حضرة الالهة المختلفة .

ويلاحظ أن نقوش هذا المعبد وكتاباته بارزة .

ومعبد عمدا يعتبر من اكبر المعابد الموجودة فى النوبة كما انه اول المعابد التى شوهت فى عصر الملك اخناتون الذى كفر بالآلهة ونبذ الاله آمون ودعا الى عبادة الاله آتون اى القوة التى تحرك قرص الشمس . وهو اسمى ماوصل اليه تفكير الانسان قبل الرسالات والانبياء .

ومعبد عمدا من المعابد التى تحولت الى كنائس. ولنقوش معبد عمدا اهمية تاريخية .

نحن الآن امام قرية «عافية» وفيها عملت البعثة الهولندية . ارى سربا من البط ابيض الرءوس والرقاب اسود الجسم سابحا فى النيل فى وحدة متآلفة كما تخرج نساء الريف جمعا يتهادى . وامواج النيل قمم خضراء يتتابعن صفوفا فى راى العين واحيانا يبدو النهر الجميل المشوقق كأن صفحته حرير اخضر من (كاروهات) متحركة كبيرة فضية بريقها خاطف (كالبدرة) ولكن التى تلقيها هنا ام (العريس) .

وبعد قرية عافية قرية (قتا) ثم قرية (ابريم) ثم قرية (عنيبه) وقد أصبحت عنيبه مركز النوبة بعد الدر . وفيها مستشفى كبير ومدرسة ثانوية داخلية ومركز بوليس ويعقد بها مجلس قضائى كل اسبوع ، اذ يأتى اليها قاض من أسوان يفصل فى المشاكل العادية اذ لاتقع بالنوبة جرائم . وفى عنيبه مشروع الطلمبات ، وبها أرض مستصلحة ، وبها من

من ملحمة عمر

فتح بيت المقدس

المشهد الرابع

• بقلم : على أحمد باكثير •

فى بيت الشيخ صفرونيوس بطريق بيت المقدس وعنده رومانوس متنكرا فى زى قسيس .

رومانوس : ما بالك تنظر الى ؟

صفرونيوس : هذا الزى الذى عليك .

رومانوس : لا تخف .. لن يعرفنى فيه أحد . لقد لقينى اليوم أحد معارفى من بصرى وجها لوجه فلم يعرفنى .

صفرونيوس : أين لقيك ؟

رومانوس : عند باب المدينة وأنا داخل .

صفرونيوس : ليتك تبقى فى زيك هذا الى الأبد .

رومانوس : (يضحك) تتمنى أن أعود مسيحيا كما كنت ؟

صفرونيوس : نعم فمثلك ينبغى أن يعود الى الحظيرة .

رومانوس : وانا أتمنى لو يهديك الله كما هدانى .

صفرونيوس : (فى شىء من الغضب) رومانوس .. انظر ما تقول !

الآثار مقبرة (بنوت) حاكم الاقليم فى عصر رمسيس السادس .

والى الشمال من عنيبه توجد مقبرة اهتم بها الخبراء واوصوا بنقلها .. مقبرة لاتزال نقوشها تزهو بالوانها وان لم يبق منها غير غرفة صغيرة تلك هى مقبرة بنوت الذى نحتها فى الصخر فى عهد الملك رمسيس السادس .

وهذه المنطقة التى تضم (عنيبه) و (قصر ابريم) منطقة اثرية كان الفراعنة يرتكزون عليها فى الدفاع عن الجنوب واحجارها تحتفظ باسماء الملوك تحتمس وطهراقة . كما تحتفظ صخور منطقة معبد الليسية الذى بناه الملك تحوتمس .. الثالث بنقوش يرجع تاريخها الى عهد الدولة الحديثة .. وبين الليسيه وقصر ابريم نقوش من الاسرة الحادية عشرة .

وفى جنوب قصر ابريم كنيسة صارت الى مسجد وان ظلت تحتفظ بطابعها المعمارى ، وقد اوصى الخبراء بنقلها .

واخيرا هناك هياكل ابريم وعددها خمس لملوك مصر :

تحوتمس الثالث ورمسيس الثانى والملكة حتشبسوت وتحوتمس الثالث وامنوفيس الثانى الذى تمثله النقوش فى عزة الفراعنة يتقبل الجراية من أهالى الجنوب .

دكتورة نعمات احمد فؤاد

روماتوس : لا تغضب يا سيدى البطريق انك حين تصير مسلما تكون مسيحيا وزيادة .

صفرونيوس : لا أريد الزيادة .. أريد أن أكون مسيحيا فحسب .

روماتوس : اذن يفوتك خير كثير ..

صفرونيوس : اسمع يا روماتوس .. ان شئت ان تبقى صديقا لى فاكفف عن دعوتى الى دينك .

روماتوس : ماذا يضيرك من ذلك ؟

صفرونيوس : تجادلنى فى دينى وتقول لى مايضيرك من ذلك ؟

روماتوس : انا أجادلك بالتى هى أحسن .

صفرونيوس : لا أريد جدالا البتة .. لا بالتى هى أحسن ولا بالتى هى أسوأ .

روماتوس : تذكر يا سيدى انك انت الذى بدأت فى جدالى ..

صفرونيوس : كلا انا ما جادلتك وانما لشك على ارتدادك عن دينك ودين آبائك .

روماتوس : ان الحواريين الذين آمنوا بالسيد المسيح قد اتهمهم اليهود بالردة والضلالة كما تتهمنى الآن .

صفرونيوس : أين هذا من ذاك ؟

روماتوس : لو فتحت قلبك للحق ولم تتبع الهوى لا يقنت الا فرق بين هذا وذاك .

صفرونيوس : ان الحواريين لم يخونوا قومهم .

روماتوس : لكنهم خانوا قيصر اذ وفوا لله .. وانا كذلك ما خنت قومى وانما خنت قيصر اذ وفيت لله والله أكبر من قيصر .

صفرونيوس : انك سلمت بصرى للغزاة .

روماتوس : بل حقنت دماء أهلها اذ حملت المسلمين على مصالحتهم بعد ماانتصروا عليهم .

صفرونيوس : ما كان المسلمون لينتصروا لو لم تعنهم وتدخل فى دينهم .

روماتوس : فكيف انتصروا على ولايات دمشق وحمص وقنسرين وانطاكية وغيرها؟ هل أسلم حكام هذه الولايات كما أسلمت ؟ وهل أعانوهم كما زعمت انى أعنت ؟

صفرونيوس : اتنكر انك أعنت المسلمين ؟ الم تحفر لهم ذلك الممر السرى من الأسوار الى بيتك ؟

روماتوس : ما حفرته ليدخل منه المسلمون بل لأخرج أنا من خلاله . فقد ائتمر بى رجال الدين فى المدينة وأوعزوا للجيش فحاصروا بيتى وحبسونى فيه .

صفرونيوس : لأنك جاهرت بالاسلام ودعوتهم اليه .

روماتوس : أجل انى آمنت بهذا الدين عن اقتناع وبعد طول نظر وتفكير وظللت أكتم ايمانى حتى وقف المسلمون على أبواب بصرى فدعوت أهلها الى الاسلام حتى يكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم فنفروا وثاروا وحاصروا حيصة حمر الوحش ، فدعوتهم الى مصالحة المسلمين فأبوا كذلك فقلت اختاروا من بينكم من يحكمكم مكانى ودعونى أخرج من مدينتكم وأنضم الى المسلمين فأبوا على ذلك وحبسونى فى بيتى وتوعدونى بالقتل ، فما كان منى الا ان حفرت ذلك السرداب فتسللت منه لأنجو بحياتى ودينى .

صفرونيوس : لكن المسلمين دخلوا الى المدينة من ذلك السرداب وأنت دللتهم عليه .

روماتوس : أو تظن انهم كانوا يعجزون عن فتحها لولا السرداب ؟ لقد حضر خالد بن الوليد اذ ذاك وأوشك أن يقتحم أسوارها ، واذن لاعتبرها فتحت عنوة ولما رضى أن يصالح أهلها على الجزية .

صفرونيوس : لكن أهل بصرى ما زالوا يعتبرونك خائنا لهم .

رومانوس : بعض رجال الدين من الميكانيين فقط . أما سائر أهلها وأكثرهم من اليعاقبة فيدركون انني أنقذتهم من سوء المصير وحفظت عليهم حقوقهم وأملاكهم وأعدت الى مذهبهم ماسلبه القيصر من حريته .

صفرونيوس : (يتنهد) صدقت يا رومانوس . ان البدعة التى فرضها هرقل على الناس كانت أكبر عون لهؤلاء المسلمين اذ جعلت قلوب الناس تميل اليهم وترحب بانتصارهم .

رومانوس : اذا قضى الله أمرا هيا له الاسباب ومهد له السبيل ، وقد قضى بظهور هذه الرسالة الجديدة لتخرج الناس من الظلمات الى النور ومن العبودية الى الحرية .

صفرونيوس : عدت مرة أخرى الى التبشير بدينك .

رومانوس : كلا يا سيدى البطريق (يتلو آية القرآن) « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » . من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما ربك بظلام للعبيد .

صفرونيوس : ما هذا ؟

رومانوس : آيات من القرآن .

صفرونيوس : لماذا اذن تحاول أن تكرهني على دينك ؟

رومانوس : ان الذى حاول أن يكرهك على غير دينك انما هو هرقل . أما الاسلام فقد جاء ليضمن لك ولغيرك الحرية فيما تدينون وما تعتقدون (يتلو آن القرآن) « وقالت اليهود ليست النصارى على شىء وقالت النصارى ليست اليهود على شىء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون .

صفرونيوس : أهذا من القرآن أيضا ؟

رومانوس : نعم .

صفرونيوس : آه لو ترك هرقل الناس أحرارا فى مذاهبهم . آه لو لم يصغ الى بدعة سرجيوس .

صفرونيوس : فى امكانك انت أن تتدارك هذا الأمر اذا صالحت المسلمين على ايلياء .

رومانوس : قد علمت اننا طلبنا ان يجىء أمير المسلمين بنفسه ليعقد معنا كتاب الصلح .

صفرونيوس : لكن الاطربون غير مخلص فى طلبه هذا وأخوف ما أخافه ان يأتى أمرا يعرضكم جميعا لغضب المسلمين .

رومانوس : لسنا مسئولين عن الاطربون .

صفرونيوس : بل أنتم مسئولون عنه ما دام يتكلم باسمكم .

رومانوس : انه حاكم فلسطين من قبل هرقل فماذا نصنع ؟

صفرونيوس : انت بطريق ايلياء ولك فى قلوب أهلها مكانة ليست للأطربون .

رومانوس : أتريد منى يا رومانوس أن أخلع سلطان هرقل ؟

صفرونيوس : ان كنت تريد أن تنقذ المدينة المقدسة .

تنوع العقوبات في الشريعة

بقلم: أحمد فتحي بهنسي

شرع الله تعالى العقوبات في الجنايات التي تقع من الناس بعضهم على بعض في النفوس والأبدان والأعراض والأموال كالقتل والجراح والقذف والزنا والسرقة فأحكم سبحانه وجوه الزجر الرادعة عن هذه الجنايات غاية الاحكام .

ولا نجد كلمة نقدم بها هذا المقال اروع من كلمة قيمة **لابن قيم الجوزية** قال فيها :

« ان الله جل ثناؤه وتقدست اسماؤه لما خلق العباد وخلق الموت والحياة وجعل ما على الأرض زينة لها ليبلو عباده ويختبرهم أيهم أحسن عملا ، لم يكن في حكمته بد من تهيئة أسباب الابتلاء في أنفسهم وخارجا عنها ، فجعل في أنفسهم العقول الصحيحة والأسماع والأبصار والارادات والشهوات والقوى والطبائع والحب والبغض والميل والنفور .

ثم أكد أسباب هذا الابتلاء بأن وكل بها قرناء من الأرواح الشريرة الظالمة الخبيثة وقرناء الأرواح الخيرة العادلة الطيبة ، وجعل دواعي القلب وميوله مترددة بينهما ، فهو الى داعي الخير مرة والى داعي الشر مرة ليتم الابتلاء في دار الامتحان ، وتظهر حكمة الثواب والعقاب في دار الجزاء .

فلم يكن بد من حصول مقتضى الطباع البشرية وما قارنها من اسباب التنافس والتحاسد والانقياد لدواعي الشهوة والغضب وتعدى ماحد له والتقصير عن كثير مما تعبد به ، وسهل ذلك عليها اغترارها بموارد المعصية مع الاعراض عن مصادرها ، وايثارها ماتتعجله من يسير اللذة في دنياها على ماتتأجله من عظيم اللذة في أخراها ، ونزولها على الحاضر المشاهد، وتجافيها عن الغائب الموعود وذلك بموجب ماجبلت عليه من جهلها وظلمها فاقتضت اسماء الرب الحسنى وصفاته العليا وحكمته البالغة ونعمته السابغة ورحمته الشاملة وجوده الواسع ألا يضرب عن عباده الذكر صفحا ، وألا يتركهم سدى ولا يخليهم ودواعي أنفسهم وطبائعهم ، بل ركب في فطرهم وعقولهم معرفة الخير والشر ، والنافع والضار والألم واللذة ومعرفة أسبابها ولم يكتف بمجرد ذلك حتى عرفهم به مفصلا على السنة رسله وقطع معاذيرهم ، بأن أقام على صدقهم من الأدلة والبراهين مالا يبقى معه لهم عليه حجة « ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حي عن بينه وان الله لسميع عليم » .

وقد نص الله تعالى على قطع يد السارق ولم ينص على قطع فرج الزاني ولا لسان القاذف وذلك لان كل جريمة من هذه الجرائم تتفاوت في كبرها أو صغرها كما تتفاوت في الأثر الذي تتركه بين الناس .

لذلك حدد الله عقوبته جرائم الحدود ولو ترك تحديدها للأفراد أو للجماعات لذهبت بهم الآراء كل مذهب وتشعبت بهم الطرق كل متشعب فرتب على كل جناية مايناسبها من العقوبة ويليق بها من النكال ، وجعل تلك العقوبات كفارات لأهلها ، وطهرة تزيل عنهم المؤاخذة في الآخرة وخاصة بعد التوبة النصوح .

وقد جعل الله هذه العقوبات تدور في فلك الأصول الآتية :

أولا ـ القتل :

القتل ، القطع ، الجلد ، النفي .

وقد جعله الله عقوبة :

١ ـ لمن يعتدي على النفس وذلك حتى تكتب الحياة للآخرين قال تعالى : « ولكم في القصاص حياة يأولى الألباب » فالعقوبة من جنس العمل .

٢ ـ كما جعله عقوبة للمرتد الذي يكفر بعد اسلامه قال تعالى : « ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة واولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من بدل دينه فاقتلوه » . « لايحل دم امرىء مسلم الا باحدى ثلاث : كفر بعد ايمان ، وزنا بعد احصان ، وقتل نفس بغير نفس » .

فلا خير للمجتمع في انسان يرتد عن دينه ويمعن في ذلك فلا يستجيب الى نصيحة ولا رجاء له بالرجوع الى دينه فاستئصاله من المجتمع صلاح له اذ أن في بقائه بين أظهر العباد مفسدة لهم .

٣ ـ وجعل الموت رجما جزاء وفاقا على ارتكاب جريمة الزنا ، لأن فيه اختلاطا للأنساب وانتهاكا للأغراض فاذا كان الجاني محصنا اى سبق له زواج صحيح وارتكب الزنا وثبت عليه ذلك فانه يقتل رجما وذلك لأنه لا عذر له كالذى لم يتزوج .

٤ ـ وجعل القتل أيضا عقوبة لقاطع الطريق من المحاربين الذى يقتل المجنى عليه ويأخذ ماله أو يقتله ولو لم يأخذ ماله ، وعلى قول مالك يقتل قاطع الطريق

اذ رآه الامام مجرما اعتاد الاجرام ولو لم يقتل وذلك لاخلاله بالأمن العام وامعانه فى الفساد والافساد .

٥ ـ وجعل القتل أيضا ـ على قول بعض الفقهاء ـ عقوبة للمفسدين فى الأرض وقد استدل الجصاص لهذا الرأى بآية :

« من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا » .

ثانيا ـ القطع :

وجعل قطع اليد عقوبة :

١ ـ للسارق فكانت عقوبته أبلغ وأردع من عقوبة الجلد فكان أليق العقوبات به ابانة العضو الذى جعل وسيلة الى أذى الناس وأخذ أموالهم .

واحتاطت الشريعة فجعلت الحد الأدنى لقطع يد السارق ربع دينار ولما كانت دية اليد خمسمائة دينار أى نصف الدية الكاملة فقد دعا ذلك بعض اليهود الى الاعتراض قائلا :

يد بخمس مئين عسجد وديت
ما بالها قطعت فى ربع دينار

تناقض مالنا الا السكوت له
ونستجير بمولانا من العار

فأجابه أحد الفقهاء قائلا :

عز الأمانة أغلاها ، وأرخصها
ذل الخيانة فافهم حكمة البارى

وروى أن الامام الشافعى رضى الله عنه أجاب أيضا بقوله :

هناك مظلومة غالت بقيمتها
وههنا ظلمت هانت على البارى

كما نسب البعض هذا التساؤل الى المعرى ـ وأن شمس الدين الكردى أجابه قائلا :

قل للمعرى عار أيما عار
جهل الفتى وهو عن ثوب التقى عار

لاتقدحن زناد الشعر عن حكم
شعائر الشرع لم تقدح بأشعار

فقيمة اليد نصف الألف من ذهب
فان تعدت فلا تسوى بدينار

والشريعة عاقبت السارق بقطع يده ولم تعاقب المنتهب أو المختلس أو الخائن بذلك . وذلك

لأن السارق لايمكن الاحتراز منه فانه يأخذ الشيء خفية مستترا عن مالكه .

أما المنتهب والمختلس والخائن فانه يأخذ الشيء مجاهرة فيعلم به المجنى عليه . كما قد يعلم به العامة فيمكنهم متابعته وضبطه وتسليمه الى السلطة العامة .

ولو لم يشرع القطع لسرق الناس بعضهم بعضا وعظم الضرر واختل الأمن .

٢ ـ كما جعل القطع عقوبة لقطاع الطرق قال تعالى :

« انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا او تقطع أيديهم وارجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض » .

وقال ابن قيم الجوزية :

ولما كان ضرر المحارب أشد من ضرر السارق وعدوانه أعظم ضم الى قطع يده قطع رجله ، ليكف عن عدوانه ، وشر يده التى يبطش بها ، ورجله التى سعى بها ، وشرع أن يكون ذلك من خلاف لئلا يفوت عليه منفعة الشق بكماله ، فكف ضرره وعدوانه ، ورحمه بأن أبقى له يدا من شق ، ورجلا من شق .

ثالثا ـ الجلد :

وقد جعل الجلد عقوبة فى الجناية على الأعراض والعقول .

١ ـ فى الزنا :

قال تعالى : « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد

منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بها رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » .

فالزاني غير المحصن عقوبته الجلد مائة جلدة وعقوبة المحصن ــ كما سبق ــ الرجم .

ولم يجعل الشارع عقوبة الزاني غير المحصن الاستئصال بصفة مطلقة كما فعل في السارق أو الزاني المحصن وذلك لأنه لم يعلم ماعلمه المحصن ولا عمل ماعمله ، فكان له من العذر ماأوجب له التخفيف فحقن دمه وزجره بايقاع الألم على جميع بدنه ردعا له عن المعاودة للاستمتاع بالحرام .

كما لم تجعل عقوبة الزاني استئصال فرجه لأن في ذلك تعطيلا للنسل ولأنه غير متصور في حق المرأة .

٢ ــ في القذف :

قال تعالى : والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة .

وقد ذكر الفقهاء ان القاذف يضرب وعليه ثيابه . وحدث أبو حنيفة عن حماد عن ابراهيم انه قال : اما الزاني فتخلع عنه ثيابه ويضرب في ازار ، وتلا « ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله » قال : وكذلك الشارب يضرب في ازار .

٣ ــ في شرب الخمر :

لما كانت الجناية على العقول بالسكر لا تتعدى مفسدتها السكران غالبا وكانت عقوبتها غير مقدرة من ناحية الشارع ، بل ضرب فيها بالأيدي والنعال وأطراف الثياب والجريد ، وضرب فيها أربعين واستخف الناس بأمرها غلظ الخليفة عمر بن الخطاب العقوبة فجعلها ثمانين بالسوط ، ونفى فيها وحلق الرأس .

رابعا ــ النفي :

التغريب أو النفي هو ابعاد المحكوم عليه الى مسافة تقصر فيها الصلاة لأن مادون ذلك في حكم الموضع الذي نفي منه فان انقضت مدة النفي فهو بالخيار بين الاقامة وبين العودة الى بلده . وقد جعل النفي ملحقا بالعقوبات في الحدود الآتية :

١ ــ نفي الزاني :

قال الرسول عليه الصلاة والسلام : « خذوا عني، خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا . البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم » ، ومع ذلك فقد منع أبو حنيفة تغريب الزاني اقتصارا على جلده واحتجوا بقوله تعالى « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » .

٢ ــ نفي قاطع الطريق :

قال تعالى في حق قطاع الطريق : « أو ينفوا من الأرض » .

وقد اختلف أهل التفسير على أقوال مختلفة في تفسير معنى كلمة النفي الذي ورد في هذه الآية والراجح أنه الابعاد وهو قول ابن عباس والشافعي .

تلك هي العقوبات التي نص عليها لمعاقبة مرتكبي جرائم الحدود وهي الجرائم التي تقع من الأفراد وتخل بنظام المجتمع ويتدخل ولي الأمر لعقاب مرتكبيها . وكمبدأ عام لايجوز فيها عفو ولا تقبل فيها شفاعة ولها عقوبة محددة في الشرع . وقد اقتضت الحكمة الالهية أن تتم عقوبة الجناة والمفسدين بمؤلم يردعهم نكالا وعظة لمن يريد أن يفعل مثل فعلهم .

وكما قال ابن قيم الجوزية بحق :

انه من المعلوم ببداهة العقول أن التسوية في العقوبات مع تفاوت الجرائم غير مستحسن ، بل مناف للحكمة والمصلحة ، فانه ان ساوى بينها في أدنى العقوبات لم تحصل مصلحة الزجر ، وان ساوى بينها في أعظمها كان خلاف الرحمة والحكمة، اذ لا يليق أن يقتل بالنظرة والقبلة ويقطع بسرقة الحبة والدينار . وكذلك التفاوت بين العقوبات مع استواء الجرائم قبيح في النظر والعقول . وكلاهما تأباه حكمة الرب تعالى وعدله واحسانه الى خلقه ، فأوقع العقوبة تارة باتلاف النفس اذا انتهت الجناية في عظمها الى غاية القبح كالجناية على النفس أو الدين أو الجناية التي ضررها عام ، فالمفسدة التي في هذه العقوبة ، والمصلحة الحاصلة بها أضعاف تلك المفسدة .

عازف الخراب

للشاعر محمود حسن اسماعيل

بالله ، ياتراب
يا عازف الخراب

يا مشجي السكون
بفجة المنون

يا ساقي الفضاء
تأوه الفناء

يا سارق الضياء
من مهجة الرجاء

يا خاطف الرحيق
من دربه الوريق

يا منهى الطريق
بفورك السحيق

يا كاذب الدروب
يا ساكب الغروب

يا خابئ الجراح
في بسمة الصباح

يا أبكم النداء
من شفة القضاء

يا حادى الوجود
بمزهر اللحود

يا قاتل الصفاء
بنشوة اللقاء

يا بين جنتين
وخلف طائرين

وهمس عاشقين
وكاس شاربين

تمرق كالظنون
ورجفة الجنون

ترش في الأعراس
خمرا بغير كاس

وتغرق المصير
في لجها النضير

وتخبأ السلاح
في عطرها الفواح

وتختفي في العود
كالنغم المردود

فتذهل الفناء
بسكرة الخفاء

وتخدع الرياح
بالصوت ، والجناح

لتعصر النسيم
من صدرها اللطيم

وتلسع القلوب
بسمها المسكوب

وتلطم الوجوه
بموجها المشدوه

وفجاة .. تلوح
كعاصف ذبيح

زئيره سكون
وصمته عيون

وخطوه وقوف
وسره كهوف

تشخر بالزوال
في مدفن الخيال

وطيفه دمار
ملثم الحصار

يربض في الشفاه
وفي شفا الحياه

وفي جبين الساجد
وهمهمات العابد

وفي يقين المؤمن
وفي رحيق المدمن

وفي عذاب الضارع
وفي ضباب الخادع

وخلف كل سار
في غفلة المدار

وفي شهيق تائب
وفي نقيق كاذب

جـلاد كل شي
حصاد كل حي !!

بالله يا تـراب
أما لـديك باب ؟

يخفيك عن عيوني
وعن مـدى ظنوني

يا خـادع الأنام
بوجهـك المضام

وانت في النهايه
مبـدد الحـكايه

تقعي على الجبين
بذلك المهين !!

بالله يا تـراب
لا ترفع الحجاب

وانفض عن عيوني
بوجهـك الخؤون

فلم تزل حيـاتي
تريد كـل آت

لأمـلأ الكؤوسا
وأمـلأ النفوسا

واهتك الستارا
عن كل ما تـوارى

وأغرف العبـيرا
لأسقي الصـدورا

ما زلت في صدايا
انبش في حشـايا

وأرتمي في ذاتي
أبحث عن حيـاتي

أستل من دجـاها
ومن جوى ضحاها

ما يرفع اللثـاما
ويفض الظـلاما

ضوءا لكل سـار
الا خطـا غبـاري

محمود حسن اسماعيل

سيأتي غداً

للشاعرة : عزيزة كاتو

تقول بانك يومـا سـتأتي .. تقـول غدا
وتنسى بأن المسـاء يمـد الى اليـدا
ويلقي بجذوة قلبي الصغير .. لعمق الردى ..

***

وأن الصباح بعيد .. بعيد .. بلا مبتدا ..
تموت الحكايا الى أن يعود .. ويفنى الصـدا
جموع العصافير ضلت بسفحي .. وجف الندى ..

***

وضاعت بدربي ألوف النجوم .. فلن تصعدا ..
ويعبر قلبي اليك التخوم .. ويطوى المدى ..
ويسـعى اليك .. وترفض أن يرتجي موعـدا

***

فاخشى عليه ضياع السنين .. واحيا سـدى
وأبعث دومـا ندائي اليـك .. وحار الندا ..
اخاف عليك مرور الليـالي .. واخشى العـدا

***

وانت الضياء يحيط بعمري .. وانت الهـدى ..
ولولاك عمري لم يك شـيئا .. ولن أوجـدا ..
صباحي غدا ياحبيبي .. فهل انت حقا ستأتي غدا ؟

مع أبي قاسم الشابي

بقلم: مظلوم خضر

● ان معانى الحب وجمال الطبيعة عندما تداعب مشاعر الانسان تذكره بشاعر الحب والجمال « أبى القاسم الشابى » الذى نشأ فى بلدة « الشابية احدى بلاد « شط الجريد » الجميلة فى تونس ، تلك المنطقة التى حبتها الطبيعة بمناظر خلابة غاية فى الحسن وآية فى الجمال مما كان له أجمل الأثر فى خيال الشاعر الرومانتيكى الرقيق ... تنقل الشاعر فى رحاب تونس الخضراء ، ونهل من معارف جامعة الزيتونة العريقة ، وامتزجت مشاعره بمختلف الآداب والفنون ، وبخاصة « الأدب المهجرى والرومانسى » الذى انعكست صورته على أدب الشابى وفلسفته فى الحياة ، وتابع دراسته حتى حصل على شهادة الحقوق فى عام ١٩٣٠ ...

***

كانت حياة الشابى ـ التى تتجاوز الخمسة والعشرين ربيعا ـ صورة صادقة لأنواع الحرمان ، مليئة بالأشجان .. اذ قست عليه الحياة وهو لم يزل بعد غضا نضيرا .. فتوفى والده وأثقلت كاهله مسئولية الحياة من بعده وداهمه المرض وهو فى زهرة العمر وريعان الصبا ، فقد بعد ذلك صورة أحلامه ورفيقة شبابه « محبوبته » التى بثها أشجانه وآماله .

فكان لتلك العوامل مجتمعة أثرها القاسى فى حياة شاعرنا ، وترجمت حياته الى الحان خالدة ، وأغان عذبة ، وجداول لا ينضب معينها من الحب والجمال والعاطفة ... والتشاؤم والرومانتيكية المتأصلة فى مشاعره ، وهذا نلمسه فى تلك الصوره المعبرة من الحانه :

١ ـ لقد ناجى الطبيعة وتغنى بجمالها واتخذها سلوته وأنيسه ينتزع منها صورا جميلة تفيض بالمشاعر الرقيقة العذبة الحلوة النضرة ، مبتهجا سعيدا يغرد مع البلابل ويناجى الفجر والضياء : ـ

ليت لى ان اعيش فى هذه الدنيا
سعيدا بوحدتى وانفرادى

أصرف العمر فى الجبال وفى الغابات
بين الصنوبر المياد

واغنى مع البلابل فى الغاب
وأصغى الى خرير الوادى

واناجى النجوم والفجر والأطيار
والنهر والضياء الهادى

بل لقد ذهب الشابى فى حبه للطبيعة الى حد انه شيد لنفسه فيها مسرحا كبيرا تتغنى فيه العيون بأعذب الألحان ، وتداعب الطبيعة الأغصان فتتراقص كالصبايا امام ناظريه :

اى دنيا مسحورة اى رؤيا
طالعتنى فى ضوء هذى العيون

زمر من ملائك الملأ الأعلى
يغنون فى حنو حنون

وصبايا رواقص يتراشقن
بزهر التفاح والياسمين

فى فضاء مورد حالم ساه
أطافت به عذارى الفنون

***

٢ ـ بلغ الشابى قمة ألحانه عندما صور لنا مشاعره الحانية من حب صادق وعاطف حارة ، فتغنى بحبه العذرى البرىء ، وأيامه الحلوة التى عاشها فى سعادة مع رفيقة صباه .. ثم لم تلبث هذه السعادة أن بددها لحن الموت الحزين : ـ

كنـــا كزوجي طـــائر في دوحة الحب الأمين
نتلو أناشيد المنى بين الخمائل والغصـــــون
متفردين مـع البلابل في الســهول وفي الحزون
ملأ الهوى كاس الحيـــاة لنـــا وشعشعها المنون
فاراق خمـر الحب في وادي الكـــآبة والأنـين
وشـــدا بلحن الموت في الأفق الحزين المستكين
ثم اختفى خلف الغيـوم كأنـــه الطيف الحزين

***

٣ ـ كان الشابي كأي بشر انســـان تتنازعه عوامل الحياة المتباينة من أمل وألم ، ومن تفـــاؤل وتشاؤم ، الا أنه كان مرهف الحس رقيق المشـــاعر اذا أحب بنى لحبه معبدا رومانسيا حالما أنيقا ... تتعانق فيه الأغصان ، وتشدو فيه البلابل بالحانها العذبة ـ كتلك الصورة السابقة ، واذا ما عصـــف بحبه الموت وأرخت عليـــه الأحزان ســـتائرها « القاتمة » السوداء تجده متشائما حزينا يائسا من الحياة كلها ،، يبدد « بزفراته الملتهبة » نسيم الحياة ويتجرع كأس المنون مترعا :.

ياموت .. ماذا تبتغي مني وقد مزقت صـــدري
ماذا تود !! وأنت قد ســـودت بالأحزان فكري

ان كنت تطلبني فهـــات الكاس أشربهـــا بصبر
أو كنت ترقبني فهـات السهم أرشـقه بنحري

خذني اليك !!! فقد تبخر في فضاء الهم عمري
خذني اليك !!! فقد ظمئت لكاسك الكدر الأمر

● وبعد !! فهل كان « الشابي » متشائما حزينا يرفض الحياة بعنف الى هـــذا المدى !! وهو الذي تغنى كأعمق ما يكون الغناء .

ان الاجابة على هذا .... تتجلى بوضـــوح في حبه للحياة وايمانه بها وفي ارادته الجبـــارة القوية التي تأبى الاستسلام لعوامل الحياة القاســـية .. تلك الارادة النـــافذة التي تلمســـها في تحـــديه للعواصف والظلال « القاتمة » والأنواء التي صادفته في حياته :

ســـاعيش رغم الـداء والأعـداء
كالنسر فوق القمـة الشـــماء

ارنو الى الشـمس المضـــيئة هازئا
بالســـحب والأمطـــار والأنواء

لا ارمق الظـــل الـــكئيب ولا ارى
ما في قـــرار الهوة الســـوداء

واسير في دنيـــا المشـــاعر حالما
غردا وتلك ســـعادة الشـــعراء

اصـغي لموسـيقى الحياة ووحيها
واذيب روح الـكون في انشـــائي

وهكذا سيبقى هذا الشاعر صديقا للحياة ولحنا تتغنى به البشرية .



عالم النظائر

تأليف: ف. بيزنتسوف
عرض: رءوف زكي

على مشارف فترة جديدة فى حياة البشر :

لقد تعرف العلماء لأول مرة على الطاقة النووية فى بداية القرن ، حيث اكتشفت مواد خاصة مشعة• وظلت تلك الاكتشافات فى حدود المعمل الى أن امكن كبح جماح تلك الطاقة وادخالها فى الحياةالعملية ولا يرجع اكتشاف وسائل الحصول على الطاقة الذرية الى عالم معين أو علماء بلد معين • وقد أصبحت الطاقة الذرية وسيلة لتوليد الطاقة بعد أن امكن تحويلها الى طاقة حرارية أو طاقة كهربية • وهناك تطبيقات أخرى لتلك الطاقة ، فان المواد المشعة أو بتعبير أكثر شيوعا ، النظائر المشعة قد بدأت تدخل فى تطبيقات واسعة فى الصناعة والزراعة والطب والبحث العلمى عموما • وتفتح تلك العناصر المشعة امكانيات كبار لتتبع الجزيئات غير المرئية من المادة ، ولرؤية الذرات المفردة فى العناصر الكيميائية • وقد أصبحت الهندسية الذرية فرعا هاما من فروع الصناعة الحديثة •

مصانع النظائر المشعة

يمكن بالتصوير الاشعاعى التفريق بين ذرة الزئبق وذرة الذهب وغيرها • فعند تحلل المواد المشعة تصدر نواة الذرة ثلاثة أنواع أساسية من الاشعة : أشعة الفا وهى تحمل شحنة كهربية ايجابية ، وأشعة بيتا وهى تحمل الكترونات ذات شحنة كهربية سالبة • وأشعة جاما وهى تشبه لحد كبير الأشعة السينية (×) • وعليه فان أشعتى الفا وبيتا اذا خرجتا من نواة تتحولان الى نواة عنصر آخر ، وهكذا يتحول هذا العنصر • وقد أمكن احداث هذا التحول صناعيا • وهذا ما قام به عالما الطبيعة الفرنسيان ايرين وفردريك جليو كورى ، عندما حصلا على ذرات مشعة (نظائر) من عناصر ساكنة كالنيتروجين والفوسفور • ومنذ ذلك الحين أمكن للعلماء ايجاد تلك «التوائم الكيماوية» أو «النظائر»•

انك تجد على بعد أميال قليلة من موسكو المحطة السوفيتية لتوليد الطاقة • وهى مؤسسة من ثلاثة طوابق كما لو كانت مدرسة ، فيما عدا وجود مدخنة لا يخرج منها دخان • ويخيل اليك أنها لا تعمل ، ولكن الحقيقة انها تعمل وانها تنتج الكهرباء • وتتكون المحطة من ثلاثة مبان أساسية • ويشمل البناء الاول المفاعل وغرفة المراقبة محاطا بحاجز من الجرانيت حيث يوجد المحول الحرارى والطلمبات والمعدات المتصلة بالبحث العلمى • والبناء الثانى تتم فيه عملية التوليد الكهربى بوساطة توربين • وفى المبنى الثالث نظام للتهوية يحافظ على الحجرات من الاشعاعات الضارة والغازات المولدة من المفاعل • وهكذا يلعب المفاعل النووى دور غلاية البخار فى محطات التوليد التقليدية • ولكن بدلا من الماء هنالك المعدن الثقيل الفضى وهو اليورانيوم •

ونظرا لخطورة الاشعاعات الذرية على الكائن البشرى توضع كمية ضخمة من التحصينات فيحاط المفاعل باسطوانة من الخرسانة المسلحة وأنواع معينة من الصلب والرصاص والماء ••• الخ • تلك التى تمنع الاشعاعات من التسرب • هذا بالاضافة الى حائط خارجى مغلق من الصلب ، محاط بشريحة من الماء عرضها متر • ثم حائط من الخرسانة عرضه ثلاثة امتار ، وغطاء كثيف من أعلى من الصلب والحديد الزهر •

وتنتج عادة مواد مشعة صناعيا خلال عملية التفاعل حيث توضع مواد كيمائية خاملة على أبعاد مختلفة من التفاعل • وهكذا تخضع تلك المواد للتفجيرات العنيفة من «نيوترونات المتطايرة ، فتتحول الى مواد مشعة ، ويتحول الكوبلت الى كوبلت مشع ، والنيتروجين الى كربون مشع ،

والكلورين الى نظير مشع من الكبريت ... الخ . وهكذا يمكن الحصول على مواد مشعة كثيرة فى جدول منديليف .

العين المشعة ..

تفتح الذرة المشعة آفاقا شاسعة فى ادارة اوتومية لعملية الانتاج . وقد سبق أن استعملت الاشعة السينية فى الكشف عن تركيب المعادن ، ولكنها لا تصلح فى الاحجام الكثيفة ، فهى لا تمر الا خلال ثلاثة سنتيمترات من المعدن ، بينما النظائر من الكوبلت المشع (٦٠) يمكن أن «ترى» خلال مايزيد على ثلاثين سنتيمترا .

وتعمل هذه الطريقة بوضع الجزء المختبر من المعدن بين مصدر الاشعاع وفيلم مصور حيث يكشف عن الشروخ أو الفجوات داخل المعدن ، وعن أى تغير فى سمكه حتى ولو كان بسيطا جدا . وهى طريقة سريعة تصلح فى الصناعة مباشرة . لهذا فهى تطبق فى الاتحاد السوفيتى فى قياس صلاحية الكبارى والسفن وانابيب البترول وغيرها . والاشعاعات تقيس أيضا السوائل مهما كانت حتى الصلب المنصهر . فعندما يتوقف الجهاز فجأة يعرف مباشرة أن السائل المنصهر قد اقفل طريق الاشعة الآتية من مصدر الاشعاع . ان استعمال القياس الاشعاعى له ميزات كثيرة ، فهو الى جانب السرعة التى يمكن أن يعمل بها فانه يعطى قياسا يعمل فى دقته على بيان الفرق فى الابعاد حتى واحد على المليون من المتر . هذا وتستعمل الطاقة الذرية فى منع الحوادث . ومثال ذلك مطبعة كبيرة عالية السرعة جدا تعمل فى حركات تقع فى أقل من الثانية حيث تدفع ورقة بيضاء وتؤخذ الاخرى المطبوعة . تصور أن عاملا وضع يده فى المنطقة الخطرة حيث تسقط المطبعة الثقيلة . انك ستتوقع حادثا بلا شك ... لا ... ان الجهاز كله يقف بوساطة المادة المشعة .

وهناك تطبيقات متعددة أخرى للنظائر المشعة . مثل قياس المناطق المستهلكة فى بطانة فرن ، وهذا القياس يتم دون وقف العمل بالفرن فى الوقت الذى يستطيع فيه جهاز الاشعاع أن يقف فى الوقت المناسب العمل فى الفرن .

وينتج الاتحاد السوفيتى كميات متزايدة سنويا من زيت البترول والكيروسين والسوائل الاخرى التى تمر خلال الانابيب الى مسافات بعيدة . وهنا تطلق أشعة جاما عند بداية الانابيب وتتلقى عند آخرها حيث تعطى الاشارة بوجود أى خلل فى الطريق .

ومن الاستعمالات المثيرة للنظائر المشعة قياس مساحة الاشكال ، حيث تحدد فى ثوان مساحة أدق الاشكال . اذ يوضع نموذج من الورق للشكل المطلوب قياسه على شبكة بين مصدر أشعة الفا من ناحية وحجرة قياس كثافة الاشعاع ، وتتصل الحجرة بابرة تحدد مساحة الشكل وما دام لا يوجد شىء بين الأشعة وتلك الحجرة ، فان الابرة تظل عند الصفر .

النظائر المشعة والابحاث الجيولوجية

اصبح هناك تطبيق هام جدا للنظائر المشعة فى مستودعات البترول . ويتم الكشف عن البترول بالطريقة التالية : يدلى الى البئر مصور لنيترونات سريعة وآلة قياس اشعة جاما . فتمر النيوترونات خلال الصخور المحيطة حيث تبطىء من سرعتها ذرات الصخور ، وهناك تنتج اشعة جاما . وهنا يمكن تحديد نوع الصخور من سرعة انطلاق الاشعة . وقد وجد أن الصخور التى تحتوى على زيت البترول تبطىء انطلاق النيوترونات . وهذه الطريقة تستعمل أيضا فى قياس الطبقة الصخرية بين الماء والزيت ، وهى تحدد أيضا مناطق وعرض طبقة الفحم . وقد وفرت تلك الطريقة نصف الوقت فى الابحاث القديمة .

الذرة المقتفية فى الصناعة

امكن بوساطة الذرة المقتفية أخذ صورة واضحة عن وضع ذرات عنصر معين داخل سبيكة ما . فتوضع ذرات من نظائر العنصر المطلوب معرفة وضعه فى السبيكة ، ثم تظهر على ورقة التصوير المعلومات المطلوبة . وهذه الطريقة وحدها مكنت من معرفة تركيب المعادن والسبائك ، ونسبة المواد الشائبة فيها . بل مكنت أيضا من قياس هذا فى داخل الفرن اثناء صهر تلك المعادن .

حكاية إنسان

للشاعر : فتوح أحمد

السواقي دموعها رقراقه ، كيف لم تطفىء الدموع احتراقه ؟!
وانين القادوت خفقة ناى ، كيف يا ليل حركت اعماقه
كيف جالت فى صدره وتمطت لعنة اطلقت من القيد ساقه ؟
فانثنى .. صدره العريض الى الارض ، وغنى..فرددت اشواقه!
كان « عواد » زينة الحي : لينا ، وجبينا منورا .. وطلاقه
وادعا كالأسي .. ابيا كارض ، لونت من ظلالها احداقه
فى صفاء « البرسيم » خضرة عينيه ، ومن فوقها بهدبيه باقه
وعلى صدره بيادر قمح ، لم تر النور — عمرها — غير طاقه
هى دنياه .. شيخة تعبد الله ، تؤدى فروضه سباقه
يسمع الناس صوتها كل حين ، ودموع من الاسى رقراقه
« يا الهى .. حنن عليه لأجلى ! لم تعد للكفاح — يارب طاقه
هبه بنت الحلال .. هبه صبيا يملأ البيت ، هبه دفء الصداقه
واكفنا نظرة « الحسود » .. دعاء كان يلقى على الدجى اشراقه !
عاش ما عاش قبلة فى فم الحى .. شباب ورقة واناقه
فاحبوه ، ابصروا فيه شيئا ، كم سبا ليلهم .. وياكم شاقه
ابصروا فيه كل شوق التراب الغض للحب .. للرؤى البراقه
ابصروا فيه كل شيء .. فهاموا ، بابن كل المحاجر المشتاقه
فاذا لاح هومت دعوات ، واشارت يد ، ورفت صداقه
واذا مامضي تحركت الاعين من خلفه ، تريد عناقه
والصبايا .. ياكم احبت صبايا ، خلف ليل الشباك او خلف طاقه !
كم احبت « عواد » وهو يفدى ، ليس الا الثرى ، والا انتلاقه
كان شيئا من رغبة الريف فى المجهول .. شيئا من ارضنا الخلاقه
وصحا الناس ذات عام .. فجنوا ، اى جوع يا ارض .. اية فاقه ؟!

كيف هنا عليك فاستاسد « الدود » على دربنـــا .. وكيف اطاقه !
ذاك العود بعد عام من الدمع ، حرام أن يهصر « الدود » ســاقه
كف « عواد » هدهدته .. حـــرام ان تلذ « الديدان » ، يوما مذاقه
كان « عواد » بين نارين : عار ومرار كلاهمـــا .. واحـــتراقه
كان يشجيه ان يعيش جمادا ، لا انفعال .. لاثورة .. لا حماقه !
كان ينهـــار حين يبصر سوطا ، فوق ضـــلع من الأسي خفاقه
واذا طاف بالحقـــول مشــت فى زوايا جبينــه .. اطــراقه
وتنوح الاحزان فى صــــدره العريان .. « تلك الخمـــائل البراقه
سوف يشتف نورها « الدود » .. يوما سيروى من نورها احداقه
كان فى نفســه اشتياق الى شيء .. ليـــالى الاسي تثير اشتياقه
رغبة..ان يرى..ويصنع شيئا .. اى شيء..ما عاد للصبر طاقه
عقد العزم .. ثم فى ذات يوم ، شـــهدت ثورة الصباح انطلاقة !
مات « عواد » .. هكذا تعبد الارض .. ضفافا ، وخضرة ، واناقه
قتلوه من اجل ان يخـــلد الليل ، اذابوا على الثرى اشـــواقه
يذكر النـــاس انه ظل دهرا ، جيفة ترهب الدجى وانطبــــاقه
جيفة بالعراء .. لو كان كف من تراب .. لو عشـــبة فى باقه !
« الاله الصـــغير » حرم حتى ان ترى وطأة الـــثرى واختنـــاقه
حرموها من كل شيء .. وكانت كل شيء فى ارضـــنا الخلاقه
ان رماك الحنين فامرر على « اتحى » .. وشاقه ياصاحبى آفاقه
وتخشـــع امام قبر صـــغير ، عقد العشـــب والتراب نطاقه
وانحنت « ســدرة » عليه ، والقى كل غصـــن من فوقه اوراقه
فاذا جئتــه .. بربك ارســل دمعة للتراب .. حاول عنـــاقه
وتشمم هنـــاك رائحة الثار ، فللثـــار فى التراب انبثـــاقه
واذا ما رايت شـــبه بقـــايا من دماء .. فوق الجـــدار مراقه
فترفق .. فخلفهـــا بعض حر ، لم تر النـــور عينه غـــير طاقه
« شيخة » طول عمـــرها تعبد الله .. تؤدى فروضـــه سباقه
يسمع الناس صـــوتها كل حين ، ودموع من الأسي .. رقراقه
هبـــه بنت الحلال .. هبه صبيا يملأ البيت ، هبـــه دفء الصداقه
واكفنا نظرة الحسود .. دعاء نحو باب السماء ضـــل انطلاقه
قتلوه .. من اجل ان يخلد الليل .. اذابوا على الثرى اشـــواقه
جيفة بالعـــراء .. لو كان كف من تراب .. لو عشـــبة فى باقه !
حرموها من كل شيء .. وكانت كل شيء فى ارضنـــا الخـــلاقه

ملابس العيد

بقلم عوض الشنى

دفع البـاب العتيق دفعـــة تنم عن كره له ثم رده فى ضيق فاحدث صوتا ازعج زوجه المضجعة على سرير فى فناء الدار المظلم ٠

وكان **مصطفى** انذاك ما زال يتفوه ببقايا كلام بدأ أوله فى الشارع ٠٠ واستمر يقول ما يقول من عبارات غير ذات معنى موزون وهو يقترب من مكان زوجه فى خطوات تبين انه لا يملك زمام نفسه ٠٠ وانحنى عليها يتمم الكلام ٠

ـ وهل هـــذه دار لسكنى بشر ٠٠ ظلام دامس وغبار ورائحة حوائط نتنة ٠٠

كانت زوجه تعلم ان طبعه يصير هكذا عندما يكون فى حالة سكر ، فهو فى حالات سكره يصير فيلسوفا متناقض الأفكار ٠٠ ينقد الحياة ويتغنى بجمالهـــا يضحك لزوجه أو يغضب عليها ٠ فلم تبد اهتماما لما قال ولم تتحرك من رقدتهـــا ٠ فقال بينما كان يعاود الانحناء عليها ٠

ـ ما هى ملابس العيــد ٠ ليفرح أبنائى بها وماذا فى هذه الدنيا غير الفرح ؟؟

ثم سكت برهة وعاد يقول ٠

ـ ولكن تحدثى الى ٠٠٠ هل من سبب يوجب أن تنجبى لنا ستة ؟

***

ولم تؤثر الكلمات الأخيرة فى هدوئها فاستقام مصطفى فى وقفته وسار الى سريره الذى يتوســط أسرة **أبنائه الخمســـة** وتهالك عليه وكان يحتفظ بملابس أبنائه تحت ابطه ٠ قال وهو يبحث عن علبة كبريت ليشعل سيجارة إبتاعهـا من البقال القريب أثناء عودته

ـ آه منكن يا نســاء ٠٠ أنكن لا تجلبن للدنيـا سوى المتاعب للرجال ٠

وحتى هذا الكلام لم يثر فى الزوجة شـــعورا بالغضب أو الاستياء ٠٠ ولكنها نهضت من رقدتهـا بعدما سمعت زوجها يقول بلسان معوج متهكما ٠

ـ نريد هذا ٠٠ نريد ذاك ٠٠ ملابس لزيد ٠٠ حذاء لعمر ٠٠ دهان شعر لهذه وتلك ٠٠ كل أيامنا هكذا ٠٠ لا راحة البتة ٠٠ لا ترفيه عن النفس ٠٠ لا ٠٠

وقاطعته فى هدوء قائلة :

ـ الا يكفى ما بنا لتزيدنا بغضا لحياتنا ؟

انفعل لعباراتها فقال فى هدوء :

ـ معك الحق فى قولك ٠٠ فهذه ليست حياة ، التى نعيشها ، كلها عذاب لأنفسنا نحن الذين نعمل لنأت بما نسد به أفواه أبنائنا ٠٠ حياة/مظلمة بلا رفاهيــة ٠٠ وحتى الترفيـــه الذى نعرفه ونملك الوسيلة اليه تعقبه متاعب جمة ٠

وتنبه الى انه لم يشعل ســـيجارته بعد ٠٠ فاستعاد البحث عن علبة الكبريت ٠٠ ولما لم يعثر عليها سال زوجه :

ـ هل لديك علبة ثقاب اشعل سيجارتى ؟

فقالت بصوتها الهادىء :

ـ الا تخجل لنفسك ٠٠ هل تاتيك رغبة للسكر أو التدخين وابناؤك على وشك أن يسـتقبلوا العيد وهم حفاة ؟

واســـتفزته الكلمات والحقيقة فالقى فى غيظ بالملابس التى كان يحتفظ بها تحت ابطه على مقعد صغير كان بين سريره وسرير زوجه وقال :

ـ وما هذه ؟ ٠٠ اليست هى للعيد ايتها الثرثارة ٠٠ حقــا ما قيل من انكن لا تحملن من العقل الا القدر القليل ٠

***

وادركت ان مجاراته فى الحديث والمناقشـــة ستقودها الى فقد هدوئها ، وقد تجلب لها متاعب أخرى

كثيرة أقلها أن يستمر في الكلام فلا تجد من يسكته لتنام حتى تريح جسدها من عناء خدمة اليوم من طبخ وغسل وخدمة بيتهـــا وابنائها ٠٠ ولزمت الصمت وعادت تحتضن وليدها ٠

ولما اعيــاه الكلام دون أن يجد ردا منهــا عاد يسألها :

ـ الا تعلمين حقا اين أجد علبة الكبريت ؟

عندئذ ردت عليه بفتور :

ـ تجدها على منضدة الاوانى ٠

ـ أى منضدة ؟

ـ كم منضدة للأوانى داخل الحجرة ؟

وقام مصــطفى فشـــعر بدوار عظيم كاد يفقده توازنه ويقع أرضا ولكنه اعتمد على حائط قريب من مكانه فاتكا عليه واراد أن يتحرك يتابع سيره الى الداخل غير انه ادرك اســتحالة ذلك وهو على حاله تلك ، فجلس على سريره من جديد وقال لزوجه فى لهجة حسنة :

ـ تفضلى باحضارهــــا ارجوك اذ يبدو انني لن استطيع ذلك ٠

فنهضت الزوجة متكاسلة واختفت داخل الحجرة المظلمة ثم عادت بعد حين لتمد له يدها بعلبة الثقاب وتذهب لترقد على سريرها موليا‌ه ظهرها ٠

واستلقى مصطفى هو الآخر على قفاه وسكت عن الكلام ٠٠ لا حـركة فى الدار الا الحـركة التى كان يحدثها بمحاولته اخراج عود الثقاب من علبته ٠٠ وليس فى الدار ضوء الا ضوء عود الثقـاب الذى أشعله وأبقاه مشتعلا فترة قصـــيرة بعد أن قضى حاجته به ثم القاه على الأرض ٠

وفجأة أضـــاء المكان نور ظن مصطفى فى بادىء الأمر ان زوجه أوقدت النــار فى الفحم كما تفعل كثيرا ولكنه سمعها تصيح منزعجة :

ـ النار ٠٠ ملابس الأولاد ٠٠ النار يامصطفى ٠

وحينما أدار رأسه اليها كانت النار تملكت ملابس أطفاله تلتهمها فى غير رحمة وكان مافيها قماش من النايلون ساعد على سرعة الاشتعال ٠

***

جلس مصطفى على سريره وأخذ يرقب زوجـه وهى تحاول جاهدة أن تخلص بعض ملابس أطفالها من قبضة النار ولكنهـــا فشلت تماما فاستسلمت للواقع ووقفت تنظر اليهـــا فى حسرة بالغة والنار تأتى على ما بقى منها ٠ أما مصــطفى فلم يدر ماذا يفعل أو ماذا يقول الا أن يتساءل أخيرا فى حيرة :

ـ ما معنى كل هذا ؟

هذه الآفاق الضيقة

بقلم محمد عبد الله السمان

قدر لى فى ظهر الجمعة الماضى أن استمع الى خطيب الجمعة زهاء ساعة من الزمن ، ولم أكن أتوقع أن تزيد الخطبة على دقائق معدودة ، فقد شاهدت الخطيب شيخا تخطى الحلقة السادسة من عمره ، فاحسنت الظن بشيخوخته ، وقلت لنفسى : لعل سن الشيخ لا تمكنه من قدرة الشباب على الاطالة ، فيلتزم فى منهجه الحكمة القائلة : « خير الكلام ما قل ودل » أو يأخذ بحكمة الرسول القائلة : « ان من فقه الرجل قصر الخطبة وطول الصلاة » وها هو ذا يرى بعينى رأسه أن نصف المصلين أو أكثر خارج المسجد ، يفترش كل منهم احدى الصحف اليومية التى يؤجرها الباعة فى مثل هذه الساعة من كل أسبوع لقاء نصف قرش للواحدة ، وأن هؤلاء المصلين على قارعة الطريق يصطلون بحر الشمس ، ويوشكون أن يشلوا حركة المرور فى الشارع .

ألمح الخطيب فى تمهيده لخطبته الى ذكرى مولد الرسول ، هذه الذكرى التى يجب ألا تشغلنا الأحداث مهما كانت عن تحيتها التحية اللائقة بمكانة الرسول ، وقلت : حسنا أجاد الخطيب اختيار الموضوع ، ولعل الله يوفقه الى تناول جانب واحد من جوانب عظمة الرسول فى مجال الأخلاق والتربية والتوجيه ، فما أحوج المسلمين اليوم الى أن يتأسوا بسيرته ، وأن يكون لهم فى هديه أسوة حسنة ، وما أغنى الرسول نفسه عن أن تكون حفاوة المسلمين بذكرى مولده غلوا فى شخصه بألوان من التقديس وهم حرب على مبادئه ومثله ، وافراطا فى فرحه وهم أشد ما يكونون تفريطا فى الاقتداء بأخلاقه وشمائله .

ولكن خطيبنا ــ سامحه الله وغفر له ــ لم يطرق الجانب الخلقى فى شخصية الرسول ، ولا الجانب الانسانى فى حياته ، بل جعل كل همه أن يحصر عظمته فى الآيات الخارقة التى قيل افتراء أنها اكتنفت حياته ــ صلوات الله عليه ــ منذ أن تزوج أبوه بأمه ، الى أن لقى ربه عز وجل ، وكان أن أخذ الخطيب المفوه فى ألفاظ مسجوعة يقص علينا طرفا من هذه الآيات مما سجلته كتب السيرة من أفواه القصاصين .

فحين حملت به أمه أتتها الملائكة وقالت لها : انك حملت بسيد هذه الأمة ، فاذا وقع على الأرض فقولى : أعيذه بالواحد من شر كل حاسد ، ثم سميه محمدا ، **ورأت** حين حملت به أيضا أنه خرج منها نور رأت به قصور بصرى من أرض الشام ، **أما** فى يوم مولده ، فقد ارتج ايوان كسرى وتساقطت شرفاته ، وخمدت نيران فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام ، كما غاضت بحيرة طبرية ، **أما هو** ــ صلوات الله عليه ــ فقد ولد مختونا مكحولا مشيرا بابهامه الى السماء .

ورآه بحيرة الراهب بالشام وهو غلام فى تجارة مع عمه أبى طالب ، وغمامة تظلله أينما سار من بين القوم ، وأغصان شجرة تتدلى عليه لتظلله حين هم بالجلوس تحتها ، **وهكذا** انطلق الخطيب المدره يقص علينا تسبيح الحصى بين يديه وتسليم الأشجار عليه واطاعتها له ، وحنين الجذع اليه ، وكلام الظبى والضب معه ، وسجود البهائم له ، وتأمين جدران البيت على دعائه ، وكيف أنه **فى غزوة بدر** دفع الى عكاشة بن محصن ــ بعد أن فقد سيفه ــ عودا من الحطب وقال له : قاتل بهذا ، فعاد فى يده سيفا شديد المتن ، فقاتل به وقتل ، ولم يزل يشهد به المشاهد الى أيام حروب الردة ، **وفى غزوة** أحد ــ رد عين قتادة بن النعمان حين اقتلعت وحملها فى كفه وذهب بها الى الرسول ، فكانت أصح عينيه وأحداهما ، وكيف أنه صلوات الله عليه ــ أحيا شاة جابر بن عبد الله بعد ذبحها ، كما أحيا لامرأة من الأنصار ابنها بعد أن فارقته الحياة ، وكيف أنه حين فاتت عليا كرم الله وجهه صلاة العصر دعا الله أن يرد الشمس عليه ، فرؤيت الشمس تغرب ثم رؤيت تطلع بعد غروبها حتى تمكن من تأدية صلاة العصر فى وقتها .

على هذا المنوال استطاع خطيبنا أن يجعل من الرسول أسطورة تصلح لأن تكون مادة طيعة لقصص من ابتكار الخيال الخصب وحده ، ولا أظن أن لمثل هذا الخطيب عذرا ، اذ كان مرجعه بعض كتب موروثة لم تزل لها القداسة عندنا ، والنفوذ فى تفكيرنا ، فالامام الذى وكل اليه أن يوجه

الناس يجب أن يكون له تفكير مستقل ، وعقل ناضج يزن به الأمور وهو يتحدث عن رسول الله الذى أنشأ أمة على الحق ، وأقام دولة على العدل ، وشاد نظاما للمجتمع استوعب أرفع القيم ، وأعظم المثل وأخلد المبادىء ٠ بعد أن أحدث ثورة فى العقول ، فخلصها من رواسب الوثنية وأساطير الجاهلية الجهلاء ٠

ثم ان هذه الكتب الموروثة من وضع اناس لم تثبت لهم العصمة فيما استوعبوا فى مؤلفاتهم من أنباء ، وفيما حشوها من روايات ، ومن حق كل مفكر أن يقبل منها ويرفض ، ويأخذ ويرد ، وسنده كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة ٠

هذا القرآن يقول لنا : **وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل** ، ويقول على لسان الرسول نفسه : **سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا** ، ولو ثبت شىء من هذا لألمح القرآن اليه ، كما ألمح الى كثير من الخوارق التى اكتنفت حياة الرسل ومنهم عيسى عليه السلام ٠

ان شغف بعض المؤلفين المسلمين القدامى بالأساطير المنسوجة حول حياة الرسول ، يحتم علينا أن نقف عند هذه الكتب طويلا ، **والعجيب** ان كتب السيرة على اختلافها لم تبرأ من بعض هذه الأساطير ، وعلى رأسها سير : الطبرى وابن هشام والمقريزى ٠

لقد تصفحت منذ أيام كتاب « **دلائل النبوة** » لأبى نعيم الأصفهانى مؤلف « **حلية الأولياء** » فهالنى أن أبا نعيم ـ غفر الله له ـ قد حشا كتابه بمئات الأساطير التى تؤرخ حياة الرسول : **فالجن** أعلنت على ملأ من الناس قرب مولد الرسول ، وسيف بن ذى يزن حين ظفر بالحبشة وظهر على اليمن ، وذهبت الوفود العربية اليه لتهنئه ، وكان عبد المطلب جد الرسول على رأس وفد قريش ، أسر سيف فى أذنه بظهور نبى آخر الزمان قائلا له : اذا ولد بتهامة غلام به علامة ، وبين كتفيه شامة ، كانت له الامامة ، ولكم به الزعامة الى يوم القيامة ، **وقالت** كاهنة له : ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب ، ويدين له الناس ، **وهناك** امرأة تدعى ليلى العدوية ، رأت نور النبوة فى وجه عبد الله والد الرسول ، فأرادته لنفسها وطلبت منه أن يتزوجها لقاء مائة بعير ، فأبى ، وتزوج آمنة وبعد أن دخل بها قالت له : لقد دخلت بنور ما خرجت به ، ولئن كنت ألممت بآمنة بنت وهب لتلدن ملكا ٠٠

هذا طرف يسير مما فى كتاب أبى نعيم الذى قال عنه الذهبى فى التذكرة : أجاز له مشائخ الدنيا بأسرها ، وقال الخطيب البغدادى فيه : لم أر أحدا أطلق عليه اسم الحافظ غير أبى نعيم ، وأبى حازم العبدوى ٠

وبعد ٠٠

فان سيرة الرسول أجل من أن تخضع لهذه الأساطير ، والذين تضيق آفاقهم ، فلا يقفون على جوانب أسرار عظمة الرسول من أخلاقه ، ومن سلوكه مع أصحابه وغير أصحابه ، يلجأون الى كتب السيرة المهلهلة ليلتقطوا منها هذه السفاسف ليستشهدوا بها على عظمة الرسول ، ولست أدرى كيف يستسيغ مسلم عاقل أن أم أيمن شربت من بول الرسول فقال لها : لن يشتكى بطنك الوجع أبدا ، وأنه كان يتفل فى فم المريض فيشفى من مرضه ، وأنه حين كان يتبول أو يتغوط تنشق الأرض فتبتلع ما نزل منه حتى لا تفوح رائحة كريهة ٠

قد تثور بعض الفقاقيع لمثل هذا القول ، وهذه الفقاقيع من محترفى التدين الدخيل يهيأ لها أنها فى دفاع شرعى عن الرسول فتتطاول بألسنتها فى فحش وبذاءة ، ولو تدبروا القرآن جيدا لأيقنوا أن حسب الرسول أن يكون القرآن معجزته الخالدة ما خلدت السماء والأرض ، وأن كل هذه الأساطير تسيىء الى شخصية الرسول فى ذكرى مولده ، هذه الذكرى التى يصر كثير من محترفى التدين على أن يشوهوها ٠٠

التقاء فاسكو دى جاما بأحمد بن ماجد

تأليف شوموفسكى

ترجمة منير برهى

عندما استطاعت رحلة **فاسكو دى جاما** الوصول الى ما بعد رأس الرجاء الصالح ، وانفتح أمام ناظر الأوربيين محيط جديد ، لم يخاطر أمير البحر بالابحار فى المحيط الذى لا يحده شاطىء ، بل اتجه بحذاء الشاطىء الشرقى لافريقيا ، وتوقف فى « مالندى » حيث شغل بالبحث عن ملاح من هذه المنطقة . وكان ملك مالندى يشعر نحو الاجانب الغرباء بشعور طيب وعلى الفور أشار عليه بابن ماجد . ودعا دى جاما الملاح المشهور الى سفينة القيادة الضخمة . ولنعط الكلمة **لباروش** المؤرخ البرتغالى فى القرن السادس عشر :

« فى اثناء وجود فاسكو دى جاما فى مالندى كان معه جماعة من الهنود توجهوا الى أمير البحر على ظهر السفينة ، وكان يوجد أحد البربر من « الجوزرات » يدعى « ماليمو كانا » . وللتمتع بحديث مواطنينا ولارضاء ملك مالندى الذى كان يبحث عن ملاح للبرتغاليين ، قبل ابن ماجد أن يتوجه معهم الى السفينة . ورضى دى جاما كل الرضا عن معلوماته بعد التحدث معه وخصوصا بعد أن عرض عليه الاعرابى خريطة لكل الشواطىء الهندية مرسومة كما هو عند العرب عامة بخطوط الطول والعرض وفى غاية الوضوح ولكن بدون الاشارة الى الرياح بين خطوط العرض وذلك لأن مربعات خطوط الطول والعرض كانت فى منتهى الصغر . واتضح أن الخريطة فى منتهى الدقة . وارى دى جاما هذا العربى « أسطرلابا » كبيرا من الخشب كان قد أحضره معه ، وكذلك أسطرلابات معدنية أخرى لقياس ارتفاع الشمس والنجوم . وعند رؤية هذه الاجهزة لم يظهر الاعرابى أى اندهاش أو استغراب بل قال ان الملاحين العرب فى البحر الاحمر يستخدمون أجهزة مثلثة ومربعة الشكل لقياس ارتفاع الشمس وخصوصا النجم القطبى وأضاف الاعرابى انه نفسه وغيره من الملاحين يبحرون من « كمباية » ومن كل اتجاه الهند ويستعينون ببعض النجوم الشمالية والجنوبية الى جانب النجوم الواقعة فى منتصف السماء والشرقية والغربية منها . ولهذا فهم لا يستخدمون الاسطرلاب انما يستخدمون أجهزة أخرى عرضها . وهى تكون من ثلاثة ألواح ولها الهدف نفسه لدى ملاحينا . وبعد هذا الحديث مع الملاح حصل دى جاما على انطباعات هى أنه وجد فى ابن ماجد ثروة كبيرة . وحتى لا يفقده أمر على الفور بالابحار الى الهند . وفى ٢٤ ابريل اتجه فى الطريق . ووصل دى جاما الى كاليكوت فى ٢٠ مايو من العام نفسه أى فى أقل من شهر . وأرسل « ماليمو كانا » الى اليابسة ليبلغ ملك البلاد بوصول البعثة البرتغالية .

وتوجه الملاح العربى من كاليكوت الى كابوكات حيث يقيم أعرابى يعرف باسم « **أبى سعيد** » وهو الشخص المسئول عن أعمال التجارة . واليكم دليلا من مذكرات « جويش » :

« أعطى ملك مالندى فاسكو دى جاما ملاحا ماهرا هو أعرابى من الجوزرات يعرف باسم « ماليموكانا » .

وفى النهاية نورد دليل كاشتانيدى :

« وصل فاسكو دى جاما الى مالندى فى ١٥ مارس سنة ١٤٩٨ وفى ٢٢ ابريل أرسل اليه ملك مالندى ملاحا من الجوزرات يدعى « كاناكا » وفى ٢٤ ابريل أبحر معه دى جاما الى كاليكوت . وفى ٢٤ ابريل سنة ١٤٩٨ قاد ابن ماجد سفينة فاسكو دى جاما

متجها الى الشرق . وبعد شهر .. أى فى ٢٠ مايو وصلت الحملة بسلام الى كاليكوت على الضفة الغربية للهند . ولأول مرة فى التاريخ البشرى ، وبفضل أستاذية الملاح العربى فى فنه تمهد الطريق البحرى من أوربا الى ثروات الشرق الأوسط التى كان الغرب يتحرق شوقا اليها . وقد اعطى « كاموئس » شهرة كبيرة لابن ماجد بما ردده من مدح كبير له حيث يقول :

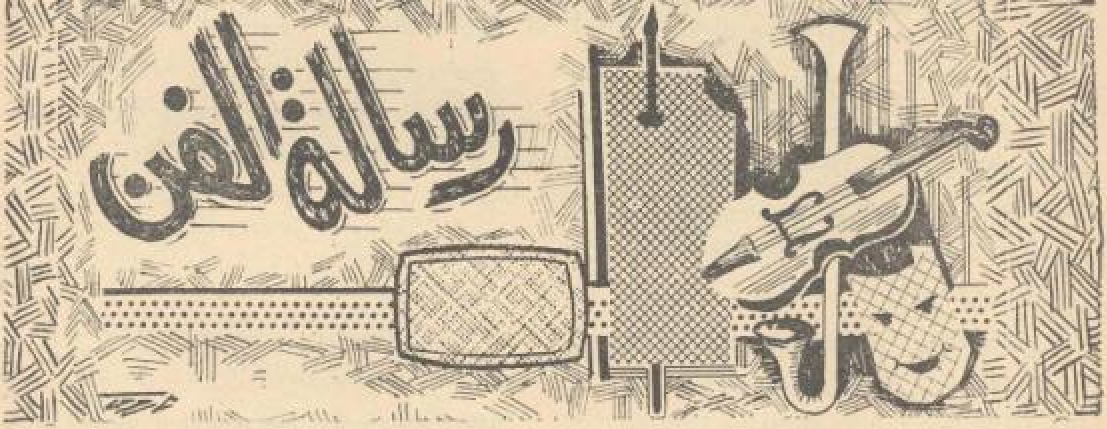
« هو قائد وموجه للسفينة ، لم يكن فيه شىء من الكذب ، فقد كان يبحر الى الامام متجها فى الطريق البحرى الصحيح ، وأصبح هذا الطريق يجتاز بثقة كبيرة عما كان من قبل » .

وكان لهذا الحدث تأثير مضاد على الشرق فبعدها قاست شعوب المحيط الهندى من ويلات القراصنة والمختلسين والمستغلين ذوى المآرب الهادفة الى الغنى عن طريق الثروة الموجودة على اليابسة . وكل هذا مصحوب بارساء قواعد السيطرة البرتغالية » .

ومن خلال كتابات كاتب القرن ١٦ قطب الدين النهر والى فى ملاحمه البطولية تظهر كراهية واضحة للمستبدين الأجانب ، وتحسر وألم على ابن وطنه الذى اراهم الطريق الى جواهر الشرق » .

والمخطوط (١٦٥٠ ص ٥) الباب الثانى يوضح انتقال السلطة فى اليمن من آل طاهر الى الامير الشركسى حسين . ففى بداية القرن العاشر الهجرى ووسط الاحداث القاسية حدث قدوم شياطين برتغالية خبيثة من قبائل الفرنجة الملعونة الى أرض الهند . ورحلت مجموعتهم على السفن من خليج « سبوتى » الى البحر . وخرجوا الى بحر الظلمات تاركين خلفهم مدينة القمر ، حيث يبدأ نهر النيل ، وتاهوا فى اتجاه الشرق . ووجدوا أنفسهم غير بعيدين عن الشاطىء فى خليج ضيق على احدى جهتيه جبال وفى الجهة الاخرى بحر الظلمات . وفى هذا المكان كانت هناك أمواج هائلة ولم تستطع سفنهم الاقتراب منه بل تحطمت ، ولم ينج منهم أحد . واستمروا بعناد فى محاولة الوصول الى هذا المكان حيث كانوا يهلكون . ولم يستطع أحدهم الخروج الى البحر الهندى حتى استطاعت احدى السفن من النفوذ الى هناك . وكانوا يحاولون جاهدين جمع معلومات عن هذا البحر . وأخيرا أراهم الطريق ملاح محنك يدعى « **ابن ماجد** » ، واستطاع قائد الفرنجة المسمى بالأميلاندى أن يكون معه علاقة قريبة على مائدة الخمر وأراه الملاح الطريق وهو فى حالة « سكر » ، وترتب على هذه السكرة أن تدعمت سفن كثيرة من سفنهم وأمكنها أن تتردد على المحيط الهندى واستطاعوا أن يبنوا فى « جوا » قلعة تسمى «قوط» ومعناها باللغة الهندية القديمة « تحصين » او « تقوية » . وبعدها احتلوا خوارزم وهناك ثبتوا مركزهم وحصلوا على تعزيز من البرتغال . ومن هنا أخذوا يقطعون الطريق على المسلمين بالنهب والاسر واغتصاب سفنهم . وفى نهاية النهاية عم التضييق من جهتهم على كل المسافرين . ولم يطق المسلمون اعتداءاتهم . وعندئذ توجه مظفر شاه ابن محمود شاه بن محمد شاه سلطان الجوزرات الى السلطان أشرف يطلب منه المساعدة ضد الفرنجة .

ويتبين من تحليل مخطوط لينتجراد أن جزءا كبيرا من أرجوزته يتشابه ويقترب من هذه الصورة من حيث نغمات تصويرها للمستبد البرتغالى . وهذه التصويرات غير موجودة فى أعمال أخرى لابن ماجد وتفيض بتصوير عذاب الرجل المضحوك عليه ، وبالحسرة والندم على ما أقدم عليه ، وبالفكرة السيئة عند البرتغاليين .



اتجاهات جديدة
فى المسرح والسينما..

بقلم: عبد الفتاح البارودى

سمعت فى الاسكندرية اهم خبر سينمائى فى تاريخ السينما العربية ... انه حدث فنى سيكون نقطة تحول فى تفكيرنا السينمائى .. كيف ؟

وفى الاسكندرية رايت فيلما اجنبيا أحدث ضجة ضخمة ... فيه مشاهد مثيرة ولكنه مع ذلك يعالج – أو على الأقل يكشف – مساوىء المجتمع الأوربى الذى يشعر فيه الفرد ، والمرأة بصفة خاصة ، بالضياع ... والفيلم رغم كل عيوبه يعتبر درسا للسينمائيين عندنا فى كيفية تناول المشكلات الواقعية تناولا فنيا ، فهل ينتفع السينمائيون بهذا الدرس المثير ؟!

وفى الاسكندرية شاهدت مسرحية لمؤلف جديد يؤكد اتجاه المسرح الحديث نحو وضع المسرح فى وضعه الحقيقى ، اى فى خدمة المجتمع ... ولكن فى هذه المسرحية عيوب تعتبر من العيوب المشتركة فى المؤلفات الحديثة ، فما هى هذه العيوب ، وكيف نعالجها ؟!

أولا : ان الخبر السينمائى الهام هو اجتماع الهيئة السينمائية العربية المشتركة » التى تضم خبراء سينمائيين واخصائيين اقتصاديين من جميع الدول العربية ، وذلك لوضع القانون الأساسى للهيئة ، وتحديد حصص مساهمة الحكومات العربية، والاسهم التى تطرح للاكتتاب الشعبى ، بقصد انتاج افلام عربية عالمية ، للدعوة للقضية العربية ..وكان الدكتور **عبد القادر حاتم** قد طلب الى مؤتمر وزراء الاعلام العرب اعتماد مليونين من الجنيهات لهذا الغرض .

اظن أن أهمية هذا المشروع لا تحتاج الى شرح.. يكفى أنه سيرفع مستوى السينما بحيث تساهم فى خدمة القضية العربية.. ولكن هل يمكن أن يتحقق ذلك اذا ظل تفكير السينمائيين عندنا كما هو ؟! أيام زمان كانت السينما تجارة وتسلية ، وكان الذين يسيطرون على الحقل السينمائى أفراد من الرأسماليين والاستغلاليين والانتهازيين ، وكانت كل جهودهم وأهدافهم مركزة فى « شباك التذاكر » ، ولهذا كان أصدق ما توصف به السينما أنها «سيما أونطة» ... أما الآن فان مجرد انشاء القطاع العام يعتبر انقاذا للحقل السينمائى من الاحتكار والاستغلال ، وتمهيدا لوضع الافلام فى وضعها الفنى ، ولكن لا بد من أن ينضج التفكير السينمائى لتوضع المرحلة الجديدة موضع التنفيذ ... لايكفى التخلص من الاحتكار والاستغلال لانتاج أفلام المرحلة الجديدة ... ان انتاج أى فيلم يحتاج الى خبرة بالتكنيك السينمائى والى دراية بوظيفة السينما ، وهذا هو ما يواجهنا به المشروع الجديد ... اننا نلمس الجهود الضخمة التى تبذل للدعاية ضدنا بالسينما ... ان أعداء العرب يجندون كل خبراتهم وطاقاتهم الفنية لانتاج أفلام عالمية تحمل سموم دعاياتهم ... ان وكالات الأنباء تردد فى برقياتها

أن صوفيا لورين ومجموعة من النجوم العالميين يشتركون فى هذه الأفلام لتغزو أسواق العالم ٠٠ فماذا فعلناه لمكافحة هذه السموم ؟! من هنا تبدو أهمية انتاج أفلام عربية عالمية للدعوة للقضية العربية ، ومن هنا تبدو ضرورة الاستعداد لانتاج هذه الأفلام بالأموال وبالطاقات الفنية ٠٠٠ هذه مسئولية يجب أن يرتفع السينمائيون عندنا الى مستواها ٠٠٠ ان هذا المشروع يستلزم الاحساس الواعى بهذه المسئولية ، ويستلزم المعرفة العميقة بوظيفة السينما وامكانياتها وأثرها ومدى ارتباطها بالواقع وبالمجتمع ، ويستلزم الاخلاص فى التحضير والتنفيذ ٠ ومرة أخرى ماذا سيفعله السينمائيون؟!

اعتقد أن من واجب الهيئات السينمائية أن تعاون « الهيئة السينمائية العربية المشتركة » معاونات فعالة ، عن طريق عقد اجتماعات يشترك فيها المفكرون والفنانون الدارسون لمناقشة وسائل تنفيذ هذا المشروع ، وتقديم اقتراحاتهم للهيئة ، بحيث تكون اقتراحات مدروسة وعملية ٠٠٠ ومن واجب البرامج الثقافية والفنية فى الاذاعة والتليفزيون أيضا أن تقيم ندوات جادة لنفس الغرض ٠

ان هذا المشروع من أخطر الاحداث الفنية فى تاريخ السينما العربية ، ونجاحه سيعمق مفهوماتنا السينمائية ويرفع أفلامنا الى المستوى العالمى ٠

ننتقل من السينما الى المسرح ٠٠٠ ان من أهم مسرحيات هذا الاسبوع مسرحية **(بيت الفنانين)** التى عرضها المسرح التليفزيونى الحديث لأول مرة على مسرح « كوتة » بالاسكندرية ٠٠٠ ان مؤلفها **أحمد عثمان** يظهر انتاجه على المسرح لأول مرة ، ولا جدال فى أن ميلاد مؤلف مسرحى جديد يعتبر ظاهرة تستحق الاهتمام ٠٠٠ لقد كانت مسارحنا فى الماضى موصدة الابواب فى وجوه المؤلفين الناشئين بدليل أن أضخم مشكلات مسرحنا كانت هى مشكلة المؤلف ، حتى لقد كنا نعتقد أن ميلاد المؤلف الجديد عملية فى غاية الصعوبة ، ومن أجل ذلك كانت مسارحنا تلجأ الى الترجمة والاقتباس والتعريب والتمصير ٠٠ الخ ٠٠٠ بل اننا فى خلال أكثر من ثمانين سنة مارسنا فيها المسرح لم يظهر بيننا من المؤلفين أكثر من بضعة أفراد ٠٠ وكان هذا منطقيا، لأن فن المسرح طارىء على بيئتنا ، وحينما نقل الينا لم يكن هذا النقل استجابة لحاجة الجماهير ولا تعبيرا عن وجدانهم ولا بغرض خدمتهم ، بل بالعكس كان هذا النقل نقلا مظهريا لمجرد تقليدأوربا تقليدا أعمى ولمجرد تسلية الجمهور تسلية ساذجة ٠

أما الآن فان مجتمعنا الجديد أدرك أن الفنون أدوات لخدمة المجتمع ، ولهذا بدأ تصحيح كل الاوضاع الفنية ، ونتيجة لذلك بدأ المسرح يتخلص من الاقتباس والتمصير ، وفى خلال السنوات الأخيرة بدأ ميلاد المؤلفين المحليين ، ومنذ أن ظهر المسرح التليفزيونى واحدث هذه اليقظة الفنية الملحوظة جدا تزايد عددهم لدرجة أن فرقة المسرح الحديث وحدها قدمت فى هذا الموسم وحده سبعة مؤلفين يكتبون للمسرح لاول مرة ، ومنهم مؤلف رواية « بيت الفنانين » ٠

ولنفس الاسباب بدأ تصحيح الاتجاه الموضوعى فى المسرح ٠٠٠ فبعد أن كانت المسرحيات تقليدا أعمى وتسلية ساذجة بدأ المؤلفون يعالجون موضوعات حيوية من واقعنا ، وهذه الرواية الجديدة تعتبر من الأمثلة الايضاحية ٠

ان المؤلف يصور فيها مشكلة ثلاثة فنانين ، أحدهم قصاص يكتب قصصه لنفسه وحول نفسه ، والثانى رسام يرسم لوحاته من فتاة (موديل) يستدعيها لينقل على اللوحات ملامحها ، والثالث موسيقار يعزف على البيانو مقطوعات موسيقية منقولة٠ وهؤلاء الفنانون الثلاثة يعيشون فى(بدروم) والرواية ترمز بهذا (البدروم) الى عزلتهم عن الحياة والناس ٠٠٠ انهم يعتقدون ان الفن أرفع من الحياة وفوق مستوى الجماهير ، ولهذا يتشبثون بهذا الارتفاع الذى يتوهمونه ، ويعتبرون أن الارتباط بالناس يهبط بالفن ، ومن أجل ذلك قرروا أن يعيشوا وحدهم مهما تكن النتائج ، فهم لا يتصلون بأحد ولا يقرأون الصحف ولا يسمعون الراديو ، ورغم ذلك فانهم يبدون دهشتهم لان الناس لا يتعاملون مع فنونهم ولا يقدرونها ، بل لا يشعرون بها ٠

اننا نرى فتاة واحدة فقط تبدى اعجابها بلوحات الرسام فى زيارة عابرة حدثت مصادفة ، وتبدى رغبتها فى شرائها ، ثم نكتشف أن هذه الفتاة من أدعياء الأرستقراطية التى تعجب باللوحات الفنية بلا وعى فنى ، بل لمجرد ان التظاهر بالاعجاب الفنى عادة من العادات الارستقراطية المزيفة ، وهى فى

حقيقتهـــا لا تريد شراء اللوحات بل تريد شراء الرسام !

والفتاة الأخرى (الموديل) بالطبع ليس لها قصد فنى ··· انها تؤجر جمالها فقط ، وعندما تسنح لها فرصة التعارف باحـد منتجي السـينما يرسو المزاد عليه ، لأن الثمن هنا أضخم ، وهو الشـهرة الزائفة والمجد الفنى الكاذب ، ومن أجل ذلك تصارح الرسام بأنها اعتزلت حياة «الموديل» وتحـولت الى حياة النجوم ! ·

بهذا الشكل صورت الرواية قطاعا من حيـاة الفنانين الذين كانوا متعزلين عن الحيـاة الحقيقية التى يعيشها النـاس ويعيشون فيهـا ، وهى ترمز بذلك الى الحياة الفنية فى الماضى ··· ولكن فى المجتمع الجديد أدرك الفنـانون الثلاثة أن انعزالهم هو سبب نكبتهم ··· والمؤلف كان بارعا فى تقلهم الى المفهومات الجديدة ، فلم ينقلهم بافتعال ، بل استخدم فتاة ثالثة ارتبطت بالموسيقار برابطة الحب، وكانت رمزا فنيا لايقاظه وزميليه ·

ومع أنه تخلص من الافتعال فى هذه النقطة ، الا أنه استخدم الحوار المباشر أحيانا ، وخاصة فى تحاورهم عن ضرورة خروجهم من «البدروم» والاتصال بالناس وبالحياة ·

ان الحوار المباشر من عيوب هذه الرواية ، وهو من العيوب المشتركة فى مؤلفات المؤلفين الجـدد ، وكلها عيوب متـوقعة ، لان انتقـالنا من مسـارح التسلية الى مسارح التناول الفنى يحتاج الى مزيد من الخبرة وممارسة التجارب ، ومع ذلك فان هذا يتم بسرعة ويكون خطوة لتصحيح وتعميق مفهوماتنا الفنية فى مجتمعنا الجديد ·

واخراج هذه الرواية يمثل ظاهرة جديدة أيضا·· ان المخرج كمال حسين يخرج لمسرح التليفزيون لأول مرة أيضا ، وقد برهن على فهم دقيق وحساسية فنية لمعنويات الرواية ، وبرع فى رسم الميزانسين وفى تكييف الاضاءة · ولكن بعض نهايات الفصول بدت متهافتة بعض الشيء ··· والممثلون أيضا أدوا أدوارهم بفهم ، ولكن لم يطوعوا الحوار المبـاشر·· ومهما تكن ملاحظاتنا على الرواية فانها ــ كتجربة جديدة ــ ذات مستوى معقول جدا ، وهى تؤكد أن مسرحنا يتجه نحو معالجة المشكلات الحيوية الجادة ، وبتكرار التجارب سيزداد المسرح قيمة ، ولكن من المهم جدا أن يواصل المؤلفون الجدد دراسة تكنيك المسرح لتحقيق هذه القيمة ·

ننتقل مرة ثانيـة من المسرح الى السـينما ···

الى فيلم أجنبى ·· فيـلم « ايرما الغانيـة » الذى أحدث ضجة فى الاسكندرية ··· لماذا أحدث هذه الضجة ؟ لأنه يصور حيـاة الغانيات فى باريس ، ولهذا فانه يعرض مشاهد مثيرة وخاصة عنـدما يتناول هذه المشاهد بشيء من الصراحة والواقعية·· ومع هـذا فانه من خـلال الاثارة يعبر عن مأسـاة الغانيات ، والغريب أنه يقدم هذه المأساة فى صورة كوميديا !! الفيلم منقول من المسرح ، والمدهش أن « بيلى وايلدر » السيناريست والمخرج استطاع أن يخلق من الرواية المسرحية سيناريو تتتابع فيــه الأحداث تتابعا سينمائيا بارعا ··· هـــذا درس للسيناريست عندنا ··· فمن أول « التتر » نرى فى مقـدمة الفيلم صـورة سينمائية لمكان الأحداث ومناخها أيضا ، وصورة كاريكاتورية للحياة الاوربية الحـديثة التى أهـدرت ميكانيكيتها القيم البشرية ، وأخضعت التعامل بين الناس لسطوة المال ··· ان احتياج الفتيات الضائعات هو سبب ضياعهن فى الزحام لدرجة أنهن تجمدن فى هذا الضياع ···ان (ايرما الغانية) لا تريد اطلاقا أن تبيع جسـدها ، وانما هى مضطرة الى ذلك لتجد لقمة العيش ··· والفيلم الذى وضع هذه المأساة فى صـورة كوميديا لم يتركها تلقى هذه العبارة بتعبير ميلودرامى ، وانما وضع بجانبها كلبا ، وجعلها تقول انها تريد أن تجد لقمة العيش لنفسها ، ولكلبها !! حيلة صغيرة ولكنها أدخلت فى الفيـلم وفى المأسـاة عنصر (الكوميك ريليف) ··· ان هـــذا العنصر يتخـلل مختلف الأحداث ، وأحيانا يثير الضحك بصوت مرتفع دون أن نفقد احساسنا بالمأساة اطلاقا ·· والجزء الاخير من الفيلم فيه تطويل يبعث الملل لان السيناريست أسرف فى اسـتخدام عنصر التشـويق ، ومع ذلك فان الفيلم كله يجتذب المشاهد الى الشاشة ، ويقدم نموذجا للتناول الفنى ، ولقدرة السينما على كشف الحقائق ، ومع أنه يركز الكاميرا على حقائق مخجلة للمجتمع الأوربى ، فان فيه دعوة للعمل ، ولتطهير ذلك المجتمع من المساوىء التى أدت الى اهدار القيم البشرية ، وهو على كل حال درس للســينمائيين عندنا فى السيناريو والاخراج ، فهــل ينتفعون بهذا الدرس ؟ !



حول الأدب في أسبوع

يقدمه عبده بدوي

ماذا يكتبون .. هناك ؟

لا شك أن كل انسان يرحب بأن تكون الأقلام فى الجمهورية العربية المتحدة من الثراء والجدية بحيث يكون نتاجها مطلوبا فى العالم العربى ، ولكنا حين نفتش عن « الاقلام المهاجرة » نجدها لا تحط الا فى بيروت ، ونجد ـ السرب الذى نتكلم عنه ـ لا يحط الا على الأشجار المشبوهة ، ولا يتحاور الا مع الألسنة التى استحالت الى قطع مرنة من العداء للعرب فى ماضيهم ، والعرب فى حاضرهم ، والعرب فى مستقبلهم وان كانوا يشككون دائما فى أن للعروبة مستقبلا .

فاذا أضفنا الى هذا أن عملية التمويل لهذه المجلات مشبوهة ، وأن مخططاتها ضد العالم العربى ، وأن للصهيونية نفوذا فيها ، على نحو ما قيل فى المنظمة العالمية لحرية الثقافة التى يوجد مقرها الرئيسى فى فرنسا ، اذا أضفنا ذلك عرفنا أن بعض أدبائنا يحبون « المصيدة » ، ولعل المشكلة تتعقد حينما نرى بعض هؤلاء « المهاجرين » يكتبون فى مصر بقلم ويكتبون فى هذه المجلات بقلم ، وقد تلاقيهم هنا يحملون وجها ثوريا شريفا ، فاذا قلبت مجلة من المجلات التى يكتبون فيها فى لبنان وجدت وجها آخر تكاد تنكره .. بل لابد أن تنكره !

ونحن هنا لسنا راغبين فى الاثارة لأنا لم نيأس منهم بعد ، الى حد أنا لن نذكر أسماءهم اكتفاء بالوقائع التى سنضع أيدينا جميعا عليها ، وأنا لا أزعم انى قمت بعملية مسح كاملة لمكاتب لهم فى بيروت ، ولكنى اكتفيت بالوقوف عند بعض المجلات التى تمكن من الحكم عليهم أولهم ، وان كانت السمة التى ستكون بارزة هى أن هذا اللون من الكتابة لايمثلهم فى كافة مراحلهم ، وان كان يمثل غرض وخطة المجلات التى كتبوا فيها .

وانا لاأزعم لنفسى أن كافة هذه الآراء خاطئة ، وان كنت أعتقد تمام الاعتقاد أنها تمثل هوى القائمين على هذه المجلات ، بما يتنافى ومسئولية الكاتب التى لايجب أن .. تتلون .. حسب الوطن والقيمة المستحقة وانما يجب أن تكون رسالة واعية مكتفية بقيمتها الذاتية ، وفى الوقت نفسه تكون رسالة شجاعة يجب على كاتبها أن يقولها ويتمزق دونها فى كل زمان ومكان .

فالكاتب الاول .. يتهم « فى العدد الخامس والسادس من مجلة أدب » جمهور الجمهورية العربية بالغفلة ، ويذكر متفكها بأنه يتصور أن « القاعدة والاستثناء » لو عرضت على مسارحها لصرخ بأن هذا العمل « مقلب » ولنادى « لنسترد نقودنا » ، ولقد عرضت هذه المسرحية بعد كتابة هذا المقال فاذا بالجمهور يستمتع بها وبغيرها كأعمق ما يكون

الاستمتاع ، مما جعل النقاد يجمعون على أن جمهورنا نجح فى الوقت الذى كان فيه التقصير قد يبدو فى النص ، أو الاخراج أو التمثيل ، أو الديكور .

ثم يرى هذا الكاتب ـ كجزء من خطة المجلة ـ أن الشرق الحالى تحكمه التقاليد ، والجمود السلطانى ، والتخثر الفكرى ، ثم يرتب كل هذا على الاسلام ، فهو يرى أن كل هذا قد نشأ «**بتأثير ديانة صحراوية اقليمية !** » وبحكام ظلمة ، ثم يضيف ضربة أخرى سريعة حين يذكر أن الحضارة الغربية بدأت بالمسيحية ، وأن الحضارة العربية بدأت بالاسلام ، ولكن الحضارة الغربية انتهت الى العلم الحديث فى الوقت الذى انتهت فيه الحضارة العربية الى الاسلام مرة ثانية .

ولما كان هذا الموضوع متصلا بالتراث فانا نراه فى الوقت الذى يعجب فيه بالتراث الأوربى ، لأنه يسهم « بشكل حاد » فى الكتابات العصرية ، والموسيقى العصرية ، والباليه العصرى .. نراه يلح دائما على الدعوة بأن ينسخ عندنا الجديد القديم ويدمره ، ولعل أغرب دعوى يسوقها لهدم التراث هى قوله : ان الشاب عندنا يجد العمارة الغربية الشاهقة ، والعمارة الشرقية القزمة ، وأن هذا التناقض فى « البناء » يجعل الشاب يرفض التقاليد جملة وتفصيلا .

ثم بعد أن يدين التليفزيون والاذاعة والمثقفين نراه يرفع شعارا يقول : « لو كان شىء يشرف هذا الجيل فهو تلمذته لسلامة موسى » .

والكاتب الثانى .. يلف فى كل مقال ويدور حول أن تراثنا لن يمدنا بمقومات تطويره ، وقد كنا نحب للكاتب أن يتمزق عند هذا الرأى ، وأن يصر على التمسك به ، ولكنا نراه فى العدد الخامس من مجلة «أدب» يطالب بالعودةالى الماضى ، بل يكاد يبكى ويتشنج بالفعل ويستدعى علينا التاريخ كله لأنا لا نلتفت ولا نعكف على الفترة القبطية فى ظل الامبراطورية الرومانية ، وهو لا يكتفى بهذا وانما نراه يصفق لنجيب محفوظ لأنه كتب : عبث الاقدار ، وكفاح طيبة ، ورادوبيس ، ويرنم لعادل كامل لأنه كتب ملك من شعاع ، ويهلل لتوفيق الحكيم لأنه استوحى أسطورة مصرية قديمة فى عودة الروح ، ولعلنا نتساءل لماذا صمت عن الفرعون الموعود لعلى أحمد باكثير ، والاجابة لا تخرج عن جزء من « الحرب بالصمت » التى تشن على هذا الكاتب لا لشىء الا لأن العروبة والاسلام أصبحت تشم فى أعماله ؟

ثم تجد الكاتب يدين فى مقاله ـ عن مسرحية الراهب ـ شعارات القومية العربية فى المنطقة ، ويذكر كلاما عجيبا لن نتحمل مشكلة تفسيره ، وانما نتركه للقارىء ايمانا بذكائه ، وقدرته على فهم ما فى السطور وما وراء السطور ، فهو يقول بالحرف الواحد :

« ان الراهب يحمل لواء القضية القومية كما ينظر اليها الدكتور لويس عوض فى نفس الوقت الذى تصطرع فيه المنطقة العربية بشان هذه القضية ، والراهب يحمل ضمير عصرنا المعذب بين سلطان القيم القديمة والتطلع الى قيم جديدة ، والراهب أخيرا يحمل جانبا هاما من جوانب النظرة الشاملة التى يصوغها المؤلف فى هذه الدراما » .

والكاتبة الثالثة .. تهاجم مجلتى الرسالة والثقافة فى العدد السابع من مجلة حواء ، ثم توجه اهتماما خاصا الى الاستاذ أحمد حسن الزيات فتذكر أنه « دمغ كافة الفنون التى تطورت خلال العشر سنوات الأخيرة بأنها « خائنة » لروح هذا الشعب وتراثه وتاريخه الطويل » ولا شك أن من قرأ هذا المقال يجد أن كلمة « خائنة » غير موفقةوغير جديرة باحد أساتذتنا الكبار ، ثم تذكر أن أحد رجال الصحافة حين أثار مناقشة عن المجلتين ارتفع توزيعهما ، ومن أجل هذا قرر عدم العودة الى الموضوع مرة أخرى حتى لايستمر « الرواج » .. للرسالة والثقافة .

وهناك كتاب آخرون يمكن أن نضعهم فكريا هنا فى أقصى اليسار ، فى الوقت نفسه الذى يمكن أن نعثر عليهم هناك فى أقصى اليمين ، وان كان الاطار الذى يحكمهم جميعا ، هو التقليل من الدعوة الى القومية العربية ، والهجوم على الدين الاسلامى ، ونحر التراث ـ على حد تعبير بعضهم ـ الذى ليس له الا وجه واحد هو الوجه الاسلامى ، واذا كان هذا لايمنع من الدعوة الى الوقوف والتأمل و « الوجد » عند الفترة الفرعونية ، والقبطية ، والفينيقية .

هذا جانب صغير من الجوانب الكبيرة التى نرجو أن نعود اليها فى مرة قادمة ، ونحن نعود الى التكرار . انا نؤيد حرية الكاتب بشرط أن يكون

شجاعا وقادرا على أن يقول كلمتـه فى وطنه ـ ولا حجر هنا على حرية الكاتب ـ قبل أى بلد آخر ، لا أن يظهر هنا بوجه ويظهر هناك بوجه ، أو أن تكون عيناه على « المكافآت السخية » المشروطة وعلى قلمه فى وقت واحد ، فنحن فى حاجة الى أدباء لا الى تجار ونحن فى حاجة الى أن نكون صوت أنفسنا بدلا من أن نكون صوت الآخرين ٠٠ الذين قد تظل تنداح بهم الدائرة الى أن نرى فى آخر الأمر وجوها تتكرها المنطقة العربية ، أو أن نرى فى نهاية الأمرانانتعاون بحماس مع أعدائنا خارج الوجود العربى !

رسالة الى ناقد ٠٠ فى رأس البر

سيدى الدكتور لك منى السلام ، ولقد وصلت الى اليوم رسالتك الكريمة ، وما كان لى أن أزعجك فى مصيفك الهادىء وانت فى نشـوة الراحة مع « القبيلة »

ولكن الذى دفعنى الى هذا هو « ندوة صغيرة » جمعتنى ببعض الشباب واذا ببعضهم يذكر ـ وكأنه يبكى ـ بأنه لم يعـد لدينا نقـاد ، وأن النقـد قد «صفى» تماما فى مجال الادب ٠

ويرد آخر : أنا استثنى الدكتور «لويس عوض» فهو ناقد جاد يحس بمسـئوليته ازاء النقد ، مما جعلنا نراه ـ فى هذه الايام المحرقة ـ يطل علينا من البرنامج الثـانى بالاذاعة ، ومن التلفزيون ، ومن الأهرام ، ومن الندوات ٠٠ دائما نراه ، وليس لهذا من معنى الا أنه يعتبر النقد رسالة ، عرقا ، ومعاناة، وتوجيها عميقا لصفوف جديدة فى عالم الادب ٠

ويقول ثالث : ولـكنى فى حوالى شـهر قرات له تفسيرات غريبة يحكمها جميعا الدين ، فهو ينقد « الطريق » لنجيب محفوظ على أساس الأب والابن فى المسيحيـة ، وفى البرنامج الثـانى ينظر الى « المسـتخبى » لشوقى عبد الحكيم فى ضوء فكرة التثليث المسيحية ، وقد أخذ بهذا الرأى أخـيرا يوسف الشارونى فى العدد الأخير من مجلة المجلة ، وفى ندوة تاجى ذكر أن موسيقى مسرحية « يرما » كانت تعطيه معنى دينيا ، ثم نراه أخيرا فى الملحق الأدبى للأهرام « يحبس » صلاح عبد الصـبور فى دائرة الخلاص المسيحية ٠

ويصمت هذا الزميل حين لايرى أحدا يعارض هذا الاتجاه ، مادام الناقد يبرره ، ويقدمه فى شـجاعة واصرار ، ثم مادام هو الوحيد الخصب فى «الحلبـة» بينما الآخرون يغطون فى النوم ، وفى أضواء الشهرة القديمة !

ويتطوع الجميع بذكر أساتذة الجامعات فى النقد ، ولكنهم يعودون ثانية الى هز رؤوسهم ، والى النظر فيما يشبه الفراغ ، ولم يكن هذا يعنينى فى شىء فاكثر هؤلاء الجامعيين يعيشون فى واد والحركة الأدبية وفى واد آخـر لأن أعينهم دائما على الطلبـة وعلى « الكراسى » ٠٠ ولكنك أنت الذى أقلقتنى الى حـد الازعاج ، فحين ذكرت اسمك كأحد الذين يستطيعون ـ لا الذين اسـتطاعوا ـ الآن أن يعمقوا الحركة الأدبية بعمق وجدية تصل الى حمل السلاح ٠٠ رأيت البعض يصمت احتراما للذكرى ، والبعض الآخر يتململ دون أن يلقى فى دائرة الضـوء بكلمة !! أية كلمة !!

ولقد ذبحنى هذا « الصمت » فأنا اعرف دورك العظيم فى الماضى الى حد انى استطيع أن أضـع اصبعى عليه فى رؤوس الكثيرين ٠

وأنا اعرف أنك أصـبحت فى مؤخـرة رؤوس الشـبان الذين معى ولكن أرجـو أن تكون فى مقدمتها ٠

وأنا أعرف أن « عودة صـادقة » تسـتطيع أن تعود بك الى القيادة الشاملة ، فكل الذين رأوك أخيرا تناقش احدى الرسائل الجامعية أجمعوا على أنك عدت للصـبوة والاخضرار وانك لا زلت « فـارس الفرسان » وكل الذين يقرأون لك « الابحاث التى تفرض نفسها على اسمك » لا « الابواب التى تكلف بها بسرعة » يحملونك فى مقدمة عقولهم ، ويحسون بشبابك العقلى يحرك أيامهم ، ويدفع معهم التاريخ !

انى أعرف أن هناك كثيرين لم يفقدوا ثقتهم فى مقدرتك ، ولكنهم اليوم ينتظرونك كأعمق مايكون الانتظار ٠٠ ان « معجزتك » أن تأتى الآن ، ومع ان البعض يخشى أن يكون انتظارا عقيما كهذا الانتظار الذى تعرفه فى مسرحية «فى انتظار جودو» لبيكيت، الا انى مؤمن بعـودتك ، ولو رأيتنى الآن لوجـدت الدمع يملأ عينى وقلبى ، وقلمى !

ان الجو الأدبى اليوم تحـكمه ظاهرة المجاملة ، ويغص بالوشوشات المريضة ، والأقلام التى تتلون

كالحرباء ، وليس غيرك من يعود شاكي السلاح على فرس ابيض ليفسح بالسيف مكانا للكلمة .

ولست أنا وحدي الذي ينتظرك يادكتور « م »

ولكني أنا وقومك يادكتور « م . م »

أبو زكريا الفراء .. والدكتور احمد مكي :

في لقاء سريع مع الدكتور أحمد مكي الأنصاري المدرس بجامعة الخرطوم فرع القاهرة قال لي : ان رسالته الجامعية « أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة » قد تم طبعها على نفقة المجلس الأعلى للفنون والآداب بعد ثلاثة أعوام من الموافقة عليها ، وفي هدوء ذكرت أن رسالتي « الشعر الحديث في السودان » قبلت مع رسالته في يوم واحد ، وأنها لم تخرج من المطبعة الا حديثا .

كنا نتحدث بدون مرارة ، بل كان في صوتنا شيء هفهاف يشبه المرح ، لأن الدولة تبنت أعمالنا الجامعية ، وطبعتها على نفقتها ، ولأن المطابع في الجمهورية العربية المتحدة - على كثرتها - مزدحمة بالمعرفة ، وبكل مايعمق الوجدان العربي .

ولا أدري لماذا كان يخيل الينا أننا كنا نشبه من يعدو في طريق طويل ، ثم حين قطعناه ، وجدنا هذا الشيء الذي يمكن الاستناد اليه ، والذي نستطيع اخيرا أن « نلقط » أنفاسنا في ظلاله الرحيمة .

وحين ذكر الى الدكتور احمد انه مسافر غدا الى السودان ، ضممته الى قلبي ، ثم قبلت على جبينه السودان ، فقد استحال الى أشياء كثيرة أحبها هناك .

نموذج من قصيدة النثر :

الى الذين طلبوا مني نموذجا لقصيدة النثر ، بعد أن ظهر من يروج لها أخيرا في بلادنا ، أقدم هذا النموذج بعنوان « شمعة أفيون » ليوسف الصائغ ، ولما كانت القصيدة طويلة فقد حاولت نقل بعض أجزائها الواضحة ليتسنى لي الفهم أنا الآخر ، ومهما يكن من شيء فاليكم شمعة الأفيون من أحد رجالها الكبار .

« أضاجع سريري كل يوم . أضاجعه فلا يحبني كل يوم أقبر فيه نفسي .

عند رأس مسيح معلق . صلبته أمي . وعلقته فوق رأسي أنا عفن ولحيتي طويلة . وليس على منضدتي عطر .

أنا مخمور قذر . شربت نهرا من الخمر . ولم اغتسل منذ سنين . واظافري طويلة كالقضاء

تلفت فما وجدت أحدا . حتى نفسي ابتلعتها الوحدة . وبصقتها على الجدران فلونها وسخ

أيتها العجوز . الا تقرئين لي كفي . الا تلمسين خط حياتي

أمي ماتت . فدارنا وسخة بالذكور ، اشطفها كل يوم . أشطفها فلا تنظف

الأبيض لن يكون أسود ، والحليب لا ينقلب الى ماء قولي « ان شاء الله » يا صبية أبيض أبيض لن يسود ، والأسود لايغسله الصابون

ان أمت فاين أقبر ؟ أي دود لايتقزز مني ؟ وعبثا تغسلني أمي

سرتي مشدودة بالرحم . فمن يسند لي رأسي . هل مهدت سريري ياأمي . هل أسدلت النوافذ فلا يشمنا أحد ؟

مجنون أنا ماذا اريد ؟ اليس من شيطان أبيعه نفسي ؟ فوحدتي مسعورة كالحمى ، وفراشي آكلته احشائي

ان لم تعودي فسأبيعك بقبلة سأشتري سواك من السوق

جميل أنت كشيطان وسأضاجعك حتى استنفد شهوتي .. الخ



مع آرنولد توينبى
ترجمة : محمد عبد الله الشفقى

ذكرت فى العدد الماضى من مجلة الرسالة فى مجال تعليقى على كتاب «اصول النضال الثورى القومى» انه قد حان الوقت لكى نقدم تاريخنا على حقيقته من خلال حركة الجماهير وليس من خلال الزعامات التى اصبحنا نعرف دورها جميعا .. وان تاريخ شعبنا ملك له وليس ملكا لزعماء معينين مهما كان دورهم فى قيادة الحركة الوطنية ـ وقلت كذلك .. انه يجب ان تكون دراستنا لتاريخنا ليس لمجرد السرد المعهود ـ ولكن لكى نستخلص منه مايدعم حاضرنا ويقويه .. وبما اننا نتكلم عن التاريخ .. فسوف يكون من المفيد حقا ان نلم بآراء ووجهات نظر كبار المؤرخين .. امثال ارنولد توينبى ..

فارنولد توينبى يرى أن التاريخ تجميع لتجارب الأمس للافادة منها اليوم وبهذه الطريقة يستطيع الحاضر ان يستفيد من الماضى . ولكن كيف يستفيد الماضى من الحاضر ؟ وكيف نستغل الحاضر فى تعميق فكرتنا عن اناس عاشوا الماضى ، ونريد ان نعرف عنهم المزيد ؟

ويسلم توينبى بأنه لم يكن يستطيع تاليف موسوعة «دراسة للتاريخ» لولا دراسته للمسائل المعاصرة ـ مع ان هذه الموسوعة تتناول الماضى فقط ـ وهو يفسر هذا اللغز بقوله :

« ان العصر الوحيد الذى تضع فيه يدك على اناس احياء هو عصرك انت ، عندما تكون حيا . فاذا استطعت ان تضع يدك عليهم وهم احياء ودرستهم فى هذه الحياة ـ فانك ربما استطعت اذن أن تحيى الذين عاشوا عام ١٠٠٠ أو ٢٠٠٠ قبل الميلاد ولكنك اذا عجزت عن دراسة الاحياء ودراسة طبيعتهم ، عجزت من ثم عن دراسة الجنس البشرى فى اى عصر كان » .

وعندما سأله مستر رايت مبديا دهشته عن مكان الفرد فى هذه المدنيات التى تحدث عنها فى كتابه « دراسة للتاريخ » قال ارنولد توينبى .. «تلك نقطة هامة ـ اليس كذلك» ؟ ذلك لان المرء عندما يستعرض تاريخ الماضى ، يجد قلة من الافراد الذين صنعوا التاريخ . انى افكر الآن فى المستر تشرشل عام ١٩٤٠ ، عندما كتب يقول : انه يشعر بأنه يسير مع القدر . وكان يقصد بذلك : انه

مسئول شخصيا عن صياغة مجرى الامور . ولكنى اومن بان الناس جميعا هم الذين يصنعون التاريخ ربما كان المستر تشرشل قد قام بدور الزعيم ، ولكن لو لم يتبعه خمسون مليونا من الرجال ، والنساء ، والاطفال البريطانيين ، لما كان لهذه الزعامة وزن يذكر . ان لكل واحد قيئا وزنه فى التاريخ ، وان يكن هذا بدرجات متفاوتة . ومهما يكن الامر فان الافراد هم الحقائق الوحيدة فى التاريخ ، اليس كذلك ؟ ليس هناك غير الصلات بين الكائنات البشرية ، واذا كان التاريخ لايكتبعلى يد الكائنات البشرية ، فانه لا يكتب على يد اى شىء آخر . ان كل شىء يصاغ ويتحلل ، كل شىء يخلق ويتحطم ، كل شىء ينجح او يفشل كل هذا يتم على يد الافراد . ولايزال توينبى يعيش فى المدينة الكبيرة التى راى فيها النور «لندن» ولكنه يحن الى الريف ، ويحب الفلاحين ، وعندما ساله مراسل آخر ساعة عما يريد ان يراه فى زيارته الاولى لنا ــ اشار الى الفلاحين قائلا : اريد أن اشاهد ما فعله جمال عبد الناصر للفلاحين .. ووراء حنين ارنولد توينبى الى الريف وحبه للفلاحين قصة وفلسفة..

نفى الرحلة الطويلة التى استغرقت سبعة عشر شهرا زار توينبى عواصم كثيرة فاحس بالضيق .. ويقول فى هذا الصدد .. « اما بالنسبة لعواصم العالم فانها كلها تزداد ضخامة ، وتشابها ومغناطيسية . انها تجذبك الى بيتها ــ بيت العنكبوت ــ وتتآمر معها جميع وسائل النقل وما ان تقتنصك حتى ترفض اخلاء سبيلك . انها لاتستطيع ان تتصور انك تريد ان تهرب منها حقا الى الريف ــ ولكن الريف ــ حتى فى يومنا هذا، مازال هو العالم الحقيقى . ان العاصمة لاتمثل البلد فى قليل او كثير . ولقد ولدت فى لندن ، وعشت فيها طوال حياتى .. ولكنى اذا اردت ان اعد دراسة جادة عن موطنى فساهرب من لندن واذيب نفسى فى هدرزفيلد وورينجتون . ان عجز العاصمة عن تمثيل وطنها هو احد عيوبها النوعية، غير ان هذا العجز يصل الى الذروة فى هذه البلدان ــ وهى تمثل الغالبية ــ التى تمر اليوم بمرحلة المدنية . ذلك لان التمدين يبدأ فى المدن ، وهو يشكل حياة الحضر وفقا للانماط الغربية ، وهكذا نجد ان الهوة بين العاصمة والريف ــ فى امريكا اللاتينية والبلدان الآسيوية هائلة جدا ، كما انها آخذة فى الاتساع المنتظم . مثال هذا انك تشعر وانت تدخل طهران ، وكانك قد خلفت وراءك ايران ــ التى تعتبر طهران عاصمتها الرسمية . ولو قد وضع جنى عابث مدينة طهران موضع ليما ،ووضع ليما موضع طهران فى ليلة واحدة ، فان الفلاحين الايرانيين وفلاحى كوشوا سيجيئون الى السوق فى صباح اليوم التالى كالمعتاد ، ومن المحتمل انهم لن يكتشفوا حدوث ادنى تغير . فليس اغرب من وجود ليما داخل وطنها ، وليس اغرب من وجود طهران داخل ايران . والاثنتان متشابهتان تشابه حبتى بسلة . واذا كان هدف المسافر هو رؤية عواصم العالم ذات الطابع الموحد ، فاحرى به ان يجنب نفسه عناء حزم حقائبه . واينما كان المرء ، فلابد من أن يصطدم بهذا النتاج الذى صنعهعصرنا الحديث . ويقول توينبى عن رحلته ..

« لقد ضاع الكثير ــ الكثير جدا من شهورى الثمينة السبعة عشر فى الذبول داخل العواصم . وضاع الكثير منها فى الاندفاع داخل الطائرات. غير انى لم افقد تماما تلك المعركة التى خضتها مع هذين العدوين اللذين يترصدان المسافر : العاصمة والطائرة . لقد مررت فوق ذؤابات اشجار غابة الأمازون مستقلا طائرة برمائية ، وارتقيت احد وديان ايران الخفية ممتطيا ظهر حمار ، وتسللت فى طريق سايك عند « بترا » سيرا علىالاقدام. ان هذه اللمحات للعالم الحقيقى شذرات لا تقدر بثمن .

وقد تعرض كتاب توينبى ــ « دراسة للتاريخ » الذى صدر فى ستة اجزاء بلغ مجموع صفحاتها ٣٤٨٨ صفحة ــ لهجوم كثير من الكتاب ــ وقال المؤرخون عن بعض آرائه انها غير منطقية ، او غير صحيحة ، أو غير واقعية ، وضربوا لذلك امثلة منها تأكيده لدور الدين فى التاريخ ، فهو يعتبر

التاريخ » رؤية للرب وهو يكشف عن نفسه فى الاحداث لأرواح تسعى اليه فى اخلاص » ــ وكذلك معارضته للنزعة العسكرية والنزعة القومية ــ واعتراضه القائل بأن للمجتمع شكلا، وهو الافتراض القائم على اكتشافه لملامح عدة تتكرر فى جميع المجتمعات ·

ولكن كان هناك من يدافع عن هذه الاتجاهات الواضحة فى منهج توينبى ، ومنهم ريتشارد تشميز الذى قال : ــ

« ان الكبار والمؤثرين من واضعى النظريات ــ من امثال ماركس وفرويد وتوينبى ــ لا يحققون أثرهم القوى بفضل التكامل المنطقى لنظرياتهم ، وانما لأنهم يملئون فراغا يحس به الناس احساسا لا شعوريا يملئونه بقوة عاطفتهم الأخلاقية ، والحاحها » وكتب جميز فيبلمان مقالا مطولا ــ عن كتاب توينبى « دراسة للتاريخ » قارنه بمؤلف شبنجلر « انهيار الغرب » غير أنه أشار الى أن توينبى يتفوق على شبنجلر من حيث ان الأول ذو نظرة روحية غير ضيقة ، فتوينبى لم يعتبر انجلترا مركز العالم ــ أما شبنجلر فألف كتابه من وجهة نظر المانية محضة .

ويتناول توينبى فى كتابه المجتمعات أو المدنيات الرئيسية الست الموجودة فى عالم اليوم ، وهى المجتمعات أو المدنيات الغربية ، والمسيحية الاورثوذكسية ، والاسلامية ، والهندوكية ومدنية الشرق الأقصى · ولقد بلغ من استيعابه للموضوع الذى يتحدث عنه ــ وهو موضوع ذو ابعاد زمانية ومكانية معقدة ــ أن قال عنه فيبلمان : « ان توينبى يألف كل مكان ، سواء كان القرى الصغيرة فى موطن أى فرد ، أو الاركان النائية للارض فى أى عصر ·· وهو يحول كل قصة ــ بلمسة منه ــ الى شىء مشوق » · وقارن البعض كتابه بمؤلف جيبون الشهير « تدهور الامبراطورية الرومانية وسقوطها » غير أن المدنيات والمجتمعات الموجودة فى عالم اليوم لا تشكل كل الأبعاد التى تناولها فى « دراسة للتاريخ » ــ لقد بلغ مجموعها ستا وعشرين مدنية عاشت خلال ستة آلاف عام من تاريخنا · وتأمل توينبى هذه القرون ، ثم خرج بآراء فى تاريخ العالم مثيرة جدا · وقد انتهى به البحث الى أن جميع المدنيات تنتهج نمطا واحدا ، وأن نمو مجتمع أو تدهوره هو نتيجة التحدى الذى يواجهه هذا المجتمع ونوع الاستجابة التى يقدم عليها وهو يرد على هذا التحدى ·· ويضرب لذلك مثلا : ــ

« فى يوم من الأيام كانت صحارى افريقية الشمالية خصبة بصورة رائعة ، وكانت تحتضن جمعا غفيرا من الصيادين · وبمرور الوقت جفت هذه السيول ، وهربت الحيوانات ، وواجه الصيادون تحديا كبيرا ، جاء هذا التحدى فى صورة السؤال: كيف يعيشون ؟

ولم يكن بعض الصيادين بقادرين على مواجهة هذا التحدى ، لم يكن بمقدورهم أن يغيروا أسلوب عيشهم · لقد أصروا على أن يظلوا صيادين ، فمات فريق منهم وعاش فريق آخر على الكفاف ــ فى صورة متوحشين متأخرين ·

غير أن فريقا آخر استجاب للتحدى بأن وقف فى وجهه وواجهه :

لقد شرع يصوغ حياته من جديد · هاجر هذا الفريق الى وادى النيل ، وترك الصيد وشرع يجتث الأحراش ويجفف المستنقعات وينشىء المزارع الجميلة ، وكانت النتيجة أن ازدهروا وخلقوا تلك المدنية المصرية الرائعة التى عاشت زهاء أربعة آلاف عام : »

وقد كتب توينبى عن مشكلة اللاجئين العرب فى كتاب « من الشرق الى الغرب » متحدثا عن قطاع غزة ·· وهو فى هذا الحديث انما يتكلم بلغة رجل المدنيات الانسانية ــ بنظرة شاملة ــ تلك النظرة التى تحمل الى حد ما طابع التفكير الغربى ــ والانجليزى بالذات ·· فهو يقول :

« واذا كان تسعمائة ألف لاجىء فلسطينى قنبلة، فان مائتى الألف الذين يذوون فى قطاع غزة هم فتيل هذه القنبلة المتفجر . هنا يكمن الخطر الذى **يهدد أمن العالم والذى يتحدى أيضا ضميره .** ولا يمكن حل هذه المشكلة البشرية الملحة دون تضحيات مؤلمة من جانب جميع الأطراف المعنية — اسرائيل — والدول العربية — واللاجئين أنفسهم. ومن واجب العالم أن يصر على التفاوض من أجل الوصول الى حل ، وأن يدفع بسخاء لكى يذلل عقباته . واذا استعرضنا أمم العالم جميعا وجدنا أن العبء الأكبر من المسئولية يقع على عاتق بريطانيا والولايات المتحدة ، وفى هذه النقطة على الأقل لا نستطيع أن نكذب حجج العرب » .

ويقول كذلك فى موضع آخر :

« ليس أمام اللاجئين سوى التفكير مليا فى الظلم الذى وقع عليهم . لقد أساء الألمان الى اليهود ، غير أن العرب ، لا الألمان ، هم الذين دفعوا ثمن الأخطاء التى ارتكبها الألمان وتم هذا على يد البريطانيين والأمريكيين الذين انتصروا على الألمان الأعداء ، ويبدو هذا فى أعين العرب مؤامرة دبرتها أمم الغرب للقضاء على شعور العرب بالذنب تجاه اليهود ، وذلك بتعويض اليهود على حساب العرب ، ويتمثل رد الفعل ، فى قلوب اللاجئين ، فى الاصرار بعناد على رفع الظلم الواقع عليهم — يجب اعادتهم الى أراضيهم وحقولهم فى ظل حكم غير اسرائيلى — فما الذى سيحدث لليهود الذين استوطنوا الأرض العربية التى اخذت عنوة ، ويدون ثمن منذ عام ١٩٤٨ ؟ ويرد العرب . لقد خلقت انجلترا وأمريكا هذه المشكلة وعليهما أن تجدا لها الحل » .

وعلى الرغم من أن رد العرب خلاف ما ذكره ارنولد توينبى وخاصة فيما يختص باعتماد العرب على انجلترا وأمريكا فى حل القضية الفلسطينية الا انه بمنطق رجل المدنيات — كما ذكرت سابقا — ومن وجهة نظر رجل الغرب البريطانى أيضا يقول .. وهو رد منطقى — لكنه غير بناء .. ولكن المهم هنا هو أن توينبى عرض القضية بامانة اما من جهة الحلول التى يراها — فهى اشياء فيما اعتقد تخص شعبنا أكثر من غيره .. وهو يعرف الطريق الى حلها .

قراءات فى المجلات العربية

يقدمها : مصطفى فوده مصطفى



● **ايهم نصدق !!**

لا أحد كالفنان تختلف الأحكام النقدية من حول فنه . فناقد يرفعه الى عنان السماء مقتنعا به وبفنه وبما يضيفه من قيم جديدة الى التراث البشرى ، وآخر يخسف به وبما ينتج الأرض لأنه فى نظره دجال لم يأت بحقيقة تستحق الاحترام ، وبخاصة اذا كان الفنان يعايش من لايزالوان يدبون على وجه الأرض ويمشون فى الأسواق ويزاحمهم فى الصنعة ويجرى وراء الرزق ليختطفه قبل أن يقع فى أيديهم ، وليأخذه من بين أسنانهم ان استطاع .

انه والحالة هذه يخضع أكثر لما يخضع له البشر فى حياتهم من حب أو بغض ومن رضى أو سخط فمن أحبه فهو كليل العين عن عورته ومن سخط عليه أبدى كل مساوئه . لذا كانت أحكام المعايشين موضع الشك دائما ، فقد تكون صادرة عن هوى يحب . أو عن احنه تجيك فى الصدر ، تكره الفنان أو تحقد عليه .

ولعل شعر صلاح عبد الصبور وبخاصة فى ديوانه « أحلام الفارس القديم » مثل طيب لاختلاف وجهات النظر اذ أنكر به صلاحا ناقدان أحدهما شاعر، على حين قلده الثالث امارة الشعر بعدشوقى وما كنا لنعرض لما قيل لولا هذا الاعجاب الذى بلغ من ثالثهم حد اصدار براءة لاتدافع بامارة لم يرض عنها الشعب ـ الشعراء ـ أو يعضدها العقلاء ـ النقاد ـ فأى امارة هذه التى يفرضها ناقد وحده ! فى اعتقادى أن الأولى أن نقول عنها انها أمارة ـ بفتح الهمزة ـ على الحب يربط بين ناقد وشاعر . ناقد كان استاذا وشاعر تتلمذ عليه . أكثر من كونها امارة للشعر . والا لصفق لها النقاد وهلل الشعراء ورضى بها الجميع .

ولنر معا ماذا قال الأستاذ عن تلميذه . ثم ماذا قال الآخران عنه . يقول الدكتور « لويس عوض » تحت عنوان « الخلاص بالموت » : « **منذ أن مات شوقى وربة الشعر فى حداد ، وقد ظل بنوها يعزونها من بعده ثلاثين عاما بعذب الأنغام وحلو التواشيح ، ولكن الأم الثكلى لا تريد أن تكفف الدموع لأن شوقى كان أكبر بنيها وعماد سبطها وأمير بلاطها .**

واليوم بكى صلاح عبد الصبور فجفت الدموع فى عينيها واضاءت البسمة فى ثغرها وصفق قلبها طربا، ومن دررعه نضدت الدر فى تاجها الجديد وحين تستكمل لآلىء تاجها ، وتوشى ثوبها الفاخر الجديد سوف تخرج من عزلتها وتخلع عنها شارات الحداد ، وتمشى مزدانه وضاءة بين وصيفاتها من عرائس الخيال لتجلس على عرشها الخالى وتفىء مرة اخرى على العالمين » ثم يقول :

« **وأثبت صلاح نهائيا وبما لا يدع مجالا للشك ان عمود الشعر الجديد قد اقيم وان انقاض ذلك المعبد الأثيل الذى انهار بموت شوقى قد ازيلت**

وارتفع مكانها البناء الجديد ، وهو تيار لم يبلغ بعد فخامة المعبد القديم ولكن الأساس يوحي بان ماسيكون شيء سنفاخر به الأقدمين ، وماعلى صلاح عبد الصبور الا أن يتم بناء هيكله على هذا القرار لنضع فى يده لواء الشعر العربى ونتصبه عميد شعراء العربية المحدثين فى كل الأمصار » .

وهكذا يظل الدكتور لويس عوض يخرج فى قصائد ديوان صلاح فعنده : أن الله خلق العالم ثم لم يعجبه ماخلق فسخط عليه وأهمله . وعنده : أن الحياة هى الموت والموت والحياة سيان . وعنده : ان لا منجاة من الموت الا بالاندماج فى ذات الله . وعنده : ان أبا العلاء المعرى بنى تشاؤمه على أسباب موضوعية صحيحة أو باطلة ، اما صلاح فيبنى تشاؤمه على امتناع الوصول . وعنده : أن صلاحا يدعو الى الوحدة لأن بها وحدها يتحقق الصفاء . وعنده : أن الله أنسى الانسان فلم يجد الانسان بدا من أن يذكر الله به .

وهكذا بمثل هذه التخريجات استحق صلاح أن يكون أمير الشعراء بعد شوقى . فى رأى الدكتور لويس .

أما الشاعر الناقد « مجاهد عبد المنعم مجاهد » فيتكلم عن نفس الديوان ونفس القصيدة فى عدد يوليو من مجلة الشعر . وهو يرى انه : « **لما كان يغلب على معظم قصائد الديوان خلوها من التجربة والموقف الجزئى واللحظة الجزئية والنموذج المشخص ، فان معظم القصائد يسقط عنها أحد المكونين الأساسيين اللذين يجعلان القصيدة عملا فنيا ناضجا مما يدخلها فى قالب التقرير والتعليق** » .

وبعد أن يدلل على رأيه بأبيات من القصيدة التى استحق بها صلاح فى نظر الدكتور امارة الشعر استأنف حديثه قائلا : « **وتظل القصيدة هكذا خالية من التجربة والدخول فى موقف يقتضى بالضرورة النابعة من داخله الدعوة الى التغرب والانكسار .. بل ان خلو القصيدة من التجربة ، يجعلها تتسرب الى الحكمة والتعليق والخطابية وبهذا ترصع القصيدة بكل مايوجهه شعراء الشعر الحر الى الشعر النهجى من عيوب** » ويأتى بأبيات أخرى يقول بعدها : **ان الموقف يظل أمام الشاعر بدلا من أن يعيش من داخله ويعلق عليه بدلا من أن ينمو من أبعاده الداخلية** » .

ثم يتكلم عن قصيدة أخرى للشاعر هى قصيدة « لوركا » ويدلل بها على أن الشاعر لم يضع يده على ظاهرة التركيب الدرامى بعد . ثم يقول بعد هذا : « **ان خلو العمل الفنى من الخلفية الفلسفية هو الذى جعل القصائد تفقد أحيانا الطابع الشعرى ، فلم تعد لغة الشعر عنده لغة تبنى كونا ، فضاعت فى أفعال الأمر** » .

اذ أن الشاعر عند هذا الناقد لا يستحق ولا حتى امارة شعر « حواس » .

ولعل الدراسة التى قدمها « محيى الدين محمد » فى مجلة الشعر ـ عدد يونيو ـ ساعدت أكثر على تفهم المكان الذى يليق بالشاعر لأن محيى قارن بينه وبين شاعر غربى تكلم فى نفس الموضوع « مقتل لوركا » ، ولقد خرج محيى بهذه الاحكام : « **ان صلاحا يبدأ كمايبدأ الشعراء التقليديون فيضفى على الطبيعة نفسها حزن الانسان وشقاءه ، كما بدأ القدامى وتصوروا ان الخلفية الطبيعية من سماء وجبال ونجوم تقف حدادا على الميت وتنعيه باصوات لها أو بسكون .. والمأساة عند صلاح خارجية بحت .. كما كانت المأساة عند قدامى شعرائنا .. ومظاهر الموت التى يستخدمها صلاح تجعل الموت مجرد حدث طبيعى .. ثم يفشل ويقع فى أزمة تعبيرية عنيفة عندما يريد ابلاغ النكبة الى الآخرين ... ثم هو يستخدم مادة الحادثة ويضرب صفحا عن وهم الواقع الذى يشكل الجانب الانفعالى فى القصيدة التى بدأت وانتهت بدون أن يرتبط بها القارىء اطلاقا لأنها انفعال غريب ، عليه آثر الشاعر أن ينحى عواطف القارىء وأن يصدر وحده الأحكام** » .

فأى امارة يستحقها الشاعر عند هذا الناقد بعد قوله هذا ؟! وأى النقاد الثلاثة نصدق ؟

أنا شخصيا أميل الى جانب « مجاهد ومحيى » . فقد حاولا جاهدين اقامة صلة روحية بينهما كناقدين وبين الشاعر والجمهور . برغم ماشاب نقدهما أحيانا من تحميل للمعنى فوق مايحتمل ، الا أنى أحسست أن الاخلاص كان رائدهما ، ولم أحس أنهما أرادا أن يفرضا على آرائهما وانطباعاتهما الشخصية وذوقهما المعين ، كما لم يقفا منى موقف الأستاذية والريادة أو يشعرانى بارستقراطيتهما فى النقد على حد تعبير بعضهم الذى سئل وما الارستقراطى فى النقد . فقال : « من يود أن يفرض نفسه فى كبرياء وعجرفة تقوده نزعة موجهة تزعم فى ارستقراطية واعتداد أنها تعرف مقدما مايحتاج اليه الشعب فتفرض عليه ألا تحتاج الى شىء آخر غير الذى تريد أن تحتاج

اليه · وألا يفكر الا على ضوء تفكيرها وهواها » ·

ويكفينا من « محيى ومجاهد » أن نقدهما يتسم بالموضوعية والأمانة والتسليم للقصيدة المنقودة تسليما كاملا ، فهما لا يلجآن فى الحكم عليها الا اليها وحدها ، وحكمهما مقصور على العلاقة القائمة بين القصيدة وبين الغرض الذى يرمى اليه الشاعر ·

بقيت لى ملاحظة على ماأورده النقاد من قصائد يستشهدون بها · وهى أن صور تلك القصائد لاتنبثق بشدة ولا تنطلق الى الأمام بقوة ، كما أن مافيها من معنى ليس مصيبا بالضرورة أو له من اليقين ما للعقل المباشر الذى ينتقل من انسان لآخر عندما يكون الجو الانسانى الداخلى قد طهره الصفاء والبساطة ·

ولقد عرف بعضهم الشاعر بأنه : من يسهم فى الكشف عن القوى المصيرية · وياله من مصير بائس ذلك الذى ينبع من الحزن وتمنى الفناء · أتراه فى يأس من المستقبل · وحتى ان كان كذلك · لكن اليس معنى فى أن غرس السعادة فى أعماق الانسان وتزويده بطاقة من الأمل · قوة جديدة تبعث فى الانسان القدرة على العمل من أجل غد أفضل ·

ولئن كان الشاعر هو : من يمتلك القدرة على الهامنا وفتح طريق اليقظة امامنا · فما جدوى الشعر الذى يترك فينا بلبلة اليأس وركود اللامبالاة ؟

سؤال يحتاج الى جواب ·

***

● ولقد أرسل الأديب « فتحى سلامة » رسالة يقول فيها :

حتى أنت لم تعطنا فى حديثك عن « نهرو » اهم ما يجب أن يعطى وهو حالة الهند فى عهده · لقد أكلت البرجوازية الهندية عظام الشعب الهندى وفشلت الهند فى اقامة دولة ديموقراطية سليمة تقف أمام تجربة الصين أو الاتحاد السوفيتى ، وفشلت حكومة الهند أيضا فى رفع مستوى المعيشة · رغم جهاد نهرو فى سبيل الصورة التى كان يحلم بها الرجل وسلفه العظيم (غاندى)

ورغم شعبية حزب المؤتمر الذى أنشأه انجليزى يدعى هيوم سنة ١٨٨٥ ، فقد انضم اليه الشعب الهندى وفشلت التجربة الانجليزية بانضمام غاندى ونهرو ومحمد على · وقاد غاندى حرب الاستقلال الفريدة فى نوعها بطريقته المشهورة ومن خلفه نهرو ·

ولكن رغم تحقيق الاستقلال ورغم فوز حزب المؤتمر بالأغلبية الساحقة سنة ١٩٣٧ · فان الحزب كان يواجه مشكلات وظروفا لم توجد فى اى بلد آخر : انقسام هائل بين المسلمين والهندوك أدى الى انقسام الهند نفسها الى دولتين · واختلاف طبقى حاد ، فأحد المهراجات مثلا كان يمتلك ولاية باكملها ورثها عن أبيه ، فى الوقت الذى يأكل فيه فقراء الهنود المسامير ، آلاف اللغات والأديان ، تحكم استعمارى رأسمالى ، أعلى نسبة أمية فى العالم ، نظم أوجدتها الشركة الهندية لخيرها فقط ·

ومع كل هذا فنهرو يؤمن بالديموقراطية ويؤمن بالهند ، ويعيش حياته كلها لقضيتها ولكن الديموقراطية لم تستطع أن تجلب الرفاهية لشعب الهند · وجلس نهرو يفكر فى الوقت الذى يجلس فيه عملاق أصفر بجوار الهند يقوم بتجربة جديدة وفى الوقت الذى ينظر العالم كله الى الهند على أنها أعظم تجربة ديموقراطية فى آسيا ·

رحم الله نهرو · فقد مات وهو يحس بمرارة تجربة حزب المؤتمر الذى أراد الديموقراطية الاشتراكية العلمانية ، ولكنه توانى عن كبح جماح الرأسمالية المستغلة فزيفت الشعارات والتهمت قوت الشعب ولم تحارب الاقطاع وظلت أجهزة الاعلام فى الدولة أسيرة الرأسمالية والاقطاع ·

ولقد كان حزب المؤتمر يقوم على التحالف بين الملاك والرأسمالية والعمال والفلاحين ولكن هل مثل هذا التحالف ممكن ؟ كان لابد للصراع من أن ينشب فى النهاية بين هؤلاء وأولئك ، وكان لابد من الغلبة لفئة على أخرى ·

ولكن نهرو ـ يرحمه الله ـ كان يؤمن بالسلام والوفاق وبالهند · فراح يحاول التوفيق بين كل الفئات لخلق مجموعة متناسقة تعمل لصالح الهند · ولكن شتان بين صاحب الأرض الذى يحلم باتساعها وبين أجير هذه الأرض الذى يحلم بامتلاك قطعة منها·

وهكذا ظل نهرو الزعيم المثالى المؤمن يفكر فى ايجاد الحل الوسط لصالح الهند ، ولقد مات والهند عضو هام فى دول عدم الانحياز ، وتضع جنديا مسلحا يحرس حدودها مع العملاق الأصفر · وآخر يحرس حدودها مع باكستان ·

رحم الله نهرو القائد الذى حقق للهند تجربة تحتاج الى دراسة وفهم فهى فريدة فى نوعها حتى الآن ·



صوفى .. من بولندا
بقلم خميس سلمونه

فى شهر يونيو الماضي تكون قد مضت سبع سنوات كاملة على وفاة الشاعر البولندى « ليوبولد ستاف» ولقد كان بحق شاعرا فذا وقصاصا بارعا .. نزح عن الدنيا بعد بلوغه سن الثمانين وترك وراءه الروائع الخالدة فى الشعر والفكر ، وفى اخريات ايامه زهد فى الدنيا فقال بلهجة صوفية تدل على شفافية نفسه وملائكية روحه ..

انني آخر ابناء عصرى
وسدت الثرى اصدقاء اعزاء
ورايت تقلبات العصر وعشت فيها
وتغيرت مع طفرات الحياة
وعشقت الطبيعة والانسان
ونظرت الى المستقبل بعين فاحصة
واحببت الاستقلال والحرية
وصادقت الرياح والسحب
حتى كرهت الدنيا
التى لم يعد بها ما يشدنى اليها
حتى فقدت جاذبيتها عندي
سارحل
وتمثالى الضخم وهتافات الشعب لى ..
سأترك كل هذه الامجاد الزائفة
فى حجرة خالية يكون صمتها
ابلغ من صمت القبور

وتعددت كتابات « ستاف » حتى وصلت ميدان المسرح فأثراه بعدة روايات ناجحة جعلته يتبوأ مكانة لائقة ومنحته حكومة (بولندا) عام ١٩٥١ ارفع جائزة لديها لمواقفه المأثورة فى عالم الادب وانتاجه الخصب الدائب الذى يجدد فيه نفسه ، كيف لا ! وهو الذى عاصر ثلاثة اجيال كاملة .. يختلف فيها كل جيل عن الآخر بمنهجه واسلوبه وخصائصه .. وقد كان وديعا .. مسالما يسير الهوينى معتمدا على عصا نحيلة سابحا فى عالمى الشعر والفكر .. مؤمنا بالآخرة .. زاهدا فى الدنيا لبريقها الزائف وزخارفها الزائلة .. مؤمنا بالاخرة ونعيمها الدائم وخلودها السرمدى .. مؤمنا بالروح .. والروح الطاهرة

الى عدو العرب
للشاعر احمد عبد اللطيف بدر

أسود القلب هائم فى ضلاله
بين حقد معبر عن حاله
من خبال يثير كل ... شيء
طبعه اللؤم آية لخباله
قد تربى على صغار ، وذل
ينطوى سره على اذلاله !
لايرى فى الحياة غير « وصول »
بالدنايا ، وخسة فى فعاله
لايقول غير « أنا » وتراه
قد تدلى فى فعله ، ومقاله !!
طائش اللب ، جاهل ، عبقرى
عن غرور يشيع فى أوصاله
عرقه نابض « بتل ابيب »
منكر الحق ، كاره لرجاله

ونضـال الاحرار سـوف يريه
خيبة القصـد فى نفاق نضاله !
كل حر يعيش شـهما ، ابيـا
رافع الراس ابـدا بين آلـه !
وعد « بلفور » لن يقيم بنـاء
خاله فى الوجـود طوع خياله !
والعدو الاثيم عـاش غـويا
« مخلب » القط عالقـا بحباله
سوف يفنى مجـال كل ضـلال
لكن العـدل ثابت فى مجاله !!

تصويب
بقلم احمد الشريف

ذكرتم فى قائمة كتب العقاد وتواريخ صدورها ان كتابه « الثقافة العربية اسبق من ثقافة اليونان والعبريين » قد صـدر فى سنة ١٩٦٠ والحقيقة انه صدر فى نوفمبر ١٩٥٩

وكتاب « شعراء مصر وبيئاتهم فى القـرن الماضى » وصمة فى الجيل الماضى .

تعليق
بقلم الغزالى حرب

لم يكد مقالى « من آثار العرب فى صقلية » يرى النور ، حتى جمعتنى المصادفة السعيدة بالصديق الحميم ، والأديب المكين ، الأستاذ وديع فلسطين ، الذى ابلغنى عن الأستاذ الشاعر محمد عبد الغنى حسن ، ما اسجله هنا انصافا للحقيقة والتاريخ ، واحاطة باطراف الموضوع :

اولا : طبع ديوان ابن حمديس باللغة العربية فى بيروت بتحقيق الدكتور احسان عباس .

ثانيا : طبع هذا الديوان فى رومية باللغـة العربية منذ خمسة وستين عاما تقريبا وان كانت معظم تعقيباته الهامشية ، ومقـدمته باللغـة الايطالية .

ثالثا : اننى لم اشر فى مقالى الى الكتاب الذى طبعته دار المعارف للدكتور احسـان عباس فى « آثار العرب فى صقلية » .

واقول : شكرا جزيلا للأسـتاذين الجليلين ، اللذين اصارحهما باننى لم اسعد مع الاسف بقراءة كتاب الدكتور احسان عباس ، حتى اشير اليه من بعيد او قريب ، ولم ار فى دار الكتب او غيرها ديوان ابن حمديس المطبوع فى بيروت باللغـة العربية ، فليس فيها الا طبعة واحدة هى الطبعة المشار اليها برقمى ١٤٥٩ ، ١٤٤٦ ادب ، وعبارة « طبع سنة ١٨٩٧ فى رومية الكبرى المسيحية ، وقف على طبعه وتصـحيحه الفقير الى الله جلستينو سكيابليلى »

ومعظم التعقيبات والمقدمة باللغة الايطالية ...

فمتى نرى هذا الديوان باللغة العربية شـعرا وشرحا وتقديما فى مكتباتنا الكبرى بجمهـوريتنا العربية المتحدة ؟ ومتى نرى « المكتبة الصقلية » باللغة العربية كاملة ؟ ذلك مارجو ... وشـكرا جزيلا .

وفوق كل ذى علم عليم

« مقالات .. فى سطور »
« حسنى الطحاوى »

● ان العصر الذهبى للانسـانية .. لم يكن ابدا وراء ظهورنا .. وانما هو ماثل فى تحسين الوضع الاجتماعى .. فآباؤنا لم ينعموا به قط .. ولكن اطفالنا سوف يسعدون به يوما ما .. ومن واجبنا ان نهيىء لهم الطريق الى هذا اليوم .

● الانسان ان لم يهلك نفسه بالقنبلة الذرية .. فانه سيدمر نفسـه بوقت الفراغ الطويل الذى سيخلقه العصر الذرى .. واذا لم توجه الجماعات البشرية اوقات الفراغ وجهة سوية .. انتشـرت الجرائم .. وسيطر الترويج التجارى المنحرف على امزجة المواطنين .

● الخدمة العامة تعتبر من اسمى ما يمكن ان يقدمه الانسان للآخرين .. ومجالا صالحا لابراز كيان المواطن الاجتماعى فى المجتمع .

● لا كرامة لجائع ، ولا قوة لمريض ، ولا طمانينة لمن لا عيش له ، لا مقاومة ولا صمود لمن لايطمئن الى غده .. ومن لايشعر بأن حوله مجتمعـا يكفله ويرعاه .

● الحرية لا معنى لها مع الحـرمان والمرض والخوف والتعرض لمخاطر الزمن .

● ان التاريخ يتجه فى سـيره نحو تحقيق السعادة للانسـانية .. وان من واجب الافراد ان يعملوا حتى يحققوا هذه السعادة لانفسهم .

● ان الحب هو العـروة الوثقى التى ينهض عليها صرح المجتمع .. فالحب هو الذى يبث الحياة فى جوانب المجتمع .. والفرد لا يعيش الا من اجل هذا الحب الذى اذا تمكن من تحقيقه ادرك السـعادة القصوى .

● ان لم تكن قد اعطيت الناس نفسك .. فانت لم تعطهم شيئا .

البحث عن منى

بقلم الدكتور نجيب الكيلانى

الناس يضحكون منى ، لان الفرق شاسع بينى وبين من ابحث عنها ، أنا رجل عجوز ، ضعيف البصر عيناى كعملتين فضيتين لكنهما زائفتان ، ولحيتى كتة مهملة بيضاء لكنها مغبرة ، وغضون جبهتى تزيد وجهى الشاحب قبحا ، وملابسى الرثة المرقعة تفضح حالى اكثر مما تستره ٠٠ أما هى « منى » ابنتى فلها وجه وضاء ، وعينان واسعتان ، وبشرة خمرية ،وجدائل شعرها الفاحم تنسدل على كتفيها٠٠ ولصوتها نغمة حنون دافئة ٠٠ منى هى حياتى وحبى وأملى ٠٠ لها أعيش ٠٠ لكنى فقدتها ٠ ٠ حافظت عليها منذ أن ماتت أمها ، لكن صاحب البيت طردنا من الحجرة الحقيرة التى كنا نقيم فيها مقابل قروش قليلة ، بحجة تقصيرنا فى دفع الايجار وخرجت أنا ومنى نبحث عن لقمة العيش ، وكنا نتسول ٠٠ نستجدى المارة ، فنجمع قروشا وملاليم وبضعة أرغفة وبرتقالة وليمونة وقرصين او ثلاثة من الطعمية ٠٠ كان ايرادنا لاباس به ٠٠ وفى المساء لانكلف أنفسنا مؤونة البحث عن مسكن ٠٠ فهناك عدد كبير من الارصفة الخالية ٠٠ ما ألذ ليالى الصيف على الارصفة ! لكن الشتاء كان قاسيا لايرحم كبعض بنى البشر الذين يلوون وجوههم عنا ، ونحن نطلب الاحسان ٠

وذات مساء ذهبت «منى» ابنة الخامسة عشرة لتحضر لى جرعة ماء ٠٠ ولست أدرى أطال الوقت أم قصر اذ لم يكن له فى ذهنى حساب أبدا ٠٠ نحن نأكل ونعيش ولا ننام جائعين فلماذا أفكر فى الوقت ! وقبل أن تعود منى ٠٠ جاءنى شرطى قاسى الملامح ٠٠ ارتبط فى ذهنى هو الآخر بليالى الشتاء وقال الشرطى فى حنق :

ـ «هيه ٠٠ ماالذى أبقاك هنا حتى هذه الساعة من الليل » ؟

قلت دون أن أتبين ملامحه تماما :

ـ وأين أذهب ؟

ـ الى بيتك ٠

ـ ليس لى بيت ٠

ـ يبدو أنك لا تعرف أن التسول جريمة ٠

ـ اية جريمة ؟

فقال دون أن يعير تساؤلى اى التفات :

ـ وان عقوبته السجن ٠

ـ وما ذنبى ٠

ـ انت غبى ٠

ـ فلتعطنى منزلا ٠

فازدادت لهجته جفافا وغلظة ، وحسبنى أسخر منه ، وأسخر من القانون ، فانقض على بلا رحمة وجذبنى من ذراعى الواهنة حتى أوقعنى وقال :

ـ متسول ٠٠ ووقح أيضا ٠٠ هيا أمامى ٠

وهتفت فى استغراب :

ـ الى أين ؟

وتشبث بملابسى من خلف العنق ودفعنى أمامه وقال :

ـ الى قصر عابدين ٠٠ الملك يريد مصاهرتك ٠ ماذا تظن ! ؟ ألا تعرف الطريق الى قسم الشرطة ؟ لاشك أنك سرت فيه عشرات المرات ٠

ولم يكن من المعقول ان اقاوم ، فانا بالنسبة له حشرة حقيرة من السهل سحقها ، ثم ان القانون فى صفه ، القانون الذى يعتبر التسول جريمة ، لكننى تذكرت أمرا هاما وانا أسير امامه بقوة دفع يده القوية ، تذكرت «منى» ، فدق قلبى ، وانتابنى ذعر هائل ، واستطعت أن أقف برغم دفعه لى ، قوة مجهولة انبثت فى كيانى ، فامتلأ بالشجاعة والقدرة على المقاومة ، فصرخ الشرطى فى غيظ :

ـ أتعصى أوامرى ؟

فقلت فى ذلة :

ـ لمن اترك منى ؟

ـ اتركها للشيطان ٠

ـ لكنها ابنتى ٠

ـ لعنة الله عليك وعليها ٠

ـ وليس لها أحد ؟

ـ وما شأنى بها ؟

ـ لاشك أن فى قلبك رحمة ٠٠ الست مؤمنا ٠

ولم أشعر الا وكفه الغليظة تصفعنى صفعة قوية اهتز لها كيانى اهتزازا ، وقال :

ـ دعك من هذه الألاعيب ٠

وانسابت دموع حقيقية من بين أهدابى ، وتطلعت اليه بعينين كعملتين زائفتين وهتفت فى صوت جريح ضارع :

ـ ارحمنى ٠٠ لسوف تعود « منى » ولا تجدنى فأين تذهب المسكينة فى جوف الليل ؟

فرد دون اكتراث :

ـ عندما تسأل عنك ، فستسير فى نفس هذا الطريق ٠٠ لاشك أنها متسولة مثلك ٠

ولم أستطع المقاومة هذه المرة ، فقد هدتنى المأساة ، وذهبت عنى قوتى ، وسرت ذليلا فى الطريق المعتم الى قسم الشرطة ، لم أكن أرى شيئا من حولى ، الظلام هو كل شيء، حتى الشرطى نفسه لم أعد أشعر بغير يده الغليظة التى تقبض على وتدفعنى الى الامام ، صورة (منى) هى التى كانت تحتل رأسى، لسوف تعود بالعلبة الصفيحية مملوءة بالماء ، وستجد مكانى على الرصيف خاليا ، وستتلفت يمنة ويسرة باحثة عنى ، ولن تجدنى ٠٠ يالها من مسكينة ! الى أين تذهب ؟ وكيف تنام وحدها ٠٠ والدنيا ليل ٠٠ والليل أشباح وذئاب؛ لسوف تبكى المسكينة وتنتحب ، ولن تجد من يجفف لها دموعها ، ويضمها الى صدره فى حنان ، ويربت على ظهرها عطفا وبرا ، لسوف تضيع فى الظلام والزحام لأنها وحيدة صغيرة لاتملك شيئا ٠٠ وسيكون الرصيف المهجور كئيبا مكفهرا لا أنس فيه ولا متعة ٠

والتفت الى الشرطى وقلت :

ـ أليس لك أطفال ؟

ـ ياقوة الله ٠٠ وما دخلك انت يارجل ؟ أتفتح لى محضرا ؟

ـ أنت لاتعرف كم أحب (منى) ٠

فانفجر الشرطى ضاحكا بغير مناسبة وقال :

ـ احبك برص ٠

ثم أردف بلهجة جدية :

ـ يارجل دعك من هذه الحركات ، انها لن تنطلى على ٠٠

كانت ليلة مشئومة ، لقد وجدت حجرة فى القسم أنام فيها ، لكنى افتقدت (منى) ودفاءها وبراءتها ، بل افتقدت نفسى ، وحكم على بالسجن شهرا ، خرجت لأبحث عنها بعد قضاء مدة العقوبة، كنت آتى الى الرصيف المعهود وأسأل الرائحين والغادين : من منكم رأى (منى) الحلوة ٠٠ ابنتى ؟ فيضحكون وينصرفون عنى ساخرين ، وبعضهم يسقط فى يدى نصف قرش ، فأتلقفه شاكرا ٠٠ واعود أسأل : دلونى على (منى) حبيبتى ، خذوا

روحي واعيدوها الى ، فلا أتلقى من أحد جوابا الا رميى بالجنون والعته أحيانا ، وبالخبث والتحايل أحيانا أخرى .

ثم قبض على مرة ثانية .

وعدت الى السجن لأقضى فيه شهرا ونصفا بتهمة التسول .. والتسول جريمة يعاقب عليها القانون وهأنذا أخرج بعد الافراج عنى ، والمفرج عنهم دائما يفرحون ويستبشرون لأنهم سيجدون من ينتظرهم لدى باب السجن ، هناك الأذرع المفتوحة والأحضان والزغاريد والقبلات والتهاني .. أما انا فأخرج من الباب وحيدا ضائعا .. الناس من حولى كثيرون ، لكنى وحيد دائما .. وحيد .. أبحث عن (منى) دون جدوى .

هانا أجلس على الرصيف المعهود ، والأضواء من حولى محتضرة ، واشعر بالجوع ينهش فى معدتى والجو شديد البرودة ، وقطرات خفيفة من المطر تنزل على رأسى ، وعلى الأجزاء المكشوفة من جسدى وكأنها دموع السماء المكتظة بالسحب القاتمة ، وفى فؤادى دموع من نوع آخر .. لقد جفت دموع عينى وهاهو قلبى يبكى من أجل (منى) التى ضاعت فى عرض الدنيا الواسعة ، لكن الجوع يعاودنى ، فأحلم بكوب من الشاى الساخن ، وارى شبحا يقترب منى فيراودنى الأمل ، وتمتد يدى النحيلة المرتعشة واهتف بصوتى الباكى بالعبارة التقليدية التى تنطلق منى دائما دون وعى ، بمناسبة وغير مناسبة :

ـ لله .. لله يامحسنين .. الحسنة بعشرةأمثالها .

وتقترب منى خطوات تدق الارض فى غلظة ، فتثير فى نفسى الرعب والخوف ، استطيع أن اميز مثل هذه الخطوات بسهولة لانى خبير بها ، هى لشرطى لاشك فى ذلك ، ولاول مرة اشعر أن فراستى قد خابت ، والعتب على النظر ، كم أنت كريم يارب، هاهو الرجل يمد يده فى جيبه ويخرج قرشا يعطيه لى ، لكنه يظل واقفا ، فاقول :

ـ شكرا لك .. رزقك الله الستر فى الدنيا والآخرة .

وعندما أهم بوضع القرش فى جيبى ، يجيئنى صوته الأجش قائلا :

ـ هاقد قبضت عليك متلبسا بالتسول .

فيغوص قلبى، وتتسارع دقاته ، وينتابنى يأس قاتل ، فاضرع اليه :

ـ أنا راجل مسكين، وابحث عن ابنتى الضائعة.

لكنه أمسك بيدى فى عنف وتمتم :

ـ نحن ننفذ الأوامر .

ـ لكنك يجب أن ترحمنى .

ـ الرحمة لها ثمن .

ـ ماهو ؟

ـ أن تدفع جنيها .

ـ جنيها .. ؟ ماذا تقول ؟ اتسخر منى ، أم أ.. أذنى لاتسمعان جيدا ؟.

فقال الشرطى فى نبرة حاسمة :

ـ تلبسون المهلهل من الثياب وتنامون على الذهب ، انا اعرف المتسولين .. تجمعون المليم على المليم وتكونون الثروات .

فرددت عليه ذاهلا

ـ لكنى يابنى لم أغادر السجن الا ظهر اليوم .

فجاءنى جوابه صارما :

ـ الدفع أو السجن .. أيهما تختار ؟

ـ لكنى أبحث عن (منى) .

فظن بى تبالها وغباء مصطنعا ، فزمجر :

ـ حسنا .. هيا معى فقد تجدها هناك .

البرد يجمد الأطراف ، وقدماى الحافيتان قد تخدرتا تماما ، وفكى يرتعش على الرغم منى .. ولقمة الخبز الجافة تبدو فى خيالى كأمنية عسيرة المنال ، وابنتى (منى) كالأسطورة الحالمة ، كالحلم الشجى .. والدنيا كلها من حولى حرمان وظلام وضياع ، وانا كالميت الحى يسعى الى قبره ، والشرطى يسير نشطا مرتديا ملابسه الصوفية ، ويدندن بصوت أجش عار من الجمال والحنان :

«هلت ليالى القمر» .. ثم يلتفت الى مواسيا :

ـ لاتحزن .. فى السجن ستجد الطعام والبطانية والبرش النظيف، لو كنت مكانك لفضلت الاقامة فيه طول حياتى .

واخذت الكلمات تنطلق من فمى دون وعى :

ـ انت لاتعرف « منى » .. انها حلوة ولها قلب كبير .. وساظل ابحث عنها .. لعلى أجدها .. آه اين أنت يا حبيبتى .. اين انت ؟؟



الثقافة والارشاد القومى

العدد ٥٨

الثمن ٣ مـ

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الفهرس

رئيس التحرير

أحمد حسن الزيات

المراسلات جميعها تكون باسم
السيد مدير ادارة المجلات
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد . محمد فريد . القاهرة

تصدرها

وزارة الثقافة والإرشاد القومي

الاشتراكات ١٥٠ سنويا
ويضاف أجر البريد
من خارج ج.ع.م

التجديد الديني

للدكتور محمد أحمد خلف الله

– ٥ –

الأصل فى الأشياء الاباحة ، ولا يكون تحريم الا بنص .

وتلك قاعدة شرعية يعرفها جميع المشتغلين بالتشريع ، وبوضع القوانين .

والقرآن الكريم يقدم لنا من الشواهد الشيء الكثير العدد ، ولكنا نكتفي في هذا المقام بشاهد لا شاهد بعده ، شاهد يرينا الى أى حد كان الاسلام رحيب الصدر ، واسع الافق ، والى أى حد كان يحمل في ثناياه من المتناقضات ، التي يحملها ويصطبر عليها حتى يتمكن من القضاء عليها ، واقتلاعها من جذورها ، وحتى يقيم التحليل أو التحريم بعد المنع أو الاباحة .

والشاهد الذى نسوقه هنا مرتبط بالعلاقات الاجتماعية التي كانت قائمة بين المؤمنين والكافرين، أو بين المسلمين والمشركين :

لقد نزل القرآن الكريم محاربا الشرك وعبادة الأوثان ، ولم يتهاون في ذلك في أية لحظة من اللحظات .

ولقد سكت القرآن الكريم عن بعض العلاقات الاجتماعية التي تقوم بين المسلمين والمشركين .

ورأى النبي عليه السلام ، ورأى الصحابة معه أن هذا السكوت معناه عدم المنع أو التحريم ، ومضوا في علاقاتهم الاجتماعية السابقة على الاسلام ، مع الكفرة والمشركين .

وكان من بين هذه العلاقات التزاوج ، فلقد ظل التزاوج بين المسلمين والمشركين قائما طوال العهد المكي ، والسنتين الأوليين من العهد المدني – ظل قائما حتى نزلت آيات التحريم :

- **ولا تنكحو المشركات حتى يؤمن ...**
- **ولا تنكحو المشركين حتى يؤمنوا ...**
- **ولا تمسكوا بعصم الكوافر .**
- **يأيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن .**

عند ذلك أصبح التحريم هو الحكم الشرعي ، وعند ذلك أيضا فرق النبي بين المسلمات والكافرين ، وبين المسلمين والكوافر .

وكان من اللائي وقع التفريق بينهن وبين ازواجهن الكافرين ابنتان للنبي عليه السلام .

هذه القاعدة الشرعية « **لا تحريم الا بنص** » من القواعد التي يجب أن نعض عليها بالنواجذ ، لانها تفيدنا كثيرا في هذا العصر الذي نعيش فيه، والذي نحتاج فيه الى شيء كثير من تجديد التفكير الديني .

هذا النص الوارد في التحريم قد يكون نصا من القرآن الكريم ، وقد يكون نصا من الحديث النبوى الشريف – نصا واضحا ، بينا ، **قطعى الدلالة** ، مفيدا لليقين .

كما قد يكون نصا لجماعة المجتهدين من فقهاء المسلمين – أى انه تحريم صادر عن الاجماع ، أو أن الأصل فيه هو الاجماع :

والمسالة التي نريد ان نلفت اليها ذهن القارىء هي موقف المسلم من هـذه التحريمات ، هل هي بمنزلة واحدة أو هناك تفاوت ؟

اني اترك القارىء لنفسه ، وأعينه فقط بان أستثير في ذهنه هذه التساؤلات :

ان ارتكاب المحرم في حالة مخالفة نصوص القرآن الكريم أو السنة النبوية يكون موجبا لنوعين من العقوبات :

عقوبة في الحياة الدنيا يوقعها الامام أو من يقوم مقامه ، وتكون بالسجن أو بالتعذيب .

وعقوبة في الحياة الآخرة من المولى جل وعلا بالالقاء في عذاب الجحيم .

فهل في مخالفة النص الذي الأصل فيه هو الاجماع نفس النوعين من العقوبات أو يكتفي فيها بالنوع الأول وهو العقوبة الدنيوية ؟

هل يعاقبنا المولى جل وعلا لمخالفتنا أقوال الفقهاء عقابا أخرويا ، أو يكتفي بتلك العقوبة التي يوقعها الامام وهي العقوبة الدنيوية ؟

اني شخصيا أرى أن الاجماع ليس الا لونا من ألوان **التشريعات المدنية** التي تسود الجماعة في وقت من الأوقات ، والتي تحرص عليها الجماعة ما دامت محققة للمصلحة العامة ، وملبية لاحتياجات الناس .

بقيت كلمة أسوقها قبل أن أنتقل من هـذه القاعدة الى قاعدة شرعية أخرى هي **أن من المجتهدين المسلمين من خالف اجماع الفقهاء ، ولم ير في مخالفته باسا .**

لقد أجمع الفقهاء على أنه: يحرم بالرضاع مايحرم بالمصاهرة .

وهذه قاعدة وصلوا اليها باجتهادهم واستنباطهم ولكن ابن تيمية لم يذهب الى هـذا الرأى الذي لم يشر اليه قرآن أو حديث، فقد نقل عنه : ان تحريم المصاهرة لا يثبت بالرضاع ، فلا يحرم على الرجل نكاح أم زوجته وابنتها من الرضاع ، ولا يحرم على المرأة نكاح أبي زوجها وأبي أمه من الرضاع .

ولقد وقف ابن قيم الجوزية الى جانب ابن تيمية في هذه المسالة مشيرا الى ان القرآن الكريم قد تعرض لهذه المسالة في اجمال ، وأن النبي عليه السلام حين شرح هذا الاجمال وقف عند حدود النسب ولم يتجاوزها الى المصاهرة .

ولقد رأى **النبي** انه يحرم بالرضاع ما يحرم بالنسب وليس من حقنا أن نتجاوز النسب الى المصاهرة .

ان هذين الشيخين انما يريان أن التحريم لا يمكن أن يكون الا عن الكتاب أو السنة الصحيحة .

وهذه القاعدة لها قيمتها الكبرى في حياتنا اليوم ، من حيث أن أعمالنا الجديدة التي نرغب فيها نتبين وجه الحرمة فيها من كتاب الله أو سنة رسوله ، فان لم يكن هناك نص على الحرمة فهي مباحة ولو كره الفقهاء ورجال الدين .

ان الأصل في الأشياء الاباحة ، ولا تكون محرمة تحريما دينيا الا اذا استند هذا التحريم الى نص من الكتاب أو السنة .

وهـذه القاعدة الشرعية يمكن أن تتخذ نقطة انطلاق في حياتنا الجديدة .

فجميع مشروعاتنا المستحدثة كغزو الفضاء ، واستخدام الطاقة الذرية في السلم ، تدخل في باب الاباحة من حيث أنه لا نص في الكتاب أو السنة على تحريمها .

بل نستطيع ان نذهب الى أن جميع المشروعات المستحدثة لا تحتاج الى فتوى من رجال الدين ، اذ من المسلم به أن الكتاب والسنة لم يتعرضا لها لأنها لم تكن موجودة ، وهذا وحده يكفي في الذهاب الى القول بأنا لن نحتاج الى فتوى شرعية من رجال الدين .

ننتقل الآن الى **قاعدة أخرى** انفرد بالقول بها «أبو يوسف» صاحب أبي حنيفة وقاضي قضاة بغداد في زمن العباسيين .

يذهب أبو يوسف **الى ان الحكم الشرعي المبني على العادة يعطل اذا تغيرت العادة ، ولا ضير من مخالفة النصوص .**

والمسالة التي أوردها اليوم بيانا لرأى أبي يوسف وتوضيحا لهذه القاعدة هي مسالة الغنائم الحربية .

فالغنائم عند المسلمين هي :

(أ) الرجال المقاتلون – اى الجند .

(ب) غير المقاتلين وهم النساء والأطفال أو الذرارى .

(ج) الأرضون ·

(د) الأموال ·

والى جانب هذه الغنائم التى تقسم ، وتخمس الأسلاب وهى ملك للقاتل حسب النص المعروف الذى كان مطبقا فى ميدان القتال وهو : من قتل قتيلا فله سلبه ·

والسلب ماكان يلبسه المقتول من ثياب ، وماكان عليه من عدة حربية وعتاد ، وفرسه الذى كان يقاتل عليه ، وما وجد فى جيبه من زينة واموال ·

وحكم الشرع الشريف فى بنى الانسان ، أن الامام أو من يقوم مقامه مخير فى الأسرى المقاتلين بين القتل ، والاسترقاق ، والفداء ، والمن · فله أن يقتل الجندى الأسير ، وله أن يسترقه ويبيعه بيع الرقيق ·

أما النساء والأطفال فليس له أن يقتلهم · انهن السبى الذى يوزع على المقاتلين ، ومنزلتهن هى منزلة الجوارى والاماء ، ولمن وزعت عليه الحق فى استخدامها ، والاستمتاع بها ، وبيعها ·

أما حكم الشرع الشريف فى الأراضى التى فتحت عنوة فهى أن تصبح ملكا للامام أو ملكا للدولة الاسلامية ووقفا عليها · وللحاكم أن يوزعها على المسلمين على أنها أرض عشرية ، أو على غير المسلمين من أبناء الدولة المفتوحة الذين بقوا على دينهم على أنها أرض خراج ·

ان ملكية الأراضى فىمثل هذه الحالة تكون للدولة على كل حال ·

أما الأموال فتقسم بعد أن تخمس ، ويكون للراجل سهم ، وللفارس أكثر من سهم ، لأن فرسه يدخل فى الحساب · ومن الملاحظ أن الأسهم التى تكون للفرس أكبر من تلك التى تكونللراجل او لصاحب الفرس ، فللفارس سهم ، وللفرس سهمان ·

هذه الأحكام الشرعية وجدت يوم كانت الدنيا كلها تجرى تقريبا على هذه القواعد أو على تلك العادات ·

ونحن اليوم نمضى فى الحرب على أسس لم تكن معروفة للسابقين ، من مدفعية ، ودبابات ، وقنابل ذرية وغير ذرية ، وصواريخ ·

ونحن اليوم نمضى فى معاملة الأسرى على أسس أخرى لم يعرفها الاولون ·

فليس من حقنا اليوم أن نقتل الجندى المقاتل أو نسترقه ·

وليس من حقنا أن نسبى النساء والأطفال ونسترقهم ·

والغنائم كلها ملك للدولة ، وليس للجندى نصيب فيها ، وليس له أن يأخذ سلب من قتل ، بل انه لا يستطيع اليوم أن يتبين من قتله هو ومن قتله غيره ، ما دامت عدة القتال لم تصبح السيف ، وانما أصبحت القنبلة أو الصاروخ ·

لقد تغيرت العادات ، وتغيرت القوانين تبعا لها ، وقوانين الحروب اليوم قوانين دولية وليست محلية أو اقليمية ·

ان تغير كل هذا قد عطل نصوص الشرعالشريف الخاصة بالغنائم ولا ضير فى ذلك ولا ضرر ·

ومن الخير لنا أن نقول بمثل ما قال به أبو يوسف من أن الحكم الشرعى الذى الأساس فيه العادات يتغير بتغير العادات ، وتلك هى قاعدة تغير الأحكام بتغير الأزمان ·

واذا أردنا أن نتبين الى أى حد تصبح هذه القاعدة مفيدة ونافعة فلنفترض أن بلادنا هى التى فتحت ·

هل نسمح للآخرين بأن يطبقوا علينا اليوم أحكام الشرع الشريف فى الغنائم ؟

هل نقبل أن يسترق الرجال وتسبى النساء ؟

أعتقد أن لا · لقد تغيرت العادات ولا بأس من تعطيل تلك الأحكام التى كانت مبنية على العادات ·

بقيت كلمة قصيرة أتوجه بها الى **رجال الدين** والى علماء الأزهر الشريف ، وهى كلمة تتعلق بملكية الأراضى ·

انهم من غير شك أولى الناس بتطبيق أحكام الشرع الشريف، وأحكام هذا الشرع تفيد أن أرضنا المفتوحة عنوة ملك للدولة ووقف على المسلمين ، فهل لهم أن يعلنوا أن أراضيهم التى تحت أيديهم ليست ملكا لهم ، وانما هى ملك للدولة ، وأنها تحت أيديهم على أنها أرض عشرية ، وأن ما دفعوه فيها من أموال للبائعين لهم كانت من قبيل خلو الرجل ·

انهم ان فعلوا عاونوا فى تثبيت الاشتراكية عن طريق تطبيق أحكام الشرع الشريف ·

الانسانية وعلوم المادة

• للدكتور محمد مندور •

تثبت الانباء العالمية الكبرى أن الهوة التى تفصل بين التقدم المذهل فى علوم المادة والتخلف الواضح فى الانسانيات تزداد اتساعا .

ففى علوم المادة أذيع **أن سفينة فضاء امريكية قد وصلت الى القمر ، وفى الوقت نفسه تتوالى الانباء بمحاولة الاقوياء البطش بالضعفاء ، أو من يظنونهم ضعفاء مما يشـهد بانحطـاط هؤلاء الاقوياء فى الانسانيات** ، فامريكا تشن حملة تاديب ضارية على فيتنام الشمالية تدمر بهـا المدن وتقتل الابرياء بدعوى أن قنبلة طوربيد صغيرة قد أصابت احدى بوارجها التى لا ندرى ماذا كانت تفعل عند سواحل جنوب شرقى آسـيا ، وذلك دون أن تنتظر حتى مجرد التاكد حتى من مصدر هذه القنبلة وسبب اطلاقها ، وكأنها كانت متربصة لفيتنام الشمالية منتظرة أى نقلة تافهة لكى تضربها لمجرد أن فيتنام الشمالية ترفض تسلل السيطرة الامريكية على بلادها بل وتعين أحرار فيتنام الجنوبية على التخلص هى الاخرى من تلك السيطرة التى منعت فيتنام الجنوبية حتى اليوم من تقرير مصيرها فى حربه واختيار نوع الحكم والسياسة الاقتصادية والاجتماعية التى تراها أكثر صلاحية لشعبها . وفى الجنوب العربى يزداد سعار الاستعمار البريطانى وحشية كلما ازدادت ثورة أهله فى سبيل الحرية والاسـتقلال وتقرير المصير حماسة مشروعة بل واجبة ، وفى قلب البحر الأبيض المتوسط تحشد تركيا أساطيلهـا وتطلق أسراب طائراتهـا المقـاتلة على قبرص لضرب مدن وقرى أهلها من اليونانيين الذين يكونون الغـالبية الساحقة من سكانها ، لا لشىء الا لأن هذه الأغلبية ترفض تقسيم الجزيرة بينها وبين الأقلية التركية العنيدة الحمقـاء ، وكأن تركيا تريد أن تجعـل من قبرص اسرائيل أخرى بتشتيت سكانهـا الأصليين من الاغريق وفرض السيطرة التركية عليها بواسطة الأقلية التافهة من الاتراك الذين تسللوا اليها .

كل هذه الانباء المفزعة تشهد بما سبق أن قررناه من أنه فى الوقت الذى ستتقدم فيه علوم المادة على نحو ما هو واضـح فى النجاح فى غزو الفضـاء بواسطة السفن الذرية يأتينا من الانبـاء ما يقطع بتخلف الانسانيات والضمير الاخلاقى الذى كان من الممكن أن يكبح جماح العدوان وسفاهة القوى الذى يريد أن يبطش بمن يظنه أقل منه قوة .

والواقع أن تخلف الانسانيات والضمير البشرى عن التقدم فى السيطرة على المادة عن طريق الكشف عن أسرارها وقوانينها ظاهرة موغلة فى القدم ، فمن الثابت اليوم تاريخيا وبفضل أبحاث علمـاء ما قبل التاريخ أن الانسـان البدائى كانت أولى خطـواته نحـو التحضر والاسـتقرار البـدء فى سيطرته على الطبيعة وتسـخيرها لمصلحته وذلك عندما أخذ يستنبت بنفسه النبات ويستأنس الحيوان ويصنع سلاحه من « حجر الصوان » ويكتشف النار التى تدفئه وتنضج طعامه ، وترجع تلك الخطوات الأولى الى مليون سنة ، وذلك فى حين أن العلماء لم يستطيعوا أن يرجعوا انبثاق فجر الضـمير الانسانى الى أبعـد من خمسة آلاف من السنين وكان أول انبثاق لهذا الضمير فى بلادنا مصر على نحو ما أثبت المؤرخ الكبير « **بريستد** » فى كتابه العظيم « **فجر الضمير** » الذى نقله الى العربية عالمنا الأثرى الكبير « **الدكتور سليم حسن** » وكان انبثاق فجر الضمير الانسانى معناه بدء الانسان فى استكمال معنى الحضارة بالبحث عن المبادىء التى تمكن هذا الانسان من قيادة نفسه والسيطرة عليها وردع غرائز الشر والعدوان المفطورة فيهـا ، ومن المعلوم أن

الحضارة معناها عند المفكرين سيطرة الانسان على الطبيعة وسيطرته على نفسه وقدرته على قيادها .

وهكذا اثبت البحث عن بدء الحضارة البشرية ان سيطرة الانسان على المادة قد سبق بمئات الالاف من السنين انبثاق فجر الضمير أى بدء محاولة الانسان السيطرة على نفسه وقيادتها .

والظاهر أن هذا التخلف من الانسانيات لم يستطع البشر تداركه حتى اليوم بل اخشى ان يكون قد ازداد وبخاصة عندما أفكر فى تاريخ علوم المادة وفترات وأسباب ازدهارها وتقدمها فاذكر أن الحروب ودوافع العدوان والتفنن فى ابتكار الاسلحة والمهلكات قد كانت الدوافع القوية لتدعيم البحث عن أسرار المادة واكتشاف خصائصها وقواها الكامنة التى قد يفيد الكشف عنها الانسان فائدة لا حد لها كما قد تكون من أسباب دماره وهلاكه فمن المؤكد مثلا انه لولا ظهور امكانية استخدام الطاقة الذرية فى صنع أسلحة الدمار الشامل لما خصصت للكشف عن تلك الطاقة الدول الكبرى الملايين من الجنيهات ، وكان من الارجح أن تخصص تلك الملايين للبحث عن أسرار خلية الجسم الانسانى وامكان تجديدها حماية للانسان من عادية الموت العاجل نتيجة لاستهلاكه لخلاياه الحيوية اما بسبب الميكروب والمرض أو بسبب الشيخوخة ، كل ذلك كان من الممكن أن يحدث لولا تخلف الانسانية وازدياد صوت الضمير خفوتا عند البشر ، وانا لا أتصور أنه من الممكن أن يتغلب البشر نهائيا على الموت ليضمنوا للانسان الخلود بجسمه ولكننى على الاقل أتوقع أنه لو وفرت الانسانية من المال والجهد للبحث عن أسرار « البروتوبلازما » قدر ما وفرت للبحث عن أسرار الذرة والطاقة الهائلة التى انتزعتها منها لوصلنا قريبا الى تحقيق وضمان تنفيذ القانون العام الذى أثبت صحته علماء الاحياء وهو القانون القائل بأن كل كائن حى يمكن ان يعيش أى أن تظل خلاياه العارية والنبيلة منها حية وعاملة لفترة تعادل خمسة أضعاف المدة التى يستغرقها الكائن الحى المكون من تلك الخلايا ، ولما كان من الثابت أن الانسان ككائن حى لا يكتمل نموه على نحو نهائى الا بعد خمسة وعشرين عاما ، فمن الواجب ومن الممكن أن يظل حيا مدة مائة وخمسة وعشرين عاما ، أى خمسة أضعاف مدة اكتمال نموه . ولولا الميكروبات والآفات والاعراض المرضية لاستطعنا أن نضمن هذا العمر لكل انسان ، وانه لمن المخزى للبشر أن يعجزوا حتى اليوم عن الوصول الى تحقيق وتنفيذ هذا القانون العضوى العام وذلك فى الوقت الذى يتيهون فيه زهوا لاكتشاف أسرار الذرة المادية . ثم نراهم يستخدمون طاقتها الهائلة فى اعداد أسلحة الدمار الشامل، بدلا من استخدامها لمصلحة الانسان وخيره . وفى كل هذا أكبر دليل على ازدياد الهوة اتساعا بين تقدم علوم المادة وتأخر الانسانيات .

وفى رايى أن زيادة عمر الانسان والوصول به الى مائة وخمسة وعشرين عاما سوف يكون عاملا فعالا فى تقدم الانسانية ونمو الضمير الانسانى وذلك لانه كلما ازداد الانسان معاشرة للحياة وتجاربها ازداد حكمة وازداد ضميره نموا ووضوحا وحزما لان تجارب الحياة كفيلة بأن تثبت أن التزام حكم الضمير لا يضر بمصالح الانسان المادية بل يزيدها يسرا . ولسوء الحظ لا يكاد الانسان يقترب من الحكمة حتى يعاجله الموت ، فيمضى بحكمته التى قد تورث نظريا ولكنها قلما تورث عمليا كمنهج للسلوك الانسانى ، وذلك لان الانسان قلما يستفيد من تجارب الغير ولابد لكل جيل من أن يقوم بتجاربه الخاصة ، وأن يدفع ثمنها مهما كان باهظا . وهذه هى محنة الانسان الاخلاقية الحقة ، وكأنه مقضى عليه أن يستأنف الشوط باستمرار ، وأن يلقى فيه ما لقيه سابقوه من عثرات ، أو كأنه سيزيف الذى حكمت عليه آلهة اليونان القدماء بأن يدحرج حجرا ضخما ليصعد به سفح جبل عال ، فهو يدفعه دائما الى أعلى بكل قوته وجهده المضنى ولكن الحجر يعود فينزلق الى أسفل وهكذا دواليك .

ولكن أما من مخرج من هذه الحلقة المفرغة ؟

نعم ، هناك مخرج وهو ارادة الانسان الواعية القادرة على أن تعمل للنهوض بالانسانيات بنفس السرعة والحزم اللذين أديا الى تقدم علوم المادة وازدهارها فى عصرنا الحاضر هذا الازدهار العظيم ، بل وبسرعة أكبر حتى نتدارك ذلك التخلف الذى يرجع كما قلنا الى مئات الآلاف من السنين فى انبثاق فجر الضمير الانسانى .

نظرات في الشعر العراقي المعاصر

للدكتور بدوي طبانه

شاعرية حافظ جميل

- ٤ -

وأحسب أننا نقصر في حق قارىء هذه الكلمات بل في حق شاعرية حافظ جميل اذا تجاوزنا جانبا من أهم الجوانب التي اشتهرت بها وتفرعت فيها ، حتى حسب كثير من المعجبين بحافظ جميل انه لايعيش الا لها ، ولا يفضي بمكنون شاعريته الا في مناجاتها .

والجانب الذي نقصده هو ذلك الشعر الذي أخلصه حافظ لوصف الخمر ، وشرح فيه هيامه بها وولوعه بصحبتها .

وفي بعض ماقدمنا عن حافظ اشارة الى خمرياته والى قصيدته التي أنشأها في مناجاة كاسه ، واشارة الى أن تلك المناجاة تبدو ثمرة تجربة صادقة واثر صحبة طويلة محببة :

يالك من بيضاء حببت لي
حتى بياض الشيب في راسي
واصلتني الخمسين لم تضجري
والغيد يضجرن من الخمس

وهو لا يطيق ساعة تنقضي من عمره من غير راح ولا أنس ، بل لايعد تلك الساعة من يومه ولا غده ولا أمسه ، بل هي مبتوتة من عمره :

تبا لعمري ان مضت ساعة
منه بلا راح ولا أنس
لا تلك من يومي ولا من غدي
حتى ولا المقبور من امسي
حسبي هياما فيك أن أجتلي
مرآك ما أصبح أو امسي
وأزدري الدنيا وما خبأت
لي في غد من طالع نحس

ان حافظ جيل لايداجي في ابراز تلك الصحبة ، لانه لايشتهي أن يطالع الناس بوجه غير وجهه الحقيقي ولا يعبأ بما يرضى أو ما لايرضى ، الا بما ينبغي لشعره الذي جعله ترجمانا لنبض وجدانه من جمال التعبير عن صدق التجربة وحقيقة الشعور . ولم يرد حافظ جميل أن يكون ذلك المداري للناس المصانع للمجتمع الذي عناه حكيم المعرة بقوله :

يحرم فيكم الصهباء صبحا
ويشربها على عمد مساء
يقول لكم غدوت بلا كساء
وفي لذاتها رهن الكساء

وانما أراد أو لم يستطع الا أن يكون صادقا ، والا أن يكون شعره الصورة الصحيحة الصادقة لأحاسيسه ووجداناته ، ومن هنا كان اخلاصه لفنه باخلاصه في الكشف عن حقيقة نفسه وحقيقة مشاعره وحقيقة حياته .

ولا نعرف على وجه التحديد الظروف التي دعت حافظا الى الولوع بالراح ، والهيام بالكاس حتى استبدت به ، وجعلته واحدا من ألافها ، وعلما من أعلام مطربها وواصفيها في أدب سائر العصور .

ولكننا نستطيع أن نرى في شعره ملامح من فلسفة التشاؤم من الحياة ومن المجتمع الذي عبر عن علله وآفاته وعن مصارع الاخلاق فيه ، ويبدو أن ذلك التشاؤم قد أخفى عن حافظ كثيرا من مفاتن الحياة ومباهجها ، فأصبح لايرى فيها الا معالم الشر وقد أخذت تطارده ، حتى لايجد لنفسه ملاذا الا في أحضان الكاس تذهب في ومضاتها اشجانه وتذوب في رشفاتها همومه .

وفي قصيدته **شاعر** التي قلنا ان حافظا لم يعن بهذا الشاعر الا نفسه يصف قلقه وتبرمه بالحياة ،

فهو في قلق دائم ، يقضي نهاره مترددا وليله أرقا لايغمض جفنيه الا رشفات من الراح :

تعس يرتل آي شقوته
والدمع أفصح ما يجوده
يطوي جديد نهاره قلقا
متوجسا حزنا يجدده
ويلوذ حين تطول ليلته
بالراح تعييه فترقده
راح ترد اليه راحته
من حيث ما تنفك تجهده
كم غلقت جفنيه من أرق
والقلب موصول تسهده

ولكن الشاعر ، وهو يلوذ بالخمر ، ويرى فيها ما يبدد آلامه ، وما يذهب عنه أرقه وضجره ، يعترف بأن الراح لاتنفك تجهده ، وانه في مقارفتها ليس الا أسيرا لما تعود ، وان جانب التفكير وحكم العادة يصطرعان في أعماق نفسه ، وأخيرا تصرع العادة المتسلطة دواعي الفكر وأسباب الرشد :

هيهات يصغي من تعودها
الا لما يملي تعوده
ان جاذبته نهاه جاذبه
رأس أشل الفكر مقعده
رأس يكاد يزل من ثقل
لولا أثافي الراح تسنده

اذن فهو الألم الذي أقض مضجع الشاعر ، وعو الحس المرهف الذي أحال حياته جحيما لايطاق وهي النظرة القاتمة الى المجتمع الذي استحال في عين الشاعر مجموعة من الفساد :

في بيئة فسد الجميع بها
لم يبق شيء بعد تفسده

كل أولئك دفع حافظا كما دفع آلافا غيره من هواة الراح وشرابها الى الفرار من الواقع المر ، والتحليق في أودية الخيال ، وتعمد البعد عن عالم الوعي والشعور الى حيث يظنون المتعة والسلوى في صحبة الراح ، وفي مجالس الطرب والأنس ، فانطلقوا ـ كما يقول حافظ جميل ـ يدفعون الشر بالشر ، ويداوون علتهم بأصل الداء :

اذا دهمتني رعشة الصحو بغتة
فزعت لكأسي أدفع الشر بالشر
كأني وما غير الكئوس عصابتي
أشاغل دهرا من نكال ومن غدر
يزايلني غمي بجرعة خمرة
وأدجو وماغمي سوى جرعة الخمر
وأبدو كمعلول به ألف علة
وما بي من داء سوى تعب الفكر
ومن كان مثلي فكره الدهر متعب
فأخلق به الا يفيق من السكر

وعلى الرغم من استغراق الشاعر في تجاربه الخمرية التي اضطرته اليها حساسيته ، وتبرمه من الفساد الذي غشي جوانب من المجتمع ،لم تفارقه يقظة ضميره ، ولم يزايله فرقه من مغبة ماهو مستغرق فيه ، فيقول :

ألا ان عبء الراح أثقل كاهلي
وظني به أن سوف يقصم لي ظهري

ويقول ان الراح **(ما تنفك تجهده)** وانها ان استطاعت أن تغمض جفنيه فلا تستطيع أن تقضي على السهد الموصول في قلبه ، وان نهاه يجاذبه نحو الاقلاع عن ذلك الداء لم يغلبه الرأس المشلول والفكر المقعد ، وانه يدفع شرا بشر ، وان جرعة الخمر اذا شفته من قلقه وحيرته لحظة فانها سر قلقه وغمه اذا صحا ، وان به منها ألف علة ، وليس تعلقه بها الا أثرا من آثار التعب المضني والفكر المكدود !

وكان ذلك في قصيدتيه **(بداية النهاية)** و **(شاعر)** وقد أنشأ الاولى سنة ١٩٤٥ وأنشأ الاخرى سنة ١٩٤٩ ، ولكنا نسمع منه نغمة جديدة في قصيدة (الكأس) وهي من أحدث شعره الذي أنشأه سنة ١٩٦٤ ، اذ نراه في تلك القصيدة يشيد بالخمر اشادة المكبر لها ، بعد أن كان يرى نفسه مغلوبا على أمره في معاقرتها ، بل انه ليذهب الى أنها وحدها التي تكشف غمته ، وأن ايغاله في شربها آية من آيات العفاف والتقى ، وان الذين ألفوا الافك والدس غير جديرين بمعاقرتها ، ثم هو فوق ذلك لايرى الخمر رجسا من عمل الشيطان ، بل يرحب برجس الخمر اذا لم يكن بد من مخالطة الرجس في هذه الحياة الدنيا ،وكأنه يقول انها أخف البلاء ، لان بلواها لاتتجاوز صاحبها الى غيره :

كم غمة باللهو فرجتها
تستنفر الموتى من الرمس
وأعظم أوزاري اذا لم آزد
فيك عفافا وتقى نفس
كم حرم العبد على نفسه
ما حلل الله على القس

لا دارت الخمر على فاسق
واصلها بالافك والـــدس
ومن سوى الكاس اذا عوقرت
ميزت الشهم من النكس
فما له يرتاع من ســـكرة
تكشف عن أخلاقه الشكس
هات مــع الآلام من بلسم
كالخمر عند المرهف الحس
وأى رجس هــو أن تحتمى
من جور أيامك بالـــكاس
يا حبذا الرجس اذا لم يكن
بد لدنيــــاك من الرجس

ويبدو أن خمسة عشر عاما لم تستطع أن تحرر الشاعر من القيد الذى كان يشـــكو ثقله ، أو من العادة التى كان يتمنى الخــلاص منها ، بل زادته تشبثا بالقيد ، وايغالا فى التجربة ، حتى دفعـــه الاستغراق فيها الى قول غريب ، وهو أن العبد هو الذى حرم على نفسه الخمر ، وانى الله تعالى أحلهـــا للقسس والرهبـــان ، فى حـــين أن العكس هو الصحيح .

ولكنا لانحسب الانكار للشرائع فى تلك المسألة كان غرض الشاعر ، وانمـــا كان الاستغراق فى التجربة والاسراف فيها نتيجة لحدة الانفعال الذى ساقه الى مثل ذلك الاسراف فى التعبير ، وذلك باب من الغلو يراه بعض النقاد أشبه بطبيعة الفن الادبى وسائر الفنون التى لايقتصر أصحابها من أهل الفن فى ابراز أفكارهم ومعانيهم على المألوف ، ويفضلونه على الاقتصار على الحد الأوســط ، وغايتهم من ذلك التأكيد الذى يبرز التجربة ويثبتها فى الاذهان .

ومن طرائف الخمريات فى شعر حافظ جميـــل ما اثبته فى (**نبض الوجدان**) وسجل به بعض ما كان بينه وبين بعض أصفيائه . فقد بعث اليه واحد منهم بعشر زجاجات من «الرحيق المختوم» فلم يصل الى الشاعر منها سوى ثلاث فقط ، فكتب اليه يداعبه :

ألم تبعث بهن الى عشرا
مختمــــة بطغراء العقيق
فمالى لاأصيب سوى ثلاث
ضحاضح لا تكاد تبل ريقى
فهل لك أن تعززها بخمس
تعدينى ولو نصف الطريق
الشقى هــكذا أبدا برزقى
والقى الحيف حتى فى الرحيق

ويشير فى هذه الابيات الى صديقه الاستاذ **خالد الدرة** ، وكان هو الذى حمـــــل الزجاجات العشر ليوصلها الى الشاعر ، فاحتجز لنفسه سبعا منها ، ولم يوصل الى الشاعر الا ثلاثا فقط ، فقال حافــظ جميل مداعبا :

رماني يابن درة ســـوء حظى
واوقعنى به فى كــل ضـــيق
فـــاف يابن درة منـــك آف
فما أنا منـــك بعد بذى وثوق
اذا صبحت يومك دون خمــر
شربت وما حفلت دم الصديق

وهذه الصراحة التى نقرؤها بوضوح فى شـــعر حافظ جميل سواء فى شعره الذى وصف فيه خمره ولهوه أو فى شعره الوطنى ، تمثل فى حقيقتها ثورة على المصانعة والرياء ، وقد رآهمـــا الشاعر مظهرا للاستكانة وضعف النفوس ، وتمثل ثورة على محاولة اخفاء المشاعر الحقيقية وراء دوافع الترغيب ودواعى الترهيب :

ومن هنا أرخى حافظ لنفسه عنان الهوى ، وأرخى لشاعريته عنان التعبير عن حقيقة مشاعره وتجاربه من غير أن يحسب لغير الصدق فى الحديث عن النفس حسابا ، وهو الذى يقول فى مطلع قصيدته (**بداية النهاية**) .

هى النفس أجرى فى هواها كما تجرى
ولا أتوخى العـــذر ان فاتنى عـــذرى
يعيب على الناس ســـافر لذتى
ولم أر عيبا كاضطرارى الى الستر
أرى الناس لايطرون الا مخـــادعا
والا أخـــا جبن والا أخا مـــكر
وحسبك خدعا أن يضام أبيهـــم
فيهمس بالشكوى ويهتف بالشكر

وبعد ، فلعل المدرسة النواسية فى الشعر العربى لم تظفر فى تاريخها بكثير من أمثال حافظ جميـــل الذى أبدع فى صفة الخمر ابداعه فى سائر النواحى التى طوف بها ، والفنون التى تناولها .

وأعتقد أن هذه الكلمات أشبه شيء بالصوى التى تدل على معالم الطريق ، وتفتح البـــاب لدراسات خصبة فى شاعرية حافظ جميل الناضجة التى يحتل بها بجدارة منزلة رفيعة بين عبـــاقرة أهـــل الفن والادب .

هذا تراثكم الشعري يا شباب العرب

للدكتور محمد النويهي

نعود الى البيتين الرابع والخامس من مرثية أبى ذؤيب الهذلى ، بعد أن نظرنا فى كل منهما على حدة، حتى نقارن بينهما ، ونزداد التفاتا الى براعة الشاعر فى تنويع وسائله الادائية . ففى البيت الرابع :

فاجبتها : اما بجسمى انه
أودى بنى من البلاد فودعوا

وجدنا وسيلته الغالبة هى استعمال المدات الثلاث المعروفة فى العربية ، من ألف الى ياء الى واو ، والتنويع بينها طولا ودرجة وشدة ، مع اختتامها بالصرخة الطاعنة للباء المضعفة . وفى البيت الخامس :

أودى بنى ! فاعقبونى غصة
بعد الرقاد وعبرة لا تقلع

وجدنا وسيلته الغالبة بعد افتتاح البيت بتكرار الصرخة الطاعنة هى استخدام جرس الحروف لا الحركات الممدودة ، فهو يكثر من استعمال حروف الحلق .

والسبب العضوى الذى دفعه الى هذا التنويع بين الوسيلتين ، هو ان البيت الرابع يعبر عن العاطفة فى أقوى انطلاقها وثورتها ، ولذلك احتاجت العاطفة الى المدات . أما البيت الخامس ، فبعد افتتاحه بتكرار الطعنة النافذة ، يعود الشاعر فيه الى محاولة التماسك وكبح العاطفة الثائرة ، ومن هنا يختنق صوته بتلك الغصة التى تطرأ على حلقنا حين نبذل الجهد فى كظم انفعال قوى ومحاولة الحديث بصوت هادىء .

ومن هنا أيضا يتجلى لك سر من أسرار الصدق العظيم فى هذه الأبيات . وهو تراوحها فى انفعال العاطفة صعودا وهبوطا ، وحدة وارتخاء ، وصياحا واختناقا ، وشحذا وغلظة .

انك اذا راقبت فى واقع الحياة رجلا يعبر عن عاطفة قوية ، ويستمر تعبيره زمنا ، فلن تجده يستمر فى صراخه الا مدة معينة ، يصيح فيها ويرعد ويتحدى ويصرخ . ثم يأخذ معرته التعب والكلال ، فيرتخى ويهبط ، ويصدر أنات مختنقة وبحات غليظة جشاء ، يستمر فيها فترة حتى يستريح صوته بعض الشيء، ثم يعاود صياحه وثورته العالية . وهكذا يظل صوته متقلبا بين ارتفاع وانخفاض ، واحتداد وعمق،(بالمعنى الموسيقى المضبوط لهذه المصطلحات)، الى أن ينتهى من ثورته العاطفية ويتم تنفيسه عنها . فيهدأ ويسكن .

فها انت ذا قد رأيت أبا ذؤيب ، بعد أن بلغ صوته فى البيت الرابع ما بلغ من الحدة والشدة ، عاد فى هذا البيت ، بعد تكرار صرخته ، الى الهبوط فقلبته الأصوات الحلقية المجهدة المختنقة ، بعد أن انهكته المدات الصارخة المرتعدة . فحروف الحلق هنا تعبر عن أشياء عديدة . تعبر عن هذا الاجهاد الذى دخل صوته بعد صراخه العنيف فاضطر الى الهبوط التماسا لقدر من الراحة . وتعبر عن محاولته العامدة أن يأخذ نفسه الآن بقدر من التجلد والكظم بعد أن أطلق لثورته العنان فى البيت الماضى وفى أول هذا البيت . وتعبر عن صدق استجابته الادائية لمعنى البيت حين يصور الغصة المختنقة التى تستولى على حلقه بالفاظ لاتؤدى المضمون بمعناها اللغوى فحسب ، بل تلونه تلوينا عضويا بجرس حروفها الحلقية الثمانيه المتعاقبة .

وعليك منذ الآن أن تتتبع هذا التراوح العاطفى بين صعود وهبوط فى كل مرثية صادقة . أما اذ قرأت مرثية يحتفظ فيها الناظم بالنبرة الصارخة فى عدد كبير متعاقب من أبياته دون هبوط أو راحة ، فلك ان تشك فى أنه كاذب مفتعل ، لا يعبر عن عاطفة حزن حقيقية ، فهو أقرب الى النادبات المأجورات اللائى يؤجرن على مواصلة الصراخ ، وكلما ازدادت

مقدرتهن على الاحتفاظ بهذا العلو مدة طويلة راجت سوقهن وكثر الطلب عليهن في المآتم ·

اما وقد هبط أبو ذؤيب وأراح صوته بعض الشيء في بيته الخامس ، فلنأت الى بيته السادس لنرى كيف يعود الى الثورة العارمة :

«سبقوا هوى ! واعنقوا لهواهمو
فتخرموا ! ـ ولكل جنب مصرع

ما أن تقرأ هذا البيت حتى يتضح لك انه عاد الى الصياح العالي الحاد · يتجلى هذا في جملته الأولى : « سبقوا هوى ! » فهي على نفس ايقاع « أودى بنى » واختتامها بطعنة الياء الممدودة العظيمة النفاذ · وهكذا يكرر أبو ذؤيب للمرة الثانية هذه الطعنة المؤلمة ، الا انه وقد استعمل « أودى بنى » مرتين من قبل ، لم يشأ أن يمررها بعينها مرة ثالثة لئلا يحملنا على الملل ، فكرر الايقاع والطعنة بلفظ جديد يؤدى مضمونا جديدا ، وما أدل هذا على مهارته الموسيقية الكبيرة ·

ولكن لا تترك « هوى » هذه حتى تسأل : لماذا استعمل أبو ذؤيب هذا البناء المعين الغريب للكلمة ؟ لماذا قال « هوى » ولم يقل « هواى » فيستقيم وزنه أيضا ؟ هنا يساعدنا الشارح القديم مساعدة كبيرة بان يخبرنا ان هذه لغة هذيل · أى ان قبيلة هذيل التي منها أبو ذؤيب ، حين تضيف ياء المتكلم الى كلمة مختومة بالألف ، تقلب هذه الألف ياء وتدغمها في ياء المتكلم ، فتقول هوى وعصى وفتى ، بدلا من هواى وعصاى وفتاى ، وهي لغة قريش ·

لكن هذا الشرح اللغوى لايكفينا ، لأننا نعود فنسأل : لماذا اختار أبو ذؤيب في هذه الكلمة بالذات ان يتبع لغة قبيلته ؟ أو تراه اتبع هذه اللغة في سائر الفاظه ، أم اتبع لغة قريش التي كانت هي اللغة الأدبية الفصحى ؟

لا يكفى في الاجابة على هذا السؤال الجديد ان نقول انه اتبع لغته هنا لأن صيغة « هوى » في ايقاعها ونغمها اقرب انسجاما مع كلمة « بنى » مما لو قال « هواى » · فان هذا صحيح بالطبع ، ولكن هناك سبب أعمق ، يجعل استعماله للهجة القبلية الخاصة هنا ليس مجرد صنعة موسيقية ماهرة ، بل استجابة طبيعية صادقة لما تقتضيه العاطفة حين تبلغ أقوى انفعالها ·

فالذى تلاحظه في واقع الحياة هو أن أحدنا ياخذه غضب عظيم مفاجىء ، أو الم شديد مفاجىء ، فيصيح صيحة فورية للتعبير عن هذا الغضب أو الألم ، وتأتى صيحة هذه على نبرة لهجته المحلية ، في الحى من أحياء المدينة أو في القرية أو الاقليم · وربما يكون هذا الشخص في حديثه العادى ياخذ نفسه باللهجة الراقية التي تدل على التثقيف والتهذيب وارتفاع المنزلة الاجتماعية · ولكن انظر كيف انه في التعبير عن غضبه أو المه المفاجىء يرتد الصعيدى الى لهجته الصعيدية ، والشرقاوى الى لهجته الشرقاوية ، ومن اصله من حى المدبح أو زينهم أو الدرب الاحمر الى لهجته « البلدى » ·

وكاتب هذه السطور يذكر واقعة طريفة حدثت في انجلترا أثناء الحرب العالمية الثانية · وهي أن بعض الشرطة شكو في رجل يركب القطار ورجحوا أنه جاسوس متخف· وكان الرجل يتكلم الانجليزية بطلاقة تامة ولهجته لاتشوبها لكنة أجنبية · فتعمد أحدهم ان يدوس على قدمه دوسة قاسية مفاجئة · فلما صرخ الرجل الصرخة الألمانية المعبرة عن الألم، لا الصرخة الانجليزية ، تأكد الشرطة من صحة ظنهم ! وقبضوا عليه ·

فأبو ذؤيب لا يلجأ في صرخته الجديدة « سبقوا هوى » الى لهجته الهذلية لمجرد اجادة الصنعة الموسيقية وتسوية القالب ؛ وان كان هذا ينتج بطبيعة ترديد الايقاع والجرس ، بل لأنه وقد عاد الآن الى انفعاله الحاد لم يجد مناصا من أن يصرخ بلهجته القبلية الخاصة ويترك صيغة قريش الأدبية المعتمدة ·

تزداد هذه الحقيقة لك جلاء حين تفكر في معنى البيت وما فيه من ادعاء عجيب يبلغ فيه أبو ذؤيب أقصى مرارته وحنقه من موت أولاده · فما معنى قوله انهم سبقوا رغبته وأسرعوا الى رغبتهم في الموت ؟ وهل من المعقول ان يكونوا هم الذين اختاروا لأنفسهم الموت وأسرعوا اليه ؟

هذا لاشك ادعاء غير «معقول» ، لكن عدم «معقوليته» لا ينفي صدقه التام ، فهو مايحدث حقا في واقع الحياة ، حين يبلغ بالوالد حزنه ولوعته على وفاة ولده أن ينقلب الى غضب عنيف على الولد الميت نفسه · فالوالد المفروع الذى أطاش المصاب رشده

يخيل اليه حقا أن ولده قد تعمد الموت تعمدا ، وانه تعمده لكي يغيظ والده المسكين ويصيبه بالحسرة .
ولكي يعصيه ويعانده ! فهو يعلم مدى حب والده له ، وحرصه عليه ، لكنه مات عمدا لكي يتسبب له في كل هذا الألم والعذاب .

هل حدث لك أيها القارىء أن سمعت والدا – أبا او أما – يرثي ولده بحرقة قوية ، ثم ينقلب فجأة فيصيح : كده تموت يا ابني وتسيبني ! كده تعملها في ! اخص عليك يا فلان ! كده اهون عليك الخ ...

والى القارىء مصداق ذلك من بعض ما تنشره جريدة « الأهرام » من كلمات الرثاء في صفحتها التي قبل الأخيرة :

– « يا من كنت لي نعم الشقيق . هل حقا فارقتنا منذ أربعين يوما ونحن أحوج ما نكون الى عطفك وحنانك ؟ وهل هان عليك ماتقاسيه من حسرة ولوعة لفراقك مع أنك كنت في حياتك بلسما لجراحنا وآلامنا ...

– « فارقتني وانت في مقتبل العمر تاركا لي اللوعة والأسى ولم ترحم قلبي وكنت املي في هذه الحياة ومؤنسي في وحدتي ... والدتك .

– « لقد فضلت الرحيل مع بابا وتركتني لتزيد النار اشتعالا ... والدتك الحزينة

– لماذا أسرعت الرحيل دون وداع ...

هذا هو القسم الأول من ذلك البيت « سبقوا هوى» . فلننظر في قسمه الثاني «واعنقوا لهواهموا فتخرموا » . نرى مباشرة أنه يعود الى الصياح العالي ويعبر عنه بالمدات المتعاقبة ، أي انه يعود الى نفس الوسيلة التي استعملها في البيت الرابع. ولا يحتاج القارىء الآن الى أن نطيل الشرح كيف ينبغي أن يقرأ كل كلمة من الكلمات الثلاث بمضاعفة طول الواو خطوة بعد خطوة :

واعنقوا و .

لهواهمو وو ..

فتخرموا و و و و ...

وهنا مرة أخرى قد رمزنا الى الطول المتدرج بتكرار حرف الواو مرة ثم مرتين ثم أربعا ، وبوضع نقطة ثم نقطتين ثم اربع نقط . فليعد القارىء الى شرحنا للبيت الرابع في المقالة الماضية ليرى أيضا كيف ينبغي عليه بالاضافة الى زيادة الطول تدريجيا أن يتدرج في « الدرجة » ، حتى يزيد صوته حدة وفي « الشدة » ، حتى يزيده علوا في الكلمة بعد الكلمة . وعليه أيضا أن ينتبه الى ما في جرس مدة الواو من محاكاة قريبة لقشعريرة الألم الشديد الذي يرتعد به الصوت ، كما يحدث لأحدنا اذا كوت النار يده فجأة فاطلق تاوهه المهتز .

ولكننا نضيف الى شرحنا السابق ثلاث ملاحظات نرجو أن ينتبه اليها القارىء هنا .

أولاها : أن الشاعر اقتصر هنا على مدة الواو ، وهي كما شرحنا أشد الحركات العربية ضيقا واجهادا لجهاز النطق ، ولم ينوع بينها وبين مدة الألف ومدة الياء ، كما فعل في البيت الرابع . وسبب اقتصاره هنا على مدة الواو يكررها مرات ثلاثا هو انه يريد الآن ان يبلغ بصوته أقصى حدته وشدته . وسيرى القارىء في باقي أبيات القصيدة أن أبا ذؤيب بعد أن بلغ هذه الغاية القصوى في الحدة والشدة في هذا البيت لايعود اليها بعد ولا يحاول أن يكررها . فجميع صيحاته القادمة أقل درجة وشدة . وهذا منه دليل جديد على حسه الفني الصادق ، فهو ينفر من الاسراف في استغلال وسيلة فنية استكشفها حتى لا يحيلها الى وسيلة رخيصة مملة .

وثانيتها : أنه مهد لهذه الواوات الثلاث في اعنقوا لهواهمو فتخرموا » ، وتلتقط نغم هذه الواو البادئة يكون لهذا وقع مضاعف في الانسجام التنغيمي ، واشارة الى ضرورة الزيادة من ارعاد المدة وذبذبتها واوا بعد واو .

وثالثتها : أنه مع استعماله في هذا البيت السادس لنفس الوسيلتين الموسيقيتين اللتين استخدمهما في البيت الرابع ، فانه عكس هنا ترتيبهما . ففي البيت الرابع بدأ بوسيلة الصياح العالي المعبر عنه بالمدات ، وأعقبها بوسيلة الصرخة الحادة المعبر عنها بطعنة الياء المشددة في (بني) . اما في البيت السادس فهو يجيء اولا بصرخة الياء المشددة في (هوى) ثم يتبعها بمدات الواوات الثلاث . وفي هذا العكس للقالب الموسيقي تنويع جميل ممتع للتناغم الموسيقي ، كما ترى من وضعنا لهما هكذا :

٤ ـ فاجبتها اما لجسمى أنه

اودى بنى !

٦ ـ سبقوا هوى !
واعنقوا لهواهمو فتخرموا

وانظر الآن كيف توسط هذين البيتين بالبيت الخامس • فهذان البيتان الرابع والسادس اللذان يستعملان نفس الوسيلتين ولكن معكوستى الترتيب ، قد توسطهما الشاعر ببيت يبدأ بالتقاط وسيلة الطعنة الحادة ثم يتبعها بوسيلة ثالثة مختلفة هى حروف الحلق المختنقة :

٥ ـ أودى بنى !

واعقبونى غصة بعد الرقاد وعبرة لا تقلع

فلنعد الى البيت السادس لنتم نظرتنا فيه • اما وقد بلغ الشاعر اقصى درجته وشدته الصوتية على كلمة « فتخرموا » ، (ومعناها أخذهم الموت واحدا بعد واحد) ، فانظر الآن كيف يهبط فى باقى البيت هبوطا مباغتا قوى المباغتة حين يتمه بقوله :

ولكل جنب مصرع

وهى كلمات تخلو تماما من المدات ومن حرفى الياء والواو الساكنين ، كأنه بعد أن علا الى أعلى قمة يستطيعها بصوته انهار فجأة انهيارا تاما من فرط اجهاده • وكأنه قد استنفد ثورته واحتجاجه فعاد الى الهدوء والسكون و « القرار » • فانظر كيف ينسجم هذا الأداء اللفظى مع هذه الحالة العاطفية الجديدة ، وكيف ينسجم أيضا مع « الفكرة » التى تتولد من هذه الحالة العاطفية والتى تعبر عنها الألفاظ اللغوية ، انسجاما عضويا كاملا • فهو بعد ثورته المحتجة وصيحاته المولولة يعود الى اليأس المذعن ، ويدرك أنه لا فائدة من الثورة على صرف الزمان ، وان هذه سنة الدنيا ، فكل جنب مهما علا فى تحد وانتصب فى شموخ وغرور لابد أن يأخذ « الوضع الأفقى » فيصرع فى التراب • لذلك تأتى مقاطعه فى هذه الكلمات الثلاث « ولكل جنب مصرع » مقفلة وتتفق فى ضرباتها المتعاقبة مع حركة الهبوط والصراع والسقوط والتردى ، بعد أن كانت مقاطعه فى الجملة السابقة « وأعنقوا لهواهمو فتخرموا » مختومة بمقاطع مفتوحة مطاقة •

وهو يحتفظ بمعظم هذا القرار فى بيته السابع :

فغبرت بعدهمو بعيش ناصب

واخال انى لاحق مستتبع

استمع الى حروف الحلق الثلاثة ، الغين والعينين ، فى الشطر الأول ، بما لها من مرارة فى الحلق ، ولكن يعود صوته الى شيء من الرعدة فى مدتى الواو فى « بعدهمو » والألف فى « ناصب » وفى طعنة الياء الساكنة فى « بعيش » ، الا أنها لا تصل الى الرعدة فى البيت السادس او الرابع • ثم تزيد هذه الرعدة قليلا فى المدات الثلاث فى الشطر الثانى من هذا البيت ، الألف والياء والألف فى قوله «وأخال أنى لاحق» • ولكنها هنا أيضا لا تصل الى الدرجة التى بلغتها فى البيتين المذكورين • وهى سرعان ماتنتهى وتختتم بهذه الكلمة التى تتوالى فيها المقاطع المقفلة : « مستتبع » •

وتأمل الآن فى مضمون هذا البيت السابع لترى انسجامه مع الأداء اللفظى الذى نظرنا فيه • تجد شطره الأول يحمل فكرة شديدة المرارة فى وقعها العاطفى على نفسه ، وهى مدى ما هو فيه من العناء بعد موت أولاده ، وكيف يفتقدهم افتقادا كريها • اما الشطر الثانى فرائع الصدق فى تسجيل فكرة مخيفة تعرض له فجاة فلا يخفيها عنا ، بل يحمله صدقه الفنى العظيم على التعبير عنها • لاحظ أولا أن الفكرة التى يحملها الشطر الثانى هى ماتصدق بوروده على تفكير مثل هذا الشيخ الكبير ، الذى زعزعه موت أولاده حتى أحس باجتثاث جذوره التى كانت تربطه بالحياة ، وتعقد الصلة الوثيقة بينه وبينها على الرغم من كبر سنه • فأحس كأنه الآن شجرة اجتثت من فوق الارض ، سرعان ما تذوى وتجف فيها عصارة الحياة بعد أن تنقطع عن عروقها •

ولكن الرائع فى هذا الشطر اذا أجدت الاستماع الى نبرته هو أنه لا يقول هذا مرحبا بهذه الفكرة الجديدة حين تطرأ على ذهنه • لا يقول : أهلا ومرحبا بالموت القريب فقد ضاع كل أملى فى الحياة وفقدت رغبتى فى البقاء بموت أولادى • بل يعنى العكس تماما : أنه ترعجه هذه الفكرة المباغتة ، فكأنه يقول لنفسه : آه يا واد يظهر الدور جه عليك انت كمان !

وهذا واضح في قوله « وأخال » ، فانه ما كان يقول « وأخال » او كان يرحب بفكرة الموت هذه . وما ان بدأ الشطر بالفعل « أخال » ، حتى مكننا من أن نتتبع نبرة الشطر كله في التخوف من هذه الفكرة الطارئة والانزعاج لها . وانظر اخيرا كيف أن توالى المقاطع المقفلة في كلمة « مستتبع » هذا التوالى الثقيل ـ وخاصة في المقطع الثاني المكون من تاءين متتابعتين متعثرتين ـ يصور كيف يجره الموت رغم أنفه وهو يقاوم ويتشبث ، كما تجاهد الناقة العصية قائدها الذى يجرها بالحبل .

اننا لنعجب أكبر الاعجاب بصدق هذا الشيخ الفاني الذى يصارحنا برغم شيخوخته وبرغم فقده لأولاده الخمسة بكراهيته لفكرة الموت ودوام حرصه على الحياة وتشبثه بالبقاء في هذه الدنيا ، واننا لنفضل صدقه هذا ـ ان كنا ذوى ذوق أدبي ناضج ـ على ادعاءات المهوشين الكذابين الذين يزعمون أن موت الفقيد قد أضاع رغبتهم في البقاء بعده ، وهم في أكثر الأحيان لايربطهم بالفقيد المزعوم ماكان يربط أبا ذؤيب ببنيه .

فاذا جئت الى بيته الثامن :

ولقد حرصت بأن أدافع عنهمو !

واذا المنيـــة أقبـــلت لا تـدفع

وجدته في شطره الأول يعود الى شيء من الغضب والاحتجاج ؛ لـكنه تغلب عليه المرارة والتعجب ، حين يتذكر ما أنفق من جهد في رعايتهم والحفاظ عليهم في طفولتهم وصباهم وأول شبابهم ، يطعمهم من جـــوع ويؤمنهم من خوف ، يستر اجسـامهم ويداوى جراحهم ويعـالج أمراضـهم ويقيهم شرور الأحداث ، لكي يخيب هذا الجهد كله الآن ويتبـدد هباء ـ الآن وقد شبوا ونضجوا واستووا وبدأ يثق في استمرار بقائهم . فيا أعجب هذا التقدير وما أمره . لكنه يرجع في الشطر الثاني الى تسليمه واذعانه اليائس ، ويحـافظ على هذا التسليم في البيت التاسع ، وان كان يدخل فيه صورة عنيفة يصور بها حتمية الموت واستحالة دفعه :

واذا المنيــة أنشبت أظفارها

ألفيت كل تميمـــة لا تنفع

أنظر كيف ينسجم تنغيم هذا البيت مع الصورة العنيفة . فهو يشبه الموت بطائر جارح أو وحش كاسر أنشب مخالبه في فريسته ، من دجاجة او حمل صغير أو ما أشبه ، ويحاول صـــاحبها أن يخلصها من براثنه ولكنه لا يستطيع . ولابد أن هذه كانت تجربة كثيرة الحدوث في حياة البدو . وهو يبدأ ألفاظه الثلاثة المتوالية « أنشبت أظفارها ألفيت » بحرف الهمزة . ويمهـــد لها بالهمزة في الكلمة الأولى « واذا » . والهمزة حرف شديد ، بل هي قد تكون أشد الأصوات العربية جميعا ، لأن النطق بها يحتاج الى انطباق فتحة المزمار انطبـــاقا تاما ، فلا يسمح بمرور الهواء الى الحلق ، ولا تسمع ذبذبة الوترين الصوتيين ، ثم تنفرج فتحة المزمار انفراجا فجائيا يحدث صوتا انفجاريا هو ما نسميه الهمزة . وهذا الانحباس التام للهواء عند المزمار ، ثم هذا الانفراج المفاجيء لفتحته ، عملية تحتـــاج الى جهد عضلي يعتقد الدكتور ابراهيم أنيس أنه ربما يزيد على ما يحتاج اليه أي صوت آخر ، مما جعله يعد الهمزة أشـــد الأصـوات (أنظر كتـابه القيم « الأصوات اللغوية » ص ٧٢) .

فعد الآن الى بيت أبي ذؤيب وأتقن قراءة ألفاظه وأعط الهمزة نصيبها المشروع من التحقيق والقطع ، تجد في تتاليها هكذا تصويرا جيـــدا لمدى غرس الطائر الجارح ، أو الوحش الكاسر لأظفـاره الطويلة القوية الحادة في جسم الفريسة ، ومدى الجهد المضني الذى يبذله صاحبها دون جدوى لاستخلاصـــها من أظفاره القاسية التي توغلت توغلا عميقا في لحمها ، فان استخلصها فانما يستخلصها جثة هامدة .

وفي باقي البيت يضرب عن هذه الصورة ، فيصور ضياع الجهد المبذول بصـــورة أخرى ، هي تعليق التمائم على الطفل الصغير دون أن تقيه هذه التمائم من القدر المقدور حين يحل . فاذا أنت فكرت قليلا في هذا الأسلوب المجازى الجديد استكشفت فيه حقيقة عجيبة ، تتضح لك ما أن تسأل نفسك هذا السؤال : لماذا يتحدث أبو ذؤيب عن حمل التمائم والتمائم لا يحملها الا الأطفال ، وأولاده المتوفون لم يكونوا أطفالا بل كانوا رجالا أشداء ناضجين « لهم بأس ونجدة » كما يقول الشراح القدامى ؟ والجواب بالطبع هو الحقيقة النفسـية المعـــروفة عن الآباء والأمهات ، أنهم يصرون على النظر الى أولادهم مهما يكبروا على أنهم لايزالون أطفالا ضعافا يحتاجون

البقية على صفحة ١٩

العقاد في السودان

للدكتور أحمد مكي الأنصاري

هل كان **العقـاد** جبانا حينما هرب من مصر الى السـودان ؟ .

وهل كان وطنيا أو كان صنيعة للانجليز ؟ .

وفي مجال النقد والخلق الفنى :

هل كان العقاد ارأيتيا ؟ وهل كان له منهج محدد فى النقد ؟ ومامدى صلته بمناهج النقد الاخرى ؟

أكان العقاد يجيد الفن القصصى أم هو دخيل عليه واغل فيه ؟



وهل كانت فيـه نزعة شريرة تدفعه دائما الى التحطيم ؟ وكيف توفق بين موقفه فى التجديد المطلق وبين موقفه من الشعر الحر ؟

الى آخر ماهنالك من القضايا المثيرة التى عاشها السـودان وزخرت بها الحيـاة الادبية عقيب وفاة العقاد ، واليك القصة من أولها :

ماكاد الناعى يذيع النبأ المشئوم بوفاة العقاد حتى اهتز السودان من أقصاه الى أقصاه وهرع اتحـاد الهيئات الأدبية يقيم المهرجانات المتوالية فى البـلاد ولا سيما العاصمة المثلثة (أم درمان ـ والخرطوم ـ وخرطوم بحرى) .

وبادرت الاذاعة السودانية بتمجيد العقـاد فى « برنامج » طويل ، وكذلك فعلت الصحف والمجلات الادبيـة حين فاضت أنهـارها بالدموع وبالرثاء وبالتقدير والوفاء .

أما التليفزيون السوداني فقد توج كل هذه الجهود باقامة الندوات القيمة فى ركن الادب الذى يشرف عليه الشاب النابه سيف الدسوقى تكريما لفقيـد النيل وتخليدا للخالد العظيم ..

وما كان عجيبا أن يفعل السودان ذلك فانه يحمل للعقاد وللرعيل الاول من أدباء مصر الكبار كل اعزاز واكبار وتقدير . وقد أعلنها صريحة داوية **الأستاذ حمداى** » سكرتير اتحاد الهيئات الادبية بالسودان حين قال فى المهرجان العام : « اننا ندين بالفضل لأدباء مصر الـكبار ، وليس غريبـا ان تنبت أرض الصعيد مثل العقاد » .

وظـل جنوب الوادى وشماله يتجاوبان بالحزن العميق لوفاة الراحل العملاق فما ان تخرج الكلمة من شمال الوادى بالرثاء حتى تسمع صداها يتردد فى أنحاء الجنوب .. فكم سمعنا فى الندوات العامة والخاصة بالسودان من كلمات التقدير التى زفر بها أدباء الشمال رثاء للعقاد واعترافا بمواهبه الخالدة .

من ذلك قول **الأستاذ الزيات** : « ان الحزن على الشيخ العظيم حزن على ثورة ضخمة من الأدب والخلق

والمواهب والتجارب ... لقد ترك عقولا كان يغاديها بالمعرفة ويراوحها بالحكمة .... ونهضة كان ينفخ فيها من روحه ويفيض عليها من عقله .. وسمعة خالدة على وجه الدهر بالفهم الثاقب والاطلاع الواسع والعلم المحيط والعمل المثمر والاباء الاشم والحفاظ المر ، والخلق الصريح » .

وقول **الدكتور طه حسين** : «ان التاريخ وحده هو الذى سيعرف قيمة العقاد ويتكفل بالتقدير » .

وقول **الدكتورة سهير القلماى** : « ان العقاد ملأ الدنيا وشغل الناس ، ولست الا ذرة فى الدنيا وواحدة من الناس » .

قول **الدكتورة نعمات أحمد فؤاد** : « غدا يزور الناس اسوان والسد العالى ويطوفوا بسد أعلى وأغلى ... سد سامق ، لبناته فكر ، وفلسفة وعلم وأدب وشعر ... وما بالقليل أن يكون الفرد جمعا متنوعا، وقبيلا مبدعا كما كان العقاد » .

ومقالة الصحفى **أنيس منصور** حين يقول : « ان العقاد هرم كبير شامخ وما أنا الا اصبع صغيرة تشير الى هذا الهرم الكبير » .

الى غير ذلك من كلمات التقدير التى تموج بها الصحف .. وتهتز بها موجات الأثير بين الشمال والجنوب .

وخليق بالسودان ان يهتم بالعقاد هذا الاهتمام الخاص ، فقد عرفه عن قرب وحاوره عن كثب منذ عشرين عاما أو تزيد فى سنة ١٩٤٢ بالتحديد ، حينما زار العقاد السودان ابان الحرب العالمية الثانية ، ولبث فيه أربعين يوما كان خلالها قطب الدائرة .. وقبلة أنظار الادباء جميعا من شيب وشبان يفدون اليه لينهلوا من ثقافته الزاخرة ويبادلوه التحايا بالنثر والاشعار .

من ذلك ماكان بينه وبين **الاستاذ المبارك ابراهيم** حينما طلب من العقاد أن يهدى اليه صورته لينشرها فى صحيفة (النيل) وكان اذ ذاك سكرتير التحرير فاستجاب العقاد لهذا الرجاء وكتب على الصورة هذه الابيات :

تفسير حلمى بالجزيرة
وقفتى « بالمقرن »
حلمان حظهما ـ خيالا ـ
دون حظ الأعين
ما دمت بينهما فما
أنا سائل عن مسكنى
يا جيرة النيل المبارك
كل نيل موطنى

وفى نفس الصحيفة التى نشرت فيها ابيات العقاد عقب الاستاذ المبارك بقوله :

يا من نزلت أعالى الوا
دى حميد المأمن
أهلا فمنزلك القلوب
ب وفى سواد الأعين
فالنيل فى ارض الكنا
نة مثله « بالمقرن »

كما أن الفنانين فى ذلك العهد تسابقوا الى تلحين قصائد العقاد تحية له وتقديرا . من ذلك ماقام به الفنان « **اسماعيل عبد المعين** » من غناء وتلحين لمقطوعة خفيفة للعقاد حيث يقول :

يا نديم الصبوات
اقبل الليل فهات
واقتل الهم بكاس
سميت كاس الحياة
هاتها باسم حبيبى
قاتل الله عداتى
هاتها عشرا وكرر
وصفه العذب مئات

هذا الى كثير من الطرائف الادبية ، والمساجلات الحية التى كانت بين العقاد وبين بعض أدباء السودان نتيجة لاختلاف الهوى السياسى آنذاك ، فقد كان بعضهم مع المحور النازى على حين كان العقاد ضالعا فى هواه مع الحلفاء فهاجم الالمان وأخرج كتابه المشهور (هتلر فى الميزان) .

من هنا نشأ احتكاك الافكار واحتدام اللسان بين العقاد وبين هؤلاء الادباء مما نجده مفصلا فى الكتاب الممتع (ملامح من المجتمع السودانى) .

والآن آن لنا أن نعود الى القضايا الكثيرة التى أثارها أدباءالسودان فى الابحاثالعامة والخاصة... وتصدى لها فريق قوى بالتحليل والتفنيد احقاقا للحق وانصافا للحقيقة والتاريخ قبل أن يكون انصافا للعقاد .

قالوا : بماذا تفسر هرب العقـــاد من مصر الى السـودان حينما كانت جيوش الالمان تقف على باب العلمين بمصر ؟ أكان جبنا منه وخوفا على حياته أم ماذا ؟ وأجاب المجيب الرشيد : بان أخلاق العقـاد أبعد ماتكون عن الجبن والجبناء . والتاريخ حافل بمواقفه الخالدة ضد الملوك الطغاة والمستبدين بوجه عام، وكان أيسر هذه المواقف يفضي به الى الموت ... ان لم يكن قضاء فليكن اغتيالا كما حدث لكثير ..

على أن العقاد أقدم على الموت بنفسه ذات يـوم حينما ضاقت به سـبل العيش ولم يجـد للنفس الابية موردا ترتاده بعزة وكرامة أشهى من حياض الموت بالسـم الزعاف كما فعل فيلسوف اليونان القديم ... ولكن الله سلم فحفظ لنا العقاد الى أمد رحيب ، وخالف بين الموتتين لفيلسـوف اليـونان وفيلسوف الاسلام .

فكيف يقال بعد هذا ان العقاد كان جبانا يهاب الموت أو يرهب الردى ؟ تلك فرية أبعد ما تكون عن خلائق العقاد ، وأقرانه يعرفون والتاريخ خير حافظ وشهيد .

أما سفره الى السودان فيفسره ايمانه بنفسه ـ ذلك أن ايمان العقاد بنفسه جعله يهاجر من الشمال الى الجنوب كما أن ايمانه بنفسه هو الذى جعله يعود من حيث أتى، وتحليل ذلك أن ايمانه بالرسالة التى يحملها ـ رسالة الفكر والقلم ـ جعله يهاجر فى سـبيل بقائها والحفاظ عليهـــا ، اقتداء باصحاب الرسالات من قبل وعلى رأسهم النبى العظيم ، سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم .

وبهذا دافع العقاد عن نفسه كما ذكر الاسـتاذ **حسن نجيله** فى الفصل الذى كتبه عن هجرة العقاد الى السودان .

كما أن ايمـانه بنفسـه الذى جعـله يعود من حيث اتى .. هو الذى حمله على السفر المفاجىء من السودان الى مصر حينما أحس أن الناس يفسرون مجيئه الى السودان بالهروب من الالمان .

لم يرض لنفسه العزيزة الشماء أن توصف بالجبن أو تكون لها أدنى صلة بمواقف الجبناء ، لهذا رحل فجأة من السودان والخطر محدق بمصر ، ولا يزال « روميل » ثعلب الصحراء جاثما على أبواب البلاد .

عاد العقاد الى مصر يحمل روحه على كفـه ايمانا بنفســـه وايمانا بالله ثم انجلت الغاشـية بانهزام الالمان ، واندحار الدكتاتورية الغشوم .

والقضية الاولى تسلمنا الى القضية الثانية حينما يتساءل القائل : هل كان العقاد وطنيا حينما وقف الى جانب الحلفاء ضد الالمان ؟

والجواب ان وطنية العقاد فوق مستوى الشبهات .. غير أننـــا نفتح باب المنـاقشـــة للبحـث والدرس والتاريخ :

عرف العقاد بالوطنية الصادقة منذ ريعان الشباب، وما كادت الثورة تنـدلع بمصر سـنة ١٩١٩ حتى وقف العقاد الى جانب الامة يدافع عن الوطن بمقالاته النارية ويصب على المستعمر وأعوانه شواظا من نار، ولهذا لقبـه زعيم الامة « **سعد زغلول** » بالـكاتب الجبار .

كما أن العداء المستحكم بينه وبين القصر الملكى على اختلاف العهود والملوك دليل قاطع على وطنيـة العقاد اذ كان يرى القصر صنيعة الاستعمار واليـد المنفذة لاغراضه من وراء ستار ـ وحق مارأى ـ لهذا هاجم الملوك هجوما عنيفا لا هوادة فيه . وأبرز مثل لذلك هجـــومه على الملك فؤاد حينمـا أحس بأنه سيحطم الدستور .. وقف العقاد فى البرلمان وصاح باسم الشعب : ان الامة على استعداد تام لان تحطم أكبر رأس فى الدولة اذا ما حطم الدستور، ثم كانت المحاكمة بتهمة العيب فى الذات الملكية .

ولولا وطنية القضاء ، وذكاء الدفاع فى تحويل القضية من دائرة الى دائرة لحكم على العقاد بأقصى العقوبات بدلا من تسعة أشهر قضاها فى السـجن مرفوع الرأس بما له من مواقف خالدات ، أشهرها موقفه مع « **على ماهر** » وزير العدل حينذاك .

ولولا خشية الاطالة لذكرنا كل هـــذه الاحداث بالتفصيل .

وشبيه بموقف العقاد مع الملك فؤاد موقفه مع ابنه الملك فاروق حينما ذهب الى الصحراء الغربية وكان العقاد نائبا عنهـا فى البرلمان فرأى من واجبـه أن يتكلم باسم الدائرة مرحبا بالمليك الزائر ـ وكان ما يزال مستور الفضـائح ، بل كان يلقب بالملك الصالح ٠٠ فتحدث بما يمليه المقام من الترحيب غير أن الملك كان على ذكر تام بموقف العقاد من أبيه فقال بصوت مسموع : كان أبى أولى بهذا ؟ فما كان من العقاد العظيم الا أن قطع الخطبة وجلس احتجاجا على خروج الملك على آداب الزيارة وآداب الحديث ٠٠ فكانت صفعة قوية وجهها الى وجه الملك بمحضر منه ومن عملائه ووزرائه والحاشية ٠٠ ليعلم الجميع أن لا فرق عند العقاد بين الابن وأبيه، فالخالف قطعة من السالف ، وهل تلد الحية الا الحية ؟

ذلك بعض ماكان من العقاد مع الاستعمار وأعوانه من البيت المالك ٠٠ ولكن كيف تفسر وقفته الى جانب الحلفاء مع أن الانجليز كانوا يستعمرون مصر اذ ذاك؟ فهل كان صنيعة لهم كما يتوهم بعض الغافلين ؟

لم يكن العقاد فى يوم من الايام صنيعة للانجليز وما كان يرضى لنفسه الجبارة أن تكون صنيعة لاحد كائنا من كان ، وربما كان اتفاق الهوى فى كراهية النازية هو الذى جمع بين الرأيين ـ جمع اتفاق لاجمع وفاق ٠

وآية ذلك أنه يـكره الديـكتاتورية اينما كانت وحيثما تكون ٠٠ سواء تمثلت فى النازية أم تمثلت فى الشيوعية التى حاربها العقاد ، والتى يسـتدل بها المغرضون أيضا على تعاونه مع الاستعمار، ونسوا أن العقاد حارب الاسـتعمار والف فى ذلك كتـابه القيم « **لا شيوعية ولا استعمار** » ٠

فهو يحارب التسلط بجميع أنواعه وألوانه واظهر مايكون التسلط فى النازية والشيوعية أما الاستعمار الغربى وبخاصة الاستعمار الانجليزى فانه داء خفى وهو اخطر أنواع الاستعمار اذ أنه يسرى فى جسد الامة كما يسرى السل فى صدر السليم ، وصدق من شبهه بمصاص الدماء ، ذلك الطائر الخبيث الملعون الذى يقف بخفة ورشاقة على صدر النائم فى الغابات الحارة فيروح له بجناحيه وهو يمتص منـه رحيق الحياة ولا يتركه الا جثة هامدة لا حياة بها ولا حراك ٠

غير أن التسلط الظاهر القاهر يثير فى نفس العقاد حمية الدفاع أكثر مما يثيره التسلط الخفى الخطير ٠٠ لهذا كان العداء الصريح للنازية والشيوعية على حد سواء ومرد ذلك الى ايمانه القوى بقيمة الانسان من حيث هو انسان ٠

فالنازية والشيوعية تتخذ كل منهما موقف التطرف فى التعصب وان اختلفت أسباب هذا التطرف عند الفريقين : الالمـان متطرفون فى التعصب العنصرى والشيوعيون متطرفون فى التعصب المذهبى ـ وكلاهما خطر داهم على قيمة الانسان : فالالمان يعتقدون أن العنصر الالمانى هو العنصر المختار وماعداه من الناس هباء ، والشيوعية تهدر قيمة الفرد فى سبيل الفكرة المذهبية وكلاهما يهدر قيمة الانسان المطلق ، ومن هنا انبرى العقاد يدافع عن قيمة الانسان ويدفع عنها طغيان التسلط فى أى لون من ألوانه سواء أكان متطرفا الى أقصى اليمين أم متطرفا الى أقصى اليسار ٠

أما الداء الخفى وهو الاستعمار الانجليزى فقد رآه العقاد فى ذلك الحين أهون الامرين فوقف الى جانبه وسار على مبدأ : « بعض الشر أهون من بعض » ٠

وهناك من يخالف العقاد فى وجهة نظره ويسـير على مبدأ : « ليس فى الشر خيار » غير أن هذا ينبغى الا يحول بيننا وبين احترام رأى العقاد ، والدفاع عن وجهـة نظـره ما دام يخـرج عن دائرة الخـير للوطن وما أظنه الا كذلك فهو يريد الخير لوطنه من وجهة نظره وما كان العقاد بدعا فى ذلك فله فى تاريخنا الحديث نظير ونظير ٠

فمن منا لا يحترم معلم الجيل المرحوم أحمد لطفى السيد ؟ ومن منا يرتاب فى وطنية الزعيم الثائر ، ابن مصر البار مصطفى كامل ؟

ان أحدا لايساوره الشك فى وطنية هذا أو ذاك ، كلاهما كان مثلا عاليا فى الوطنيـــة الحقة ومن ثم قدرتهما الثورة الملهمة بقيادة **الرئيس جمال عبد الناصر** على أنهما مختلفان أشد الاختلاف ٠٠ فالزعيم مصطفى كامل كان يرى الوطنية المصرية فى ارتباطها بالخلافة الاسلامية فى تركيا ، أما الاستاذ لطفى السيد فكان يرى الوطنية الحقة فى انفصال مصر عن الخـلافة العثمانية ، وكان ينادى بأن تكون مصر للمصريين ـ وبالرغم من هذا الاختلاف الواضح فى الوسيلة فان الهدف واحد وهو رفعة الوطن العزيز ٠٠ وقديما قالوا: اختلاف الوسائل لايستلزم اختلاف الدلائل٠

وكذلك الشأن في موقف العقاد: كان يرى الوطنية في محاربة الديكتاتورية الغاشمة ومساندة الحلفاء الى حين ، لعلهم يحسنون رد الجميل بالرحيل .. فان تباطئوا وتلكئوا في تنفيذ الوعود .. كان اخراجهم أيسر علينا من اخراج الالمان ، وقد كان . تلك نظرة العقاد فيما أحسب ، ولو سلمنا بانه أخطأ التقدير فان هذا الخطأ لا يبيح لاحد أن يصفه بالخيانة .. أو بالتراخي في حقوق الوطن .

هذا الى أن بعض الدارسين يتهمون العقاد بانه أرايتي : يقول أرايت لو كان كذا .. أرايت لو كان كذا . ويقصدون أنه يضع النتيجة أولا ثم يجمع لها الدليل ، ومنهج البحث العلمي يقتضيه أن يتدرج بالمقدمات الى النتائج أيا كانت هذه النتائج ، موافقة لهواه أو مخالفة لما يريد .

والحق أن العقاد منطقي منهجي في البحث الى حد كبير حتى أن بعض القادرين لفضله قالوا : **ان كل كتاب من كتب العقاد يستحق أن يمنح عليه لقب الدكتوراه .**

وما يتراءى لبعض الباحثين من أنه يضع النتيجة أولا ثم يأتي بالدليل انما هو وضع كتابي لا أكثر ولا أقل للمراوحة في العرض بين منهج ومنهج وقبل أن يضع هذه النتيجة لابد أن يكون قد درس الموضوع من جميع الجوانب وقتله بحثا وتنقيبا ، وأحاط به احاطة مذهلة تعز على كثير من عمالقة الفكر والادب .

ذلك هو دأب العقاد في كل مايتناول من القضايا الادبية أو العلمية على حد سواء ، ويخطىء من يظن أن العقاد يقذف بالنتيجة أولا ثم يجمع لها الدليل من هنا وهناك .

على أن هذه الظاهرة الكتابية قليلا ماتصادفك في مؤلفات العقاد ـ وماأكثرها ـ وليس من المنهجية في شيء أن نحكم بالقليل على الكثير .

(بقية المنشور على صفحة ١٤)

الى رعايتهم وحراستهم ، والى ارشادهم وتحذيرهم ، وان هذا الاصرار تتولد عنه مشكلات كثيرة ومشاجرات بين الولد ووالده ، وخاصة أمه التي تصر على اعتباره طفلا صغيرا لا يؤمن على نفسه ، وتأبى أن تسمح له بالاستقلال الذي يطلبه ويرى الآن انه قادر عليه .

ثم ان هذا الشيخ المسن يرتد بذاكرته الى الماضي البعيد ، كما يحدث لجميع الشيوخ الذين يتذكرون الماضي البعيد بأوضح وأدق مما يتذكرون حوادث الأمس القريب . ويعينه على هذا الارتداد الزمني ما أصاب عقله من الدهش اذ فاجاه المصاب ، فاذا فكر الآن في أولاده المفقودين فان الصورة التي تتبادر الى ذهنه ليست صورتهم وهم رجال أشداء ناضجون ، بل صورتهم القديمة حين كانوا لايزالون أطفالا صغارا عاجزين يحتاجون الى حفظه وحراسته .

هذا اذن هو السبب الحيوي الذي يلجئه الى صورة التمائم ، لا مجرد انه يتلمس مجازا عاما غير محدد ينطبق على عموم الأحوال . بل انك اذا رجعت الآن الى صورته الأولى في نفس البيت ، وجدتها هي الأخرى تقوم على تصورهم في صغرهم وضعفهم ، فالطائر الجارح أو الوحش الكاسر الذي يطارده أهل الحي ليستخلصوا منه الفريسة لا يفر بحيوان كبير ، بل يتخير حيوانا صغيرا يأمل في الفرار به .

وبهذه الأبيات التسعة نكتفي من مرثية أبي ذؤيب مضطرين ، فقد احتاجت منا هذه الابيات التسعة الى أربع مقالات طويلات ، ونرجو أن نعود الى الأقسام الأخرى من قصيدته ـ وهي أقسام مختلفة تماما ـ في فرصة قادمة نزيد فيها تراثنا الشعري القديم تأملا وتقديرا . ولعل فيما مضى مايقنع الجيل الناشىء من القراء اقناعا مبدئيا بما في هذا التراث من ابداع وامتاع ، ولعل فيه مايزيد قراءنا ألفة بطريقتنا في قراءة الشعر القديم واستطلاع أسباب حيويته الباقية .

دكتور محمد النويهي

من الثالث؟

للدكتور أحمد كمال زكي

- ١ -

ان يتخذ الشاعر المعاصر موقفا من مشكلات مجتمعه شيء رائع حقا، ولكن اروع منه الا ينتهي امره الى الرفض. وقد يكون من حقه بل من واجبه ان يتشكك بحيث يجعل قصائده حملة شعواء على مايراه ضعيفا أو معوقا او باعثا على التهالك، الا ان الامر ينبغي أن يقف عند حد التنبيه الرشيد. واذ يعيد المرء قراءة شعر الامس ـ الذي ترتفع فيه نبرة الاحتجاج ـ يجد فيه ذلك الصوت الحازم الذي يشك من أجل ان يصل الى يقين.

ولقد يبدو لاول وهلة ان واحدا **كأبي العلاء** كان من الرافضين، ولكن القراءة المتعمقة لشعره تؤدي الى انه كان في حقيقته محافظا كبيرا نصب نفسه معلما لمجتمع رآه ينحرف. وكان في كل شعره اشبه برجل حذق اساليب الاخلاقيين، فصدر عن مفاهيم اصلاحية وجدت لها صدى عند الكثيرين.

لقد كان في شبابه شديد الحذلقة في صياغة اشعاره، ولنقل انه كان يفتن في اظهار براعته. ثم مالبث أن شغل برؤى بصر فيها الخطر الذي يتعرض له انسان عصره، ومن هنا لم يجد محيدا عن أن يكشف في رفق عن منابع الخطر ليحذر من يريد البناء والسلامة.

ونحن اذا استقصينا ما أثار من قضايا نراها تختلف في كثير عن قضايا عصرنا ـ وان تغير الطابع واختلف اللون ـ حتى لكأن هناك شيئا من صلة رحم بين انسان اليوم وانسان الماضي، فكان طبيعيا أن يوجد الشاعر الذي يشبه حكيم المعرة والذي يستطيع ان يرتفع الى مستوى الازمة في اطارها المعاصر وفي ابعادها الحضارية المعروفة.

الا أن هذا الشاعر حاد في اغلب الاحيان عن الطريق التي كان ينبغي أن يضرب فيها، وبدت رؤاه لاتختلف في شيء عن رؤى المشعوذين أو عن رؤى الذين يكتبون عن الفضائح ليعطوا ما يكسر حد قلمهم، ويمزق وريقاتهم الذليلة.

حقا كان في المقابل الشاعر الجاد الرصين، الا ان طبيعة الظروف الراهنة ونوع الصراع الذي نخوضه واشتجار القضايا ـ فكرية وعقيدية وسياسية ـ في شتى اطر يخطط لها الرجعيون والتقدميون على حد سواء.. كل اولئك حجب عن الآذان الصوت الجاد الرصين، وهيأ لشعر واحد **كادونيس** او آخر **كسعيد عقل** فرصة التسلل الى الاعماق.

وأوضح مايسع الانسان ذكره عن هذين ـ وقد عرضت لهما في مقالين سابقين ـ هو أن عناصر فنهما القوية بوق لدعايات مدمرة!

وبوسعي ان استمر فاقول ان في شعر من لف لفهما على صعيد الرفض المعاصر نفسها، وان يوسف الخال مثلا ـ وسأعقد له مقالا خاصا ـ ليقدم النموذج الذي يؤكد ان شعرنا المرسل يجب أن يقضى عليه قبل أن يستفحل شره. انه في الاصل شاعر عادي، ولكنه يتمتع بعقلية عجيبة التركيب، وكتب «البئر المهجورة» وغيرها وتغنى بتموز وفينيق ليؤكد ان الانسان العربي كتب على نفسه العدم.

- ٢ -

فليرحم الله اذن ابا العلاء

ولكن، ألا ندعو ايضا للرافضين على أساس اننا نمر بفترة تغيير قرر لها ميثاقنا العظيم أن تحفل بالاخطار؟

لست ادري بماذا أجيب. الا أن الدكتور **محمد النويهي** يتطوع بالدعاء، ويؤكد ان الرجعية التي

لاتزال تملك من المؤثرات المادية والفكرية ماقد يغريها بالتصدى لثورتنا هي التى تثير هؤلاء الشعراء ، وكانهم وجدوا فى مبدأ حرية النقد وحرية الكلمة سبيلا طبيعة الى محاولة التقويم والتقييم .

لكن ممارسة النقد على النحو الذى يفهمه الرافضون لا يمكن ان تهيىء الفرصة امام العمل الوطنى ليتحقق ، ولا يمكن من ناحية أخرى ان تكون ثمة وسيلة الى اقامة معوج او تسديد خطوة او تصحيح وضع .

وانا مع الدكتور النويهى فى أن الشاعر الكبير أو الشاعر الصادق الشاعرية كما يسميه لا يوافق دائما مجتمعه ، بل ازعم ان عملية الابداع نفسها - ما كانت حقيقية - لا يمكن أن تقبل الا على انها صورة من صور احتجاج الشاعر ، ولكن فى الكثير من انتاجه لانلمح غالبا الا التمرد المشوب بالاخلاص .. فقد يشتم **أبو العلاء** ، وقد يعلن **حافظ ابراهيم**، وقد يتمرد **محمود حسن اسماعيل** ، غير انهم من غير شك متمسكون بقدر كبير من القيم التى تجمع عليها الامة .

فهم رافضون .. ولكن فى حدود ، ولا ريب فى انهم يتحولون من طراز الى طراز آخر ، وقد يدهشوننا بما يروع ، ولعلهم يعارضون اعمق مسلمات عصرهم ، أو لعلهم يصدرون عن كل مايثير الحفيظة . الا أننا لانحس أنهم يعاندون ، ونحس ايضا انهم مرتبطون بنا ، وأنهم يريدون ان يبلغوا بنا بر الامان !

مثل هؤلاء احب من الدكتور النويهى أن يحييهم ، واما غيرهم فلا سبيل الى التماس العذر لهم ، وينبغى الا نسهل لهم طريق الخلاص .

ولقد أبدو متعنتا فى هذا وأنانيا ، ولكنى فى الحقيقة لا اقبل الشاعر الرافض الذى يبيع فنه لمن يدفع الاكثر . وهل يريد الدكتور نموذجا غير ادونيس الذى يحبه والذى احبه انا ايضا ؟ ما رايه فيمن كان داعية لعبد الكريم قاسم فى العراق وقرر ان يجعل من جماجم خصومه منافض للسجائر ؟

ماذا يقول فى **عبد الوهاب البياتى** ؟

لست احب ان اشنع عليه ، فهو من كبار شعراء العراق الشقيق ، ومدى علمى انه كان يتمتع ذات يوم بمنزلة رفيعة . ولعله فى تهشيمه الجملة الشعرية - بذكاء مرهوب - قد قدم بعدا خاصا للقصيدة الجديدة ، وإن يكن ثمة كثيرون يرون فى هذا الصنيع أحد اسباب غموض الشعر المرسل .

وفى الظاهر .. فى الظاهر فقط - على الاقل عندى - يبدو البياتى شاعرا هين الحركة وقد يتعثر تحت قدمى ناظم حكمت وباوند وبابلو نيرودا ، وماوتسى تونج والمسيح حتى لقد قيل انه موزع الشخصية بين الرومانسية والرمزية والواقعية والوجودية . ونحن لانكر أن بعض هذه الصفات محل جدال ، ولكنه فى رأيى يملك ضربا خاصا من السيطرة على المعالم الكبيرة فى طريق الادب العام . والقارىء ينهمك عادة فيما يقوله حتى ليتقاء وراءه - على بساطة فكرته - برغم جهامته وعبوسه .

من اجل ذلك ، وعلى الرغم من أن كثيرين - **منهم مواطنه الشاعر كاظم جواد** - نبهوا الى تزييفه وغروره وتلفيقه ، فانى لا احب ان اشنع عليه : غير أننى أسال الدكتور النويهى : ترى نزعم انه يرفضنا نحن العرب لاننا نستحق الرفض ؟

العيوبنا ام لعناده ام لمنفعته قد هجرنا ؟

الذى يجيب بحق هو تاريخه فى السنوات الاخيرة، ويكشف عن أن الغرض الذى يهجس فى نفسه لم يكن ليجعله يستقر على حال . فهو يهاجم مع القوى ، ويضرب الضعيف ضرباته الطائشة . ويوم احس بقرب نهاية الطغيان فى العراق لجا الى مصر وتغنى بها وكتب قصائد التزلف لقائد ثورتها ، وكانت مصر اذ ذاك هى القوية واخذ منها ماشاء ثم تولى عنها .

ومن هناك كما لايخفى على أحد وفى أيام قاسم العراق بالذات وصلت قصائده المحمومة وقد نسخت كل ما قاله فى الزعيم الذى حرر العرب من اسر الرجعية والاستعمار ، فاذا عنينا بما يتصل بمناسبتنا هذه نجد أن الخليق بالذكر هو هذه القصائد الحمقاء التى ظن بها أننا الضعاف وان الجانب الآخر هو وحده القوى !

هو اذن عربى وهو قاسمى وهو وحدوى وهو ماركسى ، وهو كل شيء أو لا شيء . المهم انه يجب أن يكون حيث يتنسم ريح العافية ، لان ذلك هو الجانب المضمون ، وكأنه لا طاقة له على الصراع . وبعد يريد الدكتور النويهى أن يبرئه او يبرىء امثاله بحجة أننا لا نبرأ من العيوب !

ما هذا ؟

ثم هل نمى اليه كيف مهد لمجيئه الى القاهرة فى نهاية المطاف ؟

لقد اتصل من موسكو بيوسف ادريس او احمد

عباس صالح يقول « **رسالتك الى حملتنى مزيدا من الثقة والاصرار والايمان بحتمية انتصار المثل الانسانية فى ثقافتنا العربية ، وفى النور الطليعى العربى الكبير الذى تحمل اعباءه القاهرة بجهود قادتها وكتابها ومفكريها وشعرائها ، والنور كان دائما وابدا ياتى من القاهرة الوطن الروحى والفكرى للثوار العرب ...** »

مرحى مرحى ، لقد جاء عليه حين من الدهر كان يقول غير ذلك ، وقد تصور أن الجمهورية العربية المتحدة بحركاتها التحروية والاشتراكية بتضاءل وزنها الدولى على الايام ، ولا داعى لتقديم اشعاره فى هذا وفى غيره لانها معروفة ومتداولة .

واخيرا اعلنت الصحف نبأ تشريفه ، وراح اصدقاء موسكو يفرشون له الارض زهورا ! وفى مجلة الكاتب نشر قصيدته « موت المتنبى » احسن اعماله بغير شك ، واكثرها دلالة على عقليته ، كما نشر مقطعتين اخريين واحدة باسم « الصيف الاخير » وواحدة باسم « الجرح » .

ولست أريد أن استعدي على الشاعر ، فهو ضيفنا على اى حال . وهو قد يطوى بمجيئه صفحات التردد والذبذبة والنزق التى ميعت شخصيته ، ولم تنم عن فلسفة ناضجة . ولكن من يمنع اى قارىء من أن يقيس الشاعر فيما قال بالمتنبى الذى اغترب وعاش مضطرا فى منفاه الاختيارى — وطن العبيد » لا يفهمه احد ويتجرع كأس الهزيمة الشاعر الغارق فى الأحزان والأغلال

يعود من غربته ممزقا جريح
ماذا تقول الريح
للشاعر الطريد
فى وطن العبيد
والساسة اللصوص والتجار والانذال
يمرغون القمر الاخضر فى الاوحال
ويسفحون المال
تحت نعال جاريه
ترقص وهى عارية !

ولقد مات المتنبى — الشاعر الطموح الذى أراق ماء وجهه ليعيش — وسوف يموت البياتى فكلنا الى تراب ، ويومئذ حتى بعد أن تصبح عيناه بؤرتى طينة سوداء يمكن ان يعود فى شعره
حصانه يصهل فى المساء
على تخوم المدن الغبراء
يرود نبع ماء
حصانه عبر المراعى الخضر والتلال
يوقظ فى حافره النجوم والاطفال
يوقظ فى ذاكرة السنين
اللهب الاسود والحب الذى يموت فى ظل السيوف !

وهكذا بات ممكنا أن يواصل البياتى الحياة بمنطق الرفض وباسم التقدمية . تختلف نظرته اختلافا لا قاعدة ثابتة له ، ويطلق صرخاته الشاكة بله المدمرة ضاربا بآمالنا عرض الحائط ، ولا يعنيه الا أن يبحث عن واحة آمنة فى صحراء حياته لانه عندما يعود الى « **المدينة** » يجد كل شىء كما كان

كلما عدت رأيت الجرح فى نفس الرسوم
صيحة الديك ونيران القبيله
ضوات وانطفأت فهى رماد فى الاصيل
ومناديل رحيل
عبر باب المستحيل
كلما عدت رأيت الجرح فى عين الدليل
انه الجرح القديم
ابدا تحمله فى ليل اوروبا البهيم
انه الجرح الذى سمم حلم السندباد
انه نفس الرماد

- ٣ -

وبعد ...

فقد يجد بعضنا فى اشعاره هذه غير ما أجده ، وانا نفى افضل هذا . والبياتى كغيره من الرافضين تعزى ثورته الى احتدام الرغبات التى يحار المرء فى وزنها ، ولذلك فسوف يصعب ان نضع ايدينا على منطويات الموقف المباشرة . وسواء أكان قد جعل فنه سلاحا فتاكا — والفن عند الماركسيين سلاح — أم سيقتصر به على نقض المعوق من ميراثنا العقيدى والاخلاقى فاننا نتساءل : اى الجوانب فيه سينتصر ؟

ولعلنا نضيف الى ذلك : هل يبشر تحوله هذا الجديد بشاعر كحكيم المعرة ينقد برفق ، ويوجه باخلاص لتبقى اقواله المركزة حية فى القلوب ؟

اخشى أن اكثر النقاد لايستطيعون ان يجيبوا ، ولعلهم يكتفون بان يقولوا : قد يكون التحول مضمونا لو كان معتقده الايديولوجي ثانوى الخطورة . وفى هذا الحال نقبل ما يقوله الدكتور محمد النويهى عن حرية الشعراء فى التشكك وعن أن رفضهم منبعث من حالة مؤقتة ينبغى الا تدفعنا الى تصديقهم فى كل ما يقولون ، ولنكن مع الجميع اكثر تسامحا وارحب صدرا

الرمزية والتمثيل في قصص القرآن

بقلم: محمود الشرقاوي

أريد أن أبدأ مقالي هذا بكلمة اعجاب وأنهيه بكلمة تعجب :

كلمة الاعجاب أذكر بها مقال الدكتور محمد النويهي : « الالهام الشعرى بين الاسلام والمسيحية » الذى نشر فى العدد ٥٤ من الرسالة ٠

فى هذا المقال الجيد المفيد تناول الدكتور النويهى تفسير ظاهرة هامة من الظواهر التى تبدو فى الشعر العربى المعاصر تحدث عنها قبله الاستاذ الشاعر عبده بدوى فى مقالين : « العدد ٤٨ و ٥٢ من الرسالة » :

ظاهرة هامة فى الشعر العربى المعاصر ، هى بروز الأفكار والرموز المسيحية فى كثير من هذا الشعر ٠ فتجسد الاله فى بشر ، والصلب والفداء ، والخلاص والتطهير والانتظار ، وغيرها من أفكار المسيحية ورموزها الأساسية ، تظهر وتشيع ، لا فى انتاج الشعراء المسيحيين وحدهم ، بل فى انتاج عدد غير قليل من الشعراء المسلمين ، ضرب عليهم الأستاذ بدوى أمثلة كافية ٠

هذه هي القضية التى أثارها الشاعر عبده بدوى ، كما صورها ، وأحسن تصويرها ، الدكتور النويهى ٠

وقد كتب الدكتور لويس عوض فى ملحق الأهرام الأدبى : «الجمعة ٧ اغسطس» مقالا جيدا عن دواوين صديقنا الشاعر صلاح عبد الصبور ابرز فيه هذه الظاهرة ـ مع ظاهرة أخرى هى تأثره القوى أيضا بالفلسفة اليونانية وافلاطون خاصة واستخدامه لها ٠

وقد أبرز الدكتور لويس ظاهرة الرموز المسيحية فى شعر صلاح ابرازا يدل على تزايد خطرها وضرورة البحث عن سببها وعلاج لها أو بديل منها ٠

أما « البحث عن سببها » فهو موضوع المقال القيم الذى كتبه الدكتور النويهى والذى أحاول أنا الآن تكملته « بالبحث عن العلاج والبديل » ٠

السبب لهذه الظاهرة من التأثر بالافكار المسيحية فى الشعر العربى فى رأى الدكتور النويهى هو أن الفكر المسيحى جنح فى فهم المسيحية وحياة المسيح وقصة صلبه وغير ذلك الى الفهم الرمزى ، وهو فى ذلك يقول :

٠٠٠ واغلب الأدباء المسيحيين فيما نقرأ وما نعرف لم يعودوا يؤمنون بهذه العقائد كحقائق حرفية ، بل يرونها مجرد رموز ترمز الى حقائق عليا ٠

ثم يقول :

٠٠ وواضح أن شعراءنا المسلمين الذين يستعملون « يستخدمون » فكرة الصلب فى شعرهم ، والذين ضرب عليهم الاستاذ بدوى مثالا ، انما يستطيعون هذا لأنهم فى موقف مشابه من هذه العقيدة المسيحية ٠٠٠ فهؤلاء الشعراء لا يقبلون العقائد المسيحية المقترنة بالصلب كعقائد ايمانية حرفية ،

فان دينهم يأبى عليهم أغلبها (**هو يابى عليهم جميعها ما عدا الولادة العذراء**) انما هم يستطيعون أن يفهموا فيها المعاني الرمزية العليا التى يراها أولئك المسيحيون الذين وصفتهم ·

وهنا أعتقد أنه قد جاء دورى فى الكلام عن « **العلاج** » و « **البديل** » · ولكنى أريد أولا أن أقول كلمتين قصيرتين : الأولى موافقتى التامة على هذا التعليل الذى علل به الدكتور النويهى هذه الظاهرة مع زيادة عليها هى أن هذا الفهم للعقائد المسيحية لم يعد فهما « **مسيحيا** » ، **بل اصبح فهما** «**انسانيا**» ومن حقه أن يكون كذلك ·

الكلمة الثانية هى « تعديل » يسير فى حديث الصديق الأستاذ عبده بدوى عن « بروز » الأفكار والرموز المسيحية فى كثير من الشعر المعاصر ، و « تعديلى » ينحصر فى القول بأن « بروز » هذه الظاهرة ليس وليد الحاضر القريب ، بل لقد ظهرت ثم برزت منذ أوائل هذا القرن ، ونستطيع أن نجد لها شواهد من الشعر والنثر أيضا فى نحو ثلاثينيات هذا القرن وما قبلها · أما حديث الأستاذ عبده بدوى عن يوسف الخال ، وحديث الدكتور لويس عوض عن صلاح عبد الصبور فواضح أنه لا يدل على « البروز » ، **وانما يدل على الفشو والاغراق والاستفحال** ·

مفتاح حديثى عن « العلاج والبديل » كلمة صغيرة فى أحد مقال **عبده بدوى** هى :

(··· واما أن القوامين على الدين الاسلامى يبالغون فى التحفظ على مثالياته ورموزه) ·

« العدد ٥٢ من الرسالة » ، وكلمة اخرى فى مقال الدكتور **النويهى** هى :

(··· فالعقائد الدينية لا تستطيع أن تكون مصدرا للالهام الفنى الانسانى الواسع الذى يعنيه الاستاذ عبده بدوى ما دامت تقبل كحقائق مادية حرفية ولا تفسر تفسيرا رمزيا يوسع من مدلولها ويعمق من مفهومها ، فيجعلها تعبيرا عن تجارب انسانية عميقة وصراعات نفسية وفنية ومشاكل حيوية ومعاشية وروحية وأخلاقية وتناقضات اجتماعية ومحاولات للتوفيق ومطامح وآمال تتصعد اليها أبصار البشرية ··· ومن الجلى أن نظير هذا الاتجاه لا يتحقق فى موقف المسلمين من القرآن الكريم · وان يكن بعض المفكرين « المسلمين » القدامى قد قالوا بشىء شبيه به عن علاقة الرسول عليه السلام بالوحى » ·

هذا الذى يقوله الاستاذ بدوى من أن : « القوامين على الدين الاسلامى ·· الخ » ، وهذا الذى يقوله الدكتور النويهى من أن : « نظير هذا لا يتحقق فى موقف المسلمين ··· الخ » وهذا وذاك صحيح **اذا قصرنا النظر على الفقه « السنى » للدين الاسلامى وعلى موقف الفهم السائد للقرآن وقصصه عند اهل الغالبية الغالبة من سكان منطقتنا العربية · اى الفهم القائم على مذهب « الأشاعرة »** ·

ولكنا اذا وسعنا النظرة نحو « القوامين على الدين الاسلامى » بحيث **تشمل غير أهل السنة من الفاقهين لهذا الدين استطعنا ان نجد لأنفسنا وفهمنا الدينى وشعرنا وادبنا مخرجا ومتنفسا يقوم على فهم قصص القرآن وتفسيرها تفسيرا رمزيا يغنى شعراءنا ـ بعد طول الزمن والتمرس ـ عن الاستسلام لهذه الظاهرة من استخدام الرموز المسيحية وحدها** ·

***

اذا كان لابد لنا نحن رجال هذا العصر ـ عندما يستقيم فى عقلنا فهم لأمر من أمور الدين ـ من **استقبال الماضى واستلهام رجاله ، فنحن** ، فى هذا الموضوع بالذات ، واجدون السند الذى نحتاجه من رأى الأقدمين ·

نجد عندنا ، نحن المسلمين ، فى بعض كتب التفسير وبعض كتب التاريخ قصصا رمزية يذكرونها عند تفسير قصة « آدم وحواء والخروج » مثلا ، كتلك التى ذكرت عن الجنة والنار والتى تقول ان الناس كانوا ـ فى قديم من الزمن مجهول ـ يتنازعون ويتهارشون ، وأن الأخيار منهم كانوا ، كما كانت وما تزال طبيعة الحياة والناس ، مظلومين مقهورين من أشرارهم حتى نقلهم ـ أى الأخيار ـ ملك عادل اسمه : « بيشداذ » الى الموضع المسمى « بالفردوس » ، وهو من عدن الى سرنديب ، وفى هذه القطعة من الأرض منبت العود والقرنفل وأنواع الطيب وضروب النعم والملذات المعنوية ·

ومكث الأخيار هناك الى أن عثر عليهم « عفريت » هو ملك الأشرار فأخذ ينازعهم ويغويهم ، ثم وجد الملك « بيشداذ » في ذلك الموضع غلاما وفتاة لا يعرف لهما أب ولا أم فرباهما واختار لهما اسمين وزوج أحدهما من الآخر • ثم أخطأ الغلام والفتاة خطأ كان سببا فى أن أخرجهما « بيشداذ » من تلك الأرض » •

وهذه هى قصة آدم وحواء وابليس « ملك الأشرار » الذى اخرجهما من « جنة عدن » • هذه قصة آدم وحواء على انها رمزية • وهى قصة بقيت قرونا متطاولة يتداولها الناس حتى نجد ابن بطوطة ، فى القرن الثامن الهجرى : « الرابع عشر الميلادى » •

يقول فى زيارته لبعض بلاد هذه المنطقة انه زار فى بلد منها « قدم سيدنا آدم » وأن الناس هناك يسمونه « بابا » ويسمون حواء : « ماما » • وانه زار قدم « بابا » آدم فكان طولها أحد عشر شبرا !

وقد ذكرت منذ قريب أننا نجد هذا الحديث الرمزى ومثله عن قصص القرآن عند « غير أهل السنة » من الفاقهين للاسلام والقرآن • ولكن هذه القصة التى لخصت خبرها عن آدم و « بيشداذ » لم أجدها عند عالم معتزلى ولا مفسر شيعى ، بل ذكرها **أبو الريحان البيرونى ولم ير حرجا من ذكرها ولاوجد غيره فى ذكره لها حرج • وابوالريحان البيرونى رجل ممتاز العقل عميق الفهم واسع الثقافة كان من اولئك القليلين الذين ضاقوا ذرعا بهذه الخصومات السوداء بين المسلمين** واستقل بفهمه عن سنة وشيعة ، بل أراد أن يظهر سخطه على هذه الفرقة والخصومة واللدد **فكان يلبس فى اصبعه خاتما رسم عليه شعارين : احدهما لأهل السنة والآخر للشيعة •**

وهذه « الرمزية » فى قصة آدم وحواء نجدها **فهما** قال به مفكر مسلم من كبار المسلمين الذين لا يشك أحد فى اخلاصهم ولا غيرتهم على الاسلام : هو الشاعر الداعية محمد اقبال •

فهو يقول بهذا التفسير الرمزى ويشرح الآيات القرآنية على اساسه • ولئن وجدنا البيرونى يذكر قصته الرمزية على انها من « الآثار الباقية عن القرون الخالية » فان اقبالا يقول بتفسيره الرمزى « **رايا** » فى فهم الآيات القرآنية ولا يرى فيه أى مجافاة للعقيدة ، بل هو يرى ، **على العكس من ذلك ، انه مدعاة للمعرفة حافز على التطلع •**

« انظر الفصل الثالث من كتابه : تجديد التفكير الدينى فى الاسلام » ، لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة • وانظر ايضا الفصل الثانى من كتابنا : « الدين والضمير » الطبعة الثانية : دار العلم للملايين ، بيروت •

وذكر البيرونى ايضا هذه القصة التى تدور حول ابراهيم الخليل واختتانه وخروجه على قومه عبدة الأصنام والنجوم : خرج ابراهيم من جملة الصابئة لأنه ظهر فى « قلفته » برص ، ومن كان به ذلك فهو عندهم نجس لا يخالطونه ، فقطع ابراهيم قلفته ـ اى اختتن ـ بسبب ذلك ، ثم دخل بيتا من بيوت الأصنام للعبادة فسمع صوتا يقول له : يا ابراهيم ، خرجت من عندنا بعيب واحد وجئتنا بعيبين •• ! أخرج ولا تعد ، فحمله الغيظ على أن يخرج من ملتهم • ثم ندم بعد ذلك واراد أن يذبح ابنه لكوكب المشترى • فلما علم المشترى صدق توبته فداه بكبش •

هذه قصة رواها البيرونى ، العالم المسلم العظيم ، تتصل بابراهيم الخليل مما عرفه من « الآثار الباقية عن القرون الخالية » •

فاذا انتقلنا الى تفسير « الكشاف » ـ وهو كما

تعلم معتزل — وجدناه يفسر **قصص القرآن ، بل بعض آياته غير القصصية ايضا ، تفسيرا رمزيا :**

يقول بهذه الرمزية فى تفسير الآية الكريمة :

لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ·

الآية ٢١ من سورة الحشر ·

ويقول بهذه الرمزية فى تفسير الآية الكريمة :

ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا او كرها قالتا أتينا طائعين · الآية ١١ من سورة فصلت · فهى ، على حد **تعبيره ، من المجاز الذى يسمى التمثيل ··· والغرض تصوير أثر قدرته فى المقدورات لا غير ، من غير ان يحقق شىء من الخطاب والجواب ·**

ويمثل الزمخشرى لذلك بمثل واضح هو قول القائل :

قال الجدار للوتد : لم تشقنى ·· ؟ قال الوتد : اسال من يدقنى ·

فان القائل لم يقل للوتد شيئا ولم يجبه الوتد بشىء ·

وكذلك يفسر بهذه الرمزية الآية الكريمة :

انا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ·

الآية ٧٢ من سورة الأحزاب · ويفسر بهذا التفسير بعض قصة نوح ·

بل نجد مفسرا **سنيا** ، هو البيضاوى ، لا يرى باسا من اتخاذ التمثيل والتصوير سبيلا الى تفسير آيات القرآن ·

فاذا خطونا خطوة أخرى فى نفس الطريق نحو تفسير المتصوفة وجدنا ما هو أوضح وأفصح : نجد محيى الدين ابن عربى ، مثلا ، يفسر قصص الأنبياء على الرمز والتصوير والاشارة ، **فالتابوت — فى قصة موسى — هو الطبيعة البشرية « الناسوت » ، واليم الذى القى فيه هو المعرفة والعلم ، وقد** استطاع موسى أن ينفذ الى اليم وينجو بواسطة قواه الفكرية النظرية ، **والمراضع التى رفضها موسى — غير لبن امه — اشارة ورمز الى انه سيرفع الشرائع السابقة كلها برسالته التى اختص بها ·**

وكذلك يقول ابن عربى فى قصة الطير الذى نفخ فيه عيسى ، وقد كان فى هيئة الطير فصار طيرا باذن الله : هيئة الطير من الطين ترمز الى النفس المقيدة بطبيعتها الأرضية ، والنفخ هو العلم الالهى ، والصيرورة الى طير حقيقى تشير الى النفس العاملة الكاملة المجردة التى تطير الى جناب القدس بجناح العشق ·

وكذلك يقول فى **عصى موسى :**

وما تلك بيمينك يا موسى الآية · وفى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام · الى غير ذلك مما نجده فى كتابه : « نصوص الحكم » ولا أريد أن استقصى ، ففى هذا الذى ذكرت كفاية · ونحن نعرف فى حياتنا الفكرية عملين عظيمين **استخدم فيهما قصص القرآن وآياته : رسالة الغفران للمعرى** ، وأهل الكهف لتوفيق الحكيم ·

هذه كلمتى عن امكان « الدعوة » الى الرمزية فى تفسير القصص القرآنى ، **قلتها برفق وأناة وتلطف** ، لأنى **تأملت طويلا هذا** السبيل اللين الهين الحذر الذى سلكه الدكتور النويهى فى مقاله، ذلك السبيل الذى جعله يكتب هذه الكلمات المتهيبة :

لست أعنى بشىء مما تقدم أننى « أدعو » الى أن نطور فكرنا الاسلامى وقبولنا الايمان حتى نبلغ هذه المرحلة من الفهم الرمزى ، فليست محاولتى الراهنة أن « أدعو » الى هذا أو الى نقيضه انما هى مقصورة على التفسير لواقع الحال ·

وهذه هى كلمة « التعجب » التى وعدت بأن أنهى بها هذا المقال ·

ابن عباس يفحم الخوارج

بقلم منصور رجب

اذا قيست قوة الأمة بمواقفها القوية الممتازة المضيئة فنحن بمالا يحتمل مجالا للشك من أقوى الأمم التى ظهرت على وجه الارض : فكم لنا من مواقف : فى السلم · والحرب ·· والسياسة ·· والعلم ·· والفقه ·· والأدب ؟ ·· الى آخر ما سطر التاريخ لنا من مواقف تجل عن الحصر والوصف والاطراء ·

لكن : هل ينفع أمة أن تتباهى بمواقفها المضيئة من غير أن تنفعل بهذه المواقف ايجابيا فتسير كما ساروا وتنهج كما نهجوا ؟ ··

نحن اذ نذكر اليوم بهذه المواقف فانا لنرجو أن نثبت للعالم انا لم نفقد أنفسنا· ولم ننس ثقافتنا· ولم نتنكر لروح ديننا ، ذلك الذى محا نوره ظلام الهذيان ، وحط عن كاهل الانسان نير البغى والطغيان ·

ونبدأ اليوم بموقف لابن عباس رضى الله عنهما هو أسمى ما يتصور انسان فى باب الدعوة الى الحق « والله هو الحق المبين » ·· ويتلخص هذا الموقف فى انه لما خرجت احدى الفرق على على بن ابى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه ذهب اليه ابن عباس فقال له: دعنى أكلمهم · **قال** : انى أتخوفهم عليك · **قلت** : كلا ان شاء الله فلبست أحسن ما أقدر عليه من الثياب ، ثم دخلت عليهم وهم قائلون فى نحر الظهيرة · فدخلت على قوم لم أر قط أشد اجتهادا منهم · أيديهم كأنهما ثفن ابل ـ اى ركب ابل كناية عن شدة غلظها ، ووجوههم عليها اثر السجود · فدخلت عليهم **فقالوا** : مرحبا بك يا ابن عباس · ما جاء بك ؟ ··· **قلت** : جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم · نزل الوحى وهم أعلم بتأويله · **فقال** بعضهم : لاتحدثوه · **وقال** بعضهم : لتحدثنه · **قلت** : أخبرونى · ما تنقمون على ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه : أى صهره ، وأول من آمن به وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ؟ ··· **قالوا** : ننقم عليه ثلاثا · قلت : وما هن ؟ ···· **قالوا** : أولاهن أنه حكم الرجال فى دين الله وقد قال الله عز وجل : « ان الحكم الا لله » **قلت** : وماذا ؟ ··· **قالوا** : قاتل ولم يسب ولم يغنم · لئن كانوا كفارا لقد حلت له أموالهم وان كانوا مؤمنين لقد حرمت عليه دماؤهم ·· **قلت** : وماذا ؟ ··· قالوا : ومحا نفسه عن أمير المؤمنين · فان لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين · **قلت** : أرايتم ان قرأت عليكم من كتاب الله المحكم · وحدثتكم من سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم ما لا تنكرون · أترجعون ؟ ··· **قالوا** : نعم · **قلت** : أما قولكم انه حكم الرجال فى دين الله · فان الله تبارك وتعالى يقول ـ فى سورة المائدة آية ٩٥ ـ : « يا أيها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدم منكم »

وقال في المرأة وزوجها ــ في سورة النساء آية ٣٥ ــ : «وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من أهلها » أنشدكم الله . أفحكم لرجال في حقن دمائهم وأنفسهم وصلاح ذات بينهم أحق . أم في أرنب ثمنها ربع درهم ؟ ... **فقالوا** اللهم في حقن دمائهم وصلاح ذات بينهم . قلت : أخرجت من هذه قالوا : اللهم نعم .

قلت : وأما قولكم : انه قاتل ولم يسب ولم يغنم . أتسبون أمكم . ثم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها ؟ ... لقد كفرتم ان قلتم : نعم . وان زعمتم أنها ليست بأمكم فقد كفرتم وخرجتم من الاسلام فان الله عز وجل يقول في سورة الاحزاب آية ٦ ــ : « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه امهاتهم » فأنتم تترددون بين ضلالتين فاختاروا أيتهما شئتم ؟ ... أخرجت من هذه ؟... **قالوا** : اللهم نعم .

قلت : وأما قولكم : محا نفسه من أمير المؤمنين . فان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا قريشا يوم الحديبية على أن يكتب بينه وبينهم كتابا **فقال** : « اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله » **قالوا** : والله لو نعلم أنك رسول الله ماصددناك عن البيت . ولا قاتلناك ولكن : اكتب محمد بن عبدالله . **فقال:** « والله انى لرسول الله وان كذبتموني » اكتب يا على محمد بن عبد الله . فرسول الله كان أفضل من على ، ومع ذلك محا نفسه من الرسالة ، **قال** : أخرجت من هذه ؟ ... **قالوا** : اللهم نعم . فرجع منهم عشرون الفا . وبقى على غيهم أربعة آلاف .

هذا موقف من ألمع المواقف في سياسة الدعوة . وكان من أثره ما قد سمعتم من هداية من خرجوا على على رضى الله عنه وكرم الله وجهه فانظروا أثر المنطق السليم والعقل الراجح والفهم الناضج في ارجاع الناس الى الحق ؟ ... ان وضوح الفكرة وقوة الدليل وسلامة اللغة من الفاظ العنف والفظاظة كل ذلك يفعل في النفوس فعل السحر. فهل تفعل في مناقشاتنا وجدالنا وتجلية الحق لمن يخفى عليه الحق أو يشتبه ؟ ...

بعض الناس يفقد أعصابه في النقاش والجدال فلا يجنى من وراء ذلك الا العداوة والبغضاء وقد يجر الأمر الى القطيعة . ولا تسل عما قد يترتب على ذلك من انحلال في المجتمع واختلال في النظام العام وفساد في أخلاق الامة .

ان الدعوة الى الحق لها سياسة : سياسة في العبارة . سياسة في تقديم الدليل . سياسة في اختيار الوقت المناسب . سياسة في شيء . ولقد أجمل القرآن الكريم ــ كما قلنا ــ هذه السياسة فقال : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » وقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » وقال لنبيه موسى عليه السلام حينما أرسله الى فرعون : « فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى » وقال صلى الله عليه وسلم للطفيل بن عمرو الدوسى لما قال : ان قومى قد غلبوني على الربا فادع الله عليهم فقال له صلوات الله عليه : اللهم اهدهم . ارجع الى قومك فادعهم وارفق بهم » يقول الطفيل فرجعت الى قومى فلم أزل بهم أدعوهم الى الاسلام حتى هاجروا الى النبى صلى الله عليه وسلم مسلمين .

ومن هنا نفهم السر في أن الاسلام يعتبر الكلمة الطيبة صدقة : ذلك أنها بريد الخير الى القلوب . ورسول السلام الى الأفئدة .. فهل لنا أن نتأدب بأدب الاسلام في حوارنا ونقاشنا وجدالنا وكل ما يتصل بحياتنا من قريب أو من بعيد ؟ ...

ان كل عمل شريف قد أتاه الانسان يعزى الى تأثير الكلمة الطيبة في القلب .

أعلام منسيون

عمر لطفى

"بقلم: أنور الجندى"

لم تكن اليقظة الوطنية فى أوائل هـــذا القرن وجدانية عاطفية ، أو قاصرة على الخطابة والكتابة الحماسية كما يحلو للبعض أن يصورها ، ولكنهـــا حملت فى تضاعيفها كل بذور العمل الايجابى ، غير ان الاستعمار كان قادرا اذ ذاك على قتل هذه البذور فى تربتهـا حتى لا تنمـو • وفى ظل هـذه اليقظة ظهرت الدعوة الى انشاء الاندية والنقابات العمالية والجمعيات التعاونية والبنوك والمصارف الوطنية • وفى هـذا المجـال ظهر « **طلعت حرب** » بدعوته الى انشـاء مصرف مصرى ، و « **عمـر لطفى** » بالدعوة الى التعـاون كوسيلة لحـل الأزمة الاقتصـادية التى أصـــابت الفلاح المصرى ١٩٠٧ ، فقد رأى المحامى الوطنى كيف أثرت هـــذه الأزمة الحادة فأنزلت أثمان القطن ، وسائر المحصولات الزراعية، وكيف اضطربت حياة الفلاحين ، وتعددت الآراء فى البحث عن علاج ، واقترحت وسـائل مختلفة ولكنها كانت أشبه بالمسكنات الوقتية •

وخرج عمر لطفى عن كل هـــذه الآراء ، ونادى بحل جذرى قال ان « التعاون » هـو الحل الوحيد الذى يكفل للفلاحين ما يرجون من اصـــلاح فى نظامهم الاقتصادى لأنه يمد الفلاح بما يحتاج اليه من مال دون ربا أو شرط اضـــطرارى أو جبرى كشروط المرابين الذين كان الاستعمار قد افسح لهم فغمروا كل قرية يعصرون فلاحيها بالقروض ، ثم ينتزعون بالمحـاكم المختلطة أراضيهم وأبقـارهم وماشيتهم •

واعلن «عمر لطفى» صيحته داعيـا الى انشـاء الجمعيات التعـاونية ، ومضى يجوب القرى المصرية محتملا كل متاعب التنقل، تاركا مكتبه فى القاهرة، من أجل الدعوة الى التعاون كحل جذرى لمشـكلات الفـلاح • ولقى فى سبيل ذلك الـكثير من النقـد والتقريع من خصوم الوطن وأذنابهم فضلا عما لقى من مشقة وجهد •

وكان قد اراد أن يعمق دعـــوته بالدراســـة الواســـعة والخبرة الكاملة فقام بعـدة رحلات الى ايطاليا حيث التقى بالتعاونى « لويجى لوتسانى » ودرس عليه نظـام الجمعيات التعاونية ، كما درس أنظمة التعاون المطبق فى فرنسا وسويسرا والمانيا وغيرها من بلاد اوربا • وواصل سفره ســـنوات ١٩٠٦ ١٩٠٧ و ١٩٠٨ من أجل هذا المشروع الذى أخذ عليــه كل جهده واعتبره أهم عمــل كبير للأمة مجردا من الغرض الشخصى ولم تثنه كل المثبطات عن خطته •

وكانت صيحة « عمر لطفى » الى التعاون عـام ١٩٠٧ جديدة وجريئة فقد لفتت الانظـــار وأخذت حكومة « مصطفى فهمى » صنيعة الاســـتعمار فى مقاومتها ولكن الداعية المؤمن مضى فى طريقه ، وعقد عديدا من الاجتماعـات الكبرى فى نادى المدارس العليا الذى اشترك فى تأسيسه وتولى شرف رياسته وكانت دعوته على هذه الصورة :

« يعتقد بعض الناس أن تفريج الأزمة الماليـــة لا يكون الا بجلب رءوس الأموال من البلاد الأجنبية واقراضـها للاهالى حتى تدور حركة الاعمال كمـا كانت عليه قبل سنة ١٩٠٧ وفاتهم أن الديون التى على المصريين قـد أثقلت كاهلهم ، وانه كلمـا كثر الدين زادت الفـوائد التى تدفع ســـنويا لارباب رءوس الأموال ، فالتفريج من هـذا الوجه تفريج وهمى لا أساس له ونتيجته فى المستقبل ضـارة وخيمة ، وفى اعتقادى ان أهم أسباب المضـاربات انما كانت من تهاطل الأموال الاجنبية على مصر ، واقراض بعض البنوك النقود دون الالتفات الى وجه استعمالها ، وبعبارة أخرى ، لو اســـتعملت تلك الأموال لتنمية مصـــادر الثورة الحقيقة فى التجارة والصناعة والزراعة لما وقعت مصر فى الأزمة المالية

الحاضرة ، بل كانت حال مصر تتبدل من حسن الى أحسن ، ولكان المصرى اليوم يرتع فى بحبوحة من السعادة والهناء • وعندى ان أساس الاســـتقلال والحرية فى كل أمة هو « الاستقلال الاقتصادى »•

هـكذا كان يفهم « **عمر لطفى** » الموقف ، ويرى الحل فى انشاء النقابات الزراعيه ، حيث تتشـكل النقابه فى كل بلد ، من مجموعة أهله ، ويجمعون مالا يوجه الى تقديم الاســـمدة والبذور والسلف الزراعيه للفلاحين والمزارعين الصغار ، وتحصـــل أثمانها بعد ظهور المحصول وبيعه •

ومن أهداف مشروعه ايجاد علاقة تجارية رئيسية بين المزارعين المصريين والمصانع الاوربيه عن طريق تلك النقابات دون وساطة المرابين او المضاربين ، ثم انشاء نقابة عامة تجمع النقابات الزراعيه المصرية وتؤلف بينها ، وبوصفه احد المشرعين الماهرين فقد استطاع استخلاص التكييف القانونى للجمعيـــات التعاونية فى مصر ومبادئها •

ومضى « **عمر لطفى** » يزور القرى والنجـــوع والدساكر يدعو دعوته ، وقد استجابت أول قرية لدعوته وهى قرية سنتماى (ميت غمر) ونجحت بها فكرة قيـام أول جمعية تعاونية ، وكان **الشيخ بركة** عمـدة سنتماى أول رئيس للجمعية التعاونية فى قريته •

وفى قرى شبرا النملة (طنطا) وكفر الحمام ونشيل بالغربيـة وأوليله بالدقهلية وميت القرشى بالشرقيـة وناموس بالقليوبيـة وخربتـا بالبحـيرة وبشـتيل وناهيـا بالجيزة والنويرة ببنى ســويف تكونت جمعيـــات تعاونية وبدأت تنفذ فكرة عمر لطفى •

كما تمكن من انشــــاء شركات التعـاون المالى والتعاون المنزلى ونقابة عمال المصانع ، ومضى عمر لطفى يطوف القرى، صادق الايمان بوطنه ، لايطلب اجرا ، متواضعا سمحا ، لا يعرف الغرور ، شأن أصـــحاب المبادىء ، طلعة مشرقة ، وروح عالية ، وايمان بالله وبأمته على حد قول شوقى عنه :

تمشى الى الأكواخ ترشد أهلهـا
مشى الحـواريين يهــدون القرى
متواضعا لله بين عبـاده
والله يبـغـض عبـــده المتكبرا
فى كل ناحية تخط نقـــابة
فيها حياة أخى الزراعة لو درى

ولا عجب أن يقف عمر لطفى نفسه على هذا العمل، وهو ثمرة المدرسة الوطنية التى عرفتها مصر بعـد الاحتلال البريطانى • وقد تتلمذ على مصطفى كامل وتخرج فى يوم واحد من مدرسة الحقوق مع محمد فريد فى مايو ١٨٨٧ ، وهو المحامى النـــابه الذى شغل منصب وكيـل مدرسة الحقوق ومؤسس نادى المدارس العليا •

ولكن ما سر اتجاه عمر لطفى الى هذا العمل الذى يدعوه لأن يترك أعماله ومؤلفاته ومكتبه الذى يدر عليه المئات ذاهبا فى طريق الكفور والنجوع •

لقد شب عمر لطفى فى هذا الجو العجيب المشحون بآثار الاستعمار البريطانى وهزيمة عرابى ونفيه ، وسمع وقع خطوات « جمال الدين الافغانى » على أديم الحياة المصرية ، وما كان لها من آثار ، ثم قرأ مجلة « الاســـتاذ » لعبد الله نديم ، وهو شاب ثم رأى مصطفى كامل وقاسم أمين ومحمد عبده •

ومن عصارة هذه الصيحات امتلأت روح عمر لطفى ــ وهو غير عمر لطفى محافظ الاسكندرية عدو الحركة الوطنية أيام الثورة العرابية ــ فهو يرى وطنه مهينا ، وكرومر يضغط عليه بقوة ، ويذيقـه الوانا من الترويع والتعذيب، ويسوق الفلاحين الى السخرة بالكرباج ، ويقع حادث دنشواى سنة ١٩٠٦ فيهزه هزا ، وتضطرم نفسه حزنا وألما ، ثم يمضى فيحول هذه الطاقة الوطنية الى عمل نافع ، عمل ايجابى ، ثم يهل عام ١٩٠٧ فاذا الأزمة تعصر الفلاحين عصرا ، وتأخذ برقابهم ولا بد من حل •

وفكر عمر لطفى ، وهتف : انه « التعاون » يحل المشكلات وقال لنفســه : انه سيعمل وظل خلال هذه السنوات يعمـل حتى توفى فى ١٤ نوفمبر ١٩١١ وكان قد قطع شوطا ربما كان يكون أطول لو وجد من الحكومة استجابة ، ولكن الحكومة التابعة للاستعمار كانت تقاومه والصحف المعارضة كانت تقاومه .

والواقع أن حيـاة « عمر لطفى » كانت خصـبة

عريضة ، فان له جانبا آخر سبق به دعوة التعاون وبرز فيه : هو جانب مؤلفاته وابحاثه فى مجال القانون والشريعة الاسلامية .

ولعله من أول الباحثين الذين تحدثوا عن « حق المرأة » فى رسالة له طبعت فى القاهرة (١٨٩٧) قبل صيحة قاسم أمين ، كانت خلاصة محاضره باللغة الفرنسية القاها (فى سبتمبر ١٨٩٦) وابان فيها حقوق المرأة فى الشريعة الاسلامية وقارن بينها وبين ما للمرأة الغربية من الحقوق ، وكيف ان الجنس اللطيف ـ كما كانوا يسمونه ـ وجد من الشريعة الاسلامية حماية لم يجدها فى القوانين القائمة اذ ذاك .

وقد عنى عمر لطفى بالتأليف فى الشريعة الاسلامية فأصدر مؤلفه الهام : « الدعوى الجنائية فى الشريعة الاسلامية » وكتابيه « حرمات المنازل » و « حق الدفاع » وكان لهذه المؤلفات صدى بعيد فى آفاق الكليات الاوربية قبل أن يسمع بها العالم الاسلامى ، وقال الكتاب الغربيون ان المؤلف عرف حاجة الشريعة معرفة صحيح النظر المنصف .

وكان قد اختار كتابه « الدعوى الجنائية فى الشريعة الاسلامية » ليقدمه لمؤتمر المستشرقين فى صيف ١٨٩٤ ، واعتمد فيه على عشرات المراجع أمثال : الميدانى والنفحة الملوكية والفخر الرازى وتاريخ الطبرى وقرة العيون لابن عابدين ، وابن خلدون ، والسيوطى ، والفوائد البهية فى تراجم الحنفية والهداية لشيخ الاسلام برهان الدين ، وابن عابدين ، ومعين الحكام وملتقى الابحر ، والزيلعى، والجوامع فى السياسة الالهية لابن تيمية ، والعقد الفريد وغيرها ..

ومن رأى عمر لطفى فى هذا الاتجاه : ان أول واجب على الشرقى لشريعته أن يعززها بأن ينزل بقواعدها فى مضامير التقنين الحديث ، ويرفع صوته بما تحويه من بالغ الحكم فى التشريع ، حتى يحلها مكانها من احترام العالم المتمدن ، وحتى تسقط دعوى الأوربيين الذين يرون ان الاسلام مرادف للتأخر والوحشية .

وقد أعلن كبار رجال القانون العالمى اعجابهم بأبحاث عمر لطفى ، يقول **شارل ميرمير** : اسمحوا لى ان أنصح لجميع المسلمين فى شخصكم الا يطلبوا مستقبلهم فى تقليد النظامات الاوربية ، فاطرحوا هذه النظامات وارسلوا النظر فى مشهد ما نحن فيه من الفوضى الخداعة ، واطلبوا من دينكم الذى هو اسمح دين وأكثره مساواة ، مفتاح مستقبلكم ولا تفضلوا أن تستعيروا منا الا الاكتشافات العلمية الخاصة بانماء سعادتكم الملية .

ويقول **مسيو فرنان داجين** : لقد كان الاعتقاد السائد فى فرنسا ان احترام المسكن لا يشغل من تقنين العالم الاسلامى الا مكانا حرجا ، على انه اذا كانت الحوادث التى يستحق أن يؤسف عليها ، وهى لسوء الطالع كثيرة الوجود ، تثبت ان الحرص على عدم انتهاك المساكن فى البلاد الاسلامية أمر قليل الأهمية ، فانه ليس بأقل من ذلك قربا للحق ، ان الشريعة الاسلامية تحرم مثل هذا الانتهاك تحريما مطلقا .

والمؤلف يذكر أن القرآن يحرم على كل شخص أن يدخل بيت الآخر بغير رضاه الا فى حالات أربع: اذا كان مرخصا له بالدخول ، واذا دعى اليه فان الدعوة تساوى الاذن فى الدخول ، وفى حالة حريق أو فيضان أو ارتكاب جريمة ، اذ البيت فى هذه الحالة يكون مفتوحا للأفراد كالحانوت أو الحمام أو نحوهما .. »

على هذا النحو بدأ عمر لطفى حياته الفكرية بعد تخرجه من الحقوق وانتظامه فى التدريس بها ، ثم تحول عام ١٨٩٣ الى الاشتغال بالمحاماه .

ومجالاته فى أبحاث الدعوى الجنائية وحق المرأة وحق الدفاع وحرمة المساكن كل هذه الابحاث لفتت النظر بقوة الى الفكر العربى الاسلامى وواجهت الدوائر القانونية الأوربية هذه الأعمال بتقدير كبير . وكتابه فى الامتيازات الأجنبية أول كتاب عربى فى هذا الموضوع ، غير أن عمر لطفى لم يقف عند هذا الحد ، بل قصد الى عمل أكبر ، فكان «**رائد التعاون**» وزميل أوين وريفيزن ولو تانى رواد التعاون فى أوربا ، واليوم وقد بلغ التعاون غايته الكبرى فى ظل الثورة يذكر فضل هذا الرائد المبرور المتوفى فى ١٤ نوفمبر ١٩١١ .

فلسطين

للشاعر محمد علي احمد

« قف .. قف .. قف »

لقد انطلقت هذه الكلمة المحذرة المانعة من افواه الحراس عندما قاربت حدود خط الهدنة منطلقا بلا وعى الى ارضنا السليبة فلسطين .. فكانت هذه القصيدة :

قف بباب الحمى وقبل ترابه ... وارقب الحى نجعه وشعابه
ماله مغرقا مع الصمت يشكو ... من هموم يلف فيها عذابه
هذه الحزن واعتلاه شحوب ... والجراحات مزقت اجنابه

***

صامت والاسي يظل روابيه ... ويلقى على السفوح ضبابه
والمنى فكرة تثير رؤاه ... تشترى عمره وتطوى شبابه
بات كالطائر الجريح تهاوى ... وطوى جنحه على ما اصابه
يطلع الفجر فى رباه حزينا ... ثم تبكيه فى الاصيل سحابه

***

هذه ارضنا وهذا حمانا ... شتت الغدر اهله وصحابه
مزقت شمله الذئاب الضوارى ... واستحلت غذاءه وشرابه
سلبوا امنه وعاثوا فسادا ... ودمارا وشتتوا اربابه

***

كان بيتى هنا ، وكان رفاقى ... وزمان الصبا شربنا رضابه
كان بيتى . وكل من فيه اهلى ... يملا الأمن دربه ورحابه
كان حقلى . على مدى الأفق حقلى ... تنتشي فيه خضرة جذابة
سنبلاتى بارضه راقصات ... وطيورى بافقه منسابه
وعلى السفح عنزتى وشياهى ... لاهيات بحضنه وثابه
ومع الموج راح يسبح طفلى ... يحرس الشط حانيا جلبابه

***

كنت عند السياج بعثرت حبا ... فاطمانت وعرشت ابلابه
والفراشات فى الصباح نشاوى ... ارجحتها مع النسيم ربابه
تعبر النور للورود سكارى ... سارقات من الشروق خضابه

كان صبحي مع البيادر فرحا ... ونهاري مني وليلي صبابه
امسياتي به جمال وسحر ... وصلاة ودعوة مستجابه
يوم كان الهوى صدى اغنيات ... ذوبتها على فمي شبابه

***

يا فلسطين والشباب غضوب ... سمم الحقد سهمه وحرابه
في غد تزحف الجموع لهيبا ... تزحم الافق او تشق حجابه
وغدا نلتقي شعوبا وجندا ... بصدور تضج فيها الصلابه
وغدا تزار الاسود غضابا ... تهزم الموت ، تستخف صعابه
وتثور السماء والارض والأفـ ... ـق الاماني قوة غلابة
وتحيل الرمال والصخر نارا ... تحرق الشر ثم تذرو ترابه
وتذيق العدو في الحق كاسا ... طافحا يملأ المرار شرابه

***

يا حمى العرب في غد نتلاقى ... يوم عيد بارضنا المخصابه
ملء تاريخنا سطور وضاء ... خطها المجد عزة ومهابه

***

فغدا نصنع السلام ونبني ... ونعلي بين السحاب قبابه
وغدا نملأ الديار امانا ... وغدا يعرف السؤال جوابه

محمد علي احمد

من أغاني الصبّاح

• للشاعر: محمد مصطفى المليجي •

تحت الشباك غدا يشدو ... عصفور الجنة نشوانا
يشدو للصبح وللنور ... ويطير ويقفز فرحانا
والماء يصفق في فرح ... والروض تألق جذلانا
ونسيم الروض يعطره ... فل قد داعب ريحانا
والشمس تراءت في حلل ... والأفق تألق وازدانا
وعليه وشاح « ذهبي » ... ند جمع فيه الألوانا
ومراكب يدفعها ريح ... ند شقت في البحر مكانا
وحقول القمح قد امتدت ... والتبر يعانق كثبانا
وعقود الروض قد انتظمت ... وتراءت تبرا وجمانا
وعطور الروض قد انتشرت ... والزهر تفتح تيجانا
واكاد اقبل مبسمه ... واعانق قلبا وجنانا
فشدوت اردد اغنيتي ... وسموت وجزت الاكوانا
والعيش سلام « وامان » ... والخير يحيا انسانا

لمحات من قضايا الناس

للمستشار أنور حجازي

وكيل النيابة العامة كالقاضي تماما ، كلاهما جندي في ساحة العدالة ، وكلاهما سند أصيل لها ، ودعامة مأمولة في سبيل تهيئة أسبابها حرصا منهما على بلوغها الكمال المنشود .

كلاهما قوة هادفة ، يبذلان الجهد سخيا مضنيا لصون اعتبارها ولاقامة دعاماتها راسخة رفيعة متآبية . فتصير فينا رجاء يستجير به كل مظلوم ليجد الامن والامان والاطمئنان ، ويأوى اليه كل ذى حق مسلوب ليرتد اليه حقه سليما مبرءا ، ويلوذ به كل مغلوب على أمره ليظفر بالعون والحماية والسلام .

يلوذ بالعدالة كل انسان حتى ولو كان وافدا على ارضها غريبا عن مجانها ، يأوى اليها كل أجنبي وكل يستوى عندها وفي محرابها كل الناس ، أى انسان طارىء مستجير ، ذلك لان العدالة وطنهم الدنيا حتى ولو كانوا من غير المقيمين على أرضها .

وآية ذلك ، أتمثل له بتلك القضية التى رسبت فى نفسى منها معالم لا تنسى ، معالم ان كانت تطوى فطنة ، فهى تطوى كذلك حرصا والحاحا لاستجلاء معالم الحق واظهاره مضيئا لتخفق ألويته منشورة على الوجود كله حماية للبشرية جمعاء .

كنت أمارس العدالة وشئونها فى منطقة القناة ببورسعيد منذ خمسة عشر عاما ، حين أخطرت بحادث وقع على أحد ضباط باخرة فرنسية اثناء وقوفها بميناء بورسعيد ، اذ نزل الضابط الى المدينة يتجول فى احيائها والتقى به مجهول اصطحبه الى عدة اماكن بالمدينة حتى اذا ثمل من افراطه فى الشراب ، اعتدى عليه ذلك المجهول وسلبه بعض ماله . ولما اخطرت الشرطة ورجال المباحث الجنائية بالواقعة تعاون جميعهم فى سبيل الكشف عن ذلك المجهول تعاونا صادقا ملحوظا .

وبدأت السلطات تجمع الاشخاص المشتبه فى أمرهم الذين ساء سلوكهم واسودت صحيفتهم ، وقام وكيل النيابة لمباشرة التحقيق لان الواقعة تشكل جناية سرقة باكراه ، واسترسل فى استظهار معميات تلك الواقعة علّه يصل من خلال مناقشته الى ماينير السبيل ويكشف عن الغموض الذى أحاط بها ، وأسرف فى مناقشة حراس المنطقة التى وقعت فيها الواقعة ، وكانت كلها جهود ضاعت سدى ، واذ كان وكيل النائب العام مسترسلا فى مناقشة واحد من هؤلاء الحراس جاء ضابط المباحث وهمس فى أذنه مستنفدا ، فوقف وكيل النيابة التحقيق ، وقام من فوره مستصحبا الضابط ودخلا معا غرفة السجن بالقسم حيث استعرض جميع المشتبه فى أمرهم مختصا احدهم باهتمامه وهو الذى أشار اليه الضابط ، فوجده مضطربا نوعا ، يضع يده على شفته العليا موضع شاربه ، واذ فاجأه وكيل النيابة بسؤاله عن سبب وضع يده على فمه ازداد اضطرابا ، ثم اقتيد الى غرفة التحقيق لاستجوابه ، وابتدره وكيل النيابة بسؤاله عن السبب المفاجىء لازالة شاربه فصعق الشاب من هول المفاجأة التى لم يعمل لها حسابا .

والمفاجأة بدأت حين قبض على هذا الشاب مع من جمعوا لمجرد الشبهة واستجابة لدواعى الظن والتخمين ، وأثناء تجمعهم فى غرفة الحجز بالقسم سرى بينهم أنهم سيعرضون جميعهم فى عملية عرض قانونية على الضابط الفرنسى المجنى عليه .

وخشى المتهم افتضاح أمره فهداه تفكيره الخاطف الى محاولة علها تعصمه من كشف أمره ، والمحاولة هى أن يزيل شاربه بأكمله ، لعله بازالته يموه على المجنى عليه الذى قد يستعصى عليه التوصل الى

معرفته ، واستعان بزميل له كان يعمل « حلاقا » ، وطلب اليه ان ينزع خيطا طويلا من جلبابه، استخدمه « الحلاق » فى نزع شنب المتهم شعرة شعرة ، ونجح فى ازالته كل معالمه ·

وأثناء عملية نزع الشنب ، كان جميع المشتبه فى امرهم تحت ملاحظة احد رجال الشرطة السريين الذى راقب تلك العملية منذ بدات ، فسارع الى اخطار الضابط الذى تحقق منها بنفسه ، وعندئذ اخبر بها وكيل النيابه الذى كان يتولى التحقيق ·

ضيق وكيل النيابة الخناق على المتهم ليمسك باطراف الدليل او بما عساه يوصل اليه ، ولكن المتهم كان جامد التقاطيع يتمتع بارادة فولاذية ، واصر على انه لم يكن له شارب فى يوم من الايام ، ولكنه حقيقة طلب من زميله ازالة شعيرات قليله جدا كانت متناثرة حول فمه دون ان تشكل شاربا على الاطلاق ، وارجع الى ذلك سبب احتقان شفته العليا نوعا ، ثم استطرد من ذلك الى نفى اى صلة له بالواقعة ، وان لا شان له بها او بمرتكبها ، وأنه براء مما هو منسوب اليه ، ثم أكبر نفوره من الواقعة وازدراءه لمن اقترف هذا الاثم المقيت الذى يسىء الى سمعة وطنه عامة والى بورسعيد خاصة ·

ولم يقتنع وكيل النيابة بهذا الدفاع المجيد ، كما لم يقتنع ضابط المباحث ، ورأى وكيل النيابة استكمالا لأوجه التحقيق ، وجوب عرض المتهم بين آخرين على الضابط الفرنسى المجنى عليه ·

واتصلت الشرطة بالمسئولين فى الميناء ، فعلمت بان السفينة اقلعت منذ ساعتين وانها تكاد تقترب من منتصف القناة ، ولما رأى المسئولون اصرار وكيل النيابة على اجراء عملية العرض اتصلوا بالباخرة لاسلكيا وطلبوا اليها ان تنتظر سلطة التحقيق فى عرض القناة ، فاستجابت فى الحال وحددت مكان وقوفها ، وسارع وكيل النيابة فى صحبة رجال الشرطة ومعهم المتهمون وسلكوا طريق البر ودخلوا الى السفينة التى رست على شاطىء القناة واستقبلتهم فى ترحاب ·

واجرت النيابة عملية عرض دقيقة فى صالة الباخرة أذهلت الاجانب من طاقم السفينة الى المسافرين عليها ، كما أثار اعجابهم أن يشتد الحرص بسلطة التحقيق حدا يجعلها تلاحق الادلة تجمعها وتستكملها حتى ولو فى عرض البحار ، تلاحق الدليل مستصحبة كل جهازها حتى المتهم والمشتبه فى امرهم ·

وكانت دهشة وكيل النيابة المشفوعة بارتياحه حين استطاع الضابط الجريح المجنى عليه ان يخرج المتهم ذاته — حليق الشارب — فى التو واللحظه دون جهد ودون عناء وبلاتردد طويل او اضطراب ، أخرجه من صف المعروضين ، مؤكدا أنه المتهم الذى اعتدى عليه ، قائلا ، انه على الرغم من ازالة شنبه اليوم ، فان ملامحه ما زالت محفورة فى وعيه الحافظ مما يجعله يقطع بانه هو ولا احد سواه ·

عادت سلطة التحقيق لاستكمال ما بدأته وأخلت سبيل المشتبه فيهم · وابقت ذلك المتهم ومعه «الحلاق» الذى جرده من شنبه خشية أن يكون شريكا له · ولكن الاخير اكد فى كل مراحل التحقيق أنه لم يتصل بالمتهم الا عند ضبط المشتبه فيهم وقد ساندته تحريات المباحث فاخلى سبيله ، اخلى سبيله بعد أن اكد أن المتهم استعطفه والح عليه فى ان يعاونه فى ازالة شنبه خشية الاشتباه فى امره واقنعه بأنه لا صلة له بالجريمة وأن ازالة الشنب لا صلة لها بهذه الواقعة ، وأمام الحاحه الذى لم يفهم له دافعا حقيقيا اضطر الى معونته ·

وامام تلك الادلة المتتابعة المطردة اعترف المتهم وأرشد عن المسروقات الا القليل التافه ، وقد سلمت الى القنصلية الفرنسية التى بعثت بها الى المجنى عليه ، فارسل هو بدوره خطاب شكر رقيق الى السلطات المسئولة فى بورسعيد ·

اما المتهم فقد أحيل الى محكمة جنايات بورسعيد التى رأت — بحق — وجوب أخذه فى شدة وفى غير رفق ، وقضت بمعاقبته بالاشغال الشاقة عشر سنوات حتى يكون عظة وعبرة ، وحتى لا يمس انسان بسلوكه الفردى المشين سمعة بلاده ·

وقد قيل فيما قيل — تعقيبا وايضاحا — ان هذا الذى حدث عندكم حدث مثله وأكثر منه فى نابلى بايطاليا وفى مرسيليا بفرنسا وفى موانىء كثيرة فى بلاد العالم ·

وقلت تعقيبا ، ان المعصية لا تبرر المعصية ، لاننا امة نسلك سبيلا جادا حازما تبتغى مثالية وتقويما وتفوقا فى كل مجالات الحياة لتبقى بلادنا جديرة بكيانها القيادى الرائد ·

حول مدرسة الديوان

● بقلم: عبد العزيز الدسوقي ●

نشر الأستاذ عبد الحى دياب فى العدد (٥٣) الثالث والخمسين من مجلة الرسالة مقالا عن «العقاد ومدرسة الديوان» بشر القارىء فى مقدمته بأنه محص الحقائق تمحيصا دقيقا «لا يطرقه غرض ولا يعتريه هوى» ووصل الى نتائج خطيرة لم يتوصل اليها كل الذين حاولوا دراسة هذه الجماعة الأدبية، لأن هذه الحقائق التى توصل اليها الباحث «ستقلب حقائقهم التى وصلوا اليها رأسا على عقب» .

وعلى الرغم من هذه اللهجة الخطابية المتعالية التى تسود مقال الاستاذ دياب، فقد اهتممت بالموضوع اهتماما كبيرا، لأننى **أولا** .. أحد هؤلاء الذين ستنقلب حقائقهم رأسا على عقب فقد كتبت فصلا عن هذه الجماعة منذ ثمانية أعوام وقد ظهر ضمن كتابى «جماعة أبولو وأثرها فى الشعر الحديث» الذى رأى نور الحياة فى خريف عام ١٩٦٠ .

ولأننى ثانيا : أكتب الآن بحثا عن هذه الجماعة بعنوان «جماعة التجديد فى الشعر العربى المعاصر» (العقاد والمازنى وشكرى) وأنا أعرف أن الاستاذ الباحث من مريدى المرحوم العقاد وأنه يعيش فى أبحاثه النقدية منذ مدة طويلة، وقد نوقشت منذ قليل رسالته عن العقاد الناقد ونال بها درجة الماجستير فى الآداب ... لهذا بدأت فى قراءة المقال بكل هذا الاهتمام، لأحظى باللآلىء التى اكتشفها الأستاذ دياب ابان غوصه فى خضم الأدب المعاصر .

ولكننى لسوء الحظ لم التق فى هذا الموضوع الا ببعض الأصداف ولو كان الاستاذ عبد الحى دياب رجلا متواضعا، لما جابهته بهذا القول، فما أكثر ما نقرأ فى الصحف والمجلات من أمثال هذه المقالات السريعة العابرة ... ولكن الأستاذ دياب معتد بعلمه وتعمقه فى البحث الى حد الغرور .

وكان الأجدر بالباحث الفاضل ـ لو كانت عنده حقائق خطيرة !! ـ أن يذكرها مدعمة بالأدلة والأسانيد ثم يتركها هى تفعل فعلها فى دراساتنا المعاصرة، لا أن يستعرض عضلاته على هذا النحو العقيم .

فما بالك والمقال لا يحوى أية حقائق موضوعية، ولا يشتمل على أفكار جديدة أصيلة، وانما هو أشتات من المعلومات تداولتها الأقلام والدراسات .

فالمعركة التى دارت بين العقاد والمازنى من ناحية وشكرى من ناحية أخرى، معلومة مدروسة، والبواعث عليها مفصلة فى أبحاث الدارسين، حتى ما يظن الاستاذ دياب من أنه توصل اليه : وهو تسامح العقاد مع شكرى . ونفى أستاذية شكرى للعقاد والمازنى . وتوقيت المعركة، كل ذلك معروف . وقد كتب عنه العقاد نفسه فى الهلال والشهر والأخبار . ومجلة المجمع اللغوى . وكتب عنه الدكتور مندور . وكاتب هذه السطور فى كتابه عن جماعة أبولو ... بل لقد فصلت هذه المعارك تفصيلا دقيقا وذكرت الأسباب السياسية التى دفعت اليها ... وجمع صديقنا الاديب الكبير نقولا يوسف فى مقدمة (ديوان شكرى) الكبير المنشور حديثا كل هذه الأقوال، وأشار الى المجلات والصحف التى نشرت أصداء هذه المعركة وتفصيلاتها وأحب أن أنبه الاستاذ دياب الى مقالات للأستاذ سيد قطب كان يكتبها فى مجلة «الأسبوع» بأبى شادى وجماعة أبولو، ومفندا مسالة أستاذية شكرى للعقاد، وهى مقالات حادة ثائرة . ولو قرأها الاستاذ دياب، لما قال انه اكتشف حقائق جديدة فى هذا الشان ولما اكد ـ فى خطابية واستعلاء ـ أنه «يتقرر فى الأذهان أن الواجب واللازم اللازب أن يراجع الدارسون للادب الحديث بصفة عامة ولمدرسة الديوان بصفة خاصة دراساتهم» ثم يهدد الاستاذ الدارسين بأنه سيبين زيفهم وعبثهم بالقيم والأخلاق !!

أخطاء

وقد تكون الحقائق التي توصل اليها الأخ دياب لا تزال في ذهنه ٠٠ أو قد تكون في بحثه الذي لم ينشر بعد ، فلننتظر حتى يظهرها للناس ، ولكن الذي يجب أن نناقش فيه الكاتب ، هو ما جاء في هذا المقال المنشور في الرسالة وانا ألاحظ على هذا المقال عدة ملاحظات ٠

أولا : الكاتب لم يكن موضوعيا في بحثه بل كان متأثرا بعلاقته بالعقاد ولذلك جاء المقال انطباعات ذاتية تنقصها الدقة وروح البحث العلمي ٠

ثانيا : دفع هذا التحيز الكاتب الى اتخاذ موقف مسرف من الباحثين فراح الكاتب يسبهم ٠

وقد انزلق عبد الحي دياب انزلاقا خطيرا ، فراح يتهم المرحوم « عبد الرحمن شكري » في رجولته ، بدون داع وروى حديثا خاصا قال انه : دار بينه وبين المرحوم العقاد وهو « أن شكري كان مصابا بالضيق والسأم نظرا لاصابته بالعجز الجنسي » !!! ولست أدري ما جدوى هذا القذف في موضوع بحث الأخ دياب ، وهو لا يدرس الشاعر شكري من الناحية النفسية أو الطبية ، ولا يدرس شعره ٠

ثالثا : كاتب المقال يوهمنا أنه باحث عميق له جلد على الدراسات الأدبية ، وكاتب هذا شأنه كان من الواجب أن يطالع النصوص التي يشير اليها بنفسه ، لا أن يسمع عنها من الناس ولو قرأ دياب النصوص لما قال ان مقدمة الجزء الخامس من ديوان شكري الصادر في عام ١٩١٦ تحوى « عريضة اتهام للمازني يعدد فيها مناقبه في السرقة من الشعر والدراسات » ٠٠ وأن شكري « انطلق في اتهاماته للمازني كالاعصار الذي يحطم ما يعترضه » !!! فهذا كلام غير دقيق ولا يكشف عن الواقع ٠

والحقيقة ان شكري كتب مقدمة علمية رائعة في ديوانه « الخطرات » الصادر عام ١٩١٦ في أربع عشرة صفحة تحدث فيها عن الشعر ومذاهبه وأكد فيها ان الشعر لازم للحياة ، كما ان الاحساس لازم للنفس ، والتفكير لازم للعقل وقال ان الشاعر العبقري « يمتاز بذلك الشره العقلي الذي يجعله راغبا في أن يفكر كل فكر ، وأن يحس كل احساس» وعدد مذاهب الشعر المختلفة وتكلم عن فساد ذوق المتأخرين ، وعن الخيال العبقري ودافع عن الشعر العربي الأصيل وبعد كل هذه الصفحات الجادة الطويلة ، تكلم في آخر صفحة من المقدمة عن تهمة كانت تثار حول دعاة المذهب الجديد وهي السرقة٠٠ ونفى هذه التهمة عن الشعر الجديد وقال « وروج هذا الرأى طلاب فوضى الآداب الذين يمرحون في ظلامها كالخفافيش في الظلام ٠٠٠ وأهل الحسد والحقد والكذب ومغلقوا الأذهان ممن يكره كل جديد ٠٠٠ وشعراء المسلك القديم الذين ظهر عجزهم ونقص تعليمهم » ثم في السطور الأخيرة اعترف في شجاعة بأن صديقه المازني أخذ قصيدة « الشاعر المحتضر » المنشورة في عكاظ من قصيدة « ادونى » للشاعر شلي الانجليزي ، وقصيدة (قبر الشعر) من هيني الألماني ٠ وقصيدة « فتى في سباق الموت» من الشاعر «هود» الانجليزي ٠٠٠ وقال ان المازني كتب مقالة في مجلة البيان عن تناسخ الارواح وهي منقولة عن الكاتب الانجليزي «ادسون» وبعد أن عدد كل هذا للمازني قال شكري صراحة « ولو كنت أعرف أن المازني تعمد أخذها لقلت : انه خان أصحابه بهذه الاعمال ، ولكني لا أصدق تعمد أخذها ولو انى رأيت عفريتا لما عراني من الحيرة والدهشة قدر ماعراني لرؤية هذه الاشياء ٠٠ ولا أظن أن أحدا يجهل مدحي المازني وايثاري اياه ، واهدائي الجزء الثالث من ديواني اليه وصداقتي له ، ولكن كل هذا لايمنع من اظهار ما أظهرت ومعاتبته في عمله ، لأن الشاعر مأخوذ الى الأبد بكل ما صنع في ماضيه »٠

واعتقد أن هذا النقد الذاتي يمثل نضج « جماعة التجديد» وتطهرهم من العقد والغرور ٠٠ ولذلك جاء رد المازني على هذا النقد شجاعا جريئا ، عندما أخرج ديوانه « الجزء الثاني » فقد اعترف بهذه المآخذ وقال يرد على الجامدين الذين اتهموا كل دعاة المذهب الجديد بالسرقة «لقد كان الانصاف الا يلام غيري اذا صح ما نسب الى ، ولكن الناس تجاوزوني الى غيري ، واتهموا سواى قياسا على : وان كنت لم أرم أحدا ممن تقدوا شعري ، وهذا عنت ظاهر يريك مبلغ الناس ، من الفهم والعدل » ثم قال معترفا بمآخذ شكري «ولم نعثر على شيء يجوز من أجله اتهامنا بالسرقة الا أبياتا في (رفيقة حسناء) وهي (لشلي) والجزء الاخير من قصيدة (أماني وذكر) وهي «لبيرنز» وقال لو حذف كل هذا الذى أخذ علينا لما انقص ذلك من قيمة شعرنا ، فان في ديواننا الاول ألف بيت وليس ما أخذ علينا خيرها ، ولئن كان هذا دليلا على شيء ، فهو دليل على صحة الاطلاع

وسرعة النسيان.. ولا يسعنا الا أن نشكر لصديقنا شكري أن نبهنا الى مآخذ شعرنا .

فالقضية ـ اذن ـ لاتعدو أن تكون صراعا بين الجديد والقديم .. وكانت المعركة حينئذ على أشدها وتستخدم فيها كل الاسلحة ، والدرس الذى أعطاه دعاة التجديد فى الشجاعة الادبية ، يستحق التنويه والاشادة ، فاذا جاء عبد الحي فى هذه الايام ليشوه هذا الموقف ، ويتهم عبد الرحمن شكرى بانه شرير وان أساليبه كقطاع للطرق ويرميه بالقصور الجنسى فهذا شيء عجيب غريب .

رابعا ـ وشيء محزن يتسم به هـذا المقال وهو الخطف والقاء الاحكام دون تثبت .. ثم الافتراء على الحقائق الادبية والتاريخية ، فدياب يقول فى مقاله: ان المازنى لم يهاجم شكرى فى كتاب « الديوان » الا فى الجزء الثانى بعد أن سافر العقاد الى أسوان مريضا ، وترك أصول الكتاب للمازنى ، هنا أضاف المازنى الى صفحات هذا الجزء الثانى فصلا اتهم فيه شكرى بالجنون والخرس والادعاء والبكم والحقد وانه منكود ومائق الى آخره ، وزج بهذا الفصل الى المطبعة ليطبع مع الجزء الثانى الذى تركه له العقاد تحت رقابته .

وهذا قول لايمكن أن يقوله كاتب له أدنى صلة بهذه القضية ، فالمعروف المتواتر ان المازنى هـاجم شكرى فى الجزء الاول وفى الجزء الثانى من الديوان فلماذا يلجأ الاستاذ عبد الحى دياب الى هذا ليوهمنا ان المازنى لم يستطع أن يهاجم عبد الرحمن شكرى الا من وراء ظهر العقاد . وهـذا افتراء واضـح.. وواحدة من اثنتين : اما أن يكون الاستاذ دياب عالما بالحقيقة ، ولكنه صورها وبدل فيها ليخدم أغراضه.

واما أن يكون الاستاذ الباحث جاهلا بهذه الحقيقة لانه لم يقرأ بنفسه كتاب «الديوان» بجزءيه الاول والثانى .

واحب أن أؤكد للكاتب أن المازنى رحمه الله هاجم شكرى فى الجزء الاول من (الديوان) الذى صدر عام ١٩٢١ فى فصل كامل بدأ من صفحة ٤٨ وانتهى عند نهاية الجزء الأول صفحة ٦٢ أى أكثر من ثلث الكتاب. والفصل بعنوان « صنم الألاعيب » ، واتهمه بالجنون والحقد والجهل والادعاء والغرور وقال : أترى هذا المفتون يحسب أنه يستطيع أن يخدع الناس بهذه النظريات التى ينقلها ولا يفهمها .

أيقول : وقد جمع صاحبنا الى البكم الذى مثلنا له ضعفا فى الذهن واضطرابا فى جهاز التفكير .

ثم يقول : وقد سبق لنا ان نبهنا شكرى الى ماق شعره من دلائل الاضطراب فى جهازه العصبى وأثرنا عليه بالانصراف عن كل تاليف .. لان جهـوده عقيمة .. وتعبه ضائع .

أما الجزء الثاني فقد عاود المازنى فيه هجومه على شكرى واتهمه بالجنون ، وانه أعوج الطبع والذهن مقلوب العين ينظر الى الحياة من منظار معكوس يريها الأشياء على غير حقيقتها وعلى غير نسبها وعلاقاتها .

وقد حدثنى المرحوم الاستاذ عباس العقـاد فى حديث نشرته فى مجلة الهدف (فى يونيه) عام ١٩٥٨ عن هذه الجفوة التى حدثت بين المازنى وشكرى .. وقال لى انه كان يتمنى ألا تحدث ، ولكن المازنى أصر على تحدى شكرى والهجوم عليـه . وان كان من الانصاف للمازنى أن تذكر انه ندم على هذه الخصومة ندما شديدا وكتب فى أكثر من مناسبة يعلن استاذية شكرى وتبحره فى الآداب والفنون ويندم على ماقام به عليه من هجوم .. ولسنا نظن ان التواضع من المازنى والسخرية بالخلود والشـهرة ـ وهى من لوازمه ـ كانت السبب فى هذا القول .. فشكرى فعلا وجه المازنى فى الادب والشعر .. وقد كان المازنى يقول فى دراساته عن شكرى : أما شكرى فشاعر لايصـعد طرفه الى أرفع من آمال النفس البشرية ، ولا يصوبه الى أعمق من قلبها ، ويوازن بينه وبين حافظ فيؤكد : أن حافظا اذا قيس الى شكرى لكالبركة الآجنة الى جانب البحر العميق الزاخر .

والاستاذ دياب فى مقاله يحاول أن ينال من شكرى ويحط من شانه ، ولو درس شعره أو نقده أو لو قرأ شيئا من أبحاثه الجادة ، لما هان عليه أن يقف منه هذا الموقف . وقد يكون تحيز الاستاذ عبد الحى للعقاد هو الذى دفعه الى النيل من شكرى ، وهذا موقف مؤسف كل الاسف . فالعقاد نفسه على ماكان عليه من اعتداد بنفسه ، واعتزاز بثقافته ، يؤكد فى أكثر من مناسبة استاذية عبد الرحمن شكرى وسعة اطلاعه على الأدب العربى والآداب الأوربية ، ولقد اعترف له بالسبق والتفوق فى أشياء كثيرة يقول : « فلم يسبقه أحد فيما أذكر الى تطبيـق البلاغة النفسية ـ السيكولوجية ـ المستمدة من أدب الغرب على ما يقرؤه من شعر الفحول فى اللغة العربية ..

ولعله أول من كتب فى لغتنا عن الفرق بين تصوير الخيال ، وتصوير الوهم ، وهما ملتبسان حتى فى موازين بعض النقاد الغربيين .

الى هذا الحد كان يعتز العقاد بالشاعر عبد الرحمن شكرى ويعدد مآثره ، ويفتخر بالكشوف الادبية الحديثة التى أغنى بها اللغة العربية .. بل كان يسلم بأنه كان يسبقه فى القراءة الى اشياء لم يكن يلتفت اليها .. يقول : عرفت عبد الرحمن شكرى قبل خمس واربعين سنة فلم أعرف قبله ولا بعده أحدا من شعرائنا وكتابنا أوسع منه اطلاعا على أدب اللغة العربية ، وأدب اللغة الانجليزية ، وما يترجم اليها من اللغات الاخرى ، ولا أذكر انى حدثته عن كتاب قرأته الا وجدتمنه علما به واحاطة بخير مافيه ، وكان يحدثنا أحيانا عن كتب لم نقرأها ولم نلتفت اليها ولا سيما كتب القصة والتاريخ . وقد كان مع سعة اطلاعه صادق الملاحظة نافذ الفطنة حسن التخيل سريع التمييز بين ألوان الكلام ، فلا جرم أن تهيأت له ملكة النقد على أرقاها ، لانه يطلع على الكثير ويميز منه مايستحسنه وما يأباه ، فلا يكلفه نقد الأدب غير نظرة فى الصفحة والصفحات يلقى بعدها الكتاب وقد وزنه وزنا لايتأتى لغيره فى الجلسات الطوال ، ولا أعتقد أن المرحوم العقاد قد كرم شخصا واعترف له بالسبق والتفوق عليه مثل ما اعترف لشكرى ، ولعل الاستاذ دياب يوافقنا على أن العقاد لم يقل هذا القول مجاملة لشكرى ، فقد عاش ــ رحمه الله ــ لا يعرف المجاملة على حساب القيم الفكرية والمعايير الادبية .

وقبل أن أختتم هذا الموضوع أحب أن أنفى عن المرحوم عبد الرحمن شكرى عدة تهم حاول الاخ دياب أن يلقى بظلالها عليه .. وهى الحقد والشر وأساليب قطاع الطرق ، ومن معايشتى لأشعار عبد الرحمن شكرى المنشورة فى دواوينه السبعة ابتداء من (١٩٠٩) «ضوء الفجر» الى أن مات يرحمه الله ثم كتبه ومقالاته المتعددة ، أشعر انه رجل عذب دمث واسع الثقافة زاهد فى المجد والشهرة ، لايحب اللدد ولا الخصومة وانى أطلب فى هذا المجال شهادة الاستاذ الكبير على أدهم وكان من تلاميذ المرحوم شكرى بمدرسة رأس‌التين (عام ١٩١٣ــ١٩١٤) وقد كتب الاستاذ أدهم مرة عن ذكرياته عن الشاعر قائلا:

وكان الاستاذ شكرى فى مجالسه الخاصة محدثا لبقا ، شائق الحديث واسع المعرفة ، نافذ النظرات وكان يزيد حديثه متعة انه كان دائم الاطلاع سريع القراءة قوى الاستيعاب حسن الهضم لما يقرأ ، وكان له على جميع ما يقرأ تعليقات رائعة وتعقيبات نافعة واذا اطمأن الى جليسه واستراح له مضى ينثر ذخائر معرفته ونفائس علمه فى تواضع محبب وسخاء جميل . وقد تكون شهادة الاستاذ ادهم نافعة فى هذه الايام لهؤلاء الذين ينبشون قبور الموتى ويحصبونهم بالحجارة ويفترون عليهم .

اما تهمة «القصور الجنسى» فلا أعتقد أنها تسىء الى المرحوم شكرى بقدر ما تسىء الى قائلها الاستاذ عبد الحى دياب.. فالرجل ــ رحمه الله كما يحدثنا صديقنا العلامة الاديب الاستاذ نقولا يوسف فى المقدمة الجامعة التى كتبها (لديوان شكرى) الذى يجمع كل أشعاره ــ كان قوى الشخصية رصينا سمحا مهذبا لاينطق بكلمة نابية .. وقد ظل عزبا لم يتزوج طوال حياته ، ولم يمارس الرذائل .. شغوفا بالاطفال والازهار والبحر والكتب . فمن أين تعرف هذه الصفة عن رجل بكل تلك الاخلاق ، الا عن طريق الاستنتاج ، وانا أشك فى الرواية التى يقول الاستاذ دياب ، انه سمعها من العقاد عن قصور شكرى الجنسى ، لان العقاد كان رجلا منطقيا بالغ الحجة .

وفى الختام أشكر الاستاذ عبد الحى دياب ان‌اتاح لى بمقاله هذه الفرصة للكشف عن حقائق أدبنا المعاصر والدفاع عن‌الشاعر‌الرائد المظلوم عبدالرحمن شكرى الذى أخرج أول ديوان له عام ١٩٠٩ ، ثم قاد النهضة الأدبية والفنية باشعاره الغزيرة الجديدة والذى يمثل مع زميليه العقاد والمازنى «جماعة التجديد فى الشعر المعاصر» .

ويرحم الله حافظ ابراهيم الذى قال فى شكرى :

أفى العشرين تعجز كل طوق
وترقصنا باحكام القوافى

شهدت بان شعرك لا يجارى
وزكيت الشهادة باعتراف

لقد بايعت ــ قبل الناس ــ شكرى
فمن هذا يكابر بالخلاف

ويرحم الله رواد نهضتنا فى الشعر المعاصر شكرى والعقاد والمازنى

صلاة في المساء

للشاعر
• محمد عادل سليمان •

يا الهى .. نامت الدنيا على صدر المساء
هدأت .. حتى النجوم البيض فى هذا الفضاء
غير تسبيحى الذى ينساب فجرى الضياء
وبقايا صلوات عبقريات الغناء
وجناحين .. يرفان هنا عبر السماء

يا الهى .. رقصت روحى على همس قريب
فجر النور باعماقى .. دفوقا كالغيوب
شفقيا .. كارتعاش البدر فى ثغر الغروب
ساحر الاضواء .. كالقبلة..كاللحن الطروب
كابتسام النور .. رفافا على قلبى الحبيب

يا الهى .. انا وحدى بين دنيا صلواتى
وهنا الهداة والنور .. ومحرابى .. وذاتى
وغدير حالم الاجفان فى ظل السبات
وزهور غمرت بالعطر آفاق الحياة
ونخيل ناغم الهمس .. ضحوك الاغنيات

يا الهى .. قد خلقت الكون منضور الفنون
ذلك الليل .. وصمت الدوح فى النور الحنون
والحقول الخضر .. والجدول فىظل الغصون
والنخيل الساهم المملاق كالراعى الامين
صورة سحرية .. نامت هنا ملء العيون

يا الهى .. اننى اعرف موسيقى الخلود
اعزف الانغام نشوى من فمى .. ملء الوجود
وهنا الليل..واشواقى..وتسبيحى..وعودى
حركت أوتاره روحى .. وطارت فى سجودى
اغرقت محرابها بالنور .. والوحى الجديد

يا الهى .. أنت وحى النور فى حسى وروحى
تسكب الاشعاع انداء على قلبى الجريح
وهنا دفقة الهامى .. وشعرى .. وطموحى
وهنا الروح تغنى الحب فى الكون الفسيح
وهى نشوى فى طريق النور تجتاح جروحى

يا الهى..غبت عن دنياى..عن ذاتى وحسي
ذوبت اضواؤك البيضاء ارضية نفسي
غسلت — حتىدجاهلـ بالسنا..من كلرجس
طهرت محراب يومى .. وازالت..ظل امسي
غمرتنى بيقين غامر .. فى لحن همس

يحرقونه حيا

بقلم : احمد سعيد الدمرداش

تمهيد :

تظهر فوق مسرح البشرية ومضات من النفوس الحارة ، تأبى أن تقعد حبيسة مايحوم حولها من عرفان متراكم موروث ، بل تريد أن تدفع التيار الحضارى دفعا نحو مجرى ثورى جديد ، غيرعابئة بما تصادف من عنت فى مجال الفكر الرجعى الذى يبغى الابقاء على كيانه ، فيجذبها الى الوراء جذبا، بينما تسعى النفوس الأبية الى صهر افكارها فى بواتق من العلم ، لايهمها ما تلاقيه من ويل أو ثبور، ولا تبالى فى جميع الحالات أطار غراب أم تعرض ثعلب .

والحق : ان اسمى مراتب الفكر مادعامته بالعلم شماء .

ولقد شمرت اوروبا عن سواعدها بعد الحروب الصليبية ، تنشد المعرفة والثقافة اللتين امتصتهما من الشرق الاسلامى كجرعات اولى ، فنشأت فى ايطاليا أولى الجامعات فى سالرنو ، يدرس فيهاطب ابقراط ، وجالينوس ، والرازى وابن سينا والزهراوى وابن النفيس ، وابى يعقوب اسحاق الاندلسى المتوفى عام ٩٢٣ م .

وفى بولونيا غدت كلية الحقوق فى جامعتها اشهر الكليات الاوروبية التى تدرس القانون ، وفى جامعة باريس سادت دراسة اللاهوت ، ومن جامعة باريس تفرعت جامعة اكسفورد عام ١١٦٨م ، ومن اكسفورد نبتت جامعة كمبردج عام ١٣٠٩ م .

وفى عام ١٢٥٢ اسس روبرت دى سوربون ، امام لويس التاسع ملك فرنسا ، الكلية الاولى لايواء الطلاب الجامعيين فى باريس ، ولقد عاش دانتى طالبا بها . ومن ناحية اخرى اهتمت الاديرة بجمع المخطوطات العربية الاسلامية لترجمتها ودراستها ومن اشهر هذه الاديرة مونتى كاسينو وبوبيو بايطاليا ، وريختناو وسانت جال بسويسرا ، وكورفيه وفولدا بالمانيا ، وبيك ومونت سان ميشيل بفرنسا ، وجاروز وسانت البانز بانجلترا .

كل هذه المراكز العلمية والثقافية لم تجدامامها من تراث علمى سابق تلتهمه ، غير تراث العلوم الاسلامية ، اننا لن نمل تكرار ذلك حتى يؤمن الذين فى قلوبهم مرض ، ذلك لان علوم الاغريق لم تكن قد تبلورت بعد الا عن طريق التراث الاسلامى، فأخذت تغترف من الينابيع الاسلامية ماشاء لها ان تغترف

وما وافى القرن الرابع عشر حتى انفصل العلم عن اللاهوت ، واصبحت هذه المراكز تتقاسمها فى الطبيعيات فلسفات أربع :

١ ـ فلسفة ارسطو التى تنكر وجود الاجزاء التى لاتتجزأ ، بل تجزم بقبول المادة للتجزئة الى اللانهاية ، كما تجزم بأن المعرفة واسرار الكون موجودة بل كامنة فى العقل كمون النار فى الحجر، وتخرج بالنقاش وقدح الزناد .

٢ ـ فلسفة ديمقريطس وابيقور التى تنادى بوجود الجوهر الفرد أو الجزء الذى لا يتجزأ .

٣ ـ فلسفة علماء الكلام ومنهم ابو بكر زكريا الرازى التى تنادى بوجود الجوهر الفرد اوالجزء الذى لا يتجزأ فى المادة والاعراض ، فى شكل مغاير لفلسفة ديمقريطس ، من جهة كون هذه الجواهر تختلف فيما بينها بالاكتناز ، وهذا هو علة اختلاف العناصر ، وكذلك كانت تنادى بان اسرار الكون موجودة وليست كامنة فى العقل البشرى ، وما على الانسان الا أن يبحث ويفكر ليستخلصها .

٤ ـ الفلسفة الكوبرنيقية التىنادى بها كوبرنيق وهى التى هدمت النظام البطليموسى فى الفلك ، وأثبتت ان الشمس هى مركزالكون وليست الارض كما كان يعتقد الاقدمون ، وكانت جامعة بادوا بايطاليا تتزعم هذه الفلسفة على يد جاسندى الذى أثرت أبحاثه فى نيوتن ، وزاباريلا الفيلسوف الذى أثر فى جاليليو فيما بعد .

كانت كل هذه الفلسفات كأفراس تتابعن فى مدى ، ولكن ما لبثت ان توقفت فلسفة ارسطو عن النمو ، فليمت ثم لحقت بهجين من فلسفة ديمقريطس والرازى فى الطبيعيات ، وكوبرنيق فى الفلك ، وما فتئت القشرة العلمية التى تكونت ان اصيبت بحمى فكرية كالتى تصيب الطفل عندما تنمو له الأسنان اللبنية ، وكان على الكنيسة لكى تدافع عن كيانها ، أن تجتز مضاعفات هذه الحمى قبل أن تستشرى فأصدرت حكمها بأن يحرق جيوردانو برونو العالم الايطالى حيا عام ١٦٠٠ م ، فمن هو هذا الضحية ؟

تاريخ جيوردانو برونو .

ولد برونو فى مدينة «نولا» بايطاليا عام ١٥٤٨، وتوفى والداه وهو صغير السن ، فتلقفه أحد الأديرة حيث تلقى الكهنوت ، ودرس اللاهوت وكل ما يتعلق بالعلوم الكنسية التى ترتبط بطائفة الدومينيكان ، وكانت أقوى طوائف الكثلكة ، وعندما نضجت معارفه واتم دراسته عين قسيسا رغم ما كان يحسه من شك وغموض نحو التعاليم التى تلقاها .



جيوردانو برونو
١٥٤٨ - ١٦٠٠

وتاقت نفسه المتحررة الى مزيد من المعرفة ، فعثر ذات يوم على مجلد علاه التراب فى مكتبة الدير الذى كان يعيش فيه ، فوجده مكتوبا باللغة اللاتينية ، ومؤلفه كوبرنيق ، فأكب على دراسته فى الخفاء وبهرته بساطة الكتاب وما احتواه من آراء جديدة متحررة .

همسات كانت تدور خافتة بين العقول المتحررة ، تومض حينا ثم تصمت أحيانا ، ولكن العلم لم يستطع ان يعيش طويلا مكبلا بالاغلال ، فأمسى انفعالا ، كلما هبت الريح زاد اشتعالا ، وهذا فى اعتقادى منشأ الأثر مطلقا .

هددته الكنيسة بأشد العقاب ان هو استمر فى الجرى وراء هذه الترهات ، واحس بالمصير فهرب من ايطاليا خوفا من اضطهاد الكنيسة له ، ومكث بعيدا عن وطنه مغتربا فى بلاد اوروبا يردد ابحاث كوبرنيق ، متوسعا فى شرحها ، بل زاد عليها بأن اثبت ايضا أن الشمس تدور حول محورها كما تدور الأرض ، وكانت هذه الآراء الجريئة غريبة عن مستوى ذلك العصر .

ثم اثبت وجود كواكب اخرى تدور حول الشمس جديدة لم تكتشف بعد ، وقد تحققت نبوءاته عند ما كشف كوكب اورانوس بعد وفاة برونو بمائتى عام ، ثم اعقب ذلك اكتشاف الكواكب نبتون وبلوتو ، وغيرهما من الكواكب الشمسية الأخرى .

واعلن برونو عن وجود نجوم هى شموس فى تكوينها ، وكل نجم حوله مجموعة من الكواكب تدور حوله مثل المجموعة الشمسية المعروفة ، وان هذه النجوم فى تحول ، وليست ثابتة مما يتعارض مع تعاليم الكنيسة التى تنادى بثبات الكون كما خلقه الله .

وقد امتاز برونو بعقلية جريئة تتخيل الحقائق ، بل تتنبأ بها ، رغم بدائية آلات الرصد التى كان يستخدمها ، وقد اتى بعده الفلكى الكبير «كبلر» وعندما قرأ أبحاث برونو قال : « ان المرء لينتابه الدوار عندما يقرأ ماكتبه هذا العالم الايطالى الذى يتراءى لنا ، وكأنه محلق فى الفضاء اللانهائى ، الذى لا بداية أو نهاية له » .

لم تستطع الكنيسة السكوت على هذه الآراء الثورية ، فقدمت عريضة الاتهام ضده مكونة من مائة وثلاثين بندا ، وحكم عليه بالكفر والالحاد ، ثم الطرد من جميع البلاد التى تتبع كنيسة روما ، فاضطر برونو الى التجوال فى بلاد الله الواسعة محاضرا فى مذهب ديمقريطس والرازى ، معارضا فلسفة ارسطو كنقطة انطلاق أولى تتجمع حولها العلوم الاوربية الجديدة .

وفى عام ١٥٧٩ وصل الى جنيف وكانت معقلا لمذهب كالفن الجديد الذى يعارض الكثلكة ، ولكنه لم يسترح فى هذه المدينة ، فذهب الى تولوز وعمل محاضرا فى الفلسفة ، ثم انتقل الى باريس عام ١٥٨١ وهناك انتج عدة مؤلفات منها الكوميديا التهكمية ، ثم سافر بعد ذلك الى انجلترا فلم ترق له عادات الانجليز وزمالة كلية اكسفورد ، فأخرج فى هذا الشأن مؤلفا هو اجود ما كتبه ، شاملا نقدا للحالة الاجتماعية فى انجلترا ، ثم أعقبه بكتاب آخر تعرض فيه للفلسفة والحكمة والقانون والعدالة ، على نمط المؤلفات الاسلامية ، كما تعرض فى سخرية لاذعة للغموض الذى يصحب بعض المعتقدات الكنسية ، ثم تعرض لأساطير اليهود ووضعها فى مقام أساطير الاغريق .

وفى عام ١٥٨٥ – ١٥٨٦ عاد برونو الى باريس . ثم ذهب الى وتنبرج المعقل الرئيسى للمصلح البروتستنتى « مارتن لوثر » حيث قام بالقاء عدة محاضرات وتأليف بعض الكتب فى المنطق ، ثم انتقل عام ١٥٨٨ الى براغ ثم هلمستاد ثم فرنكفورت ، وفى هذه البلدة انتج ثلاثة كتب فى الميتافيزيقا عام ١٥٩٠ .

عاش برونو فى المنفى ، ولكن حنين الوطن كان يعاوده بين الفينة والفينة ، وعرف اعداؤه ذلك فاستغلوه أحسن استغلال ، فادعى « جيوفانى موسينيجو» أحد وجهاء القوم فى البندقية بأنه مولع بكتب برونو وأبحاثه ، واتصل ببرونو يطلب التتلمذ على يديه ، ووعده بحمايته والوقوف بجانبه اذا عاد الى أرض الوطن .

سافر برونو الى زيوريخ ومنها الى البندقية ، وبدأ يعطى دروسا لجيوفانى وفى ٢٣ مايو عام ١٥٩٢ قبض عليه غدرا ، وزج فى سجن رهيب ، له سقف من معدن الرصاص ، عندما يتعرض للقيظ يعكس لهيبا وسعيرا ، وعندما يتعرض لبرد الشتاء يجعل برد الحجرة زمهريرا قارصا ، وفى هذا موت بطىء ، وعذاب شديد ، استمر ثمانية اعوام عجاف ، كان يترقب خلالها رجال الكنيسة عدول برونو عن آرائه واعلانه توبته وندمه .

ولكنه كان صلبا عنيدا شديد الاعتزاز بمبادئه، التى انتشرت فى جميع الأوساط العلمية بأوروبا، ولم يزده التعذيب الا ايمانا واصرارا ثم شرحا لبراهين جديدة تؤيد نظرياته ، فحكم عليه بالموت ، وكان منطوق الحكم هكذا :

« ان الكنيسة المقدسة قد حكمت على برونو الملحد بالعقوبة دون أن يبثق دمه ، ومعنى هذا أن يحرق حيا » وقد كان . وتفذ الحكم عليه فى احد ميادين روما يوم ١٧ فبراير عام ١٦٠٠ ، وسط مظهر كنسى رهيب ، يتقدمه مئات من القسس يرتلون اللحن الجنائزى ، والأجراس تقرع ،وبرونو يرتدى حلة صفراء مرسوم على جانبها الخلفى صور من الشياطين والأبالسة غرابيب سود ، وفوق راسه طرطور مخروطى عليه رسم لرجل يحترق فى السعير .

وبينما هو يسير الى ميدان الموت كانت قيوده الحديدية ، المكبلة بها يداه ورجلاه تحدث اصواتا باكية حزينة ، تشكو هذا الظلم المشين الذى لطخ جبين الكنيسة ، وكان يسير خلف القساوسة وجهاء القوم وكبار موظفى البابوية ، والشوارع مكتظة بالجمهور يشاهد هذا المنظر التمثيلى ، وهو لاه عما يحس به برونو من آلام ، ورغم ذلك فقد كان رجال الكنيسة يخشون من برونو أن يتحدث الى الجماهير ليظهر لها الحقيقة .

ثم قيد فى عمود خشبى ، وطلب منه الندم واعلان توبته ، غير انه رفض بشدة ، فاشتعلت النيران تحت قدميه حتى أتت عليه .

وهكذا اعتقدت الكنيسة انها قد استراحت من عذابها الفكرى بالخلاص بالموت : موت برونو الفعلى وموتها الأدبى وفى هذا تحقيق لعقيدة يوحنا اللاهوتى ، حسب ما قرره المقال المنشور بملحق جريدة الاهرام يوم ١٩٦٤/٨/٧ ، حرقته الكنيسة حيا ، ولكنها لم تستطع ان تحرق الفكر العلمى الذى انتشر كالنار فى الهشيم ، ولم يستطع الموت ان يخلصها من ثورات فكرية متعاقبة اشد قوة ، ذلك لأن رنين التعذيب قد الف بين العقول المتحررة، فجعلها تقف صفا صفا، وكلما مات جندى فى ميدان العلم حل محله مئات من جنود آخرين ، يحملون المشعل وضاحا فى جبين الدهر والسرمد :

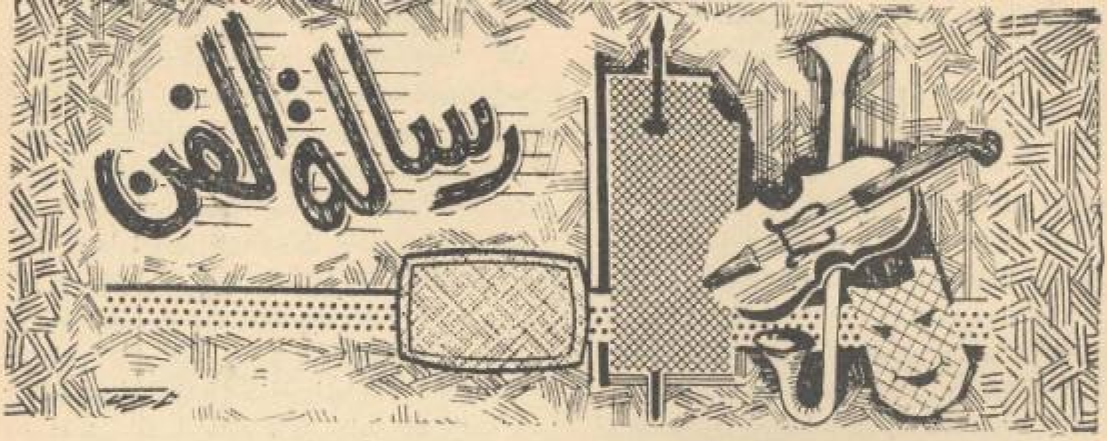
ولكن !!

هل كان لمثل هذا التعذيب نظير فى الحضارة الاسلامية فى اى عهد من عهودها ؟ لقد انتشرت الفرق الاسلامية المتنابذة من خوارج واباضية وكيسانية وشيعية وغيرها ، ولكنها كانت تسير فى تعايش سلمى جنبا الى جنب مع مذهب اهل السنة الذى كان يحكم من دار الخلافة ، ولم يحدث تقييد لحرية الفكر الا لأسباب شخصية أو سياسية ، فمثلا كان ابو حنيفة اماما فى الفقه ، فطلب منه الخليفة العباسى فتوى خاصة فرفض فأمر بجلده ، فلم يزده الأمر الا اصرارا واعتزازا ، فاعاد الأمر بجلده وهو الشيخ الهرم فى السبعين من عمره حتى مات تاركا الملايين يعتنقون مذهبه ، كان هذا التعذيب لأسباب شخصية ، وكذلك الحال فى محنة القرآن مع الامام ابن حنبل وابن رشد بالاندلس .

وثمة مثال آخر هو مسألة الأمر باحراق كتب الأوائل التى كان يملكها عبد السلام بن عبدالوهاب الملقب بركن الدين (المتوفى عام ٦١١ هـ) حفيد المتصوف الكبير الحنبلى « عبد القادر الجيلانى » لأنها كانت تشتمل على الحاديات، وكانت محاكمته عملا من اعمال الانتقام الذى قام به الوزير ابن يونس ، لأن ابن يونس كان جارا لأولاد الشيخ عبد القادر فى حال فقره ، فكانوا يؤذونه غاية الأذى

وقد حكم على عبد السلام بانه فاسق لأنه يقتنى كتب الفلاسفة ، ورسائل اخوان الصفا ، وكتبا فى السحر والنارنجيات ، مما عنيت به الافلاطونية المحدثة الشرقية ، وزج فى السجن ، واخرجت مدرسة عبد القادر من يده ، واسندت الى ابن الجوزى ، ولما سقط الوزير ابن يونس من الحكم ردت اليه المدرسة التى انتزعت من يده من قبل ، كما رد اليه اعتباره

ليست الحضارة الاسلامية اذن حضارة حصى ورمال ، ولكنها حضارة مبادىء ورجال ، رجال آمنوا بربهم فزدناهم هدى ، رجال اذهلوا الدنيا وبهروا التاريخ ، ذلك لأنهم مشوا فوق رءوس الحقب ! !



ماذا استفدناه من

مهرجان التليفزيون

بقلم عبد الفتاح البارودي

أنا اتهم الفنانين ـ كل الفنانين ـ بالعجز عن ادرك المغزى الحقيقى لمهرجان التلفزيون ... ولو انهم أدركوا مغزاه لتطور انتاجهم الفنى فى مختلف الفنون كما تطور المهرجان نفسه ، وكما تطور التليفزيون الذى أقام هذا المهرجان ، والذى احتضن هذه الفنون ، لقد نجح المهرجان كفكرة ، ونجح التليفزيون كجهاز فنى ، ولكن ما الرأى فى انتاجنا الفنى ؟! هل حققت برامجنا واغانينا وتمثيلياتنا نفس النجاح ؟! أبدا ... لماذا ؟

ان الدليل على نجاح المهرجان كفكرة أنه تطور خلال الثلاث سنوات التى أقيم فيهما فى بلادنا تطورات ملحوظة جدا ... فالمهرجان الاول كان **(بداية لصورة من صور التعاون الدولى والتفاهم بين الشعوب ، واقامة علاقة مستمرة بين محطات التليفزيون العالمية)** ... والمهرجان الثانى كان **(اقامة لجسر حى من الصداقة ساهمت الفنون كلها فى اقامته ، وفى مقدمتها فن التليفزيون الذى تلتقى عنده بقية الفنون ، والذى أصبح من مميزات العصر الذى نعيش فيه ، فكما يقال ان العالم يعيش الآن فى عصر الفضاء ، وعصر الذرة ، يقال أيضا انه يعيش فى عصر التليفزيون)** ... اى أن الفكرة تطورت من بداية لمعرفة الفن التليفزيونى ، الى معرفة لقيم هذا الفن ... أما فى المهرجان الثالث الذى أقيم منذ أيام ، فقد تطورت الفكرة الى وضع منهج لهذه المعرفة ، ومن أجل ذلك تحول الى مهرجان للدراسة والبحوث الفنية .

كذلك نجح التليفزيون العربى كجهاز ، والدليل على ذلك أنه نال الثقة الشعبية والثقة العالمية ، ويكفى أن الناس يتهافتون على اقتناء الاجهزة ويتزاحمون حول الاجهزة الموضوعة فى الميادين والشوارع ، ويكفى أن الخبراء العالميين وصفوه بأنه حقق معجزة .

ولكن ماذا فعله الفنانون ؟ ماذا فعله المؤلفون والملحنون والموسيقيون ؟! فشلوا فى متابعة هذه التطورات ، والدليل على ذلك أن انتاجهم الآن يكاد يكون مشابها لانتاجهم قبل اقامة اول مهرجان .. لا أنكر أن بعضهم يبذل جهده للمشاركة فى الانتاج التليفزيونى ، ولكن لا يزال ينقص معظم فنانينا ادراك أسرار الفن التليفزيونى ومواضعاته ، ولهذا لم تخلق للآن الاغنية التليفزيونية ، والتمثيلية التليفزيونية والتابلوهات التليفزيونية بالمعنى الحقيقى .

كيف نعالج هذا النقص ؟ كيف نخلق هذه الفنون ؟ بالدراسة طبعا .. ولكن الفنانين لايحاولون الدراسة .

ان المهرجان الأخير كان ـ ولايزال ـ فرصة ضخمة للدراسة ، باعتبار أنه أول مهرجان وضعت الدراسات والبحوث فى مقدمة عناصره الرئيسية ، ولكن فنانينا لم ينتهزوا هذه الفرصة .. ولو كانوا يهتمون بالدراسة لظهر ذلك منذ أن أقيم المهرجان الاول عام ١٩٦٢ أو فى المهرجان الثانى الذى أقيم

فى العام الماضى ••• لقد اشتركت فى المهرجانين برامج ممتازة ، وحضر فيهما خبراء عالميون ، وكان من الممكن أن يستفيد فنانونا من ذلك كله ••• كان من الممكن أن يستفيدوا من الخبرات التى تلاقت فيهما ، وأن يناقشوا البرامج التى عرضت فيهما ، وخاصة أنها كانت تمثل اتجاهات وتيارات فنية مختلفة ، تبعا لاختلاف الدول واختلاف مذاهب الفنانين وأساليبهم فى التناول الفنى ، ولكن مضى المهرجان الاول ثم الثانى دون أن نلمس أثرهما فى فنانينا ، فهل سيمضى كذلك المهرجان الثالث ؟! فعلا سيمضى كذلك اذا لم يدرك فنانونا أن المهرجانات العالمية هى أعياد فنية تتصاهر فيها الخبرات العالمية، وتستعرض فيها أحدث الآراء والنظريات الفنية ، وتتشابك فيها وجهات النظر باعمق مايكون التشابك الفنى •

الغريب أن فنانينا رغم ضعف اهتماماتهم الثقافية يوهموننا فى كل مهرجان بانهم يريدون أن يتثقفوا وأن يستفيدوا من الخبرات العالمية فى رفع مستوى انتاجهم الفنى ••• بل أننا منذ المهرجان الاول نسمع صيحاتهم التى يطلبون فيها اقامة ندوات فنية لدراسة البرامج ، وفعلا كان من الملاحظات التى وجهت للتليفزيون عدم اقامة ندوات فى المهرجان الاول ، وفعلا أقام التليفزيون فى المهرجان الثانى ندوات متتابعة عرض فيها كل البرامج التى اشتركت فيه ، سواء فى ذلك البرامج الفائزة وغير الفائزة ، فماذا حدث ؟ لم يحضر أى فنان هذه الندوات التى استمرت حوالى شهرين فى معهد التليفزيون •

أكثر من ذلك أنه فى المهرجان الاخير أعلن التليفزيون أنه يرحب بحضور الفنانين والجمهور لمشاهدة برامج الدول المشتركة فى المهرجان خلال عرضها على لجان التحكيم ، وحضر عدد كبير من الجمهور ، ولكن لم يحضر أى فنان ، بل لم يحضر الفنانون الذين يقدمون انتاجهم للتليفزيون ، سواء الذين يؤلفون له التمثيليات والذين يكتبون الاغانى أو يلحنونها ••• لماذا ؟ لان الوعى الفنى ينمو بين الجمهور أكثر مما ينمو بين الفنانين ••• صحيح أن الفنانين جزء من الجمهور ، والوعى ينمو فى المجتمع كله ، ولكن الفنانين ـ أو معظمهم ـ تجمدوا فى المرحلة الارتجالية التى عاشوا فيها ، أو عاش فيها تفكيرهم الفنى ، أو عاشت فيها رواسب من الانتاج الفنى فى الماضى ••• والا فلماذا لا يريدون أن يتثقفوا ؟!

ان التليفزيون كجهاز شعبى متفاعل مع المجتمع واحتياجاته الثقافية قد تطور بالمهرجان من مهرجان لاستعراضات النجوم الى مهرجان ثقافى••• والمجتمع برهن على اهتماماته الثقافية سواء فى نقد البرامج الضعيفة المستوى ، أو فى الاجماع على تفضيل البرامج الفنية ذات المستوى الثقافى كما ثبت ذلك من الاحصائيات التى قام بها مركز البحوث ، ولكن أين دور الفنانين والمشتغلين بالفن ؟!

لو أنهم حضروا الندوات وشاهدوا برامج المهرجانات لادركوا أن التليفزيون علم يحتاج الى دراسات ، والدراسات تحتاج الى مراجع ، ولطالبوا بترجمة أكبر عدد من هذه المراجع ، ولأدركوا أيضا أن التليفزيون فن يحتاج الى ممارسة واعية ، وهذه الممارسة تحتاج الى توجيهات أكاديمية ، ولطالبوا باقامة ندوات ودراسات متواصلة وليس بمناسبة عقد المهرجانات فقط •

لو أن لفنانينا اهتمامات ثقافية لاستفادوا من برامج المهرجان دروسا تعلمهم أن أبعاد وأعماق شاشة التليفزيون تحتم تكييف الانتاج الفنى بما يتلاءم معها سواء فى التمثيليات أو التابلوهات أو سائر البرامج •• وتعلمهم أن الاغانى ليست مجرد (رص) ألفاظ يؤلفها ويلحنها أنصاف المثقفين ، ويغنيها مطربون يتسمرون على شاشة التليفزيون كأنهم تماثيل•• وتعلمهم أن للكاميرات التليفزيونية « رؤية خاصة » وأن التكنيك فى التليفزيون يختلف عن تكنيك المسرح أو السينما أو أى فن آخر •

هذه بديهيات ، ولكن معظم المشتغلين بالفن عندنا يجهلونها أو يجهلون وسائل تنفيذها ، ولو أنهم اهتموا بمشاهدة برامج المهرجان لوجدوا فيها التطبيق العملى الذى يساعدهم على معرفتها ••• ان كل الفنانين العالميين الدارسين مهما تكن درجة ثقافتهم أو امتيازهم يستفيدون من المهرجانات الفنية ويجدون فيها فرصة لمعرفة التجارب الفنية الجديدة ومناقشتها ، ولهذا تسفر المهرجانات عن ظهور نظريات وتيارات فنية تفيد الفن فى العالم كله •

ومن الممكن ، بل من اللازم ، أن يحدث هذا عندنا أيضا ، ولا يهمنا تكاسل فنانينا أو تخلفهم ••• ان مهرجاناتنا التليفزيونية أصبحت ذات سمعة عالمية أثارت اهتمام خبراء التليفزيون فى العالم وأخرجت التليفزيون العربى الى النطاق العالمى ، وهذا كله يلقى علينا مسئولية ضخمة لتطوير الفن التليفزيونى كأداة لخدمة المجتمع والبشرية والحرية والسلام العالمى

بالانتاج الفني المتطور في الحقل الفني كله ... واذن فلكي يواجه التليفزيون العربي مسئولياته لا يكفي مجرد تحويل المهرجان الى مهرجان ثقافي ، فالاهم هو أن يباشر التزاماته الثقافية بتجنيد كل اجهزته وبرامجه للاستفادة من البرامج العالمية التي اشتركت في هذا المهرجان .. ولا يكفي مجرد اعداد والقاء البحوث الفنية ، فالاهم هو وضع تخطيط عملي للاستفادة بهذه البحوث .. ولا يكفي طبع البرامج في نشرات ، فالاهم هو تقييم هذه البرامج .

والوسائل العملية لتحقيق ذلك كثيرة ... وليبدأ التليفزيون بنفسه ... ليبدأ ببرامجه .. ان التغيير الجوهري الذي حدث في المهرجان يجب ان ينعكس أثره في البرامج نفسها ... ان اعتبار الدراسات عنصرا رئيسيا في هذا المهرجان ليس مجرد تغيير شكلي في أسلوب المهرجانات ، بل انه دليل على أن التخطيط التليفزيوني يتطور بمنهج علمي ، ولهذا يجب أن يزداد احساس العاملين في التليفزيون بمسئوليتهم عن تطوير برامجهم بالدراسة ايضا وأولا ... ولا جدال في أن النظرة الى البرامج نظرة مقارنة تؤكد أنهم ازدادوا خبرة ، هي بصفة عامة أكبر من فترة الاربع سنوات التي دخل فيها التليفزيون حياتنا ، ولكن بعض البرامج لاتزال تعاني ضعف المستوى أو تعاني أخطاء كثيرة ... وطبيعي أن يحدث ذلك في فن معقد وصعب ويحتاج الى خبرات ضخمة ومتعددة ، ولم تزد فترة ممارسته على أربع سنوات ، ولكن هذا كله لا يبرر استمرار الاخطاء أو ضعف المستوى ... ان التليفزيونيين يعرفون ذلك ويحاولون فعلا تصحيح اخطائهم ، بدليل أنهم يغيرون برامجهم دورة بعد دورة ، ولكن لا يكفي – مثلا – الغاء البرامج الضعيفة ووضع برامج متجددة بدلا منها ، وانما الاهم هو بحث الاسباب الحقيقية للاخطاء وضعف المستوى ، ليتم التغيير على أسس مدروسة ... وربما يكون من أهم العوامل التي ترشدهم الى هذه الاسباب أن يبحثوا برامج المهرجان بحثا مقارنا .

ان من واجب المشرفين على القنوات الثلاث في جهازنا التليفزيوني أن يدرسوا مع العاملين معهم برامج هذا المهرجان ومقارنتها ببرامجهم للاستفادة من تجارب المحطات التليفزيونية العالمية المتقدمة فنيا ... ويجب أن يظهر أثر هذه الدراسة في برامجهم المستقبلة .

ولكي تتحقق هذه الاستفادة يجب أن يضع التليفزيون لهذه الدراسة تخطيطا عمليا ... ولكي نضمن اشتراك العاملين في التليفزيون في تنفيذ هذا التخطيط يطلب من كل منهم اعداد تقارير موضوعية عن رأيهم في برامج المهرجان ، بشرط أن يبحثها كل منهم من ناحية اختصاصه أولا ... فالمخرج مثلا يكتب تقريره عن الاخراج ويقارن بين أساليب المخرجين ... والمصور يكتب عن التصوير، والسيناريست عن السيناريو ... الخ .

ومن اللازم – بالبداهة – عرض برامج المهرجان بصفة دورية على شاشة التليفزيون وفي ندوات علنية لمناقشتها ، ويشترك في هذه الندوات الدارسون والجمهور .

ولتركيز المناقشات تركيزا مفيدا يمكن تقسيمها تقسيما فنيا ، ويدعى اليها الفنانون للاشتراك في ابداء الآراء في نواحي تخصصهم ... فالموسيقيون – مثلا – يناقشون النواحي الموسيقية ، وكيفية الاستفادة من الاعمال الموسيقية التي يشاهدونها في تطوير موسيقانا ... والادباء يناقشون النصوص وكيفية الاستفادة بها .. ومؤلفو الاغاني يناقشون المؤلفات الغنائية .. ومؤلفو التمثيليات يناقشون أساليب الكتابة في فن التمثيلية التلفزيونية ... وفنانو الاستعراضات يناقشون الفنون الاستعراضية وهكذا نضمن التركيز المفيد ونتحاشى **«الدردشة»** التي نلاحظها في معظم ندوات المناقشة .

كذلك بنفس التخطيط تناقش البحوث التي قدمت في المهرجان ، باعتبار ان هذه البحوث أعمال مدروسة تبلورت فيها آراء الخبراء في مختلف المحطات التليفزيونية .

وايضا بنفس التخطيط تناقش قرارات لجان التحكيم ... والمفروض أن مثل هذه اللجان لاتصدر قرارات كيفما اتفق ، بل تتوخى الدقة والاحتكام الى المقاييس الفنية ، ولهذا يجب عدم الاقتصار على مناقشة القرارات ، بل أيضا تناقش المبررات الفنية لهذه القرارات .

بهذا كله نحقق المغزى الضخم الذي قصد من تحويل المهرجان الى مهرجان ثقافي ، والا فما الداعي لهذا التحويل الثقافي ؟!



حول الأدب في أسبوع

يقدمه عبده بدوي

الغليان

مما لا شك فيه ان اية نظرة الآن في الوسط الادبي تؤكد أنه في حالة غليان ، ومما لا شك فيه كذلك أن هذا الغليان دليل على الازدهار الادبي ، وانه في الوقت نفسه ثمرة جديدة وذكية لما يدور في العالم العربي ، فالانسان العربي الآن يعدو ليرى الكثير مما فاته ، والانسان العربي لا يسير «بسرعة واحدة» وانما «بسرعتين» ومع أنه معرض للتشويش الصوتي والنفسي الا أنه لا يستطيع أن يتوقف ٠٠ لا يستطيع أن يلتقط انفاسا «مادام في حلبة السباق» فدوره الآن أن يجري ٠٠ أن يجري فقط !

انى أتذكر مواطنة كينية ذكرت أن الاحداث في افريقية تعدو بسرعة ، الى حد أن التقاط اية صورة لابد أن يأتي مهتزا لحركة العدو السريع المذهل ، وهذا مايحسه المشاهد في الحقل الادبي ، ففي داخل هذا الحقل افكار تتصارع ، وادباء يأخذ بعضهم بخناق بعض ، وفيه كذلك الكلمة الغذاء ٠٠ والكلمة الفاكهة ٠٠ والكلمة السم !

وما لم يكن القارىء فطنا ذكيا ، فانه لا بد ان يغرر به في هذه الفترة من الزمن ، فقد مضى عهد الثقة « بالكلمة » ، بل لقد أصبحت الكلمة مما يحارب بها الآن القارىء على المستويات السياسية والاجتماعية والادبية ، ومضى العهد الذي كنا فيه في القرية نعتبر الورقة « **كالنعمة** » ، فاذا وجدنا ورقة ملقاة أسرعنا اليها بأصابع متهيبة ، ثم غمغلنا بها عيوننا ، ثم أودعناها بجوار الحائط حتى لاتدوسها قدم بالضغط ٠٠ أو عين بعدم القراءة !

ولعل هذا مما يصعب العملية على القارىء ، بل ما يحمله على أن يكون مناضلا ، فلا يستسلم لكل ما يمر بحدقتيه ، لانه لابد له من الدخول في عملية الصراع مع ما يقرأ ، وكما أن هذا يمكن أن يحول القراءة الى عملية تعذيب ، فانه يمكن ان يحول القراءة الى عملية خلق جديد ٠٠ بل الى عملية انتصار جديد على كل ماهو مزيف واجوف ومشبوه .

ان الانسان الجديد ليس هو الانسان المستانس المتقبل لكل ما يقرأ ، وانما هو الانسان الذي لايكف عن الصراع ، والدفاع عن نفسه ، امام الكثير من الافكار ووجهات النظر التي تتسلل اليه في كل وجه من وجوه الاشكال الادبية ٠

ونظرة واحدة الى ما نقرأ تعطينا الدليل على ما نقول ، والآن يمكننا ان نطرح هذا السؤال «**ماهي الافكار التي توجد الآن في الحقل الادبي ؟** »

واذا أردنا أن نجيب على هذا السؤال فلابد أن نحدق في وجهين يطلان علينا فيما نقرأ ٠

اما الوجه الاول ٠٠ فهو هذا الوجه الهادىء المتأمل الذي سكنت الحياة في ملامحه ، والذي أحس بنوع من انسجامه مع الحياة : فمضى يفكر ويتثاءب ويكتب ويتمطى في وقت واحد ، دون أن يعير الضجة التي حوله اهتماما ، ولعل أوضح ما يقال فيه أنه وجه فقد الحماس ، وأنه كما اطمأن على ماضيه اطمأن على مستقبله ، وهذا الوجه لا يعتبر غريبا عليك ، وليس من الضروري ان يكون ممتلئا بالتجاعيد ، أو محتلا لمقاعد اللجان ، لانه يمكن أن تراه في نضارة العمر ، وشيخوخة الفكر ، فالحياة عنده ليست معركة

مستمرة ، ولكنها قد تكون المعركة ثم السلام ، أو قد تكون السلام الهادىء المرفرف الأبدى .

اما الوجه الثانى .. فهو الوجه المنفعل المتوتر ، الذى لا يهمه الا أن يتركك ، ويهز الارض من تحت قدميك ، ويحول لك الحياة الى مجموعة من «المشاريع» لامجموعة من «المسلمات» واذا كان الوجه الاول تغيم ملامحه فى بعض الاوقات ، فان هذا الوجه يشرع دائما ملامحه ولايخف عن التحديق فى أعماقك، وكما أن هذا الوجه يملك «الحماس الشريف» الذى يجعلك على احساس واع بالمعاصرة ، ويجعلك قادرا على التخلص من لحظات الضعف ، الى لحظات السمو، فانه قد يملك أحيانا « الحماس المشبوه » وبخاصة حين لا يصدر عن نفسه ، وانما عن عملية «البيع» التى تتم بينه وبين مؤسسة أو سفارة أو دار نشر أو عدد لا يختلف اثنان على عداوته .

والآن نعود الى تكرار السؤال « **ما هى الأفكار التى توجد الآن فى الحقل الادبى** » والاجابة ليست من الصعوبة فى شىء ، لانك تستطيع أن تهتدى الى الابحاث والاعمال الادبية العميقة التى تخرج بعد معاناة ، والابحاث والاعمال الادبية الضحلة التى لا تخرج عن كونها شد خيط من « بكرة » صغيرة أو كبيرة ؛ وبالاضافة الى هذا تجد صوتا نحيفا يحرس القيم الحضارية المتوارثة يتكلم وهو خائف، ويصمت حين يجد الضجة تعلو من حوله ، فاذا عاد الى الكلام وجد تناقص العدد الذى كان يستمع اليه ؛ ذلك لانه لايملك الشجاعة المقتحمة ، ولأنه يؤثر السلامة، ثم أخيرا لأنه فقد الحماس !

ومع أن ما يصدر عن الوجه الثانى يبدو من الصعب تمييز لؤلؤه عن أصدافه الا أن القارىء لا يعدم وسيلة للتفريق بينها . فالماس هو الماس والفحم هو الفحم ، ان هناك من يقسوا علينا لنتحرك ولنتأخذ وضعا جديدا ، وهناك من يقسوا علينا بالقتل ودس السم بكميات كثيرة أو قليلة .

ففى الحقل الادبى الآن .. دعوة الى التشكيك فى ميراثنا الدينى والاخلاقى والقومى ، وتركيز على القول بانحطاط العرب واعتبار حضارتهم حضارة رمال ، وتشجيع للرفض لجوهر الدين والاله والاخلاق والقومية العربية ، واصرار على أن التاريخ العربى منسوج من مسك العوانس والارامل والعائدات من الحج ومن التبرك بحذاء الولاة ، ومن السيف الذى لا يكف عن شق البشر الى شطرين ، والرجل الذى يتعرف على أمه وزوجته تحت عباءة رجل غريب عنهما ، ومن العذاب الذى لا يقف عند الحى وانما يتعداه الى الميت . ومن أحمد أبو الفوارس، وكافور أبو المسك ، وتيموز لنك .. وهناك من يدين شعارات القومية العربية وينادى بشعار آخر من خلال مسرحية الراهب ، ومن يهلل للانفصال ويبكى عند الوحدة .

وفى الحقل الادبى .. من يردد قول المستشرقين بان القرآن خلاصة تركيبية للأديان السابقة ، وأن الاسلام اصاب المنطقة العربية بالعقم لأنه دين صحراوى اقليمى ، ومن يعترف بالتراث العربى الجاهلى وبالتراث المسيحى فى المنطقة ولا يعترف بتراث الاسلام ، ومن يحمل على الفترة الاسلامية باسم الفرعونية ، أو باسم القبطية فى ظل الامبراطورية الرومانية ، أو بالفينيقية ، ومن يفسر كل عمل أدبى على أساس أنه مستوحى من الانجيل، ومن لا يعترف فى الشعر المعاصر الا بايديولوجية يوسف الخال المسيحية ، ومن لا يقبل عملا أدبيا الا اذا كان مستوحى من الافكار المسيحية .

وفى الحقل الادبى .. محاولات لسرقة الكتاب وامتصاصهم لصالح مجلات مشبوهة فى بيروت ، وقد كان هو بعض هؤلاء الكتاب من الهلامية بحيث أصبحوا خناجر ملتوية تطعن بها حركة المد العربى، وأصبحوا يقدمون « البضاعة » بكامل المواصفات ، دون أن يهتز لهم قلم أو ضمير .

وفى الحقل الادبى .. محاولات لخلق الامارات ، وقتل لبعض المواهب ؛ ومن يذبحك ثم يقول والدم على يديه « أنت تستعدى على السلطات » ، ومن يبيع « الكلمة الواحدة » لليمين واليسار ويقبض عليهما أكثر من أجر ، ومن يحس أنه مهدد وأنه « سينقد نقدا قاتلا » فى يوم من الايام لانه تكلم عن العقاد بانعطاف ، أو لانه لم يصرخ تحت الشعار الذى رفع أكثر من مرة وآخرها فى مجلة « أدب » بلبنان والذى يقول « لو كان شىء يشرف هذا الجيل فهو تلمذته لسلامة موسى » .

وفى الحقل الادبى .. أشياء كثيرة وكثيرة لعلنا نعود اليها مرة ثانية لا لنعرض بانسان ، ولا لننصر تيارا على تيار ، ولا لنزيد من حصيلة الخصوم ، ولكن فقط لاهمس فى قلبك أيها القارىء الصديق ــ ان مهمتك اليوم أصبحت شاقة ، وان الثقافة ليست التسليم ولكن الاقتحام . وان القراءة ليست النشوة

ولكن العذاب ، فالقول بصداقة الكاتب قد اصبح شيئا غير مامون العواقب ، ذلك لان المطلوب منك أن تكون صديق نفسك أولا ، وأن تأخذ الاشياء بروح الحب والنقد معا ، والا اصبحت غير جدير بالحرية والاختيار اللذين هما من حقك فى هذا العصر .

ان للكاتب .. أى كاتب ان يقول كلمته بكل حرية ، وليس لاحد ان يقول له « لماذا قلت هذا » ، مهما كان هذا الشيء قاسيا ووحشيا وبغيضا ، لان « المستهلك » هو صاحب الكلمة الاخيرة فى السلعة التى تقدم له . واذا كان كل منا لاينسى الحرص وهو يقلب بين يديه سلعة مادية ، فان عليه الآن أن يحرص مرتين وهو يلتهم بعينيه وفكره « سلعة فكرية » .

انى ساعرف من سيقول بعد قراءة هذه الكلمات « أنت تعتدى على القراء » ولكن ماحيلتى وقد رأيته عقب كل حقيقة توجه اليه يتشنج ثم يقول « هذا استعداء للسلطات » وهو لا يعنى بهذه الكلمة الا ان تكون ستارا كثيفا من الدخان يمكن من ورائه الدس ، والتخريب ، والقتل بالسم البطيء ، والتهام الخرشوفة ورقة ورقة ، ثم أخيرا صرف أى معركة جادة الى روافد صغيرة تنتهى ثم تموت .

ومهما يكن من شيء فما قصدت بهذه الكلمة الا عقل القارىء وقلبه ، والذى اؤكده هنا ـ واكدته من قبل ـ انى أومن بحرية الكاتب كأعمق ماتكون الحرية ، ولكن الشيء الذى أردته هنا هو حرية القارىء كذلك لأن فيما يقدم اليه الآن :

الكلمة الغذاء

والكلمة الفاكهة

والكلمة السم

كلمة صغيرة :

فى المقال القيم المنشور بهذا العدد للأستاذ محمود الشرقاوى ذكر جزء من قولى فى تبرير انتشار المواقف والرموز المسيحية فى الشعر المعاصر وبخاصة الشعر الحر ، وهذا الجزء هو «واما ان القوامين على الدين الاسلامى يبالغون فى التحفظ على مثالياته ورموزه » ولما كنت اخشى ان يقف عنده القارىء ، فانى احب ان أوضح انى ارجعت الظاهرة الى اربعة اسباب هى :

● **وقوع بعض الشعراء تحت تأثير بعض المثقفين الشديدى الذكاء**

● **التأثر بالمناخ الشعرى السائد فى لبنان**

● **الاعتقاد بان القصيدة العمودية تمت بصلة شديدة الى التراث العربى التقليدى ، ومن هنا كانت المبالغة فى الجانب الآخر**

● **مبالغة القوامين على الدين الاسلامى فى التحفظ على مثالياته ورموزه**

واذا كان الأستاذ محمود الشرقاوى يوافقنى والدكتور النويهى فيما يمكن تسميته بالفقه السنى ، فانى أحب ان اوضح هنا أن التجربة الشعرية حين تمتلىء بها نفس الشاعر لا يمكن ان تصل الى حد ادراك أن هذا من الفقه السنى ، او من غير الفقه السنى ، ولا يمكن أن يحجر على حرية الشاعر بان هذا مباح وهذا غير مباح ، وان الموقف والرمز الدينيين لن يكون كل منهما شعرا ما لم تتغير وظيفتهما ، ويوضعان فى علاقات جديدة لا تمت الى الموقف الأول الا بالاسم ، أو احداث نوع من الثراء للتجربة الشعرية ، ولهذا تعمق التجربة كلما كانت احتكاكا بالجوهر الالهى وتخفت كلما كانت صلاة وصياما ، وصلبا ورفعا وجلجثة وهجرة

ومهما يكن من شيء فانى لا اريد ان اظلم رجال الدين المعاصرين الذين هم بلا شك أرحب عقلا من رجال الدين فى الماضى ، ذلك لأننا ندينهم بغير دليل ، والا فأين الشاعر المسلم الذى نسج فى تجربته المواقف والرموز الاسلامية ، والذى اعطاها تفسيرا جديدا ثم وقف رجال الدين يطاردونه ، اما انا فلا اتذكر فى الشعر الحديث ان رجال الدين قد منعوا شاعرا عن ان يحط على بساتين القرآن ، او طاردوا منقارا حاول أن ياكل من حديقة الرسول ، او نتفوا ريش عصفور لجا الى الحديقة العريقة للتراث .

ومن هنا فالذى ادعو اليه هو كسر جدار « الخوف القديم » بل ان الاسلام نفسه لا ينصب احدا لحراسته ، لانهملك لكلانسان يأخذ نفسهبه. الاسلام ملك للشعراء كما هو ملك لرجال الدين ، واعتقد انه ليس من الحق فى شيء ان اقف بعيدا عن بعض « الجوانب الشعرية » خائفا مترددا ثم القى تبعة الخوف على الآخرين ، او ان استمع الى

بعض « صيادى الطيور » لم اتبعه لأن صوته حنون ، بينما توجد حديقة اخرى فى نفسى ومن حولى ، ويمنعنى الوهم من أرسم بما فيها من خضرة ، واغنى بما فيها من نضارة !

بل انى اذهب الى القول ان شعرنا لن يكون له مذاق خاص ، مادمنا نخاصم بالخوف ، ونلوى اعناقنا بالوهم ، وننظر الى جانب واحد من الوجه.

وان كان هذا لايمنعنى من أن اردد دائما ان كل تجربة دينية لابد أن تتحول الى تجربة شعرية ، وان على الشاعر ان ينتفع بكافة التجارب الدينية كتابية وغير كتابية ، وان الدين حين يرفد الشعر يظل اسمه شعرا ، اما حين يوضع الشعر فى خدمة الدين فانه يبقى اى شىء الا أن يكون شعرا

مع باب « صور وكاميرا »

لم يتنازعنى الشك يوما فى ان الشبان - من الاقاليم وغير الاقاليم - هم الذين يحركون التاريخ، والذين يدفعون بدماء جديدة الى العروق فاذا كل شىء أخضر ، ونابض ، ومثير .. وقد تحقق لى هذا حين عهد الى بمجلة نهضة افريقية ، وحين اتجهت الى اساتذة الجامعات للكتابة فى هذا المجال المتخصص خذلنى الكثيرون ، واذا بى اتجه الى عدد من الشبان للكتابة فى هذا المجال الذى لم يكن مطروقا فى هذا الوقت ، واذا بهم جميعا يلتفتون الى هذه الزاوية الجديدة بالقراءة والمناقشات ، واذا بمائة واثنتى عشرة صفحة تنبض كل شهر بالتعريف والتحليل والتخطيط لكل ما يحدث فى افريقية ، الى حد أنه كان يقال لى :

« **انكم اصبحتم تعرفون دبة النمل فى افريقية** »

وهكذا اصبح الايمان بالشباب شيئا فى سلوكى الوظيفى ، الى حد انه حين طلب الى الاسهام فى مجلة الرسالة طلبت الاشراف على باب البريد الادبى لأستطيع من خلاله رفع المحار عن اللؤلؤ .

ومن هؤلاء الذين تقابلت بهم فى هذا الباب الاديب خميس سلمونه من ادكو ، وقد قدمته أكثر من مرة، بل لقد استغرقتنى السعادة حين اقنعت الدكتور محمد مندور ان يكتب فى الرسالة عن قضية كان قد اثارها هذا الزميل ؛ وفى الوقت الذى كانت فيه احدى كلماته على « ماكينة المطبعة » كان يسدد الضربات الى المجلة والى العاملين بها فى باب «صور وكاميرا» الذى يحرره الاستاذ **عبدالمنعم السباعى** ، فهو ياخذ على تحسين عبدالحى انه نقد كتابا لمصطفى توده ، وهو ياخذ على ، وعلى عباس خضر، ومحمد النويهى انا تقابلنا فى عدة مناقشات ، ولو أنصف لذكر أن مناقشاتنا كانت من الضراوة والحدة بما جعلنى اتصورها دائما على « الحافة » ، وأن كلا منا كان يضيق بالآخر فى فترات التلاحم لانه كان يحس انه امام خصام حقيقى ومرعب فى الوقت نفسه دون ظل من مجاملة ، أو وهم من رفق ، ومهما يكن من شىء فقد آثرت ان ارد على خميس، حتى لايتصور انا نهمله مرة ثانية حين يهاجمنا ، ولنؤكد له أن الرسالة لن تغلق أمامه أبوابها ، وانها ستنتظر دائما رسائله .

اما التحية الصادقة فهى لعبد المنعم السباعى الذى عالج الموضوع بذكاء وفهم ، والذى نفذ الى داخل الرسالة ولم ياخذ بالنبرة العاطفية التى لفت الرسالة ، والتى كان يمكن ان تحمل اى قلم هزيل على البطش والخصام ، ولكنه .. قلم عبد المنعم السباعى .

الواحدية :

ذكرنى زميل بالمناقشة التى دارت بينى وبين الصديق توفيق حنا ، وكيف انى حدثته عن الكلمات التى وصلت الى الرسالة ردا عليه حين ذكر عددا وفيرا من الشعراء الذين اثروا الحركة الشعرية ، وكيف انه رصد عددا كبيرا من الشعراء بعضهم من المجهولين ، فى الوقت الذى تناسى فيه دور على احمد باكثير .

وقد كان لجواب توفيق حنا من الذكاء والعمق ما جعل الجميع يهدأ ، فقد قال : انه عاتب على نفسه لانه نسى دور على احمد باكثير ؛ لانه لم يكن فى ذهنه شىء سوى تحطيم « الثنائية الشعرية » التى اصبحت مملة من طول ما رددت اسمى صلاح وعبدالمعطى ، ويقول لى الزميل الذى ذكرنى بهذه المناقشة ترى ما موقف توفيق وكل المثقفين الآن من « **الواحدية** » الجديدة التى ظهرت فى هذه الايام ؟



فلسطين

لقد عانى شعبنا العربى الكثير فى نضاله المستمر ضد الاستعمار بأشكاله المختلفة ، وكان ضياع فلسطين - واحتلالها على أيدى العصابات الصهيونية المدعمة بقوى الاستعمار العالمى بمثابة تحد خطير ومباشر لمدى صلابة شعبنا وقدرته على مواجهة هذا التحدى .. وخاصة أن صراعنا مع الصهاينة ليس صراعا على حدود . بل هو صراع من أجل البقاء والوجود .. فوجودنا القومى نفسه قد اصبح فى خطر يدعونا الى المسارعة فى اتخاذ المواقف السريعة الحاسمة لمواجهة هذا التحدى .. ومن خلال ايماننا باهمية وخطورة المرحلة التى تواجهها جماهير شعبنا لاثبات وجودها ومقدرتها على التصدى لهذا الخطر .. حاولنا وفى هذه الصفحات المخصصة لباب الكتب - أن نقدم - وفى أعداد متوالية - زادت على العشرين عددا بعض الدراسات الخاصة بالقضية الفلسطينية من جوانبها المختلفة .. وفى هذا العدد سوف أبيح لنفسى أن أقدم « مقالة » أو دراسة تطبيقية لما قدمته طوال هذه الفترة - يدفعنى الى ذلك عامل هام .. هو أن مؤتمر القمة العربى الثانى سوف يعقد بعد غد .. وسوف يكون من المفيد حقا أن نلقى الضوء على بعض جوانب القضية التى يجتمع المؤتمر من اجلها ولها - فنحن نعيش فى مجتمع دولى طبقى تتميز فيه دول على أخرى رغم المساواة النظرية بينها فى السيادة والحقوق ، وفى هذا المجتمع الطبقى تستأثر الاقلية القوية بالنفوذ - فالدول الكبرى تملى سياستها على بقية دول العالم وتسيرها كما يتراءى لها ، وقد تختلف تلك الاقلية القوية بين قرن وآخر كما كان الحال خلال قرون التاريخ - ولكنها موجودة دائما فى صورة أو أخرى ، رغم اختلاف « القائمة » ، ورغم اختلاف القوى النسبية لكل منها .

ومشكلة فلسطين خلال مراحلها المختلفة ومنذ انتهاء الحرب العالمية الأولى لم تخرج عن كونها مشكلة تسببت فيها سياسة بعض الدول الكبرى - وبالتحديد انجلترا والولايات المتحدة الامريكية .. بان سلبت هذه الدول الامة العربية حقا مشروعا - ثم تدرجت الى اقرار هذا السلب وتمادت فى سياستها بعد ذلك - فادعت انتفاء هذا الحق - وتذرعت بوجود حقوق أخرى للجانب الصهيونى - وطالبت العرب بالاعتراف بحقوق اليهود ، فلما وجدت منهم مناهضة ورفضا ، راحت تنادى بوجود مشكلة فلسطينية قوامها صعوبة التوفيق بين وجهات نظر متناقضة .

ولست فى حاجة منا الى تبيان دور بريطانيا فى خلق الكيان الاسرائيلى المزعوم - منذ كانت تتولى الانتداب على فلسطين .. ولكن المهم هنا أن نقدم البعض اليسير عن دور الولايات المتحدة الامريكية فى هذا الصدد .. اذ أن بريطانيا قامت بدورها خير قيام وسلمت اليهود أرضا عربية وتركت للولايات المتحدة مهمة تدعيم الدولة المسخ « فى فلسطين » وذكر دور الولايات المتحدة بالذات .. هو لانها هى

الدولة صاحبة المصالح البترولية الكبرى فى وطننا .. وفى الوقت نفسه هى الدولة التى قامت بالتحدى الحقيقى لقرارات مؤتمر القمة العربى الاول .. عن طريق تزويد اسرائيل بمزيد من الاسلحة وتزويدها كذلك بالمفاعل الذرى الذى يزيل ملوحة الماء ـ وكأنها تقول لنا ـ حتى لو حولتم مجرى نهر الاردن فاننا مصممون على أن تعيش اسرائيل رغما عنكم ولو اضطررنا الى تزويدها بالماء من البحر .. !! وسياسة الولايات المتحدة فى تماديها بتأييد وتشجيع قيام اسرائيل ثم تدعيمها .. لم تكن مدفوعة بدوافع انسانية أو أخلاقية . بل كانت ومازالت مدفوعة بدوافع سياسية محضة أملتها الحاجة الداخلية بالنسبة للحزبين اللذين يتصارعان من أجل كرسى الحكم وهما الحزب الديمقراطى والحزب الجمهورى .

ولنأخذ الموضوع من أساسه .. فخلاصة الموقف على مسرح السياسة الداخلية الامريكية أن الصهيونيين يستخدمون نفوذهم المالى والسياسى ويستميلون ساسة الحزبين ويصورون لهم المكاسب السياسية التى تتحقق بمؤازرتهم للصهيونية ، والدعاية الصهيونية تلهب الرأى العام مستغلة النواحى الانسانية والنفسية فى تقديم صورة مشوهة لمحنة اليهود المشردين . وزعماء الحزبين الرئيسيين فى الولايات المتحدة يحلمون بالأصوات اليهودية فى الانتخابات ، وبالمال اليهودى الذى يحقق لهم النصر بتنظيم حملات الدعاية الانتخابية ..

ولقد بدأ تنافس الحزبين الجمهورى والديمقراطى فى كسب تأييد الناخبين اليهود منذ الحملة الانتخابية لعام ١٩٤٤ أى قبل انتهاء الحرب العالمية ..

وقد قال ترومان مرة فى احدى حملاته الانتخابية .

« ان مرشح الحزب الجمهورى يتكلم عن فلسطين قبل ميعاد الانتخابات بعشرة أيام ، وكنت آمل أن تجرى سياستنا الخارجية على أسس لا حزبية ، ولكن اشارة المرشح الجمهورى الى فلسطين تجبرنى على الكلام . اننى أؤيد اسرائيل بكل قواى » .

وقد قدمت الولايات المتحدة المساعدات التى كانت تستخدم فى الانفاق على تهريب الارهابيين اليهود من أوربا الى فلسطين . وقد زادت هذه المساعدات عن مليون ونصف المليون من الجنيهات سنويا فى الفترة مابين ١٩٣٩ ، ١٩٤٤ الى أن أصبحت أربعة ملايين جنيه سنة ١٩٤٥ ثم وصلت الى ستة ملايين جنيه سنة ١٩٤٦ . ومنذ هذه الفترة ووجود اسرائيل نفسه ماديا ومعنويا مدين لملايين الدولارات التى تقدمها لها الولايات المتحدة سنويا .. تلك الملايين التى تسلب الاحتكارات الامريكية معظمها من دماء شعبنا ومن ثرواته الطبيعية ..

ولنترك جانب المساعدات الامريكية ودور بريطانيا فى خلق الكيان المسخ فى فلسطين لا لشئ، الا لانه موضوع قد أصبحنا نعرفه جميعا لكثرة ما كتب عنه .. ولنتكلم قليلا عن طبيعة هذا الوجود الغازى الذى يهددنا جميعا فى حياتنا اليومية ومستقبل أمتنا .. فاسرائيل تقيم مجتمعها وكيانها السياسى ومفهومها فى الوحدة القومية على أساس التمسك بالمذهبية اليهودية القائمة على وحدة الدين ، ونحن نعرف من واقع النظريات السياسية للدول الحديثة أنها تفصل فصلا كاملا بين القومية السياسية وبين العامل الدينى ، على اعتبار أن هذا العامل يقوم على أساس حرية الفرد فى عقيدته الدينية التى لا شأن لها فى مقومات الوطن أو الأمة ، وهى ترفض أيضا رفضا باتا ومطلقا قيام هذه القومية على أساس العنصر أو الدم على اعتبار أن النظريات التى نادت بها النازية مثلا ، كانت تفتقر الى الاساس العلمى المجرد ، كما تتعارض كل التعارض مع القيم الحضارية للانسان ، وقد سرقت الصهيونية ـ كحركة عنصرية تعصبية ـ شعارات القومية ، لتستخدمها فى تحقيق أهدافها الفاشية ، ولتكون الأداة التى خلقها الاستعمار القديم فى الميدان القتالى وفى الميدانين الاقتصادى والاستراتيجى لضمان القاعدة التى يستخدمها فى توجيه ضرباته ، وفى تحقيق الاستغلال لصالحه .

واليهود الذين يستمدون وسائل حياتهم اليومية من كتبهم المقدسة تلك الكتب التى تزودهم بأوهام التميز على شعوب العالم تحمل لهم فى الوقت نفسه نظرة عدوانية استغلالية نحو الغير ، وتؤكد على استرقاق بقية الشعوب والتسلط على مقدراتها ، وقد جاء فى التوراة والتلمود وأشعيا وحزقيال وغيرها من الكتب المقدسة لليهود مثل هذه النصوص

الصريحة ، التي تشرح مايدعون من أفضلية واستحقاق لملكية العالم ومايعتقدون من أنهم شعب الله المختار وأن الارض جميعا بما فيها وعليها ومن عليها ميراث شرعي وأن اى شريعة تخالف شريعتهم هى شريعة باطلة فاسدة ..

• ففى سفر اشعيا • فى التوراة نجد نصوصا تنضح بهذه الافكار منها : ـ

« ويقف الاجانب يرعون أغنامكم • اما انتم ـ بنى اسرائيل ـ فتدعون كهنة الرب ـ تأكلون ثروة الامم وعلى مجدهم تتآمرون »

اما التلمود ـ احد كتبهم الدينية ـ فهو ملىء بمثل هذه الافكار البربرية .. منها : ـ

ـ « ونحن شعب الله فى الارض ، سخر لنا الحيوان الانسانى وهو كل الامم والاجناس ، سخرهم لنا لانه يعلم أننا نحتاج الى نوعين من الحيوان : نوع أعجم كالدواب والانعام والطير ، ونوع كسائر الامم من أهل الشرق والغرب •

ان اليهودية من عنصر الله ، كالولد من عنصر أبيه ، ومن يصفع اليهودى كمن صفع الله ، يباح لاسرائيل اغتصاب مال أى كان ـ وان أملاك غير اليهود كالمال المتروك يحق لليهودى أن يمتلكه » •

ـ « وكما أن بنى الانسان يسمون على الحيوانات • فان اليهود يسمون على شعوب الارض جميعا »

وقد طبق اليهود تعاليم دينهم بقسوة وعنف شديدين .. ونحن هنا لانستطيع أن تنسى ماذا فعل اليهود فى ٩ مارس (آذار) سنة ١٩٤٨ .. ففى الوقت الذى كانت فيه الجامعة العربية تصدر القرارات والتوصيات ـ كان الصهاينة يقومون بتنفيذ خطتهم الارهابية ـ المستمدة من نفسيتهم المعقدة وعنصريتهم الدموية البغيضة .. فذبحوا مايزيد على المائتين وخمسين عربيا ذبح الشاة فى قرية « دير ياسين » وكان من بينهم خمس وعشرون امرأة حبلى بقرت بطونهن وهن على قيد الحياة برءوس الحراب ، ومنهم اثنان وخمسون طفلا قطعت أوصالهم أمام أمهاتهم ، ثم ذبحوا واجتزت رقابهم فى أحضان أمهاتهم ، ثم أجهز على الامهات ومثل بهن ، وهذا بخلاف مذابح «ناصر الدين» وبيت الخورى ، ومقبرة الزيتون ، وبيت دارس .. وغيرها .. وغيرها ..

ولن ينسى شعبنا ما اقترفه اليهود فى حرب السويس عام ١٩٥٦ وكيف مارسوا ارهابهم الوحشى بأبشع صوره فى قطاع غزة • مثال ذلك ما فعلوه مع الشاب الفلسطينى موسى سابا الذى صاح فى وجه معذبيه : اقتلونى بدلا من هذا التعذيب •

فرد عليه « بن كنعان » رئيس المخابرات الاسرائيلية السفاح فى وحشية وتعصب :

ـ لقد اجهزنا على مسيحكم تعذيبا ، ولا شىء سيمنعنا من الاجهاز عليك بنفس الطريقة !!

والأمثلة كثيرة ومتعددة لا يمكن حصرها.. تشهد كلها على أن التعصب والعنصرية اليهودية البغيضة قد فاقت كل حدود التصور ..

ولقد انشأ اليهود المغتصبون فى فلسطين مجتمعا حربيا بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ، وأنشأوا جيشا مدربا ومجهزا تجهيزا كاملا ليستطيع أن يتولى حماية الدولة المسخ اولا وليدفع حدودها (المزعومة) ويوسع رقعتها ثانيا ، وهدفهم البعيد من وراء هذا الجيش المدرب هو تامين التفوق الواضح فى النوع على عنصر الكم الذى يتفوق العرب فيه •

ولجأ اليهود أيضا الى تطبيق نظام شديد خاص بشأن فرض الخدمة الالزامية على كل يهودى ويهودية كما طبقوا نظاما على الصغار والفتيان لغرس الروح العسكرية فيهم ، وأحدثوا أساليب جديدة للخدمة الاحتياطية تبقى المكلف على صلة مباشرة بتطورات الأسلحة والاطلاع عليها فى دورات خاصة يدعى لها فى كل سنة وتستمر حتى يبلغ اليهودى الخمسين من عمره• ووضع الاستعماريون اليهود خطة التعبئة بحيث تستغرق من يوم الى ثلاثة أيام ..

وهذا ـ باختصار ـ هو وضع المجتمع الغاصب الغريب المؤلف من مزيج عجيب من الجماعات القادمة من كل مكان ، من بلاد أوربا الشرقية والوسطى والغربية ومن أمريكا الشمالية والجنوبية ، ومن بلاد

الشرق الأقصى وافريقيا . هذه الجماعات التى تحمل ثقافات ومفاهيم وتقاليد متباينة ــ دفعتهـا دعوى « دينية ــ قومية » زائفة وحقد أسود للقـدوم الى فلسطين غازية، وتريد بروح تعصبها المقوت ماوراء فلسطين لتقيم فيهـا دولة « اسرائيل » العظمى . ولمواجهة هذا التـحدى الصهيونى الاستعمارى .. لابد لنا ان نتخلى عن أساليب العمل الحماسية ـ تلك الاساليب التى اضاعت منا فلسطين وشردت شعبها .

ان نضالنا اليوم فى أمس الحاجة الى العمل المنظم والحماسة معا .. فالحماسة والوطنية لازمتان لصون الحقـوق والذود عن الاوطـان ــ ولكنهما وحدهما لا تكفيان لتحقيق النصر على عدو غادر يستعمل كل الوسائل الدنيئة لتحقيق مآربه وأطمـاعه ويستغل سياسة القـوى التى تستخدمها الدول الكبرى فى الميدان الدولى ، مثل هذا العدو لا يقف عند حده ، ولا يلقى جزاء غدره وعدوانه الا بالسلاح والاعداد والتدبير المحكم .

ان الايمان والعزم قـوة . ولكنها تلك القـوة المعنوية اللازمة لتسخير القوة المادية التى هى الحكم الفاصل فى مجتمع دولى تقوم العـلاقات فيه على السياسة المادية .

واذا كان زعماء الصهيونية أمثال وايزمان وغيره قد ساوموا بريطانيا والولايات المتحدة على قيـام دولتهم المزعومة .. فقـد أصبح من المحتم علينا ــ ونحن نستعد لخوض معركة وجودنا القـومى ــ أن ندخل فى حسابنا ذلك العنصر الهام ــ ومن ثم يجب أن تتطور لغتنا الديبلوماسية والدولية ــ وبصورة عملية ــ من الآن فصاعدا لنتكلم بلغة المصالح العليا لامتنا .

ان التمسك بالقيم الاخلاقية والمثل العليـا ثم التعلق باهداب المواثيق والعهـود والمناداة بأننـا أصحاب حق ــ مغلوبون على أمرنا ـ كل هذه المفاهيم بالاضافة الى أنها لم توجد فى الماضى ، فان العالم والدول الاستعمارية بالذات لا تعرف سـوى منطق الضغط والمساومة المدعمة بامكانيات العمل السريع الحاسم .

ولعل أصحـاب الجلالة والفخامة ملوك ورؤساء شعبنا العربى المجتمعين فى مؤتمر القمـة العربى الثانى ــ يتممون ما بداوه فى مؤتمرهم الاول لكى لا يتعرض بقية شعبنـا الى المصير الذى تعرض له اخوتنـا فى فلسطين فيؤمنـون مسـتقبل أمتهم ويحررون ماسلب من أرضهم ـ متخذين من الوسائل العملية مايؤكد لأعدائنا اننا فعلا غيرنا سنة ١٩٤٨ . ونحن جادون فيما نفعل وما نقول .

قراءات في المجلات العربية



يقدمها : مصطفى فوده مصطفى

ليس من طريق غير الصراع !

عندما تساءل جميل كاظم الحفاف : هل من طريق للحضارة والحياة غير الصراع ؟ في بدء مقاله « حتف الحضارة والاستعمار » بمجلة العلوم · قفزت الى ذهننا نظرة ــ ربما بدت متشائمة ــ غير أننا لم نستطع لها دفعا ·

فدوامة الحياة التي لا ترحم ، والعالم المضطرب من حولنا لايستقر له قرار ولا يدرى الى أين سينتهى به المطاف · ألى سلام وعيش رغد ؟ أم الى حرب ضروس لا تبقى ولا تذر · والأخبار تتضارب فتارة ترجح كفة السلم وأخرى نظن انها الحرب ، ونحن بين هذه وتلك لا نملك من امرنا شيئا ، وان كنا نحلم بالحياة الطيبة ، غير أننا قد نصبح فنرى ·· ماذا نرى ؟ لا شيء على الاطلاق · لسبب بسيط هو اننا ذهبنا مع من ذهبت بهم الحرب · تلعن هؤلاء المجانين الذين أشعلوها وكل همهم السيطرة على العالم · ولا يهمهم مات سكانه أم عاشوا ما داموا يتخيلون أنهم سينتصرون في النهاية ·

وبرغم بشاعة الحرب وهولها الا أنها ربما كانت امرا مقضيا به حتى تتقدم البشرية ·

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين · »

هكذا الحياة خلقها الله ، قوى تتنازع في سبيل البقاء وفي دوامة تنازعها تدفع غريزة حب البقاء مفكريها الى الاكتشافات التي تكون دمارا في بدئها ورحمة في نهايتها · فالحرب هي التي دفعت في القديم الى اختراع العجلة ، التي ظلت تتطور الى ان صارت سيارة ، وقطارا تطوى المسافات الطويلة في الوقت القليل · ثم هي التي دفعتهم في الحديث الى تذليل مارد الذرة التي ما زالت سيفا مسلطا على رقاب البشرية ولكن نفعها بدأ يظهر في الطب والتهجين ومحطات توليد القوى ، وشق الأنهار وتمهيد الأرض للزراعة بأقل التكاليف · ولعمرى انها بعد قليل ستؤدى أعظم شئون الحياة بأقل جهد ممكن ·

هكذا الحرب شر فظيع وخير منتظر في آن معا · وهكذا الانسانية خلقها الله في تنازع مستمر من يوم أن وجد آدم · وقد تظل كذلك الى النهاية ولولا هذا التنازع لما ارتقى العالم سلم الحضارة ، ولظل الانسان يحبو في ظلمات الجهالة ·

وانا لنتساءل هل الحرب قديمة ؟

يجيبنا : بنعم · كتاب الجنس البشرى · ويحدثنا القرآن الكريم عن أول حرب · وهي التي وقعت بين قابيل وهابيل ابني آدم حين قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر ·

ويحدثنا التاريخ أن العالم لم يمر عليه وقت دون حرب فتاريخ مصر القديم يقول ان الفراعنة كانوا

دائبي الصراع مع جيرانهم من حيثيين ونوبيين وليبيين وغيرهم الى ان تأتي قوة هائلة تصطرع معهم فتصرعهم وهي الرومان وتتولى زمام الحرب وتتنازع البقاء مع قوة أخرى وهي الفرس • ويظلان كذلك الى ان تظهر قوة فتية هي قوة العرب التي تصرع كلا الاثنين • ويستتب لها الامر قليلا ولكن هل بدون حرب ؟ كلا فهناك الحروب الداخلية والثورات التي لا تهدأ • حتى تظهر قوة همجية تكتسح أمامها الأخضر واليابس • هي قوة التتار الذين قوضوا أركان الدولة الاسلامية • ولكن قوة أخرى كانت قد ظهرت أوقفت زحفهم وانقذت العالم منهم وسيطرت هذه القوة بعض الوقت اصطدمت فيه مع الصليبيين بحروب طويلة • ثم اخيرا مع الترك الذين سادوا وكانت لهم الكلمة ولكن حربهم مع الروس والاوربيين لم تنقطع وعاش العالم بعدها في حرب طاحنة كل يريد عاق يد الآخر فهناك حروب الاستعمار في بدئه مع بلاد الشرق الأقصى • ثم حروب بين المستعمرين بعضهم مع بعض على المستعمرات ثم حروب للتحرير في أمريكا •وبلاد أوربا الواقعة تحت سيطرة الأتراك• ثم تتصارع قوى هائلة في أوربا الى أن تتبلور هذه القوى أخيرا أثناء الحرب العالمية الأولى والثانية في قوتين فقط تتنازعان البقاء تركع احداهما وتسلم فتنقسم الثانية على نفسها وتصطرع ولا ندرى متى يصطدمان فتكون الحرب الثالثة •

هذا فضلا عن الحروب الصغيرة التي استمرت بعد الحرب العالمية الثانية حتى وقتنا هذا •

ومن هذه الجولة السريعة تتبين أن العالم لم يمر عليه وقت بدون حرب ، ان لم تكن بين الدول جميعا فهي بين دولتين اثنتين • أو أهلية داخل دولة واحدة • ومن يتمعن في هذا يخيل اليه أن الحرب شيء غريزي في نفوس البشر • وهي كذلك فعلا • أليس في الانسان غريزة حب البقاء • كما أن فيه غريزة التملك وكلتاهما كفيلتان باثارتها حامية الوطيس •

ولكن مع دوام الحروب دام رقي الانسان وتطوره وازدياد عدده وهذا مصداق قول الله « ولولا دفع الله الناس •• الخ » ومن يدقق النظر في سبب هذه الحروب ويسأل نفسه ما السر في نشوبها ؟ يجد جوابا بديهيا (أن الكل يريد حياة أفضل) من الحياة التي يحياها •

ففي كتاب السبيل الى عالم أفضل - ترجمة الاستاذ عبد العزيز اسماعيل : اذا استقرينا أحوال البشر في مختلف عصور التاريخ ومدنياته وجدنا أن ظروف العيش لغالبية الناس لم تكن ميسورة أو مرضية ، مما كان يحمل الناس في كل عصر على أن يحلموا بعالم أفضل يتعوضون به عن حاضرهم الراهن • راجين أن يتحقق في زمن قريب أو في مكان ما من هذه الدنيا •

فلقد حلم قدماء الاغريق بذلك العصر الذهبي الذي يرجع الى الماضي البعيد • فانبثق ذلك العصر كما تخيلوه في أوائل عهد البشرية بهذه الدنيا حيث كان الناس يعيشون كالآلهة لا يعرفون تعبا ولا نصبا •

كما كان المسيحيون الأولون يحلمون بعصر ذهبي سيسفر عنه المستقبل البعيد • يهبط فيه السيد المسيح الى العالم الجديد • ويرفع كلمة الرب وينصر دينه فيحيا الناس في عصر ترفرف عليه أعلام السلام والعدالة •

ولعل فكرة المهدى المنتظر المسيطرة على رؤوس بعض المسلمين • صدى لما في نفوسهم أيضا من الميل نحو عالم أفضل •• غير أن تسليمنا بهذا الحلم لن يبلغ من القوة الحد الذي يرتفع به الى مرتبة الحقيقة يستوى في ذلك العصر الذي تخيلناه في بداية عهد البشرية أو نهايته ومن ثم وجب علينا أن نقنع بعصر ذهبي يرجع الى الماضي القريب أو المستقبل القريب • عصر ذهبي يحيا فيه أبناؤنا حياة ساذجة كتلك التي شهدها أجدادنا » •

من هذا الذي سبق يتبين لنا اننا دائما نحلم بعالم جميل - عالم أفضل من عالمنا الحاضر ليست فيه أطماع استعمارية ولا أغراض دنيئة • عالم يسوده السلام • وتعلو فيه كلمة الشعوب المحبة له • ولكن هيهات فما دمنا نحلم بعالم أفضل فلا سلام •

ولقد كانت الحرب على الدوام سيئة من سيئات البشر ومن الغريب أن العالم يدرك هذه الحقيقة ولكنه على الرغم من هذا مسوق نحوها باستمرار أليس هذا مما يثير الدهشة والفزع معا •

وفي حديث للدكتور حسن سعفان عن مصادر البؤس يقول « والحروب هي الأخرى مصدر كبير من مصادر البؤس في هذا العالم فهي لا تكتفي بالقضاء على الرجال وازهاق الأرواح • بل تتصدى كذلك الى المساكن والمصانع والمزارع فتحيلها جميعا الى خرائب وأطلال • وتعد الأنفس التي ذهبت ضحية الحرب العالمية الاولى بـ ٣٨ مليون نفس في

اوروبا وروسـيا الى جانب آلاف الافـدنة وآلاف المشروعات الزراعيـة والصـناعية .. الخ . التى دمرتها الحرب ، ففى انجلترا مثلا قدر عدد المساكن التى كان يجب أن تنشأ ولم يتم انشاؤها بسبب الحرب ٣٢٥٫٠٠٠ مسكن فى عام ١٩٤٥ م والمساكن التى يجب اعادة بنائها من جديد ٢١٧٫٠٠٠ مسكن اما تلك التى يجب ترميمها ٣٫١٠٠٫٠٠٠ مسكن يضاف اليها ملايين الجنيهات التى صرفت على التدمير والتخريب ولعل الحرب تعتبر الكارثة الوحيدة التى لم يخفف التقدم البشرى فى مجال العلوم والآداب من شدتها بل لعل العكس هو الصحيح اذ أن تقدم البشرية فى ميادين العـلم زاد من شـدة تدميرها وتخريبها . واذا قارنا الحرب العالمية الأولى بالحرب العالمية الثانية (ولم يظهر لها احصاء صحيح للآن) اذا قارنا هاتين الحربين بما يصيب العالم اذا حدثت حرب أخـرى . يظهر لنـا أن الحـرب تزداد فتكا بالانسانية شيئا فشيئا . فهى مصدر يزداد خطره كل يوم بخلاف المصادر الأخـرى التى يخف أثرها بفضل العلم الحديث » .

كل هذا الذى ذكره الدكتور سعفان حق . ولكن اليس من الغريب أنه على الرغم من كوارث الحربين الاولى والثانية العـالميتين وما قبلهما من حروب وما بعدهما من حروب الى الآن . نجد أن تعداد العالم فى ازدياد وأن الحضارة سائرة فى طريقها نحو الرقى . حقا ان هذا مما يحير . حرب تهلك وتدمر ورقى بشرى سائر فى طريقه لا يقف ولا يتخلف .

ولعل من أسباب الحرب التطلع الى حياة افضل ولكن هذا الدافع لا يظهر على أشده ولا يكشر عن أنياب الحرب الا مع أسباب أخرى واذا ذهبنا نبحث عن هـذه الاسباب وجدنا أنهـا تتلخص فى أمرين وهما :

(أ) الخوف . (ب) الحاجة ـ وغالبا ما ينشـأ هذان عن البطالة وخاصة فى عصرنا هذا . والواقع أن الحرب والبطالة تتداخل كل منهما فى الأخرى تداخلا عجيبا . » فالبطالة لا تجلب لنا المتاعب الا فى أزمنـة السـلم على حين أنهـا تختفى فى زمن الحرب » وخاصة فى العصر الحديث .

فى عام ١٩٢٩ وقع ما يسمى بالتدهور الاقتصادى العظيم وقد حدث هـذا التدهـور فى جميع الدول الصناعية . المانيا ـ ايطاليا ـ فرنسا ـ انجلترا ـ هولندا ـ بلجيكا .

وكانت نتيجة ذلك التدهور الاقتصادى أن تفشت البطـالة فكان فى انجلترا ٤ ملايين عاطل . وفى الولايات المتـحدة ١٠ ملايين عاطل واستمر هذا التدهور عشر سنوات قضـتها الدول فى محـاولة علاج هذه المشكلة ـ التى تهد كيانها . ثم اهتدى هتلر عنـدما اعتلى منصـة الحكم سـنة ١٩٣٣ الى أسـلوب أيسر وأسرع لمعـالجة البطالة . فأعلن أن المانيا أكثر حاجة الى البنـادق والرصـاص منها الى الزبد . وبدأ يسـتعد للحرب فاقام جيشـا وأدار آلات المصانع ليل نهار بأقصى سرعة لكى ينتج آلات الدمار والحرب . وصرف جهود الشعب الألمانى الى انتاج وسائل الموت . وبمجرد أن أقام هـذا كله أخذت البطالة في المانيا تختفى وفى خلال سـنوات قليلة لم يكن فى المانيا من يشكو من البطالة وأعلن الحرب سـنة ١٩٣٩ م واشتبكت كل الدول فى الحرب .

فماذا حدث عندئذ ؟ اختفت البطالة فى كل تلك الدول .

وهكذا يبدو أننا نعيش فى عالم يجوع أفـراده فى زمن السلم ويموتون من البطالة . فاذا ما حارب شبع افراده ووجدوا العمـل اليس هـذا مصداقا عمليا لقول الله : « **ولولا دفع الله الناس .. الخ** » .

ويقول الرسول : « **جعل رزقى تحت ظل رمحى** » .

ويظهر اننا نعيش فى عالم مجنون لاعقل له يفكر به . فلـكى تقضى على ضرر خفيف وهو التعطـل تنساق الى ضرر أكبر وأخطر وهو الحرب حقا اننا نعيش فى عالم عجيب النظام يلجأ فى سبيل القضاء على شر الى خلق شر آخر أبلغ منه .

وما دام هناك هذا التداخل المدهش بين الحرب والبطالة فما سبب البطالة ؟

يقولون ان السبب المباشر للبطالة هو التطـور الفنى للصـناعة . أو النهضة الصـناعية . حيث أصبح العمل الذى كان يؤديه مجموعة من الأفـراد يؤديه فرد واحد . وبهذه الطريقة أصبح هنـاك عمال بدون عمل .

تجلت النتيجة الأولى للثورة الصناعية الفنية فى الانتاج الكبير وفتح الأسواق الوطنية والعالمية أمامه . كما أنها ظهرت واضحة فى تلك الأزمات تطرأ على سوق الأعمال التى أخـذ نطاقها يتسـع وخطـرها يشتد عن ذى قبل ويخلق من ثم مشكلة البطالة .. التى تعطل العدد الغفير من العمال تلك المشكلة التى تظهر قبل الحرب دائما .



اغنية الى صغيرى

للشاعر الكويتي راضي صدوق

سيظل الغناء عذبا نديا ... وتفيض الحياة خصبا وريا
سيظل الفؤاد يعمر نورا ... طالما أنت باسم يا بنيا
ستغيض الدموع فى حدق العين ... ويخبو الشقاء فى محجريا
ابتسم ، يا بنى ، انت صغير ... لم تزل ساذج الضمير نقيا
انت ما زلت نفحة من اريج ... ونشيدا من السماء عليا
نفحة من ضمائر الغيب ، كونا ... لم يزل غامض الرؤى ، مطويا ..
وصدى فى متاهه الروح ، يغفو ... صامت اللحن ، خاشعا ، ابديا
لا تفق من طفولة اليوم ، انى ... افتديك الشباب ، ظل نديا
انا اخشى عليك من شظف الدهر ... فتحيا على الوجود ، شقيا !
ظل طفلا تهيم فى ريق العمر ، ... ولا تغد ، فى الحياة ، عتيا
ظل كالزهرة الضحوك .. طهورا ... لا تدنس وجداك القدسيا
انما العمر ، يا بنى ، اكتئاب ... وخريف يشظ .. يصخب غيا ..
ايه يا « رائدى » الصغير تبسم ... ان فى ثغرك الجميل لرؤيا ..

على أننا لا نستطيع أن ننكر أن مجىء العصر الآلى كان له أثر أى أثر فى انه أمدنا بوسائل سريعة للمواصلات والنقل جعلت الانتقال سريعا مما كان له أثر فى التجارة وتقدم العلوم حتى انهم أصبحوا يقولون : ان العالم صار بالتقدم الآلى فى المواصلات صغيرا جدا .

ولقد قرأت فى مجلة الشرق « **ان هذا العالم ليس واحدا الا من ناحية واحدة وهى الناحية الاقتصادية التى بدا يتحد فيها** » ومعنى هذا أن العالم يختلف اختلافا بينا فى العادات والتقاليد والثقافات واللغات وأشياء أخرى كثيرة . ولكنه يسير نحو نظام اقتصادى واحد وخاصة بعد أن أصبح العالم على صلة وثيقة بكل أجزائه بواسطة المواصلات الدقيقة السريعة .

ولهذا أصبح العالم يتأثر بكل ما يدور فيه ونتيجة لذلك أصبحت مصالح الأفراد والجماعات الاقتصادية متشابكة .

ولقد كان العالم فى القديم تستطيع كل دولة فيه أن تسلك سبيلها من حرب أو سلام دون أن يؤثر ذلك كثيرا فى جيرانها ولكن العالم الآن أصبح وحدة واحدة . ان نادى من فى الشرق جاوبه من فى الغرب . ولهذا لا تستطيع دولة أن تسلك سبيلا دون أن يترك هذا صدى فى كافة أرجاء العالم .

للموضوع بقية

مصطفى فوده مصطفى

رسالة الناقد عبد الفتاح البارودى
بقلم عبد المنعم ابراهيم البحقيرى

هذه هى أول مرة التقى بهـــا معك فى بابك .. « رسـالة الفن » هذا الباب الذى يقدم لنا دراسات فنية اصيلة يحتـــاج اليها كل مثقف وكل باحـث فى رسـالة الفن .. واليوم ابعث لسيادتكم بهذه الرسالة التى هى من رســالة الفن وتحتاج الى تعليق من سيادتكم على ماتشمله :

فى جريدة الأخبار الصادرة بتاريخ ٢٥ — ٧ — ١٩٦٤ قرات مقالا بعنوان تطوير الفن الشـعبى ، للأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف يقول فى مقاله : ان ادهم الشرقاوى لم يكن بطلا قوميا ، ولم يكن فى حياته ما يشرف البيئة الشعبية بل لقد احترف اعمال البلطجة والاجرام ، وكان فى كل جريمة يفلت من مطاردة رجال الحكومة .

لكن الذى قرأته وعرفته وسمعته ممن عاشروا ادهم الشرقاوى عكس هذا .. نعم لقد كان ادهم شابا قويا فتيا ، كما انه ليس زعيما شـعبيا ، ولكنه كان ثائرا على العادات والقوانين الظالمة التى صبها اعداء البلاد على أبناء الشعب .

ان ادهم الشرقاوى هو ذلك الشاب الذى واجه رئيس الوزراء الذى استصدر أول قانون للنفى ، ذلك السلاح الذى كان يستخدمه اعداء البلاد حين يثور ابناء الشعب على الاقطاع .

ان ادهم الشرقاوى هرب من السـجن الذى دخله بدون جريمة تستحق السجن ، هرب ليقـود ابناء قريته وليســـير بهم فى ركاب ثورة ١٩١٩ الشعبية .

ان ادهم الشرقاوى ذلك الشـــاب الذى واجـه الانجليز بالرصاص وكسر السكك الحديدية وقطع اسلاك التليفونات .

وقرية ادهم الشرقـــاوى هددهـا الانجليز بان تكون « دنشـــواى » ثانية واســـتمر الانجليز يحاصرونها ثلاثة ايام لكى يكتشفوا الجانى الذى قادهم لمناصرة ثورة ١٩١٩ وليعرفوا من الذى قطع اسلاك التليفونات وكسر قضبان السكك الحديدية

ان ادهم الشرقاوى هو الذى تقـــدم بمطالبه للاقطاع ولكل آلهة الجبروت والطغيان يقول لهم : ممنوع اضطهاد الفلاحين الفقراء ، ممنوع الاستيلاء على عرقهم . هذه هى اســطورة ادهم الشرقاوى وقصته مع الظلم والفساد واعداء البلاد لســت مبالغا فيما اقول بل هذا هو كلام الواقع لا الخيال وقد اوضحت الآن بعد عرض جوانب قصة ادهم .. ان فى حياته مايشرف البيئة الشــعبية أو العكس الذى اورده الكاتب فى مقاله .

واية حكومة هذه التى كانت تطارد ادهم .
انها حكومة الظلم . حكومة الاقطاع — حكومة الفساد والرشـــوة والمحسوبية وسلب العــرق .. والحريات ..

السيد عبد الفتاح البارودى باسم الفن العربى الأصيل استحلفك ان تعلق فى باب رسالة الفن على هذا المقال .. وعلى ســؤالى الحائر .. واذا كان راى الكاتب هو الاصح فلماذا ســمحت الاذاعة بان تقدم لنا قصة أدهم على انها قصة من الادب الشعبى الاصيل ؟؟

المازنى فى برنامج « قدر ولطف »
بقلم حامد محمد محرم

فى البرنامج العام باذاعة الجمهورية العربية المتحدة كتب الأستاذ : زين العابدين عبد الله برنامج « قدر ولطف » واذيع ضمن برامج الاذاعة فى يوم الاربعاء الموافق ١٩٦٤/٦/٣ وكانت مدة البـرنامج نصف ساعة . ويدور البرنامج حول قصة موجزها :

« اسرة تشتكى وتتألم من الفقر بعد موت راعيها عند تاديته لفريضة الحج وبالرغم من قصر اليـد يطالب الابناء بمطالب كثيرة وكانت الام تطمئنهم بأن فرج الله قريب .. ويظن الأولاد ان فرج الله شخص فيحـــررون له خطابا ويذهبون به الى « الحاج فرج الله » القـــريب منهم ويجيب لهم مطالبهم ويهرولون الى امهم فرحين داعين للحاج فرج الله ولكن سرعان ما تبدد فرحهم عندما قررت — الام — بضرورة ارجاع تلك الهبة .. وعنـدما يعلم الحاج فرج الله بذلك يتـــكرم بزيارتهم وكانت نتيجة الزيارة ان اصبح الحاج فرج الله صـــديقا لهم وخصوصا بعد أن كشف عن صلاته الوثيقة برب الاسرة ، ولكنه يندهش لحال الاسرة ويتساءل عن مال صديقه ولكن احدا لا يعرف عنه شيء .. وتأتى

صورة أمي

بقلم : محمد الشناوى

ـ لماذا لا تأتين معنا يا أماه ... ؟ قل لهـــا يا أبي ... أريدها معنا ...

ـ سافري أنت ياحبيبتي ،وسابقى فى انتظاركما هنا ... تعالى ... تعالى لاقبلك .

واندفعت « مها » فى حماس ابنة الســادسة ، لتلقى بنفسها بين الأحضان التى تناديها ، وغاب رأسها الصغير فى ثنايا الصدر الفتى ... وطال بينهما العناق الى حد أقلق « محمود » الجالس أمام عجلة القيادة ، فى سيارته التى أعدها على عجـل لرحلته المفاجئة ، ولم يفلح بوق السـيارة ونداؤه المتكرر ، فى انتزاع « مها » الصغيرة من أحضـان أمها ، فناداها «محمود» بنفسـه ...

ـ هيا أسرعى يا مها ... ودعى أمك فلديهـا ما يشغلها عن السفر معنا ..

ورغم ما كان فى صوت الوالد من قلق ، وضيق مكتوم ، الا أن الصغيرة لم تترك مكانها من الصدر

النتائج الثانية للزيارة فيســافر الحاج فرج الله ويسال صديقا قديما عن مال صديقهما رب الأسرة فيخبره بانه وضع ثروته فى راس غزال شارد بين السماء والأرض وتتجلى الأسرار وتعـرف الأخت الكبيرة سبب تعليق رأس الغزال فى الصالون . . وتسرع الى الكنز المدفون ويتبـدل حال الأسرة والبركة فى الحاج فرج الله ... »

وينتهى البـرنامج واحمـد الله على قدرتى فى التحكم على اعصابى وضبط نفسى حتى نهـاية البرنامج وسرعان ما جـذبت صـديقى الجالس بجانبى وافرغت ما فى جعبتى وكانت النتيجة اننـا صرنا مقتنعين بأن السـيد زين العـابدين اقتبس القصة مناديب عربى معروفهو ابراهيم عبدالقادر لمـازنى ، ولكن ما هو الدليل ، وما الحجة التى تؤكد ذلك ؟ اذا كان كذلك فلابد من الرجوع الى الاصل ونقارن بينهما ..

فالقصة مقتبسـة من كتاب خيوط العنـكبوت للمرحوم المازنى (ابريل ١٩٣٥) فى ص ١٢٩ ويمكن الرجوع اليها

فما رايك ايها القارىء العربى فى ذلك التشابه ؟ الا تجد التشابه بين مضمون القصتين : فالأسرتان دون راع وكل منهما لا تعـرف اين يوجد مال راعيهما .. ثم يخصص القدر الحاج فرج الله .. وكذلك الحاج أخو الست الكبيرة لكشف النقاب عن الكنز المفقود .

لقد حاول الاستاذ زين العابدين تشويه قصـة المازنى فجعل همه ذلك ولكن للأسف جاءت محاولاته غير محكمة الصنعة ففيها تكلف وفيها شعور غريب وهو ان الأستاذ زين العابدين لم يستطع ان يحور قصة المازنى أو يعبر عن فكرة المازنى فى قالبه لان ذلك بعيد كل البعد عن احساساته وشعوره ...

واريد ان اسال الاستاذ زين العـابدين هل فى استطاعته تخبئة مبلغ خمسة آلاف من الجنيهات فى تحفة معلقة فى الصالون اظن ذلك محالا مهما كان غنى صاحبنا ... وكيف يجعل اسرة تملك خمسة آلاف من الجنيهات وتعيش فى حالة بؤس .. ان تجربة المازنى صادقة من اجل ذلك نطالب المسئولين باعادة النظر فى برنامج « قدر ولطف » وما كتبـه المرحوم ابراهيم المازنى عام ١٩٣٥ ..

الحنون ، الا بعد أن دفعتهـــــا الأم بهدوء نحو باب السيارة المفتوح ...

– اركبى يا حبيبتى ، حتى لا تتأخرا عن العودة الى بسرعة ...

وأخذت المسافة بين باب المنزل وباب السيارة تتلاشى مع خطواتها ، ومع كل خطوة كانت الصغيرة تشعر بأنها تفقد قطعة من قلبها الصـغير ... لقد جربت فراق أمها مرة ، ولذعتها ناره القاسـية وليس بمقدورها أن تفقدها مرة ثانية ...

– ساجدك فى البيت عندمــا أعود ... ؟ لن تسافرى مرة ثانية كما فعلت من قبل ... اليس كذلك يا أماه ... ؟

– لا تخافى يا **مهـا** ... فلن أســافر ... وسابقى فى انتظارك يا عزيزتى ...

واغلقت « صفية » باب السيارة ووقفت تلوح لهما بيديها فى حب طاهر جذب بمغناطيسيته « مهـا » فرفعت يديهـا الصـغيرتين تلوح بهما فى اتجـاه الأم ، وكأنهـا تلتقط بهمـا اشـعاعات الحب تنبعث من قلب الأم ، متحدية المسافة التى تفصل بينهمــا ، والتى أخـذت فى التزايد مع اندفاع السـيارة ، حتى بدت الأم من الزجاج الخلفى – حيث ركزت « **مها** » نظرهــا – مجرد نقطة زرقاء اختفت نهائيا ، عندما مالت السيارة الى شـارع « مصر والسودان » فى طريقهــا الى « الشرقية » حيث ينتظر السـيارة وراكبيها ، ماض استعصى على الموت ، بل على مجرد النسيان ...

ويئست « **مها** » من التحديق فى صورة تلاشت، فتنهدت بأسى وأدارت رأسها الى والدها ، الذى كان مشغولا عنها طوال الوقت ، وتململت فى جلستها بضع مرات ، ولكن محاولاتها فى لفت نظره لم تأت بنتيجة ، وضايقها هذا الاهمال ، أكثر مما ضايقها هذا الخوف الغامض من رحلة مفاجئة تفارق فيهـا البيت والأم ، تماما كما حدث منذ ... ولكن ، يستحيل أن يتكرر هذا ، فقد أكدت لها الأم أنه لن يحدث ، وهى لم تجرب على أمها كذبا ... لقـد غابت عنها من قبل فجأة . ولم تكن قد سألتهـا أما هذه المرة ، فهى مطمئنة الى أنها ستعود وتجدها فى انتظارها . ولكن أباها ... ما شأنه ... ؟ لماذا يبدو متجهما صامتا ، على غير عادته معها ، هل يخشى هو أيضا أن يعود فلا يجد الأم ؟! غير ممكن أن يحدث هذا . والا لأخبرته الأم أنها ستغيب ... اذن . ماذا يضايقه ؟ هيا يا « مها » لاعبيه ، وامرحى معه ، فهو يحب مداعباتك ...

– **أريد سماع الراديو يا أبى ...**

وشملها بنظرة فارغة افزعتها فانكمشـت على نفسها ، ولم تجد أية متعة ، بل مجرد رغبـة فى سماع الأغنية التى انطلقت مع الحركة الآلية التى قام بها « محمود » عندما فتح « الراديو » استجابة لرغبة الصغيرة العزيزة ...

وأحس هو بالضـيق ، بل بالأسى ، من نظرة العتاب الحزين التى ساطته بها ابنته « أعرف يابنتى انك مندهشة بل حزينة ، لهذا الذى تظنينه اعراضا عنك ، ولكن ، ما حيلتى ؟! ماذا بوسعى أن أصنع لكى أهبط بالموقف الى مستوى ادراكك ، أو أرتفع بذهنك الغض الى مستوى الاحداث التى تعتصرنى بكل بشاعتها ... أرجوك ... أتوســل اليك يا صغيرتى الحلوة ... لا تفتحى عينيك على سعتها وتحدقين فى فى صمت هكذا ... انك لا تدرين اى عذاب أجلد على احتمـــاله عندما ارى عينيك مفتوحتين هكذا ... مثلها ... تماما يا « مها » ولكن ... ويحى ، لقد أعمتنى المصيبة فنسيتأنك نسيت كل شىء ... حتى هى ... التى لم تنسك وهى تغمض عينيها للمرة الأخيرة ... تماما كمـا تفعلين الآن لتنامى بعد أن يئست من اســتجابتى لمداعباتك ، وستستيقظين من نومك يا مهـا ... اما هى فقد نامـت الى الأبد ... اســتراحت رغم أنفها من « شقاوتك » الحلوة ، وتركت لى كل شىء ... انت يا صغيرتى ، والخوف على مستقبلك الذى طالما جلست معها الليالى الطوال لنرسمه ونعيد رسمه آلاف المرات ، ونضيف فى كل مرة شـيئا جديدا ، نتوهم انه سيجعل مستقبل أيامك يا حلوة أجمل مما نرجو وأسعد مما نؤمل ... ولكن هذا كله ضاع ... ضاع يا صغيرتى مع زفرة خرجت من صدر أمك الى الأبد ، ولم تعد ، وتركتنىوحدى ... مع الذكريات ... اجترها فى صــمت ، وتحرقنى فى صمت أيضا ، لانه لم يعد من حقى أن أمارس الذكريات مجرد ممارسة ، فى العلن ، فلم اعد ملك نفسى يا مها ... فأنا الآن أسير حبك ، والخوف عليك مما قاسيته فى طفولتى ، وأسـير حق مشروعلسيدة لم تسىءالى مطلقا ، بل عاونتنى على الخروج من محنتى بأقل قدر من الجراح ... ،

وامتدت يده اليمنى تتحسس الرأس الصغير الملتصق به ، وتداعب الشعر الأسود الناعم ، وتنهد في أسى ... « نفس الشعر الأسود يا « مها » لك نفس شعرها ، الذى أحببته منذ الصغر ... هناك ... فى القرية ، ذكريات يا صغيرتى ... ذكريات تنهال على الآن فى قسوة ، بعضها غائم متداخل الملامح ، وبعضها واضح كل الوضوح ، كهذا اليوم الذى غير مجرى حياتى وحياتها يا حبيبتى ... يوم ظهرت نتيجة امتحانى النهائى ...

كنت شابا فى عنفوان الشباب مختالا بنفسه ، وبليسانس الحقوق الذى يحمله ، وشاعرا كل الشعور بنظرات التقدير التى تنهال على من كل أبناء القرية التى يحكمها أبى العمدة ... وكانت هى يا « مها » أمك ... ابنة العم ورفيقة الصبا التى شبت معى منذ الصغر ، نسمة حب حانية رطبت قيظ حياتى التى أجدبت منذ وفاة أمى وأنا بعد طفل صغير ... وكبر حبنا يا صغيرتى معنا ، وجاء اليوم الذى أستطيع أن أقول فيه لأبى بشجاعة ، اننى أحبها وأريدها شريكة لكفاحى هنا ... فى القرية ... ورحب أبى بزواجنا وباركه ، ولكنه حاول منعى من البقاء فى القرية كما عزمت ، وجرب كل وسائل الاغراء والتهديد ليحول بينى وبين رفض الوظيفة التى لاحت تباشيرها فى الأفق ... أو على الأقل ، لكى أرضى كبرياءه فافتتح مكتبا للمحاماة ، أغيظ به خصومه ومنافسيه ، ولكننى كنت أشعر أن مهمتى أخطر وأجل من مجرد الوظيفة أو افتتاح مكتب للمحاماة ... كان أهلى ـ وأهلك ـ يا « **مها** » يئنون من جرائم « الخواجة طناشى » وزبانيته ، ودخلت المعركة وحدى ، لا يسندنى سوى حبها يا ابنتى ، واستطاعت أمك أن تمدنى بطاقة نفسية هائلة صمدت بها فى معركتى مع « الخواجة » المرابى ، ورغم عوامل اليأس التى لاحقتنى وأحاطت بى من كل جانب ، فقد تحول الأمر فى نفسى الى ما يشبه العقيدة ... يجب أن أخلص أهلى ، من براثن « طناشى » وأحابيله ، وتتابعت الموجات حولى ، بعضها يحمل الاغراء وبعضها يحمل التهديد ... ولكن حبنا يا صغيرتى وايماننا بالمستقبل الذى نصنعه معا ، انتصر ... وأصبحت القرية ذات صباح ، فاذا بطناشى ، يصفى أعماله ، واذا بالقرية كلها لا تعرف فى تعاملها الا شابا ، أمينا صادقا مخلصا ، يتعامل مع الجميع بشرف وأمانة ، ويكتفى بأقل القليل من الربح ، ويمد يده بالعون للصغير ويقف بجوار الكبير اذا احتاج اليه ... وكان هذا الشاب هو أنا .. والدك يا « **مها** » ... وانتهت سنوات الكفاح ، وجاءت لحظة النصر ، وقد أصبحت القرية قريتنا فعلا ... وأصبح القطن قطننا بحق ... وكان حقا على ، وقد وفت أمك بعهدها معى ، أن أوفى لها بعض الدين ، وأرد لها بعض الجميل ، وأسرعت بها الى كبار الاخصائيين ليتولوا أمر علاجها ... كان أبى يلاحقنى بنظراته المستعطفة فى بداية الأمر ، فلما طال الزمن ولم تحمل أمك تحول تلميح أبى الى التصريح ، « يجب أن تتزوج ما دامت هى عاقرا » وترامت العبارات القاسية الى أمك فطعنت عزة الأنثى فيها ، فاذا بها تطلب منى أن أتزوج لأرضى أبى أو ... أطلقها ... ولكن ... **أهذا معقول يا مها** ... ؟ أطلق أمك ... رفيقة الصبا ، وابنة العم الغالية ... ؟ حاشا الحب أن يحدث هذا فليحدث أى شىء الا هذا ... وذهبنا معا الى القاهرة ... وعدنا معا من رحلة العلاج ... وأنت مجرد بسمة صغيرة يهمس بها الغيب فى أحشاء أمك ... ومرت شهور الحمل يا حلوة ، لذيذة سعيدة ، تحمل كل ليلة حلما لنا عن مستقبلك ، ويشرق كل صباح مع أمنية جديدة نصلى بها لك عندما تقدمين ... وجاءت اللحظة التى طال بنا الشوق اليها عشرين عاما كاملة ... ويومها قررت أن أذهب بك ياحبيبتى الصغيرة ومعك حبيبتى الكبيرة ... أمك ... الى القاهرة ، لكى تنشأ ابنة الكفاح والحب ، حيث أستطيع أن أعطيها فى مستقبل أيامها كل ما فاتنا أنا وأمك فى طفولتنا البسيطة بالقرية .. وفى القاهرة يا « **مها** » لم يمهلنا القدر طويلا ، فقد حملت أمك بعد ولادتك بأربع سنوات ، رغم أن الأطباء حذروها من خطورة حمل جديد ، بعد عسر لقيته مع مولدك ... وأخفت عنى هى هذا الحمل ، فقد كان بها شوق لأخ لك يا عزيزتى ... ولم يطل الأمر كثيرا ... فقد كنت أقف بباب حجرة العمليات ، وقع فجأة ... ورأيته بقلبى أكثر مما سمعته بأذنى ... وأحنى الطبيب الملثم رأسه فى أسى وهو يفسح لى طريقا الى الداخل ... وكان جو الحجرة مليئا بالموت ... العقاقير النفاذة ورائحة المخدر ... ومنظر الدماء ... و ... أمك المسجاة ... أحسست أن الحياة كلها قد توقفت أمام كلمة تلفظ بها المحتضرة ... كلمة واحدة

قالتها أمك عندمـــا تنبهت لوجودى ... (**مهـــا** ... بنتى ... مهـــا ...) وماتت ومات معهـــا الحب ... والحياة ، وخرجت يا حبيبتى وفى رأسى صرخة تدوى ... فيتردد صداها فى كيانى ... « لن تحس ابنتى باليتم » ورفضت من أجلك كل شىء ... حتى الحياة ... خاصمتها ، وعشت من أجلك بعيدا عن القرية وعن كل ما يمكن أن يذكرك بها وبموتهـــا ... كنت أريد أن أحميك من لحظة التمزق التى يكتوى بنارها اليتيم ... وقد عشت هذه اللحظات فى طفولتى بكل قسوتها ... ومن أجلك يا ابنتى ، ولكى أنجو بك من عذاب فقدان الأم ... ابتعدت عن العالم وكدت انتزع نفسى من الماضى ... تصورى عندما تكبرين انسانا بلا ماضى، بلا لحظة ذكرى بلا مكان ينتمى اليه ، ولكنك هدمت كل هذا بسؤال بسيط صفعت به كل أحلامى ... ... « **اين أمى يا أبى ؟** » ولم يجـــد معك الجواب التقليدى ... بأنها سافرت ... ويومها فكرت فى الزواج ... فى الحصول على أم لك يا مهـــا ... وكان شرطى غريبا وقاسيا فى زوجة المستقبل ... ووجدتها تشـــبه الراحلة الى حد كبير ... وكانت « صفية » ذات قلب كبير ، فهمتنى ، ساعدتنى على اجتياز اللحظة الحرجة ... واستطعنا اقناعك أنا وهى ، بأنها ... أمك التى سافرت و ... عادت من أجلك ... وكان اللقاء بينكما مؤثرا ، وعادت الحياة تفتح ذراعيها لتســـتقبل عبثك من جديد ، وعاد النور يسرق من بسمتك ما يحتاج اليه من نضارة ... لم تعكرها لحظة كدر ، سوى اليوم ، عندما وصلتنى البرقية التى تعلن الى أن جدتك لأمك محتضرة وتطلب رؤيتك ، وقد كان من الممكن أن أرفض ، خوفا من افتضاح اللعبة التى لعبتها معك لكى أنجو بك من عذاب الشعور بالحرمان من الأم، لولاها ... صـــفية ... أمك الجديدة ... التى بلغ من ايمانها بحبك لها أن قبلت التحدى وألحت على بضرورة الذهاب بك لزيارة المريضة ... واذا كنت حتى الآن لم أدرك حقيقة الدافع الذى حـــدا بها الى هذا التصرف ، هل هو ثقة الانثى بنفسها ... أم هـــو التعاطف الخفى بين المرأة والمرأة فى المحن ... ؟ لا أعلم على وجه اليقين ... ولكن الذى لا أشك فيه .. انها محنة ... أدعو الله أن نخرج منها يا ابنتى بسلام ... استيقظى يا مها .. استيقظى يا ابنتى فقد قاربنا أن نصـــل الى بيت جدتك ... بل لقد وصلنا فعلا ..

ـ حمد الله على سلامتك يا أســـتاذ محمود ... أهلا مها ...

وتدافعت عشرات الأيدى تختطف الصغيرة النائمة ... لتسرع بها الى فراش الجدة التى تبـــدأ رحلة الموت ...

ـ **مها ... بنتى ...**

وعادت المريضة الى سكرات الموت تعالجهـــا ، وعاد الوجوم يخيم على الجالسين حولها ... وثقل الموقف الحزين على قلب الطفلة الغض فتســـللت مبتعدة ، وقد شغل عنها القوم بمـــا هم فيه ... والتبه « محمود » فلم يجدها ، وركبـــه الفزع من ان ينفرد بها أحد من ذوى قرباها ، فيخبـــرها عن غير قصد بوفاة أمها ، الأمر الذى بذل حياته كلهـــا ليتفادى وقوعـــه ... وأسرع الأب الخائف بالخروج من الحجرة ، واخذ يبحث عنها فى كل حجرة وخلف كل باب ... وفجاة وجدها ... فى حجرة الجلوس ... كان ظهرها الى البـــاب وعيناها مشـــدودتان الى صورة تركت ســـهوا على الجدار ـ رغم تنبيهه ـ وانحنى بجوارها ... لم تكن قد أحســـت بدخوله ... وامسك بيدها فى هدوء . فادارت وجهها نحوه ... ونظرت اليه فى صمت . وفى عينيها دمعتان جامدتان ... ومرة واحدة انهار تجلدها ، فارتمت بعنف على صدره وهى تشهق شهقة محرقة وتنقـــل بصرها بين عينيه و ... عينى أمها ... فى الصورة المعلقة على الحائط ... وضغط على أعصابه ليتجاهل الموقف رغم بشاعته ، وسألها بصوت بذل جهـــد الجبابرة ليبدو طبيعيا ...

ـ **مها ... لماذا تبكين يا حبيبتى ؟ ...**

ولم ترد عليه ... لم يكن فى مقدورها أن تجيبه الا بكلمة واحدة اندفعت تكررها بصوت ممزق وهى تدفن وجهها الصغير .. فى صدره البـــاكى ...

ـ **أمى ... أمى ... أمى ...**



العدد ٥٩

الثمن ٣ مـ

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الفهرس

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

المراسلات جميعها تكون باسم
السيد مدير ادارة المجلات
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد . محمد فريد . القاهرة

تصدرها
الثقافة والارشاد القومي



الاشتراكات ١٥٠ قرشا سنويا
ويضاف أجر البريد
من خارج ج.ع.م

العدد ١٠٧٨ – الخميس ٤ جمادى الأولى ١٣٨٤ هـ – ١٠ سبتمبر ١٩٦٤ – السنة الثانية والعشرون

مؤتمر القمة

للدكتور محمد احمد خلف الله

لقد كان **القوميون العرب** ـ ولا يزالون ـ يؤمنون بان الوحدة العربية هى السبيل الوحيد لحل المشكلة الفلسطينية . ذلك لأن هـــذه المشكلة لم تخلق الا لتثبيت الأوضاع التى خلقها الاستعمار فى المنطقة العربية • وليس من شك فى أن المشكلات انما تزول بزوال الأسباب التى من أجلها قامت ، والبواعث التى من أجلها خلقت •

لقد خلق الاستعمار اسرائيل لتكون الركيزة التى يعتمد عليهـــا فى بقائه لتجزئة العالم العربى الى دويلات وأقاليم ، تلك التجزئة التى اقامها قبـــل الحرب العالمية الأولى ، وأثناء الحرب العالمية الأولى ، وغذاها بأسباب من الخلاف لتكون الاقليمية البغيضة، ولتكون الفرقة والانقسام •

ولقد خلق الاستعمار اسرائيل لتكون العميل الذى يبسط من خلفه ، وعلى يديه ـ نفوذه الاقتصادى ، ونفوذه السياسى ، حتى تظل المنطقة العربية دائرة فى فلك الاستعمار ، بعد أن يرحل عنها الاستعمار •

ولقد وعى القوميون العـــرب بذاكرتهم ، ورأى القوميون العرب ببصيـــرتهم ، أن القوميـــة العربية بمضامينها السياسية والاقتصادية والاجتماعية هى الوسيلة الوحيدة للقضاء على كل نفوذ استعمارى فى المنطقة . وللقضاء على الدولة التى اقامها الاستعمار فى المنطقة •

***

ولقد كان **القوميون العرب** ـ ولا يزالون ـ يرون فى قيام دولة اسرائيل فى قلب البـــلاد العربية ـ خزيا أى خزى ، وعارا اى عار :

فراوا فى عودة الجيوش العربية الى اوطانها عام ١٩٤٨ عارا لابد أن يمحى ويزول ، ولن يزول الا اذا زالت اسرائيل ، وزال كل نفوذ للاســتعمار الذى خلق اسرائيل •

ولقد عادت الجيوش العربية الى اوطانها وهى فى حالة من الغليان النفسى الذى كان هو الباعث الأول على تلك الثورات العديدة التى قامت فى مختلف البلدان العربية •

ولقـــد راى **القوميون العرب** فى تشريد ابنـــاء فلسطين العربية ماساة لن تزول الا بعودة النازحين من ابناء فلسطين الى ديارهم واموالهم ، ولن يتم ذلك الا بزوال اسرائيـــل ، ولن تزول اسرائيـــل الا اذا توحدت جهود الدول العربية ، واخلص الذين يقودون المعركة من ابناء الأمة العربية للأهداف العربية •

ويرى **القوميون العـــرب** باعينهم ، ويســـمعون باذانهم تلك التحدياتالتى تتحداهم بها اسرائيل ، ويتحداهم بها الاســتعمار تأييدا لاسرائيل ، ويرى القوميون العرب أن هذه التحديات يجب أن تقابل بتحديات أعنف منها واشد ، وان ذلك لن يكون الا اذا توحدت جهود أبناء الأمة العربية ، وصفت قلوب القائمين على الأمر فيها •

***

من أجل هـــذا كله فرح القوميون العرب بتلك الدعوة التى وجهها الرئيس **جمال عبد الناصر** الى الملوك والرؤساء ، والتى أسفرت عن اجتماعهم الأول، ومؤتمر القمة العربى الأول •

فرح القوميون العرب لأن هذه المؤتمرات تحقق

امرا اعم فى نظرهم من كل مايصدر المؤتمرون من قرارات ·

ان هذه الاجتماعات تحقق تخفيف حدة الاختلافات· وتزيل من النفوس بعض الاحن ، وتقضى على بواعث العداوة والبغضاء ·

ولقد حقق المؤتمر الأول الشيء الكثير ·

فقد ازال النفور بين المغرب وموريتانيا ، وتهادن الفريقان ·

ولقد سويت مشكلة الحدود بين المغرب والجزائر ، وحل التسامح محل البغضاء ·

ولقد اعترفت الأردن بالجمهورية اليمنية ، وصفى مابينه وبين الجمهورية العربية من خلافات ·

ولقد تقاربت السعودية من الجمهورية العربية المتحدة ·

واقامت العراق مع مصر اتفاقيات نرجو أن تكون اساسا لألوان أخرى من الاتحادات ·

وفرح القوميون العرب لأن وضع قضية فلسطين فى أيدى الملوك والرؤساء هو السبيل المحققة للنجاح، ولقد برزت عوامل هذا النجاح فى أكثر من موقف :

فقد أعلنت الجزائر ان قضية فلسطين لن تحل الا فى داخل فلسطين ، وأن رحى المعركة لابد أن تدور هناك ، وأن الجزائر لن تتوانى عن تقديم المعونات ، وبخاصة من الرجال الثائرين الأحرار ·

ولقد رأت الأردن أن منظمة التحرير تستطيع أن تؤدى دورا خطيرا فى حل قضية فلسطين فأذنت بقيام مؤتمر فلسطين فى القدس ، واعترفت بالكيان الفلسطينى لاسترداد أرض فلسطين ·

ولقد استجاب العرب جميعا الى تعزيز امكانيات الدفاع العربى عن الأرض المحتلة ووحدوا الجهود فى هذا الميدان ·

ولن ننسى أن نضيف فى هذا المقام أن بعض الدول العربية قد قابلت التحديات الاستعمارية بتحديات مثلها ·

ففى **تونس** اممت الدولة ممتلكات الفرنسيين - اعتمادا على الوجود العربى المتمثل فى اجتماعات الملوك والرؤساء ·

وفى **ليبيا** قام الشعب العربى بمطالبة المستعمرين بالجلاء عن القواعد ايمانا منهم بأن هذه القواعد تهدد الوجود العربى فى كل بقعة من بقاع العالم العربى ·

وفى **عدن** ، وفى **منطقة الخليج** ، تقوم الثورات ، ويتحدى الثائرون الاستعمار ، ويخوضونها معركة فى سبيل الحرية والاستقلال ·

كل ذلك من اجل أن قضية المصير العربى قد اصبحت بيد الملوك والرؤساء ·

وهذا الاجتماع الثانى المنعقد بالاسكندرية هو الخطوة العملية فى سبيل حل القضية الفلسطينية ، وهو فى الوقت ذاته خطوة فى سبيل الوحدة ، وصفاء القلوب ، واخلاص الضمائر ·

ذلك لأن المصير العربى مصير مشترك ، ولن يتحقق الوجود العربى الا اذا توحدت الجهود العربية ، ولن يستطيع القيام بذلك الا الملوك والرؤساء الذين يجسدون أحلام الشعوب العربية وامانيها ·

وفق الله الجميع لتحقيق أهداف الامة العربية ·

كلمات

ان اصرار الشعب العربى على تصفية العدوان الاسرائيلى على جزء من الوطن الفلسطينى ، هو تصميم على تصفية جيب من اخطر جيوب المقاومة الاستعمارية ضد نضال الشعوب ، وليس تعقب الشعب العربى للتسلل الاسرائيلى فى افريقية الا محاولة لحصر انتشار سرطان استعمارى مدمر ·

❊ ❊ ❊

ان الذين يحاولون طعن فكرة الوحدة العربية من اساسها مستدلين بقيام خلافات بين الحكومات العربية ينظرون الى الامور نظرة سطحية ·

ان مجرد وجود هذه الخلافات هو فى حد ذاته دليل على قيام الوحدة ·

ان هذه الخلافات تنبع من الصراع الاجتماعى فى الواقع العربى ·

❊ ❊ ❊

ان اى حكومة وطنية فى العالم العربى - تمثل ارادة شعبها ونضاله فى اطار من الاستقلال الوطنى - هى خطوة نحو الوحدة من حيث انها ترفع كل سبب للتناقض بينها وبين الآمال النهائية فى الوحدة ·

❊ ❊ ❊

ان اى وحدة جزئية فى العالم العربى - تمثل ارادة شعبين او اكثر من شعوب الأمة العربية - هى خطوة وحدوية متقدمة ، تقرب من يوم الوحدة الشاملة ، وتمهد لها ، وتمد جلورها فى أعماق الأرض العربية ·

ان مثل هذه الظروف تمهد طريق الدعوة الى الوحدة الشاملة ·

الثروات الطبيعية والتصنيع

من خلال آيات القرآن الكريم

• بقلم محمد محمد المدني •

– ٤ –

ذكرت الجبال فيما يقرب من أربعين موضعا من القرآن الكريم ، منها ما بينت فيه أوصافها ، ومنها ما يحدث عن الغاية من خلقها وارسائها فى الارض، ومنها ما يلفت النظر الى تسخيرها لبنى آدم لينتفعوا بها ، ويستخرجوا كنوزها وثرواتها ، ومنها ما يذكر مصيرها يوم ينتهى عمر الأرض :

● فمن ذلك قوله تعالى فى وصف الوان الجبال:

« ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود » .

والجدد – بضم الجيم وفتح الدال – : جمع جدة بضم الجيم وتشديد الدال – وهى الطرائق الظاهرة المختلفة الالوان المنفصل بعضها من بعض ، وهذه الجدد من عجائب خلق الله تعالى فى الجبال يعرفها من رآها وسار فيها أو عاش على مقربة منها ، وذلك انها طرق مسلوكة تكون أحيانا بين الجبال بعضها وبعض ، وتكون أحيانا فى الجبل الواحد الذى ربما بدا كأنه عدة جبال لانقسامه وتعدد طرقه وقممه، واختلاف الوان صخوره وترابه ، وهذه الطرق او الجدد يخيل لمن رآها انها مصنوعة منحوتة بيد الانسان ، وان بعضها لكذلك حقا ، ولكن الكثير منها طبيعى مخلوق منذ خلقت الجبال ، لا يبدو عليها أى أثر من آثار صنعة الانسان ، بل يبدو بمجرد النظر استحالة أن يكون الانسان قد شقها أو مهدها .

وبعض هذه الطرق قد شقتها السيول الملحة عليها منذ آلاف السنين أو ملايينها « وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار » .

واذا كانت هذه الجدد كما يقول القرآن الكريم مختلفة الالوان مابين أبيض وأحمر واسود غربيب – أى يشبه فى السواد لون الغراب ، وجمعه غرابيب – فان لنا أن نستشف من وراء هذا الاختلاف اللونى اختلافا فى طبيعة الجبل او الجبال نفسها ، وان تحلل عناصر احجارها وترابها لنعلم ماذا تحمله من مواد الثروات الجبلية التى أودعها الله كنوزا لا يدركها الحصر ، ولا يكاد يعرفها على حقيقتها وتفصيلها عهد من عهود البشر من لدن آدم الى اليوم ، ولكنهم يعرفون عنها فى الحين بعد الحين أشياء . ويظلون جاهلين باشياء ، وغافلين عن أشياء ، ليتم توزيع هذا النوع من الثروات توزيعا عادلا بين العهود البشرية ، فينال كل جيل او كل عهد من الناس حظهم بمقدار بحثهم وعلمهم وجدهم حتى اذا جاء من بعدهم وجدوا كثيرا باقيا يمكنهم أن يبحثوه ويعلموا علمه ويستخرجوا ثمراته ، وهكذا .. مادام الانسان على ظهر هذه الارض .

ثم ان هذه الصخور الجبلية والرمال والاتربة – حتى لو لم تنظر الى العناصر الخفية من وراء اختلاف الوانها – هى نفسها ثروات طبيعية لا يخشى نفادها، فمنها يستمد الناس أحجارا مختلفة الالوان ، يهذبونها بالصناعة والنحت والتقسيم والتنظيم فيكون منها متاع أى متاع ، وجمال أى جمال ، وثروات مختلفة ، ومجالات للصناعة والزخرفة والتجارة والعمارة .

● **ومن ذلك قوله تعالى** فى الحديث عن ثمود قوم صالح ، وما أنعم عليهم به من هداية طبيعية الى الانتفاع بالجبال :

« واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد ، وبوأكم فى الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا » .

وعادا،الذين خلفتهم ثمود هم الذين يقول الله تعالى فيهم :

« الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد » أى ذات الابنية المرفوعة

هل العمد ، وكانوا ـ فيما يقول بعض المفسرين ـ ينصبون الاعمدة فيبنون عليها القصور ، وفى الصحاح : العماد الابنية الرفيعة، ثم قال جل شأنه:

« وثمود الذين جابوا الصخر بالواد » أى قطعوا الصخر سيرا ، من قولهم : فلان يجوب البلاد أى يقطعها ، وذلك تعبير عن خبرتهم بها ، ويقول المفسرون : ان أول من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود ، وكانوا اقوياء الاجسام اولى فراهة وحذق فى الصناعة والنحت والبناء ، يخرجون الصخور ، وينقبون الجبال ، ويجعلونها بيوتا ، وفيهم يقول الله عز وجل :

« وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين » .

فاثبت لهم صناعة نحت الجبال ، اما على أنهم يتخذون منها بيوتا بنحتها هى ، وتصميم غرف ومرافق فيها ، واما على أنهم كانوا يقتطعون من صخورها ثم ينحتونه ويبنون منه بيوتا ، وكلا الامرين يدل على لون من ألوان الحضارة البشرية ، اذ كان الشأن الغالب هو اتخاذ البيوت من الخيام المصنوعة من الأشعار والاوبار ، وكذلك أثبت الله لهم أنهم كانوا فى نحتهم الجبال ، واتخاذهم البيوت منها أو فيها « آمنين » ومعنى ذلك أن الجبال فى عهدهم لم تكن مستوحشة بما فيها من وحوش كاسرة ، ولا آفات تهدد حياتهم ، أو أنهم كانوا محتاطين فيها لأمنهم وسلامتهم متمكنين من الانتفاع بها دون خوف .

وفيهم أيضا يقول الله عز وجل :

« وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين »

وهو دليل على ما ذكره المفسرون من قوتهم وفراهتهم أى حذقهم وتمكنهم من أعمالهم

● ومن ذلك قوله تعالى بيانا لنعمته فيما يعود على الانسان بالنفع من الجبال :

« واوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون » .

فقد جعل الله بيوت النحل في هذه الثلاثة الانواع اما فى الجبال ، واما فى الاشجار ، واما فيما يعرش ابن آدم ، أى يهيىء من الاغصان والخشب ، وقد ذكر الله الجبال فى أول هذه الانواع ، وفيه اشارة الى أنها اهم أماكن النحل ومساكنها ، لبعدها عن مجتمعات الناس ومنازلهم ، فيعيش فيها النحل مجموعات متعددة لا يدركها الاحصاء ، وتتوالد وتؤتى أكلها كل حين باذن ربها ، لا تكلف الانسان الا أن يذهب الى مساكنها وبيوتها ، ويشتار منها العسل ذا الالوان المختلفة ، وهى فى الجبال تسرح وتمرح وتسلك سبل ربها مذللة ممهدة فيها أقواتها، وتلك لعمرى ثروة طبيعية جبلية تدل على لطف من الله ورحمة بالعباد وكفالة لرزق طيب ماكانوا ليعرفوه أو ينتجوا ألوانه .

وكما جعل الله من الجبال بيوتا ومصانع للنحل، جعلها أيضا مرابع لكثير من أنواع الحيوان ،ومراتع لما لا يحصى من أصنافها المتوحشة التى ينتفع الانسان بفرائها وعظامها وجلودها ، والتى تشكل مصادر كثيرة للثروات الطبيعية .

وفى بعض ذلك يقول الله عز وجل :

« **والارض بعد ذلك دحاها ، اخرج منها ماءها ومرعاها ، والجبال ارساها ، متاعا لكم ولانعامكم** ».

فالمراعى الحيوانية أكثر ما تكون فى الجبال والقفار وهى كما يعرف الرعاة قديما وحديثا ، والمشتغلون بتربية الانعام ، خير علف للماشية والابل والبقر، فالمشاهد أنها تنمو على هذه المراعى ، وتتوالد فى ربوعها أكثر مما تنمو وتتوالد فى قرب العمران ، وذلك فوق أنها ذات مزية اقتصادية لرخصها وعدم الحاجة الى نقلها وتسويقها ، وانما تسام فيها الانعام وتساق اليها لكى تعيش فى بيئتها الطبيعية الملائمة جدا لها ، بهوائها الطلق ، ومداها الرحب الفسيح ومجاورة بعضها لبعض ، كأنها مجتمع خاص يستريح أفراده الى أفراده ، ولا يستوحشون بالانفراد والانقطاع فى الحظائر المصنوعة .

وقد رأيت بنفسى كثيرا من تلك الانعام المسومة ترتع فى أطراف البرية وآكامها وبين ربوع تلالها فى بعض النواحى من محافظة البحيرة ، فرأيت عالما حيوانيا كثير الافراد ، غزير الانتاج ، ورأيت أسر العرب الذين يعيشون على نتاج هذه الانعام يخصصون سمات معينة تسم بها كل أسرة حيواناتها فلا يختلط ما لهذه الاسرة بما لأسرة أخرى ، وتعيش الابقار وانواع الجاموس هناك دون رعاة ولا حراس فاذا ذهب أصحابها بين الحين والحين الى هذه المراعى الطبيعية وجدوا العجول الصغيرة التى ولدت وهم عنها غائبون ، تنحاز الى أمهاتها انحيازا طبيعيا فطريا فيكون ذلك دليلا على أنها للاسرة الفلانية ،

فتوسم بميسم هذه الاسرة ، وتنضم الى ملكها دون منازع .

ولعل من الاشارات القرآنية البارعة ، الى حب الحيوان لهذا اللون من المراعي ، وملاءمته لطبيعته ولذته ، ان الله تعالى يقول في امتنانه على الانسان بما خلق من النبات « وفاكهة وأبا ، متاعا لكم ولانعامكم » فيقابل بين الفاكهة التي هي غذاء مستلذ للانسان ، يجد فيه راحته ، ويلائم فطرته ، والأب اى المرعى المتهيىء للرعى الذى يكون أكثر ما يكون فى الجبال ، فكأن الأب فاكهة الانعام ! ويقول الله عز وجل « او لم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم وأنفسهم افلا يبصرون » ، والارض الجرز هي اليابسة التي جرز نباتها اى قطع ، اما لعدم الماء ، واما لانه رعى وأزيل ، وهذا الوصف منطبق على ارض الجبال والقفار التي هي في الغالب ظماى الا اذا سقتها الامطار ، أو مرت بها السيول .

وهكذا نجد المراعى الجبلية مصدرا عظيما من مصادر الثروة الطبيعية التى هيأها الله للانسان ، ونرى هذه المراعى تتحول الى لحوم وشحوم وغيرها مما يعتمد عليه الانسان فى حياته .

● وقد ذكر الله تعالى الجبال والانعام بها ، فيما ذكره عن عبده ونبيه داود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، فقال :

« ولقد آتينا داود منا فضلا : يا جبال أوبى معه» « انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق » .

والمفسرون يخرجون ذلك على معنى من معاني الاعجاز ، فيفسرونه تفسيرا يتفق وما للانبياء من معجزات ، فيقولون : أوبى معه ، أى سبحى ، جمعا بين هذا وبين قوله تعالى «يسبحن بالعشى والاشراق» ومعنى تسبيح الجبال فى رأيهم أن الله خلق فيها تسبيحا كما خلق الكلام في الشجرة ، هكذا يقول المفسرون او أكثرهم ، ولم أجد أحدا قرب من المعنى الذى يمكن أن نرتضيه ، الا رأيا حكاه القرطبى بقوله : « وقيل : المعنى تصرفى معه على ما يتصرف عليه داود بالنهار » هكذا قال القرطبى فى تفسير « يا جبال أوبى معه » ولكنه أتبعه مباشرة بقوله « فكان اذا قرأ الزبور صوتت الجبال معه ، وأصغت اليه الطير ، فكأنها فعلت مافعل » .

وفى رأينا : أن التأديب هنا بمعنى المطاوعة والتجاوب ، من قولهم « آبت يد الرامى الى السهم» يريدون أن الرامى لما أراد أن يرمى آبت معه يده ، اى طاوعته وتجاوبت معه فى تحقيق غرضه ، فلم تتأب عليه ، ولم تعصه فتقصر عن مراده .

فالله تعالى ينبئنا أنه آتى داود منه فضلا ، ومن بين هذا الفضل الالهى تطويع الجبال له بالعلم ومعرفة قوانين الله فى الكون كما قال فى موضع آخر « ولقد آتينا داود وسليمان علما » وقال فى موضع ثالث « واذكر عبدنا داود ذا الأيد » أى ذا القوة ــ وقوته بالعلم ، والعلم فضل الهى من أعظم الفضل .

فقوله تعالى : « يا جبال أوبى معه » قول تكوينى على سنته تعالى : « انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » أى اننا خلقنا الجبال خلقا مرتبطا بسنن وقوانين اذا روعيت وادركت وطبقت تجاوبت مع الناس وأعطتهم ذخائرها وكنوزها وثمراتها . وقد هدينا داود بفضل منا الى ذلك بالعلم والتأييد فاهتدى اليه ، فهو يعلم علم الجبال وطبيعة تكوينها واساليب الانتفاع بها ، وهى خاضعة لعلمه مطاوعة له متجاوبة معه ، وهذا المعنى واضح فى قوله تعالى « انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق » : فالتسخير هو التطويع والتقييض حسب السنن الكونية التى أودعها الله فى الخلق ، كون ذلك مع داود معناه أن الجبال سخرت له أو معه ، اى طوعت وذللت ، اما تسبيحها بالعشى والاشراق ، فهو دلالتها الحالية على عظمة الله تعالى وقدرته ، حيث أودعها ما أودعها من الكنوز والقوى والاسرار ، وسخرها للانسان وأقدره عليها ، وذلك على حد قوله تعالى فى آية أخرى :

« وان من شىء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » .

فجميع المخلوقات مسبحة بحمد الله وان لم تنطق بلسان وشفتين ، وفى ذلك يقول بعض الحكماء : « سل الأرض فقل من شق أنهارك ، وغرس أشجارك ، وجنى ثمارك ، ومد ظلالك ، فان لم تجبك حوارا ، أجابتك اعتبارا » .

هذا هو ما تستريح اليه النفس فى تفسير معنى التأويب والتسبيح المنسوبين الى الجبال فى هذا المقام ، وان ذلك ليجعل الامر أمر علم وبحث واجتهاد فلا يكون من خصوصيات نبى بمعجزة من المعجزات فمن جد وجد ، ولكل درجات مما عملوا ، والله لا يضيع اجر من احسن عملا .

فضل العرب

للدكتور فؤاد حسنين على

عل أوربا دين احتضنته الدكتورة (سيجريد هونكه) العالمة الالمانية فى تاريخ الحضارة العربية بكتابها (**شمس الله على الغرب**) الذى صدر حديثا فى الالمانية فتلقفته الايدى ونقلته اكثر من لغة اليها. وتهدف المؤلفة من وراء كتابها هذا الى تقديم شكر كان يجب أن يقدم الى العرب منذ قرون عديدة فالالمان مدينون للعرب بالشيء الكثير وتعتقد السيدة الفاضلة انه من خطل الراى ان ينظر الاوربيون الى اوربا على انها هى ، وهى فقط العالم الحديث ، ومن الحماقة ان يدعى الاوربيون أن تاريخ أوربا هو تاريخ هذا العالم ، فالحقيقة التى لاشك فيها أن سائر القارات التى يتكون منها عالمنا هذا ساهمت وتساهم فى تكييف الاحداث العالمية التى تخضع لها شعوب المعمورة . اما اليوم فقد شاء الله ان تزول هذه الغشاوة عن اعين الاوروبيين وتتسع صدورهم للحقيقة فلا يغمطون العرب حقهم فى انهم جاءوا برسالة عالمية وأدوا خدمة انسانية للحضارة البشرية قديما وحديثا . ان هذا النفر من الاوربيين المنصفين لا يأبه بتحدى أولئك المتعصبين الذين أعماهم تعصبهم الدينى فحاولوا جهد طاقتهم طمس معالم هذه الحضارة العربية او التقليل من شأنها .

ان الانسان يقرأ ثمانية وتسعين كتابا من مائة مثلا فلا يجد فيها اشارة واحدة لفضل العرب وما اسدوه الى اوربا من علم ومعرفة اللهم الا هذه الاشارة العابرة التى تقول ان دور العرب لا يتعدى ساعى البريد الذى نقل اليهم التراث اليونانى . اما العرب فلم يأتوا بجديد ، لكن من فضل الله علينا أن النهضة العلمية الحديثة كشفت الغطاء عن حضارات الشرق القديم وبخاصة مصر وبابل وأشور . ولم يعد سرا أن مصر هى الوطن الذى بزغ فيه فجر الضمير ، وان هذا الشرق العربى القديم هو وطن الوحى والعلوم والفنون والآداب ، واذا ما انتقل الباحث الى بيزنطة ليطل منها على المسيحية فى عصورها الوسطى فالحديثة ازداد شكه فى اليونان والرومان وأيقن أن أثينا وروما لا تستحقان كل هذه العناية وان ما يحاول المغرضون خلعه عليهما ما هو الا سراب لا يقوى على البقاء امام شمس الشرق العربى اذا ما سطعت وبددت ضباب الغرب وسحبه ومطره وثلوجه .

ان التراث العربى لا يقارن به اليونانى او الرومانى. ان العرب ظلوا ثمانى قرون طوالا يشعون على العالم علما وفنا وادبا وحضارة كما اخذوا بيد اوربا واخرجوها من الظلمات الى النور كما نشروا لواء الحضارة انى حلوا سواء فى آسيا او افريقيا أو اوربا ثم ينكر الاوربيون عليهم فضلهم .

ان المذاهب الانسانية الحديثة تغاير تلك التى انتشرت فى العصور الوسطى، وشعار الاوربى اليوم هو محاولة فهم عدو الامس وتحويله الى صديق وذلك بالاعتراف له بمكانه تحت الشمس. ان موقف اوربا منذ نزول الوحى المحمدى موقف عدائى بعيد كل البعد عن الانصاف والعدالة والتاريخ ، وقتذاك كان يملى ويصنع ولم يكن المملى هو الضمير بل التعصب الاعمى . أن مثل هذا الوضع كان مفهوما فى عصر كان فيه الشعور السائد هو انكار حق كل فرد يخالف الاوربيين عقائديا ، ومما يدعو الى الأسف ان هذه النظرة القديمة كان مبعثها

الظن فى أن الاعتراف للعرب بالفضل خطر يهدد العقيدة المسيحية ، لذلك جد التعصب الدينى فى اقامة الحواجز بين الاوربيين وغيرهم ، وهذه النظرة الاوربية دليل قوى على ضيق افق الاوربيين .

***

ان كتاب (**شمس الله على الغرب**) يتحدث عن العرب والثقافة العربية لا عن الاسلام والمسلمين ذلك لان كثيرا من صفات الحياة العقلية العربية الاجتماعية يحمل طابعا جاهليا لا اسلاميا ، كما ان نفرا من العرب اصحاب العقائد الاخرى ساهموا فى هذه الثقافة ونشرها ، وكتاب السيدة مؤرخة الحضارة العربية يعتبر بحق خير كتاب اصدرته دور النشر الاوربية فى هذا الموضوع ، وهو كما عودنا العلماء الالمان منذ عصور قديمة جامع شامل يستحق جميع عبارات الثناء والاطراء التى طلعت بها الصحف والمجلات العلمية فى المانيا وخارجها . لقد عالجت المؤلفة مختلف نواحى النشاط العقلى العربى فى سبعة فصول تقع فى ست وسبعين وثلاثمائة صفحة، فضلا عن كثير من الصور واللوحات التى تزيح الغبار عن هذا الماضى الذهبى. وقد خصت الفصل الأول بالفاظ العربية الدخيلة فى الالمانية وغيرها والتى وجدت طريقها مع مسمياتها الى اوربا فى العصور الوسطى . فهى تتحدث عن الصيدلة والورق والبوصلة والمدافع والتوابل والاقمشة والرنوك وتختم هذا الفصل بالحديث عن الصواريخ وتطورها منذ ان ظهرت فى مصر العربية حتى (كاب كنيدى) .

***

ولا تكتفى المؤلفة بالعرض والتحليل بل تخلص منهما بالنتائج ، فهى ترى أن ظهور النبى محمد النبى العربى كان أهم عامل من عوامل تقويض اوربا وذلك لأنه بعث فى العرب روحا جديدة فلم تمض أعوام قلائل حتى تدافعت القبائل العربية فى موجات متلاحقة غامرة شاطىء البحر الابيض المتوسط ثم لم تقف عندها بل واصلت زحفها حتى بلغت المحيط الأطلسى. وهكذا نجد العرب ينتزعون شرق وجنوب وغرب العالم القديم من حالة الجمود والركود ويهيئون السكان لحياة افضل بعد ان ظلوا قرابة الف عام يتيهون فى بوادى الجهالة والظلمات ، فانتصار الاسلام قسم العالم الى شرق وغرب . شرق وثاب وغرب قابع . شرق حر طليق وغرب مكبل باغلال الماضى العفن السحيق حيث اسدل على نفسه ستارا كثيفا واكتفى بحياة النسك والزهد والعزلة . اما الدولة العربية العالمية الجديدة فقد ثبتت اقدامها فى الأقاليم المفتوحة وللمرة الاولى فى تاريخ العرب يظهرون على مسرح التاريخ كشرق يغلب الغرب على امره فيختفى ويتوارى منطويا على نفسه .

لقد نجح الاسلام فيما فشلت فيه الغزوات والهجرات الجرمانية . لقد فتت هذا الجمود الذى فرضه البحر الابيض المتوسط قرونا عديدة على هذا القسم من العالم وهذا هو الحدث الهام فى التاريخ الاوربى منذ الحرب البونية ، اذ اغلق صفحة تاريخ العالم القديم وفتح الصفحة الجديدة صفحة العصور الوسطى فى الوقت الذى كانت تتحول فيه اوربا الى بيزنطة .

***

واليوم تقف حيارى لا نحير جوابا امام هذه الصواريخ التى تنطلق فى الفضاء وتجوب ارجاء الكون وتعود من حيث بدأت ، فهل فكر احد وقد فوجئنا بهول وعظمة ما نشاهد لمن يجب ان نقدم الشكر لهذا الاختراع ؟ ثم اليس من المحتمل ان الاوربيين ليسوا هم اول من فكر فى اختراعه ؟ لقد ثبت ان الفكرة الخاصة باطلاق القنابل عن طريق قوة متفجرة من البارود هى فكرة صينية ، وقد نفذت عام ١٢٣٢ م فى معركة نشبت حول (بين كينتج) بين الجيشين الصينى والمغولى وكادت تدور الدائرة على الصينيين لولا أنهم فاجاوا العدو بهذا الاختراع الذى هو عبارة عن سهام تطلق عن طريق مادة محترقة تحتوى على ملح البارود . وحوالى عام ١٢٧٠ م استخدم المغول نفس السلاح مستعينين بقوة التفجير الناتجة عن ملح البارود ، وللمرة الأولى فى تاريخ الحروب نجد هذه الصواريخ تلعب دورا هاما فى كسب المعارك او فك الحصار كما وقع فعلا فى الحصار المضروب حول مدينة (فان تشينج) ، وبفضل هذه الصواريخ انتصر (كوبلاى خان) على الصينيين وقضى على مقاومتهم .

لكن هل انتصر المغول على الصينيين دون تلقى مساعدة أجنبية ؟ وان كان للمغول حليف فمن هو هذا الحليف الذى استغاث به (كوبلاى خان) واجابه الى رجائه وأعانه على الصينيين ؟ يحدثنا المؤرخ رشيد الدين حديثا يثير دهشتنا ، فهو يذكر فى سياق كلامه عن السلطان العربى انه علم من حاشيته ان السلطان استجاب الى طلب (كوبلاى خان) وامر بان يرسل اليه المهندس الذى حضر من بعلبك ودمشق ، وابناء هذا المهندس هم ابو بكر وابراهيم ومحمد وقد بنوا بمساعدة الفنيين الذين رافقوهم سبع آلات كبيرة وتوجهوا الى المدينة المحاصرة ، والآن نتساءل : هل سبق أن ساهم المهندسون العرب فى فك الحصار المضروب حول مدينة (بين كيننج) عام ١٣٣٢ م ايضا ؟ وهل هذا السلاح العجيب الذى استخدم هو بعينه الذى هاجم به **القائد المصرى فخر الدين** جيش الافرنج وملكهم لويس القديس عام ١٢٤٩ م حيث دارت رحى المعركة الصليبية للحملة الخامسة،واستخدم القائد المصرى فخر الدين نيرانا عربية جديدة ؟ وقد اثار هذا السلاح الجديد الخوف والفزع فى صفوف الصليبيين حتى ان المؤرخين الأوربيين يذكرون ان كل مرة كان يطلق فيها الصاروخ المصرى يشعر ملك فرنسا بخيبة عظمى ويصرخ : « يا خبيبى يا يسوع المسيح نجنى واحمنى ورجالى » .

ورب ضارة نافعة فقد تكتلت اوربا ضد العرب المسلمين وشن المسيحيون حربا لا هوادة فيها ضد المسلمين مما اضطر سلاطين الاسلام الى تجنيد العلماء العرب فى القرن الثانى عشر الميلادى وبخاصة اولئك الذين يهتمون بالكيمياء وارسلوهم الى مصانع المواد المفرقعة حيث نجحوا فى صنع مادة مفرقعة كاوية حارقة . وفى النصف الثانى من القرن الثالث عشر استكملوا صنع مادة مفرقعة دافعة للصواريخ واستخدموها ضد الصليبيين . ففى كتاب الحرب لحسن الرماح وبعض المؤلفات الاخرى الخاصة بالحروب فى ذلك العصر نجد ذكر كثير من المواد المفرقعة والاسلحة النارية **مثل** (بيض يندفع تلقائيا ويحرق) **واخرى** (تطير نافثة للهب) **وثالثة** (تحدث صوتا مثل الرعد) وهكذا نجد العرب **هم اول من صنع قذائف صاروخية** .

وقد ترجمت اوربا بعض هذه المؤلفات الخاصة بالاسلحة والذخائر الى اللاتينية فانصرف اليها بعض الذين يعنون بالعلوم وبخاصة ما كتب فيها خاصا بهذا الخليط العربى العجيب الذى يحدث صوتا كالرعد وضوءا كالبرق وفى طليعة هؤلاء الاوربيين الذين وصل اليهم هذا الاختراع (روجير بيكون) و (البرتوس مجنوس) والجراف الالمانى الواسع الاطلاع (فى بولشتدت) ، ثم انتقلت النظرية الى المعمل حيث ظهرت النتيجة التى هزت كيان العالم فالعرب فى الاندلس هم اول من استخدمه فى اوربا ،والعرب الأندلسيون هم صانعو القنابل من البارود فى اوربا وقد استخدموها فعلا فى كثير من حروبهم . فالتاريخ يحدثنا ان **المدفعية العربية** قذفت بقنابلها فى الاعوام ١٣٢٥ و ١٣٣١ و١٣٤٢م مدنا مثل (بازا) و (اليكنتا) و (الجكيراس = الجزيرة) فاحدثت هذه القنابل ذعرا شديدا فى صفوف الاعداء حتى انهم اعتقدوا ان الساعة قد اقتربت .

***

والنتيجة المحتومة لهذا السلاح الجديد انه نقل فنون الحرب من مرحلة الى اخرى ، اذ كان نقطة التحول فى الذخيرة ومازال منذ الحرب العالمية الثانية يطلع علينا بالعجائب . **اما الفصل الثانى** فقد عالجت فيه العدد فبينت مدى تأثر « فيثاغور » بالنظريات العربية وكيف انتهت المعركة التى دارت بين الأعداد الرومانية والعربية بهزيمة الاولى وانتصار أعدادنا . فاستخدام الاعداد العربية ليس قاصرا على الالمان فقط بل نجده عند جميع الشعوب المثقفة ولولاها ما استطاع العالم اصدار التذاكر او تدوين اسماء الأشياء ولا طبع دليل تليفون أو تقرير سوق الأوراق المالية . ولولا هذه الاعداد العربية ما قام هذا البناء الشامخ الخاص بالرياضيات والطبيعيات والفلك او الطائرات او السفن عابرات المحيطات ، وكذلك الطبيعة النووية وغيرها . وتقديرا لفضل العرب على الانسانية خلد العالم اسمهم بتسمية هذه الأعداد : **الاعداد العربية** .

واختصت المؤلفة الابناء الثلاثة لموسى الفلكى بفصلها الثالث ومن حسن طالع اولئك الاخوة ان اكبرهم وهو محمد اضبح اشهر الجميع علما

وسياسة ، وكان احمد هو الفنان البارع والصانع الماهر وقد اشترك احمد مع محمد وركبا ساعة نحاسية ذات حجم كبير وقام محمد بعمل حساب شروق وغروب اهم الكواكب والنجوم حسب اليوم والسنة . اما احمد فقد قام بتنفيذ العملية الحسابية المعقدة التى وضعها اخوه . وكانت هذه الساعة قطعة فنية عجيبة ووحيدة من نوعها من حيث صناعة الالات وتركيبها وقد اثارت اعجاب كل من شاهدها.فقد رآها الطبيب ابن ربان الطبرى فى القصر الجديد للخليفة فقال : امام مرصد سامراء رأيت آلة ركبها الاخوان محمد واحمد ابنا موسى ؛ والاخوان خبيران بعلم الفلك وتركيب الالات . والآلة التى صنعاها عبارة عن كرة وعليها صور الافلاك واجرام السماء وتحرك هذه الآلة بفعل الماء فاذا اختفى نجم من السماء اختفى فى نفس الوقت النجم الذى يقابله فى الكرة عن طريق خط يمثل دوران الافلاك وله نظير فى السماء . وعندما يعود النجم فى السماء الى الظهور مرة اخرى يظهر هذا النجم على الكرة فوق خط الافق .

والاخ الثالث الحسن كان كما تحدثنا المصادر العربية نابغة عصره فى الهندسة كما كان عبقريا وحيدا اشتهر بالذاكرة القوية ، وسعة الخيال والتصور،ومن بين أعماله التى قام بها مستقلا عن اخويه كتابه الذى وضعه حول القطوع المخروطية كما انه هو مخترع ما يعرف باسم القطع الاهليلجى .

***

وتحدثت الدكتورة (سيجريد هونكه) فى **الفصل الرابع** عن المستشفيات التى تضارع احدثها فى القرن العشرين وقد انتشرت فى العالم العربى من البصرة حتى قرطبة ؛ بينما كانت أوربا تعالج بوضع اليد على المريض أو طرد الشيطان والصلاة ، وهذه كانت احسن ادوية للشفاء يستخدمها الاطباء الاوربيون وهم فى أزياء القسيسين والرهبان لشفاء المرضى من أمراضهم الجسدية : « هل أحد بينكم مريض ، فان كان الامر كذلك يستدعى الانسان عجائز الحى ليصلوا من اجله بعد ان يدهنوه باسم المسيح بالزيت ؛ وصلاة الايمان تكفى لشفاء المريض ؛ هكذا علم يعقوب الرسول . لكن يسوع نفسه طبيب الجسد والروح شفى حوارييه والآخرين الذين أراد شفاءهم بوضع يديه وطرد الشيطان ..»

ومن اشهر المستشفيات الاسلامية المستشفى الكبير المعروف باسم المنصورى او دار الشفاء او مارستان قلاوون ولما تم بناؤه توجه السلطان فى ركب عظيم ، ولما بلغ البيمارستان طلب قدحا من الشراب فشربه وقال : قد وقفت هذا على مثلى فمن دونى ، ووقفه السلطان على المالك والمملوك والكبير والصغير والحر والعبد ، والذكر والانثى وجعل لمن يخرج منه من المرضى عند برئه كسوة ، ومن مات جهز وكفن ودفن ..

واستهلت المؤلفة الفصل الخامس بالحديث النبوى الشريف : «**ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضى بما يطلب ، ولمداد ماجرت به اقلام العلماء خير من دماء فى سبيل الله** » .

ومن ثم تستطرد فى الفصلين السادس والسابع والخاتمة فتعالج سر هذه الفتح العربى الثقافى العظيم فتذكر ان هذه الطفرة العلمية الجبارة التى نهض بها ابناء الصحراء من العدم من اعجب النهضات العلمية الحقيقية فى تاريخ العقل البشرى فسيادة ابناء الصحراء التى فرضوها على الشعوب ذات الثقافات القديمة وحيدة فى نوعها وان الانسان ليقف حائرا أمام هذه المعجزة العقلية الجبارة، هذه المعجزة العربية التى لانظير لها والتى يحار الانسان فى تعليلها وتكييفها .

***

اذ كيف كان من المستطاع ان شعبا لم يسبق له ان يلعب دورا سياسيا أو ثقافيا من قبل يظهر بغتة الى الوجود ويسمع العالم صوته ويملى عليه ارادته ويفرض عليه تعاليمه ، وفى زمن قصير اصبح ندا لليونان . ان هذه المنزلة التى بلغها العرب أبناء الصحراء لم تبلغها شعوب اخرى كانت احسن حالا وارفع مكانة .

ان بيزنطة الوريثة الفنية لا للشرق القديم فحسب بل للثقافة اليونانية ايضا لم تنتج شيئا وظلت حتى اليوم عاقرا . والسريان وهم تلاميذ اليونان الحقيقيون وصلتهم الثقافة اليونانية كما وصلت العرب فترجم السريان كثيرا من المؤلفات اليونانية الى لغتهم السريانية الا ان السريان لم ينهضوا بما ترجموا ولم تتفتق هذه الترجمات وتلك العلوم عندهم عن حركة علمية أو نهضة ثقافية عالمية .

نظرات فى الشعر العراقى المعاصر

شاعرة الحرمان

للدكتور بدوى طبانه

وليست هذه اول مرة أكتب فيها عن **عاتكة** شاعرة العواطف والآلام التى سجلت فى ديوان الشعر العربى الحديث صفحات طوالا، وشقت طريقها بين أمواج الحياة المتدافعة ، تدفعها عواطفها المتأججة وشاعريتها المطبوعة ، واستطاعت أن تملأ الأسماع فى بيئات الادب والشعر فى العالم العربى وما وراءه بشعرها العاطفى الجميل .

وحينما حاولت الكتابة عن شاعرية « عاتكة » فى المرة الاولى قبل سبعة عشر عاما فى احدى المجلات العربية ثم فى كتابى « **أدب المرأة العراقية** » كانت عاتكة فتاة قد أتمت منذ قليل دراستها العالية ، وغدت تستقبل حياة العمل والطموح .

وكان نتاجها الشعرى اذ ذاك ــ وهو النتاج الذى أقمت عليه معالم دراسة شاعريتها ــ قليلا محدودا ، أكثره قصائد ومقطعات تمثل حياة التطلع والطموح التى كانت تحياها فى تلك المرحلة من مراحل شبابها الغض .

وقد بعدت عاتكة الآن عن عاتكة الاولى بقدر ما مر من السنين ، وبقدر ماكثرت تجاربها وتعمقت وتنوعت .

كانت عاتكة اذ ذاك تختلس من أوقات دراستها وتحصيلها خلسا من الوقت تنفس عن عواطفها وتعبر فيها عن مشاعرها، وتشرح تجاربها التى تكاد تنحصر فيما كانت تحس به من مرارة وألم ، فقد بدأت تفتح

كما ان هذه النهضة العلمية لم تنبعث أيضا فى ايران التى كانت ملتقى الثقافات الصينية والهندية واليونانية فقد استقبلت ايران كل هذه الثقافات ولم تطورها بالرغم من أن بيئتها الطبيعية وحالتها الاقتصادية ومستواها الثقافى تساعد على هذا التطور ، لكن الملاحظ أن العقلية الايرانية لم تنتج ولم تتطور ولم تنهض الا عندما وجدت فى بيئة أخرى وخضعت لمؤثرات ثقافية خاصة .

ليست بيزنطة وليست بلاد السريان وليست ايران التى كانت القنطرة التى تصل بين الثقافتين الشرقية والغربية وليست جميع هذه البلاد هى التى ظهرت على المسرح الثقافى العالمى كحاملة لشعل الثقافة القديمة ومكملة لها .

اما الشعب الذى خلف الثقافة القديمة وحمل لواء النهضة العلمية الفكرية فى العالم فهو شعب صحراوى خرج من الصحراء وبسرعة البرق قبض على صولجان السيادة الثقافية فى العالم وظل ابناء الصحراء حاملين لهذا الصولجان دون منازع مدة لاتقل عن ثمانية قرون ،كما ان هذه الثقافة العربية تفتقت وازدهرت وأينعت أكثر من الثقافة اليونانية وأثبت العرب أنهم أخصب وأقوى من اليونان .

د. فؤاد حسنين على

عينيها على الحياة لترى فى طفولتها المبكرة اطفال الحى ، وقد أسرعوا الى آبائهم ليغمروهم ببسمات الرضا ومشاعر الحنان وعواطف الابوة ، وتتلفت حولها فلا تجد مثلهم أبا يضمها بين ذراعيه، ويغمرها بفيض حنانه .

ذاقت عاتكة فى طفولتها مرارة الحرمان والم اليتم من فقد الأب الذى لم يقدر لها أن تراه ، وكثيرا ما كانت عاتكة تسأل أمها فى حيرة الواله : هؤلاء آباؤهم .. فأين أبى يا أماه ؟ ولم تكن تجد الجواب الا فيما تفضى به العبرات تنحدر من مآقى الأم الوالهة فتملأ صحن خدها ، هكذا استقبلت عاتكة حياتها تظلل جبينها الغض سحابة من الألم ، وتسرى فى أعطافها روح الحزن والأسى الغامر .

وكان الشعر الذى بدأت به عاتكة حياتها الفنية هو شعر الأسى والألم ، مع قليل من شعر الحماسة والوطنية تصوغه فى بعض الأحداث ، وتنشده فى بعض المناسبات فى المحافل الخاصة والمجتمعات التى تعد أيضا مجتمعات خاصة .

كذلك كانت عاتكة ، وكذلك كان شعرها : فتاة تطلب العلم وتتطلع للحياة ، وتتدرب فى صناعة القريض ، وعلى قسماتها اثارة من شحوب ، وفى نبراتها همسات حزن عميق تترجم عما فى أعماقها من الآلام والشجون .

ومن بواكير شعر عاتكة واصدقه تلك القصيدة الباكية التى جعلت عنوانها «اليتم الشاعر» وفيها تقول :

بلوت من الايام كل عظيمة
وحسبى انى قد ولدت بمأتم
وكانت اغانى المهد لى رنة الأسى
ووقع نحيب قد برى قلب أيم
ولقنت فى مهدى سجل مآتمى
وكم هالنى فصل الشقاء المجسم

وتصف فى تلك القصيدة أمها التى براها الحزن واذوى الشقاء نضرة وجهها ، واذبل زهرة شبابها ، حتى أحالها جسدا نحيلا او شبحا ضئيلا :

وأبصرت عن قرب خيالا مهدما
يغالب دمعا بين جفن مورم
وخد له قد جفف الحزن ماءه
وغاض به نبع الشبيبة والدم
عرفت به أمى ويا ليت اننى
جهلت فلم اعلم ولم اتعلم
عرفت به أمى فضاعف لى الأسى
فأجهشت اجهاش الجريح المكلم
وكفكفت دمع اليتم عطفا على التى
رعتنى وضمتنى بكف ومعصم

وظلت امها راعية طفولتها ، وصديقة صباها .. وانيس وحدتها تجد فى أحضانها شفاء آلامها وبلسم جراحها ، وموئل آمالها ، وملاذها من الحياة اذا اصطدمت بالحياة او بالاحياء .

وهكذا غدت أمها كل شىء فى حياتها ، وقدرت عاتكة لامها كرم الصحبة وجميل الايثار ، فعبرت عن عاطفتها نحوها بقصيدة أخرى عنوانها **«أنت ياأماه»** .

أنت معنى الحب بل معنى الحياة
انت نور فاض من نور الاله
انت يا أماه من قلبى مناه
أيعيش المرء دون الأمل ؟
أنت بعد الله رمز يعبد
تفتديه مهج بل اكبد
أنت يا أماه سر سرمد
ضل فيه الفكر منذ الأزل

وتأخذ فى هذه المناجاة البديعة التى تفيض بآيات الولاء والتكريم ، فتجعلها هديها ومنارها وفخارها ، فهى تنعش أملها ، وتبل صداها ، وتسامرها فى الظلمات ، وتبعث فيها الآمال :

أنت من يبذر فى روحى المنى
ثم اجنيها صفاء وهنا
انت يا أماه هل أنت أنا
أم ترى لغزك لما يحلل
انت لى الصحب اذا ما أنكروا
والاحباء اذا ما غدروا
انت يا أماه ما ادخر
ليس لى فى الكون الا انت لى

هذا نموذج من شعر عاتكة المبكر الذى صورت فيه آلام يتمها وحرمانها من عطف أبيها ، وسجلت فيه مآثر امها التى كانت تقاسمها الأسى ، وتشاطرها اللوعة .

هل استطاعت تلك السنون الطوال التى عبرت ان تغير معالم الصورة التى عرفتها وقرأتها ؟ أو بعبارة أخرى : هل هنالك جديد فى حياة عاتكة وفى تجاربها ؟ وهل استطاع ذلك الجديد ان يعكس آثاره على شعرها الذى القته فى تلك السنين الطوال ؟

من الناحية المظهرية ، أو من الناحية الشكلية - كما قد يقال - تغيرت عاتكة كثيرا .. ان **عاتكة وهبي الأمين** ، وهو الاسم الذى أذكر اننى كنت أعرفها به ، وهى تجلس بين زملائها وزميلاتها فى قاعة الدرس فى دار المعلمين العالية ، اذا لم يكن مر الزمان قد ضيع الذاكرة ، أصبحت الآن **الدكتورة عاتكة الخزرجي** الاستاذة فى كلية التربية بجامعة بغداد .

وبغداد التى ولدت فيها عاتكة ودرجت على أرضها وتعلمت وعلمت في معاهدها ، أصبحت تجد لها فى حياة عاتكة منافسا فى البلاد العربية وفى مصر بالذات التى كانت عاتكة ولا تزال تزورها وتقضى فيها فترات متصلة وفترات متقطعة ، تفر فيها من حر بغداد لتتردد على دور الكتب تشبع فيها نهمها وشغفها بالمعرفة ، وتلتقى فيها بأهل العلم والشعر والادب ، حتى أصبح لها فى أرض الكنانة عدد كبير من المعجبين بخلالها المكبرين لأدبها وشاعريتها ، وتجد بغداد منافسا أيضا فى باريس التى قضت فيها ست سنوات رأت فيها عالما غريبا عن عالمها ، والتقت بأساتذة جامعتها ، وأعدت تحت اشرافهم رسالتها للدكتوراه التى حققت فيها ديوان الشاعر الغزل الرقيق «العباس بن الأحنف» .

وبعد تلك الظواهر أو الشكليات التى تغيرت فى حياة عاتكة ، وبعد هذه الجولة فى الزمان وفى المكان استطاعت عاتكة أن تضم الى مكتبة الشعر المعاصر ديوانها الحافل «انفاس السحر» ويذكرنا هذا العنوان بالعنوان الذى تخيره صديقنا الشاعر الكبير على الجندى لواحد من دواوينه وهو « أغاريد السحر » .

ولكلمة «السحر» رنين عذب فى الاسماع ، وصدى مطرب فى النفوس ، وكثيرا مافتن الشعراء بالسحر ، ورددوه فى أشعارهم ، وكان مجتلى الهامهم ، ومسرح خيالاتهم وأكثر الأوقات مناسبة لمناجاتهم وبث شجونهم ، والسحر هو وقت الصفاء وخلوص النفوس من شوائبها ، ووقت التسابيح والاستغفار عند أهل التقوى والصلاح ، بعد أن تهدأ النفوس وتطمئن الجوارح .. فكان أولئك الشعراء يعدون نفثاتهم تسابيح وابتهالات فى محاريب الفن ، ونلمح هذا فى عبارة الاهداء التى كتبتها عاتكة فى صدر ديوانها الذى أهدته «الى كل ناطق بالضاد ، ومؤمن بلغة القرآن ، ومبارك لوحدة العرب ، اهدى أول تسبيحة لى فى محراب الادب » !

ويبدو من هذا الاهداء أن «**انفاس السحر**» هو أول ديوان تنشره عاتكة ، وقد جمعت فيه شعرها القديم الى شعرها الجديد ، ولم تميز هذا من ذاك ، بل ان عاتكة لاتذكر لقصيدة من قصائدها أو مقطعة من مقطعاتها التىاشتمل عليها الديوان ، وهى تناهز المائة ، تاريخا ولا مناسبة الا مرة أو مرتين ، مع أن فى كثير من تلك القصائد والمقطعات ما تشتد الحاجة الى معرفة مناسبته لاتصاله بتلك المناسبة ، ولانه يفقد كل قيمة فنية اذا عرى عن مناسبته ، اذ هو يعبر عن واقعة حال لاتدرك الا أن تذكر ويصرح بها ، ويتحرج الناقد اذ ذاك فى اصدار حكم لها أو عليها .

ولا نحب أن ندع تلك الملاحظة من غير أن نسوق مثالا لها ، حتى لايكون كلامنا أشبه بالدعوى من غير دليل .. فقصيدتها التىعنوانها (انى أحبك سيدى) ص ٧٧ التى تقول فيها :

ماكان ظنى سيدى أنا بلا ذنب نرد
أفهكذا هون العزيز فلا يصان ولا يود ؟
أنصد عنكم مقبلين وليس فينا من يصد ؟
انذاد عن أبوابكم ونعود لا أخذ ورد ؟

يشعر سياقها أنها قيلت فى واحد من ولاة الامر قصدت اليه الشاعرة فى حاجةمع جماعة من أصحابها أو صواحبها ، فلم يؤذن لها ولا لغيرها بالمثول بين يديه !

ولكن من ذلك الصلف العاتى الذى يذود عن حماه الشاعرة المرموقة ومعها من لايذاد ، ويصدها عن حضرته ومعها من لا يصد ؟

وما تلك الحاجة التى ذهبت فيها عاتكة مع رفقتها الى ساحة ذلك الجبار ؟

علم ذلك عند الله وعند الشاعرة ، ولندع قراء شعرها يفهمون ما يفهمون أو يتوهمون مايشاءون !

ثم ما جزاء ذلك الجبار العنيد ؟ أيكون جزاؤه أن تثور عليه الشاعرة ثورة عارمة وان تصليه نار شعرها وتصب على جبروته جام غضبها بما طغى وتكبر ؟ أم يكون جزاؤه « انى أحبك سيدى » ؟!

بل لقد استعطفته عاتكة واسترحمته بقولها :

مولاى هذى مهجة من حر ما فيها تقد
رحماك لو آسيتها وجميل عطفك لايحد

(البقية على صفحة ١٨)

دفاع عن شعراء الرفض

للدكتور محمد النويهي

اريد بمقالتي هذه ان ادافع دفاعا صريحا عن شعراء الرفض وحقهم فى ان يعبروا فى انتاجهم عن رفضهم تمام التعبير الذى يريدونه ، وان ادلل على واجبنا فى تحمل كل ما يقولون بصبر وسماح مهما يثر سخطنا الدينى ، ومهما يؤلم شعورنا الاخلاقى، ومهما يجرح حساسيتنا القومية .

دفاعى هذا لن اقيمه على حقهم المطلق فى التعبير الحر عن فكرهم كائنا ما كان ، فانى وان كنت اومن بحق الفرد المقدس فى التعبير الحر عن رايه لن استعمل هذه الحجة هنا . لا ولن اقيم دفاعى على تجريد الفن تجريدا تاما من اية مسئولية اجتماعية ، فانى لست ممن يقولون بهذا التجريد كما شرحت فى شتى كتبى المنشورة ، ولست ممن ينادون بأن نقد الفن يجب ان يقام على الاعتبارات الفنية الخالصة وان يخلو من اى تقديرات اجتماعية ، بل اقر للناقد بحقه فى ان يسائل الفنان عن اثر انتاجه فى البناء الاجتماعى .

انما اقيم دفاعى على دعوى ان رفضهم هذا ، مهما يؤذ مشاعرنا ، لا يضر قوميتنا العربية ، ليس هذا فحسب ، بل هو يفيد هذه القومية اجل فائدة اذا تناولناه تناولا صحيحا فاعتبرنا بعبرته واجدنا استنباط الدروس منه حتى نزيد عروبتنا صحة وسلامة ونبرئها من بواقى التعفن والفساد ونحثها على طريق التطور والتقدم . وبذلك نطهرها من الاسباب التى لا تزال تدفع بعض شعرائها الى التمرد عليها واعلان التنصل منها .

ومقالتى هذه رد فعل على الدراسة الجيدة التى نشرها الاستاذ الفاضل **« عبده بدوى »** عن مدرسة الرفض على صفحات هذه المجلة . فهذا الباحث القدير مهما نخالفه فى تفسير بعض الحقائق لا شك قد وضع انامله الحساسة على دقائق الموضوع وفى قراءتى لدراسته الممتازة كان يتنازعنى شعوران متناقضان : أحدهما الاعجاب بنزاهته بل الاجلال العميق لموقفه النادر من السماح وسعة الصدر والخلو من التعصب الاحمق والعلو على النظرة الضيقة الرعناء ، وثانيهما شعور الخوف الشديد من الا يستطيع بعض قرائه ان يلتزموا فى تناول هذا الموضوع ما التزم . فيتسبب ذلك فى ضرر بليغ لادبنا وقوميتنا معا .

اما موقفه هو فواضح نير . فقد اعلن وكرر اعلانه انه لا يريد ان يصادر تجربة الشاعر ، لانه يؤمن بحرية الشاعر كأعمق ما تكون عليه هذه الحرية . وهو يختم دراسته لاحد هؤلاء الشعراء (فى العدد ٥٦ من « الرسالة ») بأن يقول **ان العروبة ، برغم كرههم لها ، ورفضهم اياها ، تسير دون ان تقتص منهم . بل انها تبتسم فى وجوههم الحاقدة ، ولا تصادر حتى متعة لعبهم بالنار المشبوبة . فالتاريخ الادبى هو الكفيل بالحساب ، واظهار الدوافع ، واسقاط الاقنعة ، وهو يعتقد ان هذا اشد من حساب السياسة .**

ما أعظم صدق الاستاذ عبده بدوى فى اعتقاده هذا ، لكن ما اقل الكتاب الذين يستطيعون ما استطاع من سعة ورجحان ! بل هو برغم ادانته القوية للمضمون الفكرى لهؤلاء الشعراء لا يسمح لهذه الادانة بأن تفسد عليه تقديره الفنى لشعرهم ، حتى ليقر لاحدهم (ادونيس) بالاصالة والجدة ، والارهاف والاجادة ، ونضج التجربة الشعرية وثرائها ، ويقول : ان انسانا لا يشك فى مقدرته الشعرية وفى اصداره التركيبة الشعرية الاوركسترالية .

ولكن . . . هل يستطيع جميع قراء الاستاذ عبده بدوى ان يتخذوا هذا الموقف الناضج المتزن البصير من شعراء الرفض ، وخصوصا اذا ادركنا الى اى مدى سيجدون ما يقوله هؤلاء الشعراء مؤلما جارحا ؟

فلنتناول ،لان هذا الموضوع المحرج بمواجهة لامواربة فيها ، فكثيرا ما تكون هذه هى الطريقة الوحيدة لعلاج الموضوعات الحرجة .

نبدأ ببسط نوعين مختلفين من الوطنية : النوع المجد والنوع المبكت . ومعظمنا للاسف الشديد لا يعرف او لا يقبل الا النوع الاول ، الذى يقتصر على تعداد امجاد الوطن والتغنى بمآثره ، وينكر او يهمل نقائصه وامراضه . ولا شك ان لهذا النوع فائدته ولزومه فى الهاب الشعور وشحذ الامل وتقوية الهمم ، لكن لا شك أيضا ان الوطنية التى تقتصر عليه تكون وطنية ناقصة عرجاء ، لن يكتب لها نجاح بعيد فى الارتفاع بالوطن واستكمال اسباب برئه وعظمته . فنحن محتاجون ايضا الى النوع الآخر الذى يلفت انظارنا بشدة ، واحيانا بقسوة ، الى ما تبقى فينا من عيوب وآثام . هذا النوع لا شك يؤلمنا غاية الايلام ، لكنه ايلام التطهير للجرح الفاسد الذى لامناص من تطهيره اذا أريد له البرء .

بل نزيد على هذا فندعى أنا كلما انكرنا هذا النوع المبكت وهربنا منه كان هذا دليلا على ان وطنيتنا لا تزال ضعيفة ، فمركب النقص لا يزال فينا قويا بحيث يمنعنا من مواجهة عيوبنا . وكلما ازدادت قدرتنا على هذه المواجهة كان هذا دليلا على ان وطنيتنا آخذة فى اسباب القوة والنضج ، حتى لم نعد نخشى عليها من الاعتراف بما بقى فينا من علل وآفات .

لذلك كنا فى العهود البائدة اشد جزعا من النقد الذاتى وتهربا منه . وكان حكامنا يدينون اصحابه أقسى الادانة ويتهمونهم لا باقل من الخيانة . علما منهم بأن هذا النوع من الوطنية هو الذى سيفضح آثامهم ، ويشهر بجرائمهم ، ويكشف القناع عن مدى ظلمهم واثرتهم وفساد حكمهم واضراره بالوطن ، وعن مدى تحالفهم الحقيقى مع الاستعمار ، مهما ذموه بألسنتهم وصاحوا بشعارات الوطنية الزائفة .

كان هم هؤلاء ان يبقى الشعب راضيا بحالته خاضعا لذله وامراضه الذريعة ، حتى يظلوا فى استغلاله اطول امد ممكن ، وكان يزعجهم أن يقوم من ينبه الشعب الى المدى الحقيقى لسوء حاله وفساد امره ، وكانوا يستخدمون طائفة من الكتاب وظيفتهم ان يخدروا الشعب ويغمضوا عينه عن حالته المزرية ، وان يوهموه ان حاله احسن حال واخلاقه ارفع اخلاق وتقاليده انبل تقاليد ، وان يزعموا له ان كل من ينقد عيوبه ويكشف عن آفاته عدو له خائن للوطنية مضر بالقضية القومية .

وحين ابتدأت الشائعات المزعجة تنتشر عن سوء حال جيشنا فى فلسطين ، وعن فساد ذخيرتنا وضعف استعدادنا العسكرى فى مختلف النواحى الضرورية ، انبرت تلك الطائفة المأجورة تؤكد لنا ان كل شيء على ما يرام ، وان جيشنا فى خير حال واكمل عدة واقوى روح معنوية ، وتحذرنا من أولئك « الخونة » الذين ينشرون تلك الاراجيف ويفتون بها من عضدنا ويخدمون أعداءنا .

افلا نعرف جميعا ما حدث ؟ وهل كانت ثورتنا العاتية فى يوليو ١٩٥٢ فى سببها المباشر الا غضبة على هذه الوطنية المنافقة الكذوب ، واصرارا على مواجهة نقصنا المادى والمعنوى وتعرف فداحته الحقيقية حتى يتسنى علاجه ؟

امامى وانا اكتب هذه السطور نسخة من جريدة الاهرام بتاريخ ٢٧ يونيو ١٩٦٢ ، تحمل خطاب الرئيس **جمال عبد الناصر** الذى القاه فى استقباله لاعضاء المجلس التشريعى لقطاع غزة ، يحلل فيه رئيسنا بنزاهة وشجاعة نكبتنا الكبرى ، نكبة **فلسطين ، فيضع مسئوليتها العظمى على العرب انفسهم ولا يتخلص منها بالقائها على غيرهم ، ويحلل اخطاءنا ونقائصنا وخيانة حكامنا ، ويدلل على انها هى التى مكنت الاستعمار والصهيونية من الفوز بفلسطين . ويذكر كيف قصرنا نحن العرب تقصيرا فادحا فى الاستعداد حتى اخذنا على غرة دون ان يكون لنا اى عذر فى هذا التقصير ، فقد قام من بيننا من يحذروننا من ذلك الخطر الماثل ، ويبين كيف ضاعت منا فى عام ١٩٤٨ مواقع بدون قتال وضاعت مناطق دون ان تطلق فيها رصاصة واحدة. ويقولها صريحة لا مواربة فيها : « انا اعتبر ان سبب النكبة فى عام ١٩٤٨ هم العرب اكثر من اليهود . » ثم يكررها مؤلمة قاسية الايلام : « كنا نحن العرب المسئولين عن هذه النكبة وليس نتيجة ١٩٤٨ فحسب وانما نتيجة ١٩٤٨ وما قبلها » .**

فما رأى القارىء فى هذا الكلام ؟ صدق **جمال عبد الناصر** وكذب المتشدقون بالوطنية الفارغة . فلم تكن مأساة فلسطين الا النتيجة المحتومة لانحلالنا

المادي والخلقي والوطني . وليس من سبيل الى محو عارها من سجل تاريخنا الا بمعالجة هذا الانحلال المعالجة التامة الابراء . وهل من سبيل الى هذه المعالجة الا بالاعتراف الامين بما تبقى فينا من آفات ذلك الانحلال ؟

وهكذا تفهم الامم الناضجة ذات الوطنية العتيدة معنى الوطنية القيم ونوعها المثمر المفيد . ولو انك سألت انجليزيا مثقفا ما العمود الصحفي الذي يعده اعظم الاعمدة وطنية واكثرها فائدة لوطنه ، لما احالك الى ما تكتبه بعض صحفهم الرخيصة من تشدق بالعظمة البريطانية وتغن بالامجاد البريطانية ، بل لاحالك الى العمود المشهور « ذس انجلند ــ انجلترا هذه » في المجلة الاشتراكية المعادية للاستعمار « نيو ستيتسمان » . وهذا العمود لا يسجل اسبوعا بعد اسبوع مآثر بريطانيا ومناقبها ، وآيات ذكائها ونجاحها وتفوقها ، بل يسجل اسبوعا بعد اسبوع ، عن طريق مقتطفات من الصحف البريطانية يرسلها قراء المجلة ، دلائل غباواتها وحماقاتها واخطائها ومخازيها .

وتزداد عجبا من هذا العمود الفذ حين تعرف ان عنوانه « انجلترا هذه » مقتبس من قطعة شعرية من افخم ما كتب شكسبير في مسرحياته التاريخية في تمجيد انجلترا والتغني العريض بمحامدها . فمجلة « نيو ستيتسمان » بتحويرها هذا العنوان هذا التحوير الساخر تريد ان تنبه قراءها دائما الى ان الوطنية الحقة ، الوطنية الحكيمة النافعة ، لا تقتصر على التغني بامجاد الوطن بل تلتفت الى آفاته وآثامه حتى يؤدي الانتباه لها الى محاولة علاجها وتطهيرها .

والنقاد الانجليز حين يصفون كاتبا او شاعرا او انتاجا ادبيا بانه « وطني » لا يعنون كما قد نظن انه يقتصر على تمجيد الوطن ، بل يعنون ان من اقوى عواطفه التهابه بلهيب الغضب الوطني الذي يحمله على الادانة القوية لعيوب وطنه حثا منه لمواطنيه على تلافيها . والنقاد والمفكرون والمؤرخون الانجليز في طول تجربتهم ونضج بصيرتهم لا يقرون بهذا فحسب ، بل يبلغ بهم الامر انهم حين يجدون اديبا وصل غضبه على نقائص وطنه ومواطنيه الى انه ذمه وذمهم في شعره ونثره ، وتبرأ منه ومنهم واعلن الخروج عليه وعليهم ، لم يسرعوا الى قبول دعواه هذه بسذاجة ، ولم يتهموه بالخيانة والمروق ، بل فهموا الاسباب العميقة التي دفعته الى ذلك الذم والخروج والرفض ، واقروا بأن صيحته الغاضبة هذه هي دليل بلوغه قمة حرارته الوطنية .

والشعوب الناضجة المجربة لا تنفي عن قوميتها شعراءها وكتابها وفنانيها مهما يعلنوا هم رفضهم لها . هي حقا قد تغضب غضبا شديدا من فرط ايلامهم لها ، ولكنها تعود الى قبولهم في صدرها الرحيب والاعتزاز بهم والشكران لما ادوه اليها من منفعة بتمردهم واداناتهم ورفضهم . انظر كيف يفخر البريطانيون بشلي وبيرون ووايلد وويلز وشو ، وليس اقسى من هؤلاء تشريحا لجرائم البريطانيين وتفاقهم وكشفا عن مساوئهم وآثامهم . ولكن كم كانوا نافعين في حمل مواطنيهم على مواجهة هذه النقائص ومحاولة علاجها . لقد ادركت الامة البريطانية ان هؤلاء كانوا انفع لها من المتغنين بالمجد البريطاني والشرف البريطاني والتقاليد البريطانية الجليلة والعدل البريطاني الذي لا يدب اليه فساد.

قد ذكرنا في مقالتنا «ثورة الشكل وثورة المضمون في الشعر المنطلق » ، التي نشرت في عدد اغسطس ١٩٦٤ من مجلة « الشعر » ، ان الشاعر الصادق الشاعرية لا يمكنه بطبيعته ان ينتهي الى الرفض التام لجميع القيم ، ولو قال هو هذا في بعض حالاته، لانه لابد ان يكون مرتبطا في صميمه بعدد من المثل ولولا هي لما كان شاعرا ولما راى العالم رؤية شاعر . وذكرنا ان الشاعر الصادق الشاعرية لا ينتهي ابدا الى رفض وطنه ، وان صاح هو بهذا الرفض في بعض شعره ، والا انقطعت شاعريته مباشرة ، وانما هو يكره أشياء في وطنه تستحق الكره ، ويريد تغييرها الى ما هو افضل . وضربنا المثل بصرخة حافظ ابراهيم بمصر : « ولا انت بالبلد الطيب » .

والى تلك المقالة نحيل القارىء الذي يريد استيفاء هذا الموضوع ، لكن نعود هنا الى شعراء الرفض الذين ظهروا بيننا ، وبرزوا بنوع خاص في ركن واحد معين من اركان وطننا العربي ــ في لبنان . فهل نقبل بسذاجة رفضهم هذا مهما يصيحوا به ويعلوا اصواتهم ؟ وهل نسرع بتكذيبهم وتفنيد اتهاماتهم دون ان نتأمل تأملا عميقا امينا فيما يقولون لنسلم بشجاعة بانه يقوم على قدر كبير من الصدق ، وانه مما سلم « الميثاق » بيقائه في مجتمعنا وسماه « الرواسب المتعفنة للنظام القديم » ؟

بل ان ما يقوله شعراء الرفض فينا قائم للأسف الشديد على حقائق . نحن نسلم بأن حساسيتهم الشاعرية المتوفزة تدفعهم الى ما يبدو لنا مغالاة واسرافا فى اطلاق الاحكام ، لكن ينبغى الا يغفلنا هذا عن تعرف القدر الصحيح من اسباب سخطهم علينا واعلانهم رفضهم لنا . فبدلا من ان نبادلهم سخطا بسخط ، ونسرع الى نفيهم عن قوميتنا واتهامهم بالخيانة والمروق ، يجدر بنا ان ننتبه الى هذه الحقائق ونسلم بها بنزاهة مهما يكن هذا التسليم مؤلما لمشاعرنا . فلنستمع لبعض ما احصاه الاستاذ « عبده بدوى » على ادونيس . وفى كل جملة نقرؤها من هذه الجمل لا نكتفى بأن نقول : هذا غير صحيح او مبالغ فيه مبالغة فظيعة ، بل لنبذل جهدنا المخلص فى تلمس نصيبه من الحقيقة :

الحياة العربية ليس لها محور غير الانحطاط . العربى لا يخرج عن كونه طفلا او هيكلا عظيما . الله فى المنطقة العربية ميت ، وكذلك العالم والانسان . يرمز دائما الى العرب بالرمال ، ويدعو الى رفع هذه الرمال . لم يعد هناك التقاء بينه وبين اخوته فى الوطن . وطنه بلاد الرمل والذئاب . « كانا فى بلادى نصلى كانا نمسح الاحذية » . وطنه مصمغ مكسور يسير مشلول الخطا .

« هى ذى بلاد اجبن من ريشة واذل من عتبة » الخ .. الخ ...

الاستاذ عبده بدوى يسأل : « هل صحيح ان العربى الآن يقف عاريا كالمعظم ، ويمشى ويتكلم نائما ، وانه ليس اكثر من طفل او هيكل عظمى ؟ » وجوابنا على هذا السؤال هو ان هذا لم يعد تام الصحة ، ولكنه — واسفا — لم يصبح تام الخطأ ، وياليته قد اصبح ! بل لايزال منه قدر مخيف صحيحا ، وبخاصة اذا تذكرنا ارهاف التعبير الشعرى وتوفزه . وهذا هو صميم عمل الشاعر : ان يلفتنا بعنف الى ما يحس به احساسا عنيفا ، وايانا ان يغفلنا عنف تعبيره عن درجته من الصحة .

فاذا قرأنا رفضهم لميراثنا الدينى فلنذكر قبل ان نسرع الى ادانتهم ان السبب الحقيقى فى رفضهم هو اساءة استعمال الدين فى معظم عصور تاريخنا على ايدى القومة عليه حتى احالوه الى قوة اضرار وافساد بدلا من ان يكون قوة افادة واصلاح . وحتى جعلوه سندا للظلم ومبررا لاستبقاء الفقر والمرض والجهل . ولقد شرح ميثاقنا كيف حرفت الرجعية رسالة الدين واتخذته ستارا لمطامعها وراحت تتلمس فيه ما يتعارض مع روحه ذاتها لكى تقف تيار التقدم .

حقا ان هذا لا يبرر لشعراء الرفض ان يرفضوا الدين نفسه ، وقد كان عليهم ان يفرقوا بين الدين الصافى المنقى وبين ما ادخل فيه واقحم عليه من لى وتشويه وافساد . لكن من واجبنا بعد ان نقول لهم هذا — ولا شك ان من حقنا ان نقول لهم هذا — ان نعود فنتلمس لهم المعذرة ، ونعقد العزم على ان نطهر الدين مما سبب رفضهم ونتخذ منه اداة لمنفعة المجتمع وتحقيق العدل فيه ومساعدته فى طريق الرقى والتقدم .

كذلك رفضهم لميراثنا الاخلاقى ، ورفض بعضهم للاعتبار الخلقى نفسه . لا نكتفى بتخطئتهم ، بل لنتأمل فى البواعث لرفضهم . ولنذكر النفاق الاخلاقى الذريع الذى سيطر على مجتمعنا قرونا ، والذى لا يزال منه فينا قدر غير قليل . وقد بسطنا القول فى هذه الحقيقة فى مقالتنا المذكورة آنفا ، وشرحنا كيف يدعو الميثاق دعوة صريحة الى معالجتها بما لا يقل عن تكوين قيم اخلاقية جديدة .

كذلك رفضهم لتراثنا الثقافى ، العربى او الاسلامى او كليهما . ليس هذا الرفض الا تطرفا منهم — ونحن نسلم بانه تطرف — فى التعبير عن سخطهم على ما يشيع فى هذا التراث من الرجعية والجمود ومن الاجداب والعقم فى معظم قرونه وفى الكثرة الغالبة من انتاجاته . وهل نستطيع ان ننكر ان معظم عصور تاريخنا قد سادتها القوى الرجعية وان الكم الاكبر من انتاج اسلافنا شعرا ونثرا قد دمغ بطابع الجمود الفكرى والخلقى والجمالى ؟ فاذا كان رمز « **الرمل** » ، الرمل المجدب العقيم ، يغضبنا ويغيظنا ، فلنحول هذا الغضب والغيظ الى عزم اكيد على ازالة اسباب ذلك العقم والاجداب ، من حياتنا واقتصادنا وفكرنا وخلقنا وذوقنا ، حتى يصبح انتاجنا غنيا بالثمار بدل الرمال .

فان اصر القارىء على ان يصدق رفضهم لميراثنا الثقافى تصديقا حرفيا ، فليجبنا على هذا السؤال البسيط : لماذا يستمر هؤلاء فى استعمال اللغة العربية ، ولماذا يضعون فيها عصارة الهامهم الشعرى واضطرامهم العاطفى وكدهم الفكرى وجهادهم

الشكلى ، حتى لقد احيوها واغنوها بروائع من الشعر رأينا كيف اقر الاستاذ عبده بدوى ، بذوقه الشعرى الناضج وحكمه الفنى السليم ، بدرجتها من الاصالة والجدة ،والارهاف والاجادة ، والنضج والثراء ؟ او لم تكن خير وسيلة يتخذونها لهدم هذا التراث ان يذروه على فقره واجدابه وعقمه وان يصمتوا صمتا تاما فلا يبذلوا الجهد المضنى فى اثرائه واغنائه بمحاولاتهم الفنية المجددة المخصبة ؟

بل ما رأى القارى اذا مضينا فى احتجاجنا خطوة اخرى فادعينا ان هؤلاء الشعراء الرافضين ليسوا الا الثمرة الطبيعية لثورتنا العظيمة الراهنة ؟ وهل كان هؤلاء الشعراء يجرءون على ان يقولوا ما يقولون فى عهود ضعفنا اثام ؟ بل هى القوة الجديدة التى بدانا نتحسسها فى عروقنا ، والثقة الجديدة التى بدانا نشعر بدبيبها الى كينونتنا ، فهى التى تجرئهم على هذا المدى من النقد الذاتى . ان الجبان المتهالك هو الذى يرهب من الاعتراف بمواطن ضعفه اما القوى الآخذ فى خطوات القوة والاعتزاز - نعنى الاعتزاز الصادق الهادىء ، التبجج الصاخب المجعجع - فهو الذى يعترف بمواطن النقص فيه دون ان يخشى من هذا الاعتراف تفتيتا لقوته أو زعزعة لروحه المعنوية .

هذه الثورة الكبرى بما بدات تبث فينا من احساس الكرامة الحقيقية ، وشعور العزة الصادقة، وبما بدات تعالج من علل نفسنا وتخلفنا المادى والفكرى والاخلاقى والفنى ، هذه الثورة التى بدات ونجحت وتوطدت فى هذا القطر من اقطار العروبة ، ثم سرى تأثيرها فى كافة أركان العالم العربى ، هى التى تجعلنا اجرا الآن على مواجهة انفسنا على حقيقتها ، واقدر على ما يلح الميثاق فى تأكيد اهميته وضرورته من النقد الذاتى .

لقد قال الاستاذ عبده بدوى أن العروبة ستسير دون ان تقتص من اولئك الشعراء الرافضين ، بل انها تبتسم فى وجوههم الحاقدة . لكننا نحب ان نضيف ان العروبة فى حكمتها النامية ونضجها المتزايد ستتعلم كيف تستفيد من هؤلاء الشعراء انفسهم ، بالتحليل الامين لاسباب حقدهم عليها ورفضهم لها . اذ ذاك ستصير العروبة ناضجة حقا ، ويصير الوطن العربى وطنا يستطيع كل منا ان يفخر فخرا حقيقيا بالانتماء اليه .

اذ ذاك سيأتى الوقت الذى ندرك فيه ان اولئك الشعراء كانوا عربا برغم كل ما قالوا وما سيقولون، وكانوا من اعظم فتاتينا نفعا لعروبتنا ، اذ ذاك لن نسلم جميعا بعروبتهم فحسب ، بل سنفخر بما قالوا فينا ، ونعتز بظهور هؤلاء الشجعان بين ظهرانينا ، وان غدا لناظره قريب ...

وربما كان الاسترحام فى موضعه حتى يلين قلبه الجامد ، ولكن القارىء يتردد فى قبول قولها له :

لك فى كيانى صورة منها حياتى تستمد
فاذا بدوت لناظرى فبالسحرك كيف تبدو
معنى من الحسن الذى فيه المعانى لا تحد
وبوجهك الصفو الجميل شمائل نفحت وورد
وعلى جبينك هيبة وسماحة وندى ورفد
وعلى شفاهك خشية وتقى وتسبيح وحمد
سبحانك اللهم ! هذا واحد فى الخلق فرد

وعلى هذا النحو يجد القارىء نفسه بين مزيج من العواطف المتضاربة بين الشكوى والغضب والاستعطاف والغزل ويجد نفسه فى حاجة شديدة الى استجلاء تلك المتناقضات التى اجتمعت فيها مشاعر متباينة .

ولست أرى علة واضحة لاخفاء اسم الاديب الشاعر الذى وجهت اليه عاتكة تحيتها الحارة (ص ١٢٩) والمودة بين أهل الفن مذكورة مشكورة .

ومن «نجاة» السفيرة الاميرة ؟ ومن سفير العرب ؟ ومن فتى الشرق العظيم ، وما السفارة التى عاد منها ؟ (ص ١٣٠) ومن المعنى بقولها :

هــذا فتى الشرق العظيم
وذى ركائبه الخطيرة
وقفت له الايام تعنو
وهى هاتفة مشيرة
هذا سفير العرب عاد
فباركوا عيد السفيرة

لقد كان ذكر المناسبات فى مثل ذلك كفيلا بكشف النقاب عن الغموض فى شعر شاعرة ابرز خصائصها الابانة والوضوح .

بل ربما كان اطراح مثل هذا الشعر الذى فقد قيمته التاريخية والفنية واستنفد غرضه فى حينه وفى مناسبته أولى من اثباته فى ديوان يحفظه الزمان ، ويجد كل قارىء فيه نفسه

بدوى طبانه

اللغة: خطورتها وخطرها

للدكتور مصطفى مندور

استقر العلماء منذ قرون على ان اللغة وعاء الحضارة ، وذلك بحكم قدرتها الضخمة على تسجيل المراحل المختلفة التى مر بها نضال الانسان ضد كل ما عاقه عن التقدم . ولا تقف قدرتها عند تسجيل الماضى والحاضر بل تمتد الى خلق عوالم يستروح فيها الانسان نسمات الراحة والامل . وذلك حين يمكنه خياله من الحياة فيما يعجزعنه بواقعه . وبحكم هذه القدرة التى تمتلكها اللغة كان على الانسان ان يكرس جهدا لدراستها محاولا كشف شىء من أسرارها . ولقد مرت مراحل تلك الدراسة باشواط عدة لعل أقدمها كان ذاك الذى حاول فرض اصل نشأت عنه اللغة . وتنوعت الافتراضات :**قال فريق** بان اللغة ــ بحكم عظمتها ــ من خلق الله أو هى توفيقه (أى وقف الله الانسان عليها) . **وجاءت مرحلة اخرى** قال اصحابها بأن اللغة ــ بحكم انسانيتها ــ حدثت نتيجة لتواضع بنى الانسان واتفاقهم **أما المرحلة الثالثة** فقد نشطت مع الدراسات الاجتماعية القائمة على استخلاص القوانين العامة من ملاحظة الجزئيات المتطورة فقالوا ان اللغة وليدة محاكاة الانسان لأصوات الطبيعة والحيوان وانها كانت تعبيرا عن انفعالاته العفوية ، وقالوا انها مكتسبة ــ أو غريزية ــ تنمو مع الحياة الاجتماعية .

وانتهى هذا اللون من الدراسات ، وظلت الافتراضات قائمة لم يرجح احدها رجحانا حاسما لاستحالة الجزم فى مثل هذه القضايا التى تقوم على الافتراض والتخمين . ونشط العقل اللغوى فى مجال أكثر واقعية حين اتجه الى مقارنات اللغات بعضها ببعض للكشف عن أنواع الصلات او الوان الصراع التى حدثت بين اللغات المختلفة . ومن هذه المقارنات وضع علماء اللغة نظريات الاسر اللغوية كالهند والاوربية السامية وغيرها . ومع هذه الدراسات المقارنة دخلت الدراسات اللغوية مرحلة التحليل الدقيق لتمييز انواعها ثم لتحديد مميزات كل لغة سواء فى مورفولوجيتها او فى صفاتها . ويمتد هذا التحليل ليتناول الاصوات واجراسها ، ثم ليتناول دلالات التجمعات الصوتية فيما يسمى بالالفاظ وبالجمل . واصبحت دراسة الصوتيات « فونوتيك » ودراسة دلالات الالفاظ « سيمانتيك » من اهم فروع الدراسات اللغوية المعاصرة . ومصدر الاهتمام بهذين الفرعين ان الاول منهما يخدم ــ الى جوار ما يؤديه للدراسات البلاغية ــ اهدافا عملية مثل دراسة أجهزة الارسال والاستقبال ومدى تأثير الذبذبات الصوتية على دقتها . أما النوع الثانى فانه يحاول ان يحل دهشة الانسان امام التنوع الغريب الذى تستطيع الالفاظ ان تبدعه عند تغير نظمها . ومن هنا كان المدخل الى البلاغة والنقد ومزجهما بالدراسة اللغوية الصرفة .

والحق ان الجهد الذى بذله الانسان عبر القرون الطويلة ليدرك شيئا من اسرار اللغة وكيفية تفاعلها مع النفس البشرية مازال فى حاجة الى المضاعفة ، بل لعلى اقول ان اللغة تمثل اليوم اخطر سلاح يمتلكه الانسان .ومن الوهم أن نتصور أن أسلحة ذرية أو نووية تهدد الكيان البشرى اكثر مما تصنع اللغة حين يساء استخدامها . ان ادوات التدمير المادية لا تكتسب قدرتها الا حين يساندها منطق يبرر الدمار ويحدث التمهيد النفسى الضرورى لمن سيطلقون تلك الاسلحة . ولن تكون هناك وسيلة لاستثارة المدمرين الا عن طريق شحن عواطفهم وعقولهم ، وما من وسيلة لهذا الشحن الا عن طريق عربة اسمها « **اللغة** » ولست اريد أن ابتعد الى الماضى البعيد الملىء بالمآسى ، ولكن لنقف لحظة امام اهوال الحرب العالمية الثانية ، وكيف سخرت النازية فلاسفتها واذاعاتها حتى استطاعت ان تحيل الانسان المتحضر الى كائن لا يظمأ الا لدماء غيره وللسيطرة على الآخرين . اكان يمكن ان يسجل التاريخ كل

هذا الهول الا بعد ان اصبحت اللغة طريقا للشر والاذى ! وحتى فى وسط ذلك الجحيم كم من مرة كانت عدة ابيات شعرية أو شعارات مما ثبت اقدام الجند فى مواقعهم حتى انتزعوا النصر ، وكم من مرة أيضا كانت بضع شائعات مما فك عزم الخصوم فاستسلموا للهزيمة . ان هذه صورة واحدة من آلاف يزخر بها تاريخ الانسانية .

اما ان عبرنا الماضى لنقف امام حاضرنا ، وجدناه ايضا ينهض على دعامة ثابتة من قدرة اللغة على تحريك الجماهير فى كل مكان . لقد اكتسبت اللغة مع تطور اجهزة الاعلام ، قدرة ديناميكية واضحة . واصبحت الكلمة المسموعة ، عن طريق الراديو او التليفزيون او السينما او اجهزة التسجيل المختلفة من اخطر الاسلحة . وما اعوام الحرب الباردة الا نموذجا لخطورة هذا السلاح « **اللغوى** » ولذلك نهض فريق من المفكرين الذين يحبون الخير للانسان يطالبون بتجريد الثقافة من السلاح . وعبر بيان القاه **جان بول سارتر** فى احد مؤتمرات السلام العالمى الذى عقد فى موسكو عام ١٩٦٢ ، وشهده وفد من جمهوريتنا العربية – عن حاجة الانسان الملحة لنزع عناصر الشر من الثقافة : « **اننا نعيش فى وقت اصبحت الثقافة فيه تستخدم كسلاح للحرب . وانا الفت نظركم الى ان بعض الكتاب وبعض رجال السياسية يفعلون ذلك عن وعى ، فى حين يعمل الآخرون تحت سطوة قوى يجهلونها** » ... وما من شك فى ان مثل ذلك النداء يصدر عن ادراك واع لخطر سوء استخدام اللغة كوسيلة لشرح الثقافة ونشرها .

فى ضوء هذا الجو العام الذى يحيط بالانسان . وبصلته باداته للتعبير والتفاهم والسلوك نقف مع دراساتنا اللغوية . واذا كان من العسير ان نتابع التغيرات الهائلة التى تمر بها الدراسات اللغوية الا انه يمكن استخلاص بعض الظواهر العامة التى تظهر فى حقل اللغة واتجاهاتها :

اولا : ان سمة واضحة لابد من ملاحظتها وهى انه مع استمرار نمو الوعى القومى تنشط اللغة . فما من شك فى انه مع تعميق الاحساس بالقومية العربية يرتد الادباء والشعراء الى المعين الاصيل ، الى لغتنا الفصحى ، يستعينون به على نشر مالديهم من افكار وانفعالات . ومع ذلك فان طابع العصر سواء فى اتساع قاعدة الجماهير الراغبة فى المعرفة أو فى تنوع أجهزة الاتصال بالناس ، تفرد مجالا لذلك الازدواج الابدى بين الفصحى والعامية ، وقد يحلو لبعض اللغويين ان يطلقوا على ذلك الازدواج لفظة الصراع . واظن ان الروح العلمية الخالصة تؤثر التسليم بالازدواج على افتراض الصراع . ولقد عاشت اللغتان ، وستعيشان أبدا ، ولقد بذلك جهود كثيرة لعلاج القضية ، وقدمت عشرات من الاقتراحات سواء فى المجمع اللغوى أو الجامعات او المحافل الخاصة ،ولم تقو كلها على فرض حل عملى الوضع . وما اظن الا استمراره حتى وان وهم بعضنا ان فى قدرة الزمن وانتشار التعليم اكتساح اللهجة العامية . وظاهرة الازدواج فى الانتاج الادبى سواء فى مجال المسرحيات أو القصص وربما الشعر ، تؤكد تواكب اللغتين ، وان كان من الواضح أن كفة الفصحى راجحة . واحسب ان ضخامة اجهزة الاعلام والصحافة سيرفعان بعضا من الحجب التى بين اللغتين ، دون ان يعنى ذلك – فى تصورى – اختفاء لهجة الكلام فى عصر من العصور .

ثانيا : ان هذه الملاحظة تاتى مع ملاحظة ثانية لابد من ان نسجلها . ونعنى بها اتساع مجال الترجمة . فقد تنوعت الاتجاهات وامتدت الى مجالات جديدة كالاقتصاد والسياسة والفكر الاشتراكى والحضارات والفنون المختلفة . ولا شك فى ان هذه التراجم المختلفة تعتبر كسبا لحصيلتنا اللغوية . فهى حقل يعمل فيه العقل اللغوى لوضع مفردات ومصطلحات جديدة اما عن طريق القياس او الاشتقاق او النحت او التعريب . وان تكن هناك حقيقة ما زالت تقلق المفكرين واللغويين وهى تعدد الترجمات واختلافها بالنسبة للاصطلاحات العلمية أو الفنية ، وفى هذا المجال اعتقد أن الزمن والنضج كفيلان – دون شك ، بصقل المواضع التى يدور حولها الاختلاف . وكما تنوعت التراجم فى العلوم والفنون فان مجال الادب قد شهد فى الاعوام الاخيرة ترجمة مسرحيات الطليعة التى استقر العرف اللغوى على تسميتها « باللامعقول » . وبصرف النظر عن مضمون هذه المسرحيات من الناحية الدرامية البحتة، فان ترجمتها كشفت امام لغتنا لونا جديدا من التعبير اللغوى الذى يستغل اللغة باعتبارها مجرد ركائز يقفز عليها الفكر سريعا من نقطة الى اخرى دون وقوف امام العلاقات اللغوية التقليدية التى تتطلبها اللغة المعقدة . وقد نسج فعلا فريق من

ادباننا على منوال تلك المسرحيات . واثمرت التراجم والتاليف عن عدة ظواهر لغوية تتراوح فيما بين الاستعمال الرمزى الواضح والاستعمال الغامض . وبين الرغبة فى تخطى دلالات الالفاظ المالوفة للدخول بها فى اعماق جديدة بحثا عن نوع من المزاوجة بين النفس البشرية ــ التى تمكننا المعارف المتزايدة من الغوص فيها ــ وبين عصرنا الذى يدفعنا العلم المركب الى ادراك تعقيده .

ثالثا : الظاهرة الثالثة التى يمكن الوقوف عندها هى ظاهرة التخصص اللغوى . واعنى بها انه مع دقة التخصص التى يتجه اليها عصرنا ظهر مايمكن تسميته « باللغات الخاصة » فعالم الطبيعة وعالم الكيمياء مثلا اصبح كل منهما يفرض على اصحابه قاموسا معينـا ، بمصطلحاته ومفرداته . ونفس الشىء فى عالم الفن والادب . ولذلك يخاف بعض اللغويين ، وخاصة فى المجتمعات التى بلغت فيها هذه التخصصات حدا واضحا من التمييز ــ من الوصول فى يوم من الايام الى عدة لغات داخل اللغة الواحدة : فلغة لعلماء الطبيعة ولغة لكل علم من العلوم كالكيمياء والطب والفلسفة الميتافيزيقية والمادية . وهكذا حتى ليستحيل ــ فى رأى الخائفين ــ على عامة الناس بماقيهم من متقفين فهمهذه اللغات. واذا كان هذا التوجس لا يعدم مبرراته الا ان طابع العصر الذى يدفع بالجماهير الى التحكم فى المصير البشرى سيحتم على العلماء ــ أرباب هذه اللغات ــ بذل جهود دائمة لتوصيلمعارفهم الى اوسع الدوائر مما يبدد ذلك الخوف . كما أن ازدياد تاثير وسائل الاعلام والاتصال العام سيوثق بالتأكيد الاتصال بين بنى البشر .

رابعا : يتولد عن الظاهرة السابقة ظاهرة أخرى لا تقل شأنا فى مجال الدراسات اللغوية . وهى انه مع اتجاه العصر الحديث نحو العناية بالعلوم البحتة مثل الهندسة والكيمياء فان المجتمعات تدرك ببديهيتها النافذة استحالة قيام اى مجتمع على العلوم وحدها . ومن هنا يجىء الاهتمام بالاداب والفنون . وجمهوريتنا لا تشذ عن ذلك . فرغم اخذها الجاد للعلوم فهى آخذة بجد فى تنشيط الادب والدراسات الانسانية كلها .

وطبيعى ان العلوم الجديدة النامية ــ كالشيبة والثقافة النووية مثلا ــ تستلزم تفكيرا منطقيا جديدا ، وهذا يستلزم بدوره طريقة جديدة للتعبير. وقد سجلت اللغات الكثير فى هذا المضمار .

واحسب انه لابد ايضا من الوقوف أمام المهام التى تقع على عاتق اللغويين ازاء هذه الاحداث الخطيرة التى تحيط باللغة سواء كاداة للتعبير أو اداة للتسجيل . وما يمكن ان اقوله الآن اركزه فيما يأتى :

١ ــ ان ينشط الاتجاه الرامى الى نشر تراثنا القديم ، وتحقيق مالدينا من المخطوطات فسيستحيل علينا معرفة تراثنا اللغوى ــوالفكرىــ معرفة مطمئنة قبل ان يتم نشر هذا التراث وضبطه . ويودى لو اتجهت الجامعات ــ الى جوار الاجهزة الاخرى ــ لتشجيع كل من يتقدم للدراسات العليا فى مجال الادب واللغة ــ على نشر مخطوط ودراسته دراسة علمية فى نطاق دراسته . فمثل ذلك المنهج كفيل بتغطية شىء من الحقل . وان كان من الطبيعى ان ذلك يحتم على الجهات المعنية بهذا الامر توفير الامكانيات لطلاب الدراسات العليا .

٢ ــ لابد من العناية بدراسة اللهجات المختلفة فى الوطن العربىليتبدد الخطأ الشائع من أن اللهجات لا تنتظم فى قواعد قياسية ونحوية . واظن انه لو استطعنا دراسة اللهجات دراسة منهجية ورددنا المفردات والقواعد الى اصولها وقارناها بغيرها فسنستطيع عندئذ تصور كيفية تحديد الملامح المشتركة بين لغة الحديث ولغة الكتابة . بل ان ظروفا حضارية واجتماعية تدفعنا دفعا للعناية بمثل هذه الدراسات اللهجية . ولأخذ مثالا واحدا : ان منطقة واسعة كالنوبة التى عاشت دائما فى شبه عزلة توشك امام زحف التطور الجديد ببناء السد العظيم على الاختفاء . وسينتقل سكانها من عزلتهم الى جو حضارى جديد ، بمواصلاته واجهزته وحياته . فمن الواجب اذن تسجيل لهجات تلك البلاد ودراستها قبل أن تختفى مع الامتزاج بالحياة الجديدة . ويتبعنفس المنهج بالنسبة لسكان الواحات والوادى الجديد والقرى التى ترحف الحضارة اليها زحفا سريعا مع نهضتنا الكبرى . لا بد اذن من الاسراع بتسجيل هذه اللهجات ثم يتوفر المختصون على دراستها قبل أن تلحق بلغات اندثرت دون أن تختلف أثرا. ان مثلتلك الدراسة ستعطيناتصورا قريبا لحضارة متحدثيها وسيكون لها دون شك

(البقية على صفحة ٢٤)

التدرج في التشريع الجنائي الإسلامي

• بقلم : أحمد فتحي بهنسي •

ان سياسة التجريم التى ينتهجها اى مشرع وضعى تأتى تدريجا وخاصة اذا كانت الافعال التى يخضعها للتجريم مباحة فى الأصل .

وهذه السياسة هى التى سبقت بها الشريعة منذ القدم ونذكر من امثلة التجريم التى يظهر فيها هذا التدرج التشريعى فى الشريعة الاسلامية — حد الزنا :

قال الله تعالى :

« واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم ، فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا »

والفاحشة فى اللغة عبارة عن كل فعل تعظم كراهيته فى النفوس ويقبح ذكره فى الالسنة فهى الفعلة القبيحة . وفى هذا الموضع تقصد بها « الزنا »

وكان الزنا فى اللغة معروفا قبل الشرع مثل اسم السرقة والقتل ، وكان زنى النساء فاش وكان لاماء العرب وبغايا الوقت رايات ، وكن مجاهرات بذلك .

وهذه الآية اول مانزل فى ابتداء الاسلام على ماقال عبادة بن الصامت والحسن ومجاهد .

وقد اختلف الفقهاء بالمقصود بكلمة « نسائكم » فقال البعض : ان المراد بذلك الزوجات .

وقال آخرون : المراد به الجنس من النساء .

وقد قال المحققون من علماء المالكية : ان الحكمة فى قوله تعالى « من نسائكم » بيان حال المؤمنات ، كما قال تعالى : واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، يعنى المؤمنين .

فمن يأتين الفاحشة من هؤلاء يستشهد عليهن اربعة شهود عدول ، فان شهدوا بذلك يسكن فى البيوت اى يحبسن فيها .

وقد اختلف فى الامساك ، هل هو حد ، او توعد بالحد على قولين :

قول : بانه توعد بالحد .

وقول : بانه حد ، قاله ابن عباس والحسن .

وزاد ابن زيد انهم منعوا من النكاح حتى يموتوا، عقوبة لهم حيث طلبوا النكاح من غير وجهه .

وهذا يدل على انه كان حدا بل اشد ، غير ان ذلك الحكم كان محدودا الى غاية وهو الأذى الذى ورد فى الآية التالية :

قال تعالى :

واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما .

وكلمة « يأتيانها » مقصود بها الفاحشة . قال قتادة والسدى « فآذوهما » معناه التوبيخ والتعيير وقال فرقه : هو السب والجفاء دون تعيير .

وعن ابن عباس : انه النيل باللسان والضرب بالنعال .

وقد اختلف العلماء فى تأويل الآيتين :

قال البعض منهم مجاهد : ان آية « واللاتى يأتين الفاحشة » فى النساء عامة محصنات وغير محصنات والآية الثانية « واللذان يأتيانها منكم » فى الرجال خاصة من احصن منهم ومن لم يحصن . فعقوبة النساء وردت فى الآية الاولى ، وهى الحبس . وعقوبة الرجال وردت فى الآية الثانية وهى الاذى. وقد اختار هذا القول النحاس ورواه عن ابن عباس .

قال السدي وقتاده وغيرهما : ان آية « واللاتى يأتين الفاحشة » هى فى النساء المحصنات ويدخل معهن من احصن من الرجال بالمعنى . وآية « واللذان يأتيانها منكم » فى الرجل والمرأة البكرين .

وقيل : كان الامساك للمرأة الزانية دون الرجل ، فخصت المرأة بالذكر فى الامساك ثم جمعا فى الايذاء .

قال قتاده : كانت المرأة تحبس ويؤذيان جميعا ، وهذا لأن الرجل يحتاج الى السعى والاكتساب .

قال الجصاص :

قيل فى ترتيب الآيتين وجهان :

الوجه الأول :

ماروى عن الحسن ان قوله تعالى : « واللذان يأتيانها منكم فآذوهما » نزلت قبل قوله تعالى : « واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم » ثم أمر أن توضع فى التلاوة بعده فكان الاذى حدا لهما جميعا ثم الحبس للمرأة مع الاذى .

وهذا بعيد ، والذى يقتضيه ظاهر الخطاب أن يكون ترتيب معانى الآيتين على حسب ترتيب اللفظ ، فاما ان تكونا نزلتا معا واما ان يكون الاذى نازلا بعد الحبس ان كان المراد بالاذى من اريد بالحبس من النساء .

الوجه الثانى :

ماروى عن السدى ان قوله تعالى«واللذان يأتيانها منكم » انما جاء حكما فى البكرين خاصة والأولى فى الثيبات دون الابكار .

الا ان هذا قول يوجب تخصيص اللفظ بغير دلالة وذلك غير سائغ لأحد مع امكان استعمال اللفظين على حقيقة مقتضاهما .

وعلى اى وجه تصرفت وجوه الاحتمال فى حكم الآيتين وترتيبهما فان الامة لم تختلف فى نسخ هذين الحكمين عن الزانيين . والصحيح ان النسخ كان بحديث الرسول المروى عن عبادة بن الصامت .

قال ابن عباس : انزل الله سبحانه بعد ذلك :

« الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تاخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » .

وبذلك نسخت هذه الآية آية الحبس وآية الأذى اللتين وردتا فى سورة النساء .

وقيل : لانسخ بل آية النور مفصلة للآيتين فى النساء .

وقد بينت الآية الأخيرة عقوبة الزنا ، وكان الرسول عليه الصلاة والسلام كما سلف القول قد قال فيما روى عن مسلم وغيره عن عبادة بن الصامت :

« خذوا عنى ، خذوا عنى : فقد جعل الله لهن سبيلا ، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام ، والثيب بالثيب جلد مائه والرجم » .

والسبيل الذى نص عليه فى هذا الحديث هو اشارة للسبيل الذى نص عليه فى الآية التى وردت فى سورة النساء .

قال ابن العربى :

جعل الله حد الزنا قسمين : رجما على الثيب وجلدا على البكر ، وذلك لأن قوله الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما عام فى كل زان ، ثم شرحت السنة حال الثيب ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: قد جعل الله لهن سبيلا ... فقاله سنة وانزل الله الجلد قرآنا وبقى الرجم على حاله فى الثيب والتغريب فى البكر .

وقد قال الزيلعى فى ذلك :

كان حديث الرسول صلى الله عليه وسلم قبل نزول سورة النور بدليل قوله عليه الصلاة والسلام: خذوا عنى ولو كان بعد نزولها لقال : خذوا عن الله ، ثم نسخ الجمع بين الرجم والجلد بقوله تعالى : «فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » فكان الجلد حد كل زان ثم نسخ فى حق المحصن بالرجم فبقى فى حق غير المحصن معمولا به فاستقر الحكم على الجلد فقط فى غير المحصن وعلى الرجم فقط فى حق المحصن ، ولو غرب الامام الجانى بما يرى من التغريب جاز .

وفى كلام الزيلعى نظر ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لما قال : خذوا عنى ، خذوا عنى قال : « قد جعل الله لهن سبيلا » ، فلم يكن النبى صلى الله عليه وسلم هو الذى اتى به من عند نفسه فقوله « قد جعل الله لهن سبيلا » دليل قاطع على انه بعد نزول آية النور .

ويؤيد ماتقول ماتقل عن **الامام الشافعى** فى رواية الربيع . قال الشافعى :

قال : اخبرنا عبد الوهاب عن يونس عن الحسن عن عبادة بن الصامت .

قال الله جل ثناؤه : « واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم ، فان شهدوا عليهن فأمسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا . واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما »

قال : فكان هذا اول عقوبة الزانيين فى الدنيا ، ثم نسخ هذا عن الزناة كلهم الحر والعبد ، والبكر والثيب ، فحد الله البكرين الحرين المسلمين ، فقال « الزانية والزانى ، فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة »

واحتج الشافعى كما ورد فى الأم بحديث عبادة ابن الصامت فى هذه الآية « حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا » قال : كانوا يمسكوهن حتى نزلت آية الحدود ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « خذوا عنى ، خذوا عنى ، قد جعل الله لهن سبيلا : البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم »

بقيت لنا كلمة فى هذا المجال نذكرها باختصار — ونعد بأن نتكلم فيها بالتفصيل فيما بعد — هى آية « الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله » فقد نزلت مبينة عقوبة الزناة المحصنين، ويقول الفقهاء ان هذه الآية نسخت تلاوتها ولكن بقى حكمها وهو الرجم ، على ماورد فى الحديث المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

بقية المنشور على صفحة ٢١

قيمة كبيرة عند تدوين الاجيال القادمة لمراحل حضاراتنا كلها .

من الغريب أنه بالرغم من أصالة دراسة قدمائنا للغة ، وكمجرد أمثلة اذكر أن **الخليل ابن احمد** (ت ١٧٤ هـ / ٧٩٠ م) كان أول من درس الاصوات وبناء الالفاظ دراسة علمية . وكان وكان **ابن جنى** (ت ٣٩٢هـ/١٠٠١م) ، أول من وقف مع فلسفة اللغة وساق فيها نظريات مازالت أكثر عمقا من بعض مايقول به المحدثون . وكان **عبد القاهر الجرجانى** (ت ٤٧١ هـ/١٠٧٨م) اسبق بكثير من علماء اوربا الى القول بان الالفاظ المفردة التى هى أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها فى انفسها ، ولكن لان يضم بعضها الى بعض فيعرف فيما بينها فوائد ، ومازال اللغويين يجرون وراءه فى علم التراكيب او السانتكى — أقول انه بالرغم من هذا السبق القديم والاصيل ، فان العصور المتأخرة لم تقدم لدراسات اللغة شيئا كبيرا . وما زال الاجترار صفة غالبة على الدراسات الحديثة . واحسب أن بابا ضخما يمكن أن يدلف منه المحدثون وأعنى به العناية بدراسة لغات كبار شعرائنا وكتابنا . لم لا ندرس لغة شاعر من الفحول على حدة مثلا ؟ ولم لاندرس لغة غرض من الاغراض الشعرية المختلفة ولغة الفرق الدينية والاحزاب السياسية ؟ وهلم جرا . ان مثل تلك الدراسات ستكشف لنا حتما عما اضافه هؤلاء الاعلام وعما احدثته الاتجاهات الفكرية . وعندئذ سنستطيع وضع المعجم التاريخي واضحا ، ومحددا بداية ظهور الألفاظ وكيفية تناولها وماحدث لدلالاتها من تطور .

الا ما أشد خطورة اللغة وما أعظم خطرها . وما أولاها من صاحبها بالعناية وعدم الابتذال . وعسى أن تنجح الانسانية فى حماية نفسها من شرور فريق يعبثون باللغة ويزيفون للناس الاعتداد والصلف فيوشكون على دفع العالم الى هاوية حارة . .

دكتور مصطفى مندور

مسلك التبشير في خدمة الاستعمار

بقلم : عبد الله حافظ الخشن

طيرت وكالات الانباء في آونة قريبة خبرا مفاده أن حكومة السودان قررت طرد رجال بعثات التبشير الذين يعيشون في جنوب البلاد ٠ بعد ان تجمع لدى المختصين أكثر من دليل على أنهم وراء كل فتنة طائفية ومصدر كل مؤامرة انفصالية ٠

ولقد امتعضت فور قراءتي لذلك النبأ المثير ٠ واحسست بمرارة تفيض من حلقي الى قلبي ولساني ـ لا لان هناك فتنا تدبر او مؤامرات تحاك ، فذلك امر مشاع اصبح يجري في ايامنا مجرى العرف في حياتنا ، ولكن لأن تلك الجرائم البشعة ترتكب تحت ستار من الدين ، وهو أقدس ما في الحياة ، وتنسب الى نظام ، المفروض منه انه يحمل مشعل الهداية، يفرش بضوئه طريق الناس بالمسرة والسلام على هدى من التعاليم المسيحية وصلواتها المحببة : « طوبى لصانعي السلام » ٠

والتبشير هو الدعوة الى عقيدة من العقائد بالحسنى والاقناع ٠ وهو بهذا المعنى وفي هذه الحدود واجب ملقى على كاهل كل صاحب عقيدة يؤمن بها ، ويهب حياته لخدمتها ٠ ومن ثم فغايته شريفة ليس كمثلها غاية ٠ وعندما تكون العقيدة دينية فرجال الدين هم اول المطالبين بنشرها والتبشير بها في حدود الهدف النبيل ، وباسلوب شريف تقتضيه طبيعة الرسالة وتحتمه قدسية الميدان ، وما دام الدين كله لله ومن الله ، ولا خلاف بين العقائد السماوية على المبادىء الاساسية للحياة فلا مجال لمشاحنة اوصدام٠٠٠٠٠الا ان التبشير كما يحدث في بلادنا وكما نعرف في قارتنا قد خرج ـ أو أريد له أن يخرج ـ عن حدود الرسالة ، وتجاوزها في كثير من الأحيان الى النقيض تماما مما يجب أن تكون عليه خطته وأن توجه اليه عنايته ٠ حتى انه ليصعب الاعتقاد ان الذين مارسوا تلك الانحرافات هم رجال دين أصلاء أو جنود تبشير فعلا ٠ وانما نحن لا نستبعد اندساس الجواسيس والمخربين بينهم ، وغيرهم ممن ييسر لهم تأدية مهامهم أن يتزيوا بلباس الدين ، ويختفوا وراء واجهته ، لأن الدين ـ اي دين ـ يبرأ من التمويه والخداع اللذين انتهجهما التبشير في عديد من الأنحاء ٠

ونظرة عاجلة الى صفحات التاريخ عن الحروب الصليبية تعطينا الحق فيما انتهينا اليه آنفا ٠ فلقد كان بعض الرهبان من الموتورين أو الطامعين هم دعاتها وقوادها ، وهم الذين اججوا نيرانها باكذوبة من صنعهم : الا وهي تأمين طريق الحجاج المسيحيين وحماية الأماكن المقدسة من خطر موهوم في فلسطين ، وارتكبت أمام أعينهم وتحت أسماعهم مذابح جماعية يندى لها جبين البشرية قال عنها المؤرخ ابو الفداء : « انه لما سقط بيت المقدس في يوليو سنة ١٠٩٩ استمر الفرنج يقتلون من المسلمين في داخل المسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفا من بينهم جماعة كبيرة من أئمة المسلمين ٠٠ ولم ينج من القتل الا من استطاع الفرار الى بغداد ٠ وكان الوقت رمضان ٠ فلما وصل المستنفرون اليها اجتمع أهلها في المساجد يستقبلون الألوف الفارة ٠ واستغاثوا وبكوا حتى انهم أفطروا من عظم ما جرى عليهم ٠٠٠ » كل ذلك والرهبان في شغل عن واجبهم الديني فرحين بمفاتيح بيت المقدس وبما يمكن ان تجربه عليهم ناسين أو متناسين ان الدين يدعو الى التسامح بأوسع معانيه ويأبى كل تلك الجرائم البشعة ويبرأ من مرتكبيها ويرتد خجلا عن مشاهديها ٠٠٠ ولما انتهت الحروب الصليبية بعودة الغزاة الطامعين وبسيادة الحق وأصحابه وبدأ الاستعمار يكشر عن أنيابه ويستكلب نحو الغزو وما تبعه من سيطرة على الموارد وتصريف للانتاج ، انكشف لرجاله الأذكياء امكان استغلال التبشير في تحقيق

الاهداف وتذليل الصعاب فاستغلوا ما خلفته آثار الهزيمة وعودة الكثيرين من الرجال الى كنائسهم · ولم يمانع بعضهم فى القيام بذلك الدور ـ ان طمعا فى مادة أو سيطرة ، وان رغبة فى خدمة الدين أو ممارسة عمل ـ أى عمل ـ خارج الحدود ··· وفى هذا الصدد يقول « اللورد بلفور » وزير خارجية بريطانيا ابان الحرب العالمية الأولى : « ان المبشرين هم ساعد لكل الحكومات فى امور هامة · ولولاهم لتعذر عليها أن تقاوم كثيرا من العقبات » · ويكمل (اللورد اللنبى) الصورة ليعطينا مزيدا من الأسانيد والمبررات · فيكون أول عمل له فى فلسطين ، بعد أن دخلها بالجيوش العربية التى حاربت تلك الحرب مع أمته ـ أن يتجه الى قبر البطل الرابض « **صلاح الدين** » ويقف فوقه ويقول : « اليوم ـ فقط ـ انتهت الحروب الصليبية ، وهانذا يا صلاح الدين أقف على قبرك وحذائى فوق رأسك » ويومها كانت الحروب الصليبية قد انتهت منذ أمد بعيد ، وتعاقبت على زمانها أجيال وأجيال · وهكذا قدر لمرابض الاسود ان تكون مزارا لمن لا يرعون حرمة الميت ولا يقيمون وزنا للبطولات كي ما ينفسوا عن أحقادهم ، ويكشفوا عن معادنهم أول البرجراف

وتتبع الدوافع السياسية يفسر لنا كثيرا من المسالك المريبة التى اتقنها التبشير لخدمة تلك المخططات بينما كان المفروض أن يوجه الدين ورجاله السياسة ومحترفيها وليس العكس · والتاريخ القريب فى افريقية يوضح لنا كيف ان الانجليز ـ كغيرهم ـ اتخذوا من التبشير مطية لتكوين المستعمرات · فكانت ارسالياتهم تجوب البلاد برجال دربتهم وزارة المستعمرات حتى صاروا كالحرباء يتلونون بكل لون ويتظاهرون بكل ضعف· حتى اذا ما كونوا بسلوكهم ووسائلهم عددا من الزنوج المتنصرين دربوهم على القتال ، وقادوهم لارتياد بلاد أخرى بحجة مكافحة الكفر والمروق · والحقيقة المجردة ان الغرض الرئيسى لتلك الحملات لم يكن سوى جلب الخيرات ونهب الثروات وتركيز دعائم الاستعمار · كما توضح ذات الدوافع الأسباب الجذرية لفرية ظالمة انتشرت بواسطة من يدعون التبشير بين رجال القبائل فى (الكونغو) حيث ألقى فى أذهانهم عن المصريين انهم سفكة دماء المسيح ومرتكبو جريمة صلبه ·· وعلى ذلك لا يجوز التعامل معهم ولا يجب الجلوس اليهم · وواضح ان الدافع لتلك الفرية فى مبتدئه ومنتهاه لم يكن سوى اثناء عزم رجال قواتنا المسلحة عن القيام بدورهم المجيد فى خدمة شعب الكنغو والسير به نحو الوحدة والحرية وصولا الى بر الأمان · ولم تكن تلك الفرية الا واحدة من عقبات كثيرة وضعت فى طريق الرسالة التى كان على رجالنا أن يقوموا بها·كل ذلك حتى يبقى للاستعمار نفوذه واستغلاله وتظل للمصالح تحكمها وسيطرتها ·· ولا شك ان الدين المسيحى والمخلصين من رجاله تقشعر ابدانهم وتشمئز نفوسهم من مجرد سماع ذلك الافتراء المتعمد ومن رددوه فى غير استحياء ·

ومما يؤيدنا فى دعوانا ان التبشير قد خرج عن غرضه الأصلى واعرض عن مجاله القدسى احصاء الأماكن التى كثر فيها انتشاره ·· ولن نعجب اذا وجدناها اليوم بلادا خاضعة ـ او كانت ـ للنفوذ الاستعمارى · لان التبشير كان بحكم ـ ماأريد له ـ مقدمة أو مرحلة للاستعمار ··· ويدعونا هذا المسلك المشين لأن نتساءل بحق : ألم تكن مجتمعات الغرب الأصيلة التى نبع منها التبشير أولى بالهداية وأحق بالجهد دفاعا عن المبادىء الدينية المترنحة فى ارقى المجتمعات وأعم المجالات ؟ · بعد أن التهمت الفردية ـ نفوس الناس هناك ـ وحطمت الأنانية عواطفهم ، وشتت الالحاد ضمائرهم ، وقضت الاباحية واللامبالاة على ما بقى فيهم من امل وأمن وبعد ان سيطرت المادية سيطرتها الرهيبة متسمية بالمدنية أو التقدم ·· فعم الفسق والسفور ، وساد الانحلال والفجور ، وخرجت تلك المجتمعات الى الدنيا فى عصرنا نماذج بشرية للدعارة الخلقية لم يسبق لمثلها وجود ·· كما تجاوز الانحلال الخلقى هذا المدى الى مدى اكثر بشاعة فيفرق بين الانسان والانسان فى الحقوق لمجرد اختلاف لونه الذى خلق عليه بلا جريرة منه ·· وكان الجوهر الانسانى ـ هناك ـ يتغير تبعا لما اذا كان لون الجلد اصفر أو اسود أو أبيض ، كان الكرامة البشرية تختلف درجاتها باختلاف الاجواء والظروف ·· ووصل الامر الى حد تكوين العصابات المسيحية المسلحة فى ارقى بلاد العالم حضارة لمقاومة قانون الحقوق المدنية

الصادر اخيرا ليكفل للزنوج بعض المساواة بعد ان نات كواهلهم تحت اعباء التفرقة ردحا طويلا من الزمن حيث طوعت للرجل المسيحي ـ ابن المحبة والسلام ـ نفسه ان يعلق على باب محله لافتة تقول : « ممنوع دخول الكلاب والزنوج » .. بل ان الضمير الديني ليستصرخ رجاله أن يتجهوا اولا الى رجال الحكم في بلادهم للفت انظارهم الى بشاعة ما يرتكبون وفظاعة ما يأتون كل يوم عندما يوجهون الى الوطنيين في كل مكان من العالم الضربات الانتقامية الفظيعة . مستخدمين اقسى انواع الاسلحة الفتاكة ـ الممنوعة قبل المباحة ـ زجرا وردعا لمن ينادى صوته بالحرية لبلده أو يطالب بالمجاملة الانسانية التي هي حقه في الحياة او يقف في سبيل استنزاف الثروات وعرق الجباه وتحويلها الى سبائك من ذهب ليعم بها ومنها الخير للدخيل المتمكن بينما اصحاب الحق الشرعي يتضورون جوعا ويرتجفون عريا .. ولو ان للدين المسيحي أثره أو سلطانه في تلك النفوس ماكان يمكن أن يحدث هذا او ذاك ولا شيء منهما .

ولكي يحقق التبشير اغراضه المستترة ومراميه الخفية في الاماكن التي ارتادها سلك المسالك المتنوعة ولبس لكل حالة لباسها .. ومن اهم وسائله واشهرها سلوك سبيل التعليم المدرسي في معظم مراحله للذكور والاناث . ونشطوا في هذا الميدان الى اوسع مدى فاكثروا من المدارس ووزعوها في جميع الانحاء لغرس الثقافة الغربية في النفوس والعقول خلقا لجيل ـ أو أجيال ـ مشبعة بمبادئهم مقتنعة بأهدافهم .. وتدور من حيث لا تدرى في افلاكهم . وايضا يهدف جعل الجيل الذي يتعلم طبقات متنافرة وطوائف متنازعة . وقد احدث ذلك التنافر أثره عندنا في مصر ، ولعب دوره في تأخر نهضتنا وفي بعدنا عن العمل الايجابي لعدم تبلور مجتمعنا ولعدم استقراره لتلك الاسباب ولقد عبر السيد الرئيس عن ذلك بحق في فلسفة الثورة حين قال : « صحيح اننا كدنا ان نفقد توازننا في بعض الظروف ولكننا بصفة عامة لم نقع على الأرض ، وأنا أنظر أحيانا الى أسرة مصرية عادية من آلاف الأسر التي تعيش في العاصمة : الأب مثلا فلاح معمم من صميم الريف والام سيدة منحدرة من اصل تركي . وابناء الاسرة في مدارس على النظام الانجليزي ، وبناتها في مدارس على النظام الفرنسي .. كل هذا بين روح القرن الثالث عشر ومظاهر القرن العشرين . انظر الى هذا واحس في اعماقي بفهم للحيرة التي تقاسيها والتخبط الذي يفترسنا» ومما يؤكد خطر تلك المدارس وخطورة الميدان الذي تعمل فيه ان الدول التي تحرص على سيادتها واستقلالها تنبهت لتلك المسألة فرفضت اقامة مدرسة اجنبية واحدة داخل حدودها . فلا تجد في فرنسا مثلا مدرسة انجليزية ولا تجد في «انجلترا» مدرسة فرنسية . بل ان دولة اللقطاء والأفاقين (اسرائيل) لم تسمح لاية دولة من الدول ـ حتى لتلك التي ساهمت في اقامتها ـ بانشاء مدرسة اجنبية فيها .. ولم يقتصر الامر بطبيعة الحال على هذا الميدان لتحقيق المآرب وانما امتد ذلك الى ميادين اخرى كثيرة ومتشعبة : منها سلوك سبيل العمل الخيرى الظاهرى في المستشفيات والملاجىء ومنها استخدام النشر والطباعة واعمال الصحافة والسينما والتمثيل . وكلها اعمال ظاهرها الخير وباطنها شر مبين يعصف بالقومية ويشتت الفكر.

ولقد ساعد المبشرين على النجاح ـ لحد ما ـ عوامل كثيرة اجدرها بالاشارة عاملان **الاول** : خاص باوطاننا وهو التسامح الديني الاسلامي وابرز مثل له في ارضنا المصرية ان الاحتفال الديني الرسمي بالمولد النبوى الشريف كان يترأسه رجل مسيحي هو « بطرس غالى » رئيس الوزراء الذى مكن للاستعمار ووقف حياته على خدمته حتى اغتاله الشباب الوطني المصري جزاء وفاقا لشروره وخياناته .. ومع هذا وجد من رمانا بالتعصب الديني كمبرر للتدخل بدعوى حماية الاجانب . اما العامل **الثاني**: فهو المقارنة غير العادلة ـ التي عمد اليها رجال التبشير ـ بين حال الدول المختلفة التي يمارسون فيها نشاطهم وما هم فيه من تخلف وضعف وبين حال الاوربيين وما هم عليه من تقدم وقوة . مرجعين ذلك الى مسيحيتهم ، وذلك قياس فاسد ومغالطة مكشوفة لانه لا يجوز الربط بين الحالة المادية لتلك الشعوب في بعض العصور وبين حقيقة

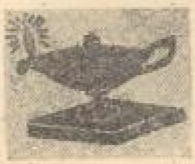
معتقداتهم • كما انه لا يمكن الربط بين اوربا الحالية وبين تعاليم المسيحية والا جاز الربط بين التقدم الحضارى الهائل لبعض شعوبها وبين المعتقدات اللادينية التى اقترنت بتلك النهضة وينبغى ألا ننسى ان التاريخ عرف حضارات عريقة وجدت قبل وجود الاديان •

تلك هى حقائق التبشير كما لمسناه وعرفناه • يكشف عنها التاريخ والدافع والأسلوب والمكان• • وفيه ما فيه من خروج كلى على تعاليم الدين ومبادئه المقدسة •• ومع ذلك فان اليوم الذى يزال فيه القناع وتبدو الوجوه سافرة لا يحجبها لثام — قد جاء فى اكثر من مكان • وفى سبيله الحتمى الى باقى الجهات طال الانتظار أم قصر • وها نحن اذ نمد البصر من حولنا نشاهد عن كثب المارد الذى انتفض جبارا في كل المستعمرات الافريقية يملأ الاسماع والابصار ويشهد الدنيا انه لا الاستعمار المباشر ولا اسلوبه المقنع استطاعا ان يحجبا النور الى الابد • حتى اصبح التبشير اليوم فى وضع لايحسد عليه— باعتبار ذلك نتيجة طبيعية للأخطاء التى وقع فيها فأفقدته القدرة على الاتجاه الصحيح — ولم يبق أمامه — بعد انكشاف أمره — الا التخلى عن أساليبه العتيقة التى لم تعد تنطلى على أحد ، والعودة الى الدين الحقيقى والى المجتمعات الأصلية وليبحث اربابه عن نظام آخر — ان لم يكن من ذلك بد — يلائم الروح المعاصر ، والمستوى الحاضر •

وتحياتنا من هنا الى الرئيس الغانى « **قوامى نكروما** » الذى أبدى رغبته الى قداسة البابا « كيرلس » لبحث امكانيات رعاية الكنيسة المصرية للكنائس الافريقية • بعد ان ضاق ذرعا بمسالك التبشير ونشاطه فى خدمة الاستعمار الذى لم يعد خافيا ، اذ افتضحت حقائقهم ووجهاتهم وما نحسب قداسة البابا الا مسارعا الى تلبية النداء •

ولكم كنا نود من صميم قلوبنا ان نغتنم هذا المجال لنشيد بالدعوة الجديدة المنتشرة الآن فى « اوروبا » للرجوع الى الكنيسة ولو بالعنف • وان نحييها ونتمنى لها النجاح من صميم قلوبنا اعزازا للمبادىء المسيحية الجديرة بالتحية والتقدير ، لولا انها — فى حقيقتها — محاولات حديثة الى صليبية جديدة ، وكأنها مرحلة جديدة قديمة لخدمة الراسمالية الغربية بعد ان افلست بضاعتها واوشكت على الاحتضار • فرأت انه لم يعد امامها لكى تعيش الا أن تصرف الناس عن مشاكلهم الاصلية ، مفتعلة مشاكل جديدة تستنزف بها جهد الجماهير لتامن غضبتها الكبرى — التى لا بد لها من ساعة — فتدفع الناس — بالتضليل والتلفيق — الى خوض غمار الصراع ومواجهة الحركات التحريرية تحت ستار الدفاع عن الدين ، ومجابهة ثورات الملونين باسم محاربة الوثنية ، ومقاومة النظم الاشتراكية بدعوى مقاومة الردة والمروق •

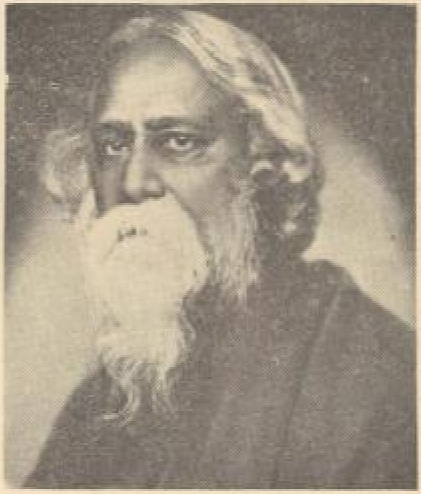
وازاء كل ما تقدم من خروج للتبشير عن نطاقه الطبيعى وحيدته عن الصراط السوى • وانصرافه الى خدمة المصالح الاستعمارية غالبا والخاصة احيانا فانه يتحتم علينا ان نضع فى تخطيطنا الفكرى خطة محاربته ومقاومته باعتباره وجها من وجوه الاستعمار وجزءا لا يتجزأ منه •• كما انه ينبغى أن نولى مزيدا من العناية لنشر دعوتنا العقائدية المنزهة عن كل غرض متوسعين فى ارسال البعوث الى كل مكان لتنشر النور والايمان ، على أن نظل حريصين — كما كنا دائما — على الابتعاد بالدعوة ورجالها عن الارتباط بأية أغراض سياسية أو التشيع لأية مصلحة فردية او قومية •• ذلك هو الطريق القويم والسبيل الحق والحق احق ان يتبع واجدر ان يسود •



بمناسبة ذكرى وفاة الشاعر طاغور

اللغة البنغالية وآدابها

بقلم محيي الدين الألوائي



طاغور

ان **اللغة البنغالية** على ما يرى كثير من علماء اللغات البارزين ، لمتحدرة من اللغة الشرقية المعروفة قديما باسم : « براكريت » وشأنها فى ذلك شأن اللغات الاخرى العديدة فى تلك المنطقة ، مثل الأسامية والأورية و « ما يتيلى » وما الى ذلك . وان « براكريت » لفرع هندى لسلالة اللغات الهندية الاوربية . وكانت تستوعب ، الى حد بالغ العناصر غير الأرية سواء فى الكلمات والنظريات والتخيلات والمعانى ، واقدم الامثلة لهذه اللغة الممتازة وآدابها الاشعار المعروفة باسم « تشاريا » التى اكتشفها العالم اللغوى الهندى الشهير « مهامهو بادهيا هارابرساد شاستيرى » فى المكتبة الحكومية بمملكة « نيبال » ونشرت فى عام ١٩١٦ للميلاد . ويرى البعض ان تاريخها يرجع الى ما بين عامى ألف او الف ومائتين للميلاد، بينما يقول البعض أن عهدها يرجع الى القرن الثامن الميلادى . ومهما كانت معركة الآراء حولها وحول تاريخ انشائها فان هذه الاشعار — على أدق التعبير — ليست منشورة فى لغة أدبية فصحى — وما هى الى توجيهات عامية دارجة من معلمى المدرسة البوذية المعروفة باسم : « مهايانا » وتعليمات حول رياضية « يوغا » وشروطها اللازمة .

واما الشاعر الفيلسوف « **طاغور** » فقد تحدث عنها بصفة خاصة خلال محاضراته الشهيرة القيمة عن دين الانسان . وكانت بنغال مركزا بوذيا — الى حد ما — فى القرون الاولى ، ثم تحولت الى مركز هندوكي فى عهد ملوك « سن » من عام ألف الى ألف ومائتين للميلاد . وفى احدى القصائد الحماسية القديمة اى : « سانيا برانا » سطور تتحدث عن اضطهاد البراهمة للبوذيين ، وتطلعهم الى الفاتحين الأتراك كالمنقذين لهم من ضغط المنافسين البراهمة . ويظن — بوجه عام — أن معظم الشعب المسلم فى بنغال — لأجل هذه الاسباب — متحدر من أصل بوذى اكثر مما هو من أصل هندوكى . ان القصائد البنغالية القديمة المعروفة « تشاندى بنغال » للشاعر الكبير « مكوندرام تشاكراورتى » الملقب « بكاوى كانكاى » فى أوائل القرن السادس عشر أو ما يقاربه من العهد لتمتاز بدقة الوصف وتفاصيل البيان لرجال ذلك العهد ونسائه وطرق الحياة فى زمنه ، وتتجلى فيها كيفية العبادة الشائعة حينذاك للاله « تشاندى » وأخبار الابطال والوقائع الحماسية الى جانب أساليب الحياة وطرقها الرائجة فى تلك البقاع من أدق تعبير وأسهله .

الدور الجديد :

لقد تبرع القرن السابع عشر بشاعرين مسلمين ملهمين فى الادب البنغالى وهما « دولت قاضى » و « سيد علاؤل » اللذان ترعرعا تحت رعاية الملوك المغول « باراكان » وأعوانهم الكبار وتوفى « دولت قاضى » فى عنفوان شبابه ، ولكن بعد أن ترك تراثا خالدا فى الادب البنغالى. واما علاؤل فقد عاش عمرا طويلا ،وامتازت أشعاره بوفرة العلوم العديدة والتوجيهات الواسعة النطاق ، تلم مختلف مرافق الحياة الانسانية، وقدما كلاهما تحفا أدبية ذات أهمية كبرى للمكتبة البنغالية ، سيما أن اشعارهما تنطوى على حب خالص ، وتشحيذ ذهنى انسانى مطلق بعيد عن الشوائب الطائفية او الدينية او العنصرية ، وكانت دعوتهما الى الذهن الادبى للادب المحض والحب للحب النقى العام واليقظة لليقظة الطاهرة لضمير الانسان ، واستخدما الآلهة والاديان المتعددة لنشر الفكرة الانسانية المطلقة والنهضة الروحية الخالصة تتطلب النجاة السرمدية .

أتى فى بداية القرن الثامن عشر الميلادى ـ بعد ـ قاض وسيد ـ الفنان القدير « بهارت تشندرا » واستمر نجمه بارزا نحو قرن بأكمله . وكان عبقريا فذا فى كتاباته ومقالاته.ولكن الدور الراهن حينذاك لم يساعد على ازدهار تبرعاته الادبية والفنية الى حد بالغ . وتلاه فى الميدان الادبى « رامبروساد » الذى حاول من بداية حياته الادبية الكتابة على منوال « بهارت تشندرا » ولكنه لم يفلح فيها كثيرا ، واشتهر صيته فى أوساط الشعب البنغالى بفضل أناشيده الدينية فى مدح « كالى » الهة الحب بطريقة جذابة تعجب جميع طبقات البنغاليين . وهكذا دخل الادب البنغالى فى دور جديد يمتاز عن الماضى ، وبعبارة أخرى تطور هذا الادب من الاساطير والقصص الخرافية ، والملاحم والحماسيات الى دور الحب الطبيعى ،ووصف البدائع فى الكون .

الادب النثرى فى البنغالية

يرجع الفضل الاكبر فى النهوض بالنثر فى البنغالية الى مجىء كلية « فورت وليام » الى ميدان العمل فى بداية ذلك القرن ، وكانت الكلية تهدف الى اسداء التسهيلات اللازمة لتدريب المدنيين ، فوضع بعض رجال التعليم حينذاك مثل « وليام كارى » ، و « مرتيون جوى ودهيا لنكار » كتبا دراسية فى النثر البنغالى لأجل هؤلاء المدنيين ، الذين كانوا يتدربون فى تلك الكلية ، وأحرزت هذه المحاولات نجاحا باهرا فى مختلف المواضيع . ولكن النثر البنغالى القوى المنظم قد برز الى حيز الوجود بفضل قلم المصلح الكبير والكاتب القدير «راجا رام موهن روى» بطريق منشوراته التى نشرها يدعو الى الاصلاحات الدينية والاجتماعية والأخلاقية، وكان «راجا رام موهن روى» متقدما عن زمنه ، ولم يقدر عامة الناس قيمة المبادىء التى دعا اليها ، ورفضوا الاستماع اليها ، ولكن نبذة من فطاحل العقلاء فى القرن التاسع عشر تنبهوا الى قيمة مبادئه وأهدافه ، واهتدوا بهديه ، وساروا فى منواله فى دعواتهم وتعاليمهم الاصلاحية ، وأسسوا بنيان تقدم بلادهم فى النهج الذى سار فيه « راجا رام موهن روى » وكان هذا التطور نقطة تحول فى تاريخ النهضة البنغالية ، وفى تاريخ العهد الانجليزى فى الهند بالقرن العشرين .

وأما النثر البنغالى فقد أحرز تقدما ملموسا فى القرن التاسع عشر ودخل الى حقل الجودة والمتانة والتنوع لفظا ومعنى ، ونشأت هناك فى ذلك العصر مدرسة رام موهنية ، عرفت باسم « تتوابودهنى» .

الأدب الحديث

ونشأ فى ذلك العصر شاب نشيط يقف فى مقدمة صفوف شباب البنغال الكتاب المهرة وهو « مشيل مادهو سودن دت » الذى اشتهر بكتاباته فى اللغة الانجليزية ، وتبحر فى عدة لغات أوربية قديمها وحديثها ، ويعد « دت » من مؤسسى الأدب البنغالى الحديث ، ومن أوائل الشعراء البنغاليين المحدثين . وكان بمثابة جسر بين الثقافتين الأوربية والشرقية، بعد أن كانت هناك فجوة تبعد بينهما ، وأصبحت الآداب الأوربية شائعة ومعروفة بين كتابنا وقرائنا بفضل عبقريته ومساعيه الجميلة فى التقريب بين الآداب المختلفة فى العالم .

وبعد أن أحرز الأدب البنغالى نجاحا كبيرا واسع الأفق بيد « دت » أتى كاتب بنغالى ملهم آخر ألا وهو « بنكيم تشندراتستندوباهيايا » وكتب رواية انجليزية باسم « راج موهن » وأنتج كذلك عدة روايات عالية القدر ، وذائعة الصيت فى الادب البنغالى ، ولم يمض وقت طويل حتى برز رائدا للنثر البنغالى الحديث ، وحاز مقاليد الكتابة فى عصره .

نتيجة لهذا التحول الجديد جاءت مسارح قومية فى شتى أنحاء البلاد تعرض فيها مسرحيات وتمثيليات تدور حول القومية المتزايدة والاحترام البالغ للمبادىء الدينية والأسطورية القائمة فى أذهان الشعب الهندى ، ووضع «بنكيم تشندرا» عددا من الروايات المليئة بالأفكار القومية والحقائق التاريخية الثابتة ، وكلها أو جلها يهدف الى بذر بذور حب الوطن ، والشعور القومى فى أذهان الناس ، ودعوتهم الى التضحية ، والتفانى فى سبيل الوطن والأمة ، وقد ذاع صيته كوطنى كبير ورائد للقومية الهندوسية ، ولا يسعنا الا أن نصرح ببعض الفشل الذى منى به فى الروايات التى كتبها فى أواخر حياته ، مع كونها ذات قيمة كبرى فى شتى النواحى، منها عدم الاعتناء بمواجهة القضايا الوطنية القائمة فى البلاد فى ايامه ، ولكن تعقدا قد بدا فى ثنايا افكاره لم يتسبب مطلقا فى الحط من شىء من حبه العميق للوطن وشدة قلقه على الهوة التى سقطت فيها بلاده فى شتى مرافق الحياة اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وثقافيا ، وكان فى الحقيقة مصدر قوة لكتاب عصره والذى بعده .

طاغور والأدب البنغالي

كان طاغور ينحدر من عائلة عريقة في الوقار الذاتي ، وبعيدة عن المباهاة والتظاهر ، مع أن الشاعر الكبير «بهاري لال» قد ترك نفوذا بالغا في تكوين شخصية طاغور ، وتشكيل عقليته ، ونما رابندرانات طاغور كشاعر طبيعي يملك مواهب شعرية فطرية حرة من شوائب التقليد ، وأدران الخرافات البالية ، وبرز شاعرا ينتمي الى مدرسة « الفن في سبيل الفن » مع مهارة تامة وعبقرية كاملة في فنه ٠ وبدأ يضع مقدارا قيما من الأناشيد الرائعة الجذابة ، والمسرحيات ، والقصص القصيرة ، والمقالات الجيدة منذ سن العشرين من عمره ، وبعد مدة قصيرة من حياته الادبية ، شعر بضرورة ملحة للخوض في خضم الحقيقة ، ونشدان الحق ، وسبر الأسرار الكامنة في طيات الطبيعة ، بقلب حازم ثابت ، وعقل متدبر وقاد ، ونتيجة لنشدان الحق، وهروبه وراء الطبيعة ، طبقا للمعرفة والحقيقة الكلية ، وحبه العميق لجمال الخلق ، نشأ فيه الحنين والتلهف الى معرفة اله ، وبعبارة أخرى نحو العرفان ، والحقيقة ، والخير العام ، وادراكه الواسع العميق لحقائق الحياة لم يدعه يعترف بالفوارق القومية ، والوطنية ، مع كونه ينحدر من عائلة هندوسية وطنية تتمسك بالتقاليد القومية ، وادرك بثاقب فكره أن بلاده لابد أن تتبع حياة جديدة ، بعيدة عن التقليد الأعمى لمظاهر الحياة الاوربية ، وعن الخزعبلات التي علقت بمعتقدات عامة الناس ، وأثرت في طرق حياتهم ٠

واتم رابندرانات أربعين عاما من عمره الحافل بالأعمال القيمة في سنة ١٩٠٠ للميلاد ، وحاز حينئذ رتبة شاعر عظيم من جميع الوجوه والمعاني، وأما اجتهاده وحماسه البالغان فقد ضمنا له عظمة أكثر من هذا ٠ ولكن طاغور في تلك الفترة نال صيتا بعيدا وراء حدود ولايته أكثر مما ناله من أهله وقومه ٠ وكان القرن العشرون نقطة تحول هامة في الادب البنغالي بظهور مجموعة شعرية معروفة لطاغور « ناي وديا » مشتملة على مائة قصيدة من الشعر القيم ، ومعظمها حول وعي الشاعر عن أسرار الكون ، وخالقه، وقداسة الحياة اليومية ، وواجب كل انسان نحو وطنه وأمته ٠ وكانت هذه المجموعة كتابا قيما قويا لطاغور ، ويعد في مقدمة المواهب التي منحها لشعبه ، وللانسانية جمعاء ٠

طاغور يتكلم عن طفولته

قبل أن ندخل الى مرحلة أخرى للأدب البنغالي ينبغي أن نلقي نظرة خاطفة على نشأة الشاعر البنغالي الكبير، والأديب العالمي الشهير، والفيلسوف العصري العظيم رابندرانات طاغور ، بصفة كونه أس الأدب البنغالي ونقطة تحول كبيرة في تاريخه ، ومما يزيدنا ابتهاجا وسرورا أن نقف على أيام طفولته ، والمحيط الذي أدى الى تكوين شخصيته العبقرية الفذة ، ودعنا ندرك الماما عن طفولته ، وأيام نشأته بقلمه هو ، فيكون نورا على نور لا يتسرب اليه الشك ، وشائبة الريب ، فيقول طاغور :

« كنت اصغر الأخوة الثلاثة ، نشأنا معا ، وبدأنا التعلم في وقت واحد ، وأن الأسطر الأولى التي وعيتها منذ أن بدأنا القراءة والكتابة في الطفولة الكلمات الآتية ، الموسيقية ، السهلة المنال ، ودقيقة المعاني :

« ان المطر ينهمر ، والريح تهز الأوراق ، وقطرات المطر تبللها » وحفظت هذه الكلمات ، وكانت أول المحفوظات التي أذكرها ، وكانت عائلتي تستخدم صرافا يدعى « كيلاس » الذي هو لطيف الخلق ، وحلو الكلام وقوي التعبير ، وغزير المواد التعليمية، وأعجبني الاستماع اليه دائما بكل شغف وتلهف ، وكانت كلماته ترتسم بذاكرتي بدون أن تنمحي بسرعة ، وهي بمثابة حكم بالغة ، واصبح الباعث الأول لتحبيب المطالعة والقراءة الى قلبي ، ولما تزوج « كيلاس » طرنا فرحا لاننا وجدنا بطلة أيضا الى جانب بطلنا « كيلاس » في الاسداء الينا الحكم والأخبار الطريفة ، والحكايات العجيبة ، وكانت عروسه صغيرة السن ، جميلة الشكل ، ساحرة المنظر ، تتزين بحلي من الراس الى القدم ، ومن الطرافة جدا أن صورة هذه العروس التي ارتسمت بمخيلتي منذ الطفولة ، ظلت مصدرا استلهم منها كافة الصور عن معظم النساء اللاتي كن يلعبن أدوارا هامة في منتجاتي الأدبية ٠

وفي يوم ما في بداية حياتي المدرسية رأيت أخي الأكبر وابن أختي « ستيا » يركبان عربة الى المدرسة ، والى ذلك اليوم ما كنت أركب العربات في حياتي ، بل ولم أخرج بعيدا عن البيت ، ولما عاد « ستيا » من المدرسة ممتلئا من النشاط والفرح

البقية على صفحة ٣٤

الطفل المجهول

« للشاعر محمد الجبار »

(الى كل اب يتمنى طفلا)

في منزل ٠٠ لك ياصغيري٠٠ يارجاء العمر٠٠ حجره
ولكم نثرت على سريرك أمنيـاتي ٠٠ ألف زهـره
من أنت٠٠ أين تكون٠٠ كيف أراك تحت الشمس مره
لم لا تطل على خريفي ٠٠ كي أرى للفجر ٠٠ فجره

❋ ❋ ❋

اني زرعت مشاتل بيديك ٠٠ كي تخضـل نضره
يا طفل٠٠ يا من عشت عمر تعاستي٠٠ أشتاق عمره
يا كم رسمتك في صحاري الثلج٠٠ واحات٠٠ وخضره
ومددت كف مدامعي ٠٠ لأذود عن عينيك ٠٠ عبره

❋❋❋

هل انت حلم الكائنات ٠٠ تعيشني ٠٠ أم سر المجره ؟
أم أنت بذرة زارع أعمى ٠٠ تموت بقلب حفره ؟ ؟
يأتي الربيع مبكرا ٠ ٠ ويدوسها ٠ ٠ فتئن حسره !!

❋ ❋ ❋

في ليـلة شتوية قد جئتني وجهـا مطـلا
أيقظت امك ٠ ٠ ربما ٠٠ ألقاك تحت الظل ٠٠ ظلا
فلمحت وجهك في الضباب٠٠ همست للميلاد : أهلا
اسرع٠٠ وكن عمري الجديد ٠٠ غدا ربيع العمر يبلى
اسرع ٠٠ فان الله للانسـان فوق الارض ٠٠ ملا

❋ ❋ ❋

والفجر يولد متعب العينين ٠ ٠ والأنسـام كسلى
أنا كم صحوت على صدى الآهات من أعماق ثكلى
يا كم حسبت أنينهـا ملأ الوجود الرحب ثـكلا
حتى الدموع لهـا صلاة ٠٠ أعطني ٠٠ يارب طفلا
فأقول : لا ٠ ٠ لا تحزني ٠ ٠ ولتبسمي للطفل جذلى
أصغي هنا ٠ ٠ في قلبك الباكي ٠٠ نشيد منه حلا

طرقات كفيه على بابي ٠ ٠ فردي الآن : أهـلا
أهـلا بمن حولت شـوك الأرض في كفيـه ٠٠ فلا

❋❋❋

ماذا تسميه ؟ ؟ تسميه المنى الخضراء ٠ ٠ ٠ مهـلا
ولتصنعي ثوبا له يبـدو به في العيـد ٠٠ أحلى
لو جاء طفـلا فهو قيس ٠ ٠ أو فتـاة ٠٠ فهي ليلى

❋ ❋ ❋

يا أيها النغم الذي في الليـل يدفئـه السـكون
يا أيها الحلم الغريق هناك ٠ ٠ في غسق العيـون
الارض تزخر بالصغـار٠٠ وبيتنا٠٠ أبدا٠٠ حزين
ولن يضيء الشمع ٠ ٠ ما دامت عيونك لا تبين ؟ ؟
اقبل ٠٠ لكي أعطيك ارث الدمع ٠٠ ارث الضائعين

❋ ❋ ❋

حقا ٠٠ حيـاة النـاس آلام تشـد اليائسين
لكنني أشتاق لو تأتي ٠ ٠ ٠ وتفني بعـد حـين
يا غنوتي ٠ ٠ أيان ألقى وجهك الشادي الحنـون
في منزلي لك لعبة ٠ ٠ حـيرى ٠٠ تمر بها السنين
وأخاف لو كسرت ٠٠ ولم تقبل الى دار الشـجون

❋ ❋ ❋

يا رب ٠٠ باسم توسلات الورد فوق الرابيـات
وبحق دودة صـخرة تبغي الحيـاة ٠٠ على الفـلاة
وبحق دمعي ـ يا صديق الدمع ٠ ٠ في ليل الشكاة
أن ترحم الانسان ـ كل الناس ـ في أعمـاق ذاتي
عيناي أرهقتا ٠ ٠ وقيثاري ٠ ٠ تزيف الأغنيـات
وأريد طفلا واحدا ٠ ٠ ٠ فيه بقـايا أمنيـاتي

الى عرافة

للشاعر عبد العليم القبانى

اقرئى ما شئت الا خـاطرا — صنته عن أعين الناس جميعا
خاطر بين ضلوعى .. كامن — ود لو فاض بعينى دمـوعا
لا تطلى هكذا .. فى ناظرى — وشك السر المخبأ أن يذيعا
حولى عينيـك عنى .. اننى — لم أطق حتى الى نفسى رجوعا
قد عرفت السر .. ياويحى اذن — حين أغدو قصة الغيد الملاح
قصة .. فيها خريف موحش — ضل ما بين ورود وأقاحى

***

لا تقوليها .. فحسبى ظلمة — بين قوم لا يحسون جراحى
لاتقوليها .. فقد أشقى بها — عشت اطوى فى ثناياها صباحى
غير أن الفتنة الشقراء دارت — تنقل الأسرار من عين لعين
تفتح الـكف بكف صورت — من سلاف وعبـير ولجــين
كلما أومت الى قلب .. هنا — ذاهلا أو والها أو بين .. بين
لا تطيل الهمس فالكاس التى — فى يدى، جنت ، وجنت مرتين

***

لاتطيل البوح يا حسناء انى — مهجة تذوى . وقلب يتململ
سرى الآن بعينيـــك فلا — تتركيه بين صحبى يتنقـل
لاتقولى ، راهب القوم غوى — اننى فى موكب اللوام أعزل
آه من لحظة ضعف خلتهـا — فى ظلال الحسن من عمرى أطول
هل تطيق الصمت ياقلبى لعوب — تفضح العشاق بالهمس الشجى؟
أعلنت فى الساحة الظمأى حديثى — فاذا بى قصة ملء النـدى

***

أنت ياقلبى الذى أوليتهـا — كل احساسى ى فهل فزت بشىء ؟
لحظة الحب التى .. مرت بنا — أتراها تعدل العمر الشقى ؟
آه .. يالى من أسى يغمر نفسى — كلما قلت سأمضى فى طريقى
كل آمالى واحـلامى بقلبى — كغريق لاذ يأســا بغريق
ياصديقى آه لو تدرى بأمرى — غير أن الآه ندت عن صديقى
كلنا .. بين يديها .. لعبة — لم تكن وحدك فى الخيط الوثيق

بقية المنشور على صفحة ٣١

قص على حوادث النهار فى المدرسة ، ومجرياتها واحسست حينذاك بشغف كبير ، وشوق بالغ الى الخروج من البيت فى سبيل التعلم واللعب، وشاهدنى معلمى فى البيت أبكى ، فسال عن سبب البكاء ، فقلت انى تواق للذهاب الى المدرسة ، ولا أستطيع المكث فى قعر البيت منذ اليوم ، وأتذكر بان المعلم اجاب بقوله : أنت تبكى لكى تذهب الى المدرسة ، وستبكى أكثر من هذا فيما بعد ، لئلا تذهب الى المدرسة ، وتحقق تكهن ذلك المعلم الى حد كبير فى أيامى المدرسية ، ولا تزال نصيحته عالقة بذهنى الى أيام أخيرة من عمرى ، ولما التحقت بالمدرسة الشرقية سئمت من العتاب والعقاب اللذين ينزلهما المدرسون بالتلاميذ الصغار ، مع أنى لا أذكر شيئا يستحق الذكر تعلمته فيها ، ويجب على علماء النفس أن يقوموا ببحوث علمية دقيقة حول جدوى مثل هذه المعاملات فى التلاميذ وتعليمهم ، والغرس فى أذهانهم الاحترام نحو المدرسة والمدرسين ، ولا يساعد هذا النوع من الايلام والتعذيب الا على خلق العقد النفسية طول حياتهم .

نشاته الشعرية

فيقول فى معرض اتصالاته عن شغفه بالشعر

« كنت شغوفا بالأدب والشعر منذ السن المبكرة، وأول ما وقع بيدى من هذا القسم ترجمة بنغالية لأساطير « تشانكيا » ، ثم ترجمة « رامايانا » وحتى اليوم تنبعث فى ذاكرتى صورة ذلك اليوم الذى قرأت فيه «الرامايانا» وكانت السماء مظلمة تكسوها سحب كثيفة ، وفى يوم من الايام من طفولتى كنت ألعب فى الشرفة المطلة الى الطريق وفجأة بدأ « ستيا » يصيح يا « شاويش » ! يا « شاويش » بصوت عال ، وكانت فكرتى عن البوليس الى ذلك الحين بأنه اذا وقع متهم فى أيديهم يعذبونه تعذيبا شديدا بكل قسوة وبلا رحمة ، ولأجل هذه الفكرة الراسبة فى ذهنى حينما سمعت نداء «ستيا» أخذنى الفزع الشديد ، وهربت الى داخل البيت ، وأغلقت الباب من الداخل ، ولجأت الى أمى مرتعدا من الخوف، ولكن والدتى لم تبال ببكائى كما أنها ظنت بأنه من البكاء العادى الذى يصدر حينا فآخر من الاطفال الصغار فى سنى ، وفى الوقت ذاته وقعت عيناى على الكتاب الذى كانت تقرؤه جدتى ، واخذت أحدق اليه فاذا هو « الرامايانا » الشهير ، فقرأت بعض الأسطر منه ، وتوقف بكائى ، ولم تمض الا ساعات قليلة لقد انتهيت من مطالعة « الرامايانا » » .

وتعلمت أغنية شعبية شائعة عن شجرة الموز فى تلك الايام ما معناها :

« أيتها الشجرة العجوز للموز ، تقفين فى مكانك جامدة ، طول الليل والنهار ، وهل تذكرين أيتها الشجرة ، ذلك الطفل المرح ، الذى كان يلعب دائما بظلك ، وتحت أوراقك الطويلة ، ولكن لا أنسى !!..

ومن البديع جدا أنه كان هناك غدير صغير من الماء الذى كانت تتروى به هذه الشجرة ، وتنعكس فيه أغصانها ، وعناقيدها الخضراء . وما كنا احرارا لنخرج الى الخارج من المنزل كما نشاء ، ولذا تعودنا على اطلاق عنان أعيننا وأخيلتنا من وراء الحواجز والقضبان ، وكانت عينى دائما تقع على هذا الفناء الفسيح الملء بسحر الطبيعة ، وضوء القمر ، ورقرقة الغدير الجارى ، وتغاريد الطيور ، وهمهمة الحيوانات فى أوقات الليل ، وكل هذا وذاك من المناظر الخلابة، والصور البديعة ، قد ارتسمت فى مخيلتى ، ودفعتنى الى التفكير العميق فى أسرار الكون ، وجمال الطبيعة وبدائعها وساعدت هذه الصور على تكريس حياتى لأجل الكشف عن بعض أسرارها وخباياها ، وخفاياها .

ويكتب طاغور عن تلك الذكريات فى احدى رسالاته :

« كان الطير الأليف محبوسا فى القفص ، وكان الطير الحر طليقا فى الغابات ، ومرة التقى الطيران - الأليف والحر - فصاح الطير الحر قائلا : أيها الحبيب : دعنا نطير الى الغابة ، فهمس الطير المحبوس فى القفص اليه ، تعال معى ، نعيش معا فى القفص ، فأجاب الطير الحر الطليق يا حبيبى : كيف يتسنى لنا أن نرفرف جناحينا بحرية كاملة اذا كنا سجينين فى القفص فبكى الطير المحبوس : وقال يا أسفاه ! لست أدرى أين أجلس مستريحا فى السماء !. »

محيى الدين الألوائى

الشعر بين الجمود والتطور

تأليف العوضى الوكيل

بقلم محمد طاهر الجبلاوى

هذا الكتاب الصغير يجمع بين دفتيه أغراضا كبيرة فى تاريخنا الادبى الحديث فقد تناول الشعر منذ نهضته الاولى على السنة شعراء الديباجة وفى مقدمتهم البارودى وشوقى وحافظ وصبرى وتحدث بأفاضة عن حركة التجديد التى قام بها العقاد والمازنى وشكرى واسماهم شعراء الديوان. وأرى فى هذه التسمية بعض التجوز فيما يتعلق بشكرى ، فشكرى لم يشترك فى كتاب الديوان ، بل كان هدفا له ، وقد تناوله المازنى بنقد مرير فى هذا الكتاب تحت عنوان صنم الالاعيب · فاذا أشركناه مع شعراء الديوان فلانه يتمذهب بمذهبهم ويتفق معهم فى وجهة النظر التى دافعوا عنها قبل صدور هذا الكتاب وبعده وهو ولاشك شريك فى الحركة التجديدية وان لم يشارك فى كتاب الديوان

وقد هاجم شكرى المازنى ، واتهمه بالسرقة فى بعض قصائده ، ورد عليه المازنى يعزو هذه السرقة الى توارد الخواطر وكثرة المحفوظ . وهاجم المازنى شكرى فاتهمه بالجنون واورد الشواهد والامثلة من شعره ليثبت صحة دعواه ، وكان شكرى مدرسا حريصا على سمعته بين تلاميذه فانقطع عن الكتابة واعتزل البيئة الادبية وتخلف عن الركب وظل عشرين سنة يقول الشعر ولاينشره وزار المازنى الفيوم سنة ١٩٣٠ وشكرى ناظر لمدرستها الثانوية وطلب لقاءه فلم يقبل ، فأرسل المازنى اليه قصيدة بليغة يذكره بسالف الود ، وأجابه شكرى بقصيدة يقول فيها :

رحيق الحياة الود لو دام صفوه
وكالراح أحلاه المعتق ذو العهد

واحسنه ماكان من عصرة الصبا
ولم يحل بعد الشيب مستحدث الود

رأيت الصبا ودا وود الصبا صبا
كيانهما الممزوج كالجوهر الفرد

وقد اعتزل الشاعران حركة التجديد وسار بها العقاد الى شوطها الاخير وكرس حياته للدفاع عنها .

وقد تناول المؤلف فى كتابه الحديث عن الشعر ومقوماته العروضية ليخرج من كل هذا الى الحديث عن الشعر الجديد .

وهو يرى أن اصحاب الشعر الجديد لم يصححوا مفهوم الشعر كما فعل سابقوهم بل انهم قد ابتدعوا مفهوما جديدا له يقوم على تغيير كثير او قليل فى الشكل والمضمون .

وارى ان الشعر العربى فى تاريخه المديد لم يقف

جامدا كما قد يظن ، بل كان يتجدد ويتطور ويمدنا بكل جميل وجليل على مر السنين واذا تبينا عصور الادب العربي على اختلافها وجدناها لم تخل قط من شعراء مجددين .

لقد كان امرؤ القيس مجددا في معانيه حين وصف جواده بقوله :

وقد اغتدى والطير في وكناتها
بمنجرد قيد الأوابد هيكل

مكر مفر مقبل مدبر معا
كجلمود صخر حطه السيل من عل

كميت يزل اللبد عن حال متنه
كما زلت الصفواء بالمتنزل

الى آخر الابيات

وكان مجددا حين وصف الليل بقوله :

وليل كموج البحر أرخى سدوله
على بانواع الهموم ليبتلى
فقلت له لما تمطى بصلبه
واردف اعجازا وناء بكلكل
الا ايها الليل الطويل الا انجلي
بصبح وما الاصباح منك بامثل
فيالك من ليل كان نجومه
بأمراس كتان الى صم جندل

وكان مجددا وهو يتسلل الى محبوبته ويقول :

سموت اليها بعد مانام اهلها
سمو حباب الماء حالا على حال

وكان عمر بن ابي ربيعة مجددا حين ادخل القصة بكل معانيها في رائيته التي يقول فيها بعد ان رقد السمار واطفئت الانوار .

وغاب قمير كنت أرجو غيابه
وروح رعيان ونوم سمر

واطفىء عني الصوت اقبلت مشية
الحباب وشخصي خيفة القوم آزور

وحييت اذ فاجاتها فتولهت
وكادت بمكنون التحية تجهر

وقالت وعضت بالبنان فضحتني
وأنت امرؤ ميسور امرك أعسر

فقلت لها بل قادني الشوق والهوى
اليك وما عين من الناس تنظر

ويقول في وصف نفسه :

رات رجلا اما اذا الشمس عارضت
فيضحي واما بالعشى فيخصر

اخا سفر جواب أرض تقاذفت
به فلوات فهو اشعث أغبر

قليل على ظهر المطية ظله
سوى ما نفى عنه الرداء المحبر

الى آخر هذه القصة الطريفة :

وكان ابو نواس مجددا ودعا الى التجديد في شعره فقال :

صفة الطلول بلاغة القدم
فاجعل صفاتك لابنة الكرم

وقال :

واذا وصفت الشيء متبعا
لم تخل من جهل ومن عقم

وكان البحتري مجددا في وصف البركة وفي وصف ديوان كسرى وفي كثير غير ذلك . وكذلك ابو تمام في وصف الفتوح الاسلامية .

وكان شعراء الاندلس مجددين في الشكل والمضمون وقد غذوا الشعر بصور بديعة من الموشحات والمسمطات .

وهكذا نرى أن الشعر العربي لم يخل من الجديد والمجددين .

وقد ظهرت حركة التجديد ، واتخذت لها صورة واضحة المعالم عند العقاد والمازني وشكري . فانكروا

على شعراء النماذج جريهم وراء المتقدمين ومحاكاتهم للقـــديم في اللفـظ والصـياغة والمعنى في غالب الاحيان ٠

وقد قاد هذه الحركة العقاد وحمل لواءها كما قدمنا حتى وصل بها الى الغاية المرجوة ٠

ثم ظهرت في الايام الاخيرة حركة الشعر الجديد :

وفي كل حركة بركة كمـا يقولون ، الا أن هـذه الحركة وقفت عند حد محدود ٠ وكان اصحابها ظنوا أن الشعر الجـديد ولد كاملا ٠ فلم يدخلوا عليه اى تغيير أو تبـديل فوقف جامدا ولم يصـل الى تمامه وتسلل اليه بعض من لا يحسنون القول ٠

وكان على اصحاب هذه الحركة الخطيرة التي ترمي الى تغيير مفهوم الشعر العربي الذي عاصر الطبيعـة العربية منذ خلقت ، أن يفـكروا فيما هم مقدمون عليه ٠

وكان عليهم ان ينظروا بعين الاعتبار والتقدير الى ما يوجه اليهم من النقد ، وقد تعرض لنقدهم رجال من أئمة الأدب في العالم العربي ٠

كان عليهم أن يدخلوا على شـعرهم الجديد بعض التجديد ويوائموا بين مقاصدهم ومقاصد النقاد ٠

يقولون ان الشعر الجديد يسير على نظام التفعيلة الواحدة ٠ ولم لا ؟! فـكثير من بحور الشعر العربي يسير على التفعيلة الواحدة ٠ ولـكن هناك فرق بين التفعيلة حين توضع في موضعهـا وحدودها ، وبين التفعيلة حين تسرح وتشطح وتنساب بغير حدود ٠

ان الموسيقى شيء أساسي في الشعـر سواء أكان قديما او حديثا واذا خلا الشعر القديم من الموسيقى فاني لاأعده شعرا٠ ولو كان ملتزما القافية والعروض وكذلك الشعر الجديد ، وقد يخيل الى أن الشعر الجديد شعر التفعيلة الواحدة ليس جديدا على الشعر العربي٠ هو مسـودة الشعر حين ظهر لأول مرة في عصـور ساحقة قبل ماسجل من تاريخ الادب المعروف لدينا٠

ويخيل الى أن أول رجـل قال الشعر العربي قاله على نحو ما يقوله اليوم شعراء الشعر الجديد، ثم أخذ الشعر يتطور ويترقى حتى وصل الى ما وصل اليـه الشعر الذي تراه في دواوين شعراء العرب ٠

ومن يدري فلعل الشعر الجديد يتطور ويترقى على هـذا النحو وتتم الدورة فيعود شـعرا منتظمـا في تفاعيله وقوافيه ٠

ولا أقول على أوزان الخليـل فهي ليسـت ملزمة لشاعر من الشعراء، بل على نحو يرضى الفن الجميل ٠

وليـكن الشعر الجديد بذرة في هـذا الحقل الذي نرجو أن يأتينا بأينع الثمرات أما الكتاب الذي نحن بصدده فقد ناقش موضوع الشعر الجديد من وجهة نظر المؤلف تارة ومن وجهة نظر أصحاب الجديد تارة اخرى وكان مؤلفه حسنا في تعبيره منصفا لأصحاب الجديد والقديم ٠

وليعلم اصحاب الجـديد أن الرموز والتشبيهات ليســت كل شيء في الشعر فهنـاك اللفظ الفصيح والعبـارة البليغـة مع الموسيقى المعبرة ، فاذا خلا الشعر من كل هذا لم يكن شعرا بالمعنى الصحيح ٠

بل قد يخلو الشعر من الرموز والتشبيهات ويكون شـعرا عذبا بليغــا ، واضرب لذلك مثـلا قول أبي نواس :

حامل الهـوى تعـب ... يستخفه الطـرب
ان بـكى فحـق له ... ليس ما به لعب

وقوله من نفس القصيدة :

تعجبين من سـقمي ... صحتي هي العجب
تلعبـين لاهيــة ... والمحـب ينتحـب

فهذه ابيـات خلت من الرمز والتشبيه والخيـال ولكنها تسمو الى المكانة الاولى للشعر باللفظ الفصيح والعبارة البليغة والموسيقى المرقصة ٠

ولعل اخواننـا دعاة الشعر الجديد يتدبرون هذه الامور وهم في طريقهم الى اشاعة الشعر الجديد ٠

القرآن في عالم الشعوذة

بقلم محمد عبد الله السمان

ان الانسان ليشعر بشيء من المرارة والالم ، وهو لما يزل يرى الى اليوم كتاب الله ذا مكان ملحوظ فى عالم الأحجبة والتعاويذ ، ومصدرا موثوقا به لجلب الرزق والخير والبركة ، وعلاجا مضمونا لشتى العلل والامراض .

هكذا تحولت اهداف القرآن من هداية وتوجيه وتربية ، وصقل للعقل والفكر والذهن ، واتجاه بالنفس الى المثل الرفيعة والقيم العليا واتجاه بالحياة الى مسالك العيش الطيب والرفاهية المهذبة واتجاه بالانسانية الى غايات الكرامة والعزة ، وملتقيات الحرية فى اعذب الوانها .

تحولت هذه الاهداف القرآنية الى اهداف دنيا يحتضنها الدجل ، وتباركها الشعوذة ، وتؤيدها السخرية من عقول السذج والبسطاء .

قال لى مضيفي وهو رجل اوشك على الاربعين من عمره ، ترك الجامعة منذ خمسة عشر عاما حين توفى والده واريد له ان يستقر بالريف ، يرعى تركة الوالد من الارض ويكون وصيا على اخوة صغار ، ولتقر به بعد ذلك عينا ام افعم صدرها الحزن ، وهد عافيتها الأسي قال لى : ان حظك من السماء فضيفنا هنا منذ ايام ثلاثة شيخ مبارك تلتمس منه البركة ، ويرجى على يديه الخير، انه من احدى القرى المجاورة بلغ ذكره الآفاق ،ويفد اليه القاصي والداني برجوانه فيما الم بهما ، ويستدعيه الغنى المقتدر يستعين به ويستغيث مما لحق به من شدة ، وقد استدعيناه منذ اكثر من شهرين وهو يعتذر لضيق الوقت وكثرة الاعمال ، ولم يزرنا الا منذ ايام بعد ان الححنا فى الرجاء وتوسلنا اليه بكل عزيز لديه ، فوالدتى تعانى منذ ثلاثة اشهر من مرض مستعص حار فيه الاطباء ، واستعصي على كل علاج ، وقد ترددت عشرات المرات فى ان استعين بغير طبيب متخصص ، لولا ان طب الاطباء عجز عن علاجها ، ولولا ان اهل القرية اقسموا لى الايمان الغلاظ ان الشيخ «درويش» — رجل عمت بركته هذه القرى كلها وما حولها ،وانه قد ابرا فلانا وفلانة بعد ان تولى علاجهما دون جدوى عشرات من الاطباء ، وانه رد الحياة الى زيد وعبيد بعد ان كادا يستسلمان الى الموت ويودعان الحياة ، وامام هذه الايمان الغلاظ ، والرغبة الملحة فى ان تشفى والدتى باى ثمن مهما بلغ استدعينا الشيخ ، وقد هلت فعلا بوادر الخير على يديه وارجو ان يتم الشفاء قبل نهاية الاسبوع كما وعدنا .

ولم تمض لحظات حتى اهلت طلعة الشيخ علينا من غرفته ، بعد ان صلى الفرض واسرف فى السنة واكمل عشرين دورة من دورات سبحته . انه شيخ فى الخمسين مهيب الطلعة ، انيق الملبس واللحية والعمامة ، تكسو وجهه المشرق مسحة من الحياء المتكلف ، وبعد ان القى السلام علينا واخذ مكانه راح يحرك حبات سبحته بأنامله دون ان يعبأ بنا .

والحق انى كنت حريصا الا ادخل فى مناقشة ، فقد وضع مضيفى كل امله فى الشيخ ولا داعى لزلزلة الثقة فى هذا الامل على الاقل فى اليومين اللذين تدر لى ان اقضيهما ضيفا على صديق .

ولكن الشيخ بعد ان استغرق زهاء نصف ساعة بين تحريك لسبحته وعبث بلحيته ، كانما احس ان فى نفسي شيئا اريد الافضاء به ، اعتدل فى جلسته، واراح سبحته الى جواره ، وبدا الكلام . قال :

اسمع يا استاذ : انا لست جاهلا قبل كل شيء ، فقد جاورت بالأزهر بضع سنوات فى شبابى بعد ان حفظت القرآن عن ظهر قلب ، وانا كذلك لست دجالا ولا مشعوذا ، لأنى آخذ من القرآن ما شئت لما شئت ولمن شئت،بآيات القرآن الكريم استعين،لأبرىءالمريض من مرضه ، ولأعيد الزوجة الناشزة الى زوجها ، والزوج النافر من زوجته ، ولأرد الغائب من غيبته ، واظنك على علم بما ورد فى الصحاح من كتب السنة

من قصة اصحاب رسول الله الذين كانوا فى سفر ومروا بحى لدغ العقرب سيده ، فرقاه احدهم بسورة الفاتحة حتى برىء ودفع الى اصحاب الرسول شاة نعفف البعض منها لانها اجر على كتاب الله ، ولما ابلغوا الرسول القصة اقرهم على فعلهم ، بل طلب ان يضرب له بسهم فى الشاه ، وقال لهم : « ان احق ما اخذتم عليه اجرا كتاب الله تعالى »

وفوق هذا فالقرآن صريح بقوله تعالى : « وننزل من القرآن ما هو شفاء ... »

قلت للشيخ :

اما قصة اصحاب الرسول ، فقد دفع الى الرقية بالقرآن الضرورة القصوى ، ولم يكن فى الامكان ان يفعل بالملدوغ غير هذا ، وهى نادرة لم تتكرر ، ولم تصلح قاعدة شرعية فيما بعد ، واما قوله تعالى : « وننزل من القرآن ما هو شفاء ... » فليس المقصود منه شفاء الامراض البدنية كما توهمت ، وانما المقصود شفاء الصدور ، وآية يونس تشير الى ذلك : « ياأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور . » قال الشيخ رضا رحمه الله فى المنار : « اى شفاء جميع مافى القلوب من أدواء الشرك والكفر والنفاق وسائر الامراض النفسية التى يشعر صاحبها ذو الضمير الحى بضيق الصدر ، من شك فى الايمان ، ومخالفة للوجدان .. » وفى ذلك يقول الحسن البصرى : « ان الله تعالى جعل القرآن شفاء لما فى الصدور ، ولم يجعله شفاء لامراضكم » ثم اين نحن من حديث الرسول **تداووا عباد الله فان الله لم يخلق داء الا وضع له دواء ؟**

كان الشيخ يكتفى بهز راسه والعبث فى لحيته ثم استاذن حيث دنت ساعة العلاج ، وسألنا الله ان يحقق امل الاسرة الملتاعة على يديه .

ويظهر ان الشيخ حين ابتدا العلاج لجا الى عملية البخور وهو يتلو القرآن ساعات متواليات ، فكان طبيعيا ان تصاب المريضة بشيء من الدوار وتهدا اناتها وتنام قليلا ، وهذا مااوهم الاسرة انها فى طريقها الى الشفاء ، ولكن « سماحة » الشيخ كانت له طرق اخرى فى العلاج ، ففى كل ست ساعات ، يكتب بعض الآيات القرآنية بالمداد ، ثم يذيبها بماء الورد تارة ، وسائل الزعفران تارة اخرى لتشرب المريضة ولم ندهش حين قرر احد الاطباء فى اليوم التالى ، وهو من ابناء القرية جاء فى زيارة قصيرة ــ قرر ان المريضة مصابة بمغص قلوى ولابد من نقلها فورا الى اقرب المستشفيات ، ثم عرضها بعد ذلك على طبيب نفسانى بالقاهرة ليتم شفاؤها .

وبعد ــ فهذا الشيخ وامثاله من جهابذة الدجل والشعوذة لهم بعض العذر حين يباشرون نفوذا فى عالم الطب ينافسون به مستشفيات الدولة واطباءها ، وليس المفروض فى مثل هذه الاحوال ان نكتفى بمطاردة المشعوذين وتضييق الخناق عليهم ، بل لابد ــ الى جانب ذلك ــ من حملة على مصدر هذه الشعوذة ، وليس مصدرها وحسب ــ الكتب المشهورة امثال « **شمس المعارف الكبرى** » **والديربى و ابو معشر** ، بل ان هناك كتبا دينية لها شهرتها تبارك هذه الشعوذة ، ولاضرب مثلا واحدا بكتاب « **التذكار فى افضل الاذكار** » **للقرطبى المفسر المشهور ، والمتوفى عام ٦٦٨ هـ** ، ففى هذا الكتاب العجب العجاب الذى اعتمد على احاديث نسبت الى الرسول ويستشف منها كيف تحول القرآن الى صناعة الدجل والشعوذة :

قوله تعالى : « سلام على نوح فى العالمين » للأمان من الكلب .

وقوله تعالى : « لكل نبأ مستقر .. » للشفاء من وجع الضرس

وقوله تعالى : « وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد » للامان من الكلب

ومما يبعث على الألم حقا : ان القرطبى هذا اشار فى نفس كتابه الى ان هناك احاديث كاذبة وضعها الوضاعون واختلقها المختلقون فى فضل سور القرآن ، وقد ارتكبها جماعة كثيرة وضعوا الحديث حسبة كما زعموا ، ومنهم ابو عصمة الذى قال : انى رايت الناس قد اعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه ابى حنيفة ومغازى ابن اسحق فوضعت هذه الاحاديث حسبه . ومنهم من قال : « **رايت الناس زهدوا فى القرآن فاحببت ان ارغبهم فيه** » فقيل له : فان النبى قال : من كذب على متعمدا فليتبوا مقعده من النار » **فاجاب : انا ما كذبت عليه ، انما كذبت له . !!**

القرطبى هذا هو نفسه الذى حشا كتابه باحاديث فى فضائل القرآن ، تجعل له مكانا ملحوظا فى عالم الدجل والشعوذة .

صوت العروبة

للشاعر بشير الفيل

صوت العروبة بين « النيل والهرم
دعا .. فارعفت الدنيا مسامعها
دعا .. ساطرح ما لاقيت محتسبا
ودعوة الحق عند الله تنصرها
سبحان ربى من أنباك حين سمت
ان المصير الذى ما زال يربطنا
وأن قومى مهما غال وحدتهم
فان فى دمهم عزم يجمعهم
كم راودتنى بليل الشك أمنية
وكم وددت لو ان الله يمنحنى
لقلت : يا رب ـ ان تقبل ـ فأمنيتى
لكن امنيتى باتت محققة
وهل أنام وأفراحى تعانقنى
لا لن أنام سأحيا ساهرا أبدا
يا ماردا أيقظ الدنيا وفى يده
أأنت جئت الى الانسان تنقذه
لقد صحا اللاجىء العانى وفى دمه
صحا على صوتك الداعى ليعلنها
لا لن أظل غريب الدار .. محترقا
لا لن أموت .. فهذا الصوت يبعثنى
ثر يا شريد فما عادت يد أبدا
يا ويح «صهيون» ان ثار الشريد غدا
لا لن تخلف نيران الشريد له
اليوم عدنا وعاد الصفو يجمعنا
لقد صحونا على نور يظللنا
فهل نفرق ؟ هل نحيا على احن
لا لن نفرق . . فالقرآن ما لبثت
لا لن نفرق . . فالايمان يربطنا
شريعة الله فينا وحدت مهجا
ووحدتنا .. وهذا الغرب ملتحف
واليوم نرجع للماضى ، وهاهى ذى
ما دام فى عودنا .. بعث لأمتنا
الله أكبر . . ما زلنا نجع لها
على المآذن قلناها لمن هدموا

دعا .. فأيقظ من بالشرق من أمم
وعانقته بشوق ساحة الحرم
عند العروبة اخلاصى وحر دمى
بين الملايين ألف يد وألف فم
بك العروبة فوق الشك والتهم
ما زال يقظان لم يغفل ولم ينم
ليل غبى وعمر حالك الظلم
عند الشدائد صفا ثابت القدم ؟ ؟
ضلت ورائى فى دوامة السأم
فى ليلة القدر بعض الخير والنعم
لأمتى . . وحدة تحوى بنى رحمى
فى ليلة سبقت ظنى .. فلم أنم
ووحدتى تسكر الأرجاء بالنغم ؟
حتى ترفرف فوق « القدس » ياعلمى
غصن السلام، وفى الاخرى لظى النقم
وقد تخبط بين الذل والعدم ؟
أحقاد عمر من الأنات والألم
لا لن أعيش صريع الليل والسأم
عبر الخيام بنار الغاصب النهم
لقد تمرد قيدى صارخا بدمى
تغتال ما ورثت يمناك من قدم
واجتاح ما جمعت دعواه من رمم
فوق الثرى صنما .. أو عابد الصنم
من شاطىء العرب، حتى ساحل العجم
ويفرش الدرب بالآيات والحكم
والله فضلنا عن سائر الامم ؟
آياته بيننا تسمو على الكلم
والدين يسلكنا فى أنبل القيم
وجمعتنا على حب ، على كرم
ثرى الضياع وثاو فى يد الظلم
مطامع الغرب أشلاء على قدمى
سيعتلى الشرق حتما قمة القمم
قومية ترتوى من صادق الهمم
مآذنا . . ان عين الله لم تنم

كمال الدين الفارسى ونظرية الألوان

بقلم احمد سعيد الدمرداش



كمال الدين الفارسى

تمهيد : كان أبو العلاء المعرى شـاعرا ضريرا ، وكذلك كان بشار بن برد ، ولكنهما كانا يحسـان بالألوان ويتفاعلان معها ، ذلك لأن العقل هو الذى يدركها ويقرر عنوانها وظلالها ، ووظيفة العين تشبه وظيفة آلة التصوير ، جهاز يستقبل الموجات الضوئية مختلفة الوانها ، ثم ينقلهـا الى العقل فيترزها فى زمان غير محسوس .

ولنستمع الآن الى شعر ابى العلاء ذى الألوان والظلال حيث يقول :

ليلتى هـذه عروس من الزنج
عليهـا قلائد من جمـان
وكان الهـلال يهوى الثريا
فهمـا للوداع معتنقـان
وسهيل كوجنة الحـب فى اللون
وقلب المحب فى الخفقـان
يسرع اللمح فى احمرار كما تسرع
فى اللمح مقلـة الغضـبان
ثم شاب الدجى وخاف من الهجر
فغطى المشـيب بالزعفران

السنا نستطيع الحكم على تذوق ابى العلاء للألوان من بين ثنايا هذه الابيات ؟

قد يفنى الجهاز البصرى او ينعدم ، غير ان الجهاز السمائى للمخ يظل موجودا ، ولكن فى حالة اشبه ما تكون بالخمول او الهمود ، اما عمى الالوان فهو ناتج من مرض فى الجهـاز البصرى ، وليس فى خلايا المخ .

وهنك من يصابون بالعمى الكلى ، غير ان عقولهم مازالت تحلم بالالوان وتحس بها ، وامامنا مثال حى : الكاتبة الامريكية الشهيرة « هيلين كيلر » فهى عمياء خرسـاء ، وتقول فى حديث لها :

« ان الألوان التى تهز العالم الذى أعيش فيه هى زرقة السماء ، وخضرة الحقول الناضرة التى احس بها كما احس بقية الألوان ، والشمس لاتضيء بصرى وكذلك وميض البرق ، والاشجار لاترى خضرتهـا الزاهرة فى الربيع ، ولكن كل هذه الانفعالات اللونية مازالت تعيش معى ، ولولاها لأصبح العالم الذى أعيش فيـه ، قاحلا يحيط به الظلام من جميـع الجهات » .

وللألوان مفاهيم مختلفة فى عرف الحضـارات القديمة ، وقد قام علماء العـرب بدراسات علمية

وموضوعية للألوان ، كما درسوا البصريات والمناظر ونبغوا فيها ، ونذكر منهم العالم العراقى الكبير ابو البركات هبة الله بن ملكا المتوفى عام ١١٥١ م ، وكذلك العالم العملاق الحسن بن الهيثم ، وقد آثرنا فى هذا المقال شرح الدراسة الموضوعية التى اوضحها العالم كمال الدين ابو الحسن الفارسي المتوفى عام ١٣٢٠ ميلادية فى كتابه « تنقيح المناظر لذوى الابصار والبصائر » .

والفارسي كان تلميذا لأشهر عالم اسلامى فى عصره هو « قطب الدين محمود بن مسعود ابو الثناء الشيرازى » وهذا بدوره كان تلميذا للعالم الكبير نصير الدين الطوسي ، ولقد درس الفارسي اصول علم المناظر عليهما ، ولكنه لم يقتنع باصول هذا العلم كما نقله الطوسي عن اقليدس ، وفى هذا الصدد يقول :

« ولما رايت فى كلام بعض ائمة الحكمة عن غير واحد منهم ، ان الضوء يشرق من النير على خطوط مستقيمة ، فاذا صادفت سطحا كسطح الماء انعكست عنه على زوايا مساويات للزوايا المضادة ، ونفذت فيه على سمت الاشراق عليه ، وانعطفت فيه على سمت الانعكاس عنه ، فحدثت من ذلك اربع زوايا هىزوايا الاستقامة والانعكاس ، والنفوذ والانعطاف، وكلها متساوية ، فتحيرت فى هذه الاحكام من اين ماخذها ، وثبت على هذه المقدمة ، وتفرغت اليها مدة ، تتفرعت عنها احكام فى الرؤية بالانعطاف جلها تخالف المحسوس ، فزادت حيرتى ، فراجعت الحضرة (يقصد حضرة قطب الدين الشيرازى استاذه) وحكيت القصة » .

فاشار اليه الشيرازى بدراسة كتب المناظر لابن الهيثم ، فراعه مافيها من بحوث وقال بلفظه :

« فوجدت برد اليقين مما فيه ، مع مالم احصه من الفوائد واللطائف والغرائب ، مستندة الى تجارب صحيحة ، واعتبارات محررة بالات هندسية ورصدية وقياسات مؤلفة من مقدمات صادقة » .

كتاب تنقيح المناظر :

يذكر الفارسي فى الفصل الثالث من هذا الكتاب كيفية تولد الألوان مستندا اولا الى اقوال استاذه الشيرازى فى شرح الكليات فيقول « وذلك على ما افاده مكمل علوم الاولين حرس الله كما له فى شرحه لكتاب الكليات من القانون ، يسر الله اتمامه مقرونا بعافية شاملة ، فان فيه كل العلم ، ان كان شرحا لنصف العلم نقلته بشريف لفظه تيمنا وتبركا .

قال لازال مفيدا ان من الاجسام ما هو شفاف عديم اللون ما دام شفافا ، ومنها ما هو كثيف ، من شأنه الا يوجد خاليا عن لون ما ، والكثافة تطلق تارة بازاء التخلخل ، والأخرى بازاء الشفيف ، والشفيف والكثافة ايضا يشتدان ويضعفان ، فان الهواء اشف من الماء ، والماء اشف من الارض ، وايضا من الاجسام ماله نور ، والنور ايضا يشتد ويضعف ، وذوات النور منها سماوية كالنيرين والكواكب ، ومنها عنصرية كالنار ، ومنها مركبة كاللآلىء والجواهر والذهب وبعض النباتات واعين الحيوانات ، واجنحة بعضها وبعض اخلاطها الصفراوية والدموية » .

ثم يستطرد قائلا :

« والألوان كلها تتولد منهذه الكيفيات ، اعنى من الشفيف والكثافة والنور والظلمة ، والمتوسط فى الشفيف كالحجر والزجاج اذا تصاغر اجزاؤها ، وتعاكست الانوار من بعض سطوحها الى بعض وانعطفت فى مخالف الشفيف حدث البياض » .

وراى الفارسي فى التقازيح اذكره بلفظه قال :

« التقازيح الوان مختلفة متقاربة فيما بين الزرقة والخضرة والصفرة والحمرة والدكنة ، تحدث من صورة نير قوى واردة الى البصر بالانعكاس والانعطاف او بما يتركب منهما » .

ومن هذا يتضح ان الاشعاع اللونى ناتج من الانعكاس والانعطاف اى الانكسار فىلغتنا الحاضرة وان التقازيح الملونة يمكنتأليفها ثانيا فيتكونالشعاع الابيض كما يحدث فىالزجاج اذا تصاغرت اجزاؤه ، وفى هذا بعيد القول .

« البياضالمشاهد فىالسحاب انما هو لأن الضوء يرد الى اجزائه الرشية القريبة من النير فينعطف فيها ، وينعكس عنها ، ويصدر ثانيا ، ثم يصادف كرة اخرى ، فينعكس وينعطف ويصدر ثم الى ثالثة ورابعة ، ويكثر هذا الورد والصدر فيرى البصر من كل جزء منها اضواء كثيرة منعطفة ، ومنعكسة وثابتة وذلك هو البياض ، فان قوى بلغ حد الاشراق وقهر البصر كما فى الثلج ، وانما ذلك لغلبة المنعطفات فان المنعكسة وحدها عنالاجزاء الرشية تضعفلتبددها

واما المنعطفة وحدها او مع الانعكاس فكثيرا مانوجب ابتوة كما فى اعالى مخروط الاحراق ، وحواشى المنعطفات بالنعكاس ، وانما لا يوجد هذا البياض فى جميع اجزاء الرش عند تكون الهالة او القوس » .

ثم يستطرد :

« واما البياض المشاهد فى اجزاء الجمد فلأنه يشتمل على اجزاء هوائية مستديرة فيحدث فى الجمد تقعيرات مستديرة ، غالبا سطوحها صقلية ، فهى مرايا مقعرة باعتبار الجمد ، محدبة باعتبار الهواء فتنعكس اشعة البصر عن جميع القطعة المقابلة من المحدبة والمقعرة ، اعنى جميع سطح كل كرة الى ضوء الهواء ، فيحدث البياض » .

هذه النظرية التى يشرحها الفارسي فى تحليل اشعة الضوء العادية الى الوان الطيف المعروفة نتيجة الانعكاس والانكسار فى ذرات البخار العالقة فى الهواء ، باعتبار سطوحها محدبة ، ثم اعادة تاليفها الى اللون الابيض الاصلى بانكسارها ثانية فى ذرات اخرى باعتبار سطوحها مقعرة ، هى بعينها النظرية التى طبقها اسحق نيوتن العالم الانجليزى فى القرن السابع عشر ، بتحليل اشعة الشمس باستخدام منشور زجاجي ، ثم اعادة تاليف الوان الطيف الخارجة من المنشور على هيئة حزم اشعة ملونة باستخدام منشور آخر زجاجي فى وضع مقلوب .

اما فى موضوع الحبود فيقول الفارسي بلفظه :

« كذلك اذا كان المبصر ذا اجزاء صغار مختلفة صغيرة ، وكان لون المبصر الى السواد ما هو ، وقابله النير القوى ، صارت الاجزاء مرايا ، وانعكست صور النير من كل منها الى البصر مثنى او فرادى ، متقاربة او متصلة من اواسط المخروطات (ويعنى مخروطات الاضواء الواصلة الى البصر) او حواشيها فتظهر لذلك تقازيح من الزرقة والخضرة والصفرة والحمرة ، كما يشاهد فى ارياش الطيور ، وبعض اعضاء الحيوانات واجزاء النباتات وغير ذلك ، وربما شاهدت ذلك فى الاهداب وبعض شعرات الحاجبين ، اذا حاذيت قرص الشمس والبصر مستظلا بالحواجب وما فوقها قليلا » .

ويقول الفارسي عن تدرج الألوان ملخصه :

« واما حدوث الالوان بين البياض والسواد فلها طرق كثيرة تتدرج فى سلوكها المتحرك من البياض الى السواد .

منها طريق الى الصفرة يصير اولا بمخالطة الكثافة والنور القليلين :

تبنيا ثم اترجيا ثم زعفرانيا ثم نارنجيا ثم ناريا ، ثم يزداد فيها الميل الى السواد بحسب ازدياد الاجزاء الكثيفة ونقصان النور حتى يصير اسود ، ومنها طريق فى الحمرة يصير اولا ورديا ثم شقايقيا ، ثم ارجوانيا ، ثم بنفسجيا .

ومنها طريق فى الخضرة يكون فستقيا ، ثم كراثيا ، ثم زنجاريا ، ثم جوزيا ، ثم باذنجانيا ، ثم نفطيا .

ومنها طريق فى الزرقة يكون اسمانجونيا ، ثم فيروزجيا ، ثم لاجورديا ، ثم نيليا ، ثم كحليا .

ومنها طريق فى الكدورة يكون اغبر ثم ادكن سمجونيا ، ثم ظلمانيا الى غير ذلك ، ويكون الجميع بحسب اختلاف الاجزاء فى الشفيف والكثافة والنور والظلمة ، وربما يتركب بعض الالوان بالبعض ، فيحدث لون غيرهما كالأخضر الذى يحصل من تركيب الاصفر بالأسود والازرق ، وكالزنجارى الذى يحصل من تركيب الاخضر بالابيض ، وهذه التركيبات التى لا نهاية لها قد يقع بعضها فى اجزاء صغار من النبات والحيوانات بحيث يتعجب من كثرتها فى جسم صغير من يشاهدها » .

من هذه الدراسة الموضوعية والعلمية يتضح لنا ان الفارسي قد أعطى للألوان ثلاث ابعاد طبقا للنظرية الحديثة وهى :

(ا) ضعف اللون او حده ، وهو لون الشعاع الضوئى الناتج من الانعكاس والانكسار .

(ب) درجة وضوح اللون او قيمته وهو بحسب مافيه من بياض او سواد .

(حـ) درجة نقاء اللون او تشبعه وهى تدل على درجة الازاحة التى يبعد بها ضعف اللون عن لون رمادى متعادل له نفس القيمة من درجة الوضوح ، وهى ما عبر عنها بدرجات النقاوة ، واعطى لها تلك الاسماء الدقيقة فى الوصف ، وهى التى تمتاز بها العقلية العربية التى استطاعت ان تعطى الكثبان الرملية مئات من الاسماء وكذلك الحال فى اسماء السيوف واسماء الابل والاسود .

النظرية الموجية للضوء والالوان :

يقول الفارسي « من المشاهد انا اذا كنا على بعد من السحاب او الدخان او الضباب أدركناها اكثف واشد بياضا مما اذا كنا بالقرب منها او خضنا فيها ، والسبب فيه أن البصر يدرك حالة القرب صور مبصرات تكون فى خلال السحاب او من ورائه ، فتمتزج الوانها بالوان اجزاء السحاب ، وهى رش متراكم فينكسر بياض السحاب بالوانها ويمتزج بها ، واذا كان على بعد فتستتر الوان المبصرات المذكورة ، فيخلص الى البصر لون اجزاء السحاب وايضا فان التفرق الذى بين اجزاء السحاب يخفى من بعد فيدرك كثيفا متصلا ، وذا بياض قوى ، والحاصل ان القرب يظهر التفرق والصور التى تتحلل بالتفرقات فيمتزج البياض بغيره ، كما يرى من وراء الثوب السخيف النسيج الملون ، فيظهر رقيقا ومشفا ، والبعد يخفى التفرقات ، فيتصل البياض وتظهر الكثافة ، وقد علم من ذلك ان البياض العرضي الوارد من السحاب على ما يقربه اضعف مما يرد على ما يبعد منه :

ومثل ذلك يدرك فى المسموعات ايضا ، فان اصوات الطبول التى تضرب فى ازدحام كداخل سوق تسمع على بعد بعيد من السوق ، اذا كان بعيدا عن الازدحام واللفظ اصدق مما يسمع على بعد اقرب منه اذا كان يلى الازدحام او يكون فيه ايضا » .

اليست هذه الآراء هى نقطة انطلاق للنظرية الموجية للضوء التى نشرها العالم الفرنسي الكبير هويجنز فى القرن السابع عشر الميلادى مع ان آراء الفارسي هذه نشرت قبل عالم ١٣٢٠ اى قبل وفاته !

وان اردنا ان نستزيد من شرح مخطوط تنقيح المناظر للفارسي فالمجال لايسعفنا هنا ، وقد نعود مرة ثانية لدراسة آرائه فى لمية الانعكاس والانعطاف وقوس قزح .

استعدوا للمهرجان القادم

بقلم
• عبد الفتاح البارودى •

نتائج هامة جدا اسفر عنها المهرجان التليفزيونى ولكن النتيجة الأهم هى أن ننظر اليه كمرحلة فنية وصلنا اليها ، ويجب أن نتجاوزها الى مرحلة انضج واعمق فى طريق تطورنا الفنى المستمر ... وهذه عملية تواجهنا الآن بمشكلات فى غاية الضخامة .

فمثلا ، فوزنا بالترتيب الاول بين تليفزيونات العالم يواجهنا بمشكلة الاحتفاظ بهذا الترتيب .. وهذه البحوث التى قدمت فى المهرجان ، والتى تناولت قضايا فنية جوهرية ، تواجهنا بمشكلة المشاركة فى معالجة هذه القضايا .. وهذه البرامج التى اشتركت فى المهرجان ، والتى مثلت أحدث التيارات والاساليب التليفزيونية تواجهنا بمشكلة بحث هذه التيارات والاساليب بحثا منهجيا ، ومحاولة « بلورة » نظريات فنية للتليفزيون العربى ترسى نشاطنا الفنى على أسس علمية ... وهكذا.

فماذا سنفعله ؟ هل نكتفى بالابتهاج بالنتائج التى حققناها ؟ لا جدال فى أننا نعتز بانتصاراتنا فليس مما يستهان به أن نفوز بأربع جوائز فى هذا المهرجان العالمى ... ولا جدال فى أن هذا المهرجان نجح فى تحقيق أهدافه ، فقد تحقق فيه نمو الوعى التليفزيونى ، وزيادة التعاون الفنى بين دول العالم ، وتبادل الخبرات مع دول سبقتنا فى هذا المضمار ، وتبادل وجهات النظر مع خبراء راسخى القدم فى هذا المجال الفنى ... أيضا لا جدال فى أن التليفزيون العربى عرف فى هذا المهرجان احتياجات كثيرة ، وعلى ضوء ذلك اقترح مقترحات كثيرة لم يكن من الممكن أن يعرفها لولا أن المهرجان أتاح فرصة الاحتكاك بثقافات عالمية. ومن أجل ذلك قرر مناقشة البحوث الفنية وطبعها باللغات المختلفة ، وانشاء مجلة دولية للتليفزيون تصدر شهريا ، كما قرر أن يرسل الى الخارج أفلاما تمثل حياتنا ، وأن يتلقى من الخارج أفلاما تمثل الاتجاهات الفنية فى العالم .. الخ .. وهذه كلها نتائج محددة وصلنا اليها ، وستفيدنا جدا ، فضلا عن النتائج المعنوية التى أكسبتنا احترام الفنانين فى العالم كله ... ولكن ماذا سنفعله بعد المهرجان ؟!

نستطيع أن نفعل الكثير اذا نظرنا الى المهرجان وابحاثه ونتائجه وبرامجه نظرة واقعية صريحة .. فاولا : هل فوزنا بالجائزة الاولى فى التمثيليات معناه أننا بلغنا الذروة فى الفن التمثيلى التليفزيونى ؟! ابدا .. صحيح أن تمثيليتنا الفائزة « **المعطف** » بلغت المستوى العالمى . ولكن معظم التمثيليات التى نراها على الشاشة الالكترونية ليست ــ بالبداهة ــ فى نفس المستوى ، وبعضها ضعيف المستوى لدرجة ملحوظة .

وكذلك الفيلم التسجيلى الفائز بالجائزة الثانية « **اللحظة الخالدة** » لا يمكن أن يقال ان مستواه هو نفس مستوى انتاجنا من هذا اللون من الفن التليفزيونى ، ولو أنه ــ انصافا للحقيقة ــ يجب أن نذكر ان افلامنا التسجيلية بصفة عامة ذات مستوى معقول .

وأيضا الفيلم الفائز بالمرتبة الثالثة فى المنوعات «**الطوق**» لا يعبر عن مستوى منوعاتنا التليفزيونية بل بالعكس ، فان معظم برامج المنوعات التى عرضت على الشاشة هى أغان فردية لا صلة لها بالتكنيك التليفزيونى .

ثم اننا اذا تعمقنا النظر الى برامجنا الفائزة وجدنا أن هناك عوامل كثيرة أدت الى هذا الفوز ، وهذه العوامل لا نضمن تكرارها بسهولة ... فتمثيلية المعطف تدور حول فكرة **لنجيب محفوظ** ذات مغزى انسانى عميق ، وأحداثها ساعدت السيناريست رمضان خليفة على اعداد سيناريو مشبع بالمواقف الانسانية ، وساعدت المخرج حسين كمال على استخدام لغة الكاميرا استخداما فنيا ، والهمته أن ينفذ عمليات الاخراج بالصورة والحركة فقط ، دون أن يستخدم الحوار ، ودون أن يستعين بنجوم ، وهذه كلها عوامل قد لا تتكرر .

أيضا فيلم اللحظة الخالدة يصور حدثا تاريخيا لن يتكرر بالتأكيد ، وهو حدث تحويل مجرى النيل ، وبديهى أن روعة هذا الحدث لها دخل كبير فى الحافز الفنى والاداء الفنى .

ومن جهة أخرى ، نلاحظ أن فى الاعمال الفائزة ملاحظات كثيرة تحتاج الى دراسة دقيقة لتستكمل النقائص .. حتى التمثيلية الفائزة بالجائزة الاولى يمكن أن نلاحظ فيها أن بعض المشاهد لم تستكمل التعبير ، مثل مشهد الغلام وهو ينظر الى الجندى الذى ساومه على أن يعطيه المعطف ويأخذ منه « السجاير » ففى هذا المشهد رأينا الغلام «يتفرج» على الجندى دون أن تظهر لهفته على المعطف .. هذا مثل واحد ، وهناك أمثلة كثيرة مماثلة .

أيضا فى فيلم اللحظة الخالدة لاحظت أن الفيلم يتألف من لقطات موضوعية تحتاج الى صهرها فى موضوع متكامل .. لو حدث هذا لتخلص الفيلم من التعبير المباشر الذى يسبب الجفاف الفنى .. كذلك لاحظت أن الموسيقى التصويرية لم تعبر عن الحدث بل لم تكن متناسبة معه ، ويظهر أنها موسيقى اسطوانات وليست مؤلفة أساسا للفيلم نفسه .

وأيضا لاحظت فى فيلم المنوعات أنه تشكيلة غير متجانسة تجانسا فنيا ، وبعض مشاهده قصد بها « الاغراب » والتعبير الزخرفى .

وهذا كله لا يقلل من قيمة الجهود التى بذلها الفائزون .. ان حسين كمال مخرج تمثيلية المعطف كان بارعا جدا فى الاسلوب وفى التكنيك ، وأعطى الجو الفنى للأحداث ، وسار خلف الكاميرا بمقدرة ، وحرك الممثلين الجدد بامتياز .. والسيناريست رمضان خليفة كان دقيقا فى تفسير النص الادبى وتحليله وتحويله الى نص تليفزيونى ، وفى رسم حركة الكاميرا ، وفى تحديد المشاهد ، وفى ربط الجزئيات وتعميقها داخل موضوع واحد .

وفى فيلم اللحظة الخالدة قدم المخرج ابراهيم الشقنقيرى لمسات فنية فى غاية الابداع ، واختار أنسب الاماكن لوضع الكاميرا ، ومهد للحظة التفجير تمهيدا بارعا ، فرأينا الأنفاق — مثلا — قبل أن تمارس وظيفتها ، ثم رأينا بعد ذلك مرور اللحظة الحاسمة ، وكان فى ذلك كله واعيا بالتطابق بين التوقيت الزمنى والمعانى ، وبهذا نجح فى المزج بين الماديات والمعنويات .

ان الفائزين لم يفوزوا مصادفة ، بل فازوا بجدارة ، ولكن من المهم جدا أن ندرك أن البرامج الفائزة لا تمثل « **متوسط المستوى الفنى** » للبرامج المألوفة التى نشاهدها فى التليفزيون يوميا ، بل أنها فى الحقيقة تمثل مجهودا ضخما بذل معظمه من أجل المهرجان التليفزيونى . ومع ذلك فانها تدل على أنه من الممكن أن يصل انتاجنا التليفزيونى الى نفس هذه المستويات ، والى أرفع منها ، لو وضعنا فى اعتبارنا أن المسألة ليست مسألة جوائز فقط، ولكنها أولا مسألة رفع مستوى انتاجنا بصفة عامة ، ومشاركة العالم المتقدم فنيا فى ممارسة الفن التليفزيونى كأداة لخدمة المجتمع والاهداف الانسانية .

من أجل ذلك يجب أن نستفيد من نتائج الممارسة العملية فى هذا المهرجان العالمى .. من الاحتكاك الثقافى الفنى .. من تبادل الرأى مع الخبراء .. من برامجنا وبرامج الآخرين .. من بحوثنا وبحوثهم .. من كل التجارب وكل المزايا وكل الأخطاء .. يجب أن نستفيد من ذلك ليس فقط فى رفع مستوى البرامج التى نشترك بها فى المهرجانات العالمية ، بل أيضا — وأولا — فى تعميق تفكيرنا التليفزيونى وتنمية الوعى التليفزيونى .

من أجل ذلك يجب أن نتعمق فى بحث المشكلات التى أثيرت فى المهرجان سواء فى البرامج أو فى البحوث ، وأن نصل من هذا البحث الى نتائج محددة نعرضها للمناقشة فى المهرجان القادم .

خذ مثلا مشكلة الجمهور .. لقد أصبح من اللازم لنا أن نواجه هذه المشكلة الهامة جديا : فنحن نؤمن بأن الثقافة للشعب ، ومنها الثقافة

التليفزيونية طبعا ، ولكن بسبب ظروف خاصة بنا لاتزال هناك فوارق ثقافية بين الجمهور ، فما هو نوع ومستوى البرامج التي ينبغي أن يقدمها التليفزيون عندنا ؟ ونحن نقدم برامجنا على ثلاث قنوات ، فما هو الطابع الذي ينبغي أن تلتزمه كل قناة ؟ وكيف يمكن تصنيف الانتاج بين برامج التسلية والترفيه والتثقيف ؟! وما معنى التسلية مثلا ؟! ان البحث الذي قدمه التليفزيون العربي في المهرجان أشار الى نقط كثيرة من هذا القبيل ،ولكنه لم يحدد مفهوماتها تحديدا منهجيا ٠٠ هو بلا جدال بحث قيم ، ولكنه لا يعدو تجميعا لمعلومات كثيرة عن نتائج ممارستنا للتليفزيون ، دون أن يعطي التخطيط المنهجي الذي يجب أن نلتزمه لحل المشكلات التي تعرض لها ٠٠ ومن الملاحظ أيضا أن هذا البحث أطلق تسميات كثيرة دون تحديد لمعالمها ٠٠ فمناقشة اهتمامات الجمهور بالبرامج الترفيهية ثم الثقافية تحتاج أولا الى تحديد ماهية الترفيه أو الثقافة في أذهان الجمهور ٠٠ ان روايات شيكسبير مثلا يمكن أن تعتبر روايات ترفيهية في مجتمع مثقف ، مع أنها من الروائع الثقافية ٠

والبحث الذي قدمته تشيكوسلوفاكيا موضوعه برامج المنوعات ، وسمعت أحد اعضاء الوفد التشيكي يقول في حديث تليفزيوني ان هدف هذا النوع من البرامج هو الترفيه والتسلية واضحاك الناس ٠٠ ولكن هل كان ما يرفه أويسلي أو يضحك يعتبر فنا ؟! بديهي أن لهذه الالفاظ معاني مختلفة اذ أن ما يبعث الضحك في الجمهور التشيكي قد لا يضحك جمهورا آخر في بلد آخر ، وما يضحك الفرد المثقف قد لا يضحك الفرد الاقل ثقافة ٠٠ هناك بلا شك اختلافات لا حصر لها في تفسير الالفاظ ، وهذه الاختلافات تتعلق بالبيئة والمزاج والتكوين النفسي والتكوين الثقافي ٠٠ الخ ٠٠ ولا شك أيضا في ضرورة الالتزام بقواعد الفن التليفزيوني والاسلوب والتكنيك ٠٠ كل هذا من اللازم أن نتعمق في بحثه ٠

والبحث الذي قدمه الوفد السوفييتي يحتاج أيضا الى دراسة عميقة ٠٠ ان موضوع هذا البحث هو الدراما في المسرح والتليفزيون ، وقد تناول النصوص الادبية وعلاقتها بالتكنيك الفني ٠٠ وهذه المسائل تهمنا جدا، لأن للتليفزيون عندنا أثرا كبيرا في المسرح ، بل انه هو الذي أحدث هذه اليقظة التي يعيش فيها مسرحنا ، ومع ذلك فنحن للآن لم نناقش العلاقة بين فن المسرح وفن التليفزيون ، بل اننا ننقل المسرحيات الى الشاشة التليفزيونية دون أن نحاول بحث امكان التفريق بين المسرحية التي تكتب للمسرح والمسرحية التي تكتب أو يمكن أن تكتب للتليفزيون فقط، وهذه أيضا مسائل تتشعب فيها الآراء والنظريات ، ويمكن أن توضع موضع الدراسة العميقة ، ويمكن أن ترشدنا الى دقائق فنية كثيرة ٠ ويمكن أن تؤدي الى خلق نظريات جديدة ٠

والبرامج أيضا : برنامجنا وبرامج الآخرين تحتاج الى دراسات تطبيقية ودراسات مقارنة ٠٠ ومن اللازم أن تدرس مدى ارتباط هذه البرامج ببيئاتها الفنية والنظريات الفنية التي قامت على أساسها ٠٠ ان هذا يفيدنا في معرفة معنى التكنيك والاسلوب والتناول الموضوعي ، وأسباب اختلافها بين بيئة وبيئة أخرى ، ويفيدنا أيضا في المساهمة مع الدول المتقدمة فنيا في ادراك التكنيك التليفزيوني وهو تكنيك لم تتحدد بعد معالمه في العالم كله ٠٠ كذلك يفيدنا في معرفة اسباب الاختلاف النوعي والموضوعي بين البرامج باختلاف طبيعة ووظيفة الاجهزة التليفزيونية ٠

سنعرف مثلا أن الانتاج التليفزيوني مرتبط بثلاثة عوامل رئيسية ، هي الواقع الفني، والمفهومات الفنية ، والثقافة الفنية ، وهذا يشكل لكل دولة نظريات فنية معينة ، فهل لدينا مثل هذه النظريات؟ ان التليفزيون عندنا جهاز شعبي ٠ ولابد من خلق وتطوير انتاجنا على أساس نظريات تستهدف خدمة الشعب ٠٠ واذن فمن الضروري أن نتعمق في دراسة كل التجارب التي ظهرت في مهرجان التليفزيون لتواصل انتصارتنا ونعمق مفهوماتنا ونمارس الفن التليفزيوني بوعي وفهم ، ونخلق نظرية عربية للفن الالكتروني ٠



لقاء على حب

لقد كادت بعض المصطلحات تتحدد في عالمنا العربي ، بينما لايزال بعضها الآخر يتشكل ليأخذ العديد من اللمسات التى يمكن بها اعطاءه شحنةضوء حاسم في نفس القارىء ٠

ومهما يكن من شيء فاني سأتحدث هنا من خلال مصطلحين يترددان كثيرا فيالحقل الشعرى هما « **اللامعقول** » و « **التمرد** » ٠

فالانسان الاول هو صاحب القلم الذى يغمسه صاحبه في لامعقولية الحياة ، والذى أصبح فكره مرتبطا أشد الارتباط بالاشياء غير المعقولة في الوجود ومن هنا فهو يحس أن العالم ضده، وان الناسضده وان صورته في المرآه ــ **مادامت في مواجهته** ــ ضده ، وفى ضوء هذا يكثر الحديث عن الموت والغربة وشقاء الانسان وكسر النمطية ٠٠ فهو في عالم بلا مجتمع ولا اله ، أو بعبارة أخرى في عالم يرفض فيه المجتمع والاله ، ومن هنا تكون من رموزه في هذا العالم ، الحصار والطاعون والطنين والخوف ، والحوائط ، والعدم ٠

ولعل شيئا من هذا لايمكن الاهتداء اليه بسهولة في الشعر العربى ، لانه ينبع من مواقف شمولية لها أساس فلسفى عام واع ٠ قد يكون الوجودية وبعض المواقف الاخرى ، ولن يذهب بنا الظن الى أن الوجودية من المذاهب الحديثة لانها ــ كحقيقة فلسفية ــ من أقوم المذاهب ، ومن أحدثها **في الوقت** نفسه ٠

ولعل ما يقابله هنا هو «**الرفض**» في الفكر العربى الذى بدأ في أول الامر شعارا لعملية «التحكيم» في الاسلام ، ثم تحول بعد ذلك الى التيار الذى أكده الخوارج ، ثم اعتنقه الشعوبيون ، والذى يمكن تحديده ــ في عالم الشعر على الاقل ــ بالرغبة في تغيير النظام ، فهو هنا يستند الى نظام سياسى واجتماعى معاصر ، وان كان ينجح في بعض الاوقات في الهجرة الى بعض المواقف الكونية ، ثم يعود ثانية الى المرتكز السياسى والاجتماعى ٠

ولعل من يمثله في العصر العباسى مثلا ٠٠ بشار وابن المقنع ، والخليع ، والرقاشى ، وابن يسير ٠٠ وسهل بن هارون ، وأبو عبيدة معمر بن المثنى ٠

ولعل الدكتور **طه حسين** قد قرب هذا الى اذهاننا حين تكلم في «حديث الاربعاء» عن مجون العصر العباسى فقال : «لو انى أردت أن أشخص هذه

الزندقة تشخيصا أدبيا لقلت : انها ضرب من السخط على العرب وعاداتهم وأخلاقهم ومحافظتهم ودينهم بنوع خاص، .. هي ضرب من هذا السخط ومن التكلف بحياة الفرس وعاداتهم ولذاتهم وحضارتهم وما ذاع فيهم من عقيدة دينية .

أما المتمرد : فهو الانسان الذي يثور بوعي ، ومن هنا فهو لاينكر المطلقات ومنها الله ، وان كان ينصب نفسه في مواجهتها ، كما انه لاينكر التاريخ ، وان كان ينكر العكوف عليه ، فهو كما يكون ضد الماضي يكون ضد الحاضر ، ومن هنا يصبح التمرد حركة ايجابية لاتعكس شيئا من «الحقد» الذي ينشأ من العجز ، والذي يحول الانسان الى نار تأكل بعضها ، وعلى كل فرموز التمرد تتردد في الغالب بين الضوء والبحر والامتلاء والوضوح .

واذا كان من الصعب أن يتحقق هذا في الشعر العربي ، فان المصطلح الذي يعتبر قريبا من هذا المصطلح هو « **المحتج** » والذي يمكن تحديده بانه الذي لايريد تغيير النظام ، وانما تغيير الظروف في ظل النظام، وكما تكون له هذه الصورة الجادة ، فانه يمكن أن تكون له صورة لاهية على حد قول الشاعر «ابن مناذر» .

مزندق الظاهر باللفظ وفي
باطن اسلام فتى عف

لست بزنديق ولكنما
اردت أن توسم بالظرف

ولعل الأمثلة للمحتج تتحقق في الفرزدق ، والمتنبي ، وابن مفرغ وبدر بن حارثة .

وان كان ما يلفت الى الانسان-اللامعقول والمتمرد هو ما تحدده بعض الفلسفات من أن الانسان خالق نفسه ، والمسئول الاول عن مصيره ، ومن أن الوجود الحق يعني الاختيار ، وان الانسان هو المسئول ، والحركي ، والذي لاينبغي أن يسلم حتى ولو لم يكن الطريق أمامه واضحا ، صحيح أن الانسان حيثما وجد يضيء ولكن عليه ألا يرى الا ما يضيئه ، ومن هنا يمكن أن يحكم بالعدم على الانسان الذي يعيش بتكرار العادة ، واجترار الذكرى ، والاستناد الى «الجدر» القديمة ، ذلك لانه ينبغي عليه أن يكتشف نفسه دائما ، وأن يظل في حالة «اندهاش» لكل ما يكتسب ، ولعل خير من يمثل المحتج في الشعر الحديث هم شعراء الجمهورية العربية المتحدة .

أما اتجاه « الرفض » فيمثله شعراء بلبنان . وهو لاينبت هناك على مسطح الكون ، وانما يرتكز في الغالب على السياسة ، ثم انه قد يتخطى دائرة السياسة الى دائرة الكون ، ولكن السياسة تظل دائما الرافد الكبير، وفي حقيقة الامر نراهم يعتمدون على ايديولوجية «القوميين السوريين» ، ولعله ليس من الغريب أن يكون الثلاثة الذين يركز عليهم في هذا المجال ، وهم أدونيس ، ويوسف الخال ، وأنسي الحاج من القوميين السوريين ، الذين يضعون في مخططاتهم عدم الاعتراف بالدين والقومية ، وضرب العروبة بالفينيقية ، والى جانب هؤلاء يوجد عدد من الشعراء الذين لايكفون عن الغناء للمسيح والاستدارة للحياة ، وفي داخلهم دائما أن هذا الاتجاه السلبي هو الذي يمكن به ضرب الاسلام .

واذا عرفنا أن هذا التيار يوجد في لبنان ندرك أن الاستاذ الدكتور محمد النويهي - في المقال المنشور في هذا العدد - يجهد نفسه في الدفاع عنهم من خلال **الميثاق** ، ومن خلال خطاب للرئيس **جمال عبد الناصر** في استقباله لاعضاء المجلس التشريعي لقطاع غزه حيث ينتهي الدكتور الى أن مأساة فلسطين لم تكن الا النتيجة المحتومة «لانحلالنا المادي والخلقي والوطني» ، ذلك لان هؤلاء الشعراء - من واقع حياتهم وشعرهم - ضد الميثاق ، وضد الجمهورية العربية المتحدة ، وضد فلسطين ، وضد الاشتراكية وضد كل القيم الشريفة ، ومن هنا فهم لا يطهرون الجرح - كما يقول الدكتور - وانما هم الجرح نفسه ! .

فالدكتور النويهي يعطي لاصحاب هذا التيار الحق في اثارة السخط الديني ، والشعور الأخلاقي ، وجرح الحساسية القومية ، وكأن هذه أصبحت أغراضا جديدة للشعر ، للثورة على ما فينا - على حد تعبيره - من عيوب وآثام ، ومركب نقص ، وعلل وآفات ، والذي أحب أن أؤكده للدكتور أن العيوب والآثام ، ومركب النقص والعلل والآفات موجودة في هؤلاء الشعراء الرافضين ، فهم قد باعوا أنفسهم للقوميين السوريين ، ولسفارة فرنسا ، وللمنظمة العالمية لحرية الثقافة التي يشترك في التخطيط لها الصهيونيون، وان مواقفهم في حرب السويس كانت مشينة ، وانهم «يستدرجون» المحبين للاموال في كل

بلد عربي ، ثم يعطونهم مما أعطتهم «المنظمة العالمية لحرية الثقافة» ، ومن هنا كان تيار الرفض لاينبع من الغيرة على الوطن ، ولكن ينبع من الذين يدفعون «المكافآت» خارج الوطن العربي ٠

صحيح أن الدكتور لايعتبر الشاعر رافضا على طول الخط ، وانما يقول :

« هو يكره أشياء في وطنه تستحق الكره ويريد تغييرها الى ماهو أفضل» والآن نقول له: هل الوحدة تستحق الرفض ؟ هل الاشتراكية تستحق الرفض؟ هل القومية العربية تستحق الرفض ؟ هل القيادات الثورية تستحق الرفض ؟ هل الميثاق الذي يشده شدا يقول هذا ؟ أما انا فاضع أمامه الحقائق الآتية لواحد منهم :

فادونيس مثلا لم يقبل أن يعيش بعد اتحاد سوريا وسمى عصرنا هناك «عصر الحذاء الذهبي» ، ويدين الاشتراكية في قوله : ان العربي الذي يمتاز في تاريخه الاول بفرديته الفارسة يبدو الآن انه يفقدها أو يتخلى عنها ، ليندرج في جماعية لا اسم لها ولا وجه ، ويوجه الى العرب في الماضي ، والى القومية العربية في الحاضر لا طعنة واحدة بل مئات الطعنات ويرى أن المصريين نذر الخراب ، وانهم جعلوا من سوريا امرأة محمومة وجسرا للملذات ، ثم يقول : حيث يبدأ الفراعنة يأكل الناس بعضهم بعضا ، وتنتهي الكلمة ، وحيث يبدأ الفراعنة أحمل كتبي وأمضي » ثم يتحدث عن الرمل والغربان والفيل الأعمى !!

ثم يتساءل السيد الدكتور : لماذا يستمر هؤلاء في استعمال اللغة العربية ، وهو قطعا يدرك انهم يستمرون في استعمالها لأن الجمهور يقرأ بهذه اللغة ، وهو خير من يعلم انهم أول من هشموا الجملة العربية، وانهم يتعمدون استعمال الاساليب الضعيفة عربيا ، والا فما رأيه في هذه الابيات لألمع شعرائهم وهي تكاد تكون سمة عامة :

كن بها الصقع باسم أوروب أرض
اليمن أرض النهر وأرض الجمال
باركتك اليد الأعلت على القفر
السخت أول الزمان على تربة

ثم أخيرا ان منهم من يكتب شعره ــ للجماهير العربية ــ بالحروف اللاتينية كتلك التجربة التي قام بها الشاعر سعيد عقل ٠

ثم ان مواقفهم الخاطئة لاتقف عند هذا ، وانما تتعداها الى التعصب والحرب الباردة باسم الدين ، فهم يرفضون التراث الاسلامي دون الجاهلي ودون المسيحي في المنطقة العربية ، وهم قد يضحون بالشعر من أجل الدين الى حد ان أدونيس يقول عن تجربة يوسف الخال انها «ايمان هو في المعنى الاخير أكثر اهمية من الشعر» ٠



واذا كان الدكتور النويهي يقول ان رفضهم لتراثنا الديني هو اساءة استعمال الدين على أيدي رجاله ، فنحن نسارع فنؤكد أن أحدا منهم لايرفض المسيحية ، وانما الرفض للاسلام وتراثه ، ثم نؤكد انهم يقاطعون الاسلام مقاطعة قاطعة ليس من سببها رجال الدين ، ثم تطلق الحقيقة الثالثة وهي أن تيار الرفض يمثل سماته المحددة شعراء مسيحيون هم : علي احمد سعيد الملقب بادونيس وقد كان مسلما ثم دخل المسيحية ، ويوسف الخال ، وأنسي الحاج وجبرا ابراهيم جبرا ، والياس مسوح ، ويوسف الصايغ ، وعزمي مورلي ، وميشال كمال ، وخليل الخوري ٠٠ الخ ٠

والآن يصبح طلب الدكتور التماس المعذرة لهم ، وتطهير الدين الاسلامي مما سبب رفضهم أمرا غير ذي موضوع !

ثم لماذا يجعلهم الدكتور النويهي ثمرة لثورتنا والتيار الذي يمثلونه لايقوم الا على أساس واحد هو النيل من ثورتنا ومخططاتها والاتصال الواضح العلني بأعدائها ؟

ولماذا يجعل الدكتور النويهي تأثير الثورة على هؤلاء الشعراء رفض الدين والاخلاق والعروبة ٠٠ ولماذا يجعل ثمار الثورة هذه «الاقانيم الثلاثة» ولا

يجعلها فهما وعمقا واحتضانا للحياة ؟ ولماذا يقتصر هذا الأثر على لبنان ؟

ولماذا يقحم الميثاق فيبعض التأثرات التى لايقرها الميثاق ؟ ولماذا يضع كلمة الرئيس جمال عبد الناصر فى استقبال اعضاء المجلس التشريعى لقطاع غزه بهذه الصورة ، دون أن يشير الى مئات الكلمات التى تشيد بالعرب فى الماضى والحاضر حتى لا يكون هناك مكان للوهم أو الظن فى جدية القومية العربية .. وبخاصة فى هذه الايام التى ينعقد فيها مؤتمر القمة العربى !



واذا كان يبيح القول باننا رمل مجدب عقيم ، وان الكم الأكبر من انتاج اسلافنا فى الشعر والنثر ، دمغ بطابع الجمود الفكرى والخلقى والجمالى وان هذا مايبرر ثورتهم ، فكيف يبرر دعوتهم جميعا الى «الفينيقية» وما هو هـذا التراث الفكرى والخلقى والجمالى عند الفينيقيين ؟

واذا كان يسمحلهم بامتداد النظرة ، فكيف يفسر وقوفهم ضد التراث الاسلامى، وهل التراثالاسلامى اقل قيمة من التراث الجاهلى ، أو التراث المسيحى فى المنطقة ؟

ثم لماذا يقارن الاستاذ الدكتور بينهم وبين فخر البريطانيين بشيللى ، وبيرون ، ووايلد ، وويلز ، وشو ، وهو أول من يعلم أن أحدا من هؤلاء لميرفض حضارة بلاده ، ولم يقل بتقسيم الوطن الأم ، أو الدعوة الى افساد اللغة وكتابتها بغير الحروفاللاتينية ـ عن نزوة ـ ان الدكتور يعرف أن مواقفهم لاتعدو ان تكون نوعا من الهجاء الاجتماعى ، وان أغلب هذا الهجاء كان منصبا على السياسة على نحو ما فعل الشاعران درايدن ، وبوب ، وكما فى قصيدة بيرون عن ثورة النساج فى مقاطعة نوتنجهام عام ١٨١٢ ، وكما فى قصيدة «نظرة فى الحكم» التى كانت ردا على مبالغة شاعر بلاط جورج الثالث الذى راح يصف دخول الملك الى السموات .

ثم أخيرا : هل يدلنى الدكتور على تيار شعرى فى اى عصر وفى أية دولة قصر الشعر على السخط الدينى ، والايلام الخلقى ، وجرح الحساسية القومية ـ على حد تعبير الدكتور الفاضل ـ انه قد يوجد شاعر تتوفر فيه هذه الخصائص ، ولكن حين تبدو هذه الاشياء بوضوح يكون معناها الارتكاز على أيديولوجية معادية للوطن ، ومع انى لااميل الى مايقوله عنهم مواطنوهم ـ وقد تحقق لى صدق مايقال عنهم ـ الا اننا نجد فى شعرهم ما يتطابق مع مخططات القوميين السوريين ، وكل أعداء الثورة المصريين ، ولعل المفارقة هنا هى تبرير موقفهم بالميثاق ، وبخطبة السيد الرئيس فى استقبال المجلس التشريعى لقطاع غزة .



لقد كنت أحب أن أقف مع الدكتور النويهى عند الخصائص الفنية لهذا الشعر ، ولكن الدكتور آثر الحديث من خلال السياسة ، ومع انى ألتقى معه فى أن نقد الفن يجب ألا يقام فقط على الاعتبارات الفنية الا انى آثرت فيما قدمت من قبل عن شعراء الرفض أن أنظر اليهم من خلال العمل الفنى وحده حتى لاتدخل فى «الغابة» العجيبة فى هذا العصر ، ولكنى رأيت الدكتور يدافع بالميثاق عن الذين لا يؤمنون بالميثاق ، ورأيت تصرفا فى «التاويل» جعلنى أقف معه ـ **على حب** ـ لنحاول الاهتداء الى الحقيقة .

لقد وقفت معه من قبل «**على الحافة**» حين رد على بشأن انتشار الرموز والمواقف المسيحية فى شعرنا المعاصر ، وأشهد انه كان استاذا كريما ، لأنه وصل الى حقيقة موقفى بعيدا عن التعصب والأنانية .. وأعتقد انى فى موقفى هذا ـ **وكل تقدير لسيادته واعزاز** ـ لأحاول الا الوصول الى الحقيقة ، ولعل مزيدا من هذه **اللقاءات** المثمرة يوصلنا الى الحقيقة وسواء على أن تزدهر الحقيقة من قلمه او أن تورق من قلمى :



الكتب نقد وتعريف

يقدمه : تحسين عبدالحى

القوة الذاتية للأمة العربية

لا يكاد العالم يعرف امة اجتمع لها من خصائص القومية ما توافر للأمة العربية من اقصى شواطىء المحيط الاطلسى حتى ضفاف الخليج العربى .. امة مترابطة جغرافيا ، متكاملة اقتصاديا ، تحتل المركز الاول بين قارات العالم القديم وهى فوق هذا وذاك تضم شعبا واحدا اجتمعت له ـ وحدة اللغـة التى تصنع وحدة الضمير والوجدان ـ ووحدة الامل التى تصنع وحدة الفكر والعقل ـ ووحدة التاريخ التى تصنع وحدة المســتقبل والمصير ـ وبهذه المقدمات استطاع الشعب العربى أن يرفع المشاعل على دروب الفكر الموحشة ومســالكه المظلمة . فبنى حضارة رفعت من قدر الانسانية وانارت لها السبيل . ومن هذه المقومات اســتمدت الامة العربية اهم ظاهرة انفردت بها عن سائر امم الارض وهى قوتها الذاتية الكامنة فى اعماق شعبنا العربى . تلك القوة التى مكنته على مر التاريخ من الصمود فى وجهه الاعداء على الرغم من توالى المحن والكوارث ..

واذا كان شعبنا يواجه الآن الكثير من التحديات وانواع الضغوط المختلفـة ـ تلك التحـديات التى تنعكس على واقعـة المجزأ ســياسيا ، وامكانيــاته المبعثرة اقتصاديا .. فان هذا الواقع لم يمنعه من الالتقاء المباشرالسريع لدرء الاخطارالمحيقة بوجوده..

ولعله من اروع الأمثلة على ذلك اجتماع اصحاب الجلالة والفخامة ملوك ورؤسـاء شـعبنا العربى فى مؤتمر القمة العربى الأول والثانى .. واذا كان مؤتمر القمة العربى الأول قد اجتمع من اجل فلسطين فان المؤتمر الثانى وما يليه من مؤتمرات دولية ـ سوف يكون لهـا من الآثار الحـاسمة ما يؤكد وحدة النضال القومى على مستوى الوطن العربى الكبير ..

ولاشك ان هناك من القضايا العربية الشىء الكثير الذى يستطيع اقطاب شعبنـــا أن يضعوا الحلول الحاسمة لمعـالجتها . فبخلاف قضـــايا التخلف الاقتصادى ، نجد امامنا اشـياء اصبح من المحتم علينا ان ننظر اليها بعين الاعتبـار . على أن لهـا خطرها القريب والبعيد نسبيا على وجودنا القـومى ذاته . ومن الاخطار القريبة ولا شك قضية اغتصاب ارضنا العربية فى فلسطين السليبة . بالاضافة الى أنه لا يقـــل خطرا عن وجود الصهاينة فى فلسطين الوجود الاستعمارى فى الجنـوب العربى المحتل . ومنطقة الجنوب كما نعلم جميعـــا وعلى مر التاريخ تشكل العمق الاستراتيجى للمنطقة العربية باكملها . فاذا اضــفنا الى ذلك عوامل التسلط الاستعمارية الرهيبة على مقدرات شعبنا فى الجنوب استطعنا ان نرى الى أى مدى يشكل الوجود الاستعمارى فى هذه المنطقة العربية الخطر كل الخطر على تطلعات شعبنا المشروعة فى الوحدة والتضـــامن من اجل مستقبله المنشود . واذا كانت القواعد الاجنبية التى تستتبعها عوامل السيطرة الاقتصادية من العوامل الخطيرة التى نبحث الآن عن حل لها ، فانه لا يقل عنها خطرا ذلك التناقض الرهيب الذى تعيش فيه وعليه جمـــاهير شعبنا فى أجزاء وطننا المختلفة .. ولعل هذا التناقض

الحضارى هو من الاسباب المباشرة التى يرتكز عليها الاستعمار فى تثبيت وجوده ٠٠ ان الجهل والتقاليد القبلية الموروثة اشياء اصبحنا فى اشد الحاجة الى بحث الوسائل الكفيلة ـ للقضاء عليها ـ وان حملة ضد الجهل التخلف الفكرى والحضارى على مستوى الوطن العربى ككل ـ ينفق عليها من فائض ارباح البترول العربى ـ تعتبر بمثابة الضرورة الملحة التى يفرضها الايمان بالانسان العربى صانع الحضارة والتاريخ ٠٠ اننا ولاشك نعيش فى عصر تفرض طبيعته على الناس أن يعيشوا فى وحدات كبيرة ـ تستطيع ان تثبت مقدرتها داخليا ودوليا على المساهمة الفعالة فى التقدم الحضارى للبشرية، وتستطيع كذلك ان تساهم فى حفظ السلام العالمى ، وان تحافظ على حقوقها كاملة لصالح تقدم شعبها ٠٠ ان أوربا التى ظلت شعوبها تتطاحن طوال تاريخها ـ تسعى الآن الى شكل معين من الوحدة ـ فاصبح لدينا الآن ما نعرفه باسم السوق الاوربية المشتركة ، والمجلس البرلمانى الاوربى ـ ومجلس وزراء السوق ـ الخ ـ الخ ٠٠ ونحن هنا لانقارن بين وحدة أوربية تقوم على اساس تقوية الاحتكارات الاوربية وتوحيدها ـ للوقوف أمام الاحتكارات الامريكية ـ أو لخنق الشعوب الصغيرة ، وبين وحدتنا العربية المنشودة بمحتوياتها الانسانية المستمدة من واقع شعبها ، ولكننا سوف تكون مقصرين فى حق شعبنا اذا لم تكن وحدته قوة ذاتية نابعة من أعماقه الحقيقية تلك الاعماق التى سوف تاخذ صورتها الفعالة عندما يختفى ذلك التناقض الحضارى الرهيب بين اجزاء الوطن الكبير ، وهى اشياء كثيرة لا نستطيع ان نوردها جميعا هنا ولكنها اشياء هامة لا بد من النظر اليها بعين الاعتبار، ويجب ان تعطيها من اهتمامنا وعملنا الجهد الكبير ٠

وكتاب اليوم ـ يعالج نقطة هامة ـ وهى القوة الذاتية للامة العربية ، وهو من تاليف الاستاذ حسنى عبد السيد ٠٠ والكتاب يبحث القوة الذاتية لامتنا على مستوى تاريخها الطويل قديما وحديثا ، وعلى الرغم من ان المؤلف لم يعرض للموضوع بالتفصيل وبالدوافع الحقيقية لمراحل تطوره ـ الا انه استطاع أن يقدمه بصورة عامة على أساس أن معدن شعبنا الاصيل بايمانه وتراثه الحضارى وتمسكه بالقيم والمثل العربية العليا استطاع ان يحفظ عليه وجوده ضد جميع القوى التى أرادت أن تمسخ هذا الوجود وتحركه الى العدمية المحتضرة ٠

« ولعل من أبرز الاحداث التى اظهرت معدن الامة العربية الاصيل فى أحرج الاوقات التى مرت بالعالم العربى ماحدث فى العصور الوسطى وعلى وجه التحديد سنة ١٠٩٦ م عندما هبت اوربا لاستعمار العالم العربى تحت شعار الدين فيما يسمى بالحروب الصليبية ٠ وصادف هذا الزحف ضعفا فى القوى العربية نتيجة انهيار كل من الخلافة العباسية ببغداد والفاطمية بالقاهرة ، فلم يكن لخلفائهما من الخلافة وسلطانها الا اسمها وحكمت العناصر الاجنبية باسم الخلافتين ، هذا فضلا عن التنافس الشديد بينهما على النفوذ فى العالم الاسلامى ولو من الناحية الاسمية ٠ وكانت النتيجة تأسيس الامارات الاستعمارية الصليبية فى كل من الرها وانطاكية وطرابلس وبيت المقدس ، وحلت كارثة الاحتلال بالوطن العربى لما كما يجرى بارض العرب من تقاعس فى الهمم وانقسام فى الراى وفرقة بين زعماء العرب أدت الى حلول النكبة بهم ٠ وقد استطاع صلاح الدين الأيوبى بما وهب من صفات الزعامة أن يطوى طلابها من أقزام السياسة فى الوطن العربى فى زمن يسير وأن يكشف عن حيوية الامة العربية ، تلك الحيوية التى لايعوزها الا من يحركها متمسكا باهداب المثل العليا للنضال القومى فى سبيل الصالح العام ـ وعند ذلك استطاعت الامة العربية أن تكيل للاستعمار الاوربى سنة ١١٨٧ م أول ضربة قاصمة فى معركة حطين التى تداعت بعدها حصونهم الواحد بعد الآخر حتى استطاع الاشرف خليل بن قلاوون أن يزيل آخر تلك المعاقل سنة ١٢٩١ ، وخلصت بذلك أرض العرب لابنائها بعد حروب استمرت نحو مائتى عام ، كشف فيها أبناء الامة العربية من قادتها المخلصين عن قوتها الكامنة ومعدنها الاصيل وقادوها الى النصر ٠ وليس أدل على مدى ما تتمتع به أمتنا العربية من قوة ذاتية على البقاء ، تلك القوة المستمدة من ماضيها التليد وتقاليدها القوية، فقد حدث فى أواسط القرن الثالث عشر حينما فوجىء العالم باخطر موجة تخريبية عرفتها البشرية حتى ذلك الوقت أن هبت جموع التتار الزاحفة من اواسط آسيا تنشر الفزع والرعب والدمار فى طريقها وتاتى على الأخضر واليابس ، وتدمر كل ماانتجته قريحة الانسان فى ميدان التقدم الحضارى، فاكتسحت الدولة الخوارزمية

وضربت مدنها العامرة وواصلت زحفها حتى أسقطت بغداد سنة ١٢٥٨ م فى موجة من الارهاب وسفك الدماء يقصر عنها كل وصف ، وانسابت تلك الموجة الى دمشق وحل بدمشق وبغيرها من مدن الشام ما حل ببغداد ، وعند ذلك هب الشعب العربي فى مصر ليدافع عن نفسه وعن قوميته العربية فى الشام - فكانت معركة عين جالوت سنة ١٢٦١ م التى استطاعت فيها الامة العربية أن تقضى قضاء مبرما على موجة الزحف المغولى الذى بقى ولم يهزم حتى هذا التاريخ منذ زحفه من أواسط آسيا - ولقد أدت الامة العربية من خلال هذه المعارك أجل الخدمات للعالم المتمدين ، اذ أن النصر الذى أحرزته على المغول حال بينهم وبين تدمير مراكز الفكر الانسانى ومعالم الحضارة فى جنوب غربى آسيا وأوربا ٠

ويتضح لنا مما تقدم أن الامة العربية تملك من مقومات القوة الذاتية ما يجعلها قادرة فى أحرج المواقف على تجميع نفسها حول هدف واحد لتقرير مصيرها على ضوء هذا الموقف الذى يجمعها عند الخطوب ، وهو أن ارض العرب للعرب ولن تستطيع قوة بالغة مابلغت من الطغيان والجبروت أن تحل محل القومية العربية قومية أخرى تملأ فراغها فى المنطقة ٠

ففى أثناء فترة الاحتلال العثمانى لم يتمكن الاتراك العثمانيون برغم استنادهم الى الدين لتبرير وجودهم فى الوطن العربى - من القضاء على القومية العربية اذ قامت عدة ثورات فى وجه الاتراك لتخليص البلاد العربية من نيرهم ، ومن هذه الثورات اعلان استقلال مصر أيام على بك الكبير فى القرن الثامن عشر وتعاون على بك مع الشيخ ضاهر العمر من عرب فلسطين للوقوف فى وجه الادارة العثمانية وتخليص البلاد العربية من سيطرة الاتراك ٠

وعلى الرغم من استمرار الحكم العثمانى فى البلاد العربية نحو أربعة قرون كانت كافية بما عرف عن الاتراك من قسوة وعنف واهمال لكل معالم التقدم الفكرى - لمحو مقومات الشخصية العربية - لولا تلك القوة الذاتية الكامنة فى الشعب العربى التى تمكنه دائما من التغلب على عوامل القهر ، وقد تحولت تلك القوة الذاتية عندما رأينا العرب يقومون بعمل أقرب الى العمل الجماعى فى أثناء الحرب العالمية الاولى عندما اشتعلت الثورة العربية الاولى فى سنة ١٩١٦ بتأييد من سورية والعراق وبزعامة الشريف حسين جد ملوك الاسرة الهاشمية فى الاردن ٠

ومن أبرز الامثلة على مدى قوة العرب الذاتية انتصار ثورة الجزائر على الاستعمار الفرنسى الغاشم بعد كفاح دام نحو ثمانى سنوات وبعد احتلال دام أكثر من قرن وربع قرن من الزمان حاول فيه المستعمر ابادة الشعب الجزائرى وازالة معالم القومية العربية فى القطر الشقيق - فصادر ممتلكات الشعب وحارب اللغة العربية حتى أنه فى سنة ١٩٤٥ م صدر مرسوم فى الجزائر باخراج كل من لا يعرف الفرنسية من المساجد والمعاهد الاسلامية ٠ هدف ذلك واضح اذ كان الاستعمار الفرنسى يريد تجميد الثقافة العربية ، واستمر الاستعمار الفرنسى فى عدوانه فأعلنت السلطات الفرنسية منشورا فى الثامن من مارس سنة ١٩٣٨ اعتبرت فيه اللغة العربية لغة أجنبية يحرم تعليمها ، وأكثر من هذا وذاك لجأ الفرنسيون الى تحويل عدد من المساجد الاسلامية الى كنائس كاثوليكية٠ ومن أمثلة ذلك مسجد القشاوة الذى تحول الى كنيسة نوتردام دى فيكتوار، وجامع القصبة وقد حوله الفرنسيون الى كنيسة سانت كروا - وهذا فى مدينة الجزائر وحدها ٠ كل هذه التدابير التى اتخذتها فرنسا بدافع التعصب المرير البعيد عن روح المسيحية السمحة كان الغرض منه تحقيق شعار « الجزائر فرنسية » ، ولكن على الرغم من كل هذه المحاولات احتفظت الجزائر بشخصيتها العربية وصممت بعد فترة طويلة من البطش والارهاب على أن تعلن ثورتها المظفرة فى أول نوفمبر سنة ١٩٥٤ وانتهت بتحرير الجزائر فى أوائل يوليه ١٩٦٢ ٠ ولقد كان انتصار الجزائر مثلا رائعا من أمثلة التضامن العربى من أجل شد أزر حركات الكفاح العربى بدافع من الأخوة العربية التى ترى فى الحرية العربية كلا لا يتجزأ ، اذ وجدت ثورة الجزائر أكبر تعضيد لها من الثورة العربية فى القاهرة ٠٠

وهكذا نرى أن مؤتمر القمة العربى فى دورتيه الاولى والثانية انما هو وضع طبيعى تفرضه الضرورة الملحة النابعة من القوة الذاتية للامة العربية ٠٠ حيث يتعرض الوجود العربى باكمله لمحنة المواجهة المباشرة التى تهدد كيانه ، والممثلة فى الوجود الصهيونى الاستعمارى الغازى لأرضنا وكذلك لضرورات التمشى مع طبيعة العصر الذى نعيش فيه، والذى يحتم علينا ان نكون وحدة كبرى بدلا من وحدات صغيرة مبعثرة يسهل على الاستعماريين استغلالها وعلى الصهاينة سحقها ٠



قراءات في المجلات العربية

يقدمها : مصطفى فوده مصطفى

● تطالعنا الآداب لهذا الشهر بتجربة فنان لتوفيق يوسف عواد . وهي حديث قدمته المجلة على أنه من وحي كتاب جديد له بعد صمت دام ربع قرن . فالأديب في نظر الكاتب « انسان شقي منحه الله ان يرى أبعد من الناس ، وان يحس ما يدق عن حسهم . يمرون هم على سطح الحياة ويغوص هو الى أغوارها . يريد ان يضع أصابعه على كنوزها وأسرارها . تلك مرحلة الرؤيا التي يطلق عليها الكاتب « مرحلة السكوت » التي تمثل عند عمر أبو ريشة : أجمل قصائده . فلقد سئل : أيها في نظرك أجمل قصائدك ؟ فقال : تلك التي لم يقتلها الحرف بعد .. » .

ثم يتكلم بعد هذا عن اللغة فيقول: « واللغة العربية .. كل كلمة من كلماتها تاريخ مكتوب وغير مكتوب، مشحون بالأنفاس التي تتردد خلالها حروفها ، زاخر بأسرار الزمان والمكان اللذين تنقلت فيهما، مضطرب بملايين الأنغام والألوان .. من ملك لغته ، ملك فكره وشعوره وخياله وملك أو كان على متناوله ثقافة بأمها وأبيها وحضارة . ومن فاتته عبقرية لغته فاتته عبقرية أمته » .

ويشبه حالة الوحي والالهام واللاوعي والرؤيا بالحالة التي سبقت الخليقة . ويعظم من شأن الكلمة فيقول : « **ويل لصاحب قلم تنقلب الكلمة بين يديه الى مومس أو حطبة** » .

ويتعرض بعد هذا للقضية الأزلية : أيهما أسبق في الوجود : الشعر أم النثر ؟

ولعله لا بأس من وقفة قصيرة عند هذه النقطة التي يقول فيها الكاتب : « من المتفق عليه في تاريخ الآداب أن الشعر سبق النثر . هذا خطأ . لم يسبق أحدهما الآخر . توأمان ولدا . ولكن الشعر الذي بقى مخطوطا وضاع النثر » .

ولعلى لا أوافقه في نقطة الاتفاق هذه فالمعروف أن للقدماء رأيهم الذي يخالف رأى المحدثين . فالقدماء في نقد الأدب واللغة قالوا بأسبقية النثر . وعللوا لذلك بالمقابلة بين طبيعة النثر المطلقة وطبيعة الشعر المقيدة . والمطلق أسبق في الوجود من المقيد . فابن رشيق يقول :

« **وكان الكلام كله منثورا فاحتاجت العرب الى التغنى بمكارم اخلاقها . وطيب اعراقها . وذكر ايامها الصالحة واوطانها النازحة . فتوهموا اعاريض جعلوها موازين الكلام . فلما تم لهم وزنه سموه شعرا .** » ويعلل القدماء لبقاء الشعر بانه أشد علاقة بالأذهان، لما له من قيود الوزن والقافية اللذين يربطانه بالذهن .

اما المحدثون وبخاصة في أوروبا . فيرون ان الشعر أسبق في الوجود من النثر . ويعتمدون في

رايهم على راى لارسطو ذكره فى كتابه « الشعر » وفيه يقول :

« التخيل اسبق فى الزمن من التصديق ، فالناس اول ما يسمعون انما يسمعون الأمثال الشعرية التى فيها مشاكلة للأقاويل التخيلية ثم يتدرجون الى الخطابة ثم الى البرهان » .

اذن ليس هناك من اتفاق . ولعله ايضا ليس صحيحا ما يقول به الكاتب من أن أحدهما لم يسبق الآخر . فوجود صور من النثر القديم كالخطابة والحكم والأمثال . ووجود الكتب المنزلة . والقيد الذى يغل الشعر بالوزن والقافية ، غير الموجود فى النثر ، كل هذا يدعونا الى مخالفة الكاتب والقول بأن النثر أسبق فى الوجود من الشعر .

وفى النهاية لست أعتقد أن مثل هذه القضية بذات أهمية ، فسواء سبق هذا أم ذاك . فما يهمنا هو انهما موجودان فى خدمة الفكر .

ولقد ختم الكاتب حديثه عن مسرحيته التى سكت ربع قرن ليقولها ، والتى تساءل النقاد عنها : « أمسرحية هى ، أم قصة ، أم ملحمة ، أم كل ذلك، أم شىء آخر ؟ » ورد هو عليهم بقوله : « وما يهمنى أن ينوع بنوع أو يحدد بحدود . لقد انبثق منى كما ينبثق الينبوع . الفجر كما يتفجر البركان كلاما بعد سكوت » .

***

● وعن « الواقعية الشعرية فى مسرح تشيكوف» تكلم « صبرى حافظ » . وجعل محور بحثه أربع مسرحيات بدأها بمسرحية «النورس» التى قال عنها تشيكوف أثناء كتابتها « انها تتضمن كثيرا من الكلام عن الادب . وقليلا من الحركة وأطنانا من الحب » ومن ثم يرى الكاتب « أن احكام بناء الرمز فيها مثير للالتفات » وهو يعتقد « أن اكثر رموز تشيكوف احكاما ليس فى « النورس » بل فى بستان الكرز لأن قمة الاحكام فى البناء الرمزى تتحقق عندما تلتحم دلالات الرمز الرمزية بدلالاته الموضوعية التحاما يصعب معه التمييز بينهما » .

ولعلى أخالفه فى هذا الاعتقاد ، لان الرمز حينئذ يكون غائما وضاربا فى تيه الغموض . وفى مثل هذه الحالة يمكن للحقائق ان تختفى وان تشوه وتحور وتفسر تفسيرا متعسفا بعيدا عن الفهم الطبيعى .

وقد تتضارب التفسيرات حول الموضوع الواحد فتكون الفوضى وبلبلة الأفكار . ويورد الكاتب ملاحظة لوليامز مؤداها ، ان الرمز فى نورس تشيكوف كان امتدادا حرفيا لرمز ابسن فى بطته البرية .. حيث يستخدم الطائر وموته وبعثه فى شكله المحنط للاشارة الى شىء خاص (بتريبليوف) ومتعلق بالفناء الشامل للحرية ... ذلك الفناء الذى دس بمهارة ولا مباشرة بين ثنايا المسرحية ، وكلنا نلمح أشباحه المخيمة على كل شىء ، فى الحوار ، فى الصمت . وحتى فى رسمه للمنظر .. من خلال هذه الجزئيات جسد تشيكوف فناء الحرية الشامل فى مسرحيته كمعادل لفنائها الواقعى الذى أصاب الحياة بالجمود والجفاف . ، وينتقل الكاتب بعد هذا الى الحديث عن الفن فى المسرحية مبتدءا برأى لتشيكوف يقول فيه بعد حديث عن المسرح فى عصره : « اننا فى حاجة الى صور فنية جديدة . المطلوب هو صور جديدة ، فاذا لم يمكن توفرها ، فالأجدر الا يكون لنا شىء على الاطلاق » ثم يقول عن السبب فى قلة الحركة « أما قلة الحركة الخارجية ، فقد جاءت تجسيدا فنيا ممتازا لتيارات الملل والركود والتبلد السارية فى أعماق الشخصيات والتى تودى فى النهاية بأكثر الشخصيات حيوية الى الانتحار ... يبقى بعد هذا الحديث عن الحب فى المسرحية .

والحب فى هذه المسرحية غالبا حب من جانب واحد. حب معذب مكبوت ككل الاشياء فى الواقع ... وربما أمكن اعتبار الحب الشقى الموضوع الرئيسى فى هذه المسرحية ويبدو أن المؤلف نفسه قد وافق الى حد ما على كل هذا التفسير ، ولكن الشىء الذى لا شك فيه هو أن كل علاقات الحب هذه جاءت دليلا واضحا على لا جدوى الوجود فى ظل ظروف الكبت الكئيبة هذه وفى ظل الفناء الشامل للحرية، فكانت بهذا عاملا مدعما لعنف الاحتجاج على جمود الواقع وعلى كل ما فيه من تفسخ وزيف ولا حرية. هكذا يتحول الحب تلك العاطفة الخلاقة التى تحمل فى طياتها دلائل الاقبال على الحياة الى كائن مشوه عجوز تملأ الغضون وجهه .

وهكذا يسير هذا البحث الطيب فيحلل لنا الخال فانيا ــ والشقيقات الثلاث ــ وبستان الكرز .

وان الجهد الذى بذله الباحث ليدعو الى الاعجاب بحق .

● **ليس من طريق غير الصراع (٢) :**

قلنا في الموضوع السابق حول هل من طريق غير الصراع ؟ لجميل كاظم المناف في مجلة « العلوم » ·

قلنا ، ان التصنيع الآلي له اليد الطولى في البطالة ونقول هنا : انه ايضا ذو اليد الطولى في الصراع حول المادة ، لأن الآلة تنتج أكثر من اليد لذا هي محتاجة الى خامات أكثر · ومن أجل ذلك أخذت الدول الصناعية تتصارع حول المواد الغفل ومواد القوى ، فهي في حاجة الى البترول والمطاط والفحم والحديد والنحاس والقطن واليورانيوم وغيرها وغيرها ·

وبعض هذه المواد يمكن وجوده داخل أراضي الدولة الواحدة ، ولكن ليس هذا ميسورا لكل الدول ، فالدول التي يعوزها مادة منها تحاول أن تجد لها مصدرا من دولة أخرى عن أحد طريقين :

١ ــ التبادل التجاري ·

٢ ــ السيطرة الكلية على تلك الدولة ·

ولكن الذي يحدث غالبا هو الطريق الثاني ، وبخاصة عندما تكون الدولة الغنية بالمواد الخام ضعيفة · ولهذا السبب احتلت بريطانيا يوما معظم القارة الافريقية وآسيا · وخاضت في سبيل ذلك كثيرا من الحروب · ونتيجة لذلك ايضا نرى رؤوس الأموال الأوربية والامريكية تحاول أن تسيطر على معظم دول العالم · وبخاصة في آسيا وافريقية وأمريكا الجنوبية ·

يقول أحمد بهاء الدين في كتابته عن الاستعمار الامريكي الجديد « لقد كان من المحتم أن يصحب اتساع نطاق رؤوس الاموال والمشروعات الاقتصادية تدخل سياسي وان يكون هناك أسلوب آخر للسيطرة» ولعل هذا ليس بغريب فان استعمار بريطانيا لمصر بدأ بالاموال والديون في عصر اسماعيل · كما يقول « مصطفى مؤمن » عن النقطة الرابعة « لقد جزئت القارة الافريقية بين الدول الاوربية ، كما حصلت الولايات المتحدة على امتيازات وحقوق وبخاصة في الموانئ الصينية · »

ولقد ظل هذا التزاحم في سبيل السيطرة على الأمم المتأخرة مستمرا حتى نهاية القرن التاسع عشر دون أن يثير مشاكل خطيرة أو تعليقات كثيرة·ولكن حدث بعد ذلك في الفترة ما بين عام ١٨٩٨ـ١٩٠٤ أن توالى في سرعة عدد الحروب الاستعمارية : حرب البوير · حرب البوكرز · الحروب الاسبانية الامريكية · ثم الحروب الروسية اليابانية · ولقد كانت تلك الحروب الاستعمارية العديدة بمثابة تمهيد لألوان من الصراع ، جاءت أبلغ منها خطرا · فلكي تدافع بريطانيا وفرنسا وروسيا عن مصالحها ضد دول التحالف الثلاثي المكون من النمسا والمجر وايطاليا والمانيا عقدت فيما بينها ما يسمى بالاتفاقية الثلاثية ·

وفيما بين عامي ١٩٠٥ ــ ١٩١٤ حدثت بعض الأزمات الدبلوماسية نشأت نتيجة اصطدام المصالح الفرنسية والألمانية في بلاد المغرب كما نشأت خلافات بين المصالح الروسية واليابانية والنمساوية في البلقان وتركيا · ولقد انتهت آخر هذه الأزمات بنشوب الحرب العالمية الاولى التي كانت أول فصول المأساة العالمية ثم أعقبها الفصل الثاني : الحرب العالمية الثانية · وأخيرا كان من المنتظر رفع الستار عن الفصل الثالث ! ذلك ما يقوله الدكتور راشد البراوي في « تاريخ أوربا ــ القرن التاسع عشر » ·

ولقد اعترف ميثاق الاطلنطي بأن الحربين العالميتين كانتا نتيجة لمعركة التنافس التي نشبت بين الدول الصناعية الكبرى في سبيل الظفر بتجارة العالم وموارده الخام ·

من هذا يتبين ان أسباب الحرب موجودة معنا· فهناك التطلع الى حياة أفضل عند الشعوب الصغيرة مثلنا · والشعوب الكبيرة التي تريد أن تفوز كل منها بنصيب الاسد لتوفر لأبنائها حياة أفضل · وهناك الحاجة ، فكل دولة محتاجة لما عند الاخرى من مواد وصناعات · وهناك الخوف · خوف الدول الكبيرة من بعضها البعض · والمتتبع لأخبار الدنيا يجد أنه لا يمر يوم دون ظهور خبر يدل على خوف هذه الدول من صواريخ تلك · وتلك من غواصات هذه ، وهكذا · وخوف الدول المستعمرة من شعوب مستعمراتها أن تعمل للتحرر فتفقد تلك الدول أهم مواردها وخوف مشوب بالحقد من شعوب المستعمرات على المستعمرين · على أننا نفتقد سببا مباشرا للحرب وهو البطالة ·



يا نويهى ..!

للكاتب اللبنانى سليم عبدالغنى الرافعى

حذلقة مرهقة يتمادى فيها الدكتور محمد النويهى فى مقاله بمجلة (الشعر) عن ثورة الشكل وثورة المضمون، ويخوض فيه نفايات بحث سطحى مناقض لمنطق التاريخ فما هو الشعر ايها الرجل ؟ الشعر ليس شكلا ولا مضمونا ، الشعر اقوى من الشكل والمضمون ، الشعر لا يستخدم الألفاظ ، الشعر يستخدم الأمة ، والأمة العربية اعظم من ان تفهمها بسهولة ، يانويهى ، لانها خلقت الوزن فى صحرائها لينضبط به الكون وينتظم ، وكان الكون لها ولم يكن للغرب ، وكانت (السيمترية) لها ولم تكن من عند الغرب ، ولم تكن العروبة مستعبدة للوزن قبل الاسلام ولا بعد الاسلام ، لان الوزن معناه عندها حركة الارادة الشاعرة ، كالوزن فى بعض سور القرآن ، وفى كلام خطبائها وكتابها ، لم تستلهمه من الاغريق ، ولا من امة غير الاغريق ، والذين ثاروا عليه هم الشعوبيون الحاقدون على العبقرية العربية ، ثم ذهبوا فى غماره واندسوا فى تياره ، وما زال اقوى من العجم والترك والمماليك والانجليز والفرنسيين وسائر المتسلطين .

يا نويهى ! سلهم بربك لماذا يضيقون به ؟!

ينطلق المتشردون الحائرون على ارصفة الشعر المنطلق ، فيحسبهم النويهى من الاغنياء ، او من الاوفياء ، لانهم قلقون ، متشككون مذبذبون مقلدون للغرب، زائغون عنه وعن الشرق، فكيف يصمدون؟!

وعجيب ان يجند الكاتب نفسه للدفاع عن الثورة، ولا ادرى اذا كان يستطيع فهم الثورة حقا ، فكل ما جاء فى مقاله لا يعدو ان يكون عارضا من عوارض القلق والتسكع ، فالثورة مناقضة للذبذبة ، لانها عمل حاسم ، اما القلق فقد يدوم فى نفس الانسان او فى نفس الجماعة دون ان يؤدى الى ثورة ، لانه مرض من امراض الانسانية لا يأبه له الأصحاء ، ولو نهجت الثورة للناس نهج الذبذبة لأصبحت عالة على عصرها ، وعبئا على شعبها .

الثورة لا تعترف بالتقلب والقلق ، الثورة تعنى الاندفاع ، والاندفاع يقتلع التردد .

يا نويهى ! الشعر العربى المرتجى ليس هو الشعر المنطلق كما تسميه وكما تصفه عاجزا عن تحديد مفهومه . الشعر العربى ما هو الا استمرار لشخصية العربى يعبر عن نفسه غير ملزم بالغرب ومذاهب الغرب ، وقد يلزم نفسه بمذاهب الغرب، ولكن العربى لا يكون شاعر امته الا اذا كانت اداته اداة امته ، وروحه روح امته .

وقد اسمعتك الثورة اننا لسنا غربيين ، وان زعماءنا لا يخطبون بالايطالية او الفرنسية او الانجليزية ، ولكنهم يستمدون وجودهم كله من كلمة (القومية العربية) فلو دعونا الى غيرها لما كانوا زعماءنا بطبيعة الحال .

وكل من يدعو الى الذبذبة ، او يبررها فليس باديب الثورة .

وكل من يتعرى من الوزن فليس عندنا بذى وزن،

لأنه يدعو الى حرية ، بل يدعو الى تقليد أدب وافد من بلاد بعيدة ، يريد لنا ان نعيش فيها وننسى بلادنا وحياتنا ووجودنا .

يا نويهى ! دع الثورة فلست منها وليست منك، ودع استشهادك بالميثاق ، فقد صنعه مارد خلاق، لا يؤمن بالذبذبة والنفاق .

مع الامثال البغدادية ..
بقلم عبدالخالق عبدالرحمن

الامثال هى تلك المخلفات التى ورثناها عن آبائنا واجدادنا الأوائل وهى خلاصة تجاربهم على مسرح الحياة ولهذه الأمثال اثرها البالغ فى حاضرنا، فهى الموجه المرشد للأمة، فبها نعرف مايختلج فى نفوسها، وما يستشرى فى اعماقها ، اذ ان الامثال تجارب الماضى الذى تردد صداه فى الآفاق ورنت كلماته فى آذان الزمن ، فهى تعزى الى انواع معينة من السلوك ، يسترشد بها من ضل ، ويستهدى من غوى وهى تنير الطريق للسالكين فى غياهب تلكم الدروب المعتمة ، فتلقى بانوارها الكشافة لتهدى الحائرين ، وتأخذ بيد التائهين ، وتنير السبيل للضالين .

فالأوائل سبروا غور طرائق الحياة المستقيمة ، واستفادوا بتجاربهم المديدة على مر وانصرام الأعوام ، وعرفوا الشىء الكثير من عوامل التقدم والازدهار ، واسباب التقهقر والانهيار .

اننا الآن فى زمن كثيرا مانحتاج فيه أن نعود القهقرى الى الماضى البعيد ، لنسترشده ونستفهمه ، فاذا ما عرفنا معانينا الموروثة من الامثال الماضية ، والحكم السامية ، والمثل الرفيعة ، والأخلاق الحميدة ، وما طرأ على كل ذلك من عامل الذبول والازدهار والتقدم والتقهقر ، استطعنا ان نرى فى حياتنا هذه وجيلنا الحاضر صورا لتلك الحياة فنتلمس مواقع الزلل لنتجنبه ، ونشق لنا طريقا مستقيما لا نحيد عنه فيصل بنا الى شاطىء السلامة والنجاة .

والتاريخ يحدثنا فى اسفاره انه مامن أمة تدرجت فى مدارج الرقى وهى منقطعة عن ماضيها ، فالحياة دائما وابدا مستمدة من الماضى المندثر ومن ضرورات الحاضر والرموس تبقى مشرئبة بأحلامها وآمالها الى المستقبل الباسم ، والأمم والافراد على حد سواء فى هذا السبيل ، فالأمة اذا ما تنكرت لماضيها لا تستطيع السير قدما الى الامام ، بل لا بد لها ان تتدهور فى مهاوى الضلال ويهوى بها اعصار الزمن فى مكان سحيق .

وعلى هذا الأساس فاننا نشيد بالجزء الثانى من كتاب (الامثال البغدادية) للشيخ جلال الحنفى الذى تفضل مشكورا فاهدانى نسخة منه وهو يكشف لنا عن امثال من صميم الشعب العراقى بلغته الدارجة التى هى مفهومه لدى كافة افراد الشعب على اختلاف طبقاته فهو يضع بين ايدينا ما ورثناه من امثال اجدادنا السالفين وفى هذه الأمثال مواضع الرشاد ومواضع الخيبة ، والأمثال ضرب من احسن ضروب التعبير عما تزخر به النفس من علم وخبرة وحقائق واقعية بعيدة البعد كله عن الوهم والخيال .. كما يقول الاستاذ الكبير الشيخ محمد رضا الشبيبى . وان المثل قطعة ادب شعبى ينطوى على انتقاد لاذع للحياة كما يقول المؤلف نفسه

وقد بذل فضيلة الاستاذ الشيخ جلال الحنفى البغدادى جهودا جبارة فى كتابه هذا فقد رجع الى مصادر عديدة منها : كتاب الجمهرة لابى هلال العسكرى ، وكتاب اسماء الأشهر فى العربية ومعانيها للدكتور انيس فريحة ، وكتاب الميدانى فى امثال المولدين ، وكتاب الطالقانى فى امثال العامة البغداديين وكتاب يونس السامرائى فى الأمثال السامرائية ، وكتاب الزمخشرى فى المستقيض ، وكتاب لحن العامة لابن هشام الاندلسى ، والامثال المغربية لمحمد الفاسى، والامثال الاندلسية لابن عاصم الغرناطى وغيرها ، وقد شرح المؤلف هذه الأمثال شرحا وافيا ، وقارن بعضها بالأمثال الأخرى، ولهذا يستحق المؤلف على هذا الجهد المضنى الذى بذله كل اكبار واعجاب .

نقباهم ناثرين شاعرين لا شعراء ناثرين !
بقلم عبد الصبور منير

لا يزال القوم الذين يسيرون فى طريق الشعر الجديد يطلعون علينا بين كل آونة وصاحبتها براى جديد ، او برد مستحدث ، او بضربة مستجدة يؤيدون بها قضيتهم ويكسبون بها اليهم أفرادا جددا ..

وكاننا فى سباق كسب اصوات واجتذاب افراد، لا فى مجال فن وشعور .. واين فن وشعور ؟ الا فى الشعر !.

وانى - وكلما قرأت لانصار محترفى الشعر

الحر هـذا ـ أحس حسرة وشفقة على هؤلاء المصريين على ان نقبل منهم هـذا النثر الذى يضرب فى أجواء الغموض و (الدربكات المعنوية) على أنه شـعر .. وشـعر راق .. مـع علمى الـكافى بأن هـؤلاء جميعا يتجاهلون طبيعتهم ويناقضـون أنفسهم وكل منهم يناقضنفسـه ، مع انه يناقض الآخرين فىنفس الوقت ، ومع علم كل منهم بأن الطريق هى عكس ذلك تماما .. ولكنها المجادلة والاختلاف وسياسة « خالف تعرف ».. وهم يفشلون فى هذا كثيرا .. ويا لبئس ما يجنون ..

يصبرنى على ذلك حفنة من الشـباب تعد على الاصابع، تسير على الدرب القديم، وتسلك الصراط المستقيم .. تؤمن برسالتها وتعتقد فى ان الشعر العربى ـ الشعر بمعناه الذى ورد فى كتبالاقدمين والمجددين ، هو الشعر الصالح لكل زمان ومكان.

وهو الشعر العربى حقا ..

ومع هـذا نرى الاسـتاذ « عبده بدوى » يرد على هؤلاء الناس فى بابه بالمجلة بكل رفق ولين ، وينظر الى أشعارهم على أنهـا مرحلة من مراحـل التطور فى الشعر العربى ؟!

وانا لا انكر على الاسـتاذ عبده ذلك .. ولكنى اقول له : ان الموضوع ليس بحاجة الى كثير حديث عن هذا الشعر الذى يخرج عن دائرة الشـعر الى مدى بعيد .. بعيد.. واقول له : ان للشعر العربى الأصيل أبوابا اخرى احق بالمناقشة واحق بالتقديم من هذه « الهنبقات » على رأى الاستاذ عباس خضر !

يا هؤلاء ... نقبلكم ناثرين شـاعرين ولا نقبلكم شاعرين ناثرين .

مع القراء :

● **الشاعر عبد الله رحال** .. أرسـل قصـيدة جيـدة يمكن أن تسـتوعب ان نشرت الصـفحات المخصصة للشعر فى عدد من الأعداد ، ولما كان قد حذر من الاجتزاء ، فانا ننتظر منه قصيدة فى الحجم المعقول .

● **الشاعر محمد مسعود الزيتنى** .. يأخـذ على الشاعر محمد الجيار فى قصيدة « عرس الدموع » قوله « زورقا كفنته تلك القلوع » مع أن القـافية فى القصيدة محركة بالكسر ، ويأخذ على قصـيدة الشاعر محمد العزب فى العدد ٥٥ قوله :

لكننى والوهم يطـوينى صـحوت على قسم
يعوى بأعمـاقى جليـلا رائعا ضـخم النغم

اذ أن كلمة « تعوى » بما توحيه لا تنسجم مع « قسم ، جليلا ، رائعا » .

ويأخذ على الشـاعر أنس داود ايراده للفعل المضارع (يأتى) مرفوعا

وسألنا الله للاغصان ان يأتى الربيع

● **الأديب حلمى محمـد القـاعود** .. الرسـالة تشكرك على رسـالتك الرقيقـة ، وهى لا تلقى بالا للحملات التى تكال لها لأنها متصرفة تماما الىتحقيق « الرسالة » التى من أجلها صدرت .

● **الشاعر عبد الفتاح محمود الدربى** .. أرسل قطعة شعر رقيقة جاء فيها :

تسألينى هـل ستنسى رحـلة الحب القصـيره
ليت شـعرى كيف أنسى قصـــة كانت مريره
لم تزل فيهـــا سـطور كلهـا شـك وحيره !
ليتنى أنسى كـــلاما قيــل فى يوم الـوداع
ليتنى أنسى وعـــودا أسلمتنى للضـــياع
هل سألت القلب يوما كيف هذا الحب ضاع

● كما تلقت الرسالة عدة قصائد من الشـاعر « مصـطفى ابراهيم عمـران » من غزة ، وقصـيدة بعنوان « بالسلام والرخاء » للشاعر أبو الفتوح أحمد الغمرى ، وقصيدة بعنوان « الى تجار الحروب وأعداء البشرية » للشـاعر محمد الضمرانى أبو العـلا جاء فيها :

اذا ما الوازع الدينى ولى
وغاب ضـميرهم او يضمحل
واصبحت الغرائز فى جنوح
وكل محـرم سهل وحـل
فسوف يكون امثلهم خـئونا
يعب من الحرام ويسـتحل
يخون العهد فى غسق الليـالى
وعند الصبح أخلاق ونبل
وفى التاريخ أحداث وذكر
وفى التنزيل أشباه ومثل
فكم من دولة ذهبت هباء
وكان وراءها كفر وبخل
فبشر بالفضـائل فى صـمود
وحذر لا تمـل ولا تكل
فان الشر حين يحيق ليلا
يعم وماله حزن وسهل

● الأديب **عبد الحليم عبد الفتاح عويس** يطالب بأن يزود قصر الثقـافة بالمحلة الـكبرى بدواوين الشاعر على محمود طه ، كما يطالب باعادة طبعها .

الفراشة

بقلم محمد رءوف

ترجمة أكمل الدين محمد احسان

يداعب أجفان الكائنات التى تنتفض من سبات عميق ، نسيم رطيب يأتى من سكون مطلق سحيق ، وتلثم الشمس وجنات حور السحر فتصبح من حيائها مثل العقيق ، وتفيض عيون الزهور بدموع الشوق وتهتز بين ورود السماء والوانها ، وتستحم راقصة هاشة باشة ، ثملة نشوى فى اشعة الشمس المنهمرة النابعة من وراء تلك القمة حيث تهتز الزهور . وتتلاعب أشعة الضياء الضاحكة ، وتتناجى التمتمات المدللة بين أفنان الشجر . وتنجلى غلالة الدجى المستتر ويتلألأ ندى السحر فيسرى فى الأرجاء هواء خفيف فكأنما الكون قد تثاءب.فيصيح ديك الفجر فى وقفته المشوبة بظلال الملل فتتردد صيحته هنا وهناك ، فتسرى فى الوجود رعشة الحياة دافقة ، وتتراقص ألحان الكائنات سعيدة وبغتة تشرق الشمس فى وسط الانعكاسات بعظمتها المشعة من خلف القمة .

***

آنذاك بزغت من حيث لا أدرى فراشة كنسيم الفجر ، أخذت ترقص كهفيف الحرير ، منتشية متلذذة باجنحة شفافة مائية اللون ، فى تباشير الشروق الذهبية .

والآن تريد أن تدلف مرتعشة الى زهرة رقيقة ذات وريقات عليها قطرات ندى تبتسم سرا . وتسبح سعيدة مخمورة متموجة فى غمرة الضياء المنسكب من الأطراف ، وتتمايل كالعشاق بحذر شديد صوب السنابل الذهبية التى تنعكس عليها أشعة الشمس وينبسط تحتها بخار راكد ، كأنما ستشمها او تمتص رحيقها ، وتتهافت متخففة مهتزة كشعاع متموج فى الفضاء ، ولكنها الآن تطير ثانية وتقترب من كم زهرة مترنحة تئن فى الهواء كأنما تضيق من ضمة كأسها ، وتحوم مهتزة حول اغصان ندية يذكر نداها دموع الهيام . وتحوم وتحوم .... انها غير مستقرة لاتهدأ أبدا ، انها تقبل مرة واحدة وما تلبث أن تفر وتطير. عندئذ يجهش صدر كم الزهر بصرخة حرمان ، وتهتز على عودها حزينة تنظر بعين متحسرة مغرورقة بدموع الأسى .

***

يقال ان الفراشة هى أثير تأتى من روائح حوريات الربيع اللائى يتناجين بأحاديث الحب والغرام ، وانها انتفاضة أكثر الوان الطبيعة روحانية ،وأنها نور سيال تقطر من حفيف الحور ، يقال ان الفراشة نسيم هف، عبير تأوه، قطرة تلاطمت، ضحكة تبلورت ، ابتسامة تقطرت ، .. يقال ان الفراشة هيام بلا انتهاء ، نسيم معتبر ، قبلة ذات روح ، شعر ، رقص ، ...

يلمحها طفل أشقر الشعر أزرق العينين ، وردى الشفاه ، فتلوح أمام ناظريه بارقة طمع فيصيح فاغرا فاه ، متورد الوجه ، شاخص العينين ، فاتح الذراعين لكى يمسك بتلك الزهرة الطائرة فيصيح : أماه .... الفراشة ....

ومن حيث لا أعلم تسيل ضحكة شوق ، وتهتز شفاة ، ويأخذ الطفل فى العدو .. آه ما أجمله ، ما أجمله وقد التصقت بجبينه المندى خصلات شعره الأصفر الطويل المتهافت ، وتحمر وجناته ، وتتقطع أنفاسه ، وبعد ذلك يأخذ فى الركض مرهقا مرتعدا. اذ انه لايستطيع الامساك بها وتصرخ أمه « يا بنى لاتعد فقد تتعثر فى عدوك ». أما الفراشة فمسكينة هى منهوكة القوى ، ترتعد قرقا وتهرب مسرعة ، ويقال الآن ان الفراشة ضوء ينسكب ، سريع الخطو

الدوامة

بقلم حسن فتحي خليل

لم يستطع النوم

تقلب يمينا وشمالا ، امسك راسه بيديه وضغط عليه ضغطا شديدا آله ٠٠ ولكنه كان يستعذب ذلك الألم ، كان يخلصه من آلام أخرى أشد ، ان رأسه يكاد ينفجر ، مطارق شديدة تهوى عليه ٠ لايدرى بماذا يستغيث ٠ لقد ابتلع اقراصا من الاسبرين ، ولكنها لم تفعل شيئا ازاء هذه المطارق المؤلمة ٠

والوقت ليل ٠

لو انتظرت هذه الآلام حتى الصباح ! اين يذهب الآن ؟ الصيدلية القريبة من منزله اغلقت أبوابها منذ ساعات ٠٠ وماذا سيأخذ أكثر من الاسبرين ؟ مخدر؟ ربما ٠٠ ربما اي مخدر يمكنه ان يقف هذا الصداع الشديد ٠

ولكن ٠٠ هذه هي المرة الأولى التي يفاجئه فيها الصداع هذه المفاجأة المذهلة ٠ كان من قبل يأتيه الهوينى ، يداعب رأسه أحيانا في هوادة ، فيتناول قرصا أو قرصين من الاسبرين ، وسرعان ماتهدا الحالة ٠ ولكن الهجوم اليوم جاء بلا رحمة أو هوادة ٠٠ لماذا ؟

لطالما نصحه الطبيب بالا يجعل للغضب سبيلا الى نفسه ، ولكن من في هذه الدنيا لا يغضب ٠٠ ولا ييأس ٠٠ ولا يحزن ؟! وهاته النسوة ، لماذا خلقن اذن ان لم يكن لاثارة غضب الرجال و (المكننة) عليهم ؟!

وهذه امرأته ٠٠ لم تنم الا بعد أن تأكدت أنها قد قلبت أحواله ، وأنها تمكنت من أن تثيره وأن تضغط على اعصابه فيصبح في وجهها ٠

---

٠٠٠ وأخيرا تقع تعبـــة منتحبة على احدى الزهور فتستميت في التشبث بهـا ٠٠ ويقـال الآن ان الفراشة شـفاه تستنشق ، وثغر يلثم ، وغرام يرتشف ، انها الآن حريصة جدا ٠

ويصيح الطفل بصوت تخـــالطه رنة الفرح ، **هاندا قد فزت بهـا ويمد ساعديه المرتعدين من نشوة النصر صوبها ٠٠٠**

اواه يا ربي الا توجد في عينيه الزرقاوين اي رحمة أو شفقة بذلك الجسم المرتجف الذي يرنو اليه بعين اليأس والقنوط ٠

لله درك دعها ٠٠ دعهـا وشأنها ٠٠٠ انظر ٠٠ سأحدثك أيضا ٠٠ انها هذا الصباح أتسمع ؟ هذا الصباح فقط ولدت من قبلات السحر ومن حفيف الحرير ٠٠ انها بدأت حياتها هذا اليوم ٠٠٠ انهـا طارت اليوم فقط ٠

انى أقول لك دعها دعها انها مثلك تماما ، انها أيضا تريد أن تعيش في سعادة ٠٠ انظر انهـا لم تحط بعد على هذه الزهرة ٠٠٠٠ أخل سبيلها محبة في الله ٠

ويعدو الطفل منتشيا بانتصـــاره ويمد يديه بابتسامة فرح معذبة ٠٠٠٠

وينسحق بين أنامله الوردية غبار ، رقيق ، ذهبى ، عبق ، غبار أثيرى ٠

والان يقال ان الفراشة هي لون الهباء ٠٠٠

ترجمة أكمل الدين محمد احسان

وبكت كالعادة ·· ونامت ·· وسرعان ما علا شخيرها !

اما هو ، فقد جافاه النوم ، لم تقو أعصابه على أن تهدأ بعد اثارتها ، ظل مفتوح العينين ، دمه يغلي ويفور ، واذا بهذه المطارق القوية تهوى على رأسه·· في قسوة ، وتمعن في ضرباتها ، حتى جعل يضغط على رأسه بيديه ، لعله يتفاداها او يخفف من وقعها·

تلفت حوله ·· في الضوء الخفيف الآتي من الردهة ·· كانت امرأته ما زالت تؤدي السيمفونية الموسيقية من الشخير تارة والصفير أخرى ·

وفي الفراش الثاني ؟ كانت صغيرته الوحيدة تنام نوم الملائكة في هدوء وطمانينة ، الابتسامة الفاتنة على ثغرها الدقيق ، وقد امتدت يدها على الأخرى فوق صدرها الذي يعلو ويهبط في انسجام وتناسق جميلين ·

صرفه النظر اليها عن آلامه قليلا ، كم يحب أن ينظر اليها دائما وهي نائمة ، انها تزداد فتنة في عينيه ، فالملائكة تحرسها وضوء سماوي مقدس يحيط بها ·

وأدار بصره ·· نحو امرأته ·· وخطر له أن يوقظها ، ولكن ·· ما الفائدة ؟ ماذا ستفعل له ؟ ربما اغاظها ذلك فازدادت حنقا عليه ، وتابعت نشيد (المكنسة) · ليستقل بآلامه ··ولينغلق نفسه عليه·· فما فائدة ترجى من ايقاظه لزوجته ·

وظل ساهرا ·· ينتظر الصباح ·

وفجأة ·· سمع أنينا خافتا ، تلفت حوله في ذعر ، لم تكن امرأته · أرهف السمع فاذا الانين آت من فراش ابنته ، فقام في لهفة ، وركع على ركبتيه بجانب فراشها الصغير ·· لقد وجد مسحة من الآلام تعلو وجهها ، وبدأ أنينها يتتابع ، ثم بها تبكي وتصرخ فجأة ··

ـ بابا ·· ماما ··

فهتف في لهفة : ـ فيقي ·· فيقي ·· انا بابا يا حبيبتي ·· ما بك ؟ ما بك ؟

فتحت الصغيرة عينيها والدموع تسح منهما وصرخت ··

ـ بابا ·· بابا ·· بطني يا بابا ··

قال في لهفة ـ ما بها بطنك يا حبيبتي ·· مابها ؟

كانت الصغيرة ماتزال تصرخ :

ـ بطني يا بابا ·· بطني تؤلمني

والدموع مازالت تنهمر من عينيها ، وبدا وجهها يتقلص تقلصات شديدة وقد أمسكت بطنها بيديها ، ورفعت هامتها وظلت تصرخ ·

توقف الشخير فجأة ، وهبت زوجه مذعورة وهي تقول :

ـ ما بالبنت يا علي ·· ما بها ؟

نسي خصومته لامرأته ونسي مافعلته قبل أن تنام ، كان قد وطد العزم على أن يخاصمها أياما ، حتى يستيقظ ضميرها وتعرف أنها المذنبة·· وتصالحه·· ولكنه لم يتمالك حينئذ من ان يرد عليها :

ـ بطنها تؤلمها ·· احضري لها شرابا ساخنا ··

وأسرعت فاخذتها بين احضانها وهي تقول :

ـ ما بك يا وفاء ·· ما بك يا روحي ··

بكت الصغيرة صارخة : ـ

ـ بطني ياماما ··

وتخلصت من احضانها والقت بنفسها في حضن ابيها ، وأسرعت الزوجة الى المطبخ لتهييء لها شرابا ساخنا ·

شعر على بدفء الصغيرة بين أحضانه ، ونسي نفسه في أحضانها ··وجعل يقبلها وهو يقول :

ـ لا تبك ·· سيزول المغص حالا ·· حالا ··

ولكن الصغيرة كانت ما تزال تصرخ :

ـ بطني يابابا ·· بطني ··

فقال وهو يكاد يبكي :

ـ ماما ستحضر حالا ·· حالا ··

وأتت بسرعة مسرعة ومعها فنجان الشراب الساخن ، تناولته الصغيرة في صعوبة ··

وانتظرا النتيجة ·

ونسي هو كل شيء في هذه الدوامة · كان انتباهه كله موجها نحو صغيرته وحبيبته ، ومشاعره كلها معها فهي أعز شيء في الوجود بالنسبة له ·

ووقفت زوجه بجانبه ، وأنظارهما معلقة بالصغيرة الحبيبة . وهما لا ينبسان ببنت شفة .

هدأت قليلا .. ولكن سرعان ما علا صراخها .

حينئذ هب واقفا وهو يقول :

ـ يجب أن أذهب بها الى الطبيب .

قالت امرأته ـ أين الطبيب الآن ونحن فى آخر الليل .

قال : اذن اذهب بها الى المستشفى حالا ..

وأسرع الى ملابسه يرتديها فى ارتباك ، وهو لايدرى أيهما يلبس أولا القميص أو الحذاء .. وتلفت فجأة فوجد امرأته تلبس هى الأخرى ..

قال ـ ماذا ؟

قالت ـ معكم .. لن أتركها ..

وأسرعا الى المستشفى .

كانت اللهفة لمعرفة مابها لا تجعله يستقر على حال ، ظل واقفا ثم جلس ، ثم وقف .. وهو فى انتظار الطبيب (النوبتجى) الذى كان نائما .. وكانوا يوقظونه ، ما هذا العذاب ! أليس المفروض أن يكون هذا الطبيب مستيقظا لاستقبال هذه الحالات العاجلة ؟ آه .. ان لم يحضر حالا .. ساشكوه فى الصباح الى المدير .. ولكن .. لعله هو هذا القادم .. كلا .. فقد كانت الممرضة ..

قالت ـ الدكتور سيحضر حالا ..

قال ـ حالا ؟ .. متى ؟

وصرخت الصغيرة ، فاستشاط غضبه ، ولم يشعر الا وهو يشد الممرضة شدا ..

ـ من فضلك .. استعجليه .. أين الانسانية ؟ ..

وأخيرا .. حضر الطبيب .. يداعب النعاس عينيه ، ونظر اليهم شزرا ، ثم أخذ الصغيرة ، وكشف عليها ، ثم استحضروا أدوية .. وحقنة ..

ومر الوقت ، وهو واقف ينتظر فى بلاهة .. لا يشعر بما حوله ، كان فى دوامة كبرى ، تتارجح المناظر كلها أمام عينيه ، وزوجه بجانبه ، ممسكة بذراعه ، صامتة هى الأخرى ..

وانخفض الصراخ شيئا فشيئا .. ثم توقف . ولم يشعر الا والطبيب يربت على كتفه وهو يقول :

ـ الحمد لله .. انتهى كل شىء .. وستنام الآن .

واخذها بين ذراعيه ، كانت نائمة .. مغمضة العينين ، تحرسها الملائكة .. وبدأ النور الشفاف القدسى يحيط بها .

تلعثم لسانه بشكر الطبيب ، وتعجب كيف كان سيشكوه فى الصباح الى المدير ، وكرر شكره وهو يضحك فى بلاهة .

وخرج . زوجه ممسكة بذراعه .. وهى تهمس :

ـ الحمد لله .. يا على .. الحمد لله .. كنت خائفة ..

قال ـ وأنا أيضا .. الحمد لله .. الحمد لله ..

وعادا الى المنزل . كان الليل يدبر وخيوط بيضاء تكاد تظهر فى الأفق البعيد .

كان سعيدا ، ووفاء بين يديه ، تنام فى حراسة الملائكة ، وزوجه معلقة بذراعه .. وعادوا الى حجرة النوم .

وضع وفاء فى فراشها الوردى .

وخلعت زوجه ملابسها فى عجل واسرعت الى الفراش الدافىء .

وحاول هو أن يخلع ملابسه فى مهل كعادته . كان متعبا مكدودا . كانت تجربة شاقة ، هذه هى حال الأولاد . ان تربيتهم وتنشئتهم متعبة ، أنا مازلت فى أول الطريق ، متى تكبر وفاء ؟ ومتى ؟ .. آه .. أنا أيضا أتعبت والدى وأنا صغير ، والمسألة حلقات تتتابع كل يأخذ دوره فيها ..

عليه الآن يقع العبء بعد أن استراح والداه !

وطرق سمعه فجأة .. صوت الشخير ! ابتدأت السيمفونية التى تجيد زوجه عزفها وهى نائمة .

همس فى نفسه :

ـ **يابختها !**

ودلف الى الفراش .

ما أن حاول النوم بعد هذه الليلة الشاقة .. حتى شعر به ثانية !.

يا الهى ! لقد نسيه ونسى نفسه .. ولم يكن يشعر بأى شىء وهو فى هذه الدوامة التى عاش فيها تلك الساعات الطويلة وابنته تتوجع وتتألم ..

ولكنه .. كان مايزال يهوى على رأسه بمطارقه الثقيلة ..

انه صراع ...



الثقافة والإرشاد القومى

العدد ٦٠

الثمن ٣ مـ

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الفهرس

رئيس التحرير

أحمد حسن الزيات

المراسلات جميعها تكون باسم
السيد مدير ادارة المجلات
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد . محمد فريد . القاهرة

تصدرها
الثقافة والإرشاد القومى

الاشتراكات ١٥٠ قرشا سنويا
ويضاف أجر البريد
من خارج ج . ع . م

العدد ١٠٧٩ ـ الخميس ١١ جمادى الأولى ١٣٨٤ هـ ١٧ سبتمبر ١٩٦٤ م ـ السنة الثانية والعشرون

مسائل...

• للدكتور محمد أحمد خلف الله •

الشيخ عبد الجليل شلبي لم يستطع أن يرتفع الى مستوى المسائل التى يناقش فيها، وظل فى مستواه الذى يفرض عليه أن يستمسك بأقوال مستحدثة استحدثها الفقهاء العباسيون بعد فترة متطاولة من نشأة الاسلام ، ولم يدرك أبدا ذلك الأساس الفكرى الذى ترد اليه الأحكام الشرعية ، وتحصر فيه مصادر التشريع الاسلامى .

لقد أردنا للشيخ وأمثاله ان يدركوا أن مصادر التشريع الذى جرى عليها العمل أيام الصحابة والتابعين وتابعى التابعين لم تكن الا الكتاب والسنة ـ والى جانبها الأجتهاد حين لا يكون فى المسألة نص من كتاب أو سنة ، كما أردنا أن نقول للشيخ وأمثاله ان تلك كانت الدعوة السلفية .

أردنا هذا ولكن الشيخ طلع علينا قائلا باننا لم ندرك الفرق بين الاجتهاد والاجماع وأننا نخلط بين الاثنين فى أحاديثنا ، ويظهر أن الشيخ لم يدرك حتى هذه الساعة أن الاجماع ليس الا الاجتهاد ـ الاجتهاد الجماعى .

لا اجماع يا سيدنا الشيخ بدون اجتهاد ومجتهدين . والخلط انما قام فى ذهنك من حيث انك لم تفرق بين الاجتهاد الفردى والاجتهاد الجماعى ، وأنك لم تدرك أبدا أن الاجماع عند من يقول به هو الاجتهاد الجماعى .

ويبدو أن الشيخ فى حاجة الى من يدله على الطريقة التى يستطيع أن يستكشف بها نفسه ، ويدرك بها امكانياته ، ويقدر بمقتضاها مستواه .

انى أدلك على هذه الطريقة وهى سهلة يسيرة . انها اجابات عن بعض الأسئلة .

سل نفسك وأجب عن سؤالك :

هل اجمع الفقهاء المسلمون بعامة ، والمجتهدون منهم بصفة خاصة ، على أن الاجماع مصدر من مصادر التشريع او ان هناك من ينكر ذلك ؟

وعليك قبل أن تجيب أن تعرف شيئا عن المذهب الشيعى ، والمذهب الظاهرى ، وأقوال ابن جرير ومدرسته ، وأحمد بن حنبل ومدرسته ، وبقية السلفيين .

ثم سل نفسك وأجب عن سؤالك : **هل ذهب الذين يقولون بالاجماع جميعا الى ان الاجماع قد تحقق ، او ان هناك من يخالف فى ذلك ؟**

وعليك وأنت تجيب أن تذكر لنا فى أى وقت من الأوقات تحقق الاجماع على الصورة التى جاء بها تعريف علماء الأصول للاجماع ـ فى عهد أى خليفة او أمير أو حاكم ، ومن هم المجتهدون الذين اجتمعوا

واتفقوا على حكم شرعى اعتبر اجماعا ، ومصدرا من مصادر التشريع .

وسل نفسك واجب عن سؤالك : **متى ظهرت الدراسات الفقهية والأصولية التى اعتبرت الاجماع مصدرا من مصادر التشريع ؟**

هل ظهرت فى عصر قبل عصر العباسيين ؟ وماذا كان يفعل المسلمون قبل ان تنشا هذه الدراسات ؟

والى أن تجيب عن تلك الأسئلة أضع بين يديك وبين يدى القارىء هذه العبارات من أقوال القدماء :

ان الذى نحتاج اليه جميعا هو معرفة أحكام القرآن والسنة ، ففيهما غنية عن كل دليل آخر .

لا يمكن البتة أن يكون اجماع من علماء الأمة على غير نص من قرآن أو سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن قال من المتاخرين ان الاجماع مستند معظم الشريعة ، فقد أخبر عن حاله ، فانه لنقص معرفته بالكتاب والسنة احتاج الى ذلك . وهذا كقولهم ان أكثر الحوادث يحتاج فيها الى القياس لعدم دلالة النصوص عليها ، فانما هو قول من لا معرفة له بالكتاب والسنة ودلالتهما على الأحكام .

لابد للاجماع الذى يعتبر حجة وأصلا من أصول الفقه من سند من النصوص ـ وذلك لأن كل ما أجمع عليه المسلمون من الأحكام الفقهية يكون منصوصا عليه من الرسول ، وقد بينه فى حديث له ، ولكن قد يخفى النص على بعض الناس فيستدل بالاجماع الذى علمه ، مع أنه لا توجد مسالة يتفق الاجماع عليها الا وفيها نص .

اختلف أهل العلم فيما يذكر من الاجماعات الحادثة بعد الصحابة ، واختلف فى مسائل منه ، كاجماع التابعين على أحد قولى الصحابة ، والاجماع الذى لم ينقرض عصر أهله حتى خالفهم بعضهم .

ان معنى الاجماع أن يجتمع علماء المسلمين على حكم من الأحكام ، واذا ثبت ذلك لم يكن لأحد أن يخرج عن اجماعهم ، فان الأمة لا تجتمع على ضلالة ـ ولكن كثيرا من المسائل يظن بعض الناس فيها اجماعا ولا يكون الأمر كذلك ، بل يكون القول الآخر أرجح فى الكتاب والسنة .

***

هذه الأقوال والعبارات تكشف من غير شك للقارىء أن الأصل فى التشريع هما الكتاب والسنة ، وان الاجماع لم يقع الا حين استند للنص أى للكتاب والسنة .

مرة ثانية أقول : يجب أن نمضى على سنة المسلمين قبل العصر العباسى فنجعل مصادر التشريع :

١ ـ الكتاب .

٢ ـ السنة .

٣ ـ الاجتهاد .

ويجب أن تدرك أن الاجتهاد قد يكون فرديا يشبه الفتوى من المفتى ، وقد يكون جماعيا ويشبه الاجماع الذى لم يتحقق ، أو يشبه القوانين الصادرة عن المجالس التشريعية

ومرة ثانية أيضا نشير الى أن كل أحاديثنا تتصل بالمعاملات ـ أى علاقات الناس بالناس .

***

ننتقل الآن الى مسالة اخرى ، يستكشف فيها الشيخ نفسه ، ويرى الى أى حد لعب الاجماع دوره فى حياة الاسلام والمسلمين .

لا يخفى على الشيخ أن مسالة تنظيم الدولة من المسائل الأساسية فى حياة المسلمين ، وأن مسالة اختيار رئيس الدولة من أخطر المسائل .

ولا يخفى على الشيخ أيضا أن هذه المسالة لم يرد فيها نص من كتاب أو سنة وانما ترك أمرها لجماعة المسلمين .

ان الكتاب الكريم تعرض لاختيار الرسل عليهم السلام وجعله حقا من حقوق الله .

وان النبى عليه السلام لم يتعرض لاختيار خليفته من بعده وجعل هذه المسالة حقا من حقوق الجماعة ·

وان الاجتهاد هو الذى دخل هذه المسالة ، ولم يدخلها أبدا الاجماع ·

ترى لماذا ! ألانها لم تستحق ، أم لان الاجماع لم يكن قد دخل حياة الاسلام بعد ؟

انى أعتقد أن هـذه المسالة قد تركت قصدا من حيث ان المسلمين أعرف بأمور دنياهم ·

لقد اختير كل واحـد من الخلفاء الراشدين على أساس غير الذى اختير عليه الآخر : **فابو بكر** رضى الله عنه تم اختياره بعد جدل عنيف بين المهـاجرين والأنصار، وعلى أساس من بيعة عمر وبعض المهاجرين له ، ثم تمت البيعة ·

وعمر تم اختياره على أساس من اختيار أبى بكر له ·

وعثمان تم اختياره على أساس ثالث هو أن يختار ستة نفر ـ عينهم بأسمائهم ـ واحدا من بينهـم ليكون خليفة المسلمين ·

وعلى كرم الله وجهه أصبح خليفـة بعمل ثورى كانت نتيجته مقتل عثمان وتولية على ·

ومن الملاحظ أن ثلاثة من هؤلاء الأربعـة انتهت حياتهم نهاية غير عادية ، فقـد اغتيل كل من عمر وعلى ، ومات عثمان مقتولا على يد الثوار ·

أعتقد أن ذلك كله يدل دلالة قوية عـلى أن من المسائل الخطيرة ما لم يرد فيه نص وما لم يقع فيه اجماع ، وانما ترك للناس لأنهم أعلم بأمور دنياهم · وهو حين يترك للناس انما يترك لاجتهاد فردى ، أو اجتهاد جماعى لا يكون ملزما الا للذين ارتضوه ·

بقيت كلمة أخرى ننهى بها هذا المقال :

ان الشيخ عبد الجليل شـلبى يقول انهم فعلوا وفعلوا ، وانهم بحثوا ودرسوا ، وانى قد قصرت ، وأنه لا لوم عليهم ·

وأترك الاجابة لقراء الرسالة ، فهل علم أحدهم بما يذكر الشيخ ؟

أخشى أن تكون هذه الدراسات فى أدراج المكاتب، وأن قرارات المؤتمر ضلت طريقها الى أفراد الشعب·

ان الدعوة الى شىء لا بد أن تتحول الى رأى عام ثم الى عمل · ومسالة مثل مسالة الملكية فى الاسلام وانتفاع الاشتراكية العربية من قواعدها كان يجب أن تبلغ للناس ولو عن طريق الخطباء فى المساجد ·

أما الاكتفاء بالبحوث والدراسات فلايقدم ولايؤخر الا فى الميادين العلمية · أما الميادين الاجتماعيـة ، فتحتاج الى أعمال ·

كلمات

ان تبجيل المـاضى تبجيلا زائفا وبعثه المصطنع ليس علاجا لانحلال شعب من الشعوب · وقد أحسن كاتب من المحدثين تصوير ذلك فقال :

« ان حكم التاريخ هو أن الأفكار البالية لم تقم لها قائمة أبدا بين قوم بليت على أيديهم » ·

وعلى هذا فالقوة الفعالة الوحيدة التى تقاوم قوى الانحلال فى شعب من الشعوب هى تنشـئة أفراد ذوى فردية قوية · ومثل هؤلاء الأفراد وحـدهم هم الذين تتجلى فيهم أعمـاق الحيـاة · فهم يجهرون بمقاييس جديدة نبـدا نرى فى ضوئهـا أن بيئتنـا ليست واجبـة الحرمة فى كل شىء ، بل تفتقر الى التعديل ·

ان من تتناوبه سلسلة من نفس الأفكار المتكررة، ونفس الشعور المتكرر لا تنتابه أفكار ولا شـعـور مطلقا ·

دكتور محمد احمد خلف الله

نظرات في الشعر العراقي المعاصر

شاعرة الحرمان

للدكتور بدوي طبانة

- ٢ -

والدارس لشاعرية عاتكة ، مهما يتنقل بين جداول ديوانها الزاخر «**انفاس السحر**» لن يجد في وصفها قولا يتصف بالصدق والدقة والايجاز من القول بانها شاعرة الألم والحب .

ولعل عاتكة نفسها هي التي أعانت على ذلك التصور الذي يدل عليها تمام الدلالة ، ففي مطلع قصيدتها ــ هوى الوطن ــ ص ٦٣ اشارة صريحة الى بواعث انفعالاتها ، ومفجر شاعريتها في قولها :

ففي أنشديني من لحونك مايصبي
فانت ابنة الآلام والشعر والحب

ففي اسعدي قلبا برته يد الأسى
ومثلك من يأسو الجراحات في القلب

حنانيك ياورقاء كفي عن البكا
وغني لحون البشر في غصنك الرطب

والورقاء هنا هي عاتكة ذاتها ، ولا فرق بينهما الا ما تتمتع به الورقاء من قدرة على الانطلاق والتحرر والتحليق فيما يطيب لها من الأجواء :

حنانيك ما يشجيك اذ أنت حرة
تطير بك الأنسام في العالم الرحب

ولم تكن في حياة عاتكة الاولى غير امها ، ولم تكن عينها تقع الا على عبرتها الهامية وجفنها المسهد وعينها الباكية وهيكلها المحطم ، وكان ذلك كفيلا باثارة شجونها والهاب جذوة آلامها .

وعاتكة اذ ذاك وبعد ذلك الفتاة المرهفة الحس المشبوبة العاطفة .. كانت تشعر بالوحدة ، وتحس بالفراغ ، اذ لم تجد امامها غير امها ، وقد أحال الأسى الأم وابنتها روحا واحدة موزعة في جسدين .

ومن هنا أحست عاتكة حاجتها الى القلب العاطف واليد الحانية تكفكف عبرتها ، وتخفف أشجانها .. وتستبدل بحياتها القاتمة ووحشتها الجائمة الأنس والمسرة .. ومن هنا وصفت عاتكة نفسها بأنها «ابنة الآلام والشعر والحب» وهذا الثالوث هو الذي يكون في الحقيقة شخصية عاتكة ، وهو عنوان كل شعر قالته في «أنفاس السحر» وفي غير أنفاس السحر ، ويلحظ القارىء هذه الثلاثة في يسر ووضوح في كل ما صاغت من شعر في أي غرض من الاغراض .

* * *

وقد وصفت عاتكة مشاعرها وعبرت عن عواطفها ووصفتها وصفا كثيرا ودقيقا ، وفاقت في ذلك سائر الشواعر من بنات حواء اللائي كنا نصف شعرهن بالصراحة وايثارها على كل اعتبار غير اعتبار الصدق والاستجابة لحرارة العاطفة ، وقوة الانفعال ، واحتلت بذلك منزلتها بين شعراء العاطفة المعدودين .

استمع اليها تصف مشاعرها المضطرمة ، لتلمح في ذلك الوصف صدق عاطفتها ووفاءها ، وتجد ما يفعل بها الصد والاعراض :

الموت الا يوم هجرك
والنار الا نار غدرك

يا سيدي هذي فتاتك تشـ
ـتكى لذعـــات حرك

رحمـاك هـــذى طفلة
أولى بعطفـــك او ببرك

بك تستجير من الزمان
، فكيف تفجؤها بجورك

اليوم تـــــقيها الـسموم
وكنت تسكرها بخمرك

واليوم تبخل باللقاء على
التى خضعت لأمـــرك

ويؤكد ما سقناه من شـــعور عاتكة بحاجتها الى المواسى الذي يجفف عبرتها ، ويشفى جراحها ويرد ماذهب من آمالها فى الناس والحياة ، قولها فى تلك القصيدة :

ياسيدى .. كيف السبيل الى ســـلوك أو لهجرك
قلبى بحبك مؤمن .. وانا بحبـــك لست أشرك
ان كنت تذنب سيدى .. فالقلب يأبى غير عـذرك
كن من تشـــاء فاننى لك مـــا حييت ولا لغـيرك
أحيا لعـــلى أن أراك وأجتـــلى لألاء فجـرك
وأضمد الجرح الخفى اذا لجأت بظل صـــدرك
وأرد عن روحى الظمـــاء وأرتوى من فيض طهرك !

ونقف هنا وقفة قصيرة لنقول ان حدة الانفعـال والاستغراق فى التجربة قد أنسى عاتكة الدقة التى تتحراها فى الأداء ، ومظهر ذلك فى هذه الأبيـات فى قولها : «اننى لك ما حييت ولا لغيرك» فان الواو هنا لامحل لها ، بل يختـل بها المعنى الذى تريده الشاعرة اختلالا ظاهرا .

والتعبير المؤدى للغرض أن تقول : «لك ما حييت لالغيرك » ! وانما تصح العبارة وتكون الواو لوكانت قالت «لست لك ما حييت ولا لغيرك» وهذا مالاتريده الشاعرة ، ولا يدل عليه السياق .

ومظهر ذلك أيضا تعديتها الفعل «لجا» بالباء فى قولها «اذا لجأت بظل صدرك» فان هذا الفعل يتعدى بالحرف «الى» واهل العربية يقولون : لجأ اليه ، ولا يقولون لجأ به الا على التضمين بأن يقال ان الفعـل «لجأ» مضمن معنى الفعل «اعتصم» أو الفعل « لاذ » او على القول بان حروف الجر ينوب بعضها عن بعض وهو قول يضيع معانى الحروف ، ويقضى على دلالاتها

ولست على كل حال من الذين يؤمنون بالضرورات أو يحبون التأويلات فى فن نبحث فيـه عن مظاهر التفوق والتأنق والجمال ، ونفترض انه استوفى قبل ذلك شروط الصحة والاتقان .

***

وتقرأ آثار العاطفة فى قولها فى «**كتاب**» وصـل اليها ، ولم يخفف من لوعتها ، بل اثار أشجانها ، وهاج كامن شوقها الى كاتبه :

جاء الكتاب فهـــاج كامن لوعتى
وأثار مـــا فى القلب والآمـــاق

فاذا بما بين الضلوع مجامر
واذا بمـــا بين الجفون سواق

والنوم جافى مقلتى تجنيـــا
كى لا يكون الطيف من طراقى

ماذا عليك اذا رأيتك فى الـكرى
وعلمت ماجرت يد الأشـــواق

أواه لو تدرى بما فعـــل النوى
لاخترت قربى أو نبذت فراقى

وخفقت من أقصى البلاد محلقا
كالهدى يسرى فى ركاب براق

والبيت الثالث من روائع عاتكة لما فيه من الخيال الجميل ، وما اشتمل عليه من حسن التعليل .

وقد انتثرت فى «**أنفاس السحر**» مقطمات اقتطفتها عاتكة من مسرحيتها المنتظرة «علية بنت المهدى» ، وكلها من الشعر العاطفى البديع ، كقولها :

أنت لو يسعفنى الوصف أثير عند نفسى

أنت منى كل شىء مالك عقلى وحسى

لست أدرى أى سر فى لقانا وهوانا

قدر كان به الحب فلا كنا وكانا ..

ياحبيبى ان قلبى كافر الا بحبك

مغلق ، أسراره أعيت سوى مفتاح قلبك !

وهذا من النمط العالى فى عذوبته وسلاسته ، وفى انتقاء ألفاظه ، وفى جمال معانيه ، وفى صـــدق عاطفته .

وقد نجحت عاتكة فى تقمص شخصية صاحبتها علية بنت المهدى فعبرت عنها فى حرارة ، واعربت عن مشاعرها فى أداء رائع ، وربما كان هذا الشعر فى حقيقته تعبيرا عن عاطفة عاتكة نفسها لان فيه من حرارة الشعور والتهاب العاطفة ما لايحسه الا من يعانى ومن يكابد .

ولعل هذا هو السر فى تسجيل ذلك الشعر فى «انفاس السحر» وليس الديوان محله بل محله المسرحية نفسها حين تطبع ، وارجح أن الشاعرة انما تخيرت لديوانها الشعر الذى يسجل اتجاهاتها ، ويمثل مشاعرها ، ويشرح عواطفها .

وتظل روح الصفاء والابقاء على سالف الود والوفاء للذكريات فى كل شعر عاطفى كتبته عاتكة ، وفى كثير من هذا الشعر رأيناها تتنازل عن كبريائها ، وتخاطب من تخاطبه بقولها «سيدى» متحرجة من النداء الذى ألفه أهل الود الا فى القليل كما فى قولها تؤكد وفاءها وولاءها وحفاظها على العهد :

انى أراك عن الحقيقة غافلا
هذا الفؤاد بغير حبك ماخفق

يا سيدى وحياة طلعتك التى
بصفائها أجد الصباح قد انفلق

فلانت عندى يا حبيبى فوق ما
يصف البيان اذا ترقرق واصطفق

ولأنت أنت وما سواك أحبه
الله يشهد ان صدقت وما صدق

* * *

ولكن عاتكة تمنى فى حياتها بتجارب قاسية ، وصدمات عاتية لا تلبث أن تحيل مشاعرها الرقيقة نارا حامية وثورة عارمة على الناس الذين أصبحت تراهم ذئابا ضارية ووحوشا كاسرة ، وأصبحت تجد نفسها فى خضم الحياة كالسفينة تتقاذفها الأمواج ، ولا تجد ساحلا ترسو عنده ، ولا ركنا تأوى اليه :

ويا خيبتى بالناس حين بلوتهم
فلله درس ما أشد وما أقسى !

توهمت فيهم كل خير وليتنى
جهلت فلم أدرس حقائقهم درسا

فمن طيب أمسى الخبيث وطاهر
بدا بعد طول السبر أخبثهم نفسا

وتصف فجيعتها فى الناس وما رأت من خلائقهم وما بلت من لؤمهم :

ورب أديب يستبيك بيانه
تكشف حتى عاد أبلدهم حسا

ورب أخ تسقيه كأسك رائقا
ولكنه يسقيك من كدر كأسا

فياويلتنا ما للأنام وما لنا
لقد خبثوا نبتا وما كرموا غرسا

ويا خيبتى بالعيش حين وجدته
خضما به تاه السفين فلا مرسى

وهذه الفجيعة هى التى حببت الى شاعرتنا حياة العزلة والانقباض عن الناس ، حتى لقد كانت تؤثر وهى فى القاهرة النزول فى دار تديرها الراهبات بعيدة عن صخب المجتمعات ، وقد أثار هذا شاعر العربية الكبير الاستاذ **عزيز اباظه** الذى أشفق على شبابها ، وأحس حفظه الله وهو راعى دولة الشعر انه مسئول عن أرباب هذا الفن الجميل ، فكتب اليها :

قل لها وهى تنير الدار .. دار الراهبات
حيث لا أنس سوى همس اناث قانتات
انت أسرفت على نفسك بين المعصرات
وتحاملت على سنك سن المتعات
فتخذت العقل كل العقل اسلوب حياة
بعض هذا ، كل افراط ملوم يا فتاتى !

وكان مما أجابت به الشاعر الكبير :

سيدى دعنى بمنفاى .. بدير الراهبات
انه صومعة الوحى ، وأفق المعجزات
انه عالمى المسحور ، دنيا خلواتى
عالم ينأى عن الناس وزيف الترهات

من روائع الشعر الإسلامي

ناصر خسرو

للدكتور محمد غنيمي هلال

قد جمع **ناصر خسرو** بين النزعة الصوفية القائمة فى جوهرها على الفلسفة العاطفية والنزعة العقلية ، ومن ثم كان فريدا فى تصويره لتجاربه الصادقة ، اذ أمدته وجهته الصوفية العاطفية بموضوعات تجارب زودها بحميا من مشاعره ، تشف عن حماسة متقدة وليست هذه الحميا الا صبغة ظاهرة تحملنا على الاقتناع بصدقه فيما بينه وبين نفسه ، وتبقى النزعة العقلية بعد ذلك مستبدة بجوهر تجربته ، وبايمانه بالجهد الانسانى وعبء المسئولية ، وثمرة المعرفة ، والتعاون الاجتماعى فى مجالاته الحيوية المختلفة ، وتظل مع ذلك صورة فكرية واضحة ٠

***

ولهذا يقل رونقها الشعرى عن نظائرها فى أدب الصوفية الخلص ، ويشوبها أحيانا كثيرة جنوح الى التقريرية والمنطقية فى جزئياتها التصويرية ، ولكن يتقذها من الطابع النثرى الخالص عمق التجربة فى ذاتها بوصفها كلا يبين عن أبعاد ذهنية تتآزر أجزاء القصيدة على جلائه، وموجز ما يقال فى خاصة نتاجه الشعرى أنه يعتمد علما يشبه الأقيسة المنطقية فى صوره ، عن ثقة منه بالعلم ، وايمان بجدواه فى قيادة الانسان والجماعات ، وبأثره فى تسخير قوى الطبيعة وسيادة الانسان عليها ، حتى بلغ من ايمانه بذلك انه فى عزلته الصوفية التى اضطر اليها كان يأنس بالكتب والعلوم أنسه باخوان صدق يعوز المرء نظائرهم بين الناس ، فيعيش بين كتبه عيشة الرجل الفاضل فى المدينة الفاضلة ، مدينة العزلة الصوفية التى كان يدعوها جلال الدين الرومى: مدينة العشق اى العشق الالهى ، كما وضح مما ترجمنا لجلال الدين من اشعار فى مقالتنا السابقة بهذه المجلة ، ولكن هذه العزلة من ناصر خسرو بقيت فى نطاق نزعته العقلية الخالصة ذات الطابع العلمى الفكرى ٠

***

و**ناصر خسرو** من شعراء القرن الخامس الهجرى ، (٣٩٤-٤٨١ هـ = ١٠٠٣ - ١٠٨٨م) - وعلى أثر رحلاته فى البلاد الاسلامية أصبح اسماعيليا منذعام ٤٣٧ هـ (١٠٤٥م) ، وانتخب رئيسا لتلك الطائفة بخراسان ، حتى كان يلقب : حجة اقليم خراسان ، وقد لجأ الى ناحية «بدخشان» فى أقصى شرق ايران خوفا من المتعصبين ضد مذهبه بخراسان ، واعتكف هناك بعيدا عن الناس حتى آخر حياته ، ومن آثاره النثرية : زاد المسافرين ، وجامع الحكمتين ، ووجهة الدين ، وسفر نامة ٠ وله ديوان قصائد ، كما اشتهر بأن له ديوانين فى الحكم من الشعر المثنوى هما «سعاد تنامة» و «روشنايى نامة» أى رسالة السعادة ، والضوء ، ونسبتهما اليه مجال نظر ٠

ولناصر خسرو آراء فى النقد الادبى سبق بها عصره ، منها حملته على شعر المديح والتملق، ونقمته

على من يحقرون الشعر باراقته على أقدام الطغاة من الملوك بثمن بخس تراق فيه كرامة اللغة وكرامة الانسان :

١ ـ ثمرة المعرفة

لاتلم قبة الفلك الزرقاء
وانتزع من رأسك ريح الغرور
واعلم أن الفلك السموى برىء من الادانة
ومن العلم ألا ينبغى أن تدين بريئا
فطالما اتخذ العالم الجفاء ديدنه
فاتخذ أنت المصابرة حياله عادة
واذا صبرت أنت نجمك نحسا
فلا تأمل من الفلك نجم سعد
كيف تستطيع أن تكون ذا طلعة ملائكية
ولكن بجمال الفعال كن ملكا
الا ترى فى الربيع الخزامى النضرة
وقد صارت فى السهل شبيهة العيوق ؟
فاذا صارت الخزامى حافلة بالنور كالنجمة
فانها لم تستمد الا من ذاتها صورتها
انما أنت من طيبى المحضر بالعقل والرأى
فكيف لا تتسم بطيب المحضر ؟
فان لم تول وجهك عن العلم
فان رأسك سيتوج بالمجد
الشجر الذى لاثمر له جزاؤه الحريق
كذلك جزاؤك حين لا ثمرة لك
فاذا حملت شجرتك ثمرة المعرفة
فانك تنزل قبة الفلك الزرقاء دون قدميك
اياك أن تعد ـ أيها الاخ ـ كلامى جزافا
فتحسب أن العلم من نصيب الكاتب أو الشاعر
فهاتان الهنتان محبوبتان لدى الناس
ولكنى قد أرحت منهما رأسى
نعم كلاهما تعبير ـ ولكن ،
ليس منهما ما يشبه سحر النبوة
فاذا اتخذت لنفسك الشعر مهنة
فان سواك من الناس قد اتخذ الموسيقا
وتعجز أنت حيث يجلس المطرب
فينبغى أن تجتث منك اللسان الجرىء على الصدق
حتام أنت تسرف فى الحديث عن السرو والخزامى
وتصف الخد بالقمر والذوائب بالعنبر ،
وتصف بالعلم وبخلوص الجوهر ،
من رأس ماله الجهل وفساد الطوية ،
وتدخل فى النظم الأكاذيب والجشع ؟
وانما الكذب رأس مال الكافر
يكون محمودا من عنصرى أن يمدح
محمودا بزهد عمار وأبى ذر ؟
لست أنا الذى يريق على أقدام الخنازير
القيم الثمينة من در كلم اللغة الدرية .

٢ـ الكتاب

هولى صديق حين أجلس وحيدا
نجيى ، وانيسى وموطن سرى
لايزال يتحدث ولا يسمع أبدا نفسه
ليس به من هم ، ولكنه يزيل الهموم
له ظهر واحد ومائة وجه
كل منها جميل كالربيع
أربت على ظهره كلما علمت
أن قد استقر الغبار على وجهه
يقول الكلام دون صوت ولكن
لايتحدث حتى يصادف واعيا
فلا تسمع له من قول ولا تبصر
على حين لم ير امرؤ مثله ذكيا فطنا
أرى كل لحظة من كلام الحكماء
على وجهه أثرا وتذكارا
ولا يتحدث طالما لا أنظر فى وجهه
ليس مثل الثرثارين الثقلاء
ولا يحدثك أبدا فى الظلام
كأنما هو أمير فارس محتشم

٣ ـ الجزاء

اذا امتشقت الحسام فلا ينبغى أن تقتل
فعند الله لن ينسى العمل السىء
فلم يصنع هذا السيف للمستبدين
كما أن العنب لم يكن من أجل عصارة الخمر
رأى عيسى فى طريق من الطرق قتيلا
فدهش وعض اصبع الحسرة

وقال مخاطبا القتيل: من الذى قتلته حتى تجرعت هذه القتلة ومن ذا الذى سيقتل ـ بدوره ـ ذلك الذى قتلك ؟

لاتضرب باصبع الأذى على باب امرىء
حتى لايطرق بابك امرؤ بقبضة الضر

٤ ـ العقاب

حوم عقاب من راس صخرة
ونشر جناحيه طلبا للصيد
وفي طريقه نظر حوله وقال
اليوم كله وجه الارض تحت جناحى
حين أحلق فى الأوج بنظرى الحاد
أرى حتى الذرة فى قاع المحيط
ولو تحركت بعوضة على كومة
فان حركتها تبدو عيانا أمام نظراتى
واغتر اغترارا ولم يرهب قدرا
فانظر ماحدث له من الفلك القهار
فجاة انطلق من قوس محكم
سهم مصوب نحوه من القضاء المسيطر
فاصابه السهم المصمى فى جناحه
فهوى به من السحاب الى الارض
فخر على الثرى يسبح فى دمه كسمكة
وبسط آنذاك جناحيه عن يمين وشمال
وقال : عجبا !! كيف تأتى للخشب والحديد
هذه الحدة والقوة والطيران ؟

والقى نظرة صوب السهم فرآه قد وضع به بعض ريش العقاب فقال : لماذا أجأر بالشكوى وما حدث لى انما كان منى أنا ؟!!

دكتور محمد غنيمى هلال

الخيال البصري في الشعر الجاهلي

« للدكتور محمد النويهي »

سألنا بعض الاصدقاء لماذا نهتم في مقالاتنا هـذه كل هذا الاهتمام بالشعر القديم ، ولماذا لا نتركه الى الشـعر الجديد وهو أكثر أهمية وتشويقا للقـارىء المعاصر .

جوابنا هو أننا نعتقد ان كل دراســـة صحيحة للشعر العربي في أي عصر من عصوره يجب ان تبنى على علم دقيق وثيق بطبيعة الشعر العربي في مرحلته الاولى ، وهي مرحلة العصر الجاهلي .

فالعصر الجاهلي هو الذى وضع الاساس الذى قام عليه الشعر العربي كله . وهو المرحلة التى تجلت فيها العبقرية العربية الخالصة في حالتها البكر بكل مزاياها وحدودها دون تأثير من عبقرية أخـــرى (باستثناءات قليلة جدا لم تؤثر في جوهره) . فاذا أجدنا فهمـه خلصنا الى التكوين الاساسى للعبقرية الشعرية العربية ، واستطعنـا أن نتتبع بمزيد من الدقة والاصابة ماسيدخلها من التنمية والتحـوير والاتساع والتعمق بعد تغير حياة العرب وعقـولهم بالاسلام وما جاء به من مؤثرات مادية وروحيـــة وثقافية ، وبعد اختلاطهم بغير العرب جنسا بعـــد جنس وثقافة بعد ثقافة الى يومنا هذا .

بـل نحن نرى أن العيب الاكبر في كثـــير من الدراسات النقدية الحديثة التى وضعت على الشـعر العربي هو انها لم تؤسس على هـذا الفهم الدقيق للشـعر الجاهلي . وما أكثر ما رأينـا من الخطأ والنقصـان في الاحـكام التي يطلقها واضعو تلك الدراسات ولايزال يتبرع بها كثيرون من كتابنا عن طبيعة الشعر العربي القديم ، وهي أحكام تنبع بكل بساطة من عدم اتقانهم دراسة الشعر الجاهلي .

لقد كنا ننتظر أمام تلك الاهمية الكبرى للشعر الجاهلي ان يكون احتفال الدارسين والنقاد به كبيرا في الكم والكيف معا . لكن الحقيقة المؤسفة الدالة على مدى الخلل وعدم التوازن في تآليفنا الحديث هي عكس هذا . أما من حيث الكم فان جميع ماكتب في نقدنا الحديث في دراسة الشعر الجاهلي ـ بجميع شعرائه ومجموعاته ودواوينه وقصائده ـ لا يبلغ ماكان ينبغي في نظرنا أن يكتب على شاعر واحد من كبار شعرائه في نفس العدد من السنين .

واما من ناحية القيمة فلا يزال خير ماكتب عنه وأحقه بالقراءة ماكتبه أستاذنا العظيم الدكتور طـه حسين في « **حديث الاربعاء** » منذ ثلاثين سنة . هذا مع أن تلك الاحاديث كانت باعتراف صاحبهـا فصولا صحفية خفيفة هدفها تقريب الشعر الجاهلي الى القارىء العام لا اتقان دراسته وتمحيص دقائقه كان أستاذنا نفسه أول من سجل هـــذه الحقيقة بأمانته المعهودة في مقدمته لحديث الاربعاء . فأعجب العجب وأحزن الحزن أن تظل تلك الاحاديث بعـد هذا العدد من السنين أجود ماكتب عن الشعر الجاهلي وأكثره نجاحا في استخراج أسرار الجمال فيه ولفتنا اليها وحملنا على الاعجاب بها والطرب لها ، على الرغم من كل ماقيل عن « سطحية » طريقته النقدية واعتمادها على الانفعـــالية القريبة لا على التحليل الدقيق .

***

يزداد عجبنا اذا تذكرنا حقيقتين أخريين هامتين . **أولاهما** أن تلك الاحاديث كانت الاولى من نوعها في نقد الشـعر العربي جميعـه ، سواء منـــه ماكتبه الدارسون العرب وماكتبه غير العرب ، فكان محتوما أن تتصف بما يتصف به كل عمل رائد من حدود . أما **الحقيقة الثانية** فيزداد القارىء لها فهما حين يقرأ مقالتنا هذه ويتدبر موضوعها الذى تدورعليه. وهذا كله لا يدل الا على العبقرية الفـذة لذلك النـــاقد الاصيل وما وهب من طبع فني صاف وأذن موسيقية حساسة تغلب بهما على جميع العقبات الطبيعيـــة والثقافية الى درجة تثير الاكبار والانبهار .

فما أشد حاجتنا الى أن نعيد تقدير الشعر الجاهلي

وننظر فيه نظرة فاحصة تزيد طبيعته الفنية استكشافا ، وخاصة في هذه الايام التي أغرمنا فيها بالنقاش والجدل حول الشعر المنطلق (وهذه تسميتنا التي اقترحناها لشعر الشكل الجديد) ومدى موافقته او مخالفته للطبيعة الاصلية للشعر العربي ، والى أي حد يدخل عليها التعديل ، وهل هذا التعديل هو تنمية مشروعة لتلك الطبيعة، أو هو لى وتشويه يقحم عليها عناصر تفسدها وتقضي عليها ·

كل جدل يدور على الشعر العربي مهما يكن موضوعه ومهما يكن عصره يجب أن يستند على علم وثيق بالشعر الجاهلي · ومن هذه العقيدة نجمت مقالاتنا هذه · على أننا فيما تقدم منها قد قصرنا أغلب اهتمامنا على الجانب السمعي ، وذلك لاهميته الاولى · ففن الشعر يقوم أول مايقوم على **حاسة السمع** · لانها اداته الى النفوس ، وهو في هذا يشارك فن الموسيقى ، ويخالف فنون الرسم والنحت والعمارة ، التي تقوم ثلاثتها على حاسة البصر · ومن هنا كان اهتمامنا الذي بذلناه في استكشاف الوسائل السمعية التي يلجأ اليها الشعراء القدامى ، وبخاصة لجواهم الى « الاونوماتوبية » أو محاكاة اللفظ بجرسه للمعنى ·

لكن حاسة البصر لها دورها العظيم في الشعر الجاهلي ، الى درجة لاتقل كثيرا ـ وأحيانا لاتقل بتاتا ـ عن دور حاسة السمع · ونحن نريد الآن أن نولى هذا الجانب البصري اهتمامنا ، حتى نتبين المدى العجيب الذي بلغته حاسة البصر عند الشعراء الجاهليين من الدقة والارهاف ، ومدى تاثيرها في تكوين الطبيعة الفنية الخاصة لشعرهم ، كيما ندرك هذه الحقيقة الهامة : أنهم يحاولون في شعرهم أن يجعلونا «**نبصر**» الشيء الموصوف · بل وربما جاز لنا أن نقول انهم لما لم توجد لديهم الفنون البصرية من رسم ونحت وعمارة حاولوا أن يجدوا في الشعر عوضا عن هذا النقص ، فجعلوا شعرهم يقوم بالوظيفتين معا : الوظيفة السمعية والوظيفة البصرية للابداع الفني ·

وامرؤ القيس حين يبدأ وصفه للعاصفة المطرة في معلقته بقوله :

أصاح ترى برقا أريك وميضه
كلمع اليدين في حبي مكلل

قد صرح بغرضه الفني بجلاء لاجلاء بعده ان أحسنا فهم مايقول · فهو يخاطب كل من يسمع شعره ، ثم كل من يقرؤه : قائلا : أنت «ترى» هذا البرق الذي سأتحدث عنه وأصفه لك · ولا يكتفي بهذا الفعل « ترى » ، بل يقول « أريك » زيادة في تأكيد غرضه ·

مغزى هذا أن سامعا يسمع شعره الذي يصف هذا البرق ، أو قارئا يقرؤه ، ثم لايقف برهة بعد كل صورة وكل بيت لكي «يتخيل» مايعرضه من أوصاف البرق ومايصحبه من سحاب ومايتبعه من مطر وسيل ، « يتخيل » هذه المناظر تخيلا بصريا ، مثل هذا السامع أو القارىء لا يكون قد قام بواجب المشاركةالفنية التي يطالبه بها الشاعر مطالبة صريحة وينتظرها منه انتظارا حازما ويقوم وصفه كله على توقع قيامه بها ، اذ ذاك لا يكون قد استفاد من شعره شيئا مهما يبذل من جهد في فهم مدلولاته اللغوية وتتبع معانيه الفكرية ·

دعنا نشرح بالضبط ماذا نعني بهذا « **التخيل البصري** » المطلوب في قراءة الشعر الجاهلي ·

اذا قرأ القارىء المثقف هذه الجملة : « أناخ الاعرابي جمله ووضع عليه الرحل ثم ركبه » ، أو هذه الجملة : « تقدم المسافر الى شباك التذاكر في المحطة واشترى تذكرة ثم ركب القطار » ، فأغلب مايحدث هو أنه يفهم الخبر المنقول فهما عقليا ، دون أن يتوقف ليحقق الصورة ، لانه لا يحتاج الى هذا التحقيق حتى يفهم المعنى ويفيد الخبر ·

***

لكن هذا الفهم العقلي هو مايفسد علينا الشعر الجاهلي افسادا كبيرا · فالذي يحتاج اليه هذا الشعر ـ دائما وبلا استثناء ـ هو أن نتخيل المنظر الموصوف والهيئة المسجلة والحركة المنقولة تخيلا بصريا بكل تفاصيلها ودقائقها ، وان نتأمل ترتيب أجزائها ونتتبع تعاقب أحداثها بخيالنا البصري · أي أن نغمض عيوننا برهة ننقطع فيها عن رؤية مايحيط بنا ـ حتى عن رؤية الورق والكتابة المطبوعة ـ لنستدعي المنظر الموصوف أو الحركة المنقولة بمخيلتنا البصرية التي تمكننا من استحضار الصورة المتذكرة للأشياء والاشخاص دون أن يكونوا ماثلين أمام عيوننا · وان نفعل هذا بأقصى مانستطيع من الوضوح والتحديد والاستيفاء · (فإن سأل القارىء كيف نستطيع

أن نستحضر الى ذاكرتنا البصرية صورة لم نر مثلها قط ، كما لو وصف الشاعر حيوانا أو نباتا لانعرفه ، فهذا سؤال هام نؤجل الاجابة عليه الى ما بعد ، ونقتصر الآن على مارآى القارىء فى حياته صورا له أو صورا قريبة منـــه) • وعلى درجة استجابتنا التخيلية هذه يكون فهمنا الكامل ، ثم تذوقنا وطربنا واستجابتنا الفنية القوية للشعر الجاهلى •

هذا العمل التخيلى الذى نريد من كل قارىء أن يفعله كلما قرأ شعرا جاهليا ، يشبه مايفعلهالطفل الانسانى فى سنتيه الاولى • فالطفل حين يسمع هذه الاقصوصة : « دخل الامير البستان فرأى فتاة جميلة تجلس تحت شجرة والدموع تجرى من عينيها فتقدم اليها الخ •••• » ، أو هذه الاقصوصة : « وثب البطل على ظهر حصانه واستل سيفه من غمده وحمل على العدو الخ ••• » فان هذا الطفل يترجم كل فقرة من فقرات هـذا الكلام المسـموع الى صورة بصرية يحققهـا بخياله البصرى ، ثم تتتابع الصـور على مخيلته ، وبدون هذا العمل لا يستطيع الطفل أن يفهم الـكلام المسـموع أو يتتبع أحداثه ويسـتنبط معانيه •

ثم يتعلم الطفل بالتدريج كيف يستغنى عن هـذه العملية ويفهم من اللغة رموزها العقلية • لكن كل قارىء يستطيع اذا حمل نفسه على استعادة ذكريات الطفولة أن يتذكر منـاظر بعينها رسمتها مخيلته البصرية لمواقف كان لها أثر بعيد فى نفسه مما سمع أو قرأ من الاقاصيص الشائقة والحوادث المثيرة • فهو الى اليوم يستطيع أن يستدعى هـذه المناظر التى كونها خياله البصرى الطفـولى بتفاصيلها الدقيقـة العجيبـة ، التى يبلغ من دقتها أحيانا أنها لا تقل حيوية واقناعا عن مناظر واقعة شاهدها بالفعل • بل ان الامر ليختلط علينا أحيانا فى تذكرنا لها فلا ندرى أشاهدنا هذا المنظر المعين فى الحقيقة الواقعة أم كان من نسج خيالنا الطفولى القوى •

وكاتب هذه السطور لايزال يذكر عديدا من المناظر التى رسمتها مخيلته البصرية حين كان يستمع فى سن السابعة وسن الثامن الى قصة **«عنترة بن شداد»** يقرأها أحد شيوخ القرية بصوته الرخيم على جمع من الفلاحين بين صـلاة العصر وصـلاة المغرب فى المواسم التى تخف فيها واجبات الفلاحة على أهـل القرية • وأغلب ظننا ان معظم القراء لديهم تجارب مشابهة ، وان يكن هذا عملا يحتاج الى تدريب على استدعاء الذكريات حتى يزداد تحددها وجلاؤها •

هـــذا التخيل البصرى هو مايجب أن نفعله فى قراءة الشعر الجاهلى • الا أنه يحتاج منا الى جهد ومران وتكـرار محاولة ، فالذى يحدث لنا حين نشب ونتضـــج هو اننا نكتفى فى معظم سماعنا للغة وقراءتنا لها بفهم مدلولها الرمزى فهما عقليا • وهـذا فى الحقيقة هـو ما وضعت له اللغة البشرية حتى تكون رموزا مختصرة توصلنا الى الفهم السريع المخبر دون أن نحتاج الى رؤيته بعيوننا توفيرا للجهد وتركيزا للفكر واستكثارا من التجارب التى نستطيع الاحاطة بها ونستطيع قبولها من الآخرين أو حملها اليهم • فلو اننا ظللنا طول حياتنا محتاجين الى أن نقف أمام كلجملة نسمعها أو نقرؤها لنتمثلها تمثيلا بصريا لاضعنا وقتا طويلا ولم نحصلالعلم الا تحصيلا بطيئا ولما وصلت اللغة الى مابلغته من النمو العظيم والتطور من المحسوسات الى المعقولات والخلوص الى دقائق الفكر وروائع التجريد التىيصعب أن يستحيل تحقيق ماصدقاتها فى حقيقة الواقع •

لكن هذا التخيل البصرى الذى نستغنى عنه حين نشب ويتضج فكرنا هو ما لانزال نحتاج أشد الحاجة الى ممارسته حين ندرس الشعر الجاهلى • ومن هنا يتجلى للقارىء صعوبة هذا العمل على المتعلم الناضج ومدى حاجته الى تكرار المحاولة وارغام النفس على التوقف للتحقيق البصرى • وكم الاقى من العنـاء فى حمل طلبتى فصلا دراسيا بعد فصل على هـذا التخيـل كلما درسـت لهم الشـعر الجاهلى حتى لاضطر الى أن أقطع محاضرتى وأحفزهم المرة بعـد المرة على أن يغمضوا عيونهم ويستدعوا هذا المنظر الموصوف الى مخيلتهم البصرية محاولا أن أقنعهم بأن الفهم العقلى لا يكفى أبدا لتفهم هذا الشعر والخلوص الى دقائقه المطربة خلوصا يحقق الاستجابة الفنيــة الغنية •

هذه الطبيعة البصرية التى وصفناها هى فى وقت واحد سبب من أهم الاسباب لروعة الشعر الجاهلى واتقانه وحد من أقسى الحدود التى تضيق عليه نطاق الخيال الفنى • لكننا قبل أن نناقش هذه الحقيقـة سنضرب عددا من الامثلة على طبيعة الخيال الجاهلى •

التدرج فى التشريع الجنائى الإسلامى

بقلم أحمد فتحى بهنسى

وقف المشرع الاسلامى موقفا حازما من شرب الخمر ، ولكنه تدرج فى التشريع لهذا الامر اذ كان العرب قبل الاسلام يكثرون من شربها ويتغنون بها فى اشعارهم ويتفننون فى صنعها .

وكانت عادة متأصلة لديهم ولم يكن من السهل تحريمها عليهم دفعة واحدة ، ولذلك سلك الشارع الاسلامى مسلك التدرج فى التشريع حتى لايشق على الناس الامر ، فان الله تعالى لم يشرع التحريم كلية ابتداء بل كان ذلك على مراحل مختلفة .

المرحلة الاولى :

قال الله تعالى : ((ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون)) ((النحل)) .

اختلف الفقهاء فى تفسير كلمةالسكر التى وردت فى هذه الآية الى اقوال مختلفة

١ ــ قال ابن عباس : نزلت هذه الآية قبل تحريم الخمر ، واراد بالسكر الخمر ، وبالرزق الحسن جميع مايؤكل ويشرب حلالا من هاتين الشجرتين. وهذا القول قول ابن جبير والنخعى والشعبى .

٢ ــ وقيل : ان السكر الخل بلغة اهل الحبشة، والرزق الحسن هو الطعام .

٣ ــ وقيل : السكر ، العصير الحلو الحلال ، وسمى سكرا لأنه قد يصير مسكرا اذا بقى ، فاذا بلغ الاسكار حرم .

٤ ــ وقال ابو عبيدة : السكر «الطعم» يقال : هذا سكر لك اى طعم ، وانشد :

جعلت عيب الاكرمين سكرا

اى جعلت ذمهم طعما .

وهذا اختيار الطبرى ، ان السكر مايطعم من الطعام وحل شربه من ثمار النخيل والاعناب ، وهو الرزق الحسن فاللفظ مختلف والمعنى واحد .

الا ان الزجاج قال : قول ابى عبيدة هذا لايعرف واهل التفسير على خلافه ، ولا حجة له فى البيت الذى انشده ، لان معناه عند غيره انه يصف انها تتخمر بعيوب الناس .

٥ ــ وقال الحنفية : المراد بقوله « سكرا » مالايسكر من الانبذة واستدلوا بادلة مختلفة على هذا القول .

والجمهور على ان السكر الخمر وقالوا : السكر ماحرمه الله من ثمرتيهما ، وكذا قال أهل اللغة : السكر اسم للخمر وما يسكر .

قال ابن العربى :

اسد هذه الاقوال قول ابن عباس ، ويخرج ذلك على احد معنيين :

١ ــ اما ان يكون ذلك قبل تحريم الخمر .

٢ ــ واما ان يكون المعنى : انعم الله عليكم بثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه ماحرم الله عليكم اعتداء منكم ، وما أحل لكم اتفاقا أو قصدا الى منفعة انفسكم ، والصحيح ان ذلك كان قبل تحريم الخمر فتكون منسوخة ، فان هذه الآية مكية باتفاق العلماء وتحريم الخمر مدنى .

ونخرج من ذلك بامرين :

١ ــ ان السكر وهو الخمر غير الرزق الحسن وهو «الطعام الحلال» وذلك مايؤيده العطف الذى من شانه المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه .

٢ ــ فى هذه الآية اشارة دقيقة وتوجيه لاولى الالباب للتفكير فى هذه التفرقة بين السكر وبين الرزق الحسن وانه مادامت الخمر فى جانب والرزق الحسن فى جانب آخر يحسن الابتعاد عنها .

المرحلة الثانية :

قال تعالى : يسألونك عن الخمر والميسر ، قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما «البقرة» .

فقد ذكر الله تعالى في هذه الآية عاقبة الخمر صراحة ، قال سعيد بن جبير ، كان الناس على امر جاهليتهم حتى يؤمروا أو ينهوا ، فكانوا يشربونها اول الاسلام حتى نزلت هذه الآية . فقالوا نشربها للمنفعة لا للاثم .

والسائلون في هذه الآية هم المؤمنون ، والخمر ماخوذة من خمر اذا ستر ، ومنه خمار المرأة ، وكل شيء غطى شيئا فقد خمره ، فالخمر تخمر العقول اى تغطيها وتسترها ، وقيل انما سميت خمرا لانها تركت حتى أدركت كما يقال . قد اختمر العجين اى بلغ ادراكه . وخمر الراى اى ترك حتى يتبين فيه الوجه .

وقيل انما سميت الخمر خمرا لانها تخالط العقل من المخامرة وهى المخالطة . ومنه قولهم : دخلت في خمار الناس اى اختلطت بهم .

قال القرطبي : المعاني الثلاثة متقاربة ، فالخمر تركت وخمرت حتى ادركت ثم خالطت العقل ثم خمرت ، والاصل الستر .

والخمر ماء العنب الذى غلى او طبخ وماخامر العقل من غيره فهو في حكمه . ولن نتعرض هنا للخلاف بين الفقهاء في معنى «الخمر» فله مناسبة اخرى .

واثم الخمر الذى نص عليه في هذه الآية ، مايصدر عن الشارب من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش والزور وزوال العقل وتعطيل فروض الله . والمنافع التي نص عليها ايضا هى ربح التجارة ، فانهم كانوا يجلبونها من الشام برخص ويبيعونها في الحجاز بربح .

وقد قيل في منافعها : انها تهضم الطعام وتقوى الضعيف ، وتعين على الباه ، وتسخى البخيل ، وتشجع الجبان وتصفي اللون .

الا ان الله قال : واثمهما اكبر من نفعهما ، فما فيهما من الاضرار والاوزار يفوق ما فيها من المنافع وبنزول هذه الآية كان المسلمون بين شارب للخمر وبين ممتنع عن شربها لما فيها من آثام واضرار ، تحصيلا لمنافعها .

المرحلة الثالثة :

قال الله تعالى : «يايها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون» «النساء» .

والخطاب في هذه الآية لجماعة الامة الصالحين ، واما السكران اذا عدم الميز لسكره فليس بمخاطب في ذلك الوقت لذهاب عقله ، وانما هو مخاطب بامتثال مايجب عليه ، وبتكفير ماضيع في وقت سكره من الاحكام التى تقرر تكليفه اياها قبل السكر وفي هذه الآية دليل بل نص على ان الشرب كان مباحا في اول الاسلام حتى ينتهى بصاحبه الى السكر .

وقال قوم منهم الضحاك : السكر محرم في العقل وما ابيح في شيء من الاديان ، وحملوا السكر في هذه الآية على النوم وكان المسلمون لما نزلت هذه الآية يجتنبون الشراب اوقات الصلوات فاذا صلوا العشاء شربوها ، فلم يزالوا على ذلك حتى نزل تحريمها في سورة المائدة في قوله «فهل انتم منتهون»

وقد نزلت هذه الآية على ماروى الترمذى عن على بن ابى طالب قال : صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاما ، فدعانا وسقانا من الخمر ، فاخذت الخمر منا وحضرت الصلاة ، فقدمونى فقرات : قل يايها الكافرون لااعبد ماتعبدون ، ونحن نعبد ماتعبدون قال : فانزل الله تعالى : «يايها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون» خرجه الترمذى وصححه .

وفي كلمة الصلاة اختلف الفقهاء ، فقال البعض منهم على وابن عباس في رواية ، وسعيد بن جبير والحسن ومالك وجماعة : المراد بها النهى عن قربان الصلاة نفسها .

وقال البعض الآخر منهم ابن عباس في رواية أخرى ، وعبد الله بن مسعود وعطاء بن أبى رباح ، وعمرو بن دينار وعكرمة وغيرهم : المراد بها موضع الصلاة وهو المسجد .

وقالت طائفة : المراد الموضع والصلاة معا لانهم كانوا حينئذ لاياتون المسجد الا للصلاة ولا يصلون الا مجتمعين ، فكانا متلازمين .

قال ابن العربي : سمعت فخر الاسلام يقول :

المراد بذلك لاتقربوا «مواضع الصلاة» ويكون فيه تنبيه على المنع من قربان الصلاة نفسها ، لانه اذا نهى عن دخول موضعها كرامة فهي بالمنع اولى .

وقد قال ابن عباس : ان قوله تعالى «يابها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى » منسوخ بالآية التي في المائدة «اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق ... » فأمروا على هذا القول بالا يصلوا سكارى ، ثم امروا بان يصلوا على كل حال ، وهذا قبل التحريم .

قال مجاهد : نسخت بتحريم الخمر . وكذلك قال عكرمة وقتادة وهو الصحيح لحديث على المذكور .

وروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : اقيمت الصلاة فنادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم : لايقربن الصلاة سكران . ذكره النحاس .

وعلى قول الضحاك وعبيدة : الآية محكمة لانسخ فيها .

ويرى بعض العلماء المحدثين ان آية البقرة اشد من آية النساء لان آية البقرة فيها تصريح بالاثم الكبير الذي يفوق مافيها من منافع .

ولكن الراى ان آية النساء اقرب الى التحريم من آية البقرة واشد منها لانها حرمت الخمر في اغلب اوقات اليوم لان من يريد الصلاة يجب ان يمتنع عن شرب الخمر بمدة كافية لزوال اثرها قبل دخوله الصلاة ولذلك كان الناس يشربونها بعد صلاة العشاء وقبل صلاة الفجر بمدة كافية لدخول الصلاة بلا اثر لها . فلاشك ان هذه الآية اشد تحريما من آية البقرة .

المرحلة الرابعة والاخيرة :

قال الله تعالى : «يابها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون» «المائدة» .

روى الطبري والترمذي وغيرهما ان هذه الآية نزلت في «ملاحاة» جرت بين سعد ابن ابي وقاص ورجل من الانصار يدعى عتبة بن مالك وهما على شراب لهما . وقدانتشيا فتفاخرت الانصار وقريش فاخذ الانصارى لحى جمل فضرب به أنف سعد فشقه فنزلت هذه الآية .

كما روى ان آية « انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم ... » نزلت في قبيلتين من الانصار شربوا الخمر وانتشوا ، فعبث بعضهم ببعض فلما صحوا ورأى بعضهم في وجه بعض آثار مافعلوا ، وكانوا اخوة ليس في قلوبهم ضغائن فجعل الرجل يقول : لو كان اخي بي رحيما مافعل هذا بي فحدثت بينهم الضغائن . فانزل الله تعالى هذه الآية :

كما روى ان سيدنا عمربن الخطاب قال: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا ، فانها تذهب العقل والمال فنزلت الآية التي في البقرة : يسالونك عن الخمر والميسر ... فدعى عمر ، فقرئت عليه فقال : اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا ، فنزلت الآية التي في النساء «يابها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى ... فدعى عمر فقرئت عليه ، فقال : اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيافنزلت هذه الآية «يابها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام ... الى قوله منتهون ... فدعى عمر ، فقرئت عليه ، فقال انتهينا ، انتهينا وذلك حيث علم أن هذا وعيد شديد .

وامر النبي صلى الله عليه وسلم مناديه انينادى في طرق المدينة : الا ان الخمر قد حرمت ، فكسرت الدنان واريقت الخمر حتى جرت في سكك المدينة ، وماكان خمرهم يومئذ الا من البسر والتمر .

وروى البخاري عن انس قال :

كنت ساقي القوم في منزل ابي طلحة ، فنزل تحريم الخمر فأمرالنبي مناديابنادى فقال ابوطلحة: اخرج فانظرماهذاالصوت ؟ قال : فخرجت ، فقلت هذا مناد ينادى : الا ان الخمر قد حرمت . فقال لى : اذهب فاهرقها ، وكان الخمر من الفضيخ قال : فجرت في سكك المدينة . فقال بعض القوم : قتل قوم وهي في بطونهم قال : فانزل الله تعالى : ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ماتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين » .

كما روى أن الرسول صلى الله عليه وسلم لعن الخمر ، ولعن معها عشرة : بائعها ومبتاعها والمشتراة له وعاصرها والمعصورة له وساقيها وشاربها وحاملها والمحمولة له وآكل ثمنها .

حول التجديد الديني

بقلم عبد الجليل شلبي

تابعت باهتمام مقالات الدكتور **محمد احمد خلف الله** عن التجديد الدينى وما سبقها من مقـالات توضح منهجية التجديد فى نظره وتنير الطريق أمام المجددين ورأيت أن من حقه ان نمهله الى أن يصـل الى غاية مدانه حتى لا تقطع عليه تفكيره وعدله وحتى نرى الجديد الذى سيقدمه من ربط الدين بمشـكلات الحياة .

والآن وقد فرغ السيد الدكتور من رسم منهجـه وقدم مشكلة يراها من المشـاكل الدائفة التى تلف حياتنا من كل الجهات، أرجو أن يتسع صدره وصدر الرسالة لنقاش وجيز لبعض ماحوت تلك المقالات :

أولا ـ قدم السيد الدكتور رأيا جديدا فى الاجماع خلاصته أن القوانين التى تصدرها الهيئات التشريعية الحديثة فى البرلمانات هى من نوع الاجماع فى الاسلام وانها تنسخ الاجماعات السابقة حتى ولو كانت من اجماع الصحابة وأيد رأيه بما هو مقرر عند فقهـاء المذاهب من أن الاحكام الشرعية المبنية على اجتهـاد الفقهاء والتى لانص عليها لافى القرآن ولا فى السنة قابلة لاجتهاد مخالف ، وعزز هذا الرأى بان القوانين الحديثة قبل أن تصل الى صيغتها النهائية الملزمة باتباعها تمر بعدة ادوار تصفى خلالها وتنقح فيتناولها متخصصون من ذى العلوم والفنون المختلفـة لهم حذق فى عملهم ومعرفة بحاجة الامة وصـالحها .. وهذه هى طبيعة الاجماع، فقوانينهم اذن نوع منه ، ولئن ترتب على هذا العمل اختلاف القوانين المجمع عليها باختلاف مجالس الامة فى البلاد الاسلامية فان ذلك لايضر لان الامم الاسلامية لاتدين بمذهب واحد فالتيارات الدينية متعددة بين شيعة وسنية والمذاهب فى كل فرقة متعددة .

***

هذا رأى السيد الدكتور فى تجديد الاجماع .

واضح جدا انه لم يميز بين الاجماع والاجتهـاد فحسبهما شيئا واحدا والواقع أن الاجماع أصل من الاصول الاربعة التشريعية التى يعتمد عليها المجتهدون وثلاثتها الاخرى هى الكتاب والسنة والقياس . اما الاجتهاد فيكون فى الفروع ويتصل بكل هذه الاصول الاربعة . ولا يكون الاجماع اجماعا الا اذا وافق عليه جميع المجتهدين فى كل بقاع الاسلام. وليرجع السيد الدكتور ان شاء الى أى كتاب من كتب أصول الفقه ليرى ماله هناك من تعريف وشروط وتفاصيل .

فمذاهب الفقه متعددة فعلا كما نرى من احنـاف وشافعية وغيرهم وكانت أكثر من ذلك كمـا هو معروف ويختلف بعضها عن بعض كثيرا فى جزئيات الاحكام سواء فى العبادات أو المعاملات ولكنها كلها تعتمد على الاصول الاربعة التى ذكرنا فهذه لا خلاف فيها أصلا .

لا بأس . فليكن الخلاف اذن فى التسمية والالفاظ ولكن ما اراده هو من ان عمل هذه الهيئات من قبيل الاجتهاد لا من قبيل الاجماع .

ما الذى يمنع هذا الاعتبار ؟

تمنعه عدة أشياء :

١ ـ الاجتهاد لاينسخ الاجماع سواء أكان اجماع صحابة أم اجماع غيرهم لأنه مبنى عليه فلا ينسخه .

٢ ـ الهيئات التشريعية فى مجالس الامة لايشترط فيها أن تكون ذات دراسة اسلامية ولا تعتمد هى فى سن قوانينها على النظريات الاسلامية ولهذا كثيرا ما تشرع قوانين تخالف الاجماع وتخالف ايضا السنة والقرآن . هذه القوانين لايمكن أن توصف بأنها اسلامية ولا بأنها اجتهاد فى الاسلام .

على سبيل المثال : كانت قوانيننا المصرية منذ نحو ربع قرن فقط تمنح رخص الدعارة ، وقد مر هذا القانون بكل الادوار ونالته كل مراحل التصفية التى ذكرها الدكتور خلف الله فهل هو من الاجماع أو من الاجتهاد فى الاسلام ؟

من الممكن أن تكون هيئة أو هيئات تشريعية ذات دراسة اسلامية لتضع قانونا لأمر من الامور معتمدة على مصادر التشريع الاسلامى وكتب فقهه المختلفة ، فيكون قانونا اسلاميا مبنيا على اجتهاد كما هو حادث فى مثل لجنة الاحوال الشخصية فان قوانينها اسلامية وهى تختلف الآن عما كانت عليه فى زمن سبق ، وللاقطار الاسلامية الاخرى أن تأخذ بهذه القوانين ان رأتها ملائمة لها ، ولعلمائها المسلمين هناك أن يضعوا قوانين أخرى معتمدين على مصادر التشريع الاسلامى نفسها ، فهذا اذن اجتهاد فى الفروع .. وليس ملزما كما يلزم الاجماع .

ادع هذه المسألة بعد هذا لنظر السيد الدكتور .

ثانيا ـ تحدث السيد الدكتور عن جمود العلماء ووقوفهم عند قوالب جامدة مما كرره الأقدمون وموضوعات قديمة بعيدة عن الحياة ونعى عليهم اغلاقهم باب الاجتهاد أمام المحدثين مع انهم وحدهم هم القادرون على احداث حركة التجديد والتطوير وبعث القوة والنشاط فى التشريع الاسلامى ، ومن يتصدون للتشريع منهم بصفة خاصة أقدر على ادراك أسرار الحياة من السابقين .

وقد قدم السيد الدكتور أمثلة جديدة من مشاكل الحياة الحديثة رأى انه كان الأجدر برجال الدين أن يعالجوها وهى ملكية الاراضى الزراعية ونظام حيازتها ونظام الضرائب فى الاسلام وربط الحياة بالدين وطرقه .

هذه الموضوعات اذن يراها الدكتور «دافئة تلف حياتنا» ولو طرقها رجال الدين ماكانوا جامدين ولا مغلقين لأبواب الاجتهاد .

جميل ..

١ ـ فليعلم السيد الدكتور أن هذه الموضوعات كانت ضمن ماتناوله مجمع البحوث الاسلامية فى مؤتمره الاول ونوقشت فيه ابحاث ضافية فى الحسبة والضرائب والملكية وتوزيع الاراضى المزروعة واستحياء الاراضى الميتة وكيفية تمليكها وطبعت هذه الابحاث ووزعت فى مصر وفى غير مصر من الاقطار ، وقد ذكر الدكتور على عبد الواحد وافى فى بعض مقالاته ان له فيها كتبا ومقالات .

فما رأى السيد الدكتور ؟

من الطريف أن مجلة الازهر فى عددها الصادر فى شهر صفر نشرت مقالات فى بعض هذه الموضوعات وكان الناس يقرءونها مع مقالات التجديد الدينى فى وقت واحد .

ولقد كان الاجدر بالسيد الدكتور وهو ينعى على رجال الدين كسلهم وعدم قراءتهم أن يكون قد قرأ هذه الأبحاث وبين ما يعجبه منها وما لايعجبه فاذا كان لم يقرأها أو لم يعلم بها أصلا فلا لوم على رجال الدين وليسوا هم الكسالى ولا الجامدين .

٢ ـ من الذى أغلق باب الاجتهاد أو أوصده أمام هؤلاء المحدثين ذوى القدرة على التجديد ؟ وأين هو الجديد الذى قعد عنه رجال الدين الكسالى وسبقهم اليه هؤلاء المحدثون النشطون .

لاشك أن الدكتور خلف الله فى طليعة هؤلاء فهو اذ يصف رجال الدين بانهم عجزة يكررون بطريقة آلية ما قال السلف ، يقول عن نفسه : « لسنا من العجزة وانما نحن من الذين يفكرون» ، ومع هذا لم يستطع ان يقترح حتى عنوانا لم يتناوله العجزة المقلدون .

ومع هذا فهو المجدد وهم الجامدون .

٣ ـ فى قمة الافكار الجديدة المبتكرة عرض الدكتور موضوع الحج ونقد مايحدث فى منى من تراكم لحوم الهدى واقترح انشاء شركة للانتفاع بكل ماينتفع به من الهدى من لحم وعظم وروث وجلد .. توفيرا للمال وصونا للصحة وشغلا للأيدى .

جميل ... ولكن :

١ ـ هل سمع الدكتور خلف الله أو غيره أن أحدا من رجال الدين عارض هذا الموضوع ؟

٢ ـ هل هذا الموضوع حقا جديد ؟ ومن رأى السيد الدكتور ؟

رحم الله الشيخ رشيد رضا . لقد دعا كثيرا الى ايجاد حل تتحاشى به ضياع هذه اللحوم ، ومنذ مايقرب من أربعين عاما ، ولعله بوحى من كلام الشيخ رشيد رضا بحث المرحوم طلعت حرب مع الحكومة السعودية موضوع انشاء مصنع لهذا الغرض ، واعاد هذا البحث بعد ذلك الاستاذ احمد حمزة صاحب لواء الاسلام ، ومن نحو عشرين عاما حج الدكتور سعيد عبده وكتب فى الأخبار بعض ملاحظات منها هذا الموضوع وفى كل عام نقرأ فى الصحف هذا النقد ، ممن يحبون أن تعلن اسماؤهم فى الصحف فصاحب الفكرة قبل كل شىء أحد رجال الدين .

والموضوع بعد ذلك قديم .. قديم .. قديم .

٣ ـ من المؤسف حقا ان الدكتور خلف الله وهو يدعو الى الدرس الواعى والتجديد أثار هذا الموضوع بدون أى درس ولمجرد التقليد فلا هو قرأ شيئا عن الحج ولا رأى ما يحدث هناك .

انه ليس من الحتم أن يسوق كل حاج هديا ولا من الحتم أن يذبح كل هدى فى منى ولا يبلغ الحجاج مليونا ولا قريبا من المليون .

ليست لحوم الهدى من الكثرة على مايصف المبالغون الذين حاكاهم الدكتور وليست المشكلة فى كثرة اللحوم ولكنها فى قلة السكان بمنى وبعد المكان وتعذر النقل ، فالهدى الذى يذبح بمكة يتناهبه الفقراء لوقته ولا يبقى منه شىء ولو تيسر نقل اللحوم الى مكة لنفدت أيضا واهل مكة يعالجونها بطريقة عادية على النار ويخزنونها مغمورة فى الدسم فتبقى لديهم صالحة حتى تنفد .

ولكن العربات فى موسم الحج لاتكفى لنقل الحجاج فضلا عن اللحوم .

وبعض المذاهب الفقهية تشترط لذبح الهدى بمنى شروطا لايعرفها العامة من الحجاج وهى أيضا قلما تتوفر لهم . وفى هذه الحالة يكون مكان الذبح مكة لا منى . وكانت بعض الجمعيات توزع منشورات تبين أحكام الهدى وترشد من لم تتوفر لهم شروط الذبح بمنى أن يذبحوا بمكة وفى هذا تخفيف جزئى لهذه الاضرار .

***

وقلة اللحوم هى التى حالت دون اقامة المصنع المقترح فمنذ أعوام قليلة كونت لجنة من العلماء الدينيين وكان بها بعض علماء الازهر ومن الفنيين فى الصناعة فوجد أن هذه اللحوم حتى لو كانت كلها بمكان واحد لاتكفى لشغل المصنع الا اسبوعا واحدا أو ماهو دون الاسبوع فكيف والدكتور يدعو لاقامة عدة مصانع لا مصنع واحد ؟

وعلى أى حال فرجال الدين لايملكون من هذا الامر أكثر مما يملك الدكتور خلف الله وغيره من المفكرين المجددين فليبدأ هو باقامة هذه المصانع ، وليحمل بعد ذلك على من يعارضه من رجال الدين .

رابعا : قال السيد الدكتور : ماالعمل الآن فى آيات الاحكام والتكاليف التى تأثرت فعلا بفعل الزمن؟ وهو لم يبين لنا هذه الآيات ولا تلك الأحكام .

واختتم مقاله بهذه العبارة «**والآن أى الدعوتين** أسلم وأليق بروح الدين وبحضارة القرن العشرين : **دعوتنا الجديدة أو عاداتنا وتقاليدنا القديمة ؟ ان** هذا لون من الألوان التى أقصد اليها حين ادعو الى **التجديد .**

***

ونحن بدورنا نعيد عليه سؤاله بعد ماقدمنا من تعليق وبعد أن بينا أنه لاجديد .

١ ـ لاشك أن تقاليدنا القديمة أفضل وأليق لان دعوة التجديد وضعت تشريعنا فى أيدى غير ملمين بالاسلام وربما غير مسلمين والقديم أتى بما لم يأت به المجددون .

فان كان هناك جديد غير هذا الجديد مبنى على درس وفهم عميق فلن يعارضه احد ولكنه غير ماقدمته هذه المقالات .

٢ ـ ليس من المحتم أن يمد الدين ليسع حضارة القرن العشرين فلا بد اذن أن يمزق ، فهذه الحضارة فيها اللادينية والشيوعية والعلمانية ومذاهب العرى والتحلل من قيود الزواج وفيها غير ذلك مما لايقبله أى دين وهو دين .

شعر اليوم
مواقف شعرية متضاربة

بقلم : سامي عبد اللطيف المصري

عرضنا فى نماذج سابقة ، لانواع الشعر المعروفة وجدانية وغزلية ، ووصفية واجتماعية ، وابنا ماوعت من تجارب طريفة ، وما امتازت به من جدة وطزاجة تعبيرية . وفى هذا المقال نعرض لنوع آخر على غاية من الاهمية هو شعر مواقف الشعراء فى دنيا الوجدان ، وفى عالم الانسان والمجتمع والكون.

وهذا الاتجاه هو تحول ظاهر من الشعر الوجدانى والعاطفى المجنح ومن شعر الآراء السائدة ، وقفزة جديدة يثبت بها شعر اليوم ، شخصيته ، وموقفه الوجدانى او الفكرى او الفلسفى من حياة الانسان ووجوده ، محاولا بهذه القفزة ان يؤثر فى حساسية المجتمع ، ويحدث تفاعلا مباشرا أو غير مباشر فى توجيه الافراد والجماعات .

فبينما كان كثير من شعراء الجيلين الماضيين يهيمون فى وديان الخيال ويسرفون فى الاعراب عن عواطفهم وانفعالاتهم . نرى بعض شعراء اليوم يلوذون بالعقل ، ويبدون وجهات نظرهم فى هذا المجال العاطفى المسيب . فكم رأينا طائفة من الشعراء تتغنى فى اطلاق بما يجرى من ذواتهم من الم وحزن وخيبة . اذ بنا نسمع من شاعر تقدمى شاب نغمات جديدة زاخرة بالامل والفرحة . وفى قصيدة **«صرعى الحزن»** نجد للشاعر **«نجيب سرور»** موقفا معارضا . شاجيا لهذا النزوع الوجدانى الشجى فيقول .

ايها الحزن .. لماذا يعشقونك
عنكبوت انت ، خفاش لعين
شائه الطلعة ، لم لا يكرعونك ؟
ماالذى فيك يحب .
ولماذا يعبدونك
انت يا أحقر رب ؟
انت (ياطوطم) صرعانا ومرضانا
وافيون الضعاف
ايها السم الزعاف
مالهم يستحلبونك !
المساكين الضحايا
صوروا رمزك طفلا
فرشوا دربك رملا
نصبوا الاقواس ياحزن امامك
اشعلوا النار وطافوا
حول تمثالك رقصا وضراعات ، ودقوا
لك دهرا بالمزاهر
كيف للمأتم ان يقلب عرسا
كيف للتنين ان يصبح طفلا
انت تلتف على اعناقهم ... تمتصهم
تفتالهم ياحزن كالثعبان
لما لايقتلونك !

وبهذا الموقف العقلانى ، وقف هذا الشاعر موقفا معارضا لصرعى الحزن ليثير فى الملتقى نزوعا وجدانيا مقويا شافيا ، داعيا اياه الى الارتفاع على آلامه واحزانه ، والى التفاؤل حتى فى تشاؤمه . ومنكرا على شعراء جيله تقديم هذا المخدر للناس فى اكواب انيقة .

***

وفى مثل هذا المجال تقف الشاعرة **(فدوى طوقان)** من الحب فى هذا العصر ، فترى فى قصيدتها (تاريخ كلمة) ان انسان هذا العصر جفت حسيته وتآكلت جذوره وان الحب الذى يدعيه ليس حب روح ودفء وحنان ، بل حب ساق وصدر ونهد ، وبعد ان تفيض الشاعرة فى هذه القصيدة فى ذكر تجارب الحب الرومانسية ، والتى ذخرت بها قصائدها الكثيرة ، تحدد موقفها من الحب بعد اصطدامها بالواقع المرير ، فتدعو صديقها الذى يرتل آيات الحب فى حضرتها ، الا يعاود على سمعها هذه النغمات ، وان يكتفى بعودتها تقول :

الحب عند الآخرين جف وانحصر
معناه فى صدر وساق
الحب كان حب صدر ، حب ساق
حب بلا دفء ، بلا روح ، بلا حنان
سمعتها كثير
وعفت زيفها الكبير
كانت مطلا لى ، على حقارة ، على ..
تفاهة ، على مرارات اخر
كانت قناعا يستر الصقيع

والخواء فى البشر
لا لوم ياصديقى الاثير
انسان هذا العصر قاحل فقير
تآكلت جذوره ، تسطحت أبعاده
سدى ، نريد الحب أن ينمو ، ولا
اعماق ، لا جذور

وهذا الموقف الذى اتخذته الشاعرة من الحب ، هو من ثمار التجربة الطويلة مع انسان هذا العصر، الذى لاقلب له ، ولاثبات لعواطفه ، وموقفها هذا يصدق على كثير من طباع انسان العصر .

ويصافحنا فى هذا المجال العاطفى موقف ثالث لشاعر ذكى شاب . هو **«محمد ابراهيم أبو سنة»** الذى هجر حب الفاتنات ذوات العيون النجل والوجود الصبوحة . وتحول الى حب الشعب . فقد وجد بعد تجاربه الشعرية فى الحب العاطفى أن قصائده لاتنبض بثمرة وأن الضباب يجللها . فلما توجه الى الشعب واهتدى بانوار حبه عرف الدفء الحقيقى والامل المنير . وفى قصيدته **«العودة الى المعبد»** تسجيل لهذا الموقف . وفيها يقول :

أنا قد عرفت الحب يوما
قد عشقت بغير دربك
ورأيت كل سواحلى تمضى وتغرق
الاعين النجلاء والوجه المشرق
اللهو والترف البديع وخطوفاتنتى المصفق
وقصائدى شرب الضباب عروقها
واسود بين عيونها وجه الخريف .

ثم يقول متحدثا الى الشعب المعبود : ــ

واذا أنا بشعاع حبك اهتدى
واذا هنالك فى شغافك معبدى
النجم يكتب فى جبينك كل احلام الغد
بحيرة العرق المقدس قد غسلت انا يدى
وأتيت تسبقنى الدموع لتوبتى
ماتت لغيرك صبوتى
ولحسن وجهك انت ياشعبى أرتل غنوتى
فالثلج يسكن كل درب غير دربك
وأنا يهددنى الصقيع
وماعرفت الدفء يوما غير حبك !

ويتقاضانا الانصاف القول بأن لهذا الشاعر الشاب مواقف أخر لا تدور فى المجال العاطفى وحده . بل تدور فى المجال الفكرى . فهاهو ذا بعد أن رأى نفسه كالغريق فى الحياة ، ولا معين . وبعد أن طرق أبواب الناس ليعيش كما يعيشون وجد الابواب مغلقة دونه ، ووجد كل انسان مشغولا بنفسه ، فأفضى الينا بما زخر به وجدانه من ألم وموجدة فى قصيدته « **السر** » التى جاء فيها قوله :

فى صمت أحمل كفنك
وأدخل قبرك
لا غيرك ، سوف يصلى من أجلك
لا غيرك

ويؤكد هادف بقلبه من مرارة ، وما لاقاه من تجاربه القصيرة فى الحياة مع الناس فيقول :

لا أحد يفك بروميثيوس الموثوق
لا أحد يشير الى الميناء
الاحباب افترقوا دون وداع
الاحباب اجتمعوا دون عناق
فاذا جاء حديث الأشواق
ابتلت جبهتهم
حتى تتقدم
كلمات نفاق

وهو بهذه القصيدة يعبر فى صدق عن موقف من المواقف الحيوية ، هو موقف خبره بنفسه وأداه فى شعره أداء موفقا ، وهو موقف يكاد يكون عاما لدى الشاب الذى لم يعرف كنه الحياة وناسها ، ولم يستطع التلاؤم مع أحيانها لأنه ينظر الى الوجود نظرات مثالية وردية تدلى بالنزوع الانسانى النبيل .

ومهما يكن موقف هذا الشاعر الشاب من استكناه قطاع كبير من البشرية ، فانه بهذه التجربة الصادقة قد ابتعد عن الغنائية ، وتمكن من بث رؤيته بأسلوب جديد تجرد عن المباشرة والتقريرية وهذا انتصار جديد للشعر الجديد .

وللشعراء اليوم مواقف من الوجود مختلفة ، لاختلاف مشاربهم ووجهات نظرهم ، وأيديولوجيتهم فمنهم من يقف موقفا نضاليا ايجابيا كمواقف شعراء القومية من أمثال **سليمان العيسى . الشاعر السورى ، أو عدنان الراوى وهلال ناجى ، وخالد الشواف وعلى الحلى من شعراء العراق ، أو عبد الله شمس الدين ، وكامل أمين ، وكامل أيوب** من شعراء مصر .

ومن هؤلاء من لا يخشى أن يعبر عن موقفه التحررى فى بعض النواحى الشائكة . ومن آيات ذلك قصيدة الشاعر العراقى هلال ناجى التى

وجهها الى أخيه الكردى مسجلا فيها رأيه فيوجوب حياة الاكراد في عزة واستقلال ، وفي حب وسلام مع القوميين العرب ، وفيهـــا يقول في ديوانه « الفجر آت ياعراق » .

يا صديقى مثلما تطمح أن نحيا أعزاء كراما
هكذا تضمر للاكراد حبا وسلاما
فاذا أنت طمحت
أن يكون
جبل الأكراد دولة
فليكن
فسنحيا في صفاء واخاء
مثلما يعتنق الظلان في درب غرام
وسأبقى
من محيط العرب حتى الرافدين
أبدا أذكر أمجادا عجيبه
« لصلاح » و « هنانو »
وبطولات حبيبه
وسأحيا
أبذر الحب بأكباد الصغار
مثل رشات النهار
وستلقانى أغنى
جارنا مثل النجوم
فى بحار السوسن الزاهى تقوم
وباطراف التخوم
سوف تلقى
من أغاريد تحيات ستبقى
يا أخى الكردى ، يا رمز الرجولة
يا اخضرارا فى مغانينا الظليلة

وتحمل هذه القصيدة الدلالة على أن الشـــاعر القومى الحر ليس شاعرا يسبح معالمســـبحين ، ولا انسانا يغنى فى الجوقة مع المغنين ، ولـــكنه شاعر متحرر ، له رأيه وموقفه من قضـــايا بلاده يعرب عنها في جرأة وان خالف وجهـــات نظر الكثيرين .

وعلى عكس هذه المواقف ، نجد لشعراء قلة في بلاد العربية مواقف تمرد وعزلة عن الحياة والمجتمع مواقف تماثل مواقف الرومانسيين الذين يصبون الى الجمال والانسجام فى الحياة ، ولكنهم لا يقفون في نظرهم الا على القبـاحة والفـــوضى والشر ، ولا يجدون من بيئاتهم حسب اعتقادهم الا الاضطهاد والصلب .

ومن هؤلاء الشعراء نذكر الشاعر اللبنـــانى **خليل حاوى** فى تمرده على البيئة وعلى التقاليد ، وعلى الكلمة المطروقة ، فهو شاعر متمرد ، ولكنه في تمرده وابتغاء الهدم يضمر البناء ، وليس فى هذا ما يعاب عليه ، انما يعاب عليه مغـــالاته فى الاضمار والالغاز فى تعـــابيره مما ينشر الغمام على رؤاه ، فلا تتكشف للمتلقى فكرته ولكنه يقع على أشواك تعرقل طريقـــه من الصور الغـــارقة فى الابهام .

ونكتفى هنا بمثال من قصيدته « الناى والريح » التى يقول فى فقرتها الأولى :

بينى وبين الباب أقلام ومحبرة
صدى متأفف
كوم من الورق العتيق
هم العبور
وخطوة او خطوتان
الى يقين الباب ، ثم الى الطريق

فهو فى هذه الفقرة ، يريد أن يقول : للمتلقى انه فى سجنه بين التراث القديم وأوراقه العتيقة يحاول ان يخرج فى هذا الباب الى جو الطلاقة ، وينتقل بعد هذه الفكرة الى فكرة الخروج أيضا من المقدســـات والتقـــاليد فيعتزل الأسرة والكتب وحجرته المنعزلة ، بل وحبيبته التى تتشـــوف الى لقياه ، وكل ذلك من اجل ابتداع الكلمة وطـلاق الكلمة المطروقة وتحت الصورة الجديدة ، فيقـــول فى الفقرة الرابعة من هذه القصيدة :

طول النهار
مدى النهار
ربى · متى انشق عن أمى أبى
كتبى وصومعتى ، وعن تلك التى
تحيا ، تموت على انتظار
أطأ القلوب ، وبينها قلبى
وأشرب من مرارات الدروب بلا مرارة
ولعل تخصب مرة أخرى
وتعصف فى مدى شفتى العبارة

ولـــكنه يستشعر أن طريقه محفـــوف بهجير الصحراء وزوابع الرمل والتربة العذراء فيحاول أن يذلل ما يعترض سبيله بالصبر وبنزعه الطفل الملهم الذى يخلق بالفطرة شيئا جديدا فيعاود القول :

ربى الى البدوية السمراء
واحات العجين البكر
والفجوات ، أودية الهجير
وزوابع الرمل المرير

تعصى ، وليس يروضها
غير الذى يتقمص الجمل الصبور
وبقلبه طفل يكور جنة !
غير الذى يقتات من ثمر عجيب
نصف من الجنات يسقط فى السلال
يأتى بلا تعب حلال
نصف من العرق الصبيب

وعلى هذا الغرار يسير هذا الشاعر فى هذه القصيدة الطويلة ، ذات الدروب الملتوية ، والاشجار اللفاء الكثيفة الاوراق ، ليصل الى هدف ليس بعيدا عنا ، بل هو قريب الخطو ، اذ واضح من تعابيره الرمزية الملتوية انه يقصد الى فكرة معروفة ، وغير غائبة عن عقولنا ، هى التحرر من كل تقييد ، ومن كل صياغة معروفة ، أو بمعنى آخر انه يستهدف الجدة والاصالة ، ولكنه يدور ويدورحول مايستهدفه بشكل مجهد كل الاجهـــاد للمتلقى ، بحيث يقيم ستارا كثيفا بينى وبين هذا المتلقى ، فما يضيع أكيدا أثر أفكاره ، وهذا الدوران التعبيرى الملتوى لا نميل اليه شخصيا وان كنا نميل الى محاولاته فى هجر التعبير المطروق ، على شرط توضـــيح الرؤية دون اعنات واملال للمتلقى ٠

واذا كان خليل حاوى لايرفض كل شىء فى المجتمع ، فهناك الشاعر السورى **على احمد سعيد** الذى اسماه أنطون سعاده «أدونيس» وهذا الشاعر يقف من الحياة والمجتمع موقف رفض كامل ، موقف الانسان الهارب من المعركة ، المنغمس فى باطنه ، وموقفه أشبه ما يكون بالرومانسى اليائس اللقى، وهو مثل زميله خليل حاوى يريد ابتداع مصطلح لغوى جديد ، وقد بلغ ما يريد ، ولـــكن المتلقى لا يجد أهمية فى تجاربه ، ولا مفر للشاعر الممتاز ان تكون لتجاربه اهمية لدى المتلقى ، وتجارب على احمد سعيد تجارب فى المطلق ، لا يتجاوب معهـا الا قلة نادرة من الادباء ، استمع اليه يقول : ـ

واليوم لى لغتى
ولى تخومى ولى أرضى ولى سمتى
ولى شعوبى تغذينى بحيرتها
وتستضىء بأنقاضى واجنحتى

وحقا ٠ فان له لغته الاصيلة الخاصة ، وله سماته الغريبة ، وله شعره ذو الاهمية الكبيرة لنفسه ، والاعراب عن حالته الصوفية البعيدة عن المعقول ولكن الكثرة المتلقين لا يشـــعرون بتجـــاربه ، ولا يستضيئون بها ، ما دام موقفه منهم مـوقف العزلة الكاملة ، والرفض غير المقبول ، اســـمع يقول :

مسافر تركت وجهى على زجاج قنديلى
خريطتى أرضى بلا خالق
والرفض انجيلى !

وهذا الموقف الرومانسى الشاطح النـــافر من الواقع ، ومن الحياة ، يقلل من اهمية محتواه فى نظـــرنا ، بل اخشى ان اقول انه يؤثر فى توهـــج شعره ، وماذا على هذا الشاعر الشاب الموهوب ، اذا حاول انيجد نفسه ويعدل منمواقفه ، بالاتصال بالحياة ، ومحاولة تفسيرها وتحليلها ، واتخـــاذ موقف متعقل منها ، فليس كل ما فى الحياة غير مقبول ، وليس الوجود شيئا غير مطاق كما يزعم ٠

ونحن اذا سمحنا لانفسنا نقد مضامين هـــذا الشاعر ، ورجونا تعديلها فذلك راجع الى اعتزازنا بتعابيره الأصيلة ، وطاقته الشـــعرية ، التى نود الا تضيع فى دوامة ، ويسعدنا أن نسمع من أحد عارفيه أنه بدا يتحول عن مواقف الرفض والاعتزال٠ وهذا ديدن الشـــاعر الصـــادق الشـــاعرية الذى لا يستطيع بطبيعته أن ينتهى الى الرفض التام لجميع القيم ، كما يقول الدكتور محمد النويهى فى مقاله القيم عن « ثورة الشكل وثورة المضمون فىالشعر المنطلق » ٠

ونحسب أن للشاعر المفكر الذى نرجوه ، أن يكون له موقف نقدى من الحياة والمجتمع والوجود، على أن يكون هذا الموقف له فعالية فى الاصـــلاح والبناء ، وأن تتضح رؤياه للمتلقى ، لتحقيق الغاية المنشودة ، أما اذا استمرا الشاعر موقف الرفض الكامل فانه لن يحقق شيئا ذا أهميـــة للمتلقى ، وتذهب نغماته الشعرية الأصيلة فى الهواء ، كما تبدد رغوات الماء ٠

وبعد ، فقد لمسنا من هذه الكلمة بعض مواقف شعراء العربية ، فى الميدان الشعرى ، وهى مواقف متنوعة متضاربة ، يقوم بعضها على محور وجدانى، وبعضها على محور فكرى ، وبعضها على محور واقعى بناء ، وبعضها الآخر على محور صوفى رومانسى غريب ، ومع هذا التضارب فى المواقف ، فقـــد صور الشعراء فيها عن صدق وأصالة ، وهى ميزة من ميزات شعر اليوم ٠ واذا كنا تمنينا على بعض الشعراء ان يعدلوا من مواقفهم الغريبة عن دنيـــا العروبة ٠ فذلك حبا فى هذا الفن الذى نتشوف الى ازدهاره ، ومواجهة مستقبله فى اشراق ، واضاءة٠

حول الادب وقضية الحرية

• بقلم فؤاد ابو الخيط •

صرح السيد نائب رئيس الوزراء لشئون الثقافة والارشاد فى مجلس الامة بان الحكومة لا سلطان لها على الصحف والمجلات والثقافة والأدب لأنها جميعا حرة لا تخضع الا للقانون الذى يستطيع كل مواطن أن يلجأ اليه بأن يطلب من النيابة العامة تطبيقه على مايرى فيه خروجا على احكامه ومن بينهـا الحكم الخاص بحماية الآداب العـامة والأخلاق العامة .

وقد حدد الدكتور محمد مندور ، فى العدد الرابع والخمسين من الرسالة : معنى تصريح السيد نائب رئيس الوزراء « بأن الدولة لا تريد ان تستخدم سلطانها الادارى فى الرقابة على الصحف والمجلات او الحد من حرية الادب والفكر وانها ترى فى القانون العادى ما يكفى لحماية المجتمع ومثله واخلاقه . وذهب سيادته الى أن الدولة قد أحسنت صنعا بتخليها عن سلطتها فى الرقابة الادارية على الصحف والمجلات وعلى حرية الراى لأن تخلى الدولة عن سلطانها الاستثنائية ليس معناه افساح المجال امام العبث او الاستهتار باخلاق ومثل المجتمع لان القانون نفسه فيه ما يكفى لوضع حد فاصل بين الحرية منجهة والفوضى او العبث والاستهتار من جهة اخرى وباستطاعة كل مواطن ان يلجا الى هذا القانون وان يحرك احكامه »

ونحن نعتقد ان ما ذكره الدكتور ماخوذ عن الحقيقة ولكنه لا يعبر عنها كلها لانه يقف عند المعنى المباشر لتصريح السيد نائب رئيس الوزراء وبالتالى يمتد باحكامه الى مجالات أبعد من مـداه المقصود وبمعنى آخر فانه طالما كان بيان الحكومة واضحا ومحددا بانها « لا تريد ان تستخدم سلطانها الادارى » فانه فى حدود ذلك ينبغى أن يفهم البيان وأن تلتفت وتلتزم كل محاولة لتفسيره بالابعاد التى تؤدى اليها .

وعلى ضوء ذلك فان التفسير الصادق للبيان لاينبغى ان يتجاهل او يغفل الامكانيات الايجابية الاخرى التى للحكومة والتى تعبر عن قدرات غير عـادية تستطيع ان تتصدى بها لمجابهة الانحراف فى مجالات الفكر دون ان تلجا الى سلطانها الادارى . وقد عبر الدكتور حاتم ، عملا ، عن الوجود الحى لمجالات العمل الأخرى التى للحكومة حينما ساهم بارائه ، فى نفس وقت تقديم البيان ، فى تحديد ابعاد القضية بقوله فى العدد السابع والاربعين من الثقافة :

« ليس معنى الحـرية ان نطلق العنـان للادب المكشوف حتى يتغلغل فى حيـاتنا ويفسد عقول النشء فى مجتمعنا ويكون بمثابة سموم تنفث فى جسد الأمة .

ليس معنى الحرية ان نسمح بالكتاب الذى يحمل المعانى السـافرة ويستغل الشهوات الرخيصة ويتجافى مع تلك القيم الكريمة التى عبر عنها الميثاق بقوله : على انه يتعين علينا ان نذكر دائما الطاقات الروحية التى تستمدها الشعوب من مثلهـا العليا النابعة من اديانها السماوية أو من تراثها الحضارى قادرة على صنع المعجزات .

ان الطاقات الروحية للشعوب تستطيع أن تمنح آمالها الكبرى اعظم القوى الدافعة كما انها تسلحها بدروع من الصبر والشـجاعة تواجه بهما جميع الاحتمالات وتقهر بهما مختلف المصاعب والعقبات .. فالثقافة التى لا تعبر عن هذه الطاقات الروحية الخلاقة او تتناسى هذه القيم الروحية ثقافة مبتورة غريبة عن حياتنا وآمالنا .. والثقافة التى تهدف الى

تحريك الغرائز واثارة الاحاسيس الحيوانية لا يمكن ان تكون اساسا لتقدم او قاعدة لنهوض » .

ومعنى ذلك : ان بيان الدكتور حاتم فى مجلس الأمة يعبر عن التزام مرتبط بحدود معينة . انه يؤكد احترام الحكومة الحدود الديمقراطية لسلطانها الادارى .. ولكنه لا ينفى قدراتها ولا واجباتها الأخرى فيما يتعلق بمواجهة الانحراف الفكرى . وبتعبير آخر ان البيان يحدد نطاق سلبية الحكومة فى جانب ويؤكد ايجابيتها فيما عداه . وعند هذا المعنى ومنه ينبغى أن تبدأ كل دراسة تتعرض لقضية الحرية الفكرية . وهو ما لم يفعله أستاذنا الدكتور مندور الذى تناول الموضوع ببساطة غير معبرة لا ترتفع الى مستوى المعالجة الواجبة .

وعلى كل .. فان اهم ما نود أن نقوله فى هذا الصدد هو ان النظر الى الحكومة باعتبارها سلطة تحكم ينبغى الحد من تدخلها وتقييد نشاطها وحصره فى اضيق الحدود .. نظرة تقليدية بعيدة عن دلالات الفكر والواقع الاشتراكى الذى يعطى للحكومة مفهوما اندماجيا ويجعل منها مع كافة هيئات الدولة وجماعاتها وافرادها كيانا واحدا ومتعاونا فى سبيل الغاية والهدف الواحد .

واذا كانت ضمانات الحرية قد اقتضت تغيير سلطان الحكومة الادارى بالنسبة لمجالات الفكر .. الا انه ينبغى عليها ، بمقتضى المفهوم الاشتراكى لسلطتها ، الا تصمت فى مواجهة الانحراف .. **وان تستجيب لروح الامة ، كلما دعى الأمر ، وتضمن قوانينها ما يكفى لتحقيق فعالية كاملة وحماية حقيقية لمثل المجتمع واخلاقياته . ولا يستقيم ان تبقى ظلال الحرية الفردية تعبيرا عن معنى الحرية فى الفكر طالما كانت الفلسفة الفردية مرفوضة فى كل المجالات الاخرى .. كما ان عليها ان تلقى بكل قدراتها الادبية والمعنوية لنصرة القضايا الاخلاقية وقمع الانحراف .**

وباعتراف الدكتور فان القانون بحكم فلسفته الوضعية ذاتها لا يمكن أن يتناول بالعقاب او الردع كل ما يستنكره المجتمع من عمل او قول . وهو تعبير صادق وموضح للحقيقة لان القانون بطبيعته يمثل الحد الادنى من القيود . واذا كانت الحكومة هى منفذته فليس هناك ما يمنعها ، طالما التزمت حدود سلطتها الادارية ، من ان تباشر حمايتها للقيم الاجتماعية ، خارج دائرة الردع القانونى والادارى ، بقدراتها الاخرى . وفى قضية فلوبير ، وهى مثال الدكتور ، قضى القضاء ببراءة المؤلف معبرا بذلك عن التزام حدود سلطانه القانونى ولكنه فى الحيثيات عبر عن لومه للكاتب بمعنى انه حيثما لم يستطع ادانته قانونا انصرف الى قدراته الأخرى وادانه ادبيا .

ولا يكفى ، من ناحية اخرى القول بقدره وعى الراى العام وسلامة الجهد النقدى ، رغم اهميتهما القصوى ،على على مساندة القانون فى تحقيق المجابهة المطلوبة . لانهما لايعطيان ضمانات اكيدة فى كل الاحوال ولايستندان فى وجودهما او قدراتهما الى معايير واضحة ومن ثم يعطيان ضمانات احتمالية لا يصح ، لخطورة القضية ، التعويل عليها بصفة اساسية كما انهما فى كل الظروف لا يحولان دون ان يكون للحكومة جهدها فى حماية الفكر .

وبديهى انه ليس من المنطقى ولا المعقول أن تعزل الحكومة بقدراتها العديدة عن مجالات الفكر لأن تجربة غير مشجعة قد حدثت فى الاتحاد السوفيتى ابان حكم ستالين ، **وهى تجربة لا يجوز معها ، على كل حال ، القياس لاختلاف الفلسفة العقائدية للدولتين واختلاف معنى ودلالة الحرية فى كل منهما تبعا لذلك .**

***

وباختصار .. فان قضية حرية الفكر ينبغى الا تؤخذ على استقلال كما فعل استاذنا الدكتور مندور وانما يتحتم النظر اليها فى معالجة واسعة ، من خلال ارتباطها بالفلسفة العقائدية العامة للامة . واذا كانت الحرية الفكرية جوهرا انسانيا مقدسا ، فان القيم الاخلاقية والمعنوية هى الاخرى كذلك ولا ينبغى ان تاخذ الحرية الفكرية مدلولا مطلقا على حسابها .. وثمة تفرقة واجبة دائما بين حرية الفكر والتجرد عن المسئولية والاستهانة بقيم الامة واخلاقياتها .

أوبرات عربية

بقلم
عبد الحميد ابراهيم محمد

من المؤسف أن الفن العربى جدب فى هذا الجانب الذى يتميز بالخيال الســاذج الجذاب ، ويتخذ من الموسيقى الراقيـة ، والكلمة المختارة ، والقصــة الساذجة ، والرقص التعبيرى ، والملابس الزاهيـة المختلفة ، والالقاء الخاص ــ أداة لخلق جو يسبح فيه المستمع والمشاهد ، ويؤثر عليه تأثيرا له طعم من نوع خاص .

وآن الأوان لجذب جماهير المثقفين للتعلق بهـــذا النوع من الخيال الراقى . وقد قام الدكتور **ابراهيم جمعه** بمحاولة طيبة ، اذ ترجم أوبرا « لاترافياتا » ، التى وضع موسيقاها « فردى » ، وقد عرضت بدار الأبرا بالقاهرة خلال شهرى مايو ويونيه سنة ١٩٦٤ ، واثبتت صلاحية اللغة العربية لهذا النوع من الفن الراقى . وقالت عنها الدكتورة **سميحة الخولى** !! : هذه التجربة الناجحة ، قد بددت الشكوك والمخاوف التى كانت دائما تحيط بفكرة ترجمة « الأوبرا » . ودلت على أن اللغة العربية لغة مرنة تصلح للغناء الأوبرالى ، وأنه ليس هناك اى تعارض أساسى بين النطق العربى ومخارج الحروف العربية ، وبين طرق الغنـاء الفنية التى يدرب عـلى أسـاسها المغنون والمغنيات فى كل مكان .. » (انظر مجله «المجلة» ، عدد يونيه سنة ١٩٦٤ ص ٧٧) .

وقد اتيح لى مشاهدة هذه الأوبرا ؛ ومـع اننى عشت فيها لحظات خيالية ممتعه ــ الا اننى وجـدت صعوبة كبيرة فى تبين مخارج الحروف ؛ فقد كانت الكلمات تنطق نطقا محطوطا ممدودا ، واحيانا تلقى عليها نغمة أجنبية ، وجو غريب ، ثم أتيح لى سماع هذه الاوبرا من الراديو ، وهى تؤدى بلغتها الاصلية، فتكشف لى السبب فى هذا النطق الذى يؤديه المغنون والمغنيات ، وفى هذه النغمة الاجنبية وذلك الجـو الغريب . فقد رايت تشابها كبيرا ــ فى الالقاء ، وفى مخارج الحروف ، وفى النغمة العامة ، وفى الجو النطقى ــ بين تلك الاوبرا ، وهى تؤدى بالحروف العربية ، وبينها وهى تلقى باللغة الاجنبية ، مما جعلنى اكتشف أن المغنين والمغنيات ، كانوا يؤدون النص العربى ، وفى ذهنهم الاصل الاجنبى ، فخرج النص العربى ، وعليه ظـلال من الاصل الاجنبى ، واصبح شبيها بذلك الرجل الذى يلبس عباءة فى شـوارع باريس . فليس يكفى أن تكون الحـروف عربية ، بل يجب أن نعرب الالقاء والنبرة والنغمـة وغير ذلك مما هو معروف فى علم الاصوات .

ولعل هذا يجعلنا نطمح الى خطوة أبعد من الاوبرا المترجمة ، ونفكر فى وضع « أوبرات عربية » ، نابعة من البيئة العربية، وملتصقة بوجدان العربى، وقريبة الى تكوينه النفسى ، ومزاجه التاريخى .

وقد أخذت تباشير هذا الاتجاه تظهر ، ويتمثل ذلك فى قصـة « الارض العالية » للاستاذ الشاعر **عبده بدوى** ، وهى تعتبر أول أوبرا عربية خالصة ، وتدور حول مشكلة الارض فى كينيا ، حين أجلى الأوربيون الأفريقيين عن الارض العالية ، والصراع الذى دار حول التمسك بالارض ، والالتصاق بهـا حتى المـوت . وأوبرا « لاجويرا » الايطاليـة التى عرضت فى أحد مواسم الاوبرا الايطالية ، هى التى أوحت للاستاذ عبده بدوى بفـكرة أوبرا « الارض العالية » ، ومما يبعث على الاغتباط أن الموسيقار الايطالى « باريبرى » قد قام بتوزيع هذه الأوبرا على أساس عالمى ، وقد ارسلت منها نسخة الى السويد حيث ستنفذ وتعرض باللغة العربية .

والتراث العربى يمكن أن نجد فيه « خامة » صالحة لان تستوحى منه هو أيضا أوبرا عربية خالصة تقف جنبا الى جنب مع الاوبرا المترجمة ، أو الاوبرا التى تتخذ ميدانها بلدا حبيبا الينا .

واذا كان الدكتور **طه حسين** قد وجد فى قصة وضاح اليمن مع أم البنين تربة صالحة لانشاء أوبرا موسيقية (انظر حديث الأربعاء ١/٢٩٣) فان هناك امثلة كثيرة فيها « جينات » ـ اذا سمح لنا علماء الاحياء باستعارة هذه الكلمة ـ يمكن أن تحتضن حتى يكون منها أوبرا رائعا ٠

***

فقصة ذلك العاشق المنكود الحظ الذى هو جارية ، وركب الصعاب ، وتحدى العادات فى سبيل حبه ، فكان يأتى اليها فى الليل وهى نائمة بين اخوتها فيوقظها ، فيصيبها الهلع وتقول له « يا فاسق ، انصرف والا والله أيقظت اخوتى . فقاموا اليك ، فقتلوك » فيجيبها : « والله للموت على اهون مما انا فيه ، ولكن اعطنى يدك اضعها على فؤادى وانصرف» وفى الليلة القابلة يقول لها « لك الله على ان أمكنتنى من شفتيك أرتشفتهما ان انصرف ، ثم لا أعود اليك ٠٠ » ومازال بها حتى « وقع فى نفسها مثل النار ، على حد قول أبى مسكين (انظر مصارع العشاق ص ٢٤٩) ٠ ويحس به أهل الحى ، فيتوعدون ليلته ، ولكن حبيبته ترسل اليه ! « ان القوم يأتونك الليلة فالحذر » ٠ وفى الليلة الموعودة ينتظر العاشق القوم على مرقب ، ومعه قوسه وأسهمه وكان أحد الرماة ، ولكن القدر يخلق مأساة عنيفة ، فقد أصاب الحى مطر ، والمطر حادث سعيد فى حياة أهل البادية اذ يحمل اليها الخير والرفاهية ، ولذلك الهاهم عن صاحبنا العاشق ، وينصرف الليل الا اقله ويذهب السحاب ، ويطلع القمر ، وتغرى تلك الطبيعة الضاحكة ، وذلك الضياء المنتشر ، وهذه الفرحة التى تعقب المطر ـ صاحبتنا بالخروج الى عاشقها ٠ فخرجت وقد اصابها الندى ، فنشرت شعرها ، فيراها العاشق من بعيد وهو على مرقبه ، فيظن انها ممن يطلبه ، فرمى قلبها بسهمه ففلقه ، وينحدر من مركبه ، فاذا هو بالجارية متضمخة بدمها ، فجعل يبكى وينشد الشعر ويقول :

نعب الغراب بما كرهت
ولا ازاله القــدر

تبكى وانت قتلتها
فاصبر والا فانتحر

ثم وجا نفسه بمشاقصه حتى مات ، وجاء الحى فوجدوهما ميتين فدفنوهما فى قبر واحد ٠

هذه القصة اللطيفة (انظرها فى مصارع العشاق ص ٢٤٩) بما فيها من دراما عنيفة ومن عواطف فياضة ، ومن تدخل للقدر فظيع ، ومن رسم لمناظر طبيعية ، ومن نهاية حزينة مؤلمة ، ومن خضوع أهل الحى أخيرا للعواطف ، فقد آسوا لنهاية هذين العاشقين ، وجمعوهما بعد الموت فى قبر واحد ، يكفرون بذلك عن الحيلولة بينهما فى الحياة ـ هذه القصة بما حملت من تلك البذور صالحة لبناء « أوبرا » موسيقية مؤثرة ٠

***

وقصة شبيهة بهذه تحمل من الامكانيات الفنية مايتيح بناء أوبرا عربية خالصة ، وهى قصة ذلك العاشق الذى أحب ابنة عمه ، ولكن أباها رفض أن يزوجه منها ، وزوجها من غيره فخرج من ماله كله ، وتنكر فى ثياب راع ، وجعل يرعى لزوج الحبيبة ، وكانت حبيبته تأتى اليه ليلا وتراه ، وفى ليلة تأخرت عن ميعادها ، فجعل يتقلقل ويقوم ويقعد وينشد الاشعار ، وخشى أن يكون هناك مكروه قد عرض لابنة عمه وهى فى طريقها اليه ، فجعل يبحث عنها ، ثم عاد وعلى يديه شىء محمول وقد علا شهيقه ونحيبه ، واذا هى ابنة عمه قد اعترضها سبع فاكلها ، ثم وضعها وانصرف ، وأقبل ورأس الاسد على يده ، فوضعه وجعل ينكت على أسنانه وهو يقول :

الا أيها الليث المضر بنفسه
هبلت، لقد جرت يداك لك الشرا

اخلفتنى فردا وحيدا مدلها
وصيرت آفاق البلاد لها قبرا

أأصبح دهرا خاننى بفراقها
معاذ الهى أن أكون لها برا

أن يلفه واياها فى هذا الثوب ، وان يدفنهما فى هذا المكان ، ويكتب على قبرهما هذا الشعر

كنا على ظهرها والدهر فى مهل
والعيش يجمعنا والدار والوطن

ففرق الدهــر بالتصريف الفتنا
فاليوم يجمعنا فى بطنها الكفن

ثم اتكأ على سيفه ، فخرج من ظهره ، فسقط ميتا .

ـ هذه القصة (أنظرها فى المواشى ٨٣/١ ، وفى مصارع العشاق ص ٢٢٩) بما فيها من سذاجة وبساطة ، ومن خيال طريف ، ومن شعر سهل ميسور ، ومن نهاية حزينة فيها اخلاص ووفاء ، مادة طيبة لان يتناولها الموهوبون ، فيخرجون منها عملا خياليا حيا .

***

وقصة ذكرها الجاحظ فيها طرافة ، وفيها كشف عن ذكاء المرأة حين تدافع عن حبها ، وتعارض أهلها من أجل مستقبلها ، فقد ذكر أن رجلا من بنى عامر كان ذا جمال وهيئة صاحب غزل ، هجم على قوم يتحملون ، وقد شدوا أثقالهم وبرزوا ، واذا امرأة جميلة ، قد تخلفت على جمل لها لاصلاح شأنها ، وهى احسن خلق الله وجها واغزله واملحه ، ويكون بينهما كلام ، تسأله فيه المرأة ! أيهما أحسن جردة الرجل أم المرأة ؟ فيجيبها : جردة الرجل . ثم تعارضه . ويكون بينهما اتفاق على أن تتجرد من ثيابها ، ثم تمشى أمامه حتى الاكمه ، ثم تقبل فيراها مقبلة مدبرة ، على أن يفعل هو بعدها مثلما فعلت . وتنفذ الاتفاق وتلقى الثياب عن أحسن ماخلق الله بياضا ونظافة ، وحسنا كما يذكر الجاحظ . ثم يخلع الرجل ثيابه ، ويمشى أمامها عاريا ، ولكنه ما ان يبلغ منتصف المدى حتى يسمع خرخرة جمله . وينظر فاذا المرأة قد جالت على ظهر الجمل ، لابسة ثيابه ، متنكبة قوسه ، قد لزمت المحجة . وجعل الرجل يناديها ولكنها لم تأبه لندائه وانطلقت فى حالها . واضطر الرجل الى أن يلبس ثيابها ، وأن يتخمر بخمارها ، وأن يركب بعيرها ، وأن يتبع أثر حبها . فلما رآه الظعن من بعيد ظنوا أنه هى . فجعلوا يتادونها ، وارسلوا اليها جارية ، وقادت الجمل حتى أتت الحى . فاجتمع حولها النساء وتأملنها . ثم صاحت احداهن : والله انه لرجل . فأنزلته أم الجارية ، ودخلت به الستر . فقص عليها قصة ابنتها . فقالت له : « نشدتك الله الا اعرتنى نفسك هزيعا من الليل ، فانا كنا على أن نبنى بابنتى صاحبة الجمل الليلة ، وما فى الحى رجل غير زوجها وهو انسان فيه لوثة ، ولابد من أن أدخلك عليه ، فانك غلام أمرد فلا ينكرك ، ولا أراه أقوى منك ان اعتركتما ، فلك عندى يد بيضاء » ثم اقبلت أمها وأختها وخالتها ، فالبسنه ثوب العروس ، وطيبنه ودلفن به نحو الرجل بعيد القتمة ، فاذا به يدخل على رجل مثل الاسد ، فيعتركان حتى يكف الزوج ويهدأ . ويمضى الليل ثم يسمع خرخرة جمله ، واذا بالمرأة قد أقبلت وتدخل عليه ويعرف عنها أنها ظلت ليلتها مع انسان كانت تهواه .

هذه القصة (انظرها كاملة فى المحاسن والاضداد ص ٢٠٠ بما فيها من سذاجة وطرافة وقدرة الحب على خلق الحيل وتفتيق الذهن ـ يمكن أن نطوعها لعمل « أوبرالى » حى .

***

والباحث عن أمثلة أخرى ، لن يعدم نماذج فيها ماء الحياة الذى يحتاج الى تحريك ودفع . وكل مانحتاجه هو البدء فى اثراء هذا الجانب ، بدءا يتواكب فيه الاقتباس من التراث الانسانى مع استيحاء التراث القومى .

مسرح الثرثرة

الحساني حسن عبد الله

« لسنا احرارا حين ندور مع الافكار الطارئة كما يدور طلاب الازياء مع كل عارضة تروج وكل خاطرة تعن فى الاذهان ، فلنكن جريئين على الجديد جرأتنا على القديم »
العقاد

يحسن بنا — والموسم المسرحى القادم على الابواب — ان نقف لنتامل ظاهرة عرفها مسرحنا فى الموسم الماضى للمرة الاولى . تلك هى التشابه الشديد فى البناء المسرحى بين مسرحنا ومسرح اللامعقول . فهل كان لمسرح الجيب اثر فى وجود هذه الظاهرة ؟ ارجح الظن انه المسئول الاول عنها . فقد ظل كتاب القصة عندنا هاجعين حتى قام مسرح الجيب فهبط الوحى عليهم واذا بهم يجربون اقلامهم فى الكتابة للمسرح فيحدثون حركة ناشطة كنا نود الا تقتصر بواعثها على الرغبة فى تقليد « بيكيت و « يونسكو » او شغل خشبات المسرح المتزايدة او الطموح الجامح الى ابتكار جديد ليس وراءه اكثر من طموح جامح رفع الحكيم اشارة البدء فكانت « ياطالع الشجرة » . ولولا اجتماع البواعث الثلاثة ماكان لتلك الاشارة ان تنجح فى نفى الحذر من الاقلام الهاجعة . افليس غريبا ان يتاخر اثر الحكيم فى مسرحنا حتى هذا الحين ؟ واليس غريبا ان يختلط هذا الاثر باثر كتاب اللامعقول او كتاب العبث فلاندرى اهو اثره ام اثرهم؟ هذا الاثر يتمثل — على ارجح الظن — فى خاصة خرج بها مسرح اللا معقول على كل ما سبقه من مسارح . تلك هى تضاؤل عنصر « التشخيص » فالشخصيات عند صمويل بيكت واضرابه ليست لها سمات واضحة نعرفها بها فى دنيا الواقع وانما هى ابواق تتضافر للتعبير عن فكرة تنجح حينا فى ايصالها الى الجمهور وتخفق احيانا . فمشاهد « لعبة النهاية » مثلا يستطيع اذا شاء ان يدير ظهره مستقبلا حائط المسرح بدلا من خشبته ، مكتفيا من العرض بالسماع وهو ضامن انه لن يخسر شيئا . فانت لا تذكر من « هام » او « كلوف » ، ما تذكره من « هاملت » او « عطيل » ، ولذا فقارىء « بيكيت » لا يخسر ما يخسره قارىء شكسبير اذا اكتفى من المسرحية بالقراءة ، بهذه الخصيصة — فيما ارى — يفقد المسرح ابرز خصائصه ، والا فبماذا يتميز اذا لم تخرج من مشاهدته باكثر مما تخرج به من القراءة او السماع ؟

ومع تضاؤل عنصر التشخيص تضاءل عنصر الحدث . والعنصران فى الاهمية سواء ، وانما جعلنا الاول هو مناط تلك الخصيصة التى اصبح المسرح بها نظيرا للامسرح ، لانه عماد البناء المسرحى والحدث تابع له فقد يكون حدث ولا تشخيص ولكن لا يكون تشخيص ولا حدث .

وبتضاؤل هذين العنصرين تخرج الوحدة العضوية من مقاييس النقد المسرحى ، وهنا يجدر بنا ان نترحم على روح « ارسطو » المسكين فقد كان رجلا عاقلا حاول ان يضع للبشر ضوابط تعصمهم من زلل المنطق ، وان يضع للادب اصولا تدفع عنه غائلة المتهوسين . فليرحمه الله .

وبتضاؤل هذين العنصرين تبرز « الفكرة » لتصبح العنصر الاول فى المسرح . وسواء اراد كتاب اللا معقول ان يفردوا الفكرة بالاهمية او لم يريدوا فلا مناص من ان ينصرف انتباه المشاهد تماما الى الحوار باحثا عن المعنى وراء كل كلمة . فمسرحهم

اذن ــ بقصد او بلا قصد ــ مسرح افكار . وقيام المسرحية على بحث قضية فكرية ليس جديدا فى تاريخ المسرح الأجنبى ، وليس جديدا فى تاريخ مسرحنا ، ولكن لم يحدث ان تضاءل عنصر التشخيص الى الحد الذى تصبح عنده الشخصية بوقا لاصلة بينها وبين الكائن الانسانى .

وقد نجد الى جانب تلك الخصيصة التى طبعت مسرحيات الموسم على اختلاف فى الدرجة بطابع مسرح العبث بعض استعارات تتعلق بالشكل : فبناء « كوبرى الناموس » على ترقب فارس الخلاص قد يكون مستعارا من بناء « انتظار جودو » ، وقد يكون فارس الخلاص او « جودو » هو البر الثانى فى « **رحلة خارج السور** »، وقد نجد فى **فرفور** يوسف ادريس بعض مشابه من « لكلى » او « كلوف » ومن سيده بعض مشابه من « بوزو » او « هام » ، ولكن هذه الاستعارات ــ بغير تلك الخصيصة ــ لن تكون لها دلالة كبيرة على افتقار كتابنا الى الاصالة .

ربما يقال : لا بأس . لتمت الشخصية وليمت معها المسرح مادام الفكر باقيا فى النهاية . لقد خسرناهم فنانين وكسبناهم فلاسفة . ولكن الحقيقة اننا لم نكسب شيئا بل خسرنا المسرح وفجعنا فى أمخاخ الفلاسفة . لقد عرضنا فى مقالين سابقين للمسرحيتين اللتين حظيتا بالقدر الاكبر من اهتمام النقاد : «الفرافير» و «رحلة خارج السور» **سبرنا غور الفكرة عند يوسف ادريس فلم نجد غورا ،وسبرناه عند رشاد رشدى فوجدناه ضحلا .** اكتشف الاول ان البشرية بعد ملايين السنين من عمرها المديد فوق هذه الأرض تسير سيرا خاطئا لانها لم تسع لتحقيق المساواة المطلقة حيث لا سيد ولا مسود . واكتشف الآخر ان البشرية بعد آلاف السنين من عمرها المديد فوق الأرض تسير سيرا خاطئا لانها لم تسع لتحقيق شيوعية الجنس حيث تزول كل عقبة امام الشهوة الجنسية . ومن الواضح أن وضع مشكلة الفوارق او مشكلة الجنس هذا الوضع لا يقتضى بذل اى جهد فكرى او فنى للوصول بالمشكلتين الى حل . ربما يقال ان الوضع السليم للقضايا ليس شرطا فى الفن . وهذا احتراس قابل للمناقشة ولكنه فى المسرح الفكرى لا يجوز ، والا فماذا يبقى من مسرحية تعالج موضوعا فلسفيا اذا سقطت فلسفتها بعد بضعة أسطر من التفنيد ؟ فيما قبل المسرح الحديث كان يبقى من المسرحية ــ اذا سقطت فكرتها ــ تصوير دقيق لحالة نفسية أو فهم عميق للشخصية يمكن ان نجد فيهما عزاء عن سقوط الفكرة ، ولكن لاسبيل الى هذا الآن بعد ان وصل المسرح فى التجريد الى الحد الذى يصعب عنده ايجاد صلة بين أطراف الحوار . وفى هذه الحال قد نجد فى الحوار كلاما له معنى ولكنه لا يفضى الى شىء . وهذه هى حال «**الثرثرة**» بلا مراء ، فلا اظن أننا نجد تعريفا للثرثرة ادق من أنها كلام قد تجد له معنى ولكنه لا يفضى الى شىء .

هذه السمات : ضعف عنصر التشخيص وضعف عنصر الحدث وما ترتب عليهما من ضعف الوحدة العضوية ظهرت فى مسرحنا تأثرا باصحاب النزعة « اللامسرحية » او المضادة للمسرح وظهرت معها سمات اخرى تتعلق بالصياغة وبالمسرحية فوق الخشبة اهمها ازدواج الحوار وهدم الجدار الرابع وليس يعنينا أن تكون هذه المظاهر مستعارة او غير مستعارة وانما يعنينا ما تحققه لمسرحنا من نفع . والذى الاحظه ان اجتماع هذه المظاهر يثير فى نفس المشاهد الشعور بأن ما يجرى امامه ليس صدقا وليس حقا وانما هو «تمثيل»،فالمشاهد لاتستغرقه عاطفة كما هو الحال فى المسرح الكلاسيكى ولاتجذبه فكرة كما هو الحال فى مسرح «بريخت» اذ ان اثارة العاطفة لا تكون بغير شخصيات حية واثارة الفكر لا تكون بغير قضية جديرة بالتامل . فى الفرافير تفتح الستار فيفجؤك المؤلف بخطبة يأخذ فيها على المتفرجين انهم « قاعدين مبلمين » وكأنما كان ينبغى ان يستقبلوه بالقبلات . ويختار الفرفور زوجة لسيد يريد ان يوهم المتفرجين انها من بينهم مثيرا فيهم شعورا بانه « يضحك عليهم » ويصبح الفرفور فى ردهات المسرح من آخر الصالة حتى الخشبة فتشعر انك انتقلت فى الحال الى « قهوة بلدى » لها تاريخ فى التهريج عريق . اما فى « رحلة خارج السور » فتحاول ان تلاحق الحوار المزدوج لتخرج منه بشىء دون جدوى ، فتشعر بشعور المدرس المسكين امام تلاميذ اشقياء يريد كل منهم ان يسمعه صوته قبل الآخر . فاذا اكتظ المسرح فوق « المائدة الدوارة » بالكورس تذكر الكورس فى « الفرافير » وتذكر معه الكورس فى المسرح المدرسى

فلا يهزك تآلف الاصوات كما كان يهزك ايام التلمذة، ذلك لانك كبرت وتريد ان تشعر انك فى مسرح اساتذة لا فى مسرح تلاميذ . فى مسرح لا يخلع عنه جلاله ووقاره حتى وهو يستغرق فى الضحك، ولست فى مسرح تصاب فيه بالصدمة التى يصاب بها من يذهب لسماع محاضرة من «ارنولد توينبى» فيجد على المنصة « محمود شكوكو » . تعرض الدكتورة لطيفة الزيات ثلاثة اغراض للحوار المزدوج : اولها تقديم معلومات عن بعض شخصيات قد تخفى عن بعضها الآخر ، وبذلك يعرف المشاهد عن الشخصيات اكثر مما يعرف بعضها عن بعض . ولست ارى انزيادة معرفة المشاهد او عدم زيادتها امرا مهما انما المهم هو معرفة القدر اللازم فى الوقت المناسب . والحوار المتدرج ينهض بهذا الغرض لقد كان ينبغى على الدكتورة ان تجيب على هذا السؤال : ما الميزة التى يحققها الازدواج ويعجز عن تحقيقها التدرج ؟ وثانيها : الايحاء بالمستقبل . والمثل على ذلك انيرد اسم محاسن فى «رحلة خارج السور » فىحوار ، فيقال بعده مباشرة فى حوار آخر « ما طلقها » ايحاء بالفرقة التى ستقع بينها وبين « فريد » . ولا يتحقق هذا الغرض الا اذا وجد ما يسوغ ولو تسويغا ضعيفا الربط بين الكلمة العارضة ومستقبل الشخصية . وليس فى الشاهد المذكور مثل هذا التسويغ لأن « محاسن » لم تكن فى اللحظة التى ورد فيها ذكر الطلاق قد ظهرت على المسرح ، ولم تكن نعرف عنها شيئا من قبل . فالمتطير فقط هو الذى يتحقق لديه هذا الغرض . ولا أحسب الدكتور رشاد رشدى يكتب واضعا فى اعتباره المتطيرين .

اما الغرض الثالث فهو الابانة عن بواعث اقوال لا تبين بغير الحوار المقابل . لقد كان ينبغى على الدكتورة ايضا ان تظهر بوسيلة ما — لكى يكون الغرض قاصرا على الحوار المزدوج — عجز الحوار المتدرج عن تحقيقه ، ولكنها لم تفعل ، بل ان المثل الذى ضربته لا يفى بالغرض فهى ترى فى تلك العبارات التى تعرب فيها « شهيره » عن حبها « لأبو العيون » ، عاطفية رخيصة » و « رومانسية مغرقة » تختفى وراءها شهوة الجنس وأن الحوار الذى يدور بين « محاسن » و « فريد » ، كاشفا شهوانية الاولى يظهر الباعث الحقيقى وراء عبارات « شهيره » . ولكنا نعرف شيئا عن هذا الباعث فى العبارات نفسها ، اذ تقول وهى فى قميص النوم وشعرها مفكوك :

— ما تبصليش كده .. مااقدرش . مااقدرش.

ثم ان عبارات « شهيره » لم تكن مزدوجة بالحوار بين « فريد » و « محاسن » فهى لم تتكلم ابدا طوال هذا الحوار . الأمر الذى يسقط استشهاد الدكتورة تماما .

اذن فازدواجية الحوار فى المسرحية ليس لها حسنة ظاهرة . وعيبها الظاهر انها تزيد الغموض الذى يكتنف بعض العبارات نتيجة لتعلقها بامور لم تنكشف للمتفرج . هذا الغموض عيب كبير فهو يعوق فهم المتفرج الذى يسمع فلا يعى مما يسمع غير القليل . مثال ذلك الحوار الآتى :

أبو العينين : (مخاطبا عم كامل) كان غلط تتنازل عن نصيبك لكن اهو تمن البراءه .

عم كامل : تمن البراءه ؟ انت بقيت معاهم ؟

كريمة : البر التانى جميل . موش كده يافريد .

فالبراءة تظل لغزا فى سمع المتفرج الى ان يعلم قصة انتحار « شهيرة » واتهام « عم كامل » بقتلها . وحينئذ لن يجدى هذا العلم فى تبديد الغموض ، اذ ان المستمع لن يستطيع ان يستعيد ما فات ليربطه بما بعده ، فهذا ممكن فى القراءة اما على المسرح فالكلمة مقيدة بزمن النطق . فاذا استطاع القارىء ان يتثبت من بعض النقاط فلن يستطيع المشاهد أن يتدارك ما فاته . نقول ان هذا العيب خطير وازدواج الحوار يزيد من خطره لأنه يصرف انتباه المتفرج الى شىء آخر ولا يترك له الفرصة لتأمل ما غمض عليه . اذن فمظاهر التجديد أخفقت فى تحقيق نفع لمسرحنا . والأمر الوحيد الذى نجحت فيه هو اضفاء صفة مميزة عليه اسمها « الثرثرة » .

ولا نجد ما نقوله فى ختام هذا المقال خيرا من كلمات للدكتور محمد غنيمى هلال يقول « على من يريد ان يجدد فى وسائل العرض والحدث والشخصيات فى سبيل الفكرة ان تكون لديه عبقرية التجديد ، فلا يصح ان ندعو الى وسائل التجديد فى مسرحنا الحديث تعلة لزلزلة الأسس الفنية التى هى روح المسرح فى صورة من صورها القديمة أو الحديثة لنطلق حرية الكتاب دون نظام وتقعيد وجهد له دعامته النظرية مع المقدرة الفنية فتلك حرية اشبه بالفوضى » .

من لقاء القمة

راية العرب

للشاعر محمود حسن اسماعيل

فى طريق الشمس عودى ، واعيدى
عزة الشرق ، على وجه الوجود ..

وازحفى بالنور ، والنار على حشرجات الذل فى باقى القيود
من قديم الدهر ، حياك الاله وبصوت الوحى نادتك سماه
واصطفى ارضك من بين الثرى فحبتها بالرسالات يداه
بسناها شعت الدنيا هدى وبها ثارت على الذل الجباه

ومضت تسقى الليالى من ضحاها
وتذيب الرق من وجه العبيد !

فى ظلام الدرب ، فى الماضى الطويل كم حضنت العهد جيلا بعد جيل
ومحا خطوك فى اصراره من طريق الفجر ، ليل المستحيل
وضربت السير ، حتى سطعت شمسك الكبرى على كل سبيل

وتلاقى الأهل بالأهل ، على
صيحة الحق لأحلام الجدود !

بصباح الوحدة الكبرى الأبية عدت من حلم الليالى العربيه
فازارى بالنور فى كل ثرى لم تزل فيه من الليل بقيه
وعلى كل تراب ، لم تزل فيه للغرب بقايا الهمجيه

واستمرى حرة الخطو ، الى
أن ترى شمسك عادت من جديد !

كم سقينا بالدم الفادى ثراك ومع الأجيال سقنا شهداك
ويد الله على كل يد تزرع الفرقة ما بين خطاك
طال فيك البين ، حتى آذنت ساعة الجمع .. فدقتها يداك

والتقينا امة واحدة
تعبر الايام من غير حدود

فاذا شارفت أرضا .. زمجرت ظمأ للفجر من قلب الخيام
فارشفيها بشعاع مؤمن يسترد النور من أعتى ظلام
ويذيب العار ، انى خطرت لرؤاه حسرة فوق الرغام ..

وضحى المعراج يمحو زفرة
لم تزل ، ما زال فى القدس يهود !

صلاة

للشاعر السوداني محمد محمد علي

نفر اللهم وجـه العرب — واخترم أعـداءهم بالعطب
واقذف الشـذاذ في هاوية — واصلهم فيها جحيم الغضب
وليبت من سامنا مكروهة — شاحب الوجه رهين الكرب
وانصر اللهم قومي انهم — نورك الساطع .. ربي اجب
واجعل الأيام تمشي خلفهم — مثلما كانت طوال الحقب
جملوا الدنيا وراشوا أهلها — يوم كان الغرب خلف الحجب
واسكب الآلاء في ساحاتهم — واسقها من كل غاد صيب
واردد المسلوب منها عاجلا — واجعل السالب بعض السلب

***

هزني اجماع قومي بعد ما — شتتتهم شـهوة المغتصب
يارعى الله كرامـا نزلوا — ارض مصر كالسيوف القضب
من ملوك أدركوا امتهـم — وهـداة ورءوس نجب
جمعتهم صيحـة من ضيغم — فتلاقوا في ثراهـا الأشهب
انجم ان عسعس الليل بدت — وملاذ عنـد نوب النوب

***

اننا اليوم يد ان بطشت — طاح عرش الفاجر المنتهب
وارانا قد جمعنـا امرنا — فظفـرنا بالمنى والأرب
اسمع المدفع يعوى وارى — في دجى الهيجاء لمع الشهب
بل اراني وسلاحي في يدى — ثائرا ارميهـم باللهب
كيف نومي وبلادي مغنـم — لطريد لم يطع أمر نبي ؟
لا ، ولا تدنو به عاطفـة — من بني الانسان أو من سبب
لم يصم يوما ولا صلى الى — قبـلة غير بريق الذهب
ليته مازال في «التيه» اذا — خر من طود هوى في سبسب
بل اراني راجعـا منتصرا — مل، قيثاري نشيد الطرب
انما الاردن فيض من دمي — والى شطئـانه منتسبي
وفلسطين وما أعظمهـا — هي كالخرطوم مجلى حسبي
ارضنا منذ قديم ارضنـا — فاح من جناتها ريح أبي
ان تسل عني فاني عربي — ولسـاني وجنـاني عـربي
دعوتي كل مسـاء قلق — وصباح من أسـانا شجب
« نفر اللهم وجـه العرب — واخترم أعداءهم بالعطب »

ساعة مع محمود سعيد

بقلم نقولا يوسف

المصور الفنان والصديق الانسان

على ربوة بحى « جناكليس » فى رمل الاسكندرية، وفى طريق صغير هادئ، غير بعيد عن جلبة المدينة العظمى ، مازالت تعتكف صومعة الفنان السكندرى الراحل ـ منطوية على ذكرياتها وذخائرها الفنية ٠

والباب الخارجى العريض المفتوح على مصراعيه ـ تجتازه الى حديقة عجوز تتقدم القصر العتيق ٠٠٠ ودليل كهل يقودك من غرفة الى طرقة ، ومن دهليز الى ردهة ٠٠ والمقاعد الاثرية فى مكانها خالية تطوى ذكريات السنين ، وأحداث العصر ٠٠ واللوحات الكبيرة تحجب الجدران ، والتماثيل الصغيرة تربض فى الاركان ـ صور تجوب بك وادى النيل من البحر الى مشارف السودان ، وتنتقل بك من أسبانيا وايطاليا ويونان ٠٠ وبين فرنسا وقبرص ولبنان ٠٠ وتطالعك وجوه الوالد والزوجة والابنة والاصدقاء ٠٠ وتتزاحم فى القاعات عشرات اللوحات المعروضة ، وتختزن عشرات أخرى ، حجرة فسيحة تحجبها عن الانظار ـ ظلت طويلا تترقب خروجها الى الاضواء !

ها هنا المسكن ، والمرسم ، والمتحف ـ التى عاش وعمل بينها طويلا فناننا الكبير ـ رائد التصوير **محمود سعيد** ٠٠ القصر الذى شاءت أمه الحبيبة الى قلبه أن تموت فيه بين ذكرياتها ، ولم تدعه ليستبدل به شقة تلائم معاشه الشهرى الذى لايملك غيره ٠٠ فلما ماتت عام ١٩٦١ شاء من أجلها أن يموت فيه مثلها ٠٠ وهناك انتقل الى دار البقاء يوم عيد ميلاده فى الثامن من ابريل ١٩٦٤ شيخا فى السابعة والستين ، أثقلته حمولة من تجارب الايام ، ومشاهد الاقطار ، ووفرة الانتاج ، ومشاق الوظائف ، ونوبات الربو ٠٠ ولكنه ظل شامخا وسط الرعيل الاول من فنانينا الكبار: محمود مختار ، ومحمد ناجى ، ومحمد حسن ، وأحمد صبرى ، ويوسف كامل ، وحبيب جورجى ، وراغب عياد ، وسائر الرواد ـ وكان قد سبقه أكثرهم الى عالم الخلود ٠٠

وهناك فى غرفة تزينها لوحات الفنان ، وتطل شرفتها الفسيحة على حديقة أخرى خلفية، كان محمود سعيد جالسا فى صمت يترقب ـ لم تنل السنون كثيرا من وسامته وحيويته ٠٠ وماكنت أحسب انها جلسة الوداع ـ فلما جئنا بعدها الى تلك الحجرة ، كان شخصه قد غاب عنها الى الابد ، وبقيت روحه تسامر جموع المعزين فى المأتم ٠

كان يومذاك يعانى أكثر من علة نغصت عليه سنيه الاخيرة٠٠ولكنه كان صابرا متجلدا ، محتفظا بهدوئه وبشاشته ٠٠ يحدثك فى افاضة وفى حياء عن ماضيه وحاضره ، وعن الفن ومذاهبه ومدارسه٠٠ وكان بعد ذلك يتنقل فى خفة بين القاعات والغرف ، ليشرح ويفسر بعض المعروض والمستور من لوحاته ٠٠ والحق ان سجل حياته كان معرضا كبيرا غنيا بروائع الصور ! ٠

ولك ان شئت أن تعد أوجه الشبه بين نابغة التصوير محمود سعيد ، وبين نابغة القصة محمود تيمور ـ فهما فنانان ساميان ، متقاربان فى السن والحجم والسمات والعادات ٠٠ ترتسم على وجه كليهما النحيف اشراقة الوداعة والبراءة ٠٠ نشأ كل منهما فى بيت ارستقراطى ، وكان ابنا لباشا كبير ولكنه نزل الى الساحات الشعبية وشارك الجماهير حياتها ـ الاول ليصور كفاحها بريشته فى مئات اللوحات الخالدة ، والثانى ليصوره بقلمه فى مئات القصص البارعة ٠٠

ويروى لك **محمود سعيد** انه ولد فى الحى الشعبى بشارع أبى العباس المرسى من صميم الاسكندرية فى ٨ من ابريل ١٨٩٧ ٠٠ وكيف الحقه ابوه ـ كما كان يفعل الخاصة يومذاك ـ بكلية « فكتوريا » فى رمل الاسكندرية (مدرسة النصر الحالية) ـ طفلا فى السابعة ليظل بها فيما بين عامى ١٩٠٤ ـ ١٩٠٨ ٠٠ ثم مدرسة « اليسوعيين » ليمكث بها ستة أشهر ٠٠ وكيف وضح لابيه أن تلك المدارس لم تعن بالمناهج

الوطنية ، وبخاصة الدروس العربية والاسلامية ، فأخرجه منها ليتثقف بالمنزل على معلمين مختارين ، لم يزل يذكر منهم بالفضل : المرحومون : الاستاذ الشيخ الخضرى ، وكان يعلمه التاريخ الاسلامى واللغة ، والمرحوم الاستاذ أحمد أمين يدرس له الترجمة ، وتوفيق أفندى يعلمه مبادىء الرسم ، الى جانب من يعلمه الفرنسية والانجليزية ٠

وتقدم الصبى الى « امتحان الشهادة الابتدائية » عام ١٩١١ ، ثم الى « شهادة الكفاءة » فى العام التالى فنجح فيها بتفوق ٠٠ والتحق بالمدرسة السعيدية بالقاهرة، ثم بالمدرسة العباسية بالاسكندرية ، وحاز « شهادة البكالوريا » قسم الآداب عام ١٩١٥ ـ وكان ترتيبه الثانى بين الناجحين ٠٠ ثم دخل « مدرسة الحقوق الفرنسية » ونال منها عام ١٩١٩ « ليسانس القانون » ٠٠ ونزل الى معترك الحياة يتدرب على المحاماة بمكتب محام بالقاهرة وآخر بالاسكندرية ٠

ومع ذلك فقد ولد فنانا ـ والرسم والتصوير هوايته منذ صباه، وهو ينقل عن الطبيعة حوله أينما سار ٠٠ وهو فيما بين ١٩١٢ ـ ١٩١٤ يتلقى دروسا فى الرسم على الفنانة الايطالية « كازاناتو » التى جاءت الى مصر بعد تخرجها فى أكاديمية فلورنسة ، وشاركت بلوحاتها فى معارض القاهرة والاسكندرية ، ثم عادت فى شيخوختها الى بلدتها قرب « فينيسيا » ٠٠

وكانت دراسته الثانوية فالقانونية هذه مباعد بينه وبين التعلم فى كلية للفنون أو الاندماج فى تلك الحركة الفنية الناشئة التى بدأت بالقاهرة مع انشاء « مدرسة الفنون الجميلة » بدرب الجماميز عام ١٩٠٨ حيث تلقى الكثيرون من الفنانين المصريين خلال عشرين عاما من حياتها اصول النحت والتصوير والمعمار على عدد من الاساتذة الاوربيين وكان محمود مختار وزملاؤه من خريجيها عام ١٩١٢ ـ كما اقام هذا الرعيل أول معرض للفنون بالقاهرة عامذاك ٠

وفى الاسكندرية ـ فيما بين ١٩١٦ ـ ١٩١٨ كان الطالب محمود سعيد يتردد مع عدد من هواة التصوير (وكان منهم شقيقه المهندس حسين سعيد ، وابن عمته الشاعر أحمد راسم ، والفنان سباستى والقاضى هيربروس ٠٠ وغيرهم) ـ على مرسم المصور السكندرى « أورتورو زانييرى » فى احدى عمارات المدينة ٠٠ حتى قضت ظروف بأن يغلق هذا الفنان مرسمه بعد ثلاث سنوات ٠٠ وكان محمود سعيد فى تلك الفترة يحاكى أستاذه « زانييرى » فى أسلوبه ، ومالبث أن استقل عنه مستلهما طبيعته وبلاده ، ثم مؤثرات العالم الفسيح الذى راح بعد ذلك يطوف بأرجائه ومتاحفه وآثاره ـ وهو فى ذلك لم يشذ عن فنانى الدنيا فيخلو من المؤثرات الموروثة والمكتسبة وهو منذ فجر الشباب يرتحل الى الصعيد ، ويتنقل بين الاقصر وأسوان وأبى سمبل والبحر الاحمر ٠٠ تارة وحده وأخرى عضوا فى لجان الآثار ، وهناك يدرس المعابد والتماثيل والنقوش المصرية كما كان يفعل مختار وناجى ٠٠ وهناك خرجت لوحات محمود سعيد : « الاقصر قرب وادى الملوك » و « صخور أسوان » و « جزيرة الفنتين » و « أسوان جزر وتلال » ٠٠ وغيرها ٠٠ وهناك رأى ـ كما يقول ـ ان معبدى «الدير البحرى» و «أبوسمبل» ، وضعا فى مكانهما الطبيعى الجدير بهما ، وانهما لمن قمم الفن فى العالم ٠٠

وها هو محمود سعيد ينمو مثل شجرة باسقة مثمرة ، ولكنها مشدودة الى طين تربتها وجو بيئتها ، وتوع بذرتها ٠٠ وهو انسان ـ عربى مصرى سكندرى ، معاصر ٠٠ تبلورت فى أعماقه العوامل الروحية والمادية ـ تراث العصور الذى نبت منه الفن فى أرض بلاده وتفرع ٠٠

ورأى محمود سعيد ان يستزيد من ثقافته الفنية فى الخارج ٠ فرحل الى باريس عام ١٩٢٠ ٠ وهناك التحق بالمرسم أو المعهد الذى أطلق عليه صاحبه المثال « انطوان بورديل » اسم « ليجراند شوميير » ـ اى الكوخ الكبير ـ وهناك كان يقضى كل مساء خمس ساعات مع زملائه المكبين على رسم « موديل » بعد آخرى ٠٠ وأما فترة الصباح فللطواف بالمتاحف والمعارض والآثار ـ وبخاصة متحف اللوفر ٠٠

وماليث أن ترك ذلك المرسم الى معهد آخر ـ « اكاديمى جوليان » حيث زامل الفنان ب٠ لونس٠ ولم ترق له اساليبه فهجره بعد شهر واحد٠٠ وكان قد أمضى بباريس ستة أشهر بين جدران المتاحف والمراسم ٠٠ وحل يوم عابس بارد مطير ، وقد انفرد فناننا فى غرفته الرطبة الشحيحة الضوء ، فاحس بحنين جارف الى شمس بلاده الضاحية وسمائها الصافية ، والى حقولها وبحرها وناسها ٠٠

واذا به يهب بغتة ليبتاع تذكرة على أول باخرة تعود به الى وطنه ..

وها هو ذا الفنان على شواطىء الاسكندرية ثانية. وقد تفرق الى شريكة حياته ، ورأى قبل أن يصبح رب أسرة أن يجد العمل الذى يكفل له العيش ، ولم يكن الفن موردا للرزق . ولهذا قبل الوظيفة التى هيأتها له دراسته القانونية .. ودخل سلك القضاء . وعين عام ١٩٢٢ مساعدا فى نيابة المحاكم المختلطة بالمنصورة ثم رقى فيما بعد رئيسا للنيابة فى محاكم المنصورة والاسكندريةوالقاهرة . فقاضيا فمستشارا بمحكمة استئناف الاسكندرية المختلطة وهى آخر وظائفه القانونية ..

غير أن الفنان كان يحس وقد تقسم بين مسئوليات الوظيفة ، ومسئوليات الأسرة ، انه يتوغل يوما بعد يوم فى رمال لينة تحت قدميه ، وهو لايستطيع منها فكاكا .. وأنه اليوم طائر فى قفص ضيق مذهب يحبس عنه انطلاقة الفن والتفرغ له .. ولهذا كان ينتهز اجازات العطلة القضائية ليطوف خارج البلاد بين المتاحف والقرى والجزر .. فزار على مر السنين: ايطاليا واسبانيا ، والنمسا والمانيا ، وهولنده وبلجيكا ، وسويسره ويونان وقبرص .. وفى ايطاليا بخاصة كانت تستهويه أعمال الفنانين العظام الأول ، وفن روبنز ولوحات رمبراندت ، كما كان يقترب من فان أيك ، ومملنج ، وفان دير .

وفى خلال السنوات من ١٩٢١ ـ ١٩٣٦ عمد الى تصوير الاشخاص وبعض المناظر الطبيعية ، والموضوعات الميثولوجية . ولم تزل فى نفسه بعض الانطباعات من بلليني والايطاليين الأول حتى استقل باسلوبه الخاص وشخصيته الفنية فى السنوات العشر التى تلتها . وفى ذلك الطريق الذى اختطه لنفسه سار قدما نحو الأربعين عاما ..

وكان محمود سعيد قد عاد الى المنصورة عام ١٩٢٧ ، قاضيا فى محكمتها المختلطة . فكان ينطلق فى العطلات الى أطراف هذه المدينة وجارتها طلخا ليصور اللوحات التى منها : «حمام الخيل بالمنصورة» و « الجزيرة السعيدة » و « ذات الرداء الأزرق » و « المؤذن فى المنصورة » .. وغيرها ..

والقطار فيما بين المنصورة والاسكندرية يحمل فناننا وسط الريف ـ حقوله وقراه ، وبين فلاحيه وفلاحاته .. فاذا كان بالاسكندرية فهناك البحر والصيادون والقوارب وبنات بحرى .. وتصبح حياة الشعب شغله الشاغل ، وابن الشعب وكفاحه محور أعماله ..

ويتضاعف انتاجه الفنى منذ عام ١٩٢١ ورأى الناس مما أبدعته ريشته فى شتى المعارض فيما بين ١٩٢١ ـ ١٩٥٠ نحو مائة وأربعين لوحة ممتازة

وبدأت معارض الفنون تثير اهتمام الكتاب والصحافة منذ عام ١٩١٩ ، واستطاع عشرات الألوف من الناس بمصر والخارج أن يروا لوحات محمود سعيد وزملائه الفنانين فى المعارض ومتاحف الفنون ..

وفى عام ١٩٢٧ ـ أقيم بالقاهرة معرض «جماعة الخيال» ـ التى أسسها محمود مختار وعدد من الفنانين العرب والأجانب . وكانت النزعة القومية فى الفن والأدب تساير الحركة الوطنية الداعية الى الاستقلال واستلهام الفنون المصرية القديمة والشعبية . وفى ذلك المعرض كان لمحمود سعيد لوحات دعت احداها الى تعليق المرحوم دكتور محمد حسين هيكل وقال انها أثارت عنده ذكرى قديمة عزيزة على المصريين جميعا هى صور الزير سالم وأبى زيد الهلالى وأساطيرهما متصلة فى النفس المصرية بتاريخ مصر القديم ، الى حد كبير .

وشملت لوحات محمود سعيد بعد ذلك عددا وافرا من أساطيرنا وتراثنا وتقاليدنا وكفاح شعبنا فى شتى العصور ، الى جانب التراث العالمى الذى تتقاسمه الانسانية جمعاء ـ هناك فى أكثر من خمسمائة لوحة .

وهناك فى الاسكندرية حيث ولد ونشأ **محمود سعيد ، ومحمد ناجى ، والاخوان أدهم وسيف وانلى، وعزت ابراهيم** وزملاؤهم من العرب والاجانب ، وحيث قام مرسم « زانييرى » فترة ، و « جماعة الاتيلييه » زمنا ـ بدأت بذور الوعى الفنى تنمو وتترعرع ، وتنتشر فروعها فى المدينة .. وفى ذلك العام ١٩٢٧ رأى الفنان السكندرى حسن كامل أن يفتتح مدرسة أهلية للفنون يتعلم فيها شباب الاسكندرية التصوير والنحت والمعمار . وبدأ المشروع باقامة معرض سكندرى عام ١٩٢٨ بقاعة « نادى موظفى الحكومة » ، ثم افتتحت المدرسة فى يوليو ١٩٢٩ ودعى الى معاونتها نفر من مشاهير الفن وعلى رأسهم محمود سعيد الذى تطوع الى الارشاد والتوجيه .

وفى المعــرض الذى أقيم فى مايو ١٩٣١ بقصر الكونت زغيب ، وأسهم فى معروضاته عدد من كبار فنانى الثغر وناشئته ، عرض محمود سعيد لوحته المشـهورة « دكتور حمادة » ، كما عرض مختـار تمثاله : « الفلاحة والجرة » .

ولما دعا الفنــان المرحوم محمد ناجى عام ١٩٣٢ لانشاء نادى « الاتيليه » ومعرضه بالاســكندرية ، واختير رئيسا له ، كان محمود سعيد فى مقـدمة معضديه وأعضائه العاملين ..

وكان الفنـــان الشاب محمود سعيد ــ يومذاك يتنقل خلال تطوره الفنى بين مؤثرات المدارس الفنية .. فبينما كان قبل ١٩٢١ تستوقفه النزعة التأثيرية فيسير على نهجها ، اذا به يهجرها ويتجه فيما بين ١٩٢١ ــ ١٩٢٦ الى تصـوير الاشخاص فى مواقف ثابتة ، والى مناظر الطبيعة الصامتة ، والى الموضوعات الميثولوجية ــ وفى تلك الفترة خرجت لوحاته التى صـور فيها والده ، وزوجته ، وشقيقه ، وهاجر ، والاسطى فرج ، ومحمد الصـغير .. ومن المناظر : « بروج بحيرة الحب » و « المسجد الابيض بـكوم الدكة » و « حاملة البلاص » .

وفيمـــا بين ١٩٢٧ ــ ١٩٣٧ تتـوالى شوامخه التشكيلية: الجزيرة السعيدة ، وذات الرداء الازرق ، والدراويش ، وليلة الدفن ، وذات الرداء الوردى ، وحاملة القلل ، وبائع العرقســوس ، والامـومة ، والدعوة الى السفر ، وعارية ، والسابحات ، وفاطمة، وذات الجدائل الذهبية ، والشواديف ، والصلاة ، وشراع على النيل ، وكوبرى الدلنجات ، وزوبعة على الكورنيش ، وبنات بحرى ، وحلقة الذكر ، ونادية ... وغيرها .

وخرج محمود سعيد الى المجال العالمى منـذ عام ١٩٣٧ فاقيم له فى تلك السنة معرضان فى نيويورك، واشترك فى العام نفسه فى « المعرض الدولى للفنون والزخارف بباريس » ونال منه « ميدالية الشرف » .. كما اشترك عام ١٩٣٨ فى « بينالى فينيسيا » بلوحته السكندرية المشهورة : « بنات بحرى » .

وفى مارس ١٩٤٢ اقامت له « جماعة الاتيلييه بالاسكندرية أول معرض لاعماله الشاملة كما أقامت له « جماعة الصداقة الفرنسية » عام ١٩٤٥ معرضا للوحاته .

وكانت تلك الفترة فيمـــا بين ١٩٣٧ ــ ١٩٤٧ مرحلة أخرى انتقل فيها الفنان من الرمز الى التعبير المباشر ، واستقر اتجاهه فى الاسلوب والموضوع ، وظل يســود فنه تصوير الطبيعة والاشخاص .. وخـرجت لوحاته : الزار ، ذات الحلق اللؤلؤى ، الصيادون فى رشيد ، شيخ يصلى ، صيادون فى السلسلة ، الاهرام والقاهرة ، مرسى مطروح ، خليج السلوم ، قناة السويس ، ذات العيون العسلية .

واخيرا لم يستطع الفنان أن يزاوج بين الفن الذى ولد معــه وخلق له ، وبين الوظيفة التى تعينه على الرزق والعيش ، فاستقال من الخـدمة فى ابريل ١٩٤٧ قبل اغلاق المحاكم المختلطة بسنتين . وكان قد وصل بهـــا كما سلف الى منصب المستشار ، واشتهر بالعدل والنزاهة والاستقامة .. كما كان قد بلغ الخمسين من العمر أمضى نصفها فى الوظائف القضائية .. وهنا تفرغ للفن وحده ، واستطاع منذ ذلك العام أن يخرج نحو مائة لوحــة جديدة ، وأن يعيش لخدمة الفن وهيئاته ولجانه ومتاحفه ..

وفى ١٩٤٩ اشترك محمود سعيد فى « معــرض مصر ــ فرنسا » بمتحف اللوفر بباريس ومعه بعض الفنانين المصريين .

كما اشــترك فى « بينالى فينيسيا » فى الاعوام ١٩٣٨ و ١٩٥٠ و ١٩٥٢ و ١٩٥٤ .

وفى ١٩٥١ عرض لمحمود سعيد «بسراى الجزيرة» انتاج ثلاثين عاما من حياته الفنية يتمثل فى نحـو مائة وخمسين لوحة مختارة .

وفى ٢٦ يوليو ١٩٦٠ منح جائزة الدولة التقديرية للفنــون ــ **تسلمها من يد السيد الرئيس جمـال عبد الناصر** ــ وأقامت بلدية الاسكندرية معرضا لمائة وعشرين لوحة اختيرت من بين ستمائة لوحة ، تمثل مراحل فنه من ١٩٢١ الى ١٩٦٠ .

والرجل الى جانب اشتغاله بالفن وتحدثه عنه ، اديب مطلع ، يقرأ الادب وبخاصة القصة ، ويقرأ فى علم النفس ، ويحدثك عن ديستوفسكى ، وبروست، وبوديلير ، وتوفيق الحكيم ، ومحمود تيمور ، وقد يعرج الى الموســـيقى فيحدثك عن بيتهوفن وفجنر وترافنسكى .. لقد تحدث معى مرة ثلاث ساعات عن الفن والادب، ولما استأذنته فى الانصراف ليستريح قال : انه لا يجد راحته فى غير الفن والحديث عن الفن

نشيد عربي

للشاعر علي محمد حمد

اقسمت بامجـــاد العرب — وبسيف الدولة ٠٠ في حلب
وبقبر « صلاح الدين » ابى — وبكل تراثي المـــكنون

***

اقسمت بشامي ٠٠ وعراقي — وبشعب النيـــل الخلاق
وبديني السمح ٠ ٠ واخلاقي — لن انسى ثار فلســـطيني

***

لن انسى ارضي ٠ ٠ وترابي — ومقـــابر اهلي وصـــحابي
لن انسى احلام شـــبابي — ومدارج لهوي ٠ ٠ وفتوني

***

العـــار ٠ ٠ يؤرقني العـــار — وتمور باعمـــاقي النـــار
وغدا ٠ ٠ سيدوي الاعصـــار — بهـــدير الثـــار المجنـــون

***

او بعـــد الســـطو على داري — يبتز الغاصب انهـــاري ؟
اتنـــام عيون الأحـــرار — ـ يارب ـ على هذا الهون ؟

***

بيميني احتضن المـــدفع — وشـــمالي تحصد او تزرع
والســـلم الأبيض ٠٠ لاينفع — ليهودي ٠ ٠ ولســـكسوني

***

من فوق قلاعي ٠٠ وحصوني — لوحت بغصـــن الزيتـــون
فذئاب « يهوذا » ٠٠ الملعون — تتخطف ارضي ٠٠ وعيـــوني

***

دمـــدم يا نهر الاردن — وتصايح بعـــويل الجن
لن يســـلبك البـــاغي مني — فمكانك ٠ ٠ قلبي وجفوني

***

دق النـــاقوس الى النجده — فتداعى الركب على الوحده
وظمئت ٠٠ ظمئت الى العوده — في يوم الزحف الميمـــون

***

قســـما بمجـــادة آبائي — قسما ٠٠ بقداسة صحرائي
لن يسقي نفطي ٠٠ او مائي — حقل اللبـــلاب الصهيوني

مهزلة المهازل وتفوذ الأضرحة

• بقلم محمد عبد الله السمان •

هذا الخبر نشر في جريدة اخبار اليوم بتاريخ ١٩٦٤/٩/٥ :

« كل يوم خميس تلتقى بهذا المنظر الغريب في شارع شريف بالاسكندرية .. مجموعة من السيدات لايقل عددهن عن خمس وعشرين واحدة ، يتوجهن على اقدامهن في موكب حزين الى ضريح سيدى الطورني . كل سيدة تحمل معها (صرة) مليئة بالبخور . الخبر ان جميع هؤلاء السيدات مطلقات ، ويحضرن من كل بلد في الجمهورية للتبرك بالشيخ الطورني ، حتى يعود ازواجهن اليهن »

***

هذا خبر سريع نشر دون تعليق ، لانه ليس في حاجة الى تعليق ، وان كان في أشد الحاجة الى خطوة ايجابية جريئة تضع حدا لمثل هذه المهازل المخجلة التي قدر لها ان تظل تغزو عقولنا تفوح منها رائحة الدين ، والدين - بالطبع - برىء منها كل البراءة .

ومهزلة السيد المبجل الشيخ الطورني المقيم باحد الاحياء الراقية بالاسكندرية ، ليست نسيج وحدها ، ففي حى الانفوشي يتجلى نشاط اضرحة عدد آخر من الاولياء . فضريح الشيخ ياقوت العرش ، يعيد الى الزوجة زوجها بخمسة قروش ، وضريح الشيخ ابو وردة يشفى الطفل من الشلل بقرش واحد ، وضريح الشيخ الجمراني مكتب عمل للمتعطلين لقاء فتة عدس من كل متعطل ، وضريح الشيخ الطرودى يطرد اى ساكن غير مرغوب فيه ؛ واضرحة المشايخ : يكن الدين ونصر الدين والسيد كاظما ، يستطيع اى منها شفاء المريض باى مرض بشرط ان يذبح فرخة سوداء بها نقاط بيضاء على عتبة الضريح .

***

والقاهرة بالطبع ليست فقيرة في هذه المهازل ، فضريح الشيخ ريحان المشهور بعابدين يعالج الاطفال من الاسهال ، ولا تجهل سيدة واحدة في القاهرة الشيخ المغاوري حيث يتدحرج عنده كثير من النساء رغبة في الحمل ، وبئر الشيخ الخضيري القريب من مسجد ابن طولون تتزاحم النساء عليها للشراء من مائها والاغتسال به للشفاء من كل مرض ، واذا ذهبت الى مسجد عمرو وقع بصرك على تجويف في احد الجدران قد سد بالاسلاك ، والسر في هذا التجويف ان الناس منذ اعوام كانوا يعتقدون بان لحس تلك البقعة المعينة من الجدار او حك الجسد بها يشفى من اى مرض .

***

اما السيد البدوى فشهرة ضريحه عمت الآفاق ، حيث يحج اليه المئات في كل ساعة من كل مكان ، وداخل الضريح تلقى عشرات الملتمسات والشكاوى في كل دقيقة ، تلقيها جماهير السذج واثقة من ان السيد البدوى سيرفعها من جهته الى الله عز وجل للبت فيها .

والمقام لايتسع هنا للحديث عن الاف الاضرحة الموزعة في سائر انحاء البلاد ، ولكل منها قصة نفوذ يقف العقل حيالها جامدا ، ولكن السؤال الذى يطرا على الذهن دائما في مثل هذه المأساة :

الى متى يظل للاضرحة نفوذها في حياة الكثرة الساحقة من الشعب ، الذى لم يزل يمثلها الأميون وانصاف المثقفين ، ولا اقول بعض المثقفين الثقافة الجامعية ، وهذا مما يدعو الى الاسف بالطبع ؟ انى اعرف مدرسا بالمدارس الثانوية تخرج في كليتى دار العلوم واللغة العربية ، منذ بضع سنوات يفد الى القاهرة كل عام طامعا في السفر الى الاقطار الشقيقة في بعثات وزارة التربية ، وقبيل الامتحان يقضى اسبوعا متنقلا بين ضريحى السيدة زينب والحسين بالقاهرة ، وضريح السيد البدوى بطنطا ، وضريح ابراهيم الدسوقي بدسوق ، وسالته في المرة الاخيرة

عن سر اهتمامه بزيارة الاضرحة قبيل الامتحان على الرغم من فشله المتواصل ، فكان رده غاية فى العجب قال : يظهر أن السادة (يقصد الاولياء المذكورين) ليسوا راضين عن سفرى خارج البلاد ، وانا لا املك الا الاذعان والتسليم ، فرضاهم من رضا الله ، وسخطهم من سخطه .

***

ان المرتزقة والمنتفعين من هذه الاضرحة ، نسجوا حولها كثيرا من الاساطير واتقنوا تثبيتها فى اذهان العامة ، ليجتذبوا السذج والبسطاء ، ولينتزعوا من جيوبهم القروش التى أخنى عليها الدهر ، ومن هذه الاساطير مالا يقبله عقل عاقل ، ولكن الجهلة يجيدون احيانا التخريج والتاويل ، لم ازل اذكر ما نشرته الاخبار منذ ثلاث سنوات ، من أن هناك شيخا جديدا فى طنطا ينافس السيد البدوى يدعى الشيخ رمضان ، تؤمن طنطا بأسرها بكراماته وبركاته، توفى منذ ثمانية أعوام ، لقد تنازل عن ميراثه وتجرد من امواله ، وذات يوم خرج عن جميع ملابسه وجرى عاريا تماما وهو يصيح : لا اله الا الله .. واعتقد الناس أن الشيخ رمضان قد وصل ، وفكر اهالى طنطا وما جاورها فى تكريم ولى الله ، فجمعوا ستة عشر الفا من الجنيهات لاقامة ضريح له ، بينما تبرع الاغنياء بخمسة آلاف جنيه لبناء جامع **بقى أن تعرف أن الشيخ رمضان لم يكن يصلى ، ولم يكن يصوم ، ومع هذا وصل واصبح قطبا كبيرا ينافس قطب الاقطاب السيد البدوى .. »**

***

هذا ملخص مانشرته الاخبار ، ولعله دليل واضح من ان الاضرحة فى حياتنا تلعب دورا خطيرا ، لا من حيث العقيدة التى تفسدها حين يلجا العامة اليها ، ولكن من حيث الكيان الاجتماعى لشعب يسير بخطا واسعة نحو آفاق النهضة ، يراد له فى نفس الوقت ان تتحكم فى عواطفه وآلامه وآماله اضرحة تعود بنا الى عهود الوثنية الاولى .

والمسئولية متشعبة الجوانب ، ولا يمكن أن تلقى على عاتق أئمة المساجد وحدهم ، لانهم منذ عشرات السنين وهم يعظون ويخطبون فى مساجد ذات اضرحة ، ولكن عواطف العامة ونفوذ المتنفعين اقوى من وعظهم وخطبهم ، وهم يرون أن وزارة الاوقاف تضم الى ميزانيتها ما يتسلل الى صناديق النذور .

***

ان التوعية الدينية اساس فى هذا الاصلاح الذى لابد منه ، هذه التوعية يجب ان تؤدى كل اجهزة الاعلام والارشاد دورا خطيرا فيها ، الى جانب الازهر ووعاظه ، واعتقد لو ان حملة توعية جادة اشترك فيها التليفزيون والاذاعة والصحافة ، لا استطاعت هذه الحملة أن تؤتى ثمارها فى اسابيع ..

ان عمر بن الخطاب حين بلغه أن بعض المسلمين يتبركون بالشجرة التى بويع تحتها الرسول ، اقتلعها من جذورها منعا للفتنة ان تتسرب الى العقيدة فتفسدها ، وليس من المعقول أن ننتظر عمرا آخر يحمل فاسه ليهدم معالم هذه الوثنية ، ويحمل درته ليذود عنها السذج من المتدينين .

***

ان نائب رئيس الوزراء لشئون الاوقاف والازهر **السيد الشرباصى** من المثقفين المستنيرين ، ومدير المساجد ومراقب الدعوة عالم جرىء هو الشيخ **محمد الغزالى ، فهل** نطمع فى خطوة ايجابية تضع حدا لفوضى الاضرحة التى لم يزل لها نفوذ فى حياة الكثرة الساحقة من الشعب فى القرن العشرين .

وقفة عند شعر الشواف

بقلم عبد الخالق عبد الرحمن

كتب الدكتور **بدوى طبانة** فى العدد (٥٣) من مجلة الرسالة الزاهرة كلمة عن الشعر العراقى المعاصر وتطرق الى شعر الشاعر **خالد الشواف** واود ان اعقب على كلمة الدكتور الفاضل بما يلى :

قال الدكتور طبانة عن الشواف « .. وخلق رفيع قبس فيه كثيرا من فضائل ابيه العالم الكبير الاستاذ عبد العزيز الشواف » والحقيقة والواقع يثبتان كما هو معلوم لدى العراقيين كافة ان السيد عبد العزيز الشواف لم يكن من العلماء ..

لقد بالغ الاستاذ طبانة فى مدح شعر الشواف وقد ابى عليه ادبه الرفيع ، وخلقه الدمث، ومروءته السامية الا ان يغض الطرف عن الهفوات والاخطاء التى المت باكثر قصائده ، والشعر هو التعبير المناسب لاستنفاد الطاقة الشعورية الزائدة على ما يستطيع التعبير النثرى ان يستنفده ، واذا كان هناك مبرر لاستخدام الشعر فيما مضى فى غير مواضعه بسبب قصور النثر الفنى عن التعبير فى ايام طفولته فان هذا المبرر قد زال وآن للشعر ان يرتد غناء بحتا يعبر عن لحظات الانفعال الاقوى ليؤدى وظيفته كما يقول الاستاذ سيد قطب .

والزهاوى يقول :

اذا الشعر لم يهززك عند سماعه
فليس جديرا ان يقال له شعر

واذا انعمنا النظر فى شعر خالد الشواف نراه يخالف فى نظمه وروحه معنى الشعر على هذا القياس ، فالشواف لم يكن يحسن انتقاء الالفاظ فمن قصيدة له بمناسبة المولد النبوى يقول :

اكان لولاك ان ماجت مسارحنا
من (البرنس) الى (بكين) بالعذب

لم يكن الشاعر الشواف موفقا بانتقاء لفظة (مسارح) فى هذا البيت ، فالتى تموج هى الجيوش ولم تكن تلك الفتوحات الاسلامية التى عمت مشارق الارض ومغاربها (تمثيلية) تموج بها المسارح ، ثم كلمة (بالعذب) حشو فماذا يريد الشاعر (من البرنس الى بكين بالعذب) ولو قال بالغلب لكان اصح ، ونرى البون الشاسع بين انتقاء كلمة (مسارح) فى بيت للرصافى حيث يقول :

خرجت بعيد الفطر صبحا فبان لى
مسارح للاشداد فيهن مرتع

وقال الشواف :

والف الف شريد لاسماء له
حتى يفىء بظل التين والعنب

ولست ادرى كيف لا سماء لهؤلاء المشردين ، اذ السماء موجودة مادامت الارض موجودة ولو قال: (والف الف شريد لامكان له) لكان المعنى اصح

واقوم ، وقوله حتى يفيء بظل التين والعنب ، والتفيؤ يكون بظل الكرم لا العنب ، وهذا ابومحجن الثقفى يقول : (اذا مت فادفنى الى جذع كرمة ولم يقل (عنبة) ولكن قاتل الله القافية .

وقال :

لكنها ليلة الذكرى .. ومنبرها

مجلى قريض فى وخد وفى خبب

فالوخد يقال لسير الابل ، والخبب يقال لسير الخيل ، ولذلك لاتستقيم كلمة وخد مع خبب فى عجز هذا البيت .

وفى قصيدته التى استشهد بها الدكتور طبانة:

بشرى فى تربك الغالى الجدودا

زمجر الغاب لبناء واسودا

فالغاب لا يزمجر ، أما اذا كان المقصود زمجرة الاسود واللبؤات فالصحيح الزئير .

ويقول ايضا :

فتلظت حمما وانفجرت

صاعقات ، لا بروقا ورعودا

والصاعقات لايمكن أن تكون بدون بروق ورعود فقد جاء فى مختار الصحاح للجوهرى :

(الصاعقة نار تسقط من السماء فى رعد شديد، ويقال صعقتهم السماء) وجاء فى (المنجد) (صعق صعقا ، الرعد اشتد صوته ، صواعق نار تسقط من السماء فى رعد شديد)، ويقول :

ظمئت حينا فلما سقيت

اكؤس الذل ابت ان تستزيدا

والابى الضيم لايمكن أن يشرب كأس الذل ، فقوله ابت ان تستزيدا معنى ذلك انها شربت كأس الذل ، والشاعر العربى قال قديما :

لاتسقنى ماء الحياة بذلة

بل فاسقنى بالعز كأس الحنظل

ويقول :

ايه ياغرب لقد علمتنا

كيف نلقى الشر ان شر اريدا

وتكرار الشر اكثر من مرة حشو زائد . ويقول :

نحن حتى أمس كنا نوما

ثم كشرت فنهنهت الرقودا

والحقيقة والواقع يثبتان خلاف ماذهب اليه الشاعر فى خياله ، فلم يكن العرب نائمين بل ان جذوة فلسطين كانت مشتعلة منذ وعد بلفور ، ام أن الشهداء الابرار الذين أريقت دماءهم على مذبح الحرية يعتبرون فى عداد النائمين ؟ .

الظماء البيض ان رويتها

خير من ينجز للحر الوعودا

السيوف والاغماد قد ولى زمانها ، ونحن نعيش فى عصر المدفع والذرة والصواريخ ولكن يابى الشاعر الشواف الا أن يترسم خطى الاقدمين فهو شاعر مقلد ومثل هذا الشعر لايكتب له الخلود . ويقول: واليوم أيديهم تشق لنا لحدا ودمع عيونهم مزن والمزن : السحاب الابيض ، وجاء فى القرآن الكريم (أانتم انزلتموه من المزن أم نحن المنزلون) .

هذا قليل من كثير ، وغيض من فيض مما يؤخذ على شعر الشاعر خالد الشواف ولاشك أن قراء الرسالة وجلهم من اكابر الاساتذة وفطاحل الشعراء هم اعلم منى ببواطن الشعر وقولهم هو فصل الخطاب (وفوق كل ذى علم عليم) .

رفقاً بالتراث

بقلم محمد محمود شمس

كل المثقفين العرب يؤمنون بما تفرض الحياة الحديثة من مسايرة التطور فى مجالاتها المتعددة ، واولئك الذين يتخلفون عن هذا الايمان قلة ، ان وجدت ، لايعتد بها أو بآرائها ، ذلك أنها منقرضة حتما . ولكن الاختلاف المتزن والذى يساير منهج الحياة والاحياء ، يدور دائما حول كيفية هذا التطور ومداه ، فليس هناك من يقول ان الشعر العربى ينبغى أن يقف جامدا دون تطوير أو تجديد ، و « التقليديون » لم يبيحوا لأنفسهم هذا القول ، وانما هم يدعون الى التطوير أو التجديد ، الذى يستمد مقوماته من روح التراث الأصيل من جهة ، ومن التفاعل المثمر مع الآداب العالمية من جهة أخرى، ويحاولون ذلك فى ابداعهم ما استطاعت طاقاتهم العربية التى تقبل التفاعل ، وترفض الوقوف على أرض خراب ... وغريبة !

ونقل ثقافة معينة وتطوير اليوتى خالص ، لا يعتبر تطويرا عربيا وان اعتبر انطلاقا من كل قيد عربى ، وارتماء فى احضان غير عربية ، ولكن معظم مبدعوا ودعاة الشكل الجديد أو بتعبير أدق قادة المبدعين والدعاة ، .. هؤلاء يرتبطون كذلك بتيار انعزالى معين لايحسب من التراث العربى الأصيل ، هو ذلك الذى سبق الحضارة العربية الاسلامية ، أو ذلك الذى عاصرها فرفضها ، وفض يديه من قيمها مؤثرا حضارات أخرى ، وهو لانعزاله عن التراث الأصيل يرتبط بالتيار الوافد ـ الا ليوتى ـ ويثمر الشكل الجديد ، الذى يختلف الآن دعاته حول ثمراته اختلافا بينا ، فبينما نقرأ لأحدهم « وما على الشاعر فلان الا أن يتم بناء هيكله على هذا الغرار لتضع فى يده لواء الشعر العربى ـ على نحو تقليدى ! ـ وتنصبه عميد شعراء العربية المحدثين فى كل الأمصار . » نقرأ لكبير آخر يقول : « ان هذا الشعر لا يزال فى مرحلة التجربة والخطأ .» وثالث يقرر ان الشاعر العربى لم يوجد بعد ، فالمشكلة عنده ما زالت مشكلة وجود الشاعر ! وثلاثتهم من قادة الدعوة الى الشكل الجديد .. المنطلق !

ولكن هذا الشعر المنطلق يرتبط بدعاوى أخرى غريبة حقا :

فالشكل القديم ميئوس منه يأسا تاما، ولا يحمل أملا للمستقبل ، أو هو قد تعفن وهو لايستطيع القيام بوظيفته ازاء تجارب الحياة المعاصرة للانسان العربى ، هذا رأيهم ، بل ان منهم من أخذ منذ سنوات على الشعر الحديث « أنه مازال عربيا صرفا، **وتلك سمة من سمات الشعر العربى المأثور** ، فما لم ينتج الشعراء المحدثون « شعر الأمة » وما لم يقرأ العرب الشعر العراقى الحديث لشعراء العراق ، واللبنانى الحديث لشعراء لبنان ، والمصرى الحديث لشعراء مصر والافريقى الحديث لشعراء السودان والكونغو وكينيا ، ما لم تصل الى ذلك فاننا سنقف طويلا فى مدار الخوف ومضمار التردد » ، .. ثم يقول : « ان الرواد العظام من شباب هذا الجيل قد شقوا الصخرة العاتية فى مقدمة الطريق ، هذه الصخرة التى تحجرت ذراتها من آلاف السنين وآلاف المعتقدات صخرة « الأدب العربى » » !

ومع ارتباط شعراء كل اقليم باقليمهم ينبغى أن ترتبط لغة شكلهم الجديد هذا بلغة الحديث الحية ، « فان النبع الأصيل الذى يستقى منه كل شعر هو روح الشعب المثلة فى كلامه اليومى الحى . » وعلى هذا وضع سعيد عقل « جلنار » بعامية لبنان ، وادعى ان هذه العامية وسيلة التعبير المثلى !

والدعوة الى العامية دعوة قديمة نادى بها لطفى السيد فى مصر ، مع دعوته مصر للمصريين سنة ١٨٩٩م وقد تخلى عنها بعد ذلك . ودعا لها كذلك المستشرق الانجليزى ويلمور الذى أصدر كتابا عن اللهجة المحلية المصرية ، ووضع لها القواعد ،

اكتفاء بها وبدلا من العربية الفصحى ، وترجـم المستشرق وليم ولكوكس الانجيل الى اللهجة العامية المصرية أيضا ، مع الدعوة لهـا ، وكذلك نرى أن الدعوة الى العامية تواكب الدعوة الى الاقليمية .. وتستهدف تدمير اللغة العربية والحياة العربية !

يقول د . **احمد كمال زكي** عن سعيد عقل هذا أنه « وقد درس الآثار المتخلفة عن الفنون الفينيقية ـ دون الاقتصار على آثار الساحل الشامي ـ يرى أن العرب لم يعرفوا شيئا ، حتى الشـعر الذى اجادوه كان عندهم فنا ساذجا سطحيا ، لايعكس شيئا مما تعكسه القصائد الهوميرية ، وعلى الرغم من انهم شهروا بالعشق ، فانهم لم يبينوا فيـه شيئا ، ولم يبين من لم يحب » ، حتى يقول ... « فارق سعيد عقل العرب وارتبط تلقائيا بالفينيقية مع انه يعلم أن هذه كعنصر سـامي تمت للعـرب بآصرة نسب قوية وأن حضارتها كانت في الواقع ـ على ما لاحظ كونتنو ـ مزيجا من حضارات وجدت في العراق ومصر وقبرص . **وازاء مثل هذا الواقع التاريخي يصبح تقبل ما هو غير عربي ورفض ماهو عربي عملية واعية مقصودة .** »

وسير بهذا التيار شعر عدد آخر من شـعراء الشكل المنطلق ، ويتجاوز تدمير اللغة العربيـة وتراثها والقومية العربية ودعاتها الى « الله » فهو الآخر عندهم مرفوض ، « والقرآن الكريم ، خلاصة تركيبية لمختلف الثقافات التى نشأت قبـله » وهى دعوة قديمة رددها كذلك كثير من المستشرقين ، . ولكن « التراث المسيحى » اب لهذا الشكل الجديد، وهي ظاهرة جديدة احتضنها المنطلقون ... حتى من لايرقى الشك الى نواياهم . ! ويرى الاستاذ « عبده بدوى » في هذا الصـدد . « أن الالحاح على دين من الأديان بهذه الصورة في هذا العصر يحمل على الريبة والشك ، وأن هموم العربي المعاصر لم تعد ميتافيزيقية الى حد القول بأن افراز هذا اللون من الشـعر يعتبر أمرا ضروريا وأن التراث يجب الا يقسم الى اسلامي وغير اسلامي لأن هنـاك فقط تراثا عربيا يخصب التجارب المعاصرة وأن الشاعر يجب عليه الا يعمل للفـرقة والمنـاورات وللانغلاق الديني ، لأن الصوت الصادق في هذه الفترة هـو الغناء للانسان ومباركته وهو يشكل نفسـه في المنطقة العربية . »

وليس غريبا أن تتفق تماما حركة هـؤلاء مع قول ليفي اشكول « **اننا لن نسمح بوجود لغـة واحدة ، وشـعب واحد ، ودين واحد في الشرق الأوسط .** » فقد اتضح أن دعاواهـم ذات أواصر تاريخية بالمستشرقين الذين كانوا يعملون بوسائل ثقافية على تفتيت العالم العربي ، لغة ، وشـعبا ، ومعتقدات ، ولكن الغريب العجيب حقا أنها حـين تصدر عن ايديولوجية مقصودة ، والتزام معـين ، وتخطيط ابداعي ونقدي ، ويتصدى أحد لتفنيدها في ضوء المستقبل العربي ، وواقع الانسان العربي، وظروفه السياسية والاجتماعية فما ايسر أن يتهم يبعده عن النقـد واصوله ، وما أيسر أن يقـال انه لايدري عن الفن شيئا ، ويقيسه بمقاييس خارجة عن طبيعته .وتسمع صيحات البكاء على الفن المضيع وجمالياته المهيضة الجنـاح .. وحرمات النقد المستباحة .. !

ولست ممن ينكر على الشاعر حريته .. وقـد لاتتخذ « ايديولوجية » هذا الشعر اساسا لانـكار القصيدة الحرة على الاطلاق ، ولكن ينبغى أن يتضح تماما صلة هذه الايديولوجية بواقعنـا الفعلي ، ومستقبلنا ، وأعداء تقدمنا وتراثنا ، وخاصـة اذا ما رأينا احد دعاة الشكل الجديد هذا يربط بينـه وبين الانتفاضة العربية الكبرى فيقول «ان انتفاضتنا العربية الجديدة ، وشعرنا الجديد جزء منها لايتجزأ، لا تسعى الى مجرد الاحتفـاظ بالمقـومات العربية القديمة ، بل تسعى الى تطـويرها الى ما هو **اغنى وانضج** ، وأشرق وأطهـر . انها تسـعى الى تطوير الانسان العربى نفسه » . وكأن هذا الشعر قـد اتضحت معالمه العربية تماما وكأنه يسـير في خط التطور السليم . ! وكأنه يغنى للانسان العربى. ويربط بتراثه ! فهو جـزء لا يتجـزأ من انتفاضتنا العربية الجديدة . ! التى أصبحت واضحة المعالم ، جلية الخطوط..والسمات. فىالوقت الذى يعملفيه دعاة له آخرون على تخريب كل مقومات قوميتنـا العربية التى قامت وينبغى أن تقوم عليهـا كل انتفاضة لكل عربى على أرضنا العربية المصابة في بعض أبنائها ! .. في معظم الازمان .. !

دور الشعر في التمهيد للاشتراكية

أين كان الشعر من قضايا الأمة ؟

بقلم اسماعيل الصيفي

لم يكن لأحد شعرائنا المحدثين قبل الثورة «التزام» **بموقف اشتراكي محدد ، بل بأى بموقف اصلاحي معين . فلم ير أحدهم «وجوب» مشاركته فى قضايا** قومه الوطنية والانسانية ، وفيما يعانون من آلام ، وينشدون من آمال . ولم «يحظر» أحدهم على نفسه التأمل فى الجمال الخالد ، والخير المحض على حين يعانى وطنه ذل الاحتلال ، وعناء الطغيان ، ولم **«يحرم» احدهم على نفسه الاسترسال فى خيالاته ومشاعره الفردية على حين ان طبقته الاجتماعية من حوله تجاهد فى سبيل آمال مشتركة .**

أجل . لم يكن ثمة ما يمنع أحدهم من أن يقول :

يا نعم لو أهديتني قبلة
أو اعتنقنا خلف هذا الجدار
يا نعم لو تأوى الى غرفتي
نغفو بها حتى يلوح النهار

ومع ذلك لانستطيع القول بأن الشعر كان محايدا أو مستهترا بما يدور من معانى الصراع فى مرحلة التخلق والتمخض التى سبقت الثورة الاشتراكية . لم يكن الشعر كله منطويا على نفسه ، وحتى لو كان كذلك لعكس فى بعض الحالات الخاصة ـ كما سنرى ـ جانبا اجتماعيا عاما ، وذلك حين يكون واقع الفرد المبدع صورة لواقع المجتمع ، وحين يترسب فى وجدانه الفردى من الاحساسات والمشاعر ماترسب فى الوجدان الاجتماعى ، ففى هذه الحال يكون امعان الشاعر فى سبر أغوار ذاته امعانا ـ أيضا ـ فى الالتصاق بالجماعة ، وفى التعبير عما تعانيه من قلق وتطلع ، وكأنه يقول تلك القولة التى كان يرددها «فكتور هوجو» **انهم يسألوننى : لم لاتعبر عنا فى شعرك ؟ عجبا ؟ ؟ لقد كنت اخالنى اتحدث عنهم حينما أتحدث عن نفسى .**

فبين شعراء ماقبل الاشتراكية من كان انطواؤه ينطوى على كل أشجان الامة ، واحساسها بالفاقة والجوع فى ظل القصور الرافهة المتخمة ، ولنشاهد مثلا ما صنع «**صالح الشرنوبى**» فى قصيدته «أحلام الكوخ» انه يبدأ القصيدة بهذا التمهيد الشاعرى :

هدم الليل مابناه النهار
واستكانت للظلمة الأنوار
واستحال الضجيج صمتا رهيبا
زحمته الاشباح والاسرار
أين راح النهار ؟ كيف أتى اللير
ل ؟ وفيم الاشراق والاسرار ؟
هى حرب البقاء ، تنتظم الكو
ن سواء صغارهم والكبار

انه فى هذه المقطوعة يمد يده الى مغرب الشمس فى السماء ليطفىء الانوار ، والى أفواه الكائنات فى الارض ليسكت الاصوات ، حتى يجد فى الظلمة والسكون ما يساعده على ازجاء ماسوف يلى من حوار داخلى بينه وبين نفسه ، وهو فى الشطر الاول : «هدم الليل مابناه النهار» يرمز رمزا واضح الدلالة الى الواقع الأليم المظلم الذى كان يعيش فيه ، كما يوحى البيت الاخير أن بين الظلمة والنور صراعا ، وان الحرب بينهما سجال ، وفى هذا بارقة رجاء فى أن تدول دولة الظلم كما تدول دولة الظلام .

وتأتى المقطوعتان التاليتان لتصورا عملية «التخدير الذاتى» التى كان الفرد يمارسها مع نفسه فى ظل المجتمع الطبقى ، انه يخدرها باسم القضاء والقدر :

قلت يانفس : ان هذا قضاء
قدرته قبل الوجود السماء

غير أن نفسه تستشعر فى هذا التخدير شيئا يوشك أن يكون تمردا على القضاء والقدر لاتستسلاما لحكمهما ، فتهدهد سخطه بدعوته الى دنيا الامانى :

قالت النفس : ان دنيا الأمانى
هى دنيا الخلود للانسان

عش بهـــا تنس أن عصرك ولى
في جحيم من الهوى والهـوان

هو اذن هروب من الواقع الأليم الى رحاب الأماني وراحة النسيان ، وفي الخمس المقطوعات التـــالية يصور هذه الاماني التي يتمناها صاحب الكوخ ، انه بايجاز يتشهى أن يحطم قيوده الطبقية ، ويصـعد الى طبقة عليا ، تتمتع بكل مافي الحياة من مباهج ، بكل ما فيها من تجبر واستعلاء :

حين شفت روحي ، فشاهدت قصرا
يتحـدى جماله الأحــــلاما
وعبيــــــدا يشدون شتى لحون
في حمى القصر سجدا وقياما
عشت في القصر كالامير المطاع
شـاعرى الرغـاب والأطماع
بين حور عين ، واكواب خمر
واغـان عـلوية الايقـاع
وندامى كالزهر يرجون صفوى
ويخـافون ثورتي واندفاعي

انه في هذا الحلم يعكس أحلام طبقته الاجتماعية لا أحلامه وحده ، فليس لساكن الكوخ أن يتصـور القصر الا في هذا الرواء ، ولا صاحبه الا في هذه العظمة ، يســجد له العبيد ويخاف نداماه ثورته واندفاعه .

بيد انه بعد هذه المقطوعات الخمس يفيق الى نفسه فيستحيل القصر المرد الى ذكرى ، فيدرك أن أحلام اليقظــة عزاء موقوت ، ولا بد له من عــزاء باق ، ويلتمسه فلا يجد غير الفن الذي يبقى ويبقيه بديلا من القصور التي لاتلبث أن تكون أثرا بعد عين :

قلت : يانفس .. قالت النفس دعنى
ما تمنيت غــير ماء وطـــين
ذلك القصر والنـدامى هبـــاء
حين تصحو على صراخ المنـون
ان في الفن قوتي وخـــلودى
ويقيني اذا افتقـــدت يقيني

ويحاول بعد ذلك أن يغيب مع هذا العزاء في حلم آخر يستغرق أربع مقطوعات ، غير انه لايلبث أن يرجع فردا يواجه الدهر مرهقا بالاثقـــال ، وقد اختلطت عنده الاشياء ، واستوى لديه اليـــأس والرجاء :

واذا جنتي سراب ، وآمـا
لى بيد تضج بالاهــوال
واذا بي أواجه الدهـــر فردا
ارهقتـــه الأيام بالاثقال
روعت هذه التهـاويل حتى
فاستوى عندها رجائي ويأسي

ويختم الشاعر القصيدة بعتاب مع نفسه ، فقـد رفضت العزاء باسم القضاء والقدر عن الحقيقة المنكرة ، ودعته الى أن يلوذ بالمنى ، فلما تبددت سحب الآمال أمام وقدة شمس الواقع دعته الى الخلود في حمى الفن حتى اصطدم بالحقيقة ، وهي أن قيده الترابي يضنيه واذن فليس أمام نفسه الا أن تذعن لحكم السماء في سخرية مرة ، وتهكم اليم :

أنت يا نفس سر هـذا الشقاء
شـدت مجدى على أساس هبـاء
من سماء الخيال عدت لأقتـا
ت تراب الحقيقـة النـكراء
وهنا الكوخ ، فانعمى في حماه
بجمال الطبيعـة العـذراء

في هذا النموذج رأينا كيف تم الاتحاد بين وجدان الشاعر ووجدان الامة وكيف تحولت أحلام الفرد الى أحلام طبقة ، واذا كان ذلك واضحا في هذا المثال فانه واضح كذلك في شعر يبدو من الوهلة الاولى ذاتيا مسرفا في ذاتيته ، ومن ذلك ما نشره الاستاذ **محمود غنيم** في « الرسالة » سنة ١٩٣٥ بعنوان : «كأس تفيض» ففي هذه القصيدة يعبر الشاعر عن ضيقه بطول مكثه مدرسا في الريف ، فهي اذن ذاتية خاصة في مبعثها وموضوعها ولكنها اجتماعية عامة في تناولها وعطائهـا .. انها تفضح الأسس التي قام عليها المجتمع في ذلك الحين :

لعمرك ما أدرى على أي منطق
أشاهد في مصر الحظوظ تقسم
فكم رصد الأفلاك في مصراكمه
وزلزل أعواد المنـابر أبكم
فمن يك ذا قربى وصهر فانني
بمصر وحيــد لا قريب ولاحم
وما أنا ممن تخطىء العين مثله
ولكن تعامى القوم عني أو عموا

فالمنطق الذي تقسم عليه الحظوظ في مصر مفزع ، حيث المحسوبية والقرابة والاصهار هي الطريق الى قضاء المآرب ، بل ان هنـاك الالحاف في السؤال وطرق الأبواب ، وهناك ما يشير اليه الشاعر خجلا من التصريح به .

ينال المنى من يقطع السبل ملحفا
ويغشى بيوت الناس والناس نوم
ورب أمور يخجل الحر ذكرها
يضيق بها صدرى الفسيح واكتم

ولا يكتفى الشاعر بتعرية هذا المجتمع المتفسخ فى العاصمة القاهرة بل يصور الريف المقهور كما هو : حياة راكدة بليدة ، لقد عزل عن تيار الثقافة الجارى وحيل بينه وبين ما يهز الوجدان والفكر بالنشوة الغامرة ، أو حتى بالالم الممض ، لقد انفردت المدينة بكل ذلك واهمل الريف ٠

يقولون : خضراء المرابع نضرة
فقلت : هبوها لست شاة تسوم
سئمت بها لونا من العيش واحدا
فدارى بها دار، وصحبى همومهو
وما أبتغى الا حياة عميقة
تسر فأرضى او تسوء فانقم

فى هذه الحدود يترجم الشاعر عن وجدان امته حتى فى المواقف التى يعالج فيها موضوعا يبدو معزولا عن تيار الموضوعات الوطنية ، بل انى لأذهب الى أبعد من هذا خطوة ، فأرى أن شعر المديح والتهانى والتبريك الذى كان يوجه الى ملوك وولاة العهدالبائد لم تكن تخلو تضاعيفه ـ أحيانا ـ من ترجمة صادقة عن الواقع الاجتماعى والاقتصادى الأليم ٠

ولا أريد أن أدافع عن هذا الضرب من الشعر بتلك الحجة الواهية التى قالها **البحترى** :

ولولا خلال سنها الشعر ما درى
بناة العلا من أين تؤتى المكارم

ثم جاء **شوقى** فرددها فى احدى مدائحه :

رب مدح أبان للناس فضلا
وأتاهم بقدوة ومثال

ماأريد الدفاع عن شعر المديح أصلا ، فما بالك بالدفاع بمثل هذه الحجج التى تريد تصوير الباطل حقا ، والقبح حسنا ؟ كل ما أريده القول بأن الشاعر ربما ندت منه أبيات تصور هذا البؤس الذى كان يعانيه الشعب فيقول فى التهنئة بعيد الملك :

يا رب يوم مر ما ظفر امرؤ
فيه بطيف الزاد أو بفتاته
ثارت نفوس فيه ،ولن ترى
كالشعب حين يصاب فى أقواته
نادى به فاروق : شعبى ماله
يشكو الطوى والتبر من غلاته

فالشاعر المادح غائب عن هذه الابيات بقدر حضور الشاعر المعبر عن واقع الامة ، وما يطيحها من مجاعات

ودع ما ذكر الشاعر من ان « الفاروق » كان ينادى بالغوث لأمته ، وتدبر هذا التعبير الذى أصبح تقليديا لكثرة تكراره (يشكو الطوى والتبر من غلاته) ، ولكن برغم ذلك لم يبتذل لانه يشير الى مكمن الثورة الاشتراكية القادمة فى ضمير الغيب : الشعب يكدح وينتج التبر ثم لايظفر بغير الجوع ، اليس هذا الزناد مفجر الثورة الاشتراكية ٠

لكانى بالشاعر فى مقام دعوة معينة يبثها سامعيه ٠٠ دعوة لم يتوعها ، ولا تدبرها ، لانها من املاء الواقع المباشر ، الذى يفرض نفسه على الشاعر دون أن يدع له فرصة التدبر والتوعى ٠

لانستطيع اذن أن نقول ان الشعر كله كان محايدا مستهترا بما كان يدور من صراع ومعاناة فى مرحلة المخاض التى سبقت الثورة الاشتراكية فقد رأينا أن الشعر الذاتى الفردى ليس دائما سلبيا ، بل ان له جانبه الاجتماعى الايجابى اذا وضعناه فى اطاره التاريخى الصحيح ، واذا راعينا ما يتركه فى النفوس من آثار ٠

وفضلا عن ذلك ، فنحن اذا لم نجد الشاعر الذى كانت نبضات قلبه متحدة مع نبضات قلب الأمة فانا لواجدون كل خفقة من خفقات فؤاد أمتنا المجيدة قد وافقت خفقة من خفقات أحد شعرائنا فترجمها للأجيال شعرا خالدا ، ولو أننا عمدنا الى هذه الآثار الشعرية التى أبدعها شعراء مختلفون ، ثم ضربنا صفحا عن الفروق والخصائص التى تميز شاعرا من شاعر ، ثم نظرنا الى محتواها الشعورى ، وعطائها الفكرى فاننا نستطيع أن نتصور وجود شاعر عظيم ، غزير الانتاج ، نافذ النظرة ، عميق الشعور ، متحد النبض مع قلب الأمة ٠

هذا الشاعر المتصور « **التزم** » الوقوف فى خط النار مع المناضلين قائدا وجنديا ، ساعدا وسلاحا ، وآمن « **بوجوب** » أن تكون الكلمة من أقوى حوافز البناء ، ثم من أقوى لبناته ، واتخذ لنفسه دستورا واضحا جليا يمشى عليه ، يعبر عنه قول الشاعر الاستاذ **توفيق ابو الخير** :

انا ان لم أكن مترجم انا
ت الحيارى ، وصوت روح طريد
ولسانا معبرا عن نفوس
داميات القلوب حرى الكبود
ونداء المحروم فى كل أرض
فلمن يا ترى عصرت قصيدى ؟
ان شعرا لا يستمد لظاه
من لظى الناس ناره للخمود

ماذا فعلتم في مؤتمر السينما

• عبد الفتاح البارودى •

تعالوا هنا نناقشكم ونحاسبكم ... هذا المؤتمر الذى عقدتموه لمناقشة مشكلات السينما . هل وصلتم فيه الى نتائج تفيد فى رفع مستوى الفيلم العربى ؟! وهل اسفرت بحوثكم عن وسائل عملية ؟! وهل واجهتم فعلا العوائق التى منعت تطور افلامنا ؟! اسئلة كثيرة جدا لا اكاد اجد الاجابة عليها ... لماذا ؟ لأننا فى مجتمعنا الجديد يجب أن نشرك الجمهور فى كل المشكلات الفنية التى نبحثها ، ويجب ان يكون هدفنا من كل البحوث الفنية هو كيفية وضع الفنون فى خدمة المجتمع ، بينما مر هذا المؤتمر دون ان يشعر به احد ، ونوقشت بحوثه دون ان يشترك فيها احد غير مقدمى البحوث انفسهم .

ماذا كان يمكن ان يفعله الذين نظموا هذا المؤتمر ؟!

أولا فكرة عقد المؤتمر فى حد ذاتها فكرة صائبة جدا ومفيدة جدا ... وقد اعلنوا عن موعد ومكان عقده بكافة الوسائل ، ووجهوا الدعوة الى الجميع لحضوره ...

وثانيا قدموا فيه ١٥ بحثا اشترك فى اعدادها أساتذة معظمهم من المتخصصين فى السينما ،وكلهم من ذوى الصلة الوثيقة بالحقل السينمائى ..

وثالثا معظم البحوث تناولت قضايا سينمائية هامة ...

ورابعا عرضوا فيلما طويلا وسبعة افلام قصيرة لاستيفاء العنصر التطبيقى ... كل هذه اجراءات لا غبار عليها ، بل يشكرون عليها ، ولكنهم — من ناحية أخرى — وقعوا فى اخطاء كثيرة — بحسن نية — ومع ذلك فهى أخطاء كان من السهل ان يتلافوها

فمثلا من الناحية الشكلية اخطأوا فى تحديد موعد المؤتمر ... عقدوه عندما كانت الأنظار كلها والاهتمامات كلها مركزة فى مهرجان التليفزيون ، فلم يهتم احد بمؤتمر السينما ، وبديهى ان اهتمامات الناس لها أثر كبير فى حيوية اى مهرجان او مؤتمر .

ومن الناحية الموضوعية لاحظت ان الموضوعات التى تناولوها ليست هى اهم الموضوعات التى نريد بحثها لالقاء الأضواء على مشكلات السينما عندنا وكيفية مواجهتها ... والمناقشات ايضا — فى رايى — لم تكن ايجابية ، بمعنى اننا لم نسمع مساجلات فنية تحتدم فيها وجهات النظر ، ولم نلمس النفاذ الى اعماق مشكلاتنا

والنتيجة المنطقية ان التوصيات التى اصدرها المؤتمر كانت من النوع « العمومى » الذى يفتقر الى مزيد من التحديد والتحليل والتفسير ووضع النقط فوق الحروف

فمثلا من هذه التوصيات انه (**على كافة الدول**

العربية ان تقيم الطاقة البشرية العاملة فى الحقل السينمائى ، عن طريق بيانات ترسل الى المركز الفنى للتعاون السينمائى العربى)

هذه التوصية ما هى مدلولاتها ؟ كيف يمكن تنفيذها عمليا ؟! وهل وضعت اسس محددة لتنفيذها ؟

توصية اخرى : العمل على انتاج افلام تعرض عالميا ، تدور حول موضوعات عربية عن طريق الانتاج العربى المشترك ... ما هو المقصود بعبارة (العمل على ...) ، وما معنى (الموضوعات العربية) ... ان اى موضوع يكتبه اى مؤلف عربى هو بالطبع موضوع عربى ... فانا او انت او اى مواطن عربى لا يمكن ان نكتب موضوعا تركيا او انجليزيا او فرنسيا ... ربما تكون هناك تفاصيل ستذكر فى لائحة خاصة او ملحق خاص ، ولكن كان من الافضل ان تذكر بعض النماذج او بعض المقاييس الفنية الخاصة بتنفيذ هذه التوصية

ومن التوصيات ايضا دراسة اللهجة فى الفيلم العربى وتوحيد مسميات الأشياء ، وهذا كلام عسير التنفيذ

هناك توصيات واضحة مثل الاهتمام بالافلام التسجيلية فى البلاد العربية وانشاء الاستديوهات اللازمة لها ، ومع وضوح هذه التوصية فانها لم تحدد الموضوعات التى تحتاج الى تسجيلها ، واولوية هذه الموضوعات ، واسباب الاهتمام بهذا النوع لدرجة انشاء استوديوهات خاصة به

ايضا هناك توصيات واضحة جدا ومفيدة جدا ، مثل عقد ندوات دورية تعرض فيها الافلام العالمية التى نالت جوائز لتكون محل بحث ونقاش ... ولكن متى ستعقد هذه الندوات ؟ لاهمية هذه التوصية كان يجب تحديد موعد بدئها على الاقل ... والمفروض أن الأفلام المختارة ستعرض دوريا فى مختلف البلاد العربية على السينمائيين فيها ، والجمهور ايضا ، ثم تسجل ندوات المناقشة ويتم تبادل هذه التسجيلات لمعرفة مختلف وجهات النظر ... كل هذا لم تتناوله التوصية ... ثم كيف يتم اختيار هذه الأفلام ؟ ولماذا تختار من الأفلام التى نالت جوائز فقط ؟ جائز أن بين الأفلام العالمية افلاما ممتازة لم تدخل المسابقات أو لم تحصل على جوائز ... ان معظم افلام هتشكوك مثلا لا تظهر فى المسابقات مع ان فيها دائما اتجاهات جديدة فى استخدام الكاميرا يفيدنا ان نعرفها

على العموم معظم التوصيات — **على اهميتها** — غير واضحة الارتباط بالتفكير السينمائى ، وكنت افضل ان نهتم اولا بوسائل تعميق هذا التفكير . فانه الأساس الأول لرفع مستوى افلامنا ... ان هذه النقطة كانت فى ذهن المؤتمر ولكن لم يتجه اليها اتجاها مباشرا

فمثلا فى التوصية الخاصة بتوحيد تشريعات الرقابة على الأفلام ، ذكر فيها بصراحة ما يدل على ان الغرض منها هو اتخاذ موقف موحد من الأفلام الاجنبية ، بحيث لا يعرض فيلم اجنبى فى دولة عربية ، ويمنع فى دولة اخرى كما حدث فى فيلم « **لورانس والعرب** » ... هذا المثل بالذات ذكر فى هذه التوصية ... فهل معنى ذلك ان هذا هو الغرض الوحيد منها ؟ ! كنت افضل بحث تشريعات الرقابة لتعميق الجوانب الفنية فيها ، بمعنى ألا يكون استخدامها لمجرد المنع او الاجازة ، بل تصبح اداة فنية ... كيف ؟ !

ان بين الافلام التى نراها افلاما كثيرة هابطة المستوى الفنى ، وكل هذه الافلام وافقت عليها الرقابة ، ومعنى ذلك أنها لا تضع فى اعتبارها القيمة الفنية ... لو ان توصيات المؤتمر اهتمت بالتفكير السينمائى لكان من المحتمل — ان لم يكن من اللازم — ان توصى بضرورة تزويد الرقابة بمتخصصين فى الأدب السينمائى يسجلون ملاحظاتهم على كل فيلم من ناحية المستوى

ان مشكلة تعميق التفكير السينمائى لم تحظ باهتمام المؤتمر بشكل واضح ... والدليل على ذلك اننا لو افترضنا ان كل توصياته نفذت خلال هذا الموسم ، فهل ستضمن ارتفاع مستوى الافلام فى الموسم القادم ؟ !

وفى البحوث ايضا ... ان المناقشات تناولت الانتاج العالمى المشترك ، وهل ينفذ باشتراك الممثلين العالميين فى الأفلام العربية ، ام بتقوية الافلام المحلية حتى تصل الى المستوى العالمى ؟ ! الأراء كثيرة ، ولكل رأى مزاياه ، ولكن ماذا اسفرت عنه المناقشة ؟ لم يظهر اثرها بوضوح فى التوصيات .

والبحث الذى القاه **نجيب محفوظ** عن القصة فى الفيلم العربى ، يبدو انه لم يتناول غير القصة فى الفيلم المصرى ... ولكن فى خلال حديثه عن تطورات الفيلم كيف قال مثلا ان الفيلم العربى

بدأ بداية حسنة ؟ بديهى أن السينما عندنا ـ مثل كل فنوننا ـ بدات بدايات ارتجالية ... وكيف قال ان افلامنا شهدت فى الماضى عصرا ذهبيا ؟ وعلى اى اساس قال ان المؤلف السينمائى اختفى . ويقصد بذلك انه كان موجودا ثم اختفى ... بديهى ان المؤلف بالمعنى الحقيقى لم يولد بعد ... اننا الآن ـ فقط ـ ننتظر ميلاده بعد ان ظهر القطاع العام . ليس لمجرد ظهور هـذا القطاع ، بل لان ظهوره الغى الاحتكار والاستغلال ، واعطانا الامل فى تطهير الحقل السينمائى من مساوىء الذين كانوا يسيطرون على هذا الحقل فى الماضى وهم لا علاقة لهم بالسينما ولا دراية لهم بها ... خلاصة هـذا كله من وجهة نظـرى ان البحوث ايضا لم تهتم بالتفكير السـينمائى كما ينبغى ... هى بحوث مكتوبة بسرعة غالبـا ، ولهذا لم تكد تربط الفن السينمائى بتفكيرنا وواقعنا الفنى ، ولهذا ايضـا لم تكد تصل الى نتـائج محددة ، ولو كانت قد وصـلت الى هـذه النتـائج لظهر اثر ذلك فى التوصيات

ولكن الملاحظ ان التوصيات ليست كلها قائمة على اساس البحوث ... هناك بحوث مرتبطة فعلا بالتوصيات ، اى ان هذه التوصيات جاءت نتيجة لها ، وهـذا هو الشىء الطبيعى والمنطقى ، مثل البحث الذى تناول الافلام الطبية ، ولكن هنـاك ايضا بحوث اهتمت بالعرض النظرى دون التطبيق العملى ، وبحوث اهتمت بعرض معلومات وارقام فقط ، وبحوث رددت وكررت ما يتردد ويتكرر فى الوسط السينمائى دون توخى المنهج العلمى ... ومن ذلك مثلا ما دار حول تحويل الاعمال الادبية الى افلام ... ان هذا التحويل ظاهرة تسـتحق المناقشة العميقة ... فنحن نرحب فعلا بتحويل قصص ادبائنا الى افلام سـينمائية لسبب واحد فقط ، وهو افتقار الحقل السينمائى عنـدنا الى مؤلفين ، ولكن اذا بحثنا هذه الظاهرة فى مؤتمر فنى فيجب ان نذكر انها ظاهرة خطيرة فى راى كثيرين ، وهى فى راى بعض السينمائيين العالميين عائق من عوائق ظهور المؤلف السينمائى ... ومن البديهى ان القصة التى كتبها مؤلفها الأديب اساسا لتقرا فى كتاب لا تصلح اساسا الا لقراءتها فى كتاب ... ونقلها من الكتاب الى الشاشة هو فى جوهره افتعال واقحام ، والتسليم بصحة هذا النقل لا نتيجة له غير خلط الشاشة بالكتاب ... وصحيح ان البلاد المتقدمة سينمائيا تعتمد فى افلامها احيـانا على القصص الأدبية ، ولكن هذه البلاد نفسها محتشدة بالمؤلفين السـينمائيين الذين يكتبون للشـاشة مباشرة ، وبالسيناريست الدارسين القادرين على تحويل هذه القصـص من اللغة المكتوبة الى اللغـة السينمائية .. وعلاوة على هذا كله فان القصص التى تحول الى السينما تكون عادة مختارة من بين مئات القصـص ، ويكون السبب فى اختيارها اما أهميتها الفنية او توافر الصورة والحركة فيها .. الخ .

اما عنـدنا فنحن لانزال نحبو فى فنون التاليف للسينما واعداد السيناريو ، وهذه مشـكلة من اضخم المشكلات التى تعترض تطوير السينما . ولو ان المؤتمر زاد اهتماماته بتفكيرنا السينمائى لتناول هذه المشكلة بالذات فى بحوثه وتوصـياته

وفعلا كنت اتوقع بحث هذه المشكلة وما اليها من المشكلات التى نعرف مدى خطورتها بما يشبه الإجماع على ذلك ، ولهذا لا ادرى كيف لم يخصص لها المؤتمر جانبا من بحوثه

الواقع اننى لا ادرى كيف اعدت هذه البحوث وكيف اختيرت سواء للعرض او للمناقشـة ... لقد سمعنا عنها خلال انعقاد المؤتمر ذاته ، وكنت افضل ان يفتح باب البحث لجميع المفكرين ... ان الذين اعدوا هذه البحوث كلهم اساتذة وعلى دراية بالحقل السينمائى ، ولكن من الجائز العثور على بحوث اخرى لها قيمتها وجدواها ـ الى جانب البحوث التى قدمت ـ لو انه اعلن قبل عقد المؤتمر بوقت كاف عن الحاجة الى بحوث تتناول مشكلاتنا السينمائية .. هذه مسـالة ارجو النظر اليها فى المؤتمر القادم

لاحظت كذلك ان النقد السـينمائى لم يتناوله اى بحث من بحوث المؤتمر .. كيف حدث هذا ؟ ان هذه ايضا مسالة اخرى تسـتحق البحث فى المؤتمر القادم .. كذلك **تكنيك السينما** لم تتناوله بحوث المؤتمر .. واظن أن التكنيك مهم جدا ، بل ان بعض الخبراء يقولون ان السينما تكنيك ، والفنون كلها تكنيك

ان المؤتمر نجح .. ولـكن كان يمكن أن يزداد نجاحا لو ازدادتعمقا فى مشـكلاتنا السـينمائية ، واستهدف ـ أولا ـ تعميق تفكيرنا السينمائى .



حول الأدب فى أسبوع

يقدمه عبده بدوى

السائرون مع الخطأ

لعل الأخذ بنظرية الفروق العقلية لم يتحدد ، ولم يلتمس لها البقاء من البحث والتحرى والقاء الثوب العلمى الا من عهد ليس بالبعيد • فالمختصون بهذا النوع من الأبحاث يذهبون الى أن النواة الأولى قد ألقيت من « داروين » حين نادى بالبقاء للأصلح ، ثم أقام « نيتشة » لهذه النواة ساقا حين ألح على أن الغاية من الانسانية ليست الجنس البشرى ، وانما « الانسان الأعلى » ، ثم وضع الجنس « التوتونى » فى صدارة الاجناس ، ثم كانت الفروع العديدة لهذه النظرية على يد « رينان » ، أو « هوستون تشمبرلين » ، و « جوبينو » وعدد آخر وضع نفسه فى خدمة هذه « الشجرة الملعونة » ، التى كان عطاؤها فى آخر الأمر هو : أن الحضارة تدين بكل شىء للجنس الآرى ، وبالقليل الى الأجناس الصفراء فى اليابان والصين ، وباقل من القليل للأجناس السامية فى فلسطين وبابل ومصر ، وبلا شىء لليهود ، وبلا شىء مطلقا الى الأجناس الحامية السوداء فى افريقية •

ولقد تلقفت هذه الدعوة أوربا ، واشاعتها لتبرر بها توسعها فى آسيا وافريقية ، ثم ظهر أخيرا على يد كثير من علماء النفس والاجتماع زيف هذه الدعوى : ولعل أصدق صرخة احتجاج قيلت فى هذا المجال هى صرخة « ريتشارد رايت » التى قال فيها ان اى انسان أبيض يمكن تحويله الى زنجى اذا وضع فى نفس الظروف التى يوضع فيها الانسان الأسود •

وقد كان يمكن ان تقف هذه الدعوى عند السياسة ، ولكن خطورتها تعدت السياسة الى الأدب والفن ، ولعل الذى ركز عليها بالحاح هو « تين » الفرنسى الذى أكد أن المؤثرات فى الأدب هى : الجنس والبيئة والزمان •

وبالاضافة الى هذا حكم « رينان » على العقلية السامية بجدب الخيال ، وعدم القابلية للخصب ، ولم ينس ان يحكم على الشعوب الحامية بالعدم •

وقد كان يمكن أن تؤخذ هذه الآراء بتحفظ ، ولكنها سرعان ما ظهرت فى عدد من مفكرينا الكبار يعتبر فى مقدمتهم الاستاذ أحمد أمين فى كتاب فجر الاسلام عندما تكلم عن الخيال عند العرب ، الا أن مرور الزمن ، وتقدم الاكتشافات ، والأبحاث، والقاء أضواء جديدة توضح الظروف التى عاش فيها كل شعب•• تجعل الانسان يتروى قبل أن يحكم على شعب بالعقم فى حياته وفى فنه •

فكل أمة أسهمت بنصيب من الحضارة ، وكل حضارة لم تقم من العدم وانما قامت على الوراثات والاقتباسات من الحضارات الأخرى، ولو كان المقياس

هو ما تؤديه الحضـــارة من « رفاهة البشر وتعميق حياتهم » لكان هناك مايشبه التعادل ٠

واذا كانت هذه القضايا المتشابكة تؤخذ بحذر ، ويجب القيام حولها بدراسـات واعية متأنية ، فانا ناخذها اليوم ببساطة ، و « يلمس » ، لم تعمل على ترويجها فى بعض المجلات ، وفى زمن محدد تكون الامة العربية فيه مجمعة على امر كبير من امورها ، وليس لهذا من تعليل الا الاعتماد على أقوال بعض المستشرقين ، أو خدمة تيار مضاد للوحدة العربية ٠

ويمكن لنا ان نلمس هذا التيار ، ونحس ذبذبته ابتداء من عهد الوحدة بين مصر وسوريا ، ذلك ان هذا التيار ما كاد يفرض وجوده على المنطقة العربية حتى وجدنا حركة مشبوهة فى الفكر تقول بانحطاط العرب ، وباعتبار حضارتهم حضـــارة رمال ، وان الاسلام اصاب المنطقة بالعقم ، وانه لا امل فى كل شيء يكتب بالعربية ، وانه يجب أن نقوم فى مواجهه القومية العربية ٠٠ القوميات الفينيقيه ، والقبطية ، والبربرية ، والافريقية ٠

بل ان هذا التيـــار اشتد اهتزازه عند التحضير لاجتماع الرؤســـاء والملوك العرب فى مؤتمر القمة الأول والثانى ، ولعله مازالت فى أذهاننا الى اليوم الكلمات التى دارت أخيرا حول الانحطاط والتشكيك والحقد فى مواريثنا من الدين والاخلاق والقومية ٠

ومهما يكن من شيء فنحـن لن نذهب الى الدعوى بعظمة دور العــرب فى التاريخ ، والا كنا ندعو الى نظرية التفوق العقلى عن طريق غير مباشر ، وان كنا هنا نطلب القراءة الجادة الواعية حول هذا الموضوع كما نطلب العودة ــ فى هذه الفترة التى يخطط فيها لطمس دور العرب ــ الى قراءة كتاب « اثر العرب فى الحضارة الأوربية » لعباس محمود العقاد الذى يذهب فيه من خلال الدراســـة المدعمة بالوثائق الى أنه **« لم تكن هناك صناعة من صناعات السلم لم يتتلمذ فيها الاغريق على أمة من سلالة الجزيرة العربية ، أو لم يكونوا فيها لاحقين على أثر ســـابقين ٠٠ وان الأوربيين تتلمذوا على يد أبناء الجزيرة العربية فى مسائل العقيدة ومسـائل الحضـارة والمعيشة اليومية قبل أن تبلغ أوربة مبلغ المعلم لغيره من الأمور »** ٠

وان كنا هنا نلقى بعض الضوء أمام بعض كتابنا الذين لايكفون عن الترديد فى مجلات **أدب وحوار وشعر** ببيروت ، من ان الحضارة العربية كانت مجرد مترجم للحضارة الاغريقية دون ابداع أو اضافة ، وأن الذين أسهموا بنصيب من الابداع أو الاضافة كانوا من غير الجنس العـــربى ٠٠ فهؤلاء الكتاب يعلمون ــ وان كانوا يجحدون ــ أن العنصر العربى كان مهموما بالسياسة ، ومنصرفا الى تأكيد التزاماتها فى الرقعة الاسلامية الكبيرة ، وأن عبء السياسة حين خف عليهم كان لهم اســـهام ملحوظ فى القضـــايا العقلية كفلاسفة الأندلس « وابن رشد ، والغزالى ، والكندى ، ثم ابن ســـينا والفارابى على القول بأن أصولهما ترجع الى فارس، لايستطيع انسان أن يؤكد انه كانت للفرس فلسفة حتى يمكن القول بأن الحضارة العربيـــة كانت عقيمة ، فالاغريق ــ على حـــد قول العقاد ــ فى موضع العرب لا يتفلسفون ، والعرب فى موضـــع الاغريق لا يحجمون عن الفلســـفة ودراسة العلوم !

ثم لماذا التركيز على ان العرب هم الذين نزحوا من الجزيرة العربية ؟ ولماذا لايكونون اصل الجنس السامى الذى يذهب الكثيرون الى انه فى اصوله الاولى يرجع الى الجزيرة العربيه ؟ ولماذا لاتكون الان كل الدول التى تتكلم بالعربيه على نحو ما هو متحقق سياسيا ؟

٠٠ثم انهم يقولون مرة ان مما يضعف الأثر العربى ان القصة والمسرحية والملحمة والتصوير والنحت والموسيقى الهارمونية لم تظهر عند العـــرب ، وقد يكون من السهل اثبات وجود بعض هذه الفنون ، ولكن يجب ان يكون فى مقابل هذا ان العرب ليسوا الظاهرة الشـــاذة بين الأمم ، لأن هناك امما قديمة اخرى لم تظهر فيهـــا بعض هذه الفنون ، واذا كان « تعبيرها » قد يستساغ من الدول الأخرى ، فانه لا يستساغ من أبنائها أن يعتبروه جرحا يلوثونه ــ ظلما ــ كلما سنحت فرصة للشفاء فى فترة من الفترات ٠

ومهما يكن من شيء فالذى ندعو اليه هو أن نعرف مالنا وماعلينا ، لا أن نقف على ماعلينا فقط ، والا نلقى بهذه القضايا الخطيرة فى التعليقات السريعة ، على نحو ماينشر فى باب « **رسالة القاهرة** » فى مجلتى أدب وحـوار ، ففى رســـالة واحدة يمكن أن نجد عشرات من الأحكام تسخر من شـــعب الجمهورية العربية المتحدة ، ومن الاسلام ، ومن القومية العربية

ومن الحياة ، وقد يمكن أن يتجاوز القارىء عن بعض هذا ، ولكنه يحس بالخدعة حين يجد أن كل هذه القيم تضرب من أجل المنـاداة - بعـد سطور - بالفرعونية أو القبطية أو الفينيقية أو الكتابة بالحروف اللاتينية ، أو من أجل المنظمة العالمية لحرية الثقافة .

انه من الغـريب أن تدين التفرقة العنصرية فى السياسة ، ثم لا تدين التفرقة العنصرية فى الفكر ، بعد أن اصبح القول بها شيئا مضحكا ومبكيا فى الوقت نفسه .

مضحكا لأنه لا يقوم على أساس علمى !

ومبكيا لانا نحارب به أنفسنا !

على هامش ندوة

لقد كنت مشوقا الى سماع الندوة التى سجلها ابراهيم الصيرفى ، فى برنامج مع النقاد مع د. لويس عوض ، ومحمد النويهى ، والشاعر صلاح عبد الصبور حول كتـاب « قضـية الشعر الجديد » للدكتور النويهى .. ومع أنى كنت أحب أن يمثل الاتجاه العمودى احد النقـاد حتى يتحقق الصراع بين الاتجاهين ، الا أنى حين سمعت الندوة احسست بصراع بين الناقدين والمنقود ، لم تفلح فى اخفائه « كلمات التهدئة » و « عبارات المجاملة » ، واعترف أن هذا لم يعنينى من المناقشة ، ولكن الذى عنانى هو خطورة الآراء الخطيرة التى حملها الأثير .

• فالدكتـور لويس عوض .. ذكر بالنص ان الشعر العـربى كله قائم على وحدة البيت بسبب العاطفية والحساسية المتمكنة من الشطرين ، واعتقد أنه ليس من المجدى ان أذكر - لأن الدكتور يعلم كما اعلم - ان الحكم فيه قسوة على الشعر العربى ، ذلك لأن هذا الشـعر بتاريخه الطويل لم يفقد « الوحدة العضوية » كاوضح ماتؤديه التجربة فى اطار الشعر الغنائى ، وان فى بعض هذه القصائد من التماسك مايقصر عنه شـعراء العصر فى تجاربهم الجديدة .

واعتقد أنه ليس من المجدى أن اذكر له ما قاله الدكتور عبد القادر القط - لأنه يعلم كما يعلم - فى عدد سبتمبر من مجلة الشعـر من ان الخلاف بين القديم والجديد من هذه الناحية خلاف فى الدرجة لا فى الكيف « ففى أغلب الشعر العربى القديم كثير من التماسك الذى يبلغ أحيانا مايبلغه الشـعر الجديد » .

ثم ان الدكتـور لويس تعـرض لنموذج اورده الدكتور النويهى للشاعر الجميح الأسدى ، وقال عنه مستصعبا « **كأنه لاتينى** » واذا عرفنا أنه يدور حول عتاب الشاعر « الجميح » لزوجته « امامة » فى مكان يسمى « خروب » ، أدركنـا حيوية التجربة التى تقول :

امسـت « أمـامة » ما تكلمنا
مجنونة ام احست أهل « خروب »
مرت براكب ملهـوز فقـال لهـا
« ضرى الجميع ومسيه بتعذيب »
ولو أصـابت لقالت وهى صادقة
« ان الرياضة لا تنصبك للشيب »
يابى الذكاء ويابى أن شـيخكمو
لـن يعطى الآن عن ضرب وتاديب

وفى الوقت نفسه يعلق الدكتور النويهى على هذه القصيدة بقوله فى ص ٦٣ « ما رايك أيها القارىء الكريم فى هذه القصيدة الجاهلية التى نظمت منذ الف واربعمائة سنة ؟ أمنقطعة هى عن صميم التجربة الحية النابضة ؟ وما رأيك فيما ادعينا من اقترابها من لغة الحديث الحية الزاخرة التى يتحدث بها الناس فى واقع تجاربهم ؟ وهل كنـا مبالغين حين ادعينا اقترابها العجيب من لغة الحديث العامية التى نتحدث بها فى يومنا هذا ؟ وما رأيك الآن فى دعوى البيوت التى زعمنا انطباقها على الصادق الأصيل فى تراثنا الأدبى ؟ وهل يضير الشعر أو يفيده أن يظل على صلة بلغة الكلام الواقعى الحى » .

ونحن ليس لنا من تعليق الا أن نقول كما قال الدكتور النويهى « **ما رايك أيها القارىء الكريم ؟** » .

وان نقول كما قال الدكتور لويس «**كأنها لاتينى**»

وان نقول كما قال الشاعر الجميح « **يابى الذكاء** »

● ولقد ظهر مايشبه التناقض حين أخذ الدكتور لويس عوض يدافع عن التجربة الجديدة بتعقد الحياة والناس ثم ركز على ان الموسيقى فى العصر الحديث معقدة من الداخل والخارج بحيث أصـبح العروض التقليدى عاجزا عن التعبير عنها ، بينما كان الدكتور محمد النويهى يدافع عن الشعر الحديث لأنه يعبر عن الحياة البسيطة باللغـة القريبة من لغة الحديث العادية ، وبالتالى بالموسيقى البسيطة .

● وفى الوقت الذى ذكر فيه صلاح أن الدكتور النويهى ربما يسبق لأول مرة الشعر بما اسماه مرحلة « النبر » ، وفى الوقت الذى عبر فيه الدكتور النويهى

عن هذه اللفتة بأنها « غمزة » ٠٠ كان الدكتور لويس عوض يذكر ان الشاعر الشعبي قد وصل الى هذه المرحلة ، وضرب مثلا عليها بقول الشاعر :

● أول مانبدى القول نصلى على النبى
نبى عربى سيد ولمد عدنان

وقد أسرع الدكتور النويهى فذكر أنه تنبه الى هذا ، واورد تطبيقا عليه فى أمثلة رجعت اليها فوجدتها تقول :

١ ـ رحت فين .. وسيبتنى .. باجملى ى ى ى
٢ ـ بابا جه · بابا جه · بابا جه · بابا جه !
٣ ـ سيبونى ياناس ٠٠ ياناس سيبونى !
سيبونى ٠٠ أبرد جسمى
سيبونى ٠٠ اطفى نارى
٤ ـ جايين يغلبونا ٠٠ قمنا غلبناهم !

ومع أن الدكتور محمد يؤكد أن موضع النبر يختلف أحيانا فى القراءة بين شعب عربى وآخر ، بل بين سكان مختلف الأقاليم فى الشعب الواحد ، الا أنه يؤكد أنه لاينفى وحدة اللغة ·

ولقد كان تعليق الدكتور لويس عوض أن اللغة العربية « لو تحررت من الاعراب كما هو الحال فى كافة اللغات لوصلنا الى شىء من هذا » ولعل الدكتور يعلم قبل أى مثقف أن بعض اللغات لم تتخلص من الأعراب كالألمانية ·

كما انه ذكر أن الشاعر الشعبى تعتبر من بلاغته البعيدة عن بلاغة العربية الفصحى ادخال حرف الجزم لم على الفعل المضارع ثم استدرك بعد أربع مرات أن البلاغة أن تدخل لم على الماضى ·

ومهما يكن من شىء فاللسان قد يعثر فى مثل هذه الندوات ، ونحن هنا ماقصدنا تصيد « المفارقات » ، ولعل الذى حملنى على التعليق كذلك على هذه الندوة أنه بالرغم من « كلمات » التهدئة » و « عبارات المجاملة » كنت أحس أن بعض المناقشات كانت تصدر من « مقدمة الأنوف » ، وأن صوت الدكتور النويهى كان يتلون بالغضب ، وأن المتحمسين لقضية قد يختلفون اختلافات جوهرية تمس صميم القضية ٠٠ واخيرا كم أتمنى أن تعاد اذاعة هذه الندوة ·

محاكمة كامل الشناوى :

لا أدرى لماذا « صعب على الأدب » وأنا اقرأ اليوم كتاب « لقاء معهم » لكامل الشناوى ٠٠ فهو لا يكتب وانما يغرد ، لا يتنفس كانسان وانما كحديقة ، لايبيع لآلىء صناعية ، وانما لآلىء فيها النقاء والمهارة والشمس المحبوسة ، بالاضافة الى بعض الأشعة المائلة من القمر ، ومن وميض بنت تحب وولد يتفجر بالصبابة !

وبالرغم من هذا فقد كان الكتاب يغمر الانسان بالضيق ، لانه لم يكن يحتوى على الخيط الفجرى الواحد الذى يلفه ، ويشعر الانسان أن المؤلف دائم التحديق فى عينيه ٠٠ ذلك لأن الكتاب يحتوى على مقالات متناثرة ، بلحظات نفسية متفاوتة ، وان كانت تلفها دائما « وجهة نظر » كامل الشناوى التى لا تخرج عن كونها « مزيدا من الحب للحياة والأحياء » فهو لا يرسم الا الجانب المضىء فى الوجه ، ولا يلتقط الا « الكادر » التى يتسم بالجمالية والذكاء المسرف فى الجمال فى الوقت نفسه ، وهو أخيرا الكاتب الذى يحرص على أن « **يلفت** » القارىء بشىء يصيبه بالدهشة ، فهو حين يعدو معه فى طريق القراءة لا ينسى أن يخرج « بطارية » ثم يقدم بها حزمة من الألوان الملونة ، ومع ان الانسان قد يتوقف عن العدو لحظة زقزقة الضوء الشناوى ، الا أنه يعود أقوى على الجرى فى شارع الجمال والثقافة ·

والآن فلنستمع الى بعض هذا الغناء ، والى كميات الماس الذى ينفح بها بين الحين والحين قارئه ·

● كانت كلماته واضحة كلون الشاى ٠٠ متدفقة كابريق الشاى ، وكانت اشارات يديه معبرة تكاد تسمع فيها رنين الكلمة ·

● كان يتابع حديث الشيخ برهبة وارهاب ، يصغى بأذنيه ، يصغى بعينيه ، يصغى باطراف رأسه ، وكان طيلة الجلسة يطوق رأسه بكلتا يديه ، كأنما يخشى أن يسقط من صدره شىء وعاه من الشيخ وهو يتحدث ·

● كان ينادى باننا لسنا فى حاجة الى الكلمات اللغوية ، ولكننا فى حاجة الى الكلمة التى « تنقر فى حبة القلب » والآن ونحن نتساءل عن قلم « **كامل الشناوى** » لا نجد احدا يجيبنا سوى الكسل ، وكتابة بعض الأغانى المكسورة الأبيات ، وظلال من التثاؤب ·

نرى لماذا لا يحكم عليه الوسط الأدبى ـ وهو فى هذه السن ـ بمواصلة الكتابة فى موضوع كبير قد يكون مسرحية شعرية ، ولماذا لا يطالبه بالتنفيذ فى كل يوم ، جزاء للظلم الأدبى الذى حاق بالادب من جراء الكسل ٠٠ والابيات المكسورة ٠٠ **والتثاؤب !**



ملامح الحضارة العربية الاسلامية

يخطىء من يظن أن الصراع القائم الآن بين العالم الغربى بأساليبه الاستعمارية ونظمه الاستغلالية وبين العالم العربى بقوميته العربية ذات المحتوى الانسانى ، التى تقف الآن موقف المدافع عن حقوقها المشروعة ـ يخطىء من يظن أن هذا الصراع يقتصر فقط على نواحى الاستثمار والاستغلال الاقتصادى ذلك لأن هذا الصراع وان كان ظاهره المصالح الاقتصادية الا أن طبيعته تؤكد الى جانب ذلك أنه صراع بين حضارتين تحاول الحضارة الغربية بقيمها ومؤسساتها الاقتصادية والفكرية والعسكرية أن تستذل الحضارة العربية ، وتعرقل سبل نموها الطبيعى لكى لا تعود الى سابق عهدها وازدهارها. وتعلم أوربا التى تمثل الحضارة الغربية ـ أكثر من غيرها .. كيف يكون هذا التقدم والازدهار الحضارى العربى مهددا لوجودها القائم على استثمار غيرها من الشعوب .

واذا ما أخذنا أنفسنا بالنظرية التاريخية القائمة على الفعل ورد الفعل الحضارى استطعنا أن نتبين من خلالها طبيعة الحضارتين واختلاف كل منهما فى الغاية والاسلوب: مثال ذلك مثلا .. انه عندما دخلت الحضارة العربية الى أوربا عن طريق اسبانيا ـ فى مجال تقدمها المزدهر ـ قدمت لها حضارة سلمية ومتقدمة ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا .. بل كانت أسبانيا (اندلس العرب) بمثابة شعاع الضوء الساطع الذى جذب أوربا الى أن تعلم على أيدى العرب الكثير من مظاهر التقدم العلمى والاقتصادى . وهذا ساعدها كثيرا على أن تخرج من الحدود المتزمتة والأوضاع المتخلفة التى كانت تعيشها شعوب أوربا .

وعندما ترك العرب أسبانيا ـ وواجهوا بعد ذلك أوربا الغازية تحت شعار الحروب الصليبية ـ تلك الحروب التى يمكننا أن نطلق عليها تعبير ـ رد الفعل الحضارى ـ كانت أوربا فى ذلك الوقت فى وضع حضارى لا يمكن أن يكون مساويا للوضع الحضارى العربى ـ الذى مهما كان مجزءا سياسيا فانه كان يمثل وحدة حضارية واحدة ، ومن ثم هزمت أوربا وطردتها ولم تستطع أن تواصل محاولتها الرامية الى ضرب الحضارة العربية فى عقر دارها .

وقدر للعرب أن يكافحوا عدوا جديدا ـ هو الزحف المغولى ـ وأن يقفوه بعد عناء طويل وكفاح مرير فى عين جالوت .. وقدر كذلك للعرب أن يقعوا تحت وطأة الحكم العثمانى ـ الذى كان يعتمد أساسا على العنصر التركى ـ وفى هذه المرحلة التاريخية استطاعت أوربا أن تخرج الى عصر النهضة والتقدم الصناعى ، فبدأت محاولتها الثانية التى تعتبر امتدادا لمحاولتها الاولى ، ونجحت هذه المحاولة واستطاعت أن تفرض سيطرتها على العالم العربى.. وكانت هذه السيطرة مظهرا من مظاهر رد الفعل الحضارى الذى يتسم بالقسوة والعنف وبدأت

أوربا سوا ، أكانت تمثلها انجلترا في مصر والعراق ام فرنسا في سوريا ولبنان والمغرب العربي او ايطاليا في ليبيا ـ توجه الطعنات القاتلة الى الواقع الحضارى للعرب ـ في محاولة فاشلة لانهائه تماما..
وكان ما نعرفه جميعا من محاربة التعليم وفرض التخلف ، ومحاربة اللغة العربية ، ونشر الآراء والمذاهب الرامية الى التحلل الديني .. الخ .. الا ان الحضارة العربية بأصالتها ومحتوياتها الانسانية ، وبما تمتلكه من تراث ومجد عظيمين استطاعت أن تصمد امام هذا الغزو الدموى للحضارة الاوربية .. وكحضارة أصيلة لا يمكنها أن تقف دائما موقف المدافع فقط وانما ـ نفس رد الفعل ـ الذى دفع بأوربا الى ما اقدمت عليه وكدورة تاريخية من المحتم أن تتم ـ لابد للحضارة العربية من دحر أوربا وطردها كما طردت سابقا في الحروب الصليبية .. ولا مجال هنا للمقارنة فيما تقدمه الحضارة العربية فى فترة ازدهارها ، وما قدمته الحضارة الغربية فى نفس هذه الفترة من حيث وضوح الفرق الشاسع بين وضع العرب فى اسبانيا ووضع الاوربيين فى الارض العربية .
ونستطيع أن نرى بوضوح طبيعة كل من الحضارتين فيما قدمته كل منهما للاخرى فى فترة ازدهارها .. فبينما قدم العرب المعرفة والحضارة الانسانية لاوربا عن طريق الاندلس ، قدمت أوربا للعرب التسلط وفرضت التخلف مدعمة ذلك بالاساليب الدموية الرهيبة .. واذا كنا في مجال الحديث عن الحضارة .. فما هى حضارتنا ؟ ..

وكتاب اليوم يتحدث عن ملامح الحضارة العربية الاسلامية ـ وهو من تاليف ـ فرنشيسكو جبريلى ـ وترجمة محمد حسن خلاف ..

يقول المؤلف :

« لقد أعطى العرب الحضارة العربية الاسلامية فى العصور الوسطى لغة الدين والعلم ، ولهذا نجد الفارسى أو التركى، حتى فى وقت متأخر، حينما كان يريد أن يشتغل بالادب ، لم يكن يفكر فى أن يعارض العربية كلغة أولى للثقافة فى أنحاء العالم الاسلامى ـ واللغة العربية هى المعبرة ـ دون منافسة ـ لكل الثقافة الاسلامية فى العصور الوسطى الاسلامية فلقد كانت تستعمل وكان لها مكان الصدارة ، وكان لها التفضيل لدى العلماء ، ولقد ظهر كثير من العلماء ليسوا من أصل عربى خالص وكتبوا باللغة العربية وفضلوها ، وهؤلاء العلماء لهم مكانتهم العلمية فى العالم ولهم أسماء لامعة فى سماء العلوم والفلسفة والفنون ، ومن بين هؤلاء ابن سينا والفارابى ، حتى أننا نجد حركة الشعوبية الثقافية التى ظهرت فى العصر العباسى الأول كانت تهدف الى اظهار قيمة تراث الشعوب الاسلامية وحضارتها امام حضارة العرب ، فان هذه الحركة لم تجد وسيلة للتعبير عن نفسها الا باللغة العربية . ولكل هذا نستطيع ونحن مطمئنون أن نسمى الثقافة الاسلامية الكبرى التى ظهرت فى العصور الوسطى « الثقافة العربية » وانما فى ذلك لا نمنح هذا المصطلح المعنى العنصرى ، بل نقصد بذلك ناحية اللغة والثقافة » .

« وقد انتشر الشعر العربى فى مستهل العصر العباسى الى جميع بقاع العالم الاسلامى مكتسبا أغراضا جديدة مثل الحريات وعبر هذا الشعر عن كل انقسام سياسى ـ ثم بلغ ذروته فى اسبانيا المسلمة التى ظهر بها شعراء مجددون ، خلقوا فى الشعر العربى أنواعا لم تكن موجودة فيه من قبل وظهرت أنواع من هذا الشعر أيضا فى صقلية ، كما ظهر فى هذا التاريخ شعراء بشتى أنحاء الامبراطورية العربية ومنهم من خلد اسمه التاريخ كأبى نواس والمتنبى الذى لا يدانيهما شاعر فى عصرهما شهرة وقوة ديباجة ، والشاعر الصقلى ابن حمديس الذى كانت له قصائد يتغنى فيها بوطنه المفقود ويذكر أيامه الزاهية ، ومن الشعراء الذين تألقوا فى الاندلس ابن حزم ، الذى استطاع بتواشيحه العامية العظيمة أن يعقد الصلة بينها وبين الشعر الغزلى فى أوربا ، ولقد كان هذا الشعر أثرا حضاريا عربيا خالصا ، ولقد ظهر النثر فى اللغة العربية وتكاثرت فيه أنواع البديع والمحسنات اللفظية ، كمقامات الحريرى المشهورة وقامت فى تلك الفترة دراسة واسعة لقواعد اللغة العربية .

ولم تكن الثقافة العربية فى العصر الذهبى

للحضارة العربية الاسلامية فى أثناء العصور الوسطى تتغذى فقط على الشعر والقواعد ، بل كانت هناك علوم الدين والفلسفة والتشريع الاسلامى ، والعرب هم الذين وضعوا التقويم الهجرى ، ولقد عرف العرب الحضارة الهلينية ، ومما يدعو الى الفخار انهم اتصلوا بهذه الحضارة وفهموها وقدروها وتلاءموا معها وحاولوا أن يلائموا بينها وبين العقيدة الاسلامية ، ووصلت الاغريقية الى العرب بطريق الترجمة عن السريانية ، وعن طريق الترجمة الى العربية ، ودرست هذه الفلسفة بنوع خاص وبعناية فى بغداد والقاهرة وقرطبة ، وكتبت عليها التعليقات واضيف اليها ــ ومن الضرورى أن تذكر الآن اسم الفارابى وهو أكبر ممثل للافلاطونية ونذكر أيضا ابن سينا الذى أعطى للارسططالية شكلها القديم الذى وجد فى الطبقات الشرقية وظهر تيار ثالث من الفلسفة يمثل الافلاطونية الحديثة أوجده الفلاسفة العرب ، وكانت هذه الفلسفة تميل الى التوفيق بين الفلسفة الافلاطونية وفلسفة أرسطو ، وعن طريق العرب تم الاحتفاظ بهذه الثقافة القديمة ، وقد لوحظ أن التفكير الفلسفى القديم عرف طريقه الى الغرب عن طريقه الاول وهو الطريق اليونانى البيزنطى والطريق الثانى وهو الطريق العربى الاسلامى ــ ولقد تركت الحضارة الاسلامية تراثا ضخما من العلم وقد أبدع فى هذه العلوم فريق من الشخصيات العظيمة التى يحاول الغرب أن ينسى أسماءها فى زحمة نهضته ، ولكنه لا يستطيع ، فاننا نجد بين هذه الشخصيات العظيمة ــ أعظم الفلكيين والرياضيين كالبيطار والفرجانى والخوارزمى ، كما نجد منهم المشتغلين بالطب كابن سينا ، والرازى ، ونجد أيضا عالم الطبيعة الخالد الحسن بن الهيثم ، ونجد كذلك من أعظم العلماء البيرونى الذى كان دائما سباقا فى مجال العلوم ويعتبره المؤرخون افلاطون علوم العصر الاوسط الاسلامى ، ولقد حافظ العرب على الحضارات القديمة وقدروها ، ولكنهم سبقوا الغرب فى الرياضيات والطب والفلك ، وهكذا نجد العصر الأوسط الاسلامى كان بمثابة حضارة متقدمة ــ وحمل الشرق الاسلامى شعلة الحضارة ونقلها الى الغرب الذى أخذ يدرسها ويحقق فيها مطاطئا رأسه خشوعا لهذه الحضارة وللقوة الروحية التى خلدتها وجعلتها لاتنسى تفوقها .

ولقد كانت هذه الحضارة العربية الاصيلة هى التى استطاعت أن تقف دون أحلام السيطرة التى كان يريدها الغرب لنفسه فى فترة الحروب الصليبية وكانت هذه الحضارة العربية أيضا هى التى وقفت الزحف المغولى فى « عين جالوت » سنة ١٢٦٠ ، ثم أخذ أحفاد هولاكو أنفسهم بعد عشرات قليلة من السنين يعتنقون الاسلام وانتهت دولتهم وصارت ملكية اسلامية اتخذت لنفسها ثقافة الاسلام وحضارته العربية .. وبهذا انتصر الاسلام والحضارة العربية على الاعداء سواء أكانوا صليبيين أم كانوا مغولا ، ولقد كان للجهد العظيم الضخم الذى بذلته الحضارة العربية الاسلامية للقضاء على الهجوم الصليبى الذى دام مدة طويلة والذى لم تكد تنتهى منه حتى أصيبت بهجوم المغول المدمرين ــ الأثر البالغ فى ضعفها مما جعلها تصل الى نهاية مداها المزدهر لتستمد عظمتها من ماضيها المجيد ــ ولكن هذه الحضارة العربية الاسلامية عادت مرة أخرى فاثبتت وجودها فى المجال السياسى فى عهد الاتراك العثمانيين فاعادت مجدها وتالقت سماتها المضيئة الناصعة فقاومت الحضارة العربية محاولات التتريك التى أراد بها العنصر التركى السيطرة على الاساس العربى للاسلام على الرغم من استغلاله للدين كمبرر لحكم العرب . وعند هزيمة تركيا فى الحرب العالمية الاولى نجد أن الحضارة العربية الاسلامية بعنصرها العربى الاصيل ، تنفض عن كاهلها غبار قرون الكبت والقسوة والتخلف الذى فرضها العنصر التركى .. وعندما انحلت امبراطوريته سارع الى رفض الحضارة العربية ، وتعلق بأذيال الغرب بزعامة ــ كمال اتاتورك ــ بدون أية روابط سابقة .. أما العرب الحقيقيون أصحاب الحق والدين الاسلامى فلم تبهرهم انتصارات الغرب ولا تفوق الغرب المادى ، ولكن نهضتهم السياسية والحضارية اتحدت مع تأثير حضارة الاجداد ــ وأخذوا ينقونها من كل شائبة بل أخذوا يقيمونها ويرفعون من شأنها **وسوف تتسع دائرة التفاهم السليم والتعاون الكامل لتعميم السلام وتحقيق وحدة العرب الذين سجلوا فى التاريخ أنهم بذلوا أكبر جهد فى فجره للرقى الفكرى والاجتماعى والسياسى بدينهم وحضارتهم التى ارتفعت بالعقل البشرى ورفعت من شأن الانسانية .**

قراءات فى المجلات العربية

يقدمها : مصطفى فوده مصطفى



تقدم المعرفة لهذا الشهر محاضرة للكاتب الفرنسي موضوعها « هل هناك ثقافة حديثة ؟ » اذ « يزداد اعتبار الثقافة فى زمننا الحاضر على أنها ظاهرة اجتماعية ، الا أن هذا المفهوم يظل شديد الغموض وان المفكرين لينقسمون على أنفسهم ويتناقضون أحيانا حول تعريف ينطبق كل الانطباق على عصرنا، ويحاول أن يحدد تساؤله أكثر فيقول : « كيف نقول ثقافة حديثة ؟ وربما كان على أن أطرح السؤال على نحو آخر فأقول : هل هناك تعريف حديث للثقافة ؟ أو أقول هل هناك ثقافة جديدة توافق عصرنا ؟ .. ان هذين السؤالين مختلفان ولكنهما ليسا متباعدين قط . فان فيهما شيئا مشتركا يسيطر عليهما من هذا السؤال : هل هناك امكانيات وجود الرجل النزيه للقرن العشرين ؟ .. ولسنا نستطيع أن نثير موضوعه من غير أن نضع على كتفيه (الرأس المصنوع جيدا) الذى كان « مونتين » يؤثره على (الرأس المحشو جيدا) » .

وبعد هذه التسؤلات يتساءل ثانية « **بم تتعرف على الشخص المثقف ؟** » ويجيب « **ستقول باتساع معارفه . وهذا صحيح ولكنه غير كاف ، فليست الثقافة تجميعا ولا تخزينا للمعارف ، بل هى نوع من الاقتصاد فى المعلومات ، وان كلمة الاقتصاد تثير مفهوم النظام والانسجام .** » ويحاول أن يوضح ذلك بمثل يضربه « حين يشاد المنزل فانه لا يكون صالحا للسكن ، فانت تعد السقف والجدران والاطار للاقامة . وهذا دور التعليم ولكن ينبغى تأثيث هذا المنزل وفرشه بالسجاد ، وجعله جديرا بك وبأصدقائك .. وهذه هى الثقافة . يمكن اذن أن يكون المرء متعلما وغير مثقف ، فيعرف كيف يطلق الأسماء على الاشياء دون أن يعرف ماهيتها . وعلى نقيض هذا لايمكن أن تكون ثقافة دون تعلم . ان تلك تبدأ حيث ينتهى هذا ، ووراء ذلك كله تأتى المعرفة » أى أن الثقافة « **طريقة شخصية فى التفكير والعيش .. فليست الثقافة قواعد لعبة صعبة ، وليست علم أحد القوانين. فالثقافة تتعلق بالانسان على نحو أشد عمقا وأكثر شمولا .** »

وبرغم وسائل تسلح الانسان للثقافة اليوم ووفرتها وقوتها ، واعتمادها على أدوات حديثة .. فمن شاشة للسينما الى أخرى للتليفزيون ، الى الحان الراديو وأنغام الاسطوانات وصور المجلات وعمق المتاحف وخيالاتها . وهذا الفيض الكثير جدا من الكتب ــ نعم برغم ذلك كله الا أن النتائج كانت مخيبة للآمال كما يرى المحاضر نتيجة « **تشتيت القيم وجعلها فتاتا** » غير أن سلطان الكتاب لا يقوم « عمليا على كمية المعلومات الواسعة التى يضعها تحت متناول يدنا . بل على الامكانية التى يقدمها لنا فى انقاذنا من الصخب والضجيج والانقطاع عن جلبة حضارة المدن »

ومقياس القيمة الأصيلة لوسيلة الثقافة ليس في « كمية المعلومات التى تقدمها للفكر ، بل فى توعية التعمق الشخصى ، ومجال العمل الذى تمنحه هذه الاداة للكائن فى سبيل الجهد الشخصى الذى سيضطر الى بذله ، ذلك بأن تذوق الثقافة ليس أمرا فطريا ٠ »

وعنده أن التهديد الذى يتوجه الى الراديو والسينما والتليفزيون يكمن فى التسلية التى تقوم بها ٠٠ فهى تستعيد بوساطة الضجة وبعدم التكييف الأساسى مع التأمل والصمت ما تقدمه لنا من قبل فى سخاء مشوش

٠٠٠ ان تشتيت القيم وعدم استمرارها وجعلها فتاتا ، هى على الصعيد الفكرى اكبر بلايانا المعاصرة »

ويستشهد على رايه هذا بكتاب للفيلسوف السويسرى « ماكس بيكار » ويعرض منه صفحة كاملة تبين كيف يرى الانسان المعاصر العالم الخارجى ويضرب على ذلك مثلا بمجلة ترى فيها خير مثل على ذلك التشتت ٠ « وهذا يبرهن على أن نفسه — الانسان — ذاتها فى فوضى » كما يضرب مثلا آخر ببرامج الراديو ويقول عنها : « **ان عالم الراديو ليس منقطعا وحسب بل انه يولد الانقطاع فهو يقدم الأشياء محرومة من كل رابط عضوى ٠ »**

وينتقل بعد هذا الى الحديث عن الثقافة والحرية مستشهدا بكلمة لأرنولد توينبى يقول فيها : « اننا نشهد اليوم فى جميع مستويات المجتمع البشرى وعيا ينبغى أن يكون ثقافيا كى يكون كاملا ٠ فالشعوب والأمم والأفراد قد بلغوا من القوة التى توحى وتوجه منازعهم وآراءهم وتصرفاتهم ٠ وهذه القوة هى ارادة الكمال المنجزة فى الحرية ٠ » وعلى هذا يبنى المحاضر أساس معرفته للناس على قدر مفهومهم للحرية « فحين يتعثر الفكر فى مفهوم الحرية فاننا ندرك ان هذه الثقافة غير كافية أو موجهة » ويورد رأيا « لبرنانوس » فى تلك النقطة يقول فيه : « هذه اللامبالاة تنطوى على تهيئة رهيبة لا للفكر وحسب ، بل للشخص بكامله حتى فى مظهره الفيزيائى ٠ ان الذى يتفتح بلا مبالاة على الصحيح والخطا لعلى أهبة لأن يتحمل أى نوع من لطغيان ٠ ان هوى الحقيقة يسير فى خط واحد مع هوى الحرية ، ولست أعنى حرية تعبير الانسان عن افكاره وحسب ، فملايين الملايين من البشر فى العالم منذ عشرين عاما — وحتى اليوم — لم تنتزع منهم حرية التفكير بالقوة ، بل قاموا وما يزالون يقومون بالاستسلام اللا ادارى ٠ وانهم ينظرون الى هذه التضحية على أنها أمر يستحق الثناء ٠ بل انها ليست تضحية بنظرهم ٠ انها عادة تبسط الحياة ، وانها لتبسطها على نحو رهيب ٠ وان القتلة فى الأنظمة الجماعية مجندون من بين هؤلاء الناس المبسطين على نحو رهيب ٠ »

وبعد حديث عن « الانسان النزيه » ينتقل الى الحديث عن الثقافة والسياسة وفى رأيه « ان المسئولية الاولى والأسمى والوحيدة بالنسبة لشاب يعنى بأن يصبح رجلا ، هى وعيه لنفسه الذى يتم شيئا فشيئا ، ووعيه لبيئته الخاصة الذى يتم شيئا فشيئا ٠ ووعيه لبيئات أخرى يحتك بها اليوم أو فى المستقبل ، وعى مبنى على المعرفة والمحبة ٠ وان ارتماء الانسان جسدا وروحا فى السياسة قبل أن يبلغ هذا الوعى بنتيجة جهد ثقافى بطىء صلب ليعتبر خطأ فاجعا وجنونا أشبه شىء بجنون من يسعى للتوغل فى الصحراء دون بوصلة أو طعام أو ماء ، ان ذلك يعنى أن يتنازل الانسان عن اندفاعه كيما يسلمه لعفوية الآخرين العمياء ٠ ويرمى به الى الفوضى بوساطة القوة التى هى ابنة تشتيت القيم وتفتيتها ٠٠ اذن فالثقافة هى اخفاق الفوضى الداخلية والخارجية على السواء » ٠

وفى النهاية يحذر من الخضوع للاله الجديد (الانتاج) فيقول : ان التقنية هى من صنع الانسان فاذا خضع الانسان للتقنية فضحى بنفسه ، عن وعى أو عن غير وعى ، لأحد الآلهة الرئيسية فى الاقتصاد الحديث ، وأعنى به الانتاج ، فانه لن يستطيع من بعد أن يصبو الى أى تفتح ثقافى » ٠

● وفى المعرفة لهذا الشهر حديث عن الادب السويسرى قدمه « سعيد صائب » وتكلم فيه عن الادب فى كل لغة من اللغات التى تتكلم بها اقسام سويسرا ٠

وبدأ حديثه عن أدب اللغة الالمانية الذى «يشكل

القسم الاكمل والاتم ويتكشف عن طابع خاص وسمات مميزة ويتجلى فى استقلال ذاتى وأصالة تعبير » فضلا عن تميزه بقدمه وغناه لارتباطه بتاريخ سويسرا السياسى · فالوثائق التى عثر عليها تثبت أن أدب القرنين الثانى عشر والحادى عشر كان أدب مجاملة وفروسية برع فى كتابته الادباء ودعموه حتى نما وازدهر · أما أدب القرنين الثالث عشر والرابع عشر فامتاز بأغانى الحرب · فلما جاء القرن السادس عشر ظهر الادب الانسى الذى تأثر بحركة الاصلاح الدينى وكان من نتيجتها قيام مجادلات دينية اشترك فيها الأدباء السويسريون « ومنذ ذلك الحين والمسرحية السويسرية تغنى غناء عجزت عنه مثيلاتها فى ألمانيا ذاتها » · اما القرن السابع عشر فقد تميز بسمتين : هما فترة انحطاط خيمت على الادب السويسرى فى اللغة الالمانية ، وحركة انتقال آتت أكلها فى القرن الذى تلاه اذ تجدد الأدب فى مدينة زيورخ على يد أديبين هما : بودمر وبريتنجر · « وهكذا لم يكد القرن التاسع عشر يسفر عن وجهه ويوغل فى مسيره حتى رأينا سويسرا الالمانية قد قويت شخصيتها فاستوى لها ادبها وفكرها وبرعت فيهما » ·

وينتقل بعد هذا الى الحديث عن نشأة الادب السويسرى فى اللغة الفرنسية ويصفها بأنها مختلفة عن مثيلتها فى اللغة الالمانية · فلم تكن له وجوه ابداع أو طابع خاص أو سمات مميزة « بيد أن هذا الخمول لم يدم طويلا ، فما فتىء أن طرا على الادب ضرب من الاصلاح والتنظيم كان بمثابة تدشين للحياتين الادبية والفكرية على السواء » · وبعد جان جاك روسو أعظم أدباء اللغة الفرنسية فى القرن الثامن عشر · « فقد جسد الروح السويسرية فبلغ بها حدود العبقرية بعد أن استقطب نتاج عصره الادبى ، وأسهم مع أقرانه الفلاسفة والمفكرين فى اعداد النفوس للثورة على سيطرة الكنيسة ، والدعوة للايمان بالتطور وهدم المجتمع القديم ومظالمه ومساوئه ·· وكان روسو فيلسوفا وكاتبا أديبا ومصلحا مثاليا ، انتج مؤلفات عدة ، منها ما تناول الحضارة بالنقد من الوجهتين الاخلاقية والفكرية » ·

واتجه الادب السويسرى فى اللغة الفرنسية ثلاثة اتجاهات ابان القرن التاسع عشر ، جاءت متوالية · منها ماجاء نتيجة الثورة الفرنسية · « وقد مثل هذا الاتجاه جيل مرموق من الادباء والمؤرخين ، عنى بالادب والتاريخ ، عنايته بالسياسة والتربية ، كما نفذ الى الرومانتيكية ·· ثم ما عتمت أن تكونت مدرسة من الاخلاقيين والفلاسفة ·· اما فى القرن العشرين فقد برز فى الطليعة شعراء كانوا الممثلين الحقيقيين للعبقرية المحلية » ·

وثم نقلة أخرى الى الحديث عن الادب السويسرى فى اللغة الايطالية وتبين أن من ينظر فى هذا الادب لابد سيتملكه العجب لخلوه من أى أثر أدبى قديم يستحق الذكر بالرغم من ان الادباء فى سويسرا « كانوا يسعون جهدهم الى أن يغدو أدبهم كلا متكاملا ، وان اختلفت لغاتهم وتباينت لهجاتهم · وحتى ايطاليا بعظمتها الادبية فى عصر النهضة لم تؤثر فى الآداب الايطالية بسويسرا ، ولهذا لم يكن غريبا عجز السويسريين الايطاليين » وانعزال أدبهم وجموده وعدم قدرته على النهوض وبلوغ المستوى الذى يلبى الحاجة اليه فى ممارسة دوره الفعال وممارسة تأثيره فى الآداب الاجنبية » ·

« اما لغة الريتورومان فقد أثمرت بلهجتيها الاساسيتين ، أدبا بلغ الكمال شعرا ونثرا ، وقد مر هذا الادب بفترتين أساسيتين ، احداهما حين ثار البروتستانت والثانية فى القرنين السابع عشر والثامن عشر » ·





مع الشعراء

ترحب الرسالة بكل ما يرد اليها من الشعر ، صحيح أنها لا تستطيع نشر كل مايرد اليها ، ولكنها تظل ترقب دائما عمليات النمو داخل التجربة الشعرية ، ومن هنا فهى لاتدعو الشعراء الى اليأس اذا لم يجدو قصائدهم منشورة ، فقد يأتى الوقت الذى ترى فيه أنه أصبح من واجبها التركيز الملح على أحد الأبناء الذى أخذ يطور نفسه بالقراءة والممارسة واقتحام التجارب .

والرسالة اذا كانت تدعو الى شيء ، فان هذا الشيء لن يكون الى تغيير النظرة الى الشعر ، فقد مضى الوقت الذى كان يكتب فيه الشاعر وهو أشبه بالنائم .. وهو بعيد عن عصره ونفسه .. وهو غير ملتصق تماما بالتجربة .. وهو على مقهى أو فى شرفة أو بين حديقة !

فالشعر اليوم وصول الى جوهر الوجود ، ووقوف على محور الكون ، واحتضان للانسانية ، وامتزاج بالناس ، وامتصاص للطبيعة ، ومن هنا فقصيدة اليوم تحتاج من الشاعر الى أن يمزق نفسه دونها بمعاناة التجربة ، واستلهام الرموز من كافة الحضارات ، وبالقراءة التى لا تتوقف فى رصيد الشعر ، وفى كل ما يتصل بأدواته من عروض ، وفقه لغة ، وعلم أصوات ، بالاضافة الى فتح نوافذ النفس على كافة الفنون الأخرى من رسم ونحت وموسيقى .. .. الخ

بهذا وغيره يمكن أن يكون لنا شعر جديد بكلمة « الشعر » .. ومهما يكن من شيء فالرصيد الذى وصل الى الرسالة من الشعر هو الآتى :

مدى يديك ..
للشاعر احمد عمر هاشم

اصرار لاجيء ..
للشاعر حسن شكرى

وعد ..
للشاعر يحيى حسن سعد

عودة الحب ..
للشاعر احمد جلال فرحات

تأمل ..
للشاعر عباس بيومى

دمعة على العقاد ..
للشاعر السعودى على حسن غسال

الخمر ..
للشاعر السودانى عثمان احمد محمد

أرض البطولة ..
للشاعر العراقى رحام الكيال

أحداث الشواطيء ..
للشاعر محمد مصطفى الاسلامبولى

الليل والحب ..
للشاعر طه يسن طه

تساؤل ورجاء ..
للشاعر أبو اليزيد عرفه

يقظة افريقية ..
للشاعر احمد نبيل جاد الله

اللحظة الغراء ..
للشاعر حسن عطية لطفي

دنيا القدر ..
للشاعر عدنان أسعد

حنين ..
للشاعر محمد مسعود الزليتني

ومهما يكن من شيء فسيختار البريد الأدبي في كل فترة قصيدة من القصائد التي تاتي اليه ، ثم يدفع بها الى أحد النقاد المعروفين ، لدراستها وكتابة تحليل لها في هذا الباب .

فوق الحياة
للدكتور محمد سعاد جلال

عن فوق الظلام ، والخوف ، والألم
عن فوق الأحزان ، والدموع ، والندم
عن بغير طمع ولا رجاء
وبغير تضرع ولا استسلام
كالصخرة في أعلا الجبل
تعيش مع النجوم
وتتحدى العواصف
عش في الحياة وأنت فوق الحياة
كالسفينة في البحر وهي فوق موج البحر
احمل قيثارك في الظلام
وغن للخطر
وارقص على شاطيء الدم
لا تنل من نفسك الهزائم
ولا تصرع قلبك الفجائع
ولا تهد عزمك العداوات
ارقد فوق السحاب
وطر مع العاصفة
وامنع نفسك للهول
وعش مع الزلزال
تألق كالشمس
وابتهج كالزهر
واضحك كالطفل
واذا فرضت عليك المعركة
فتكشف عن وهج النار
وحدة السيف
ومضاء القدر
وصادق الموت :
الموت صوته جميل
ووجهه رائع
وعونه قاطع
وصداقته ظفر مؤكد
واذا تخلى عنك الأصدقاء
واذا خذلك الأولياء
ونأى عنك القرباء والبعداء
فان الموت الصديق الشجاع
سيظل معك لنهاية المعركة
لتصير بطلا
أو تصبح شهيدا
هذا - يا بني -
هو شرف الحياة
اذا آثرت أن تعيش رجلا

حول .. حول الأدب في اسبوع ..
بقلم عيسى متولي

راقتني تعبير « رفع المحار عن اللؤلؤ » الذي أورده عبده بدوي وهو يتحدث عن ايمانه بالشباب ، الى حد أنه لما طلب اليه الاسهام في تحرير « الرسالة » العزيزة طلب الاشراف على باب البريد الأدبي ، ليستطيع من خلال هذا الباب « رفع المحار عن اللؤلؤ » ...

فهناك مواهب في الشباب ، لا ينقصها غير من يشجعها ، ويأخذ بيدها ، ويفسح أمامها الطريق .. ويرفع المحار عنها !!..

ولطالما استمعت الى شكوى أكثر من اديب ناشيء ، من اهمال الصحف الى مايكتبون ، فانقطعوا عن الكتابة حين انقطع أملهم ورجاؤهم في نشر مايكتبون ... لأنهم يعلمون ان مصير رسائلهم هو « سلة المهملات » !..

ولو أن هؤلاء اليائسين وجدوا من يشجعهم ، ويفسح لهم صدره ، لمضوا في طريقهم ، وزاد انتاجهم ، ولمعت اسماؤهم !..

وكما أن هناك صحفا ومجلات تخصص بعض أعمدتها لما يكتبه القراء ، فان غالبية الصحف لا تولى هذا الباب اهتماما كبيرا ...

تأنيب في منتصف الليل

للقصاص العراقي الدكتور حسين كبة

كان قد ذهب الرجل الى استماع محاضرة عنوانها «مدغشقر اليوم» اعلن عنها انها عامة • وكان غرضه ان يزيد في ثقافته ويوسع آفاق معلوماته ، ولكن حدث وهو يستمع الى المحاضر ، ان انتابته نوبات من التثاؤب لازمته طيلة الوقت الذي استغرقته المحاضرة وحين شعر ان قد أضناه التعب وانهكه الملل ، حاول ان ينعش نفسه بجرعة من الخمرة من قنينة في جيبه في كل مرة يتثاءب فيها، لعله يستعيد بها نشاطه، ولكنه لم يجد في ذلك ما يستعين به على التغلب على هذه الظاهرة • وحين وصل الى بيته كانت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل •

وقد يبدو ان ذلك امر لااهمية له • ولكنه كان في الواقع السبب الذي دعا زوجه الى أن تقاسي آلام الضجر والملل وحدها • فكانت وهي تشغل نفسها برتق الثياب ، قد زين لها خيالها ، ان زوجها كان قد قضى وقتا ممتعا في سهرة ، تذوق حلو الحياة فيها ، واستمتع بلذيذها • فارتأت ان لم يكن يليق به ، بعد ان أمضى ليلته بعيدا عنها ، أن يعلن جوعه ويطلب عشاءه • ولذلك لم تزد على أن قالت : عليك ان تذهب بنفسك الى المطبخ ، فتعمل ماتشاء ممايسد رمقك ، وانت تعرف جيدا محلات اللحوم والزبدة والخبز •

ولم يكن لكلامها وقع طيب في نفس زوجها •• وحين اتجه الى المطبخ التفت الى زوجه يقول : ليست لي شهية للخبز واللحم المقدد في هذا الوقت المتأخر من الليل ، فهل هناك شيء آخر ؟

فقالت له بكلمة مقتضبة ، كبدة مقددة ! فرأى ان الكبدة المقددة التي يحبها كثيرا ، أولى به أن يتلذذ بها في الفطور ، وقت الصباح ، وليس بعد منتصف الليل ، بعد سماعه تلك المحاضرة المملة ، فرجع الى نفسه يسائلها عن شيء آخر يشتهيه فاستقر على ان يأخذ علبة من السمك المقدد فهو شيء خفيف يريح المعدة في هذه اللحظات المتأخرة من الليل •

وجاء الى زوجه يسألها ما اذا كان لديها شيء منه ! فكان جوابها النفي طبعا • وكان هو نفسه يعرف ذلك جيدا ، وزوجه تعرف كذلك أن زوجها يعرف ان ليس في البيت شيء منه • فلم تكن قد اعتادت أن تشتري من هذا السمك المعلب ، بل كان هو الذي يحبه ويشتريه •

ترى كيف يمكن أن يكون تصرف الزوجة في مثل هذه اللحظات ؟ أتراها تصوب اليه نظراتها بعينيها المتألمتين ، وتأخذ يده تهزها بحرارة هادئة ساكنة ؟ لا أدري اذا كان للرجل خلق يحتمل ذلك ؟

أوانها تشير بيديها الى الرفض بكل بساطة، وتستمر بالخياطة ، وتلوذ بالصمت ؟ ومن يدري فقد يكون في ذلك ما يعود على الرجل بالخطر •

أو انها تنادي «**سمك معلب**» بلهجة فيها الدهشة والحيرة والارتباك كما لو لم يكن في البيت من يستطيع أن ينجز مثل هذه الخدمة •

ولعل من سوء الحظ أن تكون الزوجة قد لاذت بالصمت ، وهي تعبة من السهاد ، أن تختار الامكانية

الثانية ، فاشارت بيدها بالرفض حين عاد زوجها يسالها بصوته الخافت المرتعش ، يقول هلا وجد فى البيت شيء من الجبنة الافرنسية ؟ وهو يعلم ان ليس فى البيت من ياكلها .

ولعلنا نستطيع أن ننقل تفكير الزوجة فى هذه الحال ، فنتصور مرة أخرى ان الزوجة حين تجلس طيلة ليلها وحدها تشغل نفسها برتق الجوارب والملابس يقطع قلبها انتظار زوجها ، قد يزين لها خيالها ، ان زوجها راح يلهو بين جمع من المستمعين يانس بسماع محاضرة مثيرة يتفتح لها خياله وترتاح اليها نفسه ، واذا ما اتسعت آفاق أخيلتها ، فانها لتراه يحتسى قدحا من الخمرة بين الفينة والاخرى ، ولا يعجبه أن يانس بحديث مع شريكة حياته ، ولا يهمه أن يسمر معها . ثم ياتى الى البيت فى هذا الوقت المتاخر من الليل ، فيطلب من زوجه أن تقدم له شيئا من السمك المعلب ، أو الجبنة الافرنسية ثم يردف ويقول ، ان أمى تهيىء مثل هذه المأكولات فى البيت على الدوام .

والى هنا كانت قد دقت الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، وكان يسمع من وراء خرائب المدينة صوت البوم حين كادت الزوجة تقضى على حياة زوجها بنغزة ابرة كانت بيدها .

انها الحياة ترى حزينة كئيبة أحيانا ، فهذا الرجل الذى استمع الى تلك المحاضرة الجافة لم يخطر بباله ما قد جرته عليه من ويلات .

ان اسمه «**دكتور معتوق**» وهو الآن منطرح على سريره فى الفندق يقرأ فى مجلة «اقتصاد فى البناء» وقد يكون من حسن حظ أولئك الذين يحبون عمل الخير أو من سوء حظهم ان أستطيع أن أصحح شيئا من الخطا هنا فلم تكن الزوجة فى حقيقة الأمر قد غرزت الابرة فى جسم زوجها بعد .

وهنا تتلاوح أمامنا كلمة «ولكن» الكبيرة وكلمة «ولكن» المنتظرة .

فلو لم تكن الزوجة قد تحلت بالطيب ، ولو لم تكن قد عاشت فى هذا القرن العشرين ، وترعرعت فيه ، ولو لم تكن قد تعلمت فى هذا العصر الذى لايمكن ان يفلت فيه من يد العدالة من وخز وخزة الموت ، ما استطاع احد ان يقول كيف انتهت هذه القصة هذه النتيجة الغامضة .

وقد يكون مما يبعث على الاستغراب والدهشة الا يكون الكثير من الزوجات ممن يمسكن بالابرة يجلبن الأذى والألم فى مثل تلك اللحظات .

ترى أيكون جزاء الزوجة لقيامها بواجبات البيت ان تترك لمثل هذا العذاب ، ويأتى زوجها بعد أن قضى سهرته بعيدا عنها ، فيطلب عشاءه من السمك المعلب أو الجبنة الافرنسية ، ويضيف ان امه تحتفظ بكل ذلك فى بيتها على الدوام .

ولعل الناس لهذا السبب نفسه قد تكاثروا شيئا فشيئا فى الايام الاول حين لم يكن الرجال يحسبون أن سيأتى يوم يصرخون فيه ، يطلبون عشاءهم من السمك المعلب .

وقد يكون من المستحسن أن يعرج المرء فى مثل هذه الحالات الى المطبخ فيأخذ قطعة من الخبز مع شيء من الزبدة ، يسد بها رمقه ، ويلوذ بالصمت ثم يأوى الى اريكة يضطجع عليها من غير أن يثير ضجيجا أو صخبا ، وليته يضيف الى ذلك شيئا من اللباقة ، فيثير احاديث ممتعة ، يسمر بها مع زوجه ، فيجعلها تتحلم بحلو أيامها ، حتى لتتراقص على نغمات ضربات اناملها . وليت الزوجة هى الاخرى ، تتحسس بقلبها خلق زوجها وطباعه ، فتستطيع أن تتبين الكثير من مواطن الضعف فيه .

وبعد ، فماذا جنى الرجل من هذه المحاضرة ! وهى كما تبدو ، محاضرة جافة مملة ،ليس فيها غير كلمات معادة يأنف منها الذوق . ترى أيتوقف تأثير مثل هذه المحاضرات على السامعين على من قالها ، أو على مادتها وقيم محتوياتها ؟



العدد ٦١

الثمن ٣ م

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الفهرس

رئيس التحرير

أحمد حسن الزيات

المراسلات جميعها تكون باسم السيد مدير ادارة المجلات

٢٧ شارع عبد الخالق ثروت

بريد محمد فريد . القاهرة

تصدرها

الثقافة والارشاد القومي

الاشتراكات ١٥٠ مليماً سنويا

ويضاف أجر البريد من خارج ج.ع.م

الصفحة

العدد ١٠٨٠ ـ الخميس ١٨ جمادى الاولى ١٣٨٤ هـ ـ ٢٤ سبتمبر ١٩٦٤ م ـ السنة الثانية والعشرون

التطوير الجامعي

للدكتور محمد احمد خلف الله

من الجامعيين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه · فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا ·

ومن الجامعيين رجال تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم · رجال يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، ويقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم ·

والطائفتان من الجامعيين معروفتان لدى القائمين على أمور التطوير الجامعي ـ اداريين وغير اداريين ـ يعرفون كلا بسيماهم ، ويدعونهم كلما نبتت في أذهانهم فكرة مشروع ، أو اعترضت طريق الحياة الجامعية عقبة ·

والقائمون على أمر التطوير الجامعي يدعون من الأولين قلة لانهم أصعب مراسا وأقوى شكيمة ، ويدعون من الآخرين كثرة لانهم أسلس قيادة وأهون أمرا ·

يدعون الأولين لأنهم القادرون على الاستكشاف ـ استكشاف كل خطأ في سبيل الاعمال الجامعية · وبذلك يتفادى القائمون على أمر التطوير من كل اعتراض يعترض به على المشروعات التي القوا بها بين أيدي اللجان · ويدعون الآخرين لأنهم بكثرتهم القادرون على دفع المشروعات الى الامام ، والموافقةعلى كل ما أعد من قبل من مشروعات أو مقررات ·

والقائمون على أمر التطوير الجامعي حريصون كل الحرص على أن تنفذ المشروعات التي يتقدمون بها · ومن هنا يرون أن تكون أعمال اللجان أعمالا شكلية ومن هنا أيضا تكون دعوتهم الى اللجان ـ تكون دعوتهم للقلة المؤمنة بنفسها ودعوتهم للكثرة المستجيبة لكل ما يطلب منها ·

والقائمون على أمر التطوير الجامعي يخشون خطر القلة المؤمنة بنفسها من أن تصيب الكثرة بالعدوى ـ عدوى الوقوف أمام المشروعات التي لا تمثل الحق والخير ـ فتشيع في الجو قيما تحول بين القلة المؤمنة وبين أن تصل الى ما فيه نفع للجامعة والجامعيين ، تشيع مثلا أن ماتقدمت به من مشروعات هو الذي ترغب فيه السلطات العليا ـ ويعلم الله أن هذه السلطات تكون بريئة من كل ما يسند اليها ·

وتشيع في الجو أيضا أن فلانا وفلانا قد اعترض على اختيارهما لانهما من المعطلة الذين يعطلون الأعمال ·

وتحقق هذه الاشاعات أهدافها ، ويصل القائمون على أمر التطوير الى أغراضهم ، وتختفي الحقيقة وسط الضجيج المصطنع في داخل اللجان ، ويكتم أعضاء اللجان كل ما جرى مخافة أن يصيبهم من الأذى ما أصاب من ضربوا لهم مثلا ·

ان الضمير العلمي ضمير خلقي أولا وقبل كل شيء

وان مصلحة التعليم الجامعي فوق أهواء الذين يزينون للناس زخرف القول غرورا بالباطل .

ان الضمير العلمي حريص كل الحرص على البحث عن الحقيقة ، وعلى الوصول الى الحقيقة ، وعلى اعلان أمرها للناس . والذين يرقبون أعمال التطوير في الجامعات يرون الحقيقة وقد ضلت طريقها ، ويرون الشكليات وقد سادت كل ما عداها .

ان ما قمنا به من تطوير قد دار في فلك الشكليات حتى اليوم .

دار بعضه حول قبول الطلبة في الكليات الجامعية حسب درجاتهم لا حسب رغباتهم ، وحين طلب اليهم ذكر الرغبات كان قد استقر في أذهانهم أن القبول يدور دائما حول الدرجات ومن هنا كانوا يذكرون رغباتهم على أساس من درجاتهم وليس على أساس من غواياتهم .

ودار بعضه حول امتحان الفصل الواحد أو الفصلين ، وعلم الجامعيون جميعا أن حكاية الفصلين بدعة ولكنهم سكتوا عليها ، وأخذوا يتحايلون في قسمة المواد بين الفصلين ليكون امتحان الفصل الاول أيسر عليهم ، كما أخذوا في تعطيل نتائج الفصل الاول لتجمع مع نتائج الفصل الثاني وتعلن النتيجة على هذا الاساس . ولم يكن ذلك كله الا تحايلا منهم يريدون به أن تظل امتحانات الفصلين عملية شكلية .

ودار بعضه حول المواد أو حول كيفية توزيع المواد على سنوات الدراسة . فهذه المادة ترفع من السنة الأولى الى الثالثة ، وتلك تخفض من الرابعة الى الثانية ، وهكذا .

ان التطوير الجامعي لم يمس أبدا الجوهر وظل ابدا يدور حول العرض .

يقول بعض المهتمين بشئون التربية : ان نتاج الجامعات في البلاد العربية غير متفق مع ما تحتاج اليه البلاد من انماء وتنظيم ...

ان مساهمة جامعيينا في الانماء الاقتصادي دون المطلوب في هذه المرحلة من حياتنا التي تدعو فيها لتفجير مواردنا واستغلال امكانياتنا الى أبعد حد ممكن ...

ان تعليمنا الجامعي مقصر في سد حاجة الامة الى الانماء الاقتصادي ، ورفع مستوى معيشة الشعب ، ومقصر كذلك فيما يرجى منه من توفر الاختصاصيين المؤهلين للقيام بشئون التنظيم في شتى نواحي حياتنا ..

هذا الذي يقوله هذا الكاتب يتفق تماما وما جاء في الميثاق من دعوة تقول : **ان مسئولية الجامعات ومعاهد البحث العلمي في صنع المستقبل لا تقل عن مسئولية السلطات الشعبية المختلفة .**

ان السلطات الشعبية بدون العلم قد تستطيع أن تثير حماسة الجماهير لكنها بالعلم وحده تقدر على العمل تحقيقا لمطالب الجماهير .

ومن هذا التصور فان الجامعات ليست أبراجا عاجية ولكنها طلائع متقدمة تستكشف للشعب طريق الحياة ...

ان المشاكل الاقتصادية والاجتماعية الكبرى التي يتصدى شعبنا اليوم لمواجهتها لا بد لها من حلول علمية .

على أن مراكز البحث العلمي الآن مطالبة في هذه المرحلة من النضال أن تطور نفسها بحيث يكون العلم للمجتمع ...

هذه الدعوة من **الميثاق** هي التي يجب أن تكون أساسا للتطوير الجامعي . أساسا ينبت أولا وأخيرا من العلاقة بين القيم العلمية والحياة في مجتمعنا . وذلك لن يتم أبدا الا على أساس من تطوير المناهج والا على أساس من الاستاذ والطالب .

ان الاستاذ والطالب والمنهج هي الأسس الثلاثة التي يجب أن يكون التطوير على أساس منها .

فالاستاذ يجب ان يكون مدركا واعيا لنفسه أولا وللقيم العلمية ثانيا والا فسد عمله حين يربط بين القيم العلمية وبين الحياة فى المجتمع الذى يعيش فيه ٠

والطالب يجب ان يكون من الذين تمكنهم قدراتهم من العمل القيادى فى المستقبل ـ والا أخرجنا انسانا عاطلا غير مؤهل للتنظيم والعمل القيادى ٠

والمنهج يجب ان يكون قائما على القيم العلمية التى تفسر الحياة فى مجتمعنا ، وتســاعد على التقدم العلمى والانماء الاقتصادى فى مجتمعنا ٠

وذلك كله يتم لو توخينا الحقيقة ، وادركنا اهداف التعليم فى كل مرحلة ، ووقفنا بصفة خاصة عند مهمة الجامعة فى الحياة ـ تلك المهمة التى اشار اليها الميثاق وهى أن الجامعات طلائع متقدمة تستكشف للشعب طريق الحياة ٠

يجب ان يقوم التطوير على هذه الأسس ٠

الاستاذ الواعى المدرك ٠

والطالب المتفتح ٠

والمنهاج الذى يؤسس حياتنا على قيم علمية وينمى احساس النشء بالخطر المحدق بنا ، ويوفق بين تراثنا القديم والمدنية الحديثة ٠

كلمات

ان قدرتنا على التمكن من فروع العلم المختلفة هى الطريق الوحيد أمامنا لتعويض التخلف ٠٠٠

ان الأمم التى ارغمت على التخلف ٠ اذا ما استطاعت ان تبدأ الآن معتمدة على العلم المتقدم تضمن لنفسها نقطة بداية تفوق النقطة التى بدا منها الذين سبقوها الى المستقبل ٠ ومن ثم تمنح نفسها قوة اندفاع فى اللحاق بهم والسبق عليهم ٠

لا ريب ان كليات الآداب والعلوم هى المعــاصر التى فيها تعالج المشاكل الانسانية الأصيلة ، وتوضح الفكر والمبادىء العامة التى يرتكز عليها كل بحث او استقصاء ٠

فيها يدرب الطلاب على التامل ، وعلى مجــابهة قضايا العقل والروح ، وعلى استكشاف المنابع الاولى لحياة المجتمع ، والمثل العليا لنهضته ورقيه ، وعلى التمييز بين القيم واحترام ارفعها واعظمها شأنا ٠

انهــا بهــذا الوصف لب الجامعة ، وازدهارها ضرورى لتغذية الكليات الاخرى كى لايكون متخرجو هذه الكليات مهنيين فحسب ، بل مثقفين ثقافة عامة بكل مافى الكلمة من معنى شامل عميق ٠

ثم ان هــذه الكليات ـ الآداب والعلوم ـ مدعوة قبل سواها لصنع قادة الفكر ، وما احوج المجتمــع اليهم ـ خصوصا اذا كان كمجتمعنا على مفترق الطرق ، وفى غمرة ازمة كيانية يتوقف عليها كنه وجوده ٠

اننا نبغى بناء مجتمع عربى جديد ، فلنركز أصوله فى القيم الانسانية الأصيلة ، مدعومة بقيمنا القومية التى جلاها ماضينا ، وفرضها حاضرنا ومستقبلنا ٠

ان أوضاع تربيتنا الجامعية ، الذاتية والظرفية ، تجعلها تتوجه الى انتاج وسطى وافر لا الى انتاج ممتاز مختار ٠ فلا بدع الا تخرج لنا القادة الصالحين ، ولا تولد لنا الزعامة المطلوبة ٠

« دكتور محمد أحمد خلف الله »

الدعوة إلى التجديد الدينى

بقلم

محمد محمد المدنى

- ١ -

كتب السيد الدكتور **محمد أحمد خلف الله** فى مجلة الرسالة عدة مقالات تحت عنوان « التجديد الدينى » تناول فيها بالبحث بعض المسائل الهامة المتصلة بأصول الشريعةالاسلامية وقواعدها ، ورغب الى المشتغلين بدراسة الفقه الاسلامى — وخاصة فى الميادين التى طرحت فيها مشكلات جديدة لمجتمع جديد — أن يشمروا السواعد لبحثها والخروج من هذا البحث بنتائج اصلاحية تتفق ومقتضيات التجديد والتطور الزمنى والاجتماعى .

وقد رغب الى بعض اخوانى — كما رغب الى سيادته — فى أن أبدى رأيى فى هذه المقالات ، وأن أناقش ماجاء فيها .

وانى مستجيب لذلك ، على الرغم من أننى لا أحب أن أشتغل بالجدل ، وأوثر أن يكون اشتغالى ببحوث مستقلة أقدمها للقراء ، مسجلا بها صورا متكاملة لأفكارى وتأملاتى ، فان ذلك أجدى فى نظرى ، وأحفظ للوقت والجهد ، وأقرب الى تحقيق منهج غايته البناء والانشاء .

واذا كنت سأبدى الرأى فى أهم ما كتبه سيادة الدكتور موافقة أو معارضة — بترتيب ما أورده فى مقالاته — فانى سأحاول مع ذلك أن أتوسع ببيان يفيد القراء بيانه حتى لا يكون ما أكتب مجرد تعليقات ، وبالله أستعين :

١ — فى المقال الاول الذى كتبه سيادة الدكتور بالعدد ٥٥ من **الرسالة** :

● قدم بمقدمة أتى فيها بفروق اربعة بين التشريعات الدينية والتشريعات المدنية : خلاصتها « ان التشريعات الدينية لا تقف عند حدود عالم الشهادة ، وانما تمتد الى عالم الغيب أيضا ، وأن فى التشريعات الدينية عناصر ثابتة لا تتغير بتغير الزمان أو المكان ، وهى ما يتعلق بالمعتقدات الدينية الخاصة بالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .. الى غير ذلك ، وعناصر غير ثابتة يمكن ان ينالها التغيير والتبديل ، وهى التكاليف والاحكام، وان النصوص فى التشريعات الدينية لا يمكن أن تكون محل تغيير ، فقد تبقى لفظا ومعنى ، وقد تنسخ أحكامها وتبقى ألفاظها فلفظها مقدس ليس محل تغيير ، ولكنه يقبل التفسير والتأويل « حسب الظروف والمناسبات » ، وأن تغيير الاحكام الدينية عن طريق النسخ لم يعد ممكنا بعد وفاة الرسول وتوقف الوحى عن النزول » .

● أورد الدكتور بعد هذه المقدمة سؤالا هذا نصه :

« ما العمل الآن فى آيات الاحكام والتكاليف التى يمكن ان تتأثر بفعل الزمن ؟ » .

● ثم أخذ فى تنوير القراء لكى يحاولوا الجواب على هذا السؤال بأن وضع أمامهم بعض النصوص عن ابن خلدون ، وابن القيم ، والغزالى ، وبعض القواعد المعروفة عند العلماء وهى : «الضرورات تبيح المحظورات » ، و « الحكم الشرعى المبنى على علة يدور مع علته وجودا وعدما » ، و « الاحكام تتغير بحسب تغير الازمنة والأمكنة والاحوال والنيات والعوائد » .

● ثم عاد الدكتور مرة أخرى فقال : « اننا نضع هذه القواعد بين أيدى القراء لنعيد عليهم من جديد السؤال السابق : « ما العمل الآن فى آيات الاحكام والتكاليف التى تأثرت فعلا بفعل الزمن ؟ » » .

— ويلاحظ أن السؤال حين ألقى لثانى مرة

يختلف بعض الاختلاف عنه حين ألقي للمرة الاولى . اذ جاء التعبير اولا بعبارة « آيات الاحكام والتكاليف التي يمكن أن تتاثر بفعل الزمن » ثم جاء ثانيا بعبارة : « آيات الأحكام والتكاليف التي **تاثرت فعلا** بفعل الزمن » أى أن الامر ذكر اولا في صورة الفرض والتقدير ، وذكر ثانيا في صورة الواقع الذي حدث فعلا .

❊ ❊ ❊

تلك هي خلاصة المقال الاول من المقالات التي كتبها السيد الدكتور محمد أحمد خلف الله

أما رأينا في ذلك فنحن نوافقه في بعضه ، ونخالفه في بعضه ، واذا قلنا : نخالفه في بعضه ونوافقه في بعضه ، فانما نقصد التفاصيل التي اراد أن يصل بها الى المبدأ الخطير الذي يوحي به سؤاله ، اما نفس المبدأ فنحن نرفضه رفضا قاطعا ونراه مبدءا خطيرا لا يصح القول به ، فضلا عن الدعوة اليه :

● فنحن نسلم بالفرقين الاولين اللذين ذكرهما عن طبيعة الموضوعات التي يتناولها التشريع الديني ولا تتناولها التشريعات المدنية ، وعن اشتمال الشريعة على العقائد الثابتة التي لا تتغير ولا تتبدل وعلى الاحكام والتكاليف التي تقبل النسخ والتغيير بتغير الرسالات ، أو بالنسخ حال حياة الرسول . ونزيد القراء بيانا وتوضيحا بذكر بعض المعلومات في هذا الشأن ـ على شريطتنا التي اشرنا اليها اول هذا المقال بعدم الاقتصار على التعليق ـ فنقول :

١ ـ ان الحذاق من العلماء يفرقون بين معنيين تستعمل فيهما مادة « شرع » :

فهي أحيانا تفيد معنى : رسم ، ونهج ، وسن من كل ما يدل على الخطة العملية التي رسمها الله لعباده ، وأمرهم بسلوكها ، كالصوم والصلاة والحج والزكاة وسائر اعمال البر وقواعد التعامل والتعايش ومنه قوله تعالى « ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون » وقوله جل شأنه « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » .

وهي أحيانا تفيد معنى : بين ، واظهر ، وأوضح ومنه قوله تعالى « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى : ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه» ـ

قال ابن الاعرابي : شرع أى اظهر ، ويقال : شرع فلان اى أظهر الحق وقمع الباطل .

وتبعا لاختلاف الاستعمال في هذه المادة قال قتادة : الدين واحد ، والشريعة مختلفة ، وفرق الراغب الأصفهاني في كتابه «المفردات» بين الشريعة بمعنى ما قيضه الله للانسان من الدين وأمره به ليتحراه اختيارا مما تختلف فيه الشرائع ويعترضه النسخ ، ودل عليه قوله تعالى « ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها » وبين ما شرعه من الاصول التي تتساوى فيها الملل فلا يصح عليها النسخ ، كمعرفة الله تعالى ونحو ذلك ، وفسر بهذا قوله تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا » .

❊ ❊ ❊

وهذا هو المعنى الذي قرره الامام الرازى فيما نقله عنه السيد الدكتور خلف الله حيث يقول « وبالجملة : فالمقصود من الآية أن يقال شرع لكم من الدين دينا تطابقت الانبياء على صحته ، واقول : يجب أن يكون المراد من هذا الدين شيئا مغايرا للتكاليف والاحكام ، وذلك لأنها مختلفة متفاوتة ، قال تعالى « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » فيجب أن يكون المراد منها الامور التي لا تختلف باختلاف الشرائع وهي الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر » .

❊ ❊ ❊

هذا هو ما ذكره الامام الرازى ، ونقله عنه الدكتور خلف الله ، وينبغي ألا يغيب عن القراء ان كلام الامام الرازى هنا عن تفاوت التكاليف والاحكام واختلافها ، انما يراد به ما يكون من التفاوت والاختلاف بين شريعة وشريعة ، فواضح ان الله تعالى قد شرع من الشرائع التفصيلية ، والمناهج العملية على لسان كل رسول ، ما يناسب أحوال المرسل اليهم وازمانهم ، ولذلك لا يصح ان ينسحب الكلام الذي ذكره الرازى على الشريعة الاسلامية التي هي آخر الشرائع وخاتمتها ، فلا يأتي بعد تمامها ووفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ناسخ لشيء من احكامها ، ولا تشريع جديد يخرج عن نطاقها وما رسمته من القواعد .

٢ ـ واذا أردنا أن نضبط الامر فيما يتعلق بما يجوز الاجتهاد فيه وما لا يجوز الاجتهاد فيه ، في دائرة الشريعة الاسلامية ، فاننا نستطيع أن نلخص ذلك فيما يأتي :

هناك نوعان من المسائل والاحكام يستطيع الناظر فى علم الشريعة الاسلامية أن يفرق بينهما ، وان يهتدى فى هذا التفريق فى بحثه :

النوع الاول : الاحكام القطعية التى قام الدليل على انها ثابتة لا تتغير بتغير الزمان او المكان ، ولا يجوز الاختلاف فيها ، ولا تخضع فى ثبوتها ونفيها لاجتهاد المجتهدين ٠

ويمكننا ان نرجع هذا النوع الى ما يأتى :

اولا : العقائد القاطعة التى يجب الايمان بها ، لقيام الدليل اليقينى — فى ثبوته ودلالته — عليها وعلى انها الحد الفاصل بين المسلمين وغير المسلمين، ومن جحد شيئا منها فقد خرج من ربقة الاسلام ، وذلك كالتوحيد ، وارسال الرسل ، وانزال الكتب وختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم ، والبعث بعد الموت ، والجزاء على الاعمال فى الدار الاخرة، وان الله تعالى متصف بكل كمال ، منزه عن كل نقصان ، وان الرسل لايجوز عليهم الكذب ، ولا الكتمان ، ولا الخيانة ، الى غير ذلك من العقائد التى يكون بها المسلم مسلما ، والتى يخرج عن الاسلام اذا جحد شيئا منها ٠

❊ ❊ ❊

فليس لأحد أن يجتهد فى ذلك وأمثاله ، لانه ليس محلا للاجتهاد ، اذ هو حقائق متعينة ثابتة باقية لا تتغير مهما تغير الزمان أو المكان الى يوم الدين ، وليس هناك احتمال ما لثبوت تغيرها أو بطلانها ٠

ثانيا : الاحكام العملية التى جاءت بها الشريعة بطريقة واضحة حاسمة فى جانب الايجاب أو المنع أو التخيير ، وذلك مثل وجوب الصلاة والزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلا، وكون الصلوات خمسا فى اليوم والليلة ، وكون هيئة الصلوات هى هذه الهيئة المعروفة ، واعداد ركعاتها هى الاعداد المعروفة ، ومثل تحريم قتل النفس بغير الحق ، وأكل الأموال بالباطل ، وقذف الاعراض ، والزنى والافساد فى الارض ، ونحو ذلك ، ومثل اباحة الطيبات ، وتحريم الفواحش٠٠ الخ ٠

ثالثا : القواعد الكلية التى أخذت من الشريعة بنص واضح ليس فيها ما يعارضه تقريرا أو تفريعا ، أو استنبطت بعد الاستقراء التام ، وعلم ان الشريعة تجعلها أساسا لاحكامها ، وذلك مثل : « لاضرر ولا ضرار » ، « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » و « الحدود تدرأ بالشبهات » ، « لا يعبد الله الا بما شرع » و « المعاملات على أصل الحل حتى يثبت المنع » ونحو ذلك ٠

النوع الثانى : أحكام أو نظريات لم تجىء على هذا النحو القاطع فى وروده ومعناه ، ولكنها جاءت أو جاء ما يدل عليها أو يشير اليها ، على نحو صالح لان تختلف فيه الافهام ، وتتعدد وجهات النظر ، اما لأمر يتعلق باصل الورود ، واما لأمر يتعلق بالدلالة والافادة ٠

وهذا النوع هو الذى جعلته الشريعة موضع اجتهاد المجتهدين ، وجعلت منه مجالا للنظر والتقدير والموازنة والترجيح والاستقراء والتتبع وتقدير المصلحة والعرف وتغير الحال الى غير ذلك من وجوه النظر واسباب الاختلاف ٠

ومن هذا القبيل :

(ا) فى جانب المعارف الكلامية : ما كان من اختلاف النظر فى شأن القضاء والقدر ، وفى تاويل ما ورد من اثبات الوجه واليد والعين ونحو ذلك ، لله تعالى على معنى يليق بالتنزيه ، او التفويض بابقائها على ما وردت عليه بدون تأويل ، مع اعتقاد انه تعالى «ليس كمثله شىء» ، وفى امكان روية المؤمنين لله او عدم امكانها ، وفى وجوب التوقف عن الخوض فيما شجر بين الصحابة من خلاف افضى الى التنازع، أو اباحة ذلك لمن شاء ٠٠٠ الخ ٠

(ب) وفى جانب الأحكام الفقهية : اختلاف الفقهاء فى مقدار الرضاع المحرم لقيام الزوجية ، وفى حكم القصاص فى القتل بالاكراه ، وفى صحة النكاح ونفاذه ولزومه اذا باشرت المرأة العقد دون وليها ، وفى القضاء بشاهد ويمين من جانب المدعى ، وفى القضاء بالقرائن ، وغير ذلك من المسائل الخلافية الفقهية ٠

(ج) وفى جانب القواعد الاصولية أو الفقهية التى تفرع عليها الاحكام : اختلاف النظر فى أن القرآن ينسخ أو لاينسخ ، وبم ينسخ ، وفى العمل بالقياس وفى العمل بالعقل ، وفى كون الزيادة على ما فى الكتاب نسخا ، وفى تقديم أحاديث الآحاد أو أقوال الصحابة على القياس ، وفى القياس على الرخص ٠٠٠ الخ ٠

● ونحن نسلم أيضا بما قرره الدكتور خلف الله من أن نصوص الشريعة لا تنسخ بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، بيد أننا نحتفظ هنا بايضاحين لابد منهما :

احدهما : فى قول الدكتور : ان نصوص الشرائع السماوية نصوص مقدسة ، وهى لقداستها لا يمكن أن تكون محل تغيير . انها انما تقبل فقط . التفسير والتأويل حسب الظروف والمناسبات ».

* * *

فاذا كان الدكتور يقصد أن النصوص مع بقائها وتقديس ألفاظها ، يكون من حقنا ان نؤولها ونفسرها حسب الظروف والمناسبات ، فاننا نقول له : ان التفسير والتأويل له أصول وشروط ، ولا يمكن ان يكون أبدا حسب الظروف والمناسبات فيؤدى ذلك الى تذبذب الاحكام ومحاولة التلاعب بالنصوص واضاعة قداستها عن طريق الحيلولة بينها وبين أداء معانيها الطبيعية ، وليها وتحريفها ، وقد نعى الله تعالى على الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ، وعلى الذين يقولون : هذا حلال وهذا حرام بغير سلطان أتاهم ، ولكن **افتراء على الله**.

* * *

أما اذا كان يقصد بتفسير الآيات أو تأويلها ـ اجتهاد المجتهدين فى فهم نصوصها وما تدل عليه فهما غير متأثر بهوى ، ولا جنوح ولا جنف ، وانما هو على سنة الاخلاص للحق والرغبة فى تعرفه حسب قوانين الفهم والاستنباط التى تحكم بها اللغة والعقول والقواعد الاصولية المنضبطة المستدل عليها ـ اذا كان يريد ذلك فهو مقبول ، ولا يقال حينئذ ان لفظ النص وحده هو الذى قدس واحتفظ به ، ولكن يقال : ان النص قد احتفظ له بقدسيته فى احترام دلالته على معناه ، كما احتفظ له بقدسيته فى لفظه .

الثانى : فى قول الدكتور : « لقد كان الرسول يجىء بعد الرسول ليجدد التشريعات الدينية ، وظل الحال كذلك حتى كان محمد عليه السلام الذى **اعتبر خاتم الانبياء** ، والذى توقف الوحى بعده عن النزول » .

* * *

فهذا القول حق ، بيد أن التعبير بقوله عن محمد صلى الله عليه وسلم « **الذى اعتبر خاتم الانبياء** » ليس هو الامثل فى أداء المعنى السليم الذى لاشك أنه يقصده ولا يقصد سواه ، بل التعبير الامثل أن يقال « **الذى هو خاتم الأنبياء** » .

والى اللقاء لنكمل ما بدأناه ان شاء الله .

« محمد محمد المدنى »

اليمن عبر التاريخ

للدكتور فؤاد حسنين علي

ينظر المؤرخون الى العصر السابق للاسلام عادة على أنه عصر ظلمات وفوضى لذلك استودعوه غيابات الجهالة واطلقوا عليه اسم العصر الجاهلي. فالمؤرخون السابقون ومن سايرهم من اللاحقين يعتبرون ذلك العصر وكأنه بالنسبة لبلاد العرب قاطبة عصر الخلق والتكوين ، فالعربي قبل الاسلام لم يعرف حضارة ولم يتذوق ثقافة ، بل ظل طيلة حياته يضرب في بوادي الجهالة وعدم المعرفة فلا ثقافة تقوم اخلاقه ولا مبادىء سامية تنظم حياته وتحكم مجتمعه . فالعرب في نظر أولئك المؤرخين عبارة عن أقوام بسطاء العقيدة يحيون حياة اجتماعية أقرب ماتكون الى حياة الشعوب المتوحشة منهـا الى حياة المثقفين المتمدينين . ويذهبون بعيدا فيجهلون أو يتجاهلون تلك الدول التى قامت عـلى أطراف الجزيرة كدولة **البابليين الاشوريين والآراميين والكنعانيين والمعينيين السبائيين** ، هذه الدول التى اهدت الى الانسانية خير ما يهدى اليهـا من تشريع ودين وعلوم وفنون ارست قواعد حضارتنا الحالية وعلومنا العصرية .

اما سبب هذا التشويه لتاريخ العرب قبل الاسلام فانه الرغبة الملحة فى القضاء على الوثنية الجاهلية قضاء مبرما ؛ فالاسلام حارب الوثنية العربية حربا لا هوادة فيها حتى كاد يستأصلها . ولم تقف هذه الحرب عند العقائد الجاهلية بل تناولت حتى الشعر الذى هو ديوان العرب ؟ فلعن القرآن الكريم الشعر والشعراء . والشـعر العربى الجاهلى كمـا وصلنا دليل قوى على رقى العقلية العربيـة وسموها حيث نجـد انفسـنا امام فن أدبى مكتمل النمو من حيث العروض والقافية .

فاذا كان الأمر كذلك مع اللغة التى نزل القرآن بها فموقف الاسلام من لغة الوثنية يجب أن يكون اشد وأمر ؛ لذلك نجـد المؤرخين المسلمين يهملون عامدين عنـد كتابة تاريخ العرب والجزيرة العربية مصدرا من اهم مصادرهم التاريخية اعنى الكتابات العربية القـديمة التى كانت معروفة فى عهدهم . اننا نطالبهم بالمعينية السبائية مثلا وقد كانت حتى السنوات الاولى للاسـلام معروفة متداولة ، وكذلك الحال مع الصفوية واللحيانية والثمودية والنبطية . والدليل على المام العلماء بلغة تلك الكتابات ما جاءنا عن نشـوان الحميرى ، وهو ممن عاشوا فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر الميـلاديين فهو يذكر لنا الابجدية العربية الجنوبية ويفهمها فهما جيدا لذلك كان مما يؤسف له ان المؤرخين الاسلاميين خلطوا بين التاريخ والدين وتناسوا هذه الكتابات القديمة التى ظلت على الاهمال والنسيان حتى جاء القرن التاسع عشر الميلادى فاقبل العلماء الاوربيون عليها باحثين مفسرين فانطقوها بآيات بينات جلت معالم التاريخ العربى واسدت الى العالم أجل الخدمات وأعظمها .

***

وكانت النتيجة المحتومة لاهمـال العرب لهـذه الكتابات انهم شحنوا كتبهم بالقصص والاساطير، وذلك لان التاريخ القديم يقوم عند اولئك المؤرخين الاسـلاميين على أسس من العقيـدة الجديدة لا على أصول تاريخية علمية . وحتى احسن كتاب عربى تاريخى بين أيدينـا الا وهو كتـاب ابن خلدون لم يخل من هذه الهنات، فقد اعتمد على أمثال ابن اسحق وابن الـكلبى وابن هشـام والطبرى والمسـعودى وغيرهم ، وقد عرض فيمـا عرض له لأنساب الاسر العربية الملكية القديمة ومن بين ملوك العرب وملكاتهم (بلقيس) ثم يستطرد ويتحدث عن العلاقات التى قامت بينها وبين سليمان .

***

والى قصة قيام العـلاقات التجارية بين سليمان ومملكة سبا يشير القرآن الكريم بقوله « ولسليمان

الريح عاصفة تجرى بأمره الى الارض التى باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين » . ولم يكتف القرآن الكريم بهذه الآية بل افرد لسبأ صورة جاء فيها « ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر » وتشير الآيات الكريمة وما جاء في التوراة (العهد القديم) الى النشاط التجارى الذى قام به سليمان مستخدما الى جانب الطريق البرى الطريق البحرى أيضا بعد أن شيد لنفسه أسطولا تجاريا كانت قاعدته (ايلات) ومنها يمخر البحر الاحمر الى باب المندب .

واذا تصفحنا ما جاءنا فى كتبنا العربية لا نكاد نظفر فيها بشيء يتصل بمملكتى معين وسبأ ومدى ازدهار الحضارة العربية الجنوبية واتساع تجارة العرب في تلك العصور الغابرة . ثم أين قتبان وحضرموت واوسان . وأين سد مارب وما اليه من مختلف وسائل الرى التى جعلت من تلك البلاد جنات عدن تجرى من تحتها الانهار ؟ ثم أين حملة (اليوس جللوس) وغيرها التى اهملها المؤرخون العرب . اننا لا نكاد نصل الى عصر (ذى نواس) وحادث الاخدود حتى يتبارى المؤرخون فى سرد القصص والاساطير حتى تأتى حملة (ابرها) وعام الفيل فتتدفق الاخبار ويغزر الخيال .

***

ويحدثنا اولئك المؤرخون ايضا ان احد الزعماء الجنوبيين ويدعى (ذو يزن) وهو سيف أبو مرة لجأ الى فارس طالبا مساعدة بلاده للتخلص من نير الاحتلال الحبشى الذى دام حوالى ٧٢ عاما والصحيح الثابت أن هذا الاحتلال الحبشى لم يدم أكثر من ٤٧ عاما من ٥٢٥ ــ ٥٧٢ م وتحدثنا بعض الاخبار أن سيفا هذا توجه أول الامر الى بيزنطة وحاول عبثا اقناع قيصرها بارسال حملة تقاتل الى جانب الجيش اليمنى الذى يبغى تحرير البلاد من الاحتلال الحبشى البغيض . لكن القيصر دفعه تعصبه الدينى الى رفض هذا الرجاء ، فتوجه سيف الى الحيرة راجيا النعمان ابن المنذر الحاكم من قبل الفرس عليها التوسط لدى كسرى لتحقيق رغبته فتردد كسرى وبعد الحاح شديد وافق على أن تتكون الحملة من نزلاء السجون الفارسية ويتراوح عددهم بين ثمانمائة او اكثر تحت امرة ضابط يدعى (وهريز) ، ولم تكد تبلغ الحملة اليمن وتنضم الى أبناء اليمن حتى التحموا بجيش الحبشة الذى كان تحت امرة نجاشيها المسمى (مسروق) فلقى حتفه وولى جيشه الادبار .

وهكذا نجد بلاد اليمن تتحرر من الاحتلال الحبشى وان بقى وهريز بها على رأس قوة فارسية للمحافظة على الامن واقرار السلام . لكن لم يمض زمن طويل حتى حاول الفرس الاستيلاء على البلاد فقاومهم العرب أشد مقاومة وتوفى وهريز باليمن حوالى عام ٦٠٠ م فخلفه على قيادة جيشه ابنه (مرزبان) ومن ثم ابنه (خورخوسان) واستمرت الحالة بين مد وجزر حتى ظهر النبى صلى الله عليه وسلم فشعر (باذان) الحاكم الفارسى لليمن بالحاجة الماسة الى اعتناق الاسلام وقد تم له ذلك حوالى عام ٦٢٨ م .

***

هذا بعض ما نجده في مصادرنا العربية عن الجزيرة العربية . وهى صورة لاشك ناقصة ، واذا تركنا هذا النوع من المراجع جانبا ولجأنا الى الآثار والنقوش نستجوبها انطلقت تحدثنا حديثا طليا عن هذا الماضى السعيد وتلك العصور الذهبية التى سبقنا الغرب الى كشف الغبار عنها واجلائها . ولعل اقدم نقوش عربية تكشف لنا النقاب عن بلاد العرب السعيدة هى الكتابات الاشورية ، فقد جاء فيها ذكر ملكين سبائيين هما (يشع امر) و (كريب ايل) . ومن حسن الحظ أن هذين الملكين السبائيين قد حفظتهما لنا بعض الكتابات السبائية التى وصلتنا ، ومن الثابت ان اولهما كان يجلس على عرش سبأ عام ٧١٥ ق . م . والثانى حوالى عام ٦٨٥ ق . م . الا أنه لم تصلنا كتابات تعيننا على معرفة مدة حكم كل منهما .

***

وتحدثنا الكتابات العربية الجنوبية ايضا أن سبأ ليست أول دولة عرفتها بلاد العرب السعيدة ، فقد سبقتها دول وقامت عروش ، ونحن نعلم ايضا ان سبأ اول ما ظهرت كانت قبيلة متنقلة في شمال البلاد العربية لافى جنوبها وتشهد بهذا هذه الآيات العبرية الواردة فى سفر أيوب وغيره ، والذى حدث ان الدولة التى كانت لها الكلمة العليا فى جنوب

البــلاد العربية وكانت تسمى فيما يرجح (معين) دبت فيها عوامل الشيخوخة والضعف حتى أن أحد قضـــاة ســبأ الا وهــو (كريب آل) تمــكن عام ٦٨٠ ق٠م٠ من الحصول على كسب تجاري وسياسي من الدول المعينية ، والآن وقــد اصبحت تحت يد المؤرخ كتابات معينية سبائية نستطيع اعطاء صورة عن معين ، وان كانت ناقصة ، الا أنهــا كفيلة بأن تقرب الى اذهاننــا المستوى الذي بلغته دولة عربية جنوبية في تلك العصور ٠

معين :

المعينيون شعب عربيقديم كان يقطن أول ماعرف في التــاريخ جنوب بلاد العــرب وقــد مر بمختلف مراحل التطور والرقى شأنه في ذلك شأن الشعوب الأخرى التي انحدرت من عنصر مهذب ، لــكن مما يؤسف له حقا أننا لانستطيع أن نتغلغل في تاريخه حتى نصل الى أساس صلد نستطيع واثقين تشييد صرح التــاريخ العربي الجنوبي القــديم ، سواء من الناحية السياسية أو الاجتماعية عليــه ، وكل ما وصــلنا لا يكفي لمعرفة مكانة المعينيين من الشعوب العربية الجنوبية الاخرى ، فالعلماء يذهبون مذاهب مختلفة مثلا حولظهور المعينيين على المسرح السياسي فمنهم أمثــال (جلازر) و (هومــل) و (فيمر) و (فيلبي) من يقول بقــدم المعينيين والقتبــانيين والحضــارمة ، وأن تاريخ المعينيين يرجع الى حوالى عام ١٢٠٠ ق ٠ م ٠ فالمعينيون في رأى هذا النفر من العلمــاء أقدم من السبائيين ، بينما نجد امثال (د٠هـ٠ مللر) و «مارتين هارتمان» وغيرهما يقولون بالعكس ٠ وهناك فريق ثالث على رأسه (ك٠ملاكر) يذهب طريقا وسطا ويقرر أن القتبانيين والمعينيين جاءوا مباشرة بعــد سبأ وقد تم ذلك في فترة مائة عام ٠

***

ولو كان الخلاف بين العلماء يقف عند مكانة كل من معين وسبأ من الاخرى لهان الامر ، لكن الخلاف استتبع خلافات أخرى حول الفترة التي ظهرت فيها معين أو سبأ ، ومن العسير حقا أن يصدر الآن مؤرخ رأيا قاطعــا حول ملوك دولة ما من دول بلاد العرب الجنوبية والزمن الذي ملكوا فيه وسيستمر الحــال كذلك حتى تستكمل الدراسة الاثرية لبلاد العرب السعيدة وعندئذ فقط يصبح من العسير على المؤرخ ترجيح رأى على آخر ٠

***

لكن اذا تركنا الشرق العربي واتجهنا الى اوربا وجدنا أنفســنا في محيط آخــر اقل وعورة وايسر معالجة ، فها هي حملة (اليوس جللوس) هذا القائد الروماني الذي قاد حملة عام ٢٤ ق ٠ م ٠ ضد بلاد العرب الجنوبية وسجلها لنــا أكثر من مؤرخ مثــل (بلينيوس) الذي يذكر في كتابه الرابع ما مفاده أن هذا القائد الروماني خرب في بلاد العرب الجنوبية (نجرانا) و (ماريبا) و (كاربيتــا) أى حريب وغيرها ٠ ويذكر (بلينيوس) أن حريب هي أبعد مدينة بلغتها حملة اليوس جللوس ٠ أما (سترابون) فيقرر في كتابه الرابع عشر أن الحملة بلغت مدينة (شهرا) وهي تقع على مسيرة ستة أيام من نجران، وهناك دارت رحى معركة بين اليوسجللوس والعرب عند نهــر قد يكون (غيل خارد) الذي يجرى في الجوف ٠ ويذكر (سترابون) أيضا أن اليوس غزا مدن (اسكا) (= نسكا ـ عند بلينوس = نشق) و (اثرولا) أو (اثلولا) وهي اثيل ٠

وبانتهاء حملة اليوسجللوس وفشلها دخل تاريخ بلاد العــرب الجنوبيــة في فترة أخــرى من الركود والظلام وظل الحال كذلك حتى اتصل تاريخها بالعالم الخارجي مرة أخرى ، فالذى حدث أن الامبراطورية الرومانية ارادت أن تسير في طريق اختها الغربية الا أنها اعتبرت بمصير حمــلة (جللوس) والفشل الذي منيت به، لذلك فكرت بيزنطةفي انتهاج وسيلة اخرى للقضاء على بلاد العرب الجنوبية ، وهي التي كانت تلعب في ذلك الوقت الدور الذي تلعبه مصر منذ أن شقت قناة السويس، فمصر تهيمن على شريان من أهم شرايين الملاحة الدولية ، كذلك كانت البلاد العربية الجنوبية لمركزها الجغرافي الهام على البــحر الاحمر والمحيط الهنــدى وحيث يوجد مضيق باب المنــدب ٠ فالامبراطورية الرومانية الشرقية كانت

حريصة على الاستيلاء على هذا الممر للافادة من مركز بلاد العرب الجنوبية الجغرافى وبخاصة لان المسيحية كانت قد أخذت تنتشر فى كثير من الولايات الرومانيه الشرقية حتى انه لم يأت عام ٣٧٥ م الا وكان القيصر قسطنطين قد اعترف بها دينا رسميا للامبراطورية.

***

ويحدثنا تاريخ المسيحية أن مبشرا مسيحيا سوريا يدعى (فميون) نجح فى نشر الديانة المسيحية بين سكان جنوب البلاد فى الجزيرة العربية كما اقام كنيسة فى نجران ، وقد كان ذلك حوالى منتصف القرن الرابع الميلادى • ويحدثنا القصص العربى القديم ان ملكا يدعى (آب كريب اسعد) اشتهر قديما تحت اسم آخر وهو (اسعد الكامل آل تبع) رحل الى يثرب حيث استقبله اليهود ، ومن ثم اعتنق اليهودية • ولما عاد الى جنوب بلاد العرب أعلن اليهودية دينا رسميا للدولة ، وما زلنا الى اليوم تعرف الدرب الذى سلكه هذا الملك والذى يعرف باسم درب الفيل وقديما (اسعد الكامل)وهو يربط بين اليمن وجنوب العربية السعودية • وسواء صحت هذه القصة اولم تصح فالديانة اليهودية ظلت دينا رسميا طيلة حكم السبائيين المتأخرين لها • وآخر ملك يهودى هو ذلك المعروف باسم (ذى نواس) ويرجح انه ملك من ٥١٠ ـ ٥٢٥ م وبوفاته انتهى تاريخ الاسرة السبائية اليهودية •

نعم كانت اليهودية فترة من الزمن هى الديانة الرسمية الا ان فترة الاحتلال الحبشى لم تنقض دون أن تترك اثرا فى عقائد البلاد فى منتصف القرن الرابع الميلادى • لقد ترك ذلك الاحتلال وبخاصة فى نجران بذورا من المسيحية فتعاون الدينان السماويان على مطاردة الوثنية العربية القديمة واضطرارها الى الاحتماء بمكة • لكن يجب الا يتبادر الى اذهاننا ان الانسجام بين اليهودية والمسيحية كان تماما فكثيرا ما اشتبك انصارهما فى معارك دموية • ويحدثنا التاريخ ان بلاد العرب الجنوبية كانت فى اوائل القرن الخامس الميلادى مسرحا لمذابح عنيفة • ففى عام ٥٢٢ م شن الملك اليهودى ذونواس حملة اضطهاد عنيفة تكل فيها بالمسيحيين فقد هاجم نجران وخير اهلها بين الردة او القتل فتمسكوا بمسيحيتهم ، وكانت حادثة الاخدود التى سجلها القرآن الكريم فى سورة البروج• فكانهذا الحادث من الاسباب المباشرة التى اثارت غضب قيصر بيزنطة فاتصل بنجاشى الحبشة وطالبه بارسال حملة تاديبية الى تلك الدولة اليهودية • وقد تحققت امنية القيصر وهزم الحبش ذا نواس وجيشه وثبتوا اصول المسيحية وجعلوا منها الدين الرسمى للبلد •

***

ولم يكد يفرغ (ارياط) الحبشى من ذى نواس حتى عين على البلاد حميريا يسمى (سام يفع اشوع) وقد ظل فى منصبه حتى عام ٥٣٥ م وحوالى ذلك العام ظهر (ابرهة) فعين احد رؤساء كندة واسمه (يزيد ابن كبشة) حاكما على كنده فتحين الفرصة وقاد ثورة ضد (ابرهة) وانضم اليه (معد كريب) بن (سام يفع اشوع) وبعض الزعماء السبائيين الآخرين• لكن (ابرهة) انتصر على الثوار وبطش بهم ثم انصرف الى الاصلاحات الداخلية ومن بينها سد مأرب • وبعد ذلك نشط فى نشر المسيحية ومحاربة سائر الاديان الاخرى فى الجزيرة العربية • الا ان الوثنية الجاهلية ظلت قوية ومركزة فى مكة حيث الكعبة • ولعل هذا من الاسباب الاخرى التى دفعت ابرهة الى القيام بحملته عام ٥٧٠ م التى اندحرت ، وظلت الوثنية العربية قائمة حتى جاء النبى محمد صلوات الله عليه فقضى عليها الاسلام وطهر البلاد العربية جميعها منها ومن الاستعمار الاجنبى ووحدها توحيدا لم تعرفه من قبل ، كما خلق منها فى فترة وجيزة من الزمن امة قوية مهابة الجانب بعد ان اعدها لتقبض بيدها على صولجان المجد والعظمة •

وان بعد ان عرضنا لليمن فى حقبة خاصة من عمر الدهر وهى الحقبة السابقة للاسلام فما هى العبرة التى نخرج بها من هذا التاريخ ؟ لقد بسطنا القول فى هذه العجالة لنرى كيف ان بلاد العرب الجنوبية كانت مسرحا منذ عصور بعيدة جدا قبل الاسلام لاكثر من دولة ، فهناك المعينيون والسبائيون والقتبانيون والحضارمة وغيرهم • وقد ظلت هذه الدول متشاحنة متنافرة مع اختلاف الازمنة وتطور الظروف فتعرضت غلاتها الطبيعية وموقعها الجغرافى كقنطرة بين الشرق والغرب لكثير من مطامع الدول الاستعمارية سواء فى العالم القديم كالرومان والبيزنطيين والفرس والحبش او الحديث • والدافع الاول لهذا الطموح فى استعمارها اقتناع روما بان سلطانها على البحر الابيض المتوسط او البحيرة الرومانية مهدد بالزوال

ما لم تقبض بيد حديدية على باب المندب وتؤمنه يمنا وسوما لتضمن جريان خيرات الشرقين الادنى والاقصى فى خزائنها تأمينا لامبراطوريتها وطرقها التجارية ٠

ورأينا كذلك كيف ان سليمان الحكيم شيد اسطولا تجاريا قاعدته ميناء (ايلات) الواقعة على راس خليج العقبة وبفضل البحر الاحمر استطاع ان يشارك فى تجارة اليمن والشرق الاقصى كما استغل باب المندب للتسلل الى القارة الافريقية بعد أن نجح فى اقامة هذه العلاقات التجارية بينه وبين سبأ ٠ وعن طريق سيطرته التجارية على هذا الشريان الحيوى ساهم بقسط وافر فى اذكاء الروح التجارية فى الشعب اليهودى كما حبب اليه المغامرات التجارية والاسفار٠

وقد تنبه بن جوريون الى اهمية ايلات فحرص على الاستيلاء عليها ببسط يده على اقليم النقب عام ١٩٤٩ ورأى ان الطريق الموصل اليها هو صراط ضيق يمتد على طول الحدود الاردنية وهو تحت رحمة العرب لذلك ارسل بن جوريون طائفة من رجال الكشف وطالبهم بكشف طريق آخر فى الصحراء او التلال فى الجانب الآخر من اقليم النقب المواجه للحدود المصرية، وقد نجح رجال الكشف فى اكتشاف هذا الطريق بالرغم من وعورته فما كان من بن جوريون الا ان كلف (يجئل الون) قائد القطاع الجنوبى وقتذاك ارسال فرقتين الى ايلات واحدة تتجه شرقا والاخرى تمهد طريقها غربا وتحاول كل فرقة الوصول الى ايلات قبل الاخرى ٠ وعندما بلغها قائدا الفرقتين ابرقا الى بن جوريون « تحياتنا من ايلات » ففرح بن جوريون وركب طائرة الى سادوم ومنها الى ايلات « باب اسرائيل الى الشرق » ٠

فمن هذا يتبين لنا مدى خطورة هذا الوضع على عالمنا العربى ومستقبل اجياله القادمة ولا سيما اذا ظلت بلاد العرب الجنوبية تحت سيطرة الاستعمار بمختلف أنواعه سواء كان عسكريا أو ثقافيا أو حضريا وبخاصة لان باب المندب هو المسيطر على أهم شريان مائى فى العالم العربى فتحرير هذا البوغاز هو تحرير للبحر الاحمر من جنوبه الى شماله وتأمين للبلاد العربية وتمكين لها من ممارستها سيادة كاملة على اراضيها ومختلف مرافقها وتوجيهها الوجهة السليمة خدمة للانسانيه والمثل العليا التى تنشدها منذ ابعد العصور واتخذتها الحنيفية شعارا وابت الا ان تكون اسلاما ٠

دكتور فؤاد حسنين على

هل يذهب سحر القمر؟

للشاعر على الجندى

كلما تقدم العلماء خطوة فى سبيل الوصول الى القمر ، اعترى الشعراء الفزع والهلع ! ! خشية أن يفقدوا مصدرا خصيبا من مصادر الالهام الجمالى ، حينما يتم غزو هذا الكوكب الوضاح ، ويتردد الناس فى الرحلة اليه من الارض ! حفظ الله القمر !

ابقوا على سحر القمر
لا تهتكوا عنه الستر

هو قطعة من ارضنا
لا ماء فيه ولا شجر

يغنى الخيال ببعده
وبقربه يقذى البصر

والحسن ـ واأسفاه ـ قبـ
ـح فيه داعب من شعر

انا نشبب بالخرا
ب ، وبالتراب ، وبالحجر

بعض الحقائق مرة
من ذاقها حمد «الصبر»

لولا اضاليل الحيا
ة تقطعت منا المرر

ما اجمل الاحلام والأو
هام فى دنيا البشر

هى بلسم الأوجاع تر
ياق الهموم ، هى الخدر

فاسكن الى خدع المنى
وليكف عن خبر خبر

وارض الظواهر فالبوا
طن قد تسوء ، وقد تسر

ملوك بنى أيوب

اشتغالهم بالعلم وصلاتهم بالعلماء

للدكتور جمال الدين الشيال

كانت مملكة **صلاح الدين** تضم مصر والشام واليمن وبلاد العرب ، خضعت جميعها له ، فبدأ بتوحيد الجهود كلها لتحقيق مثله الاعلى وهو نصرة الاسلام وانقاذ أراضيه من أيدى الصليبيين ، ولكن اسرته كانت كثيرة الرجال ، فكان هناك اخوته واولادهم،وكان هناك أولاده ، فأقطع صلاح الدين كلا من هؤلاء عملا من أعمال الجزيرة والشام ، فولى – قبيل موته – أخاه العادل على بلاد الجزيرة ، كما ولى ابنه الافضل دمشق ،وابنه الظاهر حلب ، وابنه العزيز مصر ٠

أما حماة فكانت اقطاع ابن أخيه الملك المظفر الاول تقى الدين عمر ، وأما بعلبك فكانت اقطاع ابن أخيه فروخ شاه داود ، وأما حمص فكانت اقطاعا لأولاد عمه أسد الدين شيركوه ، وأما اليمن فقد كان يليها أخوه سيف الاسلام طغتكين ٠

وقد وضع صلاح الدين فى حياته أساس التقاليد القوية لنظام الوراثة فى الأسرة ، فكان اذا مات أحد هؤلاء الولاة أمر أن يخلفه ابنه فى حكم هذا العمل ، وقد سار على نهجه ابنه الظاهر – صاحب حلب – ثم أولاده من بعده ، يقول جمال الدين بن واصل عند ترجمته للملك العزيز غياث الدين محمد بن الملك الظاهر بن صلاح الدين :

« وكان من رايه وراى والده ، وراى ولده بعده، انه اى امير مات أقر ولده موضعه ، وان كان صغيرا رتب معه من يقوم به وبتاديبه والخدمة ببابه عنه الى أن يكبر ويتأهل للخدمة ، وكذلك كان رايهم فى المدرسين وأرباب المناصب ، وانما تلقوا هذه الخلة الجميلة من جدهم الملك الناصر صلاح الدين ، رحمهم الله أجمعين » ٠

وبعد موت صلاح الدين بقليل نشب النزاع بين أولاده ، ثم لم يلبث أن اشتد ، فتدخل اخوه الملك العادل أبو بكر لحسمه ، ولكنه لعب دورا ماكرا انتهى بعزل العزيز والافضل ، وتملكه هو مصر ودمشق ، ولم يبق فى الملك من أولاد صلاح الدين الا الظاهر صاحب حلب ، وقد توارث ملكه أولاده من بعده ٠

اما العادل فقد صنع صنع أخيه صلاح الدين فقسم ملكه قبل موته بين أولاده الثلاثة ، فترك بلاد الجزيرة – أو البلاد الشرقية كما كانت تسمى – للاشرف موسى ، ودمشق للمعظم عيسى ، ومصر للكامل محمد ٠

وقد مات المعظم عيسى قبل أخويه ، فخلفه على دمشق ابنه الناصر داود ، ولكن الكامل لم يلبث أن عزله عنها وولاه الكرك ، وظلت دمشق تتأرجح بين الأخوين : الاشرف والكامل ، الى أن ماتا معا فى سنة واحدة (٦٣٥ هـ) فوليها مع مصر الملك العادل الثانى بن الكامل ، ثم أخوه الملك الصالح نجم الدين ايوب ، فلما انتقل الملك فى مصر الى المماليك سار الناصر يوسف بن العزيز بن الظاهر – صاحب حلب – الى دمشق فملكها ٠

من هذا العرض السريع نستطيع أن نتبين أن الملك فى بلاد الجزيرة ، ودمشق ومصر لم يخلص لفرع واحد من البيت الايوبى ، على العكس من حلب وحماة وحمص ، فقد حكم الاولى بيت الظاهر بن صلاح الدين ، وحكم الثانية بيت تقى الدين عمر بن شاهنشاه ، وحكم الثالثة بيت أسد الدين شيركوه ٠

وكان جل ملوك الايوبيين – ان لم يكن كلهم – يشتغلون بالعلم والادب ، ونبغ منهم كثيرون فى هذا الميدان ، فألفوا الكتب فى العلوم الدينية والتاريخية بل قل ان نجد واحدا منهم لم يقل الشعر ، أو على الاقل لم يكن يرويه ويستشهد به ويتذوقه ، ولبعضهم

دواوين تضم شعرا ممتازا اذا قورن بشعر الكثيرين من شعراء العصر ، والشواهد على هذا كثيرة .

فمؤسس الاسرة صلاح الدين كان يستشـــهد بالشعرفى مواطن كثيرة ، وكان يتردد على الاسكندرية مستصحبا أولاده ليسمعوا جميعا الحديث على الحافظ السلفى ، يقول **ابن واصل** فى حوادث سنة ٥٧١ هـ :

« ثم رحل (السلطان) الى ثغر الاسـكندرية ، وتردد الى الشيخ الحافظ أبى طاهر أحمد بن محمـد السلفى ـ رحمه الله . فى كل جمعة ثلاثة أيام : الخميس والجمعة والسبت ، وانما استصحب ولديه فى هذه السفرة ليسمعهما الحديث النبوى وتعمهما البركة ، ثم عاد » .

ويقول فى حوادث سنة ٥٧٧ هـ :

« وسافرالسلطان بعدشهر رمضان الى الاسكندرية على طريق البحيرة ، وخيم عند السوارى ، وشاهد الاسوار التى جددها ، وأمر بالاتمام والاهتمـــام ، وقال : فنغتنم حياة الشيخ أبى الطـاهر بن عوف ، فحضر عنده وسمع عليه موطا مالك بن أنس ـ رحمة الله عليه ـ بروايته عن الطرطوشى ، فى العشر الاخير من شوال ، وتم له ولاولاده السماع ، ثم عاد الى القاهرة فى ذى القعدة » .

هذان مثلان قويان على مبلغ شغف صلاح الدين بسماع الحديث ، فهو يرحل الى الاسكندرية ليغنم حياة الحافظين أبى الطاهر السلفى وأبى الطاهر بن عوف ، وهو يستصحب أولاده خصيصا ليشركهممعه فى السماع ، ويؤكد هذا الشغف مؤرخ صـلاح الدين وقاضى عســـكره بهاء الدين بن شـــداد فهو يقول فى كتابه « النوادر السلطانية » :

« وكان ـ رحمه الله ـ شديد الرغبة فى سماع الحديث ، ومتى سمع عن شيخ ذى رواية عاليــة وسماع كثير ، فان كان ممن يحضر عنده استحضره وسمع عليه ، واسمع من يحضره فى ذلك المكان من اولاده ومماليكه المختصـــين به ، وكان يامر الناس بالجلوس عند الحديث اجلالا له ، وان كان ذلك الشيخ ممن لا يطرق ابواب السلاطين ويتجافى عن الحضور فى مجالسهم سعى اليه وسمع عليه » .

وقال **ابن شداد** فى مكان آخر :

« قلت له : قد سمع الحديث فى جميع المواطن الشريفة ، ولم ينقل أنه سمع بين الصـــفين ، فان راى المولى ان يؤثر عنه كان حسنا ، فاذن فى ذلك واحضر جزءا ، كما احضر من له به سماع ، فقرأ عليه ونحن على ظهور الدواب بين الصفين ، نمشى تارة ، ونقف أخرى » .

وكان اخو صلاح الدين اميل الى تذوق الادب وقول الشعر ، برز منهم فى هذا الميدان اخـــوه الصغير تاج الملوك بورى ، قال ابن واصـــل فى ترجمته له : « كان ـ رحمه الله ـ فاضلا أديبـــا شاعرا ، له ديوان شعر مشهور » ، ولولا أنه مات صغيرا فى سنة ٥٧٨ هـ عند حصار حلب لكان له فى الشعر شأن أى شأن .

وسار على هذا النهج أولاد صلاح الدين وأولاد اخوته وأولاد عمه ، فقد كان الافضل بن صلاح الدين « فاضلا متأدبا ينظم الشعر الجيد » وروى له ابن واصل بعض هذا الشعر .

أما الكامل محمد والمعظم عيسى ـ ابنا العادل ـ فقد اشـــتغلا بالعلم كأحسن ما يشتغل به علماء عصرهما ، وفى كتاب « مفرج الـــكروب » وصف تفصيلى لمجالس العلم التى كان يعقدها كل منهما لهؤلاء العلماء ، يقول **ابن واصل** :

« وكان الكامل محبا للعلماء ومجالستهم وسماع مناظراتهم ، وكانت عنده مسائل غريبة من الفقـه والنحو اذا حضر الفقهاء والنحاة سألهم عنهـــا ، وامتحن بهـــا علومهم فمن أجاب منهم بالجواب الصحيح حظى عنده وقربه ، وفى بعض أسـفاره الى دمشق استحضر بها جماعة من العلماء ، وكان منهم الشيخ زين الدين بن معطى النحوى المغربى وكان اماما فى العربية لا يجارى » .

ثم يروى بعض المناقشات النحوية التى حظى بسببها ابن معطى لدى الكامل ، ويكمل وصـــفه بقوله :

« ووفد الى الملك الكامل جماعة من أهل العلم فأكرمهم وقرر لهم الجامكيات وأحسن اليهم ، فممن وفد اليه الشيخ تاج الدين الارموى امام وقته فى الاصوليين والمعقولات ، واقام عنده مدة مكرما معظما ووفد اليه ايضا الامام أفضل الدين الخونجى ، وكان فاضلا فى المنطق والمعقولات والطب .. وكان الملك الـــكامل مغرما بسماع الاحاديث النبوية ، شديد العناية بجملة الحديث النبوى ، وممن وفد عليه من علماء المحدثين الامام مجد الدين أبو الخطاب عمر ابن دحية ، فتقدم عنده واكرمه وبنى له دار الحديث

بين القصرين في الجانب الغربي ، وجعله شيخها ، ووقف عليها وقفا جليلا ، وكان يصعد اليه في القلعة في غالب الاوقات ويستفيد منه ٠٠ وكان ـ رحمه الله ـ يبيت عنده جماعة من الفضلاء في بعض الليالي يأنس بهم ، مثل الشيخ جمال الدين اليمنى النحوى ، والفقيه عبد الظاهر ، والامير صلاح الدين الاربلي ، وكان متأدبا وله شعر حسن ، وكان ينصب لهم تخوتا الى جانب تخته ينامون عليها ، يشاورونه ويحاورونه في العلوم والآداب » ٠

الى أن يقول :

« وبالجملة فكانت سوق الفضائل عنده نافقة ، ما قصده أحد من أهل الفضل الا واعتنى به ، وكان في خدمته القاضي الشريف شمس الدين الارموى ـ قاضي العسكر ـ ، وكان فاضلا في الفقه والاصوليين ، يبحث بحثا حسنا ،وكان اخص الناس بخدمته أولاد الشيخ صدر الدين بن حمويه ٠٠٠ الخ » ٠

وعندما وردت الى الملك الكامل أسئلة الامبراطور فردريك الثاني في أنواع الحكمة والرياضيات ندب للاجابة عليها عالما مصريا هو علم الدين قيصر الاسفوني « لانه كان المشار اليه في ذلك » ٠

ومن هذه النصوص يتضح لنا ان الكامل كان يساهم في كثير من العلوم ، ويشارك العلماء في بحث معضلاتها والسؤال عن غامضها ، وكان بلاطه يضم العلماء في كل فن : في الحديث والفقه والمنطق والنحو والطب والرياضيات ٠٠٠ الخ

أما المعظم عيسى فكان ـ كما يقول ابن واصل :

« فاضلا متقنا في الفقه والنحو وغير ذلك ، وشيخه في النحو وعلم الأدب الشيخ تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن الكندى ٠٠ وكان شيخه في الفقه الشيخ جمال الدين الحصرى ، وكان يتردد الى الشيخين في أكثر الاوقات ، وربما أتى اليهما ماشيا وقرأ على الشيخ تاج الدين كتاب سيبويه » ٠

وكان المعظم الوحيد من بنى أيوب جميعا الذى يعتنق المذهب الحنفى ، لهذا **يروى ابن واصل** أنه لما وقف على تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، « وفيه مطاعن على أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ رواها الخطيب عن جماعة من المحدثين رد عليه المعظم في ذلك ، وصنف كتابا سماه (السهم المصيب في الرد على الخطيب) ، وأجاب الملك المعظم في هذا الكتاب عن كل مطعن ذكره بأحسن جواب ، وذكر فيه مباحث جليلة دقيقة في الفقه والنحو » ٠

ويروى ابن واصل بعد ذلك أنه اطلع على هذا الكتاب ، ويقرظه بقوله :

« ووقفت على هذا الكتاب بالقدس الشريف ، وطالعت جميعه ، ووجدته في غاية الحسن ، ثم ذكر في آخره مطاعن الخطيب صاحب تاريخ بغداد ، وروى له أشعارا غزلية طعن بسببها في عدالته ٠٠ وصنف (أى المعظم) **غير ذلك من الكتب** » ٠

وكان المعظم عيسى كأخيه الكامل محمد كثير الاحسان للعلماء والادباء ، يجتذبهم اليه فيتخذهم خاصته ، يجالسهم ويساجلهم ، يقول ابن واصل:

« وكان عنده جماعة من الفضلاء لا يفارقونه في سفر ولا حضر ، منهم فخر القضاة نصر الله بن بزاقة المصرى ـ وهو فاضل في فنون الادب والنظم والرسائل ، ومنهم شرف الدين ابو المحاسن بن عنين الدمشقي ـ كاتب الانشاء ـ وغيره ، وكان أيضا من مجالسى الملك المعظم : جمال الدين بن شيث ـ كاتب الانشاء ، وكان جيد الترسل متأدبا ، وكان مع ذلك مغرى بصنعة الكيمياء » ٠

وكان الواعظ والمؤرخ سبط بن الجوزى من أقرب المقربين الى المعظم عيسى ، يحضر بنفسه مجالس وعظه في مساجد دمشق ومدارسها ، وقد روى السبط الكثير من أخباره مع المعظم في تاريخه المشهور : « **مرآة الزمان** » ٠

وقد ورث الملك الناصر داود عن أبيه المعظم هذه النزعة الطيبة ، فكان عالما وأديبا ، وله شعر كثير جميل ، روى الكثير من أبياته ابن واصل وغيره من مؤرخى العصر ، وكان بلاطه في مدينة الكرك يضم عددا كبيرا من علماء العصر وأدبائه ، وخاصة المشتغلين منهم بالعلوم العقلية ، مثل سيف الدين الآمدى ، وشمس الدين الخسر وشاهى ، ونصر الله بن بزاقة ، وقد عاشر جمال الدين بن واصل والده مدة في كنف هذا الملك العالم في الكرك ، وفي كتاب « مفرج الكروب في اخبار بنى ايوب » لابن واصل تفصيلات طريفة عن بعض المجالس العلمية التي كانت تعقد في حضرة الناصر داود بالكرك ٠

هذه نبذ متفرقة للدلالة على مبلغ عناية صلاح

الدين واخوته واولادهما بالعلم والعلماء ، ولم يكن اولاد تقى الدين عمر بن شاهنشاه ـ ملوك حماة ـ أقل عناية ممن ذكرنا ، لقد كانوا جميعا يتوارثون هذه الروح العلمية ابنا عن أب وأبا عن جد . فكان مؤسس هذا الفرع الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه أديبا شاعرا ، روت المراجع المعاصرة بعضا من شعره مما قاله فى مدح عمه صلاح الدين يوم فتح بيت المقدس ، وكان ابنه الملك المنصور شاعرا كذلك ، وفى كتاب « مفرج الكروب » بعض هذا الشعر ، نقله ابن واصل عن « ديوان المنصور » ، ثم ذكر انه الف كتابا فى التاريخ سماه « مضمار الحقائق فى علوم الخلائق » .

وكان المظفر الثانى ابن المنصور مشتغلا بالعلوم وخاصة العلوم الجغرافية والفلكية . ذكر أبو الفدا فى ترجمته للعالم الرياضى علم الدين قيصر انه بنى للملك المظفر أبراجا بحماة وطاحونا على نهر العاصى وعمل له كرة من الخشب مدهونة ، رسم فيهـــا جميع الكواكب المرصودة ، قال جمال الدين بن واصل :

« وساعدت الشيخ علم الدين على عملها ، وكان الملك المظفر يحضر ونحن نرسمها ويسألنا عن مواضع دقيقة فيها » وهكذا كان المنصور الثانى بن المظفر الثانى ، ويكفى أن نذكر هنا أن ابن واصل عاش فى كنفه ، وولى قضاء القضاة فى حماه فى عهده ، وله الف كتابيه : « مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب » ، و « مختصر الاغانى » .

وآخر من نبغ فى العلوم من ملوك هذا البيت : الملك المؤيد أبو الفدا ، المؤرخ والجغرافى ، وصاحب كتابى : « المختصر فى أخبار البشر » و « تقويم البلدان » .

لم يكن عجيبا اذن وهذا مدى اهتمام ملوك بنى أيوب بالعلوم والآداب ، ومبلغ اشتغالهم بها ان تنشط الحركة العلمية فى عهودهم نشاطا لم يشهده العصر السابق أو العصر اللاحق . فالمعاهد العلمية من مدارس وخوانق وربط وبيمارستانات ومكتبات قد انشئت بالعشرات ، والرواتب والجامكيات كانت تمنح للعلماء والادباء فى غير ضن أو بخل ، مما دفع العلماء الى التفرغ للبحث والتصـــنيف ، وكانت المنافسة على أشدها بين ملوك هذه الاسرة لاجتذاب العلماء الى بلاطهم ، واغداق النعم عليهم ، لهذا تعددت البيئات العلمية فى ذلك العصر ، فكانت القـــاهرة ودمشق والقدس والكرك وحمص وحمـــاة وحلب تحاول كل منها ان تكون السباقة على غيرها فى كثرة ما يبنى فيها من معاهد ، ومن يقيم بها أو يرد عليها من علماء ، وملوك هذه المدن يبذلون المال والتشجيع فى سخاء ، وآتى هذا التشجيع أكله وثمره ، فاكب العلماء على الدراسة والتـــأليف ، وكانت معظم كتبهم تؤلف باســـماء الملوك الذين يكلفونهم ، والامثلة على ذلك كثيرة :

فالطبيب المشهور موفق الدين بن المطران الف المقالة الناصرية فى الطب ، وجعلها باسم السلطان الملك الناصر صلاح الدين

والطبيب رشيد الدين بن الصورى خدم بصناعة الطب الملك العادل أبا بكر وابنه المعظم عيسى ، وبعد موت الاخير خدم ابنه الملك الناصر داود « فأجراه على جامكيته (مرتبه) ، ورأى له سابق خدمته ، وفوض اليه رياســـة الطب» ، ويذكر ابن أبى أصيبعة أن له « كتاب الادوية المفردة ، وهذا الكتاب بدأ عمله فى أيام الملك المعظم وجعله باســـمه ، واستقصى فيه ذكر الادوية المفردة » .

وللمعظم عيسى الف شمس الدين الخوئى كتابا يشتمل على رموز حكمية على ألقاب السلطان الملك المعظم » .

كما الف الطبيب أسعد الدين بن أبى الحسن كتابه « نوادر الألباء فى امتحان الاطبـــاء » للملك الكامل محمد .

وصنف مهذب الدين أبو سعيد محمد بن أبى حليقة كتابا فى الكحل للصالح نجم الدين أيوب ولنفس الملك الف العالم الكبير ابن البيطار كتابه المشهور « المفردات » .

وصنف رشيد الدين على بن أبى خليفة ـ عم ابن أبى أصيبعة ـ كتابه « الموجز المفيد فى علم الحساب » و « مقاله فى السبب الذى له خلقت الجبال » للملك الامجد صاحب بعلبك ، كما الف « كتاب المســاحة وكتابا فى الطب » للملك المؤيد نجم الدين مسعود ابن صلاح الدين .

كما الف شمس الدين الآمدى كتاب « كشف التمويهات فى شرح التنبيهات » للملك المنصور الثانى صاحب حماة .

ولنفس الملك الف المؤرخ الكبير جمال الدين واصل كتابيه : « مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب » و « مختصر الأغانى » .

دكتور جمال الدين الشيال

ابريق خمر يتحول غزالا !

● للدكتور محمد النويهي ●

شرحنا في مقالتنا الماضية الطبيعة البصرية للخيال الجاهلي ، ووضعنا مايحتاج اليه قارىء هذا الشعر من « تشغيل » مخيلته البصرية واستحضار دقائق الصورة المرسومة الى ذاكرته حتى يصل الى التقدير الصحيح لشعر الجاهليين ويستجيب له بالنشوة الفنية الخاصة التي وضع لاستثارتها ٠ ونريد الآن أن ندرس عددا من الأمثلة ٠

اليك هذين البيتين في وصف ابريق الخمر للشاعر الجاهلي القديم علقمة بن عبدة (تجدهما في قصيدته رقم ١٢٠ في كتاب المفضليات) ٠ وكان الشاعر في مجال الحديث عن مجالس الشرب التي يشهدها والخمر المعتقة التي يشربها :

كأن ابريقهم ظبي على شرف
مفدم بسبا الكتان مرثوم

أبيض أبرزه للضح راقبه
مقلد قضب الريحان مفغوم

ولنبدأ باعطاء المعنى اللغوى الذى يقدمه الشارح القديم لكلا البيتين ٠ فالشاعر في البيت الأول يشبه انتصاب الابريق وبياضه بظبي على مكان مرتفع ٠ ويذكر أنهم شدوا على فمه بسبائب الكتان أى شققه (هم فعلوا ذلك لتصفية الخمر حين يصبونها) ٠ والمرثوم الذى رثم انفه أى كسر ٠ وفي البيت الثاني يقول ان لون الابريق أبيض (نفهم من هذا أنه مصنوع من الفضة) ٠ ويذكر ان راقبه ، أى حارسه وحافظه الذى كان يرقب صلاح الخمر وتعتيقها ، قد أخرجه لتصيبه الشمس والريح ، وانهم قد زينوه بأعواد من الريحان الزكي الرائحة ٠ والمفغوم الذى كأنه مسدود بكثرة ريح الطيب، يقال فغمتني ريح طيبة اذا دخلت في أنفك فسدت خياشيمك (نفهم من هذا أنهم مزجوا الخمر بانواع العطر ، وهو ماكانوا يفعلونه أحيانا ، كما كان يفعله العبرانيون القدامى) ٠

بهذا الشرح اللغوى (وما وضعناه بين قوسين من اضافتنا) يكتفى معظم الدارسين ٠ ولو وقفوا امام البيتين فانفقوا دقائق في تحقق الصورة المزدوجة للابريق والظبي لراعتهم أقوى روعة بدقتها الحسية من ناحية ، وبحيويتها الدافقة من ناحية أخرى ، ولرأوا أخيرا أن الابريق بهذا التشبيه لم يعد مجرد اناء جماد مصنوع من الفضة ، بل انه كاد يصير مخلوقا حيا بالغ الرشاقة والظرف عظيم الفتنة والازدهاء ٠

فلنتأمل نحن هذه الصورة المزدوجة ولنحاول تحقيقها بخيالنا البصرى لبضع دقائق ٠ ابذل اذن جهدك في أن تتخيل رابية قد انتصب عليها هذا الابريق المصنوع من الفضة في ضوء الشمس ، وانظر كيف يتلألأ عليه هذا الضوء وتتكسر على صفحته البيضاء الرائقة الوف أشعتها في وهج يخطف الابصار ، ثم أغمض عينيك برهة لتحقق جسم الابريق بتفاصيله (ويساعدك على هذا أن تكون اطلعت على صور لما تحتويه المتاحف العالمية من الأباريق الفارسية القديمة) ٠ من بطن نحيف مستطيل يحتوى الخمر ، وعنق طويل جميل الصنع يصعد الى السماء في تطاول وخيلاء كأنه مزهو برشاقته ، وفوهة طويلة مقوسة تمتد في انحناءة الى جانب وتنتهى بفتحة « مشطوفة » ستصب منها الخمر ، ويد معقوفة في الطرف الآخر ٠

ثم أترك هذه الصورة وتخيل صورة أخرى لظبي أبيض قد انتصب على رابية ، فهو أيضا يتالق جلده البض في ضوء الشمس ، وتمسه الريح من حوله ٠

والآن قارن بين الصورتين ليتجلى لك التشابه الرائع بينهما • نفس الجسم الابيض على وجه التقريب يلمع فى أشعة الشمس وتداعبه الريح المنطلقة • ونفس الانتصابة الفاتنة المليئة بالظرف والخفة والرشاقة (والظبى هو الرمز الاكبر على هذه المعانى فى كثير من اللغات) •

ولكن أنعم الآن نظرك فى تفاصيل أخرى دقيقة ، ستهتدى اليها ان كنت قد لبيت رجاءنا فتخيلت الصورة تخيلا بصريا • فجيد الظبى الطويل الممتد الرشيق يشبه حقا فوهة الابريق الممتدة فى تقويس بديع ، بل انتهاء هذه الفوهة بالفتحة المشرطوة (حتى تساعد على صب الخمر بدون اراقة على الجوانب، كما ترى أيضا فى أباريق الشاى العادية التى نعرفها) يشبه رثم أنف الظبى ، وهذا الرثم من أحلى صفات الظبى الجسمية وابعثها لحبنا واعجابنا ، حتى لنمد يدنا حين نلقاه فى حدائق الحيوان لنلمس أنفه الظريف المخملى • فالآن قد أدركت قوة هذه الكلمة الواحدة « مرثوم » وروعتها ومدى ابتعاثها للعاطفة المعينة ، كما ادركت مدى دقة نظر الشاعر اذ اهتدى الى هذا التشابه اللطيف بين أنف الظبى وفتحة فوهة الابريق • فاذا كان فى صورته قد وضع شقة من الكتان على فوهة الابريق ، فان عينه الدقيقة قد رأت « **شطفة** » الفوهة تحت تلك الشقة الرقيقة •

***

ولكن لاتنس تشابها دقيقا آخر هو ذلك الذيل المنحنى الذى ينتهى به جسم الظبى من الطرف الآخر ، ومشابهته ليد الابريق المعقوفة التى لاحظناها •

مجرد هذا التصور الحسى يقنعك بمدى التشابه الذى وفق الشاعر الى رؤيته ونقله فى تشبيهه البارع • ولسنا ندعى أن الجسمين جسم الظبى وجسم ابريق الخمر متفقان فى كل شىء ، والا كان التشبيه من نوع تشبيه الماء بالماء ، وانما يجود التشبيه حين يقارن بين شيئين بينهما اختلاف ، فيلفتنا الى الشبه الموجود بينهما على الرغم من ذلك الاختلاف ، وكلما كان هذا الشبه أكبر حاجة الى دقة التصور ونشاط الخيال كان التشبيه أجود وكان امتناننا للفنان الذى بصرنا به أعظم •

ولكن تذكر الآن حقيقة هامة : أن الشاعر كشاعر لا يقصد من هذا التشبيه مجرد التسجيل البارد لوجوه الشبه المادية ، بل هو يستعين به لحمل عاطفته اليك فى تمام قوتها وحرارتها • فما عاطفته هنا ؟ هى حبه الزاخر لهذا الابريق واستطرابه لمنظره ، فالذى فعله هذا التشبيه هو انه خلع على الابريق صفات الرشاقة والظرف والخفة التى نقرنها دائما بالظبى ، لكن هذه الصفات لم تبق مجرد أوصاف حسية لأحجام ونسب ومواقف مادية ، بل لفتتك فجأة الى ما فى جسم الابريق الجيد الصناعة من صفات « حية » يراها الفنان الأصيل ويقتنع بوجودها اقتناع الآخرين بالصفات المادية التى تلمس وتحس • فاذا أردت أن تزداد ادراكا لما يؤديه هذا التشبيه من « احياء » للابريق ، فسل نفسك هذين السؤالين : لماذا نصبوا الابريق على ذلك المكان المرتفع هو أيضا ؟

***

أما أول هذين السؤالين فقد أجاب عليه الشاعر نفسه ، حين قال « **أبرزه للضح واقبه** » • فالشاعر قد ذكر أنهم أخرجوه لتصبيه الشمس ، والشارح القديم قد أكمل الصورة حين قال : لتصيبه الريح ، والشاعر قد وصف فى بيتين سابقين كيف أبقوا الخمر فى دنها سنة كاملة حتى تجود وتعتق ، وكيف أخرجوها من الدن وصبوها فى الناجود أو الراووق، وهو اناء من الزجاج تصب فيه الخمر وتمزج بالماء أو بالعطر أو بكليهما • فالآن بعد مزجها وترويقها قد ملأوا منها ابريقا ، ثم لم يسارعوا الى شربها ، بل نصبوا الابريق فى الشمس والهواء فوق مكان مرتفع ، حتى يسوغ طعمها تماما وتطيب رائحتها ، ويزول منها ما علق بها من أثر الاختزان الطويل فى دنها من رائحة تعلق بالأشياء المخزونة (وهم فى مواضع أخرى يصفون ما علق بدنها من نسج العنكبوت) • فهذه الشمس تطهرها وتزكيها ، وهذه الريح تتم جلاء رائحتها وتطرية طعمها •

***

هذه الخمر اذن قد خرجت الآن ، للمرة الأولى ، الى الشمس والهواء ، الى الحياة ، بعد طول اختزانها فى بطن دنها المظلم المعزول عن الهواء (وقد وصف الشاعر فى بيت سابق كيف بالغوا فى هذا العزل واتخذوا أقصى ما كانوا يستطيعون فى ذلك العصر من حيطة) •

وهذا يســاعدنا فى الاجابة على سؤالنا الثانى الذى ترك لنا الشاعر اذ تجيب عليه ، والشاعر ، اى شاعر ، لا يمكن أن يقول كل شىء ، ولابد من أن يترك لنـا تمثل عناصر من معنـاه معتمدا على مشاركتنا الفنية . أفترى الشــاعر جـاء بالظبى المنتصب على مكان مرتفع لا لسبب الا ان ذلك « ابين لحسنه واشد لانتصابه » ، كما يقول الشارح القديم ؟

ما ان نفكر قليـلا حتى ندرك أن الشاعر يعنى ظبيـــا صغيرا اى غزالا قد خرج من كناسه للمرة الاولى ، فقد كانت أمه بعـــد ولادته تحفظه تحت الاشجار الكثيفة الملتفة وقاية له حتى يشتد ويقوى على أرجله . فالآن سمحت له بالخروج من الكناس . هذا الغزال يقف فوق الرابية فى ضــوء الشمس الساطع ومس الهواء المنطلق للمرة الأولى ، يقف مبهورا طروبا جذلا منتشيا بتجربته الأولى فى عالم الحياة الواسعة المشرقة ، المائجة الزاخرة . فهو يمد جيده الطويل الرشيق الى الامام فى تشوف وفضول وتعجب وانبهار مما يرى من ضوء هذه الحياة ومايحس من نسيمها وحركتها ونشاطها واصواتها . فما أروع انتصـابته هذه وما أحفلهـا بالمعـانى والعواطف والاحاسيس .

***

يساعدك على تصور هذا المنظر أن تكون اطلعت على صور لأفراخ الطيور أول ماتكسر قشرة البيض وتمد أعناقها النحيفة العـارية محلقة بعيونها الواسعة البريئة الى هذا الكون الغريب المثير خارج البيضة فى فضول وتشــوق ومزيج من الخوف والرغبـة فى الانطلاق . ثم ما تلبث مغامرة الحياة أن تغلب خوفها فتنطلق من البيضة بفرحة ونشاط مقبلة فى جرأة على هذا العالم الزاخر المائج بخطوات متعثرة تثير ضحكنا لكنها تثير أيضا أقوى عطفنا وشفقتنا وحبنا .

فاذا عدت الآن الى صورة الابريق المنتصب على الشرف أدركت مدى ما اكســبه هذا التشبيه من حيوية ونشاط . فخيال الشاعر يوهمه أن الابريق فى انتصابته الرشيقة يقف أيضا سعيدا مسرورا فخورا بما يحمله جوفه من خمر معتقة ، طروبا بما تفعله الشمس والريح من تزكيتها وتطهيرها ، وانه يمد عنقه الظريف متطلعا الى الرفاق متشــوقا الى اللحظة التى سيقبلون فيهـا عليه ويتعمون بالخمر الجيدة التى يحملها . والحقيقة بالطبع هى أن الشاعر هو الذى يتطلع الى ذلك الابريق فى شغف وحبور متشوقا الى اللحظة التى سيتم فيهــا تطهير الخمر وتعطير رائحتها وتطرية طعمها فيصبها من الابريق ويسعد بمذاقها الحبيب

ففى تأملك فى البيتين لا تقصر نظرك على الغزال أو الابريق ، بل تخيل الطرف الثانى من هذه التجربة الرائعة وان لم يذكره الشــاعر ، فعليك أنت أن تتذكره ، وهو الشاعر نفسه، اذ وقف عن بعد يراقب ذلك الغزال مفتونا بملاحته ورشاقته (وهى تجربة حدثت لهم كثيرا فى أسفارهم الطويلة فى جنبات الصحراء ومراقبتهم لكثير من الوحوش فى حياتها البرية الآمنة) ، أو يرقب ذلك الابريق مروعا بجسده الفضى المتلالىء وصنعه الاتســيابى الحى متلهفا الى خمره الجيدة المعتقة .

***

فان أردت تجربة متـشابهة مما يحدث فى واقع حياتنا المصرية المعاصرة ، تجربة تعينك على اجادة التمثل للصورة وما تزخر به من الانفعالات . فتذكر كيف نملأ « القلة » بالماء الذى مزجناه بالماورد ، ثم ننصبها فوق جدار أو « زلوع » أو حافة « بلكونة » ، بعد أن نقلدها فروع الليمون أو البرتقال أو غيرهما من نبات عبق ، زينة لها وتعطيرا لرائحتها ، وكيف تنتصب القلة على مكانها العالى انتصابتها اللطيفة المحببة الى قلوب المصريين، وكيف نرنو اليها متشوقين وبخاصة فى ختام نهار من أيام الصوم فى رمضان . فان كانت هذه تجربة افســدتها علينـا الثلاجات الكهربائية فى المدن فانها لا تزال مأثورة فى القرى نمارسها كلما عدنا الى ريفنا المصرى فى يوم عطلة .

***

اترانا كنا مبـــالغين حين ادعينا أن تشبيه علقمة للابريق بالظبى قد « **أحيا** » الابريق ؟ أترانا يجوز لنا الآن بعد أن أنعمنا النظر فى هذا التشبيه أن نخالف أبا العلاء حين ذكر البيتين فى « رســالة الغفران » ، وقال عن علقمة : «خسر وكسر ابريقه» ، فنصيح : الا لا خسر علقمة ولا كسر ابريقه !

« **دكتور محمد النويهى** »

ورائهم

للدكتور أحمد كمال زكي

(١)

هو **يوسف الخال** ذكرني به **عبد الوهاب البياتي** من حيث البداية التي تبدو دائما مبشرة، ثم لايكون الا القليل حتى يقع الانحراف الذي يدمر كل شيء ويطيح بأرفع القيم وأشرفها .

وعلى الرغم من افتراقهما على الدرب بحيث يظهر أحدهما يساريا يصفق له الحمر وهو يدعو الى السلام خلال معارك النضال العربي في القناة وأوراس ودير ياسين ، ويظهر الآخر اقليميا ذميما يتهجد في محراب تموز وفينيق .. فانهما يشتركان في التنكر للأرض التي درجا عليها ، وللأهداف التي تجمع عليها الأمة حتى لكأنهما موتوران يتصوران أن أية دعوة وحدوية غرضها تحكم مصر في مقدرات العرب!

بل يشتركان في السلوك كأن الشيطان نفخ فيهما من روحه فصدرا عن هوى واحد . واذا هما بعد يعفران الجباه على أعتاب السفارات ويسلمان قيادهما ليد الغاصبين – أيا كان لونهم ومهما تكن سيادتهم – ليؤكدا أن الاشورية أو الفينيقية أهم من كل ما يستنفد فيه عرب اليوم طاقتهم .

أنا لا أتهم ، ولكني أقرر واقعا ...

وفي حدود هذا فقط لا أقبل أن تكون القومية العربية في مختلف أبعادها نهبا لمثل هذين ، ولا أرضى أن يبرزها حركة فاشية لمجرد أن يظهر فيها واحد كعفلق أو آخر كالحوراني ، فان من المؤكد أن أي شخص يبيع نفسه لمن يدفع لايملك حق المناقشة والاعتراض !

ان يوسف الخال – وهو من يعنينا هنا – لم يكتب وثيقة رجعته بعد . أعني لم يعلن – كما أعلن أغلب الذين أدلوا بدلوه – براءته مما يصدر عنه على أساس أن جميع ما «كافح» في سبيله أصبح اليوم حقيقة ، أو أصبح المرء أمامه شد اطمئناننا الى تحقيقه .

على أننا مهما نقلب القضية على وجوهها ومهما تكن كلمة الذين يريدون أن يغفروا له ولمثله ، فلن نصل الا الى نتيجة ينبغي أن نحسد عليها أنفسنا ، هي أن ضعف الانسان كثيرا ما يضع عراقيل العاطفة في طريق التقييم الموضوعي الرصين للنفس الادبية بكل مكوناتها وافرازاتها . وفي هذه الحال تنتفي حجة الذين يريدون أن يفصلوا بين « السلوك » و « الانتاج الفني » ليقولوا مثلا : ما لنا واقامته أمام السفارات الاجنبية أو أن يكون يدا لمن يخطط للصهيونية في المنطقة العربية – وصاحب هذه المقالة شاعرنا **عبده بدوي** – فان معنى هذه أن القشرة تكفي لقياس طعم الثمرة .

لقد اشتدت المناقشات حول « الموقف » أو الايديولوجية في الايام الاخيرة بصورة تدعو الى الرثاء والمرارة معا . وفي الوقت الذي أخذ فيه الجدل صورة عاطفية أكثر مما يجب أن يكون منطقيا، جعل المنحرفون يعبثون ما شاء لهم العبث ثم اذا شاءوا كفوا مدعين أنهم لم يطيقوا ثوب الخيانة أو

أنهم ضللوا أو أنهم تنبهوا الى أن الاستمرار في الخضوع للتبعية الاجنبية معناه قتل الادب الانساني الصادق ٠

حقا كان هناك واحد كالسياب لم يضرب في الجادة الا عام ١٩٥٢ وكان قبل شعوبيا يكاد ينكر أمثال **نازك الملائكة وعلى الحلى ومحمد جميل شلش**، وكان هناك أيضا شوقي بغدادي الذي بدأ بداية الخال ثم استسلم لاغراء المال ما تخرص على العرب وكذب ، وعاد تائبا قبل أن يتورط تورط شوقي أبو شقرا وعصام محفوظ واوكتافيويات ٠ الا أن هذا لا يعني قط أنهما في المستوى القومي مع شاعر كحسن النجمي او آخر كفواز عيد ، فما بالنا بمن ركب رأسه ولا يزال يقبض من خصومنا المال ؟

لا يستطيع أحد اقناعي بأن الحكم الموضوعي وحده على شعر يوسف الخال بما هو شكل وفكرة يكفي لتقييم فنية صاحبه ، فان هذا يساوي تماما الحكم على أي نص بأن صاحبه فاشي أو بورجوازي أو بروليتاري متطرف ٠

اننا نريد النظرة المتفحصة التي تنظر فتجمع الأطراف وتتمعن فتصل الا الأعماق، ويتلازم عندها الشكل والموضوع والمضمون تلازما لا فكاك منه بأي حال ٠

(٢)

ومع ذلك فلو نظرنا الى يوسف الخال بعيدا عن سلوكه اللاقومي وبغض النظر عن خياناته المتكررة، فلن نصل الى ماوصل اليه الشاعر **عبده بدوي** فقط فيما كتبه عنه في العدد ٥٧ من الرسالة (السنة الثانية) من حيث انه يعتقل قارئه في كنيسة ويترجم مافي الانجيل فيكونمجرد مترجمت ـمسيحيا كان أو مسلما أو وثنيا ـ تضيق تجربته عن أن تتسع لكل الحياة ، وانما نصل الى أنه لا شعر له حتى يمكن أن تحدق فيه !

أجل ٠٠٠

وادراكنا لهذا يعني أنه ناظم خزعبلات ليس الا ، حتى ليصح فيه قول الياس سحاب في « الحوادث » التي صدرت في ٣ تموز سنة ١٩٦٤ انه مهرج على رغم ادعائه وادعاء صحبه والمطبلين له انه مسيح الشعر الذي يصلب نفسه فداء للبشر ٠

ونحن لو سلمنا له عبثا بأحقية هذا الادعاء فليس يغنيه كايديولوجي مرتبط بقضية ان يكون كذلك، لأن فكرته في اطارها الذي يقترحه لا تحمل أي مضمون تقدمي ومن ثم تسقط القالة الاخرى التي تقرر في جرأة عجيبة أنه « شاعر مسيحي استطاع أن يجعل من أيديولوجيته شعرا » ولكنه في واقع الامر صابيء ، لا يؤمن الا بالرفض ولا يرى ـ على ما يدل عليه شعره ـ الا العدم ٠

وجودنا انتظار ما يجيء
حين لا نكون في انتظاره
نهاية المسير قمه
ونحن لا نسير
نظل في السفوح كومه
تزحف أو تموت
ينسج ثوبها الأخير عنكبوت
و لايقال للجبال انتقل
للبحر يا امواجه ٠٠ الخلاص اقبل
وابتدئي الحياه
لا نور ٠٠ لا ظلام ٠٠ لا اله !

هو اذن ليس مسيحيا ، وهو أيضا لا قضية له ٠ وعلى هذا الأساس يكون ذلك القومي السوري المتآمر على عروبته مجالا خصبا للدراسة التي تبين كيف يمكن أن تختل القيم ويقحم على الشعر من ليس له من القوى الا أن يدلس ويهرج ٠

(٣)

من يوقظ الخطيئة
يمسح عنها صدأ السنين
يبني قببا مضيئه
من خشب الأرزة من
رخام بعلبك كاسنا المضيئة
بخمرة لا تستحيل ادمعا
ولا دما ٠٠ قبلتنا بريئة
تخاف أن
توقظ في قلوبنا الخطيئة
والله في ديارنا مشرد !

والله المشرد عنده هو نفسه الذى أنكره قبـل ، وهو الذى أصبح خاضعا لمقدراته حتى لينفيه اذا شاء ، أو يأخذ مكانه متى صلب • وفى استطاعة اى انسان عن طريق الخطيئة ـ والخطيئة ملازمة للانسان عند الخـال ـ أن يحقق الخلاص ومن ثم يتاله • غير أن هذا التأله قلما يحدث ، فاذا حدث فان الخاطىء عليه أولا أن يلتقى بالشاعر ـ أى يوسف الخال ـ فى ذرا الألوهية ليظفر بلمسة منه ، فهذه اللمسة ايذان بميلاد الاله الجديد •

ان يوسف الخـال فوق كل الآلهة ، وهو وحده الذى يجرؤ على مخاطبة الخاطىء قائلا بعد أن يظفره باللمسة الخالدة :

تصير بى ذاك الذى براكا

ويتخلل هذا التحول الفـذ طقوس شاذة ترتفع فيها ايقاعات شوهاء استمدها من اناشيد الكنيسة، حتى اننا لنراها ازاء شكل من أشكال الشعوذة على النقاد أن يحترسوا من طنطنتها مهما تغل بهم حرارة عاطفتهم •

وهـذا التقدير لمسيحية الخـال ـ وليست هى المسيحية الحقيقيـة ـ تجعلنا لا نعجـب أن يكون لأيديولوجيته الهان : أحدهما مأخوذ من التوراة ، فهو قاس رعيب مخيف مدمر • والآخـر منتزع من الانجيـل فهـو طيب وديع سلبى يمـكن أن يعزله الشاعر متى أراد ، ويمكن أن يشل قواه بتبنيه أن للموجـود جذورا توغـل فى الأرض وأن فى هـذه الجذور أبعاد الحياة بأمسهـا باعتبار ما كان وغدها بالقوة :

الورق الذى يهر جسد

والسر فى الجذور

وفى الجذور امسنا

وفى الجذور غدنا !

واذن فالسؤال الخطير بعد ذلك هو: فى أى جانب هو بعد ذلك ، وما مدى شاعريته فى هذا الجانب ؟

ليس المهم فى سبيل الوصول الى الاجابة الصحيحة أن نستقرىء كل ما نظـم ، فما جمعه فى ديوانه « البئر المهجورة » يكفى وحده لنقول : انه ليس فى جانب من مكان ما ! والاهم حقـا هو أن نتسـاءل النتيجة المباشرة لشـل قوى البارىء والاستعاضة عنها بقوى الجذور ، ففى عد هالنقطة ـ وهى أساس نظمـه ومعينـه ـ نراه عالة على التموزيين يصطنع أنمـاطهم ويسلبهم اكليشاتهم ثم يحـاكى على نحو ساذج حججهم دون أن يصورها التصوير المسدد •

ومن وراء هـذا التقليد نظر زائـغ الى واليم بطلربيتس وعزراباوند واعتداءات صارخة على أرض اليوت الخراب !

ان « البئر المهجورة » فى الواقع لا يدل الا على شىء واحد هو أن ليوسف الخال منقارا يفتحه ليبعثر ما تبعثره الببغاء •••

انه استبدل بالله تموزا ، أو مزج بين احساسه بالمسيحية والاستشهاد التموزى على ما ظهر عنـد أدونيس والسياب ، وعلى مايقرره غيره من القوميين السـوريين الذين يرون أن شرط بقـائهم هو بعث امجاد الفينيق •

ومما لا شك فيـه أن الجذور فى اطارها التموزى رمز خصب ثرى ، غير أن الخطورة فيه أن يتـخذ بسهولة نقطة انطلاق الى صبأ عات • ولقد نقبله ما كان فى حدود التجربة العـاقلة التى لا تعرف الميل ولا التعصب ، فاذا لم يؤد الى الـكشف الرشيد أو الى تحديد طريق العودة الى الله والى القيم الجـديدة فلا ضرورة له على الاطلاق •

واشارتنا الى العودة فى حد ذاتها ادانة للشاعر من حيث لا يدرى لأنه ليس فى الحقيقة كالتموزيين ولا سيما شاكر السياب ـ عندما يضلون فى متاهة الجدب والموت والقلق فيتدخل المطر غالبا لانقاذهم وللبشارة بالبعث الجديد •

يوسف الخال ليـس من هذا الصنف ، وان كنـا نرى عنده عدة محاولات للتبشير ببعث ما • وهنا يعن للقارىء أن يتساءل عن مبرراته ومقوماته، فهل صحيح أن هناك جدبا فر منه الشاعر الى الخصب ؟ وهل صحيح أيضا أن القانون الكونى قائم أساسا على استشهاد تموز ؟ ثم اذا صـح هذا هـل يكون معناه أن نتخلى عن الدأب ما دامت سـنة الحياة أن يتغيب تموز ويعود فى قانون ثابت مؤكد ؟

من الواجب ولا شك حتى باسم عدم التحيز أن يخامرنا الشك ، فاذا كانت الظواهر الطبيعية مؤكدة

فمن الواجب أيضا ان نسال : الا يكون لغير تموز يد فى هذا البعث المتجدد ؟

ان المرحلة الاسطورية من تاريخ البشر قبلت تموزا لقصورها ، فلم تظل عند هذه المرحلة وقد دحض الدين تلك المسلمة الخيالية كما دحضتها تجربة العلم ؟ قد يكون ثمة مايربطنا بالماضى البعيد - على ما يؤكد يونج - وقد يكون فينا التطلع الى تهويمات الأمس التماسا للخلاص - أى خلاص ؟ - الا أن هذا اذا كان سبيلا الى اراحتنا فليس ينبغى ان نجعل تلك الاراحة نهائية ٠

هذا فى حالة التوافق الكامل مع الفكرة التموزية ، أما اذا كانت قاصرة قصورها عند يوسف الخال فان القارىء لاريب يحار بين شتى صور تشده الى موقف غائم أو لا تشده الى شىء قط ٠ لقد سمعناه يقول انه عرف أن « سر الحياة » كامن فى الجذور التى تحمل الأمس والغد ، ولكنه لا يلبث أن يصرخ قائلا :

وها هى الجذور تسأل التراب
عن مصيرها ٠٠ والنهر لا يجيب
فى الصيف لا يجيب
فمن ترى يجيب هذه ٠٠
الجذور عن مصيرها ؟

وربما يعن لأحد أن يزعم أن هذه ليست حيرة ولا قلقا لكنها تعرف أكيد على طريق الخلاص فنقول : كيف تكون الجذور فى تلك الحال طريقا للخلاص ؟ لست أدرى ولكن أسعد رزوق يقترح أن تكون قصيدته « البئر المهجورة » وهى التى تحمل اسم ديوانه معلما على هذا الطريق ٠ فبعد أن وافق جبرا ابراهيم جبرا - وهو من خيرة مثقفينا لولا قصيده المنثور - على أنه قطب من أقطاب التموزيين يؤكد أن تلك القصيدة تحل كل شىء عنده ، وقد غاب عنه أنه ضائع فيها بين تموز والمسيح وأنه كان يسأل : أترى اذا ضحى ابراهيم - بكل البئر المهجورة - بنفسه فى المعركة يتسنى أن تبنى الحضارة عودا على بدء ؟

الرابطة بعيدة كما ترى ، ولكن أسعد رزوق يؤكد أن الشاعر فى هذه القصيدة ومعه تموز والمسيح والانسان « المتمز » كلهم أطراف متساوية فى المعادلة الرمزية التى تحل جوانب المشكلة وذلك هو الخلط بعينه ٠٠٠

فاما أن يكون الشاعر مسيحيا يحكم عليه بالصلب ، واما أن يكون تموزا فقط ، واما أن يكون الاثنين بمنطق مقنع وبغير تحامل على عقائد الآخرين ٠

(٤)

وماذا بقى من نظمه بعد ذلك ؟

لاشىء ٠٠ الا مجاراة للمتعصبين على اللغة العربية مقتنصين مهجورها للفت فى عضدها ، وانه ليصنع صنيع أدونيس وسعيد عقل فيقول :

ترى يعود يولسيس
والولد العقوق والخروف
والخاطىء الأصيب بالعمى

يريد الخاطىء الذى اصيب بالعمى ، فاذا كان قد أعوزه التعبير السليم أوالمألوف فى مثل هذا الموضع - وهو هين جدا كما نرى - فتعسر وتبلبل ٠ فمن حقنا عليه أن نقول له : كف ٠٠ حتى تتعلم الكلام !

ونظرا لضرورة مراعاة الاتجاه الوجدانى للفنان فضلا عن ضرورة النظر الى ملكاته واستعداده وثقافته وأيديولوجيته - مخالفين بذلك عبده بدوى - فانه لا سبيل الا أن نقول ان أعماله كلها كشخص وفن وتمرس واستيعاب لا تسلكه مطلقا ضمن الأفراد الأسوياء ٠

ومن هنا ٠٠ بل من هنا فقط يصح وصفه بأنه اسطورة ، وما أعجب الأساطير !

ولما كنا حريصين على فهم العوامل السيكولوجية والبواعث المجتمعية التى حفزته الى أن يصبأ صباه ذاك فان أحدا لا يلزمنا بغير ما قلناه ، والا فهل ثمة دليل واحد على أنه يعيش اليوم فى مناخ صحى سليم ؟ ولماذا بالله فارق قومه ان كان عليه - كفنان اصيل كبير - ان يخاصمهم ؟

ان الكائن الحى انما يأتى ومعه قوى تضطلع بعملية التفاعل بين ذاته وذات المجتمع ، ويبدو أن هذه كانت عند يوسف الخال محملة بالعفن ، فلم تستطع يوما أن تتفتح على النور ، وصار حسبها أن تتفتح أو تصلب فى ملاهى أوروبا على نفقة فرنسا وعملاء الاستعمار يوم كنا هنا ندفع عن أرضنا أعداء السويس ومن ورائنا كل العرب المخلصين ٠

« د ٠ احمد كمال زكى »

نطق كبيرهم !

• بقلم محمد محمود شمس •

احاول هنا ان اعيد توزيع الجانب الانجليزى من مقال د. النويهى ـ دفاع عن شعراء الرفض ـ على نحو عربى .! وذلك لاهمية هذا الجانب من المقال فى حيثيات الحكم على **«فرقة الشعر المنطلق»** او بمعنى ادق ، على طلائع هذه الفرقة .! و «قمة حرارتها الوطنية» كما يقول الاستاذ الدكتور صاحب المقال !

فهؤلاء الشعراء ونقادهم المتحمسون لهم ، يدركون تماما سبب مأساة فلسطين ، وقضية الاسلحة الفاسدة سنة ١٩٤٨ . ! ومن حيث ان القضية قضيتهم ، فليعينوا وزراء اعلام «للكيان الفلسطينى» او قادة «لمنظمة التوتر الفلسطينى» ، و «جيش فلسطين» .. وحتى لاتضيع مجهوداتهم الفنية والنقدية ونخسر نحن العرب الكثير .. الكثير !

استمع الى كبيرهم يقول :

« فلم تكن مأساة فلسطين الا النتيجة المحتومة لانحلالنا المادى والخلقى والوطنى ، وليس من سبيل الى محو عارها من سجل تاريخنا الا بمعالجة هذا الانحلال المعالجة التامة الابراء . وهل من سبيل الى هذه المعالجة الا بالاعتراف الامين ـ تصور ! ـ بما تبقى فينا من آفات ذلك الانحلال » . هذه الفقرة التى تلت حديث الرئيس جمال عبد الناصر فى غزة فى مقال د. النويهى المذكور لم تتبعها فقرات تبين بقايا هذا الانحلال المادى والخلقى والوطنى .. والادبى كذلك ، لنعرفه وندركه ونعترف به اعترافا امينا .. وامينا على نحو ما يريدنا الاستاذ الدكتور ليكتب الاستاذ عن هذا الانحلال بعنوان « هكذا انحلالكم ياشباب العرب !» ولكن الاستاذ كتب بعد هذه الفقرة مباشرة عن الوطنية العتيدة الناضجة القيمة المثمرة والمفيدة .. عن بريطانيا !

«وهكذا تفهم الأمم الناضجة ذات الوطنيةالعتيدة معنى الوطنية القيم وتوعها المثمر المفيد ، ولو انك سالت انجليزيا مثقفا ، ما العمود الصحفى الذى يعده اعظم الأعمدة وطنية واكثرها فائدة لوطنه ، لما احالك الى ما تكتبه بعض صحفهم الرخيصة من تشدق بالعظمة البريطانية وتغن بالأمجاد البريطانية، بل لأحالك الى العمود المشهور « ذس انجلند » ـ وترجمها الدكتور ! ـ «انجلترا هذه» فى المجلة الاشتراكية المعادية للاستعمار «نيوستيتسمان» . ثم يتناول الاستاذ الحديث عن هذا العمود موجها حديثه لشباب العرب ومغفلا الحديث عن الانحلال المادى والخلقى فيقول :

«وتزداد عجبا من هذا العمود الفذ حين تعرف ان عنوانه «انجلترا هذه» مقتبس من قطعة شعرية من افخم ماكتب شكسبير فى مسرحياته التاريخية فى تمجيد انجلترا والتغنى العريض بمحامدها» وبالرغم من ان د. النويهى يحكم على شكسبير هنا انه مجد انجلترا وتغنى بمحامدها بأفخم ماكتب ـ يسمى ـ فى فقرته السابقة ـ الصحف التى تصنع هذا الصنيع صحفا رخيصة !

ثم يتمم الدكتور رسالته فيقول ؟

«والنقاد الانجليز حين يصفون كاتبا او شاعرا او انتاجا أدبيا بأنه «وطني» لايعنون كما قد نظن انه

يقتصر على تمجيد الوطن ، بل يعنون ان من اقوى عواطفه التهابه بلهيب الغضب الوطنى الذى يحمله على الادانة القوية لعيوب وطنه وحثا منه لمواطنيه على تلافيها ، والنقاد والمفكرون والمؤرخون الانجليز فى طول تجربتهم ونضج بصيرتهم — الانحلال المادى والخلقى والوطنى لنا ! — لايقرون بهذا فحسب ،بل يبلغ بهم الامر انهم حين يجدون أديبا وصل غضبه على نقائص وطنه ومواطنيه الى انه ذمهم فى شعره ونثره ، وتبرأ منه ومنهم ، واعلن الخروج عليه وعليهم لم يسرعوا الى قبول دعواه هذه بسذاجة ، ولم يتهموه بالخيانة والمروق — وهنا ينسى الدكتور النويهى ان الانجليز يتهمون الوطنيين فى مستعمراتهم بهذه التهمة دائما ، وانهم يؤمنون بالتخصص ! — ومن المنطق ان «يفهموا الاسباب العميقة التى دفعته الى ذلك الذم والخروج والرفض .! واقروا بأن صيحته الغاضبة هذه هى دليل بلوغه قمة حرارته الوطنية».

و د. النويهى يريدنا ان نطبق هذه النظرة على **«فرقة الرفض»** فهى نظرة نقاد شعب ناضج مجرب انجب بلفور ، والدكتور لم يقل فى حديثه عن النكبة ان بلفور انجليزى ، فقد يصبح فى نظره عربيا ، وبدلل لنا فى مقالته القادمة على ان بلفور من الشعب الناضج المجرب ، وكذلك من الشعب العربى المنحل ماديا وخلقيا ووطنيا ، شكله من هنا ومضمونه من هناك!

«د. النويهى» يريد ان يدلل على ان «الصيحة الغاضبة هذه للرافضين» دليل على بلوغهم قمة حرارتهم الوطنية .! — ولم يقل الفينيقية .. او اللاتينية .! — وهذا يعنى تماما أن نضع الذين رفضوا لغتنا ودينا وتراثنا العربى الاسلامى ، — بعد ان لطخوا شرفهم باستجداء السفارات الاجنبية وبعد ان اصبحوا مطية لهذه السفارات واغراضها .! — ان نضعهم فى مستوى الذين استشهدوا فى الجزائر وبور سعيد وبيروت والجنوب العربى الآن .. ومن قبل فى فلسطين .! وهل تستطيع ان تقول أكثر من ان استشهاد هؤلاء العرب دفاعا عن عروبتهم اكبر دليل على بلوغهم قمة حرارتهم الوطنية ..!

غير ان قائد الذين استشهدوا غالبا مايكون احد الضباط ، وقائد الذين رفضوا غالبا مايكون اكبر النقاد ، مع الفارق الهام الذى لم ينسه الدكتور : «وهو ان هذه الفرقة — واطلق عليها هذا الاسم تيمنا باسم «فرقة الخنافس» التى هزت القارة الاوربية وامريكا هزا — تذهب الى سفارات الشعوب الناضجة المجربة ، اما الذين استشهدوا هؤلاء فقد جرت دماؤهم فى ارض الانحلال المادى والخلقى والوطنى فى ارض الذين لم يصلوا بعد الى ان يوجد فى صحفهم عمود «ذس ايجبت» هذه مصر ، وذش ردفان ! الخ .! ولم ضحى هؤلاء بدمائهم .. ان العدوان جاء لينقل اليهم النضج والتجربة والحضارة لقد استحقوا ان يركلوا بالاقدام وتخرب مدنهم. وتذبح اطفالهم كذلك ! انهم رفضوا الشعوب الناضجة المجربة .. التى انجبت بلفور ونفذت وعده ومازالت عليه حريصة وأمينة .!

ولكن لاباس من ان نقول على هؤلاء الشهداء ، انهم والشعراء الرافضون وصلوا الى قمة الحرارة الوطنية مسايرة للميثاق ودلالاته النويهية . ولقد راى الدكتور النويهى فيما راى من آيات ان معظم الذين استشهدوا فى بور سعيد كانوا يرددون .. أودنيس — الخال .. نويهى .. لويس .. الخ .

ويكرر د. النويهى مرات فى مقاله التاريخى ، ان النضج والتجربة لمن يضربون الآمنين فى الجنوب العربى المحتل وقت صدور مقاله .. ويرجع سبب ذلك لانحلالنا ، غير مدرك بديهة أولية هى ان العالم باسره تغيرت مفاهيمه .. وخاصة بعد سنة ١٩٤٨ !! فلم تعد الشعوب الناضجة المجربة هى التى تقوم حياتها على اللصوصية والاستعباد واستغلال ثروات الشعوب .! فماذا اذن نطلق على الشعوب التى تحاول بناء حياتها وحياة أى انسان على الارض .. ونؤمن بحرية الشعوب والاخاء الانسانى .. والسلام .. ان المفاهيم الاستعمارية نفسها تغيرت يادكتور !! ان برتراند رسل حين يكتب الى الاهرام يفند الاعمال الاجرامية التى ترتكب باسم النضج والتجربة والحضارة فى الجنوب العربى يريد — فيما يريد — ان يدلل على ان الشعب البريطانى اعظم الشعوب ديموقراطية ! ولكن لكى نؤمن بهذا .. بالنضج والتجربة .. الخ لم تعد تكفينا مقالات .. نريد ان يقف هذا الشعب جيشه عن ضرب العزل .. العرب العزل .! لنستطيع النظر فى انحلالنا المادى والخلقى والوطنى .! وهو هدف نفس الفرقة .. فرقة الرفض .!

مع النيل

للدكتورة نعمات أحمد فؤاد

— ٥ —

وقرى توماس وعافيه وابراهيم وعنيبةوفرقندى ، لم تهاجر بعد ومن المناطق التى تنتظـــر دورها فى الهجرة (بلانة) ثان وثالث وجزء من (ابو سمبل)

نحن الآن امام قرية الجنينة والشبك والاسم كما يبدو شاعرى وطريف وربمـــا تزيد طرافته اذا عرفنا ان هذه القرية ليس بها (جنينة) اذ انها تقع على الضفة الشرقية للنيل . وقد سارت الأخبار هذه الايام بان اهالى الجنينة والشــبك يعيشون فى قصة حبيبةاليهم . فقد اصروا عندما ازمعوا الرحيل على ان يصحبوا معهم طفلا عاش فيهـــم منذ قرن مضى كالحلم الوردى او الطيف الســـارى فتعلقوا بذكراه تعلقا يمتزج فيــه الحب بالتوقير الذى يحيله الزمن كلمـــا تقادم الى كرامة تلتقى عندها الحقيقة بالخيالات والاوهام .

هذا الطفل اصبح عنوانا فى صحفنا اليوم بوصفه (الميت الوحيد الذى هاجر الى النوبة الجديدة) ففى قرية الجنينة والشبك الجديدة (كان الجثمان يسير فى مشهد مهيب تحف به الزغاريد ودقات الطبول .. بدلا من الصراخ والنحيب ومعذلك فقد كان فى مقدمة المشيعين مندوبون عن وزارة الاســـكان ووزيرة الشئون الاجتماعية ومحافظ اسوان ورئيس مجلس مدينة كوم امبو وعشرات من رجال الشرطة والوف من اهالى النوبة الذين جاءوا لتوديع الشيخ الميرغنى الى مقره الاخير .)

ولم يكن الشيخ الا الطفل الذى لم يتجاوز الثانية من عمره حين صحبه والده الحسيب النسيب السيد محجوب الميرغنى شيخ الطريقة الميرغنية فى سفره الى السودان واختار ان ترسوا الباخرة على قرية الجنينةوالشبك ليواصل رحلته الى السودان وعند عودته توفى صغيره فى الباخرة فقرر الوالد المحزون دفنه فى نفس المكان الذى صلى فيه عند ذهابه الى السودان وسماه « محمد الكبير » .

وينسج الخيال الشـعبى حول لفظة « **الكبير** » هذه قصة لاتخلو من غرابة على طرافتهـــا فاهالى النوبة يؤكدون لمن يتساءل ان شـــيخهم الطفل كان يرفض الرضاعة فى شـــهر رمضان فاذا حل موعد الافطار اقبل الطفل على رضعته كما يقبل الصائم على طعامه فى ميقاته المعلوم ثم يصـــمت الراوى وكأنه يتساءل بدوره ، اليس عذرنا واضـــحا فى التشبث به ؟؟ اليس من حقه الاجلال والوقير ؟؟

ان منطق «ذش انجلند» يوم كانت المستعمرات البريطانية لاتغرب الشمس عنها قـد انتهى ولكن الاستاذ د. توبهى يستطرد فيقول :

« انظر كيف يفخر البريطـانيون بشيلى وبيرون ووايلد وويلز وشو وليس اقسى من هؤلاء تشريحا لجرائم البريطانيين وثقافتهم وكشفا عن مساوئهم وآثامهم » ولم يذكر بروفيمو وكريستين كيلر مع انهم من نفس الوزن والقافية .! ولكنه يقول «لقد ادركت الامة البريطانية ان هؤلاء كانوا انفع لهـا من المتغنين بالمجد البريطانى والشرف البريطـانى والتقاليد البريطانية الجليلة والعـدل البريطـانى الذى لايدب اليه فساد » .

ونريد ان نعرف كيف تمت هـذه الاستفادة ، وكيف شاركت فى تقدم بريطـانيا ، لنستفيد نحن ونسـتطيع النظر فى انحـلالنا المادى والخـلقى والوطنى على ضوء هذه «اليوتوبيا» .! اترنا كيف تغير ميثاقهم يادكتور ، وتناول الصـدق الفنى لفرقة الخنافس ، فهناك روابط فنية وثيقة بينها وبين «فرقة الرفض» التى تحـاول ان تكسبنا «البرود الانجليزى» فى مواجهتها .. فتقول .

«ان واجبنـــا ان نتحمل كل مايقولون بصبر وسماح مهمـــا يثر سخطنا الدينى ، ومهمـــا يؤلم شـعورنا الاخـلاقى ، ومهمــا يجرح حساسيتنا القومية » .

اغفروا لى هذه الطريقة ، التى عرضت بهـا افكار هذا المقال .. انها طريقة انجليزية ، ولكن عربتها بعد ان اصبيت بالغثيان .

«محمد محمود شمس»

على ان هذه ليست المرة الأولى التى ينقل فيها الطفل الشيخ من مرقده فقد نقل جثمانه للمرة الأولى عام ١٩٣٣ عند التعلية الثانية لخزان اسوان . فقد اخطر النوبيون الجهات الرسمية وطلبوا اليها نقل الجثمان من مكانه الى مكان اعلى من منسوب المياه بعد التعلية (وحضر مندوب من الحكومة ومأمور المركز وطبيب الصحة الذى امر باحضار شهود رؤية ممن حضروا الدفن حتى يتأكد من ان السيد محمد الكبير مدفون فى هذا المكان ... وفعلا استدعينا اثنين كانوا على قيد الحياة عمر كل منهما ٩٠ سنة الاول اسمه عابدين غبيه والثانى اسمه داود محمد موسي وقررا كتابه ان هذا القبر هو قبر الحسيب النسيب محمد الكبير .. وبعد استجوابهم امرت الجهات المسئولة باستخراج الجثة .. وبدأنا عملية حفر الارض حتى وصلنا الى الجثة وكانت الدهشة عندما رأيناها كما هى وكأنها دفنت بالامس فقد رأينا النصف الأعلى من الجثة كما هو والنصف الاسفل سايبا ولكنه منفصل عند المفاصل فرفعناه ووضعناه فى كفن جديد ونقلناه الى ارتفاع بعيد عن منسوب المياه) .

ومن الطريف والغريب ان اهل عنيبة ، حين انتشرت الملاريا بالنوبة سنة ١٩٣٤ طلبوا نقل الجثمان اليهم باعتبار عنيبه مركز النوبة فرفض اهل الجنينة والشباك الا اذا انتقلوا معه جميعهم الى عنيبه فالغى نقل الجثمان .. الى هذا الحد يغالى اهل النوبة بشيخهم الصغير الكبير فاذ ينتشر الوباء يفكر قوم ، فى مقام الروع ، فى الشيخ الميت دون الأحياء ، وفى غمرة الخطر المحدق يشغل آخرون به عن انفسهم فيرفضون نقله ويتبعونه ان القلب الانسانى اغلى شيء فى الدنيا اذا احب واذا دان بالوفاء .

ويبدو ان النيل فى هذه المنطقة يدلل قراه كما ندلله . فبعد (الجنينة والشباك) مررنا أمام قرية (مصمص) وهى تذكرنا بالاستاذ مصطفى امين فى مطلع حياته الصحفية .

وتقع قرية (**توشكا**) على الضفتين .. اما الشرق ففيه مقبرة اثرية لـ (حكانفر) اى الحاكم الطيب وقد نهبت .. وحكا نفر كان حاكم المنطقة ايام توت عنخ آمون .

وفى أيام توت عنخ آمون كان هناك نبيل من النبلاء اسمه (حوى) .. وحوى هذا له مقبرة فى الاقصر . وقد وجد فى مقبرة (حكانفر) صورة له تمثله وهو يقدم القرابين الى حوى ليقدمها الى الملك .

وقرية توشكا كان بها مشروع طلمبات شرقا وغربا .

وبعد توشكا تأتى قرية (**ارمنا**) وارمنا اسم تدميس قبطى .

نحن فى الطريق الى (**فرقندى**) سفح الجبل الذى يطل على النيل لونه برتقالى وهو مخملى الصفحة حتى ليخيل اليك انه من طمى لا رمل . وعندما ينتهى السفح البرتقالى نجد لافتة صغيرة كتب عيها (فرقندى) يكثف عندها النخيل .

ويلاحظ ان بيوت فرقندى سقفها مسطح لانهم يستخدمون فيه جريد النخيل الذى تسخو به منطقتهم .

البيوت التى تكاد تكون خالية والتى كانت حالية تمثل الفن الشعبى اصبحت الآن تخدم فنا آخر فهى فى الغروب تصنع من الشاطىء الذهبى وشفوف الاصيل والجبل والنهر والنخيل الباقى على العهد ، لوحات فاتنة يعرضها النيل الفنان .

ومن بعيد لمحت عينى على الجبل عربة تسير... وراءها اثنان فى ملابس .. فرعونية زاهية .. يا الهى انها عربة رمسيس الحربية وانه هو فى ملابسه الزاهية وبزته ووقفته .. وهالته ايضا .. احلم هو ولكنى فى النهار وفى تمام يقظتى .. الموكب يقصد الشفق الوردى الذى يلون الجبل ويذهب صفحة النيل وخشعت روحى ماذا ارى ؟ فراعنة يا الهى ؟ وهتفت برفيقى انظر فقال : اين ؟ فات هناك..قال : ماذا قلت عربة وراءها اثنان فى زى فرعونى .. ومرة اخرى اخذ يردد اين اين ؟ لا ارى شيئا .. ولكنى كنت ارى كالمذهولة .. كنت ارى راى العين فأخذت اردد بدورى : هناك .. هناك .. ها هى .. عربة .. تسير ..

وكانت الباخرة قد اقتربت من المكان الذى رايت فيه ما رأيت فلم نجد شيئا .

مازال هذا المشهد حيا فى ذاكرتى وشعورى وسيظل بالوانه الزاهية .. بنوره .. بروعته .. بدهشته اقصد بدهشتى انا بروعى .. ان معابدهم مبثوثة فى هذه المنطقة لم .. لم لا يكون ما رأيت حقيقة .. لقد رأيت العربة..رأيتها تسير .. رأيت رمسيس ولم اكن فى ذلك الوقت افكر فى المعابد ..

كنت فى هذه اللحظة مستغرقة فى النيل المتألق فى افراح الأصيل واذا بعينى ترى ما رايت..هل شبه لى من امتلاء نفسيبهم خاصة فىهذه الرحلة ؟ ... هل الاغصان باوراقها والشفق منخلفها صنعت من بعيد هذا المنظر ؟ ربما ولكنى رايت العربة تسير .. رايتها تسير ...

ومرت فترة صمت طويلة كنت فيها هائئة سعيدة وكنت فيها حائرة شبه مرهقة كانت الوان من الشعور تلفنى ولا اتبين منها شيئا اولا يبين لى بينها موقف ... هل رايت ؟ نعم رايت..احقا ؟ نعم حقا وصدقا .. الا يمكن ان يكون خيالا ؟؟ ولكنى رايت العربة تسير .. رايتها تسير .

الليل وبقايا الشفق وبقايا حديث وبقايا صمت والجبل شبه خط مستقيم كأنه لاتضاريس به هل نام النيل وشرب منه الجبل فى هذه اللحظة فمسه عرق الصبا ؟ ان قومنا فىالصعيد يعتقدون ان النيل ينام لحظة فى ليلة القدر والسعيد من شرب منه فى هذه اللحظة فانه يهبه منالقوة ما يستطيع معه ان يمسح الريال بفركةمناصابعه — كما يقولون — اما الشقى فهو الذى يقتربمنه ساعة يقظته انهعندئذ يطويه.. وهو صدى لاعتقاد مصر القديمة فيه فقد كان اسلافنا يقولون بأن للنيل يوما فى السنة ينام فيه والسعيد من يشرب منه فى هذا اليوم انه يمده بفيض من القوة وروح من حياة .

من بعيد تلمع نجمتان على صفحة الماء .. اننا الآن موعودون بمعبد .. (أبو سمبل) . النجوم تكبر وتكثر انها الآن حبل من الثريات على صدر النيل من بعيد .

الانوار الان تبدو دائرية .. دائرة من النور وسط النيل يقابلها على الضفة اليمنى شريط من النور .. هل عاد اوزوريس وهل النور لمعة عيون ايزيس من الفرح أو ابتسامات هائئة سعيدة يشرق بها وجه حورس .

السماء فوقى تلمع فيها فجاة نجوم كثيرة ، الجبل الآن يبدو امامى كأنه استعرض فى النيل على شكل كوبرى ضخم يعلو ثلاث شوارع مائية .. وعلى البعد تقف عوامة مضيئة كقصر مسحور من قصور الأساطير كل شيء حولى اسطورة ، على النيل مسطورة فى النهر الخالد مسجورة .

ابو سمبل .. انا اكتب واقفة اجلالا للملوك ابناء الشمس ..

ابو سمبل وقد عكست عليه انوار الكشافات المغروسة فى الرمال عند قدميه .

عينى وقد تجمعت فيها حواسي كلها .. عينى تطل منها روحى ، على ملكى رمسيس الثانى .. لولا ضخامة التمثال لقلت لكم انى اراه ولكن هل يمكن ان يكون هذا الوجه من الحجر .. انه وجه حى .. وجه منعم بملامحه صافية .. عيون هائئة قريرة وشفاه ربا جذلانه تكمن فيها ابتسامة ينم عنها بشر الوجه كله ويخفيها او يداريها ولا يواريها ، وقار الملك وجلال الفراعين .

رمسيس وله الجلسة مطمئنة واثقة وسمت مستقر ظافر . **(أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى افلا تبصرون ؟؟)** .

ان الاولين والآخرين فى خدمته اولئك نحتوا معبده فى الجبل وهؤلاء يقومون الآن بصيانته ورفعه فوق الجبل والى جانبه الجميلة نفرتارى كما اشتهى واختار .

ان مصر مولعة بتخليده فى القديم والحديث ..

انا لسعدى ، فخورة مبهورة ولكنى لست وحدى فالعمال امامى يعملون فى جو روحى وتسرى الى اذنى من على يمين وشمال الفاظ : حضارة .. فن فالتفت فاذا القائل اولئك الذين لوحتهم الشمس وشقق ارجلهم الحصي والرمال .. اولئك الكادحون المجهولون الذين يصنعون التاريخ بانقاذهم التاريخ ...

آمنت بالانسان المصرى الأول .. الذى روض الصخر وصادق النهر وتحدى قوى الطبيعة على قلة وسائله ونقل الاحجار ورفع البناء ورسم ونقش ونحت التماثيل لها شفاه ترى وعيون تبتسم .

وآمنت بالانسان المصرى الحاضر الذى آل على نفسه ان يستخلص من الجبل معابده غير عابىء بالصعاب لانه يعرف انه حفيد اولئك الذين لم يقف فى طريقهم شيء على طول التاريخ .

وآمنت بالانسان فى كل مكان فحولى فى كل مكان احل به وجوه مختلفة الالوان جاءت من وراء البحار تسعى للشرف الكبير انقاذ حضارة الفراعنة اى حضارة الانسانية ..

« دكتورة نعمات احمد فؤاد »

أحفاد المستشرقين

• محمد عبد الله السمان •

« ليس من العدل فى شىء أن نقول : ان كل المستشرقين الذين عنوا بالدراسات الاسلامية والشرقية ،قد تقايأوا احقادهم ضدالاسلام والشرق، وان كانت السمة الغالبة على تفكير معظمهم هى محاولة فتح منافذ يتسرب منها الطعن فى الفكر الاسلامى والتهوين من شأن الثقافة الاسلامية ويصل الغلو بهذه المحاولة احيانا الى درجة النيل من الاسلام عقيدة وشريعة للتشكيك فى صحة نسبته الى السماء .

ومؤلفات المستشرقين من الكثرة بحيث لاتعد ولا تحصى ، ولا سيما ماتناول منها الفكر الاسلامى وتراثه ، والحق الذى يجب ان يقال : ان بعض هذه المؤلفات الاستشراقية قد ادى دورا رئيسيا فى تعميق التفكير الدينى ، وفتح مسالك للجدل الجاد الهادف ، ولكن البقية بعد ذلك نفثت سموما فى هذا التفكير الدينى ، اقل ما يقال عنها انها مزيج من التعصب والحقد والهوى الأعمى .

واذا قيل هذا عن الكثرة من المستشرقين ، فان اليهود منهم خاصة يندر أن تمس النزاهة تفكيرهم، او يخطر العدل بأذهانهم ، نذكر منهم — وليس على سبيل الحصر — البروفسور ل.ا. مابر . الذى كان رئيس معهد العلوم الشرقية فى الجامعة العبرية بفلسطين ، واحد الخبراء بالآثار والفنون الاسلامية، والبروفسور غ . وابل الذى كان استاذا للغتين التركية والعربيةفى الجامعة العبرية ،واستاذا للعلوم الشرقية بجامعة فرنكفورت والبروفسور هى.بنيت الذى كان محاضرا فىاللغة والآداب والفلسفة العربية فى الجامعة العبرية ، والدكتور س.د.ف غويتاين الذى كان محاضرا فى نفس الجامعة العبرية فى التاريخ الاسلامى ، وفى تاريخ الديانة الاسلامية والحركات الدينية فىالاسلام ،ثم المستشرق المجرى الأصل اليهودى الجنس والعقيدة اجنتس جولد تسيهر ، ويكفى ان نعرض فى هذا المقال لهذا المستشرق اليهودى المتعصب الذى تفنن فى الكيد للاسلام وعقيدته وشريعته ، وقضى زهاء نصف قرن من الزمان يبحث وينقب فى الدراسات العربية والاسلامية ، يلتقط الروايات الهزيلة ، والأحاديث النبوية الواهية ، ويضع أصابعه على الخلافات المذهبية الدينية ، لكى يقيم قلعة محصنة بالتعصب المقوت ، يصوب منها قلاعا تستهدف الاسلام فى عقيدته وشريعته وتفكيره .

ولد جولد تسيهر فى يونيو عام ١٨٥٠ ، وتوفى فى بودابست عاصمة المجر فى نوفمبر عام ١٩٢١ ، وبلغت مؤلفاته وبحوثه بضع مئات ، معظمها مما تناول الاسلام فى شتى مجالاته الفكرية والثقافية، على أن اخطر ما فيها ، واعنفها تهجما على الاسلام وتعصبا لبنى جنسه هما كتابا . : مذاهب التفسير الاسلامى الذى نقل الىالعربية وقام بترجمته المرحوم الدكتور عبد الحليم النجار الاستاذ السابق بكلية آداب القاهرة ،ويبرر المرحوم الدكتور النجار اخراج هذا الكتاب الى حيز الوجود العربى ، بأن نزعات المستشرقين يجب ألا تحملنا على تجاهلها :

« كما لا يحط من قيمته — اى كتاب مذاهب التفسير الاسلامى — اشتماله على قليل من النزغات الدينية التى نبهنا الى اهمها ، وهى نزغات لايكاد يخلو منها كتاب من كتب المستشرقين ولا سيما فيما يتصل من الدين بسبب او نسب ، يمليها عليهم آلف ملازم ، أو هوى متبع ، او قصد جائر ، ولو اعتمدنا ذلك سببا فى اطراح هذه الكتب واهمالها لفاتنا خير كثير . » — المقدمة .

ومن نزغات جولد تسيهر فى كتابه هذا ادعاؤه أن المرحلة الأولى لتفسير القرآن انقضت فى اقامة النص ، ويدفع به الشطط الى القول « بانه لايوجد

كتاب تشريعي اعترفت بهطائفة دينية اعترافا عقيديا على انه نص منزل أو موحى به يقدم نصه ق اقدم عصور تداول مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات كما نجد ق القرآن »

ويهتم هذا المستشرق بتفسير ابن عباس ،باعتباره اول تفسير ، والمعروف لدى المحققين أن التفسير المنسوب الى ابن عباس داخله كثير من الريب ،ولكن المستشرق اليهودى يحاول اثبات وجود قومه فيقول :

« كثيرا ما نجد بين مصادر العلم المفضلة لدى ابن عباس اليهوديين الذين اعتنقا الاسلام : كعب الأحبار وعبد الله بن سلام » ويقول :

« ولم يعد ابن عباس اولئك الكتابيين الذين دخلا فى الاسلام حججا فقط فى الاسرائيليات واخبار الكتب السابقة .. بل كان يسال أيضا كعب الاحبار مثلا عن التفسير الصحيح للتعبيرين القرآنيين : ام الكتاب والمرجان .. كان يفترض عند هؤلاء الأخبار فهم أدق للمدارك الدينية العامة الواردة فى القرآن وفى اقوال الرسوم ، وكان يرجع الى اخبارهم فى مثال هذه المسائل على الرغم من ضروب التحذير الصادرة من جوانب كثيرة فيهم »

هكذا يحاول المستشرق اليهودى أن يسجل ان اليهودية لعبت دورها فى تأسيس الفكر الاسلامى ، مع أن كعب الأحبار من المطعون فى دينه وخلقه لدى عامة المفكرين الاسلاميين ،ولم يزل العلماء يرفضون كل تفسير للقرآن اهتم بالاسرائيليات .

***

اما كتاب جولد تسيهر الآخر فهو : العقيدة والشريعة » الذى نقله الى العربية المرحوم الدكتور محمد يوسف موسى استاذ الشريعة السابق فى كلية الحقوق ،والدكتور على حسن عبد القادر عميد كلية الشريعة بالأزهر ، والاستاذ عبد العزيز عبد الحق ، والعجيب ما ذكر فى مقدمة الكتاب وهو :

« وقد انساق المؤلف الى اخطاء غير يسيرة بعوامل قديكون منها انه لم يستطع ان ينفذ تماما الى روح الاسلام ومبادئه واصوله ، وقد يكون منها كذلك ما هو طبعى فى كل ذى دين وثقافة خاصة ، من العصبية لدينه وثقافته » .

***

اما العامل الأول فلا وجود له بشهادة الكتاب نفسه ، واما العامل الآخر ، فهو الأول والاخير ، وليس هناك غيره . هذا المستشرق اليهودى يهتك برقع الحياء ، فيزعم أن « تبشير النبى العربى ليس الا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية ، عرفها اذ استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التى تأثر بها تأثرا عميقا .. »

ولا يسائل نفسه مثلا : لم اذن هذا الاختلاف الواضح فى الجوهر بين الاسلام من جانب والمسيحية واليهودية من الجانب الآخر ، مادام محمد قد استقى ديانته منهما ؟!

ويواصل المستشرق اليهودى تجنياته على الاسلام ، فيثير الشك فى القرآن ، ويطعن اصل الحديث النبوى ، ويرى أن الفقة الاسلامى ليست به الصلاحية الفقهية كى يشرع للأمم والأجناس ، كما يرى أن الفقهاء فى سبيل تطوير الفقه الاسلامى زوروا عشرات الالوف من الأحاديث المنسوبة الى الرسول ، والى ذلك من الاتهامات التى تربى عن الهراء .. وتكشف عن اصالة اليهود فى الحقد على الاسلام .

***

بقى ان تعرف أن هذا المستشرق اليهودى لم يفته قبيل وفاته أن يهدى مكتبته للجامعة العبرية بفلسطين ، هذه المكتبة التى ضمت حوالى ستة آلاف مجلة تتناول العلوم الشرقية والفقه والفلسفة والفنون الاسلامية وعدا هذه المجموعة زهاء الف نسخة من المقالات المنشورة فى المجلات العلمية .

« **محمد عبد الله السمان** »

الى مؤتمر القمة الثاني

• للشاعر الكويتي عبدالله سنان المحمد •

قلوب العرب والمهج الأبيه
موجهة الى الاسكندريه

الى الأمل الوحيد الى الوفود المنو
ط بها المهمات القويه

هناك هناك أصغاء لما قد
يدور وما تقر الأريحيه

هناك لكل جارحة خلود
لتجلى كل مطمسة خفيه

هناك هناك نعلنها جهارا
بان لنا اليد المثل العليه

هناك ومن هناك على الأعادى
ستشعلها الأيادى الضيغميه

ستطمس بهجة الدنيا عليهم
ظلاما كالليالى الحندسيه

سئمنا يا رجال العرب مالا
يفيد وسفسطات العنجهيه

لمؤتمر يضم رجال صدق
وفوا بعهودهم في صدق نيه

حرى أن نراه يندر حزما
وتصميما وطاقات عتيه

فافريقيه لاقى بلطف
وترحاب وعطف أسيويه

وشدت كفه كفى أخيه
فقال أخى فجاوبه أخيه

نعم هذا الذى نرجوه منهم
تحققه وعودهم الوفيه

نعم هذا الذى نرجوه منهم
فينفضوا على حسم القضيه

ولم لا والصواريخ اللواتى
اريناها بنى صهيون حيه

ولم لا والرجال على أتم
اعتداد بالضبى والسمهريه

لمليون تشرده الليالى
احق بان ينال الأولويه

فآمال تجيش بكل صدر
صداها رددته المدفعيه

واحلام تدور بكل رأس
تحققها الليوث اليعربيه

ايشرب نهرنا الشذاذ عذبا
ويحرم أهله الأحرار ريه

ونحن العرب قبل الناس كنا
يدا فتاكة ويدا سخيه

فنفتك بالطغاة وللصديق المحب
ة والمصافات النقيه

ففى يافا وفى حيفا وفى تل ابيب يوم نعلنها جليه

سنفتح مدفعيتنا عليهم
فلا نبقى فيها بقيه

سيأتى يومها عما قريب
ويحلو يومها كأس المنيه

وقفة الرجال

للشاعر محمود العتريس

مرحبا .. موكب الشموس .. واهلا ... هكذا .. عزت الأواصر قبلا
سلم البأس .. بعد طول شتات ... جمعت شمله .. عزائم مثلى
تطلب الحق والحياة .. لقوم ... هم بحق الحياة .. أحرى .. واولى
انها وقفة الرجال .. ولو لم ... تتحد همة الرجال .. لولى
قادة العرب .. أرضنا خير أرض ... أخرجت للانام .. علما .. وفضلا
مهبط الوحى والرسالات ... والتا ... ريخ منها على الوجود .. اهلا
مزقت شمسها .. ستور الدياجي ... فتولت كتائب الليل .. خجلى
وتبدى صباحها يبعث الحق ضيا ... ء .. وينشر العدل ظلا
يوم « حطين » لم يزل يتغنى ... باسمة النصر .. اين طاف وحلا
وانتقام الحياة فى « عين جالو ... ت » كتاب فى مسمع الدهر يتلى
ذلك المجد .. كلنا صانعوه ... منذ كان الزمان فى المهد .. طفلا
ويل « صهيون » اننا ما غفونا ... أو رضينا للعيش .. ان يستذلا
عميت أعين .. تنام على الضيـ ... ـم .. وشلت ايد .. ترى القيد سهلا
دون ذاك الهوان .. أرض تلظى ... وسماء .. فى الروع .. تقطر هولا
انه الثار .. ثار كل شهيد ... ويتيم ... ومستباح ... وثكلى
فى « فلسطين » جرح كل أبى ... من بنى العرب .. للحمى المستحلا
يا رءوس الشعوب .. فى مشرق الحـ ... ـق .. بأرض تفيض مجدا .. ونبلا
مرحبا بالاباء .. ينبض عزما ... ويقينا ... وحكمة ... تتجلى
هكذا كنتمو اذا ما ألم الخطـ ... ـب يوما بحقها ... أو اخلا
انها وقفة الرجال ... ولو لم ... تتحد عزمة الرجال ... لولى

محمود العتريس

مشكلة الطلاق وتكوين أسرة ناجحة

بقلم: مصطفى عوض هلال

الاسرة خلية المجتمع الذى يتكون من مجموع هذه الخلايا • والفرد اذيخرج الى المجتمع انما يدخل اليه عن طريق الاسرة • فالاسرة هى الطريق الى المجتمع • او هى المجتمع الصغير الذى يسلم الفرد الى المجتمع الكبير •

والاسرة بالنسبة للفرد فى فجر حياته تكاد تكون هى المجتمع بكامله وما يلقــاه على أيدى أسرته من معاملة وما يتلقاه من دروس وما يشعر به من حاجة أو اكتفاء ، كل ذلك تصنعه الاسرة باسم المجتمع ولحسابه •

ومن ثم كانت الاسرة بمثابة الوعاء الذى تنضج فيه الروح الاجتماعية أو تحترق •

لذلك لاغرابة اذ اعتبر الاسرة كثير من الاجتماعيين ولا سيما أوجست كونت الاساس الاول لكل اصلاح اجتماعى ، اذ هى ، لا الفرد ، تمثل وحدة المجتمع وخليته الاولى ••

على أن من بين من مشاكل الاسرة مشكلة تهدد كيانها وهى مشكلة الطلاق وسنبحث هنا هـــذه المشكلة مكتفين بالاشارة الى مشاكل الاسرة الاخرى كمشكلة اشراك الزوجة فى الحياة السياسية ومشكلة تربية الاولاد وقضاء أوقات الفراغ بالنسبة لاعضاء الاسرة ••• الخ • على أن هذه المشاكل تمت جميعا لمشكلة الطلاق بصلة قريبة أو بعيدة •

فمشـــكة الطـلاق مشـــكلة مزمنة لا فى مصر وحدها بل فى البلاد الاخرى أيضا كامريكا وفرنسا وانجلترا ولكنها فى مصر بدأت تتخذ شكلا خطيرا لا يمكن السكوت عليه اذ تبين الاحصائيات أن عدد عقود الزواج فى ســنة ١٩٤٤ بلغ ٢٦٩ر٦٣٧ عقدا على حين بلغت اشهادات الطلاق ٢٥٥ر٧٤ أى بنسبة أكثر من ٣١ر٢٪ من عقود الزواج فى تلك السنة هذا على حين أن الولايات المتحدة التى تعتبر نسبة الطلاق فيها أعلى منها فى غـيرها من الدول الاخرى والتى تعتبر نسبة الطلاق فيها فى سنتى١٩٢٦،١٩٣٥ من النسب العالية نجد أن نسبة عدد حالات الطلاق الى عـدد حالات الزواج كانت ١٦ر٣ و ١٦ر٦ على التوالى •

وجدير بالذكر أن هذه النسب العـالية تتكرر باســتمرار مما يدل على أن داء الطلاق قـد تزمن وتاصل فى البيئة المصرية اذ كانت نســـبة حالات الطلاق الىعدد حالات الزواج فى سنة ١٩٤٥،١٩٤٦، ١٩٤٨ تزيد على ٢٩٪ ، ٢٧٪ ، ٢٨٪ على التوالى •

بل ما لنا نذهب بعيـــدا ونقارن نسب الطـلاق عندنا بالدول الاخرى ، لنقارن هذه النسب بنسب الطلاق عند الطوائف المسيحية واليهودية فى مصر ، فنجد ان عدد عقود الزواج عند المسيحيين المصريين بلغ ٨ر٤٧٢ فى ســنة ١٩٤٤ وعدد حالات الطـلاق ٢٨١ ، وعند الاسرائيليين ٨٧٨ و ١٠٦ على التوالى وفى سنة ١٩٤٧ بلغت هذه الحالات عند المسيحيين المصريين ٢٧٣ر٥ حالة زواج ، ٢١٧ حالة طلاق وعند الاسرائيليين ٦٤٠ حالة زواج ، ٨٣ حالة طلاق •

***

ويتضـــح من ذلك أن عدد حالات الطـــلاق بين

المسلمين المصريين بالنسبة لعدد حالات الزواج مرتفع جدا اذا قورن بمثيله عند الطوائف الاخرى وهذه الحالة ان دلت على شيء فانما تدل على عدم استقرار الحياة الاسرية عندنا وهذا الداء الوبيل لا يضع حدا للحياة الزوجية فحسب بل انه يخلق مشاكل كثيرة ، فالاطفال قد يعرضون للتشرد والتسول والزوجة التي كانت كريمة بالامس قد تسلم نفسها لحياة غير شريفة أما عن الزوج فيبحث عن ضحية ثانية وثالثة ورابعة. الخ • وتنتهي كل حالة منها بمأساة كالمأساة الاولى، حتى ليمكننا القول بأن ثمة بين الرجال من يتجرون حقا بالنساء ويتخذون منهن حرفتهم فيقضي الواحد منهم عمره بين زواج وطلاق وتشريد أطفال •

ولكن ما هي الاسباب الرئيسية لهذه المشكلة ؟

أولا ـ اننا نستغل تلك الرخصة التي أعطاها لنا الشرع السمح استغلالا سيئا متناسين ان ابغض الحلال عند الله الطلاق ومتجاهلين روح الاسلام الصحيحة من أن هذه الرخصة يجب استخدامها بحذر شديد وعند الضرورة القصوى ويقول في هذا المعنى الشيخ « أحمد ابراهيم بك » الاصل في الطلاق الحظر ••• الا لحاجة تدعو اليه كريبة أو كبر ويستحب اذا كانت الزوجة مؤذية •• ويجب لوفات الامساك بالمعروف كما لو كان الزوج خصيا أو مجنونا أو عنينا ، ويحرم اذا كان بدعيا بان يطلقها ثلاثا بلفظ واحد أو متفرقات في طهر واحد أو يطلقها وهي حائض أو نفساء أو يطلقها في طهر بعد أن مسها فيه والطلاق في كل هذه الاحوال واقع بسبب ايقاع الزوج وان كان حراما •

ثانيا ـ الزواج في سن مبكرة لان الزوجين لا يقدران الحياة الزوجية حق قدرها وتتحكم العواصف والانفعالات في أحوالهما أكثر من العقل •

ثالثا ـ سوء اختيار الزوجة اذ يلجأ معظم الشبان الى أسر خاصة واضعا نصب عينيه اعتبارات خاصة آخرها عادات الزوجة ومزاجها وأخلاقها وعدم البحث فيما اذا كانت هذه العادات والامزجة تتفق مع ميوله أم لا •

رابعا ـ يرجع الطلاق أحيانا الى نظم المعيشة في الريف أو الى نظام الاسرة الكبيرة وهي التي يعيش فيها الاجداد مع أولادهم واحفادهم وما قد تولده هذه المعيشة من احتكاك بأقارب الزوج وقريباته ويجعل من هذا الاحتكاك مثار مشاكل كثيرة •

خامسا ـ الحالة الاقتصادية قد تكون عاملا كبيرا في سبيل هدم الحياة الزوجية فالبؤس والفقر يؤديان الى شيء من حدة المزاج والى الانفعالات ويؤدي هذا في أحيان كثيرة الى العراك بين الزوجين وينتهي بالطلاق •

سادسا ـ العقم وسوء الخلق من الاسباب الكبرى التي قد تؤدي الى الطلاق •

ويجب أن نفهم أن من بين هذه الاسباب أسبابا حقيقية وأخرى تخفى وراءها أسبابا أخرى دفينة ، كما أن علل حالات الطلاق وأسبابه تختلف في نفس المجتمع الواحد من بيئة لاخرى فيكثر الطلاق مثلا في المدن عنه في الريف وهو يختلف بحسب الطبقات سواء في ذلك الطبقات الاجتماعية أو المهنية •

ولذلك فان فوق هذا الاسباب أسبابا أخرى دفينة وأهمها انعدام الحب بين الزوجين ، ولما كانت نسبة الرجال الضعفاء جنسيا طفيفة جدا ، ولما كانت أيضا العلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة ليست مسالة بيولوجية وفزيولوجية بحتة كما هي الحال بين الحيوانات اذ هي تعتمد على عوامل سيكلوجية وثقافية بجانب العوامل البيولوجية والفزيولوجية كان أساس الحب قائما بين الزوجين على شخصية الزوج والزوجة • فالزوج ذو الشخصية القوية الجذابة يغرس هذا الحب غرسا في نفس زوجته ويعمل على تجديده باستمرار • فهو يظهر في نظرها دائما كأنه أحسن رجل وكذلك الزوجة اذا كانت ذات شخصية جذابة ولباقة خاصة أمكنها أن تغرس الحب في نفس زوجها فالمسالة تتوقف على عوامل نفسية وثقافية وحسن ادراك وفهم للموقف أكثر من توقفها على عوامل حيوانية بيولوجية بحتة• وفيمايلي وصف لشخصية الزوجين اللذين يمكن أن تتألف منها أسرة سعيدة :

« الآنسات اللاتي يمكن أن يكون أسرة سعيدة هن هؤلاء اللاتي يتخذن مواقف ملؤها العطف والشفقة

ازاء الاشخاص الآخرين وينتظرن من الآخرين نفس المعاملة ولا يلجأن بسهولة الى اتخاذ مواقف عنيفة بالنسبة للآخرين ، كما لايتسرعن ويظنن بالناس سوءا ولا يفهمن من الحياة أنها تناحر وسباق بين الناس تملؤه الحقد والحسد وتسيطر عليهن روح التعاون ولا يضيرهن أن يتخذن في الحياة دور المرءوسات . ويقبلن نصيحة الآخرين عن طيب خاطر وهن دائما يباركن أنواع النشاط التي من شأنها تثقيف الآخرين واسعادهم والترفيه عن العجزة وذوى الحظ السيء . ونجد أمورهن منظمة منسقة يأخذن لكل أمر عدته كما نجد عندهن حرصا على تدبير المال وعدم الاسراف . وفي المسائل الدينية والاخلاقية والسياسية نجدهن ميالات الى التحفظ وهن ينظرن الى الحياة نظرة ملؤها الطمأنينة والتفاؤل .

وأما النساء اللاتي يعجزن عن انشاء أسرة سعيدة فهن يمتزن بأنهن حادات المزاج وفي تغير مستمر وحالتهن النفسية ليست على وتيرة واحدة وعندهن شعور دفين بالنقص يعبرن عنه أحيانا باتخاذ مواقف هجومية ازاء الآخرين ولا حياء عندهن أحيانا بل ويذعن الى روح دكتاتورية في أعمالهن المنزلية او العامة ، ومن طبعهن الميل الى التعارف بكثير من الناس وبأكبر عدد ممكن من الصديقات ولكنهن لا يفعلن ذلك لكي يكن محبوبات بل لكي يظهرن ولكي تزداد أهميتهن . وهنا يبالغن في الاعتداد بأنفسهم كما أنهن أنانيات ولا يملن الى المساهمة في أعمال البر والاحسان اللهم الا اذا كانت هذه المساهمة ستتيح لهن الفرصة للظهور ، ويملن الى اتخاذ مواقف أكثر ودا ومسالمة ازاء الرجال منه ازاء النساء ، وهن عادة لا يظهرن الكره لأزواجهن بشكل واضح على خلاف الازواج التعساء الذين يظهرون عادة هذا الكره جليا وهن يكرهن النظام والتقيد ببرامج خاصة وفي السياسة والدين والاخلاق الاجتماعية يملن الى التجديد والى الخروج على التقاليد .

أما عن الرجال الذين يتوسم فيهم تكوين أسرة سعيدة فهم ممتازون بما يأتي :

انهم يظهرون في كل مناسبة هدوءا وثباتا وعلاقتهم بالآخرين تقوم على التعاون وتلك أظهر ميزاتهم وهذا يبدو جليا في علاقاتهم برؤسائهم في العمل وفي علاقاتهم الطيبة بمرءوسيهم وخدمهم وينزعون الى تحمل المسئوليات مهما كانت جسامتها وهم يحبون الناس وفي المسائل المالية نجدهم أيضا معتدلين كما انهم في أغلب الاحيان يتخذون موقف التحفظ في كل مشكلة من المشاكل ويتخذون موقفا طيبا في العادة ازاء الدين والعادات والتقاليد ولا يحاولون الخروج عليها .

الحلول المقدمة لحل هذه المشكلة :

يجب أولا الا نترك مسألة الطلاق لهوى الافراد وعبثهم ذلك أن جميع العقود المدنية تقريبا ان كانت تبرم باتفاق الطرفين المتعاقدين وتنتهي وفق ارادتهما فان هذا يجب ألا يطبق على عقد الزواج لانه عقد ذو ميزات خاصة اذ يربط فردين برباط روحي مقدس ، فاذا كان ذلك وكانت روح الاسلام أميل الى نبذ الطلاق الا في أحوال خاصة وجب علينا - فيما يرى بعضهم - ان نفسر القرآن الكريم والتراث الاسلامي حسب روحه فنشرك القضاة على الاقل في الفصل في اسباب الطلاق ، وأصحاب هذا الرأي يؤمنون بأن القرآن الكريم والتراث الاسلامي هو لنا بمثابة دستور ، ولكن علينا ان نتخذ من الاحتياطات ما يؤدي بنا حقا الى مراعاة أحكام هذا الدستور . فاذا كان المسلمون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفي عهد الخلفاء الراشدين من بعده لم يستغلوا رخصة الطلاق استغلالا سيئا ولم يسرفوا في استخدامها فذلك لانهم كانوا يحكمون العقل والدين ولا يتركون الهوى يسيطر على نفوسهم وبذلك كانوا يتقون الله والدين في علاقاتهم الزوجية أما اذا وجد الدين في مجتمع لم يعد يستخدم هذه الرخصة بعقل وتبصر ، محكما الهوى ، فيجب أن تسن من التشريعات ما يكبح جماح المجتمع ويؤدي به الى استخدام هذه الرخصة فيما وجدت له .

فلا بد اذن من اشراف القضاء على الطلاق ولا يفوتني ان أذكر هنا أن التجارب قد دلت - في مجتمعاتنا الحديثة التي نثرت فيها الروح الدينية الى حد ما - على أن ترك الحرية المطلقة للافراد ولاسيما في الطلاق أمر على جانب كبير من الضرر ، لذلك لاغرابة ان لجأت معظم الدول كفرنسا وانجلترا وروسيا الى تقييد الطلاق بطرق شتى بعد أن كانت قد اباحته

اباحة مطلقة او شبه مطلقة . فالثورة الروسية قد اباحت فى بدئها الاتصال الحر بين الرجل والمرأة ، واعطت لأولاد السفاح نفس الحقوق التى اعطتهـا للأولاد الشرعيين كما أباحت الطلاق اباحة مطلقة ، وكان الاولاد يربون فى مستوصفات خاصة أنشئت لذلك ولكن وجد أن الافراد قد استغلوا هذه القوانين استغلالا سيئا فلم يلبث التشريع الروسى أن تراجع لحماية الاسرة وتضييق أبواب الطلاق فصدر قانون الاسرة سنة ١٩١٨ وصدرت قوانين أخرى تكميلية سنة ١٩٢٧ وسنة ١٩٣٦

ولما كانت الاخلاق غير الكريمة تعتبر من الاسباب المؤدية الى الطلاق وجب تشـــديد الرقابة وفرض عقوبات كبيرة متساوية على الرجل والمرأة فى حالة الشذوذ الخلقى . ونعتقد أن الاحوال الاقتصادية اذا تحسنت فانها ستؤدى الى الاقلال من نسبة الطلاق خلافا لمـا حصل فى البـلاد الاجنبية . ذلك لان الشرقيين عامة والمصريين خاصة ، يميلون الى تكوين الاسرة والى المعيشة فى أسرة ويمقتـــون المعيشـة الفردية وذلك بعكس نفسية الغربيين والامريكيين الذين يريدون أن يعيشوا « أحرارا » بلا زواج اذا صح أن تسمى هذه حرية .

كما يجب فرض رســـوم كبيرة على المطلقين من الرجال وتتزايد هذه الرسوم بحسب مرات الطلاق . بل يجب أن يكون الطـلاق من الاسباب التى تحرم الرجل والمرأة (بحســـب ما اذا كان الحق على أى منهما) من بعض الوظائف والمراكز الخاصة .

ولا غرابة فى ذلك أبدا ، فالجرائم العادية تحرم مرتكبيها من كثير من الحقـــوق الممنوحة للافراد ، وأى جريمة تعـادل جريمة الطلاق الذى يؤدى الى القضاء على الاسرة وتشريد الاطفال ، ان الطلاق قد يؤدى الى سلسلة من الجرائم ، التى لا تقل أهمية عن الجرائم التى يعاقب عليها القانون .

ويجب أيضا ادخال نظام قاضى الصلح أو السلام الذى يوجد فى كثير من الدول الاجنبية ولا سيمـا فى انجلترا وفرنسا . ومن بين اختصاصـات قاضى الصلح محاولة الوصول الى حل سلمى فى حالة النزاع بين الزوج والزوجة وتفهيم كل منهما العواقب العظيمة التى ستنتج عن نزاعهما وهذا النظام لايوجد فيمـا يختص بقضايا الاحوال الشخصية فحسب بل فى بعض القضايا المدنية عامة ولقد أدى هذا النظام الى فض كثير من القضايا فضا سلميا وقضى على كثير من اسباب الشكوى .

ومما هو جدير بالاعتبار أنه تمكن الاســـتعانة أيضـا بالمرشـــدات الاجتماعيات والاخصـائيين الاجتماعيين فى هذه المهمة اذا ما أتيحت الفرصة لوجود مكاتب أو عيادات أسرية فى الريف والمدن ـ كما حدث فى أمريكا مثلا ـ وظيفتها تسوية الخلافات التى تطرأ على العلاقات الزوجية ويقضى نظام هـذه المكاتب أن تقدم الزوجة تقريرا عن حالة زوجهـا ومضايقاته ومشكلاته العائلية .

***

وبعد دراســـة التقرير بواسطة لجنة اخصائية يستدعى الزوج لمناقشته فيما يتضمنه التقرير من وقائع ويبذل المكتب قصارى الجهد لتسوية الموضوع قبل عرضه على القاضى المختص للبت فيه .

فاذا ذهبت الجهود عبثا عرض الموضـــوع على القاضى الذى يعاود الجهود من جانبه للوصول الى حلّ يرضى الطرفين دون الالتجاء الى قوة القوانين .

ويجدر بنا فى هذا المجـــال أن نشير الى ما جاء بالميثاق رعاية للاسرة والمحافظة عليها حيث انهـا اللبنة الاولى فى بناء المجتمع اذ يقول ما نصــه : ان الاسرة هى الخلية الاولى للمجتمع ولا بد أن تتوافر لها كل أسباب الحماية التى تمكنها من أن تكون حافظة للتقليد الوطنى مجددة لنسـيجه ، متحركة بالمجتمع كله ومعه الى غايات النضال الوطنى .

مصطفى عوض هلال

الخلاص بعلم في تحقيق ما للهند من مقولة للبيروني

بقلم أحمد سعيد الدمرداش

تمهيد :

عاشت فوق مسرح الزمان الوجودى مدنيات وحضارات شتى ، كل لها سمات وملامح تميزها عن غيرها ، فالحضارة الايونية لها رموز وأساطير . والهند لها مذاهب وعبادات متجاورات تسقى بماء واحد ، ولكننا نفرق بعضها عن بعض فى الثمر، فالبراهمة يتفاضلون وهذا « براهمهر » أحد حكمائهم يقول : « ان اليونانيين ، وهم انجاس ،لما تخرجوا فى العلوم ، واناقوا فيها على غيرهم وجب تعظيمهم ، فما عسى تقوله فى البرهمن اذا حاز الى طهارته شرف العلم ؟ »

وحكماء الهند كانوا يعترفون لليونانيين بأن ما اعطوه من العلم ارجح من نصيبهم .

وفى الزمان الغابر ، لم تكن الحضارات بمعزل تام عن غيرها ، ذلك لأن قوافل التجارة كانت لحمالها عناصر ثقافية وعلمية أيضا ، تنتقل الى الاسواق ، فيتبادل القوم سلعا تجارية وسلعا ثقافية ، ثم كانت الغزوات الحربية بين الاسكندر وبين الشرق ، فامتزجت الحضارة الأيونية بالحضارة البابلية والحضارة الهندية والحضارة التركمانية فى وسط آسيا ، حيث قضى الاسكندر شتاء فى سمرقند اثناء احدى غزواته .

يقول البيرونى فى مقولة الهند « ان اليونانيين أيام الجاهلية قبل ظهور النصرانية ، كانوا على مثل ما عليه الهند فى العقيدة : خاصهم فى النظر قريب من خاصهم ، وعامهم فى عبادة الاصنام كعامهم ، ولكن اليونانيين فازوا بالفلاسفة الذين كانوا فى ناحيتهم، حتى نقحوا لهم الاصول الخاصة ، دون العامة .

ولم يك للهند امثالهم ممن يهذب العلوم ، فلا تكاد تجد لذلك لهم خاص كلام الا فى غاية الاضطراب وسوء النظام ، ومشوب فى آخره خرافات العوام مع تكثير العدد ، .. وانا فى أكثر ما ساورده من جهتهم حاك غير منتقد ، الا عن ضرورة ظاهرة ، وذاكر من الاسماء والمواصفات فى لغتهم ما لابد من ذكره مرة واحدة يوجبها التعريف »

درس البيرونى اثناء شبابه فى خوارزم ، وكانت معقلا للعلوم الهيلينستية ،ثم صحب السلطان شهاب الدولة مسعود بن محمود الغزنوى اثناء غزواته للهند ، وتعلم اللغة السنسكريتية وغاص فى أغوارها، وقابل نساك الهند وحكماءها ، واستمرت دراساته ما يقرب من اربعين سنة ، فنقل الى اللغة السنسكريتية العلوم الاسلامية ، ونقل الى العربية كثيرا من كتب الهند ، وهو الوحيد من بين علماء العرب الذى تعلم لغة اجنبية ليدرس معالم اهلها ؛ فابن سينا،وابن رشد لم تكن لهما دراية بلغة الاغريق ودراساتهما المستفيضة لعلومهم كانت ينابيعها من التراجم العربية السابقة .

وهيرودوت المؤرخ اليونانى كتب عن مصر وعن بابل فى رحلاته كتابة رجل قصاص ، يسمع من هنا وهناك ، دون سابق علم بلغة القوم ، أما البيرونى فقد اتقن اللغة السنسكريتية ، ثم نقل عن حكماء الهند مباشرة سواء منهم أو من كتبهم ، فكان امينا ومنصفا حقا .

يقول الشهرزورى عن البيرونى : كان مكبا على تحصيل العلوم ، منصبا الى تصنيف الكتب ، يفتح أبوابها ، ويحيط شواكلها واقرابها ، ولا يكاد يفارق يده القلم ، وعينه النظر ، وقلبه الفكر ، الا فى يومى النيروز ، والمهرجان ، من السنة لاعداد ما تمس الحاجة اليه فى المعاش ، من بلغة الطعام وعلقة الرياش »

وخرج البيرونى من دراسته للهند بمخطوط كبير عنوانه « فى تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى

العقل او مرذولة ، الذى نحن بصـــدد امتصـاص بعض أبواب منه .

اصل الوجودات فى نظر الهند

يقول كتاب « كيتا » المعروف : اما عند التحقيق فجميع الاشياء الهية لأن « بشن » جعل نفسه ارضا ليستقر الحيوان عليها ، وجعله ماء ليغذيهم . وجعله نارا وريحا لينميهم وينشئهم ، وجعله قلبا لكل واحد منهم »

وحكماء الهند جميعا يذهبون فى الموجود الى انه شىء واحد ، ويسمون النفس « بورش » ولايرون منها غير الحياة ، ويصفونها بتعاقب العلم والجهل عليها ، وأنها جاهلة بالفعل وعاقلة بالقوة ، تقبل العلم بالاكتساب ، وان جهلها سبب وقوع العقل وعلمها سبب ارتفاعه .

وتتلوها المادة المطلقة ، اعنى الهيولى المجردة ، ويسمونها « ابيكيت » اى شىء بلا صورة ، وهى موات ذات قوى ثلاث بالقوة دون الفعل اسماؤها « ستو » و « رجو » و « تمو » وتكتب ست ورجوتم .

فالاولى منها راحة وطيبة منها الكون والنماء

والثانية تعب ومشقة منها الثبات والبقاء

والثالثة فتور وعمه منها الفساد والفناء

ولهذا تنسب الاولى الى الملائكة ، والثانية الى الناس ، والثالثة الى البهائم .

واما المادة خارجة الى الفعل بالصور والقوى الثلاث الاول ، فانهم يسمونها « بيكيت » اى المتصورة ، وتتلوها الطبيعة ويسمونها « آهنكار » واشتقاقه من الغلبة والازدياد والصلف من اجل ان المادة عند لبس الصورة تأخذ فى انماء الكائنات عنها والنمو لا يكون الا احالة الغير وتشبيهه بالنامى

فكان الطبيعة تغالب فى تلك الاحالة ، وتستطيل على المستحيل .

والموجودات الكلية فى العالم هى العناصر الخمسة وهى السماء والريح والنار والماء والارض وتسمى جميعا « مهابوت » ، والافعال الارادية الموجودة فى بدن الحيوان لا تصدر عنه الا بعد وجود الحياة فيه ومجاورة الحى اياه ، وقد زعموا ان النفس بالفعل جاهلة بذاتها ، وبما تحتها من المادة ، تواقة الى الاحاطة بما لا تعرف ، ظانه ان لا قوام لها الا بالمادة، فتشتاق الى الخير الذى هو البقاء وتروم الاطلاع على ما هو منها مستور ، فتنبعث للاتحاد بها

والارواح عندهم غير مختلفة فى الجوهر ، مطبوعة على التساوى ، وانما تختلف اخلاقها وآثارها من جهة اختلاف الاجساد التى تقترن بها بسبب القوى الثلاث التى تتغالب فيها وتفاسدها بالحسد والغيظ ، فهذا هو السبب الأعلى فى الانبعاث للفعل، واما السبب الاسفل من جهة المادة فهو طلبها الكمال وايثارها الافضل الذى هو الخروج من القوة الى الفعل ، وبما فى الطبيعة من المباهاة ، ومحبة الغلبة تعرض ما فيها من اصناف المكن .

وفى كتاب « سانك » ينسب الفعل الى المادة من اجل ان ما يعرض من الصور مختلفة فى اختلافها ، بسبب القوى الثلاث وغلبتها فرادى ومزدوجة ، أعنى الملائكية والانسية والبهيمية وقالوا ان مثال النفس مثال ماء المطر النازل من السماء على حالة وكيفية واحدة . فاذا اجتمع فى أوان له موضوعه ومختلفة الجواهر من ذهب وفضة وزجاج وخزف وطين وسبخة . فان بها يختلف فى الرؤية والمذاق والمشم .

كذلك النفس لا تؤثر فى المادة سوى الحياة بالمجاورة ، فاذا اخذت المادة فى الفعل اختلف مايظهر منها بسبب القوة الغالبة من القوى الثلاث ، ومعاونة الاخريين المسترين اياها على صنوف الانحاء ، تعاون الدهن الرطب والذبالة اليابسة ، والنار المتدخنة على الاضاءة

« الخلاص من الدنيا وصفة الطريق المؤدى اليه »

يقول البيرونى نقلا عن شريعة الهند :

« اذا كانت النفس مرتبطة فى العالم ، ولرباطها سبب ، فان خلاصها من الوثاق يكون بضد ذلك السبب ، وسبب الوثاق فى مذاهب الهند هو الجهل فخلاصها اذن بالعلم اذا احاطت بالاشياء احاطة تحديد كلى مميز ، مغن عن الاستقراء ، ناف للشكوك لانها اذا فصلت الموجودات بالحدود عقلت ذاتها ومالها من شرف الديمومة ، وللمادة من خسة التغير والفناء فى الصور فاستغنت عنها ، وتحققت ان ما كانت تظنه خيرا ولذة هو شر وشدة ، فحصلت

على حقيقة المعرفة واعرضت عن تلبس المادة ، فانقطع الفعل ، وتخلصنا بالمباينة .

قال صاحب كتاب « باتنجل » .

اراد الفكرة في وحدانية الله يشغل المرء بالشعور بشيء غير ما اشتغل به ، ومن أراد الله ، اراد الخير لكافة الخلق من غير استثناء واحد بسبب ، ومن اشتغل بنفسه عما سواها لم يضع لها نفسا مجذوبا ولا مرسلا ، ومن بلغ هذه الغاية ، غلبت قوته النفسية على قوته البدنية ، فمنح الاقتدار على ثمانية أشياء ، بحصولها يقع الاستغناء فمحال ان يستغنى احد عما يعجزه ، وهي :

١ ـ التمكن من تلطيف البدن حتى يخفى عن الاعين .

٢ ـ التمكن من تخفيفه حتى يستوى عنده وطء الشوك والوحل والتراب

٣ ـ التمكن من تعظيمه حتى يريه في صورة هائلة عجيبة

٤ ـ التمكن من الارادات

٥ ـ التمكن من علم مايروم

٦ ـ التمكن من الترؤس على اية فرقة طلب

٧ ـ خضوع المرءوسين وطاعتهم

٨ ـ انطواء المسافات بينه وبين المقاصد الشاسعة

فاذا قدر على ذلك استغنى عنه ، وتدرج الى المطلوب في مراتب ، أولها معرفة الاشياء اسما وصفة وتفاصيل غير معطية للحدود ، والثانية تجاوز ذلك الى الحدود الجاعلة جزئيات الاشياء كلية الا انه لا تخلو فيها من التفصيل ، والثالثة زوال ذلك التفصيل والاحاطة بها متحدة ، ولكن تحت زمان ، والرابعة تجردها عنده عن الزمان واستغناؤه فيها عن الاسماء والالقاب التي هي آلات الضرورة . وفيهما يتحد العقل والعاقل بالمعقول حتى تكون شيئا واحدا ، فهذا ما قال « باتنجل » في العام المخلص للنفس ويسمون خلاصها بالهندية «موكش»

وعندهم أن العلم يحصل للعالم على احد ثلاثة اوجه :

احدها بالهام وبلا زمان بل مع الولادة والمهد مثل « كبل » الحكيم فانه ولد مع العلم والحكمة والثاني بالهام بعد زمان كاولاد « براهم » فانهم الهموا لما بلغوا اشدهم

والثالث بتعلم وبعد زمان كسائر الناس يتعلمون اذا ادركوا

كيفية الوصول الى الخلاص :

الوصول الى الخلاص بالعلم لا يكون الا بالانتزاع عن الشر ، ففروعه على كثرتها راجعة الى الطمع والغضب والجهل ، وبقطع الاصول تذبل الفروع ومدار ذلك على اماتة قوتي الشهوة والغضب اللتين هما اعدى عدو ، واوتغه للانسان ، تغرانه باللذة في المطاعم والراحة في الانتقام ، وهما بالتأدية الى الآلام والآثام أولى ، وعلى ايثار القوة النطقية العقلية التي بها يشابه الملائكة المقربين ، وعلى الاعراض عن اعمال الدنيا ، وليس يقدر على تركها الا برفض اسبابها من الحرص والغلبة ، وبذلك تنخزل القوة الثانية (وهى الانسية) من الثلاث الاول .

الا ان ترك العمل يكون على وجهين ، احدهما بالكسل والتأخير والجهل على موجب القوة الثالثة (وهي البهيمية) وليس هذا بالمطلوب فانه مذموم العقبة ، والثاني بالاختيار والتبصر وايثار الافضل للخيرورة وهو المحمود العاقبة ، وترك الاعمال لايتم الا بالعزلة والانفراد عن المشاغلات ، ليتمكن من قبض الحواس عن المحسوسات الخارجة ، حتى لا يعرف أن وراءه شيء ، وتسكين الحركات والتنفس ، فقد علم أن الحريص ساع ، والساعى تعب ، والتعب ضابح ، فالضبح اذن نتيجة الحرص ، وحينئذ يستقر القلب على شيء واحد ، وهو طلب الخلاص والخلوص الى الوحدة المحضة

وفي كتاب « **باتنجل** » يقسم طريق الخلاص الى اقسام ثلاثة :

١ ـ أحدها العملي بالتعويد ومداراة على قبض

الحواس من خارج الى داخل حتى لا تشتغل الا بك، وقد قيل فى « كيتا » من امات شهوته لم يتجاوز الحاجات الاضطرارية ، ومن لزم الكفاف لم يختر ولم يسترذل ، وما اللذة الا لمن امات العدوين اللذين لا يطاقان ، اعنى الشهوة والغضب فى حياته دون مماته ، واستراح من داخله ، دون خارجه فاستغنى عن حواسه

٢ ـ والقسم الثانى العقل . بمعرفة سوءة الموجودات المتغيرة والصور الفانية ، حتى ينفر القلب عنها ، وينقطع الطمع دونها ، ويحصل الاعتلاء على القوى الثلاث الاول التى هى سبب الاعمال واختلاقها ، وذلك ان المحيط بأحوال الدنيا ، يعلم ان خيرها شر ، وراحتها مستحيلة فى المكافاة الى شدة فيعرض عما يؤكد الارتباط ويولد المقام

وفى كتاب « **كيتا** » ان طهارة العلم تفوق طهارة سائر الاشياء،لان بالعلم استئصال الجهالة واستبدال اليقين بالشك الذى هو مادة العذاب ، فلا راحة لشاك

٣ ـ والقسم الثالث وهو العبادة ليوفقه الله لنيل الخلاص ، ويؤهل لقالب ينال فيه التدرج الى السعادة ، وقد قسم العبادة صاحب «كيتا» على البدن والصوت والقلب ، فعلى البدن الصوم والصلاة وموجبات الشريعة وخدمة الملائكة وعلماء البراهمة وتنظيف البدن والتبرؤ من القتل اصلا . ومن ملاحظة ما للغير من النساء وغيرهن وعلى الصوت القراءة والتسبيح ولزوم الصدق وملاينة الناس وارشادهم وأمرهم بالمعروف ، وعلى القلب تقويم النية ، وترك التعظيم ، ولزوم التانى وجمع الحواس مع انشراح الصدر .

ثم اتبعها بقسم رابع خرافى ويسمى «رساين» وهى تدابير بادوية تجرى مجرى الكيمياء فى تحصيل الممتنعات بها .

سال سائل فى خاتمة كتاب «باتنجل» عن كيفية الخلاص ، فقال المجيب : ان شئت فقل هو تعطل القوى الثلاث ، وعودها الى المعدن الذى صدرت عنه، وان شئت فقل هو رجوع النفس عالمة الى طباعها .

وقد ذهبت الصوفية فى الاشتغال بالحق فقالوا : ما دمت تشير فلست بموحد حتى يستولى الحق على ارشارتك بافنائها عنك ،فلا يبقى مشير ولا اشارة ويوجد فى كلامهم مايدل على القول بالاتحاد كجواب احدهم عن الحق ، وكيف لا اتحقق من هو « انا » بالانية ، ولا « انا » بالاينية ، ان عدت فبالعودة فرقت ، وان اهملت فبالاهمال خففت وبالاتحاد الفت .

وكقول ابى بكر الشبلى : اخلع الكل تصل الينا بالكلية ، فتكون ولا تكون اخبارك عنا ، وفعلك فعلنا .

وكجواب ابى يزيد البسطامى ، وقد سئل بم نلت مانلت : انى انسلخت من نفسى كما تنسلخ الحية من جلدها ، ثم نظرت الى ذاتى فاذا أنا هو .

وبعد !!!

هذه هى شريعة الهند فى الخلاص ، وهى تختلف عن شريعة « يوحنا اللاهوتى » فى الخلاص بالموت التى كانت الهاما لاحد الشعراء المعاصرين كما ذكرت الاهرام فى ملحقها بتاريخ ٦٤/٨/٧ ، يضاف اليها الهام آخر « سيهل على الدنيا يوما ركبه » وهو المهدى المنتظر ، اسطورة زردشتية اعتنقها المجوس فى ايران ، وادخلها الشعوبيون الى الحضارة الاسلامية حتى يفسدوها .

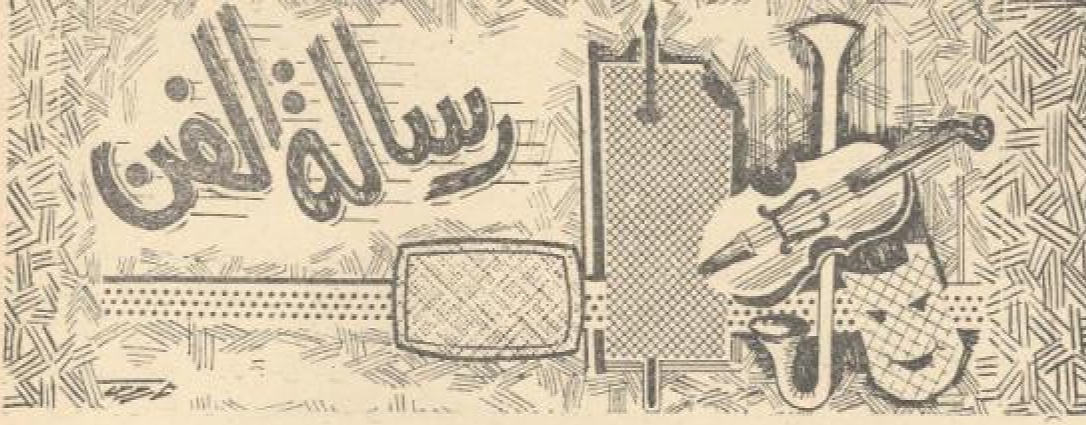
كل هذه الشرائع والاساطير نبذها الاسلام ولفظها خارج الحدود ، فلم الرجوع اليها ؟

ياقوم !! دعونا نستلهم من تراثنا الاسلامى ومن عروبتنا ومن اشتراكيتنا بعدا رابعا يظل خالدا فى طيات الاثير ، ويبعث الدفء فى دماء الاجيال القادمة:

تراثنا كالبحر يقذف للقريب جواهرا ، ويبعث للبعيد سحائبا .

وهو حسبنا وكفى

احمد سعيد الدمرداش



فلسطين على المسرح

بقلم عبد الفتاح البارودى

لولا مناسبة عقد مؤتمر القمة لماظهرت على مسرحنا رواية «**لا حدود**» أو استعراضات «**قمة النصر**» .. لماذا ؟ لو كان الفنانون عندنا يدركون مدى ارتباط الفن بالأحداث ، وخاصة الأحداث القومية ، لرأينا فى كل المجالات الفنية انتاجا يستلهم هذه الأحداث، ويعبر عنها ، ويعايش الناس الذين يعيشون فيها.. ولكنهم لايدركون ذلك .. بل بالعكس يتوهمون أن الفن « الخالد » يأتيه « الخلود » من الابتعاد عن المناسبات مثلا ، ولهذا ينتجون فنا طائرا الى البرج العاجى أو هابطا الى سراديب الانزواء !!

الواقع أن الفن الحقيقى هو الفن المرتبط بالمناسبات والظروف الحية واحساسات الناس واحتياجاتهم ، ولايمكن أن ينفصل الفن عن واقعه الفنى .. والفن الخالد هو الفن الذى يتحقق فيه ذلك ، وهذا هو سر خلود فن سوفوكليس وشيكسبير وراسين وموليير .. الخ

بسبب ارتباط فنون هؤلاء الأعلام بحياتهم وبيئتهم وجمهورهم يستحيل أن تتصور وجود فن سوفوكليس الا فى القرن الخامس قبل الميلاد بالذات وفى العصر الاغريقى بالذات ، ولا يمكن أن تتصور وجود فن شيكسبير الا فى عصره وبيئته .. وهكذا .

هذه بديهيات ، ولكننا لانزال فى حاجة الى معرفتها لتشترك فنوننا فى حياتنا وتتفاعل مع أحداثنا .

ومع ذلك فان أحداثنا بلغت من الحيوية والأهمية درجة أيقظت فنانينا من نومهم العميق ، وأرجو الا يناموا مرة أخرى فى أبراجهم العاجية أو فى سراديب الانزواء .

لقد استفدنا من يقظتهم أنهم قدموا مسرحية تدور أحداثها حول فلسطين ، اسمها « **لا حدود** » ، كتبها **محمود شعبان** واخرجها فوزى درويش ... ان هذه المسرحية تصور أسرة أخرجت من أرضها فى يافا ، وتريد العودة الى هذه الارض ، ولكن قوى البطش والاستعمار التى أخرجتها وضعت حدودا مصطنعة بينها وبين وطنها ، واذن فلابد من الكفاح لازالة الحدود الاستعمارية المصطنعة ... الفكرة واضحة ، والطريق واضح ، والعبرة فى التاليف المسرحى فى مثل هذه الموضوعات أن يقدم المؤلف « رؤية غنية » جديدة أو تفسيرا جديدا ... ولم يحدث هذا فى هذه المسرحية ... ان المؤلف صور أسرة عادية لم يقصد منها تقديم نماذج بشرية مثلا ، ولم يستخدم الرمز مثلا ، ولم يركز الرؤية فى قطاع معين مثلا ، ولم يضع فى الحوار فلسفة معينة ، ولم يعبر عن وجهات

نظر غير مألوفة أو غير متوقعة ، ولم يحاول اعطاء تفسيرات غير معروفة ٠٠٠ بل هو فى الحقيقة لم يحاول تقديم عمل مثير مقصـــود به الاثارة ، وانما ركز اهتمامه فى محاولة اشـباع الشخصيات المسرحية اشباعا فنيا ٠٠٠ ومن أجل ذلك رأينا فى الأسرة التى تريد العـودة الى أرضـــها أفرادا يبحثون عن « الفلوس » ولو بالعمل مع شركات او هيئات لم يتبينوا حقيقة مقاصدها ، ثم يتبين لهم فى النهاية أنها مقاصـد سـيئة ، وعندئذ يفيقون ويعودون الى أسرتهم ليشاركوها الكفاح من أجل العودة ٠

وبهذا استـطاع المؤلف ان يصور نواحى الضعف البشرى ، وكيف يقع الانســان أحيانا تحت اغراء المال ، وبهـذا اسـتطاع أن يتحاشى « **الخطابية** » فى مشاهد كثيرة ، ولكنه وقع فى الخطابية فى مشاهد أخرى ؛ مثل مشهد الطفل الذى حاول ان يتخطى الحدود وقابلته الأسرة هاتفة بانه « لاحدود » ، ومثل مشهد تجمع الأسرة فى شبه مظاهرة هاتفة بالكفاح٠

هناك مســالة أخرى لجا اليهـا المؤلف لاستكمال التعبير ، فقد مزج فى الأحداث خطوطا عاطفية ، وفعلا تشابكت هذه الخطوط مع هذه الأحداث ولكنها لم تكن مقنعة تماما ٠٠٠ كيف ؟ اننا نرى فتاة تتبادل الحب مع أحد الشبان المكافحين ، وبدلا من أن تتزوجه تتزوج شابا آخر من فئة الطامعين فى المال والثراء بالعمل مع هيئة العملاء ، وعندما يفتضح امر هؤلاء العملاء ويتبرأ منهم الشبان الذين كانوا طامعين فى اموالهم تعلن الفتاة أنها لاتزال تحب الشاب المكافح ، وانها لم تحب أحدا ســـواه ، وانما تزوجت غيره ليتفرغ هو للكفاح !! وأظن أن هــذه حجـــة غير منطقية ٠

ومع ذلك فالمؤلف حاول أن يستلهم من موضـوع فلسطين عملا دراميا ؛ وهذه عملية ليست سـهلة ؛ لان المؤلف فى مثل هذه الموضوعات يعمل فى مجال محدود ويتقيد بمواضعات لا تسمح له بتجاوزها ، والا فانه اما أن يغير الحقائق التاريخية ، أو يغير منطق الفن ، وهو فى الحالتين يتعذر عليه أن يقدم عملا مرتفع المستوى سواء من وجهة نظر الفن أو من وجهة نظر التاريخ ، الا اذا كان من البراعة والتمكن بحيث يصـــهر الفن والتاريخ فى مجال واحد ٠٠٠ ومؤلفنا حاول ذلك جهد مايستطيع ، وله فضل هذه المحاولة ٠

فى الاخراج والتمثيل رأينا المخرج يحاول رسـم ميزانين على مستويات متعددة ومتدرجة ، ولكن عندما رأينا الشخصيات المسرحية تتحرك على هذه المستويات لم نلمس ارتباط المعانى بهذا التعدد والتدرج ٠٠٠ فمثلا رأينـــا العملاء فى بعض المشاهد يمثلون على المستوى الأعلى ، ورأينـا الشـــاب المكافح يقف فى مستوى خشـبة المسرح ٠٠٠ والمسالة ليست مسالة « فوق وتحت » ، ولكن المفروض أن العملاء يتحركون فى الخفاء لتدبير جرائمهم ، وهذا يستلزم أن يحاولوا الاستخفاء ، فكيف يوضعون غالبا فى أوضح مكان على المسرح ٠٠ ربما قصد المخرج بذلك ان يؤكد ان جرائمهم مفضوحة ومكشوفة ، ولكن مما يزيد عمق الحدث الدرامى أن يبرز توهمهم أنهم أذكياء ثم تثبت الأحداث ـ على المسرح ـ أنهم أغبياء ٠

ومع ذلك فالمخرج فى نطاق هـذا الميزانسين قدم حركة حية ، سواء فى ذلك حركة الأفراد او حركة المجاميع ، وفى المشهد الأخير الذى صور فيه مظاهرة استطاع أن يقدم تشكيلا معبرا ، وساعده الممثلون على الاداء رغم صعوبة أداء الروايات الوطنية ، ولو أنهم كانوا أحيانا ينساقون الى الخطابيات ٠

ينساقون الى الخطابيات ٠

فى هذه المسرحيـــة رأينا ظاهرة جديدة ، وهى استخدام الأهازيج الغنائية فى البداية والنهاية وخلال الفصول ٠٠٠ كتب هذه الاغانى عبد الله شمس الدين

ولحنها محمود الشريف ، وغناها محمد رشدى والمجموعة ، وهذه العنـــاصر كفيلة بان تقدم عملا غنائيا ممتـــازا ، ولكنه فى هذه المسرحية لم يكن ممتازا بالدرجة التى كنت أترقبها ٠٠٠ لماذا ؟

لان الالحان قدمت على المسرح بالاسلوب الفردى ، وليس بالاسلوب المسرحى ٠٠٠ ان كل أغنية ـ فى ذاتها ـ جيـدة كأغنية ، ولكننا لم نشعر بارتباطها بالنص الدرامى ٠٠٠ ان من السهل حذف اى أغنية منها ، أو حذفها كلها دون أن يؤثر ذلك على سياق المسرحية ، وهذا دليـــل عملى على انهـــا أغان غير درامية ٠٠٠ وطبعـا من الاسراف أن ننتظر ظهـور الاغانى الدرامية فى مسرحنا ، وانما من الطبيعى أن تولد هذه الاغـــانى فى المسرح الذى يعتبر مجالهـا الاول ، ومن هنا تبدو أهمية هذه التجربة كمحاولة لاستخدام الاغـانى فى مكانهـــا الطبيعى ، أى فى

المسرح ، ومن أجل ذلك أنافس مؤلفها وملحنها ، وأرجو ان يواصلا — هما وزملاؤهما الموهوبون والملحنون — مثل هذه التجربة والاستفادة من اخطائها ، لنقترب من الاغاني الدراميه ، فان هذا الاقتراب سيقربنا الى فن الاوبريت وفن الأوبرا .. واننا بدون ممارسه هذه التجارب سنظل مختنقين في الاغاني الفرديه والاغاني السطحيه والاغاني التطريبيه وغير الموضوعية ·

فالملاحظه الاولى على اغاني هذه الرواية انها فردية الاسلوب ··· كلها اغان يمكن ان يؤديها اى مطرب في الراديو او في سهرة او في حفله مثلا ··· والملاحظة الثانيه انه لم يستخدم فيها عنصر الحوار الفني ··· وهذا جائز في المواويل مثلا ، ولكنه غير جائز في الالحان المسرحية ··· والملاحظة الثالثة انه ليس لها مكان « معين » في الرواية ، فمن السهل أن تغنى في اول الرواية أو في الفصل الأول او الثاني ·· ولو روعيت المواضعات الفنية لكان من المحتم ان توضع في مواضع محددة يتعذر أو يستحيل وضعها في غيرها ·

ومع ذلك فهي تجربة تستحق كل تشجيع ··· أولا لأننا في حاجة الى هذه التجارب ، وثانيا لأن هذه الأغاني — مهما يكن الراى فيها — تعتبر أرفع مستوى من اغانينا المالوفة ، فضلا عن ان المؤلف عبر فيها عن معان موضوعية ، والملحن تحاشى التطريب من أجل التطريب ·

وهناك عمل فني آخر يدور موضوعه حول فلسطين رايناه على مسرح سيد درويش بالاسكندرية ··· انه لوحات غنائية راقصة قدمها « مسرح الاطفال » باسم « قمة النصر » ، والمدهش ان الذين أدوا هذه اللوحات على المسرح كلهم من الاطفال وتلاميذ وتلميذات المرحلة الأولى الابتدائية ·· قدموا استعراضا ممتازا في مجموعه ، بل رائعا بالنسبة لأطفال ···

ان فكرة الاستعراض بسيطة ، وهو لايعدو عرض لوحات متتابعة ، وكل لوحة تمثل احد البلاد العربية ، وروعي في التاليف والتلحين والأداء ابراز اللوحات بالاسلوب الفني المعروف عن كل بلد ··· وبديهي أن الذين اشتركوا في التاليف او التلحين ليسوا من الأطفال ، انهم فنانون من المشتغلين في الحقل الفني ، ولكن العجيب أنهم جميعا من الفنانين غير المشهورين ، باستثناء المخرج حسين فياض الذي اشتهر ببرامجه في التليفزيون ، وانما المهم أنهم — جميعا — بذلوا جهودا كبيرة لتقديم هذا الاستعراض ·

اعجبني أنهم لم يكرروا انفسهم رغم كثرة اللوحات ، فقد قدموا خمس عشرة لوحة ، واعجبني جدا أن مؤلفاتهم والحانهم كانت مطبوعة بالطابع المسرحي الى حد كبير ··· ففي التاليف روعيت تكوينات المجاميع ، وفي التلحين وتصميم الرقصات روعيت الايقاعات المناسبة للعرض المسرحي ، واستخدمت الأدوات الموسيقية المناسبة للغناء المسرحي ·

لي بعد ذلك ملاحظات كثيرة ، منها مثلا أن النصوص تنقصها الوحدة الفنية سواء بالنسبة لكل أغنية او بالنسبة لمجموع الأغاني ، ولكن مهما تكن الملاحظات فان هذا العرض قدم لنا تجربة جديدة واصيلة ، ومن الممكن لو واصلنا مثل هذه التجربة أن ننشىء في مسرح الاطفال فن « **اوبريت الأطفال** » ··· ويكفي اننا نقدم لأطفالنا نماذج فنية تعلمهم أن الفن مرتبط بالأحداث ، وأن هدف الفن هو خدمة المجتمع ، وأن المسرح هو المجال الحقيقي للغناء والرقص المرتفع المستوى ··· يكفي أنهم يمارسون الفنون بمفهوم آخر ، يختلف عن مفهومات فناني اغاني الطرب، وفنانات رقصات «**الشخلعة**»·· يكفي أننا نخلق جيلا جديدا يمارس الفن الجديد الملائم لمجتمعنا الجديد ·

حكاية أدهم الشرقاوي :

قرأت في « الرسالة » كلمة الاستاذ عبد المنعم البحيري ، التي يطالبني فيها بابداء الراى في موضوع ادهم الشرقاوي ··· انه يرى ان في حياة ادهم ما يشرف البيئة الشعبية ، يعكس راى الاستاذ محمد فهمي عبد اللطيف الذي كتب في « الاخبار » انه لم يكن بطلا قوميا ولم يكن في حياته مايشرف البيئة الشعبية ··· والمسالة من الوجهة العامة تتصل بموقف الفن من الواقع ومن التاريخ ، وخبراء الفن لهم في ذلك آراء كثيرة وعميقة ، ومنها أن الفنان من حقه أن يستلهم الأحداث كما هي ، أو أن يفسرها « **برؤية فنية** » جديدة ··· وأنا شخصيا اشتركت في الموافقة على رواية في المسرح التليفزيوني صورت ادهم بطلا شعبيا ، لأن الرواية لم تصور أدهم « الشخصي » ، وانما استخدمته رمزا فنيا لكفاح الفلاحين ··· ومع ذلك فمن الأفضل أن نستمع أولا الى رأى الاستاذ فهمي عبد اللطيف ، ثم نفتح باب المناقشة العلمية في الرسالة لنحاول الوصول الى الحقائق التاريخية والحقائق الفنية ·

عبد الفتاح البارودي



حول الأدب في أسبوع

يقدمه عبده بدوي

الشعوبية ابدا

البحث الذي صدر بعنوان « **الشعوبية** » للسيد الدكتور **محمد عبد القادر حاتم** يجيب على أسئلة كثيرة تشغل بال الانسان المعاصر ، وينظر الى قضية الوجود العربي نظرة شاملة ، من خلال مصطلح « الشعوبية » الذي لايقف عند فترة خاصة من التاريخ ، وانما ينسحب على الكيان العربي حتى اليوم .

ولنقف بعمق عند دور الشعوبية .. نقف عند هذه الكلمات « وانما الشعوبيون هم اولئك الذين حقدوا على العرب وحملوا راية الكيد لهم ، وحاولوا جهدهم القضاء على العنصر العربي واعادة السلطة والسيادة للعنصر الاعجمي ص ١٧ .. وواضح من التاريخ ان من صفات الشعوبي أنه ينتهز الفرص لكي يقضي على القومية العربية كما قضى على الدولة الاموية العربية ، وكان الشعوبيون ينضمون لكل خارج على القوميين ، وكانوا يفرحون ويبتهجون بخروج كل شخص على الدولة الاموية العربية لانهم كانوا يحقدون على العرب عامة .. وكانوا ينتهزون تلك الحروب التي تشنها تلك الاحزاب المختلفة من العرب ضد الدولة الاموية ، لانهم يرون انهم سيقضون على هؤلاء الخارجين ثم على الامويين في وقت واحد ، وبذلك يضعف الغالب والمغلوب من العرب ، وفي هذا قوة ونجاح لهم وانتصار للشعوبية .

ولقد توصل هؤلاء الشعوبيون الى الظهور في جسم الدولة العربية على عدة مراحل **كان اولها** اظهار انفسهم بأنهم مضطهدون ، **وكان الثاني** طلبهم المساواة ، **اما الثالث** فكان التعالي على العرب ، والعمل على تقويض الحكم العربي عن طريق الافكار المسمومة ، ووقوفهم « كجزر ناتئة » وسط المد العربي ، وانضمامهم الى كل الثورات التي تدق في الكيان العربي سواء أكانت تقدمية أم رجعية

ولقد استفادوا من كل الاوضاع في المجتمع العربي ، ففي عهد الحكام الحازمين كانوا يبررون موقفهم بأنه رفع لقبضة الحكم الضاغطة ، وفي عهد الحكام المتسامحين كعمر بن عبد العزيز كانوا يقولون انها فرصة لابد من اقتناصها ، الا ان ما كان يميزهم دائما هو تشجيعهم للدعوات الانفصالية والاقليمية والمنحرفة ، وكل ما يحقق لهم منافع خاصة في الاوقات التي كانت تشغل فيها الامة ببناء نفسها ، أو في الاوقات التي تشغل فيها عن نفسها بسبب من الاسباب .

على أن النقطة المثيرة حقا كانت الاجابة على السؤال الذي يقول « **هل هناك شعوبية معاصرة؟** »

ولقد طرح هذا السؤال في الفترة الاخيرة أكثر من مرة ، فقد قرأناه في كتاب صدر في بيروت بعنوان « **الجذور التاريخية للشعوبية** » لعبد العزيز الدروي ورأيناه يقرر من أهداف الشعوبية المعاصرة ابادة العرب ونسف الاسلام وزعزعة

الوجود العربى ، وقد اجهد الشاعر على أحمد سعيد نفسه وهو يحاول تحطيم هذا الكتاب فى مقال نشر بالعدد الثالث من مجلة « أدب »

كما أن الاستاذ ساطع الحصرى فى كتابه « **دفاع** عن العروبة » أكد وجود الشعوبية المعاصرة فى وجودنا الحاضر ، وذهب الى أنها تدعو الى الانفصال والاقليمية والى القوميات المحلية المتعددة ، وعدم الاعتراف بالكيان العربى الكبير .

اما الدكتور **عبد القادر حاتم** فقد كانت اجابته حاسمة على هذا السؤال الذى يقول « هل هناك شعوبية معاصرة ؟ » فنحن نراه فى صفحة ٣٤ يقول « **واذا اطلنا النظر ، وتمعنا فى حاضرنا العربى لوجدنا ايضا من يمكن تسميتهم بالشعوبيين الذين يدعون للاقليمية والقوميات المحلية ومحو القومية العربية على طول الخط** »

ثم يذكر الكتاب أن القومية العربية الشاملة اضعفت هذا التيار ، ثم نراه يدين القوميين السوريين ـ الذين صفق عندنا لبعضهم فى الشعر فى الفترة الاخيرة ـ ويؤكد أن القومية العربية لاتقر تلك القوميات الضيقة التى ليست من القومية العربية فى شىء ، والتى يساندها الغرب ، بالاضافة الى اسرائيل التى تقول « ان القومية الحقيقية فى الشرق الاوسط هى القومية الاقليمية ، وليست القومية العربية القائمة على تأكيد وحدة العرب »،ثم يختم الدكتور عبد القادر حاتم بحثه بقوله « اذن .. فنحن حين نتأمل فى حركات الشعوبيين منذ العصور الاسلامية الاولى ، يجب أن نتعلم وسائل هؤلاء الشعوبيين ونتنبه اليهم ، وننبه الرأى العام العربى الى مكائدهم ، ونجمع صفوفه ، حتى لانخدع بأمثال تلك الدعوات التى ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب والخراب » .. والكلمة الاخيرة هنا أن هذا الكتاب قد تعرض للشعوبية على المستوى السياسى ، أما ما يحتاج اليه الحقل الادبى فهو التعرض للشعوبية المعاصرة من خلال الفكر ، واعتقد أنهذه الظاهرة أصبحت من الوضوح بحيث لايمكن استيعابها بكتاب واحد ، ونحن فى انتظار الفارس الذى يركز القلم على أكثر من قلعة ، ولن نقول الذى يعلق الاجراس فى رقبة أكثر من قط !

الغزو .. والصمت

مضت فترة كبيرة وبعضنا يجامل البعض الآخر ، الى حد أنه اصبح من المقرر أن على أبناء المهنة الا يتعرضوا لبعضهم الا فى رفق ، أو لاشادة ، أو لتنصيب على عرش من عروشنا الادبية .. وفى ضوء هذا لم نحس « بوهج النقد » ، ولم تخرج فى أية معركة أدبية بفائدة ، لان المصالح سرعان ما تتشابك ، والاعين سرعان ما تتلاقى على السلام والمودة ونسيان الشىء الذى دار النقاش حوله .

ولقد كان كتاب « الغزو الفكرى » هو السلاح الجديد الذى شرع فى الحقل الادبى فى هذه الايام ، وبالرغم من أن هناك من قللوا من أهميته ، ومن اعتبروا صمتهم نوعا من الحرب ، الا ان مما لاشك فيه أن هذا الكتاب بما يسوق من قضايا هامة وموجودة فى حياتنا يعتبر جريئا ونافذا الى ما بعد الشغاف !

انه ليس معنى هذا أنىاوافق على ماجاء فىالكتاب، فانا اخالفه فى البعض وبخاصة فى التطبيق الخاص بالاستاذ عبد الرحمن الشرقاوى .. ولكن هذا لايمنع من وضع وسام على صدر صاحب اليد التى لم ترتجف وهى تكتب ما تعتقد ، لان ما قاله لم يحدث ، من فترة كبيرة ، حينما سمعنا اصواتا جريئة ممثلة فى الدكتور طه حسين ، وعلى عبد الرازق ، وخالد محمد خالد .. الخ ، ثم هدانا بعد ذلك لنقول ما يسلى ، أو يجامل ، أو يسخر منا أمام بعض الدول .

فما قيل فى هذا الكتاب يهمس به فى الاوساط الادبية ، أو يعالج فى بعض المجلات على حياء ، فى الوقت الذى تتعالى فيه بعض الاصوات بالقول بانحطاط الانسان العربى ، واعلان موت الله ، والسخرية من الجماهير ، ورفض الدين والاخلاق والقومية .

والذى نريد أن نقوله هنا هو لماذا ينزعج البعض حين تقال كلمة مضيئة من أجل العرب ؟

ولماذا يسمح بمناقشة الله ولا يسمح بمناقشة فلان أو علان ؟ ولماذا تظل بعض المناطق « مقفلة » أمام الاقلام ؟ ولماذا نهلل لقلم « يصعر خده » ، ولا نسمح لقلم بان يشك هذه الكبرياء ؟

ومهما يكن من شىء فالكاتب « **محمد جلال كشك** » قد غرس فى لحم الوسط الادبى عدة رصاصات .

اعتقد أنها لن تخرج منه الا بالعـــديد المثمر من المناقشات ، أما الصمت عنها فلن يخفى حقيقـــة التمزق الذى حدث ، لن يحجب تلك الافـكار التى تقول :

- ان الذين ظلوا يرددون تصفـقرن بان لاثورية فى الاسلام ، الا بنفى الاسلام ومحاربة الاســلام ، وجدوا أنفسهم وجها لوجه أمام ثورة الجزائر التى تعتبر من أعظم ثورات العصر بروحها الاسلامية .
- أزمة المشرق العربى أو أزمة الحركة العربيـة هو ذلك الجفاء بينها وبين الاسلام .
- هناك رعب يتجسد فى الغرب كلمــا أحس بالتماسك بين العرب ، وبعدم التفـرقة بين العرب والاسلام .
- اننا حين نتحدث عن حضارتنا نعنى الاسلام، حتى ولو كان لنا امتداد عربى قبل الاسلام ، ورغم الاعتزاز بالحضارات الفرعونية والبيئية والفينيقية ، فان الاسلام هو التراث الحضارى للعرب مسـلمين ومسيحيين .
- الدين قضية وجود لاتدين
- العروبة لاتنفصل عن الاسلام .
- ليس ثوريا ولا تقدميا من يهاجم الاسلام .
- الاختلاف بين الكنيسة المصرية وكنيسة روما هو فى حقيقة جوهره خلاف حضارى .
- الغرب يشن الآن حملة جـــديدة فى الحروب الصليبية الابدية بين الغرب والشرق .
- هناك من يتكلم باسم هــذه الحرب فى الفكر المعاصر ومهما يكن من شىء فان هنـــاك هزات يفجرها الوجود الادبى فى كل ما سبق التسليم به ، كل شىء الان يناقش بحرية وضراوة ، ولعل هـذا يعطى الحق لمناقشة كل ما يمس صميم وجودنا ، وما يجعلنا نقتحم « الجيوب المغلقة » فى الفكر .. دون اى حساب ــ فى المعركة ــ للمجاملة أو ايثار العافية او خوف على المصالح المشتركة .

انتى لست أنسى الاصدقاء الذين حـــذرونى من الكتابة عن تفشى الرموز والمواقف المسـيحية فى الشعر المعاصر ، وكيف أن بعضهم قد أشــفق على وانا أقرر من خلال قراءة مستوعبة أن هناك توجيها ذكيا وحثيثا لاستشراء هذه الظاهرة ، وأن بعضهم مازال يلوى وجهه وغضبه كلما رآنى ، وأن بعضهم كان حريصا على أن يضع « سن قلمه » فى مواجهـة « سن قلمى » وكأنه يقول لى بكل رفق « قف » ، ولعل الجديد فى الموضوع أن الذين نزلوا المعـركة وجهت اليهم دعوة سريعة ومغرية للكتابة فى مجلة « **حوار** » .

ان الذى ندعو اليه فى مواجهة الذين يعملون على « نسف » تاريخنا الكبير من بعض « الشقوق » هو اظهار دوافعهم أمام القارىء ، ثم السير وراء هـذه الشقوق لمعرفة من أين تبدأ والى أين تنتهى ، ثم انه لابد من الاصغاء لكل صوت جديد ، ومناقشته فى موضوعية تامة .. أما الصـــمت فهو الرمل الذى تضع فيه النعامة رأسها ، وهو ستار الدخان الـذى تتم خلفه المعركة الحقيقية .

موقف كاتبين .. والشىء الخطير

لقد تعرضت فى أكثر من مقال الى الدور الـذى يقوم به توفيق صايغ فى افســـاد الادب ، وفرقة المرتزقة باسم الادب ، والى كمية السم التى تقـدم للانسان العربى على صفحات مجلة « حوار » ، وقد لفت نظرى فى مجلة الآداب (ســبتمبر ١٩٦٤) موقف أديبين مصريين كانا يتعاملان مع هذه المجلة، والكاتبان هما **صـــلاح عيسى وصبرى حافـــظ** ثم حين تكشفت لهما الحقيقة وجها بيانا جاء فيه : « لقد تأكد لنا ياصاحبى استعمارية مخـــطط المؤسسة العالمية لحرية الثقافة والتى تصدر عنهـــا « حوار » تأكد لنا هذا عن خلال المراسلات المتبادلة بيننا وبينكم ، ومن خلال تاريخ المؤسسة فى ميدان الكلمة واطلاعنا على مجلاتها المختلفة ومن خــلال مؤازرة هذه المجلات لقاعدة الاســتعمار فى بلادنا .. لاسرائيل ،ومن خلال الحقائق المستمرة لما تنشره « حوار » ولطريقة تعاملها مع غيرنا من الـكتاب ، ولكمية المكافآت المريبة التى تدفعها لكلمات تقتل مستقبل الانسان العربى » .

وهكذا يبدو الموقف الآن أن بعض الكتاب مازال يصر على « القبض » من هذه المجلة ، والبعض قد نفض يده أخيرا من هذا المال المشبـــوه ، والبعض يتحرك الان ليقبض ، ولقد كان فى مقـدمة الذين رفضوا التوسلات والاغراءات المالية عند التحضير لهذه المجلة عباس محمود العقاد فبيته يضم عـــدة رسائل من توفيق صايغ لم تكن تقصد غير توريطه بذكاء . ولكن ذكاء العقادتفوق على كل ذكاء !.. أما الشىء الخطير والذى ربما لايعرفه الكثيرون ، فهو ان «المنظمة العالمية لحرية الثقافة » لها فرع فى القاهرة وان هذا الفرع يباشر اعماله بكل هدوء !! بكل هدوء !

« **عبده بدوى** »



الكتب
نقد وتعريف

يقدمه : تحسين عبد الحى

ألوان من الفن الشعبى

من بين المشاكل والمحن المتراكمة عبر الزمن — ومن خلال الامانى والآمال الانسانية التى يعطيها المرء لنفسه ساعة الشدة تخرج الفنون الشعبية بالطبيعة — هى شعبية لانها فى الغالب مجهولة المؤلف .. ومؤلف الفنون الشعبية — هو الشعب — بقطاعاته المختلفة — وأجياله المتعاقبة — كل جيل — بتطلعاته وآماله — وطبيعة الحياة التى يعيشها يضيف اليها من عنده ما يتلاءم مع وجوده — والمشاكل التى يواجهها — لكى تاتى فى النهاية ذات طابع اسطورى جذاب — والفن الشعبى — فن أصيل عريق — اكتسب الاصالة من صدق المعرفة ، واكتسب العراقة من الهام الفطرة ، ويكون الفن دائما حيث تكون حرارة النفس ، ورهافة الحس . وانطلاق الروح — فلحن الراعى ، وترنم الشحاذ وهزيج الحادى فى قافلته ، ونداء البائع على سلعته . وأنين الشاكى فى نشيجه، كل هذه الترانيم التى تنبعث من الاعماق — وهى تحمل هيام الروح ، وظمأ العاطفة ، ولهفة النفس ، أعرق فى الفن ، وأقرب الى القلب ، وأقدر على اقتحام المشاعر من تلك الالحان المصنوعة المرسومة — التى تعتمد على زخرف الصنعة وبهرج الاداء — فاذا افتقد الانسان فى الفنون الشعبية براعة الصناعة وحسن التقسيم والترتيب بين مقامات النغم ، فانه يجد فيها روعة الالهام ، وبساطة الفطرة وسماحتها ، وصدق الاداء ولطافته ، كذلك المعنى الذى يحسه فى شدو الطير وهديله وجرى الماء وخريره — **هى تعبير عن الذات الانسانية ببساطة ويسر . وعندما يحاول المرء منا أن يعرف الى أين ينتمى حقيقة . فليتذكر أيامه الاول فى قريته حين كان عالمه الطبيعى الجذاب والذى كان عامل الترفيه الاساسى والوحيد فيه ذلك الشاعر القادم من بعيد بربابته — ليحكى له سيرة الآباء والاجداد بشهامتهم ونبلهم وبطولتهم الاسطورية — لينمى فيه من حيث لايعلم الحس المرهف والذوق السليم .. اننا ولا شك مدينون جميعا للاديب الشعبى سواء أكان شاعرا أو راعيا الخ — بالكثير فى فترة نمونا العقلى الاولى ، فاليه يرجع الفضل فى وضع الاساس لكثير من معارفنا — ولو بصورتها** البسيطة . والفن الشعبى من ناحية أخرى يعتبر شبه تاريخ متداول على ألسنة الناس — وهو كذلك تراث غنى ممتع الى أبعد مدى .. واذا كنا الآن قد أخذنا ننظر بعين الاعتبار الى فنوننا الشعبية فاننا فى الواقع نكون قد بدأنا الطريق الى اكتشاف نفوسنا واكتشاف طبيعة شعبنا .. بعمقها واصالتها وحيويتها المتدفقة ..

***

واذا كانت مجلة الفنون الشعبية على وشك الصدور — حيث يصدر العدد الاول منها فى أول اكتوبر القادم — فاننا فى أشد الحاجة الى طرح قضية هامة أمام هذه المجلة التى يمكنها أن تكون رائدة فى هذا المجال .. والقضية كما نعتقد هى — فنوننا الشعبية على مستوى الوطن العربى — اذ انه

من المعروف لدينا جميعا ٠٠ ان معظم الفنون الشعبية تكون دائما وليدة ظروف معينة يعيشها الشعب ـ سواء أكانت هذه الظروف ـ ظروفا اقتصادية او اجتماعية أو نفسية الخ ٠٠ عبر مراحل تاريخه المختلفة ٠٠ وشعبنا العربى من المحيط الى الخليج بكل كياناته السياسية المعروفة ـ قد تعرض لظروف واوضاع متشابهة ٠٠ فالمهم هنا هو الا يكون مجال العمل امام مجلتنا المنتظرة ـ سواء فى مقالاتها أو ابحاثهـا أو نماذجها المختلفة التى سوف تقدمهـا للقارىء ـ مجالا اقليميا ضيقا ـ يقتصر على الحدود السياسية للجمهورية العربية المتحدة ٠٠ والواقـع اننا نمر بمرحلة تفرض علينا طبيعتها ومتطلباتها أن نرتفع الى مستواها القومى ٠٠ حيث يخدم كل عمل ثقافى جديد قضية أمتنا ومصالحها العليا لا أن يكون بحجة الثقافة ـ عملا انعزاليا ـ اقليميا ٠٠

***

ان امام مجلة الفنون الشعبية ميدانا واسعا ورائعا ٠٠ وعليها كذلك تقع مسئولية تجميع ماتناثر من فنون شعبنا ودراستها بالاضافة الى عمليات المقارنة المفيدة بين المعانى المختلفة لهذا الفن فى كل انحاء وطننا العربى ٠٠ اذ أنه مما لا شك فيه أن لهذا الاجماع الشعبى المتعاظم على طلب الوحدة العربية الكبرى أصولا ضاربة فى أعماق الانسان العربى الفرد ـ وهو يعبر عن هذه الاصول بأهازيجه المختلفة على شواطىء الفرات والنيل وبردى وعلى قمم أوراس وفى النجف الاشرف وفى رحاب الجزيرة العربية وعلى هضاب المغرب وسهول تونس الخضراء ٠

ونحن لا نشك لحظة واحدة فى أن الزميلة الجديدة ـ مجلة الفنون الشعبية ـ سوف يكون لها من الاثر الكبير والفوائد المتزايدة ـ ما يتناسب ومقدرة رئيس تحريرها الدكتور عبد الحميد يونس الذى عرفناه رائدا ومعلما وموجها فى مجالات الفن الشعبى ٠٠

***

وكتاب اليوم يقدم لنا ـ الوانا من الفن الشعبى وهو من تاليف ـ الاستاذ محمد فهمى عبد اللطيف٠

والكتاب دراسة جديدة للفن الشعبى قصر المؤلف البحث فيه على ناحية خاصة من هذا الفن ـ وهى ما أسماه بالاغانى الهائمة ، ويعنى بذلك تلك الاغانى التى يرددها جماعة الفنانين الشعبيين على أسماع الناس فى الطرقات والمحافل العامة ، التماسا للسؤال ، وطلبا للنوال ٠

وقد قسم المؤلف الفنانين الذين يحترفون ذلك الفن الهائم الى طوائف ٠ لكل طائفة خصائصها فى المظهر ، وطرائقها فى الأداء ولها اغانيها المأثورة ، ومعانيها المتوارثة ـ فمنهم المداحون الذين يوقعون مدائحهم على نقرات الدف ، ومنهم المنشدون الذين يرتلون أناشيدهم وقصائدهم على منعطفات الطرق ، ومنهم الذين يغنون على الارغول ٠٠

يقول المؤلف عن المداحين :

« والمداحون لا يعتبرون انفسهم شحاذين ، يطلبون العطاء بالاستجداء والتمسول ، ولكنهم يقدرون شأنهم اكرم من هذا وأعظم ، ويعتبرون أنفسهم أصحاب صناعة شريفة واهل مهنة دينية يزجون بها الى الناس مواقع العبرة والموعظة ، والافادة بقصص الانبياء ، ومناقب الاولياء ، وكرامات الصالحين ٠

وللمداحين فى أدائهم طريقة لا يشاركهم فيها غيرهم ، وليس لها شبيه فى اى لون من الوان الفنون الشعبية ، وهى أقرب ما تكون الى طريقة الانشاد والترتيل ، يعتمدون فيها على براعة التوقيع وحسن التقسيم أكثر مما يعتمدون على نداوة الصوت ـ وطرب التنغيم ـ ولهم فى ضبط الايقاع على نقرات الدف براعة منقطعة النظير ٠٠ ويرى المؤلف أن مادة القصص التى يتغنى بها المداحون هى من فيض البيئة الاسلامية فى دمشق وبغداد والقاهرة وغيرها من العواصم الزاهرة يوم كانت تفيض على العالم بالوان الثقافات المختلفة وطرائف القصص المتنوعة٠

***

وتعتبر قصة ابراهيم الدسوقى من أوثق القصص الشعبى صلة بالبيئة الريفية ، فكل ما فيها من العادات والمشاهد والتعابير مما يقع فى القرية ويجرى على السنة القرويين ٠٠ بما ينسب اليه من كرامات وخوارق ـ وما يقوله عنه دراويشه من أنه

كان صاحب سر باتع وهو نطفة في الاصلاب ، وانه حفظ القرآن الكريم ، وحصل الفقه على المذاهب الاربعة ، ودرج فى طريق السالكين العارفين بالله ، وهو طفل لم يبلغ الفطام • كل هذا يرويه المداح فى قصة ابراهيم الدسوقى بعد ان يمهد لذلك بمقدمة طويلة يقول فيها :

يا غفلان وحد ربك
وبالتقى عمر قلبك

ما تستعجلش على رزقك
دا عالم بالانسان

وربنا عليم وحكيم
محبى الحق وهو كريم

خلقنا فى خير ونعيم
كله وابن آدم بطران

يا ابن آدم توب وارجع
ان فات منك يوم مايعود

دا العمر له حد وحدود
ولا دايم غير الرحمن

وبعد أن ينتهى المداح من تلك المقدمة الطويلة ، يأخذ فى وصف ولادة الدسوقى ، وكيف فج النور ليلة مولده ووقفت الافلاك صفين ، ونصح الناصحون أمه :

فقالوا لها يا أم ابراهيم
افرشى له فرش عظيم

واوعى له من كل لئيم
عين الحسود تشعل نيران

***

وليس من شك أن واضع قصة ابراهيم الدسوقى قد جرى فيها على نمط قصة المعراج ، وتأثر بوقائعها الى حد كبير ، وكذلك كان لقصة المعراج أثرها وشأنها فى الادب الشعبى للعامة ، كما كان لها أثرها وشأنها فى الادب العالى للخاصة ، فمن هذه القصة استمد أبو العلاء المعرى الفكرة فى قصته الخالدة «رسالة الغفران» كما استوحاها الشاعر الأندلسى ابن شهيد فى قصته «التوابع والزوابع» وهى كذلك الفكرة التى حلق بها دانتى الشاعر الايطالى فى «الكوميديا الالهية» •

***

ويغنى المداحون جملة من القصص التى تتصل بالسيرة النبوية وتروى بعض المعجزات والخوارق التى تنسب الى النبى عليه السلام والى أصحابه ، وأكثر هذه القصص ذيوعا وشيوعا قصة «الجمل والغزالة» التى كان بطلها يهودى ، وقصة « عامر اليهودى » وقصة «اليتيم المظلوم» وقصة «انشقاق القمر» •

وتحمل هذه القصص معنى مشتركا ، له مغزاه ودلالته ، ذلك ان البطل فيها غالبا «ا يكون يهوديا ودائما تصف هذه القصص اليهودى بالعناد والمكابرة والخداع والمخاتلة والشح والتقتير ، وهى صفات أبرزها «شكسبير» ابرازا فنيا يثير الاعجاب فى روايته المشهورة «تاجر البندقية» •

على أن قصصنا الشعبى أروع وأمتع وأحفل بالعجائب والمفارقات عن الشح اليهودى وما طبع عليه هذا العنصر من ايثار المال على كل شىء فى الحياة حتى الشرف والكرامة •

***

اما المنشدون ، فانهم ينشدون فى أيام الموالد والمواسم الدينية من المقطوعات مايناسب المقام •• فتكون أغانيهم فى مديح النبى ، والالتجاء الى آل البيت من نوع :

يا آل طه عليكم حملتى حسبت
ان الضعيف على الأجواد محمول

أو قول الذى يقول :

يا آل بيت رسول الله حبكم
فرض من الله فى القرآن انزله

يكفيكم من عظيم الفخر انكم
من لم يصل عليكم لا صلاة له

اما اذا كان هؤلاء المنشدون فى غير أيام الموالد والمواسم الدينية فانهم يغنون فى معانى التأسى والصبر ، والوعظ بأحوال الدنيا •• مثل :

تحيرت والرحمن لا شك فى أمرى
وحلت بى الأحزان منحيث لاأدرى
وما الأمر أمرى فى البلاء وانما
بليت بمر الصبير من صاحب الامر
ساصبر حتى يعلم الصبر أننى
صبرت على شيء أمر من الصبر

وما أكثر ما يغنى هؤلاء المنشدون حكم ابن عروس ومواعظه مثل :

ما ينام الليل مغبون
ولا يقرب النار دافى
ولا يطعمك شهد مكنون
الا الصديق الوافى

وقوله كذلك :

دنياك ما فيها مغنم
وكلها ماتسواشى
شبه اللى بات يحلم
طلع النهار ما لقاشى

ويغنى الفنانون الشعبيون على الأرغول لونا واحدا من الفن هو الموال ، ويسميه الباحثون فى تاريخ الادب المواليا ، ويزعمون أن ابتداعه يرجع الى جارية من جوارى البرامكة ، كانت تنوح عليهم بعد نكبتهم وتغنى به فى رثائهم ، ثم تصيح فى آخره «واموالياه» فاثر ذلك عنها وسموه بالمواليا .

***

والغناء فى الموال يجرى على لحن رتيب مالوف .. والطرب به يعتمد على الوحدة ، فالمغنى ينطلق فيه بالغناء على هواه وحسبه ما يجد من مطاوعة الصوت وكل جهده أن ياتى فى آخر ربط النغم بالوحدة المحبوكة .. مثال ذلك :

عينى التى كنت ارعاكم بها باتت
ترعى النجوم وبالتسهيد افتاتت
وأسهم البين صابتنى ولا فاتت
وسلوتى ، عظم الله أجركم، ماتت

ويغنون على الأرغول كذلكالموال الشعبى المعروف:
ياواخد القرد اوعى يخدعك ماله
تحتار فى طبعه وتتعذب بافعاله
حبل الوداد ان وصلتهيقطع أحباله
تقضى عمرك حليفالفكر والأحزان
ويذهب المال ويبقى القرد علىحاله

***

أما الأدباتية فهم طائفة من الفنانين الشحاذين يستجدون الناس بأنواع من الشعر الفكاهى والزجل الساخر مصحوبا ذلك بالتوقيع والنقر علىطبلصغير وأغلب ماينشدونه مرتجل فى المعانى التى يوحى بها مقتضى الحال .

ومن الفنون التى اشتهر بها المصريون فى مجال النكتة والاضحاك ، ذلك الفن الذى يعمدون فيه الى قلب الاشياء وصرف اللفظ عن معناه الأصلى الى معنى مغاير .. ومن هذا اللون المقلوب ذلك الشعر الساخر الضاحك الذى شاع فى البيئة المصرية ، وكانوا يعمدون به الى معارضة القصائد المشهورة فى الادب العربى ، كقول الشيخ عامر الانبوطى :

أناجر الضأن ترياق من العلل
واصحن الرز فيها منتهى أملى

وهو بذلك يعارض لامية الطغرائى المشهورة التى مطلعها :

أصالة الرأى صانتنى عن الخطل
وحلية الفضل زانتنى لدى العطل

وكقول المرحوم حسين شفيق المصرى يعارض أبا نواس فى قصيدته المشهورة :

دع عنك لومى فان اللوم اغراء
وداونى بالتى كانت هى الداء

فاخذ هذا المطلع ومضى به الى وجهة ساخرة ضاحكة قائلا :

من كف صراف بنك لا يجود بها
الا لمن باسمه فى البنك امضاء
من اللواتى عليها رسم مشذنة
بها تعود الى العيان عفياء

وفى هذه الدائرة «المقلوبة» وعلى هذا الغرار نشأ فن «الأدباتية» ونشأت فى مصر تلك الطائفة التى احترفت اضحاك الناس والترفيه عنهم بهذا اللون من الكلام الموزون والمنظوم .

« **تحسين عبد الحى** »

قراءات فى المجلات العربية

يقدمها : مصطفى فوده مصطفى



كلمة عن النفاق :

فى حديث بارع وحوار جميل يحدثنا الدكتور احمد زكى فى « مجلة العربى » عن النفاق وكأنما خشى ألا يقبل الناس على قراءة حديث هذا الشىء الذى يمارسونه دائما ويكرهونه أبدا ، يكرهونه فى غيرهم على حين يحلونه لانفسهم متعللين بماتفرضه عليهم الحياة وتطلعاتهم فيها ، وكل له تطلع نحو شىء وحول هذا الشىء يغالط نفسه ويمارس مايكرهه، يمارس النفاق .

نعم كأنما خشى الدكتور من تقديم هذا الشىء الذى يكرهه الناس ويلعنون فاعله وفى الوقت نفسه يلعنون أنفسهم فيمارسونه - خشى من هذا فقدم حديثه حوارا يجذب اليه القارىء ويشرح به ، أو لعله يكشف للعقول ويرتب لها الشىء الذى تعرفه جيدا لانها على موعد معه كل يوم ان لم يكن كل ساعة ، كل بحسب وضعه فى المجتمع وقوة نفسه . قد يقل هذا عن ذاك نفاقا ، ولكن الكل ينافقون ويعرفون أنهم ينافقون .

ويبدو ان النفاق وجد بوجود الآدميين على الارض وتشابك مصالحهم وتضارب مطامعهم وسيظل معهم حتى الممات . وقد تنبه للنفاق وخطره على المجتمعات ، حكماء كل جيل . وكلهم حاول علاجه وكلهم اخفق . كما تنبه له الفنانون وعالجوه فى اعمالهم . ولعل آخر من حاول هذه المحاولة عندنا هو يوسف ادريس فى روايته « الفرافير »التى كانت مواجهة للمجتمع وكشفا لواقعه المعاش وقرعا لناقوس الخطر ، ولكن هل تنبه احد ؟ الكل ذهب الى المسرح فضحك ملء نفسه على نفسه وعاد كما كان هو نفسه . ونسى العلقة الحامية التى اخدها وعاد يمارس نفاقه وكان الله يحب المحسنين - بعد ان ذهب من وعيه قول يوسف ادريس له على لسان المؤلف **«انتوا مابتعرفوش تمثلوا ؟ بقى داكلام ده انتو طول النهار نازلين تمثيل . طيب من النارده مامثلش على رئيسه علشان ياخدا جازة ؟ مين ما الفشى رواية علشان ياخذ سلفه ؟ مين مافاعتش بدور السعيدة على الاخر قدام جوزها لما جت امه تزورهم؟ انهى ممثلة محترفة تقدر تطلع التنهيدة اللى بتطلعها الست فيكم لما بتشوف الفستان فى الفترينه ؟ ده انتو حتى جايين هنا تمثلو دور المتفرجين »** .

نعم الكل يمثل والكل يخاتل فى سبيل جلب نفع أو دفع ضر ويبرر ختله ونفاقه بما برره به محاور الدكتور احمد زكى : «بأن الحياة تريد هذا» لان حرب المصالح ضارية حتى ليهرب منها الناس بالنفاق لم يقولون : **«ذلك كظم الغيظ الذى نصح به الحكماء»** .

غير انى اعتقد ان هناك فرقا بين مغالطتهم هذه التى يدعونها ، وبين كظم الغيظ المقصود ، لان كظم الغيظ الذى قال به الحكماء لايكون الا مع المقدرة على الرد ، اما قولهم هذا فهو نفاق صراح . ولايحتمل غير ذلك .

وينتقل الدكتور الى حديث عن الخير والشر وان الله خالق لكليهما ، وعلى هذا فهو خالق للنفاق . ويدلل على هذا بان الله خبا الانفس فرضع عليها ومن حولها ستارا يخفيها فلاتنفضح . وجعل الفكر من وراء اغلاق .. ليمكنني من ان اخفى عليك وان تخفى على .. وكل اخفاء ستر . ومابين الستر والنفاق الا خطوة انه يمهد للنفاق .» ويعرض بعد هذا لكثيرى النفاق من الخلق ويبن انهم : الضعيف والخادم والمرءوس والمأجور والمتهم . والرجل والمراة ويفصل فى الاخيرة فيقول : ان المراة ان كانت زوجة ، فهى أمام زوجها . وان لم تكن كذلك فالرجل امامها .

ويعلل امر ممارسة النفاق لرعاة الفضائل بانهم احد رجلين « رجل يصدع بما يرى انه الحق ، فهذا هو الشقى بدنياه ... والناس قدتحترم مثل هذا الرجل حيا ، ولكنهم اكثر احتراما له من بعد موت وينقص من احترامهم له حيا النفاق والتقية ، فبهما يدفعان الضرة . وهذا الرجل من رجال الاخلاق قلة يجود بهم الدهر من حين لحين ... ورجل آخر من حماة الاخلاق ، يؤمن بان النفاق ضرورة من ضرورات الحياة . وهو ياتيه ويسمى هذا حسن التحيل والتلطف فى المدخل . »

وينهى الدكتور مقاله بقوله لمحاوره : «ان كنت تصف حالا عليها الدنيا ، فانا اوافق على الكثير مما وصفت . اما ان تبشر بالنفاق صلاحا للدنيا ، فان صح ان الدنيا هى كما تصف ، فليست هى والله بحاجة الى تبشير . وانا افهم ان يتخذ الفقير والضعيف والعاجز من النفاق تقية ، يتقى بهاالشر حتى لا يزداد فقرا او ضعفا او عجزا ، ولكن هذا يكون فى البيئات التى يسود فيها الشر والظلم ويستكين الناس فيها الى الباطل ، اما البيئات التى تنتشر فيها حرية القول ويسود العدل فيقل النفاق بمقدار ذلك .. فالنفاق لايمكن ان يكون مما يبشر به الناس للناس فهو شر يتقون به شرا وما هو للانسان بغاية . »

مثل لناشئة الادب :

ولعل ناشئة الادب يجدون عزاء فى سيرة هذا الرجل ، ويهونون على انفسهم حين يعلمون ما تعرض له وماتجشم فى سبيل الوصول الى يكون شيئا ، ويترك فى سوق الادب ذكرا يجعلنا نتكلم عنه بعد مماثلة بحوالى الف عام .

ويظهر ان محاربة السابقين للاحقين فى ميدان الفن ظاهرة قديمة قدم الفن نفسه . فالسابقون يخشون مزاحمة اللاحقين ، فيضعون أمامهم العراقيل وينصبون لهم الشراك ويتآمرون عليهم بالاهمال فى ايامنا هذه ، حتى اذا ماقلت واحدواجبر السابقين على الانحناء له ، لم ينس هو الآخر ما قاساه منهم فيظل فيهم خدشا وضربا الى ان يهدمهم ان استطاع . وان كان ذلك من اللا اخلاق فى شىء الا انه فى ميدان الادب شىء اى شىء لانه يثرى ويغنى ويفيد . غير ان هذا اللاحق سرعان ماينسى ما تعرض له من اهمال سابق فيمارس الاهمال فى لاحقيه . او لعله لم ينس مايطلق عليه (الاسقاط) فى علم النفس ، اذ يمارس ماتعرض له فى الآخرين . وتدور العجلة او الحلقة المفرغة التى شكا منهاالاوائل ويشكو منها الأواخروسيشكو منها اللاحقون . وتلك سنة البشر الى ان يوجد الانسان الكامل . ومتى يوجد ؟!

كنت من مدة فى مجلس ضم بعض ادبائنا ونقادنا المعروفين وجاء ذكر المجلات وماتؤديه هذه الايام وكان ان ذكر انها كشفت عن مواهب كانت مدفونة وفتحت براعم لم تكن تجد كيف تقدم نفسها الناس . غير ان ذلك لم يعجب بعض من كانوا فى المجلس . وقال احدهم : لسنا نرى كيف (اب) هؤلاء على وجه الادب ، انها لظاهرة عجيبة . ولعل الاعجب هو نسيان هؤلاء انهم كانوا يوما ظاهرة تحاول هى الاخرى الافلات . فلما تم لها ذلك اسقطت او نسيت .

ولنعد الآن الى (صاعد) الذى تقدمه العربى

بقلم جواد علوش · ان صاعدا هذا ولد فى الموصل ولكنه فى بغداد شب وتعلم وحاول أن يكون شيئا ، الا ان الاضواء التى كانت تشع من شموس الفنون على عهده فى عاصمة العباسيين كانت تجذب انظار الناس عنه . وكلما حاول هو ان يتطاول ، لم يجد من يأخذ بيده او يفسح له الطريق . وفى سوق الادب لا أحد يفسح الطريق · وكان صاعدا ذا حيلة فقال فى نفسه (بلاد اللهلخلق الله) وسار حتى حطت به الرحال فى الاندلس التى كان خليفتها آنذاك هشام بين الحكم وكان أمرها فى يد المنصور محمد ابن أبى عامر · واتصل صاعد بالمنصور وما زال به حتى استوزره . فأحفظ ذلك قلوب الاعلام فى الفن فأخذوا يكيدون له حتى وافق المنصور على امتحانه . وفى مجلس ضم الاعلام فى كل فن مثل صاعد سئل فى النحو فأخفق وفى الصرف فكبا ، الا انه كان ذكيا فاستدرجهم الى الشعر وبرز عليهم فيه حتى ان سائله كاد يتوارى حياء وخجلا .

وأراد صاعد أن يدعم مركزه فاقترح على المنصور ان يؤلف كتابا أجل وأعظم من كتاب النوادر الذى ألفه أبو على القالى . فألف الكتاب ، فزادذلك من حفيظة الادباء عليه ومازالوا بالكتاب نقدا هادما حتى اتهموا صاحبه فى النهاية — فى عقله ودينه — واقترحوا على المنصور اغراق الكتاب فى النهر . وتم لهم ذلك .

وكان ابن العريف من أشد حساد (صاعد) الذى وصف يوما للمنصور وردة لم تتفتح اكمامها بعد فقال :

اتتك ابا عامر وردة
يذكرنى المسك انفاسها

كعذراء أبصرها مبصر
فغطت باكمامها راسها

فلما راى ابن العريف سرور المنصور من هذا الوصف ، ادعى انهما لغير صاعد ، وانهما عنده على ظهر كتاب لاحدالبغداديين بمصرفلما طلب المنصور الكتاب ، ركب الى ابن بدر ، وطلب اليه أن ينظم ابياتا يضمها الى بيتى صاعد فارتجل :

غدوت الى قصر عباسة
وقد جندل النوم حراسها
فالفيتها وهى فى خدرها
وقد صدع السكر انفاسها
فقالت : أسار على هجعة ؟
فقلت : بلى ، فرمت كاسها

ومدت يديها الى وردة
يحاكى لك الطيب انفاسها

كعذراء أبصرها مبصر
فغطت باكمامها راسها

وقالت : خف الله لاتفضحن
فى ابنة عمك عباسها

فوليت عنها على غفلة
وما خنت ناسى ولا ناسها

كتب ابن العريف هذا الشعر على ظهر كتاب بخط مصرى ورجع الى مجلس المنصور الذى غضب وتوعد صاعدا باختبار عسير وفى مجلس ضم كل فطاحل أهل العلم والفن فاز صاعد الا انه لم يسلم من حساده بعد ذلك وساعدهم على نفسه انه لم يكن يقف عند حد ما يعرف ، بل كان لايملك القدرة على ان يقول : لست اعرف ، معتمدا على سرعة خاطره وحضور بديهته . فمرة اختلقوا كلمة **(الخنفشار)** وطلبوا من المنصور ان يسأله عن معناها حتى يظهر كذبه . فلم يتردد صاعد فى أن يدعى انها : حشيشة يعقد بها اللبن ببادية العرب . بل ودلل على قوله ببيت من الشعر :

لقد عقدت محبتكم بقلبى
كما عقد الحليب الخنفشار

« ويوما دخل على المنصور وامامه طبق فيه (**تمر**) فسأله المنصور : ما **(التمركل)** فى كلام العرب فأجاب صاعد : يقال تمركل الرجل تمركلا اذا التف فى كسائه ، فرد عليه المنصور بانه اشتق له هذه الكلمة من التمر والأكل . وعجب كيف انه وجد لها هذا المعنى وابتكر هذا الجواب . »

وفى النهاية لعل سيرة هذاالرجل تهون على قلوب الناشئة ما يلاقون وانى لأقول لهم : كونوا كصاعد اصرارا على الوصول ، ولاتكونون مثله تعالما

مصطفى فوده مصطفى

الأصل والصورة

للشاعر عبدالمنعم عواد يوسف

لا، لا تحاول لستها   لست التي قد كنتها
هي صورة مني ، ولـ   ـكني هناك دفنتها
انا لم اعد تلك التي   بالأمس انت عرفتها
اخرى انا غير التي   بالزيف قد منيتها
وبكل انواع الخديـ   ـعة جئتها وخدعتها
وزعمت انك يا صفيـ   ـق القلب قد احببتها
لا ، لا تحاول لستها   لست التي قد كنتها
هي صورة مني ، ولـ   ـكني هناك دفنتها
اخرى انا غير التي   بالأمس انت غششتها
او لست تذكر يا دعـ   ـي الحب يوم اتيتها
وعلى محياك الودا   عة بالخداع رسمتها
واخذت تحكى قصة   رحى الخيال ، نسجتها
حتى لقد ابكيتني   من فرط ما اتقنتها
صدقت ما قد قلته   عن محنة عانيتها
وسنين حرمان طوا   ل - يا ملفق - عشتها
اخرى انا غير التي   بالكذب قد ابكيتها
حتى اذا ما استسلمت   لهواك حينا ، فتها
او لست تذكر ، ياخصيـ   ـب الذهن كيف تركتها
نلت الذى تبغيه منها   ثم .... ثم مللتها
ومضيت عنها ذاهبا   من دون ما ودعتها
لا ، لا تحاول لستها   لست التي قد كنتها
هي صورة مني ، ولـ   ـكني هناك دفنتها
لو لم اكن غير التي   بالأمس انت عرفتها
ومضيت عنها بعد ما   قد عفتها ، ومللتها
لو لم اكن اخرى سوا   ها ، ما اخالك جئتها
لو كنت نفس الصورة الـ   اخرى لما قاربتها
لو لم تجد بى صورة   ما كنت قبل عرفتها
ما جئت تسعى هكذا   لو كنتها ، ما جئتها
لا ، لا تحاول لستها   لست التي قد كنتها
هي صورة مني ولـ   ـكني هناك دفنتها
انا صورة اخرى اجل   غير التي قد كنتها
بالعزم بالاصرار بالـ   ـتصميم ، قد اعددتها
وعلى مثال نادر الـ   ايمان قد شيدتها
فاذهب هناك ، فلستها   لا ، لا تحاول لستها
عبثا تظن انني   من - ذات يوم - كنتها
هي صورة مني ، ولـ   ـكني هناك دفنتها



مع الناقد الدكتور احمد كمال زكى

من بين القصائد التى عرضت قصيدتان لمصطفى ابراهيم عمران من غزة ، لفتنى فيهما احســاس بالشعر لم ينضج بعد ، ولكن ليس معنى ذلك ان يكف صاحبهما . بل معناه انه لا يزال محتاجا الى استكمال ادوات فنه من لغة ونحو وعروض ، لأن فنانا يحاول الشعر وينقصــه هذا كله لا ينتج الا النتاج الهزيل . ولا اريد من مصطفى ابراهيم هذا ، لانه يبشر بخير كثير ولأن تفتحه على الحياة واعد بخصب موفور

انا آخذ عليه فيما آخــذه قوله فى قصيدته « حتام تبقى »

والقيد نار فى لظاه يحرق
بغى الأعادى والنفوس الغادرة

وقد غاب عنه أن للعروض ـ وهذا اصـطلاح يقصد به آخر كلمة فى الشـــطر الاول ـ شروطا كشروط القافية التى تتضمن الروى ، وهى تصح لو انه نونها بحيث تصبح « محرق » فيســتقيم المعنى بذلك استقامة الوزن تماما . ومثل هـذا العيب فى قصيدتيه جميعا !

واما قصيدته « زينات » فاستهلالها يذكرنى بقصيدة الأخطل الصغير « سمراء يا حلم الطفولة » التى عارضها الأمير فيصل بقصيدته التى يغنيها عبد الحليم حافظ . وهو يبدو فيها مهتما بواحدة بعينها الا أن تجربته معها لم تنضج بعد النضـج الكافى وهذا سر تأثره بقصيدة سمراء . وبالاضافة الى ذلك يتورط الشاعر فى سلســلة من الأخطاء لا ادرى كيف غابت عنه حتى ليقول :

يا جنتى هل حبك لى لم يزل
مثل الهوى فى قلبيا أو روحيه
والذكريات الحانيات الباسمه
جرح سيغدو نازف من قلبيه

ففى البيت الأول يجب أن يشبع كاف « حبك » حتى لا يختل الوزن ، وقال « قلبيا » ومثل هـذا لا يجوز الا فى القافية ، ولعله لو قال « قلبنا » يكون اقرب الى الصحة . واما البيت الثانى بغض النظر عن سقطة العروض فيه يتعرض لخطأ نحوى حتى ليرفع « نازف » والصواب أن تكون النصب

« الشعر » .. ومجلة الشعر
بقلم عبد الصبور منير

طربت وحزنت فى آن واحد ـ كالمجنون تماما ـ يومها .. يوم قرأت نبأ صدور « الشعر » .. تماما كما حدث لى عندما سمعت وقرأت نبأ صـدور الرسالة والثقافة ولكن الفارق فى الحالتين انه فى حالة صدور الشعر كان الطرب والحزن ولكن فى حالة صدور الرسالة والثقافة كان الطرب فقط بلا حزن وبلا شجن ..

اقول : طربت .. وحـــزنت .. نعم وفى آن واحد ..

طربت لصدور « الشعر » ولتولى الدكتور القط

رئاسة تحريرها .. وتشاءمت لأن هناك من يعمل على هتك القوافى وهــدم الاوزان ، واقول : ان تشاؤمى هذا كان حقيقة عنــدما توالت أعـداد « الشعر » وبها مقالات السيد غالى التى تأكل كل مقالة منها حوالى عشرين صفحة ان لم يكن اكثر .. وللأسف تخرج منها بلا شيء .. والله العظيم .. ولا شيء .. فى حين ينتظر خلف الصفحات الآلاف من الشـــعراء فى انتظار تعليق جارح ان لم يكن سبيل الى النشر ..

وكان نصيب الشــعر .. الأصيل .. فى « الشعر » بالنســبة الى النثر المشعور كنســبة ٢ : ١٠٢ تماما ..

وفى عدد ســابق من تلك المجلة قرات للدكتور نويهى مقالة فى الافتتاحية يقول فيها : انهم اتفقوا على تسمية ذلك النثر المشعور او المتشعر بالشعر المنطلق ..

ويومها يا قارئى العزيز انفلتت من فمى لا ارادية هذه الكلمة : هذا غريب ..

اجل .. هذا شيء غريب ..

فقد اتفقوا ـ حضراتهم ـ فى اجتماعهم السابق على تسمية النثر المتشعر بـ « الشعر المنطلق » ـ ومن فضلك ياقارئى اقراها بطريقة الدكتور النويهى ان كنت تقراه فى مجلة الثقــافة .. هكذا .. « الـ .. مون .. طا .. لى .. قق » ..

ومرة ثانية : « هذا غريب ! »

هكذا وبكل بساطة .. وكأننا فى سوق فصال ومفاضلة وكان الشعر او اسم الشعر شيء يباع ويشترى بلا احساس وشــعور .. فصال على الاسم .. والشكل وابتزاز الأنصار ..

وفى نفس الوقت دارت على فمى كلمات :

ـ المنطلق ؟!.. ام المطلوق ؟!.. ام المحلول ؟!.. ام المنحل ؟ ! ام ؟ ! ام ؟ ! ام السايب ؟! يا دكتور نويهى ؟ ! ..

واخيرا .. ماذا استفدنا من « الشعر » ؟!

بكل اسف .. وبــكل الأسف .. لا شيء .. ولا شي .. ثم لا شيء .

العقاد والسودان

بقلم مصطفى محمود مصطفى

تساءل الدكتور أحمد مكي الأنصارى فى الرسالة (١٠٧٧) فى مقاله عن العقاد بعنوان : « العقاد فى السودان » : « هل كان العقاد جبانا حينما هرب من مصر الى الســودان ؟ »

وانى استغرب : كيف يليق صدور هذا السؤال الشديد اللهجة من اديب ممتحن فى الادب العربى كالدكتور الانصارى ، خصوصا ، وهو معروف انه كاتب قديم من كتاب الرســـالة ، ويحمل ارقى الشهادات فى فن الادب .. اقول : هل كان الدكتور مكى فى حاجة الى التساؤل بهذا الســؤال الذى يحاول فيــه ان يثبت او ينفى بالنســبة للعقاد صفتين من اقبح الصفات وهما الجبن والهرب ، وهما من ابعد الصفات عند العقاد

لقد كان العقاد يحب السودان من اعماق قلبه اكثر من اى مصرى اخــر ، فهو مجاور لموطنه المحبوب « اســوان » ، وهى ملتقى لاهالى مصر والســودان الذى لا ينقطعون عنهــا ، واخواننا السودانيون معروفون بالحرص على خلق الجد ، وتقاليد الاخوة العربية والاسلامية الأصــيلة ، والعقاد كاديب مشهور متفتح الحس ومولود بمدينة اسوان التى ترعرع فيها ، بل ، والتى كان يحرص على زيارتها كل عام ليشتى بها ، لابد وانه اختلط باخوانه الســودانيين جيرة بلدته التى احبها من قلبه ، فاحب اخــلاقهم التى تشبه اخلاق اهل اســوان . لذلك آثر العقاد الرحـلة الى بلدهم الشقيق السودان وفضــله على غيره من البلاد الشقيقة ، مع كثرتها وقلة العوائق فى طريق الرحلة اليها والمرور بها . ومالى اذهب بعيــدا ، والعقاد قد كفانى مؤنة الاستشهاد على هذه الحقيقة ، فقد كتب ابياتا تشــهد لى فيما اذهب اليه ، وهو فى رحلته تلك الى الســودان فوق صورة طلب اهداءها اليه الأديب والصحافى السودانى المبارك ابراهيم ، وانى أجترىء بهذا البيت ، وليسمح لى الدكتور

سُنّى بانتحاله منه ، فهو صاحب الفضل فى ايراده فى معالته المذكورة :

يا جيرة النيل المبا   رك كل نيل موطنى

هذا ، وانى اخالف الدكتور الرأى فيما ذهب اليه فى قوله : « اما الداء الخفى وهو الاستعمار الانجليزى ، فقد رآه العقاد فى ذلك الحين اهون الامرين ، فوقف الى جانبه وسار على مبدأ : « بعض الشر اهون من بعض » . فهذا طعن فى صميم وطنية العقاد ، ومخالف لموقفه من محاربة الاستعمار بكل قواه . فالعقاد لم يكن يحب المستعمر لاجل بلاده التى كان يحتلها . وانما الحقيقة انه كان يؤمن بمبدأ الديموقراطية التى لا تؤمن بها النازية والفاشية الغشوم ، وهو مبدأ تؤمن به بلاده وتعتنقه ، لاجل ذلك حارب خصومها من النازية والفاشية المتطرفة ، فمعركته معهما معركة من اجل المبدأ الذى تؤمن به بلاده .

الزاد الطيب
بقلم زكى محمد عبد اللطيف

جميل جدا ان نرى المختصين بالحفاظ على بيوت الله ورعاية دينه . يحاولون القيام بواجبهم على اكمل وجه ولا ادل على ذلك مما رايته اخيرا

فقد اطلعت على كتاب وزعته وزارة الأوقاف على مساجدها بعنوان « زاد الخطيب »

وهو بحق زاد طيب وغذاء دسم . وخير معوان لكل من يتصدى للدعوة الدينية ، والارشاد الى الطريق القويم . والسبيل المستقيم « وتزودوا فان خير الزاد التقوى »

كتاب حوى بين دفتيه خلاصة الشريعة . وزبدة الأدوية الشافية لأمراض القلوب وادواء النفوس .

فى نظام دقيق واسلوب رشيق .

وهى « خطب منبرية » جديرة بأن تسمى « عصرية » لا يستطيع ان يعيبها حاقد او ينقدها سليط ولا غرابة ان تكون صالحة لكل زمان ومكان كما يقول الشيخ الغزالى فى مقدمتها . وكل ما نتمناه ان تداوم الوزارة على اخراج بقية اجزاء الكتاب

البلبل ...
... وغنوة النيل !
احمد عبد اللطيف بدر

بلبل الروض فى الضحا حين غنى
اشرق الكون باعثا ما تمنى

غنوة النيل قد افاضت عليه
كل معنى بها ، فاجراه لحنا !

* * *

غنوة النيل هتفة من فؤاده
صاغها الشوق فى جمال وداده

قد تجلى البهاء ... بين لحون
لحنت شدوه لحب بلاده ! !

* * *

غنوة النيل آية « لوفائه »
صفوه : ان يرى بديع صفائه

فى اقتبال الرخاء يشدو هنيئا
سوف يحيا متمعا فى رخائه !

* * *

غنوة النيل حين يجرى وفيا
بين واد يعيش حرا ابيا

بلبل الروض ردد اللحن فيه
منشدا فى الضحى نشيدا رويا !!

* * *

غنوة النيل فوق عمر الزمان
بين يمن يتيه فى « المهرجان »

رفرف البلبل السعيد يغنى
لحن مجد ، وعزة ، وامان ! !

على القيثارة

للشاعر فتحي سعيد

قيثارتي . . ياجمة الأشعار
يا خشبا ضلوعه أوتاري
يا سلوة الغريب في الأسفار
وجلوة الهموم في الأسحار
تفجري .. وياختي القيثار
عرج بنا .. وطف على الديار
ولتسقنا كريمة الفخار
مجلوة . . تطيح بالوقار
معصورة .. من أعتق الأشجار
من كرمة .. يتيمة الثمار
رحيقها يطيب للأبرار
موصولة الجمال .. والتذكار
غنى لها . . مجنح الأسرار
حانته .. تخفى عن الأبصار
ندمانه من أجمل الأفكار
وروحه . . يعلو على المدار
وخطوه . . يضيق بالأسار
على الدف يدب في احتقار !!
أعماقه . . مشبوبة الأوار
ونفسه . . مجهولة الصحارى

وقلبه .. شلال حب جار
به الذي به . . يداري . .
من سخريات هذه الأقدار !
فياله من صمته . . الثرثار
يا طالما .. قد عاش في انتظار
في زورق يطوف بالبحار
في رحلة عجيبة الأخبار !!
بعيدة . . كثيرة الأخطار
لم يخش من رعونة التيار
ولا هزيم الرعد والأعصار
للريح منه . . هزة استهتار
لشاطئ جميل الاخضرار
به الحنين طال . . للمنار
فياله . . فتى . . بلا قرار !
يرى لديه مطلع النهار
فلتسقنا . . كريمة الفخار
يعانق المجهول في انبهار
من كرمة يتيمة الثمار
مجلوة . . تطيح بالوقار
قيثارتي .. ياجمة الأشعار
ياخشبا . . ضلوعه أوتاري !

كيف يبتسم الناس

• بقلم سعد حامد •

غربت الشمس وانا امضي فى الطرقات على غير هدى ، واشعر بالوحدة .. اننى وحيد وغريب عن هؤلاء الناس لاتربطني باحد منهم رابطة ما ، وان اصواتهم واحاديثهم وضحكاتهم تاتى الى خافتة كأنها تاتى من مكان بعيد .. وبدا لى ان هؤلاء النـاس يتحايلون على النسيان ويبحثون عنه .. انهـم يسهرون ويضحكون ويتحدثون محاولين نسيان ذلك الشبح الذى يتربص بهم ، والذى يقف هنـاك على الجانب الآخر من الطريق .. شبح الموت .. الذى ينقض عليهم فجاة ، ويطوى حياتهم فى لحظة كلمح البصر ...

لقد حدث كل شيء فجاة ... وبلا مقدمات ...

كنت اعيش مع اخى الذى يصغرنى ببضعة اعوام بعد وفاة والدينا ، ولم يكن لنا اشقاء آخرين ، وكنا نسكن فى شقة صغيرة فى حى هادىء ، وكان اخى طالبا فى الجامعة ، وكنت احتل مكان ابيه وامه ، فقد تركه لى ابى صغيرا واوصانى به ، وكنت اعمـل موظفا فى الحكومة ، وقـد عاهدت نفسي على ان اكرس حياتى ومالى لابناء مستقبله ، وكما ربانى ابى ولم يبخل على بشيء من ماله او جهده قررت ان ارد الجميل الى اخى الصغير ، وهو احوج ما يكون الى الرعاية والحنان ، وكان يقدر لى هذا الجهد ويحبنى اعمق الحب ...

اشحت بوجهى عن كل الكماليات من اجله .. ولم افكر فى الزواج من اجله ايضا .. كنت ادرك جيدا ان وجود امراة بيننا سيفسد الأمر كلـه .. ستريد – وهى زوجتى – ان تستاثر بى لنفسهـا ، ولن يرضيها قط ان يشاركها اى شخص آخر فى حياتى ولو كان اخى ، ستصر على ان تكون حياتى ومالى ملكا خالصا لها .. ولهذا ارجات فكرة الزواج حتى يتم اخى تعليمه ويتوظف .. وقد كانت التضـحية قاسية خاصة وان القلب كان قد خـفق خفقة الحب ..

كانت « ثريا » فتاة من جيراننا من اسرة طيبة ، مات ابوها وتعيش مع اخوتها وامهـا ، وهى سيدة طيبة كانت تربط بينهـا وبين امى اواصر صداقة ومودة .. كانت ثريا جميلـة ومثالا للخلق الكريم ، وكنت اراها فى نافذتها او فى شرفة بيتهـا احيانا ، وكنت التقى بها احيانا فى الطريق فيركض قلبى فى صدرى ويحمر وجهها وتلتقى عينانا فى نظرة معبرة ، وكانت تطرق ، وكنت اواصل سيرى مضطربا خافق القلب ...

كانت « ثريا » فى حوالى الخامسة والعشرين من عمرها ، وكنت اكبرها باعوام اذ كنت فى الاربعين لكننى كنت اشـعر من التقاء عيوننا لحظة اللقـاء العابرة فى الطريق ان هناك شيئا من الحنين والود يربط بين قلبينا .. كانت ثريا هى الامل الحلو الذى يطمح اليه قلبى ، المصـباح المتلق الذى سيضيء حياتى ، وكنت اعتقد ان سعادتى فى الدنيا ستتحقق يوم يفرغ اخى من دراسته ويتوظف ، ويوم اتزوج من ثريا ...

كانت التضحية قاسية .. ضحيت بنفسي وبمالى وبقلبى من اجـل عاطفة الاخوة النبيلة ، واحتملت التضحية عن رضا وطيب خاطر لكننى لا انكر اننى كنت اتعذب فى اعماقى ، وكنت احس اذعة الحرمان من ثريا تحرق صدرى ...

وفجاة حدث ما حدث ...

ذات يوم بينما كان اخى عائدا من كليته تحـرك الترام قبل ان يركب فسقط تحت العجلات ، وحملوه الى المستشفى فى حالة سـيئة ، وعندما ابلغونى النبأ ، وهرعت الى هناك وجدته قد فارق الحياة ..

كانت الصدمة قاتلة .. مميتة .. لم يمرض ولم يلازم الفراش بل كان يفيض بالشـباب والامل والحياة .. اصبت بذهول ، واستحالت الدنيا امام

عيني الى ظلمة دامسة ، ولا ادرى حتى هذه اللحظة كيف شيعت جثمانه الى مقره الأخير ، فقد كنت اسير واتحرك وانظر الى النــاس كأنني مستغرق في كابوس رهيب ...

وعندما انفض الناس من حولى القيت بجسدى على الفراش غير مصدق بما حدث ، وانا لا اكاد اقوى على التنفس ، والمرئيات تبدو امامى كأنها اطياف يغمرها ضباب كثيف ، واضطربت افكارى ، وتلاحقت في ذهنى صور سريعة غامضة لا معنى لها ولا رابط بينهــا ...

ولا ادرى كيف مرت بى الايام الاولى عقــب الكارثة ، وقــد لازمنى بعض اقاربى ليخففوا عنى المصاب ، ولكن احاديثهم وكلماتهم كانت تطرق سمعى باردة لا معنى لها لاتتصــل الى قلبى ولا تخفف من آلامى ، كان مصابى اكبر من أن ينفع فيه عزاء ...

احسست بشيء في صدرى قد مات .. جزء من نفسي او نفسي كلها..لم يعد هناك انسان يستطيع ان يحمل الى العزاء او ان يمســح احزانى بأنامل الحنان ، وكــم تمنيت لو كنت انا الذى مت وعاش هو .. لماذا لم يأخذنى الموت ويتركه وهو الشاب الباسم الذي ينتظره مستقبل مشرق عريض ، ولكن الموت لا منطق له ، فقد يخطف صبيا ضاحكا بريئا ، وينتزع الحياة من شاب قوى متفتح للحياة ، ويترك كهلا مريضـــا ورجــلا محطما ضائعا لا نفع منه لانسان ...

وشعرت بأننى اصبت بشلل في نفسي وحواسي، فكنت اجلس في مكانى بلا حراك احدق في لا شيء ، ولا افكر في شيء ، ولا احس برغبة في شيء ، ولم اكن حتى لأرغب في الحديث مع اى انسان ، اصبحت اعيش في صـــمت مطلق ، ولم اكن افتح فمى الا للضرورة القصوى ...

بدت لى الدنيا مشحونة باليأس والتعاســة ، وكنت اشعر برغبة تتملكنى في ان ابكى وان اظل ابكى ، وبحزن عميق اســود يتراكم في اعماقى ، ولكن الدموع لم تستجب لى .. جفت في عينى .. لقد بكيت يوم وفاة اخى كما لم ابك من قبل ، ولكن في الايام التالية رحت ابحث عن الدموع عبثا ... كنت اريد ان ابكى اياما حتى تخف تلك الاحــزان الدفينة في صـــــدرى ، ولكن الدموع تحجــرت في عيني ...

وتلفت حوالى جزعا .. منهارا .. لم يعد هناك شيء يستهوينى او يجذب انتباهي او يحرك قلبى .. لم يصبح لحيــاتى طعم ولا معنى ، وزهدت في كل شيء .. حياتى وعملى .. حتى الطعـــام لم اعد اتناول منه الا ما يقيم الاود ، وانهارت صحتي ونحل جسدى ، وكنت امضي في الطرقات مترنحا كالثمل . كنت اذهب الى عملى فأقضي فيه بضع ساعات ثم اتركه وانا اشعر بالملل والسأم ، فألقى بجسدى على مقعد في احد المقاهي واروح انظــر امامى بعيون ذاهلة لا ترى شيئا ...

ثم اعود الى البيت محطما من التعب ، فأدور في المسكن كالمأخوذ انظر الى فراش اخى والى ثيابه المعلقة في الصوان باحثا بعينى عن ذلك الانســان الحبيب الذى كان ملء البصر والسمع ...

ما معنى هذه الحياة .. ؟! لماذا جئنا .. ومن اين جئنا .. والى اين نذهب .. ؟

ودرت في دوامة مظلمة عميقة ، ومضيت ادور فيها بلا مخرج ، وكل بضــــعة ايام اذهب الى قبر اخى ، واجلس امامه احدق فيه فعيون جامدة لاتطرف ما هو الموت ..؟ وما معنى هـــذا كلـــه .. ؟ ! ثم اقفل عائدا الى المدينة مطرقا اترنح ...

وضقت بحياتى ذرعا ، وازدريتهـــا ، وغرقت في اعماق مأساتى ، ولم اعد — اينما وليت وجهى — ارى شيئا سوى شاهد القبر ، وفقدت كل شجاعة على مواجهة الحياة ..

واهملت نفسي وثيــابى ، وكان اقاربى ومعارفى ينظرون الى في عطف ، وحاول بعضهم ان يخرجنى من عزلتى المظلمة لكن جهودهم ذهبت بلا جدوى ، وكانت النظرات تقتحمنى .. البعض ينظر الى في رثاء ، والبعض في سخرية ...

وكنت احيانا وانا ســادر في عذابى تعود الى خيالى ذكريات الماضي ، فأذكر ايامنا الاولى عنــد ما كنت اعيش في كنف ابى وامى واخى ، وتبدو امام عينى لحظات السعادة والحنـــان والدفء ... ثم اذكر ايامى مع اخى..عندما كنا نقضي اوقات فراغنا معا ، ونتنزه معا ، ونذهب الى السينما معا ، ونتجول في طرقات القاهرة المزدحمة معـــا ، ونحن نضحك حتى تدمع عيوننا من الضــــحك ... ثم يجذبنى الحاضر الى ظلامه فجأة ، وتصدمنى الحقيقة المرة . كل هذا قد ذهب .. ذهب الى غير عودة ، مضي كل

شيء ، وبقيت وحيدا ضـــائعا فى هذه الدنيـا الواسعة ...

وفى تلك اللحظات كان يخامرني حنان عجيب الى حياتي الماضية ، وتراودنى غريزة حب الحيــاة ، وتجتاحنى رغبة فىان اهرب بنفسي منهذه الاحزان وابتسم للحياة مرة اخرى ، واحاول ان ابتسم لكن الابتسامة لاتطاوعنى ، واجد وجهى جامدا كتمثال من الشمع ..

ان الابتسـامة لم تعرف طريقها الى شفتى منذ رحل اخى عن هذه الدنيا .. مرت بى شهور طويلة لم ابتسم فيها مرة واحدة حتى ايقنت اننى قد نسيت الابتسامة تماما ... !

وكنت اتطلع الى الناس وهم يبتسمون ، واسأل نفسي فى حيرة وعجب :

ـ كيف يبتسم هؤلاء الناس .. ؟ كيف يقوى هؤلاء الناس على الابتســـام ، واى شيء يجعلهم يبتسمون . ماذا فى الحياة يجعل الابتسامة ترتسم على شفاهم .. الحياة كلهــا تعب وشقاء وعذاب وفراق وموت . الا يذكر هؤلاء الناس حياتهم المعلقة على خيط اوهى من خيوط العنكبوت . الا يذكرون الموت الذى يتربص بهم فى كل لحظة ومع كل نفس يتردد فى صدورهم .

وفى الدوامة المظلمة التى ادور فيها نســيت كل طيبات الحياة ..

اضاءت مصابيح الطرقات ، وهبط الظـــلام ، ومازلت اهيم فى الطرقات على غير هدى افكر بلا انقطاع ...

وتناهى الى سمعى صوت الشيخ عبد الباسط وهو يتلو القرآن بصـوته العذب الأخاذ فى مذياع باحد المتاجر ، توقفت انصت اليه وقد انتبهــت حواسي ، ومست الكلمات المعجزة شغاف قلبى .. كان يتلـو « وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا » ..

وتلاحقت نبضـــات قلبى ، والمقرىء يردد الآية بقراءات مختلفة اكثر من مرة ، وشـــعرت بهزة فى اعماقى كمن مسه تيار كهربى ، وظللت واقفا استمع الى القرآن العظيم فى انفعال وخشوع ، ثم غادرت مكانى ومضيت بطىء الخطو وقد احسســت بهدوء يشملنى لكننى سألت نفسي فى حيرة وحزن :

ـ كيف نسيت السماء وانا غريق فى محنتى ..؟ وراودتنى من جديد تلك الرغبـة فى ان اهـرب بنفسي من احزانى .. الرغبة فى الحياة التى تعتمل فى كل نفسي ..

رحت انقل قدمى على ارض الطـريق بلا وعى وانا غريق فى خضم من الافكار .. وفجــاة وقع بصرى على اضواء متألقة تشع من نوافذ مبنى ضخم وتنعكس على ارض الطريق ، ورفعــت بصرى الى المبنى المتالق الذى يبدد الظلمات من حوله ، فاذا به مسجد ...

وقفت كالخائف وانا ارتعش كالمقرور ، واحدق فى المسجد وكأنه مكان قد حـرم على ، وظللت جامدا اتطلع الى النور المنبعث منباب المسجد ومن نوافذه، ونسيت نفسي لحظـــات ثم انتبهت ، فاذا بعض المصلين يغادرون المســجد وهم يتمتمون بالدعاء ، ونظرت الى وجوههم واجتاحتنى الدهشة ..

رايت وجوها هادئة مشرقة مطمئنة ، ولمحـت بســمات تتلألأ على تلك الوجوه .. بسمات حلوة كلها الرضا والتفاؤل.. وهتفت من اعماقى :

ـ كيف نسيت هذا .. ؟ ! شيء واحد هو الذى يجعل الناس يبتسمون .. الايمــان بالله هو النور الذى يضيء جنبات الصدر ، وينزل الســكينة فى القلب . هو طوق النجاة الذى يحمل الانسان من لجة الشـقاء والعذاب الى شـاطىء الطمأنينة والاستقرار .. ليس شيء غيره ..

وعندما غادر المصلون المسجد وجدت نفسيانسلل داخلا اليه ، ورغم اننى احســـت براحة تغمر صدري وانا ادلف الى المسجد ، فقد اجتاحتنى رغبة شديدة فى ان ابكى ، وان استغرق فى البكاء ...

ووقفت لأصلى العشاء ... وفجأة ... فاضمن عينى نهر الدموع ، تحطم سد الشـقاء والعذاب ، وجرف امامه ركام التعاسة والاحزان الدفينة ... وعندما فرغت من صلاتى لمحت شيخ المسجد وهو ينظر الى دموعى فى تعاطف وحنان ثم رفع عينيه الى السماء وهمس بكلمات ثم انصرف لشأنه ..

وغادرت المسجد وانا اشعر بهـدوء واطمئنان ، وقد افترت شفتاى عن بسمة ..

لقد عرفت اخيرا كيفيبتسم الناس .. الايمان.. والامل .. الايمان بالله الذى يشع فى الصدر راحة

وفى الاعماق طمانينة .. والامل .. الامل فى رحمته تعالى وفى عونه .. لقد افقدتنى الصدمة صوابى ، واظلم الياس امام عينى .. واحسست وانا اخرج من المسجد الى الطريق اننى ولدت من جديد ...

نعم انا الآن انسان آخر .. ومضيت اتجول فى الطرقات لكننى لم اكن امضي على غير هدى بل كنت اعرف ما سوف افعل ، وكانت طمانينة الهية تغمر صدرى ، وهدوءا نفسيا يشمل عقلى ونفسى جميعا ...

كنت ارسم الخطوط الاولى لحياة جديدة .. لن البث ان انفذها على الفور .. اجل يجب ان ابدا من الليلة .. سابدا من الليلة فى ترميم حياتى التى حطمها الياس والحزن .. لن استسلم للياس القاتل مرة اخرى .. نعم لن استسلم ، وسيعيننى الله على ذلك لن يتخلى عنى ...

سانتقل اولا من المسكن القديم الى شقة اخرى .. ساهرب من مثوى ذكرياتى الى مكان جديد يساعدنى على النسيان ، ولن اعيش بمفردى .. ساتزوج .. اجل ساتزوج ...

ثريا ... يا الهى .. كيف نسيتها .. واضاء الاسم امامى وتوهج كالمصباح المتالق فى ظلمة الليل .. تلك الفتاة الجميلة ، جارتنا بنت « الست ام خليل » الطيبة .. الفتاة التى طالما كان قلبى يركض فى صدرى كلما رايتها ، والتى كان وجهها يحمر كلما التقت عينانا فى نظرة معبرة والتى خفق القلب بحبها اول خفقة ، وكان زواجى منها اقصى امنية لى ..تلك الأمنية التى اودعتها — من اجل اخى الحبيب — فى مكان سحيق من صدرى ...

اجل ساتزوج من **ثريا** ، وسابدا حياة جديدة ، وسيقف الله الى جانبى ، ولن يتخلى عنى ، وكل جمعة سنزور معا قبر اخى ، فاقرا هناك ما يتيسر من القرآن واترحم عليه .. لن استسلم للياس مرة اخرى .. ان الله الذى وهبنا الحياة لنعيشها ولنتمتع بها لايرضي قط ان اعيش عمرى كله فى ظلام الياس والضياع ، ولن انقطع عن الصلاة ابدا .. لقد اضاءت صدرى المظلم واخرجتنى من ظلمة الياس الى نور الحياة ...

كنت ارتجف من الانفعال ، وفى اعماقى شحنة من الاحاسيس تريد ان تنفجر ، لن انام الليلة هذه الليلة .. هذه ليلة خالدة فى تاريخ حياتى .. يجب ان افعل شيئا .. اى شيء .. يحقق آمالى فى الحياة الجديدة التى صممت على ان اعيشها ...

واتجهت صوب الشارع الذى اقطن فيه .. وفى هدوء دخلت بيت ثريا .. ثريا يا حبيبة القلب .. لقد آن الاوان اخيرا .. اخيرا سنلتقى ، وسيتحقق الامل ، وسننتقل من هنا الى حى اخر والى شقة جديدة واثاث جديد وحياة جديدة ، وساحملك بعيدا عن الناس جميعا الى جنة الحب والزواج ..

وطرقت باب شقتها باسما خافق القلب ، وانفتح الباب عن وجه « الست ام خليل » ومدت يدها تصافحنى وترحب بى ، ودخلت الى حجرة الصالون .

جلست امامها مضطربا كالتلميذ البليد المحرج فى امتحان الشفوى ، وكانت السيدة تتطلع الى فى شيء من الدهشة فلم اكن متعودا على زيارتهم ، وكنت اريد ان اصارحها على الفور برغبتى ، ولكن لسانى انعقد فى فمى ، والعرق تصبب على جبينى وانا احاول جاهدا ان انبس بكلمة ، والسيدة تقول لى بين الفينة والفينة مرحبة وكانها تشجعنى على ان ابدا الحديث :

— اهلا وسهلا . مرحبا . زارنا النبى ..

وانا ارد عليها بغمغمة لاتبين ..

وبعد لأي قلت لها فى ارتباك وبصوت خافت مرتعش :

— والله ياست ام خليل انا لى عندك رجاء .. فقالت السيدة وهى لاتنى تتطلع الى فى فضول :

— انا تحت امرك يابنى .. قل ما تريد .. ؟ فقلت ووجهى يزداد احمرارا :

— جئت اطلب الآنسة ثريا زوجة لى ..

ونظرت الى السيدة فى دهشة وعجب كمن تتطلع الى انسان يهذى .. ثم اطلقت ضحكة ولم تملك نفسها فاستغرقت فى الضحك ، وزادتنى ضحكاتها ارتباكا وحرجا ، وكان قلبى يركض فى صدرى وانا فى اشد العجب من ضحكها ، ثم تمالكت السيدة نفسها وقالت لى فى صوت هادىء فيه رنة اشفاق :

ثريا يابنى تزوجت منذ أكثر من عام .. وبالامس انجبت طفلا جميلا . اننى عائدة توا من عندها ..

بهت .. ونظرت اليها كالمشدوه ..

واستطردت السيدة فى رقة وحنان :

ـ كيف لم تعلم وانت تسكن فى نفس شارعنا .. فقلت فى استحياء وانا اكاد ابكى من الحرج :

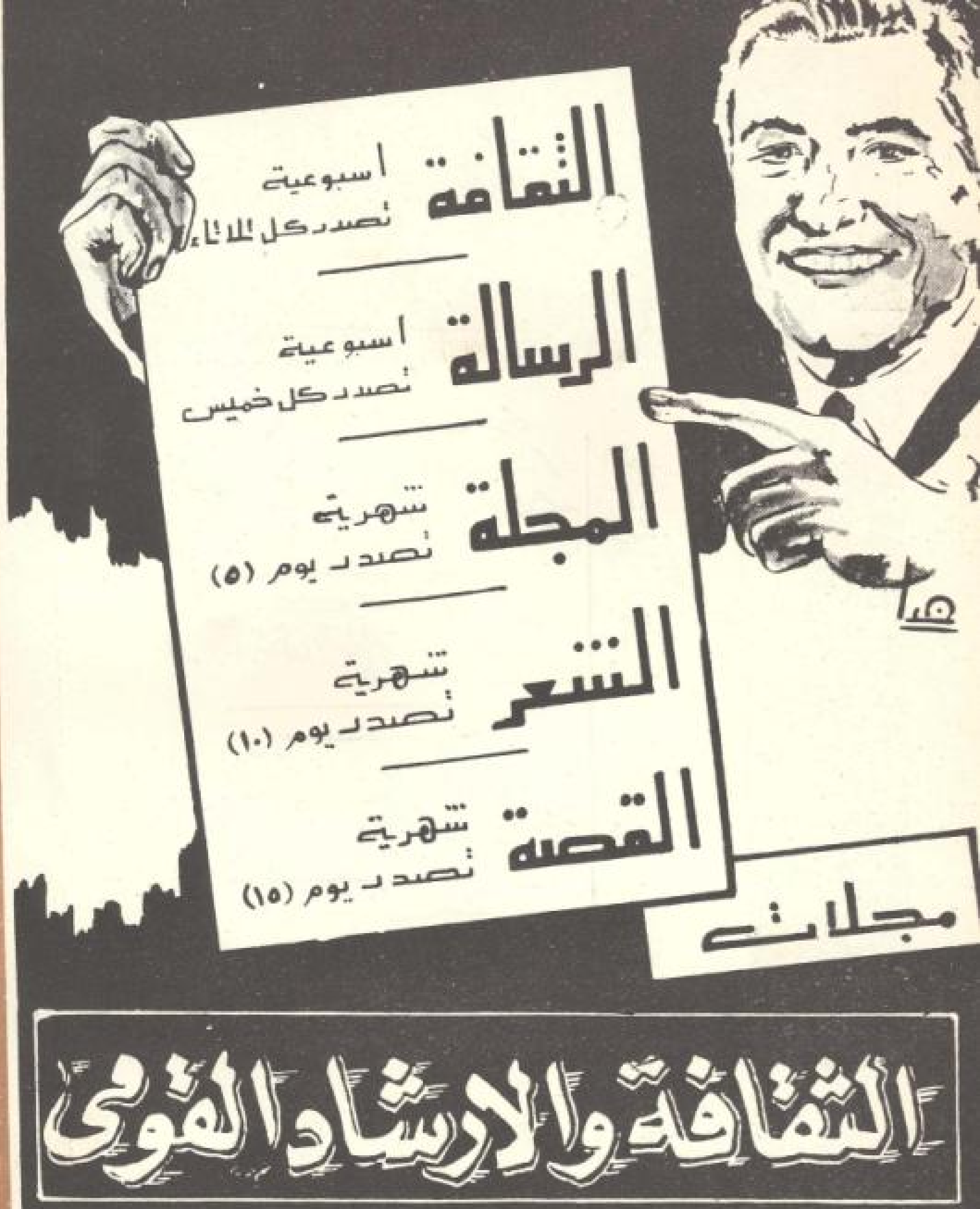
ـ مرت بى ظروف عصيبة انت تعرفينها . ان وفاة اخى جعلتنى لا احس بالدنيا من حولى . لم اكن طوال الشهور الماضية محسوبا فى الاحياء .. وتسللت خارجا من البيت كسير القلب اتصبب عرقا ..

والآن .. ماذا افعل .. ؟ لقد فشلت فى اول خطوة اخطوها .. ان القدر يعاندنى ويقف لى بالمرصاد .. ماذا فعلت يارب حتى تحكم على بكل هذه التعاسة ؛ وكل هذا العذاب .. ؟

لكننى كنت أحس فى قلبى قوة من حديد لا ادرى من اين جاءت .. قوة الايمان بالله وقوة الأمل فيه .. اجل .. رغم هذا الفشل لن استسلم .. لن استسلم لليأس والمرض والهزيمة مرة اخرى .. لقد تزوجت ثريا .. الفتاة التى كان القلب يحلم بها .. تزوجت وانجبت طفلا .. جاءت بطفل جديد الى الحياة التى لاتتوقف ابدا .. انا ايضا .. لن اتوقف .. لقد فقدت ثريا ولكن هناك غيرها .. هناك عشرات الفتيات غيرها ...

لقد انجبت ثريا .. ان الحياة لاتتوقف ابدا .. لا تتوقف .. وانا لن اتوقف .. سابدا من جديد . نعم سابدا من جديد ..

« سعد حامد »



العدد ٦٢

الثمن ٣

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الفهرس

رئيس التحرير

أحمد حسن الزيات

المراسلات جميعها تكون باسم
السيد مدير ادارة المجلات
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد . محمد فريد . القاهرة



تصدرها

الثقافة والارشاد القومى

الاشتراكات ١٥٠ م سنويا
ويضاف أجر البريد
من خارج ج . ع . م

التطوير الجامعي

• للدكتور محمد احمد خلف الله •

– ٢ –

قلنا فى مقالنا السابق ان التطوير الجامعى لن يكون محققا لاهدافه الا اذا تخلى عن الشكليات ، وآمن بمنطق الحياة ، وادرك الدور الذى يجب ان تلعبه الجامعة فى حياتنا التى نرجو لها نموا وازدهارا .

وقلنا أيضا ان الأسس التى يجب ان يقوم عليها التطوير هى .

١ – الأستاذ

٢ – الطالب

٣ – المنهج الذى يربط الحياة فى المجتمع بآخر ما وصل اليه العلم من نظم ، وقوانين ، ونظريات .

واليوم نريد ان نتحدث عن الخطوط الرئيسية التى يمكن ان نتعرف عليها من حياة كل من الاستاذ والطالب والمنهج ، والتى يمكن الاعتماد الكافى عليها فى احداث عملية التطوير .

والاستاذ هو نقطة الارتكاز وحجر الزاوية فى كل تطوير . ان مهمته تفوق مهمة اى انسان آخر يشتغل فى ميادين التربية والتعليم .

ان عليه ان يسمو بالجامعة عن كونها معهدا علميا لتخريج الفنيين والمهنيين الى كونها مؤسسة تربوية قامت بمهام خطيرة خلال تاريخها الطويل – تلك هى مهمة صنع الرجال وتكوين القادة .

والاستاذ ايضا هو العامل البشرى الذى يستطيع ان يبذل من ذات نفسه ما يجعل التعليم الجامعى ناجحا ومحققا لأهدافه .

انه وحده القادر على ان يحيل النظم والمناهج الى مواد حية تمكث فى الأرض وتنفع الناس . انه الذى يؤكد لها من الحياة فى المجتمع حين يثبتها فى اذهان الطلاب ، وحين يربط بينها وبين الحياة اليومية لجميع الناس .

والاستاذ البناء ، الشاعر لمسئولياته ، القادر على القيام بها ، هو وحده الذى يحقق الوحدة القومية . وليس من الحق فى شيء الذهاب الى ان النظم والمناهج والامتحانات حين تتوحد فى الاقطار العربية تقدر على احداث هذه الوحدة القومية .

ان الاستاذ البناء الشاعر بالمسئولية القادر على القيام بها هو وحده القادر على تكوين الوحدة القومية .

وايجاد هذا الاستاذ ليس شاقا ولا عسيرا فحسن الاعداد يحقق لنا كل شيء .. واذا كانت جمهوريتنا العربية قد خططت تخطيطا تاما وكاملا لاعداد هذا الاستاذ عن طريق البعثات الخارجية الى بلدان العالم التى سبقتنا فى مجال التقدم العلمى والحضارى ، واذا كانت جمهوريتنا قد آمنت بان ضمان العيش الكريم للاستاذ الجامعى هو الذى ييسر له تنشئة اجيال من الطلبة على الكرامة واحترام القيم ، فان عليها واجبا آخر اهم فى نظرى من كل ما تقدم هى ان تساعد الاساتذة الجامعيين .

على ان يعيدوا للفظ الاستاذ حرمته وقداسته ، وما ينطوى عليه معنى الاستاذية من بذل وتضحية ، ومن ارشاد ثقافى وخلقى ، ومن رعاية عقلية

وروحية حتى لا تحيل الاســــاتذة المناهج الى مواد ميته قاتلة تنفث السـم فى عقول الطلاب وتحيلهم الى جثث هامدة ليس فيهــا اى شيء يبعث على الهمة والنشاط فضلا عن الخلق والابداع .

٢ ــ ونحن حين ننتقل الى الحديث عن **الطالب** وحين نجعل الحديث عنه تاليا للحديث عن الاستاذ فانما نفعل ذلك ايمانا منــا بان التعليم الجامعى الناجح هو الــذى يقوم على اتصال شــخصية بشخصيه .

اتصال شــخصية فاعلة مكونة هى شــخصية الاستاذ بشـــخصية منفعــلة قابلة للتكوين هى شخصية الطالب .

ومعنى ماتقدم ان التعليم الجامعى الناجح لا يكون ابدا فى اتباع برامج ، ولا يكون ابدا فى حفظ مواد ، ولا يكون ابدا فى اجتياز امتحانات ، ولا يكون ابدا فى هذه الثلاثة معا ، وانمــا يكون بتفاعل يتم بين العنصرين الاساسيين فى التعليم الجامعى وهمــا الاستاذ والطالب .

هذا الذى نقــول ينتقل بنــا الى نقطة جــديرة بالاهتمام وهى ان الكثرة العددية لا تخلــق ابدا تعليما جامعيا ، ولا تمكن ابدا الجامعة من اداء مهمتها الكبرى وهى صنع الرجال ، وتكوين القاده .

ان علينــا ان نعيد النظر فى مســألة القبول بالجامعات والا ظل مستوانا اقل من متطلبات حياتنا ، وظللنا فى التخلف الى ما شاء الله .

يجب ان نختار للجامعة ما نتوسم فيه الصلاحية لأن يصبح رجلا يقود الحياة فى ميدانه .

واختيار هؤلاء الطلبة يتطلب منــا ان نعيد الى الوجود مرة ثانية السنة الاعدادية .

نعيدها لا فى شكل سنة اعدادية لكل كلية ملحقة بها ، وانما على اساس سنة اعدادية منفصلة تحتل مبنى خاصا بها ــ او مبنيين خاصين احدهما للعلوم والآخر للآداب . ويقوم بالتدريس فى هذين الاساتذة الكبار الذين يجيدون التدريس ويجيدون اختبــار الطلاب للجامعات .

والاساسيات فى الدراسات الانسانية والدراسات المادية او العلميــة هى التى تدرس لهؤلاء الطلاب ويقوم الاختبــار او الامتحان على اســاس تفتح العقلية وادراك سنن الحيــاة لا على اساس حفظ المواد .

ان الطلاب الذين يجتازون هذه المرحلة هم الاحق بالقبول فى الجامعــات . اما غيرهم فيوزعون على المعاهد او مراكز التدريب او ما اشبه .

وحتى لا يحدث هذا النــوع من التفرقة الطبقيــة نطالب بأن يكون الراتب لكل من المتخــرجين فى الجامعة او فى المعاهد واحدا . كما نطالب بأن تكون مدة الدراســة فى الجامعات وفى المعاهد واحدة .

كما يجب ان نحدث قيمــا اجتماعية تكاد تكون متساوية لكلا النوعين من التعليم . وهذا يتم حين يشعر كل واحد بانه مطلوب للمشاركة فى عمــلية بناء الوطن ، وان كل انسان ميسر لما خلق له .

***

٣ ــ بقيت كلمة نسوقها عن **المنهج** وهى دعوة الاساتذة الجامعيين الى الحرص على ان تظل المناهج متصلة بالحياة ومنسجمة مع الحاجات الاســاسية التى تتطلبها الحياة .

ان التربية ليست الا الاعداد للحياة .

الاعداد لحياة معينة محدودة الظروف متلائمة مع الحياة الانسانية .

وهذا الاعداد يقتضي عقلية متطورة تسـعى الى سبرغور المجتمع ، وتتبع اتجاهاته .

والاساتذة الجامعيون الشــاعرون بمكانتهم ، والمقدرون لمسئوليتهم ، اولى النــاس باحداث كل ذلك .

انا نريد ان يظل الاستاذ هو المؤثر الاكبر فى حياة الطالب ، وفى الحيــاة الجامعية ، وفى الحيــاة الاجتماعية .

والسلام

دكتور محمد احمد خلف الله

الدعوة الى التجديد الدينى

بقلم محمد محمد المدنى

- ٢ -

من القواعد الشرعية التى استنبطها العلماء من نصوص الشريعة قولهم « **الضرورات تبيح المحظورات**» .

وقد استفيدت هذه القاعدة من ان القرآن الكريم يستثنى حالات الاضطرار من تحريم ماحرم :

فمن ذلك قوله تعالى فى تحريم بعض الطعام :

«انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم» .

« وقد فصل لكم ماحرم عليكم الا ما اضطررتم اليه » .

ومن ذلك قوله تعالى فى تحريم الارتداد الى الكفر بعد الايمان :

« من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ، ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدى القوم الكافرين» .

ومن ذلك قوله تعالى فى تحريم اتخاذ الكافرين اولياء من دون المؤمنين :

« لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء الا ان تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه ، والى الله المصير » .

فلما أباح الله تعالى اكل المحرمات فى حالة الاضطرار ، وسمح بالكفر به — وهو نقيض الاصل الاول فى الشرائع كلها — وأجاز للمؤمنين أن يتولوا الكافرين بقدر مايتقون ضررهم ، ويدرءون عن انفسهم شرهم ، حمل العلماء على هذا الاصل فروع الشريعة كلها ، **فكل محرم يفعله المكلفون عن اضطرار** او اكراه او اتقاء شر وضرر ، فهو من جملة ماتدل عليه هذه الآيات فى المعنى ، وان كان هناك اختلاف فى تطبيق هذه القاعدة من حيث ما يكون به الاضطرار او ما يكون فيه الاكراه ، او ما يتوقى من الضرر والمفسدة .

وقد دلت السنة الصحيحة ايضا على هذه القاعدة بما ورد منها فى الموضوعات التى ذكرت فى هذه الآيات .

ومن ذلك ماذكره اهل التفسير من ان قوله تعالى « الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان » نزلت فى عمار بن ياسر ، لأنه قارب بعض ما طلبوه منه — قال ابن عباس : أخذه المشركون وأخذوا أباه وأمه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما ، فعذبوهم، وربطت سمية بين بعيرين ، ووجىء قبلها بحربة — حتى خرجت الحربة من فمها فقتلت — وكانوا يقولون لها : انك اسلمت من أجل الرجال ، وقتلوا زوجها ياسر ، وهما أول قتيلين فى الاسلام ، وأما عمار فأعطاهم ماارادوا بلسانه مكرها ، فشكا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له «كيف تجد قلبك» قال «مطمئن بالايمان» فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «فان عادوا فعد» .

وفى هذا الخبر موقفان : **أحدهما** موقف العزيمة والتأبى على الكفر الى حد التضحية بالنفس ، وقد وقفه كل من هذين الأبوين الذين كانا أول شهيدين فى الاسلام ، ولا شك أن هذا الموقف افضل ، وانهما به أعظم درجة عند الله ، **والآخر** موقف الابن — وهو عمار — وقد رأى ما رأى من الهول ، وأيقن بمصير كمصير ابيه وأمه ، وادرك بفطرته أن الله يبيح له أن يأخذ بالرخصة فينطق بما أرادوه منه مستمسكا بما فى قلبه من الايمان .

والموازنة بين الموقفين ، واختيار احدهما متروك للمكلفين على حسب هممهم وعزائمهم ، ولكن الشريعة

لا توجب ولا تمنع ، بل تلاحظ الوسطية فترخص لمن شاء ان يأخذ بالرخصه ، وتفسح المجال لمن اراد ان يسلك مسالك الابطال .

وفي الاشاده بموقف البطولة وبيان فضله - وان جازت الرخصـــــه - ما روى عن خباب بن الارت قال :

« شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد برده له في ظل الكعبه فقلت : الا تستنصر لنا ؟ الا تدعـو لنا ؟ فقـال : قد كان من قبلكم يوجد الرجـل فيحفر له في الارض فيجعـل فيها ، فيجاء بالمنشار فيوضع على راسه ، فيجعـل نصفين ويمشط بامشاط الحـديد مادون لحمـه وعظمه ، فما يصـــــده ذلك عن دينه ، والله ليتمن هذا الامر - يريد الاسـلام - حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضر موت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون ! » .

وفي الموقف الاخر ، موقف الاخذ بالرخصـــــة حتى الى جانب من اخذ بالعزيمه - مـا روى من ان عيونا لمسيلمه الكذاب أخذوا رجلين من اصـحاب النبي صلى الله عليه وسلم فذهبوا بهما الى مسيلمة فقال لأحدهما : اتشهد أن محمدا رسـول الله ؟ قال : نعم ، قال : اتشهد أني رســول الله ؟ قال نعم ، فعفا عنه واطلقه ، وقال للاخر : أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ قال : نعم ، قال : وتشــهد اني رسول الله ؟ قال : أنا أصم لا أسـمع ، فقدمه وضرب عنقه ، فجاء الذى نجا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هلكت ! قال : وما أهلكك ؟ فذكر الحديث ، قال « أما صاحبك فأخذ بالثقة » وفي روايه : أما صاحبك فمضى على ايمانه - وأما أنت فاخذت بالرخصة على ما انت عليه الساعة » قال : أشهد انك لرسـول الله ، قال : « أنت على ما أنت عليه » .

وكما استنبط العلماء من نصوص الكتاب والسنة قاعدة « الضرورات تبيح المحظورات » ؛ استنبطوا منهما أيضا قاعـدة أخرى هي قولهم « الضرورات تقدر بقدرها » .

وقد استنبطوا ذلك من قوله تعالى :

« فمن اضطر غير باغ ولا عاد » ، و « فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم » و « ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عــذاب عظيم ، ذلك بأنهم اســـتحبوا الحياة الدنيا على الآخرة » « ويحذركم الله نفسه » .

قالوا : ذكـر الله المضـــطر فيجب أن تتحقق الاضطرار لأنه حالة تعلقت بها الاباحه على خلاف حكم الاصل وهو التحريم ، فالتحريم الاصلي في الاحوال العاديه قائم بيقين ، فلا يجوز الخروج عنه الى الحل الا اذا تبينت حالة الحل بيقين .

وقالوا : بين الله أن المضطر الذى يباح له ما حرم هو غير الباغى وغير العـــادى . فمن بغى اى طلب واشتهى المحرم ، متبعا هواه ، متسترا وراء ظاهر الضرورة ، اي عدا أي تجــاوز قدر الضرورة ، وتوسع فيها بدون مقتض ، فانه يكون متجـاوزا حده ، متلاعبا بايات الله .

ويمكن ان يمثل لذلك بامثلة من واقع حياتنا ، منها :

١ - ان الشارع حـرم الخمر ، ولعن شاربها ، وعاصرها ، وبائعها ، ومشتريها .. الخ .

وقد أبيح شربها عند الضرورة كازاله الغصة .

وقال القرطبي : « فان غص بلقمة فهل يسيغها بخمر أولا ؟ فقيل : لا ، مخـــافة أن يدعى ذلك ، وأجاز ذلك ابن حبيب ، لأنها حالة ضرورة ، قال ابن العربي : اما الغاص بلقمة فانه يجوز له فيما بينه وبين الله تعالى ، وأما فيما بيننا فان شاهدناه فلا تخفى علينا بقرائن الحال صورة الغصة من غيرها ، فيصدق اذا ظهر ذلك ، وان لم يظهر حددناه ظاهرا وسلم من العقوبة عند الله تعالى باطنا » - (١ هـ - أنظر ص ٢٢٨ ج ٢ من تفسير القرطبي) .

واقول : ان مبدأ اباحة الخمر لازالة الغصـــــة مسلم في ذاته لمكان الضرورة ، ولكن الاختلاف انما هو من جهة تحقق الضرورة أو عدم تحققها ، فمن رأى أن اهل العبث ربما استغلوا هــذه الاباحة فيدعى أحدهم أنه انما شرب لأنه غص بلقمة فكان لابد له من اساغتها ، قال : لايجوز ، لأن الأمر مظنة كذب وادعاء ، ولأن في تكذيبه ســد ذريعـة من ذرائع الفساد ، ومن رأى حمل حال المؤمن على الصــلاح والتحرز قال بالجواز ، وأما ابن العربي فجعل الأمر الى القرائن الدالة على صدق الدعوى أو كذبها ، وفرق بين حكم هذا الشارب في الظاهر والباطن اذا حددناه حد الشرب .

ولو فطن ابن العربي الى قاعدة (درء الحـدود بالشبهات) لما كلف نفسه كل ذلك ، فان المشرع ليس من روحه وما ألف منه ، تشجيع الاسراع في تنفيذ الحدود ، ولذلك يشترط في ثبوت الزنا - مثلا - شروطا لا تكاد تتحقق ، حتى لا يأثر المحدودون

بالزنا ، وكأنه يكل أمر العقوبة في أكثر فعلات هذه الجريمة الى الجزاء الالهى ، لا الى الحد البدني ، وقد قرر الحنفية ان من أدعى ملكية المال الذى سرقه أو ان له حقا فيه ، فان ذلك يدرأ عنه الحد ولو كانت دعواه على خلاف الظاهر — ولا بينة لهـا ، درءا للحدود بالشبهات .

وينبغي ان يعلم هنا ان درء الحد بالشبهة لايعفي من عقوبة التعزير ، التي هي عقوبة تقديرية مفوضة الى ولى الأمر ، اذا ثبت أن في الأمر ما يستحق عقوبة أدنى من الحد .

هذا كله فيمـا يتعلق بثبـوت حالة الضرورة وتحققها أو عدم تحققها ، وما يترتب على ذلك من إباحة ، أو حد ، او عقوبة أدنى من الحد .

٢ — وقد سمعت انه أثير في بعض الاندية — وهو بالتحديد : نادى نقابة المهن التعليمية بالجزيرة — سؤال أو موضوع خلاصته : أن الجمهورية الجزائرية الحاضرة امامها مشكلة تتصل بمحصولها الاساسى من زراعة العنب ، وان اقتصادها القومى يعتمد على هذا المحصول الرئيسى اعتمادا كبيرا ، وانهم مضطرون الى صناعة الخمر وبيعها لغير المسلمين ممن يستبيحون شربها ، فهل يجوز ذلك لأهل الجزائر على اعتبار ان هذه التجارة المحرمة تقضى بهـا ضرورة الاقتصاد الوطنى العـام ؟ أو يجب عليهم اهدار هذه الاموال وعدم الاعتداد بمثل هذه الضرورة ؟

سمعت أن هذا الموضوع أثير هناك ، وان اثارته هنـا كانت ترديدا لذلك ، وان المتحدثين في هذا الموضـوع قد اختلفوا فمنهم من مال الى الاباحة ، ومنهم من جزم بالمنع .

فاى الفريقين هو المصيب ؟

ورأيى أن مثل هذا الامر لا يقضى فيه باجتهـاد فردى ، ولـكن يجب أن يعرض على مثـل « مجمع البحوث الاسلامى » لينظر في حالة الجزائر ، وهل هي حقا في موقف اضطرار لا سبيل لها الى التخلص منه الا بذلك ، وما هى محصولاتهـا الرئيسية وغير الرئيسية ، وهل يمكنها التحول الى انتاج محصولات مباحة يعتمد عليها اقتصـادها ، وفي مدى كم من الأعوام يمكنها ذلك ، وهل يمكنها الاتجار في العنب بغير صناعته خمرا ولو ببعض التضحية المادية مراعاة لانها دولة اسلامية من أهم الشعائر فيها تحريم الخمر شربا وصناعة وتجارة .

أعتقد أن الأمر لو درس على هذه الاسس لاتضح أنه لا مشكلة ولا ضرورة .

أما أن نفرض الامر فرضا ، ونضخم الاشكال فيه تضخيما ، ونخرجه مخرج الضرورة قبل أن نتيقن هـذه الضرورة ، ونعجز عن الخروج منها ، فذلك تهاون بأحكام الله ، ومن شأنه أن يشجع على ارتكاب امثاله باسم الضرورات ، فنجد فيما بعد من يربى الخنازير لتصدير لحومها وشحومها ، وقد يكثر ذلك في محيط شـعب اسلامى حتى يصبح ثروة وطنية يهتز اقتصادها اذا لم نبحه ، ونترخص فيه !

ومع ذلك اذا ظهر للمجمع ظهـورا بينا ان حالة الجزائر الآن ، تتحقق فيها هذه الضرورة ولا سبيل الى دفعها الا بهذا الاسلوب ، فقد يرى أن يقرر اباحة ذلك اباحة موقوتة بزمن معين تعمل فيـه الدولة الجزائرية على تحويل انتاجهـا أو التصرف فيه على وجه تبيحه الشريعة .

٣ — **ومما تقدر فيه الضرورة بقدرها** ما أباحـه الشارع من كشف الطبيب على عورة المريض لمداواته، فاذا وجدت طبيبة امرأة لهـا حذق الطبيب الرجل واختصاصه ، فانها أولى بالكشف على المرأة المريضة ، فالنظر الى العورات محرم على الرجال والنساء جميعا، ولكن يباح للضرورة ، ثم تقدر الضرورة بقدرها ، فكما لا يباح ان تكشف طبيبة في ذلك على مريض مع وجود طبيب مثلها في صناعتها ، لا يجوز أن يكشف طبيب على مريضة مع امكان أن تقوم بذلك طبيبة .

٤ — **ومن فروع هذه القاعدة** — اى قاعدة استباحة المحرم عند تحقق الضرورة ، لا بمجرد توهمها — اننا لا نستطيع أن نقول : ان هناك ضرورة هي التصييف والعيش على شواطىء البحار و « البلاجات » تبيح للرجال أو للنساء الظهور بملابس البحر التى تظهر ما حرم الله أن يظهر من الاجسام ، وقد جادلنى بعض الناس ذات يوم فقال لى : ان الاجسام بحـاجة الى التعرض للهواء وللشمس وللبرود في البحر ، كأنه لا سبيل الى ذلك الا بارتكاب هذا اللون من العرى والتهتك ، وكأن سلفنا وأجدادنا من قبلنـا عاشوا عيشا ناقصا حين فاتهم ذلك .

انني أضع هذا كله أمام السادة القراء ، كما وضع السيد الدكتور خلف الله أمامهم قاعدة « **الضرورات تبيح المحظورات** » لكي تكون حلا من الحـلول التى يعرضها حين تكون « آيات الاحـكام والتكاليف — كما قرر سيادته — قد تأثرت فعلا بفعل الزمن »

والبحث موصول ان شاء الله تعالى .

محمد محمد المدني

أدب الملحمة والملحمة العربية

• للدكتور زكي المحاسني •

من موضوعات الادب الحـــديث في هذا العصر العشرين ، أدب الملحمة ، واني وان كنت قد اتجهت الى هذا الادب في التاليف والمحاضرة والبحث ، فذلك لاني احببت ان ادخل زاوية جديدة من زوايا الادب المعاصر التي لم يكن أدبنا القديم حفيا بهـــا ، اما سبب انصراف أدبنا القديم عنها فذلك لان الملاحم كانت في الادب الاغريقي والروماني والهندي قبلهما، قصائد طوالا قد تجيء في نحو خمسين الف بيت من الشـــعر ، وقد تزيد على ذلك ، وان الشـــاهنامه للفردوسي من هذا القبيل ، وقصـــائد الملحمة تضم التراث التاريخي في الحرب والسلم لامة من الامم ، وتسجل ما كان ينشب من الخلاف والعراك بينهـا وبين الامم المجاورة او البعيدة، وفيها يتفنن شعراؤها في وصف الابطال وتصوير المعارك على وجه مفصل مشخص كمـــا صنع الشـــاعر الاغريقي الاعظـم « هوميروس » الذي سبق عهد الميلاد ، فنسبت اليه قصيدة الاليــــاذة ، التي جاءت في أربعة وعشرين نشيدا ، وقفها على وصف حصـــار اليونان لمدينة طرواده على الحـــوض المتوسط في شـــبه جزيرة الاناضول التي كانت تسمى « آنطوليك » ، وهذه القصيدة العجيبة يعدها مؤرخو الادب الملحمي المثال الاكمل لشعر الملحمة الانسانية التي كانت ، عنوان فخر الامم في منتوجها الفكري في الشعر والادب . ومن أمثال الملاحم القديمة ملحمة « الاوديسه » وهي في نحو الالياذة لكن موضوعها يختلف عن تلك ، فان موضوع الالياذة هو الحرب وحصـــار مدينة طرواده ، ثم فتحها بالحيلة واحراقها ورجعة الفاتحين منها الى بلادهم ، وكان على راسهم البطل المحتـال « عوليس » زوج «بينيلوب» وأبو تيليماك . وتدور حوادث الاوديسه في مغامرات عوليس حكيم الحرب الطروادية ومخترع الحصان الاعظم ، الذي دخل في جوفه الابطال وافتتحوا حصن طرواده . وحوادث مغامراته جرت في البحر والجزائر الشريدة مع الجن والاغوال . فمن هذه الحوادث في أدب المغـــامرات اجتذاب مركب عوليس بسحر الغناء العبقري، الذي كان يصعد من أفواه عرائس البحر التي وصفتهن الاساطير بانهن كن «مسدلات الشعر ، باهرات الجمال، انصافهن العليـــا حوائية والسفلى سمكات صدفيات ضاربات بأذيالهن الامواج ، وقد راحت هذه العرائس المسماة « سيرين » تغني أغانيها الداعية ، فانقـاد اليهـــا عوليس وأمر ربابنة مركبه ونوتيته الذين اثقلتهم حرب طرواده ، أن يتبعوا هذه العرائس ، تشاقهم الحنين الى النســـاء ، واندفعوا بالمجاذيف المجنـــونة ، وقد طالت لحاهم ، فلعب في افكارهم وآذانهم ذلك الغناء الساحر الخلاب ، فائتمروا بامر سيدهم عوليس ، ومضوا في البـحار الفوارة وراء السيرين وضلوا السبيل ، حتى وقعوا على جزيرة الوحش الاكبر « البوليفيم » . وها هنـــا ابين في أدب الملحمة دور الاساطير والمغـــامرات ، والملحمة وما يشترط في فنهـــا ، وذكر الخوارق في شعر الملحمـــة ... فيكمن لعوليس وصحبه على ضفة الجزيرة المســحورة ، ذلـك الوحش . يده كجزع شجرة ، وقدمه في ضخامة كف المجداف الكبير . وله في جبهته عين واحدة بحجم قصعة الطعـــام . فامسك بعوليس بكفه ، واراد أن يعتصره ، لـكنه خاف أن يفر واصحابه بالمركب ، فتحبب اليهم خدعة وساقهم الى كهفه الكبـير ، وليس له الا باب بحجم جسمه ، فسده به ، والقـــاهم في جوفه ، وجعل

يأكل كل يوم واحدا منهم ، بأن يقذف به عاليا ، نحو سقف الكهف ، ثم يفغر فاه ويلتقمه في فمه ، والخارقة التي ابتكرها ذهن هوميروس هي في دهاء عوليس الذي تاهت الاساطير بمساربه ومخارجه من المآزق والاهوال ، فتقدم الى الوحش الجبار فرحا يرقص وقال له :

ـ أيها المليك ، ان معنا من خمور اسبارطة دنانا، لو ذقتها لنسيت كل شراب عرفته في عمرك !...

فقال الوحش : هاتوا ما معكم قبل أن آتي عليكم، وكرع في قصعة كبيرة ، وبحسوة واحدة خمورهم جميعا ، فلم يلبث أن دار رأسه ، ونام نوما عميقا .

فأسرع عوليس الى نار أوقدها ، ووضع عليها رأس عمود من حديد ، ولما توهج بالنار ، فقأ به عين الجبار وخلص من هذا الاسر هو وصحبه ، وألقوا بأنفسهم في اليم فائزين . ذلك مثال مختصر من أمثلة الاهوال والاغوال في أدب الملحمة .

وقد اتفق رواة فنها على أن من اللازم فيها ، وجود الخوارق والدواهش . ولعل هذا الشرط هو الذي حفظ تراثها ، لان الانسان كبيرا كان أو صغيرا ، طفلا كان أو شيخا ، مفطور على سماع القصة ، وحب الخوارق ، وسيرة الاهوال ، ينجذب اليها بكل جارحة فيه ، حتى كأن في كل جسمه آذانا واعية . لكن الملاحم في أدبها العريق ، وان جملت أنفسها بالاهوال والاساطير والخرافات لكنها قصدت الى الجد في موضوعها ، لان موضوعها هو الحصن الحصين لمجد أمتها في البطولة والفروسية وفي الكرم والندى، فما شيء تفتخر به الامم في قديمها وحديثها ، كان أغلى عندها من الشجاعة والقوة والبأس ، وبهذه المزايا الهركولية ، وأقصد بهذا التعبير البطولية ، اكتسبت الامم منازلها ، بعضها في بعض ، وحفظت ذمارها وأعلت شأنها ، وبنت ديارها ، وأعطت مواطنيها وأنسالها نعمة الحياة الآمنة الرغيدة بعد الحروب والجلاد ، فلزم ذلك في أدب الملحمة أن يقول شعراؤها في أناشيدها مزاياها التي تفاخر بها سجيس الليالي من الاوصاف الراسخة في مكارمها وفضلها وفضائلها التي لا تجارى ، حتى غدت الملاحم شعرا يترنم به كل فرد من الامة الراقية وحتى غدت أناشيدها أهازيج للامهات يغنينها لاطفالهن وهم يدخلون في النوم لترقد عيونهم وأسماعهم عليها ، حتى اذا شبوا ، وجدوا مع أسباب دمائهم هذه المعاني في عروقهم ينبض بها كل قلب ، ويدور في معانيها كل فكر ، وينشحذ بحماستها كل شعور .

قلت هذا وأنا أطارح نفسي هذا السؤال : أين ملحمتنا العربية ؟ .

ـ انها ما تزال في ضمير الزمان ، وفي ما يتراءى من أدبنا تواقا عليها ، مشتاقا الى يوم حدوثها . فأين شاعرها الذي سيعطي أمتنا العربية ملحمتها الكبرى ، في خمسين ألف بيت لتسد هذه الزاوية الفارغة في أدبنا القديم والحديث .

ان محاولات قد حدثت في نظم الملحمة ودراسة أدبها ، كان لي الشرف في صنعها وخوض غمارها ، وقد كان مما وقفت عليه آخر الامر ومنذ شهرين نهاية المقالات المتتابعة في مجلة الازهر الشريف ، كتبها أحد أساتذة الادب العربي من الجيل الصاعد وهو الدكتور سعد الدين الجيزاوي ذكر أعمالي في هذا السبيل ، وقارنها بأعمال الآخرين والمتقدمين ، وخاض جدلا ملحميا مع أستاذ الدراسات الجامعية الدكتور شوقي ضيف فيما صنع فقيد الشعر الاستاذ أحمد محرم في نظمه سيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم . ذلك ما عن على الخاطر من أدب الملحمة .

الدكتور زكي المحاسني

الحركة الأدبية في شمال افريقيا

أثر توفيق الحكيم في التمثيلية التونسية

بقلم فوزي عبد القادر الميلادي

في شمال افريقيا نهضة أدبية وليدة في مجالات القصة والتمثيلية والمسرحية وقد ظفرت المكتبة العربية في السنوات الثلاث الاخيرة بعدد وفير من المؤلفات الادبية في شتى الفروع لأدباء من تونس والجزائر والمغرب ومن خلال بحثي عن سمات ومميزات أدب الشمال الافريقي كان لابد أن أبحث عن المنابع التي استقى منها كتاب هذه المنطقة والأدباء الكبار الذين تأثروا بهم ، وهذا أمر طبيعي في بداية كل نهضة أدبية في المرحلة التي تسبق تكوين الشخصية الادبية المستقلة .

ولم يكن عجبا ان الحظ وانا أدرس الأدب التونسي المعاصر ان كتاب الحوار قد تأثروا الى حد كبير بأحد الرواد الكبار في المشرق العربي الاستاذ «توفيق الحكيم» ، وذلك يبدو واضحا في تمثيلية « الابن » التي نشرها مؤلفها الاستاذ مصطفى الفارس مؤخرا في تونس ضمن مجموعه تمثيليات أخرى .

تمثيلية الابن تحكي قصة صديقين محمود وابراهيم اعتزما توثيق أواصر الصداقة بينهما بالمصاهرة فتمت خطبة حورية بنت محمود الى عادل ابن ابراهيم ويبين من حديث الرجلين أن عادل هذا طبيب عيون حديث التخرج وأن زميله مصطفى طبيب أمراض القلب وهو الذي يشرف على علاج والده (محمود) ويتمنى الاب لو كان ابنه عادل هو طبيب القلب .. ويعود عادل الى المنزل فيخبره والد خطيبته قبل انصرافه بأنه قد باع جانبا من أملاكه (مائتي زيتونة ومنزلا صغيرا) بمناسبة زواج ابنته ويقول لعادل مازحا (المال في صندوق حصين واظنك ستجد نصيبا منه في صندوق العروس)

ويضحك الاثنان ويغادر ابراهيم المنزل تاركا عادل مع والده .

ويبعث عادل في طلب زميله مصطفى فيأتيه في منزله على عجل ويفشي له عادل أسرار حياته وتتساقط الاقنعة التي كانت تحجب شخصيته الحقيقية فهذا الطبيب الشاب الذي كان يظنه والده مثال الاستقامة والكفاءة والنجاح قد انحدر الى مهاوي الرذيلة .. فأضاع كل ما يملك على القمار والنساء واستدان أكثر من مرة وهجر عيادته واصبح لا يذهب اليها الا كلما احتاج لبيع قطعة من الاثاث أو الادوات الطبية حتى اصبحت العيادة خاوية على عروشها وقد خسر بالامس فقط تسعمائة الف فرنك لم يسددها للآن .. وهو لا يستطيع أن ينبيء والده بحقيقة الامر خشية أن تصيبه صدمة قاضية وهو لا يتصور أن يصارح والد خطيبته أو خطيبته بالموقف فذلك لن يساعد على اتمام الزواج بل قد يقف عقبة في سبيل ذلك .. ويتشاور الصديقان فلا يهتديان لشعاع الأمل وما يلبث عادل أن يتجه بتفكيره نحوالجريمة . ماذا عليه لو استولى على مال صهره في غفلة من أعين الرقباء على أن يعيده اليه بعد حين عندما تتحسن أحواله المادية .. انه يستطيع دخول المنزل في اي وقت دون اثارة الريب او الشكوك .. ويستطيع فتح الصندوق في سهولة ويسر ويحصل بذلك على المال الذي ينقذه من الدمار .. ويشفق مصطفى من هذه الافكار الجريئة. ولا يساير زميله في حماسة لهذا المسلك الوعر .. بل يحاول اثناءه عن عزمه . ولكن الآخر يصم أذنيه عن النصيحة وقد سيطرت فكرة السرقة على تفكيره وملكت عليه مشاعره .. ويترك مصطفى صديقه

وهو آسف حزين لهذه الهاوية التي يوشك أن يتردى فيها ٠٠

ويعود مصطفى لزيارة صديقه في ليلة تالية بعد منتصف الليل فلا يجده، فيجلس في انتظاره حتى يعود اليه بعد قليل والدم ينزف منه نتيجة اطلاق الرصاص عليه ٠٠ وفي اعياء بالغ يشرح عادل الموقف ٠٠ لقد تسلل الى منزل صهره تحت جنح الظلام وتلمس طريقه الى الصندوق يعاونه مساعد له وفطن لهما صاحب المنزل فاخذا في الهرب من النافذة ولكنه اطلق عليهما الرصاص من الخلف فاصاب عادل ويبدو انه لم يتبين شخصيته الا بعد أن اصيب فعلا فتمتم (سامحك الله وسامحني على ما فعلت) ويحاول مصطفى اسعاف زميله ولكنه يأبى عليه ذلك افهمه انه ميت لا محالة بعد أن نزف قدرا كبيرا من دمه كما أن موته سيحل كل المشاكل ويطلب منه أن يدعه يموت في هدوء على شريطة الا يخبر والده بشيء من حقيقة الأمر ٠٠ وينتقل عادل الى حجرته بمعاونة مصطفى وهناك يلفظ آخر انفاسه ٠٠

ويصحو ابراهيم والد عادل من نومه على صوت المناقشة التي دارت بين الزميلين ويتوجه الى حيث يجلس مصطفى فيجده وحيدا ٠٠ ويسأل عن عادل فيخبره أنه مريض وقد أصيب بصدمة قلبية ويعجب الوالد لهذه الاخبار المفاجئة فيطلب منه مصطفى مزيدا من الصبر والشجاعة والتجلد ٠٠ ويتساءل هل مات الابن فيجيبه أن نعم ٠٠ ويحاول الدخول اليه في حجرته ليلقى عليه النظرة الاخيرة فيصده مصطفى عن ذلك في رفق لكن في اصرار ويستدعى الوالد الحزين تليفونيا طبيبا كبيرا اسمه الدكتور منظور يعمل مديرا لاحدى المستشفيات ليوقع الكشف الطبى على ابنه وقد أحاطت به الهواجس والشكوك ٠٠

ويستدعى مصطفى بدوره محمودا صهر زميله الراحل في الوقت الذي تدق فيه الساعة الثالثة بعد منتصف الليل ويطمئن مصطفى محدثه بأنه ليس هناك من يعرف السر غيرهما ٠

وفي هذه اللحظة يدخل الدكتور منظور فيسأل عن صاحب المنزل الذى استدعاه لتوقيع الكشف الطبى ٠٠ وشيئا فشيئا يشرح له مصطفى اسرار الموقف فيعجب ثم يغضب ويرغى ويزبد ٠٠ مؤكدا انه لا يمكن أن يتستر على جريمة فيذكره مصطفى بما سيصيب الوالد من صدمة من هول الفضيحة اذا عرف حقيقة الامر وأن السبيل الوحيد للتخفيف من احزانه هو تركه يعتقد أن وحيده قد مات من صدمة قلبية مفاجئة ٠٠ ويتردد الطبيب العجوز ثم يسلم قياده الى الطبيب الشاب وفي حضور محمود والد حورية يعلن الدكتور منظور أن عادل قد مات نتيجة صدمة قلبية ويحرر شهادة رسمية بذلك ويقول منظور لابراهيم (لا تعبث بقلبك ياسيدى ان كنت تريد الحياة ردحا من الزمن ٠٠ خير لك أن تحرص على سلامتك وتسهر على راحتك ولا تشغل نفسك أكثر مما فعلت) ثم يختم كلامه ٠ والتمثيلية كلها بهذه العبارة (الصبر يا سيدى ٠٠ يجب أن تصبر والا تضن على الأموات براحة الضمير (همسا) اما نحن يادكتور مصطفى فقد تصدقنا عليه بالصمت والكتمان ٠٠ مساء الخير)

هذه التمثيلية يبدو فيها أثر توفيق الحكيم واضحا في موقفين :

الموقف الاول : الأب الذى يرقد على فراش المرض يعانى من مرض القلب يتوقع لنفسه الموت بين لحظة وأخرى وله ابن صحيح معافى لايعرف المرض سبيلا الى جسمه ٠٠ وتكون المفاجأة أن يموت الشاب القوى المتفتح للحياة ٠٠ ويعيش الاب من بعده حزينا مكلوما ٠٠

هذا هو ذات الموقف الذى اتخذه توفيق الحكيم محورا لمسرحيته (دقت الساعة)

والموقف الثاني هو اطلاق صاحب المنزل النار على

شخص يهرب من النـافذة يتسلل من منزله تحت جنح الظلام وهو يظنه لصا حقيقيا ·

وهـذا هو أيضا ذات الموقف الذي جعله الحكيم دعامة مسرحيته (اللص) التى أعيد تقديمها على مسارح القاهرة بعنوان « **المجرم المحترم** » ·

واعود الى التمثيلية فأقول انهـا تفيض بالحركة والحيـاة وقد تضمنت صراعا حادا عنيفا ليس بين شخص وآخر وانما بين نوازع النفس البشرية التى كانت تتـلاطم فى اعـاق عادل وصديقه مصطفى والطبيب العجوز وقد استطاع المؤلف أن يغوص الى اعـاق هذه النفوس جميعها واسـتطاع ان يحرك شخصياته فى مواطن الازمات وأن يطورها تطويرا منطقيـا حتى يبلغ التـأزم ذروته بحضور الطبيب العجوز ثم يأخذ فى الانفراج نسبيا باستسلام منظور لنطق مصطفى اشفاقا على حياة الوالد المريض وعلى سمعة الاسرة أبد الدهر ··

والتمثيلية بعـد ذلك تعـالج مشكلة اجتماعية معروفة·· الشاب الذى ينزلق الى مواطن الشهوات فيبيع كل ما يملك ويستدين حتى يضطر الى سلوك سبيل الجريمة للحصول على بغيته ثم يلقى جزاءه ·

والجديد فى هذه التمثيلية هو التجـاء الشاب للسرقة من منزل خطيبته ووفاته بطلقة نارية يطلقها والدها وهو يظن نفسه يطـارد لصا وليس أقرب الناس اليه بعد ابنته ·· ولعـل هذا الجديد قد اوحت به الى المؤلف مسرحية اللص التى سـبقت الاشارة اليها · ولايفوتنى أن أشير الى أن توفيق الحكيم عندما نشر مسرحية اللص لأول مرة نشرها فى احدى الصحف الاسبوعية كمسرحية من فصل واحد يموت البطل فى نهايتها بالطلقة التى اصابته وهو يتسلل من المنزل··وعندما استجاب لرغبة الكثيرين فى تطويرها الى مسرحية متعددة الفصول اضطر للابقاء على حيـاة البطل بأن جعل اصـابته سطحية وغير قاتلة ·

واذا ما نظرنا بعد ذلك الى الجانب الاذاعى من التمثيلية وهو جانب هام من جوانب بنائها لانهـا كتبت أصلا لتذاع قبل أن تتاح لها فرصة النشر ·· نجد المؤلف قد كفل لتمثيليته عناصر النجاح الاذاعى من تشويق وتعدد مسامع ·· فمنذ الدقائق الاولى التى يأخذ فيهـا عادل فى مصارحة زميله مصطفى بحقيقة المأساة التى يعيشها يجـد المستمع نفسه مشدودا الى أحداثها المتتابعة لا يستطيع منها فكاكا وينتقـل المستمع مع المؤلف من مسمع الى مسمع لاهث الانفاس تجيش بصدره عواطف وانفعـالات شتى فهو يتألم لمأساة الطبيب الشاب الذى يوشك أن يتردى فى الهاوية ويشفق عليه من عاقبة فعلته وهو يحزن لوفاته فى ربيع العمر ولكن أهم من ذلك انه يتابع فى لهفة موقف الأب الحزين··هل سيعرف حقيقة مصير ابنـه المؤلم ·· أم سيفلح مصطفى فى حجب الحقيقة عن عينيه ·· ويظل كذلك يعـايش شخصيات التمثيلية ويتـابع تصرفاتها وحركاتها خطوة خطوة حتى يصل الى نهـاية التمثيلية وهو مأخوذ اللب مبهور الأنفاس·· وهذه هى آية النجاح فى كل عمل اذاعى ··

موقف واحد بدا فى التمثيلية غـير منطقى وغير متمش مع طبيعة الاحداث وطبيعـة النفس البشرية وكان من الممكن تداركه واصلاحه بسهولة ·· ذلك هو موقف مصطفى عند دخول عادل عليه وهو ينزف دمه ·· كان الواجب أن يبـادر الى اسعـافه رغم معارضته ورغم ما قد يبـدو من فقـدان الامل فى انقاذه ·· تقاليد المهنة ومقتضيات الزمالة والصداقة كانت جميعهـا تملى عليه أن يبذل كل جهد لانقاذ حيـاته وهو لو فعل لأبرأ ذمته ازاء ضميره وازاء القسم الذى أداه يوم اشتغاله بمهنته ولأبرأ المؤلف أيضا ذمته أمام القراء والسامعين على السواء ··

ومثل هذا التدخل لانقـاذ حياة البطل لم يكن ليخل بسير أحداث التمثيلية كما أرادها المؤلف ·· فمن الممكن أن يبذل مصطفى قصـارى جهده لانقاذ زميله ومع ذلك تفشل جهوده أدراج الرياح وتسير التمثيلية فى طريقها المرسوم ··

فوزى عبد القادر الميلادى

الفن والصدق التاريخى

بقلم محمود الشرقاوى

مناقشة وخبر قرأناهما فى الفترة الأخيرة يثيران قضية هامة من قضايا الادب والفكر : قضية الصدق التاريخى فى معالجة الفن ، قضية تتلخص فى الجواب عن هذا السؤال: هل يجب على كاتب القصة التاريخية والتمثيلية المسرحية أو الاذاعيـــة أو التلفزيونية أن يلتزم فى عمله الفنى هذا وقائع التاريخ كما سجلها المؤرخون ؟ هل يجب عليه اذا تناول فى قصته حياة رجل ـ أو امرأة ـ من رجال التاريخ الا يخرج عن وقائع حياته وترجمته وسيرته كما رواها مؤرخوه ؟

نذكر المناقشة والخبر أولا ثم نسير الى ما نريد :

المناقشة كانت عن **أدهم الشرقاوى** ، الطرف الاول من أطراف المناقشة يمثل أدهم فى صورة بطل مكافح شهيد ، حارب الاقطاع وتحداه ووقف فى وجـــه طغاته فى عناد واصرار حتى لم يجد طغاة الاقطاع بدا من التخلص منه ، فحرضوا عليه واستأجروا من قتله ، ويمثل هذا الطرف الاستاذ **زكريا الحجاوى** .

والطرف الثانى من المنـــاقشة يقول ويؤكد انه يعرف أدهم الشرقاوى واسرته وبلده وقصة حيـــاته ويؤكد ـ بناء عن هذه المعرفة الوثيقة ـ ان أدهم كان مجرما عاديا ليس فى ضميره ولافى عاطفته أدنى شعور بالظلم الاجتماعى ولا أقل رغبة فى محاربة الاقطـــاع أو الوقوف فى وجهه ، مجرد مجرم عادى مثل كثيرين ممن تمتلىء بهم السجون ، وان الصحف عندمانشرت خبر اعدامه وصفته بالسفاح ، ويمثل هذا الطرف من المناقشة الاستاذ **محمد فهمى عبد اللطيف** .

ولاأريد أن أستطرد الى تفريعات المناقشة والردود التى تبودلت بين الفريقين ، فهذا التلخيص للقضية يكفى لما نريد أن نقوله ، غير انى أرى فى الحديث عن الصحف ووصفها أدهما بانه سـفاح ، انه من الجائز والممكن جدا أن تصف الصحف يوم ذاك بطلا شهيدا بأنه سفاح نفاقا منها وملقا للقصر او غيره ويمكن للحكومة تلفيق تهمة لبطل شـــهيد والحكام التلفيق حتى يصدر عليه حكم قضائى يدينه ، هذه ملاحظة أذكرها مما عرضةوشهدته عندما كنت أعمل فى الصحافة لذلك العهد واعتقد ان الصديق الاستاذ فهمى عبد اللطيف يعرف بخبرته الصحفية وتجاربه امكان ذلك ، ولكنى لاأريد بهذه الملاحظة الدفاع عن أدهم الشرقاوى ولا الانحياز لأحد طرفى المناقشة .

أما الخبر فقـــد نشرته (الاهرام) وهو يقول ان الهيئات المسئولة تفكر فى اخراج فيلم تاريخى كبير عن الازهر فى ألف عام يتناول قصة الازهر منـــذ انشائه حتى اليوم ورسالته العلمية والوطنية .. وشخصيات ابطاله الذين وقفوا فى وجه الطغـــاة وموقف عمر مكرم فى محاصرة الوالى المستبد خورشيد باشا ، وقرار عزل توفيق الذى أصدره الشيخ حسن العدوى .. الخ .

وهنا أريد أن أستطرد بعض الشىء فى الحديث عن بعض هؤلاء الرجال الذين سيسجل حياتهـــم وجهادهم الفيلم المقترح ، وبخاصة السيد عمر مكرم والشيخ حسن العدوى ، فـكلا الرجلين قد درست

حياته ومواقفه من تاريخ مصر ، وكلاهما قد كونت عنه رأيا أعتقد انه أقرب الآراء الى الصدق التاريخى فى هذه الفترة الهامة المضطربة من تاريخنا الحديث ، واعتقد انه من الخير أن أضع ثمرة دراستى ورأيى هذا أمام الذين يعملون فى كتابة هذا الفيلم الكبير الذى يقول خبر الاهرام ان اعداده سيستغرق ثلاث سنوات •

أما السيد عمر مكرم فخلاصة الرأى فيه عندى انه كان رجلا بارز المكانة ممتاز القدر فى عصره ، حتى يصدق بحق أن نصفه بأنه زعيم مصر يوم ذاك ولكنه لم يكن رجل حرب ولا جلاد ولا صراع سياسى مثابر كان رجلا فيه مسالمة ولين وميل الى الهدوء ومعالجة الأمور بالسياسة والكياسةوالمسايرة ، تلك الصفات التى افسدت عليه وعلى وطننا كثيرا من المواقف الحاسمة ، وبخاصة بينه وبين محمد على ، واعتقد أن السيد عمر مكرم كان يستطيع أن يزحزح محمد على من حكم مصر ، كما أخرج خورشيد باشا من القاهرة لولا صفاته اللينة التى ذكرتها والتى أفاد منها محمد على فائدة كبرى بدهائه وخبثه ، ومواقف عمر مكرم وحدها كافية للافصاح عن صفاته هذه ، مع تقديرنا العظيم الذى تشوبه أقل ريبة فى اخلاصه وسلامة قصده •

دعا السيد عمر الناس فى القاهرة منذ اليوم الاول لمقاومة نابليون ، وصعد الى القلعة قبل موقعة الاهرام فانزل منها البيرق النبوى وطاف به من القلعة الى بولاق والوف النـاس من خلفه يستحثهم للجهاد ويستنفرهم للحرب والدفاع عن الدين والوطن • وكان لهذا العمل منه ـ وهو نقيب الاشراف ـ أثر اى أثر ، فلما هـزم المماليك والمصريون ودخل نابليون القاهرة هاجر عمر مكرم الى الشام وترك فى مصر أملاكه الكثيرة وأمواله الطائلة ، وبقى فى منفاه الاختيـارى ثمانية أشهر ، فى مدينة يافا حتى فتحها نابليون فقربه اليه واكرم لقياه وأعاده الى مصر عزيزا كريما فبقى فى القاهرة بعيدا عن الفرنسيين وعن الحياة العامة حتى قامت ثورة القاهرة الثانية فكان من زعمائها ، ولما انتهت الثورة هاجر مرة أخرى وخرج من القاهرة مع الجيش العثمانى ثم عاد اليها مع هذا الجيش مرة ثانية بعد خروج الفرنسيين •

وكان عمر مكرم زعيما للشعب فى ثورته على المماليك بعد خروج الحملة الفرنسية بثلاث سنوات كما كان له أكبر نصيب فى اختيار صديقه محمد على وتمكينه من حكم مصر ، وهو الذى ألبسه ـ مع الشيخ عبد الله الشرقاوى ـ خلعة الولاية فى « بيت القاضى » سنة ١٨٠٥ ولكنه ، بعد ذلك ، وقف مواقف كثيرة فى معارضة محمد على لم تصل الى حد الثورة ولا الدعوة لها. وسعى محمد على ليترضاه بالمال فأبى حتى يرجع محمد على عما أوقع بالشعب من الظلم ، ورفض أن يذهب لمقابلته ، ولكن محمد على بحيلته ودهائه ، استطاع أن يقلم أظافر عمر مكرم ، لانه لم يشحذها ولم ينشبها فيه وهى لاتزال صلبة ، فجرده من نقابة الاشراف ، ونفاه الى دمياط فى اغسطس عام ١٨٠٩ فبقى فيها ثلاث سنوات ، ثم أمر بنقله الى طنطا وبقى فيها اربع سنوات ، كان فيها منعزلا عن الناس كثير القلق والشكوى مما يفعل محمد على بأهل مصر ، ويزيد ألمه انه كان سببا فى تمكينه من الولاية عليها ، فلما كانت سنة ١٨١٨ ارسل عمر مكرم الى محمد على مع حفيده السيد صالح يهنىء فيها محمدا عليا بالنصر الذى أحرزه فى حروب الحجاز فلقى محمد على الحفيد والرسالة اكرم لقاء ، ثم أذن للسيد عمر فى أداء فريضة الحج ، وبعد ذلك أطلق سراحه فعاد الى القاهرة شيخا فانيا فى يناير ١٨١٩ وتلقاه الناس بالفرح الكامل والسرور الشامل ، وقد فصلت رأيى وذكرت مبرراته فى الجزء الثالث من كتابى : (دراسات فى تاريخ الجبرتى ، مصر فى القرن الثامن عشر) وليس فى رأيى هذا أى غض من قدره ، فأنا أكتب التاريخ فى صدق وتجرد ، والذى يريد أن يضع قصة أو فيلما تاريخيا عن حياة عمر مكرم وجهاده يجد فى مواقفه من المماليك ومن خورشيد باشا ذخيرة كافية مشرفة •

وما دام الفيلم الذى يراد اخراجه عن الأزهر وأمجاد رجاله فى مواقفهم الوطنية **فهناك شيخ مغمور مجهول المنزلة فى التاريخ كانت له بطولة ممتازة ، فقد بقى يحرض على الفرنسيين من غير حيطة ولاحذر**

يقف على منبر الأزهر داعيا لحرب نابليون حتى ضاق به ذرعا ، واخذه الفرنسيون — مع خمسة آخرين — فقتلوهم بالرصاص وقطعوا رءوسهم ثم القوهم فى النيل ، ويزيد من بطولة هذا الشيخ الأزهرى انه كان فقيرا أعمى • وقد سجلت مواقفه لاول مرة فى كتابى : (بطولات عربية)

وبستطيع المؤلف السينمائى أن ينسج من خيوط حياته ومواقفه قصة ذات قيمة، ولو كنت ممن يحسن ذلك لفعلت •

٢ — واما الشيخ حسن العدوى فالذى أقوله فيه ويؤكده تاريخه وتاريخ الثورة العرابية ، هو تعديل يسير فى واقعة اصداره فتوى بعزل الخديو توفيق ، وهو تعديل — كما ترى بعد قليل — لايجحده فضله ولا ينقص من شجاعته بأقل مقدار ، بل يزيد عليهما شيئا آخر هو الصدق •

فالشيخ حسن العدوى — كما اعترف هو نفسه — وشهد بذلك عرابى ، لم يصدر فتوى بعزل توفيق والقصة كما رواها عرابى فى مذكراته تقول :

— ان المحكمة التى الفها الانجليز وتوفيق بعد فشل الثورة العرابية لمحاكمة رجالها ، هذه المحكمة سألت الشيخ حسن العدوى عن فتوى قيل انه أصدرها بعزل توفيق شرعا ، فقال :

انى لم اصدر هذه الفتوى لأن أحدا لم يطلبها منى ومع ذلك لو قدمت لى هذه المحكمة فتوى بعزل توفيق لما ترددت فى توقيعها • وليس فى وسع هذه المحكمة — واعضاؤها مسلمون — أن تنكر ان الخديوى توفيق مستحق للعزل لانه خرج على الدين وعلى الوطن •

(انظر مذكرات عرابى التى سماها : كشف الستار عن سر الأسرار فى النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية) •

***

بعد هذا الاستطراد الذى اعتذر عن طوله ولكنى رأيت ضرورته أعود لأجيب عن السؤال : هل يجب على كاتب القصة التاريخية والتمثيلية المسرحية أو الاذاعية أو التليفزيونية أن يلتزم فى عمله الفنى وقائع التاريخ •

الذى أعتقده أن القصة التاريخية سواء جاءت على هيئة قصة للقراءة أو للاخراج المسرحى أو السينمائى لابد لها من عدة عناصر ، منها عنصر التشويق وهذا الوضع للعمل الفنى لابد له من توسعة تبيح للفنان مالاتبيح للمؤرخ ، فالمؤرخ الامين لابد أن يتحرى حقائق التاريخ ويقارن ويوازن ويغربل ويستبعد ويرجح ويستنتج ثم ينتهى الى رأى يعتقد انه هو الحق او القريب منه ، أما كاتب القصة التاريخية أو السيناريو الذى يعتمد على التاريخ فكل ما يطلب منه هو الحرص على (جوهر) التاريخ والبعد عن الافتعال والتزييف والمغالاة وتجنب الانسياق وراء العواطف السطحية الرخيصة السهلة •

وقد ضرب الاستاذ محمد فهمى عبد اللطيف فى مناقشته قصة أدهم الشرقاوى مثلا يمكننا أن نفيد منه هنا : قال انه لايمكننا أن نقبل عملا فنيا يجعل من مجرم كبيرا مثل (الخط) بطلا وطنيا ، مهما كنا فى حاجة لحفز الهمم واثارة الشعور الوطنى، ولانستطيع أن نقول فى قصة سينمائية او تمثيلية ان « سويلم مسلم» مهرب المخدرات الكبير لم يكن يهربها وحدها فى محافظات القناة والشرقية والقاهرة ، بل كان يهرب السلاح لمحاربة الانجليز ، وهذا المثل صحيح ولا يمكن أن يقبل من الفنان أن (يؤلف) فى التاريخ نفسه ، بل كل ما يقبل منه هو أن يؤلف (حول) التاريخ وان يستخدم الصحيح منه ويخلق شخوصه وابطاله على ضوئه ، وعلى اصرار من المحافظة على (جوهر) التاريخ •

وتاريخ وطننا القومى — اذا درس بعناية وفهم وصبر — فيه الشىء الكثير الصادق الذى يغنينا عن الافتعال والتصنيع والتزييف •

محمود الشرقاوى

التدرج في التشريع الجنائي الإسلامي

أحمد فتحي بهنسي

رأينا أن التدرج في التشريع هو السياسة التي أخذ بها المشرع الاسلامي عند تجريحه لبعض الوقائع التي كانت فاشية في المجتمع ولو انها كريهة في الطبيعة والعقل .

فرأينا ان الخمر وقد كانت في الجاهلية شائعة ومختلطة بروح القوم ولحمهم ودمهم ، سلك الشارع فيها مسلك التدرج فذكر أولا أن فيها منافع للناس، كما أن فيها مضار الا أن هذه المضار تفوق تلك المنافع .

كما رأينا كيف جرم الزنا وفرضت له أول الامر عقوبة اختلف فيها الفقهاء : هل هي حد أو توعد بالحد ، ثم كيف انتهى التجريم الى القتل رجما بالنسبة للزاني المحصن والجلد مع النفي او بدونه للزاني غير المحصن .

ويجب أن نعلم ان التاريخ ذكر ان العرب عرفوا في جاهليتهم قواعد قانونية كثيرة قام عليها مجتمعهم ، وكان ذلك في نواح شتى من النواحي التي عالجها الاسلام فيما بعد بما جاء من فقه وتشريعات .

وقد اقر الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرا من هذه القواعد والمبادىء التي كانت قد تبلورت فصارت عرفا ينزلون على حكمه .

فما كان الاسلام ليغير كل ما كانت عليه الأمة العربية ولو كان صالحا لبناء مجتمع سليم .

فقد اقر صلى الله عليه وسلم « القسامة » على ما كانت عليه قبل الاسلام وقضى بها بين ناس من الانصار في قتل ادعوه على اليهود « ذكره مسلم » كما ذكر البخاري في صحيحه صفتها في الجاهلية في حديث طويل نتبين منه ان الرسول قضى بها حين قتل رجل من الأنصار في أرض اليهود ولم يعرفوا من قتله منهم .

كما كانت العرب تقول في جاهليتها « القتل انفى للقتل » أي ان عقوبة القتل العمد هي القصاص من القاتل .

وعلى ما قال الدهلوي :

كان للعرب في الجاهلية سنن يتلاومون على تركها في مآكلهم ومشربهم ولباسهم وولائمهم واعيادهم ودفن موتاهم ، ونكاحهم وطلاقهم وبيوعهم ومعاملاتهم . وكانت لهم مزاجر في مظالمهم ، كالقصاص والديات والقسامة ، وعقوبات على الزنى والسرقة ونحوهما . لكن دخلهم الفسوق والتظالم بالسبي والنهب وشيوع الزنى والنكاحات الفاسدة والربا .

فبعث النبي صلى الله عليه وسلم وهذا حالهم، فنظر في جميع ما عند القوم فما كان بقية الملة الصالحة أبقاه ، وضبط لهم العبادات والمعاصي وشرع في هذا حدودا ومزاجر وكفارات ، ويسر لهم الدين ، وما كان من تحريفاتهم نفاه وبلغ في نفيه الى غير ذلك .

***

ونستطيع أن نقرر أن ذلك التدرج في التشريع انما كان لدفع المشقة عن الناس اثناء نزول الرسالة اذ أن مباغتة الناس بالممنوعات والامر بمطلوبات وهم على سليقتهم البدوية يكون فيه مشقة بالغة عليهم كما يكون فيه تعويق في نشر الشريعة .

قال صلى الله عليه وسلم : « ما انت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة » . اخرجه مسلم عن ابن مسعود .

كما قال الله تعالى « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن » .

ويبنى على هذا التدرج التشريعى ، ان المذنب لا يعاقب الا بمقتضى النص الذى يكون ساريا وقت ارتكابه جريمته ، اى ان النص لا ينسحب على ما مضى من الوقائع ، انما يطلق على الوقائع التى تحدث بعد وقوعه . نستدل على ذلك بالأدلة الآتية .

أولا : قال الله تعالى :

« وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » سورة الاسراء .

قال ابن العربى عند تفسيره لهذه الاية : اى لم نترك الخلق سدى بل أرسلنا الرسل .

وفى هذا دليل على ان الاحكام لا تثبت الا بالشرع ، خلافا للمعتزلة القائلين بأن العقل يقبح ويحسن ويبيح ويحظر .

والجمهور على أن هذا فى حكم الدنيا اى ان الله لا يهلك امة بعذاب الا بعد الرسالة اليهم والانذار .

وقالت فرقة : هذا عام فى الدنيا والآخرة لقوله تعالى : « كلما القى فيها فوج سالهم خزنتها : الم يأتكم نذير ؟ قالوا : بلى قد جاءنا نذير » .

قال ابن عطية : والذى يعطيه النظر ان بعثه آدم عليه السلام بالتوحيد وبث المعتقدات فى بنيه مع نصب الادلة الدالة على الصانع مع سلامة الفطر توجب على كل أحد من العالم الايمان واتباع شريعة الله ثم تجدد ذلك فى زمن نوح عليه السلام بعد غرق الكفار .

وهذه الآية ايضا يعطى احتمال الفاظها نحو هذا فى الذين لم تصلهم رسالة ، وهم اهل الفترات الذين قدر وجودهم بعض اهل العلم « والفترة هى المدة التى بين رسول وآخر » واما ماروى من ان الله تعالى يبعث اليهم يوم القيامة ، والى المجانين والاطفال فحديث لم يصح ، ولا يقتضى ما تعطيه الشريعة من ان الآخرة ليست دار تكليف .

وقد اختلف الناس فيمن لم يبلغه الحكم الوارد من الله تعالى فى الشريعة فى خاص منها او فى جميعها .

فقالت طائفة : كل واحد مأمور بأوامر الشريعة ومنهى عن نواهيها ساعة ورود الأمر والنهى الاانه معفى عنه غيرمؤاخذ بمالم يبلغه من الأمر والنهى . واحتجوا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : اذا اجتهد الحاكم فاخطأ فله أجر ، فسماه عليه السلام مخطئا ولا يكون المخطىء الا من خالف ما امر به ، وقالت طائفة : ان الله تعالى لم يأمر قط بشىء من الدين الا بعد بلوغ الامر الى المأمور ، وكذلك النهى ، ولافرق ، واما قبل بلوغ الامر أو النهى اليه فانه غير مأمور ولا منهى .

فلا يكلف احد ما ليس بوسعه وليس فى وسع احد علم الغيب فى ان يعرف شريعة قبل ان تبلغ اليه ، فمن لم تبلغه النصوص لم يكلفها .

وقد استدل بهذا فى ان اهل الجزائر والبلاد النائية اذا سمعوا بالاسلام وآمنوا فلا تكليف عليهم فيما مضى من الزمان . ومن لم تبلغه الدعوة منهم فهو غير مستحق للعذاب من جهة العقل .

وقد احتج هؤلاء بالأدلة الآتية :

(١) قوله تعالى : « لأنذركم به ومن بلغ »

(٢) قوله تعالى : «لا يكلف الله نفسا الا وسعها»

(٣) قول الرسول : « والذى نفسى محمد بيده لايسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى ارسلت له الا كان من اصحاب النار » .

والحقيقة والواقع ان الدين لازم للجميع اذا بلغهم وكانوا قد بلغوا حد التكليف لا قبل ذلك .

ثانيا : عندما نزلت آية التحريم النهائى لشرب الخمر ، قال قوم لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يارسول الله ، ناس قاتلوا فى سبيل الله وماتوا على فراشهم وكانوا يشربون الخمر ويأكلون الميسر وقد جعله الله رجسا من عمل الشيطان فأنزل الله « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين » .

وهذه رواية أحمد عن أبى هريرة

ورواية النسائى والبيهقى عن ابن عباس :فقال ناس من المتكلفين هى رجس وهى فى بطن فلان وقد قتل يوم أحد . فأنزل الله هذه الآية .

ثالثا : قال الله تعالى :

« عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام »

يعنى قبل نزول النصوص التى تحرم قتل الصيد وهم حرم . وروى أن هذا النص نزل فى أبى اليسر عمرو بن مالك الأنصارى وكان محرما عام الحديبية بعمرة فقتل حمار وحش فنزلت هذه الآية .

فمن يرتكب الجرم بعد نزول التحريم يعاقبه الله فينتقم منه وقيل ان معنى ينتقم منه « يعنى فى الآخرة » ان كان مستحلا ويكفر فى ظاهر الحكم .

وقال شريح وسعيد بن جبير : يحكم عليه فى أول مرة ، فاذاعاد لم يحكم عليه ، وقيل له: اذهب ينتقم الله منك ، اى ذلك اعظم من ان يكفر .

وقد روى عن ابن عباس : يملأ ظهره سوطا حتى يموت .

رابعا : قال تعالى

« قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الأولين »

فقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يقول للكفار هذا المعنى وهو أن ينتهوا عن الكفر . ومغفرة ماقد سلف لا تكون الا لمنته عن الكفر .

عن ابن شماس قال : حضرنا عمرو بن العاص وهو فى سياقة الموت يبكى طويلا وحول وجهه الى الجدار فجعل ابنه يقول : يا أبتاه : أما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا أمابشرك بكذا . قال: فأقبل بوجهه فقال : ان أفضل ما نعد شهادة الا اله الا الله وأن محمدا رسول الله . انى قد كنت على أطباق ثلاث ، لقد رأيتنى وما أحد أشد بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم منى فلو مت على تلك الحال لكنت من اهل النار . فلما جعل الله الاسلام فى قلبى أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت : ابسط يمينك فلأبايعك فبسط يمينه فقبضت يدى فقال : مالك ياعمرو ، فقلت : أردت ان اشترط . قال : تشترط بماذا ؟ قلت : أن يغفر لى . قال : أما علمت أن الاسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله « الى آخر الحديث الذى رواه مسلم »

ومعنى ذلك انه لايعاقب الا بعد نزول النصوص وعلى الحوادث التى ارتكبت أثناء سريان هذه النصوص فقط .

***

ننتهى من ذلك كله الى أن الشريعة كانت رحيمة بالعباد من نواح مختلفة .

(١) أنها أقرت بعض نظم وعادات وقوانين كانت سارية عند العرب قبل نزول الرسالة لأن هذه النظم كانت متأصلة لديهم ولم تكن تخالف مايحسنه العقل .

(٢) ان احكاما كثيرة منها نزلت على مراحل مختلفة رئى فيها التدرج .

(٣) ان التكليف لايكون الا لمن بلغته الرسالة ، أما من لم تبلغه الرسالة او لم يسمع بها لأنه فى مناطق نائية فله عذره .

(٤) ان التدرج فى التشريع انما كان فى عهد الرسول فقط .

اما الآن فان الشريعة وحدة متكاملة ، فان بلغت مثل هؤلاء الناس فتجب عليهم احكامها بتمامها .

« احمد فتحى بهنسى »

كتابة السيرة - في أدب العقاد

بقلم احمد ابراهيم الشريف

المؤرخون نوعان :

نوع لاتتعدى قيمة كتابته سرد الأحداث والنص على الوقائع كما حدثت متسلسلة فى زمان ومكان معينين او فى كل زمان ومكان .

وهؤلاء هم الكثرة الغالبة من كتاب التاريخ سواء فى القديم وفى الحديث .

والنابغ من هؤلاء من كان له نظر ثاقب وبصيرة مجلوة تجعله يتمكن من وضع يده على الأحداث ذات الأهمية التاريخية ، ولا يؤخذ بالشهرة والتردد وكثرة التكرار ، أو بالمنصب والنفوذ والسلطان ، فيكون فى كتابته مجال للمهم غير ذى البريق الى جانب المهم البراق .

واذا تعرض الواحد منهم للعوامل والاسباب فقلما يتعدى فى ذلك المجال نطاق المألوف والشائع المعروف والمروى المنصوص عليه .

وليس العقاد واحدا من هؤلاء . فلا هو يعمد الى كتابة التاريخ على هذه الصفة ، ولا هو يعد قارئه بشىء منها . وحتى كتابه فى سيرة سعد زغلول لم يكن سردا للوقائع كذلك السرد الذى نجده فى تاريخ ابن جرير الطبرى أو عبد الرحمن الجبرتى أو سائر هذه الطائفة من الكتاب المؤرخين .

ولم يكن ذلك المنهج عنده خاصا بالتاريخ وحده . فقد كان ذلك هو ديدنه فى كل فن تعرض له من فنون الكتابة ومجالاتها .

عنى برسم صورة للعقيدة الاسلامية كما يجب أن ترسم فى ذهن الانسان العصرى ، فلم يعمد الى تفسير آى القرآن او نصوص الحديث تفسيرا شاملا من أول آية الى آخر آية ومن أول حديث لآخر حديث ، بل اكتفى بأن يبين رأى الاسلام بكل مصادره فى المسائل الكبرى التى تعنى انسان القرن العشرين ، فكتب عن الله فى القرآن ، وعن الشيطان والانسان والمرأة والرق والميراث ونحو ذلك .

وعنى بالنقد والشعر فلم يتتبع أقوال النقاد فى كل عصر وكل قبيل ، ولا تعقب أنماط الشعراء فى كل مذهب وكل اتجاه ، وكتب عن بعض الشعراء فلم يعنه أن يقول كل صغيرة وكبيرة فى حياتهم ، بل التفت الى ماهو مهم فى تصوير نفوسهم ، وما يتوقع من هذه النفوس فيما يحيط بهم من بيئات واشخاص .

ومثل هذا يقال عن سيره وتواريخه ، فما من واحدة منها كانت جمعا وسردا للأحداث والوقائع ، ولكنها كلها صور واضحة تجرى مجرى التفسير والتعليل .

فهو بهذا من النوع الثانى من المؤرخين .

وهذا النوع الثانى هو النوع الذى له قيمة فكرية وان لم تكن كتاباتهم مراجع وافية لأحداث الحقب التى يكتبون عنها . وليس معنى هذا أنهم لايصلح لهم أن يستغرقوا كل شاردة وواردة فى تواريخ حقبهم ، ولكن معناه أن هذا الاستغراق والاستقصاء لا يلزمهم ولا يجب عليهم وجوبا ليس عنه محيص .

هذه الفئة القيمة قلة بين المؤرخين شان كل نادر نفيس .

ومرجع القيمة عندهم ان افكارهم ذاتية لا يغنى عنها سواها ان اغنى عن كتاب سارد كتاب سواه .

ومرجعها أيضا ان أفكارهم لاتفقد شيئا من قيمتها مع الزمن بل لعلها تزيد ، من حيث تتضاءل اهمية الكتب الساردة على مر الزمان .

ومرجعها ثالثا الى أن الانسان يهتم بها ولو كانت شواهدها وامثلتها مستمدة من تاريخ حقبة أو مكان لا يهم القارىء أن يعرف عنه الكثير أو القليل .

ولعل أوضح مثل لهذه الحالة كتاب ابن خلدون .

فمقدمة ابن خلدون ظلت مهمة ولا زالت تتزايد اهميتها على مر الايام ، بينما كتابه الأصلى « العبر وديوان المبتدأ والخبر » لايعنى الا المتخصصين الذين يهتمون بهذا الزمان وهذا المكان وما جرى فيه ٠

هذه الطائفة هى التى يصح لنا أن نســـميها « فلاسفة التـــاريخ » لأنهم يتخذون من الحوادث والاشخاص ما يتخذه الفيلسوف من ظواهر الـكون والحياة : مقدمات لاتريدها لذاتها بقدر ما توصلنـا اليه من النتائج والقواعد والنظريات ٠

وفلاسفة التاريخ كالفلاسفة جميعـــا مذاهب ومدارس وآراء ٠

فمنهم فلاسفة تجريبيون بمعنى أنهم ينظرون الى أحداث التاريخ أولا ثم يستخلصون منها عبرهـــا ونظرياتهم فيها ٠

ومنهم فلاسفة مثاليون ، ينشأ فى أذهانهم الرأى أولا ، يفسرون به التاريخ ، ثم يلتمسون فى أحداثه مصداق ما رأوا وما اعتقدوا ٠

وليس فى هذا الوصف لكل من الفريقين ترجيح لأحدهما على الآخر ، ولـكنه عود على بدء المشـكلة الازلية فى الفكر الانسانى التى تدور حـول الفكرة والواقعة أيهما أسبق ، أو هو تقســـيم لفلاسفة التاريخ على نسق تقسيم فلاسفة الوجود الى فلاسفة أفلاطونيين مثاليين وفلاسفة أرسطيين واقعيين ٠

أول الفريقين من ينهج منهج أفلاطون فى اقتراح جمهوريته حسب أفكاره فى المثل ولاسيما مثـــال العدالة ، وثانيهما من ينهج منهج أرسـطو طاليس الذى يستقر على رأيه فى السياسة بعد دراســـة ما تيسر له من دساتير زمانه وما ســبق زمانه من الازمان ٠

نقـول ليس فى الامر ترجيـح لأن الماركسـيين ينتقصون من قدر الفكر المثالى ويسـمونه بالفكر الطوبى ويريدون بهذه التسمية أن يصفوه بالاحلام والاوهام ويتنصلون منه فيسمون انفسهم بالعلميين٠

والحقيقة أنهم من المثـاليين لا من التجريبيين لأنهم يفترضون النسق أولا ثم يبحثون عن مصـــداق له فى الواقع ٠

وهم مثاليون متطرفون ، لانهم اذا كذبهم الواقع عمدوا الى التبرير والتعليل واعتساف المخـارج من الحقائق والوقائع لكى تنسجم مع نسقهم المفروض ٠

بل انهم أحلاميون اوهاميـــون لانهم يرون ان التاريخ ينبغى أن يطرد على نسـقهم ، بل أن يطرد على هذا النسق رغم أنفه وأنف الوقائع والاحداث ٠ وكلمة « ينبغى أن » شيطان لايسمح به عالم تجريبى يحترم علمه ، اذ قصاراه أن يهيىء للتجربة ظروفها وأن ينتظر بعد هذا نتيجة التجربة كما تكون لا كما ينبغى أن تكون ٠

هذه المدرسة الماركسية تتصدر فريقا من فلاسفة التاريخ يمكن أن يعرف بالفلاسفة الاجتماعيين ،وهم الذين ينكرون الفرد ويعترفون بالمجمـوع ، فليس الفرد قيمة فى ذاته ، وليست له قيمة فى تشكيل مصيره أوتعديل اقداره أو خلق قيمه او تحويرها ، بل هو ريشة فى مهب العوامل الاجتمـاعية ، التى لايعترف الماركسيون منها الا بالقيمة الاقتصادية ، بينما يعترف سائر الاجتماعيين بغيرها معها كالقيم السياسية والعرفية والدينية والحضـارية الثقافية وما اليها ٠

وفى مقابل هذه المدرسة مدرسة الفلاسفة الفرديين التى تتطرف حتى تنكر أن هنـاك تاريخـــا الا تاريخ الافراد الممتازين أو الأبطال ، بالجماعة وما لها من قوة متمثلة فى عرفها وتقاليدها وقيمها ، والسياســـة وما لها من قوة متمثلة فى جيوشـها وأموالهـــا ، والاقتصاد وماله من قوة متمثلة فى التاجه وأسواقه، وكل ما عدا ذلك من العوامل الاجتماعية رهين بارادة الفرد الممتاز الذى يخلق التقاليد وينشىء القيـــم ويشكل السياسات ويغير صور الاقتصــــاد كيف يشاء ٠ حتى عوامل الطبيعة التى ليس للانســـان القدرة على التحكم فيها يستطيع العظيم فى نظرهم ان يذللها وان يخضعها لاغراضه حتى تصير بين يديه آلة خادمة لا عاملا مسيطرا موجها له فى الحياة ٠

من اى هذه الفرق كان العقاد ؟

كان العقاد من المثاليين بغير نزاع ٠

فلقد تشكل مذهبه ونسـقه فى فهم التـــاريخ وحركاته الكبرى أولا ، ثم أخذ يطبقه على كل حركة او سيرة يتعرض للتاليف عنها ٠

كان يرى أن للتاريخ وجهة مفهومة معقولة تدل عليها أحداثه الماضية فى تسلسلها وتعاقبها لدى كل

من عنى بأن ينظر الى التاريخ نظرة الفيلسوف الشاملة الماسحة .

هذه الوجهة لتاريخ الانسان وحياته مع ابناء جنسه مستمدة من كونه كائنا عاقلا له تاريخ ، لأن الانسان ما امتاز بالعقل الا لأنه يعرف الماضي ويحفظه ويعتبر بما حدث لاجيال جنسه السابقة فيقلع عن بعضها ويستزيد من بعضها الآخر ، من حيث لاطاقة للحيوان بهذا الاعتبار وهذا الاستبصار لما وقع للاجيال السابقة من بنى جنسه .

وهى وجهتان : احداهما تخص الفرد ، وهى ازدياد نصيبه من التفرد والحرية واحتمال المسئولية ، والأخرى تخص الجماعة ، وهى ازدياد نصيبها من التعاون والتضامن والتكافل والاتصال .

يقول فى كتابه « **روح عظيم : المهاتما غاندى** » :

« هل للتاريخ الانسانى وجهة معينة نستطيع أن نتبينها من جملة الحوادث الماضية ؟

هذا سؤال يتوقف جوابه على سؤال آخر ، وهو : ماذا عسى أن تكون وجهة التاريخ المعقولة اذا تخيلنا له اتجاها يتوخاه على نهج مرسوم ؟

شىء يتعلق بالانسان الفرد .

وشىء يتعلق بالناس كافة أو بالانسانية جمعاء .

فالشىء الذى يتعلق باتجاه الانسان الفرد هو ازدياد نصيبه من الحرية والتبعة .

والشىء الذى يتعلق بالانسانية جمعاء هو ازدياد نصيبها من التعاون والاتصال . »

ويستطرد بعد ذلك ليبين لنا كيف أن كل حركة من حركات التاريخ الكبرى قد خدمت هذين الفرضين وزادت من تأكيدهما وثباتهما على وجهتهما حتى ولو كانت هذه الحركات انما قامت بدوافع مناقضة لهما فى نفوس الذين قاموا بها . فكأنما هدف كونى يعمل له الانسان واعيا وغير واع ، ويخدمهما من توفر لخدمتهما ومن تنكبهما على السواء .

والحرية عند العقاد مذهب كامل فى الشعر والادب والسياسة والاقتصاد والاصلاح الاجتماعى ، وليست خلاصة بحث بحثه فى التاريخ أو فرضا علميا اقتنع به بعد دراسة التاريخ .

يقول فى احدى خطراته :

« قال المعرى :

والناس للناس من بدو وحاضرة

بعض لبعض وان لم يشعروا خدم

ولو قال « سادة » لما اخطأ الصواب . » فكأنه لا يرضى بالتكامل الاجتماعى وحده ، وهذا ما تشير اليه كلمة « خدم » التى استعملها المعرى ، وانما يريد معه الحرية التى تفهم من كلمة « سادة » . ومعنى البيت لايتغير بتغير هذه الكلمة لأننا ان كنا جميعا خدما بعضنا للبعض ، فاننا فى الوقت نفسه سادة بعضنا لبعض ، ولا يتغير حتى وزن البيت بتغير الكلمة ، وكل مايتغير هو القافية ، وما اجراء القافية فى أربعة أبيات من اللزوميات على أبى العلاء بشىء ثقيل .

والذى نخرج به من هذا ان رأيه فى وجهةالتاريخ شىء سابق على دراساته فى أبحاث التاريخ وسير ابطاله . وهو ما عنيناه بقولنا انه من المثاليين .

ويبدو لمن ينظر أول وهلة الى سيره وتواريخه وما فيها من حماسة واعظام للابطال أنه من الفرديين المتعبدين فى محراب البطولة والامتياز .

وهى نظرة صادقة ولا شك .

ولكنها ليست صادقة كل الصدق . اذ كان مفهومها اغفال الجوانب الاجتماعية فى حركات التاريخ فان اهتمامه بهذه الجوانب ليستفيض احيانا حتى يكاد أن يسلكه فى عداد الاجتماعيين .

بل ان من كتبه ما يفسر اكبر حركات التاريخ على أساس من تطور الحضارات وقيم المجتمعات . ؟

ففى كتابيه « **عبقرية الامام** » و « **ابو الشهداء** » ، كما فى كتابيه « **ذو النون** (و « **معاوية بن أبى سفيان فى الميزان** » ، علل تطور الحركة الاسلامية الكبرى التى سميت بالفتنة الكبرى تعليلا حضاريا اجتماعيا ، خلاصته أن الزمن قد تغير ولم يعد يصلح للامامة على سنة الخلفاء الراشدين .

قال فى كتابه « **أبو الشهداء** » .

« قلنا فى كتابنا عبقرية الامام ما نحواه أن الكفاح بين على ومعاوية لم يكن كفاحا بين رجلين أو بين عقلين وحيلتين ، ولكنه كان على الحقيقة كفاحا

بين الامامة الدينية والدولة الدنيوية ، وان الايام كانت أيام دولة دنيوية فغلب الداعون الى هـذه الدولة من حزب معاوية ، ولم يغلب الداعون الى الامامة من حزب الامام ، ولو حاول معاوية ما حاوله علي لأخفق وما افلح ، ولو اراد أن يسلك غير مسلكه لما أفاده ذلك شيئا عند محبيه ، ولا عند مبغضيه .

« فاذا جاز لأحد أن يشك في هـذا الرأى وأن يرجع بنجاح معاوية الى شيء من مزاياه الشخصية ، فذلك غير جائز في الخلاف بين الحسين ويزيد . وكل مايجوز هنا أن يقال ان أنصار الدولة الدنيوية غلبوا أنصار الامامة على سنة الخلفاء الراشدين ، لأن مطالب الامامة غير مطالب الزمان . »

فاذا كان هذا أوضح مثل لتعليل الحركات الكبرى بالعوامل الاجتماعية ، فان الامثلة عليه فيما هو دون ذلك كثيرة متواترة في سير العقاد . ؟!

كتب سيرة « **ابن الرومي** » فاستغرق ثلث الكتاب تقريبا في بيان الحالة الاجتماعية والحضارية والثقافية والسياسية والاقتصادية وما اليها .

وكتب عن « **شعراء مصر وبيئاتهم في القرن الماضي** » ، لأن لبيئاتهم شأنا في شعرهم .

وكتب « **هتلر في الميزان** » فكان أحد فصوله بعنوان « مخلوق الظروف والملابسات » .

وكتب « **عبقرية محمد** » فمهد لها بتصوير عالم في حاجة الى رسالة وجزيرة في حاجة الى رسالة وقبيلة وأسرة هي أخلق ما تكون لانجاب الرسالة وفرد هو أولى الناس بتلقى الرسالة من وحى السماء .

واذا استطردنا الى آخر سلسلة سيره لوجدنا هذه الظاهرة مطردة لا انكار فيها ويكفينا ما أوردناه من شواهد هي أول ما كتب في أدب السيرة ، دليلا على أنه رأى عنده أصيل ، تنوعت حتى شملت الدراسة الادبية والسياسة والدين ومذاهب الاصلاح ، وتفاوتت حتى كان فيها من يعلو الى ذروة العبقرية ، ومن يهبط في الميزان حتى يعد حثالة بنى آدم وحواء .

فليس العقاد اذن من الفرديين المتطرفين ، ولا هذه الظاهرة مطردة لا انكار فيها ويكفينا ولكنه آخذ من كل من الفريقين بنصيب وبقدر مقدور .

غير أنا لا ينبغي أن ننسى أنه في عنايته بكل من الجانبين انما يرجح جانب الفرد والعظيم ، لا على أساس مذهبي في تفسير التاريخ وأطواره وحركاته ، ولكن على أساس أخلاقي بمعزل عن التعليل والتفسير .

فلا يبعد أن يكون العظيم ضحية الظروف لأنها أقوى منه ، ولكنه يستحق الاعظام والتكريم عند بنى الانسان لأن العظمة هي ثمرة الحياة ، ولأن العظيم لا مكافأة له عند بنى البشر الذين استفادوا من عظمته وبطولته وفدائه وتضحيته الا التكريم والاعظام ولأن الانسان هو الخاسر باعمال العظماء وغمطهم تكريمهم وهو الكاسب بهذا الاعظام والتوقير ، ولأن هذا التوقير والاجلال أشبه بالفطرة والسجية التى تدفع الانسان الى العناية بأحسن ثماره وأجملها وأكبرها، فما يتسابق الناس الى ادراك الاوساط من الامور وانما يتسابقون لادراك العظيم المتفرد الذى ليس له نظير .

فهو اذن حق يؤدى ، وسواء الاخلاق يقضى بأداء الحقوق .

قال في مقدمته « **لعبقرية الصديق** » :

« ومن همنا ان تكون الصورة صادقة كل الصدق في جملتها وتفصيلها ... فليس من غرضنا التجميل الذى يخرج بالصورة عن حقيقتها .... ولكن تجميل الصورة شيء ، وتوقير صاحبها شيء آخر ، فانك اذا صورت أبا بكر ورفعت صورته مكانا عليا لم تكن قد أضفت اليه جمالا غير جماله، او غيرت ملامحه النفسية بحيث تخفى على من يعرفها ، فهذا هو التوقير الذى لايخل بالصورة ولا يعاب على المصور .... »

وأوضح من ذلك قوله في « **أبو الشهداء** » وهو بصدد الكلام عن موقف المؤرخين من الاريحية والمنفعة :

« الصواب أن العطف على المنفعة عبث لامعنى له ، ولا حكمة فيه .

« وأن العطف على جانب الأريحية واجب يخشى على الناس من تركه واهماله ، بل هو مناقض لصميم الفطرة التى من أجلها فطر الناس على الاعجاب بكل ما يستحق الاعجاب .

« فليس يخفى على الناس يوما أن ينسوا منافعهم

ويقصروا فى خدمة أنفسهم سواء عطف عليهـــا المؤرخون أو أعرضوا عنها ساخرين منكرين ·

« ولكنهم يخسرون الأريحية اذا فقدوها وفقدوا الاعجاب بها والتطلع اليها . وهى التى خلقت ليعجب بها الناس · »

ويعرف العقاد ويعترف بأن العظيم عادة ما يلقى العنت والاعراض من معـــاصريه ، من حيث يلقى النفعيون والانتهازيون والوصوليون المنافع والاكرام من هؤلاء المعاصرين ·

ولكن العظيم حقا هو من لا تغريه هـذه المعاملة الظالمة بترك ما خلق له من عظائم الأمور « ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيـــا · » كما قال تعالى فى كتابه الكريم ·

بل ان العظيم حقا من لايستطيع أن يغير منخلقه ولو أراد ، فكأنه النحلة لاتفرز الا شهدا وان تراءى لها يوما أن تفرز السم الزعاف ·

قال فى قصيدته التى نظمها فى شكسبير لمرور ثلثمائة عام على موته :

« لايقدر الناس يوما اجر ســـادتهم
وانمـــا يقـــدرون الأجر للخـــدم

« أجر العظيــــم زماع فى جوانحـــه
يجـــزيه بالأمن احيـــانا وبالألم »

فلئن كان هذا ديدن الجمهور من معاصرى العظماء ، فلا يبلغن الكنود بالانســانية أن تغمطهم حقهم بعد الممات ، فتحرمهم المنفعة في دنياهم وتجزيهم الخمول والنكران فى ذكراهم ، فتلك أحط وهد من الاخلاق يسف اليه انسان ·

ولكن ما العظيم الذى يستحق هـــذا التكريم ؟ وكيف يتفاضل العظماء !

ما دامت العظمة سمة أخلاقية ، فلعلنا أن نصل الى معناها ومقياس التفاضل فيها لو بدأنا من أول الطريق ·

أسفل الناس فى سلم الأخلاق من اتخذ شـعاره فى كل الامور من قول ماكيافللى «ان الغـــاية تبرر الوسيلة فيكذب ويرائى وينافق ويســـتبد ويطغى ويعتو ، ولا يعصمه فى سبيل أغراضه عاصم ، ولا قبل له بمقاومة لباناته ـ أيا كانت ومهما تكن سفالة الوسائل اليها ·

ويرتفع الانسان فى سلم الاخلاق كلما ازدادت قدرته على كبح نفسه ولباناتها امتثـــالا للاخلاق واستمساكا بالفضائل ·

فمن غلب الاثرة علىالأنانية حين تصطدم المصالح والاهداف خير ممن يتمسك بأنانيته ·

ومن غلب المصلحة الوطنية على العصبية الضيقة خير ممن تشبث بالعصبية ·

ومن غلب الانسانية على هؤلاء جميعا أعظم منهم جميعا ·

حتى اذا اتسع به الافق فصار يعمل لمصـــلحة الانسانية كلها فى قديمها وحديثها ، فى بيضهـــا وسودها ، فى منافعها المادية وقيمها وعلمها وفنها وفكرها ووجدانها ، فهو العظيم ·

ومن لم يتخذ من ذلك ســـبيلا فهو وحش حقير وان كان معدوم النظير ، ولهذا كان العقـــاد يحتقر نابليون وهولاكو وهتلر ، وان كانوا ذوى أثر بعيد فى فنون القتال وكسب المعارك والحروب ، بل ان الواحد منهم ليزداد فى نظره حقارة كلما ازداد أثره هذا بعدا واتساعا ، فالعبقرية عنده أخلاقية لا يمكن أن تنعزل عنها سمة الاخلاق ·

ولا يزال أمام الانسان بعد العبقرية شأن محمود هو الشهادة ، لان الشهادة أعظم فى جانب الاخلاق، وان كانت أقل فى الفاعلية الايجابية من العبقرية · اذ الشهيد هو من غلب نفسه فى أخص أغراضهـــا وهو حفظ الحياة ، وانه لغرض يسمح الله فيـــه لعبده أن ينطق كلمة الكفر ليستنقذ نفسه من براثن الاقوياء ·

قال تعالى : «**من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ، ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم** · »

فمع الاكراه تسقط المسئولية ، أما اذا استطاع العظيم أن يتغلب على نفسه حتى فى هـــذا الغرض فذلك هو الشهيد ، ذروة ما تصل اليه الانسانية من شأو اخلاقى بعيد ، وحق له عند الانسانية أعلى ما تعلى من عطف وتقدير ، وأغلى ما تغلى من اعظام وتبجيل ·

أحمد ابراهيم الشريف

من هو اديب سنة ١٩٦٤ ؟

ماذا تقول تقارير المرشحين الثلاثة فى هذا العام

• بقلم محمد نصر •

انتهى الترشيح لجائزة الدولة التقديرية فى الآداب ..

انتهى تقويم اعمال العباقرة الثلاثة المرشحين للجائزة فى هذا العام ...

انتاج كل منهم وضع فى كفة وفى الكفة الثانية الفان وخمسمائة جنيه ، وميدالية من الذهب الخالص ! وكانت لجان الفحص مشغولة طوال اكثر من شهرين بدراسة انتاج كل مرشح لتقدير الوطن والمواطنين .. كانت تنصب الموازين فى جلسات سرية شهدتها قاعات مجلس الآداب بالزمالك ، كما شهدتها قاعة المكتبة فى فيلا د. طه حسين بالهرم .

ولقد احاط جلساته ـ هو الآخر ـ بسرية كاملة والمفروض ان يظل القضاة والمحكمون محتفظين بسرية احكامهم ، وما دار فى جلساتهم من مناقشات الى ان يجتمع المجلس الكبير بكامل هيئته فى منتصف اكتوبر القادم ، لاختيار احد المرشحين الثلاثة :

- **محمد عزيز اباظه .**
- **محمد فريد ابو حديد .**
- **مراد كامل .**

والحق أن الجهد الذى بذلته لجان الفحص فى الشهور الماضية يستحق كل تقدير .. ذلك لأنه كان عليها أن تدرس وتفحص حالة كل مرشح ، وأن تقول كلمتها ـ بصراحة ـ فى الانتاج الذى انفق فيه زهرة العمر .. ونور العين !

فمن هو سعيد الحظ الذى سيفوز بجائزة العمر ، التى لا تمنح الا لمن كان انتاجه نافعا للوطن خاصة وللانسانية عامة .. ؟

● ماذا يقول التقرير السرى لكل منهم ؟

انى لا اريد بمحاولة الاجابة عن هذين السؤالين أن افاضل بين مرشح وآخر ، انما اريد ان اقدم لك كل واحد منهم على حدة ، قبل أن يصدر المجلس الأعلى حكمه فى الشهر القادم .

نقيب الشعراء



« الشاعر عزيز اباظة »

ان الشاعر محمد عزيز اباظه (٦٧ سنة) يعتبر اكثر المرشحين تأييدا من جانب الهيئات الأدبية منذ اربعة اعوام .. انه ظل يرشح منذ العام التالى لفوز العقاد بجائزة الدولة التقديرية فى الآداب ، كان منافسا خطيرا لتوفيق الحكيم ، وللزيات ، وتيمور خلال الأعوام التى فازوا فيها بالجائزة ، كان من بين الهيئات التى ظلت ترشحه حتى فى هذا العام ـ جمعية الشعراء ـ بوصفه رئيسا لها ، ولجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب بوصفه مقررا لها بعد العقاد ، وجمعية نشر الثقافة فى الاسكندرية ، وجمعية الاتيليه ،

ولجنة المسرح ، وادارة الثقافة بوزارة الارشاد ، والمجمع اللغوى ، وجامعة القاهرة ..

ويقول تقريره السرى :

- انه حاصل على ليسانس الحقوق سنة ١٩٢٣ وانه تقلب فى عدة وظائف الى ان ترك خدمة الحكومة وهو مدير لاسيوط سنة ١٩٤٧ .
- وانه دأب خلال اكثر من خمسة وعشرين عاما على ان يقدم جملة من الاعمال الادبية رفعته الى القمة فى دولة الشعر ، واثبتت ان له موهبة فريدة فى الشعر الغنائى .
- وان اعماله هى : ديوان انات حائرة ، قيس ولبنى سنة ١٩٤٣ ، العباسة سنة ١٩٤٧ ، الناصر سنة ١٩٤٩، شجرة الدر ١٩٥١ ، غروب الاندلس ١٩٥٣ . شهر يار ١٩٥٤ ، أوراق الخريف ١٩٥٧ ، قافلة النور سنة ١٩٥٩، ثم قيصر فى عام ١٩٦١
- وانه قد عنى بان يلائم بين الادب العربى والمسرح العربى ، كما يلتفت للتعبير عن حياتنا ، ووجداننا ، وشخصياتنا القديمة ، والتاريخية وانه استلهم فى مسرحياته ، غروب المجد فى الحضارة العربية .

ان **عزيز اباظه** كان يعتبر ـ الى وقت قريب ـ اثرى شعراء الشرق!ويوم ان انتخب نقيبا للشعراء قبل سبع سنوات عقد لهم جلسة وحيدة فى بيته الأنيق المطل على النيل ، انتهت بوليمة فاخرة ، ومن الطريف انالمرحوم محمد مصطفى حمام أنشد المدعوين فى تلك الليلة قصيدة طويلة اذكر منها هذه الأبيات :

وللناس فى الربيع معان
ولنا فى الربيع أحلى الأمانى
فربيع الحياة عصر صبانا
وشباب الأرواح والأبدان
وربيع القلوب حب وقربى
وتواخى برحمة وحنان
وربيع الموظفين علاوات ورز
ق يأتى بغير اوان
وربيع البطون عدس اباظى
وما به من فراخ سمان !
وربيع الأديب لقيا عروس
زفها الشعر من عذارى المعانى
وربيع الربيع حفل انيق
ضم أهل النهى وأهل البيان
ثم لهذا الربيع من فلسفا
ت تحلو وكم للربيع من الوان

وناجاه الشاعر **طاهر الجبلاوى** بقصيدة قال فيها :

أوفت بعزتها على الجوزاء
دار حوت جمعية الشعراء
أعزيز الفت القلوب سماحة
كتالف الافلاك فى العلياء
وجمعت شملا كان قبل مشتتا
فى محفل الشعراء والأدباء

الى ان قال :

موت الشعوب جهالة يفتونها
والشعر يبعث ميت الأحياء

وكما ظل عزيز اباظه يرشح اكثر من مرة لجائزة الدولة فانه رشح اكثر من مرة ايضا قبل فوزه بعضوية المجمع اللغوى ..

ويقول تاريخه الخاص انه تزوج مرتين ، وانه حينما توفيت زوجته الأولى رثاها بقصائد دامعة حزينة ضمنها ديوانه « أنات حائرة » الذى صدر فى سنة ١٩٤٣ .

وعزيز اباظه يعيش الآن حياة هنيئة مستقرة مع زوجته الثانية ، وهى ابنة السياسى القديم اسماعيل صدقى .

ابو الأوسمة !



« الأستاذ محمد فريد ابو حديد »

ان الأديب الكبير **محمد فريد أبو حديد**

(٧٢ سنة) يعتبر اكبر المرشحين فى هذا العام سنا .. انه يرشح للمرة الخامسة ، كان مرشحا فى عام العقاد ولكنه انسحب من المعركة تقديرا لمكانته ، لا خوفا منه كما قال لى .. انه الاديب الذى يستطيع ان يحول كتاباته الى وثائق اجتماعية قوية ، لا من حيث انها تقدم قطاعات من حياة العرب وانما من حيث انها تحدد مواقف حكامهم المستبدين الطغاة .. ومن اجل ذلك وجد فى احداث التاريخ مادته التى لا تنضب .. وغزا احداثه فى براعة الفنان فكان اجرا من انفعل بالماضى الانفعال العصرى اللبق ، ولعل هذا يفسر لماذا استقبل القراء - فى شرقنا العربى - بحماسة بالغة انتاجه الروائى . قدم لنا « انا الشعب » كما قدم « عنتره » .. خطط لعمله الحكومى بقدر ما خطط للرواية ، بفهم وذكاء ، كان وهو يشغل ارفع مناصب الاشراف فى وزارة التربية لا يوصد بابه فى وجه طارق .. كان يلقى كل ذى حاجة بوجهه الباسم .. وصراحته المعروفة .

وهو بالرغم من ان شعره اصبح فى لون الثلج فان حيوية الشباب ما تزال تعمر قلبه ..

فى العام الماضى رشحه الدكتور طه حسين للجائزة الكبرى ، بوصفه كان رئيسا للجنة ، وغادر القاهرة الى اوربا ، وفى اليوم المحدد للتصويت على المرشحين كان طه حسين غائبا ، وقيل يومها انه لو كان حاضرا لرجحت كفة أبو حديد ولفاز بالجائزة بدلا من تيمور !

وفى هذا العام عقد للجنة الترشيح اجتماع بفيلته « راحتان » بالهرم ، انتهى باعادة ترشيحه ثم سافر الى اوربا .. ولكنه - بكل تاكيد - سيشهد فى هذا العام ليلة التصويت على أسماء المرشحين فى المجلس .

ولقد رشحته رابطة التربية الحديثة ، ولجنة التاليف والترجمة والنشر ، كما رشحه المجمع اللغوى ، وجامعة عين شمس ، ولجنة الفنون الشعبية .

ويقول تقريره السرى الذى يحتفظ به الآن يوسف السباعى فى مكان امين :

- انه انصرف الى الكتابة من نحو خمسين عاما ، ثم عكف على التاليف والترجمة ، عالج فى تاليفه نوع القصص ونزع الى بث الروح القومية ، واقتبس أكثر موضوعاته من تاريخنا القديم والحديث ، فوصل بهذا الشكل حاضر الامة بماضيها الحافل بضروب العظمة والسمو وانواع الفنون والعلوم .

- ان ابطال قصصه نماذج صالحة للبطولات امثال « سيف بن ذى يزن ، وعنترة ، والمهلهل » ومن الحاضر امثال عمر مكرم ، فهو من هذا الوجه فى جملة الكتاب الذين مهدوا فى عصرنا للنزعات القومية ، التى نرى آثارها فى مصر ، واكثر بلاد العرب ، وقد ترجم بعض مقطوعات شكسبير الغنائية ، وبعض رواياته مثل مكبث . والترجمة - فى مذهبه - يجب ان تكون قطعة من الأدب العربى بدلا من ان تبقى تعريفا بالاثر الادبى المترجم . كل ذلك الى عمله فى الميدان التعليمى معلما وموجها ، فى مراحل التعليم المختلفة ، ومستشارا فنيا لوزارة التربية والتعليم ، كما ساهم فى النهضة التعليمية فى المملكة الليبية المتحدة اذ عمل مستشارا فنيا لوزارة المعارف عدة سنوات

- انه عمل مدرسا للتاريخ نحو اكثر من ربع قرن وتخرج على يديه عدد كبير من المؤرخين .

- انه عاش نموذجا حيا لأبطال قصصه المكافحين وقبل خمس سنوات كرمته الدولة بمنحه وسام الجمهورية تقديراً لحميد صفاته ، وجليل خدماته فى التربية والتعليم ، كما جاء ببراءة الوسام وعندما أحيل الى المعاش كرمته وزارة التربية والتعليم بمنحه وسام الاستحقاق ..

قال لى انه انتهى من تاليف كتابين احدهما باسم « جارة الوادى » وفيه يتناول ذكرياته وانطباعاته عن ليبيا التى عمل فيها مستشارا فنيا ، والثانى ، هو دراسات فى النقد الادبى يعالج فيه فوضى النقد السائدة عندنا ، فان خطوات الأدب الحديث فى مصر مثل القصة ، أو الشعر الحديث لم تكن معروفة فى الزمن القديم ، ولذلك لم يعرض النقاد القدامى لهذين اللونين من الوان الأدب ، كما لم يعرضوا للملحمة ، او ادب المقالة ، ولذلك فان الأدب العربى الآن يمكن ان يقال انه خطا الى الأمام خطوات سبق بها النقد ، ومن الواجب متابعة هذه الخطوات .

حيرة بين العلم .. والأدب !



« الدكتور مراد كامل »

ان الدكتور **مراد كامل** .. عضو المجمع اللغوى، ورئيس قسم اللغات السامية بآداب القاهرة هو المرشح الحائر بين الأدب والعلم .. عندما رشحه المجمع العلمى المصرى لجائزة الدولة فى الآداب هذا العام طالب طه حسين فى اجتماعه الأخير بلجنة الآداب باحالة أوراق ترشيح الدكتور مراد الى لجنة العلوم الاجتماعية ، ولكن المصادر المسئولة فى مجلس الآداب والفنون عادت تؤكد ان الكلمة النهائية ستكون لهيئة المجلس مجتمعة ..

ان المجلس العلمى الذى رشح د. مراد يقول :

– انه على يقين من انه اولى المرشحين بجائزة الأدب لما اداه للأدب من خدمات .. ولما بذله لزيادة ثروة اللغة العربية ، سواء أكان ذلك فى الجامعة كأستاذ ورئيس لقسم الدراسات السامية بآداب القاهرة أو كعضو فى مجمع الخالدين ، ولما اعده من بحوث ومؤلفات تزيد على المائة بحث باللغات فى مدرسة الألسن حينما كان عميدا لها .

ان الدكتور مراد كامل يقف الآن على أبواب الستين عاما ، ومع ذلك يسمونه فى المجمع اللغوى « فتى الخالدين » انه جمع فى مكتبه عشرين ألف كتاب تعد مرجعا لدراسات وابحاث تلاميذه فى الجامعة .

- انه تخرج فى الجامعة قبل اثنين وثلاثين عاما فى قسم اللغة العربية ، ومن المانيا حصل على الدكتوراه فالأستاذية ، وعاد لينشىء معهد اللغات الشرقية بالجامعة قبل أكثر من ربع قرن .. والى الحبشة ذهب ليعلم ابناءها فوصل الى درجة كبير العلماء أو «ليقاماميران» كما يسمونه هناك ! ومنها عاد لينشىء مدرسة الألسن ، وبين المدرسة والجامعة والمعاهد الاخرى ظل يعمل ويعلم الطلاب حتى لحق بأساتذته الخالدين منذ أربعة أعوام .. وهناك اكتشفوا انه أصغر الأعضاء سنا ، ولهذا لقبوه بالفتى !

- ان الذى لا يعرفه الكثيرون من تلاميذ د. مراد انه لم يتزوج بعد .. وانه استغنى عن الخدم بعد ان اكتشف انه يجيد اعداد طعامه بنفسه !

وأخيرا .. يكون النصاب القانونى لعدد الحاضرين فى يوم التصويت على جائزة الدولة – بعد عشرين يوما تقريبا – يجب الا يقل عن ٣٢ مضروبا فى ٨/٧ أى ٢٨ عضوا . وذلك قبل استبعاد المرشحين للجائزة من اعضاء المجلس وعددهم اثنان فقط : هما فريد ابو حديد ، وعزيز اباظه .

- ترى من هو سعيد الحظ . . اديب سنة ١٩٦٤ الذى سينال جائزة العمر ؟

« محمد نصر »

وحدة الخلق عند العقاد

• بقلم الحسانى حسن عبد الله •



العقاد من الذين يصدق ان نقول فيهم انهم يفكرون بالشعور ويشعرون بالفكر ، ففى كثير من ارائه يتجلى عمق الشعور الى جانب قوة الفكر . حتى فى المسائل التى تبدو اقرب الى برودة المنطق منها الى دفء الشعور كمسائل الفلسفة فهو — فى كثير من نقده للمذاهب وتفنيده للنظريات — يستفتى شعوره بنفس القدر الذى يستفتى به فكره . من هذه الآراء رايه فى **«وحدة الخلق»** فليست الخلائق شتيتا مشعثا ينتثر فى الكون كيفما اتفق ، بل هى اسرة يجمع النسب اطرافها مهما تباعدت ، ينتظمها

القصد وتحددها العناية . فى هذا الراى يلتقى العقاد مع القائلين بالتطور ولكن مصادره لاتقف عند البحث العلمى او النظر العقلى بل تتجاوزهما الى الحدس الشعرى الذى يصل به الى حيث لايصل العالم الذى يقتصر على المشاهدات والاحصاءات او الفيلسوف الذى يقتصر على اعمال المنطق فى اثبات قضية ونقض اخرى . بهذا الحدس يفسر رثاء الكلاب لاصحابها الغائبين ، واطمئنانها للاطفال واطمئنان الاطفال لها فيرجع بالباعث الى تلك الصلة الحميمة بين المخلوقات منكرا ان تكون المنفعة هى الباعث . يقول من قصيدته فى رثاء كلبه «بيجو» .

أبكيك • أبكيك وقل الجزاء

ياواهب الود بمحض السخاء

يكذب من قال طعام وماء

لو صح هذا ما محضت الوفاء

لغائب عنك ، وطفل رضيع

وحدة الخلق بهذا المعنى عرض لها العقاد فى كتابيه «الفصول» و «فى بيتى» عرضا لايلتبس على القارىء المدقق ولكن ماكتبه الدكتور شوقى ضيف فى كتابه «مع العقاد» عن هذه الفكرة يدعونا الى عرضها مرة اخرى حتى تخلص عما علق بها من

تفسير الدكتور . يقول عن العقاد ان الوعى الكونى جعله «يؤمن بوحدة الكائنات ووحدة الخلق فيهـا جميعا ، فما الفراش والطير والحيوان والانسـان الا حقيقة مطلقة واحـدة ، فرقهـا الله فى عيوننا وميزها فى عقولنـا ، ولكن ينبغى الا نقف عندما ترينا العين ولا عندما يرينا العقل وانما نقف عندما يرينا الوعى الكونى فسنجد تشابها فى غرائزها وفى طبائعها وسنحس انها جميعا حقيقة مطلقة واحدة، وقد صدر عن هذا الوعى قديما فى كتابه « مجمع الاحياء » اذ تصور مؤتمرا فى غاب افريقيا شهده القرد والحمامة والاسد والنمر والثعلب والرجل والمرأة وسائر الاحياء ومضى يجرى على السنتهم معانى الحق والقوة والخير والشر محاولا ان يصل الى الحقيقة المطلقة التى تبدأ منها وتنتهى اليها اعمال الناس فى الحياة » .

***

هذه العبارة على قصرها تتضارب فيها الاخطاء لتقف أولا عند التعبير « بوحدة الكائنات » فهو تعبير جديد على القاموس الفلسفى وضعه الدكتور شوقى قاصدا - بلا ريب - ان يكون له معنى ، فماذا يعنى ؟ ان الكائنات مما يندرج تحت الجماد والنبات والطير والحيوان والانسان ليست مجموعة اشياء كما يتبادر الى كل ذى عقل وانما هى شىء واحد !! وبلا ريب ايضا لم يرد الدكتور هذا المعنى وانما التعبير هو الذى اراده . التعبير الذى وضعه ليكون مفسرا أو مرادفا لوحدة « الخلق » عند العقاد . والفارق بين التعبيرين هو استخدام العقاد للمصدر واستخدام الدكتور للاسم . والمصدرية هنا مقصودة لأن العقاد يريد الوحدة فى «عملية» الخلق لا الوحـدة فى المخلوقات . يريد أن الخلق عملية واحدة أو « تجربة واحدة » - كما سنرى فى كلامه بعد قليل - ينبىء جميع مراحلها عن « القصـد » وبذلك تكون وحدة الخلق دالة على وجود الخالق وعلى وحدانيته وعلى ذاتيته وعلى عنايته أما وحدة الكائنات فليس لها دلالة على شىء هـذا الفارق - كما رأينـا - ليس بالأمر الهين وبخاصة فى مجال الفلسفة فهو يفصل بين كلام يقبله الفهم وكلام لا يقبله أى فهم . هذا الفارق يدلنا على ان الفلسفة لم تضع اصطلاح « وحدة الوجود » ارتجالا او اعتباطا ، فاستعمال المصدر هو الذى جعل الاصطلاح ينفى الفصل بين الموجد والموجود ، ولو استعمل الاسم لما تحقق هذا النفى، فالبعد بين «وحدة الوجود» و «وحدة الموجودات» هو كالبعد بين « وحـدة الخلق » و « وحـدة الكائنات » . ثم يشرح الدكتور ما يريده بوحدة الكائنات وما فهمه من وحدة الخلق فاذا الفراش والطير والحيوان والانسان « حقيقة مطلقة واحدة» وبهـذا المعنى يتم الترادف بين « وحدة الوجود » و «وحدة الخلق » و «وحدة الكائنات » فلا ندرى بما يريد . فاذا قيل ان الدكتور لم يغفل وجود الله قلنا لا محل لهذا الوجود بعد وجود « الحقيقة المطلقة الواحدة » والا فماذا تعنى هذه الكلمات الثلاث اذا لم تعن أن الوجود هو الله وأن الله هو الوجود ؟

نحن بين احتمالين لا ثالث لهما : اما أن الدكتور اراد بهذا الكلام ان يعبر عن وحدة الوجود فخانه التعبير وبذلك يكون قد نسب الى العقاد فكرة ينقضها نقضا صريحا ، واما انه اراد ان يشرح راى العقاد فى وحدة الخلق فصنع متاهة لفظية لانخرج منها براى واضح ولست ادرى عن اى كتب العقاد صدر الدكتور وهو يعرض هذا الشرح ولكن الذى ادريه أن المصدر الذى اعتمد عليه كما يزعم وهو كتاب « الله » ليس فيه جملة واحدة عن « وحدة الخلق » . يقول ان فكرة الوعى الكونى تعانقت مع فكرة وحدة الكائنات وان العقاد « مضى يصدر عن الفكرتين فى كتابه - الله - » وأى قارىء للكتاب يقول ان هذا حشر للمراجع فى غير موضعها . ولو رجع الدكتور الى كتاب العقـاد « فى بيتى » لوفر على نفسه عناء الاجتهاد فى شرح فكرة يشرحها صاحبها فيقول : « عادة عندى - بل أقوى من عادة » ان اشعر بوحدة الخلق كله وان انظر الى جميع الاحياء كأنها تجربة واحدة تنجلى عن مقصد واحد، واننا ربما فهمنا مقصد التجربة من مسوداتها الاولى قبل أن نفهمه من النسخة المنقحة المصقولة ، وان

كانت النسخة المنقحة المصقولة أجود في التعبير وأفصح في الأداء . وما قصرت قط خرافات الأقدمين عن وشائج الأحياء الا خيل الى أنها تنطوي على أكثر من خرافة أو لعبة خيال ، وتساءلت قبل نيف وثلاثين سنة عن مغزى تلك الاساطير التي تحكي عن اناس لهم إجسام آدميين ووجوه كلاب ، أو مغزى تلك التماثيل التي تجمع بين أجسام الوحوش ورءوس الآدميين . فقلت من كتاب الفصول « ما مغزى هذا الاجماع والتواتر ؟ وماذا في طي الاعتقاد بأن الانسان يتحول أحيانا من هيئته الى هيئة حيوان ادنا منه ، أو ان في عالم الحياة مخلوقا بعضه انسان وبعضه حيوان ؟ هذا شعور لم يرد الينا من ناحية الحواس ولكنا لانجهله وصحيح أن الخيال مفطور على مزج اشكال الحس والباس الموجودات لباس الانسانية ، ولكن لماذا فطر الخيال على ذلك ؟ أكان يستحيل أن يفطر على غير هذه الفطرة ؟ وهل لو خلق الانسان من غير عنصره المعروف كان يتخيل هذا الخيال بعينه ؟ الا يجوز أن يكون مغزى هذا الاجماع والتواتر أن في جبلة الانسان شعورا راسخا بوحدة الخلق وتلاحم سلسلة المخلوقات .. »

ثم يقول العقاد « وهذا الشعور الكمين لا أحسبه كان غائبا عني يوم نشرت «خلاصة اليومية» وكتبت في تصديرها « ان الانسان حيوان راق ولكنه لايزال حيوانا » ، ويوم كتبت مجمع الاحياء وعقدت فيه مؤتمر الحياة بين الحمامة والأسد والنمر والقرد والثعلب والانسان والمرأة وسائر الاحياء ، ثم يوم رثيت كلبي « بيجو » وجعلته شاهدي على بعض المذاهب في التربية والدراسات النفسية » .

تلك هي الفكرة كما أرادها صاحبها . شعور نافذ يتغلغل الى أعماق الحياة فيلمس العرى التي تربط بين الاحياء ، ويستكنه القصد من التجربة التي تمر بمراحل مختلفة متكشفة في كل مرحلة عن جديد ، تقوم الوشائج بينه وبين سابقه ولاحقه . أما في ترجمة الفكرة كما عرض لها قلم الدكتور شوقي ضيف فالكائنات كون واحد هو والحقيقة المطلقة شيء واحد ، لكنهما وتلك أعجوبة الأعاجيب لا يضيقان بوجود الله ، بل يكلان اليه عملا لا بأس به سوى أن « يتفرق » في عيوننا و « يتميز » في عقولنا . وهنا نعود الى عبارة الدكتور فنجده ينصحنا بأن « لا نقف عندما ترينا العين ولا عندما يرينا العقل ، وانما نقف عندما يرينا الوعي الكوني » فماذا يرينا هذا « الوعي الكوني » ؟ تشابهها في الغرائز وفي الطبائع بين الفراش والطير والحيوان والانسان !

ما هكذا يرينا الوعي الكوني ولا هكذا اراده العقاد أن يكون . والا فاذا كان ادراك التشابه في الغرائز والطبائع ليس من عمل الحس والعقل فما الذي يتميز به هذان عن « الوعي الكوني » ؟

أهو كلمة جديدة يضيفها العقاد الى الكلمتين بغير ضرورة ؟ كلا . ليست هذه وظيفة الوعي الكوني وانما وظيفته ان يكمل عمل الحس والعقل من أجل الوصول الى « الايمان » . فالايمان بغير استشعار ما سماه العقاد « وطأة الكون » ايمان ناقص لان المعول في الايمان ليس على العلم وحده فقد يكون العلم ولا يكون الايمان . وهكذا الأمر في كل شعور وكل عاطفة ، العلم بهما لا يكفي لمعرفتهما . ولكي يدلل الدكتور شوقي على ثقته مما يقول اتخذ من « **مجمع الاحياء** » مصدرا لفكرة الوعي الكوني . وموضوع مجمع الاحياء بعيد كل البعد عن هذه الفكرة . يقول العقاد : « هذه الرسالة وليدة الحرب العالمية الاولى . شغلني موضوعها يومئذ لانه موضوع الصراع في الحياة الانسانية بل في الحياة عامة ، وأحببت أن أعرف لهذا الصراع معنى يطمئن اليه الضمير فانتهيت بالرسالة الى معنى فيه بعض الاطمئنان أو كل الاطمئنان ، وهو أن الحق والنواميس الطبيعية يتلاقيان » . الكتاب اذن مصدر لفكرة الصراع في الحياة وليس مصدرا لفكرة الوعي الكوني . والعقاد يقول شيئا مفيدا عندما يذكر المعنى الذي انتهى اليه ، ولكن الدكتور لايقول شيئا مفيدا عندما يضن بذكر المعنى واضعا بدلا منه «الحقيقة المطلقة» . مرة أخرى سيقول قارىء العقاد : هذا حشر للمراجع في غير موضعها . بقي شيء يتعلق بهذا الموضوع نشير اليه ونترك للقارىء التعقيب عليه . هذه العبارة التي رأينا الى اى حد تتضارب فيها الاخطاء وردت في مقال نشرته مجلة «المجلة» في عدد هذا الشهر منسوبة الى العقاد نفسه !

الحساني حسن عبد الله

الإسلام وهذه الطائفية الدينية

بقلم محمد عبدالله السمان

منذ ايام نقلت وكالات الأنباء العالمية خبرا من مدينة زنزبار مؤداه ان معركة وقعت فى احد مساجد المدينة الكبرى ، حيث شهر بعض المصلين الاسلحة على البعض الآخر واسفرت المعركة عن قتلى وجرحى ، والسبب فى ذلك خلاف ناشىء بين الطوائف الدينية بسبب بعض المعتقدات ...

هذا هو الخبر : ولك ان تضحك بملءفيك او تبكى بملء عينيك ، فسيان هنا فى هذا الموقف الضحك والبكاء ، ولك بعد ذلك ان تتساءل عما يكون هذا الخلاف ، واغلب الظن انه خلاف تافه . لأن الطوائف الدينية فى افريقيا بأسرها لم تزل بدائية متخلفة ، تهيمن على معظمها الطرق الصوفية، التى ارادت لنفسها ان تظل الى الأبد اداة طيعة للاستعمار من طريق مباشر وغير مباشر ، وان تظل كذلك تفسح الطريق لجهات التبشير ، لتعمل فى صمت وهدوء ، تاركة المسلمين يتلذذون بغوغاء التصوف ، وصخب الطوائف المتدينة .

هذه الطوائف الدينية فى افريقيا تنقصها الثقافة الدينية الواعية المستنيرة ، التى ترتبط بمفهوم الاسلام الصحيح ، وبدون هذه الثقافة لا يمكن للمسلمين أن يتخلصوا من كهنوتية دينية تفرض سلطانها عليهم ، وهذه الكهنوتية يرتدى شعارها مشايخ الطرق الصوفية الذين ينافسون بنفوذهم نفوذ السلطات الحاكمة ، بل ان السلطات الحاكمة، ولاسيما اذا كانت من الأدوات الاستعمارية تتودد الى مشايخ الطرق الصوفية ، لاعتقادها ان هؤلاء المشايخ ايسر طريق الى كسب عواطف الشعوب فى الانتخابات البرلمانية المزيفة ، واظن ان بقايا الاستعمار يشرح صدورها ان يظل المسلمون متفرقين متنازعين متقاتلين من اجل سفسفات الأمور الدينية فى مظهرها ، ولا تتورع هذه البقايا الاستعمارية عن أن تسهم فى اشعال الفتنة ، وفى امداد معاركها بشتى اسلحة الدس والوقيعة .

قال لى طالب افريقى بالدراسات العليا بالأزهر :

ليست زنزبار وحدها فى افريقيا هى التى تعانى مثل هذه المهازل ، فكل دول افريقيا السوداء مليئة بالمآسى التى تتفجر احيانا باسم الدين ، وربما قامت معركة فى مسجد لان المؤذن نسى ان يصلى على الرسول بعد الأذان ، او لأن خطيب المسجد لم يشد بأحد الأولياء من اصحاب الأضرحة، او لأن مثقفا نصح المصلين أن يتجهوا الى الله بدل ان يتجهوا الى صاحب الضريح .. وهكذا

وقال لى طالب افريقى آخر ايضا :

ان الطلاب الافريقيين الذين يعودون الى بلادهم ، يعجزون عن أن يؤدوا اية مهمة دينية على وجهها الأكمل ، على ان كثيرا من المواطنين يرحبون بهم كمثقفين دينيين عادوا من القاهرة ، ولو حاولوا ان يردوا عن الدين الخرافات التى الصقت به ، ويذودوا عنه المهازل التى ترتكب باسمه ، لاشعلوا فى كل يوم معركة ، لأن نفوذ الطرق الصوفية ، والطوائف الدينية المتزمتة ، تقف لهم بالمرصاد .

ان الاستعمار لم يصف اعماله نهائيا من افريقيا السوداء ، حتى فى بعض الدول التى استقلت حديثا لم تزل رواسبه تؤدى رسالته ، والمسلمون وحدهم فى الميدان ، لأن جبهات التبشير التى تؤيدها دول استعمارية كبرى لا تكتفى بنشر الوعى الدينى بين الوثنيين ، بل تعمل كثيرا على زلزلة العقيدة الاسلامية فى صدور المسلمين

انفسهم ، وكذلك التيار الالحادي يعبيء كل جهوده للانقضاض على الاسلام باعتباره ــ في نظره ــ عقبة كاداء في طريق الغزو المادي الالحادي . وفي الوقت نفسه يشغل المسلمون أنفسهم بمعارك من أجل معتقدات لا ترتبط باصل الدين في شيء ، ويعملون بحماقات مؤلمة على تمزيق وحدتهم التي يجب ان تكون لديهم اعز من كل شيء ، أعز من الطرق الصوفية البلهاء التي تلصق نفسها بالاسلام ، وأعز من الطوائف الدينية الغارقة الى آذانها في الحماقة ، وكلاهما يقوم اساسا على الارتزاق ..

والعجيب المؤلم بعد ذلك : اننا هنا في مصر ــ بل في القاهرة اكبر عواصم الشرق ، التي اصبحت تمد افريقيا باشعاعات الفكر والمعرفة ــ تعالى نضحما في هذه الطائفية الدينية ، التي تمثلها جمعيات قرنت نفسها بالدين ، ومنذ شهور قامت معركة بين طائفتين دينيتين من أجل ضريح كان قائما في شارع الجلاء ، حيث قررت وزارة الاوقاف نقل رفاته تمهيدا لاقامة مسجد ، اذ ثارت احدى الطائفتين مستنكرة عمل الوزارة التي تعتدي على حرمات ولي من أولياء الله جاهد حملة نابليون بسيفه ، وتصدت الطائفة الدينية الاخرى لها تفند مزاعمها ، وتؤكد تقديس الأضرحة من رواسب الجاهلية الأولى ، وحنين الى الوثنية التي قوض عروشها الاسلام ، وكان ان استمرت المعركة صاخبة على صفحات مجلتي الطائفتين شهورا ..

ولا يمكن لعاقل ان يسال الطائفة الاولى . هل بقاء ضريح تحج اليه العوانس والمطلقات والعواقر آثر لديكم من اقامة بيت من بيوت الله تقام فيه الشعائر ، لأن لهذه الطائفة السنة حدادا تتطاول بها على كل مسلم مثقف مستنير ؟

والعجيب المؤلم ايضا ، انه ما من طائفة دينية في القاهرة تعيش في غير صراع مع غيرها ، سواء على المنابر في ايام الجمع ، ام في مجلاتها التي لاتملك غير المهاترة ، واشد عجبا من هذا ان الجمعيات الدينية كلها تتشدق فيما تخطب وفيما تكتب بالدعوة الى الاتحاد وتآلف قلوب المؤمنين،وتتباكى بحرقة على تمزيق وحدة المسلمين ، فاذا جئت تسائلها لم لم تفكري في وجدة تجمع شتات جماعاتكم ، وتقوم على منهاج يخدم الفكر الاسلامي والشعوب المسلمة ، فلن تجد الا السنة اصابها العمى ، وآذانا اصابها الصمم .

لقد وقعت في يدي مجلة لاحدى الطوائف الدينية في قلب القاهرة ، والتقت عيناي بمقال تحت عنوان : « قانون الجمعيات الجديد » هذا القانون فكرت فيه وزارة الشئون الاجتماعية لتوحيد الجمعيات الدينية ، ورأت أن يتصل مندوبوها بممثلين من هذه الجمعيات ، يقول كاتب المقال :

« ان السيد الرائد ــ رئيس الجمعية قد حضر الاجتماع وتحدث في نقطة حساسة للغاية وشرحها شرحا وافيا ، هي نقطة وجوب ملاحظة الناحية المذهبية عند التفكير في ضم او ادماج الجمعيات الاسلامية ، وقرر فضيلته أن الجمعيات الاسلامية في الجمهورية العربية المتحدة تنقسم الى ثلاثة اقسام رئيسية : العامة التي لا يقيدها مذهب او لون ، والسلفية ومنها المعتدل والمتعسف ، ثم الصوفية ومنها المستنير وغير المستنير ... فضم نوع من هذه الاصناف الثلاثة مع غيره مستحيل استحالة ذاتية تامة الآن للخلاف الأساسي في المفاهيم والوسائل والأهداف ، بل في العقائد والآراء والاتجاهات ، ومحاولة القول بان الكل مسلم ، وضمه او ادماجه مع مسلم لا باس به ــ هذا القول سطحي يستحيل عمليا تنفيذه بحكم الواقع ، ولا يقول به رجل يعرف حقيقة الاسلام والمسلمين .. »

وبعد ــ فلا اظن ان كلام السيد الرائد الديني في حاجة الى تعليق ، وحسبك ان تدرك كم يعاني الاسلام من الطائفية الدينية .. وبكل أسف .. باسم الاسلام نفسه ! !

محمد عبد الله السمان

لامعقول

للشاعر محمود عماد

لما رأى القوم أن الفهم أعوزهم ... وانهم جهلوا ضبط الموازين
ثاروا على كل معقول ومتزن ... ما بين شعر وتصوير وتلحين
وهللوا لأنابيش تجيئهمو ... من عاجز فى نواحيهم ومجنون
فالفن فى طرسهم او لوحهم بقع ... لا أحرف وخطوط ذات مضمون
فهل تجوز من قد ظنهم بقعا ... بين الورى لم تكون اى تكوين ؟
معاهد الفن فيم اليوم نشئها ... ومعهد الفن مستشفى المجانين ؟
حيث الجهابذ فى قول وفى عمل ... لا يبخلون بتعليم وتلقين
قالوا فلاسفة التبقيع اجمعهم ... فكم لهم كل يوم من افانين
تعسا لها نكسة بالناس راجعة ... للغاب من بعد تهذيب وتمدين
ان يصبح الشعر فوضى ليس يحكمه ... قانونه فلنعطل كل قانون
وان يكون عاقل فى الفن أتعسه ... فليهنا الفن بالبله الميامين
أهكذا حالت الدنيا واصبح تبين ... الأمور عليها غير تبيين ؟
أكل معنى عرفناه يراد به ... سواه • فالاذن تعريف بعرنين ؟
والحسن يرسم أشكالا مهوشة ... فالخرد العين غير الخرد العين ؟
وان تساءلت عن هذا الذى ابتدعوا ... القوك فى حمأ للغو مسنون
واذ اقر بتخريف مخرفهم ... صاحوا : بل ازددت فى فكر وتفنين
جهالة أم رياء أم هما اجتمعا ... ووحى جيب هنا أم وحى ماعون ؟

***

من قرظوهم بتجريح لمن حسدوا ... أبا لبراعة خطوا أم بسكين ؟
الصارخون بافواه ممزقة ... يبشرون بشعر غير موزون
الناس عن شعرهم أو نثرهم غفلوا ... فليصرخوا كسباع أو سراحين
ما كل جار بدعوى راح يكسبها ... حكما • فما الكسب الا بالبراهين
الشعر ماعاش بعد القول ازمنة ... ام ماتوفى عند القول فى الحين
سيلبث الشعر اوزانا وقافية ... وجدة وسموا فى المضامين
وينهج النغم والتصوير نهجهما ... عند الأناسى لا عند الشياطين
مواضع السجدات اليوم نعرفها ... فى القول كالأمس ، لا تغيير فى الدين
والانبياء الأل نقفوهمو ختموا ... فما مسيلمة فينا بمأمون
ماذا يراد بنا او ما يراد لنا ... أنترك الذروة العليا الى الدون ؟
انهجر اللغة الفصحى وقادتها ... ونستجيب لأمى ومفتون ؟
ودارج اللفظ تعييه الغثاثة عن ... اخضاع سامى معانينا لتضمين
قالوا نجدد • بل هم يكذبون هل ... التجديد ابدال تشويه بتحسين ؟
لو ان كل جديد قد يسوغ اذن ... والعقل فى الكون صدق غير تخمين
العيش يا قوم جد غير مهزلة ... والعقل فى الكون صدق غير تخمين
لئن تصدقتمو بالشعر فاقتصدوا ... فليس فى شعركم حق لمسكين
وربما كان عند الصمت اجركمو ... والصمت يأجر فى بعض الاحايين

أغنية بلا قرار

للشاعر فتوح احمد

وحدى . . وأثقال الغروب تسوخ فى كبدى
تمتص كل مرارة الاحساس من جسدى
وتبث ريح الموت . . كل حنوطة الأبد
وأنا أخافهما . . أخاف الموت يا ولدى

***

دوامة الايام يا ولدى .. أتعرفها ؟ حجر !
احساسى العريان فيها كل يوم ينتحر !
ويذوب .. يستجدى ملامحك الحبيبه لاثر
من يوم أن أخذوك ياولدى .. وأنت على سفر

***

وأنا على « الشباك » ولولة وتيار ابتهال
عينى على طول الطريق ترود أقبية المحال
وتسائل المجهول عنك ، فما استراح لها سؤال
يوم وآخر .. ثم لم أذكر .. تشابهت الليال

***

جمدت خطا الايام .. لا أخبار عنك ولا كتاب
ساعى البريد .. ألست تعرفه ؟ لقد سئم الجواب
« سأرى » يتمتمها فتفتح فى ظنونى ألف باب
لكنه سرعان ما يطوى الحقيبة فى اكتئاب

***

ومع الربيع تململت أوراق سدرتنا الحنون
يا روعة اللقيا .. وأقبل ياضناى الغائبون
فالثار ـ كالظلمات ـ تبهت .. والنهار له عيون
عادوا فزغرد حلمى الغافى ، وأورقت الجفون

وبلذعة النبرات فى قلبى .. باحساس الغريق
هرولت انظر فى الوجوه .. أضيع .. ابحث عن صديق
(هل عاد صاحبكم)
ومات الحرف فى الصمت العميق
ومضيت .. يفرش ناظرى المكدود أبعاد الطريق

***

ويطن فى أذنى صدى زغرودة ، وعبير ناى
وبكل درب .. كل منعطف .. وحيث مضت خطاى
شىء يمزقنى .. أراه .. تكاد تلمسه يداى
فاليوم عيد الغائبين .. فأين .. أين ترى .. فتاى

***

من يومها لم أذرع الطرقات بحثا عن حبيب
لم أندب الايام ، فالأعمار يا ولدى نصيب
وقبعت يطحن حسى المجروح معطفك القريب
وتنوشنى حاجاتك الملقاة فى البيت الرحيب

***

وتجىء زينب بنت جارتنا .. أتذكر يابنى ؟
تأتى لتسأل «هل سترجع» .. لو رجوعك فى يدى
« مهلا .. سيرجع يافتاة » وأستدير بناظرى
كيلا يموت رجاؤها ، فالحب مر يابنى

***

وأمر منه الثكل .. أن تطوى الزمان بلا قرار
أن تقضى الليل الطويل وملء عينيك انتظار
لله .. للولد الذى ـ يوما ـ سيرجع .. للنهار
أماه .. معذرة ، فليلك لن يكون له نهار !

مســـائل

الشيخ عبد الجليل شلبي منفعل .
والشيخ عبد الجليل شلبي غاضب علينا

ونحن والله لم نرد ابدا ان تصل المسالة الى هذا الحد . وانما اردنا فقط ان تدور المناقشـــة حول الأسس الفكرية لا حول ما يتفرع عنها من مسائل .

ان الأســاس الفكرى عندى ان هناك منطقـــا للحياة ، وان هناك شهادات للتاريخ ، وان علينـــا ان نســـتفيد منهمـــا . وانى حين اوردت قـــول أبى يوسف قاضى القضاة فى زمن العباسيين لم أورده الا على اساس ان الرجل قد ادرك منطق الحياة ، واعتبر بشهادة التاريخ .

ان منطق الحياة انها نامية ، متطورة ، متجددة .

وتجديد الحياة قد يجىء هينا لينا أساسه النمو والتطور ، وقد يجىء مفاجئا أســـــاسه العمل الثورى .

وتجديد الحياة يكون دائمـــا على أســـاس من التعديل ، والتحوير ، والتغيير الكامل . ويحتـاج الى زمن طويل الا اذا جاء ثوريا .

وان التاريخ ليشهد فى صـــفحاته الكثيرة بان التجديد يتم على حساب النظم التى تبلى والأفكار الذى تندثر .

والقرآن الكريم نفسه قد أشـــار الى شىء من هـذا ، وفطن المفسرون الى اشارته ، وذلك عنـد الحديث عن ارسال الرسل على فترات . فقـــد كان الذى يحدث ان الدين يندثر فى أنفس الناس **وان الرســـول المبعوث انما جـــاء ليجدد للناس الدين .**

والمسائل التى نتناقش فيها يا شيخ شـــلبى يجب أن تنظر اليها على هذا الأساس الفكرى .

ما منطق الحياة فيها ؟

وما شهادة التاريخ ؟ هل هـــذه الشهادة لهـــا او عليها ؟

وتستطيع يا شيخ شلبى أن تنظر فى اسئلتك كلها على هذا الأســـــاس . فهل تمضى مع منطق الحياة ؟ وهل يشهد لها التاريخ أو لا ؟

ولا تجزع يا شيخ شلبى حين أضع الظاهـــرة الاجتماعية أمام بصـــيرتك فأنا لم أخلقها وانمـــا وضعتها فقط أمام عقلك وبصيرتك .

وهذه مسألة يا شيخ شلبى أضعها أمام بصيرتك ما حكم النصوص الواردة بشأن الجزية ، وهـــل هى معطلة أو معمول بها ؟

واذا كانت هذه النصوص بعيدة عن الواقع العملى **فهل تستطيع لها ردا ؟**

عليك بمنطق الحياة وقد وضعت أنا أمام بصيرتك شهادة التاريخ .

شىء آخر قد تدرك وحدك الباعث عليه .

اذا رددنا الاجماع كما تتصوره أنت وتصـــوره كتب أصول الفقه فهل تعرض مسائل الحياة عليـه اليوم على أساس من حلول المشكلات ، وتيســـير الحياة على الناس أو على أساس من ادخال النار .

اننا نبحث اليـــوم عن حلول لمشـــكلاتنا . وهذه الحلول تتطلب دراسات وبحوث من الخبراء **ولم ينـــكر احد قط ان يـــكون الخبراء فى مســـائل الاقتصاد ، والسياسة ، والاجتماع ، وكل ميادين العمل من اديان مختلفة .**

ان الاســـلام الـذى يبيح تكوين الأسرة الواحدة من والدين من دينيين مختلفين لايمنع أبدا ان تتكون اللجان المختصة من أناس من أديان مختلفة .

ان الأسرة هى الخلية الاولى فى تكوين المجتمع ، وأثرها أخطر من أثر أعمـال اللجان فى المشروعات الدنيوية .

ان العلاقات الاجتماعية ، والمعاملات الدنيوية تتم بين أناس من اديان مختلفة ولا داعى أبدا للاحراج فى وطن نرجو وحدته .

ارجو أن يذهب عنك غضبك يا شيخ شلبى . وأن تعتمد فى تفكيرك على أساس من منطق الحياة ، وشهادات التاريخ .

كلمة

قال الامام **الطوفى الحنبلى** عند شرحه للحـديث الشريف **لا ضرر ولا ضرار** انه اذا تعارضت المصلحة مع النص والاجماع وجب تقديم رعاية المصـــلحة عليهما بطريق التخصيص والبيان لهما .

ويقول السيد رشـــيد رضا . ان طريقـــة الطوفى هـذه ليست هى القول بالمصـالح المرسلة على ما ذهب اليه مالك ، بل هى أبلغ من ذلك .

انها التعويل على النصـــــوص والاجمـــاع فى العبادات والمقدرات ، وعلى اعتبـــار المصـــالح فى المعـــاملات وباقى الأحكام . وذلك لأن مصـــلحة سياسة المكلفين فى حقوقهم ... معلومة لهم بحكم العادة والعقـــــل . فاذا رأينا الشرع متقاعدا عن افادتها علمنا أنا أحلنا فى تحصيلها على رعايتها .

ويقول الأستاذ الغلايينى . الامام الطوفى يقصد الى بيان أن الحديث بمنزلة أن يقال بعد كل حكم نص عليه « **الا اذا اقتضت المصلحة خلافه** » .

دكتور محمد احمد خلف الله

مكانة الاتحاد الاشتراكي في المفهوم الديمقراطي

بقلم زكي محمد اسماعيل

تربعت الديمقراطية على عرش السياسة المعاصرة بحيث أصبحت أوسع أنظمة الحكم انتشارا ، وأمل الأمم فى تحقيق أهدافها ومراميها ، وأصبحنا اليوم نخوض تجربة ديمقراطية جديدة بلورها التغيير الثورى وحدد ملامحها فى صورة الاتحاد الاشتراكى العربى الذى كان « نتيجة منطقية » لمقدمات من تجاربنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية خضناها على امتداد تاريخنا القومى الحديث ... ولكن : الى أى حد يلتقى نظام الاتحاد الاشتراكى كمظهر لديمقراطيتنا بديمقراطيات الشرق والغرب ؟ وفى أى الدروب ينفصل عنها أو يتفوق عليها ، وعلى أى مسلك يسير فى ضوء الديمقراطية الاسلامية ويأخذ منها ويتجاوب معها ؟... هذا ما سنحاول أن نلقى الضوء عليه من خلال مقالنا هذا .

ان كلمة « الديمقراطية » كما تستمد من لفظيها الاغريقيين Demos و Kratos تعنى « حكم الشعب » وبهذا المعنى عرفها « لنكولن » بأنها « حكم الشعب بواسطة الشعب من أجل الشعب » ولكن « سيلى » يعرفها بأنها « الحكم الذى يملك فيه كل فرد نصيبا » أما الفيلسوف الانجليزى « جون لوك » فيرى أن الرضاء هو أساس الحكم الديمقراطى ، فالسلطة الحقيقية فى يد الشعب وقد منحها للحاكم على أساس أن يعمل لصالح هذا الشعب ووفق رغباته . أما الديمقراطية فى الاسلام فتعنى الحكم على أساس من التفاهم والشورى « **وأمرهم شورى بينهم** » .

وكائنا ما كانت التعاريف المختلفة للديمقراطية فهى تعنى النظام السياسى الذى تتركز فيه السلطة فى يد الشعب أو فى يد غالبيته . ولكن هدف الديمقراطية الحديثة لم يعد فى مجرد تمكين الشعب من حكم نفسه فحسب ، وانما فى أن يكون هذا الحكم نفسه قائما على تحقيق أكبر قسط من الرفاهية والرخاء للمجموع من أفراد الشعب فى ظل تمتعهم بالحرية الحقيقية التى يكفلها القانون ... الحرية التى تضىء ولا تحرق مستندة الى القاعدة السليمة « أنت حر ما لم تضر » وبهذا أصبحت الديمقراطية مدرسة الشعوب تربى الأفراد وتصقل مواهبهم وتنمى ذكاءهم على أساس تكافؤ الفرص للجميع ومن خلال هذا المفهوم كانت الديمقراطية نظاما عريقا أصيلا فى تعاليم الاسلام السمحة اليسيرة منذ قام الرسول عليه السلام داعيا للمحبة والألفة والاخاء والمساواة . قال تعالى : «**يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا** »وقال عليه السلام : « **لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى** » .

ولعل أرفع أنواع الديمقراطية وأسمى صورها يتمثل فى النوع المباشر منها وهو ما يتيح لكافة أفراد الشعب المشاركة فى الحكم ، وقد شهد العالم القديم هذا النوع من الديمقراطية فى « أثينا » فى العهد الاغريقى ، أما فى العصر الحديث فقد تحقق هذا النوع من الديمقراطية فى بعض ولايات «سويسرا» تلك التى بلغت درجة من التعليم والثقافة يؤهلها لمشاركة كل أفرادها فى الحكم .

ويرى معظم المفكرين أن هذا اللون الديمقراطى أصبح من قبيل الفكر النظرى المجرد الذى لم يعد له سند من الواقع لتعقد المجتمعات واتساع رقعتها

وزيادة كثافتها السكانية وسيادة مبدأ التخصص وتقسيم العمل بها ٠

وسواء كانت سلطة الحكم في يد الشعب او في يد أغلبيته فهي لا يمكن أن تكون في يد فرد واحد كما في النظم الدكتاتورية او الملكية المطلقة او في يد حكومة الأقلية الارستقراطية من الأشراف والنبلاء أو في يد « الأوليجاركية » وهي حكومة الأقلية من أصحاب الأموال وكبار التجار لأن هذه الطبقات تنتزع من الديمقراطية أهم معاييرها وهي السلطة الشعبية ٠٠

ومن الأهمية بمكان أن نفصل بين مفهومي الحكم الديمقراطي والدولة الديمقراطية ، فالحكم الديمقراطي يعني دولة ديمقراطية بالضرورة ، اما الحكومة الديمقراطية فتتسع لأكثر من شكل للحكم وتتسق مع الحكومة الجمهورية أو الملكية أو الأوتوقراطية وكل ما تحققه الديمقراطية أن يصبح المجتمع ككل صاحب السيادة المسيطرة على الأمور بصفة عامة ، وبهذا المضمون يحدد الميثاق الوطني معنى ديمقراطيتنا العربية فيقول « ان الديمقراطية هي توكيد السيادة للشعب ووضع السلطة كلها في يده أوتكريسها لتحقيق أهدافه» ولاشك أن هذا التفسير الديمقراطي انما يحمل معنى حرية الشعب في اختيار ممثليه ونقدهم وأحقيته في تغييرهم ، وهنا ربط الميثاق الديمقراطية بالحرية فوصفها صراحة بأنها « الحرية السياسية » ٠

واذا أسلفنا القول بان نظام الديمقراطية المباشرة أصبح اليوم نوعا من النظم النظرية التي يتعذر ان لم يستحل - تحقيقها في المعترك الدولي الراهن فان هناك نظامين آخرين من نظم الديمقراطية يسودان الحكم السياسي المعاصر ويتمثلان في « الديمقراطية النيابية » التي تقوم على أساس انتخاب ممثلين ينتخبهم الشعب ليعبروا عنه ويتحدثوا باسمه في مناقشة سياسة الدولة ، وعليهم تلقى تبعة المهمة التشريعية ٠وهناك نظام «الديمقراطية شبه المباشرة» وهي نظام وسط بين الديمقراطية المباشرة والنيابية وبموجبها لا يترك الشعب مقاليده للبرلمان وحده وانما يشترك معه في المسائل الهامة التي يرى وجوب تصديقه عليها مباشرة كما أن من حقه في هذا النظام مراقبة البرلمان واقتراح ورفض القوانين عن طريق الاستفتاءات الشعبية ، فالشعب هنا يعتبر سلطة رابعة بجانب السلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية ٠٠

واذا كانت تلك أهم سمات الديمقراطية الغربية التي تجاوزت دائرة المسرح الغربي في كل من لندن وباريس وواشنطون لتغطي حدود مسرح دولي أعم وأشمل فان موسكو هي الأخرى تدعي أنها صاحبة الديمقراطية المثلى للقرن العشرين وهكذا اجتمعت كلمات الرؤساء «روزفلت» و «ستالين» و «تشرشل» في يالتا سنة ١٩٤٥ على « العمل المشترك بواسطة دولهم الثلاث لمقابلة المشاكل السياسية والاقتصادية لأوربا المتحررة وفق المبادىء الديمقراطية » الا أنه سرعان ما أصبحت هذه المبادىء نهبا للتناقض في التفسيرات والتأويلات ، ومن خلال هذه المعركة الفكرية تطلعت الدول النامية كالجمهورية العربية المتحدة والهند وباكستان الى تفسير للديمقراطية يتلاءم مع ظروفها السياسيةوالاجتماعية ومع تاريخها ومبادئها الروحية ٠

ولقد أبرز عالم السياسة البريطاني **«هارولد لاسكي»** الفرق بين الديمقراطية بمفهومها الانجليزي والسوفيتي فرأى أن بريطانيا لا تكون مجتمعا ديمقراطيا ، لأن المجتمع الديمقراطي هو الذي يحقق أقصى ارضاء لرغبات افراده وعليه فلا امتيازاتخاصة في هذا المجتمع من ناحية الثروة او العقيدة أو المولد او العنصر ضمانا لتادية مطالب الشعب باقل تحيز ممكن، ومن خلال هذا المضمونالذي يعرضه «لاسكي» يرى في الاتحاد السوفيتي مجتمعا أكثر ديمقراطية من بريطانيا من حيثمحاولته ارضاء حاجات المواطنين بصورة أوسع نطاقا مما في بريطانيا كما أنه لا يضع في الاعتبار وزنا للامتياز الخاص الذي يستند الى المولد أو الثروة أو العنصر ٠٠٠ وعلى النقيض يرى هارولد لاسكي أن بريطانيا ذات حكومة ديمقراطية بعكس روسيا التي تسيطر عليها « ديكتاتورية البروليتاريا» فالحكومة الديمقراطية في رأيه هي تلك التي يضع رجال الحكم فيها القوانين شريطة أن يكونوا مختارين من زملائهم المواطنين لهذا الغرض وعلى أن تمارس الحكومة سلطتها دوناجراءات قسرية وفي فترات تتعاقب على نحو معقول ٠٠٠ وبتطبيق هذا المفهوم تملك بريطانيا حكومة أكثر اصالة وعمقا في ديمقراطيتها من روسيا ٠٠

أما مفهوم الديمقراطية العربية كقالب للاتحاد الاشتراكي العربي فقد أوضح الميثاق طريقها ورسم معالمها وحدد قسماتها وكيف استمدت جذورها من الواقع المصرى والتجربة العالمية واهتدت بهدى الدروس التى خرجت بها من محيط التجربتين ... ولم تقف ديمقراطيتنا عند الشكل التقليدى الغربى بالاكتفاء بالاقتراع العام وسرية الانتخابات والحرية الشخصية فى اختيار الممثلين وإنما أخذت برأى المفكرين الاشتراكيين فى وجوب توافر الشكل والمضمون معا و « المضمون » للديمقراطية هو الحرية الاجتماعية تلك التى يجب أن تكون ضمانا لتكوين «الشكل» ، وهو الحرية السياسية وعلى هذا فالاتحاد الاشتراكى العربى « **اتحاد** » من حيث هو وحدة تنتظم جميع فئات الشعب العاملة للعمل المشترك من أجل التقدم والرخاء و « **اشتراكى** » من حيث أن هدفه تحقيق الاشتراكية كأساس للعمل السياسى وهو « عربى » الملامح والموطن والهدف ... ولعل هذا المضمون الثورى الجديد هو أهم ما يميز ديمقراطيتنا الثورية عن ديمقراطيتنا « اللاثورية » التى اتسمت بالانحراف السافر عن مطالب الشعب والاكتفاء بالشكل الخادع منها دون المضمون الناجع ... وقد أبرز الميثاق أهميةالحرية الاجتماعية لضمان تحقيق الديمقراطية السليمة بقوله : « ان الذى يحتكر رزق الفلاحين والعمال ويسيطر عليه يقدر بالتبعية أن يسيطر عليهم وعلى ارادتهم » كما قرر « ان حرية رغيف الخبز ضمان لا بد منه لحرية تذكرة الانتخابات » .

كما أوضح الميثاق فىالباب الخامس الصلة الوثيقة بين الديمقراطية السياسية والديمقراطية الاجتماعية بقوله « ان الديمقراطية السياسية لايمكن أن تنفصل عن الديمقراطية الاجتماعية ، وان المواطن لا تكون له حرية التصويت فى الانتخابات الا اذا توافرت له ضمانات ثلاثة :

أن يتحرر من الاستغلال فى جميع صوره ، وأن تكون له الفرصة المتكافئة فىنصيب عادل من الثروة الوطنية وأن يتخلص من كل قلق يبدد أمن المستقبل فى حياته » .

وهكذا أرجع الميثاق فشل الديمقراطية بين ثورتى سنة ١٩١٩ وسنة ١٩٥٢ الى فصل المضمون الاقتصادى عن الشكل السياسى ، ولقد مثل الشكل السياسى نفسه وهو النظام الحزبىعلى صفحة تاريخنا القومى صفحة مليئة بالآثار فكانت غايته الوصول الى كراسى الحكم كائنا ما كانت الوسيلة مما دعا لأن يسلب الاستعمار كل معانى الاستقلال الحقيقية للبلاد ، وكانت الاحزاب مهما تعددت مشاربها واختلفت الوانها أو تنوعت شعاراتها مظهرا لوجه واحد هو الراسمالية والاقطاع . ولما كانت القاعدة المنطقية تقضى بأن « فاقد الشىء لا يعطيه » كان من غير المعقول أن يمنح حكام ما قبل الثورة للشعب حقه فى الحرية الصحيحة والديمقراطية السليمة والعيش الكريم ، لأنهم لا يؤمنون بهذا الحق الذى يتعارض ومصالحهم الطبقية . ولما كانت الحريات السياسية وحقوق الشعب المنصوص عليها فىصلب دستور سنة ١٩٢٣ ما هى الا «واجهات دستورية » مستوردة وشعارات ظاهرها يسر وتطبيقها يضر ، فقد الغت الثورة الأحزاب غداة قيامها فى الثالث والعشرين من يوليو سنة ١٩٥٢ واصدرت قانون الاصلاح الزراعى اللبنة الأولى فى بناء المجتمع الاشتراكى فما كان للاشتراكية أن تتحقق لها السيادة فى مجتمع حزبى يعمل على تدعيم الراسمالية بكل ما اوتى من قوة وسلطان .. وجدت الثورة فى البحث عن النظام الشعبى الذى يحقق الديمقراطية السليمة ويضمن وحدة الأمة ويكفل تحقيق برامج الثورة ويحميها ضد اعدائها الرجعيين فكان « الاتحاد القومى » الذى قام على أساس تجميع أعضاء الأمة فى وحدة متكافلة متساندة تشمل كافة الطبقات أملا فى أن تحل هذه الطبقات مشاكلها حلا سلميا فيما بينها ، ولكنها كانت أمنية طيبة فى التقدير النظرى وتجربة مريرة فى التطبيق العملى اذ اكدت « الحقيقة النفسية » أن « من أخذ » ومن « أخذ منه » لا يمكن لهما ان يلتقيا فى صعيد واحد على أساس التعاون الصادق ... وقد كان « تمثيل » « الكزبرى » ومن على شاكلته فى الاتحاد القومى على « المسرح السورى » دليلا على فشل مبدأ التوفيق بين ذوى المصالح المتناقضة ... ولهذا كان لابد من الاستفادة التامة من هذه التجربة ومنطقها يقول « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » فكان «الاتحاد الاشتراكى العربى» منظمة سياسية تنتظم صفوف الشعب العامل فى وحدة جماهيرية ، ولعل أهم ما يميزه عن الأنظمة الديمقراطية الغربية والشرقية وحزبية ما قبل الثورة يتبلور فى النقاط التالية .

اولا : حرص الاتحاد الاشتراكى العربى على ان ينقى صفوفه من الفئات الرجعية والانتهازية والرأسمالية أعداء الاشتراكية فأصدر قانون العزل السياسى الذى حرم هذه العناصر من الوقوف على مسرح السياسة حتى لا تتكرر المأساة .

ثانيا : يفترض الاتحاد الاشتراكى العربى التقاء صفوفه على الأهداف الكبرى فى مجال الاقتصاد والسياسة والاجتماع من عناصر الشعب العاملة المنبثقة عن الفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية ، وفى هذا ما يميز الاتحاد الاشتراكى عن النظام الحزبى القائم على أساس الصراع بين الأحزاب للوصول الى الحكم كغاية ، وعليه فالعضوية فى الاتحاد الاشتراكى اساسها «الاتفاق» وليس « الاختلاف » ، مما يقضى على التناقض الطبقى الذى كان ممثلا فى « الاتحاد القومى » حاملا لجرثومة فنائه .

ثالثا : كان الاتحاد الاشتراكى صادقا فى تمثيله لفئات الشعب تمثيلا يحقق الديمقراطية بأوسع معانيها ، اذ أصبح يرتكز على نسقين من الوحدات الأساسية : « الوحدة الجغرافية السكنية » التى تنتظم مجموعة من المواطنين فى مناطق سكنية متجاورة ، و « الوحدة الوظيفية » التى تجمع الأفراد بحكم مهنهم ووظائفهم فى مؤسسة أو مصنع أو معهد وتعتبر الوحدتان فى مختلف الأقاليم شرايين للديمقراطية فى سائر أنحاء الجمهورية ، وتتيح كل منهما للمواطنين التعرف على شخصية نوابهم عن كثب مما يعمل على تحقيق الصلة المباشرة بين النائب والناخب وتلك من أهم سمات الديمقراطية السليمة التى غالبا ما تفتقد فى التنظيم الحزبى .

رابعا : أصبح دور الاتحاد الاشتراكى فى المجال السياسى قائما على توجيه أجهزة الحكم ورقابتها ، وقد عبر الميثاق عند هذا بقوله: « ان سلطة المجالس الشعبية المنتخبة يجب أن تتأكد باستمرار فوق أجهزة الدولة التنفيذية » .

وبهذا تتبلور الاتجاهات الشعبية الأصيلة فى مختلف مستوياتها حتى تصعد القمة الهرمية داخل الاتحاد الاشتراكى ، فاذا ما صدرت بها توصيات كانت تعبيرا أكيدا عن « الرأى العام المنظم » .

خامسا : اذا كانت الديمقراطية التقليدية ترى ان فى السماح بممارسة حق الانتخاب دون قيد أو شرط تقريرا كافيا للعدل السياسى والمساواة الاجتماعية الا أن العمل السياسى الحقيقى لا يتم بهذا فحسب ، وانما يتم داخل المجالس النيابية نفسها . ولما كانت هذه المجالس تظل حكرا لفئات وطبقات معينة ذات اوضاع اجتماعية خاصة تقفز بهم الى مقاعد البرلمان كما كان الحال فى مجتمعنا قبل الثورة ، فقد جاء الميثاق واقعيا حين قرر أن التنظيمات الشعبية السياسية التى تقوم بالانتخاب الحر المباشر لا بد أن تمثل بعدالة حق القوى المكونة للأغلبية .

ولقد كانت الوسيلة التى اختارها الميثاق لتحقيق هذه النسبة العادلة للأغلبية فى الاتحاد الاشتراكى كما فى المجالس الأخرى هى « أن يضمن الدستور الجديد للفلاحين والعمال نصف مقاعد التنظيمات الشعبية والسياسية على جميع مستوياتها بما فيها المجلس النيابى باعتبارهم أغلبية الشعب كما أنها الأغلبية التى طال حرمانها من حقها الأساسى فى صنع مستقبلها وتوجيهه » .

وهناك كلمة اخيرة لابد أن تقال فى هذا المجال احقاقا للحق وهى أن الاتحاد الاشتراكى اذا كان يقوم فى كافة تنظيماته على أساس الشورى وتبادل الرأى فذلك هو لب الديمقراطية الاسلامية حيث أمر الله رسوله الكريم بقوله : «وشاورهم فى الأمر» وفى الشورى تأكيد لمعنى المساواة والاخاء والمحبة والتعاون : « انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم » « وتعاونوا على البر والتقوى » ويؤكد الحديث الشريف ان المؤمنين فى تعاطفهم وتوادهم وتراحمهم كالجسد الواحد وحين يتحرك الجسد فانما يتحرك كتلة واحدة تعمل لغرض واحد بوسيلة واحدة ، وبهذا يسعى الاتحاد الاشتراكى وقد انتظم فئات الشعب العاملة على قدم المساواة فى الحقوق والواجبات من أجل البناء وتحقيق الرفاهية لشعب ناهض وثاب .

محمد زكى اسماعيل

أعلام منسيون

خيرى سعيد

بقلم أنور الجندى

مات « خيرى سعيد » منذ عامين دون أن يتنبه لموته أحد ، أو يكتب عنه كلمة ، وكان قد اعتزل الحياة الادبية منذ أوائل الحرب العالمية الثانية تقريبا فما ظهر له بعد شيء في صحيفة أو كتاب ، وآخر العهد به مقالات كان يحررها في جريدة الوادى عام ١٩٣٥ ثم جاء انصرافه عن الكتابة فجاة وانتقاله الى الاسكندرية حيث كان يعمل موظفا باحدى المصالح الحكومية ، معتزلا الحياة الفكرية على نحو حال به حتى دون الكتابة الى من بعثوا يستفسرون منه عن مطالع حياته الادبية .

وقد بدأت هذه المطالع خلال ثورة ١٩١٩ حين كان طالبا بمدرسة الطب في السنة النهائية مشتركا في الثورة يكتب المنشورات ويطبعها في الخفاء، وهو صاحب المنشور الذى تحدث عن أول فتاة مصرية استشهدت في الثورة برصاص الانجليز : «شفيقة» التى خرجت في ميدان القلعة تحمل العلم وتهتف بالحرية ..

ثم لم يلبث « خيرى سعيد » بعد عقد الهدنة أن شارك في انشاء ما أطلق عليه اذ ذاك « مدرسة الآداب الجديدة » حيث كانت تجتمع في حديقة محل لبتون وتضم معه ابراهيم المصرى ويحيى حقى ، ومحمد تيمور ، وعباس علام ، وزكى طليمات ، وحسين فوزى وطاهر لاشين وحسن محمود ومحمود تيمور .

وهى المجموعة التى أصدرت من بعد مجلة الفجر. وقد ظهر العدد الاول منها في اغسطس ١٩٣٤ .

وكان خيرى سعيد هو حجر الرحى في هذه الجماعة وقطبها النابه الذى ترك كلية الطب واكتفى بالعمل في ميدان الادب . وقد أشار خيرى سعيد في بعض كتاباته الى أن « ابراهيم حمدى » هو الذى وضع الحجر الأول لهذه المدرسة « ليس بالتعليم ولكن بجمع نفر صالح حوله ليتعاون هذا النفر على تحرير ذهنه واطلاق طبيعته وعرفان حقيقة مواهبه وادراك كنه قواه ومقدوره» ولم يعرف كثيرا عن الاديب المجهول !

وقد صور « خيرى سعيد » اتجاه المدرسة الحديثة عام ١٩٢٢ فقال : ان مدرسة الآداب والتفكير الجديدة قد ابتدأت فعلا عملية الهدم والتحطيم والتدمير العظيمة المريعة في شعرها وفي كتاباتها ، وهى دائبة تتمم ما شرعت فيه بالرغم من قلة أعضائها وتفرقهم في طول البلاد وعرضها ، وقلة ابواقهم وجرائدهم « اننا قوم مدفوعون باختلاجات قوية وثورات باطنية للخروج على القديم الذى يظن البعض انه يحطمنا ويهشمنا للاعتبارات التى قدمتها ، غير اننا مع ذلك تغلبنا وها هى عملية الهدم تطرد والثغرة في أسوار القديم تتسع وتتفرج » وعنده ان هذه المدرسة قد ركزت على أعمال العبقريين في الغرب وفي الشرق وفي جميع العصور في كل مايجول بالعقل البشرى والخيال البشرى والاحساس البشرى، وأشار الى أن أفراد هذه المدرسة معدودون يعرفون بعضهم ، وكثيرا ما يتشاحنون . ولكنها

معاداة أهل الحرفة الواحدة لخير الصناعة » .

وقال خيرى سعيد : « لاغاية لنا الا هدم القديم، وان الهدم ضرورى قبل الشروع فى البناء ، وان غايتنا اجتلاب النار المقدسة واضرامها فى القلوب والرءوس» وأشار الى أنه نتيجة لتصديهم الى تصحيح اغلاط الجيل فقد صدف عنهم الناس وعابوا آثارهم.

وقال « اننا لم نتتلمذ على أحد ممن سبقونا أو عاصرونا ، وانما تتلمذنا على أساتذة العالم من قديم الزمان وحديثه ، ونهلنا من امهات الطرائف الادبية الفنية من فجر التاريخ حتى القرن العشرين ، واستقر فى وعينا أن الامم التى تعيش على ما يلقى اليها من فتات المائدة الخالدة - مائدة المعرفة - تعيش امة فى ركب السادة المبدعين ، وتحيا حياة غير كريمة لا تمتاز كثيرا عن حياة السوائم ، فكرهنا لأمتنا هذا الوضع المزرى ، ورحنا نناضل وندرس ونتعمق ونفحص سنوات ، بدأت ونحن طلبة فى المدارس العالية حتى استقام لنا النهج ، وصحت عزيمتنا على العمل يغذيها ايماننا بقدرة على الخلق والابتكار وبأن الأصل فى هذا الشعب أنه سيد عظيم ، جبل على بناء الشوامخ وصنع المعجزات » .

***

وعندما أصدر مجلة الفجر عام ١٩٣٤ أعلن هدف المجلة :

- **ان يكون لنا ادب مصرى خاص بنا .**
- **رفع مستوى الصحافة الادبية .**
- **الترفع عن استغلال حياء الادباء فلانستمرىء عصير قرائحهم ومجهود اذهانهم بلا مقابل .**

وقد أشار خيرى سعيد من بعد الى أن هذه المجلة لم تجد رواجا يمكنها من الاستمرار « حيث كانت الصحف منصرفة الى شئون السياسة » وان كانت « قد طورت فن القصة ونشرت اشكالا ادبية لم تكن معروفة فى أدبنا العربى ، وهى : الصورة الوصفية والرواية القصيرة، والمقالة الادبية ، والنقد الفنى».

وقال انه لم يفكر قط مع اخوانه فى أن يكتبوا قصصا محلية ، بل كانوا انسانيين يؤلفون للعالم كله ، ويعالجون عواطف واحساسات وافكارا وحوادث لا يحدها مكان أو زمان ولا تعرف جنسا أو مذهبا.

وهو يرى : أن المدرسة الحديثة قد أضافت فى الادب العربى المعاصر عملا جديدا هو « فن القصة » وقد قدم هو بالذات محاولة فى القصص التاريخى هى قصة (الدسائس والدماء) عام ١٩٣٥ عن حياة على بك الكبير ، وعنده أن القصة قد بلغت على يد : محمود طاهر لاشين ومحمود تيمور مستوى فنيا رفيعا .

***

وفى الفترة ما بين ١٩١٩ الى ١٩٣٩ تقريبا قدم خيرى سعيد أعمالا كثيرة موزعة فى الصحف والمجلات وقد نسبت اليه قصة «عبث الشباب» التى لم اجدها فى دار الكتب ، وكذلك كتاب (فن الشعر) الذى جعل مقدمته ترجمة لفصل من كتاب تولستوى الموسوم باسم (ما هو الفن ؟) وله عديد من الابحاث فى مجلتى الجديد ١٩٢٨ والسياسة الاسبوعية حتى عام ١٩٣٢ والهلال حتى عام ١٩٣٤ ، كما حرر فى المجلة الطبية والفجر والسفور مع محمد تيمور ، والمنبر مع جورج طنوس وجريدة الوادى عام ١٩٣٥.

يقول « كنت أعددت نفسى لحياة حرة، واصطنعت الطب مهنة ، ثم رأيت أن أتخذ الادب هوية ، غير أن حادثا عائليا أوصد فى وجهى باب الرزق من التطبيب ، فالتجأت الى الصحافة ، لا على اعتبار أنها أدب ، بل لصلتها الوثيقة بالادب وبقية فروع المعرفة الانسانية » .

وقد ظلت آراؤه مستحدثة وطريفة وجريئة فى نفس الوقت ، تقوم على طريقة التحليل وان كان يعلن دائما أنه ضعيف الثقة بالمذاهب الفنية، ويكره أن يتبع القصصى مذهبا معينا ، وعنده ان كل المؤلفين الذين أخذوا أنفسهم بمذهب خاص تخلفوا عن الحياة .

وقد أولى طريقة التحليل النفسى اهمية كبرى وحاول تطبيق نظريته فى مجال دراسة الادب العربى ، وجمع ملاحظات اعتقد أنها تساعد على فتح باب جديد لفهم الشخصيات الادبية والفنية ، غير أنه أحس أن هناك أسرارا ومعضلات يقف الباحث أمامها حائرا عاجزا ، وعنده أن العقل الانسانى الفردى ينمو متدرجا فى مراحل معينة ، وخلال هذا التدرج تعتوره تغييرات متعددة الاسباب عظيمة النتائج فى تكوين الشخصية والعقل، وليس الادب

والشعر وبقية الفنون الا تعبيرا عن الشخصية ، شخصية الفنان أو الكاتب والشاعر .

ثم أولى اهتمامه بمختلف النظريات الجديدة ، ففى مجال التاريخ تبرز نظرية فلا يلبث أن يعرضها خيرى سعيد فيقول: «ان الطريقة المثلى لكتابة التاريخ هى أن تنظر الى الموضوع من جميع نواحيه، وتدرسه من جهاته المتعددة ، مع المحافظة على التوازن والاتساق ، وتجنب العسف واطراح الهوى والتعصب ، على شرط أن نبرز الحوادث ونحيى الاشخاص بين السطور» وعنده أنه لكى ترسم صورة صادقة لأى عصر طواه الماضى فى سجلاته لا غناء عن استخدام الطريقة العلمية فى جمع حقائق التاريخ وتمحيصها ، ثم بعد ذلك يستوحى الفن الادبى فى ابراز الصورة وتجميلها بالظلال والالوان ونفخ الحياة فيها » ذلك لأن الماضى لا يمكن أن يجلى بالاحصائيات والارقام والحقائق الميتة ، لقد كان الماضى نابضا بالحياة زاخرا بالحركة والنشاط ومن حقه علينا أن نعيده الى الحياة كما كان .. » ولعله اصطنع هذا المذهب فى قصته «الدسائس والدماء».

ولا يلبث ايضا أن يصور رأى العلم الحديث فى الاحلام والرؤى ، مقارنا ذلك برأى الاقدمين كابن سيرين وعبد الغنى النابلسى ، ثم يتناول الشخصية الانسانية وكيف تدرس وهكذا ..

ويكشف عن رأيه فى نقد الاعمال الفنية فهو قليل الثقة بالنقاد ، عظيم الثقة بالاعمال الفنية نفسها ، ويقول: « أفضل أن اجتلى الحسن فى الصور والتماثيل بعينى راسى ، واكره أن يذهب الناقد الى المتحف ويجىء يحدثنى عن بدائعه ، ان له ذوقا غير ذوقى ، وهل نافعى أن يستطيب مالا يوافق مزاجى ، انه لن يستطيع مخلوق أن يجعل منى شخصا جديدا مطبوعا على غراره ، ولى تجاربى فى الحياة وله تجاربه، ولى شعور غير شعوره، واحساس يخالف احساسه ، وله فهم وخيال ولى فهم وخيال» ثم يقول انه لخير أن نقرأ رواية لسوفكل أو موليير أو شكسبير من أن نطالع ألف بحث لألف ناقد من الافذاذ » .

وقد يذهب خيرى سعيد الى الاغراب احيانا حين يدعو مصر الى بيع آثارها عام ١٩٣٢ والانتفاع بالملايين التى تحصل عليها فى بناء الوطن ، وعنده أن ذلك سيعود على مصر بخير من الآثار ، وذلك هو الشهرة فان هذه الآثار ستنتشر فى جميع أنحاء العالم لتضاعف صيت مصر » ويبقى لنا مجدنا المشهود به » ومن أرائه أن الجندية الاجبارية خير من التعليم الالزامى ، فان الجندية الاجبارية فيها احياء للنزعات المناضلة وتنمية « الغرائز الكفاحية » .

***

وجملة القول أن « **خيرى سعيد** » كان حريصا على أن ينقل الى قومه كل جديد من افكار الغرب مؤمنا بأن هذا هو السبيل الى النهضة، وقد سارت المدرسة الحديثة فى طريق طويل ، وحققت بعض النتائج ، ومن أهمها بروز فن القصة الحديث . غير ان هذه المدرسة لم تستطع أن تزاحم مدرسة الرواد بمنكبيها، فقد كانت تلك المدرسة بعد الحرب الاولى تسيطر سيطرة فعلية على الصحف السياسية وتبرز فى مجال الكتابة الوطنية والادبية، حيث كان طه حسين وهيكل والعقاد والمازنى ومحمود عزمى لا تزال لهم صدارة عريضة ، لم تمكن رواد المدرسة الحديثة من التبريز ، بل ان المدرسة الحديثة عندما أصدرت مجلتها الفجر استكتبت هؤلاء الكتاب وقدمتهم فنشرت دعاء الكروان لطه حسين وعديدا من المقالات للمازنى وغيره . ويمكن القول بأن « خيرى سعيد » وزملاءه كانوا امتدادا لمدرسة الرواد ، وكان اتجاههم الأغلب الى كتابة القصة ، وربما كانوا أكثر جراة واندفاعا ولكنهم لم يتمكنوا من التبريز طويلا كمدرسة قوية ذات طابع واضح أو نفوذ واسع ، وآية ذلك أن « خيرى سعيد » لم يلبث أن ترك الميدان واعتزل فى الوقت الذى مضى العقاد وهيكل وطه حسين يشقون الطريق الى فنون جديدة من الكتابة بدأوها فى الاربعينات كالعبقريات والفتنة الكبرى وغيرها .

« **انور الجندى** »

الحواس الخمس

• للدكتور احمد خليل •

ان **المعلومات** التى تصل كلا منا عما يحيط به من حوله تأتيه عن طريق ما نسميه بالحواس الخمس ولكن الواقع اننـــا نمتلك ما يقرب من الاربع والعشرين حاسة ففي أفواهنا توجد أربع آليات حسية منفصلة لالتقاط انواع الطعم المختلفة ، وفى أنوفنا عدد لم يعرف بعد للشم ، كذلك يوجد فى عيوننا مالايقل عن اربع آليات للنظر ، غير أن كثيرا من الاحاسيس التى ترسل من هذه الحواس عبر طريق من الاعصاب الى المخ مرتبطة به .

وزيادة عدد الآليات الميسورة وحاسيتها في الكائنات الحية للحصول على البيانات الخاصة بما يحيط بها ، أثناء تشوء الكائنات وتطورها ، زادت الحيـــوانات كثيرا فى قدرتها على الادراك .

ويمكن للبيولوجيين الآن تحديد المرحلة التطورية التى بدأت فيها كل حاسة فى الظهور والتميز عمـا سبقها . وبعض الحيوانات البحرية لها أجهزة عصبية بدائية تمكنها من الاحساس والاستجابة للحس ، وللأسماك الهلامية بقع خاصة اكثر حساسية للضوء من الخلايا المجاورة لها .

أما الحشرات والعناكب فلها تجمعات ضخمة من العيون ، كل منهـا ميكروســكوب بدائى يعطى صاحبه ذا النظر الضعيف ادراكا مهزوزا للاشـياء القريبة منه ، ولكثير من الحيوانات المعقـدة حواس معينة تتمثل فى الانسان بدرجة ضئيلة او لا تتمثل اطلاقا .

وعــلى ذلك نجـــد أن الحشرات التى تطير عاده ما تساعدها فى طيرانها بارومترات (اجهزة لقيـاس الضغط الجوى) جافة دقيقه صنعت من خلايا حيه . وتحتوى عيون النحل على منقله (لقياس الزوايا) مبنية فيها بطريقة تمكن النحلة من الطيران فى اتجاه معين بزاوية خاصة مع قرص الشمس كما تحتـوى أيضا على بوصلة من نوع خاص تستعين بهــا فى التعرف على المكان الذى ينبغى أن توجد فيه الشمس اذا حجبت السحب وجهها دون ضوئها ، ومما يثير الدهشة أننا اذا تتبعنا نشوء هذه الآليات الحســيه لوجدنا ان هذه الآليات لم تمنح لهذه الحيوانات هبة خالصة وانما نشأت تدريجيا وببطء شديد وتعرضت لاختبارات طويلة مدة اجيال لا تحصى قبل أن تستقر على شكلها الحالى .

وقبل أن تبدأ الحياة على البسيطة بزمن طـويل تعلمت بعض الخلايا الطافية كيف تستجيب لبعض المؤثرات فأصبحت تنجذب نحو بعض الكيماويات فى بيئتها وتتنافر بعيدا عن غيرها .

وتطورت هذه الحساسية تطورا بطيئـا على مر الاجيال وتحولت الى حاستين : كيميائية معقـدة لاتزال تؤثر فى عيوننا حتى الآن فتسيل منها الدموع اذا تعرضت للدخان أو لأبخرة خاصة ، وحاســة لمس آلية للدلالة على ملامسة كتل من المادة . بعـد ذلك أصبحت حاسة اللمس انتخابية ، وبدأ الكائن حساسه بما حوله بشكل بدائى كان يميز بين الحرارة

والبرودة أو بين الجفاف والرطوبة أو بين الصلابة والليونة، وبعد ان مرت الحاسة باطوار بطيئة ادخلت عليها تحسينات منحتها ادراكا أكثر حدة للشعور بالضغط الحرارة والبرودة وقرصات الجوع والعطش وفى النهاية للصوت والضوء ٠

وفى نفس هذا الوقت كانت الحساسية الكيميائية تتسع متميزة الى ذوق وشم ، وهما لايزالان مرتبطين بعضهما ارتباطا وثيقا فى الانسان ٠

ورغم أن حواسنا المتعددة تبدو لنا مختلفة بعضها عن بعض فان الاحساس بالنظر والسمع واللمس والذوق والشم تنتج كلها فى المخ من سيالات عصبية متشابهة ، فالموجات الكهربائية القصيرة المتتابعةالتى تنقلها الالياف العصبية حينما نشم وردة ، مثلا ، تشبه نفس الموجات التى تنبعث حين نراها وانما يتوقف الامر على المخ وأى أجزائه سيستقبل الارشادات الواردة ٠

وكل آلية حسية فى الانسان لها مستقبل خاص بها على سطح الجسم ، ويتمثل هذا المستقبل بخليه او مجموعة من الخلايا ذات حساسية خاصة بنوع معين من المادة او الطاقة٠ وتتصل كل خلية أومجموعة من الخلايا الحساسة بليفة من الألياف العصبية تتصل بمجموعة خاصة من المراكز العصبية فى المخ فحينما تتنبه الخلية الحساسة ينطلق منها سيال عصبى ينتقل الى خلية أخرى فأخرى حتى يصل الى مجموعة خاصة من خلايا المخ حيث يقرع ناقوس الادراك للمؤثر الذى أثار تنبّيه الخلية الحساسة ٠

ومما هو جدير بالذكر أن الموجات الضوئية ، مثلا ، لاتنبه الخلايا الخاصة بالتذوق فى اللسان ولا نهايات الاعصاب الموجودة فىطبلة الاذن ، ولكنها فقط تنبه خلايا الشبكية فى العين٠ ولو حدث لسبب ما أن انتقلت السيالاتخطا عبر اعصاب غيرالمخصصة لها ووصلت الى الجزء من المخ الخاص بالشم مثلا ، فان الضوء فى هذه الحالة يثير احساسا بالرائحة ٠

حاسة النظر :

يستقبل البشر معظم معلوماتهم الخاصة بالدنيا المحيطة بهم عن طريق حاسة النظر ولذلك نجد أن خلايا المخ المخصصة لهذه الحاسة تزيد كثيرا عنها فى الحواس الاخرى ، ومما لاشك فيه أن معظم الافكار والاحلام البشرية تتعلق بأشياء سبقت للانسان رؤيتها او تمكن رؤيتها على الاقل ٠

والعين اكثر الاعضاء البشرية دقة فى تكوينها اذ أن الله خلق العين البشرية من مقدار ملعقة من مادة هلامية تشبه فى تركيبها الاساسى آلات التصوير التليفزيونى ولكنها تفوقها كثيرا فى دقتها ٠ فالعين مزودة بستائر غالقة آلية هى الجفون وحاجز (ديافراجم) ينظم نفسه بنفسه هو انسان العين كما أنها تحتوى على عدسة مستديرة محدبة يتغير تحدبها بسهولةكما يمكنها ان تجمع الصور بوضوح شديد على شاشة عرض حية هى الشبكية ، ويوجد فى شاشة العرض هذه أكثر من مليون من الخلايا الضوئية التى تحول الضوء الذى تمتصه الى سيالات عصبية كهرو كيميائية ٠

ويوجد فى عين الانسان ثلاثة مرشحات للضوء للمساعدة فى تمييز الاضواء ، ولو ان بعض الطيور والزواحف لها أربعة مرشحات لا ثلاثة ، وهذا مما يجعلها أكثر قدرة منا على تمييز الالوان ٠ كذلك فان كثيرا من الحيوانات تمكنها الرؤية الى حد ما بالاشعة فوق البنفسجية مستخدمة أمواجا اقصر قليلا مما يمكن للعين البشرية الاحساس به ٠

حاسة اللمس :

على الرغم مناننا اعتدنا الاحساس،عنطريقسطح الجسم كله ، ببعض الاحاسيس مثل الضغط والالم والحرارة والبرودة الا أننا قد يصيبنا الذهولاذا نحن تصورنا أننا كان من الممكن أن نتذوق أو نشم بارجلنا مثلا ، ولكن كثيرا من الاسماك تفعل ذلك ٠ فاسماك القرش لها خلايا حساسة منتشرة على الجسم كله وتؤدىبواسطتها وظيفة وسطا بينالذوقوالشم٠ اننا نتذوق بالفم وحده ونشم بالانف فقط لمجرد ان الخلايا الحساسة لكل من الحاستين قد تركزت فى عضو خاص مستقل ٠

وليست كل احاسيسنا بهذه الدرجة من التركيز فتوجد حوالى ٢٠٠ر٠٠٠ خلية ترمومترية حية مبعثرة هنا وهناك على اجسامنا ومعها حوالى نصف مليون خلية حساسة للضغط ٠ كذلك يوجد فى لحم اجسادنا ، وعليه ، ثلاثة أو أربعةملايين خليةوظيفتها اعطاء الاشارات التى يترجمها مخنا على انها ألم ٠

حاسة الذوق :

ويبدو أن الانسان عنده أربعة أنواع من خلايا التذوق تحس بما نسميه حلوا ومرا ومالحا وحمضيا،

ويستجيب كل نوع من هذه الخلايا لنوع معين من الجزيئات الذائبة ، وتتكون النكهة الخاصة بشىء ما من مخلوط معين بنسب خاصة من هذه الاحاسيس الاربعة · اما الاحساس اللذيذ الذى نحس به عند تناولنا طعاما شهيا فهو خليط من الاحاسيس الاربعة مضافا اليه احساس بالرائحة واحساس بتركيب نسيج الطعام (اى احساس باللمس) ·

وعندما يتقدم الانسان في العمر فان « حلمات التذوق » عنده تصبح اكثر حصرا (اى انها تصبح محصورة) وتركيزا ، كما ان توزيع أنواعها الاربعة يتغير كذلك·ففي بداية العمرتكون الحلمات الحساسة للطعم الحلو منتشرة على الشدقين من الداخل،ولذلك فان الاطفال يحبون الحلوى كثيرا·وحينما يكبرالطفل يختفى كثير من هذه الحلمات ولذلك نجد ان البالغين تجذبهم الاطعمة الغريبة كالجبن والنبيذ مثلا ·

حاسة الشم :

وحاسة الشم قريبة الصلة بحاسة التذوق ،وهى تعمل عن طريق خلايا مستقبلة تنبهها انواع كثيرةمن الجزيئات التى تصلها طائرة مع الهواء · وحاسة الشم أرقى ما تكون عند الحشرات ، وتكون اعضاء الشم فيها محمولة على قرون الاستشعار · وبعض هذه الحشرات يمكنها التقاط الرائحة من اجسام على بعد اميال · ويعتقد العلماء أن الرائحة قد تكون وسيلة هامة لتعرف الذكر على انثاه · ففي الفراشة الانثى توجد غدة خاصة تفرز مادة تجذب اليها الذكور ، بل اكثر من هذا ، وجد ان جزءا من هذه الغدة اذا استخرج من الانثى ووضع على قطعة من ورق النشاف ، فان الذكور تنجذب الىورقة النشاف من بعد قد يصل الى عشرة أميال ! · وقد أصبحت حاسة الشم أقل أهمية للانسان منها للحيوانات الاخرى كما ان المساحة التى تغطيها خلايا الشم عندنا قد اختزلتحتى اصبحت تغطيمساحة بوصتين مربعتين فقط من أنوفنا ·

وللكلاب جهاز شم شديد التعقيد كما ان نسبة كبيرة من سطح المخ تكون مخصصة لحاسة الشم · ويمكن للانسان أن يميز بضعة آلاف من الروائح المختلفة ، غير ان هذا لايتطلب سوى بضعة انواع قليلة من الخلايا المستقبلة الحساسة للشم ، يحتمل أن تكون أربعة ، تعمل متعاونة بدرجات متفاوتة ·

وكما هو الحال فى حاسة الذوق فان الناس يختلفون كثيرا فى حساسيتهم للشم · وخلايا الشم عندنا سهلة التشبع بالرائحة فبعد ان يستنشق المرء دفعات قليلة منها ، نجد أن حاسته لا تستجيب بدقة بعد ذلك مباشرة سواء أكانت الرائحة صادرة عن مجموعة من ازهار البنفسج الجميل أو صادرة عن روث محترق · اما جمال الرائحة أو قبحها فيعود بالدرجة الاولى الى الغريزة او الى ما تعلمناه عن السابقين · وقد تعلم اسلافنا ان يصفوا الرائحة بالكراهة اذا كانت صادرة عن مواد ضارة بالجسم ·

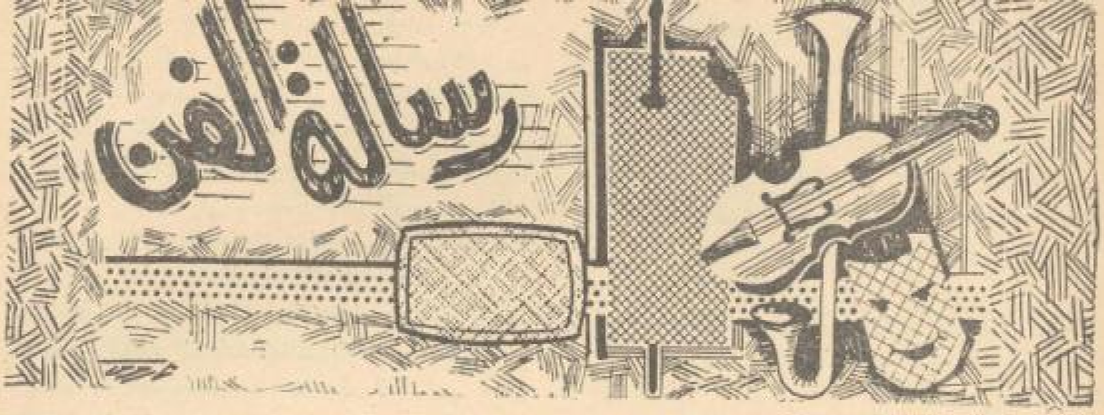
حاسة السمع :

لقد كانت حاسة السمع أولى الحواس التى أوجدت عند الكائنات الحية أحساسابوجود الطاقة لا المادة · والصوت ينتقل فى الهواء بسرعة ٧٦٠ ميلا فى الساعة اى جزء من المليون من سرعة الضوء · والموجات الصوتية طويلة ضخمة اذا قورنت بموجات الضوء · والموجات الهوائية التى تتذبذب مابين ١٦ و ٢٠٠٠٠ مرة فى الثانية يمكنها تحريك طبلة الأذن مرسلة ذبذباتها الى الأذن الداخلية حيث يتم تصنيفها ، طبقا لحدتها ، بواسطة نسيج يحتوى على آلاف النهايات العصبية ·

وأى عصب تنبهه الموجات التى يكون حساسا لها يرسل سيالات الى المخ · ويتوقف مقدار ارتفاع الصوت على عدد الالياف العصبية التى تنبهها التموجات · وهناك أفراد يعانون من صخب فى الرأس يعتقد أنه صادر عن تحرك جزئيات فى الدم حركات عشوائية تجعلها تصطدم بنهايات الأعصاب ·

وربما كان اعتقادنا أن الكلاب وغيرها من الحيوانات البرية ذوات الأربع حادة السمع راجعا الى انها أقدر منا على سماع النغمات العالية · وهناك حيوانات كثيرة ، ومنها البطور ، لها القدرة على سماع ذبذبات أعلى كثيرا فى طبقتها مما يمكن للأذن البشرية تمييزه · وتحتوى الصرخات التى ترسلها الخفافيش على ذبذبات يزيد ترددها عن ٥٠٠٠٠ فى الثانية ·

« دكتور احمد خليل »



موسيقى سيد درويش

بقلم عبد الفتاح البارودى

كل الهيئات الموسيقية بلا استثناء مسئولة عن التهاون فى الاحتفال بذكرى سيد درويش .. كان الاسبوع الماضى هو موعد هذه الذكرى ، فماذا فعلته المعاهد الموسيقية ، أو الموسيقيون ، أو البرامج الموسيقية فى الاذاعة والتليفزيون ؟!

حتى أصدقاؤه أهملوه .. ان جمعية أصدقاء سيد درويش ـ وأنا عضو فيها ـ لم تتحرك !

حتى الاسكندرية التي ولد فيها لم تفعل شيئا .. ان أهالى حى كوم الدكة الذين كنا نفخر دائما بأنهم يقيمون له احتفالا شعبيا فى كل ذكرى ، أصيبوا بالسهو في هذه الذكرى .. ودار الثقافة بالانفوشى كان مقررا أن تحتفل به ، ولكن مرت ذكراه يوم ١٥ سبتمبر بلا احتفال .

كان المفروض أن تتحرك هذه الهيئات ـ وكل الهيئات الموسيقية .. ولكنها تجاهلت ذكرى هذا الموسيقار الذى يعتبر أعظم موسيقار فى تاريخنا الفنى .

وهذه ظاهرة مخجلة .. لقد كان سيد درويش مهملا فى الماضى لاسباب معروفة .. ان الذين سيطروا بعده على الحقل الموسيقى كان من صالحهم أن يجهل الناس أن هذا الموسيقار نقل الموسيقى من قصور « **الباشوات والأغوات** » الى الشارع ، والى الناس ، وتطور بها من الزخرفة « والدندنة » والتسلية الى التعبير . وقفز بها من أداة للتطريب والتخدير الى أداة لليقظة والوعى .. كان من صالحهم أن تختفى موسيقى سيد درويش ، حتى لا يقارن الناس بينها وبين موسيقاهم ، فان المقارنة ستثبت أن هناك فوارق ضخمة بين موسيقاه المتوهجة والحانهم المتميعة ، وستثبت أنهم بدلا من أن يواصلوا الرسالة التى بداها ، ساروا فى دروب متخلفة ، وبدلا من ان يستكملوا دعائم المسرح الغنائى حطموا المسرح نفسه وانحدروا مرة أخرى الى الاغنية الفردية الذليلة .

انهم للآن يحاولون اخفاء موسيقاه أو تشويه قيمتها الفنية ، واذا كانوا قد أفلحوا فى ذلك فى الماضى فمن المستحيل أن يفلحوا الآن بعد أن استيقظنا وتغير تفكيرنا وتغيرت مقاييسنا الفنية .. ولهذا فمن واجبنا أن ندرك حقيقة فن سيد درويش ، ليس لمجرد تكريمه فقط .. انه يستحق كل تكريم كفنان شعبى ، وفنان استلهم الوجدان الشعبى فى موسيقاه ، وفنان قام بتطوير الموسيقى تطويرا حقيقيا ، ولكن ليس تكريمه هو الهدف الوحيد ، فنحن أيضا يجب أن نعرف المرحلة التى وصل اليها لنبدأ منها فى مواصلة التطوير ، ونطهر الحقل الموسيقى من الانتكاسات التى حدثت فيه بعد سيد درويش .

ان من الغريب جدا أن أعداء سيد درويش حاولوا

تشويه فنه بأساليب لولبية ٠٠ زعموا مثلا أنه اذا كان قد جدد موسيقانا فانهم جددوا أيضا ، بحجة ان الدنيا تتقدم والفن يتقدم وعقارب الساعة لاتعود الى الوراء٠٠كلام يبدو منطقيا ولكن اذا تعمقناه اكتشفنا تفاهته ٠٠ لماذا ؟ لأننا اذا استخدمنا المنطق العلمى وجدنا ان خط التطور الموسيقى يسير فى اتجاهين رئيسيين : فالموسيقى البحتة ، أى الموسيقى التى تعزف على الآلات فقط ولا تدخل فيها الاصوات البشرية ، تتطور من العزف البدائى والمقطوعات البسيطة مثل السماعيات والبشارف الى التشكيلات الفنية المركبة ، الى التشكيلات الفنية المتكاملة ، ونهايتها « **السيمفونية** » والاتجاه الثانى خاص بالاعمال الغنائية ، أى الموسيقى التى تستخدم معها أصوات بشرية ، وهذا الاتجاه يبدأ بالاغانى الفردية ويتطور الى تشكيلات فنية مركبة ومتكاملة ، ونهايتها الاوبريت ثم الاوبرا ٠٠ وسيد درويش سار فى الاتجاه الثانى ، ووصل الى مرحلة الالحان المسرحية، فماذا فعله الذين جاءوا بعده ؟ حطموا المسرح الغنائى وعادوا الى « الاغنية » واذن فمن الخطأ الزعم بأنهم أحدثوا أى تجديد ، وحتى اذا كانت قد حدثت تجديدات فاقصى ما توصف به انها تجديدات شكلية ولا تسير فى خط التطور العلمى ٠

واذن فلكى نصل الى حقيقة التطورات التى حدثت فى موسيقانا يجب أن نستخدم المنطق العلمى ، وعندئذ سندرك حقيقة فن سيد درويش ، وسيفيدنا ذلك فى تقديره ، وفى معرفة الطريق الحقيقى الى تطوير موسيقانا ٠٠ اننا نظلمه ونظلم موسيقانا بعدم تقييمه تقييما علميا ٠٠ فكثيرون مثلا ـ ولو بحسن نية ـ يتوهمون أن ميزته كلها هى أنه غنى للناس وغنى الاغانى التى تعبر عن الناس ، مثل الحان « **المراكبية والتحفجية والصنايعية ٠٠ الخ ٠٠** » ومثل الحانه التى يسخر فيها من أولاد الذوات ٠ومثل سخريته من الظلم الاجتماعى الذى كان سائدا فى عصره حينما غنى مثلا **صبح الصباح فتاح يا عليم ، والجيب ما فيهش ولا مليم ، من فى اليومين دول شاف تلطيم ، زى الصنايعية المظاليم** ، ومثل سخريته من العاطلين بالوراثة حينما غنى مثلا (والبيه محمص قاعد بواصل ، يشرب فى بيره ويا منبره ٠ واحنا فى حيرة) ٠٠ الخ ٠

بديهى أن هذه الاغانى من مزاياه الواضحة فى الألحان المسرحية أحدث اعجازا ٠٠ فعلى الرغم ويكفى أنه بذلك نقل أغانينا من « **امان يا للى** » الى أغان مرتبطة بالحياة ارتباطا وثيقا ، ولكن الأهم أنه فهم أهمية هذا الارتباط ٠٠ وهذه نقطة دقيقة٠٠ فمن السهل أن تعبر عن هذه المعانى فى مقالات مثلا ولكن ليس من السهل تصور أن الاغنية من وظيفتها التعبير عن هذه المعانى ، وخاصة فى عصر كانت وظيفة الاغانى فيه هى الطرب ٠٠ هذا هو التجديد الحقيقى ٠٠ تجديد فى التفكير الموسيقى ٠

مسالة أخرى : بعضهم يتوهم أنه اقتبس الحانا من غيره ٠٠ هؤلاء يحصرون أنفسهم فى زاوية لا علاقة لها بالتطور الموسيقى ٠٠ وانا افترض ـ جدلا ـ أنهم على صواب ، ولكنهم أولا لايعرفون أن الاغانى وقتئذ كان يتداولها أكثر من ملحن ، فواحد يلحن الاغنية من مقام « البياتى » ، وواحد آخر يلحن نفس الاغنية من مقام « الراست » ، وهكذا ٠٠ ثم ان كثيرين من الملحنين كانوا يستخدمون جملا موسيقية واحدة ويقيمون عليها أغانيهم ٠٠ كان يحدث هذا فى الاغانى الفردية الميلودية ، وسيد درويش لحن عددا كبيرا من هذه الاغانى ، ولكنها ليست مصدر عظمته كموسيقار ٠٠ ان سر عظمته هو أنه قفز من هذه الاغانى الى المسرح ٠٠ لو لم يصعد الى خشبة المسرح لما امتاز عن غيره هذا الامتياز المنقطع النظير ٠٠ وصحيح أن سلامه حجازى صعد الى المسرح قبله وهذه خطوة متطورة جدا ، ولكنه وقف على خشبة المسرح بالحان « التخت » ، وأما سيد درويش فقد وقف على خشبة المسرح بالحان مسرحية ٠

مسالة ثالثة : ان كثيرين يتحدثون عن ميزته الكبرى فى الاتجاه الى الاغانى الشعبية والجماعية ، وهذه ميزة ضخمة فعلا ، ولكن المهم من الناحية الفنية البحتة هو تطوير « التكنيك » والاسلوب ٠٠ انه حتى فى الاغنية الفردية نقلها الى الموضوعية ، وترك أسلوب الانغام المتجاورة واستخدم الجمل الموسيقية بطريقة وضع « القرار » بجوار « الجواب » ٠٠ كان الاسلوب المالوف هو البدء من القرار ثم الجواب تدريجيا نغمة بعد نغمة ، ولكن سيد درويش ثار على هذا الاسلوب وقفز من القرار الى الجواب مباشرة بشرط التزام التآلف ، وهذه نقطة فى غاية الدقة ٠

من أنه لم يدرس علم التأليف الموسيقى فقد أدرك حاجته الى هذه الدراسة ، وهذا الادراك وحده دليل على الفهم العميق ، وطبعا لم يجد من يوفده الى الخارج لان المسيطرين على المجتمع وقتئذ لم يخطر على بالهم ان الموسيقى «علم» ـ المهم أن سيد درويش وصل بفطرته الموسيقية السليمة الى استخدام « الكاونتربوينت » و « الهارمونى » فى ألحانه المسرحية··والدليل على اعجازه هو أنه لحن أوبريتاته كلها دون أن يدخل فيها « ربع المقام » ، مع أنه كان يدخله فى أغانيه الميلودية ·· وهذا اعجاز لم يلتفت اليه أحد فى تقييم ألحانه ·

الحقيقة أن مزاياه كثيرة جدا ، ولكن لم يدرك حقيقتها مؤيدوه ومعارضوه على السواء · اننا لم نفهم سيد درويش للآن فهما علميا ، لأن مقاييسنا شاعت فيها المقاييس الخاطئة ·· فمثلا توهمنا أن «التعبير» فى الاغانى هو ترجمة المعنى اللفظى بالموسيقى ·مع أن التعبير الموسيقى هو تلحين الاغنية كلها كوحدة موضوعية ، وليس مجرد الفاظ او ابيات متتابعة ·· هذه الموضوعية ادركها سيد درويش ·· ان أخطاءنا فى تقييمه لاتزال ملحوظة للآن ، وفعلا حدثت أخطاء كثيرة فى البرامج الاذاعية التى أذيعت فى الاسبوع الماضى بمناسبة ذكراه ·· ان محمد صلاح الدين الاستاذ بالمعهد العالى للتربية الموسيقية للمعلمين وهو من الدارسين المتعمقين القلائل كتب لى عن أخطاء مضحكة لاحظها فى بعض البرامج التى تناولت فن سيد درويش ، وصورته ـ بدون قصد طبعا ـ بصورة الملحن الذى يجهل الفرق بين الانغام ·· وأنا اشير الى ذلك للدلالة على حاجتنا الى التقييم العلمى ·

ان أحد البرامج الاذاعية روى أن سيد درويش استمع الى زقزقة عصافير الكناريا فقال له أحد أصدقائه : اسمعنا لحنا من نغمة البياتى التى تزقزق منها هذه العصافير ، فغنى سيد درويش دور « انا هويت وانتهيت » ·· ان الذين يعرفون أبسط المعلومات عن المقامات والانغام تضحكهم مثل هذه الرواية ، لان هذا الدور ليس من مقام البياتى بل هو من مقام « الحجازكاركرد » ، فضلا عن أن زقزقة العصافير لا تشكل مقاما موسيقيا معينا ·· انتى اشكر الاستاذ صلاح الدين على هذه اللفتة الفنية ، وأتمنى أن تستعين مرافقنا الفنية بأمثاله من الدارسين القلائل فى مراجعة برامجها الموسيقية ·

المدهش اننا نخطىء فى تقييم سيد درويش ، بينما يحدث العكس فى الخارج ·· لقد اتيح لبعض علماء الموسيقى فى النمسا أن يستمعوا الى بعض الحانه فادركوا قيمتها الفنية وطلبوا موافاتهم بالنوت الموسيقية لعزفها ، وادهشهم أن يصل موسيقار عربى الى هذا المستوى ·· ان هذه حادثة فنية حدثت فعلا فى أكاديمية فيينا ·· ان كمال هلال الطالب العربى الذى أوفد الى هذه الاكاديمية فى بعثة دراسية شاهد هناك منذ ثلاث سنوات حفلا موسيقيا اشترك فيه زملاؤه الطلاب من مختلف بلاد العالم ، وقدم كل منهم اناشيد بلاده ، ولم يجد كمال هلال ما ينشده فليس لدينا اناشيد ، ولكنه أنقذ الموقف وغنى لهم لحن سيد درويش **الحلوة دى قامت تعجن فى البدرية، والديك بيدن كوكوكوكو** ، وفوجىء بخبراء الموسيقى فى أكاديميته ، وهم يستفسرون منه عن مؤلف هذا اللحن الذى وصفوه بالنضوج الفنى ·

الى هذا الحد يدركون أهمية الحان سيد درويش فى أوربا ، بينما نجهلها نحن فى بلادنا ، والسبب هو عدم استخدام المقاييس العلمية ·

ان من واجبنا نحو سيد درويش أن نعيد تقييم تراثه تقييما علميا ، وأن نحاول تسجيل هذا التراث وخاصة الابرويتات او الالحان المسرحية ·

علينا أيضا ان ندرس بعمق أسباب تحطيم مسرحه الغنائى ، لنحاول اعادة بناء المسرح الغنائى على اسس سليمة ·

وعلينا أن ندرس أغانيه الجماعية لندرك أن الاغنية الجماعية هى الاغنية ذات البناء السليم فنيا ، ومن أجل ذلك يسهل ترديدها على أى صوت ·

وعلينا أن ندرس أغانيه للطوائف لندرك كيفية استخدام الطابع الفنى وكيفية تصوير البيئة ·

وعلينا أن ندرس الحانه المسرحية لندرك معنى الموضوعية والوحدة الفنية ، ولندرك أن الاوبريت موضوع متكامل وليس مجرد الحان متتابعة ·

وعلينا أن نعيد تسجيل الحانه كما هى ، وايضا نعيد تسجيلها بالاساليب الحديثة ، وندرسها جميعا فى المعاهد الموسيقية ، ونقدمها على المسارح وفى الاذاعة والتليفزيون بعد اعادة صياغتها فنيا ·· بهذا الشكل نحتفل بسيد درويش ، ونصحح مفهوماتنا الموسيقية أيضا ، وكفانا جعجعة على الفاضى !

« **عبد الفتاح البارودى** »



رسالة

أخى الكريم الاستاذ عبده بدوى

سرنى اهتمامك بالتعليق على الندوة الاذاعية التى ناقشنى فيها الدكتور لويس عوض والشاعر صلاح عبد الصبور حول كتابى « قضية الشعر الجديد » . وأرجو أن تسمح لى بالادلاء بالايضاحات التالية :

١ - أوافقك على أنه كان الأفضل أن يمثل الاتجاه العمودى أحد أنصاره من النقاد ، فان ذلك كان يحقق صراعا أعمق بين الاتجاهين المتعارضين . لكن ندوتنا مع ذلك لم تخل من مناقشات جادة كما لاحظت فى تعليقك ، ولم تكن كلها مجاملات متبادلة وان كنت لا أوافقك على انها كشفت عن خلافات جوهرية تمس صميم القضية ، بل اعتقد انها جميعها كانت اختلافات فى الفروع والتفاصيل .

٢ - حين قال الدكتور لويس عوض ان الشعر الجاهلى يذكره بالشعر اللاتينى ، فانما كان يشير الى غرابة ألفاظه وصعوبة تراكيبه قبل أن نجيد دراستها وفهمها والاستجابة لجمالها الفنى . لكنه وافقنى موافقة تامة على ما ادعيت لقصيدةالجميع من حيوية التجربة والاقتراب من لغة الحديث الحية الزاخرة ، فلم تكن به حاجة الى أن تقتبس له من تعليقى على القصيدة ما اقتبست ، فهو مقتنع بما قلت اقتناعا كاملا .

٣ - لم يكن هناك تناقض بينى وبين الدكتور عوض حول بساطة الاساس الموسيقى للشعر الجديد أو تعقيده ، بل كانت محاولة مزدوجة تعاونا فيها على ايضاح ما نعنى بتعبير لا يخطىء السامع فهمه . وانتهينا الى ان الشعر الجديد يقوم على أساس موسيقى بسيط خال من التعقيد الشكلى الخارجى الذى يرهق نظام الايقاع القديم . لكن بساطة هذا « الاساس » نفسها هى التى تمكنه من التنوع الفنى حتى يلائم تعدد الافكار والامزجة والعواطفالدقيقة التى يمر بها الشاعر الحديث . وقد ضربت على هذا مثالا بالبحر اليامبيكى الذى يرد عليه أغلب الشعر الانجليزى ، فهو يقوم على أساس ايقاعى غاية فى البساطة هو توالى مقطعين أولهما غير مضغوط ، وثانيهما مضغوط ، فيحقق بذلك من المرونة والمطاوعة والسماح بالتعديل والمخالفة ما لا يحققه نظامنا العروضى الكمى المسرف الانضباط الكثير القيود الشكلية التى يلتزم الشاعر بها . وقد وافقنى الدكتور عوض على هذا التقرير .

٤ - ما سميته أنا « غمزة متلطفة » من الشاعر صلاح عبد الصبور ، كان ملاحظة مشروعة له الحق فى أن يدلى بها ، وهى قوله اننى فى حماستى للشعر الجديد أسبق الشعراء أنفسهم فى الدعوة الى تجديد لم يجرأوا عليه بعد ، وهو تغيير الاساس الايقاعى تغييرا جذريا من كمى الى نبرى . لكن

ثلاثتنا قد اتفقنا على أن شعراءنا سينتهون عاجلا أو آجلا الى تغيير جذرى من نوع ما يفوق ما فعلوا حتى اليوم . وان يكن الدكتور عوض أميل الى موافقتى على أن التغيير المنتظر سيكون الى النظام النبرى، ونحن متفقون على تحقق النظام النبرى فعلا فى الكثير من أشعارنا وأغانينا الشعبية .

٥ ـ أصارحك أيها الأخ الكريم بأنى لم أفهم ما يعنيه مثلك بـ «خطورة الآراء الخطيرة التى حطمها الأثير». فعهدى بك أنك توافق موافقة أساسية على قضية التجديد الشعرى وان خالفت فى عديد من التفاصيل. وقد استعرضت بذاكرتى آراءنا التى عبرنا عنها فى ندوتنا ، فوجدت أقربها الى أن يصفه البعض بالخطورة ، ما قاله الدكتور عوض عن حتمية تحرر العربية من الاعراب فى أواخر الكلمات كما تحررت جميع اللغات المستمرة التطور . واللغة الالمانية لم تحتفظ بالاعراب الا فى كلمات محدودة مثل أسماء الاشارة وأداة التنكير، وهذا نفسه يعده علماء اللغات دليلا على تخلفها النسبى عن الانجليزية مثلا . وبرغم انى ـ كما قلت فى الندوة ـ لا أوافق الدكتور عوض على أن عدم هذا التحرر هو الذى يعوق ادخال النظام النبرى ، فما كنت أحسب ناقدا فى سعة نظرتك وايمانك بضرورة التطور يعد رأيه هذا رأيا «خطيرا» بالمعنى الذى سيتبادر ولا شك الى أكثر قرائك .

٦ ـ وأخيرا أحب أن أؤكد لك انى لم أكن « غاضبا » بحال . فلعله مجرد تحمسى الذى يلون صوتى حين أتحدث عن مسألة أومن بها ايمانا عميقا، ولست أدرى متى سأصل الى هدوء الكهولة ورزانتها! ولك تحيات أخيك المخلص ..

محمد النويهى

رد على الرسالة

١ ـ أراد الاستاذ الدكتور محمد النويهى أن يصرف قول الدكتور لويس عوض عن قصيدة الجميح الأسدى « كأنها لاتينى » الى الشعر الجاهلى كله بما فيه قصيدة الجميح ، بعد أن رآنى أضع القول «بلاتينيتها» فى مواجهة قول الدكتور النويهى عنها فى كتابه «ما رأيك أيها القارىء الكريم فى هذه القصيدة الجاهلية التى نظمت منذ ألف واربعمائة سنة ! أمنقطعة هى عن صميم التجربة الحية النابضة ! وما رأيك فيما ادعينا من اقترابها من لغة الحديث الحية الزاخرة التى يتحدث بها الناس فى واقع تجاربهم ! وهل كنا مبالغين حين ادعينا اقترابها العجيب من لغة الحديث العامية التى نتحدث بها اليوم !؟ »

ومع أنى أشهد بأنها محاولة ذكية للتخلص ، الا أن الدكتور سرعان ما يقول مزدهيا « .. حين قال الدكتور لويس عوض ان الشعر الجاهلى يذكره بالشعر اللاتينى ، فانما كان يشير الى غرابة الفاظه وصعوبة تراكيبه قبل أن نجيد دراستها وفهمها والاستجابة لجمالها الفنى » .

فهو يقدم لنا « تركيبة » يفهم منها ان كلام الدكتور لويس ينسحب على الشعر الجاهلى **(كاد يشير الى غرابة الفاظه وصعوبة تراكيبه)** وعلى قصيدة الجميح الأسدى **(قبل أن نجيد دراستها وفهمها)** وهو يعمد الى هذا حتى لا يتحقق هذا التناقض الحاد بين القول « باللاتينية » والقول « بالبساطة المتناهية » ، وحتى يمكن تشتيت القراء بين ما سمعوا فى الندوة، وقرأوا فى مجلة الثقافة ، ثم فى الرد المنشور .

الا أننا نصبح فى حيرة من كلمة د. نويهى عن د. لويس « فهو مقتنع بما قلت اقتناعا كاملا » فهل الدكتور لويس مقتنع بالشعر الجاهلى أم بقصيدة الجميح الأسدى ! أيهما « لاتينى » يادكتور نويهى! على كل اذا كنت تريد « توريط » الدكتور لويس عوض ـ وليس فى الندوة ما يدل على ما تقول فى الاعجاب بالشعر الجاهلى فسنشكرك لانك كسبت أذكى نقاد العصر الى هذه الفترة ، ولأنا لا نرجو منه ـ فى هذا المجال ـ أكثر مما نرجو منك .

٢ ـ يذكر الدكتور النويهى انهما تعاونا « بتعبير لا يخطىء السامع فهمه! » الى أن الشعر الجديد يقوم على أساس بسيط خال من التعقيد الشكلى الخارجى الذى يرهق نظام الايقاع القديم ، وأنا بدورى أنقل « بتعبير لا يخطى القارىء فهمه » ما قاله الدكتور لويس حرفيا « كان الاحساس الميلودى هو المسيطر فى الماضى على الانسان فكان التعبير بالايقاع بسيطا، فلما تعقدت الحياة أصبحت الموسيقى معقدة ..الخ» فالدكتور لويس كان يتكلم عن الموسيقى الهارمونية، والدكتور النويهى كان يتحدث عن الموسيقى البسيطة التى يفهم منها الخط « الميلودى » ، ومع أنه رجع الى مصطلح « الأساس » الا أن مما لا شك فيه أن ما قيل فى الندوة ، غير الذى نشر ، غير الذى قيل فى الرد.. ومن الانصاف أن أذكر أن « ابراهيم الصيرفى » وقف عند هذه الفكرة المتعارضة وناقشها فى الندوة . وقد استوثقت منه أخيرا ما دار حول هذه الفكرة فأكد ما قلت . ولا أدرى لماذا يفد الى ذهنى قول البزابيث درو : من أن الحديث عن فن باستعمال مصطلحات فن آخر لا يؤدى الى نقد مفيد، وليس لهذا من سبب سوى أن أوجه الاختلاف أكثر من أوجه التلاقى .

٣ ـ ثم بقيت كلمة وهي أن البحر « المايمبيكي » الذي يرد عليه أغلب الشعر الانجليزي ويتكون كما ذكر الدكتور من توالي مقطعين أولهما غير مضغوط وثانيهما مضغوط، لايختلف كثيرا عن البحر العربي « المتدارك » وأنه لا يعيب العروض العربي أنه قد استوعبه واستوعب عديدا آخر من البحور تصل الى ستة عشر ، وقد لاحظت أن هذا البحر حظي بحركة احياء في الشعر المعاصر ٠٠ ربما لانه يعطي التوتر ، وخفة الحركة ، وشيئا من الانتقال الطبيعي من الحركة ثم السكون وهكذا ٠

٤ ـ مشروعية «الغمزة الطريفة» كما قيلت في الندوة والملطفة كما قيلت في الرد ـ وليغفر لي هذا الاحتراس ـ ليس لي اعتراض عليها ، ولكن الذي أردت أن ألفت اليه أن الدكتور النويهي لم يرد ظاهرة « النبر » الى مكانها في الادب الشعبي الا في هرولة ـ الى حد أن الدكتور لويس لم يتنبه الى أنها خطفت خطفا في الكتاب ـ فقد كنت أطمع أن يقف طويلا عند هذه الظاهرة في الادب الشعبي لانها من حق هذا الادب ، ثم يقف وقفة أطول عند الذي أخذه من الدكتور ابراهيم أنيس ، ثم يأتي بعد ذلك الربط بالشعر الانجليزي ٠

ثم مرة ثانية لاني أردت أن أقول له هل أتي بهذا لهدم اللغة العربية أم لتطويرها ! ولانه مادام قد قرر في كتابه أن موضع النبر يختلف في القراءة بين شعب عربي وآخر ، بل بين سكان مختلف الاقاليم في الشعب الواحد ، ولانه لابد أن يعرف أنه لا يمكن أن نضع قوانين لمعرفة مواضع النبر في القراءة ، وأن الآذان تختلف في تجاوبها بحيث يتفاوت صوت الشاعر نفسه لدى عدد من القراء ٠٠ أقول أنه مادام يعرف هذا فكيف يتسنى له أن يضع هذه الظاهرة في هذا الشكل المتحمس ، ان له أن يقول ما يشاء ولكن عن أي شيء ينم هذا « التشريع » المتظاهر الذي يضعه في المستقبل للشعراء !

أما أنكم أنتم الثلاثة (النويهي ٠لويس٠صلاح) قد اتفقتم على أن الشعراء سينتهون الى تغيير جذري من نوع ما يفوق ما فعلوه حتى اليوم ، فانا أعتقد ان هذا شيء طبيعي ، ولكن الذي اعتقده أنه لن يكون « النبر » الذي تحدثت عنه الا في حالة واحدة، وهي أن تصبح اللغة العربية الفصحى « كاللاتينية » ثم تنشق عنها لغات عربية جديدة تسمح لنا بقول « الشعر المنبور » وتسمح بأن يكون لكل بلد عربي لغته الخاصة به التي لا يمكن أن يتفاهم بها مع شعب عربي آخر كان شقيقا له « قبل النبر » ، بل ان الأمر لن يقف عند هذا وانما سيتعداه الى سكان الزمالك والحلمية ، وحينئذ سنتذكر تلك الأمثلة الرائدة التي ذكرها الدكتور النويهي في كتابه ، والتي كان صوته مهيبا وهو يذكرها في الندوة ، والتي تقول :

١ ـ رحت فين ٠٠ وسيبتني ٠٠ يا جملي ئيئ؟

٢ ـ سيبوني ياناس ٠٠ ياناس سيبوني

سيبوني ٠٠ أبرد جسمي

سيبوني ٠٠ أطفي ناري

٥ ـ يعارضني الدكتور بعد أن « فتش » لي خطأ مطبعيا هو « خطورة الآراء الخطرة ـ أقصد المثيرة ـ التي حملها الأثير،ثم يذكر أني أوافق موافقة أساسية على قضية التجديد الشعري وان خالفت في عديد من التفاصيل، وانا معه في هذا واشكر له حسن التعبير عن موقفي ٠

والدكتور يأخذ على كلمة « خطيرة » ليضعني بذكاء في فوهة الدكتور لويس الذي يدعو الى « تحرر اللغة العربية من الاعراب وحركة نهايات الكلام! » وليبرر قول الدكتور لويس ان كل اللغات الاوربية قد تحررت من الاعراب ، في الوقت الذي رددت فيه بأن الالمانية لغة معربة ، والذي أحب أن أؤكده ان اللغة العربية يجب عليها أن تتطور أبدا ، ولكنها لن تصل في تطورها الى أن تكون كاللغة العامية ، أو أن تقطع صلتها بكل أمجادها السابقة ، أما تقليله من الاعراب في الالمانية ، فالكل مجمع على أنها لغة معربة وهذا أصل القضية ، وقد أجهدت نفسي وراء عدد من الذين يتقنون الالمانية فاذا بهم يتحدثون بما يخالف ما علق به على هذه الفكرة ٠

وأخيرا ٠٠ فقد كان من المفارقات أن يتصل بي الدكتور النويهي تليفونيا ، ثم يقول لي أنه لا داعي ـ اذا كنت سانشر الرد ـ الى البند الخامس من رده، وهو البند الخاص بقولي انه كانت هناك آراء خطيرة، لانه وضح له بعد نشر الندوة في مجلة الثقافة أن المناقشين أنفسهم يلتقون معي في هذا القول !

ومهما يكن من شيء فقد تساءل الدكتور النويهي « متى سأصل الى هدوء الكهولة ورزانتها ؟ » ، وأنا لاتعنيني الاجابة على هذا السؤال الطريف، ولكن الذي يعنيني حقا هو أن أكتب ثم لا يرد على الدكتور النويهي

وكم أنا مرتاح لان تكون مجلة « الرسالة » قد احتضنت أكثر من مرة كتاب الدكتور الذي يتعرض لقضية الشعر الجديد ٠

وفي الختام احييك بالتحية الصادقة التي وجهتها الى ، وأضيف اليها، نحن في انتظار رسائلكم الكريمة ومن هنا لن أقول « السلام ختام » ٠



العرب والحضارة الاوربية

اننا حينما نتكلم عن الحضارة العربية وأثرها فى التقدم الانسانى ، عبر مراحل التاريخ المختلفة ، لا تكون أقوالنا حينئذ مجرد اجترار لمجد مضى ، وانما هى لتثبيت حقيقة يجب ان تزدهر بمقوماتها الحديثة ـ فى نفوسنا ـ فى فترة الانطلاق والتحول العظيم الذى يجتازها شعبنا ـ صانع الحضارة والتاريخ ·· فى نفس الوقت الذى يمكننا ان نؤمن فيه ايمانا تاما أن تجميع امكانيات أمتنا المبعثرة عبر الحدود والكيانات السياسية ـ انما هو عمل من الاعمال التى تفرضها اهمية وضرورة المرحلة التاريخية التى تجتازها أمتنا فى فترة تمددها ومواجهتها المباشرة للحضارة الغربية ·· والتى اصبح من المحتم علينا أن نغذيها بطاقات أمتنا المتجددة بلاقيود ولا حدود تعرقل تقدم هذه الطاقات ونموها ـ لكى تتحمل مسئولياتها التاريخية ـ فى خدمة الانسانية والجنس البشرى ···

ان واجب المفكر العربى فى هذه الفترة الا ينسى أو يتناسى تراث أمته وماضيها ـ ليس لمجرد الذكر والتفاخر ـ ولكن لتطوير وتثبيت دوافع العمل الحقيقية فى صلب تجربة الانسان العربى الفرد ـ فى الوقت الذى يجب أن نشجب فيه كل محاولة مباشرة أو غير مباشرة لمسخ الشخصية العربية ومحاولة ربطها بقيم وأفكار تقدمية فى ظاهرها متخلفة فى أصولها ووسائلها ··

ان لنا رسالة ·· ذلك أمر لا شك فيه ·· ونضالنا اليوم جزء من تلك الرسالة ·· ذلك أمر ينبغى الا يكون هناك شك فيه أيضا ·· فلنجعل من نضالنا تعبيرا حقيقيا وكليا عن رسالتنا بأن نحاول أن نعيش تلك الرسالة ومعانيها وقيمها · أن نحاول بصدق واخلاص ما استطعنا الى ذلك سبيلا وحينئذ لا نكون مجرد (حملة) رسالة وانما أهل رسالة حضارية عربية جديرين بحملها ـ ونقدم كل لحظة مبررا جديدا وغذا لجدارتها تلك ··

وكتاب اليوم يبحث فى أثر الحضارة العربية ودورها الاساسى فى تقدم وازدهار الحضارة الاوربية ومؤلف الكتاب هو استاذنا الكبير محمد مفيد الشوباشى الذى قدم لنا دراسة علمية شائقة ومفيدة وباسلوب أدبى جذاب ·· مما يجعل الكتاب فى رأيى من الكتب التى تحقق فائدة مزدوجة ·
وكتاب العرب والحضارة الاوربية ـ يمكن أن يفيد الباحث المتخصص الى أبعد مدى فى الوقت الذى يستطيع فيه القارىء العادى أن يستوعبه بسهولة ويسر ـ مستمتعا بأسلوبه الادبى المشوق ··

يقول المؤلف :

« يرى مؤرخو الغرب أن الحضارة الاوربية الحديثة وليدة الحضارة الاغريقية · فغزو الرومان لغرب أوربا ، وغزو النورمانديين لانجلترا ، وما تبع ذلك من غزوات ، أيقظ وعى الشعوب فى تلك الاصقاع ، ولفتها الى ثقافة الغزاة ، فأقبلت على المصنفات اللاتينية التى كانت تعكس الفكر الاغريقى، ونهلت منها ، وغذت لغتها الاصلية بفيض من

كلماتها · وتهيأت بذلك للنهضة الحديثة التي بدأت كما يقول أولئك المؤرخون بسقوط القسطنطينية ، ونزوح علماء الاغريق الى غرب أوربا مزودين بمزيد من المؤلفات الاغريقية ·

ونحن نسلم لهؤلاء بأن أثر الثقافة الاغريقية كان فعالا في حركة نهوض أوربا خلال العصر الوسيط ، ولكننا ننكر أن الفكر الاغريقي هو الذي عاونها على الخروج من ظلمات ذلك العصر ، وأطلع فجر نهضتها الكبرى ، وآذن بانبثاق العصر الحديث ، ونقرر مع المنصفين من المؤرخين الغربيين ، وهم قلة ، أن تيار اليقظة الاوربية ابتعد فجأة عن الموارد الاغريقية ـ أو ابتعد جانبه الرئيسي عنهــا ـ وعرج ابتداء من القرن الثاني عشر الميلادي على الموارد العربية ، ومن ثم ظهرت في أوربا بوادر نهضة علمية أدبية ذات خصائص جديدة شبيهة بخصائص ثقافة العرب » ·

لقد كان فكر الاغريق وأدبهم ينتشران في أوربا ، خلال العصر الوسيط ، باللغة اللاتينية التي لم يكن يلم بها الا قلة من المثقفين أغلبهم من رجال الكنيسة ، وكان فريق من هذه القلة يتعصب لأفلاطون ، وفريق آخر يتعصب لأرسطو الى الحد الذي لم تستطع معه حتى المسيحية أن تحدث أثرها ، وأن تؤتي وقتذاك ثمارها في تلك البلاد ·

وظهر من بين هذين الفريقين مؤلفون عمدوا الى وضع مؤلفاتهم باللغة اللاتينية طبعا ، لانها كانت لغة الكتابة الوحيدة في ذلك العهد ، وكان الجمهور الغارق في الجهــل غير ملم بها بداهة ، فلم يتأثر بتلك المؤلفات الا عن طريق رجال الكنيسة وأتباعهم الذين كانوا يبثون مضامين بعضهــا في الاذهان ، وكان الناس هنـــاك وقتئذ مســـيحيين ، **ولكنهم لم يتلقنوا تعــاليم المسيحية الا عن أولئك الرجال الذين كانــوا متشبعين بالفــكر الاغريقي فصبغوا الديانة المسيحية بلونه الوثني الاسطوري ـ بيد أن الاساطير الرمزية الاغريقية ، ذات المعاني الادبية ، والدلالات الاجتماعية والسلوكية تحــولت في ذهن ذلك الشعب الغارق في الجهالة الى خرافات مجردة من كل دلالة انسانية ومعنى شعري ، فزادته امعانا في ضلالات جهله ··· وعلى هذا النحو تأثرت أوربا الغربية ، خلال العصر الوسيط ، بحضارة الاغريق ·**

ان الادب الاوربي الوليد وقتـــذاك لم يكن اذن يعكس نشاط مجتمعه الفكري والعاطفي والمادي ، ولكنه كان يحاكي بلا وعي ، أو بوعي بدائي قاصر ، أدب الاغريق الاسطوري · ولكن الحال بدأت تتحول حين اتجه التفــكير الى التعبير عن ألوان النشــاط الفكري والعاطفي باللغة المحلية ··

ففي عام ١١٦٥ أقدم الشاعر الفرنسي « **بينييت دي سان مور** » على ترجمة **قصة طروادة** من اللاتينية الى الفرنســية وحافظ على شكل الاصل فترجمها شعرا ·· وبهذا العمل الادبي فتح «دي سان مور» باب ترجمة المؤلفات الاغريقية المكتوبة باللاتينية الى الفرنسية ·

وما كثرت الاعمــال الادبية التي نشرت يومذاك بالفرنسية، وتزايد عدد قرائها حتى نزع بعض أهل القلم الى تأليف منظومات قصصية على غرارها ·· ثم تخطوا مرحلة المحاكاة شيئا فشيئا ، وحاولوا أن ينتجوا أدبا أصيلا يعكس واقعهم ، بدلا من الاغتراف الاعمى من أدب الاغريق ، أو التوليد منه ·· وقد أعوزتهــم نمــاذج من الادب الانســاني الواقعي يسترشدون بها وهم يخطون الخطوات الاولى في هذا الصدد لتحقيق بغيتهم · وفي هــذا الوقت بالذات واتتهم الفرصة الســعيدة ، وزودهم « **الشعراء التروبادور** » أو الشــعراء المتجولون الأندلسيون بذلك اللون المنشود من الادب ، وهو اللون الذي تميز به الادب العربي قبــل أن يتميز به أي أدب غيره من آداب العالم ·

واذا اقتضانا هذا البحث أن نحدد تأثير كل من الادبين الاغريقي والعربي في أدب الغرب فلا بد من تحــديد الخصائص التي تميز بهــا كل من هذين الادبين ، وعند ذلك سيتضح لكل منكر كيف تحول أدب أوربا ـ ابتداء من أواخر القرن الثــاني عشر الميلادي ـ من المصادر الاغريقية الى المصادر العربية·

فبالرجوع الى قصص الاغريق ومسرحياتهم نجد انها عند تعرضها للحب لا تصور منه الا ذلك اللون العتيق الذي فسره ذلك الفيلسوف ··· أي الحب الضحل المتولد من العــلاقة الزوجية المفروضة على الزوجين ، والحب الفــاجر ·· حب الزوجة التي تعرض عن زوجها لتنصرف الى عشيقها ·· والعشيق الذي يقتل الزوج فيخلو له الجو ويتزوج عشيقته ثم تتكرر المأساة ، فتعلق العشيقة بعد الزواج برجل آخر يقتل زوجهــا الجديد ·· ـ ان الحب الذي تصوره لنا ملاحم الاغريق ومسرحيــاتهم هو الحب الجسدي العنيف المخيف ·· الحب الذي تراق في ســـبيل ملذاته الدماء ، وتزهق الارواح ، وتقتحم

الاهوال .. الحب الذى يتحرق الى القسر والاسر والاغتصاب ..

اما الحب الانسانى المتبادل ـ الحب الطاهر العفيف .. الحب الذى يورث المروءة والنخوة والنبل ، ويدفع صاحبه الى نصرة الضعيف ونجدة الملهوف .. ان هذا الحب الشبيه بحب العذريين العرب لم تعرفه أوربا الا بعد اتصالها بالعرب ـ ولم تصوره القصص الاوربية الا منذ ذلك الحين ..

ولقد أمد العرب أوربا بعلم هو أساس الجانب المادى من الحضارة الغربية.. أمدوهم بعلم الرياضة، أو بنظريات استحدثوها فى علم الرياضة ففتح ذلك لأوربا طريق التقدم العلمى فسيحا ممتدا الى غير حد .. ولا يجادل أحد فى أن الجانب المادى من الحضارة الحديثة يقوم أساسا على الرياضيات ، فهى ، أى الرياضيات، كانت ولاتزال المفتاح الرئيسى حتى لمغاليق العلوم الطبيعية والجغرافية والهندسية وغيرها . بل لقد اخذ ديكارت يستعين بها لوضع فلسفة يفسر بها الوجود ، ثم اعتمد عليها برتراند راسل اخيرا لحل معضلاته الفلسفية ، وسبك معادلاته المنطقية .. فالى اى مدى افاد علماء الغرب من مبتدعات العرب الرياضية حتى استطاعوا بالدأب على الدرس والعمل المجيد اطلاق الصواريخ والاقمار الصناعية ؟ ..

لقد ابتدع جابر بن حيان علم الجبر الذى سمى باسمه . وابتدع الخوارزمى وهو عربى الثقافة والعقلية رغم أصله الفارسى.. ابتدع اللوغارتم الذى سمى كذلك باسمه ، اذ كان الاوربيون يعرفون اللوغارتم باسم « الجورتمى » أى الخوارزمى .

ولن تشط بى الحماسة اذا جاريت من يزعمون ان العرب هم الذين ابتدعوا الحساب ، وجزمت بأنهم هم أول من كتبوا الارقام السهلة الحديثة ، وادلل على ذلك بأن الكتابة فى اوربا كالكتابة الاغريقية تتجه من الشمال الى اليمين ، وكان الطبيعى أن تتجه كتابة الارقام المركبة هناك هذا الاتجاه ايضا ، ولكنها على العكس تتجه من اليمين الى الشمال ككتابة الارقام العربية سواء بسواء .

ويجمع مؤرخو الفلسفة الغربية على أن مؤلفات ديكارت هى التى حولت الفكر الاوربى الى الاتجاه الحديث . ولسنا فى معرض تفصيل العناصر الجديدة الثورية التى اشتملت عليها اعمال هذا الفيلسوف ، ولكنا سنشير الى حجر الزاوية فى التحول الفلسفى الديكارتى .. لقد تبحر هذا الفيلسوف فى العلوم الرياضية واهتدى الى فكرة بسيطة كانت لها أخطر النتائج ، لقد خطر له أن يطبق قواعد الجبر على علم الهندسة ـ لا سيما فرعيه النظرى والميكانيكى ـ وعلى مستعصيات علم الحساب ، وقد وصل بذلك الى كشف مغاليق تلك العلوم وتفسير أسرارها ، بل استطاع أن يفلسفها. ثم يفسر الوجود « فلسفيا » على ضوئهما .. ومن **ثم أقام صرح فلسفته التى تفسر الوجود تفسيرا ميكانيكيا . وهكذا نرى أن الفلسفة الغربية مدينة بتطورها الحديث للعرب .**

ويؤكد مؤرخو الغرب أن فلسفة ديكارت كانت نقطة انتقال الفكر الاوربى من عهد محاكاة الاغريق الى عهد الاصالة والانطلاق ، **ولكن احدا من أولئك المؤرخين لم يذكر لنا فضل العرب على ديكارت ـ أو مدى افادته من علومهم التى نقرر نحن هنا انها هى التى فتقت ذهنه ومكنته من اقامة صرح فلسفته .**

بيد أن أثر الفكر العربى ظهر فى أوربا حتى قبل ديكارت الذى عكس هذا الاثر بجلاء فى فلسفته ..

ولسنا نشك فى ان كوبرنيكس وجاليليو قد أفادا من بحوث العرب فى علم الفلك الذى تلقياه أيضا من المصريين عن طريق الاغريق .

واذا كابر فى ذلك مكابر فانه لا يستطيع أن ينكر ان هذين العالمين اللذين غيرا معتقدات العالم عن الكون قد استعانا بالجبر على حل ما اعترض دراساتهما من تعقيدات رياضية .. كذلك توصل «نيوتن» به **وباللوغارتم الى كشف القوانين الطبيعية التى لا نظن قارئا يجهل ما كان لهما من قيمة فى تطوير العلوم الرياضية والطبيعية ..**

وقد اشاد بعض العلماء الاوربيين بفضل العرب على تشييد صرح الحضارة الاوربية وقطعوا بأن هذا الصرح لم يكن ليقام لولا مساهمة العرب فى تشييده ومن أمثلة ذلك ما قرره الاديب المؤرخ الفرنسى « روبير بريفو » فى كتابه « الشعراء التروبادور » صفحة ٢٠: اذ قال «كانت أوربا فى القرن الحادى عشر، والقرن الثانى عشر ، تتجه الى العرب باحثة عما استجد عندهم من صناعات وعلوم .. ومن فنون خاصة بالملاحة كانت السبب فى تطورها وتبدل حالها .. كانت أوربا تتجه اليهم منقبة عن كشوفهم فى علوم الرياضة والفلك والطب والكيمياء ، بل كانت تبحث عندهم عن آثار «أرسطو» وابن سينا ، وابن رشد، وكان علماؤها من أمثال «دانيال دى مورلى»

و «ميشيل سكوتوس» ودى جريمون ، ودوريلاك ، وريمون لول ، يلتمسون عند العرب حصــاد عالم جديد من الفكر والعلم – ووجد «ريجيومونتانوس» عنـدهم المعــارف التى مكنت « هنرى الملاح » و « فاسكودى جاما » و « خريستوف كولمبوس » من ارتياد المحيطات والوصول الى اطراف العالم ، وعثر « أديلهارد دى باث » فى قرطبة على النسخة الوحيدة فى العالم من مخطوط «أوسليد» الذى ظل يلقن للطلبة فى مدارس أوربا حتى عام ١٥٣٣ – بل ان الكنيسة نفسها اتجات الى العرب لتجد عندهم ما يعينها على اقامة صرح الفكر المدرسى .. وبحث كل من « البير الاكبر ، وتوماس الين » عن فلسفة العقيـدة الكاثوليكية نفـسهــا فى بلنسية ، وعند الفــارابى .. وفى الوقت الذى أنشـد الشعراء التروبادور شـعرهم على عتبة أسبانيا العربية صرح « روجربيكون » فى اكســفورد بان وجود الفكر الاوربى ، والعلم الاوربى ، كان مستحيلا لولا وجود المعارف العربية .

أما من الناحية المعمارية فقد كان تأثير الحضارة العربية تأثيرا هاما وفعالا .. فقد كان ملوك أوربا وامراؤها يسكنون القلاع الغليظة الجدران ، المكفهرة الحيطان ، ويحيطونها بخنادق عميقة كثيرا ما كانوا يطلقون الماء فى قاعها ، ليعوقوا هجوم الاعداء فيتعطن ذلك المــاء الآسن ، ويزكم عطنـه الانــوف .. **وفى هــذه الاثنــاء كان أمراء العرب فى الاندلس يسكنون قصورا تنطق بسـموهم الحضــارى .. اقاموها على غرار قصور بغداد فى عهد العباسيين ، وقصور القاهرة فى عهد الطولونيين .**

ولما سكن ملوك أسبانيا وأمراؤها قصور الاندلس العربية بعد ان خلت من أهلها ، لم يلبثوا أن بنوا قصورا جديدة على غرارها ؛ ثم حاكاهم ملوك فرنسا وامراؤها فى ذلك فسكنوا القصور بعــد القلاع والحصون وسرت العدوى الى انجلترا والمانيا وايطاليا وغيرها فتبــارى أمراء تلك البلاد فى بنــاء أجمل المنازل ، وانشاء أبهى الحدائق ، وما زالوا يدخلون على فن البنــاء من المبتدعات المعمارية والزخرفية ما مكنهم فى النهــاية من تشييد قصور **التويلرى وبوكنجهام والكريملين .. وغيرها ..**

وقد استمدت أوربا تقــاليد الفروسيــة – بما استحدثته هذه التقاليد من تطوير فى قوانين الدول الاوربية وتهذيبها استمدتها من تقــاليد الفروسية العربية الاصيلة .. وقد رأى « لوجوفتيل » ان الوطنية تولدت من تقاليد الفروسية وقد قال «امعناه » ان أسمى عناصر الوطنية وهى روح التضحية ، والتشوق الى احقاق الحق ، وحماية المظلوم نبتت أصلا فى تربة الفروسية » فاذا كان اساس الحضارة الاوربية اغريقيـــا فمن أين اتت أوربا بتقـــاليد الفروسية هذه .. اذ انه من المعروف ان شجاعة البطل الاغريقى كانت شـــجاعة بدائية وحشية – تقوم على الحب الجسدى الأسر ..

أما اذا كانت تقــاليد الفروسية مستمدة من المسيحية – فان المسيحية رغم تبشيرها حثا بالرحمة والايثار والتضحية وغير ذلك – غير انها تختلف عن تقاليد الفروسية فى أن معتنقها المتشبع بروحهـــا يقف من الملمات موقفا سلبيا مستندا الى التسامح والغفران بينما الفارس المتشبع بتقــاليد الفروسية العربية يقف من الشدائد موقفا ايجابيا ينصر فيه الحق على الباطل بحد سيفه .. ولو صدق الذين ينسبون تقــاليد الفروســية الاوربية الى تعاليم المسيحية لأحدثت تلك التعــاليم اثرها منذ القرون الميلادية الاولى ولما تأخر ظهورها الى القرن الثــانى عشر الميلادى ..

وفى قصة الفارس دون كيشوت المشهورة دليل حى على صحة مانقول – فدون كيشوت يمثل الفارس العربى القديم – وان تقاليد الفروسية الاوربية التى يعتنقهـــا ويناضل فى سبيلها هى بعينهـا تقاليد الفروسية العربية . وبمقــارنة بسيطة بين دون كيشوت وبين عنترة العبسى – نستطيع ان نرى من خلالها كيف أن الفارسين العربى والاوربى يتميزان بتقاليد للفروسية واحدة ومن أجل غاية واحدة ..

لقد أثر العرب فى كل مظاهر الحضارة الاوربية حتى فى طبيعة المجتمع الاوربى نفسه – وفى كثير من تقــاليده ومقــوماته – ووضع العرب للحضارة الاوربية الاساس الذى انطلقت منه فى كل شىء : فى الادب والفن والنحت والمعمار وتقديس المرأة والايمان بالقيم الانسانية والمثل العليا ..

واذا كان العربى دائما يعرف ما يريد وأين ومتى فهو يعلم تماما ما هو مطالب به الآن تجــاه أمته ، ليس لانه مطالب بان يفعل شيئا ما ، ولكن ارادته هى التى تجعله يفعل ما هو مطالب به .

تحسين عبد الحى

قراءات في المجلات العربية



يقدمها : مصطفى فوده مصطفى

● **مدينة البياتي :**

لعل الفن الذى يستعمل الكلمة اداة ، يرتبط اكثر مما عداه بوجدان الشعوب ويترسب فيهـــا حتى يصير جزءا من كيانها بمرور الوقت . ومن هنا تنبع خطورته على اجيال المستقبل عند ما ينظرون من خلاله الى من سبقوهم : فى اية بيئة كانوا يعيشون واية نفس كانت تسكنهم . فهو مرجع تاريخى ، لكل ما حوت ايام السابقين من انس وجهـاد وحدثان ان هنك رايا يقول : ان التاريخ الحق هو ما انتزع من انسانيات الفنان . وهذا الراى صحيح الى حد كبير ، لأن المؤرخ المعاصر لا يقول كل الحقيقة ، اما لانهـا خفية محجوبة عنه ، واما جبنـا ومواراة . وعندما يأتى المؤرخ بحق بعده باربعين سنة على الأقل ، فعليه ان يستشف الحقيقة من كل ما قاله معاصروها ، وساعتها عليه ان يلجأ الى الانسانيات .

ولو ان الانســانيات كانت مزدهرة ابان العصر المملوكى مثلا ، لسجلت لنا دور الشـــعب كاملا فى معركة المنصورة التى هزم شعبنا فيها الافرنج ، لان التركيز فى كتابات المؤرخين حينئذ كان على ادوار القادة المماليك والأمراء ، حتى لكأنهم وحـــدهم ، هم الذين تحملوا عبء المعركة ولا احد غيرهم . ومن غير المستساغ عقـــلا ان يكون المماليك وحدهم قاتلوا وحققوا النصر ، لأن عددهم آنذاك لم يكن يسمح بذلك . اذن اشترك الشعب فى القتال وحمل جهد المعركة وحقق النصر . ثم ذهب المماليك بكل الفضل لأن المؤرخين ركزوا عليهـــم ولم يذكروا غيرهـــم الا تبعا لهم .

والرواية عند « **فلوبير** » هى **الوثيقة التاريخية** بالذات) **حتى** ليرى انه « **ان يســــتطيع احد فى المستقبل ان يكتب تاريخ حكم (لويس فيليب) مثلا ، دون ان يعود الى بلزاك** ولعلى هنا اضــــيف الى الرواية ، الشعر ، والقصة القصيرة ، وما الى ذلك من كل ما يخطه القلم ليعبر به عن الانسان .

وربما كانت قصـــــيدة « **المدينة** » لعبد الوهاب البياتى التى نشرتهـــا له روز اليوسف من القصائد التى يلجأ اليها من يريدون الكتابة عنا مستقبلا لـــا تحمله الفاظها من جراة ، لذا وجب علينـــا ان نمعن — نحن المعاصرين للشاعر — النظر فيها ، فقد يكون فى ذلك خير لأجيال المستقبل .

فعندما حاولنا تفهـــم القصيدة تقفز الى ذهننـــا تفسيران :

ان تكون القصيدة رمزية . فالمدينة فيها رمز للمدنية التى لفت البشر فى دوامتهـــا واداختهم بالبحث عن السعادة والراحة بين اعاصيرها ، وكلما جدوا وراء السعادة اوغلوا فى التعب والتمزق فلاهم وجـــدوا

ما يبغون من سعادة مرجوة ولاهم اراحوا انفسهم من عناء البحث ، حتى غدت حياتهم كمـــا يراها الشاعر ، وكما سيقف عليها من لم يقرأ القصيدة من الابيات التى سنوردها بعد .

غير ان اول الابيات الثلاثةالأخيرة ردنا الىالجانب المضاد للرمزية ، وجعلنا نوقن ان الشاعر لايريد ان يرمز وانما قصد المدينة ، ولـــكن اى مدينة ، فعندما قال فى ذلك البيت :

وعندما غطى المساء عريها ، وخيم الصمت على بيوتها العمياء .

اكد بكلمة (**الصمت**) انه عنى المدينة بتقـــديم ــ الياء ــ وليس المدنية بتقديم النون . فالصـــمت لا تعرفه المدنية ابدا فهى والصخب صنوان لايفترقان فكل هذا الضجيج الذى تعج به الحيـــاة ، وتترع به نفوسنا ، انما هو من صنع المدنية ولا شىء غيرها . المدنية اذن لا تعرف الصمت ، وانما التى تعرفه هى المدينة ، حقيقـــة قد لا تعرفه بكل قوته ، ولـــكن من الممكن ان نصفها به فى بعض حالاتها . بخلاف المدنية فاننا لا يمكن ابدا ان نصفها بالصمت .

لم يقصد الشاعر ــ اذن ــ المعنى الرمزى ، وانما قصد المعنىالحقيقى ، قصد المدينة ــ بتقديم الياء ــ ولكن اية مدينة ؟ انا شخصيا لم استطع التعرف على تلك المدينة من مدن مشرقنـــا العربى ، التى عنـــاها البياتى بقصيدته،لانه لم يحددها تصريحا او تلميحا . اتراها ، القاهرة ، ام بغداد ام اية مدينة . وما دام الشاعر قد اطلق ، فمفهوم هذا الاطلاق انهـــا البلد الذى نشر فيه الشاعر قصيدته (القاهرة) . فهل قاهرتنا كذلك ؟ اهى مدينة حزينة تغص بمبـــاذل الساسة واللصوص والبيادق وتنصب فيها المشانق وتقوم السجون ، وتمتلىء بالضياع الخ .. الخ من السمات التى وسمها بها الشاعر ؟ لكانى بها مدينة اكلتها النار فلم يبق فيها انس ولا جان .

وعنـــدما تعـــرت المدينـــة

رأيت فى عيونهـــا الحزينـــة

مباذل الساسة واللصوص والبيادق

مدينتنا القاهرة ، ليست كذلك بالتاكيد . ولسنا مع الشاعر فى رؤياه الغائمة ، مدينتنا ساستها ثوار والثـــائر لا يعرف السـياسة ونفاقها وغشهـــا ، ومداهنتها ، لا يعرف الا الحـــق بلا موارية او لف ودوران ، لانها صفاتتتنافى معطبيعته ، ولو وجدت فيه واحدة منها لما ثار لان من يغش الآخرين سهل ان يغش نفسه ، ومن يخدع الآخرين ممكن ان يخـــادع نفسه . ومن يجوز عليه هذا لا يثور ابدا .

ومدينتنا لا يعيبها وجود اللصوص ، فاللصوصية مرض نفسي قبـــل ان يكون حاجة وعوزا ، فـــكم من محتاجين تأنف نفوسهم حتى مجـــــرد التطلع الى ما ليس لهم ، وكم من ميسورين بل متقفين كل همهم خطف ما فى يد الغير . والمرض تشترك فيهالانسانية جمعاء .

والبيادق : ترى من يقصد بهم ؟ انه يقصد رجال جيشنا بلا جدال . فمن المعروف ان البيادق هم جند الشطرنج ، غير ان الشاعر عبر بالكلمة مجـــازا عن جند الجيش ، وقد يقول قائل ، ولماذا الجيش ؟ لم لا يكونون ، جند الشرطة ؟ ونقـــول لا ، لأن الشـــاعر عندما عنى جند الشرطة صرح باســــمهم مباشرة كما نرى فى هذا البيت فى معرض رؤيته لله ــ تنزه عما قال :

مكبلا يبصق فى عيونه الشرطى واللوطى والقواد .

اذن الشـاعر يصرح باسم جند الشرطة من غـــير موارية او مجاز . فلم يبق مقصود بالبيادق الا جند الجيش .

وفى رميهم بالمباذل نكران اى نكران ، وجحـــود لدورهم المنقذ فى حياتنا ، وقيادتهم الموفقة لنا ، فهم الذين اخذوا بيدنا واخرجونا من مستنقع الاستعمار والرجعية الذى كنا مجبرين على العيـــــش فيه ، مجللين بوحله ،غـــارقين فى مائه الآسن . وكم من حادثة تشهد على ذلك حتى فيما قبل الثورة . ايلم كانوا هم ايضا مكبلين معنا . ومن تلك الحـــوادث انقاذهم لقاهرتنـــا الحبيبة من نيرون الشرق عندما اراد يوما ان يجعلها روما المحترقة فىالقرن العشرين فعندما نزل الجيش الى شوارعهـــا ومباذل ساسة ذلك العهد ولصوصه تأكل قلبها وتكاد تحيلها الى كوم من رماد ، هربت امامه المباذل واختفى الغوغاء وكفوا عن الـــسلب والنهب . ونزلت المياه فكشفت

الكرب وجحبت الاقدار . وتلك الحادثة بالذات تؤكد لنا بصراحة ووضوح ان بيادقنا حتى فى عصر سادت فيه المباذل وتسلط الفساد كانوا بمنأى عن كل ذلك. والشاعر يذكر تلك الحادثة كما نذكرها ، ولعله عاصرها وعاشها بمأساة هزته كما هزتنا وواجهتنا بالطريق ، فلم نعد بعدها فى حاجة الى من يدلنا عليه ، ولم يعد امامنا الا ان نتخلص من مباذل الساسة والحكام والدخلاء علينا الذين — ربما الى ذلك الحين — كنا نرجو الخير على ايديهم. ولم يعد امامنا الا ان نعمل للخلاص منهم ، وكان خلاصنا على يد البيادق ، اخوتنا وابناؤنا . ومن يومها وهم يتولون عجلة القيادة ونحن سعداء بها ، لاننا لم نر عليهم شيئا نستهجن او عملا نستقبح . وان كانت هناك من اخطاء ، فهى اخطاء السير فى الطريق — وسبحان من تنزه عن الخطأ — وعلى اكتاف البيادق فى جميع ارجاء وطننا العربى الكبير يصعد الشعب من تحت وحل الحكام ، وثورتا العراق واليمن شاهد ثان .

والشاعر يرى فى مدينتنا اشياء عجيبة فهو يرى المشانق منصوبة . وكأنها تلتف السابلة ويعلق بها الناس ، ويرى السجون قائمة وكأنها غول يبتلع بجريرة او غير جريرة . وتلك الرؤيا يراها الشاعر وحده ، وكأنه وحده الذى يعيش فى المدينة من دوننا . وبودى أن اهمس فى اذنه ان مدينتنا لو كانت كما تخيلها ذات مشانق منصوبة وسجون معتمة لكان هو — بقصيدته تلك — اول المعلقين على عيدانها الملقين فى غياباتها ولكن مدينتنا تفتح له ذراعيها بعد ان جحد بها واى جحود اكثر من رؤيته لها بهذا الشكل :

رأيت فى عيونها المشانق

تنصب والسجون والمحارق

والحزن والضياع والدخان

والشاعر يرى ايضا ، ان الانسان فى مدينتنا **(يلصق مثل طابع البريد)** على اى شيء . وبرغم جمال الصورة وطرافتها ، الا ان عيب لصق الانسان هذا ليس فى مدينتنا بقدر ما هو فى العصر الذى نعيشه وفى نفوسنا نحن ومطالبها التى تجعلنا عبيدا لها . واجب ان يتطلع الانسان الى افضل دائما ، ولكن خطأ أن يكون عبدا لتطلعاته هذه ، فيفقد ذاته وكيانه ويقبل ان يكون مثل طابع البريد يلصقه انسان آخر فى اى شيء :

رأيت فى عيونها الانسان

يلصق مثل طابع البريد

فى ايما شيء ،

اما وجه الله الذى رآه الشاعر فى واجهة المخازن وتطلع النقود والمداخن ، ففى ظنى انه رآه من خلال المادة فقط ، يبدو ان المادة عند الشاعر هى كل شيء ، لذا راى ربه فيها يطل عليه من مخزن يتمنى ما فى داخله ، فهو عبد ما يتمنى . ويطل عليه من تطلعة نقود يريد تملكها فهو عبد من يعطى .

وليس هو على كل حال اول المتجرئين على الله ، بقوله :

رأيت وجه الله فى واجهة المخازن

وقطع النقود والمداخن

مجللا بالحزن والسواد

مكبلا يبصق فى عيونه الشرطى ، واللوطى ، والقواد

ولن يكون آخرهم ، فلو ان الناس تؤثر فيهم مثل تلك الجراة لكانت البشرية جميعا من عهد بعيد جاحدة منكرة . ولكن الجاحدين حتى الآن قطرة فى بحر لا يلتفت اليها او يحس بها احد . وان احس فلا تثير اكثر من الشفقة .

وفى النهاية نظلم الشاعر لو قلنا : انه أخفق فى الصنعة ، او لم يجد الحبكة ، او ضاع منه الخيط . فانه والحق يقال : كان فى كل هذا موفقا الى حد ما . فصوره تنبثق بشدة وتنطلق الى الامام بقوة وان تعثرت احيانا فى بعض النقلات . كما هو محسوس فى هذين البيتين :

يلصق مثل طابع البريد

فى ايماشيء ، رأيت الدم والجريمة .



حول الاجماع
بقلم علي أحمد طلب

السيد/الدكتور محمد أحمد خلف الله

أشكر لك اهتمامك بتطوير الدراسات الاسلامية بحيث تتمشى مع واقع الحياة ٠ وتتناسب مع تقدم المجتمع ٠٠٠ وأستأذنك في تعقيب يسير على بعض ما جاء في مقالكم بالعدد «٦١» من الرسالة :

فيما يتعلق ٠ باعتبار الاجماع مصدرا من مصادر التشريع ٠٠ قلت متسائلا : متى ظهرت الدراسات الفقهية والأصولية التى اعتبرت الاجماع مصدرا من مصادر التشريع ، هل ظهرت فى عصر قبل عصر العباسيين؟ وماذا كان يفعل المسلمون قبل أن تنشأ هذه الدراسات ؟

وجوابا على سؤالك : أقول :

كان المسلمون يعتمدون على مصادر التشريع ومن بينها الاجماع ٠ لأن تاليف علم الأصول والفقه ٠لم يكن الا تنظيما وتصنيفا لما كان موجودا ومعمولا به قبل ذلك من أدلة الأحكام ومسائل الدين ومصادر التشريع ٠ فى صورة تناسب تقدم العلوم وتطوير المجتمع على نحو ما حدث فى كل علم من العلوم الأخرى كعلم التفسير والحديث ٠ والبلاغة ٠ والنحو ٠

والأمثلة على وجود الاجماع واعتباره مصدرا من مصادر التشريع ٠ قبل عصر التأليف ـ العصر العباسي ـ كثيرة جدا ٠٠ ومن ذلك ٠ أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب جمع الصحابة وسالهم عن جزاء شارب الخمر وغيرها من المسكرات ٠ فقال علي بن أبى طالب كرم الله وجهه : انه اذا شرب سكر ٠ واذا سكر هذى واذا هذى اعتدى ٠ وجزاء المعتدى (القاذف غيره) ثمانون جلدة ٠٠٠ ولم يعارض هذه الفتوى أحد من الصحابة فاعتبرت اجماعا ٠ وثبت حد الشرب ثمانون جلدة للشارب بذلك الاجماع ٠٠

والاجماع من حيث عده مصدرا من مصادر التشريع ٠ انما يستند فى اعتباره على أدلة من الكتاب والسنة ٠ فالقرآن والسنة حثا الناس على الاجتهاد ٠ وبينا ان اجماع المسلمين لايكون ـ أبدا ـ على جهالة أو ضلالة ـ كما أن المسائل التى أجمع عليها انما تدور فى فلك قاعدة كلية أو حكم عام من الكتاب والسنة ٠٠ فالاجماع بهذا ليس منفصلا عن الكتاب والسنة ٠ ولا زائدا عليهما ٠ وانما مقرر لأحكامهما ، فى المسائل التى لم يرد فيها حكم تفصيلي محدد ٠ وعلى هذا يفهم كثير من الاقوال التى ذكرتها لبعض العلماء مثل : لايمكن البتة أن يكون اجماع من علماء الأمة على غير نص من قرآن أو سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠ ومثل : لابد للاجماع الذى يعتبر حجة وأصلا من أصول الفقه من سند من النصوص ٠٠

وختاما لك منى خالص تحياتي وتقديرى

الى السيد/ علي أحمد طلب

ليس هناك نص من الكتاب أو السنة على أن الاجماع مصدر من مصادر التشريع ، وانما الذى حدث أن الذين قالوا بالاجماع من الفقهاء حاولوا أن يجدوا له سندا من الكتاب والسنة ، وكان ذلك على تاويل لبعض الآيات ٠

وليس يخفى أن النص الذى تتحدث عنه هو النص الظاهر البين الذى لايختلف الناس فى تاويله ومرة ثانية نقول : ان مصادر التشريع فى زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم الى نشاة الفقه واصول الفقه كانت :

١ ـ الكتاب

٢ ـ السنة

٣ ـ الاجتهاد

اما حادثة جمع الخليفة « عمر بن الخطاب » للصحابة فى موضوع شارب الخمر فهل تحقق الاستاذ على أحمد طلب من أن هذا الجمع استوعب الصحابة جميعا ، من كان منهم فى المدينة ، ومن كان فى غيرها كمكة ، والطائف ، وبقية البلدان المفتوحة ‥ أو كان وقفا على صحابة المدن ؟

ان المسالة هنا تشبه مانقول اليوم « اجتماع لجنة من اللجان » ، ولكن من المؤكد أنها ليست من قبيل الاجماع الذى يشترط فيه اجتماع جميع المجتهدين فى الدولة الاسلامية ‥ وشكرا للاستاذ على أحمد طلب

لاتظلم المعرى يا دكتور
بقلم الغزالي حرب

قال الدكتور محمد النويهى فى ختام مقاله المنشور بالرسالة العدد ١٠٨٠ وبعد أن حلل ونقد على طريقته المعروفة ، بيتين للشاعر الجاهلى القديم علقمة بن عبدة ، وهما قوله :

كأن ابريقهم ظبى على شرف
مفدم بسبا الكتان مرثوم

أبيض ابرزه للضح راقبه
مقلد قضب الريحان مفغوم

وفى ختام مقاله هذا قال مانصه « أترانا يجوز لنا بعد أن أنعمنا النظر فى هذا التشبيه ، أن نخالف أبا العلاء ، حين ذكر البيتين فى رسالة الغفران ، وقال عن علقمة : « خسر وكسر ابريقه » فنصيح : الا لا خسر علقمة ، ولا كسر ابريقه ‥‥ »

ونحن نقول للدكتور ما قاله أبو العلاء :

لا تظلموا الموتى وان طال المدى
انى أخاف عليكم أن تلتقوا

وقد ظلمت أبا العلاء يادكتور من وجهين :

اولهما أنك بجراة عجيبة ـ ولا عجب ـ قد نسبت اليه أنه ذكر هذين البيتين فى رسالة الغفران ، وذلك مالم يكن والا فتفضل بارشادى الى موضعهما فيها ، وثانيهما انك اوردت كلمته الداعية على علقمة بالخسران ، وعلى ابريقه بالكسر ، بطريقة توهم القارىء أن أبا العلاء المعرى ، لم ينعم النظر فى هذا التشبيه ـ كما أنعمت أنت ، ولم يفطن الى مافيه من روعة وجمال ـ كما فطنت أنت ‥‥ فانتهى به هذا « الغباء » الى الدعاء على الشاعر المسكين بالخسران ، وعلى ابريقه الجميل بالكسر ‥‥

وكان الأحرى بك ، يا أستاذ الأدب العربى فى الجامعة الأمريكية ، أن تتحاشى مثل هذا التمويه على القراء ، والا تنسب الى أبى العلاء قولا منتزعا من ظروفه ، فالمقال بمقامه ، والنصوص بملابساتها ‥ وانصافا لأبى العلاء من الدكتور النويهى ، نسوق الى القراء نص ماقاله أبو العلاء ، وهو يحدثنا عن الفردوس ومن فيه وما فيه من شجر ظليل ، وولدان مخلدين ، وجعافر من الرحيق المختوم اى أنهار صغيرة من أطيب الخمور « وجعافر من الرحيق المختوم ، كما قال علقمة :

تشفى الصداع ولا يؤذيه صالبها
ولا يخالط منها الرأس تدويم

ويعمد اليها المغترف بكؤوس من العسجد ، وأباريق خلقت من الزبرجد، لو رآها أبو زبيد، لعلم انه ماتشبب بخير ، ولو نظر اليها علقمة لبرق وفرق ، وعلم أنه قد طرق « ضعف عقله » ما ابن عبدة ومافريقه ؟ قد خسر وكسر ابريقه ، نظرة الى تلك الأباريق خير من بنت الكرمة العاجلية ، ومن كل ريق ضمنته **هذه الدار الخادعة** ‥ »

فأبو العلاء يادكتور انما يوازن بين أباريق الفردوس وأباريق الدنيا ، وكان طبيعيا أن تنتهى به الموازنة الى تفضيل أباريق الفردوس على أباريق الدنيا ، ومنها ابريق علقمة ،ولو انتهت به الموازنة الى عكس ذلك، لما كانت رسالة الغفران هى رسالة الغفران ، ولما كان هنالك فرق بين طريقة «الدكتور» النويهى ونظرته ، وبين طريقة « التحورجى » أبى العلاء المعرى ونظرته ‥‥

رأوها بعين غير عيني فأصبحت
قلوبهم فيهـــا مخـــالفة قلبي

وأبو العلاء يا دكتـــور ـ فيما أذكر ـ لم يذكر لعلقمة هذا من الشعر في رسالة الغفران الا البيت الذي أشرنا اليه آنفا في الفصل الأول من الرسالة ، وهو يحدثنا عن الفردوس ... وثلاثة أبيات أخرى في وصف النساء ، وفي الفصل الخامس وهو يحدثنا عن الجحيم ...

وأبو العلاء يادكتور لم يكن في مقام النقد الأدبي لهذين البيتين ، اللذين لم يورد منهما حرفا واحدا ، فضلا عن ايرادهما كاملين ، ـ كما زعمت في مقالك الممتع ـ وكم لك ياسيدي الدكتـــور من مزاعم في كتاباتك وكتبك .

كل الحرية للشعب
بقلم علي مجاهد

الى الشاعر عبده بدوي .. بكل تقدير تتبعت مقالاتك القيمة المتزنة عن شعراء الرفض في لبنان. وقد كنت وانا اتتبع هذه المقالات أعاني من الشعور بالضيق وقلة الصبر ، اذ كنت ألاحظ أنك تفتح الصدر في نقاشك أكثر من اللازم ، ولـكن كان يعوضني عن ذلك أن هذه المناقشة الموضوعية قد تكون أجدى في النتائج التي تتوصل اليها ، وخاصة واننا عانينا كثيرا من الاندفاع الأجوف .

ان المنهج الذي اتبعته في تقييم شعراء الرفض كان منهجا موضـوعيا ايجابيا استحق كل تقدير من قرائك ، وزاد من هذا التقدير انك اتبعت هذا المنهج مع من يعرف فيهم العداوة للقوميـة والثورة العربية .

ولكن ،ما اسفت له كل الأسف ،هو ان تختلط علينا الحدود ، فتسمح مجلة الرســالة ـ وهي مجلة يملكها الشـــعب وتوجه لصالح الشـــعب ـ بنشر مقـــال الدكتور محمد النويهي « دفـــاع عن شـــعراء الرفض » فاذا كان د . نويهي يفهم الحرية فهما ليبراليا مجردا مشوها ، فمـــا اظن أن ادارة المجلة لديها مثل هذا الفهم الخاطىء المشـــوه عن الحرية .

ولا حاجة لي أن اعود الى المناقشات التي دارت حول هذا الموضـــوع منذ انعقـــاد المؤتمر الوطني للقوى الشـــعبية ، خاصة تلك التي دارت داخل المؤتمر نفسه بين الرئيس جمال عبد الناصر وبين الســيد خالد محمد خالد ، فمنذ ذلك الوقت قد تحدد أن « الحرية كل الحرية للشعب ، ولا حرية لأعداء الشعب » ، وان فلول القوميين السوريين ، وصنائع فرنســا ،وخدام الرجعية العربية ، واعداء ثورتنا الاشتراكية ، لهم أعداؤنا واعداء الشـــعب العربي في كل مكان .

ردود قصيرة

● **الأديب سـامي سـيد محمد طه** .. ليس كل ما يعرف يقال ايها الزميل ، ونحن معك في قولك « ان الاقلام التي تنحرف عن سـبيل رسـالتها قد حكمت على نفسـها بالموت لأن القارىء العربي اذكى مما تظن هذه الاقلام المشـبوهة » لعله يكون لنا معك لقاء آخر

● **الأديب حلمي محمد القاعـود** .. يأخـذ على الدكتور النويهي استماتته في الدفاع عن شـعراء الرفض الذين لا يرفضون الا كل ما هو قيم ومضيء في حياتنا (الدين والاخلاق والقومية العربية) . كما انه يأخـذ عليـه بدون مبرر اقحامه أعظم شيء تعتز به القـومية العربية وهو الميثاق في معاركـه ويتساءل عن أي شيء يدل هذا ؟ كما أرسل قصيدة يهاجم بها « فرقة الرفض » .

● كما وصلت الكلمات الآتية

ابو هريرة بين عجاج الخطيب وابو رية .. بقلم **عبد المنعم البحقيري** طرائف .. بقلـم **فريد عبد المجيد اسماعيل**

مأساة اديب ناشيء .. بقلم **نبيل احمد المنياوي**
تساؤل ورجاء .. بقلم **ابو اليزيد عرفه**
رسالة : بقلم **عزيز المراغي**
الرافعي .. بقلم **نجوى أحمد القاضي**
العقاد في قفص الاتهام .. بقلم **نانان تاوضروس**
كلمة عن الشابي .. بقلم **عبد الكريم ابراهيم رجب**

وطنية العقاد .. بقلم**حامد محمد محرم**

قصة العدد :

المرآة الصاخبة

بقلم محمود حسن العزب

غادر المدرسة الخاصة ، وسخطه يتناثر على جدرانها ، وترك الناظر يتم حديثه مع الفراغ ، بعد أن قذف كراسة التحضير الى حيث لايدرى ، وسرعان ما احتواه الشارع ، واستنشق هواء جديدا ، وهز يديه كمن يتأكد من تحررهما .. ولم يستطع أن ينفض عنهما غبار الطباشير ، وزفر .. مرتين يود لو يطرد الغبار الآخر . وقارب ميدان السيدة تحف به أكتاف المارة ، ودس يده فى جيب بنطلونه وهو يشد قامته وداعبت أنامله قروشه الثلاثة فى قاع جيبه ، وخفض قامته بعد المداعبة ، وتقاطرت الهموم من خلال أنامله ، واجتذبته لافتات مطاعم الميدان .. الفاتنة ! سيسلم لها قروشه الثلاثة كجندى محاصر يفرط كرها فى ذخيرته الاخيرة . وبرقت له فكرة وهو ينعطف فى الميدان .. وتأنى مفكرا فيها .. يستطيع قبل أن يهدر قروشه هذه أن يظفر بنجدة .. فصديقه العزيز يسكن بالقرب من هنا .. لم لا يستدين منه « شلنا » كاملا .. ويشيد بمزايا الصداقة ؟!

وجابهته واجهة زجاجية لمحل تجارى .. اطل فيها .. انتابته الدهشة .. أغمض عينيه برهة .. نظر ثانية باستنكار واستغراب .. اتسعت عيناه بالتحديق .. شاهت صورة المرآة أكثر .. هم أن يضحك .. لم تخرج الا ابتسامة مهزوزة .. مزورة انفتح فمه بسؤال مستغرب : من .. من هذا ؟!

وتفرس فى الزجاج بنظرة مذعورة ، ولم يتحول عن الملامح الماثلة ، وراح يستشف منها جوابا أمينا ، ولم تكذبه عيناه فتسمر محدقا فى الشكل المغبر .. وواتته سانحة .. ماذا لو .. يخترق الزجاج بنظراته ، ويمسك هذا الشخص .. الماثل .. ويسلمه للاسعاف ؟!

وطافت على شفتيه بسمة ، وتساءل كيف يجيب لو سئل : من هذا .. وماذا تعرف عنه ؟ وسرعان ما طرد السانحة . وحف به كتف فزحزحه قليلا ، وعاود النظر الى الوجه الغريب .. وجده تائها بين المعروضات الأنيقة ، يلتهمها بعينيه ، ويحدد درجات أذواقها ، وتخيله ينتقى بعضها ، ويقيسها على جسده كمن سيقدم على الشراء .. وأحس نشوة الجدة .. كان فى وسعه أن يشترى شيئا .. لو قبض مرتبه لكنه لبس درع الكبرياء ضد عوزه ، وغادر المدرسة لاعنا الجميع .. بلا روية ؛ ونفض الاحساس الحاد الذى يجتاحه وهو فى انتظارحسنة صاحب المدرسة لا أحد يعبأ بعوزه .. نصحه صديق بالبحث عن مدرسة أخرى .. اين هى الآن ؟ .. وما ضماناتها ؟ سيحاول .. لكن .. كان يجب أن ينال أجره .. ولما لم ينل أي شىء تفاقم احساسه بالمرارة حتى لم يعد يطيق رؤية سحنة الناظر الكالحة !.. لم يمل الرجل من المماطلة والتسويف.. ولم يحتمل.. قذف له بكراسته . وجرى وراءه أحد زملائه يستمهله ، ويذكره بظروفه .. فلتذهب ظروفه الى الجحيم .. الن يجد مدرسة اخرى .. بابا آخر يعينه على اتمام تعليمه الجامعى ؟ ليكن .. ففى تلك اللحظة كانت سحنة الناظر المماطل تثير فيه اشمئزازا هائلا.. هون عليه رفضه لأى شىء .. حتى التريث ، وبدا حينئذ فى عينى زميله كمن فقد صوابه .. « **الصواب** » ؟! .. ورآه صبى بلا حذاء يهز رأسه فهز يده يطلب منه احسانا .. وكاد أن يعطيه عنوان

مدرسته الخاصة ! ٠٠ لم يفقد صوابه بعد ، ونقل نظرة ثانية بين المعروضات ، وبين خيـــاله التـائه وسطها ، ولفحت وجهه من جديد روائح الازياء فى الواجهة اللامعة ، واعتذر لنفسه بأن مثل هــــذه الروائح لا تخصه ٠٠ لم يمكث اذن أمام الواجهـــة جامدا كواحد من الاشياء داخلها ؟ ان ما بداخلهـــا جديد على الاقل ٠٠ صاحب المحل يرمقه بنظراته ٠٠ أيظنه زبونا ؟ ٠٠ لا طمع فى اعتبار نفسه زبونا ٠٠ أليس من الحق اذن أن يبتعد حتى لايهين جدة الاشياء بوقوفه ؟ وهز رأسه قليلا ، ورفعه ٠٠ لم يرتفع فى زجاج الواجهة ٠٠ خيل اليه كما لو كان أقصر مما يعرفه ، الا يسرع بالذهاب الى صديقه ، ويستدين الشلن ؟ ان ما يخشاه الا يسعده القدر بلقائه ، أو يستقبله زافرا فمعنى هذا أنه معوز هو الآخر !

وعبث ريح لعينـــــة حملت لأنفه روائح فلافل « توتو » ٠٠ ما باله تغافل عن قربه منها ؟ ألا يعلم انه يطل فى واجهة المحل المجاور ؟ وداعب قروشه فى جيبه٠٠ انه الآن ٠٠ يتحرق شوقا الى الفلافل٠٠ ولن ينكر انه أعرض عنها فى الصباح ٠كانت تداعبه قبل أن يجتاز باب المدرسة أحلام خطرة ٠٠ استسلم لها ، وتركها تخدر حواسه ، وتطغى على رزانته ، وحرصه ٠٠ وحواسه كلها ! وانتشى مقدما ٠٠ وظلت احلامه تزين له اجتيـــاز باب المطعم الانيق المفتتح حديثا بالميدان ٠٠ وابتهجت معدته لأحلامه الشهية، وظل يتلمظ مدة طويلة كأنما ذابت «الغدوة» الفاخرة فى حلقه ، وسلكت طريقها المرسوم ٠ وصمت فى هذا الصباح عن لعنة المطاعم الجيدة ، ولم يعد يظنها أقيمت عمدا لتفسد علاقته بمعدته ٠ وفى الحق انه أحس لأول مرة أن معدته «ذارلا» ترحب حتى بالطعمية وأخيها الفول كوجبة مناسبة للافطار ، وساعده ذلك فى الحصة الأولى ، وشرح بابتهاج كلمة « ذلولا » فى احدى النصوص ، وكأنما كان يتوجه بالشرح الى معدته محييا ، ولافتا نظرها الى ما بقى من الآية وكلوا من رزقه ٠٠ والفول رزق يطيب لـــكثرة من الناس ٠٠ وهو يكره من معدته أن تخرج على اجماع الكثرة ! ٠

وعاودته النشوة عقب الحصة الثانية حين سمع حوارا بين جماعة من المدرسين : بالتأكيد٠٠ستقبض مرتباتنا اليوم ؟ ٠٠

ـ هذا واجب فنحن فى تاسع يوم من الشهر ٠

ـ ٠٠ وبقية مرتب الشهر الماضى ؟

ـ الناظر صاحب المدرسة ٠٠ وعد بالنظر فى مسألة الباقى ٠

وانطفأت بروق النشوة ، وتدخل محتدا : ٠٠ وعد بالنظر ؟ كيف ؟!

ـ وهل نحلم الا بوعوده ؟

ـ خليك مع الـ ٠٠٠ الناظر لحد ساعة القبض !

« **الوعود ؟** » لم لا تصـدق فى هـذا الزمان ؟ أينكر أنه وعد معدته فى الصـــباح بغدوة حافلة ؟ وهرول الى حصـــته قبل أن تكشف زيطة التـلاميذ غيابه ٠٠ ففى مثل هذه الأحوال لا ينسى الناظر أن يذكره بالواجب ٠٠ والأمانة ٠٠ والمســـئولية ٠٠ ثم الخصم المتوقع عن الاهمال ٠٠ وكاد أن يضحك من حكاية الخصم هذه ٠٠ وقذف بنفســه داخل غابتـه الصغيرة ، وشرعت أنياب وحوشـها الصـغار فى مداعبتــه ٠٠ ولم يكن ذلك جديدا عليه ٠٠ أين البشاورة » ؟ دائما تكشف له التجربة أن أى شىء يمكن أن يغيب عن الفصل ٠٠ الا هو ٠٠ كالكرسى أو الطباشـير ٠٠ حتى البشاورة ٠٠ كثيرا ما تهرب فى فصل مجاور ٠٠ وأحيانا تتبادلها عدة فصـول كالكرة الطائرة ٠ وسمع تلميذا يقرأ عبارة خاطئة « ٠٠٠ واربعت بحيرات » ٠٠ أربعة بحيرات ؟ أهمل تصحيحها وهمس لنفسه « ٠٠ أربعة جنيهات ٠٠ فقط ؟ كل ما تناوله من أجر عن الشهر الماضى ؟ ترى متى يحصل على الباقى ؟ متى يمسح بيده الورق الاخضر ، ويفرده ، ويطويه ؟ قيل له فى البداية ٠٠ ستأخذ اثنى عشر جنيها فى الشهر ٠٠ ثم أعيـــد خفضهم الى ثمانية ٠٠ ولم ينل الا أربعة ٠٠ولو سار الحال على نفس الوتيرة لما بقى شىء ٠٠ ويخشى أن حل الشهر التالى أن يطالب هو بأربعة جنيهات ٠٠ نزولا على أسلوب التخفيض ! ٠

ومر بيده على جبهته يمسح غبار الطباشير ، وهم أن يمسح الدرس قبل نهايته ، وآنئذ حاصرت سمعه أصوات ظنها فى شارع صـــاخب : أســـتاذ ؟ ٠٠ أستاذ ٠٠ خليك معانا ؟!

ـ أستاذ ؟ ٠٠ استرح ٠٠ نؤجل الدرس ؟

ـ أشرح أنا ٠٠ واحصل على المرتب ؟

ـ بكره يا اســـــتاذ تروق وتحلى ٠٠ اشرح ٠٠ اشرح !

وثارت عروقه ، واندفع بقبضاته الى بعضهم ،ولم يشعر الا وقبضاته تنزل فى حين ارتفعت حـــوله قامات فتية كالنخل تاهت وسطها قامته ، واتجـه نحو أحــــدهم وساله : انت ؟ ٠٠ فهمت ؟ ٠٠ ذاكرت ؟ ٠

ـ اقول لك الحق يا استاذ ٠٠ او ابن عمه ٠٠ فهمت ٠٠ انما حكاية المذاكرة ٠٠٠؟

ـ ٠٠ وساعة الامتحان ؟

ـ البركة فيك يا أستاذ ٠٠ عمتك معنا ٠

ـ الله ٠٠ الله !!

وصاح الشارع الصاخب بنغم واحد ممطوط : اعد يا أستاذ ٠٠ أعد ٠ !

وضج التلاميذ بالضحك ، وزاط الفصـــل كأنه استمع الى نكتة مثيرة ، وانقذه دق الجرس ، وأتاح له أن يتنفس بارتياح ، وبحث عن سيجارته ، وهم أن يبقى نصفها لوقت آخر لولا انلمحته عينمتلصصة وانعقدت سحابة الدخان ، وامتزجت باختها سحابة الجير ، وشرب نصيبه منهما معا ٠ وعندما وعى ذلك هتف فى نفسه :

« يا الهى ٠٠ نجنى من السحابتين !

وزفر بحرقة مسموعة ، وافاق على صوت فى المرآة يقول : وحد الله ٠٠ قل يارب !

كان يزفر بنفس الحرقة امام المرآة ، فبهتسطحها الشفاف ، وغام رأسه ٠٠وخيل اليه هنيهة أنجسده صار بلا رأس ، وهزه للاطمئنان ، وراعه ماتحته ٠٠ فهم أن يشيح عنه ثم همس : ألا تبتعد يا هذا ٠٠ سيشم الناس منك رائحة الطباشير !

وخشى أن يبتعد حقا ، ومعه قروشه ٠ دس يده فى جيبه ، وقبض عليها ، وتنعمت كفه بمداعبتها ، وزحزح قدميه عن مكانهما ٠٠ شفت المرآة رأســه التائه ملتحما بما تحته ٠٠ وعاد التناسق من جديد بين الأضداد ٠٠ وتفرس فى رأسه ٠٠ يكاد يكون منكسا كعلم فى يد جندى منحسب ٠٠ أهذا اذن الرأس الصلب كما وصفه حضرة الناظر ؟ لم لايظهر عيبه هذا على لسانه الا عند المطالبة بمرتبه ؟ آه ٠٠ الآنه يجادل ٠٠ وينكر حديث المماطلة والتسويف٠٠ والاعتذار بمهلة جديدة ؟ أهو صلب وقاعه يذوب فى المرآة ؟ وتنبه الى شعر رأسه ٠٠ اين لونه الحقيقى كما عهده فى الصباح ؟ ومسحه بيده ليظهر من تحت غبار الطباشير ٠٠ لكنه ظل مختفيا تحت الغبار فبدا كما لو كان حفنة عكارة من ماء غسيل ! ٠

مدرسة خاصة أيها الرأس ٠٠ فلم تتـــذمر ٠٠ وتنوح ؟ كيف يشاركك الآخرون عنادك وتذمرك ؟ عندما تموج رءوس المدرسين بالتذمر يشرف الناظر بنفسه حجرتهم بوجه مطلي بالقار ، ويقبل على الجميع محييا بحرارة وود كاب طال شوقه لأبنائه ، فاتحا كوة بيضاء فى صفحة القار ، وتنهال عليه التحيات ـ ولا أحد يدرى كيف ـ تحيات ولاء ٠٠ مزجاة لولى النعم، ويرى وجههكلوحة السبورة الحالية٠٠وتتلون وجوه السادة المدرسين ، وتصبح أمامه كالقابعين عند مدخل السيدة ٠ بعد انســحابه تسترد الوجوه المتماوجة تحياتها المبذولة هباء ٠٠ واستنجد الرأس الصلب بعناده المكتوم ، واوقف انسحابه٠٠ واشاح الناظر عنصاحب الرأس كأنما يشيح عن ذبابة لحوح تطارده ٠٠ لم يحفل صاحب الرأس بامتعاضـــه وحركات يده المستاءة ، وانفجر فيه النـاظر ، انت راسك صلب ٠٠ افعل مابدالك ٠٠ ، وفعل ما بداله فاذا كراسة التحضير تقــــذف الى حيث لايدرى ! وخطواته تخف ملتمسة باب المدرسة ، وجرى وراءه أحد زملائه ٠٠ والتقطت أذناه همسا خافتـا « ٠٠ ينقصه شيء من التريث ٠٠ من الدبلوماسية ٠٠ » وكاد أن يلتفت ويصرخ « ٠٠ انني حقا ٠٠ تنقصنى اشـــياء كثيرة » من يدرى ٠٠ وربمــا يملك زميله الهامس فائضا فى جيبه٠٠ أم لعله سيء الحال مثله؟! من يدرى ٠٠ فعلى أبواب السيدة انماط متفاوتة ، والخلاف فى طريقة الطلب ٠٠ الا يكون بسبب هذا متسرعا لم يحسن المطالبة ، وعزت عليه وعــوده نعدته ؟! ومادام غادر المدرسة خاوى الجيب الا من قروشه الثلاثة ٠٠ فليزن ما حدث ٠٠ وعليــه أن يوفر السخط ليوم جديد ٠٠ وليخفف الآن من حدة مشاعره ، ويتعلل بعون صديقـــه ٠٠ المأمول ٠٠ وسيستجيب لفكرة البحث عن مدرســـة أخرى ٠ لكنه اليـــوم حرر نفســـه من تسويف الناظر ، ومماطلته ، واحس بارتياح كبير ٠٠ وأنه سيد نفسه لحظات ٠ ما رأيه فى فكرة العثور على دروس خاصة؟ وربما يستنجد باخيه ٠ البعيد ذي الأولاد الثمانية ٠٠ ربما كالمستجير من الرمضاء بالنار ! أيندم على تسرعه ؟ أكانت أحلامه منذ الصباح هى السبب ؟

ها انت أيها الرأس العنيد في عرف الناظر ٠٠ها أنت كففت عن التمرد المكتوم ٠٠ وجابهت به الغير ٠٠ فكيف ستجابه ، فجوة تحت حزامي لها سلطة واسعة ؟!

وتحسس المرآة مقتربا منها ٠٠ كبر رأسه وكأنما استهان بما تحته فانزلقت نظراته باطمئنان الى بقيته مارا بحذر بالفجوة الحاوية ، وطمأنها ـ مؤقتا ـ برائحة فلافل « توتو » ٠

وهز جسده كمن يعتدل تحت بدلته ٠٠ بدلته كشعره ٠٠ داكنة للغاية ! هذه وجهة نظر ٠٠ ما الفرق بينها وبين ملامحه ٠٠ كم تتوثق الصلات بينهما باطراد ؟! وتشجع ينفض غبارها ، واذا سحابة الغبار النائمة تستيقظ من مهدها، وتحتج على صدق المرآة ٠٠ وتبهت لمعانها ، ويمتد احتجاج السحابة الى فمه وانفه فيعطس فجاة ، وتصخب نظرات صاحب المحل بالضيق والنفور من طول وقوفه يحملق في الواجهة ، وحاول أن يحتمي من نظراته بجاكتته ، انشغل باغلاق أزرارها ٠٠ وود لو يضحك ٠٠ مابال المرآة تضاعف من أوهامها في عينيه ٠٠ حتي يغلق اللسان أزرار جاكتته «تتسيك» وتنساب على جسده ، وتتآلف في شكل معين ، اما جاكتته فهى الآن كبطانية اهمل صاحبها تسوية اطرافها ٠٠ فتراها كما لو كانت متهدلة مكومة ٠٠ على لاشيء !

وخشى أن يلتفت لكفيه المغريين بزداذ الطباشير٠٠ دسهما في جيبه ، وانثنى بجسده على احدى قدميه ومد الأخرى قليلا ، واحتوى شبحه كاملا بنظرة واحدة ، وهمس هلعا بلهجة مسرحية لايذكر متى سمعها : **يا الهي ٠٠ ألم ينفق الجواد بعد ؟!**

وهم أن يصرخ: النجدة٠٠ الاسعاف!! وعاديهدىء داخله ٠٠ بلا وعود ، ويغالط المرآة ٠٠ على طريقة صاحب المدرسة ، ثم يتريث ويقول لنفسه بهدوء : لا داعي ٠٠ بمن نستنجد ؟ ٠٠ بأحد ؟!

وشمل نظره المارة في الميدان ، واستقر في مطعم « توتو » وأفضى لنفسه : لا يوجد ٠٠ أحد ٠٠ الا ٠٠ الا الفلافل !

« محمود حسن العزب »



العدد ٦٣

الثمن ٣

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير

أحمد حسن الزيات

المراسلات جميعها تكون باسم
السيد مدير ادارة المجلات
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد . محمد فريد . القاهرة

تصدرها

الثقافة والارشاد القومي

الاشتراكات ١٥٠ سنويا
ويضاف أجر البريد
من خارج ج.ع.م



الفهرس

مؤتمر عدم الانحياز

للدكتور محمد أحمد خلف الله

اختار المنظمون **لمؤتمر عدم الانحياز** قاعة الاحتفالات الكبرى بمبنى جامعة القاهرة لتكون مقرا لجلسات المؤتمر وأعمال لجانه .

واختيار هذه المؤسسة العلمية الكبرى لتكون مقرا لأعمال المؤتمر يوحى فى ذهنى أننا قد بدأنا ننظر فى أمور الانسانية نظرة علمية موضوعيةوانا قد اطرحنا جانبا المعالجة السطحية والاساس الحماسى .

وعدد الدول المشتركة فى هذا المؤتمر يوحى هو الآخر **بمسالتين هامتين :**

الأولى أن عدد هذه الدول قد زاد زيادة كبيرة ، فقد كانت الدول المشتركة فى مؤتمر يوغوسلافيا قليلة العدد بالنسبة لهذا المؤتمر ، اذ كان عددها ٢٨ دولة . أما دول هذا المؤتمر فثمان وخمسون دولة . منها احدى عشرة دولة تحضر المؤتمر بصفتهـا دولا مستمعة لاتناقش ولا تصوت .

هذه الزيادة تشعر من غير شك بأن الفـكرة قد نمت واتسعت وزاد عدد المؤمنين والانصـار ممن يدينون بها أو يدافعون عنها .

الثانية : أن من الدولمن ينصر هذه الفكرة ولكنه يتريث فى الدعوة اليها والكفاح فى سبيلها لظروف خاصة . ومن هذه الدول بعض الدول التى كانت متحـازة وكانت دائرة فى فلك بعض المعسـكرات الكبرى سواء فى ذلك المعسكر الشرقى والمعسـكر الغربى .

والنتيجة الملازمة لكل هذا أن **دول عدم الانحياز** أصبحت قوة يحسب لها حسابها فى ميدان العلاقات الدولية ، وبخاصة فى ميدان هيئة الامم المتحدة .

هذه النتيجة تفرض علينـا أن ندعو الى تحقيق وعى متكامل بحقيقة دعوة عدم الانحياز وبالاهداف التى تعمل على تحقيقها .

وأول المسائل التى تحتـاج الى توضيح ليزداد الوعى بها هى عبارة **عدم الانحياز نفسها .**

ان بعض الناس قد يظن أنها انما تعنى موقفـا سلبيا بين الكتلتين الكبيرتين ـ الكتلة الشرقيـة والكتلة الغربية ـ **بحيث لا تعنى دول عدم الانحياز** بما يجرى بينهما والوقوف موقف المتفرج .

ذلك أن هذا الظن ليس الا الوهم ، فعدم الانحياز **موقف ايجـابى يحقق اهدافا كبيرة لدول رات ان تقدمها ونموها ومحافظتها على استقلالها ، وتقـدم العالم واحلال السلام والوئام محل الحرب والخصام لن يكون الا على اساس من هذه السياسة ، سياسة عدم الانحياز . ومن هنا وجب على هذه الدول أن تبذل الجهود الجبارة فى سـبيل تحقيق هـذه الاهداف .**

ولقد أكدت الجمهورية العربية المتحدة فى أكثر من موقف منذ أيام **باندونج ، وبريونى ، واكرا ، وكوناكرى** الى الآن هذه الحقيقة ، وأعلن **الرئيس جمال عبد الناصر** فى أكثر من موقف أن سياسـة عدم الانحياز لم تكن مجرد موقف نخلد اليـه بين الكتلتين الشرقية والغربية، وانما هى عقيدة أساسية تعتنقها السياسة المصرية .

انها مقاومةكلسياسة تعتمدعلى القوة والسيطرة، انها سياسة تهدف الى خلق عالم حر ،عالم مـكون من بلاد مستقلة متساوية فى الحقوق والواجبات ، ومتعاونة بصدق فى سـبيل ازالة خطر الحروب النووية ، وازالة أخطار التخلف الاقتصادى والقلق النفسى .

انها باختصار تحليل واع للعلاقات الدولية . . وللمشكلات الانسانية . وهذا هو الذى تدل عليه قرارات المؤتمر الاول .

فلقد كان من قراراته تأييد الاستقلال التام للبلاد والشعوب المستعمرة ، وتأييد حق الشعوب فى تقرير مصيرها ، والعمل على انهاء الاحتلال ، وازالة القواعد العسكرية .

كما كان منها استنكار سياسة التفرقة العنصرية وتأييد اعادة جميع الحقوق للشعب العربى فى فلسطين .

وحثت هذه القرارات الدول الكبرى على أن توقع معاهدات نزع السلاح ، وتحريم التجارب النووية والعمل على ازالة عدم التكافؤ الاقتصادى فى ثرواتها ومصادرها الطبيعية .

ان عدم الانحياز انما نشأ تعبيرا عن ضمير الشعوب التى خرجت من كابوس التسلط الاستعمارى والتى تنشد لنفسها مكانا تحت الشمس يمكنها من أن تلعب دورا ايجابيا فى الحياة ويمنحها فرصة تحقيق السلام وتوطيده .

انها ترى أنها فى ظل السلام تستطيع أن تنمو ، وأن تعمل بلا كلل ولا ملل لتعويض ما فات ، وللانطلاق الى الامام بلا قيود ولا حدود .

ان المؤتمر الحالى يواجه مسئوليات ضخمة ، وان الامم تعقد عليه الآمال الكبار للعمل على ايجاد مخرج لهذه الأزمات الدولية ، وهذه المشكلات الانسانية ، وللعمل أيضا على تأكيد حق الشعوب فى حياة أفضل .

ان الامم تريد دعما للسلام ، وقضاء على العدوان واستنكارا للتفرقة العنصرية بجميع اشكالها والوانها .

ولعل أهم من كل ما تقدم أن يعمل المؤتمر على تحقيق ما يلى :

١ ـ الارتفاع بمستوى الانسان المتحرر من الاستعمار أو الذى لايزال يرسف فى أغلاله الى مستوى الحضارة .

٢ ـ الارتفاع بالرجل المتحضر الذى لايزال ضميره ملطخا بالاثم الى مستوى الانسانية .

٣ ـ ادخال الانسان من حيث هو انسان فى المسألة الرئيسية للسلام .

كلمات

● ان السلام لا يمكن أن يستقر فى عالم تتفاوت فيه مستويات الشعوب تفاوتا مخيفا .

ان السلام لايمكن ان يستقر على حافة الهوة السحيقة التى تفصل بين الامم المتقدمة والامم التى فرض عليها التخلف .

ان الصدام المحقق بين التخلف والتقدم هو الخطر الثانى الذى يهدد السلام بعد الخطر الاول الذى يكمن فى نشوب حرب ذرية مفاجئة .

● ان التعاون الدولى من أجل الرخاء هو الأمل الوحيد فى تطور سلمى يقارب ما بين مستويات الامم ويزرع المحبة بينها بديلا عن سموم الكراهية .

ان التعاون الدولى من أجل الرخاء من جانب الدول المتقدمة هو التفكير الانسانى الذى يشترك فيه المسئولون وغير المسئولين عن العصر الاستعمارى .

ان التعاون الدولى يمتد على جبهة عريضة .

انه يشمل فتح الأسرار العلمية للجميع ، فان احتكار العلم يهدد البشرية بنوع جديد من السيطرة الاستعمارية .

وهو كذلك يشمل الدعوة الى توجيه الذرة للسلام حتى تستطيع ان تخدم قضية التطوير ، وتغطى جوانب التخلف المظلم .

وهو كذلك يشمل التبشير بفكرة توجيه المبالغ الطائلة التى توجه الى صنع الأسلحة النووية لتخدم الحياة بدلا من أن تترصد لها وتتربص بها .

وهو كذلك يشمل الدعوة الى مواجهة التكتلات الاقتصادية الدولية بحيث لا تستخدم بواسطة الاقوياء لتحطيم محاولات غيرهم من أجل التقدم .

● ان اى سياسة خارجية لاى وطن من الاوطان لاتكون انعكاسا أمينا وصادقا لعمله الوطنى تصبح ادعاء يكشف نفسه بنفسه ويصبح نفاقا واتجارا بالشعارات .

ان هذه هى المهزلة التى تقع فيها الحكومات الرجعية حين تحاول للتضليل ان تستعير سياسة خارجية براقة لاتكون صدى للواقع الوطنى وتعبيرا عنه .

ان الشعوب الواعية تفضح هذه الحكومات وتقتص منها حساب الضلال الذى حاولت أن تزيفه عليها .

دكتور محمد أحمد خلف الله

الدعوة الى التجديد الديني

بقلم محمد محمد المدني

● ان الشريعة الاسلامية هى مجموعة العقائد والاحكام التى شرعها الله تعالى – على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

وهذه الاحكام – كما قلنا – منها ماهو قطعى ثابت لايتغير بتغير الزمان والمكان ، وليس للاجتهاد فيه مجال ، ومنها ماهو ظنى يباح فيه النظر ، ويطبق عليه الاجتهاد .

وقد اتفقت الامة على أنه لا اجتهاد فى موضع النص الا فى فهم هذا النص مادام ثابتا غير منسوخ، واذن فلا يجوز اهمال نص محكم باجتهاد مجتهد على معنى ازالة العمل به أو تعليقه .

وهذا أمر مقرر مفروغ منه فى علم الاصول ، عقد له العلماء الابواب والفصول ، واستدلوا فيه بأدلة كثيرة :

منها قوله تعالى :

« **انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا ، واولئك هم المفلحون** » .

« **اتبعوا ماانزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء** » .

« **ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ، ان الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون ، متاع قليل ولهم عذاب اليم** » – الى غير ذلك من الآيات الكثيرة .

ورووا أن رجلا من ثقيف أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فسأله عن امرأة حاضت وقد كانت زارت البيت يوم النحر الها أن تنفر به فقال : لا ، فقال له الثقفى : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افتانى فى مثل هذه المرأة بغير ما أفتيت به ، فقام اليه عمر رضى الله عنه بالدرة يضربه ويقول له : لم تستفتينى فى شيء قد أفتى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفى الصحيحين من حديث ابن عباس أن هلال ابن امية قذف امرأته بشريك بن سحماء عند النبى صلى الله عليه وسلم ، فذكر حديث اللعان وقول النبى صلى الله عليه وسلم : ابصروها فان جاءت به أكحل العينين سابغ الاليتين ، خدلج الساقين ، فهو لشريك بن سحماء ، وان جاءت به كذا وكذا فهو لهلال ابن أمية ، فجاءت به على النعت المكروه ، – أى على صفة شريك بن سحماء الذى قذفت به – فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لولا مامضى من كتاب الله لكان لى ولها شأن .

قال ابن القيم : يريد – والله ورسوله أعلم – بكتاب الله قوله تعالى : « ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين » ، ويريد بالشأن – والله أعلم – انه كان يحدها حد الزنى لمشابهة ولدها للرجل الذى رميت به ، ولكن كتاب الله فصل الحكومة وأسقط كل قول وراءه ، ولم يبق معه موقع للاجتهاد حتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الآيات والاحاديث والآثار فى ذلك كثيرة جدا ، ولذلك يقول الامام الشافعى : أجمع الناس على ان من استبانت له سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له ان يدعها لقول أحد من الناس ، واذا رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا ولم آخذ به ، فاعلموا أن عقلى قد ذهب » !

أقول : فاذا كان مثل الشافعى رضى الله عنه يقول ذلك عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم احتراما لنصوصها ، وتوكيدا لوجوب العمل بها ، فهل تراه يبيح ترك آية من آيات الاحكام باجتهاد يجتهده ؟! .

نعم اذا كان فى النص مايدل على أن الحكم المستفاد منه معلل ولم توجد علته ، أو استفيد ذلك من دليل آخر ، فان الحكم يتغير ، ولكن هذا التغيير انما هو فى نطاق النص نفسه ، والنص هو الذى دعا اليه ، وليس المجتهد ، ولا الامة ، ولا الجمعية

التشريعية ، ولا غير هؤلاء بالذى يصدق عليه فى هذا الشأن انه بدل حكما بحكم ، او علق نصا وحال بينه وبين أن يؤخذ بمدلوله .

● نعرض بعد ذلك : لما يذكر من أن عمر بن الخطاب رضى الله عنـــه ، منع « المؤلفة قلوبهم » السهم الذى نص الكتاب انه لهم :

وذلك أن الله تعالى فرض فى محكم كتابه للمؤلفة قلوبهم سهما فى الزكاة ، فقال جل شأنه : « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وســـلم يعطيهم هـــذا السهم ، وهم أصــــناف : فمنعهم اشراف من العرب كان رســـول الله صلى الله عليه وســلم يتالفهم ليسلموا ، ومنهم قوم اسلموا ونياتهم ضعيفة فيؤلف قلوبهم بالعطاء ، مثـل عيينــة بن حصن ، والاقرع بن حابس ، وعباس ابن مرداس ، ومنهم من يترقب باعطائهم اسلام نظرائهم من رجالات العرب . « وذلك على نحو ماتفعله الدول اليوم فى تخصيص بعض النفقات من ميزانيتها للدعاية السياسية » .

هذه سيرته ، صلى الله عليه وسلم ، مع المؤلفة قلوبهم منذ نزلت عليه الآية الكريمة الى أن لحق بالرفيق الاعلى .

ولكن لما ولى ابو بكر رضى الله عنه جاء اليه المؤلفة قلوبهم لاستيفاء ســهمهم على ماجرت به عادتهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكتب أبو بكر لهم كتابا بذلك ، فذهبوا بكتابه الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فلم ير اقراره وقال : لا حاجة لنا بـكم ، فقد أعز الله الاسلام وأغنى عنكم ، فان أسلمتم والا فالسيف بيننا وبينكم . فرجعوا الى أبى بكر فأمضى مافعله عمر .

فاستقر الامر لدى الخليفتين ومن يرى رأيهما على منع المؤلفة قلوبهم هذا السهم ، وصرفه الى من عداهم من الاصناف المذكورين فى الآية .

فظاهر الامر أن عمر جاء الى نص يحـكم باعطاء المؤلفة قلوبهم سهما من الزكاة فمنعهم ، فصـادم بذلك نصا ثابتا طبقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عهده ، ولم يعلم أنه نسخ بنص غيره ، واذن فقد جاء عمر ـ ووافقه أبو بكر وغيره ـ الى نص معمول به فلم يأخذ به لاجتهاد اجتهده ، فان لم يكن هذا نسخا للحكم بفعل المجتهد بعد وفاة الرسول ، فهو تعليق للنص ، ولا مناص من التسليم بأحدهما .

هذا هو الظاهر الذى يتمسك به من يرون جواز تعليق النصوص ، ومنهم السيد الدكتور محمد أحمد خلف الله .

ولكن حقيقة الامر فى ذلك أن عمر رضى الله عنه ، والصحابة الذين وافقوه ، ومن جاء بعدهم من العلماء ، لم يخرجوا عن دائرة النص ، ولم يعلقوه ، وانما فهموا أن الله ســبحانه وتعــالى لما قال : « والمؤلفة قلوبهم » أثبت لفريق من الناس نصــيبا من الزكاة بوصف معين هو مناط الاستحقاق ووجوب الاعطاء ، ذلك هو كونهم « **مؤلفة قلوبهم** » ، ولما كان التاليف ليس وضـــعا طبيعيا يحدث للنــاس كما تحـدث الآعراض الطبيعية ، بل هو شيء يقصد اليه ولى الأمر ان وجد الأمة فى حاجة اليه ، ويتركه ان وجدها غير محتاجة اليه ، فاذا اقتضت المصلحة أن يؤلف أناسا والفهم فعلا ، أصبح الصنف موجودا فيستحق ، واذا لم تقض المصــلحة بذلك فلم يتــالف أحدا ، فان الصنف حينئذ يكون معدوما ، فلا يقال انه « منعه » لأنه ليس معنا أحد يجرى عليه الضمير البارز فى لفظ « منعه » ، وبذلك يتبين أن النص لم يعطل ولم يعلق ، وانما المحل هو الذى انعدم ، فلو أن ظرفا من الظروف على عهد عمر أو غيره من بعده قضى بأن يتالف ولى الأمــر قوما فتالفهم ، لأصــبح الصنف موجودا فلابد من اعطائه .

وقد يرد على هـــذا أن المؤلفـة قلوبهم كانوا موجودين فعلا على عهد عمر ، وهم الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تالفهم ، فعمر منعهم مع وجودهم ، فلا يقال اذن ان عدم الاعطاء لعدم وجود الصنف ، وانما هو لمعنى مصلحى قدره عمر ، وهو أن الاسلام قد أعزه الله ولم يعد هناك سبب للتاليف، وهذا يتفق وما يقرره بعض العلماء من ان اعطاء المؤلفة قلوبهم حـكم معلل بحاجة الاســلام الى التاليف فاذا انتفت علته انتفى ، لأن الحكم المعلل يدور مـع علته وجودا وعدما .

قد يرد علينا هذا ، وربما كانت عبارة عمر المروية فى هذا الشأن ، وهى قوله « ان الله قد أعز الاسلام وأغنى عنكم » مؤيدة لهذا الايراد .

ونقول فى الرد على ذلك : ان هذا التخريج نفســه بعيد عما يقول به من يجيز تعليق النص ، وذلك أنه متى ثبت أن الحكم معلل ، فهو بمثابة أن يقول المشرع : جعلت للمؤلفة قلوبهم ســـهما من

الزكاة فى حالة احتياج الاســــلام اليهم ، أما اذا استغنى الاســلام عنهم ، فلا يعطون ، فالاعطاء فى الحالة الأولى بالنص ، وعدمه فى الحالة الثانية بالنص، فلا تعليق ، ولانسخ ، ولا تعديل .

ولست مع هذا براض عن هذا التخريج ، وانما الأمر عندى أمر وجود المؤلفة قلوبهم أو عدم وجودهم ، كوجود الرقاب أو عدم وجودها مما يترتب عليه وجود المصرف الخامس ، وهو قوله تعالى « وفى الرقاب »أوعدم وجوده ، وانما أتمسك بذلك لأنه ليس معنا دليل على أن الحكم فى قوله تعالى « والمؤلفة قلوبهم » معلل بحاجة الاسلام اليهم ، انما المعلل بذلك هو التاليف نفسه ، اى جلب قلوب بعض الناس ، اى ان مبدأ « **التاليف** » والسياسة التى تقتضيه شيء ، واعطاء المؤلفة قلوبهم حين يتقرر هذا المبدأ شيء آخر ، فالقواعد الشرعية تبيح لولى الأمر أن ياخذ بمبدا التاليف اذا رأى مصلحة للامة فيه ، بل توجيه عليه فى بعض الحالات :

والخلاصة ان التاليف قد يكون مباحا لولى الامر اذا رأى فيه مصلحة للامة ، وقد يكون واجبا اذا كان تفويته يؤدى الى ضرر يصيبها ، أو تعين وسيلة لجلب مصلحة يعتد بها .

تفيد القواعد الشرعية ذلك ، وقد فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنفهم من هذا أن حاجة الأمة هى العلة التى تبعث الامام على التاليف ، وحينئذ يؤلف ، فيوجد الصنف ، فيعطى .

وقول عمر للمؤلفة الذين كانوا يأخذون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله قد أعز الاسلام واغنى عنكم » معناه : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ألف قلوبكم لمصلحة الاسلام ، فصار لكم هذا الوصف ، وصف المؤلفة قلوبهم ، فأعطاكم ، لكن هذا الوصف لم يستمر لكم الى الآن ، لأن الاسلام قد عز واستغنى فزالت الحاجة الى التاليف فلم يبق بيننا «مؤلفة قلوبهم» بمعنى أنهم موصوفون بهذا الوصف الآن ، وان كانوا « مؤلفة قلوبهم » باعتبار ما مضى ، وهذا الوصف مما يتغير ويتبدل كوصف الفقر ، فقد يكون المرء فيما مضى فقيرا ، فيكون له فى الزكاة نصيب ، ثم يصبح غنيا فلا يكون له فيها نصيب ، ولا ينبغى أن يتوهم أن هؤلاء الناس استحقوا هذا الوصف الى آخر عمرهم ، أو أن الامام يجب أن يعدهم كذلك الى آخر عمرهم، وانما الأمر أمر تقدير المصلحة فى نظره ، فان أداه اجتهاده الى أن يتالف تالف فأعطى ، والا فلا .

واذن فليس معنا نص وقف العمل به أو علق أو نسخ أو عدل ، ولكن معنا نص معمول به ، لأن معناه مقيد من أول الأمر بالقيد الطبيعى الذى لا يعقل انفكاكه عنه ، كانه قيل : والمؤلفة قلوبهم ان وجدوا ، كما يقال مثل هذا فى الفقراء والمساكين مثلا : انما الصدقات للفقراء ، ان وجد فقراء ، والمساكين ، ان وجد مساكين ، وفى الرقاب ، ان وجدت رقاب مملوكة .

فاذا كان هناك من يريد أن يجادل عمر رضى الله عنه فى أن التاليف ، أى ايجاد صنف المؤلفة قلوبهم واجب على الامام فى كل حال ، فهذا جدال فى موضع من مواضع الاجتهاد ، وليس اجتهادا فى محل النص ، والفرق بين التاليف ، ووجوب اعطاء المؤلفة قلوبهم حين يكون هناك تاليف ، واضح ، فالأول أمر مصلحى يختلف فيه النظر ، والثانى حكم نصى لا يمكن التصرف فيه بالابطال أو التعليق أو التعديل .

وشبيه بهذا أن تقول : ان الأمر بتخصيص جزء من الزكاة لفك الرقاب ومنح العبيد والاماء العتق والحرية ، شيء يختلف عن مبدأ ايجاد ارقاء والمحافظة على استمرار النوع ، فلا يجب على ولى الأمر أن يحتفظ بصنف « الأرقاء » حتى يمكن أن تظل مصارف الزكاة ثمانية من بينها المصرف الخامس ، وهو قوله تعالى « وفى الرقاب » ، ولكن ان وجدت رقاب فى ظرف من الظروف ، كانت من المصارف الثمانية والا فلا .

● ويتبين مما ذكرنا أن المثال الذى مثل به السيد الدكتور **محمد أحمد خلف الله** فى معرض التساؤل عما يمكن عمله بازاء « آيات الاحكام والتكاليف التى تاثرت فعلا بفعل الزمن ، أو التى يمكن أن تتاثر بذلك » ليس فيه ما يدل على أن عمر بن الخطاب وقف نصا قرآنيا وحال بينه وبين مدلوله ، ولكنه اجتهد فى ناحية أخرى ليست من محل النص ، وهى : هل مصلحة الاسلام يومئذ تقضى باعتناق مبدأ التاليف واتخاذه سياسة عامة لنشر مبادئه وتعاليمه وعقائده ، أو هو مستغن عن ذلك لأنه صار قويا عزيزا ؟ .

وهناك مسائل أخرى تذكر فى الاستشهاد بمواقف لعمر من بعض نصوص الكتاب والسنة ، ولعلنا نتحدث عنها أو عن بعضها ، لتجلية نظريتنا فيها وفى أمثالها مما قد يظن تعطيلا للنصوص ، أو افتياتا عليها والى اللقاء فى مقال تال ان شاء الله .

« **محمد محمد المدنى** »

في النيل
معبد ابو سمبل

للدكتورة نعمات أحمد فؤاد

(٦)

والاسم القديم للمنطقة **(ابشيك)** • غير ان هناك قرية فى الشرق اسمها ابو سمبل وقد شاع تسمية المعبد باسمها •

وقد سبر المهندس المصرى القديم الجبل وفتح قلبه ليتربع فيه معبد مليكه بين ثلاث طبقات صخرية: السفلى صلبة لتكون بمثابة الأساس للمعبد والعليا مثلها صلبة لتحتمل الجبل فوقه، اما الوسطى فرملية لينة •• يسهل تشكيلها •• الى هذا المدى بلغ علمهم بطبقات الأرض (الجيولوجيا) وهذه الدلالة قيمة كبيرة من قيم هذا المعبد العظيم •

كما نحت المعبد بحيث تشرق عليه الشمس أول ما تشرق فى ميقات معلوم من شهر اكتوبر وشهر فبراير يقدر أن الموعدين يمثل أحدهما مولد رمسيس أى **(عيد ميلاده)** ويمثل الآخر عيده الثلاثينى أى بلوغ حكمه الثلاثين عاما وكان ملوك مصر من يبلغ منهم هذا الأمد فى الحكم يحتفل به احتفالا كبيرا واعدا •

وقد ظلت الشمس على موعد مع المعبد آلاف السنين لا تتقدم ولا تتأخر ولا تتحول ولا تريم•• الى هذا المدى بلغ علمهم فى الفلك وهذه الدلالة قيمة كبيرة من قيم هذا المعبد العظيم •

نحن الآن أمام المعبد الكبير الذى بلغ ارتفاع واجهته ٣٣ مترا وعرضها ٣٨ مترا ، معبد رمسيس حيث تطل علينا من عليائها تماثيله الأربعة التى يبلغ طول التمثال منها عشرين مترا • ويعلو المدخل تمثال للآله حور آختى اله المعبد متوسطا التماثيل الأربعة يعلو هذا صفان من النصوص الهيروغليفية هى اسماء والقاب رمسيس الثانى وفوق هذا صف من القردة رافعة أيديها الامامية محيية اله الشمس عند الشروق •

وبين يدى الملك تماثيل لزوجته نفرتارى وامه وبناته وأبنائه •• والى اليمين واليسار اله النيل (حابى) •

فاذا دلفنا الى المعبد وطالعنا الجدار الشرقى على يمين رأينا •• (رمسيس) لابسا التاج المزدوج وفى يده دبوس القتال وقد تجمع اعداؤه تحت قدميه يسترحمون بأكف ضارعه • وامام رمسيس الاله حور آختى •

وفى منتصف الحائط صف من بنات رمسيس وعددهن تسع تحمل كل منهن الصلاصل (السستزم) ثم رمسيس فى حضرة الاله أتوم (اله ظهر فى رأى قدماء المصريين على تل فى محيط وخلق من نفسه الهين السماء والارض فتزوجا وخلفا اثنين تزوجا وانجبا أوزوريس – ايزيس – ست – نفتيس) •

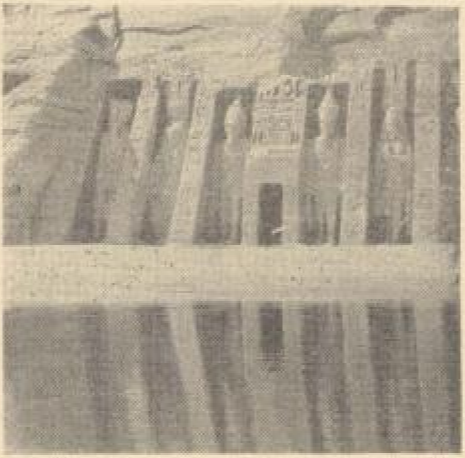
ثم رمسيس فى حضرة الاله خنسو اله القمر ثم رمسيس فى حضرة الاله (مين) اله التناسل ثم رمسيس فى حضرة الاله حورا آختى والالهة سخمت •

وعلى يسار الداخل رمسيس فى حضرة الاله آمون

رع ، وبينهما الاسرى الشماليون والجنوبيون .. وفى وسط الجدار صف من الامراء وعددهم ثمانيـــة ثم رمسيس فى حضرة الاله حور آختى ثم رمسيس فى حضرة الاله بتاح ثم رمسيس فى حضرة الاله آمون رع ، ثم رمسيس فى حضرة الاله آمون رع والالهة موت .

صالة الأعمدة :

وفى صالة الاعمدة ثمانية تماثيل لرمسيس من الطراز الأوزيرى فهى فيما يلى الجانب المطل على الممر على هيئة أوزوريس وهذه الاعمدة مربعة قدت من الصخر وعليها رمسيس فى حضرة الآلهة المختلفـة وخاصة الاله امون رع والاله حور آختى . وسقف الصالة مزين تارة بالصقر المجنح وتارة بالنجوم .



وعلى جدران صالة الاعمدة نجد مناظر حربيـة تمثل رمسيس فى حروبه مع اعدائه فى الشمـال والجنوب . ولعل أروع نقوش المعبد العظيم معركة قادش ورمسيس البطل يجندل أعداء مصر فينهارون ما بين صريع ، وجاث على قدميه يستغفر ، وضارع الى الالهة المصرية ان تتشفع له عند الملك الجليل . ان المصرى ليدخله الغرور لامحالة والزهو والفرحة وهو يرى رمسيس ، نسيت ان اقول والحب ، قدشمر للمعركة وكل ما فيه قد استحال .. شهابا منقضا حتى لجام جواده قد شده الى وسطه لتتفرغ يداه للطعن والنزال .. وقد صوره الفنان المصرى يطأ بقدميه رقبة عدو ويطعن بيده آخر ويمسك باليـد الاخرى تلابيب ثالث . كان المعركة لا تزال قائمة فقلبى يخفق من أجله وعينى تزغرد له ، ولهفتى لهفى على خطاه .. لقد لهثت انا على بعـــد المعركة وبعد السنين وهو ماض كأبطال الاساطير لايتوقف ولا يناله اعياء .

ان الجدار الشمالى من صالة الاعمدة صـــفحة عريضة من تاريخ مصر تصوركيف زحف جيش مصر الى مدينة قادش بعرباته الحربية فيقهقر عنها جيش الحيثيين ويعود رمسيس بعد معركة فاصلة ظافرا معتليا عربته يمشى فى ركابه مع من مشى ، الاسد! اسده الاليف ويعود الى مصره مظفرا ليقول البس لى ملك مصر والحيثيين !

ان الفنان المصرى العظيم يمثل رمسيس العظيم فى الاعمال الجاهدة ولا أثر للجهد عليه كانه يأتى شيئا عاديا بل شيئا سهلا . فلا عضـلات نافرة كالتى تبدو فى التماثيل اليونانية والرومانية .

وفى الجدار الشمالى من صالة الاعمدة نجـــد حجرتين استعملتا مخازن ، وفى الجدار الغربى من هذه الصـالة نجد بالجـدار ثلاثة مداخل : المدخل الأيمن يفضى الى حجرة مستطيلة بالجدار الشمالى منها نجد حجرتين طويلتين كانتـــا مخزنين . وعلى هذا النسق نجد المدخل الأيسر .

اما المدخل الاوسط فيفضى الى صالة مربعـــة بها اربعة أعمدة مربعة على الجدار الايمن والايسر نجد الملك رمسيس واقفا ومرتديا الزى الملكى يحرق البخور وتقف خلفــه الملـكة نفرتارى وفى يدها الصلاصل وأمامهما الكهنة حالقى الرءوس حاملين القارب المقدس .

ومناظر هذه الصالة كلها مناظر دينية تمثـــل (رمسيس) تارة مع الثالوث المقدس لطيبة آمـون وموت وخنسو .

ثم رمسيس فى حضرة الاله (مين) اله التناسل .

وعلى الاعمدة رمسيس فى حضرة الاله آمون الذى يحتضنه . كما نجد الالهة موت والالهة حتحور .

وبالجدار الغربى من هذه الصالة مدخل يفضى الى قدس الأقداس الذى يتصـــدره الآلهة الأربعـــة : رع حور آختى ثم الملك رمسيس ، واضعا نفســه موضع الآلهة ، ثم الاله آمون رع ثم الاله بتـــاح اله

الصناع والفنانين وبين هذا الحرم وبين المدخل نحو ستين مترا تقطعها الشمس في ايام معلومة من شهري اكتوبر وفبراير من كل عام لتمثل بين يدى آلهة مصر الاربعة وتضيء الجباه الشماء التى أضاءت الدنيا وملأتها نورا ومجدا وعلما وفنا وقيما غالية يشرف بها الانسان فى مصر ٠٠ فى كل مكان يقدس الحضارة ويجل التاريخ ٠

هذا هو معبد ابو سمبل اجمل معابد مصر واعظم بناء أودعه انسان ضمير الصخر ليعد كما قال المدير العام لليونسكو فى ندائه الدولى ، (من أروع المنشآت المعمارية فى العالم) وقال الاستاذ جازولا (انهما « معبدا أبو سمبل ») لا يخصان فقط الذين شيدوهما بل يخصان التراث الثقافي للانسانية جمعاء) ٠

اما المعبد الثاني فقد بناه رمسيس لزوجته الاثيرة نفرتاري والهة المعبد الالهة حتحور ٠ والمعبد شكل فى الصخر ، وفى واجهته على جانبى المدخل ستة تماثيل منها اربعة لرمسيس الثانى على وجهه ابتسامة مزهوة وفى عينيه ثقة وفرحة ، وفي وقفته اعتداد وعزة ، أستطيع ان اجزم ان فرعون موسى ليس وحده الذى قال : (أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى) كلهم قالوها ٠ بل قلتها أنا فى السر والعلن آلاف المرات وقلت : ما أسعدنا بمصر وطنا يجرى فيه هذا النهر العظيم ٠

على يسار المدخل تمثال للملكة نفرتارى ٠٠ نفرتارى الجميلة ترفع فى يدها آلة موسيقية تعلوها رأس الالهة حتحور وعلى يمين نفرتارى تمثال لرمسيس على راسه التاج المزدوج وعلى يسارها رمسيس على راسه التاج الملكى ويفصل التماثيل خراطيش ٠

يقف الى جانبى الملك الامراء والأميرات الاعزاء عنده وأقربهم الى نفسه يسمى امن حرخبشى اف اى سيف الاله آمون ٠

وعلى يمين المدخل ثلاثة تماثيل تتوسطها نفرتارى والى جانبيها رمسيس لابسا تاج الوجه القبلى ٠

صالة الأعمدة : وبها ستة أعمدة مربعة على الجانبين والاعمدة مربعة ٠٠٠ الجانب المطل منها على الصالة ينتهى عند القمة برءوس حتحورية أرى على جانب العمود الملكة نفرتاري انها جميلة حقا مشرقة هيفاء عذبة القسمات خليقة حقا بحب الملك العظيم ٠٠ ان عينى لا تريد أن تتحول عن الصورة ، وغير ملوم فيها الملك الجبار ٠

على الجدار الأيمن رمسيس الثانى لابسا تاج الوجه البحرى ممسكا بيده دبوس القتال يضرب به عدوا ٠ وعلى يمينه صورة للاله رع حور آختى ووراءه وقفت نفرتارى الجميلة ٠ كيف صور المصرى الفنان نفرتارى فى شفوفها فلم يحجب الحجر الشفوف ولاماوراءها كيف طوع المصرى الحجر فسلس بل انصاع فحمله من الايحاءات واللفتات والبسمات والنظرات والحركات ما أراد له أن يروع به ٠

وعلى الجدار الشمالى رمسيس يحمل زهورا ويصب ماء أمام الاله خنوم ذى رأس الكبش يليه الملكة نفرتارى تحمل فى يديها آلتين موسيقتين تقدمهما للاله حتحور ٠

ووراء رمسيس الاله بتاح اله منف ، اله الصناع والعمال والفنانين ٠٠ وفى أقصى اليمين رمسيس امامه عدد من القرابين ٠

وعلى جوانب الاعمدة المواجهة للجدار الشمالى الاله خنسو اله القمر ثم الالهة موت الهة الحرب زوجة الاله آمون رع ملك الآلهة ثم تمثال رمسيس وعلى الجانب الآخر من العمود تمثال الاله حورس منطقة (ميعام) أى عنيبة ٠

وعلى جانب عمود الالهة موت الملك رمسيس يقدم القربان بخورا وعلى جانب حورس كوبان (وهى قرية شرق الدكة) ٠

وعلى عمود الاله خنسو ، الاله خنوم له رأس كبش ٠ ومن الناحية الأخرى الالهة ايزيس على هيئة الالهة حتحور ويفرق الأثريون بينها فى هذا المعبد بالكتابة ٠

وعلى يسار المدخل الاله آمون رع ثم رمسيس يؤدب أحد الخارجين عليه من الجنود ثم الملكة نفرتارى ٠

اما الجدار الجنوبى فيمثل (رمسيس) فى حضرة الالهة حتحور التى تحمل فى الصورة آلة موسيقية حين حمل هو رمز العيد الثلاثينى لحكمه ٠

ويلى هذا رمسيس بين الاله ست والاله حورس منطقة ابام ٠

ويلي هذا الالهة عنقت زوجة الاله خنوم تقدم لها نفرتارى زهور اللوتس بيد واليد الأخرى بهـا الصلاصل الموسيقية ·

يلي هذا رمسيس بالزى الرسمى يقدم رمزالعدالة الالهة ماعة الى الاله امون رع ملك الآلهة ·

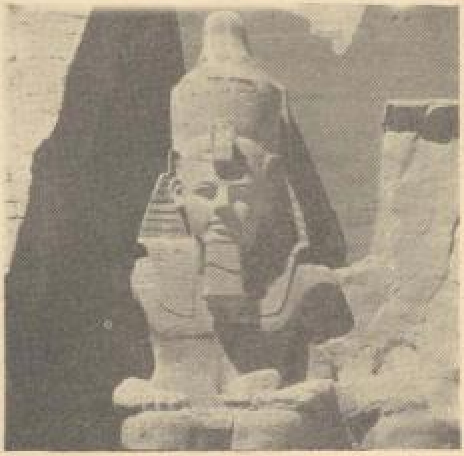
الاعمدة على يسار المدخل :

العمود الأول على واجهته نفرتارى وعلى الواجهة الثالثة الاله حورس اله منطقة بوهن التى تقع فى حلفا عند الشلال الثانى ·

العمود الثانى : على واجهتـه الاله تحوت اله الحـكمة والمعرفة ·· وعلى الواجهة الاخرى الالهة ماعة الهة الحق والعدالة وعلى الواجهة الثالثة الالهه ساتت زوجة الاله خنوم ·

العمود الثالث : على واجهته الملكة نفرتارى وعلى الواجهة الاخرى الالهة حتحور · وعلى الواجهة الثالثة الالهة (ورت كاووت) ·

الجدار الغربى :



الجدار الغربى من صالة الاعمدة به ثلاثة مداخل تفضى الى صالة مستطيلة أصغر من صالة الاعمدة ·

والمداخل الثلاثة على يمينها ويسارها نجد الملكة نفرتارى فى حضرة الالهة حتحور ·

أما المدخل الأوسط فعلى يمينه رمسيس بتـاح الوجه البحرى وعلى يساره رمسيس بتـاح الوجه القبلى ·

ثم نفرتارى فى حضرة الالهة موت ونفرتارى تقدم اللوتس والبردى قربانا ·

الصالة المستطيلة :

تلى صالة الاعمدة وأجمل منظر بها نجده على جدارها الشرقى وهو منظر ·· التتويج وفيه تبدو نفرتارى بين الالهة ايزيس والالهـة حتحور وهن ممسكان بعلامة الحياة (عنخ) ·

وعلى الجدار الشرقى من الصالة المستطيلة منظر آخر يتمثل فيـه رمسيس ووراءه نفرتارى تحمل زهرة اللوتس والصلاصل وأمامه الالهة (تا ــ ور)

أما الجدار الغربى ففى اعلاه ثالوث اسوان الآلهة خنوم وعنقت وساتت ·· وامامهم الملكة نفرتارى الرقيقة تقدم زهور اللوتس وتقدم معهـا مائدة حافلة باللحوم والخبز والطيور قربانا ·

يلي هذا رمسيس بالتاج المزدوج فى حضرة الاله حور آختى · والى اليسار رمسيس فى حضرة الاله آمون رع والملك يقدم له اناءين قربانا · كما يقدم رمسيس فى الطرف الاعلى من يسار ، اللوتس قربانا الى ثالوث اسوان ·

أما الجدار الجنوبى من الصالة المستطيلة فاظهر ما فيه البقرة الحيوان المقدس للالهة حتحور وامامها نفرتارى تقدم اليها الزهور قربانا ·

فاذا ما خلفنا الصالة المستطيلة وجـدنا قدس الاقداس وفى صدره تمثال للالهة حتحور رمزالحنان والامومة · ومن الطريف اننا اذا ما واجهنا الجدار الشـمالى من قدس الاقداس نجـد رمسيس الملك يقدم القربان الى رمسيس الاله ووراءه نفرتارى ·· أى انه يقدم الى نفسه القرابين ·

وعلى الجانبين من باب قدس الاقداس نجد الاله حابى اله النيل وقد صوره الفنـان ممتلىء الجسم امارة نعمة ورغد ووضع على رأسه اللوتس والبردى نباتيه التقليديين ·

أما الجدار الجنوبى فيشرق بالملكة نفرتارى وهى تقدم البخور للآلهة موت والآلهة حتحور ·

دكتورة
نعمات احمد فؤاد

العقاد والرمزية

بقلم دكتورة كوثر عبد السلام البحيري

كان لى حظ اللقاء بالراحل الكريم الاستاذ عباس محمود العقاد قبل وفاته بثلاثين يوما وذلك بمنزله بمصر الجديدة . ولقد امتدت بنا الجلسة الى ثلاث ساعات كانت من اجمل اوقات المتعة الروحية والذهنية .

وقد دار الحديث بيننا عن الرمزية فى الادب الفرنسى وما أحدثه من أثر على الادب العربى . ورغم أن العقاد لم يكن يعرف الفرنسية الا انه اتضح لى من خلال حديثه انه راسخ المعرفة بآدابها عن طريق التراجم التى كان يقرؤها على الدوام .

وقد بدأ العقاد حديثه منطقيا على الرمزية بالمعنى الذى يعطيه لها الكثيرون أى استخدام المعانى المجازية والتشبيهات والاستعارات بدلا من المعانى الحقيقية . وطبيعى انه لو اعطينا للرمزية هذا المعنى فان الادب العربى يكون من أغنى اللغات بهذا النوع من الادب لاسيما فى علوم البلاغة العربية وعلم المعانى . واللغة العربية ـ كما قال ـ تسيغ استعمال المعنى المجازى والحقيقى فى وقت واحد ، فاذا قلنا ـ والمثال هنا للمرحوم الاستاذ العقاد ـ رأيت أسدا فى الحمام ؛ ذهب ذهن القارى العربى فورا الى أن الامر يتعلق برجل فى شجاعة الاسد ، أما اذا استعمل هذا التعبير بالفرنسية لظن القارىء أن الامر يتعلق باسد حقيقى ولذا فان الامر يبدو له غريبا وغير مقبول . ولما كانت اللغة العربية تستعمل المعنى المجازى بنفس سهولة استعمال المعنى الحقيقى فلم يشعر أدبها فى وقت من الاوقات بالحاجة الى ما اسماه الفرنسيون بالمدرسة الرمزية .

ثم انتقل فقيد الادب الى الرمزية كما تصورها لغة الاحلام . اذ اتجه بعض الشعراء الرمزيين فى قرننا الى تصوير النفس البشرية باستعمال الرموز كما تصورها الاحلام فقال : ان الادب العربى لم ير ضرورة لهذا النوع من الادب لانه اكتشف لغة الاحلام ورموزها منذ ازمان طويلة ، كما ان كتاب تفسير الاحلام يكاد يكون موجودا فى كل بيت عربى اما فى أوربا فان الاحلام لم تستخدم فى كشف خبايا النفس البشرية الا مع فرويد وظهور علم التحليل النفسى فى القرن الماضى ، وعلى ذلك فان الادب العربى أرسخ قدما من الآداب الغربية جميعا فى هذا المجال ومن ثم فلم تجد العربية ضرورة لاكتشاف الرموز فى عالم النفس ولا أن يكون لها مدرسة خاصة تتولى هذه المهمة .

وقلت لفقيد الادب : تلك هى الرمزية بمعناها العام . ولكنا لم نتحدث عن الرمزية بالمعنى الذى اعطته لها المدرسة الفرنسية التى يتولى زعامتها الشاعر ستيفان مالارميه والتى بدأت بالفكرة التى عبر عنها الشاعر بودلير فى قصيدته «العلاقات» والتى قال فيها ان الطبيعة معبد ذو اعمدة حية تنبعث منها كلمات مضطربات فيمر الانسان من

غابات من الرموز تحدق فيه بنظرات مألوفة الى نفسه • وكما تختلط الاصداء الطويلة بعيدا فى وحدة مظلمة عميقة واسعة كالليل والضياء ، فكذلك تتجاوب العطور والالوان والاصوات أما أرتير رمبو ذلك الشاب الذى لم تتعد سنوات اشتغاله بالادب اصابع اليد الواحدة فقد اعتمد على فكرة الصورة التى يخلقها الجوامد والاشياء فى النفس البشرية فلكل شيء بخلاف معناه الظاهر الملموس صورة يوحى بها شكله وصوته ورائحته فى النفس وغالبا ماتطغى هذه الصورة غير الحقيقية على الصورة الملموسة كما ابتكر نظرية السمع الملون وادعى ان كل حرف من حروف الهجاء يوحى الى النفس بلون معين •

اما ستيفان مالارميه مشرع الرمزية ومحققها فقد ذهب الى فكرة لاتقل ابتكارا وطرافة عن فكرة رمبو وهى ان الرمز فكرة مجردة مطلقة يوحى بها وقع الالفاظ والحروف فى النفس بعد أن نجردها تماما من معناها الحقيقى • وذكرت أستاذنا الكبير بالنماذج الشعرية الاربعة المعروفة التى كتبها ستيفان مالارمين للتدليل على نظريته التى حاول فيها تجريد الالفاظ من معانيها المعروفة والاعتماد على المعانى التى يوحى بها وقع أصواتها ومخارج حروفها فى النفس وجعل الحروف أشبه شيء بأصابع البيانو او اوتار الآلة الموسيقية كل يؤدى دوره فى السيمفونية العامة وهى القصيدة الشعرية ، اى انه قد حاول توزيع الحروف توزيعا أوركستراليا وابتكر فى قصيدته الأخيرة « رمية نرد » طريقة جديدة فى كتابة القصيدة شبيهة بكتابة النوتة الموسيقية •

ولذا فان قصائده تكاد تكون خلوا من المعانى المعترف بها للالفاظ •

وقد حاول كثير من النقاد تفسير قصائده ولم يتفق اثنان منهم على تفسير واحد ، بل ان ملارميه نفسه قد قبل من نقاده عدة تفسيرات مختلفة للقصيدة الواحدة •

وقد قال الاستاذ العقاد رحمه الله ان الادب القوى لم يعرف شيئا من هذا كله وان كانت ثمة محاولات قد بذلت لادخال تلك الافكار التى يراها غريبة وغير مقبولة فى الادب العربى • وقد بذل بعض شعراء لبنان عدة محاولات باءت بالفشل فى هذا السبيل • واهم من حاولوا السير فى هذا الطريق الشائك فى نظره هو الشاعر والاديب المرحوم بشر فارس لاسيما فى قصيدته التى تسمى «ملتقى السبيل» • ويضحك الاديب الكبير ويقول ان بعض الشعراء العرب الذين ارادوا أن يسموا بالرمزيين قد صور كلبا يمص عودا من القصب • ويتحمس النقاد فى استهجانه لهذه الآراء الفرنسية فيقول انها لم تنجح فى فرنسا نفسها بل باءت بالفشل الذريع فكيف كان فى الامكان ان تنجح فى أدبنا العربى ؟ •

ومع ذلك فان العقاد يعترف بان ثمة محاولات ناجحة لادخال الرمزية لمعانيها المختلفة الى الادب العربى وان لم تكن تلك الفكرة جديدة عليه كل الجدة فهى موجودة فى المعرى فى « اللزوميات » • واهم من بذلوا تلك المحاولات هم جبران وميخائيل نعيمة• وقد كان جبران يستخدم طريقة يوحنا اللاهوتى ولكنه كان يقلد ويليام بلاك •بينما استخدم ميخائيل نعيمة اسلوب الانجيل ولم يذهب الى تقليد أحد من شعراء الغرب وشعره يعتبر نسخا من الانجيل • وقد كتب نعيمة كتابا بالانجليزية عن لغة الرموز •

وقد تبينت من خلال ذلك الجدل الروحى الطويل الذى دار بين ذلك الاديب الكبير وبينى انه يستنكر بصفة عامة فكرة ادخال الافكار الغربية الى أدبنا العربى فلكل أدب بيئته ومميزاته وروحانيته واشعاعه الخاص ، كما يرى أن لادبنا العربى من الامكانيات الضخمة ما يكفل له الارتفاع الى مستوى لايرقى اليه اى ادب آخر هذا اذا بذل أدباؤنا العرب الجهد اللازم لذلك •

وقد كان العقاد فى حديثه بحرا لاينضب وكان ينتقل من نقطة الى نقطة ومن شاعر الى شاعر ومن أدب الى أدب فى سعة اطلاع ورسوخ قدم واصالة أدبية مما جعل تلك اللحظات التى قضيتها معه من لحظات العمر التى لا تنسى رغم فشلى فى اقناعه باهمية المحاولات التى بذلها الرمزيون الفرنسيون وطرافتها • فسلام على العقاد •

« دكتورة • كوثر عبد السلام البحيرى »

حول الشاعر بن حمديس والعرب فى صقلية

• بقلم محمد عبد الغنى حسن •

لفت نظرى فى العدد السادس والخمسين من الرسالة الغراء مقال حول آثار العرب فى صقلية عاد بنا كاتبه الى ماض مشرق من ايام العرب فى تلك الجزيرة التى اقام فيها العرب المسلمون اكثر من قرنين ببضعة وثلاثين عاما ، ثم اخرجوا منها على يد النورمان بعد أن قاوموا مقاومة عربية باسلة اطالت زمن الفتح النورمانى وعوقت بدايته بعض الوقت .

ولقد انصف الاستاذ كاتب المقال حين ذكر اسماء كريمة اسهمت فى التعريف بالحضارة العربية الاسلامية فى صقلية . وهى اسماء الاساتذة **امين الخولى ، ومحمد عبدالله عنان ، ومحمد كرد على** الذين كان لهم مشاركات — طويلة أو قصيرة — فى الكشف عن معالم هذا المجد العربى الذى ازدهر فى جزيرة صقلية زمانا ثم كتب له أن يندرس تاركا وراءه آثارا جليلة مادية ظلت ذات طابع حضارى ممتاز ذى اثر لم يغفله المنصفون من المؤرخين الاجانب الذين لم يستطيعوا ان ينكروا روائع الشمس الغاربة بعد ما ملأت العالم بعض الحين حضارة عربية متميزة . ومن هؤلاء المؤرخين الدكتور جوستاف لوبون مؤرخ حضارة العرب ، وحضارة الهند ، والمؤرخ الايطالى «ميشيل امارى» الذى كان عمدة للاستشراق الايطالى فى القرن التاسع عشر ، والذى تعد مجموعته الثمينة : (المكتبة الصقلية) منبعا خصبا يغرف منه كل من يريد التأريخ لصقلية العربية الاسلامية .

واذا كان الانصاف قد فرض على الاستاذ كاتب المقال المشار اليه أن يذكر اسماء ثلاثة من أدباء العرب ومؤرخيهم فى العصر الحديث ممن كان لهم فضل المشاركة فى القاء اضواء على تاريخ العرب والمسلمين فى جزيرة صقلية ، فانا نود أن نذكره بأديب عربى معاصر له فى هذا الميدان الصقلى جهد مشكور لايجوز اغفاله ، فان كتاب «العرب فى صقلية» الذى الفه الدكتور **احسان عباس** الاستاذ بجامعة الخرطوم يعد احدث واوفى ماكتب من دراسة كاملة مستقلة فى هذا الموضوع . ومن عجيب أن التاريخ العربى الاسلامى فى صقلية يستهوى اديبا محققا مثل الدكتور احسان عباس يغلب عليه الطابع الادبى فى كتبه ودراسته . ولكن الدكتور الاديب سلك فى كتابه القيم هذا مسلك المؤرخ الثبت فافاد من كثير من المصادر والمراجع التى لم تتح لغيره ، وافاد من مخطوطات لم تقع لمن كتبوا قبله فى تاريخ صقلية وحضارتها ، كما أفاد من طائفة من دواوين الشعر الصقلى الذى لم ينشر قبل هذا ، واستقامت له من ذلك كله دراسة تاريخية أدبية رصينة فى تاريخ صقلية فى العصر الاسلامى ، ومايدور حول ذلك ويتصل به من حياة سياسية ، وحياة اجتماعية وحياة عقلية ، وتاريخ صقلية فى العهد النورمانى فقد ظلت الصبغة الاسلامية باقية فيها ، كما كان للعرب فى ذلك العهد مشاركات فى المجالات الجديدة فلم ينعزلوا جملة ، ولم ينسحبوا من الحياة العامة حتى كان بلاط روجر الصقلى اقرب الى بلاطات العرب منه الى بلاطات الفرنجة ... وتشبه بملوك العرب والمسلمين فى الاستكثار من الحجاب والسلاحية وغيرهما ، او خالف — كما يقول المؤرخ ابن الأثير — عادة الفرنج فى ذلك فانهم لايعرفون عنها شيئا ...

وغلبت على الدكتور احسان عباس طبيعة الاديب فى كتابه عن العرب فى صقلية ، فعقد للشعر العربى فى صقلية الاسلامية بابا طويلا من الكتاب يقع وحده فى سبعة فصول وخاتمة . ولم يفته هنا ان يتحدث عن المكونات الكبرى فى شعر صقلية الاسلامية ، فوصف البيئة الجغرافية الطبيعية ، وتحدث عن الشعراء الصقليين واصولهم وطبيعة اجناسهم ، وعوامل ازدهار الشعر الصقلى ثم جنوحه الى الضعف وخاصة بعد موجة الهجرة ومغادرة الوطن فى اعقاب الفتح النورماندى .

والحديث عن الشعر هنا يسوقنا الى ملاحظة

اخرى نوردها تعقيبا على المقال الذى نشرته مجلة الرسالة حول آثار العرب فى صقلية . فقد ذكر كاتب المقال أن ديوان ابن حمديس الصقلى ـ الذى ذكره المؤرخ جورجى زيدان فى الجزء الثالث من تاريخه ـ (طبع فى رومية عام ١٨٩٧ باللغة الايطالية وبعض اللغات الاجنبية الأخرى) . وهذا كلام يحتاج الى تصحيح وتعليق ، فان طبعة رومة ١٨٩٧ هى طبعة عربية قام بتحقيق الديوان فيها المستشرق الأيطالى سلستينو سكياباريلى من رجال الاستشراق الايطالى فى القرن التاسع عشر وقد توفى بمدينة روما سنة ١٩١٩ ، وهو تلميذ للمستشرق الايطالى ميشيل آمارى الذى سبقت الاشارة اليه هنا . وقد عد الأب لويس شيخو اليسوعى نشرة لهذا الديوان من آثار همته الطيبة وحين نشر سكياباريلى ديوان ابن حمديس رجع فى تحقيقه الى نسختين خطيتين اولاهما نسخة الفاتيكان ،وهى مكتوبة بخط مغربى واضح مضبوط بالشكل ، ويرجع تاريخ كتابتها الى سنة ٦٠٧ هجرية ، وثانيتهما نسخة المتحف الاسيوى بمدينة لينتجراد «بطرسبورج سابقا» وهى مكتوبة بخط البقاعى سنة ١٠٠٦ هـ ، والبقاعى هذا من رجال القرن الحادى عشر الذين ترجم لهم «المحبى» فى كتابه : خلاصة الاثر .

أما طبعة مدينة بالرمو سنة ١٨٨٣ التى اشار اليها المؤرخ جورجى زيدان فهى بالعربية ايضا وقد حققها منادا ، وعنى بنشرها كاترونيارى كما ذكرت ذلك دائرة المعارف الاسلامية ، وكما ذكره يوسف اليان سركيس فى «معجم المطبوعات العربية» وان كان الدكتور احسان عباس لم يشر الى هذه الطبعة من ديوان ابن حمديس .

على اننى ازف الى كاتب مقال الرسالة بشرى لاشك فى أن قلبه سيفرح بها اشد الفرح ، وخاصة بعد العناءالذى قال لنا انه لقيه فى البحث عنديوان ابن حمديس الصقلى (فى المكتبات العامة والخاصة، ولاسيما مكتبات الجامعة المصرية والازهرية) فلم يعثر له على اثر .. نعم ! لاشك فى أن الاستاذ سيفرح عندما يعلم أن ديوان ابن حمديس الصقلى مطبوع منذ أربعة أعوام ومنشور فى «ديوان العرب» الذى تصدره احدىدور النشر فىبيروت . والكتاب يحمل فى طبعته هذه تاريخ سنة ١٩٦٠ ، وقد قام بتحقيقه الدكتور احسان عباس ، صاحب كتاب «العرب فى الاندلس» الذى سبقت الاشارة اليه والتنويه به فى موطن يجب أن تذكر للناس فيه افضالهم . وبهذا اضاف الدكتور احسان فضلا جديدا الى التراث الحضارى العربى الاسلامى فى صقلية . ويبلغ ديوان ابن حمديس فى طبعته الجديدة هذه ٥٨٨ صفحة مملوءة بانفاس ذلكم الشاعر الذى يضيف الى فحولته فى الشعر العربى لونا من الوان الحنين الى الاوطان فى القصيد العربى . ولم يكتف الدكتور احسان عباس بنشر الديوان الذى ظل زمانا طويلا محجوبا عن الايدى والعيون المتلهفة ، بل كتب له مقدمة فى اكثر من عشرين صفحة تعددراسة جيدة لشعرابن حمديس الصقلى ، وتعطى صورة دقيقة موجزة لقصة هذا الديوان الصقلى .

على أننا انصافا للحقالذى نبغيه ونؤثره على كل اعتبار نقول ان تحقيق ديوان ابن حمديس كان يكون اكمل واتم لو أن مخطوطة لينتجراد كانت بين يدى المحقق يرجع اليها مع مخطوطة الفاتيكان التى استطاع ان يحصل عليها ، وان يعارض بهاالنسخة المطبوعة القديمة من ديوان ابن حمديس . ويعتذر الدكتور احسان بانه كلف أحد تلاميذه المسافرين الى موسكو بأن يحضر له صورة من نسخة الروسيا ولكن الظروف لم تسعفه ولميحصل عليها ، فاكتفى بتحقيق الديوان على مخطوطة واحدة . وقد تكون العجلة والرغبة فى سرعة الانجاز قد حملتا الدكتور على سلوك هذا المسلك ، ولكن الاناة فى العلم اجمل واليق ، فما كان احد ليلوم الدكتور لو انه اخر عمله عاما او عامين حتى يخرج هذا الاثر على اكمل وجوهه .

ومهما يكن من أمر فانى اشكر الاستاذ الغزالى حرب صاحب المقال عن آثار العرب فى صقلية ، فقد اثار لى بعض ملحوظات لم استطع ان اضن بها عليه ولا على القارىء العربى ، تصحيحا للحق من ناحية ، ووفاء لاصحاب الفضل من ناحية اخرى . فنحن فى نهضتنا ووعينا الفكرى الحاضر جديرون أن نعمق بحوثنا ودراساتنا ، وان نوسع دائرة معارفنا ، والا نجزم فى الحق بما لانملك الجزم فيه ، والا نغفل كل يد يسديها عربى الى امته والى ثقافته . ولاشك أن الاستاذ الغزالى حرب هو معنا على هذا الطريق ..

محمد عبد الغنى حسن

اشتراكيتنا

بين الدين والأدب والمجتمع

بقلم محمد احمد العزب

لست بالطبع أعتزم الحديث عن موقف الدين والأدب والمجتمع من المد الاشتراكي العارم ، الذى انبثق فى الكيان الحى لهذه الامة الموعودة الواعدة .. ولكننى فحسب سأتحدث عن اللمسات الفنانة العميقة الهادفة ، التى ابدعتها روح اشتراكيتنا الأصيلة فى خضم الدين .. والادب .. والمجتمع .

ولست أزعم ان الدين كان ارضا خرابا .. او صخرة جامدة .. فجاءت الاشتراكية فلمسته بعصاها السحرية الحافزة .. فأينع الجدب .. وتفجر الصخر .. وغردت الحياة .

لست أزعم هذا .. ولست اطيق أن ازعمه .. فان الدين لم يزل منذ براه الله شلالا يتدفق بالحياة قوية جارفة فى كل القطاعات .. والابعاد .. اننى فحسب أريد أن أقول : لقد مرت على كل مفاهيمنا الاصيلة الخصبة أحقاب منطفئة عاثرة .. شوهت جمالها الباذخ .. وكبلت زحفها الصاعد ، وطمرت أضواءها فى الفاف من ظلمات الجهل والتزييف .. وكان الدين ـ كالفن .. والسياسة .. والاقتصاد . واحدا من مفاهيمنا المقدسة التى زيفتها عصور الجهل والتمييع .. حتى كنا نسمع بين الحين والحين ، صرير الاقلام المريضة الهابطة .. التى تعقد صداقة هائلة بين الدين واستغلال الشعوب .. تحت ستار من هذه الواجهة الخلابة الخاتلة .. « حرية التمليك والاحتواء » .

وحين دمدم طوفان المد الثورى فى آذان الجماهير .. وظهرت طلائع ثورية مفكرة تنادى بحرية الجماهير لا حرية التمليك .. وعدالة التوزيع لاتكالب الجمع ، واشتراكية العيش لا انانية الاحقاد .. انفلتت من اطار الجمود المتزمت طلائع دينية متفقة .. أزاحت عن كاهل الفكرة الدينية كل ما غلفها من ضباب وحيرة وضياع .. وهكذا كان الأدب .. والمجتمع .. وكل أنماط الحياة .

ان الدين كثورة سماوية هادفة .. لا يمكن أبدا أن يقف سدا هائلا بين الجماهير وطموحها الباسل ولا يمكن أبدا أن يعوق زحفها المنتصر نحو غاياتها النبيلة .. وآمالها الثرة فى كرامة العيش وكرامة الحياة .

ان طبيعة الأديان السماوية تؤكد الاتجاه الاشتراكى النظيف .. الذى ينهض على ركائز وطيدة من الحب ، والمشاركة ، والسلام .

أليس موسى كان ثائرا على الاقطاع المتكالب الممثل فى « قارون » وعلى الطغيان الضارى الممثل فى « فرعون » .. ؟

أليس **عيسى** كان ثائراً على المادية اليهودية الجشعة ، وعلى الجبروت الروماني الحاقد .. ؟

أليس **محمد** كان ثائراً على الفوارق الطبقية الشاسعة .. وعلى الارهاب القبلي الجائع المنهوم ..؟

ان الدين ليس اغلالا يطوق بها الرب أعناق البشر .. انه ثورة صارمة لتحطيم الأغلال والأطواق .. وتحرير الملايين في كل جيل من أجيال الانسان .. وفي كل مرحلة من مراحل التاريخ .

هذه هي طبيعة الدين .. ان الدين كجوهر رسالي .. وكحقيقة موضوعية .. لا يمكن أبدا أن يحرق المسافات المضيئة الخصبة بينه وبين الجماهير ، بل هو على النقيض .. يزرع الجدب .. ويضيء المنطفيء .. ويهرول الى الملايين .. ولكن اقلاما حاقدة ، أو بليدة أو عمياء .. قد أثقلت ظهره المحتمل بأعباء غبية ، قعدت به الى حين ، في زوايا المسجد .. وأبهاء الكنيسة .. وكهوف الجدل اللانهائي العقيم .. وكان من الممكن أن يظل الدين هكذا قابعا بين أحضان الزوايا .. والابهاء والكهوف .. منحنيا على جراحه النازفة .. منطويا على صوته المغلول .. لولا أن رجة البعث زلزلت الارض .. تحت أقدام السدنة والرهابين .. فتهاووا الى القاع .. تماما ككل الاوراق الذابلة المريضة الصفراء .. وانبثق من ضمير المعاناة الشعبية الكادحة رعيل متحرر مؤمن .. حمل المشاعل .. وأضاء الدياجر .. وعصف بكل المفاهيم الغبية الحاقدة .. وأطلق للمارد الجبار – الدين – عنانه ، فانطلق يعانق الشمس .. ويبارك الزحف .. ويغني للجماهير .

***

هذه هي الظاهرة التي أحب أن نقف عندها طويلا .. لقد كانت الدعوة الى الاشتراكية –منذ سنوات– مروقا عن جادة الدين ، وارتماء ذاهلا في احضان الشيوعية .. كما كان يزعم الجامدون .. وحين قامت الثورة .. وحددت الملكية الطاغية .. لم تستطع الخفافيش ان تبارك أو تصمت .. لقد انطلقت فيما يشبه السعار المتذعل ، تفتى هنا .. وتدس هناك .. لتوهم الشعب الصابر بأن تحديد الملكية يطفيء الشمس .. ويجفف السحاب .. ويغضب الرب .. ولكن ضمير الشعب كان أقوى وأصمد .. لقد انتصر .. فلم يصخ بعد الى أنات الحيارى والانهزاميين .

بالطبع .. لم يكن كل المفكرين من هذا النموذج الجامد المتيبس .. فقد كانت هناك طلائع ثورية تذكر الآن فتشكر .. ولكن الكثرة الكاثرة .. كانت كما نقول .

اذن .. فالمعركة كانت صراعا بين التوثين العقائدي الأعمى .. والتحرر العقائدي المبصر في مجالات الفكر الديني .. وانتصر الضوء .. وكان لابد له أن ينتصر !! .. أتشك ؟ فافتح المذياع اذن .. أو شاهد التليفزيون الآن .. أو اقرأ كتابا مما يكتبه هؤلاء .. فستسمع وتشاهد وتقرأ انطلاقات دينية كبرى .. تضع الانسان فوق قمته السامقة .. في صداقة حرة مع الدين .. كلمة الله الى الوجود .. كل الوجود ! ..

ولننتقل بعد الى الأدب .. ولست أعني بالادب شيئا سوى هذه المعطيات الذهنية الكبرى التي تتدفق في صحراء الفن على السواء .. مسرحا ، أو كتابا أو فلسفة لحياة .

ولست أغلو حين أقول : ان الاشتراكية قد خلقت في محيط الادب والفن اتجاها جديدا .. يحمل في وجهه ملامحه .. وفي روحه خصائصه .. وفي معطياته أهدافه وغاياته .

وليس الأدب الاشتراكي شيئا سوى هذا الأدب النابع من ضمير الحركة الجماهيرية المندفعة في مدها الثوري .. الرانية الى فجر انطلاق انساني ملون بالحب .. والزمالة .. والثراء .

انه الأدب الثائر المرهف الذي يرود الجموع في نضالها المؤمن .. ملتزما – بوحي من وعيه الذاتي – باندفاعة الثورة الجماهيرية .. بكل المعاناة ، والعذابات .. والأشواق التي تستقطبها الحركة الاشتراكية ! ..

وللأدب الاشتراكي كما أسلفت خصائصه وسماته وايحاءاته .. انه ليس صدى مكرورا لأصوات غابرة .. ليس مواكبة لهتافات أدبية كانت .. انه أدب ريادي منبثق عن أصالة ذاتية واعية .. تكتشف من خلال تجاربها الهائلة روافد الالهام النابعة من شلالات المجتمع الثائر العملاق ! ..

انه أدب متمرد .. لا يؤمن بالتقولب .. أو السلفية .. ولكنه مع ذلك لا يرفض الاستفادة الواعية من تجارب الماضي .. وصراعات الأجيال ، ومواريث الزمن ؟! ..

انه أدب يتجه بكل طاقاته التعبيرية الى الكشف فى اطاراته المختلفة عن العلاقات الانسانية المتشابكة .. ومحاولة التصعيد بهذه العلاقات .. حتى يمكن أن تستوى على أفق الاحساس الوامض بمعنى الزمالة والمساواة ! ..

ومن هنا .. تحمل الأدب العائش فى ظلال المفهوم الاشتراكى عبء العمل المر فى خلق موجات من الارهاف الشعورى فى جماهيره المتفتحة أو النازلة ، لأن هذا الارهاف الشعورى وحده هو الضمان الأكيد لعملية التهيئة الرائعة لغرس كل العواطف الايجابية والمبادىء الاشتراكية .. مع ضمان أكيد لما ينتظر منها من حصاد ! ..

وهنا .. لابد أن نقرر حقيقة .. هى ان الأديب .. أو الفنان .. الاشتراكى .. انسان ملتزم - بوحى من وعيه الذاتى - بكل احتياجات شعبه البطل .. لأنه لا يحيا أبدا فى اطار مطامحه الفردية الضامرة .. وانما يلقى بنفسه فى اندفاع الى أعماق الخضم الجماهيرى العنيف ليسبح مع كل السابحين! .

ولقد أعطت الاشتراكية العربية للأديب والفنان حقهما كاملا .. ليس فى المجال المادى وحده .. وانما فى المجال القيادى العريض .. ان الاشتراكية كنظام جماهيرى أفضل توسع دائرة التذوق الفنى .. وتوسع قاعدة الجماهير القارئة .. بما تتيحه للشعب من اطمئنان مادى واقتصادى وسياسى ونفسى .. وليس أجمل ولا أروع للفنان الخالق المبدع .. من أن يحس بانطلاقة آرائه محلقة فى أبعادها المترامية .. وآفاقها الفساح .. معاشة بين الجماهير ! ..

ولكن .. هل أبدع المد الاشتراكى فى مجالات الأدب والفن شيئا غير الذى كان .. ؟ أم انه - فحسب - عدل فى المفاهيم الكائنة .. وعمق المجرى الذى يحتضن الموج والتيار ؟ ..

ان الاجابة على هذا التساؤل .. قد تتطلب موقفا نقديا شاملا .. يستعرض كل ما أبدعه الكاتبون قبل الثورة .. وكل ما أبدعه الكاتبون بعدها .. ثم يصدر الحكم فى ذلك .. على ضوء من الظروف المعينة التى عاش فيها الأدباء هنا وهناك .. لكن - فى اطار المقال - لا أستطيع أن أفعل هذا ولا شيئا منه .. وحسبى فقط أن أرصد الظواهر .. وأقتنص الملامح .

والواقع الذى لاشك فيه .. ان الاشتراكية العربية قد خلقت أنماطا فى الأدب العربى .. لم تكن موجودة فيه .. لقد خلقت نظرية كاملة .. فى محيط الأدب والفن .. تلك .. هى تسليط الضوء على نوع العلاقة الانسانية بين الفرد الكادح والفرد المسيطر فى اطار المجتمع الجديد .. لقد كان الأدب والفن .. مجرد شاهدين يرددان ضرورة التفاوت الطبقى الشاهق بين الكائن « الأدنى » والكائن « الأعلى » .. ولكن الاشتراكية - كمفهوم ثورى - حطمت هياكل هذه النظرة .. وجددت العلاقة بين كل « الكائنين » على أساس من الحب .. والزمالة .. وتبادل التقدير .. !

ومن هنا .. وكرد فعل لتأله النظرية الطبقية السالفة اندفعت كل الأقلام المعبرة .. لتقف الى جوار الرجل الساذج البسيط .. فتصور كفاحه الدامى ، ونضاله الباسل .. واصراره الانسانى الخصيب .

ولماذا لا نزعم أن الاشتراكية قد أبدعت أو قل انها قد بعثت من سبات النسيان « ألفاظا أدبية معينة » .. « وأنماطا تعبيرية خاصة » صاحبت ميلادها المتوثب وعايشت كفاحاتها الباسلة .. حتى استوت معها على قمة النصر العظيم .. ؟

أفنستطيع بعد .. أن تنكر على ما أقوله .. من أن الثورة الاشتراكية العارمة .. قد أعطت الأدب مفاهيم جديدة .. وموقفا جديدا .. ونظرية جديدة .. ؟ فاذا أنت لم تنكر على ما أقول .. فحسبى .. وحسب اشتراكيتنا هذه الكلمات .. !

ولننتقل بعد الى التحديق فى نوع الأثر الذى أحدثته الاشتراكية فى حقل المجتمع .. وقبل أن نخوض فى هذا الصدد .. لابد أن نقرر أن الاشتراكية تمثل حضارة جديدة متطورة .. ودائما تحتاج الحضارات الجديدة الى مساحات زمنية هائلة .. حتى تثبت وجودها .. بما تقوم عليه من مثل وأهداف .. انها تمر بمراحل الكائن العضوى من نشوء .. ونمو .. وارتقاء .. ثم هى فى تطورها منوطة بروح الداعين اليها .. واصرار العاملين عليها .

انها عمل دائب على تطوير الموارد والدخـــول والثروات من جهة ٠٠ وعدالة توزيعها بين الجماهير من جهة أخرى ٠٠ انها كفاية وعدل ٠

فاذا كان ذلك كذلك ٠٠ فان المجتمع العـربى المتحرر ٠٠ الذى آمن بالاشتراكية أسلوبا للحياة٠٠ قد تطور خلال ايمانه بها ٠٠ وتفاعله معها تطـورا هائلا خطيرا ٠

لقد كانت الراسمالية الطاغيــة ٠٠ والتحـكم الطبقى الفاجر ٠٠ والفساد السياسى المرتشى ٠٠ والتبعية المذهبية الغاشمة ٠٠ سدودا هائلة بين القوى الجماهيرية الحقيقية ٠٠ وفجر انتصاراتها الرائعة٠٠ وحين تحطمت كل هذه الأنماط تحت وطأة الضربات القوية الباسلة ٠٠ التى كانت تحفزها حتميـــة التطـــور ٠٠ وضرورة المرحلة ٠٠ انطلقت القوى الجماهيرية تقود وتسدد ٠

ولم يكن للاشتراكية أن تكون ٠٠ لو لم ترتكز أساسا على قاعدة شعبية أصيلة تزرع بيــــد ٠٠ وتحصد بأخرى ٠٠ مهتـــدية فى ذلك كله بروح التهيؤ الكامل للانتفاض التاريخى الرهيب ٠٠ !

واذا كانت لكل ثورة اجتماعية صادقة آمالهـــا الكبرى ، وأحلامها العريضـــة ٠٠ فان للاشتراكية العربية أهدافها الكبار التى تدور فى هذا الاطار ٠٠

اولا : توسيع قاعدة الملكية الفردية فى الزراعة ٠٠

ثانيا : خلق قطاع عام كبير ملتزم لا يلغى بطبيعته القطاع الخاص ٠٠

ثالثا : تقديس العمل كقوة دافعة للتقدم باعثة على النهوض ٠٠

رابعا : الحل السلمى لكل المتناقضـــات الطبقية الهادمة ٠٠

خامسا : التعاون فى مجال الانتاج والاستهلاك ٠٠

سادسا : تيسير الحصول على الاحتياجات الضرورية لكل أبناء هذا الشعب ٠٠

سابعا : الانتقال ســياسيا من حـكم دكتاتورية الاقطاع المتحالف مع رأس المال الى حكم الديمقراطية الممثلة لحقوق الشعب العامل وآماله ٠٠

ثامنا : تحرير اقتصـــادنا الوطنى من التبعية الذليلة لاقتصاديات غريبة ٠

ولست أريد أن استطرد ٠٠ فأنقل نصوصـا من الميثاق الوطنى ٠٠ عن ضرورة الحل الاشتراكى ٠٠ وحتمية الثـورة ٠٠ وركائز الاشـــتراكية ٠٠ بل اشير من بعيد كما أسلفت حتى لا أخرج بالمقال الى بحث ٠٠ ولكنى فحسب ٠٠ أؤكد هنا ــ كما يلاحظ ذلك الميثـــاق ــ أن اشـــتراكيتنا المتعـانقة مع الديمقراطية ٠٠ هما جناحا الحرية الحقيقيـة التى ينشدها المجتمع ٠٠ وبهما معا نستطيع أن نحلق الى الآفاق العالية التى تتطلع اليها جماهير الشعب٠٠؟!

واذا كانت بعض المجتمعات تتعصب للاشـباع المادى للجماهير ٠٠ على أنه الغاية المنشـــودة ٠٠ ضاربة بعـد ذلك بالقيم والأشـــواق والفن عرض الحائط ٠٠ لأنها ترى فى هـذه الأشـــياء وسائل محققة لغاية الاشـباع المادى ٠٠ فاذا تحقق بها أو بغيرها فقد استغنى عنها ٠٠

واذا كانت بعض المجتمعات الأخرى تقول : لا ٠٠ اننا نفضل أن نحيـــا فى اطار التطلع الفنى ٠٠ والتشوف المثالى حتى ولو حرمت الجماهير من بعض احتياجاتها المادية ٠٠ على أن نحيا فى بيئة ــ كمال متيبس جامد ٠٠ كما يلاحظ ذلك الفيلســـوف الانجليزى المعاصر « برتراند رسل » ٠٠ فاننا هنا نقول : أبدا لا نريد أن نفاضل بين هذا وذاك ٠٠ ولا نريد أن نقع فى أحابيل الخيار بين هذه او تلك ٠٠ لأن طبيعة مجتمعنا الشرقى تحتم أن يتعانق على صعيده الأفقان ٠٠ المادى والمعنوى ٠٠ وكذلك اشتراكيتنا ٠٠ !

وفى ظلال هذا المفهوم الثورى للاشتراكية العربية ٠٠ يتاح للمجتمع أن يتعادل ويتكامل وينمو من داخل الحركة المتطورة نموه الرائع ٠٠ فلا يتحطم ولا ينهار ٠

اجل ٠٠ لقد فتحت الاشتراكية العربية للمواطن البسيط كل نوافذ التأبى والشموخ ٠٠ وأطلت به على عوالم الأمل الواثق فى غد أفضل ٠٠ ومستقبل وامض منشود ٠٠ وتلك هى رسالة الثورات الخالدة ٠٠ أن تترك على يـــومك ٠٠ وتوشى لك غدك ٠٠ وتثرى احساسك النابض بكل الوان العطـــاء ٠٠ وهكذا فعلت ثورة الشعب المنبثقـــة من وعينـــا الاشتراكى المطل المضيء ٠٠!

محمد أحمد العزب

السياسة الجنائية الشرعية

بقلم أحمد فتحي بهنسي

يقال ساس الأمر سياسة بمعنى دبره وقام به ، وسوسه القوم اى جعلوه يسوسهم .

وقد اختلف فى المراد بالسياسة الشرعيـــة فى عبارات المسلمين :

فالفقهاء :

أرادوا بها التوسعة على ولاة الأمر فى أن يعملوا ما تقضى به المصلحة مما لا يخالف أصول الدين وان لم يقم عليه دليل خاص .

وغير الفقهاء :

أرادوا بها معنى أعم من هـــذا يتبادر من اللفظ ويتصل باستعماله اللغوى ، وهو تدبير مصـــالح العباد على وفق الشرع .

فالمعنى الفقهى للسياسة الجنائية الشرعية معنى خاص .

والمعنى اللغوى لها معنى عام ينسحب على الخطة التى رسمها المشرع سواء للجريمة أو للعقوبة أو للمجرم نفسه .

وسنقصر البحث فى هذا المقال على المعنى الفقهى للسياسة الجنائية الشرعية .

كانت الشريعة ، كما وصفها بحق ابن قيم الجوزية مبناها واساسها على الحكم ومصـــالح العباد فى المعاش والمعاد ، وهى عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها فكل مسألة خرجت عن العدل الى الجور ، وعن الرحمة الى ضدها ، وعن المصلحة الى المفسدة ، وعن الحكمة الى العبث فليست من الشريعة وان ادخلت فيها بالتأويل ، فالشريعة عدل الله بين عباده ، ورحمته بين خلقه وظله فى أرضه ، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسول الله صلى الله عليـــه وسلم أتم دلالة وأصدقها .

والفقهاء فريقان فى الوصول الى تلك السياسة الحكيمة :

الفريق الأول :

يقرر أنه لا سياسة الا فيما وافق النصوص ، وبالغ بعضهم فى هذا الرأى فعطلوا الحدود وضيقوا الحقوق وجعلوا الشريعة قاصرة لاتقوم بمصـــالح العباد محتـــاجة الى غيرها . والذى دفعهم الى ذلك الرأى تقصير فى معرفة الواقع وفى فهم الشريعة .

الفريق الثانى :

وقد انتصر له أبو الوفاء بن عقيل الحنبلى يقول : ان السياسة ما كان معه الناس أقرب الى الصـــلاح وأبعد عن الفساد ، وان لم يشرعه الرسول صلى الله عليه وسلم ولانزل به وحى . ومن قال : لاسياسة الا بما نطق به الشرع فقط غلط وغلط الصحابة، فقد جـــرى بين الخلفاء الراشـــدين مالايجحده عالم بالسير .

وقد احتج هؤلاء بأدلة منها

أولا : ما فعله أبو بكر رضى الله عنه .

١ ـ حرق اللوطية كعقوبة الاعتياد على جريمـــة اللواط :

روى أن خالد بن الوليد كتب الى أبى بكرالصديق رضى الله عنه أنه وجد فى بعض نواحى العرب رجل يؤتى كما تؤتى النساء فاستشار الصديق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم على بن أبى طالب رضى الله عنه وكان أشدهم قولا ورأى أن يحرقوا بالنار . فكتب أبو بكر الى خالد بحرقهم ثم حرقهم عبد الله بن الزبير فى خلافتـــه ثم حرقهم هشام بن عبد الملك .

وذلك على الرغم من ان القتل بالتحريق محرم لأنه من التعذيب المنهى عنه ، قال ابن العربى :

بلغ ابن عباس أن عليا حرق ناسا ارتدوا عن الاسلام فقال ابن عباس : لم أكن لأحرقهم بالنار لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لاتعذبوا بعذاب الله .

٢ ـ امر بجلد من وجد مع امرأة اجنبية عنه في فراش واحد مائة جلدة ، مع أن الحد في الزنا له نظام معين في الاثبات لا بد من الالتجاء اليه ولو ثبتت الجريمة فعقوبتها بالنسبة لغير المحصن مائة جلدة ٠

ثانيا : ما فعله عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

١ ـ حرق حانوت الخمار بما فيه كما حرق قرية يباع فيها الخمر ٠ قال يحيى بن يحيى : حدثنى الليث أن عمر بن الخطاب حرق بيت رويشد الثقفى لأنه كان يبيع الخمر ، قال له :

أنت فويسق ، ولست برويشد ٠

وذلك على الرغم من أن الحد فى الخمر معروفة مقاديره ٠

(ب) حرق قصر سعد بن أبى وقاص لما احتجب فى قصره عن الرعية ، فقد ذكر الامام أحمد رحمه الله فى مسائل ابنه صالح : انه دعا محمد بن مسلمة فقال : اذهب الى سعد بالكوفة فحرق عليه قصره ٠ ولا تحدثن حدثا حتى تأتينى ٠ فذهب محمد الى الكوفة فاشترى من نبطى حزمة من حطب ، وشرط عليه حملها الى قصر سعد فلما وصل اليه القى الحزمة فيه ، واضرم فيها النار ، فخرج سعد فقال : « ماهذا ؟ » ٠

قال : « عزمة امير المؤمنين » فتركه حتى احترق ثم انصرف الى المدينة ٠

كما روى أن جماعة من أهل الكوفة ، على رأسهم الجراح بن سنان الأسدى يؤلبون على سعد ويشهرون به ويشكونه الى عمر فى كل شيء حتى يقولوا انه لا يحسن الصلاة ولقيهم عمر بالمدينة وسمع شكاتهم ثم قال لهم :

« ان الدليل على ماعندكم من الشر نهوضكم فى هذا الامر وقد استعد لقتالكم من استعد ٠ وأيم الله لا يمنعنى ذلك من النظر فيما لديكم ! » وكان عمر قد أقام محمد بن مسلمة على تحقيق ماينسب من الشكايات الى عماله ، فاوفده الى الكوفة ، فجعل يسال الناس عما نسب الى سعد ، فيقولون : لا نعلم الا خيرا ولا نشتهى به بدلا ، لم يخالف من ذلك الا الذين اتهموه ٠ وعاد ابن مسلمة الى المدينة ومعه سعد والجراح بن سنان وأصحابه ، فاستمع اليهم عمر فلم يجد ما يؤاخذ به سعدا ٠ لكنه آثر مع ذلك الا يدعه فى هذا الموقف الدقيق على عمله ، وبالكوفة من يثيرون الناس به ، فسأله : من استخلفت على الكوفة ؟ قال : عبد الله بن عبد الله ابن عتبان ٠ وكان ابن عتبان شيخا كبيرا من أشراف الصحابة ، فاقر عمر نيابته على الكوفة واستبقى سعدا بالمدينة معزولا من غير عجز ولا خيانة ولولا ما كان سعد قد أبلغه الى عمر عن اجتماع الفرس بنهاوند وما كان قد شافهه به ، بعد قدومه المدينة من تهيؤهم للقتال وتعاهدهم عليه ؛ لرده الى عمله ولما سمع فيه لشكايات لم يثبت شيء منها عنده ٠

فعل عمر بن الخطاب بسعد ابن أبى وقاص كل ذلك على الرغم مما عرف من مناقب سعد بن أبى وقاص ومن أهمها :

١ ـ أنه قام بحراسة النبى صلى الله عليه وسلم أثناء نومه على ما روى مسلم عن عائشة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : ليت رجلا صالحا من اصحابى يحرسنى الليلة ٠ فنام النبى صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا غطيطه ٠

وفى رواية أخرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : ما جاء بك ؟ فقال : وقع فى نفسى خوف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت احرسه فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نام ٠

٢ ـ أن الرسول صلى الله عليه وسلم جمع له ابويه يوم أحد ، فقد أخرج مسلم عن على كرم الله وجهه : ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه لأحد غير سعد بن مالك فانه جعل يقول له يوم أحد : ارم فداك أبى وأمى ، وقيل أنه جمعهما أيضا للزبير ٠

٣ ـ نزلت فيه آيات من القرآن : فقد حلفت أم سعد ألا تكلمه أبدا حتى يكفر بدينه ولا تأكل ولا تشرب ٠ قالت : زعمت أن الله وصاك بوالديك وانا أمك وانا آمرك بهذا ٠ قال : مكثت ثلاثا حتى غشى عليها من الجهد ٠ فقام ابن لها يقال له عمارة فسقاها فجعلت تدعو على سعد فانزل الله عز وجل فى القرآن هذه الآية : ووصينا الانسان بوالديه الى قوله : وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا ٠

٤ ـ هو أحد الستة الذين عينهم للخلافة بعده وهم :

« عثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبد الله ، وعبد الرحمن

ابن عوف ، وسعد ابن أبى وقاص • ومن المأثور عنه فى استخلافهم قوله : «لا أجد احدا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، فأيهم استخلف فهو الخليفة من بعدى » وبعد أن سمى هؤلاء الستة اردف : فان أصابت سعدا فذاك ، والا فأيهم استخلف فليستعن به ؛ فانى لم أعزله عن عجز ولا خيانة » •

(ج) كان عمر يعس فى المدينة فسمع امرأة تقول :

هل من سبيل الى خمر فأشربها
أم من سبيل الى نصر بن حجاج

فلما أصبح اتى بنصر فاذا هو أحسن الناس وجها وأحسنهم شعرا فحلق شعره فازداد جمالا فنفاه الى البصرة خشية أن يفتتن النساء بجماله مع أنه لم ينسب اليه أنه ارتكب محرما •

(د) صادر أموال عماله لما اكتسبوها بجاه الوظيفة • وقد جاء فى العقد الفريد لابن عبد ربه ان عمر بن الخطاب صادر نصف مال عمرو بن العاص والى مصر عندما وجد ان ماله قد زاد بشكل ملحوظ أثناء ولايته على مصر ، وهو بهذا وغيره ابتدع القانون المعروف الآن باسم « من أين لك هذا » •

(هـ) روى أن معن بن زائدة اصطنع خاتما على نقش خاتم بيت المال ثم جاء به لصاحب بيت المال فأخذ منه مالا فبلغ عمر ذلك فضربه مائة وحبسه فكلم فيه فضربه مائة أخرى فكلم فيه فضربه مائة ونفاه •

ثالثا : ما فعله بقية الخلفاء الراشدين والأئمة •

(أ) جمع عثمان الناس على مصحف واحد ، وحرق المصاحف المخالفة للمصحف الذى جمع الناس عليه وهو الذى بلسان قريش •

روى عن انس بن مالك أن حذيفة بن اليمان كان يغازى أهل الشام وأهل العراق فى فتح ارمينية وأذربيجان فأفزعه اختلاف الناس فى القرآن فقال لعثمان : يا أمير المؤمنين : أدرك هذه الأمه قبل أن يختلفوا فى الكتاب كما اختلف اليهود والنصارى فأرسل عثمان الى حفصة أم المؤمنين ان ارسلى الى بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها عليك • فأرسلت حفصة بها الى عثمان ، فأرسل الى زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فأمرهم أن ينسخوا الصحف فى المصاحف ، ثم بعث عثمان فى كل افق بمصحف من المصاحف التى نسخوها ثم امر بما سوى ذلك من الصحف أن يحرق حتى يجمع الناس على قراءة واحدة ، ويرتفع من بينهم الخلاف •

(ب) حرق على رضى الله عنه الزنادقة الرافضة مع علمه بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قتل الكافر • ولكن لما رأى امرا عظيما جعل عقوبته من أعظم العقوبات ليزجر الناس عن مثله •

كما القى اللوطى من شاهق على رأسه •

(حـ) روى عن الامام مالك :

قال ابن القاسم ، سئل مالك رحمه الله عن فاسق يأوى اليه أهل الفسق ، ما يصنع به ؟ قال : يخرج من منزله ، وتكرى عليه الدار والبيوت فقلت : الا تباع ؟ قال : لا ، لعله يتوب ، فيرجع الى منزله ، قال ابن القاسم : يتقدم اليه مرة أو مرتين أو ثلاثا ، فان لم ينته أخرج وأكريت عليه •

قال ابن رشد : قد قال مالك فى الواضحة : انها تباع عليه ، خلاف قوله فى هذه الرواية ، قال : وقوله فيها أصح ، لما ذكره من أنه قد يتوب ويرجع الى منزله • ولو لم تكن الدار له وكان فيها بكراء ، أخرج منها وأكريت عليه ولم يفسخ كراؤه فيها ، قاله فى كراء الدور من المدونة •

وقد روى يحيى بن يحيى أنه قال : أرى أن يحرق بيت الخمار •

ففى مثل هذه الأمور وما شابهها وجد الخلفاء الراشدون والأئمة أنفسهم أمام وقائع تستلزم منهم سرعة البت فيها فاهتدوا بروح التشريع الحكيمة واستهدفوا المصلحة العامة فجاء حكمهم وان كان قد بدا قاسيا الا أنه صادف الحق والعدل وراعوا به مصلحة الأمة وصلاح حالها •

وهذا السبيل الذى سلكه المسلمون الأولون جعلهم لا يضيقون بحادث أو حاجة ولا يقصرون عن تحقيق أية مصلحة ولا عن مسايرة الزمن فى تطوره فظهرت الشريعة وهى وحدة كاملة متكاملة أوفت بمصالح الناس •

ولكن هل تغيرت هذه السياسة بتغير الأزمان والأماكن أم ظلت ثابتة ابد الدهر على الجيل الذى ابتدعت فيه والأجيال التى تلتها ؟ هذا ما نبحثه فى القريب ان شاء الله •

« أحمد فتحى بهنسى »

أحمد بن ماجد... جهوده وأعماله

تأليف : شوموفسكى
ترجمة : محمد منير مرسى

ان كل ما حصل عليه « فيران » من مواد جافة وتحدث عنها ، هى بعيدة كل البعد عن الكمال . فمن بين الاثنين وثلاثين مؤلفا التى ثبت انها من مؤلفات ابن ماجد لا يوجد فيها اى مؤلف يحتوى على حقائق لها علاقة بسيرة المؤلف . ومن هنا كان عدم معرفتنا بتاريخ ميلاده ووفاته ، وكذلك فترة تاليف معظم أعماله .

والآن اصبحت الصورة العامة عن المؤلف معروفة لنا . فالبداية قد وضعت واصبحت الأبحاث التالية سهلة نظرا لوجود هذه البداية المدعمة . والاسم الكامل له هو شهاب الدين احمد بن ماجد ابن محمد بن معلق السعدى بن ابى الركائب النجدى . ويدل نسبه على ان اصل اجداده من الشمال العربى . اما مسقط راسه فهو مدينة جلفار بعمان . هذا على الرغم من ان المؤرخين البرتغاليين من القرن السادس عشر ارجعوا نسبه جهلا الى اصل هندى واسموه « بحار الجوزرات » « جويش وكاشتانيدا » ، أو بربرى الجوزرات « باروش » . وفى اعتقادى ان الموقع الجغرافى لوطن ابن ماجد تحكم فى اختيار مهنة بعض من حمل اسم عائلته .

فعمان توجد عند مدخل المحيط الهندى وعلى شاطىء الخليج الفارسى ــ اى على طرق التجارة المنتعشة التى تاتى من اسواق المحيط الهندى الى المناطق الغنية المتجمعة حول « بيرسبول » الساسانية ثم حول بغداد العباسية . وعلى الضفة الأخرى سيراف وخوارزم وهما مدينتان قديمتان فى ايران كانتا المركز الدولى للتجارة البحرية . وعن طريقهما مباشرة احتفظت جنوب غرب آسيا بالعلاقة التجارية المستمرة مع الشاطىء الشرقى لافريقيا ومدغشقر والجزء الغربى من الهند وسيلان وجزر اندونيسيا، وكذلك احتفظت بالعلاقة التجارية مع الصين البعيدة . وبالطبع كان شعب كلا الشاطئين العمانى والفارسى مرتبطا بالبحر منذ وجوده . وكان بعضهم مرتبطا طول حياته بعمل شاق هو صيد اللؤلؤ . وبعضهم حقق ثروة عن طريق السمسرة فى التجارة وسعيهم المستمر وراء المكسب السهل واصبحوا ملاك سفن ، وقاموا برحلات خطيرة عن طريق المحيط الى الاراضى الغنية فى شرقه وغربه . اما البعض الآخر فقد وهب نفسه لدراسة فن الابحار وتفهم قواعده ، واصوله الثابتة الموجودة فى أوراق البردى الايرانية القديمة « راخ نامك » التى تنوقلت من جيل الى جيل واصبحوا ملاحين بفضل معرفتهم الجيدة بالبحر . ولكن الواقع القاسى لحياة البحر ادى الى ادخال بعض التعديلات على القواعد القديمة وعلى ضرورة تحديد الخلاف بين النواحى النظرية والعملية . ومن هنا قام كل ملاح بتاليف مجموعة كبيرة أو صغيرة من المقالات البحرية .

والى هذه المجموعة الثالثة ينتمى ابن ماجد الذى ورث هذا العمل عن جده وابيه .

ففى القرن الخامس عشر لم يكن من النادر وجود عائلات توارثت فن الملاحة .

والملاح هو فى نفس الوقت قبطان السفينة . ويعتبر الرجل الثانى بعد صاحبها . وعليه تقع مسئوليات جسام . فالحفاظ على ارواح طاقم السفينة والبضائع الثمينة وسلامة وصول السفينة الى الميناء المقصود ، انما يتوقف كل ذلك على معرفته بظروف الابحار فى الطريق المطلوب ويتوقف على قدرته على التغلب على الصعاب المختلفة والأخطار غير المتوقعة احيانا . وكل هذا كان يتطلب من قائد السفينة اظهار مهارات مهنية وسيطرته على قسط كبير من المعلومات النظرية والعملية . ويجب ان يكون شجاعا غير متهور ، حذرا غير كسول ،

محافظا غير متزمت ، ذا أخلاق عالية ، لكنه غير متساهل ، دقيقا في الكلام صارما في العمل . وأن يكون استاذا في عمله على السفينة ، ومثالا للأخلاق التي يجب أن يتحلى بها المواطن في أرض غريبة .

وأهم واجب معنوي للملاح الا يهرب من سفينته ولا يتركها حتى الرمق الأخير وان يكون وفيا لها بغض النظر عن اى شىء . وهذا الواجب واضح حتى في الآثار القديمة للأدب العربي كما هو مذكور عن القبطان بزرج بن شهريار في عجائب الهند : نحن الأخوة الملاحين مرتبطون بواجباتنا واقسمنا الا نغادر سفننا حتى النهاية المهلكة . نحن الملاحين نصعد على ظهر السفينة وبهذا ترتبط بها حياتنا ومصيرنا ، فاذا نجت السفينة نجونا واذا هلكت هلكنا معها .

وفي عصر ابن ماجد كانت الشروط التي ينبغي توافرها في الفلاح قد اخذت معنى كبيرا لدرجة انها كانت مدونة ضمن القوانين الهامة للدولة . ويتضح هذا في القوانين البحرية لمملكة الملايو الصادرة بامر الأمير محمود شاه ، وكتبها بعض الملاحين من الملايو حيث يقول في المقدمة :

« هنا قوانين متبعة لاستعمال المراكب وجميع السفن عامة في البحر والموانىء . فعلى كل شخص أن يتكيف مع ما هو مقرر عليه حتى يتمكن من تأديته بالضبط وبنظام تام . ويجب مراعاة هذه القوانين في كل المناطق الخاضعة لسيطرتنا وحيثما توجد الهيئات البحرية التي لها حق التفتيش البحري . اما القوانين المدنية فتسرى على المناطق الداخلية من الدولة . ولذلك يجب اتباع القوانين البحرية على البر . وللبحارة السلطة والسيطرة على ظهر السفينة حتى يامنوا من الخلافات والمنازعات ويمنعوا اى فرد من التصرف على هواه ، ويتجنبوا الصعاب غير المتوقعة المحتمل حدوثها في البحر . فاذا اتبعت هذه القوانين فمن يجرؤ على الوقوف امام صاحب السفينة ؟ فهذه القوانين صادرة عن صاحب العظمة والسلطان محمود شاه صاحب السيطرة على أرض الملايو ليؤمن التجار الأجانب ذوى العلاقات الطيبة معه ومع المسلمين في البحر واليابسة .

اما الفصل الثامن فهو عن المعلم المسئول عن قيادة السفينة .. فاذا حدث اثناء الابحار أن تعرض المعلم لأزمة فيجب عليه بعد عودته الى وطنه ان يوزع الصدقات على الفقراء بمناسبة نجاته من الأزمة . واذا حدث أن أهمل المعلم في قيادة السفينة وترتب على هذا أن السفينة اصطدمت بعقبة وتحطمت ، فهو محكوم عليه بالموت اذا لم تظهر عناية الله الجبارة لترعى عبده .

وواجبات المعلم سواء في البحر المفتوح او على الأرض تنحصر في دقة انتباهه وملاحظته للرياح والعواصف والاتجاهات وحركات القمر والنجوم واوقات السنة ، والخلجان ، والشواطىء ، والجزر ، والشعب المرجانية ، والمياه الضحلة ، والهضاب ، والجبال . وكل هذه الامور يجب ان يكون على وعى بها حتى يكون طاقم السفينة في امان تام في البحر والبر وحتى يكون في مأمن من الأخطار . والى جانب هذا يجب الا ينسى مطلقا الصلاة لله ولرسوله ليأمن من الشرور والأخطار . والمعلم ينظر اليه القانون على انه امام . ولا يمكنه اينما كان أن يحصل على اذن بمغادرة السفينة فهكذا القانون وعادات البحر .

ولا يعتمد نجاح الرحلة على الربان فحسب بل ان التوزيع الصحيح للواجبات على كل اعضاء الطاقم يلعب دورا كبيرا الى جانب الصداقة والتفاهم في العمل بين كل من توزع عليهم واجبات الرحلة . ويتحدث ابو الفضل العلامى مؤلف القرن السادس عشر عن تقسيم الطاقم وواجبات كل فرد من اعضائه فيقول :

« يعتمد عدد الملاحين في طاقم السفينة على حجمها ففى السفن الكبيرة ينقسم طاقمها الى اثنى عشر قسما :

١ ــ **ناخدا** او صاحب السفينة .

٢ ــ **المعلم او الربان** ويجب ان يكون على الم‍ام تام بالسفن في المحيط وبغاطسها اذا كان كبيرا او صغيرا وان يكون على معرفة بعلم الفلك . وهو الذى يقع على عاتقه قيادة السفينة الى مقصدها وتجنيبها الأخطار .

٣ ــ **تنديل** وهو كبير الملاحين الذين يسمون بلغة البحر « خلاصى » أو « خاروه » .

٤ ــ **ناخدا خشب** : وهو الذى يمون الركاب بالخشب والقش للتدفئة ويساعد في شحن وانزال ما بالسفينة .

٥ ـ **سرهنك** : وهو الذى يتولى عملية ارساء السفينة وعادة ما يخلف المعلم .

٦ ـ **بهنداري** : وهو الذى يتولى حفظ وخزن الطعام والمأكولات .

٧ ـ **كراني** : وهو الكاتب الذى يتولى تسجيل المكاتبات على السفينة ويوفر الماء للركاب .

٨ ـ **سكان كير** : او ما سك الدفة . وهو الذى يوجه السفينة حسب اشارة المعلم . وهناك سفن لها كثير من ماسكى الدفة لكن لا يزيد عددهم على عشرين .

٩ ـ **بنجرى** : وهو الذى يوجد على اعلى الصارى . ويبلغ كل مايراه عن الأراضى والعواصف التى تواجه السفينة .

١٠ ـ **كنمتي** : وهو ينتمى الى فصيلة الخلاصى . ويقوم بعملية ازاحة المياه التى تتسرب الى داخل السفينة عند السير .

١١ ـ **توب آنداز** : أو الصفوف المحاربة . وهؤلاء يتولون رفع الصارى وانزاله . ولدى بعضهم واجبات اخرى كمنع اندفاع المياة الى السفينة ، أو تخليص الهلب .

بيد أن العمل السليم المنظم لطاقم السفينة ، والتعاون السليم لكل اجزاء جهازها الحى يعتمد أولا وأخيرا على كيفية تنظيم الربان وهيمنته على واجبات المرءوسين . والمعلم هو عقل السفينة ، وقلبها المتحرك ، وروح العمل للمشتغلين عليها . وكل هذا كان يضطره أحيانا الى علاقة قاسية مع نفسه ما دامت قوانين البحر قد الزمته بهذا . وهذه الشروط العالية هى التى يتطلبها ابن ماجد نفسه فى مهنته حيث يقول ما معناه « : تذكر ايها الراغب فى العلم أن الربان يجب أن يكون واسع المعرفة . وأول ما يجب أن يعرفه تغيرات القمر وتقسيم خطوط العرض والطرق والمسافات ، وتحديد ارتفاع النجوم ومعرفة معالم الطريق الى الميناء ، ومعرفة أوقات السنة بتحركات الشمس والقمر والرياح ، وان يعرف الأجهزة المستعملة على ظهر السفينة . ومن الواجب أن يعلم الربان وقت ومكان اشراق مجموعات النجوم وتساوى الليل والنهار ، ومطلع ومغيب النجوم ومحاورها والبعد عن القطب وخط الاستواء .. كل هذا يجب ان يعلمه من يود أن يصبح معلما محنكا ويجب أيضا ان يكون على علم بكل الشواطىء ومراسيها ودلائل الطريق اليها . وكذلك يجب أن يكون على معرفة بترتيب قاع البحر وعمق المياه والثعابين المائية والأسماك والأعشاب وتغييرات الماء والمد والجزر وعلى الربان ايضا ان يحاول اعطاء السفينة اكبر قدر من الاتزان وان يحسن تموينها واختيار طاقمها والا يحمل السفينة اكثر من طاقتها ، وان يمنع قبول اى زيادة فى عدد الركاب . وعليه أن يتأكد من أن السفينة قد أخذت ما تحتاج اليه من المؤن وانها تبحر فى الطريق الذى تهب عليه الرياح الموسمية . وعليه أن يتجنب الأخطار التى يمكن ان تواجه السفينة التى اؤتمن عليها .

وعلى المعلم ان يصبر على التعب وان يقدر على التمييز بين الواجب والتسرع الأهوج ، ويجب أن يكون متقفا ، وعلى معرفة بأشياء كثيرة ، حاسما ، سديد الراى ، وأن يكون حسن القول ، وعادلا وألا يسبب ضررا لأى فرد ممن يطيعون رئيسهم ويؤمنون بالله العظيم . وعليه الا يعتدى على حقوق التجار ما عدا الظروف التى يكون فيها مضطرا الى ذلك أو فى الظروف التى تدخل ضمن القواعد المعترف بها . ولا بد ان يكون بالغ الصبر ، كريم الخلق ، متمسكا بكل ما هو مفيد للجماعة بغض النظر عما لا يصح أن يفعله ، ولا بد ان يكون ذا تربية حسنة وروح طيبة . فاذا كان عكس ذلك فمن المستحيل ان يكون مثالا للمعلم واذا توافرت فى نفسه كل هذه الصفات فلا بد أن يبدأ بدراسة الدورات القمرية . فكل نجمة منها لها اسم خاص ودراسة جميع أسمائها هى البداية الحسنة .

وكان ابن ماجد يتبع هذه المبادىء والتعاليم بحرفيتها وقد رسمها لنفسه بدون تبعية للأحكام الرسمية . وبالنسبة لمن توصل الى كل اسرار مهنته وعاش معها عشرات السنين ووضع نفسه فى مواجهة الصعاب والتغلب عليها ، فان من الجائز أن يصبح كل هذا مادة للفخر بهذه المهنة . وان المعلومات الخاصة لابن ماجد كانت كبيرة جدا . فلقد عرف بتعمق كل أحواض المحيط الهندى من البحر الأحمر حيث تخصص والده واحواض الخليج الفارسى حيث نشأ ابن ماجد وترعرع على شواطئه وكذلك أحواض شرق افريقيا وجزر الملايو وجنوب الصين . وان تجربته الفنية بقيادة السفن أعطته

شهرة واسعة في الشرق ، وان ما كان يتناقل شفاها من جيل الى جيل فى صورة أقاصيص بحرية احتفظ له بالقاب « أسد البحر » ، وشاعر « القبلتين » مكة والقدس ، وان اللقب الأخير أكثر قوة . واننا لا نجد فى مؤلفات الملاح العربى عمق الفكرة ولا جمال التركيب ، فلغة هذه المؤلفات جافة غير مشذبة وهى اما زائدة فى الاطناب أو بالغة فى الاختصار ، فهو يهتم بالناحية العملية ولم يكن يهتم بجمال التعبير ولكن ما كان يعنيه دائما هو ضبط الفكرة ووضوحها ، وهذا يعنى انه كان ينظر الى اللغة لا كهدف ـ انما كوسيلة لتوضيح الامور العلمية ، ولم يكن ابن ماجد شاعرا فى يوم من الايام ويبدو انه كان يبتعد عن الشهرة الزائدة التى اطلقها عليه المعجبون به ، وهو يلقب نفسه بتواضع « أسد البحر الرابع » واحيانا « رابع الثلاث » ، ويقصد بهم الليث بن كهلان ومحمد ابن شظن وسهل بن أبان ، وهؤلاء لم يعرفوا الا عن طريقه ، وكانوا من الملاحين العرب المشهورين فى القرن ١٢ ولهذا يعتبرون سابقين له فى هذه المهنة .

ولم يستطع ابن ماجد أن ينكر انهم من الملاحين الذين كانوا يبحرون قرب الشاطىء وانهم سابقوه القدامى فى المهنة ، وقد أبحر عشرات السنين فى كل المحيط الهندى وذهب الى آفاق بعيدة واستطاع أن يسمى نفسه « بليث البحر » دون أى تأنيب من ضميره .

محمد منير مرسى

إليهم ...

للشاعر عبد الرحمن شاكر

اليهم اقول .. الى العارفين .. الى من لديهم يروج الكلم
الى من افاقوا .. ونام الزمان .. فلما افاق .. تعدى الحرم
الى من تلظوا .. لهيب الجنان .. وذوب الفؤاد .. صديدا ودم
ليعلو الكلام .. ويبدو سناه .. يبدد من غاشيات الظلم
بان الأسير .. حبيس اللسان .. تأبى عليه انسياب النغم
وما كل عادية كالهوان .. ولا شيء اشقى من المتهم
وقد يخطىء القوم فى الفادحات .. ولكن اخطاءهم لا تذم
وأخطاؤنا تشتهيها الذئاب .. لتنهش لحم الأبى الأشم
فلا ندما أن ركبنا الكلام بحرا يموج وسيلا يطم
فللقادرين .. سفور الضياء .. وللعاجزين .. خفاء الوخم
وهيهات للرأى أن يستقاد الى تهتهات العيى الأصم
ولو ملكوه .. وما ملكوه .. فناصية الحق أعلى القمم
ستطوى الضلوع على المحنقات .. ونغرى النفوس بمضغ الألم
ولكن يوما .. عظيم الدوى .. سيشفى المغيظ .. اذا ما سلم

حول الأدب النسائى

بقلم : نجلاء حامد

اضطلعت كاتبات القصة المصريات بدور كبير فى الحركة القصصية فى مصر فى السنين الاخيرة .. وبعد أن كان دور المراة المصرية فى الادب عموما يكاد ينحصر فى الشعر وكتابه الابحاث الجامعية ، اصبحت تتجه لكتابة القصة وصار لها انتاج ملحوظ يحظى باهتمام القراء والنقاد كعمل جاد .. ولهذا الاتجاه فى نظرى ما يبرره اذا نظرنا اليه على ضوء حركة المجتمع كله ودورانه الى الامام .. فلقد تلازمت فى العصور الحديثة الدعوة المنادية لتحرير المستغلين والدعوة المنادية لتحرير المراة ، حتى لكان هناك ارتباطا ما بين هاتين الدعوتين .. ويفسر الامر احد الفلاسفة الاجتماعيين فيقول **« اذا عانى المجتمع من ضغط ما فان المراة هى التى تتحمل القدر الاكبر من هذا الضغط »**

ولذلك فما ان نهضت المراة لتطالب بالتخفيف من هذا الضغط الواقع عليها من جانب المجتمع كله ومن جانب الرجل بدافع من الوعى الثقافى والنضج النفسى الذى تحقق لها اخيرا حتى انطلقت شجونها الكامنة فى اعماقها منذ زمان بعيد فى صور ادب واع يتجه الى التعبير الروائى لكى تنفس عن تلك الافكار والاحداث الكبيرة التى ظلت حبيسة سنين طويلة فى وجدانها .

ولقد لفت اتجاه المراة الروائى والقصصى الانظار وصار يحلو للبعض أن يطلق على اعمالها القصصية اسم الادب النسائى !! ولعل السبب الذى دفعهم الى اطلاق هذه التسمية هو ما لاحظوه من احتفال معظم كاتبات القصة بالمراة نفسها : بعذابها ومعاناتها للكبت والقهر الطويل من جانب الرجل الذى تسانده فى ذلك تقاليد المجتمع وعاداته .. وقل ان تجد الى جانب ذلك الموضوع موضوعا آخر تحفل به اية كاتبة سوى موضوع نضال الشعب فى الحركة الوطنية فى مصر .. ولكن ذلك لا يدعونا بحال من الاحوال ان نلصق بانتاج المراة الادبى صفة النسائية وكانه صنف وحده لاينتمى الى الادب بمعناه الفنى والانسانى الواسع .. فالكثيرون من الكتاب الرجال ذوى النزعة الانسانية الواضحة من أمثال ابسن وشو ولوركا قد تناولوا فى قصصهم ومسرحياتهم مشكلة وضع النساء فى مجتمعاتهم ومع ذلك لم نطلق على ماكتبوه اسم الادب النسائى ..

والحق ان التناقضات التى تعانى منها المراه والتى تعكس فى الحقيقة خط سير المجتمع الى الامام او الى الخلف تعتبر مصدرا خصبا يستمد منها كل ذى موهبة ادبية الالهام والوحى .. فليس بغريب بعد ذلك أن تستمد المراه وحيها من حياتها وأن يكون الموضوع الرئيسى الذى تدور حوله معظم قصص الكاتبات هو موضوع حرية المراة كانسان بمعناها الواسع وليس فقط مايتبادر الى الذهن من أن هذه الحرية هى حريتها السياسية وحقها فى الانتخاب والترشيح تلك الحرية التى كفلها لها الدستور

ولقد شكل هذا التشابه فى الموضوعات الى حد

ما سمات عامة لهذه القصص مما يجعلنا نجزم بان هناك احساسا واحدا لدى كل الكاتبات ينعكس على اسلوبهن فى الكتابة .. فالكاتبات المثقفات قد زادت ثقافتهن ووعيهن من احساسهن بضخامه مشكلة وضع المراة فى المجتمعات الشرقية من حيث عدم تمتعها بالمساواة الحقيقية بالرجل وحرمانها من حريتها الاجتماعية تحت ضغط التقاليد والعادات والمواضعات الاجتماعية والافكار السائدة .

فما هى هذه السمات البارزة التى تميز قصص الكاتبات من النساء بوجه عام ؟

الحق اننى ساعتمد فى سرد ملاحظاتى على قصتى **(الباب المفتوح)** للدكتورة لطيفة الزيات **(ومنزل الطالبات)** للسيدة فوزية حمدان وهما فى رايى نموذج ناضج لانتاج المراة القصصى فى مصر

واول ما نخرج به من ملاحظات بعد تأملنا لهاتين القصتين هو شيوع النظرة الايجابية البناءة فيهما..

فالفتاة الشرقية التى خاضت تجربة المساواة بالشاب فى الدراسة الجامعية وفى العمل ، ثم اصطدمت فى حياتها الواقعية بالحواجز الصارمة التى يقيمها المجتمع فى الحقيقة بين الرجل والمراة .. هذا الاصطدام بالواقع دفعها الى شيئين : الحزن والايجابية وهما علة مانحسه من شيوع هذا الشحن الرقيق والأسى الرمادى الشفاف الذى يغلف انتاج المراة القصصى .. ولكن هذا الحزن فى حقيقته حزن ايجابى يدفعها الى رفض هذه القيود الضيقة التى يطلب منها ان تضع نفسها فى حدودها وهاهو مثال من قصة (منزل الطالبات) للسيدة فوزية حمدان..

« واحسست انك تسلبنى الكثير ، تطلب منى ان اكون مجرد انثى ... انثى حيوان ثائر .. تريد ان انسى كل شىء ، ولا التقى بك الا فى هذا الحيز الصغير ... واحسست بمئات الاذرع تبعدنى عنك ومسافة عميقة تفرق بينى وبينك والا فما كانت نبضات التمرد منذ البداية ولم عرضت نفسى للألم والمقاومة ولم انتظر مثل امى ؟ »

وفى رواية الدكتورة لطيفه الزيات (الباب المفتوح) تعبر الكاتبة عن موقف البطلة الايجابى من حبيبها الخائن بعبارات يختلط فيها الحزن والاسى والحزم «ولم تستطع هى ان تفهم ابدا كيف يتأتى له ان يحبها؟ كيف يستطيع ان يحب امراة بروحه واخرى بجسده ؟ والاخرى — الم يخطر له ابدا انها انسانه بدورها وانه قد ظلمها فى جسدها وفى عواطفها وانسانيتها ابدا .. » وقد تضطر هذه الصدمة التى تتلقاها الفتاة الشرقية الكاتبه فى بعض الاحيان الى التضحية بالاعتبارات الفنية فى كتابة القصة اذ تتخلى عن الحياد والموضوعية التى ينبغى ان يتصف بهما الكاتب وتلجأ الى التدخل فى موضوعاتها واطلاق العبارات الصارخة على لسان بطلاتها لاحساسها ان مشاكلهن ليست ببعيدة عن مشاكل حياتها الخاصة فى الواقع ..

فيقترب الحوار احيانا من الخطابة والوصف من التقرير.. وتتدخل الكاتبة بالشرح والتفسير لظاهر الحياة فى مجتمعها بتقاليده وعاداته التى ترهق المراه وتهدر انسانيتها ..

ففى قصة (الباب المفتوح) تتدخل الكاتبة شارحة الاسباب والظروف التى تعوق زواج البطلة من خطيبها الاول بلسانها هى : « لا .. لم يكن من السهل اقناع عصام .. لم يستطع ان يفهم ان كل عائلة تضع لابنها او ابنتها خطة مرسومة من يوم ان يولد او تولد وعلى الانسان ان ينفذ هذه الخطة ، فاذا فعل فاز بحب عائلته وبرضائها عنه ، وان لم يفعل — اى خرج عن الخطه المرسومة وعلى الاصول — ضربوه كما ضربها ابوها حين خرجت فى المظاهرة وحرموه من حبهم كما حرم ابوها محمود من حبه حين سافر الى جبهة القتال .. او حتى قتلوه كما قتلوا صفاء » وكثيرا ما نصطدم بمثل هذه العبارة على صفحات القصتين وهى تعبر فى نفس الوقت عن راى الكاتبتين « مجتمعنا يمزقه اختلاف الآراء والعقائد » ، « راعنى الظلم الذى وقع على المراة وموقف الرجل المتردد» .. ، « هذا هو وضع البنت الذى تعيش فيه ويجب ان تقبل هذه الحقيقة او تموت » .

ولما كانت المراة لا تستطيع ان تعبر دائما عن كل ما تحس به لأن المجتمع ينكر عليها ذلك من ناحية

ولان ذكر التفاصيل الكثيرة عن واقع حياتها التى تجسم ماساتها فى تراكمها من ناحية اخرى يعتبر معوقا لها عن رسم صورة عامة لحياتها .. ولذلك تلجا الكاتبات الى الرمز .. واستخدام الرمز قد ساعد الكاتبات على اطلاق خيالهن بالنسبة للمستقبل الذى ترى المراة تعلق عليه الكثير من الآمال ولذلك كان استخدام الرمز هو فى رايى اهم ما يميز هاتين القصتين ..

والرموز دائما بسيطة وواضحة ومستمدة من واقع حياة المراة ، فالدكتوره لطيفه الزيات حينما تصور بابا مفتوحا فانها ترمز بذلك الى انطلاق شخصية بطلتها من خلال خوضها لمعركتها مع نفسها اولا ثم معركتها الى جانب شعبها ضد العدوان الغاشم على بورسعيد .. وتربط المؤلفة بمهارة فنية عالية بين معركه الشعب الباسلة ضد الاحتلال الانجلو فرنسى وانتصار ليلى نفسها على العقد والرواسب التى تجمعت فى نفسها من آثار الماضى وعاقتها عن أن تكون ايجابية منطلقة بل ان المؤلفة بحذق بارع تخلق شخصية رمزية كاملة هى شخصية المهندس الفدائى (حسين) وفى رايى أن حسين فى قصة الباب المفتوح هو رمز لروح الشعب التى ردت لليلى فى النهاية الثقة بنفسها وبقدرتها .. وكذلك تلجا السيدة فوزية مهران الى الرمز ايضا .. فكثيرا مانقرا فى قصتها عبارات : الابواب المفتوحة ، الآفاق الواسعة الممتدة ، والسماوات الصافية العريضة والبوابة السوداء التى تحجز البنات عن العالم الخارجى داخل عالم الحريم ..

وقول بطلة القصة آمال عن نفسها انها تخشى الزحام دائما انما يرمز الى خوف الفتاه المصرية من النزول الى زحام الحياة نفسها ...

ولا شك ان لاعتماد المراة على خيالها هى فى تصورها للأشياء الى حد كبير وذلك لعدم اتاحة فرصة الاحتكاك بالحياة فى حرية اغلب الأحيان قد اثر تاثيرا بالغا على اسلوب الكاتبات البلاغى اذ جعلهن يلجان بكثرة الى الاستعارات والكنايات والتشبيهات التى هى فى معظمها رمزية مستمدة من خيال الكاتبة وثقافتها أولا ومن واقع حياتها ثانيا ..

ويتميز اسلوب من قرات لهن من الكاتبات **بهذا الشذى الرقيق الناعم الذى يستمد تاثيره من الشحنات العاطفية المحملة بها الكلمات لا من عمق الموضوعات**

وهى حينما تعجز عن وصف العلاقة بين الاشياء او عن وصف الاشياء ذاتها بسبب عدم احتكاكها المباشر بالحياة تلجا الى التعبير عنها من خلال رايها فيها باسلوب تمنحه هى بنفسها الوانه وخطوطه وهى تلجا الى التشبيه بالأشياء التى تقع تحت يدها مباشرة .. وها هو مثال من الباب المفتوح ..

« وجلس حسين على المقعد وهو يحاول ان يجد شيئا يشبه به ليلى .. من الزجاج .. من الكريستال .. نعم من الكريستال .. جميل ومن السهل تحطيمه .. والكريستال سلبى ايضا مثلها يعكس الضوء ولا يشعه ، تضعه فى النور فيتالق .. وتضعه فى الظلام فلا يشع نورا .. نعم النور ليس فى قلبها ولكنه فى الخارج ولذلك استطاع عصام ان يسحقها .. »

والحق ان دراسة هذه القصص تلقى الضوء على الدور الطليعى الذى اصبحت المراة المصرية تضطلع به فى الأدب وفى الحياة عموما ، مما جعل انتاجها الأدبى يتجه بطبيعة الحال اتجاها هادفا .. فلقد كان كل ما قراته من قصص كتبت باقلام النساء قصصا هادفا .. ولست ادرى هل كان هذا هو السبب فى اصابته فى بعض المواضع بتلك الآفة التى كثيرا ما تمس الأعمال الأدبية الهادفة ذات المضامين الاجتماعية الا وهى التقريرية والخطابية .. فالفنان حينما يفيض به الحماس ويعجز عن ان يجد له تصريفا وتنظيما فنيا دقيقا ينطلق هذا الحماس من نفسه على الورق ويصعب عليه التحكم فيه .. ولكننا مع ذلك نستطيع ان نقول ان ما يسمونه بالأدب النسائى هو فى حقيقته ادب انسانى هادف ..

« نجلاء حامد »

شوق إلى مصر

للشاعر اللبناني سليم عبد الغني الرافعي

ليتها تشتفي بطعم الفراق   في فم الارز ، عبقري المذاق !
مضغة بين شجوها واساها   اركبتها النوى عسير المراقي
زعمت انها الى الارز تصبو   فاذا الارز خائب الترياق ؟
ملهم غير انه شح بالوحي   فشد اصطفاقه بالوثاق
أيها الفجر ! فجر مصر المندى   بعبير الشباب والاشواق
ايها الموكب المخلد في الضوء   وفي القلب والضلوع الرقاق
يا شعاع الابداع ! والسر يسري   منك في شاطئ وفي آفاق
عبق الكون من عطائك والرو   ح اذا جال جولة الخلاق !
سلمت منك كل قطرة طل   حملتها الزهور في الاعناق
قطرة جنب قطرة في وفاء   واخاء والفة وائتلاق
سمع النيل وقعها فشجاه   وهو يهوى بموجه الرقراق
علم النيل انه شاعر الدهر   اذا ما انتشى بجرعة ساق !
يعلما النيل للهوى وهو رب   فوق عرش الأضواء والاشراق !

لمن الدهر ايها النيل ؟ لولا   انه في صدى خطاك البواقي
لمن الحب والخلود اذا لم   تجر يانيل جرية السباق ؟
معقل انت للدهور وقلب   يسع الكون بالهوى والتلاقي
ان تقم قامت المشارق يانيل   واعظم بقومة العملاق !
في طريق الهداة سار رجال   منك يدعون امة للوفاق

ذاك صوت الخلود اعلى واسمى   في ضمير الاجيال ـ صوت العناق
قبلة في ضميرك الحي يانيل   تدوى في عالم العشاق !

شعر الراعي النميري وأخباره

بقلم مجيد ابراهيم دمعة ..

هذا هو اسم الكتاب الذي جمعه وحققه الدكتور **ناصر الحساني** أستاذ النقد الادبي بكلية الآداب ببغداد سابقا وسفير الجمهورية العراقية بواشنطن في الوقت الحاضر .

ويقع الكتاب المذكور في (١٩٢) صفحة من القطع المتوسط عدا الصفحات المعدة للفهارس والتصويبات والاستدراكات . وفضلا عن الجهود المبذولة من قبل الحساني بتحقيق هذا الكتاب وجمعه فان الاستاذ عز الدين التنوخي قد اسهم بالمعاونة على مراجعته وجمع شواهده ووضع فهارسه ، وان المجمع العلمي العربي بدمشق قد قام بطبعه سنة ١٩٦٤ .

تناول الدكتور الحساني ـ بمقدمة هذا الكتاب ـ أخبار الشاعر الراعي النميري كما وعتها كتب اللغة والمعاجم وروتها كتب الأدب والتراجم ، وناقشها باسلوب علمي متين تميز بدقة البحث واصول الدراسات العلمية الحديثة حيث اسند كل خبر يتصل بالشاعر الى مظانه وأرجع كل رواية الى اصولها وقابل بين هذه الأخبار والروايات ـ كما جاءت بمختلف المصادر والكتب ـ ليقف على اكثرها صحة واقربها الى الثبوت والتأكيد . وحسب القارىء دليلا على هذا المنهج العلمي الرصين ما يراه من الشروح والتعليقات والمناقشات الطريفة ومقابلة الروايات المختلفة بعضها ببعض في هوامش صفحات المقدمة كافة مع الاشارة الى صفحة المصدر والجزء الذي ذكر فيه الخبر او الرواية .

والمؤلف المذكور ـ عدا ما تضمنه من الدقة في البحث والاستقصاء ـ امتاز بطريقة العرض ومتانة الاسلوب وبساطة اللغة التي ظل المؤلف يستخدمها في سرد أخبار الشاعر ونشأته العامة ليصور الينا كل جانب من جوانب حياته باسلوب ممتع ومنهج قصصي طريف يعكس لنا خصائص شخصية الراعي وقابليته الشعرية ومكانته الاجتماعية بين قومه ، ومقامه الأدبي بين شعراء عصره ، وتأثر شخصيته العامة بطبيعة حياة العرب الاجتماعية في ذلك العصر وما يدور في حياتهم اليومية ، فوصف لنا مساجلات العرب الشعرية والنشاط الأدبي الدائر في منتدياتهم واسواقهم الشعرية في النصف الثاني من القرن الأول للهجرة ، وطابع ذلك العصر وما تميز به من العصبيات القبلية وتفاخر الناس بالاحساب والانساب ، واندماج الراعي في هذا الوسط الاجتماعي والأدبي الصاخب ، وانحيازه الى كتلة الفرزدق وتفضيل شعره على شعر جرير ، وهذا هو الذي حدا بجرير أن يهجر الراعي بقصيدته المعروفة التي مطلعها :

اقلي اللوم عاذل والعتابا
وقولي ان أصبت لقد أصابا

وأن تكون هذه الحادثة حاسمة في حياة الراعي وخمول ذكره وانحسار جاهه .

أما الجانب الفني بشعر الراعي ونواحي الابداع فيه (كانفراده بفن البديع مثلا) واكبار المؤلفين والأدباء لقابليته الشعرية كياقوت الحموي بكتابه (معجم البلدان) وابن قتيبة في (كتاب المعاني الكبير) والجاحظ بكتابه (البيان والتبيين) وابن رشيق في « العمدة » واحتجاج بعض الشعراء بشعره كذي الرمة الذي . انقطع اليه واتخذه دليلا وجعله اماما ، وصار راوية له ، فهي صورة أخرى لمقدار ما بذل في هذا الكتاب من الجهد العلمي والتحقيق الدقيق .

ومادمنا نتحدث عن الجانب الفني بشعر الراعي فلا بد لنا من أن نشير الى عنايته بالطبيعة ووصف ما فيها من الطيور والمخلوقات الأخرى التي يبدو لنا فيها أن الراعي قد فاق شعراء عصره في هذا الباب لأن قليلا من الشعراء القدامى من عنوا بوصف غير الحيوانات التي كانت شائعة بشعر الجاهلين كوصف بقر الوحش والظباء مثلا ، ومكانتها في شعرهم للمقارنة والتشبيه ، غير ان في شعر الراعي ما يدل على التفاته الى وصف الطيور واعجابه بها « فتهيأت له بذلك صور حية بوصف « البازي » و « القطا » و « الحباري » و « العصفور » .

وهناك ظاهرة أخرى تسترعي الانتباه ايضا في هذا الذي تهيأ للدكتور الحساني — محقق شعر الراعي — وهي ندرة ما يخص وصف الابل في هذا الكتاب ، مع العلم بأن الراعي قد عرف ابتداء أو بالأحرى لقب بالراعي لكثرة وصفه الابل في شعره ، ولعل هذا الجزء من شعره سيتهيأ له أن يظهر الى الوجود فيما بعد لكي نقف بوساطته على ما برر وصف النميري (براعي الابل)

اما ملحمة الراعي المثبتة على ص ١٢٤ وما جاء فيها من مناقشات طريفة وتحقيق ممتع ومقابلة بين الروايات المختلفة ، ومن ثم الحكم على قيمتها الفنية ومكانتها في الأدب العربي ، فهي نموذج آخر من نماذج البحث الرصين وجهد لا تتسع لاستيعابه لاستيعابه الا صدور من تهيأت لهم أسباب البحث والعناية بالاستقصاء والتتبع .

وقد بوب الكتاب المذكور تبويبا جميلا ، ورتبت قصائده حسب الحروف الهجائية ، وشكلت ابيات الشعر فيه بالحركات ، وشرح بعض ماغمض فيها من التعابير والكلمات واسماء الامكنة والمحلات ليسهل بذلك على القارىء لذة الاستمتاع بما ادرج فيه من القصائد والمقطعات الشعرية .

والكتاب بجملته يدل دلالة واضحة على صبر نادر وجهد مشكور قلمانجدهما في كثير من المؤلفات التي تغمر اسواق الكتب والمكتبات العربية في وقتنا الحاضر ، ونحن اذ نقدر جهد المؤلف والمراجع في اخراج هذا الكتاب ، نأمل أن يظل الدكتور الحساني يتابع هذا السعي العلمي وهذا الجهد المشكور ليكون بذلك قدوة يحتذيه شبابنا المثقفون ثقافة عصرية لتزويد واثراء مكتبتنا العربية بما يماثل هذا الكتاب القيم وهذا الانتاج النفيس .

« واشنطن — امريكا — مجيد ابراهيم دمعة »

يا بني العرب

سددوا من خطاكم

للشاعر محمد هارون الحلو

أى يوم على الزمان مجيد ... نحن منك على طريق الخلود
فيه نبنى لأمة العرب مجدا ... هو أسمى من كل صرح مشيد
امة العرب زادها الله عزا ... أبد الدهر دائما فى صعود
قد وعى الدهر ما وعى من ذراها ... وهى تومى الى الغد المنشود
ا بنى العرب : سددوا من خطاكم ... ما التقيتم على كريم العهود
مى دعوى محمد ، وهداه ... والنبيين قبل نوح ، وهود
اشرقت فى الزمان وهى ضياء ... وسنا كل مطمح فى الوجود
شأوها فوق كل شأو رفيع ... وهى توحى بكل معنى شرود
علم الله أنهم قد أقاموا ... منه بالامس كل صرح مشيد
واستدار الزمان يكتب امجا ... دا لأبناء يعرب من جديد
كم ترى للسلام غصنا نديا ... حف منا بزنبق ، وورود
قد تخذناه للبرايا شعارا ... وهى منه على طريق سديد
ورفعنا به المنارات للمجد ... لنهدى سبيلهم للصعود
لنرد الذئاب عن وثبات ... وهى تعوى بكل شاة ولود
نحن نبنى من العدالة حصنا ... حيث يأوى اليه كل شريد
لنفك الاغلال دون رقاب ... يزدهيها الغداة شارة صيد
ثورة العرب قدست كل حر ... غير حر يعيش عيش العبيد
كم ترى هواه جمع النقود ... المال دون بذل ، وجود
وفقير به ضراعة بؤس ... ما له فى الورى مشاشة عود
منزل الوحى فى رباها ظليل ... فهى قط لم تكن لليهود
ليس يحيا بأرضنا غير حر ... من بنى يعرب الكماة الصيد
قل لمن بات يستجيش هواها ... من بنيها ، وهم ليوث البيد
ان يوم النضال آت قريب ... فأعدوا له دروع الحديد
سيكون الصيال صيحة عاد ... ويكون البلاء يوم ثمود
ان يقيموا على بلاء شديد ... أو يقروا على مهاد وطيد
سوف يغدوا النزال عبر السدود ... ويكون القتال خلف الحدود
فلهم يومهم ولن يخلفوه ... ولهم موعد برجع البريد
سوف نطوى مرابض الغاب طيا ... ثم تغدو بها لنصر مجيد

محمد هارون الحلو

حول مؤتمر عدم الانحياز

للشاعر : أحمد عثمان المراغى

تاوبنى والشرق بالمجد يطرب ... وميض جميل للنفوس محبب
وميض كاحلام الرؤى كلما نبا ... بى الهم وافى بالبشائر يقرب
سرى والورى من دعوة الحرب ذاهل ... ينادى اما للناس فى الشرق مهرب
اما فى كتاب المسلمين نصيحة ... الى الغرب حيث الحرب للغرب مذهب
اما فى اناجيل النصارى وصية ... بان بنى الانسان يجمعهم اب
اما فى بلاد العرب صوت ومنبر ... يجلجل هيابا الى السلام يخطب
اما فى ربوع الشرق للخلق منصف ... من الظلم حيث الظلم كم بات يرعب
الا ايها الطيف المعاتب اننا ... اذا اسود ناب الدهر لانتهيب
تثور بلاد الوحى فى كل ومضة ... على كل معتوه عنيد يخرب
فلا عجب ان نردع الطيش بالهدى ... وان نحفظ الانسان ممن تذابوا
ولم يثننا عن نصرة الحق مفلس ... من الحق حيث الزيف فى الناس معجب
الم تغزنا الذؤبان يوما بغدرها ... ولكن سيف الحق بالحق اغلب
ليوث لدى الاهوال من عهد طارق ... الى عهدنا هذا عن الذل ترغب
صدقنا فصار المجد يلهث خلفنا ... وقدنا سفين النصر والموج قلب
لقد جاء نصر الله والفتح وانطوت ... عصابة الاستعمار فى الحجر تندب
فمهلا دعاة الحرب مهلا ووجهوا ... مساعيكم الخير لا تتنكبوا
ولا تضرموا النيران يوما بذركم ... ولا تتركوا الصاروخ الموت يجلب
تعالوا الى الاحسان للعدل الهدى ... الى الامن حيث الامن للناس مارب
تعالوا بنا نبنى الحياة كريمة ... ونمشي بنور الحب لا نتعصب
ففى ظل هذا الحب تسمو مشاعر ... وترقى احاسيس وتندى وتعذب
فكم حطمت اهواؤنا كل مشرق ... وكادت شموس الخير بالحقد تغرب
ولولا رجاء داعب القلب طيفه ... ولولا دعاء فيه لله مطلب
تعالوا دعاة الحرب نستلهم الحجى ... كفاما مضي .. مما به نتعذب !

احمد عثمان المراغى

أدباؤنا بين الرفض والغضب

• أحمد هاشم الشريف •

طفت على العصر الحاضر موجة ، لم تنزلق فى استسلام على نعومة الرمال ، بل امتدت فى جرأة لتعبر عن روح العصر نفسه ..

ورأينا الأدباء فى أغلب انحاء العالم يتخذون موقفا واحدا بالنسبة لبلادهم ، عندما يرون الواقع متخلفا عن ركب احلامهم ، موقف الغضب الذى كثيرا ما يصل الى حد السخط وسب اللعنات .. ولم نصادف الا فى القليل النادر اديبا يرضى بالوضع الموجود ، ويبتسم له فى قناعة .. فالغضب والسخط وعدم الرضى صفات مشتركة بين ادباء هذا العصر ..

جان بول سارتر فى فرنسا انتقد موقف حكومته التى يدين لها بالاخلاص والولاء ، ودافع عن قضية الجزائر ، فى الوقت الذى لم يسفر فيه دخان المعركة عن ملامح النصر او الهزيمة لواحد من الطرفين .

وبوريس باسترناك فى روسيا كتب روايته العظيمة « دكتور زيفاجو » ليكشف عن اخطاء ثورة اكتوبر الاشتراكية ، ويعرض للمواقف المخزية التى تمت خلالها ..

وجون اسبورن اطلق صيحته المشهورة « عليك اللعنة يا انجلترا » ، اطلقها على خشبة مسارح لندن ، وتولى رفيقة المثقف الذكى « **كولن ولسن** » فى رواية « طقوس فى الظلام » كشف فضائح المجتمع الانجليزى وهو يتشقق جداره قبل ان يبدأ فى الانهيار ..

وفى مصر وجدنا **يحيى حقى** يتجه بنقد لاذع ، كلماته تقطر حسرة ، الى ابناء الشعب .. تأمل وصفه للمصريين فى قصته الخالدة « قنديل ام هاشم » كما يراهم بطل الرواية الدكتور اسماعيل وقد عاد من أوروبا ..

« ضربت عليهم المسكنة ، وثقلت باقدامهم قيود الذل ، ليست هذه كائنات حية تعيش فى عصر تحرك فيه الجماد ، هذه الجموع آثار خاوية محطمة كاعقاب الأعمدة الخربة ، ليس لها ما تفعل الا ان تعثر بها الأقدام ... »

وفى مكان ثان ..

« هؤلاء المصريون جنس سمج ثرثار ، اقرع امرد ، عار ، حاف ، بوله دم ، وبرازه ديدان ، يتلقى الصفعة على قفاه الطويل بابتسامة ذليلة تطفح على وجهه . ومصر ؟ قطعة « مبرطشة » من الطين ، اسنت فى الصحراء ، تطن عليها اسراب من الذباب والبعوض ويغوص فيها الى قوائمه قطيع من الجاموس نحيل ..)

ولكى تكتمل جوانب الصورة «اقرأ معى ما قاله يحيى حقى على لسان بطله فى مكان ثالث من نفس القصة ..

(تمر امامه فتاة مزججة الحواجب ، مكحلة العينين ، شدت ملاءتها لتبرز عجيزتها وطرف ثوبها ، وتحجبت ببرقع يكشف عن وجهها . وما معنى هذه القصبة التى تضعها على انفها ؟ اف ! ما ابشع رياء هذا المنظر وما اقبحه ! سرعان ما بدأ الناس يتحككون بها كأنهم كلاب لم يروا فى حياتهم أنثى ! »

وظاهرة الغضب والنقد الموجع ليست جديدة كما يظن البعض .. فى القرن الماضى اطل علينا «برناردشو» ليؤيد قضية «دنشواى» ويوجه لبلاده اعنف اللوم ، بالرغم من ان الضابطين المقتولين فى هذه الحادثة التاريخية . كانا من « ايرلندا » ، وطن برناردشو ..

وهتف **تشيكوف** مع **تولستوى** فى صوت خانق .. يا روسيا .. كم انت بلد اخرق !

فى الوقت الذى كان فيه دستويفسكى يقع

متضـــايا عليه .. من رائحة النتن المنتشر فى كل مكان ..

فالغضب صفة مشتركة بين سمات الأدباء فى هذا العصر ، كما كانت فى القرن الماضى .. لكنه ظل غضبا مخلصا نابعا من غيرة الأديب على شعبه وحبه العميق لأرض بلاده وتراثها .

وهناك غضب آخـر لا يقف عند حد السخط بل يتعداه الى الرفض .. غضب حاقد لا ينبع من فنان اصيل ، يغلق الأبواب ويقطع الصلات ويشل التفكير .. وهذا هو غضب الشعوبيين ..

وهو نفس الموقف الذى التزمه شعراء لبنان فى هذه الأيام .. وعلى راسهم الشـــاعر ادونيس ويوسف الخال .. الشاعر ادونيس يحكم بالموت على كل شيء فى ارضنا العربية .. الدين والقومية وكل تراث يؤكد أننا لسنا نبتا شيطانيا أو وجودا عارضا تم بطريق الصدفة ..

ويوسف الخال يهاجم المساعى المبذولة لتحسين القضايا العربية ويرى أنها تعتـــرض النهضـــة الأدبية ..

والحركة الشعوبية لها جذور قديمة ، بدات فى العصر الجاهلى عنـــدما جاهر النعمان بن المنذر بسيادة العرب وعلو قدرهم امام كسرى ، وتحركت الدماء فى عروقها بعـــد موقعة « ذى قار » التى انتهت بهزيمة الفرس امام العرب ، وبعد الفتوح الاســـلامية امتدت يدها بالخنجـــر الذى حمـــله ابو لؤلؤة المجوسى وطعن به عمر بن الخطاب ، ثم تحركت بالفتن من بعده ، وقد كان عصر الأمويين وبالا على هؤلاء الاعاجم الموتورين الذين كانوا يسعون فى الخفاء لاعادة المجوســـية بدلا من الاســـلام ، والكسروية الســـاسانية بدلا من حكم العرب ، فلما انتصروا على الأمويين فى موقعة « الزاب » الشهيرة وتوطد الحكم العباسى على ايديهم ، بداوا يعملون على اسقاطه ويناصرون العلويين ، ثم اشـــاعوا « الزندقة » لهدم الاسلام فى نفوس المســـلمين ؛ وليس يهمنا الآن فى قليل او كثير ان نستعرض هذا التـــاريخ بقـــدر ما يهمنـــا التمهيد لفهم أدب الشعوبيين ..

ان بشار بن برد زعيم الشـــعوبية فى العصر العباسى يبدي عصبيته لقومه واحتقاره للعرب :

هل من رسـول مخبر
عنى جميع العـــرب
من كان حيـــا منهم
ومن ثوى فى الترب
باننى ذو حســـب
عال على ذى الحسب
جدى الذى اسمو به
كسرى ، وساسان أبى
وقيصر خالى اذا
عددت يوما نسبى

وينتقل من الفخر بقومه الى الحط من شأن العرب ..

ولا حـــدا قط أبى
خلف بعير اجرب

اما « ابو نواس » فلم يقف عنـــد حد الفخر بقوميته الفارسية ..

تراث ابى ساسان كسرى ولم تكن
مواريث ما ابقت تميـــم ولا بكر

او وصف العرب القدامى بالغباء لوقوفهم على الاطلال ..

صـــفة الطلول بلاغة القـــدم
فاجعل صـــفاتك لابنـــة الكرم

بل انه كشف عن حقده للعرب ..

عاج الشقى على رسم يســـائله
وعجت اسأل عن خمارة البلد
يبكى على طلل المـاضين من اســـد
لا در درك قل لى من بنو اسد ؟
لا جف دمع الذى يبكى على حجـر
ولا صفا قلب من يصـفو الى وتد

ولم تكن هذه الظاهرة محض صدفة ، بل حركة قوية يشترك فيها ايضا شـــعراء آخرون مثل الخريمى والمتوكلى وابن الرومى ..

واذا التمســنا العذر لهؤلاء الشعراء الرافضين ، بل ربما اكبرنا اخلاصهم لقوميتهم وعقيدتهم فما هو المبرر الذى يدفع شـــعراء لبنان اليوم الى « الرفض » ؟

لقد خلط الدكتور النويهى – فى دفاعه عنهم – بين الرفض والغضب، واستدل على ولائهم للعروبة بأنهم مازالوا يكتبون باللغة العربية .. الم يكن شعراء الموالى فى العصر العباسى يكتبون بالعربية ؟ الم يتحدثوا بالعربية ليطعنوا العرب ؟

ولماذا يدافع الدكتور النويهى عن عملاء ثبتت خياناتهم واتصالهم بالسفارات الأجنبية .. وشهد بذلك واحد منهم فى جريدة الحوادث اللبنانية ؟

لماذا يربط بين قضية الشعر الجديد وشعراء لبنان ؟ لماذا ؟

ان «بوريس باسترناك» الذى وجه لبلاده اوجع النقد ، طلب من الحكومة عند ثورة الراى العام ان توقع عليه اى عقاب .. ماعدا النفى من بلاده التى احبها .. طلب من الحكومة الا تحرم رفاته من الاستقرار فى ارض روسيا ، وبين شعبها ..

ودستويفسكى الذى كفر بكل عقيدة دينية من هول ما لاقى من غربة وتشريد .. آمن بالمسيحية لأنها – على حد قوله – ديانة الشعب الروسى العظيم ..

ويحيى حقى ، اعترف اكثر من مرة ، انه فى نقده لمال المصريين ، كان يمسك بعصا خيزران ، تلسع لتنبه ، دون ان تصيب مقتلا ..

اما شعراء لبنان فلهم موقف مختلف تماما ، يجهله **الدكتور النويهى** وهو يدافع عنهم ..

موقف الرفض ، لا عن عصبية دينية او قومية كابى نواس وبشار ، بل عن اجر سخى يتقاضونه دون حساب ..

واذا كان الاستاذ **عبده بدوى** قد استطاع ، وهو الشاعر ، أن يبتسم فى وجوههم الحاقدة .. فانى اعترف بعجزى عن مجاراته فى ذلك

ابتسم للغاضبين .. للساخطين .. لأن الحب يجمعنا ..

ولكنى امام الرافضين الحاقدين . . لا املك سوى الاشمئزاز !

« **احمد هاشم الشريف** »

صلوات

للشاعر عبد القادر حميدة

افتحى يا شمس طاقات الأمانى للغروب
واسكبى الفجر غناء .. فى متاهات الشحوب
وانثرى النجم شعاعا راقصا فوق المغيب
وانهلى العمر من العمر ربيعا .. ثم ذوبى
فى صباحات حبيبى
وامـاسى حبيبى
يا رعـاك الله يا ملء الحنـايا : يا حبيبى

***

ليتنى املك عمرى .. كنت اهـديه لعمرك
ليتنى .. والآه فى صدرى دعاء ملء صدرك
أنا يا اماه لا أملك شيئا غـير حبـك
هو كنزى ونصيبى
وتراتيـل الغريب
يا رعاك الله يا ملء الحنـايا : ياحبيبى

***

صادح من عزف قيثارك انات الليـالى
واناشيد الحيارى حول اعراس المحال
ذلك المشروخ فى صدرك من طول النضال
لا تبالى بالذى ضاع من العمر هباء .. لاتبالى
اشربى الشمس وطيبى
وانشقى فوح الطيوب
و ... رعاك الله يا ملء الحنـايا : يا حبيبى

عالم رجل فى محنته

بقلم: محمد عبدالله السمان

كلما تتبعنا سير علماء الدين فى القرون الثلاثة الأولى للاسلام، صغر لدينا كثير من علماء الدين فى زماننا، والسبب من الوضوح بحيث لايحتاج اجهاد ذهن، **فقد** كان علماء الدين السلف ذوى عقيدة مؤمنة خلقت منهم علماء رجالا يتحرون الحق فيما يقولون وفيما يفعلون، ويتجردون من كل هوى، ويتسامون عن كل عبث، لاتغل اعناقهم دنيا احد، ولايهز ضمائرهم بريق ذهب، أما الكثيرون من علماء الدين الخلف، فلن تكون متجنين اذا قلنا: انهم قشور مهزوزة، لاتنم الا عن سفسطة يحركها هوى، ويسيل لعابها دنيا اقل الناس شأنا.

وهانحن اولاء مع عالم دين كان اماما علما، منح ايمانا كان أقوى من كل محنة، وعقيدة كانت أصلب من كل فتنة، صغرت الدنيا فى عينيه وحقرت مفاتنها لديه، فلم ينهزم له ايمان، ولم تهتز له عقيدة، ولم يضطرب له ضمير.

انه ابو يعقوب يوسف بن يحيى المصرى البويطى صاحب الامام الشافعى، وصفيه وأثيره عنده، وخليفته من بعده فى حلقته، أوصى الامام الشافعى اليه بذلك وهو يقول: **« ليس احد احق بمجلسى من ابى يعقوب، وليس احد من اصحابى اعلم منه »**.

أما المحنة التى تعرض لها الامام البويطى، فهى محنة خلق القرآن، التى أثارها المعتزلة فى السنوات الأواخر من حياة المأمون، ثم امتدت من بعده الى عصر المعتصم، فعصر الواثق، وانتهت بتولى المتوكل أمور الدولة الاسلامية، **والحق** ان المأمون كان حريصا أن يثير قضية خلق القرآن قضية فكرية تعرض للجدل والمناقشة، لولا تدخل أحمد بن أبى دؤاد بنفوذه مما حول الفكرة الى محنة، وحمل المأمون على أن يأخذ رعاياه بالعنف ليؤمنوا بمذهب خلق القرآن، **وقد ظل ابن ابى داؤد** يدير المؤامرات فى عهد المعتصم بعد المأمون، وفى عهد الواثق بعد ابيه المعتصم بلغت المحنة أوجها، فعذب من عذب من العلماء، كأحمد بن حنبل، ونعيم بن حماد، ومحمد بن نوح، واستشهد من استشهد كأحمد بن نصر الخزاعى الذى أثار شجاعته حمية الخليفة الواثق حتى طلب بنفسه أن يضرب عنقه، اما البويطى، فقد صدع بالحق، وابتلى بأقسى مايبتلى به العالم المؤمن الوثيق الصلة بربه، وزج به فى غياهب السجن فى بغداد حتى لقى الله فى عام ٢٣٢ من الهجرة.

لقد ابدى البويطى فى محنته ما أثار الدهشة، ولم يستطع الوعد ولا الوعيد، ولا السجن ولا الحديد، ولا ألوان التعذيب ولا صنوف التنكيل ان تنال من عزيمته أو توهن من ايمانه، **قال الربيع بن سليمان كما فى وفيات الاعيان:**

«رايت البويطى على بغل فى عنقه غل، وفى رجليه قيد، وبين الغل والقيد سلسلة من حديد فيها طوبة وزنها اربعون رطلا، وهو يقول: انما خلق الله سبحانه وتعالى الخلق «بكن» فاذا كانت «كن» مخلوقة، فكأن مخلوقا خلق مخلوقا، فوالله لأموتن فى حديدى حتى يأتى من بعدى قوم يعلمون أنه مات فى هذا الشأن قوم فى حديدهم، ولئن ادخلت عليه ـ اى الخليفة الواثق ـ لأصدقنه».

وجاء فى مفتاح السعادة: لطاش كبرى زادة ان ابن ابى داؤد حين كتب من العراق الى والى مصر ان يمتحن البويطى وامتحنه، لم يجب، وكان الوالى حسن الراى فيه، فقال له: قل فيما بينى وبينك، قال: انه يقتدى بى مائة الف لايدرون المعنى».

والعجيب ان البويطى ـ وهو فى سجنه ـ لم يشغله عن الله شاغل، روى الشيرازى فى «طبقات

الفقهاء » ان البويطى كان اذا سمع المؤذن وهو فى السجن يوم الجمعة اغتسل ، ولبس ثيابه ومشى حتى يبلغ باب السجن ، فيقول له السجان : اين تريد ؟ فيقول : اجيب داعى الله ، فيقول : ارجع ، عافاك الله ، فيقول ابو يعقوب : اللهم انك تعلم انى قد اجبت داعيك فمنعونى » .

ولم يكن يشغله وهو فى سجنه عن اخوانه ولا عن حلقة العلم وطلابها شاغل ، فقد كتب الى الربيع يقول :

«انه ليأتى على اوقات لا احس بالحديد انه على بدنى حتى تمسه يدى ، فاذا قرأت كتابى هذا فاحسن خلقك مع أهل حلقتك ، واستوصى بالغرباء خيرا ، فكثيرا ماكنت اسمع الشافعى رضى الله عنه يتمثل بهذا البيت :

اهين لهم نفسى لأكرمهم بها —

ولن تكرم النفس التى لا تهنيها

ولم يكن يحز فى نفس البويطى — وهو فى سجنه — الحديد الذى اوثقوه به ، الا لانه يحول بينه وبين اداء الفرائض ، قال ابو عمرو المستملى :

«**حضرنا** مجلس محمد بن يحيى الذهلى فقرا علينا كتاب البويطى يقول فيه :

« والذى اسألك ، ان تعرض حالى على اخواننا اهل الحديث ، لعل الله يخلصنى بدعائهم ، فانى فى الحديد ، وقد عجزت عن اداء الفرائض وعن الطهارة وعن الصلاة .. «فضج الناس بالبكاء والدعاء له » .

هكذا عاش الامام ابو يعقوب البويطى فى محنته حتى لقى ربه راضيا عنه ، اما الذى تولى كبر هذه الفتنة ، احمد بن ابى داؤد ، فقد عزل فى اول خلافة المتوكل ، وعين مكانه ابنه محمد قاضيا للقضاة ، ولكنه عزل فى نفس العام ، وكانت نهاية ابن ابى داؤد ان سخط عليه المتوكل بعد ذلك ، وسجنه واستصفى أمواله ، ثم ارسل الى بغداد للاقامة فيها حيث مات بها عام ٢٤٠ هـ .

ماكان اغنى المسلمين عن هذه الفتنة العمياء التى اشعلت نيرانها المعتزلة ، ولو وجدت العقول الرشيدة لما اسودت صفحة من صفحات التاريخ الاسلامى فى أزهى عصوره ، عصر الدولة العباسية ، ورحم الله ذلك الشيخ الذى جىء به ممتحنا فى اواخر ايام الواثق ، حيث واجه ابن ابى داؤد فى مجلس الخليفة بقوله :

«شىء لم يدع اليه رسول الله ولا ابو بكر ولا عمر ولا على ، تدعو انت الناس اليه ؛ ليس يخلو ان تقول : علموه أو جهلوه ، فان قلت : علموه وسكتوا عنه ، وسعنى وإياك السكوت ماوسع القوم ، وان قلت جهلوه وعلمته انت ، فيالكع بن لكع ، يجهل النبى صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء الراشدون رضى الله عنهم ، وتعلمه أنت !!

***

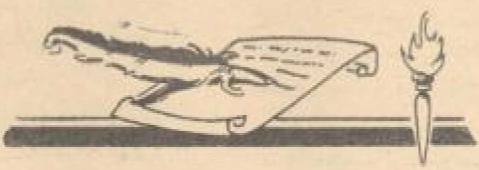
ورحم الله العالم الفقيه الامام البويطى الذى امتحن فصبر ، وافتتن فثبت ، وكان ايمانه اقوى من كل محنة وفتنة ، فقد كان كما يقول ابن عبدالبر: من اهل الدين والعلم والفهم والثقة ، صلبا فى السنة فيرد على اهل البدع » وكما يقول الربيع بن سليمان : «مارأيت أحدا أنزع بحجة من كتاب الله تعالى من ابى يعقوب » وكما يقول صاحب مفتاح السعادة : « كان اماما جليلا عابدا زاهدا ، فقيها عظيما مناظرا ، جبلا من جبال العلم » .

لقد صدقت نبوءة الامام الشافعى فيه ، قال الربيع :

كنت عند الشافعى انا والمزنى وابو يعقوب البويطى فنظر الينا وقال لى : انت تموت فى الحديث وقال للمزنى : هذا لو ناظره الشيطان لقطعه او جدله ، وقال للبويطى : انت تموت فى الحديد ؛ قال : فدخلت على البويطى ايام المحنة فرأيته مقيدا الى انصاف ساقيه ، مغلولة يداه الى عنقه » .

مات البويطى فى الحديد من اجل مبدئه ، ولكنه ترك اجل ذكرى للعالم الرجل ، وما أقل العلماء الرجال !!

«**محمد عبد الله السمان**»



كيف دخل الاسـلام الهند ؟

محمد اسماعيل الندوى ••

كانت الهند مرتبطة بالبلاد العربيـة عن طريق التجارة والثقافة ، ومن نتيجة هذا التقارب تجاوب كل منهما من الناحيتين الثقافية والأدبية ، وهذه العلاقات أدت الى أن تتسرب الى اللغة العربية مئات من الكلمات الهندية فى شتى المجالات الادبيـة والثقافيـة مثل ، كلمة ، الموز ، واصـلها فى السنسكريتية «موجا» والكافور التى أصلها «كاربوط» والصندل التى أصلها ، جندل ، والساج والمسك والليمون وما الى ذلك ، كما أدت هذه العلاقات الى أن تتأثر هذه اللغة الهندية الشعبية القديمة وهى : «بالى كرت» (كما سميت فى القرن الثانى قبل الميلاد) بالحروف العربية لأقدم أمة عربية وهى عاد ، كما قال الله تعالى : الم تر كيف فعل ربك بعاد ، ارم ذات العماد ، التى لم يخلق مثلها فى البلاد » ويدل على ذلك الآثار المنحوتة لتعاليم بوذا على الصـخور والأحجار فى عصر أشوك الذى عاش قبل الميـلاد بقرنين •• كان التجار العرب يأتون الى الهنـد ومعهم السلع التجارية عن طريق البحر الى كل من ميناء شمالى الهند وجنوبها ، كان ميناء السـند يعتبر مقصد العرب فى شمال الهند حيث كانوا يبيعون سلعهم التجارية ويحملون منه الى بلادهم انواعا من البضائع مثل الصندل والكافور والقرنفل والنرجيل والقماش •

وفى جنوب الهند كانت مالاباد أشهر ميـناء يأتى اليه العرب من «تغرى» ، صحار ، و «مسقط» على ساحل عمان بشبه الجزيرة العربيـة وقد زاد اتصالهم بهذا الميناء حين ضاق نشاطهم التجـارى فى غرب البحر الأبيض المتوسط الرسيطرة اساطيل الرومانية على موانية ، فاصـبح ميـنـاء ، ملابار ، خصوصا ميناء ـ كولم تو ـ مقصدهم دائما سـواء للتجارة مع اهالى هذه المنطقة أو لتزويد سفنهم بالمؤن وذلك لمواصلة رحلاتهم الطويلة الى الصين ، وهذا النشاط التجارى زاد قوة على قوة وازدهر فى العصر الأموى (٦٦٠ ـ ٧٩٤ م) ازدهارا عظيما لدرجة ان ساحل ملابار أصبح موضعا اقتصاديا هاما بالنسبة للعرب ، اذ انه أصبح وسيلة هامة من اهم الوسائل لتقدم اقتصادهم ، فكان خشب الساج من اهم مواد البناء للعرب الذين كانوا يحملونه دائما الى بلادهم •

وفى هذا العصر زادت رقعة البلاد الاسلامية اتساعا وامتدادا عقب الفتوحات الواسعة الكثيرة التى قام بها ، والانتصارات التى أحرزها الأمويون ، وقد دخلت فى حظيرة الاسلام معظم بلاد الشرق مثل خراسان وما وراء النهر حتى تم فتح الاندلس بأيديهم ، ولم يكن هناك مانع بعدئذ ان يزحف الجيش الاسلامى نحو الهنـد التى احتلت مـكانا بارزا فى أدبهم وشعرهم ومغامراتهم واقتصادهم ، ويقال ان الخليفة عثمان بن عفان كان أول من رغب فى الهند وهم فى فتحها ، وأرسل خبيرا للاستطلاع على أبنائهـا ، فسافر الخبير ، ولما عاد قال :

« يا امير المؤمنين ، ماؤها وشل ، وثمرها دقل ، ولصها بطل ، ان كان بها الكثير جاعوا وان كان بها القليل ضاعوا » •

ولكن الخطوة الحقيقية لفتح الهند اتخذت فى عصر الوليد بن عبد الملك ، وهناك خلاف بين المؤرخـين حول العوامل التى مهدت للحجاج بن يوسف الحاكم من قبل الوليـد ابن عبد الملك اتخاذ هذه الخطوة الجريئة الجبارة التى أضافت الى قوة الدولة الاسلامية قوة وشوكة ومجدا •

١ ـ وقد نفى الحجاج قبيلة بنى هاشم فخرجت هذه القبيلة من العراق واتجهت الى جنوب الهنـد واستوطنت هناك ، فلما بلغ ذلك الحجاج ضاق ذرعا وارسل جيشا كبيرا لفتح هذه المنطقة ، ولكن هذا الرأى بعيد عن الصواب ، وان صح القول أن قبيلة بنى هاشم سكنت فى هـذه المنطقة وسميت فيما بعد « لبى ونوايت » •

٢ ـ حينما اتجهت سفينة من سفن سيلان حاملة الجاليات العربية الى العراق ، هاجمهـا فى الطريق القراصنة ، وسلبوا أموالهم ونهبوا أمتعتهم وسبوا نسـاءهم ، ولما بلغ ذلك الحجـاج ثار غضبـا وكتب الى الملك فى السند أن يأخذ على أيدى هؤلاء القراصنة ويعاقبهم ولكن الملك اعتذر بأنه ليس له سلطان على قراصنة البحر ، فأرسل الحجاج جيشا اسلاميا الى الهند بقيادة محمد بن القاسم أعظم من أنجبته العرب من القواد فى تاريخها فوصل الى الهند (سنة ٥٩٣) وفتح السند ، وما أن تم فتح ولاية السند حتى استدعى محمد بن القاسم الى دمشق

بأمر من الخليفة سليمان بن عبد الملك وقتل فيها ، لأنه يمت بصلة رحم وقرابة الى الحجاج ، والحجاج كان من الد أعداء الخليفة سليمان بن عبد الملك ، وقد استمرت بعد ذلك وفود الحكام من قبل الخلفاء في دمشق طوال العصر الأموي ليحكموا الهند ومن قبل الخلفاء في بغداد في بداية العصر العباسي ثم ضعفت الخلافة العباسية بعد سيطرة العابثين الاتراك وفقدت قيادتها في الهند ، وهذا أدى الى نشوب حروب أهلية بين ولاة العرب في الهند ، فزادت الفتن وأدى ذلك الى فقدان المناطق التي تحت أيديهم واحدة بعد أخرى ووقعت في أيدي الملوك الهندوكيين المجاورين الذين كانوا يتربصون بهم الدوائر حتى لم يبق في أيديهم الا مناطق قليــلة ، وهي أيضا انقسمت قسمين : المنصورة ، والملتان ، ففي سنة ٣٠٣ هـ كان يحكم الهند أبو اللباب منبه بن أسد القريشي ــ وهو من قبيلة بني سامة آخر أسرة عربية حكمت الهند ،وفي هذه الآونة جاء المسعودي الى الهند ، ثم قامت الدعوة الفاطمية في الهند سنة ٣٧٢ هـ وأنشأ هؤلاء دولتهم حينما تولى الحكم في مصر العزيز بالله الفاطمي الذي دامت حكومته أكثر من واحد وعشرين عاما من سنة ٣٦٥ ــ ٣٨٦ هـ ، وأصبحت الهند آنذاك جزءا من الدولة الفاطمية في مصر ... وبعد هذا الاستعراض الطويل يحسن بنا أن نلقي نظرة عابرة على الحركة الأدبية والثقافية في هذا العصر ، فمنذ قيام الدولة الاسلامية في هذه البقعة الغالية من الهند ، أتيحت للغة العربية فيها فرصــة النمو والازدهار ، حتى أصبحت اللغة الرسمية للدولة ، ولذا بادر المسلمون الجدد الى تعلمها بوصفها لغة دينهم وثقافتهم ، فلما شيدت المساجد في أنحاء هذه المناطق المفتــوحة افتتحت فيها مدارس أيضا على منوال المدارس التي في البلاد العربية والاسلامية ، لأن استقلال المدارس بمبان مستقلة لم تخصص بعد آنذاك حتى في البلدان العربية ، والآن بدأت وفود علماء العرب تفد الى الهند من جميع أنحاء البلاد العربية يحملون معهم كل النزعات والاتجاهات التي ظهرت وازدهرت في بلادهم ، مثل مدرسة الحديث ، ومدرسة الفقــه والكلام وما الى ذلك ، وفيما يبدو لنا في ضوء الادلة التاريخية لم يدخل هذه المنطقة الا مذهب أبي حنيفة ومذهب داود بن علي الظاهري .

قال الرحالة الشهير المقدسي الذي زار الهند سنة ٣٧٥ هـ : « ولا تخلو القصبات من فقهاء على مذهب أبي حنيفة رحمه الله ، وليس به مالكية ولا معتزلة ولا عمل للحنابلة ، انهم على طريقة مستقيمة ومذاهب محمودة وصــلاة وعفة ، قد أراحهم الله من الغلو والعصبية ، والهــرج والفتنة » ، وقال في حــركة الحديث في هذه المنطقة : « أكثرهم أهل حديث ، ورأيت القاضي أبا محمد المنصوري داوديا اماما في مذهبه ، وله تدريس ، وتصانيف ، وصنف كتبا عدة .

وقد ظهرت مدرسة الحديث في هذه المنطقة قبل هذا العالم الجليل بقرن تقريبا ، وكان رائد هــذه المدرسة ، أبو موسى اسرائيل بن مــوسى البصري الذي استوطن الهند في منتصف القرن الثــاني للهجرة . وقد ترجمه علماء الحديث في كتبه ووضعه ابن حجر العسقلاني في تقريب التهذيب في الطبقة السادسة من المحدثين ، وقال فيه البخــاري في تاريخه الكبير :

اسرائيل أبو موسى . وكان نزل الهنـــد ، ومن أشهر علماء الحديث في عصره الذين أنجبتهم الهند هم أمثال : أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي الذي استوطن المدينة واشتهر في المغازي ، وعبد الرحيم بن حماد السندي ، تلميذ الأعمش الذي قطن بصرة وسندي تلميذ عطـاء بن سيرين الذي نزح الى العراق .

ورغم الفتن والأزمات السياسية ظل أهل هذا البلد متمسكين بالدين عاملين عليه ومخلصين له، وفي ذلك قول المقدسي . ليس عندهم زنا ، ولا شرب خمر ، ومن ظفروا به يفعل ذلك قتلوه ، أو حدوه، ولا يكذبون في بيع ولا يبخسون في كيل ولا يخسرون في وزن ، يحبون الغرباء ، وأكثرهم عرب ، شربهم من نهر غزير ، والخير بها كثير ، والتجارب حسنة، والنعم ظاهرة والسلاطين عادلة ، لاترى في الأسواق امرأة متجملة ، ولا أحد يحدثها ، ماء مرى وعيش هني ، وظرف ومروءة وفارسية مفهومة . »

وكذلك ازدهر في الهند لأول مرة الفن العمراني للعرب وأنشئت المساجد على منوال المساجد في دمشق والعراق ، وفي قول المقدسي مايؤيد هذا :

« هي قصبة السند ، وعصر الاقليم تكون مثل دمشق ، بناؤهم خشب وطين ، والجامع حجر وآجر، كبير ، مثل : جامع عثمان ، على سواري ساج ، ولها أربعة أبواب : باب البحر ، باب طــوران ، باب سندان ، باب الملتان ، ولهم نهر بالبلد وهم على لباقة ، ولهم مروءة ، وللاسلام عندهم طراوة » .

« محمد اسماعيل الندوي »

على الشاطئ

للشاعر محمد محمود زيتون

صماء صماء .. لا ظل ولا ماء
ولا المت بها في الفجر انداء

شذت عن العالم المأنوس وانتفضت
كأنها ظبية في البيد رعناء

معالم الكون في ميزانها انطمست
حتى استوى عندها موتى واحياء

والحر والبرد في أحوالها اختصما
وطال بينهما هجر وشحناء

لا الامس يحنو الى الذكرى ولا غدها
مؤمل .. فهي أوصاب وارزاء

ان حالفتها الليالي فهي كافرة
او راودتها الأماني فهي شلاء

غاضت بشاشتها وانفض سامرها
كأنها فكرة في العقل شوهاء

للموج من تحتها زاد وزمجرة
والأفق من حولها فوضى وضوضاء

اعيا الشياطين ما تطوى جوانحها
وفي طلاسمها حار الألباء

من قبضة الأزل المجهول معدنها
وحولها ايكة بالغيب لفاء

اضفى عليها الردى ظلا..فما برحت
يؤوده نصب منها واعياء

قيثارة الدهر ما زالت مواتية
وهي التي مالها في الدهر اصداء

تمضي الأعاصير عنها غير وانية
وللأعاصير اجواء وانواء

مطية هي والأسفار تدفعها
فما اعتراها مع الأسفار وعثاء

ما شفها الوجد يوما او قضت اربا
ولا استبدت بها دنيا واهواء

ان صفق الموج لم يظفر لها بصدى
او هبت الريح ولت وهي خرساء

زنجية صاغت الأثباج بردتها
شفافة .. فهي سوداء وبيضاء

هام الصبى بها شوقا وراودها
عن نفسها فتأبت وهي شمطاء

وعربد الويل في احشائها ففقدت
يلهو بها الأغبران الهم والداء

ظل الحياة عليها لا وجود له
وما بها من صروف الدهر سيماء

فيها الضحى والدجى سيان من عدم
والأذن والعين صماء وعشواء

والبحر كر وفر حولها ابدا
لكنها في خضم البحر عزلاء

غنى الربيع لها ، فارتد عامره
قفرا .. وصفحتها كالموت صفراء

ما للنسيم ــ اذا مارف ــ سارية
بها .. فهي كالصحراء جرداء

كأن دولة اسرائيل قد ذهبت
اودت بها غارة للعرب شعواء

وذاك منها حطام البغى قد نثرت
على الورى منه اجزاء واشلاء

تجسد اليأس في اضلاعها سقما
وشف عن صمتها المقرور احناء

وبالأساطير من طيات عزلتها
يكاد ينطق الهام وايحاء

تحدو لها ــ وهي أم الهول ــ شادية
وليس يحفزها للشدو اصغاء

أسرار مرتادها في الكهف مرقدها
وهل تطوف ببطن الكهف اضواء

للمكتوين بنار الحب ما زهدوا
على الضنى .. ولأهل الحقد ما شاءوا

مرت عليها ذنوب الناس فانحسرت
عنها .. وللموج ازباد وارغاء

وساومتها العوادي وهي صامدة
فما لوى جيدها مدح واغراء

كأنها في الضحى والليل راهبة
نأى بها الدير والأيام عذراء

رنت الى شاطئ المصطاف تسأله
مع الخريف : متى يأتي الأحباء ؟

أزمة الشعر الجديد وموقف النقاد

• بقلم عبد الاله عبد الرزاق •

يمر شعرنا الجديد بمرحلة جد دقيقة تتجمع لديها كل اسباب الأزمة لتطبق عليه مستنزفة الحياة من عوده الغض .. ومع هذا فكثير من نقادنا اليوم كلهم ثقة ودعة بما قد آل اليه هذا الشعر ، لانكاد نركن الى ما يكتبون ويعرضون وينقدون من نماذج مختارة منه - وهو كثير ولا ريب - الا وشعرنا بانا امام حركة شعرية فرضت نفسها بقوة رغم قصر عمرها الذي لم يتعد عقدين من الزمن ، وبالتالى قد بلغت مرحلة من النضج والتكامل مما يثبت .. (بما لا يدع مجالا للشك أن عمود هذا الشعر قد اقيم ليرتفع مكان ذلك المعبد الاثيل الذى انهار بموت شوقى ..) والكلام هنا للدكتور لويس عوض كما ورد فى ملحق الاهرام الصادر فى ٧ من اغسطس ١٩٦٤ ، لكنا لو القينا نظرة فاحصة متتبعين خلالها مراحل تطور هذا الشعر مسجلين له انعطافاته واتجاهاته ، آخذين بناصية ما يورده نقاده ، لخرجنا فى الواقع وملء أيدينا حصيلة من نتيجة لا تشجعنا على الاطمئنان له نظير ما أبانا عنه بعض نقاده ، وسنجد انفسنا مضطرين الزعم بأن مسيرة هذا الشعر بلغت حدا **جعلت كثيرا** من العيوب والنواقص والثغرات تنداح عليه بوعى منه او دون وعى .. وسنزعم ايضا بأن حالته تلك تشبه ازمة لها جذور ودواع ، وسيكون لها مدى بعيد فى تقرير مصيره ان لم يتدارك نقادنا ذلك ، فيعيدون النظر فى تقييمهم لهذا الشعر على اسس جديدة لا تتدنى حد التطرف فى تأييده والثقة به .

ويحق لنا الآن ان نوضح طبيعة هذه الأزمة التى تتربص بشعر وليد لما يزل يدرج على ارض غير مطمئنة ، موضحين ظواهرها ، عارضين موقف نقادنا منها :

منذ دخل هذا الشعر حياتنا ولم نزل نحن بعيدين عنه ، نختلف اليه فنجد له فى النفوس صدى يختلف حظه فى الوضوح والغموض وهو فى كلتا الحالين يلامس نفوسنا فنعجب به ، لكن اعجابنا لا يتعدى التو واللحظة ونظل بعدها نشعر بغربة منه .. غربة يتخفى ازاءها تراث اثر ظل عقودا سحيقة وهو يفرض نفسه رغم ما كان يعتريه من كبوات الا انه كان يعود منتفضا بملء حيويته ونشاطه .. هذا التراث الجم يتخفى ولكنا نحسه فى وعينا وتشتد حاجتنا اليه - لا سيما للذين لم يبلغوا من الثقافة مبلغا يؤهلهم لاستيعاب الشعر الجديد حين نظل نلهث خلف نماذج من الشعر الجديد دون أن ندركها .. فليس غريبا بان هذا الشعر غريب علينا ولكن ازاء هذه الظاهرة ما الذى فعله الناقد .. ؟

لا شيء فى الواقع الا دراسات موسعة شاملة تناولت مضمونه واوغلت فى تأويله وتفسيره مستعينة باكثر أسباب النقد الغربى ، أو دراسات اكاديمية باهتة جافة ، تناولت شكله بالتشريح والتمزيق ، فليس ثمة الا تفاعيل وبحور وقواف موضعها ينبغى أن يكون كذا وكذا ..

وكل هذه المحاولات لا تزيد فى الشعر الجديد ثباتا ولا رسوخا ولا تنفحه بروح من حياة، ولاتقربه الى النفوس بسبب الا لماما .. كان ينبغى على النقاد وهم الذين قد اسرفوا بتلك الدراسات اسرافا شديدا - ان يقفوا طويلا امام هذا الشعر وفى وعيهم ينبض شيء حى .. شيء بيده وحده مصير هذا الشعر اعنى الجماهير بمستوياتها المتباينة ، فحين يدركون ان الشعر الجديد ليس مضامين واشكالا جميلة تدخل بين دفتى ديوان انيق لتخرج بعدها ثم تدخل فى نفوس صفوة من المثقفين - حين يدركون هذه الحقيقة البسيطة يكون فى مقدورهم أن يعيدوا النظر فى كل ما كتبوه من نقد

ودراسة ، وكان اجدر بهم ان يدركوا واقع هـذه الحقيقة ، ويسلطوا جهودهم من اجل هدف بسيط لكنه عميق الأثر فى بقاء الشـعر الجديد ـ اعنى قيامهم بافهام هذا الشـعر للقراء وتقريبهم اياه لنفوسهم مستعينين بكل السبل حتى وان تدنت الى مستوى تعليمى بسيط ..

واليوم حين توجه التهم الى الشـعر الجديد تبرز من بينها تهمة جديرة بالتأمل .. يقال بأن الشعر الجديد غير قابل للحفظ وللاستظهار .. وعلى هذا فقد خرج عن طبيعة الشعر فى الاستشهاد والترديد .ورغم أن كثيرا من الشعراء الجدد ونقادهم قد افاضوا فى الرد على هذه التهمة وكانت اكثر آرائهم صحيحة الى حد ما .. الا ان تلك التهمة ظلت قائمة ولها ما يبررها ...

كان الشعر ـ **وما زال** ـ لدى العرب كالحياة التى تجرى فى كيانهم .. يقوله الغلام ببراعة كما يقوله الشيخ وترددده المرأة كما يردده الرجل .. هى الطبيعة ـ ولا شك ـ التى سـكبت نفحات الشعر القضيرة فى نفوس تشبه الأرض التى تسعى عليها .. فى الصحراء حيث العواطف تنحر بحد القيظ والسموم .. حيث المشاعر الرقيقة تتداعى امام القسوة والشدة .. فى الصحراء وحتى فى الحواضر.. عرفت الطبيعة كيف تجعل تلك النفوس الصلبة ، الجلدة مرهفة رقيقة يسيل الشعر دفاقا على الســنتها .. خالدا كالشمس فى صحراء لا تعرف غير الشمس والرمال فلا ينبغى ان نعجب من قولة الجاحظ :

.. وللعرب الشعر الذى لم يشاركهم فيه احد من العجم ...)

ولا نعجب من قول « جوستاف لوبون » :

(.. والامة العربية امة شعراء ..)

والتهمةالتى وجهت الىالشعر الجديد كان منطقها من تلك الحقيقة التى أفضنا فى ذكرها ، حقيقة ان أمة العرب أمة شعراء يقولونه على الســليقة المفطورة فيهم يبرع فيه الأمى جنب الأديب وانى نجد نظير هذا فى شعرنا الجديد الذى لا ينظم فيه الا المثقفون الذين اخذوا من الثقافة الغربية بحظ وفير سواء عن طريق مصادرها الأصلية او الترجمة ، ومع ذلك فنقاد هذا الشعر والمهتمون به لم يلتفتوا الى هذه الناحية فتناولوا الشعر الجديد وكأنه ولد بغتة فى ارض لم تتمخض شعرا ابدا كما انهم لم يحاولوا ان يوضحوا صـلة هذا الشعر بماضى الشعر العربى والى اى مدى يلتقى معه . ما هى اوجه التجديد التى اضافها هذا الشعر الجديد اليه .. كل ذلك واكثـر كمحاولة جديدة لتفتح الأذهان والقلوب من لدن القراء كافة لهذا الشعر والاقبال عليه .

ظاهرة اخرى ندركها حين نستشف واقع الشعر الحالى ، فى بدء حياته القصـيرة اندفع اندفاعا شـديدا تبارى فى سـوحه الناشـئون والمجيدون ولـكن العاصـفة هدات الآن وارتفع المجيدون بشـعرهم الى أعلى مسـتوى فى الجودة والاصالة بينما انحسر مد الناشئين وتفرق فرقا .. وظل المجيدون يرتفعون حتى استقروا فى مكان لا يرقى اليه من هم دونهم وظل هؤلاء ـ اعنى المجيدين ـ يلتحفون وهم فى مكانهم ـ الضـباب والغموض ـ وهـكذا يتـراءى للمتأمل للنماذج الجيدة فى شعرهم ـ وهذا مظهر آخر لمدى الأزمة التى يمر بها الشعر الجديد حين يجد نفسه بغتة محصورا فى نطاق عدد من المثقفين لا يتجاوز غيرهم الا قليلا . ورغم ان هـذه الظاهرة ظاهرة غموض الشعر وانحصاره فى دائرة ضيقة شديدة اللصوق بغربة الشعر التى اشرنا لها بل ان الاثنين فى الواقع كل متكامل .. اقول رغم ذلك فان النقاد لم يفعلوا ازاها الشىء الـكثير .. سوى انهم اوغلوا حد الاسراف فى تأمل نتاج هؤلاء الشـعراء المجيدين واضفوا ظلالا وابعادا الىمضامينهم **واشتطوا** احيانا فى استنباط الفكرة من خلال الرمز أو الاسـطورة فاربك بعضهم كثيرا من القراء ، وانا شـخصيا ـ كقارىء ـ حين قرات ديوان « احلام الفـارس القديم » للشاعر صلاح عبد الصبور خرجت برؤى وافكار كونتها انا نفسى ورضـيت بها ـ ولكنى حينما اختلفت الى نقد د . لويس عوض فى ملحق الأهرام الصادرين فى ٧ ، ١٤ اغسطس اعترتنى خيبة شديدة فيما كونته من افكار ووجدت نفسى اتداعى وانا فى شـك من قدرتى على الفهم والاستيعاب .. وهذا مثل بسيط لموقف بعض نقادنا ازاء هذه الظاهرة . ومن الطريف ان نشير

الى ان بعض شعرائنا الجدد قد ضلوا حتى نقادهم في فهم مضامينهم .. !! ومن يكن في شك مما اقول فليختلف الى مجلة الآداب اللبنانية على سبيل المثال ليلتمس ما ينشر فيها من نقد لقصائد أعيت النقاد كثيرا .

ظاهرة اخرى من ظواهر هذه الأزمة ..

ذكرنا بأن الشعراء الجدد ونقادهم قد اعاروا المضمون ذروة الأهمية .. ورفضوا الاختلاف الى الشكل ولم يروا فيه اهمية تجارى اهمية المضمون على اساس ان الشعر الجديد لم يقم الا بسبب تلك الأشكال المحددة الثابتة التى لا يعتريها التغيير ولا ينفذ اليها التجديد الا لماما فقام ليحطمها ويقيم مقامها عموده الجديد ، لذلك فقد تراكمت لدينا حصيلة هائلة من هذا الشعر يشع المضمون فيها بآلاف الرؤى ويختلج باعمق المشاعر الانسانية دون التقيد بزخرف لفظ وسحر وقع ، او التمدد داخل اطر ضيقة محدودة تحد انطلاق الشاعر .. وتصد لا وعيه الذى تصدمه من غير شك قيود ذهبية غير قابلة للتمدد ، ومن هنا كانت كل الدراسات النقدية قائمة على اساس تحليل تلك المضامين ومحاولة استشراف رؤى جديدة من خلالها واثرائها بالأبعاد والظلال العميقة وكل هذه الدراسات قيمة تنبع من ثقافة ثرة واطلاع واسع، وهذا لا يمنع من وجود بعض دراسات عقيمة مجدية والفيصل بين هاتين الدراستين كما اشرت يعود من غير شك الى تفهم عميق لطبيعة الشعر الجديد وطبيعة الأرض التى تحتضنه ، يتأتى هذا الفهم من جدية الدراسة وخصب دلالتها وعمق ثقافتها ، المضمون اذن احيط برعاية شديدة من لدن النقاد ، واعتبروا .. **قصيدة اليوم هى قصيدة المضمون** .. مجلة الكاتب عدد ٢٧ – ١٩٦٣ حتى أنهم غفروا لبعض الشعراء اخطاءهم اللغوية والعروضية وتسامحوا فيها او تحفظ بعضهم فى قبولها وهم فى كلتا الحالين لم يحاولوا أن ينبهوا شعراءهم عليها .. او يرفضوا شعرهم بمقتضاها فظل الشكل متعثرا يتأرجح بين تيارات متنافرة يعانى تمزقا داخليا تزداد حدته يوميا ، شعراء ينظمون وفق طريقة الشعر الجديد وآخرون لا يزالون مستمسكين بعمود الشعر القدم لكن شعرهم لا يقل جودة وطرافة عن اسلافهم ، وآخرون تحللوا نهائيا من كل ما يمت بالشعر من صله فخلعوا ما يسمى بقصيدة النثر .. هى فوضى تسببت من ضياع المصطلحات الفنية وقد اشار الى هذه الظاهرة بوضوح كل من د. القط ، د. رشدى وعبد الصبور فى احدى ندوات البرنامج الثانى باذاعة القاهرة . هذا التمزق يظهر على اشد ما يكون من الوضوح فى حركة ما يسمى بقصيدة النثر التى تبنتها مجلة (شعر) اللبنانية وساهمت فى فرضها بكل الوسائل ، وعلى هذا فقد وجد الشعر الجديد نفسه وقد انعطف انعطافة شديدة وغريبة وبدون وعى منه ، ولا يخفى ما فى ذلك من اساءة بالغة لم تقتصر عليه فحسب انما تحاول أن تجاوزه الى صميم التراث العربى كمحاولة لهدم مقوماته ، ولكن نقادنا كل الذى فعلوه انهم احاطوا شعرهم الجديد بسياج قوى من حمايتهم ورفعوا اصواتهم اول وهلة منزلين اللعنة على اصحاب قصيدة النثر مصورين لهم سوء المصير الذى سيحيق بهم، لكنهم بعد ذلك التحفوا الصمت ازاء دعوتهم بينما اطلقوا لأقلامهم العنان فى درس شعرهم الجديد دون التعرض لما يسمى بقصيدة النثر ، فى الوقت الذى تضخمت هذه الاخيرة واتخذت طورا خطيرا بعد ان كثر اعوانها ومريدوها ، واختلطت فى أذهان القراء مفاهيمها مع مفاهيم الشعر الجديد وسببت ارباكا لها ، واذكر بهذه المناسبة ان الشاعر العراقى جبرا ابراهيم جبرا دعى الى عقد **ندوة حول الشعر الحديث** فى اواخر الشتاء الماضى ببغداد ، وقد استهل الندوة بمحاضرة طويلة، استغرقت اكثر من ساعة ونصف ساعة تحدث فيها عن الشعر الحديث موضحا كيف نشأ وتطور مبينا ميزاته وملامحه وفى الختام تلا نماذج مختارة منه ، فبهت الحاضرون .. كما بهت الشاعر ذاته .. !! لانهم سمعوا كلاما لا هو من الشعر فى شيء ولا من النثر فى شيء .. وكانوا يعتقدون انه هو الشعر الجديد أو الحديث الذى يقراونه بتفاعيله وقوافيه المنوعة واذا بهم يستمعون خلافه ، وبهت الشاعر لانه تعجب من أن الحاضرين اعتقدوا خلاف دعواه .. وذلك لانه كان واثقا من أن الشعر الحديث ، أو الحر هو الذى أورده هو ورддه دعاة قصيدة النثر .. وهذا مثل بسيط يوضح مدى البلبلة التى خلفتها دعوة قصيدة النثر السيئة الصيت .

فلو ان نقادنا اعاروا دراسة الشعر الجديد دراسة لا تقتصر على مضمونه وحده انما تتناول مضمونه وشكله بعد ان يثبتوا له مصطلحا فنيا يركن اليه بدلا من هذا التسيب الجاثم ظله على أكثر القصائد الجديدة التي لا يجد اصحابها غضاضة في اللجوء اليه ، لو فعلوا ذلك لاستطاع شعرهم أن يقف على قدميه قويا كأفضل ما يكون محددا موقفه ازاء ما يعتوره من تمزق وهذا لا يمنع بالطبع من ان يكون ثمة نقاد اعاروا الشكل والمضمون ذات الأهمية وقاموا بدراستهما وتحليلهما معا فكسب الشعر الجديد من تلك الدراسات الشيء الكثير ، لكن ما دمنا قد افتقدنا المصطلح فسنظل نتخبط في متاهات محفوفة بالمخاطر

قدمت الاستاذة « **نازك الملائكة** » في كتابها **قضايا الشعر المعاصر** ، قواعد عروضية ارتأت فيها مرجعا يعود اليه الشعراء الجدد ، وما وضعته واضح التزمت شديد المغالاة ، لكنا مع هذا كان بامكاننا ان نعود اليها لنلتمس ما يوافق شعرنا الحالي ونرفض ما يخالفه اي اننا نستطيع ان نستعين منها شيئا نضيفه الى ما يصطلحه نقادنا من مفاهيم وقواعد بدلا من هذا الرفض المطبق ..

اشرنا بأن الشعر الجديد يعاني تمزقا داخليا ومن أطرف دلائل هذا التمزق ما نلحظه من اختلاف نقادنا اليوم من طبيعة هذا الشعر هل هو حركة ام مدرسة ؟ هل هو مذهب ام هو اتجاه جديد ؟ وهل ليس ثمة فارق بينه وبين الشعر التقليدي أو هل بينهما مثل هذا الفارق . ومن الطريف ايضا أن الاختلاف ذاته يشمل حتى الاسم فالبعض يسميه حرا والآخر حديثا وجديدا ومنطلقا ومبعث ذلك ان النقاد لم يحاولوا الى الآن أن يوحدوا وجهات نظرهم في طبيعة هذا الشعر وانما شغلوا انفسهم بقضايا - مهمة في الواقع - لكن كان ينبغي الا يتعرض لها الا بعد التفرغ من تثبيت هذا الشعر وتقويمه على مصطلح واضح محدد .

بقيت ظاهرة كنا نؤثر الا ندرجها مع ما سلف ادراجه لكثرة ما خضنا فيها دون جدوى اعني بها موقف شيوخ نقادنا الذين نعتز بهم فهم صفوة الجيل الماضي التي سلمتنا أعباء الأمانة بعد أن احرقوا أعصابهم وأنفسهم من اجل أن يجعلوا تلك الأمانة حقيقة نابضة بالحياة هؤلاء ما كان ينبغي على نقادنا المحدثين ان يتركوهم في عزلتهم يلتحفون الصمت والنفور من الشعر الجديد كان ينبغي ان يأخذوهم بالحسنى بدلا من المهاترات واطلاق التهم عليهم جزافا ، لهؤلاء رأيهم في الشعر الجديد وهو منبثق من طبيعة نظرتهم للشعر التقليدي .. لكن رأيهم هذا كان في الامكان أن يعدل لو أن نقادنا المحدثين عمدوا الى مناقشتهم بالتي هي احسن بدلا من تركهم في صمتهم ، ولكن مع هذا فقد خسر الشعر الجديد الشيء الكثير من هؤلاء ، خسر حين هاجموه وخسر ايضا حين سكتوا عنه معرضين .

شئت ان ازعم ان الشعر الجديد يمر بأزمة لها ظواهر وسمات وعمدت الى بسط تلك الظواهر .. وكنت في أكثرها قد نأيت عن وضع حلول .. لأنه ليس مقصدي هنا ان اقدم حلولا ازعم فيها علاجا لهذه الأزمة ، انما عرضت آراء شخصية قابلة للأخذ والرد ، فعسى ان تجد صدى ما في نفوس نقادنا الأفاضل ليعيدوا بناء نقدهم للشعر الجديد على اسس أفضل مما هي واقوم .. من أجل ترسيخ حركة الشعر الجديد ودفعها اشواطا بعيدة في طريق التقدم والنضج .

عبد الاله عبد الرزاق

رسالة الفن :

استعدوا لمهرجان السينما

بقلم عبد الفتاح البارودى

ماذا سيفعله السينمائيون فى مهرجان السينما ؟!

ان الدكتور **عبد القادر حاتم** أعلن فى حفل توزيع جوائز السينما انه تقرر اقامة مهرجان دولى للسينما فى الجمهورية العربية المتحدة ، وسيقام هذا المهرجان سنويا ، وسيبدأ اول مهرجان فى اوائل العام القادم

هذا خبر هام جدا ، ولكن اهميته ليست فى مجرد اقامة المهرجانات ... لقد اشتركنا فى مهرجانات كثيرة ، واقيمت عندنا اسابيع سينمائية كثيرة ، ولكنها مرت كلها دون أن نستفيد منها استفادة حقيقية .

فمثلا رأينا فيها نظريات سينمائية مختلفة ، ولكننا لم نناقشها ، وللآن لا نعرف معنى « النظرية السينمائية » ، وللآن نمارس السينما بلا نظريات ... وسمعنا مناقشات الخبراء فى التكنيك ، والى الآن نعمل بتكنيك بدائى او ارتجالى ... وسمعنا نقد الفنيين لافلامنا ، ولكن لم نكترث بما قالوه ... فهم مثلا قالوا ان موضوعاتنا تدور فى نطاق ضيق ومجال غير فنى ، وقالوا ان ممثلينا يهتمون (بالبوزات) المفتعلة اكثر مما يهتمون بالتعبير السينمائى ، وقالوا ان سيناريوهاتنا عبارة عن « تلزيق » للمشاهد المكتوبة بلغة غير سينمائية ، وقالوا ان كاميراتنا تتحرك فى بلاتوهات مثل « **علب الكبريت** » ... الخ ... ومع ذلك لاتزال معظم أفلامنا حتى الآن تعانى هذه العيوب ، وكأنها تدور كلها فى ساقية واحدة ...

فاذا كنا لم نستفد من ملاحظات الخبراء العالميين فى المهرجانات التى اشتركنا فيها فى الخارج ، فهل سنستفيد من ملاحظاتهم فى المهرجان الذى سيعقد فى بلادنا ؟! نعم سنستفيد ... لماذا ؟ وما الفرق ؟!

الفرق هو اننا كنا فى الماضى نذهب الى المهرجانات وكأنها فرصة لمجرد «الفنطزية» ... كنا نشترك فيها اشتراكا شكليا ، ولهذا كان نجومنا يذهبون اليها وكأنهم ذاهبون الى حفلات استعراضية ... كان هذا هو تفكيرهم ، ولا تزال فيهم رواسب من هذا التفكير ... لم يفكروا مثلا فى عقد ندوات او الاشتراك فى ندوات للمناقشات الفنية والاحتكاك الفنى والثقاف بخبرات الآخرين ... اما المهرجان القادم الذى سيعقد فى بلادنا فان الفرض من اقامته سيحوله تلقائيا الى مهرجان جاد نواجه فيه مشكلاتنا السينمائية بصراحة . ونضع انفسنا فى محك الاختبار الدولى لنحقق ارادة التغيير ، تغيير تفكيرنا السينمائى ، ورفع مستوى انتاجنا السينمائى ، ولهذا سيكون المهرجان ، بل سيكون العام القادم كله بداية الانطلاقة السينمائية التى تنقل افلامنا من مرحلة التخلف والارتجال الى مرحلة التقدم والعلم والتخطيط والمنهج

ان هذا يلقى على السينمائيين مسئولية ضخمة ، فهل يعرفونها ؟

ان الدولة وضعت تخطيطات ومشروعات مدروسة ، ولكن لابد من ان يرتفع السينمائيون الى مستوى مسئوليتهم ، والا فستظل هذه المشروعات مجرد مرافق ومبان ومنشئات مادية فقط ... لقد كان الحقل السينمائى مجالا للادعياء

والجهلاء والمرتزقة والاستغلاليين والاحتكارين .. الخ .. كان معظم المنتجين يركزون جهودهم فى الحصول على سلفة التوزيع يملأون منها جيوبهم أولا ، ويدفعون اجور الاستوديوهات « وعرابين » النجوم ، ثم تتحول الافلام الى فضائح فى المحاكم ، وكان معظم الموزعين يركزون انظارهم فى شباك التذاكر يأخذون منه أولا أرباحهم الفاحشة ، ويضعون النجوم و « النجمات » فى مساومات !! وكان اختيار النجوم خاضعا قبل كل شيء لمنطق « الشلل » » التى تهتم بالسهرات والحفلات دون اعتبار للقيم الفنية .. وبصفة عامة كان دخول الحقل السينمائى عملية رهيبة تتحكم فيها الاساليب اللولبية والفهلوة والحداقة ، واشياء اخرى !!

من اجل ذلك كله انشأت الدولة القطاع العام للقضاء على هذه المساوىء ، ومعاونة السينمائيين جميعا حتى فى القطاع الخاص ـ على المشاركة فى الانطلاقة السينمائية ... ان بين العاملين فى القطاع الخاص شرفاء ومثقفين ، ولكن كان من المستحيل أن يتخلصوا من المساوىء التى ادت الى تدهور السينما ، ولهذا كان انشاء القطاع العام ضرورة فنية ... وفعلا فى خلال ١٨ او ١٩ شهرا استطاع ان يحقق نتائج فى غاية الاهمية .

فهو مثلا وضع مشروعا ضخما لانشاء مدينة السينما التى ستجعل بلادنا مركزا عالميا للسينما .. وانشئت شركات لممارسة مختلف أنواع الانتاج السينمائى ... فانشئت شركة لصناعة الافلام الخام ، ومعامل لتحميض الافلام الملونة ، واعدت مشروعات للانتاج المشترك ، وسيتم انتاج عشرة أفلام بالاشتراك مع الشركات العالمية الامريكية ، و ١٥ فيلما مع الشركات الايطالية والفرنسية وانشئت شركة الانتاج وتوزيع أفلام التليفزيون ، وبلغت حصيلة مبيعاتها ٧٠٠ الف جنيه استرلينى ستزيد فى العام القادم الى مليون جنيه ... ونجحت عملية دبلجة الافلام العربية ، وبلغت حصيلة مبيعاتها مليونا و ٢٠٠ الف جنيه استرلينى .. وبلغ حجم الانتاج السينمائى ٨٥ فيلما طويلا و ١١٨ فيلما قصيرا . وانشئت شركة للاستوديوهات لتجديدها وتزويدها بالمعدات والاجهزة العلمية والكاميرات ... الخ ..

فهل معنى ذلك ان مشكلات السينما انتهت !! ان المشكلة الكبرى هى مشكلة « تفكير » .. وكل هذه المعدات والمنشآت لا قيمة لها اذا لم يتغير التفكير السينمائى نفسه ... ان اذهان السينمائيين لاتزال فيها رواسب من الماضى ، وهذا ينعكس على انتاجهم فى القطاع العام ... فلاتزال بين السينمائيين عدد كبير لم يعرفوا بعد أن السينما « ادب » له لغته الخاصة به ، وان السيناريو هو فن استخدام هذه اللغة ، وان الغرض الجوهرى من الفن السينمائى هو خدمة المجتمع .. ومع ذلك فان القطاع العام يسير نحو هذه المعرفة ، وسيساعد على ذلك تخريج عدد من المثقفين فى معهد السيناريو ، وتدعيم الدراسات فى معهد السينما ، وانشاء الاجهزة التى بدأت مراجعة السيناريوهات ، وتشجيع المواهب الجديدة المثقفة واتاحة الفرصة لها للدخول فى الاستوديوهات والحلول شيئا فشيئا محل الذين دخلوا هذه الاستوديوهات من الابواب الخلفية ...

وفى هذه الناحية أيضا سيفيدنا المهرجان السينمائى القادم ... كيف ؟ على الاقل سنرى فيه نماذج عالمية للقصص والسيناريوهات ، وسيعرض لنا خبرات السينمائيين العالميين عرضا تطبيقيا ، وسنعرف أوجه الاختلاف والتشابه بين اساليب ممارسة الفن السينمائى ، وكيفية اعداد الانتاج السينمائى وتنفيذه على نظريات فنية مدروسة ، وكل هذا سيؤثر فى تفكيرنا السينمائى ويرفعه الى المستوى العالمى

ولكننا نرى الآن وفى كل المواسم افلاما عالمية تعرض فى بلادنا ـ بدون مهرجانات ـ ومع ذلك لم تغير تفكيرنا السينمائى ، فكيف سيتغير فى هذه المهرجانات !!

لقد رأينا فعلا أفلاما عالمية كثيرة ، ولكنها مرت دون ان نستفيد بها ، لاننا لم ندرسها ... اما المهرجانات ففيها فرصة كبيرة للدراسة ... ومن اجل ذلك يجب ان نستعد من الآن لتحويل المهرجان القادم الى مهرجان ثقافى .. يجب التحضير لعقد ندوات تناقش فيها الخبراء الذين سيحضرون هذا المهرجان ، ونتبادل معهم الرأى فى افلامهم وافلامنا ، ونستفيد من خبراتهم ... كذلك يجب تحضير بحوث اكاديمية عن مشكلات السينما عندنا ، وترجمة بحوث السينمائيين العالميين لنتعلم منها لغة السينما والتكنيك والنثر السينمائى وفنون

السيناريو وأساليب الاخراج ودور الكاميرا ودور المونتاج ... الخ

اننا اذا نظرنا الى المهرجان القادم نظرة جادة فلا جدال فى اننا سنعمق تفكيرنا السينمائى وسنصحح مفهوماتنا السينمائية ، وهذا بلا جدال سيرفع مستوى انتاجنا السينمائى

ان تحقيق ذلك لايحتاج الى معجزة ، وانما يحتاج الى فهم والى تخطيط .. علينا اولا ان نحدد مشكلاتنا بوعى ، ونعالجها بوعى .

ان تاريخ السينما فى العالم كله لايزيد على ٦٥ سنة ، ونحن فى بلادنا بدانا نشاهد الوانا من الافلام الاجنبية منذ ٥١ سنة ، وعندما توقف استيراد هذه الافلام بسبب الحرب العالمية الاولى ظهرت عندنا محاولات بدائية لانتاج أفلام محلية ، ثم تطورت هذه المحاولات الى ان بدانا الانتاج بمعنى اوسع فى عام ١٩٢٧ الذى يعتبره كثيرون بداية صناعة السينما فى مصر .. ومعنى ذلك باختصار ان المسافة بيننا وبين السينمائيين ليست مسافة زمنية ... اذن لماذا تقدموا هم بفنون السينما هذا التقدم المذهل ، بينما لاتزال عندنا متخلفة ؟!

ان الفرق هو فرق فى التفكير الفنى .. ان السينما عندنا حاولت اعداد قصص أدبية منذ سنة ١٩٢٨ عندما اخرج محمد كريم قصة « **زينب** » للدكتور محمد حسين هيكل ، وكان المفروض أن تنضج هذه المحاولة بالتدريج وتتحقق القيمة الادبية فى أفلامنا ، ولكننا نرى الآن فى أفلامنا أفلاما ليست ذات قيمة ادبية اطلاقا ... فاذا كنا نرى بعض افلام ممتازة نسبيا ، فاننا نرى بجانبها عشرات الافلام الهزيلة ،

وايضا فى سنة ١٩٣٩ أخرج كمال سليم فيلم « **العزيمة** » ، وكان محاولة لها قيمتها فى استخدام الاسلوب الواقعى فى الاخراج ، وكان المفروض ان تنضج هذه المحاولة أيضا وتتحقق القيمة الفنية فى افلامنا ، ولكننا نرى الآن افلاما تخرج اخراجا بدائيا ... فاذا كنا نرى بعض افلام ممتازة نسبيا فى الاخراج ، فاننا نرى بجانبها عشرات الافلام التى اخرجت اخراجا تافها

والامثلة كثيرة فى التدليل على ان خط التطور فى افلامنا لا يسير سيرا سليما ، بل يسير اعتباطا

والسبب هو اننا نمارس السينما بلا منهج وبلا تخطيط .. من اجل ذلك تقدم السينمائيون العالميون وتخلفنا ، لانهم يمارسون السينما ممارسة واعية وقائمة على أسس علمية ... لقد بداوا مثلنا فى المرحلة الارتجالية ، وكانت افلامهم ساذجة ، وكانت افلامهم الكوميدية تهريجا يعتمد على الحركات المفتعلة وكانت افلامهم الغنائية لقطات من الاستعراضات والمنوعات السطحية .. الخ .. ولكنهم بالاساليب العلمية اصبحوا يمارسون السينما كأداة لها قيمتها الحضارية ، لدرجة أن العصر الحديث ـ قبل ظهور التليفزيون ـ كان يسمى عصر السينما

واذن فالطريق الى رفع مستوى السينما عندنا هو ـ ايضا ـ العلم ... وهذا هو الدور الحقيقى الذى يجب ان يؤديه القطاع العام ... وفعلا قام هذا القطاع على أسس علمية ، ولكن يجب أن يغير السينمائيون تفكيرهم القديم ليمكن أن يمارسوا السينما فى المرحلة العلمية ، اذ ما فائدة هذه المنشئات والمعدات والاجهزة اذا لم يستخدموها استخداما علميا ؟! فمثلا بدلا من الاهتمام بشباك التذاكر علينا ان نهتم بالقيم الفنية ، وبدلا من اختيار القصص التى تستثير التصفيق الساذج علينا أن نختار القصص المرتبطة بمشكلاتنا وحياتنا ... وبدلا من قياس النجوم بمدى شهرتهم علينا أن نقيسهم بمدى صلاحيتهم للادوار التى يمثلونها .

ان التجارب التى قام بها القطاع العام لم تظهر للآن هذه الاتجاهات بوضوح ، ولكن المهم اولا انه طهر الحقل السينمائى من المساوىء الرئيسية التى كان يستحيل أن تظهر فيها هذه الاتجاهات ، والمهم ثانيا انه يحاول الآن الاستفادة من الاخطاء التى وقع فيها قصيرة جدا ... ومن المهم جدا ان يجد فى المهرجان القادم مجالا عمليا للاحتكاك بتجارب السينمائيين العالميين والاستفادة من خبراتهم ، ومعرفة احدث التطورات السينمائية فى الصناعة والفن والتكنيك والاسلوب

يجب أن نستعد لهذا المهرجان ، لنضع تجاربنا موضع المقارنة العلمية وليتغير تفكيرنا السينمائى تغيرا جذريا ، بحيث نصحح مفهوماتنا على ضوء ما سنشاهده من تجارب تفيدنا فى فهم التكنيك السينمائى ، وتساعدنا على خلق تجارب فيها طابعنا وشخصيتنا ، وفيها التكنيك العالمى ... نريد ان نحول هذا المهرجان الى مهرجان ثقافى ، ولا نريد ان نعقد مهرجانا « لنتفرج عليه » !!

عبد الفتاح البارودى



حول الأدب في أسبوع

يقدمه عبده بدوى

لقاء مع أديب

عندما أقابل أديبا كبيرا أحس أن العـــالم كله ينتظرني في هذا الكاتب ، فاذا ظل هذا الشعور يسيطر على في هذا اللقاء أحسست أنى مع كاتب أصيل نجح في أن يكون (تلخيصا) للعالم ، اما اذا تناقص هذا الشعور أو توارى فانى أحس أنى كنت في فراغ أو ما يشبه الفراغ .

ولقد تحقق لى هذا الاحساس الأول وأنا أسعى اليه في هذا الاسبوع ، ولا أدرى كلما يزهر عمرى ويتيه وتملاه الصبوة ، كلما سعيت الى واحد من هؤلاء الذين يملأون حياتنا ، ويجعلوننا نعيش الوجود بحب وفهم .. لقد خفق قلبى وأنا أقابل بعض الادباء ، وخفق عقلى وأنا أقابل البعض الآخر، ولكن كلا من قلبى وعقلى قد خفقا وأنا أسير اليه.. وأنا اقتحم عالمه .. وأنا أهز مع يده الحياة واثنين واربعين مؤلفا ! .

ومع أنه يصدر من (منطقة اختصاص) أدبى تختلف عن الشعر ، الا أنى أحسست أن الشعر يغمر عالمه .. مازال يغمر عالمه ، فقد بدأ شاعرا ، ثم تسلل الشاعر الى بعض أعماله ، فاذا بمضامين هذه الأعمال مضامين شعرية كما في (رد قلبى) و (بين الاطلال) .

واذا في أعماقه الشاعر الذى لايحرص على أن يستعرض نفسه من خلال منصب ، أو سلوك متحفظ ، أو وجه حاد الملامح ، ذلك لانه يتعامل مع (الجوهر الحقيقى) لكل ما يعانق من قضايا ، ولانه يحس بأنفاس الحياة تتوهج وتتزاحم من سن قلمه، ولأنه أخيرا ــ كما يقولون ــ على الطبيعة ، ففيه اخضرار النفس ، والصبوة ، والتلقائية ، والاحساس بأنه يخلق شيئا جديدا ، وبأنه تشممه دائما رائحة خلق جديد ! .

وأنا أعترف أنى حين دخلت عليه ــ مع الزميل عباس خضر ــ كنت أحس أن من حوله الاسرة الفرعونية ، وكافة الشخصيات التى يعايشها الآن في رواية (أقوى من الموت) ، وأن شيئا في عينيه كان لنا ، وشيئا في عينيه كان لأعباء منصبه ، الا أن الشيء اللامع العميق الاخضر كان مع تاريخه الطويل الذى شيده كلمة كلمة وكتابا كتابا .

وحين يدق التليفون ، ويرفع السماعة ، يتوافد على ذهنى سؤال يدور حول أنى أكاد اعرف أكثر ما سيتحدث به (يوسف السباعي) ، فأنا أعتقد أنه ما من كاتب أعطانا نفسه في أدب الرواية العربية أكثر مما أعطانا يوسف السباعي من خلال عدد من أعماله .

فأنت تراه يعكس نفسه على عدة أعمال ، لعل أهمها التلميذ الصغير الذى كان يلبس في يوم من الايام بنطلونا مرقعا من الخلف ، كما تراه يقدم في صورة فنية ــ أباه وأخاه وجدتيه وخادم الأسرة ، وتوفيق أفندى مدرس الانجليزى في مجموعة (بين أبو الريش وجنينة ياميش ١٩٥٠) ومجموعة (السقامات ١٩٥٢) ووقع الدراسة الاولى على نفسه

فيما أورده عن كتاب الاجتهاد ، وكتاب الشيخ كفتة والشيخ كحكو ، ودراسته فى الثانوى وفى المدرسة الحربية فى (رد قلبى ١٩٥٤) واهماله فى الدروس فى قصة ملحق حساب فى الابتدائية من كتاب (من حياتى ١٩٥٨) وكذلك نرى مستوى الاسرة فى بين أبو الريش وجنينة ياميش ، وصلته العميقة بأبيه الكاتب الكبير محمد السباعى فى (البحث عن جسد ١٩٥٣) ، وفى الحزن الذى صوره فى سيد عندما مات والده السقا ، ويمكن ان نتعرف على وجهة نظره فى الحكم فى (أرض النفاق ١٩٤٩) و (يا أمة ضحكت ١٩٤٨) و (وراء الستار ١٩٥٢) ونتحسس أمله فى المستقبل فى مجاميع أرض النفاق ووراء الستار ويا أمة ضحكت .

.. وتمر هذه الصور السريعة ، ويبتسم (يوسف السباعى) ؛ واجد على سفتى سؤالا مكملا للشريط السريع الذى مر فى ذهنى فاقول له :

« كما أن حياتك واضحة من خلال قصصك ، فان وقع الاحداث على نفسك لا يصعب فى تلمسه القارىء فرد قلبى انعكاس لما احدثته الثورة فى حياتنا ، ونادية اعطتنا فترة التاميم ، وجفت الدموع قدمت امجاد الوحدة ، وليل له آخر قالت كلمتها فى الانفصال .. (فما رايك فى الالتزام ؟) » .

ويجيب : « انا مع حرية الاديب كاعمق ما تكون عليه هذه الحرية ، وفى ضوء هذا فانا لا ارتاح لمصطلح (الالتزام) بل انه فى الواقع نوع من (الالزام) ذلك لان المطلوب من كل كاتب أن يكون متفتح الحواس على وطنه وعصره ، ثم ان الاديب الذى يستطيع الانعزال عن تجاربه وتجارب مجتمعه لايكون جديرا بان يضع نفسه داخل دائرة النار .. دائرة الفكر ، ومن هنا فالمطلوب منه أن يكون تعبيره مباشرا عن انفعاله الصادق بما حوله ، وقد احسست أن من الواجب على أن أكتب عن هذه التحولات فى بلادنا ، وبخاصة أن هذه التحولات كانت تحتاج الى وعى ضابط وقلم أديب ، ثم انى وجدت نفسى احيانا فى (دائرة الحدث) كما حدث حين كنت فى دمشق وقت الانفصال ، وقد اعطانى كل هذا الحدث تسعمائة وسبعا وسبعين صفحة من عمل الاخير « ليل له آخر » .

.. وامد يدى الى الكتاب فاجد هذه المقدمة التى تقدم الكتاب كما تقدم يوسف السباعى نفسه ، اقرا فيها الاهداء الذى يقول :

« فى عرض البحر .. والسفينة تشق طريقها الى اليمن ، اقبل على اسمر الوجه رقيق السمات يسالنى فى حياء ان كان يستطيع ان يعرف خاتمة هذه القصة فقد شق عليه الرحيل الى الميدان دون أن يتم قراءتها، اذ لم تكن قد استكملت النشر مسلسلة ووقفت واياه على سطح المركب أقص عليه ما لم ينشر بعد من القصة ، وعندما امسك بها الآن كاملة احس برغبة فى أن اهديها اليه ، فالى الصديق النقيب « سمير » اهدى قصة « ليل له آخر » ، اهديها اليه قارئا منحنى من التقدير اصدقه واخلصه »

واعتقد ان كل من تتاح له فرصة لقاء (يوسف السباعى) لابد له أن يتذكر العدد الوفير من كتبه الموجودة تحت « المخدات » فى البيوت العربية ، والتى يمكن العثور عليها بالتساوى بين العيون والشفاه ، وفى الخطابات الزرقاء ، وجلسات الحب تحت مصباح هامس أو قمر يمعن فى الهمس !

وقد وجدته مرة فى فصل ـ فى هيئة غريبة ـ حين قمت بالتدريس فى بلد عربى شقيق ، فقد استرعت انتباهى تلميذة تشرع الكتاب ، وتشرع اهدابها وعمرها وهى تحدق فيه ، وحين كنت أطلب الاجابة على شىء مما فى الكتاب كانت تأتى الى اجابة متنهدة لا صلة لها بموضوع الدرس ، وامعنت النظر فى الكتاب فاذا عليه غلاف رقيق يؤكد المادة التى ادرسها ، « دار فى ذهنى أن أرفع الغلاف » ورفعته بالفعل ، فاذا بى أمام كتاب (مبكى العشاق) .

وقد دار فى نفسى أن أقص فى جلستنا هذه القصة ، ولكنى وجدتنى اذكر له ماقاله اخيرا (دزموند استيوارت) من أن يوسف السباعى واحسان عبد القدوس يتمتعان بشعبية « ناعمة » تشبه ما كان يتمتع به « ريتشاردسون » فى القرن الثامن عشر من انجلترا ، ومن هنا قلت له « هل التركيز على الجنس فى أدبك مرحلة من المراحل ، ام انه أصل من الأصول التى ترتكز عليها ، وأخيرا ماذا يعنى عندك الجنس ؟ » .

ويعتدل (يوسف السباعى) فى مكانه ، ويأخذ صوته « وضعا حاسما » ثم يقول :

« الذى اعرفه أن « دزموند استيوارت » ذكر جانبا واحدا من الجوانب البارزة عندى والتى أتلاقى فيها مع احسان ، والذى أعرفه كذلك أن الجنس محور لامع تدور حوله الحياة ، وأننى لا أتعمد ولا « أجرى » وراء الحديث عنه ، والا لم يكن هناك فرق بينى وبين من يبيع الصور العارية .. فانا

أراعي - فيما أكتب - المجتمع عندنا ، وأحرص كل الحرص على ألا أخدش حياءه ، وفي الوقت نفسه أحرص على ألا أزيف حياة الانسان بأن ألبسه ملابس فضفاضة تضحك عليه الحقيقة .

فالتزام حياء المجتمع فنيا أمر لابد منه بالقدر الذي يظل به الأدب أدبا ، صحيح أن الانطلاق غير المحدود قد يكون مطالبا به قلمي لو كنت في بلد كالسويد مثلا ، ولكني هنا احرص على حقيقة الفن، وعلى عدم الاعتداء على المجتمع ، بالاضافة الى نفي « الخوف » ، تماما حين أمسك القلم بفكري واصابعي .. ثم لا يمكن أن ننسى أن الجنس الأكثر قراءة عندنا هو « الجنس اللطيف » ، وهنا يقول « عباس خضر » أنا أبرر رواج القراءة في هذه « المنطقة الدافئة » بأن الفتيات عندهن احساس صادق بأنك واحسان تعطيان أدق التفاصيل الدقيقة لحياتهن وشقاوتهن وتطلعهن .

ولقد أحسست بارتياح لهذا التعليل لانى لا أزال أذكر الفتاة وسيمة - احدى بنات أحد أصدقائي - التي فسد عليها المصيف وافسدته على اسرتها لانها ظلت تعيش مع البطلة نادية في رواية (نادية) ثم حين ماتت البطلة اصابها الرعب وعدم الاقبال على حياة المصيف .. ومهما يكن من شيء فمؤلفات « يوسف السباعي » يتحقق فيها ما يمكن أن يسمى بالجاذبية بين « الفنان والقارىء » ، فلا أحد يشك في قيمة العملة التي يطرحها في السوق الادبية ، ولا أحد يشك في أن أكثر هذه العملة يتحول الى « أسورة جنيهات » و «حلق» ولكنه نادرا ما يتحول الى « زرار » في قميص رجالي ، ثم ان من الطبيعي جدا أن تزدحم « الصاغة » بالجنس اللطيف !

.. والاديب حين يكرم الضيوف لا يقدم لهم مشروبا ، وانما يتكلم .. يتدفق .. يقدم نوعا ثمينا من الجواهر يبرق في النفس ويضيء في الوجدان ، وهكذا يتحول الاديب الى ضوء مسموع، ويتحول الزائر الى سمع مضيء ، بل لقد ساورتني الخشية من أن يطلب لنا شرابا فننصرف عنه به ، ولكنه كان عند حسن الظن من الكرم الادبي ، وكان مما قاله : انه عظيم الثقة في الجيل المعاصر في القصة ، وان اعمالهم حين تجد المترجم المتمكن ستقف الى جوار الأعمال العالمية الكبيرة ، وأن شخصيتنا قد وضحت الآن تماما في الفكر بحيث لم تصبح ظلالا شائهة للأعمال الاجنبية ، أو للوهم المحل ، ففي الأدب الآن ما يعطي حياتنا وفكرنا أعمق ما يكون العطاء ، وان هذا العطاء قد أرسته «زينب» و (عودة الروح) .

وينتقل الى المجلات الادبية فيذكر أنها خطوة موفقة في عالم الثقافة ، ويركز على أن كل مجلة جديدة يجب أن تضع في اهتمامها أن تعطي فرصة لقلم جديد ونبض جديد ، وأن تقدم (غذاء صحيا) للقارىء الذي ينتظرها في الخارج .

ثم يرق صوته وهو يتحدث عن أبيه ، وكيف انه تأثر به فترة كبيرة من حياته ، وحين ذكر انه انطلق بعد ذلك « كالاكسبريس » كان يخيل الى ان في صوته ما يشبه الاعتذار للسباعي الكبير .

وانا أعترف أني كنت أحاول (اقتناص) هذه اللحظة العاطفية ، لأقف معه فترة في عالم الشعر، وكأنه يدرك هذا فيسرع الى القول بأنه كان من الشعراء في أول حياته الادبية ، وأنه الى الآن يحب الشعر ، ولا يمل من قراءته ، وأن الشعر في الفترة الاخيرة قد طغى عليه الشكل الصارم الذي يعطي القصيدة في بحر واحد وقافية واحدة ، وأن الاصرار على هذا الشكل في هذه الفترة ، هو الذي أعطى « جواز مرور » للشعر الحر ، ذلك لأن الناس وجدوا معمارا متماسكا دون أن يحسوا شيئا وراء هذا المعمار المتماسك طوبة طوبة وكلمة كلمة .

وقد ساعد على هذا أن الجيل المعاصر يعاني «نقصا» في اللغة ، وأن الحياة تطلب نوعا من السرعة ، ونوعا من التجاوز عن الشكل من أجل المضمون ،ثم يؤكد أن كل تغيير لا بد أن « يفرضه » شاعر عظيم، وأن هذا الشاعر العظيم لم يوجد الى الآن .

ثم يضيف - وهو يبتسم - أن الشعر ضرورة من ضرورات الحب والحياة ، وأن من يحب يقول لحبيبته - حين يلتقيان - شعرا لاقصة ! .

واحس بزهو وانا استمع الى هذا التشبيب بالشعر ، ولكن سرعان ما أعود الى ذكر ان «يوسف السباعي» انتفع بهذه الشاعرية في كثير من أعماله، وبخاصة في (رد قلبي) و (بين الاطلال) ، وان مضمون بعض قصصه يكاد يكون مضمونا شعريا، ولا ينقص هذا من فرحتي بل يزيدني نشوة ، ويجعلني أشعر وانا أهز يديه مصافحا اني أهز يد (شاعر عظيم) في عالم القصة .

« عبده بدوي »

الكتب
نقد وتعريف



يقدمه: تحسين عبد الحي

نظرات فى أدبنا المعاصر ..

لاشك أن أدبنا العربي المعــاصر في حاجة الى مزيد من الدفعات القوية والقادرة على أن تبلــور اتجاهه وتحدد سماته ـ لكي نستطيع أن نقــول حينئذ ان لنا أدبا له من الصفات والملامح المميزة ما يساعده على أن يتبوأ مكانة لائقة بين الاتجــاهات المختلفة للادب العالمي ..

واذا كان الادباء العالميون الرواد قد استطاعواأن يقدموا لنا أدبا خالدا على مر الزمن ـ فانهم ـ قــد استطاعوا أن يقدموا هذا الادب من خلال تجاربهم الانسانية فى مجتمعهم وفى الفترة التى عاشوا فيها ـ ولما كانت التجارب البشرية فى كل زمان ومكان اذا ما استوحاها الكاتب بصدق وأمانة وخيال واسع ـ تعبر الى حد كبير عن مشاكل الانسان فى مراحل تاريخية متقدمة .. فان ذلك يرجع الى ان أولئــك الرواد قد عبروا عن انفسهم وعن مجتمعاتهم بصدق ومقدرة ..

واذا ما اخذنا انفسنا ببعض ما نراه اليوم فى أدبنا العربى المعاصر ـ نجد ان أدباءنا يحــاولون دائما أن يهملوا أو يتناسوا كيانهم ـ وتجاربهم مع مجتمعهم ـ ليهربوا بهذا الكيان الضائع الممزق الى اوهام يفترضونها هم فى خيالهم .. فى محــاولة يائسة لتقليد أعمى لبعض الاتجاهات الادبيــــة الاوربية .. متجاهلين تماما طبيعة وظــــروف مجتمعاتهم التي يعيشون فيها .. وهذا القول طبعا لا ينسحب كثيرا على أولئك الذين اسـتطاعوا أن يتعلموا من أوربا الأدب كفن واتجاه ومن ثم لجأوا الى تراثهم الحافل بالاعمال العظيمة ـ ليستوحوا منــه كثيرا من أعمالهم الادبية الناجحة ..

ان انفصال الأدب عن واقع المجتمع لا يحمل فى طياته الا شيئين : ـ

أولهما : أن المفكر العربى قد اصبح يفكر تفكيرا ذاتيا مغلقا لايستطيع من خلاله أن يتجاوب معحركة جمهوره الذى يكتب له .

وثانيهما : وهو أخطر بكثير .. أن يكون المفكر العربى ـ وقد اتخذ هذا الموقـف غير مؤمن بحركة مجتمعه هذه .. بمعنى انه لايستطيع أن يتفاعل معها وينفعل بها ـ على مستوى موضوعى خلاق .. والا فكيف نفسر تلك النزعات الفردية الاقليمية ـ التى لاتعبر عن شيء .. ؟

ان الأهـداف القـومية والخطط السـياسية والتحــولات الاجتماعية والتحــركات البشرية ـ لشعبنا العربى ـ مليئة بأغنى التجارب الانسانيـة وأروعها .. فأين هى فى أدبنا المعاصر .. ؟

أين أدب النكبة مثلا .. ؟ لقد قلت مرة وفىهذه الصفحات المخصصة لباب الكتب أن ايتيــل مانين الانجليزية ـ قد احست بمشــكلة اللاجئين العرب وانفعلت بها وكتبت عنها روايتها المعروفة ـ الطريق الى بئر سـبع ـ فأين نحن والقضـــية قضـــيتنا والمشكلة مشكلتنا ـ ؟ وكذلك تجتاز جماهير شعبنا من المحيط الى الخليج مرحلة هامة فى تاريخها .. تتميز بالثورة على الاقليمية ـ وعلى الحدود المصطنعة

فى حركتها المستمرة نحو وحدتها القومية ٠٠ فاين هذه المشاعر والاحاسيس فى أدبنا ٠٠ ؟ لا شيء ٠٠

فالقيادات السياسية تعمل في واد ، والأدباء والمفكرون العرب يعملون في وادى آخر يقحمون أنفسهم فى اتجاهات اللا معقول وغيره من المذاهب التى تمثل مرحلة الضياع والتمزق المادى والنفسى والمعنوى للمجتمع الاوربى - بعد الحرب ٠٠

ومع هذا فالقضية هنا شائكة وخطيرة ٠٠ ولنطرح على أنفسنا سؤالا واحدا ؟

هل يعنى التقدم المادى بمحتوياته الصناعية والتكنولوجية والاجتماعية ان تتقدم - وبالضرورة - العلوم الانسانية فى خط مواز له ٠٠ ؟

وسوف يكون من الصعوبة بمكان ان نجيب على هذا السؤال ٠٠ لان الاتحاد السوفييتى مثلا بتقدمه وطاقاته المادية العظيمة ، لم يستطع أن يقدم لنا - أمثال تشيكوف ودستويفسكى ٠٠ اللذين عاشا في روسيا القيصرية ٠٠

واذا كان الامر كذلك فما هو الحل ٠٠ ؟

الراى عندى انه لابد أن يؤمن الانسان ٠٠ ان يؤمن اولا ويتفاعل بذهنه ووجدانه مع - تجارب شعبه وآمال أمته ٠٠ ومن ثم يحاول أن يكون صادقا مع نفسه ومع فنه مهما تكن الظروف - ومن ثم يمكنه أن يعبر الى حد كبير عما يريد ٠٠ وهذه أشياء فى الواقع تحتاج الى بحث شامل وطويل وكم يكون رائعا لو تناولها البعض بالدراسة والاستقصاء ٠٠

وكتاب اليوم - نظرات فى أدبنا المعاصر - للدكتور زكى المحاسنى ٠٠ لم يحاول أن يتعمق الى صلب القضية ، ولكنه تعرض لهـا من الخارج ٠٠ وتوخى المؤلف اسلوب العرض المبسط لنماذج من الادب العربى المعاصر وان كان قد افتتح مجالا يعتبر هاما الى حد كبير ، وهو أنه قد عرض مقارناته الأدبية من خلال أدباء الوطن العربى كوحدة - وعلى مستوى قومى ٠٠ ولم يقع فى نفس الخطا الشائع الذى يتورط فيه كثير من الباحثين عندما يقتصرون فى دراستهم على حدود اقليمهم الذى يعيشون فيه ٠٠

يقول المؤلف : عن تاريخ الادب الحديث ٠٠

« كانت حياة الفكر العربى فى أواخر القرن الماضى تشهد يقظة بعد خمول وانحطاط ، وكانت البلاد العربية فى ظلال الحكم العثمانى الذى فرض لغة الترك عليها ، دون ان يحسب حسابا لاصالتها وطبيعتها ، وبالرغم مما أصابها أخذت تتبرم وتشكو ، وأخذت مصر تنفض عن كاهلها عبء الجمود ، وهبت تفتح عينيها على ثقافة الامم ، فأوفدت بعوثا علمية الى الديار الاجنبية وافتتحت المدارس ، وظهرت فيها الصحافة والطباعة ، وكان أثرها بالغا فى نشر الوعى ، وتجديد الحياة والمعرفة، وكانت الديار الشامية على المصطلح القديم تمارس عراكا فكريا ووطنيا ، نبه الشعور الى كيان العروبة، ووجه الانظار الى مستقبلها ووجوب انبعاثها ٠ ولم يكد يتخطى القرن التاسع عشر آخر أعوامه ، ويطل على العالم العربى القرن العشرون حتى كان فى مصر أدباء وعلماء تفقهوا فى الدين واللغة ، والفوا الكتب ، وكان من ابرزهم « حفنى ناصف » الذى جمع بين الصناعتين : الشعر والنثر ، وعكف على الثقافة فاحيا النقد الادبى ، وكتب فى تاريخ آداب اللغة العربية ، وشارك فى التاليف المدرسى لطلاب العلم ، وكان الشاعر الثائر « **ولى الدين يكن** » يخوض معركة الحرية فى وجه السلطان الاحمر « عبد المجيد الثانى » سلطان الترك الذى طبع المملكة بطابع الاستبداد ، فوقف « **ولى الدين يكن** » قلمه لحربه ، وقال قصائد رائعة ومقالات حماسية فى كتابيه « **الصحائف السود والتجارب** » و « **المعلوم والمجهول** » حتى جعل نطاقا من الاشعاع حول أدبه ، وقد وقف مثل وقفته الحرة أدباء وشعراء فى الشام ومصر والعراق وطالبوا فيها بتحرير الوطن العربى من ربقة الترك ، بكشف الحجاب عن وجه المرأة ، ونادوا بالمساواة فى حقوق المواطنين ٠٠

وقد تحققت بصيحات الأحرار والمفكرين وكان فيهم الشيخ «**جمال الدين الأفغانى**» والامام « **محمد عبده** » والمجاهد الحلبى « **عبد الرحمن الكواكبى** » والشيخ « **رشيد رضا** » صاحب المنار والعلامة « **جرجى زيدان** » صاحب الهلال نهضة شاملة ٠

وكانت ثورة مصر عام ١٩١٩ نقطة انطلاق فى الوعى القومى ، ومبعث انتفاضة فكرية ردد صداها العالم العربى ، وفى الوقت نفسه كان الازهر فى مصر ، والمجمع العلمى العربى بدمشق وغيرهما من معاهد العربية ومناراتها فى بقية البلاد حصونا منيعة للغة الضاد ، ولم يستطع الاستعمار أن ينال منها ٠

ولعل حركة النقد الادبي والتطور التي قام بها نفر من نوابغ المصريين في الربع الاول من هذا القرن لم تكن أقل تأثيرا في حياة الادب من الدراسات الجامعية والمناهج الفكرية • وفي هذه الحركة القوية ظهر **عباس محمود العقاد** بحملة نقد وتقويم شاركه فيها زميله **ابراهيم المازني** ، وكانت الانظار والافكار تتبع هذه الحملة من قريب ومن بعيد ، ولئن كان فيها بعض التجني فقد افادت في توجيه الادب ودراسته ونقده •

وفي بلاد الشام كان أدب النضال يتمثل في قصيد الشعراء ونثر الكتاب ، فما كان يتردد في ذلك الحين ، الا ما كان فيه مناوأة الاستعمار وبعث الشعور الوطني في الرجال والنساء ، وكان الأدب في ذلك الحين هو المعبر عن روح الشعب ، وما فيها من رغبة في التحرر من سيطرة الأجنبي •

اذا ألمت بوادي النيل نازلة
باتت لها راسيات الشام تضطرب

واذا ما تابعنا مراحل تطور الادب العربي نجده قد بلغ الذروة فيما بين الحربين ، ومرد ذلك الى أن أعلام الادب في تلك الفترة كانوا قد بلغوا آفاق الاستاذية وكانت آثارهم التي جادوا بها هي من خير الآثار حتى الآن في المنتوج الحاضر •

وقد أسهمت الصحافة العربية الصادقة في المعركة الوطنية ، وأدت كذلك خدمات بعيدة في الادب الحديث بنشر آثار أصحابها ، وتشجيع النوابغ والموهوبين ، واخذت دور النشر تعني بكتب المؤلفين، وكان الادباء الفحول والشعراء الشيوخ الذين عاشوا في هذه الآونة مثل سدنة لهيكل الادب ، فنهضوا بأعباء وتبعات ، وهم جماعة عرفهم العالم العربي بجهودهم الفكرية وآثارهم المنشورة ، وقد ظلوا مثابرين على الانتاج الفكري والادبي حتى سجل التاريخ الادبي الحديث اسماءهم بكثير من الفخر والاعتزاز ـ وفي طليعة السابقين والمشهورين : **طه حسين • ومحمد حسين هيكل • وعباس محمود العقاد • واحمد أمين • واحمد حسن الزيات • وابراهيم المازني • ومصطفى صادق الرافعي • ومحمد كرد علي•وشكيب ارسلان • وعمر الفاخوري**

وضمت طائفة الشعراء : احمد شوقي • وحافظ ابراهيم • وخليل مطران • ومعروف الرصافي • وجميل صدقي الزهاوي • ورضا الشبيبي • واحمد محرم • واحمد الكاشف • وبدوي الجبل • وعبد الرحمن شكري • وبشارة الخوري • وامين نخلة وغيرهم ممن ظهرت آثارهم بين الحربين او بعد الحرب الأولى •وكان في الشعراء بعد هؤلاء : احمد زكي ابو شادي • ومحمود ابو الوفا • وعلي محمود طه • وابراهيم ناجي • وحسن كامل الصيرفي ، وابراهيم طوقان • وابو القاسم الشابي ، وعمر ابو ريشة • وبدر الدين حامد • ومحمود حسن اسماعيل • وصلاح لبكي • وسعيد عقل • والياس ابو شبكة ونديم محمد ، وسليمان العيسى •

وكان محور الادب العربي الحديث يدور على مجلتين أدبيتين كبيرتين عاشتا بين الحربين عيشة الرغد الفكري وهما مجلة « **الرسالة** » للكاتب البليغ **احمد حسن الزيات** ومجلة « **الثقافة** » التي أشرف على تحريرها البحاثة الاديب **احمد امين** •

وعلى الرغم من الضربات التي وجهها العقاد والمازني الى الشاعر احمد شوقي فانه كان يتجاوب مع الحياة ، ويمضي خطاه مرموق المكانة ، مرجوا في شعره الذي كانت تزيده الايام والحوادث قوة وجمالا حتى أخذ شوقي يحتل آفاقه الفنية ، ويطلع على العالم العربي بشعر كان الغناء فيه فرح الشرق والعزاء في أحزانه •

فحين أبتليت ديار العرب في الشام بنكبات المحتلين هب شوقي ينشد على قيثاره المحزون تلك الفجائع ، ويسوق رواعد غضبه في روائع مواساته بقصيدته التي قالها في الثورة السورية عام ١٩٢٥ :

ألست دمشق للاسلام ظئرا
ومرضعة الابوة لا تعق

دم الثوار تعرفه فرنسا
وتعلم انه نور وحق

وللأوطان في دم كل حر
يد سلفت ودين مستحق

وللحرية الحمراء باب
بكل يد مضرجة يدق

وكان شوقي في شعره رسول الوحدة العربية الكبرى اذ يقول :

ونحن في الشرق والفصحى بنو رحم
ونحن في الجرح والآلام اخـوان

اما حافظ ابراهيم شاعر النيل .. فقد كان بحق شاعرا اجتماعيا جعل شعره سجلا للحوادث التي مرت بضفاف النيل ، واحس بشعور الشعب فارتبـط شعره بافراحه واتراحه . وكان شعره من اسباب التمهيد للوحدة بين «الشعوب العربية» اذ كان يبشر بهذه الوحدة بكثير من قصائده .. :

لمصر ام لربوع الشام تنتسـب
هنا العلا وهناك المجد والحسـب

وقوله كذلك :

وان دعا في ثرى الاهـرام ذو الم
اجابه في ذرا لبنـان منتحب

وفيما يقول داعيا للوحدة العربية الكبرى : ـ

« النيل » وهو الى « الاردن » في شغف
يهدى الى « بردى » اشواق ولهـان

وما كان لادب العرب في طور من اطواره ، ولا في زمن من ازمانه أن يعيش خلوا من سدنة هيكله ورعاة عهده ، فان شعراء شيوخا في الجمهورية العربيـة المتحدة وفي لبنان والعراق وديار المغرب مازالـوا حماة ذلك الهيكل ، غير أن فريقا من الشبان ظهـرت مخايل نبوغهم مبكرة فاقبلوا بشعرهم ليصلوه بآثار سابقيهم ، وكانت محاولات هؤلاء الشعراء المحدثين محمودة في نشدانهم لتجديد لم يصيبوه حتى الآن ، وانفلت منهم معشر جاءوا يضرب من الشعر سـموه جديدا . وحين ينظر فيه الناقد لايجد من جدته سوى تصفيف كلماته . فبديلا من وضع الشعر الموزون المقفى وضع الأشطر في الأبيات المتعاقبة ، وأخذ هؤلاء الشعراء يقسمون الشطر الواحد في ثلاث كلمـات تكون الواحدة خلف الاخرى ، أو يجيئـون به غير موزون ولا مقفى ، فيكون ضربا من النثر وليس كما يتوهمون . وقد شجعت هذه الحركة بعض الصحف والمجلات تبتغي شق الطريق أمام الناشئين ، فكان أن حدث ارتباك في أدب الفترة الاخيرة ، وحار الناس فيما يعاينون من شعر جديد ، فاذا قصد الشـعر الجديد ان يبرأ من قيود التقليـد ، فلا ينبغي له ان يتنكر للوزن والموسيقى .

وقد برز في الفن القصصي نجيب محفـوظ الذي تفهم روح الشعب ، وعكس صوره على رواياته السردية الممتعة ، وقصصه التي كتبها قبل الثورة وبعـدها . ولنجيب محفوظ أنداد وزملاء شاركوه في تغذية هذا الفن باحسن ما جادت به مواهبهم ، منهم عبد الحميد جوده السحار ، وثروت اباظه ، ويوسف ادريس ، ومحمود البدوى .

وقد سبق هؤلاء توفيق الحكيم .. الذي قدم لنا . « يوميات نائب في الارياف » وقصة «الرباط المقدس» وكاتب القصة الموهوب الاستاذ « يحيى حقي » الذي سبق الى النقد الادبي فمارسه مخلصـا ، وأبدع في القصة فكان « قنديل أم هاشم » احدى روائعـه المشهورة والى جانب هؤلاء كان القصصيان حسـن محمود وابراهيم المصرى يقدمان آثارهمـا بصمت وأدب واتقان .

ولم يخل أدب طه حسين وهيكل والمـازني وأبي حديد من فن القصة وكانوا من الرواد في هـذا الفن وقد كتب العقاد « سارة » ثم غض عن فن القصة .

وقد ظل الادب المسرحي يمشي وئيـدا حتى جاء الشاعر « أحمد شوقي » فكتب له مسرحياته السبع وبها اظهر الشاعر تجـديده في الادب والشـعر الحديث ثم تلاه الشـاعر والمؤلف المسرحي عزيز أباظه برواياته التمثيلية الجديدة التي امتـازت باسلوبها العربي المكين وفنها المحبب . ومن أشهر تمثيلياته ..

« غروب الاندلس » و « قيس ولبنى » و « شجرة الدر » ، وكانت آخر مسرحياته « أوراق الخريف » سنة ١٩٥٩ وقد جعل موضوعها معاصرا ، ثم قفى عليها بمسرحية « قافلة النور » و « قيصر »

وما زال ادب المسرح في عصرنا الحديث موضوع الجدل والنقاش فيه حول الوانه ولهجاته ومعاهده ، محتاجا الى التالق والتطور ، فان ما سطع من نجومه في التاليف والتمثيل والسـينما لايزال في المرحلة الاولى من طريق مجده العتيد .

تحسين عبد الحى

قراءات في المجلات العربية

يقدمها : مصطفى فوده مصطفى



● **لا حدود ، طلقة على الطريق**

ربما كانت مسرحية لا حدود » لمحمود شعبان ، اول طلقة يشترك بها مسرحنا في معركة المصير العربي ضد الصهيونية المغتصبة ، المتسلطة على جزء عزيز من وطننا · ولا أحد ينكر دور الفن في تعبئة الشعور واظهار فداحة المأساة ، ومن هنا كانت اهمية (لا حدود) · لأنه ولا شك ستعقبها طلقات أخرى تضيء الطريق أمام الزحف لاستخلاص تلك القطعة المغتصبة من وطننا ، العزيزة على نفوسنا جميعا ·

***

والمسرحية تدور في مخيم وتبين حال اسرتين لعلهما نموذجا لبقية اللاجئين في ذلك المخيم ·

البحث عن لقمة العيش تهم الاسرة ، ولكنها لا تشغلها عن وطنها وذكرياتها فيه · فالأم تحاول أن تستلف الدقيق من جارة ليس حالها بأحسن · فكلاهما لا يجد قوت يومه ، وكلهم يذكر الدار وما حوت من حدائق يفوح بعطرها الجو · وكلهم مصر على العودة ، وان كان منهم من يتطلع الى عيش أفضل يلوح له به العملاء · وهناك من ابتلع الطعم بالفعل وعمل عند هؤلاء العملاء وعاش في رغد من العيش · وآخرون تغريهم تلك الحال ، فيحاول أن يبتعد عن بقية بلده ليفلت هو الآخر مما يظنه بؤسا وشقاء · ولا يدرى أن السم في العسل · وتذهب صرخة الأب المحذرة في واد ويسافر الولد ليكتشف الحقيقة المروعة ، عندما قتلوا ابن عمه وزوج أخته لانه فضح أمر العملاء وعرف الى اى هدف يسعون ، فيعود بأخته زوج القتيل وبابنة عمه أخت الضحية ، التي كانت هي الأخرى ضحية الخداع ، ليشتركوا جميعا في الزحف فلا حدود ·

ويحاول كاتب المسرحية أن يبين لنا ، التمزق الذى تعرضت له الأسرة الفلسطينية اللاجئة · فالأم تنتظر ولدها ، وما من أخبار عنه لأنه خلف الاسلاك الشائكة داخل بلده المغتصب ، وعندما يعود فارا بجلده من موت محقق لأنه كان يعمل داخل بلده لاستعادة بلده ـ يتلقاه الناس فنكتشف أن الكل يسال عن الاعزاء المحاصرين خلف الجريمة · ويبين لنا أنه حتى الاولاد لا يعترفون بالحدود المصطنعة فلعبتهم المفضلة تخطى تلك الحدود · حتى ان تلك اللعبة كانت فيها نهاية الدولة عندما دخل الأولاد الحدود فقتل بعضهم وقبض على البعض الآخر ، وكانت الكأس اترعت والتجارب اقنعت الجميع بانه لا عيش الا داخل الوطن مهما كانت التضحيات · ذلك هو مجمل المسرحية ·

ومهما يكن من كونها أول طلقة فنية من ـ المسرح على الطريق ، الا أن بناءها الفنى كانت فيه هنات هنا وهناك ، فالحوار ملىء ـ بلقد ـ وان ـ والتى ـ وذلك ـ وما شابهها · حتى ان الممثلين كانوا يغرقون أحيانا في نطق تلك الكلمات وبخاصة عندما تكون

بدءا ، ويجذبون معهم المشاهدين الى القاع عندمـا يصعب النطق فيصعب الفهم • ولقد حدثت بعضهم في أمر هذه الكلمات • فقال : « يا كم كسرنا منها • ولكنها كادت تكسرنا في النهاية » •

ونحن نعلم أن الحشو ألد أعداء الدراما فان لم تخدم الكلمة أو الفعل كلمة أو فعلا بعدهـا ، ويستدعيها فعل او كلمة قبلها ، كانت حشوا لا لزوم له • فما بالنا بتلك الاغنيات التي امتلات بها ارجاء المسرحية دون ما داع او لزوم • كان يمكن ان نحذف كل هذه الاغنيات ونبقى المسرحية كما هي بل ربما كان ذلك ادعى الى التركيز اللازم للمسرح ، فالمسرح ايحاء قبل كل شيء •

والمخرج « فوزى درويش » مولع بالمستويات المختلفة في اخراجه على المسرح • ولكن نجحنا فيها في مسرحية له سابقة اسمها « صفحة الحب » الا انه لم يكن معنا بمستوياته تلك في « لا حدود » فما لزوم المستوى الخلفي في مسرحيتنا هذه ؟ كنا خمسة نفر نشاهد المسرحية وناقشنا في هذه المستويات، وخلصنا الى أن المستوى الخلفي لم يخدم غرضـا معينا ، فلم يكن باكثر من مدخل الى المسرح •

كما ان المخرج لم يستغل المستوى الامامي ايضا وكاد يعطله • قد يقول : ان في سفله تشتيتا لذهن المتفرج عما يدور بعده داخل المخيم • ولكن الست معي في أن كثرة الحركة على المستوى الخلفي كانت تشتيتا ايضا •

الا أن المخرج وفق الى حد كبير في اظهار الضيق النفسي الذي يلف كل اللاجئين متمثلا في تلك الأسرة • عندما ركز التمثيل بصفة مستمرة في حيز ضيق ، داخل حجرة ، أو في ركن ضيق أمـام مخيم •

وكانت المقابلة بين هذا الضيق وبين ذلك الاتساع في المشهد الذي دار في بلاد العملاء عندمـا ذهب الابن اليها ــ لمحة ذكية في الاخراج • فهـو هنا يستغل كل جزء على خشبة المسرح لأنه لا ضـيق يحبس النفوس أو يشملها • وهو هناك على الحدود يركز الممثلين في أضيق حيز موحيـا للمتفرج بالكثير •

ووفق أيضـا في الايحاء بأن لا سند لهـؤلاء اللاجئين الا أنفسهم • عندما قدم قطع الأثاث جميعا من غير مسند • ووفق أيضا في تحريك الممثلين فيما فرضه من حيز ضيق • فكنـا تراه يجعل من هواهم واحدا متجاورين ، وهكذا •

وبالرغم من كل الفتات الفني المنثور في الاخراج، الا أنه بعـامة أقل مما عودنا الأسـتاذ « فـوزى درويش » • ومهما يكن من امر فالمسرحية طلقة على الطريق برغم انها اقل بكثير من المشكلة المستوحاة منها :

● كثيرا ما تلعثم الممثلون في النطق وأفلتت منهم الفصحى ، وصعب عليهم نطقها • فأدخلوا كلمات عامية من بنات أفكارهم ، وكان هذا نشازا دون شك • فهـل يعنى الممثلون بالحفظ ؟ نأمل ذلك •

●بقيت نقطة : تركتنا السيدة (زوزو نبيل) ننتظرها نحن المتفرجين وينتظرها الستار سـاعة كاملة ، بعد موعد البدء • فهل هذا يليق ؟ لئن كان الممثلون يطالبون الجمهور بتقديس المسرح • أليس أولى أن يعلمونا هم تقديسه ، بتقديسهم له •

●مع القصة العربية

ولعلنا حين نقدم للقـارىء نماذج من القصـة القصيرة التي هلت علينا بها الصحافة الأدبية في الأقطار الشقيقة ، نقدم له نافذة يقف منهـا على ما يدور في ذهن الانسان العربي ، فليس شيء أقدر على كشف النفس البشرية من الانسانيات • وليس مثل الفنان من يقدر على مثل هذا الكشف •

وسنبتعد عما نشر هنـا في بلدنا هـذه فهو بين يدى القارىء يسـتطيع أن يأخذه بسـهولة ويسر وأن يتبينه ، حتى لو لم يقرأ شيئا ، لأنه النموذج الذي يرقبه الفنان ويضعه تحت مجهره لا شعوره ، ليصفعه بعد ذلك أو يهدمه ، ليكشفه أو يغطيه ، ليهزه بعنف ، أو يربت عليه بحنان ، وفي النهاية ينير له الطريق حتى لا يتردى في مهاوى نفسه ويحتويه ظلامها ، فلا يسـتطيع منه فكاكا أو انطلاقا ويبقى أسيرها حتى يدمر نفسه ليتخلص من أسرها •

فنحن هنا في بلدنا يرقب بعضنا بعضا ويصطدم بعضنا ببعض • نرى الخلجات التي يصطادها الفنان ليهزنا بها • والفتات الذي يجمعه ليبنى منـه في النهاية قصره الانساني الذي يذهلنا بتاؤه ، ولكننا لا نستطيع أن نعبر كما عبر ، ولا أن ننفعل بمـا

انفعل ، ونكتفى فى النهاية بالحلقة معجبين بالشىء الذى أخذه الفنان منا ليقدمه لنا عملا رائعا .

أما هناك فى بلادنا الأخرى التى يعيش فيها أشقاؤنا ، فنحن فى حاجة أى حاجة الى تعارف أكثر، وفهم أعمق ، وتلاق قريب . أنا فى حاجة الى معرفة متاعب أخى لكى امد له يد المساعدة . فى حاجة الى الوقوف على أحزانه لأن واجبى أن أمسح دموعه ، فى حاجة الى مشاركته افراحه لأغنى معه ونطرب معا . واذا كانت الشقة بيننا بعيدة ، والاتصال المباشر غير ميسر فلا اقل من أقرأ ما يختلج فى نفسه وأقف على ما يهزها فيسرها أو يحزنها . والوسيلة الى ذلك هى الفن ومن الفن القصة القصيرة .

وبين أيدينا الآن ، قصة لشقيق فلسطينى هو «محمود سيف الدين الايرانى »نشرتها له مجلة العربى وأخرى لشقيق من العراق ، هو « **ليث الواسطى** » نشرتها له **الآداب** .

وقصة شقيق فلسطينى **هى « أضنانى الحنين »** واسمها يدل عليها ، كما يكشف عن نفس كاتبها ويكشف أيضا عن نفوس كل أخواننا الفلسطينيين وما يعتمل من ذكريات يحملونها لبلدهم وحنين لأرضهم وبيوتهم وزرعهم وكل ما لهم فى بلدهم السليب الذى اختطفه منهم الاستعمار وسلمه لشذاذ الآفاق فى غفلة من الزمن .

وبطل القصة من يافا يحكى لنا ذكرياته فيها وما كان يعمل هو وأسرته، ونعرف أنهم كانو بحارة ينقلون البرتقال الى المراكب الكبيرة فى سفنهم ذات الأشرعة الصغيرة يلاطمون بها الموج ويقاومون الرياح شتاء . فاذا كان الصيف وداعب نسيمه وجه الماء ، كانوا يخرجون للصيد غالبا . وفى أوقات الراحة كانت الجلسة تحلو بالقرب من ياسمينة وشجرات ليمون تعطر الدار وتجعل القهوة فواحة والسيجارة العربية هنيئة . كل ذلك فى صحن داره التى كانت غرفتين نظيفتين ورثها عن آبائه الذين يرقدون فى مقبرة قريبة .

الى أن وقعت الواقعة بعد قتال ضار أصيب فيه أخوه الذى يعيش الآن بذراع واحدة ويبيع البرتقال فى موسمه ولا شىء غير البرتقال . وقتلت أخته وتشردت الثانية فلا يعرف لها دارا . وماتت أمه كمدا ، وتزوج هو زواجا لا طعم له ومع ذلك أنجب ولدين عرفهما يافا تمام المعرفة . وداره ومركبه وشجرات الليمون والياسمينة . ويوجهان اليه « **دائما وفى عيونهما الشوق الملح . متى نعود ؟** » وهو بدوره يحيل سؤاله الينا « **ايها السادة متى نعود ؟** » .

وتقلبت به الحال بعد الخروج الذى كان يظن أنه لن يطول فاذا به ممتد حتى اليوم . فعمل بوابا لفندق ، وساقيا ، ودهانا وبائعا جوالا . حتى اذا ما شاءت الصدفة أن يرى بلده عبر الحدود ذات يوم وشجرات البرتقال قال لنا : « **ايها السادة قلت لكم فى أول قصتى اننى استطيع ان افل الحديد . وأن فى يدى هاتين قوة عشرة رجال انها البقية الباقية من شبابى الذى ذهب . وفى صدرى نار لا تنطفىء على الأيام . ولى ولدان فتيان يضطرم قلباهما حقدا على الغاضبين . وانا انتظر ، بل نحن ننتظر ان تقولوا كلمتكم لكى ننطلق كالاعصار** . »

ولعل قيمة القصة فى أنها تعبر عن مطلب عزيز علينا ، كلنا نوده ونعمل له . واجتمع له من أيام رؤساؤنا ، هو استرداد فلسطين وتحقيق حلم بطل قصتنا فى العودة . قيمة القصة فى تعبيرها عن احاسيس شقيق فقد داره وتشرد آله ثم هو يذكرهم ويتذكر أيامه وينتظر العودة .

اما اذا وضعناها فى القالب القصصى فلن تدخل فيه أبدا ، فليس فيها النواه التى تتبنى عليها القصة : العقدة . لذا فهى اقرب الى الصورة الأدبية منها الى القصة ، ولكانى بها مذكرات رجل يكتبها بعد مرور طويل وقت ، عن حادثة وقعت له

ونحن هنا نعتب على الكاتب تلك الروح المستسلمة التى لف بها بطل قصته أو صورته الأدبية ، فلا يمكن أن يشعر المرء على مدى السطور جميعا الا باجترار الذكريات وفقدان الأمل . ولئن اغتفر اجترار الذكريات فلا يمكن أن يغتفر فقدان الأمل وبخاصة فى ايامنا هذه التى قام فيها الكيان الفلسطينى وعبئت الجهود لجعل جيش الخلاص حقيقة واقعة . كما كان البطل نموذجا سيئا للرجل الذى ينتظر الغير للوصول الى حقه . فقد كرر أكثر من مرة متى نعود ؟ وأنا انتظر ، كما رأينا آنفا ، وكان أولى أن يعطيه لى الكاتب رجلا نامى الشخصية قويا ، لا ينتظر ان يصله حقه حتى

باب بيته ، فالحق لا يوهب ولا ينتظر ولكنه يؤخذ عنوة وليذهب من يغضب الى الجحيم •

ومـــا نيل المطـالب بالتمنى
ولكن تؤخذ الدنيـــا غـــلابا

ومهما يكن من امر فالصورة فى عمومها همسة فى أدب النكبة ، الذى آمل أن نرى معه قريبـــا أدب العودة وهى خير من الصمت على كل حال •

***

وقصة بغداد هى « **الأحد القادم** » ولعل تساءلت مثلكم : لماذا الأحد القادم ؟ وبعد أن قرأتها وجدت أنه من الممكن أن يكون غير ذلك كالاثنين أو الثلاثاء مثلا أو أى يوم اذا شئنا • فليس بين اسمهـــا وموضوعها رابطة موحية ، **بل ربما « الأحد القادم » أضعف نقطة فيها** • ولنر معا ما هى الأحد القادم •

قصة الأسر الوحدوية فى العراق ابان تسـلط الحرس البعثى وضـــغطه على العناصر الوحدوية واصطياده لها وزجه بها فى السجون ، لتلاقى الذى طلته مصيرها المحتوم ، ليعطل زحف الأمة العربية نحو التقاء أكبر فيه الخير لها والمستقبل الأفضـــل والقوة والمنعة والعزة • وبطل القصة قلق جزع فى انتظار اخبار عن محبوبته وخطيبته المقبوض عليها ولكن آلها الذين ذهبوا لرؤيتها يعودون حتى بغير خفى حنين • وتأخذ صديقة لهم اغتيل زوجهـــا فى مواساته • وكان وراءه اجتماع ، فأخذ يضرب أخماسا فى أسداس : كيف يصل • وأى طريقة أضمن للوصول سالما ، حتى اهتدى الى أن السلامة فى السير على الأقدام فخرج ، وما أن دخل مقر الاجتماع حتى وقع فى الكمين وصوبت اليه المسدســـات والرشاشات وشبع لكما وركلا وسيق الى التحقيق وضرب وعذب ولكنه ابتلع لسانه ولم ينطق ، ونقل الى السجن فوجده غاصا بمن على شاكلته وتســاءل عن موعد رؤية ذويه فعلم أنهـــا الأحد القادم ، وعندما جاءوا دست صديقته فى يده رســـالة من حبيبته وبلغته أمرا من جماعته بمواصلة العمل •

وهكذا انتهت القصة فبينت ما كان يلاقيه الشعب الشقيق من جلاديه ، وأظهرت مقاومة الشــــعب واصراره عـــلى التخلص من الـــكابوس الذى كان يجثم على أنفاسه •

وفى الوقت نفسه ، كانت مكتملة البناء من أولها حتى نهايتها • ففيها العقدة وفيها اللمحة الخاطفة المغنية المثرية ، لا حشو ولا كلمة زائدة فكل كلمة تؤدى معنى وتتقدم بالقصة خطوة •

وهكذا سجل لنا الكاتب أحاسيس شعب شقيق فى فترة حرجة مر بها وانتصر عليها فأين الجلادون الآن ؟ لقد ذهبوا ولعل فى ذلك عبرة لآخرين •

مصطفى فوده مصطفى



الحفنى .. وحفنة المغالطات

بقلم عنتر عبد السلام مخيمر

فرغت منذ أيام من قراءة الجزء الاول من كتاب تيارات ومذاهب فنية وادبية جديدة للاستاذ عبد المنعم الحفنى .. وكنت افضل أن يكون عنوان الكتاب مغالطات ومذاهب هيومانية ووجودية مستقبلية ! والجزء الذى صدر يمكن كتابة مضمونه فى صفحة واحدة ؛

والاستاذ الحفنى يكتب بطريقة تدل على انه يريد أن يقنع نفسه قبل أن يقنع القراء بآرائه التى استوحاها من كتابات سارتر وكامى وغيرهما من ادباء الوجودية . كذلك فانه ليس ثمة شك فى قصور اسلوبه فهو لايجيد التعبير عن افكاره . اقرأ معى .

«... الادب والفن الجديدان فهما يتجهان الى التكوين فى الشكل والى المستقبلية وتأكيد الحرية فى الموضوع» ص ٧٣ .

ماذا يريد الاستاذ الحفنى أن يقول .. لست ادرى . والحقيقة ان آراء كاتبنا غريبة وعجيبة.. فهو ينادى – على سبيل المثال – بتخصص أدبى من نوع جديد .. ادب للفلاحين .. وآخر للعمال .. وثالث لـ .. للحلاقين مثلا . ويشترط الاستاذ الفاضل الا يكتب عن الفلاحين الا أديب فلاح ، وكذلك فانه اذا كتب أديب طبيب عن ماسحى الاحذية فهذه مغالطة .. لانه من الضرورى ان يكون من يكتب عن ماسحى الاحذية .. ماسح احذية . ومن يكتب عن المرضى مريضا .. وهكذا دواليك !

اما آراء الاستاذ الحفنى فى كبار ادبائنا فتدعو الى التامل .. لا لعمقها واصالتها ولكن للامعقوليتها انه يتهم فكر الاستاذ توفيق الحكيم بالتخبط .. ويتهم كبار الكتاب العرب بالضحالة التكنيكية والسطحية الفكرية والرجعية اللامستقبلية ! ان التخبط الفكرى الذى حفل به الجزء الاول من كتاب مغالطات ومذاهب هيومانية وجودية مستقبلية .. اقصد .. تيارات ومذاهب فنية وادبية جديدة تجعلنى اتوجه الى مؤلفه برجاء اخوى بأن يريحنا ويريح نفسه من عناء اصدار بقية الاجزاء فانى أعتقد أنه لن يقدم لنا فى بقية هذه الاجزاء غير المزيد من التخبط الفكرى الذى لايخدم الادب أو الفن.. او الحياة .

واخيرا لعل الاستاذ الحفنى يتقبل هذا الرجاء بصدر هيومانى رحب وروح رياضية مستقبلية ، واذا كنت قد اثقلت عليه بكلمتى فانى اعتذر له رغم انه قد اثقل على هو الآخر بكتابه .

***

مع كتاب «فى صحبة العقاد»

بقلم محمود محمد الطوخى

يخبرنا الاستاذ الجبلاوى فى كتابه عن الاستاذ العقاد ص ٢٤ ، على لسان الشيخ فخر الدين الدشناوى مدرس العقاد : «ان الزعيم مصطفى كامل زار المدرسة شتاء احد الاعوام ، ودخل الفصل

الدراسى الذى يضم التلميذ عباس العقاد وبعد انتهائى من الدرس أمسك بالطباشير وكتب البيت:

والمرء ان لم تفد اقامته
غيم حمى الشمس لم يمطر ولم يزل

وطالب التلاميذ بتفسيره فاخذكل يفسره حسب هواه وبقدر مايوحيه ذكاؤه ولم يصل احدهم الى المعنى الصحيح » وقام العقاد «واخذ يشرح البيت ويستفيض حتى أوفى على الغاية والزعيم ينصت اليه وافر الاعجاب» ويضيف الاستاذ الجبلاوى وقد اكد لى العقاد رواية استاذه عن هذا الحادث .

لكن الدكتور شوقى ضيف فى كتابه «مع العقاد» يخبرنا ان هذا الحادث وقع للعقاد وهو مدرس متطوع فى احدى المدارس الاهلية عقب حصوله على «الابتدائية» ولما قام بشرح البيت بعد عجز تلاميذه «انتظر من مصطفى كامل ان يبدى ارتياحا لما اورد على سمعه من حسن التخلص ، ولكنه تجهم له وزوى وجهه» ص ١٨ ليس هذا فقط بل يذكر العقاد نفسه الحادث فى كتابه «رجال عرفتهم» قائلا أملى الزعيم البيت على احد التلاميذ وساله عن شرحه « فتلعثم التلميذ ولم يجب بطائل فاسعفته معتذرا له ان الغيم الذى لايمطر فى أسوان ولايسير نعمة محبوبة وان الغيم الممطر وغير الممطر عندنا قليل ، ولاح لى أن الباشا لم يسترح لهذا التعقيب» هذا كلام الاستاذ العقاد فكيف يذكر الاستاذ الجبلاوى على لسان صديقه غير هذا وكنا ننتظر منه الدقة والعناية . رحم الله الاستاذ العقاد واسكنه فسيح جناته .

محمود محمد الطوخى

((مدرس))

***

الأسوة الحسنة ... بقلم عيسى متول

قرأت فى الصحف أن مزارعا قتل جاره ، لأنه القى بالتراب أمام بيته ، فانهال عليه ضربا بالفأس حتى لقى مصرعه ، ولم يكتف القاتل بذلك، بل مثل بجثته شر تمثيل ! ..

وأعاد هذا الحادث البشع الى ذاكرتى موقف نبينا الحبيب من جاره اليهودى ، الذى دأب على وضع قاذوراته بباب المصطفى كل صباح ، فكان ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ يبعد القاذورات عن بابه ، ويمضى الى حال سبيله ...

وخرج الرسول ذات يوم ، فلم يجد ببابه القاذورات التى اعتاد اليهودى أن يلقيها ، فايقن ان جاره أصابه سوء ، وطرق بابه يسأل عنه ، فوجده مريضا ! ..

ولما رآه اليهودى ، وعلم أنه جاء ليعوده ، جثا على ركبتيه ، امام سيد الخلق ، قائلا :

ـ أشهد أن لا آله الا الله .. وان محمدا رسول الله !! ..

هذا موقف من مواقف النبى الكريم ، ولقد كان لنا فى رسول الله أسوة حسنة . فلو أننا اقتدينا به ، ونهجنا نهجه ، لما شاهدنا هذه المآسى ، التى تجعل الولدان شيبا ! ..

لقد بعث محمد ليتمم مكارم الاخلاق ، وليضع للبشرية الدستور الخلقى الى جانب الدستور الدينى .. فما لأتباع محمد قد نأوا عن تعاليم محمد .. ومبادىء محمد .. واتخذوا الشياطين أولياء ؟ ..

لقد شهد له ربه بالخلق العظيم ، يوم نزل « كبير أمناء » السماء .. جبريل .. يحمل الوسام الأكبر، من الدرجة الأولى ، ويضعه على صدر محمد ، بالوحى الكريم :

« وانك لعلى خلق عظيم » .. وأى وسام أرفع من هذا الوسام ؟ ..

***

تصويب ..

قصيدة (لا معقول) نظم الشاعر محمود عماد المنشورة فى العدد ١٠٨١ من الرسالة وقع خطأ فى جمع البيت الحادى عشر منها وصوابه :

وان يكن عاقل فى الفن أتعسه
فليهنأ الفن بالبله الميامين

وفى البيت الحادى والثلاثين وصوابه :

لو أن كل جديد قد يسوغ اذن
لساغ أنا نحيى الناس بالطين

ثلاث رسائل من امرأة مجهولة

• بقلم: أبو المعاطي أبو النجا •

لم يتصوروا يوما ان شيئا كهذا يمكن ان يحدث ان يصبح اليوم كله مجرد انتظار قلق لهذه اللحظة التي يقبل فيها «**سيد**» وفي يده حزمة خطابات المصلحة كلها ... لينتقى منها – في بطء يثيره – الخطابات الخاصة به ، ويتركها على مكتبه وقبل ان ينصرف ، يبدأ هو في تمزيق اغلفة الرسائل في لهفة ، بحثا عن رسالة جديدة ، تلقى الضوء على تلك المراة المجهولة التي مست حياته بما يشبه السحر ..!

القى نظرة على ساعة مكتبه .. كانت تشير الى التاسعة صباحا . لا تزال أمامه ساعة كاملة قبل أن يحضر «سيد» من مكتب البريد ، انه يعرف هذه الساعة اللعينة ، انها اطول ساعات النهار كله ، هو لا يستطيع فيها أن يركز ذهنه في شيء ، بل لا يستطيع أن يستقر في مكانه . الساعة التي سيكتشف بعدها ما اذا كان سينتظر يوما آخر من هذه الايام القلقة !! انه لا يصدق أبدا أنها لن تكتب اليه مرة اخرى كما زعمت في خطابها الاخير ..! انه واثق تماما من أنها ستكتب له من جديد ، ثقته بما في طبيعة البشر من حيرة وتردد ورغبة في التجربة ولكن هذه الثقة تتحول في اللحظات الاخيرة التي تسبق عادة وصول «سيد» الى نوع من الشك المروع حتى في قدرته على أن يفهم ، وبلا شعور تمتد يده الى درج مكتبه لتدير فيه المفتاح ، ثم تخرج مظروفا خاصا تسحب منه الخطابين اللذين وصلا من القارئة المجهولة ليعيد قراءتهما من جديد ... وكانه يفعل ذلك لاول مرة وكانه سيخرج من هذه القراءة بشيء جديديجعل الامر اكثر وضوحا.! وراح يقرأ ...

عزيزي

لا ادرى كيف ابدا هذه الرسالة التي عاشت طويلا في نفسي دون أن اجرؤ على التفكير في كتابتها، كنت دائما أخشى ان اسيء التعبير عما في نفسي ، فادفعك الى ان تسيء الفهم فموقفي منك دقيق غاية الدقة ، وربما ادت اقل الاخطاء في معالجته الى نتائج لا احبها لك ولا لنفسي .. !

ادرك انك الآن تود ان تعرف شيئا عن هذا الموقف خاصة وان امامك رسالة بلا توقيع ، وثق أنني لم افعل ذلك لمجرد اضفاء جو من الاثارة على موقفي منك بل لاسباب أعتقد انك ستقدرها ..! فانا واحدة من قارئاتك اللواتي يتتبعن باهتمام كل ما تكتب ، وانا قبل ذلك – وهذا ما جعل موقفي منك يصبح بهذه الدقة والحساسية – صديقة لزوجتك ..!

ومع انني أعتقد ان الكاتب – أكثر من أي شخص آخر ممن يشتغلون بالمسائل العامة – ليس ملكية خاصة لأسرته ، وأن من حق الناس، وبالأخص أولئك الذين يهتمون بأدبه – من حقهم أن يكون لهم جزء من حياته ومن وقته .. ! وانني مع ايماني بهذا الحق لم أفكر قبل هذه اللحظة في الكتابة اليك ، ولو لمجرد التعبير عن تقديري لما تكتب واهتمامي به..! بل ولم اسمح لنفسي في المرات التي كنت التقى بك فيها في بيتك أن يتم حديثي معك عما أكنه لفنك من اعجاب لاحد له ... كنت قانعة بتتبعك في كل كتاباتك .. حريصة على الا أتورط فيما يمكن أن يمس باقل اهتزاز تلك الخيوط الدقيقة الحساسة التي تربطني باسرتك .. وايضا بك ..!

ولكن مايخرج بي الآن عن هذه الحدود التي رسمتها لنفسي هو انني لاحظت انه قد مضى اكثر من عام على آخر كتاب لك .. وخلال هذا العام لم اقرأ لك شيئا يذكر وربما لو كنت بعيدة عن حياتك

لتوهمت أن لديك ظروفا خاصة قوية تقف وراء صمتك واحتجابك عن الناس .. ولكنى بحكم صلتى بك أعرف الا شيء هناك على الاطلاق ، بل أكثر من ذلك عرفت ما جعلنى اقرر فى النهاية أن أكتب لك مهما تكن الظروف، كانت زوجتك تحدثنى – كلما دارالحديث حول هذاالسؤال لماذا لاتكتب؟ – بأسى مرير عما بدات تلحظه على حياتك من تغيير . . كانت تلاحظ انك بدات تواجه مواقف كثيرة فى حياتك وفى حياة مواطنيك بنوع من عدم الاكتراث أو اللامبالاة ، وانك بدأت تهز كتفيك لأشياء كثيرة كانت تهز قلبك ..!

لم أكن أصدق أذنى ، وأنا أسمع هذا الكلام.. فقد كان أهم مايميز كتاباتك ذلك الشعور العميق بانك مسئول ، وبانك تكتب ليس من اجل الشهرة، او المجد او لمجرد استعراض مواهبك ..! بل لان هناك فى هذا العالم مايقلقك ، مايدوى فى رأسك بعشرات الأسئلة التى تقف بروحك دائما على حافة المجهول .. !

ولهذا لم اتصور يوما ان كاتبا مثلك يمكن ان يتوقف عن الكتابة . فهل أصبح العالم هو المكان السعيد الذى لا تشعر فيه بالقلق ؟ هل كف العالم عن ان يوجه اليك سؤالا من اى نوع ..! هل تعرف معنى صمتك هذا ؟ هل تعرف معناه بالنسبة لقرائك ومحبيك ؟ هل خطر ببالك مرة واحدة انك تقف وحدك وان صوتك يتحول الى صراخ فى صحراء ..!

ياعزيزى ... ان موهبتك ليست ملكية خاصة بك ، وليس من حقك أن تهملها كما يهمل المرء ثوبا لا يروق له...انها ملك لكل من يقدرونها ويحتاجون اليها ايضا .. انتى أتوسل اليك بكل ما أملك من تقدير وحب لفنك أن تعود لقلمك .. وثق أنك بهذا ستعيد الى آلاف القراء الفرحة والحماس للحياة ..!

واعتقد انك بعد هذا كله ستغفر لى ، وتقدر اننى أكتب لك هذه الرسالة بلا توقيع ..!

ومع انه قرأ هذه الرسالة مرات لاحصر لها .. ففى كل مرة كان يحس بها تمس روحه بما يشبه السحر ... كيف استطاعت هذه المراة المجهولة ان تلمس جراحه بكل تلك الحساسية والرقة والذكاء ... كأنها كانت تعيش داخل قلبه .. لم يخنها ذكاؤها الا فى شيء واحد ، هو أنها تصورت انه من الممكن أن يهتم فقط بها كموقف وكفكرة دون أن يحاول معرفتها ... والحقيقة انه حاول ذلك مخلصا ولكنه لم يستطع ... كان يجد نفسه على الرغم منه – يستعرض وجوه صديقات زوجته .. واحدة واحدة .. **كريمة .. راجية .. نوال ... شريفه** ... وتمنى من اعماق قلبه ان تكون شريفه هى صاحبة الرسالة ... ووجد نفسه يتذكر المواقف التى جمعته بشريفه والكلمات التى قالتها ... وكيف كانت تتصرف وتضحك وتبتسم، وعبثا حاول أن يجد فى كل ذلك ما يمكن ان يكون مقدمة طبيعية لمثل هذه الرسالة . ومع ذلك فشريفه وحدها هى التى تصلح بطلة لقصة عاطفية يعايش خلالها الحياة وهى تتفتح وتزدهر ... وتكتشف نفسها ..! الاخريات كلهن زوجات !! انه لا يصدق انه اصبح يفكر هكذا ... ربما كان ما يحتاج اليه حقا هو الحب .. ! وراح يقفز بعينيه فوق سطور الرسالة الثانية ... وتمهلت عيناه عند هذه السطور ...

... « لقد كان الحفل الذى أقمته بمناسبة العيد الرابع لميلاد وحيدك « **اشرف** » فرصة تصلح لأن أكتشف أننى تورطت فى خطأ كبير بالكتابة اليك . وبدلا من أن أنجح فى اثارة اهتمامك بالعودة الى الكتابة نجحت فى اثارة رغبتك فى معرفتى ... !

كنت الوحيدة التى فهمت معنى هذه العبارات التى كنت تضمنها أحاديثك بينما هى منقولة من رسالتى حرفيا .. !

كنت تنطق هذه العبارات فى بطء مقصود وعيناك ترصدان فى وجوه المدعوات اقل اختلاجة او تأثر ... يا لها من لعبة خطرة ذات حدين ... فبينما كنت أجاهد حتى لا يبدو على ملامحى اى تأثر ... كنت أخشى ما يمكن ان يدفعك اليه اقل خطأ فى تقدير موقف احدى المدعوات ... هل تصدق أن مجرد احتمال ان تنشأ – ولو بالصدفة – علاقة من اى نوع بينك وبين اى مدعوة أخرى من صديقات زوجتك كان هذا الاحتمال يملؤنى بالرعب ..!

ارأيت الى اى حد يمكن ان تخرج الامور من يدنا ونصبح نحن لعبة فى يدها . يا عزيزى أستحلفك بكل الأشياء المقدسة فى حياتك ، بطفلك وبزوجتك وبفنك أن تنسى هذا الموضوع تماما وأن .. ! »

فى تلك اللحظة دخل « سيد » ببدلته الصفراء ومنظاره اللاصق فى عينيه ووضع أمامه مجموعة الخطابات الخاصة به وخرج ...

وفى لحظة امكنه ان يكتشف بين مجموعة الرسائل رسالة جديدة من المرأة المجهولة ! ... ومع انه كان ينتظرها بصبر نافذ فقد راح يقرؤها على مهل ... كلمة كلمة .. !

عزيزى

«ارجو أن تهدا هذه المرة وتطمئن فلن تنتهى من قراءة هذه الرسالة حتى تكون قد عرفت كل شىء عنى ... عن القارئة المجهولة ...

فلقد تأكدت اننى سرت من البداية فى طريق خاطىء ومع ذلك ، بل ربما بسبب ذلك ... تكشفت لى من قلب هذا الخطأ حقائق كثيرة اعتقد انها يمكن ان تكون بالنسبة لى ولك بدايات طيبة فى طريق حياتنا معا .. !

ان الاعمال فى هذا العالم لن تكون ابدا بالنيات ... فلقد كنت أريد أن أدفعك الى الكتابة فاذا بى اقدم لك الف سبب جديد ليس فقط للتوقف عن الكتابه بل للتوقف عن اشياء كثيرة لا تمضى الحياة بدونها .. !

ومع ذلك فلقد نجحت فى أن ابعث فى حياتك وفى عينيك ذلك البريق اللاهب ... بريق الاهتمام ... ولن آسف لأن ما كنت تهتم به هذه المرة هو مجرد اسم المراة المجهولة التى كتبت لك ... تريد ان تعرف اسمى ... حسنا اسمى «هدى» ... تقول انه ليس بين صديقات زوجتك امرأة بهذا الاسم ... هذا صحيح ولكن يبدو انك فى حاجة الى من يذكرك بأن «هدى» هذا هو اسم زوجتك ! . أجل زوجتك .. ! ومن هنا تبدأالمأساة الصغيرة التى استحلفك بكل ما تملك من شجاعة وذكاء أن تقف الى جوارى لحظات لنواجهها معا بقلوب وعيون مفتوحة .. !

ربما لم تكن مأساة شخصيه ..! واغلب الظن انها ليست كذلك . ربما كانت تلك طبيعة الحياة ... الحياة التى تجعل الرجل ينسى المراة التى كانت مجرد كلمة منها او نظرة تضىء له العالم... ينساها حين تصبح معه ... حين تصبح كل حياتها ملكا له ... !

لقد فتحت عينى ذات يوم لاجدنى اصبحت عاجزة عن أن أمس قلبك .. كانت هذه الحقيقة تحملها الى كل يوم عشرات التصرفات الصغيرة التى تفعلها دون قصد ... ولم افقد صوابى ... لقد حاولت الكثير لكى اتسلل الى قلبك ، لكى اجعل هذا القلب يتحمس لى ويخفق كما كان يفعل دائما ... وفى النهاية كدت اعتقد اننى احارب الحياة نفسها ... ولكن الشىء الذى ملأ قلبى بالذعر ..! هو أننى فتحت عينى ذات صباح لاجد هذه اللامبالاة المريبة التى كنت تواجه بها عواطفى تحولت تتسلل الى حياتك كلها ... وتوشك ان تغتال حماسك لكل شىء ... حتى لفنك .. ! لقد مضى عام كامل وانت لاتفعل شيئا سوى أن تردد ما يقوله النقاد عن كتبك .. ! ولست أزعم أننى افهم أكثر منك ما الذى يجعل الناس يفقدون حماسهم لأمر من الامور .. !

ولكن الذى اعرفه اننى قررت ان احارب فى هذه الجبهة واعتبرها معركة حياة أو موت .. !

كان الامر فوق ما احتمل ... وفى لحظة جنون فكرت فى أن أكتب لك تلك الرسالة... كنت مستعدة ان أفعل اى شىء يهز قلبك ، ينقذك من هذه اللامبالاة الغريبة التى لا ادرى كيف تسللت الى حياتك ... ! كنت مستعدة أن أخسر مكانى فى حياتك ولكنى غير مستعدة لان تخسر الفن .. !

وفى البداية خيل الى أننى نجحت فى لعبتى الخطرة ... ولكنه كان ذلك النجاح المروع الذى جعلنى اكتشفت مدى ضعفى وضعفك .. لن تستطيع مهما بلغ خيالك أن تتصور هذه المشاعر الغريبة المتناقضة التى كنت اعانيها وانا استمع كل ليلة الى اكاذيبك لى عن قارىء مجهول يكتب اليك ... وتردد فى بلاهة كلماته لك ... ناسيا اننى كنت اردد عليك احيانا مثل هذه الكلمات ... فتسمعها بنصف اذنيك ..! وانا اجدك تتقلب الى جوارى كل ليلة على الفراش حتى الصباح أجل ... لقد نجحت ذلك النجاح المروع الذى جعلنى اكتشف مدى ضعفى وضعفك ... ضعفك وانت تتهادى أمام وهم امرأة ... وضعفى وانا أجد هذا الوهم ينجح فيما فشلت فيه ..!

ومع ذلك فثق اننى مستعدة أن أغفر لك ولنفسى هذا الضعف وكل الاكاذيب الرديئة التى قلتها لى ولكنى لن أغفر لك مطلقا ان تتخلى عن قلمك ..!

فهل تعدنى بأن تعود الى القلم ... لماذا لاتبدأ اذن **بهذه القصة** ... قصة ضعفى وضعفك ... فالفنان حين ينجح فى التعبير عن ضعفه وضعف الناس يكون فى قمة قوته ... وانتصاره .

ابو المعاطى ابو النجا



العدد ٦٤

الثمن ٣ مـ

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الفهرس

رئيس التحرير

أحمد حسن الزيات

المراسلات جميعها تكون باسم

السيد مدير ادارة المجلات

٢٧ شارع عبد الخالق ثروت

بريد . محمد فريد . القاهرة

تصدرها

الثقافة والارشاد القومى

منطق التفريعات

للدكتور محمد أحمد خلف الله

كلما قرأت فى باب المعاملات من كتب الفقه الاسلامى شيئا ازددت يقينا بأن الاحكام الواردة فى هذه الكتب لم تكن أبدا فى يوم من الأيام مدار تطبيق عملى ، وأنها ليست كذلك فى أيامنا ، ولم تكن كذلك فى أيام القائلين بها .

لقد كان الفقهاء فى أبراجهم العاجية مشغولين بشىء غير النظم القائمة التى تسير الناس وتنظم الحياة . **لقد كانوا مشغولين بتخريج النصوص ، وفرض الفروض ، وتفريع المسائل** ؛ وكانوا يختلفون فيما بينهم الى الحد الذى لم يجعل لهم رأيا موحدا فى مسائل الحياة الكبيرة ، وأخص بالذكر هنا مسألة من هذه المسائل الهامة هى مسألة الضرائب التى تفرض على الأرضين .

لقد كانوا يختلفون ، ولاتزال اختلافاتهم قائمة ، بدليل أنا لوطلبنا من أى رجل من رجال الدين ، ممن يعنون بكتب الفقه عامة وأبواب المعاملات بصفة خاصة ، أن يذكرلنا حكم الشرع الشريف فى هذه الضرائب لجاءنا بأكثر من قول ، ولقال لنا هى عند الامام فلان كذا ، وعند الامام فلان كذا ، وعند الامام فلان كذا .... وهكذا ....

ونحن لانتصور أبدا أن الخلفاء ، والأمراء ، والولاة ، كانوا يعتمدون هذه الأقوال جميعا – انهم لو فعلوا لكانت الفوضى التى ليست بعدها فوضى ، وماظنك بوال أو أمير يعتمد كل يوم قولا من أقوال أحد الأئمة فى الأمور التنظيمية للدولة ؟ انه من غير شك يفسد الحياة على نفسه وعلى الناس .

وأستطيع أن أطرح قضية من القضايا تكشف لنا وجه الحق فى هذه المسألة ، هذه القضية هى قضية خراج مصر ، أو قضية الضرائب المفروضة على الأراضى الزراعية فى مصر .

وأستميح القارىء عذرا حين أقول له ان الحديث عما كان يجرى عليه العمل أيام الخلفاء الراشدين ومن بعدهم سيكون خاتمة هذا المقال . أما هنا فان الحديث يدور **حول موقف الفقهاء من هذه القضية .**

ان معرفة القيمة الضريبية للأراضى الزراعية فى مصر متوقفة على الاجابة عن سؤال هام هو : هل فتحت مصر صلحا أم فتحت عنوة ؟

ذلك لأن لكل نوع من الأراضى قيمة ضريبية خاصة متوقفة على نوع الملكية التى تكون **مع الصلح أو مع الفتح عنوة ،** اذ هذهغير تلك عندهم .

وصدقونى حين أقول لكم ان الفقهاء لم ينتهوا بعد من تحديد الاجابة عن السؤال الأول .

ان منهم من يقول ان مصر فتحت صلحا ، وان منهم من يقول انها فتحت عنوة ، وكل واحد من الفريقين يورد من النصوص ما يؤيد به قوله .

وليس من شك فى أن الخلفاء والأمراء والولاة لم ينتظروا حتى يفرغ الفقهاء من البحث والدرس والتمحيص والانتهاء الى قول موحد .

لقد ترك الخلفاء والولاة الفقهاء فى جدلهم وفرضوا هم الضريبة حسب النظام الذى اعتمدوه ، وهو لم يكن عربيا أو اسلاميا كما سنرى فيما بعد .

على أنا لو تركنا مسألة الفتح هذه جانبا وسلمنا جدلا بأن مصر قد فتحت عنوة مثلا ، أو فتحت صلحا لبقيت المسألة كما هى : **آراء مختلفة فى الموقف الواحد ، وفى الزمان الواحد ، وفى المكان الواحد ، مما لا يبشر بخير فى مستقبل الأمة .**

ان الفقهاء لم يجمعوا على رأى موحد فى هـــذه المسألة الهامة ، مســألة نوع الملكية ، وما يترتب عليه من قيمة ضريبية • ونعجب نحن حين نرى من الناس من ينادى بأن نتخذ من أقوال القدامى فى المعاملات أساسا لحياتنا ، ولحضارتنا •

ان الأئمة يختلفون فيما بينهم فى الأراضى التى فتحت عنوة ، وفى الأراضى التى فتحت صـــلحا ، وفى الأراضى التى هجرها أصحابها قبل أن تلحق بهم خيل المسلمين ••• هجروها بدون حـــرب أو قتال •

انهم يختلفــون فى أراضى البــلدان التى فتحت عنوة على هذا الوجه :

(أ) **يذهب الشافعى** رضى الله عنه الى أنها غنيمة من الغنــائم ، وأنهــا يجب أن تقسم بين الفاتحين كالأموال سواء بسواء ، الا أن تطيب نفوس الفاتحين بالتنازل عنها ، وعند ذلك توقف على مصـــالح المسلمين •

(ب) **ويذهب مالك** الى انه لا تجوز قســمتها بين الفاتحين وانها تصــبح وقفا على مصــالح المسلمين بمجرد غنيمتها •

(جـ) **ويذهب أبو حنيفة** الى أن الأمر متروك للخليفة وأنه مخير فيها بين ثلاثة أمور :

الأول : أن يقسمها بين الفاتحين ، وفى هـــذه الحالة تصبح أرضا عشرية •

الثانى : أن يعيدها الى المشركين الذين كانوا عليها بخراج يضرب عليها ، وفى هذه الحالة تصبح أرض خراج •

الثالث : أن يقفها على كافة المسلمين •

والبلدان المفتوحة تكون فى هذه الحالات كلها دار اسلام سواء سكنها المسلمون أو أعيـــد اليها المشركون ، لأن المسلمين قد ملكوها بالفتح •

ولا يجـــوز أبدا للمســلمين أن يتنازلوا عنها للمشركين والا أصبحت دار حـــرب ، ووجب عليهم فتحها مرة ثانية •

وهم يختلفون فى الأراضى التى فتحت صلحا على هذا الوجه :

أولا : أن تكون المصالحة على أساس أن الأرض ملك للمسلمين ، وهى بذلك تصبح وقفا ، ولا يجوز بيعها أو رهنها •

ويكون الخراج الذى يؤخذ منهم فى هـــذه الحالة أجرة ، ولا يسقط عنهم باسلامهم •

ثانيا : أن تكون المصالحة على أساس أن الأرض لهم ، ويضرب عليهم خراج يؤدونه •

ويكون هذا الخراج فى حكم الجزية يســـقط عنهم عند اسلامهم •

***

ونكتفى بهذا القدر فى بيان أن الأئمة لم ينتهوا الى رأى موحـــد فى ملـكية الأراضى ، وفى القيمـــة الضريبية لها •

ولست فى هذا المقام بالذى يندد على الفقهاء ، فأنا معجب بهم أشـــد الاعجاب ، **معجب حين اقرأ هذه التخريجات ،وهذه التفريعات ، وهذه الأحكام الشرعية التى جاءت اجابة عن فروض وهميـــة أو خيالية •• معجب باعتبارها رياضة ذهنية لها دلالتها فى اثراء الفكر الاسلامى وايقاظ العقل العربى • لأنى انما أريد فقط** ان أثبت أن هـــذه الرياضة الذهنية لم تطبق فى الحياة ، لا فى أيام قائليهـــا ولا فى أيام من جاء من بعدهم •

وتاريخ العرب فى مصر يثبت هذه الحقيقة :

ان الخلفاء مضوا على أن يؤخذ من مصر خـــراج كالذى كان يأخذه الرومان منها •

وان الخلاف الذى قام بين **عمرو بن العـــاص وعمر بن الخطاب** من قبل ثم **عثمان بن عفان** من بعد كان يدور حول هذه المسألة :

لقد كان الخلفاء يرون أن خراج مصر فى عهـــد الاسلام يجب الا يقل عنه أبدا فى أيام الفراعنة ، وفى أيام الرومان •

وكان عمرو بن العـــاص يرى أن الحروب قـــد أحدثت آثارها السيئة فى الانتاج ، وأنه قد قل عن ذى قبـــل ، وأن الخـــراج يجب أن يتمشى مع الانتاج •

كما كان يرى أن هـــذه الضيـــاع الواسعة التى تركها الأغنياء من الرومان ، والتى آل أمرها الى العـــرب ، قد قل انتـــاجها من حيث أن العـــرب لا يحسنون الزراعة كما يحسنها الرومان ، انهـــم أهل رعى وليسوا باصحاب زراعة •

***

بقيت ظاهرة غريبة نحب تســجيلها فى هـــذا

المقام ، هي أن الأئمة الذين يختلفون فيما بينهم كانوا من رجالات العصر العباسي ، ومعنى ذلك أنهم كانوا يتجادلون في مسائل هي من صميم الحياة لأنها متصلة بالمال الذي هو العصب الحساس في بناء الدولة . كانوا يتجادلون في هذه المسألة جدلا نظريا ، ويتركون الواقع العملي الذي سار عليه الخلفاء الراشدون ومن جاء بعدهم .

والحقيقة أن المؤرخين لا الفقهاء هم الذين يستطيعون أن يمدونا بالنظم الاسلامية التي تستطيع أن تتخذ منها أساسا لمجتمع اسلامي جديد . **مجتمع يؤمن بالمنطق العمل ، ولا يرى خيرا في الجري وراء الفروض النظرية ، والأوهام والخيالات .**

كلمات

قال النبي صلى الله عليه وسلم : مثل ما بعثني الله عز وجل به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا .

(أ) فكانت منها بقعة قبلت الماء فأنبتت الكلا والعشب الكثير .

(ب) وكانت منها بقعة أمسكت الماء فنفع الله عز وجل بها الناس فشربوا منها ، وسقوا ، وزرعوا .

(ج) وكانت منها طائفة قيعان لا تمسك ماء ، ولا تنبت كلا .

ويقول مالك بن نبي : في هذا الحديث النبوي الشريف تدرج من الأعلى للأدنى في تصوير علاقة الفرد والمجتمع بالعلم ، أي بالأفكار والأشياء .

وكان النبي عليه السلام أراد من هذا التدرج ذي الدرجات الثلاث أن يرمز الى عصور ثلاثة يمر بها المجتمع .

(أ) يبدأ تاريخ المجتمع بمرحلة يحدث فيها تقبل الأفكار ، وابداعها ، وتمثلها .

(ب) تليها مرحلة تبليغ هذه الأفكار الى مجتمعات اخرى .

(ج) ثم تعقب ذلك فترة يتجمد فيها عالم الأفكار فيصبح وليست لديه ادنى فاعلية اجتماعية .

وانه ليمكننا ان نقول :

(أ) ان المجتمع الاسلامي في عصر الفارابي كان يخلق افكارا .

(ب) وانه كان على عهد ابن رشد يبلغ هذه الأفكار الى أوربا .

(ج) وانه بعد ابن خلدون لم يعد قادرا لا على الخلق والابداع ، ولا على التبليغ .

ويقول مالك بن نبي ايضا :

قد يقال ان المجتمع الاسلامي يعيش طبقا لمبادىء القرآن ، والأصوب أن يقال انه يتكلم تبعا لمبادىء القرآن ، لعدم وجود المنطق العمل في سلوكه الانساني .

ان الذي ينقص المسلم ليس منطق الفكرة ، ولكن منطق العمل والحركة .

ان المسلم لا يفكر ليعمل ، بل ليقول كلاما مجردا ـ بل انه اكثر من ذلك يبغض اولئك الذين يفكرون تفكيرا مؤثرا ، ويقولون كلاما منطقيا من شانه أن يتحول في الحال الى عمل ونشاط .

انه من هنا يأتي عمقنا الاجتماعي .

نحن حالمون ينقصنا المنطق العمل .

***

حقا ان الكلمة لمن روح القدس ـ ولكن من الضروري ان يقر في اذهاننا التمييز بين الكلمة المقدسة الفعالة ، وبين الثرثرة والهذر .

هناك اناس ليست الكلمة بالنسبة اليهم سوى اداة تؤدي الى العدم ، فهي عندهم مجرد صورة بيانية خلابة ترن في الهواء ، أو مجرد كمية من المداد على صفحة من الورق .

ان الواجب يفرض علينا ان نرعى واقعا جليا وجوهريا هو أن ميزانية التاريخ ليست رصيدا من الكلام .

انها كتل من النشاط المادي ، ومن الأفكار التي لها كثافة الواقع ووزنه .

دكتور

محمد احمد خلف الله

الدعوة إلى التجديد الدينى

بقلم

محمد محمد المدنى

- ٤ -

بينا فى مقالنا السابق وجهة نظرنا فى منع عمر بن الخطاب رضى الله عنه « **المؤلفة قلوبهم** » السهم الذى كانوا يعطونه على عهد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

ووعدنا بأن نعرض لبعض المسائل الأخرى التى اشتهر بين الناس أن عمر بن الخطاب وقف فيها من النصوص موقفا مخالفا لها .

وقبل أن نأخذ فى عرض أهم هذه المسائل ، نذكر ما يأتى :

ان الدكتور **محمد احمد خلف الله** ليس منفردا باثارة هذا الموضوع ، وانما هو باحث من جملة باحثين أثاروه كما أثاروا غيره من مواقف عمر رضى الله عنه .

وهم بين ناقد لعمر غير راض عن فعله ، ومؤيد له محبذ لموقفه من النصوص حين تكون - فيما يرى الناس - متعارضة مع المصلحة ، ومخرج لفعله تخريجا يتفق به مع أصول الفقه .

فمن الذين نقدوا عمر فى هذا : بعض علماء الشيعة الامامية ، الذين يقطن كثير منهم فى ايران والعراق وسوريا ولبنان وغيرها من بلاد العالم الاسلامى .

وخلاصة نقدهم أن سهم المؤلفة قلوبهم ثابت بنص كتاب الله تعالى ، قوله « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم .» الآية ، فكيف ساغ لعمر أن يجىء الى نص محكم فيجتهد فيه اجتهادا ينتهى الى مصادمته وتعطيل حكمه ؟ وهل يجوز الاجتهاد المبنى على الاستحسان العقلى أو العلة المستنبطة بالظن فى مقابل مثل هذا النص الواضح ؟

هؤلاء هم الذين ينقدون عمر ، وهم يصدرون عن غيرة كاملة وحرص شديد على النصوص ، وهناك من يؤيدونه - كما قلنا - ويدافعون عن تصرفه فى مثل هذا الموضوع ، لكنهم يختلفون فى منهج هذا التأييد :

فمنهم من يبيح للمجتهد أن يجتهد فى كل شىء ، حتى فى تقييد النص ووقف العمل به متى استوفى شروط الاجتهاد المبينة فى كتب أصول الفقه ، وهؤلاء هم قوم من الباحثين المعاصرين ظنوا أن الانطلاق بالشريعة الى ميادين الاجتهاد الحر المطلق من القيود من شأنه أن يحل مشاكل المسلمين ، وأن يقنع الناس بمرونة الاسلام ومطاوعته لما يرون من المصالح ، وتجاوبه مع العصور والحضارات والمدنيات .

وقد كتب المرحوم الدكتور **احمد امين** فى ذلك، ومن قوله :

« والذى يحل مشاكلنا هو فتح باب الاجتهاد بعد أن أغلقه العلماء ... والاجتهاد الذى نريده هو الاجتهاد المطلق ، لا الاجتهاد فى المذهب ، فهو يشمل كل شىء ، حتى تقييد النص ووقف العمل به ، متى استوفى المجتهد شروط الاجتهاد »

ثم قال :

« وامامنا فى ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وذكر عنه أحكاما مصدرها ذلك الاجتهاد ، منها عدم اعطاء المؤلفة قلوبهم سهمهم من الزكاة . (انظر ص ١٤٦ من المجلد الثالث لمجلة « رسالة الاسلام » التى تصدر عن جماعة التقريب بين المذاهب الاسلامية - مقال « الاجتهاد فى الاسلام » للمرحوم الدكتور أحمد أمين)

ويقول الاستاذ **خالد محمد خالد** فى كتابه الديمقراطية ص ١٥٠ :

«ترك عمر بن الخطاب النصوص الدينية المقدسة من القرآن والسنة عندما دعته المصلحة لذلك ، فبينما يقسم القرآن للمؤلفة قلوبهم حظا من الزكاة

ويؤديه الرسول وأبو بكر ، يأتى عمر فيقول : لا نعطى على الاسلام شيئا ... الخ »

ويقول الأستاذ محمود اللبابيدى وهو باحث سورى شديد التحرر — : (فى رسالة بعث بها الينا كمساجلة من مساجلات التقريب العلمية) .

« اننا نجد فى كل عصر على الاقل اماما من الائمة أو أكثر يذهب الى طريقة جديدة فى التخريج بقصد الوصول الى التشريع العام لرفع الحرج عن الامة ، ومن الشواهد التاريخية على ذلك نجد أن عمر بن الخطاب أول من مشى الى التشريع العام المباشر ، فاعتبر النصوص التشريعية معلولة لعلل مقصورة ، فاذا زالت هذه العلل ، اقتضى ذلك زوال حكمها ، وتبعا لهذه النظرية وجدت القاعدة العامة التى تقول « العلة تدور مع معلولها وجودا وعدما » وقالوا : ان عمر «نسخ» نصوصا من القرآن وعددوها ، منها سهم المؤلفة قلوبهم ... الخ »

فهذا كله تأييد لمبدأ فهموه من صنيع عمر فى شأن المؤلفة قلوبهم يدور حول ارتباط النصوص بعلل ، وجواز وقفها اذا زالت هذه العلل ، وفتح باب الاجتهاد فى ذلك اثباتا لمطاوعة الشريعة ومرونتها .

وقد بينا رأينا فى هذه المسألة والحمد لله .

هذا ومن أشهر المسائل التى يذكرونها فى هذا المجال أيضا : مسألة امتناع عمر عن تنفيذ حد القطع فى السرقة عام المجاعة مع أمر الله تعالى بالقطع فى قوله « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله ، والله عزيز حكيم »

والذى قلناه فى المؤلفة قلوبهم يقال مثله هنا :

وذلك أن عمر رضى الله عنه لم يعلق هنا نصا ولم يعدل ولم ينسخ وحاشاه أن يرى لنفسه هذا الحق ، وانما فهم أن آخذ المال فى عام المجاعة لا يوصف بأنه سارق ، لانه يرى لنفسه حقا فيما يأخذ ، والسرقة هى أخذ الانسان مالا حق له فيه خفية ، ولذلك نظير فيما يروى من فقه عمر يدل على أنه نظر هذه النظرة ، فقد روى القاسم بن عبد الرحمن أن رجلا سرق من بيت المال ، فكتب فيه سعد بن أبى وقاص الى عمر ابن الخطاب ، فكتب اليه عمر : «ان لا قطع عليه ، لان له فيه نصيبا » وله أيضا نظير فيما يروى من فقه على رضى الله عنه ، فقد حدث سفيان الثورى عن سماك بن حرب عن عبيد بن الابرص « ان على بن أبى طالب أتى برجل سرق من الخمس مغفرا ، فلم يقطعه على وقال : «ان له فيه نصيبا»

وبذلك يقول ابراهيم النخعى ، والحكم بن عتيبة، وأبو حنيفة ، والشافعى وأصحابهما . (انظر ص ٣٢٧ — ٣٢٨ ج ١١ من المحلى لابن حزم)

بل لقد روى ذلك ابن ماجه باسناده عن ابن عباس ، قال : ان عبدا سرق من الخمس فرفع ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فلم يقطعه وقال : « مال الله سرق بعضه بعضا »

(راجع ص ٢٨٧ج ١٠ من كتاب المغنى لابن قدامة)

وهذه الرواية ، ان لم تكن سنة واضحة تتلاقى معها نظرية عمر ، فانها تقرب هذه النظرية ، اذ هى دالة على تخصيص من رسول الله صلى الله عليه وسلم لآية القطع باعتبار مصلحى ، ولعل هذا هو الذى استند اليه عمر بن الخطاب فى حادثة أخرى رويت فى « الموطأ » وغيره ، وهى ما رواه السائب بن يزيد قال : ان عبد الله بن عمرو بن الحضرمى جاء بغلام له الى عمر بن الخطاب ، فقال له : اقطع يد غلامى هذا ، فانه سرق ، فقال له عمر : ماذا سرق ؟ فقال: سرق مرآة لامرأتى ثمنها ستون درهما ، فقال عمر : ارسله — أى أطلقه — فليس عليه قطع ، خادمكم سرق متاعكم »

قال **الباجى** شارح الموطأ : « رأى عمر أنه لا قطع عليه فى ذلك ، وقال : خادمكم سرق متاعكم ، وذلك أنه فهم منه — والله أعلم — أن هذا الغلام كان يخدمهم ويدخل الى الموضع الذى فيه متاع امراته ويكون فيه مثل هذا مما يحتاج أن تستعمله له فى كثير من أوقاتها ، وقد روى ابن المواز عن مالك أن العبد اذا سرق من متاع زوجة سيده من بيت اذن له فى دخوله فلا قطع عليه »

(ص ١٨٤ ج ٧ من المنتقى شرح الموطأ — للباجى الاندلسى)

وقال صاحب المغنى بعد أن أورد هذه الرواية :

« وفى لفظ : قال مالكم سرق بعضه بعضا ، لا قطع عليه ، وعن ابن مسعود ان رجلا جاءه فقال : عبد لى سرق قباء لعبد لى آخر ، فقال : لا قطع ، مالك سرق مالك ، وهذه قضايا تشتهر ولم يخالفها أحد فتكون اجماعا — أى على معنى عدم العلم بالمخالف — وهذا يخص عموم الآية »

(ص ٢٨٥ من المغنى لابن قدامه ج ١٠)

هذا ومما يتلاقى مع نظرية عمر رضى الله عنه من منع القطع فى عام المجاعة ، ما يقرره ابن حزم الظاهرى — مع شدة تمسكه بتحكيم النص مطلقا عاما فى قوله تعالى « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما — اذ يقول :

« قال أبو محمد ـ يعنى نفسه ـ : من سرق من جهد أصابه ، فان أخذ مقدار ما يغيث به نفسه فلا شيء عليه ، **وانما أخذ حقه** ، فان لم يجد الا شيئا واحدا فيه فضل كثير كثوب واحد ، أو لؤلؤة ، أو بعير ، أو نحـــو ذلك فأخذه كذلك ، فلا شيء عليه أيضا لانه يرد فضله لمن فضل عنه ، لانه لم يقدر على فصل قوته منه ، فلو قدر على مقدار قوته يبلغه الى مكان المعاش فأخذ أكثر من ذلك وهو ممكن الا يأخذه ، فعليه القطع لانه سرق ذلك عن غير ضرورة، وان فرضا على الانســـان أخذ ما اضطر اليه فى معاشه ، فان لم يفعل فهو قاتل نفسه ، وهو عاص لله تعالى ، قال الله تعالى « ولا تقتلوا أنفسكم » وهو عموم لكل ما اقتضاه لفظه ، وبالله التوفيق »

(ص ٣٤٣ ج ١١ من المحلى لابن حزم)

وهكذا نرى **ابن حزم** يفهم ما فهمه عمر من أن آخذ حقه لا يكون سارقا ، نعم انه خص عدم القطع بما اذا اقتصر الآخذ على أخذ حقه ، أو أخذ الاكثر الذى لا يمكن تجزئته ، وهذا خــلاف فى تفصيل الرأى بعد الاتفاق على المبدأ ، وعمر أجرى الامر فى عام المجـــاعة على التيسير فى تقرير الضرورة دون اعتبـــار ما اعتبره ابن حزم ، لانه رأى ذلك أشبه بغرض الشـــارع من درء الحـــدود بالشـــبهات ، والشبهات كما تكون فى ثبوت الفعل ، تكون فى تقدير الحاجة وتكييف الفعل .

ومما يتلاقى مع فكـــرة عمر فى أن الآخذ لا يعد ســـارقا الا اذا أخذ ما ليس له فيه حق : ما قرره مالك ، وأبو حنيفة ، والشــافعى ، وابن حنبل ، وغيرهم من أن الابوين اذا أخذا شيئا من مال ابنهما أو بنتهما ، ولو على سبيل الخفية ، فلاقطع عليهما. قال الشافعى : وكذلك الأجداد والجدات كيف كانوا لا قطع عليهم فيما أخذوه ولو على سبيل التخفى من مال من تليه ولادتهم ، ودليلهم على ذلك ان للوالد حقـــا فى مال ولده ، وقد فرض الله على الولد أن يعفف أباه اذا احتاج الى الناس ، **فله فى ماله حق لذلك** .

فاعتبارهم ثبوت حق الوالد فى مال الولد بمـا فرضه الله عليه من اعفافه اذا احتاج ، يرشدنا الى أن من أخذ مال غيره لجهد أصابه ، لا يعد سارقا ، لان الشارع أوجب له بمقتضى الجهد والحاجة حقا فى المال الذى أخذ منه ، ولا فرق فى هذا المعنى بين مجهود يأخذ من مال غيره ، وآخذ من بيت المال ، أو من الغنيمة ، اذ كل هؤلاء لهم نصيب فيما أخذوا منه .

وابن حزم يناقش فى مســألة الوالدين ، والآخذ من بيت المال ، أو من الغنيمة ، بما ناقش به فى مسألة الآخذ فى حالة الجهد ، ويصرح فى مســـألة الوالدين بالمبدأ المتفق عليه فيقول :

« ولم يخالفهـــم أحد فى أن الوالدين اذا احتاجا فأخذا من مال ولدهما حاجتهما باختفاء أو بقهر أو كيف أخذاه ، فلا شيء عليهما فانما أخذا حقهما »

(ص ٣٤٥ من المصدر نفسه)

ويذهب ابن القيم فى كتـــابه « **أعلام الموقعين** » مذهبا قريبا مما ذهبنا اليه ، حيث يعتبر سقوط القطع للشبهة التى تدرأ الحد بنـــاء على الضرورة الملجئة فيقول فى ص ٢٣ من الجزء الثالث :

« وقد وافق أحمد على سقوط القطع فى المجاعة الاوزاعى ، وهذا محض القيــاس ، ومقتضى قواعد الشرع ، فان السنة اذا كانت سنة مجاعة وشدة ، غلب على الناس الحاجة والضرورة ، فلا يكاد يسلم السارق من ضرورة تدعـوه الى ما يسد به رمقه ، ويجب على صاحب المـال بذل ذلك له ، اما بالثمن أو مجانا ، على الخلاف فى ذلك ، والصحيح وجوب بذله مجانا ، لوجوب المواســاة واحياء النفوس مع القــدرة على ذلك ، والايثـــار بالفضـل مع ضرورة المحتاج ، وهذه شبهة قوية تدرأ القطع عن المحتاج، وهى أقوى من كثير من الشـــبه التى يذكرها كثير من الفقهاء ، بل اذا وازنت بين هذه الشـبهة وبين ما يذكرونه ، ظهر لك التفاوت : فأين شبهة كون المسروق مما يسرع اليه الفســاد ، وكون أصله على الاباحة كالماء ، وشبهة القطـع به مرة ، وشـــبهة دعوىملكه بلا بينة ، وشبهة اتلافه فى الحرز بأكل أو احتلاب من الضرع ، وشبهة نقصان ماليته فى الحرز بذبح أو تحريق ثم اخراجه ، وغير ذلك من الشبه الضعيفة جدا ، الى هذه الشـــبهة القوية ؟ لا سيما وهو مأذون له فى مغالبة صاحب المال على أخذ ما يســـد به رمقه ، وعـــام المجاعة يكثر فيه المحاويج والمضطرون ، ولا يتميز المـــستغنى منهم والســـارق لغير حاجة من غيره ، فاشتبه من يجب عليه الحد بمن لا يجب عليه ، فدرىء ، نعم اذا بان أن السارق لاحاجة به وهو مستغن عن السرقة قطع»

كل هذا يبين لنا أن الامر فى نظر عمر رضى الله عنه لم يخرج عن النص ، وليس فيه ابطال له ولا وقف ولا تعديل ، وانمـــا هو تطبيق دقيق للفظ المشرع مع ملاحظة رغبته الصريحة فى درء الحدود بالشبهات .

والبحث موصول ان شاء الله .

محمد محمد المدنى

ومن فضل العرب

للدكتور فؤاد حسنين على

ظهور المفكرين الاحرار في الغرب أو كما يحلو لأوربا المسيحية نعتهم بالمهرطقين وذلك لأن الغرب قاوم الاسلام واتباعه خوفا على المسيحية والمسيحيين كما قاوم كل دعوة الى التفكير الحر اعتقادا منه فى ان هذا التفكير من وساوس الشيطان وهكذا أصبح السواد الأعظم من الأوربيين المسيحيين يعتبرون المفكرين القليلين من بينهم مهرطقين .

والواقع ان الهرطقة مرتبة من مراتب الشعور الدينى ، فكل مهرطق متدين وكل مهرطق ثائر على مسألة بعينها تتصل بالعقيدة التي يؤمن بها المجتمع الذى يعيش فيه أو تريده الكنيسة أن يؤمن بها فالمهرطق مؤمن يعتقد في الله وهو فى عقيدته هذه يبلغ مرحلة قد تدنيه من الأنبياء والقديسين وهو يضحي بكل شيء فى سبيل عقيدته الشخصية هذه حتى الحياة . والواقع اننا اذا اردنا أن نكون مخلصين للذات الالهية أمناء عليها يجب ألا نربط بينها وبين الكون فلا نتصور خالق الوجود والدا وان هذا الوالد يجب أن يتحلى بصفات الرجولة ، فتخيلته الكنيسة أو المسيحية شيخا ذا لحية بيضاء جالسا على عرشه فى السماء وبيده صولجان الحكم والى جواره ابنه يسوع المسيح وعلى راسيهما يحلق روح القدس فى صورة حمامة **ولا شك فى ان هذه الصورة** كانت موجودة أيام بطليموس أعنى العصر الذى تكون فيه اللاهوت المسيحى ولا شك في أن هذه الصورة التى ترجع الى ذلك العصر لا تلائم العصر الحديث عصر الفضاء واكتشاف كنهه . ومن هنا ما كاد المسيحيون يتصلون بالمسلمين فى مختلف المناسبات حتى تسرب الشك اليهم فى حقيقة هذا الاله الذى فرضته عليهم الكنيسة وراوا البون الشاسع بين الصورة التى صوره بها القرآن الكريم وتلك التى تدعو اليها المسيحية . ففي اسبانيا العربية المسلمة نجد نفرا من المسيحيين الذين أقبلوا على الجامعات العربية يرتشفون من حياضها مختلف فروع المعرفة يكفرون بالتثليث فنجد (ميخائيل ثروت) الذى ولد فيما يرجح في طليطلة حوالى عام ١٥٠٩ م من أسرة نبيله فى (فيلا نويفا) بأرجون ، وفى عصر كان النزاع فيه محتدما بين العرب وأعدائهم ، يكفر بالمسيحية ويقبل على الثقافة العربية والآداب العربية اقبالا عظيما ولم يكن وحيدا فى اتجاهه هذا بل شاركه فيه كثيرون من المسيحيين مما اضطر أسقف قرطبة الى ابداء الحزن العميق على اقبال المسيحيين على لغة العدو وعلومه والانصراف اليها والتفرغ لها وترك ما عداها . فكان ميخائيل يجيد العربية حديثا وكتابة كما استطاع أن يترجم كثيرا من الكتب الطبية العربية فى سهولة . ولم يقف اهتمامه عند هذا بل اهتم بالدين الاسلامي وأخذ يقابل بينه وبين المسيحية ولما يبلغ الخامسة والعشرين من عمره وانتهت به هذه المقابلة الى انكار فكرة التثليث وانكار الوهية السيد المسيح فتعرض لتنكيل الكنيسة فهرب من البلاد كما هرب كثيرون من المفكرين الأحرار ولجأ ميخائيل الى فرنسا حيث اتصل بفرنسى آخر كان يقدس العرب والعلوم العربية فعاونه على الاستمرار فى دراسة الطب فأتمه

واستعان به على الحياة . وفى عام ١٥٥١ أصدر رسالة حول بطلان التثليث ونادى بالوحدانية مسترشدا ببعض آى القرآن مثل (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم » ومثل « لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد .. »

وفى فرنسا أيضا انصرف هذا الاسبانى المتوسط القامة النحيل الجسم المتوقد البصيرة الى دراسة المسائل اللاهوتية فقرأ الكتاب المقدس وآراء رجال الاصلاح الدينى فى القرن السادس عشر فازداد انكارا للمسيحية وعداء للبابوية فسخف الاناجيل ووجه اليها نقدا شديدا قاسيا لذلك قرر المجمع المقدس تكفيره وبخاصة لما جاهر برأيه فى التثليث على انه من عمل الشيطان . وذهب ميخائيل ثروت بعيدا فاتهم المسيحيين بأنهم يعبدون كلبا ذا ثلاثة رؤوس ، ومن ثم قرر تطهير المسيحية من هذه الخرافات واصدر كتابه المشهور حول اصلاح المسيحية واعادة تنظيم الكنيسة وتحديد رسالتها فقاد حركة اصلاح جديدة الى جانب (لوثر) فنادى بفهم الكتاب المقدس الفهم الصحيح البعيد عن تخريجات رجال الكنيسة وتأويلات البابوية كما نادى بوحدة الوجود فطالب باصلاح الانسانية . واعتقد ميخائيل أن الله أرسله لتحقيق هذا الاصلاح وذلك لأن البروتستنتية لم تبلغ فى اندفاعها الاصلاحى الا منتصف الطريق وقاوم فكرة اقحام الفلسفة على الدين فرفض الشروح الخيالية للكتاب المقدس وتمسك بحرفيته ولما كان الكتاب لا يذكر شيئا عن التثليث فميخائيل لا يرى فى المسيح الا الانسان العادى فقط والذى ولد من والد فهو ليس الابن الخالد لله بل الابن للاله الابدى فالمسيح ليس خالدا خلود الله بل هو مظهر من مظاهر تجلى الذات الآلهية .

وميخائيل ثروت لم يكن سفير الآداب العربية فقط بل الشريعة والطب أيضا فقد اطلع على كثير من كتب العرب الخالدة فى الطب وبخاصة شرح الطبيب المصرى ابن النفيس على كتاب القانون لابن سينا والخاص بالتشريح والذى اهتدى فيه عالمنا العربى المصرى الى الدورة الدموية قبل (هارفى) بعدة قرون فحصل (ميخائيل ثروت) ببحثه هذا المقتبس من ابن النفيس على اجازة الدكتوراة فى الطب عام ١٥٣٨ م *.

وفى عام ١٥٤٠ توجه الى فينا عاكفا على اللاهوت متنكرا تحت اسم (فيلا نوفا) ولم يأت عام ١٥٥٣ الا واتم رسالة حول (احياء المسيحية) حيث هاجم المؤلف أصول المسيحية وتعاليم الكنيسة فاصدرت محكمة الاضطهاد والحرق المنعقدة فى ليون بجلسة ٤ ابريل ١٥٥٣ أمرا بالقبض عليه فهرب (ثروت) الى جنيف فكلفت المحكمة الزعيم المصلح (!) (كلفين) القبض عليه ومحاكمته ، فما كان من (كلفين) الا أن قام وزبانيته وقبضوا عليه واودعوه سجنا فى مدينة جنيف قاسى فيه الكثير من مختلف الامراض ووسائل التعذيب فقد نهشت البراغيث جسده العارى الذى جرده رجال السجن من كل ما يستره من أسمال بالية هذا الى برد السجن القارص .

وقد بالغ الزعيم البروتستنتى فى تعذيب (ثروت) قبل حرقه ليثبت للكنيسة الكاثوليكية ان البروتستنتية ليست أقل تعصبا للتثليث وتعاليم الكنيسة من الكاثوليكية . كما ان المصلح السويسرى (كلفين) لم ير فى آراء ثروت الا جنونا ، لذلك جرده من كل ما له وما عليه فكانت هذه المعاملة الوحشية من المصلح السويسرى من الأسباب التى أثارت الرأى العام فى أسبانيا فقد استنكر هذه المعاملة الوحشية التى لم تعرفها الانسانية من قبل وخاصة بعد أن تبين للرأى العام ان (كلفين) لم يرتكب ما ارتكب الا تعزيزا لمركزه حتى انه تطرف فى تعذيب (ثروت) فى السجن وغالى فى حرقه .

ففى ٢٧ أكتوبر ١٥٥٣ دقت ساعة الحرق فسار موكب يخترق أهم شوارع المدينة وفيه (ثروت) فى حالته الرثة ممسكا بكتابه الذى سيحرق من أجله ولم يكد يصل الى المحرق حتى تقدم اليه (فلهلم فارل) محاولا رده الى ايمانه قبل حرقه فلم يوفق. وظل ثروت منكرا للتثليث مؤمنا بوحدانية الله كافرا بأصول المسيحية وتعاليم الكنيسة التى تتعارض والمنطق السليم فصاح (فلهلم فارل) فى الجموع المحتشدة قائلا : ـ الآن ترون قوة الشيطان وكيف يتسلط على الانسان ، ان هذا الرجل ... وهو يعتقد انه على حق والواقع انه تحت سيطرة الشيطان وما حل به قد يحل بكم .

ولما هم الجلاد بتنفيذ الحكم قال ثروت بصوت خافت « يارب يارب » فسأله (فارل) اليس عندك

شيء آخر ؟ الا تريد ان تضيف اليه عبارة أخرى ؟ فاجابه ثروت : ماذا أستطيع أن أقول أكثر من ان اذكر الله ، فرفعه الجلاد بوساطة سلسلة الى عمود ووضع على رأسه ، امعانا فى تعذيبه ، اكليلا به كبريت ، ولما أوقدت تحته النيران صرخ قائلا « الرحمة الرحمة » ، وظل ينازع سكرات الموت نحو نصف ساعة وذلك لأن الخشب الذى استخدم لم يكن يابسا لتطول ساعات الحرق والتعذيب .

وهكذا مات ثروت الاسبانى جنسا العربى ثقافة شهيدا ضحية ايمانه وعقيدته وقد كان من بين القليلين الذين طالما رتلوا عبارة « الله محبة » .

اما المصلح البروتستنتى السويسرى (كلفن) وهو المسئول عن حرق ثروت فقد أدانه بعض أنصار ثروت واعتبروه المجرم الحقيقى ولا سيما أنه قد ثبت انه كان متعطشا الى ازهاق روحه ، فقد كتب الى (فارل) قبل وصول ثروت الى جنيف بسبعة أعوام يقول : لو يحضر ثروت الى جنيف فاننى سابذل جهدى لقتله . وكتب مرة أخرى لصديق له يقول « **ارجو ان يصدر الحكم بحرقه** » .

ان رماد جسد ثروت فى محرق (شمبل) لم يذهب الى حيث أراد (كلفن) وأعوانه من جلادى حرية الرأى والعقيدة ، ان ثروت لم يمت بل انتصر على الموت انتصار (أوزيريس) على (ذيت) وكما ان اشلاء جسد أوزيريس كانت حياة وخصوبة لوادى النيل وسكانه كذلك الحال مع رماد جسد ثروت فقد حملت ذراته الرياح الى مختلف البلاد فظهر عدد من شهداء الحرية الذين صعدت أرواحهم راضية مطمئنة الى الله الواحد الأحد الفرد الصمد وكانى بها فى ملكوت الله تلعن الطغاة السفاكين الذين دفعهم تدينهم الاعمى الى ارتكاب أبشع الجرائم واشنعها . لم يكن ثروت شيطانا لكن الشيطان ضحك منتصرا لما أقدم (كلفن) وزبانيته على تنفيذ خطيئته هذه .

ان حرق ثروت جريمة لا ضد (كلفن) وحده بل ضد البروتستنتية ، ان محرق (شمبل) بقعة سوداء فى تاريخ حركة الاصلاح الدينى فى سويسرا وفى جنيف والمحرق أيضا وصمة عار فى الكاثوليكية التى اعترفت لكلفن بمسيحيته لارتكابه هذا الجرم . ان هذه السبة التى لحقت بالمسيحية كاثوليكية وبروتستنتية لن تغسلها مياه نهر الرون . ولعل هذا الشعور بفظاعة الجرم هو الذى دفع اتباع (كلفن) الى تشييد تمثال طلبا للغفران لروح الشهيد ثروت واعترافا من البروتستنتية بالجرم الذى اقترفته .

يجب على المسيحية أن تعلم ان الحرق ليس هو الوسيلة لتغيير الرأى أو العقيدة . ان الحرق نال من جسم ثروت وأمثاله اما العقيدة فقد ظلت حية باقية آمن بها عدد كبير من أحرار المسيحيين امثال (سوسينى) (١٥٢٥ ـ ١٥٦٢) وهو أحد ابناء مدينة (سينا) بايطاليا فقد كان هذا الباحث عن الحقيقة مولعا بالاسفار والاتصال بالمفكرين الأحرار فزار بولنده مرتين حيث اتصل بعدد من رجال الاصلاح الدينى وكتب كثيرا من الرسائل التى لم تر النور الا بعد وفاته فتولى ابن أخيه المسمى (فوستو سوسينى) (١٥٣٩ ـ ١٦٠٤) وهو من المؤيدين لعمه نشرها وقام برحلة الى بولنده نجح خلالها فى تأسيس المذهب الذى نسب الى (سوسينى) ويعرف اتباعه باسم (سوسينيين) كما شيد كنيسة خاصة بهذه الفرقة التى اشتهرت ايضا باسم (يونيتاريز ـ الموحدين) وهم كما يدل عليهم اسمهم يكفرون بالتثليث ولا يؤمنون بالوهية الابن فعيسى لديهم نبى فقط . ولم يمض زمن طويل حتى بلغ عدد كنائس هذه الطائفة أكثر من مائة كنيسة منتشرة فى بولنده وليتوانيا وغيرهما . ولم يقف نشاط طائفة الموحدين عند الكنائس بل افتتحوا لهم مدارس خاصة تدعو الى التوحيد ومن أشهرها واولاها تلك التى افتتحت عام ١٦٠٢ فى مدينة (راكوف) ، كما تمتاز تراتيمهم الدينية بعدم ذكر المسيح أو القديسة مريم وقد تعرضوا فى بولنده لبعض أعمال العنف والاضطهاد فرحل نفر منهم الى هولنده والمانيا وانجلترا والمجر وامريكا حيث نجد كنائسهم فى العالم الجديد يربو عددها على خمسمائة كنيسة كما ان عددهم آخذ هناك فى الازدياد المضطرد .

وتقوم بين موحدى أوربا وأمريكا صلات قوية منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر وذلك توكيدا للتعاون معا فى سبيل الحصول على اعتراف الحكومات المختلفة بحرية العقيدة لمواطنيها ففى انجلترا نجد الموحدين بزعامة (مارتيمو) ينجحون فى القرن السابع عشر فى انتزاع اعتراف الحكومة البريطانية بحرية العقيدة لرعاياها وترتب على هذه

الخطوة أن أسس الموحدون البريطانيون معاهد دينية خاصة بهم فى انحاء مختلفة من الجزر البريطانية مثل منشستر واكسفورد ويلز ·

اما انتشار مذهب الموحدين فى امريكا فيدين للواعظ الشهير (جيمس فريمان) (١٧٥٩ - ١٨٣٥) حيث نشط فى بوسطن فاكتسب انصارا كثيرين ومنها انتشر هذا المذهب فى جهات أخرى وبخاصة فى (ماساشوسيت) حيث نجحوا فى كسب جامعة هرفرد فى أوائل القرن التاسع عشر فوجدوا فيها سندا قويا للموحدين الامريكيين الذين افتتحوا ثلاثة معاهد دينية هامة فى بوسطن و (ميدفيل) و (بركلى) كما شيدوا ما يقرب من خمسمائة كنيسة·

وهكذا كلما تتقدم الأيام يثبت لنا ان الطغيان ليس هو القوة العليا فى هذا الوجود بل الحق والايمان وان الشهيد ثروت الذى مات ضحية ايمانه بتعاليم القرآن الكريم فيما يتعلق بالوحدانية بعث ثانية وحمل مشعل العقيدة العربية عاليا وضاحا فظهر أمثال (سبستيان كستللو) وكذلك (سبستيان فرنك) الذى كانت ترنيمته الدينية :

لا اريد ان اكون باباويا
لا اريد ان اكون لوثريا
لا اريد ان اكون مسيحيا

و (جوتفريد ارنولد) و (جيوردانو برونو) وغيرهم من ائمة المفكرين الاحرار فى العالم واشهر المعاصرين هو الاسقف البريطانى (جون ١٠ ت · روبينسون) الذى نشر فى صحيفة (ذى اوبزرفر) عدد ١٧ مارس ١٩٦٣ ملخصا لآرائه التى ضمنها كتابه الذى ظهر فى نفس الشهر حول فكرة الله · ويكفى أن أذكر هنا ان كتابه (أمينا لله) الذى تقدر طبعته الاولى بنصف مليون نسخة قد نفدت بمجرد صدورها كما ان الكتاب ترجم الى ثمانى لغات · وقد هاجم المؤلف الفكرة المسيحية التى تصور الله هذه الصورة البدائية التى لا تتفق وتفكيرنا الحديث وختم كتابه بقوله « **ان الاله الاب اسطورة فقط** » وهكذا يطرد المؤلف الذى كان استاذا للاهوت فى جامعة كمبردج معقل المذهب الانجليكانى · وقد نشر فكرة الله فى المسيحية من قبل ثمانية كتب حول العهد الجديد والمسيحية كما اشتهر بدفاعه المشهور عن كتاب « عشيق الليدى شترلى » امام القضاء ودعا الى وجوب تداوله بين المسيحيين ذكورا واناثا شبابا وشيبا ·

ولم يكن الاسقف (روبينسون) هو أول من وقف هذا الموقف من اله المسيحيين فى القرن العشرين بل سبقه اللاهوتى الالمانى (بونهوفر) الذى نادى فى ٣٠ ابريل ١٩٤٤ بمثل هذا الراى فزج به النازيون فى السجن واعدم وقد قال : **اننا نؤمن بالمسيحية منذ أكثر من ١٩٠٠ عام ، وهذا الايمان يعتمد أولا وقبل كل شيء على الشعور الدينى عند البشر لكن اذا ما تحررت الانسانية من هذا الشعور الدينى انهار صرح المسيحية ·**

ويعاود الاسقف البريطانى الحديث عن آرائه فى كتابه فى مقال نشره فى (صنداى ميرور) فيقول انه اصدر كتابه هذا لأولئك الذين يفرون من المسيحية يوميا صائحين غرباء ويعلنها الاسقف صريحة « من هو الله فى النصف الثانى من القرن العشرين ؟ » ·

ان مناداة هذا الاسقف الانجليكانى بهذا الراى عمل عظيم حقا يدعو الى الاعجاب والتقدير فهو يعد ولا شك الرأى العالمى الى حركة اصلاح دينية جديدة أو بتعبير آخر التمهيد لتطور عقلى عظيم · وهو يذكر فى مقدمة كتابه ان رسالة رجال الدين فى السنوات القادمة يجب أن تتعدى اعادة طبع النصوص الدينية القديمة وتتعرض الى صياغة التعاليم المسيحية صياغة اخرى وبخاصة ادراكنا لفكرة الله هذه الفكرة التى نريد الآن التخلص منها اذا ما أريد للعقيدة المسيحية أن تقوم بدور ما فى عالمنا هذا ·

ويذكر الدكتور الاسقف روبينسون عبارات أخرى هامة جدا فهو يقرر ان الانسان لتحدث بين كثيرين من أصدقائه غير المسيحيين افرادا اقرب الى ملكوت الله منه وهؤلاء الافراد برفضهم العقيدة المسيحية انما يرفضون هذا الجانب الذى يتعارض والتفكير السليم · ان الاسقف يدرك تمام الادراك ان الكنيسة تحاول استخدام عملة زائفة لتربح من ورائها أموالا طائلة ، وهى تدرك تمام الادراك ان العملة التى القت بها فى السوق زائفة ·

هذا هو تراث العروبة فى الغرب لا يزال حيا قويا متدفقا يتنقل بين العالمين القديم والجديد منذ ان طوت العروبة الويتها فى الاندلس فحملها امثال (ثروت) وبذرها فى اوربا فاينعت وانتجت ·

اما هنا فى البلاد العربية فنفوس حائرة وعيون زائغة وشعوب لا تعرف مصيرها ·

دكتور فؤاد حسنين على

السياسة الجنائية الشرعية

بقلم أحمد فتحي بهنسي

- ٢ -

ذكرنا في **المقال السابق** أن مبنى الشريعة هو على العدل وأنها مصالح كلها وحكمة كلها . وأن السياسة الرشيدة هي التي لا تقف جامدة عند عدم النصوص وانما تنفذ الى المصالح الحقيقية للناس ما دامت في الاطار الذي نزل به القرآن أو جاءت به السنة .

لذلك اضطر الخلفاء وغيرهم من الائمة المجتهدين الى النزول أمام الوقائع والاجتهاد فيها بما يحقق المصالح العامة أولا ، ثم المصالح الخاصة للأفراد .

تلك كانت سياستهم الرشيدة : حزم وعزم وبعد نظر ، ولكن هل تتغير هذه السياسة بتغير الأزمان والأماكن ؟ أم هي ثابتة أبد الدهر على الجيل الذي ابتدعت فيه والأجيال التي تلتها ؟

من المعروف أنه اشترك في الفتوح الاسلامية كثير من الصحابة العلماء بشريعة الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهؤلاء الذين تفرقوا في الأمصار قاموا بواجبهم خير قيام فأمدوا الولاة بالرأي والمشورة وافتوا الجماعات والأفراد بما غمض عليهم من شرع الله تعالى فيما يظهر أنه لم يرد فيه نص . ونقصر الكلام على الناحية الجنائية فنذكر بعض المسائل التي عرضت لهم ونرى كيف كانت سياستهم تجاهها واجتهادهم فيها .

في جريمة السرقة :

أولا : قال الله تعالى : « **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم** » .

أي ان ثبتت السرقة على شخص تقطع يده بالطريقة وبالكيفية وبالنظام الذي بينته السنة عقوبة له وزجرا لغيره حتى يأمن الناس على أموالهم وأرواحهم .

الا أنه قد جدت وقائع استهدف فيها الخلفاء الراشدون سياسة تدل على حزم وعزم ، سياسة تدل على فهم أصيل لروح الشرع . روى الامام مالك في الموطأ :

ان رقيقا لحاطب سرقوا ناقة لرجل من مزينة فانتحروها ، فرفع ذلك الى عمر بن الخطاب فامر عمر كثير بن الصلت ان يقطع ايديهم ثم قال عمر : اراك تجيعهم . ثم قال عمر : « والله لأغرمنك غرما يشق عليك » . ثم قال للمزنى : كم ثمن ناقتك ؟

فقال المزنى : كنت والله امنعها من اربعمائة درهم فقال عمر : اعطه « الأمر لحاطب » ثمانمائة درهم .

قال يحيى : وسمعت مالكا يقول : وليس على هذا العمل عندنا فى تضعيف القيمة ، ولكن مضى أمر الناس عندنا على أنه انما يغرم الرجل قيمة البعير او الدابة يوم أخذها .

نفهم من هذا الأثر أمورا ثلاثة :

الأمر الأول :

فهم عمر بن الخطاب أن قطع اليد عقوبة شرعت للسارق الذى يسرق من غير حاجة تلجئه الى السرقة فاذا تبين أن هؤلاء سرقوا لياكلوا لم ير أن يمضى عليهم حد السرقة .

الأمر الثانى :

لما رفع عمر العقوبة عن السارق لم يرد أن يمضى الأمر هكذا بدون تضمين المزنى صاحب الناقة فكلف حاطب مولى الرقيق بتعويضه ، ولكنه وجد أن ثمن المثل فيه اجحاف بالمجنى عليه من ناحية ، ومن ناحية أخرى ليس فيه ما يروع حاطب الذى ترك عبيده جياعا يمدون يدهم الى أموال غيرهم فضاعف الغرم عليه وكلفه بسداد ثمن الناقة ومثله معه .

الأمر الثالث :

ان هذا الحكم الذى أشار به عمر بن الخطاب ونفذه فى زمانه فى تلك الحادثة قال فيه الامام مالك رضى الله عنه وهو الذى عاش فى زمان غير زمان عمر :

وليس على هذا العمل عندنا فى تضعيف القيمة ولكن مضى أمر الناس عندنا على أنه انما يغرم الرجل قيمة البعير او الدابة يوم اخذها ،

أى أن تغير الزمن كان له دخل فى تغير الحكم .

ثانيا : روى أن جنارة بن أمية قال : **كنا مع يسر بن أرطاة فى البحر ، فاتى بسارق يقال له مصدر قد سرق بختية « وهى أنثى الجمال الطويلة الأعناق » فقال : قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تقطع الأيدى فى السفر ولولا ذلك لقطعته . وفى رواية أخرى فى الغزو .**

وهذا الأثر جعل « أبو حنيفة » يقول :

اذا غزا الجند أرض الحرب وعليهم أمير فانه لا يقيم الحدود فى عسكره .

وقال أبو يوسف : أخبرنا بعض أشياخنا عن مكحول عن زيد بن ثابت رضى الله عنه أنه قال : لا تقام الحدود فى دار الحرب مخافة أن يلحق أهلها بالعدو . والحدود فى هذا كله سواء .

وروى أيضا أن عمر رضى الله عنه كتب الى عمير ابن سعد الأنصارى والى عماله الا يقيموا حدا على احد من المسلمين فى أرض الحرب حتى يخرجوا الى أرض المصالحة .

وقد احتج أبو يوسف فى كتاب الخراج لهذه المسألة فقال :

حدثنا الأعمش عن علقمة قال : غزونا ارض الروم ومعنا حذيفة وعلينا رجل من قريش فشرب الخمر فأردنا أن نحده ، فقال حذيفة : تحدون أميركم وقد دنوتم من عدوكم فيطمعون فيكم !!

وروى أيضا عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة قال : أصاب أمير الجيش وهو الوليد بن عقبة شرابا فسكر ، فقال الناس لأبى مسعود وحذيفة ابن اليمان : اقيما عليه الحد فقالا : لا نفعل نحن بازاء العدو ونكره أن يعلموا فيكون جراة منهم علينا وضعفا بنا .

كما روى أن أبا الدرداء نهى أن يقام على أحد حد فى أرض العدو .

فقد فهم الأئمة والفقهاء أن حكم الرسول بعدم القطع عقوبة جريمة السرقة فى الحرب يجب أن ينسحب على باقى العقوبات لنفس الحكمة التى توخاها صلى الله عليه وسلم وهى ما يلحق بالمسلمين من الضرر باقامة الحد فى أرض العدو .

ومع هذا الوضوح فى النصوص نجد بين الفقهاء من لا يجيز سحب الحكم الذى أورده الرسول صلى الله عليه وسلم على باقى الحدود كالامام الشافعى والأوزاعى .

قال الأوزاعى : من امر على جيش وان لم يكن امير مصر من الأمصار اقام الحدود فى عسكره غير القطع حتى يقفل من الدرب فاذا قفل قطع .

وقال الشافعى : يقيم أمير الجيش الحدود حيث كان من الأرض اذا ولى ذلك ؛ فان لم يول فعلى الشهود الذين يشهدون على الحد أن يأتوا بالمشهود عليه الى الامام والى ذلك ببلاد الحرب أو ببلاد الاسلام ولا فرق بين دار الحرب ودار الاسلام فيما أوجب الله على خلقه من الحدود . وما روى عن عمر بن الخطاب منكر . ويعيب الشافعى على ابى يوسف بأن يحتج بحديث غير ثابت اذ يقول أبو يوسف : حدثنا شيخ !! ومن هذا الشيخ ؟؟ ويقول مكحول عن زيد بن ثابت ومكحول لم ير زيد بن ثابت .

ونخلص من هذا الأثر الى امور :

اولا : ان كل فريق رتب على الحديث النبوى الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير ما رتبه الفريق الآخر .

ففريق يقرر أنه لما كانت علة تأجيل الحد فى السرقة هى ما يلحق بالمسلمين من ضرر باقامة الحد فى أرض العدو ، سواء لخشيته من أن تأخذ المحدود العزة بالاثم فيلحق بالكفار أو أن يطمع العدو فى المسلمين حين يعلم ما حدث لرجالهم ، يرى هذا الفريق أن ينسحب هذا الحكم على سائر الحدود فى بلاد الحرب .

وفريق يقرر أن الحديث يقف عند حد الاعفاء فى قطع اليد فى السرقة فقط ولا ينسحب الاعفاء على وقف باقى الحدود فى الحرب ويقولون فى ذلك :

لافرق بين دار الحرب ودار الاسلام فيما أوجب الله على خلقه من الحدود لأن الله عز وجل يقول : السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما والزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، وسن رسول الله صلى الله عليه وسلم على الزانى الثيب الرجم وحد الله القاذف ثمانين جلدة لم يستثن من كان فى بلاد الاسلام ولا بلاد الكفر وأن الحلال فى دار الاسلام حلال فى بلاد الكفر والحرام فى بلاد الاسلام حرام فى بلاد الكفر فمن أصاب حراما فقد حده الله على ماشاء منه ولا تضع عنه بلاد الكفر شيئا . أما القول بأن المحدود قد يلحق بالمشركين فان لحق بهم فهو اشقى له .

ثانيا : أن هذا الخلاف بين الفريقين يدفع غيرهم فى غير زمانهم الى الاجتهاد فى الأمر وتنفيذ السياسة التى يرون أن فيها مصلحة راجحة لهم .

ثالثا : ان الاعفاء من العقاب فى هذه الأحوال سواء كان بالنسبة لقطع اليد فى جريمة السرقة ام بالنسبة للعقوبة فى باقى الحدود انما هو اعفاء مؤقت ينتهى وقته بانتهاء الحرب وعودة الجيش الى البلاد . فاذا عاد الجيش الى بلاده فيلزم عند ذلك تنفيذ الحد المؤجل فورا وبلا تأخير .

بقيت لنا كلمة فى هذا الأمر وهو أن بعض الفقهاء المحدثين يقولون ان صنيع عمر هنا يشبه صنيعه فى عام المجاعة حين نهى عن القطع .

ذكر عن الحسن عن رجل قال : رايت رجلين مكتوفين ولحما فذهبت معهم الى عمر رضى الله عنه فقال صاحب اللحم : كانت لنا ناقة عشراء ننتظرها كما ينتظر الربيع فوجدت هذين قد اجتزراها فقال عمر رضى الله عنه : هل يرضيك من ناقتك ناقتان عشراوان مربعتان ؛ فانا لا نقطع فى العذق ولا فى عام السنة وكان ذلك فى عام السنة ، والعشراء هى الحامل التى أتى عليها عشرة أشهر وقربت ولادتها فهى أعز ما يكون عند أهلها ينتظرون الخصب والسعة بلبنها .

ونود أن نقرر أن ما فعله عمر فى عام المجاعة من نهيه عن القطع لم يكن سياسة جديدة منه وانما هو كان يطبق سنة عن النبى صلى الله عليه وسلم .

روى مكحول رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : **لا قطع فى مجاعة مضطر** . ورواه أيضا الخطيب عن أبى أمامة .

احمد فتحى بهنسى

تطور العلاقات الثقافية العربية - الهندية

بقلم: محيي الدين الألوائي



الرئيس جمال عبد الناصر ولال بهادور شاستري - رئيس وزراء الهند

ان العلاقات الثقافية بين **العرب والهند** لترجع أصولها الى عهود بالغة في القدم ، فتطورت تلك العلاقات وتبلورت حسب تقلبات الزمن حتى صارت الآن موثقة العرى ، وموطدة الاركان ، واتسع نطاقها اتساعا عظيما بعد مشاركة العرب والهند على أساس المحبة والتعاطف ، والارشاد في النضال السياسي المشترك ، الذي تعرضت له الامتان للتحرر من التدخل الاجنبي ، الذي كان بمثابة عقبة كأداء في سبيل التقدم المرموق لكلتا الامتين في الوجوه المختلفة لمرافق الحياة البشرية ، وقد ظل زعماء الهند والعرب السياسيون والثقافيون ، يستوحون المثل السامية لخلق فصل جديد في تاريخ العلاقات العربية الهندية حتى تمكن الشعبان الآن أن يستهلا عصرا جديدا من التبادل الثقافي والتفاهم الفكري . ومن هنا يكون من المفيد أن نقف وقفة عابرة نتأمل فيها مظاهر هذه العلاقات ومعالمها في البلدين في الوقت الحاضر ، وذلك لنتبين مدى ما تدين به الهند للعرب ، والعرب للهند قديما وحديثا :

يقول العلامة الشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨ هـ ١١٥٣ م في كتابه « **الملل والنحل** » في معرض تقسيم أهل العالم « منهم من قسمهم حسب الامم ، فقال : كبار الامم أربعة - العرب والعجم والروم والهند - ثم زاوج بين أمة وأمة ، فذكر أن العرب والهند تتقاربان على مذهب واحد ، وأكثر ميلهم الى تقرير خواص الاشياء والحكم بأحكام الماهيات والحقائق ، واستعمال الامور الروحية » ، ومن هنا كانت النظريات الى الامور والحكم عليها متقاربين على نهج واحد ، ومن ناحية أخرى كانت منتجات الهند ومحصولاتها موضع اهتمام العرب ، فعملوا على الاتجار معها ، وازدهار العلاقة التجارية بين

البلدين ، كما ظهر ذلك جليا من كثرة ورود أسماء الاشياء الصادرة من الهند الى العرب ، في قصائد الشعراء العرب القدامى ، وفي منثوراتهم ، كالفلفل والقرنفل والسيف « المهند » وغير ذلك حتى قيل ان تسمية البلاد الهندية « بالهند » ـ ومن المعروف أن اسمها الاصلي هو « بهارت » كما هو الاسم الرسمي المنصوص عليه في الدستور الهندي ـ ترجع الى العرب ، لانهم كانوا يلقبون كل شيء محبب اليهم بلفظ الهند أسوة ببناتهم ، فلما توثقت العلاقات التجارية والثقافية بين البلدين ، وأصبحت «بهارت» ومنتجاتها محل اعجاب وتقدير لدى العرب ، بدأوا يطلقون كلمة « الهند » على تلك البلاد بدلا من «بهارت» ، في محادثاتهم ، وأشعارهم ، فاشتهرت على مر الايام باسم «الهند» ٠

والمعروف أن العلاقات بين الهند والعالم العربي قد قامت منذ ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد ، وكان العرب يغدون الى سواحل الهند الغربية قبل قدوم الاسكندر الاعظم بقرون عديدة ، وأن محصولاتها كانت تصدر الى جزيرة العرب عبر الخليج ، ومن هناك ينقلها التجار العرب الى سوريا ومصر ، وأما التجار الغرب فكانوا يشترون تلك السلع من هذين البلدين ، ثم يصدرونها الى بلادهم ، وبعد أن لاقت الدعوة الاسلامية نجاحا وانتشارا منذ هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام الى المدينة ، اعتنق مئات من قبائل العرب الدين الاسلامي خلال الاعوام التالية ، وقد دخل سكان اليمن وحضرموت في الاسلام أفواجا ، وكانوا جميعا من التجار الذين كانوا يشحنون البضائع الى الخليج ومصر وسواحل الهند الغربية مثل «ملابار ، ومعبر ، وسند» وكذلك الى «سيلان ، وجاوا ، والصين» وغيرها من البلدان النائية ، وبطريق هؤلاء التجار وصل صوت الاسلام الى الهند وسيلان عقب انبثاق فجره في جزيرة العرب ٠ فبدأت اللغة العربية وآدابها تنتشر وتتأصل في ربوع الهند بأيدي رجال العرب والهنود الذين اعتنقوا الدين الاسلامي ، فجاهدوا في نشر هذه اللغة وعلومها في أنحاء البلاد باعتبار كونها لغة القرآن الكريم ، والعلوم الاسلامية ، وهمزة الوصل بين الهند والعالم العربي ٠

وترك دخول الاسلام في الهند ، بطريقة سلمية ودية ، أثرا بالغا في نفوس ملايين الهنود ، وساعد على توسع نطاق العلاقات الثقافية ، والروابط الروحية بين العرب والهنود فبدت معالم الثقافة العربية في أنحاء الهند ، بينما ازداد اهتمام العرب بصفة عامة ، وعلمائهم بصفة خاصة بالهند ، وأصبح اثر النفوذ العربي ملموسا في طول البقاع الساحلية للقارة الهندية ، والتقاليد والعادات العربية منتشرة في بقاع عديدة في المناطق التي استوطن فيها المهاجرون العرب الاول في الهند ٠ واستمر ازدهار العلاقات الثقافية والفكرية بين الهند والعالم العربي الى أن بسط الاجنبي سياسته المتبعة «فرق تسد» ٠ وفي غضون القرن التاسع عشر ، والنصف الاول من القرن العشرين مرت الهند ، والدول العربية بفترة تميزت بالتسلط الاستعماري الغاشم ، واستهدف الجانبان التحرر من نير الاجانب بالتعاون والمحبة ، والدليل على ذلك التفاهم والتعاطف اللذان كانا يبدوان في صفوف زعماء الهند والعرب ، بينما كان كثيرون من الكتاب العرب وأدبائهم ومفكريهم ، في تلك الحقبة معروفين جيدا في الهند ، وقد كان لهم اثر عميق على الفكر والادب عند الهنود ، فاذا كان «عرابي ، وسعد زغلول ، ومصطفى كامل» يوثقون التفاهم السياسي مع أمثال «غاندي» ونهرو، وآزاد»، كان « شوقي ، وحافظ ، والشيخ محمد عبده » يتركون أثرا طيبا في المجال الثقافي والادبي في كتابات «طاغور ، وشبلي ، ودهلوي» ٠

وباستكمال التحرر من السيطرة السياسية الاجنبية بدأ عصر جديد عند العرب والهندعلى السواء في ميدان تقوية العلاقات الثقافية ، الى جانب العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها ٠ ومن البشرى والامل أن نطاق العلاقات الثقافية الراهنة بين الامتين ، يزداد توسعا يوما فيوما بفضل جهود رجال البلدين الذين تشبعوا بروح الفكر والادب ، واستضاءوا بنور العلم والعرفان ٠

ومن المعالم الحية التي تلقي ضوءا على مدى تطور العلاقات الثقافية العربية الهندية ، معاهد اللغة العربية وآدابها المنتشرة في أنحاء الهند ، ومنها المدارس العربية التي تقوم على المساعدات الخيرية والتبرعات الأهلية ، ومنها الكليات العربية التي تجرى تحت اشراف الجامعات الحكومية ومساعداتها٠ وهناك جامعات عديدة فيها أقسام خاصة للدراسات العربية ، مثل جامعة عليكرة في شمال الهند ،

والجامعة العثمانية فى حيدر آباد وجامعة مدراس وجامعة كيرالا بجنوب الهند وجامعة بيهار وجامعة كلكتا فى شرقى الهند ، وجامعتى لكنهو والله آباد فى الهند الوسطى وجامعة كشمير وغيرها • وتوجد الآن فى مختلف أنحاء الهند مكتبات كبرى تضم مجموعة قيمة من الكتب العربية القديمة والحديثة مثل مكتبات جامعة عليكره والجامعة العثمانية ودار المصنفين بأعظم كره ودار العلوم بلكنهو وديوبند وندوة المصنفين بدلهى • وهناك أيضا دور خاصة للنشر والطبع والتأليف باللغة العربية مثل دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد ومجلس الهند للروابط الثقافية بدلهى وندوة العلماء بلكنهو ويصدر مجلس الهند المذكور مجلة باللغة العربية باسم « ثقافة الهند » بينما تصدر من لكنهو مجلة اسلامية باللغة العربية باسم « **البعث الاسلامى** » • وتنشر دار النشر فى ملابار بولاية كيرالا ، مجلة ادبية باللغة العربية باسم « البشرى » وهكذا يتوسع نطاق مظاهر الثقافة العربية فى الهند اليوم مع مستقبل زاهر فى ربوعها •

ونرى الطابع العربى فى كثير من الفنون الهندية والآثار التاريخية الخالدة المنتشرة فى أنحاء البلاد مثل القلاع والمساجد والأضرحة والمبانى الأثرية ، وتتجلى فى كل منها مظاهر الفن العربى وروعته حتى يخيل الى الزائر فى أول وهلة ، عندما يقوم بزيارة بعض المدن الرئيسية ، مثل دلهى وآجرا وحيدر آباد كأنه فى احدى الأماكن التاريخية فى بلد عربى ، وكذلك يرى الزائر الأزياء العربية ، كالعمامة والجلباب والسروال والطيلسان والقلنسوة وغيرها منتشرة بين الهنود بصرف النظر عن اختلاف الأديان والطوائف ، كما يجد هو فى بعض المدن الساحلية، فى ولاية كيرالا ، وبومباى وغيرهما ، عددا كبيرا من جاليات عربية يشتغلون بالتجارة محتفظين بثقافاتهم وعاداتهم العربية الخالصة ، وتغلغلت تلك العادات ومظاهر هذه الثقافة ، الى السكان المحليين ، فى مناسبات أفراحهم وأعيادهم ، بل وحياتهم اليومية. وهذا قليل من كثير من آثار تطور العلاقات الثقافية بين الشعبين ، على مر السنين •

واما الأثر العربى فيمكن تبينه بطريقة ملحوظة فى اللغات الهندية المختلفة وآدابها ، بل قد أعانت اللغة العربية ، بقوة سحرها ، وغزارة مادتها ، فى الارتقاء ببعض لغات الهند، كاللغة الأردية مثلا، حيث توجد فيها من الكلمات العربية بمعدل ٣٠٪ ، ومن اللغات التى أثرت فيها اللغة العربية ، البنجابية والملايالمية والجراتية والسندية والكشميرية وغيرها. واما اللغة السندية التى هى لغة الهندوس والمسلمين على السواء، فلا تزال تكتب بخط عربى وفيها كلمات لا تحصى من العربية ، وأسلوبها - الى حد كبير - أشبه بالعربية منها بأية لغة أخرى هندية ، وكذلك يستعمل بعض أهالى ججرات الخط العربى فى كتابة لغتهم ، ومن الطريف أن المسلمين فى منطقة ملابار يكتبون لغة « ملايالم » بالخط العربى ، وأن اللغة العربية على رغم كونها ليست لغة المحادثة والتفاهم بين مسلمى الهند ، يعتبرونها لغة مقدسة ، ويقرأون القرآن ، والتراتيل الدينية يوميا بالعربية نفسها، وان لم يتمكنوا من متابعة معانيها •

وهكذا نرى نفوذ **الثقافة العربية** جليا فى ميادين كثيرة من الحياة الهندية ، واما العلاقات السياسية بين العرب والهند ، فظلت دائما مبنية على المحبة المتبادلة والاحترام المتبادل ، ودليل ذلك واضح فى كتب الرحالة والسياح العرب ابتداء من « **التاجر سليمان** » فى القرن التاسع و « **البيرونى** » فى القرن الحادى عشر ، و « **ابن بطوطة** » فى القرن الرابع عشر الى مؤرخى العصر الحديث • وأن العرب دخلوا الهند تجارا محبوبين ، واستقروا بها يتزاوجون من أهلها على علاقة ثقافية سلمية ، بينما كان الهنود موضع تقدير العرب وثقتهم ، وهذه الصلات الوثيقة قد تركت أثرا فعالا فى مرافق الحياة المادية والفكرية فى كلا الشعبين •

وهكذا تكون الهند مدينة للعرب بطريق غير مباشر فى ميادين ثقافية وادبية وعلمية ، واقتصادية واجتماعية ؛ وشيد ماقدمه العرب للهند طوال تلك العصور قاعدة متينة تقوم عليها دعائم العلاقات الثقافية بين البلدين فى الوقت الحاضر •

واذا القينا نظرة خاطفة الى ما قدمته الهند للعرب فى ميدان النهضة الثقافية والعلمية فنجد أمثلته ظاهرة فى ميادين العلوم والفلسفة والمعارف الهندية ؛ واستمرت عملية نقل المعارف العلمية والآراء الفلسفية الهندية الى العربية حتى بداية القرن

البقية على صفحة « ٢٠ »

ذكرى ملك حفني ناصف

بقلم : روحية القليني

يوافق يوم ١٧ من اكتوبر ذكرى وفاة الكاتبة الشاعرة ، المصلحة الاجتماعية **ملك حفني ناصف** .

ولدت فى ٢٥ من ديسمبر عام ١٨٨٦ وتوفيت فى ١٧ من اكتوبر عام١٩١٨ وهى فى أوج شبابها ... فى عمر الزهور ، ولكنها تركت أثرا خالدا ، وذكرى باقية على الزمن . بل انها شاركت مشاركة فعالة فى تدعيم مكانة المرأة . ولقد اصبح واجبا علينا وقد وصلت المرأة الى ماوصلت اليه الآن فى مجالات الادب والعلم والفن أن نذكر رائداتنا اللاتى عبدن لنا الطريق ، وحملن المشاعل لنسير على هديها ، وقمن بالدور الاكبر فى تخطى العقبات ، ومواجهة مشاكل المرأة فى فجر نهضتها . وطريق الفن نار ونور ، نار تحرق وتصهر القلوب التى تعيش على الالم والحب والحرمان والامل ، وتحيله بالتجربة الواعية الى فن أصيل خالد ساحر .

هذه التجربة لا يخلد بعدها الا الفنان الاصيل المعتمد علىتجربته الذاتية وعلى اصالته الفنية ، وعلى التفانى بل الفناء فى عمله الفنى ، وهو بعد ان يثبت فى الميدان ، وبعد أن يكون قد اضناه المسير ، وصقلته التجربة ، يقومالتاريخ بابراز اهمية الدور الذى لعبه . وكانت رائدتنا ملك احدى هؤلاء النابغات اللائى عشن لارضاء رغبتهن الفنية ، وجاء التاريخ وخلدها خلودا لم تسع هى اليه ، وانما سعى هو اليها فخورا بما اسدته الى المرأة ومواهبها وكرامتها من جهود ، و **ملك** كانت شاعرة مقلة رغم شاعريتها المتدفقة وانى لاعتبرها مصلحة اجتماعية قبل ان تكون شاعرة ، ولو انها انصرفت للشعر لملأت الدواوين بما لها من حس مرهف ، وطبع صاف ،ورقة ساجية ، شأن كل شاعر أصيل .

ولكن **ملك** كانت ترى ان عليها واجبا نحو بنات جنسها حينئذ ، ونحو وطنها أولا وأخيرا ، اذ عاشت فى وقت كان تعليم البنات فيه مقصورا على المدارس الاجنبية ولفئة معينة من الاسر القادرة وكان الرجل ينظر غالبا للزوجة على انها مكملة لأثاث البيت وليست الصديقة المخلصة والشريكة الحانية . وكانت هى نفسها غير سعيدة فى حياتها الزوجية ولكنها تحملت وصبرت حتى لا يقال ان المتعلمة لا تصلح زوجة فكانت كل هذه العوامل مجتمعة تلح عليها وتجعلها تنصرف الى الاصلاح بالمقالات والخطب والاجتماعات وهذه كلها أو معظمها طريقها النثر لا الشعر بقلم ثائر يسهم فى كل فكرة تجيش بصدرها .

وكانت **ملك** تنفق كل مالها بل كانت تبيع مجوهراتها من هدايا وغيرها للانفاق على مشروعاتها الاجتماعية والانسانية مثل انشاء مدارس خاصة لتعليم التمريض ومشاغل الحياكة ، وما يلزم جرحى الحرب ... الخ .

وقد ضاع معظم شعر ملك فى بيت الزوجية ، وكانت تدونه بحسب الترتيب التاريخى واول قصيدة لها نشرتها فى جريدة المؤيد تقول :

بشرى لمصر فقد نالت امانيها
وانجح الله بالحسنى مساعيها

ولها قصيدة ثائرة نشرتها عقب اصدار قانون المطبوعات فى ٢٥ مارس سنة ١٩٠٩ الهبت بها الشعور العام وتدخلت الحكومة حينئذ فى الموقف. قالت :

يا امة نشرت منظومها الغير
حتام صبر ونار الشر تستعر
ماذا يقولون فى ضيم يراد بكم
حتى كانكم الأوتاد والحجر
ستسلبون غدا اغلى نفائسكم
حرية ضاع فى تحصيلها العمر
حرية طالما منوا بها كذبا
على بنى النيل فى الآفاق وافتخروا

وفى هذه القصيدة تبدو لنا الشاعرة الثائرة التى تابى الظلم وتكره العبودية وتتفاعل مع الأحداث ، فالشاعر كما يقولون مرآة عصره وسجل تاريخ وطنه

وقد كانت **ملك** تعتبر عائشة التيمورية استاذتها ورائدتها ويبدو ذلك فى قصيدتها التى ترثى بها عائشة فتقول :

الا يا موت ويحك لم تراع
حقوقا للطروس وللبراع
تركت الكتب باكية بكاء
يشيب الطفل فى عهد الرضاع
ولم تهب الفضائل والمعالى
وطول السعى فى خير المساعى
تراك تجود بالأرزاء حتى
عددنا البخل من كرم الطباع
فذب يا قلب لانك فى جمود
وجد يا دمع لانك فى امتناع

الى ان تقول :

سنبقى بعد عائشة حيارى
كسرب فى الفلاة بغير راع
فيا شمس المحامد غبت عنا
وخلفت البكاء لكل ناع
ويا خير النساء بلا خلاف
وقدوتنا بلا ادنى نزاع

لقد جددت ذكر نساء مصر
وجددت العلا بعد انقطاع

وهى تقلد عائشة ايضا فى الرثاء، ففى قصيدتها التى ترثى بها حرم عبد العزيز فهى تقول :

تعدو العوادى والخطوب تنوب
وبلاه عيش المرء كيف يطيب
حمى النفاس شيبت مهجة والد
هيهات أن يطفى لظاه نحيب
امحمد يوم الولادة سرنا
لكنه من حيث سر عصيب !

الى ان تقول :

قد نقبت فى الطب تبغى حملها
ولرب سر ضره التنقيب
لم يجد ما زعم الطبيب برئها
هيهات ان يقضى القضاء طبيب
فبطبه سالت عليك مدامع
وبطبه شقت عليك قلوب

ومن قبلها قالت عائشة التيمورية ترثى ابنتها توحيدة :

جاء الطبيب ضحى وبشر بالشفا
ان الطبيب بطبه مغرور

فهى حين يحين الموت يغمرها باسى قاتل فتضع اللوم على الطبيب لانه لم يستطع أن يعيد الحياة الى المريض وينسى القدر وسنة الفناء .

وفى قصيدتها « الحياء » حين تقول :

ان الفتاة حديقة وحياؤها
كالماء موقوف عليه بقاؤها
بفروعها تجرى الحياة فتكتسى
حللا يروق الناظرات رواؤها
ايمانها بالله احسن حلية
فيها فاما ضاع ضاع بهاؤها
لا خير فى حسن الفتاة وعلمها
ان كان فى غير الصلاح رضاؤها
فجمالها وقف عليها انما
للناس فيها دينها ووفاؤها

وهى هنا تقلد عائشة فى شعرها الاخلاقى اذ تقول

بيد العفاف أصون عز حجابى
وبعصمتى أسمو على اترابى

الى آخر ما فى القصيدة من مبادىء خلقية وسنن

دينية . وهى بالتالى تمثل المربية الحقيقية التى تنصح تلميذاتها بالتمسك بآداب الدين والفضيلة

ملك والكاتبة مى :

تعرفت ملك بالكاتبة **مى** عن طريق المراسلة بالصحف وتجاوبت روحاهما على البعد وتآلفا على غير لقاء .

تقول ملك فى صحيفة « **الجريدة** »
الى باحثة البادية :

ترنمت باسمك قبل أن أعرفك واتخذت ذكرك عنوانا لنهضة المراة المصرية قبل ان اطالع مقالاتك لأن اصوات الجمهور قد اتفقت فى الثناء عليك وعلى فضلك .. الخ

اذن **فمى** هى التى بدأت تراسل **ملك** وارادت ان تتعرف عليها ، ووجدت فى ملك صورة المراة الذكية الحساسة التى تعيش بشعور غيرها وتريد ان تترجم عن وجدان المراة الذى ظل حبيسا بدعوى التقاليد ، وتستمر فى النجوى على صفحات رسالتها فتقول :

ضعى يدك البارة على الايدى التى تحاول رفع هذا الجيل من هوة الحيرة والتردد، ساعدى فى تحرير المراة بتعليمها واجباتها . ان صوتا خارجا من اعماق القلب بل من اعماق الجراح كصوتك قد يفعل فى النفوس مالا تفعله اصوات الافكار وهكذا كانت ملك شاعرة وكاتبة وخطيبة اجتماعية .

تجذبك برقتها ويملك منطقها عليك فكرك .

ولكن القدر لم يرحم كل هذه الآمال ولم يشفق على شبابها الغض .

وكانت **ملك** باعتبارها شاعرة تعيش فى كل قلب وتشارك فى كل ألم وتأسو جراح المكلومين ، فلما سمعت ان اخاها السيد / مجد الدين ناصف قد قبض عليه فى حادثة سياسية بالقاهرة وشاع انه سيقدم للمجلس العسكرى وكان ابوها مريضا حضرت لتراه للمرة الاخيرة وقد سافرت على الرغم من اوامر الطبيب اذ كانت مصابة بالحمى الاسبانيولية فتضاعف مرضها ثم فاضت روحها ووضعت الايام حدا لحياتها ،ودفنت بمقابر الامام الشافعى فى ١٧ اكتوبر عام ١٩١٨ وفارقت الاحياء ،ولكن ذكراها لم تزل ملء السمع ، ملء البصر ، ملء الفؤاد

« **روحية القلينى** »

« بقية المنشور على صفحة ١٧ »

الحادى عشر الميلادى ، أيام أن جاء أبو الريحان البيرونى الى الهند ، وترجم عدة رسائل سنسكريتية الى اللغة العربية ، وأخرج كتابه الضخم عن الهند ، والذى يعتبر أوسع كتاب ظهر فى اللغة العربية عن الهند وعلومها وأديانها وعاداتها ، وتقاليدها . ومما قدمته الهند للعالم العربى فى الميدان العلمى النظرى علوم الحساب الهندية ونظام الأرقام ، والكسور واستخراج الجزور التربيعية والتكعيبية . وترجم الفزارى كتاب الفلك الهندى الشهير « **براهما سدهانتا** » . وفى الطب أيضا ترجم الى العربية كثير من الكتب الطبية الهندية القديمة ، ويبدو أثرها ظاهرا فى كتب « ابن سينا » و « الرازى » ، وغيرهما، وفى ميدان الجغرافيا، استمد علماء العرب كثيرا من المؤلفات الهندية ونظرياتها ، وفوق هذا وذاك قد كان للديانات والفلسفة الهندية بعض الأثر فى حياة بعض المفكرين العرب ، كما هو ظاهر فى فلسفة أبى العلاء المعرى وكتاباته وقصائده .

ومن ثم يمكن أن يقال بصفة عامة ان الهند بفلسفتها وعلومها ، قد ساهمت بنصيب فى النهضة الثقافية العربية وبخاصة فى أيام العباسيين ، كما ساهم العرب فى التقدم والنهوض بالهند وعلومها وفنونها فى أيام العصور الوسطى .

ان الأمر الذى نحن فى حاجة اليه الآن هو السعى المتواصل لتوسيع نطاق العلاقات الثقافية العربية الهندية ، الموطدة الأركان ، وتقوية جذورها لصالح الشعبين العظيمين وللانسانية جمعاء ..

محيى الدين الألوائى

هبة القدر لمصر وسوريا

بقلم: محمود الشرقاوى

« فى هذه الفترة الحاسمة من تاريخ الوطن العربى، وقبلها بوقت قصير ، أهدت سوريا لشقيقتها مصر رجلين من أصلب الرجال عودا وأعظمهم توفيقا وأعمقهم اخلاصا « **بدر الجمالى** » ، الذى خرج من عكا ثم جاء الى مصر فأنشأ فيها وأقام وأصلح وعمر، وقوم فسادا كاد أن يزيد ويطغى ، و « **صلاح الدين الأيوبى** » : بطل من أبطال الوحدة وأبطال العالم كله ورجل من رجال التاريخ » .

كانت مصر وسوريا فى عهد صلاح الدين تكونان وطنا واحدا مندمجا اندماجا تاما ، بلدا واحدا تقوم فيه وحدة متكاملة تشمل شئون الحكم والسياسة والحرب والاقتصاد والثقافة وكل ما يمكن ان يجمع بين شعبين متحدين مندمجين فى دولة واحدة تحكمها يد واحدة ويسيطر على مقدراتها حاكم واحد وتوجه أمورها سياسة واحدة .

وكانت لهذا الاندماج وهذه الوحدة مقدمات سابقة ولو أنها لم تكن سعيدة ولا سارة ـ بحكم ظروف قاهرة خارجة عن ارادة شعبيهما ـ ولكن هذا الشر الذى فرضته هذه المقدمات على مصر كان سببا فى هذه الوحدة الشاملة الكاملة الموفقة .

بعد عهد المستنصر الفاطمى بدأ مجد الدولة الفاطمية ينحدر وأخذ ظلها ينحسر عن البلاد التى كانت تحكمها : مصر وسوريا والحجاز ـ وفى بعض الفترات كانت تحكم اليمن والموصل كما رأينا فى المقالات السابقة ـ وبدأ المغيرون الحاقدون من الأتراك والصليبيين تستولى جيوشهم على سواحل الشام : انطاكية سنة ٤٩١ « ١٠٩٨ م » والقدس فى السنة التالية لها ، بل طمع هؤلاء الصليبيون من حثالة الأوربيين فى الاستيلاء على مصر . ولكن الله أراد ألا يدوم هذا الشر طويلا ، حيث قوى أمر نور الدين محمود ، عم صلاح الدين ، فأخذ يطرد الصليبيين من الشام ويطهر سواحلها من جيوشهم وشرهم : بدأ باخراجهم من حصن : « ارتاح » ، شمالى حلب سنة ٥٤٢ : « ١١٤٧ م » ثم أخذ يطهر البلاد منهم شيئا فشيئا . ولم يكن فى مصر يوم ذاك رجل فى صلابة نور الدين ولا قوته ولا سداد عزمه ويمن طالعه ، فأخذ الصليبيون يغيرون على موانيها ، ودخلت جيوشهم مصر من شمالها الشرقى واستولت على « **بلبيس** » وأفزعت أهلها بالقتل والأسر حتى وصلت الجيوش الصليبية الى حدود القاهرة فحاصرتها ودخل بعض منها « **باب الشعرية** » . وكانت الدولة على ما وصفنا من التخاذل والضعف، فأمر وزيرها : « **شاور** » بأن تحرق القاهرة بعد أن يهجرها الناس ، وأحرق أهل القاهرة مدينتهم بأيديهم وبقيت النار تأكلها أربعة وخمسون يوما . ـ وكان شاور هذا خائنا متواطئا مع الصليبيين ـ .

وملأ الفزع قلب الخليفة : « **العاضد** » ، آخر الخلفاء الفاطميين ، ولم يجد من نفسه ولا من جيشه حيلة ولا قوة ، فأرسل يستغيث بنور الدين فى سوريا وبعث مع استغاثته خصلا من شعور نسائه.

عند ذلك جهز نور الدين جيشا عظيما لنجدة مصر « سنة ٥٦٤ » : « ١١٦٨ م » وجعل على رأس

الجيش » أسد الدين شيركوه ، وصلاح الدين ، ابن أخيه ، وقد قدم هذا للمرة الثالثة على جيوش ثلاثة لنجدة مصر •

***

ولم يدخل الصليبيون القاهرة ، بل انحسر مدهم وانحسم شرهم بعد ذلك عن مصر كلها ، وبقى فيها صلاح الدين ليقضى على الدولة الفاطمية المتهالكة المنهارة وليقيم بين مصر وسوريا ذلك العهد الذى وصفناه من الاندماج والوحدة والقوة ، والذى بدأ « بالاحسان لجميع العسكر الشامى »، الذى قدم معه من سوريا لنجدة مصر وتخليصها من الصليبيين ، والى « العسكر المصرى » ، فأحبوه جميعا واطاعوه•

هذا الانقاذ وحده كاف لأن نصف صلاح الدين بما وصفناه : « **هبة القدر لمصر وسوريا** » •

كان صلاح الدين يقيم فى مصر مفوضا من الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى فى دمشق ، ولكنه كان يسعى ويعمل لأمر آخر أكبر وأخطر : هو اقامة وحدة كاملة بين مصر وسوريا بعد تطهير سواحل الشام ومدنه من جيوش الصليبيين ، وان يكون هو ملكا على هذه البلاد كلها • ولم يضع وقتا ولا جهدا فى سبيل أن يعمل كل عمل مثمر ، حيث أخذ فى (اصلاح أحوال مصر وعمارة البلاد) وفى تجهيز جيش قوى ، فى كل من مصر وسوريا ، لمحاربة الصليبيين فى الشام ، بعد أن ابعد خطرهم عن القاهرة وعن مصر كلها •

وأدرك الصليبيون ذلك فأرادوا أن « يتغدوا به قبل أن يتعشى بهم » فنزلوا دمياط بجيوشهم ، وأخذوا « عكا » من أهلها المسلمين • وبادر صلاح الدين من جانبه فقصد قلعتين من أمنع قلاع الشام التى كانت فى يد الصليبيين ، هما «الكرك» و « الشوبك » فانتزعهما منهم ، وزاد فى تودده الى الناس واستجلاب قلوبهم فقدم لهم : (من سحائب الافضال والانعام ما لم يؤرخ فى غير تلك الأيام) كما يقول « ابن خلكان » و : (مارس فى البلاد أهل الفقه والعلم والتصوف والدين ، والناس يهرعون اليه من كل صوب ويفدون عليه من كل جانب وهو لا يخيب قاصدا ولا يعدم وافدا) •

ولا نريد أن يذهب بنا الاعجاب بصلاح الدين وتقدير كفاحه لتحرير الشام وتطهيرها من الصليبيين وانقاذ بيت المقدس الى حيث ينسينا ما نحن بسبيله من الكلام عن وحدة سوريا ومصر فى عهده ، ولكن لا بد لنا من الكلام عن حروبه تلك ، لأنها كانت الخطوة الأولى التى لا بد منها لقيام هذه الوحدة ، لذلك نذكرها فى كل ما يمكن من الايجاز •

***

نستطيع أن نعرف الجهد الذى بذله صلاح الدين فى تحرير بلاد الشام اذا عرفنا الى أى حد كان الصليبيون يسيطرون عليها ، واذا عرفنا ، تبعا لذلك ، البلاد التى استولى عليها واخرجهم منها :

فقد أخذ صلاح الدين من الغزاة الصليبيين بلاد : « طبرية » و « عكا » و « بيروت » و « عسقلان » و « غزة » و « بيت جبريل » ـ أو « جبرين » ـ و « الماطرون » و« اللاذقية » و« دربساك » ، وكانت قلعة حصينة منيعة ، وحصن « بغراس » بالقرب من « انطاكية » و « صفد »• وقد ذكرنا أنهفتح من قبل حصنى « الشوبك » و « الكرك » • وكان نصره الأكبر حين أخرجهم من بيت المقدس : (••• ولما رأى العدو ما نزل بهم من الأمر الذى لا مدفع لهم عنه ، وظهرت أمارات فتح المدينة وظهور المسلمين عليهم ، وكان قد اشتد روعهم لما جرى على أبطالهم ما جرى ، فاستكانوا الىطلب الأمان وسلموا المدينة) وكان ذلك ليلة المعراج التى أسرى فى مثلها بالنبى عليه السلام « من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى» فكان ذلك من أسعد الاتفاقات • وكان اليوم يوم الجمعة فاقيمت فيه صلاتها : (ونكس الصليب الذى كان على قبة الصخرة)• وكان الصليبيون قد اقاموا قبل ذلك أكثر من تسعين سنة •

***

اما المعركة الفاصلة التى قضت على نفوذ الصليبيين فى الشرق كله معركة « حطين » فلا أعرف أحدا من الذين قرأوا شيئا من التاريخ يجهل أمرها وقدرها • وهى التى أسر فيها الملك « جوفرى » واخوه والبرنس « ارناط » ـ وكان من أشد الأمراء الصليبيين غلظة على المسلمين وقد قتله صلاح الدين بيده ـ وغيرهم •

وكان لهـذا الفتح أثره وصـداه الذى اهتز له بالفرح الشرق الاسلامى كله ، وسجله الشعراء من أمثال : « ابن الساعاتى » و « العماد الكاتب » الذى يقول :

حطت على « حطين » قـدر ملوكهم
ولم تبق من اجنـاس كفرهم جنسا

بطون ذئاب الأرض صـارت قبورهم
ولم ترض ارض ان تكون لهم رمسا

وقـد طـاب ريانا على طبرية
فيا طيبهـا ريا ويا حسـنها مرسى

ونستطيع أن ندرك مدى القوى العسـكرية التى جمعها صـلاح الدين من مصر وسـوريا وغيرهمـا واستخدمها فى حروبه هذه اذا عرفنا ان عدد الفرسان الذين اشـتركوا فى حصار « عـكا » وحدها كان اثنى عشر الفا، وان حصاره لها دام ثلاث سنوات.

وكذلك نستطيع أن نعرف مدى القوى العسكرية التى حاربها وقهرها اذا تأملنا هذا الخبر الذى رواه صديقه وكاتب سيرته : « ابن شداد » ، فهو يقول انه سال اميرا قائدا من الصليبيين يوم عقدوا صلحهم مع صلاح الدين ، سأله عن عدد جنودهم فقال ـ عن طريق ترجمانه الذى كان ينقـل حديثه الى صلاح الدين ـ انهم كانوا: (من خمسمائة الف الى ستمائة الف، قتل منهم أكثر من مائة ألف وغرق معظمهم).

وكان الأسطول المصرى يشترك فى هذه الحروب واستعان به صلاح الدين فى حصار « صور » على وجه خاص .

بعد هـذا النصر الذى شـارك فيه شـعبا مصر وسوريا وجيشاهما بدأت ملامح الوحدة وأوضـاعها بين البلدين تبرز وتتضح وتتمكن وتستقر ، كما أخذت تؤتى ثمراتها : كان صلاح الدين يقيم فترة فى القاهرة وفترة فى دمشق ، وكان يوزع عاطفته وحبه بينهما ، يحب دمشق ويستريح للاقامة فيها ويحبه أهلهـا حتى تلقوه ، حين دخـل عليهم لأول مرة : (بأسرهم واحدقوا به ، فنثر عليهم الدراهم والدنانير ، ودخـل دمشق فلم يغلق فى وجهه باب ولا منعه مانع) .

أما حبه لمصر فمن أبرز مظاهره انه اقسم على أن يقتل بيده الأمير الصليبى « أرناط » لأنه قتل غدرا جماعة من المصريين فى أيام صلح ، وقد قتله بيده بعد ذلك عندما وقع فى أسره بعد معركة « حطين » كما رأينا .

وكان أبناء صلاح الدين واخوته يتولون، باسمه، حكم هـذه البلاد الموحدة ، التى أدخل فى وحدتها بعد ذلك أقطارا أخرى فكانت تشمل: مصر وسوريا واليمن وبعض بلاد العراق والحجاز .

وقد ولد بعض أبنائه هؤلاء فى القاهرة وبعضهم فى دمشق ، ومات أبوه ودفن فى القـاهرة ، ومات هو ودفن فى دمشق .

وكانت هـذه الدولة الموحدة قوة كبرى هابهـا الغرب الذى ذاق الهزيمـة والهوان من يد منشئها وقائدها وسلطانها : صلاح الدين .

وشملت هـذه الدولة الموحدة وحدة ثقافيـة لم يخف خطرها ولم تخف ضرورتها على القائد البطل، فقد محا المذهب الشيعى الرافضى من مصر وسوريا واستبدل به مذهب أهل السنة وفقه الامام الشافعى بخاصة. كما قضى على سلطان الدولة الفاطمية التى كانت تدين بهذا المذهب الشيعى . وتمكينا لهـذه الوحدة الثقافية انشأ المدارس الكثيرة التى تدرس المذهب السنى فى القـاهرة ودمشق وحلب وحمص وحماه والقدس . ولكن خطأ واحدا كبيرا وقع فيه صلاح الدين فى غمرة الحماسة التى حارب بها دولة الشـيعة ومذهبهم ، هو اعدامه أو تبديده المـكتبة العظيمة الحافلة التى كانت تتضمن ، فى القاهرة ، كتبهم واصول مذهبهم، وهى مكتبة وصفها السيوطى بانها : (ليس فى الاسلام لها نظير تشتمل على ألفى الف مجلد، منها بالخطوط المنسوبة مائة الف مجلد) وكذلك قضى صـلاح الدين على جميـع المؤسسات والآثار الفاطمية وأقفل الأزهر وظل مقفلا نحو مائة سنة .

وقد أثمرت هذه **الوحدة الثقافية** أطيب ثمراتها فى عصر صلاح الدين وأسرته وفيما بعد ذلك، وكان من أطيب ثمراتها ظهور أولئك العشرات من العلماء والمحـدثين والشـعراء والمؤرخـين فى كل من مصر وسوريا. فى هذه الفترة كان طلاب العلم وأساتذته يتنقلون بين حلب ودمشق والحجاز والقدس والقاهرة وبغـداد ودميـاط والاسـكندرية . وقل من هؤلاء العشرات من العلمـاء والألوف من الطـلاب من كان سـوريا لم يزر مصر والقـاهرة ، أو مصريا لم يزر دمشق وحلب .

محمود الشرقاوى

حبيبتي القمر

للشاعر أنس داود

جاوزت حد الظلم ٠٠ فابقى فى مسائك ساهمه
واستنبئى الأطياف عن خفقات قلب هائمه
عن فارس يأتى وقد شهد المساء هزائمه
يأتى به شوق ، فيغفر للطريق جرائمه
هذا المساء ترقبيه ٠٠ ملولة ، أو باسمه
ضيعى على صمت الطريق ٠٠ فلن يريك معالمه
وتحجرى لهفانة عند النوافذ نادمه
كل المرائى فى دروبك سوف تبدو واجمه

***

ثورى كما شاءت ظنون الليل حولك واغضبى
أو رقرقى دمع العيون على الوسادة واندبى
أو ذوبى الكلمات من قلب عصى واعتبى
أنا لن أعود الى المسير على طريق متعب
خطوى به صمت ، وأشواقى ضراعة مذنب
ونضارة الاحلام فى عينى ٠٠ سوء تأدب
وحنين عمرى كله لهوى عميق مخصب
طير مهيض الجانحين على ثراه المجدب

***

هذا المساء الشاعرى وراء أسرار النهر
يهب الوجود لى الأمانى والأغانى والفكر
ويطل من عليائه هزج الأغاريد القمر
والموج ٠٠ ركب تائه الأشواق معبود السمر
كم فى اصطفاقته صدى من قبلة فوق الثغر
وتنهدات العاشقين ، وبوح أشجان الوتر
عشقته كل نجيمة ، وهفت اليه فما انتظر
وشكت اليه غدائر الصفصاف وجدا ٠٠ فاعتذر
وبكت لديه الريح ، وانتحبت وريقات الشجر

من قضايا

السرقات الأدبية

بقلم محمد نصر

صدر الحكم باعادة فارس بنى حمدان الى الجارم !

- **ظافر الصابونى خطف أفكار الجارم وباعها لصوت العرب !**
- **الأسرار الكاملة لأخطر قضية أدبية فى هذه الأيام !**



المرحوم على الجارم

انتهت معركة فارس بنى حمدان !

انتهت بانتصار ورثة المرحوم الشاعر على الجارم على الأديب الدمشقى ظافر الصابونى ، وعلى اذاعة صوت العرب لها نفس الوقت !

انتهت بصدور حكم القضاء فى الاسبوع الماضى :

- باحقية ورثة الجارم فى سلسلة « **فارس بنى حمدان** » اذاعة صوت العرب بالقاهرة .
- بصحة الحجز التحفظى على النسخة المحفوظة باذاعة صوت العرب من المسلسلة واستمرار منع اذاعتها مستقبلا منسوبة الى المدعى عليه الأول .
- بالزام المدعى عليه الأول ظافر الصابونى أن **يدفع المدعين مبلغ ثلاثمائة من الجنيهات تعويضا عن نسبة تاليف المسلسلة اليه اسما وموضوعا .. والزامه بالمصاريف ومبلغ عشرة جنيهات أتعابا للمحاماة .**

فما هى الأسرار التى تكمن وراء هذا الحكم ؟. وماذا قالت تقارير لجنة التحكيم فى القضية ؟ والى متى تسرق أفكار الآخرين وتنشر .. أو تذاع على الملأ ؟!

قضية لها تاريخ

ان قضية ورثة الجارم ضد الاذاعة والصابونى ليست بنت اليوم .. ان لها عمرا وتاريخا يرجع الى ثلاث سنوات مضت ـ أو على حد قول الدكتور **احمد الجارم** الاستاذ المساعد بكلية طب جامعة القاهرة ، وابن المرحوم الشاعر على الجارم الى اليوم الذى كان يستمع فيه الى الاذاعة ، مصادفة وهى تقدم ـ خلال شهر كامل من عام ١٩٦١ ـ برنامجا تمثيليا من ثلاثين حلقة باسم « فارس بنى حمدان » من تاليف ظافر الصابونى .. يومها جمع اخوته وتبادل معهم الرأى فى الموقف .. انه كان يحفظ ـ عن ظهر قلب ـ اسماء أبطال التمثيلية .. يعرف التفصيلات الكاملة لتاليفها .. سمع والده يردد هذه الأسماء اكثر من مرة .. كان يساعده فى جمع اوراق الكتاب الذى يحمل اسمها واعداده للطبع وهو مايزال طالبا صغيرا .. لم يطل تفكيره أو مناقشة اخوته حول الموقف الذى ينبغى أن يقفوه صفا واحدا تجاه هذا السطو العلنى !

حيال وصايا أبيهم لهم قبل موته ان يحرصوا على تراثه من عبث العابثين .. أن ينشروا ما لم يطبع

منه .. حتى تعم فائدته ..

لقد استقر رأيهم ليلتها على أن يرفعوا قضية عاجلة ضد الاذاعة العربية ، والأديب الدمشقى ظافر الصابونى ، ويطالبون فيها بوقف اذاعة تمثيلية فارس بنى حمدان التى تذاع على حلقات من محطة صوت العرب .. واتهموا الصابونى «بلطش» كتاب والدهم على الجارم الذى أصدرته دار المعارف فى سنة ١٩٤٥ بنفس الاسم !

وتحمس ابن الجارم الأكبر **بدر الدين** لمتابعة القضية والجرى وراءها فى المحاكم مهما كلفه الأمر .. اشفاقا على وقت اخويه بوصفهما طبيبين مسئولين عن العيادة والتدريس لطلاب كليات الطب وراح بدر الدين يتردد على جميع المكتبات قديمها وحديثها ليبحث عن مؤلفات تتناول سيرة فارس بنى حمدان ـ من قريب أو بعيد ـ رجع الى آثار المؤرخين العرب .. امضى شهرين فى دار الكتب وحدها .. قرأ جميع ما كتب عن شخصية أبى فراس المخطوط منها والمطبوع ، فلم يجد فى أى كتاب أو مخطوط أنه كان يسمى باسم فارس بنى حمدان مطلقا .. وعندما تأكد أن أحدا من المؤلفين القدامى أو المحدثين لم يسبق والده فى ابتكار الاسم رفع الدعوى العاجلة امام محكمة القاهرة .. رفعها وجميع الورثة متضامنين معه وهم د . أحمد الجارم (٣٥ سنة) ، د. فاروق الجارم (٣٠ سنة) **ثم بقية الورثة نفيسه على بدر الدين ، ونعمة على** الجارم ، وزينب الشهيرة بأميرة .

ان أبناء الجارم جميعا كانوا ينتظرون ان تذاع التمثيلية المسلسلة باسم والدهم لا باسم الصابونى .. باسم الشاعر العربى الكبير مؤلف مسرح الوليد ، والشاعر الطموح ، وسيدة القصور ، وشاعر ملك ، وخاتمة المطاف ، وغادة رشيد ، وهاتف من الأندلس ، والعرب فى أسبانيا .. وغير هذه المؤلفات الكثيرة التى تتناول ابطال التاريخ العربى بالتمجيد والتقدير ..

ولقد حكمت محكمة اول درجة بتحويل القضية الى ثلاثة من الخبراء هم : **الدكتور عبد القادر القط ، والاستاذ عبد الرحمن الشرقاوى ، والدكتور رشاد رشدى .**

كان ذلك قبل أكثر من عام تدارس فى أثنائه هؤلاء القضاة أو المحكمون كتاب الجارم ، ومسلسلة الصابونى ..



الدكتور عبد القادر القط

فماذا وجدوا ؟ وماذا قالوا فى تقريرهم الذى قدموه للمحكمة . ؟

ولسوف أقدم اليك بكل تركيز ماتضمنه هذا التقرير ، لا لأنه كان من مبررات الحكم لصالح ورثة الجارم ولكن لأنه يعتبر وثيقة أدبية تاريخية تضع النقط على الحروف .. وتجيب عن الأسئلة التى ظلت تتردد كثيرا على ألسنة الأدباء والمفكرين خلال نظر القضية :

● هل من حق أى كاتب أن يتناول شخصية عظيم من عظماء التاريخ بالكتابة بعد أن سبقه اليها مؤرخ أو كاتب آخر ؟

لقد كان على الخبراء ـ تنفيذا لحكم المحكمة فى اليوم الثانى عشر من فبراير من عام ١٩٦٣ أن يطلعوا ـ كما قلت لك ـ على قصة فارس بنى حمدان تأليف الأستاذ الجارم ، وعلى مسلسلة فارس بنى حمدان التى اذاعتها صوت العرب لبيان ما اذا كان اسم المؤلف وهو فارس بنى حمدان هو اسم تاريخى استعمل قبل ان يطلقه المرحوم الجارم على مؤلفه أم أنه يتميز بطابع ابتكارى أخذه الصابونى من المؤلف الأصلى ، وبيان ما اذا كانت المسلسلة مأخوذة من مؤلف المرحوم الجارم وتقرير قيمة ما أصاب ورثته من أضرار نتيجة ذلك .

الى التاريخ

وعلى موائد البحث وضعت امام المحكمين عدة مصادر تاريخية عن حياة ابى فراس الحمدانى (فارس بنى حمدان امثال : وفيات الأعيان لابن خلكان ، تاريخ ابن الأثير ، يتيمة الدهر للثعالبى ـ شذرات الذهب لابن العماد ، وهى من المصادر الاساسية التى اعتمد عليها كل من كتب من المعاصرين عن حياة ابى فراس ولقد سجل التقرير الذى أعد بعد تلك الدراسة العميقة حقائق مثيرة منها :

● ان أبا فراس ولد فى عام ٣٢٠ هـ ، وانه أسر فى حروب الحمدانيين مع الروم مرتين ، وانه فى المرة الثانية حمل الى القسطنطينية واقام فى الاسر اربع سنين وله فى الاسر اشعار كثيرة . وهو الذى قال فى الاسر

سيذكرنى قومى اذا جد جدهم
وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

وهو القائل ايضا :

ونحن اناس لا توسط بيننا
لنا الصدر دون العالمين أو القبر !

وانه قال لملك الروم حينما التقى به واراد ان يسخر منه بقوله :

ـ بكم قصيدة غزوتنا ياشاعر العرب ؟

قال له فى الحال :

ـ ايها الامبراطور لقد غزوت أرضك اربعين غزوة بالسيف لا بالقلم !

وارتجل قصيدته المشهورة التى قال فيها :

ـ أتزعم يا ضخم اللغاديد أننا
ونحن أسود الحرب لا نعرف الحربا ؟
لقد عرفتنا الحرب من قبل هذه
فكنا بها اسدا . وكنت بها كلبا !

● وانه قتل عام ٣٥٧ وفى مقتله روايتان الاولى انه حاول ان يستقل بالموصل بعد وفاة سيف الدولة فحاربه ابن سيف الدولة ابو المعالى ، ومعه قرغويه وقتل فى المعركة ، والثانيه انه تصالح مع ابى المعالى ـ وهو ابن اخت ابى فراس .. فخشى قرغويه عاقبة هذا الصلح ودبر اغتياله ..

واذن فالتفصيلات الزائدة عن هذه الحقائق التاريخية فى رواية المرحوم الاستاذ الجارم « **فارس بنى حمدان** » هى من ابتكاره بلا مراء .. وعلى ان يكون التشابه بين المسلسلة الاذاعية ، وبين الرواية فى هذه التفصيلات دليلا من ان المسلسلة قد اخذت عن رواية الاستاذ الجارم . ويمضى تقرير المحكمين ليقدم ـ بصراحة ـ حقائق أكثر اثارة :

● ان مدخل الرواية وهو من الابتكار الفنى الجارم قد اخذته المسلسلة

● وان شخصية سهم التى ابتدعها خيال الجارم بكل ابعادها نقلتها عنه المسلسلة .

● وثوب ابى فراس من على القناة دون ان يبتل حافر حصانه وهى الصورة التى مهد بها مؤلف الرواية لموقف قام حين وثب بطله من أعلى القلعة الى الفرات .. هذا التمهيد الضرورى اللازم الفنى الروائى قد أخذته المسلسلة من الرواية .

● الاستشهاد بالابيات الشاعرية فى غير مواضعها المعروفة فى التاريخ الادبى وهو من اجتهاد مؤلف الرواية أخذ عنه مؤلف المسلسلة الاذاعية .

● حديث نجلاء (وهى شخصية مبتدئة) عن ابى فراس هذا الحديث الذى هو من ابداع مؤلف الرواية نقله مؤلف المسلسلة على نحو ما جاء فى مذكرات ابناء الجارم



• الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى •

● المعركة التى صورها الجارم بمناسبتها وكلها من ابتكاره الفنى اخذها السيد ظافر الصابونى بكل بساطة

● الحوار الذى دار بين سيف الدولة وابى فراس حين استدعاه لحرب الروم ، واللقاء الاول مع قرغويه أخذته المسلسلة من الرواية .

● تصوير الرواية للهجوم على حصن برزويه نقلته المسلسلة

● تفصيلات القفزة التى هرب بها ابو فراس من سجنه من ابتكار مؤلف الرواية اخذها عنه مؤلف المسلسلة .



الدكتور رشاد رشدى

وترد اللجنة على ادعاء الصابونى بأن الطبرى لم يكتب عن ابى فراس وقفزته تلك (كما يقول الصابونى) لأن الطبرى ترفى قبل أن يولد ابو فراس بنحو عشرة اعوام او احد عشر عاما .

● مصرع ابى فراس صورة فنية ابتكرها الجارم ورسم فيها مشهدا فاجعا لموته بحضور امه وزوجه وابنته ، وهذا المشهد أخذته المسلسلة عن الرواية .

● واخيرا فان قصة **الجارم** هى قصة خيالية بناها على حب خيالى واخترع شخصيات لا صلة بينها وبين التاريخ ، وصنع لها أبعادا واعماقا وسمات خاصة ، وحدد لها خطوطا وأدوارا بعينها .. وهذا كله اخذته المسلسلة .

وقبل أن يترك المحكمون الامر لعدالة القضاء نراهم يؤكدون مرة اخرى فى نهاية تقريرهم الخطير : أن فارس بنى حمدان ليس اسما تاريخيا لأبى فراس الحمدانى استعمل قبل أن يطلقه الجارم على روايته ، ولكنه اسم يتميز بطابع ابتكارى اخذه المدعى عليه والمؤلف .

— ان المسلسلة ماخوذة من الرواية فعلا ، ومااخذته ليس من الحقائق التاريخية بل من الابتكارات الادبية للمرحوم على الجارم ، وهى ملكية فنية خالصة له .

— ان هذا أصاب الورثة بضرر أدبى ناجم عن اذاعة المسلسلة دون ذكر اسم مؤلف الرواية التى اخذت منها ، واما الضرر المادى فامره متروك لتقديرهم ولقد نالهم من الضرر بقدر مالحقهم من الخسارة وفاتهم من الكسب .

لمعلوماتك الخاصة !

ولعل من اطرف ما ينبغى ان تقف على تفصيلاته عن موقف الاديب الدمشقى الصابونى .. انه كان قد تقدم بعدة طعون ضد تقرير المحكمين يطلب فيها رفض الدعوى ، والغاء الحجز التحفظى الذى وقع على المسلسلة فى عام ١٩٦١ واعتباره كان لم يكن ، مع الزام ورثة الجارم بالمصروفات ، ومقابل اتعاب المحاماة ، وذلك على اساس انه لم يقتبس اسم الكتاب لان فارس بنى حمدان هو اسم الشهرة لأبى فراس الحمدانى وهو فى نفس الوقت من الاسماء التاريخية ، وانه فضلا عن ذلك فان تقرير دراسة كتاب الجارم بالمدارس معناه جعل ما فيه من معلومات ملكا لكل من درسه !

ولو اضيع وقتك فى تقديم مزيد من الأسانيد التى اعتمدت عليها محكمة القاهرة يوم الحكم على الصابونى والاذاعة معا فى القضية رقم — ٣١٠٧ — التى نظرتها — باسم الأمة — محكمة القاهرة الدائرة (٥٣) برئاسة الاستاذ لطفى القلى رئيس المحكمة .

وبعد :

رحم الله الجارم .. والهم بنيه قوة الدفاع عن اثاره ضد السطو . !

واسألوا معى :

— الى متى يظل انتاج العقول الذكية نهبا مشاعا « لخطاف » الاذاعة او التليفزيون والى مقال آخر تكشف فيه الستار عن سرقات ادبية اخرى مازال تشغل اذهان الادباء فى عالمنا العربى !

« محمد نصر »

عن الاباضية في موكب التاريخ

بقلم محمد عبدالله السماح

عندما أهدى الى الأديب الليبى كتابه «الاباضية فى موكب التاريخ» بأجزائه الثلاثة سولت لى نفسى أن مجهودا ضخما ـ كهذا ـ يبذل من أجل فرقة اسلامية أسهمت بقدر الى جانب كل الفرق الاسلامية فى تشتيت كلمة الجماعة الاسلامية وتفتيت كيانها ، واراقة دماء الألوف من المسلمين ـ مثل هذا المجهود الضخم من أجل الحديث عن فرقة كالاباضية ، ضياع فى الوقت ، واسراف فى الجهد والمال معا .

هكذا سولت لى نفسى قبل أن أقرأ من الكتاب الا عنوانه وكلمة الاهداء بالصفحة الأولى منه ، وهكذا يفعل الكثير منا معاشر الكتاب ، تتسرع فى اصدار الحكم وليس فى عقولنا من حيثياته شىء ، وكان من الممكن أن أكتفى بهذا الحكم المتعجل وأستودع الكتاب مكتبتى ، ولن أسأل عنه الا اذا احتجت اليه ، لولا أن صديقا باحثا من سكان الأقاليم طلب الى أن أوافيه بهذا الكتاب ، لأنه سمع عنه ثناء مستطابا ، فاستغفرت الله مما سولت لى نفسى ، وقرأت الكتاب فازددت خجلا ، فماذا يضيرنى ـ ومعلوماتى عن الاباضية متواضعة ـ لو أنى أقدمت على الكتاب فاستوعبت كل مافيه عن فرقة اسلامية أصبحت جزءا من تراث الفكر الاسلامى ، وجزءا أيضا من تاريخ الاسلام السياسى، والحمد لله فقد خيب الأديب الليبى الأستاذ **على يحيى معمر** ظنى الذى قام على عجلة فى الحكم .

ان الكتاب يقع فى أكثر من خمسمائة صفحة ، ويتناول فى الجزء الأول منه نشأة المذهب الاباضى، كما يتناول الجزءين الثانى والثالث الاباضية فى ليبيا ، ويذكر المؤلف فى مدخل الكتاب أن مما دعاه الى كتابة هذه الفصول تلك المراهقة الفكرية التى أصيب بها بعض الكتاب الذين يملكون أن يصدروا أحكاما قاطعة ، ويدلوا فيها بآراء ثابتة دون حاجة الى حجة أو دليل غير أن أحدهم قرأ موضوعا فى مجلة ، أو رأى فقرة فى كتاب ، أو استمع الى حديث عابر فى اذاعة ، ولكنهم لا يملكون القدرة على قراءة أبحاث مستفيضة ، لأن ذلك يكلفهم جهدا لايقوون

عليه ، وصبرا لا طاقة لهم به ، وكلافة لا تهضمها عقولهم .

ان معظم كتب التاريخ التى تعرضت للفرق الاسلامية يعمد الى اعتبار الاباضية احدى فرق الخوارج ، ويبذل المؤلف هنا جهدا فى ازالة هذا اللبس الذى رسخ فى الأذهان قرونا عديدة ، ويرى أن معنى الخوارج يجب أن يحدد أولا ، فبعض المؤرخين يطلق كلمة الخوارج على أولئك الذين اعتزلوا أمير المؤمنين عليا قبل التحكيم ، وهو اذن خروج عن امامة مشروعة ، وبعض المتكلمين يطلق كلمة الخوارج على الخروج من الدين استنادا الى قول الرسول : « ان ناسا من أمتى يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية » أما الفريق الثالث فيطلقها على المجاهدين فى سبيل الله ، استنادا الى قوله تعالى : « ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله » .

كما يرى المؤلف بعد ذلك أن كلمة الخوارج يجب الا تطلق الا على الصنف الثانى وهم الذين مرقوا من الدين وارتدوا فى عهد أبى بكر ، وهذا رأى الأباضية أيضا ، ثم يذكر المؤلف أن اشتراك طائفة مع غيرها فى رأى معين لا يعنى اشتراكها فى جميع الآراء ، ومن ثم لا يجوز أن تنخرط هذه الطائفة فى سلك أية طائفة أخرى تشترك معها فى رأى ، وقد تسربت الشبهة الى أولئك الذين يزعمون أن الاباضية فرقة من الخوارج لانها تشترك معهم فى انتقاد قبول التحكيم وفى تخطئة على فى قبوله ، وتوافق الاباضية والخوارج فى هذه النقطة لا يجعل الأباضية خوارج ، كما لايجعل الخوارج اباضية ، والا فالمعتزلة والأشاعرة يشتركون فى أصل تنزيه البارى ، وبعض المعتزلة والشيعة يشتركان فى نظرية حصر الخلافة فى البيت الهاشمى ، فهل معنى هذا أن كلا من المعتزلة والأشاعرة فرقة واحدة ، وكذلك المعتزلة والشيعة؟

ويشير المؤلف الى نقطة حساسة للغاية ، هى استغلال الخلافات السياسية فى العصر الاسلامى الأول فى صناعة الأحاديث النبوية الى درجة أن المهلب بن أبى صفرة كان مما حارب به الخوارج اختلاق الأحاديث عليهم ويقول : ان الحرب خدعة، وكان حى من الأزد اذا رأوا المهلب خارجا قالوا : « راح يكذب » والواقع أن مصيبة التاريخ للحركات الاسلامية فى القرون الثلاثة الأولى للاسلام ، هى هذه الأحاديث النبوية التى صنعت باتقان ، واستغلت أسوأ استغلال ، ولم تزل مادة خصبة للمستشرقين فى النيل من الاسلام فى كثير من مؤلفاتهم .

لقد قدم المؤلف فى الجزء الأول دراسات ذات طابع موضوعى ، ومن خلال هذه الدراسات الموضوعية أبرز قضايا مشكلات فكرية وحدد وضع الاباضية منها ، بعد أن قرر أن المذهب الاباضى كان أول المذاهب نشوءا ، حيث كان معلمه الأول جابر ابن زيد (٢١ - ٩٦ هـ) من كتاب التابعين الذين نشروا الثقافة الاسلامية فى القرن الأول الهجرى.

كانت الاباضية - وعلى رأسهم جابر بن زيد - ترى أن الخلافة أهم مرافق الدولة ، وأعظم مظهر للأمة ، وأقوى سلطة تشرف على تنفيذ أوامر الله ، وهى بهذا الوصف لا يمكن أن تخضع لنظام وراثى، ولا أن ترتبط بجنس أو قبيلة أو أسرة أو لون ، وانما يجب أن تشترط فيها الكفاءة المطلقة : الدينية والخلقية والعملية والعقلية .

تعفف الاباضية عن أسواق الجدل ، وسخروا من فكرة اغلاق باب الاجتهاد ، لأنها لا تتمشى مع روح الاسلام الذى رسم الحدود وأراد من المسلمين أن ينطلقوا بمواهبهم وأفكارهم وعلومهم ، والاسلام عند الاباضية عقيدة وقول وعمل .

ويقرر المؤلف بعد تحديد وضع الاباضية بين

المذاهب الفكرية أن الاباضيــة تعتصم بالدين فى مصدريه الأساسيين : الكتاب والسنة ، وان المجتمع الاباضى كان صورة صحيحة للمجتمع المسلم النظيف طهارة فى العقيدة من الزيغ والبدعة ، وطهارة فى العمل من أدران المعصية ، وطهارة فى الخلق بالتحلى بما تحلى به الرسول ، وتخلق به المؤمنون الصادقون وفى نهاية هذا الجزء الأول من الكتاب أشار المؤلف الى التسلسل العلمى لحملة هذا المذهب ، وسلط أضواء على بعض من أئمته مثل جابر بن زيد الأزدى الذى نشأ فى البصرة وان كان عمانى الأصـــل ، وأبى عبيدة مسلم التلميذ الأول لجابر ، والذى تسلم قيادة المذهب بعده .

***

وفى الجزءين الاخيرين من الكتاب قــدم المؤلف تحقيقا تاريخيا عن المذهب الاباضى فى ليبيا ، منذ أن انطلق سلمة بن سعد فى أوائل القرن الثانى من الهجرة الى افريقيا ونشر الدعوة ، ولم تمض عشرة أعوام حتى كان هذا المذهب مذهبا لأغلب سكان ليبيا وتونس والجزائر ، ومنذ أن انطلق مواطن ليبى من ليبيا الى البصرة ليتلقى أصول المذهب من أبى عبيــدة مســلم وزملائه ، وعاد الى وطنه ليواصــل رسالته ، الى أن استقر المذهب فى شمالى افريقيا .

وسرد علينا المؤلف بعد ذلك كفاح الاباضية ضد الطغيان ، وكفاحها للظلم فى ليبيا ، وكشف عن كثير من الشــخصيات الاســلامية التى لعبت دورا خطيرا فى الفكر والسياسة والنضال ، منهم عمــرو ابن يمكتن ، من علمــاء النصف الاول من القــرن الثانى الهجرى ، والحارث بن تليد بطل من اولئك الأبطال الذين يظهرون فجأة عند الحوادث ، وأبو الخطاب عبد الأعلى، والعباس بن أبى أيوب، وعمروس ابن فتح المساكنى، وأبو خليل الدركلى ، وأبو ساكن عامر الشماخى ثم عبد الله بن يحيى البارونى .

ثم تحدث المــؤلف عن نظم التربية والتعليم فى المجتمع الاباضى فى ليبيــا ، وعن كثير من المــدن والأودية والزوايا التى كانت مجالات لنشر الدعوة، وختم البحث بمناقشة هادئة هادفة للأستاذ طاهر الزاوى الليبى فى بعض مؤلفاته ولا سيما « تاريخ الفتح العربى فى ليبيا » ، حيث عد عليه لمزات فى المذهب الاباضى كان يجب ــ كما يذكر المؤلف ــ أن يتنزه عنها قلم عالم ، وكتاب مؤرخ أمين .

الحق أن كتاب الاستاذ على يحيى معمر دراســة مشوقة ، وحســبه من التقــدير أن أزال كثيرا من اللبس ظل راسخا فى أذهان المسلمين قرونا ، وقد راعى الحق والعدل فى معظم ما كتب ، وان ترجم لزهاء مائة من الأعلام المفكرين لم نزل نجهل الكثير منهم ، وان بذل بعــد ذلك مجهــودا فى استيعاب المراجع النادرة وغير النادرة ليبرىء ذمته وقلمــه . وليــكون كتابه بعد ذلك مرجعا أمينــا لكل دارس وباحث وكاتب .

ولكن ســؤالا يتوارد على ذهن أى مســلم يحمل لدينه ووطنه ولو ذرة من الاخلاص :

ماذا يمكن لهذه الفرق الاسلامية ومذاهبهــا أن تؤدى من خدمات لهذا الدين الذى يبدو شامخا ولكن على بساط من الرمال ؟

هذا الدين الذى تناوشه من ناحية الالحادية التى لا تعرف الهــوادة ، والنزعة الصليبية التى تنقايا أحقادها عليه ، ومن ناحية أخرى تفريط المسلمين أنفسهم فيه وفى أوطانه المغلوب معظمها على أمره .

كنت أود ــ الى جانب هذه الدراسة الموضــوعية التى أحقت حقا وأزهقت باطلا ــ أن يعرج المؤلف فى نهاية كتابه على هذه القضية الشائكة الجادة ، فيدعو الى أن الوحدة الاسلامية أحق اليوم ــ واليوم بالذات ــ بأن نمنحها كل جهودنا ، والا نضن عليها براحتنا وأوقاتنا وألسنتنا وأقلامنا .

محمد عبد الله السمان

لن أشيخ

للشاعر العوضى الوكيل

لم يدعني الشباب ان شبابي — لم يزل مل‌ء مهجتي واهابي
يستجيش الجمال قلبي فيخضـ — ـل شعوري بوحيه الوهاب
واذا ما سألته مدد الشعر — ووحى القصيد كان جوابي
ان عمرا قضيته أشهد الحسـ — ـن مضى ما خططته في كتابي
ان عمرا قضيته بين روض — من أماني عذبة ورغابي
لخليق ألا يضاف الى الـ — ـسن اذا السن عولجت بحساب
اكتهال والروح ذات وميض — اكتهال والقلب ليس بخاب

***

ما لعيني تنظران الى الد — نيا بروح الشريب عند الشراب
فتراها كغادة زفها الحسـ — ـن ، كعاب أو دون عمر الكعاب
لا يزال الربيع فيها ربيعا — باسم الروض أخضر الجلباب
والضحى رونق على صفحتيها — يستبيني بحسنه الخلاب
والحبيب الروم يمنح قلبي — ما القلوب ارتجت من الاحباب
بسمة لا تزول صبغتها الحسـ — ـنى وبعض البسمات في الثغر كاب
ما تمنيت من حياتي الا — راحت الأمنيات تطرق بابي
والعصافير لا تزال كما كا — نت باغصانها وفوق الروابي
لى من بشرها نصيب يحابيـ — ـنى به دهرك الذى لايحابي

***

فلماذا أشيخ والصبح يحبو — نى بفيء من ظله مستطاب ؟
ولماذا أشيخ والفجر في عيـ — ـنى ضياء ينساب في أعصابي ؟
ولماذا أشيخ والنجم يرنو — لى في رقة وفي اعجاب ؟
أتراني اكتهلت مذ أذن الـ — ـليل الذى في سوالفي بذهاب ؟
أتراني اكتهلت لما ألمت — بضواحي الخمسين سعيا ركابي ؟
لا وربي ما شاخ قلبي ، وان شا — خت على طيلة السنين ثيابي

العوضى الوكيل

ذكرى شوقي

للشاعر عامر محمد بحيري

« فى الرابع عشر من اكتوبر هذا العام ، يكون قد انقضى اثنان وثلاثون عاما ، على ذكرى احمد شوقي شاعر العروبة والوحدة ، ورائد المسرحية الشعرية»

راحوا الى الخلد افذاذا كما جاءوا … وهم بما صنعوا للخلد أكفاء
مضمخا بعبير الورد ذكرهم … كأنه جنة فى الخلد فيحاء
تمضى الدهور ، ولا تبلى محاسنها … رياضها بمطير الوحي خضراء
كانوا أعزاء فى الدنيا بشعرهم … وهم ، وان تركوا الدنيا ، أعزاء

***

يا ذكريات الصبى ، عودى معطرة … والوحى منهمر كالغيث معطاء
وشعر شوقى هو الاستاذ .. يتبعه … قبل اساتذة الشعر الاجلاء
صباحه صفحة بالوحى مشرقة … وليله روضة باللحن غناء
تنقل الروح من ماء الى شجر … قصيدة من عيون الشعر عصماء
شعر البطولة يدعو المؤمنين بها … مراده همة فى المجد قعساء
ينبه الشرق فى ظلماء حالكة … كأنه ليلة بالحلم بيضاء
ارهاص حق ستتلوه النبوة ، او … تنزيل صدق ، له بالفتح امضاء
ضم العروبة من قبل الدعاة لها … اياته رسل الحق الأشداء
بينا تراه يناجى عز قرطبة … اذ هزه من روابى الشام ايحاء
يا ليته كان حيا بين اظهرنا … والعبقريون رغم الموت احياء
حتى يرى الوحدة الكبرى قد انتظمت … فيها العراق ، وآخت مصر صنعاء
فينفح الدهر شعرا لا مثيل له … له من الجيل بعد الجيل اصغاء

***

ان العروبة والفصحى يشدهما … من عهد يعرب .. افعال .. وأسماء
قومية تجمع الاوطان ، او لغة … فيها عن المجد افصاح وافضاء
لا ينهض الشعب حتى يستقيم له … من البلاغة تعبير ، وانشاء
مضى الفحول ، كبارا فى مواهبهم … اشعارهم صحف فى الدهر غراء
شوقى ! لقد كنت صدرا فى مجامعهم … تفردت قمة بالذكر علياء
لم يبق فن أصابوا منه غرته … الا وانت لذاك الفن جوزاء

***

لو أنهم عرف التمثيل جيلهم … لكان للشعر بالتمثيل اعلاء
ما زال ميدانه بيداء قاحلة … حتى جرى منك اخصاب وارواء
كشفت خافيه ، ذللت عاصيه … هل أعطت الورد قبل اليوم صحراء
نفحته بروايات مخلدة … فصولها من كتاب الدهر أجزاء
حوارها آية الفصحى ، وفكرتها … من العواطف أسرار وأهواء

دور الشعر في التمهيد للاشتراكية

قضية الأرض ... وأغاني الكوخ

• بقلم اسماعيل الصيفي •

اهتممت فى مقال سابق بالدفاع عن « زعم » محدد ، هو أن الشعر قبل الثورة كان يحوى بين تياراته المتباينة تيارا من الشعر الجاد الملتزم ، وأن هذا التيار فى بعض الأحيان — كان يصدر عن شعرائه كما يفيض الماء من الينبوع ، دون وعى أو ارادة ، ولكنه — فى كل الاحايين — كان مرآة تجلو وجه مجتمع ما قبل الثورة ، بكل ما فيه من تناقضات .

هذه خطوة ، وخطوة أخرى أن واقعنا الاقتصادى والاجتماعى قبل الثورة كان يطبع على النفوس بالقلق ، ويشحن القلوب بالسخط ، ويفعم الوجدان الاجتماعى للأمة بمشاعر التبرم والضيق ، ومن ثم فقد كانت الاشتراكية هى الموئل الوحيد لهذه الجماهير القلقة الساخطة ، المتبرمة الضائقة .

وليس معنى هذا أن الاشتراكية — كنظام ، وكبرنامج اصلاحى — كانت فى متناول وعى الجماهير .. كلا .

لقد تحركت الاشتراكية فى مستويين متفاوتين قبل ثورة يوليو العظيمة هما مستوى الحس ، ومستوى الوعى ، فعلى مستوى الحس كان الناس — كل الناس — فوق الأرض العربية يحسون احساسا يعمق فى النفس حتى يبلغ قرارتها ، ويمتد فيها حتى يمتلك جميع أقطارها .. يحسون هذا الاحساس العميق الشامل بحاجتهم الى واقع آخر ، واقع لا يقر ذلك الظلم الاجتماعى الصارخ الذى كان سائدا بين أبناء الأمة الواحدة ، ولا يقسم الناس الى طبقات : بعضها كادح مقهور مستذل ، وبعضها مالك ممتص مستغل .

كانوا يحسون بحاجتهم — وما كان أشد حاجتهم — الى واقع يدفع عن أسرهم غائلة الجوع والعرى ، ويرفع عن كواهلهم عبء انتظار مصير مظلم أليم .

وكانت أحلام اليقظة بمنزلة الأجنحة الكبيرة التى تحمل الجماهير الى ذلك الواقع المثالى المنشود ، وكانت قصص الأبطال الشعبيين اذ يعزفها شاعر « الربابة » على المقاهى ، أو يغنيها « الأدباتية والشحاذون » فى الطرقات ، أو يتغنى بها صاحب الموال فى الحقول والأفراح .. هى المتنفس الذى يخفف عن الناس بعض مايجدون من ضيق بالظلم ، أو من رغبة فى الثورة عليه ثم كان الدين بمعناه الساذج المحرف قد شرع يمنح هذه النفوس أمانا روحيا انتهى بها الى الرضا بالواقع ، وتفويض الأمر الى الله ، حتى استغل هذه الظاهرة أعداء الدين فقالوا : « ان الدين أفيون الشعوب » .

هكذا كانت الاشتراكية فى مستوى الحس ، أما مستوى الوعى بها كحل منشود ، ومطلب مقصود فما أقل من كان يرى ذلك ، على أنها كانت تبدو عند الكثيرين كذكريات تاريخية مجيدة ، لعهود اسلامية بعيدة ، وقد قضت الظروف — فى وهمهم — بعدم امكان اعادة ما كان ، وكانت تبدو — من خارج نطاق تراثنا الحضارى الاسلامى — كثائرات محظورة بالشيوعية والاشتراكيات الأخرى .

ولم يتح للاشتراكية التي أنعمت وجدان الجماهير ، وملأت احساسهم والتي لامست عقولهم ٠٠ فرصة الاتضاح والمنهجية والتطبيق الا بقيام ثورة ٢٣ يوليو العظيمة ، التي جعلت من مبادئها الستة القضاء على الاقطاع والاحتكار ، والرأسمالية المستغلة ، واقامة مجتمع ترفرف عليه راية العدالة الاجتماعية .

وفى الصميم من مستوى الحس الاشتراكي ، وعلى حافة مستوى الوعي بالاشتراكية أخصبت شاعرية كثير من الشعراء ، فجادت بانتاج وفير وقيم استطاع تصوير الوجه الحق لمجتمعنا المتفسخ قبل الثورة ، ثم استطاع أن يسهم في خلق التطلع والاستشراف للثورة ، بل واستطاع أن يضع أضواء على الطريق بالقدر الذى أتيح له في هذه الظلمات .

والبحث في هذا الشعر لا يحتاج الى تبرير فيما أتصور ، فانه ضرورة لها من الدواعي ما يحفزنا الى التوفر عليه والاحتشاد له ، وحسبنا في هذا المقام أن نقرر بالبحث في هذا الشعر ، نعطي للثورة امجد حقوقها علينا ، اذ نبين أنها نتيجة محتومة لظروف سبقتها ، ومهدت لها ، وان في ذلك ربطا للظاهرة الثورية بالواقع ٠٠ لا بمعناه الاقتصادى والاجتماعي وحدهما - وغير ممكن ان يكونا وحدهما - بل بمعناه النفسي والوجداني أيضا ، وهذا الواقع الوجداني الذى تهيأ للقاء الثورة الاشتراكية بحفاوة وترحاب صادقين عميقين ٠٠ هذا الواقع لا نستطيع رصده ، وتبين أبعاده الا في ضوء فنون تلك الحقبة بعامة ، وشعرها بخاصة .

وفى شعر تلك الحقبة التي يحدها بدءا مطلع القرن العشرين أدير العدسة من زوايا متعددة لأنقل للوجدان المصرى العربي قبل الثورة صورة كاملة ، وفي اعتقادى أن البحث الصحيح في تاريخ الفن والأدب لدى أمة من الأمم بحث في سيرة الوجدان والنفس عند تلك الأمة ، وبحث في كل ما يتصل بالوجدان والنفس من شكوى وحرمان ، ومن تطلعات وآمال .

لقد برز في الشعر الذى سبق الثورة تيار له خطورته القصوى ، وبرغم ذلك لم يلتفت اليه من يشتغلون بالتاريخ للأدب المعاصر ، واعني به ذلك الشعر الذى استهدف تصوير القرية ، وعاش في حدودها : يقدم الينا الفلاح بشقائه وبلائه ، والكوخ بضآلته وهوانه ، الأرض تروى بعرق الجباه ويقدم لنا المالك بجشعه وتجبره ، والقصر بشموخه وتكبره ، والخزائن تملأ بأرزاق الكادحين .

وهناك تآزر رائع ، وتلاق عجيب بين « الحس الاشتراكي » الذى صدر عنه هذا التيار من الشعر وبين « الوعي الاشتراكي » الذى صدرت عنه ثورة يوليو العظيمة ، واجلى مظاهر هذا التآزر وذلك التلاقي ان « **قضية الأرض** » كانت محور المعاني والصور في هذا الشعر ، كما كانت - أيضا - محور أهم القوانين الاشتراكية واخطرها حتى عام ١٩٦١ ، أعني قوانين الاصلاح الزراعي .

وفى معرض « **قضية الأرض** » نتناول بحفاوة وتقدير هذا العمل الشعرى السامق ٠٠ ديوان «**اغاني الكوخ**» للأستاذ «**محمود حسن اسماعيل**» .

لقد أصدر الشاعر ديوانه وهو طالب في دار العلوم ، ولكنه برغم ذلك ذو قيمة في ميزان الفن كعمل ناضج مكتمل ، وفي ميزان التاريخ كوثيقة ترجمت عن ضياع الفلاح ، وأعجب ما يميز هذا الديوان هو الوعي بالقضية ويبدو ذلك في التزامه لها ، ثم في دعوته الشعراء لمشاركته الاهتمام بها .

« الكوخ » هي أول قصائد الديوان ، ويبدؤها الشاعر ببكاء على الكوخ واستبكاء عليه .

بعثر عليه الدمع ما صفقت

في قلبك الألحان يا شاعر

ويمضي الشاعر ، فيصور الأحلام الضائعة التي يحلم بها الناس في الأكواخ .

تحلم ان الكوخ في جنة
يزهو عليها السندس العاطر

ثم يستنفر الشعراء جميعا الى مشاركته التعبير :

تبكي سواقي الحقل اشجانه
وما بكاها مرة شاعر
والبائس الفلاح في ركنه
عريان يشكو ضنكه خاسر

هذا الشاعر اذن داعية ، وان أصداء دعوته لتتردد فى الديوان ، على نحو مباشر حينا ، وغير مباشر حينا آخر ، فمن الصدى المباشر ماتجده فى قصيدة «زهرة القطن» ، انه يبدؤها بوصف للزهرة يخيل لنا معه أن جمالها قد استغرق كل مشاعره ، ولم يعد يحفل الا بجمالها المطلق ، ولكنه يفعل ذلك ليفرغ آخر الأمر للقضية التى فى هذا الديوان .. قضية الأرض :

ذاك تاج النيل فاندب عنده

امل الفلاح والجهد المضاع

وارث للمسكين عيشا اسودا

ران فى كوخ حقير متداع

نامت النعمة عنه ، وجفت

معدما لم يرعه فى مصر راع

عفرت ريح الأسى كسرته

وطوت نعماه دنيا الصراع

ثم يربط بين هذا البؤس وذلك الأسى وبين نعيم القصر وسعادته ربطا كان حريا أن يثير ثورة ، والا فهو مدخر لساعة الصفر :

رقص القصر على اكتافه

وهو جاث بين ذل واقتناع

فبالرغم من أن وضع كلمة « القصر » فى هذه القصيدة مقابلة للكوخ يجعلها تعبيرا عن الأغنياء فان لهذه اللفظه ايحاء آخر ، لأنها تستحضر « الملك » فى مخيلة القارىء ، وسواء أراد الشاعر المعنيين بكلمته او أراد أحدهما فهذه خطوة موفقة على الطريق ، والى نفس الغاية .

ومن الصدى غير المباشر قصيدة « دمعة بغى » التى تصور مأساة فتاة ريفية وفدت المدينة ترتزق، فباعت مالا يباع فى سبيل لقمتها ، ولنسمعها تحكى طرفا من المأساة :

عصفت بى الأرزاق فى بلدى

فتركته .. واحسرتا وطنى

كوخى الجميل ، وملعبى ، وردى

ومراحى المحبوب ، وأحزانى

ونزلت فى بلد شهدت به

قدس الحجاب ممزق الستر

مشت الفضيلة فى مواكبه

مشى الذليل بربقة الأسر

ولعل العيب الواضح فى الرباعية الثانية من الرباعيتين السابقتين ماتمتاز به من خيال شعرى رائع حيث يصور الفضيلة تسير فى مواكب المدينة وقد ذلت وهانت ، كما يمشى ذليل اسير ، فهذا الخيال بما فيه من سمو ومن تشخيص لمعنى الفضيلة يمزق الحدود الواقعية لشخصية الريفية ، اذ ان الشاعر قد ارتقى بالريفية وجعلها تتصور الفضيلة من مستوى تصوره هو لها ، والذى يبرز هذا العيب أن القصيدة جاءت فى صورة اعترافات بغى ، ولكن برغم ذلك فان الاطار القصصى ، وطابع الاعتراف الذى اختاره الشاعر — على سذاجته — يجعل لكل عنصر من عناصره قيمة ايحائية كبيرة ، فمن خلال اعتراف الفتاة يثبت فى وجداننا معنى خطير ، هو أن الريف مدقع فقير ، تعصف البؤسى بساكنيه ، فتضطرهم الى الرحيل عنه طلبا للقوت فى المدينة ، وأن المدينة تستقبلهم بترحاب فاجر لايقيم للاخلاق الكريمة وزنا .

ويأبى الشاعر الذى اعتنق هذه القضية، والتزمها فى ديوانه الا أن يعبر عنها نثرا فى « كلمة ختام » التى يذيل بها الديوان ، انه يقول فيها : « اضرب بقدميك فى ليلة ... بين تلك الاكواخ المتداعية فى قرى مصر ، وحدثنا عما تلاقيه من أهوال الظلام .. فى عصر كاد يفترش فيه المدنى الشعاع .. واجلس بجانب (الفلاح) فى الظهيرة تحت ظل الخيمة التى نصبها من ردائه على عصاه وفأسه ، وقاسمه الطعام والشراب ، وتعال فحدثنا كيف اكل وكيف شرب ؟ وهل تردد عشرين فى احتساء الماء المقطر من كوب بلورى شفيف ، أم انبطح على بطنه فعب الماء من مشربه العكر ؟ وقام الى فأسه فواصل العمل لا يستريح ، ولا يعرف طعم الهدوء ؟ » .

« **اسماعيل الصيفى** »

عدوت الزمن

ميخائيل نعيمة

في عيد ميلاده الخامس والسبعين

بقلم عبد الفتاح محمود الدرقي

عزيزنا ميخائيل كحل الله بصيرتك بنور محبته وغمر أيامك كلها بالسعادة والهناء .

لست اقصد برسالتي ان اخلع عليك من الالقاب الرنانة ما يستعمله كتاب اليوم في مناسبات التكريم . فانا ادرى الناس بكراهيتك لذلك فليس في قاموسك امير للشعر ولا عملاق للادب ولست تكره شيئا كراهيتك المجاملات ، واعلم كذلك انك لاتهمك شهرة او اطراء فهي شهوة دستها ياميخائيل تحت نعليك فلم تعد تطرب للفظة غمست بمعسول الاطراء والمدح او بمداد الحقد والذم . فشهرة الكاتب في نظرك ليست الا ظل قامته الادبية ، وان الاديب الصادق لا يهتم بما يقوله الناس فيه قدر اهتمامه بما يقوله وجدانه لوجدانه وانه متى اخلص لنفسه ولادبه لا يضيق صدره الذم ولا ينتفخ لمدح .

وضعت ذلك كله امام عيني وانا اكتب لك هذه الرسالة وجعلت كل همي ان استرجع معك لقطة سريعة من« **كتاب ايامك** » لست اقصد ما في هذه الايام من لحظات افراح وسعادة او ساعات احزان وشقاء فعمر الانسان خليط من هذا كله ولكني سأركز جهدي على صفحة بعينها لولاها لما كان في دنيا الأدب ــ ميخائيل نعيمه ــ تاركا لغيري من زملائك ومحبيك أن يتناولوا بقية الصفحات وهي غنية بما فيها من كفاح للوصول الى الحق ومجد القلم .

اما الصفحة فهي ليلة العشرين من نيسان عام ١٩٢٠ وفي حجرة باعلى بناية قديمة في بوسطن بالولايات المتحدة الامريكية اجتمع عشرة رجال الفت بين قلوبهم الغربة وجمعتهم وحدة الهدف والشعور

وبعد ان انفض اجتماعهم خرجوا وفي يدهم المعاول التي حطمت الصنم الذي كان ادباء العربية يسبحون بحمده ويحرقون تحت اقدامه البخور . في تلك الليلة ولدت « الرابطة القلمية » اعظم ثورة عرفها الادب العربي الحديث . هل تذكر مادار في تلك الليلة ؟ ان الكلمات محفورة في قلبك وعقلك فاروها ياميخائيل :

« لاننا لم نجد اكثر من عشرة رجال تقاربت اذواقهم وتآلفت ارواحهم وانتفى التحاسد من قلوبهم فقد اكتفينا بهم وأولئك العشرة مرتبين حسب السن هم : رشيد أيوب ، ندره حداد ، جبران خليل جبران ، وليام كاتسفليس ، وديع باحوط ، الياس عطا الله ، نسيب عريضة ، ميخائيل نعيمه ، ايليا أبو ماضي ،

عبد المسيح حداد . والعشرة اختاروا جبران عميدا واختاروني مستشارا وكلفوني بوضع دستور الرابطة فوضعته ومهدت له بكلمة بينت فيها اهداف الرابطة وهذا بعض ما جاء فيها :

« ليس كل ما سطر على قرطاس بمداد ادبا ، ولا كل من حرر مقالا أو نظم قصيدة موزونة بالاديب، فالادب الذى نعتبره هو الذى يستمد غذاءه من تربة الحياة ونورها وهوائها فاذا ما عملنا على تنشيط الروح الادبية الجديدة فلا نقصد قطع كل علاقة مع الاقدمين فبينهم من فطاحل الشعراء والمفكرين من ستبقى آثارهم مصدر الهام الكثيرين غدا وبعد غد . الا أننا لسنا نرى فى تقليدهم سوى الموت لآدابنا ، لذلك فان المحافظة على كياننا الادبى تضطرنا للانصراف عنهم الى حاجات يومنا ومطالب غدنا ، وحاجات يومنا ليست كحاجات امسنا . »

بهذه الروح قامت الرابطة القلمية وبهذه الروح انتشرت مبادئها وجنى ابناء هذا الجيل ثمارها الطيبة فما أحوجنا الآن وما أحوج شعرائنا المحدثين خاصة الى مثل هذه الروح فنحن امام تيارات ادبية جديدة كانت تبشر بالخير لولا أن استشرت فيها روح الخلافات والاحقاد الى الحد الذى جعل شعار المختلفين التشاتم والتنابز بالالقاب ناسين فى غمرة انفعالاتهم أن الزمن ابو النقاد جميعا وأنه لا يحتفظ فى سجلاته الا بما هو الحق والصدق .

ان كلماتك باميخائيل مازال يحفظها كل من يتصدى لحرفة القلم ، انها لشموع اضأتها ومازالت على الطريق منيرة للسالكين .

لقد كنت تعرف دائما قيمة القلم الصادق ، الذى لاينافق ولا يداهن ولايتملق ، القلم الذى يعرف قيمة الحرف فلا يمتهنها ويعرف جمال اللون والرنة والمعنى فى كلمة فلا يفحش بها ، ويعرف أن للقلب اوتاره وللفكر أوتاره وهذه ما لم تكن موقعة احسن التوقيع ، وبيد فنان مخلص لفنه كان كل ما يصدر عنها نشازا فى نشاز .

واليوم وبعد خمسة وسبعين عاما على ميلادك ــ اذا كان دور الرابطة القلمية قد انتهى ــ كما قلت ــ بعد ان نقلته الى ديار العرب وبعد ان خلقت له جنودا فى كل قطر عربى فابناء العربية لا ينكرون لك هذا الكفاح ،بل ان حروف كلماتك مازالت فى قلوب هؤلاء الجنود وكأنها شعلة من النور يتوارثونها جيلا بعد جيل .

ولعلى ــ انا الزمن ــ اكون قد وفقت فى نقل صفحة واحدة من روائع صفحات ايام الكاتب الذى عرف نفسه على حقيقتها فعرف كيف يكتب للناس فكان كاتبا وشاعرا وفليسوفا اتخذ من القلم السلاح الوحيد فى الحرب على الجمود والجهل وفى الدفاع عن حرية الابداع وعن جمال الحق والحياة .

عزيزنا ميخائيل تحية من الاعماق فى عامك الخامس والسبعين ودعوات ترفعها الى السماء قلوب الآلاف التى احبتك والتى سكبت فيها قطرات من نبعك الصافى فكانت الخميرة الطيبة التى لاتزال تعمل عملها الخير حتى اليوم ، واسعد مع قرائك ومحبيك ...

عبد الفتاح محمود الدربى



بين جاليليو والحسن بن الهيثم

بقلم احمد سعيد الدمرداش

تمهيد :

« اقسم ، أنا جاليليو جاليلى ، ابن المرحـــــوم فنستر جاليلى الفلورنسى ، وأنا أبلغ من العمر سبعين عاما ، وأنا اركع امامكم لتحاكمونني ، ايهـــا الكاردينالات المبجلين ، القائمين على التحقيق باسم الكنيسة العامة للقضاء على الهرطقة والمروق ، وانا اضع امام عينى الكتاب المقدس والمســـه بيدى ، اقسم أننى آمنت دائما واننى سأومن فى المستقبل، بمعونة الله ، بكل كلمة جاءت فى الكتاب المقدس ، وبكل تعاليم كنيسة روما ، ولما كان المجمع المقدس قد طلب الى أن أتخلى عن الفكرة الخاطئة القائلة بان الشمس تقع فى المركز ولا تتحرك ، ولما كان قدحرم على ان أومن بهذه الفكرة الخاطئة ، أو أدافع عنها ، أو أقوم بتعليمها .. فاننى على استعداد أن أنزع من اذهانكم ، ومن ذهن كل مسيحى كاثوليكى ، هذا الشك العنيف الذى راودكم بحق من جهتى ، واننى بناء على ذلك ، وبقلب مخلص ، وايمان راسخ ، العن واحقر هذه الأخطاء والزندقة ، وكافة الأخطاء والآراء المضادة لما تقوله الكنيسة المقدسة ، واقسم اننى لن أذكر فى المستقبل ، كتابة او شفاهية ، ما من شأنه أن يثير الشك ضدى ، بل أقسم انه ما أن يصل الى علمى شىء بخصوص أى شخص يؤمن بهذه الهرطقة ، أو يشك فى ايمانه ، فاننى سأحيط المجمع المقدس أو المحقق فى مكان وجودى ، علمـــا بما وصل الى ، واقسم علاوة على ذلك، اننى سأحقق كافة الالتزامات ، التى وضعها المجمع المقـدس أو سيضعها على كاهلى . فاذا حدث أننى خرقت عهودى، وتعهداتى ، او حنثت فى قسمى (وليجنبنى الله ذلك) ، فاننى أعرض نفسى لكل الآلام ، والعقوبات التى قررتها الكنيسة المقدسة ضد الملحدين ومن شـــاكلهم ، فليعاوننى الله ، وليعاوننى الكتـــاب المقدس ، الذى المسه بيدى ، وانا ، جاليليو جاليلى ، أقسم واتعهد ، واقرر امام الشهود أننى كتبت هذا بمحض ارادتى واننى قد تلوته كلمة اثر كلمة » .



جاليليو جاليلى

١٥٦٤ - ١٦٤٢

تلك هى وثيقة التوبة التى تلاها جاليليو جاثيا فى ٢٢ يونيو عام ١٦٣٣ ميلادية ، امام الكرادلة الذين يحاكمونه ، وسط جمع غفير من الجماهير ، وتحت

منصة القضاء، آلات التعذيب، وهى تتكون من أقماع جلدية كبيرة، توضع فى الفم ويصب فيها ماء كثير، حتى تنتفخ الأمعاء وتكاد تنفجر، وأحذية من الحديد تضغط على القدم بشكل آلي لتسحق عظامه، وغير ذلك من أنواع التعذيب الأخرى، فآثر جاليليو السلامة.

لم يصمد ليدافع عن آرائه العلمية كما فعل سقراط أمام جلاديه، وآثر الموت متجرعا السم بيده، ولا كما فعل جواردانو بردنو (١٥٤٨ ـ ١٦٠٠) أستاذه فى العلوم والطبيعيات الذى أصر على معتقداته فأحرقوه حيا فى أحد ميادين روما.

ولا كما فعل الامام ابن حنبل فى محنة خلق القرآن.

لقد كانت الديانة الكاثوليكية تقوم على عناصر ثلاثة:

الايمان، والعقيدة، والسلطة، حتى اذا جاءت البروتستانتينية وسعت الى اعادة المسيحية فى نقائها البدائى، ألغت السلطة باعتبار أنها مبدأ مادى وسياسى بحت، ولكنها تركت العقيدة قائمة، أعلن هذا مارتن لوثر وكلفن، وقد حان الوقت أن تترك العقيدة ذاتها تهوى عندما نما الفكر العلمي واشتد ساعده فى القرنين .. السادس عشر والسابع عشر، اذ كيف تمسكت الكنيسة على ثورة كوبرنيق القائلة بأن الشمس هى مركز الكون وأن الأرض تدور حولها، وكيف تمسكت على فكرة الواحدية والتطورية من جهة الموجود واحد، وجميع الموجودات ذات طبيعة واحدة أساسها الجوهر الفرد، وليس الخلاف بينها الا فى الدرجة، أى كميا.

ومن جهة أخرى ليس الموجود لا متحركا، بل فيه مبدأ التغير، هذا التغير الذى يعد فى ذاته ميكانيكيا بحتا، وخاضعا لقوانين ثابتة، هو أصل تعدد الموجودات واختلافها، والتى تعد بدورها حادثة عن خلق طبيعى خالص، من مشارف هذه الفلسفة التى استمدها علماء النهضة فى أوروبا من روح الحضارة الاسلامية، أصبح على العلم مسئولية البحث فى المسائل التى تختص بالعقيدة، فلن يبقى للكثلكة اذن سوى الايمان، وهذا ما حدا بها الى العنف مع رجال الفكر العلمى أمثال برونو وجاليليو.

الآثار العلمية لجاليليو:

يضفى كثير من الكتاب على جاليليو لقب «أبو العلم الحديث» ويقول البعض أن جل ما حققه فى ميدان العلم ترجع أصوله الى نهاية العصور الوسطى، ومن ثم فانه يعتبر شخصية انتقالية، احدى قدميه فى الماضى بينما الأخرى تمتد الى المستقبل، وسوف نتناول هنا ثلاثة جوانب من علم الميكانيكا الذى يزعم مؤرخو العلم من الاجانب أنه أول من غير مفاهيمه من الحالة الاستاتيكية كما وضعها ارسطو، الى الحالة الكينماتيكية، والثلاثة جوانب التى درسها جاليليو هى:

(أ) قانون الأجسام الساقطة.

(ب) قاعدة القصور الذاتى.

(حـ) تحليل وتركيب الحركات المستقلة.

يقول أرسطو: ان سرعة الجسم الساقط تتوقف على مقاومة الوسط الذى يسقط فيه الجسم، فقطعة من حجر مثلا، سوف تسقط فى الهواء بأسرع مما تسقط فى الماء، وقال كذلك انه اذا سقط جسمان فى وسط مقاوم مثل الهواء، فان سرعة كل منهما ستتوقف على وزنه.

وجاء جاليليو بتجربته المشهورة من أعلى برج «بيزا»، وأبطل هذا الرأى، نحن نبطله امام أعين طلبة المدارس الثانوية فى الوقت الحاضر، بتجربة بسيطة، نجعل فيها أجساما مختلفة، بعضها من الورق أو أرياش الطيور، وبعضها من الحديد أو الرصاص تتساقط فى انبوبة طويلة من الزجاج مفرغة من الهواء، فنشاهد فعلا أنها تساقط بسرعة واحدة.

بيد أن تساقط الأجسام بسرعة واحدة لولا مقاومة الهواء لم يكن سرا غامضا خفيا عن أذهان الحكماء الأولين، فهذا الفيلسوف العراقى «أبو البركات هبة الله بن ملكا» المتوفى عام ١١٥١ ميلادية يقول فى كتابه المعتبر بلفظه:

«وأيضا لو تحركت الأجسام فى الخلاء لتساوت حركة الثقيل والخفيف والكبير والصغير والمخروط المتحرك على رأسه الحاد، والمخروط المتحرك على قاعدته الواسعة فى السرعة والبطء، لأنها انما تختلف فى الملأ بهذه الأشياء خرقها لما تخرقه من المقاوم المخروق، كالماء والهواء وغيره.

اما ابن سينا فيقول:

«وأما ما يعترى الاجسام الصغيرة مثل الخردلة ومثل التبنة، ومثل نحاتة الخشب، من أنها لا تنفذ عند الرمى فى الهواء نفوذ الثقيل، فليس السبب فيه أن الأثقل أقبل للرمى والجر، بل لأن بعض هذه لصغرها لا تقبل من الدافع قوة محركة لها،

ولما يليها تبلغ من شدتها أنها تقدر بها على خرق الهواء ، ومع ذلك فتكون « أى قوة حركتها » سريعة الاستحالة الى البطلان من السبب الذى يعرف فى موضعه » .

وتدلنا أبحاث العلماء العرب أمثال ابن رشد وابو البركات ،أنهم قد ادركوا المعنيين الآتيين ادراكا لا وجه للتشكك فيه :

١ ـ ان الجسم الذى يلازمه سبب حركته ، تزداد حركته على التواصل لولا مقاومة الوسط ، سواء أكانت الحركة طبيعية أم قسرية .

٢ ـ ان الجسم الذى يفارقه سبب حركته يظل مستمرا فى الحركة التى استفادها من القاسر ، لولا مقاومة الوسط من ناحية ، ولولا سبب حركة طبيعية فيه الى جهة خاصة من ناحية أخرى .

والمفهوم الثانى فيه معنى للتصور الذاتى الذى وضعه نيوتن ضمن قوانينه بعد ذلك بأكثر من قرن بعد وفاة جاليليو ، مفرقا بين كتلة الجسم ووزنه .

ويرى جاليليو أن هذه المفاهيم يمكن التعبير عنها بلغة رياضية ، فكان يقول دائما بأن الرياضيات هى لغة الحركة ، وأن التغير يمكن تحديده رياضيا بطريقة تعبر عن عموميته وحتميته ، كما تعبر أيضا عن شموله كيفا وكما ، بحيث يمكن تطبيقه على عالم الواقع .

لقد اعتبر جاليليو احتمالين فى حالة الحركة ذات العجلة المنتظمة التى بدأت من حالة السكون :

(أ) أن السرعة تتناسب مع مسافة السقوط .

(ب) أنها تتناسب مع فترة السقوط .

أدى به الاحتمال الأول الى تناقض ظاهر ، ومن ثم فقد قبل الاحتمال الثانى ، وهو القانون المعروف الآن ، والذى يقول بأن السرعة تساوى العجلة مضروبة فى الزمن : س = ع × ن .

ثم استخدم بعد ذلك البرهان المعروف الذى يقول بأن الجسم ذا العجلة المنتظمة يتحرك خلال مسافة ف فى فترة من الزمن ن تساوى المسافة التى يتحركها خلال نفس الزمن لو أنه سار بمتوسط السرعة ، وتوصل من ذلك الى قانون مماثل للقانون التالى : ف = ½ ع ن٢

كان جاليليو يتصور الظروف التى توجد فى حالة معينة ، ويضع لها الصيغ الرياضية بأسلوب عصره ، ثم يستخلص النتائج المعقولة ، وأخيرا يلجأ الى اختبار سريع للتأكد من نتيجته اذا كان الأمر فى حاجة الى اختبار ، فكان اختباره التجريبى فى هذه الحالة يعتمد على كور من النحاس تتدحرج فى مجرى معين ، كان يقيس الزمن الذى تستغرقه الكرة فى قطع مسافة معينة على سطح مائل بدرجة أو بأخرى، ووجد خلال « تجارب كررها حوالى مائة مرة » أن الأزمنة تتفق مع القانون مع فروق « لا تستحق الذكر » .

وكم كان متمسكا بفكرته هذه حتى قبل بدء التجارب ولا يعنيه من أمر هذه الفروق ، والواقع ان الطريقة البدائية التى أجرى بها تجاربه لا يمكن أن تصل الى قانون دقيق ، وهذا يؤيد آراء الأب مارسين الذى عاصر جاليليو ، فهو يقول ان هذه الفروق كانت كبيرة لدرجة أنه لم يتمكن من اعادة تجارب جاليليو ، وهو يشك فى ان جاليليو قام بهذه التجارب على الاطلاق .

حلل جاليليو حركة الكرة على السطح المائل الى عنصرين : حركة أفقية وحركة راسية ووصل الى ان الحركة الأفقية تظل ثابتة ، وعلل لماذا يسقط الحجر الساقط من قمة الصارى فى مركب متحرك عند قاعدة الصارى بالرغم من حركة المركب ، لقد أشار الى أن الحجر كان يشترك مع المركب فى الحركة الى الأمام قبل أن يبدأ فى السقوط ، وأن هذه الحركة الى الامام تظل تلازمه أثناء سقوطه ، ذلك أن الحركة الى أمام والحركة الى أسفل نوعان مستقلان من الحركة .

الحسن بن الهيثم يسبق جاليليو فى قوانين الحركة

يعتقد كتاب الفرنجة أن تحليل جاليليو للحركة قد تضمن كشفا جديدا آخر هو قاعدة التصور ، انه لم يذكر هذه القاعدة بشكل ملحوظ ، الا أنه استخدمها فى فروضه الخاصة بحركة القذائف النظرية ، القائلة بأن الجسم سيظل فى حالة حركة منتظمة فى خط مستقيم ما لم تؤثر عليه قوة خارجية .. كان هذا فى المدة مابين (١٥٨٩ ـ ١٥٩١) عندما كان يعمل محاضرا فى جامعة بيزا .

هذا ما يقوله كتاب الغرب ، ولحسن حظ ابن الهيثم أنه وجد من يفتش عن تراثه فى الحركة، وهو الاستاذ الكبير مصطفى نظيف الحائز لجائزة الدولة فى العلوم ، فقد دلنا بعد بحث دقيق على

ان هذا العالم العربي كان أول من حلل الحركة الى « قسطين » متعامدين في مستوى « خط الحركة » والعمود عليه .

فمثلا اعتبر ابن الهيثم تجربة كرة صغيرة من الحديد القيت من عل فوق لوح أفقي فوجد أن المسافات التي ترجع عليها تكون بحسب الارتفاع الذي تلقى منه ، وأنها اذا القيت من ارتفاع واحد على أجسام مختلفة كانت تلك المسافات بحسب ما سماه « ممانعة » هذه الأجسام .

نفس فكرة التجارب باستخدام الكور هي نفس الفكرة التي اعتمد عليها جاليليو .

واعتبر ابن الهيثم اعتماد المتحرك عن ملاقاته الساكن يتحلل الى « قسطين » متعامدين احدهما في اتجاه العمود ، والآخر في المماس من نقطة الملاقاة ، ثم هو رأى أن مدافعة الساكن تؤثر في القسط ، الذي على العمود ، فيكون هذا القسط عند الرجوع بحسب ممانعة الجسم الساكن ، حتى اذا كانت ممانعته (كما قال بلفظه) في الغاية ، انقلب اتجاه هذا القسط دون أن يتغير مقداره .

أما القسط الآخر الذي في اتجاه المماس فيبقى على حاله دون أن يتغير ، واستنبط من هذا أن حركة الكرة عند الرجوع تكون مركبة من هذين القسطين، وان خط الحركة وخط الرجوع والعمود من نقطة السقوط تكون جميعا في مستوى واحد ، وأن زاوية السقوط تكون مساوية لزاوية الانعكاس .

كان هذا في القرن الحادي عشر أي قبل جاليليو بأكثر من خمسماية عام .

لقد طبق نظريته الميكانيكية هذه على شعاع الضوء ، واعتبره مكونا من كرات صغيرة أقرب الى الجوهر الفرد ، وكل كرة انما تصطدم بالسطح التي تسقط عليه ، فهي تنعكس بحيث أن زاوية السقوط تساوي زاوية الانعكاس .

ومن هذه النظرية ، وضع اسحاق نيوتن نظرية الجسيمات في الضوء ، بتعبير آخر في التسمية حتى تخرج في ثوب آخر .

نسبية الحسن بن الهيثم ونسبية جاليليو :

لقد كان الحسن بن الهيثم هو اول من فكر في وجود « محور اسناد » ونقصد بذلك مجموعة من الاحداثيات اللازمة لتحديد موضع جسيم في الفراغ ، ويتحرك الجسم الحر الذي لا تؤثر عليه قوى خارجية بسرعة منتظمة بالنسبة لهذه الاحداثيات ، ويسمى هذا النوع « محور ذاتي » ، وبناء عليه فان كل قانون من قوانين الطبيعة ثابت في جميع محاور الاسناد الذاتية ، أي أن المعادلة التي تصف أي قانون عن كتابتها بدلالة الاحداثيات والزمن لمختلف محاور الاسناد الذاتية يكون لها نفس الشكل ، وهو ما نجده واضحا في قانون الانعكاس ، أو قانون تصادم الأجسام كما عبر عنه ابن الهيثم .

جاء جاليليو وطبق نفس الفكرة حيث افترض زمنا لكل نقطة في الفراغ ، وافترض ثبات الحركة الكلية اي أنه لم يأخذ في الحسبان فكرة الديمومة، وفكرة « التفاعل » بين الجسيمات المادية ، والجديد في بحوث جاليليو أنها تضمنت فكرة الفراغ بثلاثة أبعاد ، أما ابن الهيثم فانه اهتم باحداثيين نقط احدهما أفقي والآخر رأسي .

ومن مفهوم أبحاث ابن الهيثم وابحاث جاليليو أنهما اعتبرا سرعة انتقال التفاعل بين الجسيمات المادية هي مالا نهاية .

اما نظرية النسبية لاينشتين فانها تعتبر بأن سرعة انتقال التفاعل ثابتة في جميع المحاور وهي ثابت عام يساوي سرعة الضوء التي قيمتها ٣ × ١٠^١٠ سم / ثانية ، ونظرا لكبر هذه السرعة فانه في ميكانيكا الأجسام العادية تظهر نتيجة التفاعلات بين الاجسام بعد فترة قصيرة جدا من الزمن ، حتى اذا وضعنا هذه السرعة مالا نهاية ، فان النتيجة لا تتاثر تاثيرا محسوسا .

لقد وضع ابن الهيثم اللبنة الأولى لعلم الميكانيكا الكلاسيكية ، ثم تبعه ديكارت وفرما وجاليليو ونيوتن ، وبحوثه لم تستمر في النمو طول حقبة من الزمان تقرب من ستمايه عام ، نظرا لما كان عليه الشرق من تمزق داخلي وفتن وحروب ، ولو كانت لابن هيثم مدرسة لها امتداد لوفرت للذهن البشري هذه الحقبة الراكدة ، ولاصبح للعلوم الميكانيكية شان آخر في عصرنا .

« احمد سعيد الدمرداش »

أخطاء فنية فى فيلم ثمن الحرية

بقلم : عبد الفتاح البارودى

ماذا فعله نجيب محفوظ بمسرحية « مونسيرا » ؟!

قام باعدادها فى فيلم سينمائى أنتجته مؤسسة السينما باسم « ثمن الحـرية » ، والفيلم يعتبر ـ بالنسبة لأفلامنا ـ خطرة كبيرة فى طريق رفع مستوى انتاجنا السينمائى ، والجهود التى بذلت فيه تستحق التقدير ، ولكن الاعداد السينمائى لم يبرز جوهر المسرحية ولا فكرتها ، او على الأصح لم يبرز عمقها .

اولا لا جدال فى أن هذا الفيلم باعتباره من انتاج القطاع السينمائى العام ، يؤكد أن هذا القطاع بدأ تنفيذ التخطيط الذى أعد لانقـاذ السينما من التفاهة ... فقد اتهم بأنه لم يحـدث جديدا فى الانتاج السينمائى ، واتهم بأن افلامه لا تختلف عن افلام القطاع الخاص ، وأقصد الأفلام السيئة ، لأن القطاع الخاص أنتج « فلتات » جيدة ... وفعـلا ظهرت للقطاع العـام افلام لا تختلف شـكلا او موضـوعا عن الأفلام التى طالت الشـكوى من تفاهتها ، وظهرت له ايضا افلام معقولة المستوى ، ولكن فيلم « ثمن الحـرية » بالذات يعتبر فيلمـا موضوعيا جادا ، ويعتبر انتاجه مغامرة فنية لم يكن من الممكن اطلاقا أن يقتحمها القطاع الخاص .

من هنا أعتبره البداية الحقيقية لتنفيذ التخطيط السينمائى الجديد ، ومن أجل ذلك أناقش الأخطاء الفنية التى وقع فيها ، كمحاولة للتعاون النقدى مع القطاع العام على مواجهة أخطائنا ، والإستفادة منها ، والعمل على تلافيها .

ولاشك فى صعوبة تحويل المسرحيات الى أفلام ، فمن البديهى أن المسرح له تكنيك خاص به يختلف عن تكنيك السينما ، ولكن مع تقدير هذه الصعوبة كان يمكن ـ بسهولة تحاشى اخطاء كثيرة واستكمال نقائص كثيرة .

من حيث اختيار الموضوع ، لماذا اختارت مؤسسة السينما هذه المسرحية بالذات ؟ ربما يقال ان هذا السؤال كان يمكن توجيهه اليها لو انها اختارت اى موضوع آخر ، فضـلا عن أن هذه المسرحية تستلهم موضوعها من أحداث احدى معارك تحرير الشعوب ، وبذلك فهو موضوع هام بالنسبة لنا .. وهذا صحيح ، ولكن هذه المسرحية بالذات تتناول أحداثها بتكنيك مسرحى يعتمد اساسا على تركيز المشـاهد تركيزا شـديدا ، وعلى الحوار المسرحى البالغ الدقة والكثافة ، وعلى الصراع المسرحى الذى يتعذر تصويره فى غير مجاله المسرحى ... الخ ...
ومع ذلك فان افتقـارنا الى الموضوعات السينمائية يبرر البحث عن موضـوعات فى مختلف الأعمـال الأدبية ، ومنهـا المسرحيات ، ولكن عندما نأخذ المسرحية ـ أى مسرحية ـ من خشبة المسرح وننقلها الى بلاتوهات السـينما ، لابد من مراعاة أصـول التكييف السينمائى .

فلا يجوز مثـلا ان يكون ترتيب الأحـداث فى المسرح هو نفس ترتيبهـا فى السـينما ... ولا يجـوز اسـتخدام التركيز المسرحـى فى المشـاهد ... ولا يكفى أن ندخل مشـاهد سينمائية فى بداية الفيلم ثم نترك المشاهد الرئيسية فى طابعها المسرحى دون استخدام الحركة السينمائية واللغة السينمائية .

***

ولكى نتبين ذلك بوضوح تعـالوا نقـارن بين المسرحية والفيلم ، لنرى ماذا فعله نجيب محفوظ فى

الاعداد السينمائى ، وطلبه رضوان فى السيناريو ، ولطفى الخولى فى الحوار .

ان المسرحية باختصار تصور لنا صراعا بين الاستعمار والوطنية ، وهذا الصراع يتمثل فى ناحيتين :

الناحية الأولى مستلهمة من أحداث تاريخية ، حينما كان الجيش الاسبانى فى القرن الماضى مستعمرا فنزويلا ، ثم قام أهالى فنزويلا بثورة تحريرية .

الناحية الثانية مستلهمة من معان انسانية ... كان أحد ضباط الجيش الاسبانى ارتفعت مشاعره ، لايمانه بحق الشعب الفنزويلى فى التحرر ، وبدأ يعاون الثوار فى الخفاء ... كان قائد الثوار يدير المعركة من مكان اعتصم فيه ، وكان الجيش الاستعمارى يبحث عن هذا المكان بكل الوسائل ، وعلم قائد المستعمرين أن أحد ضباطه (مونسيرا) يعاون الثوار ويعرف مكان قائدهم ، فالقى القبض على (مونسيرا) يعاون الثوار ويعرف مكان قائدهم ، فالقى القبض على (مونسيرا) وحاكمه بتهمة « التمرد » ... وفى خلال المحاكمة حاول أن يعرف منه مكان الثائر المختفى ، ولكنه رفض باصرار ، فهدده بأنه سيقتل عددا من المواطنين الفنزويليين اذا لم يعترف ... أراد بذلك أن يشعره بأنه هو المسئول عن قتل هؤلاء الأبرياء ، فربما يدفعه ذلك الى التضحية بفرد واحد ، هو الثائر المختفى ، نظير انقاذ المواطنين الأبرياء ... ولكن (مونسيرا) رفض أيضا ، وعندئذ نفذ القائد الاستعمارى تهديده ، وطلب من جنوده احضار أول ستة أشخاص يقابلونهم فى الطريق .. وفعلا احضروهم ... وأنذرهم القائد الاستعمارى بأنه سيقتلهم اذا لم يعترف مونسيرا بمكان ثائرهم المختفى ، وأمهلهم ساعة واحدة ليقنعوه بان يعترف ... اننا نلمس هنا براعة المؤلف المسرحى « عمانويل روبليس » ... فهو يواجه (مونسيرا) بستة من الفنزويليين يتوسلون اليه أن يعترف بمكان ثائرهم ، ليدرك انه لا يمكن ان يكون أكثر اخلاصا للقائد الفنزويلى من الفنزويليين انفسهم .. ثم ان المؤلف اختار هؤلاء الستة اختيارا دقيقا ، فقد اختارهم كنماذج بشرية مختلفة الآمال والطابع والأوضاع ، وجعل كلا منهم يفاضل بين الحياة والموت ليختار الحياة ، وهو بذلك يزيد مسئولية مونسيرا عن قتلهم ... وبديهى ان المؤلف أدانهم — ضمنا — بالأنانية ، لأن الاستعمار يخلق السلبية فى النفوس الضعيفة ، ومن هنا استطاع المؤلف ان يستخدمهم كأدوات مسرحية... وواضح جدا أن مواجهة هؤلاء الستة لمونسيرا لمدة ساعة ، يناسب الأوضاع المسرحية ولايناسب الأوضاع السينمائية ... وكل تفصيلات المسرحية مكتوبة فى مجال مسرحى ، وكان يجب عند تحويلها الى السينما مراعاة التكنيك السينمائى .

ولكن الفيلم احتفظ بالتفصيلات والمشاهد — غالبا — بنفس الأسلوب المسرحى ، وبنفس الترتيب ... حدثت محاولات لاكسابه الصبغة المحلية ، ولكنها محاولات شكلية ... وأدخلت مشاهد سينمائية ولكنها عابرة ... فمثلا فى البداية رأينا مجموعة من فرسان البوليس تتحرك أمام الكاميرا ، ولكن فى الأحداث نفسها لم نلمس الحركة السينمائية ... ان الفيلم وضع (قومندان البوليس) الانجليزى مكان قائد الجيش الاستعمارى ، وادار الأحداث حول البحث عن الثائر المختفى ، واظهر شخصية هذا الثائر ... وفى هذه النقطة يختلف الفيلم عن المسرحية ، ولكن لم يكن لظهور هذه الشخصية تأثير جوهرى فى مجرى الأحداث او فى السياق او فى تعميق الموضوع او فى الهدف أو فى تحقيق الصورة السينمائية ... ان هذا الدور يمكن حذفه دون أن تشعر بأى نقص فى الفيلم .

والسبب أن الحدث الرئيسى يتبلور فى شخصية الضابط الذى يعرف مكان الثائر ويصمم على عدم الارشاد عنه ... وهذا الحدث وما يرتبط به من أحداث ظهر فى الفيلم بنفس ترتيب المسرحية .

ومن التجديدات فى الفيلم أنه غير سلوك بعض الشخصيات ، فمثلا رأينا القومندان الانجليزى يحاول العبث مع فتاة (من مجموعة الستة اشخاص) ، ورأينا بعض الضباط الذين يعملون معه يتصرفون تصرفات لم تحدث فى المسرحية ، ولكن كل هذه التغييرات فرعية وغير ذات أثر فى تعميق الأحداث .

التغيير الجوهرى الذى أحدثه الفيلم هو تغيير النهاية ... فان المسرحية انتهت باعدام الستة أشخاص ثم اعدام الضابط الذى انحاز الى الفنزويليين ، بينما صور لنا الفيلم أن أحد الضباط الذين يعملون مع القومندان الانجليزى واجهه فى النهاية واشهر مسدسه فى وجهه ثم أطلق عليه

الرصاص فلقى مصرعه وتدحرج على السلالم ٠٠٠ وبهذا الشكل تحولت الرواية الى فيلم ميلودرامى ، وبذلك تهافت عمقها ٠٠٠ لماذا ؟

ان المسرحية القت الضـــوء على مبررات سلوك الشخصيات بمنطق قوى من واقع الأحداث ، ولذلك ظهر احتدام الصراع ٠٠٠ ان قائد الجيش الاسبانى كان يتصرف معتقدا أنه يؤدى واجبه من وجهة نظره فى مواقف حتمية ٠٠ والضابط الذى حاكمه كان ايضا يتصرف معتقدا انه يؤدى واجبه من وجهة نظره فى مواقف حتمية ، ومن هنا احتدم الصراع ، ولهذا تنتهى المسرحية بعبارات عميقة يقول فيهـــا القائد للضابط قبل تنفيذ حكم الاعدام : (أنا أديت واجبى كقائد ، وأنت أديت واجبك كانسان) ٠

اما الفيلم فان تحويله من مأســـاة الى ميلودراما أضعف مغزاه ٠٠٠ ربما يقال ان نهاية الفيلم أنسب الى مفهومات الجمهور ، ولكن هل يمكن أن نعتبر هذا تعليلا فنيا فى أفلام القطاع العـــام ؟ ولماذا اختيرت هذه المسرحية للاعداد السينمائى اذن ؟!

نفس الملاحظات توجه الى السيناريو ايضا ٠٠٠ كان فى استطاعة السيناريست أن يغير ترتيب المشـــاهد ٠٠٠ وكان يمكنه بدلا من وضع الستة شخصيات فى مكان واحد طول الوقت ، أن يدخل مشـــاهد سينمائية خلال ذلك ليلقى الأضواء على آمالهم واحلامهم وظروفهم الخاصـــة بهم من واقع حياتهم ٠٠٠ لو كانت الرواية تصـــور كيف يواجه الانسان لحظة موته لكان من الجائز أن يسجنهم فى مكان واحد ، ولكنها تصور كيف أن الاستعمار يقتل المعانى ، وتصور فى هؤلاء الأشخاص رموزا للمجتمع الذى عاشوا فيه ، ورموزا تعبر عنهم كأفراد يدورون حول ذواتهم ومصـــالحهم أيضـــا ٠٠٠ وليس فى استطاعة المؤلف المسرحى ــ بحكم طبيعة المسرح ــ أن يسرد كل ذلك بشكل تفصيلى ، ولكن من السهل على الفنان السينمائى أن يوضح كل التفصيلات ٠٠٠ لهذا كان من الأفضل أن يوضـــح السيناريست احلامهم ومشـــاعرهم واسباب توسلاتهم بالصـــورة السينمائية والحركة السينمائية ٠٠٠ وكان يمكن أن يجسد الأحداث بلغة الكاميرا ، وليس بلغة الحوار المسرحى ٠

فى الحوار كذلك لاحظت اقحام عبارات خطابية لتناسب المواقف التى تحولت فى الفيلم الى مواقف خطابية ، وعبارات استطرادية ، وعبارات غريبة على الواقع الفنى ٠٠٠ فمثلا سمعنا القومندان الانجليزى يقول (رب ضارة نافعة) ٠ وكان من السهل طبعا أن يقول عبارة أخرى بنفس المعنى وأقرب الى الواقع الفنى المقنع ٠

ومع ذلك فالحوار بالذات يعتبر من اقوى عناصر هذا الفيلم ، لأنه تحاشى الاطناب كما تحاشى افتعال الاثارة ٠

أيضا فى السيناريو مزايا كثيرة اهمهـــا ربط المشاهد دون حدوث فجوات أو نقلات فجائية ٠

وكذلك فى الاعداد السينمائى مزايا كثيرة ، ولولا تغيير النهاية لظهرت هذه المزايا بشكل أوضح ٠

والمخرج نور الدمرداش بذل جهدا ضخما ، ويكفى للدلالة على ذلك أنه اجتذب الأذهان الى الشاشة بلا ملل ، رغم بطء حركة المشاهد ، ولو أنه تغلب على هذا البطء لازداد امتيازا ٠٠٠ ولا ادرى لماذا أبرز مشـــاهد قتل الستة اشخاص ــ أو بعضهم ــ على الشـــاشة ، ولعله اراد أن يبرز مســـاوىء تصرفات القومندان الانجليزى ٠٠٠ ومع ذلك فانه استخدم ابعاد التصوير بمهـــارة ، واختـــار لقطات جيدة التعبير ٠٠٠ أيضـــا لا أدرى لماذا أسرف فى اثارة الضحك على موقف حامد مرسى وهو أحد الأشخاص الستة ، كما أسرف فى اثارة الأسى على موقف كريمة مختار ، وكذلك أسرف فى تصلب موقف القومندان ٠٠ ان هذا التصلب أثر على أداء محمود مرسى فى هذا الدور ٠٠٠ والعنصر التمثيلى لا بأس به ، ولكن بعض الشخصيات لم تفعل شيئا ، وبعضها كان أكثر نشاطا من طبيعة دوره ، مثل محمـــد توفيق ، وان كان هذا الفنان قد برهن على مقدرة تعبيرية ممتازة ٠

الفيلم على وجه العموم تجربة جريئة ، بل مغامرة جريئة ، واتمنى أن تبذل هذه الجهود فى قصـــة سينمائية مؤلفة ٠٠ ولكن أين المؤلفون ؟!

عبد الفتاح البارودى



مؤتمر أدباء العرب
والحركة الأدبية العربية الواحدة

ينعقد المؤتمر الخامس لأدباء العرب ببغداد فى ديسمبر القادم ، وهو يجيء فى وقته .. عقب اجتماع مؤتمر القمة الثانى الذى وصل فيه التكتل العربى القومى العام قامة العملاق ..

واعتقد ان اهم موضوع يجدر بمؤتمر ادباء العرب الآن ان يبحثه ويناقشه ويضع خطوطه ويبين وسائل تنفيذه ، **هو الوحدة الفكرية فى الوطن العربى الكبير .**

ان كلمة « **ادباء العرب** » يجب ان يكون لها مدلول كامل فى واقع حياتنا العربية الحاضرة . ومما يؤسف له ان مدلولها الآن ضئيل جدا .. مدلول قزم .. فى الوقت الذى يبلغ فيه التعاون العربى القومى العام قامة العملاق ..

كم كاتبا وكم شاعرا يستطيع الوطن العربى الآن ان يعدهم كتابه وشعراءه على المستوى العربى الشامل ؟

لست من « الكنتيين » الذين يقولون ويرددون دائما : كنت .. وكان .. ولكنى ارى هذه الظاهرة بالذات ــ ظاهرة انحسار المعنى العربى الشامل عن معظم الأدباء الآن فى مختلف البلاد العربية ــ تضطرنا الى ان ننظر الى الماضى .. الماضى القريب والبعيد .

منذ ثلاثين او اربعين عاما كان القارىء فى اى بلد عربى يستطيع ان يذكر اسماء كثيرة .. المازنى ، العقاد ، هيكل ، شوقى ، حافظ ، مطران ، الرصافى النشاشيبى ، طه حسين ، الزيات ، الرافعى ، زكى مبارك ، وكثيرين غيرهم ــ **يذكرهم على انهم ادباؤه .. ادباء بلده الذى يمثلون ثقافته ويعبرون عن اهتماماته ويجد نفسه فى كتاباتهم .**

ومن قبل هؤلاء هاجر الى مصر ادباء وصحفيون من لبنان وسوريا ، لأسباب سياسية واجتماعية ، تعاشوا بها كما يعيش ابن البلد فى بلده ، وكان لهم فضل كبير فى النهضة الادبية والصحفية فى هذه البلاد . ونحن الآن نعدهم من اعلام تاريخنا الفكرى كأمثالهم من المواطنين المصريين سواء بسواء .

ولست فى حاجة الى ان اذكر اسماء مثل المتنبى وابى تمام والمعرى والجاحظ وابن خلدون ، الذين نشأوا فى مختلف البلدان العربية وصار كل منهم تراثا فكريا لسائر العرب فى كل مكان .

حقا ان الظروف المرحلية التى مرت بها المجتمعات العربية كان لها تأثير كبير فى علاقات ادباء العرب بين بعضهم وبعض ، وفى العلاقات بين ادباء اى بلد وقرائهم من البلاد الأخرى . ففى مطلع النهضة الحديثة كان احد الركنين الاساسيين لهذه النهضة هو بعث التراث العربى ، وهو عامل مشترك بين البلاد العربية كلها . وكان الركن الثانى هو التزود من الثقافة الغربية والتأثر بها ، وهذا ايضا كان حاجة يشعر بها العرب كضرورة للتقدم والمشاركة فى الحركة الفكرية العالمية .

وجاءت بعد ذلك ظروف اخرى قضت بأن يوجه الأدباء عنايتهم الى البيئات المحلية وتصويرها وابراز ملامحها . ولابس تلك الظروف شعور باليأس ازاء ما ساد البلاد العربية من التمزق السياسى كنتيجة

للسيطرة الاستعمارية ، فتقوقع الادباء فى بيئاتهم المحلية ، وكفر الضعفاء منهم بالقومية العامة ..

ولا تزال آثار من تلك الظروف والملابسات باقية ، برغم الثورة العربية التحررية القائمة الآن والرامية الى التوحد والتكتل ، وبرغم التحول العربى العام الذى وصل فى اجتماع القمة الثانى بالاسكندرية الى مبدا الانطلاق العظيم .

نعم لا يزال الادباء متقوقعين فى بيئاتهم المحلية ، وتكاد الحركة الادبية فى كل بلد عربى تنعزل عن مثيلاتها فى باقى البلاد ، حتى الصلات والزيارات بين الادباء .. لا نرى منها الا القليل النادر الذى يكاد ينحصر فى اللاجئين السياسيين .. بل اننا نستقبل ادباء من اوربا وامريكا فى نوادينا اكثر مما نستقبل من ادباء العرب .

ولعل من ظواهر التباعد بين ادباء العرب ان مؤتمرهم نفسه ظل معطلا نحو ست سنين ، بعد انعقاد دورته الرابعة فى الكويت سنة ١٩٥٨ .

والان ... قد تغيرت الظروف السياسية والاجتماعية ، وتجمع العرب ، واصبح شعارهم « العمل العربى الواحد » فى مجالات السياسة والاقتصاد والاجتماع ، واننا نرى ان هذا الشعار لا يجب فقط ان يكون كذلك فى مجال الادب والفكر ، بل نرى ان الوحدة الفكرية هى التى ينبغى ان تقود الحركة الواحدة فى المجالات الأخرى .

وقد اثبت قادة العرب بعملهم العربى القومى الواحد انهم قادة العرب .. فعلى ادباء العرب كذلك ان يثبتوا أنهم ادباء العرب . وها هى ذى الفرصة تحين بانعقاد الدورة الخامسة لمؤتمرهم فى هذا الوقت الذى وصل فيه العمل العربى الواحد الى ما وصل اليه من النجاح العظيم فى مؤتمر القمة الثانى .

ان الحركة الأدبية العربية الواحدة يجب ان تكون فى مقدمة ما يهتم به ادباء العرب .. انهم سيلتقون ويتبادلون الاراء والافكار ويعمقون الصلات وعلاقات الاخوة العربية ، ولا يصح ان ينتهى كل شيء بانتهاء الاجتماعات والمناقشات ، **بل يجب أن توضع خطة عملية تنظم لها وسائل التنفيذ والمتابعة .**

يجب ان تهتم دور النشر والصحافة وسائر اجهزة الاعلام في كل بلد عربي بالانتاج الأدبى فى البلاد الأخرى ، وذلك بالتقديم والتعريف والنقد والمناقشة .

حقا ان هذه الحركة تكاد تكون متوقفة فى داخل بلد كبلدنا ، اذ نرى اهمال النقاد للاعمال الادبية التى تظهر تباعا ، وقصر همهم على النقد المسرحى ، ويظهر انهم اصبحوا يستسهلونه اذ لا يكلفهم مشقة القراءة والبحث . .ولكن هذا الركود يجب ان يوضع له حد ، ولتكن الحركة العربية العامة من وسائل البعث والنشاط .

والزيارات والرحلات من اهم الروابط ، ومن اهم الفرص لتنمية العلاقات المبنية على التفاهم والدراسة الاجتماعية .

ونعلم ان فى المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب مشروعات لتحقيق ذلك الغرض ، نرجو ان نرى تنفيذها قريبا .

ومما يحمد للمجلس فى هذا الصدد مشروع « **الكتاب الوصفى** » الذى بدا تنفيذه فى هذا العام وهو يقضي بنشر الكتب التى يؤلفها عن البلاد العربية مواطنون اتيح لهم أن يقيموا فى البلاد التى يؤلفون عنها مدة تكفى لدراسة الناحية التى يتناولها المؤلف .

وهذه المجلات الأدبية .. لا شيء افعل منها فى توثيق الروابط الأدبية ، وقد كانت « **الرسالة** » فى عهدها الأول مجالا خصبا للأدباء والمتعلمين فى جميع البلاد العربية ، قراءة لطلاب الادب ونشرا لذوى الاقلام . وها هى ذى تتابع اداء رسالتها ، **وقيادتنا الثقافية ترمى بها ببقية اخواتها الى ان تكون مجلات عربية يشعر كل الادباء والمتادبون العرب انها مجلاتهم ، يجدون فيها الخصب الأدبى والتربة الصالحة لنمو المواهب الجديدة .**

ان مهمة الادب الاولى هى ان يعبر عن العصر وعن اهتمامات المعاصرين وتطلعاتهم ، ونحن الآن ازاء تطلعات عربية جديدة لا ينبغى ان يغفل عنها الأدباء العرب ، وعلى مؤتمرهم القادم أن يجعل الحركة الأدبية العربية الواحدة فى مقدمة ما يبحثه ، ونحن نعتقد ان الامال تتعلق بهذه الحركة ، والوجدان العام ينشدها ، فهى لا تحتاج غير الدعم والتنظيم .

وقد نشر ان الموضوع الرئيسي لمؤتمر ادباء العرب القادم هو دور الادب فى الحركات العربية التحررية

الحالية ، وهو موضوع كبير جدير بالبحث والعناية ، ولكنه واى موضوع او هدف آخر للمؤتمر لن يتحقق على خير ما يرجى منه الا بدعم الحركة الادبية العلمة وتقوية الصلات الفكرية والشخصية بين ادباء العرب فى سائر بلاد العرب .

كشكول

● تقرر تأجيل انعقاد مؤتمر الأدباء العرب من ٢٥ نوفمبر الى ٢١ ديسمبر القادم .

● ينعقد مهرجان الشعر فى هذا العام ببغداد عقب مؤتمر الأدباء العرب .

● **« وقد قيل فى منافعها : انها تهضم الطعام وتقوى الضعيف ، وتعين على الباه ، وتسخى البخيل وتشجع الجبان ، وتصفى اللون » .**

جاء ذلك النص فى مقال « **التدرج فى التشريع الجنائى الاسلامى** » للأستاذ احمد فتحى بهنسى المنشور فى الرسالة (١٩٦٤/٩/١٧) وذلك فى مجال الحديث عن الخمر .

واعتقد ان الكاتب عند مايورد نصا كهذا مسئول عن تفنيده ان لم يكن يرى صحته . وكاتبنا لم يفند ما نقله من منافع الخمر ، فهل يعتقد صحتها ؟! وهل يتفق ذلك مع اغراضه الدينية .. التى يبسطها فى مقالاته المتتابعة .. ؟

● كتب الأستاذ عبد الفتاح البارودى فى جريدة الأخبار يقول : **« هل نجد فى ادبنا صورة حقيقية لحياتنا ومشكلاتنا ؟! ابدا ان الادب عندنا لا يزال — غالبا — براعة لفظية أو تعبيرات عاطفية أو مقالات خطابية .. الخ »** .

الظاهر ان البارودى يتحدث عن ادبنا ايام كان شابا ! .

عباس خضر

الثلاثاء القادم .. وكل ثلاثاء

اقرا فى مجلة الثقافة

● أضواء على السياسة العالمية	**دكتور راشد البراوى**
● الخط المستقيم فى تفسير الأدب	**بقلم محمد فريد ابو حديد**
● الحياة والأدب الشعبى فى النوبة	**دكتور عز الدين اسماعيل**
● دار الأوبرا	**بقلم محمد السيد شوشه**
● أخلاقيات المسرح وتقاليده	**د. أنيس فهمى**
● غريق (قصة)	**زهير طه البيومى**
● فلسفة العقاد العامة	**بقلم عبد الحى دياب**
● روتشلد والكمان (قصة)	**ترجمة عبد اللطيف حجازى**
● جولة الثقافة فى أسبوع	**يقدمها فؤاد نور**
● وضعية الأدب العربى المعاصر	**بقلم عبد الفتاح الديدى**



حول الأدب في أسبوع

يقدمه عبده بدوي

ارفعوا شعركم عنه

حين طالبنا في أعداد سابقة من الرسالة ، أن الدين يجب أن يرفع وصايته عن الشعر ، كان يدور في أذهاننا أن هناك من يدخلون بالدين « الحرب الباردة » في مواجهة الأديان الأخرى ، وفي مواجهة التراث الاسلامي كنبع .

وكان يدور في أذهاننا أن الهموم المعاصرة للانسان العربي في المنطقة لم تعد « ميتافيزيقية » الى حد أن الدين يصبح شيئا مقلقا عند بعض الأدباء والنقاد في كافة الحقول الأدبية .

وفي الوقت نفسه كان يدور في أذهاننا ان هناك من يحرم الحديث عن بعض « الجيوب » في الفكر ، ومن سيقرن الحماس لقضية الشعر ودوره بالحديث عن المسيحية بعد أن كسبت المعركة في الشعر العربي المعاصر ، بحيث أصبح أكثر ما يقال الآن اما ترجمة عن الانجيل ، أو نقلا لرموزه ومواقفه ، على نحو ما هو موجود في الدواوين الأخيرة ، والقصائد التي تنشر بين الحين والحين ، وكما هو موجود في تفسيرات النقاد أنفسهم !

ولكن هؤلاء نسوا انا طالبنا برفع وصاية **الأديان جميعا** ، وان كنا قد ذكرنا بأن التجربة الدينية تجربة ثرية ، وأن على الشاعر أن يستوعبها بدلا من أن تستوعبه هي بوجوهها المتعددة ، وأيديها التي لا تحصى .. بحيث يمكن أن تظهر كخلفية في اللوحة ، أو كخيوط في النسج لا أن تكون كل اللوحة او كل النسج !

بل لقد رأينا أن على الشاعر أن يصل الى حقيقة « **جوهر الأديان** » ثم يصدر عنه بدلا من أن يقف ويطيل الوقوف عند الصلب ، أو عند غار حراء .

بل لقد طالبت بالانتفاع – **في حدود ما ذكرت** – بالتجربة غير الكتابية عند الانسان الافريقي في بعض المناطق الافريقية ، وذهبت الى أن منظر « الساحر » ، وهو يصدع بصوته السماء ومن ورائه الأطفال والشباب والشيوخ والدموع في مآقيهم من أجل المطر .. يعتبر من أسخى التجارب الانسانية المعاصرة ، لأن هذا النوع من « الصلاة » يصرخ من أجل جوع الانسان ، ومن أجل ضرب العقم بالخصب لا من أجل هذا النوع من « **الترف العقلي والعاطفي** » الذي أصبح يشغل الشعراء ، ويشل تجاربهم ، ويجعلهم يسيرون وراء بعض الأصوات الساحرة الى مناطق يمكن فيها قتلهم ، وامتصاص ما فيهم من بريق ونضرة !

ولقد لخصت هذه القضية في العدد ٥٢ من مجلة الرسالة بقولي

« .. **والظاهرة التي لا يشك فيها أحد – من خلال قراءة مستوعبة للشعر المعاصر – ان أغلب**

قصائد الشعر الحر هي التي تحتضن هذا الاتجاه الخاص بالرموز والمواقف المسيحية ، ذلك لان هؤلاء الشعراء اما واقعون تحت تاثير بعض المثقفين الشديدي الذكاء ، واما لأنهم يعيشون في المناخ الشعري للبنان ، واما لأنهم يعتقدون أن القصيدة العمودية تمت بصلة شديدة الى التراث العربي ومن هنا كانت المبالغة في الجانب الآخر ، واما ان القوامين على الدين الاسلامي يبالغون في التحفظ على مثالياته ورموزه » .

وقد وقفنا طويلا عند الحديث عن هذه الظاهرة ، ولكن الذي حداني الى الكتابة الآن هو أني رأيت « فكرة الله » تشغل عددا من شعرائنا المعاصرين الآن الى حد الازعاج ، وأي انسان يستطيع أن يضع اذنه الآن على ما يقال في الجرائد والمجلات العربية، وبخاصة في لبنان .

فاذا ذكرنا مثلا على هذه الظاهرة يوسف الخال – وهو يوجه الشعر هناك بشعره وبمجلة شعر – وجدنا اجماعا من النقاد على أن الله أصبح شغله الشاغل ، وأن شعره – كما قيل عنه – يؤكد بوعي وشعور أن الله تجسد انسانا ، ثم مات ، ثم بعث ، وبهذا يستحيل الى الحرية والحضور الأبدي الذي لا يمكن الخلاص به ، وأنه في هذه الدائرة يلف ويدور دون أن يعبر الحياة من حوله التفاتا شعريا معمقا .

بل ان دزموند استيوارت – نقلا عن العدد الأخير من مجلة حوار – يقول « ويوضح شعر يوسف الخال ذاته رغبة في تجديد الشعر العربي تجديدا كليا ، وذلك في أنه يكتبه من وجهة نظر مسيحية مباشرة، وهذا شيء لم يفعله أي شاعر عربي كبير في اللغة العربية في الماضي » .

وهكذا يضيع هؤلاء الشعراء طاقاتهم في قضايا غيبية ، وكأنهم يتعمدون عرقلة الحياة عن أن تسير أو عن أن يلتحموا بالجماهير وهي تنتزع اللقمة ، وتحقق النصر بعد النصر .

واذا غفرنا هذا ليوسف الخال ومن على شاكلته، فكيف نغفر لبعض الوجوه الثورية أن تسير بنا الآن الى هذا « التيه » .

فالدكتور لويس عوض .. يشغله « الرب » الآن بصورة لم نعهدها فيه من قبل ، وليس معنى هذا أن الرب لم يكن يشغله من قبل ، ولكنه يشغله في هذه الايام الى حد أنه سيصدر في كتاب قصيدة طويلة بعنوان المكالمات ، وقد نشرت منها « حوار » الى الآن القسم الاول بعنوان « اللاهوت » في سبعة عشر مقطعا ، ثم نشر بعد ذلك القسم الثاني بعنوان « الناسوت » في أحد عشر مقطعا ثم تبشر المجلة القراء بالقسم الأخير منها وعنوانه « الخلاص » .

وهو في القسم الأول منها يقدم نفسه حين كان على اعتاب الكثلكة عام ١٩٥٦ ، ثم يتحدث عن دين قومي له وجه واحد هو وجه المسيح اما القسم الثاني فيبدأ بهذه الابيات التي تقول :

وقالوا : ربنا واحد . فقلت : ليته عشرة

كمثل زيوس في الاوليمب يحسو الراح في زمره

ويؤنس بعضهم بعضا وتحلو العزلة المرة

وينسونا ونتساهم ، ويشرب آدم خمره .

ثم يتغزل في ابليس ، ويكذب الذين دمغوه بالقرنين والذنب ، وقالوا كنيته « أبو لهب » – ترى من هؤلاء ؟ .

ثم يذكر أن قابيل حين عرف ان الله يهوى اللحم ذبح له هابيل ، ولكن الرب حين يجد هذا يخر « مفلوجا كمعلول بلا علل » .

ثم يذكر أن الله بصق في وجه أيوب وفي روحه وحين شكر أيوب الله ، زاد الله بدوره في «البصق» وحين لم يفهم أيوب السر « بال » على صديد الحلق من الغيظ .

ثم يختم هذا « الشعر » بأنه حين أكل الله قوى زنده !

ترى لماذا تحظى « حوار » بهذا السبق الشعري بعد أن دمغها كل الكتاب في لبنان والجمهورية العربية المتحدة بأنها تصدر عن مؤسسة تضع نفسها في خدمة الاستعمار والصهيونية ؟ ومن هؤلاء الذين دمغوها في مقالات تلاميذ مخلصون للدكتور الشاعر! ولماذا « يكرم » الشعر العمودي كل هذا الكرم فيجعلها تجري على نسقه، ولماذا يشغل نفسه بالرب الى هذا الحد الذي يقوله في ختام القصيدة :

الهى صائد ماكر . أنا من أمره حائر

الهى عنكبوت ينسج الأحلام فى روحى

ثم يقــول انه يطن للاله ، بفلســفته وتجديفــه وتسبيحه ، •طنين ذبابة عمياء ! .

والشاعر عبد الوهاب البياتي .. اصــبح يشغله الاله فى القصائد التى نشرها أخيرا بعد عودته من موسكو ، فهو يقول فى قصيدة بعنوان المدينة :

رأيت وجه الله فى واجهة المخازن

مجللا بالحزن والسواد

مكبلا يبصق فى عيونه الشرطى واللوطى والقواد

ثم يقول فى قصيدة اخرى تدين العرب وتاريخهم ومقدساتهم . ثم يعلق الاله على المقصلة

صبوا الماء على الماء
رقصوا فوق حبال الكلمات الصفراء
صنعوا شعراء
نصبوا خلفاء
ومطايا وطواحين
فاذا الكل هباء
قبض الريح غثاء
الشعر نقاط سوداء
الحب بكاء
التاريخ فتوح نساء
فالكلمات الكاذبة الجوفاء
لن تصنع عنقاء
من جمل الصحراء !!
القطط العمياء
تلد القطط العمياء
أرض الصلوات الخضراء
ولدت فأرا
ولدت حرباء
وسبايا وفقاقيع هواء
.. رأيت النسور تموت انتظار
رأيت الاله على المقصلة
رأيت الديوك على المزبله
ديوك الصباح

وقد بسطت للسماء الجناح
فصاحت وصاح
غراب ـ وكان رحيل !
ثم ينتهى الى ان يقول
ان فارسه الذى فوق المدخنة
يحمل فى ضلوعه صليبه ووطنه
يموت فوق المدخنه
وحائط الرصاص والنوافذ المسننه
يمد ألف خنجر منها
وألف لفظة مبطنه
لتطعنه
لتطعنه
وهو يموت حاملا صليبه ووطنه

ومرة أخرى هل هنــاك شك فيما يقصد الشاعر بالكلمات الصفراء والذين نصبوا خلفاء ، وتاريخهم فتوح نســاء ، وان أرض الصلوات الخضراء ولدت فأرا وحرباء وسبايا وفقاقيع .

ومهما يكن من شيء فالله قد أصبح يشغل الشعراء الذين يتصدرون الآن التوجيه الشعرى على الصعيد العربى، ومهما كانت وجهـة النظر التى ينظر بهـا اليه ،فانا لانجد بدا من أن نصيح « **ارفعوا شعركم** عنه ، فالله لم يشوه فى المنطقة كمـا يشوه الآن ، ولم يستغل للاغراض المشبوهة كما يستغل الآن.. ونظرة واحدة الى الشعر الذى يقال الآن فى تشويهه واستغلاله تؤكد أنه يمت الى أشياء كثيرة ليس من بينها الشعر !

رمز الغراب

أصبح يرمز الآن للعرب ـ عند شعر الرافضين ـ بالرمل والغراب ، ولعــل فى مقدمة هؤلاء جميعــا الشــاعر أدونيس ، فممــا يقوله بعد أن ترك بلاده مغاضبا بعد الوحدة مع مصر

● وأنا أيامى السبعة جرح وغراب
فلماذا الاحجية

● آت بلا زهر ولا حقول
آت بلا فصول
لا شيء لى فى الرمل والرياح

فى سرطان الصمت فى الحصار
أكتب أشعارى على التراب
بريشة الغراب

● رحلت شبابيكى
فما من زهرة ما من كتاب
أنا والزوايا
لى خيوطى الواهنات ولى غرابى

ولا أدرى لماذا ذكرت هذه الابيات وغيرها ، وأنا اقرا **لفوزى العنتيل** دراسة يقول فيها : ان الغراب يحتل مكانة هامة فى الشعر الشعبى الانسانى ، ففى المعتقدات الشعبية الايمان بقدرته على التنبؤ بالحوادث خيرها وشرها ، والوصول به الى حد التوقير ، وانه يعرف ويرى كل شىء ويقول الحقيقة ويقوم بمهمة حمل الرسائل ويفهم اللغة الانسانية وهو الذى دل قابيل على مواراة جثة هابيل ، وهو الذى أرسله نوح ليأتيه بخبر اليابسة ، وانه دليل ومرشد للمدن والسموات والناس ، ثم أخيرا انه رسول الالهة ·

ترى هل يتغير موقف شعراء الرفض من هذا الرمز ؟

كتاب من السودان

ليس أحب الى نفسى من أن أجد كتابا يقدم الى من صديق ، فاذا كان هذا الصديق لا يمر الا فى ذكرى، أو فى كلمة حب تقال لصديق على سفر لكى يذكرك هناك فى ندوة أجزاقانة العاصمة المثلثة ، أو فى الجمعيات الادبية المنتشرة فى السودان ·· فانك تجد نفسك غارقا فى «الدين» لهذا الصديق ، الذى يهبط عليك دون موعد ، ودون أن يطرق بابا ، أو أن يهز يدك وهو يعزف لك كلمة شوق ·

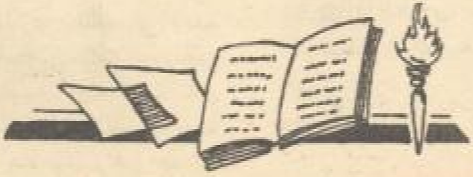
ولقد هبط الى هذا الصديق فى القاهرة ، ممثلا فى مسرحية «**ودارت الرحى**» للاستاذ «**بشرى أمين**»، ولم أجد نفسى منتظرا لقراءة هذه المسرحية ، وانما وجدتنى فرحا بها ، ومقلبا صفحاتها ، كان كل صفحة يد من هذا الصديق ، ولقد لفتت نظرى هذه الملاحظة الذكية حول « **مشكلة اللغة** » فى مقدمة المسرحية ، فقد جاء فيها ·

« وقد جعلت لغة هذه الرواية العربية الفصحى السهلة الكلمات التى لا لبس فى فهمها ولا غموض بالنسبة لعامة الناس من الناطقين بالضاد ، مع قصر الجمل ووضوح المعانى ، مع أن أبطالها من الوطنيين كانوا يتكلمون اللغة المحلية الدارجة فى حياتهم ، ومن الاجانب لغاتهم المحلية أو الثقافية التى تعلموها فى بلدانهم ، وذلك لانى لا أومن باللغة العامية لغة للكتابة ونشر الثقافة ، خصوصا وأن الموضوع يتعلق بكتاب يقراه السودانى وغير السودانى خارج السودان فلا يفهمه الا اذا كان مكتوبا باللغة العربية الفصحى ، لغة التخاطب والثقافة بين جميع الناطقين بالعربية فى أقطار الارض المختلفة ، اذ لكل شعب فى كل قطر لغته بل لغاته العامية الخاصة به والتى قد لا يفهمها عنه غيره من الشعوب ، أو قد يجد فى فهمها بعض الصعوبات ، بل لا أبالغ اذا قلت ان بعض المناطق فى القطر الواحد قد لا تفهم لغة أهل المناطق الاخرى ، أو قد تجد فى فهمها صعوبة كما هو الشأن عندنا تماما » ·

وهكذا يدرك الاستاذ بشرى أمين - **عن وعى** - أن الفصحى هى لغة الشعب ، كما يدرك الدور الخطير الذى يمكن أن يترتب على اهمال هذه اللغة فى البلد الواحد ، كما فى السودان ·

هذه كلمة سريعة الى الصديق السودانى **بشرى أمين** ، وستكون الرسالة عند ظنه - وكما طلب - فى الكتابة عنها فى باب الزميل تحسين عبد الحى ·

« **عبده بدوى** »





أضواء على المجتمع العربي

يستطيع المتتبع لحركة النضال العربي في الوقت الحاضر ان يستخلص أشياء جد هامة .. فقد تفتحت مدركاتها ووسائلها في العمل الى المستوى الذى استطاعت من خلاله أن تدرك موقفها ، واهمية هذا الموقف في عالم اليوم .. لقد تخطت حركة النضال العربي مرحلة النضال من اجل الوحدة الكبرى .. ليس لفقدانها درجة واحدة من أهميتها .. « ولكن لأن الأمة العربية لم تعد في حاجة الى أن تثبت حقيقة الوحدة بين شعوبها ، لقد تجاوزت الوحدة هذه المرحلة ، واصبحت حقيقة الوجود العربي ذاته » كما جاء في الميثاق الوطني .. وعلى الرغم من أن هناك أشياء ما زالت في حاجة الى تفسير سريع ومباشر حول « وحدة الصف » و « وحدة الهدف » الا أن طبيعة العمل القومي على الصعيد الداخلي والعالمي ، تحتم علينا أن ننظر الى أشياء أخرى أكثر جدية وأعلى مستوى تستحق أن نركز فيها جهودنا ،لأن اختفاء المعارك على المستوى الاقليمي لايعنى أن هناك تهادنا مع التخلف الداخلي، ولكنه يعنى أن نضالنا القومي قد أصبح في وضع يؤهله الى أن يحدد أماكن ومستويات العمل الذى يريده لكي يبدأ بالأهم فالمهم .. واذا كانت لدى العالم الآن مفاهيم كثيرة حول قضايا انقلابات الامتصاص ، والثورية ، والتطور ، فان جماهير شعبنا قد اصبحت متمرسة بمختلف اساليب العمل التقدمي ، بحيث أصبح من الممكن أن يفرق الفرد العادي بين انقلاب الامتصاص الذى أصبح احدى العلامات المميزة للوجود الاستعماري ، وبين الثورية التي تتخذ من الاشتراكية والمفاهيم التقدمية أساليب مضمونة تماما للتقدم ، وكذلك بين التطور الذى لا نستطيع أن نحكم عليه الآن بالنجاح أو بالفشل .

اريد أن اقول هنا ان حركة النضال العربي – وقد عرفت مكانها الحقيقي في عالم اليوم – قد بدأت تعبر تعبيرا صادقا عن نفسها ، وعن جماهير شعبها الذى تمثله باسهامها المباشر وتجاوبها العميق مع تجارب وآمال غيرها من الشعوب وفق مخططها وفلسفتها الهادفة الى الايمان المطلق بقضايا الحرية والانسان في العالم .

***

و لاشك ان انعقاد مؤتمر القمة العربي الأول والثاني وظروف الدعوة اليه التي خرجت من بور سعيد وحققت انعقاد ، وكذلك انعقاد مؤتمر القمة الافريقي ، ثم انعقاد مؤتمر الدول غير المنحازة – كل هذه المؤتمرات من حيث التسلسل الزمني لانعقادها تؤكد معنى هاما هو أن العرب وقد اجتمعوا مع أنفسهم أولا ، ثم ساهموا في المؤتمرين الآخرين بصورة ايجابية فعالة في القاهرة، عاصمة العروبة ، ومركز النضال العربي الاول .. أقول ان العرب وحركة النضال العربي بالذات التي حركت كل هذه المؤتمرات قد دخلت معترك السياسة العالمية بكل قوتها وثقلها المادي والمعنوي والحضاري محاولة تقويم الأوضاع العالمية ، وكما كان العرب في جميع مراحل تاريخهم دعاة حب

وعدالة وسلام ، فانهم اليوم يتممون ما بداه اسلافهم العظام فى الدعوة الى السلام اولا ، ثم فرض هذا السلام القائم على العدل .

واقول ان الدعوة والاشتراك فى هذه المؤتمرات الدولية الكبيرة – على ارض العرب – سوف يكون لها من الآثار النفسية والمعنوية الشيء الكثير على مستوى المواطن العربي الفرد ، لانه وقد تفاعل فكريا وعاطفيا مع هذه المؤتمرات بمشتملاتها الكاملة سوف ينظر بسخط شديد الى اية محاولة أخرى فى المستقبل لتمييع او وضع العراقيل امام وحدته القومية المنشودة . لقد استقر فى ذهن المواطن العربى الفرد ان دولته الموحدة سوف تكون قادرة على املاء وجهة نظرها العادلة فى اى ظرف وباسلوب واضح ، كما حدث مع مويس تشومبي فقد تصرفت الجمهورية العربية المتحدة فى مشكلات بالاصالة عن نفسها وبالنيابة عن شقيقتها الجزائر .

***

واذا كانت المساهمة العربية الفعالة فى خدمة المبادىء والاهداف الانسانية العليا قد اكسبت حركة النضال العربى اضافات جديدة لها اثرها ، فانها فى نفس الوقت قد اكسبتها مزيدا من الأصدقاء الجدد لقضية العرب الكبرى – فلسطين ، وخاصة عندما ابدى هؤلاء الأصدقاء استعدادهم لفهم وجهة النظر العربية فى قضية الوطن السليب . ومن ثم أدانوا وجود الكيان النازى بوصفه حركة استعمارية عنصرية ، واذا كان واقعنا ما زال مجزءا .. سياسيا فان كتاب اليوم « اضواء على المجتمع العربى » بقلم الدكتور صلاح الدين عبد الوهاب يسلط الأضواء على هذا الواقع ، ليقدم لنا صورة لوطننا الكبير ودولتنا الموحدة ، وأسس هذه الوحدة واهدافها الكبرى .

لقد قدم لنا المؤلف بحثه بصورة مختصرة ، ولم يحاول أن يعالج فيه بعض النواحى التى مازلنا فى اشد الحاجة اليها ، وخاصة المجتمع العربى من الناحية الفكرية ، ولكن المهم فى هذا الكتاب انه يقدم لنا دراسة مفيدة للأسس التى ترتكز عليها الدعوة الى الوحدة العربية ، واهميتها ، واصالتها . يقول المؤلف :

« يحتل الوطن العربى موقعا استيراتيجيا هاما فى العالم القديم ، لأنه يصل بين ثلاث قارات هى افريقية ، وآسيا ، وأوربا ، وهو يمثل وحدة أملتها ظروف جغرافية منذ عصور التاريخ الأولى ، ويكون رقعة من الأرض ذات معالم واضحة يقطنها منذ فجر التاريخ شعب متجانس نشأت فيه حضارات متقاربة ، يمكن القول بانها منذ أغوار الماضى البعيد تمثل خطا حضاريا واحدا الطبع بانطباعة واحدة تصلح أساسا صلبا لوحدة سياسية واحدة » .

ويمتد العالم العربى فى الشرق الاوسط بمفهومه الحالى وشمال غرب افريقية فى منطقة تنحصر بين خطى عرض ١٠° و ٣٧° شمالا ، وبين خطى طول ٩٥ غربا و ٥٧ شرقا ، أى أن امتداده يقع بين المحيط الاطلسى الى الخليج العربى بما يزيد على ستة آلاف كيلو متر ، أما امتداده الى الجنوب فيسير مع نهر النيل فى وسط القارة الافريقية الى مسافة تقرب من الثلاثة آلاف كيلومتر ، وبهذا يكون هذا الوطن اذا ضمته وحدة سياسية ، ثانى تنظيم سياسى فى العالم بعد الاتحاد السوفييتى من حيث المساحة ، فمساحة الوطن العربى تربو على مساحة قارة أوربا باكملها ، ويقع نحو ٢٨٪ من هذه المساحة فى آسيا ، بينما تستأثر افريقية بنحو ٧٢٪ ، ويتصل الجزءان الأسيوى والافريقى ولا ينفصلان لأن افريقية ذاتها ما هى الا امتداد شبه جذرى لآسيا ، مثلها فى ذلك مثل أوربا .

***

ويبلغ سكان الوطن العربى حوالى ٨٣ مليون نسمة ، وهو بذلك يعتبر الدولة الثامنة بين الدول بالنظر الى عدد السكان : « الصين الشعبية ٦٦٠ ، مليونا ، والهند ٣٩٥ مليونا ، والاتحاد السوفيتى ٢١٠ ملايين ، والولايات المتحدة ١٧٣ مليونا ، واليابان ٩٠ مليونا والباكستان ٨٥ مليونا ، وأندونيسيا ٧٤ مليونا » .

ويسود المجتمع العربى مقومات المجتمع المتجانس الذى يشعر أفراده بأنهم مشدودون بعضهم الى بعض بوحدة الهدف ووحدة الوسيلة .

وتعتبر اللغة العربية من المقومات الرئيسية لتجانس الوطن العربى ووحدته ، وعن أهمية اللغة

كتب الفيلسوف هردر فى مؤلفه « فلسفة أخرى فى تاريخ البشرية » عن علاقة اللغة بنفسية الأمة وشخصيتها فقال :

« ان الطبيعة فرقت الشعوب بعضها عن بعض ، ليس بواسطة الغابات والجبال والبحار والصحارى والانهار فحسب ، بل فرقتها ايضا — وبوجه خاص — بواسطة اللغات والميول والسجايا »

ثم قال :

« ان اللغة القومية بمنزلة الوعاء الذى تتشكل فيه وتنتقل بواسطة افكار الشعب » .

وقال ايضا :

« اللغة سواء اقلنا انها خلقت دفعة واحدة من قبل الله ، ام ذهبنا الى انها تكونت تدريجيا بعمل العقل ... لا يمكن ان نشك فى انها — فى الحالة الحاضرة — هى التى تخلق العقل او — على الاقل — تؤثر فى التفكير تأثيرا عميقا ، وتسدده وتوجهه توجيها خاصا ... »

***

وقال :

« ان قلب الشعب ينبض فى لغته .. وروح الشعب تكمن فى لغة الآباء والأجداد .. » وفى هذا المعنى ايضا يقول الكاتب الالمانى ماكس نوردو ..

« ان الفرد يندمج فى المجتمع باللغة وباللغة وحدها .. وباللغة يصبح عضوا فى الشعب الذى يتكلمها .. وباللغة ، وباللغة وحدها يتلقى كل تراث الأمة الفكرى والشعورى والأخلاقى والاجتماعى ، المنحدر من قرائح الكتاب والشعراء والمفكرين السابقين منهم والمعاصرين .. »

ويقول بعض شراح القومية : انه لو كانت القومية قائمة على شرط واحد ، لكان هذا الشرط هو اللغة لأن الاشتراك فى اللغة هو اكبر عامل يولد فى نفوس الناس ارادة الانتظام فى أمة واحدة ؛ فالشعوب التى تتكلم لغة واحدة لابد ان تتوحد طريقة تفكيرها وأن تتوثب روحها الى غايات مشتركة ، ولذلك يسهل عليها تكوين امة واحدة تتطور بحكم طبيعة الأمور والسير المنطقى للاحداث الى وحدة سياسية ..

وعنصر الوحدة اللغوية متوفر فى الوطن العربى بجميع وحداته السياسية بين الغالبية العظمى من سكانه ، اذ تبلغ نسبة المتكلمين بها نحو ٩٤٪ من عدد افراد الشعب العربى ، على ان هذه الوحدة لا يؤثر فيها تعدد اللهجات فالمسلم به أن تعدد اللهجات واقعة لا غنى عنها فى اية لغة ، ولا ادل على صحة هذا من اختلاف لهجة الاسكتلندى عن الولشى « الأصيل من مقاطعة ويلز بانجلترا » واختلاف كلتا اللهجتين عن اللهجة الانجليزية القح ، وكذلك تختلف لهجة الأمريكى الشمالى اختلافا كبيرا عن لهجة الأمريكى الجنوبى الأصيل من المقاطعات الجنوبية .

***

وباللغة العربية الفصحى يستطيع العربى فى عدن ان يتفاهم بها مع العربى فى السودان وأن يتلاقيا عند وجهة نظر واحدة ، ولهذا وجب التنبيه الى خطورة تشجيع اللغة العامية واحياء اللهجات المحلية ، لأن فى ذلك تفريقا لمجتمع العرب وهدما لأهم صرح من صروح وحدة هذا المجتمع وتجانسه .

يضاف الى وحدة اللغة اننا نرى جميع اجزاء الوطن العربى تشترك اشتراكا فعليا فى فصول التاريخ قبل الاسلام وبعده »

ولقد جاء الاسلام برسالة ثورية اقتلعت جذور التنافس القبلى ، والحقد العنصرى من نفس العرب ودعا الى اساس جديد فى العقيدة الالهية ؛ ومثل عليا جديدة فى السلوك والاخلاق والحياة الاجتماعية فعبأ نفوس العرب بالرغبة فى الانخراط فى بعث عربى شامل اساسه [illegible]نية الدين وماعززت به العرب من نزول القرآن خاتم الرسالات السماوية بلغتهم العربية .

ولم تهيىء الديانة الجديدة للعرب فرصة الوحدة فى العقيدة فقط ، بل افسحت لهم المجال لكى تنصهر تقاليدهم جميعا فى بوتقة جديدة تمد الامة العربية بمعدن جديد من التقاليد والاخلاق والحياة الاجتماعية ، وكان نجاح هذه الدعوة الجديدة وانتشارها فى أرجاء الارض ايذانا ببزوغ نجم العرب، واقامة حضارة جديدة أشاعت النور فى العالم ابان العصور الوسطى الحالكة الظلام .

والاسلام كمقوم من مقومات الوحدة العربية لا يعنى أن المسيحية ليست مقوما ايضا ،لان الاثنين يدخلان فى تكوين وحدة روحية لاغنى للدعوة العربية عنها ، هذه الوحدة الروحية لم يكن يتصور قيامها بين الاسلام والهندكية مثلا ، او بين الاسلام والبوذية ، لانه شتان بين الأسس التى تقوم عليها كل منهما ، ففى كل من الاسلام والمسيحية ايمان بوجود خالق الوجود الانسانى والخارجى ، وايمان بوجود اليوم الآخر . وهذا وجود يكفى لضمان عدم التفرقة .

***

وفى هذا المعنى يقول الدكتور قسطنطين زريق :

« القومية الحقيقية لا يمكن بحال من الاحوال أن تناقض الدين الصحيح ، انها ليست ــ فى جوهرها ــ سوى حركة روحية ترمى الى بعث قوى الامة الداخلية ، وتحقيق قابليتها العقلية والنفسية ، فلابد للقومية اذن وهى حركة روحية ــ من أن تلاقى الدين وأن تستمد منه القوة والحياة ، كذلك فان القومية العربية لاتعارض دينا من الأديان ولاتنافيه، بل تقبل على الاديان جميعا ، واذا عارضت القومية شيئا ، فليس هو الروحية الدينية ، وانما هو العصبية الهدامة التى تجعل الرابطة الطائفية اقوى من الرابطة القومية ، وتابى ان تذيب نفسها فى بوتقة الوطن الجامعة ، وأصحابها هم أعداء القومية العربية وهادمو وحدتها ، أما الدين الصحيح فانه ينبع مع القومية من معين واحد »

ونخرج من كل ما تقدم بانه لا يمكن فصل الاسلام مع ما بينه وبين المسيحية من وحدة روحية ــ عن حظيرة الدعوة العربية ، وتعمد اقصاء الدين عن مجال القومية هو دعوة « علمانية » مقصودة لذاتها ، لا خدمة للقومية ، وهى لذلك لن تفضى الا الى الحاد وضياع للقيم ، وتسويد لقيم الغرب التى تقوم على الاباحية والانحلال ، ولا تفيد شيئا فى اذكاء روح القومية وتقدمها والعمل على بلوغ أهدافها .

تحسين عبد الحى

بعد المصيف

احبك بعد انتهاء المصيف
بثوب شفيف
وفيك من البحر عمق وسحر
ولون لطيف

***

أتوه بعينيك عبر البحار
واسبح حتى احس الدوار
ولست الى الشط ارجو الوصول
ولكن الى العمق عمق القرار
ليغرق فى القاع ليل الضباب
ويصحو على راحتى النهار
واضحك من سخريات الخريف
والقاك بعد انتهاء المصيف
بثوب شفيف
وفيك من البحر عمق وسحر
ولون لطيف

***

وفى الدر أهوى التماع الصدف
يرف عليه ابتسام الترف
وفى الثغر يرقص لحن الحنين
على وتر من ليالى الشغف
بهمس يدغدغ سمع النجوم
وتصغى له شرفات الغرف
وهمس الليالى شجى طريف
يناديك بعد انتهاء المصيف
بثوب شفيف
وفيك من البحر عمق وسحر
ولون لطيف

***

وحسنك للدفء يدعو يدى
ويغرى برقته ساعدى
ويختلج الصدر عند العناق
كنبع يطمئن شوق الصدى
ويبتهل الشوق حتى يذوب
صلاة يرددها معبدى

محمد على احمد

قراءات في المجلات العربية

يقدمها : مصطفى فوده مصطفى



● ليست رؤيا ولكنها شيء آخر

في أيامنا يتجه بعض فنانينا الى الاتيان بفن اشبه باللامعقول وان لم يبلغ مبلغه ، وكأنهم بذلك يحاولون تجريب عضلاتهم في ابداع مثل ما ابدع الغرب من لا معقول تحت ظروف معينة اوجدتها في مجتمعهم وحشية الحرب واهوالها . غير ان اختلاف واقع حياتنا عن حياة الغرب يجعل تلك المحاولات ضعيفة الخطو قصيرته هامسة الصوت ضعيفته ، حتى لا تكاد تحس . فلا تثير ضجة ولا تلفت نظرا ، وان كانت تستدعي وقفة من حين لحين لنرى الى اين تتجه والى اى شيء تهدف .

ويبدو أن نجم اللامعقول بدأ في الافول ، فلقد أخبرني صديق عائد من ألمانيا : أن هذا النوع من الفن لا يتحمس له أحد هناك حتى كاد يلفظ أنفاسه ، ويبدو أيضا أنه كان لابد له من تلك النهاية السريعة لافتقاده اهم مقومات الفن ، وهو الجمال ، وكيف يكون جميلا ، مالايفهمه عقل ، او يقتنع به منطق ، او يوصل الى خير .

« كان افلاطون » يرى : أن الجميل هو النافع نفعا خيرا . وعلى رأى « افلاطـون » هذا ، يفقد اللامعقول اهم مقومات جماله لانه لا يعطى خيرا .

غير ان هناك رأيا لـ « كنت » يرى : ان لا رابطة ثمة بين الخير والجمال . فالجميل جميل في ذاته ولا يقوم جماله الا على طريقة تكوينه .

وعلى رأى « **كنت** » يكون اللامعقول والقريب منه فيه من الجمال بقدر ما يعطيه شكله وبناؤه وانسجامه مع عالمه الخاص به ومقاييسه ، ان كانت ثمة مقاييس .

واذا تركنا رأى الفيلسوفين الكبيرين بعض الوقت ، ونظرنا في واقعنا وما حولنا . والى الفترة التى تعيشها امتنا ، والى طريق التطور الذى تحاول به أن تصل الى ما فاتها من ركب الحضارة والتقدم لتلحق بالعالم وتسير في الصف الأول من البشرية ، لوجدنا انه احرى بنا أن يكون مقياسنا للجمال — في فترة حياتنا هذه — هو مقياس « افلاطون » الذى قال : بأن الجميل هو النافع . فنحن في حاجة ماسة الى كل ما يعطى فائدة تقيم بناء فتغذى عقلا، وتطعم فاها ، وتغطى عريا ، وتؤوى مشردا .

وعلى هذا نتساءل ما جدوى هذا النوع من الفن — القريب من اللامعقول ، او اللامعقول — الذى تأباه لحظتنا الراهنة .. لحظة البناء والتطلع الى مستقبل افضل . وتأباه أيضا حالة فن اللامعقول ذاته الذى أخذ في الضمور ، والنضج في منبعه الذى منه تفجر وعلى أرضه قام . ولئن كان هذا الفن يلفظ أنفاسه

فى المانيا كما أخبرنى الصديق القادم من هناك . وكان واقعنا يأباه . فلماذا يتعلق به بعضنا ، أهى رغبة فى التقليد ، أم فى اظهار العضلات الفنية .

لقد زعم بعضهم انها رؤيا خاصة يراها الفنان ولا يستطيع الا ان يقدمها للناس ليروا معه ما راى. غير انى اتساءل . وهل يرى الناس بالفعل ماراه صاحب الرؤيا الخاصة ؟ لست اعتقد . لاننا حين نرى مثل هذا الفن نسال انفسنا بعد الا نفهم شيئا. اما زالت لنا رؤوس تحمل عقولا ! ام انها انتهت بانتهاء قراءتنا لمثل هذا العمل . ام لعله عقل الآخر ذو الرؤيا الخاصة ، هو الذى ذهب حين قدم لنا مثل هذا العمل ؟!

الحق انى فى حيرة ولا أظن أنى وحدى الذى وقع فى مثل تلك الحيرة ، فمازلت اذكر تعليقا لاستاذنا « محمد فريد ابو حديد » على قصة من هذا النوع ولقد كتب فى تعليق يقول : « **لقد حاولت بكل اخلاص ان ادرك شيئا وراء هذا الكلام الذى يبدو أنه لا يفيد معنى . ولقد صدمنى الكلام وشعرت بالصدمة باخلاص . وفاء بوعدى للسيد الكاتب . ولكنى وجدت آخر الامر انى عاجز عن تقدير هذه القصة. فانا اقر للسيد الكاتب بعجزى وقصورى عن ادراك ما يختفى وراء الفاظ هذه القصة ، اعله فاسفا عليا ، كما انه من الممكن ان يختفى وراءها سر مخيف** »

وسمعت أيضا ان فنانا كبيرا من رواد القصة عندنا ، قرأ عليه آخر قصة من هذا النوع ، فما كان منه الا قام يقبل جليسا له ويقول « **اكنت تظن يا فلان ان العمر سيمتد بك الى أن تسمع ما سمعت الآن ، على أنه فن !!** »

ومع هذا فهناك من النقاد من يقول عن قصة من نفس النوع الذى رفضه فناننا الكبير ، وأزجى الاخلاص لكاتبه استاذنا « **أبو حديد** » حين لم يفهم من الكلام شيئا .

يقول الناقد عن هذا الادب : « **ولكنه على أى حال يملا عليك وجدانك وفكرك** » . **ويقول عن كاتبه**

« **انه يستعين فى أدبه بالرمز المغرق ويحرص على اقامة تداخل ونماذج بين الواقع والخيال ، بين الحقيقة والوهم ، ليعلن احتجاجه الصارخ على ما تزخر به الحياة من فقر وتعسف وتعاسة وافتقار للحنان . وهو يدافع بكبرياء عن انسانية الانسان ويبتسم ساخرا فى مواجهة أبشع المحن ، وان لم ينكر أبدا ما يمتلىء به قلب الانسان من ضعف وأهواء متناقضة.**

ويقول فى مكان آخر من كلمته : « **انه فى الحقيقة بين منهجين فى بناء قصصه ، منهج التعبير المباشر ، منهج التداخل والمزج ، وفى تقديرى ان مركبا فنيا جديدا من كلا المنهجين ، فى بناء صور واحداثه ، سوف يتكامل فى أدبه** » .

و «حوار» أيضا قدمت لنا قصة من هذا النوع ـ أو قريبة منه بعنوان « **الهزيمة ـ لزكريا تامر** » متناسية اللحظة المعاشة لأمتنا العربية .

فخليل حين رجع الى بيته ، ونام . وجد كان ملكة سوداء الشعر تدخل عليه فتامر بتعذيبه . فيذعر ولكن ذعره يتحول الى دهشة حين تطلب اليه أن يهرب ، فلما سالها : الى أين ؟ ماتت وتحولت الى فراشة اختفت فى فراغ أسود . بينما ظل خليل يبكى ـ دون دموع ـ الى أن أفاق من نومه ذات صباح بمعدة عتيقة وسار فى شارع لم يقابله فيه آدمى . أبوابه مغلقة . وأرضه مغطاة بأوراق شجر صفراء. وسياراته مجللة بالغبار . فلما هم بدخول مطعم وجد جرذا يسوق دراجة ، ووجد كل الموائد يجلس عليها جرذان ضخمة تتناول طعامها برصانة ، وكان الخادم جرذا هو الآخر ، طلب منه خليل كوبا من اللبن وقطعة من الجبن وقليلا من الزبد . الا أن « الجرذ الخادم » أحضر له قطعة من اللحم النيىء ، فلما حاول أن يعترض نبح الخادم فنبحت الجرذان، وحاول أن يتكلم فنبح هو الآخر وسقطت ميتة ملكة سوداء الشعر ، ولم يكن امامه الا أن يتناول قطعة اللحم النيئة ويرفعها الى فمه .

ذلك هو ملخص القصة . فهل يا ترى هى رمزية؟ أم انها من النوع الغريب من اللامعقول ؟ فى اعتقادى انها من النوع الثانى الذى لا يساير ركبنا الصاعد.

وعلى فرض رمزيتها ماذا تفسر ؟ انها لا تفسر جديدا فى الحياة ، فهى ربما كانت تريد أن تقول : ان الانسان حينما تضغط عليه الحياة يتخلى عن انسانيته فى الرؤيا أولا وفى واقع الحياة المعاش ثانيا وأخيرا ، حتى يعود وحشا جبانا . يستسيغ أكل اللحم النيىء .

غير أن هذا الرمز لا يصل اليه الا متفائل . لان

القصة تجنح الى التداخل بين الحلم والوهم والحقيقة ، حتى ليكاد الواقع فيها يمتزج بالخيال .

وفي النهاية أتساءل ماذا يجدينا مثل هذا الفن في فترتنا الراهنة !! سؤال أود لو أقنعني بجوابه أحد .

● **أهكذا على رؤوس الأشهاد ؟!**

هل يمكن أن أكون ذا سوءة فأعريها للناس وأمشي بها بينهم ؟ هل تقبل أخلاقنا وطبيعتنا أن نفضح أنفسنا على رؤوس الاشهاد ؟ « ونفرج » على أنفسنا خلق الله ؟! لست أعتقد . فان الدعوات اغاظة .. تلك الدعوة التي يدعو بها انسان على آخر ، وتحمل معنى الفضيحة .

وهل يمكن أن يكون في مرض منفر ومع ذلك أعرضه على كل من هب ودب بدعوى أنه مرض وما حيلتي في بلوى ابتلاني بها الله ؟! لست أعتقد أيضا ، فذوو الامراض المنفرة وشائهو الخلقة يضعهم المجتمع في ملاجيء ومصحات . يعالجهم ويؤهلهم فيها . كلما استطاع الى ذلك سبيلا حتى يتقبلهم الخلق ويتقبلون هم الحياة .

ولئن كان هذا مندرجا على أمراض الافراد ، فهو مندرج أيضا على أمراض المجتمع ، وواجبنا : أن نعرفها وأن نقف على أسبابها ، وواجبنا في الوقت نفسه أن نسترها حتى يبرأ منها المجتمع ، والا كنا كمن يعرض مرضه المنفر على الخلق . فما بالنا وأمراض المجتمع معدية .

وقد يغتفر للفنان أن يعرض أمراض مجتمعه ، لانه في الوقت نفسه يصف لها الدواء ، فيكون كمن يكتشف المرض ويعالجه في الوقت نفسه .

أقول هذا بمناسبة ما قرأته في « **حوار** » عن « حياة المومس » وكان جزءا من تقرير كتبه «**سمير خلف** » وجميل أن يقوم « سمير » ببحثه هذا فهو أشبه بمن يحاول اكتناه أصل الداء ليصنع له الدواء الناجع . ولكن ليس جميلا بحال أن ينشر هذا البحث على رؤوس الاشهاد . والا لجاز أن تضع أبحاث الأطباء المستكشفين في يد كل جهول .

فاذا قال لنا الطبيب ان أسباب حياة تلك الجرثومة هي كذا وكذا فقد يأخذ تلك النتيجة جاهل أو منحرف فيقتل بها الناس . وقد تهرب منا الجرثومة اذا كانت عاقلة « كالبغي » ، فانها والحالة هذه تدافع عن حياتها ومورد رزقها . فما بالنا اذا بدأ التقرير المنشور في حوار هكذا :

ان عزل المومسات في مباغ خاصة يدل على عقلية تشبه عقلية القرون الوسطى . فبالاضافة الى الجو المزعج الذي يسود مثل هذه البيوت العمومية . وبشكل خاص الاحساس بالعبودية والوسائل المتبعة في اصطياد الضحايا ، فان هذا العزل قد ولد عند الناس عداء أصيلا تجاه المومس العمومية وتجاه مهنتها . فالموقف السائد بين الناس تجاه المومس يتصف على العموم بالنفور والاشمئزاز الراسخ . ووصمنا للمومسات بالعار واعتبارنا اياهن منبوذات يستثير فيهن مشاعر الامتعاض والعداء بكل سهولة

ان مثل هذه المواقف والمشاعر لا تؤدي بنا بحد ذاتها الى معرفة حياة المومسات المهنية والاقتصادية والاجتماعية معرفة وثيقة . وبالتالي فان القليل الذي نعرفه مبني على الأقاويل او مثقل بالتحيزات المسبقة والمغالطات الشائعة »

ويقول في جزء آخر من التقرير : « **ان خدمات المومسات لا تستغل بشكل جيد فحسب ، بل انها على ما يبدو مصدر وافر للرزق بالنسبة لكل من يقدمن هذه الخدمات ... ولما كانت هذه المهنة مربحة الى هذا الحد فانه يحق لنا ان نكرر قول « ديفر » : بان السؤال « الطريف ليس لماذا يمارس البغاء هذا العدد الكبير من النساء ؟ بل لماذا لايمارسه الا هذا العدد القليل فقط ! » .**

أهذا كلام ينشر على رؤوس الاشهاد مهما كان الغرض منه ؟! في اعتقادي أن مثل هذا التقرير مكانه عند رجل الاجتماع ورجل الشرطة ، أو بين دفتي كتاب متخصص . أما أن ينشر في مجلة تدخل بيوتا كثيرة وتنشر على مستوى القاريء العربي في كل مكان . ففي ذلك خطورة اى خطورة . وبخاصة على المراهقين والمراهقات .

« **مصطفى فوده** »



في صحبة العقاد
للاستاذ محمد طاهر الجبلاوي

قرأت ما كتب في الرسالة بقلم الأستاذ محمود محمد الطوخي عن الاختلاف بين روايتي في كتاب « في صحبة العقاد » ورواية الدكتور شوقي ضيف في كتابه « مع العقاد » ، في موضوع زيارة الزعيم مصطفى كامل لمدرسة اسوان وعرض البيت الآتي على التلاميذ .

والمرء مالم تفـد نفعـا اقامته
غيم حمى الشمس لم يمطر ولم يزل

ويرى الكاتب اختلافا بين روايتي ورواية الدكتور ضيف ثم يوجه الى اللوم بسبب هذا الاختلاف . واقول : ان رواية الدكتور ضيف ليست ملزمة لي ، لأني لا انقل عنه . وانما انقل عن الاستاذ محمد فخر الدين الدشناوي مدرس اللغة العربية الذي كان يدرس لأستاذنا العقاد ، والعهده على الراوي كما يقولون .

اما ما نقله الكاتب عن العقاد رحمة الله عليه في هذا الموضوع فلا ارى فيه مخالفه بما رواه استاذه الا اذا كان الكاتب يجد اختلافا بين قول الاستاذ فخر الدين « وكان الزعيم الخالد الذكر يصغي الى العقاد في اعجاب » وقول العقاد ولاح لي انه لم يسترح لردي واقول : ان كلا القولين صواب فجواب العقاد الناشيء بأن الغيم الذي يحجب الشمس لا يعد سيئة في اسوان يتمنى الناس زوالها . جواب يدعو الى الاعجاب كل الاعجاب ، وليس مصطفى كامل ممن يغيب عنه ذلك ، ولكنه في نفس الوقت يدعو الى الحرج وعدم الارتياح ، لما فيه من تسفيه الفكرة امام التلاميذ والزوار معا .

واذكر بهذه المناسبة ان شاعرا هجا مصلوبا بابيات قال منها .

ويحني راسـه لعتاب قلب
هداه الى الغواية والضلال

فاعجب اهل المصلوب بالبيت ، ولكنهم تأثروا من قائله وانتقموا منه ، فالاعجاب يا صاحبي لا ينفي التأثر وعدم الارتياح .

على ان اختلاف الروايات في هذا الموضوع لا ينفي الفكرة الاساسية التي اوردنا القصة لابرازها وهي الذكاء وقوة الحجة وسرعة البديهة التي نتبينها في اجابة العقاد التلميذ الناشيء ، ونراها في العقاد الاديب العملاق . اما كلمات التأنيب والتعزير التي وجهها الينا الكاتب فنحن لا نجاريه فيها ونغتفرها له في حب العقاد .

حول الشابي
بقلم عبد الكريم ابراهيم رجب

ذكر الاستاذ مظلوم خضر في مقال له ان ابا القاسم الشابي قد التحق بكلية الحقوق التونسية وحصل على شهادة الحقوق سنة ١٩٣٠ .

بينما يقول الدكتور محمد مندور فى كتابه « الشعر المصرى بعد شوقى » حـ ٣ ص ٦٥ ، ومن الغريب اننى عندما طالعت بعض قصائد الشابى ومقالاته النقدية ، كدت اجزم بان هذا الشاعر قد كان يجيد لغة اجنبية تمكنه — لا من الالمام بآداب الغرب فحسب — بل ومن تذوقه لتلك الآداب واحساسه بها ، وتمثله لها ثم عدت الى ما كتب عن تاريخ حياته فاخذتنى الدهشة كل الدهشة عند ما علمت انه لم يكن يعرف لغة اجنبية ، وانه تخرج من «الزيتونه» بتونس ثم التحق بكلية الحقوق التونسية ، وتخرج منها سنة ١٩٣٠ ، ولكنه لم يتعلم لغة اجنبية ، وعندئذ ادركت اننى امام احدى تلك العبقريات التى لا يستطيع البشر لها تفسيرا لأنها هبة الله » .

والاستاذ ابو القاسم محمد كرو مؤرخ الشابى يحدثنا عن التحاق الشابى بكلية الحقوق التونسية ويوافقه على ذلك الدكتور عمر فروخ ، ثم يجمع الكاتبان على ان ابا القاسم الشابى كان لايعرف اطلاقا اية لغة اجنبية .

وشقيق الشابى — محمد الامين الشابى — يحدثنا فى مقدمته لديوان اخيه « اغانى الحياه » عن حياته كلها ثم لا يشير اطلاقا الى التحاقه بكلية الحقوق فى تونس .

ويقول الدكتور زكى المحاسنى فى كتابه « ابراهيم طوقان شاعر الوطن المغصوب » ص ٨٧ . « على ان الشابى الذى ولد وعاش فى تونس المستعمره ، وتعلم فى كلية الحقوق ، لابد ان يكون على معرفة بالفرنسية ، فالشباب المتعلم بتونس منذ فاتحة هذا العصر حتى الآن لا تنقص ثقافتهم هذه اللغة ، لان المستعمر قد اشاعها فى المدارس الابتدائية والثانوية فكيف بترك الدراسات العليا العربية ؟ فاذا كان الشابى قد تلقى ثقافة حقوقيه فى معهد تونس فلا بد ان يكون قد عرف الفرنسية التى هى لغة المعهد وامتحانه » .

ورايى انا ، هو ان ابا القاسم الشابى لم يلتحق بكلية الحقوق التونسية .. فما راى الاستاذ مظلوم خضر فى هذا الموضوع ؟؟ وما راى القراء .

مع الشعراء

تلقت الرسالة القصائد الآتية :

كف القدر
للشاعر فرحات عبد الخالق

صرخة من فلسطين :
الشاعر احمد نبيل عبد الفتاح

موكب النصر الافريقى :
الشاعر حسن حسين شكرى

مؤتمر القمة :
الشاعر محمد فضل اسماعيل

ذكريات لاجئة :
الشاعر احمد محمد الشال

هجـر :
الشاعر يحى حسن سيد

تاملات فى الصباح :
للشاعرة ن . ز من البحرين

رثاء لعروض :
الشاعر محمود زكى سطوحى

اخى فى الجنوب :
للشاعر يحيى صالح ربيع

انا والليل والدموع :
للشاعر احمد تاج الدين

شبح هرم :
للشاعر عبد الرحمن سالم

والرسالة تشكر هؤلاء الشعراء ، وتؤكد لهم انها معهم على الطريق ، وانها ستقدم بين الحين والحين انتاجهم الى النقاد ليقولوا كلمتهم فيه فى هذا الباب .

الفتاة ...

بقلم عايده الغرابلى

انصرفت المعــزيات من الدار . وبقيت أختهـا وأولادها عدة أيام ثم انتقلوا جميعا الى دار أختها فى العزبة المجاورة .. فلم يعد لها من أحد يعولها بعد وفاة أمها .

كان أبوها قد مات منذ سنين وكان يمتلك عشرة قراريط ويستاجر فدانا ، وقد كان مجتهدا فى عمله واسع الرزق يكفل لزوجته وابنتيه حيــاة بسيطة ميسورة ... وما ان انتقل الرجل الى جوار ربه.. حتى تغير الحال وشاركت الأم أخاها فى زراعة الارض وكانت ماهرة فى تربية الأوز تدخر مما تبيع منــه بعض المال لتنفق على الزراعة وماتتطلبه من مصاريف ولكن الأخ كان مهملا طماعا فساءت الحال واضطرت الى أن تقبل أن تعمل الابنة الكبرى فى « الوسية » المجاورة نظير يومية بسيطة تعينهم على ما يلقونه من شظف العيش . وما كادت تعمل بضعة أسابيع حتى أتاها « عدلها » وخطبها خفير الوسـية وباعت الأم البقرة وجهزتها وانتقلت الى منزل الزوجية .

بقيت الأم والفتاة بالدار يطعمان العجلة الجاموس .. وقطيع الأوز .. الذى أعانهما على المعيشة وكفل لهما عيشتهما البسيطة . فلما توفيت الأم لم يكن هناك مفر من أن تنتقل الفتاة والجاموسة وقطيــع الأوز الى بيت أختها . وما كادت تســـتقر هناك أسبوعين حتى دفعها زوج أختهــا للعمل بالوسية منتهزا فرصة موسم جنى القطن وارتفاع اليومية . وبدأت الفتاة تذهب الى عملهــا مع شروق الشمس ممســكة « بصرة » فيها رغيفان وقطعة من الجبن القديم ، وما أن تصل الى الحقل حتى تعلق غداءها على فرع شجرة على رأس الحقل وترفع جلبابها الى أعلى ساقيها وتتحزم صانعة من جلبابها « حزية » تضع فيها ما تجنيه من القطن ، كانت تعمل بهمة واجتهاد فقد كانت تخشى عصا الخولى التى تلهب أجساد المهملين من الأنفار .

وذات يوم كان العمدة فى الحقل وارســـل فى طلبها فحضرت مرتبكة خائفة ولكن الرجـل الطيب طمأنهـــا وأمرها فى رفق أن تذهب فتشــتغل فى السراية ، ثم أرسل الى أختها فوافقت فى الحال .

انتقلت الفتاة الى حياة جديدة لم تكن تعرفها ولا حتى تحلم بها . فقد راعتهـــا السراية الفخمة وما يحيط بها من أشجارالفاكهة المختلفة والزهورالجميلة وأصناف الخضر .

كانت السيدة حرم العمدة دائبة النشاط ، جمة الاحسان أنجبت أربع بنات اثنتين متزوجتين وآنستين، وولدا .

وماكادت الفتاة تستقر بالمنزل أسبوعا واحـــدا حتى تمت خطبة الآنستين وفى الاسبوع التالى باع العمدة محصول القطن بثمن مجز وحضر التاجر وتم

وزن القطن وفرح العمدة لأنه لم يرزق بمثل ذلك المحصول من سنوات طويلة واعتقد من بالسراى أن الفتاة ، قدم السعد ، فأحبوها وقربوها .

احست الفتاة بالسعادة تغمر قلبها .. وتفتحت شهيتها على الطعام الدسم واعتبرت نفسها فى نعمة يجب أن تحمد الله عليها فعملت بجد ونشاط وكانت أمانتها مثالا طيبا فكانت تجد النقود وقطع المصاغ مبعثرة فى الحجرات فلم تخنها امانتها يوما .. وعاودتها صحتها .. وعاد اليها لونها الطبيعى ومس الشباب قوامها وملامحها وراحت كل يوم تزداد اشراقا وفتنة .. وهذبت الحياة الجديدة من ذوقها فتعلمت كيف تأكل وكيف تلبس وكيف تسير ، فقد ساعدت الآنستان والراديو والضيوف الذين يحضرون للسراية فى صقلها . وكان الخدم وكل من يعمل بالسراية حتى الخفراء يأتمرون بامرها ويتزلفون اليها لما رأوه من حب الأسرة لها فعادت الثقة الى نفسها والطمأنينة الى قلبها فازدادت حسنا واشراقا كماازدادت حبا للأسرة واكبارا لها . ولم تر وسيلة لرد الجميل الا الاخلاص فى العمل والدعاء للأسرة بدوام الخير .

ومرت الايام وتزوجت الآنسة الكبرى وانتقلت لبيت الزوجية. وبقيت هى والآنسة الصغرى وكانتا متقاربتى السن تربطهما روح المرح والانطلاق، وتبعثان الحياة والبهجة فى أرجاء السراية .. فلا تكادان تفترقان حتى فى النوم فقد كانتا تبيتان فى حجرة واحدة .

اصبح جمال الفتاة وجاذبيتها حديث أهل القرية ... وتقدم كثير من الشباب لخطبتها ولكنها آثرت ما هى فيه من العز والرفاهية ... حتى ابن عم السيدة ذلك الأرمل الذى أشرف على الخمسين من عمره ... كان يتردد على السراية بين الحين والحين وكانت الفتاة قد أعجبته .. فحدث السيدة فى الأمر .. ورفضت باعتبار أن الفتاة ليست من مقامه وكرر عليها مرارا وهى ترفض بهذه الحجة ولكن الواقع أنه كان يعز عليها أن تدفن ربيع الفتاة فى خريف ابن عمها الشيخ..وسمعت الآنسة عن طريق الصدفة طرفا من هذا الحديث وأسرعت ضاحكة الى الفتاة واخبرتها بماسمعت وراحتا تقهقهان وفى عينى الفتاة نظرة استعلاء .

الى ان كان يوم ... ذهبت الآنسة والفتاة الى طنطا حيث كان الفتى ابن العمدة يقيم فى شقة هناك وقد بقى على امتحان التوجيهية شهر ونصف شهر وقد مرض خادمه وذهب الى المستشفى لاجراء عملية حصوة فى الحالب. فذهبت الفتاتان لتكفلا للفتى الراحة أثناء الاستذكار . ورغم تدليل الأسرة للفتى فقد كان مجدا دمث الاخلاق ورث عن والده حب الخير والمثل العليا .. تلوح عليه علامات رجولة مبكرة . فرح بالفتاتين ووعدهما أن يبذل كل جهده على أن ينجح بتفوق. وأن ينسب الفضل فى ذلك اليهما. وفرحت الفتاة بهذه الزيارة فقد كانت تحب سيدها الشاب كما تحب الأسرة حبا نبيلا صادقا . فقد كان عندما يحضر الى القرية فى عطلات الدراسة يحضر لها مثل ما يحضر لأختيه من هدايا .. ويعاملها كما يعاملهما

كان الفتى يستذكر آناء الليل وأطراف النهار بدون كلل ولا ملل .. وعرفت الفتاة المواعيد التى يتناول فيها الشاى والقهوة ومواعيد نومه واستيقاظه فكانت تقوم بمهمة المنبه .. تقوم من النوم فتعد له الشاى أو القهوة وتوقظه فى مواعيده ... وازداد ارتباطهما .. واحس الفتى براحة عميقة أذهبت عنه ضجر السهر المتواصل .. وليلة بعد ليلة..تفتحت الارواح .. وتحرك الشعور بالرغبة فى اللقاء .. شعور مبهم .. خيط رفيع لا تستبين منه الأخوة والرغبة .

وانتهى الامتحان وعاد ثلاثتهم الى القرية .. وقد ربطتهم هذه الفترة بشعور جديد .. فكان الفتى عندما ينتهى من زيارة أصدقائه بالقرية يعود الى السراية فيجالس الفتاتين .. ويخرج ثلاثتهم الى الحديقة .. يتسامرون فى ضوء القمر وظهرت نتيجة التوجيهية واذا بالفتى من الأوائل وقد نجح بامتياز

كانت الفرحة كاملة وذهب الفتى الى القاهرة فقدم أوراقه فى كلية الهندسة .. ثم عاد الى القرية ومعه صديق كان هو الآخر يقدم أوراقه الى الجامعة .. حضر ليقضى اياما فى ضيافته .. ولاحظ الفتى أن صديقه يتابع الفتاة من حيث تظهر بنظرات ملؤها الاعجاب .. وعندما اعتزم الصديق السفر فاتح الفتى فى كثير من الخجل أنه يريد خطبة الفتاة .. وصارحه الفتى بشىء من المرارة أنها ليست أخته وانما هى خادمة .. وتعجب الصديق وراح يطنب فى وصف الفتاة وجمالها الفطرى .. وجسدها الذى تتجلى فيه الطبيعة بأروع سحرها وعينيها وشعرها وابتساماتها تلك الكنوز الغالية . وسافر الصديق ولكن كلماته راحت تمس الفتى مس الكهرباء ...

ولاحظت السيدة أن الفتى لا يحب أن يبارح السرايه ولا أن تغيب عنه الفتاة .. وراحت تراقب الحالة ولولا ثقتها بابنها والفتاة .. لتدخلت فى الأمر .. ورغم المراقبة الشديدة لم تجد ما يبرر التدخل ولكنها انتهزت فرصة خلوتها مع الفتاة واخبرتها أنها مشغولة لأنها تلاحظ أن ابنها كثير الشرود والتفكير ولاتعرف السبب .. قالتها فى سياق الحديث وبطريقة لا تستلفت النظر .. وما كادت الفتاة تخلو الى نفسها .. حتى راحت تراجع أحاسيسها .. لاشك أنها تحب سيدها الشاب .

كان حديث الصديق للشاب وحديث السيدة للفتاة بمثابة المصباح الذى كشف لكل منهما حقيقة شعوره .. انه الحب .. الحب الذى نما حثيثا فى قلبيهما بلا تحفظ ولا اصرار ولكنه نما على طبيعته حتى تمكن ... وكان لا بد لهما من مواجهة الحقيقة .

أما الفتى فقد أحس انه لا يمكن الانفصال عنها .. ولماذا لا يتزوجها .. أين يجد مثل هذا الجمال والفتنة .. واين يأتى بمن تحبه كما تحبه الفتاة وتسهر على راحته كما تسهر .. وتقدم له الراحة النفسية والسعادة التى تشعها روح هذه الفتاة ولكن ، هل ترضى الأسرة بذلك ؟ ولماذا ترفض أليسوا هم الذين وضعوا هذه الفتاة فى موضع أخواته اقرارا منهم أنها لا تقل أخلاقا عنهم اذن ما الفارق بينهما .. غير الفقر والغنى .. وهل هذا يبرر أن يحرم نفسه من الحياة والسعادة .. كلا .. كلا .

اما الفتاة فقد رجعت بها الذاكرة الى أيام حضورها الى السراية .. وفضل السراية عليها فهى التى صنعت منها ما هى فيه من حسن ونضرة .. ولولا ذلك لكانت كأى فتاة يذهب الحقل بجمالها . أتأتى الى السراية أصل نعمتها ونعيمها فتسرق منها أعز ما فيها .. كلا..والف كلا .. ولكن أتستطيع بعد الفتى صبرا كيف تصنع بقلبها .. وحبها .. واملها .. وراحت تستعرض شباب القرية ..ليس فيهم من يهز وترا من مشاعرها .. وراحت تتقلب على فراشها على أحر من الجمر وذاقت ليلة لم تذق مثلها حتى ليلة أن ماتت امها .

واصبح الصباح ولأول مرة تشاهد الفتاة وقد تخلت عن بهجتها .. وغارت ابتسامتها .. وراحت فاترة الحركة .. تسعى فى شبه ذهول .. وما ان اوت الفتاتان الى حجرتهما واغلقتا عليهما الباب .. حتى سألتها الآنسة عما بها .. وكانتا لا تخفيان عن بعضهما سرا . وبعدالحاح صارحتها الفتاةبالحقيقة. ولكن الآنسة لم تستغرب الأمر فان غريزتها قد انبأتها وقالت أنها لا ترى أى مانع من زواج الفتاة باخيها . كانت نظرتها اليها كصديقة وحبيبة قد أنستها حقيقة الفوارق الاجتماعية . وما فيها من قيود واغلال .. ولكن الفتاة واجهتها بالحقيقة .. الحقيقة المرة .. وصممت على التضحية..واستلقت الفتاتان على الفراش وهما يضمان بعضهما فى قوة ودموعهما تنهمر انهمارا .

وحان موعد سفر الفتى للجامعة ... والتقى ثلاثتهم بالحديقة .. كانت نسمات بعد منتصف الليل تمر بهم رطيبة رقيقة ..والقمر يصبغ الطبيعة بالوانه .. والحانه ومنظر الحديقة يتجلى رائعا ساحرا .. وقد هدأت الأنفاس .. والتهبت المشاعر وقامت الآنسة لتترك الفتاة والفتى لحظات للوداع.. وراحت الكلمات مضطربة على لسانه يشرح لها حبه وحقيقة مشاعره .. وتدرج الحديث فعرض عليها الزواج .. ولكن الفتاة كانت قد دبرت أمرا .. وربطت على مشاعرها قيدا من حديد فأجابته وهى تحاول أن تكشف الغشاوة عن عينيه بأنها تبادله حبا بحب ..ولكنه حب الأخت لأخيها ..والخادمة الأمينة لسيدها وأن حبها سيظل الى الأبد لانه حب الروح والأخوة والصداقة .. اما أن ينتهى الحب بصدمة عائلية .. فانهما يجب أن يكونا أكبر من ذلك .. وطال الجدل وحضرت الآنسة فصمتا ثم قاموا ثلاثتهم الى مضاجعهم .

وسافر الفتى . . وذهبت الآنسة الى والدتها واغلقت الباب وسالتها أن تختار للفتاة واحدا ممن تقدموا لخطبتها . وبعد أيام جلست السيدة مع الفتاة..وقالت لها ان فلانا وفلانا وابن عمها الشيخ قد تقدموا لخطبتها . ونكست الفتاة راسها .. وكانت السيدة تشعر بكل ما حدث وكان تقديرها للفتاة قد جاوز الحد .. وقامت الى الفتاة تقبلها .. وتمت الخطبة وجهزت الفتاة كما كانت تجهزآنسات السراية .. وفى ليلة الزواج أرسل العمدة لحضور الفتى وكانت أمه قد واجهته واقنعته بمواجهةالحقيقة ووقف ينظر الى الفتاة .. وهى تزف الى الشيخ ..كان فخورا بها وقد أدرك ما أدركته أخته وامه أن الفتاة قد تزوجت لتحمى نفسها وتحمى سيدها وأن حبها للأسرة كان أقوى من أى حب آخر ..



العدد ٦٥

الثمن ٣ م

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

القدس

رئيس التحرير

أحمد حسن الزيات

المراسلات جميعها تكون باسم
السيد مدير ادارة المجلات
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد . محمد فريد . القاهرة

تصدرها

الثقافة والإرشاد القومي

الاشتراكات ١٥٠ مليما سنويا
ويضاف أجر البريد
من خارج ج . ع . م

الصفحة

العدد ١٠٨٤ الخميس ١٦ جمادى الآخرة ١٣٨٤ — ٢٢ اكتوبر ١٩٦٤ م — السنة الثانية والعشرون

بيان توحيد العمل السياسي

بقلم : الدكتور محمد أحمد خلف الله

كل خطوة عملية وبناءة فى سبيل الوحدة العربية يفرح لها القوميون العرب ، ويستقبلونها بالبشر والترحاب . ذلك لأنهم ينظرون اليها على انها الخطوة التى تخرج بالأهداف القومية من الدائرة النظرية البحتة دائرة النداءات والشعارات القومية الى الدائرة العملية دائرة تحقيق الاهداف القومية عملا لا قولا .

وكل تقارب بين اية دولتين من دول العالم العربى ، يقوم على أساس من وحدة الهدف ، يعتبر دليلا قويا على ان المضامين السياسية والاجتماعية والاقتصادية للقومية العربية قد أخذت تشق طريقها فى الحياة العربية ، وانها واصلة بالأمة العربية الى مصاف الأمم المتقدمة، ذوات الحضارات العالمية . ومن هنا يبارك الشعب العربى فى كل دولة هذا التقارب ويدعو الى المزيد منه ، قضاء على الاقليمية والتجزئة ، وتثبيتا لمعانى الوحدة العربية الشاملة .

وتوحيد القيادة السياسية بين **الجمهورية العراقية والجمهورية العربية المتحدة** ــ ذلك التوحيد الذى اشار اليه ذلك البيان المشترك الذى نشرته الصحف منذ أيام ، والذى ضاع بين ذلك الضجيج الذى أحدثته ازمات موسكو السياسية وتنحية خروشوف عن منصة الحكم والقيادة الشعبية ــ قد بعث فى نفوسنا اكثر من معنى ، واشار فى حياتنا العربية الى اكثر من غاية .

ان الذين قاموا بصياغة البيان قد حرصوا حرصا شديدا على ان يشيروا الى كل مايمكن ان يكون هناك من احتمالات . وجاءت اشاراتهم موجزه حتى ليتعب المرء نفسه على الوقوف على كل ماتحمل العبارات فى جوفها من المعانى .

لقد أشار البيان الى العقبات الداخلية التى قد تعترض سبيل الوحدة مبينا فى الاشارة الى انه يستمد الحذر والخشية من التاريخ الحديث ، ومن التجربة السابقة التى عانتها الأمة العربية عند قيام الجمهورية العربية المتحدة بين كل من سورية ومصر .

يقول البيان :

« وقد ثبت من التجارب التى مرت بها الوحدة أن الأساس السليم لاقامتها بين البلدين هو توحيد العمل السياسى ، وانشاء قيادة سياسية موحدة تعمل على قيام الوحدة الدستورية فى اقصر وقت ممكن ، ودراسة المشاكل المختلفة التى تعترضها مع ايجاد حلول عملية لها تضمن مصالح الشعبين ، وتحافظ على مصالح الأفراد ، وتسعى الى تحقيق الوحدة الوطنية » .

وقد يكفى فى هذا المقام أن نشير الى ان خاتمة الفقرة السابقة تكشف حقا عن بعض الاسباب التى ادت الى النكسة فى الوحدة الأولى .

لقد تصور الذين لم يدركوا المعانى القومية ، ويؤمنوا بها الى الحد الذى يجعل خلق الايثار هو السائد فى السلوك العملى عند أفراد كل من الشعبين المتحدين . لقد تصور هؤلاء ان هناك مستفيدين اكثر من غيرهم وأن هناك شعوبا اكثر نشاطا واكبر أثرة وان هناك ضياعا لمصالح بعض الأفراد ، ومن هنا حدثت البلبلة فى مفهوم الوحدة، وحدث الخوف على مصالح بعض الناس ، فكانت النكسة .

ولقد أشار البيان الى العقبات الخارجية التى قامت وتقوم فى سبيل كل وحدة . وهى عقبات تنبت من نظم الحكم القائمة فى البلدان الأخرى من العالم العربى ، وتنبت من المطامع الاستعمارية ــ وسواء فى ذلك الاستعمار القديم أو الاستعمار الجديد . ومن هنا كانت دعوة البيان الى الاستعداد منذ الآن لمقاومة هذه العقبات .

يقول البيان «ليس المهم أن تقوم الوحدة الدستورية بين القطرين فحسب ، بل المهم ان تقوى هذه الوحدة الدستورية ويصلب عودها لتكون

قادرة على مواجهة الصعوبات المختلفة التى سوف تواجه بها العناصر المعادية والاستعمار» .

اما الاشارة الثالثة والتى تحتاج منا الى وقفة اطول فتلك التى تدعو الى اقامة الوحدة على اسس ثابتة ، وتلك التى تدعو الى تضامن كل القوى المخلصة فى سبيل الوحدة .

يقول البيان : « ان النظرة الواقعية لتحقيق الوحدة تتطلب منا أن نقيمها على أسس ثابتة تدعو الى تضامن كل القوى المخلصة للقيام بواجبها ، فان الجهد المشترك الصادق هوالسبيل الوحيد لتحقيق هذا الأمل — وهو فى حد ذاته تعزيز لشرف التضحيات التى بذلت فى سبيله »

ان هذه الفقرة من البيان تشير الى حقيقتين هامتين .

الأولى : — أن تقوم الوحدة على اسس ثابته . ومعنى هذا أن نخرج من الحيز العاطفى الى حيز الادراك الواعى . ومعنى ذلك ايضا أن تكون هناك دراسات مسبقه تنتهى بالوحدة فى بعض القطاعات الى غاياتها السليمة . ولعله من هنا وضع البيان حدا زمنيا لقيام دولة الوحدة بين القطريين — حدا قدره الأقصى عامان .

ان هذا الحد الزمنى يشعر بأن الوحدة فى هذه المرة لن تكون عملا ارتجاليا . انها عمل يستند فى مقوماته الى البحوث والدراسات ، والى الانتفاع بتجاربنا السابقة ، وتجارب الغير التى تفيدنا .

ان الوحدة فى هذه المرة تقوم فى خطوات علمية منسقة تسلم كل خطوة منها الى الأخرى فى جدية .

اما الحقيقة الثانية فتكون فى تضامن كل القوى المخلصة للقيام بواجبها .

ان هذه الحقيقة جديرة بالملاحظة فالذين يقومون على تنفيذ خطة البيان يجب أن يكونوا من المخلصين حقا . من الذين يعرفون أن واجبهم الاول والاخير أن تقوم الوحدة ، وأن تعطى المثال الحى والأنموذج الصالح لكل عمل وحدوى .

ان الذين يعملون فى هذا الميدان فى حاجة الى من يذكرهم الى أن التضحية بالرغبات الخاصة ، والنزعات الشخصية مطلوبة هنا والا كان ماكان ، ووقع مالم يكن فى الحسبان .

ان قيادتنا ترعى كل حركة ثورية ، وتساند كل حركة شعبية ، ايمانا منها بأن العرب اجمعين ابناء امة واحدة ، وليس من الوطنية فى شىء أن تظل رغباتنا ، ونزعاتنا ، طائفيتنا ، واقليميتنا ، تلعب دورها فى حياتنا القومية .

يجب أن ترتفع الى مستوى المسئولية ، وأن نتعالى على النزعات والرغبات والأهواء ليكتب لقوميتنا النصر ، وتتحقق اهدافنا فى كل ميدان .

ان فى وحدتنا من القوة والمنعة مايجعلنا اهلا لأن نقود العالم مرة ثانية الى حيث الخير والسلام

كلمات

(١)

ان الفصل ما بين الثقافة والاقتصاد والسيادة فصل سطحى دون ريب ، لأن هذه الميادين الثلاثة تتداخل تداخلا عميقا . فلايتحكم الاقتصاد وحده فى علاقاتنا الاجتماعية وفى وعينا — كما تزعم بعض المذاهب — لأن الانسان ليس مجرد مستهلك أو منتج .

ان الانسان انسان اولا وقبل كل شىء ، ولاتتحقق انسانيته الا عندما يتخطى الحاجات ويعلو فوق عالم الضرورات .

ان الذى يقلق فى مثل هذا الموقف هو أن يحول البؤس دون الانسان لكى يكون انسانا .

وليس بوسع السياسة كذلك أن تحتل مركز الاولية لأن العلاقات بين الجماعات انما تقوم على ارتباط المصالح الاقتصادية والتجاذب الثقافى .

السياسة لاتنكر اسسها الاقتصادية والثقافية الا اذا استولى عليها الجنون .

والثقافة كذلك لايمكنها أن تدعى أن المبادرة بيدها هى ، دون سواها ، وذلك للسبب التالى — اذا كان الوجدان البشرى يتخطى السيادة والاقتصاد فانه لايصبح فعالا .

انه يصبح فعالا حقا حين يجمع بينهما ، وحين يكون جوابا حرا واعيا على ندائهما .

(٢)

العمل العربى فى هذه المرحلة يحتاج الى كل خبرة الأمة العربية مع تاريخها الطويل المجيد ، ويحتاج الى حكمتها العميقة ، بقدر حاجته الى ثوريتها وارادتها على التغيير الحاسم .

ان الوحدة لايمكن بل ولا ينبغى أن تكون فرضا فان الأهداف العظيمة للأمم يجب أن تتكافأ اساليبها شرفا مع غاياتها .

ومن ثم فان القسر باى وسيلة من الوسائل عمل مضاد للوحدة .

دكتور محمد أحمد خلف الله

الدعوة إلى التحرير الديني

محمد محمد المدني

- ٥ -

من بين ما وضعه السيد **الدكتور خلف الله** بين ايدى قرائه ، من القواعد والنصوص ، وهو يتساءل « ما العمل الآن فى آيات الاحكام والتكاليف التى تأثرت فعلا — أو يمكن ان تتأثر — بفعل الزمن » : ذلك المبدأ المعروف عن الشريعة الاسلامية وهو أخذها بالعرف كدليل من الادلة التى تستفاد منها الاحكام ، وأن هذا العرف له سلطان كبير فى الفقه حتى ان الفتاوى تتغير بتغيره .

وقد ساق سيادته نصوصا عن العلماء وقرر انها تثبت بحق قابلية التشريعات للتغيير والتعديل :

منها ما نقله عن عالم خبير من علماء التاريخ والاجتماع ، هو ابن خلدون ، اذ يقول « ان أحوال العالم والامم وعوائدهم ونحلهم لاتدوم على وتيرة واحدة ، ومنهاج مستقر ، انما هو اختلاف على الايام والازمنة ، وانتقال من حال الى حال ، وكما يكون ذلك فى الاشخاص والاوقات والامصار ، فكذلك يقع فى الآفاق والاقطار والازمنة والدول ، سنة الله التى قد خلت فى عباده » .

ومنها الجملة التى وضعها ابن القيم عنوانا لفصل فى كتابه « اعلام الموقعين » — ص ٢٧ من الجزء الثالث — اذ يقول : « فصل فى تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الازمنة والأمكنة والاحوال والنيات والعوائد » .

ومنها — أخيرا — ما نقله عن الامام أبى يوسف الحنفى ، اذ قال سيادته : « ويذهب الامام الحنفى أبو يوسف الى جواز ترك النص واتباع العادة ، لأن العادة كانت هى المنظور اليها » .

ومن حق القراء علينا أن نضع بين أيديهم فى مسألة العرف والعادة ، الحقائق الآتية :

● لا شك أن الشريعة الاسلامية تعطى العرف قيمة عظيمة ، وتجعل له شأنا قويا ، اذ تحكمه فى مختلف ابواب الفقه ، وتأمر بالنزول على حكمه .

وقد اهتم العلماء بتعريف العرف ، والاستدلال عليه ، وتقسيمه الى لفظى وعملى ، وعام وخاص ، وصالح وفاسد ، واعطوا لكل قسم أحكامه وامثلته ، كماذكروا شرائط اعتباره ، وظروف الغائه واهماله ، وغير ذلك مما نرى فيه بحوثا طريفة ، ونظرات موفقة ، تدل على سعة الافق ، وطول الباع ، وأصالة التفكير .

ويقول الامام الشاطبى فى كتابه « الموافقات » بيانا لصلة الشريعة بما جرت به العوائد ، وتفصيلا لبعض ضروبها :

« العوائد المستمرة ضربان » :

أحدهما : العوائد الشرعية التى أقرها الدليل الشرعى أو نفاها ، ومعنى ذلك أن يكون الشرع أمر بها ايجابا او ندبا ، او نهى عنها كراهة أو تحريما ، أو اذن فيها فعلا وتركا .

والضرب الثانى : هى العوائد الجارية بين الخلق بما ليس فى نفيه ولا اثباته دليل شرعى .

فاما الأول : فثابت أبدا ، كسائر الامور الشرعية كما قالوا فى سلب العبد أهلية الشهادة ، وفى الامر بازالة النجاسات ، وطهارة التأهب للمناجاة ، وستر العورات ، والنهى عن الطواف بالبيت على العرى ، وما أشبه ذلك من العوائد الجارية فى الناس ، اما حسنة عند الشارع أو قبيحة ، فانها من جملة الامور الداخلة تحت احكام الشرع فلا تبديل لها وان اختلفت آراء المكلفين فيها ، فلا يصح ان ينقلب الحسن فيها قبيحا حتى يقال مثلا : ان قبول شهادة العبد لا تأباه محاسن العادات الآن فلنجزه ، أو ان

كشف العورة الآن ليس بعيب ولا قبيح فلنجزه ، او غير ذلك ، اذ لو صح مثل هذا لكان نسخا للاحكام المستقرة المستمره ، والنسخ بعدموت النبي صلى الله عليه وسلم باطل ، فرفع العوائد الشرعية باطل .

وأما الثاني: فقد تكون العوائد ثابتة ، وقد تتبدل ومع ذلك فهي أسباب لاحكام تترتب عليها .

فالثابتة ـ كوجود شهوة الطعام والشراب والوقاع والنظرة والكلام والبطش والمشي واشباه ذلك ، اذا كانت اسبابا لمسببات حكم بها الشارع فلا اشكال في اعتبارها والبناء عليها ، والحكم على وفقها دائما .

والمتبدلة :

منها ما يكون متبدلا في العادة من حسن الى قبح وبالعكس ، مثل كشف الرأس فانه يختلف بحسب البقاع في الواقع ، فهو لذوي المروءات قبيح في البلاد المشرقية ، وغير قبيح في البلاد المغربية ، فالحكم الشرعي يختلف باختلاف ذلك . فيكون عند أهل المشرق قادحا في العدالة ، وعند أهل المغرب غير قادح ... الخ » .

● ولكن العلماء ـ مع اعتبارهم للعرف ، واعترافهم بأن الاحكام الشرعية كثيرا ما تأتي على مقتضاه ، وتتغير بتغيره ـ يشترطون فيه شروطا : (راجع ص ٨٦٩ من (المدخل الفقهي العام للاستاذ مصطفى الزرقا)

منها : ألا يعارض العرف تصريح بخلافه .

وفي ذلك يقول الامام عز الدين بن عبد السلام :

« كل ما يثبت بالعرف ، اذا صرح المتعاقدان بخلافه بما يوافق مقصود العقد ، ويمكن الوفاء به صح » .

ويقول العلامة التركي علي حيدر في شرح المادة ٣٧ من المجلة :

« ان العرف يكون حجة اذا لم يكن مخالفا لنص أو شرط لأحد العاقدين ، فلو استأجر شخص أجيرا للعمل من الظهر الى العصر فقط ، فليس له ان يلزمه بالعمل من الصباح الى المساء بحجة ان عرف البلدة هكذا » .

ومنها : ألا يكون في العرف تعطيل لنص ثابت أو لاصل قطعي في الشريعة ، فاذا ترتب على العرف ذلك لم يكن له اعتبار .

ولذلك تفصيل يطول الكلام به ، ويمكن الرجوع الى المصادر الاصولية لمعرفته .

وقد مثلوا للعرف المصادم لنص قاطع بموضوع « التبني » ـ وهو معروف في مجتمعنا الآن ـ وكان معروفا في الجاهلية ، واستمر العمل به شطرا من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد كان عليه السلام يتبنى زيد بن حارثة ، وكان زيد بن حارثة يدعى زيد بن محمد ، حتى أنزل الله تحريمه في سورة الاحزاب ، وأكد هذا التحريم بتطبيق مقتضياته تطبيقا عمليا حيث أمر الله رسوله بتزوج زينب بعد أن طلقها زيد ، وما كانت لتحل له صلى الله عليه وسلم لو ظل حكم التبني قائما ، ومقتضياته نافذة ، اذ أن حليلة الابن لا تحل للأب .

والنص الذي أبطل به هذا العرف هو قوله تعالى :

« ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ، وماجعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم ، وما جعل أدعياءكم أبناءكم ، ذلكم قولكم بأفواهكم ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ، أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ، فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم » .

فلا يجوز مع هذا النص اعتبار هذا العرف في شأن التبني ، ولو أن هذا العرف عاد وأصبح التبني عادة من عادات مجتمع ما ، لما جاز اعتباره لمصادمته للنص .

فاذا قال قائل : ان في التبني فائدة ومصلحة للناس ، فلماذا تحرمونه ، فانا نقول له : حسبنا أنه يصادم النص الثابت الواضح ، « ومرجعنا في تمييز الحسن العادل من القبيح الجائر انما هو أمر الشارع ونهيه ، لأن الشارع يزن الامور وينظر الى نتائجها من جميع نواحيها لا من بعض النواحي دون بعض كما يفعل الناس ، فما نهى عنه بخصوصه يجب أن يعتبر ضارا بالمجتمع ، ولو أنه نافع لفئات أو فئات . » .

● والرأي الذي نقله **الدكتور خلف الله** عن الامام أبي يوسف وارد في كتاب الهداية وشروحها ، عند قول صاحب الهداية « وكل شيء نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على تحريم التفاضل فيه كيلا ، فهو مكيل أبدا ، وان ترك الناس الكيل فيه ، مثل الحنطة ، والشعير ، والتمر ، والملح ، وكل ما نص على تحريم التفاضل فيه وزنا فهو موزون أبدا ، وان ترك الناس الوزن فيه مثل الذهب والفضة ، وما لم ينص عليه فهو محمول على عادات الناس » ـ قال ابن الهمام تعليقا على هذا في كتابه « فتح القدير » : « وعن أبي يوسف أنه يعتبر العرف على خلاف

المنصوص عليه أيضا ، لأن النص على ذلك لمكان العادة ، فكانت هى المنظور اليها ، وقد تبدلت » .

(راجع الهداية وشروحها ص٢٨٣ج ٥ فتح القدير)

فالمسالة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترط المماثلة ونهى عن المفاضلة فى الاموال التى تعتبر ربوية ـ أى التى يدخلها الربا ، والمقصود ربا الفضل ـ وكان العرف على عهده صلى الله عليه وسلم ان الوسيلة التى يعرف بها ذلك فى الحنطة والشعير والملح والتمر ، هى الكيل ، وفى الذهب والفضة هى الوزن ،فنص على تحريم التفاضل كيلا فى تلك الأربعة اذ يقول : « البر بالبر كيلا بكيل ، والشعير بالشعير كيلا بكيل » الخ ونص على تحريم التفاضل وزنا فى الذهب والفضة اذ يقول « الذهب بالذهب وزنا بوزن ، والفضة بالفضة وزنا بوزن » .

فابو يوسف يقول : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينظر الى اعتبار الكيل او الوزن فى ذلك على أنه شىء ثابت مراد لذاته ولمدخليته فى الحكم : ولكن على أن الحكم هو تحريم التفاضل ، وللناس أن يعرفوا عند التعامل أنه لا تفاضل بما يصلحون عليه من الكيل او الوزن ، فاذا كانت عادتهم الكيل، فالكيل هو الذى يعتبر أساسا للمماثلة او المفاضلة، واذا كانت عادتهم الوزن، فالوزن هو المعتبر، وهكذا ولما كان الأمر على عهده أن الناس يتعاملون فى الحنطة مثلا بالكيل ، نهى عن التفاضل فى الحنطة كيلا ، ولو أنهم كانوا يتعاملون بها وزنا لنهى عن التفاضل فيها وزنا ، فليس للمشرع ـ فيما يراه أبو يوسف ـ غرض فى اعتبار خصوص الكيل أو الوزن ، وانما الغرض هو أن تتحقق المماثلة ، وتنتفى المفاضلة .

هذه هى وجهة أبى يوسف التى يخالف بها من خالف ، ولم يفهم هو ولا أحد من العلماء ان له أو لغيره حقا فى نسخ ما شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأحكام بتقديم العرف عليها .

● وقد ذكر الامام القرافى بحثا طريفا جوابا لسؤال عن وجوب التزام ما سطر فى كتب الفقهاء من الأحكام المطبقة على عوائد معينة زالت وتغير العرف فيها ، فكان مما قاله : « ان كل ما فى الشريعة مما يتبع العوائد يتغير الحكم فيه عند تغير العادة ، الى ما تقتضيه العادة المتجددة ، وليس ذلك تجديدا للاجتهاد من المقلدين حتى يشترط فيه أهلية الاجتهاد ، بل هى قاعدة اجتهد فيها العلماء ، واجمعوا عليها ، فنحن نتبعهم فيها من غير استئناف اجتهاد ، الا ترى أنهم لما جعلوا أن المعاملات اذا أطلق الثمن فيها يحمل على غالب النقود ، فاذا كانت العادة نقدا معينا حملنا الاطلاق عليه ، فاذا انتقلت العادة الى غيره ، عينا ما انتقلت العادة اليه والغينا الاول لانتقال العادة عنه ، وكذا الاطلاق فى الوصايا والايمان وجميع أبواب الفقه المحمولة على العوائد : اذا تغيرت العادة تغيرت الاحكام فى تلك الابواب » .

ص ٦٧ من كتاب الاحكام ، فى تمييز الفتاوى عن الاحكام ، وتصرفات القاضى والامام ـ للقرافى .

وقد ذكر معنى ذلك وأفاض فى أمثلته فى كتابه « الفروق » أيضا وفيه يقول : « ... وعلى هذا القانون تراعى الفتاوى على طول الأيام ، فمهما تجدد فى العرف اعتبره ، ومهما سقط أسقطه ، ولاتجمد على المسطور فى الكتب طول عمرك ، بل اذا جاءك رجل من غير اقليمك يستفتيك لاتجره على عرف بلدك ، واساله عن عرف بلده ، وأجره عليه دون عرف بلدك ، فهذا هو الحق الواضح ، والجمود على المنقولات أبدا ضلال فى الدين ، وجهل بمقاصد علماء المسلمين ، والسلف الماضين » (١٧٦ ج ١ من كتاب الفروق)

ومن هذا يتبين أن الأحكام المطبقة على العوائد ، انما هى فقه بشرى مستنبط من أصل شرعى ، فتغيرها ليس تغيرا فى الأصل الشرعى الذى طبق حتى يكون نسخا لنص او وقفا له عن أن يعمل به ، وانما هو تطبيق لهذا الاصل فى الحالتين ، والاصل الشرعى شامل لهما لأنه ـ عند تنازع الزوجين على التنازع قول من تشهد العادة له ، فان شهدت العادة قبض الصداق مثلا ـ فى قوة أن يقال : القول عند فى بلد ما بأن الدخول لا يكون الا بعد القبض ، فالقول قول الزوج ، وان شهدت بأن الدخول يكون ولو لم تستوف الزوجة حقها ، فالقول قولها بيمينها واذن فهو نص ذو شقين طبق أحدهما فى حالة ، وطبق الآخر فى حالة أخرى ، نزولا على النص نفسه فى كلتا الحالتين .

فأين هذا من نص واحد يكون على معنى واحد ، ثم يبطل ويلغى ولا يبقى له مدلول ؟

وصاحب الموافقات ـ الامام الشاطبى رحمه الله ـ يصرح بما ذكرناه فيقول : « ان ما جرى ذكره هنا من اختلاف الأحكام عند اختلاف العوائد ، فليس فى الحقيقة باختلاف فى أصل الخطاب ، لأن الشرع موضوع على أنه دائم أبدى ... وانما معنى الاختلاف أن العوائد اذا اختلفت رجعت كل عادة الى أصل شرعى يحكم به عليها » (٢٨٥ ج ٢ موافقات)

محمد محمد المدنى

مؤتمر القمة الثاني للدول غير المنحازة

للدكتور سيد نوفل

فى الاشهر العشرة من هذا العـام ، شـهدت الجمهورية العربية المتحدة انجازات تاريخية ، ذات اثر بعيد المدى فى المجـال القـومى وعلى الصعيد الدولى . فاستجابة لدعوة الرئيس **جمال عبدالناصر** فى الثالث والعشرين من ديسمبر (كانون الاول) الماضى ، اجتمع مؤتمر القمة العربى الاول بالقـاهرة فى الثالث عشر من يناير (كانون الثانى) . ومتابعة لأعمال هذا المؤتمر عقد مؤتمر القمة العربى الثانى بالاسكندرية فى الخامس من سـبتمبر (أيلول) الماضى . وقد تم فى هذين المؤتمرين تحديد السياسة العربية القومية ، باهدافها ووسـائلهـا ، لتحرير فلسطين ، والتخلص من بقايا الاستعمار فى العـالم العربى ، ورسم الخطط للعمل العربى المشـترك سياسيا وعسكريا واقتصاديا وعلميا ، سبيلا لدعم الحرية وبنـاء التقـدم ، وتمهيدا للوحدة العربية الشـاملة . وكذلك تم فى هذين المؤتمرين ارتباط الدول العربية جمعاء بسـياسة عدم الانحيـاز فى المجتمع الدولى .

***

وفى يوليو (تموز) الماضى ، أنجز مؤتمر القمة لمنظمة الوحدة الافريقية بالقـاهرة اعماله الكبرى ، فى بناء الوحدة بين أبناء القارة الناهضة ، على دعائم الحرية والمسـاواة والتقدم ، والعمل الجماعى لدعم السلام العالمى والتعاون الدولى . وكان عاملا قويا فى دعم التضامن العربى الافريقى .

وفى نهاية اليوم العاشر من هذا الشهر : اكتوبر (تشرين الاول) ، صدر اعلان المؤتمر الثانى لرؤساء دول أو حكومات البلاد غير المنحازة، حيث رفع القواعد من سياسة عدم الانحياز ، وارسى مبـادىء السلام العالمى على دعائم العدل الدولى . وقد اشتركت فى هذا المؤتمر الكبير الدول العربية جمعاء ، ثمرة من ثمرات مؤتمرى القمة العربيين ، وسجلت القضـايا العربية فيه انتصارات دولية تاريخية .

والذين يرجعـون البصر الى أبريل لعـام الف وتسـعمائة وخمسة وخمسين ، حيث عقد مؤتمر باندونج ، واشتركت فيه الدول العربية ، وأعلن الرئيس جمال عبد النـاصر كلمة القومية العربية والعدل الدولى ـ يذكرون التطور الواسع المدى فى العلاقات الدولية ، والدور الاساسى الذى نهضت به هذه المنطقة الافريقية الأسيوية .

والذين يذكرون تحطيم القاهرة لاحتكار التسلح فى عام باندونج ذاته ، وهزيمة العدوان الثلاثى على مصر فى العام التالى ، والانتصار العربى فى مشروع بناء التقدم القومى ممثلا فى السد العالى لذات العام، يذكرون الآثار البعيدة المدى ، فى تعزيز جبهة الحرية فى آسيا وافريقية ، وانتصار سياسة عدم الانحياز فى العالم .

***

لقد نبتت فكرة عدم الانحياز الدولى من مقتضى الواقع وحتمية التاريخ ، وضرورة العدل والسلام ، ثم تبلورت الى عقيدة بالحرية وايمان بكرامة الانسان، ثم نمت حتى بلغت هذا البناء الشامخ يضم نصف الامم المتحدة ، ويعمـل بوحى من الضمير البشرى الناضج والرأى العام العالمى .

وستبقى على التاريخ أعلام باندونج فى عام١٩٥٥، وانتصارات القـاهرة فى عامى ١٩٥٥ و ١٩٥٦ ، ومؤتمر بلجراد للدول غير المنحازة الاول لعام١٩٦١، ومؤتمر القـاهرة للدول غير المنحازة الثـانى لعام ١٩٦٤ ـ ستبقى هذه الاعلام دائما مرفوعة ، هادية فى طريق الحرية والعدل والسلام .

واذا كان الكم والكيف عاملين مؤثرين فى جميع الاحداث والتطورات القـومية والدولية ، فينبغى ان نبين قدرهما فى مقام التقييم لما حققه مؤتمر القاهرة للدول غير المنحازة . لقد كان زعماء عدم الانحياز فى العالم عام ١٩٥٦ ثلاثة **جمال عبد الناصر وتيتو ونهرو** .

وجاهدوا فى طريق وعر، وواجهوا المؤامرات العاتية، وتحملوا التضحيات الجسام ، وصبروا وثابروا ، حتى نمت الدعوة من ثلاث دول فى عام ١٩٥٦ الى خمس وعشرين دولة فى مؤتمر بلجراد عام ١٩٦١ ، ثم الى ثمان وخمسين دولة فى مؤتمر القاهرة عام ١٩٦٤ ..

أما المبادىء والكيف وما طرأ عليهما من تطورات بين مؤتمرى القاهرة وبلجراد ، فقد كان أمرهما أقوى وأعظم من نسبة التطور الكمى ... لقد عمل المؤتمر الاول لابعاد الحرب ، وتخفيف حدة التوتر الدولى التى اشتدت فى أزمة العلاقات الامريكية السوفييتية ، ودعم مبادىء التعايش السلمى والتعاون الاقتصادى الدولى ... أما المؤتمر الثانى فقد عمل لارساء قواعد السلام القائم على العدل ، وبنساء عالم الحرية والتعاون على قواعد المساواة والتكافؤ ..

***

لقد اعلنت قرارات المؤتمر الثانى لرؤساء دول أو حكومات البلاد غير المنحازة فى القاهرة ظهر يوم الاحد الحادى عشر من اكتوبر (تشرين الاول) لعام ١٩٦٤ ، فكانت وثيقة دولية خالدة . عالج فيهما المؤتمر أنجع علاج مركز القوة المدعمة بمنطق العدل والحق والسلام والحرية . واستهلت تلك الوثيقة بتأكيد عزم الدول المجتمعة على أن تتضافر جهودها فى العمل المشترك لتحرير البلاد التى لا تزال تكافح فى سبيل الاستقلال ، وللقضاء على مختلف أنواع الاستعمار والاستغلال والسيطرة الدولية . وسجلت الوثيقة تقدير المؤتمر لمظاهر السلام والتقدم وتحسن الموقف الدولى ، مستدركة انه ما تزال هناك مصادر للتوتر فى بعض بقاع العالم . واستطردت الوثيقة من ذلك الى شجب اعمال الاستعمار فى مناطق الكفاح الشعبى ، داعية الى التعايش السلمى الايجابى ، والى استنكار محاولات الاستعمار للابقاء على وجوده غير المشروع ، والى مساندة حركات التحرر فى العالم .

وتضمنت مقررات مؤتمر القاهرة الاسس التى يرتئيها المؤتمر لتكون مبادىء جديدة للعلاقات بين الدول ، مطورا بذلك مبادىء القانون الدولى، ومخلصا اياها من شوائب عصور سالفة من التحكم وتسلط الاقوياء .

واورد المؤتمر مبادىء أساسية للتعايش السلمى، من حق فى الاستقلال وفى تقرير المصير ، وحسن للجوار بين مختلف الانظمة الاجتماعية ، ومساواة فى السيادة ، وتحريم لاستخدام القوة أو التهديد بها ، واحترام للحقوق الاساسية للانسان ، وحل للمنازعات بالطرق السلمية ، ودفع للتنمية من أجل تضييق الفوارق بين الشعوب ، والوفاء المخلص بالالتزامات الدولية .

كذلك تعرض المؤتمر لمشاكل نزع السلاح والامم المقسمة والمنازعات الدولية ، مركزا التأكيد على أن انهاءها أمر ضرورى ومطلب اساسى لدعم السلام وارساء قواعد الامن والاستقرار فى العلاقات بين الدول . ومن ذلك المنطق المبدئى ، دعا المؤتمر الى تدعيم التنظيم الدولى ، بادئا بتأييده المطلق للامم المتحدة وتأكيد دورها الفعال فى الشئون الدولية ، ومطالبا بضرورة احترام مقرراتها وتنفيذها ، وداعيا الى تحقيق عدالة التمثيل السليم فيها لمختلف المناطق الجغرافية . ثم تثنى على ذلك بتأييد مقررات مؤتمر التنمية والتجارة مناديا بالتعجيل بانشاء وكالة متخصصة للتنمية والصناعة .

وهكذا ، جمع المؤتمر فى مقرراته أطراف المنطق والعدل والسلام ، واتخذ المبادأة – وهى طبيعة الفكرة الحية – لارساء قواعد للعلاقات الدولية كما ينبغى أن تكون ، مستشرا بذلك التفكير الجاد العملى، من أجل تحقيق السلام القائم على العدل ، والتقدم الاقتصادى لرخاء البشرية مع تضييق الفوارق بين الشعوب ، مؤكدا أن مساعدة الشعوب النامية واجب تحتمه علاقات التعاون الدولى ، وأنه ليس ضريبة على أعمال استغلال قديمة .

***

وعنى المؤتمر عناية خاصة بالقضايا العربية ، سواء فى اطار الاعتبارات الدولية فى تحقيق السلام القائم على العدل ، أو بصفاتها الخاصة : قضايا تحرر عربية تهم الدول غير المنحازة التى تكتمل فيها الدول العربية .

فقرر المؤتمر فى البند الاول من اعلانه مايأتى :

« ان المؤتمر ، اذ يندد بالسياسة الاستعمارية المنتهجة فى الشرق الاوسط ، يقرر وفقا لميثاق الامم المتحدة :

١ – تأييد استعادة حقوق الشعب العربى

الفلسطيني في وطنه استعادة كاملة وكذلك حقه الطبيعي في تقرير المصير .

٢ ـ اعلان تاييده التام للشعب العربي في فلسطين في كفاحه للتحرر من الاستعمار والعنصرية .

يندد المؤتمر باستمرار حكومة المملكة المتحدة في رفضهـا لتنفيذ قرارات الامم المتحدة بشأن عدن والمحميات ، التي تنص على ممارسة شعب هذا الاقليم بحرية لحقه في تقرير المصير ، وتدعو الى تصفية القاعدة العسكرية البريطانية في عدن ، وسحب القوات البريطانية من المنطقة .

يؤيد المؤتمر تاييدا تاما كفاح الشعب في عدن والمحميات ، ويحث على التنفيذ الفوري لقررات الامم المتحدة التي صدرت على أساس الرغبات التي عبر عنها شعب ذلك الاقليم .

ان الدول المشتركة في المؤتمر تندد باستمرار الاستعمار البريطاني في القيام باعمال عسكرية ضد شعب عمان الذي يكافح من أجل الحصول على حريته .

ويوصى المؤتمر بتقديم المساعدات السياسية والمعنوية والمادية الضرورية لحركات التحرير في تلك الاقاليم في كفاحها ضد الحكم الاستعماري » .

وبهذا قرر المؤتمر وجهة النظر العربية العادلة ، وهي أن قضايا فلسطين والجنوب المحتل وعمان قضايا كفاح وطني ضد الاستعمار والعدوان الاجنبي ، وان الامم المتحدة يجب أن تناصرها وان تعمل لتصفية الاستعمار في هذه الاقطار العربية مثلما صفى في آسيا كلها ، وفي أفريقية والعالم كله الا قليلا .

واذا كانت قضية فلسطين قد سجلت تقدما دوليا واسع المدى فيكفي أن نذكر ماياتي :

لقد نص قرار مؤتمر باندونج لعام ١٩٥٥ على ما يأتي :

« نظرا للتوتر القائم في الشرق الاوسط بسبب الموقف في فلسطين ، وخطر ذلك التوتر على السلم العالمي ، أعلن المؤتمر الآسيوي الافريقي تاييده لحقوق شعب فلسطين العربي ؛ ودعا الى تنفيذ قرارات الامم المتحدة بشأن فلسطين ، والى تحقيق التسوية السلمية لقضية فلسطين » .

ونص قرار مؤتمر بلجراد لعام ١٩٦١ على ماياتي :

«ان الاطراف المشتركة في المؤتمر تدين السياسة الامبريالية المتبعة في الشرق الاوسط ، وتعلن تاييدها للاستعادة التامة لجميع حقوق شعب فلسطين العربي وفق ميثاق وقرارات الامم المتحدة » .

اما قرار مؤتمر القاهرة لعام ١٩٦٤ ، السابق ايراد نصه ، فانه يدل على أن قضية فلسطين قد فهمت في المجال الدولي على وجهها الصحيح ، وأن المحاولات الاستعمارية الصهيونية لحجب حقائقها قد ذهبت ادراج الرياح .

***

وتبدو اهمية هذا القرار فيما يأتي :

اولا : تاكيد أن قضية فلسطين قضية استعمارية عنصرية ، والتاييد التام للشعب العربي الفلسطيني في كفاحه لاستعادة وطنه وتقرير مصيره .

ثانيا : الجمع بين حركات التحرير في فلسطين والجنوب المحتل وعمان وتوصية الدول الاعضاء بتقديم المساعدات السياسية والمعنوية والمادية اليها .

ثالثا : دخول القضية بذلك في قضايا مكافحة الاستعمار والعنصرية التي قررت الامم المتحدة تصفيتها ، والتي تسجل القوة العالمية الحرة الجديدة انتصارات متصلة فيها .

رابعا : صدوره عن دول عدم الانحياز الذين يبلغون نصف أعضاء الامم المتحدة عددا ، ويمثلون القوة الدولية الاولى المعبرة عن الضمير البشري ، التي يدعمها الراى العام العالمي ، لتعبيرها عن مثله الأعلى في السلام القائم على العدل والتعاون الدولي القائم على المساواة والتكافؤ .

خامسا : اجماع الدول الافريقية كلها على تاييده ، وكذلك الدول الاسيوية عدا دولتين لا يزال الامر مختلطا عليهما لأسباب مختلفة .

والذين يرجعون النظر الى قرار مؤتمر باندونج لعام ١٩٥٥ ، والى قرار مؤتمر بلجراد لرؤساء دول عدم الانحياز لعام ١٩٦١ ، والى ما كان يبدو هنا وهنالك من مناوآت واضطرابات ـ يتبينون في جلاء مسيرة النضال العربي البطولي في المجالين القومي والدولي ، ومايسجل كل يوم من انتصارات تاريخية جديدة ، ويزدادون يقينا بأنه مؤت جميع ثماره المرجوة عما قريب لخير الوطن العربي الكبير ، ولخير التعاون الدولي والسلام العالمي .

« **دكتور سيد نوفل** »

بين شوقي وابن زيدون

بقلم د . احمد احمد بدوي

> **هذا المقال هو القسم الثاني من دراسة بين شوقي وابن زيدون ، التي كان المرحوم الدكتور احمد احمد بدوي قد نشر القسم الاول منها في العدد ٥٦ من هذه المجلة .**

- ٢ -

ولم تكن القصيدة النونية وحدها هي التي عارضها شوقي ، بل ان شاعرنا قد عارض الشاعر الأندلسي في قصيدة كافية بداها ابن زيدون بقوله :

ما للمدام تديرها عيناك
فيميل في شكر الصبا عطفاك

فقال شوقي :

شيعت أحلامي بقلب باك
ولمت من طرق الملاح شباكي

وابن زيدون يمدح بقصيدته ابن جهور ، ويقدم لهذا المدح بالغزل ، وشوقي يمدح بقصيدته (زحلة) من لبنان ، ويقدم لهذا المدح بالغزل أيضا .

وغزل ابن زيدون حزين ، يتحدث فيه عن الحرمان ويحن الى عهد السعادة في الحب ، ويصور آماله وهو ناء عن الحبيب ، ويشكو الهجران والغدر ، يصف حرمانه عندما يقول بعد المطلع الذي ذكرناه :

هلا مزجت لعاشقيك سلافها
ببرود ظلمك ، أو بعذب لماك
بل ما عليك وقد محضت لك الهوى
في أن افوز بحظوة المسواك
ناهيك ظلما أن أضر بي الصدى
برحا ، ونال البرء عود أراك

فهو يرى نفسه أحق بأن يسعد بريقها من هذا المسواك المتخذ من عود الأراك .

أما حنينه الى الماضي فيتجلى في قوله :

واها لعطفك والزمان كأنما
صبغت غضارته ببرد صباك
والليل مهما طال قصر طوله
هاتي ، وقد غفل الرقيب ، وهاك

وهو في هذين البيتين يحس بالعهد القديم ناضرا مزدهرا ، ويخص الليل بالحديث لانه الوقت الذي يحس فيه المرء بالسعادة بعد الانتهاء من عناء العمل في النهار .

وكانت أمانيه ، وهو يقاسي الهجر ، أن تعود الى حبه ، وكان الخيال يشتط به ، فيصور وهمه الحبيبة كأنها قريبة منه يكاد يقبل فاها :

اما منى نفسي فانت جميعها
يا ليتني أصبحت بعض مناك
يدنو بوصلك حين شط مزاره
وهم أكاد به أقبل فاك

ويصور غدرها بعد الحب ، وانها ألفت النوم بعد أن كانت مسهدة في الهوى ، وتجنبت الرشاد بالغدر فيقول :

ان تألفي سنة النوم خلية
فلطالما نافرت في كراك
أو تحتبي بالهجر في نادي القلى
فلكم حللت الى الوصال حباك
ولئن تجنبت الرشاد بغدرة
لم يهو بي في الغي غير هواك

والصورة التي رسمها ابن زيدون للهجر غير قوية ولا مؤثرة ، فنادي القلى الذي تحتبي فيه الحبيبة بالهجر لايرسم عاطفة الشاعر ولا يوضحها ، ولا يستطيع أن ينقلها الى القارىء لكي يتمثلها .

وربما كان هذا الغزل الحزين هو الذي أوحى الى شوقي بغزل حزين كذلك ، يودع به حبا حقيقيا أو متخيلا مر به في ربوع لبنان .

ولكن اذا كان ابن زيدون يشكو الحرمان ويحن الى عودة أيام الحب ، فان غزل شوقي يبدو عليه مع الحزن ، الاستسلام ، وكان هذه النهاية التي وصل

اليها الشاعر أمر طبيعى ، لان ادراك اللذة بعد الشباب أمر عسير لاسبيل اليه ، ولذلك يسجل الشاعر فى استسلام هذه النتيجة المحتومة ، وتسمع نغمة الاستسلام فى قول شوقى :

ربح ابن جنبى ، كل غـاية لذة
بعـد الشـباب عزيزة الادراك

لم تبق منـايا فؤاد بقيـة
لفتوة ، أو فضـلة لعراك

كنا اذا صفقت نستبق الهوى
ونشد شد العصبة الفتـاك

واليوم تبعث فى حين تهزنى
ما يبعث الناقوس فى النساك

فشوقى يعلن فى صراحة أن قلبه لم يعد يتسع للحب ، أو يستطيع تحمل متاعبه ، على عكس ابن زيدون .

واذا كان الشاعر الأندلسى قد تخيل الليل وشرب الخمر مع الحبيب فقد تخيل شوقى صورة بارعة للعناق أجاد شعره رسمها، ووصف الخواطر النفسية التى مرت بقلبه حينذاك ، وقد أجاد شوقى أيما اجادة اذ قال :

ولقد مررت على الرياض بربوة
غناء كنت حيالها ألقـاك

ضحكت الى وجوهها وعيونهـا
ووجدت فى أنفاسـها رياك

فذهبت فى الايام أذكر رفرفا
بين الجداول والعيـون حـواك

لم ادر ما طيب العناق على الهوى
حتى ترفق سـاعدى فطواك

وتأودت أعطـاف بانك فى يدى
واحمر من خفريهما خـداك

ودخلت فى ليلين فرعك والدجى
ولثمت كالصبح المنـور فاك

ووجدت فى كنه الجوانح نشوة
من طيب فيك ، ومن سلاف لماك

وتعطلت لغة الكلام ، وخاطبت
عينى فى لغة الهوى عينـاك

ومحوت كل لبانة من خاطرى
ونسيت كل تعاتب وتشـاكى

لا أمس من عمر الزمان ولا غد
جمع الزمان ، فكان يوم رضاك

وشوقى فى هذه التجربة يعيش فى الماضى ، لكنه وقد اقتنع بان الشباب قد ولى ، لم تبد فى أمانيه الرغبة فى عودة ذلك العهد .

مسحة الحزن فى الغزل هى التى يتفق فيهـا الشاعران، أما فيما عدا ذلك فانالقصيدتين لاتكادان تلتقيان فى غير الوزن والقـافية واستخدام بعض الكلمات ، كالفم والسلاف واللمى .

فاذا انتقلنا الى المدح فى القصيدتين لم نجد صلة تجمع بينهما ، فابن زيدون يمدح أبا الوليد بن جهور فيصف أخلاقه ، ويشبهها بالروض يضحكه الغمام ، ويثنى على حسن سياسته ، وقوة تدبيره للملك .. ويمدح أبناءه ويجعلهم كالكواكب الزهر ، ويهنىء الدنيا به ، ويبالغ فى تمجيده حتى يجعله قد جمع ماتفرق فى الأنام من الفضل والنبل ، فيقول للدنيا :

واذا سمعت بواحد جمعت له
فرق المحاسن فى الأنام فـذاك

صمصام بادرة ، وطود سكينة
وجواد غايات ، وجذل حكاك

ويصور بلاغتـه فى التمهل والاسراع ، ويرى كلماته تنتظم كأنها اللآلىء ، ويرى الزمان ينافسه فى ميدان العلا ، ولـكنه يعود فيقر له بالتفوق ، ويعترف لفضائله بالسبق ، ويقول لها :

ما الورد فى مجناه سامره الندى
متحليا الا ببعض حـلاك

كلا ولا المسك النموم أريجه
متعطرا الا بوسم ثنـاك

واللهو ذكرك ، لاغناء مرجع
يفتن فى الاطلاق والامساك

وقد خان ابن زيدون تعبيره باللهـو هنا ، وهو يريد الطرب ، اذ أن لكلمة اللهو ايحاء لا يتفق مع مايريده الشاعر .

واكبر ما بلغه ابن زيدون من الاغراق فى المدح قوله :

من قال: انك لست أوحد فى النهى
والصـالحات فدان بالاشراك

وهى مبالغة لايسيغها عصرنا الذى نعيش فيه .
أما شوقى فله اتجاه آخر عندما مدح لبنـان وزحلة :

تحدث شاعرنا عن عودته الى لبنان واعتذر عن تأخره فى تلك العودة بما يصادف المرء فى تلك الحياة :

لبنان ردتنى اليك من النوى
اقدار سير للحياة دراك
جمعت نزيلى ظهرها من فرقة
كرة وراء صوالج الأفلاك
نمشى عليها فوق كل فجاءة
كالطير فوق مكامن الأشراك
ولو بالشوق المزار وجدتنى
ملقى الرحال على ثراك الذاكى

ولست أدرى سبب نظرة شوقى المتشائمة هنا، فقد جعل نفسه هدفا لأحداث الدهر ، كالطير يمشى فوق شرك يوشك أن يفقده حياته وحريته

ويناجى الشاعر زحلة : فيصف جداولها ورباها ويراها جديرة ان تنسب الى الفردوس ، وأن تنسى كرومها خمر بابل ، أما ماأكتست به من ألوان النبات فوشى تفتن الناظرين صبغته ، تفوح منها رائحة المسك ، وتضيء ازهارها كأنها مصابيح الكهرباء ، يذكر ماؤها بلبن الجنة وخمرها ، واستمع اليه يقول :

قسما لو انتمت الجداول والربا
لتهلل الفردوس ، ثم نماك
مرآك مرآه ، وعينك عينه
لم يا (زحيلة) لا يكون اباك
تلك الكروم بقية من بابل
هيهات ، ينسى البابلى جناك
تبدى كوشى العرس أفتن صبغة
للناظرين الى الذ جناك
خرزات مسك ، أو عقود الكهربا
أودعن كافورا من الأسلاك
فكرت في لبن الجنان وخمرها
لما رأيت الماء مس طلاك

ويصف عشية قضاها هناك ، فرآها كعروس تجلى قد استكملت زينتها ، فبدت فى وشيها الرائع ، يراها الناظر كأنما اكتست بالديباج ، واحتضنتها الطبيعة فى عطف ورقة ، وبدا البدر فى السماء منورا يسيل ضوؤه الجميل على الثرى ، ويغمرجمال الربا ، والسحب فى السماء ، تطل النيرات من خلالها جميلة مشرقة كالغيد مستترة تطل من شباك

وترتفع الجبال الشاهقة فى عنان السماء ، كأنها المجرة أو النجم ، وقد سكن كل شيء فى الطبيعة ، فلا يسمع الا صوت طائر مشتاق أثارته الطبيعة الساحرة فأن شوقا الى أليفه ، أو صوت وتر يحرك فى النفس الشجى وهاهى ذى اللوحة الطبيعية التى رسمها شوقى لتلك العشية :

لم انس من هبة الزمان عشية
سلفت بظلك ، وانقضت بذراك
كنت العروس على منصة جنحها
لبنان فى الوشى الكريم جلاك
يمشى اليك اللحظ فى الديباج أو
فى العاج ، من أى الشعاب أتاك
ضمت ذراعيها الطبيعة رقة
(صنين) و (الحرمون) فاحتضناك
والبدر فى ثبج السماء منور
سالت حلاه على الثرى وحلاك
والنيرات من السحاب مطلة
كالغيد من ستر ، ومن شباك
وكأن كل ذؤابة من شاهق
ركن المجرة ، أو جدار سماك
سكنت نواحى الليل الا أنه
فى الأيك أو وترا سجى حراك

حتى اذا فرغ شوقى من وصف طبيعة زحلة مضى الى وصف شعرائها وأدبائها ، وجدير ببيئة هذا جمالها أن تنتج أبرع الشعراء ، وكأن قصائده باقة من ازهارها ، ورقته مقتبسة من نسيم صباها ، اذ يقول :

شرفا عروس الأرز ، كل خريدة
تحت السماء من البلاد فداك
ركز البيان على ذراك لواءه
ومشى ملوك الشعر فى مغناك
أدباؤك الزهر الشموس ولا أرى
أرضا تمخض بالشموس سواك
من كل أروع علمه فى شعره
ويراعه من خلقه بملاك
جمع القصائد من رباك ، وربما
سرق الشمائل من نسيم صباك

ويختم شوقى قصيدته شاكرا لزحلة أن كرمت شعره ، ورواه أبناؤها ، ويراها الخيال البديع ، قد صاغها الله ، وظل جمالها حيا على مر الزمان :

أنت الخيال بدمعه وغريبه
الله صـــاغك والزمان رواك

ومن هذا التحليل الذى عرضنـــاه يبــدو أن القصيدتين تسيران فى اتجاهين مختلفين ، مما يجعل معارضة شوقى تقف عند حــدود الاعجاب بالوزن والقافية :

- ٣ -

أما الذى تبدو فيه معــارضة شوقى لابن زيدون واضحة قوية فهى تلك المقطوعة التى يقول فيهـــا الشاعر الأندلسى :

ودع الصبر محب ودعـك
ذائع من سره ما استودعك
يقرع السن على ان لم يكن
زاد فى تلك الخطا اذ شيعك
يا أخا البدر سناء وسنا
حفظ الله زمانا أطلعـــك
ان يطل بعدك ليلى فلـــكم
بت أشكو قصر الليل معك

وابن زيدون هنا بعد ليال قاسى فيها الم الفراق يذكر وداعه لولادة ، فيتحدث عن صبره الذى ودعه يوم ودع حبيبته ، ويعلن أن أمر حبه لم يعد سرا ، ويعود الشاعر الى تصور موقف الوداع ، فيأسى على سرعة تشييعه للحبيبة ، وعلى انه لم يطل البقاء معها ما أمكنه أن يطيل ، ويتخيل وجه الحبيبـــة الرائع الجمال ، فيراه بدرا ساطعـــا ، فيحن الى الايام التى كان يسعد فيها بالبقاء ، ويرى أن الليل معها كان ينقضى فى سرعة يأسى لها ، أما اليوم فيشكو طول الليل من بعدها ٠

تجربة الألم التى أحس بهـــا ابن زيدون تجربة مترابطة صادقة تدل على اللهفة والحنين فى شوق الى الحبيب :

أعجب شوقى بما فى الابيات من حرارة الحب ، وصادق الشوق ، فعارضها قائلا :

ردت الروح على المضنى معـــك
أحسن الايام يوم أرجعـــك
مر من بعـــدك مـا روعنى
أترى يا حلو بعـــدى روعك
كم شكوت البين بالليـــل الى
مطلع الفجر عسى أن يطلعك

وبعثت الشوق فى ريح الصبا
فشكا الحرقة مما استودعك
يا نعيمى وعـذابى فى الهوى
بعزولى فى الهوى ما جمعك
أنت روحى ظلم الواشي الذى
زعم القلب سلا أو ضيعـك
موقعى عنـــدك لا أعلمـــه
آه ، لو تعلم عندي موقعك
ارجفوا أنك شـاك موجـــع
ليت لى فوق الضنى ما أوجعـك
نامت الأعـــين الا مقـــلة
تسكب الدمع ، وترعى مضجعك

وشوقى هنا يشكو الفراق أيضـــا ، ويرى فى اجتماعه بالحبيب ردا لروحه اليه ، ولكنك اذا وازنت بين قول شوقى : «أحسن الايام يوم أرجعك» ٠

وقول ابن زيدون «حفظ الله زمانا أطلعك» وجدت قول الشاعر الأندلسى أعمق فى دلالته على الحنين من قول شوقى ، فاذا كان شاعرنا يحس بأن هذا اليوم أحسن الأيام ، نرى ابن زيدون يحرص على هــــذا اليوم ، وكأنما يريد أن يصونه فى قلبه ، ويدعو الله أن يحفظه ٠

وهذا الشطر لابن زيدون كذلك أقوى من بيت شوقى الذى يظل فيه يشكو الفراق طول الليل الى مطلع الفجر عسى أن يمن عليه بطلوع حبيبه البدر لان ذلك مما لايؤلف فى واقع الحياة ، ويشعر بتكلف الشاعر ، أما ابن زيدون فيرى حبيبه بدرا ساطعا ، وليالى القمر حبيبة الى النفوس ، يتمنى المرء بقاءها واستمرارها ، فكان حديث ابن زيدون طبيعيـــا لاتكلف فيه ٠

ولا معنى للاستفهام فى قول شوقى : « أترى ياحلو بعدى روعك» لان شعر شوقى يدل على أن الحبيب متلهف على الشاعر يخشى أن يضيعه وان يسلوه قلبه مما دعا الشاعر أن يقول له : «أنت روحى » ويجعل الواشى ظالما عندما زعم أن قلب الشاعر قد سلا أو ضيعه، وهذا يجعل البيت غير متفق مع هذا الاستفهام ولا مع قوله أيضا : «موقعى عندك لا أعلمه» ، مما يجعل تجربة ابن زيدون أكثر اتساقا ، وأعمق دلالة على التلهف على الحبيب ، وان نافسه فى الدلالة على هذه اللهفة البيتان الأخيران من شعر شوقى وهمـــا أجود أبياته ٠

« د ٠ أحمد أحمد بدوى »

مع النيل

للدكتورة نعمات أحمد فؤاد

- ٧ -

مشروع انقاذ معبدى « ابو سمبل »

منذ القرن التاسع عشر والمهتمون بحضارة الانسان وآثاره الأولى تتجه عنايتهم الى معبدى « ابو سمبل » ففى أوائل ذلك القرن ازاح « بلزونى » — وهو ايطالى الجنسية — الرمال عنه ثم تبعه فى منتصف القرن التاسع عشر ايضا ، « ليبسيوس » الألمانى فاكمل تنظيف المعبد ولم يغفل صيانته « مرييت » أما مصلحة الآثار فقد عمدت الى بناء حوائط فى أعلى الجبل لمنع تسرب وانسياب الرمال على واجهة المعبد ومدخله .

اقترن مشروع انقاذ معبدى « ابو سمبل » ببناء السد العالى فان وصول منسوب الماء ستين مترا اعلى من منسوبه العادى يعنى غمر آثار النوبة واغراقها . وكم ببلاد النوبة من معابد ومقابر ومدن قديمة فى الرمال .

وقد اهابت الحكومة المصرية بمنظمة اليونسكو ان تقف وراء مشروع الانقاذ ، فوجهت اليونسكو نداء الى الدول والجامعات والهيئات العلمية المعنية بالآثار . وذلك فى الحفل التاريخى الذى اقيم فى مقر منظمة اليونسكو بباريس فى ٨ مارس سنة ١٩٦٠ ومما جاء فى نداء المدير العام لليونسكو : بدأ العمل فى بناء السد العالى ، الذى سيحول وادى النيل الأوسط الى بحيرة واسعة فى خلال خمس سنوات ، مما يهدد بالغرق ابنية عظيمة **تعد من أروع المنشآت المعمارية فى العالم .**

وليس من السهل الاختيار بين تراث الماضى ورفاهية شعب يعيش فى **ظل هذا التراث ، الذى يعد من أعظم ما خلفه التاريخ .**

لهذا لم يكن غريبا ان تتوجه حكومة الجمهورية العربية المتحدة وحكومة جمهورية السودان الى منظمة اليونسكو ، تطلبان محاولة انقاذ الآثار المهددة . وتلك الآثار التى ربما تضيع فى غد قريب، ليست ملكا للبلدين المؤتمنين عليها فقط ، بل هى ملك للعالم كله ، وللعالم الحق كل الحق فى ضمان بقائها ، ويجب عليه أن يقوم بحمايتها .

وفضلا عن ذلك ، فان الأمر ليس مجرد انقاذ شىء مهدد بالضياع ، بل هو ايضا اكتشاف ثروة لا تزال خفية ، واخراجها الى النور ، فهو أمر يستمتع به الجميع . وبذلك نرى ان عهدا جديدا قد فتح للتقدم الرائع والثراء الكبير فى ميدان الدراسات المصرية القديمة ، وبدلا من ان يحرم العالم من جزء من روائعه الفنية فسوف يعود الأمل للانسانية بان تكتشف روائع اخرى مازالت مطمورة ومجهولة حتى اليوم .

ان هذه القضية النبيلة تستحق منا كل استجابة ، لاتقل عنها حزما ونبلا ، ومن اجل ذلك ، فانى أوجه، بكل ثقة الدعوة الى الحكومات والمعاهد والمؤسسات العامة والخاصة ، والى الرجال المخلصين فى كل مكان ، للاسهام فى انجاح هذه المهمة التى لم يسبق لها مثيل فى التاريخ ، كما ادعو الى تقديم الخدمات .

واخيرا .. مصر هبة النيل » وهى جملة اغريقية قديمة ، انتشرت وتعلمها عدد لا حصر له من الطلاب . فعلى شعوب العالم اجمع ان تتحد اليوم لكيلا يطوى النيل فى قاعه ، بسبب المشاريع البناءة التى ترمى الى زيادة الخصب ومنابع القوى ، العجائب التى ورثناها نحن الأجيال الحاضرة عن اجيال طوتها الدهور منذ ازمنة سحيقة » .

وقد اشترطت مصر شروطا :

١ — الدولة التى لا تسهم فى مشروع الانقاذ لا تعطيها مصر مستقبلا امتياز الحفر فى أى منطقة فى مصر .

٢ ــ الآثار المكتشفة من حفائر بلاد النوبة تقسم مناصفة على أن تحتفظ مصر بما لا نظير له عندها .

٣ ــ تهدى مصر خمس معابد للدول التى تبذل مجهودا كبيرا .

وقد سجلت وزارة الثقافة والارشاد القومى فى كتابها « مشروع انقاذ آثار النوبة » للسيدة « بيكسون » مندوبة الفيلبين انسانيتها الرفيعة التى تبدت فى المجلس التنفيذى لليونسكو حين مس قلبها ما خلفت مصر من روائع النقش والنحت والعمارة فقالت : « انه من الأمور المؤثرة فى النفس ان تشعر الجمهورية العربية المتحدة بانها مضطرة لان تمنح بعض كنوزها جزاء عمل من واجب الدول القيام به ، وانى لاتمنى الا تضطر الجمهورية العربية المتحدة للتنازل عن بعض معابدها ، فان خروج هذه المعابد من الاقليم المصرى يفقدها قيمتها اذا ما تركت بيئتها الجغرافية » .

كما اعلن مندوب البرازيل اثناء نظر المشروع تنازل بلاده عن نصيبها المتبقى فى ميزانية المنظمة وقدره ١٢٫٨٠٠ دولار امريكى لصالح انقاذ آثار النوبة وبهذا اعتبرت البرازيل اول من ابدى مساهمة مادية فى مشروع الانقاذ .

وفى سنة ١٩٦٠ بدا المشروع ياخذ دورا ايجابيا وبدات البعثات الاجنبية والمصرية عملها وقدمت تقاريرها الى منظمة اليونسكو .

وقام مركز تسجيل الآثار بتسجيل المعابد تسجيلا علميا دقيقا وشرعت مصلحة الآثار فى عملية فك بعض المعابد فقامت فى صيف سنة ١٩٦٠ بفك معبد دابود ومعبد قرطاسى ، ومعبد طافا .

وقد تم نقل هذه المعابد الى اسوان واعيد بناء معبد قرطاسى فى شتاء سنة ١٩٦٣ بجوار منطقة السد العالى غربا .

اما معبدا دابود وطافا فلم تتم اعادة تركيبهما وهنا نذكر لبولندا انها كانت من اولى الدول التى ابدت رغبة نبيلة فى تقديم المهندسين لمساعدة مصلحة الآثار فى نقل هذين المعبدين .

كما قامت مصلحة الآثار فى صيف سنة ١٩٦٢ بنقل المعابد الآتية :

دندور ــ الدكه ــ المحرقة

وتم نقل معبد دندور الى اسوان اما معبدا الدكه والمحرقة فموجودان الآن (بعد فكهما) فى منطقة وادى السبوع .

كما اضطلعت الحكومة الالمانية بفك وتركيب معبد كلابشه هدية لمصر وقد تم نقله فى صيفى سنة ١٩٦١ وسنة ١٩٦٢ واعيد بناؤه سنة ١٩٦٣ بجوار منطقة السد العالى .

ابو سمبل :

مر مشروع انقاذ « ابو سمبل » خاصة بمراحل عدة وقدمت من أجله مشروعات عدة تناولها كتاب « مشروع انقاذ آثار النوبة » لهذا نعرض هنا للتطورات الأخيرة فى مشروع الانقاذ .

المشروع الايطالى :

قدم مهندس ايطالى يدعى بيير جازولا مشروعا يقضى برفع المعبد كتلة واحدة بوساطة روافع ترفع المعبد ٦٠ مترا ويوضع فى مكان مماثل لموقعه .

المشروع الفرنسى :

قدم بيت هندسى عن طريق مهندسه الفرنسى ويدعى كوين ، مشروعا يقضى ببناء سد يقى المعبدين

وقد عرضت اليونسكو المشروعين على مصر لتختار ايهما ، فاستدعت مصر خبراء من جميع بقاع العالم وشاهدوا المعبد على الطبيعة ليتحققوا من صلاحية كل من المشروعين .

ومن المؤسف ان الموضوع دخل فى مناقشات لها خبىء يستهدف السد العالى .

وفى نهاية المطاف انتهى الخبراء الى تفضيل المشروع الايطالى ومعنى هذا أن التكاليف تبلغ ٨٠ مليونا من الدولارات .

رفضت الدول الكبيرة دفع نصيبها فى المشروع وهى روسيا ، انجلترا ، امريكا ، فرنسا .

تقدمت مصر بمشروع اقل نفقة من المشروع الايطالى .

وتقدمت فرنسا بمشروع آخر .

أما المشروع المصرى فيقضى بتقطيع المعبد واعادة ترتيبه وتركيبه .

وأما المشروع الفرنسى فيقضى بادخال المعبد داخل عوامات حتى اذا ارتفع منسوب الماء ارتفعت العوامات وارتفع المعبد بارتفاعها .

عرض المشروعان على اليونسكو فوافق الأعضاء بأغلبية على المشروع المصرى .

وقد طرح المشروع المصرى فى مناقصة عالمية فتقدمت الى مصر شركات ايطالية ، وفرنسية وامريكية والمانية فرسا العطاء على شركة هوختيف الالمانية وهى الشركة التى قامت بتنفيذ مشروع كهرباء خزان اسوان .

وستتقاضى هوختيف ١٠ ملايين جنيه مصرى .

وقد بدا العمل باقامة سد تكاليفه مليونا جنيه ولو ان المشروع بدىء بتنفيذه من سنتين لاغنانا عن السد المزمعة اقامته بما يكبده من تكاليف .

وهذا السد يستغرق بناؤه سنة اما تقطيع المعبدين واعادة بنائهما فيتم فى تقدير الخبراء سنة ١٩٧٠ .

وشركة هوختيف تعاونها شركة اطلس المصرية التى تقوم ببناء مدينة سكنية للموظفين والعمال .

وهى تستخدم كثيرا من العمال الفنيين والمهندسين المصريين .

ويشرف على تنفيذ العقد المكتب الهندسى المصرى لانقاذ « أبو سمبل » وهو تابع لوزارة الثقافة والارشاد ، وفى المكتب الهندسى خبراء استشاريون استقدمتهم مصر من السويد من بيت هندسى كبير اسمه ف ب ب

وقد وافق المستشارون على العمليات الجارية .

ويقيم اثنان منهم بأبى سمبل .

ومن اجل « ابو سمبل » دخل معرض توت عنخ آمون فى امريكا وسيزور هذا المعرض كندا واوربا لهذا الغرض .

ومن أجل « ابو سمبل » اقيم المعرض المصرى فى اليابان للآثار الفرعونية ..

وقد تبرعت الحكومة الأمريكية بمليون جنيه لنقل المعابد الصخرية .

آثار النوبة

المعابد :

دابود ـ قرطاس ـ طافا ـ بيت الوالى ـ كلابشة ـ جرف حسين ـ دندور ـ الدكة ـ المحرقة ـ السبوع ـ عمدا ـ الدر ـ الليسيه ـ مقاصير ابريم ـ أبو عوده ـ معبدا أبى سمبل .

وقد تم نقل بعضها وتركيب الآخرو لم يبق الا جرف حسين ـ الدر ـ الليسيه ـ مقاصير ابريم ـ ابو عودة .

وقد كانت المعابد كلها تلحق بها فصول لدراسة الكهنوت كما حول كثير من المعابد الى كنائس فى العصر القبطى كمعبد « وادى السبوع » ومعبد « ابو عوده » ، كما حولت بعض الكنائس بدورها الى مساجد بعد انتشار الاسلام فى هذه البقاع وان ظلت اديرة على عهدها فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر .

القلاع الأثرية والحصون :

١ ـ قلعة سابا جورا .
٢ ـ كوبان (لم يبق منها شىء)
٣ ـ اخمندى
٤ ـ قلعة قصر ابريم ..
٥ ـ قلعة جبل عدا ..
٦ ـ الشيخ داود (توماس)

وقد اقيمت القلاع فى النقط الاستراتيجية على طول خطوط المواصلات فى النيل وسجل مركز تسجيل الآثار منها :الفنتين ـ بجا ـ عنيبة فرس ـ سرة ـ بوهن ـ بوهن الجنوبية ـ مرجسى ـ شلفق ـ اورو نارتى ـ قمة ـ سمنة الرئيسية ـ سمنة غرب .

ويبدو ان هذه المنطقة كانت عرضة للغزو حتى ان ملوك الدولة الوسطى اقاموا فى منطقة الشلال الثانى وحدها سبع قلاع باعتبارها حدا جنوبيا لمصر ، (وقد بلغت اهمية هذه المنطقة حدا جعل امراء الجنوب يسمون « حراس الباب الجنوبى » مما يدل على انها كانت ذات مكانه خاصة من الناحيتين التجارية والحربية .) .

المقابر :

واهمها مقبرة بنوت .

الجبانات الأثرية :

فى مناطق عنيبه : ابريم ـ عدا ـ قصر الوز ـ بلانه ـ ارمنا ـ توشكا ..

وموعدنا فى المقال القادم مع البعثات الاجنبية والمصرية التى ساهمت فى انقاذ آثار النوبة .

د . ة .. نعمات أحمد فؤاد

باحث الاشتراكية فى الاسلام

المرحوم مصطفى السباعى

محمد عبد الغنى حسن

نعت الصحف الصادرة فى صباح يوم الجمعة ٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٨٤ ــ ٩ أكتوبر سنة ١٩٦٤ الكاتب الاسلامى الكبير الدكتور **مصطفى السباعى** أستاذ الشريعة الاسلامية بجامعة دمشق • وكان النعى فى أسطر قليلة جدا لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة •• والمرحوم مصطفى السباعى صاحب كتاب « **اشتراكية الاسلام** » غنى عن اطالة النعى ، وان كانت وفاته على هذه الصورة الهادئة الوجيزة تذكرنا ــ لو تنفع الذكرى ــ بمفارقات هذه الحياة وعجائب مناقضاتها • فان كتاب «اشتراكية الاسلام» قد أثار حوله من الضجة والمناقشة ما كان خليقا بعظم الموضوع الذى اختاره صاحبه ، كما لقى من الملتزمين بحرفية النصوص المشوبة بالجمود وضيق الأفق ما حملهم ــ أو حمل أكثرهم ــ على استقبال الكتاب ومؤلفه بالسلبية المطلقة والتشكيك المغلق ، كما عبر رحمه الله عن ذلك فى أحد ردوده عليهم •

ولعل كاتبا مسلما عربيا وفقيها اسلاميا معاصرا لم يعالج مسألة الاشتراكية فى الاسلام كما عالجها المرحوم مصطفى السباعى فى كتابه « اشتراكية الاسلام » الذى ظهرت أولى طبعاته عن مطبعة جامعة دمشق سنة ١٩٥٩ ، وكان الفقيد وقتها أستاذ الاحوال الشخصية فى كليتى الشريعة والحقوق ، ورئيس قسم الفقه الاسلامى وتاريخ المذاهب بجامعة دمشق • وقد لقى الكتاب من الرواج والطلب له والاقبال عليه ما عجل سرعة نفاده بعد شهور قليلة من ظهوره ، وأذن الله لى يوم ذاك أن أشهد ــ بحكم عملى ــ حركة الرواج التى صاحبت هذا الكتاب بما لم نعهده الا فى قلة قليلة من الكتب •

واقتضى ذلك الرواج وما ترتب عليه من نفاد تلك الطبعة الاولى الدمشقية أن يعاد طبع الكتاب للمرة الثانية فى سنة ١٩٦٠ وقبل أن يحول الحول على طبعته الاولى ، ثم توالت بعد ذلك طبعاته بما يكفى لمواجهة الطلب المتزايد له ، والاقبال الشديد عليه ، حتى كانت الطبعة التى أصدرتها نقابة المهن التعليمية سنة ١٩٦٢ تمكينا لرجال التربية والتعليم وأبنائهم من الحصول عليه ، والافادة منه •

وقد نال المؤلف المرحوم مصطفى السباعى بكتابه « **اشتراكية الاسلام** » جائزة الدولة التشجيعية فى الشريعة الاسلامية لعام ١٩٦٠ وكان من زملائه فى جوائز الدولة التشجيعية من اخواننا العرب فى ذلك العام الاستاذ محمد عزت دروزة عن كتابه الضخم الشامل : « **الوحدة العربية** » ، والدكتور محمد الفاضل أستاذ القانون الجنائى بجامعة دمشق عن كتابه : « **الجرائم الواقعة على أمن الدولة** » ، والدكتور الشاعر الأديب بديع حقى عن مجموعة من القصص القصيرة : « **التراب الحزين** » •

وكان تقرير لجنة الفحص لكتاب « اشتراكية

الاسلام » شهادة كريمة للكتاب وصاحبه . فقد ذكر التقرير فيما ذكر أن الكتاب تجلت فيه المزايا التالية : (أ) تأصيل ذلك التفكير الاجتماعي من الناحية الفقهية (ب) اختيار النصوص الصريحة من الكتاب والسنة وآراء الفقهاء وتفسيرها تفسيرا علميا من غير تكلف ولا تعسف في التأويل (جـ) تنسيق ما بين الفروع الفقهية المتفرقة وجمعها في اطار فكرى واحد (د) حسن التبويب والعناية الدقيقة ببيان المصادر (هـ) سلامة التفسير مع عمق الفكرة وتسهيل الموضوعات بحيث لاتعلو على عامة المثقفين ولا ينبو عنها ذوق الخاصة من الفقهاء ..

وكان مصطفى السباعي في الدعوة الى اشتراكية الاسلام على تمام اليقين بانها لو طبقت في مجتمعنا لأفاد منها المواطنون جميعا ، من مسلمين ومسيحيين ، لأنها كما عرضها في كتابه وبيانه المشرق الواضح وضعت ليستفيد منها كل مواطن ، فليس الأخذ بها انتصارا لدين على دين، ولا افتئاتا من ملة على ملة .. ولأنها (لو اشرفت على تطبيقها عقول مرنة نيرة لكان لنا منها أروع نظام يستهوى القلوب والانظار ، فمن الخطأ الكبير تجاهلها في نهضتنا الحاضرة)

ولقد اتهم بعض الجامدين المتعصبين المرحوم مصطفى السباعي بتطرف ميوله وجنوحه الى المعسكرات المتطرفة في التفسير الاشتراكي أو المغالية في فهمه . والحق أن السباعي لم يكن شرقيا ولا غربيا ، ولا كان شيوعيا ولا عدوا للرأسمالية. ولكنه كان مسلما واعيا ، متمكنا من دينه ، فاهما له تمام الفهم ، مؤمنا كل الايمان بأن حضارة الاسلام هي أنجع علاج لحضارة العالم المريضة اليوم . وقد أتيح له أن يزور أوربا أكثر من مرة ، وأن يزور الاتحاد السوفييتي عضوا مدعوا في وفد جامعة دمشق سنة ١٩٥٧ ، وأن يلم ببعض بلاد أوربا الشرقية ، كما عاش في بعض أقطار العروبة وطاف ببعض منها ، وكان في زيارته باحثا عميقا، لا زائرا عابرا ، واعجب بكثير من مظاهر الحياة في بلاد الكتلة الشرقية والكتلة الغربية على السواء ، فما كان رحمه الله منحازا الى أحدهما ، ولكنه اقتنع من زياراته ودراساته ومشاهداته (أن الحضارة الغربية « بقسميها » الرأسمالي والشيوعي « حين أهملت الروح في بناء أسسها الحضارية ، افقدت الانسان مناعة كبرى ضد القلق والاضطراب « وان الشيوعية زادت على ذلك أنها افقدت الانسان مثله العليا التي تتخطى حدود الحياة المادية من أكل ولباس ومسكن .. لقد اقتنعت بأن الانسانية تنشد حضارة من طراز آخر تجد فيه استقرارها النفسي ، ولا تفقد فيه مثلها العليا) .

وكان ايمان مصطفى السباعي بافلاس الحضارة العالمية المعاصرة واغراقها في المادة وبعدها عن الروح عقيدة أخرى يدعو لها ولا يكتفي بالاشارة اليها في كتابه عن اشتراكية الاسلام . فقد ظهر له بعد الطبعة الاولى من هذا الكتاب كتاب بعنوان : « **من روائع حضارتنا** » يؤكد فيه هذه الحقيقة ، ويقرر أن فئة الداعين الى حل مشكلاتنا الاجتماعية عن طريق العودة الى الاسلام يرون أن هذه الحضارة الغربية المعاصرة غير قادرة على اسعاد الناس ، وغير قادرة على تحقيق الأمن والرخاء لهم ، فلا يصح أن تكون قاعدة أو أساسا يبنى عليه حل مشكلاتنا الاجتماعية .

وقد رأى السباعي ــ رحمه الله ــ ازاء المجتمع الحضاري الغربي ، أن يبرز مجتمعنا العربي الاسلامي على صورة كتلة قائمة ، وان كان يرى الحضارة الاسلامية حلا لمشكلة العالم كله . وقد لحظ أن مجتمعنا الاسلامي الحاضر يعاني من المشكلات مالم يعانه مجتمع اسلامي في العصور الماضية ، فان اصطدام مجتمعنا بالحضارة الغربية وفلسفتها وأخلاقها ، وتفكك مجتمعنا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، وشعور أبناء مجتمعنا بتخلفهم ورغبتهم في الخلاص من هذه الحال ــ كل هذه العوامل أوجبت لمشكلتنا وضعا خاصا تنادي الضرورة بالنظر في تغييره والسلوك به سواء السبيل ..

ولم يكن سبيل السباعي في المناداة باشتراكية الاسلام واحياء الدعوة الى مبادئها بعد أن تعطل العمل بها في المجتمعات الاسلامية التالية للمجتمع الاسلامي الاول الا سبيل المصلح الداعي الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، فما كان جافيا في دعوته ، ولا نابيا في مناداته ، وما عرفت عنه غلظة في الدعوة ، ولا خشونة في التعبير ، بل كان

رقيقا مهذبا مع مخالفيه ومعارضيه ، على الرغم مما اتهموه به وافتروه عليه ، ولعل أقسى مالاحظته عليه من تعبير فى الرد على مخالفيه من الفقهاء هو قوله : (وأما موقفنا من مشاكل المجتمع فهو وجوب دراستها دراسة عميقة ، والاختلاط بالمجتمع اختلاطا شاملا لكل فئاته ، حتى تحدد المشكلة وتعرف أسبابها ، ويعرف الطريق الصحيح لحلها عمليا ، متفقا مع رسالة الاسلام · وعلى هذا الاساس فى فهمنا للنصوص وتمثلنا للمسائل نختلف عن بعض الفقهاء الأفاضل المعترضين ·· انهم يفهمون الشريعة فهما جزئيا مفككا غير متجه نحو هدف عام ورسالة شاملة للحياة ، ثم هم يتذكرون بعض أحكامها وينسون بعضا آخر ·· مع أنها كل لا يتجزأ ، ووحدة لا تتفرق ·· ثم هم يغفلون التطور الذى طرأ على المجتمع الاسلامى فى هذه العصور بعد أن مضى عصر أولئك الفقهاء ·· ثم هم لا يختلطون بالمجتمع الذى يعيشون فيه الا اختلاطا بسيطا ، ويخدعون ببعض المظاهر فيظنونها من علائم الخير ، مع أن وراءها شرا كبيرا وظلما فاحشا) · كما كان أقسى مالاحظته عليه من هجومه على الاقطاعيين قوله : (فكيف يرضى عالم بدين الله ، محب لرسول الله أن يرضى بتقلب الجماهير فى البؤس والجوع والهموم والامراض والاحزان ، من حيث تعيش بجانبهم قلة مترفة فاجرة !) ·

***

ولقد كان كتاب اشتراكية الاسلام لمصطفى السباعى فى الأصل محاضرة ألقاها على طلاب جامعة دمشق فى سلسلة المحاضرات الجامعية العامة لعام ١٩٥٩ ، وهى محاضرة كشفت عن كثير من أخلاق ذلكم الباحث الاسلامى المفكر ، بل الفقيه المسلم المجدد ، فهو لايتحدث الا عما يجيده وتجتمع له أسباب بحثه · فقد وقف من حركة الصحابى أبى ذر الغفارى موقف الصمت لأنه ـ كما قال بنص عبارته ـ لم يستكمل بعد دراسة أسبابها وحقيقتها وتمحيص النصوص التاريخية الواردة بشأنها بالشكل الذى يطمئن اليه ويقتنع به ، وقد كان من السهل عليه أن يطنطن بها ويهلل لها تأييدا لدعوته الاشتراكية · كما أنه أهمل بعض الحركات السياسية المتطرفة التى اتخذت شكلا فوضويا شيوعيا كحركة القرامطة لأنها ليست بسبيل بحثه فى موضوع اشتراكية الاسلام · ولكنه مع ذلك وعد أن يدرس حركة أبى ذر وحركة القرامطة وغيرهم دراسة علمية تطمئن لها النفس ، ثم يقدمها فى طبعة جديدة من كتابه ·· ولكن القدر لم يمهله حتى يحقق هذه الأمنية الموثقة بالوعد فاختطفه والمسلمون فى حاجة الى أمثاله من العلماء المخلصين المجتهدين المتفتحين ·

ومن الأخلاق التى تعكسها قراءتنا لاشتراكية الاسلام على نفسية صاحبه تلك العزة التى أفاضتها على المؤلف عزة الاسلام ، فهو يؤكد غير مرة أن الاسلام لم يعالج الفقر وما يتبعه من مهانة وجوع وعرى ومرض وتشرد ، بالصدقة ، بل بالتشريع وسلطان الدولة ·

***

وتتجلى شخصية المرحوم مصطفى السباعى فى مؤلفاته جميعا مستقلة متحررة قائمة بذاتها ، فهو لاينتمى الى أحد ولا يردد كالببغاء كلام غيره ، ولكنه مبتكر أصيل فى كل بحث يقوم به ، بل هو يود أن يمتد ظل الشخصية المستقلة الى أمتنا العربية الاسلامية فتتحرر من التبعية الفكرية والسياسية لأية دولة من دول العالم ··

وبعد ·· فقد فاتنى أن أقول لك أيها القارىء الكريم أن الدكتور مصطفى السباعى عربى سورى ، ولد فى حمص سنة ١٩١٥ ، وتعلم فى الازهر ، وحصل على العالمية بدرجة أستاذ من كلية الشريعة الازهرية ، وشارك فى الحياة السياسية بسورية ، فكان نائبا فى الجمعية التأسيسية سنة ١٩٤٩ ، ووكيلا لمجلس النواب سنة ١٩٥١ ، وعميدا لكلية الشريعة بجامعة دمشق من سنة ١٩٥٥ الى سنة ١٩٥٩ ، وأنه فوق نشاطه فى التأليف شارك فى الصحافة العربية ، فأنشأ جريدة المنار اليومية بدمشق ، وأسس مجلة اسلامية شهرية هناك أسماها « حضارة الاسلام » ·

***

رحمه الله ، وأنزله منازل الأبرار ، من علماء المسلمين الاخيار

« محمد عبد الغنى حسن »

السياسة الجنائية الشرعية

أحمد فتحي بهنسي

- ٣ -

نريد أن نقرر في صراحة أن السياسة الشرعية بالمعنى الخاص وهو المعنى الفقهي الذي يقصد به التوسعة على ولاة الأمر في أن يعملوا ماتقضي به المصلحة ، هو حيث لا يوجد نص من قرآن أو أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد ذكرنا في مقال سابق الامر بالنسبة لجريمة السرقة وكلام اليوم عن جريمة أخرى هي جريمة شرب الخمر .

جريمة شرب الخمر :

ثبت النهي عن شرب الخمر بقوله تعالى : « ياأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » .

وعلى ذلك فقد ثبت تحريم الخمر بهذا النص الصريح . ولكن لم يرد فيه عقوبة المخالف كما ورد في غيره من النصوص التي وردت في جرائم الحدود ففي جريمة السرقة ذكر الله تعالى ان عقوبة السارق هي قطع اليد كما ذكر أيضا عقوبة المحارب قاطع الطريق .

وفي جريمة الزنا ذكر الله تعالى عقوبة الزاني كذلك ذكر عقوبة القاذف ولذلك تتناول النصوص التي ذكرها الفقه عن هذه العقوبة بشيء من التفصيل .

أولا ـ في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(أ) قال أبو هريرة رضي الله عنه : أتى النبي صلى الله عليه وسلم برجل قد شرب الخمر فقال : اضربوه ، فمنا الضارب بيده والضارب بنعله والضارب بثوبه فلما انصرف قال بعض القوم : أخزاك الله . قال عليه الصلاة والسلام : لا تقولوا هكذا ، لا تعينوا عليه الشيطان . رواه البخاري وأبو داود .

(ب) عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم جلد في الخمر بالجريد والنعال

وفي رواية : أتي النبي صلى الله عليه وسلم برجل قد شرب الخمر فجلده بجريدتين نحو أربعين . ولفظ الترمذي : ضرب النبي صلى الله عليه وسلم بنعلين أربعين .

(ج) روى أبو داود عن عبد الرحمن بن أزهر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بشارب خمر وهو بحنين فحثا في وجهه التراب ثم أمر أصحابه فضربوه بنعالهم وما كان في أيديهم حتى قال لهم : ارفعوا

(د) قال صلى الله عليه وسلم : من شرب الخمر فاجلدوه ثم ان شرب فاجلدوه الى أن قال : فان عاد الرابعة فاقتلوه .

أخرجه أصحاب السنن الا النسائي من حديث معاوية .

وروى من حديث أبي هريرة : اذا سكر فاجلدوه ثم ان سكر فاجلدوه ثم ان سكر فاجلدوه فان عاد الرابعة فاقتلوه .

وصححه الذهبي ورواه الحاكم في المستدرك وابن حبان في صحيحه والنسائي في سننه الكبرى ثم نسخ القتل .

وأخرج النسائي في سننه الكبرى عن محمد

ابن المنكدر عن جابر « مرفوعا » : من شرب الخمر فاجلدوه .... الخ . قال ثم أتي النبي صلى الله عليه وسلم برجل قد شرب الخمر في الرابعة فجلده ولم يقتله وزاد في لفظ ، فرأى المسلمون أن الحد قد وقع وأن القتل قد ارتفع .

ورواه البزار في مسنده عن ابن اسحق أنه عليه الصلاة والسلام أتي بالنعمان قد شرب الخمر ثلاثا فأمر به فضرب فلما كان في الرابعة أمر به فجلد الحد فكان نسخا .

وروى أبو داود في سننه قال : حدثنا أحمد ابن عبده الضبي حدثنا سفيان : قال الزهري : أنبأنا قبيصة بن ذؤيب ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من شرب الخمر فاجلدوه فان عاد فاجلدوه فان عاد في الثالثة أو الرابعة فاقتلوه ، فأتي برجل قد شرب فجلده ثم أتي به فجلده ، ثم أتي به فجلده ورفع القتل وكانت رخصة .

(ز) روى أحمد في المسند عن ديلم الحميري رضي الله عنه ، قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يارسول الله ، انا بأرض نعالج بها عملا شديدا وانا نتخذ شرابا من القمح نتقوى به على أعمالنا وعلى برد بلادنا فقال : هل يسكر ؟ قلت : نعم . قال : فاجتنبوه . قلت : ان الناس غير تاركيه . قال : فان لم يتركوه فاقتلوهم .

ثانيا : في عهد أبي بكر رضي الله عنه :

تواترت أخبار مختلفة أن أبا بكر جلد أربعين جلدة في حد الخمر . وفي رواية للبخاري أن أبا بكر جلد أربعين جلدة .

ثالثا : في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

(أ) أخرج البخاري عن السائب بن يزيد قال : كنا نؤتى بالشارب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وامرة أبي بكر وصدر من خلافة عمر فنقوم اليه بأيدينا ونعالنا وأرديتنا ، حتى كان آخر امرة عمر فجلد اربعين ، حتى اذا عتوا وفسقوا جلد ثمانين .

(ب) تواترت الروايات أن عمر جلد صدرا من امارته أربعين جلده ثم ثمانين في آخر خلافته .

(جـ) روى وكيع عن الشعبي وروى مالك عن ثور بن زيد الديلي وقال الزهري عن وبرة الصلتي قال : بعثني خالد بن الوليد الى عمر فأتيته وعنده علي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف متكئين في المسجد ، فقلت له : ان خالد بن الوليد يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : ان الناس انبسطوا في الخمر وتحاقروا العقوبة فما ترى ؟ فقال عمر : هم هؤلاء عندك . قال : فقال علي : أراه اذا سكر هذى ، واذا هذى افترى وعلى المفترى ثمانون ، فاجتمعوا على ذلك . فقال عمر : بلغ صاحبك ماقالوا ، فضرب خالد ثمانين ، وضرب عمر ثمانين . قال وكان عمر اذا أتي بالرجل القوى المنهمك في الشراب ضربه ثمانين ، واذا أتي بالرجل الذى كان من الزلة الضعيف ضربه اربعين .

(د) ورد في المهذب :

كان عمر اذا أتي بالرجل القوى المنهمك في الشراب جلده ثمانين واذا أتي بالرجل الضعيف الذى كانت منه الزلة جلده أربعين ، فان جلده أربعين ومات لم يضمن لان الحق قبله وان جلده ثمانين ومات ضمن نصف الدية لأن نصفه حد ونصفه تعزير وسقط النصف بالحد ووجب النصف بالتعزير .

(ز) روى الزهري قال : أخبرني عبد الله بن عامر بن ربيعة أن الجارود سيد بني عبد القيس وأباهريرة شهدا على قدامة بن مظعون انه شرب الخمر ، وأراد عمر أن يجلده فقال قدامة : ليس لك ذلك لأن الله تعالى يقول : « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا » الآية : فقال عمر : انك قد أخطأت التأويل يا قدامة اذا اتقيت اجتنبت ما حرم الله تعالى عليك . فلم يحكموا على قدامة بحكمهم على الذين شربوها بالشام ولم يكن حكمه حكمهم لأن اولئك شربوها مستحلين لها ومستحل ما حرم الله كافر فلذلك استتابوهم . وأما قدامة ابن مظعون فلم يشربها مستحلا لشربها وانما تأول الآية .

روى ابن المواز : أن عمر بن الخطاب جلد قدامة في الخمر ثمانين وزاده ثلاثين وقال له : هذا تأويل لكتاب الله على غير تأويله .

رابعا ـ في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه :

(أ) تواترت الروايات أن عثمان جلد الحدين كلاهما اربعين وثمانين .

(ب) قال أبو ساسان : كنت مع عثمان وهو خليفة فجاءوا بالوليد وقالوا انه صلى الصبح ركعتين ثم قال : « أزيدكم » اى على ركعتين لأنه سكران ، بل وشهد عليه « حمران » بن أبان مولى عثمان انه رآه يشرب الخمر ، وشهد آخر أنه رآه يتقيأ فقال عثمان لعلى : قم فاجلده • فقال على للحسن : قم فاجلده • فقال : ول حارها من تولى قارها ، أى باردها ، أى كلف من يتمتع بلذيذ الخلافة من خواص أقاربك باقامة الحدود ـ وقد اشتهر حينئذ ان عثمان يؤثر أقاربه فامر عثمان ابن جعفر فضربه الحد فلما ضربه أربعين قال على : كفى • جلد النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أربعين وجلد عمر ثمانين وكل أمر حسن ولكن هذا أى الأربعون أحسن عندى لأنها فعل النبى صلى الله عليه وسلم ، معنى رواية : المسلم وأبى داود » •

خامسا : فى عهد على بن أبى طالب كرم الله وجهه :

روى البخارى ومسلم عن عمير وأبو داود عن عمير ابن سعيد النخعى قال : سمعت على بن أبى طالب يقول : ماكنت لأقيم على أحد حدا فيموت فأجد فى نفسى منه شيئا الا شارب الخمر فانه ان مات فيه وديته لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبينه •

ومعنى ذلك انه لم يحده بقول يحصره ويمنع الزيادة فيه والنقص منه فحدوه باجتهادكم •

سادسا : فى عهد الائمة رضى الله عنهم :

اختلف الأئمة والفقهاء رضى الله عنهم الى رأيين :

رأى يرى أن حد شارب الخمر ثمانون جلدة منهم الجمهور ومن بينهم مالك وأبو حنيفة ورواية لأحمد ابن حنبل وقد أورد حجة هذا الرأى الباجى ، قال فى المنتقى :

والدليل على ما نقوله ما روى من الأحاديث الدالة على أنه لم يكن من النبى صلى الله عليه وسلم نص فى ذلك على تحديد وكان الناس على ذلك ثم وقع الاجتهاد فى ذلك فى زمن عمر بن الخطاب ولم يوجد عند أحد منهم نص على تحديد وذلك من أقوى الدليل على عدم النص فيه لأنه لا يصح أن يكون فيه نص باق حكمه ويذهب مع الأئمة لأن ذلك كان يكون اجماعا منهم على الخطأ ولا يجوز ذلك على الأئمة ثم أجمعوا واتفقوا أن الحد ثمانون وحكم بذلك على ملا منهم ولم يعلم لأحد فيه مخالفة فثبت أنه اجماع •

ودليلنا من جهة القياس أن هذا حد فى معصية فلم يكن أقل من ثمانين كحد الفرية والزنا •

ورأى : يرى أن حد شرب الخمر أربعين جلدة منهم الامام الشافعى وأبو ثور وداود والرواية الأخرى لأحمد بن حنبل •

وورد فى كتاب الام للشافعى :

« أخبرنا الربيع ، قال : أخبرنا ابن علية عن سعيد بن عبد الله عن حصين بن المنذر أن عليا رضى الله عنه جلد الوليد فى الخمر أربعين وهم يخالفون هذا ويقولون يجلد ثمانين • ونحن نروى عن على أنه جلد الوليد بالمدينة بسوط له طرفان أربعين ، فذلك ثمانون وبه نقول » •

***

هذه هى النصوص التى وردت فى عقوبة شارب الخمر ونزيد عليها أن الفقهاء اختلفوا الى فرقتين فى عقوبة مدمن الخمر وهل يضاف الى حده عقوبة أخرى كحلق رأسه أو عزله من وظيفته • فقد روى ان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه لما كثر الشرب زاد فى عقوبته النفى وحلق الراس مبالغة فى الزجر عنه ، وانه لما بلغه عن بعض نوابه أنه يتمثل بأبيات فى الخمر عزله •

وروى أشهب عن مالك فى العتبية انه لا يحلق رجل ولا امرأة فى الخمر لان حلق الراس تمثيل وزيادة على الحد من غير جنة فلم يلزم ذلك كما لا يلزم حلق لحيته ولا غير ذلك من وجوه التمثيل •

قال ابن حبيب من المالكية : لايطاف بشارب الخمر ولا يسجن الا المدمن المعتاد المشهور بالفسق فلابأس أن يطاف به ويفضح ، واستحب مالك لمدمن الخمر المشهور بالفسق أنه يلزم السجن •

قال أبو الوليد الباجى : ووجه ذلك انه اذا بلغ هذا الحد من الفسق والفجور فواجب ان يفضح لأن فى ذلك ردعا له واذلالا له فيما هو فيه واعلاما للناس بحالة فلا يغتر به أحد من أهل الفضل •

بعد ان ذكرنا كل ذلك فى عقوبة شارب الخمر نستطيع ان نؤكد ·

اولا : ان عقوبة شرب الخمر هى عقوبة ترك امرها لولى الأمر يحددها كما يرى المصلحة فى التحديد وله أن يجتهد فى ذلك ، وله أن يجعلها تتدرج بحسب حال الجانى فى نفسه فمنهم من تخفف عنه العقوبة ومنهم من تشدد عليه العقوبة ·

وايا كانت هذه العقوبة فهى عقوبة تتعلق بالضرب لا بشىء آخر · فكل الروايات التى لدينا تشير الى انها الضرب باليد او بالجريد او بالنعال او بالثوب او بالسوط · ولم يرد أن هذه العقوبة بالحبس او النفى · وقد يكون ذلك لحكمة فشارب الخمر حاول أن يستعجل لذة دنيوية فتكون عقوبته بدنية لتردعه وترده الى صوابه · أما حبسه أو نفيه فلا يعيده الى صوابه بل قد يكون فيه عكس المقصود ·

روى النسائى عن سعيد بن المسيب قال : غرب عمر ربيعة بن امية فى الخمر الى خيبر فلحق بهرقل فتنصر فقال عمر : لا أغرب بعده مسلما ·

ثانيا : ان عقوبة شرب الخمر مع ذلك لا تزال حدا من الحدود وليست تعزيزا على ما قال أحد الافاضل من العلماء المحدثين · فقد جاء فى كتاب له تحت عنوان: عقوبة الاعتداء على العقل بشرب المسكر ما نصه :

للناظر فى هذا الموضوع أن يرى أن العقوبة فى شرب الخمر ليست حدا ملتزما فى كمه وكيفه ، وانما هو نوع من التعزير ولا نستطيع أن نقول بذلك فنفرق بين الحد والتعزير فكل له قواعد وشروط تحكمه ولم نسمع فقيها يقرر أن عقوبة شرب الخمر تعزير ، ولو اعتبرت كذلك لترتبت نتائج مختلفة لا يسلم بها الفقهاء ولا يقبلونها ·

ثالثا : قال أكثر العلماء ان قتل مدمن الخمر منسوخ وقال البعض انه غير منسوخ · وقال ابن تيمية : ان قتله متروك للامام سياسة منه اى على مايراه مصلحة عامة ·

« **أحمد فتحى بهنسى** »

الشعر والكلمة

للشاعر سعد مصلوح

مناكب تمر فى مواكب الزحام
وفوقها جماجم رهيفة العظام
وخطوهم مطارق تئن فى الظلام
صدورهم كأنها خرائب الرجام
كأنما قلوبهم وراءها رمام
أفواههم مغاور تردد الكلام
فبعضهم يهيم بالغرام والمدام
وبعضهم يبين الحلال والحرام
وبعضهم عيونه كأنها رخام
يضحك فى بلادة ويمضغ الطعام
وكلها مواكب تمر فى الزحام

***

مواكب تمر عند جانب الطريق
بهوة غريبة خضمها عميق
فى قلبه تعانق الظلام والبريق
والصاب فى مسيله يموج والرحيق
والمهد للفريح فى اصطخابه رفيق
وهمسة الشراع واستغاثة الغريق
لآلىء الخيال فى قراره السحيق
كأنها عرائس فى المخدع الأنيق

***

لكنما النقاد فوق لجه ركام
وهذه مواكب تمر فى الزحام
وتمضغ الحشيش والكلام والطعام
وبعضهم يقذف بالكبريت للركام
فيفغر الأفواه من ألسنة الضرام
لكنما يدان من غيابة الأحلام
تقتحمان الشوك ، واللهيب فى احتدام
والنار فى كفيهما كأنها سلام
لتخرجا للناس شيئا اسمه «كلام»

سعد مصلوح

حتى لا ينساق الفكر القومي

إلى معارك جانبية

بقلم فؤاد أبو الغيط

كتب الاستاذ محمد عوده في يومياته بجريدة الجمهورية يقول : (ترتفع أصوات كثيرة في هذه الايام ، وتزداد كل يوم ، تريد أن تخلق معركة مفتعلة ، ولا مبرر لها أو ضرورة بين الاسلام وبين الاشتراكية العلمية ، وهي معركة لاتهدف لحماية الاسلام ولكن هدفها بالطبع هو التشكيك في الاشتراكية ، وهي أصوات تمتد جذورها أحيانا الى أوكار الخيانة والتخريب وأقلام المخابرات الغربية» .

ولا جدال في أن الاتجاه الفكرى الذى كشف عنه الاستاذ عودة موجود ويعبر عن منهجية فكرية غير متفتحة تحصر النظرية العربية في نطاق ذاتي مغلق الا أنه ليس الاتجاه الفكرى الوحيد الذى يعرقل انطلاق النظرية العربية ويحول دون تلمس حدودها الحقيقية ، ففى مقابله يوجد اتجاه فكرى آخر لايرتبط على نحو كاف بالاصول القومية ويتأثر في نظرته وحكمه عليها بمقاييس تستند بصفة أساسية الى افكار أجنبية ، وهو اتجاه لايعبر بعمق عن المعنى القومي العربي .

وكل من الاتجاهين لايخدم القضية القومية ، لانه بموقفه الجامد وتعصبه يزيد من حدة جمود الآخر وتعصبه ، ويعرقل النمو المرجو للحركة الفكرية القومية ويعرضها للاصابة بالعقم والعناد وهو مايؤدى الى ضيق الأفق وعدم الفاعلية وتخلف الفكر عن النهوض بواجبه القيادى الرائد كما يحيط عملية البناء السياسي والاجتماعي بالارهاق وعدم الوضوح.

ومع هذا لا يجوز القول ، بمثل هذه البساطة بان الاصوات التى تعبر عن هذه الاتجاهات التى ذكرها الاستاذ عودة ، لمجرد أن افقها الفكرى .. قادها الى رفض الفكر الماركسى باسلوب غيرموضوعى تمتد جذورها الى أوكار الخيانة والتخريب واقلام المخابرات الغربية ، كما لايجوز اتهام الاتجاه الآخر بالعمالة والتجرد عن الولاء للوطن ، وذلك لان النظرة الموضوعية يمكن أن تعطى اسبابا اخرى ، غير العمالة للشرق أو الغرب، لوجود هذه التيارات واستمرارها وهى أسباب تنصرف فى غالبيتها الى الاستعمار والأنظمة السياسية والاجتماعية التى سادت الوطن العربى ابان فترة التمزق الطويلة وكانت سببا فى وجود كل من اليمين واليسار غير الواعى .

فمثلا : كان الغزو الفكرى والاجتماعى الذى صاحب الاحتلال وهدد الفكر والتراث العربي السبب فى عزلة الفكر الدينى واكتسابه حساسية تلقائية ضد الجديد . ولم تكن العزلة ، على كل حال ولهذه الظروف ، ضررا محضا فهى وان اقترنت بالجمود أحيانا الا أنها نجحت فى الابقاء على نقاء وسلامة الجوهر الاسلامى ، أى ان العزلة لم تكن جزءا من طبيعة الفكر الدينى نفسه وانما كانت من مستلزمات هذه الظروف التى لم يكن فى استطاعة الفكر الدينى مع وجودها أن يوسع من نطاق مناضلته لافتقاده للمناصرة السياسية ، وفى الجانب الآخر كان التسلط الاقطاعى وتحكم الرأسمالية فى أجهزة الحكم بقصد استغلال كل الظروف لصالحها وما أدى اليه ذلك من التباين الطبقى سببا فى عدم وضوح الحقيقة

امام التيارات التى تجاوزت الحدود والتقت مع الافكار والتجارب الاجنبية ورأت فيها ، على نحو متطرف ، المثل والقدوة دون التفات الى المقومات القومية وضرورتها كنقطة بدء وأساس ٠

ومع تأمل هذه الاسباب والالتزام الموضوعى بها ، فان ثمة حقيقة مؤكدة هى : ان هذه التيارات تأخذ من مصادر ليست مرفوضة أصلا فى النظرية العربية وانما هى ، على نحو متفاوت ، محل اعتبار فكرى وعملى ، وكل ماهنالك أن هذه التيارات تفتقر الى الوعى بالحدود الحقيقية للمعنى القومى ، واتهامها بالخيانة ، لصالح الشرق أو الغرب ، لايخدم قضية ما ، فلا هو يخدم القضية القومية لانه يشغل الفكر فى معارك جانبية وينفى عنه استقراره ومظهر وحدته ويوسع عليه جبهات النضال بلا مبرر ، ولا هو يفيد فى مواجهة هذه التيارات وتقويمها لانه قد يقوى من عنادها بل ربما يؤدى الى رد فعل متطرف وحاد يضعف من عناصر الاخلاص القومى لدى بعضها ٠٠ وعموما فان الاتهام بالخيانة ، مهما عبر عنه بغير ذلك ينبغى التحفظ بشأنه فى مجالات الجدل الفكرى وان يصدر ، اذا كان لابد من صدوره على نحو محدد ودون تعميم وحتى فى هذا النطاق ينبغى أن يتنزه الجدل الفكرى عن استغلال هذه الاتهامات التى تعد ارهابا متبادلا لامعنى له الا التجريح الذى ينبغى أن تتجرد عنه الجهود الفكرية على اختلافها ، كما أن توجيه هذا الاتهام ، وبهذه البساطة ، يتجاهل دور أجهزة الأمن فى الدولة وهى تتمتع بيقظة مطلقة ولا يعقل أن تترك تحالفا للخيانة والتخريب يعمل لصالح الاطماع الاجنبية ٠

وفى الوقت نفسه اذا كنا نرى التحفظ عند توجيه مثل هذه الاتهامات الخطيرة الى هذه التيارات وندعو الى محاولة فهم مكوناتها النفسية والاجتماعية والفكرية فان ذلك لايعنى ترك المجال مفتوحا امامها ، فهى مع أحسن الفروض ، تمثل قصورا فكريا لا ينبغى ان تتاح له الفرصة للنمو واكتساب أرض جديدة ٠٠ ويتحمل الفكر القومى مسئولية مجابهة هذه الاتجاهات مجابهة فعالة دون أن يتخذ موقفا عدائيا صارما فى مواجهتها، وهو موقف محتمل بحكم الغيرة القومية والحساسية الثورية ويتطلب الكثير من ضبط النفس لتلافى الانسياق اليه ، لان اتخاذ مثل هذا الموقف يؤدى بالتأكيد الى رد فعل حاد وربما يضيف الى هذه التيارات عناصر جديدة تزيد من تناقضاتها وقصورها، وانما تتحقق المجابهة بالضغط باستمرار على الاصول القومية والالحاح عليها واتباع تخطيط شامل يحقق السيادة المطلقة للفكر القومى ٠

وهو حينما ينهض بدوره على نحو كامل انما يحد من نمو التيارات ويجردها عن الفاعلية بالاضافة الى انه يوحى اليها بالتراجع الذاتى والتكيف التدريجى وتقبل المضمونات المفتقدة واكتشاف المدى القومى الحقيقى والارتباط به ٠

وليس هناك صعوبة تذكر أمام الفكر القومى ، ما دام متسلحا بالوعى واليقظة ، وبالذات ما دام يتذكر باستمرار طبيعة ومتطلبات المعركة ، بعد أن تحققت الحرية واندحر الاستعمار واتجهت الدولة وجهة اشتراكية ديموقراطية تتجرد عن التباين الطبقى وتحكم الرأسمالية والاقطاع ، لان تحقيق ذلك كله يسحب مبررات ودوافع وجود هذه التيارات ويمنع عنها أسباب الحياة بالاضافة الى أن الحكومة قد وضعت كل امكانيات التوجيه والتوعية فى خدمة الفكر القومى ٠ **واصرار هذه التيارات على البقاء وسط هذه الظروف والانجازات الثورية موقف انتحارى بالنسبة لها ، لانه لاقدرة لديها على التصدى للفكر القومى ، على أى مستوى وبأى صورة ، لامن حيث العمق والاصالة والتكامل الوجدانى والارتباط اصلا بالمعانى الحقيقية المعبرة عن اهداف الجماهير ولا من حيث الوسيلة والامكانيات والمساندة الشعبية ٠**

غير ان ثمة تفرقة ضرورية ، تحتمها طبيعة الاشياء ويجب أن يراعيها الفكر القومى باستمرار ، لابد ان تقوم بين المضمونات الخاصة التى تعبر عن الذاتية القومية والتى تعكس حدود شخصيتها المتميزة ٠٠ وبين المضمونات الداخلة فى نطاق التجربة الشاملة فالمضمونات الاخيرة هى التى ينبغى ان تتكيف وتغير من نفسها لتلائم حياتنا ومنهج سلوكنا القومى فى جميع النواحى ، اى انها مجرد مضمونات معروضة للدراسة والتحليل واختيار ما يناسبنا منها، ومعيار الاختيار وتحديد الصلاحية هو عدم تعارضها جوهريا مع قيمنا الخاصة ٠

وهذا يعنى أن القيم الاولى هى الاساس الثورى والاصيل للنهضة القومية وان ثمة نظرة مقدسة ينبغى بالتالى ، أن تربطنا بها ، ولا يجوز أن تكون تجاربنا وتاريخنا وتراثنا بالنسبة لنا فى نفس

المكانة التى لتاريخ وتجارب وتراث الآخرين لدينا ، ولو حدث أن توحدت المقاييس والعاطفة والارتباط فان ذلك يؤدى الى تناقض عقائدى يهدم الفكرة القومية من أساسها ، وهذه النظرة المقدسة ينبغى أن تلون معالجتنا ونظرتنا للقيم الخاصة ، ومتى وضحت الحاجة لاخضاعها للنقد فان الهدف منه يجب أن يتحدد وينحصر فى الرغبة فى محاولة زيادة قدسيتها واحترامها وتعميق دورها فى حياتنا ، وليس هذا مايحدث ، فان الافكار الاجنبية تعالج أحيانا بصورة أكثر جدية واحتراما ، ولا يمكن تبرير ذلك بأن تقديسنا لهذه القيم ليس فى حاجة الى تأكيد ، ففى كل الظروف ينبغى أن يعلو ويتأكد هذا التقديس وان نلح عليه ونبرزه لانه مناط التفرقة التى تعرضنا لها منذ قليل .

ومن أمثلة هذه المعالجة التى تجرح قيمنا الخاصة بلا مبرر على الاطلاق ماكتبه الاستاذ أنيس منصور بجريدة الاخبار وهو بصدد التعليق ، الذى لا يمكن اعتباره نقدا ، عن كتاب صدر للاستاذ جلال كشك وربما كان المؤلف ، كما يرى الاستاذ منصور ، قد اكتفى فى كتابه بتوجيه الاتهام دون أن يقيم الدليل عليه، وربما لم يكن الامر كذلك . فهذه المسألة ليست موضوعنا ، وانما الذى حدث أن الاستاذ أنيس منصور قد ضمن تعليقه الكلمات الآتية :

والكتاب يصدر عن «سلسلة اسلامية» وهذا معناه أنه اتخذ موقفا دينيا من البداية ، ولأنه اتخذ موقفا فهذا الموقف يلون افكاره ويجعل له لونا واحدا ويصيب المؤلف بعمى الألوان ليجعله عاجزا عن تمييز أى لون آخر » **وهى كلمات تثير التساؤل وتنم عن استهانة فكرية واضحة .** فهى أولا قد اقحمت على التعليق دون أن تقتضيها المتطلبات الموضوعية له ، وانما هى تزيد ، يرتبط بعدم الجدية التى وضحت فى التعليق منذ كلماته الاولى حتى نهايته ، كما أن ظهور الكتاب فى سلسلة اسلامية ، ثانيا لايعنى الاصابة بعمى الألوان وحصر الرؤية فى لون واحد بل ان اتخاذ الموقف الدينى لايؤدى الى هذه النتيجة على الاطلاق مادام هذا الدين لا يؤمن بالتعصب والجمود ويرفض العنصرية ، وان اتخاذ الموقف الدينى ، ثالثا ليس اثما قوميا او انسانيا . وقد اتخذ الميثاق موقفا دينيا وهو يؤكد ايمانه الذى لايتزعزع بالله وبرسله وبرسالاته القدسية التى بعثها بالحق والهدى الى الانسان فى كل زمان ومكان ، وان جوهر الرسالات الدينية لايتصادم مع حقائق الحياة «وان جميع الأديان ذات رسالة تقدمية» ، «وان جوهر الأديان يؤكد حق الانسان فى الحياة والحرية » وقد اتخذت الامة فى تقرير ممثليها عن الميثاق موقفا دينيا ايضا ، فقد أكد التقرير بدوره (ان حياة الانسان تحكمها القوى الروحية والقوى المادية معا ولا سبيل للفصل بينهما فكلتاهما ضرورية لقيام المجتمع السليم ومن هنا ثبت فى تفكيرنا ، ونحن نصوغ المبادىء والقيم التى يقوم عليها المجتمع الاشتراكى العربى ، ان القوى الروحية والقوى المادية ضرورتان لبناء المجتمع وانه يجب علينا حتى يكون هذا المجتمع قوى الجسم والعقل ، سليم الروح والنفس أن يقوم التوازن بين ماديات هذا المجتمع وروحانياته المستمدة من القيم الخالدة النابعة من الدين .

واذا ما تأملنا هذه المواقف الدينية الحاسمة فان مفهوم كلمات الاستاذ انيس منصور ، وهو مجرد رمز على نوع من ممارسة الفكر ، لايمس الموقف الدينى للكاتب وانما يمس المواقف الدينية عموما ، وهو فى ذلك لايلتفت الى ايجابية التعاليم الدينية وخصوبتها فقط وانما يجرح شعور الامة فى روحانياتها التى تعبر أكثر من اى شىء آخر ، عن جوهرها الأصيل .

***

وفى كلمات ، يجب على الفكر القومى ، حتى لاينساق الى معارك جانبية تضعف ايجابيته ، أن يقوم بدور المعلم ، وان يحرص عليه ويلتزم بحدوده وواجباته التزاما مطلقا ، لهذه الاتجاهات الفكرية القاصرة ، لان لديها الكثير من امكانيات التجارب التى يمكن اكتسابها للصالح القومى باتباع المرونة واليقظة وعدم الاندفاع والتأكيد فكرا وعملا بأن المجابهة لاتعنى العداء واستحالة اللقاء وانما الهدف كل الهدف، هو تحقيق التزام هذه التيارات بالجوانب القومية بابعادها الحقيقية .

والفكر القومى حينما يقوم بهذا الدور فانه لايرسم الحدود فقط ، بل يكشف عن صلاحية ما بداخلها أيضا .

فؤاد ابو الغيط

من ملحمة عمر

فتح بيت المقدس

المشهد الخامس

بقلم علي احمد باكثير

فناء دير بايلة فى مرتفع من الارض على الطريق يرى راعى الدير القمص يعقوب جالسا وعنده اثنان من اتباعه وزوجتاهما

ماريـا : (تنظر الى الطريق) يا ابانا القمص . الشماسان زكريا ويوسف قد اقبلا .

داود : انهما ليهرولان .

القمص : لا ريب ان عندهما نبأ عن عمر ملك المسلمين .

(يدخل زكريا ويوسف)

القمص : ما الخبر يا ولدى ؟

زكريـا : وصل ملك المسلمين الى الدير الصغير حيث يستريح قليلا ثم يواصل سيره .

داود : اذن فليس بيننا وبينه غير مرحلة واحدة .

القمص : هل استطعتما ان تقابلاه ؟

زكريـا : قابلناه بغير استئذان .

القمص : كيف ؟

يوسف : ليس دونه حراس ولا حجاب .

القمص : ليس معه احد ؟

زكريـا : معه نفر قليل من اصحابه ولكنه كأى واحد منهم .

القمص : وماذا قال لكما وماذا قلتما له ؟

زكريـا : بلغناه تحيتك وترحيبك بنزوله عندك فتهلل وجهه وسر وقدم لنا من هذا التمر (يناول حفنة التمر للقمص فيفرقها القمص على الحاضرين وهم ينصتون للحديث فى دهش) .

يوسف : ولما اردنا الانصراف قال انا بلغا تحيتى لشيخكما الراعى الصالح وقولا له انى نازل بجواره اليوم ان شاء الله .

ماريـا : وما شكل هذا الرجل وما هيئته ؟ الا تصفانه لنا ؟

انـا : لا بد انه مثل شيوخ العرب الذين نراهم فى المواسم يرتدون الحبر وعلى رءوسهم تيجان من اللؤلؤ والخرز .

زكريـا : كلا ، كلا لن تصدقونا اذا حدثناكم فانتظروا حتى تروه باعينكم .

ماريـا : كلا لا نستطيع ان ننتظر . صفه لنا الآن .

القمص : صفه انا انت يا يوسف . انت عربي تحسن الوصف خيرا من صاحبك .

يوسف : حبا يا ابانا وكرامة . اتدرون كيف رايناه اول ما رايناه ؟ رايناه راكبا على جمل اورق ، منيفا كانما هو واقفوقه ، تلوح صلعته للشمس ، ليس عليه قلنسوة ولا عمامة ، تصطفق رجلاه بين شعبتى الرحل بلا ركاب . فما صدقتنا فى اول الامر ان هذا هو ملك المسلمين ولما اناخ وقفنا ناحية ننظر اليه فاذا وطاؤه اذا ركب هو هو فراشه اذا نزل . واذا له شملة محشوة ليفا هى حقيبته اذا ركب ووسادته اذا نزل ، واذا عليه قميص من كرابيس قد رسم وتخرق جنبه .

القمص : قميصه متخرق ؟

زكريا : نعم .

(يغيب القمص داخل الدير ثم يعود مسرعا وبيده قماش من الكتان)

القمص : ماريا يا بنتى هل لك ان تفصلى قميصا نهديه لملك المسلمين ؟

زكريا : اجل يا ابانا هذا خير هدية نقدمها اليه .

ماريا : (تأخذ القماش) كيف افصله دون ان اعرف مقاسه .

زكريا : كم قميصا يكفى هذا ؟

ماريا : قميصين .

زكريا : فاعمليه قميصا واحدا .

(تبتسم ماريا ثم تأخذ فى تفصيل القميص وخياطته)

القمص : اذهبا الآن فاغسلا وجوهكما . جزيتما خيرا .

(يخرج زكريا ويوسف)

انـا : اى ملك هذا الذى سمعنا وصفه . انه لشيء عجيب .

ماريا : هذا يا انا هو الذى ضرب القيصر هرقل على رأسه .

داود : والذى انقذ مذهبنا عن طغيانه وطغيان قساوسته .

القمص : اجل يا اصدقائى ان للرب سبلا لا نكاد ندركها نحن البشر ، فلا عجب ان جاء هؤلاء المسلمون وهم لا ينتمون الى ديانتنا المسيحية ليعيدوا لنا حريتنا الدينية التى سلبها منا اخوان لنا فى المسيح .

ماريا : كلا يا ابانا القمص ليس هؤلاء الروم اخواننا فى المسيح والا لما اضطهدونا ليحملونا على اتباع مذهبهم الخارج على المذهب الصحيح .

جريجورى: يا عزيزتى ان ابانا يعنى انهم منسوبون الى الملة المسيحية .

القمص : احسنت يا جريجورى اذ شرحت لزوجتك .

جريجورى: لكن الى اى مدى تستطيع ان نطمئن الى هؤلاء المسلمين ؟ الا تخشون الا يطول بهم العهد حتى يكونوا علينا شرا من الروم ؟

ماريا : شرا علينا من الروم ؟ هذا محال

القمص : المستحيل علمه عند الله وانما لنا الحاضر ولم ينقل عنهم فى هذه السنوات الثلاث منذ جاءوا يغزون الشام انهم اكرهوا احدا على الخروج من دينه او الدخول فى دينهم .

انـا : ومع ذلك فقد ارتد الى دينهم كثير من الناس .

القمص : من ارتد بمحض اختياره فذنبه على جنبه.

انـا : لكنهم بذلك يا ابانا القمص اخطر على مذهبنا من الروم .

القمص : ما دام فى وسعنا ان نجهر بدعوة اتباعنا الى التمسك بمذهبنا دون ان تجدع انوفنا لذلك او تصلم آذاننا او تهدم بيوتنا كما كان يفعل الروم بنا فلا سبيل لنا على هؤلاء المسلمين .

انـا : لا نستطيع يا ابانا ان نحكم بعد على هؤلاء البدو الاجلاف .

داود : يا انا يا حبيبتى الست يعقوبية ؟

انـا : يا داود يا حبيبى انا يعقوبية اكثر اخلاصا منك .

داود : فلماذا هذا التحامل على قوم لم يمسنا منهم سوء قط بل نرجو على ايديهم ان تعود الحرية الدينية لليعاقبة فى كل مكان ؟

جريجورى: أن امرائك يا داود انما تريد ان تنصحنا بالاحتراس من هؤلاء المسلمين وهى على حق فمن يدرى لعلهم يظهـــرون على حقيقتهم حين يتم لهم الاستيلاء على جميع البلاد .

داود : كلا كلا ليس فى الامكان ان يخدعونا عن حقيقتهم . انظر الى جيشـــهم الذى مر بديارنا هذه منذ شهر ووازن بينهم وبين جيوش الروم التى كانت تمر بنا من قبل فاين سلوك هؤلاء واين سلوك اولئك ؟

القمص : صه .. هذا عمارة جاسوس الاطربون قد اقبل فخوضوا فى حديث آخر .

(يدخل عمارة العكى) .

عمـــارة : عم صباحا يا ابانا.عموا صباحا يا قوم.

القمص : صباح الخير يا عمارة .

الجماعة : صباح الخير .

القمص : اجلس يا عمارة .

عمـــارة : اما عندكم من اخبار عن ملك المسلمين ؟

القمص : يقال انه فى الطريق

عمـــارة : بلغنا يا قمص يعقـــوب انك بعثت من يستقبله فى الطريق ويدعوه لينزل ضيفا عليك .

القمص : انا اضيف الملوك يا عمارة ؟ من اين ؟

عمـــارة : هذا ملك بدوى صعلوك لا تكلفك ضيافته شيئا .

القمص : اليس ملكا وكفى ؟

عمـــارة : علام اذن بعثت رجالا يستقبلونه فى الطريق ؟

القمص : ما بعثت غير شماسين من مريدى لينتسما لى اخباره .

عمـــارة : وماذا تصنع باخباره .

القمص : انا راعى هذا الدير القائم على الطريق فينبغى على ان اســـتقبله اذا نزل بجوارنا او مر .

عمـــارة : ولماذا ينبغى عليك ان تستقبله

القمص : مجاملة لا تكلفنى شيئا ولعلى بهـــا اتخذ يدا عنده لاهل هذه البلدة .

عمـــارة : كانك يا قمص قد اصبحت تؤمن من الآن ان دولة الروم قد انطوت وان العاقبة لهؤلاء المسلمين ؟

القمص : يا بنى لم كل هذه الاسئلة ؟ ان كانت العاقبة للروم فلن يؤاخذونا يومئذ على مجاملة قمنا بها لهؤلاء المتغلبين .

عمـــارة : هل لى يا قمص ان اكلمك على حدة ؟

الاربعـــة : (ينهضون) نحن يا ابانا ننصرف .

القمص : لا بل ادخلوا الدير واجلسوا فى الفناء الشرقى .

(يخرجون) .

هات ما عندك .

عمـــارة : ينبغى ان تعلم ان العاقبة للروم ، وان هؤلاء لن يبقوا فى البلاد اطول ممـــا بقى الفرس . فهل لك يا ابانا القمص ان تتخذ لك يدا اخرى عند القيصر ؟

عمـــارة : واين هو القيصر وماذا يوصلنى اليه ؟

القمص : انا اكلمك باســـم الاطربون والاطربون يتكلم باسم القيصر . فى وســـعك ان تكون بطريقا لايلياء عما قريب .

القمص : والبطريق صفرونيوس ؟

عمـــارة : الا تعلم انه غـــير مرضي عنه ؟ ثم انه شيخ فان .

القمص : انا قانع يا بنى بما انا فيه واحمد الله على ذلك . خبرنى الآن ماذا تريد منى ؟

عمـــارة : الآن وصلنا الى بيت القصيد . كل ما نريده منك ان تكفينا هذا الرجل .

القمص : مـــن ؟

عمـــارة : اتغابى ؟ ملك المسلمين هذا

القمص : اجاد انت ام تمزح ؟

عمـــارة : بل جاد .

القمص : اترانى راعى دير ام فارس حلبة ؟

عمـــارة : الأمر ايسر من ذلك . ما عليك الا ان تضع هذا السم فيما يأكله من عندك او يشربه .

(يخرج كيســا صغيرا من بين ثيابه)

القمص : هات .

عمـــارة : (فرحا) هاك .. (يقبل رأسه) انك لا تدرى يا ابانا الشـــجاع الطيب اى خدمة تسديهـــا الى الاطربون ، والى قيصر ، والى الدولة ، والى المســيحية قاطبة .

القمص : وفقنا الله الى ما يرضي السيد المسيح .
عمارة : آمين آمين ..
(يرسم الصليب ويتمسح بثياب القمص) .
القمص : ان الرجل سينزل اليوم عندنا بجوار الدير .
عمارة : منذا اخبرك ؟
القمص : الشمامسة . ولعله الآن يوشك ان يصل فمن الخير ان تنصرف انت حتى لا يرتاب احد .
عمارة : صدقت .
(يخرج)
القمص : (ينادى) انا .. ماريا ..جريجورى.. داود .. تعالوا ... (يعود الاربعة الى مقاعدهم وهم صامتون) ...
كدت تفرغين من قميصك يا ماريا .
ماريا : نعم ما بقى الا قليل .. (تنشره بين يديها) انظروا .. كانه جوالق .
جريجورى: (فى سخرية خفية) لو يعلم انك انت التى خطت له لمنحك جائزة سنية .
انا : كيسا من التمر .
جريجورى: او شملة محشوة بالليف .
ماريا : وحياة العذراء لو سمح لى هذا الرجل لغسلت قدميه بالطيب كما فعلت المجدلية بقدمى السيد المسيح . (تضم القميص الى صدرها وتقبله) .
انا : ما هذا الكلام يا ماريا ؟اتقرنينه بالسيد؟
ماريا : لم لا ؟ كلاهما مخلص . السيد خلصنا من خطيئة آدم وهذا خلصنا من اضطهاد هرقل .
(يدخل زكريا ويوسف مسرعين)
الاثنان : يا ابانا القمص . هذا ملك المسلمين قد اقبل .
(يتطلع الجميع الى الطريق)
القمص : زكريا احضر لى ياولدى جبتى الكهنوتية
(يخرج زكريا)
ايهم هو يا يوسف ؟
داود : لعله ذاك الذى على الجواد الابيض .
يوسف : كلا .. الذين على الجياد هم اصحابه .
ماريا : فاين هو ؟
يوسف : لا استطيع ان ارى جيدا من هنا .
ماريا : انت ضعيف البصر .. ليت ابانا القمص بعثك انت وترك لنا زكريا .
يوسف : ها هو ذاك خلفهم على الجمل الاورق .
ماريا : لكن هذا متوسط الجسم وليس بعملاق كما وصفتماه .
انا : مبالغة وتهويل .
(يعود زكريا بالجبة فيساعد القمص على ارتدائها) .
القمص : تعال رافقنى انت يا يوسف ..
(يخرج ومعه يوسف)
ماريا : ادركنا يا زكريا . تعال ارنا ايهم ملك المسلمين ؟
زكريا : (يتطلع) ذاك الذى يمسك بخطام الجمل .
داود : ذاك الماشى امام الجمل ؟
زكريا : نعم .
ماريا : هذا حقا عملاق .. كانه شمشون الجبار .
داود : ومن الراكب على الجمل ؟
زكريا : هذا غلامه .
داود : عبده ؟
زكريا : نعم .. اخبرنى عبده هذا انهما يتعاقبان على الجمل طول الطريق
داود : نحن امام اسطورة .
انا : بدو لا يعرفون آداب السلوك .. هذا كل ما هناك .
داود : انا الا ترجعين يا حبيبتى الى البيت ؟
انا : كلا يا حبيبى..اشتهى ان اتفرج معك .
ماريا : انظروا انه يصافح القمص يعقوب .
داود : ويضرب على كتف يوسف .
ماريا : يداعبه . وى انهم آتون . استعدوا يا جماعة .
(يقف الجميع صفا) .

داود : انا يا حبيبتى . ابسطى وجهك . تخلصي من هذا العبوس .

انـــا : داود يا حبيبى اهتم انت بشأن نفسك .

ماريـا : جريجورى ابتسم ياجريجورى .

جريجورى: ابتسمت يا ماريا ..

ماريـا : سيسطر فى التـاريخ غدا ان امراتك هى التى خاطت له القميص .

(يدخل القمص ومعه عمر واصحابه وغلامه اسلم)

القمص : هؤلاء من اصدقاء الدير .

عمـــر : مرحبا مرحبا ..

(يدخل زكريا يحمل طبقا فيـــه اقداح)

القمص : (ياخذ قدحا فيقدمه لعمـــر) اشرب يا سيدى .. هذا مصنوع فى الدير

عمـــر : « ينظر فى القدح نقيع الزبيب ؟

القمص : نعـم .

عمـــر : باسم الله (يشرب ويشرب الآخرون) هذا شراب طيب

القمص : نزيدك يا سيدى ..

عمـــر : حسبنا هذا . جزيت خيرا ايها الراعى الصالح (يتحرك لينصرف)

القمص : الا تنزلون يا سيدى عندنا فى الدير .

عمـــر : جزيت خيرا . نحن لا ننزل الا فى ظلال النخيل .

القمص : هاتى القميص يا ماريا .

ماريـا : ها هو ذا يا ابانا القمص

القمص : هذا قميص فصلناه لك وخاطته هذه السيدة .

عمـــر : (ينظر الى زكريا ويوسف كالعاتب ثم يبتسم وياخذ القميص) .

احرير هذا ؟

القمص : (كالمعتذر) لا يا سـيدى .. ما كان عندنا حرير .

عمـــر : فما هذا ؟

القمص : هذا كتان .

عمـــر : لو كان حريرا ما قبلته .

يوسف : نعم يا امير المؤمنين .

عمـــر : تدلنى الى مكان خـــل لارتدى هـــذا القميص .

يوسف : هلم معى يا امير المؤمنين (يخرج ويخرج خلفه عمر)

القمص : يا امير المؤمنين ؟

زكريـا : هكذا يدعونه يا ابا القمص .

القمص : ويلكما هلا اخبرتمانى بذلك من قبل ؟

(يعود عمر وقـــد لبس القميص الجديد وبيده القميص القديم وقد طواه)

ماريـا : انظرى يا انا .. قميصي على جسده .

انـــا : خذى قميصه القديم وارتديه ... على جسدك .

عمـــر : هل لكم ان تغســـــلوا قميصي هذا وتخيطوه ؟

القمص : حبا وكرامة يا امير المؤمنين .

(ياخذ القميص فتسرع ماريا فتاخذه منه) الا نعمل لك قميصا ثانيا يا امير المؤمنين وتدع هذا فقد تخرق ؟

عمـــر : قميصي هذا ايها الراعى الصالح اصلح لى واحب الى .

القمص : يا امير المؤمنين هـل لى ان اقـــدم نصيحة لك ؟

عمـــر : هات نصيحتك .

القمص : انت ملك العرب وانت قادم غدا على الروم فلو لبست شيئا غير هذا وركبت برذونا فارها لكان ذلك اعظم فى اعين الروم .

عمـــر : ويحك ايها الراعى الصالح ..لو أردنا ذلك لكان لنا ما نريد ولكنـــا اعزنا الله بالاسلام فلا نلتمس العز من غيره .

القمص : يا امير المؤمنين كلمة فى اذنك (يســـار عمر بحديث) .

عمـــر : (يبتسم) جزيت خيرا على نصـحك وبرك . ايها الراعى الصـــالح لا تخف علينا من كيد هؤلاء فان الله معنا وهو حسبنا ونعم الوكيل .

« ســـتار »

قلب الأم

للشاعر على الجندى

جاء فى الصحف اليومية : أن فتاة كانت تمشى مع طفلها ، واذا بالترام يقبل مسرعا ! فميلت بين أن تنجو بنفسها أو ينجو طفلها ، ففضلت الثانى على الاول ! فطرحت الطفل بعيدا فنجا ، واستسلمت هى للموت الزؤام ! تحت عجلات الترام .

آثرت موتهـا ليفلت حيـا ... يا لنفس تموت عنه ليحيـا
مثل فى الفداء تحفظه الأجـ ... ـيال غضا على الزمان جنيا
عانقت حتفها اختيارا كما يلـ ... ـقى كمى ـ تحت الهياج ـ كميا
واطمأنت الى الردى حين ألفتـ ... ـه تخطى الردى الغشوم الفريا
ورمتـه بنظرة أو دعتهـا ... أملا واعدا ، وحبـا رويا
وعلى ثغرها ابتسامة جـذل ... شعشعت وجهها القسيم الحييا
أعربت عن هدى يضوىء نفسا ... ورضا يلف روحا رضيـا
لم يكن همها سوى أن تراه ... فوق شط الأمان جسما سويا
ولتعش أو تمت فماذاك يعنيـ ... ـها وقد جازت السهام الرميا
منحته الحيـاة قبـل جنينا ... وهى تزجى له الحياة صبيا
وكانى بها تنادى اله النا ... س فى خشية نداء خفيـا
رب انى اليك أسلمت وجهى ... والى بابك اعتزمت المضيـا
فتغمـد بالصفح والعفو ذنبى ... ان أكن قد أتيت شيئا فريا
انه ابنى الأثير فـدته نفسى ... وأراه بـذاك كان حـريا
أنت حببتـه الى فاضحـى ... لى حبيبا ومؤنسـا وصفيـا
هو روحى حملتها تسعة كر ... ها ، وطوعا ألقمت فاه الثديا
فاذا ما منحتـــه ما تبقى ... من حياتى ، فذاك حتم عليا
رب بارك عليه واجعله ميمو ... نا ، ملقى الهدى ، امينا قويا
وأطل عمره ، ومهـد له عيـ ... ـشا رغيدا رطب الظلال رخيا

***

أتراه يدرى بمـا طوقتـه ... من حنان يندى على الدهر ريا
خلعت عمرها عليـه ، وزفتـ ... ـه اليه قبل الأوان هـديا
ليت شعرى ـ والشاكرون ـ قليل ... أتراه يرعى الجميـل السنيا
أتراه لهـا يكون ذكـورا ... أتراه بهـا يكون حفيـا
قبرها كعبـة يحج اليـه ... حاسر الرأس بكرة وعشيـا
ساكبـا فوقه أفاويق دمع ... يلبس الترب وشى روض زهيا

***

أكبر الظن أنه سوف يحيـا ... حافظا للعهود ، برا ، وفيـا

من شاعر سوداني

إلى أديبة لبنان

ليلى بعلبكي

للشاعر السوداني الطيب محمد سعيد العباسي

ما غريب انا ولست غريبة ... فكلانا نما بأرض العروبه

وكلانا يمضه ألم الشرق ... ويشتاق للربوع السليبه

انما الشرق مشعل صانه اللـ ... ـه وآخى هلاله وصليبه

أنت أختي ليلى وأهلك أهلي ... وعلى البعد أنت مني قريبه

واذا ما اشتكى من الأرز دوح ... أجدب النيل والضفاف الخصيبه

***

ساءني ما جرى لليلى بلبنا ... ن وان سرني انتصار الأديبه

ان تكن غضة الأنامل ليلى ... فلديها من اليراع كتيبه

او يكن غصنها تأود لينا ... فهي أرسى من الجبال الرهيبه

***

زعموا انها تنكبت الحق (م) ... وسيقت كما تساق المريبه

وأتوا بالشرطي يسأل .. ماذا ؟ ... كان أحرى بها بالأ تجيبه

قلبها الحر ليس يرهبه القهر ... فما القهر للقلوب النجيبه

وعلى ساحة القضاء أهلت ... بسمات الى النفوس حبيبه

زانها الطهر والجلال ورفت ... حولها هيبة الجمال المهيبه

قال قاضيهم وقد سمع الد ... ر من اللفظ من شفاه أريبه

ان ليلى بريئة فدعوها ... يا رجال الآداب فهي أديبه

ودعوا غرسها لينبت زهرا ... فنرى حسنه ونتنسم طيبه

ودعوا الفكر كالهواء طليقا ... يسكب النور في الدياجي الكئيبه

أحرام ما خطه كف ليلى ... وهي للفكر والعلوم ربيبه

قولها خالد المعاني وأبقى ... من ظل بابل وآثار طيبه

فدعوها وأطلقوا عن يراع ... دافق النبع بالنهى والعذوبه

مؤامرة يهودية

فى المجمع المسكونى اليوم

محمد خليفه التونسى

أذاع مراسل الاسوشيتد برس فى الفاتيكان رسالة هامة نوه فيها بما ثار من الخلافات بين شتى وفود الكنائس المسيحية فى المجمع المسكونى (أو العالمى) المنعقد هناك فى هذه الأيام .

ومن المسائل الخلافية بين تلك الوفود - كما أذاع المراسل - مسألة تبرئة اليهود من دم المسيح عليه السلام ، فيقول المراسل : ان هناك مشروع قرار ينوى المجمع اصداره لاعلان هذه البراءة ، وان البطريرك جوزيف طويل عميد الكنيسة الكاثوليكية فى دمشق يعارض هذا المشروع ويهاجمه بقوة ، وانه - مع استنكاره لعداوة السامية فى أى صورة - يرى أن مشروع القرار المعروض لتبرئة اليهود يجب رفضه نهائيا ، لأن القرار اذا تم ستكون له عواقب وخيمة فى العالم العربى كله .

ولسنا نعرف الأسباب التى بنى عليها البطريرك الدمشقى رأيه ، ولا النتائج السياسية الوخيمة التى ينتظر أن تكون فى العالم العربى كله اذا وافق المجمع على هذه التبرئة ، فلم يذع المراسل شيئا من هذه ولا تلك ، ولا نحب هنا أن ندخل فى مسائل سياسية تقبل الخلاف الطويل العريض الذى يتنوع ويمتد طوعا لاختلاف المصالح بين الأمم والطوائف ، واختلاف وجهات النظر بين قادتها المسئولين ، ولا أن ندخل فى مسائل دينية من شأن أصحابها وحدهم أن يروا فيها مايشاءون .

كل هذا لا يعنينا ، وان كنا نرى أن البطريرك الدمشقى كان فى هذا الوقت أحصف رأيا ، وكان فوق ذلك أوفق للحق كما تدل على ذلك الحقائق التاريخية التى لايطول فيها الخلاف ، وهذه الحقائق التاريخية هى التى يعنينا هنا كشفها ، لأن كشفها واجب لذاته ، وهو فوق ذلك يكشف لنا عن مغالطات اليهود وأعوانهم الظاهرين والمستورين وما وراءها من النوايا ، المكشوفة والخفية حين يتصدرون لدفع هذه التهمة عن أسلافهم الذين تنكروا للمسيح عليه السلام ، ولم يكتفوا بمضايقته واحراجه أشنع الحرج منذ ظهر بدعوته بينهم ليهديهم من ضلالهم القديم ، ويخرجهم من عزلتهم العدائية للعالم كله كى يعايشوا العالم فى سلام ومودة ، فنهضوا فوق احراجه حتى كادوه بكل ماقى وسعهم من القوة والحيلة ، واستعدوا عليه السلطات الرومانية الحاكمة بعد أن فوت عليهم كل مكيدة كما جاء فى الأناجيل .

وليس يعز على عقل بصير نزيه أن يعرف ذلك اجمالا ، وان لم يعرف تفصيلاته من الأناجيل أو فى أى مرجع تاريخى غيرها ، فحسب الباحث أن يكون ملما بتاريخ اليهود قبل المسيح ، فيعرف أخلاقهم وشرائعهم منذ عهد موسى حتى عهد المسيح عليهما السلام ، وهى هى خلائقهم وشرائعهم حتى اليوم ، ويكفى الى جانب ذلك أن يفطن الى روح المسيحية المتسامحة حتى يعرف يقينا أن اليهود ماكانوا ليتركوا المسيح يبشر بدعوته دون أن يحاربوها بكل مايستبيحونه من وسائل العنف والغدر والخيانة .

ومن المعروف أن الرومان كانوا قد استولوا على بلاد اليهودية قبل المسيح ، وأنهم كانوا أصحاب السلطة الزمنية فيها ، وقد تركوا لكهنة اليهود فى الهيكل أن يتولوا السلطة الدينية ، فيطبقوا شرائعهم على أبنـــاء ملتهم وقومهم كما يرون . فكان هؤلاء الكهنة يصدرون الأحكام الملية على أبناء ملتهم وقومهم لأنهم أصحاب هذه السلطة القضـــائية الشرعية ، ولكنهم لم يكونوا هم الذين يتولون تنفيـــذ هذه الأحكام بل كانوا يتركونها للرومان المسئولين عن تنفيذ كل الأحكام لأنهم وحدهم أصـــحاب السلطة الزمنية التنفيذية .

ومن المعروف ان القاضى حتى اليوم ليس عليه غير الفصل فيما يعرض عليه من القضايا ، وأما تنفيذ أحكامه فهو مما تختص به السلطة التنفيذيه دونه ، فمن الذين دانوا المسيح عليه السلام واصدروا الحكم باهدار دمه ؟

ليس هؤلاء هم الرومان يقينا لأن قضية المسيح كانت قضية دينية محضـــة ، وان كان اليهـــود فى فجورهم قد حاولوا أن يجعلوها قضية سياسية حين صوروا للرومان أن المسيح ثائر ضـــد الســـلطة الرومانية ، ولما قدم اليهـــود المسيح الى بيلاطس الحاكم الرومانى نظر فيما أخذوه عليه نظرة سياسى وادارى فلم يجد فى حركته مايستحق المؤاخذة من وجهة نظره ، فغسل يديه من جرائر الحكم عليه كما روت الأناجيل ، ووجد من زوجته عطفا شديدا على هذا المظلوم الذى أحاطه قومه بمفترياتهم من جانب وتأويلاتهم الزائفة المنحرفة لأقواله من جانب آخر ، ولكن كان على السلطة الرومانية أن تنفذ ما قضى به الكهنة اليهود .

وأرادت هذه السلطة أن تحتال حيلها القانونية - دون أن تخرج على القـــانون وهى دولة القانون - فأرادت أن تستفيد لهذا المظلوم من تقليد كانوا هم واليهود يسلمون به ، وهو اطلاق رجل من سجناء اليهود فى موسم معين يختاره اليهود بأنفسهم ، فلما عرض عليهم أن يطلق لهم المسيح أوبرباس (وهو من اللصوص الثوار) . فضلوا اطلاق برباس ، وكان الموحون بذلك الى عامة اليهـــود قادتهم من الكهنة وأمثالهم من شيوخ الملة .

فالذين دانوا المسيح هم هؤلاء الكهنة وقد اتفقوا على ذلك بعـــد اختلاف كثير ولأى شديد ، والذين حرضوا العـــامة على أن يهتفوا باطلاق برباس دون المسيح هم هؤلاء الآباء الموتورون ، وليس من الممكن تفنيد هذه الحقائق بأى حال . فاعلان تبرئة اليهود من جنايتهم على السيد المسيح هو مجاهرة بفرية على التاريخ وعلى الأناجيل ، وهذه الأكذوبة لايقبلها عقل باحث أيا كان دينه لأن الادانة أمر تم فعلا ، وأدلتها التاريخية ثابتة لاشك فيها .

انما تأتى المغالطة هنا من الخلط بين القضاء وتنفيذ القضاء ، فهل نفذ الكهنة ماقضوا به على المسيح ؟ والجواب : لا ، دون شك ، لأن الكهنة ليسوا اصحاب سلطة تنفيذية ، بل الرومان أصحابها ، ولكن اليهود هم الذين دانوا المسيح وتآمروا على انفاذ الادانة حتى حين لاحت فرصة اطلاقه ، أو حين بيت الرومان تدبير هذا الاطلاق بوسيلة قانونية أو عرفية لعدم اقتناعهم بادانته .

فسواء أكان لتبرئة اليهود من ادانتهم المســـيح جرائرها السياسية الوخيمة فى العالم العربى كله كما يقول البطريرك الدمشقى - وهذا مما لاشك فيه - أم لم يكن شىء من هذه الجرائر ، فلا شك أن هذه التبرئة فرية يتبرأ منها التاريخ ، والحق ، وليس لسلطة أن تقضى بهذه التبرئة الا بأدلة تاريخية علمية حاسمة لا سبيل الى شىء منها لباحث ، وظهور شىء منهـــا ينقض رواية الأناجيل لقضـــية القبض على المسيح نقضا من الأساس ، وليس من اليسير أن يقبل ذلك مسيحى يؤمن بهذه الأناجيل وبكل رواية فيها ، ولا أرى باحثا ذا خلق وعقل أمين مستنير - أيا كان دينه - يستريح الى قبـــول هذه الفرية التى يدبرها اليهود وأعوانهم فى المجمع المسكونى اليوم فى الفاتيكان ليمحضوا عن قدامى اليهود جريمة ادانة المسيح وهم قبل غيرهم أعلم ببراءته ونزاهته ، فهذه فرية يتبرأ منها التاريخ ويتبرأ منها الحق ، والتاريخ معرض الانسانية بكل عقولها وأخلاقها وأذواقهـــا وأعمالها ، ولا ميزان له غير الحق ، ولا رجحان لشىء فى هذا الميزان الا الدليل ، ولا تبتلى الانسانية فى مزاياها بما هو شر من بلائها حين تعبث الأهواء بهذا الميزان ، وتميل به مع التعديلات والمماحكات الباطلة ، فاذا هان على انسان أو طائفة أن تدب الى هذا الميزان فتفســـده ثم لم تكف الانســـانية عبثه خسرت كل مزاياها ، فلا أمن اذن ولا شرف ، بل لا انســـانية يومئذ على الاطلاق .

انأسلاف اليهود من الكهنة والشيوخهم المسئولون عن الحكم على المسيح لأنهم لاشك هم الذين أصدروه ، ثم تابعوا الضغط فى سبيل انفاذه ، وان لم يكونوا هم الذين نفذوه لأن الرومان اصحاب السلطة الزمنية

التنفيذية قد استأثروا دونهم في تنفيذ كل الأحكام حتى الدينية .

ويقول مراسل الاسوشيتد برس أيضا في رسالته:

انه بالكره من المعارضة القوية من جانب البطريرك الدمشقي ـ قد لقي مشروع القرار السابق تأييدا ضخما من ممثلي الكنائس الكاثوليكية الامريكية بخاصة ، مثال ذلك أن الاسقف ستيفن ليفين ـ راعي كنيسة القديس انطونيو في ولاية تكساس التي اغتالت الرئيس كيندي ـ قد نادى بانه حتم على المجلس المسكوني أن يصدر بيانا يستنكر معاداة اليهود التي ورثها المسيحيون عن اجدادهم ، وانه هو نفسه يستنكر جميع التهم التي وجهت الى اليهود في ادانة المسيح .

ولم يذكر لنا الاسقف المتحمس سببا من الاسباب التاريخية التي تدعوه الى انكار هذه التهم جملة ، ولا نرى انه يجد دليلا أو شبهه على قوله ، لان هذه الحقيقة من الحقائق التاريخية التي لاينكرها عارف بها ، ولن يستطيع الاسقف الموقر ان ينكرها ما لم ينكر دينه ، ولن ينفعه هذا حتى ينكر معه علمه بالتاريخ ويلغى بعد ذلك عقله . واما ما اشار اليه من وجوب استنكار معاداة اليهود التي ورثها المسيحيون عن اجدادهم ـ فنحن نوافقه عليه ، ويوافقه عليه كل انسان ذي ضمير حي ، غير ان الاسقف هنا يقرر نصف الحق فيفسد الحق كله على نفسه وعلى الناس ، ويفضح من هواه ما كان ينبغي له في مكانته وخبرته ان يكتمه ، اذ كان عليه مع دعوته هذه أن ينادى بانه من الحتم ايضا على اليهود من جانبهم أن يعرضوا عن معاداتهم للمسيحيين وسائر الامم كما ورثوها عن أجدادهم الاولين من قبل موسى حتى اليوم . او ان المطلوب فحسب ان يكف العالم عن التنبه الى دسائس اليهود ومؤامراتهم ضده ويتركهم يعملون ما شاءوا لافساده وتسخيره من أجل مصلحتهم وحدها ، ولا يحل لاحد ان يتنبه او يشير الى اى جناية يهودية ويلقاها بشعوره وفكره وعمله بما ينبغي ان تلقى به الجرائم الخطيرة ؟

انه لمن الظلم العظيم ما يقضي به الاسقف حين يسمح للجناة اليهود ان يجنوا ما يشاءون على غيرهم من الاميين الضحايا . ولا يسمح لهذه الضحايا ان تدفع الضر عنها أو تتنبه اليه او تتوجع منه حين يوقعه اليهود بها ، ولا يجوز لها ان تحتاط لرغدها ولا أمنها ولا سلامتها من كيدهم المبين على توالي القرون . فاذا توجعت هذه الضحايا وجدت من امثال الاسقف النزيه في قضائه المبجل في مكانته من ينكر عليها هذا التوجع . وليس اعجب من قاضي ولا ادعى الى الصمم عن قضائه واتهامه بالظلم الواضح الفاضح من أن يمنع ضحية جنى عليها ان تصرخ ، ويترك للجاني عليها كل الحرية لينكل بها كما يشاء ، فمن قبل من الضحايا هذا القضاء فعليه وزره ووزر الانسانية جميعا .

وهذا حسن لو أن اليهود كانوا هم الضحايا ولم يكونوا مع قلتهم هم الجناة ، او لم يكونوا هم الذين بدءوا سائر الامم بالعداء والشر ، غير أن كل ما فعله الاممييون أو الاميون انهم فطنوا الى مؤامرات اليهود عليهم فوقفوا منهم موقف الحذر والدفاع . والعارفون بتاريخ اليهود يعرفون أنهم هم الذين بدءوا سائر الامميين بالمقت والعدوان ، ولم يزالوا حتى الآن سادرين فيما بدءوا به ، بدعوى أنهم شعب الله المختار ، وأن امميين او الاميين غيرهم همل وعبيد وانجاس وكفرة ملعونون من رحمة الله ، وانه يجب على اليهود أن يسخروهم لمصلحتهم ويستبيحوا في معاملتهم كل وسيلة تمكنهم من السيطرة عليهم ، والاستبداد بخيرات العالم دونهم ، وانتزاع ما يصل منها الى ايديهم بالحيلة والغدر ، وانهم على قدر ما يصيبون الامميين بالضر والفساد يكون رضا ربهم عنهم ، وبقدر ما يترخصون في ذلك ادنى رخصة يكون عليهم غضبة ولا سلام بين اليهود وغيرهم ـ اذن ـ مع هذه العقيدة الشيطانية مهما يسرف الاميون في استرضائهم ومودتهم « ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل » .

فأما توبة من الجانبين وتصفية لما يمكن تصفيته من الماضي لاستئناف حياة جديدة على ولاء ومودة متبادلة ، واما أن يتمادى اليهود فيما بدءوا به وما يزالون عليه حتى اليوم ، واذن فعلى سائر الأمم أن تدفع عن ارواحها واخلاقها واذواقها وارزاقها ما يدبره اليهود ضدها ، ولن يرجع اليهود عن عقيدتهم الشيطانية التي تجعلهم اعداء العالم مهما يحرص على مودتهم ومسالمتهم في المعايشة . نعم ، هيهات هيهات ، ما الى ذلك من سبيل ، « ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » .

محمد خليفة التونسي

تحديد النسل وهراوات المتدينين

بقلم محمد عبد الله السمان

كتب الأستاذ على حمدى الجمال منذ أيام تحت عنوانه المعروف : « حديث الناس » كتب يعقب على رسالة وصلته من صاحب مكتب هندسي بالاسكندرية موقعا عليها منه ومن أولاده معه ، وفيها سباب موجه اليه بصدد ما كتب عن مشروع تنظيم الأسرة فى مجال تحديد النسل ، يقول الأستاذ الجمال :

« والخطير فى الرسالة ليس ما احتوته من سباب، ولكن الجهل المطبق الذى يخيم على عقلية صاحبها ٠٠ فهو يتساءل : كيف نطالب بقتل الجنين فى بطن أمه !! من الذى قال هذا الكلام ؟ لست أدرى ٠٠ ثم يعود فيستعين ببعض الآيات القرآنية التى لاعلاقة لها على الاطلاق بالموضوع ٠٠ »

الواقع أن هناك أمثلة كثيرة من هذه العقلية العجيبة ، التى تتعصب للدين وفى أيديها هراوات غلاظ تهدد بها كل من يفكر فى اصلاح ، ويظهر أن الوهم المسيطر عليها يخول لها أنها تسب من تشاء وتلعن من تريد باسم الدين ، وكأنما الدين صار اليوم رخصة للمتدينين توهما فى السب والشتم واللعن والطرد من رحمة الله سبحانه ، ولو كان أمثال هؤلاء ممن أوتوا نصيبا من فقه الدين لأدركوا أن الدين يقوم على أساس من العقل والمنطق حين يناقش الأمور التى تتصل بمصالح الناس ، لأن الدين فى أصالته تحقيق لمصالح العباد فى الدنيا والآخرة ، وحيثما كانت المصلحة فثم شرع الله كما قال فقهاؤنا ٠٠

والقضية الآن ذات شقين :

الأول مشكلة تحديد النسل ، كمشكلة من مشكلات المجتمع ، بل أعمق مشكلاته تعقيدا ، ولكن معظم المشتغلين بالاسلام يطيب له أن يزج بالدين ليقف عقبة كأداء فى سبيل تحديد النسل أو تنظيمه تمشيا مع منطق البعض ، فالذين يسمعون عبارة « تحديد النسل » يتوهمون أنها تعنى اصدار قانون عام بتحديد النسل ، ولذلك يصرون على أن يستبدلوا كلمة تحديد بتنظيم ، فيطبق التنظيم على حالات خاصة من الخير لها أن ينظم النسل فيها ، وليس من المعقول بالطبع اصدار قانون يسرى على المواطنين جميعا بتحديد النسل بغض النظر عن تباين ظروفهم المادية والاجتماعية ٠

والمعارضون لتنظيم النسل يحلو لهم ان يزجوا بآيات من القرآن وأحاديث نبوية لتقف الى جانبهم كما يخيل اليهم ، ولست أدري ما شأن هذه الآية بمشكلتنا : « ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقهم واياكم ، ان قتلهم كان خطئا كبيرا » ؟ فالآية تخص ناسا من العرب كانوا يئدون أولادهم حتى لا يكلفوا أنفسهم مشقة السعي عليهم ، فهي تحارب قتل النفس التي حرم الله الا بالحق بعد ان أصبحت كائنا حيا له وجوده من جانب ، ومن جانب آخر تحارب أنانية الفرد الذي يريد أن يعيش لنفسه فحسب ، فهل قال الداعون الى تنظيم النسل بضرورة أن يحتفظ كل فرد بابنين من ابنائه ويتخلص من الباقين ؟

والمعارضون لحل المشكلة يلوحون دائما بحديث نبوي يحفظونه عن ظهر قلب ، وهو : « تناكحوا تناسلوا فاني مباه بكم الأمم يوم القيامة » وهؤلاء — بالطبع — لم يكلفوا أنفسهم البحث عن درجة الحديث من حيث الصحة والضعف ، ولو ادركوا أن الحديث على شهرته وسم بالضعف لتغيرت نظرتهم للحديث ، قال الحافظ العراقي الذي خرج أحاديث احياء علوم الدين لحجة الاسلام الامام الغزالي : « الحديث رواه ابن مردويه في تفسيره وهو ضعيف» ومع ذلك فلم يزل خطباء المساجد ترتفع به حناجرهم من فوق المنابر ، ولم يزل المأذونون الشرعيون ومعظمهم من علماء الدين يصرون على أن يصدروا به خطبهم عند توقيع عقود الزواج .

ان من القواعد الاصولية المتفق عليها أنه : «لاضرر ولا ضرار » فاذا تحقق الضرر من اسراف الانسان في النسل فالدين يرحب بأن يحدد نسله وهو مطمئن غاية الاطمئنان ، واذا كان الاسلام لا يقر مسلما على أن يتزوج اذا كان غير قادر — والزواج اصل — فكيف يقر مسلما على أن ينسل أو يسرف في النسل اذا كانت ظروفه المادية لا تسمح له بالانفاق على نسله ، ولابد أن يتعرض هذا النسل للضياع . والحديث النبوي الصحيح يقول :كفى المرء اثما أن يضيع من يعول » ويقول بعض السلف نقلا عن احياء علوم الدين : « اذا أراد الله بعبد شرا سلط عليه أنيابا تنهشه » يعني العيال .

والعجيب أن الامام الغزالي حين ذكر أن آفات النكاح ثلاث ، قال ان الأولى وهي أقواها ، العجز عن طلب الحلال ، لأن ذلك لا يتيسر لكل أحد ، ويقصد ان كثرة العيال ربما ألجأت الرجل الى التحلل من الحلال في طلب العيش ، ثم قال : ان **سفيان بن** عيينة رحمه الله رئي على باب السلطان فقيل له : ما هذا موقفك يا بن عيينه ؟ فأجاب : وهل رأيت ذا عيال أفلح ، وكان يردد :

يا حبذا العزبة والمفتاح
ومسكن تخرقه الرياح

لا صخب فيه ولا صياح

وأعجب من هذا أن الفقهاء لم يروا اثما ولا جريرة في العزل كوسيلة من وسائل منع النسل أو تحديده ، وساقوا قول جابر — كما جاء في الصحيحين : كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل . »

ويقرر الامام الغزالي أيضا أنه اذا كان الباعث على العزل استبقاء جمال المرأة لدوام التمتع بها ، فليس هذا منهيا عنه ، وكذلك اذا كان الباعث الخوف من كثرة الحرج بسبب كثرة الأولاد،والاحتراز من الحاجة الى التعب في الكسب ، ودخول مداخل السوء .

اما الذين يتوهمون أن تحديد النسل يجافي التوكل على الله الذي تكفل بالارزاق ، فحجتهم داحضة ، لأن التوكل على الله يجب ان يعتمد أساسا على الكفاح والسعي ، وبدون ذلك لا يكون توكلا بل تواكلا ، والاسلام يحارب التواكل ، **وقد رأى عمر بن الخطاب جماعة في المسجد فسألهم : من أنتم ؟ قالوا: نحن المتوكلون على الله ، فعلاهم بدرته وهو يقول لهم : بل انتم المتواكلون . لا يقعدن احد منكم عن طلب الرزق وهو يقول : اللهم ارزقني وقد علم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة »** .

اما الشق الآخر من القضية ، فهو مشكلة هؤلاء المتدينين على أساس من التنطع والحمق ، وهم — دون شك — مصابون بقحط في الثقافة والنضج الديني، وبلوثة من التخبط في دين الله ، وماداموا قد حفظوا عن ظهر قلب بضعة أحاديث نبوية ، وبضع آيات

قرآنية ، فقد ظنوا أن من حقهم أن يكونوا مشرعين لدين الله ، ومن حقهم أن يخرجوا ألسنتهم على من يحاول أن يجعل دين الله يسرا لا حرج فيه ٠

هؤلاء لافقه لهم ، وهم يسيئون الى الدين ويتوهمون أنهم يحسنون صنعا ، فحتى على اعتبار أن حديث « تناكحوا تناسلوا فانى مباه بكم الأمم يوم القيامة » حديث صحيح ، فيجب أن نفقه أولا أن الرسول ذكر الحديث والمسلمون قلة لا يعبأ بها ولابد من أن يصبحوا فى فجر الاسلام على الاقل أمة تستطيع أن تؤدى رسالتها ، والعبرة ليست بالكثرة بعد ذلك ، فالامم لاتقاس بكثرة عددها ، وانما بقوة عدتها ، والا فالرسول - صلوات الله عليه - أشار فى حديث صحيح : « يوشك أن تداعى عليكم الامم كما تداعى الاكلة الى قصعتها ٠٠ قالوا : أو من قلة يومئذ يارسول الله ٠ قال : لا ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ينزع الله المهابة من قلوب اعدائكم » ٠

ان المفسرين لكتاب الله وضعوا ضوابط تفسيره ، وكذلك علماء الحديث أجهدوا أنفسهم فى وضع ضوابط للصحيح والضعيف والموضوع ، ومع ذلك فلم يزل المتدينون يضربون بهذه الضوابط عرض الحائط ٠ وكان أن أصبح الدين سهل التناول بحق وبغير حق ، ولا سيما فى مشكلات الناس وحاجات المجتمعات المسلمة ٠

ولست أدرى أين مجمع البحوث الاسلامية بالازهر من قضايا الناس ، وقد اختاروا أعضاءه من أبرز علماء المسلمين فى العالم الاسلامى ؟ ٠

لقد انعقد مؤتمره الاول فى أوائل هذا العام ، وكنا نعلق الامل على أن يناقش قضايا الناس على ضوء الاحصائيات ، ولكنه لم يفعل شيئا من هذا ٠

ان مهمة المؤتمر ليست سياسية اطلاقا ، لانها مهمة دينية أريد لها أن تصفى الاسلام مما لحقه من شوائب أسهم فى صياغتها المتطفلون من المتدينين الحمقى ، وعديد من علماء الدين الذين اكتفوا بأن يحفظوا نصوص الاسلام فى اطار من التزمت والجمود !

محمد عبد الله السمان

أنت والحب والقمر

للشاعر : محمد مهران السيد

أنت ٠٠ والحب ، والقمر
والصبابات والسمر
ضمنا الليل ٠٠ هاهنا
خاشع القلب والنظر
فى شراع ٠٠ مذهب
كالأساطير ٠٠ ينحدر
والمجاديف ٠٠ حولنا
تلثم الماء فى خفر
يرقص النور همسها
وهو ينساب فى الأثر
راعش الصدر ٠٠ هزه
موكب الحب ، والظفر
فاسمعى النيل غنوة
تسكر الشط ، والشجر
وامنحى الوجد ٠٠ قبلة
تلهب الخد ، والثغر
واستريحى بساعدى ٠٠
يرتوى الصدر ، والشعر
فى يدى منك خصلة
تنفث العطر ، والزهر
يقفز الموج ٠٠ اثرها
برهة ٠٠ ثم ٠٠ ينصهر
فاستجيبى ٠٠ لضمة
تجعل الثوب ٠٠ ينحسر
ثم هاتى ٠٠ وتابعى
ما بدأناه ٠٠ من سمر
هذه ليلة ٠٠ الصبا
والهوى الرائع ٠٠ الصور
كل شىء ٠٠ بداخلى
يمسك الدف ، والوتر
يرضع ٠٠ الليل غنوة
انت ، والحب ٠٠ والقمر



هل تثبت المأثورات الشعبية على صورة واحدة ؟

لا أنسى « عبد الجواد » .. أول من أوحى الى ان أؤلف وأنا صبى فى الكتاب ..

كان رجلا مقعدا ، يحمل فى الصباح الى مجلسه المختار على مصطبة امام منزله ، حتى اذا جاء المساء اعيد الى فراشه فى الداخل . يقضى مايستطيع ان يقضيه من نهاره فى صحبة **أبى زيد الهلالى ودياب بن غانم والزنانى خليفة** وغيرهم من الفرسان المعدودين ابطال القصص الشعبية . كانوا احب جلسائه اليه على المصطبة.. يضعهم بجواره فى قفة مملوءة بقصصهم .. ماعليه الا ان يمد يده المرتعشة فيخرج من القفة من يريد من اولئك الفرسان عند ما يريده لم يكن ينغصه شىء قدر أنه لم يتعلم القراءة ، فهو يردد كثيرا قوله : **آه .. لو كان ابويا ودانى الكتاب ! »**

كنا ـ نحن صبية الكتاب ـ نظفر بمحبته وحسن استقباله ، اذ كان يلقانا بابتسامته العريضة ، وهو فى الحقيقة يشعر أننا سنبعث له أصدقاءه من الفرسان والابطال ونطلقهم من القفة الى مجال الحياة ومسرح الخيال ..

كنت اقرا له اولا ولا افهم ما اقرا ، ولكنى اشعر بسرور لسروره وانتشائه ، ثم صرت افهم شيئا فشيئا وخاصة من تعليقاته وتعليقات غيره ممن يسمعون معه احيانا ومناقشاتهم وتفسيراتهم .

وصرت بعد ذلك اعرف الابطال الذين يحبهم وادرك ما يعجبه ويطربه من فعالهم واقوالهم ، **وطالما حلا لى أن أضغط على الكلمات التى تثير حماسته وأتريث فى المواضع التى تستأثر بانتباهه .**

ثم صرت الى مرحلة ابعد من ذلك ، اذ طاب لى ان ازيد سروره وأمعن فى اثارة نشوته . **فجعلت اضيف من عندى ما يحقق ذلك ، وقد اكسبنى طول القراءة معرفة بجو القصص وخصائص الابطال وقدرة على الاتيان بما يتلاءم معها ..**

وهكذا أوحى الى « عبد الجواد » ان أؤلف لأول مرة . وكذلك كان أستاذى الاول فى الادب الشعبى .. عن طريقه عرفت هذا الأدب . وبمصاحبته تشربت حبه . فجعلت أتتبعه بعد ذلك فى مصادره من الكتب والمنشدين .

ولما انتقلت الى القاهرة ، وعشت بها ، وعلمت أن **« الشاعر »** ينشد على الربابة فى بعض مقاهيها ، قصدت هذه المقاهى ، واستمعت الى اولئك الشعراء ، **ولحظت اختلافا بين شاعر القرية وشاعر المقهى ، رأيت كلا منهما يضغط على اشيئا ممايحبه المستمعون اليه من أهل بلده ، بل رأيت اختلافا فى بعض النصوص فى القصة الواحدة .**

عرفت اذن بالتجربة والملاحظة ان المأثورات الشعبية ـ ويعنينا منها هنا النصوص الادبية ـ **تتغير وتتشكل ولا تثبت على حال ،** عرفت هذا قبل ان أقرا فى الدراسات « الفولكلورية » العلمية مايطابقه . وذلك هو ما كنت أعنيه حينما كتبت فى مقدمة القصة الشعبية التى اعدت صياغتها فى بناء روائى عصرى بعنوان « **حمزة العرب** » ما يأتى :

« اما دورى فى هذه الرواية فهو كتابتها والتصرف فى صياغتها وبعض مضامينها بحيث تخرج فى صورة تلائم ذوق العصر . والمعروف فى الاعمال الفولكلورية أنها لا تثبت على صورة واحدة ، بل يتصرف فيها ويضيف اليها كل من يحكيها أو ينشدها أو من يتناولها اى تناول آخر . وما عملى هذا الا مرحلة تطويرية من هذا القبيل »

ولكن الاستاذ فوزى العنتيل ـ فى مقال له عن الكتاب بالعدد الاخير من ((**المجلة**)) ـ يعلق على ذلك الذى جاء فى المقدمة بقوله :

((**وليس من اليسير علينا ان نتقبل مثل هذه الاحكام الجاهزة بالنسبة لقضية خطيرة كهذه ، أو بالأحرى بالنسبة لطائفة من قضايا الفولكلور الهامة والتى تحتاج الى مناقشة طويلة**))

ونحن ازاء قضية واحدة لا غير ، هى قضية الثبوت او التغير فى النص الشعبى ، ولم اثر غيرها من قضايا الفولكلور ، فليس ثمة معنى للذى وصفه ((بالأحرى)) ! وما دام يناقش مناقشة علمية فالأحرى به أن يعبر تعبيرا علميا مقتصدا . وهل انا فى حاجة الى ان اقول للأخ فوزى العنتيل ان ما قلت به ليس من الاحكام «الجاهزة» بعد مابينت انه ((تفصيل)) من حيث تحصيله بالتجربة والملاحظة قبل ان نقراه علما ؟ وهل مثله فى حاجة الى أن اقول له ان العلم أساسه التجربة والملاحظة . فاذا كان عنده من ((ايرلندا)) كلام ((جاهز)) يخالف تجربتنا فى بلدنا فليعد فيه النظر قبل أن يردده ؟

على أننا نظلم ما اتى به من ايرلندا ، فهو يعترف بالتغيير بعد أن رفض تقبل القول به ، فتحدث عن ثلاث طرق يحدث بها التغيير ، احداها ((**النقل الشفوى الذى يقوم به رواة غير محترفين**)) وفى تجربتنا رأينا التغيير على يد المحترفين وغير المحترفين . وينقل عن الدارسين ((**ان هذا التغيير لا يتم هكذا كيفما اتفق**)) ومن قال بأخى انه يتم كيفما اتفق ؟ !

وهكذا نرى ان الأخ العنتيل يجول ، ثم يعود بما نقله عن الدارسين الى موافقة ما راى أولا انه ليس من اليسير عليه ان يتقبله ، ووصفه بأنه من الاحكام الجاهزة !

وفى مقال الأخ العنتيل فقرة أخرى تدل على التغيير فى القصة الأصلية من حيث اختلاف طبعة من أخرى ، اذ نقل عن الاستاذ فاروق خورشيد انه ((لا حظ بحق انها القصة الوحيدة من بين السير او الملاحم الشعبية التى لا تبدأ بالعبارة المألوفة : ((**قال الرواى**)) الاستاذ فاروق لاحظ ذلك بالنسبة الى النسخة التى هى عنده ، وقد تكون هى التى اطلع عليها الاستاذ فوزى ، ولكن النسخة التى اعتمدت انا عليها تبدأ بالعبارة المألوفة : **قال الراوى** ، بل تتكرر فى خلالها ..

واذا كانت النسخة التى اطلع عليها خالية من القوى الغيبية اذ يقول انه لاحظ ((**خلوها تقريبا من الاعتماد على الخوارق أو قوى السحر**)) ، فما قوله فى ان النسخة التى اعتمدت عليها تعج بالخوارق وقوى السحر بشكل غالب .. ؟ مثال ذلك زواج ((**حمزة**)) باحدى الجنيات وانجابه ولدا منها وحياته فى بلاد الجن فترة طويلة من الزمن ومساعدة الجن له فى مغامراته على وجه الارض ... الخ

وقد اهملت كل ذلك فى صياغتى الجديدة للقصة ، ولم ابق من الخوارق الا القليل ، كما عدلت عن بعض المغامرات الجانبية والسرد المطول فى بعض المواضع ، لانى وجدت كل هذا يبعد بنا عن التركيز الذى رايته لازما لخدمة الموضوع الذى قصدت الى ابرازه وتنميته فى الصياغة الجديدة ، **وهو اظهار الجهود التى قام بها البطل لتجميع العرب وتحريرهم من نفوذ اعدائهم ، واظهار الفضائل والقيم العربية ، واظهار الروح الانسانية العامة من حيث ما نسميه الآن بالتعايش السلمى وتوثيق العلاقات بين الشعوب والقضاء على ما يعترضها من اطماع الملوك والساسة .**

وقد عنيت بتلك الأغراض خاصة لأنها هى نفس اهدافنا القومية فى الوقت الحاضر ..

والأخ العنتيل يعيب على ذلك الصنيع ، ويسميه تلخيصا أو ايجازا شديدا .. او كما يقول : ((**قام الاستاذ عباس خضر بعملية تلخيص للحدث الاساسى فى القصة وهو الصراع بين العرب والفرس ، وهزيمة الفرس فى النهاية ، وقد اقتضاه هذا التلخيص او هذا الايجاز الشديد اسقاط كثير من الاحداث الجانبية فى القصة من جهة ، والى تضييق حلقات سلسلة المغامرات التى قام بها البطل والتى تكون فى الواقع غاية من غايات هذا النوع من القصص بالنسبة للقصاص الشعبى ولجمهوره من جهة اخرى**))

والفقرة الأخيرة من هذا النص تنقلنا الى نقطة اخرى ، وهى ما يسميه تضييق حلقات سلسلة المغامرات ... الخ

كان جديرا به أن يتأمل ماقلته فى المقدمة من

انني قصدت اخراج القصة في صورة تلائم ذوق العصر ، فانا غير القصاص الشعبي ، وجمهوري — وهو المتعلمون المعاصرون — غير جمهور القصاص القديم ، وتصرفي كان على هذا الاساس الذي كان جديرا بان يلتفت اليه الاستاذ المتبل . ولو انه التفت الى هذا الاساس لما عاب على ابدال كثير من الالفاظ في القصة ، اذ يقول :

« من العسير أن نفهم الأسباب التي دعته — اي دعتني — الى ابدال كثير من الالفاظ ذات الدلالات التاريخية بالفاظ اخرى مثل تغييره « عمر العيار » الى عمر الكشاف ، والعجم الى الفرس ، والقاهرة الى عاصمة مصر ، والحبيس في الجبل — في وصف احد الزهاد — الى المتكف ، وتغييره عبارة « بعث بتحرير الى الملك » بعبارة « بعث بكتاب » ، وتجييش الجيوش الى جمع الجيوش ، وما الى ذلك »

ليس هناك يا اخي ما يعسر فهمه .. اذا علمت ما قلته من اني أكتب للقارىء المتعلم المعاصر ، واعتقد ان كلمات مثل الكشاف والمتكف وكتاب اقرب الى ذوقه وفهمه من العيار والحبيس والتحرير .. ولا اعرف اني غيرت العجم الى الفرس الا ان تكون نسختك مغايرة لنسختي . وليس هناك من تلك الالفاظ ما هو ذو دلالة تاريخية غير « القاهرة » ومن اجل الدلالة التاريخية استبدلت بها عاصمة مصر .. لان حوادث القصة تقع في زمن كسرى انو شروان والملك النعمان ، **ولم تكن القاهرة قد انشئت في ذلك الزمان** ، فذكرها يحدث بلبلة في الأذهان ، بالنسبة الى القارىء في هذا العصر والأوان .

وكنت اود ياسيد فوزي ان تقيم هذا العمل بالنسبة الى تراثنا الشعبي الذي تختلف ظروفه عن ظروف مثله في ايرلندا .. فتراثنا منفصل عن حياتنا الادبية ولا يكاد يلم به الا القليل من الادباء والمثقفين ، على خلاف التراث هناك في ذلك .

وانا اعلم انك لم تكن تدري شيئا عن القصة الاصلية برغم تخصصك في الفنون الشعبية ، وان عملي وصياغتي لها هذه الصياغة ونشرها في هذا الكتاب الذي تصديت مشكورا للكتابة عنه ، قد اتاحت لك فرصة الاطلاع على القصة الاصلية وعلى صياغتي الجديدة ،وهذا هو الغرض الذي قصدت اليه .. **قصدت ان اقدم جانبا من ادبنا الشعبي للقارىء المثقف المعاصر مثلك بطريقة تجذبه اليه** : فهل نجحت في هذا الغرض كان هذا السؤال هو الجدير بالنظر والتقييم ، ولا يجدى أن تتهرب منه بقولك « **ليس من موضوعنا أن نعمد الى تقييم الصنيع الذي قام به فلان ... الخ** »

ما موضوعك اذن في الكتابة عن كتاب بباب الكتب في المجلة ان لم يكن تقييم الكتاب .. ؟

كشكول

● مرة ثانية اجل اجتماع مؤتمر الادباء العرب الخامس ببغداد من ٢١ ديسمبر القادم الى ١٥ فبراير سنة ١٩٦٥ ، وذلك لما لوحظ من ان الجو يكون هناك في ديسمبر شديد البرد .

● اصدرت وزارة الاعلام الى جميع وسائل الاعلام في الجمهورية تعليمات تقضي بتجنب استعمال الكلمات الاجنبية التي لها مقابل عربي والعمل على تعريب ما ليس له مقابل .

عظيم جدا ، يبقى الاهتمام بصحة نطق الكلمات والاعلام العربية . سمعت مذيعا في الاذاعة ينطق اسم **الاستاذ باكثير** بفتح التاء والياء ..

● في شهر رمضان الماضي قدم التليفزيون تمثيليات باللغة العربية الفصيحة ، او هكذا كان القصد .. لان الممثلين والممثلات جعلوها غير فصيحة .. وقيل وقتذاك ان الوقت كان ضيقا ، اي ان الاعداد والتدريب لم يتما قبل حلول رمضان بوقت كاف .

واريد ان اذكر من الآن لرمضان القادم .

● **« وربما كنت في قصة (البوسطجي) اول من استخدم (الفلاش باك) اي البدء بالاحداث المتاخرة في القصة »**

كان هذا مما افضى به الاستاذ يحيى الى الاستاذ فؤاد دواره في حديث نشر بالجمهورية .

حقا لم ار — في اثناء بحثي — هذا الشكل مستعملا في القصص المصرية قبل قصة « **البوسطجي** » الا في قصة « **سخرية الناس** » لطاهر لاشين ، وقد يكون في غيرها مما لم اره . وقد احسن الاستاذ يحيى حقي — وهو الدقيق في استعمال اللغة — بكلمة « **ربما** »

● « **حبيبتي والمدينة الحزينة** » عنوان ديوان للاستاذ انس داود اصدرته مؤسسة التاليف . وشعر الديوان كما يقول صاحبه في الاهداء :

« نبضة مني واجف محترق ، قطرة من عرق ، ليلة من ارق »

عباس خضر

فيلم الخنافس

بقلم عبد الفتاح البارودي

لا أدرى سر هذه الضجة التى تقام حول فرقة من الشباب الانجليزى المراهق ، أطلق عليها اسم « الخنافس » ، وهى مجوعة من الخنافس فعلا !!

رأيت الفيلم الذى كتب فى نشراته بالخط العريض أن هذا أول فيلم كامل يقوم ببطولته الخنافس ، وانهم يقدمون فيه ست رقصات جديدة ، وادهشنى أن تتولى هيئات سينمائية محترمة انتاج مثل هذا الفيلم فى استوديوهات انجلترا ، نفس الاستوديوهات التى انتجت روائع الأدب الكلاسيكى ، وحولت قصص كبار الأدباء الى الشاشة ، بل أعدت للسينما مسرحيات شكسبير وبرناردشو وغيرهما من عمالقة المسرح ، من فرط اهتمامها بالقيمة الأدبية .

والغريب أن خبراءهم السينمائيين كانوا يعارضون أحيانا اخراج مسرحيات شكسبير مثلا ليس لأنهم لا يحتفلون بروائع الأدب ، بل لأنهم يتشددون فى الاحتفال بها لدرجة انهم يخشون عليها من السينما أن تفقدها بعض نواحى عظمتها .

وكانوا يتزمتون فى تقديم المؤلفين الجدد ولايسمحون لهم بادخال قصصهم فى البلاتوهات الا اذا برهنوا على نضوجهم الأدبى .

وكانوا يتهمون سينمائيا عملاقا مثل أورسون ويلز بالجنون لانه يسرف أحيانا فى الخروج المعتمد على نضجهم الادبى .

كانوا يهتمون بالتقاليد الفنية والأدبية ، ويتفاخرون بأن المحافظة عليها هى التى عصمتهم من الانسياق وراء استوديوهات امريكا التى اتهموها أنها تهبط بمستوى السينما فى أفلام رعاة البقر والجانجستر وهم أيضا كانوا يتفاخرون بأن محافظتهم على هذه التقاليد هى التى مكنتهم من الصمود أمام الافلام الإيطالية عندما اكتسحت بواقعيتها الجديدة سائر المذاهب السينمائية .. وهكذا .

ثم جاء فيلم « **الخنافس** » فزلزل كل هذه التقاليد واوشك أن يتهم هؤلاء الخبراء السينمائيين بأن هذه المحافظة على التقاليد مجرد مظهريات ، أو على الأقل أصبحت كذلك .. لماذا ؟ وأنا لا أوجه اليهم هذا الاتهام من أجل فيلم واحد ، ربما يقال انه « فلتة خاطئة » ، لكن اهتمام فنانيهم وجمهورهم بهذا الفيلم يدل على أنه ليس فلتة ، بل بداية لتدهور السينما فى استديوهاتهم .

والحقيقة أن احساس الفنان الأوربى بالضياع تضخم ، بسبب سيطرة الروح الآلية والطابع الميكانيكى ، واحساس الفنان الانجليزى ـ بالذات ـ بالضياع قد تضخم بدرجة أكبر ، لنفس الاسباب ، وأيضا لأنه يشهد الشمس تغرب عن الممتلكات الاستعمارية القديمة ويشهد أفول المجد الزائف ، ويشهد مع كل الفنانين الاوربيين نمو الحركات الشعبية ، ويقظة الشعوب النامية ، ولا جدال فى أن احساس الاستعماريين بالضياع أثار فى وجدانهم الفنى روح القلق والسخط ، فحاولوا تغييرمفهوماتهم ومنها المفهومات الفنية ، فرأينا فى انتاجهم الادبى والفنى شطحات متنوعة وتقاليع كثيرة وتفشت هذه الشطحات والتقاليع فى الفنون الانجليزية بالذات أو بصورة أوضح كرد فعل للكبت الفنى .

ظهرت التقاليع فى الساخطين والعابثين واللامنتمين كمدارس لتجديد الفن ، ومهما يكن الرأى فيها فانها تقوم على شىء من التفكير وشىء من التعليل ، ولكن مدرسة الخنافس مجردة من أى تفكير أو تعليل .. مجرد تهريج .. لماذا ؟ لأن السخط والعبث اللا انتماء تبلور فى أعمال مسرحية غالبا ، ولا جدال

فى أن المسرح كتركيب فنى يكيف أى انتاج يقدم عليه تكييفا محددا بمواضعاته باى شــكل ... أما السينما ففيها مجال فسيح للانتاج غير المقيد باى مواضــعات ، أو باى تعليـل ، أو باى رؤية فلسفية أو فنية .

والمثل واضــح جدا فى فيلم المنـافس .. انهم « **كبشة عيـال** » من المراهقين ســموا أنفسهم بهذا الاسم المثير ، لمجرد الاثارة ، ولو أنها اثارة الاشمئزاز تجمــع عليهم المراهقين والمراهقــات لانهم حولوا الحياة الى صخب ورقص فى غاية السذاجة والتفاهة ، ووجد فيهم السذج والتافهون فرصة وأداة للتنفيس باسراف ، فجاء الفيلم أكثر تفاهة من الافلام الأمريكية المماثلة فى الصخب والرقص والاستعراضات ... ان الرقصات الأمريكية – على تفاهتها أيضا – فيها ايقاعات معينـة ، مثـلا ، ولكن ماذا فى رقصــات المنافس ؟! مجرد تشنجات .

والغريب أن الفيلم يدر حول « **حدوتة** » كان يمكن تناولها فنيا .. انها تصور متاعب المنافس فى رحلة يقومون بها للوصـــول الى اســـتوديو تليفزيونى يعرضون فيه انتاجهم .. كنت أتوقع مثلا أن يواجهوا متاعب فنية مصدرها الصراع بين الفن القديم وفنهم الجديد فرضا ، وكنت أتوقع أن ينتهزوا هذه الفرصة لشرح اسلوبهم أو تكنيكهم أو افكارهم ، أو لابراز منهج جديد يحاولون استخدامه .. الخ .. ولكنهم لم يتجهوا الى شىء من ذلك ، لأنهم يعملون بلا أسلوب أو تكنيك أو تفكـير .. وأنا لا اتهمهم بلا دليـل ، فالأدلة واضـحة جدا فى الفيلم نفســه .. تعالوا نشاهده معا :

يبدأ الفيـلم ببداية رحلتهم فى قطار .. أولا هم يرتدون ملابس ذات أسلوب مخنث ، وعلى رؤسهم شعر مصفف بقذارة .لدرجة أنهم عندما يشاهدون فى نفس القطار رجلا يرتدى ملابس عادية وشـعره عادى ، يقولون : هذا رجل نظيف !! الرجل فى الخمسين من عمره مثلا ، ومع ذلك يقول له أحدهم الفاظا فى غاية السخف ، وسرعان ما يتحول الرجل أيضا الى كائن شاذ فى تصرفاته وصوته وحركاته ، بعكس ما كنا نتوقع .

لقد توقعت فعلا أن هذا الرجل سـيكون محور صراع فنى ، بمعنى انه سيعارضهم وهم يجادلونه ، ومن خلال الحوار أو الأحداث بين الطرفين تنكشف موقفهم من الفن او الحياة او اشكال الرقص والعزف والفنون الاستعراضية مثلا .. ولكن لم يحدث هذا مع الأسف ، بل ان الرجل من اول كلمة نطق بها ظهر انه مسخرة ومن نفس مستواهم .

وتستمر الرحلة فى تهريج ، وتنتهى بوصولهم الى الاستوديو التليفزيونى ، وتحدث حوادث تافهة توقع أحدهم فى مركز الشرطة ، وسرعان ما يتحول هذا المركز أيضا الى مسخرة كذلك .. هم يهرولون فى الشــــوارع ورجال الشرطة يهرولون خلفهم ، ثم يعودون الى المركز ، وهكذا بلا هدف اطلاقا .

خلال الأحداث أيضا نرى الرجل الذى صاحبهم يلعب القمار فى أحد الأندية ، دون أن ندرى ما علاقة هذا بالرحلة أو بالفيلم .

موضوع فى غاية الهيافة .. وربما يقال انه أداة لعرض رقصاتهم وأغانيهم ، وفعلا نجد فى الافلام الاستعراضية أن الموضوع – غالبا – مجرد تركيبة توضع فيها المادة الاستعراضية ، ولكننا أحيانا نجد افلاما تعطى الموضوع الاستعراضى وزنا فنيـا ... خذ مثلا الفيلم الشهير « ولدت نجمة » الذى قامت ببطولته جودى جارلاند وجيمس ماسون .. ان بطلة الفيلم مطربة ، والمفروض أن يستخدم الفيلم كأداة لاستعراض أغانيها ، ومع ذلك كان التناول السينمائى فيه عميقا لدرجة كادت تنسينا الاغانى .. فقد رأينا البطل يمثل مأســاة فنـان اكتشف هذه النجمة ، وساعدها فى الصعود على سلم المجد ، ثم تدهورت حالته هو وتدهور فنه فى نظر أصحاب الكازينوهات ، بينما تألق نجمها هى ، ولمعت ، وشعر استاذها بأنه أصبح عالة عليها فذهب الى البحر ليبتلع مأساته .

ان الأفلام الاستعراضية ذات الوزن الفنى كثيرة ، وأنا لم أكن اطمع فى أن يكون فيلم المنافس مرتفع المستوى الفنى بهذا الشكل ، ولكنى لم اكن أتصور اطلاقا أنه بهــذه التفاهة .. والمفروض أن الافلام التافهة الموضوعات تعوضنا عن تفاهتها بتقديم اخراج ممتاز أو تصوير ممتاز أو رقصات وأغان ممتازة ، ولكن هذا الفيلم تافه من جميع النواحى .

فى الاخراج مثلا رأينا المنافس فى القطار وكأنهم يلعبون فى الحـارة .. لم نلمس براعة فى أى كادر

او في اى لقطة ٠٠ لم يهتم المخرج بابراز مشاعرهم او آمالهم او احلامهم ٠٠ كانوا في القطار مثلما كانوا في الشارع وفي الاستوديو ، وكان المخرج لا يدرك الاحساس بالمكان او بالزمان ٠٠ وفي احاديثهم لم يصور اى لقطة معبرة ، وربما نلتمس له العذر لانهم لم يعبروا عن اى شيء ولم تكن في اذهانهم معان يريدون الافصاح عنها ، ولكنه كان يستطيع تلوين المشاهد لنجد في تنوعها ما يساعدنا على تتبعها ٠

وفي التصوير لم تشعر بانهم سافروا بالليل او بالنهار ، ولم تلمس اى تعبير في ملامحهم ، واحيانا كنا نرى الكاميرا تلتقطهم من بعيد ثم من قريب ثم في مسافات مختلفة ، دون ان نتبين لماذا وضعت الكاميرا في هذه الأوضاع ٠٠ كنت أرى احد الخنافس والكاميرا في وجهه مباشرة بحيث يملأ الشاشة ، ثم لا أجد مبررا واحدا لوضع المشهد بهذا الشكل ٠٠ واحيانا كان المخرج والمصور يركزان الكاميرا على آلة الجيتارجيتا وعلى اوتارها حينا آخر دون ان نشعر باى فرق بين المشهدين ٠

والسيناريو في نفس التفاهة ٠٠ حتى الحدوتة لم نعرف لها بداية من نهاية ، ولم تلمس اى جهد في تتابع اللقطات ، وطبعا لا ننتظر من مثل هذا السيناريو ان نحاسبه على وضع الاحداث في مجال درامي ، ولكن من الصعب جدا أن نتصور ان هذا السيناريو كتبه سيناريست من اى مستوى ٠

وفي التمثيل ٠٠ ليس في هؤلاء الخنافس ممثل واحد٠٠كلهم يقفزون ويهرجون ويرقصون دون اى علاقة بين تصرفاتهم وسلوكهم وبين القصة التي يمثلونها٠٠جائز ان يقال انهم حديثو العهد بكاميرات السينما ، فان هذا هو أول فيلم يمثلونه ، ولكن حداثة العهد لا تبرر تفاهة الأداء التمثيلي ٠٠ على الأقل كان يجب ان يبرهنوا على انهم خامات فنية ، او فيهم خامات تنتظر الصقل بالممارسة ، ولكن الحقيقة ــ استنادا الى الفيلم نفسه ــ انهم خامات سيئة جدا ٠٠ ليس في وجه أى واحد منهم استعداد للتعبير ٠٠ ليس في اى خنفس منهم استعداد للأداء السينمائي ٠

اذن ماذا يعوضنا في الفيلم عن كل هذه التفاهات ؟! ٠

المفروض انهم بارعون في الموسيقى والرقص والغناء ٠٠ ولكن الفيلم اثبت عكس ذلك ٠٠٠ ان الاغاني التي ادوها لا تختلف في النوع او في المستوى عن اغاني اى فرقة في اى كازينو من كازينوهات الدرجة العاشرة ٠٠ وليس لديهم اى فكرة عن الموسيقى ٠٠ انهم يعزفون على الجيتار كما لو كانوا يعزفون على « قوس منجد » ، وهم يصيحون باصوات متنافرة ، ويرقصون على ايقاعات ارتجاليا ٠

***

انني لا أدرى كيف استطاع المسئولون عن هذا الفيلم ان يقدموه للناس في مختلف انحاء العالم ٠٠ ليس فيه ميزة واحدة او عنصر واحد يمكن ان يبرر التاجه،ومع ذلك فانني عندما شاهدته في هذا الاسبوع ادهشني ان يقابل بتصفيق ملحوظ بين رقصاته واغانيه ٠٠ كان المصفقون من المراهقين والمراهقات ، ولست في حاجة للتدليل على ذلك ، وانما اريد من هيئاتنا السينمائية وندوات الفن في الاذاعة والتليفزيون ان تلتفت الى هذه الظاهرة ٠٠ اريد أن تتناول هذا الفيلم بالشرح والتحليل ، حتى لا يتوهم الذين صفقوا له أنه عمل فني ٠٠ نريد اقناعهم بالمنطق الفني ان السينما موضوع وحركة وصورة وتعبير باللغة السينمائية ، بينما هذا الفيلم مفتقر الى هذه العناصر ٠

***

وربما يقال **واحنا مالنا** على اعتبار انه فيلم اجنبي وعلى المسئولين عنه ان يتحملوا تبعاته ، ولكن الفيلم عرض في بلادنا ، والذين صفقوا له مواطنون ، وان كانوا مراهقين ٠٠ يجب شرح وتحليل مثل هذه الأفلام لندرك لماذا تدهور الفن السينمائي في استوديوهات سبق أن انتجت روائع العمالقة ٠٠٠ اننا في بداية انطلاقة سينمائية ، ومن واجبنا ان نعرف تماما عناصر الامتياز وعناصر التفاهة ٠٠٠ لو تركنا مثل هذا الفيلم يمر بدون مناقشات عميقة لربما يؤثر في مزاج الجمهور ٠

عبد الفتاح البارودي

غربة الروح

للشاعر فرج صادق مكسيم

سبقتني اليك اشواق روحي ... وشجوني .. وحرقتي .. ونحيبي
قلت .. يانفس لاتذوبي جنونا ... كيف تبكين في لقاء .. حبيبي ؟
فاجابت .. وقبضة الياس تفرى ... في صميمي .. بكيت من تجريبي
ايها الشاعر المعذب .. قل لي ... ان تهربت .. هل يفيد هروبي
ايها الشاعر المعذب .. هيا ... واختبيء في الجبال من تعذيبي
في كهوف الجبال نبني لنا كو ... خا .. فقد نتقي رياح الخطوب
في ظلام الكهوف نسجد للالـ ... ـهام يجلو لنا خفاء الغيوب
علنا نعرف الذي أغضب الدهـ ... ـر فالقى بنا أمام الكروب
علنا .. نخبر الخطايا فندري ... اي ذنب لنا خلال الذنوب
ضؤلت كل سلوة في وجودي ... وتلاشت على يدي .. مكتوبي
أصبح الكون لا يساع همومي ... ومدى الأفق لم يعد بالرحيب
لا .. ولا سخمة الظلام تغطي ... غرغرات الصديد بين ندوبي
ما الذي أنت تبتغين من الكو ... ن .. ومن ضجة الورى في الدروب
عد بنا للجبال .. فهي تنادي ... منذ ان كنت في المهاد الرطيب
في قبور الفراغ أدفن أحزا ... ني وافني مع الأثير الكئيب
عد بنا .. ان في المفاوز صمتا ... وظلاما .. يحن للمنكوب
عد بنا .. انما الغرام فخاخ ... أتقن الدهر نصبها للقلوب
ما الذي أنت من هواك ترجي ... هل يرجى الشعاع بعد الغروب
قد شبعنا من العذاب فجاءوا ... بصنوف جديدة .. وضروب
الف سهم جمعتها من جراحي ... والملايين أقبلت من طبيبي
يا الهي .. لقد رأيتك في الرز ... ء تصب اللهيب فوق لهيبي
انا آمنت يا الهي .. برب ... يحكم الناس بالعذاب الرهيب
فابعث الريح كي تطفيء شمعي ... ابعث الريح .. في هياج الهبوب
اطفئي .. ايها الرياح شموعي ... اطفئيها .. فقد سئمت نصيبي



حول الأدب في أسبوع

يقدمه عبده بدوي

رجلان وموقف وعتاب :

اولا : لا شك أن هناك ارتياحا في الحقل الفكرى لعودة الدكتور **زكي نجيب محمود** ، ولاستئنافه نشاطه ، فمن فترة كبيرة وهو لا يكف عن العطاء بعقل العالم وقلب الاديب ، فاذا أضفنا الى هذا انه يصدر عن « **الوضعية المنطقية** » ، وبعبارة أدق عن منهج فى فهم العبارات اللغوية مهما تكن مادة هذه العبارات .. اذا أضفنا ذلك أدركنا أن الرجل يصدر عن وجهة نظر محددة ، بعكس الكثيرين الذين يصدرون عندنا عن التسلية أو الثرثرة أو الاغراض المجهولة .

ومهما يكن من شىء فانه يقال عن الذين فى موقف الدكتور زكى نجيب محمود انهم « **كالصيرفى** » فى البنك ان كانوا لايملكون المال ، الا أنهم يملكون القدرة على التمييز بين الاصيل والزائف ، ولكن الذى لايشك فيه أن د. زكى نجيب محمود يملك قوة ضاربة من الفكر ، وفى الوقت نفسه يملك القدرة على « الفرز » بين المتعاملين .

ولقد كان مما أسعد الكثيرين أنه بدأ نشاطه بندوة ناجى بمناقشة كتاب « **قضية الشعر الجديد** » للدكتور محمد النويهى ، مع الدكتور عفيفى محمود .

ثانيا : كان مما ارتحت اليه شخصيا ، ومما ارتاح اليه الحاضرون أن د. زكى نجيب محمود قرر فى بدء الندوة حياده التام بين الشكلين ، ثم قرر أن هناك ركيزتين يقوم عليهما الكتاب هما :

١ ـ لغة الشعر يجب أن تقترب من لغة الحديث العادى .

٢ ـ كلما تطورت اللغة وبقى الشىء مثلكنا ستتسع الفجوة حتى يحس الشعراء بوجوب الثورة .

ثم قال ان د. النويهى وضح الركيزة الاولى بطريقة من أعجب الطرق ، وذلك بأن أتى بقصيدة « الجميح الأسدى » ثم ترجمها بمثل ما نقوله اليوم باللغة العامية ، وكأنه يريد أن يقول : « لو كان الجميح الأسدى » بيننا اليوم لكان أحسن تعبيرا عنا ، ثم ينتهى الى القول : « من منا الجميح » !

ويصمت د . زكى لحظة ، ثم يذكر أن لغة الحديث عندنا عامية والشعر لغته الفصحى ، وأن « اليوت » حين يتكلم عن هذا يريد لغة المثقف التى لا تبعد هناك فى الحياة عن الشعر ، ومن هنا يصبح مايقوله

اليوت لايخصنا ولاينطبق على مانحن فيه، بل ويجب ان تصم آذاننا عنه .

ثم ان المؤلف يتكلم عن « شخصيات » لا عن نظريات ، ولا شك أن هذا ضعف فى موقف الدفاع، ثم ان الباب الأول لا يقول الا كلمة واحدة هى « **شعر الجميح الأسدى مثل شعر اليوم** » فأى دليل فى هذا على تجديد لغة الشعر ؟ كان يمكن للمؤلف ان يقول ان لغته الجاهلية لا تتفق مع الحاضر ، ولكنه يوضح العكس ، ثم ان المسالة فى تصميمها ليست « **القديم والحديث** » ولكنها « **الصدق والكذب** » أما اعتماده على تفسير قصيدة الجميح باللغةالعامّية فشىء غريب لانه يمكن الآن الترجمة الفورية من أية لغة قديمة أو حديثة الى العامية المصرية ، ثم يذكر أن المؤلف كان يمكن أن يخدم فكرته لو استشهد بوردزورث الذى كان يقدم تراكيب وجملا شعبية فى شعره .

والمؤلف بعد الذى قدمه كان يمكن ان يتشكك فيما يريد الوصول اليه ، ولكنه انتهى الى أن يقول فى خطابة : « لماذا كان الشكل القديم عاجزا » ؟ فهنا قفزة ، وبعبارة أدق افتراض لم يبرره الباب الاول .

ثم يقول : وهكذا نرى أن حجج المؤلف كلها نوع من الخطابة ، بل انه يمكن ان يقال أنه : « **لا حجة فى كتابه على الاطلاق** » ذلك لان كل ما اورده لا يخرج عن كونه نوعا من التأثير على القارىء بما يشبه الخطابة ! ومن امثلة هذا استطراده الى ان يقول : الا تكفى ١٤٠٠ سنة ليبلى هذا الشكل ؟ وأى شىء فى هذا فقد يمر على الشكل مليون سنة ولا يبلى ؟ فالشكل الآدمى لم يتغير ، والطبيعة هى الطبيعة ، وكثير من الفنون الآن ترتد الى فنون قديمة لانها أصل ، فالقول بطول العهد واستمرار الزمن قول لايحمل شهادة صدقه !

ثم يقول المؤلف : ان الشعراء مضطرون الى ترديد الانغام والتعبيرات المحفوظة ، ونحن نقول له : وأى شىء فى هذا ؟ هذه دعوى فما برهانها ؟ ترديد الانغام ليس بعيب ، والانسان الذى يكرر التعبيرات ليس بشاعر مطلقا فلماذا تحتج به .. ثم ان الشكل العمودى حمل مجدا فى أكثر من فترة فلماذا لايحمل مجدا الآن ، بصرف النظر عن فترات الضعف ، فالذى حمل مجدا قديما يحمل مجدا حديثا .

أما استشهاد المؤلف « بنكتة » بائعة البيض التى قالت للمشترى : « البيض طازه فانا أبيع منه من شهر » فشىء ظريف كنكتة ، ولكن العيب هنا هو عيب الشارى الذى عليه أن يبين فساد البيض لا أن يستمر فى الشراء طوال الشهر ، ثم يضحك د. زكى ويقول : ولماذا لايبقى البيض أكثر من شهر وهو على حال طيب من السلامة ، وكم يمر من الزمن ليفسد « البيض الانجليزى » ، ثم ينتهى من هذا الى أن المؤلف يؤثر على قارئه خطابيا لا منطقيا !

ومن امثلة الخطابة قوله : « ان الشعر العمودى وصل الى حد التشبع » فبأى « مقياس » قاس التشبع ؟ وما الدليل على التشبع ؟

ومن أمثلتها قوله : « ان الشعر العمودى دخله شعراء كاذبون ..

ونحن نقول له : هل نترك جدول الضرب لان بعض الاطفال يخطئون فى ذكر بعض الارقام ؟ وهل نعدم الخرائط لأن بعض الذين استعملوها لم يهتدوا الى ما أرادوا من غاية ؟ فالذى يمكن أن يقال هنا هو أن الخطأ هو خطأ العاجز لا خطأ القاعدة .

ومن أمثلة الخطابة قوله : ان الشعر العمودى يغرى بالكلام المعاد ، كما فى قصيدة دمشق لصلاح عبد الصبور ، وكأنه بهذا يقول :

١ ـ صلاح لايخطىء .

٢ ـ صلاح أخطأ حين استعمل الشكل العمودى .

٣ ـ مادام قد أخطأ فى الشكل القديم يجب علينا أن نتركه .

ويبتسم الدكتور زكى وهو يذكر بالانجليزى الذى كان يعتقد أن الانجليز لاينهزمون ، فلما سمع أن الحرب ستنتهى بعد عام ، رفض هذا القول لان الانجليز لن تتوفر عندهم أسباب الانتصار فى فترة العام هذه .

ومن امثلة الخطابة قوله : الشعر القديم حطم عبقريات .

ونحن نقول له : كيف تثبت ذلك ؟ أين البرهان ؟ مع أن من البديهيات أن العبقرى هو الذى يحطم الشكل ، والا لماذا كان عبقريا ؟

ومن أمثلة الخطابة قوله : المضمون الجديد لايمكن وضعه في الشكل القديم ، ونحن نذكره بالباب الذى خصصه لقصيدة الجميح الأسدى ، والذى قال فيه : ان قصيدته من مايقرب من ١٤٠٠ سنة غير منقطعة عن صميم التجربة الحية النابضة ، وانها قريبة من لغة الحديث الحية الزاخرة التى يتحدث بها الناس فى واقع تجاربهم .

ثم يذكر د. زكى نجيب محمود أنه لايوافق على حجج الكتاب كله وما أكثرها لانها خطابية ، ولكنه يستثنى فقط اهتداء المؤلف الى أن الشعر العربى يتميز بحدة الموسيقى ، وأن الشعر الحر يسيطر على المسرح ، ولكن الدكتور **زكى نجيب محمود** يعاود بعدم قبول الحجج التى وردت على حدة الموسيقى والتى كانت تهدف الى الانتقاص من الشكل العمودى بالقول انها لاتتفق مع الحضارة العصرية ، ومن هنا تراه يقول الامر بعكس مايقوله المؤلف ، فالحضارة العصرية تركت الهمس لتلجأ الى الصراخ ، وفى ضوء هذا لايعاب الشعر الذى موسيقاه حادة من زاوية أنه لايتفق مع الحضارة القائمة .

ثم ان المؤلف حين يقول : ان موسيقى الشعر العمودى تناسب البدائى والطفل ، يكون مثل هذا الكلام مقبولا فى العلوم لا فى الفنون ، فالفن لا يعرف بدائية ، وأول شاعر شهدته الدنيا يمكن أن يظل أعظم شاعر ، وليت الشاعر المعاصر يكون صادق الشاعرية ، وقادرا على اعطاء الفطرة الأولى ، ثم تناقض المؤلف حين يضع قوله هذا مع قوله فى صفحة أخرى ان الشعر لن يكون شعرا الا اذا ترك الوعى الى اللاوعى .

ثم يذكر د . زكى نجيب محمود أن البدائية والطفولة ليستا مما يعاب بهما الشعر ، فالأساطير اليونانية تعجب الطفل ومع هذا فليس هناك أدب ارتفع الى مثل ما ارتفعت اليه ، ومن هنا تكون « **التلقائية** » أساسا فى الشعر وليست عيبا فيه والمؤلف حين يذكر أن هندسة الشعر القديم صلبة ، والمطلوب أن تكون الآن هذه الهندسة لينة ، بمعنى قراءته شطرا شطرا .. ولكن المشكلة هنا فى صميمها « **مشكلة قراءة** » فأى قراءة للشعر العمودى تعطى الليونة كما تعطى الصلابة ، فالهندسة عند القارىء الغليظ ، وليست عند القارىء الحضرى ، وهكذا يصبح ذوق الانسان هو المتحكم فى القراءة ، وفى الوقفة ، وليس هناك مايمنع القارىء من الوقوف فى اى مكان يريد ، وفى ضوء هذا تصبح القضية قضية قراءة لا قضية تفعيلة !

ثم يصمت د . زكى نجيب محمود لحظة ويذكر أن ركيزة الاقتراب من لغة الحياة مرفوضة لأن مانتكلمه هو العامية ، ثم يزداد الصمت عمقا حين ينتهى الى القول بأن قول المؤلف بضرورة تغير الاشكال لاتوجد له حجة واحدة مقبولة يقبلها وهو المحايد بين الشكلين .

ثم انه لايقبل حتى أبسط الاشياء فى الكتاب وهو تعريف المؤلف للشعر ، وهو لايقبل قول المؤلف ان الشعر يتناول العاطفة الانسانية اذا كانت حادة ، ويطلب اعطاء مثل واحد لقصيدة تبت خلودها لأنها زائدة الحدة ، فالعاطفة فى الشعر لاتكون صالحة الا اذا خفتت ، ومن يقول الشعر وهو « منفعل » فهو ليس بشاعر ، ذلك لان المنفعل يكون تحت تأثير ضغط خارجى ولن يكون صادقا مع نفسه الا اذا فقد هذا المؤثر ، ثم ان المطلوب من الشاعر أن يكون « فاعلا » لا « منفعلا » ذلك لان الشعر يطلب سكينة وهدوءا وارتدادا الى الاعماق ، وعدوا وراء المعانى الروائعة ، ثم يتساءل هل تقول الأم شعرا فى حالة وفاة ابنها ، ثم يعرج منها الى الامثلة التى أوردها المؤلف والتى تقول :

بابا جه ! بابا جه !

رحت فين .. وسيبتنى .. ياجمل ىىى :

سيبونى يا ناس ! يا ناس سيبونى

سيبونى .. أبرد جسمى

سيبونى .. اطفى نارى

ذاكرا بأنها أمثلة مضللة .

وحين يتعرض د. زكى للنبر يتعجب من ناقد « يضع طريقة » مستقبلية ليترسمها الشعر ، ثم يعطى شواهد من الانجليزية ، ثم يقول ان «التفعيلة» قائمة على مساواتها لحروف التفعيلة التالية ، أما النبر فقائم على المقطع بصرف النظر عن عدد الحروف ، وينتهى الى أنه اذا كان صالحا للانجليزية ، فانه لن يكون صالحا للعربية .

ثم يزداد الوهج حين يســـأل : « **كيف تـكون التفعيلة تجديدا** » ؟ وينتهى الى أن المسألة مسألة قراءة ، وأن للقـــارىء أن يقف على مايريده ذوقه لا مايريده الشطر أو البيت ، ومن هنا يكون مايريده د . نويهى « **تفشيطا** » **لا** « **تجديدا** » .

ثم يقول ان الكلمة الأنجليزية تبنى باضافات ، بعكس الكلمة العربية التى تنبثق من البنية ، وانه لا يمكن الالتفات الى شذوذ القاعدة ، ثم يطالب باعطاء سطر واحد مبتور ثم يرد على قول المؤلف بأن الأغنية شعر .. بأن الأغنية باب فى الموسيقى اكثر منها فى الشعر ، وأن الأغنية لا يمكن أن تكون الطراز الذى يمكن أن يسير عليه الشعر .

..وأخيرا ينتهى الى القــول ـ باستثنــاء حالــة أوحالتين من الكتاب كله ـ بأن كافة الآراء خطابية ، وأن كل رأى رآه يمكن أن تعتنق نقيضه على طول الخط لتكون مع الحقيقة .

ثانيا : لقد اهتمت الرسالة بكتاب الدكتور محمد النويهى اهتماما غير عادي، وكان آخر هذهالاهتمامات تعليقى على الندوة التى قدمها عنه ابراهيم الصيرفى فى البرنامج الثانى ، ومع أن كلامى كان من واقع ماقيل فى الندوة ، الا أن الدكتور رد على ردا طويلا ، كما رد من قبل على الاستاذ عباس خضر ، ثم الاستاذ مصطفى السحرتى ، ومعنى هذا أن الدكتور مغرم « بالردود » على نحو ماهو معروف لقراء الرسالة ، وانى انا شخصيا اثبت فى عديد من ردوده على أنى سعيد بمناقشاته .

ولكنه فى حيرة الآن ، فانا أعرف أن هذا العرض لوجهـــة نظر الدكتور زكى نجيب محمود سيرضى عنه ، ولكنى اعرف أن اى عرض لرأى الدكتور محمد النويهى لن يرضى عنه ، ولن أتهم الدكتور النويهى باساءة الظن بى ـ **فكلانا صديق** ـ ولكنى أعتقد أن أى تلخيص لما قاله ســيكون محــل ردود جــديدة تضيع وقت القارىء ، فالدكتور تحدث بما يعادل أربعة أمثال الوقت الذى تحدث فيه الدكتور زكى ، واضطر الدكتور عفيفى محمود الى أن يطوى الدراسة التى كان قد أعدها ، ولا يقوم بغير توضيح علمى وافق عليه المؤلف .. ثم انه ـ **وليلق على التبعة** ـ لم يفهمنى الكثير مما قاله ، فقد كان منفعلا الى حد انه عدانى بالانفعال فلم أركز على اكثر ما قال ، ثم انه قام وجلس ، ورســم فى ورقة ثم عرضـــها على الجمهور ، وصفق وضرب بيديه على المائدة ـ ضربا خفيفا ـ ووضع يديه مضمومتين امام وجهه اكثر من مرة ، وقام بتمثيل هيئة الانســـان الأول ، وغنى « عطشان ياصبايا دلونى على السبيل » ووصف الانفعال بقوله « أنا أعمل كذا . بم تو . تا . بى‌سو تا . ب » .

ثم اخيرا لأنه لم يقل شيئا لم يقله فى كتابه ، ولأنه تطرق الى اشياء كثيرة وقضايا كثيرة مثل :

● **لن نعود الى استعادة مجدنا الماضى والا كنـا رجعيين** .

● **شكلنا الفردى اخذ يتجسد** .

● **قدم اى شكل يثبت لكل ذى عقل انه مشكوك فى صلاحيته** .

ثالثا : واذا كان هناك عتـــاب يوجه للدكتور محمد النويهى ، فهو هجومه الشديد والوحيد على مجلة « **الرسالة** » فى الندوة .

فهو حين يهاجم بابا يكون قد هاجم منهج المجلة التى تسير عليه ، بل منهج ادارة المجلات التى تقوم بارضاء كافة الاذواق عن طريق مجلاتها المتعددة . ثم هل هو راض عن كافة أبواب المجلات ، وهل يرر أمام الجالسين هجومه على الرسالة ؟ ثم هل نسى أنه احد كتابها الذين تقدم لهم المجلة فى بعض الاعداد مقالا فى الصدارة ، وردا فى بريد القراء ؟ وهل‌تنسى اللحظات الطيبة التى تجلس فيهـا ، ثم تذكر أن « الرسالة » هى المجلة الوحيدة التى فتحت صدرها برحابة لكافة القضـايا ، وأنها تقدم دائما الجبهتين المتصارعتين ، كما حدث فى قضية التجديد الدينى التى أثارها الدكتور **محمد أحمد خلف الله** ، وكما فى قضايا الشـعر الحر والمسرح المعاصر وقضـــايا

الاعـــلام وكل ماهو عميق وأصـــيل فى وجودنا ، وهل نسى الدكتور حقيقة الرموز المسيحية ومواقفها ورده على فيما كتبت بشأنها ، وهل نسى موقفى من شعراء الرفض الذى وضحت من خلال أعمالهم أنهم ضد قادتنا، وضد الوحدة، والعروبة، والاشتراكية، فاذا بالدكتـــور يدافع عنهم دفاعا عجيبا من خـــلال الميثاق ومن خلال خطبة للرئيس جمال عبد الناصر ذكر ان فيها هجوما حقيقيا على العرب ، ثم هل نسى الدكتور أنه أعطاهم « صكا » بالهجوم على « الدين والاخلاق والقومية العربية » .

واذا كان الدكتور يتوهم ان « **الرسالة** » ضد كل مايقال من الشعر الحر ، فكيف يفسر المقالات التى كتبت فيها محبذة ومحتجة ، وكيف يفسر الاهتمام بكتابه « قضية الشعر الجديد » الى حد أن بعض قرائها ذكروا فى أكثر من مكان أنها تجاملك ، وهل قضية الشعر أو اية قضية أخرى لاتقبل الا وجهـــا واحدا هو ماترتاح الى ملامحه ، ثم هل يمكن أن يبرر الصمت الذكى للمجلات والصحف عن كتابه ماعدا « الرسالة » ، وهل وجد فى نقاشه وفى مجالسه مايعينه غير نقد الاستاذ مصطفى السحرتى فى الرسالة لرد بعض الحجج عنه ؟ الم يقل مرة أنه أعظم نقد قرأه فى الفترات الاخيرة ؟

ثم دعنا نتصارح أكثر ، ودعنى أقل لك أنه ليس كل ماينشر فى الرسالة او فى أية مجلة أو جريدة ممتازا فنحن الآن ـ كما ذكر المسئولون ـ فى عهد اتاحة الفرص ، وتوسيع القاعدة ، وخلق الـكاتب الجديد .

ثم دعنى أقل لك لماذا تقف عند السيىء من الشعر العمودى ولا تقف عند السيىء من الشعر الحر ؟

ثم دعنى اقل لك كلمة أخيرة ومنصفة ان مانشره أخيرا محمود حسن اسماعيل فى الرسالة لا يقف بجواره الكثير مما قيل فى الشعر الحر ، وليس معنى هذا أنى متحيز لشكل دون آخر ، ولكن معناه ان ننظر الى جانبى الوجه لا الى جانب واحد يادكتور .

عبده بدوى



الحركة العاقلة بين النظرية والتطبيق

ان كل شيء يتحرك في هذا العالم .. والذى لا شك فيه أن الانسان بعقله ومقدرته على الحركة ـ هو الذى يحرك كل شيء ويتحرك معه صعودا أو هبوطا .. ولكن الذى لا شك فيه أيضا أن نوع الحركة نفسه يرتبط الى حد كبير بالمستويات المتفاوتة للتقدم الانسانى ويرتبط كذلك بالمقاييس العقلية والانسانية للفرد من حيث مقدرته واستعداده للحكم على أمور معينة .. فقد يرى البعض في قضية ما انها قضية انسانية متحركة ومتقدمة ، بينما يرى البعض الآخر ـ في نفس القضية ـ انها تتميز بالجمود والتخلف .. والمهم هنا اننا نعيش في عالم تتصارع فيه الآراء والافكار والمذاهب المتباينة ولدى كل من الاطراف المعنية مبرراته المعقولة نسبيا .. ولكن الذى لا جدال فيه ان كل دعوى معاصرة الى العالمية، تعتبر مثالية الى حد كبير .. اذ انه على الرغم من أن عمر القوميات بتحديداتها ومحتوياتها المصلحية ـ الاقتصادية منها والسياسية ـ قد قارب على قرن من الزمان الا أنه مازال أمام التقدم البشرى الكثير من الوقت والجهد للوصول الى المرحلة التى يمكن فيها للانسان الفرد أن يعتبر نفسه مواطنا عالميا .. غير مشدود الى واقعه النفسى والجنسى وشعوره بالانتماء الى رقعة معينة من الارض باهدافها وتطلعاتها الخاصة، وثقافتها وأهدافها المتميزة .. واذا كان الامر كذلك فان كل دعوى لعالمية الانسان تعتبر هروبا لا مبرر له من الواقع الحى المعاش .. لقد استطاع التقدم الانسانى بكل ما يمتلكه من وسائل مادية وعلمية متقدمة أن يحقق ما اصطلح على تسميته بالضمير العالمى ولكنه لم يصل بعد الى ما يمكن تسميته بالمجتمع العالمى ..

والحركة العاقلة حركة يحكمها العقل المضىء يدعو فيها الكاتب الى الدراسة العلمية الموضوعية واكتشاف قوانين التطور .. ويستشهد كذلك بقول الرئيس جمال عبد الناصر ..

« لم نكن نؤمن بالجمود بل كنا نؤمن بالحركة . وكنا نعتقد ان الحركة أمر ضرورى لتحقيق الاهداف . قد تكون الحركة مرة ، وقد تكون صعبة، لكن لابد منها حتى تحقق الهدف » والحركة العاقلة كذلك .. دعوة الى جعل الحركة قوة خلاقة للاهداف. وهى فى ذات الوقت دعوة حاسمة للعمل الموجه الذى يقوم على التخطيط وتؤمن بالتغير المستمر وعدم الجمود » .

وقد استطاع الاستاذ «محمد عطا» صاحب نظرية الحركة العاقلة أن يفسر كل شيء فى الحياة والفكر والفن .. وهى تفسيرات تحمل وجهة نظر المؤلف الخاصة الى حد كبير ، والذى يعنينا هنا ألا ندخل مع المؤلف فى مناقشة تفسيراته الفلسفية ـ لكثرة الميادين التى بسط فيها دعوته ـ ولكننا فقط ، سوف نحاول أن نقدم آراءه وتطبيقاته الخاصة .. على الشعر والقصة والمسرحية .. وبخلاف ذلك يمكننى القول ان المؤلف قد لمس بتطبيقات نظريته على الواقع الاجتماعى والفكر السياسى العربى ـ لمسا خفيفا لم يكن فى مستوى لمساته الرائعة على الفن والادب ـ

على الرغم من أهمية الواقع الاجتماعى والفكر السياسى العربى ـ كاساس لكل ما يترتب عليه من فن وفكر وأدب .. الخ .. ولا بد أن يختلف المرء مع المؤلف فى قوله فى صفحة ١٥ مايلى :ـ

« ليس من شك فى أن القومية ليست مذهبا لنا ولن تكون كذلك لان القومية اولا فى حاجة الى مذهب يدعمها ، ثم هى ثانيا فى حاجة الى مذهب يتجاوز بها حدود القومية الى محيط أوسع وارحب».

ولكن ما هى غاية هذه النظرية :ـ

ويرد المؤلف على ذلك بقوله :ـ

« ان غايتها هى غاية التفكير البشرى الذى يسعى الى ايجاد مجتمع انسانى لا أثر فيه للطبقية أو الاستعلاء أو التدمير أو الاحتكار أو الاستغلال ، بل أن يعيش الناس متحابين متعاونين ، « وان يعيش الانسان ويدع غيره يعيش » وليس من شك فى ان هذا التفكير هو الذى سيسود العالم ، وان النظريات البالية العتيقة « نظريات الاستعمار والاحتكار والحرب والسيطرة » ستنقرض من عالمنا ، وقد رأينا مقدمات للقضاء على هذه النزعات الشريرة تجلت فى صحوة الضمير العالمى كلما أحس بالهوة السحيقة التى سيتردى فيها اذا ما نشبت حرب عالمية .»

والمؤلف هنا يدعو الى نوع ما من المجتمع العالمى ، الذى ناقشنا فى البداية استحالة وجوده .

ولنبدأ مع المؤلف من خلال نظريته « الحركة العاقلة » وتطبيقاته الخاصة فى الشعر والقصة والمسرحية ..

يقول المؤلف :

« ان اشاعة الحركة فى الشعر ليس معناها الاقتصار على ترجمة الاحساس أو الانفعال فحسب. بل انها قائمة أيضا على الاهتداء بهدى العقل ، وهذا ما حدا بنا الى أن نسمى مذهبنا « الحركة العاقلة » فالفن لم يعد عفويا واعتقد انه لم يكن كذلك فى يوم من الايام .. ألا ترى النقاد الاقدمين يذهبون الى تسمية قصائد زهير بن أبى سلمى « بالحوليات » اى انه كان يعد القصيدة فى عام بطوله ؟!

هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فان اشاعة الحركة العاقلة فى الشعر معناها وحدة القصيدة ، فالقصيدة غير المترابطة هى قصيدة لا يحكمها عقل بل هى عفو الخاطر، والقصيدة غير المتماسكة ليست بناء قائما بذاته ، والاصل فى العمل الفنى المحكم ان يكون كلا مترابطا . والقصيدة التى تكون فى روحها وفى بنائها محاكاة لعصر مضى أو طريقة شاعر قديم لا يحكمها مذهب الحركة العاقلة ، لانها لم تتطور التطور العصرى ولم تكن انعكاسا للروح السائدة المعاصرة . واذن فهى غريبة غرابة السيارة ذات الطراز الواغل فى القدم الى جانب السيارة الحديثة الطراز .

فشعر « محمد عبد المطلب » كان شعرا غريبا فى عصره ، والشعراء الذين لايزالون يبداون قصائدهم بالغزل أو يتحدثون عن الناقة أو يقفون بالاطلال أو يتحدثون عن السهام والقنا كادوات للحرب ، ويغربون فى الفاظهم ، ويتقعرون فى أساليبهم شعراء ان عاشوا بيننا فهم ينتمون الى العصور السوالف .

والشعر الذى لا تنعكس فيه آلام العصر وآماله ، والروح السائدة ليس بالشعر الرائع ـ ففى عصرنا ينبغى أن يسود الشعر روح « القومية العربية » ، روح الاشتراكية ، روح التعاون ، روح الديمقراطية الصحيحة .

وأن يعبر عن آلام المجتمع وأوصابه ، وعن أدوائه واشجانه وعن آمال هذا المجتمع فى التحرر من كل أثر من آثار العبودية ، وأن يتغنى بروح المحبة والعدالة والسلام ، (والعالمية) وان البشر جميعا متساوون فى الحقوق والواجبات ، وان الانسان اخ للانسان فى أى مكان من هذا العالم . واستشهد المؤلف بعد ذلك بقصيدة « الجنة الضائعة » لابى القاسم الشابى ..

واخذ على الشاعر تشاؤمه ويأسه وانينه ويأخذ المؤلف كذلك على الشاعر محمود اسماعيل ـ فى قصيدته شاطىء التوبة أنه يقع تحت تأثير انفعاله ويعتمد على طاقته الشعرية فحسب ..

اما عبد الرحمن الخميسى فى اشواق انسان فقد جعل الشعر يخوض معركة الكفاح ، الكفاح الذى يسير مع الدم فى العروق وفى واقعنا الذى نحياه ، واقع القومية العربية المناضلة فى سبيل تحررها .

ان انعزال الفن قد انقضى وقته لان العصر يملى علينا أن يجند الفن والعلم فى خدمة الانسان المتصف بالانسانية الذى يطلق عليه لقب مواطن .

ويقول المؤلف :ـ

وبين يدى الآن ديوان لشاعر معاصر هو فوزى العنتيل وديوانه « عبير الارض » كديوان « أشواق انسان» لعبد الرحمن الخميسى» و «شعبى المنتصر»

لعبده بدوى يعد نقطة تحــول فى تاريــخ الشعر العربي المعاصر .

وانتقل المؤلف بعد ذلك الى القصة .. فذكر .. ان القصة الفنية الحقة تقوم على اشاعة الحياة والحركة فيها ، الشخصيات تتحرك تحركا طبيعيا كما تتحرك فى واقع الحياة ـ فالقاص الحق هو الذى يستطيع أن يجعــل من اشخاصه أناســا عاديين يروحون ويغدون كما يتصرفون فى حياتهم الخاصة لا كمــا يريد هو لهم أن يفعلوا .

فالانسان ابن مجتمعه ، وروح عصره ـ والانسان طموح متوثب فى مجموعه ، والانسان الذى تعنيه هو الانسان الذى يقود ، او يكافح ليقود انسان الطليعة .

مثل هذا الانسان هو الذى ينبغى أن تسلط عليه اضواء القصة الطويلة ، وقد فعل القاص المعــاصر «احسان عبد القدوس» مثل هذا فى قصته الطويلة . (فى بيتنا رجل) وهى قصة متحركة بل انها مثيرة على الرغم من اطالة وصف الاماكن والمشــاعر بها والتكلف الوارد فى بعض مواقفها .

وبعد أن يستعرض المؤلف قصة يوسف السباعى (طريق العودة) يذهب الى القول بان فن « يوسف السباعى » فيه حركة ولكن ينقصه النضــج أو بالاحرى الوقت أو التفرغ . وهى المشــكلة التى يعانيها أغلب كتاب مصر الآن .

وبعد أن يتحدث المؤلف قليلا عن ثلاثية « نجيب محفوظ » ـ يخرج الى القــول بأن نجيب محفوظ استطاع أن يطور القصة فى مصر تطويرا ملموسا ، وأن ينضج العمل الفنى الى حد كبير ، وان يصور لنــا جو قصصه بدقائقه وروحه فسرعان ما نألفه ونحس به ونتنفس فيه .

وانتقــل المؤلف بعد ذلك الى قصــة (غصن الزيتون) « لعبد الحليم عبد الله » وبعد استعراضه للقصة يأخذ على المؤلف خروج بعض تعبيراتها عن المألوف ويؤكد أن « عبد الحليم عبد الله » لا تزال روحه أو فكره هناك ـ هناك فى الريف .

ويطالب ـ على لسان الفن ـ أن يكتب «عبد الحليم عبد الله» ، قصة طويلة عن الريف بناسه وفلسفته وعاداته ، وعقائده ، وما لقيه اهله من فاقه وجور وتعذيب على طول الاعوام ، وكفــاح هؤلاء الريفيين كفاحا جبارا علوا به على الاحداث والطغيان .

وينتقل الكتاب بعــد ذلك الى القصة القصيرة مقارنا بين قصة (العذراء والليل) «لمحمود البدوى» ، وقصة (رعب) « لتشيكوف » .. ثم يخرج الى القول بأن كثيرا من الادباء المصريين قد عالجوا فن القصة القصيرة ، ولكن القليــل منهم هو الذى أبدع فيه وأجاده ، ومن هذه القلة ـ « **يحيى حقى ، وسهير القلماوى ، ومحمود البدوى ، وشكرى عياد ، ويوسف ادريس ، وأمين يوسف غراب ، وسعد الدين وهبه ، وفاروق خورشيد ، وعبــد الرحمن فهمى ، واحمد كمال زكى** » .

وتطــرق المؤلف الى الحركة المسرحية فبين ان المسرحية اقرب الفنون الى تطبيق دعوة «الحركة العاقلة »فالمسرحية تقوم اول ما تقوم على الحركة، الحركة الفكرية ، او الحركة المادية ،واخفاق الرؤية على المسرح او نجاحها مرده اولا وقبل كل شيء الى اشاعة الحركة فى جو المسرح ولا يعنى ذلك ان تكون المسرحية قائمــة على التهريج أو الصياح والجلبة وانما لاتكون جامدة مما يفضى الى سأم المشاهدين. ويأتى المؤلف الى ختام بحثه فيقول :

لقد عاش الشرق العربى زمانا طــويلا فى قوقعة صغيرة شكلته تشكيلا كبيرا ولكنه بالرغم من كل اولئك أخذ يكافح طيلة هذا الزمان ليخرج من هذه القوقعة وكان خروجه انفجارا ثوريا حطــم هــذا الحصار . ومما يبشر بالخير أنه قد أصبح لدينا فى حياتنا المعاصرة زاد أو تراث يصلح لأن يحدد لنا معالم الطريق ، وعلينا ان نضاعف الجهد وان نفيد من هذه الروح الثورية الخلاقة ، وان نســير بقدم راســخة على معالم الطريق الذى بدأناه ، واثقين بأنفسنا ، مفكرين ذواتنا ، مدركين للمســئوليات الجســام التى وضعت على كواهلنا فى هذه الفترة الرائعة من تاريخنا التى تخلصنا فيها من السيطرة الغربية واصبح زمام الامور فى أيدينا .

وعلى الرغم من أنــنا لم نستطع ان نقدم الكثير مما جاء فى كتاب الحركة العاقلة الا انها وباختصار .. دعوة حاسمة للعمل الموجه من أجل مستقبل أفضل سواء فى الطبيعة أو الحياة الاجتماعية.. دعوة تحمل فى طياتها صفة التغير المستمر وعدم الجمود وتقــوم على التخطيط الذى يقــوم على الدراسة العلمية الموضوعية .

تحسين عبد الحى

قراءات في المجلات العربية

يقدمها : مصطفى فوده مصطفى



● تايروف والمسرح

تطالعنا الآداب لهذا الشهر بدراسة طيبة عن « **مدرسة تايروف المسرحية** » قدمها لنا « **كمال عيد** » وتقوم مدرسة تايروف هذه على قواعد ذكرها تايروف نفسه . وهى :

١ ـ فن الممثل فى حاجة الى شكل جديد للأداء التمثيلى ، خال من البقبقة وتذبذبات الصوت وتموجاته ومن تحميل الصوت للرنه البكائية الاليمة .

٢ ـ ليكن الصوت عند الممثل دائما امداد ومعاضدة حتى يسمع واضحا نقيا .

٣ ـ التخفيف من الهزات الغامضة التى تمتلىء بها المسرحيات .

٤ ـ العناية بطريقة اخراج اللفظ بحيث يعكس الهدوء الخارجى للممثل كما يعكس البركان الداخلى له .

٥ ـ الدخول فى اطار الدور وابراز الهياج والانفعال .

٦ ـ الحذر الشديد فى ضبط « الرتم »

٧ ـ الاعتناء بالأدوار ذات الطابع الخاص (الشاذة) .

وينتقل بعد هذا الى حديث عن حياة تايروف يصل فى نهايتها الى رأيه فى الديكور : الذى كان يقوم عنده بثلاث وظائف هى :

١ ـ التمثيل والتعبير عن مكان الحادثة .

٢ ـ الميدان الذى تتحرك فيه الأحداث .

٣ ـ المهيىء لجو الأحداث .

ثم حديث عن الممثل وفنه يقول فيه ان «تعاليم تايروف تؤكد أن الممثل الذى لا يستطيع ان يفصل بين ذاته ودوره ، يسبب لنفسه مشاكل كثيرة ، تتسبب فى عدم ظهوره بالشكل المناسب فى دراسته وفى تطويره للشخصية التى يمثلها ... ولا يمكن للممثل ان يصل الا اذا كانت حياته مليئة بالقراءات والبحث والاطلاع والتحليل . »

«ومزاج الممثل يتحكم فى تصرفاته بالنسبة لدوره تصرفا كبيرا ، فعملية الاعداد للدور والفهم والتقطيع للجمل ثم استخلاص الهدف من النص بصفة عامة ومن الدور بصفة خاصة وعملية ترتيب الانفعالات ، ودرجة هذه الانفعالات ثم اخراجها على المسرح مستعينا بالحوار ، كل هذه المراحل تقتضى من الممثل وعيا كاملا وبديهية حاضرة . »

ويتكلم بعد هذا عن التكنيك الداخلى والخارجى واهميته للممثل « فمن صدق الاحساس بالحياة

وحده يمكن ابراز حقيقة الحياة على خشبة المسرح فى اطار فنى لصورة مسرحية ما . وعلى الممثل ان يحس بالمعايشة ويعيشها فعلا ، حتى يقنع المتفرج اثناء التمثيل . »

وعلى الممثل ان يعايش لا ان يعيش الدور حقيقة ، لانه والحالة هذه يبتعد الممثل عن الفن « فاذا ما وفق فى استكشاف نواحى الشخصية المسرحية ، واستطاع ان يترجمها الى مراحل والى طبقات وخطوط وتشكيلات والوان وانطباعات استطاع ان يصل الى الاغوار الداخلية واستطاع ان يبدأ العاطفة والاحساس من الداخل . » اما المخرج فعليه يقع عبء تنظيم «الأحاسيس والأفكار التى تتراءى للممثل مع ضرورة الانتباه الشديد من المخرج لاحترام الانفعالات التى يحرزها الممثل والتى توافق شخصيته وذاتيته . »

«والانفعال الصادق للممثل ليس وحده هو الذى يؤثر على الجمهور المشاهد ، ولكن مظهر التكنيك الخارجى وحده هو الذى يؤثر على الجمهور المشاهد ، ولكن مظهر التكنيك الخارجى له ايضا ان يشارك فى ابراز هذا الانفعال كما يشارك فى عملية التاثير . » لذا كان على الممثل « ان ينفعل خارجيا بما يوافق انفعاله الداخلى وبما يناسبه لا يزيد او ينقص ، حتى تأتى حركة الجسد ملائمة تماما للحركة الداخلية الصادرة بالانفعال أو العاطفة . »

وهناك أشياء لا يحبها تايروف من الممثل وهى:

١ ــ التحدث باى شىء .

٢ ــ القاء الممثلين الحوار وكانهم حول مائدة طعام شهية .

٣ ــ اعادة بعض الكلمات مما لم يرد فى النص.

٤ ــ طريقة الضغط الشديد على بعض الكلمات

٥ ــ التاتاة فى الدور . وادعاء التلقائية .

٦ ــ التحدث بصوت واحد ممل لعشر دقائق، ثم رفع الصوت فجاة والاسراع فى الرتم .

ويرى تايروف فى المخرج ، قائد سفينة العرض المسرحى الذى عليه تفادى الاخطاء والمشاق ومخاطر الرياح حتى يصل بالسفينة الى بر الأمان . « والمخرج باعتباره موجه العرض المسرحى ، فمن حقه توجيه العرض كما يشاء اذ هو الوحيد الذى يتحمل النتيجة فى النهاية ولا يشاركه الممثل فى شىء . والمسرح الجاد هو الذى يقوم على الموضوعية وعلى ابراز وجهات نظر المخرج من خلال الممثل دون تغييرات او اقتراحات من الممثل الناقل لوجهة النظر الى الجمهور ... ورقابة المخرج بالنسبة للممثل يجب ان تكون شديدة وصارمة ، اذ أنه لضمان توليد التاثير على المتفرج الذى يجلس فى صالة الجمهور بواسطة الممثلين ، لابد من خلق عملية تنظيم شامل ... كما أن المخرج الناجح هو الذى يبحث فى النص عن الشكل الذى يمكن بواسطته ابراز النص ،راعيا فى ذلك الخامات البشرية ، ثم يتعرف على نوع الممثلين وطبائعهم ، ثم يحاول من جانبه أن يبعث القوة والايمان فيهم للثقة به كقائد للعمل . »

وبعد ان يتحدث الكاتب عن الموسيقى فى المسرح وجو الخشبة ، والملابس ، ويتوجه بكله للممثل ، يختم مقاله بتلخيص لشعارات مدرسة تايروف وهى :

- **المسرح هو المسرح .**
- **قوة المسرح تكمن فى قوة الأحداث التى تمثل على خشبة المسرح .**
- **الحدث هو الممثل ، اذ هو الناقل له .**
- **قوة الممثل فى موهبته وثقافته وعلمه وتقديمه للدور .**
- **الممثل الجاد هو القوة الدافعة للمسرح الناجح**
- **مفتاح المعرفة بقواعد المسرح واصوله يتوقف على الثقافة الفنية وحدها .**
- **اهمية الايقاع فى المسرح الحديث المتطور .**
- **الشارع الشكسبيرى التبشيرى :**

وثمة حديث بعنوان « الدكتور لويس عوض خلف قناع الفارس القديم» قدمه « معين بسيسو » قال فيه : « ولنتابع طريق الخلاص بالموت ، والتى يدشن بها دراسته لأحلام الفارس القديم. وليس الغرض هنا الرد على دراسة الدكتور لويس المنشورة فى ملحق الاهرام بدراسة مضادة او

تقييم مضاد، وبشكل مستفيض وتفصيلي للموقف الكلي من اشعار صلاح عبد الصبور ، **رغم المنهج الاستفزازي الذي انتهجه في دراسته والموجه لشعورنا العربي المعاصر ، ورغم انه تمدد على اريكة السلطان من آل عثمان ونطق البراءة العظمى. فالفرض وبتركيز التعرض لخطوط الرئيسية لمنهج الدكتور لويس وموقفه التبشيري من احلام الفارس القديم .** ومنذ البداية وحتى لا ينفخ الدكتور في البوق ويطلق صيحة الدفاع عن الشعر وفي وهم المفاهيم التي تحاول ان تصبه في قوالب من حديد ، في قوالب من الشعارات وتحوله الى مكبرات للصوت .. لابد من التأكد باننا لا نرى وبشكل مطلق ان يكون دور الشعر هو دور مكبرات الصوت او دور المنجنيق الذي يقذف الشعارات السياسية ونرفض بحزم أن تستأصل حنجرة الشاعر لكي تزرع بدلا منها حنجرة الببغاء .... ولكنا في الوقت نفسه نعلن معارضتنا لأي اتجاه في الادب او الفن يشيح بوجهه عن مواجهة الحقيقة ومواجهة الحياة » . ثم يقول « ومرة اخرى اننا لا نرفض أحلام الشاعر اذا ما ارتبطت بلا فكاك بتلك اليقظة الرائعة المقبلة للانسان ، وجاءت تعبيرا عنها ودفعا لها ، ورفضنا لأحلام الفارس القديم . ولمنهج الدكتور لويس في تقييم هذه الاحلام او تفسيرها وانما يستند على اساس رفضنا هذه النماذج من الأحلام التي تحلق في اقفاص الغيبوبة ، الأحلام العقيمة التي لا تلد البهجة والفرحة الغامرة في قلب الانسان وتصخب تطلعاته ورؤاه » .

وبعد أن يعرض لما تبلورت عنه مقالتا الدكتور حول الفارس القديم يقول : « **ونحن نتفق تماما مع الدكتور في أن مواجهة الوجود بفلسفة ايجابية والتي تستدعي بالتالي رفض اية فلسفة سلبية تريد أن تهرب بالانسان وتسحبه وراءها الى اعماق الكهوف والسراديب ، وبشكل ادق رفضنا المنهج المثالي الغيبي . وليس رفضه فحسب بل التبشير بالفلسفة العلمية وربطها بحركة الانسان الجديد في بلادنا حتى تتحول الى قوة محركة هائلة دافعة، وبوصلة هادية تهندس الفكر وتغذي الروح. ولا يعني هذا ابدا وضع الشعراء والكتاب في محجر صحي ان اصيبوا بوباء مبدا معاداة الحياة ومعاداة الانسان .**

ولكن اية فلسفة ايجابية هذه التي تقود الى الخلاص عن طريق الموت والتي يبشر بها الدكتور لويس عوض ؟

وهنا قد يقول : ان النص قد انتزع بوحشية من مقالته ، وانه لا يرى راي الفارس القديم في طريقه الى الخلاص ، وان ما اهتدى اليه من فلسفة ايجابية قد يكون معاديا لمبدا الحياة .

وقول الدكتور لويس صحيح تماما لو كان منهجه في تقييم احلام الفارس القديم وفلسفته الايجابية ، فلسفة الخلاص بالموت ، هو منهج رفض الموت ورفض الخلاص عن طريق الموت » .

وبعد كلمة عن مسئولية الناقد يقول : « **ومرة ثانية قد يكون قول الدكتور لويس صحيحا تماما في عدم اتفاقه مع مفهوم الخلاص بالموت ، ولا ضرر هنا من التكرار لو لم تكن خاتمة المطاف بل بدايته هو استخدام الدكتور لويس لذلك الحق للبابوات في تتويج الفارس القديم اميرا لبلاط الشعر ...**
ثم يقول : والذي يراه الدكتور لويس ، من خلال المنهج التبشيري والتفسيري لأحلام الفارس القديم سر نكبة الانسان . نراه سر عظمة الانسان وصميم وجوده فنكبة الانسان في مفهومنا تكمن في العقم والعجز الى التطلع الى ما هو اروع واكثر ايجابية وانطلاقا وان عظمة الانسان مرهونة بمحاولاته المستميتة والدامية عبر العصور في نشدان المعرفة ، ورفض مفهوم الفاكهة المحرمة على الانسان » .

ثم يتساءل : « هل نحن نستفز الدكتور لويس لو قلنا ان الانسان الموجود معنا على ارضنا اقرب كثيرا من شيطان الشعر في وادي عبقر ولا يمت بصلة ابدا الى انسان الفارس القديم ، وانسان الدكتور لويس . وانه ليس انسان الخلاص بالموت ولا انسان الانحناء أمام شجرة المعرفة وعبادتها. انه انسان السد العالي وانسان طريق التطور غير الراسمالي ، الانسان الذي يرسي الاشتراكية . **وهل هي مبالغة منا في تعديه منهج الدكتور لويس عوض التبشيري لأحلام الفارس القديم لو سحبنا موقف الانسان الجديد في بلادنا والذي يعيش الى جواره ــ الحالم ومفسر الحلم ــ على كل هذه الانجازات الرائعة لانساننا الجديد »** وبعد حديث

من (الرضا بما يريد القضا) وعن صراع الانسان وتطلعه الى شجرة المعرفة قال : « وهل ندخر مفاجاة للدكتور لويس لو قلنا ان منهجه التبشيري في هذه الدراسة لأحلام الفارس القديم هو عودة للموت وللأرض الخراب، عودة الى الانسان الممزق الضائع القائم .. وحينما نجرد الفارس القديم من درعه وسيفه ومهاميزه وجواده المنحوت من الضباب ومن طلاسمه، ماذايبقى من هذا الانسان، من هذا الفارس، غير تلك الصورة المهزوزة للانسان اللاعن يوم مولده ؛ للانسان الذى تطارده اللعنة في حله وترحاله ، للانسان الذى طريق خلاصه الوحيد هو الموت، **ومن كان فى انتظار هذا الفارس فى نهاية المطاف لاحلامه غير الدكتور لويس عوض وباقة من الزهور اللاصطناعية فى يده و(ديكريتو) البراءة العظمى بلقب وريث امارة احمد شوقى .**

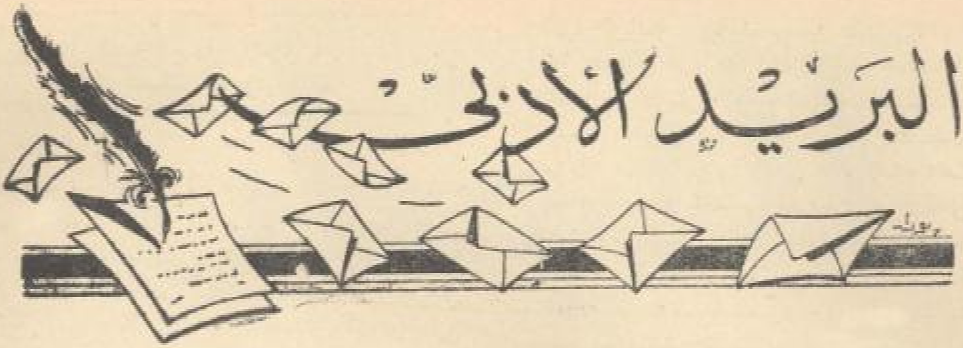
وهل نحن نتجنى على الدكتور حينما نلحق فارسه القديم بركب (ابى الفوارض) اليوت ، بركاب (اليباب) و (الخاوون) بركب الموت ورفض كل تجربة ومعرفة للانسان جملة وتفصيلا ، ونحن نراه ممتطيا صهوة جواده لابسا دروعه وسيفه فى غمده . والسيف فى الغمد هنا دلالة وعلامة الفلسفة الايجابية للفارس ، اذ ما حاجته فىالواقع الى سيف مسلول ؟ وهو الذى يشيح بوجهه ووجه جواده عن انساننا الجديد ، وعن كل انجازاته ، ولانسمع منه الا همهمات الرضا بالقضا والحذر من التطلع الى اعلا وعبادة شجرة المعرفة والتهديد بالارتطام بسقف الكون ، عند اى محاولة من محاولات الصعود ».

ويأخذ بعد هذا فى حديث عن انسان الفارس القديم كما فسره د. لويس ، وتساءل عن الأزمة التى يواجهها وعن منهج الدكتور لويس قال :

هل مثل هذا الانسان ــ يقصد انسان الفارس القديم ــ موجود حقا فىبلادنا ، هذا الانسانالعقيم المجدب ، ذو الخطيئة الشائكة كالعوسج المسنونة كانياب سمكة القرش ، هذا الانسان الذى تكمن ماساته فى انه يريد أن يرى ابعد مما تسمح به عيناه ... ان الحياة فى بلادنا لا تعدم وجود مثل هذا الانسان ، الى آخر حرف فى ابجدية العقم والسقوط ، والرضا بما يريد القضا. ولكنه فىكل الظروف وبشكل مطلق ، فان هذا الانسان ، لا يمثل القسماتوالملامح الرئيسية للانسان الجديد فى بلادنا ولا حتى الانسان القديم ذى التطلعات الجسور والنشاطات النضالية الدامية ، وفىغالب الظروف والتى اعطت الانسان الجديد او الفارس الجديد لو صح التعبير ، والذى لم يظهر فجاة كنبات شيطانى فوق ارض بلادنا ، بل ضربجذور سيفه فى اعماق ارضنا الطيبةعبر عشرات السنين، وهو الفارس الذى ارهفت جماهيرنا السمع طويلا لرنين سنابكه فوق ارضنا ».

وينتقل الكاتب بعد هذا الى مقالة الدكتور الثانية : الخلاص بالحب . فيرى فيها ما رآه فى سابقتها الخلاص بالموت فيقول : « وجاءت مقالة الخلاص بالحب فكانت بمثابة اقامة كل طقوس التدشين لسيف الفارس القديم واذا بالخلاص بالحب يعنى لعنة الميلاد ، ويعنى العودة الى الرحم . ثم يختم مقاله قائلا : **واخيرا وليس آخرا ، فنحن لن نشيح بوجهنا عن الاشتراكية وعن السد العالى ، ولن ننطلق ما بين نداء شياطين الشعر فى وادى عبقر ... اننا لن ننتظر هذه الآلهة فلنا آلهة جديدة .. آلهة لا تسكن وادى عبقر ، ولا فوق الهيلكون ، بل آلهة تمزج عطرها كل يوم ، بالخبز الذى ياكله الدكتور لويس عوض وبالماء الذى يشربه .**

« **مصطفى فوده مصطفى** »



مع الناقد الدكتور احمد كمال زكى

قصيدتان أعجبت بهما فيما وصل الى «الرسالة» من اشعار . الأولى لحسن عبد العظيم خليل بعنوان « شهداء العروبة والنيل » والثانية لأحمد عبد القادر الحضرمى بعنوان : « مناجاة النيل » ونحن نرى أن العملين يستندان الى النيل فى نقل التجربة الى القارىء ، وكان من العجيب أن يتلاقيا فى بعض الأمور العامة .

حقا كان الموضوع مختلفا عند الشاعرين ، فالأول يرثى أبطال السباحة الذين توفاهم الله فى لحظة خالدة من لحظات المجد ، والثانى يتجلى محاسن الطبيعة وهو فى رأس البر .. أقول حقا كان الموضوع مختلفا ، الا أن تلاقيهما يعنى شيئا مهما هو وقوعهما على الصور المألوفة والعبارات المتداولة ، مما يلقى فى الروع أنهما لم يقفا الوقفة الخاصة ، أو لم يفرغا لنفسيهما بحيث تبرز شخصيتهما فى تعبيرات مستقلة .

ومعنى هذا أن هذين الشابين لا يزالان ينقلان ، ولا يعبران متكئين على ذاتهما الفنية .

معناه أن الجيل البادىء فى حاجة الى التفرد ليكون له شخصيته ويكون هذا بالقراءة المتأنية والاطلاع الرشيد .

وأعود الى الشاعرين الشابين فأقول ان عباراتهما كانت سليمة ، وحسهما الايقاعى متكامل وان يكن ينقصهما التثقيف أو ما يسمى بالصقل . وهذا لا يعنى التكلف ، وانما يعنى أن الشاعر يجب أن يضيف الى استعداده علما بصفة الشعر الخفية ، وحبذا لو أخذا نفسيهما بالانتفاع بآثار الشعراء المحدثين الى جانب حفظ القديم واستيعابه .

حول رسالة الغفران ..

كنا قد نشرنا فى هذا الباب فى العدد ٦٣ كلمة بعنوان « لا تظلم المعرى يا دكتور » للأستاذ الغزالى حرب ، جاء فيها أن بيتى علقمة فى وصف ابريق الخمر لم يردا فى رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى، وطلب من الدكتور محمد النويهى أن يدله على موضعهما فى الرسالة .

وقد كتب الينا الدكتور محمد النويهى مذكرا بأن البيتين يوجدان بنصهما الكامل فى طبعة دار المعارف التى حققتها الدكتورة بنت الشاطىء ، كما يوجد البيتان بنصهما فى طبعة أمين هندية .

كما ذكر أن الكلمات الثلاث والسبعين التى أوردها الاستاذ الغزالى على أنها نص ما قاله أبو العلاء ، ليست الا اختصارا لثلاثمائة وأربع عشرة كلمة يحتوى عليها النص الكامل ، وأن هذا النص الكامل بالاضافة الى بيتى علقمة المذكورين يحتوى على خمسة أبيات أخرى لشعراء آخرين أسقطها النص الذى استشهد به الاستاذ الغزالى .

ولما كانت الرسالة قد لاحظت « علو النبرة » بين الكاتبين ، فانها تغلق الباب حول هذا الموضوع .

قصيدة « راية العرب »
بقلم مصطفى محمود مصطفى

بعنوان : «راية العرب» ، بعدد الرسالة (١٠٧٩) قرأت قصيدة للشاعر الكبير الأستاذ محمود حسن اسماعيل ، فطالعتنى بأنها تصلح نشيدا قوميا عربيا ممتازا ، اذ بها تتلاقى كل خصائص النشيد الوطنى الناجح : من تدفق العاطفة الوطنيـة القـومية التى يلتهب لها الحماس الوطنى فى قلوب الجمـاهير ، وامتلائها بالنغم ذى الجرس القوى ، والالفاظ ذات العذوبة الحلوة ، والمقاطع الحافلة بالجمال ، والخيال الذى لا يذهب بعيـدا ، كما أن القصيـدة زاخـرة بالمعـانى القوية الرصينة ، والأفكار الجـدية التى اشتهر بها الشاعر الـكبير الأسـتاذ محمود حسن اسماعيل • وانى اكتب هذه الكلمة لأوجه بها نظر اذاعتنا الى هذه القصيدة لتلحينها واذاعتها ، فهى تسد قدرا كبيرا من فراغ أناشيد الرايات • وقـد كان هذا اللون من الأناشيد ذائعا فى مطلع نهضتنا الوطنيـة ، وكفاحنا ضـد المستعمر ، اذ النشـيد الوطنى من أقوى أسلحتنا الوطنية التى تربى الحماس فى صدر شعبنا الثائر ضد المستعمر • ومن الذين أسهموا فى تأليف أناشيد الرايات المرحوم أحمـد شوقى الشاعر المشهور ، وغيره من كبار الشعراء • ولا أدرى لماذا لا تحتفل بادب نشيد الراية ، بتلحينه واذاعته ، والحاجة الى ذلك لم تزل قائمة ان لم تزدد، فنحن فى مرحلة ثورية من تاريخنا الوطنى ، وهى فى حاجة الى كل وقود وطنى يدفع بالثورة الوطنية الى الأمام ، ويبنى لها مسـتقبلا ، وأناشـيد الراية الوطنية من أصلح الأشياء لذلك ، فالراية هى رمز الأمة الحرة ، ومنها تستمد شعارات المسـتقبل ، وربما كان ارتفاع العلم ، لتعلم الكبرياء الوطنى ، والعزة الوطنية ، والتخلص من الذل والاستعباد ، برفع الرءوس الى أعلى متطلعة نحو العلم ، وترك الانحناء الى الارض • ولقد استوحت قصيدة « راية العرب » معاني قومية كثيرة متجددة متطـورة من « مؤتمر القمة العربى الثانى » ، وهذه المعـانى المتجددة تستحق اذاعتها باستمرار ، لتتفاعل أولا باول فى صدور وقلوب الجماهير ، وتجد بها صداها ولا شـك أن اذاعتهـا وتلحينهـا يزيد من مفعولها وتاثيرها • والأستاذ محمود حسن اسماعيل ليس جديدا على اذاعة القصـائد والأناشـيد الرائعة فله « النهر الخالد » و « فلسطين » وهما من أقـوى تلحينـات الاذاعة ، ويتمتع بسـماعهما جمهـور المستمعين ، وقد غناهما ولحنهما اكبر مغنى وملحنى العصر الأسـتاذ محمد عبـد الوهاب ، وعسى أن نستمتع بغنائه وتلحينه لقصيدة « راية العرب » •

بل ساعة اجابة
بقلم عيسى متولى

من المعتقـدات الخاطئـة ، الشـائعة فى مختلف الأوساط ، أن من ساعات يوم « الجمعـة » سـاعة « نحس » ، فتراهم يتحاشون ما يجب عليهم أداؤه ، فى أيام « الجمعة » ، أو لا يفضلون السفر ، خشية أن تتفق « ساعة النحس » المزعومة بسفرهم ! •••

والأمر على النقيض من ذلك •• فليس فى أيام « الجمعة » ساعة « نحس » ــ كما يزعمون ــ بل ان فيها ساعة « اجابة » •• على حد تعبير الرسـول الحبيب ، تجاب فيهـا دعوة الداعى ، واسـتغفار المستغفر ، واستغاثة الملهوف !••

فليس يوم الجمعة ، وهو عيد المسلمين ، نذير شر ••• بل بشير خير •• وبركة •• واسعاد ! •

« تصـــويب »

« نشر فى العدد ١٠٨٢ من المجلة مقال عن كتاب شـــعر الراعى النميرى وأخباره بقلم مجيد ابراهيم دمعة ــ وقد جاء فيها ان الكتاب من تاليف « الدكتور ناصر الحسانى » والصـــواب •• هو « للدكتور ناصر الحانى ــ سفير الجمهورية العراقية فى لندن »

الفيضان

بقلم محمد المنذى محمد

عندما القيت نظرة على النهر كتمت صيحة ذعر كادت تنطلق من حلقى فجـــأة ، فقد رأيت الامواج تتعالى مع هبات الريح لأكثر من خمســـة أمتار ، وتتلاطم فى هدير عند حواقى الجسر وتكاد تندفع نحو القرية .. أما الجسر نفسه فقد لاح لى ضعيفا ، وليس من المؤمل أن يصمد طويلا أمام هذه اللطمات المتتابعة فى عتو !!

وأرسلت نظرة حزينة على الأكواخ المهتزة الجدران، والحقول المترامية الأطراف ، وتذكرت كيف أن الفيضان فى سنة ماضية سحق الكثير من الاكواخ ومعها الحقول كوحش لا يرحم . وكانت الشمس تقترب من المغيب ، والحقول البعيدة تبدو زاهية الخضرة . وتخيلت الفيضان وهو يمتد الى هذا كله ، ويحيله الى عدم فى لحظات ، فسرت فى كيانى قشعريرة ودق قلبى وغامت عيناى .

وبعد العشاء علمت أن عمدة القرية قد أمر بعقد اجتماع لبحث الاجراءات التى ينبغى أن تتخذ لدرء خطر الفيضان ، فخرجت من المنزل بخطوات متخاذلة ومشيت فى طرقات القرية المظلمة أتعثر فى الطريق الى « الدوار » .. وكانت أبواب ونوافذ البيوت مغلقة ، والصمت سائد ، كأنما القرية قد خلت من السكان .. وفجأة علا مواء قطين يتشاجران فوق حائط مهدم . ونبح كلب . وساد السكون !!

وعند الدوار علمت أن الاجتماع قد بدا فى حجرة التليفون من فترة مضت ، فدلفت اليها فى سكون . وكانت الحجرة كبيرة ، بها كنبة وبضعة مقاعد خشبية ، بعضها جديد ، وبعضها الآخر متآكل من جوانبه وأطرافه ، ورأيت العمدة يتصدر المكان ، والى جانبه خليل المدرس ، والحاج عوضين ، ومرجان الأحدب ، وطفقوا يتحدثون وقد خيم عليهم شعور يغمرهم بالقلق والخوف !

وجلست الى جانب المدرس ، وغمزته بطرف اصبعى ، وسألته عن آخر الأنباء ، ودق التليفون فجأة فى هذه اللحظة ، فاتجهت الأعين كلها اليه ، كأنه سيطلق قوة خفية تبدد القلق وتزيل الروع ! وتحدث العامل مع الطرف الآخر وهو يتململ فى وقفته كمن يعانى من آلام خفية تلذع قلبه ، وتسرى كلهب خافت فى أوتار أعصابه .. وأخيرا وضع السماعة وواجه العمدة وتمتم بصوت تغشته رعشة الخوف :

ـ لم تصل اخبار اكيدة من « المديرية » حتى الآن لسراى المركز عن الاجراءات التى ستتخذ بالنسبة لقريتنا !!

وتهالك العامل فوق مقعده فى بلاهة واضطراب ، وزمجر العمدة والغضب يتقد فى عينيه «هذا اهمال» وبصق واجال البصر فى الوجوه ، وأراد أن يبدد الصمت فتحدث عن أهمية « السد » بالنسبة لكافة القرى التى تتعرض لأخطار الفيضان . وفجأة أطرق العمدة وأخلد الى الصمت .

ولاحت بسمة شاحبة فوق شفتى المدرس ، وزمق العمدة وتمتم فى محاولة منه لتبديد الصمت :

ـ ان الهدف من عقد هـــذا الاجتماع أساسا ينحصر فى بحث الوسيلة التى تتقى بها خطر الفيضان ، واعتقد ان المسالة خطيرة وكانت تحتاج الى بحث موضوعى قبل أن يلوح الخطر كما هو حاصل الآن !!

ووافق الشيخ عوضين على ذلك ، وأردف وهو رافع الرأس كمن يزهو بما احتشد في رأسه من معلومات :

ـ ان الفيضان يعلو في شهر يوليو ، ويبلغ ذروته في منتصف شهر سبتمبر ، ولا يعود الى مستواه العادى الا في شهر نوفمبر ، وعلى ذلك كان يجب اتخاذ الحيطة في وقت مبكر .. اليس كذلك ؟!

ورمقه المدرس رمقة سريعة ، وتمتم في لهجة ساخرة ، أو مشجعه ، لا أحد يدرى :

ـ لا فض فوك يا شيخ عوضين !! هذه معلومات قيمة ، يحسدك عليها صبية المدارس ، بلا جدال !!

وبعد فترة من المناقشة ، تمكن المدرس من أن يوجه نظر الجميع نحو الخطر المحدق بالقرية ، ثم صاح متسائلا :

ـ ما الذي سنفعله الآن ؟! هذا هو محور الحديث الذي تم عقد هذا الاجتماع من أجله والذي يجب ألا نتعداه !

وتململ العمدة في جلسته ، وحدق في المدرس بنظرة يكاد يتطاير منها شرر الغضب ، وصاح :

ـ لقد بعثت في طلب أحد المهندسين وأملنا الوحيد هو أن يصل ، فهو وحده الذي يستطيع أن يرسم لنا خطة العمل .

واشتد النقاش بين العمدة والمدرس ، كان المدرس يرى ضرورة الاسراع في عمل الاستحكامات ، ورفضه لفكرة الانتظار لحين حضور المهندس رفضا باتا . وحبذ مرجان الأحدب هذا الرأى ، فاستشاط العمدة غضبا ، بعد أن أخفق في اقناع المدرس بوجهة نظره . وقد أعجبني المدرس أكثر من أى شخص آخر ، لسعة أفق اهتمامه ، ولحسن سلوكه ، فقد كان ينصت الى كل رأى بانتباه وجدية ويناقشه مناقشة موضوعية ، ولكنه لم يثر اهتمام العمدة ، فأجال البصر في الحاضرين وتمتم في أدب متواضع جم :

ـ لا أجد مندوحة من الانصراف . اتمنى لكم حظا سعيدا في الوصول الى خطة تدرأ الخطر .. مع العمدة !

قال ذلك وأغمض عينيه ، كأنما يريد أن يتقى نظرات العمدة ، ونهض بتثاقل ، وانصرف . وعندما وجد العمدة أن الجميع قد لاذوا بالصمت ، اقرارا منهم بسلامة موقف المدرس ، راح يتطلع الى التليفون بعينين يتواثب فيهما الخوف ، كأنه ينتظر الفرج من تلك الآلة الخرساء !!

وأثارني الموقف السلبي تجاه المدرس ، ورمقت العمدة وقلت في صراحة وجرأة :

ـ لقد تعرضت قريتنا لخطر الفيضان قبل ذلك بعشرة أعوام ، في عام حريق القاهرة على ما أذكر ، وتهدمت تحت عوامل التلكؤ . وأعتقد أن عشرة أعوام ليست مدة كافية لنسيان معالم الكارثة !

وفي المنزل رأيت زوجتي تغالب النعاس ، وقالت في ضعف .

ـ ما هي أخبار الفيضان الآن ؟!

فرمقتها مليا ، وقلت في اكتئاب :

ـ وا أسفاه !! ان القرية مهددة بالغرق خلال ساعات قليلة ،والعمدة في الدوار يبرطم بلا حراك !!

وكأنما أرادت زوجتي أن تبدد ما رأت على نفسي من قلق ، فقالت وهي تتصنع المرح :

ـ أنت هكذا . تهول دائما . ولأول مرة أراك تهمل السؤال عن صحة ابنتك المريضة . هل اضع لك الطعام ؟

كان الاجهاد يبدو واضحا على وجه زوجتي من كثرة ما نالها من تعب في تمريض البنت ، ومع ذلك فقد نهضت وهي تضحك ضحكة صافية ذات رنين حلو، ووضعت الطعام فوق طبلية ، وتمتمت في بسمة خفيفة :

ـ كل . ولا تجهد نفسك في التفكير من أجل شيء لم يظهر بعد !!

وكان من الصعب أن أجارى زوجتي في هذا التفاؤل . ولم أرد عليها الا بابتسامة باهتة كابتسامة المريض ، وطلبت منها أن تأوى الى فراشها وتتركني لأفكارى !

وجلست فوق حافة « المصطبة » والافكار السوداء تدور في رأسي كأنها كائنات حية . أتغرق قريتنا ؟ أتضيع حقولنا وما بذلنا فيها من جهد !! أتتلاشى بيوتنا التي شيدناها بالعرق والدموع ؟

وفي ظهر اليوم التالي بلغ الفيضان أقصى مداه ، وراح العمدة يطوف في شوارع القرية مناديا اهلها بالاسراع الى الجسر لمقاومة خطر الفيضان . وكان

اغلب رجال القرية الاشداء قد خرجوا الى الحقـــول وتفرقوا فى نواح عدة .. وبالرغم من ذلك أفلح العمدة فى حشد أكبر عدد ممكن من الرجال والصبية .. كانوا نحو سبعين ، بين رجل وصبي وشيخ ، وهو عدد لا بأس به اذا ما وجد القيادة الرشـيدة التى تقوده لسد الثغرات فى الوقت المناسب .

وما كاد العمـدة يرانى حتى أمرنى بالانطلاق الى « الرياح » الجنوبى ، فانطلقت صوب الرياح بكل طاقتى الواهنـة ، ورحت أفحص جوانب الجسر بدقة . كانت المياه تكاد تصافح حوافيه العاليـة ، وتنفذ الى الحقول من جهاته الهابطة . واسرعت بالعمل على تقوية النقط الضعيفة بجلب الأتربة اليهـا ، وتدعيمها بقطع الدبش والحطب والغرائر التى ملئت بالهشيم الناعم المركز بالضغط . ورأيت كثيرا من الصبية لا يصرخون ولا يجزعون عند لطمات الموج لأكوام القش وهم فوقها ، وانما راحوا يعـاونون الرجال بشجاعة واقدام ، وجلد على معـاناة التعب والتغلب على الخوف ، وهمست لنفسى وانا ارمقهم بسرور : ان هؤلاء الاغرار هم دعامة المستقبل ، وأن من يراهم وهم يعملون بصبر دائب لا يشـك فى الاعتماد عليهم بكثير من الاطمئنان .

وقبل الغروب وصلتنا نجدات من نواح كثيرة ، واصبح الجسر يغص بمئات من الرجال والصبية . وفى منتصف الليل أصبح الجسر كجبل راكد من الوحل ، وبرغم هذه الحقيقة المؤلمة فقد بدأ الفيضان فى الهبوط بشكل ملحوظ . وفى الصباح وصـل المهندس على رأس نجدة من الرجـال الفنيين .. وبدأت البسمات تعلو الشفاه ، والأمل ينتعش فى الصدور ، وراح رجال يرددون أغنيـات مرحة ، كأنهم قد أمنوا تماما من شر الكارثة !

ومما لا شك فيه أن الرجال الذين وصـلوا مع المهندس ، كانت لديهـم خبرة حسـنة فى تدعيم الجسور ، فقد نظموا عمل أهـل القرية تنظيمـا حسنا ، كما أنهم جلبوا الى المناطق الخطرة كثيرا من الأحجار والدبش ، وقاموا بسد أكثر من ثغرة سدا محكما . وكانت حالة الرجال لا تزال حسـنة ، وروحهم المعنوية رائعـة ، بعد أن ظلوا يعملون مدة يومين عملا شاقا لم يتعودوا عليه .

وفى صباح اليوم الثالث قام المهندس بتقسـيم الرجال الى ثلاث فئات ، فئة تمضى فى تقوية الجسر، وأخرى تكون على أهبة الاسـتعداد للاسراع الى الاماكن التى تحتاج الى نجدات عاجلة ، اما الثالثة فقد كان يتعين عليها أن تنال قسـطا من الراحة لتعمل بعد ذلك بنشاط .

ومر نهار هذا اليوم ونحن نضـع ايدينا فوق قلوبنا خوفا من انهيار فى الجسر قد لا نتمكن من تقويته فى الوقت المناسب . واقترحت على المهندس زيادة عدد رجال التفتيش ، وخاصة فى المنطقة الشمالية ، ولكنه نهرنى بشـدة ، فهززت كتفى ومضيت الى العمل بلا رد !!

وراح المهندس يشرف على تدعيم كل منطقته فى همة ونشاط وتوثب .. يمشى هنا وهناك ، خفيف الحركة . ينحنى تارة ، وتارة أخرى ينتصب ، ثم يلوح بقبعته الى الرجال صائحـا .. اسرعوا .. اسرعوا .. دبش هنا . حطب هناك .. يقـول ذلك ويلمح الجسر بمنظاره فى اهتمام شـديد فى المنطقة المقابلة للقرية . ورحت أرمق جهة الشمال بعينين زائغتين !

وفى الليل هبت رياح شمالية قوية ، ضـاعفت الخطر ، وعند بزوغ الشمس رأيت المهندس يقف قريبا من « الرياح » وقد تصلبت عضلات وجهه ، وأخذ ينظر الى النهر نظرات طويلة متأملة ، بينما اخذت أحملق فى مؤخرة رأسه بشعور أقرب مايكون الى شعور الكراهية !!

ومضت فترة خلع بعدها نظارته ومسح عوينااتها بمنديله الابيض ،وبأنامل مرتعشة ثبتها فوق عينيه، وراح يحـدق فى الجسر الذى كان قد اختفى تحت طبقة كثيفة من الماء ، ثم أرسل نظرة شاردة نحـو النهر ، وخيل لى أن جسمه كله يرتجف . فوقفت متصلبا ازاء هذا التحول . ورمقنى وأدار وجهه بعيدا فى أسى ، ولكننى كنت قد لمحت دمعـة تبرق فى مآقيه ، فانقبض صـدرى ، ورحت أتلفت حـولى بجزع .

ولم أجد طريقة أكتشف بها سر هـذا القلق الا بقذف كومة من الاعشاب الجافة تحت أقدام المهندس، فأجفل لحظة ، ولكنه سرعان ما اسـترد ثباته ، ونفض ذرات الأعشاب التى تراكمت فوق بدلته التى كانت قد أصبحت فى لون حجر الجرانيت ، ورمقنى وتمتم فى أسى :

ــ أين العمدة ؟ ان الخطر هنـا وفى الشـمال والرجال فى حالة يرثى لها من التعب !!

وأشرت الى العمدة الذى كان يجول هنا وهناك ويحث الرجال على العمل ، ولكنه تجاهل اشارتى، ونادى على بعض أعوانه ، وأصدر اليهم أمرا بالاستعداد للزحف الى الشمال لتدعيم المنطقة الخارجة عن مواجهة القرية ، وفى نفس اللحظة رأيت أحد من عهدنا اليهم بالتفتيش على منطقة الشمال قادما يتعثر فى طريقه الى المهندس ، وتمتم بصوت لاهث متقطع :

ـ الجسر هناك · سينتهى ·· ان لم يكن الآن ففى خلال دقائق لا أكثر !!

قال ذلك وانهار فوق الوحل المتراكم فى جانب الجسر ، وضغط جنبه بيديه وراح يئن · وأمره المهندس بأن يعنى بنفسه بصوت طافح بالأسى والحزن ، وقد بدأ الهرم فى قسمات وجهه فجأة · وجمد لفترة فى وقفته كالتمثال · ولاحت لى فكرة كالالهام ، هى سرعة العمل على وقاية جدران القرية من ناحية الشمال ، ونقلت الفكرة الى المهندس فنفذها على الفور !

وفى خلال دقائق معدودات كانت جموع غفيرة من الفلاحين يعملون فى اقامة جدار عال فى هذه الناحية · وبينما كان المهندس فى طريقه الى الشمال مع رجاله ، تناهت الى مسامعنا قعقعة عالية من الناحية التى أشار اليها الرجل ، واستدارت الوجوه اليها تحدق فيها مبهورة ، وتمتم المهندس وأسنانه تصطك « أنظروا ·· ان لسانا هائلا من الفيضان يتحدر نحو الحقول ويمتد بسرعة الى القرية ·· عليكم أن تكتلوا جهودكم فى الوقاية الضرورية ·· أما أنا فسأبقى هنا مع بعض الرجال فلا تخشوا شيئا » !!

وبدأ المهندس لحظة كالسكران من شدة الغضب والقهر ، يضرب أرض الجسر بقدمه ويدمدم :

ـ ان مقاومة الفيضان الآن ليست بالامر اليسير لأن الريح تساعد الموج على قوة الدفع · عليكم أن تحذروا النساء والاطفال والشيوخ وتأمروهم بالاجلاء عن القرية !

وبعد جهود مضنية أفلحنا فى تحويل جزء كبير من المياه نحو الحقول الشاسعة ، وبدت القرية بعد أقل من ساعة واحدة ، أشبه بجزيرة صغيرة وسط محيط !! · واقتربت من الجسر المواجه للقرية بخطوات مترنحة ، فرأيت المياه تكاد تغطيه تماما ، ورأيت المهندس لا يزال بمفرده يروح جيئة وذهابا فوق الجسر وقد نسى الأخطار المحدقة به ، وداخلنى شعور مبهم بالخطر عليه فى هذه اللحظة ·· فأخذت أصرخ مناديا اياه بالرجوع ولكنه لم يأبه لندائى ، ولا حتى بصرخات العمدة ·· المحذرة ·· فى جنون ، كأنه فى صلاة مع ربه يبتهل فيها اليه أن تتم معجزة من معجزاته ، فلا ينهار الجسر المواجه للقرية !!

وتعالت الامواج وراحت تتساقط من فوق الجسر وتنحدر نحو القرية فى هدير وفوران مخيف ، وتضاعف شعورى بالخطر على المهندس الذى لا يزال يمشى مترنحا والمنظار تحت ابطه ، وقد غاص فى الماء حتى ركبتيه ، والأمواج تكاد تجرفه الى عرض النهر !!

ومضت لحظات رهيبة ، كئيبة ، رأيت المهندس بعدها يلوح نحونا بقبعته بعلامة الاجلاء عن القرية، ثم يعود ويرمق جوانب الجسر ويصرخ محذرا بصوت يتلاشى فى الريح ! وفى لحظة ، لحظة خاطفة ·· انهار الجسر ·· ومعه كل ماقمنا به من استحكامات! ضاعت جهودنا أمام جبروت الفيضان · ورأيت جسم المهندس يبرز تارة مع المياه المندفعة بقوة نحو القرية وتارة أخرى يختفي ويده ترتفع بالقبعة بين حين وحين ·· كأنه يودع أشخاصا أعزاء الى قلبه ·· ولكن فى هزات متشنجة ·· ثم اختفى !

وشعرت بالأسى يملأ قلبى على هذا الجندى المخلص ، الذى كنت من لحظات فقط أشعر نحوه بالكراهية !!!

وأخذ كل فرد يلتمس لنفسه أسباب النجاة ، ومضت بى فترة وأنا جامد الحركة والحس أطلقت بعدها لساقى العنان ·· ولحقتنى المياه فتسلقت نخلة عالية وقبعت بها وجريدها الاخضر يلمس وجنتى لمسا رقيقا ·· كأنه يعزينى عن كوخى الذى انهار مع مجموعة من الاكواخ المجاورة !!

ونظرت فرأيت العمدة يقف رافعا رأسه ناظرا الى الخلاء البعيد ·· كأنه يمتع النظر ببهاء الطبيعة قبل غروب الشمس ·· ولكنه فى الحقيقة كان ساهى الطرف ، ذاهل اللب ، ينظر الى الجنوب مع أهل القرية ·· كأنه يتساءل فى ابتهال : متى ·· متى نفرغ من بناء السد ·· !!

« محمد المنذى محمد »



العدد ٦٦

الثمن ٣ قروش

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الفهرس

رئيس التحرير

أحمد حسن الزيات

المراسلات جميعها تكون باسم السيد مدير ادارة المجلات ٢٧ شارع عبد الخالق ثروت بريد محمد فريد . القاهرة

تصدرها

وزارة الثقافة والارشاد القومي

الاشتراكات ١٥٠ قرشا سنويا ويضاف أجر البريد من خارج ج.ع.م

العدد ١٠٨٥ ـ الخميس ٢٣ جمادى الآخرة ١٣٨٤ هـ ـ ٢٩ اكتوبر ١٩٦٤ ـ السنة الثانية والعشرون

منطق التشريعات

للدكتور محمد أحمد خلف الله

— ٢ —

كنت على الا اكتب مرة ثانيـة فى هذا الموضـوع ، ولكن بعض الزملاء قد كتبـوا الى مطالبين بايضـاح اكثر عن مركز الفقهاء الكبار ومدى قربهم أو بعدهم من النظم التى كانت تسير عليها الحياة فى أيامهم ، لذا أجبت وأرجو أن يكون هذا المقال خاتمة المطاف.

وأبدأ فاعرض على القراء العمليات القانونية التى تتم فى أيامنا هذه ومدى صلتها بالواقع العملى لتكون عاملا مساعدا فى البيان والايضاح .

تبدأ العملية فى المؤسسـات القـائمة التى تريد تعديلا أو تطويرا فى نظمها ـ لتلائم الواقع العملى للناس أو لترتفع بهذا الواقع فى سبيل الكمال درجة أو درجات ـ بأن تعد نظاما جديدا ، وتشـير الى الاهداف التى تريد أن تحققها من ورائه .

وتنتهى هـذه العمليـة فى مجلس الدولة الذى يصيغها فى مواد ويبعث بها للسـلطات التشريعية لاصدارها بعد الموافقة عليها .

وبعد الموافقة تنزل هذه المواد القانونية الى الحياة بعد نشرها فى الجريدة الرسمية للدولة .

وهنا تبدأ عملية قانونية جديدة تقوم فى ميدان المحكمة بين القضاة ورجال النيابة والمحامين ـ وتقوم هذه العملية على شرح النصوص القانونية ، وتفسيرها بمقتضى الأصول التى أخذت عنها ، وبمقتضى الحقوق الانسانية التى هى الأصل الاول فى القوانين .

ثم هناك عملية قانونية اخرى ميدانها لا يكون فى المحكمة وانما يكون فى الجامعات وفى مدرجات كليات الحقوق .

ان العملية هنا تمتاز عن السابقة فى أنها عملية

علمية خالصة يراد منها تكوين العقلية القانونية . ومن هنا تكون المواد التى تتناول بالدرس والشرح لا قضية من القضايا وانما نظرية من النظريات . هنا يتناول الأساتذة المبادىء القانونية والنظريات القانونية - يتناولونها معتمدين على علم ومعرفة لهم بكل ما يدور حول هذه المبادىء أو هذه النظريات من وجهات نظر مختلفة . ومن هنا ايضا يتوسع الأساتذة الكبار فى عرض وجهات النظر هذه عند الامم العديدة فيذكرون لنا وجهة نظر القانون الفرنسى والقانون السويسرى والقانون الانجليزى والقانون الروسى والقانون الامريكى ... الخ .

خذ مثلا القانون البحرى ، أو القانون التجارى ، أو القانون الجنائى ، أو قانون الجنسيات والهجرات وما أشبه ، واقرأ ما كتب فيه الأساتذة فستجد حتما ما قصصت عليك من أنهم يعرضون وجهات نظر كثيرة ومختلفة .

ان مافى كتب أساتذة كلية الحقوق وما يتعرضون له من دراسات مقارنة يجعل عملهم القانونى أوسع مما تتطلب حياتنا فى مصر ومن هنا يصح لنا ان نقول انها بعيدة عن واقعنا العملى .

ان الذى يمثل الواقع العملى حقا هى القوانين التى تصدرها السلطات التشريعية وليس وجهات النظر القانونية التى يقوم بدراستها الاساتذة الجامعيون.

ان لهؤلاء موقفا ولأولئك موقف آخر . وان لهؤلاء أهدافا يعملون على تحقيقها ولأولئك أهداف أخر ومن الواجب علينا ألا نخلط بين الأمرين أو بين الموقفين.

***

ونتنقل الآن الى التشريع الاسلامى ، واكرر هنا للمرة العشرين انى انما أتحدث عن المعاملات وليس عن المعتقدات والعبادات .

ان عمل الفقهاء يشبه الى حد كبير عمل شراح القانون فى دور المحاكم ، وعمل أساتذة القانون فى الجامعات .

انهم يشبهون شراح القانون حين يكون الأصل كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام .

وانهم يشبهون أساتذة الجامعات حين يكون الأصل فى المسألة الاجماع أو القياس أو ما اشبه من الأعراف والعادات .

ان الذى يمثل الحياة فى المجتمع الاسلامى القديم انما هو النظام العملى الذى كانت تجرى عليه الدولة اما أقوال الفقهاء وآراؤهم فقد كانت أوسع من الحياة فى أيامهم ، لأنها الدراسة التى تقوم على النظريات والكليات وليست على الجزئيات . ومن هنا قلت بأنها بعيدة عن الواقع العملى للحياة .

ولعله أن يكون من المفيد أن أشير هنا الى بعض الآراء التى أوردها الفقهاء عند حديثهم عن ولاية القضاء ، إذ نجد فيها شيئا شبيها بالذى أقول .

(أ) يجوز لمن اعتقد مذهب الشافعي رحمه الله ان يقلد القضاء من اعتقد مذهب ابى حنيفة لأن للقاضي ان يجتهد برايه في قضائه . ولا يلزمه أن يقلد فى النوازل والأحكام من اعتزى الى مذهبه . فاذا كان شافعيا لم يلزمه المصير فى احكامه الى اقاويل الشافعى حتى يؤديه اجتهاده اليها ، فان أداه اجتهاده الى الأخذ بقول ابى حنيفة عمل عليه واخذ به .

(ب) واذا نفذ قضاؤه بحكم وتجدد مثله من بعد اعاد الاجتهاد فيه وقضى بما اداه اجتهاده اليه وان خالف ما تقدم فى حكمه فان عمر رضى الله عنه قضى فى المشتركة بالتشريك فى عام وترك التشريك فى غيره فقيل له : ما هكذا حكمت فى العام الماضى ، فقال تلك على ما قضينا وهذه على ما نقضى .

(جـ) وقد منع بعض الفقهاء من اعتزى الى مذهب ان يحكم بغيره ، فمنع الشافعى ان يحكم بقول أبى حنيفة ، ومنع الحنفى ان يحكم بمذهب الشافعى اذا أداه اجتهاده اليه ، لما يتوجه اليه من التهمة والممايلة فى القضايا والأحكام ، واذا حكم بمذهب لا يتعداه كان انفى للتهمة وارضى للخصوم .

وهذا وان كانت السياسة تقتضيه فاحكام الشرع لا توجبه لأن التقليد فيها محظور ، والاجتهاد فيها مستحق .

ان الفقرات السابقة تشير ، فيما تشير اليه ، الى حقيقتين هامتين ، هما اللتان يصح أن نبرزهما فى هذا المقام ·

الأولى : - ان الأصل فى القضاء هو الاجتهاد - اجتهاد القاضى فيما بين يديه من قضايا · وهو اجتهاد غير مقيد بمذهب بعينه وانما هو متروك للقاضى نفسه - ويطلب من القاضى أن يجتهد فى كل قضية على حده ، ولا بأس عليه من ان يجىء حكمه فى قضية من القضايا مخالفا لحكمه فى قضية مماثلة لها تماما ما دام اجتهاده الجديد هو الذى أدى الى هذا - والاصل هنا موقف عمر رضى الله عنه ، كما مر بنا · وهذا هو الرأى الشرعى النظرى ·

الثانية : - ان تنظيم الدولة أو السياسة كما يقولون قد يدعو الى مخالفة هذا الرأى الشرعى ، كما يدعو الى العمل فى ميدان القضاء من داخل اطار مذهب واحد ، وذلك لأن عملية التوحيد تكون - كما يقولون - أنفى للتهمة وأرضى للخصوم - وهذا هو المنطق العملى ·

وليس من شك فى أن هذا القول الاخير هو الذى يتفق وعصرنا ، وحياتنا العملية · فالقاضى يجب أن يجتهد فى حدود اطار معين هو فى وقتنا الحالى القانون - القانون المدنى أو الجنائى أو التجارى أو البحرى أو ·· أو ···

وكنا على أن نحمد للفقهاء هذه النظرة الواقعية العملية لولا أنهم عادوا فسلبونا اياها وذلك عند حديثهم عن الشروط التى قد يشترطها الوالى على القاضى عند توليته القضاء - تلك التى تكون فى أوامر التعيين ·

يقولون : اذا قال المولى للقاضى : قد قلدتك القضاء فاحكم بمذهب الشافعى رضى الله عنه - على وجه الأمر - أو لا تحكم بمذهب أبى حنيفة رحمه الله - على وجه النهى - · كانت الولاية صحيحة والشرط فاسدا ····

ويجوز للقاضى أن يحكم بما اداه اليه اجتهاده سواء وافق الشرط أم خالفه ·

ويكون اشتراط المولى لذلك قدحا فيه ان علم انه اشترط ما لا يجوز · ولا يكون قدحا ان جهل - لكن لا يصح مع الجهل ان يكون واليا ومموليا ·

ويقولون : اذا قال المولى للقاضى : قد قلدتك القضاء على الا تحكم فيه الا بمذهب الشافعى أو بقول أبى حنيفة - كانت الولاية باطلة لانه عقدها على شرط فاسد ·

وقال اهل العراق تصح الولاية ويبطل الشرط ·

ان هذه الاقوال تؤكد حرية القاضى الى أبعد حد ، تجعل الاجتهاد هو الأساس الأول فى ميدان القضاء - الاجتهاد دون تقيد بمذهب بعينه ، ودون احترام لاوامر أولئك الذين يولونه القضاء ·

ثم هى فى الوقت نفسه تشير الى أثر الاقليمية فى التفكير فاهل العراق هنا لهم قول يذكر على أنه قول اهل العراق ·

***

والنتيجة لكل هذا · أن الفقهاء يفكرون بعيدا عن الواقع العملى ، وعن التنظيمات التى يجب أن يقوم عليها التعامل ، وتبنى الدولة عليها أساس الحياة العملية فيها ·

انهم كما قلت فى صدر هذا المقال يشبهون أساتذة كليات الحقوق فى دراساتهم وبحوثهم وتعليمهم للطلاب ·

اما الجانب العملى من الحياة ، والذى تقوم عليه هيئة قانونية أخرى كمجلس الدولة فقد كانوا بعيدين عنه ·

ان الذين اقتربوا من هذا الميدان هم الذين تولوا القضاء من الفقهاء ، ونحن نعلم جميعا أن الكثيرين من أصحاب المذاهب وتلاميذهم كانوا يعزفون عن تولى القضاء ·

انهم فى موقفهم ذاك كانوا يعزلون أنفسهم عن الواقع العملى للحياة ·

ان التنظيمات الاسلامية التى يجب أن نرجع اليها انما تكون فى كتب التاريخ ، وكتب الحضارات ، وليس أبدا فى كتب الفقهاء ·

دكتور محمد احمد خلف الله

الدعوة إلى التحرير الدينى

محمد محمد المدنى

- ٦ -

أشار السيد الدكتور **محمد احمد خلف الله**، فى بعض ما كتبه، الى نظرية الامام الطوفى الحنبلى التى تقول بتقديم المصلحة على النص والاجماع .

ونريد أن نضع بين أيدى القراء خلاصة لهذه النظرية، قبل أن نبدى رأينا فيها وفى مدى التعويل عليها :

● ان نظرية الامام الطوفى الحنبلى قائمة على اعتبار ان رعاية المصلحة من مقاصد الشرع، وان جميع أدلة التشريع فى جانب المعاملات مقيدة بها، وأنه اذا بدا مظهر من مظاهر التعارض بين المصلحة ودليل آخر، فانما هو تعارض بين دليلين شرعيين، ومثل هذا يؤخذ على أنه تعارض ظاهرى، لأن مقاصد الشرع لا تتعارض، وأدلته لا تتناقض أبدا، غير أننا مطالبون بالجمع بين ما ظاهرهما التعارض، فان لم نستطع الجمع كان علينا أن نرجح الراجح منهما، وهو المصلحة — فى نظر الطوفى — لكن تقديمها عنده ليس نسخا للنص ولا وقفا للعمل به، ولا اهدارا للاجماع، لأنه يقول فى رسالته ما نصه :

« وان خالفاها — يريد النص والاجماع — وجب تقديم المصلحة عليهما بطريق التخصيص والبيان لهما، لا بطريق الافتيات عليهما، والتعطيل لهما، كما تقدم السنة على القرآن بطريق البيان » .

ومن هذا يتبين أن الامام الطوفى يقرر ما خلاصته :

١ — أن المصلحة دليل من أدلة الشرع .

٢ — وأنها حين تقدم على غيرها من الأدلة الشرعية — وعلى النص والاجماع بالذات — لايكون ذلك بطريق الافتيات عليهما والتعطيل لهما، ومعنى ذلك قطعا أنه ليس على سبيل النسخ الذى هو « الافتيات » بالابطال ورفع الحكم المنصوص، ولا على سبيل وقف النص الذى هو « التعطيل » .

٣ — وان هذا التقديم انما هو عن طريق التخصيص والبيان لهما، كشأن السنة فى بيان القرآن .

٤ — وان هذا التقديم لا يعد تركا لأدلة الشرع بغيرها، وانما هو ترك دليل شرعى الى دليل شرعى أقوى منه .

هذه هى نظرية الطوفى، التى أشار اليها الدكتور خلف الله وعززها بما نقله عن المغفور له الشيخ محمد رشيد رضا صاحب المنار من أنها أبعد مدى من نظرية « المصالح المرسلة » التى تنسب الى امامنا مالك رضى الله عنه، وهى فى الواقع حجة عند كثير من الفقهاء غير مالك .

● ونظرية « **المصالح المرسلة** » نظرية دقيقة قد يلتبس أمرها على كثير من الناس، وجملة القول فيها ان المصالح ثلاثة أقسام :

١ — قسم شهد الشرع باعتباره، وهذا هو القياس، كما نستفيد تحريم النبيذ المسكر من تحريم الخمر المنصوص عليه بالكتاب والسنة، ذلك

التحريم المعلل بمصلحة راعاها الشارع ، وهي حماية العقل من الغيبوبة .

٢ ـ وقسم شهد الشرع ببطلانه ، أى أنه ربما كان فيه مصلحة ، ولكن الشارع لم يعتد بها ، ولم يشرع حكمه على مراعاتها .

وقد مثلوا له بما حكاه الغزالى فى « المستصفى » من أن بعض العلماء قال لبعض الملوك لما جامع فى نهار رمضان : ان عليك صوم شهرين متتابعين كفارة لذلك ، فلما أنكر عليه بعض العارفين بالحكم الشرعى حيث لم يأمره باعتاق رقبة مع اتساع ماله ـ على الترتيب المقرر بالحديث المعروف، الذى يجعل الكفارة أولا عتق رقبة ، فان لم يستطع فاطعام ستين مسكينا فان لم يستطع فصيام شهرين متتابعين ـ .. لما أنكر عليه بعضهم بذلك قال : لو أمرته بذلك لسهل عليه واستحقر اعتاق رقبة فى جنب قضاء شهوته ، فكانت المصلحة فى ايجاب الصوم لينزجر به .

فهناك مصلحة راعاها هذا المفتى للملك ، ولكن الشارع لم يراعها ، بل شهد نصه بعدم الاعتداد بها ، أو لعله راعى ماهو أعظم منها وأحب اليه، وهو مصلحة اعتاق رقبة ، لتشوفه الى الحرية ، فجعلها مقدمة على الصوم والاطعام .

ولذلك عابوا هذه الفتوى وقالوا : انها باطلة لمخالفتها للنص بالمصلحة المدعاة ، وهذا يؤدى الى تغيير جميع حدود الشرائع ونصوصها ، ثم اذا عرف ذلك من صنيع العلماء لم تحصل الثقة ، بفتاواهم ، ويصبح العلماء كالرهبان الذين يحلون ويحرمون للناس تبعا لما يرون .

٣ ـ وقسم لم يشهد له الشرع باعتبار معين ، ولم يرد فيه ما يدل على ابطاله والغائه ، فان كان مما يقع فى رتبة « الضروريات » الخمس التى عرف من الشارع الالتفات اليها ، وهى حفظ الدين ، والعقل ، والمال ، والنفس ، والنسل ، فذهب مالك وبعض الفقهاء الى أن هذه المصلحة حجة ، لأنا قد علمنا أن ذلك من مقاصد الشرع ، فيسمى « مصلحة مرسلة » اى مطلقة عن اعتبارها بالتعيين ، وعن ردها والغائها .

ومثلوا لها بما فعله الصحابة رضى الله عنهم من جمع المصحف وكتابته ، وليس ثمة نص على ذلك ، بل قد قال بعضهم كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجيبوا بان ذلك خير قال الامام الشاطبى فى الاعتصام (ص ٢٩٠ ج٢) :

« ولم يرد نص عن النبى صلى الله عليه وسلم بما صنعوا فى ذلك ، ولكنهم رأوه مصلحة تناسب تصرفات الشرع قطعا ، فان ذلك راجع الى حفظ الشريعة ، والامر بحفظها معلوم ، والى منع الذريعة ـ المؤدية ـ للاختلاف فى أصلها الذى هو القرآن ، وقد علم النهى عن الاختلاف فى ذلك بما لا مزيد عليه » .

وقال بعض العلماء زيادة فى بيان ذلك : « وقد سمى الله القرآن كتابا ، فافاد ذلك وجوب كتابته كله . ولذلك اتخذ النبى كتابا الوحى ، وتفريق الصحف المكتوبة لا يعقل ان يكون مطلوبا للشارع حتى يحتاج جمعها الى دليل خاص ، ولم يأمر النبى صلى الله عليه وسلم بجمعها فى حياته لاحتمال المزيد فى كل سورة مادام حيا » (راجع هامش الصفحة المشار اليها فى المصدر السابق)

● فاذا تأملنا نظرية الطوفى بتقديم المصلحة على النص والاجماع ، موازنين بينها وبين نظرية « المصالح المرسلة » التى يقول بها مالك وبعض الفقهاء ، وجدنا فرقا هائلا بينهما : فالطوفى يجعل المصلحة مقدمة ومحكمة فى النص مع قيامه ، على اعتبار أن النص مخصص بها ، والقائلون بالمصالح المرسلة يجعلونها فى نطاق مالم يرد به نص من الشارع ، ولم يعلم عنه اعتباره أو الغاؤه على التعيين ، ولكن عرف من مقاصده أنه يعتبر جنسه .

ولذلك تبدو نظرية « المصالح المرسلة » نظرية محافظة حذرة ، وتبدو نظرية الطوفى نظرية جريئة الى حد بعيد ، وان حاول صاحبها أن يجعل تقديم المصلحة من باب ترجيح دليل شرعى على دليل شرعى آخر ، أو من باب تخصيص النص وتبيينه .

واذا كان بعض علماء السلف قد وقفوا من نظرية المصالح المرسلة موقف الحذر ، وكان القائلون بها انفسهم قد شددوا فى شروطها وقيدوا مفهومها وموضوعها بكثير من القيود ، فان نظرية الطوفى قد لقيت معارضة شديدة ، وبقيت فى طى الاهمال كنظرية قال بها صاحبها ولم يوافقه اهل العلم عليها .

ذلك بأن النص اذا ثبت وكانت دلالته على الحكم واضحة ، هو الذى يجب أن يقبل حكمه فيما يعد مصلحة ، اى اننا لو راينا نصا مفيدا لحكم ، ثم راينا ما يعد فى نظرنا مصلحة تعاكس هذا النص ، فاننا نقول : ان تقديرنا لهذه المصلحة لابد ان يكون قد اتصل به نوع من الخلل والفساد ، أو أن هناك مصلحة اعظم راعاها الشارع من وراء النص وخفيت

علينا ، فنتهم تقديرنا ولانتهم النصوص ، وبذلك يكون النص حاكما لا محكوما عليه ، وتكون المصلحة محكومة بالنص لا حاكمة ، وتصان الشريعة عن الهرج والمرج ، بسبب الاختلاف فيما هو مصلحة أو غير مصلحة ، وعن الفوضى والتلاعب حسب الأهواء واجتراء المجترئين .

على ان نظرية الطوق ، لو كانت حقا وصوابا ، لما افادت ماذهب اليه القائلون بوقف النصوص او ابطال حكمها ، كما يتبين مما قدمنا ، فشتان بين تخصيص النص او بيانه بالمصلحة ، والافتيات عليه بنسخه او بتعطيله وسلب سلطته .

● وينبغى الا يغيب عن البال ابدا : ان هناك فرقا بين ماورد به النص الشرعى فى كتاب الله وسنة رسوله ، ومالم يذكر فيهما فاعتبر من « العفو » اخذا من قوله تعالى « عفا الله عنها » وعرف « بالمسكوت عنه اخذا من قوله صلى الله عليه وسلم « ... وسكت عن اشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسالوا عنها »

فالاول يكون الاجتهاد فيه قاصرا على فهمه وتطبيق حكمه وما يؤخذ منه من قواعد .

والثانى يكون الاجتهاد فيه بالبحث عن المصلحة والراى الرشيد دون مصادمة لنص فى كتاب او سنة او قاعدة قطعية .

● وبيننا وبين السيد الدكتور **خلف الله** نقطة وفاق هامة ، هى ان الاصل فى المعاملات الاباحة حتى يثبت عن الشارع ابطال شيء او تحريمه .

وهذا المبدأ هو ما عليه جمهور العلماء ، وقد خالف فيه بعض المتأخرين ، وجعلوا الاصل فى ذلك البطلان اذا لم يقم عندهم دليل على الصحة ، فأفسدوا بذلك كثيرا من عقود الناس ومعاملاتهم وشروطهم بلا برهان من الشرع ،

وقد جاء الاسلام وللناس عقود ومعاملات وشروط ، فأبقى منها ما ابقى ، وحذف ما حذف ، وعدل ما عدل ، كل ذلك على حسب مثله ومبادئه التى جاء بها ، فكل ما تمشى من المعاملات مع هذه المثل والمبادىء ، فلم يكن فيه غبن ولا استغلال ولا جهالة مفضية الى النزاع .. الى غير ذلك ، ابقاه ، وكل ما خالف ذلك مخالفة واضحة الغاه . وما تردد بين هذا أو ذاك نظر اليه ، فما كان قريبا من الصلاح ابقاه وعدله ، وما كان قريبا من الفساد ابطله ، فالشارع لم يقل : ان الحلال فى المعاملات والشروط والعقود ما شرعته وانشأته ، ولكن قال :

ان عرضت لشىء من معاملاتكم وعقودكم وشروطكم بالغاء او تعديل فهذا هو شرعى وامرى ونهيى ، ومالم أعرض له من ذلك فانما تركته وجعلته عفوا ، اقرارا لتعاملكم به ، واباحة له .

وهذا شأن غير شأن العبادات ، فان الاصل فيها عدم المشروعية حتى يتبين انها مشروعه ، فلا يجوز لنا أن نعبد الله بعبادة ، أو نتقرب اليه بقربة ، الا اذا علمنا مشروعية هذه العبادة وهذه القربة .

وفى هذا وذاك يقول العلامة ابن قيم الجوزية فى ص ٣٤ج٢ من كتابه « **اعلام الموقعين** » **ما نصه :**

« الاصل فى العبادات البطلان حتى يقوم دليل على الامر ، والاصل فى العقود والمعاملات الصحة حتى يقوم دليل على البطلان والتحريم ، والفرق بينهما ان الله سبحانه وتعالى لا يعبد الا بما شرعه على السنة رسله ، فان العبادة حقه على عباده ، وحقه الذى احقه هو ورضى بهوشرعه ، واما العقود والشروط والمعاملات فهو عفو حتى يحرمها الله ، ولهذا نعى الله سبحانه على المشركين مخالفة هذين الاصلين ، وهوتحريم مالم يحرمه ، والتقرب اليه بما لم يشرعه ، وهو سبحانه لو سكت عن اباحة ذلك وتحريمه، لكان ذلك عفوا لايجوز الحكم بتحريمه وابطاله ، فان الحلال ما احله الله ، والحرام ما حرمه الله ، وماسكت عنه فهو عفو ، فكل شرط وعقد ومعاملة سكت عنها ، فانه لايجوز القول بتحريمها ، فانه سكت عنها رحمة منه من غير نسيان واهمال ».

وقد وفى الامام العلامة ابن القيم هذا الموضوع حقه ، فمن شاء فليرجع اليه .

واننا نستطيع ان نرسم على ضوء هذا المبدأ منهجا فقهيا سليما فى دراسة « **المعاملات الحديثة**» يقوم على دعامات ثلاث :

الدعامة الاولى : ان من حق المجتمع الاسلامى ان يبتكر ما شاء من الوان المعاملات ، وان يجارى النشاط الاقتصادى العالمى بالمساهمة فيه حسب الطرق الحديثة دون تحرج ، فان الله لم يوجب على الناس انيلتزموا صورا خاصة من المعاملات لا يتجاوزونها ، وليست الصور التى يبحثها اهل الفقه والحديث الا الوانا من المعاملات يمكن أن يضاف اليها ويحذف منها ويعدل فيها فى ظل اصول الشريعة ،

والمسلمون اذا عرفوا ذلك وعملوا بمقتضاه يدفعون عن انفسهم ودينهم تهمة طالما اخذ اليها الاجانب

الدورة الخامسة لمؤتمر الأدباء العرب

• للدكتور محمد مندور •

اخذت فكرة استئناف دورات مؤتمر ادباء العرب تخطو نحو التنفيذ وذلك على ان تعقد هذه الدورة فى بغداد قبل نهاية هذا العام ، وبالفعل طار الى بغداد الأستاذان محمد عبد الحليم عبد الله ويوسف الشارونى موفدين من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب الى بغداد للاشتراك فى اللجنة التحضيرية التى ستجتمع هناك لدراسة تنظيم هذه الدورة وللاتفاق على موضوعات الابحاث والمناقشات التى ستجرى فيها وكل ذلك بعد ان كانت تلك الدورات التى ابتدات منذ سنة ١٩٥٥ قد توقفت على اثر الخلافات التى حالت دون نجاح الدورة الرابعة التى انعقدت فى الكويت سنة ١٩٥٨ ، وذلك نتيجة للخلافات السياسية التى كانت ناشبة عندئذ بين اجزاء من الشعوب العربية ، واعادة التفكير فى استئناف هذه الدورات فى عامنا الحاضر يدل على ان الجو العربى العام قد اصبح اكثر نقاء على اثر ماأحرزه مؤتمر القمة العربى الاول بالقاهرة والثانى بالاسكندرية من نجاح كبير فى لم الشمل وتوحيد الكلمة حول عدد كبير من القضايا العربية الكبرى وفى طليعتها قضية فلسطين العزيزة على كل قلب عربى .

وما ان احس ادباء العرب بأن فكرة استئناف دورات مؤتمرهم قد تأكدت واخذت تخطو نحو التنفيذ حتى نشطت اقلامهم للفت الانظار الى المشكلات الادبية والفكرية واللغوية الكبيرة التى تشغلهم والتى يقترحون أن تناقش فى الدورة المقبلة .

ومن اهم القضايا التى يقترح الادباء مناقشتها قضية اللغة وازدواجها فى عالمنا العربى الحاضر بين اللغة الفصحى التى يستخدمها ويفهمها الجميع وبين اللهجات المحلية التى يفضلها عدد كبير من الأدباء فى انواع معينة من الأدب مثل الحوار سواء اكان هذا الحوار فى المسرحيات ام فى داخل القصص والروايات ، بل أدت التطورات الاجتماعية الواسعة فى عدد من البلاد العربية الرائدة الى تشجيع مخاطبة الشعوب باللغة التى تفهمها . ولما كانت الأمية والجهل باللغة الفصحى لايزالان

والمغرورون بهم ،فانهم يقولون : ان الشريعة الاسلامية تمنع المؤمنين بها من مجاراة عالم الاقتصاد الحديث ، وتوجب عليهم ان يظلوا على اساليبهم القديمة فى التجارة ، وفى شروط الشركات المعقدة التى ضيق بها المتاخرون من الفقهاء على الناس ، وما دام المسلمون يرون هذا دينا واجب الاتباع ، فسيبقون عاجزين عن مجاراة الاساليب الحديثة . تابعين وراء أساليب القرون الخالية .

الدعامة الثانية : ان الأصل فى المعاملات الاباحة، فلا يجوز ان نسارع الى تحريم صورة من صور المعاملات حتى يتبين أن الله حرمها .

الدعامة الثالثة : ان اشتمال المعاملة على ناحية من نواحى المنع والتحريم لا يكفى فى القول بتحريمها بل لابد من دراسة هذه الناحية ودراسة حال الناس فى شأنها ، ومدى ما تشتمل عليه من منفعة او مضرة ، فقد يظهر أن منفعتها غالبة على مضرتها ويمكن تنقيحها وتهذيبها ، او ان مضرتها من النوع الذى لا يؤثر فى اعتبار الشرع جريا على قاعدة التيسير ورفع الحرج، فيسلك بها مسلك الترخيص كما فعل المشرع فى امثالها وان لم يكن قد ورد نص بالترخيص فيها بالذات .

بهذا المنهج نستطيع ان نتوسع فى حدود ما أذن الله به ، وان نيسر على الناس ، وأن نعيد الشريعة الى مجال التعامل والاقتصاد بعد ان نحيت عن هذا المجال منذ جمد المتاخرون . « وللبحث بقية »

محمد محمد المدنى

متفشـيان بين الطبقـات الشعبية لمان حاجات التطور قد استدعت تفضيل اللهجات المحلية فى التعبير عن حاجات الشـعب وتطلعاته ومخاطبة جماهيره ، ومن هنا برز الاهتمام بالآداب الشعبية وتشجيعها وانشاء المراكز والمعاهد الخاصة بها . كما رأينا الصحف والمجلات تفسح صدرها للزجل الشـعبي والشعر المكتوب بالعـامية فضـلا عن الأغاني والمواويل وما اليها ، وهذا الوضع قد يظن البعض انه موقوت ، وان انتشار التعليم سيقضى عليه بتوحيد لغة الادب مع لغة الحياة في الفصحى. ولكنني استنادا الى ماحدث في لغات العالم الأخرى وتاريخها لا اتوقع هذا التطور فستظل لغة الحياة اليومية مختلفة عن لغة الكتابة الادبية على نحو ماهو حادث اليوم فى اللغات الكبيرة الموحد كالفرنسية أو الانجليزية حيث تجـد الى جوار لغة الكتابة لهجة اخرى للحياة تختلف عن لغة الكتابة في عدد كبير من الالفاظ والتراكيب والصور ونبرات النطق ، ولذلك تسمى لهجة التخاطب في الأحياء الشعبية بباريس مثلا باسم خاص هو « الأرجو » كما تسمى لهجة الشعب الانجليزى فى لندن « الســلانج » أو « الكوكنى » . **وكل مافى الأمر هو أن القضاء على الأمية فى تلك البلاد قد مكن جميع افراد الشعب من قراءة وفهم لغة الكتابة ، فالحياة الشعبية قوة مبتكرة خلاقة لا بد أن تجدد باستمرار فى لغتها عن طريق الصـور والمجـازات . وأن تلون تعبيرهـا بتجديد مستمر فى نبرات الأصوات اللغوية .**

ومع ذلك فانه اذا كانت الشعوب الأوروبية قد اسـتطاعت ان تطور لغتها الأصلية الموحدة وهى اللاتينية حتى تصل الى حد تحويل لهجاتها المحلية الى لغـات أدبية عالمية كالفرنسـية والايطالية والاسبانية والرومانية المتفرعة كلهـا عن اللاتينية فانني لا أعتقد أن الشعوب العربية تسير نحو نفس المصير ، ذلك لان هذا الاتجاه يتعارض مع وجدانها وارادتها ، فهى تسير بعزم وتصميم نحو الوحدة التى تعتبر اللغة اساسها المتين ، وذلك بينما كانت تحس الشعوب الأوروبية بأن اللغة اللاتينية قد فرضها عليها حكام الامبراطورية الرومانية القديمة ولا ادل على ذلك من انه لم تكد تظهر فكرة القوميات ابتداء من عصر النهضة الاوروبية فى القرن الخامس عشر الميلادى حتى رأينا كل شـعب أوروبى من الشعوب المسماة بالشعوب اللاتينية يلتف حول لهجته المحلية التى رفعها كراية لقوميته الخاصـة ولا تقتصر هذه الحقيقة التـاريخية على الشعوب اللاتينيـة وتطورها ، بل تنطبق ايضـا على تاريخ جميع اللغات العالمية التى تفرعت عن اصول واحدة كاللغات الجرمانية والصـقلبية فضلا عن تطـور اللغات الكلية عن اصولها الأقدم كتطور الاندواوربية الى مجموعة اللغات التى لا تزال حتى اليوم تحمل نفس الاسم ، وكذلك اللغات السـامية واللغـات الحامية ففى تفرعها كلها الى لغات ادبية لعب مبدأ القوميات دورا حاسـما فى هذا التطور .

وتأسيسا على كل هذه الحقائق نستطيع ان نؤكد فى اطمئنان ان فكرة الوحدة العربيـة وارادة تلك الوحدة ستكون من اقوى العوامل فى عدم اتخـاذ اللهجات المحلية العربيـة لغات للكتابة والتعبـير الادبى والثقافى ، وعلى العكس من ذلك ستضيق حتما المسـافة التى تبتعـد باللهجات المحليـة عن اللغة الفصحى . وأما الزعم بامكان توحيد لغـة الكتابة ولغة الحياة فباطل تنفيه جميع الدراسـات اللغوية فى العالم واوضاع اللغات العالمية الموحـدة وما يثبته كل ذلك من حقائق علمية لا شك فيها.

هذه هى الحقائق العلمية التى يجب ان نستند اليها فى فهم قضية ازدواج اللغة فى أدبنا العربى المعاصر . ومن الواجب أن نذكر ان فهم القضـية هو المقدمة الضرورية لتـدبير وسـائل علاجها والا تخبطنا فى سياستنا اللغوية وضربنا فى غير مضرب فلا نستمع مثلا الى من يدعو الى التخلى عن الاعراب كوسيلة للتقريب بين لغـة الكتابة ولغة الحياة ، فالاعراب فى لغة الكتابة ليس حلية لفظية ، بل هو الوسيلة اللغوية الأصيلة فى التعبـير عن العلاقات المختلفة ، وما اللغة فى النهاية الا اداة التعبير عـن هذه العلاقات ، وحذف الاعراب معنـاه رص الفاظ مسكنة بعضها الى جوار بعض دون تزويد نهاياتها بالاعراب الذى هو الوسيلة التى تحدد العلاقـة بين هذه الألفاظ كعلاقة الفاعلية او المفعوليـة أو الحالية او الوصفية أو الاضافة وما اليها. ولما كان من الثابت علميا ان لغة الكلام لن تتحد مع لغـة الكتابة فى كافة تفصيلاتها فانه من العبث والوهم الدعوة الى حذف الاعراب مثلا او تبسيطه كمحاولة للتقريب بين اللغتين .

هذا ومن الممكن القيـاس على هـذه المقترحات الاخرى فما يتفق منهـا مع الحقائق العلمية الثابتة تمكن مناقشـته مناقشة مثمرة وأما ما يتعـارض منها مع حقائق العلم وقوانينه التى لا تقهر فمـن الافضل تجنبه والاعراض عنه حتى لا يضيع وقت اعضاء المؤتمر سدى .

د. محمد مندور

نظرات في الشعر العراقي المعاصر

أصداء العقيدة القومية في شعر عاتكة

للدكتور بدوي طبانة

في ختام كلمتنا السابقة اشارة الى دار الراهبات او دير الراهبات الذي كانت تلجأ اليه شاعرة الحرمان كلما شخصت الى القاهرة في السنوات الاخيرة طالبة للجمام او لتحصيل علم ، او طبع ديوان .

ولا اعرف علة لذلك اللجوء الى الدير والمقام فيه الا شدة حفاظ عاتكة على نفسها ، وحرصها على حماية كرامتها من السنة الناس اذا راوها تنزل وحيدة حيث ينزل الناس .. فلعلها رات ان في نزولها في ذلك الدير بين النسوة القانتات ما يدفع عنها خبث الظنون وضراوة الالسنة .

ولا اعتقد ان هناك سببا آخر يدفع عاتكة الى ايثار ما آثرت لنفسها ، وما اختارت لمقامها ، فان عاتكة مسلمة تعتد بدينها ، وتعتز بعقيدتها ، ولا احد دليلا على ذلك اقوى مما قالته في تلك الابيات التي وردت في جوابها على قصيدة الشاعر الكبير الاستاذ عزيز اباظة ، وقالت فيها :

انا يا مولاي بنت الصيد والغر الأباة
بنت ذاك القانت الحر الكريم الخلوات
من يقيم الليل بالذكر وجرس الصلوات
خاشعا لله في المحراب .. بر الدعوات
وابي ما مات بل عاش بسمتي وسماتي
انا ذاك القانت البر بجلباب فتاة
رب ميت عاش أوحى بأثواب موات !

وكأنها تقول للشاعر الكبير في هذه الابيات لا تخش على ذلك المقام ، فاني عريقة في التقوى نسلت من مسلمين عابدين قانتين !

وفي « انفاس السحر » شعر كثير ، يظهر اصالة الروح الدينية ، وصدق العاطفة الاسلامية، وحق لشاعرة العواطف ان يفيض شعرها بالتعبير عن العقيدة الصادقة ، التي رضعت لبانها وربيت في محرابها ، وذلك على الرغم من العصر الذي فشت فيه الضلالة والالحاد ، واخذ فيه المنحرفون يجهرون بالمعاصي ، ويصفون بالرجعية كل حفيظ على دينه ، مصر على عقيدته ، وكانوا كماوصفتهم عاتكة في قصيدتها « صراخ الظلم » في قولها :

الناس تلاهوا بالضلال عن الهدى
فليس بهم الا كفور ومفسد
فهذا سعى في الارض سعي مضلل
وذاك بدين الحق يهزا ويلحد
تراه وراء الفلس يجري مهرولا
ولكنه عن دينه الدهر مقعد

وبعد ان تعدد عاتكة آثامهم ومظاهر فجورهم وغرقهم في بحار المعاصي والشهوات ، تتساءل كيف يتوقع من احد اولئك العصاة ايمان ، او ان يتوقع منه هدى بعد المعصية والالحاد :

ايوقن بالقرآن وهو خرافة
لديه ، وبالاسلام وهو تقيد ؟

ايشــهد ان البعث حق وعقــله
لاول من يابى القبــول ويجحد ؟
فيا ويحه من جاهل ضل سعيه
فليس له امس وليس له غـد !

وترسم الشاعرة بعد ذلك طريق الخلاص من القيــود والبرء مــن الادوار التى اصــابت البلاد فاقعدتها عن النهوض ، ولا طريق عندها غير طريق الدين يبعث خمودها ويحيى مواتها ، والرجوع الى تعاليم الاسلام ، واحياء شريعة محمد هو وحده سبيل النهوض من العثار ، وطريق البرء من الأدواء :

بلادكم يا قــوم امست عليلــة
ترجى دنو البرء ، والبرء يبعـد
وانى لهــا والداء ينخــر قلبهــا
وابناؤها فى قتلها اليوم تجهد
تمنيت أن لو عاد فينا محمــد
اذن لأتى بعد الضلالة مرشد

فيا قــوم ان مات النبى فحيــة
شرائعه وهى التــراث المخلــد
فعودوا الى ايمانكم بعد ضلة
فعودكم للحــق يا قوم احمــد !

تلك بعض المشاعر التى عبرت عنها عاتكة نحو دينها وعقيدتها ، وهى تكشف عن عاطفة شــديدة نحو الاسلام ، وحنين ملتهب الى استعادة امجــاده وسيادة تشريعاته واحكامه ، وحب عميق لصاحب الرسالة ، وقد نثرت عاتكة هذه العواطف فى قصيدة واحدة تئن فيها من الظلم والظالمين ، وتصف فيهــا نزقهم وغرورهم . .وسار بها قلبها نحو تلك المعانى السامية التى مجدت بها محمدا ورسالته .

ولكن القارىء لانفــاس الســحر لن يعثر بتلك المواطف الدينية الهادرة منثورة فى ثنــايا بعض القصائد فحسب ، بل انه سيظفر الى جانبها بقصائد كاملة شحنتها عاتكة بتلك العواطف السامية وصبتها فى قالب بديع من الشــعر الرائق الرقيق ، حتى لتحس وانت تقرؤها انك تردد مناجاة عذبة ، تحس فيها بأثر الوجـد والهيــام ، ومن تلك القصــائد الخالصة قصيدتها « الى يثرب » التى تستهلها بهذه الابيات :

هبينى جنــاحا كى أطير ليثرب
عسانى أداوى ما بقلبى المعــذب
حمامة هذا الدوح رفقا بخافق
يحن لترب عــاطر الروح طيب
يلج به شوق ويحدو به الهوى
وتغرى به النكباء فى كل مذهب
حمامة هذا الدوح ردى لى المنى
بلقيــا حبيب فى التراب مغيب
والا فداوى القلب من نفح طيبه
فان دواء القلب نفــح المحبب

ثم تصبح تلك الامانى فى الدنو من البقاع الطاهرة التى ثوى بها قبر الحبيب محمد صلى الله عليــه وسلم ماثلة لا أمام عينيها ، بل أمام قلبها الشيق الملتاع الذى استبد به الهوى فصور الحــلم الزكى والخيال المشرق البهى حقيقة شاخصة تغمر قلبها ، او كان روحها قد أسرى بها فى حلك الدجى الى تلك الديار ، فطافت بتلك المعاهد . وقد صورت الشاعرة تلك المشاعر والرؤى فى قولها :

وهاج بقلبى الحب حين بدت له
على كثب هفافة تخــل يثرب
ولاح لــه قبر النبى محمــــد
كــلألاء نــور فى دجنة غيهب
فقلت لقلبى بالقصيد ابعث الهوى
وقلت لعينى بالمــدامع أعربى
ففاض قصيد القلب حتى حسبته
سيولا وكان الدمع أفصح معرب

ولا تدع الشاعرة تلك الفرصة التى جسدهــا الوهم والاستغراق فأصبحت حقيقة ماثلة أمامها من غير أن تعطف على أمتها ،ومن غير أن تشــكو الى الرسول ما آل اليه حالها من الضعف والسكوت على الضيم ، والانشغال بسفاسف الامور وتوافه الاعمال عن السعى لتحصيل المكارم وبناء الأمجاد وفى موازنة سريعة بين هذه الامة فى لهوها وغيرهــا من الامم الجادة فى حياتها ، تبدو غيرة الشاعرة وأساها على أمتها المتخلفة عن ركب الحياة :

تلاهت عن القرآن بالعزف والغنــا
وبالرقص والايقــاع عن كل مارب
وعادت بيوت الله خلوا وأصبحت
مراقصها مــلأى بكهل واشيب
وأصبح فيها المال عنوان سؤدد
فطــار بمثر حــين ألوى بمترب
واصبح فيها الظلم يحــكم آمرا
بسجن برىء أو باطلاق مذنب

ولا تنسى الغرب فى هـذا المقام ، فتشير الى استفحال الخصام ، والى سفك الدماء ، والى شن الحروب ، وتدمير المدنيات ، وكأنها ترى السبيل الى صلاح الشرق والى صلاح الغرب واحدة، وهى الرجوع الى الله ، والاعتصام بحبل الدين ، فى اشارة الى عموم الرسالة ، لانها رسالة الهدى والنور .

أمولاى هذا عالم ضل واغتدى

يخبط فى بيداء فى جوف غيهب

فمد له من نور هديك شعلة

فانت منار العالمين ويعرب

وهكذا أعربت عائكة عن عاطفتها الدينية فى قوة وحرارة ظاهرة ، كما أعربت عن مشاعر التقديس لرسالة الاسلام الخالدة وصاحبها .

ومن اليسير الاهتداء الى معالم تلك النزعة الدينية ومظاهرها فى كثير من قصائد (أنفاس السحر) مستقلة أو منثورة بين أبياتها .

وتتصل العاطفة الدينية بالعاطفة الوطنية أو العاطفة القومية فى نفس عائكة اتصالا شديدا ، ويبدو اتصال شعورها نحو وطنها وامتها بشعورها نحو دينها وعقيدتها فى كثير من قصائدها التى عبرت فيها عن أمانى الامة العربية أو عن أمانيها فى خلاص تلك الامة من اغلالها أو تحريرها من مستعمريها أو من آفاتها وعللها ، وكذلك فى الشعر الذى مجدت به الشاعرة نصرا عربيا جديدا ، أو عملا قوميا مجيدا ، حتى ليبدو شعورها القومى بشعورها الدينى فى نفسها وفى شعرها وكأنهما توأمان ، أو كأنهما روحان تتنازعان جسدا واحدا .

وانك لواجد هذا الاتصال فى قصيدتها « **عيد العرب** » وهى فى جملتها من القصائد التى تستنفر فيها الامة العربية وتستثير حميتها، وتستحث العرب على اللحاق بامجاد أسلافهم ، وتدعوهم الى الوحدة ، التى تنهضهم من عثارهم ، وترغم أنف عدوهم ، ان عائكة تستفتح هذه القصيدة الحماسية الجياشة بالامانى بعاطفة اسلامية تفيض حرارة وايمانا :

يا راية الاسلام عودى ، رفافة فوق البنود
رفى على هام السحاب ، ورتلى آى الخلود
سودى المشارق والمغارب فالكرامة أن تسودى
خطى على لوح الزمان حروف ماضيك المجيد
سيرى على هدى الأباة واكبى ركب الجدود
لا تجحدى ماضيك فالتاريخ يزرى بالجحود
يا صفحة املت على الايام معجزة الوجود

وانك لواجد اتصال العاطفتين أيضا فى قصيدة أخرى من قصائدها الوطنية الثائرة التى تدعو فيها الى توحيد الجهود ولم شتات العرب ، وترى أن ذلك هو السبيل الى استعادة المجد الذاهب ، واسترداد فلسطين المغتصبة ، وكبح جماح الصهيونية والاستعمار وهى قصيدتها البائية التى تقول فيها :

وحدوا الصف ولا تنقسموا

وانحروا يا قوم كبد الأجنبى

وثبوا وثبة ليث خادر

تبهته سطوة المغتصب

هذه صهيون من حول الحمى

نصبت أشراكها من كثب

واستعانت بعدو لكم

اعوج الناب جديد المخلب

اقهروا صهيون ردوا كيدها

واركبوا للمجد اغلى مركب

لقد بدأت الشاعرة تلك القصيدة الثائرة بروح اسلامية عالية ، جعلت فيها العقيدة ، وتعاليم الاسلام وأحكام القرآن الكريم دستور هذه الامة ، وفى مقدمة مقوماتها ، وجعلت محمدا عليه الصلاة والسلام رائدها فى طريق المجد والفلاح ، وقدوتها فى العمل والسلوك ، اذ تقول فى أولها :

وضح الصبح لدنيا العرب

وتجلى كسنى من لهب

يا بناة المجد يا أسد الحمى

يا كرام الجند من كل أبى

الهـا الايام تعنو لكم

وعليها خيرة المرتقب

علموا الايام أنا أمة

تنقل الخطو على وحى نبى

تستمد الهدى من قرآنه

سورا مكتوبة بالذهب

وترى الموت لذيذ المجتنى

ان دعا داعى القنا والقضب

وتخط العز فى تاريخها

بدماء الشهداء النجب

والى جانب تلك النزعات الدينية التى نقرؤهـــا فى قصائد مستقلة حينا وممتزجة بالعواطف القومية حينا نقرا لعاتكة فى «انفاس السحر» شعرا كثيرا عبرت به عن مشاعر العروبة نحو أمانى الأمةالعربية فى العزة والكرامة ، وفى تمجيد روح الجهاد ، وفى الاشادة بالبطولات التى تبرزها بعض الاحداث فى بعض أجزاء الوطن العربى ٠

واذ كان كفاح الشعب العربى فى الجزائر احدى الصور المثيرة المشرقة فى تاريخ العرب المعاصر ، واذا كانت روح التضحية والفداء ، وارخاص المهج والدماء قد برزت فى تلك الصورة الرائعة التى تشبه أن تكون أسطورة من الاساطير فجرت ينابيع الشاعرية عند عدد كبير من شعراء العربية وكتابها فى كل مكان، فقد أخذت تلك الصورة شيئا من حظها فى شعر عاتكة العذب وبيانها المشرق الممتنع كالذى نقرؤه فى قولها من قصيدتها **«من وحى الجزائر»** ٠

تفديك يا أرض الجزائر ، مفتونة بين الشواعر
افدى الجباه السمر والغرر المكللة الظوافر
افدى الرءوس الشم تعليها على الدهر المفــاخر
افدى النفوس العاصفات حفرن للظلم المقابر
ورفعن خفاقا أغر منـــورا علم الجزائر
بوركت يا شعب الجزائر وبقيت رمزا للمآثر
فيك العروبة كلها ، سبقت أوائلها الأواخر

ولم تنس عاتكة وهى فى معرض الاشادة ببلدها، والمباهاة بأمجاده التليدة والطريفة أن تشيد بكفاح الشعب العربى فى الجزائر ، وما أبرز من بطولات ، وما حقق من انتصارات على الغزاة والمستعمرين ٠

وأن ترى فى مفاخره مفاخرالعروبة، وفى انتصاراته مايدنى الامل القريب فى استخلاص فلسطين العربية من أيدى الصهاينة الدخلاء ، فتقول فى قصيدتها (بغداد) :

هــــذه اختنا الجزائر أضحت
حرة حطمت من البغى كبـــلا
وأراها تلوح فى افقنـــا بشـ
ـرى بها تطرد اليهود وتجلى
وتعود الارض الطهور طهورا
تزدهى بقعة وربعا واهـــــلا

وبمثل تلك الديباجة المشرقة والنغم العذب الملتزم استطاعت عاتكة أن تبرز تجاربهـــا وأن تعبر عن عواطفها الذاتية ومشاعرها الوطنية ٠

واذا كان الشعر صورة لصاحبه، وكان الادب هو الادب فقد كان شعر عاتكة المحافظ على الشكل، الملتزم للوزن والقافية ، صورة لما طبعت عليه الشاعرة من الحفاظ على النفس ورعاية التقاليد ، ولذلك تراها تنفر من التجديد الشكلى ، وتسميه بدعة ترجعهـــا الى الضعف وعدم الاقتدار على تاليف النغم العذب والقوافى المحكمة ، وترى أن الشاعرية المطبوعة التى تملك الاداة لايستعصى عليها وزن ولاتعجزها قافية ٠ اقرأ قولها فى تمجيد شاعرية أبى ماضى «لم يكن أبو ماضى ممن أحلوا البدعة محل الابداع ، ولا ممن استهتروا باوزان الشعر وقوافيه ، ولا ممن حاولوا أن يقلدوا شعر الغرب فأضاعوا عليهم المشيتين ، أو ممن عمدوا الى الرموز المبهمة والمجازات المغلقة وحشروها فى كلام مطلق من الوزن حينا ومن القافية أحيـانا وأوهموا أنفسهم انهم استحدثوا فى أدبنا جديدا ، وانهم حرروا الشعر العربى من قيود ثقيلة يرزح تحتها» ثم تقول : ان صعوبة الوزن والقافيـــة لايشكوها شاعر مبدع ، وانما هى عقبة كأداء فى وجه المقلدين ، وجمال شعرنا العربى آت من هـــذا الايقاع الموسيقى المنغم ، واعجاز شعرنا العربى آت من رصانة قوافيه واتساق أنغامه ، وتقوا أن الشاعر الاصيل لايلقى أى عنت فى هـــذين انما تتسق له الأوزان من تلقائها ، وتأتيه قوافيه طيعة مختارة ٠

ولقد أكدت عاتكة هذا القول فى شعرها الخصب الذى لم يتمرد على النظام العمودى للشعر، بل تدافعت فيه القوافى المحكمة وراء المتخير من لذيذ الوزن ، وعذب النغم ، كما أكده الشاعر الكبير الاستاذ عزيز أباظة فى الكلمة الممتعة التى قدم بها **(انفاس السحر)** وأطرى فيها شاعرية عاتكة ، والفضل الباسق لها فى تقديره انها آثرت القيم الصعب الممتنع وسيلة للتعبير عن خوالجها وللإبانة عن عاطفتها ، آثرت الشعر فلم تجنح ككثيرات وكثيرات غيرها الى ايثار العافية والى الاخذ بالغث المتهافت من الكلام الذى يسمونه الشعر الحديث ٠٠ فلقد كان يسيرا عليها أن تجمع شكولا من تلك الحشرجات المحمومة ثم تحشدها فى أسطر، ثم ترقم هذه الأسطر فى قرطاس بعضها تحت بعض منها ذو الكلمة والكلمتين ، ومنها ذو الجملة والجملتين ، ثم تنثر عليها حيثما اتفق نثارا من علامات الاستفهام والتعجب والفواصـــل والنقط ٠

دكتور بدوى طبانه

الى الدكتور حاتم

وثائق ذات خطورة بالغة

محمود الشرقاوى

نعرف نحن المؤرخين بصفة خاصة عناية الدكتور حاتم بوثائق التاريخ وبخاصة تلك التى تتعلق بتاريخنا العربى الحديث ، وهى عناية تتمثل فى اهتمامه الشخصى وفى نشاط خاص لوزارة الثقافة والارشاد صدرت بسببهما مجموعة من القرارات أصدرها الدكتور حاتم للمحافظة على هذه الوثائق وتيسير الحصول عليها ثم تنظيم دراستها والافادة منها . وقد ارسلت الوزارة فى السنة الماضية بعض وكلائها - الاستاذ محمد حسين - الى امريكا لتصوير مايجده فيها من هذه الوثائق ومنها تقارير القناصل الامريكيين ووثائق اللورد كرومر المعتمد البريطانى المشهور فى مصر وغير ذلك ، مما يدل على الاهتمام البالغ بالحصول على هذه الوثائق .

واقرأ الآن كتابا ممتازا اصدر فى بيروت هو : **«عالم حر جديد فى آسيا وافريقيا والوطن العربى»** فاجده يشير الى وثائق بالغة الأهمية والخطر فى تاريخنا العربى الحديث . وفى حديثه عنها ماقد يشعر بالخطر عليها ؛ او على الأقل يوحى بعدم - او قلة - الافادة منها .

***

كلنا يعرف تلك الوعود العرقوبية الكاذبة التى قدمتها انجلترا اثناء الحرب العالمية الأولى للملك حسين الذى كان يعرف يوم ذاك بلقب : « شريف مكة» فكانت تلك العهود «مصيدة » وقع فيها الشريف حسين وكثيرون غيره وأعلنوا بسببها ولاءهم وانحيازهم للحلفاء فى تلك الحرب ضد تركيا ، وكان موقفهم هذا عاملا من أكبر المؤثرات فى رجحان كفة الحلفاء وكسبهم الحرب .

هذه الوثائق الهامة يقول عنها الاستاذ محمد جميل بيهم - مؤلف : «عالم حر جديد» - مايلى :

واما شريف مكة الذى ادى للحلفاء ماادى من الخدمات خلال الحرب ، والذى تمتع بعد الانتصار بلقب ملك العرب خلال سنوات معدودات فقد كان مصيره النفى الى جزيرة قبرص حيث قضى خمسة اعوام . ولما اشرف على الموت جاء اليه ولده فيصل ملك الأردن ، فى تشرين الثانى سنة ۱۹۳۰ ، ونقله الى عمان وتوفى فيها مكلوم الفؤاد . **وقد اتيح لى ان اطلع على الرسائل التى تبادلها المرحوم الملك حسين المشار اليه مع لندن ، والسير مكماهون ، والكومندور هوجارت ، والمارشال النبى خلال الحرب العالمية الأولى ، وان اقرا ماجاء فيها من عهود له ووعود للعرب ، وذلك حين تشرفت بزيارته فى قبرص سنة ۱۹۲۹ وقضيت فيها اياما محفوفا** برعايته وتواضعه ومشاركا له فى آلام نفسه .

وقد كانت هذه المواثيق العظيمة تملأ كيسين من الخام مكدسة دون تبويب ولا ترتيب ، مما حز فى نفسى وحملنى على القول لجلالته - بحضور ولده

الأمير زيد : « هذه المواثيق هي مستندات عظيمة للأمة العربية ، واني وان كنت مقيدا بأعمال خاصة لاتسمح لى بالتغيب عن بلدي «لبنان» فانا اتطوع للبقاء فى رحابكم شهرا او اكثر اذا سمحتم لى بأن انسقها على طريقة المذكرات لجلالتكم تحت اشرافكم «فقال رحمه الله : «اتركها على بركة الله» وقد علمت بعد ذلك ان هذه الرسائل رافقته الى عمان ، ولكنى لاأعلم ماذا تم بها .

وقد سجل الأستاذ بيهم فقرة هامة من فقرات هذه الوثائق علقت بذهنه منذ قرأها فى ص ١٢٣ من الكتاب .

ومن هذا الوصف ندرك ان هذه الوثائق البالغة الاهمية – لا للأردن وحدها – بل للعالم العربي كله، كانت «مكدسة دون تبويب ولا ترتيب» ، وان المرحوم الملك حسين لم يوافق على تنسيقها وتبويبها بل ارادها ان تبقى «على بركة الله» ، وان ذلك كله كان فى سنة ١٩٢٩ حين رآها الاستاذ محمد جميل بيهم ، وانها نقلت بعد ذلك من قبرص الى عمان . ولم يقل – او لم يعرف – الى اين فى عمان ..؟ هل الى قصور الملك ..؟ ام الى وزارة الخارجية الأردنية ..؟ ام الى غيرهما ..؟ وانها تملأ « كيسين » او « جوالين » لوفرة عددها وكثرتها .

واعتقد انه من الواجب الآن ان تبادر وزارة الثقافة – اذا لم تكن فعلت – للحصول على صورة من هذه المذكرات والوثائق كلها ثم تقوم بتسجيلها ووضعها تحت يد الباحثين فى تاريخنا العربي الحديث .

وانني ارجو من **الدكتور حاتم** ، ونحن نعرف غيرته وحزمه ، ان يبادر فيأمر بالاتصال بحكومة المملكة الاردنية الهاشمية لسرعة الحصول على صورة كاملة من هذه الوثائق التى لايخفى خطرها وان تفهرس بعد ذلك فهرسة دقيقة تجعلها صالحة للدراسة العلمية . وكذلك يجب أن تحصل عليها – ان لم تكن فعلت – الجامعة العربية .

وانها لجريمة كبرى أن تضيع هذه الوثائق او ان تظل بعيدة عن دراسة الدارسين .

محمود الشرقاوى

أنشودة العرب

للشاعر : قاسم مظهر

على نور هذا الكفاح الكريم
سنمضى معا فى الطريق القويم
ترقرق فى الأفق لحن الوفاء
تجاوبه بارقات الصفاء
وقد رددته قلوب وضاء
وقد باركته عيون السماء
وقد اقسمت مهج الأقوياء
تزف الدماء ليوم الدماء
وانا على عهدنا قائمون
وانا الى ارضنا عائدون
سنمضى معا فى الطريق القويم
على نور هذا الكفاح الكريم
غدا وغد ليس عنك بعيد
ويشرق فجر علينا جديد
سنطوى فلول الظلام العتيد
ليسعد حي ويرضى شهيد
ولسنا نبالى بعصف الحديد
ولا بالردى واللظى والوعيد
كرهنا بسكنى الخيام السكون
وقولتهم اننا لاجئون
سنمضى معا فى الطريق القويم
على نور هذا الكفاح الكريم
فلسطين آن لنا ان نعود
بغير قيود وغير سدود
وسوف بإذن الاله نسود
وسوف نعانق ارض الجدود
فقد شوقتنا اليك الحدود
ومنها تطل علينا الورود
وفيها البساتين فيها العيون
تقول لمن بالمنى يحلمون
سنمضى معا فى الطريق القويم
على نور هذا الكفاح الكريم

قاسم مظهر

موقف الغزالى من العلم

الحسانى حسن عبد الله

الغزالى رفض العقل والمنطق !

الغزالى حرم على المسلمين دراسة الجغرافيا ودعا الى منع تعليمها !

الغزالى زجر المسلمين عن دراسة الرياضيات !

لو صاحب هذه الدعاوى من أبناء هذا الجيل لقلنا جمحة من جمحات القلم أو نزوة من نزوات الفكر ، ولكن صاحبها من جيل سابق عرف بتحرى الدقة واتزان المنطق . فماذا دفعه الى هذه الأباطيل ؟ قبل أن تشرع فى الجواب تنظر أين الغزالى من هذه التهم .

الغزالى فيلسوف يعنيه أمر الناس كما يعنيه أمر الفكر فهو ليس من أولئك الذين ينعمون باعمال المنطق فى عزلة عن مشاكل المجتمع . ولعل قسما كبيرا من ثمرات فكره مبعثه الاهتمام بشئون الناس . من هذه الشئون مالاحظه على طلاب العلم من أبناء مجتمعه من انصراف عن علوم الدنيا الى علوم الدين . يتكالبون على دراسة الفقه ويزهدون فى دراسة الطب . فاحتج الغزالى منبها الى الخطر لأننا الفقهاء على كثرتهم بينما الأمة تعانى قلة الأطباء . « ليت شعرى كيف يرخص فقهاء الدين فى الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة واهمال مالا قائم به . هل لهذا سبب الا أن الطب ليس يتيسر الوصول به الى تولى الأوقاف والوصايا وحيازة مال الأيتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدم على الأقران والتسلط به على الأعداء ؟ » .

الغزالى هنا ثائر من أجل المجتمع ومن أجل العلم . على أن ثورته لا تصنعها الحاجة والمنفعة فحسب وانما تستند الى تقدير وعرفان لفضل التعمق فى العلم . العلم فى رأيه « فريضة » اذا افتقرت اليه الأمة أما التعمق فيه فقد يستغنى عنه المجتمع ولكنه مطلوب بل هو عنده « فضيلة » .

وينظر الغزالى فى أحوال أهل زمانه فيجد أناسا زيفوا العقيدة باسم التصوف وأناسا انخدعوا بالزيف جهلا أو استمراء للكسل فيحمل على أولئك الشاطحين تشددا لمجتمع سليم وعقيدة سليمة . أما الشطح فيعنى به « صنفين من الكلام أحدثه بعض الصوفية أحدهما الدعاوى الطويلة العريضة فى العشق مع الله تعالى والوصال المغنى عن الأعمال الظاهرة .. وهذا فن من الكلام عظيم ضرره فى العوام حتى ترك جماعة من أهل الفلاحة فلاحتهم واظهروا مثل هذه الدعاوى فان هذا الكلام يستلذه الطبع اذ فيه البطالة من الأعمال .. فلا تعجز الأغبياء عن دعوى ذلك لأنفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة .. والصنف الثانى من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائعة وفيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل وذلك اما أن تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن خبط فى عقله وتشويش فى خياله لقلة احاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الأكثر . واما أن تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وايرادها بعبارة تدل على ضميره لقلة ممارسته للعلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعانى بالألفاظ الرشيقة ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام الا انه يشوش القلوب ويدهش العقول ويحير الأذهان أو يحمل على أن تفهم منها معان ما أريدت بها » .

صاحب هذا الكلام الذى رأى فى العلم فريضة ورأى فيه فضيلة وحمل على الشعوذة والتغرير بالعوام وأنكر الغموض ودعا الى « ممارسة العلم » حتى يقدر صاحب الدعوى على الافهام فيجنب الناس الحيرة والتشويش ـ يقول الأستاذ « **سلامه موسى** » فى « مقالات ممنوعة » انه رفض العقل والمنطق وحرم على المسلمين دراسة الجغرافيا « لأنها تنهض على العقل والمنطق » ويقول فى كراسة عن « الحروف اللاتينية للغة العربية » انه زجر المسلمين عن دراسة

الرياضيات · أمعقول أن « حجة الاسلام » يقول بما يخالف الاسلام ؟

أمعقول أن من يحتج على اعمال الطب يحرم الجغرافيا ؟

أمعقول أن من يعتبر التعمق فى دقائق العلم فضيلة يزجر الناس عن دراسة الرياضة ؟

كلا · ما هذا بمعقول وانما نقيض هذا هو المعقول ·

الصعقة

لقد « **صعق** » سلامه موسى وهو يقرأ من كتاب « المنقذ من الضلال » هذه الكلمات « فكلام الأوائل فى الرياضيات برهانى وفى الأديان تخمينى لايعرف ذلك الا من جربه وخاض فيه ·· فهذه آفة عظيمة لأجلها يجب زجر كل من يخوض فى تلك العلوم » الى هذا النص يستند الأستاذ سلامه فى دعواه وهو نص ـ كما ترى ـ لا يفهم القارىء شيئا بل يوقع فى الحيرة والتشويش لأنه مقتطع من كلام لا يتجلى معناه الا بايراده كله · لقد كان أجدر بمن يغار على العقل والمنطق والعلم أن يقيم دعواه على العقل والمنطق والعلم · أما النص كاملا فيرد عند حديث الغزالى عن العلوم الرياضية · يقول انها « تتعلق بعلم الحساب والهندسة وعلم هيئة العالم وليس يتعلق شىء منها بالأمور الدينية نفيا واثباتا بل هى أمور برهانية لاسبيل الى مجاحدتها بعد فهمها ومعرفتها ، وقد تولدت منها آفتان : الأولى أن من ينظر فيها يتعجب من دقائقها ومن ظهور براهينها فيحسن بسبب ذلك اعتقاده فى الفلاسفة فيحسب أن جميع علومهم فى الوضوح وفى وثاقة البرهان كهذا العلم ثم يكون قد سمع من كفرهم وتعطيلهم وتهاونهم بالشرع ما تداولته الألسنة فيكفر بالتقليد المحض ويقول : لو كان الدين حقا لما اختفى على هؤلاء مع تدقيقهم فى العلم·· واذا قيل له : الحاذق فى صناعة واحدة ليس يلزم أن يكون حاذقا فى كل صناعة ·· فكلام الأوائل فى الرياضيات برهانى وفى الالهيات تخمينى لايعرف ذلك الا من جربه وخاض فيه ، فهذا اذا قرر على هذا الذى انخدع بالتقليد لم يقع موقع القبول بل تحمل غلبة الهوى ·· على أن يصر على تحسين النطق بهم فى العلوم كلها · فهذه آفة عظيمة لأجلها يجب زجر كل من يخوض فى تلك العلوم » ·

هذا النص يوضح لنا مرة أخرى مقدار اهتمام الغزالى بالمحافظة على المجتمع سليما وعلى العقيدة سليمة · رأى أناسا من العوام يصل الى أسماعهم رذاذ من العلم والفلسفة فيحسبون أنهم أصبحوا فى عداد العلماء والفلاسفة ثم يجترئون على الكفر ولاسند لهم الا رذاذ آخر يصل الى أسماعهم عن كفر العلماء الفلاسفة أو الفلاسفة العلماء وتعطيلهم وتهاونهم بالشرع · وما كان للغزالى ـ وهو الحريص على سلامة العقيدة وسلامة المجتمع ـ أن يلاحظ ما فيه أولئك ويسكت · فأى علاج لمثل هذا الأمر غير الزجر ؟

المزجور هنا ليس ناشئا فى العلم فيقال يأتى عليه يوم يتسع فيه علمه · وليس عالما صاحب رأى فيقال له من العلم ما يسمح له بحرية الرأى وانما هو دعى يفكر بالتقليد المحض · فالغزالى اذ يزجر « كل من يخوض فى تلك العلوم » لايزجر الراسخين فى العلم وانما يزجر من ليس له من العلم غير الرذاذ· واستعمال « الكل » مع ارادة الجزء أمر مألوف فى اللغة ، فلا سبيل لمن يتهم فيلسوفنا هنا بتعميم الحكم· والحق أن قليلا من النظر فيما كتبه الغزالى عن هذه الأمور لا يدع اللبس يتسرب الى قارىء لهذا النص منصف · فليس من المعقول أن يقع مثل الغزالى فى تناقض بهذه السهولة فيوجب على المسلمين تعلم الطب ويحرم عليهم الجغرافيا والرياضة · لقد كانت المسألة بينة أمام الأستاذ سلامه موسى ـ لو اراد ـ فالغزالى الذى يأبى أن تقع الجماهير فريسة الدجل والشعوذة باسم الدين هو الغزالى الذى يأبى للمسلم ولغير المسلم أن ينساق وراء المزاعم مغمض العقل بليد المنطق باسم العلم ·والعلوم الرياضية فى رأى الغزالى « برهانية » أى أنها تثبت بالبرهان المنطقى والدليل العقلى ، و « ولا سبيل الى مجاحدتها » فهل يبلغ الأمر بقائل هذا الكلام أن ينكر الرياضيات لانها ـ كما يقول سلامه موسى ـ « تنهض على العقل والمنطق » ؟

أغلب الظن أنه فهم الأمر على هذا النحو : الغزالى يرى أن الرياضيات تثبت بالبرهان ، وهو يخشى أن يكون ايمان الناس بها أوثق من ايمانهم بالالهيات التى ليس لبراهينها وثاقة تلك البراهين · فكيف نحفظ للناس ثقتهم بالدين ؟ الجواب هو تحريم العلم · والمسألة اذن انعكست فى ذهن سلامه موسى ـ بوعى أو بلا وعى ـ ولو أنصف لفهمها على هذا النحو : لم تكن الفلسفة فى زمن الغزالى « علما

براسها ، على حد قوله وانما كانت تشمل الرياضيات والمنطق والالهيات والطبيعيات . وللفيلســوف أن يكون صــاحب رأى فى فرع أو أكثر من الفروع الأربعة . لكن صحة الرأى لن تكون ســواء فى كل فرع لاختلاف ما تقوم عليه البراهين بين فرع وفرع. وعلى ذلك فالمتكلم فى الهندسة أو الطبيعة سيقنعنا بسهولة لأن براهينه فى متناول كل الأفهــام أما كلامه فى وجود الله مثلا فلن يبلغ تلك الدرجــة من الاقناع ـ سواء أكان مؤمنا ام كافرا ـ لأن البراهين هنا تختلف عن البراهين هناك . فمعرفة الصواب هنا ليست ميسورة لكل الأفهام التى فقدت اســتقلال النظر . مثل هذه الأفهام هى التى يريد الغزالى أن يقيها « الكفر بالتقليد المحض » وهنا نترك المجــال للعقاد يدلى برأيه فى هذا الموضوع « العقل عند الامام الغزالى هو العقل فى شرعة الاسلام . كلاهما عقــل يبتغى الحقيقة حيث كانت ولا يحجم عن المعرفة حيث أصابها ولا يقيم فوقه أو بين يديه بابا مغلقــا دون قبس من النور يريه ما لم يكن رآه أو يزيده بصيرة بما رآه . وانما تناول بالتحريم عملا ليس من أعمال العقل ولا هو مما تسيغه العقول الرشيدة ، وهو تعريض العامى المقلد للمشكلات التى لايدركها ولا يتوفر على درسها وادراكها ، وكل ما يجنيه من يعرضه لها أن يسلبه طمأنينة التقليد ولا يعوضه منهــا غير القلق والاضطراب وسوء الطوية . وليس فى ابتلاء العامى المقلد بهذهالمحنة شيء من العقل ولافى تجنيبه مضرتها ووبال عقباها مخالفة للعقل أو حجر عليه » .

ماذا يكون الحال لو دخــل مدرس الجغرافيــا على التلاميذ يشرح لهم مواقع الكواكب ونظام دورانها ثم يقول لهم ان العالم الفلكى المشهور « **لابلاس** » لايجد مكانا للعناية الالهية فى نظام السموات ؟

أليس من الحــكمة أن يمتنع المدرس عن مثل هذا القول حتى لا يحير العقول الفضة ويسلبها طمأنينة ايمان ساذج ليدعها فريسة قلق صنعه كفر ساذج ؟

أجل . الحكمة كل الحكمة أن نترك التلميذ يتعلم فى أمن حتى يصبح عالمــا وشهيرا مثل « لا بلاس » فاذا شاء عند ذاك أن يبحث عن مكان العناية الالهية فعل ولديه من العلم ما يعينه على البحث .

الغزالى يريد ما يريده عيسى عليــه السلام ، فهو يقبس عنه قوله « لا تضعوا الحــكمة عند غير أهلهــا فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم » .

نعود الآن الى السؤال الذى طرحناه فى بداية هذا المقال «ماالذى دفع سلامه موسى الى هذه الأباطيل ؟» ولعل الجواب حاضر الآن أمام القــارىء . سوء الفهم أو سوء النيــة أو الســوءان معا . لقد كنت أحسب أن جيلنــا لا نظير له فى جموح القلم والاجتراء على الحق والعجــلة فى الفهم ، أما الآن فانا أحســب أن جيلنا قبس هــذه الآفات عن معلم اســمه « سلامه موسى » .

ولعل أبلغ كلمــة نختم بها مقالنــا كلمة للغزالى حاسمة تقطعبتقديره للعلم ووضعه فى مكانه الصحيح. كلمة ترد بعض سطور من النص الذى استشهد به الأستاذ سلامه ولعل عينيه مرتا بها مغمضتين. يقول حجة الاسلام « لقد عظم على الدين جناية من ظن أن الاسلام ينصر بانكار هــذه العلوم وليس فى الشرع تعرض لهذه العلوم بالنفى والاثبات ولافى هذهالعلوم تعرض للأمور الدينية » .

« **الحسانى حسن عبد الله** »

حول كتاب دين الله واحد للشيخ محمود أبي رية

للدكتور جوده هلال

« افلاطون صديق ، والحق صديق ، ولكن الحق أصدق منه » ٠

بهذه العبارة توج ارسطو فلسفة الاغريق ٠

وفضيلة الشيخ «أبو ريه» صديق ، أعرفه منذ زمن ليس بالقصير وترجو ألا يصدف عن الحق ، فان الحق ـ كما قال الله تعالى ـ أحق أن يتبع ٠٠ تفضل فضيلة الشيخ واهدانى كتابه « دين الله واحد » والكتاب فى جملته يثير أكثر من مشكلة وأكثر من قضية وكلها قضايا خطيرة تحتاج الى بحث وتمحيص ٠

والفكرة الاساسية فى الكتاب تدور حول « **عالمية الدين ووحدته** » وهى فكرة رائعة ، جديرة بأن تبلغ الى أعماق النفس الواعية لولا أن الصورة التى قدم بها المؤلف كتابه صورة مضطربة وباهتة ، والأحكام التى أوردها فيه أحكام متهافتة لا تستقر أمام قوانين العقل ، ولا تثبت أمام النصوص الصحيحة من النقل٠

يستشهد المؤلف (فقط) بالنصوص التى ربما تصلح ـ فى ظاهرها ـ أساسا لمقصده ، وحجة لغايته ، أما تعميق الفكرة وارساء قواعدها على أسس سليمة فهو ما لم يخطر له على بال ٠

ان الاستاذ المؤلف يريد أن يخلص من كتابه الى ان أصحاب الاديان جميعا فى درجة واحدة وان اختلفت صور العبادات وتعددت أشكالها وطقوسها ، لان هذا التباين فى الاشكال والطقوس لا يغير من طبيعة وحدتها ، ولا من الغاية التى تنتهى اليها ٠٠ الى مالك الملك علام الغيوب ٠ ففى نظره أن الناس أحرار فى أن يؤدى كل منهم شعائر دينه وطقوس عبادته على الصورة التى رسمها دينه الذى ينتمى اليه ٠ «ان فى المعبد ٠٠ أو فى الصومعة ٠٠ أو فى الكنيسة ٠٠ أو فى الخلوة ٠٠ أو فى اى بقعة من بقاع الارض ٠٠ الخ ٠ انظر ص ١٢ ٠

ويجد المؤلف فى غير ملل أو وهن فى سرد آيات كثيرة من القرآن الكريم والتوراة والانجيل ٠٠ ثم اقاويل الفضلاء من العلماء ظنا منه أن ذلك يقربه الى غايته ٠٠٠ أو يهديه الى ضالته ولكن مثله كمثل القائل :

ما كل ما يتمنى المــرء يدركه
تأتى الرياح بما لايشتهى السفن

يحاول فضيلته فى اعتزاز يشوبه الدهاء أن يتوج استشهاداته بالآية الكريمة : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » الآية ٦٢ من سورة البقرة ٠

ومن هذه الاستشهادات ماجاء فى ص ١٣ من الكتاب :

أولا ـ عن الحسن ، قيل لرسول الله : « ان فلانا يستغفر لآبائه المشركين، فقال : ونحن نستغفر لهم ٠

ثانيا ـ عن علي : رأيت رجلا يستغفر لأبويه وهما مشركان ، فقلت له ، فقال : أليس قد استغفر ابراهيم لأبيه ٠

ثالثا ـ قال الزمخشري في الكشاف : ان العقل يجوز «بتشديد الواو» أن يغفر الله للكافر ، ألا ترى الى قوله عليه السلام : لأستغفرن لك مالم أنه عن ذلك ٠

ويعلق (المؤلف) على الآية الكريمة بقوله : فكل من يؤمن بالله ، واليوم الآخر ، ويعمل صالحا فهو ناج بفضل الله ان شاء الله ٠٠٠ ذلك بأن هذه الصفات الثلاث هي أركان الدين الأساسية على لسان كل رسول ٠٠٠ فمن اتبع احكامها ٠٠٠ واقام اصولها ـ من أي دين كان ـ فاز برضوان الله ٠ ص ١٦ من الكتاب ٠

وكأني (بالمؤلف) وقد بهرته الآية الشريفة بسلطانها ٠٠٠٠ كما بهره تعليق السيد رشيد رضا ـ رحمه الله ـ بقوله : سمعنا هذه المسألة من البكري وقال امامنا : ان السيد ـ يعني جمال الدين الأفغاني ـ قال له: انقشوا هذه الآية على هرم الجيزة الى أن يجيء المستقبل يفسرها ٠

ويعلق (المؤلف) على هذا أيضا بقوله : ان الناس سيصلون ان شاء الله بعلومهم وعقولهم الى مرتقى تزول فيه الجنسيات الدينية ، وتختفي العصبيات المذهبية ، ويجتمعون على دين واحد يشمل الناس جميعا ، وهذا الدين يقوم على ثلاث قواعد :

١ ـ ايمان بالله

٢ ـ عمل صالح

٣ ـ ايمان باليوم الآخر

وبهذا يتم الكتاب

وبعد هذا العرض السريع للكتاب نود أن نطمئن المؤلف بأنه ليس من حق أي فرد كان ولا فيمقدوره ان يدخل أحدا الجنة ولا أن يدخل أحدا النار ٠٠ والمقياس الصحيح هو العمل ٠٠ يقول الله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) من سورة الزلزلة ٠

ويتجه النبي الكريم الى فلذة كبده ، وأحب الناس اليه فاطمة الزهراء ويقول لها في حنان صادق : يافاطمة بنت محمد اعملي لا أغني عنك من الله شيئا ٠٠ ثم يتجه بقلبه الى عمه العباس ليقول له : يا عباس بن عبد المطلب اعمل لاأغني عنك من الله شيئا ٠

والى جانب هذه الاحاديث التي تحمل عبق النبوة وعطرها ٠ ٠ ترى القرآن العظيم يحدد سمات المؤمنين ٠ ويضع علامات على جبين الكافرين ٠ يعلن القرآن أن محمدا نبي ٠٠ وانه خاتم الانبياء ٠ ٠ « وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما » ٠٠ وان هذا القرآن الذي انزله الله على محمد ليفرق به بين الحق والباطل مصدق لما بين يديه من التوراة والانجيل ٠٠ وهنا نسأل المؤلف ٠٠ فما بال من لم يؤمن بمحمد نبيا ولا بالقرآن كتابا ؟!

والمؤمنون بالقرآن يعلمون تمام العلم أن الانجيل قد أعلن منذ أن كان السيد المسيح يدعو الى ربه متضمنا أمرين عظيمين :

الاول ـ التصديق بما بين يديه من التوراة ٠

الثاني ـ البشارة بمن يأتي بعده من الرسل ٠

واقرأ قول الله تعالى : «واذ قال عيسى بن مريم اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد» الآية٠

والمؤمنون بمحمد وبالقرآن يؤمنون بالسيد المسيح ٠٠ ويؤمنون بالكليم ٠٠ بل يؤمنون بجميع الانبياء سواء عرض القرآن لهم ولسيرتهم أم لم يعرض لهم وبأنهم جميعا يسيرون معا على الطريق ، وبأنهم ابناء علات ، وبأنهم يمثلون بيتا تكامل ببعثته صلوات الله وسلامه عليه ، يقول عليه السلام : «مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا تنقص منه لبنة ، فكلما مر عليه قوم قالوا ما أجمل هذا البيت لولا هذه اللبنة ، فالانبياء هم البيت وانا اللبنة » ٠

ويصر القرآن ، ويعلن على الملأ عدم التفرقة بين الانبياء مهما اختلف ميقاتهم فيقول : « لا نفرق بين أحد من رسله » ٠

ويثني على ابراهيم بقوله :

« انه كان صديقا نبيا» الآية ٤١ من سورة مريم،

وعلى موسى بقوله :

«انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا» الآية ٥١ من سورة مريم .

وعلى اسماعيل بقوله :

«انه كان صادق الوعد» الآية ٥٤ من سورة مريم

وعلى ادريس بقوله :

«انه كان صديقا نبيا» الآية ٥٦ من سورة مريم .

ويقول النبى الكريم : نحن أحق بالشك من ابراهيم ، ولا تفضلونى على يونس ابن متى ، ولو كنت مكان يوسف لأجبت الداعى .

ومرة ثانية أؤكد أن المؤمنين برسالة محمد صلى الله عليه وسلم يؤمنون بجميع الانبياء السابقين ، وبجميع الكتب المنزلة على قلب كل رسول ، يؤكد هذا حديث ابن عمر الذى رواه عن أبيه عمر بن الخطاب بقوله : « بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لايرى عليه اثر السفر ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فاستد ركبتيه الى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يامحمد أخبرنى عن الاسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الاسلام أن تشهدأن لااله الا الله وان محمدا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان . وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا » .

قال فعجبنا له يسأله ويصدقه ، قال أخبرنى عن الايمان ، قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» . قال صدقت الى أن قال : ياعمر أتدرى من السائل قلت : الله ورسوله أعلم ، قال فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم .

فالايمان لا يكون الا بما يلى :

١ — الايمان بالله .

٢ — الايمان بالرسل .

٣ — الايمان بالكتب السماوية .. الى آخره .

وجماع الايمان بهذه الامور قول الله تبارك وتعالى : « يأيها الذين آمنوا ، آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله ، والكتاب الذىأنزل من قبل ، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا» الآية ١٣٦ من سورة النساء .

و «ال» فى الكتاب — الذى أنزل من قبل — يعبر عنها علماء اللغة بال الجنسية ، أى بجنس الكتب التى سبقت فى نزولها نزول القرآن .

والآية التى استشهد بها (المؤلف) وردت فى ثلاثة مواضع متفرقة فى القرآن .. ونص الآية كما ورد فى سورة البقرة : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولا هم يحزنون » .

يقول جار الله الزمخشرى الذى أعجب (المؤلف) به :

ان الذين آمنوا : أى من المنافقين .

والذين هادوا : أى دخلوا فى اليهودية .
والنصارى .. أى الذين نصروا المسيح .

والصابئين : وهم قوم عدلوا عن اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة .

من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل فى ملة الاسلام دخولا أصيلا وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم .. الخ (انظر تفسير سورةالبقرة من الكشاف) .

والى جانب الزمخشرى يأتى صوت آخر من الاندلس ، ذلك الصوت هو صوت أبى عبد الله القرطبى صاحب التفسير المشهور ، فنراه يعلق على هذه الآية بقوله : وتقدير الكلام من آمن منهم بالله، وفى الايمان بالله واليوم الآخر يندرجالايمان بالرسل والكتب والبعث .. ويستدل على ذلك بقوله عليه السلام : « لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم لم يؤمن بالذى أرسلت به الا كان من أصحاب النار » .

ثم أليس اليهود ـ ياسيدى المؤلف ـ هم الذين قال الله فيهم : « قل ياأهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم » وهل تكون هناك اقامة للتوراة والانجيل الا بالايمان بهما والعمل بمقتضاهما ؟.

ثم أليس اليهود هم الذين فضح الله أمرهم ، وبين حقدهم بسبب ما أنعم الله به على رسول الله من نزول القرآن . . . وانظر تتمة الآية السابقة « وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا » الآية ٦٨ من سورة المائدة .

يقول القرطبي: سبب نزول هذه الآية: ان جماعة اليهود جاءوا الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا : ألست تقر أن التوراة حق من عند الله ؟ قال : بلى ، فقالوا : فانا نؤمن بها ولا نؤمن بما عداها » وتقدير الآية الكريمة : أى لستم على شيء من الدين حتى تعملوا كما فى الكتابين « التوراة والانجيل » من الايمان بمحمد عليه السلام ، والعمل بما يوجبه ذلك منهما .

ولما ذهب أكابر يهود ، وفيهم ياسر بن أخطب ورافع بن أبى رافع الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسألوه عمن يؤمن به من الرسل ، أجابهم بقوله : نؤمن بالله وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل ... الى قوله : ونحن له مسلمون » ... فلما ذكر النبى عيسى عليه السلام جحدوا نبوته ـ أى نبوة محمد ـ وقالوا : والله ما نعلم أهل دين أقل حظا فى الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم ...

فكانت مقالتهم هذه سببا فى نزول قوله تعالى : «قل ياأهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل » الآية ٥٩ من سورة المائدة .

واذا كان الأستاذ يعتبرأن ايمان يهود والنصارى ايمانا صحيحا ففيم النداء اذن فى مثل آيةالمباهلة: « قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواءبيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون » الآية ٦٤ من سورة آل عمران .

ثم نسأل (المؤلف) ... لمن يوجه الله هذا الخطاب: « قل ياأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون » . الآية ٥٨ من سورة آل عمران

ويقول الزمخشرى فى تفسيرها : المعنى، لم تكفرون بآيات الله التى دلتكم على صدق محمد صلى الله عليه وسلم !!!

واخت الآية السابقة: « ياأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون » .. الآية ٧٠ من سورة آل عمران .

قال الزمخشرى (بآيات الله) بالتوراة والانجيل، وكفرهم بها : أنهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرها وشهادتهم ـ اعترافهم بأنها آيات الله .. الخ .

ونظير الآيتين السالفتين : « ياأهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء » .. الآية ٩٩ من سورة آل عمران .

وشبيهها : « ياأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون » .. الآية ٧١ من سورة آل عمران .

وخلاصة هذه الآيات أن الله حكم على أهل الكتاب المخاطبين فى هذه الآيات بأنهم :

كانوا يكفرون بآيات الله .

كانوا يصدون عن سبيل الله .

كانوا يلبسون الحق بالباطل .

كانوا يكتمون الحق مع علمهم بأن هذا هو الحق .

وأنهم كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون .. كما تنطق **بذلك الآية ١٤٦ من سورة البقرة .**

وكان شيئا طبيعيا ومنطقيا أن ينهى الله المؤمنين أن يتخذوا من هؤلاء اليهود والنصارى أولياء : «ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض » الخ الآية ٥١ من سورة المائدة وفى موضع آخر يقول: «ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء » الخ الآية ٥٧ من سورة المائدة .

وهنا نكتة أظن أن المؤلف يفهمها جيدا .. تلك هى أنه تعالى قرن أهل الكتاب بالكفار .

ثم أليس اليهـود هم الذين قالوا : « يد الله مغلولة » فرد عليهم بقوله : « غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء الخ .. الآية ٦٤ من سورة المائدة .

وأليس اليهود هم الذين قالوا : « عزير بن الله » تماما -كمقالة النصارى- « المسيح بن الله » فوصف الله هذه المقالات بأنهم يضاهئون قول الذين كفروا ...

وقالوا (اليهود والنصارى) : نحن أبناء الله وأحباؤه ؛ فقال لهم الله تعالى : « قل : فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق » الخ الآية ١٨ من سورة المائدة .

والنصارى ... أليس الله يحكي لنا في القرآن المجيد قولهم : « ان الله ثالث ثلاثة » ثم يجبههم بقوله : « وما من اله الا اله واحد ، وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم » الآية ٧٣ من سورة المائدة .

فهل يعتقد صاحب كتاب « دين الله واحد » ان المسلمين والنصارى واليهود سواء ؟؟

أما نحن فنقول : اللهم ليسوا سواء ، فمن يؤمن بالكليم أو بالسيد المسيح ولم يؤمن بالعاقب الذى لا نبي بعده فليس من الدين في شيء .. تماما كما لو آمن شخص بمحمد صلى الله عليه وسلم ولم يؤمن بمن قبله من الرسل ، وحاشا أن تجد مسلما واحدا يكفر بنبوة نبي من الأنبياء ... يقول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا » .

أما ما يستدل به المؤلف من قول الزمخشرى من أن العقل يجوز (بتشديد الواو) أن يغفر الله للكافر، فان الجواز العقلي لايصلح ان يكون أساسا للحكم الشرعى كما يعلم ذلك المبتدىء في الدراسات العقلية فضلا عن الشيوخ والراسخين في العلم . وأما احتجاجه بقوله عليه السلام : « لأستغفرن لك ما لم أنه عن عن ذلك » فقد نهى الله الرسول عن الاستغفار لهم بقوله : « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم أن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » .. الآية ٨٠ من سورة التوبة . وقوله تعالى : « ماكان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم أصحاب الجحيم » الآية ١١٣ من سورة التوبة .

وفي شأن استغفار ابراهيم لأبيه يقول الله تعالى : « وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه » ..الخ الآية ١١٤ من سورة التوبة .

ثم ليتقش (الشيخ المؤلف) الآية الكريمة « ان الذين آمنوا والذين هادوا » .. الخ على قمم الأهرام ، أو على جدار أهل الكهف ، أو فوق ناطحات السحاب ، أو على لوحة تذكارية يبعث بها مع أول رحالة الى القمر فلن يجد تفسيرا لها الا مايؤيده قوله تعالى : « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين» .

وثمة أمر آخر جاء في الكتاب :

يعقب المؤلف على قوله تعالى : « وانزلنا التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان» . بقوله : والفرقان هو العقل الذى يفرق به بين الحق والباطل في ص ٥٥ من الكتاب .

وأمامي الآن مادة (فرق) معجم لسان العرب لابن منظور وقد جاء فيها :

الفرقان : القرآن ، وكل ما فرق به بين الحق والباطل فهو فرقان ولهذا قال الله تعالى : « ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان » .

وفي حديث فاتحة الكتاب :

ما أنزل في التوراة ولا الانجيل ولا الزبور ولا الفرقان مثلها . وجاء الفرقان : من أسماء القرآن .

والفرقان : الحجة

والفرقان : النصر

وفي التنزيل « وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان» وهو يوم بدر .

وفي بعض الآيات أطلق الله على التوراة اسم الفرقان ، قال الله تعالى : « ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء » - أراد التوراة فسمى جل ثناؤه الكتاب المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فرقانا ، وسمى الكتاب المنزل على موسى فرقانا ... والمعنى انه تعالى فرق بكل واحد منهما بين الحق والباطل.. وليس من بين هذه المعاني - كما ترى - ما يفسر الفرقان بالعقل كما ذكر المؤلف .

« دكتور جودة هلال »

تراث يسيء الى الاسلام

محمد عبدالله السمان

ان التراث الاسلامى الذى لم يزل مخطوطا من الكثرة بحيث لا يعد ولا يحصى ، سواء ما كان منه فى مكتبات أوربا أم فى المكتبات العامة والخاصة فى سائر بلاد المسلمين ، وقد أصدرت وزارة الاوقاف فى العراق فى السنوات الاخيرة مجلدا ضخما حوى ما لديها فى دارها ببغداد وهو بضعة آلاف مخطوط معظمها نادر ، وفى دار الكتب والمكتبة الازهرية قسمان كبيران للمخطوطات الاسلامية التى لم تمتد اليها بعد أيدى العلماء المحققين .

ورعاية التراث الاسلامى مما لا يحتاج الى مناقشة، ووزارة الثقافة والارشاد القومى عندنا وكذلك دار الكتب ، تؤديان رسالتهما فى هذا المجال ، الى جانب دور النشر الكبيرة ، بل ان كلا من الكويت وقطر والعراق يسهم بنصيب مشكور فى احياء التراث العربى والاسلامى ، ولكن المشكلة التى يجب أن تسترعى أنظار من يهمهم الأمر من مسئولين رسميين وغير رسميين ، تنعقد فى اختيار التراث الاسلامى الأصيل ، واختيار العلماء المحققين الممتازين ليسند اليهم احياء هذا التراث .

***

والحق أن هذه المشكلة لا تحتل مكانا ملموسا فى الجهات الرسمية المعنية بالتراث الاسلامى ، حيث لا يحركها عامل تجارى ولا غيره ، ولكنها تحتل المكان الأسمى فى دور النشر الاهلية ، التى ربما جذبها الى طبع كتاب من كتب التراث عنوانه لانه يلعب دورا ذا أثر فى الميدان التجاري ، ونحن اذا أجرينا تصفية دقيقة لما طبع فى دور النشر وهو يعد بالمئات ، لكان نصيب الجدير بالطبع والنشر منه متواضعا غاية التواضع ، ودون ما حساب ـ بالطبع ـ لآلاف الرسائل الصغيرة التى تفيض بالاساطير والخرافات، ولم تزل تغزو اسواق البلاد الاسلامية فى أفريقيا وآسيا بالالوف المؤلفة .

لقد قال لى أحد الناشرين بالقاهرة : ان نشرة رسمية وصلت أخيرا تحتم علينا أن نعرض ما نود طبعه من كتب التراث الاسلامى كالتفسير والحديث والتوحيد على الازهر لأخذ الموافقة على نشره قبل الطبع ..

واعتقد أن مثل هذا الاجراء لا يصلح علاجا للمشكلة ، وأخشى الا يكون سوى مرحلة من مراحل التعقيد ، وأنا أعلم أن أخذ الموافقة على طبع مصحف من المصاحف يستغرق زهاء عام بأكمله فى أروقة المسئولين بالازهر .

وعندما عتبت على أحد الناشرين لطبعه كتابا فى التصوف قديما ، لا يفيد المسلمون منه ، بل انه ليسىء الى الاسلام نفسه ، قال لى : ماذا نفعل ؟ اننا نجهل مثل هذه الكتب ، ولا نقترح طبع الكتاب ، بل يقترحه علينا عالم من علماء الازهر ، ويأخذ على عاتقه تحقيقه ، وما علينا الا أن ننفق أموالنا عن يد ونحن صاغرون .

اذن فالاتجاه الجديد ـ وهو احالة كتب التراث الاسلامى على الازهر ليأذن بالطبع والنشر لا يمكن أن يكون علاجا حاسما للمشكلة . ولا يمكن أن يحول دون نشر لون من التراث الاسلامى يجب تجميده تجميدا أبديا ..

ان فى استطاعة مجمع البحوث الاسلامية بالازهر

ـ وعلى رأسه عالم فاضل هو الاستاذالدكتور محمود حب الله ـ أن يفعل شيئا حيال فوضى التراث الاسلامى فى مجال الطبع والنشر ، وهى فوضى تلعب دورا خطيرا فى حياة المسلمين فى سائر الدول المسلمة ، أقول فى استطاعة مجمع البحوث الاسلامية بالازهر أن يؤلف لجنة من العلماء يتوافر لديهم التخصص فى سائر العلوم الاسلامية ، والتجرد من المذهبية والطائفية ، ثم الأمانة العلمية ، وتكون مهمة هذه اللجنة أن تجرى احصاء شاملا للتراث الاسلامى المخطوط لدينا والذى لم يطبع بعد ، ثم توافى دور النشر الكبرى وسائر الصحف فى البلاد الاسلامية بالصالح منه للنشر ، كما تشير الى الغث منه محذرة من طبعه ونشره ، وهذه مهمة مجمع البحوث الاسلامية الاولى ، وبدونها سيظل الى ما شاء الله لفظا لا معنى له ، أو اسما على غير مسمى ..

أما أن نترك الامور تجرى كما تهوى دور النشر ، وكما يهوى محترفو التحقيق العلمىمن العلماء وغيرهم، وتقدم الى العالم الاسلامى تراثا نضيفه الى الاسلام زورا ونصدع به اذهان القراء من السذج ، وهو لا يمس حياتنا من قريب أو بعيد ، فهذه هى المشكلة المعقدة ، وبقاؤها بدون علاج لا يتيح للفكر الاسلامى اليوم أن تكون له شخصية تقف على قدم وساق راسخة رسوخ الطود ، والعالم شرقيه وغربيه معبأ بالافكار الحية التى تلعب دورا خطيرا فى حياة المجتمعات والشعوب ..

***

وهذا مثل واحد لهذه الفوضى ..

منذ أيام وقع فى يدى كتاب أطلق عليه « علم القلوب » لمحمد بن على بن عطية الحارثى المكى الملقب بأبى طالب المكى ، والمتوفى عام ٣٨٦ هـ ببغداد ، هذا الكتاب يطبع لأول مرة ، ولا علينا اذا صحت نسبة الكتاب الى أبى طالب المكى صاحب « قوت القلوب » المشهور فى عالم التصوف ، أو لم تصح فالمهم هو الكتاب نفسه، كاثر ينسب الى التراث الاسلامى ، هذا وقد قام بتحقيق الكتاب مدرس متخرج فى كلية دار العلوم ، يقول فى تقديمه للكتاب : انه وشقيقه « قوت القلوب » يعتبران من أسس السلوك الدينى القويم الذى نحتاج اليه فى تصحيح الاعمال والنيات والعقائد ، ويوقفنا على دسائس النفوس ومكائد الشيطان حتى تتضح السبيل ويستنير الطريق »

الكتاب يبحث حقا فى ماهية الحكمة والفرق بينها وبين العلم ، وفى بيان التوحيد والتفريد على لسان أهل الاشارة ، وفى وصف العارفين وطبقات المخلصين .. الى غير ذلك ، ولكن هذه البحوث لا تتسم فى معظمها ان لم يمكن جميعها ـ الا بالحشو الممل ، والنقول المزيفة ، والالغاز المعقدة ، والقصص الأسطورية،والاحاديث النبوية المصنوعة ،والتاويلات الفاسدة لكتاب الله عز وجل .

فان المؤلف لم يكلف نفسه جهدا ، ولا عقله شحذا، لانه لم يتقيد فيما أفاض فى كتابه الذى يقع فى ثلثمائة صفحة من القطع الكبير بمنهج فى الرواية والنقل فهو دائما يقول : « قال بعضهم » و « وقيل» و « قال بعض علماء الشام » و «قال بعض علماء البصرة» و « ان الله يقول فى بعض أسفار الانبياء » ولا يهمه بعد ذلك أن يسخر من عقولنا ، ويتركها تتخبط فى جو من الخرافات والاساطير التى تليق بالمجانين فى عالم الجنون .

قال يحيى بن معاذ رضى الله عنه : « ان لله تعالى مقاود معلقة بالعرش بعدد قلوب المؤمنين ، لكل قلب مقود ، فلا يذكر ذاكر ربه حتى يحرك الرب مقوده ، ثم قال : حركة المقود هى قبل ذكر الذاكر ربه » .

وعن وهب بن منبه قال : ان أبا هريرة حدثنى عن النبى (ص) قال : ان لله تبارك وتعالى صندوقا مربعا قدام العرش من لؤلؤة بيضاء طوله مسيرة خمسمائة عام ، وعرضه مثل ذلك ، مضروبا بكواكب درية ، كل كوكب منها مسيرة سنة ، مكتوب على ترابيعه . لا اله الا الله محمد رسول الله ، وعليه قفل من نور مسيرة ثلثمائة عام . وله مفتاح فى طوله مسيرة مائة عام . فيه أربعة أشياء ممزوجة باربعة ، لا يعطى ذلك أجمع الا الانبياء والاولياء : الحكمة ممزوجة بالجوع ، والورع ممزوج بالمحبة ، والبلاء ممزوج بالرضا ، والحزن ممزوج بالشوق ، فهذه الاربعة هى أصول فى طريق المقربين » .

واليك غير هذين :

يقال : ان امرأة مرت بعيسى عليه السلام وهو

يعمل العجائب فقالت : طوبى لبطن حملك ، ولثدى ارضعك ، قال عيسى : طوبى لمن قرأ القرآن وعمل بـه .

وفى دنيا الالغاز :

سئل ابو يزيد البسطامى : باى شىء يصل العبد الى الله ؟ قال : بالخرس والصمم والبكم والعمى » .

وقال الحلاج : عندى ان المعرفة هى الجهـل ، والتواضع هو التكبر ، والعز هو الذل ، والبقاء هو الفناء ، والذكر هو الغفلة والنسيان » .

❋❋❋

وفى دنيا التاويل الفاسد للقرآن :

سئل الشبلى ـ رضى الله عنه عن قوله : « صم بكم عمى » قال : « هذه صفة العارف » .

قوله تعـالى : « واما السائل فلا تنهر » قال بعضهم : ليس هو المسكين الذى يسالك الكسرة والقطعة ، انما هو طالب العلم الذى يسالك عن العـلم ، فلا تزجره ، ولكن قربه وعلمه » .

قال جعفر الخلدى فى قوله تعالى : « الله الصمد » هى خمسة احرف الف ولام وصاد وميم ودال ٠ الالف دليل على احديته ؛ واللام دليل على الهيته ٠ وهما مدغمان لا يظهران على اللسان ويظهران فى الكتابة ؛ فدلت الحكمة فى ذلك على أن احديته والهيته خفية مستورة الحقيقة ... »

وفى دنيا الاساطير :

الشبـلى فى سوق بغداد كتب على طبق« الله » فانشق الطبق نصـفين ، وقرأ على قدح آخر « الله » فتقطع القدح وطار ، واشار الى رجل بـ الله فاشتعل راسه نارا ؛ والرجل يصيح ٠ فقال الشبلى : يانار كونى بردا وسلاما فليس هذا من رجالك ، فخمدت النار »

وفى دنيا الهوس :

قال ابو يزيد البسطامى: لم أذكر منذ اربعين سنة انى استندت الى حائط مسجد، فقيل له : لم لاتستند وفى ذلك رخصة ؟ فقال سـمعت الله يقول : فمن يعمل مثقال ذرة خـيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ٠ وقال : كنت أطوف حول بيت الله الحرام فلما ان وصلت اليه رأيت البيت يطوف حولى ٠ »

وروى ان ابا ان عبد الله اشترى جارية فلما دخل داره قال : قومى وافرشى الثيـاب ٠ قالت : ماذا تصـنع يا مولاى ؟ قال : أنام ٠ قالت : ألك مولى ؟ قال : نعم ٠ قالت وينام مولاك ؟ قال : لا ٠ قالت : اما تستحى أن تنام ومولاك لا ينام !

❋❋❋

وبعد ـ فهذا هو عرض سريع لما فى الكتاب من اضاليل ؛ وحسبنا أن تذكر مالم ينكره محقق الكتاب نفسه، من ان المؤلف أبا طالب المكى قد خلط فى كلامه فبدعه الناس وهجروه وامتنع من الكلام بعد ذلك ٠ ولكن المحقق بتشيعه للانحراف الصوفى يدافع عن المؤلف الذى ترك الطعام زمانا واقتصر على الحشائش المباحة حتى اخضر جلده من كثرة تناولها ؛ يدافع عنه بقوله : ان بعض الناس تعود أن ينكر ما لم يألفه من مسائل العلم انكارا كاملا ،والبعض الآخر يتوقف فيما لم يالف ويسلم الامر لله ...

ولكن : أليس الفكر الاسلامى الاصيل فى غنى عن هذه الالغاز ؛ والاسلام معان واضحة لا لبس فيها ؛ ورضى الله عن أبى زرعة الذى قال عن كتب المحاسبى فى التصوف مع ما عرف عنه من اعتدال : اياك وهذه الكتب فهى بدع وضلالات وعليك بالاثر أى ما ورد عن النبى واصحابه ، وقال أيضا : من لم يكن له فى كتاب الله عبرة ، فليس له فى هذه الكتب عبرة ٠ »

وصلوات الله على رسول الله القائل :

« كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون ٠ اتريدون ان يكذب الله ورسوله ٠ »

محمد عبد الله السمان

النثر عند أحمد شوقي

بمناسبة الذكرى الثانية والثلاثين لوفاته

صديق شيبوب

ولد شوقي شاعرا . تلك حقيقة لا ريب فيها ، فقد عقدت ربة الشعر اكليلها على جبينه يوم ميلاده فنشأ بلبلا صداحا فى رياضها الغناء وصناجة يغرد فى جناتها الفيحاء ، وصار يتعبد فى محرابها حتى أصبح علما بين سدنتها وكهانها .

ولما كان لكل شاعر رسالة فقد احس شوقي فى مطالع شبابه ان رسالته يجب الاتقتصر على الشعر، بل تتناول جميع صنوف الادب ، وخاصة تعريف المصريين بتاريخ بلادهم وجلائل حوادثه . ولا عجب فى ذلك فقد كان شوقي بعد أن أتم دراسته العربية فى مدرسة المبتديان فالمدرسة التجهيزية فمدرسة الحقوق ارسله الخديو توفيق الى فرنسا ليدرس الحقوق على ألا يعود الى مصر الا بعد أن تنتهى دراسته .

وفى فرنسا اطلع شوقي على آداب الغرب عامة وآداب الفرنسيين خاصة فقرأ لشعرائهم وقاصيهم وشهد مسارحهم وطالع ماكتبوا عن تاريخ مصر حتى اذا عاد الى وطنه بعد غياب أربع سنين عنه كان قد اتم ثقافته راكتمل نضجه الفكرى والادبى ، وخاصة الشعرى ، وأحس بواجبه نحو أمته ووطنه فانصرف الى تادية رسالته عن تاريخ مصر فنظم قصيدته المشهورة ، بل الملحمة التى قدمها الى مؤتمر المستشرقين بجنيف سنة ١٨٩٤ والتى مطلعها :

همت الفلك واحتواها الماء
وحداها بمن تقل الرجاء

ولعله وجد بعد ذلك أن مجال الشعر يضيق دون تادية تلك الرسالة فى التعريف بتاريخ مصر ، ذلك التعريف الذى وصفه بعد ذلك بقوله :

وانا المحتفى بتاريخ مصر
من يصن مجد قومه صان عرضا

وتنبه الى ان النثر أقرب الى فهم عامة الشعب من الشعر فوجه عنايته الى كتابة صفحات من ذلك التاريخ فى قالب قصصى، كما كان يفعل جرجى زيدان ايامئذ فى قصصه المسلسلةعن تاريخ العرب. ولكن زيدان كان يسير علىخطة معينة رسمها لنفسه، وكانت قصصه تتناول ذلك التاريخ عصرا فعصرا . واما شوقي فقد تخير الموضوعات على هواه ووفقا لانهامه

وهكذا انصرف شوقي الى الكتابة نثرا . وكان من رأيه فى المقدمة التى وضعها للطبعة الاولى من الشوقيات ، انه يجب على الشاعر أن ينثر .

وقضية الشاعر والناثر قديمة . فقد قيل ان كل شاعر ناثر . وكان شوقي شاعرا فلماذا لايكون ناثرا ايضا . ولكن الضجة التى قوبلت بها قصته الاولى « عذراء الهند » ، دلت على انه لم يكن ناثرا مسترسل العبارة منسرح الجمل فى بلاغة الفاظ ورصانة تعابير .

كان شوقي شاعرا بالسليقة ، وكانت عبقريته فى الشعر ترشده الىجمال الالفاظ وتعينه على تنميق العبارات . ولكنه كان فى مطالع شبابه قد اقام أربع سنين بفرنسا بعيدا عن المحيط العربى واستطاع فى هذه المدة ان يحتفظ لشعره بالسلاسة والعذوبة اللتين عرف بهما فى ذلك العهد بحيث كانت العبارات تسترسل فى موسيقى عجيبة ظلت طوال حياته من أسرار عظمة شعره ، ولكنه كانت تنقصه

تلك البلاغة التي عهدناها في شعره بعد ذلك ٠

ولعل هذه الظاهرة انسحبت على نثره حين كتب في ذلك العهد قصة « عذراء الهند » التي تجرى حوادثها في عهد رمسيس الثاني وصور فيها الحياة على طبيعتها وذكر الخرافات والترهات والجن والعفاريت والسحرة والكهان والرقى والطلاسم كما وصف عجائب المخلوقات مما أثار حفيظة بعض النقاد ايامئذ ، ولكن صديقه خليل مطران انصفه حين أشار الى ان ذلك تصوير للحياة كما كانت عليه في ذلك العصر فقال : « ان صاحب «عذراء الهند» ذكر فيها خرافات جدات المصريين ، وهي أشبه بخرافات جداتنا الى هذا اليوم ، لما يدل على مجانسة الفكر واتصال النسب ٠ »

على أن هجوم النقاد وقتئذ انصب خاصة على اسلوب شوقي فكتب الشيخ ابراهيم اليازجي بعد نقد طويل « ان ما اشتهر من قولهم ان كل شاعر ناثر قول لا يطرد صدقه ولا يبنى على قياس » وقال فرح انطون في مجلة الجامعة « ان قلم النثر يحسد قلم الشعر » عند شوقي ٠

ولعل شوقي احس بضعف قصته ، وانه لم يكن راضيا عنها بدليل انها ظهرت سنة ١٨٩٧ ، اى قبل طبع ديوانه «الشوقيات» بسنة كاملة، فاهمل ذكرها في المقدمة التي وضعها لهذا الكتاب والتي أشار فيها الى جميع ما كتب ونظم ٠

على ان شوقي لم يحطم قلم النثر ايامئذ بل عاد الى تاليف القصص فكتب قصة « لادياس » سنة ١٨٩٨ ، ونشر في سنة ١٨٩٩ قصة « ول وتيمان أو آخر الفراعنة » ٠

ثم انصرف شوقي الى كتابة « مذكرات بنتاؤر » في شكل محادثات تجرى بين لبد لقمان وهدهد سليمان ٠ وقدكنى بلبد لقمان عن بنتاؤر الحكيم المصرى القديم وبالهدهد عن نفسه ٠ وفي بعض هذه المحادثات اشار شوقي الى أستاذه المرصفي صاحب «الوسيلة الادبية» والى تلمذه عليه في دراسة اللغة العربيةعندما ذكر مشاهيرالمكفوفين فقال :«أو مرصفي هذا الزمان ، صاحب «الوسيلة» و «الكلم الثمان» وأول من علم الهدهد البيان » ٠

وقد ظهر الحديث الاول في عدد «المجلة المصرية» الصادر في غرة مارس سنة ١٩٠١ ٠ « والمجلة المصرية » هذه كان يصدرها ايامئذ خليل مطران الذى مهد لنشر المذكرات بقوله انها « شذرات حكم ونثرات فكر صدح بها طائر مصر المحكى أحمد بك شوقي من على قمة الاهرام تارة وبين طلول منف وعين شمس طورا ، وذهب بها كل مذهب ، في سلسلة فصول سماها محادثات ، تناول فيها كل عبرة جليلة ، وكل معنى غريب، مؤاخذا بها غضاضة مصر الآن برفعتها فيما تقدم من الزمان ، معاتبا بالرفق ، محاسبا بالصدق »

ولا يتم المطاف فيما نثره شوقي في عهد شبابه اذا لم يشر الى بعض المقطوعات التي كان ينشرها في «المجلة المصرية» بعنوان «شذرات حكم» يدل عنوانها عليها ٠ ونجد منها فقرات قليلة منشورة في كتابه « أطواق الذهب » الذى صدر بعد ذلك بسنين مثل قوله « الدين السمح في الرجل السمح ، والجنس الكريم في الرجل الكريم ٠ فاحبب من ليس من دينك تحبب دينك اليه ؛ وأكرم من ليس من جنسك يكرم جنسك عليه ٠٠٠ »

ومرت سنوات طويلة لم يكتب شوقي فيها النثر، او على الاقل لم ينشر من النثر سوى مقدمتين لقصيدتين نظمهما : احداهما قصيدة « انس الوجود » التي اهداها الى رئيس الولايات المتحدة تيودور روزفلت عندما زار مصر في شهر مارس سنة١٩١٠، والثانية «النيل» التي نظمها في أوائل سنة ١٩١٥

ثم انتهى شوقي الى كتاب « أسواق الذهب » الذى يذكرنا بكتابي « أطباق الذهب » للاصبهاني و « أطواق الذهب » للزمخشرى ٠ وهو مثلهما نثر مسجوع ، وعلى غرار جمع ما كتبه شوقي من قبل ٠

والظاهر ان شوقي كان يدون افكاره وملاحظاته العامة ، ولعله كان يريد أن ينظمها شعرا ثم تركها مفقاة كما هي ، وربط اجزاءها فما استقام كان قطعة شائقة ، وما لم يستقم تركه آراء مفردة ملأت عشرين صفحة من آخر الكتاب ٠

ولعل من الخير ان نقف عند هذه المجموعة من الكتب المنثورة قبل أن نتعداها الى غيرها لانها جميعها مكتوبة باسلوب واحد هو السجع ٠ وأن نقدم للحديث عن أسلوبها ماقاله شوقي نفسه عن النثر عند الشعراء في مقدمة الطبعة الاولى من «الشوقيات» وكانه كان يدافع عن نفسه بعد فشل قصة «عذراء الهند» قال :

« بقي استدراك لا بد من ايراده ، وذلك ان بعضهم يستنتج من كون الناثر لا ينظم ان الشاعر لا ينثر كذلك ، ولا ينبغي له ٠ وهذا وهم يداني اليقين عندهم ٠ وقد جاوز الشعراء في الانخداع به حدا اضر بهم مع انه يكفي للخروج منه أن تعلم

ان أكثر ما اعجز به أدباء الافرنج اليوم في القصص والانشاء ، وما يمثل على أكبر ملاعبهم وتتداوله ألسنتهم من مرسل الكلم ومنثور الحكم ، وما كتب في هذا القرن والذى قبله في الفلسفة العليا والسياسة الكبرى ، انما هو من قلم مشاهير الشعراء ... على اني كنت أول من انقاد بأزمة هذا الوهم • وطالما اوذيت به فكنت اذا عرضت لى كتابة أشفق منها وأجفل عنها ... »

ولكن شوقي لم يمهلك في نثره عندما نشر « الشوقيات » سنة ١٨٩٨ ، وبعد ذلك سبيل النثر العصرى على النحو الذى سلكه غيره من الشعراء ، وخاصة مطران الا في المقدمة التي وضعها ايامئذ للشوقيات والتي استشهدنا بعبارات منها ، بل قصد وهو يكتب القصص الى النثر المسجوع، وسلك فيه مسلك كتاب المقامات في الادب العربي القديم • وقد ظهر هذا النثر قلقا في « عذراء الهند » ولكنه لم يلبث ان استقام وبلغ الحد البعيد من الجودة والبلاغة في «مذكرات بنتاؤر» التي قال عنها خليل مطران ان شوقي « نثره نظما أو نظمها نثرا بحيث هي الشعر أو انفس ، وهي الكلام المرسل أواسلس» ثم بلغ أبعد حد من جمال العبارة وحسن الصياغة في « أسواق الذهب » •

كان شوقي شاعرا بطبيعته والهامه وأسلوبه ، وكانت عبقريته الشعرية لا تفارقه حتى عندما يكتب النثر ، لذلك عمد في غالب ما كتب الى السجع ، وهو الذى وصفه بانه « شعر العربية الثاني ، وقواف مرنة نابضة خصت بها الفصحى يستريح اليها الشاعر المطبوع » •

وهكذا كان شوقي حين كتب ذلك النثر المسجوع كانه ينظم شعرا أطلقت تفاعيله وقيدت قوافيه لان للقوافي موسيقى تثير رنتها خيال شوقي وتبعث مشاعره فلاتناقض اذن بين يومه وامسه ، ولاانتقاض على حكم نفسه •

ولعل هذا النثر المسجوع كان السبب في سقوط قصص شوقي الاولى « عذراء الهند » و « لادياس » و«ول ويتمان أواخر الفراعنة »وكان شوقي قد أرادها ان تكون شعبية تصف لعامة المصريين بعض المعتقدات والخرافات التي كانت شائعة في بلادهم وتطلعهم على جانب من الحياة العامة فيها ولكنه كتبها بنثر مسجوع لا تستسيغه العامة ولم ترض عنه الخاصة لانه لا يوافق مدارج القصة فاهملت القصص الثلاث وأصبحت للذكرى والتاريخ •

على ان شوقي حين كتب ذلك النثر المسجوع مستعرضا تاريخ مصر وآثارها ، ومدنية البحر الابيض المتوسط ، وقناة السويس ، وما أشبه ذلك في كتابيه « مذكرات بنتاؤر » و « أسواق الذهب » بلغ الغاية من الاجادة وحسن الصياغة حتى أصبح بعضها مقطوعات يستشهد بها في كتب البلاغة الحديثة وتدرس للطلبة •

بقي ان شوقي كتب نثرا غير مسجوع • كتب كذلك مقدمة «الشوقيات» الاولى (طبعة سنة ١٨٩٨) التي أشرنا اليها ، ولعله كان يكتب كذلك في رسائله الى اخوانه وأصدقائه • ومن دواعي الاسف انه لم يعن أحد بجمع هذه الرسائل ونشرها • ولم يحاول شوقي السجع حين كتب للمسرح تمثيليات نثرية •

نعرف مما ذكره شوقي في مقدمة «الشوقيات» الاولى انه عندما كان بباريس كتب مسرحية بعنوان «على بك الكبير» نثرا وأرسله الى القاهرة ولكنه لم يلق تشجيعا من الخديوى ورجال القصر فطواها• ثم نظمها شعرا بعد ذلك حين أخذ يؤلف المسرحيات، اى منذ سنة ١٩٢٧ •

ولعل شوقي حينما اشتدت حملة النقاد عليه بسبب مسرحياته ، وخاصة « قمبيز » وقالوا عنه انه لا يحسن سوى الشعر الغنائي ، وانه يتنقل كثيرا بين القوافي والاوزان ولا يجيد الربط بين المشاهد ، شاء ان يرد عليهم فكتب مسرحية « أميرة الاندلس » نثرا •

ونثر شوقي في هذه المسرحية مركز ، وأسلوبه سلس متدفق • ولكن المسرحية لم تنجح تماما فيما شاء شوقي التدليل عليه من حيث ربط الحوادث وصور الحياة بخيوط فكرية دقيقة •

على ان شوقي أصاب هذا النجاح في مسرحية «الست هدى» وهي الوحيدة بين «مسرحيات شوقي التي صور فيها جانبا من حياتنا الاجتماعية المعاصرة لأن حوادثها تجرى في حى الحنفي بالقاهرة • أما المسرحيات الاخرى فمستمدة من التاريخ •

وخلاصة القول ان شوقي كان شاعرا في نثره • ونجد في هذا النثر ملامح عبقريته الشعرية الغنائية • فقد كان شوقي بلبلا صداحا يتنقل في قصائده من غصن الى غصن ، وكذلك كان في نثره يسجع لكي تستثير القافية خياله وتستدر قلمه • ولا عجب ، فانه لايستطيع الانسان الخروج على طبيعة نفسه وخصائصه من صفات ونقائص محسوبة عليه، وما العبقرية الا مجموع تلك الخصائص ، وهي تؤلف عناصر العبقرية ، وتنشىء وحدتها ، وتتفاعل في تكوين شخصية الشاعر الكبير ، كما كان شوقي•

اعلام مغمورون

محمود رشاد

أنور الجندى

في خلال حياتنا المضطربة الماضية ، كان هناك أعلام أفذاذ يظهرون بين حين وحين ، ليقفوا موقفا مشرفا ، يستمدونه من أعماق ايمانهم بأمتهم ووطنهم ، لا يبالون في سبيله ما يلقاهم من محنة أو هوان . يصدرون فيه عن الحق الذي يعتنقونه ، ولا تستطيع القيود والسلاسل التي تكبل الوطن كله أن تحول بينهم وبين الجهر بالحق . من هؤلاء القاضي محمود رشاد الذي حكم بتبرئة « عبد العزيز شاويش » من قضية ضخمة ، دبرها له الانجليز واوردوه بها الى المحاكمة ، حتى يسكتوا صوته ، وكان قلمه النارى مرا عليهم ، وقاسيا ، وقد دبروا امرهم اثر نشر مقالة عن ما اسمى قضية النامليين في السودان وهاجم حكمهم فيها وفق البيانات التي كانت قد رددتها وكالات الأنباء عن عدد المحكوم عليهم بالاعدام والسجن ، فاضطربوا لذلك ايما اضطراب عندما وصفها بأنها « دنشواى اخرى » مذكرا بحادث دنشواى الذى وقع عام ١٩٠٦ اى قبلها بخمس سنوات وقد تجمعت ارادة القصر والانجليز على التخلص من قلم عبد العزيز شاويش النارى بتقديمه للمحاكمة ،واعدت له كل المستندات المزيفة التي تدينه ولا تسمح ببراءته ، غير أن « محمود رشاد » زيف كل هذه الوثائق وأعلن براءة الشيخ شاويش .. واضطر الانجليز ازاء ذلك الى سحب قضايا محاكمات الصحف من المحاكم المدنية ، وانشاء قوانين جديدة من شأنها أن تحاكم الصحفيين عن طريق السلطة الادارية التي يملكونها .

ولعل « محمود رشاد » في قضية عبد العزيز شاويش ، لم يكن يواجه هذا الامر لاول مرة ، ولكنه كان قد صمد امام النفوذ البريطاني في أكثر من موقف حتى أزعجهم ازعاجا شديدا ، فأقصوه ونحوه ، بعد أن وقفوا عقبة في سبيل ترقيته سنوات وسنوات ، فقد عقد معاشا لابراهيم باشا فوزى القائد المصرى الذى أصيب برصاصة في معارك السودان فعمد الانجليز الى رفض الحكم وعدم التصديق عليه ، واستصدار قرار بمنع المحاكم من نظر قضايا السودان .

وعندما حوكم الشيخ شاويش،وترافع عنه أحمد لطفى المحامى ، وقال كلاما عده المستر برونهوت نائب المستشار القضائى الانجليزى موجبا لمحاكمته وطلب من محمود رشاد القاضى ورئيس المحكمة اذ ذاك أحالته الى مجلس تأديب ، رفض رشاد وقال : ان ما قاله المحامى لم يكن الا ضربا من ضروب الدفاع التى يقولها المحامون .

فقال له : برونهوت : انت تقف لنا دائما فى الطريق !

ويقول محمود رشاد فى مذكراته « لما جاءت امامى قضية الشيخ عبد العزيز شاويش فى محكمة ثانى درجة وبرأته ، قامت القيامة على وهاج الانجليز هياجا شديدا ، واستدعانى المستر برايتون نائب المستشار القضائى وقال : سنرفع نقضا عن حكمك . فقلت له : افعلوا ما شئتم » .

ولم يكسب المستر برايتون القضية فى محكمة النقض التى أيدت حكمى ببراءة الشيخ .

فلما جاء دوره ليكون مستشارا فى الاستئناف شطبوا اسمه بعد أن رشح رسميا ، من أجل هذا استعفى وترك لهم كل شيء .

وكانت حيثياته التى سردها فى قرار الحكم قانونية واعية ، دلت على صلابته فى الحق وغزارة علمه وشجاعته .

فلما استقال راجعته الحكومة ليعود الى منصبه فأبى ، ولما الحت عليه ركب احدى بواخر النيل وسافر الى اعالى الصعيد .

وأرادت الحكومة استرضاءه بالانعام عليه بالباشوية فلما علم بذلك كتب يعتذر عن قبولها ، بل تجاوز الاعتذار الى التهديد فقال : اذا أصرت الحكومة على الانعام على فانني أغادر القطر المصرى .

وكتب على طريقته الساخرة الى داود بركات رئيس تحرير الاهرام يقول :

كيف أقيد نفسي بهذه الرتبة واتنازل عن حريتى فلا اتمكن من ركوب الترام فى الهواء الطلق بين الناس ، واضطر الى ركوب الدرجة الاولى التى تضيق الصدر . ثم ان الباشوية ستحرمنى أكل السمك اللطيف والطعمية اللذيذة بدكان الحاج حسين بشارع كلوت بك ،

ومن قضاياه فى حماية حرية الرأى تبرئته أحمد

حلمى صـــاحب جريدة القطر المصرى فى ١٣ مايو ١٩٠٩ من مقال كتبه يدافع عن طلبة الازهر .. وقال فى أسباب الحكم : حيث ان حرية الفكر لا حد لها فللانسان أن يفكر كيفما شاء ولا جناح عليه غير ان حرية القول محدودة كحرية الصحافة فلكل واحد الحق فى أن يبرز فكره الى الوجود وان يقـــول ما يريد .. » .

هذه صــــورة من حياة **محمود رشاد** لم يعرفها الكثيرون الذين قرأوا فصـوله فى الاهرام والمؤيد والمحروسة عن رحلاته الى اوربا خلال سنوات طويلة قبل عام ١٩٠٤ ، ولعله من أوائل الرحالة العرب الذين سبقوا لبيب البتانونى ومحمد ثابت ومحمد فريد وشكيب أرسلان .

ولم تكن رحلاته ذات هدف علمى محدد ، ولكنها كانت سياحة منطلقة يكتشف بها العوالم ويكتب فى الصحف فصولا عنها ، تتميز بالروعة والطـلاقة والدقة . فهو لا يكتفى بان يصور المدن والقطارات ومظاهر الحضارة ، ولكنه يربط ذلك بمشـاعره ، ويأتى بالغريب اللطيف ولعله العربى الاول الذى رأى الشمس فى منتصف الليل فى شـمال أوربا (اغسطس ١٩٠٤) وكتب عن ذلك فصلا رائعا فى المؤيد فقال :

« بعد عشرين ساعة من سفرنا من (ترونيم) دخلنا منطقة الشمس فى منتصف الليل ، فاطلقت الباخرة مدفعا ايذانا بذلك فتجمعنا فى مقدمتهـا ، ومنينا النفس برؤية الشمس ولكنها ضنت علينا بهذا المرام واحتجبت عنا وراء الغمام ، فاسفنا وزدنا شوقا الى طلعتها الغراء وكأنها أحست بكدرنا واننا جئنا من أقاصى البلاد نخطب ودها ، فرقت لحالنـا وعطفت علينـا ، اذ استجمعت كل قواها ، ووجهت اشعتها الذهبية الى السحب الكثيفة المتراكمة فى الجو بل أرسـلت عليهـا شواظا من نار فبددتها ، وبرزت الغزالة من خدرها فقرت بذلك أعيننا .. »

وله أسلوب رقيق فى عرض ملاحظاته عن أذواق الناس وأساليب معاملاتهم حيث يقول « اذا دخلت فى أى قهوة من قهاويهم فأحن الرأس قليلا علامة السلام ولا تتسكع فى مشيتك أبدا ، ومتى جلست فـلا تكثر من القيام والقعود ، ولا تسلم فى القهوة على من تعرفه باليد بل اكتف بالاشارة مع بشـاشة فى الوجه ، ورقة ، واذا وجدت كرسيا مائلا على ترابيزة فلا تجلس عليه لان ذلك علامة عندهم على أن للكرسى صاحبا سيأتى ، واذا تكلمت فبصوت منخفض ولا تحدق ببصرك فى الداخلين والخارجين » .

ويقول « اياك ياصاح ان تجازف وتقص اظافرك عند حلاق فى اكس أو غيرها من مدن أوربا ، وعول على مقصك ، وقلم اظافرك بنفسك ، فان قص اظافر اليدين أجرته ثلاثة فرنكات أى أكثر من أجرة حلق الرأس والذقن معا .. فاحمد الله على ما انت فيه من الرخاء وادع لحلاق سيدنا الحسين وباب المزينين بطول العمل والبقاء .. »

وهكذا يمضى فيحصى ملاحظاته الدقيقـة عن كل ما يشاهده ، ويصف مصارعة الثيران وزيارة الحجاج النصارى للكنائس الكبرى ، وكان جريئا لايخشى شيئا واحيانا يسمع عن الكوليرا فى مدينة كالبندقية مثلا فيقول « ولكنى لم أعبأ بهـا وتوكلت على الحى الذى لايموت وابحرت .. »

وحينما يذهب الى الروسيا ، المجر ، رومانيا ، تركيا ، السويد ، النرويج يتحدث عن الملابس واللغة والمبانى والمحاكم والشوارع والاطعمة .

وقد هاجم الأوربيين لأنهم يأكلون الشحم فقال « انى لفى عجب من ان الاورباويين المشــــهورين بحسن الذوق والتفوق فى كل شىء ، يقبلون مزج مآكلهم بهذا الشحم العسير الهضم ، الكريه الطعم ، صدقنى ان ليس فى الدنيا أكل افخر ولا الذ من اكل المصريين والاتراك والشوام والمغاربة وباقى الشرقيين ، والاكل الفرنساوى عندهم خير المآكل ، ولكنى اراه بعد الاكل الشرقى ، طبخ الخضروات لا طعم له ولا لذة ، وان كنت لا أنكر تفوقهم فى تنسيق المائدة وادوات الاكل وحسن الخدمة ... »

فاذا تحدث عن القسطنطينية واستانبول ، مضى يورد التاريخ ويخلطه بالواقع ، ويجرى خلال ذلك احاديث مع القساوسة والعلمـــاء ، فاذا مر ببوغاز سلاميس تحدث عن الواقعـــة البحرية بين الفرس واليونان وانتصـــار تمو ستوكل بطل اليونان على اكزركيس ملك العجم .

وهكذا اغنى « **محمود رشـــاد** » الادب العربى الحديث باحاديثه عن الرحلات وكلها ماتزال فى بطون الصحف لم يطبع منها فى كتاب الا (رحلة روسيا) وله بحث فى دار آل لقمان : وكتـاب كنوز الذهب فى التربية والادب . ولد ١٨٥٤ وتوفى سنة ١٩٢٥ . دخل مدرسة المشاة البيادة فى أول عمره ثم كان من ضباط الجيش ، ولم يلبث أن تحول الى وزارة المعارف مفتشـا واشترك فى مؤتمـر المستشرقين الدولى فى فينا ، ثم عمل قاضيا بالمحاكم حتى اعتزلها على أثر الاحداث الوطنية التى كان فيها مثلا للنزاهة والشجاعة ، وشىء آخر من تاريخه لايعرفه الكثيرون : انه الشقيق الاكبر لشيخ العروبة احمد زكى باشا وهو الذى رباه وكان لايذكره احمد زكى الا بقوله « الوالد الشقيق » .

أنا وهى

للشاعر: ابراهيم عبد الحميد عيسى

ما بين ثغرك يا هواى وبين جفنك لى قدر
يمضي بنا فى رحلة الاشواق صداح الوتر
ويصب ايامى بكاسك .. يا رحيقى المنتظر
وتسير قافلة الزمان بنا .. ولا ندرى المقر
اهواك يا قدرى .. واهوى ان يطول بنا السفر
واعيش فى عينيك ايامى .. واستبق المنى
وتذوب اشواقى .. ولا ادرى بقربك من انا

***

هل تذكرين الفجر لما مد للاهداب ظله
والليل .. اذ سرقت يداه من دجى جفنيك كحله
وانيت تبتسمين فى طهر العبير .. بروح طفله
فخلعت احلامى عليك .. وبعت ايامى بقبله
وضممت كفك فى يدى فضممت فيها الكون كله
حتى اذا جن الحنين .. وشب نارا حولنا
ذبنا .. فلم ندرك أانت على ذراعى .. أم انا ؟

***

حتى اذا احتشدت عيون الناس فى لغة مريبه
وتزاحمت سحب الظنون على مغانينا الرحيبه
اسدلت حول صباحنا .. ليل الخصومة .. يا حبيبه
وخبات فى قلبى الوجيب .. وصنت عن دمعى لهيبه
ونما الاسى فى خاطرى .. وسقى اناشيدى نحيبه
فمشيت فى صمت الدموع .. لكى نداري حبنا
وكاننا .. لا انت فى قلبى هواى .. ولا انا

***

فاستانست عين تعيش على الدمار .. بلا ضمير
لما رات نارى تئن وتستجير .. ولا مجير
وعلى جفونى دمعة .. حيرى .. معذبة المصير
فنشرت قلبى خيمة .. تلقى الظلال على الهجير
حتى اذا نامت عيون الشر .. وانطفأ السعير
حطمت ابعادى .. وجزت اليك آفاق السنا
وزرعتنى فى جانبيك هوى .. لأعرف من انا

حتى لا يسقط القمر

للشاعر: عبده بروى

١ — الحنين

قد جاع الرمل الى الخضره … ولظل ريان النبره
ولدقة منقار غرد … يرنو ، ويسقسق فى النضره
ولجدول ماس منهمر … تزهو فى ضفته القطره
ولفرحة انسان يشدو … ويفكر . يمعن فى الفكره
ولبذرة نور طيبة … قد حملت اسرار الخضره
.. لحظات وارتعشت بطن … وتكور نور فى دوره
ثم انفجرت . طالت . غنت … شدت من عالمنا نظره
حطت فيها باقة طير … ثم انهمرت فيها الهجره

٢ — الامل

الارض تغير محورها … والخصب توهج فى البذره
والعقم تأوه ، وانتفضت … من بين تأوهه الزهره
والنفس تراءت جوهرة … وقصيدة نور مفتره
.. وغدا فى القلب وفى عقل … وبعزم الشعب وفى القدره
وبجنة شدو يانعة … وبعش لم ينكر طيره
وبغفوة ملاح امل … وبجبهة فلاح سمره
وبجلسة شيخين انهمكا … ما بين كتاب والابره
وبفرحة عمرين اعتنقا … واداراا « موسيقى الحجره »
وبحلم الطير ، واغنية … ورجال تحتضن الثوره
وبنظرة ود فى مره ! … وحنان انامل فى مره !

٣ — الخوف

واليوم .. يحس ببغضاء … ووجوه تفضحها الصفره
وببوم ، وعيون حول … وبدود يكثر فى حفره
تتهامس « فلترحل عنا … لرمال با هتة . غبره »
وتصيح — وفى الأفق غناء … وصفاء نفوس لم تكره —
وتدب — وكف راحمة … تسقيها الاحلام الحره —
.. فلتحرس بابك فى عزم … فعليه قد نقرت نقره
ولتحفظ راسك فى رعب … فعليها قد همت صخره
ولتحم الارض فقد هبت … فى الأفق الرائحة المره
ولتبق النور .. فهذا الليـ … ـل طويل لن يلقى فجره
ولتصرخ فالقمر الباكى … يتوارى ! يغدو كالعبره !

نظرات حول كتاب الله

محمد محمود شمس

التعدد المشاهد لتناول كتاب الله يوشك ان يلون هذا النص المقدس بثقافات متباينة يصعب على الناظر المدقق انيرى مجال النص فيضوئها لطغيان المادة المعاصرة التى تلونه فتقصيه عن مجاله ... وعن مجال الدين ، وكاد هذا التعدد المتطرف يؤكد ان نظرنا فى هذا الكتاب الكريم مازال قاصرا .. مشتتا .! ، ذلك اننا نحول البحث فيه عن كل شيء ،

وتلك كانت نظرة المفسرين المتقدمين ، فقد خلفوا لنا الوان ثقافاتهم حول نصوص كتاب الله ، فمن التفسير بالمأثور .. الى التفسير الاعتقادى .. الى التفسير الصوفى .. الى الشيعى .. الى تفسير المجددين فى عصرنا الحديث ، ومن تفسير لغوى ، الى نحوى الى ادبى .. الى فقهى .. الى علمي .. وقد نرى تفسيرا ذريا فى أيامنا القادمة . !

ويقرر الامام الغزالى « ان كل ما اشكل فهمه على النظار ، واختلف فيه الخلائق ففى القرآن اليه **رموز** ودلالات عليه ، وان القرآن **يشير** الى مجامع العلوم كلها » ، « ولو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى » .

ولكن هل تقف هذه الرموز والاشارات بجانب التفاصيل والنظريات الدقيقة للعلوم والفنون المختلفة التى وصل اليها العقل البشرى ، فيصبح القرآن الكريم احد مراجعها ، ام اننا ندلل بهذه الرموز والاشارات على مجرد المسايرة ، مسايرة هذا النص المقدس لكل ابداع انسانى فى اى زمن وفى اى مجال ؟! ام اننا نعيد بذلك ثقتنا فى كتابنا المقدس على نحو يرضي طابع العصر ، فنعتبره كتاب علم ، وادب ، واقتصاد وثروات طبيعية .. وتصنيع .. الخ ؟! ونظلمه حين نلهث به وراء هؤلاء وهؤلاء .

الاستاذ الامام محمد عبده رحمه الله يرى ان الاكثار فى مقصد خاص من هذه المقاصد يخرج بالكثيرين عن المقصود من الكتاب الالهى ، ويذهب بهم فى مذاهب تنسيهم معناه الحقيقى ، ويرى ان التفسير قسمان : احدهما جاف مبعد عن الله وكتابه وهو ما يقصد به حل الالفاظ واعراب الجمل ، وبيان ما ترمى اليه تلك العبارات والاشارات من النكت الفنية ، وهذا لا ينبغى ان يسمى تفسيرا ، وانما هو ضرب من التمرين فىالفنون كالنحو والمعانى » .

حتى يرى ان « الاحكام العملية التى جرى الاصطلاح على تسميتها فقها هى اقل ما جاء فى القرآن » ثم يقول كذلك : « والتفسير الذى نطلبه هو فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس الى ما فيه سعادتهم فىحياتهم الدنيا ، وحياتهمالآخرة ، فان هذا هو المقصد الأعلى منه ، وما وراء هذه المباحث تابع له ، او وسيلة لتحصيله » الى ان يقول « التفسير الذى قلنا انه يجبعلى الناس على انه فرض كفاية ، هو ذهاب المفسر الى فهم مراد القائل من القول ، وحكمة التشريع فى العقائد والاخلاق والاحكام على الوجه الذى يجذب الارواح ويسوقها الى العمل ، والهداية المودعة فى الكلام ، ليتحقق فيه معنى قوله « هدى ورحمة » .

والأستاذ الامام رحمه الله حين يحدد مجال النظر فى النص المقدس على هذا النحو ، انما يعتمد فى ذلك على آيات القرآن نفسه :

« ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين » .

« فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم » .

« فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين » .

« ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب اولئك يلعنهم الله »

« شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى الناس وبينات من الهدى والفرقان » .

« وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس »

ولكن الأستاذ امين الخولى يرى ان هذا المقصد الذى قال به الأستاذ الامام ثاوين هو الآخر ، فهذا المقصد فى رايه « ليس الغرض الاول من التفسير ، وليس اول ما يعنى به ، ويقصد اليه ، بل ان قبل ذلك كله مقصدا اسبق ، وغرضا ابعد ، تتشعب عنه الاغراض المختلفة ، وتقومعليه المقاصد المتعددة ولا بد من الوفاء به قبل تحقيق اى مقصد آخر ، سواء اكان ذلك المقصد الآخر علميا او عمليا ، دينيا

ام دنيويا ، وذلك المقصد الاسبق والغرض الابعد هو النظر في القرآن من حيث هو كتاب اللغة الاكبر، واثرها العظيم . »

بل انه يذهب الى ابعد من ذلك حين يقول :

« ولتلك الدراسة الادبية اثر عظيم كهـذا القرآن هي ما يجب ان يقوم به الدارسون .

اولا — ولو لم تنطو صدورهم على عقيدة ما فيه او انطوت على نقيض ما يردده المسلمون الذين يعدونه كتابهم المقدس ، فالقرآن كتاب الفن العربي الاقدس ، سواء انظر اليه الناظر على انه كذلك في الدين ام لا .

وبدلا من ان نسأل كيف يكون الحكم او الدراسة اذا ما تخلينا عن احساسنا الديني في مواجهة النص؟! وهو نص ديني ، لا هو بالنثر ولا هو بالشعر ؟! نجد النظرة الادبية لكتاب الله ، او لما ينبغي ان يكون عليه تفسير هذا النص المقدس) لا تقبل ترتيب آي القرآن ، فكارليل مثلا يعيب على القرآن نقص الترتيب فيه وانه لا يسير على نظام منطقي معقول وليس به تسلسل فكرى منظم ، وفيه تكرار لا غاية له ، وانه مما لا يستسيغه رجل اوتي حظا عاديا من الذكاء .

والاستاذ امين الخولي يقول « والقرآن كما هو معروف ، لم يرتب على الموضوعات والمسائل فيفرد كل شيء منها بباب او فصل ، يجمع ما ورد فيه عن هذا الموضوع ، او تلك المسألة فليس على ترتيب كتب العقائد على ما فيه من اصول التشريع ، ولا هو كذلك على نسق كتب الاخلاق او التاريخ او القصص، ولا غير ذلك ، بل ليس على ترتيب كتب الدين ، حين افردت احداث الحياة بأسفار عنونت كل سفر منها بحادث ، او حين جرت على تسلسل حياة فرد خصت كل حين منها بقسم ، كما لم يرتب على شيء من تاريخ ظهور آياته ، انما جرى القرآن على غير هذا كله ، تعرض لكثير من الموضوعات ، ولم يجمع منها واحدا بعينه ، فيلتقي اوله بآخره ، انما نثر ذاك نثرا ، وفرقه تفريقا ، فالحكم التشريعي في اكثر من موضع والاصل الاعتقادي قد عرض له غير مرة ، والقصة قد وزعت مناظرها ومشاهدها في جملة اماكن » .

وعلى هذا يرى الاستاذ امين ان يفسر القرآن موضوعا موضوعا ، لا ان يفسر على ترتيبه في المصحف الكريم سورا او قطعا .

وترتيب الآيات في السور ترتيب توفيقي ، لا انساني ، ولا اجتهادي وهو من عمل الله سبحانه وتعالى . ولكن التفسير الموضوعي يأتي أولا « ثم ان كانت للمفسر نظرة في وحدة وتناسب آيها ، واطراد سياقها ، فلعل ذلك انما يكون بعد التفسير المستوفى الموضوعات المختلفة منها » !

ومن حيث ان القرآن تعبير قد لا يرجح القول بأن التفسير الادبي او البياني تلوين هو الآخر ، والدكتور محمد كامل حسين يرى ان القرآن « تعبير تام كامل عن الروح العربي البدوي الصحراوي » وكذلك جعلناه قرآنا عربيا ، وبديهي ان هذا لا يمس انسانية الرسالة موضوع النص المقدس .

ولكن ما القول في مؤلفات الاستاذ عبد الرازق نوفل « القرآن والعلم الحديث » . « والثروات الطبيعية والتصنيع من خلال آيات القرآن الكريم » عنوان مقالات فضيلة الشيخ **محمد محمد المدنى** الاخيرة بالرسالة .

ان جولد تسيهر يستهل كتابه مذاهب التفسير الاسلامي بقوله : « كذلك يصدق على القرآن ما قاله في الانجيل العالم اللاهوتي التابع للكنيسة الحديثة « بيتر فيرنفلس » « كل امرىء يطلب عقائده في هذا الكتاب المقدس ، وكل امرىء يجد فيه على وجه الخصوص ما يطلبه » .

وقد رأينا ابن عربي يقول :

عقد الخلائق في الاله عقائدا
وأنا اعتقدت جميع ما عقدوه

ويجد لذلك سندا من كتاب الله .!

فلو شاء باحث مثلا ان يخرج علينا بحديث عن جولد وونر ومبادئه من خلال آيات القرآن الكريم لاستطاع ، ولوجد من الآيات البينات ما يسعفه !

ولكن المحك الحقيقي للنص المقدس ، هل اوفيناه حقه ؟!

ان البشرية شبعت علماء وادباء وثروات طبيعية وتصنيعا ، ولكنها احالت الأرض الى غابة توشك ان تندلع نارها . . .

وليس غير الكتب المقدسة والرسالات السماوية بقادر على هداية الانسان الى مثله وعقله وربه .

« محمد محمود شمس »

افريقيا في الشعر العربي

بقلم عبد الرحمن البجاوى

« اننا لن نستطيع بحال من الاحوال – حتى لو اردنا – ان نقف بمعزل عن الصراع الدامى المخيف، الذى يدور اليوم فى اعماق افريقيا ، بين خمسة ملايين من البيض ، ومائتى مليون من الافريقيين .. ولسوف اظل احلم باليوم الذى اجد فيه القاهرة معهدا ضخما لافريقيا ، يسعى لكشف نواحي القارة امام عيوننا ، ويخلق فى عقولنا وعيا افريقيا مستنيرا ، ويشارك مع كل العاملين من كل انحاء الأرض على تقدم شعوب افريقيا ورفاهيتها » .

الجزء الثالث من (فلسفة الثورة) للرئيس جمال عبد الناصر .

***

وان الناظر الى الأدب العربى الحديث ، خاصة فى النصف الثانى من هذا القرن ، ليروعه هذا الحصاد الافريقى الهائل من اعمال الكتاب والادباء والشعراء ، الذين استطاعوا أن يجسموا المشكلة الافريقية ، ويعرضوا لوحاتهم الرائعة ، وما انتجته قرائحهم ، بين الحين والآخر ، على أذهان الشعب العربى ، الذى هب باحثا عن الكنز الضائع فى الواحة العذراء ، وانطلق من قمقمه محطما ما أمامه من عقبات وعراقيل .

واخذت شلالات الضياء تتدفق عبر افريقيا من حوض النيل خاصة ، ومن القارة كلها عامة ، وبدأ الافريقيون يتحسسون وجودهم ، ويتنسمون عبير الحرية والكرامة والاستقلال مع انفاس السحر ، واخذت نبضات قلوبهم تزداد وضوحا على مدى الايام ، وتتابع الأعوام .

واتسمت اعمال الفنانين بسمات متباينة الا انها كانت جميعها تصب فى مصب واحد ، وتلتقى عند غاية واحدة ، وهى بعث افريقيا . وانتفضت الغابات ، ودوت القمم ، وفارت البراكين مرسلة شواظا وصواعق مزمجرة ، ولم تكد تمضى الحلقة السادسة من هذا القرن حتى استردت معظم شعوب القارة كيانها ، كما دوت اصداؤها فى المؤتمرات الدولية التى كان آخرها مؤتمر القمة الافريقى «باديس أبابا» .

ونود أن نسجل هذه الظاهرة التى اتسمت بالوضوح والعمق والايجابية ، وهى التفاف كثير من الشعراء فى مصر ، والسودان ، ولبنان ، وسوريا والعراق ، والجزائر ، والمغرب العربى – حول قلب افريقيا ، ورسم صورة واضحة المعالم لهذه القارة السوداء البكر ، أو التى لا أصحاب لها ، كما أطلق عليها الأوربيون .

وليس فى امكاننا ان نجمع خيوط المأساة – كما صورها الشعراء فى كل مكان – ولكننا سنحاول أن ترسم صورة لأفريقيا من خلال كتابات شاعرين احدهما سودانى نشأ فى مصر ، والآخر مصرى صميم ، بل من خلال ديوانين فقط هما : اغانى افريقيا ، وباقة نور .

اغانى افريقيا للشاعر محمد مفتاح الفيتورى

هذا الديوان – كما يدل عنوانه – يضم طاقة هائلة من الشعر الافريقى ، الذى يرسم صورة بارزة المعالم للقارة ، صورة استطاع الشاعر ان يحدد اطارها ، ويفتن فى بسط ظلالها والوانها ، وان يخلع عليها سر ماساته كانسان يحس بواقعه المرير .. انسان تتضارب فى اعماقه التفاوتات الكبيرة بين بنى الانسان ، وتلهبه سياط المعركة الدامية ، وتؤرقه صرخات الراقدين على الاشواك، المصلوبين فى حمارة القيظ وصبارة القر .

ويبدأ (الفيتورى) ديوانه بقصيدته «أحزان المدينة السوداء» التى يستهلها بقوله :

على طرقات المدينة
اذا الليل عرشها بالعروق
ورش عليها أساه العميق
تراها مطاطئة فى سكينه
محدقة فى الشقوق
فتحسبها مستكينة
ولكنها فى حريق ..

ثم يصور قلب هذه المدينة الملفعة بالسواد .. قلبها الذى اصبح شيئا تافها لا يعبأ به :

ويصبح قلب المدينة .
كشىء حقير .
كمدفاة فى الهجير .
كمسرجة فى طريق الضرير .
كافريقيا .. فى ظلام العصور .

ويسترسل فى تصوير قلب القارة العجوز التى تصدر القطعان الهائلة من العبيد :

وسفن معباة بالجوارى الحسان
وبالمسك ، والعاج ، والزعفران
هدايا بلا مهرجان ..
تسيرها الريح فى كل آن ..
لأبيض هذا الزمان ..
لسيد كل زمان ..

حتى اذا ما انتهى من رسم لوحة تفيض بالأسى، وتقطر حزنا .. صورة بدينة تغلى احقادها كمرجل نجده ينتقل الى «البعث الافريقى» حيث يدعو القارة الى التحرر من عبودية الأسر ، وتحطيم نيرها الذى نصبه الأعداء .. يدعو القارة الى الخلاص من هذا الجحيم ، ويسائل القارة فى مرارة بالغة :

اكل ماعندك ان تصبحى
مزرعة ، للارجل الزارعة ؟ !
اكل ما عندك ان تلعقى
أحذية المستعمر اللامعه ؟!
اكل ماعندك ان ترقدى
خاملة ، خائرة ، خاضعة ؟!
اكل ما عندك ان تضحكى
هازئة بالقيم الرائعه ؟!
اكل ماعندك ان تصدرى
قوافل الرق – ياضائعه ؟!

وبعد ان ينادى افريقيا ان تعصف بالابيض المعتدى عليها .. يقول فى اصرار المؤمن بغده الباسم :

آن لهذا الأسود المنزوى
المتوارى عن عيون السنا
آن له ان يتحدى الورى
آن له ان يتحدى الفنا
فلتنحن الشمس لهاماتنا
ولتخشع الأرض لأصواتنا
انا سنكسوها بافراحنا
كما كسوناها بأحزاننا
اجل : فانا قد أتى دورنا
افريقيا .. انا اتى دورنا !!

وفى «ثورة قارة» نجد الشاعر يلتقط صورة طفل ينادى والده بأن يقتل هذا الذى (يبصق فوق الأرض مستكبرا) ، وصورة شيخ مقعد شاهد منذ صغره اخوته حيث (مشوا عبيدا تحت ثقل القيود) ، يعذبون بسياط السيد الأبيض :

وحينما قلت : الى أين هم
ماضون ؟ قالوا : نحو أرض بعيدة
وحينما قلت : الى ترجعوا ؟
مات الصدى فوق الشفاه البليده

حتى اذا صرخت فتاة عارية تقول فى حسرة : هنا هنا ، وراء هذا الجدار اللامع المطلى بأحزاننا يضطجع السيد فى جنة مسقوفة بعظم اجدادنا حينذاك قاموا فى ثورة هائلة :

وانتصبت أذرعهم في الدجى
مثل محاريث علاها الصدا
وعندما جاء الصباح الجديد
كان اللظى ملء روابيها

ويدعو الشاعر أخوته في كل مكان ليقص عليهم قصته .. قصة الانسان الذي مشى على الشوك ازمانا وازمانا) ، (وعانق الارض جوعانا وعريانا) ، انسان سخره الجلادون ، وتجرع في مرارة كئوس العذاب المترعة ، واحس بمأساة الانسان الغابر الذى كان حذاء لسيده .. فيقول في قصيدته (اغانى افريقيا) :

يا أخي في الشرق في كل سكن
يا اخي في الأرض في كل وطن
انا أدعوك فهل تعرفنى ؟
يا اخا اعرفه رغم المحن

وبعد أن يذكر لاخوته (في كل سكن) مأساته التى الهبت جوارحه ، يبين حقه المسلوب في افريقيا التى دفن فيها آباءه وأجداده ، والتي لم تكن وطنا لغيره يوما ما فيقول :

ها هنا واريت اجدادى هنا
وهمو اختاروا ثراها كفنا
وسأقضى انا من بعد ابى
وسيقضى ولدى من بعدنا
وستبقى ارض افريقيا لنا
فهى ما كانت لقوم غيرنا

وكم كان الشاعر يأسى لضياع وطنه الكبير ، الذى دنسه المحتلون ، ونهبوا خيراته وكنوزه ، ولم يكن يائسا من صباح البعث ، بل كان مؤمنا اعمق الايمان بأن الطوفان لا بد أن يفيض ، وبجتاح الركام ، وينطلق لا يلوى على شيء ، وها هو في قصيدته « الطوفان الأسود » يصور لنا أفريقيا ، وقد انتفضت كالمارد العملاق ، بعد أن كانت تخر تحت وطأة القيد أعواما طويلة ، وتئن مثقلة بريح الآلام :

كذلك عشت الوف السنين
تخرين فوق خطايا وأن
الى أن تسلل ضوء الصباح
اليك ، فمزقت عنك الكفن
وقمت كماردة تتلقى الضـ
حى ، وتحول مجرى الرياح
وتحفر تاريخها من جديد
على جبهة الشمس حفر الجراح

لقد كان الشاعر يحمل افريقيا في دمائه ، ويعبدها في كبرياء ، كانت روحه تنشق عبيرها الفواح ... ويا كم تذكر صورتها كامراة تنسج اكفانها في سكون ، وتجتر آلامها في صمت ، وتقف مطرقة على الهوان لترى .. ولكن ماذا رأت ؟

ورأت في نظرة أو نظرتين
سفنا تزاحم أعماق البحار النازحه
سفنا تغدو ، وأخرى رائحه
سفنا مكتظة بالأسلحه
ورأت كيف يدوس الطاغيه
فوق اقداس بلادى
ورأت في نظرة واحدة أو نظرتين
كلمة يكتبها الأبيض في ليل بلادى :
(يا بلادى)

لقد اصبحت افريقيا وطنا للاعداء دون سند من الواقع أو التاريخ ، حتى اذا ماحان فجر الثورة :

هب من كل ضريح في بلادى
كل ميت يتدثر
كل روح منكسر
ناقما على البشر
كل اعداء البشر

وهكذا نجد (الفيتورى) في (أغانى أفريقيا) صادق الوجدان ، قوى الاحساس بمأساته كانسان يعيش في افريقيا ، وتسبح رؤاه خلف غاباتها وتلالها وسهولها ووديانها . ويعيش في زوايا الأكواخ والأعشاش ، ونجده كذلك مرتبطا اشد ارتباط واوثقه بالكيان الأفريقى الذى جاهدت من أجله — ومازالت — شعوب القارة ، وتتضح انسانيته في مواقفه المعبرة تجاه هذه القضية الكبرى — قضية التفرقة العنصرية التى كانت سائدة في جنوب افريقيا ، وكان مؤتمر باندونج سنة ١٩٥٥ مجالا ظهرت فيه صورة افريقيا الحقيقية التى رسمها ابناؤنا بدمائهم ، ولونوها بشعورهم ، وها هو (الفيتورى) يصور مقدار ما كان يحس به من فرقة متباينة بين بنى جلدته فيتوجه ، الى وجه أبيض ، ناثلا في امتعاض :

الآن وجهي اسمر ، ولأن
وجهك أبيض ممميتنى عبدا
ووطئت انسانيتي ، وحقرت
روحانيتي، أصنعت لي قيدا ؟!
وشربت كرمي ظالما ، واكلت
بقلي ناقما ، وتركت لي الحقدا
ولبست ما نسجت خيوط
مغازلي، وكسوتني التنهيدا والكدا

الى أن يوجه خطابه الى أخيه الانسان .. ويحذره الا يبذر بذور العداوة كيلا يحصد شوكها ، أو يزرع له العوسج مادام قد زرع له الورد ..

انى أخوك فلا تعق اخوتي
فتريد بركانيتي وقدا
اياك لا تبذر بذور عداوتى
فتعود تحصد شوكها حصدا
اياك لا تزرع حقولك عوسجا
انى زرعت حقولى الوردا

هذه هي الصورة التي رسمها الفيتوري في (أغاني افريقيا) الذي صدر سنة ١٩٥٥ مبشرا بيقظة افريقيا وانطلاقتها الثورية الكبرى، مؤكدا اصرارها على اجتياح الاعداء ، واعادة تاريخها وحقوقها لذويها .

ولننتقل الى الديوان الثاني :

باقة نور للشاعر عبده بدوى

واول ما يخطر بذهن القارىء أن يتساءل عن مضمون (باقة نور) ، ولكننا حين نفتح الديوان نجد الشاعر يهديه قائلا : « الى القارة التى أعيش بضوئها وحبها ، والتى احتنى على بابها برمح واصرار .. الى افريقية » . فاذا هذه الباقة مهداة الى القارة التى الهمت الشاعر هذا الرصيد الهائل من الشعر الافريقى ، فنقلنا بوجدانه الى أحراش افريقيا ، فى غانا ، وفى كينيا ، وفى السودان ، واستطاع ان يصور فى صدق مقدار ايماننا بهذه القارة التى تحرس بابها الشمالى ــ كما عبر الرئيس ــ وقبل أن نتحدث عن افريقيا فى (باقة نور) يجدر بنا أن نشير الى أن هناك لمحات عن افريقية فى ديوان الشاعر الأول (شعبى المنتصر) الذى صدر عام ١٩٥٨ ، وقد سبق أن تحدث عنه الشاعر سعد دعبيس فى مقال سابق بالرسالة .

واما (باقة نور) فنجد الشاعر فيها قد «اخذت آفاقه الانسانية تزداد اتساعا ، فلا تشمل وطنه وحده ، بل تمتد لتشمل جميع الأوطان المناهضة المكافحة ، فى قارتنا الافريقيه ــ كما عبر الدكتور مندور .

واول القصائد الأفريقية التي تقابلنا فى الديوان قصيدة « لا صديق للزنوج » استوحاها الشاعر ــ كما قال ــ من قصيدة للشاعر الأفريقى «ارماتو» يقول فيها : « ليس من شيء صديق للزنوج سوى الأرض، والسماء ، والعواصف، والأمطار ، والبعوض ونجد الشاعر يذكر فى هذه القصيدة مقدار مايحس به الزنجى من ذلة ومهانة ، وكيف ضاعت ايامه على يد أعدائه هباء فيقول :

فالأرض تعرف ذلنا ووجوهنا المستفهمة
والنار فى اعماقنا المزروقة المتسائلة
هو قد اقام بوجهنا فى غير رفق مرسمه
ومضى يدحرج يومنا ، بين الفجاج المظلمة !!

وبعد أن يتحدث عن الأفق الذى رنت به أصداء الزنوج .. عن الريح العاصفة التى لاترحم عششهم يصور كيف يأتى البعوض ليمتص عرق الحياة ، ويستنزف دماءهم :

بينما نجوع نرى البعو
ض يهز فينا موسمه
ما جاء من عرق الحياة
بريقه فى غمغمه
يمتصه فى خطفة
فى نقرة فى دمدمه
فنصرى به أيامنا
وحياتنا المتلعثمه

ثم ننتقل فنجد « الرائحة » رائحة الحرية كما قال الشاعر « دافيد ديوب » ويصور لنا الشاعر فى هذه القصيدة مجد افريقيا المؤثل ، وان ابناءها لا يجدر بهم أن يجحدوها ، لأنها وان ذاقت المر، فقد آن لها أن تولد من جديد ، تفوح من اردانها روائح الحرية العبقة .. وهاهى القارة تتوجه الى أحد ابنائها قائلة :

ولدى لا تظلم أيامى
لاتذرف من اجلى عبره
قد كنت جديرا ان تلقى
فى عروة أيامى زهره

فلقد قاتلت هنا المجهو
ل لقد عمقت هنا سره !
دورت الشمس ، محوت الأرض
كسوت روابيها خضره
وبعد أن تعود القارة مفتخرة بماضيها المجيد ، تدعوه أن ينظر الى الآفاق ، وحينئذ ...
تبصر قلبي يمتد ، يريح
على أفق حسان صدره
تلقى عصفورا يدعوني ويعيد بأغصاني نقره
وثماري يكسوها أرج فض ، مبحوح النبره
شجر الحرية حين يدور برقرق رائحة مرة
ثم يحدثنا الشاعر عن «قصة نكرومه» والأسطورة الشعبية القائلة بأن نكروما حين اعتقله الانجليز كان يخرج من السجن على هيئة قط .. ثم يصيح : يا غانا ، وحينئذ يجيبه كل شيء فيطمئن الى بلاده ويعود الى السجن ..
ونجد في (باقة نور) درامتين سريعتين : احداهما عن « الشاعر والفجر وافريقية » ، تدور بين شاعر يريد أن تتحرر بلاده ، ويصمم على مجاهدة البيض بشتى الوسائل ، ويتحمل العذاب من أجل افريقيا ، وبين جمع من الافريقيين كانوا يائسين من النصر أولا حتى اذا أيقظهم الشاعر قائلا :
بي شيء حر يدفعني أن أشهد من وطني سحره
سأظل احدق طول الليل هناك لكي القى فجره
لن اخشى الموت وفي قلبي أمل يتفتح كالزهرة
فاذا الجميع يقولون في اصرار :
الليلة ، سوف ندق الأفق لنعلن ميلاد الثورة
والثانية : عن « **الأرض العالية** » ، وهي من ثلاثة فصول ، واهم أشخاصها جومو ووالده ، اللذان يظهران في الفصل الاول ، فنجد الوالد يقول في نبرة كلها حزن ويأس وأسى :
انا لا نملك فرحتنا لا نملك ياولدي الغضبة
ولكن ابنه (جومو) كان يصر على الخلاص ، وكانت تؤرقه الاحداث والذكريات التي عاشها .. وها هو يقول لوالده :
اتبع أحزانا راحلة
تتلفت تمشي في هيبه
وهناك تذكر نيرانا
وجباها سودا في حلبه
وغناء للشجر النامي
يتماسله فوقي كالقبه
وتذكر كوخا محزونا
وأنا أعدو اقفو دربه
ورياحا بالموز التفت
رفت ، دارت ، ألقت ثوبه!
وفي الفصل الثاني تظهر شخصية جورج ووالده ويدور الحوار بينهما على عكس ما كان في الفصل السابق حيث أن جورج هنا نجده مصرا على الجلاء ، وعدم خوضه معركة مع السود ، ويرى أن القوت أحق به أهل الارض .
وأحق به من فوق فمي كف صهرته في سحره
ولكن والده كان عنيدا ، ويرى أن هذه الارض ملك له ، ويحاول جاهدا أن يقتل السود ، فاذا ما قتل (جومو) الزنجي سارع (جورج) الى والده الانجليزي قائلا :
لا تضرب اني أحميه
بالصدر هنا احمي صدره
الأسود لون الحقد هنا
والكره عناقيد مره
ولكن والده يستنكر فعله الا أنه قال له :
... لست إبنا للطغيان ، لحقد لا ينسى شره ! !
وفي الفصل الثالث نجد والد جومو يقول لرفيقه:
يا (جامبو) كم حنت روحي
للأرض العاطرة النسمه
لصباح طفل مزهور
يتعلق في كتف القمه
وتهيج أحزان (جامبو) وبينما هما يتحادثان ، سمعا وقع أقدام تشق طريقها في اضطراب ، ويظن الوالد أن ابنه (جومو) عائد ، ولكن أحلامه تتبدد وسرعان ما يجد (جورج) قادما وكأنه في سمته (جومو) . حتى اذا برزت الحقيقة استيقظ الوالد واستيقظ الشعب ، ويقرر (جورج) الرحيل النهائي قائلا :
لي وطن ــ مثلك ــ منتظري .
وهذه الدراما هي بحق من أروع ما في الباقةالتي اتحفنا الشاعر فيها بهذه العواطف الجياشة ، والصور الشاعرية والحوار الممتع .
وهكذا نجد صورة افريقيا واضحة عند كل من **الفيتوري ، وعبده بدوي** ، وفيما قدمنا خير شاهد على مقدار ايمان الشاعرين بالبعث الافريقي وعدم تخليهما عن الأمانة التي حملاها على عاتقهما . ويؤكد هذا ما سبق أن قال الرئيس به « لن نستطيع ان نقف بمعزل عن الصراع الدامي المخيف الذي يدور في أعماق افريقيا .. لا نستطيع لسبب هام وبدهي ، هو اننا في افريقيا » .

عبد الرحمن البجاوي

البترول

وكيف نحصل على زيته

بقلم: نبيلة محمد عطية الابراشى

لقد حصل الانسان منذ آلاف السنين على الزيت من النبات كزيت الزيتون ، وهو صحى ، يستعمل للطعام ، وكان يستعمل قديما فى اضاءة المصابيح بالمنازل ، وقد قرانا عنه فى التوراة ، وهو الكتاب الذى انزل على موسى عليه السلام .

ومن الزيوت النباتية الزيت الذى ناخذه من بذرة القطن ، وزيت بذرة الكتان ويستعملان فى الطعام ، وزيت الكافور ،وزيت الخروع ، والزيت الذى يؤخذ من السمك، وهذه الزيوت الثلاثة الأخيرة ننتفع بها فى علاج بعض المرضى ، وتستعمل فى الأدوية .

ومنذ آلاف السنين استخرج الانسان الزيت المعدنى من باطن الأرض . وقد وجد قدماء المصريين البترول فى ارض مصر ، واستعملوه فى تحنيط اجسام الموتى من الفراعنة . وحينما هجم الرومان على مصر كشفوا زيت البترول فى الصحراء الشرقية على احد الجبال القريبة من شاطىء البحر الأحمر، ويسمى جبل الزيت ، ولا يزال ذلك الجبل يحتفظ باسمه العربى .

واذا قرانا تاريخ الصينيين القدماء وجدنا انهم كانوا يحصلون على الزيت من باطن الأرض ، ويستعملونه للاضاءة بالمصابيح .

وقد صار البترول اهم محرك للصناعة ، ويجب ان نعرف كل شىء عنه ، ويسمى الذهب الأسود، لأنه اكبر مصدر للثروة .

كيف يتكون البترول فى باطن الأرض ؟

فى السنوات المائة الماضية عرف الانسان كثيرا عن زيت البترول ، وطريقة تكوينه ، فقد وجده فى باطن الأرض بين طبقات من الرمال والصخور .

ويظن بعض العلماء ان هذا البترول قد تكون تحت البحر منذ عصور طويلة ، من مخلوقات وحيوانات صغيرة كانت تعيش فى البحار ، ثم ماتت وغرقت اجسامها فى البحر ، وغطتها الرمال ، وضغطتها ضغطا شديدا ، ثم تعفنت ، وتحولت بقاياها الى سائل زيتى ، لونه اصفر او قريب من السواد ، بين طبقات الأرض . وهذا السائل هو زيت البترول .

وكما يتكون من تعفن الحيوانات يتكون من تعفن النباتات . ولا يستطيع الانسان ان يرى الزيوت المعدنية المستترة تحت طبقات الأرض ، ولكنه يرى آثارها فوق سطح الماء ، اوبين الشقوق التى على سطح الارض .

كيف تعرف الجهات التى بها البترول ؟

تعرف الجهات التى بها البترول بوجود طبقة من الزيت فوق المياه ، او وجود طبقة من الزيت الأسود خارجة من شقوق الأرض . وبالقرب من الزيت كثيرا ما يجد الانسان قطعا ناعمة سوداء ترى كالحجارة . فاذا سخنت تلك القطع بالنار صارت رخوة لينة ، وهى التى تسمى (الأسفلت) .

وقد ذكر فى سفر التكوين عند الكلام على

بناء برج بابل مامعناه أن الناس يصنعون الآجر وهو الطوب ، وعندهم (أسفلت) فيبنون بالحجارة ، ويضعون (الأسفلت) بينها ، ليكون البناء متينا ، واليوم نستعمل (الاسفلت) لتمهيد الطرق ورصفها ، كي يسهل المشي عليها .

فى اى بلاد العالم يوجد البترول ؟

يوجد البترول فى مصر ، والمملكة العربية السعودية ، والكويت ، والعراق ، وايران ، والولايات المتحدة الأمريكية ، وأمريكا الشمالية ، وأمريكا الجنوبية ، وروسيا ورومانيا .

كيف يستخرج البترول من باطن الارض ؟

يستخرج البترول من باطن الارض بطريقتين :

الطريقه الاولى : بالحفر بالايدى العامله فى الأمكنه لتى يظن وجود البترول بها ، وهى طريقة قديمة شاقه صعبة خطرة ، ولكنها كانت تستعمل عند حفر الابار فى الايام الاولى ، بان يحفر رجل بالفاس فتحة ضيقة ، وكلما ملأ دلوا بالتراب والحجارة شد رجل آخر واقف من فوق — الدلو بالحبل ، ليفرغها ثم يعيدها ثانية الى الحفار الذى فى أسفل البئر ، ويشتغل كل من الرجلين ثلاث ساعات ، ثم يتبادلان العمل ، فالذى كان يحفر من تحت يقف باعلى الحفرة ، والذى كان يقف من فوق ينزل ليحفر من تحت ، ولوجود حرارة فى الفتحة تجد رجلا يهوى بفرع شجرة من فوق الحفرة حتى يدخل الهواء البارد فى الفتحة ، ويستطيع الحفار أن يجد هواء يتنفس منه .

وقد يمكث الحفارون سنتين فى الحفر بهذه الطريقة قبل ان يحصلوا على زيت البترول . وأحيانا يجدون ان الحفر غير منتج ، ولا يستطيعون أن يجدوا بترولا ، وأحيانا يصلون الى صخرة صلبة تقف فى سبيل الاستمرار فى الحفر ، وقد يحفرون الى عمق كبير ، ثم يجدون ان من الخطر الاستمرار فى العمل ، وقد تنهار الحفرة من الجوانب وتقع على الحفار فيموت . واذا انتهى الحفار من الحفر شده صاحبه الى اعلى بالحبل فيخرج قذرا ، وقد غطى جسمه بطبقة من التراب والسواد والزيت .

وكثيرا ما يضطر الحفارون الى الانتقال من مكان ، والحفر فى موضع آخر ، بعد أن اضاعوا كثيرا من الوقت والمجهود ، وكثيرا من المال .

الطريقة الثانية : طريقة حديثة ، وهى الحفر بآلات طويلة من الصلب بها حفارة تحفر الأرض ، كالمثقب الكبير الذى يستعمله الانسان لعمل فتحة من الفتحات . وقد يبلغ ثمن الحفارة من الماس الأسود ٧٥٠٫٠٠٠ جنيه . وبهذه الآلة تحفر بئر البترول ، بان تعمل فتحة تختلف سعتها من ست بوصات الى عشرين بوصة ، ويستمر الحفر بالآلة حتى تكون الأنبوبة (الماسورة) عميقة ، فاذا كان البترول قريبا من سطح الأرض فانه يتدفع فى الأنبوبة بسرعة .

وقد يستمر الحفر بالآلة حتى يصل عمق الفتحة فى البئر الى ١٠٫٠٠٠ قدم ، ويكون طول الأنبوبة (الماسورة) الحديدية ميلين تقريبا ، قبل العثور على البترول ، واذا اعترضت الفتحة صخرة صلبة ، فمن الممكن الآن كسرها (بالديناميت) ولكن هذه العملية خطرة ، فقد تحدث حريقا حينما ينفجر (الديناميت) . ولهذا تستعمل حفارات لها مثاقيب من الماس الأسود لتكسير الصخور الصلبة وتجنب الخطر الذى يحدث من (الديناميت) .

وحينما يصل الحفر الى زيت البترول يتدفع الى أعلى البئر ، احيانا يبطء ، وأحيانا بسرعة ، وقد يرتفع خمسمائة قدم ، ثم ينزل الى الأرض ، فيجعل البيوت والناس والآلات التى حوله مبتلة بزيت لزج اسود .

واذا اشتعل ذلك البترول حدث حريق مدمر قد يستمر أياما وليالى ، وأخذت النيران تمتد وتتصاعد الى ارتفاع كبير . وتكون فى السحاب دخان كثيف اسود ، وصارت السماء حمراء على بعد أميال كثيرة ، وقتلت النار عددا كبيرا ، وحرقت كثيرين حروقا شديدة .

ولمنع الحريق يوضع غطاء فوق فتحة الأنبوبة التى يخرج منها البترول ، وهناك سفن خاصة بها بحارة لاطفاء الحريق واخماد النيران ، ومنع امتدادها بسرعة .

وحينما تحفر بئر البترول بدقة وعناية قد يتدفق الزيت منها بانتظام ، وتستطيع الشركة ان تجمعه فى احواض او صهاريج . وقد يتدفق الى اعلى اياما واشهرا . واذا خرج البترول من البئر ببطء امكن استعمال مضخة لسحبه واخراجه . وفى بعض الآبار قد تستعمل المضخات فى رفع البترول وتمكث عدة سنوات .

واذا راى الباحثون كثيرا من البترول فى البئر ، حفروا آبارا أخرى بالقرب من الأولى ، وتسمى مجموعة تلك الآبار حقل بترول ، وباستعمال الآلات الحديثة فى الحفر يمكن تجنب انهيار جوانب البئر فيها ، ومنع تسرب الماء اليها .

كيف تتحول المسرحيات إلى أفلام

بقلم : عبد الفتاح البارودى

تعلموا من هذا الفيلم كيفية تحويل الروايات من المسرح الى السينما .. اننا فى هذا الوقت الذى نتجادل فيه حول فيلم « ثمن الحرية » وهل نجح الذين قاموا باعداده من مسرحية « مونسيرا » ، نرى لحسن الحظ فيلما أجنبيا تم اعداده من مسرحية ايضا ، ولكنه يعتبر نموذجا لهذا النوع من الاعداد الفنى .. ان من واجبنا أن نستفيد من مثل هذه النماذج بدلا من المجادلات الجوفاء .

اسم الفيلم « **انتقام امرأة** » واسمه بالانجليزية « الزيارة » .. وفرق كبير بين الاسم والترجمة ، ولكن عقلية الذين يترجمون أسماء الأفلام تأتى بالأعاجيب .. ومع ذلك فان اسم المسرحية التى أعد منها : «**زيارة السيدة العجوز** » ، وهى من مسرحيات دورنمات ، وسبق عرضها فى العام الماضى على مسرح سيد درويش ، حيث قدمتها بامتياز فرقة جامعة الاسكندرية ، واخرجها لها كمال ياسين، وفازت بتمثيلها بالمرتبة الأولى بين فرق الجامعات

المهم ان هذه الرواية فى أصلها المسرحى لايختلف جوهرها اطلاقا عن الفيلم ، ومع ذلك فالتناول الفنى مختلف جدا .. كيف ؟ ! المسرحية بكل بساطة تدور أحداثها فى مشاهد مسرحية ، وشخصياتها تتحرك فى نطاق هذه المشاهد الثابتة وتتعامل بالحوار المسرحى .. الخ .. ولكنها عندما تحولت الى فيلم لم نشعر بأن أصله مسرحية ، بل رأينا الحركة السينمائية وسمعنا اللغة السينمائية، وذابت المشاهد فى حركات الكاميرا ، وأدخلت اضافات لخلق عنصر التسلسل فى السياق دون أى مساس أو تحريف لفكرة المؤلف .

***

هذا كلام عام ، تعالوا نطبقه على المسرحية والفيلم :

ملخص الفكرة انه فى احدى المدن الصغيرة اعتدى شاب على فتاة كانت مخلصة فى حبه، وكانت تتوهم انه مخلص فى حبها ، ولكنه تركها وتزوج بنت صاحب متجر طمعا فى مالها المحدود أيضا ، وتنكر لفتاته الفقيرة التى حملت منه وانجبت طفلة ، وانكر ايضا ابوته لهذه الطفلة ، وساعده فى هذا الانكار بعض شهود الزور ، وعندئذ حكم مجلس المدينة على الفتاة الفقيرة بالطرد ، فأخرجت من المدينة وليس معها غير فضيحتها وطفلتها ، واضطرت اضطرارا الى احتراف البغاء .. بعد عشرين سنة كانت المدينة خلالها قد اصيبت بالفقر والجدب ، وكانت الفتاة الفقيرة خلالها قد اصبحت مليونيرة ، عادت الفتاة فى صورة سيدة ثرية لتعلن انها ستنقذ المدينة واهلها من الفقر ، فاستقبلت استقبالا حافلا ، واقام لها مجلس المدينة احتفالا وصفها فيه رئيس المجلس بأوصاف ذوى الحسب والنسب ، ولكنها واجهته بالحقائق ، واعلنت انها لاتزال عند وعدها، وستعطى المدينة مليون جنيه مقابل شىء واحد ، هو تحقيق « العدالة » .. والعدالة هى ان تقتص من المجرم الذى حولها الى عاهرة ، وطالبت بدم الشاب الذى غرر بها وانكر بنوته لطفلتها التى ماتت بعد ان اخرجت من المدينة .. كان هذا الشاب قد اصبح عضوا فى مجلس المدينة ، وعندئذ اعلن رئيس المجلس ان المدينة لا توافق على شروطها ، ولا تضحى بأحد ابنائها من أجل المال ، ولكن السيدة تمسكت بالعدالة والقصاص ، وفعلا اقتنعت المدينة ــ تحت وطأة الفقر ــ بشروطها وحكمت على المجرم بالاعدام .

ان المؤلف لم يكتب حدوته ولا موعظة خلاصتها

ان المجرم ينال جزاءه مهما طال الزمن ، وانما كتب رواية حلل فيها سيطرة المال على المجتمع الاوروبى .. فالشاب تنكر للفتاة التى غرر بها من اجل المال ، والفتاة عجزت عن اثبات حقها لأنها فقيرة ، والمدينة طردتها هى وطفلتها بلا رحمة ، فاضطرت الى احتراف البغاء من اجل المال . وعندما اصبحت مليونيرة استطاعت بالمال ان تفرض ارادتها ، وهذه هى حقيقة المجتمع الأوروبى كما وصفها المؤلف

كيف عالجت المسرحية هذا الموضوع :

ان المسرحية تبدأ فى محطة السكك الحديدية ، حيث تنتظر المدينة وصول السيدة التى ستنقذها من الفقر .. فى هذا المشهد يصور المؤلف معالم المدينة الشاحبة واحلام اهلها بالثروة التى ستهبط عليهم بمجرد وصول السيدة المنتظرة ، وفعلا تصل ، ويجتمع المجلس . ويسخر المؤلف من اعضائه الذين يصفونها بصفات كريمة ، بل ان احدهم يروى عنها انها فى طفولتها كانت تعطف على الفقراء لدرجة أنها اعطت « جوالا » من البطاطس لامرأة فقيرة ، وتسخر السيدة وهى تصحح له هذه الرواية ، وتقول له انها فعلا اعطت هذا البطاطس ، ولكنها لم تكن تملكه ، وانما سرقته !!

بهذا الشكل يكشف المؤلف رياءهم ونفاقهم

بعد هذا يكشف أيضا دخائلهم وما فيها من زيف .. انهم يعلنون بحماسة تضامنهم مع التاجر — وهو الشاب الذى كان قد اعتدى عليها ، ثم اصبح صاحب المتجر — ويرفضون المعونة التى عرضتها عليهم مقابل الاقتصاص منه .. ويتبلور ذلك فى مشهد مسرحى واحد رائع .. فنحن نرى على خشبة المسرح دكان التاجر ، والأهالى الذين تضامنوا معه دفاعا عن كرامته المزعومة يأتون اليه ليشتروا حاجياتهم «على الحساب» .. ان كرامتهم اباحت لهم ان ينتهزوا فرصة ضعف موقفه لينهبوا بضاعته ، وكلما حاول ان يسألهم الثمن اشاروا اليه من طرف خفى بهذا الضعف الذى سلبه ارادته وكيانه .. ان المؤلف يسخر بذلك من انتهازيتهم ، وشيئا فشيئا يعريهم من كرامتهم المزعومة ، حتى يرضخوا فعلا لشروط السيدة التى فرضتها عليهم بثروتها .

وفى مشهد المحاكمة تتعرى كرامة مجلس المدينة ، وترى تحمسهم للتاجر أصبح تحمسا ضده ، وفعلا يحكمون عليه باسم العدالة ، بينما الواقع ان ثروة العاهرة هى التى اشترت ضمائرهم وعدالتهم

فى مشهد الحصار يرتفع التعبير المسرحى الى الذروة ، فنرى التاجر الذى يحاول الخروج من المدينة يحاصر من كل جانب .. ان المدينة التى كانت معه بحماسة تحولت الى قفص حديدى رهيب ، والسيدة التى خرجت يوما من المدينة مطرودة تحولت الى آمرة مطاعة ، لانها تحولت الى مليونيرة !!

هذه المشاهد المحددة المركزة ماذا فعلت بها السينما ؟

تحللت بالسيناريو الفنى الى لقطات سينمائية اذابت حدودها .. ان الأحداث التى عبرت عنها المسرحية بالحوار عبرت عنها اللغة السينمائية ، فرأينا فى البداية لقطة تجمع بين السيدة والتاجر ، وخلفهما المدينة الفقيرة ، وبين انغام موسيقى الفجر الدالة على حيوانية التاجر ، تسترجع السيدة ذكريات اللقاء الأول بينهما ، ونرى فى تعبيراتها كيف استسلمت له ، ، ونرى فى تحجر قسمات وجهه كيف يريد أن يتناسى ما مضى ... هذه اللقطات لا وجود لها فى المسرحية ، ولكن السيناريست اضافها دون أن يقحم على النص شيئا غريبا عليه ، وانما فقط استخدم لغة الكاميرا ليلقى الضوء على حقيقة الأحداث .

كذلك اذاب السيناريست مشهد استقبالها فى لقطات مزدحمة لم يكن من الممكن ان تظهر على المسرح بحكم طبيعة خشبة المسرح ... نفس الاحداث التى كتبها المؤلف المسرحى ، نفس الاحتفال ، نفس الكلمات التى القيت فى الحفاوة بها ، نفس الروايات واوصاف النفاق .. كل هذا اظهرته الكاميرا ولكن باسلوب بعيد عن التركيز المسرحى ... ان الحفلة تبدأ وما يكاد رئيس مجلس المدينة يلتهم طعامه او يبدأ فى الالتهام حتى تدعوه السيدة الى الكلام ، وما يكاد يتكلم حتى تقاطعه لتواجهه بالحقائق ، وماتكاد تثير الدهشة حتى تستدعى القاضى الذى احضرته معها والشهود أيضا، وما يكادون يواجهون المتهم حتى تضىء الكاميرات ملامح اهل المدينة ، وفى كل وجه ترى المعانى التى قصد اليها المؤلف .. لقطات متتابعة وسريعة وفى غاية التعبير ، وبنفس التتابع والسرعة والتعبير تأخذ الكاميرا لقطة عريضة تظهر فيها حماسة المدينة للوقوف بجانب التاجر ضد العروض التى عرضتها السيدة ، ثم تأخذ الكاميرا

لقطة عميقة فى وجه السيدة وهى تساوم بمضاعفة المبلغ ، وتأخذ لقطة اخرى لنرى انعكاس ذلك على اهل المدينة ، وتختفى هذه اللقطات لتظهر لقطات اخرى للسيدة وهى فى شرفة قصرها تنتظر مصير التحدى .

ان المسرحية قدمت هذه المعانى فىمكان شاحب، فى محطة السكة الحديدية ، لترسم شحوب المدينة، ولكن الفليم اتجه اتجاها آخر انسب للكاميرا .. اتجه الى تقديم نفس المعانى فى ردهة فاخرة داخل القصر للتعبير عن ثراء السيدة ... ان للكاميرا قدرة على الحركة ، فلا موجب لتحديد المشاهد ... لا وجه للمفاضلة بين الاسلوبين ، وانما المهم ان لكل فن أسلوبه . والبراعة فى ان يستخدم الفنان أدوات فنه ... وهكذا استخدم السيناريست والمصور والمخرج السينمائى اسلوب السينما دون اقحام لأى اضافات غريبة على الفكرة نفسها .

وهكذا استطاعت السينما ان تضع قصر السيدة فى مواجهة دكان التاجر لنرى فى مجال واحد اصرار السيدة على شروطها وانتهازية الاهالى الذين ازدحموا حول الدكان لشراء حاجياتهم بلا ثمن ، وثورة التاجر عليهم لاحساسه بانهم يستخدمون نقطة ضعفه لحسابهم ... لم يكن من الممكن ان تظهر هذه اللقطات المتبادلة على المسرح ، ولم يكن من الممكن ان نرى لقطة من اجتماع مجلس المدينة ، تعقبها لقطة فى قصر السيدة ، تعقبها لقطة بين الاهالى .. وهكذا .

ايضا لم يكن من الممكن ان نرى على المسرح لقطات متتابعة تصور البضائع المتكدسة التى احضرتها السيدة لتعطيها لاهل المدينة مجانا ... فى هذه اللقطات نرى التاجر يرى بعينيه أن رئيس مجلس المدينة اخذ من هذه البضائع ، ورجل الشرطة اخذ من هذه البضائع .. ومن هذه اللقطات نرى كيف ادرك التاجر انالذين تظاهروا بالوقوف بجانبه بدأوا يتغيرون وينحازون الى السيدة ، اى الى منطق المال ... وكل هذا يتم فى حركة سينمائية مستمرة وبلا توقف .

كذلك نرى كيف استاجرت السيدة رجالا مسلحين ليقتلوا التاجر ..ان طلقات الرصاص تحيط به وهو يهرب من مكان الى آخر ، ثم يهرب الى بيته فيفاجأ بان زوجته التى ترك الفتاة من اجلها تخشى على نفسها وعلى طفلها من الرصاص وتنصح زوجها بان يبتعد ... هذه المطاردة لم يكن من الممكن ان تظهر على المسرح اطلاقا ... وهذه المطاردة ليست فقط مجرد حركة سينمائية بل فيها معنويات كثيرة اكدت للتاجر كيف اصبح ضائعا بلا مكان يلتجىء اليه ، وبلا نصير يحتمى فيه .

ان الفيلم استطاع بالكاميرا وباللغة السينمائية ان يعبر عن المعنويات بالصور الواقعية ، بينما عبر عنها المسرح داخل الحوار فقط .. وهكذا التزم الفيلم بالموضوع ولكنه بالادوات السينمائية رسم تفصيلاته الدقيقة فى صور .. شىء واحد أضافه الفيلم فى النهاية على احداث المسرحية ... ان المسرحية تنتهى بمحاصرة التاجر ليلقى مصيره ... ولكن فى الفيلم نرى التاجر بعد ان يتأكد من نهايته يتسلل الى قصر السيدة وينفرد بها ويكاد يقتلها .. فى هذه اللقطة نرى بالصورة السينمائية كيف كانت السيدة مخلصة فى حبه ، وهذا يعمق احداث الرواية ويؤكد ان السيدة لم تكن ظالمة حينما تشبثت بقتله ... ثم انها بعد ان تأكدت من ان المدينة كلها وقفت معها ، او بالأحرى مع ثروتها ، قالت لاهل المدينة انها تريد للتاجر ان يعيش ، ليرى كيف يمكن ان يعيش مع الذين اهدروا دمه ... فى هذه النقطة فقط يختلف الفيلم عن المسرحية ، والنقاد العالميون الذين تناولوا هذا الفيلم يرى بعضهم ان هذا معناه ان العالم لايزال فيه امثال هذا التاجر وامثال هؤلاء الأهالى ... وبعضهم يرى أن عقوبته وهو حى اقسى من اعدامه .

مهما تختلف الآراء فالمهم ان هذا الفيلم درس عملى لكيفية تحويل المسرحيات الى السينما ، فهل يتعلم السينمائيون عندنا ؟!

اتمنى ذلك .. لقد شاهدت ندوة تليفزيونية عن فيلم ثمن الحرية اشترك فيها مخرج الفيلم نور الدمرداش ، وناقشه صبحى شفيق وصبرى عزت ، وحضر الندوة صلاح ابوسيف ليكون حكما بينهم ، وتوقعت ان يدور الحديث حول عملية تحويل المسرحية الى فيلم من الوجهة الفنية ، ولكنهم تركوا هذه النقطة الرئيسية وتجادلوا حول مسائل فرعية جدا ... اتمنى ان يعقد التليفزيون ندوة حول فيلم (زيارة السيدة العجوز) فربما يفيدنا ذلك فى نفس الموضوع ... ان كل ما ارجوه ان نستفيد من التجارب العالمية، بدلا من الدردشة حول التفريعات.

« عبد الفتاح البارودى »

تعقيبات

بقلم : عباس خضر

خصائص القصة القصيرة

قرأت أخيرا نحو مائة من القصص القصيرة المقدمة لمسابقة نادى القصة هذا العـام ، فهالنى ان هـذا العدد الضخم ليس فيه مما يصح شكلا ان يسمى قصـة قصيرة الا بضع قصص .. وهناك قصص كثيرة ذات تعبير جيد واسـلوب حسن ، او ذات دلالة اجتماعية معينة، او تعالج موضوعا مما يشغل الناس ، ولكنها فى بنائها ليست من فن القصة القصيرة فى شيء .

وليس الأمر مقتصرا على هؤلاء الناشئين الذين تقدموا الى المسابقة ، فالواقع الصارخ انه يشمل بعض الذين كبروا وصـاروا ينشرون فى الصحف والمجلات ويصدرون مجموعات ، ومنهم من له اسم معروف فى عالم الأدب ..

ومما هو ذو دلالة فى هذا الصدد ، ما قالته لى فتاة تجتهد فى كتابة القصة ، وقد سألتها عما تكتب الآن ، فقالت : اكتب قصة طويلة ، تركت القصـة القصـيرة ، ماذا أفعـل ؟ **ان كتبت قصة ذات موقف ومشاعر قالوا لى : اهذه قصـة ..؟ وان كتبت قصـة ذات حـوادث وسرد قالوا : هـذا ملخص رواية ..**

والواقع ان القصة القصيرة عمل ادبى دقيق ، تنطبق عليه الكلمتان المأثورتان : السـهل الممتنع . وليس من اليسير وضع تعريف هذاالفن من الأدب وان كان يتحفز على لسانى هذا الوصف :

حادث موجد يتخلله موقف محدد او لحظة معينة ويسوده التسكع الشعورى .

وليس كل تسكع مثل الآخر ، فهناك من يتسكع فى المحال التجارية ولا يشترى شيئا ..

ولا شك أنه من المفيد ان نذكر اولا بعض ما قيل فى القصة القصيرة :

قال الأستاذ عباس محمـود العقاد ــ فى كتابه « الوان من القصة القصيرة فى الأدب الامريكى » ص ١١ و١٢ ــ « **ومن البـديهى ان الفوارق بين هذه الأنواع (القصصية) لا ترجع الى الطول والقصر ولا الى الاسهاب والايجاز ، ولا الى العنايةبالاسلوب الأدبى وقلة العناية بذلك الأسلوب ، ولا الى خطر الموضوع او تفاهته ، فكل اولئك صفات قدتتشابه فيها جميع هذه الانواع ، فتكبر الحكاية المطولة حتى تلتقى بالقصة القصيرة فى عدد الكلمات ، او تتناول الحكاية موضوعا من اجل الموضوعات ، ولا تتناول القصة الكبيرةالا موضوعا هينا من مسائل المجتمع او مسائل الأحوال النفسية . انما يرجع الخلاف بينها الى فارق اصيل من باب التغليب والترجيح، على الأقل ان لم يكن من باب الحسم والشمول . ولم تعرف تفرقة بينهما اصح واصدق من التفرقة التى اجملتها الكاتبة (اديث هوارتون) حين قالت: (ان الموقف هوالموضوع الغالب على القصة القصيرة وان رسـم الشـخصية هو الموضـوع الغالب على الرواية) ويمكن ان نضيف الى الموقف موضوعا آخر يصلح للقصة القصيرة والحكاية ــ يقصـد القصيرة جدا او الاقصوصة ــ وهو الايحاء ولفت النظر ، او ما يقابل ــ حرفيا ــ الاقتراح ــ** »

ويقول « ادجار الان بو » ــ نقلا من كتاب (الأدب وفنونه) للدكتور عز الدين اسـماعيل ص ١٧٢ و ١٧٣ : « **ان القصة القصـيرة بحـق تختلف بصفة أساسية عن القصة بوحدة الانطباع . ويمكن ان نلاحظ بهذه المناسبة ان القصة القصيرة غالبا ما تحقق الوحدات الثلاث التى عرفتهـا المسرحية**

الفرنسية الكلاسيكية ، فهى تمثل حدثا واحدا فى وقت واحد ، وتتناول القصة القصيرة شخصية مفردة أو حادثة مفردة أو عاطفة مفردة أو مجموعة من العواطف التى أثارها موقف مفرد » .

ويقول هادسون ـ نقلا من الكتاب السابق ـ :

« فالقصة القصيرة من الممكن أن تجتاز بالقارىء فترة زمنية طويلة كما تصنع الرواية ، ولكن يحدث الفرق هنا فى طريقة العرض ، فالتفصيلات والجزئيات التى تملأ كل يوم وكل ساعة فى تلك الفترة الزمنية لا حاجة لكاتب القصة القصيرة بها، بل انه يجتاز كل شىء لينتقل مباشرة من لمسة من لمساته الى اخرى ، مجتازا بذلك من الزمن فترة قد تطول وقد تقصر . فطريقة العلاج ترتبط ارتباطا حيا بالموضوع ، وهى ـ من جهة اخرى ـ فرق جوهرى بين القصة القصيرة والطويلة ».

ونستطيع ان نستخلص من كل ذلك أن المدار فى القصة القصيرة على وحدة الموقف ووحدة الغرض، فان هاتين الوحدتين تستتبعان بقية الوحدات .

ونستطيع كذلك ان نجمل خصائص القصة القصيرة فى كلمتين : **الوحدة والتركيز** ، فالوحدة تكون فى الحادث والغرض والموقف ، ولعل وحدة الانطباع التى قال بها « بو » تجمع كل الوحدات فى بؤرة واحدة . والتركيز يكون فى كل شىء ، وهو أهم ميزة للقصة القصيرة ، وقد بولغ فى حتميته بها من حيث اللغة حتى قيل ان اية كلمة يمكن الاستغناء عنها تعد حشوا فيها ودخيلة عليها.

ويمكن أن نتبين طبيعة القصة القصيرة من القاء نظرة على تطورها من الشكل الذى كانت تكتب به التسلية الى شكلها الحديث، كانت فى الشكل الاول تعتمد على طريقة العقدة المتأزمة والحل او المفاجاة الأخيرة. وكانت تعتمد كذلك ـ من حيث المضمون ـ عى الحادث الغريب والخيال البعيد ، وأما الشكل الحديث فلم يهتم بجذب القارىء عن طريق الاغراب والمفاجاة ، بل هو يوجه العناية الى التعبير عن حالات النفس البشرية والأحاسيس التى تضطرب فى نفس الانسان وتبدو كأنها حديث عادى عما يحدث لكل انسان والمضمون يحدد الشكل كما يقولون .

قصص موبسان

ولعل أول من كتب القصة القصيرة فى شكلها الحديث المتكامل هو الكاتب الفرنسى **« جى دى موبسان »** فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر . كتبها قبله كثيرون ، منهم **« مارك توين »** و **« ادجار الان بو »** الأمريكيان ، ولكنهم لم يهتدوا الى ما اهتدى اليه **« موبسان »** من أن القصة القصيرة لا تحتاج الى الوقائع الخطيرة والخيال الخارق ، بل يكفى الكاتب أن يتأمل فى الوقائع العادية والأفراد العاديين لكى يفسر الحياة ويعبر عن خفاياها من خلال موقف أو لحظة من لحظاتها. وكانت الواقعية الحديثة هى المذهب الملائم لهذا المنهج ، فسلك **« موبسان »** فى القصة القصيرة مسلك **« زولا »** واضرابه فى الرواية ، من حيث الاهتمام بدقائق الحياة وتفصيلاتها وتصويرها بطريقة واقعية .

وقد كانت قصص **« موبسان »** حدثا جديدا فى الأدب ، كما يقول الدكتور رشاد رشدى فى كتابه « فن القصة القصيرة » .

« ولقد جاءت قصص موبسان مختلفة عن كل ما سبقها من قصص حتى أن الناس رفضوا أن يعترفوا بها فى بادىء الأمر كقصص قصيرة ، ولكن الايام ما لبثت أن غيرت هذا الرأى ، فنجد أن احد كبار النقاد يكتب بعد موت موبسان باعوام قليلة فيقول: ان القصة القصيرةهى موبسان ـ وموبسان هو القصة القصيرة ».

ومن المؤسف أن عندنا الى الآن من ينظر الى القصة القصيرة الحديثة نظرة تشبه موقف الرفض الذى كان فى أوربا .. ومن هنا تتبين وجه الحيرة فى حديث الكاتبة المجتهدة التى اشرت اليها فى أول هذه الكلمة .

تشيكوف وموم

وقد اشتهر منهجان فى كتابة القصيرة بعد « موبسان » : الأول منهج الكاتب الروسى **« انطون تشيكوف »** والثانى منهج **« سومرست موم »** واعتقد ان كلا منهما تأثر بموبسان وان كان قد انفرد بطريقة خاصة ، واقربهما الى موبسان هو تشيكوف ، وتتميز قصصه بالايغال فى الواقعية اكثر مما فعل موبسان ، فقد اهتم تشيكوف بالأشخاص العاديين كالفلاحين والتجار وعمال المصانع وأصحابها ، واعتمد على الصدق فى تصوير حياتهم العادية والعمق النفسى فى تحليلهم .

أما « موم » فانه ـ مع تأثره بموبسان ـ لم يعرض عن التشويق بالعقدة والحل والاغراب فى قص الواقع . وقد كتب « موم » عن « تشيكوف » فاورد القول المشهور لتشيكوف :

« ان الناس لا يذهبون الى القطب الشمالى كى يسقطوا من فوق جبال الجليد ، انما هم يذهبون الى المكاتب ويتشاجرون مع زوجاتهم ويتناولون حساء الكرنب ».

وقال « موم » انه يخالف « تشيكوف » فى ذلك فان ذهاب الناس الى المكاتب وتناولهم حساء الكرنب لا يكفيان لخلق قصة عنهم ، فلا بد لتكوين قصة ان يسرقوا او يرتكبوا خيانة او يضربوا زوجاتهم .

ولكن الذى حدث ان تشيكوف استطاع ان يكون قصصا خالدة من اضطراب الناس فى الحياة العادية .

كشكول

● دعت تونس الى الاحتفال بالذكرى الثلاثين للشاعر العربى **ابى القاسم الشابى** فى ٢٤ فبراير سنة ١٩٦٥ .

ولما كان مؤتمر الأدباء العرب ومهرجان الشعر سيقامان ببغداد فى نفس الوقت فقد جرت اتصالات لتاجيل احتفال الشابى حتى يتمكن الادباء العرب من حضوره بعد المؤتمر والمهرجان .

● رشح الدكتوران ابراهيم بيومى مدكور ومراد كامل عضوا مجمع اللغة العربية ـ **الدكتور محمد مندور** لعضوية المجمع .

والدكتور مندور قمة فى حياتنا الأدبية الحاضرة ويرجى ان ينتفع بادبه وثقافته فى مجمع اللغة كما ينتفع بهما فى خارجه .

● ذكرى وفاة **شوقى** ذهبت هدرا هذا العام .. لم تظفر من اى باهتمام يذكر !.

● يبحث المجلس الأعلى للفنون والآداب اقتراحا قدم اليه يقول انه فى فبراير سنة ١٩٦٧ يكون قد مضى على وفاة الجاحظ اثنا عشر قرنا ميلاديا ، وينبغى أن يعد من الآن منهج لاقامة مهرجان له فى ذلك التاريخ . ومما يتضمنه الاقتراح اقامة تمثال للجاحظ فى مدينة البصرة ، وهذا يذكرنا بما حكاه الجاحظ من ان امراة اتت اليه وطلبت منه ان يصحبها ، فذهب معها حتى وصلت به الى طفل اخافته المراة بالجاحظ ..

لنعمل لذكرى الجاحظ كل شىء ما عدا اقامة تمثال ..

● الكلمات التى يكتبها الأستاذ **كامل الشناوى** عقب مقالاته بعنوان «**ساعات**» انما هى شعر منثور، وهذا الشعر هو القسم الثالث للشعر التقليدى والشعر الحر ، وهو شعر برغم ما يقال من ضرورة الوزن ، فان للنثر الشعرى توقيعا مرسلا جميلا .. انا من عشاقه .

● اعتقد ان الحركة التى احدثها الشعر الحر والكلام حوله خدمت الشعر عامة من حيث اثارة الاهتمام به فى السنوات الأخيرة بعد ان فتر اهتمام الناس بالشعر وامتنعت الصحف عن نشره .

● من الكتب الجيدة التى ظهرت اخيرا كتاب **« مى ـ اديبة الشرق والعروبة »** للاستاذ محمد عبد الغنى حسن . وهو يتضمن مباحث الكتاب الذى اصدره من قبل بعنوان **« حياة مى »** مضافا اليها كثير من الفصول عن « مى » وخاصة ما لابس محنتها قبل وفاتها ، ومراثى الشعراء والكتاب لها بعد الوفاة ونماذج من كتاباتها وخطبها .

● نشرت «**الأهرام**» الخبر التالى :

« من بين الطلبة الذين قبلتهم جامعة الأزهر هذا العام طالب دخل كلية الطب اسمه السيد قشطة ، وطالب دخل كلية المعاملات اسمه صلاح الدين ثعلب ، وطالب دخل كلية الهندسة اسمه محمد الأغانى » .

ويبدو ان الباعث على نشر ذلك الخبر هو غرابة الاسماء .. بقى ان نعرف ان الذى نشره محرر اسمه « كمال الملاخ » !

● كان الدكاترة من اساتذتنا الكبار ـ ولا يزال الأحياء منهم ـ يوقعون كتاباتهم بأسمائهم مجردة ، اى بدون « دكتور » أو « د. ».

فهل كان ذلك لأنهم كبار ..؟

اذا كان ذلك كذلك فاننا نرجوان يكبر دكاترتنا المصرون على الدال .. والتواضع فضيلة لا يتفق معها الفخر بالألقاب .

● الكاتب الكبير ، عندما يتخلف عن الجديد يصبح تاريخا فقط ، وعندما يجارى الجديد فى كل شىء لمجرد انه جديد يكون تافها ، **والأوسط المنشود هو الذى يعيش الجديد وينقده .**

عباس خضر



حول الأدب في أسبوع

يقدمه عبده بدوى

ما بعد التفعيلة

أولا - قد يظن البعض أن مشكلة الشكل الشعرى - على الصعيد العربى - هى تلك المشكلة التى يرفع رأسها النقاد بين الحين والحين ، والتى تتمثل فى العمودية والتفعيلية ، ولكن تحديقا أكثر فى وجه المشكلة يوضح أن المعركة تسير فى صالح مرحلة جديدة هى مرحلة **اللاشعر** أو مرحلة **قصيدة النثر** كما سميت فى لبنان أو **النثرثرة اللغوية** ، كما سميت هنا .

ولقد كانت (التفعيلة) أحد النوافذ الواسعة التى مر منها هذا التيار النافذ كحد السيف ، فأكثر الشعراء اليوم لا يحافظون على سلامة التفعيلة كما يظهر فى الدواوين الحديثة ، وبعض المشرفين على نشر هذا الشعر يعانى من جديد لاعادة الوزن فى كثير من القصائد وحين يمل يتركها كما هى ..

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فان هناك **مخططا** يهدف الى **تنويه** النغمة العربية الممثلة فى البيت والتفعيلة باعتبارهما وجها وملمحا فى الوجه الشعرى العربى .

ومن أجل هذه الغاية وغيرها صدرت فى لبنان مجلة « شعر » باشراف يوسف الخال ، وسلسلة (ينابيع) باشراف أدونيس .

فاذا عرفنا أن الاصوات قد بحت هنا وفى لبنان نفسه بأنهما قوميان سوريان ، وانهما ضد القومية العربية، والاشتراكية، وقادتنا الثوريين ، والوحدة، وانه كان لهما دائما اتصالات مشبوهة بالسفارات ، وان هذه الاتصالات قد « زادت عن حدها » عند حرب السويس .

واذا عرفنا انهما جمعا عددا من الشبان فى الجمهورية العربية ، وانهما حرضاهم على النيل من بلادهم ، والسخرية منها ، ومن الاتجاهات السياسية السائدة فيها ، كما سبق أن وضحنا بالادلة فى هذا الباب بالعدد (١٠٧٦ فى ٢٧ أغسطس ١٩٦٤) من هذه المجلة .

واذا عرفنا أنهما وآخرين «يتبنون هذا الاتجاه» فى مجلات أدب وحوار وشعر مع المنظمة العالمية لحرية الثقافة ، التى بحت الاصوات هنا وفى بيروت وهى تؤكد انها تنفذ فى المنطقة مخططات استعمارية وصهيونية لضرب المد العربى فى حبة العين .. فى الفكر !

واذا عرفنا أنهما يقولان فى العدد ٢٢ من مجلة شعر ص ١١

(ان الشعر العربى شىء والعروبة شىء آخر)

واذا عرفنا ان اولهما هو الذى قام غالى شكرى بتتويجه على الشعر العربى ، والمناداة بايديولوجيته فى العدد الرابع من مجلة الشعر ، وهى تلك الأيديولوجية التى وضحها دزموند ستيوارت فى العدد (١١ / ١٢ من مجلة حوار) بقوله : انهاتقوم على تجديد الشعر العربى تجديدا كليا ، وذلك بكتابته من وجهة نظر مسيحية مباشرة ، وهو نفس الشاعر الذى أخذ على الدكتور أحمد كمال زكى فى العدد (١٠٨٠ من الرسالة) انى اعتبرته من الشعراء ، وقال « انه ناظم خزعبلات ليس الا » .

واذا عرفنا أن ثانيهما اذان حاضرنا وماضينا بما ليس له نظير فى تاريخ الحقد ، وانه قامت عنه حملة للتعريف به فى مجلاتنا وللاعجاب - من طرف خفى - بكل ما أصمى به كل ما هو قيم ومضىء فى حياتنا الى حد أن واحدا من نقادنا الأذكياء قال عن ديوانه اغانى مهيار الدمشقى «ان مهيارا ليس فقط ديوان شعر انه قضية وجودنا » مع أن هذا الديوان على نحو ما وضحت من واقع الديوان فى عددى (٥٥ و٥٦ من الرسالة) يلعن العرب ، ويدين الوحدة ويسب مصر، ويرفض الله والاخلاق والوجوه الثورية الخ .. فهل قضية وجودنا - يا أستاذ محيى الدين محمد - هى كل هذه الاشياء الملعونة والمدانة والمسبوبة والمرفوضة ؟ ولعل آخر كلمة رقيقة حملت اليه - بعد دفاع الدكتور النويهى المشهود - من الجمهورية العربية المتحدة ، هى اهداء مقطوعة الاحجار للأخ توفيق حنا فى العدد الخامس من مجلة (الادب : اكتوبر ١٩٦٤) فقد جاء فيها : الى الشاعر العظيم ادونيس صاحب ديوان « أغانى مهيار الدمشقى » ، والتى جاء فيها فى شفافية ورقة قوله فى تلك القصيدة النثرية :

● الاحجار حضور جامد ولكنه حى ودائم
الاحجار خلق حاضر
القرآن كلمات هرم قمته الله

● اين هذا البناء الحق
فى هذا العصر القلق المتملق

ومهما يكن من شىء فبهذين الوجهين (يوسف وادونيس) وبعدد آخر من الادباء الرافضين ضاع الشعر والتفعيلة فى أحد البلاد العربية ، وما زال هذا التيار النافذ كحد السيف يزحف على عدد من البلاد العربية .

بل لقد رأينا له « **مندوبا رسميا** » يتكلم باسمه فى الجمهورية العربية المتحدة ويسمى « هانى مندس » فيقوم بالتعريف بمجموعة من هذه الثرثرة اللغوية تسمى (الصوت الآخر) للمثرثر خليل أحمد خليل وبمجموعة « لن » للمثرثر أنسى الحاج ، ولقد كان أذكى من كل الذين قدموا الدواوين عندنا لانه حريص على أن يقوم بدعاية - من خلال ما كتب - عن دار النشر ، وعن موعد النشر ، وعن المشرف على السلسلة ، وعن لبنان كمركز للثقافة ، وعن الرفض ، وعن الادب الفرنسى وان كان مما يحفظ له - تقديرا لمهمته الحقيقية - انه فى المقال المعنون بقصيدة النثر فى مجلة الشعر لم ينس ضرب الاشكال الشعرية السابقة ، وتقريع المواطن العربى الذى ظلت النغمة العربية موجودة فى ضميره الى الآن ،وبعد أن يصفه بالاستعباد ! والانغلاق والتحجر ! يقول «ألف عام من الضغط الف عام ونحن عبيد جهلاء وسطحيون» ثم ينتهى الى تعريف قصيدة النثر بأنها الفوضوية التى لاتتقيد بأى شىء ، وترفض كل المقدسات والبناءات المتعارف عليها وفى مقدمتها **الاخلاق** ، فالاخلاق تحد من ممارسة الانسان لانسانيته ، وتمنعه من تفتح ذاته ونموها ! فاذا أردت شيئا من هذه الثرثرة اللغوية - على حد تعبير الدكتور عبد القادر القط - فاستمع الى بعض النماذج التى أوردها المتكلم الرسمى باسم هذه الثرثرة فى الجمهورية العربية المتحدة مع ملاحظة أنه لاتوجد أخطاء مطبعية .

● لم العشب
والاغنية الجزيرة
وهذه العيون
بأباة العيون والأحشاء
والغلطة
والعشب
مادمت رقصتى
ومرجلى
ما دمت قفصى الدوار
وآخرى
ما دمت أستعير عاشقا من أذنى !

● أيها الحب البومة المغمضة فى الشمس

الطلل النابح

الصفصاف القاطع !

● جسدى امرأة

غيومه أبوابى

غيومه أعماقى

جسدى امرأة

جسدى !

لقد كنت أعجب من الاستاذ العقاد وهو يعلق على مثل هذا «الانهيار الرجالى» بقوله « اعرضوهم أولا على دكتور» ، ولكن بعد قراءة هذا المقطع الاخير وعدد وفير من قراءة مثل هذه النماذج - وهى وفيرة - أعتقد فى صدق «غمزة العقاد» أو على الاقل لاتبدو هذه الغمزة غريبة على أذن السامع أو عين القارىء .

ثانيا - هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى .. - وليس بين الكلامين وجه شبه الا من قريب - فان أكثر المترددين على الاستاذ الدكتور لويس عوض يؤكدون من فترة أنه أصبح لا يرضى عن **التفعيلة فى** صورتها الصحيحة ، فالتفعيلة التى ترضيه الآن ليست التفعيلة العربية المتعارف على صحتها ، ولكن التفعيلة التى بها نوع من (النشاز) ، ولكى نكون منصفين لموقف الرجل نذكر أن الشاعر **عبد المنعم عواد يوسف ذكر** لنا امام عدد كبير من الادباء انه سلم قصيدة للدكتور لويس ، فاذا به لا يرى بها عيبا غير أن التفعيلة عنده تأتى سليمة، ثم نصحه قائلا : (زحف وأكثر من العلل) ، وقد تواتر هذا الخبر ، وكان آخر من رواه الشاعرة **وفاء وجدى** فقد أعادت الرواية التى ذكرها الشاعر عبد المنعم عواد يوسف ، مع فرق واحد هو (زحفى وعللى) فهذا شرط الشعر الممتاز ، بل لقد وصل الحد الى أن بعض الشعراء قد ذكر أن الدكتور عاتب عليهم لأنهم يقولون شعرا عموديا ، وحين ذكر واحد منهم انه شعر قديم لديه يريد «تسويقه» نال له انشره فى أى مكان الا فى القاهرة .

ولكى أكون منصفا أحب أن أقول للدكتور ان هؤلاء الشعراء يفهمون عنه الآن أن « التزحيف والتعليل» هو القاعدة ، وأن التفعيلة الصحيحة هى الشذوذ ، فهل هذا مايعنيه الاستاذ الناقدالدكتور لويس عوض ؟

ثالثا - ولعل ما يقرب من هذا هو الدعوة الطليعية التى قال بها الدكتور محمد النويهى .. والمتمثلة فى النظام النبرى الذى يوجد فى الشعر الانجليزى ، والقائم على توالى مقطعين أولهما غير مضغوط والثانى مضغوط ، والذى ذكر فى رده على أن الدكتور لويس «أميل الى موافقتى على أن التغيير المنتظر سيكون الى النظام النبرى» نظرا لتحقق النبر فى الادب الشعبى ، ولان الدكتور لويس يطالب بعدم الاعراب .. ونظرا لكثرة ما تناولنا هذه الظاهرة فانا نضع أمامه ما سبق أن ذكره بنفسه فى كتابه وذكرناه من أن موضع النبر يختلف فى القراءة بين شعب عربى وآخر ، بل بين سكان مختلف الاقاليم فى الشعب الواحد . ولانه لايمكن أن تضع قوانين لمعرفة مواضع النبر فى القراءة . وان الآذان تختلف فى تجاوبها بحيث يتفاوت صوت الشاعر نفسه لدى أى عدد من القراء .. الخ .. ماقلناه ، وقاله غيرنا .

هذه هى القضية ، وهذا هو التيار النافذ كحد السيف ، والذى أخشى أن يكون العموديون والتفعيليون - فى أثناء صراعهما - قد نسوه .. والذى يعمل البعض (بوعى) على ترويجه ، والذى لااقول انه فى تقدمه يكسب افرادا ، ولكن يكسب دولا ، ثم يظل يتغلغل كحد السيف فى الفكر العربى !

وأخيرا .. فالسؤال هنا هو .. **(هل يمكن لأى تيار ان ينفذ هكذا باردا وحادا الى القلب ؟)** والجواب هو ان أى تيار - مهما كان هذا التيار - اذا وقفت من ورائه فى الداخل عملية تمويل وافدة ، وقامت على يمينه مجلة مترفة تهدى أو تباع بثمن فى متناول المواطن ، وقامت على يساره دار نشر تكون فى خدمة الناطقين باسم هذا التيار ، ثم كانت أمامه دائما مؤسسة أو سفارة تعطى مع جواز السفر مبلغا وفيرا من المال للمتعة فى الخارج أو لحضور مؤتمر .. اذا تحقق هذا - **كما حدث بالفعل** - فان هذا التيار لابد أن يرتفع صوته ، بل يمكن أن يكون هو وجهة النظر الفكرية بعد تثبيته عاما بعد عام ، قد يكون هذا وأكثر من هذا .

ما لم يضرب - بالثقافة الشريفة - فى القلب

ما لم يضرب فى حبة القلب

فى حبة القلب !!

لا ادري لماذا ازداد اكباري لبيرم التونسي ، وانا استمع الى اغنية «شمس الأصيل» التى تغنيها ام كلثوم .

فقد استقر في نفسي ، وهو الذى كان يضم الشعب الى قلبه ، ثم يميل الى جانبه الأيسر كلما اراد ان يقول كلمة جديدة .. استقر فى نفسى انه كان الى جانب هذا مستوعبا للتراث الغنائى الشفاف للعرب وبخاصة الموشحات .

وتستمر الأغنية ، فاذا بى أتذكر (أبو جعفر ابن سعيد) وزير عبد المؤمن ، والذى كان حبه «لحفصة الركونية» عنيفا جبارا ، والذى كان ضحية هذا الحب ، حين تقرب منها أحد أمراء الدولة الموحدية ، فاذا به يهجوه ، واذا بالامير يرسل اليه من يقتله في عام (٥٥٩ ـ ١١٦٤) ، ويموت الأمير المنافس ، وتنتهي الدولة الموحدية ، ويبقى صوت (ابو جعفر بن سعيد) فى بيرم التونسي ، وفي ام كلثوم ، وفي موشحه الذى يقول :

ذهبت شمس الأصيل .. فضة النهر

اى نهر كالمدامه

صير الظل قدامه

نسجته الريح لامه

فهو كالعضب الثقيل .. حف بالشعر

مضحكا ثغر الكمام

مبكيا جفن الغمام

منطقا ورق الحمام

داعيا الى المدام

فلهذا بالقبول .. خط كالسطر

عبده بدوى



اليهود ودم المسيح

اننا نخطىء كثيرا اذا اعتقدنا أن الاغتصاب اليهودى الذى تمثل بقيام دولة الغزاة فى أرضنا المحتلة عام ١٩٤٨ كان حدثا مفاجئا تمخضت عنه بعض الظروف السياسية السطحية .

ان الاغتصاب اليهودى لأرضنا لا يمكن فهمه وتقديره الا على أنه نتيجة عمل طويل واعداد متواصل من قبل اليهودية العالمية ..

واذا كانت قيادتنا القومية قد أخذت على عاتقها **تحقيق مطالب جماهير شعبنا الملحة فى الوحدة والعودة** .. فان اليهودية العالمية ما زالت تبذل المزيد من الجهد فى سبيل تحقيق أهدافها الرامية الى ضرب قوميتنا العربية الناهضة .. واليهودية العالمية لا تتورع – كما هو معروف لدينا جميعا – عن استخدام كل الوسائل غير المشروعة للوصول الى أهدافها الاستعمارية العنصرية البغيضة .

وكنا نتصور أن اليهودية العالمية بوسعها ان تحرف دينها ليتلاءم مع أهدافها العدائية .. ولكننا لم نكن نتصور أنها تجرؤ على تزوير الديانات الاخرى .. والذى أذهلنا أكثر وأكثر .. ان نجد من بين رجالات الدين المسيحى من يساعد اليهودية العالمية فى تحقيق أهدافها – التى تضفى عليها الطابع الدينى المحض فى الوقت الذى نعرف فيه جميعا – ويعرفه معنا كل مسيحى العالم – الآثار السياسية والدعائية الناجمة عما يسمونه « بتبرئة اليهود من دم المسيح » .

ان اليهودية العالمية تحاول الآن فتح جبهة جديدة – كنا ومازلنا نؤمن بضرورة ابعادها عن مجال النضال القومى .. واذا كانت اليهودية العالمية قد اقامت مجتمعها العنصرى الغاصب على أساس دينى .. فاننا حتى الآن لم نحاول مقاومتها على نفس الاساس والمستوى .. **ليس لاننا لا نملك دينا قويا بمبادئه وبالمؤمنين به** .. ولكن لأننا نؤمن ايمانا تاما بان الدين لله – والوطن للجميع .. ولكن المهم هنا – أننا نجد للتآمر اليهودى الدينى من يستمع اليه ويعضده فى دوائر الفاتيكان وعلى أعلى المستويات – فى المجمع المسكونى – المنعقد حاليا .

واذا كانت مبادئنا الانسانية والقومية قد آمنت بضرورة وحتمية العمل القومى بمحتوياته النضالية المختلفة على مستوى المصالح العليا والحيوية لجماهير شعبنا بغير تعصب دينى أو مغالاة .. فان هذا المعنى لايجب أن يفسر اطلاقا – بغير معناه الحقيقى .

واذا كانت المبادىء الروحية والديانات السماوية المقدسة قد استغلت استغلالا سيئا من جانب اليهودية العالمية فيمايخصها بتحريف وتزوير مبادىء الشرائع الموسوية .. **فانه ليس من المحتم ان يكون الدين المسيحى كذلك .. بحجة تبرئة اليهود من دم المسيح ..**

واذا كان المجمع المسكونى الموقر - **الذى نحتفظ له بكل احترام واجلال** - يحاول عن طريق عملاء اليهودية العالمية فى صفوفه - وكلهم تابعون للدول التى تسيطر عليها اليهودية العالمية اقتصاديا وسياسيا - **ان يبرأ اليهود من دم المسيح** - لكى يكون هناك نوع من العدل والتآخى الدينى بين مختلف الديانات .. **فانه يجب أن ينظر أولا - بل ويطالب هؤلاء الذين يحاول تبرائهم من دم المسيح ان يتخلوا عن مبادىء دينهم الذى حرفوه والذى يدعوهم الى استرقاق جميع الشعوب وسفك دمائها .**

وأود أن أوجه سؤالا الى السادة المجتمعين فى الفاتيكان ..

وهو : **هل بوسعهم أن يتجاهلوا النص الوارد فى التلمود والذى يتلوه جميع اليهود فى صلاتهم ويرددونه ثلاث مرات يوميا ؟ .**

يقول النص :

- « **ليهلك النصارى وعبدة الاصنام فى لحظة ، ليحذف اسمهم من كتاب الحياة وليحسبنهم الرب فى عداد غير الصالحين** » .

واعتقد أن اعضاء المجمع المسكونى الموقر لايستطيعون حتى مناقشة ذلك !! ..

لماذا .. ؟ لان القوى الموجهة اقوى بكثير من أن يحاولوا مناقشتها ..

ولن أحاول هنا أن اقدم افتراضات لاثبات العداء الدينى والحقد العنصرى اليهودى على المسيحية .. ولكننى سوف أقدم ومن واقع كتب اليهود المقدسة ومناقشات احبارهم العامة - مايؤمنون به وما يعتمل فى صدورهم من حقد أعمى وتعصب ذميم تجاه كل الديانات ومع كل الشعوب .

١ - « **اذا ضرب أممى اسرائيليا ، فالاممى يستحق الموت** » - « سنهدين ص ٣٢ » والاممى هو الفرد من الجنس البشرى غير اليهودى ..

٢ - « الأجانب كلاب، لانه مذكور فى سفرالخروج ١١ ، ١٢ ، أن الاعياد المقدسة لم تجعل للاجانب ولا للكلاب - وان الكلب افضل من الاجنبى لانه مصرح لليهودى فى الاعياد أن يطعم الكلاب . وليس له ان يطعم الاجنبى او يعطيه لحما ، بل يعطيه للكلاب » .

(عن تفسير موسى بن نعمان والحاخام رسى لسفر الخروج) .

٣ - « **سلط الله اليهود على اموال باقى الامم ودمائهم** » .

(من تفسير التلمود لاليو الرابى) .

هل ينكر السادة الموقرون المجتمعون فى الفاتيكان هذه النصوص المتطرفة فى اوضح معانيها - بعنصريتها المستبدة ، وتساميها عن الاجناس البشرية الاخرى فى صراحة تامة ، واستباحة دم كل من هو غير يهودى ، وتشبيه أجناسنا الانسانية بالحيوانات ، والحض على العطاء والبذل للكلب دون الانسان ..

وكل هذه الرذائل يامر بها دين اليهود .. أليس من الواجب ادانتهم .. بدلا من تبرئتهم !!.

فلننظر ماذا يقول دينهم غير ذلك ..

● « **الشعب المختار فقط يستحق الحياة الابدية واما باقى الشعوب فمثلهم كمثل الحمير** » .

(الحاخام باربانيل)

● وكلم الرب موسى قائلا : « **وان لم تطردوا سكان الارض من امامكم يكون الذين تستبقون منهم، شوا كا فى أعينكم، ومناخس فى جوانبكم، ويضايقونكم على الارض التى انتم ساكنون فيها ، فيكون أنى افعل بكم كما هممت أن أفعل بهم** » .

(سفر العدد ح ٣٣ ع ٥٥ ، ٥٦) .

وماذا يقول كرادلتنا الموقرون فى هذا النص الوارد فى التلمود .. الذى يقول :

● « **باستطاعتك ، بل من واجبك ان تقتل أفضل المسيحيين** » .

اننا هنا نود معرفة راى أولئك الذين يحاولون تبرئة اليهود من دم المسيح بعد كل ذلك.. ومارأيهم فى بروتوكولات اليهود التى مازالوا ينفذون نصوصها حرفيا .. **بكل ماجاء فيها من نفاق وخداع ورشوة وخيانة وتجسس ورياء ..**

.. « يقول البروتوكول السابع » :

- « يجب أن نرغم الحكومات غير اليهودية على انتهاج السياسة التى من شأنها تنمية خطتنا التى تملأ أذهاننا ، والتى قاربت بلوغ مانهدف اليه من

نصر ، وذلك بالضغط على الرأى العام ، عن طريق الصحف التى هى الآن فى قبضة يدنا ، اذا استثنينا صحفا معدودات » .

ويقولون كذلك :

« ان ما بيننا وبين غير اليهود من فارق فى القدرة على التفكير السليم ، والانتاج والاستنتاج ، هو الذى جعلنا شعبا مختارا ، أسمى من الشعوب الأخرى غير اليهودية الذين يعيشون بغرائز وعقول حيوانية بحته ، فهم يبصرون ولكن لايتبصرون، واذا اخترعوا فانما يخترعون اشياء مادية ليس الا ، ومن هذا يتضح ان الطبيعة قدرت لنا ان نكون حكام العالم وقادته »

وجاء فى البروتوكول الرابع عشر :

« عندما تصير مقاليد الحكم فى ايدينا ، سيصبح اى دين يخالف ديننا غير مرغوب فيه ، وسننادى بوجود اله واحد ، فى يده أقدارنا وامصارنا بوصفنا الشعب المختار ، وهو الذى يربط مصير العالم بمصيرنا ، ولذا اصبح لزاما علينا ان نقضى على كل دين هو غير ديننا ، واذا ترتب على هذا ظهور ملحدين معاصرين ، فلن يتعارض هذا وأهدافنا »

وفى البروتوكول السابع ما يلى :

« اذا وجه الينا عدوان من أى دولة ، فعلينا أن نعد العدة لرده باثارة حرب ، عن طريق الدول المجاورة لتلك التى اعتدت علينا ، واذا اتحدت هذه الدول وقررت مهاجمتنا فلنعمل على اثارة حرب عالمية » .

وينص البروتوكول الخامس على ما يلى شرحا للبرنامج السياسى لليهودية العالمية :

« ولسوف نرهق غير اليهود بكل هذه الأمور ، فيجدوا أنفسهم مضطرين أن يخولونا سلطة دولية نستطيع بها ، بدون أية متاعب ، أن نستحوذ على كافة السلطات الحكومية فى العالم »

« وقد تأتلف وتتكاتف الشعوب غير اليهودية فى العالم فتناهضنا حينا ، ولكننا قد احتطنا فبذرنا بذور التفرقة بينهم ، فتأصلت فيهم جذورنا ولا يمكنهم اقتلاعها ، وقد أوجدنا تعارضا بين المصالح الفردية والمصالح القومية عند غير اليهود ، وأثرنا فيهم الاحقاد الدينية والكراهية الجنسية والعنصرية التى قضينا عشرين قرنا نغرسها فى قلوبهم » .

وقد رسم البروتوكول الرابع خطة العمل للتشكك فى العقائد الدينية .. فيقول :

« لهذا يجب علينا زعزعة العقائد الدينية فى قلوب غير اليهود، ونزع فكرة الايمان بالله وبوجود الروح من اذهانهم ، واحلال العقلية الرياضية والرغبات المادية عوضا عنها »

ولعل ما يستلفت النظر حقا — أن الكرادلة الأمريكيين فى المجمع المسكونى وهم كثرة عددية .. هم الذين يدافعون عن تبرئة اليهود من دم المسيح .. ولست أدرى كيف يحاول هؤلاء الكرادلة الامريكيون المحترمون أن يتناسوا واقعهم الدينى المسيحى — على المستوى الداخلى للولايات المتحدة الأمريكية .. فبدلا من أن يطلبوا تبرئة اليهود فان **واجبهم الدينى يحتم عليهم ان يقاوموا اليهود فى داخل البلاد التى يمثلونها ..**

ولنحاول الآن استعراض النشاط الدينى اليهودى داخل الولايات المتحدة نفسها .

لقد حاول اليهود نشر عقيدتهم بين مسيحى أمريكا فلم يفلحوا ، فاتجهوا الى طبقة العمال ، وبذلوا ما فى وسعهم لبث فلسفتهم المالية بينهم ، وهى تقوم على نظرية « أن الحصول على المال هو الغاية ، أما الوسيلة فهى غير ذات موضوع » والدليل على ذلك اننا نرى منهم مرابين ، ولكننا لا نجد فيهم ملوك صناعة . واليهودى لايعمل فى عمل لأنه يميل اليه ولا هو يؤديه حبا فى العمل ذاته ، انما يؤديه لما يجلبه هذا العمل من مال . والرجل الامريكى على النقيض من هذا فهو يفضل عملا يحبه ولو بأجر ضئيل على عمل لا يحبه ولو بأجر كبير ، ولقد كان هذا شعار العمال الأمريكيين فيما مضى ، حيث كان العامل يعتز بمايعمل وبماينتج شأنه فى ذلك شأن المنشىء المبتكر، أما الآن وقد ملك اليهود ناصية الاعمال والبنوك ، فانهم يبثون أفكارهم الهدامة فى المجتمع العمالى الأمريكى . ومنها « احصل على المال بطريقة شريفة اذا أمكن ، والا فبطريقة غير شريفة لان المال هو الغاية »

وذهب اليهود في نشاطهم الى التأثير على ميادين الالعاب الرياضية وألوان الترفيه والمتعة ، وعلى فكرة الامريكيين عن الوطنية وعن المهن التى تتطلب عملا وتدريبا ..

ولم تسلم **الكنيسة المسيحية** من مساعيهم لاشاعة الافكار الهدامة تحت ستار اسماء مستحدثة كمبادىء الاخوان ، والتشجيع على الجدل فى الامور الدينية ، وعدم تقبلها كحقائق لا ريب فيها ، مما يوحى الى الشباب بالتشكك فى عقائدهم ، ونبذ الشرائع التى تقوم عليها الروابط الاجتماعية والعلاقات الزوجية — وما هذا الا تطبيقا لمبادىء البروتوكول السادس

وليس اليهود فى الولايات المتحدة بمضطهدين . بل هم انفسهم المضطهدون للمسيحية بكافة اشكالها ونواحيها ، بكافة اساليبهم السياسية والتجارية ، كما انهم يجاهرون بمعارضة التعاليم المسيحية ، بل انهم يذهبون الى ابعد من ذلك فلا يقرون أن يحلف رئيس الجمهورية اليمين على « **العهد الجديد** » من الانجيل ، لأنهم انما يؤمنون « **بالعهد القديم** » .

ولقد يبلغ اضطهاد اليهود للمسيحيه فى الولايات المتحدة أن يأمروا بأن يزال من المدارس كل ما يوحى الى التلاميذ بأنهم يعيشون فى بيئة مسيحية وفى أمة تدين بالمبادىء المسيحية ..

أما عداء اليهود للمسيحية عموما وللمسيح بصفة خاصة فقد امتلأت بها كتب التاريخ وغيرها — فذكر كتابهم التلمود وغيره من الكتب الموضوعة ، ان يسوع المسيح قد أتى من ولادة غير شرعية ، وسبوه وأهانوا أمه ، مريم ابنة عمران ، اهانات قاسية فى شرفها مع النجار ، وهاجموا المسيحية ، والمسيح ذاته هجوما عنيفا ، فقالوا انه ابن زنا .

وليقرأ السادة المجتمعون فى المجمع المسكونى الموقر — ماكتب عن رسولهم ونبيهم المسيح عيسى بن مريم ، وعنهم بوصفهم أعداء الدين اليهودى فى التلمود واشعيا وفى الكتب الآتية :

١ — **تولدوت يسوع أو حياة يسوع** : « مجموعة اخبار تقليدية تناقلها اليهود عن المسيح .

٢ — **الصهيونيات** : شعر عبرانى حديث نظم فى المقارنة بين اليهودية وبين المسيحية والاسلام فى صورة نابية ، وفى صيغة تهكم لاذع .

٣ — **مؤلفات هنرى هايني**

٤ — **الاناجيل المزيفة التي وضعها اليهود** ، وأثبتوا بها على لسان المسيح والانجيليين ما أثبتوا من سخافات ، وأكاذيب وخرافات فى سفاعة منقطعة النظير ، وتحقير فى سخرية لاذعة .

٥ — **تاريخ الاسرائيليين لربناخ** ..

وأريد أن أكتفى هنا بأن أورد شهادات واضحة جلية أثبتها شهود عيان للعداء المستفحل بين اليهود والنصارى :

● قال القديس « **يوستينوس الشهيد** » فى سنة ١٦٥ م ما يلى :

— « **ان اليهود قتلوا المسيحيين كل مرة استطاعوا الى ذلك سبيلا ، ويقتلونهم كل مرة يستطيعون** »

● وقال القديس « **باسيل** » من كبار مسيحى القرن الرابع :

— « **كان اليهود والوثنيون يقتلون فيما مضى أما اليوم فكلاهما يحارب المسيحية** »

● **وقال « مارسمعان بارسبع » .**

— « **ان اليهود هم أعداء النصارى الدائمون الذين نجدهم فى أوقات العاصفة مقيمين على بغضهم الذى لا يرحم . لا يتورعون عن الصاق أية تهمة كاذبة بنا** » .

● **وقال « ربنان » — « فى نظر اليهود — المسيحية — هى العدو »**

ولعل أعضاء المجمع المسكونى الموقر المجتمعين الآن فى الفاتيكان ينظرون بعين العطف والرعاية الى آمال جميع مسيحيى العالم فيهم — عندما يدينون اليهود بدلا من تبرئتهم ..

تحسين عبد الحى

قراءات في المجلات العربية



يقدمها : مصطفى فوده مصطفى

ربما كانت الترجمات هي السائدة في موضوعات (العربي) لهذا الشهر ، حتى الاستطلاع الشهري الذي تقوم به يكاد يكون تعريفا بشخصية ولو انها مصرية قديمة ، الا أنها شخصية على كل حال . وحتى كتاب الشهر ولو أنه لم يقصد الى الترجمة ، الا أنها استوعبت جزءا كبيرا من الموضوع .

وما دامت تلك هي السمة الغالبة ، فليس أمامنا بد من التعرض لبعض من ترجمت لهم «العربي» حتى يعم التعريف بأعلامنا الأول أكبر حيز ممكن من أرجاء وطننا . وحتى يقف الكثيرون على مواقف أولئك الأعلام الذين أثروا فينا وتركوا لنا تراثا قل منا من يعرفه ، برغم أنه يمثل الأساس الذي يجب أن تبنى عليه عمارتنا الفكرية ، حتى نسلم من الغزو الفكري الذي يهددنا من الداخل ويعمل جاهدا على تقويض ذلك التراث ومحوه من نفوسنا ، وغرس ما لا يتلاءم مع شخصيتنا ذات الجذور العميقة والقيم الراسخة الثابتة المتكئة على حصيلة سنين طويلة من الاخلاقيات ذات النمط المعين المترسب في نفوسنا ، وحتى تكون قفزاتنا في مستقبلنا نابعة من قيم تمثل الارض الصلبة التي تجعلنا نندفع الى أعلا بعزم وقوة ، لأننا حين نتخلى عن ذلك التراث نكون كمن يقفز من الماء لا تكاد قفزته تصل به الى سطح ذلك الماء ، وأنا لا أدعو بالطبع الى الانحباس على ذلك التراث فقط ، ولكنني أدعو الى جعله الاساس ، حتى لا نضل عن اصلنا (ومن فات قديمه تاه) وهذا هو المثل الذي هو حصيلة تجاريب كثيرة لسنين عديدة .

● الأوزاعي :

وممن حدثتنا عنهم العربي (الاوزاعي) وقدم الحديث « زهدي يكن » . والاوزاعي من فقهاء الشام الذين لا يخشون في الحق لومة لائم ، وصفه ابن سعد فقال : ثقة ، مأمون ، صدوق ، فاضل ، خير ، كثير الحديث والعلم ، والفقه ، حجة ، أخذ عنه مالك ابن أنس ومع تثبته في الفقه كان ثبانا في اللغة أيضا ومن أقواله : « اذا أراد الله بقوم شرا فتح عليهم باب الجدل ، وسد عنهم باب العمل » ولقد شاع العمل برأى الاوزاعي في الفقه في الشام والمغرب والاندلس . وللأوزاعي مؤلفات أملاها على تلاميذه منها « الفهرست » و « المسائل الفقهية » وآراؤه « تمثل السنة التقليدية في الفقه الاسلامي » .

وللأوزاعي مواقف تبين شدته في الحق وجرأته فيه « لما دخل عبد الله بن علي دمشق بعد ان أجلى بني امية عنها ، طلب الأوزاعي فتغيب عنه ثلاثة ايام ، ثم حضر بين يديه . قال الأوزاعي : دخلت عليه فسلمت فلم يرد ثم قال : يا أوزاعي ما ترى فيما صنعناه من ازالة ايدي أولئك الظلمة عن العباد والبلاد؟ اجهادا أو رباطا هو ؟ فقلت : أيها الأمير ، سمعت يحيى ابن سعيد الانصاري يقول ان رسول الله قال: (انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى، فمن كانت

هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الدنيا يصيبها، أو امرأةيتزوجها، فهجرته الى ما هاجر اليه » ٠

فنكث بخرزانة فى يده اشد مايكون النكث وجعل من حوله يقبضون ايديهم على قبضات سيوفهم ٠ ثم قال : يا اوزاعى ما تقول فى دماء بنى امية ؟ فقلت: « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يحل دم امرىء مسلم الا باحـدى ثلاث ، النفس بالنفس ، والثيب الزانى ، والتارك لدينه المفارق للجماعة) فنكث بها اشـد من ذلك ٠ ثم قال : ما تقول فى اموالهم ؟ فقلـت (ان كانت فى ايديهم حراما فهى حرام عليك ايضا ، وان كانت حلالا فلا تحل لك الا بطريق شرعى) فنكث اشد ما كان ينكث من قبـل ذلك ٠ ثم قـال : الا نوليـك القضـاء ؟ فقلت « ان اسلافك لم يكونوا يشقون على فى ذلك ، وانى احب ان يتم ما بداونى به من الاحسان » فقال :كانكتحب الانصراف ؟ فقلت « ان ورائى حـرماً ، وهن يحتجن الى القيـام عليهن وسترهن وقلوبهن مشـغولة بسببى » ٠

● العبسى :

والاستاذ (جواد علوش) يقـدم لنا شخصية شاعرة هى (العبسى) وهو ليس أبو الفوارس عنترة ابن شـداد ، كما يتطرق الى الاذهان لأول وهلة ، ولكنه شاعر آخر ولد فى بغداد سنة ٤٤٣ هـ وينتهى نسبه الى قبيلة (عبس) أيضا ، « وكان شـاعرا مجيدا وكاتبا مبدعا ٠٠ يتمتع بمنزلة عظيمة عنـد الأمراء فى ذلك العصر » ٠ كما كانت له مواقف مع أدباء عصره منها : أنه كان فى مجلس الوزيرالعباس جمال الدين أبى على فحضر أبو محمد القاسم بن على الحريرى ومعه أربعون مقامة، قرأ بعضها فى المجلس، وقال انها من صنعته فلم يصدقوه لما فيها من قوة وبلاغة ولما فيه منعدم انسجام الشكل ورثاثةالهيئة، فسأله الوزير عن صناعته وعـرف أنه من المنشئين فرأى أن يمتحنه ليعرف صـدقه من كذبه واقترح عليه موضوعا معينا يكتبفيه (مقامة) فأخذالحريرى ركنا من أركانالديوان مكث فيه زمانا حاول أنيكتب ولكنه لم يستطع ، فقام خجلان آسـفا وقال فيـه العبسى :

شـيخ لنا من ربيعة الفرس
ينتف عثنونه من الهوس
انطقه الله بالمشـان كما
رماه وسـط الديوان بالخرس

ولقد اتصـل العبسى بالخليفة المسترشد بالله وصار أثيرا مقربا لديه فأعطاه مالا ودورا ببغـداد ، عدمها وبنى عليها قصرا عظيما ، غير أن حسـاده وشوا به عند الخليفة واتهموه بالتجسس ، فغضب عليه ، وهدم قصره فهرب ٠ وكان العبسى هجاءقذعا يسلق بلسانه الكبراء والوزراء دون خوف أو وجل وبلا تحرز أو حرج ، من ذلك هجـاء الوزير ضياء الملك :

شـكرت بوابك اذ ردنى
وذمه غـيرى عـلى رده
اعاذنى من قبـح ملقاك لى
وكبرك الزائد عن حـده
فعدت ان اضرع خـدى لمن
ماء الحيـا غاض من خده

ولم يكن من المعقول أن يسكت عنه النـاس وهو يشتمهم فهجاه الآخرون :

هـذا ابن افلح كاتبـا
متفـردا بصـفاته
اقـلامه من غـيره
ودواته مـن ذاته

ولسـانه المقذع هـذا ، كان يسيل رقة عندما يتغزل :

هـذه الخيف وهاتيـك منى
فترفق أيهـا الحادى بنـا
واحبس الركب علينا سـاعة
نندب الربع ونبكى الدمنا
زمنـا كانوا وكنا جـيرة
يا اعاد الله ذاك الزمنـا

***

● وصلنى رد علىكلمة نشرتها فى الاسبوع قبل الفائت ، وناقشت فيها اتجاه بعض أدبائنا نحو أدب اشبه باللامعقول ، هذا الرد من القصاص (ابراهيم اصلان) وها انا اضعه بين يدى القارىء ، وليس لى من ملاحظة على هذا الرد ، الا كثرة الأرجاء التى عمد اليهـا السيد ابراهيم ٠ ولسـت ادرى لم كل هـذا الارجاء ، ما دام قد شاء المناقشة ! على كل لنفسـح الرد بين يدى القارىء ٠

● **حول الاتجاهات الحديثة في القصة المصرية**

بالرغم من أن هناك أزمة حقيقية تمر بها الحركة الادبية عامة في جمهوريتنا ، فان مما لا شك فيه أن ثمة اتجاهات حديثة قد أخذت تتضح في كتابات بعض الموهوبين من القصاصين الشبان .

أما عن الأزمة ، التي قد يظن البعض انها مزعومة، فهي نتاج طبيعي لهذه الانبهارة الحضارية التي يمر بها عالمنا في هذه الآونة الاخيرة.هذا .. ولن أزيد. حيث ان المناقشة قد تضر بالقضية اذا ما حاولنا ان نلم بابعادها في مثل هذه العجالة الموجزة . وهي ابعاد قد تكون واضحة في أذهان الكثير من القراء ، وأرجو مخلصا أن يكون الأمر كذلك .

وأما عن الاتجـاهات الجديدة ، والتي نرجيء ـ ايضا ـ مناقشتها والتعريف بها الى كلمة أخـرى ، مكتفيا بأن أقول أنها قد خرجت عن التقاليد المرعية والقوالب المتوارثة وجمودها ، مؤكدا عـدم لومي للقاريء اذا ما انتابته الدهشـة لهـذا الادعاء من جانبي . وما ذلك الا لأن هـذه الـكتابات لم تعرف طريقها الى النشر بعد الا في أضيق الحـدود ، والى الدرجة التي يمكنني فيها أن أضيف بلا حرج : ان كافة القصص المنشورة في مجلاتنا المعنية لا تعبر عن الوجه الحقيقي للقصة المصرية القصيرة .

ترى لماذا أقول هذه الكلمات ؟

الواقع أن الذي أثارها في ذهني هو مقال الاستاذ « **مصطفى فوده** » المنشور بالعدد ٦٥ من الرسـالة تحت عنوان « ليست رؤيا ولكنها شيء آخر ».والذي تناول فيه واحدا من أصحاب هذه الاتجـاهات ، هو الصديق الفنان « **محمد حافظ رجب** » ، حيث ناقش فيه بعض كتـاباته بصراحة ليست معهودة منـه ـ موضحا أن : (بعضهم قد زعم أنها رؤيا خاصة يراها الفنان ولا يستطيع الا أن يقدمها للناس ليروا معـه ما رأى . غير أني أتساءل : وهل يرى الناس بالفعل ما رآه صاحب الرؤيا الخاصة ؟ لست أعتقد . لاننا حين نرى مثل هذا الفن نسأل أنفسنا بعد الا نفهم شيئا . أما زالت لنا رءوس تحمل عقولا ؟! أم أنهـا انتهت بانتهاء قراءتنا لمثل هذا العمل . أم لعله عقل الآخر ذو الرؤيا الخاصـة ، هو الذي ذهب حين قدم لنا مثل هذا العمل ؟!)

ليطرح القضية بعد ذلك متسائلا ، وعلى المستوى الاجتماعي :

« ما جدوى هـذا النوع من الفن القـريب من اللامعقول الذي تأباه لحظاتنا الراهنـة ، لحظة البناء والتطلع الى مستقبل افضل ؟ »

وكأني بالأسـتاذ مصطفى قد تناسى أن الاجـابة الطبيعية على تساؤله هي أنه لم يصبح من المستغرب بعد ، أن تكون للفنان همومه المعاشية والنفسية التي هي في الواقع نتاج طبيعي ـ مهما كانت خصوصيته ـ لذلك الواقع الاجتماعي .

وانا اذ كنت أشكر الاستاذ مصطفى فوده اهتمامه بمثل هذه التجارب ، ذلك الاهتمام الذي افتقدناه بشكل عام ، الا اني ما كنت أود له أن يسرع بدوره الى تقرير بعض الحقائق التي كانت تتطلب الكثير من البحث والتقصي . فمما لا شك فيه أن حافظ رجب موهبة أصيلة ، وواحد من أبناء جيلنا الذين نعتز بهم ، هذا الجيل الذي شاء له سوء طالعه أن يواكب حالة التقاعس المريرة والاغفاءة المخزية التي راح فيها أفاضل الدارسين من النقاد .

لقد آلمني حقا ان ينتهي الأستاذ مصطفى فوده ، وهو قصاص وواحد من أبناء هذا الجيل ، الى مثل هذه الاحكام القاسية .

ترى هل هو دفاع عن حافظ رجب أو عن اتجاه بالذات ؟. أبدا .. انا لا ازعم لنفسي ذلك. فالأمر متروك للأيام بوصفها المحك الرئيسي الذي يمكننا ان نعول عليه ، ان المسالة قد لا تعدو أن تكون فعلا ، مجرد فوضى محزنة . ولكن عندما نحاول أن نقيم كاتبا أو نحدد اتجاها ، فان الانصاف يقتضينا الا نكتفي ببعض المظاهر لنستخلص النتائج . خاصـة اذا كنا مسـئولين عن الكلمـة التي قد تترك لدى القاريء ، في مثل هذه الحالة ، انطباعا خطيرا مؤداه أن هذه الكتابات مثلا .. انفصام وتعويق لا يتفق و (لحظتنا الراهنة) .

نحن جميعا ابناء هذا البلد ، وكل منا يسـاهم في البناء بطريقته الخاصة ، والفن لن يزدهر الا اذا تعددت الطرائق فيه والاساليب ، وذلك بدوره لن يتأتى الا اذا آمنـا بكتـابات مجددينا من الشبان ووضعناها محل العناية والفحص والتقدير ، ومن ثم التقييم ، الذي يكون عندئذ أقرب الى الصـواب منه الى التخمين ، وحيث يكون انتهاؤنا الى أي من الحقائق ـ الطيبة وغير الطيبة ـ هو انتهاء يرضى ضمائرنا جميعا ..

ابراهيم اصلان



بقلم : محمد العيساوي الجمني
على هامش « حول الشابي »

لفت نظرى – فى البريد الأدبى – العدد ٦٥ من « الرسالة » ما كتبه السيد : عبد الكريم رجب مشيرا فيه الى ماكتبه السيد – مظلوم خضر – عن التحاق « الشابى » بكلية الحقوق التونسية واحرازه شهادتها ١٩٣٠ . كما اشار الى ما كتبه الدكتور محمد مندور فى كتابه .. « الشعر المصرى بعد شوقى» من انه كان يعتقد – بعد قراءته لبعض قصائد «الشابى» ان الشاعر يعرف اللغة الفرنسية . ولكنه بعد دراسته لما كتب عن «الشابى» ثبت لديه أن الشاعر العربى التونسى لم يكن يعرف لغة اجنبية قط .. ومن هنا ازداد اعجابه به .. واطلع السيد عبد الكريم على ماكتبه ابو القاسم كرو والدكتور عمر فروخ واكد كل منهما عدم معرفة الشابى للغة اجنبية البتة .. ولكنه قرا مقدمة «الأمين الشابى» لديوان «اغانى الحياة» وهو شقيق الشاعر .. كما قرا السيد عبد الكريم ماجاء فى كتاب الدكتور زكى المحاسنى «ابراهيم طوقان شاعر الوطن المغصوب» عن «الشابى» وخلاصة راى المحاسنى عن الشابى : انه يستبعد ان يكون «الشابى» يجهل اللغة الفرنسية. استنادا منه على اشاعة فرنسا للغتها فى المدارس التونسية . ولايمكن أن تخلو من ذلك كلية الحقوق او الدراسات العالية ... وينهى الاستاذ : عبد الكريم الموضوع بقوله : « ورايى انا ، هو أن «ابا القاسم الشابى» لم يلتحق بكلية الحقوق التونسية فما راى الاستاذ مظلوم خضر فى هذا الموضوع ؟ وما راى القراء ؟؟

ويبدو لى ان السيد عبد الكريم رجب بنى كلامه على مقدمة الديوان ، الخالية من الاشارة الى التحاق الشابى بكلية الحقوق . خصوصا وكاتبها شقيق الشابى .. كما اعتمد على افتراضات الدكتور المحاسنى البعيدة عن الصحة والواقع . وانا باعتبارى مواطنا للشابى وعربيا من تونس اريد بهذه المناسبة ان اساهم فى ارساء الحقيقة ، وتثبيتها ، وتنقيتها من شوائب الخلاف والافتراضات الخاطئة ، والبعيدة عن المنطق والمعقول والحق . خدمة للحقيقة المنشودة وتصحيحا للتاريخ الأدبى لشاعر يتمتع بسمعة ادبية ، وشهرة واسعة فى الوطن العربى الكبير ، كشاعر للحرية والانطلاق ، ومصور للطبيعة الجميلة الساحرة .

اولا : ان مقدمة «الأمين الشابى» لديوان «اغانى الحياة» مقدمة مبتورة ، وناقصة وغير كافية . وقد قيل هذا من يوم صدور الديوان منذ مايقرب من عشر سنوات تقريبا . فالمقدمة تلك تسيىء الى الى الديوان اساءة بالغة الخطورة . وكاتب المقدمة بعيد عن الوسط الأدبى وعن مجالاته بعدا متناهيا. وليست له من صلة بالأدب والشعر سوى انه اخ وشقيق للشابى فقط . وهذه الصلة لاتكفى وحدها لتاريخ حياة شاعر او كتابة مقدمة لديوانه .

ثانيا : يفترض الدكتور زكى المحاسنى – بناء على خيال مجنح ، وبعد عن الدقة – شيوع اللغة الفرنسية فى التعليم التونسى شيوعا كاملا وشاملا وتخيل او تصور أن كل التعليم الابتدائى والثانوى فيه اللغة الفرنسية . ومن هنا استبعد أن تكون كلية الحقوق فى تونس خالية من اللغة الأجنبية .

ومن هنا استبعد ايضا ان يكون الشابي لايعرف اللغة الفرنسية . والدكتور المحاسني قاس هذا الافتراض على الوضع الثقافي لسوريا ولبنان في عهد فرنسا . واود ان اشير هنا الى الثنائية التعليمية في تونس . فهناك تعليمان ، ومنهجان ، وطائفتان في تونس كما في مصر والمغرب الأقصى . فالمعاهد والمدارس القومية والوطنية في تونس كالجامعة الزيتونية وفروعها ابتدائية وثانوية وعالية تدرس كل المواد العلمية باللغة القومية — العربية — وينطبق هذا على ما قبل الاستقلال — ومن هذه المؤسسات القومية المحضة مدرسة الحقوق التونسية — التي تخرج منها الشابي — وكان يؤمها حامل الثانوية الزيتونية ذات التاريخ القومي البعيد ، والمعبرة عن الوجه العربي الأصيل في المغرب العربي بعامة . وكان خريجوها يعملون غالبا في المحاماة بالعربية في المحاكم التونسية الصرفة اما خريجو الحقوق الفرنسية فيعملون في المحاكم الفرنسية المحضة او المختلطة . هذا الى جانب التعليم الفرنسي الصرف المتمثل في مدارس ابتدائية ، وثانوية ، وعالية . وكان يؤمها ابناء الطبقة الغنية والمحظوظين ، وابناء العائلات ذات الحياة الاقتصادية المركزة الى جانب ابناء الجالية الفرنسية واليهودية وكافة الأوربيين في تونس .

اولا : قسم كبير تمسك باللغة القومية ووقف بحرسها ويدافع عنها ويعمل على ترسيخها وجعلها لغة البلاد الاولى . وكان هذا الفريق لايرى خيرا في تعلم لغة العدو لأن ذلك — في نظره — يضعف اللغة القومية ، ويعمل على محوها ، واحلال الفرنسية محلها . وقد وصل هذا الفريق الى حد التعصب والتزمت ، والموت . ومن هنا ظلت فرنسا منذ دخولها تونس تحارب حماة العربية وحراس التراث العربي ، وتحرمهم من جميع خيرات بلادهم ماديا ومعنويا . والعجيب ان هذا الوضع بقي حتى بعد الاستقلال ..

ثانيا : قسم ثان راى عكس الفريق الأول . اذ راى ان من الخير تعلم اللغة الفرنسية والاندماج في الحياة الفرنسية وتقليدها والتعلق بها باعتبارها حياة متحضرة ومتقدمة ، ومتعاصرة . واخيرا راى ان من تعلم الفرنسية وتغرب كان محظوظا عند اولى الأمر وحصل على حياة رغدة ومستوى رفيع واحتضنته فرنسا بحرارة واخلاص .

وبهذا نكون قد عرفنا ان الشابي قد تخرج في كلية الحقوق التونسية مع عدم معرفته للغة الفرنسية .. ولا ادرى لماذا ياخذ السيد عبدالكريم رجب بالآراء الضعيفة ؟ وكيف يرفض راى كرو ، وفروخ ، ومندور على ما في هذه الآراء من حقيقة وواقع منقول عن النبع الأصلي ؟ وكيف ينحاز الى افتراضات الدكتور المحاسني ، وعدم المام شقيق الشابي في مقدمته بحياة شقيقه الشابي ؟! وانا ارجو ان اكون بهذا التصحيح قد وضعت حدا للجدل في امور مسلمة ولاتحتاج الى مراء . وان اكون قد وضعت الأمور في نصابها . والحقيقة ان السيد عبد الكريم رجب لو ترك الأمر عند استعراض آراء من ذكرهم بدون ان يصر في آخر المقال — تعنتا وعنادا — على عدم دخول الشابي لمدرسة الحقوق التونسية لما اضطررت لكتابة هذه الكلمة .. فالكلمة مسئولية ، واحترامها واجب مقدس ، ومنطقية آراء الفرد وكتابته ضرورة لاغنى عنها بحال من الأحوال ، وترجيح غير الراجح امر غير مقبول ولا مستساغ . وشكرا للسيد عبد الكريم حيث اتاح لي فرصة هذا الايضاح وشكرا للرسالة على فتح صدرها لتوضيح الحقائق الأدبية .

ولم لا ؟!
بقلم فوزي عرفة

في مقالة الاستاذ الدكتور «محمد احمد خلف الله «منطق التفريعات» ثلاث قضايا هامة تستحق التوقف وامعان النظر .

اولاها : قصور فقه الفقهاء عن البت في مسائل المعاملات المالية .

وثانيتها : انه لاينبغي ان نرجع الى الأقدمين في ترسيخ نهضتنا المعاصرة .

وثالثتها : ان الفقهاء كانوا يمارسون رياضة ذهنية بعيدة عن الواقع .

والواقع ان هذه الأحكام السريعة التي اجراها استاذنا الدكتور فيهاكثير من التجني والاطلاق الذى لامسوغ له من تاريخ او واقع .

فاذا كان الفقهاء قد وضعوا لكل زمان ما يعالج مشاكله من الأقضية والاحكام وجعلوا شعارهم «لاينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان» فليس في هذا اى ضير عليهم لأنه يدل **اولا** على حيوية القاعدة

الأساسية التي اشتقت منها الأحكام ، **وثانيا** عن فهم عميق من هؤلاء الفقهاء لروح الأعصر المختلفة التي عاشوا فيها .

والأمر الغريب هو الميل الى فصم الماضي عن الحاضر وفصل التراث عن الواقع . فذلك شطط في القول لأن الاستعانة بالتجارب السابقة في ارساء حياتنا الحاضرة وحضارتنا المعاصرة انما هو — في حقيقة الأمر — تجنب لمزالق قد نتعرض لها اذا ما بدانا بناءنا بلا نظرة سلفية او استفادة تراثية .

واما القول بأن الفقهاء كانوا يمارسون رياضة ذهنية بعيدة عن الواقع وما طبق فعلا ، فذلك رأى ينقصه السند الصحيح . اذ ان الاستقراء الصحيح يدل على ان الفقهاء كانوا يشعرون بالحاجة الملحة الى هذه الأسئلة فعرضوها على انفسهم وحاولوا الاجابة عليها . بل ان بعض الخلفاء طلب بنفسه من الفقهاء وضع قوانين يسير عليها ويستنير بها فيما جد من أمور . ونظرة واحدة على كتاب « الخراج » لأبي يوسف تدل على ماسبق فهو في اول الكتاب يقول « ان امير المؤمنين — هارون الرشيد — سألني ان اضع له كتابا جامعا يعمل به في جباية الخراج والعشور والصدقات والجوالي — اى اهل الجزية — وغير ذلك مما يجب عليه النظر فيه والعمل به وانما اراد بذلك رفع الظلم عن رعيته والصلاح لأمرهم » .

أما ماحدث من رياضات ذهنية فذلك بفعل نكبة الت بالأمة الاسلامية في عصر خمولها ولا ينسحب هذا الحكم على عهود حيوية الفقه ونشاط الفقهاء وازدهار الاسلام واقبال الدنيا على المسلمين .

● الرسالة .. تشكر السيد فوزى عرفة ، وتلفت النظر الى الافتتاحية بهذا العدد للدكتور محمد أحمد خلف الله .

دعوني اغني

للدكتور محمد سعد جلال

سأغني فوق الربى العالية
وعلى سفوح الجبال
وفي الوديان العميقة السحيقة
فدعوني أغني

***

سأغني في السعير المضطرم
وفي المروج الخضر
ومع الرعيان الحالمين
واغني مع الحيارى والكادحين
فدعوني اغني

***

سأغني للدموع المسفوحة
والايدى الجريحة
والاطفال الصفر الوجوه
والامهات الحزينات
فدعوني اغني

***

سأغني للأرض
امنا الأرض
لترى أبناءها الصادقين
ومغتصبيها الظالمين
وضيفاتها السكارى
فدعوني اغني

***

في المحراب المهجور
ومنذ الفجر البعيد
مشيت على الشوك
وصليت للأسى
وغنيت التائهين
فدعوني اغني

***

وقفت على رأس الطريق
في يدي مشعل ملتهب
انادى الحيارى
بين عصف الرياح
وطعن الرماح
دموعي ضاحكة
وجراحي ترنيم
فدعوني اغني

***

يامن اعياهم المسير
وسلومهم الخوف
واوحشهم الظلام
وزينت لهم الراحة
دعوني اغني

***

سامضي على الدرب وحدى
طريقي مفتوحة
وليلي مضيء
ومعشوقي يناديني
فدعوني اغني
ابدا اغني

نعمات

بقلم عباس محمد عباس

أنا متعب للغاية . ويبدو انني لن اظفر بمقعد خال في هذا القطار المزدحم .. هل ساقدر على تحمل السفر من الاسكندرية حتى القاهرة واقفا على قدمى ؟ .. فلقد استطعت يوم الاربعاء ان اصرخ في زوجتى انت طالق .. ومادمت قد طلقت نعمات فانا استطيع بالتاكيد ان افعل اى شيء آخر .. الدنيا برد ، وياقة قميصى متسخة .. ولكن المهم ان اجد لنفسي مقعدا .. ربما أجده في العربة الأخيرة من القطار ... من فضلك هل يمكنني ان اجلس الى جوارك في هذا المقعد .. شكرا ... دائما لا اجد لنفسى مكانا الا في آخر الطابور .. اى طابور .. حتى طابور المدرسة كانت قامتى القصيره تدفعنى دائما الى آخره .. دن .. دن .. دن .. هاهو القطار يتحرك اخيرا .. بعد عدة ساعات سارى امى ، وقبل ان اتكلم سادفن وجهى في صدرها وابكى .. ستضطرب قليلا لدموعى ولكن في حمى نظراتها الاليفة سأفتح لها صدري وسأتكلم كما لم اتكلم من قبل .. حياتى كلها قضيتها قليل الكلام ، لا أعرف كيف اشكو ولكن هذه المرة ساشكو وسابكى واذا لزم الأمر ساالقى بنفسى على الارض واعض البلاط واصرخ واصرخ حتى اجن ... **(شاى .. قهوة .. شاى .. سميط طازه .. تذاكر من فضلك .. تذاكر)** .. لو انام قليلا حتى ولو عشر دقائق فقط ربما استطيع ان ازيح عن راسى هذا الصداع الخبيث .. الرجل الجالس امامى بوجهه السمين ومعطفه الاسود الغليظ يبدو الى جوار زوجته راضيا تماما ... يحتمل انه تناول غداءه بطة سمينة ملظلظة كزوجته .. زوجتى نعمات نحيله ولكنى احب تقاطيع جسدها وقبلاتها السريعة المنمنمة التى تفرشها احيانا بلا حساب على صفحة وجهى .. كل شيء انتهى .. نعمات لم تعد زوجتى ولكن مكانها مازال محفورا في فراشى .. لم استطع ان آخذ كفايتى من النوم منذ تركت البيت ومع ذلك سوف اعتاد الامر .. فليس من الضرورى ان يكون للانسان زوجة لكى يعيش ... الطبيب قال لى عندك انيميا حادة وكتب لى روشتة مفجعة لطابور طويل من الادوية بخمسة جنيهات .. لو كان معى خمسة جنيهات ما طلقت نعمات .. هذا الطبيب لا يعرف شيئا .. ونعمات هى الاخرى لا تعرف شيئا والا ما كانت تسدد الى وجهى هذه النظرات القاسية وكانها تقول لى انك لا شيء .. لا بل قالتها مرة باللسان ايضا .. كنت اسلمها كالعادة مرتبى في اول الشهر فقالت : انا لا اعرف كيف لا تخجل حينما تمد يدك للصراف لتقبض هذا المرتب التافه .. نعمات لا تعرف اننى اخجل بالفعل ليس من الصراف فقط ولكن من بواب العمارة ايضا كلما يناديني ياسعادة البك .. عم عبد الفتاح البواب هو الآخر لا يعرف شيئا .. وربما حتى لا يعرف ان الالقاب نفسها قد الغيت ... ايجار شقتى سبعة جنيهات ونصف .. ما كان ينبغى ان ارضخ لنعمات واسكن بكل هذا المبلغ .. على العموم سأترك هذه الشقة وسأسكن بثلاثة جنيهات فقط .. رضيت نعمات بذلك ام لم ترض .. آه كانى نسيت .. نعمات لم تعد زوجتى .. نعمات لم يعد لها راى في شيء .. مرة أخرى احمل حياتى وحدى .. وحدى ..

القطار يتحرك على قضبانه ونظرات الرجل الجالس امامى تتحرك هى الاخرى ولكن بلا قضبان .. انه ينظر الى لعله يقارن وجهى المصوص بوجهه السمين ، وربما يقارن جلستى المنكمشة من البرد بجلسته المطمئنة في معطفه الاسود الدافيء .. تمنيت دائما امتلاك معطف لم يكن لى قط .. البرد كريه ، وليس احب الى من الدفء .. الرجل يتحدث الى زوجته وكل كلمتين يقول لها يا ام رجاء ... كان لى بنت اسمها هدى ماتت وعمرها عامان .. كانت لها كف صغيرة جدا ، ورائعة جدا ولا سيما حين تكورها .. ولكنها كانت دائما في حاجة الى طبيب ، كل الأطباء لا يعرفون شيئا حتى انا قرات

الكثير من الكتب ومع ذلك لا اعرف شيئا .. دائما اتعارك مع زملائى فى العمل ... وفى البيت اتعارك مع نعمات .. نعمات طيبة ولكن لسانها طويل سريع الطلقات تقول كل شىء يجول بخاطرها .. انا اقرأ افكارها دون أن تقولها ومع ذلك تقولها .. انا اعرف اننا فى حاجة الى مزيد من النقود ولكن لكى تقول لى هذا طوال الوقت فذلك مالا يطاق .. قلت لها اسكتى فقالت لن اسكت .. لن اسكت .. لن اسكت .. فقلت لها اذن اذهبى انت طالق .. كلمة ما فكرت يوما انى سأنطقها ومع ذلك قلتها .. وتركت البيت وسرت فى الطرقات عدة ساعات وحينما عدت لم أجد نعمات .. الطريق مازال طويلا .. والقطار ينهب الارض وكانه ثعبان يأكل القضبان ، والشمس تضع قرصها بحرص على الافق .. والحقول تبدو فى حمرة الغروب وكأنها تتهيأ لحريق كبير .. خيرلى ان اموت فاستريح .. بعد قليل سيأتى الليل .. اريد أن اصرخ صرخة خرافية يتصدع لها الكون .. (سميط .. بيض .. جبنه .. شاى .. قهوة .. اظن المحطة القادمة هى طنطا أليس كذلك ؟ .. مولد السيد البدوى فى العام الماضى كان مزدحما .. ابى رحمه الله كان يزور المولد كل عام .. شكرا .. انا لا ادخن .. اخوتى ستة كلهم يدخنون الا انا .. انا لا يهمنى ارتفاع ثمن السجائر .. الطعام فقط هو الذى يهمنى .. ها .. ها .. ها) .. نعمات ذات مرة قالت لى وهى تضع سبابتها اسفل ذقنى احبك يا احمد .. قالتها فى شقاوة ولكن فى اخلاص .. نعمات لاتعرف الكذب وليتها كانت تعرفه .. (الحرب لن تقوم .. بالعكس الحرب من الممكن أن تقوم فى اى وقت) .. ليتنى استطيع ان اشعل حربا تنهى كل شىء .. فما جدوى بكائى على صدر امى .. بل ما جدوى ذهابى كل يوم الى المصلحة اواجه رئيسى المتعجرف وزملائى الشاكين وعملى التافه .. نعمات هى الآن عند اهلها فى شبرا .. لو لم أكن قد طلقتها لكنت ذهبت فور وصولى الى هناك .. انا احب بيتهم ومنظر شارعهم المزدحم وطريقة ترحيب امها .. لو ذهبت الآن الى هناك ما وجدت ترحيبا وربما لن امس بقدمى أرض شبرا كلها بعد ذلك . فليس لى منها غير هذا البيت .. لو سافرت فى اول النهار لكنت لحقت بابيها الاسطى عبد الجواد فى عمله بالمطبعة الاميرية وربما استطعت الى جوار حروف الرصاص ان اعتذر اليه . فالرجل طيب ويذكرنى بابى بل يخجلنى ان يغضب منى ولا شك ان دموع نعمات اغضبته .. لا بأس . سانتزع امى من فوق سجادة صلاتها لاقول لها ما اشاء ولأبكى على صدرها كيف اشاء .. الليل بلا قمر وبلا دفء يغطى الحقول فى صمت كريه .. تبدو ضجة القطار من خلاله كاستغاثة يائسة فى وجه هلاك محقق .. والناس فى القطار يتهيأون للوصول .. ! خذى الحقيبة يا ام رجاء .. عشر دقائق ونصل .. لا هناك ربع ساعة على الاقل ؛ فالقطار يهدىء من سرعته عند شبرا فهناك ترميم فى القضبان .. انه ليس مجرد ترميم .. انهم يبنون محطة جديدة .. لمدخل القاهرة الجديد على ما اظن ؟ .. هو ذاك فالمحطة الحالية اصبحت قديمة بالفعل ! وكئيبة ايضا فما ابشع هيكلها الحديدى بهندسته الانجليزية .. ليت القطار حينما يصل اليها لا يتوقف بل ينطلق محطما هيكلها الكبير الى الخارج يحرث شوارع القاهرة حتى الجيزه .. بل حتى حارة العوادلى نفسها حيث امى على سجادة صلاتها اوعلى اريكتها العتيقة امام عدة القهوة .. امجنون انا ؟ ! .. قطار بلا قضبان ! .. قضبان القطار كقضبان السجن كقضبان شباك الصراف اشياء لابد منها (خذ حبتين من الاسبرين وكوبا من الشاى قبل أن تنام .. انا افعل ذلك دائما حينما اشعر ببوادر الانفلونزا .. الم اقل لك ها هو القطار يهدىء من سرعته . تعال الى جوارى هنا وانظر هذه المظلة الكبيرة التى يعمل فيها العمال على ضوء المصابيح .. خلفها تماما يقع الطريق الجديد الذى سيكون مدخلا للقاهرة .. زىء .. زىء .. يبدو ان القطار سيتوقف .. لقد توقف تماما .. ما الذى يحدث ؟ يظهر ان التصليحات توشك ان تبلغ نهايتها) .. ثمة كلمات فى الصدر يجب ان اقولها .. وثمة دموع فى العين يجب ان اسكبها .. الدموع .. اين الدموع ؟ .. ليتنى ابكى الآن .. حاسب يا سيد .. الى اين ؟ هذه ليست محطة .. هذا الرجل مجنون من غير شك .. إنه يسير على القضبان كأنه ابو قردان .. عمرى مارايت رجلا قصيرا وعبيطا الا هذا .. يا اخى دعك منه فربما يسكن فى شبرا ولو . يا اخى هناك محطة دعك منه انزل حقيبتك هنا الى جوارى فالقطار يتحرك من جديد .

عباس محمد عباس



الثقافة والارشاد القومى

العدد ٦٧

الثمن ٣

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

في هذا العدد

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من خارج ج.ع.م.

الإدارة :
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد ـ القاهرة .

الاتجاه التفسيري في النقد

بقلم: عباس خضر

سمعت كاتبا كبيرا مرموقا من كتابنا القصصيين، يتناول النقاد قصصه بكثير من التفسير والتأويل ـ سمعته يقول **انه يأسف لأنه لا يستفيد شيئا مما يكتب عنه من النقد ..**

وكنت قد سمعت ايضا استاذا من أساتذة الجيل يعلق على تفسيرات ناقد كبير لاحدى مسرحياته **بانه لم يقصد الى أى شىء من تلك التفسيرات ..**

واخيرا قرأت المقال المضىء الذى كتبه فى الزميلة « الثقافة » بالعدد (٦٦) الاستاذ الكبير **محمد فريد أبو حديد** بعنوان **« الخط المستقيم فى تفسير الأدب »** بين الاستاذ أن تعبير الكاتب يصل الى القارىء بطريق الخط المستقيم دون التواء أو تعريج ، سواء أراد الكاتب تصوير تجربة واقعية أم قصد الى تجربة متخيلة عن طريق الرمز ، ثم قال :

« لكل هذا عجبت اشد العجب من التفسيرات الرمزية التى اطلعت عليها فيما كتبه بعض النقاد فى تفسير بعض القصص الحديثة التى ارادوا أن يفهموا منها وان يفهموا غيرهم انها ذات دلالة رمزية لامور لاتخطر على البال من قراءة تلك القصص ، بل تهيم بهم فى متاهات كثيرة من الافتراضات والاوهام ولا تنقل من المعنى الحقيقى شيئا ، فتكون النتيجة هى تضليل القارىء عن المعنى المقصود »

***

واذا اضفنا الى هذا الاتجاه النقدى الموغل فى الافتراضات البعيدة عن قصد الكاتب والمضللة للقارىء ، اتجاها آخر مماثلا من حيث تفسير مايرمى اليه الكاتب بطريقة تشبه طريقة عرض صور « **صندوق الدنيا** » التى تقول : **« اتفرج ياسلام ! شوف عندك كمان عزيزة ويونس يا سلام ! »**

مع الفارق بين الاتجاهين من حيث مايبدو من العمق المقيم فى الاول والسطحية الساذجة الاكثر عقما فى الثانى .

اذا اضفنا هذا الى ذاك ونظرنا الى ما يضيعانه من جهد الناقد ووقت القارىء ، فاننا نأسف اذ نرى ذلك كله لايحقق شيئا ، لا للكاتب كما قال

الكاتب القصصي الكبير الذي بدانا بالاشارة اليه ، ولا للقارىء كما أوضح الاستاذ فريد أبو حديد .

***

ان النقد بذلك يتحول الى منهج « **الشروح والحواشي** » الذي ثار عليه المصلحون في الازهر منذ بدء نهضتنا الفكرية الحديثة ، اذ رأوا انه لا يؤدي الا الى تكوين عقليات جدلية تعتمد على المماحكات اللفظية والاشتباكات الذهنية العقيمة .

واذا أوغل ناقدونا في ذلك المنهج – منهج التفسير والتأويل – فلا يبعد أن نرى أحدهم يؤلف كتاب « **منتهى التحقيق في شرح الطريق** » أو « **جنى الثمرة من باطالع الشجرة** » أو « **الوان من التخريف حول السمان والخريف** »

الواقع أن القراء يقرأون الاعمال الادبية فيفهمونها ويدركون مرماها ، ولكنهم حين يقرأون مايكتب النقاد في تفسيرها بتلك الطريقة يستعصي عليهم الفهم ويلتوي الادراك ، وينقلب التفسير بهذا الى عكس مايراد منه .

والعمل الادبي اذا لم يحقق غايته في نفس القارىء مباشرة – اي بدون تفسير او تأويل – فذلك اما لنقص فيه أو في ادراك القارىء . ولن يجدي التفسير والتأويل – في هذه الحال أو تلك . شيئا .

***

ماذا يبغي القارىء من الناقد ؟

هل القارىء طالب كأي طالب في مدرسة يقف منه الناقد موقف المدرس فيشرح له الدرس وييسر له مايصعب عليه تحصيله من تلقاء نفسه ؟

هل القارىء انسان ضعيف يستبد به الناقد فيصب على رأسه كل ما يعن له وما يريد أن يقوله هو مهما كان بعيدا عن العمل الادبي نفسه ؟ ولماذا اذن لا يقول مايريد في مقال مستقل دون أن يتسلق نصا أدبيا بدعوى النقد ؟

هل القارىء تائه حائر لا يعرف طريقة يقرأ بها الأدب ، فينتظر ناقدا كالدكتور لويس عوض يشرح له الطريقة أو الطريقتين التي يقرأ بهما رواية كرواية « **الطريق** » لنجيب محفوظ ، فيقول له « **هناك طريقان تقرأ بهما رواية « الطريق » لنجيب محفوظ، وكلتاهما تعطيك ما تطلبه من متعة . .ما الطريقة الاولى فهي ... الخ** » ؟

هل الرواية سمك روسي مجمد .. بعد أن ينقع في الماء والخل والليمون نصف ساعة .. لك أن تشويه أو أن تطبخه في صينية بالبصل والطماطم .. وكلتا الطريقتين تعطيك ماتطلبه من غذاء وحسن مذاق ؟!

لا، ان القارىء يعرف كيف يقرأ وكيف يفهم ، وانما يبغي من الناقد أن يفكر معه في قيمة ما يقرأ ويشاركه في محاسبة المؤلف ومجازاته على صنيعه ان أحسن أو أساء ، ويبغي كذلك أن يبين له الناقد وجه الاحسان أو الاساءة .

***

وكذلك يريد الكاتب الجاد من الناقد أن يبصره بما لم يوفق فيه ، وأن يقره على ما احسن به ؛ مطبقا ما يقول على ما علم من أصول الفن .

وتريد الحركة الأدبية من الناقد أن يعين موضع النص الأدبي منها وجدواه فيها .

ويريد المجتمع أن يقف على ما اداه اليه الكاتب بالوسائل الفنية لا بالخبط في المتاهات والتشعب بالتأويلات .

ونقول باجمال اخير : ليست وظيفة الناقد ان يسرح بالقارىء ويتوهه .. وليست مقصورة على الكلام عن الموضوع والأهداف ، بل هي تناول العمل الأدبي في عناصره الفنية وماذا ادت ، وهل أدت ما أدت بصدق وحسن استخدام لوسائل الفن ام زيفت وافتعلت .

ليس محظورا على النقد أن يتحدث عن المرامي بل ان هذا من عمله ، ولكن لابد أن يبين كيف استخدم الفن في الوصول الى المرامي ، **وبهذا وحده يكون نقدا ادبيا ، لا مجرد كلام عن اي شيء اولا شيء ...**

كشكول

● كتب كلام كثير فى تمجيد « **جان بول سارتر** » لرفضه جائزة نوبل . لم يدخل عقلى شىء من كل ما كتب فى تعليل هـذا الرفض .. كيف تحرج الجائزة مبادئه ، وكيف تشوه كفاحه ، وكيف تتعارض مع الاستمرار فى اتجاهه .. الى آخر ما قيل ؟!

لقد منحت جائزة نوبل ايضا للدكتور « مارتن لوثر كنج » وهو من ابرز الزنوج الامريكيين الذين يكافحون التفرقة العنصرية ، فقبلها ، وقال انه سينفق قيمتها فى العمل على اقرار حقوق الزنوج والقضاء على التفرقة العنصرية . وهـذا كلام معقول .

انى أعتقد ان « **سارتر** » رجل عظيم بمواقفه المعروفة وانتصاره للحق والحرية . ولابد ان يكون لديه من أسباب رفض الجائزة غير هـذا الذى يقال ..

قد يكون الرفض لسبب اعمق .. قد يكون لاحتجاج ــ فى اعماقه ــ على انه لم يمنحها من قبل على حين منحت لمن هو اقل منه ..

● بعض الادباء غير المتمكنين من اللغة العربية يلقون أحاديث فى البرنامج الثانى للاذاعة فينطقون اللغة نطقا غير لائق بهم وبالبرنامج الثانى الذى هو وجه من وجوهنا الثقافية .. وهؤلاء الادباء يكتبون كتابة لا باس بها ، **ولكن النطق فضيحة .. وهم** لايدرون بها ..

وهى مشكلة .. لابد أن يفكر فيها المشرفون على البرنامج ، **وارى فى حلها أن يتراخى المشرفون فى دعوتهم وفى اجابة من يتقدم ..**

● يقول الاديب « صلاح زاهر » ــ فى رسالة الى ــ انه يلاحظ ان برنامج **« مع النقاد » بالبرنامج** الثانى للاذاعة يقدم كتبا اقل قيمة من كتب اخرى تهمل .. ويسال : **على اى اساس يختار البرنامج الكتب التى يناقشها النقاد ؟**

والسؤال جدير بالاجابة ، والاجابة تفصل فى الملاحظة ..

● صدرت اخيرا عن مؤسسة التاليف المجموعة القصصية الاولى «**الكوخ**» **للقصصى الشاب « حسن محسب »** وهو من القلة فى شبابنا التى تحسن كتابة القصة القصيرة .

● بعض الأدباء الشبان يريدون أن يبدؤوا انتاجهم بمحاولات جديدة فى الادب .. وهذا الاتجاه خطا ،ولن تكون له نتيجة الا ضياع طاقاتهم فى الهباء . عليهم اولا ان يستكملوا عدتهم ويرسخوا اقدامهم ، وبعد ذلك يكون الانطلاق .

● اقترحت لجنة النشر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، تاليف لجنة من بعض اعضائها لكتابة **سجل ادباء القرن العشرين** ثم التاسع عشر الذى وافق عليه المجلس ، على ان يكون منهجه التعريف الموضوعى الموجز بكل اديب وباهم مؤلفاته .

ومن اغراض هذا المشروع تلبية مايرد من هيئات ثقافية بالخارج من اسئلة عن الحركة الادبية واعلامها فى الجمهورية العربية المتحدة .

● **الدار المصرية للتاليف والنشر تعمل الآن على اصدار مجلة باسم « الفكر المعاصر » يراس تحريرها الدكتور زكى نجيب محمود وتهدف الى ربط الفكر العربى الحديث بالفكر العالمى .**

ويلاحظ انها ستكون تكرارا لبعض المجلات التى تصدرها الآن وزارة الثقافة والارشاد القومى . الى جانب تعدد الاجهزة التى تصدر المجلات الثقافية .

عباس خضر

من جنايات الإقطاع على الأدباء

للدكتور: أحمد محمد الحوفى

ارايت الى الاســود تعيش فى الغابة تفترس حيوانها ، وتفزع ما بها ، وتحيا من دماء غيرها ؟ ارايت الى النمور والذئاب والضباع ، قويها يقتات بجثث ضعيفها ، فيختصر حياة غيره ، ويطيل حياته ؟ ذلك حال المجتمع الاقطاعى ، يستنزف القوى فيه جهود الضعيف وخبراته وثمراته ، ويسخره لمطامعه وشهواته ، ويضن عليه حتى باللقمة الهينة والكساء الواقى ، ورعاية القيمة الانسانية . ولهذا النظام الاقطاعى شرور شتى يعنينا منها فى هذا المقال مايتصل بالاديب العــالم : **ابى حيان التوحيدى .**

وقد يكون من نافلة القول أن نتحدث عن عزازة الكتب على مؤلفيهــا ، وامتزاجهم النفسى بهــا ، وحرصهم على خلودها ، حتى لكأنها فلذات من اكبادهم .

***

فما لهذا الاديب المتفلسف يقدم للنار احد عشر ولدا من بنيــه ، وربما كانوا أكثر من ذلك عددا ، ليس فيهم خامل ولا متخلف ، وليس من بينهم الا من ينافس اخوته فى العلاء والبهاء ؟ لو انه كان ضالا ثم اهتدى لقلنا انه فاء الى الحق ، فرأى الايضل الناس ، لكنه عرف منذ صباه بالفهم الى المعرفة ، وبالاقبال على دراســة الشريعة واللغة والادب والفلسفة ، وكان نافذ البصيرة فلم يمسه بلبال الفكر ، على الرغم مما حاول حاسدوه أن يلصقوه به بعد وفاته .

فهل نســتطيع ان نتبين البواعث التى زينت لصاحبنا ان يقترف فعلته ، وان يرضى عما اقترف ، ويحاول بما أوتى من مقدرة بيانية أن يبرره ويعلل له ؟

اننا نستطيع ان نجمل هذه البواعث فى نوعين : **نوع يرجع الى طبعه ومزاجه . ونوع يعود الى** المجتمع الذى عاش فيه وخالطه ، وبخاصة وزراؤه وحكامه وكتابه .

اما مزاج ابى حيان فقائم على انه كان متوفر الحس ، عصبى المزاج ، سريع التقلب ، شــديد الطمع ، طلعة الى المال ، تواقا الى عطاء الوزراء ، مشغوفا بعلاء القدر ، معقود الامل على ان يرتفع به أدبه وعلمه الى الثراء والجاه والوجاهة بين الناس .

فقــد راى ادباء يتولون الوزارات ، ويصرفون شئون الملك ، وراى ادباء يتصلون بالأمراء والوزراء مادحين او مستظلين ينعمون بالثراء والمظهر الكريم ، فتطلع الى ان يكون مثلهم . واذا كان لا يستطيع ان يصوغ قصائد المديح التى تقربه الى الكبراء ، فانه عالم اديب يستطيع ان يتقرب اليهم بما يؤلفه لهم من كتب ، وبمــا يســامرهم به من طرائف الثقافات .

***

ويبدو ان ابا حيان سبق عصره الى ما نسميه اليوم منحة التفرغ ، وما من شك فى ان هذه فكرة

كانت بعيدة عن الأذهان فى عصر ابى حيان وبعد عصره .

وذلك ان الدولة تكفل اليوم لكثير من اصحاب المواهب ارزاقهم زمنا معينا ، ليفرغوا لعمل ادبى أو علمى أو فنى ، لأنه ليس أقتل للشغف بالانتاج من زحمة الوقت بكسب الرزق .

هكذا كان أبو حيان يتطلب من معاصريه ومن الوزراء العلماء الأدباء بخاصة ، لأنهم احق الناس بتقدير العلم والأدب .

وهذا هو السبب فى اتصاله بأبى الفتح ابن‌العميد والصاحب بن عباد . وابن سعدان والمدلجى .

ولكنه كان قليل الخبرة بما يجب ان يتذرع به مخالط السـاسة من لباقة ودهاء وكياسة ، هذا الى اعتداده بعمله ، وحدة لسانه ، ومضاء قلمه . وصراحته الكاشفة عما بنفسه .

ولهذا ضاق بالاقامة أو ضـاقت به الاقامة فى رعاية الوزراء الذين كانوا اكابر وزراء العصر ، ولم ينل من تخديرهم وعطاياهم ما أمل ، فسلط على ابن العميد والصاحب بن عباد لسانه تارة وقلمه تارة ، ونظر الى الناس جميعا نظرة الحانق‌الحاقد .

على انه لم يكن ليصبر على عمل يتحرف به كالوراقة والنسخ ، ولم يكن يرضى عملا متصلا بالعامة كالقصص والوعظ ، اذ سئم الوراقة والنسخ بعد زمن قصير ، ورفض القصص والوعظ .

واما المجتمع الذى خالطه ابو حيـان فانه كان مجتمعا اقطاعيا لم يقدره قدره ، ولم يسعفه بما كان يتشـهاه من ثراء يرضى كبرياءه ، ويكفل له رغد الحياة .

ذلك ان العامة لم يكونوا ليفهموه ، وانى لهم ان يفهموا الأدب الرفيع المفلسـف ، او يدركو العلم المؤدب ؟ وانى لهم أن يتصـلوا بعالم اديب يترفع عليهم ، ويزرى بمن يخالطهم ؟ .

***

واما الخاصة الذين ناط بهم آماله فقد خذلوه ، لأنه اتصـل بثلاثة من وزراء آل بويه ، احدهم أبو الفتح على بن العميد وهو ابن ابى الفضـل صاحب الطريقه المعروفة فى النثر الفنى ، والآخر الصاحب بن عباد الوزير الأديب العالم الذى ذاع كرمه واغداقه على مادحيه، حتى قيل ان خمسمائة شاعر من اصحاب الدواوين الشعرية اشادوا به وانه كان يجزل عطاءهم، ويقربهم، ويعرف اقدارهم، بل ان عطاياه كانت تصـل الى من فى بغداد ومكة والمدينة من شـعراء وكتاب ، وتصـل الى أولاد العلماء والأدباء .

ولكن أبا حيان اخفق فى الانتفاع من هذا وذاك ، فهجاهما فى كتاب سماه : (مثالب الوزيرين) بقيت منه فصـول فى معجم الأدباء ، ثم طبع كله منذ ثلاث سنوات .

ثم اتصل بابن سعدان ، وبرقت فى الأفق بشائر بان الحظ واتاه ، وانه سيكون اثيرا عنده ، ونسخ له كتاب الحيوان للجاحظ . كان ابو حيـان جميل الحظ ـ والف له رسالةالصداقة، وسامره بما دونه فى كتابه (الامتاع والمؤانسـة) .

غير انه لم يبلغ ما كان يتطلع اليـه من وظيفة او مال ، لأن الوزير تشـاغل عنه ، وتغافل عن مثوبته حتى يئس أبو حيـان ، وطال به يأسه ، فلم يجد لنفسه خيرا من أن يتصوف ، وكان تصوفه من طراز رفيع يغاير ما تعارف عليه معاصروه ، حتى ان بعضهم وصفه بانه امام فى المتصوفه لانظير له . لكن هـذا لم يرق خصـومه ، فرموه بالزندقة ، ووصموه بالكفر ، وهم ظالمون له وللحق ، فان كتابه (الاشـارات الالهية) كفيل بتبرئته مما افتروا عليـه .

عاش أبو حيان بائسـا ، يائسـا ، خشن المضجع، نزر المال ، متمردا على سوء حاله كلما غالب الايام لينال منها رغبته‌من الحياة غلبته، وكلما اتصل بوزير ليأنس فى رحابه ، ويستمتع برفاهة العيش كما يستمتع من هم دونه تنكر له الحظ، وبدل امله خيبة، وبسمته عبسه ، وفرحته ترحة .

لقد كنا نتوقع منه ان يقدم على اية فعلة الا ان يحرق كتبه التى وصل الينا منها احد عشر ، ولكنه خيب ظنوننا كما خيبت الايام آماله ، فجمع مؤلفاته، وأوقد النار بيديه ، ورمى بها فى النار التى اوقد .

***

ولا شك انه أراد باحراقهـا ان يمحو ماضيه ،

وان يقطع بالادب صلته ، وان يعبر عن سخطه على المجتمع . والعجب انه لم يأسف على ما ارتكب، فقد عاش بعد ذلك اربعة عشر عاما كانت كفيلة بان يراوده الحنين الى القلم ، لكنه ما احس بالم ، وما حن الى قلم . واعجب من ذلك انه لما احرق كتبه ارسل اليه القاضى أبو سهل على بن محمد يعذله على فعلته ، ويعرفه قبح جنايته ، فرد عليه بكتاب طويل فى اكثر من مائة سطر ، حاول فيه أن يبرر عمله ويدافع عنه .

وكتابه هذا هو الوحيد فى الأدب العربى الذى يصور فعلة كهذه .

اما خلاصة دفاعه فهى :

١ ــ ان كل حى مصيره الى الفناء ، الا الله سبحانه .

٢ ــ وانه استخار الله فى احراقها ، فاطمأن الى رضاه .

٣ ــ وهذه الكتب لم تنفعه اى نفع ، فقد عاش معدما ، ولم تكسبه الوجاهة بين الناس .

٤ ــ على انه لم يجد من يفهمها ويقدرها فى حياته ، فكيف بعد وفاته ؟

٥ ــ وخشى أن يتخذها قوم بعد وفاته وسيلة للنيل منه ان كان بها سهو أو غلط ، لأنه عاين منهم فى حياته تحاملا عليه ، وترصدا لهفواته .

٦ ــ وقد نيف على الثمانين ، فلم يبق فى نفسه امل فى مجد أوغنى او لذة بالحياة .

٧ ــ على حين ان خلانه ماتوا ، وهو يوشك أن يلحق بهم .

٨ ــ وله أسوة بالعلماء الأئمة الذين دفنوا كتبهم او اغرقوها او احرقوها أو مزقوها ، وضرب امثلة لهؤلاء : كابى عمرو بن العلاء ، وداود الطائى ، ويوسف بن اسباط وابى سليمان الداراني ، وسفيان الثورى وأبي سعيد السيرافى .

٩ ــ وقد اطمأن الى أن الشهرة بهرج وزيف، والى ان العبرة بالرضا والعمل الصالح ، والحرص على الكتب كالحرص على الذهب والفضة ، وسيموت صاحب الكتب ، ويموت صاحب الذهب ، ولاخير فيما جمع هذا وذاك .

١٠ ــ واعتذر بانه احرق كتبه فى حال يأسه ، وفى مرضه الموصول بالعسر .

١١ ــ ثم ختم اعتذاره بان احراقها قضاء ، لم يكن بد من وقوعه .

ولكن هذه المعاذير كلها خطابية ، ليس من بينها سبب واحد يصح أن يحمله على احراق ثمرات قلبه وعقله ، بل هى ضرب من المغالطة الماهرة .

ومع ذلك فاننا لا نستطيع الا الاشفاق عليه فى قوله: « وكيف اتركها لاناس جاورتهم عشرين سنة، فما صح لى من احدهم وداد ، ولا ظهر لى من انسان منهم حفاظ ؟ ــ ولقد اضطررت بينهم بعد الشهرة والمعرفة ــ فى أوقات كثيرة الى أكل الخضر فى الصحراء ، والى التكفف الفاضح عند الخاصة والعامة ، والى بيع الدين والمروءة ، والى تعاطى الرياء والنفاق ، والى مالايحسن بالحر أن يرسمه بالقلم ، ويطرح فى قلب صاحبه الألم . وان زمانا أحوج مثلى الى ما بلغك لزمان تدمع له العين حزنا واسى ، وينقطع عليه القلب غيظا وجوى ، وضنى وشجا .

فلم تعنى عينى ــ ايدك الله ــ بعد هذا بالحبر والورق والجلد والقراءة والمقابلة والتصحيح وبالسواد والبياض ؟ .

غفر الله لك يا أبا حيان

لو لم تسلم من عوادى الدهر نسخ من كتبك كانت بايدى غيرك لفقدت المكتبة العربية رافدا ثرا عذبا مازلنا نستقى منه فنروى، ونعجب كيف تغافل عنه معاصروه ، وليس فى سابقيه من يماثله غير أستاذه الجاحظ .

غفر الله لك يا أبا حيان

لقد أردت لكتبك العفاء ، واراد الله لها البقاء ، وتمنيت المجد لنفسك فى حياتك فجاء المجد لكتبك ولك ، ولكن بعد مماتك .

والحق أن اللوم مشترك بينك وبين المجتمع الاقطاعى الذى اهملك وتغافل عنك فاسخطك كما اسخط كثيرا من العلماء والأدباء .

د. احمد محمد الحوفى

الفلاح في الشعر العربي وتصوير شقائه

بقلم: محمد عبد الغني حسن

لعل تصوير شقاء الفلاح وكدحه وحرمانه من ثمرات ما يكدح فيه ، وتحكم ملاك الارض في رزقه ورزق أولاده ، ورضاه باليسير من الرزق ، والبلغة من العيش ، وصبره على الهوان الذي ضرب عليه ، وقدر له — هو من آثار الوعي الاجتماعي النابض في أوائل القرن الذي نعيش فيه . فما رأينا في القرن التاسع عشر ولا القرون التي مضت قبله اهتمام الادب والشعر بهذه الصورة الانسانية التي تستحق كل اشفاق ، ولا قرأنا صورة شعرية وصفية لهذا الفلاح الكادح الذي يضرب بأرضه الفأس ، ويشق بذراعيه الجدول ، وينحني بظهره على التربة فيخرج من بطن الثرى أطيب الاكل . والواقع ان الفلاح العربي — في كل أرض كان يسودها نظام الاقطاع مثل مصر والعراق وسورية — لم يثر للوضع المزري الذي كان فيه ، ولم يشعر هو بسوء حاله ، بل جاء الشعور بذلك من ناحية جماعية من المفكرين والشعراء والادباء الذين رأوا حاله ، وأحسوا بالظلم الواقع عليه ، وبالهوان الغارق فيه ، فأكبروا انسانيته أن تهبط الى هذا الدرك ، ورثوا لحالته أن تصير الى هذا المصير الذي لافرق فيه بين انسان وحيوان ، وأشفقوا على آدميته المهدرة وكرامته المسلوبة وعزته المغصوبة فأخذوا يصورون ذلك في شعر أول الامر ، وفي نثر آخر الامر ، الى أن جاءت الثورة المباركة فحررت هذا الانسان من ظلم المالك، وجشع الملك ، وكان لهذه الثورة نتائجها الحاسمة في العراق وسورية واليمن ، وهي بحمد الله ماضية حتى يتم تحرير الوطن العربي الكبير من ظلم المالكين وعسف الاقطاعيين .

ومن الحق والانصاف للتاريخ الادبي أن نقرر — لاول مرة — هنا أن من الاصوات الشعرية الاولى في تنبيه الفلاح وتحذيره من المستغلين والمرابين ، وأشعاره بأن كوخه الحقير هو أساس لبناء كل قصر مشيد — صوت المرحوم الاستاذ مصطفى صادق الرافعي الذي انطلق في سنة ١٩٠٨ ينشد نشيد « الفلاحة المصرية » ، ويحذر فيه الفلاح وينصحه قائلا في لغة سهلة مألوفة — على غير ما ألف الناس من أسلوب الرافعي — وذلك رعاية منه لمقتضى الحال، حيث قال :

يا صاحب الغيط احذر العذابا
من الربا ، والفقر ، والخرابا
ان الربا ليس لنا مباحا
هيا الى غيطك . سقها : حا حا ...
اياك أن تذكر لي الخواجا
فقد رأيت جارنا المحتاجا
راح اليه ماله وماجا
وباع حتى البط والدجاجا

***

أنا ابنة الفلاح أم النصر
فلاحة يا بنت هذا العصر
لكن كوخي من أساس مصر
يسند فيها ركن كل قصر

ولعل هذه الالتفاتة من شاعر مصري الى الفلاح هي أول ما يصادفنا في دواوين الشعر العربي منذ القرن العشرين ، ولعلها كانت « اشارة البدء — في الشعر العربي للاهتمام بأمر الفلاح والاحساس

بمشكلته ، والتعبير عنه وعنها فى صورة مختلفة سنراها فيما يأتى بعد من حديث .

ويأتى حركة رعاية اليتيم والجمعيات الخيرية والملاجىء سابقة على حركة اصلاح العامل والفلاح فى الشعر الحديث . فعلى حين نجد للشاعر العراقى الكبير معروف الرصافى شعرا فى الفقير ، واليتيم ، فى العيد قبل سنة ١٩٢٥ لا نجد له قبل هذا التاريخ ولا بعده شعرا فى تصوير بؤس الفلاح وشقائه ، فقد خلا ديوانه القديم وديوانه الجديد من المشاركة فى هذه الناحية التى كنا نطمع أن نراها فى شعر الرصافى الشاعر الاجتماعى .

على ان حركة تصوير بؤس الفلاح العربى نلحظها متميزة فى الشعر الحديث بعد عام ١٩٣٠ ، فقد مرت السنوات بعد الحرب العالمية الاولى ولم يرتفع صوت بالشكوى من سوء حال الفلاح ، ولعل الرخاء الذى كان يجده الفلاح منذ ذلك التاريخ ، وارتفاع سعر القطن ، وامتلاء جيب الفلاح بالنقود قد غطى كل ذلك على بؤس عيشته وانحطاط مستواه الاجتماعى ، فلم نجد شعرا يقال فى الشكوى من سوء حاله . ولعل اول صوت شعرى ارتفع بعد ذلك فى وصف الضيق الذى كان يعانيه الفلاح المصرى هو صوت الشاعر احمد محرم . فقد نشر فى صيف سنة ١٩٣٢ قصيدة يصور فيها خلو يد الفلاح من المال ، وجفاف موارده وعجز وسائله عن تحصيله ، والحاح الملاك عليه بالمطالبة ، ومحصلى الضرائب بالطلب فيقول :

هلا سألت عن الفلاح ما صنعت
به الخطوب ، وهل أبقت له جلدا ؟

جفت موارده القصوى فطاح به
ما ذاق من عنت الايام أو وردا

ان يطلب المال تعجزه وسائله
وان يصبه يجده صاحبا نكدا

عون الكنانة ان أودى به حدث
فلن ترى بعده عونا ولا عضدا

ان الذى كان من أعوادها نضرا
ما انفك يعصر حتى جف أو جمدا

والحق ان الشاعر أحمد محرم لم يرسلها نغمة واحدة فى الشكوى لحال الفلاح ثم سكت .. فقد رأيناه بعد ذلك ببضع سنوات ينظم قصيدة فى وصف رحلة له ريفية من القاهرة الى الاسكندرية ، فيلفت نظره ما فى الريف من جمال ، وما فى أهله من املاق وهوان ، وما عند الفلاح من ارهاق وعنت مع انه واهب الثراء للاثرياء ، وممد الاغنياء بطائل الاموال فيقول :

قل للجداول والزروع تحدثى
فى غير ما وجل ولا اشفاق

ماذا يمارس من شدائد دهره
من أنت كل رجائه ويلاقى ؟

ويلى على فلاح مصر . أما كفى
ما ذاق من عنت ومن ارهاق

يغنى الوف المترفين بماله
ويعيش فى فقر وفى املاق ...

***

وفى العام الذى نظم فيه الشاعر احمد محرم تلك القصيدة المؤثرة سنة ١٩٣٢ رأينا الشاعر العراقى محمد مهدى الجواهرى يصف القرية العراقية وصفا بعيدا كل البعد عن ادراك المستوى الحفيض الذى هبط اليه الفلاح العراقى ، كان الجواهرى الشاعر لم ينفعل ببؤس ذلك الفلاح وسوء حالته . وقد شغل مهدى الجواهرى عن ذلك بوصف منظر الحقول حين تشرق الشمس وحين تغيب .. ومنظر الدخان وهو يتعالى من بيوت الفلاحين ، ومنظر القرية والقرويين حين تجود السماء عليهم بالماء ... ومناظر أخرى فى القرية غير ذلك حين يقول :

متع العين ان حسنا تراه الـ
آن من بعد ساعة منهوب

والذى يخلع الاصيل على الأر
ض بكف الدجى أخيذ سليب

منظر للحقول اذ تشرق الشمـ
ـس جميل واذ يحين الغروب

ولقد هزنى مسيل غدير
من على جانبيه روض عشيب

يظهر الشىء ضده، وتجارى
بسواها محاسن وعيوب

وكذاك المرعى الخصيب يحلـ
يه الى الناظرين مرعى جديب

***

وزاد الشاعر الجواهرى فى الصورة فخلع ـ من عنده ـ على الفلاح العراقى ثوبا من الرضا والقناعة بما فيه من حال اكتفاء بجمال الطبيعة من حوله حيث يقول :

ثم سد الافق الدخان تعالى
من بيوت للنار فيها شبوب

منظر يبعث الفراهة والانسـ
ـى لقلب الفلاح حين يؤوب

يعرف اللقمة الهنيئة فى البيـ
ـت مجد طول النهـار دءوب

برهة ريثما انقضى سمر تقـ
ـطر لطفـا أطرافه وتطيب

واستقل السرير أو حزمة القـ
ـش يريد استراحة متعـوب

هذه الصور الطبيعية التى لايثيرها الاحساس الاجتماعى بظلم الفلاح كانت عند شاعر العراق الجواهرى حتى سنة ١٩٣٢ ، ولكننا بعد ذلك ببضع سنوات نراه يتطور ، ففى سنة ١٩٣٩ ينظم قصيدة عنوانها « الاقطاع » تعـد بداية للثورة على ظلم الفلاحين وتحكم الاقطاعيين فيهم ، وان كانت هذه البداية بالنسبة الى الجواهرى نفسه لا بالنسبة الى غيره من شعراء العراق .. فانا نجد قبله بأربعة عشر عاما الشاعر على الشرقى ينظم قصـيدة فى سنة ١٩٢٥ بعنوان « منجل الفلاح » ، ولعلها من الاصوات الشعرية العراقية الاولى فى الشكوى من سوء حال الفلاح العربى وظلمه .

ولعل قصيدة « الاقطاع » للشاعر العراقى محمد مهدى الجواهرى تحدد مرحلة فى الكفاح الاشتراكى لرعاية الفلاح وحمايته من ظلم الاقطاعيين ، وقد كان الشاعر فيها جريئا وصريحا ودقيقا فى تصـوير شقاء ذلك المخلوق البائس ، كما اسـعفته طاقته الشـعرية الكبيرة ومقدرته التعبيرية البالغة فأجاد الوصف، وأتقن الصورة ، وبالغ فى التأثير والاشفاق حين قال :

الا قـوة تستطع دفـع المظـالم ؟
وانعـاش مخلوق على الذل نائم ؟
الا أعين تلقى على الشعب هاويا
الى حمأة الادقاع نظرة راحم ؟
وهل ما يرجى المصلحون يرونه
مواجهـة ، أم تلك أضـغاث حالم ؟
تعالت يد الاقطاع حتى تعطلت
عن البت فى أحكامها يد حاكم ..
وحتى استبدت بالسواد زعانف
الى نفعهـا تستامه كالبهـائم
اذا رمت أوصـافا تليق بحاله
تعرفتهـا ، ضـاقت بطون المعـاجم
الا نستحى من أن يقـال بلادهم
عليهـا من الاذلال ضربة لازم ؟
هى الارض لم يخصص لها الله مالكا
يصرفهـا ، مسـتهترا فى الجرائم
ولم يبغ منهـا أن يكون نتاجهـا
شقاوة مظلوم ، ونعمـة ظالم ...

على أن هذه الصورة الشعرية التى نعدها جريئة فى وصف حال الفـلاح العربى سنة ١٩٣٩ ، قد سبقتها صورة صادقة جريئة أيضا للشـاعر على الشرقى ـ كما سلف القول ـ فقد وازن فى قصيدته الرقيقة القوية بين مرح الحيـوانات وسرورها فى الحقول ، وبين حزن الفلاحين ونياحهم من أثر البؤس فيهم قائلا :

لـو نفـذنا لقلب ذاك المعنى
لوجـدناه مثخنـا بالجراح
خص من نهره ومن شـاطئيه
بخسيس المرعى وبالضحضـاح
فى مروج من حولها قد تناغت
كل صـداحة الى صداح ..
يا ربـوعا حيوانهـا يتغنى
بسرور وأهلهـا فى نيـاح
ومراح سروحهـا ان تثـاغت
جاوبتهـا رعاتها بصـياح
كم على ارضـها نكت بعودى
وعلى أهلهـا صفقت براحى
تسعد الشاة فى المراح وراعى الشـ
ـاة يلقى شـقاءه فى المـراح ...

محمد عبد الغنى حسن

هل يصلح الألم والرفض مادة للشعر؟



بقلم : محمد طاهر الجبلاوى

الالم ضرورة من ضرورات الحياة القاسية ووجه من وجوهها لا نستطيع أن تنكره الا اذا انكرنا الحياة ويقول تاجور شاعر الهند : ان الشعور بالالم مزية الشخصية الانسانية لان هذه الشخصية اذا كانت توافق ما حولها كل الموافقة فهى مندمجة فى الطبيعة ضائعة فى أطوائها ، واذا كانت مستقلة عنها فلن يتحقق هذا الاستقلال الا بالاختلاف بين الانســـان وما حوله ، ومن هنا يأتى ما يؤلمه ويناقض أهدافه ، ولولاه لما تأتى له ما يرضيه ويطابق هواه ٠

ولكن هل الالم غاية فى حد ذاته حتى يتناوله الشاعر ويعرضه علينا فى صورة مجردة عارية ٠ ونجيب على هذا السؤال بأن الالم ليس غاية فى ذاته والا فسدت الحياة واصبح المقام فيها عسيرا ٠

ونحن الى جانب الالم نجد السرور والى جانب الشر نجد الخير فنعرف ان الالم هو الجانب السلبى فى الحياة والسرور والخير هما الجانب الايجابى فيها

وليس من وكد الشاعر أن يعرض علينا صورة مجردة للالم تستدر الدموع وتتقطع لها نيـــاط القلوب ٠ فهو فى هذه الحالة أشبه بمن يعرض علينا جثة تسيل منها الدماء فنحزن ونتـــالم لحظة من الزمن ، ثم تختفى الصورة ويذهب كل أثر لها ٠ وبحسبه أنه أزعجنا وأسخطنا فترة من الزمن ٠

ان هذه الجثة بعينها هى القصيدة التى ينظمهـا الشاعر ويحملها ما شاء من الاشجان والآلام ورفض الحياة بمختلف صورها دون عامل فنى من خيـــال مبدع واحساس نافذ الى أعماق الحياة ٠

طلب الى الشاعر و ٠ ب ييتس أن يقـدم لجامعـة كمبردج مختارات من الشعر الانجليزى فقدم مجموعة كبيرة من شعر الشعراء فى مختلف العصور وتلمس المطلعون على هذه المجموعة اسماء بعض شعراء الحرب العظمى فلم يجدوا لهم مكانا فى هذه المجموعة ٠

وسأل أحد محررى الصحف الشـــاعر فى ذلك فأجاب « **ان الالم السلبى لا مكان له فى الشعر** » ٠

ان الاداء الفنى هو العامل الاول فى قبولنا هذا الشعر ٠ كيف نحس بالالم ونتناوله تناولا انسانيا صادقا جميـلا يسـعد قراءه بجمـال الفن وابداع الخيال ٠

وقد تناول الشـــاعر الفرنسى بودلير الالم فى أشعاره التى أخرجها بعنوان « أزهار الشر » فأظهر لنا من الالم فنا رفيعا ٠

وفى قصيدة الجثة من هذه المجموعة يطلعنا عـلى صورة مؤلمة ٠٠ تكشف عن جثة يبدو فيها العفن وتسبح فيها الديدان ٠ ولكنه مـــع ذلك يرتفع بشاعريته الفذة فلا يتركنا للالم يحز فى نفوسـنا فيتحداه بالفن الذى يسمو بنا الى آفاق تبهج النفس وتسعدها بالخيال البديع ٠

وقد تناول شعراء العرب الالم فى مواقف كثيرة منها مواقف الرثاء ومنها مــواقف الوداع وفراق الاحباب ، وبكاء الاطلال فأجادوا فى كل ذلك وان كانت بعض أشعارهم لم تخل من الألم المجرد ، خذ مثلا قول الشاعر فى موقف الوداع :

بكت عينى اليمنى فلما زجرتهـــا
عن الحلم بعـــد الجهل أســبلتا معا

فنحن نشعر بالالم السلبى والزيف مجتمعين فى هذا البيت ، فانه فضلا عن خلوه من الابداع الفنى ٠ فقد أرانا صورة زائفة للبكاء ٠ فان العينين تبكيان وتسيل منهما الدموع ولا تنتظر احداهما حتى تزجر الاخرى فتسبلان معا ٠

على اننا نجد الابداع الفنى فى قول الشاعر فى موقف الوداع :

تبادلني عهد المودة والهوى
وفى المهد مبغوم النداء صغير

عيى بمرجوع الكلام ولحظه
بموضع أهواء القلوب خبير

ففى هذين البيتين تصور بديع لشعور الطفل ونظراته الحائرة بين الحبيبين كما أحسها الشاعر وهو فى موقف الوداع . فالتفاته الى الطفل وادخاله فى الصورة أعطى لها أثرا بديعا وسما بها الى مستوى من الشعر الرفيع .

ومن الالم السلبي الم الرفض وقد ظهرت منه بوادر فى الشعر الحديث تراها واضحة فى شعر أدونيس ومدرسته الرافضة فى لبنان وفى القاهرة .

ان مهمة الشاعر ان يكشف لنا عن الحياة ويبرز اسرارها ويوجه أنظارنا الى ما فيها من جمال . فاذا اعرض عنها ورفضها ، أعرضنا عنه .

وهؤلاء الشعراء الرافضون قد اغمضوا اعينهم عن الحياة ومحاسنها ورموها بالعقم فلم نر فى شعرهم غير الاجداب والفراغ .

فهل الحياة عقيمة حقا ولا تستحق منا الا الرفض؟ ان الحياة فيها الخير كما فيها الشر وفيها الجمال كما فيها القبح . وليس من هم الشاعر أن يغمض الطرف عن ناحية الخير والجمال فى الحياة ولا ينظر حين ينظر الا الى الشر والى القبح ، ثم يعلن أنه يرفض الحياة ! وليت الامر يقف عند هذا الحد بل يتعداه الى رفض القيم الاخلاقية والدينية حتى ليخرج الينا الشاعر من هؤلاء من يهذى بمثل قول ادونيس :

مسافر تركت وجهى على زجاج قنديلى
خريطتى ارض بلا خالق
والرفض انجيلى

انه يرفض الوجود ويرى فى الرفض سعادته ، لانه يريحه من تقبل الحياة التى لا يقبلها وما ذنبنا نحن يرمينا بمثل هذا الشعر الذى يخلو من جمال الفن خلوه من جمال الحياة ويعجبنى فى هذا قول العقاد رحمة الله عليه :

قالوا الحياة قشورا
قلنا فأين الصميم

قالوا شقاء وهم
قلنا فأين النعيم
ان الحياة حياة
ففارقوا أو اقيموا

ان الحياة حياة بما فيها من نقص وكمال ولا تكون غير ذلك . وامتناع الالم شر من بقائه . النار التى تحرق تدفىء وتنضج وتخرج البخار ، والارض التى تجذب وتهلك تحيى وتسعد ، ويقول أدونيس فى تجربة الحياة :

أيها الام التى تسخر من حبى ومقتى
انت فى سبعة ايام خلقت
فخلقت الموج والافق وريح الاغنية
وانا ايامى السبعة جرح وغراب
فلماذا الاحجية
وأنا مثلك ريح وتراب
ويقول عن نفسه :
اننى كالصدفة
تحت وجهى حفرت مقبرة

هذا هو شعر الرفض ويمثل السلبية فى اسوا احوالها ، وما أبعدها عن الشعر السليم !!

لنترك هذا وننظر الى الايجابية فى قول العقاد :

عش آمن السرب كما تبتغى
ما نحن ممن يحسد الآمنين
ان حياة الأمن مشنوءة
فى شرعنا مثل حياة السجين
ايتها الاخطار علمتنا
بأننا الابطال لو تعلمين

فهذا الشاعر يستقبل الحياة بآلامها واخطارها كتجربة لقوته فلا ينهار أمامها ويحطم نفسه ويحفر فى وجهه مقبرته كما فعل الشاعر أدونيس .

ان من الانانية الخطرة ان ننكر الحياة لاننا نستنكر ما فيها من سيئات وندعو انكارنا هذا مذهبا فى الشعر نسميه مذهب الرفض .

وما أغنانا عن هذا الانكار وهذا الرفض اذا ذكرنا الخير كما نذكر الشر وذكرنا السرور كما نذكر الالم وخرجنا من ضيق الحياة الى آفاقها الواسعة التى لاتحد بحدود ، وأحسسنا بالحياة وعظمتها وخرجنا من كل هذا بالشعر الرفيع ، شعر الحياة .

« محمد طاهر الجبلاوى »

ماذا وراء أول أغنية حب تدخل إمتحان الأدب ؟

بقلم : محمد نصر



كوكب الشرق
« السيدة ام كلثوم »

كان من بين اسئلة امتحانات النصوص الادبيه فى احدى المدارس الثانوية بالقاهرة سؤال فى اغنية ((انت عمرى)) ولماذا وجدت اقبالا ملحوظا بين الجماهير .. والى اى مدى يمكن استغلال الأغنية فى تهذيب المشاعر ؟ ولقد اجمع مصححو الامتحان على ان اجابات الطلاب سجلت ارقاما عالية فى مجموع درجات الامتحان فى نهاية العام الدراسى . ! بينما اختلفت آراء خبراء التربية والامتحانات ، والآباء والامهات والأدباء حول اشتراك احدى اغانى « ثومة » فى الامتحان .. فمن قال ان الطلاب يختلفون فى حبهم لانواع الفنون .. كما يختلفون فى حب المطربات .. وقد يختلفون فى حب الأغانى المختلفة لام كلثوم ، فهناك اغنية قد ترتبط بذكريات سارة أو غير سارة كما أنه ربما قد تتداخل عوامل شخصية كثيرة أخرى مثل قدرة الطلاب على التعبير عن معانى الأغنية وتفصيلاتها .. اذ المفروض ان وقت الطالب اضيق من أن ينصت لأغنية بذاتها مدة طويلة تمكنه من أن يؤدى الاختبار فيها .. كما انه حينما يستمع لمثل اغنية « انت عمرى » او غيرها لا يستمع اليها لكى ينقدها او يحدد نواحى الجمال الموسيقية والفنائية فيها ، بل يستمع اليها كوسيلة للترويح والتذوق العابر . وكل ذلك مما لا يتمشى مع الاسس العلمية للامتحانات ..

ومن متسائل :

● كيف تقتحم اغانى الحب امتحانات الادب ؟ وهل هى بداية لاستغلال الاغنيات فى تبسيط الامتحانات وتطويرها ؟! واذا صح ذلك فما هو نوع الاغنية التى يسمح للطلاب بحفظها مع النصوص الادبية .. ؟ وما هو سر صاحبة الاغنية التى تربعت على عرش الغناء فى العالم العربى ؟

ان الاستاذ **ابراهيم البكرى** .. المدير العام **للامتحانات** كان يقف فى مقدمة طابور المعترضين على السماح للاغنية بالظهور فى ميدان الامتحانات .! انه كان اول من طالب بالتحقيق مع مدرسى الادب العربى الذى ضمن الاسئلة اغنية « انت عمرى »

يقول مدير الامتحانات :

ــ ان المبدا الاساسي في الامتحانات يعتمد على تكافؤ الفرص .. والغناء والموسيقى فن جميل قد استسيغه ولا تستسيغه أنت ، أما الاغنية الواحدة فقد أعجب بها وقد ترفضها أنت.. والمغنى كذلك .. ومبدا تكافؤ الفرص يقضي بالا تكون الاغاني والموسيقى موضعا لامتحان نصوص ادبية مفروض أن يستسيغها جميع الطلاب ..

ولذلك فانا لا اقر باى حال من الاحوال فكرة ادخال اية اغنية في الامتحانات .

رجعة الى الماضي ..

ان كثيرين من شعراء الاغاني رحبوا بفكرة اشتراك الأغنية الشعبية في الامتحان لانها ستكون مشاركة في تمجيد ما يتردد منها بشغف على السنة الجماهير .. وتقديرا ــ في نفس الوقت ــ لشعراء الاغانى بصفة عامة ، أما الادباء فانهم ينظرون الى الموضوع من زاوية أوسع ..

يقول الاستاذ **محمد فريد ابو حديد** (٧٦ سنة) وهو يعتبر فى مقدمة ادبائنا الكبار الذين يتذوقون الغناء منذ زمن بعيد .. وممن يفهمون في أصوله ومذاهبه ، وممن تربطهم بأساتذة الموسيقى علاقات قديمة .. بالاضافة الى انه كان من أشد المعجبين بام كلثوم عندما بدا نجمها يضيء قبل اكثر من اربعة واربعين عاما ..

او على حد قوله لى : انه كان يحن الى صوتها حنين عطشان الصحراء الى نقطة الماء .

ــ كان ذلك فى سنة ١٩٢٠ حينما كنت مدرسا بمدرسة بني سويف الابتدائية وكانت ام كلثوم ايامئذ تحيى الافراح والليالي الملاح .. وهى تلبس العقال ومعها اخوها وابوها .. وكانت مسألة شعورية ، وكان احساسي بالاعجاب بها يتضاعف ويطربني سماع صوتها الجميل ..

وعندما يدور الحديث عن هؤلاء الذين انكروا فكرة الافادة باغانيها فى الامتحانات يبتسم وهو يقول :

ــ ان عباس بن الاحنف سجل فى النصوص العربية المتوارثة اغنية تفوق أغنية « انت عمرى » اثارة عندما قال :

اتسمحون لصب فى زيارتكم
فعندكم شهوات السمع والبصر

لايضمر السوء ان طال الجلوس به
عف الضمير ولكن فاسق النظر

عند هذا نقول هل يصح ان يرد في نصوص الادب العربى مثل هذه الابيات ولا نسمح لاغنية حديثة ان ترد في نصوص الادب الحديث .. ؟ الأنها حديثة ام لانها لا تليق بالطلبة ؟

اننى أوافق ــ بالتاكيد ــ على دخول الأغنية امتحانات الادب اذا كانت القطعة الادبية لها قيمة فنية .

ومفهوم ان القيمة الادبية لاعلاقة لها بحسن الاداء الصوتى ، وانما اقصد ان الاغنية لاتمتع مادام النص ادبى حقا .



« الأستاذ عباس خضر »

ومن رأى الاستاذ **عباس خضر** (٥١ سنة) .. ان الاغنية ما هي الا نص ادبي .. كيف نقبله بالقاء عادى ونرفض الاستعانة على ادائه بالصوت واللحن الجميل أوهى ــ بهذه المناسبة ــ ليست موضع خلاف وانما يكون الاختلاف فى طبيعة نص الاغنية نفسها .. اذا كان تافها او منحرفا ، أما اذا كان جميلا ويتضمن اغراضا سامية فانه مما لا شك فيه ان اللحن والصوت الجميل ، والاداء اللغوى كلها عناصر تتعاون على التاثير ، وتحقيق ما تهدف اليه من أغراض .

كما لا يصح الاختلاف بالنسبة لأغاني « ثومة » لانها تحرص على اختيار النص ، وتناقش مؤلفي الاغاني .. وكثيرا ما تضيف من عندها ما يتفق مع الذوق الموسيقى ..



« الأستاذ محمود تيمور »

ويسوقنا الحديث مع الاستاذ **محمود تيمور** (٧١ سنة) ٠٠ والفائز بجائزة الدولة التقديرية فى الآداب فى العام الماضى .. الى ايام زمان .. الى الوقت الذى كان فيه تيمور لا يهضم أغانى أم كلثوم ٠٠

وكان يرى أنها لا تستحق تلك الضجة من حولها .. يؤكد ذلك ماكتبه تيمور الى صديق طفولته زكى طليمات فى رسالة بتاريخ ٢ من ابريل عام ١٩٢٦ وكان زكى يتعلم فنون الالقاء والاخراج فى جامعات باريس

وكانت خطابات تيمور تنقل صورة صادقة لحالة الفن ومدى تذوق الناس له قبل أربعين عاما ..

وساختار لك بعض صفحات من رسالته تلك التي ذكرت لك تاريخها حيث يقول فيها بالحرف الواحد :

ـ حضرت فى هذه الايام رواية المظلومة من جوقة منيرة المهدية وكليو باترا وهى من تاليف حسين فوزى عند عكاشه فخرجت ساخطا وحمدت الله أولا وأخيرا ٠ رواية المظلومة عبارة عن أراجوز أما كليوباتره فقد شوهت الالحان جمال التاليف ، والذى زاد الطين بلة انه لا توجد أصوات مطلقا ٠٠ فصوت السيدة الجليلة علية فوزى مثل صوت الزمارة المقطوعة !

***

أما الموسيقى العربية الحاضرة فقاصرة قصورا فاحشا عن تلحين أوبرا ، يجب أن يعلم الجميع ذلك ويقصروها على تلحين الاوبريتات الصغيرة واذا أرادوا أن يلحنوا أوبرا فليكن ذلك بعد ان يتعلموا أصول الفن فى أوربا ٠ **وحضرت مرة ام كلثوم فلم تعجبنى المشايخ معها والادوار التى تغنيها زفت وقطران ، وهى لا تتقدم مطلقا . والنتيجة انه لا يوجد فن فى مصر الآن »**

الى آخر تلك الرسالة التى ضمنها تيمور بعض آرائه النقدية للحياة الفنية فى تلك الفترة كما قلت لك .

كسب للادب :



« الأستاذ محمد عبد الوهاب »

وحول التطور الشامل الذى لحق بالفن أخيرا ٠٠ وكيف تم التجديد فى الأغانى بفضل رواد الغناء اللاحقين لايام شباب تيمور اعرف من أحاديثه ان عبد الوهاب أسبق من أم كلثوم ظهورا فى مضمار الغناء ، ولكنهما ما لبثا ان أصبحا ـ على حد قوله ـ فرسي رهان ، فما استطاع عبد الوهاب بخبرة تلاحينه وعمق وعيه للموسيقى ، واصالة تفننه فى

التعبير والأداء ان يخمل « ام كلثوم » او ان يردها الى الوراء وكذلك استطاعت أم كلثوم بحلاوة صوتها وعبقرية حنجرتها وعظمة اجتهادها ان تنفرد بمجلس الصدارة فى عالم الغناء ، فيكون لها الصوت المعلى دون ذلك الفنان الزميل وانه لمن العجب العاجب أن تصغى لكليهما اسماع الجماهير فى شغف وكلف وأن تنيلهما على السواء أقصى ما يصبو اليه الفنان من حفاوة وتكريم وتمجيد ، وكان الجمهور الطروب قد أحس بان فى كل منهما ما ليس فى الآخر وانه لا غنية عنهما معا اذ يزدان بهما عصر واحد .

واسأل تيمور :

ـ ومتى سمعت ام كلثوم لاول مرة ؟

فيجيب قائلا : كان لى حظ الاستماع اليها لاول مرة فى ملهى الكورسال حول سنة ١٩٢٠ ان لم تكن الذاكرة قد مضت بى بعيدا

ولكن لا انسى أنى لم اكد استمع الى ذلك الصوت الجديد ، وهو غض فى حداثته حتى توقعت أن يكون له شأن أى شأن ، وعلى الرغم من أن المغنية الناشئة لم تكن لها من أدوات الموسيقى الا ادوات بدائية بسيطة على نظام المعهد القديم فانها استطاعت ان تسترعى الانتباه الى صوتها الذى كان ينساب الى القلوب فيهزها طربا واعجابا بمثلها الا بعد طول انتظار ولا ينكر أحد أن أم كلثوم قد تدرج صوتها بالنمو والمرانة فى مراتب الحلاوة والنصوع حتى بلغ الغاية التى تتقاصر دونها الاصوات .

واقول له ما رأيك فى دخول أغانيها الآن الى منطقة محرمة هى منطقة الامتحانات المعروفة بالتزمت والجمود ؟

ويقول تيمور :

ـ ان ذلك كسب للامتحانات وتشجيع للطلاب على التذوق الفنى والموسيقى ..

ويمضى بحماسة فيقول :

ما أغناها ـ ام كلثوم ـ عن صوت يهتف باسمها، فانها صاحبة الصوت الذى لا تخطئه اذن فى أرجاء الشرق من اقصاه الى اقصاه ..

انه صوت من السماء !

ثم ماذا .. ؟

لقد وقفت الآن على آراء ثلاثة من كتابنا يقابلها ـ فى الجانب الآخر ـ رأى المدير العام للامتحانات وغيره ممن يرفضون ـ مجرد مناقشة فكرة غزو الاغنية منطقة الامتحانات الحصينة !

فما رأيك انت ؟

« محمد نصر »



نقادنا وقطع الغيار

بقلم : عبد المنعم شلبي

النقاد فى بلادنا مهتمون غاية الاهتمام بقضايا خطيرة ! وهم ـ كعهدنا بهم ـ لا يهتمون الا بما هو خطير بل جليل الخطر ! وتبدو خطورة هذه القضايا من النظرة الاولى ، فهى جذابة ومثيرة بالنسبة للشعراء على الاقل ، كما انها تضحكهم وترفه عنهم فى عالم لا يوحى بغير الكآبة والملل . ولكنها لا تلقى بصيصا من الضوء على شعرهم . انهم منهمكون فى البحث عن اشياء لو لم توجد اصلا لما احس احد بغيبتها ولما نقص ذلك من شعرنا العربى . بل ان الانهماك فى مثل هذا البحث يسىء الى شعرنا وآدابنا ويدمغ هذا الجيل بالسطحية .

***

هذا واحد من كبار النقاد عندنا مشهود له بسعة الثقافة وقوة الذكاء ودقة الفهم يجهد نفسه فى البحث عن شاعر ليتوجه اميرا على دولة الشعراء ويسلمه مقاليد الحكم فيها ! ولم لا ؟ ما دام للشعراء دولة مستقلة ذات سيادة . فلا ينبغى لهذه الدولة الفتية أن تعيش بغير أمير ! لقد كان لها امير فيما مضى ، لكنه مات دون أن يخلف وريثا للعرش . فلماذا لا تجتمع الأمة على أمير جديد تختاره من ابنائها البارزين ؟ ومادامت الامة لم تفكر فى هذه المسألة فليتكفل سيادة الناقد الكبير نيابة عنها وليختر الشاعر صلاح عبد الصبور ليقلده امارة الشعر .

وهذا ماحدث ! . ولئن كان الاستاذ الدكتور عبد القادر القط قد عقب على هذه المسألة بغير اسهاب فى جريدة الاهرام ، ولئن كان الشاعر صلاح عبد الصبور قد اعلن براءته من تهمة الامارة ومن تهمة التفكير فيها ، لان الشعر فن حر لا يقبل الانضواء لامير حتى ولو كان أبوللو ، فانى أريد أن اشير هنا الى خطورة مثل هذا التفكير فى وقت تتألق فيه اضواء البحوث العميقة والفكر الخلاق فى كل مكان من العالم .

***

وهذا ناقد آخر لم يشتهر كثيرا فى هذا الميدان وان كان اسمه يتردد فى الصحف والمجلات منذ عهد قريب . اعنى به الدكتور النويهى . انه يبدو كما لو كان قد فرغ من كل شىء يتعلق بالشعر المعاصر ولم يبق الا أن يضع له العنوان ، لقد نفض يده وقلمه من كل قضايا الشعر المعاصر معتقدا أو متخيلا انها ابرمت ، وانه لم يعد هناك غير قضية واحدة هى البحث عن تسمية جديدة لهذا الشعر الجديد ! لم يعد أمامنا الا أن نصنع « كليشيها » نضع تحته شعرنا المعاصر أو بتعبير آخر الشعر المتمرد . وهاهو الدكتور النويهى يتولى هذه المهمة نيابة عنا وعن الشعراء ويسميه بالشعر « المنطلق » ! .. لماذا ؟ يجيب الدكتور النويهى : لأن مرحلة الانطلاق التىأعلنتها ثورتنا والتى نعيشها بالفعل مناسبة طيبة يمكن اقتباس اسمها واعارته لهذا اللون من شعرنا المعاصر ليكون عنوانا له !

اليس هذا عجيبا ؟ . لماذا نصر دائما على ان نظل عائمين على السطح كقطع الفلين ؟ كيف يتأتى يادكتور نويهى أن تقتبس اية مناسبة وطنية لتجعلها عنوانا ثابتا لفن خالد خلود الانسان ؟ ان شعر المناسبات قد انتهى عهده منذ زمن بعيد . وليست هذه بطريقة ناجحة فى ربط الشعر بالمجتمع ، وليس ما فى العبارة من ايحاء بكاف ليكون حدا أو تعريفا للشعر . لقد كنت اريد من سيادته ، بدلا من مضغ القشور ، أن يعمق فهمه للشعر المعاصر حتى لا يقع فيما وقع فيه من أخطاء . من ذلك مثلا قوله : « أما الشكل المنطلق فانه لما وصفنا من مطاوعته وعدم انحصاره ، ومن استطاعته ان يحقق ارتباطا عضويا اكبر بالمضمون ، قد مكن الشعراء الجدد من أن يتجهوا الى روح الشعب وأن يلتقطوا انغاما حديثة ... الخ » كأن الشكل هو الذى اوجد الشعر الجديد او المنطلق كما يسميه ! وكأن هذا الشكل هو الذى أتاح الفرصة للشعراء كى يتجهوا الى روح الشعب ، وهو الذى مكنهم من التقاط انغام حديثة كما يقول الدكتور ! فى اعتقادى انه ما كان ينبغى للدكتور النويهى ان يتجاهل العوامل الكثيرة المتشابكة التى دفعت الشعراء الى محاولاتهم الجادة لتطوير الشعر العربى ، ولا نظن ايضا ان هذا الشكل وحده هو الذى مكن الشعراء من ان يلتقطوا انغاما حديثة او أن يتجهوا الى روح الشعب ، فمن الواضح جدا ان الشكل فى الشعر التقليدى لم يكن فى يوم من الايام عقبة دون استلهام روح الشعب الذى ادى اذن الى محاولات التطوير : عوامل حضارية عميقة الجذور ،ومؤثرات كثيرة اهمها التقاء التيارات الأدبية العالمية بفضل وسائل المواصلات الحديثة والاعلام واختلاط الشعوب بعضها بالبعض الآخر على أن هذه العوامل الحضارية لم تفرض هذا الشكل الجديد على الشعراء فرضا ، بل أن الباب مازال مفتوحا على مصراعيه امام كل شاعر اصيل ليعبر بالشكل الذى يروق له وكل مانريده منه هو أن يعطينا شعرا ، وأحب أن أنوه فى هذا المجال الى أن الشعر العربى فى شكله المعروف لم يعجز حتى الآن عن التعبير عن أية تجربة انسانية من التجارب التى يمر بها البشر ، ولكنه مع ذلك لايقف عقبة فى سبيل اى تجديد أو تطوير مادام ذلك يثريه وينميه ويساعده على أن يخلد . كما أحب ان أنوه أيضا الى أن الشكل الذى يكتب به شعراؤنا الجدد مثل صلاح عبد الصبور وعبد الوهاب البياتى وبقية شعراء هذه المدرسة ، ليس هو آخر اقتراح لتطوير شعرنا العربى كما انه ليس آخر صيحة فى عالم « المودة » . هناك تجارب اخرى آخذة فى النمو لاتقل جدية عن محاولات المدرسة السابقة منها مثلا مايقوم به الشاعر عبده بدوى فى الوقت الحاضر من محاولات اصيلة وصادقة تستحق الاهتمام والمتابعة ، كما أن تجارب أخرى ستظهر ما فى ذلك شك ، اذ ميدان السباق ما زال فسيحا . فقط علينا ان نكون أكثر وعيا فى اهتمامنا ومتابعتنا ، وألا نجرى وراء العموميات أو نجارى الدعاوى السطحية التى قد تبرق فتلفت الانظار ببريقها الخلاب . لا ينبغى أن نسارع باختراع « كليشيه » نختم به على هذا اللون من الشعر أو ذاك كما يفعل الدكتور النويهى . ولنتساءل الآن : ما هى الخطورة التى تنتظر الشعر المعاصر من مثل هذه «الكليشيهات»؟ اعنى من مثل هذه التسميات التى يسارع النقاد باختراعها ولصقها بالشعر ؟ كالمنطلق والحر والحديث . ما الذى يضير الشعر المعاصر لو جعلنا له اسما مميزا ؟ لنلق نظرة عجلى على محاولات التجديد التى مر بها شعرنا العربى منذ عصوره الاولى ، نرى ان هذه المحاولات كانت تدور حول الفاظ الشعر ومعانيه ، فعنترة وامرؤ القيس احسا بانهما يلوكان كلاما قديما مكرورا ، وانه لابد لهما من البحث عن الجديد ، مع أن امرىء القيس ومعاصريه يعتبرون قمة مرحلة تطورية بالنسبة لمن سبقهم ، ولقد اعتبر النقاد امرىء القيس بارعا كل البراعة لأنه جمع أوصافا كثيرة وجديدة فى بيت واحد حيث قال :

مكر مفر مقبل مدبر معاً
كجلمود صخر حطه السيل من علِ

ومدرسة أبى نواس دعت الى هجر الطلول والدمن فى افتتاحيات القصائد والاستعاضة عنها بالخمر والغلمان ومظاهر الحضارة التى استخدمت فى عصره . بينما اتجه ابو تمام الى الطبيعة يستلهمها ويصفها . ولكن هذه كانا لم تؤثر فى بناء القصيدة العربية لأنها كما هو واضح لم تتعرض الا لمعانى الشعر والفاظه . فلما جاءت المدرسة الاندلسية وحاولت أن تحدث تغيرا جذريا فى القصيدة العربية ، تغيرا فى الشكل والمضمون

معا . تصدى لها قوم من الغيورين على التراث العربى فابعدوها عن التيار وعزلوها فى ركن قصى ! بماذا ؟ بأن جعلوا للشعر الجديد الذى ظهر فى الاندلس اسما مستقلا يميزه عن غيره من شعر العرب ، فقالوا : هذا شعر الاندلس أو شعر المولدين أو شعر الموشحات . وغرضهم من ذلك أن يظل منفصلا باسمه وهيئته ، مستقلا بذاته ، ممثلا لنموذج خاص حتى يموت فى عزلته بعيدا عن التيار العام وهذا ما حدث، فقد ماتت الموشحات ولم يعد لها وجود الا فى كتب تاريخ الأدب وفى بعض الاناشيد الدينية التى يتغنى بها الشيخ الطوخى والشيخ طه الفشنى . انا لا أريد أن يفهم من ذلك أن مجرد التسمية او مجرد وضع عنوان محدد لاتجاه بعض الشعراء يؤدى الى الانعزال والموت فلا شك أن هناك عوامل أخرى كثيرة ومتشابكة ادت الى موت المدرسة الأندلسية برمتها يرجع الى الأندلسيين انفسهم . ولكنى اريد ان اقول : ان الاسراع فى صنع « الكليشيهات » وتكلف وضع العناوين كان من ضمن العوامل التى ادت الى نهاية الشعر الاندلسى ومن هنا نرى أنه لا ينبغى أن نعزل الشعر المعاصر بشكله الجديد ، او لا ينبغى ان نعزل المحاولات الجادة التى يقوم بها شعراؤنا المعاصرون عن التيار العام للشعر العربى . لا نريد ان نميزه باسم مستقل حتى لا يكون مصيره كمصير سابقه . فهو على أية حال شعر عربى وان كان فى مرحلة التطوير . **ومهمة النقد** فى هذه الحال ان يتابع بوعى صادق تطورات هذه المرحلة دارسا ومفسرا ومقارنا بالآداب العالمية ، حيث يتسع المجال للدراسة المقارنة التى تثرى آدابنا ولغتنا القومية ، كما تقفنا على الأصالة الحقة عند الشعراء . ولا بأس فى هذا الصدد من أن نعرض نماذج من تجارب شعرائنا المعاصرين متجاورة كنوع من الموازنة التى تبين عن اى التجارب اعمق وايها اقدر على تطوير الشعر العربى ، مع مقارنة ذلك ايضا بحركات التجديد فى العالم . فنأتى مثلا بنموذج من عبده بدوى فى تجاربه الجديدة مع نموذج من صلاح عبد الصبور او البياتى ، وكل منهما يختلف عن الآخر فى طريقته وفى نظرته الى التجديد، ثم نربط كلا منهما بالشعر العالمى المعاصر لنقف على مدى اصالته ومدى قدرته على الصمود والنمو . وهذا ما قد نحاوله فى فرصة قادمة .

عبد المنعم شلبى

قوليها ..

للشاعر: عبد الوهاب قتاية

ما هذا ذنبك او ذنبى
فالامر معد فى الغيب
ما كنت البادىء .. ما كنت
لكن سرنا كالسحب
ما كنا نملك أن ننأى
شبرا .. ونحيد عن الدرب
ما كان الامر بأيدينا
فنذود القلب عن الحب
فلماذا تخشى عيناك
لقيا عينى .. بلا سبب
هل باحت عيناى بسرى ؟
هل بان الشوق على الصب
فخشيت النظرة ان تنفضح
ما كنت نسجت من الحجب
وكتمت الكلمة أن تسرى
فتبوح بأسرار القلب
عبثا اسررت واخفيت
عنى .. وجأت الى الهرب
عيناك تفيضان حنينا
وهوى .. كالنور المنسكب
والنظرة تترقرق شوقا
كالقطر يفيض على جدبى
والكلمة تتلهف حيرى
وترف على فمك العذب
قوليها .. انى ابصرها
اسمعها تخفق فى جنبى
قوليها .. سرك من سرى
وغرامك بعض من حبى
قد باح الصمت بما تخفى
والصمت كثيرا ما ينبى

عبد الوهاب قتاية

الحركة الأدبية في شمال افريقيا

الرواية التونسية المعاصرة

فوزي عبد القادر الميلادي

شهدت هذه المنطقة العزيزة من الوطن العربي وهي الشمال الافريقي ـ نهضة أدبية شاملة في أعقاب الاستقلال ومن ابرز معالم هذه النهضة التاليف القصصي ..

وقد كان اهتمام الكتاب الجزائريين ـ الذين يجيدون الكتابة باللغة العربية ـ منصرفا الى القصة القصيرة كما كان محور الكثير من هذه القصص يدور حول تصوير أرض المعركة التي تخضبت بدماء الشهداء سبع سنوات تباعا وابراز مواقف البطولة والتضحية التي فاقت ضروب الخيال .

وفي الوقت ذاته كان اهتمام كتاب القصة التونسيين ـ وعلى الأخص في السنوات الثلاث الاخيرة ـ موجها الى القصة الطويلة فعالجوا الرواية في ألوانها المختلفة التاريخية والاجتماعية والانسانية .

ولعل مرجع هذا الاختلاف في الاتجاه بين كتاب الجزائر وكتاب تونس هو طبيعة الظروف التي عاشها كل من الشعبين في السنوات الأخيرة .

فمعظم المجموعات القصصية الجزائرية التي نشرت اخيرا باللغة العربية كتبت قبل الاستقلال والقصة القصيرة أقرب الى ادب المعركة من القصة الطويلة لسهولة معالجتها ولسهولة تضمينها مواقف البطولة والتضحية دون افتعال او اخلال بالبناء الفني للقصة .

ومن قبيل ذلك كتاب ظلال جزائرية وكتاب الأشعة السبعة لعبد الحميد بن هدوقة وكتاب دخان من قلبي للطاهر وطار .

أما الأدباء التونسيون فقد عاشوا فترة استقرار نسبي عقب الاستقلال كما أن تشجيع الدولة وعلى الأخص بلدية تونس التي رصدت جائزة سنوية للقصة الطويلة كان من الحوافز الهامة التي دفعت أدباء تونس المعاصرين الى الاهتمام بالرواية .

ومن الأمثلة على ذلك رواية **برق الليل** تاليف البشير خريف ورواية **القلب الكبير** تاليف عبد العزيز السعداوي ورواية **بودودة مات** تاليف محمد رشاد الحمزاوي .

وسأحاول في هذه المقالات أن القي الضوء على الأدب القصصي في تونس والجزائر مبتدئا بالرواية التونسية المعاصرة واعاهد القراء أنني سأحاول جاهدا الوصول الى المجموعات القصصية التي صدرت أو تصدر في المستقبل القريب في المغرب حتى يكتمل عقد الدراسة .

ومن معالم النهضة الأدبية في مجال الرواية المعاصرة قصة «برق الليل» للأديب التونسي «البشير خريف» التي نالت جائزة بلدية تونس سنة ١٩٦٠ ونشرت مؤخرا في العاصمة التونسية .

هذه الرواية خير نموذج لامتزاج الثقافتين الغربية والشرقية وبداية الطريق نحو ظهور أدب قصصي عربي في شمال افريقيا له طابعه المميز وشخصيته المستقلة .

لقد استطاع الأستاذ خريف أن يلتقط بمهارة الأسلوب القصصي لمشاهير كتاب الغرب وعلى الاخص

الكاتب الفرنسى اسكندر ديماس الكبير وافرغ فى ذلك الاطار قصة تونسية الجذور والملامح والسمات تضرب بجذورها الى القرن السادس عشر الميلادى .

فى الفصل الاول من الرواية نرى « برق الليل » فتى فى السابعة عشرة من عمره قسطلى السواديتفانى فى خدمة سيده (حامد بن النخلى) العالم الذى وهب حياته للبحث عن حجر الفلاسفة واكسير الحياة وعندما يأتى الليل يسلم الشيخ عينيه للنوم ويسلم قواريره وعقاقيره لبرق الليل الذى يسهر الليل ينتظر غليان العقاقير وقيام زاوية النجوم .

ويعمد الفتى الى بعض الأواني والقوارير فيجعل منهـا آلات موسـيقية يرقص على ايقاعها حتى يطلع الفجر ومن وقت لآخر كان يلمح وجه فتـاة حسناء تطل عليـه من كوة في الحجرة وما تلبث أن تختفى بعد قليل ، ويعرفك المؤلف فيما بعد أن هذه الحسناء زوجة سافر زوجها لأداء فريضة الحج وأغلق عليهـا الأبواب وفى جوف الليل جذبتها الأصوات الموسيقية المنبعثة من حجرة برق الليـل فظلت تقفز من سطح منزل الى آخر حتى وصلت اليه مبهورة الانفاس وما تلبث أن تعـود أدراجهـا بعـد أن تشنف آذانهـا بالموسيقى .

ويعود زوج الحسناء ، ومع ذلك يعاودها الحنين الى موسيقى الزنجى فلا تستطيع مقاومة الاغراء فتذهب الى الكوة وتعود الى زوجها بعد قليل لتجده قد أفاق من نومه وأخذ يبحـث عنهـا ويرفض كل المعـاذير ويطلقهاثلاثا ، وفيالوقتذاته تنفجر الأوانيوالقوارير من فرط انصراف برق الليل الى موسيقاه فيشتاط سيده غضبا وينهال عليه ضربا فيلوذ بالفرار .

ويشهد الفتى فى الصباح دخول الجنود الأتراك على رأسهم الباشا التركي خير الدين بربروس مدينة تونس ويمازح الفتى الجنود ويكاد يفتـك به أحدهم لولا أن انقذه ضابط تونسى الأصل يعمل فى خدمة الدولة العثمانية اسمه شعشوع ويتبع برق الليـل منقذه ويسير وراءه .

وينقسم الأهالى أمام الغزو التركي فريقين بعضهم يؤيد الغزو باعتبـار أن فى ذلك الخـلاص من الوالى الحفصى الذى يدين بالولاء للفرنجة والبعض الآخر يرى مقاومة الغزو .

ويقوم شعشوع بدور حمامة السلام بين الاتراك والأهالى فما يلبث القتال أن يتوقف بعد أن اشتعل فترة من الوقت وذلك رغم مكائد زملائه ودسائسهم .

وفى مكان مهجور يلتقى برق الليل بامرأة عجوز تعرض عليه أن يقوم بدور «المحلل» فيوافقها ويتبعها الى منزل الزوجين وهناك يعده الزوج بصرة كبيرة من النقود يأخذها بعد أداء المهمة .

ويختتم المؤلف الفصل الأول بهذه الكلمات « دخل على عروسه ليلة وارجع فيهـا بصره كرتين فاذا به يرى صاحبة الوجه الجميل تلك التى كان يعبدها فى المرآة وهى تطل عليه من الكوة » .

ويبدأ الفصـل الثاني بحوار عجيب بين الشيخ زوج الحسناء وبرق الليل غداة زواجه من الحسناء .. الشيخ يطلب منه أن يطلق الزوجة والفتى وقد قضى الليل فيصحبتها يتساءل فيسذاجة وخبث (مسكينة ما عملت شيء علاش أطلق) وبحركة سريعـة يفلت من الشيخ ورجاله الذين اعتزموا التنكيل به ويطلق ساقيه للريح .

في ذلك الوقت يقوم خير الدين بربروس بحركة بارعة للتقرب الىأهالى تونس فيتوجه الىزيارة سيدى محرز فى نفر من رجاله دون سلاح أو ضجيج ويقرأ الفـاتحة ويرمى باكياس النقود الى الفقراء ويفعل التواضع والحسنى ما لم يفعله البارود وتفتح الأبواب للباشا ويختلط الأهالى بالجنود فى مودة ويلتقى برق الليل بشعشوع وينعمان بجلسة لطيفة وعشاء فاخر فى قصر الباشا ولـكن الفتى الأسـمر يرفض تلك الحياة المترفة ويستأذن من صـديقه ليتركه يخوض وحده غمار الحياة ويلتمس رزقه فى كل الدروب وكل المهن فيعمل خادما ومساعدا وبناء ويخدم فى الافراح وفى احدى الليالى يلمح سيده القـديم حامد النخيلى فيفر منه ومن غلمانه ويتلقفه بعد قليل زوج الحسناء الذى يبحث عنه ليتم الطلاق من زوجته وفى الوقت ذاته يلتقى بامرأة عجوزكان يعمل فى خدمتها وخدمة ابنها المريض فتصيح « وصيفى .. وصيفى » .

ويخرج قائد القصـبة شعشوع على هـذا الهرج والمرج فيعرف فى الزنجى رفيقه برق الليـل ويزجر النظارة ويسوق المتخاصمين الى القلعة وهناك ينتصب لهم قاضيا ويصدر حكما نهائيا باتا : على الزوج أن يدفع الصلة لأحد الطالبين ويشتريه من الآخر وعلى العبـد أن يصبح ملـكا للزوج ويطلق المرأة ويدفع للعجوز أسيرا كورسيكا تفتدى به ابنهـا الذى وقع فى أسر الفرنجة .

وفى الفصل الثالث تسفر الخيانة عن وجهها .. يستنجد الحسن الحفصىالحاكم السابق لتونس بالفرنجة ويغزو الاسطول الاسباني تونس ويكتشف شعشوع أن زوجته النصرانية التى بنى بها أخيرا جاسوسـة للاسبان تعمل لحسابهم وتمهد للغزو وتتصل بشخص

اسمه غوميز مهمتـــه جمع كلمة الاسرى الفرنجة للانقضاض على المسلمين ٠

ويحطم الاسرى أبواب السجن بفعل الخيـانة وينســـحب خير الدين فى حركة لولبية ويدخل الاسبان القصبة ويأمر قائدهم شارلكان باقامة كنيسة هناك شكرا للبتول ،وفى أعقاب الغزاة يدخل السلطان الحفصى متبونا عرش آبائه وأجداده واستباح الفرنجة المدينة ثلاثة أيام سرقوا وقتلوا ونهبوا وارتكبوا كل الوان الفظائع ٠ ويلتقى برق الليل وهو يتميز غيظا بالزوج الذى يستنجزه وعده فيعـــده أن يتم له ما اراد وزيادة اذا ارتحل الاسبان فيضرب له برق الليل وكانه يقرأ الغيب موعدا يوم الخميس التـالى وكان يوافق الثامن من أغسطس ١٥٣٥ ٠

ويودع الفتى فى اليوم الموعود زوجته الحسناء بعد أن تركها ـ بنفس راضية ـ لزوجها الاول ليلحق هو بشعشوع ويختم المؤلف قصـــته هكذا (قبل ذلك بيومين يرى الرائى زنجيا يأتى بئرا فى ربوة سيدى احمد السقا ويصب فيها مســحوق الزرنيخ الازرق الذى يجعل المثقال من المطر من الماء سما ناقعا زعافا فاصبح ماء آبار القصبة السبع مسموما ـ قال المؤرخ ومن الغد مات من عسكر شارلكان كل من ورد وذهب لحملهم بالجذام فترك سلطان الروم ما بدأ من كنيسة صارت فيما بعد المدرسة الصادقية واصبحوا لاترى الا أماكنهم) ٠

والقصة بهذا الوضع قد التزمت الخطوط الرئيسية للواقع التاريخى فالمؤلف لم يخرج عن الأحـــداث التاريخية الكبرى ولم تقف الأحداث عقبة فى سبيل بناء القصة ٠٠

والحقيقة أن المؤلف قد أحسن اختيـــار الحقبة التاريخية التى جعل منها مسرحا لاحداث قصته ٠

وشخصية **برق الليـل** تقتضى مزيدا من التـأمل والدراسة ٠٠ هذه الشخصية ليست غريبة علينا ولا اريد أن أقول هنا أنها مستوحاة من شخصية عنترة العبسى الفارس الاسمر كما رســـمتها القصص والأساطير العربية ، فعنترة كان يقوم بدور قيادى فى تلك القصص والاســـاطير وقد اكتملت له مقومات شخصية البطل التى يفتقدها برق الليل ٠

ولست أزعم أن شخصية برق الليل وشعشوع قد استوحاهما المؤلف من شخصية لينى وجورج رفيقى السفر والكفاح فى مسرحية شتاينبك (رجال وفئران) ذلك أن برق الليل وان تشـــابه مع زميله لينى فى القوة الجسمانية وارتباطه بصديق أوفر حظا من المعرفة وأكثر خبرة بالحياة الا أن برق الليـــل كان يبدو دائما على عكس لينى مستقل الشـــخصية حاضر البديهة ، سريع الحركة ٠٠

ولكن الذى أكاد أجزم به أن المؤلف اســـتوحى شخصية برق الليل من شخصية العبد الأسود فى مقدمة الف ليلة وليلة وهو العبد الذى تسبب فى أن يقتل شهريار زوجته وكل زوجة تليها حتى وقع فى حبائل شهر زاد مع فارق بسيط هو أن مؤلف برق الليل لم يقع فيمـا وقع فيه مؤلف الف ليلة وليلة من تورط العبد فى علاقة آثمة تودى فى النهـاية بحياته وحياة المرأة التى اسلمت اليه قلبهـــا وهى الملكة فى الف ليلة والحسناء فى رواية برق الليـل

وليس هذا هو الخيط الوحيد الذى يشد هـــذه القصة الى الف ليلة وليلة وانما أيضا الجو العـــام للقصة ورسم الشخصيات فان من يطالع القصـــة يشعر للوهلة الاولى بأنه يعيش فى جو مشبع بسحر الف ليلة وخيالاتها وأوهامهـــــا ويشعر أن هذه الشخصيات التى يراها أو يحس بها تســـير فى شوارع تونس سبق أن التقى بها أو بمثيلاتهـا فى شوارع بغداد ودمشق وبلاد واق الواق ٠

واذا كان هناك مجال للعتاب فهو ان المؤلف ترك فرصة ذهبية تضيع من بين يديه ولم يهتم بها وهى فرصة ابراز بطل وطنى من بين صفوف الشـــعب التونسى يقود مقـاومته ويذكى شعوره القومى ضد الغزاة والدخلاء والخونة على السواء ٠٠

ولعل المؤلف قد استشعر أهمية وجود مثل هذا اللون من الوطنية ، فأشار فى الكلمة المنشورة على غلاف روايته الى أن برق الليل قد شاهد المقـاومة الشعبية للاحتلال الاسبانى ومع ذلك فالقصة تكاد تكون خالية من كل لون من ألوان تلك المقـــاومة الشعبية اذا ما استثنينا تسميم الآبار فى السطور الاخيرة ٠

واذا كان الدكتـــــور طاهر الحميرى قد تمنى فى ختام مقدمته أن يرى هذه القصة فى صـــورة فيلم يعرض على الشاشة البيضاء قريبا فاننى أتمنى أن أراها قبل ذلك فى طبعـــة جديدة فى المشرق العربى وقد استبدل المؤلف بحواره الدارج حوارا عربيا سليما ، فنحن أحوج ما نكون اليوم الى امتزاج الثقافات العربية المتعددة المنابع والمصادر ٠

« **فوزى عبد القادر الميلادى** »

طموح

بقلم : صبحى الجبار

نشا عطوه فى احدى قرى الصعيد ، وكان منـذ طفولته ،مفرطا فى التذمر من وضعه وبيئته ، ناقما على كل ماحوله مما لايستطيع أن يصل اليـه . ويجاهد بكل الوسائل المشروعة أو غير المشروعة حتى يحصل عليه او يهدمه .

توقف تعليمه عند المرحلة الابتدائيـة ، لانه لم يحتمل ان يتفوق عليه اترابه فى الدراسة ، كذلك لم تسعفه طاقاته العقلية على اللحاق بركب النابغين، فتكررت اعتداءاته على زملائه المتفوقين . واخيرا طرد من المدارس الأميرية بعد أن كاد يحدث عاهة مستديمة فى احد ضحاياه المحسودين .

وما كاد يشب عن الطوق حتى هجر القرية ، ورحل الى القاهرة متعلقا بأسفل احد قطـارات السكة الحديد . وفى العاصمة وجد مجالا رحبا لطموحـه الشـاذ ، حيث اتسـعت امامـه آفاق الانحـــراف ، وتيسرت له فـرص لتحقيق مآربه واطماعه .

وفى سنوات قليله تطور عطوه الى شخصية أخرى لا يكاد يتعرف عليها أقرب أقرانه فى القرية . فقد انقلب جلبابه الأزرق الى بدلة انيقة ، ورأسه الحليق الى شعر مصفف لامع ، واصبحت لهجته تضارع اساليب الطبقـة المثقفة فى المدينة ، بحيث اذا جلست بجواره فى سـينما او اتوبيس لايخطر ببالك قط صورة عطوه القـروى ، كذلك لايتطرق الى نفسـك الشك بأن هذا الوجه البـاسم المهذب يخفى خلف مظهره الرقيق اصابع مدربة لن تلبث أن تجرد جيوبك من اثمن محتوياتها .

نعم .. فقد اصبح عطوه نشالا عريقا . واستطاع ان يحقق بمشرطه معظم اطمـاعه من ايسر طريق حتى الشهرة ، فقد كان فى صغره يتمنى ان يرى اسمه مطبوعا على صفحات الجرائد ، ولو كان فى صفحة الوفيات ، ثم اصبح يزهو بصـورته عندما تتصدر صفحة الحوادث .

حتى جاء يوم مشهود فى حيـاته ، وتصـدرت صورته الصـفحة الاولى من الجـرائد اليومية ، عندما قبض عليه متهما بجريمة قتل مثيرة شغلت الرأى العـام فترة طويلة . وكاد حبـل المشـنقة يلتف حول رقبته ، لولا براعة المحامى الذى انتزع له من المحكمة اقصى العوامل المخففة للحكم ، بعد أن شـكك القضاة فى عدم تعمده القتـل مع سبق الاصرار .

دخل عطوه السجن ليقضى فيـه سنوات طويلة مع الأشغال الشاقة المؤبدة . وفى غياهب السـجن المظلمة تعلم الكثير . وتهذبت أطماعه ، وتضاءلت الحياة فى ناظريه ، فاصبحت لاتسـاوى يوما واحد قضاه فى قريته دون ضوضـاء او شهرة او مطاردة

ومرت اعوام طويلة تفتت فيها جزء كبير من جبل طـرة تحت مطرقة عطوه . حتى جاء عيـد الثورة العاشر ، فاعفى من ربع عقوبته وخرج الى النور .

ولكن الطرق المضيئة كانت مسدودة أمام رزقه ، وطاردته صحيفة سوابقه كعار لم تمحه السنين ، حتى كاد يتحسر على أيام كان يجد فيها قوته داخل السجن .

وانطلقت صيحة السد العالى ، ففتحت بابا للأمل امامه ، فشد رحاله الى اسوان ، حيث انضم الى بناة السد ، ووقف مزهوا بين زملائه العمال امام جبل الجرانيت وهو يتفتت بين ايديهم . وينهال عطوه بمعوله فوق الصخر فى قوة وحماس، فيتهاوى تحت طرقاته الجبارة المدربة فى جبل طره . واندمج فى حياته الجديدة بكل طاقاته وطموحه ، حتى لفت الانظار واصبح ينتدب للمهمات الصعبة لخبرته وحماسه .. حتى اصبح اسطورة يرددها بناة السد .

***

كان يحلو له ــ بعد انقضاء ساعات عمله ــ ان يجلس فوق اعلى قمة فى الجبل ويتطلع الى الأفق البعيدة فى اتجاه النيل المتدفق ناحية بلدته ،ويتمنى ان يكون شظية من الخشب تسبح على سطح الماء ويحملها التيار الى شاطىء بلدته ، التى لم يستطع ان يطأ ارضها منذ تركها وهو مغامر صغير . ان ماضيه الملوث سوف يطارده هناك ، فلا يستطيع ان يرفع رأسه بين أهله .. وهو لم يتعود ان يمشى محنى الرأس وسط أهله وعشيرته الذى تمرد على حياتهم البسيطة عند السفح ، وتطلع الى قمة زائفة .

وذات مساء ، وكان على وشك الانتهاء من عمله، انطلق الديناميت ، فزلزل الجبل ، وتناثرت الصخور تهدر فى سيل رهيب . وعندما هدأت حركتها ، صعد العمال ليفتتوا الكتل الكبيرة ويدحرجوها الى حيث اللوريات الضخمة تنقلها الى قاع النهر .

وتكاثر العمال حول صخرة عملاقة، ينهالون عليها بمعاولهم فى ضربات متلاحقة دون ان تستجيب لهم ، فلجأوا الى عطوه كعادتهم دائما أمام الصخور العاصية .

وتقدم عطوه من الصخرة ، ودار حولها وفحصها بعينه الخبيرة ، وضربها بمعوله عدة طرقات فنية ليختبر مدى صلابتها ، فتأكد انها لن تستجيب للسواعد البشرية . والقى ببصره الى السفح العميق ، فخطر له ان يخلخل الارض امام الصخرة، ثم يدحرجها الى أسفل فتحطم نفسها عندما ترتطم بالجبل فى قوة تساوى وزن الصخرة نفسها .

ولما كانت هذه المهمة بالغة الخطورة وتحتاج الى كثير من الحرص والخبرة ، فقد تصدى لها عطوه بمفرده . وراح يعمل فى تأن وحذر .. والوقت يمر حتى انتهت « ورديته » لكنه ابى ان يتخلى عن تلك الصخرة العنيدة ، واستمر يخلخل الطريق امامها حتى صارت معلقة على حجر صغير يسندها . ولم يعد امام عطوه الا أن يدفع الحجر الصغير بحرص فتنزلق الصخرة العملاقة مهشمة الى الأعماق .

ورفع هامته متنهدا ، ثم مر بأصبعه السبابة على جبينه ، فاعتصر منه حبات العرق . وفجأة سمع عطوه فرقعة صادرة من أسفل الصخرة ، فانتفض فى ذعر ، وقبل أن يقفز جانبا لينجو من قدره المحتوم ، كانت الصخرة الجبارة أسرع من خطوته ، فجرفته أمامها فى وحشية رهيبة ، وكتمت صرخته فى حلقه .

وفى لحظات تناثرت اشلاؤهما على المنحدر العميق واختلطت دماؤه الزكية بشظايا الجرانيت فصبغته بقطرات قرمزية دافئة .

***

وعندما تدفقت مياه النهر فى المجرى الجديد ، حملت بين طياتها ذرات من دماء الشهيد لتروى بها ارض بلدته ، والوادى الأخضر كله ، فمحت من فوقه وصمة ماضيه المشين ، وسجلت له فخرا لم يكن يتطاول اليه طموحه المتطرف .

صبحى الجيار

امرأة غير مفهومة

لأمين يوسف غراب

بقلم

علاء الدين وحيد

صدرت حديثا للاستاذ « أمين يوسف غراب » مجموعته القصصية (امرأة غير مفهومة) ، وتشمل تسع قصص قصيرة ومسرحية ذات فصل واحد وثلاثة عشر مشهدا ، هي (السلطان) ، احتلت من الكتاب ثلثه .

ومن القصص الجيد في المجموعة ، القصة التي حملت اسمها (امرأة غير مفهومة) ، وفيها يختلط الرمز بالحدوتة بالواقع في نسيج متين ثابت اللون . فالراوى يقص ما حكته له والدة صديقه السودانية التي تؤمن بالسحر والخرافات ، عن جارة عشق زوجها غيرها . فعملت على استرجاعه عن طريق رجل يشتغل بالسحر ، فطلب منها ثلاث شعيرات تنتزعها بيدها من شارب أسد هصور ! وبعد محاولات شجاعة نجح القاص في تصويرها وكأنها ضرب من الواقعية ، وفقت الزوجة الى ماطلب الساحر وذهبت اليه بها . فكان رد الرجل « انى اضحك منكن أيتها النساء العجيبات .. تقدرن ان تروضن الاسود . وتجئن الى لكى أروض لكن الرجال » !

ولعل هذه القصة تؤكد ان الفن الجيد لا يعيبه أن يحمل مغزى بسيطا .

ومن القصص التي لم يتعمقها الكاتب (شيء اسمه القلق) ، وهى تعرض لتجربة صغيرة تتلخص في عثور بطلها وهو جالس على أريكة فى فندق ، على حافظة نقود تخفيها أطراف سترته ، فيعول على الاحتفاظ بها لنفسه ، ويقذف بها في جيبه من غير أن يراها . ويفاجأ في النهاية بأنها محفظته هو .

واذا تجاوزنا عما تتسم به أحداث القصة من تهافت ، لوجدنا أن المعاناة فيها غير مكتملة . وان الشخصية مضطربة الاصل بحيث ان الحدث لم يكشف جديدا ، وكأنه لم ينعكس تماما على نفس صاحبه بل مسها مسا جد رقيق . وهناك أيضا مالجا اليه المؤلف من استزادة في الاثارة والتشويق بلا حاجة القصة اليها ، عندما جاء بهذا الرجل الذى تعقب بطله بدقة واصرار منذ نزوله من الاتوبيس حتى منزله ، ليسأله في النهاية عن اسم شارع ! لقد اقتنع القارىء بما علل به الاستاذ غراب ، وهو يشيرنا بركوب محمود صديق البطل في الاتوبيس رغم ان طريق الصديقين غير مشترك ، بانه سيقضى الليل عند شقيقته ، وبأن محمودا ربما كان صاحب المحفظة الضائعة ، ولكن ما شأن الرجل الآخر ، ولم يكن بدا من الاصطناع !

وواحدة من القصص الضعيف في المجموعة « الفستان الازرق » ، ولا يدرى القارىء لماذا كتبها المؤلف . واذا تعمل – أى المتلقى – وصدق ماينادى به البعض من أن كل فنان لا بد ان عنده مايقوله في كل ما ينتج مهما كان مفهومه ، فاعجب لهذا الحشو الكثير الذى كاد يطمس معالمها كلية ولا يبقى منها الا شيئا مهلهلا عن سيدة شاهدت زوجها الاول في الطريق ، فتذكرت لأول مرة أن لها ابنة من هذا الزوج الذى طلقت منه منذ أربعة عشر عاما في الليلة التي ولدتها فيها ، فتركتها له فرارا من عشرته . ذكرها مرآه بهذا كله فاشتعل قلبها لهفا على الابنة الحبيبة (كذا) ! وأخذت تبحث عنها حتى أخبرتها صديقة ، ان الابنة ستظهر في حفلة مدرسية . وتذهب الام وتراها ، ثم تفاجأ بعد رجوعها بخبر من

صديقتها تعلنها أن الصبية لم تكن فتاتها لانها لم تذهب الى الحفل !

ولا أظن ان قصة في المجموعة بلغت ضعف (الفستان الازرق) المزرى ، وتصنعها بدا منذ اللحظة الاولى ، فقد حاول القاص أن يدمج بين القصة ومقدمتها معا ليتلاشى البعد الزمنى الطويل الذى يفصل بينهما ، ولكنه لم يستطع فوضحت حدود كل منهما ، وأول الغيث قطر !

ولقد عرف الراوى بطلة القصة عن طريق صديقة مشتركة زارها يوما فوجدها عندها ، ثم توطدت الصحبة ولا ندرى كيف ، ولا أظن المؤلف اهتم بذلك لانه لم يكن يريد من هذا كله الا أن تقص على راويها قصتها مع ابنتها ـ لماذا وما المناسبة ؟ لاندرى أيضا ـ وتمر أيام ، لا نعرف اطالت أم قصرت ، وبعد أن يكون الراوى قد التقى بالبطلة عدة مرات، تقص حكايتها !

أما افتعال لهفة الام علىّ ابنتها لمجرد انها رأت زوجها الاول فى الطريق بعد أربعة عشر عاما ، فيكفى أن يكون ضد طبائع الاشياء ولا يمكن ان يصدر عن أم أيضا !

واذ يختلف أديب عن أديب عند جمعه لانتاجه فى كتاب ، فالبعض يغربله وينتقى الجيد منه والآخر لا يفعل وينشره كله ، يبدو أن صاحب (امرأة غير مفهومة) من الصنف الثانى ، بل هو يزيد عن هذا الصنف فى انه يجمع القصة على غير القصة فى كتاب قصصى وهكذا يمكن تفسير وجود (قهوة المعاشات ، وفراغ) • فالاولى صورة خاطفة لتدهور الحال بأحد المقاهى ومعاناته العسر بعد اليسر ، والثانية أيضا لا تزيد عن لقطات مختلفة لما يحدث فى المحاكم من مفارقات •

احدى ظواهر هذه المجموعة ، رقة الراوى رقة زائدة •• انه يتعاطف سريعا مع من يراهم ويلتقى بهم حتى قبل أن يحدثهم ويربط أسبابه بأسبابهم • وهو يشعر بسعادة كبرى فى عملية التعارف ، ويعمل على توثيقها بمشاركة الآخرين احاسيسهم الى درجة الانغماس التام فيها • فيحمل متاعبهم وآلامهم ، كأنهم أصبحوا جزءا من نفسه وروحه ، الى درجة انه لايعرف هل هو هم أو هم هو ! **(قصة بكاء ص ٢٧)** •

والعين هى الحاسة الأولى التى تصل بين مؤلفنا وشخوصه • انه يهتم بما تبعثه من نظرات الى الناس، ولا يكاد ينسى وجودها فى أية قصة من قصصه • فهى تتعلق مثلا بالناس تشد اليهم تتأملهم (بكاء) • وهى تلفظ النظرات سريعا وتجذبها سريعا أيضا (طالبة فى الجامعة) ••

ومن سمات هذه المجموعة أيضا ، اللمسات الفلسفية التى تتارجح بين الكثرة والقلة ، ولكنها على اية حال لاتبلغ الاسراف ، وان كان القاص يضعها أحيانا فى غير مكانها ، ويعبر بها عن شخصيات لا يصل مستواها اليها • كما حدث بالنسبة الى بائعة الجسد بطلة (كاسان) وهى تتحدث عما وجدته فى غرفة الرجل العجوز من اثاث وكؤوس •

حينما تنتهى القصة الى خاتمة فاقعة ومفاجأة خارجية ، يصبغ العمل الفنى كله بلون هازل ، ويستشعر القارىء أن مؤلفه كان يعبث طوال الوقت ولم يكن يقول صدقا • وبذلك يتهاوى كل عنصر طيب فى القصة ، بعد اكتشاف منهج صاحبها فى كتابتها• فقصة **(طالبة فى الجامعة)** مثلا تروى غراما بين صاحب سيارة وطالبة فى الجامعة واكتشافه أخيرا بعد أن سرقته انها نشالة تستعير مظهر الطالبات • ولكن القاص لم يوفق فى المحافظة على أسلوبه من التشويق المثير باقتناع ، فعمد الى التصنع • فهو لا يجعل السرقة تحدث سريعا او بعد وقت قصير ، حتى يوهم القارىء تماما انها قصة حب عنيفة ولا شىء غير ذلك ! وهو أيضا لا يحاول أن يجعل النهاية تنبثق من التكوين الداخلى للقصة ، فكل مافعله فى هذا المجال ، الاشارة الى اعجاب التلميذة المزعومة بالسيارات ، وهى لهفة لا اظنها قاصرة على النشالات ! وهناك أيضا صديق الراوى ، فالقاص لا يجعل البطل يروى قصة حبه الا لصديق ضابط شرطة ، ليدرك الأخير الحقيقة على الفور ويعرف انها النشالة اياها !

وهناك لون آخر من النهايات هو الخاتمة الكاريكاتورية ، كما تمثلها (بكاء) • فالقصة تروى غرام زوج رومانتيكى يعشق زوجة أخرى ، وهو دائم التفجع لحبه لايستطيع أن تمر به ساعات من غير أن يبكى هواه بقلبه وعينه ! وفى النطار يرجو زميله ـ الراوى ـ الذى تم التعارف بينهما ان يسمح له بالبكاء ـ على غرامه ـ اذا لم يضايقه ذلك • وتكشف الخاتمة عن حبهما لنفس السيدة المتزوجة ! ـ يا للمصادفات ـ وهنا يطلب الراوى من صديقه أن يسمح له بالبكاء هو الآخر اذا لم يزعجه ذلك !

ولقد أفسدت هذه النهاية الكاريكاتورية ماعمد اليه القاص طوال القصة من محاولة تشريح الحب والحديث عمـا يتسم به دائمـا من جراح ودماء ينزفها .

أما المسرحية ذات الفصل الواحد والثلاثة عشر مشـهدا ، فليس مجرد الحب الذى لا يمكن شراؤه بالقوة مهما دفع فيه من ثمن ، هو موضوعها فحسب ، فقد طعمه الكاتب بأشياء أخرى تتصل بالعدل وحق الشعب فى تولية حكامه .

والحكاية التى تتعرض لها (السلطان) تعتمد فى خيوطهـا على قصة عربيـة قديمة معروفة ، هى اعجاب أحد ملوك العرب براعيـة بدوية حسناء ، واقترانه بها قسرا ، لأنهـا كانت تعيش قصة غرام عنيف مع شاب من طبقتها . وتحمل الفتاة هواها المشتعل الى القصر ، ولا تقدم الى صاحبه الا جسدا ميتا وقلبا لا وجود له . حتى يكتب لها النصر وتعود الى حبيبها الفقير .

وهناك قاص مصرى آخر هو الاسـتاذ على أحمد باكثير اهتم أيضا بهذه الحكاية ـ وسبق غراب ـ التى تناولها فى مسرحية أيضا ولكن غنائية هى (قصر الهودج) وظهرت فى أواخر عام ١٩٤٤ .

ولاشك ان كلا من المسرحيتين عمل جيد متكامل ، ولكن الأهم من ذلك فى رأيى ، أن كلا منهما عكست بدقة روح عصرها والقيم الجديدة التى تشغل هذا العصر من خلال مواطن مصرى . ونستطيع أن نقف على اختـلاف وجهتى النظر فى العملين اذا طالعنا « مفتاح » كل منهما الذى استشهد به من القرآن الكريم ، والذى صدرت به المسرحية . فباكثير يختار « وهل أتاك نبـأ الخصم اذ تسـوروا المحـراب . اذ دخلوا على داود ففزع منهم . قالوا لا تخف ، خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولاتشطط واهدنا الى سواء الصراط . ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجـة واحدة فقـال اكفلنيها ، وعزنى فى الخطاب . قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه » .

بينما قدمها غراب بالقول الكريم : « ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة ، وكذلك يفعلون » .

والقارىء يحس بأنه على الرغم من أن المسرحيتين يظللهما حكم ملكى ، الا أنه فى عمل غراب فقـدت الملكية أنيابها ولم يعد لصاحبها هذا السلطان المقدس الذى لايحد على النفوس والرقاب . كما أن استسلام الشـعب فى (قصر الهودج) تحول الى ثورة تطيح بالملك فى (السلطان) .

و(**قصر الهودج**) تعكس روح المجتمع المحافظ الذى يؤمن تماما بالقدر « لا ملام على القضاء الله يفعل مايشاء » ومن هنا كان رضـاء سلمى زوجة الخليفة بالواقع ، وتزمتها مثلا ازاء زيارة ابن مياح حبيبها وابن عمها لها يوما ، فالزواج ـ على أى وجه حدث ـ أمانة . بينما نجد عزة فى (السلطان) تعمل على الاتصـال بعـامر والذهـاب اليه فى سجنه .. الخ .

وكما أن كلا من المسرحيتين تعكس روح العصر من ناحية نظام الحكم ، فهى تعكسه كذلك من ناحية مذاهب كتابه الفنية.. فالمسحة الرومانتيكية واضحة فى (قصر الهودج) بينما هى الواقعية المتزنة فى عمل غراب . فسلمى مثـلا لا تبلور حبها لابن عمها الا فى الصحراء « ودعت السعادة فى خيام البادية . حيث الحياة طليقة ، حيث المودة صافية » (ص٤٢) .

وكل من العملين الادبيين يعكس روح كاتبـه الخاصة أيضا وفلسفته فى الحياة .. فبينما ترفض سلمى عندما يجيئها ابن رماح يوما فى بيت الزوجية لوداعها ، طلبه أن يقبل يدهـا ، وترد « لا الدين يسـمح بما ترجو ولا الخلق النبيـل » ! تذهب عزة الى عامر فى سـجنه ويسبحان فى قبلة عميقة كما يقول المؤلف ! ولعل ذلك يرجع الى أن باكثير أدق من صاحبه فى الاهتمام بالتقاليد العربية .

ومن الطريف أن البطلة فى المسرحيتين أكثر ثورة وانفعالا وايجابية من البطل ! فسلمى فى (**قصر الهودج**) وعزة فى (**السلطان**) تلعنان الخليفة او الملك ولا تخافانه وتنغصان عليه عيشته بالامتناع عن مبادلته عاطفته وغرامه ، وتقدم كل منهما الى زوجها الشرعى جسدا باردا لا روح فيه ، ان أمر فهو يطيع ولا شىء غير ذلك . بينما ابن رماح فى الأولى يترك حبيبته عندما جاءها الخليفة خاطبا اياها . ويهيم فى الصحراء بزعم أنه يتركها لعيش ارغد وأفضل ! أما عامر فى مسرحية غراب ، فهو لا يفعل أكثر من أن يستقبل السياط التى تنهال على جسده وهو يكتم توجعه !

« **علاء الدين وحيد** »

ملاح فاسكو دي جاما وأزهاره الثلاث

تأليف : شوموفسكى

ترجمة : محمد منير مرسى

١ ـ الدراسة التاريخية

في اوائل القرن التاسع عشر اكتشف مخطوط تركي يعرف بالمحيط ، كان شلبي امير البحر للقوات البحرية السلطانية قد كتبه في أحمد أباد سنة ١٥٥٤ . واوضح البحث ان سيدى على شلبى الشهير « بكاتب الروم » كان يرأس الحملة التركية التى أرسلت الى المحيط الهندى لوقف التوسع البرتغالى هناك اذ ذاك .

وكانت الامبراطورية العثمانية ـ المسيطرة على مصر والجزيرة العربية والجنوب الموصل الى ايران ـ شديدة الاهتمام باحراز السبق في اكتشاف المياه الشمالية للمحيط الهندى ودراسة الطرق المؤدية اليه . وبعد سقوط الخلافة كانت تعتبر نفسها الوارث الشرعى للسيطرة على هذه الاجزاء . وكان « بيرى ريس » ـ وهو من اقارب كمال ريس » قائد البحرية في البحر المتوسط والذى وضع فى غاليبول سنة ١٥١٣ خريطة لنصفى الكرة الارضية ـ يحمل لقب « أمير البحار العربية » . وهذه التسميةالرنانة تعبر بصراحة عن الرغبة الحقيقية فى الوصول الى هذا الهدف .

وكان التغلغل البرتغالى فى الشرق قد أخذ يتسع بظهور الحملات الجديدة من خلف راس الرجاء الصالح . وكانت العوامل الجديدة التى ظهرت فى وسط شرقى المحيط الهندى سببا فى ازعاج القصر الاستانبولى . ذلكم أن تعقد السلطة والسيطرة على المحيط وتزايد النهم الاستعمارى للفرنجة بتعمقهم فى التقدم واكتشافهم مصادر الثروة فى الشرق وتوقع توجيه ضربة الى الشرق من المحيط ، كل هذه العوامل استدعت ارسال حملة « شلبى » لدرء هذا الخطر . ولكن بعد معركتين خاسرتين مع البرتغاليين وقعت السفن التركية التسع فى عاصفة دامت خمسة أيام . وبعدها وجد من نجا من طاقم هذه السفينة وعلى راسهم امير البحر نفسه ملقون على شاطىء الجوزرات فى البر الغربى للهند . وفى خلال الثلاث سنوات التىامضاها «شلبى» هناك استطاع أنيجمع من الملاحين العرب والفرس والترك والبرتغاليين معلومات شفوية وتحريرية عن أحوال وظروف الابحار فى المحيط الهندى ودرسها بدقة، واستطاع بهذه الوسيلة أن يجمع دليلا فريدا عن هذا الحوض للاغراض العملية للبحرية السلطانية واسماه « المحيط » .

ومن المحتمل أن الكارثة التى اصابته كانت الدافع الرئيسى لوضعه هذه الموسوعة التى قال عنها المؤلف ان من اهم اغراضها درء وتجنب كوارث السفن فى المستقبل .

وفي بداية عام ١٥٥٧ ، رجع شلبي الى وطنه عن طريق البر عبر شمال الهند وبداخشان وخوارزم وفارس ثم توفي سنة ١٥٦٢ وكان يعمل آنذاك دفتردارا فى ديار بكر ٠

***

ومنذ سنة ١٨٣٤ حتى سنة ١٨٣٩ أصدر العالم الفيني « هامير بورجشتال » في ترجمة انجليزية سلسلة مختارات من « المحيط » ٠ وفى عام ١٨٤٨ اكتشف « رينو » كبير مستشرقي أوربا الغربية في ذلك الوقت مقطوعات أخرى من المحيط موجودة في المقدمة الجغرافية «جهان نامة» لحاجي خليفة٠ وأوضح أن الآثار العربية الموجودة فى عمل شلبي هي عشر طرق بحرية للسفن ، ثلاثة قديمة ، وسبعة أكثر حداثة ٠ وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان التقدم الذى تلا ذلك في دراسة المحيط يرجع الى « بونللى » و « بيتز » و « توماشيك » ٠

ولكن بعد مرور حوالى ثلاثة أرباع قرن من تقريظ « رينو » للمصادر العربية للمحيط ، لم يتمكن « جبريل فيران » ــ الباحث الفرنسي المشهور للمؤلفات الشرقية عن المحيط الهندى ــ الا من ذكر أسماء مؤلفي هذه المصادر ٠ وفي مرجعه الضخم عن أخبار العرب والفرس والترك عن الشرق الاقصى مدة ألف سنة ، توجد اشارة الى أن الثلاث مقالات القديمة ترجع الى الليث بن كهلان ومحمد بن شظن وسهل بن أبان ٠ وثلاثتهم لم تكن تعرف عنهم اية معلومات ٠ أما السبع مقالات الحديثة فترجع ست منها الى سليمان بن أحمد من الشحر في الجنوب العربي ، والسابعة ترجع الى أحمد بن ماجد من جلفار في عمان٠ وكانت هذه الاسماء آنذاك ترد بالصدفة ، ولم تجد لنفسها مكانا بين أسماء المؤلفين المعروفين منذ أكثر من خمسين عاما الذين يتمتعون بشهرة كبيرة ٠ ولكن فيران في فترة انشغاله باكتشافات من الدرجة الاولى فى الاهمية سنة ١٩١٢ وفي أثناء بحثه عن بعض المواد لكتاباته اكتشف مع «جود فروا دى مومبينى » مخطوطين عربيين في المكتبة القومية الفرنسية تحت رقم ٢٢٩٢ ، ٢٥٥٩ ٠ والمخطوط الاول يتكون من ١٨١ ورقة تحتوى على تسعة عشر طريقا بحريا لابن ماجد ، وغالبا ماتكون منظومة من بحر الرجز (ومن هنا كانت التسمية بالارجوزة) ٠ وتشرح هذه الاراجيز مختلف طرق الابحار في البحر الاحمر والخليج الفارسي والمحيط الهندى ٠ ويحتوى هذا المخطوط على اشارة صريحة الى عشرة أعمال أخرى لنفس المؤلف ٠ والمخطوط نفسه ــ وهو الذى يحمل رقم ٢٢٩٢ ــ لاتوجد به الا ثلاث مقالات مؤرخة هي المقالة الاولى والثانية والسادسة ٠

أما بقية المقالات والاراجيز فلا تحمل أى تاريخ ٠ لكن المجموعة كلها تحمل تاريخ سنة ١٥٧٦ ٠

وكان « فيران » قد اعتبر هذا المخطوط نسخة فريدة من أصل غير معروف ولكن بعد عشر سنوات تبين له من مقالة نشرها مجمع اللغة العربية أنه توجد له فى دمشق نسخة أخرى مماثلة ٠

***

أما المخطوط الثاني الذى يحمل رقم٢٥٥٩ فيتكون من ١٨٧ ورقة تحتوى على خمسة مؤلفات شعرية أخرى لابن ماجد منها اثنان مكرران فى المخطوط الاول تحت رقم ٢٢٩٢ ٠ وما يوجد بها من نثر صيغ على نسق المؤلفات عن الطرق البحرية لمعاصره الاصغر سليمان الشمرى الذى يعرف الآن بسليمان المهرى ٠

ولم يبدأ « فيران » فى التعرف على محتوى هاتين المجموعتين الا فى عام ١٩١٤ ٠ وحتى ذلك الوقت لم يكن هذان المخطوطان معروفين في التراث العربى أو فى العلم الاوربى وكلاهما نسخة فريدة ومن هنا كان البحث طويلا معقدا ٠ وكل ما كان معروفا لدينا آنذاك أن احمد بن ماجد ربان سفينة ولا شيء أكثر من هذا ٠ واستطاع «فيران» أن يصرح بأن « محيط » أمير البحر التركي فى مجموعه ليس الا ترجمة قد تكون أحيانا نقلا حرفيا عن هذين المخطوطين العربيين ٠

وقد رجع فيران ثانية الى هذا التصريح الذى نال من مكانة شلبي وأعماله التى كانت قد استتبت في العلم ٠ وكانت الاعوام التالية لسنة ١٩١٤ مشحونة بالدراسات العميقة للمخطوطين ٠ وفى سنة ١٩٢٢ ظهرت مقالة تتضمن المعلومات الاولية عن نتائج هذه الدراسات٠

وفى العام التالى ظهر المخطوط الاول متضمنا صورة طبق الاصل من هذه النسخة ، ولم يترك المخطوط الثانى ٠ وقد تمكن « فيران » بفضل المعلومات التى أمكن الحصول عليها أثناء البحث من

التحدث بوضوح عن سؤال عام يتعلق بالتأثير الايرانى فى المؤلفات البحرية العربية ٠

وفى تعداد المخطوطات القيمة لمعهد الدراسات الشرقية بالمجمع العلمى السوفيتى فى ليننجراد يوجد مخطوط مقاسه ١٣×٢٠ سم بجلد أحمر شرقى الطابع به رسومات ويحيط به رباط ، ويحتوى هذا المخطوط على سبعة مؤلفات عن موضوعات مختلفة ترجع الى مؤلفين مختلفين وعلى حسب الرمز القديم والرمز الجديد الموجود على الصفحة الداخلية للغلاف وجد هذا المخطوط بين المخطوطات القيمة للمتحف الآسيوى ، ومنه انتقل الى مخطوطات معهد الدراسات الشرقية للمجمع العلمى ٠ وكان هذا المخطوط فى المتحف الآسيوى ضمن الجزء المخصص للمخطوطات التى وصلت قديما وحفظ معها ٠ وحقيقة اسمه هى التى تدل على هذا ٠

***

ففى اغسطس سنة ١٨١٩ أى بعد عام واحد من عمل المتحف الآسيوى ظهر فى الفهرس الخطى لفرين مؤسس المتحف وأول مدير له ٠ واعتبر المخطوط كله مجموعة تندرج تحت رقم واحد هو ٨٠٤ ٠ أما مؤلفو موضوعاته فيتميزون بأرقام داخلية فرعية ٠

وفى منتصف الوصف بصفحة ٢١٦ و٢١٧ يرد : رقم « ٤ » سفالية ، رجز شهاب الدين أحمد بن ماجد صدر بالبيت التالى :

الحمد لله الذى أنشأ الملا

من عدم جل تعالى وعلا

وفى رقم « ٥ » جاء ما يلى :

عزمت والعزم حميد فى السفر

لاسيما من بلدة فيها ضرر

نبى سما فوق البراق لربه

نبى الهدى المدفون فى أرض طيبه

ويعتبر الالتباس الرئيسى أنه تحت رقم « ٥ » ورد وصف مؤلفين مرة واحدة على الرغم من أنهما يرجعان لنفس المؤلف ويرتبطان بالمضمون العام ٠ ومع التسرع الاولى للتعرف على المخطوط ، لم يلاحظ واضع الفهرس وجود مقالة ثالثة لها موضوع مستقل بل اعتبرها خلاصة للجزء الثانى ٠

وهذا واضح من أن « فرين » اعتبر الجزء الثانى محتويا على تسع ورقات. ولكن عند الحساب بطريقته نجد انه يحتوى على تسع ورقات فقط من ص ٩٧ – ١٠٤ ، أما الورقتان الاخيرتان ١٠٤ ، ١٠٥ فهما يتضمنان المقالة الثالثة ٠ واذا كان هذا الاغفال لمقالة كاملة قد ترتب عليه تحويل المقالات الثلاث الى مقالتين فانه من الممتع ملاحظة أن هذا التحويل كان كاملاتماما لدى ناسخ المخطوط لدرجة الاحتفاظ بالمقالة كوحدة مستقلة، فهو يعتبر المؤلفات الثلاثة ذات غرض واحد لأنه وردت فى بداية الجزء الاول عبارة « بسم الله الرحمن الرحيم » أما الجزء الثانى والثالث فهما خاليان من البسملة ومن جميع العبارات التى تفتتح بها الكتابة ٠

***

وبالطبع كان انتماء هذه الأجزاء الى مؤلف واحد وكذلك مضمونها العام ، هذا الى جانب حجم أسفار الجزء الأول والثانى – كل هذا يتحدث عن منطقية هذا التصور ٠ فبناء هذه المجموعة الثلاثية يتميز قبل كل شيء بأن كل جزء محدد ومستقل فى الموضوع عن الجزء الآخر ٠ وعلى كل حال فقد صحح هذا الالتباس فيما بعد وأصبح فهرس « فرين » يعكس تعريفا بالمخطوط أكثر وضوحا ٠

وبعد «فرين» ظل هذا المخطوط فى طى النسيان . ولم يذكر فى أى فهرس مطبوع للمتحف الأسيوى سوى فهرس وصف مجموعة « روسو » ١٨١٧ ٠ ومرت مائة عام بالتمام منذ تسجيل المخطوط حتى ذلك الوقت التى أثار اهتمام ذلك العالم الذى تولى ايقاظ المخطوط من سباته حتى خرج فى صورة دراسته الحالية ٠

وقد خصص كراتشكوفسكى فى كتابه عن المخطوطات العربية مقالة كاملة عن هذه المخطوطات٠ وهو أول من توصل الى نسبة هذه المؤلفات الثلاثة فى مخطوط ليننجراد الى أحمد بن ماجد ويحتمل أنها

لم تكن معروفة للعلم آنذاك . وقد أصبح هذا الاحتمال مؤكدا بعد أن سئل عنها « فيران » الذى كان يعتبر فى العقد الثانى من قرننا ، الخبير بكل ما حفظ من أعمال البحار العربية ، وصاحب الفضل فى ادخال اسم ابن ماجد الى دنيا العلم . وكان رد « فيران » هو أن أراجيز الطرق البحرية الموجودة فى مخطوط لينتجراد ليست لديه بها سابق معرفة .
وعلى الرغم من كل تسويفات كراتشكوفسكى واغراءاته له بأن يتولى دراستها الا أن « فيران » لم يتمكن من أخذ هذا العمل على عاتقه . فقد كان عليه ان ينجز بعض المسائل التى لا يمكن ارجاؤها الى جانب أن بعض الأمور العلمية أرغمته على وضع الأدب العربى البحرى فى المرتبة الثانية . ومع ان صورة هذا المخطوط الوحيد قد أرسلت اليه وقدرها حق قدرها وعزم على اصدارها الا أن موته فى ٣١ يناير ١٩٣٥ حال دون تحقيق هذه الفكرة . وهكذا بقى المخطوط دون أن ينشر . لكن العالم الذى اكتشفه لم يحاول أن ينساه . ففى محاضراته عن تاريخ الادب العربى وفى بعض مقالاته المنشورة نجد اشارة الى الثلاثة طرق البحرية المجهولة لابن ماجد.

***

وفى ربيع سنة ١٩٣٧ كنت طالبا فى جامعة لينتجراد ، ودرست على يد كراتشكوفسكى طرق تحقيق المخطوطات العربية . وفى نهاية احدى محاضراته لفت نظرى الى المخطوط ٩٩٢ ـ ف وأشار على بشرح الاجزاء التى قد تثير اهتمامى . وعلى الفور اخترت اراجيز احمد بن ماجد . وعندما تحققت بنفسى من أن هذه الأراجيز لم يشر اليها فى الأبحاث المنشورة وأنها فريدة فى بابها شعرت بنفسى أقف على عتبة عمل كبير معقد لكنه جدير بالاهتمام وبعدها بدأ البحث وفى خلال الصيف والخريف أعددت الوصف الاولى للاراجيز وتفسير المسائل المتعلقة بالمضمون والتواريخ واللغة والدراسة الخطية والمعنى العام . وفى بداية سنة ١٩٣٨ ووفق على طبع هذه الدراسة فى دار الطبع التابعة للمجمع العلمى . ولكن لم يكتب لها أن ترى النور . ففى هذا الوقت اضطرتنى الظروف الى الابتعاد عن كل الاعمال العلمية مدة ثمانى سنوات ونصف . وبعدها فى ١٢ أغسطس سنة ١٩٤٦ شعرت بارتياح كبير لوجود مخطوطى كاملا وسليما عندما رجعت الى لينتجراد بعد تلك الاعوام الثقيلة من حصارها والجلاء عنها . وتجدد العمل بخطوات ثابتة وعزيمة قوية بغض النظر عن الصعوبات الظاهرية التى كانت تتطلب عادة وقفات زمنية ليست بذى بال . وفى ربيع سنة ١٩٤٧ كان النص جاهزا . ومن يونيه حتى أكتوبر أعددت الشروح والتعليقات الرئيسية . وفى الخريف اكتمل اعداد الترجمة والمقدمة . وما تلا هذا من الوقت كان لانهاء البحث والتغلب على الصعوبات المتعلقة بعدم وجود صلات مستمرة مع المواد العلمية فى لينتجراد وينبغى عند تقويم المحاولة الأولى لدراسة الطرق البحرية الثلاثة المجهولة لابن ماجد ، أن يؤخذ فى الاعتبار أن هذا العمل لم يتناول تحليل الموضوعات تحليلا كاملا ، بل العكس هو الصحيح . لانه يهدف الى دفع الابحاث فى المستقبل نحو التعمق فى دراسة الموضوع .

فقد أشار كراتشكوفسكى ذات مرة الى أن « العرب لا يحبون البحر » وعادة تكون الصورة الظاهرية لهذا الشعب هى التى يحددها لنا تصورنا لصحراء بلا ماء وقوافل بطيئة هى سفن هذه الصحراء وأماكن نادرة من الواحات ، لكن وضع شبه الجزيرة أدى الى حتمية الاتصال الفعال بالعالم الشرقى الخارجى . واستطاع العرب أن يفتحوا مبكرين الأفق الواسع للمحيط خارج نطاق الأفق الصحراوى المعهود .

وقلما راودنا التفكير فى هذا الجانب من الثقافة العربية ، فالمحيط الهندى بعيد عنا ولم يكن لنا به اهتمام مطلقا .

***

وهذا البحث على كل حال يزيد عدد مؤلفات ابن ماجد المعروفة للعلم من ٣٢ مؤلفا الى ٣٥ مؤلفا. وبصرف النظر عن التقيد بهذا التزايد العددى فان التحليل التالى يوضح أن هذه الطرق البحرية الثلاثة لاتعتبر زيادة فى الكم فحسب بل فى الكيف أيضا ويبدو لى أن أهمية هذا العمل تتمثل أيضا فى أنه يفتح المجال للتوسع فى تعميم مثل هذه البحوث .

ترجمة : محمد منير مرسى

يابسة الخطأ

للشاعر: فتوح أحمد

الى التى كانت تحاول ذات ليلة الوصول الى مقعد « اجرد فى الميدان الكبير » !

تناوح ليله .. واسترخت الأضواء فى المقل
بعيدا .. تقرع « الميدان » خطوة عابر ثمل
وغانية .. تبعثر ظلها .. . اطراقة الوجل
وشيخ من عذاب الليل . . قد أغفى على ملل
وحن عليه من بين المآذن حائط عارى
وتمتم : نحن فى الحرمان مستويان .. يا جارى !

***

وكنت تجاهدين هناك .. كى تصل الى مقعد
وفاتك .. أن هذا الجهد لا يسمو له « مقعد »
رأيتك تزحفين بكل ما فى حسك المجهد
: بنان « ناحل » ينهد فوق الشارع الأجرد
ومشروع لخلق المستحيل .. ومقعد كابى
تقضى الليل .. طول الليل لم ينعم بأحباب !!

***

رأيتك .. تزحفين اليه ـ يا أختاه ـ اصرارا
وشىء من بروز الصدر يوقد فى الثرى .. نارا
وظفرك فى شغاف الأرض يأكل .. كلما سارا
وفوق الركبة العجفاء .. رق الثوب وانهارا
لأن الركبة العجفاء .. ساق الحائر المجهد
اذا ما اشتاق ـ يا أختاه ـ أن يمضى الى مقعد !

***

ولم تصل .. تبعثر جهدك المصدوم أشلاء
تهاوى كفك المشدود فوق الأرض اعياء
وأعول فى ضنا عينيك ليل بالأسى ناء
ورحت تفلسفين العجز .. أشياء .. وأشياء
وبعض من برود اليأس فوق جبينك الغائر
برغم شجاعة الأحزان .. يفضح جرحك الصابر !

***

أأحكى ؟ سرت فى عينيك أياما .. وأياما
وأعجب !! ذابت النظرات فى كفى آلاما
وعمرا مات .. ضاع عليك .. اعواما واعواما
صحا .. فقرات فيه الأمس .. آمالا وأحلاما
ورحت أجوب فى عينيك .. اقرأ سر نظراتك
ففى عينيك يا أختاه .. يرقد بعض مأساتك

***

هنا .. طيف السنين البيض .. أبصرها هنا طفلة
تضم الأهل والأصحاب والأشياء .. فى قبلة
وتقفز فى شعاب « الحى » كالعصفور مخضلة
وبسمتها .. أبوها الكهل شاد خيوطها ظلة
وصلى تحتها .. « يارب خذ من عمرى الباقى
وخل البنت .. راحة مقلتى .. وكهف أشواقى »

***

وعند الهدب .. تحت الهدب .. ماذا ؟ .. عالم آخر
أحسك فيه أغنية الخيال على فم شاعر
هنا .. وتألق الاحساس فى رسم الغد الزاهر
وراح يجوب سوق السحر .. يبحث فيه عن ساحر
خلبت السوق يا أختاه .. والدلال .. والحارس
وكاد خيالك الوردى أن يلقى به .. الفارس !

***

هنا .. لا استطيع .. فقدت فيك طراوة الأمس
هنا .. ماذا ؟ .. أأصرخ « صرت كالموتى » بلا حس
أأصرخ : « صرت يابسة الخطا ! » ؟ وتطيعنى نفسى؟
وأنسى أن كأسك فى الضنا ـ يا أخت ـ من كأسى ؟
وأنسى أننى يا أخت مثلك .. قلبى الظامى
يسير مبعثر الخطوات .. فى بيداء أوهامى ؟

***

كلانا فى الأسى يا أخت عصفور بغير جناح !
يعانى من سواد الليل .. يا ليلا بدون صباح
كلانا تطرق الدنيا لوعته .. وتبكى الراح
ويعبر : لا استراح بها .. ولا حنت عليه جراح
وها أنا راهب الاحساس .. لكن ليس لى محراب
تقضى العمر يا أختاه .. لا أهل ولا أحباب !!

نادية.. والشعر.. والكمثرى

للشاعر محمد عادل سليمان

تفضل هنا • • هنا • • أشرت للمكان
فاومات وابتسمت • • يا دفقة الحنان
أواه حين يشعر الانسان بالأمان
أواه حين يدفأ الوجدان في الانسان

***

وسلمت فارتعشت • • وانتفض البركان
حبيبتي •• هل تذكرين ؟ •• كان •• ياما كان
أنا • • وأنت جارتي • • روحان توامان
ترفرفان في مدى المدى • • وتسبحان
هدباك صامتان • • عيناك تغريان
« باروكة » هنا •• هناك خصلتان
« ايشاربك البمبي » • • بنفسج «الفستان»
والصدر ربوتان • • طائران ازغبان
وبيننا التيار • • لمسة ورعشتان
والف الف صعقة تزلزل الكيان

***

واول الحديث • • كلمتان • • كلمتان
سالتني عن دفتري ؟ •• الشعر والأوزان
هل تقرئين ؟ •• ـ لو سمحت لي ـ قصيدتان
وتقرئين صفحة • • تغريك صفحتان
تعانقين الشعر • والخيال • والالوان
وذكريات الحب •• والحياة •• والاشجان
حبيبتي •• هل تذكرين الشاعر الانسان ؟
من هز عمق العمق فيك •• ارعش الوجدان
دنياه ـ يا حبيبتي ـ شعر • • ومهرجان
الشعر أنت وحيه •• والنبع •• والألحان

عيناك تسقيانه •• هدباك يعزفان
قصيدة • • حروفها موج • • وضفتان
هل تذكرين ؟ • • أنا وانت نظرتان
لا نعرف الزمان •• لا نحس بالمكان
روحان شاردان • • زورقان تائهان

***

حبيبتي هل تذكرين ؟ •• كان ياما كان
طريقنا الطويل خطوتان • • خطوتان
ودفتري ـ على يديك ـ مستح خجلان
اشرت لي • • هنا •• هنا •• أشرت للعنوان
وقلت لي •• قصيدة مشبوبة الحرمان
حروفها تشعلني هوى وعنفوان
تاذن لي انقلها ؟ •• يافرحة الأكوان
نزعتها من دفتري •• قدمتها نشوان
اليك ـ ياحبيبتي ـ من شاعر ظمآن
فربما ذكرتني في غيبة النسيان
موعدنا •• لقاؤنا •• المكان والزمان
صورتنا •• حديثنا في الحب والهجران

***

حبيبتي •• هل تذكرين ؟ •• كان •• ياما كان
وأنت تبسمين •• من يدري •• كمثرتان
تردني ؟ • • وقلتها تقطرت حنان
أواه حين يشعر الانسان بالأمان
أواه حين يدفأ الوجدان في الانسان

محمد عادل سليمان

أين علماء الدين في إيران

محمد عبد الله السمان

مما لاريب فيه أن الذين قرأوا بامعان وتدبر مقال الفيلسوف الانجليزي « برتراند رسل » الذى نشرته جريدة الاهرام الصادرة في ٢٥ من الشهر الماضى ، وفيه نقل الصورة الرهيبة لايران المعاصرة ، قد أصيبوا بشيء من الذهول ، ممتزجا بكثير من الاسى والالم .

ومقال الكاتب الفيلسوف ابتداه بما سبق أن نشرته مجلة « نيوزويك » في مايو عام ١٩٦١ من تصريح للسناتور « هيوبرت همفرى » المرشح الآن لمنصب رئيس الجمهورية في أمريكا جاء فيه :

« هل تعرفون ما الذى أبلغه قائد الجيش الايرانى لأحد رجالنا ؟ .. لقد قال : ان الجيش الايرانى على درجة من التنظيم بفضل معونة الولايات المتحدة وانه قادر على تملك زمام المدنيين .. فان ذلك الجيش لا يعتزم محاربة الروس ، وانما أعد لمحاربة الشعب الايرانى » .

ولسنا فى حاجة - بالطبع - الى تكرم قائد الجيش الايرانى بكلمة أخرى يضيفها الى تصريحه ، وهى أن اعداد الجيش لمحاربة الشعب الايرانى انما هو من أجل حماية الشاه نفسه قبل حماية مصالح الغرب ، ويظهر أن ستين الفا من رجال البوليس السرى لاتكفى لحماية الشاه فى الوقت المناسب ، ولذلك فقد عول الشاه لحمايته على جيش معد مكون من مائتى الف

وأصبح من حقه - وهو صاحب السلطة المطلقة التى لاتحد - أن يجعل متوسط دخل الفرد من ضباط الجيش أو البوليس الفى دولار فى الشهر بينما متوسط دخل الفرد من عامة الشعب الايرانى لايتعدى ثمانين دولارا فى الشهر . كما اصبح من حقه أن يتصرف كيفما شاء فى اربعمائة مليون دولار فى العام هى عائدات البترول الى جانب ثمانين مليون من الدولارات أيضا هى قيمة المعونة الامريكية فى العام ، فينفق بسخاء على مظاهر بذخه فى داخل ايران ، وسائر عواصم أوربا ، حيث تضيق ملاهى العاصمة الايرانية التعسة عن اشباع نزوات حفيد الاكاسرة .

ولعل الذين قرأوا هذا المقال الذى نقل الينا صورة رهيبة واحدة من صور رهيبة كثيرة أخرى تعيشها ايران الدولة المسلمة - لعلهم تساءلوا : «أين علماء الدين فى ايران المسلمة ؟ » ، ما الذى أخرس السنتهم اليوم وخدر حناجرهم وهزم ايمانهم وأفقدهم شجاعتهم ؟

الم يعد لعلماء الدين وجود فى ايران بعد أن اخرست المقصلة صوت « نواب صفوى » واسكت الموت صوت « آية الله كاشانى » الى الابد ؟

اذا كان الارهاب الذى يعيش فيه شعب ايران البائس حتى ليكاد يقضى على وجوده نهائيا .

واذا كان البذخ الذى يعيش فيه الشاه «المبجل» حتى ليكاد يتحدى به قيم الاخلاق كلها ·

واذا كان النفوذ الامريكي والبريطاني الذى يسيطر على ايران حتى ليكاد يستنزف آخر قطرة من كرامة ايران وشعب ايران بأسره ·

واذا كان الفقر المدقع الذى يخيم على ايران حتى ليكاد يستأصل معنوية شعبها قاطبة ·

اذا كانت كل هذه لم تثر ثائرة علماء الدين فى ايران ·· أفلم تثرهم تلك المهزلة الاليمة ·· مهزلة اعتراف ايران المسلمة باسرائيل ، وتحدى الشاه وحكومته عواطف عشرات الملايين من العرب ، ومئات الملايين من المسلمين ؟

قد يقول قائل :

ألم تعترف تركيا باسرائيل من قبل ؟

ونحن نقول لهذا القائل :

ان دستور تركيا لم ينص على أن تركيا دولة دينها الرسمى الاسلام كايران ، وان تركيا الآن خلو من علماء دين يبلغون عشرات الالوف كايران ·· والمعروف ان فى تركيا شعبا مسلما يرى أن فى حفاظه على تدينه غاية الجهاد ·

ولكن معظم الشعب الايرانى مسلم شيعى ، وكل شيعى يعتبر نفسه عالم دين له رسالة يجب ان يؤديها ، لا اقتداء بسلفه الذى كان له ماض مشرق فى الجهاد ومقاومة الباطل والوقوف الى جانب الحق، ولكن اقتداء بالعلماء الخلف الذين أغرقوا العالم الاسلامى اليوم فى جدل ممل فى العقيدة الاسلامية ·

نحن لا ننكر أن للشيعة اليوم فى ايران رسالة ، ولكن رسالتهالم تزل قاصرة على تدعيم المذهب الشيعى لافى ايران وحدها ، بل فى كثير من البلاد الاسلامية الاخرى ، وكثير من علماء الشيعة الايرانيين يطوفون بالعالم الاسلامى لينشروا المذهب ولينفقوا عن سخاء فى نشر المؤلفات القديمة والحديثة التى تخدم مذهبهم وكفى ، ولا يجدون ناصحا يقول لهم : عودوا الى بلادكم ففيها جاهدوا من أجل الاسلام الذى الغى الشاه وجوده ·· من أجل الظلم الذى أرسى الشاه قواعده ، من أجل النفوذ الصليبى الذى أعد له الشاه جيشا لحمايته ، واخيرا من أجل الصهيونية الآثمة التى فتح لها الشاه كل أبواب ايران على مصاريعها ·

قال لى شاب ايرانى منذ ايام :

وماذا يفعل علماء ايران وهم مغلوبون على أمورهم كسائر شعب ايران، الذى يهدده جيش تعداده مائتا الف ، وجيش آخر من البوليس السرى تعداده ستون الفا ، وسجون ومعتقلات تفتح أبوابها ليلا ونهارا ليزج فيها بالمئات دون أن تسأله ما تفعل · ومحاكم تتواضع لها محاكم التفتيش فى القرون الوسطى ؟

قلت له :

ان علماء الشيعة الذين يجاهدون بأموالهم وانفسهم من أجل خلافات مذهبية مضى عليها زهاء اربعة عشر قرنا ، أحق بان يجاهدوا حاكما طاغية لبلد مسلم ، ولا اظنهم يجهلون أن رسالتهم الأولى لسائر علماء الدين فى كل بلد مسلم أن يقولوا كلمة ولو فى وجه سلطان جائر ، وهذا افضل الجهاد كما يقول الرسول :

ولكن علماءكم خالطوا الدنيا فآثروا السلامة والعافية ، وصاروا كما قال سمنون رضى الله عنه :

« علماء زماننا شر من علماء بنى اسرائيل ·· يخبرون السلطان بالرخص وبما يوافق هواه ، ولو اخبروه بالذى عليه ــ وفيه نجاته ــ لاستثقلهم وكره دخولهم عليه ، وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم » ·

***

اننا لنترحم عليهم مع الفضيل بن عياض حيث يقول :

« انى لارحم ثلاثة : عزيز قوم ذل ·· وغنى قوم افتقر ·· وعالما تلعب به الدنيا » ·

محمد عبد الله السمان

الإحياء الرومنسي في أدبنا المعاصر

• محمد يوسف القعيد •

عاش الادب العربي في الربع الاول من هذا القرن ثورة رومنسية عارمة سواء في الترجمة او في التاليف فمن ناحية الترجمة ترجم لنا مصطفى لطفي المنفلوطي : ماجدولين والفضيلة في سبيل التاج والشاعر . وكلها كانت اقرب الى عمليات الانشاء منها الى الترجمة الصحيحة وترجم لنا احمد حسن الزيات رافاييل وآلام فرتر وترجم لنا الدكتور احمد زكي غادة الكاميليا وترجم لنا على ادهم رينيه .

***

وقد يثار سؤال لماذا انصرف ادباؤنا الى الأعمال الرومنسية فقط يترجمونها دون الأعمال الاخرى فقد كان في أوربا في ذلك الوقت الواقعية والطبيعة وغيرهما من المذاهب الأدبية والاجابة على هذا السؤال عند **احمد حسن الزيات** انه يقول (انا في سنة ١٩١٩ كنت اجتاز في هذا الحين شبابا طريرا حصره الحياء والانقباض ونمط التربية وطبيعة المجتمع في حس مشبوب يتوقد شعورا بالجمال وقلب رغيب يتحرق ظمأ الى الحب ونوازع طماحة ما تنفك تجيش وعواطف سيالة ما تكاد تتماسك فالطبيعة في خيالي شعر وحركات الدهر نغم وقواعد الحياة فلسفة وكان فهمي لكل شيء وحكمي على كل شخص عن منطق أفسد أقيسته الخيال .. قرأت هلويز الجديدة ورينيه وأتالا وأدولف .. ودمنيك .. الخ) ..

والذي يقوله احمد حسن الزيات عن نفسه ينطبق على كل شباب جيله الذي يسمى بحق جيل الهزيمة والضياع .. للظروف السياسية والاجتماعية التي احاطت بهم . من هنا كانت عملية الترجمة للأعمال الرومانسية بالنسبة لهم لم تكن مجرد نقل لأدب من لغة الى لغة اخرى وانما كانت - بالدرجة الاولى - عملية بحث عن الذات ولقاء بهذه الذات خلال هذا اللون من الادب ومن هنا انصرف المترجمون الى الأعمال الرومنسية فقط ينقلونها الى العربية ومن هنا ايضا تجد هذه الثورة تنتقل الى ميدان التاليف عقب هذا مباشرة فنجد **مصطفى لطفي المنفلوطي** يكتب العبرات ، وهي كما يبدو من عنوانها عبرات رومنسية على الضائعين في الحياة ونجد **محمد حسين هيكل** يكتب «زينب» وهي قصة حنين الى الوطن وحب رومنسي طاهر .. وتضحية ضخمة في سبيل هذا الحب .. ونجد في الشعر ايضا عند **محمد عبد المعطي الهمشري وعلي محمود طه** وابراهيم ناجي .. نجد ابعاد هذه الثورة ممثلة في شعرهم .. في صرخات ملتاعة تجاه الواقع ونظرة حزينة متشحة بالسواد الى الحياة .. ورغبة في الموت نتيجة لانهزامية كل منهم امام غول كبير ومخيف هو الحياة ..

***

حتى هنا والنهضة الرومنسية تقيس الأدب بكافة ابعاده ذلك أن هذا الجيل بالذات وجد نفسه وافكاره .. واحزانه في الرومنسية التي من اهم

خصائصها : (الانطواء على النفس والشعور بالذات وشبوب العاطفة والاستسلام للمشاعر والاضطرابات النفسية والنظرة السوداء الى الحياة .. والانهزامية امام الواقع والميل الى التفكير فى الموت . ان الرومانسية هى ادب الهروب سواء أكان هذا الهروب هروبا مكانيا الى مكان افضل واجمل ام هروبا زمانيا الى الماضي الجميل ام الى المستقبل الباسم ..) اقول .. لقد وجد شباب هذا الجيل انفسهم وحياتهم وافكارهم واحزانهم الخاصة بهم .. وجدوا كل هذا .. فى هذا الطوفان العارم من الرومنسية الغربية ..

وما ان اتى الربع الثانى من القرن العشرين حتى انحسر ذلك الموج الرومنسى بعض الشىء وبدأت تيارات الواقعية تهب على ادبنا وتسلل الى ادبنا مع هذا التيار - عن طريق الترجمة - بلزاك وفلوبير وادباء روسيا الواقعيون واستمر هذا التيار الواقعى فى أدبنا العربى فوجدنا **الحكيم** يكتب (عودة الروح) **ونجيب محفوظ** يكتب اعماله التاريخية ثم ما يلبث ان يلتقى بالواقع مباشرة ابتداء من (القاهرة الجديدة) **ويوسف ادريس** يكتب (ارخص ليالى **وعبد الحليم عبد الله** بدأ يكتب اعماله الواقعية وحتى فى الشعر فى ذلك الحين قد ظهرت مدرسة جديدة هى مدرسة (الوجدان الجماعى) فى الشعر .

***

واستمر ذلك التيار الواقعى يشغل الوسط الادبى حتى نهاية خمسينات هذا القرن وقبل عام ١٩٦٠ أقول فى هذه الفترة حدث ما يمكن تسميته الاحياء الرومنسى مرة أخرى .

ففى هذا الحين كان الدكتور ثروت عكاشة قد بدأ يبعث جبران خليل جبران فى العربية بعد ان ظل غريبا فترة .. طويلة .. وجبران امام . ائمة المهجر الرومنسيين وفى ذلك الحين ايضا استقبلت المكتبة (جبهة الغيب) لبشر فارس الشاعر اللبنانى وهى عمل رمزى خيالى رومنسى وأيضا قرأنا (على الارغن) لحسين عفيف وصحيح أن حسين عفيف يكتب هذه الرومنسيات من بداية الربع الثانى من هذا القرن ولكن عمله ينضم بطبيعة الحال الى مظاهر البعث الاخيرة هذه .

وبعد هذا كله يصدر يوسف الشارونى ديوانه (المساء الاخير) والشارونى لم يصدر هذا الديوان مصادفة انما أصدره كما يقول هو نفسه لأنه وجد بعض الأعمال الرومنسية قد غزت الانتاج الادبى عندنا بعد انزواء الرومنسية فترة طويلة وهى الفترة التى غلبت فيها الواقعية كل ماعداها بصورة واضحة . يقول الشارونى فى مقدمة الديوان (كنت كلما هممت بجمع « مسائى الأخير » بين دفتى كتاب ترددت وتهيبت فقد كنت أشهد تيار الواقعية يطغى علينا - مؤلفين وقراء - ويكتسح ماعداه فانزوى فيما انزوى مسائى الاخير ..)

من هنا لانستطيع ان نقول ان الصدفة وحدها هى التى جمعت بين جبران وبشر فارس وحسين عفيف ويوسف الشارونى . ان الشارونى يعترف بانه لم يصدر الديوان الا عندما وجد لهذا الديوان الصحبة المناسبة فآن للغريب ان يعود وآن لهذه الاشلاء المبعثرة - كأشلاء اوزوريس - ان تجتمع مرة أخرى ..

***

نحن اذن نعيش فترة من فترات الاحياء الرومنسى . ولقد بدأت بذكر هذه الاعمال السابقة لأنها تجهر بأنها اعمال رومنسية قصد بها الاحياء الرومنسى . وقد يكون فى ثنايا بعض الأعمال الادبية الاخيرة بعض النواحى الرومنسية فلقد ذهب الدكتور لويس عوض الى ان ذلك الاحياء الرومنسى غير مقتصر على الشعر فقط بل ذهب الى انه موجود فعلا عند نجيب محفوظ فى اعماله الاخيرة وعند يوسف ادريس فى (حادثة شرف) و (العسكرى الاسود) وفى قصص مصطفى محمود وفى محاولات عبد الله الطوخى وصالح مرسى وفى المسرح لدى مأساة الطواف عند نعمان عاشور ومأساة الكوم الأخضر عند سعد الدين وهبه ومأساة الفتى الاصلاحى عند لطفى الخولى ومأساة المثقف لدى يوسف ادريس ومأساة المجاهد الضائع عند محمود السعدنى ..

هذه كلها تمثل عند لويس عوض (زحف رومنسى تشهده حياتنا الادبية فى السنوات الاخيرة بعضه مستتر وبعضه صريح وبعضه مختلط لا يعرف بعضه من بعضه الآخر ..)

وأنا من ناحيتى الخاصة اميل الى رفض النوع المستتر من الزحف الرومنسى ؟ لماذا ؟ لان اى عمل من هذه الاعمال الاخيرة فى القصة او المسرح ، فيه ناحية واحدة من النواحى الرومنسية ولايتمثل فيه هذا المذهب بكافة ابعاده وانا مع راى الدكتور محمد غنيمى هلال الاينبغى أن يتصيد المرء خاصة من الخصائص الرومنسية عن كاتب ما لنقول انه كاتب رومانتيكى المذهب ذلك لان الرومانتيكية روح عامة تسيطر على مشاعر الرومانتيكى وآرائه وهى مرتبطة اشد الارتباط بالتاريخ والحياة الاجتماعية) .

من هنا تؤخذ النواحى الرومنسية فى القصة والمسرح كمقدمات فقط لاحياء رومنسى وليست كنهضة رومنسية أو عملية احياء كاملة . ذلك ان كل هذه الاعمال فيها بعض النواحى الرومنسية فقط دون الاخرى ومن هنا لايصح ان نتصيد هذه النواحى الفردية فى الغالب لكى نقول ان هناك احياء رومنسيا على الابواب .

***

انا اقبل فقط الاعمال الصريحة وغير المستترة كمقدمة حقيقية لاحياء رومنسى مثل ترجمة جبران خليل جبران وشعر حسين عفيف وبشر فارس ومساء يوسف الشارونى الاخير — اقول — اقبل هذه الاعمال كمقدمة لاحياء رومنسى او هى فعلا تمثل ذلك الاحياء

واقبل فى نفس الوقت النواحى الرومنسية المتفردة فى الاعمال القصصية والمسرحية الاخرى كتاكيد لهذا الاحياء وتأكيد ايضا للانحسار الواقعى الموجود فعلا ..

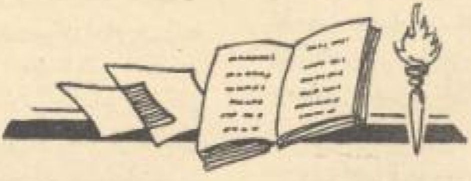
والآن بعد ان فرغنا من دراسة هذه الظاهرة نسأل هذا السؤال الكبير ، ما هو نصيب هذه الحركة التى بدات مع بداية الستينات من الحياة؟ هل تمتد هذه الحركة الى ما شاء الله أم تطغى عليها الواقعية فلا تبقى لها شيئا يذكر ؟ وقبل ان اجيب اقرر هذه الحقيقة الهامة : من ناحية المذاهب الادبية لا تقوم هذه المذاهب الا على اساس من مجموعة كاملة من الأعمال . والعمل الفردى هنا ينفى القاعدة ولا يؤكدها .. مطلقا لابد ان تقوم هذه المذاهب على اساس من الاصداء الجماعية فى الادب بكافة فنونه وعلى أساس من المذهب الادبى نفسه بكافة نواحيه وعلى الاتساع الكامل .. للقاعدة ..

***

من هنا اقول ان الاحياء الرومنسى قد بدا واقول بدا فقط . مجرد بداية وهى فى الشعر فقط اما عن اكتماله واتساعه واستيعابه لكافة ابعاد القاعدة فهذا مالا استطيع الاجابة عليه الآن . والمستقبل وحده هو الذى يحمل الاجابة على هذا السؤال فى طياته .

وهذا السؤال الكبير قد اعود للاجابة عليه يوما .. ما ..

محمد يوسف القعيد



لا تلوميني!

للشاعر: عبد المنعم عواد يوسف

لا تلوميني ، فما جدوى الندم ... كل شيء قد مضى ، حتى الألم
كل شيء ضاع ، ولى وانقضى ... وتوارى خلف جدران العـدم
انت كم حذرتني ، كم قلت لي ... غير اني لم أكن الا أصـم
فاسكتي يا نفس ، قرى واهدئي ... لا تلوميني ، فما قد تم تم
الذى قد ضاع ، ضاع ... كالسراب
لم يكن الا شــعاع ... ثم غــاب

***

لست انسى ذلك اليوم البعيدا ... لست انساه ولود مرت دهور
حينما الفيته ياتي ســعيدا ... ملء عينيه ابتهــاج وسرور
كان سحرا ، كان احساسا جديدا ... فانتشى من خمره القلب الغرير
ذبت فيه بعد ان كنت وحيــدا ... وازدهى الدرب وقد وشــاه نور
قلت لي : لا تنخـدع ... بالوميض الــزائف
قلت لي ، لم اســتمع ... لم اكن بالخــائف

***

ليتني صـدقت ما قد قلتــه ... ليتني آمنت ، هل تنفع ليت
لو انا ادركت ما ادركتـــه ... من وشيك الغدر حقا لانثنيت
غــير اني كنت اعمى لا ارى ... موضع الغدر بانيــاب الزمان
والذى حـذرتني منــه جرى ... كل ما قد قلته بالامس كان
لو يفيـد اللوم ، لومي ... واسخري
ذاك نفخ في الهشــيم ... اقصـري
فالذى قد ضاع ضاع ... كالسراب
لم يكن الا شــعاع ... ثم غــاب

عبد المنعم عواد يوسف



خطوة جديدة نحو الكواكب

بقلم: عبد المنعم ابو السعود

في ١٢ اكتوبر ١٩٦٤ اطلق السوفيت السفينة الفضائية « فرسخود » لتدور حول الارض . وليست هذه أول رحلة يقوم بها الانسان ولا اول رحلة لرجل سوفيتي ولكنها تختلف عن كل الرحلات السوفيتية والامريكية التى قام بهـا الانسان لماذا ؟ اليك القصة ..

***

منذ ان استطاع الاتحاد السوفيتي ان يرسل أول قمر صناعي له عام ١٩٥٧ ليدور حول الارض تغيرت نظرة الانسان نحو الكواكب . لقد تغنى الانسان طويلا بكوكب القمر واعتبره مثلا للجمال لبهاء ضوئه ومناعته . ويقيني أن وحي صفات الكوكب التى الهبت شعور الانسان فيما مضى وجعلته يتغنى بجماله ويشبه به كل جميل لن يدوم وأن انسان المستقبل سيتغنى بشيء آخر بعد أن يكون قد وطئت قدماه سطح القمر وعرف عنه تضاريسه ولمس الا جمال فيه .

وبعد أن وفق السوفيت في ارسال أول قمر صناعي لهم تبعتهم الولايات المتحدة وأرسلت هي الاخرى قمرا صناعيا ثم تعددت الاقمار . على أن انتصار السوفيت والولايات المتحدة اعقبته نبوءة امكان غزو الكواكب بل نزوح الانسان اليها واستيطانه بها لو ناسبه الجو واحتمل جسمه تغيراته والانسان ولوع دائما بالتجديد ومنطبع على استجلاء الغموض وقد دفعه ذلك لان يجد من يؤلف شركة لبيع الاراضي على سطح القمر لمن يريد ان يمتلك هناك . لقد كان هذا اعلانا منذ سنوات مضت وأثار ضحكا وسخرية الكثيرين وقت نشره .. لكن ها هي السنوات قد مرت وقد اظهرت قدرة الانسان وما وصلت اليه دراساته من امكان الوصول الى كوكب القمر ، أقرب الكواكب الى ارضنا .

***

لقد كان هذا الكوكب هدف الاطماع السوفيتية والامريكية في آن واحد ورأينا كيف حدد الاتحاد السوفيتي عام ١٩٦٧ كآخر موعد لمحاولاته ليصل الى سطحه قبله في حين حددت الولايات المتحدة عام ١٩٧٥ آخر موعد لذلك . والناظر الى التاريخين يستطيع أن يكشف ببساطة مغزى اختلافهما . فهذا الاختلاف يعبر عن ذخيرة كل من الدولتين من العلوم التى بناء عليها انبنى تكهن كل منهما بموعد وصوله للقمر . وان جاز لنا ان نستنبط شيئا من هذا فهو سبق العلماء السوفيت لزملائهم الامريكيين في مضمار ابحاث الفضاء والدليل على هذا :

١ ـ ان غزو الفضاء يخالف كل ما يسجل الانسانية من انتصارات سابقة . لقد عرفنا البخار نتيجة المشاهدة ووصلنا الى كثير من الكشوف بالصدفة او نتيجة تجربة . لكن غزو الفضاء شيء آخر ، فهو يتميز باستغلال علوم الرياضة والطبيعة والكيمياء والفلك والهندسة والتكنولوجيا والطب وعلم النفس ، ورغم كثرة هذه العلوم فانه لا يمكن

أن تتم رحلة الفضاء دونها ومرورنا سريعا باحتياجات الرحلة يكشف لك عن :

(أ) لا يتصور التغلب على الجاذبية الارضية مالم تدرك تماما القوى التي تؤثر على اى جسم على سطح الارض ونعرف ان وزن كتلة الجسم يساوى مقدار قوة جذب الارض لها وان هذه القوة تساوى حاصل ضرب الكتلتين على مربع المسافة بين مركز الارض ككرة ومركز الجسم ، وأن هناك قوة أخرى هي قوة الطرد المركزية · تنشأ عند حركة الجسم كما تلازمه قوة أخرى تؤثر على كتلته أيضا وهي القصور الذاتي· نقول انه بدون معرفة هذه القوى لايمكن للانسان تحديد كل منها ومن ثم لا يمكنه التغلب عليهـا · ومامن شك ان التغلب على الجاذبية الارضية لم يتم الا بعد ان عرف تحديد كل قوة من هـذه القوى الثـلاث · ولا يكون ذلك الا بالوصـول بالعلم البشرى الى درجة عالية فى الرياضيات · ويهمنى أن انبه بهذه المناسبة الى انه بمقتضى تعريفنا للجاذبية رياضيا من انها حاصـل ضرب الكتلتين على مربع المسافة بينهما لا يمكن أن تنعدم الجاذبية · ومعنى هذا انه لا توجد منطقة ينعدم فيها الجذب بل كلما بعد الجسم عن سطح الأرض كلما طالت المسـافة بينه وبين الأرض وبذا يكبر مقام النسبة مع ثبوت قيمة بسطه ، وبذا تقل قيمته · فالكسر ½ مثلا اذا كبر مقامه فصار ٤ مع ثبوت البسط تصبح قيمته أقل وبالتالى كلما بعد الجسم عن الأرض كلمـا قل تأثير الجاذبية عليه وعلى ذلك فكلما ارتفعت المركبة بالجسم فى الفضاء ، كلما زاد بعده عن مركز الأرض وبذا يقل أثر جاذبيتها عليه وبذا يتحرر فى حركته وسكونه ويخضع لقانون نيوتن الأول الخاص بالحركة الذى يقول بأن كل جسم يبقى ساكنا أو متحركا ما لم يؤثر عليه مؤثر · ومن هنا نرى ان التسمية الحالية لهذه المنطقة « منطقـة انعـدام الوزن » غير دقيقة والواجب ان يطلق عليها « منطقـة الشعور بانعدام الجاذبية » ·

***

(ب) للتغلب على جاذبيـة الأرض لا بد من وجود قوة تحمل الجسـم بعيدا عن تأثيرها · لقد جرب الانسان الطائرة فى حمـله الى أقصى ارتفاع يحتمله جسمه · غير ان هـذا الارتفاع لم يكن كافيا لأن يتخلص به من أثر الجاذبية · ثم كانت أبحـاثه فى ميدان الصواريخ ، فلما ان تمكن من كشف الصاروخ الذى يسير مئات الأميال فكر فى الاستعانة به ليحوله من قذيفة تأخذ خط سيرها من الارض الى ارتفـاع معين ثم الى الارض ثانية الى قذيفة يرسلها لتجتـاز منطقة تأثير الجاذبية · وقد قاده هـذا التفكير الى دراسة الطريقة التى يتمكن بها من إيجاد قوى متجردة فضاعف المحركات واخترع الصاروخ المتعدد المراحل· وقد صاحب هذا البحث أيضا مشكلة الوقود ومقدار الطاقة التى يمكن الاستفادة بها · ولا شك أن هذه البحوث قامت على حصـيلة الانسـان فى الرياضـة والكيمياء والطبيعة والهندسة ·

***

(حـ) ثم كانت أبحاث الفضاء الخاصـة بجسـم القمر وتغليفه ومحاولة الوصول الى سبائك معدنية تتحمل درجات الحرارة العـالية التى تصل الى آلاف الدرجات المئوية دون أن تنصهر وكذلك تقاوم الضغوط المتزايدة · ولا شك ان النجاح الذى وصل اليـه العلماء من ارسال مركبات الفضاء تحمل الانسـان وتدور به حـول الأرض أياما يقطـع بأنه نجـح فى الوصول الى السبائك المناسـبة · ولا اخالنى فى حاجة لأن اذكر القارىء بأن صناعة مركبـات الفضاء تتطلب مع المتانة ومقاومة الحرارة والضغط أن تكون السبيكة خفيفة الوزن ، والوصول الى هذه السبائك التى تحقق كل ذلك لم يكن مجرد صدفة بل قام على اساس علمى ·

***

(د) ثم يجيء دور اعداد الانسان لهـذه الرحلة وقد استدعى هذا الاعداد أبحاثا طبية ونفسية ولم يتم ارسال الانسان الا بعد أن أجريت التجـارب الدولية على الحيوانات لملاحظة التغيرات الفسيولوجية على أجهزة الجسم المختلفة أثناء وجودها فى المرحـلة الفضائية التى تختلف ظروفها عن ظروف الحياة على الأرض · فنحن نعلم أن الفضاء خال من الاكسجين فى حين أنه يوجد به غاز الازون وهو اكسجين يتركب من ثلاث ذرات ولم يعتد الكائن الحى على استنشـاقه كمـا ان الارتفـاع عن سطح الارض يتطلب حيطـة خاصة لأن الضغط يقل وتكون الدورة الدموية عرضة للاضطراب بل تكون الشرايين ذاتها عرضة للانفجار· وهـذه مسائل قليلة من كثير قام الاطبـاء بدراسته قبل الاقدام على ارسال الانسان فى رحلة فضائية ·

وبجوار هذه الابحاث الطبية قامت أبحاث أخرى

نفسية لمعرفة تأثر الانسان عند وجوده فى منطقة الشعور بانعدام الجاذبية والضوضاء التى يعيش فيها مع الوحدة وغيرها .

وهناك مشكلة أخرى اعترضت المشرفين عند اعداد الملاحين وهى كيفية التدريب وصنع الآلات التى يمكن عن طريقها تهيئة الظروف المماثلة للفضاء .. وأخيرا اختيار الصالح من الملاحين .

٢ ـ كان للاتحاد السوفيتى قصب السبق فى أن يكون :

١ ـ أول دولة ترسل قمرا صناعيا عام ١٩٥٧ .

٢ ـ أول دولة ترسل حيوانات الى الفضاء ١٩٥٨.

٣ ـ أول دولة تستعيد المركبة بمافيها من الفضاء ١٩٦٠ .

٤ ـ أول دولة ترسل انسانا فى رحلة حول الأرض ١٩٦١ .

٥ ـ أول دولة أرسلت أكثر من سفينة فى وقت واحد ١٩٦٣ .

٦ ـ أول دولة أرسلت امرأة فى رحلة الى الفضاء ١٩٦٣ .

٧ ـ أول دولة أرسلت ثلاثة أشخاص ١٩٦٤ .

وخبر اليوم هو رحلة المركبة السوفيتية فوسخود التى حملت الى الفضاء ثلاثة رجال بدلا من ملاح واحد كما كان الأمر فى كافة الرحلات السوفيتية السابقة ، بل الرحلات الامريكية كذلك . ولا يهمنى أن أقدم المرحلة البراقة من هذه الرحلة فقد غطتها الصحف ، بل يهمنى أن أقدم للقارىء خصائص هذه الرحلة المميزة ونتائجها وسنصل منها الى مدى التقدم الذى حققه العلماء السوفيت فى أبحاث الفضاء .

لقد امتازت هذه الرحلة بخصائص اهمها :

١ ـ كبر حجم المركبة .

٢ ـ اعداد المركبة المختلف عن المركبات السوفيتية السابقة .

٣ ـ طريقة هبوط المركبة والملاحين .

١ ـ كبر حجم المركبة

قبل رحلة فوسخود كانت المركبة « فوستك » مصممة لرجل واحد ورغم ان آخر رحلة لهذه المركبة يملاحها الواحد استغرقت حوالى خمسة أيام الا ان حجمها لا يمكن ان يتسسب ثلاثة اشخاص ذلك لان مطالب الفرد رغم تعدد ايام الرحلة من مأكل ومشرب لا يمكن ان تشغل الفراغ الذى يحتاج اليه شخصان ومعنى قيام ثلاثة اشخاص بالرحلة ان يتضاعف احجم ثلاثة امثال حجم المركبة فوستك التى كان وزنها حوالى ٤ر٥ طن. ورغم ان وزن المركبة فوسخود لم يعلن الا ان تكهنات العلماء تقول بأنه يصل الى ١٥ طنا .

ولا شك ان الصاروخ الذى حمل فوستك لا يصلح لحمل المركبة الجديدة فوسخود ، فمضاعفة الوزن تتطلب مضاعفة القدرة خصوصا حين يضاف الى زيادة الوزن زيادة البعد فقد اتخذت فوسخود مدارا اوجه ٤٠٩ كيلو مترات وحضيضه ١٧٨ فى حين ان اوج مدار فوستك كان ١٥٧ كيلو وحضيضه ١١٢ كيلو . ومن مجمل هذه الفروق نرى لزاما علينا أن نعترف ان الصاروخ الجديد قوى وربما يمكنه الوصول الى القمر ايضا .

٢ ـ اعداد المركبة

فى كافة الرحلات السوفيتية السابقة كان الملاح يركب سفينة الفضاء وهو مرتد بدلة خاصة . وكانت هذه البدلة معدة بحيث تحقق للانسان امورا حيوية خاصة . فمثلا كانت مكيفة لتحتفظ له بدرجة حرارة معينة طول الرحلة كما انها كانت مصنوعة بطريقة تحقق له الحصول على الكمية اللازمة للتنفس من الاكسجين وكذلك لتقية الضغط المتزايد . لكن فى رحلة فوسخود ركبها ثلاثة رجال هم قائدها فلاديمير كوماروف والطبيب بوريس ايجوروف والعالم كونستانتين فيوكتستوف ولم يلبس أحدهم بدلة فضاء بل كانوا بملابسهم العادية . وهذا الوضع معناه ان السفينة تكفلت بتوفير المطالب الحيوية التى كانت توفرها للملاح بدلة الفضاء . فقد كان جوها مكيفا وبه الاكسجين اللازم للتنفس الذى كان يحصل عليه الملاح من انابيب داخل بدلة الفضاء . وليس معنى هذا اننا سنستغنى عن بدلة الفضاء كلية بل الواقع ان البدلة كانت لازمة فى أول رحلات الفضاء لعدم

ضمان نجاحها وخشية ان يتعرض الملاح لما يدعوه لمفارقة المركبة في جو لا يجد فيه حاجته من الاكسجين ودرجة حرارته كذلك فوق ما يحتمله الانسان . وسيظل أيضا الملاح في حاجة الى بدلة الفضاء ليرتديها عندما يهبط على سطح كوكب ليرتاده . على ان ما أقدم عليه السوفيت يدل على ثقتهم التامة بمركبتهم وبتخطيط الرحلة .

٣ ـ طريقة الهبوط

اعتاد الملاحون السوفيت الهبوط عندما يقتربون من الأرض باستعمال المظلة الواقية . وهذه الطريقة تكلف رجل الفضاء مجهودا وتطالبه بمهارة خاصة بحيث يمكنه الهبوط بالمظلة وهو الأمر الذى يتطلب التدريب السابق ولا يتوفر لكل راكب .

والطريقة المعروفة للتحكم في سرعة المركبة عند هبوطها اقلالها بواسطة محركات نفث خاصة تدار من المحطات الارضية المتحكمة أو بمعرفة الملاح . غير أن هذه المحركات لم تكن كافية لتعدم المركبة سرعتها بحيث تلامس سطح الأرض في رفق لا يؤثر على الراكب ولكن السوفيت استغلوا التجارب التى تجرى الآن على الطائرات التى تفوق سرعتها سرعة الصوت في امكان تقليل سرعتها بواسطة مظلات ، وزودوا المركبة فوسخود بمظلات قوية تساعد المحركات الصاروخية لتعود بالمركبة الى الأرض بسرعة قليلة لا يتأثر بها الراكب وهذا ما نجحت تجربته في رحلة فوسخود . وعلى ذلك يكون السوفيت قد أتوا بجديد في الرحلة وامكنهم أن يعيدوا المركبة بمن فيها سالمين الى سطح الأرض دون الهبوط بالمظلة الواقية .

هذا أهم ما تميزت به الرحلة قدمته في ايجاز ، بقي أن نمس أيضا النتائج التى ستؤدى اليها الرحلة وفق وجهة نظرنا ، انما المهم ان النتائج التى سنجملها ليست كل ما هنالك من فوائد فان المعلومات التى حصل عليها الطبيب والعالم في جو الفضاء لا يمكن أن تقدر وستكون أساسا لتطوير الرحلات القادمة وعلى هدى ملاحظاتهما سيجرى تعديل في المركبة بل ربما في اضافة احتياطات جديدة او التخلص من احتياطات قائمة .

واهم نتيجة لهذه الرحلة هي امكان انشاء محطات فضائية ، وهي اول خطوة نحو نجاح الرحلة الى الكواكب . وآية ذلك ان المتفق عليه انه للوصول الى سطح كوكب مجهول يجب أن تسير اليه مركبة لتدور حوله وترسل من مدارها مركبة أخرى تحمل من سيقوم بالهبوط على سطح الكوكب وفحصه ثم يعود الى مركبته لتنطلق بعدئذ وتتحد مع المركبة الأم التى أطلقتها وتعود بها الى الأرض . وقد خطا العلماء السوفيت من قبل مرحلة هامة وهي ارسال مركبتين معا في مدارين متقاربين وهذه الحركة تشبه المناورة التى ستقوم بها المركبة العائدة من القمر الى المركبة الأم .

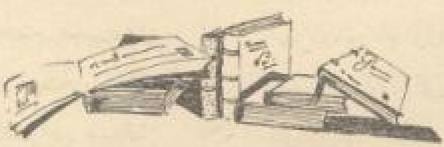
والذى لا شك فيه ان وجود محطة في الفضاء يعني انه ستكون المركبة الأم التى تنطلق منها المركبة التى تقل أكثر من ملاح ومن قبل عرفوا اليها ومادام العلماء قد نجحوا في امكان خروج الملاح وعودته بمركبته دون أن تضل فقدحدد شكل الرحلة .

اما وقد توصلوا الى الصاروخ القوى وكذلك الى المركبة التى تقل أكثر من ملاح ومن قبل عرفوا كيف تتم المناورة فلا شك أن عزمهم قد قوى على الاستعداد لرحلة القمر .

***

ونحن كبشر يسرنا أن نصل الى القمر ولذا فانا ندعو لكل عامل في ميدان الفضاء بالنجاح والتوفيق .

عبد المنعم ابو السعود



لقاء وعتاب

للشاعر محمد احمد العزب

اى شدو ناغم الاصداء يا ليلى تغنى
حين اقبلت . وطوفت بمحرابى المعنى
كان قفرا . موحش الآفاق كم حنا . وانا
واضاع الليل فى نجواه مثلى .. يتمنى
حين اقبلت . وطوفت . تغنى . وتثنى
وتلاقى القلب فيه بالهوى حسا ومعنى

***

سائليه . سائلى اعطافه عن كل خطره
سوف ينبيك بانى كنت اشواقا وثوره
ودموعا فى مآقى الليل تستجديك نظره
ومساء غائم الآفاق يستهديك فجره
ونشيدا مات فوق الناى مطلولا بعبره
سائليه .. لن يطيق الصمت . لن يكتم سره

***

سوف ينبيك بانى كنت غيمان الحنايا
كم توارت فى شعاب الليل انغام اسايا
وتراءى فى فمى اللحن .. فعيت شفتايا
وتلاشت فى مهاوى الياس اصداء غنايا
ومشت فوق دروبى كل اشواقى عرايا
هائمات .. تنشد الظل على ارض الخطايا

وجعلت الشعر « ياليلى » شراعى فى العباب
وشموعى كلما اغفى على روحى الضباب
وينابيعى اذا ما هدنى وهم السراب
فهو آهات . وانات . ونجوى . وعتاب
وهو اصداء . وانداء . وآمال رطاب
انه ليل من الاشواق مشبوب العذاب

***

فاقرئيه . اقرئى فى كل سطر الف همسة
اقرئيها . يرقص الشعر . ويهدى الكون جرسه
حسبه من شفتيك اليوم يا ليلاى لمسه
وانظرى بين السطور الخضر . ما ابدعت غرسه
كان قد اغفى بليلى فامنحيه اليوم شمسه
ان فى عينيك سرا آه لو استطيع مسه

***

لا تضنى ، فربيع الكون منغوم الجمال
كل طير آب للعش وافياء الظلال
واكتسى العارى من الاغصان افواف الجلال
غير روحى لم تزل حيرى على درب الضلال
تضفر الآلام فى صحرائها عبر الليالى
فارحميها بنعيم الحب . يا مهوى خيالى

« محمد احمد العزب »



استعراضات في الفن الشعبي من الهند والفلبين

بقلم: عبد الفتاح البارودي

استفيدوا من هذه الفرق ... في هذا الاسبوع شهدت استعراضات فنية من فرقة احياء الفنون الهندية على مسرح الجمهورية ، وفرقة الفلبين للباليه على مسرح البالون ، وهذه الاستعراضات بلغت مستوى فنيا في غاية الروعة ، رغم أن طابعها محلي وآلاتها الموسيقية بسيطة وقليلة العدد ... ان من واجبنا أن ندرس كيف ولماذا ارتفعت الى هذا المستوى .

انا أولا أرحب بالاتجاه نحو استضافة الفرق الشعبية في بلادنا .. لقد كنا في الماضي لانكاد نستضيف غير فرق الأوبرا مثلا ، ورغم اهميتها لم نكن نعرف لماذا نستضيفها .. أما الآن فاننا نستضيف الفرق الشعبية بوعي ، ولهذا فتحنا النوافذ لمختلف الفرق ومختلف الفنون ... أيضا في الماضي لم نكن نستضيف غير الفرق الأوروبية غالبا ، لاننا كنا نتوهم ان الفن في أوربا **فقط** .. اما الآن فاننا نستضيف الفرق من مختلف البلاد ، وهذه الفرق تبرهن لنا على ان الفن الرفيع ليس مقصورا على أوروبا ... ثم اننا أصبحنا نمارس الفن الشعبي ، ومن واجبنا أن نستفيد من خبرات الفرق الشعبية حيثما كانت ... وفعلا ادهشتنا فرقتا الهند والفلبين باستعراضات معجزة في اصالتها وعراقتها وأساليبها التعبيرية .

فرقة الهند :

ان الفرقة الهندية كانت في طريق عودتها الى بلادها من رحلة فنية ، واقامت في القاهرة حفلة واحدة قدمت فيها ١٢ استعراضا تتفاوت مستوياتها الفنية ولكنها في مجموعها صور تعبيرية للاحساس الفني العميق في الهند ... ان من مزايا هذه الفرقة أنها تخصصت في لون معين . ان رسالتها هي احياء الفنون الهندية القديمة ، ومع أنها تستلهم التراث القديم فانها تقدمه في أسلوب شعبي ، وهذا

اضفى عليها طابعا خاصا بها تنفرد به بين سائر الفرق الهندية .

انها فى رقصة (باندانا) تقدم افتتاحية تمثل «الصلاة» ، ونرى الفتيات وهن يصلين لكى تحل روح الرقص ... ان الفن عبادة ، وهذا التابلوه يعبر عن عمق الاحساس الفنى الذى تبلور منذ القدم فى المعابد ، لندرك أن الفن ليس تسلية ولهوا بل ان القداسة هى عنصره الاول ... وليس معنى ذلك أنه صورة فنية للطقوس الدينية فقط ، بل اننا فى التابلوه الثامن نرى أفراح القبائل وابتهاجهما بعيد (هولى) الذى يمثل عيد الالوان فى الهند .. اننا نرى الوانا عجيبة فى أزياء الراقصين والراقصات وهم يؤدون رقصاتهم بحيوية فى الايقاعات والتشكيلات الفنية .

فى تابلوه آخر نرى لونا آخر ... اسم التابلوه (تاراجا) ، ويؤديه راقص واحد وراقصة واحدة يتبادلان السخرية !! كل منهما يسخر من الآخر ، وبذلك يعبران عن السخرية بين الرجل والمراة ... اننا نرى الرجل وهو يقترب من المراة متظاهرا بالخوف منها ، والمراة تبادله الاقتراب والتظاهر بالخوف ، ثم يواجه كل منهما الآخر فى حوار كوميدى بالرقص فقط وبدون أى كلام ، ثم ينتهى هذا الحوار الطريف بالمصالحة ويخرجان من المسرح الى الكواليس معا ، دلالة على احتياج كل منهما للآخر .

فى تابلوه (تشاندام) نرى رقصة ذات اسلوب كلاسيكى من مدراس ، وفى تابلوه (ماديا) نرى رقصة ذات أسلوب شعبى تؤديه قبائل تقطن غابات وسط الهند ، ثم نسمع فاصلا موسيقيا ... المدهش أن الفرقة الموسيقية المصاحبة لهذه الفرقة مكونة من مطربة واحدة وخمسة عازفين على آلات بسيطة جدا .. ان هذه الفرقة البسيطة تجلس فى مؤخرة خشبة المسرح وتصاحب أداء كل الرقصات، وتعتبر العنصر المشترك الذى يربط بينها ورغم بساطتها فانها تنعش العرض كله بدقة متناهية فى العزف والايقاع .

وفى تابلوه (كيرات ــ أرجونا) نرى رقصة فى صورة باليه كلاسيكى يروى أسطورة قديمة يتمثل فيها الصراع والفزع والشجاعة ... وملخص هذه الاسطورة ان أحد أبطال الاساطير ــ واسمه ارجونا ــ كان غارقا فى تأملاته ، وأراد احد آلهة الأساطير ــ واسمه شيفا ــ أن يختبر شجاعته ، فأرسل اليه خنزيرا بريا ، وأصيب (ارجونا) بالفزع فى أول الامر ، ثم استجمع شجاعته واطلق سهما على الخنزير ... وكان (شيفا) مستخفيا فى قناع مخيف ، وفى نفس الوقت اطلق سهما على الخنزير ايضا ، فتصدى له (أرجونا) وهو لايعرف حقيقته، وحدثت معركة بينهما انتهت بأن كشف (شيفا) عن حقيقته ، وأعلن اعجابه بشجاعة البطل الأسطورى ... هذه الاسطورة عبرت عنها الرقصة ابلغ تعبير وبرزت تفاصيلها فى تحركات حية اثبتت مقدرة الفنان الهندى على تخطيط الميزانسين .

فى تابلوه آخر اسمه (ناجا) رأينا رقصة شعبية تؤديها قبيلة تعيش على الصيد ، وبينما يخرج الرجال للصيد ترقص زوجاتهم رقصات تعبر عن ابتهالاتهن أمام الآلهة ... ومن هذا التابلوه ننتقل الى تابلوه ينقلنا الى بلاط المغول القديم حيث نرى رقصة كلاسيكية تختلف عن سائر الرقصات فى الأداء والحركة والميزانسين ، ثم ننتقل الى نوع آخر فى غاية المرح ، حيث نرى فى تابلوه (بايساكى) رقصة تعبر عن ابتهاج الشباب بالعام الجديد ... بعد ذلك نرى عرضا بسيطا ودقيقا يعتمد على ايقاعات الطبل فقط ، وينتهى البرنامج برقصة شعبية مثيرة فى تابلوه (رانم راسيا) حيث تشتبك الرعاة مع الفتيات ، وبعد التنازع بين الفريقين يسود السلام ، ويتم التواعد على اللقاء فى الليل للرقص والغناء تحت ضوء القمر .

ان تجارب الفرقة الهندية تفيدنا فى براعة ادائها، وفى كيفية استلهام التراث القديم من القصص والأساطير وتحويله الى مادة استعراضية ، وفى كيفية تقديم هذا التراث المحلى بلغة فنية يفهمها العالم كله ، رغم ان أدوات العرض محلية فى طابعها واسلوبها وآلاتها .

فرقة الفلبين :

نفس الظاهرة رأيناها فى فرقة الفلبين ... ان هذه الفرقة قدمت باليهات ذات مستوى فنى ممتاز

فى الأداء والحركات والتشكيلات والميزانسين ، وكلها مستمدة من أساطيرها واحدالها المحلية ... ورغم هذا التشابه فلا تشابه اطلاقا فى الاستعراضات نفسها ... الوان اخرى .. تابلوهات اخرى .. طابع آخر يمثل اصدق تمثيل بيئة الفلبين ومناخها واسلوب حياتها وأسلوب تفكيرها بخامات فلبينية ... والفرقة الموسيقية ايضا بنفس البساطة ، ولكنها مرتبطة بجوها المحلى فى الانغام والايقاعات ... وربما يدهشنا أن هذه الفرقة الموسيقية مكونة من عازف واحد على آلة تشبه عندنا (آلة القانون) وعازف آخر على « الطبلة » ... والتابلوهات الفلبينية تمتاز بانفساح المكان ... ان الراقصين والراقصات ينتشرون على المسرح فى ميزانسين واسع، ولهذا تؤدى التابلوهات مجموعات كبيرة تتحرك بخطوات عريضة وتهتم بالوان الأزياء ... فى احد التابلوهات رأينا الراقصات يستخدمن «المراوح» المحلية ، والراقصين يستخدمون «المناديل الملونة» بألوان زاهية ، وفى خلال ذلك رأينا مشاجرة بالخناجر ، ثم رأينا مجلس المدينة يجتمع لبحث أسباب المشاجرة ، ثم رأينا موكب الآلهة التى جاءت للتحكيم ، وكل هذه التحركات ظهرت على المسرح فى دقة عجيبة وتشكيلات فى غاية المهارة .

فى تابلوه آخر استخدمت الفرقة الشموع ، وخلال ذلك سمعنا روعة الأناشيد الدينية ... وفى تابلوه ثالث رأينا معركة عنيفة أدتها الفرقة برقصة صاخبة ، ورغم الصخب ظهرت براعة الأداء والتوقيت ، كما ظهرت براعة استخدام الاضاءة المسرحية .

***

فى هذا العرض لم تستكمل الفرقة — مع الأسف — برنامجها ، لأن التيار الكهربائى انقطع فجأة فى منطقة مسرح البالون ، ومع ذلك عوضتنا الفرقة عن برنامجها ببرنامج آخر استعرضت فيه لونا آخر من الوانها الفنية .. فتحت الفرقة الستار ، ووقف اعضاؤها على خشبة المسرح بالشموع المضاءة ، وقدموا مجموعة من الأغانى الشعبية

هذا الحادث يؤكد لنا أهمية الأغانى الشعبية الجماعية ... لو اننا افترضنا — مثلا — أن احدى فرقنا واجهت حادثا مماثلا فماذا تفعل ؟ بديهى انها ستسدل الستار وتؤجل العرض ... ان هذا يدعونا الى ضرورة الاهتمام بالاغانى الجماعية ... وصحيح أن هذه الأغانى ليس من وظيفتها مواجهة مثل هذه المواقف ، ولكن هذا الحادث يثير فينا التساؤل عن أسباب افتقارنا الى هذه الأغانى ... ان لكل شعوب العالم اغانيها الجماعية التى تعبر عن وجدانها بينما نحن لا نزال متهافتين على الأغانى الفردية ... لماذا ! لأن اغانينا ظلت فترة طويلة مسجونة فى التعبير الفردى السطحى حتى توهمنا أن الغناء لا وظيفة له غير الطرب .

***

اننا كما استفدنا من فرقتى الهند والفلبين بادراك أهمية استلهام التراث واستخدام الخامات المحلية فى استعراضات فنية ، استفدنا أيضا — وعرضا — بادراك أهمية الاتجاه نحو الأغانى الجماعية ، وخاصة اننا بدأنا الآن ممارسة هذه الأغانى ... ومن اجل ذلك يجب أن نتوسع ونتعمق فى هذا الاتجاه ، وأن نبحث بصراحة أسباب انحصارنا طويلا فى الأغانى الفردية .

كذلك استفدنا بادراك أهمية تعميق الاحساس الفنى لمعرفة معنى عنصر « **الجلال** » فى الفن ... ان هذا واضح جدا فى استعراضات فرقتى الهند والفلبين لأنها مرتبطة بالاحساس الدينى ... ان هذا الاحساس هو الذى يرفع الفن الى مستوى القداسة .

واستفدنا أيضا بادراك أهمية التكنيك ... ان تكنيك الفرقة الهندية يختلف عن تكنيك الفرقة الفلبينية ، ومع ذلك فكلاهما يعتمد على دراسة طبيعة الرقصات واستخلاص الميزانسين المناسب لكل رقصة ، ولهذا نجد أن الرقصات البطيئة ليست مملة ، والرقصات السريعة ليست مشوشة المعالم ، وفى كل الحالات تجتذب الاستعراضات المتفرجين الى خشبة المسرح اجتذابا فنيا نحو موضوعية الرقصة والاندماج فى تعبيراتها ... وطبعا هذا يختلف عن الاجتذاب الرخيص ، اى

اجتذاب العيون نحو الأجساد ـ مثلا ـ كما يحدث فى الرقص المبتذل الذى نراه أحيانا فى بعض راقصاتنا .

كذلك استفدنا بادراك معنى الموسيقى المصاحبة للرقص ... فهمنا مثلا أن العبرة ليست بكثرة عدد العازفين أو الآلات ... ان استعراضات الفرقة الفلبينية تضم أحيانا مجموعات ضخمة ، ومع ذلك كانت هذه المجموعات تؤدى تابلوهات على ايقاع آلة واحدة دون أن تشعر بالحاجة الى زيادة آلات أخرى .

وليس معنى ذلك أن تختصر الآلات الموسيقية فى الفنون الاستعراضية التى نمارسها فى بلادنا ، وانما هناك فرق بين الاستعراضات التى تعتمد على الآلات المحلية ، والتى تعتمد على الأوركسترات ، والشرط الوحيد هو «دقة التعبير» .. وقد علمتنا استعراضات الفرقتين الهندية والفلبينية كيف تكون هذه الدقة ، وكيف يمكن أن تتوافر بالآت قليلة العدد لأنها وضعت فى موضعها الصحيح .

أيضا علمتنا هذه الاستعراضات كيفية المحافظة على «الشخصية الفنية» ... وذلك بتكييف الخطوات والتحركات من واقع البيئة ... هذه نقطة دقيقة وهامة جدا بالنسبة لفرقتنا الاستعراضية ، فمن الملحوظ جدا أننا للآن نستخدم خطوات وتحركات وايقاعات تكاد تكون متشابهة فى رقصات كثيرة ، رغم اختلاف موضوعاتها ... وصحيح أننا وصلنا فى الفن الاستعراضى الى مرحلة ناضجة ولكن من واجبنا أن ندرس استعراضات هاتين الفرقتين لنزداد نضجا ... ان من أهم أحداث هذا الموسم أننا سنستضيف فرقا كثيرة من هذه الألوان الشعبية، ولهذا يجب أن نتعمق فى دراسة تكنيك كل فرقة ... ولا يجوز أن نكتفى باستضافة الفرق « لنتفرج » عليها فقط !!

عبد الفتاح البارودى

.. وكل ثلاثاء — الثلاثاء القادم

اقرأ فى مجلة الثقافة

حول أديب الشرق

بقلم عبده بدوى

لقاء مع أديب

انه يمثل فى الحياة الادبية النسمة الرقيقة ، فهو لا يقتلع الشجر ، ولا يلفح الوجوه ، ولا يشد الأثواب .. ولعله الوحيد الذى تجلس اليه فلايتكلم الا اذا وضعته عند نهاية سؤال ، فاذا تكلم خيل اليك أنه يصدر عن طبيعة جادة لا تعرف الثرثرة ، والمجاملة ، « وجذب » السامع ، ولكنه يحسن الحديث تماما اذا امسك القلم واحتضنت الورقة ، وجلس الى مكتبه .. انه حينئذ يكون شاهق القامة ، شاهق النفس ، بحيث يخيل للانسان ان كل سحابة تمر فى الشرق هى دخان « البايب » الذى لايكاد يفارقه !

ومع ما يمتلىء به من هدوء وصمت وصبر وكلمات متقطعة وابتسامات تصل الى أول مراحل الضحك ، وضحك يصل أحيانا الى ما يشبه قطع التفكير حين تعدو أحيانا وتتعابث فى ذهن الكاتب .. مع كل هذا فانه يبقى دائما « جزيرة أسرار » فى قلب القاهرة ،

ولقد توثقت بيننا الصلة فى عديد من مؤلفاته ، ولكنى لن أنسى هذا اللقاء الشاذى حين زارنى من عدة اعوام فى قصر « الجمهورية » ، ثم تحدث الى فى طيبة وبشاشة بأن موضوع تفرغه متعثر من مدة عام ، وعرفت الحرج الذى يمكن ان يلاقيه بعض كبارنا حين يذكر اسمه أمام موظف ، فاذا بالموظف يتلقى هذا الاسم كما يتلقى اى اسم فى العالم ، وقد أحسست فى حديثه شيئا من المرارة ، ولكن الذى أذكره أن موضوع تفرغه سار فى سرعة مذهلة ، ثم كان ان استن « على أحمد باكثير » سنة جديدة فى التفرغ ، وهو أن وضع اللجنة أمام كلمات تقول «ان عام التفرغ لم ينه الا نصف ما أخذ نفسه به» ..

ثم جاءت عقبة التفرغ عاما آخر ، وأذكر أنى ارتكبت عدة مخالفات منها أنى تحايلت على انهاء الموضوع بالتمرير ، وعقد لجنة فى ظروف استثنائية ، وانى لم أرسل الموضوع الى الشئون القانونية ، وانى لم أترك ادارة شئون الافراد تعد صيغة القرار الوزارى ، وانما قمت بكل هذا على « عهدتى » كما يقولون .. كما أنى لم أذكر أنى تقابلت معه خلال هذين العامين الا مرة أو مرتين ، حتى جمعت بيننا الرسالة أخيرا فى أكثر من لقاء .

وأذكر انى كنت حريصا على التعرف على هذا

العالم الذى يعيش فيه هذا الكاتب ، وكنت أدرك فى الوقت نفسه أنه يحارب حربا صامتة فى أكثر من مكان ، لانه كما قال لى أكثر من واحد ان رائحة العروبة والاسلام أصبحت واضحة فى كثير من أعماله ، الى حد أن البعض يطلق عليه اسم « على اسلامستان » ، وان كان الجميع يؤكد ان «التزامه» لا يؤثر على فنية عمله .

ولا أدرى لماذا دار فى ذهنى هذا السؤال « هل اذا شمت من أعماله رائحة الفرعونية أو اليونانية كان يقابل بمثل هذا الصمت ؟ وهل أصبح من اللازم للكاتب الذى أصبح يسع كافة الحضارات أن تقبل منه الوقفة الطويلة عند أية حضارة ما عدا حضارة العرب والاسلام ؟ وهل عندنا الكاتب الذى ينسج من الشعر والنثر أحداثه وشخوصه بمثل ما يفعل على أحمد باكثير ؟ »

ولا أدرى لماذا دارت فى ذهنى هذه الافكار فاذا بى اقول له :

« فى أى مكان تضع نفسك فى الحركة الادبية المعاصرة ؟ »

واذا به يقول :

أحمد الله على أن الهمنى الاحساس الصادق بما كانت الامة العربية متساقة اليه لاستكمال انبعاثها ونهوضها ووحدتها .. فقد حضرت الى مصر وفيها بقايا الفكرة الفرعونية باعتبارها معارضة للفكرة العربية ، فاستطعت باحساسى واجتهادى أن أرى صواب التوفيق بينهما ، اذ ليس فى الامكان تجاهل المجد الفرعونى القديم ، كما أنه ليس فى الامكان الانسلاخ من الواقع العربى الراهن ، فالجمع بينهما ممكن بل هو واجب ، فعلينا ان نفخر بقدماء المصريين أجدادنا ، وبالحمورابيين والبابليين أجداد اخواننا بالعراق ، وبالفينيقيين أجداد اخواننا فى سوريا ولبنان ، وبالقرطاجنيين أجداد اخواننا فى المغرب.. على أن العرب هم آباء الجميع !

وقد ظهر تشبعى بهذه الفكرة فى أول مسرحية الفتها بمصر وهى «اخناتون ونفرتيتى» ، وقد ظللت أدافع عن هذا الرأى حتى تحققت أحلامى بثورة ٢٣ يوليو التى جعلت من القومية العربية حقيقة واقعة.

كما كرست فنى وادبى بعد ذلك للقضايا العربية والاسلامية المختلفة ، وادركت خطورة قضية فلسطين فى وقت مبكر . فقد كتبت « شيلوك الجديد » قبل نكبة فلسطين بثلاثة أعوام، وتنبأت فى هذه المسرحية بالنكبة ، وقيام دولة اليهود فى فلسطين ، واقترحت المقاطعة الاقتصادية سلاحا يمكن به خنق هذه الدولة .

وكنت دائما أرى أن الاسلام قوة روحية ، ومدنية كبرى ، وان الانسانية الحائرة ستظل دائما فى حاجة الى الاهتداء بنوره،وان على كتابنا ألا يستعيروا الايديولوجيات الاجنبية ، بل ينظروا الى الحياة من وجهة النظر الاسلامية ، ويعبروا عن واقعهم وأحلامهم من خلالها ، ولا يبالوا فى ذلك بمن يرميهم بالرجعية والجمود والغيبية من الملاحدة والشعوبيين ، فان هذه التهم الثلاث (الرجعية والجمود والغيبية) ألصق بالملاحدة والشعوبيين منها بغيرهم .

وعلى ذكر الغيبية التى يتشدق بها كثير من الكتاب المفتونين ، يطيب لى أن أؤكد ان الغيب الذى يدعو الاسلام الى الايمان به هو ذلك المجهول الذى لا نهاية لأسراره ، فكلما كشف للانسان منه سر برزت أسرار ، وهكذا الى مالا نهاية له ، والانسان الذى لا يؤمن بهذا الغيب انسان محجور محصور مطموس القلب والعقل ، ولذلك أمرنا الاسلام أن نؤمن بذلك الغيب حتى نمضى قدما فى اكتشاف أسرار الوجود الى مالا نهاية له .

ويصمت على احمد باكثير لحظة ، ولكنى الاحقه بما يشبه العتاب :

« ولماذا لم تسهم الآن فى المسرح الذى يعتبر فى عهده الذهبى » .

ويرتجف على أحمد باكثير ويجلس على حافة المقعد ، واحس أن صوته وملامحه وجلسته تختنق ، ثم يضع عود الثقاب المتقد فى قلب « البايب » ، ثم يختلط صوته باللهب ، ومع أن اللهب يموت الا أن صوته يظل « والعا » وهو يقول :

هذا سؤال يثير فى النفس الشجون ، لقد ظن كثير من الناس أنى تركت الاهتمام بالمسرح والكتابة له ، اذ لم يروا لى مسرحية تمثل منذ عام ١٩٥٤ ، اى منذ عشر سنوات كاملة ، ولهم العذر فى ذلك ، حتى أن ممثلا كبيرا فى المسرح القومى هو الاستاذ حسين رياض سئل ذات مرة فى حديث صحفى عمن يعجبه من كتاب المسرح ، فكان أن قال « باكثير ، ولكنه انقطع عن الكتابة للمسرح ، وهو معذور فى ظنه هذا اذ لا يعقل عنده أن المسرح القومى يمكن أن يدير ظهره لمؤلف «سر الحاكم» ومسمار جحا ، وسر شهر زاد ، ومضحك الخليفة ، وهى المسرحيات التى كانت الفرقة تفتتح بها مواسمها منذ عام ١٩٤٧ .

ويسال باكثير نفسه « كيف بدأ ذلك ؟ »
ثم يجيب على نفسه :
بدأ عندما أنشئت مصلحة الفنون ، ونقلت اليها، وأسند الى الاشراف على شئون المسرح فى المكتب الفنى ، فقد نصحنى الاستاذ يحيى حقى مدير المصلحة . بضميره الحساس الحى الا أقدم الى الفرقة شيئا ، على الاقل فى السنة الاولى من انشاء المصلحة ، حتى لا تتهم باستغلال النفوذ ، ولم يسعنى الا أن أنزل على رغبته .

ثم تحكم فى المسرح القومى بعد ذلك اتجاه خاص أوصد الابواب فى وجهى ، لانى لست من «شلته» ، واستمر هذا الحال حوالى سبع سنين ، ومع هذا لم انقطع فى خلال هذه المدة ه عن الكتابة للمسرح ، فهى فنى الذى تخصصت فيه ، ولا عن تقديم أعمالى المسرحية الى المسرح القومى ابراء للذمة ، وقد كان المسرح القومى يقف موقف المتجاهل لأعمالى ، حتى أنه لا يكلف نفسه عبء الرد بالقبول أو بالرفض .

ولم يكتف بهذا بل عمد هو والكتاب الذين يدورون فى فلكه الى اغفال دورى فى المسرح المصرى أو التقليل من شانه حين جرءوا على التصدى لكتابة تاريخ المسرح ، وأخذوا يوهمون القراء بأن المسرح المصرى لم يبدأ الا بهم بعد قيام الثورة ، كانما لم يكن للذين من قبلهم دور فى تحضير الاذهان للثورة سواء من الناحية السياسية أو من الناحية الاجتماعية .

انهم يريدون أن يسدل الستار على عمل مسرحى ريادى كمسمار جحا كان ارهاصا بثورة الفدائيين على الاستعمار فى منطقة القناة ، اذ كتبت هذه المسرحية قبل انفجار تلك الثورة بعام ، وأذكر أننى حين قدمتها الى الفرقة اشفقوا من تمثيلها بصورتها فاقترحوا على تعديلها بحذف الجانب السياسى منها، والاقتصار على الجانب الاجتماعى فيها ، وان اسميها « جحا وابنه » بدلا من «مسمار جحا» فرفضت ذلك، وأجل لهذا السبب تمثيلها حتى اندلعت نيران الثورة فى منطقة القناة ، فبادرت الفرقة بتمثيل المسرحية اذ ذاك ، وتجاوب معها الشعب ، ونالت نجاحا منقطع النظير ، ثم يقول أولئك المغرضون ان مسرحياتى مسرحيات مناسبات !

ويزداد اللهب فى صوت باكثير وهو يقول :
لقد أرادوا أن يحتكروا لشلتهم المختارة فضل مساندة الثورة ، وتدعيم مبادئها حينما جعلوا المسرح القومى وقفا على أعضاء هذه الشلة فى أعوام ما بعد الثورة ، ظنا منهم أن فى الامكان أن يهيلوا التراب على أعمال كقصة « الثائر الأحمر » التى كانت ارهاصا بالاشتراكية العربية التى طبقتها حكومة الثورة ، وكمسرحية « مأساة أوديب » التى كانت صرخة ضد تحكم الاقطاع ، وانحراف رجال الدين عن رسالتهم الحقة ، ودعوة صريحة الى الاشتراكية المؤمنة ، ومصادرة اراضى الاقطاع وتوزيعها على افراد الشعب .. وقس على ذلك مسرحيات : الفرعون الموعود ، وسر شهرزاد ، ومضحك الخليفة ، فان واحدة منها لا تخلو من الدعوة الى الثورة على الحكم الفاسد .. هذا عدا المسرحيات السياسية التى عولجت بها قضايا البلاد العربية الأخرى ، وأهمها قضية فلسطين ، التى أخذت من اهتمامى مسرحيات : « شيلوك الجديد » ثم « شعب الله المختار » و « امبراطورية فى المزاد » وأخيرا « اله اسرائيل »

وأظنك تستطيع الآن أن تعرف لماذا لم أسهم فى المسرح بعمل يدل على تماما ، ولولا انشاء مسرح التليفزيون لما ظهرت لى حتى هاتان الملهاتان « جلفدان هانم » و « قطط وفيران »

وحين يصل الى هذا تكون الابتسامة قد عادت الى وجهه ، ويكون كمن يلتقط نفسا طويلا بعد مجهود شاق ، ولكنى أتذكر ان الاحساس بالعروبة هو الذى جعله ذا وعى بالتاريخ ، بالاضافة الى الاعتقاد بأن المسرح يعتمد على الرمز والايحاء ، وأن أحداث التاريخ تعين على هذا لانها تحددت ، ولعل هذا هو الذى دفعه الى الأساطير لانها أثرى من التاريخ فى هذا المجال ، ولقد كان كل هذا دافعا لى أن أسأله :

« **هل فى هذا نوع من الهروب من مشكلة اللغة ؟ وهل تستطيع العامية اعطاء كافة ابعاد العمل المسرحى والروائى » ؟**

وبدون انفعال :
العامية ليست الا صورة مشوهة من اللغة الفصيحة ، وان كانت قد اكتسبت مع الأيام مرونة وحيوية لكثرة ترددها على الألسنة ، وفى امكانها بالطبع أن تصير « لغة أدبية » اذا ألح الكتاب والأدباء على استعمالها بدلا من اللغة الفصيحة ، واذا ساعدتهم الدولة على ذلك بما تضعه فى أيديهم من امكانيات واسعة فى الأجهزة ذات التأثير الضخم وأعنى الاذاعة والتليفزيون .

وانى أعيذ الجمهورية العربية المتحدة ــ وهى

زعيمة النهضة العربية الشاملة القائمة على الحرية والاشتراكية والوحدة ـ أن تكون هي الدولة التي ترتكب هذه الجناية الكبرى باحلال العامية محل اللغة الفصحى ، لا في حدود بلادها فحسب بل في العالم العربي كله من المحيط الى الخليج :

ويقول الاستاذ باكثير « ولعلك تسألني ما تبعة الدولة في ذلك ؟ »

ويجيب الاستاذ باكثير : ان الدولة مسئولة فكما انها وضعت تخطيطا لكل مرفق من مرافق الحياة ، فعليها أن تخطط في سبيل تعميم اللغة الفصحى واشاعتها عن طريق اجهزتها الضخمة كالاذاعة والتليفزيون ، وأن تسير في ذلك بالتدريج، كأن تضع مشروعا لمدة عشر سنوات تقل في خلالها نسبة ما يذاع باللغة العامية سنة بعد سنة حتى تنعدم في نهاية السنة العاشرة .

ويصمت فترة يتخللها صوت عود الثقاب ، ثم يبرق صوته وهو يقول : أية نهضة عملاقة تقوم في العالم العربي كله لو تم هذا ؟

ويسوقني هذا الى أن اسأله عن الخطوط العريضة لملحمة عمر بن الخطاب وهل يمكن أن تمثل ؟ ويقول باكثير :

يمكن تلخيص هذه الخطوط في هذه الكلمة الجامعة : لا يصلح آخر هذه الأمة الا بمثل ما صلح به أولها ، ففي عهد عمر تكون وتشكل هذا الذي نطلق عليه اليوم « الوطن العربي » على نظام ديمقراطي حر ، هو في روحه بالنسبة لظروفه أسمى ما بلغه نظام حكم في التاريخ ، وهو في نفس الوقت يتسم بروح انسانية عالميه قائمة على العدل والمساواة بين البشر على اختلاف اجناسهم وألوانهم ومذاهبهم ..
ونحن في نهضتنا الحاضرة أحوج ما نكون الى الاقتداء بسيرة عمر الزعيم القومي الأمين الذي يحرص على اتباع السنة ، ويجتهد مع ذلك في ابتداع الوسائل الجديدة لمواكبة التطور في جميع ميادين الحياة .

وعلى كل فقد وضعت هذه الملحمة بحيث تكون صالحة للتمثيل على المسرح ـ وهي تغطي خمس عشرة ليلة ـ ولكنني اعتقد ان الوسيلة الوحيدة لاخراجها الآن هي التليفزيون .

واذا كان مؤرخو المسرح قد تناسوا على أحمد باكثير ، فان بعض الذين أرخوا للشعر قد نسوه ، ولكن كل من يتصل به يعرف كيف أن أحد الاساتذة الانجليز في الجامعة ذكر أن اللغة الانجليزية تفوقت في الشعر المرسل ، وأن الفرنسيين حين حاولوا هذه المحاولة لم يوفقوا فيها مثلما وفق الانجليز ، ثم انتهى الى أن مثل هذا اللون من الشعر لم يوجد ولن ينجح في العربية ، وكان رد على أحمد باكثير عليه بقوله « أما انه لا وجود له في أدبنا العربي فهذا صحيح لأن لكل أمة تقاليدها الفنية ، وكان من تقاليد الشعر العربي التزام القافية ، ولكن ليس ما يحول دون ايجاده في اللغة العربية فهي لغة طيعة تتسع لكل شكل من اشكال الأدب والشعر ..

ثم كان ان اختار مشهدا من « روميو وجولييت » ونفذ فيه ما تحدى به استاذه ، وكان أن انتهى الى أن أصلح البحور التي تصلح لهذا اللون الجديد من الشعر هي التي تتكون من تفعيلة واحدة مكررة كالكامل والمتقارب والرجز والمتدارك والرمل ، ثم كان ان قدم « اخناتون ونفرتيتي » من بحر واحد هو المتدارك بعيدا عن اسار القافية ، ومعتمدا على التفعيلة كوحدة نغمية .

ثم كان اتجاهه الى اوبرا قصر الهودج الذي استعمل فيها عددا من البحور ، ولم يركز كثيرا على القافية ، بحيث تصبح صالحة للتلحين والغناء ، ثم كان تنبهه أخيرا في أعماله الى أنه يمكن تقديم روح الشعر في اعماله دون أن تكون منظومة .

ولقد كان هذا داعيا الى أن أقول له :

« ما رايك في الشعر الجديد ؟ »

ويرد على أحمد باكثير :

أسف لأن هذا الشعر الحر قد اتخذه الشعوبيون والمنحرفون عن الخط العربي الاسلامي مطية لهم حتى كاد يصير عنوانا لهم ، وكم أتمنى من أعماق قلبي أن يظهر « شاعر حر » يضرب على أوتار النفس العربية ، ولكني أتلفت حولي ولا أجده !

وحين أقول له :

« ما آخر انتاجك ؟ »

يقول :

مسرحية « حبل الغسيل » وهي تدور حول الشعوبية الحديثة !

ويبتسم على أحمد باكثير ابتسامة ذات مغزى ، ويتوهج الدخان تحت عود الكبريت ، ويتكىء بيده على المقعد فيخيل الى أنه يتكىء على مؤلفاته الثرية ، وأن الذين تناسوه ليس عندهم مبرر واحد سليم لتجاهله ، ويودعني على أحمد باكثير فاحس على الفور اني أمام مفكر شاهق القامة ، شاهق النفس ، بحيث يخيل للانسان أن كل سحابة تمر في الشرق هي دخان « البايب » الذي لا يفارقه .

عبده بدوي

الكتب
نقد وتعريف

يقدمه: تحسين عبد الحي



اليهودية بين المسيحية والاسلام

لقد آمن شعبنا بضرورة المواجهة المباشرة ـ للخطر اليهودي ـ الذي استطاع بوسائله المختلفة ان يغتصب أرضنا السليبة في فلسطين ٠٠٠

ولا شك ان المواجهة الحقيقية للخطر اليهودي في حاجة دائما الى مزيد من اليقظة والحذر والتأهب المستمر ٠٠

وقد أصبح من المحتم علينا ـ أن نضيف الى استعداداتنا المادية بأنواعها المختلفة ـ امكانياتنا الفكرية المتجددة والتي يجب أن تكون قادرة على تعبئة الذهن العربي بكل ما يحتاج اليه من المبررات الفكرية والأسس النظرية ـ لما يكافح من أجله ٠

اننا نعلم جميعا أن اليهودية العالمية تواجه العالم بفكر مدروس ٠٠ وعلى الرغم من أن كل ما يقدمه هؤلاء هو في الأساس فكر مزور مدسوس يخفي وراءه أبشع ما في نفوسهم من عنصرية واستعلاء وتآمر على مقدرات الشعوب ٠٠ الا أنهم يجدون دائما المبررات الملفقة المصحوبة بالتمويه المتعمد ٠٠ لكي يستطيعوا أن يصلوا من خلاله الى ما يريدون من اهداف ٠ ومهمة المفكر العربي تنحصر في مدى قدرته واستعداده للعمل المواجه لكشف الكثير من المغالطات التي تنشرها اجهزة الدعاية اليهودية في جميع أنحاء العالم ٠٠ ولكي نكون واقعيين ٠٠ يجب ان نعترف بأن الكثير مما يقدم في هذا الصدد لا يساعد على ما ندعو اليه ونريده ٠٠

* * *

ان الواجب الذي تفرضه علينا مستلزمات حركة نضالنا القومي ـ أن نكون باستمرار في مستوى العمل الثوري المتحرك ٠٠ لا أن نكون سببا في جمود وتمييع افكار وتطلعات جماهير شعبنا التي تؤمن وتكافح من أجل مستقبل افضل ٠

لقد أصبح من الضروري أن يؤمن الكاتب أولا بما يريد أن يكتب عنه وخاصة في الموضوعات التي تهم قضايا أمتنا المصيرية ٠٠ لا أن يتقدم البعض تحت ستار مزيف من الاخلاص ٠٠ لكي يقدم لنا خطبا حماسية مليئة بالحشو والتملق والسفسطة، وهذه الأشياء تعتبر خطيرة لدرجة أننا نؤمن أنها قد أصبحت بمثابة معاول هدم وتدمير لصرح وجودنا الفكري على مستوى أمتنا العربية ٠

ولكي لا أكون مغاليا في قولي هذا سوف أحاول هنا أن أعقد مقارنة بسيطة لتوضيح ما أود قوله ٠٠ وسنحاول هنا أن نبحث موضوعا يشغل الأذهان في الوقت الحاضر ونتخذ منه نموذجا لما نريد ٠

فقضية تبرئة اليهود من دم المسيح المثارة الآن فى المجمع المسكونى خير مثال على ذلك.. فانه على الرغم من أن مسئولية اليهـــود المباشرة فى هذا الصدد واضحة جلية الا أنهم أثاروا قضيتهم بطريقة لا تخلو من بعض الذكاء .

لقد صور احبار اليهود للرومان ـ دعوة السيد المسيح ـ على أنها ثورة سياسية ضد سلطتهم ـ رغم طابعها الدينى الصرف . وأراد الرومان أن يستفيد السيد المسيح من تقليد كانوا هم واليهود يسلمون به وهو اطلاق رجل من المسجونين فى موسم معين يختاره اليهود بأنفســـهم ـ فلما عرض عليهم أن يطلقوا ـ السيد المسيح ـ أو ـ باراباس ـ اللص ـ فضلوا اطلاق باراباس .

فالذين أدانوا السيد المسيح هم كهنة اليهــود وقد اتفقوا على ذلك ـ والذين حرضـوا العامة على أن يهتفوا باطلاق باراباس دون السيد المسيح هـم هؤلاء الكهنة الموتورون ..

وتبرئة اليهود من جنايتهم على السيد المسيح هى مجاهرة بفرية على الأناجيل وهذه الاكذوبة لا يقبلها عقل باحث لأن الادانة أمر تم فعلا ، وأدلتها الدينية ثابتة من واقع الكتب المسيحية المقدسة وشـهادات الآباء والقديسين ..

❊ ❊ ❊

ولكن اليهودية العالمية تأتى الآن لتثير اشـكالات مظهرية .. بين القضاء وتنفيذ القضاء .. فيقولون: ان كهنـة اليهود لم ينفذوا الحكم فى السيد المسيح .. ولكنهم الرومان أصحاب السـلطة الزمنية .. ولكن عندمـا يحكم القاضى بحكم ما ـ فى الوقت الحاضر فهل ينفذه بنفسه أم أنه يحكم بما يراه ـ متحملا مسـئولية حكمه ـ لكى ينفذ ما حكم به آخرون يأتمرون بأمره .. ؟

المهم .. أن اليهودية العالمية تجد دائما ـ كمـا قلت ـ المبررات الفكرية القادرة على اللف والدوران لتحقيق اهدافها .

❊ ❊ ❊

أما نحن فنجد أن الأستاذ ـ خلف محمد الحسينى ـ مؤلف كتاب ـ اليهودية بين المسيحية والاسلام ـ يحاول أن يتعرض لمثل هذا الموضوع الخطير ـ بكل بساطة ببعض أبيات شعرية وبعض الألفاظ الخطابية مع بعض السرد المبتور للأحداث التى نعرفها جميعا عن تطورات القضية الفلسطينية بما فى ذلك حرب سنة ١٩٤٨ وحرب سنة ١٩٥٦ وهلم جرا ..

بل ان المؤلف لا يستطيع ان يفرق بين التصرفات المتسمة بالطابع العنصرى التى اداتهـا العالم أجمع بالعدوان وبين الأهداف القومية الانســانية التى تنادى فقط باستعادة الحقوق ـ والدفاع عن النفس.

يقول المؤلف فى ص ١٧٨ :

« وليس أدل على تحجر عقلية اليهود من أساليبهم فى القرن العشرين، فهى لم تتغير عن أساليب أسلافهم فى القرون الوسطى ، فقديما هاج على اليهــود الشعب الفرنسى فى عهد لويس التاسع ملك فرنسا ، لوسـائلهم الدنيئـة ، فذبحوا كثيرا منهم فى عام ١٣٣١ م وأمر لويس التـاسع بحرق جميـع كتبهم الدينية ..

وفى عهد هنرى الثالث ملك انجلترا اقترفوا اثما مبينا ، فاغتصبوا الأموال واستحلوا الحرام فصب عليهم سوط العذاب . وفى عهـــد (هتلر) زعيم الرايخ كانوا من أسباب هزيمة ألمانيا فى الحـرب العالمية الثانية، فأهلك منهم عددا كبيرا ، وفى سنة ١٩٤٨ م اغتصبوا أرض فلسطين العربية وأجلوا عنها أهلها ، وهم يحاولون الآن القضاء على القومية العربية ليقيموا على أنقاضها القومية اليهودية ، ولا يزالون فى صراع مع الجمهورية العربية المتحدة التى يحمل رئيسها راية الدفاع عن حقوق عرب فلســطين ، ويقاوم بالقول وبالفعل أعمـال اسرائيل ضدهـا

ومن أمثلة جهاده في سبيل فلسطين أنه سافر الى أمريكا والقى في الأمم المتحدة خطابه التاريخي الذي تنطق كلماته بالصراحة والاخلاص والشجاعة .

❊ ❊ ❊

وعلى الرغم من أن النضال العربي ضد اسرائيل له جوانب كثيرة وأساليب متعددة نعرفها جميعا .. الا أننا نرفض ذلك الربط السطحي ـ بين هنري الثاني » وهتلر « بالذات وقيادتنا القومية التي لا تحمل مضامين نضالها أية أهداف عنصرية أو استعلائية .. وانما هي أهداف انسانية تطالب بالحقوق وتسعى الى تدعيم نفسها للدفاع عن نفسها .. والذي أود قوله في هذا الصدد أنه قد أصبح من المحتم على كل من يتعرض لقضايا شعبنا القومية أن يتمتع أولا بشمول النظرة وعمقها بدلا من هذه السطحية الواضحة .

❊ ❊ ❊

ثم لا بد أن يكون له منهج واضح ينبثق بالضرورة عن عقيدة يؤمن بها .. لا أن يلقى القول جزافا بغير دراسة موضوعية أو حتى سرد أمين .. مثل قوله بعد كلام انشائي كثير في صفحة ١٠١ « هل يمكن أن تهدأ اسرائيل وهي محصورة بين البلاد العربية وقد احتلت أعز مكان من أرضهم وهو فلسطين المباركة ؟

الا أن المستقبل لينذر بقرب التحام الفريقين المتعادين « والليالي حبالى يلدن كل عجيب » « هذا أسلوب المؤلف وهذه هي أفكاره »

ويقول المؤلف في موضع آخر صفحة ١٨٣ :

كيف تسول لليهود أنفسهم أن يحاولوا غزو العقول في عصر قد تنورت فيه بنور القرآن ، ونور العلم والعرفان الذي سطع ضوؤه في كل مكان ؟

ان مثلكم أيها اليهود في محاولتكم الفاشلة كما قال الشاعر :

كناطح صخرة يوما ليوهنها
فلم يضرها ، وأوهى قرنه الوعل

انكم أيها اليهود برهنتم على أنكم بقايا متحجرة .. الى آخر الخطبة !!

ويأتي المؤلف بفقرة من كتاب اسرائيل فكرة وحركة ودولة ـ الذي قدمناه هنا قبل ذلك ويصر على أن يختمها من عنده ببيت من الشعر .. **ولست أدرى ما موقع الشعر في معالجة القضايا السياسية والقومية ؟**

يقول الأستاذان هاني الهندي ومحسن ابراهيم في كتابهما ـ اسرائيل فكرة وحركة ودولة ..

« ومن الحقائق الثابتة أن معرفة أحوال العدو شرط أساسي للانتصار عليه ، وأكثر المتحاربين معرفة بموضوع الضعف والقوة من خصومهم ، واحاطة بكافة شئونهم هم أقدر على هزيمتهم وسحقهم .. »

ويكمل مؤلفنا بما يأتي :

وأقوى المتحاربين من كان أعظمهم أخلاقا وأكثرهم صبرا وأقواهم سلاحا ، وأعز جندا ، وأقوى ايمانا بحقهم وأشد اتحادا ، فأي الفريقين أحق بفلسطين : العرب الفلسطينيون اللاجئون ، أم اليهود الظالمون ؟

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا
ويأتيك بالأخبار من لم تزود

❊ ❊ ❊

وهكذا يستمر الكتاب ، بلا دراسة وبلا منهج وحتى بلا أي وعي قومي أو ثقافي لما تعرض له المؤلف

« تحسين عبد الحي »

قراءات في المجلات العربية

يقدمه : محمد العواني



● الأدب البلجيكي :

يقتصر أدبنا المعاصر في ترجمته غالبا على الأخذ من منبع واحد أو منبعين ، وتلك نظرة خاطئة اذ أننا حين نقبل على أدب أمة بعينها انما نستنفد قوتنا طلبا لمرضاتها وتحقيق أغراضها مع أن في بعض هذا الأدب ما يشين أخلاقنا ويشوه معالم وجودنا ولايغني أدبنا أو يعمقه في شيء بل يؤدي الى الفوضى في تفكيرنا والعبث بقيمنا .

ولقد قرأت قصة مترجمة عن أحد أدباء الغرب المشهورين فهالني أن أرى فيها بشكل غير معقول مواقف جنسية فاضحة لا أشك في أنها تؤثر على تفكير شبابنا وتعوق تقدمه الصاعد نحو الحياة الحرة الكريمة اللائقة به ولست أدري لماذا يتعامى هؤلاء المترجمون عن ادراك الهدف الخبيث حين ينشرون أمثال هذه القصص وينقلونها الى لغتنا ظانين أنهم بذلك قد عثروا على كنز ثمين .

ولقد كتب الأستاذ سعد صائب بحثا في مجلة « الاديب » عنوانه « في الادب البلجيكي » طالب فيه الأدباء أن يهتموا بما في هذا الأدب من قيم جمالية والوان فنية كان لها تأثير كبير في الأدب العربي اذ يجب « أن تكون نوافذها مفتوحة لآداب الأمم جميعها لكي تأخذ الأصلح منها والأنفع » .

ويبين الباحث أن في بلجيكا أدبين أحدهما الفرنسي . والآخر الفلمندي لأن التحدث بلغتين موجود في هذه البلاد، ولكن الأدب الفرنسي عريق في القدم اذ أن « اللغة الفرنسية ما برحت منذ القرن الثاني عشر لغة الطبقة المثقفة » . ولذا فقد ظهر على تعاقب هذه القرون كثير من أدباء بلجيكا المشهورين الذين تبوءوا مكانة مرموقة في الادب الفرنسي أمثال «جان لوبير دوبليج» الذي نال شهرة أدبية في القرن الخامس عشر ، لا في بلجيكا وحدها بل في سائر انحاء أوربا كذلك ، حتى أمكن أن يعتبر هذا الشاعر رائدا لكثير من شعراء فرنسا أمثال «كليمان مارو»، وما أن حل القرن السابع عشر حتى خيم الركود على الحركة الادبية نتيجة للحروب التي خاضتها بلجيكا مع الدول الأخرى . والحرب الأهلية الطاحنة التي قامت بها . وحتى انه لم يبرز في هذا القرن « أي أديب أو شاعر مرموق » حتى جاء عام ١٨٨٠ وظهرت مجلة « بلجيكا الفتاة » التي أصدرها الشاعر « ماكس واللر» وكانت هذه المجلة عاملا قويا جعلت كثيرا من الأدباء يدعمونها بما انتجوه من روائع أدبهم مماأدى الى « ظهور مدرسة أدبية عرفت باسمها » .

وينتقل بنا الكاتب الى الحركة الرمزية فيتحدث عن حياة وأعمال الشاعر « موريس ماترلنك » وأنه صار في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين من طليعة الكتاب في العالم ، وأنه تحول عن الرمزية المتهدلة التي سادت مؤلفاته

ـ «مشاتل دافئة»، و « الأميرة مالين » و «المكفوفون» ـ الى « واقعية شعرية تمجد طيب الحياة وطهارة الفقراء والبسطاء » .. وكانت لمسرحية ما ترلنك « بلياس ومليزاند » التي ظهرت عام ١٨٩٢ شهرتها الواسعة لا في الادب المسرحي وحده بل في الأدب المقارن أيضا ، حتى أجمع كثير من الباحثين على انه « استعار موقفين من مواقفها من الشاعر الفارسي « الفردوسي » في ملحمته « الشاهنامة » التي يعود تاليفها الى أواخر القرن العاشر وأوائل القرن الحادى عشر للميلاد » .

وفي حديث واف عن شاعر آخر يتحدث المقال فيبين أنه « أعظم شاعر بلجيكي نظم في اللغة الفرنسية » وأن الرمزية طغت عليه غب الفترة الاولى التي استلهم فيها الواقع » ذلك الشاعر هو « اميل فيرهارن » الذى أتاح له غنى خياله أن يجارى الشاعر الفرنسي « فيكتور هيجو» في تحقيق الحوافز المغرية التي تثيرها فيه الحياة حتى « ان أية فكرة ما ان تراود خياله الخصب حتى تبرز على شكل صور او لوحة فنية » يؤكد ذلك قصيدته التي بعنوان « العمل » اذ يقول :

انا مضن بالكلمات ، مضن بالكتب ،
التي توهن العزم ،
أبحث في قرارة زهوى ،
عن العمل الذى ينقذني ويعتقني .

الى أن يقول :

أنا عليم بانهم يعاودون البحث عنه
طول الليل ، حتى مطلع الفجر
ثم لا يلبثون أن يبصروه واقفا على عتبة ... الخ

* * *

اننا مع الباحث في أنه يجب علينا أن نقتبس من ثقافات الأمم وآدابها ما يدفع تطورنا الأدبي والفكرى الى الأمام حتى يتحقق لأدبنا طابعا خاصا تسمه بسماتنا ونودعه كل مقومات الحضارة العربية الأصيلة بذلك يتحرر فكرنا وأدبنا ، يتحرران من خوف الكبرياء ... وكبرياء الخوف .

* * *

● **فهد العسكر .. الشاعر الكويتي المجدد**

وتتناول نفس هذه المجلة (الاديب) هذا الشاعر بالدراسة التي كتبها الاستاذ قدرى قلعجي فيقول عنه : انه وجد في مجتمع تختلف حياته عما هي عليه الآن فقد كان التمسك بالقديم والجنوح الى التفكير الديني أهم ما أخذ به الشاعر نفسه .

ولكنه لم يلبث أن ثار على أوضاع مجتمعه ونادى بالتحرر من القيود الاجتماعية وكتب الى جانب الشعر الوطني والقومي الخمريات والغزليات ، وكان هذا أول صدام الشاعر مع تقاليد البيئة حتى اتهم بالزندقة والخروج على الدين مما كان سببا في ابتعاد اقربائه واصدقائه عنه بل ان امه هي الأخرى تنحت عنه وكانت في صف الذين يناوئونه ويعارضونه نفهم ذلك من قصيدته التي توجه بها الى امه حين أصابه الداء العضال الذى اطفأ نور باصرته حين يقول :

كفى الملام وعلليني ... فالشك أودى باليقين
وتناهبت كبدى الشجون ... فمن مجيرى من شجوني
وامضني الداء العياء ... فمن مغيثي من معيني
أين التي خلقت لتهوا ... ني وباتت تجتويني
اماه قد غلب الأسى ... كفى الملام وعلليني
الله يا اماه في ... ترفقي لا تعذليني

الى أن يقول :

ضاقت بى الدنيا دعيني ... اندب الماضي دعيني
وانا السجين بعقر دارى ... فاسمعي شكوى السجين
بهزال جسمي ، باصفرارى ... بالتجعد بالغضون

ويموت هذا الشاعر بعد مرض اقعده عن الخروج ثلاثة أعوام وكانت وفاته يوم الاربعاء ١٥ اغسطس ١٩٥١ عن عمر يناهز السابعة والثلاثين وتمتد الأيدى الآثمة الى آثار الشاعر فتحرقها ولم يعثر الا على القليل من هذه الأشعار .

ونختم هذا العرض الموجز للشاعر بهذا النموذج من شعره يقول في احدى قصائده :

غادة حطم الفؤاد بكاها ... ليت شعرى ما بالها ؟ ما دهاها
قد حباها الله الجمال ولكن ... لم تصنه ياليته ما حباها

ويقول :

واستحال الاعوال منهـــا انينا
حين جفت من فرطها مقلتاهـا
سامرت أنجم السـماء وناجت
بسكون الدجى الهـلال أخاها

الى أن يقول :

فشـكت ظلم امهـــا وأباهـــا
قاتل الله امهـــا وأباهـــا
ارغماهـا على الزواج بشــيخ
ذا ثراء من أجل ذا ارغماهـا

الانسلاخ بين اللغة والحياة :

استعملت كلمة (الانســلاخ) أو (التجافي) بمعنى الجنون ، في اللغة الفرنسية والاســبانية وفي اللغة الانجليزية خاصة عند الاشارة الى طبيب الأمراض العقلية • واذا انتقلنا الى الاســتعمالات الفلسفية نجد أنها أضـافت لهـذه الكلمة معنى جديدا حصرته في نواح كثيرة: سواء أكانت اقتصادية واجتماعية ام سياسية ام دينيـة فهو بالمعنى الجديد مرتبط بالحالة النفسية الاجتماعية بسبب انغمـاس الانسان في خضم الحياة الميـكانيكية المعقدة ، التي تفصل بينه وبين نفسه ومجتمعه وثقافته الجماعية •

وقد دلل الاســتاذ حسن الكرمي على ذلك في مقـــال نشرته مجلة « الأديب » اللبنانية فأورد « ان الانسان في الماضي كان يصنع الشيء بنفســه من مواد يستحصلها بنفسه ويبيع ما يصـنعه في مقابل شيء آخر صـــنعه غيره بنفســـه من مواد استحصلها بنفسه ، فكانت الصلة بين ما يصـنعه هو وبينه وبين الصانع الآخر صلة وثيقة مباشرة » حتى اهتدى الانسان الى الآلة الحديثة فاعتمد عليها في جميع شئونه ، وصار النقد هو الوسيلة التي « يشترى بها الانسان ما يريد بدون معرفة للصانع وصار يبيع ما يصنعه بالآلة عن طريق الاســـواق والدكاكين دون أن يعرف أين تذهب مصنوعاته وفي اى يد تقع » •

وقد أعطى الباحث للنقد اهمية خاصة اذ يقول : « ان مالا أقدر على عمله بنفسي وبقـــوتي الخاصـة استطيع أن أعمله بواســطة النقد ، وبالنقد يمكن شراء كل شيء ، وبه يمكن استغلال القوى البشرية والتحكم بها » • والكاتب حين يبين أن للنقد هذا التاثير الكبير نظر الى الانســـان من خلال الجوانب المادية فقط وأغفل جوانبه الروحية ومثله الأخلاقية

ويؤيد هذا الاتجاه قوله « ان الانسان يخلق في حياته أشياء او أنظمة تنتقل اليها نواح من أفكاره وآماله بحيث يصبح فاقدا لها كالقشرة التي لانواة فيها ولا ثمرة » •

ان هذا التفسير من الكاتب يجعل الانسان آلة صماء يعيش بلا ارادة وتسيره المادية الصرفة التي تجعله كالقشرة التي يتحدث عنها الاستاذ الكرمي •

ويناقش المقال الانســلاخ في مجال الفكر في وقتنا الحاضر ويرجع ســببه الى « تشعب العلم واتساع رقعته مما ادى الى الاختصــاص في ناحية معينة ضيقة » ، ويســوق من الامثلة على ذلك ان كثيرا من الباحثين أبدى عدم رضاه عن نظام الدكتوراه في الجامعات الحديثة اذ أن « هذا النظام يجعل الباحث اضعف اتصالا بواقعه وامعن في التباعد والتجـافي عن المحيط » • فان المختص بالدكتوراه حينئذ يظن في نفسه أنه من عجينة أخرى يختلف بها عن بقية المتعلمين الآخرين •

ويشير الى ان هذا الوضع بارز بشكل ملحوظ في البلاد العربية كما هو واضح أيضا في البلاد الحديثة العهد بالعلم والثقافة • ونســتطيع أن نرد على الأســـتاذ الكرمي بأن الدكاترة الذين يضــعون أنفسهم فوق الجميع ليســوا موجودين في البلاد العربيه بل انهم موجودون في كل بلاد العالم • فهل يمكن لذلك أن نعتبر أنفســـنا متخلفين ؟ لعل الأستاذ الكرمي لا يقصد ذلك •

ويتابع حديثه عن التخصص فيرى أن الكثيرين لاحظوا ان « الاختصـــاص للدكتوراة في اللغــة العربية كثيرا ما يزهد المختص باللغة العربية نفسها لأن المختص بانغماســه في البحث ـ وخصوصـــا في جامعة أجنبية وعن طريق لغة أجنبية ـ لا يقيم كبير وزن للغة العربية نفسها فيخرج من بحثه وقد نسيها » •

هـل نصـــدق أن الانغماس في البحث ينسى الباحث ما يبحث عنه ؟ ان الكاتب يريد ان يقنعنا بذلك حين يذكر أن صديقا له كان يدرس للدكتوراه في الهندسة قال له ان دراسته للدكتوراه أنسته الهندسة •

ولعل منشأ الخلاف يرجع الى أن الاستاذ الكرمي يدلل على ما يقول بذكر آراء بعـض مفكري الغرب الماديين وقد كان جميلا منه أن يقف بعد أن استعرض هذه الآراء ليبين أن الشخص العادي قد أصبح تائها وفي حيرة من أمره لأنه قد فقد معتقداته الدينية وغيرها عن حقيقة هذا العالم ، الأمر الذي حدا بكثير من المفكرين الى أن ينادوا بضرورة العودة الى الايمـان والدين كي تؤمن البشرية حياتهـا مما يتهددها من من أخطار العلم الحديث ومخترعاته المدمرة من القنابل النووية وغيرها •



حول شاعرية حافظ جميل

للكاتب الاردني مصطفى محمد الغار

جاء فى العدد ١٠٧٦ من مجلة الرسالة الغراء فى مقال للدكتور بدوى طبانة تحت عنوان شاعرية حافظ الجميل (٣) ما يلى : —

«وأولى تجاربه مع المراة تجربته مع (التين) وهو الاسم المستعار الذى اختاره لزميلته فى الجامعة الامريكية ببيروت ، التى هام بها ووقع فى شراك هواها ، فصاغ فيها كثيرا من قصائده التى تراواها زملاؤه فى الجامعة ، حتى فاض حديث الهوى ، وهدده مدير الجامعة بالفصل ان لم يمسك عن هذا التشبيب ، ويكف عن اذاعته ، وكان ذلك فى شباب حافظ ، منذ سبع وثلاثين سنة ، ومن تلك القصائد واظرفها قصيدة (تين) » .

والحقيقة أن هذه القصيدة التى نسبها الدكتور بدوى للشاعر حافظ جميل ، قد اشترك فى نظمها ثلاثة من رفاق الدراسة فى الجامعة الامريكية ببيروت وهم : ابراهيم حافظ طوقان ، حافظ جميل ، ووجيه البارودى . يستدل من ذلك ما كتبه الدكتور وجيه البارودى الى الدكتور عمر فروخ عام ١٩٥٤ ما خلاصته :

« ذات يوم عاد ابراهيم طوقان ، وحافظ جميل من البحر ، وهما ينشدان المقاطع الأولى من قصيدة (ياتين) فاشتركت معهما فى النظم ، واكملنا القصيدة » .

وكذلك ما جاء فى القصيدة التى نظمها الشاعر ابراهيم طوقان ، وراح يسأل الدكتور عمر فروخ بقوله :

أين ليلى على شــوا
طئ بيروت يا « عمر » ؟

كان من (فرعها الظلا
م ومن (وجهها) القمر !

وهدامى ، وقد ظفر
ت بها نشوة الظفر !

من معيد مسرتى
والزمان الذى غبر .

حين لم افتكر بهجـ
ر ولا الهاجر افتكر .

ولقد قبل فى الحيا
ة هى اللمح بالبصر .

هكذا يذهب السرو
ر سريعا اذا حضر .

والواقع أن الشعراء الثلاثة : حافظ جميل ، ابراهيم طوقان ، وجيه البارودى ، قد أسهموا فى نظم أكثر من قصيدة غزلية ابان سنى دراستهم فى الجامعة الامريكية ، وقد جمع بينهم الشعر ومقعد الدراسة والاستجابة لمنازع الشباب ، ومن تلك القصائد ، قصيدة وادى الرمان ، التى نشرها الشاعر وجيه البارودى فى ديوانه ، وشاركه فى

وضعها رفيقه الشاعر ابراهيم طوقان وفيها يقول البارودي :

« ان القصيدة مثال مبتكر ، امتزج روحانا بكل كلمة ، وبكل شطرة ، فجاءت قصيدة لا يستطيع ناقد مهما حقق ودقق أن يجد دليلا على ينبوعها الثنائي .

رافضون

عبد الرحمن احمد سالم

ثاروا على القيم الشريـ
فة واستحلوا كل بدعة

ومضوا يبنون السمو
م وينصبون حبال خدعة

من كل هدام يخا
ل الهدم مكرمة ورفعة

ويود لو دام الظلا
م على البلاد بكل رقعة

كالبوم يأنس للدجى
وتراه يعبس للأشعة

صرح العروبة لن يطيـ
ق الكاذب المغرور صدعه

كلا ، ولو نطح السما
، ولو تقطع الف قطعة

ولو استحال لسانه
سيفا تهاب الأرض شرعه

عملاقها الفوار يصر
ع كل من يبغون صرعه

تيارها الهدار يبا
ح كل من يرجون بلعه

فتشدقن يا رافضى
وأسرفن في كل شنعه

وخذن تراث الأقدميـ
ن على رؤوس القوم فانعه

واشبب على الاسلام دو
ن سواه نارا ذات روعه

واصبب من الغضب المعر
بد فوق رأس الشرق « ترعة »

ثم انظر هل حزت فخرا
أو ظفرت بضوء شمعه

قد حزت عارا ـ يا غبيى ـ
على الدهور وسوء سمعه !

شاعر وعقيدة :

احمد عثمان المراغى

دفن صيف العام الماضى بمدينة المراغة احدى مدن سوهاج الشاعر سيد عثمان المراغى . وقليل من الأدباء من لم يعرف المراغى الشاعر . فقد ولد الشاعر عام ١٩١٠ ومات عام ١٩٦٣ بعد مرض صاحبه طيلة جهاده فى صفوف الثوار بشعره وخطابته فى اقليم سوهاج بعد خروجه من سجن مصر عام ١٩٥٢ بيد ثورتنا العربية التى تنبأ بها الشاعر مذ عام ١٩٤٨ فى قصيدته التى كانت سببا فى سجنه طيلة هذه الحقبة . كما أن هذه القصيدة قد تكون من بين الأسباب التى سببت حرق كل قصائده بسكنه بالجيزة ومصادرة مكتبته الخاصة والعبث بها عبثا لم يترك منهـا أثرا . والمراغى الشاعر هو المراغى الخطيب الاديب الثائر طالما تزعم المتظاهرين فى مدارس القاهرة وسوهاج ضد المحتلين وأذنابهم وكما ندد بالملكية علنا وهاجم الرأسماليين والزعماء فى غير مبالاة فاستمع اليه فى قصيدته عام ١٩٤٨

متى الشرق يصحو من كراه ويسعد
فحتام هذا الشرق يغفو ويرقد

سلوا الشرق عن ميراثه قد أضاعه
وآماله لثم وضم وموعد

أرى الغرب لا يرعى لنا قط حرمة
وهل حرمة ترعى لمن لا يجددوا

قضى الغرب ان يقضى علينا لأننا
رضينا به ربا يطاع ويعبد

ويمضى ثائرا فى قصيدته غير مبال ببطش أو وعيد متمنيا ثورة خارقة للخونة والغاصبين :

بنى أمنا ان الحياة جهنم
اذا ديس فيها الحق او ساد ملحد

تمنيت لو تجدى الأمانى شعلة
فدائية تذكى الوغى وتجند

تطل على الشرق الأسير بثورة
تحرره مما به وتسود

اذا قيل أى الناس خانوا أمانة
أشارت الى هامات ساستنا اليد

ويقبض عليه بتهمة مختلقة ويلقى فى سجن مصر ويقضى اربعة اعوام رهين محبسيه .. مرضه وسجنه .

ويستقبل المراغى الثورة العربية الناصرية باحساس الشاعر الثائر وقلب الأديب الوطنى الحر كما يعيش الشاعر بعد ذلك متغنيا بامجاد ثورته التى تمناها لشعبه كما أنه قد سبق بصياغة قصائده المطولة فى مدح رسول الله وأشهرها العينية فى تاريخ رائد الانسانية وتقع فوق خمسمائة بيت .

والكلام عن المراغى الشاعر الكريم الجواد الذى تعفف عن ثراء الناس ومد يده بالمعونة لكثير من الناس يضيق به المقام . أما الرجاء فللدكتور عبد القادر حاتم أن يهمس فى أذن السيد رئيس مدينة المراغة ليطلق اسم شاعرنا المجاهد على أحد شوارع المراغة ولكى يقيم مكتبة سيد عثمان المراغى بالمراغة كما وعد بنفسه يوم وفاته . أما ديوان المراغى الثائر وفيه القصائد التى أفضت الى بها المقادير من بقايا شعره رحمه الله فساضعها بين يدى الدكتور حاتم بعد قليل .

هوايات عرائس اليوم ! ..

عيسى متولى

لا تخرج « هوايات عرائس اليوم » التى تنشر مع صورهن فى الصحف عن ألوان من الهوايات الرخيصة

فهذه تهوى « البنج بنج » ... وتلك تهوى « أشغال الكانفا » ... وثالثة هوايتها « التصوير » .

ونحن لا نقلل من قيمة هذه الهوايات .. ولكن هناك هوايات أخرى ، ينبغى أن تجذب أنظار هذه العرائس ، اللاتى يستقبلن حياتهن الجديدة ..

لم نقرأ مرة عن عروس تهوى « سماع المصحف المرتل » ...

ولم نقرأ مرة عن عروس تهوى « دروس الدين والفقه » ...

ولم نقرأ مرة عن عروس تهوى « البحث والدراسة » ...

هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى نرى ان معظم هذه العرائس يعتبرن « التدبير المنزلى » مجرد هواية .

والواقع أن « التدبير المنزلى » ليس هواية .. بل هو من صميم اختصاص المرأة .. وكيف يتسنى لها ادارة مملكتها وهى لا تجيد « التدبير المنزلى » !!

يوم نجد بين عرائس اليوم ، وأمهات المستقبل، من تهوى الهوايات الدينية ، سنطمئن الى بيوتنا ، وتنشئة أبنائنا وبناتنا النشأة القويمة ، الصالحة .

فالأم مدرسة اذا أعددتها
أعددت شعبا طيب الاعراق

ليل شاعر

عبد الله حسن محمد

فى ظلمة الليل والعشاق سمار
تأرق الجفن بل هاجته أسحار

والنجم فى حلمه صمت وسخرية
والنجم فى صمته كتب واسفار

والكون فى ليلة حسناء عارية
الطهر سربالها والحسن أستار

والليـــل في ثوبه ذل ومعرفـة
والليل في زهـوه همس واذكار

والليل يتلو حديثي وهـو في كتب
حروفهـا النجم والقرطاس أفكار

ردود قصيرة :

وصلت للرسالة الكلمات الآتية :

حول الآفاق الضيقة

بقلم أحمد محمد المغيرى

فنون البيان فى آداب شوقى

بقلم حامد بدر

الفيضان والمهندس

بقلم محمود الحسينى المرسى

السيد البدوى فى ذكراه

بقلم عبد المنعم حسن صالح

كلمة لأسرة المجلة

للكاتبة ن.ز من البحرين

رأى العقاد فى المرأة

بقلم محمد ماجد محمد

حول كتاب الدكتور ناصر

بقلم الغزالى حرب

لقاء المقهى

بقلم سليمان راتب

الاشتراكية فى الاخلاق

بقلم مصطفى محمود مصطفى

حول كتاب عبد المنعم الحفنى

بقلم محمد أبو الوفاء محمد

تعلمت من الحج

بقلم محمد مصطفى الشريف

حول التجديد الدينى

بقلم كمال عبد العزيز ابراهيم

بطل لم يمت وسيد درويش

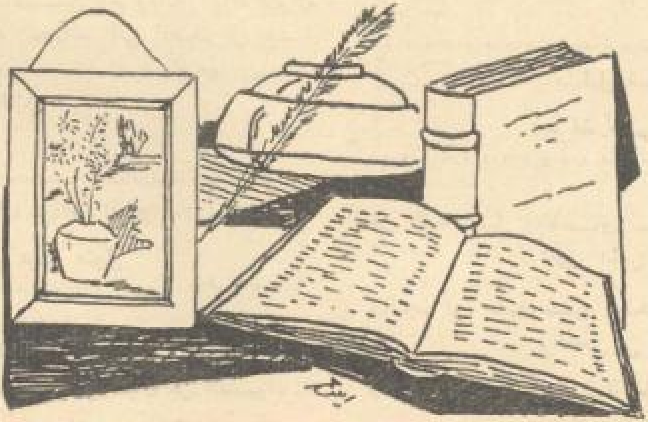
بقلم عبد المنعم البحقيرى

مبروكة

بقلم عنتر مخيمر

حول ترجمة القرآن

بقلم ابراهيم ناصر



أبى العملاق

بقلم دكتور نجيب الكيلانى

حدث ذلك منذ خمسين عاما

وعلى الرغـم من مرور تلك الحقبة الطويلة من الزمن ، الا أن ذكرى هذه الليلة ما زالت محفورة فى ذاكرتى . وأحداثها العنيفة تطوف بمخيلتى من آن لآخر . وخاصة كلما حدثت مشاجرة علنية بين زوج وزوجة فى قريتنا الصغيرة الوادعة :

لقد عاد أبى بعد الغروب بقليـل ، دخل البيت كعملاق أسطورى ، شامخ الانف ، يطوح عصاه الغليظة فى كبرياء وتحد ، لا يتفق البتة مع مظهر العمامه الناصعة التى تستقر فوق رأسه ، وعندما يدخل أبى فى العاده ، تتحول الاصوات العالية الى همسات ، ويؤدى الجميع أعمالهم فى همة ونشاط ، ويسود البيت جو من الهدوء الظاهرى المتوتر ، وأول شىء يقع عليه نظر أبى هو ذلك المشهد المألوف . اذ تتسابق زوجاته الاربع ، وبينهن أمى مسعده ، ـ هذه تتناول منه العصا . وتلك تستسمحه فى خلع حذائه ، وثالثة تصيح بمن فى البيت أن يكفوا عن الضجيج ، مع أن الاصوات الهامسة لا تخلق حتى اللغط البسيط . والاخيرة تبتسم فى رقة ، وتؤكد له أن طعامه جاهز ، وأن نار المدفئة وكذلك «الجوزة» على أتم استعداد .

دخل أبى فى تلك الليلة . وشمل الجميع بعينى صقر ، وهدر بصوت أجش « أين مسعده » ؟

طأطأوا رءوسهم ، وامتزجت الحيرة والخوف فى قلوبهم ، لقد ضربها أبى فى الصباح ضربا مبرحا لارحمة فيه لانها لم تراع الدقة فى تقدير كمية الملح اللازم للطعام ، وكادت تقضى نحبها من شدة الضرب ، وما أن غادر أبى البيت ، حتى تصرفت أمى تصرفا جنونيـا ، اذ حملت ملابسها وحليها ، وهرولت خارجة ، قاصدة بيت أبيها فى قرية تبعد عن قريتنا سبعة كيلومترات . ولم يستطع أحد أن يواجه أبى بالحقيقة .

وصرخ أبى مرة ثانية :

ـ «الا تسمعون ؟ أين ذهبت هذه الملعونة ؟ »

ووجدتنى اتقدم اليه ، دون أن أستطيع وقف سيل الدموع وهى تغرق وجهى وأقول :

ـ « ذهبت الى بيت جدى »

وانتفض لسماعه النبأ . وأيقن أن فى هذا التصرف اهانة لكرامته ، ونيلا من رجولته ، وتمتم وهو يبتسم ابتسامة شاحبة مخيفة :

ـ « جميل . فعلتها المجرمة . فعلتها وهى تعلم ان فى ذلك موتها . »

وحينما يتكلم أبى عن الموت أدرك أنه لا يبالغ أو يهدد ، فالكلمة التى يتفوه بهـا ليس لها سوى معنى واحد ، وكل ظروفه تجعـل منه رجلا مقتدرا يستطيع أن ينفذ ما يقول . هو يلبس عمامة مهيبة. لكنه وثيق الصلة بالاقباه ، وأهله أقواهم ، وأعنى بالاقباه فى ذلك الزمان الرجال الـذين يخـافهم النـاس ، والذين يفرضون ضرائب غير شرعية على ضعاف الزراع والتجار وعلى الأثرياء أيضا، ويعرفون سر ما يرتكب من جرائم ، وما يحدث من سرقات .

وكاد قلبى يسقط بين قدمى حينما سمعته يقول:

ـ لسوف أذهب الآن لاحضارها بنفسى . سأعود بها جثة هامدة .

ثم التفت الى قائلا :

ـ تعال معى لتشهد جنازتها يا ابن ال ....

كان الليـــل شديد السواد ، والطريق الملتوى المترب يمتد كعلامات استفهام متشابكة بين الزروع الخضراء التى طمسها ظلام الليـــل ، وأنين السواقى ينبعث نائحا حزينا كلحن جنائزى ، وآلاف الاشباح المهولة تتراءى لى عبر العتمة ، وكلما لفحتنى موجة باردة ، أو خفق قلبى بالرعب الشديد ازددت تشبثا بذراعى أبى الضخمتين ، فكان يدفعنى فى شىء من الضيق أحيانا . ويلعننى ويلعن أمى الذعرة المجنونة، واحيانا اخرى يدعنى وشأنى ،دون اى عاطفة ابوية ظاهرة وكنت واثقـــا ان أبى لن يرحمها وان كارثة كبرى ستقع الليلة ، واشعر أن أمى تعـانى مأساة ظالمة ايس لها ما يبررها .

وان أبى الذى لا أعرف هــــل احبه أم أكرهه له قلب صخرى لا يرق لضراعة امرأة ..

وطال الصمت كما طال الطريق ، واللون الاسود يغمر كل شىء من حولنـــا ، ومن آن لآخر يزفر أبى ويضغط على اسنانه فى غيظ ، ويهتف لنفسه، ماذا يقــــول الناس عنى ؟ سيقولون ابراهيم لا يستطيع تاديب زوجاته ، يا للعار ! امرأة حقيرة تمرغ شرفى فى الوحل » .

ويعود الصـــــمت من جديد . ولا يقطعه الا انين السواقى النائحة . أو نباح كلب بعيـــد ، او صوت أبى الاجش وهو يترنم باشـــعار لأبو زيد الهلالى ودياب بن غانم أو عنتر بن شداد .

وحينما بلغنا بيت جدى رفض أبى أن يجلس او يتناول حتى شربة ماء ، واصر على أن تعود معه أمى فورا والا حدث ما لا تحمـــد عقباه ، فلم يجـــد جدى مناصا من أن يامرها بجمع حاجياتها لتصحب زوجها

وعاد موكبنا الواجف الحزين يشق جوف الليل الاسود ، يظللنا صمت مشحون ، والدموع الغزار على خد أمى ، والطريق الضـــيق المترب يتــلوى كأفعى داكنة ، والبرد يكاد يجمد اطرافى ، كانت اللحظات تمر بطيئة قاتـــلة ، وكأننا قضينا فى سيرنا دهرا باكمله ، وعيناى تحاولان اختراق الظلمة بحثا عن اى شىء . كنت اتمنى لحظة الوصول الى قريتنا . أو ظهور اى كائن بشرى فى طريقنا المهجور ، واطبق على قلبى يأس قاتل ، كانت روحى حائرة مذعورة ، كغريق يبحث عن يد حانيـــة تخطفه من بين براثن الموج الطاغى .. وهتفت «يارب» وتوقف أبى امام ساقية خربة قديمة لا يبدو منها سوى بئر تفوح منه رائحة العطن ، وكاد قلبى يتوقف هو الآخر . ودون ان ينطق أبى بـــكلمة واحدة اقترب من أمى وامسك بمعصمها ، وجرها خلفه الى البئر ، وانهـــارت أمى فصدر عنهـــا نشيج ضارع حزين يمزق القلوب ، فصاح أبى وهو يجذبها فى عنف .

ـ « وما جــدوى البــكاء ! ما زلــت تصرين عــلى فضيحتنا » .

قالت فى ذلة :

ـ « مــاذا فعلــت يا ابراهيـــم حتى ترميني فى البئر ؟ »

وقهقه أبى فى سخرية :

ـ « لاشىء كل ما أستطيع أن أقوله هو ان الزوجة التى تعصى زوجها لا علاج لها سوى الموت »

وعند حافة البئر هتفت :

« ارحمنى يا ابراهيم .. »

كنت أقف جامدا كالأشل ، ولسانى عاجز عن النطق تمـــاما . والدموع فى عينى امى الواسعتين تبرق برغـــم الظـــلام ، وهى تعـــرف مدى قســـوته واصراره ، فاســـتكانت لمشـــيئته ثم تمتمت « الله يتولانا افعل ما تشاء »

ورايته وهو يدفعها الى البئر حتى توارت ساقاها واوشكت الاعـــماق السوداء أن تبتلعهـــــا ، فهتفت بصوت راعش حزين . « كلمة واحدة » فقـــال فى جفاف :

ـ « ماذا تريدين ؟! »

ـ « اوصيك بكامل خيرا ان زوجاتك الثلاث قد

وصدرت عنى على الرغم منى صرخات متتابعة .. يضطهدنه » .

وتوقف أبى عن العمـــــل .. وأعاد أمى الى حافة البئر ثم جرها بعيدا عنه .

ومرت لحظات خاطفة متاججة بالانفعالات المتضاربة لم ادرك سماتها الكاملة آنذاك .. ثم سمعت أبى يقول :

ـ « نجوت هذه المرة أيضا يا «سعده» . من اجل كامل . »

وواصلنا سيرنا نحو القرية من جديد .. دون أن اشعر هذه المرة ببرودة الجو كان أبى يحتضننى فى حنان ، وأمى تسير خلفنا دون أن تتوقف شهقاتها .

نجيب الكيلانى



العدد ٦٨

الثمن ٣

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

في هذا العدد

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من خارج ج . ع . م .
الإدارة :
٢٧ ش عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد ـ القاهرة .

الصراع



بين الأدب والأدب

بقلم : عباس خضر

أظن انئا قد فرغنا من المناظرة القديمة التى كانت تدور حول الادب للادب أو للحياة ، واصبحنا نكاد نجمع على أن الادب رسالة مع كونه فنا جميلا لاينبغى أن ينفصل احد الركنين ـ الرسالة والامتاع عن الآخر .

ولا أقصر الضمير «نا» علينا نحن العرب فقط ، بل هو يشمل التيار السائد فى العالم ، فهذا الكاتب العظيم «سارتر» مثلا يقود حركة كفاح الادب من أجل حرية الانسان وتقدمه وامنه وسلامه فيغطى صوته واصوات امثاله الاحرار على نقيق اللامنتمين وفحيح اللامعقولين واضرابهم من المتمزقين المتفسخين .

وعندنا .. يؤدى الادب رسالته ـ ما عدا القليل والشعر خاصة ـ منذ فجر النهضة الادبية الحديثة لا منذ انتفاضة سنة ١٩١٩ فقط، كما يذهب بعض الدارسين ، بل من قبلها ، بل كانت هى من ثمرات كفاح الادب ، بل ان ما أنتجته من أدب ثائر كان من نتاج الكفاح الادبى السابق فى صوره واتجاهاته المختلفة من قديم وحديث .

وكان أدب الطليعة أو المدرسة الحديثة نابضا بالدعوة ـ الظاهرة فى التعبير المباشر والمضمرة فى الصور الفنية ـ الى اصلاح المجتمع ، وتحريره من كل ما يعوق تقدمه ويكبل حريته ، حتى اننا لم نر الحوار حول طبيعة الادب وهل هو للحياة أو لمجرد الجمال الفنى الا مؤخرا ، لان اتجاه الادب لخدمة المجتمع كان واقعا ملموسا وقضية مسلمة .

ولما أثيرت تلك القضية فى مجتمعنا ظل الجدل فيها يظهر ويختفى ويعلو وينخفض ، حتى احتضر أخيرا على يد كبيرين من نقادنا تمخض العراك بينهما على أن لاخلاف فى الحقيقة ، اذ تبين أن كلا منهما يقول بلزوم رسالة الادب أو موضوعه كما سمياه ، غاية مافى الامر ان أحدهما رأى ضرورة أن ينبع الغرض الاجتماعى من داخل العمل الادبى والآخر يقول به ولا يجادل فى هل يأتى من الخارج أو من الداخل .. أى ان المسألة كانت مماحكة لفظية لاغير .

وهكذا انتهينا أو أظن أننا انتهينا أو يجب أن نكون قد انتهينا الى أن الادب رسالة اجتماعية ومتعة فنية لا تنفصل احداهما عن الاخرى ، لانهما متكاملتان متحدتان فى عنصر واحد لاقوام له الا باتحادهما وامتزاجهما معا .

فالرسالة الاجتماعية وحدها ان صيغت فى كلام مباشر لايتخذ شكلا من أشكال الادب ولا صورة من صوره ، انما تخاطب العقل وتصافح الاذن دون أن تنفذ الى مسارب النفس واعماقها .

والجمال الفنى وحده لم يعد يستهوى انسان المجتمع الحديث المشغول بما يشغل الجماعة ومتطلباتها ، بل هو يرى أن متعة الفن لايتم تمامها الا اذا كانت تحمل الاهتمامات الاجتماعية ·

لايغض من ذلك قصور بعض الملكات عن اذابة الرسالة فى ماء الفن : فيفلت منها ويلقى القارىء سافرا ، وقد يزعق فيفسد كل شىء ·

ان التأثر بالمضمون الاجتماعى للادب انما يأتى عن طريق الايهام ·· ايهام المتلقى بان التجربة المصورة انما هى تجربته ، وأن ما تحمله اليه انما ينبعث من صميم نفسه ، لايلقيه عليه واعظ ، ولا يتعالى به ازاءه ناصح ·

ومن هنا نستطيع القول بأن الادب ــ والفن عامة ــ افعل الوسائل فى التأثير وتصحيح المفهومات والقيم وتقويم التطلعات ·

ولما كان مجتمعنا العربى يجتاز الآن مرحلة تحررية وبنائية تختلط فيها المفاهيم وتلابسها رسوبيات من الماضى المتخلف وتحاول ان تعوقها عناصر ترى صالحها الخاص فى استمرار العفن أو تحاول أن تلبس للحال الجديدة لبوسها لتحصل على المكاسب نفسها ان لم تضف اليها جديدا من الحرام ·

فاننا نرى أن أهم ما يجب أن تتذرع به ثورتنا هو الفنون ، وأهم هذه الفنون وأبلغها تأثيرا هو الادب ، ومفهوم أن الادب ليس مقصورا على ما يقرأ بل هو يشمل التمثيليات فى المسرح والاذاعة والتليفزيون والسينما ، وكذلك الاغانى والاناشيد ·

واذا كانت الوسائل الاخيرة كالمسرح والاذاعة ·· الخ تعمل فى نطاق واسع فان القراءة تعمل فى قطاع أعمق وان كان أقل سعة ·· وهى التى تخرج القادة الفكريين ·

ولكن ــ وهذا ما نريد أن نصل اليه ــ هل كل الذين ينتجون الادب فى هذه المرحلة يتجهون الى الاهداف التحررية البنائية ويعملون على تصحيح المفهومات ويعمقون المثاليات الفكرية الجديدة ·

أليسوا جزءا من المجتمع العام وفيهم ما فيه من الرسوبيات ·

ومن هنا نرى المشكلة بوضوح وجلاء ·· مشكلة أن بعض من يرجون للقيادة الفكرية الجديدة لايصلحون لها ، بل هم أنفسهم محتاجون الى أن يفعل الادب السديد فيهم فعله ·

بل هم أخطر من أمثالهم ممن لاينتجون أدبا من حيث ما يكون لكتاباتهم من أثر غير محمود ·

اننا نستطيع أن نتبينهم فى كثير من المسارب والمنعرجات ··

وأسارع قبل أى شىء فأقول انه ليس كل أديب لايسير على الدرب منحرفا أو سيىء النية ، فالحق ان أكثرهم تتحكم فيه القيم والمثاليات السالفة التى تأبى التحرر والتطور ·

وهى مثاليات من الشرق والغرب ، ومن القديم والجديد الذى ليس جديدنا ·· ولهذا تجدهم أنماطا مختلفة وأشكالا متناقضة ، والمتأمل فى حياتنا الادبية يجدها تعج بتلك الانماط والاشكال ·

واذا كان المعروف أن الادب يصارع المجتمع لتقويمه ، فاننا نرى الآن مهمة الادب الحق الذى يحمل الرسالة التحررية البنائية فى هذه المرحلة ، فى غاية العسر ، فان عليه لا أن يصارع المجتمع فحسب ، بل عليه مع هذا أن يصارع الادب الآخر ·

عليه أن يقلب القولة المعروفة فى الاقتصاد : «العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة» فيطرد ما فى عالم الادب من سلبية حسنة النية وزيف خبيث ، بنماذجه الجيدة وبشىء آخر نراه الزم ما يلزم فى هذه الفترة من حياتنا الادبية العربية ·

ذلك هو النقد ، النقد الحر الجرىء ، الذى لايحكمه تحالف مع «شلة» ولا تبادل منفعة ، ولا يعوقه خوف أو توهم خوف ·

والله والوطن لايضيعان أجر من أحسن عملا ، ولا أعلم أجرا أعظم من الشعور بالرضى لأداء رسالة ·

عباس خضر



فاوست والأدب العربي

بقلم : رجاء النقاش

سمعت من أحد أساتذتي فى الجامعة قصة عن مستشرق غربى زار مصر فى بداية هذا القرن للدراسة والبحث ، وقد قام هذا المستشرق بتجربة صغيرة كان لها فى نظره دلالة كبيرة ، هذه التجربة هى أنه وضع حجرا ضخما على مدخل أحد الشوارع ، ثم ظل يراقب ردود الفعل عند سكان هذا الشارع ، وكانت النتيجة – كما يروى المستشرق – أن أحدا لم يتساءل لماذا وضع الحجر هنا . ومن الذى وضعه . ولم يحاول أحد أن يزحزح الحجر من مكانه . وكان الجميع يدورون حول الحجر ويواصلون السير فى طريقهم . واستنتج المستشرق من هذا الموقف أن العقل المصرى يميل الى التسليم أكثر مما يميل الى التساؤل والبحث .

***

ولست اثق فى حسن نية هـــذا المستشرق ثقة كاملة ، ولست أستطيع أن اؤكد أن تجربته قــد حدثت بالفعل كما يرويها . ولكن الذى لا شك فيه اننا قد ورثنا خلال عصور الظلام التى مرت بحياتنا الفكرية نوعا من الخمول الفكرى والروحى ، وكان من نتــائج هذا الخمول أن العقلية السائدة عموما أصبحت عقلية التسليم ، والتجــاوب مع الكون بظواهره المختلفة ، بدلا من الاشتباك معه والاحتكاك به ومحاولة فهمه والسيطرة عليه .

واكبر مظهر من مظاهر هذا الخمول الفكرى ثبت وتأكد أثناء الحكم العثمــانى المظلم انــنا لم نحقق خلال هذه الفترة أى تقدم فى ميدان العلم . لقد بدأ العصر العثمـــانى فى مصر باجتثاث كل العنــاصر النشيطة الفعــالة فى ميدان الخبرة والصنعة فى مصر . فأخذ السلطان سليم معه بعد فتح مصر كل أصحاب الحرف ، وذوى المهارة العملية ، وقد كان وجود هذه العناصر ولا شك كفيلا بخلق جو يزدهر فيه العلم ويتقدم ويستجيب لحاجات الانسان الكثيرة المعقدة .

***

ومنذ تلك اللحظــة وكل ما يدفع الانسان الى التفكير والتأمل أصبح لا وجود له فى حياتنا ، لقد أصبحنا نعيش حيــاة فقيرة من النــاحية الواقعية والناحية الروحية على السواء . فلم يعرف العصر العثمانى المظلم التوسع فى معاهد العلم أو قاعات البحث والدرس . بل كان يجيد الاستغلال وابتزاز الثروة من مختلف الشعوب وحسب .

ومن خلال هذا العصر الطويل الممتد فى التاريخ ورثنا هذا الخمول الفكرى الكبير . وقد آن الأوان فى هذه المرحلة الجـديدة من حياتنا – وهى مرحلة الثورة والتجديد الشامل – أن نغير موقفنا الفكرى والروحى تغييرا أساسيا .

اننا بحاجة الى لمسة «فاوستية» . و «فاوست» هو بطــل جيتة الاديب الالمـــانى الكبير فى قصته المعروفة باسم فاوست نفســه . وجيته لم يخترع شخصية فاوست ، فهى شخصية قديمة موجودة فى الادب والاساطير من قبل . ولكن جيته استغل هذه الشخصية فى التعبير عن فكرته . ان فاوست هو رمز الانسان النهم الى المعرفة ، الانسان الذى يريد أن يستكشف ويصارع المجهول فى أى ميدان . هذه الروح المتمردة ، وهذا العقل الطموح هما ما نحتاج اليه فى هذه المرحلة من تاريخنا ... مرحلة الثورة والتـجديد . ونحن بحــاجة الى التمرد الروحى والطموح العقلى فى أدبنــا على وجه الخصوص . فالادب تعبير عن الانســان ولكنه من ناحية أخرى

عامل من العوامل القوية التى تشكل الانسان وتؤثر عليه • ولا شك ان قصة فاوست لجيته قد ساهمت هى نفسهـا فى تشكيل العصر الذى صدرت فيه وهو أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر •

لقد كان هذا العصر ولا شك هو عصر الطموح الى المعرفة وعصر الانقلاب والتغير فى المجتمع الاوروبى• لقد سيطرت روح فاوست على أوروبا كلهـا •• فأخذت تبـحث وتتأمل وتكشف الاستار عن كل ما هو مخبوء فى الحياة والعالم •

* *

ولا أظن أن أديبا من الادباء يستطيع أن يؤثر فى الحيـاة تأثيرا حقيقيا دون أن تكون لـديه روح التساؤل والبحث الفلسفى ، روح الطموح الى المعرفة والاكتشـاف التى كانت تسـيطر على شخصية فاوست • وأذكر أن الأديب الروسى الكبير أنطون تشيكوف كان يهتم الى ابعـد مدى بهذا الجـانب الفلسفى فى حياة الانسان • حتى فى قصصه القصيرة كان يميـل دائما الى استخراج موقف فلسـفى من خـلال الواقع الذى يحدثنا عنه • فالانسـان فى قصصه يتسـاءل ، ويحن حنينا واضـحا كبيرا الى المعرفة الكلية الشاملة • الانسان ليس كائنا قريبا من الحيوانات يرتضى بالعظام القليلة التى تلقى بها الحياة اليه • انه ليس كلبا ضـالا يبحث عن شىء تافه بسـيط • بل هو كائن ذو وجـدان وعقل • وهو لذلك يريد أن يعرف ••• يريد أن يتأمل ••• يريد أن يمزق الصمت الذى يحيط به ليعرف حقيقة هذا الوجود على وجههـا الصحيح • واذا راجعنا قصته المعروفة « حكاية تافهة » وجدنا البطل يعيش فى مشكلة روحية كبيرة • انه يتساءل « ماذا ينبغى أن افعل » • لقد كان استاذا جامعيا لامعا • وأخذ من الحياة أشياء كثيرة • أخذ الشهرة والمال • وتزوج واصـبح له أولاد • وهاهو الآن يعيش فى مرحلة الزوال • انه يقف على شفا النهاية • وهو لا يريد أن يرحل عن هذا العالم قبل أن يصفى حسابه معه • انه لايريد أن يقنع بما أخذه من هذه الدنيا • ولكنه يريد أن يعرف الشرارة المقدسـة • يريد أن يعرف شيئا يقنعه بأن وجوده فى هذا العالم له معنى وله ضرورة •

وقد صور لنا تشيكوف صورة رائعة لهذا البطل الطموح الى المعرفة ، الملىء بالقلق ، الذى لا يغنيه اى شىء عن البحث وراء الظواهر ••• فالقلق الفلسفى اذن جانب من جوانب هذه الشخصية القصصية ، وهو جانب من جوانب امتيازها فى نفس الوقت • وهو فضـلا عن ذلك كله يكشف عن تصور الكاتب للانسـان ، وهو تصور عميق ، وليس تصورا سهلا بسيطا خارجيـا • وفى معظم قصص تشـيكوف ومسرحياته نجد هذا الجانب الفلسـفى الفذ • انه يخرج بالانسان من الجزئيات الى الكليات • ولو عاش الانسان فى قصة من قصصه حياة هادئة وديعة فانه سرعان ما يمزق الهدوء والوداعة ويحاول أن يكشف ما وراءهما من أسرار وحقائق • ولنذكر هنا أيضـا بطل قصته المعروفة « العنبر رقم ٦ » فهو طبيب وديع هادىء يعمـل فى مستشفى للأمراض العقلية • ان حياته خالية من العواصف • ولـكنه يكتشف فجأة مريضا بالمستشفى يناقش ويفكر ويتسـاءل أسئلة ذكية عميقة • ويدخـل الطبيب معه فى مناقشات واسعة• ويوما بعد يوم يكتشف الموظفون أن الطبيب نفسه قد أصبح رجلا غير عادى • انه قد بدأ يقتنع بان المريض انسان تمكن مناقشته • وانتهى الامر بأن ارغم الموظفـون الطبيب على أن يدخـل المستشفى كمريض • وبعد وقت قصير لقى نهايته الحتمية ••• فمات •

***

ان المناقشـات الواسعة التى دارت بين المريض والطبيب كانت مناقشات عميقة حقا • كانت مناقشات تتناول كلها : موقف الانسان من الحياة ، ومصـيره فى هذا العالم ، والمذاهب الفلسفية التى تتحدث عن هذا المصير الانسانى • والمصير الذى لقيه الطبيب هو رمز لموقف تشيكوف من مجتمعه ، لقد كان هذا المجتمع يحـاصر بالتفاهة والتسليم والسطحية كل محاولة للتفكير الجدى العميق •

وهكذا نجد أن العنصر الفلسفى يشارك مشاركة اساسـية فى تكوين أدب تشيكوف • ويعود ذلك ببساطة الى تصور تشيكوف للانسان • ان تشيكوف كان يرى بوضوح أن الطموح الانسانى يمتد الى آفاق واسعة بعيدة • وان الانسان يريد أن يفهم أعصى وأعقد المشـاكل فى هذا الكون • وهـذا العنصر

الفلسفي في أدب تشيكوف قد زاده عمقا واصالة ، ولاشك أن هذا العنصر الفلسفي هو عامل أساسي من عوامل البقاء والخلود بالنسبة لأدب تشيكوف .

وليس أدب تشيكوف وحده هو الذي يتميز بهذا العنصر الفلسفي ، الذي يمنحه لمسة فاوستية أصيلة ، حيث يحاول الانسان في أدبه أن يعرف ويستكشف ... بل ان كل أدب أصيل في العالم يمتاز بنفس الميزات ، وما تشيكوف الا نموذج واحد من هذه النماذج العديدة .

بل اننا لو عدنا الى أدبنا العربي القديم لوجدنا بعض النماذج الرئيسية تقف في أدبها من العالم موقفا فلسفيا أصيلا ، ولو أخذنا أبا العلاء المعري كنموذج من هذه النماذج ، لوجدنا أنه فنان حاول أن يغوص في المشاكل الكبرى للكون ... لقد فكر في الموت ومصير الانسان ، وفكر في مشكلة العدالة الطبيعية والعدالة الاجتماعية ، ولم يترك لأى شىء فرصة حتى يعوقه عن التفكير الواسع المتحرر . ولاشك أن هذا الموقف الفلسفي من العالم قد أضاف الى أدب أبي العلاء قيمة كبيرة ، كان سيخسرها حتما لو اكتفى بمجرد الجمال الأدبي . ونحن نذكر أيضا في المعلقات أن معلقة طرفة بن العبد تمتاز من بينها جميعا بميزة الحس الفلسفي العميق . ولذلك تحتل هذه المعلقة مكانا كبيرا في الشعر العربي القديم كله . لقد كانت هذه المعلقة تحتوى على ومضات من الفلسفة العالية والتأمل العميق مثل قول طرفة :

الا أيهذا الزاجري أحضر الوغى
وان أشهد اللذات هل أنت مخلدى

اذا كنت لا تستطيع رد منيتي
فدعني أبادرها بما ملكت يدى

أو قوله :

لعمرك ان الموت ما أدرك الفتى
لكالطول المرخى وثنياه باليد

هذه لمحات فلسفية رفيعة ، تعطى لشخصية طرفة قيمة كبيرة بين شعراء العربية ، على قلة ماهو معروف من شعره وقلة ماهو معروف عن شخصيته .

على أن مانحتاج اليه اليوم ليس مجرد اللمحات الفلسفية الخاطفة في بيت من الشعر أو في قصيدة كاملة ، أو في قصة او مقال . ولكننا نريد لتيارات الفكر الفلسفي أن تهب على حياتنا الأدبية كلها ، فتدفع أدباءنا الى التعمق والبحث والتساؤل ، وتدفعهم الى اتخاذ موقف من القضايا الكبرى للانسان ، وعدم الاكتفاء بالنظرة الخارجية السريعة الى هذه القضايا ... يجب أن يدرك ادباؤنا على أوسع نطاق أن الانسان كائن مفكر طموح ، ويجب أن يعبروا عن هذا الفكر وهذا الطموح ... حتى يساهموا أخيرا في خلق انسان جديد في بلادنا انسان متأمل متسائل ، لا مستسلم قانع ... انسان يتجاوب من أعماقه مع روح التجديد الثوري . انسان اذا وضع أمامه أحد المستشرقين حجرا دفعه العقل المتفتح الى أن يسأل : من الذى وضع هذا الحجر ؟ ولماذا ؟ . اننا بايجاز : فى حاجة الى أن تمسنا روح فاوست ... تلك الروح النهمة الى المعرفة والاكتشاف والخوض في حرب لاتنتهى مع المجهول . وهذه الروح الفاوستية هى التى سوف تقضى على الفقر الفلسفي فى أدبنا وتعيد الانسان العربي الى عصر التفتح والانطلاق .

« رجاء النقاش »



علاقة مدرسة الديوان بالمهجريين

بقلم : عبد الحي دياب



اذا عرفنا أن العقاد قد كشف عن نيته واهدافه الادبية فى مقدمة « الديوان فى الادب والنقد » وان هذه الاهداف وتلك النية تتمثل فى أنه لم يعد هناك داع للسكوت عن الخوض فى أحاديث الادب ، لان هناك دواعى قد تجددت للكتابة فى أصول الادب وفنونه ، أخصها الامل فى تقدمه ، لالتفات الاذهان الى شتى الموضوعات ، ومتنوع المباحث ، والحذر عليه من الانتكاس ، لاجتراء الادعياء والفضوليين عليه ، وتسلل الاقلام المغموزة ، والمآرب المتهمة الى حظيرته .

ثم يبين العقاد أنه يقصد من كتابه مجاراة ذلك الامل ، وتوقى تلك العلل ، وان وجهته الابانة عن المذهب الجديد فى الشعر والنقد والكتابة .

ويتمثل هذا المذهب الجديد كما يحدده العقاد ، « فى أنه اقامة حد بين عهدين لم يبق ما يسوغ اتصالهما والاختلاط بينهما ، واقرب ما نميز به مذهبنا أنه مذهب انسانى مصرى عربى . »

« انسانى ، لانه من ناحية يترجم عن طبع الانسان خالصا من تقليد الصناعة المشوهة ، ولانه من ناحية أخرى ثمرة لقاح القرائح الانسانية عامة ، ومظهر الوجدان المشترك بين النفوس قاطبة » .

« ومصرى ، لان دعاته مصريون تؤثر فيهم الحياة المصرية ، وعربى ، لان لغته عربية ، فهو بهذه المثابة أتم نهضة أدبية ظهرت فى لغة العرب منذ وجدت ، اذ لم يكن أدبنا الموروث فى أعم مظاهره الا عربيا بحتا ، يدير بصره الى عصر الجاهلية »

اذا عرفنا هذا وعرفنا أن العقاد طبق مذهبه على الادب العربى بصفة عامة ، والشعر العربى بصفة خاصة ، وخرج الديوان فى الادب والنقد كما خرج غيره من الكتب ـ التى ألفها العقاد ـ وقبلها كثير من الابحاث التى أخذت طابع اليوميات لدى العقاد ، والتى يعدها كثير من الباحثين بداية اقتحام المذهب الجديد .

أقول حينما يعرف الباحث هذا كله ، فانه لايعجب حينما يرى أن ميخائيل نعيمة يكتب فى « غرباله » مقالا حماسيا حارا عن كتاب « الديوان فى الادب والنقد » يحيى به هذا الجهد الذى قام به العقاد والمازنى .

واستهل ميخائيل نعيمة تحيته بقوله : «الا بارك الله فى مصر، فما كل ماتنثره نثرة ، ولا كل ماتنظمه بهرجة ، وقد كنت أحسبها وثنية تعبد زخرف الكلام ، وتؤله رصف القوافى ، فكم زمرت لبهلوان ،

وطبلت لمشعوذ ، «وطبيت» لسكران ! غير أني عرفت اليوم بالحس ، ما كنت أعرفه أمس بالرجاء »

على أن نعيمة يعلن في يقظة ووعي تامين انه قد بدأ يسمع أن في مصر جماعة «تأبى اليوم أن تتناول غذاءها الادبي من قصع أجدادها ، وبملاعق أجدادها، بل تفضل أن تطبخ طعامهـا بيـدها ، وأن تمضغه بأسنانها لا بأسنان سواها »

***

ومعنى هذا أن نعيمة يرى أن هـذه الجماعة قد اكتشفت لذة الاستقلال في التفكير والشعور ، فهي تفكر لذاتها وتشعر لذاتها ، ومن ثم فانه يعـد تلك الساعة التي اهتدى فيهـا الى هذه الجماعة اطيب ساعة في حيـاته ، لانه لمس الحياة الجديدة فيها ، فأيقن أن أحلامه التي كان يحـلم بهـا منذ سنين أصبحت اليوم حقيقة محسوسة .

وهذه التحية من ميخائيل نعيمة توضح لنا العلاقة بين مدرسة الديوان ومدرسة المهجر .. تلك العلاقة التي بدأت في عام ١٩٢٣ عندما اراد نعيمة ان يطبع كتـابه في مصر ، وطلب من النـاشر ــ وهو في مهجره ــ أن يقدم « غرباله » للعقاد ليكتب مقدمته ، وكان الكتاب يشتمل على التحية السابقة .

والذى نفهمه من هذا أن شعراء المهجر ونقاده ، كانـوا يقرأون ما يكتبه دعاة مدرسـة الديوان ، ويعجبون بهجـومهم على مدرسة الادب التقليدى ، والدعـوة الى أدب جديد ، ولعل هـذا ما دعا اليه الغربال بعد ذلك .

ولقد كتب العقـاد مقدمة « الغربال » لميخائيل نعيمة ، ومن ثم فان الفرصة قد سنحت له ليرد على تحية نعيمة السـابقة ، ويستهلها بشـكر نعيمة والناشر معا ، اللذين أتاحا له فرصة الاطلاع الذى تزود به في رحلته الى أسوان ، ولان قراءة الغربال من الوجهة الاخرى دليل من دلائل القرابة الفكرية ، ووثيقة نسب جديد من أنساب الادب ، وفيها يقول:

« لو لم يكتب قلم النعيمي هذه الآراء التي تتمثل للقارىء في هذه الصفحات ، لوجب أن أكتبها أنا ، فاما وقد كتبها وحمل عبئها ، فقد وجب على الاقل ان أكتب مقدمتها » .

ويعلل العقاد القرابة الفـكرية بأنه لو كان هناك نفس في المريخ خطر في ضميرها مثل الذى يخطر في ضميره ، لكانت ألصق به ، وأوفى رحما ممن يلونه ويجاورونه على فرقة في الرأى والاحساس ، ولو أن قائلا جمعه بالعقاد الفكر والهوى ، لماكان غريبا عنه،

وان فرقتهما لغـة ، وباعد بينهما زمان وموطن ، فكيف بميخائيل نعيمة وهو يكتب باللغة التي يكتب بهـا العقاد ، وينتمي الى جانب الارض التي ينتمي اليها ؟؟

ثم يوضح العقـاد تلك القرابة اكثر حينما يذهب الى انه وقع من قراءة «الغربال» على قرابة صحيحة ، وجوار ملاصق في الحي الذى يسكنه العقاد من هذه الدنيـا الجديدة ، وذلك لأنه رأى قلما جاهدا في طلب الشعر الصحيح شعر الحياة، لا شعر الزخافات والعلل ، رأى هذا القلم ينعى على الشعر الرث الذى تركنا بلا شعر ، ولم يبق في حياتنا ما ليس منظوما سوى عواطفنا وافكارنا .

وليس معنى قرابة تلك المدرستين أن احداهمـا وليدة للأخرى ، وان تبادلتا التحية والتأييد ، وانما قد نبعتا تلقائيـا ، وسارتا متوازيتين ساعيتين الى هدف موحد ، هو الهجوم السافر على مدرسة الادب التقليدى ، والدعوة الى أدب جديد .

ولا ادل على ذلك من أن الباعث على هـذا الهدف هو ظروف متشابهة هي اتصـال كل منهما بالآداب والثقـافات الاوربية ، ثم احساس كل منهمـا في حاجة الى أن يطبخ بنفسه ، وأن يأكل بمـلاعق من صنع يده لا من صنع أجداده على حد تعبير نعيمة .

ومن ثم اكتفى كل منهمـا بان يحيى الآخر تحية حارة ، ويشد على يده على بعد المزار ، مع تبـادل الرسائل بينهما ، ولم يحدث لهذين الاديبين الناقدين التقاء شخصي الا في مؤتمر الادباء العرب الذى انعقد في القاهرة في ديسمبر سنة ١٩٥٧ . فالتقى العقاد بميخائيل نعيمة ومعه الياس فرحات والدكتور محمد مندور .

***

ويرجع الدكتور مندور أن التقـاء المدرستين في الدعوة الى التجديد في الشرق العربي وفي المهـاجر في شعر الوجدان الذاتي يرجع الى ان المدرستين قد قامتا في زمن أخذ الوعي القومي ينتشر فيه فيعكس على الافراد احساسا قويا بذواتهم ورغبة عارمة في تأكيد تلك الذوات ، ولا سيما أنهم قـد اطلعوا على الآداب الغربية والشعـر الغربي بالذات ، واحسوا بنبض قائليه .

ومن ناحية أخرى فان الشعر الغنائي هو الميدان الخصب للتجديد لما يحوى من القيم الفنية الموروثة ، وزلزلة هـذه القيم من أذواق الجمهور واحلال قيم أخرى في هذا الفن أمر جد عسير ، يحتاج الى صبر

وعزم وجلد على ما يواجه به الدعاة من عداوة وشحناء واحتراب حول القديم والجديد .

ومن الانصاف لمدرسة الديوان أن نقرر انها قد ابتدأت عملها منذ عام ١٩٠٧ فى صحيفة الدستور بيوميات العقاد التى عدها المازنى بداية اقتحام المذهب الجديد ، وبالجزء الاول من ديوان شكرى « ضوء الفجر » الذى صدر فى عام ١٩٠٩ ، وقد كتب العقاد فى ذلك الوقت عن الشعراء القدامى والمحدثين فى ذلك العهد ، واشتجر مع الادباء الذين كانوا يتربعون على عرش الادب حينذاك ، واشترك معه اخوانه فى ذلك الشجار واقتسموا الادباء فيما بينهم ، فتناول كل منهم أديبا ، فكان شوقى من نصيب العقاد ، وطه حسين من نصيب شكرى ، وحافظ تولاه المازنى ، وان كان هذا التقسيم لم يمنع ان يعرج أحدهم بالنقد على فريسة صاحبه .

وليس أدل على ذلك من أنه بالرغم من نقد المازنى لحافظ الذى نشره تباعا فى جريدة « عكاظ » الاسبوعية ، فان العقاد قد تناول حافظا تحت عنوان « الشعراء الندابون » فى « عكاظ » كذلك فى عام ١٩١٤ ، وتناول كل من المازنى والعقاد طه حسين بالنقد أيضا .

ويتضح من ذلك أن المذهب الجديد الذى قام به دعاة مدرسة الديوان ، قد أرسوا قواعده فى ذلك الوقت ، وكان له أنصار ، وقام دعاة المذهب بنقد بعضهم لبعض ، وتقديم أعمال بعضهم بغية انتشاره وتدعيمه .

ومن ثم يمكننا أن نعتبر كتاب « الديوان فى النقد والادب » الذى ألفه العقاد والمازنى ليس هو أول عمل نقدى قامت به تلك المدرسة . ومن هنا كان قول الدكتور « مندور » بأن قيام المدرستين كان فى زمن واحد من باب التجاوز ، لانه اعتمد فيه على نشر كتابى «الديوان» و «الغربال» ، مع أن الواقع بجانب هذا القول ، لان العقاد وزملاءه قد صدرت لهم قبل الديوان كتب عديدة فى النقد الادبى ، والدواوين التى كانوا يقدمونها لبعضهم البعض ، ويوضحون فيها مذهبهم الجديد ، كما أن كتبهم التى صدرت بعد عام ١٩٢١ ـ وهو عام نشر الديوان ـ كان معظمها قد نشر على هيئة أبحاث فى الصحف قبل ذلك .

عبد الحى دياب



الطفل المعصوب العينين

للشاعر : كيلانى سند

الطفل الجوال الأشقر ، هذا الطفل الأعجوبه
من يرمى ، فالسهم مصيب رغم الأجفان المعصوبه
وقلوب تسقط كثمار ، كطيور تهوى مخضوبه

ان كحل جفنا ،فالدنيا تقطر الحانا ، وعذوبه
لم يلمس قلبك ، لم تجعل يده من قلبى العوبه
ولذا فالغصن بصدرينا لا يورق الا بصعوبه

هل ياتى .. فيداه ربيع ، أنداء تقطر ، وخصوبه
وطيور فى الروض يناغى فيها محبوب .. محبوبه
لو مر على درب حياتى ، لو أشعل فى القلب لهيبه

لو حول ثلجى بركانا ، ورمادى نارا مشبوبه
لوهبت له ضوء عيونى ، كى يبصر ان سار دروبه
ولصغت له ألف قصيد بدماء عروقى .. مكتوبه

كيلانى حسن سند

صقر قريش بين الأدب والتاريخ

بقلم : عباده عبد الرحمن كحيلة

صقر قريش عبد الرحمن بن معاوية الداخل أحد الشخصيات الهامة فى تاريخ الاندلس وفى تاريخ اوربا والامة العربية بوجه عام . وهو ليس شخصية تسهل الكتابة عنها دون عناء . وانما هو شخصية معقدة وغامضة ، ولعل اهم مصدر من مصادر هذا التعقيد والغموض أن أخبارها قليلة فى كتب التاريخ والأدب ، على الرغم من جلال العمل الذى قامت به ، والدور الكبير الذى لعبته على مسرح الاحداث فى القرن الثانى بعد الهجرة .

ومن هنا يأتى التقدير العظيم للمجهود الذى قام به الاستاذ على أدهم قبل ربع قرن او يزيد ، وكم كان جميلا من دار الهلال أن تعيد طبع هذا الكتاب، وأن تتصدره مقدمة ممتازة للمرحوم الاستاذ الجليل عباس محمود العقاد .

والاتجاه العام عند المدارس الحديثة فى كتابة التاريخ انها تهتم اولا بدراسة تاريخ الشعوب او تاريخ الحضارة قبل الاهتمام بدراسة تاريخ او سير هؤلاء الافراد الذين أثروا فى تاريخ اممهم ،أو انها اغفلت هذه الدراسة تماما . وهذا قياس لايسلم من نقد ، اذ أنه لايمكن على الاطلاق اغفال أثر الفرد فى تحركات التاريخ ، وبعض القضايا التاريخية لايمكن فهمها بغير فهم الدور الذى لعبه البطل . وبالنسبة لعبد الرحمن كان دوره أعظم من ان يغفل أو أن يوضع فى زوايا النسيان .

وكثير من الكتاب المعاصرين كان لهم نصيب وافر فى توضيح الصورة العامة للرواد الأول فى سجل نهضة العرب وفى تاريخ عظمة الاسلام ، نخص بالذكر منهم العقاد ، وطه حسين ، ومحمد حسين هيكل . والسمة الظاهرة فى عبقريات العقاد انه يتناول بالتحليل والمناقشة الملامح المميزة للشخصيات التى يكتب عنها ، ويعقد لنا دراسة نفسانية لهذه الشخصيات ، ويستخدم صورة العصر الذى عاشه البطل فى ابراز الصورة الخاصة له . اما طه حسين فالظاهر من كتاباته الامتاع الادبى أكثر من التدوين التاريخى أو الوصف الداخلى لشخصياته . ويمثل الدكتور محمد حسين هيكل اتجاها آخر يعد من الناحية الزمنية أقدم من هذين الاتجاهين ، فالعرض التاريخى وبيان الظروف المختلفة التى أحاطت بحياة البطل هى عند المؤلف العامل الاول والسبب الاخير فى كتابه .

هذه هى أهم الاتجاهات المعاصرة فى فن الترجمة الادبية ... فأين اتجاه الاستاذ على ادهم بينها .. ؟ .

يتخذ على أدهم فى عرضه لحياة الشخصية التى يترجم لها جانب القاضى فى الموازنة بين الشخوص والأحداث ، فهو يبين ما للبطل وما عليه وذلك فى اسلوب علمى محوط بصياغة ادبية فنية جميلة ، لكن هذا لايمنعه من أن يتعاطف مع الشخصية التى يؤرخ لها ، ويعطيها بعضا من احاسيسه وبعضا من نفسه . وهو يعتقد ان الصلة وطيدة بين كتابة التراجم وكتابة القصص ، فقد خرجت الترجمة عن الصورة التقليدية لها ، تلك الصورة التى ترجع

الى عصر يسبق عصر بلوتارخ ببعيد ، وتطورت مع التطور الذى جد على الرواية فى العصر الحديث ، واصبحت اكثر حياة واقرب الى الواقع الملموس .

والمترجم الممتاز عند على أدهم هو الذى يقوم بدراسة كل صغيرة وكبيرة فى حياة البطل حتى تستجم الحقيقة التاريخية لديه ، وقد أوضح هذا بقوله « وليست براعة المترجم فى الاكتفاء بوصف المظاهر الخارجية وتعداد المآثر المتعارفة ، وانما محك قدرته هو توفيقه فى كشف مجاهل الضمير ومغالق النفس ، وكيف يخرج من شوارد الاخبار ومتخلف الآثار شخصية نابضة بالحياة » .

وعلى أدهم حين يتناول التاريخ ، انما يتناوله تناول العالم والأديب والفيلسوف ، فهو فنان ، والتاريخ عنده لون من الوان الأدب ، يجب ان يعيشه المؤرخ ويضفى عليه من احاسيسه وعواطفه على نحو ما كان يفعل ويلز وماكولى وتين وغيرهم من الأدباء المؤرخين . ولا يحاول أن يعرض للروايات التاريخية المتعددة عنحادثة بعينها ويفاضل بينها الا حين يضطره الامر الى ذلك ، ولكنه يعرض للرواية الاساسية الهامة التى لها دلالة اكثر مما لأى رواية أخرى من دلالة ، وان لم يمنعه هذا من أن يلجأ الى بعض الاساطير أو الروايات التى بها مسحة أسطورية والتى لا يلجأ اليها المؤرخ الا بعد مشاهدة وتحقيق .

على هذا النهج سار على أدهم فى تراجمه الادبية والتاريخية التى من أبرزها المعتمد بن عباد ومنصور الاندلسى ... وصقر قريش .

عبد الرحمن بن معاوية بن هشام فتى مغامر من بنى أمية هرب من المسودة وجنودهم فى المشرق، واجتاز بلاد الشام ومصر والمغرب ، ثم عبر البحر الى الاندلس . فكان ذلك ايذانا ببدء عهد جديد فى تاريخ هذه البلاد استمر حتى السنوات الاولى من القرن الخامس الهجرى .... لن نتحدث عنه كثيرا، فالمجال يضيق لأن نتحدث عن هذه الملحمة العظيمة من تاريخ الاسلام ، خاصة وانه من الممكن الرجوع الى الكتب الحديثة التى شرحت غوامض هذه الشخصية الروائية على درجات من التفاوت ، نذكر منها ما كتبه محمد عبد الله عنان وحسين مؤنس فى التاريخ العام ، وهؤلاء الذين ارخوا لهذه الشخصية الكبيرة فى قالب قصصى مثل كرم ملحن كرم ، ومن ارخو، لها فى قالب مسرحى ومنهم محمود تيمور .

واول ما يتبادر الى ذهن الباحث حين يعرض لحياة عبد الرحمن هو طابع العنف ان لم يكن القوة عند هذا الامير الاموى القدير ، فبنو امية أسرة شريرة فى عرف كثير من المؤرخين ، لكن هذا لايعنى ان هذه السمة الشريرة التى تتمثل فى التعلق باعراض الدنيا دون النظر الى الوسائل الكفيلة بتحقيق هذه الاعراض استمرت على مر السنين ، فامويو القرن الثانى ليسوا بحال أمويى القرن الاول او امويى عصر ما قبل الاسلام ، كما ان الامويين يختلفون فى الفترة الواحدة على اتصال القرابة . ولا أدل على هذا مما نستنبطه من تقديم الاستاذ العقاد ، ورايه فى بنى امية معروف لايحتاج الى شرح ، لكن تقديره لعبد الرحمن هنا غير تقديره لرجال مثل معاوية او يزيد او عبد الملك بن مروان.

اذن فعبد الرحمن يختلف عن أنداده وسابقيه من بنى أمية ، وربما كانت التجارب الصعبة التى مر بها فى عهد امارته وقبل امارته ذات أثر كبير فى هذا التغير الذى طرأ على فكرتنا عن بنى أمية ، واذا كان قد اتخذ من القوة سبيلا كى يحكم فى الاندلس، فان ظروفه كانت ترغمه على ذلك . فقد كانت البلاد فى أيامه تموج بالعصب من قيس ويمن ومن عرب وبربر ومن مسلمين ونصارى ، وكانت هذه الاضداد فى حروب وكفاح مذ خاض طارق مخاضة الفتح . وصار عبد الرحمن فى حيرة ، وكان عليه ان يقطع

رءوس الفتنة قبل أن تضيع رءوس كثير لم تلبس لباس الفتنة . وكان عليه ان يتعقب القوط وهم يأوون الى جبال جليقية النائية البعيدة . كما كان عليه ان يكسر شوكة شارلمان طاغية الفرنج واعظم ملوكهم ، ومن شايعه من خوان المسلمين والمارقين عليهم مرة ومرة . وكان عليه أيضا ان يجابه معاصره الكبير ابا جعفر المنصور وهو قابع في بغداد يدبر كيف يرمى صقر قريش حتى يكسر جناحه ويهوى من عليائه .... وكان عليه أخيرا أن يجابه غدر أصدقائه وغدر اقربائه ، وفى ذلك حديث يطول .

والفكرة الاساسية من الكتاب التى نجح المؤلف فى ابرازها تدور حول البطل ... والبطل هنا هو عبد الرحمن ... كيف حكم الاندلس ! .. وكيف واجه الظروف القاسية التى كانت تفت من عضد أعظم الرجال واصلبهم عودا وأشدهم صبرا وأقواهم عزيمة .

ايها اليائس مت قبل الممات
أو اذا شئت حياة فالرجا
لا يضق ذرعك عند الازمات
ان هى اشتدت وأمل فرجا
ذلك الداخل لاقى مظلمات
لم يكن يأمل فيها مخرجا

وكانت الغلبة فى هذا النضال للبطل ... لكنه دفع الثمن غاليا ، لأن هذه الظروف حرمته من شىء عظيم ... عظيم جدا ، اذ أضحى فى النهاية . منفردا بلا أصدقاء وبلا أقرباء .

وتستنبط شيئا آخر هاما من الكتاب ... هذا الشىء الهام هو دور الأمير عبد الرحمن فى تاريخ الاندلس ، فالذى يبدو أن الغاية الشريفة فى تقديره تبرر الواسطة مهما كانت ، وهذا تفكير مكيافلى متسام ، أو قل هو مكيافيلية معدلة ... وقد حقق عبد الرحمن هذه الغاية الشريفة ،وترتب عليها ما يذكره المؤلف فى آخر كتابه « ولعل أكبر أثر تركه عبد الرحمن هو أنه باصلاحه السياسى مهد السبيل للنهضة الادبية وتلك اليقظة الفكرية العظيمة التى ظهرت بالاندلس ، حتى صارت مدينة قرطبة توقد سراج العلم والحضارة فتنير الدنيا ، وأوربا غارقة فى لجج زاخرة من الجهالة ، وحتى صارت الاندلس مدرسة يؤمها الاوربيون لتلقى مختلف العلوم عن العرب » .

هذا وفى عرض المؤلف للشخصية التى يترجم لها لم يلبث أن استرسل فى وصف احوال بلاد الجزيرة قبل دخول الداخل ، وأفاض فى الحديث عن صراع عبد الرحمن مع يوسف الفهرى والعميل بن حاتم اللذين حكما الاندلس منذ السنين الاخيرة من حياة الدولة الاموية فى حين أن الحديث عن معظم سنوات حكمه لايستغرق غير صفحات يسيرة من الكتاب .

***

ومن اللوازم الاساسية فى كتاب يتناول شخصية عبد الرحمن الداخل ان يتحدث المؤلف عن صراع العرب فى بلاد الغال (فرنسا) ومع بلاى فى مملكة اشتوريشن النصرانية . ولم يرد فى الكتاب حرف واحد عن معركة كوفادونجا او عن معركة البلاط الشهيرة بتوربواتيبه ، وأثر هذه المعركة على العلاقات بين الفرنجة ودولتهم الكارلوفنجية وبين العرب . ويتصل بمعركة البلاط سقوط أربونة (ناربون) فى أول عهد الامير ، ولم يأت لاربونة ذكر فى الكتاب ايضا ، مع أن المؤلف أفاض فى حديثه عن حروب العصبيات ، على ان سقوط اربونة كان نتيجة لهذه الحروب ،وقد سقط بسقوطها درع الاندلس فى الارض الكبيرة (اوربا) .

وفى صراع عبد الرحمن مع الفرنج لم يذكر المؤلف أنه دفع الى أربونة ــ وهى فى دور الاحتضار ــ كتيبة من جيشه أمر عليها قائدا تسميه المصادر النصرانية سليمان ، وكان ذلك سنة ١٤٠ هـ ــ ٧٥٨م . ولكن عصابات البرنات فتكت بالجيش فى ثنايا الجبال واوعارها .

***

وفى علاقات عبد الرحمن مع أمراء اسبانية من القوط الذين اعتصموا بناحية جليقية والذين كان لهم فى أول عهده ما يقرب من ربع اراضى الجزيرة ،

لا يحدثنا المؤلف عن الحروب التي دارت بين الأمير وبينهم الا مرة واحدة وكانت هذه المرة عرضا ، كما لم يذكر انهم كانوا يعطونه جزية سنوية ، بعضها من المال والسلاح والبعض الآخر من العذارى الحسان الجميلات .

أما عن نضال عبد الرحمن مع خصومه من المسلمين فلم يذكر المؤلف حربه مع عبد الغافر (او عبد الغفار) ابن حميد اليحصبي الذى ثار عليه مرتين تحالف فى الثانية مع حيوة (حياة) بن ملامس الحضرمى صديق عبد الرحمن القديم ، وقد ثار هذا عليه أيضا مرتين لا مرة واحدة كما ورد فى الكتاب .

على أن الاهم من هذا كله الحديث عن شارلمان وحلفائه من الخونة المسلمين ، ويبدو أن اعتماد المؤلف الاساسى فى هذا الموضوع على دوزى ، ومن هنا وقع فى نفس الخطأ الذى وقع فيه دوزى ، ذلك أنه جعل أبا الاسود محمد بن يوسف الفهرى فى جملة خصوم عبد الرحمن الذين ائتمروا به ، وانضموا الى شارلمان . والصحيح أن أبا الاسود لم يكن طليقا وقت أن بدأت المؤامرة فى ربيع سنة ٧٧٧م-١٦٠هـ . ولم يخرج من الحبس الا بعد سنة ١٦٥ وقتل سنة ١٦٩

وكان عبد الرحمن شاعرا لبيبا محسنا ، ضرب فى الشعر بسهم وافر ، ورغم ان الذى وصلنا من شعره هذا قليل ، فانه ان دل فانما يدل على شاعرية عالية وحس مرهف وذوق أدبى سليم ، وتلك ظاهرة فى بنى أمية تميزهم عن خصومهم الهاشميين ، وجدنا فيهم يزيد بن معاوية وكان شاعرا مبدعا يتخلل شعره الترف ، كما كان الوليد بن يزيد بن عبد الملك شاعرا ، غير انه كان فاسقا مضطربا فى دينه مرميا بالزندقة ، وكانت ولادة بنت الخليفة المستكفى اديبة طار ذكرها فى عالم البلاغة والبيان ... والمؤلف لم يذكر هذا فى كتابه .

على أن الشعر الذى ينسب الى عبد الرحمن وجاء فى الكتاب اذا نحن درسناه دراسة وافية ، لعرفنا ان من هذا الشعر ماهو مصطنع ومنتحل، نظمه بعض الشعراء فى عصور الفوضى التى مرت بها الامارة ثم الخلافة الاموية بالاندلس ، للاشادة بذكر الامام الداخل صاحب الدولة . وهذا الاصطناع والانتحال يبدو بوضوح فى قصيدته التى تبدأ بهذا البيت :

لا يلف ممتن علينا قائل
لولاى ما ملك الأنام الداخل

فعبد الرحمن لم يكن يعرف فى حياته بالداخل ، وانما عرف بهذا اللقب بعد دهر طويل ، وذلك للتمييز بينه وبين عبد الرحمن الثانى المعروف بالاوسط ، وعبد الرحمن الثالث المعروف بالناصر .

وهذا الانتحال نرجحه أيضا فى أرجوزته التى أولها :

دعنى وصيد وقع الغرانق
فان همى فى اصطياد المارق

هذه هى أهم الملاحظات التى وقفنا عليها من قراءتنا لهذا الكتاب ، ولاأظن أنها تغض من مكانة الكاتب فى شىء ، أو تنتقص من كتابه فى شىء أيضا باعتباره عملا أدبيا من الدرجة الاولى وعملا تاريخيا بعد ذلك . لان المؤلف بذل جهدا نشكره عليه ، هذا اذا عرفنا انه أول كتاب من نوعه باللغة العربية، فى حين ان مصادر تاريخ الاندلس قليلة ، والبحث فيه لم يكتمل بعد، ولم تبد صورته على أوضح ما تكون وكما يجب أن تكون ... ويزداد تقديرنا للكاتب والكتاب معا ما استمتعنا به من عبارة أدبية ممتازة ومن أسلوب شائق بهيج .

عبادة عبد الرحمن كحيلة

شاعر عربي في الأرجنتين

بقلم : أنيس داود

على قارعة الطريق

فى الارجنتين - كما فى نيويورك والبرازيل - مدرسة للشعر العربى .. على راسها الاخوان الياس وزكى قنصل .

واذا كان الشعراء الذين استوطنوا نيويورك قد رفعوا لواء التجديد فى الشعر العربى الحديث ، وتدفق الشعر القومى من شعراء البرازيل ، فان الشاعر زكى قنصل اراد ان يضع لمسة جديدة فى حركة الشعر العربى فى المهجر ، وان يضيف نغمة جذابة الى هذا اللحن الشعرى الخالد .. تمثلت فى مجموعة من القصائد تصور ابناء الطبقة الكادحة الذين يتفصد جبينهم بالعرق ، وتلهث حياتهم كدا وتعبا ، ويسهمون باوفر نصيب فى بناء الحياة الانسانية كمساح الاحذية والبناء والعتال والعلمة وبائعة الزهر وغيرهم من المشتغلين بالمهن الشريفة النافعة ، كما يقول الشاعر ، الذى ينكر على بعض الناس ان يسموا هذه المهن بالمهن الوضيعة .

ولقد ولد الشاعر زكى قنصل فى سوريا (يبرود) عام ١٩١٩ ، ثم هاجر الى الارجنتين عام ١٩٢٩ .. وبدا تلك الحياة الشاقة الخصبة التى سبقه على طريقها مليون مهاجر عربى - فى انحاء الامريكتين - بينهم مئات من المشتغلين بالفكر والادب ، وعشرات من الشعراء يرتفع الكثيرون منهم الى الذروة كجبران ونعيمة وابى ماضى ونسيب عريضه ، وكان بين الذين سبقوه الى الهجرة ايضا اخوه الشاعر الياس قنصل .

حمل الكشة على ظهره ، وطاف انحاء الاقاليم المجاورة للعاصمة ، وتجول بين القرى والدروب والمنعطفات وهو يحمل فوق ظهره ذلك الصندوق الخشبى الكبير الذى يحوى عشرات الاشياء الصغيرة المتناقضة مما تحتاج اليه المنازل وربات البيوت .. يتجول طيلة النهار ثم ياوى آخر الليل مشمرا عن ساعد الجد ليعلم نفسه بنفسه .. وليبث حنينه الى وطنه وامانيه القومية ، ونجوى احلامه .. فى تلك اللغة العذبة ، التى تمتلك عليه حسه ، وتستأثر بكل وجدانه ، لغة « الشعر العربى » .

هكذا كانت حياة شاعرنا فى بداية هجرته قبل ان يشتد عوده ، وتزكو ثروته ، ويتسع افقه العلمى والشعورى ، فيقسم حياته بين التجارة الواسعة المنظمة ، والمشاركة فى الحركة الثقافية لجاليته ، والحركة الشعرية العربية فى المهجر .

وفى غمار تجولاته الفنية - والكشة فوق ظهره - يحس بآلام هذه الفئة الكادحة من البشر ، فيصور حياتها فى شعره ، ويغنى احلامها ، ويعبر عما تذخر به نفوسها من طيبة وقناعة وحب للحياة ، هاهو يقدم لنا «بائع السوس» (العرقسوس) وهى صورة من وطنه العربى :

حمل الشراب ، وطاف فى البشر

يارب انقذه من الخطر

يكفيه ان الشمس تجلده

ابدا باسواط من الشرر

فاذا اتقى بالظل لفحتها

هبت عليه الريح من سقر

هاضت جناحيه الصعاب فلم

يقعد ، وناشته فلم يخر

ما دام فى عرزينه شمم

فلتعصف الاهوال ولتثر

يا لقمة بدمائه انغمست

لم تترك منه سوى الاثر

وعلى هذا النحو تسير قصائده : منضد الحروف ، مساح الاحذية ، العلمة ، بائعة الزهر ، بياع الجرائد ، العاملة ، الخباز ، الشرطى ، الفلاح ، العتال الى غير ذلك من اللقطات الشعبية الماهرة التى ينوى الشاعر ان يجمعها فى ديوان يطلق عليه « على قارعة الطريق » .. ولعل هذا العنوان يذكرنا بديوان آخر فى مصر هو « عابر سبيل » للاستاذ العقاد يهتم فيه بالاشياء العادية التى يراها فى طريقه ، وتقابل الناس كل حين ، فيخيل اليه - لطول الالفة - انها لا تصلح موضوعات للشعر ولا مصدرا لالهام الشعراء .. وهذا توافق غريب بين حركة التجديد للشعر فى مصر وفى المهجر ، فما يكاد يخط حرف جديد هنا ، حتى يخط مثله هناك ، وما تضاف نغمة جديدة هناك حتى نجد ما يماثلها هنا .. ومن قبل توافقت الأسس الجمالية والفلسفية عند العقاد ونعيمه فيلسوفى التجديد هنا وهناك فى كتابيهما «الديوان» و «الغربال» ، مما يؤكد ان روح هذا العصر وارادة هذا الجيل العربى هما اللذان يصنعان حركة التطوير ، ويشيدان للعرب حياة مفعمة بالجدة ، فى كل مكان .

لا مشاحة اذن فى ان الشاعر زكى قنصل قد اضاف بقرشاته لمسة جديدة الى لوحة الشعر العربى .. ولكن ما مدى هذه اللمسة وما قيمتها الادبية والانسانية ؟

هذه هى المشكلة .

ليس التجديد فى الشعر ان يكون جديدا

في موضوعاته وعناوينه ولكن الجديد في الشعر هو الذي يحمل مضمونا انسانيا جديدا يسري في حنايا العمل الشعري ويتغلغل في روح الكلمة والصورة والبناء .

***

فاذا مضينا مع الشاعر زكي قنصل في قصيدته السابقة « بائع العرقسوس » . استمعنا اليه ينشد :

يا بائع الترياق يسكبه
سوسا يموج بنكهة الزهر
لا تشك دهرك فهو في صمم
او ترج جارك فهو في بطر
المال لا يجدي اذا انحدرت
نفس الغني بكل منحدر
ان السعادة ان تنام على
امل وان تصحو على وطر
كم في قصور الناس من عبر
لو كنت تسبر غاية العبر
لا يخدعنك حسن مظهرها
في القفر شيء ليس في الحجر

ثم يقول :

جلبابك المصنوع من وبر
ازهى من الديباج في نظري
وعويل صوتك في خشونته
احلى اغاني البدو والحضر

***

وعندما نتحسس موقف الشاعر من بائع السوس في هذه الأبيات ، نحس بانه يحمل لنا خبرة غريبة ، لانها خبرة عتيقة في شعرنا العربي وفي نظرة الأقدمين الى الحياة ، عتيقة الى درجة البلى .. ان الشاعر يرتدي شملة اولئك الوعاظ الذين الفنا فيهم تحبيب الفقر الى الفقراء ، ومدح البؤس ، وذم الحياة والدعوة الى الزهد في نعيمها ، وعدم التطلع الى ما في يد الغني ، وتصوير الاغنياء بصورة تكره الفقير في الرخاء ، وتحمله على ان ينطوي في وحدة بؤسه وشقائه .. ثم يضيف الشاعر الى هذا الموقف نوعا من ذلك الغزل المقوت الذي تسرب الى الشعراء العرب من باب المهارة في تحسين القبيح ، وتقبيح الحسن .. فهاهو الشاعر – ايضا – يؤكد ان جلباب البائع الخشن وصوته المتحشرج احب لديه من كذا وكذا .. هي دعوة الذين لايملكون غير اغلالهم الى تقبيل هذه الاغلال والتمدح بجمالها .. وهي دعوة جد بالية .. فهذا الشرق الفقير مريض منذ زمان بعيد باولئك الذين يملئونه بالدعوة الى الزهد في الحياة ، والرضى بالواقع ثم هذه المبالغة المقوتة في البيتين الاخيرين ، تضاف الى مافي تراثنا الشعري من مبالغات ممجوجة .

نحن هنا اذن – رغم جدة العنوان او الموضوع – امام شاعر تقليدي في روحه .. تقليدي في اسلوبه .. يتضح ذلك اكثر عندما نقرأ – مثلا – في مطلع قصيدته : « مساح الاحذية » .

في وجنتيه طلاقة وتورد
وعلى اصابعه خضاب اسود
ضاقت به الدنيا فلم يحفل بها
شتان عبد في الحياة وسيد

مالنا نحن وتورد وجنتيه ، وهل صحيح انه لايحفل بالدنيا اذا ضاقت به ؟ . . ثم يقف الشاعر من ضياع هذا المسكين ، وعدم قدرته على ايجاد مسكن واللجوء الى مأوى ، وحرمانه – تبعا لذلك – من ممارسة حياة اجتماعية مستقرة ، يقف من هذا موقف المادح لانه يخلط بين الضياع والحرمان وبين الحرية فيقول :

وينام حيث تناله سنة الكرى
سيان لينه لديه وجلمد

ولا نجد لدى الشاعر اي احساس بالحقوق الانسانية لهذا المشرد المسكين ، ولا بواجبات المجتمع نحوه ، بل نجده يدعوه الى ان يفاخر «الغني» ببؤسه وضياعه وتشرده :

قل للغني اذا وقفت ببابه
انا لو علمت أعز منك واسعد

والشاعر – كما نحس من خلال قصائده – لايرى في حياة هذه النماذج مدعاة لأسى ، فهو يضفي عليها من خياله الالوان الزاهية ، دون ان يغمس ريشته في واقع الحياة ، نستمع اليه مثلا في قصيدته عن المعلمة يقول :

احلى من النهوند وقع ضجيجهم
والذ تاثيرا على اعصابها
واحب من عود الفتوة عندها
ان يعبثوا بوعيدها وعقابها

فنجد انفسنا امام نموذج مثالي ، ترسم معالمه من الخيال والتوهم لتتم للمعلمة صورة من عالم المثال ، التي قد لاتكون بينه وبين الواقع ادنى صلة على نحو ماكان شعراء العرب القدامى يصنعون اذا مدحوا – مثلا – فهم يصورون ممدوحا مثاليا يجمع بين كل الفضائل الانسانية بغض النظر عن شخصية الممدوح ، وصلتها – في الواقع – بهذه الفضائل ، وعلى هذا النحو شرع لهم بعض النقاد ، ورسموا مناهج المدح والرثاء والفخر والهجاء كما ينبغي ان تكون ، دون اكتراث بتجربة الشاعر الشخصية ، ونوع خبرته بالحياة ، وواقع الممدوح او المرثي وسماته الحقيقية .

***

وهكذا نجد انفسنا مع الشاعر زكي قنصل في قصائده « على قارعة الطريق » تجاه شاعر تقليدي ، يحمل تلك النزعة التزهيدية القديمة التي تفوق فيها شاعر كابي العتاهية ، او الوصفية المادية الفوتوغرافية التي تنقل الواقع بدون تدخل فيه – كما في قصيدته ضارب الرمل – التي تفوق فيها شاعر كابن الرومي ، او يفيض على اللوحة بالوان زاهية تبعدها عن الواقع ، وتغرقها في زيف المبالغة واضطراب الأبعاد الفنية والاجتماعية .. وهو شاعر يرى الحياة قسمة عادلة بين الفقراء والاغنياء ، على الاولين ان يرضوا بما قسم لهم ، بل ان يسعدوا به لانهم تجنبوا في حياتهم وساوس الاغنياء ، وقلقهم على ثرواتهم ، بل عليهم ان يحرصوا على هذا الفقر وما فيه من مزايا .

***

ولقد كان موضوع هذه القصائد حريا بأن يمنح الشعر العربي شاعرا واقعيا يصور مآسي الفئة العاملة ، ويهز ضمير المجتمع الانساني بحقوقهم الضائعة ، ويستبسل في سبيل الدعوة الى العدالة والاشتراكية .. ولكن شاعرنا لأسباب اجتماعية وثقافية ليس لدينا الوسائل الكافية لتفهمها كان دون ما تأمل .

ولكن الشاعر زكي قنصل قد اضاف نغمة جديدة أسية الى الشعر العربي عندما استلهم ذاته في مجموعة من القصائد القاتمة العذبة الشاجية ، صور فيها فجيعته بابنته الاولى «سعاد» ولذلك حديث آخر .

أنس داود

هل هناك نهضة مسرحية في الاسكندرية

بقلم : فتحي الابياري

هل نجح المسرح السكندري الحديث في أداء رسالته ؛ وما هي تلك الرسالة التي من أجلها أنشئت فرقة الاسكندرية المسرحية ؟ وهل هناك نهضة مسرحية حقيقية في مدينة الفن والثقافة ؟ واذا لم يصادف النجاح فرقة الاسكندرية المسرحية ، فما هي العقبات والسدود التي ظهرت أمام الفرقة الوليدة ؟؟

وكيف نواجه تلك المشاكل والصعاب .. في صراحة مطلقة ؟ .

لقد اهتزت الأوساط الثقافية يوم ١٧ اكتوبر من العام الماضي عندما رأى المثقفون والنقاد مولد فرقة مسرحية جديدة من أبناء الاسكندرية .وقدمت الفرقة الوليدة في موسم الافتتاح مسرحيتين : «القطر فات» لتوفيق الحكيم واخراج محمود عبد العزيز ومسرحية « الحضيض » للكاتب العالمي مكسيم جوركي وترجمة فؤاد دواره واخراج كمال عيد .

وكانت مفاجأة ، فقد انقسم النقاد الى فريقين .. فريق أشفق على الفرقة الوليدة من لجنة النصوص التي لم تحسن الاختيار .. وفريق أعجب بقدرات ومواهب الممثلين .

وكانت مسرحية « القطر فات » لتوفيق الحكيم مسرحية مهلهلة .. وقد كتبها الحكيم منذ ثلاثين عاما يعالج بها موضوعا يكاد يكون تافها بالنسبة لواقعنا الثوري الحديث ، اذ عالجت المسرحية موضوع شاب كان يعمل في المحاماة ، وأحب زوجته حبا جنونيا .. ولكنها كانت لعوبا .. وانفصلت عنه . وعندئذ انهارت جميع قوى الشباب .. وتحطم ثم انتحر . وبذل المخرج والممثلون كل المحاولات الممكنة لانجاح تلك المسرحية الذهنية .. ولكن محاولاتهم لم تستطع ان تعيد اليها الروح .. وعندئذ قفزت الاسئلة الى الاذهان .. لماذا اختارتها لجنة النصوص بالفرقة وللأسف أنها مكونة من بعض أساتذة جامعة الاسكندرية الافاضل .. ولكن ظهر فيما بعد .. أخيرا .. أنهم كالكراسي .. ليس لهم الرأي النهائي .. وبذلك لا يمكننا اشراكهم في تلك المأساة التي وقعت فيها اللجنة. وتساءل النقاد : توفيق الحكيم.. بما له من أمجاد وروائع في المسرح المصري الحديث ، ألم يجدوا له الا هذه المسرحية الضعيفة ؟

وكانت المفاجأة الثانية في مسرحية « الحضيض » لجوركي . لقد بلغت الفرقة في هذا النص المحبوك ذروة النجاح . وخاصة أن المخرج متخصص في المسرح الروسي . حتى انبهر المثقفون وهم يشاهدون ذلك العمل العالمي في تلك الصورة الواقعية . وقد عالجت الحضيض مأساة الطبقات السفلى والطبقات الحقيرة في الحياة ، واستطاع جوركي بقلمه الساحر بعد أن عاشر تلك الطبقات عن قرب بفضل ظروف حياته القاسية المريرة ، أن يصور الصراع العنيف بين الانسان وبين الحقيقة . اذ جمع مجموعة عجيبة من تلك الطبقة السفلى في قبو مظلم ، ليمتص دماءهم صاحب هذا القبو . لقد حشد اللص والعاهرة ، وصانع الاحذية والفتاة المريضة ، وزوجة صاحب القبو التي عشقت اللص ، ولكنها انتقمت منه حينما علمت أنه يحب فتاة أخرى . لقد ظل جوركي طوال المسرحية عن طريق شخصياته .. يبحث عن حقيقة الانسان الى ان قال على لسان احد أبطاله .. ذلك المونولوج الخالد :

ما هو الانسان ؟

ليس هو أنت .. ولا أنا .. ولا هم .

أوه .. كلا .

لكن انت وهم والشيخ ونابليون .

جميعهم في واحد ..

هل فهمت ؟

هذا رائع .

هذه حقيقة تتضمن كل البدايات .. وكل النهايات .

كل الاشياء من اجل الانسان .. الانسان وحده موجود ، وجميع ما تبقى من صنع يديه وفكره ..

ما أروع الانسان ! .

وما اشد ما فى رنين هذه الكلمة من كبرياء !

الانسان ! .

يجب أن يحترم الانسان ، لا أن يكون موضع الشفقة . فالشفقة اهانة .. لابد أن يكون الانسان محترما .

هيا يا صديقى .

لنشرب نخب الانسان ! .

ومسرحية الحضيض .. مسرحية صعبة الفهم على المشاهد العادى ، بل على المثقف نفسه الذى لم يطلع بعمق على الأدب الروسى . ولذلك صدم الجمهور السكندرى بتلك المسرحية الرائعة ، ولكنها كانت أعلى مستوى من ادراكه . وكنت اعتقد أن الفرقة التى صرفت مئات الجنيهات على بعض الوان الدعاية الفاشلة كان الاولى بها أن تطبع كتيبا صغيرا ، فيه شرح مبسط لقيمة المسرحية الفنية ، والقاء بعض الاضواء على الظروف التى جعلت الكاتب يكتب تلك المسرحية . وشرح بعض الرموز التى امتلأت بها . وكانت النتيجة ان استمتع المثقفون المتخصصون استمتاعا ما بعده استمتاع .

وسكت مثقفو الاسكندرية قليلا ، ريثما يستدرك المسئولون تلك الاخطاء لينقذوا الفرقة الجديدة . ثم قدمت الفرقة مسرحية جديدة لأحمد حمروش باسم « الازمة » .. وكانت بحق ازمة .. كشفت لنا .. ازمة النص المسرحى العربى .. وقام باخراجها كمال عيد . وحاول بشتى الطرق الفنية ، ان يجعل النص الكسيح يتحرك على خشبة المسرح ، ولكن الطرق الصناعية لم تفلح . فالنص هو المحاولة الاولى لأحمد حمروش فى عالم المسرح . وكانت فرقة الاسكندرية هى ميدان التجربة . وكان من المفروض أن تعالج المسرحية صراعا بين الموظف البسيط الذى يحاول رئيسه فى العمل أن يستغله لينال زوجته .

وكان الزوج مخدوعا .. الى أن انكشفت له الحقيقة . وفضل الوظيفة البسيطة ، وكان من الممكن أن يكون ذلك الصراع صراعا عنيفا ، ولكن الصراع جاء على المسرح باهتا ، لم يحس الجمهور بحرارته وقوته ، واستمات الممثلون المغلوبون على امرهم فى انجاح المسرحية ، ولكن روح المسرحية كانت فى أشد الحاجة الى معجزة تنقذها من « الأزمة » .

الخبر بين الاسكندرية والقاهرة

ثم ظهرت بعد ذلك (تقليعة) جديدة ، وهى أن تمثل مسرحية واحدة فى الاسكندرية والقاهرة فى وقت واحد . ووقع الاختيار على مسرحية « الخبر » وهى أول مسرحية لمؤلفها صلاح حافظ . وكانت امتحانا لفرقة الاسكندرية المسرحية ، ولمخرج اسكندرانى هو حسين أبو المكارم ، وقام باخراجها فى القاهرة كمال عيد . وكانت نتيجة آراء النقاد مشجعة . لقد نجح المخرج السكندرى فى تفهم النص ونجح ممثلو فرقة الاسكندرية المسرحية فى أداء أدوارهم بصدق واحساس ، رغم ضياع الصراع الدرامى فى المسرحية بين الحوار الذى كان يشبه المقالات . وكان موضوع المسرحية يعالج الضمير الصحفى ، وحاول المؤلف أن يصور صحفيا فى حالة صراع بين الخبر الذى سيرفعه الى القمة ويحطم حياة فتاة ، وبين بقايا من المبادىء والاخلاق ما زالت مترسبة فى قاع نفسيته ، وفكرة المسرحية لم يحاول المؤلف أن يجسمها فى مختلف فصول المسرحية ، فاذا بالصراع يبدو باهتا خافتا ، لم يصل الى اعماق المشاهد .

ثم نامت الفرقة بعض الوقت . واستقال بعض كبار ممثليها لأسباب سنذكرها فيما بعد . وطالت فترة النوم .. ثم فوجئنا بأن الفرقة ستقدم

مسرحيتين هما « مراتي في المزاد » و « نساء ورجال » وكان من المعروف أن هاتين المسرحيتين قد قدمتا في الاسكندرية منذ عام ، وقامت بتمثيلهما فرقة نادي المسرح ، وفرقة المسرح الحديث • والمسرحيتان من نوع « الفارس » الذي لايختلف عما تقدمه فرقة الريحاني ، وفرقة اسماعيل يس ، وهبط مستوى الفرقة الجديدة الى الحضيض • فمسرحية « مراتي في المزاد » عبارة عن مقتطفات متنوعة من مسرحيات نجيب الريحاني لصقت بطريقة فنية ، فهي تعالج المحلل ، وتحس وأنت تشاهد المسرحية انك ترى مسرحية تكاد تكون ملطوشة بالتمام والكمال من فرقة الريحاني •

والمسرحية الأخرى « نساء ورجال » تعالج مشكلة اشتغال المراة بالاعمال ، والصعوبات التى تعترضها فى حياتها الجديدة • وقد صورت فتاة محامية لم يستطع خطيبها أن ينفرد بها او يتحدث معها ، لأنها كانت مشغولة بقضاياها وبزبائنها • فاضطر الخطيب الى ان يرتكب بعض المخالفات الطفيفة ، لكى تدافع عنه خطيبته ، حتى تسنح له الفرصة لكى يتحدث معها ، وتتشابك الاحداث ، بطريقة مفتعلة الى ان يسدل الستار ، وقد كان من الممكن للمؤلف أن يتعمق فى موضوعه ، ولكن الاطار العام للمسرحية بهر المؤلف ، فانساق وراء نكتة او حركة فكاهية • انساق وراء الشكل ، ولم يتعمق فى مضمون المسرحية ، وهو مضمون جيد لو بذل المؤلف جهدا اكبر من هذا •

وهاتان المسرحيتان كشفتا للمهتمين بالمسرح السكندرى أن الفرقة ليس لها أى تخطيط وانما تتحرك على « بركة الله » • فعندما صادفتها ازمة النص ، اسرعت الى تقديم مسرحيتين قديمتين لم يرتفع مستواهما الى مستوى الفرقة التى كنا نرجو أن تحافظ عليه، وتكشفت حقيقة أخرى هى ان الفرقة تعيش عالة على ما تجود به مؤسسة المسرح من فتات وهى لهذا •• تابع ضعيف لما يجود به المحسن الكريم فى القاهرة • واتضح أن تشكيل لجنة النصوص فى حاجة الى تغيير يكون اكثر فاعلية •

ولهذه الاسباب استقال عدد من كبار الممثلين الذين ضحوا بوقتهم ومالهم لانجاح الفرقة ، فمعظم ممثلى الفرقة من ممثلى اذاعة الاسكندرية •• ولهم دخل محترم من تمثيلهم فى الاذاعة • وقد ضحوا بهذا الدخل اثناء تمثيلهم فى مسرحيات الفرقة ، نظير مكافاة مواصلات قيمتها عشرة جنيهات ، يصرفها الممثل ويدفع من جيبه عندما يمثل احدى المسرحيات وقد حاول المسئولون فى الفرقة حل تلك المشكلة ، ولكن الحل لم يكن شاملا ، لان الممثلين غير واثقين بأن الفرقة ستتكفل بما كانوا يحصلون عليه من وظائفهم ومن دخلهم فى الاذاعة •

***

ولحل أزمة المسرح السكندرى الحديث الذى كاد يخلق نهضة مسرحية ، لوتكاملت له أسباب النجاح ـ اقول لحل هذه الأزمة ارى أن يسعى المسئولون الى ضم فرقة الاسكندرية الى فرق التليفزيون ، وتكون مثل هذه الفرق ، وأن تستقل الفرقة بشخصيتها السكندرية ، والا تكون تابعة لمن يجود عليها بالفتات وان تعتمد اعتمادا كليا على ابنائها من الممثلين والمخرجين ، اما بالنسبة للمؤلف السكندرى ، فلماذا لاتعلن الفرقة عن مسابقة مسرحية لابناء الاسكندرية تكشف عن مواهب جديدة للمؤلف المسرحى السكندرى •• حتى لايهرب المؤلف هو الآخر الى القاهرة ليقدم انتاجه كما حدث بالفعل مع المؤلف السكندرى مصطفى مشعل الذى قدم مسرحية « القنبلة الثالثة » وأن يمثل فى مجلس الادارة ـ بعد اعادة تشكيله على أساس سليم ، بعيدا عن المناصب الوظيفية ـ كل من له صلة بالفن المسرحى ، وان يكون للممثلين عضو يمثلهم فى المجلس ، حتى يكون التجاوب والتفاعل بين الجميع قويا •

اذا تحقق كل هذا ، فان النهضة المسرحية فى الاسكندرية ستكون حقيقية ، وستفتخر الاسكندرية بانها ساهمت فى المجال المسرحى لجمهوريتنا بمجهود ملحوظ فى ميدان التمثيل والاخراج والتاليف •

« فتحى الابيارى »

غزلية ..

للشاعر : مختار النادى

يا ليت حبيبي يسمعني — وظلال السهد تؤرقني
لصنعت رموشي عش هوى — وحملت حبيبي في عيني
وعزفت غرامي أغنية — لا تهرم في سمع الزمن
وبنيت الأحلام قصورا — وجداول تزخر بالحب
ونسجت شعاع الشمس رد — ا، لحبيبي مثل الذهب
ومضيت أغنى منطلقا — لا يشعر قلبي بالتعب
لحبيبي ، لو يسمع صوتي — الطائر بجناح السحب
وأقمت له أجمل سكن — من غزل في جنة قلبي
وفرشت أغاني حدائق تمتـ — ـد على مرمى البصر
يستروح فيها محبوبي — لو يشعر يوما بالضجر

***

يا ليت فؤادي لؤلؤة — لسكنت على صدر حبيبي
في دفء النهدين وأجنى — فاكهة هواى المشبوب

***

في حقل الحب بذرت هو — اى لأقطفه قلب حبيبي
ويغيب شتاء وربيع — أحلم بحصادى المحبوب
وحقول نبتت واخضرت — واغتسلت بمياه المطر
وأنا أقطف من بستاني — أحلام العاشق في صبر

***

يا ساقي وردك اني أسـ — ـقى الورد أغاني أيامي
لكنى لم أقطف الا — أشواك أساى وآلامي
قل لى يا ساقي لم ضاعت — حباتي مثل الأوهام
لم لم تتألق بفروعي — كالضحكة زهرة أحلامي ؟

***

آه يا ويل لو ضاعت — أغنيتي بقفار السهد
ومضى عني لا يسمعني — وأنا أتعذب من وجد
وقصور غرامي خاوية — وأنا أشرب كأسي وحدي !

مسرح

علي باكثير



بقلم : علي متولي صلاح

لو امكن ان يقال عن انسان انه خلق كاتبا مسرحيا لكان الاستاذ علي احمد باكثير هو ذلك الانسان .

فهو قد كتب المسرحية ولما يتم الحلقة الثانية من عمره ، ولما يعرف شيئا من اصول كتابتها ولما يكن قد شهد مسرحا على الاطلاق حيث كان يقيم في مدينة «الطائف» التي لم تكن تدري عن المسرح كثيرا او قليلا . وكانت كل صلاته بالتاليف المسرحي انه قرا مسرحيات شوقي .

وكانت المسرحية التي بدا بها حياته في التاليف المسرحي اسمها « همام او في عاصمة الاحقاف » وكانت مسرحية شعرية وذلك لانه كان قبلها عاكفا على قراءة الشعر قراءة مسرفة لم تدع منه قديما او جديدا ، ولم يكن يعرف من الشعر الا صورته المالوفة من قديم واعني بها «القصيدة» فلما وقعت بين يديه مسرحيات شوقي وراى فيها صورة غير تلك الصورة المالوفة ، وراى فيها (حوارا) يقع بين شخصين او بين اشخاص ، كما راى (صراعا) يقوم بين اولئك الاشخاص حول (موضوع) او (حادث) مشترك بينهم .. راى ذلك فبهره ما راى واطلعه على افاق جديدة لم يكن له بها علم ، وكان وقتئذ مملوءا بالسخط على ما يرى من تخلف بلده عن ركب الحضارة في كافة ميادينها ، ورسوفه في اغلال التاخر والجمود والجهل ، وكان ايضا واقعا في ازمة نفسية عاصفة لحادث شخصي .. فكان لابد ان يعبر عن كل هذا الفيض الذي تزخر به نفسه - شان الاديب دائما - فكانت تلك المسرحية التي لا ترتقي الى درجة المسرحية الكاملة لانها لم تكن - كما يقرر هو - سوى «قصائد ومقطوعات من الشعر بين رقيق وجزل يجمعها موضوع واحد وينظمها اطار واحد ، ولكن لا يمكن تسميتها مسرحية الا على سبيل التجوز ، لافتقارها الى المقومات الاساسية للمسرحية من بناء وحركة وحوار ورسم شخصيات » .. ولكنها تدل على اصالته في ميدان التاليف للمسرح وتؤكد انه مفطور عليه ومخلوق له .

ولقد ظل هناك عاكفا على دراسة الادب العربي وحده ، لايعرف غيره ولا يتصور وجود ادب سواه حتى جاء الى مصر ودرس الادب الانجليزي ، ووجد «المسرحية» في ذلك الادب بارزة واضحة فانجذب اليها بشدة ، وانجذب اكثر ما انجذب الى «شكسبير» لما بينهما من مشاكلة ، فكلاهما شاعر ومؤلف مسرحي معا ، وبهذه الدراسة الجديدة انحرفت مقاييسه الادبية بعض الشيء ، وتزحزحت عن جمودها الذي كانت ثابتة عليه وبدأ يكتب الشعر «المرسل» والف مسرحية به هي «اخناتون ونفرتيتي» والتزم فيها بحرا واحدا هو «المتدارك» لانه راه اصلح البحور لهذا الضرب وكان ذلك في عام ١٩٣٧ .

ولكنه وجد ان هذا اللون من الشعر لم يلق ترحيبا او استحسانا فعدل عنه ، بل عدل عن استعمال الشعر عامة في المسرحيات ، وراى ان النثر هو الاداة الصحيحة بل الاداة المثلى لكتابة المسرحيات ، وان الشعر لا يكتب به غير المسرحيات الغنائية التي يراد بها ان تلحن او تغنى اى «الاوبرا» ، وكتب فعلا عام ١٩٤٣ مسرحية من هذا النوع اسماها «قصر الهودج» لم يتقيد فيها ببحر واحد كما فعل في سابقتها ، بل استعمل مختلف البحور وحرص على ان يجعلها تقبل التلحين والغناء في يسر وسهولة ، وهي تدور حول حياة الخليفة الامر باحكام الله وقصته مع (ابن مياح) والبدوية (سلمى) وكان بين هذين هوى عارم ، وكان ذلك الخليفة مولعا بحب البدويات ، وجاءته اخبار ما عليه (سلمى) من جمال بارع فخطفها وتزوجها ، فهام حبيبها (ابن مياح) على وجهه .. واخيرا ندم الخليفة على فعلته ، وطلق (سلمى) وردها الى حبيبها اما سبب تسميتها باسم (قصر الهوداج) فهو ان الخليفة كان قد بنى لها قصرا فخما .. واحاطه بمظاهر البادية ليكون قريبا الى نفسها وسماه « قصر الهودج » .

ثم تحول الكاتب الى الصورة التي انتهى رايه الى انها الصورة الصحيحة لكتابة المسرحيات وهي (النثر) فكتب - عام ١٩٤٤ - مسرحية بلغت حدا كبيرا من الروعة والاحكام ودقة الخيال ، ولكنها لم تاخذ حظها من الظهور والذيوع وهي مسرحية (الفرعون الموعود) .

وقد التمسها من الاساطير المصرية القديمة وتدور حول شقيقين هما(امبو) و (باتا)راودت

زوجة الأكبر (ابيو) اخاه الاصغر (باتا) عن نفسه فأبى واستعصم ، فادعت عليه انه هو الذى راودها فخاف وفر هاربا الى لبنان .. واعتزل الحياة .

ولكن حورية هناك اسمها (سيروتا) استطاعت ان توقعه فى حبها ورجع بها الى مصر .

وعلمت زوجة اخيه برجوعه فعاودت عليه المراودة وعاد هو الى استعصامه فأعملت الزوجة الحيلة وقادت (سيروتا) الى بلاط فرعون فعشقها عشقا كبيرا حتى اوشكت ان تكون ملكة ، وهجرت زوجها (باتا) هجرا تاما .. وذهب (باتا) اليها يوما وعرض عليها ان تعود معه الى الجبل فأبت عليه ذلك ولمحت فى جعبته خنجرا فاخذته منه وطعنته به فخر الدم من صدره ولكنه استطاع انتزاع الخنجر من صدره والقى به فى الحديقة فانمو شجرة كبيرة .

وامتلأت (سيروتا) بالهواجس والوساوس فكانت ترى فى غصون الشجرة عيون (باتا) وتسمع فى حفيفها صوته .

وعلم فرعون بتلك النوبات التى تنتاب (سيروتا) فامر باقتلاع الشجرة ، وفيما هم يقتلعونها طارت منها فراشة دخلت فى حلق (سيروتا) فولدت (باتا) الذى هم هو الآخر بقتلها ولم يرده عنها الا انها اتخذت فعلا صورة امه الحقيقية .

وهى كما يرى القارىء غاية فى سمو الخيال وجماله .

وكان الرجل – وهو العربى الاصيل – قد امتلأ قلبه بمعنى واحد تمكن منه وملك عليه كل امره وكل تفكيره وهو (القضية العربية) واتخذت قضايا العرب من نفسه اماكن ثابتة وعقد كتابته كلها – او كاد – على تلك القضايا .

ولا شك ان قضية فلسطين من اهم هذه القضايا ان لم تكن اهمها جميعها .. وكانت تلك القضية تشغله شغلا مستمرا ، وقرأ ذات يوم ان الزعيم الصهيونى « جابو تنسكى » خطب مرة فى مجلس العموم البريطانى قائلا :

« اعطونا رطل اللحم . لن نتنازل ابدا عن رطل اللحم » .

يشير بذلك الى الوطن القومى الذى وعد به « بلفور » اليهود ، فاتخذ الكاتب هذه الكلمة اساسا لمسرحية طويلة اسماها « شيلوك الجديد» تدور فكرتها على ان فلسطين العربية لايمكن ان يقتطع منها وطن قومى لليهود – بله دولة – دون ان يسيل الدم من الشرق العربى كله ، ومثل ذلك مثل رطل اللحم الذى اشترطه «شيلوك» اليهودى فى رواية « تاجر البندقية » على التاجر البندقى « انطونيو » لا يمكن ان يقتطعه شيلوك من جسم انطونيو دون ان يسيل الدم منه فيموت . فكما استحال تنفيذ هذا الشرط المخالف للقوانين الانسانية مع ان انطونيو نفسه قد رضى به يستحيل – من باب اولى – تنفيذ وعد بلفور ليس لمخالفته القوانين الانسانية فقط ، بل لان الذى اعطى هذا الوعد لا يملك اعطاءه ، كما يقول الكاتب .

وقد تكهنت المسرحية بتلك النكبة المشئومة وبقيام اسرائيل ورات ان الحل الوحيد امام العرب هو ان يفرضوا الحصار الاقتصادى على هذه الدولة الباغية الدخيلة حتى تختنق وتموت .

وفى عام ١٩٤٥ كتب مسرحية « عودة الفردوس » عن قضية استقلال اندونيسيا ، وفى نفس العام كتب اول محاولة له فى التاليف الكوميدى بمسرحية اسماها : «الدكتور حازم» التى تقوم على صراع بين أب غير رشيد وابن رشيد ، والاب متزوج من زوجة اخرى غير والدة ذلك الابن ، وقد ضاعف هذا من ضلال الاب ومجافاته للرشاد والحكمة فلمن تكون السلطة فى المنزل ؟ اتكون للاب – بحكم سنه وابوته – مع ما هو فيه من غى وفساد ؟ ام تكون للابن – رغم صغر سنه وبنوته – بحكم عقله ورشاده وحكمته التى ترجح حكمة ابيه او على الاصح التى خلا منها ابوه ؟

وتنتهى المسرحية باسناد السلطة الى الولد الذى صار بعد طبيبا ، ثم يحاول محاولة ثانية فى التاليف الكوميدى عام ١٩٤٩ بمسرحية (شعب الله المختار) التى يعالج فيها موضوع ازدواج ولاء الاسرائيليين بين الاوطان التى نشأوا بها فى مختلف بلاد العالم وبين تلك الدولة التى انشأوها حديثا على تلك الرقعة العربية وسموها «اسرائيل» ولم يكن لهم بها عهد من قبل .

ثم استطرد فى التاليف الكوميدى ويبدو انه قد اطمأن الى قدرته فيه والى ثبات قدمه فى ميدانه فحاول محاولته الثالثة عام ١٩٥١ بتاليف مسرحية تسخر سخرا شديدا من الامبراطورية البريطانية التى لاتغيب عنها الشمس واطلق عليها اسم (امبراطورية فى المزاد) تدور جميع حوادثها فى بريطانيا نفسها وتوضح تقلص ظلها رويدا رويدا ثم تصفيتها نهائيا وتقديم جميع ما فيها للبيع حتى تشرشل نفسه .

ويشفعها فى العام التالى – ١٩٥٢ – بكوميدية جديدة سماها «الدنيا فوضى» تدور حول استرجال النساء، وتخنث الرجال .

ولكنه فى خلال هذا الاستطراد نحو الكوميديا التى يبدو انه كان يريد جاهدا ان يؤكد وجوده فيها وقدرته عليها قبل ان يفوت الأوان .. انه فى خلال ذلك قام باعمال مجيدة جدا وذلك بتاليف ثلاث مسرحيات هامة وهى : «مسمار جحا» و «مأساة اوديب» و «سر شهرزاد» .

اما الاولى – مسمار جحا – فاصل فكرتها ان الكاتب ظل زمنا طويلا يتهيا لوضع مسرحية عن القضية المصرية لانها كانت تشغله كما تشغله القضايا العربية جميعا ، وهذه القضية المصرية هى فى جوهرها قضية الاحتلال الانجليزى لقناةالسويس ، ولو انه عالج موضوع هذا الاحتلال لكان ذلك فى رايه علاجا للقضية المصرية باجمعها ، واستبد به هذا التفكير حتى اهتدى الى تلك الحكاية المعروفة عن مسمار جحا التى تقول بان (جحا) هذا ضاقت به الحال زمنا فباع بيتا يمتلكه واحتال فى هذا البيع حيلة يضمن بها لنفسه ان يقبض ثمن البيت دون ان تزول ملكيته له فاشترط ان يبقى له فى البيت مسمار يكون له حق الانتفاع به واستعماله فى اى وقت يشاء ، وعلل ذلك للمشترى بان هذا المسمار عزيز عليه وله عنده حرمة خاصة لانه ورثه عن آبائه واجداده وانه يمثل عنده هؤلاء الآباء والاجداد ، وقبل المشترى هذا الشرط احتراما لشعوره .

وحل المشترى فى البيت ، ولكن جحا ظل يتردد على البيت استنادا على الشرط الثابت فى عقد البيع ، وطال تردده فى النهار والليل واسرف جحا فى ذلك اسرافا كبيرا يهدف به الى اقلاق راحة الرجل ، والرجل لايملك الوسيلة الى ابعاده لان العقد يبيح له ذلك ؟

ولما طال ذلك لم يجد الرجل بدا من ان يترك البيت لجحا حرصا على راحته .

هذا هو موجز القصة التى راى الاستاذ على باكثير مشاكلتها لقصة الاحتلال الانجليزى لقنال السويس .. ولكننا لا نرى رايه فى هذه

المشاكلة لان جحا الذى ترك المسمار ، كما ترك المحتلون جنودهم فى قناة السويس .. ان جحا هذا كان يمتلك البيت ولكن المحتلين لم يكونوا يملكون البلاد المصرية ، وهذا الفارق يفسد معنى المسرحية فى اذهان الناس عندما يقيسون الأمرين ويقارنون بين القصتين.

واما الثانية ـ ماساة اوديب ـ فماتاها ايضا ما يشغل نفسه من قضايا العرب .. ولعل القارىء قد يعجب لذلك ولا يرى علاقة بين اسطورة (اوديب) المعروفة ، وبين القضايا العربية ، ولكى نزيل هذا العجب ينبغى ان نلخص هذه الاسطورة فى كلمات قصيرة .

فهى تدور حول ان تلك النبوءة التى تقول بان «لايوس» ملك طيبة سيولد له غلام يقتل اباه ويتزوج امه انها كانت فرية افتراها الكاهن الاكبر نظير «رشوة» اخذها من ملك آخر كان ينافس لايوس على زعامة عيلاس باسرها اسمه «بوليب» .

وكان «بوليب» هذا عقيما فلما جاءه ان زوجة منافسه حملت خشى ان ينتقل الملك نهائيا الى اسرة هذا المنافس اذا مات هو من غير ولد ، فاختلق له ذلك الكاهن الأثيم تلك الفرية ليدفع خصمه ومنافسه الى التخلص من ابنه وزاد فاوعز الى بعض الرعاة ان يحملوا ذلك الولد حيا الى «بوليب» لتتحقق النبوءة فعلا بعد حين على ان يخبروا اباه انهم قتلوه فعلا !

وشب (اوديب) وجرت بعض الحوادث التى انتهت بقتله اباه وزواجه من امه فعلا وتحقق النبوءة .

وجرت حوادث اخرى ادرك منها (اوديب) صدق النبوءة واحس بما هو غارق فيه من اثم فصادر اموال المعبد التى جمعها الكهان من الرشاوى ووزعت الاراضى على الشعب الذى كان يتردى فى الحرمان الشديد ، وبقى (اوديب) بعد ذلك زمنا فى طيبة ثم تسلل منها هائما على وجهه .

ذلك ملخص الاسطورة فما هو اذن المضمون الجديد الذى اصطنعه الكاتب حتى جعل منها دلالة تعكس واقعنا العربى فى الفترة التى تقع بين حرب فلسطين وقيام الثورة المصرية .

ان الكاتب يفسر لنا ذلك فيقول : ان الكاهن اعلن نبوءته الكاذبة قبل مولد اوديب تماما كما اعلن «بلفور» مولد دولة اسرائيل وقيام الوطن القومى لليهود فى فلسطين قبل مولده !

وان ذلك الكاهن قد وجه الأحداث توجيها ينتهى بتحقق تلك النبوءة تماما كما فعلت انجلترا بعد اعلان وعدها المشئوم على لسان وزيرها بلفور !

وان اوديب هو الذى سعى بنفسه الى الوقوع فى صميم المأساة بتحقيقه الدقيق الطويل ، تماما كما سعى العرب انفسهم الى الحرب ضد اسرائيل حتى وقعوا فى صميم المأساة من جراء خطة محكمة وضعها اعداؤهم ولا يعلمون هم عنها شيئا !

وهكذا .. وهكذا وجد الكاتب مشابه عديدة بين القصتين قد لايجدها غيره ممن لاتمتلىء نفوسهم بمثل ما تمتلىء به نفسه من شغل بالقضايا العربية دون سواها .

واما الثالثة ـ سر شهرزاد ـ فهى تفسير جديد لتلك القصة الشائعة التى تقول بان الملك (شهريار) خانته زوجته الاولى مع عبد اسود فقتلهما ولم يكتف بذلك ولم يشف غليله بقتلها بل انه حقد على جنس النساء كله فاخذ يتزوج كل ليلة بعذراء ثم يقتلها آخرالليل حتى تزوج من شهرزاد التى احتالت بان بدات تقص عليه قصة شائقة وتسرد عليه كل ليلة شطرا منها يجعله مشوقا الى ما يليه وهذا الشوق يجعله يؤجل قتلها حتى اتمت الف ليلة وليلة كان خلالها قد نسى حقده على النساء ولم تعد به حاجة الى قتلها .

تلك هى القصة الشائعة ولكن الاستاذ باكثير ذهب الى تفسير آخر وهو ان «شهريار» اصيب من جراء ادمانه الخمر والاتصال بالنساء .. اصيب بضعف امام النساء واصبح ذلك (عقدة) فيه يريد ان يسترها عن الناس فكان يقتل العذراء كل ليلة حتى لا يفتضح هذا السر وحتى يقول انه ذو قوة على الزواج كل ليلة حتى جاء دور (شهرزاد) وكانت قد علمت بامر تلك (العقدة) من طبيبه الخاص فتمنعت عليه حتى لاتخدش كبرياءه ولا تهيج عقدته وطاب هو بذلك نفسا لان التمنع جاء من جانبها هى ، وبهذا استطاعت العيش معه ، وسلمت من القتل حتى قوى الملك من ضعفه وبرىء من علته .

وعكف الاستاذ باكثير بعد ذلك زمنا يتنقل بين الاساطير فيؤلف لنا عام ١٩٤٩ مسرحية (اوزوريس) مستغلا تلك الاسطورة المعروفة ، ثم مسرحية (دار ابن لقمان) عام ١٩٥٨ وهى تدور حول اسر الملك لويس التاسع بمدينة المنصورة ، ثم مسرحية فكاهية سماها «قطط وفيران» ، تدور حول المرأة العاملة ، ثم مسرحية «اله اسرائيل» التى تقرر ان الصراع دائر بين الصهيونيين وبين الرسل الكرام من عهد موسى حتى الآن ، والجديد فيها ان الفصلين الاولين منها تراجيديان والفصل الثالث كوميدى .

ثم مسرحية (هاروت وماروت) التى تصور حياة هذين الملكين ، وتوضح ان فى الانسان استعدادا ليكون افضل من الملك .

ثم «جلفدان هانم» التى ما زال الناس يشاهدونها فى ايامنا هذه والتى تصور استغلال القوة المادية لمواهب الفقراء من ذوى المواهب الخلاقة .

ذلك موجز او ملخص لبعض الجهود الجبارة التى بذلها ويبذلها الاستاذ على احمد باكثير ومنه نرى ان الرجل مملوء بحب المسرح مهيا للكتابة له بطاقة قوية ، وانه قد تطور فى رحلته المسرحية تطورا كبيرا ، فهو قد تطور فى اللغة من الشعر الرصين الى المرسل ، ثم الى النثر الرصين ايضا ثم الى النثر السهل الذى تكتب به المسرحيات .

وهو قد تطور ايضا من المسرحية التاريخية الى المعاصرة التى تتناول الاحداث الجارية فى ايامنا هذه .

وهو قد تطور كذلك من المسرحيات الجادة الى الفكاهية التى يشق تاليفها على الكثيرين .

وهو فى كل رحلته هذه كان ـ كما قلنا ـ لايفكر ولا يكتب ولا ينشغل الا بقضايا العرب ، فهى تهمه هما كبيرا ، وهو الكاتب الذى وقف قلمه ـ على وجهالتقريب ـ للدفاع عن هذه القضايا دفاعا صادرا عن حرارة وايمان وامتلاء ، ومع كل اولئك ، ومع نهضتنا العربية الشاملة فان مسرحياته لم تلق حتى الآن ما ينبغى لها من ظهور ، بل ان الكثير منها ما زال موءودا بين بطون الكتب .

ولم يلق الرجل كذلك ما ينبغى له من تقدير يناسب هذا الجهد المتصل الذى ينهض به وهذا الاخلاص القوى لقضايانا العربية .

فهل لنا ان نقترح على الدكتور حاتم ـ وهو الذى يعرف اقدار الرجال ـ ان يقيم مسرحا جديدا لعرض هذه المسرحيات التى تدور حول القضايا العربية وحدها ، ولا نقترح ان يطلق عليه اسم «على باكثير» كما اطلق اسم (توفيق الحكيم) على المسرح القائم اليوم ، ولكننا نقترح ان يطلق عليه اسم «مسرح العرب» .

على متولى صلاح

الصحافة في مجتمعنا الاشتراكي

بقلم : بكر درويش

الصحافة فى مجتمعنا الاشتراكى سلاح حاسم من أسلحة الشعب التى يخوض بها معاركه المختلفة فى جميع الميادين ... هذا أمر لا شك فيه . وقد نصت المذكرة الايضاحية لقانون تنظيم الصحافة على انها جزء من التنظيم الشعبى . وانها سلطة توجيه ومشاركة فعالة فى بناء المجتمع شأنها فى ذلك شأن غيرها من السلطات الشعبية كالمؤتمر العام للاتحاد الاشتراكى العربى ومجلس الأمة .. وقد أكد ذلك الدكتور **عبد القادر حاتم** أمام مجلس الأمة فى اجابته على سؤال لأحد اعضاء المجلس . كما جاء فى البيان الذى القاه السيد الرئيس جمال عبد الناصر امام مجلس الأمة فى ٢٦ من مارس سنة ١٩٦٤ قوله انه لايكفينا ان نقول بان الشعب يسيطر على وسائل الاعلام بما فيها الصحافة . وانما لابد لهذه الوسائل أن تعبر عن الشعب فعلا . وعن حياته . وعن قيمه . وعن تطلعاته المشروعة .

والأمر الذى لاشك فيه — مع ذلك — هو ان المقصود بكلمة «الشعب» فى هذه العبارات هم افراد الأمة جميعا على اختلاف الوانهم واشكالهم واعمالهم ومستوياتهم وثقافاتهم واماكن وجودهم . وان سكان الاقاليم يمثلون الغالبية العظمى من افراد هذا الشعب الذى تعتبر الصحافة جزءا من تنظيماته وسلطة من سلطاته . والذى يسيطر على جميع وسائل الاعلام بما فيها الصحافة التى يجب أن تعبر فعلا عن حياته وعن قيمه وعن تطلعاته المشروعة .

فهل قامت الصحافة — كسلطة من سلطات الشعب وجزء من تنظيماته — بتأدية رسالتها كاملة بالنسبة للتعبير عن حياة هذه الغالبية العظمى من هذا الشعب — وهم سكان الاقاليم — وعن قيمه وتطلعاته المشروعة ؟ وهل استطاعت أن تؤدى واجبها فى خدمة هذه الغالبية الخدمة الاعلامية التى يجب أن تقوم بها الصحافة للشعب ؟

المعتقد أن الجواب على ذلك بالنفى . وان هذا الأمر لايختلف فيه اثنان . ولايحتاج فى ادراكه الى دراسة طويلة او بحث عميق .

فالواقع الفعلى الذى نعيش فيه ونلمسه جميعا ان الجزء الاكبر من اهتمام الصحف على اختلاف أشكالها والوانها ينصب أولا وقبل كل شىء على ساكنى القاهرة . ثم يفيض بعد ذلك من هذا الاهتمام جزء لساكنى الاسكندرية وعواصم المحافظات . ولا يبقى بعد هذا الا النزر اليسير جدا يناله ساكنو الريف فى بعض الاحيان .

وحتى هذا النزر اليسير من اهتمام الصحف بالأقاليم وسكانها وحياتهم وقيمهم وتطلعاتهم المشروعة لايتحقق فى الغالب الا فى المناسبات التى تسعى أخبارها الى الصحف من مصادرها فى القاهرة كزيارات الوزراء وافتتاح بعض المشروعات وما الى ذلك . او على سبيل الدعاية لبعض الأجهزة التى يتصل عملها بهذه الاقاليم، أو نتيجة لتوجيهات عليا لاثارة هذا الاهتمام .

والتعبير عن هذا الاهتمام بالأقاليم وسكانها غالبا مايكون بواسطة أشخاص غير متخصصين فى الموضوعات التى تتصل بهذه الأقاليم فتأتى كتابتهم عن هذه الموضوعات — فى كثير من الأحيان — غير عميقة ، ومفتقرة الى الخبرة والدراسة والاطلاع على حياة هؤلاء الناس اطلاعا يمكن صاحبه من أن يعبر عن هذه الحياة وعن مشاكل صاحبها وتطلعاته الأمر الذى لا يمكن أن يتوفر من زيارة سريعة قد لا تستغرق سوى بضع ساعات ، أو على الاكثر يوما أو يومين ، يقضيهما حتما فى أكبر مدينة فى الاقليم الذى يسافر اليه .

وحتى فى بعض الاحيان لا تتيسر هذه الزيارة وتكتفى الصحيفة او محررها ببيانات ومعلومات يحصل عليها من « المكاتب » فى القاهرة أو على احسن الفروض من عواصم المحافظات .

ولا يمكن أن نتهم العاملين فى صحف القاهرة بعدم الاهتمام بشئون الغالبية العظمى من افراد هذا الشعب ، وهم سكان الأقليم — لأنهم راغبون عن هذا الاهتمام ، أو لان امرهم لا يعنيهم او لانهم يفرقون بينهم وبين سكان المدينة . ولا يمكن ان يخطر ببالنا هذه الاتهام . فان الغالبية العظمى من العاملين فى هذه الصحف تربطهم روابط مختلفة بالأقاليم . وهم يعتبرون أنفسهم جزءا منها . وكثير منهم له فيها مصالح وأهل واقارب هم موضع تقديره واهتمامه .

ولكن الواقع ان هذه المسالة تتحكم فيها عوامل كثيرة تؤدى فى مجموعها الى هذا الوضع الذى تبدو فيه صحافة القاهرة وكأنها لا تعبر الا عن سكان العاصمة وبعض المدن الكبيرة .

ومن بين هذه العوامل أن وجود الصحيفة فى العاصمة بجميع اجهزتها ومحرريها يجعل اتصالها مباشرا بسكان هذه العاصمة وبمختلف اجهزة الدولة الموجودة فيها . وبالتالى فان ذلك يشد اهتمامها فى الدرجة الاولى بكل ما يتصل بهذه والوصول الى كل ما يحتاج اليه العمل الصحفى من تلمسه فيها . ووجود الفرصة الميسرة للتخصص فى الشئون المتعلقة بها والتعمق فى دراستها والوصول الى كل ما يحتاجه العمل الصحفى من معلومات .

اما فى الاقليم فان الأمر على عكس ذلك من كل النواحى . فانه يصعب — بل يتعذر على الاقل فى الوقت الحاضر — على الصحيفة ان توفر المحررين المتخصصين للاقامة فى الريف والاتصال بمصادر المادة الصحفية فيه ، ودراسة أحواله ومشاكله وتطلعات أبنائه والانفعال بها والتعبير عنها . وما يستلزمه ذلك من نفقات طائلة . واعداد كبيرة من الصحفيين لا يمكن توفيرهم فى الوقت الحاضر على الأقل .

ولا يمكن القول بان الصحيفة تستطيع ان تعتمد فى ذلك على « مراسلين » من أبناء الاقاليم انفسهم ، لان هؤلاء المراسلين — مهما كان شأنهم — لا يمكن ان تتوفر لهم الخبرة الصحفية اللازمة . والجزء الأكبر منهم — فى مختلف الصحف — لا يتوفر لهم قدر من الثقافة . وكلهم بلا استثناء يزاولون أعمالا اخرى غير الصحافة تمنعهم من التفرغ لها . وحتى مع كل ذلك فان كل الصحف لا تستطيع أن توفر العدد الكافى لتغطية كل الاقاليم من هؤلاء المراسلين على علاتهم .

وهناك عامل آخر من العوامل التى تتحكم فى اهتمام الصحيفة بالاقاليم على درجة كبيرة من الأهمية هو ما يمكن أن تجنيه الصحيفة من هذا الاهتمام .

فكل صحيفة حتى الآن تسعى فى الدرجة الأولى لزيادة توزيعها واكتساب أكبر عدد ممكن من القراء وهى ترى أن المدينة هى سوقها الرائجة . وان ساكنها هو « الزبون » الذى يجب أن تسعى اليه وان تحاول اجتذابه واخراج القرش من جيبه . لأنها يمكن أن تصل اليه بسهولة وباقل التكاليف. ولأنه هو الذى تمكنه ظروفه المادية والثقافية من شرائها .

وقسم التوزيع فى اى صحيفة يقوم — بطبيعة عمله — برسم خطة توزيعها على اساس توصيلها الى المكان الذى يمكن أن تبيع فيه أكبر كمية ، والذى يحقق لها الربح عن طريق زيادة ثمن البيع عن مصاريف التوزيع . وهو لذلك يتجاهل مناطق كثيرة لا يرسل اليها الصحيفة لمجرد أن أرقام البيع فيها لن تكون عالية ، أو ان ارسال الجريدة اليها يتكلف مصاريف تزيد عن الايراد الذى سيحصل عليه من البيع فيها .

ومعنى هذا أن حاجة المقيمين فى هذه الجهات الى قراءة الصحف وتتبع الانباء والتزود بالثقافات لاقيمة لها فى نظر من يتولى عملية توزيع الصحيفة . وانما الاعتبار الأول والاخير هو كمية ما سيباع من الصحيفة وما يتكلفه هذا البيع . وكل هذا سعيا وراء تحقيق الربح للصحيفة كمشروع تجارى عادى لا بد أن يحقق ربحا حتى يتيسر له الاستمرار .

وما دامت مناطق الريف — وفقا لهذه النظرية — لن تكون سوقا مناسبة للصحيفة .. وساكنها يمكن ان تستغنى عنه « كزبون » . فما هو الداعى لاثارة اهتمامه عن طريق الاهتمام بقضاياه ومشاكله وآماله ، واستغلال جزء من حيز الصحيفة يمكن استغلاله فى اثارة اهتمام « الزبون » الموجود فى السوق التى تناسب أحوال الصحيفة ، وهو ساكن المدينة ؟

وحتى لو فرضنا - جدلا - ان الصحيفة فى القاهرة اعطت لهذا الجزء الكبير من الشعب - وهم سكان الاقاليم - ما يستحقه من اهتمام ، ووفرت المحررين المتخصصين الذين يستطيعون تغطية كل ما يتصل بهذه الاقاليم ومن يقيمون فيها واستطاعت ان تعبر عنهم وعن آمالهم وتطلعاتهم المشروعة ، وتعكس الصورة الصادقة الصحيحة لحياتهم وتعالج مشكلاتهم بنفس القدر الذى تعطيه لسكان العاصمة والمدن الكبرى .

حتى لو استطاعت ان تفعل كل ذلك ، فهل تكون الصحافة فى مجموعها - كتنظيم شعبى - وسلطة من سلطات الشعب - قد أدت واجبها كاملا نحو هذا الجزء الكبير من أبناء الشعب ، وحققت رسالتها كتنظيم من تنظيماته ؟

لا يمكن ان يقول احد بذلك فى ظل النظرية التجارية التى مازالت متحكمة فى الصحف حتى الآن ، والتي تسعى الى تحقيق الربح فى سبيل البقاء والاستمرار .

لأنه لا يمكن القول بأن رسالة الصحافة تقف عند حد الكتابة فقط . وان واجبها يقف عند حد التعبير عن الآمال والتطلعات واعطاء الصورة الصحيحة لحياتهم فقط ، بل ان رسالتها تمتد الى ما هو أبعد من ذلك . وواجبها يشمل ما هو اكثر من الكتابة والتعبير .

رسالتها تمتد الى المشاركة فى توعية المواطنين وتزويدهم بمختلف الوان الثقافات والخبرات ، الى جانب اتاحة الفرصة لهم لتتبع الانباء التى تحملها هذه الصحف .

وليس هناك من هو أحوج الى التوعية والى التزود بالثقافة ووسائل تتبع الانباء من ساكني الاقاليم ، فوسائل التوعية فى العاصمة والمدن الكبرى كثيرة متنوعة ، وهى متيسرة سهلة لمن يقيمون فيها . ومصادر الثقافة هى الأخرى موجودة فى هذه المدن وميسورة لأهلها . ووسائل تتبع الانباء متنوعة ومتوفرة لديهم ، بعكس الحال فى الأقاليم التى تعتبر محرومة حرمانا يكاد يكون تاما من كل هذه الاشياء ، والتى تعتبر الصحيفة أسهل وسيلة بالنسبة لهم للتزود بالمعرفة والثقافة والانباء والمساهمة فى توعيتهم بنصيب كبير .

ومعنى هذا ان الصحافة - كمهنة وتنظيم شعبى - لا تكون قد أدت واجبها كاملا وحققت رسالتها بالنسبة لساكن الاقاليم مادامت الصحيفة بعيدة عنه وليست فى متناول يده يستطيع الحصول عليها بسهولة مثل ساكن المدينة .

ولا يمكن الاحتجاج بان ساكن الاقاليم لم يتعود قراءة الصحيفة فهى حتى لو وصلت اليه فسوف يعرض عنها . أو أنه لم يصل الى المستوى المادى الذى يسهل له دفع ثمنها ، أو المستوى الثقافى الذى يؤهله للانتفاع بما فيها .

لا يمكن الاحتجاج بذلك ، لأن هذه الحجج ان كانت تصدق على الماضى ، فانها لم تعد تنطبق على الوضع الحالى ، فقد ارتفع المستوى المادى لساكن الريف بدرجة ملموسة حتى انه أصبح الآن يقتحم أبوابا كثيرة للانفاق لم يكن يقترب منها قبل ذلك ، ويعتبر ثمن الصحيفة بالنسبة لهذه الأبواب شيئا تافها ، كما ان نسبة كبيرة من سكان الاقاليم فى الوقت الحاضر اصبحت على درجة من التعليم والثقافة تمكنها من قراءة الصحف .. بل ان التجربة التى قامت بها وزارة الاوقاف لتزويد المساجد فى القرى بالمكتبات أثبتت أن هناك عددا كبيرا جدا من ابناء هذه القرى يتهافتون على استعارة ما تضمه هذه المكتبات من كتب تحتاج قراءتها الى درجة من الثقافة والتعليم أعلى مما تحتاج اليه قراءة الصحيفة ..

أما القول بأن ساكن الاقاليم لم يتعود شراء الصحيفة فهو قول فيه كثير من المغالطة ، لأننا لم نوفر له هذه الصحف قبل الآن حتى نستطيع الحكم على مدى اقباله عليها ، فضلا عن ان الواجب الأول للصحيفة ان تسعى الى زيادة عدد قرائها وفتح ميادين جديدة لتوزيعها ، وهذا الواجب يفرض عليها ان تسعى الى كسب ساكن الاقاليم « زبونا » لها بنفس القدر الذى تسعى به الى ساكن العاصمة .

وانى أعتقد أن قيام صحيفة العاصمة بكل مايلزم لساكن الريف من الاهتمام به والتعبير عن حياته وقيمه وتطلعاته على الوجه المطلوب ، الى جانب العمل على تيسير وسائل حصوله على الصحيفة امر يتعذر تنفيذه على الوجه الاكمل فى الوقت الحاضر .

ولكن ليس معنى هذا أن نرضخ للأمر الواقع ، ونقف مكتوفى الايدى أمامه ، فهناك وسيلة أخرى تستطيع الصحافة - كتنظيم شعبى وسلطة من سلطات الشعب - أن تستغلها لتحقيق رسالتها كاملة نحو سكان الاقاليم ، هى الصحافة الاقليمية .. ولها حديث آخر .

بكر درويش

أكاذيب
تحمل ينشر على الناس ؟

بقلم : محمد عبد الله السمان

قال لي مدرس جامعي :

ـ **لقد** أديت صلاة الجمعة منذ أسبوعين بأحد مساجد القاهرة ، وسررت حين رأيت خطيب المسجد شابا يمتلىء قوة وحيوية ، ولكن ما ان انتهى من خطبته حتى صدمت نفسي به ، وكاد توازن تفكيري يختل مما أسمعنا في خطبته وهو يفسر لنا قوله تعالى : « انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » ، ويذكر لنا خلال حديثه أن الله تعالى أمر الكعبة أن تنتقل من مكانها لتكون في استقبال « رابعة العدوية » في السنة التي حجت فيها » .

ثم عقب صديقي بقوله :

« **أمثل** هذا الكلام يقال للمصلين من فوق المنابر، حتى ولو كانت هذه الأسطورة حقيقة وقعت ، وقام على تأكيد وقوعها ألف دليل ؟ » .

« ألم يحس الخطيب العالم الشاب بمشكلات المجتمع الذي يعيش فيه ، وحاجات الناس الى معان حية تهذب نفوسهم ، وتسمو بأخلاقهم ، وتغرس فيهم القيم العليا والمثل الرفيعة ؟ » .

ان في الاحداث المحلية التي تنشرها صحافتنا كل يوم مادة دسمة لخطبة الجمعة التي أريد لها أن تكون توجيها للمصلين يطهرهم من أدران الرذائل ، ولم يرد لها أن تكون ألغازا وأحاجي لا تتصل بحياتهم من قريب أو بعيد .

ثم سألني :

« **أيجوز** لمثل هذه القصص ان تكون مدونة في كتب يقرؤها علماء الدين ويتأثر بها عامة المسلمين» .

قلت : ان هذا وأكثر منه موجود في عديد من كتب التراث التي تنسب زورا للاسلام ، ولكن هناك فرقا بين أن يقرأه عالم وبين أن يتأثر به جاهل ، واذا التمسنا عذرا للجاهل ، فكيف نلتمس عذرا للعالم الذي يرتكب جريرتين : جريرة الايمان به وجريرة نشره على الناس .

***

وهذه القصة التي اهتم بها الخطيب اهتمت بها كتب كثيرة وفي مقدمتها تذكرة الأولياء لفريد الدين العطار ، وكتابه من الكتب التي تلعب دورا ذا أثر خطير في مجال التصوف الاسلامي .

هذا الكتاب يذكر أن رابعة وهي في طريقها الى الحج نفق حمارها فتوقفت عن المسير ، ورفضت أن تقبل المساعدة من القافلة التي كانت معها ، ثم جلست وحدها قرب حمارها تناجي ربها قائلة :

« الهي : أكذا يفعل الملوك بعبيدهم الضعفاء العاجزين ؟ لقد دعوتني الى زيارة بيتك ، وها أنت ذا تدع حماري ينفق في الصحراء ، وتتركني في الخلاء وحيدة ! » .

ولم تكد تتم كلماتها حتى استجاب الله لها ورد الحياة الى حمارها ، فحملت عليه متاعها وجدت في السير تلحق القافلة .

ويواصل العطار صاحب تذكرة الأولياء سرد خرافاته فيقول :

« **ان رابعة** كانت بسبيل الحج فرأت الكعبة قادمة نحوها عبر الصحراء ، فقالت : لا أريد الكعبة ، بل رب الكعبة . أما الكعبة فماذا أفعل بها ؟ » .

ولا يقف العطار عند هذا الحد من التخريف فيروى قصة أخرى يتواضع خيال الاطفال حيالها ، فابراهيم ابن أدهم من كبار المتصوفة أمضى أربعين سنة

ليبلغ الكعبة ، فقد نذر أن يحج ماشيا ، وأن يصلى فى كل خطوة ركعتين ، ولما بلغ الكعبة هاله الا يجدها فى مكانها وفزع لذلك فزعا شديدا ، فصاح نائحا شاكيا :

« وا أسفاه ! أأظلم بصرى حتى لم أعد أرى الكعبة ؟ ولم يهدىء من فزعه وروعه الا صوت يقول : « يا ابراهيم : لست أعمى ، لكن الكعبة ذهبت للقاء رابعة العدوية ، فتأثر ابراهيم وعاد اليه روعه حين رأى الكعبة قد عادت الى مكانها ، وشاهد رابعة تتقدم مستندة الى عصا فقال لها : أى رابعة ، يا لجلال أعمالك !! ثم وما تلك الضجة التى تحدثينها فى الدنيا ؟ فالكل يقول ، ذهبت الكعبة للقاء رابعة » ..

فأجابته : وما تلك الضجة التى تثيرها أنت فى الدنيا بقضائك أربعين سنة حتى تبلغ هذا المكان ؟ فالكل يقولون : ابراهيم يتوقف فى كل خطوة ليصلى ركعتين ، فقال ابراهيم : نعم أمضيت أربعين عاما أجتاز هذه الصحراء !

والعجيب أن أحد الكتاب الاسلاميين ممن تخرجوا فى الجامعة ، حرص على أن يورد مثل هذه الاسطورة فى كتابه عن رابعة العدوية ، وليته اقتصر على النقل ، بل وقف بحكم مهنته يتولى الدفاع عنها ويقول :

« وهنا يحلو لمن لا يحكم على الأشياء الا حكما ماديا بالمخابير والمقاييس والحواس الخمس أن يتخذ مثل هذه الواقعة دليلا ليحمل على التصوف والمتصوفين ، وان هؤلاء لمغرورون ، لانهم لم يعيشوا فى الجو الروحى العظيم الذى يجعلهم يشعرون بما يشعر به أصحاب الأرواح الصافية المحلقة فى سماء الفناء فى الله » .

واذا نحن ضربنا صفحا عن مثل هذا الدفاع ، فيبقى أن نقول : انه من الممكن أن نغض الطرف عن هذه الأساطير التى حشيت بها كتب التصوف ، ما دامت قابعة فى زوايا الكتب ، ولكن حين تخرج الى الحياة وتصبح عملة متداولة فى مجالاتنا الدينية ولاسيما المساجد ، كانت مصدر خطر ، لانها لا تصلح أبدا دينا ينشر على الناس ، وان كان لابد من التعامل معها ، فلنؤلف لها مجلدات كمجلدات « ألف ليلة وليلة » ، أو نقدمها مادة دسمة لركن الأطفال فى الاذاعة والتليفزيون ، لا على أنها دين ينشر ، ولكن على أنها أساطير تغذى خيال الأطفال من أوسع المجالات !!

محمد عبد الله السمان

رسالة إليه



للشاعرة : عزيزة كاتو

قولى له .. ماعاد يروى قلبها الظامى هنا أبدا رفيق
لا نسمة عادت تزور دروبها .. لا جار .. لا طير صديق
لا نجمة عادت تضىء بكوخها .. لا آه تعبر فى المضيق
وقوافل الأقمار غابت فى الدجى .. فى هدأة الصمت العميق
يهوى الضياء على ذرى ليلاتها .. ويغيب فى البعد السحيق
قولى له .. قلبى هناك تركته .. قلبى هناك على الطريق
سكنت على الدرب الحياة .. وأمنياتى لم تعد أبدا تفيق
فتركت قلبى هائما .. تجتاحه الأوهام والشوق الدفيق
ونسيت فى دنياى ما معنى الصبا .. وربيعه الزاهى الانيق
قولى له .. ليلاتها تمضى .. بلا وهج يضىء .. بلا بريق
لا بسمة عادت تذيب مساءها .. لاشدو .. لاهمس رقيق
قولى له .. والنحل .. حتى النحل ولى .. بعد أن جف الرحيق
قولى له .. هذى حياتى بعده .. روض بلا غصن وريق
قولى له .. والريح تعبر موطنى .. فتثير فى الروض الحريق
قولى له .. مازال قلبى فى انتظار وربيعه عند الطريق

عزيزة كاتو

أرض ثائرة ..

للشاعر : محمد اسماعيل هانى

ثراك أشــلاء ضحايا ودم
ويقظــة جبــارة لم تنم
وصيحة للمجد مشـبوبة
أسمعت الدنيا وفيها صمم
صدرك سـفر نهلت أمتى
من دفتيـه ذكريات القمم
لتقرأ الأمس وتزهــو به
وترتقى فيه ظلال الشـمم
وتنثنى تكتب فى يومهـا
أروع تاريــخ وعته الامم

* *

كم عصفت فيك رياح الأسى
وحلقت فيك طيــور الألم
وصوح الزهــر فلم يأتلق
فى الشاطىء الغالى ولم يبتسم
واطبق الفجر شفـاه السنا
على حنـايا ارقت بالظلم
وعشت فى الأغلال يا أمتى
لم ينتفض قلب ولم يشد فم
عمرا ولكنك لم تسـكتى
والشـعب جبار الخطا لم ينم
حتى كسرت القيد فى عزة
هل يظلم الشـعب ولا ينتقم
وساء أعداءك ما نلتـــه
فعــاودتهم نزغات الندم
فانحدروا ذات مســاء الى
ارضك ، والافق لهيب ودم

* * *

فى بورسعيد أطلقوا حقدهم
وما دروا أن رؤاهم عدم
وأن فيها ماردا حطمت
قبضته السمراء مجد الصنم
وان فيها الشعب لم تثنه الا هوا
ل والأرزاء عمــا اعتزم
فى كفه حق وفى قلبـه
عزم ، وفى تاريخه الف هم
لازال يسـترجع أيامهم
مشـيعا بالحقـد آيامهم
كان سجينا فى ظلام الردى
لم يستشر يوما ولـم يحترم
تدبر الاشـيـاء من دونه
فلم يكن يملك لا او نعم
فقام والاصرار فى قلبـه
وحطم العدوان فيمـا حطم
أين هم الآن ؟ يروا شعبنا
يبنى على الوحـدة اعلى هرم
اين هم الآن ؟ يرونا هنــا
نزرع للاجيال اغلى قيــم
انا صـحونا ، وسنمضى الى
آفاقنــا ، لاننحنى للألم
فالمجد لايوهــب يا أمتى
وانما المجــد دموع ودم



من آداب الأمم الإسلامية

الأدب التركي

بقلم : أكمل الدين محمد إحسان

الآداب العربية والفارسية والتركية هي ثلاثة درر تتلألأ في تاج الحضارة الاسلاميةوهي العمد الاساسية التي يقوم عليها صرح الثقافة الاسلامية . ولقد مرت هذه الآداب الثلاثة غالبـــا في نفس مراحل التطور وتاثرت ببعضها البعض . والادب التركي تأثر تأثرا كبيرا بالادب العربي والفارسي فاخذ من الادب العربي العروض والانمـــاط الادبية من مقـــالات ومقامات ومنشئات ورسائل . ونهج الادباء الاتراك على منوال الفرس في أشعارهم وقد ملكت عليهم نفوسهم ، رقة الشعر الفارسي وعذوبته وسمو خياله فأخذوا ينشئون على غراره ، ولم يقفوا عند حد التقليد بل تميزوا عن أساتذتهم الفرس وكان منهم من ارتفع شـــأنه وذاع شعره أكثر من بعض شعراء الفرس وابتكروا من الآثار ماكتب له الخلود في تاريخ الادب. ولقـد مر الأدب التركي بثــلاث مراحل تبــاينت بتبــاين الحضارات الســائدة على المجتمع التركي فهناك أدب جاهلية الترك ، والادب التركي الاسلامي، وأخيرا الأدب التركي تحت تأثير الحضارة الغربية ولكي يستطيع القارىء أن يكون فكرة كاملة عن هذا الادب يجمل بنا ان تتناول كل مرحلة على حدة .

أولا : الادب التركي قبل الاســلام (جاهلية الترك) .

الترك هم قوم من الأقوام الطورانية وطنهم آسيا الوسطى ، وهم ينقسمون الى أقســام عدة أهمها : (١) كوك تورك (٢) الاريغور .

وكوك تورك عاشـــوا مستقلين مدة ، ثم دخلوا تحت حكم الصين ولهم لغة عثر العلماء على بعـض نصوصها في منغوليا وأهمها المعروفة باسم كتابات « أورخون » .

أما الأريغـور : فسكنوا شرقي التركستان وهم يختلفون عن كوك تورك في اللهجة والكتابة وفي أنهم أهل حضر وهم أعرق الشعوب التركية حضارة .

وينقسم الادب التركي الجاهلي ككل آداب الامم الاخرى الى (١) أدب شفوي و (٢) أدب مدون .

١ ـ **الأدب الشفوي** : وهو الأدب غير المدون الذي تناقلته الاجيال . وكان الشعراء في تلك الحقب من أهم الشخصيات في المجتمع فهم بالاضافة الى كونهم شعراء فهم رجال دين وسحرة ومغنون واطباء . وكان يطلق عليهم أسماء عديدة أشهرها « أوزان » وكانت آلتهم الموسيقية التي ينشدون عليها أشعارهم تسمى « قوبوز » (الربابة) وكانت الاعمال الفنية في هذه الفترة هي الملاحم والاغاني والمراثي .

٢ ـ **الادب المدون** : وكانوا يستعملون فيه ألف بائية كوك تورك وأقدم نصـــوص محررة يرجع تاريخها الى القرن السادس الميلادي وهي محـررة بالف بائية كوك تورك . واما الألف بائية الاريغورية فقد بدأت من القرن الثامن الميلادي ، وأكثر الكتابات المكتوبة بهذه الالف بائية كانت هي الرسائل التي تستخدم في نشر البوذية .

ثانيا : الادب التركي الاسلامي :

دخل الأتراك في القرن السابع الميلادي (الثاني

الهجرى) فى دين الله أفواجا عن رضا وطواعية وهم أهل سنة . وبذلك دخلت اللغة التركية وآدابها فى دائرة الحضارة الاسلامية . واستعملوا الالف بائية العربية فى الكتابة وطوعوا اللغة لها .

وينقسم الادب التركى الاسلامى الى قسمين يعرف أولهما بـ « أدب الديوان » والثانى بـ « **الادب الشعبى** » . ويسمى القسم الأول بأدب الديوان لأن أشعار قائليه كانت تجمع فى الدواوين . وشعراء الديوان هم من خاصة المثقفين والمتعلمين فى المعاهد التى كانت تدرس العلوم العربية والاسلامية . وقد اتخذوا الأدبين العربى والفارسى مثالا يحتذى ، وهكذا اعترى الشعر التركى كثيرا من التحولات كان نتيجتها ان دخل الكثير من الكلمات والتعبيرات العربية بصفتها لغة علم وحضارة فى الدرجة الاولى ، وكذلك بعض الكلمات الفارسية باعتبارها لغة أدب وفن فى الدرجة الأولى.

واستعملت الاشكال الشعرية الاسلامية كالمثنوى والرباعى والغزل والقصيدة ، التى لم تكن معروفة لدى الأتراك قبل ذلك . وطرقوا نفس الموضوعات التى طرقها أسلافهم من العرب والفرس كالمناجاة والنعت والمدح والهجاء والرثاء والوصف وما الى ذلك .

أما الاتجاه الفكرى الذى سيطر على شعراء الديوان فهو التصوف ووحدة الوجود وما يستتبعهما من رموز صوفية علوية كالعشق والثمل والفناء فى الجمال المطلق (الذات الالهية) .

أما الأدب الشعبى : فقد ظل هذا الادب الشفوى من قبل دخول الترك فى الاسلام الى عصرنا هذا يعيش على ألسنة شعراء الربابة وهم ينشدون الحكايات والاساطير الشعبية ويمثلون التمثيليات الشعبية عن طريق لعبة خيال الظل التى تعرف فى التركية باسم قرة كوز . وبالطبع فان الأدب الشعبى لم يقف بمنأى عن تأثير الحضارة الاسلامية التى صبغته بصبغتها الاسلامية وان ظل باعتبار شكله الفنى تركيا صرفا .

اما بالنسبة للتصوف فان الادب الشعبى تجلى فى شكلين الاول يعرف باسم « أدب العشاق » وهو ما يغنيه الشعراء على ربابتهم مترنمين بحسن الطبيعة وجمال البطولة والثانى يعرف باسم « أدب التكايا » أو « الادب الصوفى الشعبى » وهو يشمل الأشعار والقصائد التى كتبها الدراويش والمتصوفة لنشر وشرح طرقهم المختلفة .

كما ان هناك المداحين الذين كانوا ينشدون فى المجالس الشعبية السيرة النبوية ويترنمون ببطولة سيدنا حمزة .

والآن نلقى نظرة عامة على الادب التركى الذى ازدهر فى العصر الاسلامى حتى بدء دخوله فى دائرة تأثير الثقافة الاوربية ، كما ذكرنا فى أول المقالة فانه فى الفترة بين القرنين السادس والسابع الميلاديين تفرعت اللغة التركية الى فرعى كوك تورك، الاريغور. وفى هذه الفترة تنشعب اللغة التركية الى لهجتين ؛ الاولى اللهجة الشرقية وهى امتداد للهجة الاريغور ، والثانية اللهجة الغربية التى تعرف باسم الاريغور وهى امتداد للهجة كوك تورك . وهذه الاخيرة انقسمت بدورها الى لهجتين ، لهجة الاناضول (العثمانية) واللهجة الآزرية .

وفى القرن الحادى عشر بدأت أولى النماذج الادبية فى الدولة القره خانية فى بلاد ما وراء النهر (التركستان) ويعتبر مثنوى « قوتداغوبيلك » ليوسف خاص حاجب اول مثنوى فى أدب الديوان. وكتب فى هذا القرن بالعربية كتاب ديوان لغات الترك للقاشغرى وهو من أهم مصادر اللغة التركية الأولى .

ومن القرن الثانى عشر يذكر كتابان هامان ، الأول « عتبة الحقائق » لأديب أحمد والثانى ديوان الحكمة لأحمد يسوى وهو من الادب الشعبى الصوفى.

وفى القرن الثالث عشر : تبدأ اللهجة الأوغوزية فى ان تكون لغة الادب فى الأناضول وان ما كتب بها حسب المعلومات الحالية هو اشعار خواجة دهانى . والأشعار الصوفية لسلطان ولد ابن مولانا جلال الدين الرومى صاحب المثنوى . وتتمثل القدرة الفائقة على التعبير بهذه اللهجة فى أشعار الشاعر الصوفى الشعبى يونس أمره الذى حصر شعره فى أغراض نشر مذهبه الصوفى . **وفى القرن الرابع عشر** تكثر النماذج الادبية المكتوبة باللغة العثمانية

مثل كتابات عاشق باشا . كذلك حكايات دمده قورقوت الشعبية **وفي القرن الخامس عشر** يبدأ سليمان جلبي في تطويع التركية للعروض ويعتبر **القرن السادس عشر** الميلادي العصر الذهبي للادب التركي وفيه يظهر اثنان من أكبر شعراء الترك فضولي البغدادي ، وباقي ، ولا شك ان ظهورهما كان نتيجة طبيعية لتكامل اللغة التركية وقدرتها الواسعة على التعبير الأدبي والفني الراقي . كذلك تظهر النماذج النثرية الجيدة في القرن السابع عشر خاصة في كتاب السياحة لأوليا جلبي . ويعيش الادب الشعبي اكثر فتراته ثراء في هذا العصر .

وفي **القرن الثامن عشر** يعترى الادب التركي الاضمحلال والخمول ولا شك أن هذا انعكاس للحياة الاجتماعية التي أخذت شكلا مستقرا ، كذلك انعكس الترف والبذخ اللذان كانت تنعم الدولة العثمانية بهما في هذا العصر ــ على قصائد الشاعر « نديم » فهو شاعر ماجن كل شعره خمريات وغزليات وكرد فعل لهذا المجون يظهر الشاعر الصوفي الكبير « الشيخ غالب » وله مثنوى مشهور اسمه « حسن وعشق » وهو من أوسع الشعراء الأقدمين خيالا وادقهم تصويرا .

واخذ الأدب التركي بعد ذلك في الجمود وكثرت فيه الصناعات البديعية واللفظية وتفنن الادباء في اظهار مقدرتهم اللغوية فكانوا يوردون المعنى الواحد في حوالى سبعة أو ثمانية أساليب متباينة . وتضببت قريحة الشعراء فكان كل همهم أن يمدحوا العظام وأن يؤرخوا لوفاتهم بأبيات شعرية متكلفة ، ووصل بهم الأمر الى أن أرخ أحد الشعراء لوفاة قطته .

وهكذا أخذ الادب التركي في الانحطاط بعد أن أعطى شعراؤه العظام نماذج أدبية خالدة .

« اكمل الدين محمد احسان »

موعد مع الفجر ..

للشاعر : عبد القادر حميده



قد قلت للفجر الذى طوقته بسواعدى
وغرست أيامى به .. ورسمت فى يده غدى:
يا أيها الأمل الذى عانقته فى الموعد
انى صنعتك من كفاحى المر ينبض فى يدى
ارسلته نارا على كيد العدو المعتدى
من لهفة الأحرار للاصباح للفجر الندى
الثائرين على الظلام .. على الظلام الأسود
من زفرة الباكين فى ليل السهاد المربد
الحالمين بصحوة الصبح الجميل .. الأملد
من عثرة السارين فى فلك الطريق المجهد
اللاجئين وفى خطاهم وثبة المتوعد
من آهة الأجداد فى يوم التناة المزبد
الناقمين على السياط .. على نعال السيد
من لوعة السجناء خلف دجى السواد السرمدى
المفعمين الى الفضا شوقا يجيش به الصدى
من قسوة التاج الذى أودى بدنيا بلدى
وأذلها كالمشتهى عند انتهاك الجسد
من ظلمة السبعين عاما عشش فى كبدى
من هؤلاء الحمر .. عاثوا بالضياء الموقد
من أغنيات الأم للأطفال عند المولد
من شدوها والطفل يرنو حالما كالشارد
من نهنهات الزوج لاتدرى مجىء العائد
لهفاته تدعو له فى همهمات العابد !
من حسرة الثكلى على قبر الشهيد الخالد
لهفانة تبكى بدمع الصامت .. المتمرد
من كل قلب نابض كم ساءه أن يعتدى
وفد الغزاة الأدعياء على أصالة محتدى

❋❋❋

يا أيها الفجر الذى طوقته بسواعدى
وغرست أيامى به .. ورسمت فى يدهغدى:
انى اعتنقتك مبدءا للعاشق المتعبد
انى اعتنقتك فكرة فى خافقى لم تخمد
للحب .. للسلم الذى يشدو بصوت المنشد
يا أيها النبع الذى قد جئته فى الموعد
انى هنا أرتاد فى لقياك صفو المورد

عبد القادر حميده

طاقة من شعر الطبيعة

للشاعر : العوضي الوكيل

يا شمس

ايه ياشمس نورك الرائق الصا ... فى هنـاء تغنى به النظـرات
لك منى تحيـة عذبة النام ... طهور ، كانهـا الصلوات
لفها الصـمت والتـامل ، لكـ ... ـن عيـونى اليـك مبتهلات
ما ابالى اذا طلعت أفاظ الصـ ... ـيف أم أحدقت بى العاصـفات

الزهرة

تبسمى كانك الطفل الغرير الحـالم
تبسمى اشـعة تحملها النسـائم
تبسـمى تهللا به يداوى السـاهم
تبسـمى عطرا سرت بنفحـه العوالم
تبسمى شعرا روت عن فنه الملاحم
يسـمعه فينثنى عن كاسه المنادم
ما بسـمات هذه وانما بلاسم
مست شـغاف القلب وهو فى الضلوع جاثم
يشفى بها جرحى الهوى فالكل منه سـالم

الطبيعة فى الصحراء

هنا الطبيعة سـكرى ... لكنهـا لا تعـربد
هنـا الطبيعـة معنى ... على المـدى يتجـدد
هنـا رايـت الهى ... فقلـت اياك أعبـد
هنـا الطبيعة شـعر ... يكاد بالصـمت ينشـد
هنـا الطبيعة تروى ... ظماى القلوب ، وترشـد
أرنو اليهـا فتصغى ... الى خـواطر شرد
الشـمس فيها حيـالى ... والبدر والنجم شـهد

الفجر ودورها في التجديد الفكري

سيد حسن النساج

تميزت الفترة التى أعقبت الثورة القومية فى ١٩١٩ بوجود يقظة أدبية كبرى ، كانت نتيجــة لليقظة السياسية التى أوجدتها الثورة فى نفوس الناس ومفاهيمهم ، فكما أن الثورة القومية كانت مصرية قومية في كل مظاهرها ، فانا نجد الادب هو الآخر أخذ يصطبغ بصبغة قومية وأصبحنا نقرأ عن وجود أدب مصرى ، قومى ، مستقل ، نابع من البيئة المصرية ليس غير ، وعلى هذا النحو سار الفن أيضا وتحمس الفنانون وطفقوا يدعون لفن مصرى بحت محتفظ بما للشخصية المصرية والبيئة المحلية من ملامح وقسمات !

ولم تقم مثل هذه الثورة الادبية على مجرد الحماس للشخصية المصرية ، والواقع الذى يعيش فيه المجتمع المصرى ، بل ان أعلامهــــا نادوا بضرورة الالمام بالثقافات الاوربية ، وبالآداب العالمية ، حتى لايعيش الادب والفــكر والفن فى بوتقــة حدودها البيئة المحلية .

وتبلورت المفاهيم الجديدة والافكار الثورية فيمـا صدر فى أوائل الربع الثانى من هذا القرن من صحف ومجلات .. كالسياسة الاسـبوعية ، والبــلاغ الاسبوعى ، والهلال ـ والجديد ـ والعصور ، والمسرح والمجلة الجديدة .. فانا لانكاد نتصفح احدى هــذه المجلات والصحف الا وتطالعنا دعـــوة التجديد والارتباط بالواقع المصرى ، وحتمية الاســتقلال الفكرى .

ولقد حمل لواء التجديد فى هذه الفترة جماعة من المثقفين أطلقوا على أنفسهم اسم (المدرســة الحديثة) سعى أعضاؤها بجد ونشاط الى نشر الادب الحديث ، واهتموا فى المرتبة الاولى بالقصة المصرية ، واعتنوا بالمسرح ، وبدأوا فى تغذيتــه بالروايات المؤلفة ، وحاولوا تطبيق مذاهب الادب والنقد فى الكتابة ، ودعوا الى تحرير الفكر المصرى من اسار التقليد ليبزغ الى الخلق والابتكار المنشودين فى كل عمل أدبى وفنى .

واتخذت هذه الجماعة من صحيفة (الفجر) لسان حال لها ، اذ تكاد تكون هى الصحيفة الوحيدة التى عكست آراء هذه الجماعة ، ممن أثروا فى فن القصة تأثيرا واضحا .

فقد دعت الادباء الى التجديد ، وعدم السير فى سبيل القدماء ، والتمسك بالشخصــية المصرية ، حتى أضحت قضية (الاستقلال الفــكرى) أول قضية تسيطر على منهج هذه الصحيفة وتخطيطهـا العام ، بمعنى أن يكون لمصر أدبها وفكرها وفنها ، وأن تتضح فى كل الاعمال السمات الخاصة بالبيئــة المصرية ، والملامح المستقلة ، النابعــة من الارض المصرية ، مادامت مصر قادرة على ان يكون لها أدبها وفنها وفكرها ، المبنى على الابتكار والخلق والتجـديد لا على التقليد والمحاكاة والسرقة والنقل عن الغير (حى على الابتكار ! حى على الخلق ! حى على التجديد والاصلاح !) (من مقال احمد خيرى سـعيد ـ فى افتتاحية العدد الثانى ـ ٢٠ يناير ١٩٢٥ ص ١) .

وأخذت الصحيفة تدعو الى أن خلود العمل الفنى وبقاءه يكمن فى بعده عن القديم ، وفى تجنبه محاكاة الاعمال التى لم تنبع من البيئة المصرية الواقعية ، وفى ارتباطه بالواقع المصرى شكلا وموضوعا ... (ان العمل الفنى ـ كي يكون جديرا بالحياة ـ يجب ان يتخلص أولا وقبل كل شىء من قيود الرجعيــة التى تعرقل كل تقدم فى هذه البلاد ، ويجب أن يكون خالصـــا من التأثير الاجنبى ، بعيـــدا عن التقليد ، صــادقا فى التعبير عن مشاعرنا جريئا فى اظهار نقائصنا) (الفجر ـ العدد ١٦ ـ أول مايو

١٩٢٥ - ص ٢ من مقال الدكتور حسين فوزى - بعنوان - كتاب جديد وادب جديد) .

وأصبحت سمة الاستقلال الفكرى هى الطابع المميز لكتابات الكتاب فى هذه الصحيفة ، اذ تجدهم يجهرون بها ويدعون الصحف والمجلات الاخرى للالتزام بقواعدها .

(نريد أن يكون لمصر أدب مصرى ، وفن مصرى، وتفكير مصرى .. ننكر التفكير بعقول الغير . وسواء عندنا الذين يفكرون بعقول الغربيين والذين يفكرون بعقول الجاهليين او العباسيين فكلهم مقلد وكلهم بوق لا يحس الحياة) .

(الفجر - العدد ٢٤ - ٢٦ يونيه ١٩٢٥ - من مقال صدى الفجر - لاحمد خيرى سعيد ص ١)

وتتردد هذه الدعوة على صفحات الجريدة كثيرا ، فكل المقالات التى نشرت بها تدعو الى الخلق والابتكار واحترام الخالقين المبتكرين .

واقامت الصحيفة دعوتها هذه على أساسين :

الاول : هدم القديم مهما كانت قيمته .

الثانى : الاتجاه نحو الآداب العالمية لانها تمثل التجديد والتطور .

واندفعت الصحيفة فى طريق تحقيق هذه الفكرة لدرجة جعلتها تنبذ القديم كلية لمجرد أنه قديم ، ولم تنظر اليه فى اضواء جديدة ، فتدرسه وتستنبط كنوزه ، بل انها وقفت منه موقفا معاديا ..

واتخذ اصحاب الصحيفة وكتابها لبناء الفكر الجديد وسيلة واحدة هى هدم القديم البالى :
(هدم الفاسد الرجعى وبناء الصالح الضرورى .. ونهدم حين نهدم بلا رحمة أو محاباة معتقدين أن الهدم ضرورى للبناء ونبنى حين نبنى للخلود. فاذا ماتمت عملية الهدم وانزاحت الانقاض فانشدوا نشيد البناء !!

(الفجر - العدد ٢ - ٢٠ يناير ١٩٢٥ - مقال خيرى سعيد - ص ١)

وثمة ظاهرة اخرى تتصل بالترجمة اتصالا وثيقا، ذلك ان الترجمة فى أوائل القرن كانت تتجه نحو الادب الفرنسى والانجليزى ، فى حين أن هذه الصحيفة ولت وجهها شطر الادب الروسى والقصص الروسية القصيرة ، فأخذت تترجم قصصا تعالج القضايا الاجتماعية التى يعانى منها ابناء الطبقة الكادحة من العمال والفلاحين ، تلك القصص التى تدرس حياتهم وتصف مشكلاتهم وتعرض لكفاح الطبقات الشعبية .. وكانما ادرك القائمون على أمر تحرير هذه الصحيفة من اعضاء المدرسة الحديثة انهم ماداموا بصدد خلق ادب لورى مبتكر ، وانهم ماداموا لا يجدون مثل هذا الادب فى تراثنا العربى التقليدى ، فلابد من ترجمة الادب الروسى بصفة عامة والقصص الروسية بصفة خاصة ودفعهم الى ذلك انهم كانوا يستشعرون ارتياحا للادب الروسى ، ويرون انه أدب واقعى صادق فى التعبير عن الحياة ، وأن الادباء الروس صورة جلية للذهن المتحرر والفكر اليقظ الواعى . والنفس التى تشعر بالحياة فى مستوى العصر ..

وبدأت الصحيفة منذ العدد (٣١) تتحول الى الادب الروسى والقصة الروسية ، واحتذت الصحف والمجلات حذوها فى هذه الناحية ، من ذلك ان صحيفة (وادى النيل) قدمت من روائع الادب الروسى (انا كرنينا) لتولستوى ، و (ليزا) لترجنيف ، و (الابله) - (أسير الاوهام) لدستويفسكى .

ويظهر اثر هذه الصحيفة واضحا فى ميدان القصة ، والقصة القصيرة على وجه خاص ، فقد اعتبرت القصة شغلها الشاغل ، فأولتها اهتماما كبيرا ، ونشرتها مترجمة وموضوعة ، ولقد بلغ اهتمامها بالقصة حدا جعلها تفرد لها ابوابا ثلاثة :

الباب الاول : للقصص المصرية القصيرة التى كان يكتبها احد اعضاء المدرسة الحديثة .

الباب الثانى : للقصص المصرية ، وكانت جلها قصصا روسية قام أحد كتاب الصحيفة بتعريبها من تشيكوف ودستويفسكى وتولستوى وتورجنيف

الباب الثالث : للقصص المسلسلة وكان يكتبها فى كثير من الاحيان الاستاذ محمود تيمور . ويدل على اهتمام هذه الصحيفة بالقصة القصيرة واقبالها على نشر هذا اللون من الادب ، انها نشرت فى عدد واحد (٦٣) ثلاث قصص مصرية لثلاثة من الرواد : قصة (جولة خاسرة) لمحمود طاهر لاشين ، وقصة (الشيخ سيد العبيط) لمحمود تيمور ، وقصة (فى ضوء القمر) لاحمد خيرى سعيد ، فضلا عن قصة مترجمة لدستويفسكى ثم بحث (تطور القصة ونشوؤها) للاستاذ محمود تيمور ..

ولا ننكر أن هذه الصحيفة كان لها دور كبير جدا فى جعل القصة القصيرة فنا يقبل عليه كبار الكتاب على وجه خاص ، كما انها مهدت الطريق لكثير من الصحف والمجلات حتى تنشر قصصا مصرية قصيرة لكتاب مصريين ، يضاف الى ذلك أنها أتاحت الفرصة

للناشئين من كتاب القصة ، فوجدوا فيها متنفسا لافكارهم ، وارضا طيبة يبذرون فيها بذور النتاجهم القصصى ، فمنذ الاعداد الاولى وهى مهتمه بنشر قصص الناشئين « وهانحن بدانا ننشر قصصا لافراد مجهولين . »

ونلمح اثر هذه الصحيفة بعد مايقرب من عام على صدورها ، وكيف أنها اثرت فى ذيوع فن القصه وانتشاره ، حيث نجد مجلة (الهلال) تقدم مغتبطة على نشر قصه قصيره لكاتب كبير هو الدكتور محمد حسين هيكل ، وحدث (المقتطف) حذو (الفجر) فطفقت تتعقب المجموعات القصصيه وتعرضها على صفحاتها ، وتقدم كتابها بمقدمات تعرف القراء بهم ..

ومهما يكن من شيء فان فضل الريادة فى جعل القصة عنصرا اساسيا يعود اولا وقبل كل شيء الى صحيفة الفجر . يقول احمد خيرى سعيد فى العدد ٥٢ ــ ١٧ يناير ١٩٢٦ ــ ص ١ :

(انظر الى المجلات جميعا كيف احتذت الفجر فى نشر القصص المصريه وانظر الى الصحف اليوميه والاسبوعيه والادبيه الفنيه تترسم خطانا فى اعتبار القصه عنصرا اساسيا) وعلى هذا النحو كان لصحيفة «الفجر» دور كبير فى الدعوة الى الاستقلال الفكرى ، ولخلق ودعم الشخصية المصريه ، والارتباط بالواقع المصرى

ولكن بقى علينا أن نجيب على بعض اسئلة كان لزاما علينا ان تكون الاجابة عنها فى اول المقال :

متى صدرت هذه الصحيفة ؟ ومن كان رئيس تحريرها وصاحبها ؟ وما الفرق بينها وبين مجلة **(الفجر)** ؟ فى الهدف والرسالة والتبويب ؟!!

فقد قرات فى العدد (١٠٨١) من مجلة الرسالة ، الصادر فى أول اكتوبر ١٩٦٤ ، مقالا بعنوان « أعلام منسيون ــ خيرى سعيد » للاستاذ أنور الجندى ، حاول فيه أن يلم الماما سريعا بنشاط خيرى سعيد وادبه ، وذكر فى مقاله أن خيرى سعيد اصدر **مجلة « الفجر » فى اغسطس ١٩٣٤** ، ولم يكتف بذلك بل انه حدد صدور العدد الاول باغسطس ١٩٣٤ ، مما يدل دلالة قاطعة على أن سيادته متأكد تمام التأكيد مما يقول ..

وواقع الامر ان هذا القول على اطلاقه غير صحيح بالمرة ، وان اصرار الاستاذ الجندى عليه يؤكد بما لايدع مجالا للشك انه لم يحاول حتى القاء نظرة عابرة على المجلة المزعومة ! التى لم تفكر المدرسة الحديثة فى ان تعتبرها (مجلة) ، بل سماها خيرى سعيد (صحيفة) وفرق بين المجلة والصحيفة فى تبويبها واصدارها وموضوعاتها ومواعيد صدورها، وتبدو المغالطة العلمية فى اصرار الاستاذ الجندى على ذلك ..

ولو ان سيادته فكر فى الرجوع الى فهرست دار الكتب الخاص بالدوريات والصحف والمجلات التى كانت موجودة فى ذلك الحين ، لوضحت له الحقيقة العلمية بجلاء ، ولوجد ان (الفجر ــ صحيفة الهدم والبناء) هى لأحمد خيرى سعيد ، وأن العدد الاول منها صدر فى يوم (الخميس ١٣ جمادى الثانية ١٣٤٣ هـ . الموافق ٨ يناير ١٩٢٥) ولوجد ايضا أنها تحمل الرقم (٩٨٩ دوريات) وان صاحب الجريدة ومحررها المسئول احمد خيرى سعيد . ولكن سيادته لم يكلف نفسه شيئا من هذا واكتفى بأن تسب (مجلة الفجر) الى احمد خيرى سعيد فى حين ان **مجلة الفجر التى** صدرت فى اغسطس ١٩٣٤ ، ليست الا لانسان آخر هو حسن ذو الفقار المحامى ، وتوقفت عن الصدور بعد عام واحد من انشائها .. وهى تحمل رقما مخالفا فى دوريات دار الكتب (١٦٨٦ ــ ١٦٨٧) وشعارها يختلف عن شعار فجر احمد خيرى سعيد . فقد كان شعار خيرى سعيد ــ الهدم والبناء ــ بينما يطالعنا شعار مجلة الفجر فى اولى صفحاتها هكذا :

(تحرص المجلة على أن تنشر من الادب اكمله ، ومن الفن أجمله ، ومن النقد البريء اعدله .. شعارها وغرضها أن تنهض بالثقافة المصرية الى حد الكمال ، وأن تسمو بالذوق المصرى الى حيث الكمال ...)

ويربط الاستاذ الجندى بين المجلة والمدرسة الحديثة ، ويرى انها أوجدت فى الادب العربى فن القصة ، واذا حاول سيادته تدعيم رأيه هذا على المجلة التى اختارها والتبس عليه الامر فيها ، ا، وجد لذلك برهانا ، فسوف يرى أن مجلته المزعومة لاتقيم للقصة اعتبارا ، حيث تجعلها فى المرتبة الثالثة ، وان كاتبا مشهورا من كتاب المدرسة الحديثة لم يكتب فيها قصة ، فلا نجد لمحمود طاهر لاشين او محمود تيمور او حسن محمود او يحيى حقى او حسين فوزى أو ابراهيم المصرى ، قصصا منشورة بها ..

بينما اذا رجع سيادته الى **صحيفة الفجر** لتبين له خطورة الدور الذى لعبته فى اضافة فن القصة الى ادبنا العربى كما أوضحنا فى هذا المقال .

ولقد اوقعه عدم التفريق والتثبت من صحة المعلومات ، فى لبس آخر ، جعله يخلط خلطا واضحا فى كل ما اورده من مزاعم ، من ذلك اننا نراه يذكر (ص ٤١) : (ان المدرسة الحديثة عندما اصدرت مجلتها الفجر استكتبت هؤلاء الكتاب ـ يقصد الدكتور طه حسين والمازنى وهيكل والعقاد ومحمود عزمى ـ وقدمتهم فنشرت دعاء الكروان لطه حسين وعديدا من المقالات للمازنى وغيره ..)

وعلى هذا فانه يقصد (مجلة الفجر) لحسين ذوالفقار المحامى ، لانها هى التى استكتبت فعلا الدكتور طه حسين ، فلبى الدعوة وكتب لها دعاء الكروان فى أعداد متوالية ، وكذلك المازنى كتب فيها بعض صور ومقالات قصيرة ، ولو ان السيد الباحث تصفح أعداد صحيفة (الاخبار) حينما كان خيرى سعيد يعمل محررا رئيسيا فيها ، لوجد انه كان يحمل حملة ضارية على الدكتور طه حسين، وتناول فى مقالات متتابعة كتابه (فى الشعر الجاهلى) بالنقد والتجريح ، واتخذ هذا ذريعة لعدة مقالات يبدو من عنوان كل منها مدى ماتحويه من مضمون نقدى جارح ، مثل : « ادعياء التجديد الذين لا ينادون بثقافة مصرية مستقلة وانما ينادى بها من يسمونهم قدماء .. » و «العلم برىء من الالحاد .» و «الدعوة الى الالحاد رجعية . » وما الى ذلك كله مما يجعلنا نستبعد اسم الدكتور طه حسين من بين أعضاء المدرسة الحديثة أو من بين الاشخاص الذين حاول افراد المدرسة الحديثة ضمهم الى لوائها ... فقط نلاحظ أن زعماء التجديد من كتاب صحيفة الفجر ، فى الفترة من يناير ١٩٢٥ ـ يناير ١٩٢٧ ، وهى فترة صدور صحيفة الفجر ، كانوا فى بدء اعلان مشروعهم الثقافى يقدرون الدكتور طه حسين لانه من انصار الدعوة الى ادب جديد وفكر متحرر من التقليد ، واعتبروا أن المدرسة الحديثة فى الفكر والفن والموسيقى والمعمار ليست الا جزءا من المدرسة الحديثة ، التى اتخذت من صحيفة الفجر لسان حال لها . واقع الامر أن صحيفة الفجر ، بما ضمته بين صفحاتها من آراء وأفكار ثورية كان لها دور هام فى تطور الفكر واتجاه الادب نحو بلورة الشخصية المصرية واظهار خصائصها وملامحها المميزة .. ومما يدل على هذا الدور من بعض الوجوه اننا اذا ما تصفحنا دوريات هذه الفترة ، لتبين لنا انها أضحت تجاهر بمثل افكار الفجر ، وتعلن ذلك فى أولى صفحاتها ، وتتخذ منها علامات مميزة دالة على مدى مسايرتها للتطور وتمشيها مع تلك الآراء. ونلاحظ مثلا ان مجلة (الجديد) على الرغم من انها كانت مجلة سياسية ، اقتصادية ، تصرح بضرورة العناية بثقافات الامم الراقية ، (كاليونان من حيث القدم ، وايطاليا من حيث عصور النهضة والاحياء ، وفرنسا من حيث الحديث) ..

(الجديد ـ العدد الاول ـ السنة الاولى ـ ١٥ نوفمبر ١٩٢٥ ص ٤) ومجلة اخرى كالعصور تنادى بالحرية الفكرية ، والبعد عن كل المؤثرات الذاتية التى تشل الفكر ، وتعقد اللسان عن ابداء الراى ، وطرح القديم الموروث : « حرر فكرك من كل التقاليد والاساطير الموروثة حتى لا تجد صعوبة ما فى رفض راى من الآراء ، أو مذهب من المذاهب ، اطمأنت اليه نفسك ، وسكن اليه عقلك ،اذا انكشف لك من الحقائق ماينافضه »

(العصور ـ العدد الثالث . المجلد الاول ـ نوفمبر ١٩٢٧ ص ١)

وليس ذلك فحسب ،بل انا نجد ان اثر هذه الصحيفة قد امتد الى نحو عشر سنوات بعد توقفها ، فقد صدرت مجلة اسبوعية ادبية اجتماعية باسم (الادب الحى) ، قامت هى الاخرى تدعو التجديد ، وتنبذ القديم ، بكل صوره ومعانيه وافكاره ، وتطالع فيها نفس الافكار والمفاهيم التى امتلأت بها (الفجر) .. تلك الصحيفة التى اسهم فيها جماعة من رواد ادبنا الحديث باقلامهم ، وبما كانوا يقتطعونه من مصروف اسرهم ، ليدفعوه اشتراكا شهريا حتى يستمر اصدار الصحيفة ، فقد كان اعضاء المدرسة الحديثة يدفع كل منهم جنيها تضحية ، ومع ذلك لم يكف الجنيه (لولا اريحية الاستاذ فكرى اباظه وابراهيم ممتاز لما استمرت فى الصدور بعد العدد الاول ، فقد جمعا لها (١١) اشتراكا من أعضاء الحزب الوطنى ..)

وظلت الصحيفة تعانى من هجوم الرجعيين ، ومن الخسارة المادية لقلة التوزيع ، حتى توقفت عن الصدور ، وهى تجنى مكاسب لاتقدر بمال ، حيث قدر لصاحبها وكاتبيها انيعدوا فى زمرة الرواد

سيد حامد النساج


أسبوع الكتاب العربي
الجمهورية العربية المتحدة
الثقافة والإرشاد القومي
١٩٦٤
• معرض الكتاب العربي يشترك فيه ٧٥ هيئة
• مؤتمر عام لمناقشة مشاكل الكتاب العربي
• معرض لتطور فن الطباعة
• معرض للفنون التشكيلية
• ندوات لكبار الكتاب
• عروض سينمائية
قاعة الفنون الجميلة
مبنى الغرفة التجارية - ميدان الفلكي بالقاهرة
من ٩ إلى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٤

مع الشابي في ذكراه

بقلم
مظلوم خضر

انها لمناسبة كريمة أن يتحدث الانسان عن « أبي قاسم الشابي » فى ذكرى مرور ثلاثين عاما على وفاته ، ففي مثل هذه الأيام منذ ثلاثين عاما « فى أكتوبر عام ١٩٣٤ » ودع شاعرنا الحياة ، وعانقت روحه السماء بعد «خمس وعشرين ربيعا» عاشها باحلامه وآماله وعبقريته وفنه ...

وانه لتقدير جميل لذكراه ان - يكرم - هذا الشاعر ، وان يسهم في ذلك الأدباء العرب فى ندوة تقام فى تونس فى شهر فبراير القادم .

« فابو القاسم الشابي » ترجمة صادقة لعبقرية ذكيه - آمن بالحياة وبرسالته فى الشعر ، .. لان الشعر عنده هو :

« من ذلك النوع الذى يوسع أفق الحياة فى نفسك ، ويجعلها تحس بتيارات الوجود أكثر مما كانت تحس ، وتدرك من معانيه وأصواته أكثر مما الفت ان تدرك ، وينسيك وجودك الانساني لحظة لتستغرق فى عالم الجمال المطلق الذى يخلقه الشاعر حواليك ويسبغ فنه على نفسك » كفاح الشابي لمحمد كرو : ص ٢٦ » .

ان الشابي فى مشاعرنا وقلوبنا .. هو ذلك اللحن العذب الجميل الذى طالما عزف على قيثارته « أغانى الحياة » .. فباركته الطبيعة فى الغاب و « تحت الغصون » وتغنى بجمالها : -

للمساء المطل للشفق الساجي
لسحر الأسى وسحر السكون
للعبير الذى يرفرف فى الأفق
ويغنى مثل المنى فى سكون
للأغاني التى يرددها الراعى
بمزماره الصغير الأمين
للربيع الذى يؤجج فى الدنيا
حياة الهوى وروح الحنين

لقد كان الشابي عميقا فى تصويره ، يتمتع بطاقة خلاقة مبدعة ، ينتزع الصور من جمال الطبيعة ، ويضفى عليها من خياله وشاعريته الوانا ناطقة « جميلة » وظلالا « معبرة » ، فيأسرك بخياله الخصيب ، وبشاعريته النابضة ، يتجلى هذا فى تصويره « للغاب » :

ان فى الغاب أزاهيرا ، وأعشابا عذاب
ينشد النحل حواليها ، أهازيجا طراب
لم تدنس عطرها أنفاس الذئاب
لا .. ولا طاف بها الثعلب فى بعض الصحاب
وشذا حلوا ، وسحرا ، وسلاما وظلال
ونسيما ساحر الخطوة موفور الدلال
وغصونا يرقص النور عليها والجمال
واخضرارا أبديا ليس تمحوه الليال

أما عن وطنية الشابي وعن دعوته للحرية فهو ذلك « الهاتف الداعي » الذى أيقظ « بهتافه » مشاعر قومه ، والهب « بحماسه » جذوة الحرية فى بلاده ، فكانت « صرخاته » فى سبيل الحرية مدوية لأنها صدى لما يعتمل فى نفسه ، ولأنها تعبير صادق متجاوب مع آمال شعبه ، صادرة من أعماق رائد يحمل مشعل الحرية ليضيء لقومه الطريق - طريق المجد والخلود ... يتجلى هذا من ارادته للحياة :

اذا الشعب يوما أراد الحياة
فلا بد أن يستجيب القدر
ولا بد لليل أن ينجلى
ولابد للقيد أن ينكسر
ومن لم يعانقه شوق الحياة
تبخر فى جوها واندثر
« أبارك فى الناس أهل الطموح
ومن يستلذ ركوب الخطر »
والعن من لا يماشى الزمان
ويقنع بالعيش عيش الحفر »

... تلك قمة « الشابي » في ارادته للحياة الحرة الكريمة ، التي أرادها لنفسه ولشعبه والتي آمن بها كشاب تعج بقلبه دماء الشباب الدافقة :

فعجت بقلبي دماء الشباب
وضجت بصدري رياح اخر

انه ذلك القلب الذكي النابض بالحياة ، يناجي شعبه في قدراته وطاقاته الخلاقة ، وامجاده وحيويته ... ليفك عنه اسار الهوان – في وثبة جريئة :

أين يا شعب ، قلبك الخافق الحساس ؟
أين الطموح ، والأحلام ؟
أين يا شعب ، روحك الشاعر الفنان ؟
أين الخيال والالهام ؟
أين يا شعب ، فيك الساحر ، الخلاق ؟
أين الرسوم والأنغام ؟
ان يم الحياة يدوى ... حواليك
فأين المغامر .. المقدام ؟

هذه صور عابرة « معبرة » وهي « قليل » من كثير من حياة شاعر فنان حفلت – على قصرها – بالمعاني العميقة ، والروائع الخالدة ، وان كانت حياة « الشابي » قصيرة في حساب الزمن الا انها مليئة بالعمل الدائم الدائب ، وبالرغبة الأكيدة في الخلق والابتكار ، وبالدعوة الى التجديد والتطوير في أساليب الحياة الأدبية والاجتماعية ، والتي نرى آثارها نلمسها في شعره وفنه وأدبه وتصويره ورومانتيكيته .

***

وفي مجال الحديث عن « **الشابي** » أرد على ما أورده – « الاستاذ عبد الكريم ابراهيم رجب » في العدد رقم « ٨٣ » من الرسالة – حول دراسة « أبي قاسم الشابي » ورأيه في ان الشابي لم يدرس في كلية الحقوق التونسية !!! . والرأى لا يلقى هكذا بغير سند :

● فالأستاذ « **أبو القاسم محمد كرو** » – وهو من أوائل المتحدثين عن « الشابي » والمؤرخين له – تحدث في كتابيه « الشابي ، وكفاح الشابي » عن التحاق الشابي بكلية الحقوق التونسية عام ١٩٢٧ وتخرجه منها عام ١٩٣٠ ويؤيده في ذلك الدكتور « **عمر فروخ** » في كتابه « شاعران معاصران » .

● والدكتور « **زكي المحاسني** » يذكر في كتابه « ابراهيم طوقان شاعر الوطن المغصوب » : ص « ٨٧ » ، أن الشابي تعلم في كلية الحقوق ..

● هذا فضلا عما ذكره الدكتور ، محمد مندور ، في كتابه « الشعر العربي بعد شوقي جـ ٣ : ص ٦٥ » في هذا المجال ، مما يؤكد التحاق الشابي بكلية الحقوق التونسية ، وتخرجه منها عام ١٩٣٠ » ..

● أما الذين كتبوا عن الشابي ولم يتعرضوا لدراسته في كلية الحقوق التونسية فان ذلك لاينفى دراسته فيها !!!

● على أن نظم التعليم في كلية الحقوق التونسية تؤيد أن « الشابي » درس فيها وتخرج منها عام ١٩٣٠ وهو ماذكرناه .

حقا ان « الشابي » كما وصفه الدكتور « محمد مندور » في كتابه – المذكور – هو « احدى العبقريات التي لايستطيع البشر لها تفسيرا لأنها هبة الله .

ان هذه العبقرية تحمل قلبا له عالمه الكبير وآفاقه الواسعة :

ياقلب ! كم فيك من دنيا محجبة
كأنها حين يبدو فجرها – « ارم »
ياقلب !! كم فيك من كون قد اتقدت
فيه الشموس وعاشت فوقه الأمم

وهو يؤمن دائما بالأخذ بأسباب الحياة لأنها جميلة في رؤاه :

ألا انهض وسر في سبيل الحياة
فمن نام لم تنتظره الحياة
ولا تخش مما وراء التلاع
فما ثم الا الضحى في صباه
والا ربيع الوجود الغرير
يطرز بالورد ضافي رداه
والا أريج الزهور الصباح
ورقص الأشعة بين المياه
والا حمام المروج الأنيق
يغرد منطلقا في غناه

***

... نعم فان « الشابي » سيحيا نغما حلوا خالدا تطرب لأهازيجه بلابل الغاب ، وتبسم لربيعه الأزاهير كل صباح جديد .

مظلوم خضر

أخبار أدبية

مع الكتاب العربي

● احتفل يوم الاثنين الماضي بافتتاح الأسبوع الثاني للكتاب العربي بقاعة الغرفة التجارية بميدان الفلكي . والقى كلمة الافتتاح الدكتور محمد عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء للثقافة والارشاد القومي ، فقال ان الثورة قد قضت على التأخر الثقافي وعملت على بناء الثقافة الاشتراكية لأن كل مكتسبات الثقافة اصبحت ملكيتها لجميع الشعب بعد ان كانت مقصورة على اقلية ضئيلة .

وقال الدكتور حاتم ان اشتراك دور النشر في الدول العربية في هذا الاسبوع دلالة قوية من دلالات الوحدة الفكرية التي تلتقي فيها جميع الاتجاهات الأدبية والفنية والعلمية لتتكون منها ثقافة عربية اصيلة جديرة بالأمة العربية .

واعلن نائب رئيس الوزراء للثقافة عن تخصيص جائزة باسم الثقافة والارشاد القومي لأحسن الكتب في موضوعات التنمية الاقتصادية ومشكلات التصنيع والزراعة والمجتمع الريفي ، واحسن كتاب في مكتبة الاطفال . كما أعلن عن جائزة للطباعة البارزة في ميدان الخدمة الثقافية للمكفوفين .

● احتفل نادي القصة وجمعية الأدباء في الاسبوع الماضي بتوزيع الجوائز على الفائزين في المسابقة السنوية التي ينظمها النادي في القصة القصيرة والقصة الطويلة ..

وقد فاز بالجوائز الاولى في القصة القصيرة فتيم محمد غنيم .

وفاز بالجائزة الاولى في القصة الطويلة السيد محمد حسن عبد الله .

● أعلن الاستاذ يوسف السباعي في كلمته بالاحتفال أن اتحاد الادباء قرر انشاء مكتب للتوجيه والدراسات النقدية .. يتقدم له الادباء الناشئون بانتاجهم مع رسم رمزي لفحص هذا الانتاج وكتابة دراسة مفصلة عنه ويتولى ذلك كبار النقاد في الجمهورية العربية المتحدة .

● تقرر منح مكافآت مالية للمحاضرين والمشتركين في مناقشات نادي القصة وجمعية الادباء .

● أصدرت مؤسسة التأليف كتاب دراسات في الادب العربي المعاصر للاستاذ يوسف الشاروني .. وهو يشتمل على جملة موضوعات — في النقد والدراسات الادبية .

● اجتمعت لجنة تنسيق البرامج بجمعية الادباء المكونة من الاساتذة — عبد الحليم عبد الله — ويوسف الشاروني — ومصطفى السحرتي — وعباس خضر — وانور احمد — ووضعت برنامجا لندوات النادي التي تقام كل يوم اربعاء وقد بدأت امس بندوة شعرية .

● تفتتح الجمعية الادبية المصرية موسمها الثقافي بندوة شعرية يشترك فيها الشعراء : ملك عبد العزيز — عبده بدوي — أحمد لطفي — محمود أبو الوفا — حسن فتح الباب — صلاح عبد الصبور — أحمد عبد المعطي حجازي — محمد الجيار — محمد الفيتوري — وفاء وجدي .

كشكول

● في يناير القادم (سنة ١٩٦٥) تجتمع بتونس لجنة للتحكيم في مسابقة أدبية لمنح جائزة من **مؤسسة حرية الثقافة العالمية** (الامريكية) تسمى «جائزة كتاب العرب» .. ومن أعضاء هذه اللجنة **الدكتور ابراهيم بيومي مدكور** أمين سر مجمع اللغة العربية ومجلة «حوار» في مصر .. وهي المجلة المعروفة باتجاهاتها اللاعربية .. التي تتناقض مع أهداف مجمع اللغة العربية .. وتصدرها في بيروت مؤسسة حرية الثقافة العالمية .

والتناقض الاعم او الأدهى أن ترصد المؤسسة التي هي هي .. جائزة لكتاب العرب كي تحولهم الى «اللاعرب» !

اما الكتاب العرب الحقيقيون فلا يقبلون وعيا عن الكاتب العالمي «جان بول سارتر» الذي رفض جائزة نوبل .

● ومما يذكر بالمناسبة السابقة ان الدكتور ابراهيم بيومي مدكور دعته جامعة «برنستون» في امريكا الى القاء محاضرة في الصيف الماضي فلبى الدعوة ، وقضى هناك جانبا من الصيف .

● نشر ان لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب تطالب بالاشراف على مجلة «**الشعر**» .

ولا أظن أن ذلك الخبر صحيح .

ولو صح .. فان للجنة القصة بالمجلس كذلك أن تطالب بالاشراف على مجلة «القصة»

وعلى نفس القياس .. تشرف لجنة النثر بالمجلس ايضا على جميع المجلات .

● صدر أخيرا عن المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب كتاب «**الشعر الحديث في السودان — من سنة ١٨٤٠ الى سنة ١٩٥٣**» للاستاذ عبده بدوي ، في سلسلة نشر الرسائل الجامعية .

والكتاب نتيجة قيمة لجهد دراسي كبير ، كان من عوامله المساعدة معايشة المؤلف لموطن الدراسة فترة خصبة من الزمن ، وهو يقع في ثمانمائة صفحة .



كيف يكرر البترول



بقلم نبيله عطيه الابراشى

يكرر البترول ويصفى فى معامل خاصة ، تسمى عامل تكرير البترول . وقد تكون المعامل فى قطر آخر عبر البحار ، وينقل البترول الى تلك المعامل فى أنابيب من الصلب لأخذه وتكريره ، وقد ينقل فى سفن خاصة الى ميناء معينة لهذا الغرض . وقد تمتد انابيب البترول فى الأرض مئات من الأميال حتى تصل الى معمل التكرير .

وفى المعمل يمكن تنقية زيت البترول ، وفصل كل مادة فيه عن الأخرى ، وعزل كل مادة على حدة بواسطة صنابير (حنفيات) موضوعة فى جوانب الأنبوبة (الماسورة) ، ليخرج منها كل نوع وحده .

ومن مائة (جالون) من (البتروليوم) يمكننا ان نحصل على الزيوت الآتية تقريبا :

١ ــ ٣٠ جالونا من البنزين ، وهو مكرر جيدا ، ووقود مريح يستعمل فى السيارات والطائرات ، لانه يتحول بسهولة وسرعة الى قوة بخارية تتحرك وتدور بها عجلات السيارة أو الطائرة .

٢ ــ ١٠ جالونات من (الكيروسين) ، وهو زيت الاضاءة ، ويستعمل للانارة بالمصابيح فى البلاد التى ليس بها كهربا كالارياف ، وينتفع به فى مواقد طبخ الطعام . وهو لا يصلح للسيارات ، لانه لا يتحول الى بخار بسهولة . ومن (الكيروسين) يؤخذ (البرافين) النقى الذى يستعمل دواء لعلاج الامساك .

٣ ــ ١٥ جالونا من زيت الغاز ، ويستعمل فى ادارة آلات خاصة كالبواخر الكبيرة ، والمصانع الضخمة ، وقطارات السكك الحديدية فى بعض البلاد .

٤ ــ ٤٥ جالونا من الزيت السميك ، وهو خليط من انواع اخرى من الزيوت يفصل كل منها بالتسخين او التبريد ، ويستعمل بدلا من الفحم فى ادارة بعض الآلات البخارية ، كآلات الرى وآلات الحرث ، وينتفع بالسائل منها فى تزييت العجلات والدراجات ويستخرج من السميك (الثخين) الشمع الذى نستعمله فى الاضاءة ، ومادة سوداء كالزفت تستخدم فى تمهيد الطرق ، ومنع تسرب الماء الى المبانى .

والزيوت السائلة اكثر بساطة من الغليظة ، ويحتاج العالم الى كميات كبيرة من الزيت السائل وهو البنزين ، لحاجة السيارات والطائرات اليه . ولم يستطع العلماء الى الآن ان يحولوا الزيوت المركبة المعقدة الى زيوت سائلة كالبترول .

ما فوائد البترول ؟

مما تقدم نرى ان البترول هو الذهب الأسود، ويعد ثروة كبيرة للبلاد التى وهبها الله هذه الثروة التى تستخرج من باطن اراضيها .

فبغير البترول ومنتجاته لا يمكننا السفر فوق الارض بالسيارات ، ولا نستطيع ان نطير فى الجو بالطيارة من مدينة الى أخرى ، ومن قطر الى آخر ، ولا يمكننا ان نعبر البحر فى باخرة ضخمة كبيرة .

وجميع الآلات تحتاج الى تزييتها حتى نتمكن من ادارتها بسهولة وبالكيروسين نستطيع اضاءة المصابيح فى الارياف ، وطبخ الطعام بالمواقد .

ونحن فى معيشتنا وحياتنا نحتاج الى كل نوع من الزيوت المعدنية فى كل ناحية من نواحى الحياة .

متى عثر على البترول فى مصر الحديثة ؟

فى سنة ١٨٦٨ عثر على البترول فى مصر الحديثة بطريق المصادفة ، فقد كان بعض رجال المناجم يحفرون للبحث عن الكبريت فى منجم بالقرب من جمسة ، وهى راس قريب من مدخل خليج السويس ، فوجدوا سائلا اسود ، شديد الرائحة يتسرب ويخرج ببطء من حيطان المنجم ، فتأكدوا أن بهذا المنجم زيت البترول ، وحفروا بئرا لاستخراجه من جمسة . وقد شجع ظهوره وكشفه على بذل مجهودات اخرى لحفر بئر اخرى للبترول على شاطىء البحر الاحمر ، بعد ذلك بثمانى عشرة سنة . وكان هذا مقدمة لكشف حقول آبار للبترول على شاطىء خليج السويس .

وبعد تسع سنوات من كشف زيت البترول بمنجم جمسة كشف (الكولونيل دريك) فى بنسلفانيا بالولايات المتحدة بامريكا البئر الاولى من زيت البترول ، وكان على عمق تسع وستين قدما .

وقد ظهرت صناعة البترول فى مصر فى الوقت الذى ظهرت فيه فى البلاد الاخرى من العالم . وان فوائده الكثيرة ، والطرق المختلفة للانتفاع بمنتجاته ساعدت على انتشار تلك الصناعة ، وكثرة البحث عنه .

وان علماء طبقات الارض (الجيولوجيا) من الانجليز يعرفون كل جزء من الصحراء الشرقية او الغربية فى مصر ، ويعلمون حق العلم الامكنة التى بها الثروة المعدنية فى مصر ، والمواضع التى بها البترول ، ولكنهم يخفون نتائج بحوثهم عن علماء الجمهورية العربية المتحدة ، وعن الباقين من العرب ، ولا ينشرونها فى الكتب التى يؤلفونها ، لانهم يعدونها من الاسرار التى يحتفظون بها لانفسهم ، فقد كانوا يعتقدون ان الصلة بين المصريين والانجليز ستدوم كالزواج الكاثوليكى ، كما كان يقول احد اعوانهم وهو امين عثمان فى عهدهم المظلم .

وكانوا يريدون أن يستغلوا ما عندنا من ثروة مخبوءة تحت ارضنا وسمائنا ، وفى بحارنا وجبالنا لمصلحتهم الخاصة ، ومنفعتهم الذاتية . كانوا يودون أن ينتفعوا بما فى بلادنا من خيرات وثروات لا نهاية لها ، ويحرموا ابناء مصر ما يجدون فيها ، أو يعطوهم ويتفضلوا عليهم بقليل من الفتات .

وكانوا يجدون من الحكام والوزراء من يطيع اوامرهم ، ويحقق لهم رغباتهم ، وينفذ لهم شروطهم ، فى الشركات الاستغلالية التى ينشئونها فى بلادنا .

هم يعلمون اين مكان كل معدن فى ارضنا ، فقد مسحوا ارض الصحراء ودرسوها فى اثناء الحرب العالمية الاولى ، وعرفوا كل شىء عنها ، وكل ما فيها بمن كان عندهم من العلماء ، ولكنهم اخفوا عنا نتائج بحوثهم وفحصهم ، ووضعوها فى كتب سرية ، وجعلوها كالاسرار الحربية ، التى يجب أن تستر وتكتم ، وتحفظ فى امكنة خاصة لديهم ، للانتفاع بها فى الوقت المناسب لهم ، ولاستخراجها حينما تتاح لهم الفرصة .

ويجب على علماء (الجيولوجيا) من العرب أن يبحثوا بكل اخلاص عن الذهب الاسود فى البلاد العربية ، وعن الثروة المعدنية التى بها ، حتى يتضاعف دخلنا ، ويرتفع مستوى معيشتنا .

وان واجبنا الوطنى يحتم علينا ان نبحث عما عندنا من كنوز فى الصحراء والجبال ، والشواطىء والبحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر . وان ما تجدونه أيها العلماء ، من خير سيرد اليكم والى ابنائكم واحفادكم من بعدكم .

ان واجبنا الوطنى يوجب علينا ان نقرأ كل ما كتبه علماء طبقات الارض من الامريكيين والالمان من كتب عن البترول أو المعادن او صحراء مصر وجبالها ، كى نسترشد بها فى بحوثنا وتجاربنا .

واجبنا أن نضحى بأوقاتنا وراحتنا حتى نعرف الثروة الكامنة فى بلادنا منذ ايام اجدادنا القدماء حتى اليوم .

وعلى علماء طبقات الارض من العرب واجب كبير فى بذل كل مجهود فى البحوث الخاصة بالثروة المعدنية فى الوطن العربى وعمل كل وسيلة ممكنة لمعرفة مواضع الكنوز الكامنة فى الاراضى العربية ، والتنقيب فى كل المواطن التى يرون وجود الزيوت او المعادن فيها ، والانتفاع بما فيها من ثروة .

ان الوطنية العربية توجب علينا ان نستيقظ ، ونفتح عيوننا ، ونشعر بواجباتنا نحو بلادنا ، وقوميتنا ، ونقوم بواجبنا ، بدافع من انفسنا حتى ننهض بالوطن وبنيه . وعندنا فى الاقليم المصرى منطقتان للحصول على البترول : المنطقة الاولى على الساحل الغربى لخليج السويس ، وتعد راس غارب اكبر المراكز فى هذه المنطقة ، والمنطقة الثانية فى شبه جزيرة سيناء ، واحسن آبارها فى سدر ، وراس المطارمة ، وعسل .

نبيلة عطية الابراشى

رسالة الفن

الفن في المعركة

بقلم
عبد الفتاح البارودى

تعالوا نحاسب الفنانين .. ماذا فعلوه بعد معركة بور سعيد ؟! ان هذه المعركة ايقظتنا وواجهتنا باخطر مسئولية فى تاريخنا ، وفعلا اكتشفنا فيها انفسنا وامكانياتنا وطاقاتنا . فهل ارتفعت فنوننا الى مستوى هذه المسئولية ؟ وهل عبرت عن حياتنا الجديدة التى نقلتنا اليها المعركة ؟ وهل استطاع الفنانون توجيه امكانياتنا وطاقاتنا الفنية نحو خلق فن جديد يساهم فى بناء المجتمع الجديد ؟!.

ان الفنانين قدموا خلال المعركة وبعدها محاولات فنية تمتاز باحساس فنى جديد ، ولكن رواسب التخلف الفنى المترسبة من الماضى حالت دون التعبير - كما ينبغى - عن هذا الاحساس فى انتاج فنى يضع الفن فى وظيفته الحقيقية ، اى خدمة المجتمع والاهداف الانسانية بالادوات الفنية ، فالى متى تبقى رواسب التخلف ؟!

فى المسرح مثلا .. وانا استشهد بالمسرح اولا ، لانه اكثر الفنون تقدما ونشاطا وانتاجا . فلاجدال فى ان مسرح ما بعد المعركة لا تمكن مقارنته بالمسرح الماضى ، ويكفى ان مسرحنا الجديد وضع له تخطيط فنى قائم على منهج مدروس لنشر الوعى المسرحى وخلق الشغف المسرحى وتنمية الثقافة المسرحية .. ولا جدال فى أن الوعى والشغف والثقافة هى دعائم المسرح الملائم لمجتمعنا الجديد .. وفعلا ظهرت نتائج واضحة فى تضاعف جمهور المسرح بنسبة مذهلة، وفى انفساح المجال المسرحى لتجارب حيوية ، ومهما يكن الرأى فى مستوى بعض الروايات فان الوعى المسرحى بدأ ينمو وينتشر ويتعمق .. ولكن ، للآن لا يزال تفكيرنا المسرحى اقل من مستوى المرحلة التى يعيش فيها مجتمعنا .. فلا يزال المؤلفون فى حاجة الى تغيير مفهوماتهم ليتخلصوا من ارتباطهم بالتكنيك المسرحى القديم .. انهم لا يزالون يدورون حول موضوعات تقليدية ، ولا يزالون يقصرون انتاجهم على تناول مشكلات محدودة .. وصحيح أنهم يحاولون توجيه رؤيتهم الفنية الى الواقع ، ولكنهم يكادون يركزون اهتماماتهم فى تحليل أحداث مضت ، او احداث فرعية ، او يصورون شخصياتهم باسلوب روتينى .. فمثلا عندما يصورون مجتمع القرية لا يرون غير العمدة والمجذوب وشيخ البلد ، وعندما يستخدمون الرمز لا يعرفون غير الرمز المباشر أو السطحى ، وفى مجتمع المدينة لا يصورون غير المظهريات .. الخ .. لم يدرك معظمهم ان التغييرات التى حدثت فى حياتنا غيرت الافكار والاقتصاديات واساليب العمل والتعامل ، وخلقت مجتمعا جديدا يجب ان يكون هو نفسه موضوع المسرح بما فيه من مشكلات جديدة وعلاقات جديدة وايديولوجيات جديدة .. والنتيجة أن من يشاهد مسرحياتنا لا يرى فيها حياتنا ، ولا يشعر بأن مسرحنا يلقى الضوء الفنى على واقعنا او يضيء الطريق لمستقبلنا .

وفى السينما نجد ان هذه الظاهرة بشكل اوضح ان افلامنا لا تزال من طراز « حب ولعب وجواز .. الخ .. » ولا تزال متدهورة فى المستوى سواء فى الموضوعات او فى التكنيك .. ولهذا راينا ان التيلفزيون فى خلال الاحتفال بذكرى معركة بورسعيد لم يجد ما يعرضه من الافلام السينمائية غير فيلم « فيفا زباتى » ، وهو فيلم اجنبى طبعا ، بينما كانت دور السينما مشغولة بأفلام لا صلة لها بهذه المناسبة القومية لانها اولا مشغولة بشبابيك التذاكر .. وحتى اذا افترضنا انه كان فى استطاعتها عرض افلام قومية ، فاين هى هذه الافلام ؟؟؟ صحيح اننا انتجنا افلاما استلهمت موضوعاتها من المعركة ، ولكن معظمها ضعيف المستوى الفنى .. اننى لا اكاد اذكر منها شيئا له وزن فنى غير فيلم واحد ، وهو فيلم « الباب المفتوح » ، وسائر الافلام اما انها خطابية أو ساذجة .

ان هذا يؤكد ان السينمائيين لم يدركوا بعد حقيقة المرحلة التى نقلتنا اليها المعركة ، فمتى يدركون هذه الحقيقة ؟؟ ليس معنى ذلك اننا نريد ان ينتجوا افلاما تدور فقط حول احداث المعركة ،

وانما نريد ان يعيشوا بفنهم فى المرحلة الجديدة وان يرتفع انتاجهم الى مستواها ، ايا كان نوع هذا الانتاج او موضوعه .. ان الافلام التى ينتجونها ـ للآن ـ يمكن ان نتصور انها انتجت منذ ٢٠ او ٣٠ سنة .. بل اننى رأيت فى افتتاح الموسم الثقافى لمعهد السينما منذ ايام« فيلم العزيمة » ، وهو فيلم ظهر منذ اكثر من ٢٥ سنة ، واشهد انه اكثر نضوجا فى الموضوع وفى التكنيك من معظم الافلام التى نراها الآن ، والسبب هو ان مخرجه المرحوم كمال سليم كان اكثر وعيا من معظم السينمائيين المعاصرين الذين لا يزالون يقذفون على الناس افلاما هزيلة ليس لها اى صلة بمجتمعنا الجديد .. وصحيح ان القطاع السينمائى العام ـ وهو نتيجة من نتائج المرحلة الجديدة ـ وضع تخطيطات فنية لانقاذ السينما من التدهور ، ولكن العبرة بتنفيذ هذه التخطيطات .. ان الافلام التى انتجها للآن تدعونا الى نصيحته بالاحتراس من أن تتسلل اليه العقلية السينمائية المتخلفة .

***

فى الموسيقى لا نزال نجد نفس التخلف .. اننا فى خلال معركة بور سعيد وبعدها ، بدانا نسمع مؤلفات موسيقية اكثر نضوجا من المقطوعات الموسيقية التى كان يؤلفها الارتجاليون بلا اىدراية بقواعد الموسيقى ، وكان المفروض أن يزداد الوعى الموسيقى والانتاج الموسيقى المدروس، ولكنالملاحظ للآن ان الارتجاليين لا يزالون مسيطرين على الحقل الموسيقى .. ان بعض الدارسين بداوا يقدمون محاولات سيمفونية ، ولكنهم لا يزالون يبحثون عن مجال عزفها ونشرها ، بينما الموسيقى المرتجلة تغمر كل المجالات..لو ان الموسيقيين ادركوا حقيقة المرحلة التىنقلتنا اليها المعركة لما راينا هذا التناقض ولما استمر هذا التخلف .

وكذلك فى الاغانى .. ان معظم الاغانى التى تقدم للناس باعتبار انها اناشيدقومية هى منالوجهه الفنية ليست اناشيد ، بل انها لا تختلف عن الاغانى الراقصة او الاغانى الفردية السطحية..لقد ظهرت خلال المعركة مقطوعات غنائية قوية ، مثل مقطوعة « الله اكبر » ، وكان المفروض ان يواصل الموسيقيون هذه المحاولات ، الى ان نصل الىانتاج غنائى مدروس ، ولكن الارتجاليين المسيطرين على الحقل الغنائى أيضا استطاعوا الالحاح على الناس باغانيهم الفردية فاختفت المحاولات المتطورة .. وصحيح اننا الآن نسمع عن محاولات جديدة لنشر الاغانى الجماعية ، ولكن الارتجاليين ايضا بداوا يشككون فى هذه المحاولات ، ويعاونهم فى ذلك انصاف المثقفين الذين يقيمون حولهم ضجة جوفاء.

لو أن كل هؤلاء ادركوا حقيقة المرحلة التى نقلتنا اليها المعركة ، لأدركوا ان هذه الفنون كلها يجب ان تقوم على اسس علمية .

* *

كان يجب ان ننتهز فرصة الاحتفال بذكرى المعركة ، ونناقش هذه المشكلات الفنية بصراحة وفعلا سمعنا مناقشات فنية كثيرة ، ولكن هل افادتنا بشىء ! هل تعمقت فى بحث مشكلاتنا الفنية؟!

تعالوا نستعرض بعض هذه المناقشات .. ان البرنامج التليفزيونى (الفن والحياة) قدم ندوة عن « الفن والمعركة » اشترك فيها ثلاثة من الفنانين فماذا قالوا ؟

قال احدهم ـ وهو صلاح جاهين ـ اننا كنا اثناء المعركة نسمع الاغانى والاناشيد ولا نعرف اسماء الذين الفوها ولحنوها ، وضرب امثلة باغنية (والله زمان يا سلاحى) ، واغنية (الله اكبر) .. واظن اننا جميعا نعرف اسماء مؤلفى وملحنى هاتين الأغنيتين .. ثم ان القضية ليست قضية معرفة او عدم معرفة اسماء الفنانين الذين اشتركوا فى الاغانى التى ظهرت خلال المعركة ، وانما القضية هى قضية اثر المعركة على الفن .. كنت اتوقع ان اسمع من المناقشات شيئا يفيد الفنانين ، ويضىء لهم طريق خلق فن ما بعد المعركة ، ويواجههم بصراحة بمسئولياتهم عن خلق هذا الفن .

فى ندوة اخرى عن الموسيقى فى احد البرامج الاذاعية سمعت كلاما روتينيا لا يمكن ان يوصف باكثر من انه « تحصيل حاصل » .. مجرد أحكام تلقى امام الميكرفون بسذاجة، ولا تؤدى الا الىنتائج ساذجة طبعا ، فكيف تتغير مفهوماتنا الموسيقية اذن ؟ كيف ننتقل من موسيقى التخت والزخارف

والبشارف الى الموسيقى المؤلفة تاليفا علميا اذا كنا نتوهم ان فى الامكان وجود موسيقى بلا دراسة.. ايام زمان كان الموسيقيون معذورين لانهم لم يجدوا معاهد يتعلمون فيها ، وكان المسيطرون على الحقل الموسيقى لا يدركون ان للموسيقى قواعد فنية ، وتراكيب فنية ، ولهذا شاع الجهل واصبح كل من « يدندن » على العود موسيقيا ، ولم يجد الدارسون القلائل اى مجال لتقديم انتاجهم ، لدرجة أن (يوسف جريس) عندما كتب «القصيد السيمفونى مصر» منذ اكثر من ٣٠ سنة لم يجد الاوركسترا الذى يعزفه .

اننا الآن فى مجتمعنا الجديد اصبحت لدينا معاهد وتخرج منها عدد من الدارسين واستكمل بعض الموسيقيين دراساتهم فى المعاهد الخارجية ، ومع ذلك فان رواسب المفهومات الموسيقية المتخلفة لا تزال موجودة فى الحقل الموسيقى ، ولهذا لا تزال الموسيقى الارتجالية هى الشائعة بيننا ... كيف تكافح هذه الرواسب اذا لم تكشفها فى مناقشاتنا الفنية .

وفى المسرح ايضا ، ورغم يقظتنا المسرحية ، لاتزال مناقشاتنا المسرحية ارتجالية ، لان معظم الذين يتصدون للحديث عن المسرح اما من غير ذوى الدراية العميقة بالمسرح ، واما من هواة المجاملات او هواة التحدث عن انفسهم !!

فى احدى الندوات الفنية سمعت ثلاثة من المخرجين الدارسين يناقشون قضايا مسرحنا فاذا بهم يتركون مناقشة هذه القضايا ، ويتحدثون فقط عن اعمالهم بطريقة لولبية .. وفى ندوة أخرى سمعت ثلاثة من الاساتذة يناقشون كتابا مسرحيا فاذا بهم يتركون تحليل هذا الكتاب ويركزون كلامهم فى امتداح المؤلف ، مع أن كتابه لايستحق هذا الامتداح، بل بالعكس .. وانا لا اريد فى مناقشة المؤلفات المسرحية ان نواجهها بالمدح او القدح ، ولا أطمع فى أن يتخلص المتناقشون من جميع الاعتبارات الشخصية ، وانما اريد فقط وأطمع فقط ان تتخلص الندوات الفنية من الدردشة والمجاملات السافرة ، وان يحاول المتناقشون استخدام المقاييس العلمية ، وان يقدروا مسئوليتهم كأساتذة مفروض أن من واجبهم تقريب المفهومات الفنية الحقيقية للاذهان وتنوير الناس .

والامر كذلك فى ندوات السينما .. تتبعت معظم هذه الندوات ولكن لم اخرج منها باى نتيجة .. ومنذ ايام سمعت ندوة عن فيلم « ثمن الحرية »، وفوجئت بكلام كثير خارج الموضوع ، رغم ان الذين اشتركوا فى هذه الندوة من المشتغلين بعمليات انقاذ السينما من التدهور .. كيف ننقذها اذا كنا لا نعرف مشكلاتها ؟!

اننا نريد خلق فن مابعد المعركة ، وتوعية الفنانين والجمهور عن طريق ادراك حقيقة المرحلة التى نقلتنا اليها هذه المعركة التى اكتشفنا فيها انفسنا .. ولهذا يجب ــ فى الفن ــ ان ندرك احتياجاتنا الفنية

ان احتياجاتنا ليست « ترميم » الفن القديم ، وانما بناء الفن الجديد ، الفن المتقدم الذى يختلف اختلافا كليا عن الفن القديم المتخلف .. ان حياتنا تغيرت ويجب ان يتغير تفكيرنا الفنى نفسه .. ان الفن فى الماضى لم يكن مرتبطا بالشعب ولم تكن له وظيفة فنية ، بل كان مرتبطا ــ فى المسرح مثلا ــ بتسلية العناصر الرجعية التى كانت متحكمة فى المجتمع الماضى ، والموسيقى كانت مرتبطة بتطريب هذه العناصر .. وهكذا .. كل الفنون كانت بصفة عامة متخلفة ، نتيجة لذلك الارتباط ، أما الآن فاننا نريد فنونا متقدمة ، نتيجة لارتباطها بمجتمعنا الجديد المتقدم .. وهذا « التغيير » من التخلف الى التقدم يجب ان يدرك الفنانون مسئوليتهم عنه .. ان امكانياتنا التى اكتشفناها فى المعركة تستلزم حتمية توجيهها نحو خلق الفن الجديد بالوعى والفهم والدراسة .. ولهذا يجب اولا ان نكافح الرواسب المتخلفة فى الحقل الفنى من الماضى ، وثانيا ان نقيم الفن الجديد على اسس علمية .

عبد الفتاح البارودى

حول الأدب

أشياء

بقلم عبده بدوى

ماذا يدور في الحقل الأدبى

اذا كانت هناك أمة تقتل الآن فكريا مع توفر « ركن العلانية » فلا بد أن تكون هذه الامة هى الأمة العربية . صحيح أن القتلة من الذكاء بحيث يخفون المعالم التى تدل على هذا القتل .. ولكن يبقى دائما « الشيء » الذى يشير باصبعه الكبيرة المتشنجة الى هؤلاء الذين يدسون لها السم فى « الكلمة » فالكلمة « مقتل » .

وقد سبق أن أوضحت بالدليل فى العدد الثامن والخمسين من هذه المجلة وفى أعداد أخرى أن هناك خناجر تصوب الى القلب من هذه الأمة . وقد حدقنا طويلا فى الايدى . التى تطوح بهذه الخناجر . فاذا بها الأيدى التى تستند الى المنظمة العالمية لحرية الثقافة فى لبنان بل فى الجمهورية العربية المتحدة . بل قد رأينا أن هذه الخناجر حين كانت تطيش عن أهدافها كان يوجد دائما عدد من النقاد يحملها فى يده ثم يغرسها بيده فى القلب !

فقد قام شعراء الرفض بذبح كل ما هو قيم مضى. فى حياة الأمة العربية . وقد بدأوا بالوحدة بين مصر وسوريا فسموها « عصر الحذاء الذهبى » ثم أيقظوا القوميات الفينيقية والبربرية والفرعونية لتحد من مد القومية العربية، ثم سخروا من المصريين فقالوا: « حيث يبدأ الفراعنة يأكل الناس بعضهم بعضا وتنتهى الكلمة وحيث يبدأ الفراعنة أحمل كتبى وأمضى » وسخروا من الاشتراكية . ورمزوا الى العرب والقادة بالرمل . والغراب والفيل .

ولم يقف الأمر عند هذا وانما سخروا من الجماهير ومن القرآن . وقالوا ان الاسلام أصاب المنطقة الآسيوافريقية بالعقم ، وسجنوا الله ، وعلقوه على المقصلة ثم تركوا الشرطى واللوطى والقواد يبصقون فى وجهه . أما الجزيرة العربية (أرض الصلوات الخضراء) فقالوا انها قدمت للعالم فارا .. الخ .

ولقد كان هذا وغيره نوعا من « التظاهر »

بالسكاكين حول قلب الأمة العربية . ولقد أحب أحد النقاد أن يعطى هذا التظاهر شيئا من القانونية فكان ان كتب عنهم مقالا صريحا بعنوان دفاع عن شعراء الرفض ، ثم قدم حيثيات الدفاع فاذا بها فقرات طويلة من الميثاق، وفقرات من خطبة للرئيس جمال عبد الناصر .

وبالرغم من كل هذا فقد كانت محاولة القتل هذه واضحة للعيان بحيث يمكن لكل مخلص أن يرد بالكلمة هذه الخناجر التى توجه الى قلب الأمة العربية .

ولكن الموت الأخطر من هذا هو محاولة « تعكير الآبار » فمن فترات كبيرة ونحن نجد ناقدا كرمته الدولة وجعلته مسئولا عن الأدب فى جريدة يملكها الاتحاد الاشتراكى .. نجد هذا الكاتب لا يترك فرصة الا ويترك شيئا غريبا فى شراب هذه الأمة وطعامها .

ونحن لا يهمنا انه اقسم على الثلج فى لندن كما ذكر فى «بلوتولاند» الا يكتب بالعربية ولكن بالعامية كما لا يهمنا تركيزه على الفرعونية بصورة واضحة ، ولا تركيزه على القبطية بصورة جعلت غالى شكرى يعتقد انه يضع القومية القبطية فى مواجهة القومية العربية بمصطلحها الذى تحدد أخيرا فى المنطقة ، ولحساسية هذه القضية ، تنقل النص من العدد الخامس من مجلة أدب فى المقال الذى تعرض لمسرحية الراهب . فقد جاء فيه « ان الراهب يحمل لواء القضية القومية كما ينظر اليها الدكتور لويس عوض فى نفس الوقت الذى تصطرع فيه المنطقة العربية بشأن هذه القضية ، والراهب يحمل ضمير عصرنا المعذب بين سلطان القيم القديمة والتطلع الى قيم جديدة . والراهب أخيرا يحمل جانبا هاما من جوانب النظرة الشاملة التى يصوغها المؤلف فى هذه الدراما » .

ونحن لا يهمنا أن يقوم بالدعوة الى « دين قومى » من كافة الأديان كما فى قصيدته « المكالمات » ، لانه بعد أن يقرر هذا يعود فلا يعطى الدين القومى الذى يجب أن يسود الا وجها مسيحيا .

ونحن لا يهمنا أن يقول عن الرب انه أصيب بالفلج ، وانه عنكبوت ، وانه بصق فى وجه النبى أيوب وفى روحه ، وحين زاد أيوب فى شكر الله زاد الله فى « البصق » ، وحين لم يفهم أيوب السر «بال» على صديد الحلق من الغيظ .

ونحن لا يهمنا ان يواصل الكتابة لمجلة «حوار» التى دمغها أكثر من كاتب فى لبنان والجمهورية العربية المتحدة بانها تصدر عن مؤسسة تضع نفسها فى خدمة الاستعمار والصهيونية .

ونحن لا تهمنا دعوته الغريبة للترجيف والتعليل فى « شعر التفعيلة » ، لتتويه النغمة العربية ، وتركيزه على نشر ما يمكن أن يسمى بقصيدة النثر

ونحن لا يهمنا التمثال الذى اقامه فى الكتاب الذى يدرس فى معهد الجامعة العربية ، للجنرال يعقوب الذى خان واهدر دم الشعب المصرى فى زمن الحملة الفرنسية .

ونحن لا تهمنا كلماته فى ندوة بالبرنامج الثانى ان الشعر القديم تحول الى « لاتينى » ووراء هذه الكلمة ما وراءها من ضرب اللغة الفصحى والدعوة الى أن تأخذ اللهجات العربية طريقها الى أن تصبح لغات ، ثم ما لنا تذهب بعيدا وهو يدعو الى الغاء الاعراب فى اللغة العربية ، وليس لهذا من معنى الا ان يجمد كل شىء فى تراثنا ، وان تزيد الفرقة بين العرب ، وأن يصبح القرآن وما يتعلق به شيئا قد حكم عليه بالصمت وبالموت .

اقول ان هذا وغيره لا يهمنى ــ وتاريخ الرجل حافل ــ وانما يهم كل الذين يحملون القلم فى هذا البلد !

لقد لحصت فى العدد ٥٨ من مجلة الرسالة ماذار فى ندوة صغيرة حول تصييب النقاد من حركتنا الادبية ، وقد جاء فيها :

ولكنى فى حوالى شهر واحد قرات للدكتور لويس عوض تفسيرات غريبة يحكمها جميعا الدين ، فهو ينقد « الطريق » لنجيب محفوظ على أساس الاب والابن فى المسيحية ، وفى البرنامج الثانى ينظر الى «المستخبى» لشوقى عبد الحكيم فىضوء فكرة التثليث المسيحية ، وفى ندوة ناجى ذكر أن موسيقى مسرحية « يرما » ، كانت تعطى معنى دينيا كنسيا ، ثم بعد أن يبدى تولهه بالشاعر صلاح عبد الصبور لانه يدمن قراءة الانجيل ؛ يعمد الى حبسه فى مقالين طويلين

فى دائرة الخلاص المسيحية ٠٠ وقد اعتبر أعضاء الندوة هذه التفسيرات غريبة على هذا العصر ٠

ومع أنها أصبحت محل التعليقات فى المجالات الادبية ، الى حد أن الاستاذ نجيب محفوظ ذكر فى ندوته مرة ان القرآن نفسه أصبح يفسر تفسيرا مسيحيا، بل ان الاستاذ عباس خضر ذكر لى أنه قابل الاستاذ توفيق الحكيم فى الاسكندرية ، وقرأ له ماكتبته فى الرسالة عن هذا الموضوع فاذا به يومىء بالراس وبالكلام أنه موافق على ماكتبته ٠٠ مع كل هذا ومع أن بعض النقاد الشبان قد تلقفوا منه هذا الخيط الجديد فى النقد وراحوا يقيسون به ، الا أن أحدا لم يستطع أن يناقشه ، ماعدا تلك الكلمة التى قالها له الاستاذ محمد فريد أبو حديد فى افتتاحية العدد ٦٦ من مجلة الثقافة بعنوان « الخط المستقيم فى تفسير الادب » وكلمة فى افتتاحية العدد ٦٨ من مجلة الرسالة للاستاذ عباس خضر ، وكلمة للشاعر م بسيسو فى العدد العاشر من مجلة الآداب ٠ ٠ ويتحدث كثيرون بان للرجل سلطة ، وبانه يستطيع أن يسكت أى قلم يتعرض له مهما كان هذا القلم فى الوقت المناسب والمكان المناسب ٠

***

ولقد ذكر لى أخيرا صديق كريم أن الدكتور لويس قال له انى أضطهده، وقد ذكرت هذا الصديق الكريم بالكلمات الطيبة التى كتبتها عنه، وعرفت أنه يحاول بكل الطرق أن يسكت كل الاصوات التى تحاول أن تناقشه ، وأنا أعترف بأنى استجابة لهذا الصديق الكريم كنت ساحاول الصمت عنه ، ولكنى رأيت الدكتور لويس عوض يضطهد – فى الملحق الادبى للاهرام ١٦/١١/٦٤ – الشعر ، وأبا العلاء ، والتاريخ العربى ، والحقائق العلمية ٠

ولقد فكرت أولا فى الفائدة التى تعود على الجماهير من هذه السلسلة المتتابعة التى تتحدث عن رسالة الغفران ، بل ان الحلقة الاخيرة كتبت بعنوان على هامش الغفران ، ماذا يهم المواطن العربى الذى ينزف الآن عرقا أن أشغل عقله بهذه السلسلة المتتابعة ٠٠ أما أنا وكثيرون فنعرف أن الغرض منها هو رفع التاج عن رأس أبى العلاء والفكر العربى باعتبارهما مؤثرين فى الفكر الغربى ، ولكن الدكتور يحاول أن يقول ان ما قاله أبو العلاء فى رسالته معروف من قبل عند هؤلاء الذين قرر كثيرون أن رسالة الغفران كان لها تأثير أى تأثير ٠

ولقد خلع بهذه الطريقة من قبل التاج من على رأس ابن خلدون، بحيث سلمه لنا «كومة من العظام» بعد أن كان لحما ودما وفكرا ٠٠ ولقد وصل الحد بالدكتور الى عدم تحرى الحقيقة ، فالدكتور قد وضع فى صدر مقاله « كليشيها » مشكولا وفيه هذا البيت :

صليت جمرة الهجير نهارا
ثم باتت تغص بالصلبان

ثم لم ينس أن تشكل كلمة « تغص » بفتح التاء ، وضم الغين ، ولم ينس أن يذكر أن هذا البيت من سقط الزند فى وصف حلب ٠

والحقيقة التى يدركها أى مطلع على الادب العربى أن هذا البيت هو :

صليت جمرة الهجير نهارا
ثم باتت تغص بالصليان

فكلمة « تغص » بفتح التاء والغين ، وكلمة « الصليان » كما يقول الخوارزمى بكسر الصاد واللام المشددة ، والصليان : نبت ، والعرب تقول « الصليان خبزة الأبل » ، وقد سال الاحوص : أى شىء ترتعى ؟ فقيل له صليانا ، ومن امثلة العرب « حول الصليان الزمزمة » أى أن الشىء المرغوب فيه يكثر التزاحم عليه !

وقد جاء فى شرح البيت « يقال صلى بالنار وصلى النار أى اصطلى بها ، والصليان نبت من نبات البادية ، أى ظلت المطى تقاسى حر النهار سيرا ، وباتت الليل تسرى وترعى فى سراها هذا النبت وتغص به أى تشجى ، اذ لايهنؤها الرعى على مقاساة السرى فصارت تغص بما ترعاه من الرعى » ٠

وقد رجعت الى هذا فى كافة شروح سقط الزند فوجدته فى طبعة دار الكتب عام ١٩٤٥ للجنة احياء آثار أبى العلاء المعرى ، ووجدته فى طبعة بولاق ١٢٨٦ هـ ، ووجدته فى شرح التنوير على سقط

الزند المطبوع على نفقة مصطفى أفندي فهمي الكتبي واخيه ١٣٢٤ هـ . بل اني وجدته كذلك في تحقيق المعلم شاكر شقير اللبناني المطبوع على نفقة الخواجا لطف الله الزهار صاحب المكتبة الوطنية في بيروت ١٨٨٤ .

ثم ان القصيدة ليست في وصف حلب يادكتور ، وليس فيها مايوهم التحول من النبت الى الصليب ، فالقصـــيدة قيلت في مدح شريف علوي هو « أبو ابراهيم محمد بن أحمد » ، وقصتها أن هذا الشريف ارسل الى أبي العلاء قصيدة مطلعها :

غير مستحسن وصال الغواني
بعـد ستين حجـة وثمـان

فكان أن أجابه أبو العـلاء المعري بقصـــيدته المشهورة المقررة في أكثر المعاهد والمدارس ، والتي تبدأ بالابيات التي تقول :

عللاني فان بيض الأمـاني
فنيت والظـلام ليس بفان
.. ليلتي هذى عروس من الزنـ
ـج عليهـا قلائد من جمـان
هرب النوم عن جفوني فيهـا
هرب الأمن عن فـؤاد الجبـان
وكان الهـلال يهوى الثريا
فهما للوداع معتنقـان
يا أبا ابراهيم قصر عنك الـ
ـشعر لما وصفت بالقرآن

ثم نراه يتكلم عن الناقة التي تأكل « الصليان » فيقول :

صـليت جمرة الهجير نهارا
ثم باتت تغص بالصـليان
أرزمت ناقتاى شـوقا فظن الـ
ـركب أني سرى بي المرزمان !

والآن نسألك كيف تحـول النبت الى صليبان ؟ وكيف تقول انها في حلب والبيت في ناقة والقصيدة في شريف علوي ؟ ولماذا حرصت على شكل البيت لتوهم بالرمز أن رمز الهجير كان الاسلام ، وأن راحة المساء والمعركة كانت الامتلاء بالصلبان ؟ ثم لماذا لم تعرف ان بحر القصـيدة هـو الخفيف (فاعلات مستفعلن فاعلات) وان القول على ان النبت صلبان يجعل الوزن هكذا : فاعلاتن متفعلن فاعل ؟ والآن هل يشك انسان في أن أبا العلاء يستعصى عليك ؟ ثم أخيرا هل يشك انسان في انك لاترى في الناقة وما تأكل الا الصليب ؟ وهل تعرف يا دكتور انك حين تصدر أحكامك يكون في وعيك أنك تخـاطب ١٢٠ مليون نسمة في العالم العربي ، ٥٠٠ مليون نسمة في العالم الاسلامي ؟ وأن بقية العالم لاترضى هذا الظلم للحقيقة ؟

ودعني أقل لك ان البيت الذي أوردته :

اعبـاد المسـيح يخاف صحبي
ونحن عبيـد من خلق المسيحا

ثم قلت انه قيل في الحروب الصليبية ، لم يقل فيها صراحة وانما قيل ضمن قصيدة ردا على الشريف العلوي الذي تصر على تجاهله ، وأن هذا الشريف كان قد أرسل اليه أبياتا أولها :

بعـادك أسهر الجفن القريحا
ودارك لا تنى الا نزوحـا

ثم دعني أقل لك انك قللت من قيمة رجل كبير معروف في الاسلام ، وانك لم تفرق بين الرسـالة والقصيدة في قولك « ولا يذكر التاريخ ردا فوريا على بيـان فوكاس الا رسالة وضعها فقيه في طشقند اسمه « القفال » ، والقفال هذا مفخرة كبيرة من مفاخر الاســلام ، وحسبك أن تفتح « طبقـات الشافعية الكبرى جـ ١ ، ص ١٧٦ لتقرأ صحائف كبيرة عن هذا الذي « اسمه القفال » ! فالصفحات تبدأ بأنه الامام الجليل احد أئمة الدهر ذو البـاع الواسـع في العلوم واليد الباسطة والجلالة التامة والعظمـة الوافرة كان اماما في التفسـير والحديث والكـلام والاصول والفروع واللغة والشعر ، ذاكرا للعـلوم ، محققا لما يورده ، حسن التصرف فيما عنده ، فردا من أفراد الزمان .

والقصة تبدأ بأن الملك « نقفور » أرسل قصيدة من الشعر تقول :

من الملك الطهر المسيحي رسالة
الى قائم بالملك من آل هاشم

فكان أن رد الامام القفال بقصيدة تبدأ بقوله :

أتاني مقـــال لامرىء غير عالم
بطرق مجارى القول عند التخاصم

كما رد على الملك « نقفور » كذلك الامام أبو محمد على بن حزم وأنت تسميه خطأ يادكتور محمد بن حزم الاندلسى ، ولا تنس أن تضـــيف اليـــه كلمة الاندلسى ليبعـد شـيئا ما عن العرب ، وفى الوقت الذى تضغط فيه على هذين الامامين لان ردهما كان حاسما نراك تركز على أبو الفرج الزهرجى ، وهو رجل لاتوجد ترجمة واحـــدة له ، بل انه لا ذكر له الا فى رسالة الغفران .

ثم دعنى أقل لك انك لا تأتى بالاسماء صحيحة مما يدل على أنك لا تعتمد الا على أقوال المستشرقين الذين يأخذ أكثرهم من العروبة والاسلام مواقف غير علمية ، وأن الباحث المدقق الذى يتعرض لتـــاريخ الفترة التى تكتب عنها لابد أن يرجع الى وجهتى النظر فى المشكلة ، ولكنك « منحاز » الى من شوهوا تاريخ الفترة ، وأنا لا أكتمك أنك هولت من انتصـارات الباسيليوس فوكاس ، وأنك وسعت خطأ الرقعة التى جرى فيها حصانه ، بحيث كان يحس الانسان انك تأخذ منه الحقيقـــة ، وأنك تصك عينه وقلبه وتقول له تعلم من جديد ، وبخاصة حين ركزت على حسان بن مفرج الذى « لبس خلعة قيصرية وخفق على رأسه علم فيه صليب » .

ثم انك تقول عن بلدة « آمد » آمدة ، وبدلا من الدمستق الذى لابد أن تكون قرأت اسمه فى الكتب العربية وشعر المتنبى تقول جمشك ، ولا تضـع التاريخ الهجرى بجوار العربى فى أكثر الأحايين ،وهذا يشتت القارىء .. الخ هذه الاشياء التى كان يجب أن تذكرها وأنت تتحدث الى ١٢٠ مليون عربى ، ٥٠٠ مليون مسلم !

ثم ماهو التقارب الذى كان يبذله العالم الاسلامى المعاصر للفاطميين للتقارب بين العقيدة الفاطميـــة والعقيدة المسيحية الكاثوليكية ؟ ثم ماهى أدلتك على أن فاطمة على المستوى المصرى قد أخذت وضع شفيعة الشفعاء بما يقربها من وضع مريم العذراء فى المسيحية الكاثوليكية ؟ ولماذا يكون هـــذا التأثير آتيـا من المسيحية ؟ ثم كيف تستسيغ قول جيوم من أن من يعتنقون « شريعة أهل الفرس يسمون بلغتهم أهل السنة .. الخ .»

فما هى أولا شريعة أهل الفرس ؟ ثم أليس من المعروف أن الفرس هم الذين كانوا ملاذا للشيعة ؟

ونحن نراك تتعاطف مع الفاطميين حين تذكر ــ على حد قول جيوم ــ انهم ليسوا بعيدين جدا عن العقيدة المسيحية الحقيقية كالآخرين .

ثم تذكر أنهم أحدثوا « تسامحا ملحـــوظا » فى معـــاملة الاقليات المسيحية ، وكأن التسامح ليس ملحوظا بل بارزا فى كافة العصور الاسلامية .. ولكنك حين تذكر فى نهاية المقال ان حضارة الفاطميين « كانت تملك القـــوة الكافيـة لرد خطر بيزنطـة والصليبيين» نراك تقول انها كانت رغم قوتها معادية للثقافة والفكر والتراث العقلى الانسانى والتواصـل الحضـــارى بين الشعوب بغض النظـر عن علاقاتها الانسانية . والسؤال هنا أى « المدن » التى كانت مفككة فى هذه الفترة والتى يباركها الدكتور كان لها من الاثر الفكرى مثل ما كان للقاهرة !

ثم يقول الدكتور : « ان المعرى والمثقفين العرب فى زمانه من أمثال أبو الفرج الزهرجى !! وعامة من تعلقوا ببلاط الحمدانية ومن شاكلهم من مهادنى بيزنطة خرجوا من هذا المأزق باختيار الثقـــافة على حساب القوة والاستقلال السياسى فقدموا الجزئى على الكلى وقدموا العقل على الحياة » . فأية كمية من السموم فى هذا الكلام ؟ وأية ثقافة بيزنطية جعلت المســلمين يقدمون الجـزئى على الكلى والعقل على الحياة ؟

ما المقصود بهذا الكلام المثير والبعيد عن الحقيقة والذى يشغل به الناس الآن من منبر تملكه الدولة ، وما المقصود بعمليات الضرب المستمرة التى توجـه أسبوعيا لحاضر هذه الامة وماضيها ؟

أنا لا أعرف .. فليت أحدا يعرفنى بمـا يدور فى الحقل الادبى .

« **عبده بدوى** »

الكتب نقد وتعريف

يقدمه : محمد تحسين عبد الحي

الشعر الحديث في السودان

لقد تعرض الوطن العربى لمؤامرات بعيـدة المدى ومخططات استعمارية مدروسة بعناية ودقة لطعنه فى مقومات وحدته الطبيعية .

وقد وضع الاستعماريون فى اعتبارهم انه مهمـا تكن الظروف .. فان هذه الأجزاء العربية لا بد لها أن تتحد يوما لتشكل قوة مادية وروحية وحضارية كبرى لكى تصبح امتدادا لوحـدتها وعظمتها فى العصر الوسيط .. مع اختلاف الأسس والأساليب .

ووضـع الاسـتعماريون خططهم على أساس خلق وتدعيم النزعات الاقليمية الضيقة فى داخل الوطن الواحد مع ترك الطـريق ممهدا لاصطناع بطـولات وطنيـة زائفـة على حسـاب ضم أجزاء متداخلة فى التكوين الطبيعى لبعض الأقاليم العربية .

وفى فترة معينة من الزمن ـ وهى ليست بالبعيدة علينا ـ اصـبحنا نرى أن فى سـوريا من يطـالب بالقومية السورية مع ضم جزء من العراق ـ وجزيرة قبرص ـ وهلم جرا .. وأصحاب هـذه الدعوة هم « القوميـون السـوريون » الذين كانوا وما زالوا لا يعترفون بشيء اسمه العروبة أو الحضارة العربية. وفى الشـمال العـربى الافـريقى .. قامت نزعات البربر .. وغيرهم من الذين لا يؤمنون بانتمائهم الى الوطن العربى .. بقدر ما يحاولون ايهام أنفسـهم بأنهم ينتمون فقط الى قوميتهم الأسطورية .. وفى مصر قامت الجمعيـات الاقطاعيـة الدائرة فى فلك الاستعمار ـ والتى أطلقت على نفسها ـ أحـزابا ـ تحاول أن تؤكد لنفسها دورا فى الحركة الوطنية .. فطـورا نجد مصر الفتـاة وطـورا آخر ـ الاحـرار الدستوريين ثم السعديين ـ وكذلك الوفد.. الخ.. وكل هؤلاء يشتركون فى شيء واحد هو ضرورة ضم السودان تحت التاج المصرى المزيف .

اننا لفترة قريبة كانت تحكمنا دعوى هزلية ـ متآمرة ـ بضرورة ضم السودان الى مصر .. والضم ـ بما فيه من معنى القسر والتسلط والارهاب ـ يعنى قبل كل شيء اننا قد التقطنا بسذاجة ذلك الطعـم الرهيب الذى رماه لنا الاسـتعماريون لكى نحاول أن نوهم أنفسنا أننا نناضل من أجل شيء ما .. حتى ولو كان هذا الشيء هو ضم اخوة لنا فى العروبة .. لأساليب متعفنة فى الحكم ونظم اقطاعية متخلفة كانت تضغط بقوة وبعنف على أنفاس شعبنا اللاهث الذى لم يكن يعرف ماذا يفعل ولماذا يعيش .. وضد من يناضل ويكافح .. ؟

المهم .. اننا لو لمنا أطراف الصورة ونظرنا من خلالها الى انفسنا فى هذه الفترة نجد الكثير من المهازل التى خطط لها بعناية - فالقوميون السوريون يدحضون العروبة ويقاومونها - ويتطلعون الى ضم جزء من العراق - لماذا ؟ لكى تستمر سوريا فى نزاع مستمر مع العراق - ثم تحاول مصر أن تضم السودان - لكى تظل مصر فى نزاع مستمر مع السودان .. وهلم جرا ..

ولم يقتصر مخططو السياسة الاستعمارية على تنمية هذه النزعات وتقويتها وانما بدأوا يضربون بشدة على كل مقومات حضاراتنا العربية الواحدة فى مختلف الميادين وبكل الوسائل الممكنة وغير الممكنة.

واذا كان الأزهر .. قد استطاع عن طريق الحلال والحرام .. أن يحفظ للانسان العربى الفرد مقومات شخصيته الذاتية المتسمة بالعروبة والاسلام فى مصر فان الدعوة المهدية فى السودان قد استطاعت ان تقوم بنفس الدور على المستوى الداخلى لجماهير شعبنا العربى فى السودان .

ان موقف الحلال والحرام الذى قاده الأزهر ضد التمدد الحضارى الأوربى - والدعوة المهدية فى السودان بلجوئها الى الغيبيات والأساطير الدينية يعتبران الى حد كبير بمثابة رد فعل مباشر للحيلولة دون مسخ الشخصية العربية فى مصر والسودان وتحويلها منشخصية انسانية متميزة بتراثها وعظمة ماضيها المجيد .. الى مجرد تابع ذليل - لا يعرف لنفسه ماضيا ولا لحاضره اسلوبا فكريا يعيش من خلاله حياته ويطورها .. ويتطور معها .

ونحن هنا لا يداخلنا أدنى شك فى أن وضوح فكرنا القومى وتحرره من النزعات الاقليمية - وشمول نظرته القومية والانسانية - على مستوى وطننا من المحيط الى الخليج - قد أعطى لجماهير شعبنا المبررات الحقيقية لقضية وجودها الانسانى فى الحيز الذى تشغله من العالم المعاصر .

ان الفكر القومى المستنير لم يجد غضاضة فى العمل من أجل وحدة - وبصفة مبدئية - بين مصر وسوريا - عبر مساحات شاسعة من الارض - وعبر البحر .. لكى يثبت بطريقة غير مباشرة .. انه ليس مهما أن تكون الحدود فى الحدود كمصر والسودان مثلا .. ولكن المهم هو وحدة الفكر القومى أو ما اطلقنا عليه وحدة المصير المشترك ، ولاشك انه مهما يكن من أمر وحدة مصر وسوريا - فانها استطاعت على الأقل ان تنفى عن الاتجاه القومى العربى فى داخل الجمهورية العربية المتحدة - أى اتجاه من شانه ان يفسر بغير معناه الحقيقى - فى صلات الاخوة والتضامن بين شعبنا العربى فى السودان ومصر .. وذلك بالنظر الى تلك الرواسب المتعفنة التى تركتها الدعاية الاستعمارية فى نفوس قطاعات كبيرة من أبناء شعبنا العربى فى السودان.

ان ردود الفعل المباشرة التى تجتاح أى جزء من أجزاء وطننا العربى فى هذه الفترة .. ترجع فى اصولها الى الرغبة الملحة لجماهير شعبنا العربى فى اى مكان فى المشاركة الفعالة من أجل بناء الدولة العربية الواحدة . بعد أن عرفت هذه الجماهير أن مستقبلها المضمون ليس فى اطار اقاليمها المجزأة - بقدر ما هو موجود فى صلب تجربة امتها الواحدة - ودولتها العربية الموحدة ..

ومن خلال هذا الايمان المطلق بالأمة العربية وبالدولة العربية الواحدة .. يجب أن يصل الفكر والعمل القومى الى المستوى الذى يساعده على حماية كل الانتفاضات الشعبية لجماهير شعبنا للمحافظة عليها ضد أى انحراف يكون من شانه تحميل نضالنا القومى أعباء باهظة - لتقويمها فى المستقبل .

- والمثل واضح فى ثورة ١٤ تموز فى العراق -

***

وكتاب اليوم « الشعر الحديث فى السودان » . تاليف الزميل الباحث الشاعر **عبده بدوى** - يقدم لنا القطر الشقيق - السودان - منذ عام ١٨٤٠ - الى ١٩٥٣ .. واذا كنت قد أخذت على عبده بدوى فى كتابه الماضى (شخصيات افريقية) أنه لم يتعمق فى دراسته التحليلية للظروف السياسية والاجتماعية التى عالجها فى شخصيات افريقية .. فاننى لا أستطيع هنا الا الاعتراف بأن عبده بدوى الشاعر قد استطاع أن يقدم لنا دراسات تحليلية رائعة من الناحية السياسية والاجتماعية والفكرية لجميع التطورات التى مر بها شعبنا العربى فى السودان وعندما لجأ عبده بدوى الى الشعر - قدمه لنا كتعبير عما يختلج فى نفوس أبناء السودان الشقيق - عن حياتهم وواقعهم وتطلعاتهم وتكويناتهم العقلية والنفسية فى فترات بحثه المختلفة فى حدود المنهج العلمى .

وقد تتبع المؤلف تاريخيا قضية عروبة السودان في أصولها الضاربة عبر الزمن وأقدميتها قدم وجود السودان نفسه .. فقال في ص ٤٢ :

« لقد ظلت حركة الدفع العربي تتغلغل حتى وصلت الى السودان في عهد يرجع الى ما قبل المسيحية ـ بل يرجع الى الموسوية .

وقد روى أن عرب حمير الذين أخضعوا الحبشة لبلادهم نقلوا عبادة الشمس اليها ، وظلت هذه العبادة تنتشر بفضل القوى العربية والحبشية حتى وصلت الى « تلميس » وما زالت بها حتى زمن « جستنيان » فهذا يؤكد الصلة التي كانت بين حمير وبلاد النوبة في عصر ما قبل الاسلام .

وتذكر رواية عربية أن « أبو مالك » أحد ملوك حمير قد جهز حملة الى بلاد « البجة » للحصول على المعادن .

وقد عرفت بلاد البجة هذه هجرة « الحضارمة » قبل الاسلام . فقد وفدوا على هذه البلاد واستقروا عند « العتباي » ، وتلال « سنكات » ، وتحولوا في هذه البلاد من الوثنية الى المسيحية . ثم الى الاسلام، وقد كانوا ينتمون في الجاهلية البعيدة الى امارة « حضرموت » وهم ما أطلق عليهم بعد ذلك لفظة « الحدراب » » .

وقد احتفظت الأماكن الواقعة على الساحل الافريقي للبحر الاحمر والقريبة منه بأسماء عربية قديمة وجدت لها نظائر في بلاد العرب كنجران التي كانت الاسم القديم لمملكة «بلو» في شرق السودان.

وقد هاجر كثير من اليمنيين الى الحبشة ، وعملوا على نشر الثقافة العربية « في وقت يرجع على الأقل الى القرن العاشر قبل الميلاد » .

ولم يمنع البحر الاحمر من الاتصال بين الشاطىء الآسيوى العربي ، والشاطىء الافريقي لأن اجتيازه بالسفن الصغيرة يسير .

وهكذا نرى أن بلاد اليمن ، وما يليها من الجنوب والشمال كانت مصدرا خصبا لهجرات كثيرة استطاعت التأثير في الحبشة ، وأعالي النيل الازرق، وعطبرة ، واريتريا ، وسواحل السودان الشرقية .

ومن هنا نرى أن العرب تدفقوا من البحر الاحمر بالاضافة الى تدفقهم من الشمال والغرب ـ ثم استقروا في السودان ، واختلطوا مع أهله ، وتمكنوا بفضل قانون وراثة الأم من الوصول الى الحكم قبل تدفق الاسلام ـ واذا كانت لا توجد اشارة في المخطوطات السودانية تشير الى هذه الهجرات القديمة فما ذلك الا لأنهم ـ في الغالب ـ لم يجدوا شيئا يقفون عنده بأصولهم خيرا من الاصول الاسلامية .

وقد ظهرت في المجتمع السوداني عادات خاصة وقد أكثرها من بلاد العرب . ومن هذه العادات العربية .. ايقاد النار ليلا حتى يهتدي بها الضال، ومن ثم يقدم له المأوى والطعام والمؤونة وهذه عادات عربية قديمة قال فيها الشاعر :

أوقد فان الليل ليل قر
والريح يا غلام ريح صر

عل يرى نارك من يمر
ان جلبت ضيفا فانت حر

ويعتز السودانيون بحماية الجار ـ ويحرصون على هذه العادة كل الحرص بحيث يعاب من يفرط فيها ، وللعرب تاريخ طويل في التمسك بهذه العادة حتى لقد كانوا يجيرون قاتل الولد ويفقدونه بالابن ومن أقوالهم في هذا ص ٢٢٠ :

وما ضرنا أنا قليل وجارنا
عزيز وجار الأكثرين ذليل

هم يمنعون الجار حتى كأنه
كثيبة زور بين خافيتي نسر

هم يمنعون الجار حتى كأنما
لجارهم بين السماكين منزل

هذا بالاضافة الى بعض العادات العربية المتوارثة مثل الأخذ بالثأر ـ والكرم وغيرها من العادات العربية المنتشرة في السودان والاتجاه العربي في السودان اتجاه واضح وقوى .. فهو نتاج تجربة السودانيين الحية مع ماضيهم وواقعهم المعاصر ..

ويقول المؤلف ص ٥٣٥ ..

« فكل فرد من السودان الآن تستطيع ان نحكم به على البلاد ، وعلى سياستها ، وظروف حياتها ، فكما أنه يحب بعنف وحدة ، نراه يكره بعنف وحدة وبهذا اللون من الحياة تصطبغ سياسته .

وقد انتفع السودانيون من هذه الطاقة فعملوا لتحرير أنفسهم تماما بعد استعمار طال مداه . ذلك لأن الرأى العام هناك كان يمكن التأثير عليه ولكن اصالة جذور الحرية الضاربة في الأعماق السودانية كانت دائما تنتصب . وتدل الشعب على الطريق ، حتى ليمكن القول أنه شعب يسير بفطرته ، والفطرة لا تكذب وانك لتجد الحياة فيه بسيطة غير متكلفة . فالسوداني واضح كالضوء في بلاده ، صريح كالحياة من حوله ، حساس الى حد الاحساس بدبيب ما يدور حوله .

وانه ليشبه في (حلاله) واطرافه هؤلاء البدو الذين عرفناهم شعرا وأدبا ، واصبحنا نفخر بأنا نمتد اليهم ونتصل بهم .

ويشعر السودانيون دائما بكل ما يدور في وطنهم العربي الكبير ويتجاوبون معه ـ بروح ملؤها التضامن والاخوة ..

فيقول الشاعر مبارك المغربي ص ٦١٩ :

ان العروبة جسم لا انفصام له
لا يعرف الجسم اجناسا واوطانا

ان جئت «دجلة» أو شاهدت «ليبية»
أو زرت «نجدا» فقد حييت «لبنانا»

وان دعاك الهوى يوما الى « يمن »
فقد نزلت بها « مصرا وسودانا »

فالمح ـ فديتك ـ نورا ظل مرتقبا
دهرا .. وفجرا يدانى الأفق فتانا

وخبر القوم أنا ههنا نفر
لا نبتغى غير مجد العرب اعلانا

هيهات أن يفسد الباغون وحدتنا
لذا وقفنا تجاه الحق اخوانا..

ويقول الشاعر السوداني ـ جعفر حامد البشير :

نحن جميعا بنو العروبة
ان ننتسب فما ثم غير عم وخال

وتقول الشاعرة آمنة بنت وهب في مناصرة شعبنا العربي في الجزائر :

ايها الحر لقد احزننى هذا المصير
حيث يغريك على الموت الفرنسي الحقير

والشاعر السوداني مصطفى عوض الكريم يقول عن ماساة فلسطين ص ٦٢٢ :

« يا عمرو » قد عرفوا حدودك تحت ظل القسطل
احملهم يا عمرو بالصمصام اصعب محمل
طهر ربوع القدس من ادرانهم ، والمجدل
وازحف الى اللد الحبيب ، وغزة ، والكرمل
وارفع لواء العرب فيها ظاهرا للمجتلى

ويوالى شعبنا في السودان جميع التطورات الفكرية في جميع أنحاء الوطن العربي . والشاعر السوداني عبد الله عبد الرحمن يذكر الأدباء العرب في مصر ويشيد بهم في قصيدته التي يقول فيها : ص ٥٥٥ :

ولا أكذب الرحمن في العصر أنجم
حماة لها من غيرة تتوقد
وصبابة أدت أمانة قومها
وقامت على ضوء الرسالة ترشد
يطالعنا العقاد فيها بنافع
من القول لا يطغى ولا يتقيد
وتقرا للزيات فيها رسائلا
هى السحر او منها الى السحر مورد
وهيكل من أثوابه اى كاتب
خصيب الى خير الأساليب يعمد
ولله طه ابن الحسين فانه
على نثره السهل الخناصر تعقد

وهكذا فان للعروبة ـ فكرة ـ وعملا قوميا ومحتوى نضاليا رائدا في السودان جذورا ضاربة في أعماق شعبنا هناك .

ولا غرو فان للسودان العربي في نفوس أبناء شعبنا من المحيط الى الخليج أعظم آيات الحب والتضامن في نضاله من أجل تثبيت وجوده وكيانه العربي في الطريق الموصل الى الدولة العربية الواحدة .

تحسين عبد الحي

قراءات في المجلات العربية

يقدمه: محمد العواني



خصائص القصة القصيرة

قدمت مجلة «الكاتب» القاهرية مقالا عن «ناجيبين» أحد أدباء روسيا المشهورين كتبه الدكتور « يوسف ادريس »

يقول الدكتور «ادريس» انه كان يود أن يرى هذا الكاتب وقد أتيحت له الفرصة لان يراه هنا في القاهرة ثم أثناء زيارته لموسكو ·

وقد استطاع قبل التقائه به أن يقرأ له عددا من آرائه الشخصية في الفن والادب والحياة كما استطاع أن يقرأ له مجموعة من قصصه المترجمة الى العربية والانجليزية ·· ومن خلال هذه المطالعات اعتبره الدكتور «ادريس» أول كاتب للقصة القصيرة في الاتحاد السوفيتي ·

ويحدد « ناجيبين » معالم القصة القصيرة فيقول انها « شكل أدبي متكامل اذ لابد أن يكون كل عنصر فيها ـ كما لابد في اي عملية تكنيكية أو كائن حي ـ ضروريا بلا زيادة ولا نقصان ؛ وحينئذ فقط تحدث الوحدة بين الشكل والمضمون والغاية والوسيلة» ·

ويرد ناجيبين على من يظنون أن القصة القصيرة عمل صغير يسهل اتمامه بأنها من « خلال اطارها المحدود لا بد أن تحتوي على كل العالم غير المحدود الذي نحيا فيه ·· السماء غير المحدودة والمساحات الشاسعة من الارض ولا نهائية الانسان الداخلية وعصارة روح العصر والامة ».. انها تعكس رؤيا الكاتب للعالم اولا وأساسا عن كل شيء ، وفي هذه اللحظة « تصبح » عن شيء محدد » ومن خلال هذا الشيء الواحد لا بد أن يرى القارىء كل شيء » ·

ولم يستخلص « ناجيبين » آراءه هذه من كتب قرأها ولكنه اكتشفها بالمعاناة والمكابدة وبحثه الذاتي عن الحقيقة من خلال تجربته الشخصية في كتابة القصة القصيرة ·

ونشير هنا بمناسبة هذا الموضوع الى ما قاله « الاستاذ عباس خضر في مجلة الرسالة ١٠٨٥ الصادرة في ٢٩/١٠/١٩٦٤ · فمن رايه انه ليس من السهل ان نضع تعريفا لهذا الفن وان كان يمكن أن يطلق عليه هذا الوصف :

« حادث موحد يتخلله موقف محدد أو لحظة معونة ويسوده التسكع الشعوري » وبعد أن قدم لنا مجموعة من آراء الكتاب العرب وغيرهم استنتج أن « المدار في القصة القصيرة على وحدة الموقف ووحدة الغرض » وان « الوحدة والتركيز » هما من أهم خصائص هذا اللون الادبي » فالوحدة تكون في

الحادث والغرض والموقف ، والتركيز يكون في كل شيء ؛ وهو أهم ميزة للقصة القصيرة !.

بعد هذه الاشارة الموجزة عن خصائص القصة القصيرة ، في رأى الاستاذ عباس خضر نعود الى الدكتور «ادريس» تراه يتحدث عن حياة «ناجيبين» فيبين أنه اشترك في الحرب العالمية الثانية وأنه قد عانى من الوصاية الوحشية على الادب والادباء في عهد ستالين ثم يذكر أن « ناجيبين » تعلم من خلال تجاربه المرة « أن الهدف الاول والاخير لأى أدب أوفق لا بد أن يكون « الانسان » لا أن يكون معنى عاما يستطيع كل مغالط أن يفسره كما يشاء .

● الشعر في اللاذقية :

انعقد في ٣ أكتوبر سنة ١٩٦٤ المهرجان الخامس للشعر في «اللاذقية» وقد خصص جزء كبير من هذا المهرجان لاحياء ذكرى الشاعر الشريف الرضى .

وتحدثت مجلة المعرفة السورية عن هذا المهرجان وقالت ان كلمة الافتتاح كانت من الدكتور « أسعد محفل » الذى رحب بادباء وشعراء البلاد العربية وجاء في كلمته «أن الامة العربية قد توافر لها من عناصر الانسجام والوحدة ما لم يتوافر لأية أمة من الامم قديما وحديثا .. وان أهم هذه العناصر هو « هذا التراث الادبى الذى تتألف حصيلته من عطاء الشعراء والادباء والمؤرخين والعلماء » .

وتبعه الاستاذ احمد الجندى مقرر لجنة الشعر الذى تحدث عن فكرة المهرجان وقد عبر في كلمته عن رايه في الشعر قائلا بأن «كل شعر قديم هو شعرنا مادام يعبر تعبيرا صادقا عن خلجات النفس واهتزازات العاطفة ، وان كل شعر جديد هو لنا أيضا اذا كان يتحدث عن بدوات الروح وخلجات الشعور . ثم رأى انه لابد أن يجمع القديم والجديد قالب عربى لا تلمس فيه رطانه ولا تحس منه بلكنة أعجمية .

ومن القصائد التى القيت في المهرجان قصيدة للشاعر « عبد الكريم الكرمى » ممثل فلسطين قال فيها :

يا من ألم به الربيع وما شدا

لم يبق من أرج الهوى الا الشذا

قد كان لى وطن وكان ربيعه
يهدى الى العمر الازاهر والندى
واليوم من خلل الدموع يهيب بى
ويمد من خلف الحدود لى اليدا

ونترك مجلة المعرفة لنرى ما قالته مجلة العلوم خاصا بهذا المهرجان :

تبين أن كثيرا من الادباء لم يرض عن النتائج التى انتهى اليها وانه لم يحقق المهمة التى اقيم من أجلها . فقد سئل الاستاذ « زكى الارسوزى » عن رايه فاجاب قائلا « لست أدرى ما هى الجريمة التى ارتكبناها فى حق المجلس الأعلى حتى عاقبنا بسماع مثل هذا الشعر » ؛ كما أن الاستاذ «حامد حسن» عضو لجنة الشعر في المجلس الاعلى حين سئل عن سبب عدم اشتراكه بقصيدة أجاب باستغراب « هل تريدوننى أن أنزل الى هذا المستوى من الشعر » .

والاستاذ «رفيق الخورى» يرى أن أسباب الفشل للمهرجان ناتجة من أن الاعداد للمهرجان كان عفويا وشخصيا وغير مدروس . بل ان الدراسات التى أعدت عن الشريف الرضى واخذت الجزء الاكبر من المؤتمر لم تعد بعناية ولم تتنوع حتى تكشف لنا جوانب جديدة من شخصية هذا الشاعر وتصبح تقييما كليا له .

والمثل الشعبى الذى يقول « زيتنا فى دقيقنا» قد طبقه أعضاء لجنة الشعر في المجلس على أنفسهم فقد اشترك معظمهم في المهرجان ولم يدع اليه ـ بالنسبة لسوريا ـ لا شعراء القديم المبدعون ولا الشعراء الحديثون . وعلى صعيد العالم العربى لم يدع «شاعر له وزن أو معروف على الاقل » . وكان أعضاء لجنة الشعر خافوا أن تكون قصائد هؤلاء هى القصائد البارزة التى تفوز بجوائز المهرجان .

ويرد الاستاذ « الخورى » على من يقولون بأن «الشعر قد انتهى» مبينا أن هذا القول مبالغ فيه لان المهرجان لم يتح للقديم الجيد أن يقدم خمره المعتقة، ولا للحديث أن يقف شامخا يخترق الجو الكئيب ليحمل رمح المصير الانسانى المثقل بثمار مشكلاته المعاصرة كالجوع والقنبلة الذرية . وفى رأيه أن أبرز قصيدة قيلت في المهرجان لا يصح أن تنشر فى بريد القراء لأية جريدة صغيرة على أنه يغفل اسم صاحب القصيدة حتى لا يرمى بالتشهير .

السجن في الشعر الجزائري

الثورة الجزائرية مدرسة مدارس الاستشهاد في سبيل الحق ، ولهذا ندر أن يكون لها مثيل في التاريخ ، فقد صمم الشعب الجزائري على ان يسترد حياته بالمهج والارواح وبذل كل رخيص وغال في سبيل الحصول على حريته ، وقدم مليون شهيد لكي يخرج الاحتلال من أرضه ويعود للانسان الجزائري وجهه العربي الاصيل ، وما كانت هذه الثورة الا امتدادا لكفاح سياسي طويل ضد الاستعمار وغدره كما كانت وجها آخر من وجوه ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في القاهرة اذ ان غاية كل منهما هي أن يصحح العرب تاريخهم كأمة لها ماض ولها حاضر ولها مستقبل . كذلك كانت ثورة الجزائر هي الاخرى مرحلة ضخمة من مراحل تطور الانسان العربي واندفاعه الثوري في طريق الحرية للانسان في كل مكان .

والاديب الجزائري على طول مراحل هذا الكفاح كان يتفاعل مع أحداث عصره ، ولم يقف ازاء ويلات الاستعمار وبلائه موقف المتفرج والمهادن بل استطاع أن يشارك بنفسه في المعارك وأن يعبر عن الجو القاتم الذي كان يعيشه الشعب الجزائري خارج السجون .

وقد تحدثت مجلة «المعرفة» عن الحرية في الشعر الجزائري المعاصر ، ووضح «صالح خرفي» دور السجن والمنفى في الشعر الجزائري وأن هذا الشعر كان «تجسيما لتلك المثل العليا التي يحملها السجين بين جوانبه حتى صور السجن فضاء طلقا » .

وتستدل على ذلك بما قاله الشاعر الجزائري « رمضان حمود » المتوفى عام ١٩٢٩ اذ يقول في قصيدة له :

سمعت بأن السجن أضيق من قبر
فألفيت قصر السجن أحسن من قصر
فماذا يفيد القصر والقلب حائر
وماذا يضر السجن من كان ذا قدر
ومن لم يذق طعم الردى بنضاله
سيشكو الاذى والدمع من عينه يجري

كما يقول الشاعر « أبو اليقظان » في قصيدة له بمناسبة خروج الشيخ صالح بن يحيى والشيخ محمد الرباحي من السجن عام ١٩٣٩ :

فيه غدا في مصر يوسف جالسا
فوق السرير متوجا بجلال
فالسجن ان كانت مغبته العلا
نعم المهاد مهاد جل رجال
السجن مجمرة تفوح بفضلها
قيم الرجال رخيصها والغال
لولا السوار لما بدا شوق ولا
كانت لدينا لفتة لهلال

تلك هي نظرة الانسان الجزائري الى السجن فقد كانت هذه النظرة تتعلق بمثله العليا وأهدافه البعيدة تعلقا راسخا لا تعبث به تقلبات الايام ، حتى اننا نجد أن الشاعر «رمضان حمود» يفرد بابا خاصا عن السجن في كتابه «بذور الحياة» يدبجه بالحكم المنثورة التي صورت السجن تصويرا رائعا يشرئب اليه كل ذي ضمير حي حر :

« بين جدران السجن تنبت شجرة الحياة الاستقلالية » .

« ان الحرية لا توسم الا على السجون »

« ليس العار ان تغشى السجن ، ولكن الخزي الاكبر أن تتسامح في بيتك ووطنك وشرفك خوفا من السجن »

« ما سمعنا يوما بأن السجن والابعاد والاعدام قضت على أمة أبدا ، بل ما رأينا ذلك الا فاتحة عزها ومجدها وعظمتها » .

ونختتم هذا العرض بأن نقول ان الصلات الوثيقة التي تربط بين الجزائر والجمهورية العربية المتحدة ترجع الى عهد سابق في التقدم ، فقد كان يجمع شعبينا هدف واحد هو الكفاح من أجل اجلاء المستعمر وطرده من بلادنا . وما كانت قصيدة كل من الشاعرين « أبا اليقظان » السابقة ثم قصيدة الشاعر محمد السعيد الزاهري المنشورة بالمنار الا دليلا على قوة هذه الروابط ومتانتها .

محمد العواني



مع « التماثيل المكسورة »

بقلم حلمى محمد القاعود

لا ادرى ما الذى حملنى على قراءة هذا الكتاب اكثر من مرة .. ولابد لكتاب مثل هـذا ان تكون مادته وافية وكافية .. وهذا ما قدمه لنا الكاتب الأستاذ رجاء النقاش فى كتابه التماثيل المكسورة « تاملات فى الأدب والحياة » ..

وموضوعات الكتاب ـ المنشـور فى سلسلة اقرا ـ تمس حياة كثير من الأفراد فى شتى المجتمعات .. ويدور جميعه حول كلمة «الانسانية» التى ستظل مابقيت الحياة محورا هاما للبحث والتحليل .. ومحاولة الوصول الى حل مرض ولو الى حد ما .. فمشاكلها كلها كثيرة ومعقدة وتستغرق وقتا كبيرا فى توفير الحلول لها ..

ويصح أن نطلق على هذا الكتاب ـ عموما ـ انه تحليل عميق نفسانى على ضوء تجارب ومشكلات ملموسة ومحسوسة .. غير اننى لاحظت فيما يلاحظ القارىء أن الكتاب يعتمد فى تمثيله واستشهاده على الكتاب الغربيين باستثناء نبى الهنود ـ بوذا ـ ثم الزعيم الهندى غاندى وتلميذه الراحل نهرو . وهذا المنهاج الذى يعطى للكتاب صورة غربية غريبة عن عالم الشرق العربى الملىء بامثلة كثيرة ومتعددة فى مختلف الميادين والمجالات . وتاريخ العرب ـ سواء منه القديم والحديث ـ حافل بانواع كثيرة من الحالات التى أوردها المؤلف فى كتابه .. فعندنا من الأدباء من جعلوا حياتهم فداء للأدب بكل طاقاتهم المعنوية والمادية ويتساوون مع تولستوى العظيم .. بل ويفوقونه هو وزميله تشيكوف .. ان أبا العلاء المعرى .. وهو واحد من كثير .. اخرج لنا خلاصة تجربة صادقة وعميقة للحياة فى دواوين شعره الغزيرة بالحكمة الصادقة والمنطق السليم والعقل المفكر . وهناك كان فى شرقنا العربى الفيلسوف الصوفى «الغزالى» الذى يشهد التاريخ له فى فلسفته وصوفيته التى بلغت مبلغا ـ فى اعتقادى ـ أن الغربيين لن يصلوا اليه الا متاخرين وربما لم يصلوا .. وهذا الكلام ليس جزافا .. وانما اثبتته الحقيقة التى اخفاها عنا الاستعمار زمنا طويلا كنا فيه غائبين عن الوجود الحضارى .. وهو يمخر عباب المدنية الحديثة والتى ثبت اصلا أنها قائمة على أصول عربية .

ويورد المؤلف جملا كثيرة لتولستوى وتشيكوف واوسكار وأيلد ومارسيل بروست وبوذا نبى الهند العظيم .. ثم يأتى باقوال من الانجيل .. وكذا جيته ووالت ويتمان .

وعندنا فى تراثنا العربى ما يسبق كلام هؤلاء ويقف منه موقف الند للند .. وانظر معى الى قول جيته .. « دع ذلك الذى يتحسس طريقه فى الظلام والضوء المرتجف يستمسك بهذه الوصية ويحرص عليها أشد الحرص وهى : أن يعمل الواجب القريب منه .. فاذا قام بذلك أصبح الواجب الذى يتلوه واضحا ظاهرا » ..

وتأمل قول الشاعر منذ اثنى عشر أو ثلاثة عشر قرنا من الزمان وهو شاعر عربى اهتدى بطبيعته الى ان يقول :

اذا لم تستطع شيئا فدعه
وجاوزه الى ما تستطيع

ولافرق بين عمل القريب وعمل ما يستطيعه الانسان ..

واذا كان البيركامى يجيب على الاحساس بالعبث فى الحياة بان نتقبلها ونتحملها فقد قال الشاعر العربى المعاصر عباس العقاد فى هذا الصدد :

قالوا الحياة قشور
قلنا فأين الصميم
قالوا شقاء فقلنا
نعم : فأين النعيم
ان الحياة حياة
ففارقوا او اقيموا

ويقول فى ضرورة تقبل الحياة :

ايه يادهر هات ماشئت وانظر
عزمات الرجال كيف تكون
ما تعسفت فى بلائك الا
هان بالصبر منه مالا يهون

ونحن هنا لسنا فى مجال مقارنة بل نقول ان ضرورة الانطلاق العربى او بمعنى أوضح وادق ضرورة انطلاق الوجود العربى تحتم بعث التراث العربى وتنقيته ليصبح عاملا هاما فى حياتنا العربية التى بدأناها من جديد بعد ثورة ١٩٥٢ .. ونقف امام العالم كله بوجود عربى لاينتمى الى هذا او ذاك .. وانما له كيان خاص ومستقل يميزه عن غيره من العالمين ، وتراثنا العربى بحاجة الى بعثه وصنعه من جديد ليضفى على حياتنا الفكرية لونا خاصا نزهو به ونرفع رءوسنا ، والظاهرة التى سيطرت على هذا الكتاب الذى بين ايدينا - تدل على ثقافة غزيرة .. ولو كانت هناك التفاتة قصيرة من ادبائنا الذين دأبوا على الثقافة الغربية درسا وفهما عميقا .. لجمعوا بين ثقافتين تزخر بهما عقول هؤلاء ..

ولكننا نرى ميولا كثيرة الى تقليد الغربيين تقليدا كليا اعمى فى آدابنا حتى ان اعداء العرب استخدموا بعض هؤلاء والكثير منهم فى لبنان لتحقيق مآرب غير انسانية وظهر هؤلاء تحت ستار المذهب الجديد الذى يسمونه الرفض سواء فىقصائدهم ومقالاتهم.

افريقيا فى شعر هاشم الرفاعى

حسين على محمد

لفت نظرى فى «الرسالة» - العدد ٦٧ - ماكتبه الأستاذ : عبد الرحمن البجاوى عن «افريقيا فى الشعر العربى» . ولم يعرض السيد الكاتب غير نماذج من شعر شاعرين هما : محمد مفتاح الفيتورى وعبده بدوى .

واود أن أسجل «لقطات» من شعر هاشم الرفاعى عن افريقيا .

استمع الى الشاعر فى قصيدة تحت عنوان « رسالة من افريقيا » على لسان أحد جنود الاستعمار فى افريقيا يوجهها الى فتاته فيما وراء البحار . انه يصور فى هذه القصيدة الهول الذى يلاقيه جنود الاستعمار من الافريقيين الاحرار بعد ان دوت فى القارة العذراء صيحات الحرية .. وآذنت شمس الاستعمار بالمغيب ..

ومع المساء تزلزل الأحراش دقات الطبول
وترن أنغام الدمار على الروابى والسهول
ومراجل الأحقاد تغلى فى المراعى والحقول
وأما حشد الزاحفين تفر أسراب الوعول .
حتى اذا صرخ النذير
ودنوا من السور الكبير

جنت بنادقنا وخاضوا نارها متقحمين
فاذا النصال من الشمال تلفنا ومن اليمين
ويستيقظ ضمير الجندى الذى قذفوا به من وراء البحار الى اعماق « القارة السوداء » كما كانوا يسمونها - ليسفك دم الابرياء ويسفكوا دمه، ويحمى اللصوص الذين يسرقون حريات الناس وأرزاقهم فيقول فى رسالته الى فتاته ..
أوليس يكفينا لكى نحيا نتاج المزرعة

حتى أصب على أخي سـوط العذاب لأخضعه
ويقض حينا مضجعي .. واقض حينا مضجعه
وأعيش مغتربا هنـا بين الرمـاح المشرعـة
يأتي الطعام الى فمي
مـرا تلوث بالدم ..
فاصـوغ من آلام قوم جنـة للمترفين
الحالمين وثورة البركان تهـدر من سنين

ويوحي « المؤتمر الآسيوي الأفريقي » الى الشاعر معاني يستمدها من اعماق التاريخ . ان الروابط التي تجمع بين العرب والأفريقيين ليست وليـدة الكفاح المشترك ولكنهـا منذ حملت الأمة العربية رسالة النور .. رسالة الاسلام .

وكسا الضـباب الأرض في افريقيـا
مـا بين غـابات بهـا ومراعي
بسطت ذراعيهـا لتحتضن السـنا
طبا يخلصهـا من الأوجاع
عرفته فتحا للبنـاء وللعلا
قد جاء ، لا لمجرد الاخضـاع
وتنسمت ريح المنى في رحفـه
من بعـد حـالك لونـه اللذاع
فاذا الوجوه السمر من أبنائهـا
تطوى خضـم البحر فـوق شراع
وتدك خلف المـاء عرش محـكم
في الناس أو ملك هنـاك مطاع

تعال الى اسوان ... للشاعر عبيد الشامية

تعـالى الى اسـوان لاتخلفي الوعـدا
هنا الفرحة الكبرى .. هنا تبتنى المجدا
ولا تحسـبي السـلوان قـد مس مهجتي
فاني على الحالين ، لم أنخض العهـدا
نزحـت وكان القـرب للـروح جنـة
ولـكنني آثـرت أن أكسـب الحمـدا
الم تعـلمي أن المعـالي حبيبـة
الى النفس حتى لا اطيق لهـا ردا !
فقـد تصـدا الأرواح والجسم وادع
وهـل يقطع الصمصـام لو لازم الغمـدا
ذريني اسـهم في تقـدم امتي
أروم لهـا العليـاء والعز والأيـدا
لعمـرك لم يبرح خيـالك خاطـري
وان كان هـذا النأى قد زادني وجـدا
فحبـك زاد القـلب في كل خفقـة
وحبـك يذكي العـزم اذ اقطع الصـلدا

رباب ليست شاعرة ...
بقلم عبد الخالق عبد الرحمن

استرعى انتباهي ماكتبه الدكتور بدوى طبـانة في العدد ٥٣ من مجلة (الرسالة) الزاهرة عن الشعر العراقي المعـاصر قوله « .. تألق عـدد من بنات حواء المجيدات من امثـال نازك وعاتـكة وام نزار وصـدوف ورباب في سـماء الشـعر العربي » . ولاشك ان الكاتب الفاضل يقصد (رباب الكاظمي). واني سبق ان اوضـحت في المجلد ٤٢ الجزء ١١ من مجلة الأديب اللبنانيـة لسـنة ١٩٦٢ على اثر مساجلة ادبيـة وقعت بيني وبين الكاتب المصري الأسـتاذ (ابو طـالب زيان) بان (رباب) لم تنظم الشعر وقد اثبت ذلك بالبرهان القاطع وللحقيقة والتاريخ ارجو ان يسمح لي استاذي الكبير احمد حسن الزيات بان اثبت في الرسالة بعض ماجاء في تلك الـكلمة قلت «ان اباها هـو الذي كان ينظم الشعر وينشره باسمها والشواهد على ذلك كثيرة واكثر الادباء الشيوخ من كتاب وشـعراء وعلماء يعلمون بما كتبته وما ذهبت اليه في كلمتي ولكنهم لم يسـعوا الى اثارة مثل هـذا الموضـوع اكراما لوالدها ورافة بها ، وان عدم رثائها لوالدها بعد موته خير دليـل على ذلك . » وقلت ايضـا : « وكان المرحوم الأستاذ نور الدين داود صـاحب جريدة (النداء) قد صرح بحضـور الشـاعر العـراقي الكبير جميـل أحمد الكاظمي وكريمته الاستاذة أميرة نور الدين والشاعر العراقي المرحوم الاستاذ عبد القادر رشيد الناصري ، اقول كان قد صرح قائلا : ان الشاعر عبد المحسن الكاظمي قد زور على التاريخ وذلك بنشره قصائد بتوقيع ابنته (رباب) في الوقت الذي لم يكن باستطاعتهـا ان تقرض الشعر ، ثم أردف قائلا : ومنذ وفاة والدها وحتى الآن لم نسمع لها شعرا .

وقد ايدني فيمـا ذهبت اليه الأسـتاذ الكبير توفيق الفكيكي بان ماقاله المرحوم نور الدين داود هو الحقيقة الواقعة وان الشاعر المرحوم عبدالمحسن الكاظمي هو الذي كان ينظم القصيدة تلو القصيدة وينشرها بتوقيع كريمته (رباب) ».

وما جئت بكلمتي هذه الا لأصحح الخطأ الذي علق بذهن الدكتور بدوى طبانة من أن ربابا كانت تقرض الشعر وان قولي هو عين الصواب .

مسألة مبادئ

بقلم : فوزى شاهين

حانت لحظة اللقاء المرتجى منذ زمن بعيد ، وكانت امنية عزيزة المنال ان يجمعنى مكان واحد مع الكاتب الكبير الذى طالما قرات له وانا لا ازال طالبا ، وازداد اعجابى به كلما تقدم بى العمر ، انه يكبرنى بعشرين عاما على الاقل ، فقد شاهدت صورة تجمع بينه وبين كبرى بناته ، حسناء كالزهرة الناضرة تصلح زوجا لى لو انها رضيت او رضى هو ان يكون صهره انسانا مغمورا مثلى ..

❋❋❋

منذ رايتها صورة على صفحات المجلة وانا اتخيلها حية فى خاطرى ، ترف ابتسامة وديعة على شفتيها المكتنزتين ، وتجول براسها افكار لا تقل فى روعتها عما تعودت ان استقبله من افكار ابيها الدسمة ونفثاته اللماحة ، وصور لى خيالى اننا ننهل من منابع للسعادة لم يغترف منها انس ، لا تشغلنا شواغل الدنيا المالوفة ، حديثنا عن الرؤى والاحلام ، وتجوالنا فى بقاع لم تلمسها اقدام بشر ، وافكارنا تحلق فى سماوات لا تقدر اجنحة العاديين من الناس على ارتيادها ، رفعتنى معها الى عالم مسحور كان يبدو فى خاطرى كالضباب حتى شع نورها ، فتبدد الظلام وعم الضياء ، ولم يبق سوانا على ربوة عالية نحدق فى البشر من عل ، ونحن نستصغر ما يملأ رؤوسهم الفارغة من احلام صغار .

❋❋❋

هكذا تخيلتها وتخيلت نفسى ، وكذلك ظللت بضعة شهور وانا لا افكر فى سواها ، احببتها دون ان اراها ، ورفعتها فوق بنات جنسها درجات ودرجات ، فهى لا يمكن ان تكون كغيرها من اترابها ، وهل يعقل ان تقلد نادية امثالها من عامة الناس ؟ لم تكن الفكرة – ان اضعها فى مرتبة واحدة مع غيرها – تجرؤ على ارتياد راسى ، وكيف افكر فى ذلك وانا اعرف ما اعرفه عن ابيها ، واقرا بشغف كل ما كان يكتبه او تنقله عنه الصحف والمجلات منذ سنوات طوال .. لم اشك لحظة فى انها قبس من نوره ، وجزء من كيانه الشامخ ، وصورة مصغرة من عبقريته الفذة ، ولمحة سامقة من افكاره اللماحة .. الم تتفتح عيناها على مرآه ؟ الم تعش فى كنفه تتنسم الهواء الذى يدخل الى رئتيه ويخرج منهما ؟ الا تراه صبح مساء ؟ الا تستمع الى نبرات صوته ودبيب افكاره فى راسه ؟ الا تحمل اسمه الذى طالما اعجبت به ورددته عشرات المرات ؟ ايمكن ان يصاحبنى ذلك الاسم فى رحلة حياتى حقا ؟ انى اذن لسعيد .

ولكنها كانت افكارا ظلت تراودنى حينا من الدهر لم يطل ، كنت شديد الحرص الدائم على ان اتصفح كل مجلة ، وان اديم النظر فى كل الصور لعلى اراه مرة اخرى ، ولكن اخباره الخاصة التى كانت تملأ الصحف اخذت تتناقص بعد حين حتى توارت اخبار اسرته ، ولم اعد اسمع شيئا عن ذلك الجانب الذى ازدادت عنايتى به منذ طالعتنى صورتها . وفكرت اكثر من مرة ان انتظر الكاتب الكبير على عتبة داره لعلى احظى برؤيتها او انتسم عبيرها ، ولكن الخجل منعنى من ان اتسكع حول دارها مثل الشباب الصغار الذين طالما عبت عليهم جراتهم واستهتارهم ، فكيف ارتكب ذلك الاثم لم اصبح جديرا بها ، ومن يدرينى اننى قادر على مواجهة نظراتها وتوجيه الحديث اليها ، واقنعت نفسى بالتريث حتى تحين الفرصة المواتية ، عندما احقق املا يرفعنى فى ناظريها ، ويقنعها ان ابواب المستقبل مفتوحة امامى على مصراعيها ، وانى استطيع ان اثبت وجودى فى الحياة مثلما فعل ابوها .. وعلى هذه الآمال عشت حينا من الدهر ، ثم نسيت نادية مع مرور الايام وبقيت افكاره هو ، ومع هذا لم اكن اكف عن التفكير فيها بين الحين والحين مع فارق فى المستوى بين ما كنت افكر فيه عندما اشتعل قلبى وتدله فى حبها ، وما كان يجول بخاطرى بعد ان ادركت بعد ما بيننا من الشقة ، وعبث التفكير فيمن تفصل بينى وبينها آماد .

لا اذكر الايام التى تراجعت فيها صورتها الى حافة الذكرى فلم تعد تلح على خاطرى الحاحها الاول ، ولكنى مع هذا تمثلتها فى كل حسناء وقعت عليها عيناى ، آمل ان تكون الظروف قد دفعت بها الى طريقى ليصبح الحلم حقيقة ، ولكنى سرعان ما اكتشفت ان الصور لا يمكن ان تتطابق مع الاصل ، وان الرؤى غير الاحلام التى عشت معها اسعد الايام ، وعندما التقيت بسميحة توارت لدى احلام الماضى لاعيش مع الواقع فى اعمق صوره ، فقد كان زواجنا السريع بعد اللقاء الثانى خاتمة حب لم ير النور ، واستسلاما للواقع الذى يابى التحليق مع الاحلام .

مرت بذهنى كل تلك الافكار والصور وانا جالس فى قاعة الانتظار بمكتب رشدى – زميل فى الدراسة الذى آثر المحاماة على الوظيفة – فى انتظار ان يفرغ من بعض اعماله ليصحبنى فى زيارتى للكاتب الكبير الذى يعرفه حق المعرفة .

❋❋❋

كان قد مضى على زواجنا ما يقرب من الخمس سنوات ، قضينا الجانب الاكبر منها فى شجار لا يهدا اواره حتى يتجدد اعنف

ما يكون الشجار بين زوجين تباينت طباعهما واختلفت مشاربهما في الحياة ، وتم زواجهما على عجل مع قلة تجارب الطرفين بشئون الحب والزواج.فانا ميال بطبعي للوحدة ، والهروب من صخب الحياة وضجيج المجتمع الى الكتب اقضي معها اكثر ساعات الفراغ ، وزوجي شديدة التعلق بمباهج الحياة تعتب على انطوائي وتعيب على الهروب من المجتمع والناس ، فاذا طاوعتني نفسي على ان اصحبها لقضاء سهرة ، لا نلبث حتى نعود الى البيت وكلانا اشد من صاحبه ندما على انه اكرهه على ما لا يحب .

***

شغلت زوجتي باول مولود رغم انها قابلته في البداية باستخفاف ووجل ، ولم تتوان وقتها عن التعبير عن قلقها ووساوسها عندما قلت لها :

- ما اشبه راسه المستدير براسك، وعينيه البراقتين بعينيك . ادارت عينيها في وجهي برهة وهي تزم ما بين حاجبيها في تقطيبة كئيبة ، واشاحت بوجهها وهي تقول :

- اخشى ان يشبه عقله الذي لا تراه عقلك وتتفق ميوله مع ميولك .. وويل للزوجة التي لا تستطيع ان ترى العقل او تنفذ الى الميول لتتعرف عليها قبل فوات الأوان .

اكتفيت ساعتها بالضحك ولم اجب ، وهززت راسي موقنا انها سرعان ما تشغل عني بالمولود لافرغ الى كتبي واوراقي .. وتحقق امل ولكن الهدوء لم يعمر طويلا ، فقد كان الحاحها في الحصول على مربية للطفل بمثابة النذير بالعودة الى سابق طباعها ، وما كان لقدوم المولود الثاني ليغير من الأمر شيئا ، كانت طفلة ساحرة اصرت سميحة على ان تسميها سلوى ، وعندما سالتها :

- لم لاتكون غادة او هناء او صباح او نور او امل ؟

لوت سميحة شفتيها واعرضت عني وهي تقول :

- لتكون سلواي في اعراضك عني !

عبثا حاولت ان اقنعها بان ما يشغلني عنها انما هو الكفاح من اجل ابنائنا . فاستغراقي الساعات الطويلة في القراءة او الكتابة انما هو مرحلة اعد فيها نفسي لأسير على معالم الطريق التي عداني اليها كاتبي الكبير.ولكنها كانت تثور لمجرد ذكر الاسم ..

***

حاولت ذات مرة ان اسرى عنها واقص عليها قصة السراب الذي لاح لي قبل زواجنا، وكيف انطلقت حينا من الدهر اجري وراء وهم خادع ، ولكنها كانت غلطة لاتغتفر ، فما ظننته يرضي كبرياءها ويقنعها بانها اعز مالدي في الوجود ، دفعها على العكس الى التمرد والثورة ، والتمادي في خلق اسباب الشجار ، فكلما امسكت صحيفة او اشرت الى راي للكاتب الكبير تجهمت وارغت وازبدت .. قالت لي ذات مرة عندما لمست عدم رغبتي في الشجار :

- يدهشني انك لم تقترح ان نسمي ابنتنا نادية .. حتى تتذكرها .. تتذكر الاخرى التي لاتريد ان تبارح خيالك .

وهززت راسي ، واستمررت في خطتي وانا اضر على اسناني واكتم غيظي حتى لا تنفجر مراجل غضبي وابادلها ثورة بثورة وتبدا بيننا معركة جديدة ، وزادها هدوئي ثورة فانطلقت كالرجل تقذف الكلمات في وجهي كالحمم :

- قل انك تزوجتني لاواصر من الشبه بين الصورة والأصل .. قل ان الصورة لم تطابق الأصل .. لماذا لاتتكلم ؟

وكان غضبها يشتد في بعض الاحيان حتى ليفلت الزمام ، فلا تستطيع ان تكف لسانها عن السباب والقذف، متهمة الكاتب الكبير بانه غشاش ومخادع ، وان سيرته على كل لسان ، وان ابنته التي تمنيت ان اتزوجها ذات يوم مستهترة عابثة ، لها في كل يوم قصة تنشر في الصحف وعشرات من القصص يندى لها الجبين لا تصلح للنشر .

فكرت في تلك اللحظة في الخطا الفاحش الذي ارتكبته عندما صارحت زوجتي بالاشباح التي تجوس في ماضي وان كانت نقية ، فكما هيات لي الاحلام في شبابي البكر ان ابنة الكاتب الكبير لابد ان تكون من طرازه ، وان عقلها وتفكيرها يناسبان عقليتي وتفكيري . وانها اصلح بنات حواء لان تكون شريكة



حياتي ، انا الشاب الهادىء الوديع الذى لايحب صخب الحياة ويقنع بالانطواء ليعيش بين كتبه واوراقه ، كذلك خيل لزوجتي انني صارحتها بجزء من القصة وكتمت فى نفسي القلب الحقيقة ، وصور لها خيالها ما شاء من الصور .. ولقد حاولت قدر استطاعتي ان ابدل الصورة التى استقرت فى ذهنها ، ولكن محاولاتي كلها كانت تزيد النار اشتعالا ، وتنكا الجراح التى تابى ان تندمل ، وامتلات راسي بافكار خطرة ، هذا الجحيم الذى نعيش فيه لايمكن ان يستمر ، وهذه الحياة بعيدة كل البعد عما كنت اؤمل فيه ، ولا بد ان نضع خاتمة لها وان كانت مؤسية ، ولكن اتخاذ قرار خطير كهذا يحتاج الى شجاعة لا تتوافر لى ، ولا بد من الاستعانة باكثر من راى ، ولم الاستعانة باراء الناس وكاتبي الكبير لايزال على عهده يسدى النصح للناس ويمنحهم المشورة والراى السديد ؟

❊❊❊

استراحت نفسي عندما اقنعت نفسي بان الاستماع الى راى خبير مثله يمنحني الشجاعة التى تنقصني ، فهو قد تعرف على مشاكل الناس ، وعاش حياة عريضة خالية من المشاكل والهموم ، وتذكرت كلمات له قراتها من قبل: «عندما يعيش الانسان فى قلب المشكلة لايرى الحلول القريبة ، ويصبح فى امس الحاجة الى الاستعانة براى الآخرين ، اولئك الذين ينظرون الى الامور دون تحيز ، ويفكرون بعقلهم دون انفعال ..» .

وعندما عرض على صديقي أن يصحبني فى زيارة خاصة للكاتب الكبير الذى يعرفه حق المعرفة ، عرفت الراحة سبيلها الى نفسي بعد قلق دام شهورا طويلة ، فقد الحت على فكرة وضع حد لهذا الزواج المضطرب ، ووقف فى سبيل تنفيذها بقية من صبر ، وتردد مرجعه الى عقل دائب التفكير فى مسئولياته ، الم يقل كاتبي الكبير ان الانسان عندما يختار طريقه فى الحياة ملزم بنتائج اختياره ، وعليه وحده ان يتحمل النتائج دون شكوى او تبرم فما بال احمل زوجتي تبعات اختيارى ولو كانت مثلى قد اساءت الاختيار ؟

❊❊❊

طافت كل تلك الأفكار براسي قبل ان ينتشلني رشدى من اللجة التى كنت غارقا فيها ، كان عقلى شاردا وافكارى مشتتة فلم اسمع ماقاله صديقي بوضوح ، ولم احس بطول الطريق وانا جالس بجواره فى المقعد الأمامي للسيارة التى يقودها بثقة واتزان ..

كنت وانا فى طريقي الى كاتبي الكبير كمن ينتظر صدور الحكم من بين شفتي القاضي ، واحسست برعدة تسرى فى بدني ، هل اسمع منه كلمة تشجيع او تاييد لما ازمعت الاقدام عليه ؟ لا اظن ان الكاتب الكبير يشجع ما فكرت فيه وانا اعلم آراءه فى الحياة والناس ، وتقديسه لروابط الزوجية وشدة قسوته على اولئك العابثين المستهترين الذين يتنكرون للقيم ، ويجرون وراء نزواتهم الطائشة .. ورنت فى جوانب راسي كلماته عن الزواج الثاني : « عندما يتردى الانسان فى الخطا ما اسهل ان يتلمس لنفسه المعاذير، ولكنه عندما يقدم على الزواج للمرة الثانية ـ مهما كانت الاسباب ـ فانه لايستطيع ان يقنع نفسه بصواب منطقه ، فما بالك بالآخرين ! » .

وسالت نفسي ربما بصوت مسموع :

ـ لماذا لم افكر فى ذلك قبل ان اوافق رشدى على طرح المشكلة على الكاتب الكبير ؟ وهل وصل بى القلق الى حد ان يعجز عقلى عن التفكير المنطقي السليم ؟ ماذا اقول له ؟ اصارحه بان حياتي مع زوجتي باتت عبئا كبيرا يجثم على صدرى ويزهق انفاسي ويحرمني من الراحة والهدوء ؟! الراحة التى يطمع فيها كل مشتغل بذهنه ، والهدوء الذى لابد من توافره للغارقين من امثالى بين اكداس الكتب والاوراق ؟؟

ومع هذا .. فقد وجدت نفسي اقص عليه القصة بتفاصيلها ، لم اخف عنه شيئا ، وبدا لى وانا استغرق فى روايتي بشاعة ما ادعو اليه ، رايت نفسي اتعرى من المثل التى طالما سمعت كاتبي ينادى بها فى حماس واصرار يدعوان للاعجاب ، ولا ادرى كيف واتتني الشجاعة على ان امضى فى الكلام غير عابىء بدخولها .. لم يتغير فيها شىء ان لم تكن قد ازدادت رونقا ونضارة ، كانت تبدو اصغر من الصورة سنا رغم مضى السنين ، ورفت على ثغرها بسمة فاتنة وهى تنقل بصرها بيني وبينه ، قزم صغير امام عملاق كبير ، وتعلقت عيناها بشفتيه وهى ترنو اليه باعجاب كانما تعرف الكلمات التى ستصدر عنهما ، وقبل ان افرغ من قصتي تماما ، سمعتها تطلق ضحكة رنانة اجاب عليها الكاتب الكبير بقهقهة تزلزلت لها اركان الحجرة ، وخيل الى ان دويا هائلا يملأ المكان ويتردد صداه فى اعماق نفسي فيرجها رجا عنيفا ، ولم تكن مفاجاة رشدى باقل من مفاجاتي ، وقال الكاتب الكبير الذى امتلا وجهه بالتجاعيد وهو يربت على كتف الحسناء التى طالما فكرت فيها وارقت منامي :

ـ نسيت ان اقدم لكم راجية .. زوجتي

لم انتظر حتى اسمع كلمة اخرى ، وقفت وقد صعد الدم الى راسي ، هو الذى كان يرشد الناس الى طريق الخير والحب والمسئولية لايمكن ان تكون اراؤه مجرد مبادىء ليعمل بها الآخرون ، اما هو فمن حقه ان يلهو ويعبث ويسخر بالناس كيف يشاء ، وعندما سالني رشدى ونحن فى طريق العودة عما استقر عليه رايي قلت :

ـ المبادىء لاتستورد ، وحل المشكلة فى راسي و .. بيتي ؟

وعندما لمست منه بوادر قلق اردفت وانا اهز له راسي مطمئنا :

ـ ربما اكون مخطئا فى حق سجيحة .. لابد من وجود نقطة يمكن ان نلتقى عندها.. من يدرى ؟!

فوزى شاهين



الدار القومية للطباعة والنشر

العـــدد ٦٩
الثمن ٣ قروش

الرسالة



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والارشاد القومي

في هذا العدد

الصفحة

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف اجر بريد من
خارج ج . ع . م .
الإدارة :
٢٧ ش عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد ـ القاهرة .

العدد ١٠٨٨ الخميس ١٥ رجب ١٣٨٤ هـ ـ ١٩ نوفمبر ١٩٦٤ م ـ السنة الثانية والعشرون



على شاطئ الأسبوع الثاني للكتاب العربي

بقلم : عباس خضر

قبل بضع سنين كنا فى أزمة تأليف تتكون من عدة خيوط عنكبوتية معقدة . . المؤلف الجاد ينظر اليه الناشر شذرا .. وسوق الكتب تغمرها الكتب المثيرة ، والتى تغذى التفاهة .. والتى تطلب بديلا من الاقراص المنومة ..

وكثير من القراء تعودوا على التسلية والاثارة والأقراص المخدرة .. ولم يعد لهم جلد على القراءة الجادة .

والقارىء اليقظ الواعى لايكاد يجد مايشبع نهمه وخاصة اذا كان من الاخوة المصريين ..

وتدخلت الدولة الثائرة ، ونزل القطاع العام السوق ، وفى الوقت نفسه مدت يد التنظيم والعون الى القطاع الخاص .

ودارت رحى المطابع على الكتب «اللاتجارية» ، ونشط المؤلف ، واغرقت السوق بكتب كثيرة ، لم تكن كلها جيدة . وارتفعت الاصوات بالشكوى ، **وقامت معركة بين الكم والكيف .. حسمها العمل لتحسين الكيف مع الابقاء على الكم .**

وسارت السفينة باسم الله مجراها ومرساها ، **ونظمت أسابيع الكتاب العربى من أقصى الجمهورية الى أقصاها** ، ودنا الكتاب الجيد من قارئه كما تدنو الثمرة الطيبة من قاطفها . وبيعت فى تلك «الاسابيع» كتب كثيرة كانت دلالة الفرحة ببيعها تختلف عن دلالة فرحة التاجر .. **كانت دلالة الوعى الثقافى الذى ينفى عن هذا الشعب ما طالما رمى به من الجهالة والرغبة عن العلم والمعرفة .**

وصاحب عرض الكتب ندوات ثقافية التقى فيها الكتاب بالقراء لقاء المشافهة ، واثيرت مسائل ، ونوقشت أفكار ، والقيت أضواء ، وتنورت أذهان .

وكان محصول العام الماضى مغريا ..

هاهو ذا يدفع العاملين فى الحقل الى استئناف الدورة السنوية وفى أيديهم البذر والسماد ..

وهذا هو الاسبوع الثانى للكتاب العربى يبدأ فى القاهرة مركز الاشعاع الفكرى ، لكى يتابع جولته على ظهر السفينة المحملة بالكثير ..

وها نحن أولاء نقف على الشاطىء ، نشاهد ونسمع .. **نسمع الدكتور حاتم يعلن بصوت الثورة الثقافية القضاء على التاخر الثقافى والعمل على بناء الثقافة الاشتراكية ، وان كل مكتبات الثقافة أصبحت ملكا لجميع الشعب بعد أن كانت مقصورة على أقلية ضئيلة .**

وفى وقفتنا على الشاطىء لابد أن «ندردش» ولابد — بطبيعة «الدردشة» — أن تطول ألسنتنا قليلا أو كثيرا حسب مقتضى الحال ..

وسنتناول — فى هذه الوقفة ثلاث مسائل ، أولاها تتعلق بمدى اقبال القراء على الكتب ، والثانية تتصل بجائزة احسن الكتب ، والثالثة هى مايجب على نقادنا ازاء الكتاب العربى الضيف ..

مزيدا من القراء .

اعرب الدكتور حاتم فى كلمة الافتتاح عن الارتياح الى النتيجة السارة للجهود التى بذلت فى تيسير الكتاب وادنائه من الشعب على اختلاف مستوياته، وهى اقبال المواطنين على شراء الكتب بصورة ملحوظة وعلى نطاق واسع .

ومما ساعد على ذلك الاقبال تخفيض اثمان الكتب الى مستوى يباع فيه الكتاب بأقل من التكاليف ، وكذلك البيع فى معارض الأسابيع بترخيص الثمن عشرين فى المائة .

زد على ذلك جذب الأنظار وحسن العرض ومايدور فى الندوات من مناقشات فكرية تفتح الشهية للاستزادة بالقراءة .

طبيعى أن يحدث كل ذلك اثره ، **ولكن هل انتهت بذلك أزمة القراءة أو عدم القراءة الباقية جذورها من الماضى ؟** لا اظن . فمازلنا شعبا لايقرأ بالدرجة المطلوبة ، رغم التوسع فى التعليم وتيسير الوسائل، وما زلنا نلاحظ أن طاقة القراءة أقل من الكتب الوفيرة التى تصدر ، ومازلنا — لذلك — نرجو مزيدا من القراء .

هناك عدة أسباب لتلك الأزمة ، كان أحدها عدم تيسير الحصول على الكتاب لأفراد الشعب القليلى الدخل وعدم تقريبه من المواطنين فى غير العاصمة **وقد قضت جهود «الثقافة والارشاد القومى» على هذا السبب ، والحمد لله .**

والمجال هنا لايتسع لعرض بقية الأسباب ، ولكنى ارى أن ثمة سببا مهما ان لم يكن هو الأهم . **ذلك أن الفجوة كبيرة بين قراءة الطفولة وقراءة الشباب ، فالطفل يقرأ مايكتب مناسبا له ، ولكنه عندما يبلغ المرحلة التالية لايكاد يوجد له عندنا ماينا سبه** . ولو أن كلا منا عاد بذاكرته الى نفسه فى تلك المرحلة لعلم الجدب الثقافى الذى كنا نعانيه .. لم يكن امامنا غير القصص البوليسية وامثالها.

يضاف الى ذلك أن التأليف للطفولة نفسه يحتاج الآن الى عناية ودراسة ، وخاصة من ناحية **المضمون الاشتراكى** الذى يجب أن يقدم للطفل بطريقة سائغة .

ولابد أن هذا هو ما دعا الى ما اعلن عنه الدكتور حاتم من تخصيص جائزة لأحسن كتاب يؤلف للأطفال .

جائزة الأدب

اعلن الدكتور حاتم عن تخصيص جائزة لأحسن الكتب فى موضوعات التنمية الاقتصادية ومشكلات التصنيع والزراعة والمجتمع الريفى ، وجائزة الطباعة البارزة فى ميدان الخدمة الثقافية للمكفوفين ، الى جائزة التأليف للأطفال التى اشرنا اليها .

وتلك الموضوعات هى حقا اكثر من غيرها حاجة الى التأليف فيها ، فمجالاتها جديدة فى حياتنا ولم تقم علميا بعد . وهى محور تقدمنا الاقتصادى والاجتماعى ، وكذلك رعاية المكفوفين فى مجتمعنا الجديد : مجتمع الكفاية والعدل وتكافؤ الفرص .

وكنا نود أن تخصص جائزة للأدب .. فالأدب كما قلت فى الأسبوع الماضى خير وسيلة للتأثير فى النفوس وتعميق القيم والمثل الجديدة فيها ، **بل ان تلك الموضوعات نفسها يمكن أن يؤلف فيها أدبيا بمعنى تصوير مجراها فى المجتمع بالوسائل الفنية** . وبطبيعة الحال لا نريد الأدب الزخرف المغرق فى التصورات والخيالات البعيدة ، أو «اللامنتمى» الى حياة الشعب .

الكتاب الضيف والنقاد

وقد شاهدنا بمعرض الكتاب العربي كتبا وافدة من العراق ولبنان والأردن وسوريا وغيرها من بلاد الوطن العربي جاء بها ممثلون لدور النشر في البلاد الشقيقة للاشتراك في أسبوع الكتاب العربي **وفي هذا ــ كما قال الدكتور حاتم ــ دلالة قوية من دلالات الوحدة الفكرية التي تلتقي فيها جميع الاتجاهات الأدبية والفنية والعلمية لتكون منها ثقافة عربية أصيلة جديرة بالأمة العربية .**

وقد قرأت أن أسابيع الكتاب العربي ستمتد الى خارج الجمهورية العربية المتحدة حيث تقام في عدد من العواصم العربية ، وهذا ــ بطبيعة الحال ــ مقصود به تعزيز تلك الوحدة ونشر وسائلها وغذائها الثقافي في أوسع نطاق عربي ممكن . **وانى اقترح اقامة أسبوع الكتاب العربي ببغداد في الوقت الذي يجتمع فيه مؤتمر الأدباء العرب ومهرجان الشعر** ، وسيكون ذلك في النصف الثاني من شهر فبراير القادم (سنة ١٩٦٥) ، وغير خاف ان هذا الظرف ملائم جدا لتحقيق الهدف الوحدوي الفكري الكبير .

أقول هذا وأنا أعلم ان المشرفين على أسبوع الكتاب العربي ممن يسمعون القول ويتبعون احسنه . فهل اطمع في مثل ذلك من نقادنا اذ اقترح عليهم ان يذهبوا الى معرض الكتاب العربي بميدان الفلكي او في اي مكان يقام به فيما بعد ، ويختار كل منهم الكتاب او الكتب التي تروق له او تتفق مع اختصاصه من الكتب العربية الوافدة . ويفرغ لقراءتها بعض الوقت ، ثم يكتب عنها معبرا عن تجاوبه الفكري معها ؟

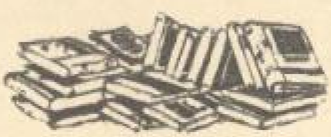
اعتقد أن ذلك يكون خيرا واجدى من الصفحات التي تظهر في صحفنا مملوءة بحلقات السلاسل التي ستظهر فيما بعد كتبا ، مرة في رحلة الى «ميلاد شكسبير» على حساب الجريدة .. على حساب الاتحاد الاشتراكي .. على حساب الشعب ، ومرة في رحلات ايضا الى ملاحم القرون الأولى والوسطى **.. على حساب الانتاج الفكري المعبر عن هذا الشعب وتطلعاته الجديدة ، والذي هو أحق بتلك المساحات الصحفية المهدرة باسم الأدب ..**

هذه الدار المصرية للتأليف والترجمة ، وهذه الدار القومية للطباعة والنشر ، اعتقد ان كلا منهما، ومن غيرهما من دور النشر ، مستعدة لنشر الكتب التي تملأ سلاسلها تلك الصفحات المخصصة ــ طبقا للفن الصحفي ــ لشيء آخر غير الكتب المسلسلة ؛ شيء آخر يعرفه المشرفون على الصحف ، وهم من أساتذة الصحافة ، **ولا اظن أنهم محتاجون ان انبههم الى أن المهمة الأولى أو الوحيدة** للصفحات الأدبية هي أن تكون مرآة للواقع الأدبي الراهن في البلاد .

واعتقد كذلك أن الاهتمام بالكتاب الضيف والكتابة عنه أحسن من الكسل الذي يرين الآن على نقاد الصحافة في انتظار الموسم المسرحي وعروضه الجديدة .

على ان لي أملا آخر أقرب الى التحقيق ؛ أملا في الشبان النقاد أو المتطلعين الى كتابة النقد ، ان يسارعوا هم الى تلك الكتب ويدرسوها ويكتبوا عنها . **و «الرسالة» ترحب بكتاباتهم وتعد بنشر الصالح منه . لعلهم بذلك يكفرون عن سيئات النقاد الكبار ويحققون أملا يكاد يخيب .**

عباس خضر





وحدة اللغة

في الوطن العربي

للدكتور علي عبد الواحد وافي

من أهم الدعائم التي تعتمد عليها القومية العربية وحدة اللغة بين سكان الوطن العربي . فالأغلبية الساحقة من سكان هذا الوطن تستخدم في تخاطبها العادي وفي كتابتها ومختلف شئون ثقافتها وآدابها لغة واحدة هي اللغة العربية . ولا يخفى ما لوحدة اللغة في ميدان التخاطب والكتابة من أثر خطير في توثيق الروابط بين الجماعات وصهرها في قومية واحدة . فاللغة هي أداة التفكير ، وهي الوسيلة التي تسجل بها منتجات القرائح ، ويحفظ بها التراث العلمي والادبي ، وتستخدم في مختلف شئون التعليم والتثقيف ، ويعبر بها عن المدركات والعواطف وخلجات النفوس . فالاتفاق في اللغة يؤدي لامحالة الى وحدة في اتجاهات التفكير والمعرفة والوجدان وسائر مظاهر الشعور الانساني ، حتى ان المتكلمين باللغة الواحدة ليصبحون من النواحي النفسية والعقلية العامة ـ وهي أسمى نواحي الانسان وأهم خصائصه ـ أشبه شيء بصور متكررة متشابهة قد خرجت من قالب واحد : وهذا هو أقصى ما يمكن أن تحققه عوامل المزج والتقريب بين الجماعات .

***

ولم يتحقق هذا الوضع اللغوي الا بعد الفتوحات العربية الاسلامية . وذلك أن الاسلام قد جاء ونطاق اللغة العربية لا يكاد يتجاوز بلاد الحجاز ونجد واليمن وما يتاخم هذه البلاد ويقع على سواحلها . اما بقية بلاد الوطن العربي الحالي فقد سادت فيها حينئذ لغات أخرى كثيرة . فكانت اللغة الآرامية هي اللغة السائدة في معظم مناطق العراق والشام . وقد تم لها ذلك بعد صراع طويل خرجت منه منتصرة على اخواتها الاكادية (أو البابلية والآشورية) في الشرق والفينيقية والعبرية في الشمال . وكانت اللغة القبطية (التي تمثل آخر مرحلة من المصرية القديمة) هي المستخدمة بين أهل مصر في تخاطبهم العادي ، بينما كانت اللغة اليونانية هي المستخدمة لديهم في الغالب في شئون الآداب والكتابة الرسمية وغيرها . وفي بلاد شمال افريقيا (المغرب الادنى والاوسط والاقصى ، أو ما نسميه الآن ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا) كانت اللغات السائدة هي اللغات البربرية ، وهي أسرة من فصيلة اللغات الحامية . وكانت اللغات السائدة في القسم الافريقي الجنوبي من الوطن العربي الحالي هي اللهجات النوبية في بلاد النوبة واللهجات السودانية والكوشيتية في بلاد السودان .

ولكن بعد ظهور الاسلام وامتداد فتوحاته الى

جميع بلاد الوطن العربي الحالي بقسميه الآسيوي والافريقي ، نزحت جاليات عربية كبيرة العدد الى هذه البلاد وأقامت فيها بصفة دائمة ، وامتزجت امتزاجا كبيرا بأهلها ، وازداد هذا الامتزاج قوة وتوثقا بعد أن اعتنق معظم أهلها الدين الاسلامي ، وهو الدين الذي كانت تدين به هذه الجاليات • فاشتبكت لغتها العربية مع لغات أهل هذه البلاد في صراع انتهى بانتصارها عليها جميعا • فأخذت هذه اللغات تنقرض شيئا فشيئا من ميادين التخاطب والكتابة ، ويحل محلها اللسان العربي وطرق تدوينه ، حتى انقرضت في معظم هذه المناطق انقراضا تاما من جميع ميادين استخدامها ، وآوت الى ركن اللغات الميتة مع أخوات لها كثيرة انقرضت من قبل •

وقد تم النصر للغة العربية على هذه اللغات بفضل عوامل كثيرة يرجع أهمها الى ثلاثة أمور :

(أحدها) وهو أهمها جميعا يتعلق بالخصائص الذاتية للغة العربية نفسها • وذلك أن اللغة العربية كانت حينئذ أرقى كثيرا من هذه اللغات في آدابها وثقافتها ، وأغزر منها في المفردات ، وأدق منها في القواعد ، وأقدر منها في مجال التعبير عن مختلف فنون القول • وقد دخلت هذه البلاد وبين يديها تاريخ عريق وتراث ضخم في قمته كتاب الله وحديث رسوله وهما أرقى ما يمكن أن يصل اليه الكلام البليغ • ولم تكن اللغات الاخرى في هذه البلاد شيئا مذكورا بجانبها في أية خاصة من هذه الخواص • ومن المقرر في علم اللغة أن تفوق احدى اللغتين المتصارعتين في خصائصها الذاتية تفوقا كبيرا على اللغة الاخرى عامل هام من عوامل تغلبها في الصراع اللغوي • فصراع اللغات أشبه شيء بصراع الافراد ، ويقابل القوى الجسمية والحيل الرياضية في الافراد ما تمتاز به اللغة من غزارة في مفرداتها ، ودقة في قواعدها ، وسمو ومرونة في أساليبها ، وثروة في آدابها وتراثها ، وقدرة على الابانة عن مختلف مناحي التفكير والوجدان •

(وثانيها) يتعلق بالاوضاع السياسية والحربية في هذه البلاد • وذلك أن الجاليات العربية في هذه البلاد كانت تمثل الشعب الغالب والطبقة الحاكمة من الناحيتين السياسية والحربية • وقد امتد هذا الوضع عدة قرون • ومن المقرر في علم الاجتماع أن الشعب المغلوب يجنح الى محاكاة الغالب في مختلف شئونه ، ويسود لديه كثير من أوضاع الشعب الغالب اذا دام الغلب أمدا طويلا • ويبدو هذا بوجه خاص في الميدان اللغوي • فقديما سادت اللاتينية في كثير من البلاد التي خضعت لحكم اللاتين ، وحديثا أصبحت الانجليزية لغة الولايات المتحدة الامريكية على الرغم من انتماء سكانها في الأصل الى عدة أجناس ولغات ، وكادت الانجليزية تصبح لغة السكان في كثير من مناطق الهند ، وأخذت الفرنسية تطارد العربية في كثير من بلاد الجزائر •

(وثالثها) يتعلق بشئون الدين الاسلامي وصلته باللغة العربية • وذلك أن اللغة العربية هي لغة القرآن والحديث اللذين يقوم عليهما الدين الاسلامي ، وباللغة العربية كتبت جميع المؤلفات في الاسلام عقائده وشرائعه في العصور الاسلامية الاولى ، وباللغة العربية يؤدي كثير من شعائر هذا الدين وعباداته • فلما كان معظم أهل هذه البلاد قد اعتنقوا الدين الاسلامي ، ولما كان ارتباطه باللغة العربية قد وصل في قوته الى هذا الحد ، لذلك شاع استخدام اللسان العربي بين أهل هذه البلاد ، وانضم هذا العامل الى العوامل السابقة في توكيد انتصاره على الألسنة التي كانت سائدة فيها من قبل •

***

غير أن هذا الانتصار لم يتم الا بعد أمد طويل استغرق في بعض الحالات نحو أربعة قرون أو أكثر من ذلك • ففي مصر ظل التحول من التحدث بالقبطية الى التحدث بالعربية يتسع نطاقه بالتدريج في خلال القرون الثلاثة الاولى للهجرة ، ولم يتم للعربية التغلب على ألسنة المصريين الا في القرن الرابع الهجري ، بدليل ما يذكره المقريزي من أن المأمون كان يتنقل في ريف مصر ومعه مترجمون يترجمون له اللسان القبطي الذي كان يتكلم به حينئذ أهل البلاد الى اللسان العربي (وقد دخل المأمون مصر في أوائل القرن الثالث الهجري سنة ٢١٧ هـ) ، وبدليل ما يذكره المقدسي في كتابه « أحسن التقاسيم » الذي ألفه سنة ٣٧٥ هـ من أن بعض مسيحيي مصر في عهده كانوا لا يزالون



يتحدثون بالقبطية • ومثل هذه المدة قد استغرقهـا صراع اللغة العربية مع اللغـات الاخرى ، بل لقد استغرق صراعها مع اللغـات البربرية فى شمال افريقيا أمدا أطول من ذلك •

***

وقد احتفظت اللغة العربية بوحدتها وصورتهـا القديمة فى هذه البلاد فى ميادين الكتابة والصحافة والخطـابة والتأليف ••• وما الى ذلك • فاللغـة المستخدمة فى هذه النواحى ـ والتى يطلق عليها لغة الكتابة ـ فى جميع بلاد العالم العربى هى لغة واحدة محافظة على أوضاعهـا الفصحى القديمة فى جميع عناصرها ومقوماتها : فى الاصوات والدلالة والمفردات والقواعد والأسـاليب • فوحدة اللغـة بين البلاد العربية كاملة اذن كل الكمال فى هذه النواحى •

واما فى شئون الحديث والتخاطب العـادى فقد انشعبت اللغة العربية فى ألسنة أهل هذه البلاد الى لهجات يختلف بعضها عن بعض وتختلف عن الاصل الاول الذى انشعبت عنه فى بعض مظاهر الاصوات والدلالة والقواعد والمفردات ، وسلكت كل لهجةمنها فى تطورها منهجا يختلف عن منهج غيرها تحت تأثير ما يكتنف أهلهـا من ظروف خاصة من النـواحى الاجتماعية والسياسية والجغرافية •• وما الى ذلك، وتحت تأثير احتكاكهم بأهل اللغات الاخرى • وهذه هى سنة لهجات التخاطب فى جميع انحاء العالم : فهذه اللهجات لا يمكن أن تجمـد على حال واحدة ، ولا يمكن أن تتفق لهجتان منها اتفاقا تاما •

غير أن اختلاف لهجات التخاطب فى البلاد العربية لا ينتقص من وحدة قوميتهـا ولا من وحدة لغتهـا شروى نقير ، وذلك :

١ ـ لان الاختلاف بين هذه اللهجات لم يتسع بعد الى الحد الذى تصبح فيه غريبة بعضها على بعض • ففى استطاعة أهل كل لهجة منهـا فهم اللهجـات الاخرى ، لرجوعها جميعا الى أصل واحد قريب • ففى استطاعة المصرى مثـلا بدون مجهود يذكر ان يفهم حديث السورى واللبنانى والاردنى والحجازى والنجدى واليمنى ، وفى استطاعته كذلك ولكن مع قليل من الانتباه أن يفهم حديث المغربى والعراقى • فالخلاف بينها لا يزيد كثيرا عن الخلاف بين لهجات البلد الواحد : فالخـلاف بين لهجة أهل سـوهاج ولهجة أهل طنطا مثلا لا يقل كثيرا عن الخلاف بين اللهجة المصرية فى مجموعها واللهجة السورية فى مجموعها ـ فلم يحدث بين اللهجات العربية مايفرقها تفريقـا جذريا بعضها عن بعض ، كمـا حدث فى اللهجات المتشعبة عن اللاتينية مثلا ، وهى الفرنسية والايطالية والاسبانية والبرتغالية ولغـة رومانيا • فمع أن هذه اللهجات كانت فى مبدأ أمرها لهجـات تخاطب متشعبة عن لغة واحدة، كما هو شأن لهجات التخاطب فى العالم العربى ، فان هوة الخلاف بينها قد اتسعت حتى استحالت كل لهجة منهـا الى لغة مستقلة مختلفة اختلافا كبيرا عن أخواتها وغير مفهومة الا لأهلها ولمن يتعلمها •

٢ ـ ولان انتشار التعليم والثقـافة والصحافة ووسـائل الاذاعة والدعاية والاعلام والارشـاد فى البلاد العربية ، واستخدام اللغـة العربية الفصحى فى معـظم هذه الامور ، كل ذلك قـد قرب هذه اللهجات بعضها من بعض وجعلهـا مفهومة لجميع السكان من جهة وقربهـا من العربية الفصحى من جهة أخرى • فهذا العامل يسير فى طريق التقريب والتوحيد والقضاء على وجوه الخلاف ، فيخفف كثيرا من أثر العوامل الاجتماعية والجغرافية التى تبـاعد اللهجات بعضها من بعض • بل لعل أثر هذا العامل

في التقريب أعمق كثيرا من أثر تلك العوامل في التفرقة .

***

هذا ، وقد تخلف في البلاد العربية بعض أقليات لا تزال لغة التخاطب بين أهلها تجرى بلسان غير عربي . ففي بلاد المغرب والجزائر وتونس وليبيا جماعات قليلة العدد تتحدث بلهجات منشعبة من اللغات البربرية القديمة . وفي اقصى جنوب مصر جماعات قليلة العدد كذلك تتحدث باللسان النوبي . واللغات السائدة بين سكان السودان الجنوبي هي اللهجات السودانية والكوشيتية (وعدد هؤلاء نحو مليونين اثنين ونصف مليون، بينما يبلغ عدد سكان السودان الشمالي العربي اللسان نحو ستة ملايين ونصف مليون) . وفي العراق نحو مليون من الاكراد يتحدثون باللسان الكردي وبعض جماعات أخرى قليلة العدد تتحدث باللسان التركي والايراني . ويقال انه لا يزال في اليمن وسواحله بعض مناطق قليلة السكان يتحدث أهلها بلهجات منشعبة من اللغة اليمنية القديمة (وهي لغة كانت تختلف عن اللغة العربية ، ثم تغلبت اللغة العربية على السنة أهلها من قبل الاسلام بأمد غير قصير) . ومن هذه المناطق منطقة مهرة الواقعة شرقي حضرموت ويتحدث أهلها باللهجة المهرية ، ومنطقة الشحر الواقعة شرقي مهرة ويتحدث أهلها باللهجة الاخكيلية ، وجزيرة سقطرة والجزر المجاورة لها ويتحدث أهلها باللهجة السقطرية . ويقال كذلك انه لايزال في الشام والعراق بعض بلاد يتكلم أهلها بلهجات منشعبة من اللغة الآرامية : في الشام بلاد «معلولة» الواقعة شمالي دمشق و «جبعدين» بجفاء، وفي العراق بعض قرى في طور عابدين بميزوبوتاميا وبعض بلاد في شرقي الموصل وشماله وفي جبال الكرد وعلى الشاطيء الشرقي لبحيرة اورميا .

غير أن وجود هذه الاقليات لا ينتقص شيئا من القومية العربية ولا من وحدة اللغة نفسها . وذلك:

١ ـ لضآلة عدد هذه الاقليات اذا قيست بمجموع السكان . فاذا ضمت هذه الاقليات بعضها الى بعض فان عددها لا يكاد يتجاوز خمسة ملايين ، وهذا الرقم ليس شيئا مذكورا بجانب مجموع سكان البلاد العربية البالغ عددهم زهاء مائة مليون ، فرقم ضئيل كهذا لا يمكن أن يكون له أثر ما في وحدة هذه المجموعة الكبيرة ولا في وحدة لغتها .

٢ ـ ولان هذه الاقليات نفسها ـ وان كانت تستخدم في تخاطبها لهجات أخرى غير اللغة العربية ـ تستخدم اللغة العربية في شئون الكتابة والثقافة والتعليم... وما الى ذلك . ومظهر الكتابة والثقافة والتعليم في اللغة اعم كثيرا في جميع الشئون الاجتماعية والانسانية من مظهر التخاطب.

٣ ـ ولان كثيرا من هذه اللهجات نفسها في طريقها الى الانقراض . وذلك لان السبب في بقائها يرجع الى انعزال اهلها في الماضي عن بقية السكان. فلم تحتك لهجاتهم احتكاكا جديا باللغة العربية . اما الآن فقد تغيرت الاحوال ، ودعت الظروف الاجتماعية والسياسية الى خروجهم من عزلتهم وامتزاجهم باخوانهم ، فأتيح للغة العربية أن تشتبك مع لهجاتهم في صراع جدي . وصراع كهذا لابد أن ينتهي عاجلا أو آجلا بانتصار العربية وانقراض هذه اللهجات أو انقراض كثير منها للاسباب نفسها التي أتاحت لها الانتصار على نظائرها في العصور الاسلامية الاولى والتي أشرنا اليها فيما سبق .

دكتور علي عبد الواحد وافي



دفاع عن الفكر العربي

المراهقة الفكرية

بقلم : عبد العزيز دسوقى

> **المراهقة الفكرية** خطر ينبغى التصدى له والقضاء عليه .. **التقدم الوطنى** لاتحققه كلمات محفوظة عالية الرنين ... إن تحرير الطاقات الخلاقة لأى شعب من الشعوب يرتبط بالتاريخ . ويرتبط بالطبيعة . ويرتبط بالتطورات السائدة والمؤثرة فى العالم الذى نعيش فيه ...
>
> الميثاق الوطنى

مرحلة التحول الخطيرة التى تجتــازها الآن امتنا العربية ، تحتاج الى كل الطاقات العربيــة المبدعة فى شتى المجالات ، لتعمل وتبدع وتبتكر ، لتندفع الثورة العربية المعــاصرة الى غاياتها ، فى مأمن من التيــارات المعوقة الخطرة ، التى تحــولها الى الدروب والمنعطفات فتتبدد وتتلاشى ..

واذا كانت حاجتنا ماسة الى هذه الطاقات فى مجال التصنيع والانتاج ، فلا شك ان الحاجة امس الى هذه الطاقات فى مجال الفكر والآداب والفنون لأن هذا المجــال معرض لمرض خطير يتسلل اليه كالوباء فى فترات الازدهار والثورة ... هذا المرض هو المراهقة .. المراهقة الفكرية .

وقد تنبــه ميثاق العمل الوطنى الى هذا الوباء الخطر فأكد ان « المراهقة الفــكرية خطــر ينبغى التصدى له ، والقضاء عليه .. ان الذين يجمدون الكفاح الوطنى بتفسيرات او قوالب تحد قدرته على الانطلاق ، او تشــيع فيه روح التردد ، انما يقللون من قوة المجتمع ، بقدر ضعفهم وعدم قدرتهم على التفكير الخلاق المنبعث من الواقع الوطنى ..

ان التقدم الوطنى لاتحققه كلمات محفوظة عالية الرنين .. ان تحرير الطاقات الخلاقة لأى شعب من الشعوب ، يرتبط بالتاريخ ويرتبط بالطبيعة ، ويرتبط بالتطورات الســائدة والمؤثرة فى العــالم الذى يعيش فيه .. ليس هناك شعب يســتطيع ان يبدأ تقدمه من فراغ ، والا كان يتقــدم الى الفراغ ذاته » وظاهرة المراهقة الفكرية هذه تأخذ



اشكالا متعددة ، وتستتر وراء اقنعة مختلفة ، فهى احيانا تتسلل مع تيار التجديد الذى يهدر فى حياتنا الادبية ، والفكرية ، واحيانا تختفى خلف واجهة براقة تهفو اليها النفوس .

والأمثلة كثيرة ... اذكر ان صفحة الراى بالأهرام نشرت مقالا للدكتور عبد العظيم انيس عن الفكر الاشتراكى وقضية التحول الفكرى ، يدمغ فيه اجهزة الدولة بالتهاون وتسلل الراسماليين الى مجلاتها الثقافية ، ويطالب بابادة كل التيارات الفكرية المعادية للاشتراكية وتنحيتها عن اجهزة الثقافة .. والى هنا يمكن ان نتفق مع عبد العظيم انيس .. ولكن الذى يثير العجب حقا ما نشره فى مقاله من تهجم على الفكر العربى والتراث الاسلامى فهو مثلا يسب « الغزالى » ويتهمه بالسلبية ، ويقول عن الامام (أحمد بن حنبل) « انه يمثل أشد الاتجاهات الفكرية جمودا وتحجرا فى الشريعة الاسلامية» ويرى فى اعادة نشر كتب الغزالى والحديث عن ابن حنبل قضية خطيرة ، والسكوت عليها طويلا ، ينمى ويوسع الاتجاه المعادى لاشتراكية !! ..

ويفهم القارىء العادى من كلام هذا الدكتور ان اشتراكيتنا ضد الغزالى وابن حنبل وغيرهما من اعلام الفكر الاسلامى .. ولو أن د. عبد العظيم انيس درس مؤلفات الغزالى وتراثه الفلسفى والروحى ، لعلم انه من اخصب العقليات التى انجبها الفكر الانسانى ، ولو فهم تراث احمد بن حنبل وعرف تاريخ حياته لظهر له انه بطل عظيم ، يستحق كل تقدير واعزاز ، ومع هذا فان طريقة دراسة التيارات الفكرية ، والشخصيات التاريخية يجب أن تتم على ضوء الظروف التى كانت تحيط بها وتعيش فيها ، ومن الظلم ان نحاكم اشخاصا عاشوا فى الماضى بمقاييسنا وافكارنا ..

ومع ذلك هل القيم الروحية التى يمثلها الغزالى وابن حنبل تتعارض مع اشتراكيتنا العربية ؟

والجواب بالتأكيد : لا ... فالميثاق يؤكد «ان **الطاقات الروحية التى تستمدها الشعوب من مثلها العليا النابعة من أديانها السماوية ، أو من تراثها الحضارى قادرة على صنع المعجزات**» .

وقد تتعارض هذه الأفكار مع اتجاهات الدكتور عبد العظيم المادية والفلسفية ، ومن حقه أن يعارضها ويقف ضدها ، ولكن ليس من حقه ان يقول انها ضد اشتراكيتنا ... ولو كنت أومن بمنهج الدكتور بعد هذا ... لأضفت التيار الذى يمثله هو الآخر الى التيارات التى تعادى اشتراكيتنا العربية ، ولكننى أومن أن الأفكار لاتعزل ، وان الاتجاهات الضارة لاتعالج بالابعاد والتجاهل ، ولكن بالجدل والحوار ... واننى اذكر هذا الدكتور بالكلمة الرائعة التى جاءت فى الميثاق«ان التقدم الوطنى لا تحققه كلمات محفوظة عالية الرنين» .

البداية ...

ولقد بدات هذه الظاهرة الخطرة فى بيروت منذ مدة ... وانتشرت فى مجلاتها التى تصدرها الدوائر الأجنبية واحتفت هذه المجلات بالشبان الجدد الذين يمثلون هذه المراهقة الفكرية خير تمثيل من امثال مجاهد عبد المنعم مجاهد ، ومحيى الدين محمد ، وآخرين، وهم كتاب مصريون هاجروا بافكارهم الى هذه المجلات فى لبنان ... وليس فى كتابتهم اصالة أو ابداع ، وانما هم يرددون افكار اخواننا (الرافضين) فى بيروت ... من امثال يوسف الخال وعلى احمد سعيد (ادونيس) وفؤاد رفقة وانسى الحاج وجبرا ابراهيم وغيرهم .. وغيرهم من أبناء « الرفض » .

ولقد ظل اخواننا القاهريون المهاجرون بأفكارهم الى بيروت ، يهاجمون ، فى مراهقة وصغار ، تاريخنا وحضارتنا وقيمنا وكل مايمت بصلة الى تراثنا الحضارى ... بل لقد بلغ الأمر بأحدهم أن يتساءل فى جراة وصراحة .

« **أولا** : هل يصلح العالم العربى نقطة انطلاق لحضارة علمية كبرى ؟ كلا بالطبع .

ثانيا : هل تصلح الآداب العربية القديمة ، نقطة انطلاق لحضارة ادبية ؟ كلا بالطبع .

ثالثا : هل يصلح الضمير الدينى القديم ، نقطة انطلاق للضمير العربى الحديث ؟ كلا بالطبع » .

وهكذا بشر هؤلاء الشبان المراهقون فكريا بانتهاء الحضارة العربية وموت التراث العربى !! ويمكن أن نضيف الى هؤلاء الشبان رجلا تجاوز مرحلة الشباب ، ولكنه للأسف ظل حتى الآن يحتضن هذه الأفكار والتيارات ، هو الدكتور لويس عوض ، ومن المستبعد أن نتهم الدكتور لويس بالمراهقة الفكرية ، وان ظلت هناك بواعث اخرى نفسية واجتماعية تجعله يقف مع هؤلاء الشبان ... فهو على وقاره واصطناعه موقف الناقد الجاد الكبير فى صحف القاهرة ، تراه فى صحف بيروت المشبوهة ينشر قصائده السخيفة ، ويقدم لها بمقدمات اسخف ... فيخبرنا مرة بأنه مر بأزمة نفسية عاصفة أشفت به على حافة الكثلكة ، ودخول الدير ... وانه تخلص منها بقصيدة سماها شطحات الصوفى .

وهذه القصيدة تشبه الفية ابن مالك فشعرها بارد لايدل على شاعرية ولاينم عن أى انفعال ومنها .

> **اكلت الله فى خبزى فقوى زند ايمانى**
> **الهى صائد ماكر ... انا من امره حائر**
> **يقيدنى ويطلقنى كهر حاذق ماهر**
> **الهى عنكبوت ينسج الاحلام فى روحى**
> **الخ ... الخ ...**

الناقد العجيب

وتقفز من هذا الشعر السمج البارد الخالى من الشاعرية الى ناقد عجيب غريب هو الدكتور محمد النويهى ، ووجه الغرابة فيه ، أننى لايمكن أن أتهمه بالمراهقة الفكرية ، فالرجل علامة ناضج ، ولا يمكن أن أتهمه بالشعوبية والعداء لحضارتنا وتاريخنا ، لأنه رجل طيب وقلبى لايطاوعنى على هذا الاتهام ، فماضى الرجل جاد مشرق .. ولكنه للأسف ، يقف فى هذه الايام ، مع هذا التيار الذى وصفته بالمراهقة الفكرية .. فهو يكتب كثيرا فى مجلات القاهرة ، مقالات طويلة .. طويلة .. مليئة بالأحكام الجائرة الظالمة

● فهو يتهم الأمة العربية بالانحطاط ، ويرى أن الأمة المنحطة لاتنتج الا أدبا منحطا .

● وهو يقول ان الشكل الشعرى القديم ـ غير المنطلق ـ مات ولم يبق له الا الكذب والاصطناع ..

● ثم يزعم زعما غريبا وهو : أن هؤلاء الشبان الرافضين جزء من ثورتنا وانعكاس لها ... واننا مطالبون بأن نستمع اليهم ، ونتقبل رفضهم وسبهم ولعنهم لأنه جزء من نهضتنا الكبرى !!

ودليل الدكتور النويهى على قضيته ، ان هؤلاء الشبان نموا وواكبوا الثورة .. فهم منها ولها ... وهذا منطق غريب ، وان كان يخفف من هذه الغرابة ان هذا المنطق مسبوق ... فقد قال به الشبان الرافضون المجددون الذين يزعمون أن تجديدهم ابحار فى « بحر الظلمات » الذى خشيه الملاحون قرونا طويلة ... وان الشعر الحديث قلب للمفاهيم الموروثة ... وأنه انعكاس للتمرد العربى فى سبيل حياة أغنى وأعنف .. وليس من قبيل الصدف أن يأتى معاصرا لفترة التمرد السياسى والغليان الاجتماعى فى العالم العربى .. انه جزء من الثورة الجذرية فى الكيان العربى .. انه جزء من زحزحة العتيق وبناء الجديد ... جزء من تململ المدنية العربية بعد سبعمائة سنة من ريف نال منه الجفاف، وصحراء خلت من فرسانها » .



وقد أخذ الدكتور النويهى هذا الكلام وملأ به ثلاثين صفحة من مجلة الشعر واصطنع لهجة حادة وتقمص شخصية المبتكر ... ومن عجب ان كل الأفكار التى يبشر بها الدكتور النويهى فى هذه الأيام ليست من اختراعه فقد سبقه اليها الكثيرون فهى أولا أفكار وقضايا مسبوقة وغير أصيلة ... ثم هى أفكار هشة لا تصمد للنقاش .

مثال :

ولنأخذ على سبيل المثال قضية من هذه القضايا التى يتحمس لها الدكتور النويهى ، ولتكن من القضايا الهامة فى نظره والتى وقف عندها طويلا ، ورددها فى مقالاته ومحاضراته وكتبه ، واستأنى فى درسها ، حتى لا نتهم بعد ذلك بأننا نتصيد للدكتور القضايا والأفكار السريعة التى تدفعه اليها الصحافة وهذه القضية هى « الشكل الشعرى » ، فالدكتور النويهى دار حول هذا الموضوع كثيرا وانتهى فيه الى عدة أحكام صارمة ، ألقاها فى اطمئنان ، وكأنه صاحب الكلمة النهائية فى الآداب والفنون :

● من هذه الاحكام الصارمة القاسية ، «ان شكل الشعر التقليدى عندنا ، مضت عليه ألف وأربعمائة سنة ، وانه طوال هذه السنين ظل يحمل مضمونا جامدا ضحلا فقيرا ، أنهكه وأفقده الجدة والأصالة والصدق لذلك أصبح غير قادر على حمل مضمون جديد صادق الجدة ..

● وان الشكل القديم طغت عليه نبرات الكذب والافتعال ثم صار من المستحيل تصفيته منها واجلاؤها عنه .

● وان هذا الشكل لم يبق له الا مجال الكذب والاصطناع والتقليد .

● وان الذى أدى الى موت هذا الشكل وعجزه التام ــ غير طول العهد به وغلبة الكذب ــ هو الاسراف فى الانضباط والرتوب ، والمغالاة فى السيمترية الهندسية الجامدة ، وحدة القرع وبروز الايقاع الذى يؤلم الأذن الحساسة الناضجة التواقة الى خفوت الموسيقى وتنوعها .

● وفى غمرة هذا الحماس أكد الدكتور النويهى ان هذا الشكل « كان يحمل منذ البدء جراثيم جموده وتحجره » .

هذه هى أحكام الدكتور الصارخة لخصتها بعباراته هو حتى تكون أمناء فى نقل افكاره الى القراء الذين لم يتابعوا كتاباته . وانت تلاحظ ان الدكتور النويهى يسوق أفكاره فى اسلوب حاد صاخب يسوده الضجيج والجلبة ، يجرح الأذن المتفقة المحتاجة الى التحليل الموضوعى الصادق .. وهذه ملاحظة شكلية من هذه الملاحظات التى تروق للأستاذ الدكتور .. وملاحظة أخرى تتصل بالشكل وبمنهج الدكتور فى الدراسة والحكم ، وهى انه يطلق أحكامه بلا حيثيات ، وبمعنى أدق ، انه لم يتتبع بصورة شاملة الأمثلة الدالة على صدق دعواه من أن الشكل القديم مات واندثر لكذبه وجموده وتحجره ، ولم يأت بقصائد يبين لنا فيها هذا الجمود والتحجر والاصطناع ، ولكنه راح يصطفى قصائد من الشعر القديم ، ويشرحها ويبرز ما فيها من أصالة وصدق وجمال ! ، واننى لأعجب العجب كله من الأخ الدكتور النويهى لماذا يتعب نفسه ، ويشغل وقته بالبحث عن الجواهر بين اكداس الصدف التافه ... ما دام يؤمن أن الكثرة الكثيرة من شعرنا القديم ماتت وتحجرت وانها كانت منذ القدم فى الأعم الأغلب مستودعا للكذب والافتعال !



ثم نعود الى مناقشة الاستاذ الدكتور النويهى فى احكامه التى أطلقها :

هل صحيح أن الشكل القديم مات وجمد وتحجر، ولم يعد صالحا لغير الكذب والاصطناع ؟ وأنه غير قادر على حمل مضمون جديد صادق ..؟ وكان من الممكن أن اسلك مسلك الدكتور النويهى وأطلق أنا الآخر عدة أحكام بلا حيثيات ... اؤكد فيها أن هذا الشعر صادق ومتجدد وأنه يحمل فى ثناياه أسباب تطوره وعبقريته . وأن كل الاحكام التى ذكرها الدكتور تجانب الصواب ... ثم تضيع القضية بيننا ... ولكنى احب ان أدخل مع الدكتور فى جدل هادىء حتى نصل الى الحقيقة ... وقد أقتنع بأحكامه ..

● الدكتور فى أحكامه يقف طويلا عند الجانب الشكلى .. هندسة البيت .. حدة الايقاع التى تؤلم الأذن الرتوب ·· ويرتب على ذلك أحكامه على الشعر ، أما التجربة الفنية المتكاملة فى القصيدة ، وعناصر الابداع الفنى ، فلا يهتم بها اهتماما كبيرا· ومن هنا تبدأ أحكام الاستاذ الدكتور فى الحدة والاندفاع ، فالشعر عنده شكل ·· قالب ·· مع أن علماء الجمال والفلاسفة الذين شغلوا أنفسهم بالبحث فى فلسفة الجمال من امثال هيجل وكانط وشوبنهور وجويو وكروتشه ··· قد اختلفوا اختلافا كبيرا حول الأثر الجمالى الذى يحدثه فينا الشىء الجميل·· أو الأثر الفنى ، وهل نشعر بما فيه من جمال من خلال ما يثير فينا من احساس وما يعمق فينا من مشاعر ، وعواطف تشعرنا بانتظام الحياة وانسجامها ··· أو بمقدار ما يخلصنا من الارادة ويسمو بنا الى دنيا التأمل العقلى والوجدانى ··· وغيرها من الاختلافات التى تحتشد بها هذه الدراسات ؟



ولكن الشىء الذى يتفق عليه الدارسون أننا لا يمكن أن نفصل بين الشكل والمضمون ونحن نتتبع الأثر الذى يحدثه فينا العمل الفنى ··· وسواء أكان الجمال ذاتيا أو موضوعيا ، خارجيا أو داخليا فان العمل الفنى لا يمكن أن يأخذ روعته وصدقه من خلال قالبه أو شكله الخارجى ، والا لتساوى جميع الشعراء والفنانين ، لأن الاشكال والقوالب مبذولة للجميع ، وانما يأخذ روعته وجماله من صدق الفنان الباطنى ، وقدرته الفنية على التقاط أجزاء التجربة والاهتداء الى قالب فنى يصوغها فيه ملائم لها ، يمتزج بها فى وحدة عضوية متناسقة تثير فينا الجمال ، لا بشكلها أو قالبها بل بمجموع هذه العملية الفنية المعقدة ··· وهذا هو المعيار الفنى الذى يميز شاعرا عن شاعر وقصيدة عن قصيدة ... ولذلك نرى قصيدة من الشعر المنطلق غاية فى الكذب والافتعال والضجيج ، لأن الشاعر يفتقد الصدق الفنى والأصالة ... ونجد قصيدة من غير هذا الشكل فى غاية الأصالة والصدق وخفوت الموسيقى لأنها تعبير عن احساس باطنى صادق

فالتفرقة التى يقيمها الدكتور النويهى بين الشكل القديم والشكل الجديد ، تفرقة غير علمية ، ولا تتفق مع واقع حياتنا الشعرية ، وهذه هى البداية التى بدأ منها الدكتور أحكامه الخاطئة ··· انها تفرقة منطقية تعتمد على الأقيسة المنطقية ، فالعقل يقتنع بأقيسة الدكتور نويهى المنطقية البارعة ··· مثل «الشكل القديم ظل يحمل الكذب والاصطناع أكثر من ألف عام وانه منضبط مسرف فى الانضباط رتيب حاد القرع · لهذا لا بد أن يفقد قدرته على حمل المضمون » ·· هذا كلام جدلى بارع ولكن بقليل من التمعن والدرس ندرك ان الشكل الشعرى ليس حمارا يحمل على ظهره المضمون ويسير فى مجاهل الحياة مئات السنين ! .. لو كان الأمر كذلك لسلمنا مع الدكتور محمد النويهى بموت الحمار من الاعياء والتعب ... ولطالبنا باحضار حمار أو فرس قادر على حمل المضمون الجديد ... المنطلق .. !!

ولكن الأمر ليس شكلا جديدا أو قديما ، وانما هو « عملية الابداع » المعقدة الكثيرة العناصر ···

ويمكن أن نسوق للدكتور مجموعة من التجارب الفنية أبدعها شعراء فى عصرنا هذا ، صادقة كل الصدق جديدة كل الجدة ··· هامسة كل الهمس·

وليستمع معنا الدكتور النويهى الى هذه الأبيات التى يعبر بها أبو القاسم الشابى عن حالة من حالاته النفسية العاصفة :

ياصميم الحياة انى وحيد
مدلج تائه فاين شروقك · ؟
يا صميم الحياة انى فؤاد
ضائع ظامىء فاين رحيقك ؟

الى ان يقول :

لم اجد فى الوجود الا شقاء
سرمديا ولذة مضمحلة
واناشيد ياكل اللهب الدامى
مسراتها ويبقى اساها
وورودا تموت فى قبضة الأشواك
ما هذه الحياة المملة ··· الخ

أو قول ابراهيم ناجى فى « رسائل محترقة »

ذوت الصبابة وانطوت
وفرغت من آلامها
لكننى القى المنايا
من بقايا جامها

عادت الى الذكريا
ت بحشدها وزحامها

فى ليلة ليلاء أر
قنى عصيب ظلامها

هدأت رسائل حبها كا
لطفل فى أحلامها

فحلفت لا رقدت ولا ذا
قت شهى منامها

اشعلت فيها النار
ترعى فى عزيز حطامها

تغتال قصة حبنا
من بدئها لختامها

احرقتها ورميت قلبى
فى صميم ضرامها

وبكى الرماد الآدمى
على رماد غرامها

او قول أبى شادى : فى « بحر السماء » :

هتفت بى الاضواء فاستيقظت من نومى على قلق من الاضواء

ونظرت فى افق السماء فلم اجد الا حديث الموج والداماء

السحب تجرى فى اصطخاب الموج لا ترضى بهداة لحظة لندائى

وتغيب فى بحر السماء كما مضى حلمى وانفاسى ووحى رجائى

أو قول الهمشرى من قصيدته « الى جنا الفاتنة »

أنت حلم منور ذهبى
طاف فى افق عالم مسحور

وتجلى على غياهب روحى
بجناح من الضياء البشير

انت عطر مجنح شفقى
فاوح الروح فى همود الذهول

قد سرى فى الخيال طيب شذاه
من زهور فى شاطىء مجهول

فهل هذه الأنغام الحارة المرهفة العميقة كاذبة يا دكتور نويهى أو جامدة أو رتيبة أو حادة القرع ؟ .. اننى أترك ذلك لذوق الدارسين والقراء ...

قد يقول الدكتور النويهى ... ان هذه المختارات أو بعضها قد دخلت عليها تجديدات جزئية فى القالب الشعرى .

ونحن نسلم بذلك ، لأن الشعراء باحساسهم الفنى انساقوا فى حالة ابداعهم الى هذه التجديدات ونحن من القائلين بأن حركة التجديد فى الشعر العربى لم تتوقف أبدا ... ولكننا نؤكد أيضا أن صدق هذه الأنغام وروعتها لم يأت من قالبها وشكلها ... وانما جاء نتيجة الصدق الباطنى الذى يمتاز به الشعراء بدليل ان قصيدة ناجى من حيث الشكل من مجزوء بحر قديم ... ولم يمنع ذلك من صدقها واصالتها وروعتها ...

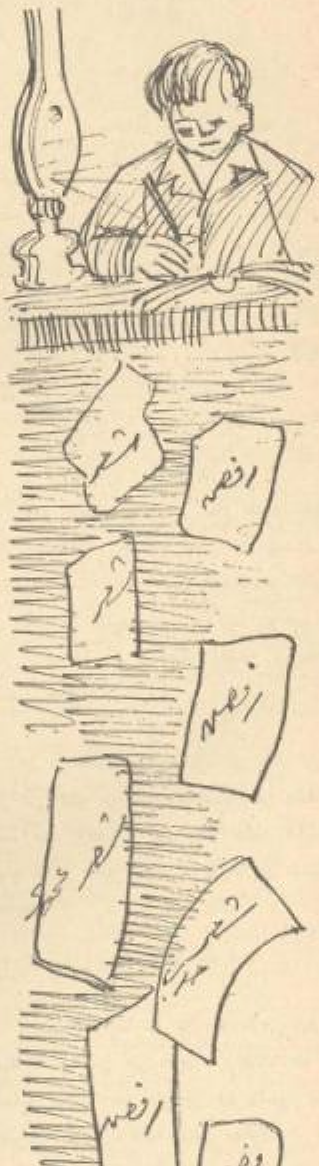
ولو كانت الصفحات تتسع لمزيد من النماذج لوضعت بين يدى الدكتور النويهى قصائد من الشعر المنطلق فى غاية الكذب والاصطناع والضجيج ... ليتأكد أن الشكل الشعرى القديم لم يمت للأسباب التى ذكرها وليلتمس له أسبابا أخرى فى عملية الابداع الفنى وليستشر علم الجمال وعلم السلوك ليأتى بأحكام موضوعية منصفة ، ولا أستطيع أن أزعم ان الدكتور النويهى يجهل هذه العلوم ، فقد ألف كتبا تدور حولها ..

ولكننى لا أدرى لماذا يحكم هذه الاحكام ويطلق هذه القضايا ، وما هى البواعث النفسية والاجتماعية خلف موقف الدكتور الأخير ... اننى فى حيرة وعجب ... ولذلك لم أكن هازلا حينما سميت الدكتور النويهى فى هذا المقال بـ «الناقد العجيب» وهذا هو السر فى اننى حشرته ضمن هذا المقال الذى يتحدث عن المراهقة الفكرية والشبان الذين هاجروا بأفكارهم الى مجلات أدب وشعر وحوار وغيرها من مجلات « المنظمة العالمية لحرية الثقافة » ومعذرة للأخ الدكتور فأفكاره وقضاياه فى هذه الأيام تجعله يقف على الأرض الفكرية التى يقف عليها هؤلاء ..

عبد العزيز الدسوقى

قيم في النقد

للدكتور : احمد كمال زكى





المقالات التى ناقشنا فيها بعض شعراء الرفض لا تعنى الحكم بالاعدام على أى واحد منهم ، فقد سبق ان ذكرنا أن امرهم للتاريخ وانما كنا نحاول جاهدين أن نصل الى النقد الذى يمكن أن يقترح كأساس للتقدير الفنى نراه ، وليس معنى هذا أن نلغى مدارس النقد أو نسقطها من حسابنا لمجرد أنهـا فرضت بعض التصورات القلقة حول القيم الفنية ، فهذه من غير شك ـ من بلاغية تقليدية الى نفسية الى تأليفية الى غيرها ـ تحاول بقدر المستطاع أن تمنع فوضى الانطباعية التى يريد أن يقترحها الباحثون عن النقد الهين السريع .

وفضلا عن ذلك ، فانها حين تتعارض ‥ ويتخذ تعارضها صورة الكشف أو الاستطلاع فانها تهيىء السبيل الى انبثـاق أساليب جديدة من التعبير وظهور خبرات تستجيب لهذه الاساليب . وقد أظهر النقد الموقفى أو الأيديولوجى أو الاجتمـاعى فى صراعه مع البلاغيين عندنا مقدار ما فى الشعر المرسـل من خصوبة وثراء ، ومن ثم تسللت بعض عباراته الى الشباب العموديين الذين وصلوا الى مرحلة النضج الفنى .

ونقول فى غير مواربة ان تحول المفاهيم أو انحرافها عن التقليديات بات فى حاجة الى دعم النقد بما يتلاءم مع التطور الجديد ، بل لعل الانماط التى تحطم «الشكل» المتعـارف عليه لأكثر الجرأة على ترك القواعد المتوارثة ، فقد أصبحت هذه بمثابة صور شوهاء لاعمال سبق تقديرها تحت ظروف معينة .

لقد اصبح الادب ـ بغض النظر عن تعريفه الاكاديمى الذى يستند الى احصاليات شبه مدرسية لجزئيات ضروبه ـ تعبيرا فنيـا عن شىء ما ‥ عن تجربة ‥ عن انسان لم يسلم بالمعطيات المقررة ، ولهذا يصعب كثيرا الا نجد انفسنا مدفوعين الى اعتبار نقده تشريحا لذلك التعبير .

والتشريح لا يعنى هتك العمل الادبى ، وانما يعنى وصف أجزائه فى الكل الفنى ‥ وصفها فى نطاق الصورة المشكلة للموضوع وفى مسح الخصائص التى تفرد بها هـذا الموضوع على أن يكون الحكم على «القيمة» الكلية غير ملزم بأكثر من تربية ادراكنا للاعمال الادبية المختلفة .

ولعل سبينجارن كان من أهـم من نادى بشىء من هذا ، وكان كبعض نقاد فرنسا طوال القرن الماضى وكجوته يجعل « نظرية التعبير » فيصلا فى تقييم خبرة الاديب ، بل عن طريقه ـ على نحو ما ـ ظهر كيف تنمو دائما خبرة أى ناقد يرتبط أساسا بالمادة الموضوعية .

وتعطينا هذه النظرية كل الحق فى أن نخلص الادب من آفة تقسيمه الى أنواع مختلفة أو على الاقل لا نعتبر غزل شاعر ما غير مدحه وغير هجائه وغير الرثاء الذى قاله . بمعنى أن أنواع الشعر أو فنونه أو ضروبه لا يمكن أن تخضع لقوانين تختلف بحسب لون التعبير فيها ، فان التبويب لا يعدو أن يكون تسميات

ليست لها دلالة فعلية في الشعر ، وأجدر منها بوحدة القصيدة مثلا ، كأن تكون ذات صبغة غنائيــة او تنطوى على طابع ملحمى وهكذا .

وحتى اذا توسعنا وخرجنــا الى الدائرة العامة للشعر ، فاننا لا يمكن ان نخضع فى النقد لمؤرخ الادب الذى يفصل بين الملحمة والملهاة والمأساة ، والا كان علينــا ان نقطع هوميروس الغنائى عن هوميروس الملحمى .. واذا جاز هذا القطع نظريا او ذهنيا - بحسب ما يرى مؤرخ الادب - فلا يجوز عمليا لان الملحمة فى جوهرها غناء باعتبارها فنا ، والفن كما نعرف أو كما ينبغى أن نعرف غناء سواء أكان «الالياذة» أم «الكوميديا الالهيــة» أم «الداثوب الازرق» أم «رقص أولاد البلد» أم «تمثال رمسيس» .

وبناء على هذه النظرية تلغى الاحكام التى تقوم على تقسيم الادب الى شعر ونثر ، لان الادب فن ، والفن تعبيــر يمكن توصيــله للمتلقى ، وليست ثمة حاجة الى بيــان ان طريقة التعبير فى النثر تختلف عن طريقة التعبير فى الشعر ، لان أسلوب التعبير نفسه يختلف من أديب الى أديب ، بل يختلف عند الأديب الواحد من حالة الى حالة والمعول عليه هنا ان يسأل الناقد : ماذا كان أثر الشكل الملحمى عند فرجيل الشاعر وكيف عوقت تقاليد السونيت شكسبير عن الانطلاق كمــا انطلق فى الدراما ؟ وهل كان أبو العلاء اعمق تعبيرا فى رسالة الغفران منه فى لزوم ما لا يلزم .

❊ ❊ ❊

هذه ناحية ، والناحية الاخرى لاتقل أهمية عنها لانها تعنى بعنصر الجمــال الذى جرى العرب والغربيون خلال العصور الوسطى على اعتباره زينة خارجية ، أفلم يقرر ذلك أرسطو أستاذ هؤلاء جميعا ؟ ولكن منــاقشة التعبير تستلزم طرح كل عناصره على بساط البحث والجمال احد هــذه العناصر ، بحيث يكون والتشبيه مثلا جزءا من كل لايمكن بحثه على حدة ، وبحيث تكون الاستعــارة ملتحمــة عضويا بالبنية ، وتكون صورة التعبير كيانا فيه كل شيء عن التجربة .

ويرتبط بالجمال كل حكم اخلاقى ، ماكان يبحث عن الخطأ والصواب او ماكان يسأل ، ما جدوى وجوده فى النص ؟ بل يتسع السؤال لتشمل الأثر الادبى كله ، فهل له فائدة ، وما دوره فى تفسير الحياة ، ولما كان يتطلب من الاديب أن يكون ذا موقف فكرى - على ماقررنا ونحن نناقش البياتى والخال - فان تشكيله لعنصر الجمال وبالتالى بناء النص كله يرتبط باخلاصه لفنه ، ومن ثم يكون التعبير تعبيرا عن تجربة حياتية ذات ابعــاد معينة .

واما الناحية الاخيرة فقد تبدو بباذجة ، ولكن عناية أغلبنا بها اعطتها اهمية ، بحيث وجدت مدرسة فى الفن لاتزال تبحث - فى نقد الأثر - عما قرره تين فى «البيئــة» وما **يتصل بها من «جنس» و «زمن» . ولقد بدا** واضحا أن هذه جميعا تشكل وثيقة تاريخية اجتماعية ، الا أنها لاتضيف الى الادب شيئا ، هى قد تكشف عن تاريخ حضارة ، ولكنها لاتقدم التبرير الكامل للتجربة ، فقد يكون للاديب طاقاته التى يستطيع أن يزيف بها الحقيقة كمــا فعل الرافضون ، وقد تكون مهاراته الفنية أقوى من البيئة ، ولعلنا من هنا نجد تفسيرا لاختلاف طائفة من الادباء عاشت كلها فى زمن واحد ومن جنس واحد يضطرب فى حيز بيئى بعينه .

اذن .. فمسألة التعبير هى قاعدة النقد الذى اقترحناه ونقترحه ، وهى فى شكلهــا الذى نحدده تمر فى مرحلتين : أولاهمــا : مرحلة الفهم فهى انطباعية ، والثانية مرحلة التفسير ، وقد التزم المرحلتين فى نقده كل من محمود أمين العالم وعبــد العظيم أنيس فى كتابهما « فى الثقافة المصرية » وناقشا بعض آثار العقاد والمازنى والحكيم ونجيب محفوظ وغيرهم مناقشة ايديولوجية أهدرت فى الطريق عنصر الجمــال ، وتعسفت فى تطبيق نظرية متطرفة استهدفت تقييم المضمون ، واستهجنت مالا يوافق اتجاههما باعتباره انحرافا عن الفن نفسه .

والعجيب ان كثرة من النقاد تابعوهما فصدر محمد مندور بنقد خالف فيه منهجه الذى اتبعه فى «نماذج بشرية» و «فى الميزان الجديد» وكان من أثر ذلك أن شب جيل من الشباب على الادب «سياسة» أو «شعارات» لاحاجة بها الى الشكل الفنى الجميل .

❊❊❊

ولو قد عنينا بالاصول الجمالية الى جانب البحث المقصر للتعبير فقد تحديد الهــدف اذن لاكتملت صورة النقــد المقترح ، واذن لظهر أن الحياة التى ينبغى أن ينبض بهــا النقد لاتقل قوة عن الحياة التى بثها الاديب فى النص ، هذه الظاهرة قد لاتفسر لنا كل مايجب **ان يقال عما نريد ، ولكنها فى رأينا تجعل** النقد بدونها عقيما . ولست أزعم انها قاطعة الحكم لاولا أريد أن ألقى فى الروع انها لايأتيها باطل قط ، وانما أرى بالتجربة انها تضع أيدينا على قيمة العمل مهما يكن .

❊❊❊

وبهذه النظرة يمكن ان يعاد تقييم النماذج التى قدمناها ، او قل يمكن ان يقــال ان تعارضهم معنا لايعنى هبوط مستواهم الفنى ، بل الحق ان اغلبهم مبرز فى فنه ، ويفهم هذا الفن - بعيدا عن اى حكم اخلاقى - بطاقات جمالية خصبة .

ان من الصعب ان يلتزم اى ناقد كل ما اثر فى النقد من قيم ، واصعب من ذلك ان يقف عند الانطباعية فى اطار الفهم العام فلا يمنح الأثر ماهو بحاجــة اليه من عنــاية وتقدير .

❊ ❊ ❊

ومعنى هذا اننا اذا كنا اهدرنا فى الطريق شيئا فللمتابعين حق الرد ، وكذلك اذا كنا اهملنا جوانب فعلى المجدين ان ينبهوا عليها ويشيروا اليها ، فانما النقد محاولات ، ومن يخطئه التوفيق فيها مرة قد لايخطئه ثانية ، والكلمة لمن يحرص على الا يخطىء .

د . احمد كمال زكى

والمؤتفكة أهوى

للدكتور: فؤاد حسنين

اجمعت كتب التفسير على انها مدائن لوط واجمعت ايضا على انها نعتت بهذا اللفظ لانها ائتفكت باهلها اى انقلبت وصار عاليها سافلها . ومادة (أ ف ك) كما جاءتنا فى العربية واخواتها تشير حقا الى الانحراف والانقلاب ، وقد انفرد القرآن الكريم بهذه التسمية وارجح ان مدائن لوط كانت قد اشتهرت بالمؤتفكة منذ عصر النبوة او قبله . ويذهب الفرقان بعيدا ويعلل هذه التسمية ومدلولها فى سورة النجم بقوله «فغشاها ماغشى فبأى آلاء ربك تتمارى . هذا نذير من النذر الاولى ازفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة» ..

وليس القرآن الكريم هو أول من عرض لمدائن لوط فقد سبقته اليها التوراة وبعض المؤرخين السابقين أمثال بطلميوس واسترابون وغيرهما . فقد جاء فى الآية العاشرة من الاصحاح الثالث عشر من سفر التكوين أن لوطا اختار الارض الممتدة على نهر الاردن ومن ثم أخذ يتجول شرقا ومعه أهله ومواشيه فى وادى الاردن تجاه الجنوب واخيرا بنى خيمة فى سدوم . وفى جنوب البحر الميت كانت توجد المروج الخضراء وبخاصة ذلك الوادى الذى اشتهر باسم وادى سديم حيث البحر الميت او المالح . وفى الاصحاح الرابع عشر من السفر ذاته نقرأ خبرا مفاده ان هذا الوادى كان يضم خمس مدن هى سدوم . عموره . ادمه . صبوييم وصوغر . ومن أشهر هذه المدن سدوم وعموره .

اما النكبة التى حلت بالمؤتفكة فقد تعرض لها الاصحاح التاسع عشر من سفر التكوين ايضا حيث نقرأ «واذا اشرقت الشمس على الارض دخل لوط الى صوغر فامطر الله على سدوم وعموره كبريتا ونارا وائتفكهما وسائر المدن وجميع سكانها ونبات الارض ونظرت امراته من ورائه فصارت عمود ملح .. واذا دخان الارض يصعد كدخان الاتون ..»

هذه هى النكبة التى حلت بفلسطين فى تلك العصور الغابرة كما ترويها لنا التوراة ، وقد حيرت هذه الكارثة العلماء فى مختلف العصور فعرض لها استرابون حوالى عام ٢٠ م فقال فى كتابه السادس عشر صحيفة ٧٦٤ - يجب أن تصدق مايرويه أهل البلاد من أنه كانت هناك ثلاث عشرة مدينة آهلة بالسكان ، بقى من عاصمتها سدوم جزء كبير من سورها ، وقد تهدمت بسبب زلزال وتصاعد نيران وقطران حار ومياه كبريتية من البحيرة . وقد التهمت النيران الاحجار ، كما ائتفكت مدن كثيرة وهلك معظم سكانها .

وعرض لهذه النكبة أيضا امثال بطلميوس وتتسيتوس فذكر الاخير انه بالقرب من البحر الميت ازدحم سهل خصيب بكثير من المدن الكبرى ثم حدث ، فيما يروى ، أن شعاعا أحرقها . ويقرر فيلون وفلافيوس الوقائع نفسها . فتاريخية هذه النكبة ثابتة وان كنا نجهل نوعها وتاريخها .

ان التوراة تقرر ان هذه الكارثة وقعت بعد قصة الملوك الخمسة اى ملوك تلك المدن الخمس التى اشتهرت باسم مدائن لوط (التكوين ص ١٤ ى ٢) وقد التقوا فى تل سديم المشرف على البحر المالح واليه ينتسب الوادى الخصيب الذى يضم هذه المدن . وتذكر ابو كريفا التوراة (حكمة سليمان ص ١٠ ى ٦) ان نارا التهمت المدن الخمس والارض الخربة مازالت تنفث الدخان علامة للشر .

والآن نتساءل هل هلكت المدن جميعها حقا أم بعضها فقط ؟ ان سدوم كانت العاصمة واليها وجه كل الاهتمام ، أما عموره التى تذكر دائما مع سدوم فيعتقد بعض العلماء انها لم تكن آهلة بالسكان بل كانت مرجا من المروج المحيطة بالبحر الميت لان لفظ (عموره ــ مغموره) يفيد الارض المغمورة بالمياه .

ويختلف العلماء فيما بينهم حول سبب هذه الكارثة فمنهم من يعتقد ان زلزالا عنيفا قد ائتفكها ويعارض هذا الراى آخرون محتجين بظاهرة الكبريت والنار وهم اميل الى تعليلها بثورة بركانية وبخاصة فحوض الاردن والبحر الميت وماحولهما من المناطق الفلسطينية الغنية بالبراكين الميتة ويقوم فى وجه هذا الرأى أن جميع هذه البراكين ظلت منذ الاف السنين ميتة وقد يصح نظريا ان بركانا منها قد ثار . لكن هذه الثورة يجب ان تترك أثرا من الآثار الجيولوجية وما لم يعثر العلماء الجيولوجيون على هذا الاثر فالاحتمال مرفوض . ويذهب الجيولوجيون بعيدا ويقررون ان هذا الاثر لو وجد يجب أن يرجع الى أوائل الالف الثانى ق.م. وهو الوقت الذى يرجع وقوع الكارثة فيه لكن مثل هذه الآثار لم يعثر عليها بعد ويرجح الجيولوجيون ان ثورانا بركانيا لم تعرفه فلسطين منذ ٤٠٠٠ عام . لذلك يجب أن نبحث عن علة اخرى لهذه الكارثة وهذه العلة يجب ان تقضى على الخلف القائم بين الكتاب المقدس من ناحية وبين أمثال (هرمن جونكل) و (ادورد ماير) من ناحية أخرى فهؤلاء العلماء يعتقدون ان قصة المؤتفكة اسطورة من أساطير الكتاب المقدس وان مدائن لوط وبخاصة سدوم وعموره من مدن الجزيرة العربية، ومن هناك حملت الفكرة الى فلسطين والواقع انه لرأى وجيه وبخاصة فقد نعتها القرآن الكريم نعتا عربيا أصيلا وهذا النعت لم يكن مستحدثا بل المتمكن الامكن فى تراثنا العربى القديم واذا علمنا ان الجزيرة فيها كثير من الحرات كما تعرضت لكثير من الهزات والاضطرابات الارضية قبل الاسلام وبعده وبخاصة بالقرب من المدينة وفى جبل الطير وبعض الجزر الصغيرة الا أن بركانا واحدا لم يثر فى العصر التاريخى او ان ثار لم يخلف أثرا فعالا مدمرا كذلك الذى أصاب سدوم وعموره .



فهذه الخلافات بين العلماء من ناحية وبين رواية الكتاب المقدس من ناحية أخرى تركت الباب مفتوحا أمام علماء طبقات الارض فتباروا جادين وفى فلسطين ذاتها حيث نجد الجيولوجى الالمانى (مكس بلنكنهورن) ينصرف الى دراسة تاريخ البحر الميت فينتهى به البحث الى أن هذه البحيرة المالحة قد ظهرت الى الوجود كنتيجة طبيعية لهذه الاضطرابات الارضية التى انتابت شرق القارة الافريقية فبعثت لنا الى الوجود هذه الاخاديد واستتبع ظهورها انغلاق الارض عن هذا الاخدود العظيم الممتد من بحيرة نياسا حتى الشام فضلا عن كثير من البراكين والبحيرات الكبرى فى شرق افريقيا ثم البحر الاحمر والبحر الميت وبحيرة الجليل وطبرية وقد كونت فى أول أمرها مع البحر الميت وحدة مائية . واذا علمنا أن البحر الميت اليوم يغور مسافة تقدر بنحو ٧٩٣ مترا تحت سطح البحر والبحر ذاته ٣٩٤ مترا ويبلغ طوله نحو ٧٨ كيلومترا وعرضه ٢٧ كيلومترا وعمقه ٣٩٩ مترا ولا يصب فيه الا نهر الاردن قدرنا درجة ملوحة مياهه التى تساوى ستة أمثال الملوحة المعروفة فى سائر البحار ، كما انه لا يوجد به كائن حى ومن هنا سمى البحر الميت .

والبحر الميت لم ينشأ دفعة واحدة كما هو مشاهد اليوم بل هناك الجزء الجنوبى منه الممتد جنوب شبه جزيرة اللسان حتى النهاية حيث يتفاوت عمق مياهه بين المتر والستة امتار . وهذا الجزء كان أرضا ثم غمرتها المياه تدريجيا نتيجة لهزة أرضية .

وهذه هى قصة سدوم وعموره .

أما فيما يتعلق بالمياه الكبريتية والنيران فالثابت حتى اليوم ان هذه المنطقة غنية بالعيون الساخنة والمياه الكبريتية والغازية وبعض المعادن الاخرى والتى ولاشك قد قذف بها البركان لما ثار وحتى يومنا هذا يوجد على الشاطىء الجنوبى للبحر الميت نبع يقصده الزوار لكثرة احتوائه على المواد الكبريتية . فاذا ما اخذنا جميع هذه العوامل بعين الاعتبار أدركنا مدى اهمية وصف استرابون لهذه الكارثة وهو وصف ادق واشمل مما جاء فى الكتاب المقدس فالسماء لم تمطر نارا وكبريتا بل كما يذكر استرابون انطلاق من الاخاديد لخليط من الغازات التى لاتلبث أن تلتهب اذا ما لامست نارا . وهذه الغازات تبدو فى الظلام وكأنها نار وفى النهار دخان وهكذا تقول التوراة «لقد خرج دخان من الارض كما يخرج من الاتون» .

وسواء صحت آراء أولئك أو هؤلاء فيما يتصل بطبيعة الكارثة او ان المؤتفكة فى داخل الجزيرة العربية او على حدودها الشمالية فى فلسطين فهذه لن تغير شيئا من صحة ماذهب اليه القرآن الكريم ، لكن الشىء الجدير بالملاحظة هو ، كما اشرت سابقا ، اطلاق لفظ مؤتفكة على مدائن لوط فاستخدام هذا اللفظ الذى لاشك فى أصالته العربية وقدمه دليل قوى على تأصل اللغة العربية القرآنية وتغلغلها البعيد حتى فلسطين مما يؤيد أن هذا الصقع العربى لم يخل يوما من الايام من العرب لغة وجنسا وقد حفظت لنا المصادر التاريخية المختلفة كثيرا من النصوص التى تذكر العرب عنصرا خاصا من العناصر المستوطنة لفلسطين ، وهؤلاء العرب لم يعيشوا على هامش الحياة بل شاركوا وساهموا فى الحياتين الدينية والاجتماعية لفلسطين . فالتاريخ يحدثنا أن العمالقة والقينيين



والدادانيين والمدينيين وغيرهم من القبائل العربية استوطنوا فلسطين قبل نزوح العبريين اليها . ويحدثنا التاريخ الدينى أن العرب المدينيين كانوا من رعايا الدولة المعينية التى امتد سلطانها حتى شمال الجزيرة وبلغ غزة والدولة المعينية هى الدولة صاحبة الثقافة الرفيعة التى بلغت أوجها فى الالف الثانى ق.م. والثقافة المعينية هى التى اثرت فى العبريين ثقافيا ودينيا فالتوراة تحدثنا كيف أن موسى لما هرب من مصر لجا الى المدينيين واتصل بكبير كهنتهم (يثرو) والذى كان سادنا لبيت من بيوت العبادة المدينية المعينية وشبيه الكعبة شانه شان جبل حورب الموضع المدينى المقدس والذى استقبل فيه موسى الوحى .

وتحدثنا التوراة أيضا ؛ أن موسى تلقى كثيرا من الارشادات من (يثرو) كما أن كريمته (صبورا) التى اقترن بها موسى قامت بدور هام فى الطقوس العبرية . وبعد أن دالت دولة المعينيين سياسيا ورثتها سبأ فواصلت رسالتها فنجد قصة ملكة سبأ كما يعتبر سفر أيوب من أروع الآثار الادبية التى ترجع الى تلك الفترة . وظل الاثر العربى يتغلغل فى فلسطين حتى ظهرت بواكير الادب العبرى القديم وهى تحمل الشىء الكثير من خصائص العقلية العربية الفنية شعرا او نثرا فنحن نجد صورا عربية وخيالا عربيا وتشبيهات عربية وان العالم الخبير بالادبين العربى الجاهلى والعبرى القديم يدرك لاول وهلة الصلة القوية بين الادبين .

وهذه الرابطة القوية بين ربوع الجزيرة جعلت ولاشك جميع ماوصلنا من قصص وادب وعقائد ملكا عربيا مشاعا وكل ماق الامر أن بعض هذا التراث قد سجل فى الشمال والآخر فى الجنوب او شرق الجزيرة أو غربها وقلبها حسب الظروف الاجتماعية والثقافية لهذه الربوع المختلفة وليس معنى هذا أن ماوصلنا هو كل مخلفات العرب الاقدمين فمن يدرى ماذا يخبىء قلب الجزيرة لنا مثلا من كنوز أثرية قد تغير كثيرا من احكامنا على تاريخ حضارتنا العربية فمن كان يجول بخاطره مثلا أن عربا فلسطينيين عاصروا السيد المسيح وشاهدوا رسالته ومعجزاته (راجع اعمال الرسل ص ٢ ى ١١) وقليلون جدا من يعرفون أن بولس الرسول مثبت دعائم المسيحية واكبر دعاتها لم يستمد قوته الروحية المسيحية من اورشليم بل من قلب بلاد العرب كما اعترف هو بذلك فى رسالته الى اهل غلاطية (ص ١ ى ١٦ وما بعدها) حيث نقرأ «أن يعلن ابنه فى لابشر به بين الامم للوقت لم استشر لحما ودما ولاصعدت الى أورشليم الى الرسل الذين قبلى بل انطلقت الى بلاد العرب ثم رجعت أيضا الى دمشق » .. **فبلاد العرب الأصيلة لا فلسطين هى مصدر هداية بولس الرسول الى المسيحية مما يثبت مدى قوة الحياة الروحية العربية فى ذلك الوقت من ناحية والعلاقات القوية بين قلب الجزيره وشمالها من ناحية اخرى .**



فقصة المؤتفكة وما يتصل بها من عبر وامثال وكذلك سائر الاخبار الواردة فى القرآن الكريم سواء منها ما يتصل بالاباء الاولين او الانبياء السابقين وما جرى على ايديهم من اعمال لن تقوم دليلا على ان الاسلام اقتبس شيئا عقائديا عن اليهودية والمسيحية كما يحلو للبعض ان يدعى هذا وكل ما فى الامر ان الاسلام دين عربى اولا اعنى دين تتمثل فيه الروحانية العربية منذ اقدم عصورها وفى مختلف اجزاء الوطن العربى فاذا ما عرض للعهدين القديم والجديد فهو مؤرخ للاطوار المختلفة التى مرت بها العقيدة العربية من لاهوتية الهية الى ناسوتية بشرية مع توكيد قدم الاسلام واصالته فى مختلف هذه العقائد ففى اكثر من موضع يقول تعالى : ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك .. اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين .. ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون .. والاسلام عربى محمدى ثانيا لان الوحى المحمدى استكمل هذا الدين العربى القديم وطهره من بعض العقائد الشعبية التى علقت به وفى ذلك يقول تعالى : واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا .

دكتور فؤاد حسنين على

الاسلام وحرية التفكير والاعتقاد

بقلم : محمد محمد المدنى

بينما كان قادة الاديان قبل الاسلام يحرمون على الناس أن يفكروا أو يعرضوا المقررات الدينية على العقول لتنظر فيها ، أو تعرف منطقها ، أو توجه اليها أى لون من ألوان النقد أو الفحص .

وبينما كان الذين يتجرءون على التفكير ومخالفة المالوف من الأحكام والقضايا فى شئون الدين أو الدنيا ، يحرقون بالنار ، ويصلبون فى جذوع الأشجار ، ويسلكون فى عداد الكفرة المارقين .

وبينما كان الناس يعتقدون أن الدين والعلم لا يلتقيان ، وأن هناك تنافرا أساسيا بين أهل الدين وأرباب الفكر ...

اذا بالعالم ، يوم اشرقت شمس الاسلام ، يسمع رجلا عربيا من الأميين ؛ ينادى بدعوة تلقاها وهو فى غار سحيق ، أساسها حرية البحث والنظر ، وتمجيد العلم والمعرفة ، ولفت الأنظار الى أعظم سفير بين العقول والأفكار ، وهو « **القلم** » ، والاشادة والتبشير بماضى الانسان وحاضره ومستقبله فى ظلال حرية التفكير ، والنزول على حكم العقل والمنطق ، وذلك كله فى كلمات قصار كانت هى أول ما نزل من القرآن الكريم ، على خاتم النبيين والمرسلين ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : « **اقرا باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرا وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم** » .

انها نغمة جديدة لم يسمعها العالم من قبل ...

انها اعتراف جرىء بحق العقل الانسانى فى أن يفرض نفسه على كل نواحى التفكير ، وفى أن يدخل كل مجال من مجالات البحث والنظر والعلم والتطلع الى اكتشاف المجهول ...

انها ثورة على القيود والأغلال التى طالما رسف العقل الانسانى فيها ، واحتمل أثقالها .

ولقد كانت هذه الكلمات القليلة ، والجمل القصيرة بمثابة عنوان واضح منبىء عن فلسفة هذا الدين الخالد ، وعن طبيعة ما جاء به من العقائد والأحكام التى لا يمكن أن تخشى العلم ، أو تنفر من حكم العقل ، أو تنكمش متخفية عن الأنظار ضآلة أو استحياء ، أو مذلة أو استخذاء .

وتوالت بعد ذلك آيات القرآن الكريم تطلب من الناس التدبر والتعقل ، والتفكر فيما خلق الله من شىء ، والنظر والبحث ، واتباع الحجة والبرهان ، والازراء والنعى على المتكلفين والمتعصبين والعمى عن الهدى والمتعامين ، والجامدين والمقلدين .

توالت آيات القرآن الكريم فى ذلك على نحو لم يعهد فى كتاب دينى من قبل ، بل لا يكاد يعرف فى كتاب أو منهج ثورى بشرى عرفه الناس ، بعد تقدم المدنيات والحضارات ، وانشاء هيئات الأمم ، ومنظمات الحرية العالمية .

• ولقد كان من أهم المبادىء الأساسية التى أعلنها الاسلام : أن الانسان حر فى عقيدته الدينية ، له أن يعتنق ما شاء بواسع حريته ، متحملا تبعة اختياره ، ليس محاسبا على ذلك الا أمام الله الذى خلقه .

وفى ذلك يقول القرآن الكريم :

« **لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى** »

« **افانت تكره الناس ، حتى يكونوا مؤمنين** »

« **انما انت مذكر ، لست عليهم بمسيطر ، الا من تولى وكفر ، فيعذبه الله العذاب الأكبر ، ان الينا ايابهم ، ثم ان علينا حسابهم** » .

فمهمة الرسول صلى الله عليه وسلم منحصرة فى التذكير والبيان ، وليس منها السيطرة والاكراه على الايمان ، لكن من تولى عن الحق ، وكفر بالله مع

وضوح الأدلة وقيام البرهان العقلي على وجوده : فان الله يعذبه ، وكما أن اياب الخلق - أي رجوعهم بعد الموت .. انما هو الى الله وحده ، فحسابهم انما هو على الله وحده .

وكذلك يقول الله جل شأنه معلما رسوله أن يخلي بين الناس وما يختارون لأنفسهم بمقتضى تفكيرهم وما ترتضيه عقولهم :

« وقل الحق من ربكم ، فمن شاء ، فليؤمن ومن شاء فليكفر »

« كلا انها تذكرة ، فمن شاء ذكره »

« ومن كفر فلا يحزنك كفره »

« ومن شكر فانما يشكر لنفسه ، ومن كفر فان ربي غني كريم » .

فكل هذه الآيات الكريمة تقرر حرية الانسان في عقيدته الدينية ، وأنه مسئول أمام الله فقط عما يعتقد ، وليس لأحد من المخلوقين سلطان عليه في هذا الشأن .

ومنطق الاسلام في تقريره لهذا المبدأ ؛ هو المنطق الفطري الطبيعي ، فما كانت العقائد لتفرض بالاكراه ، وما كانت القلوب لترغم كما ترغم الأجساد وما الاكراه على العقيدة الا لون من ألوان المغالطة ، يلتمسه العاجز عن الاقناع ، حيث يعتبر الظاهر الذي تفرضه القوة والجبروت ، حقيقة وما هو بحقيقة ، وقد أنبأنا الله تعالى بأنه لا يقبل ايمان المخادعين الذين يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم ، فقال جل شأنه « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ، يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون » .

***

• ولم يكن تشريع القتال في الاسلام الا لكفالة حرية الاعتقاد ، فان دعوة الحق لما واجهت المشركين عبدة الأوثان ، بنورها المبين ؛ وجدوها واضحة قوية ، تغزو العقول ، وتملأ القلوب ، فقرروا أن يقاوموها بأحداث الفتن ، ومحاولة زلزلة المؤمنين ، وتعذيبهم ، ومقاطعتهم ، واجلائهم عن ديارهم وبلادهم ، فهم الذين كانوا يحولون بين الناس وحريتهم في اعتناق ما اطمأنت اليه قلوبهم ،وأدركته عقولهم ؛

فهذا بلال يطرح على البطحاء ، وقد حميت الظهيرة ، واشتد لهب الشمس ، فيضجع على ظهره ، وتوضع الصخرة العظيمة فوق صدره ، ويهدد بأن يبقى على ذلك حتى يموت أو يكفر بمحمد ويعبد اللات والعزى .

وكذلك كانوا يفعلون بعمار بن ياسر وابيه وامه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر بهم وهم في هذا العذاب ، فيقول لهم « صبرا آل ياسر فان موعدكم الجنة » وبلغ بهم الجبروت أن قتلوا أم عمار ، لأنها أبت أن ترجع عن الاسلام .

وكان الحكم بن العاصي يتربص للنبي صلى الله عليه وسلم ويشتمه ويمشي وراءه ساخرا منه ، وكانت أم جميل زوجة أبي لهب تلقي الأقذار عامدة في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذلك كان زوجها ابو لهب يعترضه ويؤذيه ويتحداه ، وهو الذي قال له حين جمع عشيرته الأقربين بأمر ربه لينذرهم : تبالك ألهذا جمعتنا ، وقد أنزل الله فيه وفي امرأته قوله « تبت يدا أبي لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيصلى نارا ذات لهب ، وامرأته حمالة الحطب ، في جيدها حبل من مسد » .

ولما ذهب صلى الله عليه وسلم الى الطائف ليعرض على أهلها دعوة الحق ، استقبلوه أسوأ استقبال ، وأخرجوه من بلدهم شر اخراج ، وهو يقول داعيا ربه « اللهم اليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، الى من تكلني ؟ الى بعيد يتجهمني ، أم الى عدو ملكته أمري ؟ ان لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ولكن عافيتك أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بي غضبك ، أو تحل علي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة الا بك »

وهذا الدعاء النبوي القوي الحزين ، يدل على مبلغ ما وصل اليه أمر المشركين في ايذاء الرسول الأمين.

فهل كان من المنطق الطبيعي أن يترك هؤلاء المعتدون ليفتنوا المؤمنين بمختلف أساليب الاضطهاد والتعذيب ؟ كلا ، فان الله تعالى يصف المؤمنين بقوله «والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون» ويقول «ولمن انتصر من بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ، انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق ، أولئك لهم عذاب أليم »

ولذلك شرع الله القتال دفاعا عن حرية هؤلاء المعذبين المضطهدين ، والآية الكريمة التي شرعته تقرر ذلك في وضوح حيث تقول :

« اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وان لله على نصرهم لقدير ، الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ، ولو دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز ، الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور »

والقرآن الكريم يقرر أن غاية القتال التى ينتهى عندها هى زوال الفتنة فى الدين ، وانتفاء الضغط والاكراه ، حتى تستقر الحرية الدينية ، وذلك حيث يقول الله عز وجل :

« وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله، فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين » .

ويجعل القتال ردا على العدوان ، ناهيا عن التجاوز به عن الغرض منه ، وذلك حيث يقول الله عز وجل :

« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ، واقتلوهم حيث ثقفتموهم ، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ، والفتنة أشد من القتل ، ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ، فان قاتلوكم فاقتلوهم ، كذلك جزاء الكافرين » .

« الشهر الحرام بالشهر الحرام ، والحرمات قصاص ، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين » .

ويأمر بايثار الصلح اذا مال اليه الأعداء ، وذلك حيث يقول الله جل شأنه :

« وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله »

« فان انتهوا فان الله غفور رحيم » .

« فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين »

ويقرر ـ على سبيل الموازنة بين أهداف المؤمنين، وأهداف الكافرين ـ أن الأولين يقاتلون فى سبيل الله ، والآخرين يقاتلون فى سبيل الطاغوت ، وذلك حيث يقول الله عز وجل :

« فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما ، وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا ، الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا » .

وسبيل الله : كل فضيلة ، وكل عدل وحق ، وكل انصاف وبر ، وكل حماية للحرية والحقوق الانسانية .

أما الطاغوت فكل ميل عن الحق والعدل ، وكل جبروت وظلم ، وكل سير مع الأهواء ودوافع الشر والاثم .

والمؤمنون من أجل ذلك قوة لا تقهر ، لأنهم يقاتلون فى سبيل الحق أعداء الحق ، وفى سبيل الحرية أعداء الحرية ، فهم يقاتلون قتالا مكسوبا معروف النهاية ، كما هو معروف الهدف والغاية ، مضمون النصر « وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم »

أما أعداؤهم فهم الجانب الأضعف بالباطل، وبأنهم أولياء الشيطان « **ان كيد الشيطان كان ضعيفا** » .

كل ذلك يدل على أن هدف الاسلام من القتال دفاعى لاهجومى ، وأنه لا اكراه على الدين ، وأن الاسلام انما يقاتل فى سبيل مثل عليا ، وفى سبيل حرية الضعفاء والمستضعفين ، وانه يعتبر السلم هو العلاقة الدائمة بين الناس ، فلا ينزع عنه الا مضطرا ويعود اليه راضيا اذا عاد اليه الذين ناوءوه وأمن فتنتهم ، وأنه يعتبر الجهاد لونا من ألوان التضامن والكفاح فى سبيل أمن المجتمع وحريته والمثل العليا التى يجب أن تعلو فى الناس .

وبهذا يظهر تقدير الاسلام للحرية ، وحرصه على الدفاع عنها ، حتى فى قضية الدين والايمان التى هى أعز قضية تعرفها الأديان .

وقد تفرع عن هذا التقدير للحرية كل دفاع أمر الله به عن الحقوق الانسانية ، وعن عزة الأفراد وكرامتهم ، وعن حقوق الشعوب فى أن تدافع عن نفسها وعن بلادها ، وان تجاهد المستعمرين والغاصبين ، حتى تعيش كريمة على نفسها ، عزيزة فى وطنها .

« ولله العزة ، ولرسوله ، وللمؤمنين » .

« **محمد محمد المدنى** »

الزورق الحائر

للشاعرة : روحية القليني



أنا حائر والـــريح تعصف بى بلا رفق ولين
والموج يعبث بى هنا وهنـــاك فى طيش الجنون !
وأنا على الحالين فى شـــوق الى الشـــط الأمين !!
من ذا الذى يدرى أساى ويستجيب الى الأنين ؟!
وبســـاعدين يضـــمنى فى لهفة الأم الحنـــون

❊❊❊

أنا حائر جار الزمان على حيـــاتى المستقره
جمعت بى الأنواء فاســـتسلمت للأمـــواج مره
وتبعتهـــا كالطفل أسلم للذى أغراه أمره
فاذا أنا بين العواصف والرياح المســـتمره
حـــيران روحى كم تحن لربوة كانت مقره

❊❊❊

هل يا ترى يوما سارسو فوق شـــط الأمنين ؟
ويرق قلب الريح يسلمنى لدنيا الحالمين ؟!
وتكف راحتـه التى عبثت بوادى الوادعين ؟!
ويفىء بعد ظلامه فجر بليل الســاهرين ؟!
فاعود انعم بعد ليالى الشريدة بالسكون !!

❊❊❊

أنا حائر فى الموج قد ضـــلت خطاى العاثره
والحظ لم يرحم عـــلى الأيام أمسى وحاضره
وحدى مع الأمواج ترمقنى بعين ســـاخره
وتلفنى فى قســـوة طى المياه الهـــادرة
مترنح الأعطـــاف أرنو للنجوم الســـاهره

❊❊❊

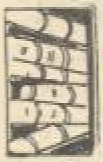
أنا ها هنا ساظل أكتم آهة حرى بصـــدرى
لا لن أبوح وان وان تعبت بلوعتى أبدا وسرى
الفجر خاصمنى وأسلم للدجى بالقـــدر أمرى
أنا لست أدرى سر هذا القدر بل لم أدر عذرى ؟!
كل الذى أدريه أن الحظ يســـتهويه هجرى !!!

« روحية القلينى »

لقاء معهم

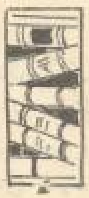
تأليف : كامل الشناوى





ليت كل صاحب قلم يستشعر مسئولية النشر كما يفعل كامل الشناوى الذى يجلس على احدى قمم الصحافة فى بلادنا منذ عشرات السنين ، ورغم ذلك يتحرج من أن يخرج الى الناس كتابا · ولم يفعل الا أخيرا جدا وبعد ان نفد صبر القارىء مرات !

ويتناول كاتبنا فى « لقاء معهم » عشر شخصيات عربية ومصرية · بعضها عرفه عن طريق فنها وفكرها ومواقفها مثل ، جمال الدين الافغانى ، محمود سامى البارودى ، عبد الرحمن الكواكبى ، قاسم أمين ، اسماعيل صبرى ، سيد درويش · والبعض الآخر من الشخصيات مثل ، احمد شوقى ، مصطفى عبد الرازق ، على مصطفى مشرفة ، احمد لطفى السيد ، اشتركت مع وسائل المعرفة السابقة ، صداقته الشخصية لهم ·



ما زال فن ترجمة الحياة العربى قاصرا عن أن يبلغ شيئا ، ولعل سبب ذلك هو الكتمان الشديد الذى تتسربل به الشخصية الشرقية وتخفى به أمورها الخاصة · يتساوى فى ذلك الرجل المتحرر ونقيضه الرجعى ، فالثقافة لم تستطع بعد ان تغير أعماقنا التى تنتمى الى عصور الحريم وتبتر زوائدها المتقيحة التى تنفث سمومها فى الجسد الحى · ولذلك كانت المهمة الملقاة على من يتناول شخصية ما كبيرة ، صعبة ومحفوفة بالمخاطر واقلها التخبط فى التفسير والتعليل وسط هذه الظلمة ·

وقد حاول كامل الشناوى أن يقوم بواجبه فى هذا المجال كتبرير لتناوله الحديث عن موضوعات قديمة كثر القول فيها والكتابة عنها • ومما لا شك فيه ان كاتبنا وفق الى حد ما ، ولكن ليس الى درجة كبيرة، ولا يعنى هـذا بالطبـع أنه كان يجب أن يتعمـل لينتهى الى حلول متكلفة فى تفسير ماغمض ، وكشف ما استبهم من دقائق حيـاة شخصياته ، بل تعنى انه لم يبذل جهـده كله فى دراسـة هـذه النواحى وبحثها • كانتمـاء اسـماعيل صبرى مثلا الى عائلة فقيرة ، والعلاقة ـ التى وصفها المؤلف بالغموض ـ التى كانت بينه وبين سعد زغلول •

وتعرض مؤلفنا فى تناوله لسيد درويش لمناقشة شذوذ الموسيقار المجدد فى صلته بالنـاس • فقـد كان مثلا يألف وينفر بمن يلتقى بهم بلا سبب ظاهر او منطق واضح مفهوم ، فكان تخبطه المعـروف فى تكوين الصداقات من الجنسين • ويحاول الشناوى ان يعطى لبواعث هذه الظاهرة حدودا أدق مما يثار حول (شذوذ الفنانين) • فيرجع بعض أسبابها الى طبيعة سيد درويش (الميناثية) « **فابناء البلاد ذات** الموانىء يقيمون علاقاتهم بالناس على أساس الشعور المفاجىء ، لأنهم يعرفون النـاس فجاة •• يفاجأون بهم وهم قادمون •• ويفاجأون وهم راحلون •• » ! (ص ٦٩) •

ولا يملك المؤلف حين يترجم لاحدى الشخصيات وآرائها ، ان يمنع الكلمات من أن تشى بافكاره هو أيضا أثناء السياق مهما حاول من موضوعية • ولقد عكس (لقـاء معهم) بالطبع هذه الظاهرة ، فعرف القارىء خاص راى كامل الشـناوى فى موضـوعات كثيرة فى الحياة والفن • ومن اللون الأخير حديثـه عن الموهبـة « ان الموهبة التى لا يصقلهـا العلم ، والثقافة ، والدراسة •• قد تنطلق منها شرارة تلفت النظر ، ولكن لا تندلع منها نار تثير الفكر •

•• واذا شـبهنا الموهبـة ببئر البترول ، فان الثقـافة هى معـامل تكرير البترول ، وبغير هـذا التكرير لا يمـكن ان نستغل البترول فى تسيير الطيارات ، والسيارات » (ص ٨٧) •

***



من أروع أجزاء الكتاب ان لم يكن اروعها ، هذا الفصل الذى تحدث فيه الشناوى عن قاسم أمين • فمؤلفنا هنا فى أحسن حالاته ، يحيط بالشخصية من جميع جوانبها متغلغلا فيها باحثا أدق خلجاتها ، فى عرض مشوق جذاب ممتاز يملك على القارىء لبه• منذ بداه والزائر المقتحم على قاسم امين بيته طالبا امرأته لتخرج معه ! وقد ظن ان الدعوة الى تحرير المرأة والقضـاء على الحجاب التى ينـادى بها صاحب المنزل ليست الا تشجيعا على الانحـلال والتهتك ! الى اشارة المؤلف فى نهـاية فصله الى تحول بيت قاسم أمين بعد أن باعتـه ورثتـه الى كباريه ليلى ! متناولا بين المقدمة والخاتمة جهـود الاصلاحى الكبير فى ميادين القضاء وتحرير الانسان والتعليم ، فى دقة واضحة •

ومن الطريف ان يلاحظ القارىء أن اهتمام المؤلف الشـاعر بالشـعراء الذين عـرض لهم ـ باستثناء شوقى ـ كان أقل من عنايته بالشخصيات الأخرى كما وكيفا أيضا ! ويخيل الى أنه لا دخل لشاعرية شوقى المجردة فى اهتمـام الشـناوى البالغ به ، فالصداقة الوطيدة التى تربط بين الاثنين واعجـاب المؤلف بشخصية الآخر ، حمله على أن يطيل فى الكتابة عنه ، فيتحدث عنه فى سبعة مواضع مميزة معنونة هى ، مسرحيات شوقى وهل هى لشوقى ـ وطنيـة شـوقى ـ شـوقى وحافظ ـ ذكريات عن الشـاعر الخالد فى يوم ذكراه ـ شـاعرنا الخالد فى حديقة الخالدين ـ مؤلفات شوقى ـ الفنـان الذى قال كلمته ولم يمش •

وفى هذا الموضع من الكتاب يحس القارىء أكثر من أى وقت مضى ، انه ليس فى حاجة الى علم سابق او بعد نظر أو حس نقدى ليدرك أن (لقاء معهم) مجموعة من الفصول القصار واليوميات التى نشرت

ومن الطريف المتناقض معا أن يحدث هذا وكل من الشخصيتين ،محمد عبده ولطفى السيد ، من الذين نادوا باخلاص بحرية الرأى وتقديسه !!

اتبع الشناوى منهجا تحليليا فى تناول ما عرض من شخصيات ، حاول أن يفسر به ما اعتمل فى نفسية الشخصية وتظهر ترجمته فى سلوكها ومظهرها ومدى الارتباط الوثيق الذى بينها وبين البيئة ـ هذا العنصر الذى يعطى له أهمية بالغة ٠ ومن لقطات كامل الشناوى التحليلية المعبرة ، اشارته الى قلة ما حصل عليه سيد درويش من ثقافة وصلة



كامل الشناوى كما لا يعرفه الناس

ذلك باتجاه الغزير « **كان فى هذا التاريخ ـ عام ١٩١٧ ـ قد اطمأن الى موهبته وكان اتجاهه الفنى غزيرا ٠ كانت الفكرة تنبض فى راسه وتخرج فورا لانها لا ترتطم بافكار اخرى ٠٠ فان موهبته أكثر من معلوماته** » **(ص ٧٣)** ٠

❋ ❋

ومن النواحى الجيدة التى استطاع المؤلف تفسيرها مثلا فى تاريخ حياة الشخصية ، انضمام جمال الدين الافغانى الى الماسونية ٠ والتناقض الظاهرى بين حدة عبد الرحمن الكواكبى فى التعبير عن آرائه الثورية وبين حرصه على مهاجمة الاستبداد فى اطار قانونى !



متفرقة فى الصحف لا يجمع بينها رابط الا ان كاتبها شخص واحد ٠ وقد أدى هذا الى أن يفقد الكتاب وحدته العضوية ٠٠ هذا الخيط الجامع الذى يعطى للفصول ملامح متناسقة لوجه واحد مختلف الخطوط ، كما عمل على أن تتكرر نفس اللقطات فى تناول الشخصية الواحدة كما حدث هنا بالنسبة الى أحمد شوقى ٠ والسبب أن المؤلف لم يلتفت الى أنه كتبها فى الصحف فى أوقات غير متصلة ـ وفى لحظات نفسية مختلفة أيضا ـ مكررا بعض لمساتها التى تركها كما هى عندما نقلها الى الكتاب ٠

وفى الحديث عن احمد لطفى السيد يفتقد القارىء شيئا هاما ، فهو اذ اتفق مع كاتبه على أن الفكر قمة لطفى السيد الكبرى او احدى قممه ، فهو يختلف معه فى أن هذه الميزة تشجب ما عداها ، ويجب تجاهل جوانب أخرى فى غاية الأهمية مثل لطفى السيد السياسى وعلاقته بالانجليز ٠ ويبدو هذا الموقف غريبا وخاصة من مؤلف (لقاء معهم) الذى اهتم بالخط السياسى ودور الشخصية فيه فى كل فصول كتابه بلا استثناء ٠ ان هذا الموقف الذى يكاد يكون مريبا ـ لا بالنسبة الى كامل الشناوى فحسب بل الى كثيرين غيره أيضا ـ نجده تيارا غامرا غالبا عند الحديث عن عظمائنا ـ وخاصة الذين نضعهم فى مكان يشبه القداسة ـ وصلتهم الحقيقية بالانجليز ، وبالذات عندما لا تكون هذه الصلات فوق مستوى الشبهات من وجهة النظر الوطنية الخالصة ، أو على الأقل مثار الأقاويل ٠

لقد كانت الشخصية التى تستحوذ على هذا الموقف المريب من الكتاب ، هى شخصية الشيخ محمد عبده وعلاقته بالمحتلين ٠ ولكن هاهى شخصية أخرى تشاركه الميدان وتصفع القارىء فى كل آن مؤكدة أن طمس الحقائق فعل يسير !

واذا كان مؤلفنا قد تناول بعض الشخصيات دارسا اياها مستوعبا شخصياتها بدقة ، مثل سيد درويش ، فقد عرض للبعض الآخر بسرعة أكثر من عادية بحيث لم تلتقط نظرة القارىء الا أشياء كلية لا تستبين فيها الملامح الدقيقة • مثل شخصية محمود سامى البارودى فى فصل (شاعر الثورة) • وقد كان العنوان نفسه خادعا ، واذ أشار المؤلف الى الثورة العرابية فى سطور قليلة جدا ، فهو لم يلتفت الى شاعرها بالمرة ! أعنى ما قاله البارودى فى ذات الثورة !

وبالمثل صورة الدكتور على مصطفى مشرفة التى جاءت أقرب الى الدردشة الخفيفة •

وفى بعض الاحيان يكون كاتبنا أميل الى سرد ذكرياته منه الى الدراسة الموضوعية • ويبدو هذا بوضوح فى الشخصيات التى اتصل بها اتصالا شخصيا كأحمد شوقى •فعندما يكتب عنمسرحيات شوقى وهل هى له ، ويذكر (المهندس الفنى) الذى استعان به أمير الشعراء فى بنائها وهو الدكتور سعيد عبده • لا يحاول أن يلقى ضوءا كافيا على عمل سعيد عبده ، بل يتحول الى ذكر مواقفه هو أى كامل الشناوى فى هذا الميدان وكيف أخذ شوقى ببعض اقتراحاته • ان الحديث عن جهد سعيد عبده فى مسرحيات شوقى يكاد يكون مجهولا تماما ، فكان هذا هو الوضع الملائم لهذه المناسبة • ولكن المؤلف رفض أن يترك لنفسه خلفية الصورة !

ولم يستطع كامل الشناوى أحيانا أن يتخلص مما تعمد اليه الصحافة من اثارة وتضخيم أشياء وتعبير كاريكاتورى ، معتمدا على ما أشار اليه فى مقدمة كتابه من ان (لقاء معهم) يعمل ايضا على « الكشف عن حقائق مجهولة » فى حيوات شخوصه• فعندما يتحدث مثلا عن محاولة الشيخ محمد عبده قتل الخديو اسماعيل بنفسه ! (ص ١٣) يذكر ذلك عرضا وبسرعة ثم يسكت !

***

ما اكثر الذين يذهبون الى ان الصحافة والادب نقيضان لا يجتمعان • ورغم ذلك فمما لا شك فيه أن هناك دائما قلة نجحت فى أن تجمع بين الفنين، ومن هذه القلة عندنا كامل الشناوى الأديبالشاعر الذى عمل بالصحافة فلم تستطع ان تؤقلمه تماما• وكان أول مظهر لهذا التوازن ، وضع اللفظة فى نسيجه الكتابى • فهى ليست سطحية فوتغرافية ضحلة ولكنها رشيقة عميقة • لقد وجد فى الرشاقة المتعمقة عوضا عما تتطلبه الصحافة من سريعالمتابعة، ولم يقف جهد الشناوى فى مجال الكلمة عن هذا الحد ، فقد وفق فى ان يمتلك ناصية اسلوب مميز لم يذب فى بقية الاساليب ، لانه يحمل مقومات الاساليب الجيدة المتفردة • واهم ما يتسم به قوته وجزالته ودقته ورقته ، وفصول (لقاء معهم) تحشد بتعابيره الراقصة فى غير خفة فارغة ، مثل قوله على لسان الافغانى ، ان الملك يمكن أن يكون عادلا •• اذا أصبح تاجه بلا رأس ، وأصبح رأسه بلا تاج ! » (ص ١٦) •

وجهة النظر الجديدة هى الاعتذار الأول الذى يقدمه المؤلف الذى يتناول موضوعات أو شخصيات مطروقة كثر القول فيها حتى ابتذل • فاذا انتفى ذلك أحس القارىء بما يشبه الصدمة وخاصة ممن كان ينتظر من مستواه الكبير أن يبلغ آفاقا عالية ككامل الشناوى • وهذا هو التاثير الغالب لـ (لقاء معهم) •

علاء الدين وحيد



من قضايا السرقات الأدبية

قصة سودانية بين غراب و مراد

بقلم : محمد نصر



دكتور مراد كامل



امين يوسف غراب

قبل شهر مضى كتبت مقالا فى هـذا المكان عن السرقات الأدبية عرضت فيه للقضية التى حكم فيها لورثة المرحوم الشاعر على الجارم ضد الأديب الدمشقى ظافر الصابونى ، والاذاعة فى نفس الوقت .. وذلك بعد أن ثبت للمحكمة أن هناك عملية سطو تمت فعلا – مع سبق الاصرار – على كتاب الجارم المعروف باسم فارس بن حمدان . !

وتساءلت يومها : هل من حق أى كاتب أن يتناول شخصية عظيم من عظماء التاريخ بالكتابة بعد أن سبقه اليها مؤرخ أو كاتب آخر . ؟

والى متى يظل انتاج العقول الذكية نهبا مشاعا لخطافى الاذاعة أو التليفزيون ؟ ثم وعدت القراء بأن اكشف لهم الستار عن بعض السرقات الأدبية الأخرى التى ما تزال تشغل أذهان الكثيرين من العاملين فى الحقل الأدبى . !

وقبل مرور اسبوع تلقيت رسائل كثيرة يحدد فيها أصحابها أسماء شخصيات

مرموقة ، فى ميادينها ، لو صح ما قيل عنها لفقدت الشيء الكثير من تقدير الناس واحترام القراء ٠٠ ولهبط أصحابها الى القاع ٠٠ غير ماسوف عليهم ٠ !

ولقد كان من بين رسائل القراء رسالة طلب فيها كاتبها أن نحدد له موقف كاتب قصة معروف نقل قصة سودانية « نقل مسطرة » من كتاب صدر منذ عام بعنوان « قصص سودانية » للدكتور مراد كامل ٠٠ عضو المجمع اللغوى ورئيس قسم اللغات السامية بآداب القاهرة ٠٠ نقلها ونشرها فى مجلة القصة الصادرة فى فبراير من هذا العام تحت عنوان « المرأة والأسد » ٠٠ ثم عاد ونشر نفس القصة بعنوان « امرأة غير مفهومة » ضمن مجموعة قصص صدرت له أخيرا بهذا الاسم ٠ !

هاتى القصص التراث !

وقد لوحظ فى بعض الرسائل الأخرى شدة حيرة أصحابها وما يعانونه من بلبلة فكرية عندما تصادفهم مثل هذه الحالة المثيرة ٠

صحيح أن من حق أى كاتب أن يقتبس من الاساطير القديمة ، أو يعيد تناولها بأسلوب معاصر ٠٠ ولكن يجب عليه أن يحرص على النص الأدبى ، فلا يضيف اليه الا ما يزيده قوة وخلودا ٠٠ ولكن ليس من حقه أن يخدع القراء ويدعى أنه خالق الفكرة وصاحبها الأول والأخير ٠٠ يتصرف فيها كما يحلو له ٠٠ ويتجر بها هنا وهناك ٠٠ ما دامت تعود عليه بالربح المادى ! ٠

وفى اليوم التالى كنت اتحدث الى الدكتور مراد لأستطلع رأيه فى حقيقة ما ورد فى رسالة القارئ السكندرى وشدما كانت دهشتى وهو يقول :

ــ الواقع ان هذا القارئ على حق فيما كتب وللك أن تجمع القصص الثلاث وتقارن بين الأصل السودانى ٠٠ والقصة التى نشرها الاستاذ أمين يوسف غراب مرة بعنوان « المرأة والأسد » ، ومرة أخرى بعنوان « امرأة غير مفهومة » ٠

وقبل أن ارجع الى القصص الثلاث كانت أسئلة كثيرة تتردد فى رأسى لتبحث عن اجابة شافية صريحة ٠

● الى أى حد يسمح « بلطش » الابتكارات الادبية الشعبية لعدة أدباء أو أديب واحد ٠٠ فى الوقت الذى تعتبر فيه مثل هذه الابتكارات ملكية فنية خاصة للاديب وللشعب كله ؟

● الا يمكن صدور قانون يحمى انتاج الآخرين من عبث قطاع طرق الأدب ؟ قانون يكفل للمؤلف الأصلى الحق فى أن يظل اسمه مقرونا بعمله مهما طال عليه الزمن ؟

● وما دامت الدولة تصدر القوانين لحماية الآثار المصنوعة بالأيدى الماهرة ٠٠ فما الذى يمنعها من اصدار القوانين لحماية الآثار التى صنعتها العقول الذكية ؟

هل غزانا ظلوم ؟

والآن تعال نقرأ الاسطورة التى رواها د ٠ مراد فى كتابه ٠٠ انها تحمل اسم « العراف » ، وتحتها هذه العبارة بين قوسين «قصة من كسلا» ومضمونها أن « حليمة عاشت فى كنف زوجها مرجان أعواما خمسة لم تذق فيها للراحة طعما ، فكان عليها دائم الثورة ، وكانت هى لا تعرف الملاينة ولا الخضوع » ٠

ومن التسلسل الروائى لهذه القصة التى لم تستغرق أكثر من ثلاث صفحات من الحجم الصغير جدا نعرف أن حليمة لجأت الى عراف تسأله النصيحة لعل زوجها يرد اليها شيئا من حنانه القديم وان العراف الشيخ وعدها بأن يعيد اليها الزوج الى سيرته الأولى ٠٠٠ وان الزوجة لما سألته مقاطعة :

ــ وكيف ؟

وصل الشيخ حديثه بقوله :

ـ « هذا اذا ضمنت ان تحضرى لى ثلاث شعرات من أسد حى ! » .

« وكان مرجان عزيزا على نفسها وكان قلبها به مشــــغولا .. وكانت أخوف ما تخاف أن يكون قد شغل بغيرها فدب دبيب الغيرة فى نفسها ، ووجدت سهلا ما كانت منذ قليل تراه مستحيلا .. وبيتت للأمر على أن تنفذه من الغد » .

ونعرف من نهاية هذه « الحدوتة » ان حليمة لم تستوحش من الأسد عندما ذهبت الى موطنه ومعها حملا دفعت به اليه ، وانها انتهزت الفرصة بعد أن انس اليها الأسد ، ونزعت الشعرات التى طلبهـــا العراف وعادت بها اليه تستنجزه ما وعد بعدما وفت هى بما طلب .

« واستقبلها العراف هاشا باشا ، والتفت اليها باسما يقول بعد ما فرغ جهدها فيما حاولت :

ـ « هل يعز على من راضت الأسد فذل لها وخضع وانتزعت منه هذه الشعرات ، أن تروض زوجا من بنى الانس فيلين لها ويستكين ؟ » .

وانصرفت حليمة وكلها ثقة أن عليها واجبا نحو هذا الزوج الذى لا تشك فى اخلاصه ولكنها تشكو عنفه الذى لن يبلغ مبلغه فى السباع » .

والى هنا تنتهى الاســــطورة السودانية .. أو الأحدوثة الشعبية فى كتاب قصص سودانية .

أما اذا قرأت نهايتها فى قصة أمين غراب فانك تراها هكذا بالحرف الواحد :

« ونظر اليها الشيخ بعد أن قصت عليه ما فعلت وقصته بدقة » .

« ومد الشـــــيخ أظافره السوداء المدببة الطويلة وأمسك لحيته المسترسلة التى راحت تهتز عند قدميه فوق الأرض ومن ثم راح يضحك ويغرق فى ضحك طويل » .

ونظرت هى اليه فى دهشة بالغة وسألته ذاهلة عما يضحكه الى هذا الحد .

ـ « فقال الشيخ وهو ما زال يضحك ولحيته تهتز فوق الأرض :

ـ « اننى اضحك من كن أيتها النساء تقدرن على أن تروضن الأسود ، وتجئن الى لكى أروض لكن الرجال » .

هكذا عالج الاستاذ غراب الأسطورة السودانية، باسلوبه المعاصر ، منذ البداية .. لم يضف اليهــا ما يخلدها أو يزيدها جمـــالا كمـــا يفعل الأدباء المعاصرون فى العالم .. عندما يتناولون الأســاطير القديمة ! وانما رفع اسم حليمة نهائيا من قصـــته واكتفى بان اطلق عليها « اسم الزوجة » ومنحهـــا بضعة أوصاف تزيد من جمالها .. وقدرتهـــا على احتمال الأهوال التى صادفتهـــا وهى تسعى وراء الاسد الهصور ! وجعل من العراف دجالا يستعين بخادم من الجان لقضاء مآربه !

على هذا الوضع الذى لم يبد فيه شىء غير عادى ـ بالنسبة لعبقرى من عباقرة القصـــة فى بلدنا ـ قدم لنا غراب الاسطورة فى تسع صفحات من الحجم الكبير وكأنه صنع معجزة !

وبنفس الطريقة قدمهـــا وهى تحمل اسم مجموعة قصصه الاخيرة بعنوان « امرأة غير مفهومة » .

لماذا جعلت منها ـ فى تقديمك لها فى المرة الثانية ـ امرأة غير مفهومة ؟

ما هو عدم المفهومية فى تجاوب شخصيتهـــا مع نفسها . ؟ امرأة أحبت زوجها ، واخلصت له ، ثم أرادت ـ من أجل الاحتفاظ بقلبه ـ أن تضحى بكل غال حتى ولو كان ذلك بحياتها ! .

ومن يدرى ، فى المرة الثالثة ، لعلها تصـــبح « مفهومة » بعد أن ينساها القراء .. وتختفى النسخ من السوق ؟!



ومن خلال الحديث مع د . مراد كامل رأيت أنه غير راض عن التجديد الذى حققه صديقه القصـاص غراب .. وعلى سبيل المثال سمعته يقول :

ـ ان الاديب المعاصر حينما يريد أن يقتبس أو يأخذ شخصية من تلك الشـخصيات الاســــطورية يجب أن يذكرها باسمها .. ويتخيل معالمها ومن خلال عرضه يستطيع القارىء أن يقف على قـــوة الكاتب الجديد والزاوية التى تناولهـــا منها .. واذا أخذ الكاتب موضوعا من النصوص القديمة عليه أن يعرضه بطريقته الخاصـــة كما حدث عندما تناول

« البقية على صفحة ٢٤ »

القنبلة الجديدة والتعايش السلمي

للشاعر: محمود عماد



ظلمتك يا علم اذ قلت ما ... أتقن العلم للناس الا البوارا
ولم أدر أنك أرحم قلبا ... وأنفع فى العالمين ابتكارا
فقد قيل انك بشرتهم ... (بقنبلة) تتوقى الخسارا
تميت الألى يسكنون الديا ... ر ولكنها لا تهد الديارا !!
وماذا يهم اذا الدار تسلم ... لو ساكن الدار للقبر سارا !!
ومن ذا يقوم بالجهل علما ... ومن ذا يقوم بالنفس دارا !!

***

عجبت لحلمك يا أرض كيف ... أطقت على ما لقيت اصطبارا ؟
يخرق تفجيرهم جانبيك ... ولم تعثرى فى المدار عثارا
على أنها فترة لا تطول ... وتمسين بعد دخانا ونارا
ويستقبل الكون شمسا تجد ... ويفقد أرضا ويخلى مدارا
فمن شرنا : جاهل لا يدمر ... أم عالم لا يمل الدمارا ؟
وأيهما من نرجيه جارا ... عزيزا ومن لا نرجيه جارا ؟
سلوهم لمن كل هذا الغناء ... الذى فى قماقمهم قد توارى ؟
وحتام أقرانهم فى اشتعال ... ولا يأتلى الذر فيها انصهارا ؟
أهذا لأجل النعيم المقيم ... الذى عنه قد حدثونا مرارا ؟

***

فيا حاطمى النواة لكيما ... تحول لديكم لظى وشرارا
أما كان أنفع زرع النوا ... ة لتنبت زهرا لكم وثمارا ؟
ألا يصلح العيش الا انقضاضا ... والا اغتصابا والا احتكارا ؟
وهل لو تعايشتمو فى سلام ... ترون التعايش ذلا وعارا ؟
لقد نضج اليوم وعى الشعو ... ب فثارت، وراحت تنادى جهارا:
بأن البلاد لأهل البلاد ... وأن لا انحياز وأن لا ائتمارا
وأن الشعوب بوحى القلوب ... تآزر لا عنوة واقتسارا
ومهما طغى فى الجنوب اليسار ... فسوف ينحى الجنوب اليسارا
وعمر الأسار قصير وان طا ... ل، والآسرون الشعوب أسارى
فماذا على العلم لو يرعوى ... ولا يأخذن الدمار شعارا ؟

***

يريد اليهود خداع النصارى ... فهل من مهيب بسمع النصارى؟
أتغتفرون اضطهاد المسيح ... اذا كان يأبى المسيح اغتفارا ؟
تمنوا تسامح انجيلكم ... وتلمودهم يستبيح الذمارا
ويوصى بافناء عيسى وأحمد ... كيما يتيح لموسى اليسارا
وغفران ذنب هو الذنب مادا ... م سوف يزيد الطغاة اقتدارا
اذا كان ماضى فلسطين ينسى ... فان بحاضرها لاعتبارا

« محمود عماد »

على ذراع الريح

للشاعر: محمود حسن اسماعيل

«أهاجتها رعشة التحرك ...
فسمعت من الأغوار هذه الهمسة»



على ذراع الريح
لى مخدع مريح
وزورق جريح ..
شراعه حرق
وسبجه غرق
طول المدى يصيح
لشاطئ القلق !!

فى قدح الغروب
قرارتى تجوب
نارا على الدروب ..
وضجعة الغسق
لصحوتى طرق
وغفوتى هبوب
ونشوتى .. قلق !

لكننى ملاح
تسكره الرياح
والتيه ، والجراح ..
وزهرة الأرق
وحسرة الشفق
وفزعة الجناح
ورعشة القلق !!

لا أعرف الهدوء
ولا وقوف الضوء
ونظرتى تنوء
ان مسها عبق
مصفد الأفق
دموعه وضوء
لسجدة القلق ؟

« بقية المنشور على صفحة ٢١ »

« سارتر » أسطورة « أجا ممنون » أو « جان جيرودو » حرب طرواده « لن تقوم حرب طرواده »

ولذلك فقد أصبح من الضرورى أن يحافظ الكاتب الحديث على التراث الشعبى القديم عندما يريد أن ينشره ٠

اننا اتجهنا الى ترجمة الآداب العالمية حتى لايسطو عليها أحد فى نفس الوقت الذى نتيح فيه للقارىء العربى أن يعرف حركة الآداب العالمية ٠٠ لقد كان على أن أنقل ما نقلت من القصص السودانية كحواديت من الأدب الشعبى السودانى ، وارجعت كلا منها الى الجهة والبيئة التى ظهرت فيها كل حدوته ٠٠ وكان غرضى من هذا العرض أن تحكى كما وردت على السنة اهلها ٠٠ وهذا هو الأساس فى تسجيل الأدب الشعبى ، او هذا هو واجب كل من يعنى بهذه الفنون الشعبية ٠

لقد شعرت بالراحة عندما رأيت من أخذ بفكرتى واستفاد بها واقتبس منها وكان هذا هو غرضى الأول ولكن كان على الكاتب أن يشير الى الأصل ٠

وقد حدث اننى نشرت باللغة الالمانية كتابا عن الحبشة فارسل الى أحد الكتاب الألمان مؤلفا به قصص من بلاد مختلفة ، ذكر فى مقدمته انه كان يقرأ الكتب المؤلفة عن كل بلد ويقتبس من مضمونها قصة يخرج بها الى الناس ، ويشير فى كل قصة الى الكتاب الذى أوحى اليه بالقصة ٠٠ أخذ الكاتب من هذه الصورة التى أصبحت حية فى ذهنه مادة لاخراج قصة تجرى حوادثها فى الحبشة ٠٠ وهكذا سار فى عمله عند تناول بعض البلاد الاخرى حتى امكن أن يفيد من مؤلفات الآخرين عنها ٠٠ وكان يذكر فى مؤلفه فى كل مرة اسم الكتاب الأصلى وصاحبه ، هذا ما اعتبره الاساس لفكرة تناول الآثار القديمة من جديد ٠٠ وهذا هو ما يضيف الى تقدير الناس للمؤلف تقديرا جديدا !

ماذا يقول غراب ؟

وكان من حق أمين غراب أن يدافع عن نفسه ٠٠ أن يقول كلمته ٠٠ ويكشف عن حقيقة دوره ٠

ــ هذه القصة أصلا أسطورة سودانية ولم أكن قرأتها من قبل ، وذات يوم جاءنى صديقى د ٠ مراد كامل واهدانى كتابه وقال لى : ان كل الذى استطاع أن يعمله انه دون هذه الأساطير فى صفحات ، وانه لم يكن قصاصا حتى يكتبها قصصا ، وانه يود لو أتناول هذه الأساطير بأسلوبى كقصاص ، وقرأت الكتاب وأعجبت به فعلا ، وبهذه الاسطورة بالذات، وقلت له بعدها : اننى ساكتبها وكتبتها فعلا ، وقرأ القصة التى كتبتها فجاءنى بعدها وأشار فى الكتاب الى بعض أساطير أخرى رجانى ان أكتبها بنفس الأسلوب فوعدته وسوف انجز هذا الوعد عندما افرغ له ٠

أما الأسطورة وتناول الكاتب لها فمما لا شك فيه انه لا بد لكل كاتب أن يتناولها تناولا جديدا من زاويته ٠ ودليل ذلك ان جميع الأعمال الأدبية الضخمة الخالدة هى الاساطير التى تناولها الكتاب الكبار واحالوها الى روايات ، فمثلا بيجماليون كتبها أكثر من واحد ٠٠ كتبها شو بأسلوبه ، والحكيم بأسلوب آخر ٠



على احمد باكثير

وعندما رجعت الى الأستاذ على باكثير استطلع رأيه سمعته يروى تجاربه الخاصة بهدوئه المعروف ولباقته وحرصه فى مثل هذه الأمور .

قال باكثير : ان روايتى « **ليل يا عين** » التى كتبتها فى الهلال منذ وقت بعيد ، والتى ضمنتها نظرة خاصة ومضمونا جديدا للأسطورة الشعبية شد ما كانت دهشتى عندما رأيت من يسطو عليها فى الاذاعة وينسبها الى نفسه مع اضافة بعض الألحان لأحمد صدقى ، وكان مخرج هذا البرنامج هو عثمان أباظة بكل أسف .. وهو لا يعلم أن ما يخرجه مسروق مائة فى المائة ! .

ومع ذلك فاننى كنت لا أطمع فى أكثر من أن أسمع اسمى مقرونا بعمل الفنى الذى بذلت فيه جهدا ومشقة .

قلت له : وماذا ترى فيما صنعه الاستاذ غراب ؟

قال بنفس الصوت الهادىء :

ـ الحقيقة انا لى رأى فى مثل هذا الموضوع .. ان السطو هو أن يأخذ الفكرة كاتب معاصر ، وينسبها الى نفسه ، وبالذات اذا ما كان مرتكب جريمة السطو دون المجنى عليه ثقافة .. أما الأخذ من الأساطير فهذا حق مباح بشرط أن يتحدد مكان أحداث القصة . أو الأسطورة .. وما دام أمين غراب ذكر اسم السودان فى قصته ، يبقى طرفه خال ، أما بالنسبة لاعادته نشر القصة بعنوان آخر فان من حق صاحب المجلة التى ينشر له فيها ان يسأله فى هذه الحالة ! .

واذا كان لم يقدم لنا قصة بالمعنى المفهوم فهذا ما يؤخذ عليه أيضا .

ومن حديث باكثير عرفت انه لم يقرأ القصص الثلاث بعد !

نسيت أن أقول لك :

ـ ان كل ما أضافه الاستاذ أمين غراب الى جسم الأسطورة أنه حدد سنة ١٩٢٠ زمنا لوقوع أحداثها!

فما رأيكم يا كتاب القصة فى بلدنا ؟

« **محمد نصر** »





● الأستاذ الكبير احمد حسن الزيات ـ رئيس تحرير الرسالة .. سيعود الى أرض الوطن فى اواخر هذا الشهر ـ بعد نجاح العملية التى اجراها لسيادته طبيب العيون العالمى « دكتور دى براكير » فى برشلونة .

وهيئة تحرير الرسالة اذ تزف هذه البشرى الى قراء الرسالة الأعزاء .. تشكر كل من تفضل بالسؤال عن سبب انقطاع مقالات رئيس التحرير ـ وسوف يعود استاذنا الزيات الينا والى قرائه قريبا .

● يناقش الأستاذ يحى حقى والأستاذ يوسف الشارونى مساء الأربعاء القادم مجموعة قصص « مشوار طويل » للأديب عبد المعطى المسيرى وذلك فى الندوة الأسبوعية لنادى القصة وجمعية الأدباء .

● يصدر قريبا عن دار الكاتب العربى ببيروت ـ الديوان السابع للشاعر عبد الوهاب البياتى ـ الديوان بعنوان « النار والكلمات » .

● « لم يبق الا الاعتراف » ديوان جديد للشاعر احمد عبد المعطى حجازى يصدر خلال الشهر القادم عن دار الآداب ـ بيروت .

● تلقى الشاعر عامر محمد بحيرى (عضو لجنة الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب) خطابا من اتحاد الشعر العالمى بالفلبين يدعوه الى الاشتراك فى هذا الاتحاد الذى يضم نخبة من كبار الشعراء العالميين ..

● يصدر قريبا كتاب خطوات على الشلال للأستاذ محمود تيمور وهو يعبر فيه عن مشاعره وافكاره اثناء زيارته للسد العالى .

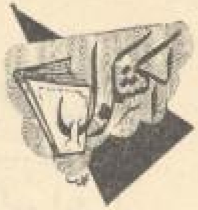
● اقام مجمع اللغة العربية جلسة علنية مساء الثلاثاء قبل الماضى لتوزيع الجوائز على الشعراء الفائزين فى مسابقة المجمع الأدبية لعام ٦٣ / ١٩٦٤ .

وقد فاز بالجائزة الأولى الشاعر على محمد حمد عن ديوان « براعم اشتراكية » وفاز بالجائزة الثانية الشاعر محمد رجب البيومى عن ديوان « صدى الأيام » وفاز بالجائزة الثالثة الشاعر محمد احمد العزب عن ديوان أبعاد غائمة » .

● الأديب محمد الشنارى ـ فرغ مؤخرا من كتابة مسرحيته التالية ـ المسرحية بعنوان « حكاية أمل » ..

● تعاقد الأستاذ عباس خضر مع الدار المصرية للتاليف والترجمة على تاليف كتاب عن محمود تيمور رائد القصة القصيرة والمسرحية ليظهر فى سلسلة اعلام العرب .

● قررت لجنة النثر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب الاحتفال بمرور اثنى عشر قرنا على ميلاد الجاحظ فى فبراير ١٩٦٧ .



عتب وتعقيب

ان صلتي بمجلة « الرسالة » وثيقةوقديمة وليست الشقة بيني وبينها بعيدة • وكنت اتوقع اذا بلغها عني مايريب أن تستوضحني ولو فعلت لعرفت الواقع على وجهه ولظهر لها •

١ ـ انى لم أكتب فى مجلة « حوار » منذ ظهورها الا مقالين اثنين اولهما عن « لطفى السيد » وثانيها عن « عباس العقاد » واظننا نتفق على أنه يجدر بنا أن نعرف بأعلامنا ، ونكتب عن امجادنا فى اية صحيفة ، وفي اى قطر وباية لغة •

٢ ـ يخيل الى ان صلتي الطويلة بمجلة « الرسالة » تجعلها تدرك انى لست ممن يعمل « معتمدا » ولا وكيلا لصحيفة كيفما كان شأنها ! واظنني أقف دائما موقف من يؤمن برسالة ، ويحاول أن يؤديها على وجهها ولذاتها •

٣ ـ أعلنت مجلة « حوار » مثلا عن جائزة ادبية سنوية ، وذكر اسمى بين المحكمين وهم نخبة من رجال الفكر والأدب فى العالم العربى واضطررت مع الأسف للاعتذار عن ذلك منذ زمن ، ولكن لأسباب غير تلك التى ذهبت اليها مجلة « الرسالة » •

٤ ـ لست ادرى ما لجامعة برنستن وهذا الشأن ! لأمر ما يراد ربط هذا بذاك ؟ واحب أن الاحظ انى لم اذهب الى برنستن فى أوائل الصيف الماضى محاضرا ووددت لو فعلت • وانما دعيت لكى أمنح لقبا علميا فخريا أعده رمزا لعلاقة ثقافية بين بلدين كبيرين أكثر مما اعتبره تكريما شخصيا •

وبعد ••

فبين يدى الآن الثلاثة عشر عددا التى ظهرت من مجلة « حوار » وقد تصفحتها وحاولت جاهدا أن أجد فيها شيئا يخرج على العروبة أو يعترض سبيلها • وعلى العكس وجدتها تعلن فى صدر عددها الأول أنها « مجلة عربية » ويكتب فيها أدباء ومفكرون من كافة الأقطار العربية وتعنى بالقضايا الحية التى تهم امتنا ووطننا » •

وقد التزمت بذلك فساهم فيها كتاب عرب كرام واستطيع أن اقرر انهم جميعا تقدميون وعالجت موضوعات فى صميم القومية العربية ، ويمكن أن أشير من بينها الى • « الاسلام والقومية فى الشرق الاوسط » « اللغة العربية لغة عالمية » رسالة الجمهورية العربية المتحدة» « مواقف العرب من القضية الفلسطينية » «تحية للجزائر» «لطفى السيد بين المصلحين» (المفكر طه حسين الاجتماعى) ، (العزيز المصرى والحركة القومية العربية)

وحظيت بحديث خطير للرئيس احمد بن بلا عن (ثورة الجزائر الجديدة) ، وسجلت وثيقتين بريطانيتين سريتين عن فلسطين لم يكشف عنهما من قبل •

فهل بعد هذا يمكن أن يقال أن مجلة «حوار» تناهض القومية العربية أو انها تمالئ الاستعمار ؟ اظن ان هناك سبيلا لتقديم دليل مادى على ذلك من عمل حوار نفسها •

« دكتور ابراهيم مدكور »



● لم ينف الدكتور ابراهيم مدكور شيئا مما قلناه فى العدد الماضى عن علاقته بالمؤسسة العالمية لحرية الثقافة ومجلتها «حوار» ما عدا التعديل فى بعض التشكيلات •• بل زاد على ذلك ارشادنا الى كتابات له فيها •• ودفاعا عنها •

ونحن نرى من دفاع الدكتور مدكور أنه يشارك مجلة «حوار» فى أغراضها وتأدية رسالتها العربية كما يرى •• واللاعربية •• كما نرى •

وفي العدد القادم من «الرسالة» نلقى مزيدا من الضوء على موقف تلك المجلة من القيم والمثاليات العربية ، لعل الدكتور مدكور يعرف ان لم يكن يعرف •

● **نشر الدكتور لويس عوض ان الاستاذ صلاح عبد الصبور نبهه الى كلمة «صليان» فى بيت ابي العلاء المعرى :**

صليت جمرة الهجير نهارا
ثم باتت تغص بالصليان

وانها بالياء واللام المشددة وليست « صلبان » بالباء ، كما حسبها الدكتور •• وكان الجدير بمن يكتب عن ابى العلاء ان يدرك ذلك من تلقاء نفسه •• وبمقتضى ثقافة ادبية عربية يجب ان تتوافر له قبل ان يتصدى لمثل هذا البحث •

● **ترامى الحال بالمرشحين لعضوية مجمع اللغة العربية الى حد ان احدهم نشر بالاهرام نشرة تتضمن مؤهلاته لهذه العضوية •• تصور !**

عباس خضر

مزيدا من فلسفة التشريع الاسلامي

بقلم : محمد عبد الله السمان

مما لاريب فيه : أن المكتبة الاسلامية زاخرة بالمؤلفات العديدة الضخمة في التشريع الاسلامي وفي شتى فروعه ، ولكنا لانتجاوز الحقيقة اذا اعتبرنا أن المكتبة الاسلامية لم تزل فقيرة في المؤلفات التي تبحث أسرار التشريع الاسلامي وفلسفته .

ومنذ أن ألف حجة الاسلام الامام الغزالي المتوفى أوائل القرن السادس الهجري كتابه الجليل «احياء علوم الدين» وضمنه الكثير من أسرار التشريع الاسلامي وفلسفته لم تحظ المكتبة الاسلامية الا بالقليل النادر في هذا المجال ، وحتى هذا القليل النادر جعل كتاب الامام الغزالي عمدته في البحث .

ولا جدال في أن المفكرين الاسلاميين الهنود سبقوا في هذا المضمار في القرون الثلاثة الأخيرة ، ومن ابرزهم ولي الله الدهلوي في كتابه «حجة الله البالغة» وكم سررت وأنا أرى « دار الكتب الحديثة » بالقاهرة تقدم الطبعة الرابعة في الايام الاخيرة الى المكتبة العربية والاسلامية ليسد فراغا لا يسده كتاب غيره الى جانب شقيقه «احياء علوم الدين» للامام الغزالي .

لقد طبع الكتاب للمرة الاولى في الهند ، وطبع للمرة الثانية بالمطبعة الاميرية بالقاهرة وطبع منذ اثنى عشر عاما بالمطبعة المنيرية بالقاهرة أيضا ، ولكن هذه الطبعات الثلاث نفدت جميعها منذ عشر سنوات ، على الرغم من ان صفحات الكتاب بلغت في الطبعة الاخيرة الرابعة زهاء تسعمائة صفحة ، وعلى الرغم أيضا من أن ثمن النسخة يربو على جنيه مصري ، وهذا السياق اقصد منه أن الدراسة الاسلامية الموضوعية في مجال الفكر الاسلامي تجد لدينا اجلالا وتقديرا ، في الوقت الذي ارى فيه الكساد يلاحق الكتب الاسلامية التي لايزيد ثمن الكتاب منها على بضعة قروش مصرية . والسبب في ذلك أن هذه الكتب لاتهدف الا الى الاستهلاك المحلي ، فهي لاتسد فراغا ، ولا تخدم موضوعا ، ولا تقنع فكرا ناضجا ، لان موضوعاتها تتسم بالتكرار الممل والسطحية الهشة والثرثرة الجوفاء .

وكتاب « حجة الله البالغة » قسمان :

القسم الاول في القواعد الكلية التي تستنبط منها المصالح المرعية في الاحكام الشرعية ، ويبحث في أسباب التكليف والمجازاة في الحياة وبعد الممات ، كما يبحث في الارتفاقات أي التدبيرات المعيشية النافعة ويبحث في حقيقة السعادة واختلاف الناس فيها ، كما يبحث في حقيقتي البر والاثم ، ويبحث في السياسات الملية وحاجة البشرية الى هداة ، وحقيقة النبوة وخواصها ، وأن أصل الدين واحد والشرائع والمناهج مختلفة ، كما يبحث استنباط الشرائع من حديث الرسول – صلوات الله عليه – وطبقات كتب الحديث ، وأسباب اختلاف الصحابة والتابعين في الفروع ، وكذلك اختلاف مذاهب الفقهاء والفرق بين أهل الحديث وأهل الرأي .

اما القسم الآخر : فيتناول اسرار ما جاء عن النبي تفصيلا في العبادات والمعاملات وابواب المعيشة ، كما يبحث حقيقة الاحسان والسياسة الشرعية في مجال الخلافة والقضاء والحدود والمظالم والجهاد ، ويختتم ببحث موجز في سير النبي ومناقب الخلفاء .

أما المؤلف فهو الامام الشيخ احمد المعروف بشاه ولي الله ابن عبد الرحيم الدهلوي المولود في عام ١١١٤ هـ (١٧٠٤ م) والمتوفى عام ١١٧٦ هـ ، ومولده ووفاته ببلدة دهلي بالهند ، وكان يحسن الفارسية والعربية معا ، وله مؤلفات عديدة باللغتين في التفسير وأصوله والحديث وعلومه وشرح موطأ مالك كما شرح تراجم الابواب للبخاري ، وله في الفقه وأصوله كثير من الدراسات ، وله في علم الكلام وآداب السلوك والتصوف والادب مما تزخر به المكتبة الاسلامية ، ومن أعماله التي لاتجهل ترجمته ألفاظ القرآن الكريم ومفرداته الى اللغة الفارسية حيث كانت اللغة الرسمية للهند وقتذاك ، وذلك ليفهم العامة معناها عند القراءة بأصله العربي .

والحق انه كان اماما مصلحا مجددا لدين الله ، وترك مدرسة فكرية لايزال لها اتباعها لا في الهند وحدها ، بل في سائر بلاد المسلمين وحسبه انه دعا الى الاعتصام بالكتاب والسنة وترك التقليد وعدم الاخذ باقوال الفقهاء الا بعد البحث والتحقيق ومعرفة حججهم ، وكانت فكرته في اساسها التوفيق بين المذاهب فان تعذر ذلك اخذ بما يوافق الاحاديث الصحيحة ورجحه على غيره ، وذلك كما يذكر محقق الكتاب الاستاذ الشيخ سيد سابق في مقدمته .

بقي أن نناقش محقق الطبعة الجديدة التي بين أيدينا اليوم ، وهو عالم فاضل جدير بأن يوكل اليه تحقيق مثل هذا الكتاب الذي يحتل مكانا مرموقا في المكتبة الاسلامية ، فالمعروف ان الطبعات الثلاث السابقة اكتفت بتعليق خاطف لجماعة من علماء الهند ، واسناد الطبعة الرابعة الى عالم فاضل كالشيخ سيد سابق مؤلف «فقه السنة» المشهور يطمئننا الى انه سيجعل لهذه الطبعة ما يميزها عن أخواتها الثلاث السابقة ، والى انه سوف يبذل في سبيل ذلك جهدا شاقا ملموسا في هامش الكتاب .

وقبل المناقشة أسجل هنا أن الشيخ سيد سابق كتب مقدمة في عشرين صفحة عن

المؤلف والكتاب جاءت مستوفاة تماما ، تناول فيها تاريخ الاسلام فى الهند وآثاره هناك ، وأسباب تقلص ظل الدعوة الاسلامية فى الهند وعصر المؤلف فى الجوانب السياسية والعلمية والاجتماعية ، ثم حياة المؤلف ونشأته ومكانته العلمية ومؤلفاته ودوره فى الاصلاح .

وقد لايختلف معنا المحقق فى أن تحقيق التراث لايقتصر على شرح لفظة مبهمة ، أو اشارة الى رقم آية ورقم سورتها ، أو تصحيح عبارة وردت فى الكتاب ، والا كان مثل هذا الجهد ميسرا لارباع المثقفين . وفى هذه الجوانب أدى المحقق واجبه . ولكن التحقيق يشمل شيئا أكبر وهو مثلا تحقيق الاحاديث النبوية والاعلام ومناقشة المؤلف فيما اشتط . ولم تتوافر العصمة لعالم مهما بلغ من العلم ، وفى هذين الجانبين لم يؤد المحقق واجبه كاملا . فالمؤلف على الرغم من عمق تفكيره وسعة افقه وغزارة علمه متأثر قليلا بمسحة من التصوف المشتط ، ومتأثر بروايات كتب التاريخ التى يجب الوقوف عندها .

ان الشيخ سيد سابق يذكر فى مقدمته انه أراد ان يحقق الاعلام والاحاديث النبوية فيه ، ولكنه وجد ان هذا يحتاج الى كتاب مستقل لكثرتها ، ووعد باخراجه عندما تواتيه الفرصة ويسمح الوقت .. وهذا اعتراف منه بالتقصير ، وهذا الجهد مكانه هامش الكتاب لا افراد كتاب مستقل ، لانه يجب ان يفسر للدارسين استيعاب كتاب «كحجة الله البالغة» له مكانة مرموقة فى الفكر الاسلامى .

محمد عبد الله السمان

شكر وصلاة

للشاعر : محمد مصطفى الماجى

يارب باسمك فى صلاتى أهتف
فانا الذى لبديع صنعك اعرف

ربى رأيتك فى الصباح ونوره
فيداك للافق البعيد تزخرف

وأراك فى الاشجار فى ثمراتها
والطير تصدح باسمه وترفرف

ابدعت هذا الزهر فى الوانه
ويداك الروض النضير تفوف

سبحت باسمك فى صلاتى شاكرا
وغدوت الهج بالثناء واهتف

محمد مصطفى الماجى

قصة قصيرة

السمكة والسلطان

بقلم : خير الدين سلطان

على الضفة الأخرى من دجلة ــ في الشمال ــ كانت هناك غابة غرب ·

كانت أشجارها العائلة الخضرة مزدحمة متداخلة ، تبدو كقطعة كبيرة من سمرة عميقة ، يفصل بينها وبين النهر جرف عمودي الانحدار · وخلف الغابة السمراء تلوح جبال بعيدة على سفوحها تموجات حادة تكونت بفعل الرياح وسيول الثلج الذائب · والى الجنوب يتصل رافد صغير بدجلة فيشكل معه زاوية حادة شامخة الارتفاع ·

كانت زرقة مياه النهر صافية تقرب الى الخضرة عند شاطئ هذه الضفة لانها عميقة بعيدة الأغوار ، وهي تمتد على هيئة قوس الى مسافة ميل تقريبا ، تشبه خليجا صغيرا مياهه ساكنة · اما تيار النهر ، عند الضفة المقابلة ، فقد كان يجري بحدة ضارية ·

كانت حرارة القيظ قد انخفضت بعد أن مالت الشمس عن منطقة الزوال ، ولكن وخامة الشاطئ لا زالت تضجر العجوز « عارف صبري » وهو : احد هواة صيد السمك ، في أواسط العقد السابع من عمره ، معتدل الظهر والقامة نسبيا ، ذو عينين غائرتين ، وأنف ضخم الأرنبة ، وشارب كثيف رمادي اللون ·

لقد اكتشف « عارف صبري » هذا الخليج في نهاية الصيف الماضي عندما كان يتنزه على الشاطئ ذات أصيل ، فقرر ممارسة هوايته المحببة فيه لدى عودته الى « هنا » في الصيف التالي ، فقد اعجبه جمال الطبيعة من حوله ، واعتقد أن الاسماك تكثر في مثل هذا المكان الهادئ المنعزل ·

كان هذا هو اليوم السابع الذي ارتاد فيه المكان من الخليج ، ولكنه لم يصطد شيئا يذكر طوال تلك المدة ، اللهم الا بضع سمكات صغيرة تافهة ·

كان ــ في هذه اللحظة ــ يراقب خيط سنارته الغائص في الماء المتكسر عند السطح ، اذ ان ثمة سمكة كانت تنقر الطعم منذ ما يقارب الساعة ، وبين مدة واخرى ينطلق من الغابة صوت اطلاقة تردد صداها الجبال الواقعة خلفها ، وهذه الاطلاقات تصدر عن صياد يطارد خنزيرا ، وقد ظهرا ، هو وطريدته من قلب الغابة عند الجرف في اوقات متباعدة ·

كانت الامواج الرقيقة تندفع متلاحقة كازلية الحياة فوق اعماق النهر الخضراء ، فاستهوته مراقبتها ، فقد احس انه يرتبط بها على نحو ما ، وتمتم : « انها كامواج حياتي » وصمت ، ولكنه استمر يقول في سره : « ··· الا موجة واحدة كبيرة مروعة لا يمكن ان تشبهها اي موجة اخرى » ·

احس « عارف صبري » بنقر السمكة ينفض خيط سنارته ، فارهف شعوره وتحفز ··· ولكن السمكة خيبت ظنه ، اذ كفت عن النقر ، فانتظر ··· وطال انتظاره ، ولم تعاود السمكة مداعبة الطعم ، فاسترسل مع ذكرياته: ذكريات الموجة المروعة :

ــ عندما رايتك لاول مرة ، شعرت اني احببتك منذ قرون !

قالت هذا منذ اربعين عاما تقريبا ، كنت اصطاف في هذه المدينة الصغيرة ، والتقيت بها ذات أصيل على الشاطئ ···

ــ بقدر ما احببتك في اول ايامنا ، كرهتك الآن !

بعد عامين ، كان هذا ما قالته لي بكل صلافة ، وفي نفس هذه المدينة ·

وهبتها نفسي ·· قدست جمالها · كانت جميلة الى حد فظيع · حسنا ·· تزوجتها ··

وانتفض خيط السنارة في يده انتفاضة كليلة ، ثم انتفض ثانية وثالثة ، فسحبه بسرعة · كان سهل القياد · وعندما اخرجه من الماء رآه مجردا من الطعم ، لقد اكلته السمكة ، فوضع طعما جديدا وطوح به في عرض النهر ، ثم اخذ يخط على رمل الشاطئ الندي خطوطا متقاطعة ودوائر غير كاملة :

« رايتها مرة بصحبة رجل غريب :

ــ من هذا ؟

ــ قريب لي ···

ــ ولكني لم اره من قبل !

ــ لقد كان مغتربا ·

واعتزلت فراشنا ·· نامت في حجرة اخرى · وتجرعت مرارة الحنظل · ساورتني الشكوك في اخلاصها · كانت نظراتهما مريبة :

ــ ما رايك لو « عدنا » الى بغداد !

ــ لا اوافق ·

ــ لقد انحرفت صحتي منذ وصولنا ! ··

قالت ببرود :

ــ اما انا فقد تحسنت صحتي كثيرا ، وستنحرف الى « سيئة » اذا ما عدت في هذا الوقت المبكر ·

- والضجر ! لقد امتلأت ضجرا .

اجابت ببرود مثير :

- في المرة الاخيرة ، امرني الطبيب ان ابتعد عن جو المدينة الفاسد وحذرني من ارهاق نفسي .

كل شيء حدث ، أتذكره بوضوح . كان جمالها الشيء الوحيد الذي يمكن ان يؤثر في ، نظرة واحدة من عينيها النجلاوين كافية لأن اتراجع عما انتويته .. وشاركتني حجرتي في تلك الليلة ... »

***

كان هنالك شخص ما يعوم مع التيار قريبا من مقر سنارته فتضايق منه . وقال الرجل الذي في النهر متضاحكا :

- أخشى ان اكون ازعجت صيدك !

وكان التيار قد اخذه الى الجنوب . فرمقه الصياد بنظرة متبرمة ، وقال بصوت مسموع:

- يا لعين . .

لم عاد يسترسل مع ذكرياته من جديد :

« كانا متعانقين ، هي ومن ادعت انه قريبها . في ذلك اليوم عدت الى البيت مبكرا جدا . لم افتح فمي .. لم اقل كلمة ولم يشعرا بدخولي ، فانسحبت بصمت وعدت الى بغداد . كان دماغي يغلي في راسي ، وتوقعت ان انفجر . ومن هنالك بعثت اليها بورقة الطلاق . ولم ارها بعد ذلك . وهجرت دنيا الزواج الى الأبد ..ما حاولت قط ان اعيد المأساة من جديد . كانت موجة كبيرة مروعة لا يمكن ان تشبهها اي موجة اخرى .. »

ونقرت السمكة الطعم نقرة قوية ارتعش لها الخيط في يده ، فسحبه بسرعة وبراعة. كان ثقيلا ، وفي نهايته كانت قد علقت السمكة ، كانت سمكة غريبة لم يشهد لها مثيلا : ضخمة الذنب ، عريضة البطن ، ذات حراشف ملونة مزركشة بنقاط سوداء دقيقة، تزن خمسة كيلوجرامات تقريبا.كانت تقفز على الرمال الرطبة بعصبية بالغة ، واعجب بها ، فآثر ان يتمتع برؤيتها فلا يتركها تموت .

انتزع « عارف صبري » شيئا من خيط السنارة وادخله من فمها واخرجه من غلاصمها ثم اعادها الى الماء . ومالت الى الأعماق تحاول الهرب فردعها الخيط الذي ربطت به ، وانقلبت على ظهرها فعكست حراشف بطنها ضوءا فضيا ، ثم عادت تعوم متهادية بعد ان يئست من امكان الهرب .

وتدفق الى نفسه سرور عظيم وهو يراقب هذه الملهاة المسلية والممتعة . كانت الوانها جذابة وجسمها بديع التركيب .

جنحت الشمس الى المغيب ، فتكللت قمم الجبال باللون الذهبي لأشعتها ، بينما كانت الغابة - في الظلال - تبدو اعمق خضرة ، وقد توقف اطلاق النار فيها ، وحل محله صراخ احد ابناء آوى (واوي) يجاوبه جمع غفير من بني جلدته . وسرعان ما هبط الغسق مرحا طروبا ، فترك هذا الجو البديع انطباعا لطيفا لدى الشيخ الصياد ، وتحول اعجابه بسمكته الى نوع من الميل العاطفي ، لذلك قرر ان يحاول ، ما اسعفته طاقته ، المحافظة عليها والعناية بها فلا يخرجها من الماء : ربط الخيط بصخرة مناسبة وارساها في النهر قريبا من الشاطئ ، ووقف يرنو اليها لحظة ، وقال بوجه باش :

- لن تهربي هذه المرة .. الى اللقاء في صباح الغد .

لم ينتبه الى ما في قوله من خطأ ، فقد تسللت الجملة الاولى على الصيغة التي نطق بها دون علمه . ولم يتذكر اي شيء - غير سمكته الفريدة - وهو عائد الى البيت .

مع زقزقة عصافير الصباح وتفتح الطبيعة على أضواء النهار كان « عارف صبري » قد جلس على الشاطئ يتمتع بمراقبة سمكته . كانت اشعة الشمس تنعكس على مياه دجلة فتبدو اكثر صفاء وشفافية ، وكان كل شيء هادئا غافيا كأحلام العذارى ، فشعر « عارف صبري » بصفاء الطبيعة وهدوئها يتسربان الى نفسه ، ولأول مرة منذ اربعين عاما استمتع بلذة الاطمئنان ، وشعر بسعادة تفيض في داخله وهو يقلب نظره بين روعة الطبيعة وبين مرح سمكته العزيزة العابث . لكن ذلك لم يدم طويلا .. فمن خلال هذا الجو المريح برز وجه زوجته المطلقة واضحا كئيبا ، فضايقه ذلك ، وحاول طرده من مخيلته ، الا ان الوجه ازداد وضوحا وتجلت كآبته اكثر حدة ، فأثار ذلك اشجانه ، وتداعت في ذاكرته نتف من حياته معها :

- لم يكن ثمة داع للانزعاج .

- اعرف ذلك .

- اتودين ان اكرر : « انا لك بكل كياني » ؟

- لا داعي لذلك . كنت امزح معك فقط .

ومرة قبيل الطلاق ، قالت :

- لم اعد استطيع الحياة معك . لقد ضاعت حياتي في تفاهتك .

- اذن ، فمفهوم التفاهة يعني لديك : الحب والتضحية والاحترام ! ساحاول تغيير مفاهيمي بما يرضيك .

- لا اريد ذلك . المهم اني ساتخلص منك لأني .. سئمتك .

- ومع ذلك ، فاني ازددت حبا لك .

هذا الجحيم ، كنت اعتبره جنة . صحيح انني لا اقدر على الاستغناء عن المرأة ، ولكنني استغنيت عن امرأة واحدة ، فربحت الجولة وربحت نفسي .

ان العذاب الذي عانيته ، كان بسبب سيطرة ذلك الشيء الوهمي الذي لا وجود له على الاطلاق (يعني الحب) وعرفت كيف اتحرر من ربقته .. وقليل من الناس من اكتشف طريقة الخلاص » .

***

كان واقفا - صباح اليوم التالي - ينظر ببلاهة وذهول الى الصخرة التي ربط اليها السمكة .. كان الخيط مقطوعا ولا اثر لوجود السمكة . وكان ثمة سرطانا متوسط الحجم يربض على مقربة من الصخرة ، فادرك ما حصل ، وقال في سره : « كان من الواجب على قتلها » .

ظل السرطان منتصبا لم يات بادنى حركة، واعتبر ذلك تحديا صارخا . فاحتدم الغضب في نفسه وشعر انه يختنق ، ومن غير تفكير ولا وعي هجم على السرطان ، واخرجه من الماء، وطوح به بعيدا ثم سحقه برجله بعنف افرغ فيه كل احقاده وكراهياته المشحونة في داخله .

دارت به الارض قليلا . وشعر برغبة في قذف كل ما في جوفه .. وهو ينظر الى حطام السرطان الذي يثير الاشمئزاز في النفس . وتمتم في استنكار :

- هذا غير معقول .. غير معقول !

وحول نظره بعيدا الى النهر المنساب - نحو الجنوب - في هدوء يطحن اعتى انواع حجر الصوان !

بغداد   خير الدين سلطان

حول الأدب في السودان

بقلم عبده بدوى

الفن المتجدد

لقد كنت سعيدا بتلقى كتاب « نظرية الفن المتجدد وتطبيقها على الشعر » للاستاذ **عز الدين الامين** المحاضر الاول بجامعة الخرطوم .. كنت سعيدا للتعرف على الوجه الشعرى للسودان بعد ان تركته من فترة كبيرة ، وبعد أن قلت كلمتى فى هذا الفن فى كتابى « **الشعر الحديث فى السودان** » ، وللتعرف على وجهة نظر سودانية فى هذا الميدان بعد ان سرق لبنان الكاميرا وركزها على شعرائه من وقت كبير ، وبعد ان استحال الشعر فيه الى نوع من الثرثرة اللغوية ، وبعد أن اصبح يبشر بهذا التحول بالمجلات وبالمندوبين فى العالم العربى .

ومهما يكن من شىء فعز الدين الأمين يقدم ما يسميه « نظرية الفن المتجدد » التى تشرح رسالة جماعة الأدب المتجدد بالسودان ، والتى تقوم على أساسين **اولهما** ابقاء اصول الفن **وثانيهما** التجدد المطرد له ، والكتاب يضرب مثلا على ذلك بالموشح والدوبيت الذى لو خرج واحد منهما عن خصائصه لما اصبح موشحا أودبيتا ، وبان القافية بعد ان كانت اصلا فى القصيدة القديمة الا ان اسقاطها لاينفى أن هناك اصلا يمكن التنويع فيه ، ثم نراه يضعنا امام مصطلحين موفقين هما الشعر المتجدد (الشعر العمودى) وشعر التفعيلة (الشعر الحر) ثم نراه يتسلل الى مناطق نفوذ شعر التفعيلة ، فيذكر أن القول بان هذا الشعر مساير للعصر لايخرج عن كونه خدعة للرواج وخوف الكساد لان حركة الاحساس بالعصر ليست وقفا على من يقدم التفعيلة فقط .

والقول بان هناك خصائص تتمثل فى العبارات والالفاظ الموحية لايمكن قصرها على نوع دون آخر ، وقد عمقت مدرسة الديوان الاحساس بهذه القضية فى اطار الشعر المتجدد .

كما ان القول بان شعر التفعيلة يتميز بالغموض كصفة خيالية تنشأ قبل مرحلة التعبير المنطقى ،

وانه يعتمد فى بنائه على الصورة ، وعلى الاستفادة من الاساطير ، وعلى القرب من واقع الحياة البسيطة ، وعلى الحوار والقصة .. القول بهذا لاينفى وجوده فى الشعر المتجدد . فى الماضى والحاضر ، ومن هنا لن يكون العيب هو عيب الشعر المتجدد فى ذاته ، أو فى قدرات أصحابه ، وانما فى حركات العصر الذى تلون التفكير والخيال والاتجاه .

والمؤلف يصل بالقضية الى حد الغليان حين يقدم لنا نماذج قديمة تثبت قدرة الشعر المتجدد على كافة الجوانب التى يعتبرها البعض خاصية من خصائص شعر التفعيلة ، ومن هنا نراه يقدم من الشعراء القدماء المتقاربين فى الزمن امرأ القيس والحطيئة ، وعمر بن ابى ربيعة ، وامية بن ابى الصلت ، وذا الاصبع العدوانى ، وبشار .. كما يقدم نماذج حديثة من الشعر المتجدد استوعبت خصائص شعر التفعيلة للشعراء بشارة الخورى ، نزار قبانى ، عبد الباسط الصوفى ، نازك الملائكة ، سليمان العيسى ، هاشم الرفاعى ، سعد دعبيس ، عبده بدوى .

ثم ينتقل الكتاب الى قضية حيوية مؤداها ان الالفاظ رموز للمدلولات ولكنها رموز ميتة جامدة، وانا نحن الذين نبعث فيها الحياة والقوة .. وهو بهذا يرد على الذين يقولون ان بعض الكلمات العامية أقوى فى الدلالة على مدلولها من الكلمات الفصيحة ، وان الالفاظ الأعجمية شأنها فى ذلك شان الالفاظ العامية .. فاستعمال كلمة «راديو» والالحاح عليها هو الذى جعلها تغطى على كلمة «مذياع» ، واستعمال كلمة قطار العربية لمخترع كان جديدا علينا هو الذى جعلنا لانستطيع استساغة كلمة «ترين» الانجليزية .

ثم ينتهى من هذا الى القول بانه يفضل الاشتقاق والنحت على التعريب ، وحين يصل الى مرحلة التطبيق نراه يأخذ على قصيدة «طوق الياسمين» لنزار قبانى انها بسيطة وخالية من الفن ، ثم نراه يضع فى مواجهتها على اختلاف فى الموضوع قصيدة **الجبل** لابن خفاجة الاندلسى ، ولعله كان من المفيد أن يضع فى مواجهتها قصيدة لاتبعد كثيرا عن تجربة نزار قبانى ، تلك القصيدة التى تقول أبياتها ، والتى لا يرتاح اليها عز الدين :

● وقصدت دولاب الملابس .. تقلعين .. وترتدين
وطلبت أن أختار ماذا تلبسين
أفلى اذن ؟ أفلى أنا تتجملين ؟
ووقفت فى دوامة الألوان .. ملتهب الجبين
الأسود المكشوف من كتفيه .. هل تترددين
لكنه لون حزين
لون كأيامى حزين
ولبسته .. وربطت طوق الياسمين

ومهما يكن من شىء فقصيدة نزار تعبير موفق عن تجربة الشاعر مع فتاة مترفة تحسن اختيار العطر ، واختيار اللحن الفرنسى ، واختيار الفساتين واختيار من ترقص معه .. فالبلاغة هنا ليست بلاغة «كلمات» وانما بلاغة موقف يتحتم فيه أن تذهب الفتاة الى دولاب الملابس ، ثم تقول — وربما وهى تغمز بعينها — ماذا تحب ان أرتدى من هذه الالوان ، فاذا به يختار لونا حزينا ، وربما لان هناك احساسا غامضا بان قلبه سيكسر فى نهاية الليل ، بل انى اعتقد ان هذه البطلة بالذات لو لم يقل انها قصدت الى «دولاب الملابس» ووقفت امام «دوامة الالوان» ولو لم تقف عيناه عند «الفستان الاسود المكشوف من كتفيه» والذى يصلح للسهرة المقترحة «لو لم يقل كل هذا لما كانت تجربته صادقة وحارة وحزينة على النحو الذى يحس به القارىء حين ينتهى من القصيدة ، وحين يحس هو نفسه أن قلبه قد كسر مع قلب الشاعر : وقد اكون مع عز الدين الأمين لو كانت فتاة نزار من « **الغورية** » أو «شمبات» ، ولكنها من شىء آخر بعيد تماما عن الغورية ، وعن شمبات !

***

ثم ينتقل المؤلف نقلة «يصك» فيها الجامدين الذين لايقبلون فى الشعر تجديدا ولا تنوعا ، وهو فى هذه النقلة لايخاصم أنصار «شعر التفعيلة» كما يقولون «على طول الخط» لانه متفق معهم فى اعطاء الفنان المزيد من الحرية ، وفى ضرورة وجود الموسيقى ، ثم انه يعترف لبعض هذا الشعر بأنه يؤثر بمضمونه ودفقته الشعورية ، وانه يلائم

المسرحية والملحمة والقصة ، وان كان يعيب عليه «عدم اكتمال الموسيقى» .

ثم يذهب الى القول بأن خير مايقدمونه هو «.. الشعر القائم على التفعيلة الواحدة والمقفى فى نفس الوقت ، ولكنا نقول : ان قيامه على تفعيله واحدة ، وان كان يحدث موسيقى الا انها موسيقى ضعيفة لأنها موسيقى جزئية ولا اتساق فيها او تنسيق لفقدانها التنظيم الموسيقى الذى يحدث اللحن التام والنغم الكامل ، ثم هى الى ذلك موسيقى رتيبة لأنها تكرر نغمة واحدة فى القصيدة هى نغمة التفعيلة الواحدة» ولعل المؤلف يقصد هنا الدعوة الى البحر القائم على التفعيلة الواحدة كالرجز والكامل ومجزوئه .

ثم انه لايجد مانعا من اعادة توزيع الشعر المتجدد على طريقة السطور بدلا من الشطور ، ولعل المؤلف يقصد الكتابة الشعرية المتأثرة بالقراءة الشعرية ، ذلك لأنه لا احد يلزم قارىء الشعر المتجدد بوقفة واحدة فى آخر البيت او بوقفتين او اكثر خلال الشطرين ، فان كان يقصد هذا فانه يكون ملتقيا عند مايراه بعض النقاد فى الجمهورية العربية المتحدة .

***

وهو يؤكد أن البيت لايفرض معنى زائدا الا عند الشاعر الهزيل والا لكانت التفعيلة يمكن أن تؤدى ايضا هذا المعنى الزائد ، فالمسألة ليست مسألة ضعف الاداة وانما مسألة ضعف الشاعر .. ثم ان الشاعر القديم لم يكن يعرف الوزن والقافية ولكنها طبيعة اللغة العربية هى التى قدمت للشاعر هذا الزاد السحرى ، ثم ان هذا الزاد لايزال يقدم للشاعر الشعبى ، وان كان يتحرك سريعا ليقول انه يدعو الى تغيير القافية ، وعدم ضرورة التزام موسيقى الخليل بن احمد ، ولاينسى أن يرد على الذين يقولون بجهارة الشعر المتجدد أن الدكتور محمد مندور حين درس الشعر المهموس درسه على نماذج من الشعر العمودى ، فالجهارة ليست من خصائص هذا الشعر ، وانما من خصائص الشاعر فى دائرة عصره .

***

والمؤلف الى جانب وقفاته الذكية عند قصيدة النثر ، وعند بعض المدافعين عن «العروضة الجديدة» لاينسى أن يخلص الى قوام ماسماه - نظرية الشعر المتجدد ، فهو يجمل هذه العناصر فى الآتى :

اولا ـ مراعاة اصول فن الشعر العربى دون الخروج عليها ، واصول هذا الشعر فى شكله المثالى هى الأوزان والقوافى دون تقيد بأوزان الخليل او تقيد بنظام قافيته .

ثانيا ـ المحافظة على الاصول والقواعد العامة للغة الشعر العربى ـ وهى اللغة الفصحى ـ دون الخروج عليها ، ودون مزجها بالعامية ، او بالفاظ اعجمية ، الا اذا لم يكن للعامى لفظ فصيح ، او كانت هناك ضرورة لتعريب الأعجمى ، ولم يمكن فى الحالين وضع لفظ فصيح مناسب .

ثالثا ـ قيام الشعر على الوحدة الموسيقية فى التقيد بهذه الأصول ، لا على الجزئية الموسيقية لضعفها فى الاداء الموسيقى .

رابعا ـ التجديد المطرد فى اصول شكل هذا الفن ، وفى لغته مع التجديد المطرد فى مضمونه ، تبعا لتجدد الحياة فى الحضارة والثقافة والذوق الى غير ذلك .. والتجديد فى شكل الشعر يكون بتجدد الوحدة الموسيقية ، أى بالابتكار فى الأوزان والقوافى وتنويعها .

خامسا ـ عدم تحديد لون خاص من التجديد ، والاكتفاء فى ذلك بالتوجيه والحكم فحسب ، ليكون الفن حرا فى انطلاقه .

سادسا ـ تقبل هذا الفن للالتزام الحر ، مع التوجيه فيه لما يفيد المجتمع ، ولنبذ مايفسده .

***

هذه هى الخطوط العريضة لكتاب عز الدين الأمين ، او بعبارة ادق لوجهة نظر سودانية فى الشعر ، فقضية الشعر ليست احتكارا لبلد دون آخر ، ومما لاشك فيه انه آن الأوان ليقول السودان كلمته ـ لا ان يتلقى هذه الكلمة ـ فى كافة القضايا الأدبية والفنية ، وليحدث فيه هذا «الغليان» الذى يحدث الآن فى اكثر من بلد عربى على مستوى الفكر ..

ومع كلمة التحية للأستاذ عز الدين الأمين نوجه كلمة عتاب لأن كتابه وان حافظ على منهج المقال الا انه افتقد منهج الكتاب ، ولأنه لم يعالج القضية على المستوى العربى كله ، ولأنه لم يربطها بدوافعها

ولم يضغط بشدة على الذين يعبثون بها بامكانياتهم المشبوهة ، ولان مراجعه لم تكن وفيرة وسخية ، وليته يعلم أن المقالات التى اعتمد عليها للدكتور لويس عوض لم تخلُ من الهوى والغرض ، وانه يجب ان تناقش مانتقل عنهم – مهما كان المصدر – بضراوة عقلية ، ودون أن يكون هذا منقصا من حبنا لهم .. ولعلى لم أكن أذكر هذا مالم يسم ماجاء فى كتابه «نظرية الفن المتجدد» ، ولكن هذه القضية الخطيرة ، وهذا الاهتداء الذكى الذى وصل اليه المؤلف ، هو الذى يجعلنى اتهمه « بالكسل » مالم يعمق هذه القضية بالبحث وبالعودة اليها فى كتاب كبير ، لا فى مقالات تنشر أو تلقى ، أو تذاع ثم تجمع من جديد فى كتاب ..

وانا والشعر والحب للسودان . فى حالة انتظار لهذا القادم الجديد .

ذكريات الخرطوم

«من وحى ثلاثة اعوام من أنضر ايام العمر قضيتها فى ربوع السودان الحبيب » :

سمراء مازال الحنين اليك مشبوب الفكر
وعلى جبينى من حنانك راحة .. ظلت تمر
وبقية من ذكريات عالقات بالبصر .
عن أعين سوداء يبرق فى تاملها الحذر
عن عالم فى قبضة الشمس العنيدة ينصهر
.. تتسلق الجدران والأبهاء فيك خطا الزهر
ويكاد يورق فى لياليك المفردة الحجر !
فبقلب هذا المنجم المزهو شعب مزدهر
رفع الجباه ، وسار مندلحا كفجر من صور
فاذا السلام على الوجوه ، وفى اسارير النهر !
غنيت تحت ظلالك الهدباء أسراب الطفولة
كانوا فراشات حيارى يمرحون اليوم طوله
يتواثبون كما تواثبت العصافير الجميله
ويزخرفون الحائط المتد بالصور الهزيله
.. مازلت اذكر بينهم طفلا يتيما كالخميله
لم يحم صفحة وجهه بيديه من كفى الثقيلة
فبداه فوق قميصه المحزون تلتمسان حيله
واذا بثرثرة العيون تذيب فى عبث نحوله
حتى اذا ماقطعت من روحه قطعا ملوله
ترك القميص لكى يغطى جرح أيام ذليله !

***

انا لست أنسى ليلة عذراء ساجية الجفون
قد سرت فى اهدابها دمعا جريحا مستكين
متذكرا فى قريتى نبضا من البذر الدفين
والقمح يقفز فى وشاح ناعم رطب الرنين
واذا بنخل بين «الشمبات» يهوم فى العيون
وقرى تنام مع البذور على جفون الكادحين
والجدة العجفاء تروى ، والصغار يحملقون
وعلى الروابى من حداء الراحلين شذى حزين
احسست انى فى قرى مصر ادور على حنين
فهويت احتضن التراب بما ملكت من السنين !

***

فى هذه الأرض السخية عشت عمرا مخصبا
اسرعت خلف غزالها حتى ترامى متعبا
وسمعت «دوبيتا» تغنى باللقاء ، ورحبا
ورقصت رقص الحرب مهتاجا عنيفا مغضبا
وعلى صدى «دلوكة» الغيت عمرى وائبا
ومع «النوير» وقفت مشدوه التامل معجبا
فهم الوجود الطفل يخطر فى البراءة لاعبا
ايامهم للصيد ، والمرعى الذى قد اعشبا
وصباحهم أكواب نور اترعوها بالصبا
حتى اذا مافرغوها حطموها مغربا !!

***

احببتى السمراء .. ياتهويمة الفجر الندى
قالوا «لقد اضحى الهوى والود غير مورد ؟»
فهتفت « هذى كفك السمراء تحضنها يدى
وهواى فى عينيك اما رائح .. أو مغتدى
القاه فى مرح الصباح ، وفى ظلال الموعد
ويرى بحقل نائم متوسد بالساعد
وبسنبل ذهب الأصيل بجفنه لم يعقد
وبكرمة شفت عن الساقى ، وكاس مجهد !! »

***

هذا هو الحب الذى سيظل أوفى مورد
من اجله نحيا بقلب خافق متوحد !!

عبده بدوى

تجارب سينمائية جديدة في مهرجان الفيلم السوفييتي ..

بقلم
عبد الفتاح البارودى



لقطة من الفيلم السوفييتي « دمك »



منظر من احد الافلام اسبوع الفيلم السوفييتي

متى يستيقظ السينمائيون ؟! نفس الأخطاء التى ارتكبوها فى كل المهرجانات السينمائية تكررت فى مهرجان الفيلم السوفييتي الذى أقيم فى الاسبوع الماضى .. وكما أنهم لم يستفيدوا شيئا من المهرجانات السابقة ، لم يستفيدوا من هذا المهرجان أيضا .. لم يحاولوا دراسة أفلامه أو معرفة دقائقه الفنية أو حتى الاستفسار عن الاتجاهات الجديدة التى ظهرت فيه .. ما فائدة عقد المهرجانات الفنية اذن اذا لم نجد فيها فرصة للدراسة المقارنة والدراسة التطبيقية والاحتكاك بالخبرات العالمية ؟!

فى هذا المهرجان أثبتت الاستوديوهات السوفييتية أنها حقول خصبة للتجارب الجديدة ، وأثبت السينمائيون السوفييت أنهم يتطورون باستمرار .. ان أفلامهم التى كانت ميزتها الوحيدة هى ارتفاع مستوى عمليات التنفيذ فقط ، برهنت على أنها تمتاز أيضا فى عمليات الخلق والابداع ، وفى التأليف السينمائى ، وفى السيناريو ، وفى ادراك أسرار فن السينما فى مختلف نواحيه ، والمهم هو أن هذا الادراك يزداد نضوجا وعمقا .

***

فمثلا ، فى المهرجان السابق رأينا اتجاها جديدا فى تناول الموضوعات التسجيلية ، وظهر ذلك بوضوح فى فيلم « طشقند » .. رأينا فى هذا الفيلم كيف اختفى « الراوى » ، أو على الأصح كيف تراجع الى الصفوف الخلفية .. لقد كان المألوف فى الأفلام التسجيلية فى العالم كله أن « الراوى » هو العنصر الأول ، ومن أجل ذلك يقف أمام الكاميرا وخلفها وحولها ليشرح ما تسجله ، بل انها لا تسجل الا ما يريده ... ولكن فى فيلم « طشقند » فرضت

الكاميرا وجـودها كعنصر أول ، وقدمت لقطاتهـا بحيوية جعلت منها أداة ليس لمجرد التسجيل فقط، بل للمقارنة الواعيـة بين المعـالم ، وللشرح العميق للمعنويات من خلال تصوير الكائنـات والماديات ، وهكذا سار الراوى خلفها على استحياء ، وتحول من بطل الى كومبارس ٠

هذه الميزة تأكدت فى المهرجان الجديد ، وظهر ذلك بوضوح فى فيلم « جولة فى موسكو » ٠٠ ان الكاميرا لم تعد فى حاجة الى كومبارس ٠٠ ان المصور (فاديم يوسوف) والمخرج (جورجى دانيليا) طافا بها فى موسكو ليس للتسجيل ، بل للتعبير عن بهجة الحياة وسعادة الانسان ٠٠ ان من حق الانسان أن يجد السعادة فى العالم كله حينما يتبادل الشعور بها مع غيره ، ومن حقه أن تغمره هذه السعادة وهو «ممتلىء» شبابا وصحة ، حينما يعمـل لخدمة الانسـان ، ثم يمضى أوقات فراغـه مع أصـدقائه بقلوب متفتحة للحياة وللأحياء فى العالم كله ٠٠ ان الفيلم صور هذه المعانى فى قصة بسيطة جدا ٠٠ شاب يصل من سيبيريا الى موسكو لتمضية يوم واحد ٠٠٠ هناك آلاف الأماكن والأشياء ٠٠ انه يلتقى بشـاب آخر ويقومان بجولة فى موسكو ، وأثنـاء الطريق يصبح الصديقان ثلاثة ٠٠ وخلال جولتهم تصـور الكاميرا ما يشاهدونه من معالم ، وما يواجهونه من مواقف وأحداث ضاحكة حينا ، مثيرة حينا آخر ، صادقة فى كل الأحيان ، وعندما ينتهى اليوم يشعرون «بالأسى» فلا بد من أن يفترقـوا ، وما المانع من الافتـراق ما دامت الحياة فسيحة أمامهم ، ويفترقون على أمل اللقاء مرة أخرى ٠٠ ان الكاميرا صورت هذه الجولة بعمق ٠٠ صورت احساساتهم الصادقة الشـابة ، ومن خلال تسجيل هـذه الاحسـاسات بشـاعرية سجلت أيضا تفاصيل الجولة فى موسكو ٠

***

تجربة أخرى فى فيلم « هاملت » ، وهى تجـربة مختلفة جـدا ٠٠ ان تراجيـديا هاملت التى كتبها شيكسبير وخلدها تاريخ الفن كاحدى روائعه حاول كثيرون من الفنـانين اعدادها للسينما بتفسـيرات مختلفـة للتراجيـديا ولشخصيتى بطليهـا هـاملت وأوفيليا ولسـائر شخصـياتها التى بلغ شيكسبير غاية الروعة فى تصـويرها ، وكانت هذه الروعة - ولا تزال - من أهم أسـباب صعوبة تحـويل هذه التراجيديا المسرحية الى السينما ، بل أيضا صعوبة تمثيلها على المسرح نفسه ، ومع ذلك فان التجـربة السوفييتية قدمت عملا ممتازا٠٠ لماذا ؟ لأنها قدمت تفسيرات جديدة للتراجيديا وشخصياتها ، ومع ذلك احتفظت بعمق وجلال النص المسرحى الشيكسبيرى٠

انفردت بهذه الميزة عن سائر التجارب ٠٠ فمن المسلم به أن شيكسـبير تعمـق فى أغـوار النفس البشرية حتى أصبحت روايـاته التى كتبهـا منـذ حوالى ٤٠٠ سنة خالدة، ليس بمعنى الخلود المتحفى، بل بمعنى صلاحيتها للعـرض أينمـا وحيثما وجـد الانســان على اختلاف العصـــور ، ومنها العصر الحديث وما بعده فى المسـتقبل ، ومعنى ذلك أن من الصعب جـدا تغييرها او تكييفها بتغير المفهـومات والظروف ٠٠ صحيح أنها كتبت فى عصر معين وظروف معينة ولجمهور معين ، ولكن تعمق شيكسبير أكسبها الحياة المتجددة ، ولهذا فشلت محاولات كثيرة لمجرد أنها حاولت النظر اليها نظرة محلية تخضع لمفهومات محلية ، ومن أجل ذلك رأينا كثيرين من السينمائيين العالميين يقدمون روايات شيكسبير فى السينما كما هى فى المسرح ، وكأن الكاميرا السينمائية عين بشرية جالسة فى صالة المسرح ٠



منظر من فيلم بولانتا - الأوبرا السينمائية السوفييتية ٠٠

ان السيناريست والمخرج السوفييتى جريجورى كوزنتسيف لم يفعل هذا ولا ذاك ٠٠ لم يغير النص الشيكسبيرى وايضا لم يحول الكاميرا الى عين مسرحية ٠٠ وانما أدرك عنصر العمق ، وقدم هاملت الجديد، هاملت الذى يعيش فى عصرنا وتمتد أعماقه الى عصر شيكسبير ٠٠ ان عشرات التجارب قدمت هاملت الذى يستمع دائما وينتظر دائمـا ويتردد دائما ، وكذلك قدمته التجربة الجديدة أيضا ، ولكن بفارق كبير ، وهو أن هاملت فى التجارب السـابقة كان

مرتبطا بالعصر الذى ظهرت فيه هذه التراجيديا ، بينما هو فى التجربة الجديدة مرتبط بحياتنا فى العصر الذى نعيش فيه ٠٠ انه هنا ليس ذلك الأمير الدنمركى ، بل هو انسان « معاصر » يستمع دائما وينتظر دائما ، ويتردد دائما ، بأعمق ما يكون الاستماع والانتظار والتردد فى الكائن الدرامى المعاصر ٠٠ ان هذه التجربة فى رأيى أروع تجربة فى الحقل السينمائى ٠

***

تجربة أخرى فى فيلم « اشتريت بابا » ٠٠ هذا الفيلم فيه مشاهد متنوعة بعضها طريف وضاحك ، وبعضها يثير الأسى ،ولكن المدهش فى هذه التجربة أنها صهرت الضحك والأسى ، وتفاعلت فيها المشاعر المتناقضة واحتدمت فى قصة انسانية المغزى واقعية الأحداث والتناول الفنى ٠

ان بطل الفيلم طفل عمره خمس سنوات ٠٠٠ ماذا يحتاج اليه أو يشتاق اليه مثل هذا الطفل ؟ اللعب وأدوات التسلية والأصدقاء الصغار ؟ ان الطفل « ديمو » يمتلك كل ذلك ، وله ــ علاوة على ذلك ــ أم ترعاه بحنانها ، ومع هذا يتساءل أين أبوه !! المهم أن وراء هذا التساؤل ادراكا واحساسا بالفراغ الذى لا يملؤه غير أبيه ، ومن هنا أصبح الطفل رمزا فنيا ، وأصبح تساؤله تعبيرا فنيا عن الأسباب التى يفقد فيها بعض الأطفال آباءهم ٠٠٠ لماذا يحرم أى طفل من أبيه ؟! لماذا لاتتوافر السعادة فى الحياة للناس ــ كل الناس ــ منذ طفولتهم ٠٠ ان كل هذه الأسئلة يناقشها الفيلم دون الالتجاء الى الافتعال أو الى الخطابيات ، بل دون توجيه هذه الأسئلة نفسها توجيها مباشرا ٠٠ ان الفيلم يخفى مراميه العميقة اخفاء فنيا يزيدها وضوحا .. كيف؟!

انه يصور لهفة الطفل على أبيه فى أسئلة تبدو مراميها من اصراره عليها ٠٠ انه يلح فى معرفة من أين جاء ؟ وكيف جاء ؟ ولماذا لا يجد له أبا ؟ وتحاول أمه أن تقنعه كطفل بأنها باعت أباه الى أحد المحلات، وليس لديها نقود لتشتريه أو تشترى له أبا ٠٠٠ فماذا يفعل ؟! يتصرف كطفل أيضا ، وبدلا من أن يشترى (آيس كريم) فى الصباح كعادته يحاول أن يشترى أبا ٠٠ ويذهب الى المدينة ، ويبحث فى واجهات المحلات ، فيجد فى احداها تمثال رجل يبتسم ٠٠ ان هذه الابتسامة توحى اليه أن هذا الرجل لا بد ان يكون طيبا وعطوفا ، ويقرر أن يشتريه ، ولكنه يعلم أن فلوسه لا تكفى لشرائه !! ثم يلتقى برجل طويل ، فيعتقد أنه أكثر طيبة ولطفا ، ويصارحه بأنه يريد أن يختاره أبا ٠٠٠ ويتأثر الرجل ويصحب معه الطفل ٠٠ كان الرجل على موعد مع فتاة ، ويلتقى بها ومعه الطفل ، وبعد عدة أحداث فرعية ــ ولكنها تعمق القصة ــ يذهبان مع الطفل الى بيته فتستقبلهم أمه وهى غارقة فى دموعها ، بينما يبتهج الطفل لأنه وجد أبا ٠٠٠ وترتبك الأم والأب المزعوم ، وينصرف هذا الأب بعد أن يعد بأنه سيعود مرة أخرى ٠

ان هذه الأحداث الخفيفة ترمز الى أكثر من مغزى عميق ، وهذا النوع من الأفلام يعتبر من التجارب الجديدة فى الأفلام السوفييتية التى أصبحت تحتشد بالقصص الانسانية ٠

***

تجربة أخرى رائعة تراها فى فيلم « يولنتا » ٠٠ هذا الفيلم نموذج للأوبرا السينمائية ٠٠ انه يصور أسطورة الفتاة يولنتا ابنة الملك رينى التى تعيش فى قلعة منعزلة بحيث لايراها أحد ، وهى أيضا لاترى أحدا ، بل لا تستطيع أن ترى بهجة الحياة ، لأنها عمياء ، ووالدها يحاول بكل الوسائل أن يرد اليها بصرها ، ويستدعى عالما عربيا فيخبره باستحالة شفائها الا اذا عرفت أولا أنها عمياء ٠٠ موضوع غنائى ولكنه حافل بالمعانى .. وتتوالى أحداث القصة ــ وكما يحدث فى هذا النوع من القصص ــ يقع فى حبها فارس غريب ، ويطلب منها أن تعطيه وردة حمراء رمزا لالتقائهما ، وعندئذ تتساءل الفتاة عن معنى الوردة الحمراء فانها لا تعرف الألوان ٠٠ ويقع العاشق فى مأزق ، فان أباها كان قد قرر الا يخبرها أحد بأنها عمياء ، وعندئذ يقرر قتل العاشق اذا لم يرتد البصر الى « يولنتا » ٠٠ وتحدث المعجزة ، فان رغبة الفتاة فى الحياة هى التى تحقق معجزة شفائها٠

فى هذا الفيلم تشترك كاميرا فاديم ماس فى تصوير معانيه من خلال تصوير وقائعه وأحداثه ، وتظهر روعة التقاء المخرج فلاديمير جوريكر مع

أوركسترا وكورس البولشوى الشهير، وأداه ناتاليا رودنايا وفيـدور نيكيتين ويورى بيروف وموسيقى بيوتر تشايكوفسكى ٠

وفى هذا الفيلم نرى الادراك الدقيق للفروق بين الأوبرا المسرحية والأوبرا السينمائية ٠٠ والواقع أن هذا المهرجان حافل بالتجـارب ذات القيمة الفنيـة الواضحة ، وبالاتجاهات الجديدة فى مختلف الفنون السـينمائية ، فكم عدد الذين اسـتفادوا بهـا من السينمائيين عندنا ؟!

***

كان المفروض أن يعقـدوا اجتمـاعات لدراسـة أفلام المهرجان ، لعلهم يقتنعون بأن السينما تحتاج الى دراية وثقافة وخبرة ٠٠ لو أنهم درسوا هـذه الافلام لتعلموا كيف تتحول المسرحيات والقصص الى السينما ، كما حدث فى فيلم هاملت ، وكما حدث فى فيلم « الأحياء والأموات » الذى تم اعداده من احدى قصص كونستانتين سيمونوف ٠٠ ولو أنهم درسوا هذه الافلام لتعلموا ان ممارسة السينما تحتـاج الى خبرة واسعة ٠٠ ان مخرج فيلم هاملت مثلا أمضى سنوات فى ممارسة مختلف العمليات الفنية ، وبعد أن أخـرج روائع متعـددة تصـدى لهذه التجـربة الصعبة ، وهى تجـربة اخراج رواية شيكسـبيرية للسينما ٠٠ كل مخرجى أفلام هذا المهرجان وكل مصـــوريه من ذوى الدراية الواســعة بالفنــون السينمائية ٠٠ ومعظم ممثليه من مستوى ممتاز ٠٠ وهكذا ٠

***

أيضا كان يجب أن يدرس الموسيقيون عندنا أفلام هــذا المهرجـان ، فان الموسـيقى أصبحت عنصرا رئيسيا فى الافلام السـوفييتية ، ليس فى الافلام الغنائية فقط ، بل فى جميع الافلام ٠

ما رأى الفنانين عندنا ؟ ما رأى أنصاف المثقفين فى السينما وفى الموسيقى ؟!

عبد الفتاح البارودى

عندما عاد القمر

للشاعر : على الشباسى

واهتز مصباح بقلبى عندما غاب القمر
وتماوج الليل الرهيب معانقا صمت القدر
لا شىء الا نظرة تاهت بأفقى المسـتعر
حملت عيون الذكريات وادمعا لم تنهمر ٠٠ !!
ونداء ماض قادر تاهت يداه مع البصر

***

ضـلت هنالك فى فم الأيام فى بعد الأفق
لما أفاق العمر ٠٠ عمرى ٠٠ عمره ٠٠ ثم اختنق
لم تبق الا همسـة مبحوحة ٠٠٠ لم تنطلق
ودعاء أعوام حيارى مزقت وجـه الشفق

***

النار والأحلام ٠٠٠ والذنب المطرز بالندم
صنعت على وجـه الضياء جدار ليل من ألم
وغدوت ياقمرى الوديع تصارع اليأس الرهيب
وتهيم عبر الأمسيات معانقا وجـه اللهيب
كيما تذوب ولا ترى وجه الحياة هنا كئيب
وبحيـرتى عمر شقى ضـل كالأمل الغـريب
ولكم بكيت مع الصباح ٠٠ فلا صباح ولا جديد
لم تبق الا نظرة لروائع الماضى الشريد ٠٠ !!
لما بنينا بالمنى أحلى وأجمـل ما نريد ٠ ٠ ٠

***

وأضاء مصباح بقلبى عنـدما عاد القمر ٠٠٠
وغـدت حيـاتى غنـوة قد لونت وجه الزهر
مثـل الجبين المرمرى بوجهك الغض النضر

على الشباسى

الكتب نقد وتعريف

يقدمه : تحسين عبد الحى

الكتاب العربى ومشكلات التطبيق

يجتاز الفكر العربى الآن مرحلة هامة وخطيرة فى مجال تطوره الحتمى نحو الآفاق الجديدة للعمل التقدمى على المستوى الاقليمى والقومى والعالمى .

ولا شك أننا نؤمن تماما بأهمية الدور القيادى الذى يمكن أن يقوم به شعبنا فى الجمهورية العربية المتحدة من الناحية الفكرية والعملية .. وذلك فى مجال تأثيره الطبيعى ـ وأقصد بذلك وطننا العربى الكبير ـ ولما كان هذا الدور القيادى يحتاج بالضرورة الى فكر نظرى مرنـ يدعم دائما بالوسائل والأساليب المتمرسة بالعمل الثورى ـ فان أهم ما يمكن تقديمه فى هذه الفترة الى جماهير شعبنا هو الحلول النظرية لمشكلات حياتها اليومية ـ تلك الحلول التى تساعد المواطن العربى الفرد على تفهم دوره وموقفه الحقيقى من قضية بناء وطنه وتقدمه .. وطالما أننا قد أخذنا على عاتقنا تنفيذ الحل الاشتراكى كأسلوب فى التنمية والتقدم ..

فقد أصبح ضروريا أن ندعم هذا التنفيذ بالفكر النظرى السليم ومن خلال ايماننا بهذا المعنى قولا وعملا .

اتجهنا الى تدعيم الكتاب العرب ـ والكتاب العربى يعتبر المجال الوحيد الذى يمكن أن يحوى بين صفحاته خلاصة ماتوصل اليه الذهن العربى من اجتهادات وتفسيرات وحلول لمختلف المشاكل والقضايا المعاصرة ..

واسبوع الكتاب العربى الذى افتتحه الدكتور محمد عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء للثقافة والارشاد القومى فى الأسبوع الماضى وقد أخذ شكل المهرجان الثقافى على أرفع مستوى ـ بما تخلله ـ ومازال يتخلله من مناقشات رائدة فى مختلف أوجه الثقافة من فكر وأدب وفن يعتبر الى حد كبير تجاوبا عميقا مع ايمان شعبنا المطلق بضرورة الكتاب وأهميته .. ونحن هنا **نقدم أسبوعيا وطوال عام**

ونصف العام الكتب بالوانها المختلفة ٠٠ وسوف يكون من المفيد حقا أن ناخذ دورنا في أسبوع الكتاب العربي ٠ ولنتكلم عنه ونناقش ما يمكن أن نراه مناسبا بالنسبة للكتاب العربي ٠

لقد اتفقنا أولا على أن الكتاب هو المعبر الحقيقي عن الفكر العربي المعاصر ــ وهو الذي يستطيع الانسان أن يلجأ اليه في مختلف ضروب الفكر والمعرفة ٠٠

وتتذبذب موازين الحكم على الأمور الخاصة بالفكر لاية أمة من الامم من خلال دراسة كتبها المعاصرة لفترة معيشتها التاريخية ٠٠

ونحن نعيش اليوم مرحلة انطلاقتنا الشعبية الجبارة نحو بناء أمتنا على أسس اشتراكية تقدمية ٠ فما هي المرحلة التي وصل اليها فكرنا القومي الذي يمثله الكتاب ٠٠

ان أول الملامح المميزة لمجتمعنا ٠٠ هي عملية المواجهة المباشرة لمختلف المشاكل والقضايا ٠٠ فهل يساير فكرنا القومي هذا المستوى الرائع للعمل التنفيذي ؟

ان الكتاب كوسيلة للتعبير يحمل خلاصة أفكار الفئة القيادية للجماهير ٠ وهم المفكرون العرب ٠٠

ولكنني من خلال معظم الكتب التي قدمتها هنا على صفحات الرسالة ــ وذلك بخلاف النزر اليسير ــ استطيع ان اقول ان معظم مفكرينا يحاولون في كتبهم واعمالهم الفكرية أن ياخذوا دائما جانب العرض فقط ٠٠ للمشاكل والقضايا التي يتعرضون لها ٠٠ هم يعرضون ــ ولكنهم لايقدمون أية حلول ٠٠ والملاحظ دائما ان معظم كتابنا ومفكرينا ياخذون دائما جانب الحذر بخصوص ما يتصورونه وهما بالمسئولية المترتبة على ما يقولون ٠٠

ومن هنا جاءت معظم الكتب التي تعالج قضايا شعبنا الداخلية والخارجية ٠٠ ضعيفة وغير قادرة على مواجهة المطالب الملحة للقارىء العادي ٠٠ في الوقت الذي يترك فيه مفكرونا القارىء العربي فريسة سهلة للافكار الوافدة عبر الكتب المترجمة التي تحمل في طياتها تجارب غيرنا من الشعوب ٠٠ اننا هنا لانرفض حصيلة تجارب غيرنا ٠٠ ولكن لابد لنا أن نكون محصنين بافكار هي ملك لنا ــ لكي نستزيد عليها بافكار وتجارب غيرنا ٠٠ أو ربما، نعدل فيها ٠

ان الفكر الاشتراكي ليس ملكا لشعب من الشعوب وهو كذلك ليس ملكا للدولة كجهاز للحكم ولكنه ملك للمواطن العربي الفرد الذي يجب أن يمارس حياته من خلال فكر عقائدي منظم ــ لا من خلال تهويمات لا أول لها ولا آخر ٠٠

اننا الآن في أمس الحاجة الى الكتاب العقائدي الذي يخرج من ذهن مفكر عقائدي ٠٠ في الوقت الذي يجب أن نرفض فيه كل كتاب ملء بالمديح والاطراء والتملق ٠٠

لأن ثورتنا العقائدية الآن ليست في حاجة الى تأييد عاطفي أجوف بقدر ما هي في حاجة الى دفعات فكرية قوية في صلب تجربتها الانسانية لكي تستقر في عقل المواطن العربي الفرد ــ لا لكي تكون عبادتها وثوريتها على هامش عاطفته ٠

لقد أصبح ضروريا بل وحتميا بالنسبة لنا أن نحاول عن طريق الكتاب ٠ ٠ أن نبني علاقات اجتماعية جديدة في التعامل الفردي ٠٠ بمقاييس اشتراكية تختلف تماما عما كان يسود مجتمعنا من علاقات اجتماعية متعفنة بمقاييسها وتطلعاتها الذاتية المغلقة ٠٠٠ مهمة المفكر العربي أن يصل الى عقل المواطن العربي عن طريق الكتاب العقائدي المدروس بأساليب جديدة في حياته اليومية ٠٠ ان هناك من الامور الهامة مايجب توضيحه ودراسته ٠٠ من هذه الامور مثلا ٠٠ هل تعني الاشتراكية بالضرورة تحولا مباشرا الى الماركسية ٠٠ ؟

وهل يعني الاهتمام والالتزام بأشياء معينة تجاه افريقيا أننا تحولنا عن قضية وطننا الكبرى وهي الوحدة ٠ ؟ وما هو الفرق بين الاتجاه الجدي نحو افريقيا وبين الايمان المطلق بوحدة شعبنا من المحيط الى الخليج ٠٠ ؟

ثم هناك المشاكل الناجمة عن التطبيق الاشتراكي ٠٠٠ وخطط التنمية ومشروعاتها المتوالية ٠٠ أين هي الدراسات الخاصة بفائض القيمة الموجه للاستثمار والتنمية ٠٠ وماذا يكون أمر مجتمعنا لو أن فائض

القيمة هذه وجه الى الانفاق العام فى صورة خدمات وأجور مرتفعة .. أين هى هذه الـــكتب التى يهم المواطن العربى الفرد أن يعرف عنها الشىء الكثير لكى يكون مقتنعا على الاقل بما يمارسه من عمل .. هو فى الاساس جزء من العمـــل الكبير الذى يقوم به المجتمع الذى ينتمى اليه .. !!

ان اهمية الكتاب العقائدى المدروس تنبع من كونه يعالج ما يتعرض له من قضايا على أسس موضوعية سليمة ـ ثم انه يواجه القضايا بطريقة أكثر ايجابية بالاضافة الى انه من خلال مزيد من هـــذه الكتب نستطيع أن نستخرج ما يمكن تسميته بخطة عمل موحدة ـ تـــكون ملزمة وقادرة على تغذية الذهن العربى بالطاقات الفكرية المرنة والمتحـــددة لكى تساعده على مواجهة ما يصـــادفه من المشـــاكل والقضايا التى تنتج دائما عن التطبيق العملى ..

ولن نستطيع أن نصل الى هذا النوع من الكتاب العقائدى الا اذا وجد لدينا أولا ـ هذا الفكر العقائدى المؤمن والذى يكون لديه القدرة على تحمل مسئولية ما يكتب عنه ويناضل من أجله .

ولا شك أن تخصيص الجائزة ـ التى أعلن عنهـــا الدكتور محمد عبد القادر حاتم ـ التى اطلق عليها جائزة الثقافة والارشاد القومى ـ لأحسن الكتب فى موضوعات التنمية الاقتصادية ومشكلات التصـــنيع والزراعة والمجتمع الريفى ـ وأحســـن كتـــاب فى مكتبة الاطفال .

أقول ـ ان هذه الجائزةـ وبالموضـــوعات التى سوف تمنح من أجلها انما تمثل روح المجتمع الذى نعيش فيه من حيث اهتمامنا بهذه الموضـــوعات الجديدة والهامة فى حيـــاتنا ـ والتى نرجو أن تكون فاتحة أمل فى ازدهار مثل هذه الدراسات وتطورها فى سبيل خلق وتدعيم الفكر العربى الاشتراكى .

ان اسبوع الكتاب العربى فكرة وواقعا عمليـــا ـ يعتبر خطوة جديدة على الطريق الموصل الى الكتاب العربى الجيد الذى يتفق فيه الشكل مع المضـــمون من حيث القوة والادراك ومن حيث التأثير المباشر فى ذهن المواطن العربى الفرد وتوجيهـــه الى ما يفيد مجتمعه ويرفع من شأن أمته ..

ولا نستطيع هنا الا أن نحيى دور النشر العربية المشتركة فى أسبوع الكتاب العربى من خارج حدود الجمهورية العربية المتحدة الاقليمية .. ولعل اشتراك معظم الاطراف المعنية بمســـــتقبل الفكر العربى الوحدوى فى مؤتمر واحد ومناقشات واحدة يكون رائدها الارتفاع بمستوى الكتاب العربى وبالتـــالى الارتفاع بمستوى الفكر القـــومى الموحد .. على الطريق الصحيح الموصل الى الوحدة العربية الشاملة ونحن هنا يحدونا الامل فى الوصول من خـــلال المناقشات الحية الفعالة ـ الى ما يفيد مســـتقبل فكرنا القومى .. على أسس قوية مدروسة ...

ان شـــعبنا يؤمن برسالته الانســـانية فى عالم اليوم ورسالة شعبنا هى نضاله المســـتمر من أجل الـكفاية والعـدل والحقيقة .. نضالا تحيك لحمته وتضبط سداه نضالات وأفعال صـــغيرة ـ هى فى مجمـــوعها مجمل تفاصيل حياتنا التى تشـــكل فى نفس الوقت سعيا حقيقيا ويوميا نحو العدالة والحرية وتجسيدهما ..

وكم يكون للفعل الصغير البســـيط معنى ودلالة اكثر صدقا وصحة من كثير من الافعال الكبيرة المعقدة ذلك لما يتطلبه الفعل البسيط الصـــغير من جهد ومعاناة واخلاص مع النفس وتجاه النفس ، قبل أن يكون مع الغير وتجاه الغير .

لنا رسالة ـ ذلك أمر لاشك فيه .. ونضالنـــا اليوم جزء من تلك الرســـالة ـ ذلك أمر ينبغى الا يكون هناك شك فيه أيضا .

فلنجعل من نضالنا تعبيرا حقيقيا وكليـــا عن رسالتنا بان نحاول أن نعيش تلك الرسالة ومعانيها وقيمها .

ان نحاول بصدق واخلاص ما استطعنا الى ذلك سبيلا وحينئذ لانكون مجرد (حملة) رسالة وانما أهل رسالة عربية اشتراكية جديرين بحملها ونقدم كل لحظة مبررا جديدا وفذا لجدارتها تلك .

تحسين عبد الحى

الماء العذب
من البحار والمحيطات

بقلم
عبد المنعم أبو السعود

هنا ماء وهنا اذن توجد الحياة

وهناك جدب وهناك اذن لا توجد الحياة .

هكذا عاش الانسان منذ اول خلقته ينتجع موارد الماء العذب ليشرب ويسقى ماشيته ويزرع ارضه . وكان طبيعيا ان يقتصر فى اول حياته على موارد المياه الطبيعية من انهار وينابيع فيسكن حولها وينتفع بها فى حاجياته فحسب . ولكن مضت حقبة من الزمن وتكاثر عدد سكان العالم وجاسوا خلال الارض بعد ان تشعبت اغراضهم فكيف عاشوا ؟

وجدنا ان التجارة اقتضت منهم ان يقطعوا مسافات بين موضع يتكاثر فيه الناس وموضع آخر تفصلهما صحراء ولم تكن وسيلة النقل تسعفهم فالجمل هو الدابة التى يستقلونها فى رحلاتهم وهو حيوان بطىء فى سيره ولذا كانت رحلاتهم تستغرق الايام والليالى .

هذه الرحلات كانوا يحتاطون خلالها فياخذون معهم ماءهم . لكن الصحراء رقعة غير مخططة الدروب ولا ثابتة المعالم ولذا فان السير فيها يعرض السائر الى ان يضل الطريق خصوصا اذا لم يكن من اهل الصحراء ولم تكن له بها سابقة معرفة . لقد اوجدت الصحراء منذ القدم حرفة حذقها بعض الناس وهى قيادة القوافل وكان هؤلاء يتفاوتون مهارة ويشعرون بخطورة عملهم واهميتهم بالنسبة للمسافرين فتغالوا . غير ان كل قبيلة كانت فى اغلب الاحيان تحتفظ من بين ابنائها بمن يمتهن هذه الدلالة ليقوم بهدى قوافلها كلما اقدمت او اقدم نفر منها على رحلة عبر الصحراء .

وتكاثرت الرحلات ووقعت كوارث هلكت فيها القافلة باجمعها او معظمها وفقد الناس والجمال والبضائع . وسجل التاريخ للانسان انه كان يهرب من الموت عطشا فى مثل هذه الرحلات بتصرف حميد حين كان يلجأ لما يعرفه عن الجمل من انه حيوان مجتر فيقوم بشق بطنه ليستولى على ما يختزن من ماء فيها ليشربه . وكذلك افادت هذه الرحلات حين تكاثرت فى ان تمكن الانسان من مسح الصحراء فعرف ما بها من عيون ماء طبيعية كان يعتبرها محطات يهرع اليها خلال الرحلة . وقد كانت هذه العيون مع الآبار التى حفرها هى التى تحدد خط السير بين مكان وآخر وعن طريقها بدات الدروب تستقر وتعرف ، ويتعارف الأدلاء عليها بدأ شىء من الاطمئنان يحل بسير القوافل . فالذى لا شك فيه انه ستمر بها قافلة اخرى طالما هى تسير فى الدرب المعروف قادمة من المكان الذى تقصده او تلحق بها قافلة تبتغيه . وهكذا كانت تتعاون القوافل عند الكوارث . حقيقة لم يكن هناك اسعاف بالمعنى المفهوم اليوم انما قيام التعاون بين القوافل ادى الى تقديم المعونة فى احوال كثيرة وكان اسعافا فى هذه الحالات .

ومن اقدم المهن التى امتهنها الانسان الرعى ، وقد كانت هذه المهنة هامة بالنسبة للزمن القديم فعن طريقها امكن ان يجد الانسان ما يحتاجه من دواب الحمل ومن الماشية التى يقتات بلحومها وينتفع بالبانها وبصوفها ووبرها وكذلك بجلودها فى صنع ملابسه . ولم تكن دراسة الانسان لجغرافية الارض قد كملت كما لم تكن معلوماته وفيرة عن معالمها فقد كان سكان البقعه يجهلون ان بجوارهم شكانا آخرين كما وقفت المحيطات والبحار دون كشف الارض . هذه الحالة التى عاشها الانسان فى حقبة من الزمان وهو محدود المعرفة عن الارض جعلته يسعى بماشيته منتجعا الاماكن التى يجد فيها الكلا حيث تسقط الامطار على الارض فتهتز وتنبت العشب . وقد ساعدت هذه المهنة على كشف كثير من معالم الصحراء بل هى فى الواقع التى حددت ايسر الطرق لعبرها بما يقدمه الرعاة من كشوف عن العيون والآبار التى يعثرون عليها اثناء تجوالهم بماشيتهم وعرف الانسان المركب وسار فوق الماء ولكنه كان يحمل معه ايضا كمية منه ليشرب منها خلال رحلته فوق الماء المالح .وكما ركب البحار متنقلا من مكان لآخر مهاجرا او متاجرا كذلك استغل هذه الرحلات ليعمل كصياد لما فى جوف الماء من اسماك وقواقع واحجار كريمة .

وقد استغل مشاهداته فى كيفية الحصول على الماء العذب . فعلى الشواطىء شاهد الماء الضحل وعلى حوافه وجد الملح . اذن فالملح ممكن فصله عن الماء . لكن عن اى طريق ؟ لم يكن يعرف ولكن الوسيلة الطبيعية المؤثرة الوحيدة كانت الشمس فهدته الى فعل الحرارة فى التبخير . وبدا يستغل ذلك فى رحلاته المائية . لقد بدا فصل الماء العذب من ماء البحار خلال رحلاته التى كانت تستغرق الشهور يوم أن كانت مراكبه تسير بقوة اندفاع الرياح وكذلك بقوته الجسمانية التى يحرك بها المجداف . وكان هذا الفصل عن طريق تكثيف البخار . وكانت هذه هى أول محاولة يقدم عليها ليستغل المياه المالحة فى الحصول على مياه عذبة .

وبمرور الزمن تطورت حاجيات الانسان وكثرت وتكاثر الناس واصبحت رقعة الارض التى تجرى فيها الانهار لا تفى بحاجة الانسان واخذ يفكر فى اقامة السدود لكى ينتفع بمياه الانهار لآخر قطرة بدل ذهابها الى مصبها فى محيط او بحر . والمتتبع لتاريخ القرن العشرين يجد هناك مشاكل كثيرة نشات بين الدول التى تستغل مجرى مائيا واحدا وحدثت بينها ازمات واستدعت الكثير من الجهد لحلها والخروج منها ، بل قامت حرب فى مناسبات بسببها ونحن نعيش اليوم فى الوطن العربى فى ازمة ايضا من جراء نهر الاردن الذى تحاول اسرائيل ان تغير مجراه لتستولى على مياهه .

على ان تقدم العلم اوجد لنا حلا جديدا يوفر المياه العذبة عن طريق الحصول عليها من مياه البحار والمحيطات . وبطريق تطوير عملية التقطير التى عرفها الانسان منذ الفى عام تقريبا ان الابحاث العلمية اليوم ركزت بشكل ملحوظ على توفير الغذاء لسكان العالم الذين يتكاثرون وبعد ان استغلوا رقعة الارض التى ترويها مجارى المياه العذبه لابد وان يجدوا مياهاعذبة من مصادر اخرى تروى رقعة من أراضى الصحارى غير المستغلة حاليا لعدم توافر الماء العذب لريها .

لقد تقدم علم الانسان وعرف ان اختلاف درجة الغليان كفيلة بفصل المخلوطات فاذا ما كان . كما هو الحال فى الماء المالح . هناك ملح ذائب فى ماء وغلى هذا الماء نجد ان الماء يغلى فى درجة ١٠٠ مئوية فيتبخر ونتيجة لتبخره يبقى الملح راسبا . والذى لا شك فيه أن اختلاف درجة الغليان هى التى مكنت من الحصول على بخار الماء . وحقيقة اخرى هامة عرفها كذلك من مشاهدات الطبيعة ، فقد عرف ايضا ان الماء يغلى على سطح الارض وفى مستوى سطح البحر فى درجة ١٠٠ مئوية ولكنه يغلى على المرتفعات فى درجة اقل . عرف ذلك حين صعد الجبال وغلى الماء فى درجة اقل ومعنى هذه الظاهرة انه كلما قل الضغط قلت درجة الحرارة اللازمة لغليان الماء وآخر ما قدم فى هذا الميدان هو تبخير الماء بطريقة رفع درجة حرارته وهو داخل اناء مفرغ جزئيا ليغلى فى درجة اقل من ١٠٠ ثم يكثف البخار بالتبريد بعدئذ .

وعملية التقطير الحديثة تتم على ٣٦ مرحلة تبدأ بدخول ماء البحر فى درجة حرارته العادية ، ثم ترفع الى درجة ٨٢ مئوية اى ١٨٠ فهرنهيت حيث تتبخر . وتلاحظ أن البخر قد تم فى درجة حرارة

اقل من ١٠٠ مئوية ذلك لان الماء يدخل الى اناء مفرغ حيث ينخفض الضغط عن الضغط الجوى خارجه ، وبالداخل يوجد فاصل يقسم الغرفة الى جزءين احدهما يعلو الماء المالح ويعلوه البخار المتصاعد منه الذى ينفذ الى الجزء الثانى من الغرفة حيث يمر على مكثف بارد يخفض درجة حرارته ، ثم ينتقل البخار الى غرفة تالية درجة حرارتها اقل من الاولى ، وهى ايضا مقسمة بنفس طريقه الغرفة الاولى وباسفلها ماء البحر ودرجة حرارتها ٧٠ درجة مئوية اى ١٦٠ درجة فهرنهيت ، وهكذا ينتقل البخار من حجرة الى اخرى حتى تنتهى العملية اخيرا بعد ٣٦ درجه بماء عذب .

وفى بداية العملية نلاحظ ان الحرارة تبدا من الصفر ، ولذا فان بداية التسخين تحتاج لفترة طويلة . لكن بعد مرور فترة زمنية تبدا المواسير فى اكتساب حرارة تنقلها الى المياه الداخلة الى الجهاز والمارة بها وبذا يقل استهلاك الوقود .

على ان اهم مايعترض هذه العمليات هو ترسب المواد الذائبة وكلها املاح معدنية كثيرا ما تتفاعل مع المعدن الاساسى للجهاز فيتآكل كما وانها تترسب بمرور الزمن وتسد المواسير او تمتص الحرارة ، وبذا يكون استهلاك الوقود اكبر . وللتغلب على هذه الرواسب لابد من اذابتها والطريقة المثلى أن تتم بواسطة الكيماويات التى تتفاعل معها فتذيبها دون ان تسبب اضرارا لاجزاء جهاز التقطير . وقد دلت المشاهدة على امكان اذابة هذه المواد اذا كانت مترسبة فى درجة حرارة لاتزيد عن ٩٢ درجه مئوية فان زادت عنها فان المواد التى ترسب تكون اكثر صلابة وتستدعى اذابتها معالجة بمواد اكثر فاعلية .

وبعد فحاجة الانسان الى استثمار أراضى الصحارى فى زراعات المحاصيل اللازمة لغذائه جعلته يحاول ويجتهد فى اكثر من ميدان . لقد بدأ عن طريق الاقمار الصناعية فى محاولة التحكم فى سير السحب وجعلها تسقط الامطار على جهات معينة أثناء مرورها عليها . لكن هذه التجربة ليست من الدقة بحيث يمكنه ان يرتكن عليها . فهو فى حاجة الى سحب. فان لم يكن البخر كافيا فى فترة معينة فلن تتكون. ثم هو فى حاجة لان تمر فوق جهات معينة وقد يمر الهواء عليها وهو خال من السحب وبذا لا يمكن الانتفاع بالتجربة وبالتالى لا يمكن اسقاط المطر فوق هذه الجهات الجافة . وظاهر هذه التجربة انها لا يمكن الانتفاع بها الا فى ظروف محدودة هى ان يتكاثف البخار فوق منطقة جافة فى حاجة الى المطر اما مرور المزن فوق الجهات التى تجرى فيها المياه فلا فائدة فى استعمال هذه الطريقة فوقها وطبيعة تحركات الرياح فى العالم وتوزيع درجات الحرارة لاسبيل للانسان فى السيطرة عليها او تعديلها . ولذا فانه يقف منها مكتوف اليدين ، وليس أمامه الا ان يفخر بامكانه اسقاط المطر ولكن حيث يمر السحاب وليس حيث يريد .

ولما أن فشلت تجاربه الحديثه عاد الى تجربته القديمة ومعارفه التى درج على الا ستفادة منها من آلاف السنين والتى يتحكم فيها ، نعم عاد الى تحسين طريقة التقطير وجعلها تنتج كمية اكبر خصوصا والبحار والمحيطات تحوط العالم ويمكن الارتكان على انتاج محطات التقطير التى تقام ، وهى معروفة الانتاج وعلى ضوئه يمكن تحديد المساحة التى يقوم بزراعتها ومن ثم يطمئن الى ان ماسيزرعه لن يموت وان الماء اللازم للرى ولحياة المقيمين بالمنطقة لن يتعرض لخطر .

ان نجاح محطات التقطير خصوصا بعد معرفة المحرك الذرى الذى سيخفض التكاليف سيكون الوسيلة الى هجرة الانسان بعيدا عن وديان الانهار التى شهدت حضارته القديمة والحديثة ، وستقوم مدن وحضارات فوق الرمال التى عاشت منذ بدء البشرية تفخر بعجز الانسان عن قهرها ولا شك ان هذا الانتصار يوم يتم سيكون منقذا للبشرية التى يتكاثر عددها ، وواجب أن يقابل هذا التكاثر باتساع فى رقعة الارض المنزرعة والتى لا سبيل الى زيادتها ما لم نوفق الى مصدر جديد من ماء عذب للزراعة ، وامامنا المحيطات والبحار وهى أربعة امثال مساحة الارض فهى معين لا ينضب من الماء يمكن استغلاله لخير البشرية ، ومواجهة زيادة افرادها على مر الايام .

«عبد المنعم أبو السعود»

قراءات في المجلات العربية

يقدمه : محمد العواني



مع الكتاب العربي :

افتتح الدكتور عبد القادر حاتم يوم الاثنين ٩ من نوفمبر ١٩٦٤ اسبوع الكتاب العربي الثاني ، ولا شك أن اهتمام الدولة على هذا النحو بالكتاب العربي يدل على ايمانها العميق بان الثقافة اصبحت ملكا للشعب يستخدمها اداة يواجه بها الحياة ، وسلاحا فعالا يوصله الى الديمقراطية السليمة .

لقد أصبح مفهوم الثقافة الآن يختلف عن ذى قبل، فقد كانت الثقافة فى الماضى متحالفة مع الاقطاع والاستعمار والرجعية من اجل اذلال الشعب ونهب أرزاقه ، واحتكرتها لمصلحتها الخاصة تلك الفئة القليلة من الشعب . ويصور الاستاذ يحيى أبو بكر مفهوم الثقافة فى عصرنا الحاضر بأنها « لم تعد ترفا لا تتمتع به الا الاقلية التى استحوذت على كل شىء ، ولم تترك لجماهير الشعب الا الكثير من الفقر والجهل والمرض والقليل من كل مايجعلها قادرة على أن تدور بالساقية معصوبة العينين لتعطى لتلك الأقلية الخير الوفير ، وتظل هى محرومة من كل شىء » ، لذا فقد اصبحت الثقافة ضرورية لنا كضرورة الطعام والماء .

وعلى كل فنظرة الدولة الى الثقافة واهتمامها بها جعلتها تعمل على نشر الكتب القيمة بأثمان زهيدة فى متناول كافة المواطنين .

ودارت عجلة المطابع ليلا ونهارا لتقدم الغذاء الفكرى والروحى لجماهير شعبنا وتمدها ــ على اختلاف ــ مستوياتها ــ بأنواع مختلفة من الكتب والدوريات المسلسلة .

ومن أولى المطابع التى جندت نفسها لخدمة الكتاب العربى مطابع الدار القومية التى أصبحت تقدم للقارىء العربى كتابا كل ست ساعات فى شتى أنواع المعارف من علوم وآداب وفنون ومن هنا فقد سدت فراغا هائلا فى مكتبتنا العربية بما تنشره للعامل والفلاح والطالب والجندى وغير ذلك من الكتب الهامة الهادفة .

وتسهم الدار المصرية للتأليف والترجمة بقسط وافر فى معاونة الدار القومية بما تقدمه من تراث الانسانية وروائع المسرح العالمى وأعلام العرب والمكتبة الثقافية ، كما تقوم الى جانب اصدار هذه السلاسل بنشر كثير من امهات الكتب التى أصبح القارىء العربى فى مسيس الحاجة اليها يقتنيها بأثمان زهيدة لا تؤثر على نظام حياته المعيشية .

ولذلك نرى أن الدولة حين تقيم مهرجانا للكتاب العربى فانها ترصد الجوائز للناشرين وتتيح الفرصة لجمهور القراء أن يلتقوا بكتابهم عن طريق اللقاءات المباشرة كما أن اقامة هذه المهرجان تعد بمثابة مسح

ثقافى يدلنا على مدى احتياجاتنــا من أنواع المعارف المختلفة .

ونعرض بهذه المناسبة ما قالته مجلة العلوم فقد نشرت مقالا عن « الكاتب العربى والقارىء العربى » كتبه « جليل كمال الدين » يقول عن الكاتب العربى بانه هو الذى يندمج معنا ويلتحم بقضايانا ويتحسس مشاكل مجتمعنا ويعرضها بأســلوبه مبتغيا حلها أو مشيرا الى هذا الحل سواء كان ذلك عن طريق القصة او المقالة أو الشعر أو غيرها من الادبيــات المترجمة والمؤلفة والبحوث الاجتماعية والاقتصادية والعلمية .

ويبين الـكاتب أن المهمــة الضخمة التى تلقيهــا المجتمعات الحديثة على دور النشر تجعل من الواجب عليها أن تراعى الربح المعقول وتمول اى كتاب قيم وتشــجع أى كاتب طيــب بغض النظــر عن اســمه وشهرته ، وأن تقف بجــانب الحقيقة والاكتشافات الفــكرية السليمة لأن « الاجيــال تحاسب والاغراء المادى اذا كان ينفع مؤقتا لــكنه ينهار ويفتضح أمام محكمة القراء » .

ويتحدث المقال عن وسائل رواج الكتاب ويعد منها الدعاية له والتعــريف به اذ أن كثــيرا من الــكتب القيمــة لا تجد طريقهــا الى النجاح لأن بعض القراء لا يعرفون عنها شــيئا ، ومن ذلك ايضا النقد الموضوعى للكتاب بالروح العلمية والمقاييس الــسليمة اذ أن النقد سلاح بالغ الخطورة فى مستقبل كل من الكاتب والكتاب، لذا فواجب النقاد عندنا أن يربأوا بأنفسهم عن تلك المجــاملات الزائفــة ، والا تتسرب تحت ستار النقــد ــ المنــافع الشخصية والــكلمات اللاموضوعية .

اننا فى حاجة الى النقد البنــاء الهادف خاصة فى هذه المرحلة من بنائنــا الحضارى حتى نتبين معــالم الطــريق، ونعرف مواقع خطــوتنا ، والى أى اتجــاه نسير ؟

واذا كانت هذه هى أسباب توزيع الكتاب العربى ورواجه فما هى الاسباب التى تعترض طريقه وتؤثر على سيره فى بلداننا العربيــة ويرجع كاتب المقــال ذلك الى الفقر الاقتصــادى الذى منيت به بلداننــا العربيــة من جراء الاســتعمار كــما أن الحرب التى يشــنها المستعمر على ثقافتنا الوطنيــة ليشككنا فى جدوى تراثنا كانت ايضــا مما يعطل انتشــاره ورواجه واذن فواجبنا ازاء هذه المحاولات أن نناضل من أجل كتابنا والارتقاء به حتى يحتل مكانه فى كل بقــاع العالم حاملا بين طياته آداب جماهيرنا العربية، خاصة ونحن فى عصر اختلاط الارض بالفضاء، مما يحتم على كتابنا أن يكتبوا بصدق واخلاص وجدية وموضوعية كما يتطلب من الناشرين أن يقدروا المصلحة الوطنية ويضعوها فوق كل اعتبار .

ان مهرجان الكتاب العربى الذى أقامته جمهوريتنا يعد عملا رائعا تهــدف من ورائه الى تحطيم الاقطاع الثقافى واتاحة المتع الثقافية لجميع المواطنين .

معركة بين النقاد :

تحدثت مجــلة الآداب عن المعــركة التى أثارها الاستاذ محمود أمين العالم حول مسرحية « الفرافير » للدكتور يوسف ادريس و « أحلام الفارس القديم » ديوان صلاح عبد الصبور وتحت عنوان « قضــايا الأدب والادباء» بين «غالب هلــا» ان الاستاذ محمود العالم أراد أن يتجول فى أحد شوارع القاهرة وكانت النشوة تملأ قلبه والفرح يثلج صدره مما يراه حوله من دخان المصانع وزيادة الانتــاج والبسمات التى تعلو الوجوه ولــكن اذا به يجد نفســه أمام مسرح الجمهورية بحى عابدين وتقوده قدماه داخــل المسرح ليشاهد مسرحية « الفرافير » ويخرج منه ساهما . ثم يتناول الديوان الاخير لصلاح عبد الصبور «أحلام الفارس القديم» واذا به يزداد حيرة وســـهوما ويسائل نفسه « ألا يزال فى هذا العصر حزن وأسى ومرارة » .

وينتقل الـكاتب الى الدكتور لويس عوض الذى اشار بتعال الى أن بعض النــاس يتساءلون : كيف نتحدث عن الحزن ونحن نبنى السد العالى .. ويجيب لويس بأنه سيدرس الديوان كعمل فنى وحسب ، ولكنه لم يفعل شـــيئا من عـــذا وراح كما لاحظ الدكتور عبد القادر القط « يؤول المضامين النفسية والدينيــة فى الديوان بشىء غير قليــل من التعسف متحدثا عن الهيولى والقوة الاولى وشىء وسيط ثالث بينهما ، ويعرض باسهاب غريب رسالتين شعريتين باللغة اللاتينية تبادلهما قسيسان فى القرن الثالث

عشر يفاضلان فيهما بين المرأة المجربة والعذراء حتى استغرق الحديث عن الرسالتين أكثر من نصف المقالة ، كل هذا لكى يربط بعد ذلك بين هذا الموضوع واعتقاد صلاح فى الخلاص بالحب » .

ويمضى الكاتب فى حديثه مبينا أن الدكتور لويس انكر ما سبق أن اعلنه من أنه سيدرس الديوان من الناحية الفنية ـ واذا به يقول « ان دراسة الجوانب الفنية للعمل الادبى تحتاج كتابا لا مقالة » ، ويوحى بما يزيد الامر غرابة من أن الدراسة الفنية تنصرف الى « جزئيات البيان والبديع والبلاغة والعروض » .

ويعقب « هلسا » علىهذا متسائلا « ما الذى أنكره الدكتور لويس على محمود العالم فى هذه الحال ؟ الأنه لم يتوصل الى هذه النتيجة الباهرة وهى أن صلاح عبد الصبور يداوم قراءة التوراة والانجيل وأنه متأثر بهما الى أقصى حد ؟ » ، ولقد فسر لويس رواية « الطريق » لنجيب محفوظ وقال عنها مايشبه هذا الكلام .

ويضيف الى ذلك « أن الدكتور لويس عوض يواصل السير فى طريق اشتقه لنفسه منذ زمن ، وهى مهاجمة الفكر الاشتراكى بأسلوب شائع معروف وذلك بأن يعرضه مشوها حتى يصبح بامكانه مهاجمته والتعالى عليه وذلك واضح فى كتابه (الاشتراكية والأدب) حين دعا الى استبدال فكرة الواقعية الاشتراكية بفكرة القبول المسيحى » .

وتساءل الكاتب مرة أخرى لماذا أثارت كلمات محمود العالم كل هذا السخط وسببت له التجريح الشخصى دون أن تناقش آراءه ، مع أن غيره من الأدباء كاحسان عبد القدوس انكر ما فى ديوان صلاح من الحزن ولم يستثر هذا أحدا ، بل ان الهجوم الذى واجهته مسرحية « الفرافير » من محمود العالم لم يجعل الدكتور ادريس ينفعل مثل هذا الانفعال .

ويقدم الكاتب نموذجا من شعر صلاح يصدره بأن الديوان قدم لنا بمستوى عال من الشاعرية وبالفاظ عاطلة من كل زخرف وغنائية وتراكيب خشنة طازجة ـ عربا وصدقا فريدين ، « أن افتقاده لدور فعال مؤثر فى المجتمع يرتبط بضجر كابوسى وتحلل نفسى مخيف ، انه اختناق فى سرداب لا يحرك ركوده نسمة »

الصمت راكد ركود ريح ميته

حتى جنادب الحقول صامته

وقبة السماء باهته

والأفق أسود وضيق بلا أبواب

منكفىء من حيثما التفت كالسرداب

ويقول أيضا :

الله لو جلست فى ظلالك الوارفة اللفاء

أجدل حبل الخوف والسأم

وما دام الحديث عن شعر صلاح قد وصل الى هذا النقاش والجدل وأن النقاد قد اختلفوا من أجله وقامت بسببه بينهم المعارك الأدبية الشخصية منها والموضوعية فانه يحسن أن ننتقل الى موضوع آخر يتحدث أيضا عن شعر صلاح ليكون فى هذا مزيدا من الضوء على هذا الشعر . فكتاب « الشعر العربى الحديث وروح العصر » الذى ألفه جليل كمال الدين تصدى لدراسته والتعريف به الأستاذ « عبد الجبار عباس » الذى أشار الى ان صلاح كان من الشعراء الذين تناولهم هذا الكتاب وخاصة فى ديوانه «أقول لكم» ومن المآخذ التى أخذها الكاتب على المؤلف انه رغم شغفه العميق بالمقارنة والتمثيل لاكبر عدد ممكن من الشعراء العرب والأجانب الا انه «لم يلتفت الى تأثر صلاح باليوت رغم وضوح هذا التأثر فى شعره » وأنه « رغم ثقافته وحداثة تجربته يهرب من التعبير المباشر الى التعبير باللوحة حتى اذا حاول التعبير باللوحات اخفق واضطربت رؤاه « الظل والصليب » ، كما أن قصائده « تفتقر الى الهيكل والتنظيم الذى نجده فى « المسيح بعد الصلب » و « سدوم » و « بغداد والموت » لانه لا يعبر باللوحة او بالرؤيا وانما استعمل كما يقول المؤلف فى ص ٤٦٠ من الكتاب «التفيير المباشر غير مرة لكأنه سئم التعبير غير المباشر والايحاء فجاء يقذف ما عنده من « حكمة » ومعرفة وخبرة وجها لوجه » .

محمد العوانى



بكت عينى اليمنى

للدكتور احمد الحوفى

جاء فى مقال (هل يصلح الألم والرفض مادة للشعر) بالعدد ١٠٨٦ من الرسالة الغراء : « وقد تناول شعراء العرب الألم فى مواقف كثيرة ، منها مواقف الرثاء ، ومنها مواقف الوداع وفراق الأحباب وبكاء الأطلال ، فأجادوا فى كل ذلك ، وان كانت بعض أشعارهم لم تخل من الألم المجرد ·

خذ مثلا قول الشاعر فى موقف الوداع :

بكت عينى اليمنى فلما زجرتها
عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

فنحن نشعر بالألم السلبى والزيف مجتمعين فى هذا البيت ، فانه فضلا عن خلوه من الابداع الفنى ، فقد أرانا صورة زائفة للبكاء ، فان العينين تبكيان ، وتسيل منهما الدموع ، ولا تنتظر احداهما حتى تزجرها الاخرى فتسبلان معا » ·

ولى على هذا التعقيب ملاحظتان :

أولاهما أن احدى العينين لم تزجر الأخرى ، بل ان الشاعر هو الذى زجر العين الباكية ، لتكف عن الدمع ، فتكشف زجره عن عجز مضاعف ، لأن عينه الأخرى فاضت بدمعها ·

والثانية أن هذا الشاعر وهو الصمة بن عبد الله القشيرى كان بدويا من شعراء العصر الأموى ، وكان قد احب ابنة عمه ، فلما خطبها الى أبيها لم يستجب له فى حديث لا داعى الى تفصيله ، فكره الصمة أن يقيم حيث يقيم عمه ، وارتحل الى الشام ، وفى رحلته أنشأ قصيدة منها هذا البيت ·

ولكن ما معنى أن عينه اليمنى دمعت ، فلما حاول أن يكفكف دمعها بكت عينه اليسرى ؟

لقد كان الشاعر أعور ، كما ذكر : التبريزى والمرزوقى وغيرهما ، ومن هنا يتبين صدقه ، فلو أنه كان صحيح العينين وادعى أن عينا واحدة بكت ، ثم بكت الأخرى لكان كاذبا كما قال الاستاذ الجبلاوى ·

ولو أنه ــ مع عوره ــ زعم أن عينه العوراء بكت مع الصحيحة أول الأمر لكان قوله زائفا ·

ولكنه وصف الحقيقة الواقعة ، اذ قال ان عينه السليمة بكت ، وتمادت فى دموعها ، وحاول أن يردها فعجز ، وهنا بلغ البكاء ذروته ، فدمعت عينه العوراء ·

وأطباء العيون لا ينكرون أن الحزن الشديد قد يسيل الدمع من العين العوراء ، وقد يسيله من عينى الأعمى ، كما أكد لى هذه الحقيقة بعضهم ·

وللصمة شبيه فى هذا هو متمم بن نويرة ، فقد كان أعور ، فلما قتل أخوه مالك رثاه رثاء ملتاعا : وبكاه بكاء مرا ، حتى قالوا : ان الدمع تحدر من عينه العوراء ، فقام اليه عمر بن الخطاب فقال : وددت لو أنك رثيت زيدا أخى بمثل مارثيت به مالكا أخاك · وقد سأل عمر بن الخطاب الحطيئة : هل رأيت أو سمعت بأبكى من هذا ؟ فقال : لا ، والله مابكى بكاءه عربى قط ولا يبكيه ·

واذن فقد كان الصمة صادق الشعور ، وصادق التعبير عن هذا الشعور ، ولم يكذب فى نسبة البكاء الى عينه اليسرى بعد أن بكت عينه اليمنى ·

ولعل فى هذه الكلمة انصافا له ، وكشفا عن حقيقة أمره ·

للدكتور محمد صلاح الدين مجاور

كامل كيلاني في ذكراه

قليل أولئك الذين يتركون في نفوس الناس آثارا ، وعلى ألسنتهم ذكرا ، وقليل أولئك الذين يفتقدهم الناس أجسادا ، ولكنهم يحسون بهم فيما تنبض به آثارهم وتتحدث به أعمالهم وفيما يخلفونه من أشعة من نور وأضواء من فكر ، ولمعان من عبقرية وانتاج .

وفي الذكرى الخامسة لوفاة الاستاذ كامل كيلاني يذكر الانسان واحدا من هؤلاء القلائل الذين امتلأت بهم الدنيا حديثا عاطرا، وثناء مستطابا، وفاضت بهم المجالس اكبارا، وهو واحد من هؤلاء الذين كانوا أدباء بالفطرة والصنعة وأدباء بالطبيعة والسليقة فكان أديبا مؤدبا ، وكاتبا مهذبا ، له سلوكه وقيمه ومعاييره ، وله من قلمه وسيلة للتعبير عن هذا السلوك وتلك المعايير .

كان يرى في الأديب أنه اذا كان صاحب قلم يطاوعه وفكر يغترف منه فليكن له في خلقه كذلك قدوة لمن يقرءون له ويسترشدون بفكره ، ويتأدبون بأدبه ، فلم يعرف عنه رحمه الله انحراف عن قيم عبر عنها ، أو تباعد عن مبادىء ومثل آمن بها ، ولا عرف عنه كذلك الاديب المتملق ، يحمل نفسه على الكتابة ارضاء لنوازع أو اشباعا لغايات ، ولاعرف عنه أنه الكاتب الذي يبيع قلمه في سوق العروض بل كان يكتب تعبيرا عن احساسه ومشاعره .

لقد كان رحمه الله من طلائع الأدباء الذين تبنوا الندوة الادبية يجتمع فيها أشتات الناس ومختلفو الثقافات ، يتبادلون الفكر ويتناقشون الرأى ، فلم تقف ندوته عند حد الأدب بما رسم له من معالم وحدود ، ولكنها كانت ندوة في كل شيء تتسم بطابع الثقافة والمعرفة ففيها الفن والأدب ، وفيها الشعر والموسيقى ، وفيها الدين والتشريع ، وفيها المال والاقتصاد ، بل فيها من الفلسفات قديمها وحديثها .

كانت ندوة يجد فيها كل فرد بغيته ، ولذا كانت قبلة الصفوة المختارة ممن عرفوا بحسن الرأى ، وعمق الفكر وواسع الثقافة والالمام بالأدب وشئونه،

لقد كانت هذه الندوة كما كانت ندوة الجميل بالاهرام ، وندوة العقاد رحمه الله في بيته فرصة للاحتكاك الفكري ، والتبادل الثقافي ، واصطراع الآراء في جو علمي مليء بالود والرغبة في المعرفة ، وكان الاستاذ كامل كيلاني ، بما أوتي من موهبة التأثير ، وما وهب من اتساع في المعرفة والأفق ، رائد هذه الندوة ، وموجهها .

كذلك كان ــ يرحمه الله ــ أديبا خالقا فنانا ــ يأسر القارىء حين يكتب، ويستحوذ عليه حين يشعر، ويسيطر على احساسه حين يتحدث ، وهو فوق هذا كله موهوب فتح في الأدب مجالات وأبرز فيه اتجاهات ورسم له معالم في بعض ميادينه لم تكن معروفة من قبل .

فأدب الطفولة في مصر كان أدبا مهملا لا اعتراف به من أحد ولا اهتمام به من أديب بل ان ماكان منه موجودا على قلته وضآلته كان خلوا من الحبكة والدراية بالأطفال واستعداداتهم وميولهم ، ومن ثم كان هذا الأدب بعيدا في مجموعه عن روح الطفولة، ومايلائمها، فجاء الاستاذ كامل كيلاني ليضع المعالم الصحيحة لمن أراد أن يخوض هذا المجال، ويمهد السبيل لمن يريد أن يزود المكتبة العربية بهذا اللون من الأدب ، الذى ظلت لسوء الحظ خالية منه زمنا طويلا .

واليوم قلما يخلو بيت يؤمن بالقراءة ويراها ضرورة للاطفال ووسيلة قوية تهيئهم لأن يكونوا قارئين بالمعنى الصحيح من كتب الاستاذ كامل كيلاني واذا كان هناك من سلك السبيل ، وسار في هذا المجال وأمد المكتبة العربية ببعض الانتاج فيه ، بالواقع أن الاستاذ كامل كيلاني ، كان له فضل السبق وتمهيد الطريق مما جعله رائدا لهذا المجال دون جدال .

بهذا المعنى وبغيره أوجد الاستاذ كامل كيلاني في أدب العربية مجالات لم تكن قد نالت العناية من قبل ، وفنونا لم تعط حظها من الانتاج ، وكان له الفضل كل الفضل في أنه مهد للكثيرين من غير أن يعبروا هذا الطريق دون مشقة أو عناء .

رحم الله الفقيد بقدر ماقدم للعربية ولغتها من اياد ، وبقدر ما أفاء على الطفولة من أدبه السامي وما منحهم من حسن الرعاية ، وعظيم العناية والارشاد .

من وحى المقهى

حكاية متقاعد

قصة بقلم : حبيب الزحلاوى



كنت أذهب الى ادارة الشركة مبكرا قبل ميعاد العمل فأجد المدير قد سبقنى فى الحضور وكثيرا ما كان يدعونى الى شرب قهوة الصباح معه قبل البدء فى العمل .

سألنى أكثر من مرة عن سبب تبكيرى فى الحضور فى حين كنت انجز أعمالى قبل الانصراف .. فكنت انتحل الاعذار . وافهم من ابتسامته الخفيفة انه يدرك أن أعذارى واهية وقد تجرأت مرة على أن أسأله لماذا هو يسبقنى فى التبكير فى حين أن طبيعة عمله توجب البدء فى الساعة العاشرة . أو هل هو يهرب من البيت كما أنا أهرب منه مبكرا .

انفتح باب الحديث بيننا على مصراعيه .. وبدات الشكايات والاعترافات تتثاثر من جانبينا . انا اصرخ من شراسة اخلاق زوجتى وهو يئن من زوجته تلقاه ليلا بالترحاب ، وتودعه صباحا بوجه أكثر ولسان يقذف اللواذع ويقول : انه لولا صبيته الصغار وحنانه عليهم ، ولولا شريعة الكنيسة التى تحرم الطلاق الا لاسباب تحط من كرامة المطلقة وترمى الزوج البرىء بالغفلة ، لكان قد لاذ بالخلاص هربا ولو من نافذة طريق جهنم .

علتى اذن وعلة مديرى متشابهتان ، هى الحيرة فى الوقوف على سر طبيعة المرأة التى تسعد رجلها وتشقيه فى وقت واحد .

من طبيعة المرأة الرعناء أن تخطىء فى تقدير ما تظنه يسعد الرجل ويأسره فيكون هذا الخطا هو الباعث على اشقائه والى ضد ما تتوقع من اسره . ولكن علة مديرى اكثر خطرا من علتى . صبية صغار .. حنان أبوى تعرض لالسنة المجتمع . بيد أن دينى سمح للعشرة بالمعروف والفراق بالمعروف . خصوصا وان لا ولد لى . لان زوجتى ، أو لانى انا او كلينا عقيم .

كانت طنطنات تلك الاعترافات يتراجع صداها فى ذهنى وتجول بخاطرى . وصرت انظر الى سكرتيرتى نظرة تنعكس عليها رغباتى فى سماحة الدين وحيويته . وأيقظت فى نفسى نزعة التمرد على الزوجة ، وشهوة التبدل والعزيمة على عمل شىء يبدل حال بسواه .

قلت فلابدا بنفسى اولا ثم بمكتبى .

لقد تنازلت طواعية عن متجهمة مساعدمدير الشركة وغطرسته ، ثم حولت مكتبى الى جنة رائعة الصفاء يشملها الألفة والسلام والود بين الرئيس والمرؤوس . لقد شعرت سكرتيرتى واسمها « هجران » بهذا التبدل الطارىء .. ولكنى لم أشعرها قط بانى مأخوذ بسحرها ولا بما كنت أهجس فى سرى وأخفى فى نفسى من رغبة فى الحياة معها . ولقد كنت اسعد كل السعادة عندما كانت تشرق بطلعتها البهية ، وثغرها البسام يهدينى تحية الصباح . وكثيرا ما كنت ادعو سكرتيرتى الحلوة لتتلو على أوراقا أعرف مضمونها رغبة منى فى التملى من سماع غنة صوتها الناعم الرقيق ، والتملى من مشاهدة أهداب جفونها . وأتنسم نكهة فمها .

هل يخلق بى وقد جاوزت الاربعين بل اكثر أن انقض وفاء زواج دام نحو عشرين عاما لانسج حياة جديدة مع هذه الفتاة .. سكرتيرتى الحلوة التى لاأعرف عنها الا ما اراه منها وأسمعه خلال ساعات العمل .. لم أفاتحها بحبى بعد .. قد ترفض الزواج بى . لم افكر فى الجمع بين ضرتين . فعلام التخبط الآن فى الوعث قبل تمهيد الطريق . لقد سكت على عقم زوجتى طوال هاتيك السنين . ونحيت عن بالى حب الابناء لا تخلصا من المسئولية بل نزولا على حكم الامر الواقع فلم لا اتخذ من هذا العقم البشع ذريعة لتبديل حال عكر بحال صاف ؟ لقد أسمعت زوجتى الكثير من عبارات الرضا عن حياتنا الرتيبة التى لايشوبها سوى كدر صباحى تقتعله لوجه الشيطان ولقاء فى المساء بذراعين مفتوحتين وصدر رحب حتى صرت اعتقد ان الكدر فى الصباح انما هو تهيئة لصفاء المساء .. وأخيرا هل اذا وضعت قلبى بكل ما اقدمه عربون حب صادق لحياة زوجية جديدة مع سكرتيرتى هجران الحلوة هل هى ترضى بهذه التقدمة أم تبخعنى وتردنى كسيف البال هذا ماكان يجول فى خاطرى . وكنت الوكه ثم الوكه . ولكن منطق حال كان يقف حائلا دون ازدراد مشروعى مجملا ومفردا للفارق بين

كهولتي وصبـــاها ويتركني في دوامـة من الحيرة .

اقبلت هجران ذات صباح تحييني بدمعة مترجرجة وكلمة مغصوصة ، ولما استوضحتهـا وقد أشعرتها بالحدب عليها والاهتمام بأمرها بكت وقد أخفت وجهها بمنديل مبلل بالدموع وأخيرا قالت وهي تنهنه بأنهـا اختلفت مع خطيبها على كيفية حياتهما الزوجية وانهـا فصمت عرى علاقتها به .

تعمـــدت اغلاق باب الحديث عن اسباب الخلاف ، وأقللت ما استطعت من أهمية وقع هذه الصدمة عليها . وتلطفت في دعوتها الى التريث عسى ان يأتي الغد بالمجهول المحظوظ الذي سوف يحظى بالجوهرة المكنونة . وقد قفز الى ذهني خاطر جريء وقلت في سري ان الفرصة قد سنحت والاوان قد آن لاعـلانه والافصاح عنه ، ولكن يدالتعقل شدت شكيمتي فسكت وتراجعت .

اخذ دولاب الحياة يدور ببطء ، والايام تسير متمهلة متانية ، غير أن الدمعة الصامتة ما برحت تترجرج في مقلتي « هجران » .. والفكرة الجريئة المكتومة مازالت تضطرب في ذهني .

عمدت اسأل هذه الفتاة المحزونة اذا كان ثمة من وسيلة الى ازالة خلافها مع صديقهـا قالت وقد نظرت الى نظرة ذات معنى . هناك خلاف عميق حيث لاخلاف . يريدني أن أستقيل من عمل وأعود الى قاعدتي التي خلقت لهـا لأكون زوجة وربة بيت وام ، ولا يرضى ان أكون عاملة أذرع الشوارع والطرق ، اعاشر الزملاء واصغي الى رقاعاتهم في أحاديثهم ، وأتعرض الى تجاريبهم وأحابيلهم ونظراتهم .

رفضت بداهة قبول هذا التحكم الظالم ، محافظة مني على الحقوق التي انتزعتها المرأة من الرجل ، وحرصا مني على حريتي وهي أعز مكانة وارفع شــأنا عندي من عبــوديه المنزل وتحكم الرجل وجبروته .

سايرتها مسايرة الرجل المغرض ، واطنبت في امتداح الحرية العصرية ، وقســوت في القول في طبائع الرجعية ، وحمدت الطـلاق الفتيات انمـا أسعفت لاندفاعهن قبــل أن يتزودن بالمناعة الاخلاقية تقيهن أحابيــل الرجال ، وكنت ألوّن تلون صاحب الغرض بكيف الحــديث الذي يدني الســمكة من الشبكة .

بارحت البيت مبكرا على غير عادة زوجتي بتزويدي بشــكد جديد او ما يكدر الخاطر ، فتساءلت ولوسوست .. وتوجهت الى مركز ادارة العمـــل ، واذا بي ألقى السيد مدير الشركة والآنســة هجران واقفين عند مدخل باب ادارة الشركة .. حييت المدير ولم التفت الى الفتاة المبكرة بل التزمت حيالها سمت التوقر وعنجهية مساعد مدير الشركة ورحت معه الى مكتبه نشرب قهوة الصباح ونثرثر .

كان مدار ثرثرتنا يدور حــول تصرفات زوجه وهي تشبه تصرفات زوجي المطبوعة على النكد . وكنت في ذات الوقت اخمن في قلق مني وجود هذه الفتاة واقفة الى جانب المدير في وقت غــير مصرح بالدخول فيه لاحد من موظفي الشركة الا في موعد العمل .

كنت أذرع غرفة مكتبي بخطوات عصبيـة واسعة حين دفعت هجران الباب لتحييني تحية الصباح الخطرة كعادتها والابتسامة المرحة تملأ وجهها، فوجدتني آخذ خديها بين كفي بحركة تلقائية واطبع على كل خد قبلة . يالله مـا اطيبها واحلاها ، وقلت آه لو تعلمين كم انا احبك يا هجران . قالت اعرف انك تحبني ولكن لماذا تحبني ؟ نسيت لذعة الغيرة وغمزة الشك وفورة العصبية التي ساورتني ساعة رأيتها واقفة الى جانب المدير . وقلت لها اني احبك لثلاثة أسباب الاول هو اني احبـك والثاني والثالث هما اني احبك واحبك .

قالت وقد أخذتني من يدي وأجلستني على مقعد مكتبي . هل يرضيك أن أقول اني لا احبك لثلاثة اسباب . قلت بنزق ما هي تلك الاسباب ؟ قالت وهي تتمثل الرصانة سيدي الرئيس الاسباب أربعة لا ثلاثة .. قلت بربك اذكريها ياهجران . قالت الاول عبوسة فيك صارخة ، والثاني سخرية لاذعة صارخة ، والثالث بسمة حلوة صارخة .. والسبب الرابع هو انك متزوج عريق في الزواج .. قلت : بربك نحي السبب الاول والثاني وحدي بالسبب الثالث أما السبب الرابع فامره منوط بك وحله موقوف على رأيك في كيفية حلوله . قالت اني في تبعيتك منذ اربع سنوات أراقب حركاتك وسكناتك .. انصت خلسة الى أحاديثك مع السيد المدير وتشاكيكما ، فلولا حب كان عارما في نفسي لخطيبي الذي فارقني ، ولولا كرامة نسوية اعتز بها لتصديت لك تصدي الراغبة في كسب كنز ثمين ولكن ... ولكني لا أحبك لأني ما زلت أحب خطيبي الذي فارقني لانه الحب الاول

قلت هل اعترافك الصريح هذا نتيجة للحرية النسوية المكتسبة ؟

قالت :

ـ انه لكسب عزيز يبعـــدنا عن الرياء ويقربنا من الصدق .

انقلب ميزان تفكيري ، وتحولت من طامع يحاول اقتناص الطريدة بسلاح العاطفة الى انسان يحترم نزعات العاطفة واحكام العقل ، لقد أجبرتني صراحة هذه الفتاة العصرية على احترام حبها وتقديرها الوفاء للحب البكر وقد أخذت احور حبي لها ، واحول تفكيري فيها الى صداقة بريئة تعطرها قبلتان في الصباح من الوجنتيــن الورديتين وقد كانت هجران



تقابل قبلاتي خديها بقبلة من يدي ، وكنت احس بتلك القبلات كأنها متبـــادلة بين اب وابنته لا بين حبيبة وحبيب .

لم تنصرم شهور كثيرة على اعتراف هجران بحبها المكنون لخطيبها الذي فارقها بمعروف وان لولا ذلك الحب البكر لكنت الرجــل المفضل عندها . وفي ذات صباح جاءت تقول أن خطيبها قد عاد اليها نادما متضرعا يدعوها

الى التصرف في حياتها وفق رغبتها ، والى تدبير أمور منزلها كما تشاء، وانه لن يمنعها عن مزاولة عملها الا اذا أرادت هي الامتناع ويرجو منها الاسراع في عقد القران ، والها تحمل كتاب الاستقالة لانه تبين لها بعد التفكير أن العمل خارج البيت مدعاة لتقويضه لا الى اعماره ، وان حدود مملكة المرأة وشعبها هي المنزل الذي يأويها والرجل الذي ترعاه واولادها .

لابد مما ليس منه بد ، وودعت هجران بعد ان وعدتني بالا تقطع صلتها بي حتى بالتليفون ووعدتها باني ساكون عند حسن ظنها بي في كل داع من دواعي الحياة وتقلبات الزمان .

لم اقبل وجنتيها ساعة الوداع بل قبلت جبينها . وقد قبلت هي يدي واحسست بدمعة ساخنة بللتها .

اخذت الوحدة ترين على حياتي ، واحسست بالنقص الذي لا يكتمل والفراغ الذي لا يملأ صحيح أن سكرتيرة جديدة حلت بدلا من التي استقالت ولكن اين الجاذبية .. اين السحر والفتنة ؟ اين الروح .. اين الأمل ؟ لقد نفد ذلك الثراء الواسع وضاع الكنز . لقد ترملت الروح وتيتمت ، وعدت الى بيتي لا القى من زوجتي نكدا في الصباح ولا تأهيلا في المساء ، لان دوافع النفس والجسد قد ضاعت منها ومني .. هل وهل وهل ؟ الى آخر ما لاينتهي من أسئلة لا اجوبة عليها .

اخذت صور ماضي حياتي مع زوجتي تتراءى لي في جلاء واضح ، وكنت اقلب صفحات كتاب ضميري بوعي بعيد عن مؤثرات الشباب ونزعاته . لقد تبين لي أن الماضي لايقارن بالحاضر . وان النفس دائمة التطلع الى المستقبل وهو يحمل كل جديد من روح العصر " غير عابئ " بتقديرات عمر الانسان ، وخطوات السن نحو الكهولة او ما بعدها . لان الفكر والقلب لايشيخان أبدا الا اذا مسهما عطب او مرض . وقد رأيت رأى التجربة ان المرء في سن الاربعين الى الخمسين غير مما كان عليه في طياشة العشرين وجنون الثلاثين . وان لافرق بين الرجل والمرأة في الاحساس والشعور والتصور والتخيل انما الفرق بينهما في التعقل . وكثيرا ما يخون التعقل المرأة .

ان تجربتي في الحياة تدعوني الى القول ان سعادة الرجل في حياته تبدأ في الاربعين وتمتد الى ما بعد الستين بعكس المرأة التي تذبل وتجف بعد الخامسة والاربعين . فاذا كان الامر كما صورته وفلسفته وشرحته فلم لا أطلع زوجتي على مايدور في خلدي أتدرع



بذريعة حب البقاء في النسل واسكت طبعا عن امنية تجديد متعة الحياة واحل معها اشكالنا حلا سليما .

خواطر بل هواجس سرعان ما تبخرت حين اصطدامها بالواقع ، واقعة الفة حياة زوجية رتيبة ، ومنزل على وضع واحد ، واعتياد استقبال من الزوجة بالتأهيل والترحيب وما يخلفان من اجهاد ، وتوديع في الصباح بالنكد وما يترك وراءه من آلام في النفس وقد اخذت اخنع للواقع واستكين لولا بقية من «امل» واهي كان خيال الجشع يمنيني بأن يستحق او سوف يتحقق لان البذور التي بذرتها « هجران » لقيت تربتها الصالحة في وجداني .

انقباض وعبوس لازماني ، وزايلتني البشاشة والبساطة . كنت احس أن كل من كان حولي يضايقني ويضيق بي ، حتى مدير الشركة الذي كنت اواسيه واسليه صار يرثي لحالي . والسكرتيرة الجديدة كانت نكاتها تؤلمني لان ضحكي كان بكاء . ونفسي لاتحتمل الضحك .

أيام وأسابيع وشهور طوال كنت في غضونها في شبه ذهول عن كل ما يدور حولي لقد كرهت بيتي ومن فيه . وصرت الوذ بالخلوات والانفراد ، وبهذا المقهى أدخن نارجيلتي واتخيل دخانها يكلمني .

كنت اصغي سكرتيرتي وهي تبتسم وتقول سيدي «كعب عال» يسأل عن سيادتك .. بالتليفون . قلت ماذا ؟ قالت وهي تتعمد الارتعاش : صوت نسائي ناعم خفيف لطيف يسأل عن سعادتك . قلت : اغربي أيها الشيطان الى الخارج ودعيني وحدي اتكلم

انطلقت وهي تهم بالخروج نكتة بارعة الخفة ، تناسب الموقف لم أتمالك عندها من الضحك واقبلت على التليفون بقلب لهيف جزع أنصت بجوارحي الى صوت غنته تطربني ، وطلعة صاحبته تبهجني وقول بأنها بعد قليل تكون في مكتبي اذا كنت أسمح لها بالمجئ .

يستخفنا الطرب فنتمايل وتترنح فكيف بي لا ارقص وأتمايل واقفز وانا أدور في غرفتي انتظر انبثاق نور وجه هجران .

اقبلت بقدها الفارع ، ونظرتها الساحرة ، وجيدها الاتلع . وقد تفتقت براعيم شبابها ترتدي فستانا اسود بدت فيه كنجمة لامعة في سماء غاب قمرها . مددت لها كفي وانا صامت . واعطتني كلها الصغير وهي صامتة لقد لعانقنا بكفينا ونحن نبكي .

قلت لها وقد اشرت بيدي الى فستانها ، احزان على فقيد عزيز ام رسميات تشترك على المحافظة على «الاتيكيت» . قالت : ربما يكون هذا أو ذاك . والصحيح هو اني جمعت بين الأسى الذي لامفر منه وبين الرسميات التي لامحيد عنها في الحياة . قلت ان التقلب بين هذا وذاك لايعني سوى الأسى المرتقب فهل شجر خلاف بينك وبين زوجك فأجابت وهي تبتسم ابتسامة خفيفة : لقد انفصمت كل العرى بيني وبين ذلك الزوج المسكين ومحوت ذكره من خاطري الى أبد حياتي ، واخذت تفضي لي بأسرارها الزوجية وهي أسرار اتفقت معه على دفنها في عيادة الطبيب اذ ليس للطب فيها حيلة .

قلت ماذا بعد ذلك ؟ كان جوابها غض الطرف والسكوت .

ضقت بسكوتها الخجلان وقلت بنزق الأرعن العجول هل استدعي المأذون؟ استدركت تسرعي في طلب المأذون وسألتها بضراعة هل ترضي بي زوجا وقد ناهزت الخمسين .

ابتسمت وقد رمقتني بنظرة العاتب وقالت ألست ترى في استدعاء المأذون تسرعا ؟

قلت : الحق معك ولكن .. ولكن لابدا أولا من تسوية علاقتي بزوجتي وكيف ترتئين يكون الحل ؟

قالت وهي هادئة النفس ساكنة الجنان : الامر متروك لك وحدك .. أنت الرجل .. فالمفروض هو أن ترفض الزوجة أو تقبل الوضع الذي يراه الزوج .

فتح مصراع الباب الفاصل بين غرفة مكتبي وغرفة مكتب السكرتيرة وبرز رأس الشيطانة الظريفة تطلق من فمها زغرودة مجلجلة انتزعت مدير الشركة من مكتبه فأسرع ليرى يدي في يد حبيبتي وقد صارت وحدها زوجتي وأم أولادي .

حبيب الزحلاوي





العدد ٧٠

الثمن ٣

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

في هذا العدد

الإشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من
خارج ج.ع.م.
الإدارة :
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد – القاهرة .

كتابنا و المنظمة العالمية لحرية الثقافة

بقلم : عباس خضر

منظمات النشر والثقافة العالميـة ، او التى تعطى نفسـها صفة العالمية ، والتى تبث نشاطها بالحـاح واغراء فى بعض العواصـم العربية كبيروت والقاهرة لكى يذيع فى سائر الوطن العربى ـ ماذا ينبغى أن يكون موقف كتابنا منها ؟

هـذا السؤال يجب أن يسبقه بعض الايضـاح والتخصيص .

ان هذه المنظمات تتخذ لها شعارات وصفات من كلمات مثل الثقافة والحـرية والتقدم والحضـارة والمعاصرةوالحداثة وامثال ذلك ، وتنشر كتاباتجيدة احيانا ، وتتناول موضوعات فى مشـكلات عربية تبدو مبراة من الغرض احيانا كذلك ، وتطبع على ورق صقيل فاخر دائمـا ، ولا تنسى أن تحلى صفحاتها بالصور الجميلة .

تغرى القارىء العربى بذلك كله ، وتغرى الكاتب العربى بشىء آخـر ذى اثر كبير فى بعض النفوس ، **وهو السـخاء فى اجـر النشر** ، وخاصـة اذا كان للكاتب اسم لامع فى عالم الكتابة ، أو كان ذا منصب كبير فى الهيئات الثقافية .

وقد يكون الأمر لاغبار عليه اذا لم يعلق بتلك المنظمة غبار من الشك فى مقاصدها واتجاهاتها ، من حيث ما نتوجس منه ونوقن به ـ بحكم التجربة ـ من المنظمـات المنبثقة من الدول ذات الأغـراض الاستعمارية المعروفة .

اما بالنسبة لمنظمة عـرفت اهـدافها المضـادة للأهـداف العربية ، مثل المنظمة العـالمية لحـرية الثقافة ومجلتها «حوار» التى يصدر اصلها الفرنسى فى باريس وفرعها العربى فى بيروت ـ فان الأمـر يختلف جدا .

وهى المجـلة التى يجـادلنا فى شـأنها الدكتور ابراهيم مدكور (العدد الماضى من الرسالة) اذ يعتب على «الرسالة» لانها لم تسـتوضحه قبل أن تنشر عنه ما يدل على وثيق صلته بمجلة «حوار» وانه عضو فى لجنة الفتها هذه المجلة للتحكيم فى مسـابقة ادبية .

ولم اتبين وجه عتاب الدكتور على الرسالة .. كنت افهم مثلا ان ينفى تلك الصلة ويتبرأ من تلك العضوية ، **ولكنه اكد الصلة بان ذكر كتابات له بها ثم قال انه اختير فعـلا بين المحكمين فى اللجنـة وابدى اسـفه بقوله : «واضـطررت مع الأسـف للاعتذار عن ذلك منذ زمن ولكن لأسـباب غير تلك التى ذهبت اليها مجلة الرسالة» .**

وكنت افهم كذلك أن يعتب الدكتور مدكور على الرسالة لانها الصقت به تهمة الصلة بمجلة «حوار» على حين أن هذه الصلة لاتزيد على مقالين نشرهما بها عن لطفى السيدوعباس العقاد .. مقالين فقط .. وماذا فى مقالين فقط ! وانه اعتـذر عن عـدم عضوية اللجنة لاى سبب كان **ولكن بدون أسف ..** وما وجه الأسف !

ولكنى لم افهم كيف يعتب الدكتور على شىء لم يثبته ـ أولا بما يتضمنه العتاب ، وثانيـا بتعقيب يدافع به عن مجلة «حوار» دفاع النصير فيقول :

«حاولت جاهدا ان اجد فيها شيئا يخرج على العروبة ويعترض سبيلها . وعلى العكس وجدتها تعلن في صدر عددها الاول انها (مجلة عربية) ويكتب فيها ادباء ومفكرون من كافة الاقطار العربية وتعنى بالقضايا الحية التى تهم امتنا ووطننا »

ويستمر الدكتور في الاشادة باهتمامات المجلة «العربية» الى ان يختم هذا الدفاع بقوله : «فهل بعد هذا يمكن ان يقال ان مجلة حوار تناقض القومية العربية او انها تمالىء الاستعمار ؟ لا اظن ان هناك سبيلا لتقديم دليل مادى على ذلك من عمل حوار نفسها »

ومادام الأمر كذلك ، ومادمت يا اخى الدكتور متحمسا لحوار هذا التحمس ، **فلماذا غضبت لما نشر عن صلتك بها ولماذا عاتبت «الرسالة» وهى لم تنشر الا جزءا مما قلت ؟**

لعلك لم تغضب وتعاتب لنفسك ، **بل لمجلة حوار ..** اذ وصفت ـ فيما نشر ـ بانها « **المجلة المعروفة باتجاهاتها اللاعربية** » على حين تعتقد انت انها «**مجلة عربية» كما أعلنت في صدر عددها الأول !!** وترى ادباء ومفكرين من كافة الأقطار العربية يكتبون فيها ، وتعنى بالقضايا الحية .. الخ .

اذا كنت يا اخى الدكتور تعتقد ذلك حقا فانت رجل طيب ..

ماذا فعل الاستعمار ـ يا استاذ الفلسفة ـ غير مثل ذلك ؟

سمى نفسه من اول جولة « استعمارا » ادعاء منه أنه انما « يعمر » البلاد التى يغزوها وهو في الحقيقة يخربها .. وعاونه افراد من أهل البلاد بغية النفوذ والكسب على حساب شعوبهم ، وقام باعمال ادعى أنها اصلاحية ، وتبدو كذلك في الظاهر وهى في الحقيقة لمصلحته .

وكذلك مجلة حوار .. باسمها ، ومعاونيها من الأقطار العربية بالكتابة فيها ، وعنايتها بالقضايا الحية .. الخ .

والقائمون عليها أذكياء دون شك .. فهم ينشرون بعض الأبحاث التى تبدو في صالح العرب وان كانوا يدسون في خلالها ما يشكك في المشروعات العربية ، وينشرون كذلك موضوعات بريئة ، على أن تكون ثمنا لموضوعات أخرى غير بريئة يلف فيها الكاتب ويدور ليبث غرضه الني، في كلمة او اشارة



وربما لا يلف ولا يدور فيقدم على انه كاتب عربي تقدمى جرىء .. يهاجم القيم والمقدسات العربية ويسميها جمودا وتحجرا .

وانت يا استاذ الفلسفة ـ رجل ذكى ، والدليل على ذكائك قولك « لا اظن أن هناك سبيلا لتقديم دليل مادى على ذلك من عمل حوار نفسها »

فانت تسمع وتقرأ ما يقال ويكتب عنها ، من انها مؤسسة صهيونية استعمارية ، ولست ادرى هل تعلم ان المنظمة العالمية لحرية الثقافة **تصدر احدى مجلاتها في اسرائيل** ، وان مجلة «انكاونتر» الانجليزية من مجلات المنظمة ، وهى معروفة بتأييدها الدائم لاسرائيل ، وكل مجلات المنظمة ، في انجلترا وفرنسا وايطاليا ، تمجد اسرائيل وتدافع عنها بشكل مباشر صريح ، وباسلوب يختلف طبعا عن « حوار العربية » التى تضع السم في العسل .

ولست أدرى هل تعلم أن المنظمة تقوم على تبرعات تدفعها مؤسسات « روكفلر » و «فورد» وغيرها من المؤسسات الراسمالية الأمريكية التى تهمها مصلحة اسرائيل ، كما تهمها محاربة الاتجاه الاشتراكى في العالم العربى الذى تعاكسه حوار **بوسائل ذكية مثل الفن للفن والثقافة المتحررة وعمق التجربة الفردية** .. الى آخر هذا الكلام البراق .

ولا بد أنه يترامى اليك ما تكتبه صحف لبنان الوطنية الحرة عن المنظمة ومجلاتها وخاصة « حوار » التى تصدر على مقربة منها فتعلم دخائلها **ودخائل المشرفين عليها من «العرب» وفي مقدمتهم**

رئيس التحرير الفلسطيني الأصل الذى لا يكتب كلمة عن الوطن المسلوب ..

هل علمت ما قامت به مجلة **«الشعب»** اللبنانية من ترجمة مقالات نشرت بالأصل الفرنسي لمجلة حوار ، كلها دفاع عن اسرائيل ومهاجمة للعرب ؟

هل تعلم ان بعض كتابنا الذين خدعوا اولا فى « حوار » امتنعوا عن الكتابة فيها لما انكشف لهم أمرها ووقفوا على حقيقتها ؟ منهم **الدكتورة سهير القلماوى ، والدكتور زكى نجيب محمود** الذى أعلن فى مجلة **«الحوادث»** اللبنانية مقاطعته لحوار وانه لن يكتب بها لشكه فيها . وكذلك كتاب آخرون مثل صلاح عيسى وصبرى حافظ اللذين كتبا فى مجلة« **الآداب** » البيروتية ــ عدد سبتمبر الماضي ــ يقولان : **«لقد تأكد لنا ياصاحبى استعمارية مخطط المؤسسة العالمية لحرية الثقافة التى تصدر عنها «حوار» تأكد لنا هذا من خلال المراسلات المتبادلة بيننا وبينهم ، ومن خلال تاريخ المؤسسة فى ميدان الكلمة واطلاعنا على مجلاتها المختلفة ومن خلال مؤازرة هذه المجلات لقاعدة الاستعمار فى بلادنا .. لاسرائيل، ومن خلال الحقائق المستمرة لما تنشره « حوار » ولطريقة تعاملها مع غيرنا من الكتاب ولكمية المكافآت المريبة التى تدفعها لكلمات تقتل مستقبل الانسان العربى»**

ومثل غالى شكرى الذى كتب أيضا فى «الآداب» ــ عدد اكتوبر الماضى ــ يعلن أسفه على ماكتب فى « حوار » قائلا : « **عندما تحيط الشبهات احدى مؤسسات النشر من جانب التيارات الوطنية والاتجاهات التقدمية يتعين على الكاتب الوطنى التقدمي ان يلتزم جانب هذه القوى ، لذلك أعود الى قراء« الآداب » وكلي أسف على فترة الانقطاع الطويل التى قضيتها فى الكتابة لمجلات اخرى احاطتها الشبهات من جوانب عديدة ، وهذه المجلات هى بالتحديد « حوار » و « ادب » و «شعر » .**

ولم يبق على الولاء لحوار من كتابنا الا الدكتور مدكور وصديقه الدكتور عثمان امين صاحب الفلسفة الجوانية والمقالات « **الرائية** » والدكتور لويس عوض **بشعره الذى لا يمكن نشره فى القاهرة لاشتماله على عبارات جنسية فاضحة** ، وآخرون نرجو لهم الهداية الى سبيل الرشاد .

أنت ــ يا أستاذ الفلسفة ــ رجل ذكى ، لانك تعرف ذلك الذى يقال ويكتب ، أو تعرف أطرافا منه ، ولا تريد ان تسلم بصحته ، بل تطلب **«دليلا ماديا »** عليه « **من عمل حوار نفسها** » .

هاك الدليل الذى ظننت أن لا سبيل لتقديمه :

فى العدد الثانى من مجلة « حوار » موضوع بعنوان « **آلام النمو العربى** » ولأمر ما اختار الكاتب زاوية الآلام من عملية التصنيع العربى .. يقول الكاتب ــ ص٤٥ ــ **«ففى الجمهورية العربية المتحدة من خمسة الى ستة ملايين مواطن فى القطاع يثقلون كاهل هذا القطاع بدون تقديم شيء يذكر الى اقتصاده ــ وبعبارة فنية** يكاد يكون انتاجهم الجدى صفرا أو نحو ذلك » .

ولا يقول لنا من أى مصدر او احصاء اتى بذلك، وكأنه يقول بأن فلاحى الجمهورية لا ينتجون شيئا .. وهو كلام يحمل كذبه فى طياته ، كما تحمل « العبارة الفنية » تفاهتها وخلوها من فن .. أى فن !

وتنكشف نوايا كاتب المقال الرأسمالية فى قوله ــ ص ٤٨ ــ « **على ان القوى العاملة ، وهى لاتزال فى أولى مراحل اكتشاف قدرتها على تصحيح الخلل فى توازن القوى الاجتماعية ، معرضة بحكم العامل النفسانى الى طلب اكثر مما ينبغى باسرع مما ينبغى** » **وعلى هذا** المنطق الرأسمالى يجب الحد من الاندفاع فى التصنيع العربى الذى يقض مضاجع الرأسماليين والاستعماريين الذين يخشون دلينا .. من .. مطالب القوى العاملة !

وفى العدد الثالث مقال بعنوان « **المرأة العربية ومشكلتها الجنسية** » وهو عن كتاب بهذا الاسم لمؤلف زعموا انه يدعى « **يوسف المصرى** » ويقال ان كلمة « المصرى » هنا مقحمة على اسم كاتب من كتاب حوار « **التقدميين** » المتضلعين فى تشويه كل ما هو عربى . يشيد المقال بالمؤلف وعبقريته ، لانه « **يتحدث عن عادة تعاطى الحشيش فى وادى النيل** » و « **يصف باسهاب وضع المرأة من الناحية الاجتماعية والقانونية فى العالم العربى ، أو بالاحرى فى الجمهورية العربية المتحدة والسودان بالدرجة الأولى** » والمؤلف يزعم أو ــ كما يقول المقال ــ « **يؤمن أنه ليس من الحق أن تشوه الفتيات فى طفولتهن ، وأن يهن ويشرين فى شبابهن ، وأن تعامل المتزوجات بالقسوة ، وأن يحرم النساء مهما كان عمرهن أو مقامهن الاجتماعى ممارسة كافة**

حقوقهن القانونية » كأنه لا يعلم ان فى « ج٠ ع٠ م » الآن وزيرة وعضوات بمجلس الامة .. ولكنه يكذب .. ويمضى فى كذبه وتصويره المشوه للمرأة العربية فيقول ان حياتها تتلخص فى تشويهها فى الطفولة « **كيما تصد فى المستقبل عن تلويث شرف العائلة »** » وفى بيعها فتاة بالزواج من رجل متقدم فى السن ذى رصيد كبير فى البنك .. ويروى **« ان مؤسسات تعاونية قامت فى الجمهورية العربية المتحدة سنة ١٩٥٩ كيما تسهل عقد زواجات على اساس الشراء بالتقسيط » !! ويتم** تصويره لحياة المرأة العربية بانها **« آلة انتاج فحسب ، وحيوان للقيام بالاعباء ، وخادم للاعمال الشاقة لزوجها الحق فى أن يضربها بحكم القانون، وان بادأته الضرب كان نصيبها السجن » وانه « ليس ثمة مكان كالبلدان العربية تتخذ فيه الحياة الزوجية طابعا كريها منفرا بالنسبة للمرأة »**

هذه هى الموضوعات الحية التى يقول الدكتور ابراهيم مدكور ان مجلة حوار تعنى بها لانها تهم امتنا ووطننا ..

وهناك المزيد :

فى العدد الثانى عشر يقول رجل امريكى يدعى « وليم زارتان » : « **ان اللغة العربية كلغة حديثة قد جمدها التمسك بالماضى ، فهى تعانى من غزارة مفرداتها المهجورة ومن فقرها علميا ، وهى تعج بمفردات ومعان عن مظاهر الحياة البدوية بينما تفتقر افتقارا تاما الىأسماء حاجات الحياة الحديثة ومفاهيمها »**

أيرضيك هذا يا « امين عام مجمع اللغة العربية » ؟

قلنا ان لهذه المجلة اهدافا تناقض اهداف مجمع اللغة العربية .. فغضبت وعتبت وعقبت ودافعت عن حوار .. **وكان اجدر بك ان تعتب — على الأقل — على حوار وتدافع عن المجمع .. عن « المعجم الوسيط » الذى تشرف عليه والذى يعج باسماء الحياة الحديثة ومفاهيمها .. هل نغضب لانفسنا ولا نغضب لقيمنا ؟!**

أتريد مزيدا من الأدلة ؟ لا بأس :

فى العدد الأخير (١٣) واحد منا — مع الأسف — اسمه « محى الدين محمد » تحتضنه « حوار » وتزجى اليه **« تهنئة حارة لمحيى الدين محمد لكتابه « ثورة على الفكر العربى المعاصر » ولا اكتم تقديرى واعجابى بثورة هذا الأديب العربى المثقف » وذلك** لانه — الاديب العربى المثقف — يدعو الى **« تغيير التراث العربى جميعه ، ليمكن العقل ان يقفز من محدوديه الخرافه والتسليم والرضى ... الخ » ولانه « ياخذ على الشباب المصرى لادريته وتسليمه بالامور بروح متخاذلة »** ويدعو كذلك الى رفض ماضينا وحاضرنا وتاريخنا والكف عن الانتاج والتحول الى الترجمة !! وينبه الى وطأة الوضع الاجتماعى على الاديب وشعوره العنيف باللاحرية .!

وهذا كلام — كالكلام السابق عن المرأة العربية — يحمل كذبه فى طياته ، وتدحضه مظاهر التحرر والبناء بل اعمال الاعجاز لا فى « ج ٠ ع ٠ م » فحسب ، بل فى غيرها من الوطن العربى . وهذه المظاهر لا تسر « حوار » ومنظمتها الصهيونية الاستعمارية ، فمن يطمسها ويحولها ولو بالهذيان الى عكسها فهو مستحق ان يقول فيه محررها : **« لم المس للآن ثورة تساندها مثل ثقافة محى الدين محمد وتقودها جرأة كجرأته على تسمية زوايا الجمود والتحجر فى الذات العربية المعاصرة. فمرحى لهذه الجرأة ، مهما كانت عواقبها وتبعاتها اذ بمثلها فقط تبنى المجتمعات » !!**

هذه نماذج من القضايا الحية التى تهم امتنا ووطننا .. ويكتب فيها بمجلة « حوار » ادباء ومفكرون من كافة الأقطار العربية .. كما يقول الدكتور ابراهيم مدكور .. وهو لهذا يدافع عنها ويستزيد من امثالها ..

يا أخى الدكتور ، انى افترض فيك احسن العروض ، **وهو انك مخدوع .. ولهذا** أنتظر منك ان تتخذ من الدكتور زكى نجيب محمود والدكتورة سهير القلماوى أسوة حسنة ، وانتظر ذلك ايضا من البقية الباقية مع حوار .. **ولعل زميلك صاحب الفلسفة الجوانية ولعلكم جميعا تحولون مقالاتكم وكتاباتكم عن « العملة البرانية »**

حاشية **تساءل الدكتور ابراهيم مدكور فى تعقيبه عن السبب فى ربط دعوته الى جامعة بريستن الامريكية وبين علاقته بمجلة حوار ، وقال انه دعى الى هذه الجامعة لمنحه لقبا علميا فخريا يعده رمزا لعلاقة ثقافية بين بلدين كبيرين .**

والجواب أن الذى دعاه الى تلك الجامعة هو أستاذ يهودى بها من انصار المنظمة العالمية لحرية الثقافة ، واسمه كويلارينج لا تهمه — طبعا — العلاقةالثقافية بين البلدين .. انما تهمه مكافأة الدكتور ابراهيم مدكور على خدماته لمجلة حوار .

عباس خضر

ليس حسناً !!

بقلم : محمود محمد شاكر

ليس حسنا أن يعزل كاتب قلمه ! ولكن هكذا قدر الله على أن أفعل . فنحيته عن أناملي ، لكي أفرغ للقراءة والتفكر ، حتى تصرم على ذلك أكثر من ثلاث عشرة سنة . فلما عدت اليه أحمله ، ثقل محمله ، وقد صدىء سنه ، ورسف في قيود الاهمال خطوه ، واذا هوة سحيقة القرار قد انخسفت بيني وبينه ، كهوة بين حبيبين تمادى بينهما جفاء مستحدث من ملال . ولكني على ذلك كله اليوم مرغم : مرغم على حمله ، ومرغم على استحياء ماكان بيني وبينه من حب متصرم ، ومرغم على أن يكون اعتذارى اليه صادقا ، مهما تكبدت في سبيل ذلك من مشقة وعنت . ويشاء الله الذى قدر وقضى ، أن يكون الرجل الذى جعلت كلامه حجتى على من لامنى ، يوم عزمت على تعطيل هذا القلم ، هو نفسه الرجل الذى أحمل القلم من أجله ، وخبر ذلك أنى كنت أقول يومئذ لمن يلومنى :

اذا كان علم الناس ليس بنافع
ولا دافع ، فالخسر للعلماء

قضى الله فينا بالذى هو كائن
فتم ، وضاعت حكمة الحكماء !

يقوله شيخ المعرة ، أبو العلاء أحمد بن عبد الله ابن سليمان المعرى ، رحمة الله عليه .

فمنذ أسابيع نشرت صحيفة الاهرام مقالة ضافية تبشر بجديد فى رسالة شيخ المعرة ، المعروفة برسالة الغفران ، وكاتب هذه المقالة هو الدكتور لويس عوض فاذا به يحملنى الى ماض سحيق البعد مكفوف بالظلمات ، فهو يريد ان يجلوه لعينى مشرقا مسرفا فى الاشراق ، ثم تتابع ذلك من فعله ، حتى انتهى منذ أسبوعين أو ثلاثة ، الى الكلام فى صميم رسالة الغفران ، وان كان هو قد آثر أن يسمى فعله هذا : « على هامش الغفران : شيء من التاريخ » ، فقال بعد مقدمة قصيرة : « **ولعل أسلم منهج في الانتقال الى المعرى ، والحديث عن « رسالة الغفران » ، هو ان نبدأ بعرض الخلفية التاريخية لهذا العمل العظيم ، فنوضح طبيعة العصر الذى كان يعيش فيه المعرى . فنتضح بذلك أهم مشاكله ، وأهم معتقداته ،ومحاور الصراع المادى والفكرى فيه ، عسى أن يلقى كل ذلك ضوءا على مرامى المعرى وغاياته من «رسالة الغفران» وعسى أن نجد بعض المفاتيح التىتساعدنا على معرفة موقف هذا الرجل العظيم ، كما تجلت فى أدبه ، من أفكار عصره ، ومن أحداثه ، ومن رجالاته ، ومن أحواله بوجه عام** » .

وهذا كلام حسن جدا ، ليس فيه ما يعاب،و ليس بمستنكر صدوره عن الدكتور لويس عوض ، لانه كان أولا ، طالبا قديما لآداب اللغة الانجليزية ، درسها حتى نال ، فيما أظن ، اجازة الليسانس ، ثم الماجستير ، ثم الدكتوراه ، ومعنى ذلك أنه بلا شك يحسن أن يقيم الدراسة على المنهج ، ولأنه ثانيا ، ولابد كان فيما أظن أيضا ، معيدا بالجامعة ، ثم مدرسا ، ثم استاذا يتولى مناقشة رسائل الماجستير والدكتوراه ، والاشراف على أصحابها قبل ذلك ، ولانه ثالثا ، خرج على الناس كاتبا ، فمارس الكتابة زمنا ، فهو خليق أن يعالج دراسة «رسالة الغفران»، على منهج محكم الاصول، وباسلوب يرضى عنه أستاذ الجامعة ، ولايجفو على قارىء الصحيفة ، ممن لم يقدر له أن يتحمل دراسة الآداب على المنهج . هكذا كان ظنى ، وان كان ما أعرفه من قراءة كتب الدكتور لويس عوض ومقالاته وغيرها قد يحملنى على الشك فى قدرته على تحقيق هذا الظن ، فما كدت أفرغ من

مقاله الذى افتتحه بذكر منهجه هذا ، ثم مقاله الذى يتلوه بعنوان : « كلمة عن ابن القارح » (**الأهرام** : يوم الجمعة ٩ رجب سنة ١٣٨٤ ، ١٣ نوفمبر سنة ١٩٦٤) حتى عجبت وتخوفت • اذا كانت كلمة « المنهج » لم تزل محفوفة بكل هذا القدر العجيب من الغموض والظلمة فى عينى الدكتور لويس عوض أستاذ الأدب الانجليزى ، وهو من هو ، فهى بلاريب فى أعين سائرالناس أشد غموضا وابهاما !! وعندئذ عجبت ، ثم ان الدكتور لويس عوض أستاذ قديم يقتدى به فى دراسة الآداب ، فيما أرجح ، فمن هنا تخوفت على مصير دراسة الآداب ، مع كثرة ما يحف هذه الدراسة من المخاوف ، من جراء ما استشرى امره من أبحاث تنشر فى الصحف والمجلات، والكتب ايضا •

وعادت بى الذكرى الى ماض بعيد ، اذ كنت طالبا فى كلية الآداب بجامعة القاهرة ، منذ نحو من تسع وثلاثين سنة ، يوم وقع الصراع بينى وبين أستاذنا الكبير الدكتور طه حسين على مفهوم كلمة « المنهج » وعلى الأدوات التى يمارس بها هذا « المنهج » • ثم ظل هذا الصراع قائما على أشده فى نفسى منذ فارقت الجامعة ، حتى أخرجت كتابى عن « المتنبى » فى يناير سنة ١٩٣٦ ، ثم أخرج أستاذنا بعد ذلك بعام أو اكثر كتابه « مع المتنبى » ، فكتبت يومئذ مقالات طوالا ، مع الأسف ، فى نقد كتاب الدكتور طه ، زادتنى معالجة نقده يقينا على يقين ، فى ان الغموض اذا أحاط بلفظ « المنهج » أدى الى خلط كثير فى فهم الآداب ، وفى تفسيرها ، وفى شرحها ، ثم فى تصوير أحداث العصر وأفكاره ورجالاته وأحواله ، بوجه عام ، كما يقول الدكتور لويس عوض • واليوم وبعد هذا الدهر المتطاول ، أجد هذا اللفظ قد ازداد ابهاما وغموضا ، وازداد تطبيق مايقتضيه تخليطا على يد الدكتور لويس عوض •

فمن اجل ذلك ، أجدنى مضطرا لالتماس معذرة القارىء المتعجل، لأنى انما أخاطب بهذه الكلمة أستاذا جامعيا ، أو هذا هو المفروض ، وان كان ماكتبه لا يحمل طابع الاستاذية ، بل طابع المقالة الصحفية اذا كان من المفروض أيضا أن المقالة الصحفية لاتزال الى اليوم قائمة على الاستثارة المبهمة عند بعض الناس ، وكنت اتوهم أن هذا أسلوب قد انقضى عهده وباد أهله ، أو كان هذا هو المفروض عندى أنا على الاقل •

ولفظ « **المنهج** » يحتاج منى هنا الى بعض الابانة وان كنت لا أريد به الآن ما اصطلح عليه المتكلمون فى مثل هذا الشأن ، بل أريد به « ما قبل المنهج »، أى الاساس الذى لايقوم المنهج الا عليه • فهذا الذى سميته هنا « منهجا » ، ينقسم الى شطرين : شطر فى تناول المادة ، وشطر فى معالجة التطبيق • ويؤسفنى أن أكتب هذا فى مخاطبة أستاذ جامعى • فشطر المادة يتطلب قبل كل شىء جمعها من مظانها على وجه الاستيعاب المتيسر ، ثم تصنيف هذا المجموع ، ثم تمحيص مفرداته تمحيصا دقيقا ، وذلك بتحليل اجزائها بدقة متناهية ، وبمهارة وحذر ، حتى يتيسر للدارس أن يرى ماهو زيف جليا واضحا ، وما هو صحيح مستبينا ظاهرا ، بلا غفلة ، وبلا هوى ، وبلا تسرع ، اما شطر التطبيق فيقتضى اعادة تركيب المادة بعد نفى زيفها وتمحيص جيدها ، باستيعاب أيضا لكل احتمال للخطأ أو الهوى أو التسرع ، ثم عليه أن يتحرى لكل حقيقة من الحقائق موضعا هو حق موضعها ، لان أخفى اساءة فى وضع احدى الحقائق فى غير موضعها ، خليق أن يشوه عمود الصورة تشويها بالغ القبح والشناعة • وهذا شىء واضح فيما أظن ، ما كان أغنانى عن ترداده على مسمع أستاذ جامعى ، ولكن يبقى شىء هو مفروض ابتداء ، لا يصلح شىء مما قلته الا به ، بيد أن الناس قد يخدعون عنه أو يتجاهلونه لهوى غالب على النفس ، ألا وهو الدارس الذى يعالج « المنهج » بشطريه • فالدارس ينبغى أن يكون قد ملك الاسباب التى تجعله أهلا لمعاناة « المنهج » • وهذا شىء يحسن ضرب المثل عليه لتوضيحه •

فاذا اتخذنا شيخ المعرة مثلا موضحا ، فدارسه ينبغى أن يكون مطيقا لقراءة نصوصه جميعا من نثر وشعر ، لامن حيث هما لفظان مبهمان غامضان : « نثر » أو « شعر » ، بل من حيث تضمنهما ألفاظا دالة على المعانى ، والفاظا قد اختزنت على مر الدهور فى استعمالها وتطورها قدرا كبيرا من نبض اللغة ونمائها الادبى والفكرى والعقلى الى كثير من الدلالات التى يعرفها الدارسون ، ثم من حيث هى الفاظ قد حملت سمات مميزة من ضمير قائلها بالضرورة الملزمة لانه انسان مبين عن نفسه فى هذه اللغة بما يسمى « شعرا » ، أو بما يسمى « نثرا » • وواضح جدا بعد ذلك لمن يحسن أن يتأمل بعض التأمل ، ان هذا كله يقتضى أن يكون الدارس قد رحل رحلة طويلة فى آداب اللغة السابقة لعهد شيخ المعرة ، فدارس

فيها الماضين من شعراء هذه اللغة وكتابها مدارسة متقنة جادة غير هازلة ، مشحوذة بالذكاء والتنبه ، ومصقولة بحسن التمييز والتدبر ، ليكون في مأمن من اختلاط شيء منها بشيء مخالف له أو مناقض • وذلك لأن تراث كل لغة من اللغات ، وان كان وحدة لاتكاد تتجزأ ، الا أن اختلاف الازمنة والامكنة يمنح كل نص وسما بائنا من سواه ، ويفيض عليه لونا متفردا من غيره ، فهذا أمر كما ترى شديد المراس لمن لم يملك ناصيته ، فلا يهجم عليه بلا أداة ، وبلا روية ، وبلا استعداد ، وبلا فهم الا كل من ظن في نفسه الظنون ، اما جهلا واما رعونة •

وليت الامر في دراسة الآداب يقف بنا عند هذا الحد ! فانه لأهول من ذلك في كل زمان ومكان ، وفي كل لغة ذات بيان، انه لأمر مفروغ منه، أمر ارتباط الآداب بتاريخ الامة وعاداتها واخلاقها ودياناتها وما شئت من شيء تعد به الامة ذات كيان قائم متميز فدارس الآداب اذا لم يكن مطيقا لذلك كله ، بصيرا به ، حسن التصرف في جليله ودقيقه ، جيد الفهم لغوامضه ومبهماته ، فهو حرى ان يشوه الصورة عند تركيبها تشويها فيه من الشناعة مايجعل دراسته مثلة بمن يدرسه ، كما يمثل المحارب المحترق بجثة عدوه ، وقد أطارت لبه حدة العداوة والحقد • واتقان دراسة هذه المادة كلها تعد دراسة أدبية محضة ، فلا يستطيع دارس أن يقول للناس : انها ليست من صميم اختصاصي ! فاذا قالها ، فذلك ايذان منه بانه فقد التمييز وجهل أساس كل منهج، واستحق أن يطرح الناس ما يقوله ، اذا هو لم يجد عند نفسه القدرة على أن يستحي فيستر مايكتب ، ويغيبه عن أعين الناس •

وظني أن هذا الذي قلته عن « المنهج » كاف في تمثل التبعة التي يتحملها دارس الآداب ، وفي ادراك التبعة التي يحملها القارىء ، حين يعرض عليه دارس مادرس • فالامر من أي نواحيه اخذته اذن جد لا هزل فيه ! ومادام الدكتور لويس عوض قد تخير لنا « أسلم منهج » في دراسة رسالة الغفران، فقد رأيته حسنا أن ابدأ بالنظر في منهجه ، لا من حيث أراد هو أن يبدأ ، بل من حيث انتهى به الحديث في مقاله : « كلمة عن ابن القارح » ، لأني وجدت الدكتور لويس عوض ، قد اخفى عنا « مادة الدراسة » ، وهو شيخ المعرة نفسه ، على امتداد خمس مقالات طوال، فلم يذكرها الا في ختام الخامسة منهن ، و « شيخ المعرة » هو مادة الدراسة ، لانه صاحب « رسالة الغفران » ، ولانها أثر من آثاره • ولا أستطيع أن أكتم عنه اعجابي بقدرته على كبح جماح نفسه خمسة أسابيع من أسابيع الكتابة ، مخفيا مادة دراسته ، فلايكاد يعرضها لأعيننا الا في ختام خامستهن ، ويلقيها الينا بلمحة خاطفة ، توحي بأن هذه المادة الملقاة قد فرغ من تمحيصها على يده ، أو على يد غيره ، حتى صارت احدى المسلمات التي لا تملك البداهة الا الاذعان لها ، كما يقول القائل : «رجل ورجل » « رجلان » بلا فرق بينهما ! فانظر اذن كيف ساقها ، ولم اسقط من كلامه شيئا غير طرح التاريخ الميلادي المعوق :

« هذا هو الجو السياسي المعقد الذي عاش فيه المعري حتى اعتكف في معرة النعمان حول (٤٠١ هـ) ومنذ أن اعتكف فيها حتى مات عام (٤٤٩هـ) • فحلب، وهي على بعد اميال قليلة من المعرة • يتبادلها أولا الحمدانيون تظاهرهم عسكر الروم والفاطميون ، ثم يتبادلها ثانيا المرداسيون تظاهرهم عسكر الروم والفاطميون • ولم تكن انطاكية أحسن حالا ، فقد ظلت مائة وعشرين سنة كاملة في يد الروم من سنة ٣٥٣ الى ٤٧٧ هـ ، ولد وهي لهم ، ومات وهي لهم ، وتعلم بها وهو صبي وهي لهم ، فقد كان يختلف الى مكتبتها مع أسامة بن منقذ فيما روت كتب القدماء ، وكانت فيها يومئذ حضارة زاهرة حسب ما روى ياقوت الحموي •

وقد كان حكم اللاذقية حكم أنطاكية، كانت في يد الروم زمن المعري ، وقد تعلم المعري في اللاذقية ، كما تعلم في انطاكية • ففيما روى القفطي والذهبي انه نزل بدير فيها ، « ولقي بهذا الدير راهبا قد درس الفلسفة وعلوم الاوائل » ، بلغة طه حسين ، او باختصار : أخذ عنه اليونانيات ، فما علوم الاوائل هذه التي كانت تقرأ في الاديرة تحت حكم الروم ، الا آداب اليونان وفلسفتهم في لغتها الاصلية ، والحق انه لا يعرف شيء عن تعليمه الرسمي حتى سن العشرين ، وهي سن التكوين ، الا انه تعلم في حلب ، ثم في انطاكية ، ثم في اللاذقية ، ثم في طرابلس ومثل هذا الغموض الذي أحاط بتكوينه العقلي حتى سن العشرين ، يحيط أيضا بحياته كلها فيما بين العشرين والخامسة والثلاثين ، حين نجده يقيم في

المعرة خمس عشرة سنة بين (٣٨٣ هـ) و (٣٩٨ هـ)» وبها عاش تحت الحمدانية والفاطمية والمرداسية والروم » .

نقلت كل هذا مضطرا على ما فيه من الركاكة والسقم ، ولكنهما لا يحولان دون ادراك حقيقة ظاهرة هي أن الاخبار المذكورة كلها حقائق مفروغ من دراستها ! وظاهر أن الدكتور لويس عوض لم يطلع على شيء قط مما كتب عن المعرى ، الا على كتاب الدكتور طه حسين وحده ، لا في العربية ولا في غيرها من الالسنة التي يقول عن نفسه انه درسها . وسادع خلطا كثيرا معقدا كتعقيد « الجو السياسي » الذي أعاش فيه شيخ المعرة ، لاكشف عن هذه الحقائق التي اراد ان يجعلها من البديهيات المسلمة، فهو يزعم أن المعرى تعلم بانطاكية وهو صبي ، وأنه كان يختلف الى مكتبتها مع أسامة بن منقذ . وهذه هي القصة كما ذكرها الدكتور طه في « ذكرى أبي العلاء » في شأن رحلته الى انطاكية :

« نعم ، ان التاريخ لا يوقت لنا هذه الرحلة ، ولكن رواية تؤثر عن أسامة بن منقذ ، خبرتنا أنه لقى بانطاكية صبيا مجدورا ذاهب البصر ، يتردد على مكتبتها ، فامتحنه فبهره حفظه واستظهاره ، ثم سأل عنه فقيل : هو ابو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرى . ولا شك في أن هذه الرواية ، اما ان تكون منتحلة ، واما ان يكون أسامة قد وقع فيها خطأ موقع اسم أحد آبائه من أبناء منقذ ، فان أسامة ولد سنة ٤٨٨ ، اى بعد موت ابى العلاء بنحو أربعين سنة » .

وهذه بلية من البلايا ، فأستاذ جامعي ينقل من كتاب يعترف هو بلسانه أن صاحبه كان هو مفتاحه الاول وياللعجب ، الى ادب المعرى في حداثته ، وفي شبابه ، وفي كهولته (اى هو مشغول بالمعرى طول حياته !!) ، ثم لا يقرأ الا أسطرا ثم يقفز فلا يرى ما قاله صاحب الكتاب في نقد هذا الخبر . اى بلية اكبر من هذه البلية على صاحب المنهج ؟ وليته اقتصر على هذه البلية ، بل زادها بلية أخرى ، فنص الخبر كما ذكره الدكتور طه ، يقول :- ان اسامة ابن منقذ لقى صبيا مجدورا يتردد على مكتبة أنطاكية ، فيأتي هو فيزعم أنه كان يختلف الى مكتبتها مع أسامة بن منقذ ، حتى يوهمك انهما قرينان أو صديقان ، ثم يتمم البلايا بادعاء وتظاهر فيقول « فيما روت كتب القدماء » كانه عرف ماهذه الكتب،

وكانه زاد على الدكتور طه فاطلع على مالم يطلع عليه. وهذا بالطبع تنفخ غث يؤذى كل دارس . لانك عرفت أن ذكر « اسامة بن منقذ » ، لم يرد الا في كتاب واحد هو كتاب « الصبح المنبى » وهو كتاب مطبوع للشيخ يوسف البديعي المتوفى بسنة ١٠٧٣ من الهجرة ، والبديعي نفسه يذكر القصة في كتاب له آخر ، وهو مطبوع ، اسمه (أوج التحرى) فيقول : « نقل عن ابن منقذ » باسقاط « اسامة » والبديعي متاخر جدا ، وهو وان لم يصرح قد نقل ذلك عن ابن العديم (٥٨٨ - ٦٦٠) وهو من اعيان حلب، في كتابه «الانصاف والتحرى » في دفع الظلم والتجرى ، عن أبي العلاء المعرى » ، وهو كتاب مطبوع ايضا ، وفيه الخبر مسندا الى صاحبه الاول « ... **حدثني والدى رضى الله عنه وارضاه ، يرفعه الى ابن منقذ قال : كان بانطاكية ...» وساق الخبر بطوله ، فلما فرغ منه قال : « وهذه الحكاية فيها من الوهم مالا يخفى ، وذلك انه قال : كان بانطاكية خزانة كتب ، الى آخر ما ذكره . وهذا شيء لا يصح ، فان انطاكية اخذها الروم من أيدى المسلمين في ذى الحجة سنة ثمان وخمسين وثلاثمئة ، وولد أبو العلاء بعد ذلك باربع سنين وثلاثة اشهر ، في شهر ربيع الاول من سنة ثلاث وستين وثلاثمئة ، وبقيت أنطاكية في أيدى الروم الى أن فتحها سليمان بن قطلمش ، في سنة سبع وسبعين واربعمئة ، وكان أبو العلاء قد مات قبل ذلك في سنة تسع واربعين واربعمئة . واخلاها الروم من المسلمين حين استولوا عليها ، فلا يتصور ان يكون بها خزانة كتب ، وخازن ، وتقصد للاشتغال بالعلم . ويحتمل عندى ان يكون هذا بكفر طاب ، فقد كانت كفر طاب مشحونة بأهل العلم ، وكان بها من يقرأ الادب ويشتغل به قبل ان يهجمها الفرنج ، وهجمها الفرنج في سنة اثنتين وتسعين واربعمائة، وكانت لأبي المتوج مقلد بن نصر بن منقذ في أيام أبي العلاء ، فلعله تصحف كفر طاب بانطاكية وتصحيفها غير مستبعد ، فان كان كذلك ، فابن منقذ الحاكى لهذه الحكاية هو ابو المتوج مقلد ابن نصر بن منقذ ، أو ابوه نصر ، وكفر طاب قريبة من معرة النعمان »** ، ثم ذكر احتمالا آخر أن يكون ذلك بحلب ، واستدل عليه . وقد أطلت بنقل هذا لترى اى منهج كان يسير عليه علماؤنا في نقد الاخبار منذ اكثر من سبعة قرون ونصف ، على عهد ابن العديم - أقول: لو عرفت هذا فانت بالخيار في وصف

عمل الدكتور لويس عوض وقوله بأنه تنفخ غث ، أو علم مستحدث .

هذا وابن العديم يستنكر ان تقصد انطاكية للاشتغال بالعلم ، والدكتور لويس عوض ، يريد الناس على ان يسلموا له أن أباالعلاء « تعلم بها وهو صبى » . وهذا لا يصح بالطبع . ولو ادعى انه ممن كشف عنه الحجاب فعلم علم الماضي والحاضر والمستقبل ، وصدر « ديكريتو » بانه من القديسين لان هذا شيء لا يعرف الا بالخبر المسند ، لا بالتكهن والتنبؤ . ولو اطلع الدكتور على ماكتبه بعض المحدثين فى نقد هذا الخبر واشباهه فى شأن رحلة ابى العلاء ، لعرف ، ان كان بقى له شيء من حسن الحفاظ على الامانة ، ان القاء هذا القول ، بهذه الصورة، أمر مستشنع . ومع ذلك، فانى لم أتناول نقد هذا الكلام الا من وجه واحد، أما الوجوه الاخرى فسادعها الى حينها .

ثم تجيء بلية أخرى أكبر من أختها ، اذ يقول : «.... وقد تعلم المعرى فى اللاذقية . كما تعلم فى انطاكية ، ففيما روى القفطى والذهبى أنه نزل بدير فيها ...» الى آخر مانقلته آنفا ، وهو بلا شك أيضا لم يعرف هذا الا فى كتاب الدكتور طه حسين . وكتاب الدكتور طه الف منذ اكثر من خمسين سنة اى فى نحو سنة ١٩١٣ ، ونشرت بعد ذلك كتب كثيرة من أصول المراجع لترجمة أبى العلاء لم يطلع عليها الدكتور طه يومئذ ، هذا فضلا عن انه كتب كتابه وهو دون الخامسة والعشرين من عمره، أطال الله بقاءه ، وعسى أن يكون الدكتور اليوم لايرضى عن كثير مما كتب يومئذ . ويرى ، وهذا هو العهد به ، أن لو أطاق لأعاد كتابة ما مضى على الوجه الذى يرتضيه بعد أن استحكمت قوته ، واتسع علمه . وسأقص قصة ذلك بايجاز :

فبين ايدينا اليوم من الكتب التى ترجمت لأبى العلاء ، اكثر من ثلاثين كتابا ، من بينهم القفطى والذهبى اللذين ذكرهما الدكتور طه ، واتكأ عليهما الدكتور لويس عوض . وأى دارس جامعى مبتدىء، مفروض فيه أن يضع هذه التراجم جميعا بين يديه ، ويرتبها ترتيبا تاريخيا ليعرف مصادر الأخبار التى جاءت فيها . واليك بيانها مختصرا :

الثعالبى (٣٥٠ - ٤٢٩) ، الخطيب البغدادى (٣٩٢ - ٤٦٣) ، الباخرزى (... - ٤٦٧) ، والثلاثة معاصرون لأبى العلاء . ثم السمعانى (٥٠٦ - ٥٦٢) ، وابن الانبارى (٥١٣ - ٥٧٧)، وابن الجوزى (٥١٠ - ٥٩٧) ، والقفطى (٥٦٨ - ٦٤٦) ، وياقوت الحموى (٥٧٤ - ٦٢٦) ، وابن الأثير (٥٥٥ - ٦٣٠) ، وسبط ابن الجوزى (٥٨١ - ٦٥٤) ، وابن العديم (٥٨٨ - ٦٦٠) ، وابن خلكان (٦٠٨ - ٦٨١) ، وأبو الفداء (٦٧٢ - ٧٣٢) ، والذهبى (٦٧٣ - ٧٤٨) ، وابن الوردى (... - ٧٤٩) ، وابن فضل الله العمرى (٧٠٠ - ٧٤٩) ، والصفدى (٦٩٦ - ٧٦٤) ، واليافعى (٧٠٠ - ٧٦٨) ، وابن كثير (٧٠١ - ٧٧٤) ، وابن الشحنة (٧٤٩ - ٨١٥) ، وابن حجر (٧٧٣ - ٨٥٢) ، والعينى (٧٦٢ - ٨٥٥) ، وابن تغرى بردى (٨١٣ - ٨٧٤) ، والسيوطى (٨٤٩ - ٩١١)، وعبد الرحيم العباسى (٨٦٧ - ٩٦٣) ، وابن العماد الحنبلى (١٠٣٢ - ١٠٨٩) ، ويوسف البديعى (... - ١٠٧٣) ، والعباسى الموسوى (فى القرن الثانى عشر الهجرى)

فأى استاذ جامعى ، حقيق بأن يسمى أستاذا يستطيع ان يغفل الاطلاع على هذا كله، ويقتصر على نقل من كتاب محدث الف منذ اكثر من خمسين سنة ويتجاهل كل ما كتبه المحدثون بعد هذا الكتاب ، الا أن يكون فى دراسته ملفقا متعجلا طياشا لا يرعى لشيء حرمة . وانا لا استعمل هذه الكلمات الا لأن الأمر خرج عن طوره ، وهدد مستقبل الفكر الأدبى تهديدا مفزعا لا يعلم عواقبه الا الله . وسأريك مكان هذه القصة التى القاها الدكتور لويس عوض ملقى البديهيات التى فرغ من التسليم بها . فالثلاثة الاول الذين عاصروا شيخ المعرة : ومنهم الخطيب البغدادى الحافظ المؤرخ ، لم يذكروا هذه القصة ، مع انهم أشاروا الى مقالة بعض الناس فى الحاده . ثم الثلاثة الذين يلونهم ، فقد أساءوا القالة فى دين ابى العلاء بتحامل شديد . ومع ذلك لم يذكروا هذه القصة وآخرهم ابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧، وبين وفاته ووفاة المعرى ١٤٨ سنة ، ثم يجيء سابعهم ، وهو القفطى الذى ذكره الدكتور لويس نقلا عن الدكتور طه بلا ريب ، وبين مولده ووفاة أبى العلاء مائة وعشرون سنة ، فهو أول من يعتقد فى كتابه « انباه الرواة » فصلا طويلا فى ترجمة ابى العلاء (ص ٤٦ - ٨٣) ، واكثر اخباره فيها مسندة الى قائل او راو الا هذا الخبر الذى أسوقه بنصه :

« ولما كبر أبو العلاء ، ووصل الى سن الطلب ، أخذ العربية عن قوم من بلـده ، كبنى كوثر ، ومن يجرى مجراهم من أصحاب ابن خالويه وطبقته ، وقيد اللغة عن أصحاب ابن خالويه أيضا . وطمحت نفسه الى الاستكثار من ذلك ، فرحل الى طرابلس الشام ، وكانت بها خزائن كتب قد وقفها ذوو اليسار من أهلها ، فاجتاز باللاذقية ، ونزل دير الفاروس ، وكان به راهب يشدو شيئا من علوم الأوائل ، فسمع منه أبو العلاء كلاما من اوائل أقوال الفلاسفة ، حصل له به شكوك لم يكن عنده مايدفعها به ، فعلق بخاطره ما حصل به بعض الانحلال ، وضاق عطنه عن كتمان ما تحمله من ذلك ، حتى فاه به فى أول عمره ، وأودعه أشعارا له ، ثم ارعوى ورجع ، واستغفر واعتذر ، ووجه الاقوال وجوها احتملها التأويل ».

فهذا خبر يحمل فى خلاله تكذيبه ، وسياقه مضطرب ومناقض للواقع ، كما سابين ذلك فيما بعد . وقد انفرد به القفطى وهو مصرى، وبين مولده ووفاة أبى العلاء مائة وعشرون سنة ، لم يذكره أحد من معاصرى شيخ المعرة مع تحاملهم عليه وذكرهم الحاده ، ولا احد ممن جاء بعدهم الى وفاة القفطى سنة ٦٤٦ . ويأتى مع القفطى المصرى ياقوت الحموى معاصرا له (٥٧٤ ـ ٦٢٦) ، وهو مؤرخ متمكن شديد التحرى ، وهو شامى حموى قريب من ديار شيخ المعرة ، خبير باخبار أهل الشام ، فيعقد فى كتابه «ارشاد الاريب» ترجمة لأبى العلاء مطولة جدا (١ : ١٦٢ ـ ٢١٦)، فلا يذكر هذا الخبر ، مع درايته التامة باحوال اهل الشام ، ومع ما كتبه من اخبار كثيرة فى الحاد أبى العلاء. ويتمادى الزمن بالمؤرخين لشيخ المعرة ، وهم من كبار المشتغلين بالتاريخ ، من ابن الاثير المتوفى سنة ٦٣٠ ، الى سبط بن الجوزى ، الى ابن خلكان ، الى أبى الفداء المتوفى سنة ٧٣٢ . فيذكرونه بالسوء ، حتى رماه بعضهم بالكفر ، ثم لا يذكر احد منهم هذه الحكاية .

حتى اذا جاء الذهبى ، وهو مؤرخ من كبار مؤرخى الاسلام ، فيذكر ترجمة ابى العلاء فى كتابه « تاريخ الاسلام » ويسوقها بهذا اللفظ :

« أخذ العربية عن اهل بلده كبنى كوثر واصحاب ابن خالويه ، ثم رحل الى طرابلس ، وكانت بها خزائن كتب موقوفة . فاجتاز باللاذقية ، ونزل ديرا بها كان به راهب له علم باقاويل الفلاسفة ، سمع ابو العلاء كلامه ، فحصل له به شكوك ، ولم يكن عنده ما يدفع به ذلك ، فحصل له بعض انحلال وأودع ذلك بعض شعره . ومنهم من يقول : ارعوى وتاب واستغفر ».

وواضح جدا انه انما نقل عن « القفطى » الذى انفرد الى سنة ٦٤٦ برواية هذا الخبر ، ولكنه اختصر وغير بعض الفاظه . ومهم للدارس الجامعى بل لكل ذى عقل لم تتلفه رعونة أو ادمان ، أن ينظر فيما فعله الذهبى . فان القفطى يقول : « وكان به راهب يشدو شيئا من علوم الاوائل ، فسمع منه ابو العلاء كلاما من اوائل اقوال الفلاسفة » ، وفى هذا بيان واضح على انه راهب مبتدىء قليل البضاعة، قد تخطف كلمات من اوائل (أى من مبادىء) اقوال الفلاسفة . فجاء الذهبى فقال فى صفة الراهب : « كان به راهب له علم باقاويل الفلاسفة» فرفع باختصاره شان هذا الراهب المبتدىء الشادى بما يوهم ان له علما باقاويل الفلاسفة . وهذا عمل غير مرضى ، واساءة من الذهبى .

وخبر القفطى مبين أشد الابانة عن أن أبا العلاء كان يومئذ فى سن الطلب ، وأنه « حصل له به شكوك لم يكن عنده ما يدفعها ، فعلق بخاطره ما حصل له به بعض الانحلال ، وضاق عطنه عن كتمان ما تحمله من ذلك ، حتى فاه به فى اول عمره وأودعه أشعارا له » ، فحذف الذهبى ذكر السن وأنه فاه به فى أول عمره ، فأوهم ان ذلك كان فى وقت متأخر وهذه اساءة أخرى من جراء الاختصار ، سيظهر أثرها فيما بعد .

ثم يأتى ابن الوردى ، وهو مؤرخ معاصر للذهبى، ومن معرة النعمان نفسها ، فلا يذكر هذه القصة، وكذلك لم يذكرها ابن فضل الله العمرى ، وهو معاصر لهما ، ولكن يأتى الصفدى ، وهو معاصر لهما ، فيذكرها باختصار أشد ، يقول فى كتابه الوافى بالوفيات ، وكتابه نكت الهميان (ص ١٠٣) « وكان رحل اولا الى طرابلس ، وكانت بها خزائن كتب موقوفة، فاخذ منها ما أخذ من العلم ، واجتاز باللاذقية ونزل ديرا كان به راهب له علم باقوال الفلاسفة سمع كلامه ، فحصل له بذلك شكوك»،

فاختصر كلام الذهبي كما هو واضح ، ونقل عنه بلا ريب . ويجيء اليافعي وهو معاصر لهم ، فلا يذكر شيئا ، ويذكره معاصر لهم آخر ، هو ابن كثير فيسوق العبارة هكذا : « ويقال انه اجتمع براهب في بعض الصوامع ، في مجيئه من بعض السواحل، آواه الليل عنده ، فشككه في دين الاسلام » ، فجاء بلفظ آخر مخالف ، واغفل ذكر علم الراهب باقوال الفلاسفة ، وجعل نزوله بالراهب ليلة واحدة ، وذكر ذلك كله بلفظ التمريض والارتياب « ويقال» وينقضي الزمن ما بين ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ ، ويأتي ابن الشحنة ، وابن حجر ، فلا يذكران شيئا الا العيني وهو معاصر لهما فينقل ما قاله ابن كثير بلفظه أي الى سنة ٨٥٥ . ثم يغفله ابن تغري بردي ، ويذكره السيوطي المتوفى سنة ٩١١ ، نقلا عن الصفدي ، ثم عبد الرحيم العباسي (توفى ٩٦٣)، فيردد كلام الصفدي ، ثم يغفله ابن العماد الحنبلي (١٠٨٩) ، ولا يذكره الا العباس الموسوي (المتوفى في القرن الثاني عشر).

وبين جدا من هذا السياق المختصر لتسلسل القصة التاريخي انه لم يذكره ممن ترجم لأبي العلاء سوى تسعة ، من ثمانية وعشرين ، وانه قد انقضى ما بين الثعالبي الى الجوزي ، اي الى سنة ٥٩٧، ما بين معاصرين لشيخ المعرة وغير معاصرين ، والى ما بعد وفاة أبي العلاء باكثر من مائة وخمسين سنة، والخبر غير معروف، مع اغراق بعض هؤلاء في النيل من شيخ المعرة ودينه ، حتى اذا جاء القفطي (٥٦٨ ـ ٦٤٦) انفرد وحده برواية الخبر بلا اسناد الى احد ، وفيه علل قادحة في صدقه ،سابينها فيما بعد هذه المقالة . ومن اشد ما يشكك فيها بعد ذلك ان ابن العديم المعاصر للقفطي المصري (٥٨٨ـ٦٦٠) ، وهو مؤرخ شامي مستوعب لاخبار الشام واهله، ويؤلف كتابا في « دفع الظلم والتجري ، عن أبي العلاء المعري » ، ويحشد فيه كل قدح قيل في الرجل اشد من هذا الخبر ، فلا يكون له علم بـه ولا معرفة .

فبأي وجه بعد ذلك، يأتي استاذ جامعي، يتبجح بذكر الاسماء ، ويحشدها من كل أوب وصوب ، ليوهم انه قد قرا ودرس واستوعب ومحص واستخلص ،فيعمد الى خبر انفرد بروايته القفطي، والثمانية الباقون نقلوا عنه نقلا مع بعض التصرف، واذن فهو خبر غريب لايسلم ، فيأتي هو بالخبر ملقى على ما يوجب التسليم به ، وهو مع كل ذلك منقول من كتاب محدث الفه صاحبه منذ اكثر من خمسين سنة ، وهو في نحو الخامسة والعشرين من عمره، وقبل ان تطبع الكتب التي ذكرناها آنفا فلم يطلع على شيء منها ، ومع ذلك أيضا فهو ينقله باختصار موهم مفسد ، لأن صاحب « ذكرى ابي العلاء » يقول :

« **قال القفطي والذهبي : فمر في طريقه باللاذقية فنزل بدير فيها ، ولقى بهذا الدير راهبا قد درس الفلسفة وعلوم الاوائل ، فاخذ عنه ما شككه في دينه وفي غيره من الديانات . قال : ونم عليه بذلك شعر الصبا ، ثم استغفر وتاب ، والتمس الكلامه وجوها من التاويل قبلت منه . ولكنهما لم يرويا شيئا من هذا الشعر** » هذا نصه . وواضح أنه لا القفطي ولا الذهبي قال ذلك، بل وصف القفطي الراهب بمايشعر بأنه شاد مبتدىء يتخطف نبذا من علوم الاوائل، اي من مبادىء أقوال الفلاسفة ، وانه لا درس ولا فقه ولا علم ، كما قال الدكتور طه حين غير قول القفطي والذهبي الى لفظه هو . وهذا أمر غير حسن ، لا أظن الدكتور طه يرضى عنه اليوم ، لعلمي بما هو عليه من حب الأوبة الى مقالة الحق .

اما فعل الدكتور لويس عوض ، فليس فعل دارس ، جامعي ، لأنه نقل صدر كلام الدكتور طه فقال : « ولقى بهذا الدير راهبا قد درس الفلسفة وعلوم الاوائل » ، واقتصر على هذا ، واتبعه تفسيرا جديدا ، كأنه انكر لغة الدكتور طه لقدمها وغموضها وطولها فقال : « او باختصار أخذ عنه اليونانيات، فما علوم الاوائل هذه التي كانت تقرا في الاديرة تحت حكم الروم الا آداب اليونان وفلسفتهم في لغتها الاصلية » هكذا « خبطا لزقا » يا دكتور لويس !! ما اجراك على تاريخ الروم واليونان وتاريخ الأديرة ! واذا كنت على هذه جرئيا كل هذه الجراة فليس بمستغرب ان تكون على تاريخ اهل الاسلام اجرا .

واذن ، باختصار كما يقول الدكتور لويس ، فهو في هذه الاسطر القلائل التي كتبها ، لم يفعل فعل استاذ جامعي ، بل ذكر « المنهج » في أول كلامه ايهاما ، ان لم اقل ترديدا لشيء سمعه قديما أيام كان يشدو آداب اللغة الانجليزية ، ولكنه بقي الى اليوم لا يدرى ما هو ولا كيف يكون .

(سأتابع القول فيما بعد، لان العرض مستمر) .

محمود محمد شاكر

وحدة الدم العربي

في الشام والعراق

للدكتور
احمد محمد الحوفي

يقوم صرح القومية العربية على عدة دعائم ، منها : وحدة الدم والنسب التي نعبر عنها أحيانا بوحدة الرس أو الجنس أو العنصر ، ونريد بها ان المشتركين في القومية يرجعون الى جد أعلى بعيد ، ينتسبون اليه او الى ذراريه ، وتسرى في عروقهم جيلا بعد جيل دماء آبائهم الأولين ، فيصيرون كالاخوة وأبناء العم .

وهم بهذه الصورة كالجداول الكثيرة التي تتفرع من غدران أكبر منها ، على حين أن الغدران تتشعب من ترع كبار ، وهذه الترع تستمد ماءها من النهر ، وهنالك بحيرة يستمد النهر منها ماءه .

او هم كالأفنان التى تشعبت وتكاثرت من أغصان أكبر منها ، وقد تفرعت هذه الأغصان من عدة شماريخ تجمعها كلها ساق واحدة لدوحة تستمد غذاءها من جذور واحدة . فالبحيرة التى ينبع النهر منها ، والجذور التى تمد الدوحة بالغذاء والماء ، تمثل الأصل البعيد الذى انحدر القوم منه ، وانتسبوا اليه .

ومعنى هذا أن القوم تتميز فى عروقهم دماء انتقلت من الخلف الى السلف على مر الزمن ، وان امتزجت بها دماء من جنس آخر .

- ١ -

وقد ذهب بعض الباحثين فى القومية العربية الى أن وحدة الجنس ليست من دعائم القومية مستدلين بأن الحقائق التاريخية تنقض وحدة الجنس على هذه الصورة ، لأن الأجناس قد اختلط بعضها ببعض بوسائل شتى كالحروب والهجرات والجوار والمصاهرات والسبى والرحلات ، فتمازجت دماء قوم بقوم أو أمة بأمة ، حتى صار من الخطأ أن يقال ان أمة من الأمم تجرى فى عروق بنيها دماء نقية خالصة ، غير مشوبة بدماء من أمة أو أمم أخرى .

واستدلوا أيضا بأن علم السلالات البشرية (الأنثروبولوجيا) ينقض وحدة الجنس ، لأنه ثبت من الأبحاث التى أجراها كثير من العلماء المختصين فى أصقاع شتى أن كل أمة مكونة من أفراد يرجعون الى أصول متعددة ، فلا توجد أمة منحدرة كلها من أصل واحد ، حتى أن أعرق الأمم الحالية وأقدمها فى الوحدة السياسية والتجانس القومى بعيدة عن وحدة الدم والأصل بعدا كبيرا .

وهم يضربون على ذلك أمثلة ، منها أن العراقيين والشاميين والمصريين والسودانيين أركان فى صرح العروبة ، ولكنهم لا يرجعون جميعا الى الجنس السامى ، بل لاينتمون الى جد عربى واحد ، ولاتسرى فى أجسامهم دماء عربية واحدة .

وكذلك الانجليز يرجعون الى السلتيين والنورمانديين والجرمان ، كما يرجع الفرنسيون والألمان وغيرهم الى عدة أصول .

يقول رمزى موير : « لا نرى أمة على الأرض تخلو من مزيج الأجناس ، ولم يسبق قط أن كان فى الدنيا جنس أفلح فى ضم أفراده جميعا الى أسرة قومية واحدة ؛ ويكفى أن تنسى العناصر التى تتألف منها الأمة أصولها المختلفة ، والا يفصلهم فيما بينهم فاصل ظاهر الرسوم والصلات . ولنا أن نقول ان امتزاج الأجناس لا يمنع الأمة أن تنمو فيها روح قومية ما دامت أجناسها مدمجة فيها مشتركة بروابط الزواج والروابط الأخرى » .

وأغلب الظن أن الذين استبعدوا وحدة الرس او الجنس من دعائم القومية العربية شكوا قليلا او كثيرا فى رجوع العرب الى أصل واحد ، وفى أن الدم العربى يسرى فى أجزاء الوطن العربى كله ، او هم أنكروا

الأكفاء بوحدة اللغة والثقافة والتاريخ ، لأنها اقوى دعائم القومية .

ولكن لي وجهة نظر أخرى تثبت أن العرب من جنس واحد ، باعتبار أن الدم العربي غالب فيهم ، ونرى أن وحدتهم في الجنس دعامة أخرى في صرح قوميتهم .

وسأقتفي سريان الدم العربي في الاقليم كله قبل الاسلام ، وبعد الاسلام .

اما أن الدم العربي سرى الى أصقاع الوطن العربي ، ومازج دماء سكانه قبل الاسلام وبعد الاسلام ، فتلك حقيقة عظيمة الدلالة في هذا المقام ، لا سبيل الى انكارها او اغفالها او التهوين من شأنها .

وجدير بنا أن نقتفي آثار مسراه في كل اقليم ، ولنبدأ بالشام .

- ٢ -

ليس بين علماء الأجناس خلاف في أن المهد الأول للعرب هو نجد والحجاز والعروض واليمن وما حول هذه البقاع ، ومن هذا المهد الأول بدأت الهجرة الأولى الى شمال الجزيرة ، والى فلسطين وسورية ومشارف الشام والعراق حتى تخوم ايران ، ثم الى بلاد الحبشة ووادي النيل . ثم قفلت جموع من هذه الأصقاع الى المواطن الأولى ، ثم هاجرت ، ثم عادت .

وهكذا كانت الجزيرة كمنابع النهر ، يتدفق منها الماء الى المصب ، وفي بعض الأحيان تعود بعض الجداول بماء من النهر الى ينابيعه . واستمرت الهجرات من المهد الى الأطراف ومن الأطراف الى المهد عصرا بعد عصر وجيلا بعد جيل .

وقد تمثلت هذه الهجرات في جماعات محدودة ، نزحت في موجات متلاحقة من الصحراء الى البقاع الخصيبة المتاخمة لأطراف الجزيرة ، وفي جموع زاخرة كثيرة آثرت الانتقال من البادية ، او اضطرت اليه ، لأن المطر حبس عنها اعواما ، فلم تطق البقاء او لأن عدد السكان زاد على ما تمدهم به البيئة من غذاء ، ولهذا يلاحظ أن قبائل كانت ترتحل كلها رجالا ونساء واطفالا ، ومعها حيواناتها ومتاعها ، ثم ترتضي مهاجرها الجديد مقاما لها .

ثم ارتحل الى الشام قبل الميلاد بعدة قرون الثموديون واللحيانيون والأنباط والتدمريون ، ثم وفدت قبل الاسلام قبائل من قضاعة وبلى وتغلب وكلب وبكر وغسان وغيرها .

وقد أسس العرب بالشام ثلاث دول :

الأولى دولة الأنباط ، التي أسسها العرب الذين هاجروا من وسط الجزيرة حوالى سنة ٥٠٠ ق.م ، واستعمروا المنطقة التي تمتد من الفرات الى البحر الاحمر ، وتفصل ما بين بلاد الشام الى جزيرة العرب ، وكان اليونان والرومان يسمونها بلاد العرب الصخرية ، نسبة الى عاصمتها سلع او بطرا (الحجر). وبقيت هذه الدولة إلى ان دخلت في حوزة الرومان سنة ١٠٦ق.م .

اما الثانية فهي دولة تدمر التي اقامها العرب بالشام ، وكانت عاصمتها تدمر في الشمال الشرقي من دمشق ، وهي التي سماها اليونان والرومان (بلميرا) .

وقد انتعشت تدمر بعد سقوط بطرا ، وكان لها اثر عظيم في نصر الرومان على الفرس في الحروب التي دارت بينهم (٢٦٥م) ثم تنكر لها الرومان وحاربوها في عهد ملكتها زينب (زنوبيا) فانتصرت عليهم فعاودوا الحرب ، وهزموها سنة ٢٧٢ م ، وبقيت خاضعة للرومان زهاء ثلاثة قرون الى ان فتحها خالد بن الوليد .

وهؤلاء الأنباط والتدمريون عرب ، لأن مؤرخي اليونان المعاصرين لهم ذكروا أنهم عرب ، ولأن أسماء ملوكهم عربية ، كالحارث وعبادة ورئبال وأذينة ووائل وعدي وعميرة وزينب ، ولأنهم كانوا يتكلمون العربية .

ولا تتعارض عروبتهم مع ما وجد من آثارهم مكتوبا باللغة الآرامية ، لأنها كانت لغة الكتابة في ذلك العهد ، وكان هذا شأن الدول القديمة في الشرق ، وبخاصة فيما يتصل بالآثار السياسية والدينية ، حتى انه يصح لنا أن نقول ان اللغة الآرامية كانت دولية . وفي التوراة مايؤيد أن الاسرائيليين كانوا يتكلمون بها لما حاصر سنحاريب بيت المقدس . وليس هذا بقادح في نسبهم .

وكذلك كان عرب الحيرة يتكلمون العربية ، ويستعملون السريانية في كتابتهم غالبا ، وكان الغساسنة يستعملون الآرامية لغة ثانية لهم .

واما الدولة الثالثة فهي دولة الغساسنة التي أسسها بنو جفنة حينما نزلوا بمشارف الشام ، وفيها الضجاعمة من قضاعة ، فغلبوهم على ما في أيديهم ، وانشأوا لأنفسهم دولة فيما هو الأن البلقاء وحوران ، عرفت بدولة الغساسنة أو بني غسان نسبة الى ماء غسان التي كانوا قد انتهوا اليه في هجرتهم من الجنوب الى الشمال . وليس من المستطاع تحديد مولد هذه الدولة ، لأن الخلاف في عدد ملوكها كبير متشعب .

وكانت عاصمة ملكهم بصرى ثم جلق أو دمشق .

فلما كان الفتح الاسلامي زخرت بلاد الشام بالقبائل العربية من جميع الأصقاع قحطانيين وعدنانيين ، مقبلة من جزيرة العرب او من العراق ، واقام بعضها بالبادية ، واقام بعضها بالمدن ، وامتزجت دماؤها بدماء سابقيها ، وخالطت دماء هؤلاء واولئك دماء من لم يكونوا عربا من السكان الأصليين ، فصارت البلاد مصبوغة بالصبغ العربي العام الذي لا شك فيه ، ولا يميزها سواه .

وما زالت الهجرات الجماعية تتكرر الى العصر الحديث ، فان قبيلتي شمر وعنزة هاجرتا من نجد الى الشام في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بعد الميلاد .

- ٣ -

كذلك كان العراق مهاجر قبائل عربية قبل الميلاد بزمن سحيق .

هاجرت اليه قبائل قضاعة ومنها تنوخ ، ثم أقامت به قبيلة اياد وقبيلة ربيعة . فلما تهدم سد مأرب في القرن الثالث بعد الميلاد رحلت الى العراق قبائل كثيرة من اليمن .

ولقد أسس العرب في منطقة الحيرة مملكة كالممالك العربية التي أسسها اخوتهم في الشام .

ومن ملوكها امرؤ القيس بن عمرو (٢٨٨–٣٢٨م) والنعمان الثالث (٥٨٥ – ٦١٣ م) .

وما زالت دولتهم قائمة – وان خضعت للفرس – الى أن فتحها خالد بن الوليد سنة ١٢هـ (٦٣٤ م) .

ثم كان الفتح الاسلامي ، فتقاطرت القبائل العربية على العراق من نزارية ويمنية ، حتى ملأت المدن والبادية ، فصار الاقليم عربيا خالص العروبة ، لا يتميز بغيرها ، ولا ينتسب الى سواها .

- ٤ -

وانه لمن الطبيعي أن المهاجرين السابقين والمهاجرين الذين لحقوا بهم في الشام والعراق كان يختلط بعضهم ببعض ، وكان يصهر بعضهم الى بعض .

ولعله قد استبان من هذا العرض الوجيز أن الشام والعراق كليهما عربي النسب ، يرجع اهلوهما الى عدنان والى قحطان ، وان عروبتهما بدأت منذ زمن بعيد قبل الاسلام ، وجعلت تتسع وتعمق على مر الأحقاب وتتابع الأجيال ، فلما استهل الاسلام زاد العروبة عمقا واتساعا ، فصار كل من الاقليمين عربيا عريقا في عروبته ، وصار اهلوه يعتزون بعروبتهم ، ويشعرون بأنهم واخوتهم في الوطن العربي يرجعون الى أب عربي سرى دمه في عروقهم عبر الزمان .

د. احمد محمد الحوفي

الكفاح الهادف

بقلم : محمد جلال كشك

في كل لغة الفاظ تندثر ، وأخرى تكتسب مفاهيم حديثة .. مثلا الفاظ : خطة .. وتخطيط ، ومخطط .. فقد كثر استعمالها بمفهوم جديد يختلف عن تفاسيرها في القواميس العربية .

ومن الظواهر الجديرة بالتامل أن كلمة مخطط تقترن في اذهاننا بالشيء الشرير.. فنحن نقول : المخطط الاستعماري ، أو الصهيوني ، أو الرجعي .

وقد يكون لذلك اكثر من تفسير .. ولكني احب أن أقف عند هذه الخاطرة .. لقد كان أعداؤنا هم الأسبق الى التخطيط .. بينما كنا نحن ، لحسن نوايانا وطيبة قلوبنا وأيضا سذاجتنا وعدم جديتنا ، نكتفي برد الفعل او مواجهة الطعنة في حينها ، دون أن تمتد أبصارنا الى اليد التي تطعن ، والراس الذي يدبر الطعنة ويختار لها المقتل .. بل كان بعضنا يبتسم في دهشة استنكارية اذا ما حدثوه عن مخطط ضد العروبة والاسلام ، مخطط ينفذ عبر مئات السنين في دأب كدأب الجرذان تقرض سد مأرب العظيم او كدابة الأرض تأكل منسأة سليمان الحكيم .. وأغلب الظن أن بعضا من المعاصرين ، يذكرون في مرارة ، أنهم ابتسموا عندما حدثهم العارفون عن مخطط صهيوني ينفذ من أيام السلطان عبد الحميد لاقتطاع قطعة حية من الجسم العربي .. حتى رأوا السكين باعينهم تقطع اللحم الحي ..

على أية حال لقد انتهت هذه المرحلة .. وعرفنا بيقين أننا نواجه مخططا واسعا جنوده الأساطيل والمستشرقون ، والدبابات والمقالات .. مخططا عمره قرون ، وما زال ينفذ ، مخططا يؤمن أن العدو الأكبر هو الاسلام وان قوة الاسلام وعزته في العرب والعربية ..

ونحن أيضا وعينا اهمية التخطيط ، وأصبحت لنا أكثر من خطة .. وليس مصادفة أن ثورتنا العربية هي أول من استخدم تعبير الخطة في معناه الحديث ، على أوسع نطاق .. والعمل وفقا لمخطط يحتم علينا أن نقيس كل أفعالنا وأن ندرس كل تصرفاتنا لا على جيلنا ، بل وعبر عشرات القرون .. فهكذا يفعل الأعداء ..

ولكن ..؟

هذا الحديث .. ساقني اليه صدور الطبعة الرابعة من كتاب « البلاغة العصرية واللغة العربية » عن سلامه موسى للنشر والتوزيع .. تراث من الكفاح الهادف ..

ولقد استوقفتني سنوات صدور الطبعات الأربع : ١٩٤٥ ، ١٩٥٣ ، ١٩٥٨ ، ١٩٦٤ .

انها تستحق التامل حقا ..

في ١٩٤٥ كانت نهاية الحرب العالمية الثانية .. وبدأت الشعوب كلها تتحرك من أجل تحديد مصيرها ، تتحسس الأرض من تحتها ، لتتثبت من جذورها استعدادا لمطاولة السماء ، ولفرض وجودها في هذا العالم الملىء بالاحتمالات ، والذي كانت تتجاذبه قوتان القوميات الناهضة ، والاستعمار المنهار ، الذي يتشبث بوجوده الكريه ، ويفرض حضارته الباغية بالحديد والنار ..

وكانت أمتنا العربية تقف لحظة حاسمة في تاريخها ، فما كاد الصوت العربي يرتفع مطالبا بحقه في الحرية والاستقلال ، في ظل انتصار معسكر الديموقراطية ، كما كانوا يسمونه ، حتى انهال عليها الرصاص بوحشية نعرفها في حضارة الغرب المتمدين ، وسقط في ليلة واحدة ٦٠ الف شهيد جزائري ، وضربت بيروت ودمشق بالمدافع ، وفتحت السجون للاحرار في مصر والعراق .. وخرج المخطط الصهيوني في فلسطين من مرحلة التسلل الى مرحلة الغزو العلني .. وصدرت الطبعة الأولى من « البلاغة العصرية واللغة العربية » .

وفي ١٩٥٣ .. كان أعداء العروبة قد أفاقوا على امكانيات الثورة المصرية ، وبدأ الالتفاف حولها ، في محاولة لخنقها بقنابل الصوت والدخان ، ومحاولات تضليلها باغراقها في الشعارات والفلسفات لتنتزع من جذورها العربية فتطوحها أعاصير الاستعمار .. وقد أثبتت تجارب التاريخ أن رعب الاستعمار الأكبر يكمن في تحرر مصر ، لأن ذلك يعث القومية العربية ، وكتاب الغرب أنفسهم يقولون ان عزة العرب تعنى قوة الاسلام .

وكانت الثورة الجزائرية تختمر ، والمغرب العربي كله يضطرم بالثورة .. ثورة عربية ضد محاولة الفرنسة أو التغريب .. ضد محاولة ابادة الكيان العربي بقطع لسان العرب ، بلويه حتى ينطق بالفرنسية .. **وصدرت الطبعة الثانية من البلاغة العصرية واللغة العربية .**

وفي ١٩٥٨ ... كانت الثورة الجزائرية تمر بأعنف لحظاتها .. بعد أن فضحت كل دعاوى وحدة الكفاح المشترك بين الشعب الجزائرى والشغيلة الفرنسيين.. وارتفع لواء القومية العربية الاسلامية ضد دعاة الفرنسة ، بل اعتبر المثقفون الجزائريون أنفسهم في منفى اللغة الفرنسية أو سجناء اللسان الفرنسى.. وكافحوا واستشهدوا للعودة الى لسانهم العربى ..

وكانت معركة التعريب في تونس والمغرب ، تمر بمحنة قاسية وسط تأكيدات بالفشل من اعداء العرب والعروبة .. وراية الوحدة العربية ترتفع خفاقة ، وسط أعاصير وعواصف من دعاة التشكيك في قدرة العرب على الوحدة والبعث الحضارى ... تشكيك ، حجته الكبرى ، طعن تاريخنا والافتئات عليه .. فالذين لا تاريخ لهم .. لا مستقبل امامهم .. **وصدرت الطبعة الثالثة من كتاب « البلاغة العصرية واللغة العربية » .**

وهو بحق كما يصفه ناشروه « كفاح هادف » .. وهو كتاب يصدر عن وعى كامل بما يريد .. يقول مؤلفه في التمهيد .. « ان أعظم المؤسسات في أية أمة هي لغتها » .. ولا يريد الكتاب أقل من تصفية هذه المؤسسة أو بيعها للمساهمين الأجانب ... وحتى لا نتهم بالتجنى نستعرض اصلاحات « سلامة موسى » المقترحة للغة العربية ..

- الغاء الفصحى واستبدال العامية بها .
- الغاء الاعراب وقواعد النحو .
- ادخال الألفاظ الأجنبية ورفض أى محاولة للتعريب .
- الغاء الحروف العربية واستخدام الحروف اللاتينية كمقدمة لالغاء اللفظ العربى أصلا .. لأن « المصدر اللاتيني أو الاغريقي يمكن من استخدام الزوائد والأصول والمقاطع المشتقة من اللغتين الاغريقية واللاتينية فتخلق المعنى الجديد من الكلمة القديمة » ، ولا يعقل أن سلامه موسى كان يقصد اضافة ER مثلا لكلمة صنع العربية حتى ولو كتبها بحروف لاتينية بل كان يهدف الى الفعل اللاتيني نفسه .

وحتى تتم تصفية « مؤسسة » اللغة العربية .. كال سلامه موسى أعنف حملة ضد اللغة العربية ومن خلفها العرب وتاريخ العرب والحضارة العربية ..

فاللغة العربية يقول عنها سلامه موسى : « هذه اللغة لا ترضى رجلا مثقفا في العصر الحاضر .. اذ هي لا تخدم الأمة ولا ترقيها ، لأنها تعجز عن نقل مائة علم من العلوم التى تصوغ المستقبل » .

« حروفنا الناقصة التى لاتخدمنا الخدمة اللازمةفى عصرنا » .

« لغتنا شاذة تحتاج الى اجراء شاذ »

« لن يمكن التأليف العلمى باللغة العربية بحروفها الحاضرة » .

« لأن لغتنا العربية بوضعها الحاضر واعتمادها على الحروف العربية لا يمكن ان تؤدى هذه الخدمة »

« ولغتنا خرساء (والخرس هنا أوضح وأخطر) من حيث اننا جعلناها مثل لغة الكهان جامدة لاتتغير. وكانت نتيجة ذلك ان في العالم مائة وعشرين علما وفنا لا تنطق لغتنا العربية الا بنحو عشرة أو عشرين منها ولكنها خرساء في سائرها » .

« الجهل لنحو مائة علم وفن لا يمكن أن نعرفها الا اذا تركنا لغتنا ونطقنا بلغة أخرى » .

وبالطبع هو لايكلف نفسه عناء احصاء هذه العلوم والفنون التى تعجز لغتنا العربية عن النطق بها ..

ونحن أيضا لا يعنينا ذلك ، لأننا نعرف أنها كلمات تقال للتهويش ..

لغتنا قادرة على استيعاب كل العلوم والفنون ، وفي ١٩٥٨ عام الطبعة الثالثة ، صدر قرار تعريب التدريس في كليات الطب والهندسة والزراعة .. واليوم ونحن نستقبل الطبعة الرابعة نستطيع أن نقول ان التجربة قد نجحت في مصر وتشق العزيمة الصادقة طريقها في الجزائر أيضا واذا كانت بعض العلوم تدرس بلغات أجنبية فلأن مراجعها أجنبية بسبب تخلفنا العلمي والصناعي لاتخلفنا اللغوي.. فما من منصف يقول ، ان لغتنا متخلفة عن اليابانية أو الصينية ، اللتين لم تصلا بعد الى اكتشاف الحروف ، ومع ذلك فقد تعلمت اليابان كل المعارف والعلوم ، والصين صنعت قنبلة ذرية وفي طريقها الى الهيدروجينية دون ان ترطن احداهما بغير لغة الآباء .. بل حتى اسرائيل التي يشيد بها كتاب « سلامه موسى » في طبعاته الأربع فيقول عنها : « تجاوزنا أمة علمية قد أنشأت مجتمعا علميا » .

أولا .. اسرائيل لم تنشيء مجتمعا علميا .. لأن وجودها ذاته يتناقى مع العلم .. فضلا عن وصفها بأمة علمية .. كأن هناك أمما علمية وأخرى غيبية .

ثانيا .. هل استخدمت اسرائيل لغة لاتينية متمدينة كما يدعونا سلامه موسى .. أم أخرجت من الحفريات حقا .. لغة تدعوها قومية ... علمت وتعلمت بها ؟! لماذا لم تفرض اسرائيل على هذا الخليط من سكان بابل ، لغة عصرية كالانجليزية مثلا .. وقد كان ذلك سهلا ميسورا ؟! لماذا اختارت بعث العبرية وفرضتها ..؟! لأن اسرائيل تعرف خطورة اللسان القومي وسلامة موسى أيضا ... يعرف ..

وتركيا التي يشيد بها ـ رغم غرابة مدح تركيا من متهم بالاشتراكية .. ومتى يمدحها ؟.. في سنوات ٤٥ ، ٥٣ ، ٥٨ ، ٦٤ .. وتركيا عبر هذه السنوات كانت مثالا للتخلف والانهيار وفقدان الشخصية ، والتبعية ، بل كانت عدوا رئيسيا للعرب وللجمهورية العربية المتحدة بالذات ..

ولكن سلامه موسى يقول «الواقع أن اقتراح الخط اللاتيني هو وثبة الى المستقبل ، لو أننا عملنا به لاستطعنا أن ننقل مصر الى مقام تركيا ، التي أغلق عليها هذا الخط أبواب ماضيها وفتح لها أبواب مستقبلها » .

بئس والله ما اختار سلامه موسى لقومه ، أنحن نتطلع الى « مقام تركيا » ؟! وماذا أعجبه في تركيا الاحلاف والافلاس ؟ . ما العلوم التي برزت فيها تركيا منذ أن أغلقت أبواب ماضيها فليذكر لنا خلفاء سلامه موسى اسم عالم تركي ، أو مفخرة للاكاديمية التركية .. تغرى بان نحذو حذوها .. فقد فات سلامه موسى أن يذكر ذلك ..

حقا ان تركيا بنبذ الحروف العربية وأشياء أخرى يعرفها سلامه موسى ، قد أغلقت أبواب ماضيها .. ولكنها لم تفتح أبدا ، أبواب مستقبلها ... فلا مستقبل للغربان يحاكون مشية العصفور .. فضلا عن عصفور يقلد مشية الغربان ..

ولا يقول سلامه موسى انه لم تكن هناك حروف تركية ، لانها لغة غير مكتوبة ، بل كانت تكتب بحروف عربية ، استبدلت اللاتينية بها ، وهو ما حدث أيضا في الجمهوريات الاسلامية في الاتحاد السوفييتي ، بعد مؤتمر « باكو » ١٩٢٦ الذي يعلق الاستاذ مدثر عبد الرحيم على قراره بالغاء الحروف العربية بانه كان « يهدف الى ربط تلك الولايات بجهاز الدولة وقطع الصلة بين رعاياهم الترك وبين تراثهم القومي والاسلامي .

فما من لغة مكتوبة قد استبدلت بحروفها الحروف اللاتينية .. وايضا استطاعت الحروف العربية أن تعبر لا عن لسانها بل عن أكثر من عشر لغات .. ومع ذلك يتهمها بالتخلف والقصور والعجز .

ثم تأمل تأثير هذه الآراء على معركة التعريب في المغرب العربي مثلا .. أي حجج تقدم لأعداء التعريب .. وأي خزي يحس به أنصار التعريب .. وهذه قاهرة الأزهر قاهرة المجمع اللغوي .. قاهرة ناصر .. تنشر مثل هذه الآراء في صيغة الحقائق العلمية .. بل تسميها « تراث كفاح هادف » !؟

وأمامي الآن في مجلة « حوار » (عدد سبتمبر/ اكتوبر ١٩٦٣) مقالة لمن يدعي « وليم زارتان » استاذ امريكي يتحدث عن مشاكل التعريب في المغرب ، يكاد يردد حجج سلامه موسى بحروفها .. يقول الأمريكي في مجلة حوار : « وتركيب لغة القرآن يتجاوز معرفة غالبية السكان وادراكهم ، فهي تكتب دون أحرف صوتية ، وأحرف تبين لفظ أواخر الكلام .. لذلك لا تلفظ كما تكتب ، ولا تمكن قراءتها دون معرفة أصل الكلمة واشتقاقاتها ، وماذا كانت معربة أو غير معربة ، ومتصرفة أم جامدة

حسب ما تقتضيه قواعد اللغة .. هناك مثل عربى يقول ان المرء فى العربية يتعلم ليقرأ ولا يقرأ ليتعلم » « والكلمات لا يمكن قراءتها بصوت مرتفع » « وأخيرا ـ يقول الأمريكى فى مجلة حوار الصهيونية « ان اللغة العربية كلغة حديثة قد جمدها التمسك بالماضى ، فهى تعانى منغزارة مفرداتها المهجورة ومن فقرها علميا ، وهى تعج بمفردات ومعان عن مظاهر الحياة البدوية بينما تفتقر افتقارا تاما الى أسماء حاجات الحياة الحديثة ومفاهيمها » .

نفس الكلمات « ومن أضرار اللغة » وخاصة فى لغتنا العربية « هذه المترادفات التى تبعثر المعانى وتبعدنا عن الاحكام فى التعبير » الكلمات لسلامه موسى ..

يخيل للمرء بعد أن يقرأ سلامه موسى وزارتان.. اننا أمة عجماء .. بل يدهش كيف أننا استطعنا أن نعيش عبر هذه القرون بمثل هذا اللسان الأخرس !!

واذكر اننى كنت فى الصومال سنة ١٩٦٠ وكانت المعركة الوطنية هناك تدور حول اختيار حروف كتابة اللغة الصومالية ، الحروف العربية أم اللاتينية ، فلم يكن لأعداء الحروف العربية فى مواجهة الجماهير ، من حجة ، الا ما كتبه سلامه موسى وشيعته فى تسفيه العربية وحروفها ..

رحم الله شهيدنا فى الصومال كمال الدين صلاح .. وغفر لسلامه موسى ما ارتكب فى حق قومه ..

واللغة العربية عند سلامه موسى ... هى أس البلاء ، والمسئولة عن كل الرزايا .. « ان تأخرنا اللغوى فى مصر هو سبب من أعظم الاسباب لتأخرنا الاجتماعى » .

أى تفسير علمى يقدمه المتهم بالاشتراكية والعلمية ، للجماهير المصرية فى ١٩٤٥ !! اذن ليس الاستعمار ولا الاقطاع ولا النظام الرجعى هم سر تخلفنا .. بل اللغة العربية .. ولا داعى لاجلاء المحتلين واسقاط النظام الرجعى .. يكفينا أن نلوى لساننا بغير لغة القرآن لنتخلص من التخلف !

ويمضى سلامه موسى فى تفسيره اللغوى للتاريخ فيقول : « سيادة البريطانيين على الهنود ، أو المتمدينين على المتوحشين (!!) الى حد ما سيادة لغوية ! »

هل المحتل هو المتمدين ، والشعب المكافح من اجل حريته متوحش ؟! .. ومن الذى قال انانجلترا فتحت الهند بالقواميس !! اذن فالتركية أعظم من اللاتينية والاغريقية لأنها أوصلت الأتراك الى أسوار فينا .. والروسية افضل من الألمانية لأن روسيا تحتل قطعة من المانيا .. والهندية افضل من البرتغالية .. والعربية تتفوق على الانجليزية والفرنسية لأننا هزمناهم فى بور سعيد ..

اهذه آراء تستحق أن تنشر فضلا عن أن تناقش؟!

وجيته قال ما قاله لأنه كان يتكلم الالمانية .. يقول سلامه موسى : « لو أن جيته ولد بين زنوج افريقيا لما استطاع أن ينتج الثمرات الزكية التى نقطفها من مؤلفاته ، لأن اللغة القبلية لم تكن عندئذ لتسعفه بالكلمات .. التى تؤدى معانيه » وأهل الصعيد تنتشر بينهم جرائم الثأر لأنهم يستخدمون كلمات الثأر والعرض والدم فى حديثهم آكثر من أهل بحرى ..

وبصرف النظر عن لهجة الاحتقار للافريقيين .. فهذا قلب للحقائق ، اذ لو أن المعانى موجودة لنحتت الفاظها .. وليس من يقول باننا نطلب الطعام لاننا نعرف اسمه ، أو ان الجنس ينشأ عند البالغينبفعل قراءة القصص الجنسية ! .. فالأحاسيس والمعانى توجد ثم نسميها .. فالابن لا يولد لأننا سميناه .. بلالأعقل أننا نسميه لأننا ولدناه .. والا كنا كتلك الحكومات الرجعية التى كانت تصدر تعليماتبحذف كلمة حرية ودستور من التداول حتى تختفى المطالبة بهما ! .. أو كما يتجنب العامة ذكر ألفاظ سيئة حتى لا تلحقهم شرور مسمياتها ! ..

هذا هو موقف الكتاب من اللغة العربية ، وهو كما ترى لا يستند الى أى أساس علمى .. فضلا عن أنه حاول تخريب كفاحنا القومى عبر سنوات حاسمة .. وهو اليوم طعنة فى ظهر الحركة القومية على الأقل ، فى المغرب العربى حيث تدور المعركة حول اللسان العربى .. فلم يبق للمستعمرين من أمل فى المغرب العربى .. الا أن يبقوه فى سجن اللغة الفرنسية فتنقطع به الاسباب عن أخوته فى المشرق ..

ولكن الكتاب لا يختص بطعناته لسان العرب وحده ، بل يمتد بهجومه الى الوجود العربى ذاته ، والحضارة العربية ، والمجتمع العربى .. ولنا عودة .

« محمد جلال كشك »

مفاهيم غير اسلامية

بقلم : الحسانى حسن عبد الله

الاسلام شعار ومنطق كلمة تقال وفلسفة تمتد بالكلمة حتى تشمل حياة الانسان فى مختلف مظاهرها • ومن أخطر ما تتعرض له افهام القراء أن تردد الكلمة دون وعى دقيق بفلسفتها وأن يرفع الشعار منطق غريب • بل ان الخطر هنا ليفوق خطر القدح فى الدين والافتراء عليه فهذا خطر جلى يسهل علاجه لأنه يسهل التنبه اليه • أما أن ينفصل الشعار عن المنطق وتوضع الكلمة عنوانا على فلسفة يحاربها الاسلام فهذا هو الخلط الذى يتطرق الى الافهام فيبث فيها الضلال • على أن مثل هذا الخطر لا يتوقع من المغرض فحسب بل يتوقع أيضا من المخلص • وفعله يقوى كلما قوى الاخلاص لأن الحماس يجذب العاطفيين من القراء ويسدل على عقولهم غشاوة يصعب طيها ، والأمثلة كثيرة على ما نقول نجتزىء منها فى هذا المقال بكتاب « **الغزو الفكرى** » للأستاذ **محمد جلال كشك** ، وهو صرخة احتجاج ضد من يسيئون الى الفكرة الاسلامية متأثرين بآراء ومذاهب من صنع الغرب هادفين الى قطع الصلة بيننا وبين تراثنا •

غرض نبيل ، لكن الكاتب يقع فيما يأخذه على الآخرين أسيرا للغزو الفكرى ، فهو يرى أن « نظام الرق كان مرحلة ضرورية لا يمكن الغاؤها الا بظهور النظام الرأسمالى وحاجته الى العمل الحر » وانه « لم يلغ الا بقيام الظروف المادية التى تكفل وتحتم الغاءه » • واضح أن هذا الرأى يحكمه منطق المادية التاريخية ، والكاتب لا ينكر هذا بل يقر به مدللا بمعرفته على « من يدعون الايمان بتفسير مادى للتاريخ » فهو لا يسلم بالرأى تسليما جدليا حتى يخلص الى نتيجة تدحضه وانما يؤمن به كما يؤمن أصحاب المادية التاريخية الذين قسموا تاريخ الانسانية الى سبع مراحل شاع فى الرابعة والخامسة منها استخدام الرقيق ثم بدأ يتلاشى عند ظهور الرأسمالية فى المرحلتين الأخيرتين • والاسلام – على هذا – كان مقضيا عليه بحكم الضرورة التاريخية التى تفرضها قوانين المادة أن يقبل نظام الرق •

هنا يفطن الكاتب الى « فضل » الاسلام فى معالجته للضرورة التاريخية فيذكر أنه حض على العتق وعلى احسان معاملة العبد • وما كان للاسلام ان يصنع أفضل مما صنع فيلغى الرق لأن الغاءه ليس فى طوق الوحى وليس فى طوق الرسول الكريم وليس فى طوق صحابته الأفذاذ وانما هو فى طوق المادة العمياء ، فى طوق الضرورة التاريخية التى لا تعترف بأوامر الله ولا بإرادة الانسان •

أهذه هى « **المفاهيم الاسلامية** » التى يراد لها ان تدفع الغزو الفكرى ؟

ان موقف الاسلام من مسألة الرق هذه هو أصح المواقف وأسماها فى تاريخ المسألة قديما وحديثا • لا نقول جديدا وانما نقول الحقيقة التى يقول بها كل العارفين بمنطق الاسلام وفلسفة القرآن وعلى رأسهم الاستاذ العقاد ، وخلاصة ما انتهى اليه فى الأمر أن الاسلام حرم الرق فى جميع صوره ولم يبح منه الا ما هو مباح الى الآن • فعل ذلك دون سابقة بل خارجا على كل ما سبقه من شرائع • فاليهودية تبيحه والمسيحية تستحسنه على لسان بولس الرسول وارسطو يرى أنه لا مناص منه وجمهورية أستاذه تقسم المجتمع الى سادة وعبيد • أما فى الحديث فلم تصل أمم الحضارة فى شرائعها للرق الى أسمى من شريعة القرآن فهى تبيح استبقاء الأسرى الى أن يتم الصلح على تبادلهم أو افتدائهم ، والقرآن يمعن فى التيسير فيشرع المن ويقدمه على الفداء « فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها » •

فمن أين تأتى الشبهة التى تفتح السبيل أمام عقول مغلقة تتعامى عن حقائق التاريخ وعن أدب القرآن لتسأل : لماذا لم يلغ الاسلام الرق ؟

تأتى من عدم ورود نص قاطع فى التحريم • شبهة

لا ترد الا على عقول العبيد التى لا تفهم غير الأمر الصريح ، أو عقـول المادين التى ران عليهـا ظلام الضرورة • أما عقل المسلم فليس فى حاجة الى نص قاطع لأن الوصية تكفيه ولا لزوم لاصدار الاوامر حيث تغنى النصائح والوصايا ، وبخاصة فى الامور التى تتجدد على الزمن بتجدد دواعيها كأمر الرق أو الأسر • فليس من الحكمة أن تنص شريعة تخاطب الانسان فى كل زمان على الغاء الاسر فتسبب للمؤمنين بها حرجا عظيما اذا اضطرتهم الظروف الى ارتضاء موقوت له • الشبهة اذن نفيها يسير ولم يكن كاتبنا مضطرا الى نفيها على ذلك الوجه الذى يجعل التاريخ عبدا للظروف المادية ، ويوقف الاسـلام متهما فى محكمة العبيد • منطق الاسلام مناقض لمنطق الضرورة فليس من الاسلام فى شىء أن يقال انه اضـطر الى التسـليم بالرق لأنه مرحلة ضرورية فى تاريخ الانسانية لا تلغيها الا مرحلة أخرى تبدأ بظهـور الراسمالية حتى لو قيل انه عالجه افضل علاج •

يقول العقـاد « ان الباحثـين الاجتماعيين من الأوربيين أنفسهم قد عللوا حركة التحرير — تحرير الأرقاء — بعـلل كثـيرة من ضرورات الاقتصاد ، فذكروا أن المطالبين بتحرير الرقيق لم يفعلوا ذلك الا احتيالا على الكسب ومنعا للمنافسة التجارية التى تيسر لأصحـاب العبيد ومسخريهم فى الصناعات أرباحا لا تتيسر لمن يستأجرون الاحرار ويبذلون لهم ما يرتضونه من الاجور • ولم تزل معاملة السود فى أمريكا الشمالية — بعد تحريرهم من الرق — أسوأ معاملة يسامها بنو آدم فى هذا الزمان •

لندع الآن مسألة الرق ونطو صحائف من الكتاب لننظر فى مفهوم آخر من «المفاهيم الاسلامية» • يثور الكاتب ثورة عارمة على صـاحب قصة « الأرض » الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى لأنه يدعى التقدمية والثورية ، ويتطوع لتلقينه درسـا فى التقدمية والثورية لا يصدر عن القرآن وانما يصدر عن « رأس المال » تحت شعار المفاهيم الاسلامية • يقول الكاتب المسلم الذى لا يدعى التقدميـة والثورية « الارض تمتاز بانها من لون الادب الرجعى الايجابى ، اختارت جانبا واضحا من الصراع الطبقى الذى شكل تاريخنا خلال سنوات ٥٠ — ٥٤ ولا شـك أن لهذه الفترة خصـائص اجتماعية وملامح طبقية يجب أن تتحدد لنتعرف على وجهها الحقيقى وحتى نستطيع أن نضع العمل الفنى فى مكانه تمامـا على خريطة الصراع الطبقى ، والثورى فى رأى الكاتب ، هو من يدعـو الفلاحين الى المطالبـة بالارض ، من يجمع الفلاحين ويثيرهم للمطالبة بالأرض ، لا الأرض التى فى أيديهم فالفلاحون — كما يراهم الثورى — لا يملكون أرضا فى ظل الاقطاع » •

« أدب رجعى » ، « صراع طبقى يشكل التاريخ » • « اثارة الفلاحين » •

مصطلحات معروفة فى قاموس من يسمون أنفسهم بالتقدميين ؛ وخطيئة عبد الرحمن الشرقاوى انه لم يع القـاموس جيدا ، أو لم يتمعن فى طلاسمه كما يفعل الراسخون فى التقدمية ، فجاءت قصته أدبا رجعيا يدافع عن حق الملكية « المقدس » أو « غير المقدس» كما يريد الكاتب أن يقول • هذه المصطلحات لا يعرفها أدب القرآن وانما يعرفها القائلون بالمادية التاريخية • يعرفها ادب كل همه ان يثير الاحقـاد ليعجل بالثورة التى تجعل الناس طبقة واحدة الى الأبد • الاسلام لا يعرف الصراع الطبقى لأنه كفل لكل الانسان حقه عاملا وعاجزا عن العمل • وطريقته فى عـلاج الفقر تتوخى التقريب بين الطبقـات لا اشعال الحرب بينهـا بغية سيادة طبقة تنفرد بحق الحياة على سائر الطبقات •• اما الذى يضمن تحقيق سياسة الاسلام فى علاج مشكلات المجتمع فهو « دستور » مستوحى من القرآن • فالنظام الاسـلامى نظام دستورى فاذا تعطل الدسـتور أو الغى وجب العمل على اقامته وانفاذه • ولكن كاتبنـا له رأى مخالف فالدستور آفة الآفات وهو لا بد ان يكون على صلة وثيقة بالاستغلال ، الثورة تكتمل عندما يتم الربط فى وعى الفلاحين بين النظام الدسـتورى والاستغلال الاقطاعى بل تبدأ الثورة باسقاط النظام الدستورى ، لذا فلا بد من أن يصوب الثوار نيران مدافعهم على النظام الدستورى فى أكمل صوره ، فالموجدة فى نفس كاتبنا ليست على صورة للدستور ناقصة بل على أكمل صوره • هذه الثورة الطائشة ليست من الاسلام فى شىء فالاسلام بغير دسـتور لا يقوم • يقول العقاد «ليست الديمقراطية الانسانية مما يتصور بغير عناصرها الثلاثة التى لا انفصـال بينها • وهى المساواة والمسئولية الفردية وقيـام الحكم على الشورى وعلى دسـتور معلوم من الحدود والتبعات وهذه هى العناصر الثلاثة التى نادى بها لاسلام لأول مرة فى تاريخ الانسان» • وتبلغ الثورة الطائشة ذروتها عندما ترفض « الاصلاح » وسيلة لتغيير الواقع الفاسـد ولا ترضى بغير الانقلاب • يحتج الاستاذ جلال على مهاجمة الشرقاوى لحكومة

« صدقى » عندما عطلت دستور ١٩٢٣ لانه لا يرى جدوى من المهاجمة • يقول « اما الذى يهاجم حكومة السعديين والدستوريين أو « ا كان يسمى الأقليات فهو على أحسن الفروض «اصلاحى» يتطلع الى شكل افضل من أشكال الحكم الرجعى » •

يعنى أن طلب الاصلاح مرفوض • والدستور فى أكمل صوره مرفوض • فما المقبول اذن ؟

اثارة الفلاحين والهاب الصراع الطبقى ؟ ليس هكذا الاسلام فالاصلاح دعامة من أهم دعائمه • يشرح العقاد هذه الدعامة فيقول « الحاكمون والمحكومون جميعا متعاونون فى أمانة الحكم وأمانة الاصلاح : كل بما يستطيع وكل بما يصلح له وما يصلح عليه ، ولا حق فى الطغيان لفرد جبار ولا لجماعة كثيرة العدد • بل الحق كله للجماعة كلها ، بين التشاور والتعاون ، والتنبيه والارشاد والاسترشاد • وما من جماعة بشرية تتم فيها أمانة الشورى وأمانة الاصلاح وأمانة التعاون ثم يعروها انحلال أو يخشى عليها من فساد • »

ومن أهم سمات الأدب أن يقف على أرض الواقع متأملا ثم يحلق بعيدا عنها • هذه حقيقة ابتدائية فى النقد الادبى • وكاتبنا ـ اذ يسلب العمل الأدبى دلالته الايحائية واستقلاله عن الواقع العيانى ـ انما يخرج على تلك الحقيقة التى يجمع عليها النقاد • ولكن قد تكون غايته نقدا سياسيا لا أدبيا • لا بأس على أن يتنازل عن مبدئه ذلك الذى يقوم الأدب على انه وثيقة سياسية • ومهما تكن مقاييسه ومبادئه فهى غريبة على روح الاسلام •

أى مخالفة للمفاهيم الاسلامية فى قول الشرقاوى « الناس يدركون أن الحرية هى التى توفر الطعام وأن الدستور هو الذى يضمن الحقوق وأن اختيارهم الحر لمن يحكمون هو الذى يضمن شروطا انسانية للحياة » هذا الكلام أفضل مثل على الرجعية فى رأى الكاتب •

اللهم عفوك !

هل جاء الاسلام واندلع نوره على العالمين ليملأ البطون • وهل كانت رسالة المسلم وهو يجوع ويعرى ويقتل فى سبيل الله أن تمتلىء البطون • وهل تنتهى رسالة الاسلام عند ملء البطون • كلا رسالة الاسلام أسمى من هذه الغاية بكثير • والذى يرفض الحرية بدعوى أولوية مشكلة البطون لا حق له فى التحدث باسم الاسلام •

الطعام أولا • هذا مبدأ من مبادىء النقد السياسى للقصة • اما المبدأ الآخر فهو رجعية دستور ١٩٢٣ الذى كان ثمرة ثورة ١٩١٩ والذى « صدر بناء على اقتراح لجنة ملنر لتشكيل حكومة منتخبة توقع معاهدة مع بريطانيا تعترف بشرعية استقلالها لمصر • وقد رفض الوفد عندما كان ثوريا ـ ويجب أن نفهم أن ثورية الوفد لم تتخط أبدا حدود الاستقلال الوطنى ـ رفض الوفد الدستور وقاوم اللجنة التى شكلتها السراى والانجليز ، وسماها سعد باشا لجنة الاشقياء ، وقاطعتها كل الجمعيات والأحزاب والهيئات الوطنية ؛ ولكنها وضعت الدستور الذى وصفه سعد نفسه بانه على كثير من المبادىء الرجعية»

وهذا كذب على التاريخ صراح ، لأن لجنة ملنر لم تضع الدستور وانما وضعت مقترحات رفضها شعبنا لأنها كانت خادعة مخيبة لرجاء الثوار • قدمت اللجنة الى مصر بعد نفى سعد وأصدرت بيانا تحاول فيه تهدئة الخواطر الثائرة قوبل بالنقد والاعراض • ثم أعيد سعد من منفاه وعقدت مفاوضات انتهت برفض مقترحات اللجنة ونفى الزعيم مرة أخرى • هنا ينتهى دور اللجنة ويصدر الانجليز تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ، ثم نزلوا على ارادة الامة فكان دستور ١٩٢٣ ، وقد حاول الانجليز والملك فؤاد تعديل الدستور وأن يحذفوا منه مادة « **الأمة مصدر السلطات** » فباءت محاولتهم بالاخفاق

هذا الدستور هو الذى الغاه صدقى ولولا قيمته الوطنية ما الغاه •

وهذا الدستور هو الذى قال فيه **العقاد** ـ فيلسوف الاسلام فى عصرنا ـ كلمته الشهيرة فى البرلمان « **ان الأمة على استعداد لأن تسحق أكبر رأس يخون الدستور أو يعتدى عليه** » •

لقد كان العقاد يعلم أنه دستور ناقص ومع ذلك سجن من أجل الدفاع عنه ، لأن الضمير الحى يعرف واجبه تجاه النقص ولا يقر حتى ينهض به • اما الضمير الذى أماتته المادة فهو يلقى التبعة على الظروف ولا يتحرك للعمل الا اذا الهبته سياط الضرورة • ضمير لا تعذبه رؤية الشر يتفاقم لأن محاولة الاصلاح عبث •

مرة أخرى ، أهذه هى المفاهيم الاسلامية التى يراد لها أن تقف فى وجه الغزو الفكرى ؟

ولكن ، ربما قيل ان الكاتب يريد أن يحاكم التقدميين بمنطقهم • فليفعل على الا يخلط بين منطقهم ومنطق الاسلام ؛ فالاسلام شعار ومنطق • كلمة نضال وفلسفة تمتد بالكلمة الى كل مجال •

« **الحسانى حسن عبد الله** »

الأدب البنجابي ...

بقلم محيي الدين الألوائي

اللغة البنجابية

هي لغة حوالي عشرين مليون نسمة من الهندوس والمسلمين والسيخ في الهند والباكستان ، وقد ورثت اللغة البنجابية ، بصفة كونها لغة مشتركة لثلاث طوائف رئيسية مذكورة ، ثلاثة أنواع من الحروف لكتابتها، العربية و « ديوناجرى » و « جرومكهى » فبينما يكتبها المسلمون بالحروف العربية ، يكتبها الهندوس فى حروف اللغة الهندية « ديوناجرى » ، وأما طائفة السيخ فتستخدم حروف جرومكهى لكتابتها ، مع أن كلا منهم يعرف الحروف التى يستخدمها الآخرون.

وبناء على هذه الميزة التى تمتاز بها البنجابيـة قد تغذت بالآداب التى تمخضت فى اللغات الهندية الأخرى من الأردية والفارسية والسنسكرتية ، وترعرعت هذه اللغة ونمت أكثر فأكثر بفضل عدد من اللهجات ، ولأجل ذلك تجلت فيها المظـاهر الشعبية لمختلف طبقات الشعب وعقلياتها .

تاريخ نشأتها

وليس من السهل الهين تحديد تاريخ نشأة لغة ما ، سيما للغة تتركب من عدة مصادر ، وترجع جذورها الى سلالات مختلفة كما هو الحال فى اللغة البنجابية ، واذا تتبعنا آراء العلماء اللغويين الهنود فنجد بعضهم يرجع تاريخ نشأتها الى القرن الثانى عشر ، والبعض الآخر الى عهود تسبقه ، بناء على عدم دليل واضح ، ووثائق تاريخية قاطعة حول ذلك ، فالاصوب والاقرب الى الطمأنينة أن نبـدأ بالكتاب المعروفين الذين يتشكل الادب البنجابى من أعمالهم الادبية والعلمية ، ولهم نفوذ واسـع فى الادباء المعاصرين . **وينقسم مشاهير أدباء البنجابية الى فئتين رئيسيتين ، أى الصوفيين المسلمين ، ونساك السيخ ، ونبدأ بهم من القرن الخامس عشر للميلاد ، وازدهر هذان المنبعان الفياضان واصبحا بمثابة مصدر أصل لهذه اللغة وآدابها .**

أثر الصوفية

وتوافدت الفكرة الصوفية وأصحابها الى الهند بعد انتشار الاسلام ودعاته فى القـارة شمالا وجنوبا بطريقة سلمية ودية ، وكان معظمهم من الدعاة الى الحق والاخوة الانسانية ، وكان عليهم أولا وقبل كل شيء أن يتعلموا لغات الشعب وآدابهم ، ويقفوا على طرق حياتهم ، وكلما تبحروا فى لغات الشعب وعاداتهم وتقاليدهم تضمحل حميتهم الدينية والتعصب الطائفى حتى تبدو فيهم رغبة تطوعية فى قبول معتقدات وطقوس الديانات التى لايدينون بها ويتسرب الى قلوبهم التسامح الكلى نحو الجميع ، وتجلت آثار نفوذهم على الافكار الدينية بطريقـة واضحة فى تلك المنطقة أكثر من أى مكان آخر فى بنجاب وما جاورها ، ودرس نساك السيخ سيما المرشد المؤسس لطائفة السيخ « جرونانك » التعاليم الصوفية باهتمام بالغ حتى أصبح زعيم « الحركة

الروحية » المعروفة بـ « بهكتي » وفي وجهة نظر الصوفيين فان حقيقة العلاقة بين الانسان وخالقه بمثابة العلاقة بين حبيب ومحبوبه الذى افترق منه بطريقة خيالية ظاهرية جسمانية مع أنهما لم يفترقا حقيقيا روحيا • ولا يمكن أن نتغلب على هذا الافتراق الظاهرى الا بالمحبة والشعور الاخوى • وهذه كانت النظرية المتعمقة فى تعاليم الصوفيين المسلمين ، ونساك السيخ •

اللغة العامية

وكان الصوفيون ، كلهم أو جلهم ، يعيشون فى الاقاليم ، فبقى لسانهم واصطلاحاتهم بلدية ساذجة حتى يستطيع عامة الناس أن يلتقطوها بدون صعوبة وأتت خطبهم وأشعارهم مليئة بالنشاط اليومى للفلاحين من الحراثة والحصاد والغزل وتربية المواشى وحلب الابقار وطرق حياتهم العائلية المشتركة والمنفردة ووداد الاخوان لاخوانهم وسائر أفراد عائلاتهم بقلب صاف نقى ساذج ، وحب الزوجات لازواجهن ومشاركتهن فى الاعمال اليومية لهم فى الحقول ، وضغائن الضرات فى بعض البيوت ، وأسباب الشقاء التافهة فى الحياة الريفية ، وما الى ذلك ـ وهذه الطبيعة قد منحت مصادر غنية لاختيار التشبيهات والامثلة اللازمة فى كتاباتهم وقصائدهم بحيث يساعد بكل سهولة للتأثير على أسماع الطبقات المتوسطة والسفلى من الشعب • وقد استفاد معلمو السيخ الكبار سيما « جرونانك » كثيرا من هذه العادات المألوفة لدى الفلاحين وتشبيهاتهم المحببة لتبليغ دعوة ونشر تعاليمه • وعلى هذه الشاكلة قد ابتدات اللغة البنجابية العامية أن تحتل مكانة مرموقة فى الادب البنجابى •

الشعر الثوري

الميدان الآخر الذى قدم فيه الصوفيون خدمات عظيمة فى الادب البنجابى نشر أوزان شعرية ذات طابع خاص • وفى مقدمتها « كافى » و «بارا ـ ماه» و « شيرانى » وأما « كافى » فكان معروفا لدى الشعراء الفرس • وما زال معروفا فى الشعر الاردوى • وأن « بارا ـ ماه » «أو اثنى عشر شهرا» يعطى للشعراء حرية تامة لوصف جمال الفصول الاربعة للعام ولمتابعة أى شىء آخر يريد أن يتكلم عنه • وأن عددا من الوصف أو التشبيه الشهير لجمال الطبيعة فى الشعر البنجابى لمدين لوزن « بارا ـ ماه » • وأما « هير ـ رانجها » لـ « وارث شاه » و « آدى جرانت » لجرونانك ، فمن أجمل القصائد الادبية فى اللغة البنجابية فى وزن « بارا ـ ماه » •

عصر جرونانك

وكان « جرونانك » (١٥٣٩ ـ ١٤٦٩) يبشر بدعوته ويدعو الناس الى مبادئه فى الاشعار • وقد امتازت قصائده بشرح فلسفة حياته ، وموعظة الناس لاتباع طريقة خاصة فى حياتهم اليومية ، واتسعت دائرة الادب الشعرى فى البنجابية منذ عهد « جرونانك » ، لانه نشر فيه فكرة حرية التفكير وابداء الرأى بعد ان كان فى حدود ضيقة ،واستلهم الاخيلية الفياضة ، وتشحذت أفكاره الخصبة من المناظر الطبيعية لبنجاب من الحقول اليانعة، وانبثاق الفجر عبر الانهار الجارية واستيقاظ الطيور المغردة وسير الغزلان وسط الاشجار الباسقة والسحب الكثيفة فى أيام المطر وموسيقى هبوط الامطار وما الى ذلك • واستغل « جرونانك » هذه الفرصة السانحة لنشر تعاليمه الدينية بواسطة الاشعار الخصبة الغنية بالاخيلة الناضجة ، وجعل مدار قصائده وخطبه تقوية الروح المعنوية فى الناس • وأحسن وأجود أعماله الأدبية « جاب صاحب » أى أدعية الصباح •

النفوذ الغربي في الأدب البنجابي

ان النصف الاول للقرن الذى تلا الاحتلال البريطانى فى الهند لم يكن يزدهر فيه الادب الهندى بطريقة ملحوظة • واحتاج الى عدة سنين لاسترجاع طبيعته الاصلية من أثر التطورات السياسية والنفوذ

الغربى . وكان الحكام الانجليز الاول يعتقدون بأن الثقافة الشرقية لاقيمة لها والأحسن للهنود أن يقتفوا الاوروبيين . وان جيلا واحدا من الشعب الهندى قد وافق على هذه النظرية ، وظنها حقا واشربوا من العقليات الانجليزية ، حتى كادوا ينسون التقاليد الهندية وثقافتهم التى ورثوها جيلا بعد جيل ، وابتعدوا عن التعاليم الشرقية العريقة . وان الجيل الذى تلاه قد تنبهوا الى هذه السقطة التى وقع فيها أسلافهم وتسابقوا فى ازالة الغبار عن الذخائر القيمة للهند القديمة ، وانتشر بصيص من المساعى المشكورة فى شتى أنحاء الهند فى هذا المضمار .



نموذج من الفن البنجابى

كما كانت بنجاب آخر بقعة تاثرت بالعوامل الغربية كان آخر الولايات الهندية فى ميدان التخلص من آثارها وتعقداتها وعلى هذا يقال : فان الاصلاح الحديث فى الادب البنجابى قد أتى متأخرا الى بقية أنحاء الهند ، وأن الادب البنجابى الحديث فى بدايته كان يتناول كثيرا التطورات الاجتماعية والسياسية التى أحدثتها حركة « سنغ سبها » ، وكانت المنتجات الادبية تعتنى أولا وقبل كل شىء بالقضايا التى واجهها دعاة الحركات المختلفة التى جرت فى ذلك العصر ، ونشأ فى ذلك العصر كتاب مهرة كانوا يعالجون القضايا السياسية والاجتماعية الوقتية نظرا لصالح الادب وحده .

الشعر البنجابى

ولا يزال الشعر — حتى فى جيلنا الحاضر — جزءا هاما من البيان الادبى . ويزداد عدد الشعراء الجدد يوما فيوما فى الادب البنجابى . وتخصص الصحف والمجلات البنجابية جزءا كبيرا منها للشعر والشعراء واما ندوة الشعر البنجابى المعروفة « بنجابى كوى دربار » فتجذب أكبر عدد من الحاضرين فى الاجتماعات الدينية والسياسية .

ومعظم هذه الاشعار الحديثة يعالج مسائل مختلفة حالية فى أساليب شتى حيث لاتتجاوز حد الاعتدال ونشأ شاعران خرجا عن حد الاعتدال وحالة الوسط فى تناول المواضيع التى يواجهها الشعب — وهما « موهن سنغ » و « أمريتا بريتام » وكان « موهن سنغ » رئيس تحرير المجلة الشهرية « بانج دريا » اى الانهر الخمسة . ونزل الى ميدان الشعر ببداية طيبة ميمونة اذ نشر قصائده الشهيرة «ساويا باتر» و « كسوميرا » و «ادهواتاى» وعد فى مقدمة الشعراء الملهمين الجدد .

وبفضل الاشعار التقدمية ل « موهن سنغ » اندلعت الشعلة الأولى للاشتراكية تمنح تشجيعا للذين كانوا يعانون الظلم الاجتماعى . وتحريضا على مزيد من النشاط الثورى ، وكما انه كان يصب جمالا فائقا فى شعره ونثره ، وعد من طليعة الشعراء التقدميين فى البنجابية .



قطعة فنية بنجابية

واما الكاتبة الشهيرة « أمريتا بريتام » فهى الآن منبع المؤلفات الادبية الشائعة فى كل من البنجابيين الباكستانية والهندية . وان لم تكن كاتبة تقدمية او ذات دعوة خاصة . ولكن أشعارها تمتاز بسذاجة الالفاظ وبساطة المعانى ونضارة التشبيهات حيث تحبب الى القلوب بدون صعوبة ولا تعقيد .

وهذه صفات جليلة ربما تغطي النقائص التي تحيط بالمعاني او الافكار التي تدور حولها اشعارها وتتجلى في كتاباتها بصفة عامة الشعبية والفطرة مع اختيار المصطلحات الرائجة والجارية على السنة عامة الشعب وخاصتهم • وهذا هو السر الاكبر الذي يختفي وراء نجاحها وتفوقها على كثير من اقرانها •

الأدب النثري البنجابي

ان الشخصية البارزة في مضمار كتابة الادب النثري فيها : « جور بخشش سنغ » وبدأ نشاط حياته كمهندس ثم توجه الى الولايات المتحدة الامريكية لمواصلة الدراسات العليا فيها • وبعد عودته منها لم يستمر في عمله كمهندس ، بل كرس حياته للتجديد في الآراء والأمور الدينية • وشرع في مهمته ونشر آرائه بطريق مجلة شهرية «بريت لاري» وانشأ مركزا للاعمار الريفي باسم : « بريت نجر »

ويقع الآن في حدود الهند والباكستان ، واصبح « بريت نجر » مركزا لانواع من النشاط الادبي والعلمي • وان كتاب الرسائل الذي وضعه « جروتخسن سنغ » باسم : « ساقوين بادهري زندجي » جعله أحسن كتاب الرسائل في النثر البنجابي • وكما أنه صار بمثابة الهام لعدة كتاب جدد متشبعين بالمبادىء الاشتراكية ومنهم نجله « توتيج سنغ » وزار كل من الاب والابن الصين والاتحاد السوفيتي وكثيرا من البلدان الاوروبية لحضور « مؤتمرات الامن » ومما لاشك فيه أن معظم مؤلفاتهما ورسائلهما ملىء بتجارب العالم الخارجي وتنعكس فيه المتجهات الحديثة في الآداب الاجنبية•

الروايات

وفي ميدان الروايات قد بلغ الادب البنجابي الى ارقى الدرجات ولاتزال الروايات العديدة حول افكار مختلفة تصدر يوما فيوما • ولكن يقال بصفة خاصة ان معظمها خالية من العناصر الجوهرية لرواية مثالية كاملة • وكان « ويرسنغ » – مع كونه شاعرا بطبيعته – يحاول لوضع الروايات ، وتنقصها أيضا المواد الجوهرية للرواية المثالية ، وقام عدد من الكتاب الشبان مثل « دجال » بكتابة القصص القصيرة أو سلسلة من القصص القصيرة باستخدام نفس الشخصيات في كل منها حتى تصل الى درجة الروايات ، واشهر شخص في هذا الميدان « نانك سنغ » – مع كونه شاعرا بطبيعته – فقد كتب أكثر من ستين رواية الى الآن ، وهو كاتب قدير واسع الاطلاع في شتى العلوم والفنون •

القصص القصيرة

وأما كتابة القصص القصيرة فهو الميدان الهام الذي حاز فيه الكتاب البنجابيون نجاحا مرموقا ، وان مستوى القصص القصيرة التي تطلع على صفحات المجلات البنجابية لعال جدا ، ويمكن أن يقال بان الفضل الاكبر لهذا التقدم الذي نراه –عموما– في القصص القصيرة البنجابية الى رائدها « سانت سنغ سكهون » الذي اقتفى أساليب القصص القصيرة الاوربية والامريكية في كتابته ، وتجنب طريقة الحكاية المستقيمة الصريحة • واتبع الطريقة الحاذقة البارعة ، وقد أعطى هذا التحول للقصص القصيرة الحديثة جاذبية وقبولا حسنا ، وشوق القراء لدى القارئين من النواحي النفسية والفكرية واتبع القصصي الشهير « كرتار سنغ دجال » منهج « سكهون » في قصصه • وان براعة « كرتار سنغ» في اطلاعه الواسع على اللهجات المختلفة للغة البنجابية سيما في مديرية « راولبندى » **وكان يستخدمها في طريقة ذات أثر بالغ ونشر اكثر من مائة قصة قصيرة واشهرها « سورسار » و « نوان جهار » وكذلك كتب عدة روايات تعالج فيها المشاكل والمتاعب التي تبعت تقسيم القارة الهندية ولكنها – كما اوضحنا من قبل – لم تصل الى درجة الروايات الممتازة ، وهي بمثابة القصص القصيرة المتجمعة •**

« محيي الدين الألوائي »

آنيوتا

قصة قصيرة بقلم : أنطون تشيكوف

ترجمة : بهاء طاهر



في ارخص غـرفة ببناية كبيرة للشقق المفروشة كان كلوتشكوف الطالب بالسنة الثالثة بكلية الطب يسير في حماس جيئة وذهابا وهو يراجع علم التشريح .. كانت شفتاه جافتين وجبهته قد تندت بالعرق ..

وكانت آنيوتا ، الفتاة التى تعيش معه تجلس بقرب النـافذة المغطاة بالصقيع ، وآنيوتا سمراء صغيرة نحيفة ، في الخامسة والعشرين من عمرها ـ شديدة الشحوب وعيناها رماديتان وديعتان ، جلست محنية الظهر وانهمكت في حياكة باقة قميص بخيط احمر كانت تعمل ضد الزمن .. فقد دقت ساعة المر دقتين ناعستين ومع ذلك فان الغرفة الصغيرة لم ترتب بعدلاستقبال النهار الجديد كانت ملاءات السرير غير مرتبة ... وهناك وسائد وملابس وكتب مبعثرة هنا وهناك .. ووعاء نظافة كبير ممتلىء بماء الغسيل وتطفو فوقه اعقاب السجائر .. وقذارة على الارض. كل هذه الاشياء كانت تشيع روحا من الفوضى في المكان بأسره .

واخذ كلوتشكوف يكرر : «الرئة اليمنى تتكون من ثلاثة اجزاء : الجزء العلوى فوق الحاجز الداخلي للصدر ويصل الى الضلع الرابع أو الخامس » ...

ورفع كلوتشكوف عينيه للسقف محاولا أن يتصور ماقرأه منذ لحظة ، وعندما يعجز عن تكوين صورة واضحة يبدأ في تحسس أضلاعه العليا تحت صدارة ثم يقول :

ـ ان هذه الأضلاع شبيهة بمفاتيح البيانو، يجب أن يعتاد المرء عليها والا اختلط عليه الأمر .. يجب أن تدرس على الهيكل العظمى وعلى الجسم الحي سواء بسواء .. اسمعى ياآنيوتا ، دعيني أتحسس اضلاعك .

ووضعت آنيوتا جانبا ماكانت تحيكه ، ونزعت عنها (بلوزتها) وانتصبت امامه فجلس كلوتشكوف قبالتها عابسا وبدأ يعد ضلوعها :

ـ لايستطيع المرء ان يتحسس الضلع الاول فهو وراء لوح الكتف ، أما هذا .. هذا لابد أن يكون هو الضلع الثاني .. نعم ، وهذا هو الثالث .. وهذا هو الرابع .. نعم .. نعم .. لماذا ترتجفين ؟ .

ـ ان أصابعك باردة !

ـ هيا .. هيا .. لن تموتي لهذا السبب، لاتنحني هكذا ! لابد أن يكون هذا هو الضلع الثالث .. وهذا الرابع . انت تبدين هزيلة للغاية ومع ذلك لايستطيع المرء ان يتحسس أضلاعك . هذا هو الثاني ، وهذا هو الثالث. أوه ، انه شيء مربك ! لايمكن تتبعه بوضوح . لابد وان أرسم . اين قلمى ؟

واخذ كلوتشكوف قلمه ثم راح يرسم على صدر آنيوتا عدة خطوط متوازية مشدة مع الأضلاع .

— رائع ! .. هذا افضل ، والآن استطيع ان ادرسك ، ثقى ،

ووقفت آنيوتا ، ثم رفعت ذقنها وبدا كلوتشكوف يدرسها ، كان منهمكا للغاية في تلك المهمة لدرجة انه لم يلاحظ ان شفتي آنيوتا واصابعها قد اصبحت زرقاء من شدة البرد ، وارتجفت آنيوتا ، ثم خشيت ان يلاحظ الطالب ذلك فيكف عن رسمها ودراستها ويرسب في امتحانه ! وقال كلوتشكوف بعد ان انتهى :

— الآن وضح كل شيء .. فلتجلسي كما انت دون ان تمسحي الخطوط ، واثناء ذلك سوف استذكر لفترة اخرى .

وبدا الطالب سيره جيئة وذهابا وهو يستذكر ، بينما جلست آنيوتا منكمشة وهي ترتجف وراحت تفكر والخطوط السوداء على صدرها كالوشم .

كانت آنيوتا مقلة في الكلام عادة ، تظل صامتة دائما بينما تفكر .. وتفكر ..

لقد عرفت في السنوات الست او السبع التى قضتها متنقلة مابين غرفة مفروشة الى اخرى خمسة من الطلبة مثل كلوتشكوف ، وقد انهوا دراساتهم جميعا وانطلقوا في الحياة وبطبيعة الحال فانهم كاناس محترمين قد نسوا آنيوتا منذ زمن طويل ، كان احدهم مقيما في باريس ، واثنان منهم اطباء ، والرابع فنانا ، بينما يقال عن الخامس انه قد اصبح بالفعل استاذا جامعيا .

وكان كلوتشكوف هو السادس ، وعما قريب سينهى دراسته هو الآخر ثم ينطلق في الحياة ، وهناك مستقبل لامع ينتظره ، وربما اصبح رجلا عظيما في المستقبل ، اما الحاضر فهو الشيء الوحيد الذى لم يكن لامعا ، فلم يكن عند كلوتشكوف تبغ ولاشاى ، ولم تبق عنده الا اربعة قوالب من السكر ، وعليها الآن ان تسرع بانهاء القميص الذى تحيكه وتوصله الى السيدة التى كلفتها بحياكته ثم تشترى بالربع روبل الذى ستعطيه لها شايا وتبغا .

وصاح شخص بالباب : استطيع ان ادخل ؟

فالقت آنيوتا بسرعة شالا صوفيا على كتفيها بينما دخل فتزوف الفنان وبدأ يخاطب كلوتشكوف وهو يحملق كحيوان مفترس :

— اتيت لأطلب منك معروفا .. لتصنع لى معروفا .. اعرنى فتاتك ساعتين فحسب اننى ارسم صورة ولا استطيع ان اعمل دون نموذج .

فقال كلوتشكوف موافقا :

— اوه ، بكل سرور ، هيا يا آنيوتا .

فتمتمت آنيوتا برقة .

— والاشياء التى على ان انهيها هنا ؟

— هراء !! ان الرجل يطلبك من اجل الفن وليس لأى غرض تافه ، فلم لا تساعدينه مادام هذا بامكانك ؟

فبدات آنيوتا ترتدى ملابسها ،

وسأل كلوتشكوف :

— وماذا ترسم ؟

— سايكي .. (صورة تمثل الروح) انه موضوع جميل ولكنه لا يريد ان ينتهى لسبب ما ، وعلى ان ارسم من نماذج مختلفة، بالأمس كنت أرسم واحدة بسيقان زرقاء فسألتها « ما السبب في ان سيقانك مزرقة ؟ » فاجابتنى « ان جواربى تلونها » . وانت تحتمل ان تسمع هذا !!!! .. انك لمحظوظ ، عندك صبر .

— الطب مهنة لايستطيع المرء أن يتابعها دون أن تكون عنده قدرة على الاحتمال .

— آه لتغفر لى ياكلوتشكوف ، ولكنك يعيش كخنزير ! ان طريقتك في الحياة مؤلمة.

— ماذا تعنى ! .. انا لااستطيع ان اعيش خيرا من هذا ، فابى لايرسل لى سوى ١٢ روبلا كل شهر ، ومن الصعب أن يعيش الانسان حياة طيبة بمثل هذا المبلغ .

فأجاب الفنان في عبوس وهو يبدو متقززا:

— نعم ، نعم .. ولكن كان بوسعك ان **تعيش كخنزير ! ان طريقتك في الحياة مؤلمة .** المتعلم ملزم بأن يكون على درجة من الذوق ، اليس كذلك ؟ ولكن الأمور هنا .. بالله ! . السرير غير مرتب .. والنفاية .. والقاذورات .. وحساء الامس في الاطباق .. اففو ! فأجاب الطالب بارتباك :

— هذا حق ، لكن آنيوتا لم يكن لديها وقت اليوم لتنظف الغرفة .

كانت مشغولة طول الوقت .

وعندما خرجت آنيوتا مع الفنان استلقى كلوتشكوف على الأريكة وبدا يراجع دروسه وهو مستلق ثم باغتته النعاس ، وعندما استيقظ بعد ساعة وضع رأسه بين كفيه واستغرق في افكار قاتمة ، لقد استعاد كلمات الفنان عندما قال ان الرجل المتعلم ملزم بأن يكون لديه ذوق ، وصدمه جو الغرفة فملأ قرآه قذرا وباعثا على الاشمئزاز ، ورأى بعين الخيال مستقبله الخاص عندما يستقبل مرضاه في حجرة الكشف ، وعندما يشرب الشاى في غرفة الطعام مع زوجته التى ستكون «سيدة» بمعنى الكلمة !.. أما الآن فقد بدا له وعاء النفاية الذى تسبح فيه اعقاب السجاير شيئا مثيرا لأقصى درجات التقزز ، وبرزت آنيوتا في ذهنه ايضا كصورة منفرة وقرر ان يفترق عنها في الحال باى ثمن .

وعندما عادت آنيوتا من عند الفنان وخلعت معطفها قام كلوتشكوف واخذ يكلمها وعليه سيماء الجد !

— انظرى هنا يافتاتى الطيبة . اجلسى واستمعى ، يجب أن نفترق ، الحقيقة هى اننى لااريد ان اعيش معك اكثر من ذلك .

وكانت آنيوتا قد وصلت من عند الفنان منهكة ومرهقة ، كان وقوفها الطويل كنموذج قد جعل وجهها يبدو نحيلا وخديها غائرين اكثر من ذى قبل ، ولم تقل اى شيء لترد على كلمات الطالب ، فقط بدات شفتاها ترتجفان .

وقال كلوتشكوف : انت تعلمين على اية حال اننا يجب ان نفترق عاجلا او آجلا .. وانت فتاة طيبة وعاقلة ، لست بلهاء ؛ وسوف تفهمين .

ارتدت آنيوتا معطفها ثانية في سكون ، ووضعت تطريزها في لفافة من الورق ، ثم جمعت ابرها وخيوطها ووجدت الورقة التى بها قطع السكر على النافذة فوضعتها على المائدة بجوار الكتب وقالت بهدوء :

— هذا .. هو .. السكر ..

ثم استدارت لتخفى دموعها .

— لماذا تبكين ؟

بدا كلوتشكوف يسير في الغرفة مضطربا ثم قال :

— انت فتاة غريبة حقا ، عجبا ! .. انت تعلمين اننا سنفترق .. اننا لانستطيع ان نعيش سويا الى الأبد .

وكانت قد جمعت كل حاجياتها واستدارت لتقول له وداعا ، فشعر نحوها بالرثاء واخذ يفكر : «هل ادعها تبقى هنا اسبوعا آخر ؟. ان بوسعها ان تبقى بالفعل وسأخبرها ان ترحل بعد أسبوع » وشعر بضيق لضعفه فصاح بها في خشونة :

— اسمعى ، لماذا تقفين هناك) .. ان كنت ذاهبة فاذهبى ، وان كنت لاتريدين فاخلعى معطفك وابقى ! يمكنك ان تبقى !

وخلعت آنيوتا معطفها في سكون ، خلسة ثم مسحت انفها خلسة ايضا ، وتنهدت ورجعت الى مكانها التقليدى على المقعد بجوار النافذة دون أن تحدث أى صوت .

وسحب الطالب كتابه ثانية ثم بدا يذرع الغرفة من ركن الى ركن وهو يردد : « الرئة اليمنى تتكون من ثلاثة اجزاء : الجزء العلوى على الحاجز الداخلى للصدر ويصل الى الضلع الرابع أو الخامس ..

وصاح واحد من المر بأعلى صوته :

— جريجورى ! الشاى !

الجنة العذراء

تأليف: محمد عبد الحليم عبد الله



بقلم: ابراهيم عيسى سعفان

في اسلوب شاعر وقدرة قصاص ساق **محمد عبد الحليم عبد الله** قصته الجنة العذراء، محكمة البناء متتابعة الاحداث بشكل يربط القارىء بها عندما تقع عيناه على الاسطر الأولى، ويحس أن يد الكاتب تقوده بهدوء وحذر وتنتقل به من الريف حينا الى القاهرة حينا آخر بمهارة دون ملل يحسه القارىء اثناء تجواله فى شعاب القصة واروقتها .

وفى هذه القصة ...

يصحو اهل القرية على صراخ يهتك ستر صمت منتصف الليل المخيم على القرية ويشدهم الصراخ الى بيت بهية .. ويرون رجلا فى هذه الساعة من الليل وامراة تقيم بمفردها مع ابنها .. ويفيقون من دهشتهم على سباب « حمودة » وثورته المتدفقة وهو يشق طريقه وسط الجمع المحتشد ويعاقب الاثنين ضربا .. الجمع يفكر .. الرجل المتهم من اعوان حموده .. وتحدثهم نفوسهم فى صمت بان الأمر تمثيلية .. الفها « حمودة » ليشوه سمعة امراة أبيه ليتخلص منها ومن ابنها .. والسبب معروف .. الأرض ..

وينفض الجمع وتخلو الدار .. وتبقى بهية ودموعها وابنها .. ابن الثانية عشرة .. تنتظر الصباح لترى الحكم .. ويأتى الصباح .. ويزحف النهار .

ويطرق بابها الحاج محمود .. الرسول المبعوث من عند زوجها « ماضى » ويخبرها بوجوب الرحيل من القرية .

وتسافر بهية وابنها الى القاهرة حيث يقيم اخوها ..

وتترك القرية الآن لننتقل الى القاهرة وراء « رضا » وأمه حيث يقع على الابن العبء فى هذا الجزء من القصة وينتهى دور الأم بعد أن قامت بدورها فى المأساة ..

فى القاهرة يحس رضا بالعطف الأبوى الذى افتقده فى والده لما لاقاه من طيب معاملة وحسن رعاية من خاله .. ذلك الرجل الذى يعيش فى احضان التهريب أسير الخوف .. الخوف من البوليس .. والخوف من اعتداء خصم عليه .. ولذلك كان يحول هذا القلق والضياع الى استقرار

فى حياة اخته وابنها ... وقرر ان يذهب رضا الى المدرسة .

ويذهب الى المدرسة .. وما ان تصفو الايام ، حتى يقبض على خاله ويسجن وتمر أيام عجاف ؛ ويعمل رضا فى مطبعة ..

ويعلم ان اخاه حمودة يتزوج .. فيذهب الى القريه مع صديقه «حسن» ليحضر حفل الزفاف ويعود دون أن يعرفه أحد .. وتضطره ظروف المعيشة الى الانتقال الى مسكن جديد ، غرفه فوق سطوح احدى العمارات الواقعه فى ميدان فم الخليج .. وذات يوم يفاجأ رضا بصديقه حسن يقف على عتبه مسكنه الجديد .. وكان بينهما حديث عن القريه وحموده ، وتمتد ذراع الحرب العالميه الثانيه من الاسكندريه الى القاهره .. وتفاجيء الغارات اهل القاهره .. وتضطرب الأعصاب ويستولى الرعب على القلوب .. ويحتمى الناس فى كل بيت بالمخابيء .. وينزل رضا وامه الى بدرملت العماره التى يقيمان بها ..

وفى الـلاملك ، يلتقى رضا بثريا .. ويربط بينهما الحب ، وينمو هذا الحب بمرور الأيام .. ويحكى قصته لثريا فينفطر قلبها حزنا فتوحى اليه بوجوب السفر للمطالبة بحقه .. ويسافر الى قريته ويقابل الاستاذ البتانوني المحامي ويعرض عليه القضيه ويحاوره المحامى ويساومه وتنكشف لنا شخصية البتانونى وما طبعت عليه من استغلال وطمع .. الامر الذى جعل رضا يشمئز منه ويعود الى القاهرة يحمل بين جنبيه أسى وحزنا تخففه ثريا ووالدها بروحهما المرحة ونفسهما الطيبة .. وتستمر احداث القصة ويخطف الانجليز ثريا وتختفى .. ويظل رضا ووالدها ينتظرانها دون جدوى ويشعر رضا انه يجب ان يفعل شيئا ليعبر عما فى نفسه من ثورة على هؤلاء الذين اختطفوا حبيبته ، ويفكر .. وفى دوامة التفكير يقتل انجليزيا من هؤلاء الذين اختطفوا حبيبته « ثريا » ويعود رضا الى قريته ليقابل البتانونى المحامى ويحضر اخوه الذى لم يتعرف عليه لتغير ملامحه فيغادر رضا المكتب حتى لا يتقابل معه .

ويتم الاتفاق بين البتانوني وحموده على حل يرضى الجميع ويخرج منه المحامى بنصيب الاسد



ويشعر الجميع بارتياح لهذا الحل ولكن يفاجأ رضا والمحامى بقتل حموده .. وتؤول جميع الممتلكات الى رضا الذى يغير معالم ظلم اخيه ويبدد شقاء الفلاحين الى سعادة ويعيش هو وذكرى حبيبته ووالدها .

والقصة بعد هذا العرض الموجز لأهم احداثها يربطها خط رئيسى وهو الابن .. « رضا » وتتفرع منه خطوط أخرى ثانوية تخدم كلها الغرض الذى يهدف اليه المؤلف .

والقصة تنقسم الى قسمين : الأول تقع احداثه فى الريف ... والثانى تقع احداثه فى القاهرة .. ولكن المؤلف استطاع ان يذيب الحد الفاصل بين القسمين بحيث لم يبد كل قسم منفصلا عن الآخر ذلك لأن المؤلف استطاع ان يربط بين المكانين ويطير بنا من القاهرة الى الريف على جناح الذكريات التى يجترها رضا بين لحظة واخرى ، ومن ناحية أخرى

عن طريق « حسن » صديق رضا الذى نراه يعاوده بالزيارة فى فترات ليست متباعدة مزودا بأخبار « حمودة » .. فكان « حسن » رسول المؤلف الذى استخدمه فى ربط القارىء بالقرية المسرح الحقيقى الذى تدور عليه الأحداث ...

وعبد الحليم عبد الله كاتب تصدر كتابته عن اعمال فكر وروية وذلك لأنه يعتبر القصة وعاء يصب فيه افكاره .. وهذا الاتجاه الفكرى على ما اعتقد يجعله يميل فى بعض الاحيان الى عرض الكليات وتقرير النتيجة التى من الواجب ان يصل اليها القارىء بنفسه من سياق الاحداث ، ثم يفسر بعد ذلك الملابسات والظروف التى تحيط بالحدث .. ونلمس ذلك عندما تصحو « بهية » ام رضا فى منتصف الليل لتجد رجلا غريبا فتصرخ لأنها احست بقلبها « ان المراد ليس سرقة ولا هتك عرض ولكن المراد فضيحة » .. فاوحى لنا بان فى الأمر فضيحة دون تمهيد سابق يثبت ذلك ، وعلى الرغم من هذه الفلتة نجده يراعى بعد ذلك بدقة التمهيد للاحداث وتهيئة القارىء ذهنيا لما يستجد من مفاجآت .

ولقد صور المأساة وابرز العنصر الاساسى المتسبب فى وقوعها وهو المال .. « فرضا » لم ينفعه مال ابيه ، وخاله بركات لم ينفعه مال زوجته التى تزوجها بعد قتل زوجها صاحب المقهى الذى كان يعمل به صبيا .. ثم أصبح المالك لكل شىء : المقهى والزوجة ، وعدم منفعة المال لبركات . انه لم يمنحه الأمن والاستقرار وراحة البال التى طالما ظل يبحث عنها بعد رحيله من القرية .. ولذلك ما ان حضرت اخته وابنها من القرية لتجد عنده المأوى والحماية حتى تفتحت مغاليق مشاعره الظمأى الى الحب والحنان .

ولقد كشف المؤلف الغطاء عن شخصية بركات وما تنطوى عليه من حرمان « لقد كان مشتاقا الى حب بلا اشواك فيه شىء من الروحانية كرغبة السكران فى الابتهال الى الله. لقد كان المكسب الحرام والحياة الزوجية الثقيلة الوطأة دافعا خلق فيه اللهفة الى عمل شىء فاضل ». وابان كذلك عن الاحساس الدينى الذى يكمن فى اعماق بركات .. هذا الاحساس الذى جعله يرضى بما ارتكبه صبيه «عزوز» مع زوجته اثناء سجنه خضوعا لحكم الله جزاء له عما سبق ان ارتكبه مع زوجته هذه قبل ان يتزوجها وهى فى عصمة زوجها الأول .

ويبدو هنا ان المؤلف انسان معتدل لايؤمن بالحلول القانونية.. سواء القانون السماوى او الوضعى.. هذا الايمان الذى جعله يتجنب الصراع العنيف بين رضا صاحب الحق واخيه حموده الظالم .. من اجل استخلاص الحق الضائع وسيأتى الحديث عن هذه النقطة .

وبعد ان قدم لنا « بركات » قدم لنا « حمودة » الانسان الذى دفعه الجشع والطمع الى اغتصاب اخيه وحرمانه من حقه المشروع بمساعدة امه « منيرة » التى فقدت بصرها وعاشت ينهش صدرها الندم على جريمتها وزهدت المال والأرض التى شردت من اجلها اسرة رضا وامه وكان يمكن ان يكون مستقبلهما احسن مما آلا اليه بسبب جرمها. بعد ان رسم شخصية حموده من الخارج رسما كاملا ، غاص فى اعماقه وكشف عن الرعب والخوف اللذين يعيش فيها ولا يستطيع ان يتخلص منهما رغم ما يملكه من مال وماله من سلطان .

ويأتى بعد ذلك « رضا » صاحب المأساة و«ثريا» حبيبته ..

اما رضا فهو شخصية هادئة مترددة ليست ايجابية ولم تحقق ما كنا ننتظره من صراع عنيف تبدو فيه التضحية من اجل الارض .. وان كان قد تغلب على هذا التردد الذى يقيده فى مواقف مختلفة من القصة وتتبين هذه الإيجابية الذهنية فى الحوار الآتى الذى دار بينه وبين امه ذات ليلة وهما نائمان .. قالت له امه :

ــ ارقد يا حبيبى .

فرد فى جفاف .

ـ لا اريد ان انام ، اريد ان اتكلم ، انا محتاج الى الكلام اكثر من حاجتى الى النوم .

فقالت فى فتور :

ـ تكلم .. تكلم .

ـ لماذا خرجنا من بلدنا .. لماذا جئنا الى هنا.
عند سماع هذا الحوار يخفق القلب خوفا عليه ظنا انه سيقدم على خطوات جريئة .. ولكن يتبدد هذا الخوف عندما يجد هدوء ثورته وخمودها و « ثريا » حبيبته اكثر منه ايجابية وانطلاقا .. ومن المعلومات التى قدمها لنا المؤلف عن شخصيتها نلمس انها مستعدة للتضحية من اجل حبيبها .. وتبدو فى ذلك اكثر حماسة منه وهو صاحب الحق .. ولقد لمست ثريا تردد « رضا » ويأسه فكانت تلمزه لمزا خفيفا عندما تجد اندفاعه من اجل الحصول على قبلة لتحرك فيه نخوته ونجحت فى دفعه الى السفر لمقابلة البنانوتى « المحامى » والأمر الوحيد الذى تحركت فيه رغبة الانتقام .. ونفذ فعلا هذه الرغبة عندما خطف الانجليز حبيبته ..



الا انه كان يجب ان تتوفر فى « رضا » روح التضحية والفداء من اجل حقه . ونهاية « حمودة » التى وضعها المؤلف الميال الى حب الهدوء فى حل المشاكل والالتجاء الى القانون السماوى او الوضعى للحكم فيها كما اشرنا انفا جعلته يضفى شيئا من شخصيته على أبطال قصته .

واخيرا نلاحظ ان **عبد الحليم عبد الله** يربط بين الأحداث الخاصة والأحداث العامة وذلك فى تصويره لحال رضا وما هو عليه من ضيق اليد فهو انعكاس لحال المجتمع المصرى وما كان يعانيه من اضطراب وفقر اثناء الحرب العالمية الثانية .. كما انه يستعمل الرمزية ويميل الى التركيز فى التعبير مما يكسب الاسلوب قوة .

ولا يفوتنا ان نسجل انه لا يغفل الطبيعة فى وصفه فهى عنده كائن حى يحس ويشعر، فهى حزينة كئيبة اذا كان البطل حزينا وضاحكة باسمة اذا كان سعيدا .

والحق أن عبدالحليم عبدالله ساق أحداث القصة فى بناء متكامل وسرد مشوق كما كشف عن سحر المال واثره فى النفوس البشرية الضعيفة التى يستعبدها فيدفعها الى اهدار القيم الخلقية والدينية . وبقيت مسالة الحوار فى القصة .

لقد اثبت قدرة فى كتابة الحوار باللغة العربية دون اغراب فى استعمال الالفاظ ودون أن تبعده اللغة العربية عن واقعية القصة كما يقول هؤلاء الذين يكتبون الحوار باللغة العامية ، والحقيقة ان كتابة الحوار باللغة العربية تحتاج الى حاسة فنية لا تتوفر الا القليل من الكتاب .. واقد اثبت عبد الحليم عبد الله انه من هذه القلة القليلة .

ابراهيم عيسوى سعفان

الشعر بوق الحسن

للشاعر : على الجندى

في بعض الندوات الشعرية سأل بعض الناس ألا يمكن للشعراء أن يستغنوا عن النسيب ؟ فقال أحدهم : أجل إذا مات الحب ، وذوى الجمال ، ونضب الشعور وقلت أنا :

الحسن مفتقر الى ... شعر يصوغ له الدرر
وله يغنى بالرقا ... نق كالنسائم في السحر
يصف المفاتن فى البوا ... دى ، والمباهج فى الحضر
ويصور المحبوب ان ... وصل المحب ، وان هجر
والحب سمحا كالربا ... والحب كالبحر اعتكر
فاذا جفاه الشعر ، كا ... ن الروض أخلفه المطر
والسيف اغفله القيو ... ن ، فغال رونقه الكدر
والماس تحت ترابه ... لا خبر عنه ولا خبر
والدر تحت الماء فى ال ... بحر المحيط قد استتر
والمسك فى قارورة ... خنقت شذاه المنتشر

***

والعلم فى طى الدفا ... تر لم تزح عنه الستر
فدعوا القريض يهز أ ... طاف الملاحة بالسكر
وينسق الدر الفر ... يد لها ويكسوها الحبر
والحسن يهوى الشعر تش ... بيبا ، ويهوى من شعر

بلادى

للشاعر : ابراهيم شعراوى



الشمس تشرق فى بلا ... دى ، لا تغيم .. ولا تكل
والشاطىء المسحور فى ... جنبيه أعناب ونخل
والتربة المسكية السمـ ... ـراء تعطى لا تمل
سكن الربيع هنا ، ... فيا عشاق مرتعه أطلوا
وتخطروا فى ساحها ... فالروض أطياف وظل
يلهو الفراش بسوسن ... ويضج عند الشط طفل
والشمل ملتئم فكل ... عشيرتى خدن وخل
كرم بما ملكته أيدينا ... وعند العرض .. بخل
كرم لأنا من بنى مصر ... لنا فى النيل أصل
يا نيل ، يارب الجدود ... ولم تزل فينا تجل
ما زلت تصرخ فى دمى ... فيضج ناقوس وطبل
يا نيل ، يا نهر الأسود الشم ... كل بنيك شبل
لا شىء فى وطنى رخيص ... كل ما فى مصر يغلو
الا دمانا ، لو عدا ... عاد ، وداس الأرض نذل
فانا زرعت النخل فى ... حر الهجير ليستظلوا
وأنا حفرت الجدول الصـ ... ـافى هنا ليضم شمل
وأنا أضأت مشاعلى ... فى الليل حتى لا تضلوا
للناس ، كل الناس ، لا ... تستعبدوا ، لا تستذلوا
لا تسلبوا عرق الأجير ... بموطنى ، لا تستغلوا
لا تقتلوا ، فشريعة الغا ... بات تمزيق وقتل
ضموا أياديكم ففى ... دفء العناق العيش يحلو
فالخير فى بلدى كثير ... ليس ينضب أو يقل
والناس فى بلدى جباه ... شامخات ، لا تذل

صاحب الفضيلة مبعوث الأزهر

بقلم: محمد عبد الله السمان

من المعروف ان الأزهر كما يستقبل الآلاف من ابناء البلاد العربية والاسلامية وغيرها اولئك الذين يرغبون فى الدراسات الاسلامية بين جدرانه ، يوفد ايضا فى كل عام بضع مئات من علمائه الى تلك البلاد ، ليقوموا بتعليم اركان الاسلام وفلسفته لمعتنقيه ، والتبشير به عند من لم يعتنقوه، وقد بلغ عددهم فى العام الماضى ٧١٦ مبعوثا انتشروا فى الهند وافغانستان والملايو واندونيسيا، واليابان والفلبين، ولندن وكندا وامريكا، ونيجيريا، وغير هذه البلاد فى افريقيا وآسيا ، بالاضافة الى سائر البلاد العربية ..

وهؤلاء العلماء المبعوثون تجرى لهم قبل البعثة مسابقات يجتازونها بتفوق ، بل لقد انشىء فى عهد وزير الاوقاف وشئون الأزهر السابق الدكتور محمد البهى معهد للاعداد والتوجيه ، مدة الدراسة فيه سنة ومهمته اعداد المبعوثين الى الخارج ، وقد بلغت شعبه سبعا تتناول : الدراسات العربية ، والمواد الدينية ، والدعوة والامامة ، والوثائق والمكتبات ، والدعوة العالمية ، والخدمة الاجتماعية، ثم السكرتارية الفنية، كما الحق بهذا المعهد شعبة للدراسات الآسيوية الافريقية ، يلتحق بها الطلاب فى بعثة داخلية مدتها عامان ، ويشترط فى كل منهم ان يتقن احدى اللغات الأجنبية الآتية : الانجليزية والفرنسية والألمانية والاندونيسية ثم الأردية..

ومع هذا كله فمبعوثو الأزهر الى العالم يرحلون كل عام ويعودون ، ولا نكاد نحس بهم ، بل لا يكادون يحسون بانفسهم، الا حين يواصلون السعى ليظفروا بالبعثة من جديد ، ويظهر أنهم يدركون — وحسب — ان مهمتهم قاصرة على الاعطاء حين يتوافرون على تدريس الاسلام هناك ، دون أن يدركوا أن مهمة المبعوث يجب ان تكون اعطاء واخذا ، وحتى اذا لم يشترط الأزهر عليهم ان تمتد مهمتهم من التدريس الى الدراسة، دراسة الاسلام دينا وشعبا، وقضايا المسلمين والاسلام ومشكلاتهما ، ففى استطاعتهم ان يثبتوا وجودهم دون أن ينتظروا مكافأة من الأزهر او حتى كلمة شكر من المسئولين فيه ، فالمفروض فيهم انهم ليسوا من ذوى المؤهلات الازهرية العليا فحسب ، بل اصحاب عقيدة اسلامية ايضا ، يجب ان يؤدوا ضريبتها اينما كانوا مبعوثين رسميين أو غير رسميين .

انهم — دون شك — يدركون الدور الذى يلعبه المبشرون فى افريقية وآسيا ، فمهمتهم لم تكن قاصرة على نشر المسيحية لفتح ابوابها امام الجماهير الوثنية ، او لبث الشكوك فى عقائد المسلمين ، بل انها تمتد باهتمام كبير الى دراسة البيئة فى شتى نواحيها العقيدية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ثم وضع المؤلفات الضخمة التى تسجل دراساتهم ، ثم لتأخذ طريقها بعد ذلك الى الطبع والنشر .

اذكر انى تعرفت منذ سنوات بقسيس فاتيكانى

شاب ، لم تتجاوز سنه الخامسة والعشرين ، وفد الى القاهرة ليعمل واعظا فى احدى الكنائس الكاثوليكية بالقاهرة ، ولم ادهش حين أخبرنى انه ينتهز فرصة وجوده بالقاهرة — بلد الازهر — ليعد رسالة كبرى عن القرآن الكريم وصلته بالاناجيل الأربعة ، وانه يطلب منى ان اعينه فى الحصول على تفاسير للقرآن ، وان اوجهه الى طريقة البحث فيها، وعلمت انه أقام بالجزائر مدة لتعلم اللغة العربية . لم يدهشنى اجتهاده ومثابرته بالطبع ، ولكن الذى ادهشنى اختياره لهذا الموضوع الدقيق الشائك ، وقلت فى نفسى والألم يفعم قلبى : كم من علماء الأزهر المبعوثين أمثال هذا القسيس الشاب ، يربطون اعمالهم بعقيدتهم ، بل يعتبرون عقيدتهم اساسا لمهمتهم ؟

أنا لا اقصد بالطبع ان أقرر هنا ان كل مبعوثى الأزهر على درجة واحدة من الخمول والتقصير، فان البعض منهم لا يفوته ان يؤدى ضريبة عقيدته عليه — وان كان هذا البعض فى حكم النادر الذى لا حكم له — ويحاول اثبات وجوده ليبذل جهدا مشكورا فى الدراسات المناسبة ، ثم يعود وقد أدى ما عليه، ليواصل جهده فى نشر دراساته لتاخذ مكانها فى المكتبة الاسلامية ..

هذا التمهيد قصدت منه ان اسجل كلمة تقدير واعجاب بعالم من علماء الأزهر ومبعوثيه ، بمناسبة صدور كتابه الجديد : « كفاح المسلمين فى تحرير الهند » انه الاستاذ عبد المنعم النمر ، الذى بعث الى الهند عام ١٩٥٦ من الأزهر ، وقضى هناك اكثر من عامين مدرسا باحدى جامعاتها ، حيث استغل أوقات فراغه فقام بدراسات على جانب من الأهمية فى تاريخ الاسلام فى الهند وحضارة المسلمين وجهودهم فى الميادين الثقافى والسياسى ، وحين عاد الى القاهرة مدرسا بالازهر ثم مفتشا به لم يدع دراساته تقبع فى احدى زوايا مسكنه، ولم يستودعها الله فى احد أروقة المخطوطات بدار الكتب أو الجامعة العربية او حتى مكتبة الازهر ، بل سعى بنفسه الى نشرها وبعث الحياة فيها ، وكان ان نشر كتابه الأول : « تاريخ الاسلام فى الهند » فى أوائل عام تسعة وخمسين وتسعمائة والف ، ونشر كتابه الذى بين أيدينا « كفاح المسلمين فى تحرير الهند » والكتاب الثالث المكمل لدراساته بين يدى المطبعة فى طريقه الى النشر وهو تراجم وافية عن اعلام الهند المسلمين ..

وكتابه : « كفاح المسلمين فى تحرير الهند » الذى بلغت صفحاته ثلثمائة وخمسين صفحة، له خطورته لأنه يسجل فترة حاسمة من تاريخ الهند وكفاحها ضد الاستعمار ، قام خلالها المسلمون هناك بالدور الاول البطولى ، دون ان يتكرم التاريخ عليهم بشىء يذكر من الانصاف ، كما يسجل ما لقيه المسلمون من العنت الطائفى مما ازهق الالوف المؤلفة من ارواحهم ، دون أن يضفى عليها كلمة رثاء واحدة من التاريخ نفسه ، ويتصدى المؤلف العالم الاستاذ عبد المنعم فى كتابه لهذه الفترة الحاسمة من تاريخ الاسلام والمسلمين فى شبه القارة الهندية ، فيصحح اخطاء ، ويزيل أوهاما ، ويهتك شبهات ، ويدحض مفتريات ، متحريا فى عمق قيم النزاهة والصدق ، والعدالة والانصاف ، دون ما تعصب او تشف او تطرف .

يقول المؤلف فى مقدمته :

.. وحفزنى الى الكتابة عن هذه الفترة، ما لمسته لدى قراء العربية من معلومات متناثرة عن تاريخ المسلمين هناك ، أكثرها لا يمت للحقيقة بصلة ، بل يهدر كثيرا من جهودهم ومواقفهم الجريئة ضد الاستعمار ، وتضحياتهم العظيمة من اجل تحرير الهند .. فقد هالنى ما سمعته من احكام ظالمة قاسية يصدرها بعض المثقفين — الذين لهم نصيب ومشاركة ايجابية فى توجيه الجيل الحاضر — على المسلمين الهنود وموقفهم من الاستعمار، ويصورونهم بانهم كانوا ضالعين مع الانجليز ضد الحركة القومية ويودون أن تبقى للاستعمار سيطرته على البلاد ، فى الوقت الذى كان فيه هؤلاء اسبق مواطنيهم الى مقاومة الانجليز ، منذ وضعوا اقدامهم على ارض الهند ، كانوا يعيشون لمبدئهم الذى تلقوه عن اسلافهم ، مبدأ الجهاد لاخراج الانجليز من الهند ومن كافة البلاد الاسلامية بالتالى .

والمؤلف لم يكتف بسرد الوقائع سردا تاريخيا بل أهتم اهتماما كبيرا بتحليل الأحداث تحليلا دقيقا بملابساتها وظروفها . ويعنى بمسالة تقسيم الهند

انى دولتى الهند وباكستان ، ويذكر ان تقسيمها على اساس دينى كان مما ساعد على تشويه موقف المسلمين عندنا ، دون ان نتعمق ونعرف الظروف والبواعث التى حدت بالمسلمين هناك الى اتخاذهذا الموقف على كره منهم ، ونعرف المسئول عن ذلك.

كما يهتم المؤلف ايضا : بالدفاع عن موقف المسلمين فى عدم التعاون مع حركه اللا عنف التى بدا بها غاندى عام ١٩٢٠ ، وذلك لان الاسلام لا يقر السلبيه المطلقه اذا كانت استسلاما كليا لظالم يفعل بفريسته ما يريد ، ولأن حركة غاندى ليست كما نتوهمها ــ قد اعتنقها الشعب الهندى كله او اغلبه أو انها سارت فى طريقها كما يريد ، وانها تبعا لذلك هى التى حققت للهند آمالها فى الاستقلال، واستدل المؤلف برأى نهرو فى فكرة غاندى فى : انها كانت ملائمة الى حد ما للتفكير الهندى ، ولكنها لم يكتب لها النجاح فى الميدانين السياسى والاجتماعى .

وكذلك يبدى المؤلف اهتمامه بمشكلات: كشمير وحيدر اباد وجوناكدا ، وموقف الاستعمار البريطانى الذى حرص على الا يرحل دون ان يخلف من ورائه مشكلات كفيلة بان تستنزف دماء الالوف من ابناء الدولتين الكبيرتين .

كان من رأى الاستعمار وهو يوقع وثيقة الاستقلال للهند على رغم منه ، ان يترك لأمراء هذه الولايات حق تقرير المصير : اما الى الهند واما الى الباكستان مع مراعاة التقسيم الطائفى ، ودون اى اعتبار للشعب ، وحتى هذا المبدا الجائر لم تلتزم به الهند، فحاكم حيدر اباد مسلم طلب الانضمام الى الباكستان وكذلك حاكم جوناكدا ، فبادرت الهند الى احتلالهما، واستجابت الهند الى نداء حاكم كشمير الهندوكى لولاية اغلب سكانها مسلمون واستولت عليها..

وهكذا بدا التناقض واضحا لا فى المجال السياسى وحسب ، بل فى المجال الخلقى ايضا ، حيث تخلت الهند عن مبدأ اللاعنف فى قضايا هذه الولايات الثلاث التى تخاصمها فيها الباكستان ، وتمسكت بهذا المبدأ ازاء الاستعمار البريطانى الذى انهك قواها ، وتتمسك به الآن ازاء بعض المقاطعات التى لم يزل يحتلها الاستعمار البرتغالى وغيره .

ان الاستاذ عبد المنعم النمر تمسكا بمبدأ النزاهة فى الحكم ، كما ارخ لبطولات المسلمين فى تحرير الهند ، وسجل لهم صفحات ناصعة بيضاء ، لم يرحم بعض الزعماء المسلمين الذين تواطأوا مع الاستعمار من اجل مكاسبهم الشخصية ومنافعهم الذاتية . وفى مقدمة هؤلاء الزعماء المنحرفين السير سيد أحمد خان وغيره .

وقد يرى ضيق الأفق ان المؤلف اعتمد كثيرا على النقول فى اسراف ، دون ان يدرك ان التاريخ لقضية من القضايا السياسية يجب أن يعول كثيرا على النقول ، ولا سيما ما يمثل منها آراء على جانب من الدقة والنزاهة معا ، وحسب المؤلف العالم انه قدم الى المكتبة العربية اول كتاب من نوعه يؤرخ لكفاح المسلمين فى تحرير الهند ، ويقف الى جانب الكتب العديدة التى هبطت على المكتبة العربية عن غاندى ونهرو وغيرهما ، ومذكرات خاصة بهم عن ذكرياتهم فى حركة التحرير الهندية من وجهة نظرهم الخاصة دون ان يعنوا بغيرهم ، وكانت هذه الكتب والمذكرات الخاصة هى النافذة التى امكن ان نطل منها على شىء من تاريخ الحركة الاستقلالية فى الهند .

***

وبعد ...

حتى اذ رد هنا : انى لا اقصد ان اغمط اقدار مبعوثى الازهر الى العالم ، فان توافرهم على تدريس الاسلام ونشره عمل جدير بالتقدير ، وانما اريد ان تمتد مهمة المبعوث الازهرى الى الدراسة والتنقيب فيما يتصل بقضايا الاسلام والمسلمين ، ويا حبذا لو اشترط الازهر فى المبعوثين مثل هذه الدراسات ، فيكون جهدهم مضاعفا ، ويا حبذا لو اخذ على عاتقه نشر هذه الدراسات لتتم الفائدة .

انى آسف اذ اقول : ان دراسات الاستاذ عبد المنعم النمر لم يحس بها الأزهر ولم يفكر فى ان يحس بها ، وهو يطبع كتابه الثالث الآن فى احدى دور النشر بالقاهرة ايضا ــ ومع ذلك فان على المبعوث ان يعمل اولا ، وليس له أن ينتظر الجزاء من الأزهر أو من غيره ، فان الفرق بينه وبين غيره انه أراد لنفسه أن يكون صاحب عقيدة تنتظر منه واجب الوفاء اينما كان وحيثما وجد ...!

محمد عبد الله السمان

مصادر القصص القرآني

بقلم : عبد الحميد ابراهيم محمد

إن القارىء للقصص القرآني لتصافح أذنه أسماء شخصيات ، ويلاحظ أحداثاومشاهد يجدها في التوراة والانجيل ، بل أحيانا يجد مشابهة الى حد ما في سير بعض القصص ، كقصة يوسف . فسرعان ما ينتقل ذهنه الى سؤال : هل استقى القرآن أحداثه القصصية من تلك الكتب السماوية ، وهل صنع صنيعها في بناء قصصه ، أو أن الأمر لا يعدو مجرد اتفاق في أسماء ، ومشابهة في أحداث ؟

ان أدنى تصفح للقصص كما هي في القرآن وللقصص كما هي في التوراة مثلا ، ليوحي بأن بينهما مخالفة ، لا في التفصيلات والجزئيات فحسب ! بل وفي الغرض ، والمنهج .

فروح التاريخ ظاهرة في التوراة ، فتحس أنك أمام كتاب تاريخ أولا ، ثم كتاب عظة ثانيا ، فهي تبدأ فتؤرخ للكون من قبل خلق آدم ، ثم تسلسل التاريخ ، كما يفعل المؤرخ الذي يهمه ترتيب الأحداث ومراعاة الزمن . ولا تنسى في خلال ذلك أن تعقد كتابا لأولاد آدم ، تذكر فيه أسماءهم وأعمارهم ، حتى تصل الى نوح ، فتعقد كتابا لأولاد نوح ... الخ . وهي تتنبه لبعض الملاحظات التي يتنبه لها المؤرخون ، فتحدد الأمكنة ، وتذكر الأسماء ، وتفصل الاحداث ، فالجنة ـ كما في سفر التكوين ـ قد غرست في عدن شرقا . والشجرة التي نهى عنها آدم تسمى شجرة معرفة الخير والشر . وفي الجنة نهر ينقسم الى أربعة رؤوس ..

وليس هكذا صنيع القرآن ، فانه كتاب عظة أولا وقبل كل شيء ، ولذلك اختلف نوجه عن نهج التوراة فهو لا يبالي بالأسماء ، ولا بالجزئيات ، ولا يذكر أولاد الأنبياء ولا أعمارهم ، ولايعنيه تحديد الأمكنة ، ولا ترتيب الأزمنة ، وكل ما يهمه ان يركز الضوء على الحدث الذي يخدمه في غرضه ، لا ينساق مع التفصيلات ، ولا يضيع العظة في غمار الاحداث .

اختلف الغرض اذن في القصص القرآني عنه في قصص التوراة ، فاختلف النهج بينهما ، واختلفت التفصيلات والتفريعات . وكل هذا وغيره يجعلني اقول : انهما لم يتفقا في كثير من الاشياء ، ولم يحذ أحدهما حذو الآخر ، وانما هو مجرد اتفاق في بعض الاسماء ، ومشابهة في بعض الاحداث .

ولكن من أين أتت تلك المشابهة ، وذلك الاتفاق ؟

عرف العرب اليهود قبل الاسلام ، عرفوهم في المدينة وما حولها ، وعرفوهم في اليمن ، واستعرب بعض اليهود وقالوا شعرا بالعربية كالسموءل بن عادياء كما تهود بعض العرب . وعرف العرب أيضا النصرانية ، عرفها الغساسنة على حدود الشام ، وعرفها المناذرة على تخوم العراق . وتعرب بعض من النصارى كعدى بن زيد ، كما تنصر بعض من العرب كورقة بن نوفل .

فلا غرو أن تنتشر بين العرب قصص التوراة والانجيل . اذ تحدث اليهود عن قصص موسى وأخيه ، وعن داود وسليمان ، وعن هاروت وماروت ، وعن يأجوج ومأجوج . وتحدث النصارى عن عيسى وأمه ، وعن المسيح وصلبه . ويسمع العرب بكل هذه القصص ، فتصادف لديهم حاجة ، ويتداولونها . ويسارع الشعراء الى ارضاء هذه النزعة ، فينشئون القصائد لذلك . وسأضرب المثل بأمية بن أبي الصلت ، فقد التقط ما هو متطاير في الجو من أحاديث وخرافات ، وعكسه في شعره في شكل قصائد ، تتحدث تارة عن قنزعة الهدهد ، ومرة عن قصة الفداء ، وثالثة تسجل حوارا بين موسى وفرعون ، ورابعة تتحدث عن الحمامة التي أنقذت ركاب سفينة نوح ، وخامسة عن عيسى بن مريم

والى جانب هذا يحدثنا التاريخ عن قوم ليسوا

بيهود ولا نصارى ، قوم قد ضاقت نفوسهم بما يفعله قومهم ، فعبدوا الله على ملة أبيهم ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ؛ وان السيرة لتحدثنا ان محمدا (ص) كان من هؤلاء الحنفاء ، وكان يخلو في غار حراء يتعبد فيه على ملة ابراهيم .

ومن المنطقي أن يكثر هؤلاء الحديث عن أبيهم ابراهيم ، وعن ابنه اسماعيل جد العرب ، وعن بئر زمزم التي أعاد اكتشافها عبدالمطلب جد النبي (ص) . ولكن هل كان هذا هو كل الرذاذ الذي ينتشر في افق الجزيرة العربية ، ويكون ثقافة أهلها ؟؟

لا .. فقد وجدت ــ بجانب ذلك ــ ثقافة اخرى ، تعاونت على تكوينها البيئة الصحراوية ، والتربية العربية ، والاتصال بالأمم المجاورة .

فالعرب أمة تعيش في صحراء رهيبة ، يلفها الليل بطياته ، فيزيدها رهبة ، وتتردد في جنباتها أصداء الرياح ، وتطل عليها عيون من السماء ذات شرر ، وتتناثر فيها هنا وهناك الشهب المشتعلة . فماذا يفعل العربي أمام تلك المظاهر ؟ لقد جسدها ، واعتقد أن هناك جنا تملأ الصحراء ، فكثر حديثهم عن الغيلان والسعالى ، وعن الهواتف ، وعن تشكل الجن في صور مختلفة ، وذكروا أن منهم من كان يصاحب الجن ، ومنهم من كان يتزوج بها ، الى غير ذلك من أوهام ، يرى المسعودى (مروج الذهب ٣٢٦/١) ان ذلك بسبب التوحد في القفار ، والتفرد في الأودية ، لأن الانسان اذا سار في المهامه داخلته الظنون الكاذبة ، والأوهام الفاسدة ، فصورت له الاصوات ، ومثلت له الاشخاص ، وأوهمته المحال .

وشاعت بين العرب شخصيات اسطورية ، حاكوا حولها حكايات يحملونها الأمثلة والأفكار ومن هؤلاء شخصية لقمان ، فقد كانوا يضربون به المثل في الفطنة والزكانة ، وفي المكر والدهاء ، وينسبون اليه أمثالا فيها خبرة الدهر وحكمة الزمن .

وحكايات الحيوانات شاعت بين هذه الأمة البدوية ، فالظليم ذهب يطلب قرنين ، فرجع بلا أذنين . والهدهد اراد أن يبر امه بعد موتها فحملها على رأسه وبقيت فيه الى اليوم . والحيوانات تنطق بالأمثلة فتشيع بين القوم ويتناقلونها ، كقصة الأرنب والثعلب حين احتكما للضب ، فقد وردت فيها أمثال كثيرة . جاء في دائرة المعارف الاسلامية في مادة أمية « وابن أبي الصلت مولع الى جانب ذلك بقص بعض الحكايات على السنة الحيوانات . ويلاحظ في شعره أيضا ذكر للأعمال السحرية » .

هذه شذرات ضربناها مثلا للثقافات المختلفة التي ساهمت في تكوين العقلية العربية ، وتشكيل وجدانها ، ورسم لاوعيها .

فما هو موقف القصص القرآني إزاء تلك الثقافة ، وهذا الجو الذي نشأ فيه ؟

ان جزءا من تلك الثقافة أدخل في باب الأساطير ، كما تبين لنا من تعليق المسعودى على الهواتف والجان ، والظنون الكاذبة ، والأوهام الفاسدة . فهل يلغيها القرآن ــ وهو تنزيل من حكيم عليم ــ بجرة قلم ؟ واذا فعل ، فهل يستطيع ان يضمن لدعوته النجاح ، أو أن النتيجة ستكون ازورار القوم واعراضهم عن هذا الشيء الذي يصدم وجدانهم ، ويهزأ بلا وعيهم ؟؟ .

ان القرآن لم يصدم وجدانهم ، ولم يهزأ بلاوعيهم ، بل استطاع أن يتحايل مع هذا الوجدان، وأن يطب لهذا اللاوعي ، حتى أمكنه نقل العرب من عقائدهم القديمة ، الى عقائد اسلامية جديدة .

« .. حرك لها حوارها تحن » تماما .. لقد حرك القرآن أشياء تهم العرب ، فحنوا اليه ، واستجابوا لمبادئه .

نظر القرآن فوجد شخصيات اسرائيلية مالوفة وشائعة بين العرب ، فلم لا يحملها مبادىء دعوته ، ويكسب سمعتها والفتها ، فيجعلها تهمس بمبادىء اسلامية « ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب ، يابني، ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم **مسلمون** . أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ، اذ قال لبنيه : ماتعبدون من بعدى ؟ قالوا نعبد الهك ، واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق ، الها واحدا **ونحن له مسلمون** » . أشك في أن هذا الموقف قد حدث بقضه وقضيضه . فلم يكن الاسلام قد ظهر أيام ابراهيم وأبنائه ، حتى يوصي به الآباء الأبناء . ولكنه التصوير الأدبي الرائع ، الذي يتخذ من شخصية مشهورة ، شاعت قصصها واخبارها وسيلة لبث المبادىء والأهداف .

وكذلك أيضا عيسى بن مريم ، النبي الذي دارت أحاديثه على الألسنة ، وذكر أمية قصته في شعره ، فلم لا يلجأ القرآن الى وسيلة أدبية رائعة ، فيحمل عيسى هذا مبادىء الدعوة الاسلامية « فلما أحس عيسى منهم الكفر ، قال من أنصاري الى الله ، قال الحواريون : نحن انصار الله ، آمنا بالله ، واشهد بانا مسلمون »

ويشيع الحنفاء فكرتهم عن بناء ابراهيم واسماعيل للكعبة . وهنا موقف خصب للقرآن ،

فلياخذ تلك الفكرة ، وليكسب انصارها الى صفه ، ثم يوحى اليهم بمبادىء دعوته « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل : ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم · **ربنا واجعلنا مسلمين لك . ومن ذريتنا امة مسلمة لك .... ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو** عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم » ·

وشاعت بين العرب عقيدة الجن ، وآمنوا بها ايمانا عميقا . أفلا يكون اعجازا ان يحمل القرآن شخصية « جنية » بعض مبادىء الدعوة ؟ وقد حدث ، اذ تخيل نفرا من الجن وأجرى على السنتهم حديثا اسلاميا ، تضمنته سورة الجن ، منه « **وانا منا المسلمون ، ومنا القاسطون فمن اسلم فاالئك تحروا رشدا** » · ان النظام من المعتزلة ينكر وجود الجن ، والزمخشرى يرى أن زعم من يدعى رؤيتهم زور وخرافة ، ومحمد عبده يفسر الجن بالميكروبات الخفية ، ولكن هؤلاء وغيرهم لا يستطيعون انكار اثر هذه السورة ، وقدرتها على جذب افئدة العرب ، لأنها تجرى حديثا على السنة شخصيات تعيش فى وجدانهم ·

والعرب قبل انبلاج الاسلام كانوا يتشوقون الى المجهول تشوقا عارما ، فهم فى مرحلة الانتظار التى تسبق عادة الثورات والدعوات الكبرى ، وكانوا يحاولون كشف الحجب ، وازالة السجف . تارة بالاستعانة بالجن والشياطين ، واخرى باللجوء الى العرافين والكهان ، وهنا يبدو اعجاز القرآن فيدق على هذه النغمة . ويقص فى سورة الكهف قصة موسى مع ذلك العبد الذى آتاه الله من لدنه علما . فموسى هنا فى نظرى يمثل العربى فى قلقه وتشوفه · وما ذلك العبد الا مثل يضربه القرآن للعرب ليأتوا البيوت من ابوابها . وليعرفوا ان الجن والشياطين والكهنة والعرافين ، لن يستطيعوا من ذلك شيئا . لذلك لم يكن عبثا أن يقول لموسى فتاه « انى نسيت الحوت ، وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره » . فالشيطان الذى يسند اليه العرب معرفة الخبايا ، مدعاة للنسيان . ولم يكن عبثا أيضا ان يعلق العبد اللدنى · بعد أن أزال لموسى الحجب بقوله « رحمة من ربك ، وما فعلته عن امرى » نعم ، انه لا يستطيع ان يفعله عن امره ، ولن تستطيع الشياطين ، ولا الجن ، ولا العراف ، ولا الكهان أن يفعلوا شيئا عن أمرهم .

وشخصية لقمان ، شخصية اشتهرت بأنها ذات حكمة وفطنة · أفلا تكون مناسبة لأن يحملها القرآن مبادىء دعوته . انها اشبه بحوار العرب الذى يحرك لها ، فيلين صعبهم ، ويزول الوقر من آذانهم الذى اشار اليه القرآن فى أول سورة لقمان ، ويتنبهون لنصائح لقمان لابنه · وهى نصائح اسلامية يامره فيها بالصلاة والزكاة ·· الخ ·

وعرفنا ان العرب قد عرفوا قصص الحيوان . فيسير القرآن فى هذا الاتجاه · ويجعل بعض الحيوانات تنطق بمبادىء اسلامية . فمثلا شخصية الهدهد حيكت حولها اساطير جاهلية واذن فليختره القرآن ، وليجعله ينطق فى ثقة المؤمن ، وحرارة صاحب العقيدة ، بقوله وهو يخاطب سليمان : « وجدتها وقومها يسجدون للشمس دون الله ، ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض ، ويعلم ماتخفون وما تعلنون ·· » فيامره سليمان ، بأن يلقى اليهم كتابا ، مستفتحا بما استفتحت به السور القرآنية التى نزلت بعد سليمان بقرون ، ويامرهم فيه بترك العناد ، والاتيان له مسلمين وهذا نصه : « **بسم الله الرحمن الرحيم : الا تعلوا على ، وأتونى مسلمين** » ·

لقد كان المشركون قصيرى النظر ، حين اقتصروا على وصف القرآن بانه ما هو الا اساطير الأولين ، ولم يتنبهوا الى ماتحتويه هذه التى يسمونها أساطير الأولين من ايحاءات ومن معان ثانية ، جاء فى تفسير الرازى « انهم كلما سمعوا شيئا من القصص ، قالوا ليس فى هذا الكتاب الا اساطير الأولين . **ولم يعرفوا ان المقصود منها ، ليس هو نفس الحكاية ، بل أمور أخرى مغايرة لها** »

وفذلكة الموضوع ، أن مصادر القصص القرآنى لم تكن التوراة ، كما هى مدونة فى كتب اليهود . ولم تكن الانجيل كما هى مكتوبة عند النصارى · ولكنها كانت وجدان العرب وثقافتهم ، وما يعتلج فى لاوعيهم ، ويعتور فى مكنونهم ·

وذلكم هو الاعجاز الفنى الخالد . الاعجاز الناشىء من العلاقة الوشيجة بين الكلمة والمتلقى ·

وهذا أيضا هو سر نجاح كل اثر فنى وذيوعه . ومانجاح توفيق الحكيم فى « عودة الروح » ونجيب محفوظ فى شعبياته ، الا بسبب أنهما استطاعا ان ينفذا الى الروح المصرى وأن يعكساه وما نجاح تشيكوف الا بسبب تغلغله الى أعماق الشعب الروسى ووجدانه .

عبد الحميد ابراهيم محمد



توصيات المؤتمر الثانى

لأسبوع الكتاب العربى



الأستاذ يحيى ابو بكر

اسفرت المناقشات في المؤتمر عن التوصيات التالية :

اولا : فى النواحى التشريعية :

١) يرى المؤتمر المبادرة الى تكوين اتحاد الناشرين فى ج ٠ ع ٠ م ، لانه نقطة الانطلاق نحو التنظيم الفعال في انتاج الكتاب العربى وترويجه ، لذلك يؤيد المؤتمر مشروع القانون الذى اعده المجلس الاعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في شأن انشاء اتحاد للناشرين في ج ٠ ع ٠ م ٠

٢) يرى المؤتمر ان تحقيق الوظيفة الثقافية والاجتماعية للكتاب في المجتمع الجديد يقتضي ان يكون في التشريع مايزيد رواج الكتاب في الداخل والخارج ، ولذلك يوصي المؤتمر في هذا الشأن بما يلي :

أ ـ في الداخل :

١) تخفيض اسعار الاعلانات عن الكتب في الصحف والاذاعة والتلفزيون بمعدل ٢٥٪ من الاسعار المحدده .

٢) نقل الكتب مجانا في قطارات الصحافة اسوة بالصحف .

ب ـ في الخارج :

١) تطور تسويق الكتاب العربى فى الخارج فى ضوء النتائج الفعلية التي تحققت من سياسة فتح الكتبات .

٢) السماح بنقل النسخ الأولى المهداة الى الوكلاء والمكتبات في طائرة الصحافة مجانا ، تعريفا بالكتب التى تصدر حديثا .

٣) وضع سعر الكتاب على غلافه بالعملات الاجنبية المقابلة لسعره بالعملة المصرية

ثانيا : فى النواحى التحريرية :

يسجل المؤتمر النهضة التى حققتها حركة التاليف والترجمة في العام الماضي وينوه بالجهود التي قامت بها دور النشر بالقطاعين العام والخاص ، ودعما لهذه النهضة يوصى بما يلي :

١) توجيه عناية خاصة بالكتب العلمية والتكنولوجية تاليفا وترجمة مسايرة للمرحلة التي يمر بها مجتمعنا الحاضر .

٢) يوصي المؤتمر بارتياد الافاق الجديدة في انتاج الكتب ويرحب في هذا الصدد بظهور كتب « اسمع واقرأ » وهو يرجو ان يرى قريبا الكتاب المجسم والكتاب المتحرك ، للاطفال .

٣) يوصي المؤتمر بتيسير استيراد الكتب

في المجلات الثقافية والعلمية الاجنبية وبخاصة ما تحتاج اليه الجامعات ومراكز البحث العلمي ودور النشر للرجوع اليها او ترجمتها .

٤) يوصي المؤتمر بتنميط مواصفات الكتاب وذلك :

ا ـ بتوحيد بيانات صفحة العنوان ومنها النص على تاريخ النشر .

ب ـ بعمل فهرس لكل كتاب ووضعه في اوله .

ج ـ عمل كشاف مصطلحات في آخر الكتب العلمية والمترجمة .

(د) ذكر العنوان الاصلي للكتاب المترجم بلغته ووضع بيانات كتب التراث في آخرها بالاحرف اللاتينية .

ثالثا : في النواحي الانتاجية :

يلاحظ المؤتمر ان مسايرة التقدم العالمي السريع في العمليات الانتاجية لصناعة الكتاب تقتضي تعزيز مواد الانتاج ووسائله ، ولذلك يوصي بما يلي :

١ ـ السماح باستيراد أنواع الورق والحبر التي لاتنتجها الشركات المحلية في الوقت الحاضر . وتيسير استيراد الات الطباعة الحديثة وقطع الغيار .

٢ ـ ادراج انشاء مصنع للاحبار ضمن خطة التنمية الثانية .

٣ ـ انشاء معهد عال للطباعة يدخله خريجو المدارس الثانوية الصناعية والعامة وانشاء دراسات تخصص للطباعة بعد البكالوريوس ، باحدى كليات الهندسة .

٤ ـ تخفيض سعر ورق الطباعة الى الحد الذي يسمح بانتاج الكتاب الجيد بسعر يلائم القارىء .

رابعا : النواحي التسويقية :

يسجل المؤتمر بالتقدير المجهودات التي بذلت حتى الآن في سبيل نشر الكتاب العربي، ويوصي باستمرارها . كما يوصي دور النشر وبخاصة مؤسسات القطاع العام أن تتعاون فيما بينها على توسيع شبكة التوزيع بانشاء مكتبات في المدن الخالية منها ، وبتبادل المطبوعات بين الناشرين .

● حول أدب سعيد العريان : هو موضوع الندوة التي يقيمها نادي القصة وجمعية الأدباء مساء الأربعاء القادم . ويشترك في المناقشة : الدكتورة سهير القلماوي والدكتور مهدي علام والاستاذ محمد خلف الله أحمد .

● يناقش هذا الاسبوع الدكتور عفيفي محمود والشاعر عبده بدوي كتاب « في صحبة العقاد » تاليف طاهر الجبلاوي ، والمناقشة في ندوة ناجي ..

● من الاعماق ـ اسم الديوان الجديد الذي يصدر قريبا للشاعرة عزيزة كاتو .

● ستصدر مجلة الافق الجديد الاردنية عددا خاصا عن ادب النكبة في اول يناير القادم . (المجلة تصدر في القدس)

● صدر عن دار القلم كتاب « خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية » للمجاهد العربي عبد الله التل .

● غنيت للدنيا .. ديوان جديد للشاعر محمد علي أحمد يصدر خلال الشهر القادم .

● أرسلت الهيئة المحلية للفنون والاداب بالاسكندرية الى الأدباء والشعراء السكندريين دعوات خاصة تطالبهم فيها بتقديم مقترحاتهم بمناسبة افتتاح الموسم الثقافي الجديد .

● تقدم الشاعر محجوب محمد موسى بديوانه « اغني للناس » لمشروع الكتاب الأول .

● سترسل محافظة البحيرة الاديب حسن قاسم ليمثل أدباء البحيرة في مهرجان الشعر ببغداد ... المحافظة دفعت نفقات سفر مندوبها ذهابا وايابا .

● سيسافر الاستاذ عصام الحيني الى بغداد في يناير القادم كمندوب لمجلس الفنون ليرتب ماتتطلبه اقامة الشعراء العرب الذين ستدعوهم الجمهورية العربية المتحدة الى مهرجان الشعر في بغداد .

● الكتاب الذي يؤلفه عباس خضر لسلسلة أعلام العرب ـ عن «محمد تيمور» وليس محمود تيمور كما جاء في العدد الماضي بسبب خطأ مطبعي .

ظلال

للشاعر : البيلي عبد الحميد حسن

● سمراء :

سمراء يانور الحياه ..
يا بسمة فوق الشفاه
يا ضحكة الأمل الطروب تماوجت فوق الجباه
يا زهرة الفجر الندى تزف للدنيا شذاه
يا آية الحسن الفريد اذا تمليئا سناه ..
.. أواه من نار الهوى .. يا جنتى أواه .. ؟!

زورق في عاصفة



أنا المرء الذى دنياه ليل
من الآلام ، لم يشهد صباحه
مضى فى الكون زورقه فريدا
يبعثر فى الدجى الطاغى .. جراحه
وحاصره الضباب ، فظل يبكى
وريح الليل مارحمت جناحه
وصار الموج يدفعه لدنيا
من الاجداب قد شربت كفاحه ..
.. فراح يردد الآهات شدوا
ويسكب فى فم الدنيا نواحه !

إنسان

جاء الحياة .. وليته ما جاء يعصره العذاب
ورأى طريقا عاصفا بالهول ، يزخر بالصعاب
فمشى به « حملا » ضعيفا بين أنياب الذئاب
وغدا سيتركه ، ودون مرامه يلقى الحساب
متسائلا : هل للثواب نهايتى أم للعقاب
دنياى رحلة حائر جوعان يقتات السراب ؟ !



حول الأدب في أسبوع

يقدمه عبده بدوي

ماذا يدور في الحفل الأدبي

بدأت الجبهات الأدبية تتحرك في كافة الميادين ، ففي رابطة الادب الحديث رأينا تجربة جديدة كنا قد دعونا اليها على صفحات هذه المجلة في العدد ١٠٦٠ وقلنا ان الشعر يلقى في الندوات كفقرات مرفهة مما يجعله يشبه « الموسيقى الخلفية » التي تكون في خدمة أحد النصوص ، وانه ان لم يتخلل الابحاث التي تلقى فانه لايعدو أن يكون حزمة متنافرة الاضواء لمجموعة من الشعراء ، وأن هذه الحزمة تمس بالعينين مسا خفيفا من أحدالنقاد ، ثم يخرج الناس دون أن تتكون عندهم فكرة واضحة عن الشعر وأبعاده في هذه الفترة .

وفي ضوء هذا دعونا الى مايسمى بالقراءة الشعرية من شاعر واحد يغمر بعض الليل بما يختاره هو من شعره ، ثم يعقبه ناقد بالدراسة ، ثم يفتح الشاعر قلبه للأسئلة من الجمهور .. ومن خلال التجربة التي تمت بين الاستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي وبيني أعتقد أنها تجربة ناجحة ، وأن على كافة نوادينا الثقافية أن توفر هذه اللقاءات بين شعرائنا وبين الجمهور ، فقد يأتي اليوم الذي تستطيع فيه هذه النوادي أن تنافس الاقبال على السينما والمسرح ، وأن يوجد الجمهور الذي يستطيع أن يردد مع الشاعر بعض المقاطع من شعره في صورة جماعية ، وأن تتحقق ظاهرة « الطابور » لسماع ليالي الشعر في ليالي القاهرة .

***

● **وفي الجمعية الادبية المصرية** شهدنا لقاء بين عدد كبير من المفكرين كان نجمهم ـ بحق ـ الدكتور سهيل ادريس ، فقد ألقى كلمة بدأها مرحة ، ثم انتهى بها الى الجد المشرع كحد السيف ، حين تكلم

عن عشرات التيارات التى تنصب فى عالم الادب فى لبنان ، وعن ضرورة اخصاب الارض بالكلمة العربية الشريفة ، وعن الدور الطليعى الذى يجب أن يأخذه أدباء الجمهورية العربية المتحدة فى العالم العربى ٠

***

● **وفي مقر الرسالة حضرت** الدكتورة الالمانية سامية الازهرية ، التى تعمل الآن فى معهد « فسيولوجيا الاعصاب » بالسويد ، وفى الوقت نفسه تهتم بما تسميه اللغة الموحدة ، وتقول ان عالمها الذى يجب أن تبدأ به هو عالم الطفل ، ومن هنا كانت حريصة على أن ترينا « بروفات » كتاب يجمع بين قصص بالعربية ، وترجمتها الى هذه اللغة التى تدعو اليها ، وقد طافت من أجل هذه الغاية بالمغرب والسودان والاردن وسوريا ولبنان ، كما حضرت الى الجمهورية العربية المتحدة مرتين ، وقد كانت من الجد والحماس للفكرة الى حد أنى حين استوقفتها لتكلمنى عن ابنها « أحمد » الذى تركته فى السويد والذى لم يتجاوز عامه السادس ٠٠ لم ترد أن تتوقف أو تتنهد ، وانما تابعت حديثها فى صوت ووجه وأهداب صارمة عن اهتمامها بالاصل الواحد الذى يكاد يكون الخيط الرئيسى بين كافة الشعوب فى الادب الشعبى ٠

وحين قابلتنى فى الاسبوع الثانى للكتاب العربى عندما تعرضه مكتبة الكيلانى لم تنس أن تقول لى ـ بالصوت والوجه والاهداب الصارمة ـ ارجو أن تكتب عنى الرسالة ، وكلفت أحدالواقفين بأن يرسل اليها المجلة على عنوانها ، وشدت على يدى دون أن تبتسم عيناها ، رغم أنهما يضمان عمق المحيطات ٠

**

● **وفي مقر الرسالة ايضا** حضر الشاعر عبد الوهاب البياتى ، وقد كان حضوره استجابة كريمة لدعوة وجهتها اليه فى الجمعية الادبية المصرية ، فقد حرصت حين علمت بوجوده بين كثيرين فى الجمعية على أن اذهب وأشد على يده ، قبل أن تحدثه نفسه بالحضور الى اما معاتبا أو مناقشا فيما سبق أن كتبت عنه ٠٠ وتعمق اعجابى به حين وقف ليتكلم فاذا به يحتضن العرب وحضارة العرب فى حبة قلبه ، ثم اذا به يتكلم عن الثقافة المعاصرة وعن الجمهورية العربية المتحدة بحيث خيل الى أنى لوكنت قريبا منه وحدقت فى عينيه لوجدت بلادى ـ وبلاده ـ فى الحدقتين !

وفي المجلة خيل الى أنه يعيش على سفر دائما ، فكل شىء فيه كأنه يتحرك ويتشوق ويلوح بمنديل وبالرغم من الاهتمام المثار حول شعره ـ وشعره يستحق ٠

وبالرغم من الصليل الذى يرتفع أحيانا من خلال بعض مضامينه ،الا أن الجالس معه يحس أنه يجلس مع قطعة من الشمس الطيبة ، وكما أن الشمس تعطى كل مافى قلبها بسخاء ، فانه يعطى كل مافى قلبه بطريقة بسيطة تجعلك تتخيل أنه لم يقل شيئا ، ومن هنا تكون له هذه الخاصية التى تجعلك على غير معرفة به تمد يدك اليه قائلا « أهلا بالشاعر عبد الوهاب » ٠

ان على جبينه مسحة الرحيل ، وفى صوته العراق وفى عينه الطواف ، وفى حركاته التوفز الذى يجعله فى حالة شعر دائم ، وفى شخصيته ما يجعل الانسان لايتكلم معه الا فى الشعر ٠٠ ومن هنا بدأنا نتكلم ونشرب وندخن الشعر ، ولما كنت أعتقد أن اراءه فى الشعر ربما ستكون غريبة على بعض الناس فانى أنقلها هنا بنفس الوميض الذى كان يتوهج منها !

فمن آرائه أن الحركة الشعرية الجديدة ليست منفصلة عن تراث الشعر العربى ، فهى « اضافة » وتطوير للشكل الكلاسيكى ، ومن هنا تكون المعركة بين القديم والجديد « مفتعلة » لانه لايوجد تناقض أبدا بين الجديد والقديم فى الفن والادب بشكل خاص ٠

فكما أن القصيدة العربية الكلاسيكية خاضعة لنوع من النظام منبثق منها ، فكذلك القصيدة الحديثة يجب أن تخضع لنظام منبثق منها كذلك ، وهذا النظام يجب الا يكون بعيدا عن نظام القصيدة الكلاسيكية ، والا كان التجديد نوعا من الحذلقة والضياع ، ولهذا يمكن الحكم على محاولات بعض الشعراء الجدد بانها شكلية وعقيمة وغير مؤدية الى غاية ، وفى الوقت نفسه غريبة عن روح الشعر العربى ٠

ذلك لانه لابد من التزام عدة أشياء ، ومن هـذه الاشياء التي لابد من التزامها في القصيدة الحديثـة ، القـافية ، لانهـا تبعـد عن النثرية ، ولانه بدونها لايمكن ضبط ايقاع القصيدة ، ومن باب أولى الوزن ، فالوزن لايمكن التخلي عنـه الا في مرحلة اللاشعر • ثم انه عاتب على الشعراء لعدم التزامهم بالثقافة اللغوية ، لان من البدهيات أن الانسـان لايمكن أن يفكر الا بواسطة اللغة •

وفي الوقت الذي يذكر فيه أن الشـكل الجديد يبيح اكتشافات جديدة ، ويكون أطوع أداة للمسرح وأنه لايمكن التجويد فيه دون التجويد في «الشعر المتجدد » •• لاينسى ان يذكر أن « الشكل المتجدد» لايزال صالحا ـ وسيظل ـ للتعبير عن كافة التجارب وان العيب لايوجد فيه وانما في الشاعر القاصر في اللغة والتجارب الانسانية •

ويصمت عبد الوهاب فيصمت كل شيء حوله ، ثم يتكلم فتتحرك الاشياء ، ويكون مما يقوله بذكاء : ان بعض قصائده قيلت فيمناسبات بعيدة وأنهالاتمتلكه الآن ، وأن التأويل في الشعر قد يفسده ، ويتحدث عن ناظم حكمت ، وعن ديوانه الجديد ، وعن تفرغه للشعر ، وعن موقفه الحاسم من شعراء الرفض •• ثم يذكر في عتاب يشبه الضوء الخافت ان موقفه ـ في زيارته الاخيرةللبنان ـ كان لا يحسد عليه لأن بعض الشعراء الذين هاجموا قلعة الرفض قد هاجمـوا بعض شعره ، ومن هنا يكون قد وقـع بين مطرقة الاعداء ، وسندان الاصدقاء •

وحين نحاول تلوين الحديث يأبى الشعر الا أن يلوى عنقينا اليه ، وحين نمد يدينا للوداع نحس أن هناك عالما آخر غير عالم الشعر ، وأجدني أهز يده ثم أعود الى هزها من جديد حين حدقت فيـه ثانية ، فاذا على جبينه مسحة الرحيل ، وفي صوته العراق ، وفي عينيه الطواف ، وفي حركاته التوفز الذي يجعله في شعر دائم !

***

● وفي افتتاحية « **اخبـار الثقافة** » بالبرنامج الثاني سمعنا الدكتور لويس عوض ، يتعرض للذين هاجموا دور بعض المنظمات الثقافية في العـالم العربي ، ولايرضى الا عن ذلك النوع الذي كتبتـه الدكتورة بنت الشاطيء •

ثم يدعو الى اعادة دراسة كل مايتصـل بدور المنظمات والمؤسـسات في عالمنا ، والتي تمول من الخارج ، دون أن يكون في هذا اهدار للفكر أو اغلاق للنوافذ ، بعد أن أصبحنا في غير حاجة الى وصاية ثقافية من الخارج ، وبعد أن أصبحنا نعرف مانحتاج اليه ، وبخاصة اذا عرفنـا أن هـذه المنظمـات والمؤسسات تستند الى اتفاقيات ثقافية ، والى مبدأ «المعاملة بالمثل » وأننا لانستطيع تحقيق هذا المبدأ !

وهذا الكلام «الجميل» لايختلف أحد عليه ، ولكن الذي عليه الاختلاف حقا هو أن الدكتور كان من اول المستفيدين من هذه المنظمات ، ومنذ مايقرب من شهر ألح عليه بعض الكتاب في عدم الكتابة لمجلة « حوار » التي تضع نفسها في خدمة الاسـتعمار والصهيونية والتي دمغتها بهذا عن طريق الوثائق مجلة الشعب ببيروت •• ولكنه سخر منهم ودافع عن المجلة ، وهاهو اليوم يحمل لواء الهجوم ويتحرك في اتجاه الريح لاسباب جديدة يعرفها هو ويعرفها كل الذين كتبوا في هـذه المجلة والذين أدركوا خطرها ، ولكنه يأبى الا أن يجعل من الانكسـار انتصارا ، ويأبى الا أن يوهم بأنه داخل الخط لاخارج الخط ، وانه يسـبق حتى الذين أدانوا هذا التيار ، ورفضوا أمواله الغزيرة من أول الامر أو بعد مقال أو مقالين •

***

● **بالرغم من أن البطل الحقيقي في فيلم «بولانتا»** كان الموسيقى ، وهذه الشاعرية المكتسبة أصلا من أوبرا بولانتا المأخوذ عنها الفيلم •• الا أن المشاهد كان يستغرق تماما فيما يشبه الحلم مع الفتاة التي حرص والدها الملك « رينيه » ، ومن حـوله على أن يخفوا عنها أنها عمياء ، وأن من حولهـا عالما كبيرا ومبهجا ، وأن العيون ليست لها وظيفة غير ارسـال الدموع •• وفي الوقت نفسه يرسل في طلبطبيب عربي وحين يتعرف الطبيب حقيقة المشـكلة يؤكد أنها لن تشفى الا اذا عرفت الحقيقة ، وحين يثور الملك يطلعه على فترة من التفكير العربي فيذكر شيئا عن

العالم الجسدى ، والعالم الروحى ، ويقــول بما ترجمته « ان الله على كل شئ قدير »

ولكن شيئا يقع فجأة حين يراها أحد الفرسان فى غفلة ، وتطلع منه على الحقيقة حين يطلب منها وردة حمراء ، ويؤكد الملك انه سيقتل الفارس مالم تشف الفتاة ، ويجدها الطبيب العربى فرصــة لتحقيق علاجه وينجح ، ويدمن الانسان التحديق فى الوجه الذى يمثل شخصية الطبيب العربى ، فاذا به يذكر انه لا يعدو أن يكون غير رمز للعرب الذين فتحوا عينى أوربا على النور ثم استغرقوا لفترة فى النوم .

ولعل هذه الصورة الطيبة للانسان المسلم تذكرنا بتلك الصورة التى رسمها «اليـا كازان» فى فيلم « أمريكا أمريكا » والذى رأينا فيه المخرج بعد أن يقوم الاتراك بمجزرة للارمنيين ، ينقل الـكاميرا مباشرة من الدم الى المئذنة ، ثم يظل يتسلقها ببطء حتى يصل الى الهلال وكأنه يريد أن يقول ان الاسلام – لا الأتراك – هو القاتل !

لقد رأيت الجمهور يرتاح فى مقاعده فى الفيلم الاول ، ورأيته يتململ فى مقاعده فى الفيلم الثانى ، ولعله قد آن الاوان لان يكون لنا نوع من الافلام فى هذا المستوى نستطيع به أن نريح المشـاهد أو نشوش روحه ، دون أن نعتدى فى كلا الحالتين على الحقيقة .

***

● **ألقت كلمة الاستاذ كامل الشناوى** الضوء على كتاب فضـل العرب على أوربا تأليف الدكتورة « سيجريد هونكه » وترجمة الدكتور فؤاد حسنين على ، حينما قرأ عنه تلخيصـا فى مجلة الرسالة ، الى حد أنى حين طلبته من أحد البـاعة اعتذر وقال لى لقد بعت اليوم خمس نسخ منه وهى التى كانت عندى ، ثم نظر الى طويلا كأنه يريد منى أن أوضح له هذا السبب الذى أيقظ الكتاب فجـأة بعد نومه العميق ، وفجأة رأيتنى استحضر الطيبـة المصرية والشعر وعشق الحياة فى هذا الوجه الذى يغادر الآن مستشفى الكاتب ، ويعود الى صـبوة الحرف ، واخضرار الكلمة ، وتحويل كل احساس الى موسيقى وشعر .

وحين تفضل المؤلف باهدائى نسخة من هـذا الكتاب وجدت المؤلفة تقول فى المقدمة « .. وشاء الله أن يظهر من الاوربيين من يجرؤ وينـادى بهـذه الحقيقة فلا نغمط العرب حقهم قديما وحديثا ، ان هذا النفر من الاوربيين المنصفين لا يأبه من تحـدى اولئك المتعصبين الذين أعماهم تعصـبهم الدينى فحاولوا جهد طاقاتهم طمس معالم هذه الحضـارة العربية أو التقليل من شأنها .

ان أوربا تدين للعرب وللحضارة العربية ، وان الدين الذى فى عنق أوربا وسائر القارات الاخرى للعرب كبير جدا ، وكان يجب على أوربا ان تعترف بهذا الصنيع منذ زمن بعيد لكن التعصب الدينى واختلاف العقائد أعمى عيوننا ، وترك عليها غشاوة حتى أننا نقرأ ثمانية وتسعين كتابا من مائة فلانجد فيها اشارة لفضل العرب وما أسدوه الينا من علم ومعرفة ، اللهم الا هذه الاشارة العابرة الى أن دور العرب لايتعدى دور ساعى البريد الذى نقل اليهم التراث اليونانى ، أما العربى فلم يأت بجديد ولم يحقق رسالة .

ان النهضة العلمية الحديثة كشفت الغطـاء عن حضارات الشرق القديم .. وأن هذا الشرق العربى القديم هو وطن الوحى ومبعث الفنون والعلـوم والآداب » .

***

هذا .. وسنعود للكتاب مرة أخرى ، وبقى الآن ماطالب به الاستاذ كامل الشناوى من قيـام الدار القومية باعادة طبعه وعرضه فى طبعـة تكون فى متناول الجميع ، ولعل أرق « باقة » نقدمها الى كامل الشناوى فى هذه الفترة أن نستجيب لما طلبه قلمه ، وما يطلبه القراء .

« **عبده بدوى** »

الكتب
نقد وتعريف
يقدمه : محمد تحسين عبد الحي

الثورة الاشتراكية
قضايا ومناقشات

ترتبط ثورة شعبنا الاشتراكية بكثير من العلامات المميزة التي تتفاوت كما ونوعا في أهميتها من حيث ارتباطها بواقع حركة التقدم الثوري وفي جذورها الضاربة عبر كثير من الالتزامات الاقليمية والقومية والعالمية .

فعلى الرغم من أن تجربة شعبنا الاشتراكية قد قامت على أنقاض مجتمع متخلف ـ ماديا ومعنويا ـ فانها بلاشك استطاعت أن تحقق المزيد من التجارب اللازمة كأساس لنظام اشتراكي ثابت الاركان ـ هو بالدرجة الاولى مقياس لما يمكن أن يتم في داخل كثير من المجتمعات النامية ان لم تكن كلها .. التي تحررت أخيرا من الاستعمار .. وكذلك تتحمل تجربتنا الاشتراكية ـ مسئوليتها المباشرة أمام جماهير شعبنا العربي من المحيط الى الخليج . .لان تجربتنا الاشتراكية في داخل الجمهورية العربية المتحدة ـ أصبحت تشكل رمزا للعمل التقدمي الشجاع .. ونجاحها الذي يجب أن تحققه انما هو مقياس لمدى صحة وأهمية المبادىء التي نعتنقها ـ وسوف يكون لاية نكسة مهما كانت ضئيلة أثرها الواضح على مستقبل العمل التقدمي ـ ولسنين طويلة في جميع أنحاء الوطن العربي .

ان ارتباطات تجربتنا الاقليمية من حيث مقدرتها على مواجهة خطط التنمية بما في ذلك عمليات الانتاج والاستهلاك وتدعيم الحريات العامة وتنمية القدرات الذاتية ـ كل هذه الاشياء رغم اهميتها فانه لايقل عنها اهمية أن يؤمن منفذوها بأن كل تقدم على طول الجبهة الداخلية انما هو تدعيم لابد منه لجبهتنا القومية ـ في طريقها الموصل الى الوحدة الشاملة .. اقول هذا الكلام وفي هذه الفترة بالذات لان بعض الاصوات الهامسة تريد أن تقلل من أهمية العمل الوحدوي ـ في الوقت الذي تبرز فيه قضايا معينة وتدعو للاهتمام بها ـ نعرفها جميعا ـ وأدانها شعبنا

سابقا بشعوبيتها المتضائلة ـ أمام دعوتها العالمية .
وإذا كان يحلو للبعض أن يتخذ من التجربة الاولى

للوحدة بين مصر وسوريا .. نموذجا يقـارن به وعليه .. فانه يجب انصافا للحقيقة أن نقارن نحن هنا بين شيئين :

أولهما : الاشتراكية كاسلوب مضمون للتنمية والتقدم الاقتصادى والاجتماعى ... فكرا ـ وواقعا عمليا .. وأقصد هنا بالواقع العملى اسـاليب وأدوات التنفيذ للفكر الاشتراكى ـ فهل يعنى قصور وجهل وتآمر بعض الافراد على أموال الشـعب وتبديدها ـ كما نرى اليوم مثلا فى قضايا الجمعية التعاونية الاستهلاكية المثارة حاليا فى الصحف ان فكرة المؤسسة التعاونية الاستهلاكية مثلا خطأ فى خطأ .. ؟ بالطبع لا .. على الرغم من أن هذا القصور فى التنفيذ قد كلف المؤسسة كقطاع عام كثيرا من الخسائر المادية والمعنوية .. بحيث أصبحت تقترن فى أذهان البعض بالمحسوبية والطوابير الطويلة ـ والفساد .. الخ .

اذن .. فالتصرفات الفردية لاشخاص من مخلفات الماضى قد أضرت ضررا بالغا ـ ولو من الناحيـة النفسية .. بمبدأ جديد وتنظيم جـديد نعتز به ونحاول أن ننميه .. !!

وثانيهما : ـ انني أود هنا ـ ولو من قبيـل التشبيه ـ أن أقول ..

ان تجربة الوحدة الاولى ـ كعقيدة ومبدأ تتشابه الى حد كبير مع وجود القطـاع العام فى نظامنـا الاشتراكى بمعنى .. ان الوحدة كجزء أساسى من الفكر القومى اشترك فى تنفيذها أناس لم يكونوا قد وصلوا بعد الى مستوى الفهم الواعى لها ولاهدافها .. فخرجت من هنا ـ واقصد بذلك ـ الجمهـورية العربية المتحدة نوعيات من الناس للعمل على تنفيذ الوحدة ولكنهم بسطحية وسذاجة كانوا يتصرفـون تصرفات ذاتية لا أقول متآمرة بقدر ما أقول ساذجة أضرت بالقضية الأم .. ومن هنا وضعوا ـ الى جانب عوامل اخرى بذور الانفصال ـ فما ذنب الوحـدة كفكرة وعقيدة وكضرورة حياتية بالنسبة لجمـاهير شعبنا .. ؟

ان الدروس المستفادة من تجربتنا الوحـدوية السابقة يجب أن تراعى نتائجها الهامة والمفيدة فى وحدتنا المرتقبة مع شعبنا فى العراق .. لـكى

لاتتكرر ماساة التصرفات الفردية المتسمة بالغباء .. لتدين وحدتنا الشاملة ..

والمهم أن يتقدم العمـل الوحدوى أولئك الذين يؤمنون بوحدة أمتهم قولا وعملا ـ بلا عقد سابقة وبلا أية رغبة فى العمل على تكوين اكبر قدر ممكن من المنافع الذاتية عندما يحين وقت العودة الى الموطن الاصلى .

وبعد هذه المقارنة البسيطة أود هنا أن أشير الى أنه قد أصبح ضروريا بل وهاما ان تؤمن القـوى الاشتراكية العربية التى تضع نفسـها فى اقصى اليسار باهمية انتمائها الى الحركة العربية الواحدة.. والتى يمكن لهذه القوى أن تكون جزءا مكملا لها .

ولنبدا الآن مع كتاب اليوم ـ الثورة الاشتراكية قضايا ومناقشات ـ وهو من تاليف المفكر العربى احمد بهاء الدين ـ والكتاب على الرغم من صغر حجمه فانه ـ كاى مؤلف يحمل وجهة نظر كاتبه ـ يتميز بالعمق والاصالة والاخلاص للمناقشـة من أجل الوصول الى مزيد من التقدم الفـكرى .. الذى نحتاجه جميعا . واحمد بهاء الدين ـ فى رايى ـ ليس أحد اولئك الذين يسودون يوميا عشرات الاعمـدة فى الصحف فقط من أجل ملء الفراغات الناتجة عن فراغ العقول .. ولكنه مفكر رائد وأحد القـلائل الذين يعتز بهم شعبهم .. وأمتهم العربية .

يقول الكتاب موضحا مرحلة الترجمة والاقتباس من التجارب الاجتماعية الاخرى .. التى تواجههـا كل المجتمعات النـامية ـ فيتـحدث عن النظرية الماركسية فيقول :

« هناك من الناس من يأخذونها وكأنها دين منزل من السـماء ، تأخذه كله أو تتركه كله ، ويجب بالطبع أن تأخذه كله ، وهم يريدون تطبيقها على بلادنا كما حدث أن طبقت فى هذا البلد أو ذاك ، وهذه أيضا ترجمة جامدة حمقاء ، والذين ينادون بها هم ضحايا نفس المراهقة السياسية والكسل العقلى والتبعية النفسية ، انهم ينعزلون عن الواقع . لان ايمـانهم الجـامد بالنصوص جعلهم يصرفون جهدهم الى محاولة ارغـام الواقع ـ فى مخيلتهم طبعا ـ على أن يناسب النظرية المجردة .. بدلا من أن يعملوا على تطوير النظرية المجردة بمـا يناسب الواقع .

وفى الطرف المقابل لهؤلاء ، تجـد أناسـا اذا ذكرت الماركسية امامهم ازاحوها كلها جانبا ، دون

أن يجدوا الشجاعة على درسها وهضمها وأخذ ما تثبت صحته منها ، وهذا أيضا خطأ آخر فاحش ، لان من يصنع هذا انما يعزل نفسه عزلا عميقا عن أفكار اساسية أضيفت الى التراث العالمي وأصبحت جزءا منه ، بما فيه من صواب وخطأ ٠٠

لا بد اذن أن نجتاز مرحلة الترجمة الى مرحلة التاليف ٠٠ ونجتازها في الوقت المناسب ٠٠ ولابد أن نضيف الى « العلم » الذى قرأناه ٠٠ «الواقع» الذى نحياه ! خصوصا فيما يتعلق بالنظم السياسية والاجتماعية ٠ ان النظم السياسية والاجتماعية مادتها الاولى هى الانسان ، والانسان معدن خاص يختلف عن معادن الحديد والنحاس وغيرهما ! ان الحديد مثلا يمكن اذابته وطرقه وثنيه بطرق واحدة وبدرجات حرارة واحدة فى أى مكان من العالم ٠ لان الحديد هو الحديد فى اى زمان ومكان ، أما الانسان فهو معدن آخر ٠ وخصائص الانسان الاساسية وغرائزه وحاجاته واحدة فى كل مكان٠٠ ولكن هذه الخصائص الاساسية يدخل عليها كثير جدا من عوامل البيئة والتراث والظروف والثقافة ومستوى الحياة والموقع الجغرافي والمرحلة التاريخية التى يمر بها ٠

هذه الحقيقة تقتضى منا أن ننظر الى تجارب الآخرين ، وعيوننا على بلادنا ٠ ٠وعلى ظروفنا الخاصة بنا ٠

لقد آن لنا أن نجتاز مرحلة المراهقة السياسية فى حياتنا، لقد اجتازت بلادنا معارك صعبة أنضجت وعيها وأرهفت حسها ٠ وأحرزت انتصارات دعمت ثقتها بنفسها ٠٠ ونحن فى هذه المرحلة يجب الا نتعالى على الترجمة والاستفادة من كل التجارب الانسانية ٠٠ ما دمنا لا نفتقد القدرة ولا الشجاعة على الاضافة والتجاوب مع ظروفنا الحقيقية ٠

ان هذا هو التفسير لقول جمال عبد الناصر « اننا لم ننهمك فى النظريات بحثا عن حياتنا ، انما انهمكنا فى حياتنا بحثا عن النظريات ٠٠ فلم تترك اية عقائد تفترض وجودها على غير واقع٠٠ توجه سير أحداثنا وتصنع تاريخنا ، وفى مجال دور الخبراء فى تطور المجتمعات يستشهد المؤلف بقول المفكر توماس مولنار الذى يقول فيه :-

« هناك فرق أساسى بين ارستقراطية الاغنياء القديمة وارستقراطية الخبراء الحديثة ٠٠ الارستقراطية الاولى كان الناس يعتبرونها نوعا من الحق الطبيعى - او الحق الالهى - لقد ولد الاغنياء أغنياء ولا اعتراض على ذلك أما الارستقراطية الثانية - ارستقراطية الخبير - فالناس لا يعترفون بها الا بقدر مايقتنعون بأنها تفيدهم ، وبأنها فى خدمتهم!»

ويقول المؤلف :

« ان الخبير أو المسئول يحظى بامتيازات كثيرة بالنسبة الى مستوى الحياة فى بلادنا - والخطر هو أن يظن أبناء هذه الفئة أن هذه الامتيازات مقصودة لذاتها ٠ ان هذه الامتيازات ممنوحة لهم نظير خدمات يؤدونها للفلاح الغارق الى نصفه فى الترعة ، يسحب مركبا شراعيا لا تحركه الريح !

وهذا الاحساس لا يمكن أن يوجد الا اذا اقترنت الخبرة والثقافة بالوعى الاجتماعى السليم ، أى بالوعى الاشتراكي السليم ٠٠ والطقس الاشتراكى السليم » ٠

وقد قال المفكر الاشتراكى الفرنسى «بول لافارج» منذ ستين عاما :

« ان الثقافة من طبيعتها أن تجعل المثقف أكثر احساسا بالقضايا الاجتماعية ٠ ولكن هذه الثقافة ذاتها كثيرا ما تكون هى العقبة التى تحول بين المثقفين وبين الوعى الاجتماعى ٠ انهم يظنون أن تعليمهم يجب أن يسبغ عليهم مزايا اجتماعية كبيرة، وأن ثقافة الواحد منهم أو مهارته كافية لان تجعله يشق طريقه فى هذا العالم بمفرده لانه اقدر على أن يزاحم الآخرين ويقف بمفرده على أكتافهم »

وليست هذه الصورة هى التى نريدها للخبير أو المثقف أو خريج الجامعة - وليست هى الصورة التى نريدها للموظف او الادارى أو أى رجل يتولى مركزا فى الادارة والانتاج ٠٠

ويتحدث المؤلف عن المجتمع الاشتراكي - كعمل تنظيمى ، فيقول :

« ان النظام الذى تريد الثورة أن تقيمه هو النظام الاشتراكى والهدف هو ايجاد مجتمع اشتراكى ، قادر بقواه الذاتية ، على أن يحمى نفسه من جهة وعلى أن يتطور تطورا مستمرا من جهة أخرى ، فلا يعتمد وجوده واستمراره على وجود قيادة تاريخية لا تتكرر ٠٠ أو على اجراءات استثنائية ، أو على جهاز ادارى فيه يتلقى أوامر معينة فيطيعها ٠ انما يعتمد وجوده - اى المجتمع الاشتراكى - على أن الاجهزة المؤثرة فيه عضويا وطبيعيا - من نفس نسيج الاشتراكية ٠

تحسين عبد الحى

شمس النهار



لتوفيق الحكيم

بقلم : علي متولي صلاح

ماهي اهداف تلك المسرحية الجديدة التي الفها توفيق الحكيم وافتتح بها مسرحنا القومي موسمه الحالي حيث التقطها مسرعا من الصحف قبل أن تطبع في كتاب ؟

اننا لن نستطيع أن نجلو هذه الأهداف الا اذا عرفنا شيئا عن هذه المسرحية ...

وهي تتلخص في أن السلطان « **نعمان** » جلس يوما الى وزيره يسأله الرأى فى أمر ابنته « **شمس النهار** » التي اورثته حيرة كبيرة بموقفها الفذ العجيب من الزواج ! .. فهي تشترط أن يكون لها وحدها حق اختيار زوجها ، وترى الطريقة الوحيدة لهذا الاختيار أن يمر الناس كلهم تحت شباكها وهي تختار من بينهم من تراه زوجا لها دون تمييز !

وكانت « **شمس النهار** » هذه فتاة عجيبة فريدة في نوعها ، برعت في ركوب الخيل واللعب بالسيف وقراءة الكتب واطالة التأمل والزهد في كل مايعجب الناس ويبهرهم ... ولقد تزوجت أختاها من قبل

كما تتزوج بنات الملوك ... تزوجنا من خيرة الأمراء وأغنى السلاطين ..

جلس السلطان يستشير وزيره في هذا الأمر الذي يبلبل خاطره فاشار الوزير بقبول ما اشترطته « **شمس النهار** » مع تعديل بسيط فيه وهو اجراء فرز مبدئي للأشخاص قبل عرضهم عليها لاستبعاد من ليس جديرا بها ، وعسى أن يستطيعوا التحايل فيدسوا بعض الأمراء ، بل أن يحصروا الاختيار فيهم دون ان تشعر هي بذلك !

ويعرض عليها هذا الاقتراح فتاباه وترفضه رفضا قاطعا لأنها ترى فيه اهدارا لشرطها ومسخا لفكرتها ! ولكنها تجرى في شرطها هذا تعديلا يسيرا وهو أن الذين يفشلون في الاختبار الذى ستجريه بنفسها لهم يكون عقابه الجلد ثلاث جلدات !

ويرتاح أبوها ووزيره لهذا التعديل لأنه سيبعد الكثيرين عن أن يتقدموا اليها خشية هذا العقاب .

وينطلق المنادى في أرجاء البلد يعلن ذلك الى الناس فيتقدم اليها ـ رغم هذا التعديل القاسي ـ عدد كبير من الراغبين في زواجها ولكنهم يفشلون جميعا ، حتى أخذ الناس يتهامسون بأن الأميرة « **شمس النهار** » لا تنوى حقا الزواج وانما هي تريد العبث بالرجال وجلدهم !

وفيما هي جالسة يوما مع أبيها ووزيره اذ دخل عليهم أحد أولئك الخاطبين يعلن اليهم أنه جاء من بلاد بعيدة ساعيا الى المطلب الأسمى وهو يد الأميرة « **شمس النهار** » ، فتساله أن يخبرها عما هو صانع بها اذا صارت زوجة له ؟

فيجيبها قائلا « ساجعلك سعيدة ... سالبى لك كل طلب ولو كان ماتطلبين في كبد طير الرخ لاقتنصته لك .. وساعبدك .. وساشيد لك قصرا على سبعة أعمدة من المرجان في جزيرة واق الواق ! »

وتساله عما سيعمل في يومهما فيجيبها قائلا « تأمرين ونحن نطيع ... وتطلبين ونحن نلبى .. ان ذهبى كثير وسيفرش تحت قدميك وساجعل السعادة كالوسادة تحت رأسك والنعيم يهف عليك كمروحة من ريش النعام » .

ويسر أبوها ووزيره لهذا النعيم الذى ينتظرها مع هذا الرجل ويسألونها عما قررته فيكون قرارها : **اجلدوه !**

ويطلب اليها أبوها أن تراجع نفسها في هذا القرار قليلا ولكنها تصر على رأيها ولا تقبل أى رجوع فيه .

ثم يجيء خاطب ثان ويعلن « انه جاء ماذا يديه بالدعاء الى أبيها سائلا أن يعطيه يد الشمس من كبد السماء ؟ »

فيجيبه أبوها بانه ليس له من الأمر شيء وانما الأمر كله بيد الأميرة ، وتساله الأميرة ـ كما سالت سابقه ـ عما هو صانع بها بعد أن تكون زوجة له ؟ فيجيبها بانه « سيضعها في عينه ويحميها بالرموش » فلا ترتاح لهذا الكلام وتطلب أن يجيبها اجابة محددة عما ستكون عليه حياتها معه ؟

فيجيبها بقوله « الحب ... سعادة الحب ... في عش جميل مريح .. لا هو بالباذخ ولا هو بالصغير .. لدينا ما يكفينا لرغد العيش وأكثر .. حقل واسع وحديقة غناء وجداول ماء .. وبعض الخدم من حولك موكلون بخدمتك وراحتك ، وستنجبين منى الشاطر حسن .. شعرة منه فضة وشعرة ذهب ، وست الحسن والجمال اذا ضحكت طلعت الشمس واذا بكت هطل المطر » .

فيفرح أبوها فرحا كبيرا لهذه النعم الكبيرة التى ستغرق فيها ابنته ولكنها تسرع فتقول : **اجلدوه** .

ولا يلبث أن يجيء خاطب ثالث يعتقد أبوها ووزيره أنه لا شك مجنون حيث يلقى بيده الى التهلكة بعد أن علم ما علم من أمر سابقيه ! ..

ويدخل الرجل متسائلا : أين تلك التى تسمى شمس النهار ؟

فتدله شمس النهار على نفسها ، فيعجب لأنه كان يتصورها شيئا غير ذلك ! ويسالها عما يريدونه منه ؟ فتعجب هي الأخرى وتساله وهل نحن دعوناك يا رجل حتى تسالنا هذا السؤال ؟ فيكون جوابه : نعم أنتم الذين دعوتمونا واطلقتم المنادى يدعو الناس جميعا بدون تمييز ، فجئت استخدم حقى !وما تأخرت عن استخدام حقى حتى الآن الا لأنى كنت أجمع ثمن هذا الرداء المناسب الذى ارتديه ! ويخبرها أن اسمه « **قمر الزمان** » ويطلب اليها أن تخاطبه دائما بهذا الاسم .

وتساله سؤالها التقليدى : ماذا أنت صانع بى اذا صرت زوجة لك ؟

فيجيبها بأنه لن يصنع بها شيئا ولكنها هي التي ستصنع بنفسها ولنفسها !

ويسألها عما تحسنه من أعمال تفصيل الثياب ورتق الخروق وازالة البقع وخصف النعال ونشر الغسيل وعجن العجين وخبز الرغيف وغرف الغريف وتربية الدجاج ومسح الزجاج وكنس الغبار وتخليل الخيار وما الى ذلك من مختلف الأعمال .. ويخبرها أنه هو لا يحسن عمل أي شيء ، وأنه لا يعدو أن يكون حفنة من تراب سيضعها في يد صانع جيد !

فيضيق أبوها ووزيره بهذا الرجل ويطلبان اليها أن تعجل بقرارها المعهود وهو الجلد ولكنها تجيبهم بأن قرارها هو « الزواج » وبأنها ستمضي معه بعد أن تتجرد من كل حليهـا وملابسـها وتلبس ملابس جندي بسيط حتى اذا ضربت في الأرض الى جانبه لم يكن هناك مجال للظنون والشـبهات ، وينفض أبوها يده من أمرها لما رآه من تصميمها وعدم جدوى أية محاولة معها .

وتمضي شمس النهار مع قمر الزمان يضربان في الصحاري وتتعلم كيف تصيد السمك وكيف تشويه وكيف تنسق المائدة .. وكيف .. وكيف مما لم يكن لها به عهد وتجد في كل ماتعمل وما تصنع بيديها لذة لم تكن تراها من قبل فيما يقدم اليهـا دون أن تعلم من أمره شيئا ..

وفيما هما سائران يوما اذ بصرا برجلين يحملان صرة من المال وعلما من أمر الرجلين أنهما ملاحظ خزانة الأمير ومسـاعده ، وأن هـذا المال مسروق بطريقـة ما من طرق السرقة التي كانت متفشـية وقتئذ ، ويحتمان عليهما أن يذهبا بالمال المسروق الى الأمير نادمين مستغفرين وسيغفر لهما الله والأمير هذه الزلة ويستريح ضميراهما منها !

ويمضي الجميع فعـلا الى الأمير الا أن الملاحـظ وتابعه يهـربان .. وتستمر شمس النهـار وقمر الزمان حتى يصـلا الى الأمير ويسلماه تلك الصرة ويحضر - فجأة - كل من الملاحظ وتابعه من تلقاء أنفسهما معترفين بما ارتكبـا من اثم فيعفو عنهما الأمير .

ويتصل الحديث بين الأمـير - واسـمه الأمير حمدان - وشمس النهـار التي ترتدي ملابس جندي ويسألها عما تعلم من أمر شمس النهار !

فتخبره أن شمس النهـار مطلبها عسير ، وأن طالبها لابد أن يتحمل في سبيل الوصول اليهـا متاعب لاتحصى ، فيبدي استعداده لتحمل هـذه المتاعب لأنها كانت الحلم الذي مازال يصبو الى تحقيقه! ويتغير كل شيء في حياته وتتبدل الراحة والاسترخاء الى كد وعناء حتى يصير رجلا آخر غير الذي كان !

ويحسب **قمر الزمان** أن شمس النهار مالت عنه الى هذا الأمير ولكنها تترك الأمير لمهمة تراها أكبر وأجل وهي أنه - وقد صيرته شيئا آخر - يستطيع أن يخدم بلده بما لم يكن يستطيعه بالأمس ، وتعود الى **قمر الزمان** تطلب اليه الزواج الذي تواعدا عليه ولكنه هو يتركها لمهمة يراها أكبر وأجل وهي أنها - وقد صيرها شيئا آخر - تستطيع أن تخدم بلدها بما لم تكن تستطيعه بالأمس ويفترقان كل في طريق غير طريق صاحبه !

ذلك هو ملخص المسرحيـة ونحن نلاحظ أنهـا تصوير فني لما هو قائم متعارف بيننا الآن من تقديس العمل واعتباره الشرف كل الشرف وازدراء التعطل والبطـالة والفراغ والترف والأكل بمـلاعق من الذهب ! ... هي تصوير فني لهذا المعنى ولكنه - شأن الفن الأصيل - تصـوير غير مباشر خال من الوعظ السافر ومن خطب المنابر ، مما يجعل تسربه الى النفوس أبعد وأعمق ..

ونلاحظ أنها تكاد تكون امتدادا لمسرحيـة سابقة لنفس المؤلف وهي مسرحية « **الأيدي الناعمة** » !

ونلاحظ أنه متطور في بعض مواقفها الى اسطورة بجماليون التي توضح مدى حب الخالق لمخلوقه أي حب المثال « بجماليون » لتمثاله « جالاتيـا » ... وهو في مسرحية اليوم حب الصانع لمصنوعه أي حب « قمر الزمان » لشمس النهار التي حولها الى انسان جديد من صنع يديه !

ونلاحظ أن الفصل الثاني منها كان رتيبا مملا لا حركة فيه ولا حيـاة بحيث كان الأوفق أن يكون مشهدا من فصل لا فصلا كاملا .

ونلاحظ أن المسرحية كانت مليئة بالحكم البالغة - على الطريقة الشكسبيرية - من أمثال : -

العمل الأعظم لا يقوم به الا الانسـان الأعظم ؛

الانســـان الكامل هو الذى يصـنع العمل الكامل ، مانصنعه بايدينا هو جزء من حياتنا يتكشف لنا ، الزيادة معنـــاها الاسراف ٠٠ التبـــديد ٠٠ تبديد المتعة ٠٠ تبديد الطاقة ٠٠تبديد جزء من انسانيتنا ، الانسان الكامل ككل شيء كامل لا يحتمل الزيادة ولا النقص ، ليس من السهل على كل الناس كبح جماح رغباتهم المفرطة ٠٠ وغير ذلك مما لا يمكن أن نتقصاه هنا ، وهى مواعظ لا نرى موجبا لها الا الفقر فى الحوادث والرغبة فى ملء الفراغ !

ونلاحظ أن تحولا كبيرا طرأ ـ بدون داع ـ على شخصية قمر الزمان فهو فى أول المسرحية مثـــال للرجل الجاد القادر العنيف الذى لا يخضعه شيء أو عرض من أعراض الحياة ٠٠ ثم هو فى آخرها خائر جبان تملؤه الغيرة والغباء وعدم فهم الموقف الذى هو فيه !

ونلاحظ أن المؤلف استعمل فى لغته غلطة مشهورة فجعل « الباقة » محل « الطاقة » حيث يقول « هذه الزهرة مكررة ووجودها فى الباقة يفسد التناسق » والصواب أن يقول « فى الطاقة » لأن « الباقة » الحزمة من البقل ! وأما « الطاقة فللريحان ! ٠٠٠

ونلاحظ أن نهاية المسرحية التى كتبها المؤلف وهى الفراق بين شمس النهار وقمر الزمان تختلف ـ أو على الأصح تناقض ـ عن النهاية التى انتهى اليها المخرج وهى زواجهما ٠٠٠ ونحن نرى ما رآه المخرج لأن الهدف الذى ارتآه المؤلف من الافتراق وهو ترك شمس النهار لتقوم بخدمة بلدها ٠٠ هذا الهدف كان يمكن تحقيقه مع الزواج ولا تعارض بين الزواج وبين القيـــام به فرق أن الزواج هنـــا كان هو النتيجة الطبيعية ولم تجد فى الحوادث مايحول دونه ٠

ولقد أخرج المسرحية مخرج ذو قدم راسخة هو الأستاذ فتوح نشاطى فصـــورها خير تصوير وعبر عن معانيها خير تعبير وبذل فيها جهدا مشكورا ٠ الا أننا نلاحظ أن جعل المنادى يطلق نداءه والستارة مسدلة وشخصه غير منظور يجعل نداءه هذا بمعزل عن التمثيل كأنه نداء موجه من ادارة المسرح مثلا الى جمهور النظارة ! وماذا كان يمنع أن نرى المنادى على خشبة المسرح حتى نحس أنه داخل اطار المسرحية وأنه جزء منها ؟؟

كما نلاحظ أن الممثلين كانوا يهدرون اللغة اهدارا جعلنا نتخيل أنه عن عمد وسبق اصرار ، ولم يسلم واحد منهم من ذلك ، كأنما تتضاعف أجورهم كلما تضاعفت أخطاؤهم اللغوية !

ونلاحظ أن الوضع الذى كان عليه « قمر الزمان » وهو نائم بجانب الشجرة كان وضعا غير كريم وغير لائق فقد كان حذاؤه فى وجوه النظارة ، وكان من السهل أن يتفادى ذلك لو جعل ظهره الى الشجرة ووجهه الى الجمهور ٠

ونلاحظ أن الموسيقى المصاحبة لم يكن لهـا أى تأثير أو مشاركة فى الحـــوادث بل كانت فى واد وحوادث المسرحية فى واد آخر !

ونرجو أن يعلم المسئولون عن هذه الموسيقى أنها هنا ليست للترفيه أو الزينة وانما هى للاشتراك الفعـــال فى الحـوادث الجـــارية ولزيادة التأثير والايضاح ٠

ولم تكن الاضـــاءة كذلك على شيء من التوفيق ، فقـــد كانت غير متفقـــة مع الزمن وغير متفقـــة مع الانفعالات القائمة ولم تكن تتدرج مع تدرج المشاعر واختلافها وكأنها كانت لتبديد الظلام فقط !

ولقد قام فؤاد شفيق بدور السلطان نعمان فاداه أداء لا بأس به وان كان يعوزه شيء من التركيز وعدم الاسراف والاقلال من الحركات الطائشة التى لاجدوى منها ٠

وقام ابراهيم الشامى بدور الوزير فكان لا لون له ولا طعم ولا رائحة وكان وجوده على المسرح أو عدم وجوده سواء !

وقامت السيدة سناء جميل بدور شمس النهار فبذلت طاقة كبيرة مشكورة وكانت على درجة حسنة من الثبات وقوة التعبير ولكن ســـلامة اللغة خانتها فى عدة مواقف ٠

وقام محمـــد الدفراوى بدور قمـــر الزمان فكان ـ كالمعهـــد به ـ طاقة لا تنفد ، وتعبيرا لا ينحرف ، وثباتا لا يميل ٠

وقام سامى طموم بدور « الرجل الأول » ولا أدرى لماذا صوره المخرج بهذه الصورة الهزلية ذات الجسد المتحـرك ، وفى هـــذا انحراف ينحـــرف به معنى المسرحية ؟

وقام عاطف طمـــوم بدور خـــازن بيت المال وعبد المنعم امام بدور حارس بيت المال ، فكان الأول يتحرك دون أن يؤدى أى معنى ، وكان الثانى كثير الحركة جدا كثير الافتعال جدا يريد أن يشد الناس اليه بالقوة القاهرة مما جعلهم ينصرفون وينأون بجانبهم عنه !

على متولى صلاح

حقول البترول التي امكن استغلالها في الجمهورية العربية المتحدة

بقلم : نبيل عطية الابراشي

في سنة ١٩٥٤ كان في مصر خمسة حقول للبترول ، وقد انتجت في تلك السنة المقادير الآتية ، وهي :

١ - في الغردقة ٣٧٫٩٠٠ طن .

٢ - في راس غارب ١٫٣٦٦٫٧٠٠ طن .

٣ - في سدر ٣١٤٫٠٠٠ طن .

٤ - في عسل ٢٥١٫٦٠٠ طن .

٥ - في راس المطارمة ١٦٫١٠٠ طن .

فمجموع ما انتجته حقول البترول في الجمهورية العربية المتحدة هو : ١٫٩٨٦٫٣٠٠ طن من البترول . ولما كان هذا المقدار لا يكفي ما نحتاج اليه في استهلاكنا اضطررنا الى ان نستورد في تلك السنة (١٩٥٤) : ٣٢٩٫٠٠٠ طن . فكان مجموع ما استهلكناه : ٢٫٣١٥٫٣٠٠ طن . وسياتي اليوم الذي تنتج فيه مصر ما تحتاج اليه من البترول ، وما تصدره منه الى الخارج. ومما تقدم نرى ان أعظم حقل للبترول في مصر في الوقت الحاضر هو في راس غارب .

وفي ابريل سنة ١٩٥٨ حفرت بئر جديدة للبترول براس بكر. وقد تبين بعد الفحص عن العينات التي عثر عليها ان التربة مملوءة بالبترول في تلك المنطقة . وقد وصلت عمليات الحفر الأولى الى عمق ٢٥٩٧ قدما . وما زالت عملية الحفر مستمرة . وكل الشواهد تدل على وجود مقادير كبيرة من البترول في هذه المنطقة .

وفي ١٥ من اغسطس سنة ١٩٥٩ اعلن الدكتور عزيز صدقي نائب رئيس الوزراء في مؤتمر صحفي : «انه تم كشف حقل جديد للبترول في شبه جزيرة سيناء ، في منطقة «سدرة» في الجنوب الشرقي من ابي روديس . وقد بلغ انتاج البئر الاولى حتى الآن ٧٠٠ طن في اليوم ، أي ٢١٠ آلاف طن في العام وينتظر أن يصل الانتاج السنوي من هذه البئر الى ٢٦٠ الف طن » .

وقال : «ان النتائج المبدئية تدل على أن هذا الحقل هو اكبر حقل كشف في الجمهورية العربية المتحدة . وانه بظهور هذا الحقل - بالاضافة الى الآبار التي كشفت في حقول كريم وبكر، وما سبق كشفه في منطقة أبي روديس - اصبح من المتوقع ان يصل انتاجنا من البترول الى مرحلة الاكتفاء الذاتي ، وهي تبلغ حوالي اربعة ملايين طن في السنة .

ولاستمرار عمليات الحفر في الحقول وانتاج البترول من الآبار الجديدة سنصل باذن الله الى مرحلة الدول المصدرة للبترول .. وان الاكتشافات المتكررة في الحقول الجديدة تدل على الامكانيات الضخمة لثروة البلاد البترولية ، التي نرجو ان تحقق باذن الله للبلاد خيرا عميما . وقد وضعت الهيئة العامة للبترول برنامجا للتوسع السريع في الحفر والتنقيب عن البترول في جميع مناطق الجمهورية .

وقد ظهر البترول في الحقل الجديد بسدرة في شبه جزيرة سيناء .

« لقد اصبح فى الجمهورية العربية المتحدة ١٢ حقلا كبيرا يتفجر منها البترول الآن بعد كشف حقل سدرة » . وهذه الحقول هى : فيران – بلاعيم – ابو روديس – عسل – راس المطارمة – راس غارب – راس جمسة – الغردقة – بكر – كريم – سدرة – سدر .

وفى الوقت نفسه تتولى شركات البترول البحث والتنقيب فى ٦٠ منطقة اخرى على شواطىء البحر الاحمر . ويتوقع خبراء البترول فى الجمهورية العربية المتحدة ان يتفجر البترول قريبا من حقل رحمى الواقع على الضفة الغربية ، الذى يواجه حقل سدرة الواقع على الضفة الشرقية فى سيناء ، طبقا لنظرية « انعكاس المرآة » الشائعة فى دنيا البترول » .

وكل ماسيكشف فى المستقبل سيصدر الى الخارج . والعمل جار على قدم وساق لكشف آبار جديدة . وقد وصل عدد كبير من الحفارات ، وسيصل عدد آخر قريبا . ويدل البحث على ان ارض الجمهورية العربية المتحدة تضم فى باطنها ثروة ضخمة من البترول .

مناطق البحث والتنقيب عن البترول فى خليج السويس الآن

ان على جانبى خليج السويس ٨٢ منطقة يدور البحث والتنقيب فيها عن البترول . وقد رصد مبلغ ٤٠ مليون جنيه فى ميزانية ١٩٥٩ – ١٩٦٠ لتصنيع البترول وانتاج مواد اساسية لصناعات اخرى ، كبعض الأدوية ، والمبيدات الحشرية ، والاصباغ واللدائن وتصنيع غازات الحقول ، وانشاء خطوط الانابيب ، واقامة المستودعات ، وشراء الناقلات ، وانتاج الزيوت المعدنية .

وان البحث فى طبقات الأرض يدل على ان مناطق البحر الاحمر مستودع كبير للبترول . ان البئر التى تفجر منها البترول فى ١٥ من أغسطس سنة ١٩٥٩ لم تكن (بئر سدرة رقم ١) ولكنها كانت (سدرة رقم ٤) ، وقد وصل الحفر فيها لعمق ٨٠٠٠ قدم .

ولقد وصل انتاج البترول الخام فى بلادنا فى عام ١٩٦١– ١٩٦٢ الى خمسة ملايين من الأطنان . وان هذه الآبار والحقول كلها مملوكة للشعب ، فهى تابعة للشركة العامة للبترول ، وهى احدى الشركات التى تعمل لحساب الدولة مباشرة .

وان السر فى عدم الزحف العاجل الى المناطق التى يحتمل وجود البترول فيها هو قلة الأيدى الفنية العاملة . وقد تغلبنا على الصعوبة فى قلة الخبراء ، فاصبح لدينا آلفا مجموعة من الخبراء ، وبدأنا فى اعداد جيل من العمال الماهرين فى الحفر والتنقيب ، وهم الحفارون بالفأس والمقطف ، والممهدون للآبار ، والدقاقون ، والذين يعتلون الأبراج ويديرون المثاقيب الجبارة لتنخر الأرض القوية الصلبة ، فتحيلها الى عيون يتفجر فيها البترول . وقريبا جدا سيكون الحفارون والدقاقون جميعهم من العرب انفسهم .

وتعد بئر البترول فى وادى سدرة رقم ٤ اضخم بئر فى الجمهورية العربية المتحدة .

وليس الحفر بعملية سهلة ، ولكنه يحتاج الى دقة ومهارة وصبر من الحفارين والمهندسين والعلماء . وفى اثناء الحفر تمر لحظات من الخوف ، فبعد كل ٥٠٠ قدم تغلف جوانب البئر بمواسير من الحديد ، وتضيق الفتحة ، فقد تكون منطقة الغازات المحبوسة قريبة ، فتنفجر الطفلة ، وتضاف لها مادة (البيريت والهيماتيت) ، كى تثقل وتزيد كثافتها . ويعمل حساب لكل شىء ، لأن زيادة الكمية التى تضاف قد تؤدى الى تشقق جوانب البئر فتنهار ، ويضيع المجهود .

وقوة البريمة فى الحفارة ١٢٥٠ حصانا . ويستمر الحفر ليلا ونهارا . ويتغير العمال كل ٨ ساعات .

وهناك فى باطن الارض التى بها البترول غازات محبوسة مضغوطة تحت الارض ، منذ آلاف السنين ، وهى تنتظر فتحة لتندفع منها ، او ثقبا لتتدفق منه .

والبترول مصدر من مصادر قوتنا ، ويعتبر عصب الحضارة المادية ، والذى بدونه تستحيل كل ادواتها وهى المصانع الهائلة الكبيرة لكافة انواع الانتاج ووسائل المواصلات فى البر والبحر واسلحة الحرب سواء فى ذلك الطائرات المحلقة فوق الضباب ، أو الغواصة المستترة تحت اطباق الموج – تستحيل كلها قطعا من الحديد يعلوها الصدأ ولا تنبعث منها حركة ... أو حياة .

البترول والبلاد العربية

ان عاصمة انتاج البترول فى العالم قد انتقلت من الولايات المتحدة التى استنزفت آبارها ، وارتفع سعر الارض فيها ، وزادت اجور الأيدى العاملة لأبنائها ، الى المنطقة العربية التى ما زالت آبارها بكرا ، والتى ما زالت أراضيها الشاسعة بلا ثمن ، والتى ما زالت يدها العاملة تقبل ما دون الكفاف .

ولقد ثبت ان نصف الاحتياطى المحقق من البترول فى العالم يرقد تحت أرض المنطقة العربية . والنصف الباقى موزع بين الولايات المتحدة وروسيا ومنطقة الكاريبى وغيرها من بلاد العالم .

وهكذا تزداد ملامح قوتنا الصناعية والاقتصادية بروزا ووضوحا ، وتكشف ارضنا لأبنائها وحماتها ، عن مصادر القوة والمنعة ، وتمنحنا سلاح الحياة وعصب الصناعة ، ومظهر السيادة والعزة .

نبيلة محمد عطية الابراشى

قراءات في المجلات العربية



يقدمه: محمد العواني

دور العرب في ثقافة الغرب

مما لا شك فيه أن بغداد استطاعت أن تحمل مشعل الحضارة العربية ابان عصرى الرشيد والمأمون ، وأن تلعب دورا خطيرا فى زعامة النهضة الفكرية التى شملت كل أنواع الفكر والثقافة ، بما ازدهر فيها من العلوم الدينية والفلسفية وبما نشط فيها من حركة التأليف والتصنيف والترجمة ، وعن طريق هذه الترجمة انتقلت علوم الأمم القديمة الى العرب فحافظوا عليها بحالها أو أضافوا اليها من عندهم بعض الزيادات . ونقل العرب بدورهم العلوم والمعارف القديمة ومنها الاسلامية البحتة الى أواسط وغربى أوربا عن طريق الأندلس وصقلية والشام ؛ ومن هنا فان نهضة أوربا الحديثة قد عبرت اليها من هذه البلاد ابان العصور الوسطى ، عصور الجهالة والضلال .

وقد نشرت مجلة « الأديب » مقالا بعنوان « أثر العرب فى ثقافة الغرب » كتبه « عدنان رضا » بين فيه أن الرشيد أنشأ فى بغداد « بيت الحكمة » لترجمة ما عثر عليه من تراث الأمم السابقة كاليونان والفرس والهنود ، وقد تولى رئاسة بيت الحكمة كثير من المترجمين الذين يرجع الفضل اليهم فى ترجمة عدد كبير من الكتب ككتب جالينوس وبقراط فى الطب وكتب ارسطو فى المنطق والفلسفة والنفس .

ويدحض الباحث مزاعم الذين يدعون أن العرب كانوا مجرد ناقلين لهذا التراث وأن دورهم فى ذلك كدور ساعى البريد لم يضيفوا اليه معارف أو علوما جديدة موضحا أن العرب فتحوا للبحث فى الطبيعة طرقا جديدة وابتكروا أجهزة علمية ساعدتهم على القيام ببحوث أدت الى نتائج أكثر دقة ممن سبقوهم وظلت بحوثهم واكتشافاتهم فى ميادين العلم منارة يهتدى بها الغرب زمنا طويلا ويستدل على ذلك بان كتاب القانون فى الطب لابن سينا والحاوى للرازى كانا عمدة الدراسات الطبية فى أوربا لستة قرون . كما أن كتاب الحركات السماوية وجوامع علم النجوم فى الفلك لأحمد بن محمد الفرغانى كان أحد المراجع الهامة التى اعتمدت عليها دراسات الفلك فى أوربا فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، الى غير ذلك من الكتب العربية التى كانت عاملا هاما فى ثقافة الغرب .

أما كيف وصلت حضارتنا الى الغرب وكيف انتقلت اليه فان ذلك يرجع فى رأى الباحث الى تلك الفتوحات الاسلامية التى وصلت الى أوربا وأظهرت

فيها مالدى العرب من الحضارة والآداب والمعارف والأخلاق والعادات كما ان الحروب الصليبية كانت هى الأخرى من العوامل الهامة فى نقل الحضارة العربية الى الغرب ولذلك فان « جون راندل » ذكر فى كتابه « العقل الحديث » أن الحروب الصليبية أتاحت للكثير من أبناء أوربا الاحتكاك بالثقافة الاسلامية التى تفوق الحضارة الأوربية بمراحل كثيرة ٠

وينتقل الكاتب ليوضح ماقامت به الأندلس من دور فى هذه النهضة فقد شارك علماؤها فى بناء الحضارة الانسانية وحملوا شعلة فكرية عدت أوربا الى طريق النور والمعرفة ٠ وصدر عن « دار الترجمة » كثير من المؤلفات العلمية التى كانت مجهولة فى أوربا ونقلها العرب اليهم كمؤلفات أقليدس وبطليموس والخوارزمى والكندى والغزالى وغيرها ٠

وعلى كل فان حركة احياء العلوم والتبادل الثقافى والبعثات الى معاهد الأندلس قد أحدثت فى أوربا نهضة فكرية شاملة أوصلتها الى ماهى عليه اليوم من رقى وحضارة ٠ ولكن التعصب الاعمى دفع بعض المؤرخين الأوربيين الى انكار فضل العرب بل قل منهم من تعرض للاشادة بجهودهم غير أن البحث الحديث استطاع أن يدحض تلك الأقوال الجوفاء وان يبرز دور العرب العظيم بما فى مؤلفات علماء الغرب من هذا العدد الكبير من المصطلحات والكلمات العلمية العربية الأصل التى وجدت منتشرة فى كتبهم وفى هذا أكبر دليل على التاثير العربى فى الحضارة الغربية ـ كما أن الشعر الغنائى الذى ظهر فى فرنسا وتغنى به الشعراء الجوالون فى أوربا الذين عرفوا بالتروبادور قد أخذ أوزانه من الأزجال العربية التى شاعت فى شمال الاندلس ٠ ومهما ادعى الالمان أن شعرهم الغنائى نبت من جذور الأغانى الشعبية الالمانية فان المتصفين من المؤرخين اكدوا أن الموشحات والأزجال الأندلسية هما اللذان أثرا فى نشأة الشعر الاوربى فى العصر الوسيط فهذا « بيرديه » يذكر فى كتابه « القصة فى سبعة قرون » ردا على مؤرخى الادب الفرنسى يقول لقد « نشر العرب فى الاندلس خلال القرن العاشر الميلادى حضارة جديدة وابتدعوا شعرا غنائيا حمله الشعراء الى الشمال ٠٠ ومن السخف أن يتجنب مؤرخو الادب الفرنسى ذكر هذه الوقائع الثابتة بالأدلة المسجلة » ٠

وبالاضافة الى هذا التاثير فى الشعر الأوربى فان القصص العربيه التى ترجمت الى اللاتينية وانتشرت فى أوربا حاكاها الكتاب الأوربيون واقتبسوا منها فى تلوين أدبهم قد اثرت فى قصصهم واظهرتها بمظهر جديد يختلف كل الاختلاف عما كانت عليه من قبل من هذا « قصص دانتى التى تشبه الى حد كبير القصص والروايات الاسلامية كالاسراء والمعراج ، وكوميديته التى حاكى بها رسالة الغفران ٠ والف ليلة وليلة التى ترجمت بعض قصصها الى الأسبانية كقصة الجارية تودد التى اثرت فيما بعد فى الكاتب المسرحى الاسبانى «لوب دى فيجا» وقصص السندباد التى اثرت فى عدد كبير من الكتاب الاوربيين » ٠

بعد هذا العرض الذى وضح دورنا فى ثقافة الغرب نتساءل هل نكتفى الآن بما يقوله عنا المستشرقون وما يدافعون به عن تراثنا ؟ وهل نعتمد عليهم فى كتابة تاريخنا وتسجيل معارفنا ! ان هذا لا يتفق بحال مع مالنا نحن العرب من شخصية مستقلة اذ أن هؤلاء مهما كتبوا عن تاريخنا فانهم لن يخرجوا عن أن يكونوا غربيين يكتبون لغربيين وواجبنا أن نؤكد باستمرار حضارتنا على أن تكون امتدادا لأساس أصيل لا يبعد عن عروبتنا ٠

الشعر العربى الحديث ومسرح اللامعقول

استطلعت مجلة « الأفق الجديد » التى تصدر فى الأردن الشقيق رأى بعض الأدباء فى العالم العربى حول قضية الشعر الحديث وحول مسرح اللامعقول٠ وتحت عنوان « قضايا وأدباء » سألت : **هل استطاع الشعر العربى الحديث أن يكون حديثا ؟ والى أى حد تكون هذه « الحداثة » دعوة أصالة أو دعوة هدم وتزييف ؟**

ويجيب الشاعر العراقى خالد الشواف بأن الشعر العربى الحديث استطاع عند فئة من الشعراء أن يحقق الحداثة عن طريق محاولته الحفاظ على سلامة التركيب البيانى للشعر مع نزوعه فى الوقت ذاته الى تعميق حصيلته الفكرية والفنية ومن هنا كانت الحداثة على هذا الرأى دعوة أصالة ، لكن الذين يضحون بسلامة التركيب من خلال محاولتهم اختراع

أسلوب هجين لكتابة الشعر فانهم يهدرون ركنا هاما من أركان الشعر لا يقوم بناؤه الا عليه · ومهما يدع هؤلاء بان طريقتهم قد أثرت محتوى الشعر ، فان الثروة فى المحتوى ان لم يحصنها الاسلوب تكون عرضة للضياع ، وعلى هذا تعتبر الحداثة دعوة عدم وتزييف » ·

ويرى الأديب العراقى عبد الله نيازى أن المحاولات التى تبذل لتطوير الشعر العربى وتشذيبه جعلت دعاة التحرر والثورة على الجمود يلاقون عنتا شديدا بما يدعون اليه من التجديد فى الشعر ومن خلال هذه الصراعات يستخلص « أنه لن يكون هناك استقرار فكرى الا اذا قدر للمجتمع العربى أن يستقر على اتجاه واضح ·· غير أن تلك المخاضات كلها مفيدة وهى بمثابة المصل الواقى الذى يقى أخطار الرجعة والنكسة ·

والشاعر بلند الحيدرى العراقى يرى انه مهما تكن هذه المحاولات الهزيلة التى تعم الشعر الحديث وتجعل منه مدى مفتوحا لتجارب فجة فان هذا الشعر » وقد طور لدينا كثيرا من المفاهيم التى منها :

١ ـ محاولة الشاعر الحديث الاعتماد على وحدة القصيدة بدلا من وحدة البيت السائدة فى القصيدة القديمة ·

٢ ـ توزيع تفعيلات البيت بشكل يؤدى الى آخر بحيث يصعب زحزحة أى بيت من ابياتها ·
٣ ـ حاول الشاعر الحديث أن يستبدل الطريقة التقريرية فى القصيدة القديمة بالطريقة الايحائية ولهذا السبب أخذ يهتم بالابتعاد عن الكلمات القاموسية الخالية من كل ايحائية لبعدها عن الاستعمال اليومى ·

واخيرا فان عناية الشعراء المحدثين بموسيقى القصيدة الداخلية ـ أى التوافق الداخلية ـ كان لها أثرها فى اعطاء كل قصيدة موسيقاها الخاصة بها ·

والشاعر هلال ناجى يبين مدى ما يؤديه الشعر العمودى من تجارب الشاعر المعاصر فهو يرى ان الشكل العربى القديم «انجح فى صياغة شعر المحافل والمناسبات الجماهيرية اذ أن وحدة الوزن والايقاع والقافية لهما أثرها العظيم فى آذان السامعين ونفوسهم · وفى الاثارة الجماهيرية ، فموسيقى الشكل القديم مثيرة وصاخبة وهى أشبه بموسيقى الجيش تعتمد على الطبل والبوق فقط، لكنها تفلح فى اثارة حماس الناس » ثم ينتقل الشاعر ناجى مبينا « أن الشكل الحديث أنجح فى مجالات الرؤيا والرسائل الشعرية وفى التعبير عن خلجات الأعماق وفى شعر الحكاية مما يترتب عليه عنده أن هذين النوعين يمكن أن يعيشا معا وأن يتعايشا سلميا» ·

وعن مسرح اللامعقول ومسوغاته الحقيقية بالنسبة لواقعنا العربى الراهن يبين أيضا الشاعر خالد الشواف رايه قائلا: ان «اللامعقول فى المسرح لايعدو أن يكون ظاهرة تشبه الظاهرات التى طرأت على مجالات الأدب والفن الحديث فكما أن الشعر طرأت عليه السريالية والوجودية والرمزية كذلك طرأت على الفن التشكيلى السريالية والتجريدية والتكعيبية ولكن لا خوف عليهما من هذه الظاهرات الجديدة لما لهما من المقومات الأصيلة التى تقف بشموخ لتفضح زيف هذه الظاهرات الطارئة · لكن المسرح العربى يختلف فى ذلك عن الشعر والفن التشكيلى فانه لا رصيد له وجمهوره بدا مؤخرا يتذوق الفن المسرحى الأصيل معتمدا على المنطق المعقول · ومن هنا فانه لم يبلغ بعد من حصانته الفنية مايمكنه من الصمود امام عبث اللامعقول ـ ثم يضيف الى ذلك « أن واقعنا العربى الراهن يتطلب من المسرح أن يقدم له الحلول لمشاكله فى نطاق المنطق المعقول ليتسنى له استبطان ذاته من خلاله ومعرفة عقده ومشاكله ، ومحاولة التخلص من هذه العقد وتلك المشاكل ·· اما ان تلقى به فى دوامة اللامعقول وعبثه فعبث لا يحتمله واقعنا العربى الراهن ·

واخيرا نشكر لمجلة « الأفق الجديد » عنايتها بهذه القضايا الهامة وما عالجته صفحاتها من الموضوعات وماقدمته من الأشعار · ولكننا نهمس فى اذن رئيس تحريرها الأستاذ أمين شنار ونعتب عليه انه قد سمح لنفسه بان ينشر فى مجلته قصيدة له بعنوان « عراة تحت الشمس » فى الوقت الذى نشرتها له مجلة الشعر التى تصدر فى القاهرة فى ص ١٦ عدد نوفمبر تشرين ثان ١٩٦٤ وشغلت مساحة قدرها احدى عشرة صفحة كان الأولى بالأستاذ شنار أن يتيح فرصة النشر لغيره مادامت عنده الفرصة لينشر فى مجلته ·

« **محمد العوانى** »



العروبة .. والمنظمة

حلمي محمد القاعود

ان من بوادر الأمل والابتهاج ،أن نجد في وطننا العربى من يقف موقفا جسادا من أجل هـذا الوطن وعروبته الأصيلة ، وقيمه الانسانية الرفيعة، ومثله العالية ، وتراثه القيم والمضيء .. سواء فى حياة العرب أو حياة غيرهم من العالمين ..

ومن دلائل الوطنية وعلائم القومية أن نجـد فى هذا الوطن العـربى الـكبير من يدافع عنه .. فى سياسته الانسـانية التى تدعو للسـلام والحرية والعدالة الانسانية .. وكذلك فى فكره الوضاء .. الذى تلألأ وغمر الدنيا بنور متوهج ينير الطريق الى انسانية أفضل ، وحياة أعظم وحرية وفيرة .

رأيت الجد والخير حين قرات العدد الأخير من مجلة « الحوادث » اللبنانية الصادر فى ٦٤/١٠/٣٠ فقد تناولت فى جراة وصراحة وطنيـة .. مواقف شعوبية .. تتنصل من عروبة العرب .. وقومية العرب .. واسلامهم .. وتراثهم ، وحللت بالبحث الواعى ما يقوم به عملاء المنظمة الصهيونية .. التى تغلغلت فى عواصم عربية عـديدة تنشر نواياها المخربة ضد البناء الثورى الذى تضع اساسه قويا متينا ثورة عربية عظمى قامت يوم الثالث والعشرين من يوليو سـنة ألف وتسعمائة واثنتين وخمسين . ان منظمة حرية الثقـافة العالمية .. التى تمولها الراسمالية الصهيونية قد امدت عددا من الشعوبيين الذين تستروا تحت ستار الأدب العربى .. ومن ثم أخذوا يفرضـون ارادتهم اللاقوميـة .. ويبثون أفكارهم الاقليمية .. ويوزعون على صـفحات عدة مجلات تغذيها المنظمة الصهيونية وتواليهـا بالعناية والتربية .. دعوات ضد المبـادىء والقيم والمثل العربية الصميمة ..ويركزون دعواتهم لضرب نبراس العروبة ودستورهـا ــ القـرآن الكريم ــ لأن فيه مايدحض حجتهم ، ويزهـق دعواتهم وأفكارهم ، ويرديهم فى غياهب من الظلام حالكة وقاتمة .

ان « الحوادث » تطالعنا وقد كشفت عن موقف لرجل من لبنان كان موظفا فى شركة وفجاة ــ بعد ان سافر لعدد من عواصم الغرب ــ أصبح أديبـا ومفكرا ومؤرخا ووطنيا غيـورا على التراث اللبنانى .. ويتضح ان هم هـذا الرجل بعـد أن جمع مساعدات مالية ضـخمة هو اصدار كتيب صغير محشو بالمغالطات .. ثم ان الرجل نفسه يرمى الى عزل لبنان عن الصعيد العربى . أما اسم الرجل هذا فهو ــ السيد/اميل خورى حرب الموظف سابقا فى شركة ك . ل . م .. ثم .. هناك عملية الجذب التى يقوم بها « سعيد عقل » لتعميد عبد الوهاب البياتى فى حظيرته وذلك بان يجعل له أصلا من لبنان ويكون البياتى صاحب جنسية لبنانية . ولقد تجرا سعيد عقل قبلا بان جعـل لهوميروس الشـاعر اليونانى العظيم أصلا لبنانيا .

ثم .. أيضا .. الانقسـام الذى أصـاب خلية المنظمة الصهيونية فى لبنان .. واكتفى بان تقرأمعى ماقالته « الحوادث » ... « .. فمن جهة ، انفرط عقد جماعة مجلة شعر ودب الخلاف بين أعضائها

القدامى ، لان **الانبرلزاريو** الاكـبر للحلقة استأثر وحده ، بعد انفراط العقد ، وتفرق الشمل بالاستفادة من مخططات « حوار » وراح بمعونة هذه المخصصات يشـتم ـ وحـده ـ الاتجـاه الوطنى ويطلق عليه **الانتلجسيا** العربية ٠٠ فى حين أن بقية الاعضـاء حرموا من « نعمة » هذه الشتائم » ٠٠٠

هل تعرفون « الانتلجنسيا » العربيةالذى يطلقها الشاتم المسمى فى « الحوادث » « بالانبرلزاريو » على الاتجاه الوطنى ؟؟

صدقتى ٠٠ ان هـذه « الفرقة » التى تزعمت حركة صـهيونة لن تبقى طويلا ٠٠ وستموت مع نسمات الفجر الوطنية ٠٠ التى تنطلق من القاهرة فى كل صوب وكل اتجـاه ٠٠ ولن تجعـل للمرددة والزاحفين والمشعورين مكانا فى حيـاة العروبه وقومية العرب وتبعا لعناصر المنظمة التى تتنقل بين تل ابيب !! وواشنطن !! وباريس!! ؟ وواعروبتاه !!

« عيد ميلادى »

خميس سلمونة

فى العدد الأخير من « صوت الشرق » الزاهرة الصادر فى شهر سبتمبر « أيلول » طلع علينـا الأستاذ أحمـد الشرباصى بتحليله القيم لكتـاب الاستاذ طاهر الجبلاوى «فى صحبة العقاد» ولقد كان التحليل ممتعا ٠٠ ولـكن هناك فقرة استوقفتنى تقول :

« عباس محمود العقاد » الذى فقده العالم العربى فى السابع عشر من فبراير لهذا العام » فاصابتنى الدهشة لأنى أعلم جيـدا كأحد المتفانين فى حب العقاد انه لقى ربه فى صبيحة الثانى عشر من شهر مارس من نفس العام ولم يلق ربه فى التاريخ الذى ذكره الأستاذ الشرباصى ٠٠ بل كان حيا يرزق ٠٠ مع الأحياء ٠

فكيف بالله ؟ للأستاذ الشرباصى أن ينسى تاريخا هاما سجله الشعب العربى من المحيط الى الخليج ٠٠ كيف ينسى تاريخا سطرته القلوب جميعا ٠٠

وانى لأذكر هذا التاريخ بصفة خاصة وكلى أسى وحسرة فهـو يوافق عيد ميـلادى المشئوم الذى اطفأت فيه الشموع بالدموع ٠٠ على العقاد ٠٠

« نفثات مغترب »

« الشاعر الأردنى محمد عز الدين المناصرة »

« مهداه الى الأستاذ الشاعر الكبير على الجندى »

ياساكنى الشـام هل لى عندكم خبر
من الأحبـة من اهلى وجـيرانى
خلفتهم وديار الشـام عامـرة
وقـد أتيت فـزادوا فى تحنـانى
عرّج فديتك حـدّق فى جنائننـا
وامرح على العشب فى آكام كثبان
الى مرابع خلد فى ذرا جبـل
من « الخليل » فاين اليوم خلانى
والى «اليقين» وصوب الغيث منهمر
اذكره دوما وفى سرى واعـلانى
كستـه خضرة ذات الشيح وارفة
ظـلاله فاعـادت فى اشـجانى
والى الجهير وطهر المـاء منسكب
من الأعالى فمن حبـات مرجان
وارع القطيعَ نشيطا فى أصائلنا
وكن لوحـدك فى مـرج وقيعـان
وارقب فديتك شمس الصبح طالعة
مثل اللجين تعيـد الى وجدانى
وقد تراهم رعاة الوادى قد سرحوا
على الجـوانب واكتظوا بجمعـان
والطير ضاحك حياه الحيا ثملا
فوق الغصون ورف الطير سربان
سرب الحمائم زرق قد غدون الى
ذاك الغـدير على اركانه حانى
وسرب غيد مع الاصـباح تلهمنا
شعرا طهورا جميلا ليس بالفانى
مضين نحو جهير الماء فى سـحر
مـلائك الله من حـور وولـدان
يذبننا سـحْرا والنجم سـهدنا
وهن عنـا سـوالٍ او كوسـنان
ياساكنى الشام هل لى غيركم احد
ان عشت وحدى بالامى واحزانى
متى اعـود اليـكم يا أحبتنـا
متى اعود الى صـحبى واقرانى
ياحبـذا جلسـات فى ليالينـا
وصـخرة الوادى أرعاها وترعانى
ياروضة النيل قد صـافوك رائعة
متى أعـود تولت عنى شـطآنى
رعا الاله وقـد كنـا بهـا زغب
«بنى نعيم» فهل من رجعة ثانى



فتاة شريفة

قصة قصيرة بقلم محمد المنذري محمد



كان والد «وفاء» يجلس في شرفة قصره فوق مقعد من القماش وظلال الاشجار تهتز فوق راسه العارى الاشيب ، وبده اليمنى تداعب هرة حمراء تقبع على ركبتيه في هدوء بينما وقفت ابنته وفاء امامه منكسة الراس شاحبة الوجه .. اما انا فقد كنت اقف مستندا على باب الشرفة ، ارقب بلهفة فراغ الشيخ من اصدار قراره بشان خاطب ابنته وفاء .. تلك التي كنت احبها في صمت .. وبلا امل !!

وكان ذلك في اواخر شهر مارس ، والهواء قد بدا يحمل تباشير الربيع ، وشذى الازهار بعطر الارجاء ، ولم يكن يوجد في الشرفة سوى مائدة صغيرة من الابنوس ، عليها كوب وعلبة تبغ ، وقداحة مفضضة تلمع في نور الشمس . وكانت وفاء ترتدى ثوبا بسيطا رمادى اللون ، ولا تضع من حلى الزينة غير عقد من اللؤلؤ يمتد في بريق اخاذ حتى اسفل نحرها .

وترك الشيخ ابنته لحظات تائهة في بيداء من الحدس والتخمين ، وفجأة تعقد جبينه ، ورمق ابنته وقال في سخرية لم يستطع كتمانها :

ـ هل يمكن ان تقولى لى باى شيء انت معجبة بخطيبك ؟!

قال الشيخ ذلك وازاح الهرة من فوق ركبتيه بحنق ، بينما تضرجت وجنتا وفاء وقالت وكانها تبكى :

ـ انا لست معجبة به في شيء ، ولو شئت الدقة فان صورته لاتعلق بذاكرتى البتة ! ولكنك قبلته خطيبا لى ووعدته بالانتظار .. انت الذى وعدت ! ولا احب لك ان تخلف الوعد . و.و ..

***

وارتج على وفاء ، ورمقها الشيخ رمقة سريعة ، وانثنى نحو السياج الحديدى ، واخذ نفسا طويلا كانه ينعم بهواء الصبح العليل ، وفجأة استدار نحو ابنته وحدق فيها وقد فاض به الغيظ ، وقال :

ـ تمام !! لقد عرف الوغد كيف ينتزع منى مثل هذا الوعد حقا ! ولكن المسالة ليست مسالة الفاظ تردد دون ان تحمل اى معنى . ان ذاكرتى قوية ! وقد صرح لى بأنه مسافر الى الاسكندرية ليعد منزل الزوجية ، ووعد ايضا انه بمجرد ان يتم ذلك سيعود في الحال ، وطلب مهلة لذلك شهرين .. ولكنه لم يعد ، لا بعد شهرين .. ولا بعد .. عامين !!

واشعل الشيخ لفافة اخذ منها نفسا زفره في ضيق ، وعاد يقول في غضب وجسمه كله يهتز :

ـ لا . لا . ان احتقار الفتاة الى هذا الحد ، واهمال شأنها على هذا النحو ، مظهر يدل على عدم الرغبة فيها .. والانصراف عنها !!

ولوى الشيخ راسه نحوى ، واضاف مستشهدا بى :

ـ اليس كذلك يا رافت ؟ !!

وفي فزعة ، او فزعتين .. لا ادرى !! كنت اقف امام الشيخ في منتصف الشرفة (وفركت) يدى في حبور وغمغمت :

ـ اجل ، ياسيدى .. ان الامر لكذلك حقا !! ان كل ذلك حق ورب الكعبة !!

وحدج الشيخ ابنته بنظرة ساخطة نافذة وقال في تشف :

ـ اسمعت يا وفاء ؟ ! انى لاعرف ان خطيبك وغد .. مستهتر .. افاك . اجل. اجل .. فان صديقا مخلصا لى احاطنى

علما بانه وغد !! وها انذا ، ابوك ، الهرم ، الذي لا يزال بالرغم من ذلك رجل علم وفكر .. يجد نفسه مضطرا لأن يكشف لابنته عن كل شيء ، ومن الطبيعي انه ليس من حق الأولاد الأضع نصح والديهم موضع الريب !! فقومي ، يا ابنتي .. علام تنتظرينه بعد ان كشف عن نفسه ، باعماله ، الغطاء ؟!!

واهتزت وفاء في وقفتها كمريض يترنح ، ورمقتني وتضرجت وجنتاها ، وتمتمت بصوت مختنق :

– آه يا ابي العزيز ! لكم كنت افضل ان ترجيء الحديث حول هذا الموضوع الى فرصة انسب ! ولكن مادمت قد سحبت القناع واصبح الأمر على هذه الدرجة من العلانية ! فان ابنتك التاعسة لا تجد مفرا من ان تقول انها ترى في النكوص عن العهد خدشا للاحترام ، وفي التحلل من الارتباط ، هدما للاخلاق !!

وضرب الشيخ زوايا المقعد بقبضة يده وخيل لي انه سينهض ويلطم ابنته ، ولكنه قال في حماس : تمام ! تمام ! هذا عين الحق !! ومن يقل غير ذلك فهو مأفون !! ولكن سلوك خطيبك قتل هذا المبدأ القويم ، وفي الواقع ، يا ابنتي ، انا لست مطمئنا الى مسلك خطيبك من اول يوم ، فقد لمحت الاستهتار كله يتجمع في عينيه عندما ضيقت عليه الخناق لتحديد موعد لعقد القران ، وكنت وشيكا على رفض طلبه في نفس اللحظة ، ولكن امك .. آه يا ابنتي .. اجل ، اجل . امك التقية السليمة النية زكته لي ، منساقة في ذلك وراء سيدة تعرفها من زمن ، ولكن .. تلاعبه بنا ، يا ابنتي ، امر لم يعد يلائم كرامتي . حتى أمك نفسها اصبحت تشاطرني هذا الرأي بعد ان نحت جانبا كل ما احتشد في راسها من تفاة !! وانت يا ابنتي لست الا فتاة عديمة التجربة كأمك !!

واهتزت وفاء كأنها تجرعت كمية مركزة من اقوى الخمر ، وشحب لونها وقالت في حشرجة :

آه يا ابي العزيز ! لقد لست وترا حساسا في النفس !! وليت ابنتك تستطيع ان تحنث في الوعد بلا وخز الضمير .. !! اجل ، يا ابي .. فان تمسكي بالعهد ! انما هو من صنعك انت ، ولست بمستطيع ان تلومني على ذلك !! ولكن ، ان طاعتك من أول واجباتي . فهل تجيب لابنتك الكلمة القلب مطلبا ؟ !!

ويظهر ان الجملة الاخيرة بدت للشيخ غامضة المعنى ، وكأنما خشي ان يقع في شرك ، فقال بحذر :

– طبعا . طبعا . ان طلباتك كلها مجابة بشرط ان تكون معقولة .. فما هو ياترى هذا الطلب !!

– رسالة لخطيبي حمدي .. رسالة مني .. حتى اقتنع بانني منحته فرصة يبرر بها مسلكه !!

وحدج الشيخ ابنته مليا ، وغاص في المقعد ، وصوب عينيه نحو الارض ، وتعقد جبينه لحظة ، ولم يلبث قليلا حتى فرك يديه في انبساط ، وتمتم :

– ان ذلك حكمة منك واصالة راي !! هيا اكتبي الرسالة واهدي لرافت باسقاطها في صندوق البريد !!

وكفراشة هاربة من الشرنقة ، تسللت وفاء الى غرفتها ، وبقي الشيخ يتصنت لوقع اقدامها حتى تلاشت ، ثم حدق في بوجه مكفهر ، واخذت اسنانه تصطك كرجل عراه الزمهرير ، وامرني في لهجة متقطعة باسقاط الرسالة والعودة سريعا وهو يكاد ينشق غيظا وغضبا : ياللشيخ من ثعلب عجوز !!

ومددت له يدي بالدفاتر ليطلع على الحسابات ، بيد انه نهض فجاة وقال يتافف :

– لا عمل الآن . لا عمل الآن ! ومن الجوهري ان نتفاهم على ذلك في المساء.. فالى المساء !!

ومشيت الى غرفة وفاء وانا شديد الدهش من حرصها على وعد شاب يعاملها بمثل هذا الاسلوب الوقح ، وبغطيمة تنطوي على الاسفاف .. واهدار كل التقاليد والقيم والمثل . وبرغم شعور البرم الذي احسسته من اداء هذه المهمة ، الا ان حبي لوفاء جعلني اتناسى هذا الموقف المحتقر .. لشخصي !!

وعند باب غرفة وفاء صدرت من حلقي سعلة عالية ، وجاءني صوتها الساحر بانها فرغت من كتابة رسالتها ، فاسندت ظهري الى الحائط ، وجرفتني الافكار ، وتزايد شعوري بالالام والمهانة ، بل احسست ان قلبي تحطم تحت اقدام قوية جبارة سحقته بلا رافة !!

والواقع ان وفاء ، في الأيام الأخيرة ، كانت قد اصبحت اكثر من صديقة لي ، ومن الاسرار التي افضت بها الي ، انها لا تكن في نفسها شيئا من العطف لخطيبها ، بل انها تكره ان تراه ، ولكنها فقط تحترم وعدها ! وكانت كثيرا ما تؤكد هذا المعنى في نفسي ، وهي تقول في بسمة حزينة « ان الانسان الذي يخل بالعهد يجب ان يستأصل من المجتمع الانساني ، يجب ان يباد كحشرة ضارة مؤذية !! »

وبعد ان تجول بنظرات جافة حزينة هنا وهناك ، تتنهد ، وتضيف وشعاع من نور سماوي يضيء جبينها . ولست اظن يا رافت انك تريد لي ان اخل بالعهد بالدرجة التي ارى فيها نفسي انسانة يجب ان تستاصل من المجتمع ، او ان اصبح في نظر نفسي اما كذوبا امام اطفالها الذين يناموں في المهد !! »

ووفاء على جانب كبير من نقاء السريرة فعلا ، تعيش في قصر والدها حياة مثالية ، تسودها نزعة فلسفية ، وتشغل وقت فراغها بقراءة الكتب هربا من الضيق والملل ، وتقول : ان القراءة كالفن ، كلاهما يسمو بالروح ويوسع الافق ، ويفتح أمام الانسان افاقا من العلم والمعرفة ، ويجعله اقدر من غيره على فهم الحياة ..

وعندما تسلمت الرسالة التي كتبتها وفاء لخطيبها الأرعن ، انتابتني هزة عنيفة من لمسة يدها البضة ، ومن صوتها الدافيء الساحر وهي تعتذرني من التاخير لتلحق بقطار الليل ، حتى اذا تحررت من عهده ، لا يكون في مسلكها ما يشين ، ويمكن لها ان تتخلص من تانيب الضمير ، وما تقاسيه من هجره ... وظلمه !

وحدجتني بنظرة تفيض بالدمع والسحر ، واستدارت في رشاقة وظرف الى غرفتها ، وهناك انكفات فوق حافة النافذة ، ولمحت جسمها يهتز ، ونشيجها يتعالى ، فتسمرت في مكاني ، ورحت احدق فيها باشفاق ، ودفعتني الحيرة والارتباك اكثر مما دفعني الفضول الى عدم التحرك . وتمثل لي وجه خطيبها النذل وهو يسخر منها ، غير مبال بما قد يسببه لها من الم النفس ومن سوء السمعة ، فكورت يدي ولوحت بها في الهواء وبنفسي رغبة شديدة في تحطيم صاحب ذلك الوجه او سحقه تحت قدمي كاحقر حشرة !

واحست وفاء بوجودي ، ويبدو انها ظنت انني انظر اليها خلسة ، اذ استدارت نحوي

فى حركة مفاجئة ، وراحت تتاملنى بنظرات حادة مكتئبة ثم اقتربت منى وقد امسكت براسها بين يديها وصرخت : – رافت ! لقد كنت اشعر نحوك بعاطفة صداقة ، ولست بعد اليوم اشعر بمثل هذا العطف ، ويؤلمنى ان اراك مرة ثانية وانت على مثل هذا السلك !

ادركت فى الحال ان وفاء قد اساءت بى الظن ، فترقرقت الدموع فى عينى ، وخفضت راسى وملء نفسى شعور بالاستخذاء ، والتوت زاوية فمى فى هزة عصبية .. فانا لا اتقهقر امام اشد الاشياء هولا ، ولكن كان يفزعنى سوء الظن ! . اذ ليس كمثله شىء يحيل قلب صاحبه الى اتون لا يخمد !

ولاحظت وفاء ما لاح على وجهى من بوادر الالم ، فاقتربت منى ودفعتنى برفق ، وقالت فى كبرياء :

– لقد صفحت عنك ! . اذهب . ولكن اياك ان تفعلها مرة اخرى !

وهرولت الى مكتب البريد وانا احس برسالة وفاء كقطعة من جمر تتلظى بين انامل، وامام الصندوق ساورتنى فكرة خبيثة .. لماذا اسقط هذه الرسالة ؟ بل لماذا لا امزقها ؟!. ووثبت الرغبة المروعة الى راسى ، مفاجئة مذهلة ، وخفق قلبى بشدة ، وهتفت لنفسى بهدوء الانفاس : ان وفاء لن تكتشف ذلك ، ولو ان والدها علم بما فعلت ، لتقبل ذلك فى ارتياح كبير ، فانا من اعلم الناس بما يضمر ذلك الشيخ لخاطب ابنته من سوء النية !

ومضت لحظة ، او عام ، لا ادرى ، وانا واقف متواريا فى ظلال مبنى البريد ، مسندا ظهرى الى الصندوق ، كانى اخفيه عن عينى! او من لذعة الضمير التى احسستها كسياط تلهب راسى !

وفى اللحظة التى استدرت فيها لاعود الى القصر ، اقترب منى موزع البريد ، وسلمنى رسالة تبينت انها من خطيب وفاء لوالدها . يا للشيطان ! هتفت بذلك لنفسى ، وعدت ارتنح فى الطريق الى القصر وانا استشعر فى نفسى جوى يحرق صدرى ، فها هو خاطب وفاء قد تيقظ اخيرا بعد ان ظننته قد تنحى عن طريقى ! . ولكن .. من انا حتى اجرؤ على طلب يد وفاء ؟!

شعرت بذلك السؤال يهبط فوق راسى كلسعة السوط ، فانا اعمل وكيلا لكتب والد وفاء ، انام واعمل فى غرفة ضيقة . منخفضة السقف ، غاصة بالرفوف والكتب والسجلات، ما من مرة تنبهت الى نفسى فيها الا وشعرت بالاكتئاب يغزو قلبى كجيش مظفر !

غرفة موحشة فى النهار ، مظلمة كئيبة ، اما فى الليل فلا يؤنس وحدتى الا نوائب الجرذان بين جدرانها الرخوة المعتمة وقرضها لجوانب الارفف، وفى الحق لست جديرا بمثل هذا العمل ، ولكن والد وفاء عطف على ، والحقنى بخدمته بعد ان توفى ابى ، ولم يبق لى فى الحياة من امل اواصل به تعليمى او اطعم امى التى ترملت وهى فى ريق الشباب ، واثرت حياة الترمل ، بما فيها من شظف على زوج لها قد يشقينى فى قابل الايام !

صفعنى واقع حياتى المر !! اسودت معالم الطريق امامى ، وعند القصر وثبت الى راسى فكرة شيطانية : لماذا لا اخفى خطاب «حمدى» والقى نظرة على محتواه ؟! . وتقبضت اصابعى على الخطاب فى فزعة من يقظة الضمير ، ولكن الرغبة الخبيثة كانت قد سيطرت على،فادنيته من فمى لابلل اطرافه وافتحه بلا اثر يذكر ، وفجاة دوى فى اذنى صوت احسسته كقرع الطبل : هكذا الامانة والا فلا !!

هبطت يدى الى جانبى فى تخاذل . مشيت فى ممر الحديقة والزهر يتراقص امام بصرى كدم مسفوح لانسان فاقد الشرف والذمة والضمير !! .. وردتنى الى عالم الوجود صيحة من وفاء ، وكانت فى زاوية تكاد تخفيها الاشجار .. عدت اليها .. ناولتها الخطاب . فتحته فى شرود . اخذت تتصفحه بعينين غير مكترثتين . ركزت بصرى .. بل حواسى كلها ، فى دراسة ما يطرا على وجهها من مختلف الانفعالات ، واخيرا هزت راسها ورمقتنى وقالت فى ارتياح :

– حمدا لله . لقد عدل حمدى عن خطبته ، وقد اصبحت الآن حرة من قيد وعده .. الثقيل !

شعرت بالدنيا كلها تضحك فى عينى . قلت وانا اتطلع اليها لاول مرة فى امل :

– اليس فى هذا ما يحزنك حقا .. يا وفاء ؟ !

رمقتنى وضغطت اسنانها الناصعة فوق شفتها السفلى ثم هزت راسها وابتسمت فى غموض وقالت : انك لم تصبح رجلا يحس مسئولية الكلمة يا رافت ! الشىء الوحيد الذى يؤلم نفسى هو الاخلال بالعهد !! واضطربت الكلمات فوق شفتيها ورمقتنى واطرقت ثم رفعت يديها وغطت وجنتيها الملتهبتين وجرت الى الداخل وشعرها الاسود يقفز فوق جبينها البديع ، وهتفت لنفسى فى نشوة :

وحق الانبياء والقديسين والشهداء .. ان وفاء .. تحبنى !!

فركت يدى فى غبطة . همست لنفسى فى مرح :

– عال ! . لم تبق الا كلمة تقال .. وتصبح وفاء خطيبة لى !

وفى المساء كنت بغرفة المكتب ، اراجع اعمالى للمرة العاشرة بعد الالف ، وطيف وفاء يتراقص امام بصرى كملاك . وتمثلت وجهها المستدير الطيب . فى حلم لذيذ شائق . لماذا لا اثير مسالة حبى لوالدها فى هذه الليلة ؟! وتمتمت لنفسى بلهجة محزنة مضحكة معا : اعتقد ان هذا الطلب قد اصبح الآن فى منتهى الاعتدال !

وسمعت وفاء تنادى على ، وفى اللحظات التالية كانت تحدجنى مليا وقد استندت بانامها البضة فوق حافة المكتب :

– ان ابى ينتظرك منذ اكثر من ساعة فى حجرة الجلوس لتقدم له دفاترك العتيقة !

ومشت خطوتين ، ثم استدارت نحوى فجاة وقالت فى تساؤل :

– رافت .. لماذا يبدو عليك الاضطراب ؟!

وتاملتنى برهة هزت بعدها راسها وانطلقت الى الخارج كالحلم . وتابطت الدفاتر وخرجت الى والد وفاء، وطلب يد كريمته يتلاعب فوق شفتى كسفينة تمخر مياه محيط فى رسوخ: وقدمت الدفاتر له ولكنه اشار الى مقعد بجانبه وتمتم :

– اجلس . لقد اصبحت اثق فيك ولك ان تتصرف كما تشاء دون الرجوع الى بعد ان تيقنت من صدقك !

وطاف بخاطرى اكثر من خاطر مبهج ، وتمتمت لنفسى وانا اتظاهر بمراجعة الدفاتر : انتهى الاشكال !

واقبلت وفاء وقدمها الصغيرة تقرب الارض من تحت طيات ثوبها الازرق ، وجلست جنب والدها ولم استطع ان احول بصرى عنها ، ورمقتنى بغتة ورمشت باهدابها الطويلة ، وقالت بصوت ساحر اخاذ :

– ستتناول طعام العشاء معنا يارافت .

وبعد ذلك هناك ما يود ابي ان يقوله لك !

قالت ذلك وادارت راسها نحو ابيها وغمزت له بعينها ، لم حدجتني بنظرة من عينيها الساطعتين ، فخفق قلبي بشدة ، وتمتمت في وقار مصطنع :

ـ شكرا لك يا وفاء ، ولكنى مضطر لمراجعة الدفاتر و .. والاستذكار للحقوق..و..و..

وتوقفت الكلمات في حلقي ورحت احدق فيها مبهورا ، بينما صاح والدها يقول في غبطة :

ـ انت اليوم تستحق التكريم لانك حملت لابنتي بشرى الخلاص من شخص كنت استثقل ظله ، ثم انك قد صرت كفرد من اسرتنا .. فعلام التكلف يابني ؟!

وللمرة الثالثة ، او الرابعة ، لا ادرى ، فركت يدى في حبور ، وهتفت لنفسي في زهو :

عال ! لم تبق الا اجراءات شكلية وتصبح وفاء شريكة لحياتي !

واطلق الشيخ ضحكة مرحة وهو يرمق ابنته اعجابا ، وفجاة زوت وفاء مابين حاجبيها واطرقت وقالت باكتئاب :

ـ ليتني صدعت بامرك يا ابي فلم ارسل خطابا لذلك الوغد !

وشعرت بنشوة هزتني من الاعماق وانا اسمع وفاء تعترف بان خطيبها السابق لم يكن الا وغدا ، واخرجت الرسالة من جيبي وقدمتها لها وقلت بانشراح :

ـ لا تحملي هما ! ها هي !

نطقت الكلمة الاخيرة بصوت خلته كرنين طبل في موقع حربي ! وقفزت وفاء من فوق المقعد منتشية ، ومزقت الرسالة قطعا صغيرة ونثرتها في الحديقة وهرولت الى الخارج في رشاقة الغزال .

ورمقت والدها وهممت ان اصارحه بما في قلبي ولكن وفاء عادت مسرعة وقالت بمرح :

ـ رافت . لا تنس ان ترسل في طلب امك ! فقد طلبت من ابي ان تعمل امك هنا، انها لن تتعب ! وستفرد لها غرفة خاصة لتكون قريبة منك !

ورمقني والد وفاء ، وهز راسه موافقا وفوق شفتيه بسمة المانح المتفضل ، وقال :

ـ ان مرتبك ضئيل وقد اردت ان اسدى اليك خدمة في مقابل جهودك المخلصة !

احسست بقوله كنصل سكين حاد يغوص في عنقي حتى نهايته . تجمدت انامل فوق حافة المقعد . تضاربت الاضواء في عيني كالوهج . شعرت كانني اهوى من حالق واسقط وسط اتون من لهب . وقفت وقلت بصوت المختنق :

ـ ان امي لن تعمل ابدا . ابدا . لا في هذا البيت ولا في سواه .. وانا على قيد الحياة !

غادرت حجرة الجلوس كانسان يفر من لهب الحريق في اخر لحظة . انهرت فوق مقعدى الاجرب كتمثال . مضت فترة وانا انصت لخرخشة الجرذان في الاوراق القديمة : هنا مكانك ! هتفت بذلك وانا في غمرة من حمى الياس ، ورأيت والد وفاء يدخل على بخطوات مسرعة كشبح مزعج ولمس كتفي بيمناه وتمتم وهو يحدق في :

ـ ما هذا ياولدى ؟! ان امامك مرحلة طويلة قبل ان تشق لنفسك طريقا بديعا في الحياة .

انا اعلم تماما مدى ما ينطوى عليه قلبك ، الطيب ، من حب .. لابنتي .. انها فتاة طاهرة نقية ولو انها متطرفة في التمسك بالشرف . ولهذا السبب اراها شامخة الراس. ولا اريد ان انبر في نفسها من الالم بان اقدم لها فتى جديدا على اطلال فتاها القديم !

و .. وذهلت ، وبدرت من حلقي صيحة مختنقة : احقا .. ! .. ! ..

وهز الشيخ راسه وتمتم ووجهه المتغضن يفيء بنور الصدق :

ـ اجل.. يا ولدى .. فانا اعرف كل شيء .. كل شيء ! . يا للثعلب العجوز !

ولاول مرة ، اشعر بغرفة البدروم تتسع وتتسع كانها اجمل قصر في الدنيا !

محمد المتدى محمد

الثلاثاء القادم .. وكل ثلاثاء

- على هامش المجمع الكنائسي العالمي — محمد فريد ابو حديد
- متحف الرعب — عبد المنعم شميس
- بين العلم والفلسفة — زكي محمد اسماعيل
- طعام مسموم (قصة و. و. جاكوبس) — ترجمة : فهيم حبشي
- بين الشكل والمضمون في القصة القصيرة — فوزى شاهين
- الوحدانية في العقيدة الافريقية — عايدة العزب موسى
- ملحمة الجلاء — نقد : د. سعد الدين الجيزاوى
- الستائر البنفسجية (قصة) — عدنان الداعوق
- الخطوبة (مسرحية تشيكوف) — ترجمة : شكرى عازر
- تكنيك التمثيل . — ترجمة : بديع عزيز
- أتيلا (شخصية خالدة) — آمين سلامه



العدد ٧١
الثمن ٣ قروش

الدار القومية للطباعة والنشر

الرسالة

مجلة أدبية تعبر عن العروبة والفكر العربي المعاصر

الرسالة

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

تليفون : ٤٢٧٩٤
٥٣٩٤٠

في هذا العدد

الإشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من
خارج ج. ع. م.
الإدارة :
٢٧ ش عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد ـ القاهرة

العدد ١٠٩٠ ـ الخميس ٢٩ رجب ١٣٨٤ هـ ـ ٣ ديسمبر ١٩٦٤ م ـ السنة الثانية والعشرون

ظاهرتان

في دراسة أدبنا الحديث

بقلم عباس خضر

في دراسة تاريخ أدبنا الحديث ظاهرتان تستوقفان نظرى كلما قرأت لأحد الباحثين فيما يتصل بهما .

الأولى ثورة سنة ١٩١٩ من حيث ما يقال من مثل هذه العبارة : « **الفترة التي اعقبت ثورة ١٩ حدث فيها كذا وكذا نتيجة الانتفاضة الوطنية .. الخ** »

والظاهرة الثانية عند الكلام على مبدأ الواقعية الحديثة في أدبنا ، **اذ تغفل فترة طويلة وتسقط من الحساب ويبدأ نظر الباحث فيما بعدها .**

وقد أثار تينك الظاهرتين في نفسي أخيرا كتابات في أعداد أخيرة من « الرسالة » .

في العدد (٦٩) يبدأ الأستاذ سيد حامد النساج مقاله « **الفجر ودورها في التجديد الفكرى** » بقوله : « تميزت الفترة التي أعقبت الثورة القومية في ١٩١٩ بوجود يقظة أدبية كبرى ، كانت نتيجة لليقظة السياسية التي أوجدتها الثورة في نفوس الناس ومفاهيمهم ، فكما أن الثورة القومية كانت مصرية قومية في كل مظاهرها ، فانا نجد الأدب هو الآخر أخذ يصطبغ بصبغة قومية وأصبحنا نقرأ عن وجود أدب مصرى ، قومى ، مستقل ، نابع من البيئة المصرية ليس غير »

ومقال الأخ النساج يبين دور صحيفة « الفجر » لأحمد خيرى سعيد في النهضة القصصية الحديثة ، فيحسن البيان ، فيما عدا التحديد الزمني الذي رتبه على مضمون الفقرة السابقة الخاصة بثورة ١٩ ، اذ يمضى فيتحدث عن المدرسة الحديثة قائلا : « واتخذت هذه الجماعة من صحيفة الفجر لسان حال لها ، اذ تكاد تكون هي الصحيفة **الوحيدة** التي عكست آراء هذه الجماعة ممن أثروا في فن القصة تأثيرا واضحا » ثم يقول : « ومهما يكن من شيء فان فضل **الريادة** في جعل القصة عنصرا أساسيا يعود **أولا وقبل كل شيء** الى صحيفة الفجر » .

والعدد الأول من « الفجر » صدر في يناير سنة ١٩٢٥ . وقبل ذلك بنحو عشر سنين وقبل ثورة ١٩ بنحو خمس سنين صدرت جريدة « **السفور** » لعبد الحميد حمدى ، وكان لها دور كبير في تجديد الأدب عامة وفي فن القصة الحديثة بوجه خاص . وقد نشر بها « **محمد تيمور** » مجموعته القصصية « **ما تراه العيون** » **سنة ١٩١٧** ، وهى المجموعة التي كتبها طبقا للمذهب الجديد الذى دعا اليه بحماسة عقب عودته من أوربا سنة ١٩١٤ ، وهو **ايجاد أدب مصرى قومى يصور البيئة المحلية ويعبر عن الشخصية المصرية** ، وقد ترددت كلمة « **المحلية** » كثيرا في تلك الفترة وما بعدها نتيجة اعمالها والاتجاه المفرط الى قديمنا والى حديث أوربا . وهو — محمد تيمور — لا يقصر دعوة المصرى الى الشعور بشخصيته على الأدب فقط ، بل نراه مشغولا بهذه « **النبضة** » في النواحي الأخرى ، ومما كتبه في ذلك مقال بعنوان « **شخصيتنا** » نشر في « السفور » — ١٠ اغسطس سنة ١٩١٨ .

والمدرسة الحديثة التى تحدث عنها الاستاذ النساج تدين لرائدها الأول « محمد تيمور » وتقتفى أثره . ولم تكن « الفجر » هى الصحيفة « **الوحيدة** » التى عكست آراءها ، بل كانت « السفور » هى المجال الأول لهذه الجماعة ، اذ كتب فيها أعضاؤها كثيرا قصصا ومقالات ، منهم – غير محمد تيمور – ابراهيم المصرى وحسن محمود ومحمود تيمور ويحيى حقى .

وعلى ذلك نستطيع القول بأن ثورة ١٩ – بهذا التحديد الزمنى – لم تكن نقطة البدء ، كما يقول النساج وكما قال من قبله غير واحد ، سواء من الدارسين أو المعلقين عابرى السبيل ..

ولعلنا نكون أقرب الى الصواب اذا قلنا بأن اليقظة الأدبية التى رأيناها قبل سنة ١٩ والتى استمرت بعدها ، كانت نتيجة الثورة .. بهذا الاطلاق دون تقييدها بسنة محددة ، **فالثورة كانت فى نفوس المصريين منذ الاحتلال الانجليزى ، بل كذلك قبله .. اذ كانت ثورة على العنصر الأجنبى الذى يستغل البلاد ويأبى الا الترفع على أهلها ، سواء فى ذلك العنصر التركى بغطرسته وعنجهيته ، والعنصر الأوربى المتمثل فى « الخواجة » المرابى والمحتال بشتى أنواع الاحتيال على ابتزاز الاموال من أهل البلاد .**

وصاحبت تلك الثورة المستمرة ثورة أدبية تظهر حينا وتختفى أحيانا ، حتى انفجرت الثورة العامة سنة ١٩ . **ولم تكن تلك السنة توقيتا للثورة بقدار ما كانت وقتا لانفجارها .**

كل ما فى الأمر – بالنسبة للأدب – أن التطور على مدى السنين من حيث انتشار التعليم وازدياد الوعى والاحساس بالواقع السىء ومقارنة هذا الواقع بواقع البلاد السابقة الى الحضارة الحديثة – أدى الى تبلور الفكرة الأدبية الواقعية فى القصة ، وامكان استخدام هذا الفن فى ابراز الشخصية القومية والعناية بالبيئة المحلية ومحاولة بث الدعوة الى تقدمها فى الصور الادبية . اذ رأى الرواد الأوائل أمثال ذلك فى الآداب الأجنبية ، وخاصة فى الأدب الروسى . وفى الوقت نفسه أفزعهم أن يقتصر الأخذ من الآداب العربية – عن طريق الترجمة والاقتباس والمحاكاة – على الوان الاثارة بالحوادث الغريبة والادهاش بالخيالات المغرقة فى البعد عن واقع الحياة .

ومن عند أولئك الرواد القصصيين وأولهم – حسب استقرائنا – محمد تيمور – تبدأ الواقعية الحديثة فى أدبنا ، نتيجة لفعل اليقظة القومية المستمر من جهة ، وللاتصال بالأدب الغربى من جهة أخرى .

لا من عند توفيق الحكيم ومن تلاه ، ونجيب محفوظ ومن عاصره ، كما قال الأستاذ محمد يوسف القعيد (العدد ٦٨ من الرسالة) :

« وما ان أتى **الربع الثانى** من القرن العشرين حتى انحسر ذلك الموج الرومانسى بعض الشىء وبدأت تيارات الواقعية تهب على أدبنا وتسلل الى أدبنا مع هذا التيار – عن طريق الترجمة – بلزاك وفلوبير وأدباء روسيا الواقعيون ، واستمر هذا التيار الواقعى فى أدبنا العربى فوجدنا الحكيم يكتب (عودة الروح) ونجيب محفوظ يكتب أعماله التاريخية ثم ما يلبث أن يلتقى بالواقع مباشرة ابتداء من (القاهرة الجديدة) ويوسف ادريس يكتب (أرخص ليالى) وعبد الحليم عبد الله بدأ يكتب أعماله الواقعية .. الخ »



توفيق الحكيم

فهذا كلام غير دقيق ، لأن الواقعية – كما رأينا – **بدأت فى الربع الأول من القرن لا فى الربع** الثانى . وقد قرأت دعوة اليها فى مقدمة قصة (فى وادى الهموم) لمحمد لطفى جمعة سنة ١٩٠٦ ولكن تطبيقها الموفق لم نره عندنا قبل محمد تيمور وذلك الكلام أيضا غير دقيق لأن الأمثلة التى أتى بها الأخ يوسف القعيد ليست كلها واقعية ، فعودة

الروح تسودها الروح الرومانسية ، وكذلك بعض أعمال عبد الحليم عبد الله ، ولا ارى أن قصص نجيب محفوظ التاريخية تعد من الواقعية • هذا على ما فى بقية مقال القعيد من فطنة وحصافة •

وقد تلا محمد تيمور ـ فى الكتابة الواقعية والدعوة اليها ـ بقية أفراد المدرسة الحديثة فى الربع الأول من هذا القرن ، واشتد التيار وغزر فى العشرينات منه ، وتلحظ بعد ذلك عودة الى الرومانسية فى الثلاثينات ، من أمثلتها قصص محمود كامل المحامى •

من أولئك الكتاب الواقعين عيسى عبيد واخوه شحاته ومحمود تيمور • تحمسوا لها وحملوا على الاتجاهات المضادة فى مقدمات مجموعات قصصهم التى ظهرت فيما بين ١٩٢٠ و ١٩٢٥ • حملوا على الكتاب الرومانسيين الذين يبعدون بخيالهم الغريب عن الواقع ، وعلى المترجمين الذين يختارون القصص المثيرة من أدب الغرب ، وهم الذين يعنيهم شحاتة عبيد فى مقدمة مجموعته « درس مؤلم » ـ سنة ١٩٢٢ ـ بقوله : « **ورأينا من الآخرين روايات مبنية فى الهواء، خارقة للطبيعة منافرة للعقل ، تعمد واضعوها حشو الحوادث تلو الحوادث ، والمفاجآت بعد المفاجآت ، والتقلب بين الفزع والاطمئنان ، والانكسار والانتصار ، رغبة فى استمالة القراء واستدرار الكسب المادى** » •

ويشير عيسى عبيد ـ فى مقدمة مجموعته (احسان هانم) التى ظهرت سنة ٢١ ـ الى دعوة أخرى كان مجالها الجامعة ، وكان لها صدى فى الحركة الادبية العامة ، فيقول : « **وقد جاء الدكتور احمد ضيف أستاذ الآداب العربية بالجامعة المصرية فى كتابه (مقدمةفى بلاغة العرب) مؤيدا لنا فى نظريتنا ، اذ قال بوجوب ايجاد آداب عربية مصبوغة بصبغة مصرية ، ولا شك أن كتابه هذا سيخلق عهدا جديدا فى عالم الأدب المصرى الحديث ويخط طريقا جديدا للأدباء** » •

وكتاب الدكتور ضيف المشار اليه اسمه « مقدمة لدراسة بلاغة العرب » وقد ظهر سنة ١٩٢١ ، وهو مجموعة محاضرات القاها من قبل على طلبة الجامعة• **وقد سبق بها الدكتور طه حسين فى الدعوة الى دراسة تاريخ أدب اللغة العربية على المنهج الحديث** •

ومما يذكر أن الدكتور ضيف اراد أن يطلق كلمة « **البلاغة** » على المفهوم الفنى لكلمة « الأدب » بدلا من هذه الكلمة • وتابعه فى ذلك بعض الكتاب ، ولكن هذه التسمية لم تلق رواجا بعد ذلك •

وبعد فان أولى الظاهرتين اللتين تحدثنا عنهما لا تعدو أن تكون تصحيحا لتسلسل تاريخي واختلافا فى وجهة النظر • **اما الظاهرة الثانية فأمرها أخطر ، وهى تدل على ظاهرة أعم فى جيل الأدباء الراهن ، هى الانقطاع عن الجذور الأدبية وجهل التراث ، حديثا كان أو قديما ، وما يترتب على ذلك من الأخذ بأقرب الأشياء وأيسرها عند التعرض لأمور تقتضى البحث عن البعيد والعناء فى تفهمه** •

من أمثلة جهل التراث القديم مايصنعه الآن **الدكتور لويس عوض** فى بحثه المسلسل بالأهرام تحت عنوان « على هامش الغفران » ـ انه يذكر لنا بكل خفة ويسر •• اعتداده بما كتب فى الموضوع الدكتور طه حسين والدكتورة بنت الشاطىء والأستاذ صلاح عبد الصبور ، دون أن ينبىء كلامه عن اعتماده على المصادر القديمة التى لا بد منها فى مثل هذا البحث • **وقد بين لنا الباحث المقتدر الاستاذ محمود شاكر ـ فى مقاله بالعدد الماضى من الرسالة ـ كيف انه ، اى لويس عوض ، يشير الى ما قاله القدماء ، لا رجوعا الى مصادره بل اخذا مما كتبه طه حسين وهو شاب ناشىء** ••

وبالنسبة للتراث الحديث فاننا نرى اليوم كثيرا من الأدباء وبخاصة الشبان يكادون يجهلون كل شىء عنه ، ويحسبون أمره محصورا عند العقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم ومحمود تيمور وسائر الذين راوهم واتصل انتاجهم بالوقت الحاضر ، بل انهم يجهلون الانتاج القديم لهؤلاء ، وقد الفت عدة كتب عن محمود تيمور لم تتعرض لانتاجه المنشور لأول مرة قبل سنة ١٩٣٠ •

وقد يكون الأمر هينا مقبولا بالنظر الى الذين يسكتون ، **أما الذين يكتبون عن أدبنا الحديث بتلك الخفة وذلك الخطف فان واجبنا أن نقول لهم : كفوا ، وأولى بكم أن تقرؤا أولا وتطلعوا على ما كان قبل أن تبتوا فيه هذه الأحكام العجيبة** •

حقا انالفترة الأولى من نهضتنا الأدبية غيرمخدومة بالدراسات الوافية المضيئة لجوانبها ، ولكن واجب الذين يتعرضون لشىء منها أن يتريثوا قبل أن يفعلوا ، وعليهم أن يتعبوا أنفسهم بالبحث لكىتكون كتاباتهم هى التى تخدم وتفىء •

عباس خضر

.. بل معيبا !

بقلم : محمود محمد شاكر

- ٢ -

ليس حسنا ، بل معيبا أن يتخذ كاتب قلمه أداة لخداع القارىء عن عقله والتغرير به ، ولكن هكذا كان ! فان الدكتور لويس عوض انتحل لفظ «المنهج» وأجرى به قلمه ، ليخدعنا ، فيما يتوهم هو ، عن عقولنا . فمنذ بدأ مقالته عن رسالة الغفران ، لم نزل نسمع للمعاول فى الاحجار الصم صليلا وزجلا (أى طنينا وجلبة) ، والح على ذلك حتى اقام ستارا كثيفا من غبار القرون الخوالى منذ عهد هوميروس ، يحجب شخصه عن عيوننا ، وفعل ذلك كما عرفنا بعد ، لكى يتسنى له أن يخرج عن شيخ المعره ، وعن رسالة الغفران ، وعن ابن القارح ، « فيلما » مثيرا متلاحق البكرات ، مثل أفلام « كوفاديس » ، « والمصارعون » ، و « الرداء » . ثم اذا بنا نراه يخرج من وراء الحجب ليعرض علينا اقلامه فى بنية مظلمة (أى بناء مظلم) ، بناها لأفلامه وسماها « منهجا » اصطفاه واختاره ليعيننا ، زعم ، « على معرفة موقف هذا الرجل العظيم من أفكار عصره ، ومن أحداثه ، ومن رجالاته ، ومن أحواله بوجه عام» والحقيقة انه طلع علينا بسلامة طويته ، وبالمعروف من اخلاصه وتنزهه عن الهوى ، ففعل بنا ، وبشيخ المعرة ، وبرسالة الغفران ، وبابن القارح ، ثم بعصرهم جميعا ، وبرجالاته ، وبأفكاره وبأحداثه ، وباحواله بوجه عام !! أبشع مما دل عليه ظاهر كلامه انه فاعل . وذلك حين عرض علينا شيئا سماه « الخلفية التاريخية لهذا العمل العظيم » ، ونعوذ بالله وحده من سوء تراكب الألفاظ ومن سوء اختيارها ، ولأمر ما قال القائل قديما :

قد عرفناك باختيارك اذ كان
دليلا على اللبيب اختياره

واذا بى كأنى أرى شيخ المعرة قد هب من تحت أطباق رمسه ينفض عن أكفانه تراب القرون ، وكأنى أراه ماثلا مضىء القسمات فى حنادس هذه البنية المظلمة ، وكأنى أسمعه يقول للناس ، مستنكفا ساخرا لاذعا كعادته : ما هذا ؟ « هل هو الا كما قالت الكاهنة : أف وتف ، وجورب وخف . قيل : وما جورب وخف ؟ قالت : واديان فى جهنم » !! (رسالة الغفران : ٤٦٢) ، وحسبك من شر سماعه !

***

وأنصرف الآن الى تتمة الكلام فى الخبر الذى رواه القاضى الاكرم جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف ابن ابراهيم بن عبد الواحد الشيبانى ، المعروف بالقفطى ، وهو خبر لقاء شيخ المعرة فى صباه راهبا بدير الفاروس ، باللاذقية . وقد قلت قبل انه خبر ينضم على علل قادحة فى صدقه ، وانه يحمل فى خلاله البينة على تكذيبه ، وأن سياقه مضطرب ومناقض للواقع . واستغفر الله مما قلت ، بل هو خبر حشو الفاظه كوائن ! (والكوائن هى المصائب ، والدواهى ، والبوائق) .

ومصدر هذه الكوائن ، أنه خبر لم يعرفه أحد فى خلال مائة وعشرين سنة على الأقل ، منذ وفاة شيخ المعرة فى سنة ٤٤٩ ، الى مولد القفطى سنة ٥٦٨ . وليت الأمر يقف عند ذلك ، فلو افترضنا أن أول ترجمة كتبها معاصر لشيخ المعرة ، كتبت سنة ٤٢٠ ، وأن القفطى كتب كتابه « انباه الرواة » وهو فى الثانية والثلاثين من عمره ، أى سنة ٦٠٠ ، (وهذا بعيد جدا ، لأنه كتبه بعد ذلك بلا شك) ، فهذه مائة وثمانون سنة على الأقل ، تراكمت أيامها ولياليها سورا فاصلا بين صاحب الخبر والمخبر عنه ،

وقد اسلفت طرفا من ذلك فى كلمتى الماضية ، ولكنى احب اليوم أن أجمل علم ذلك واضحا جليا لعينى أستاذ جامعى ـ كان ـ هو الدكتور لويس عوض ، فان زكاة العلم نشره واذاعتــه والابانة عنه ، وهى علينا فريضة محكمة كفريضة زكاة الأموال ، نؤديها لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شــكورا ، لأننـــا نعتقد ، بلا ارتياب ، أن من سئل علما فكتمه جاء يوم القيامه ملجما بلجام من نار !

فاذا أقررنا أن هذا الخبر المكتوب فى نحو سنة ٦٠٠ ، انفرد به القفطى فى مائة وعشرين ســنة ، وعدنا فنظرنا ، فعندئذ نجــد انه خبر غير معروف لأحد من المؤرخين بعده ، الى أن توفى المؤرخ الحموى الشامى الكبير أبو الفداء فى سنة ٧٣٢ ، فهذه مائة وثلاثون سنة أخرى تخلو من ذكره ، فجميع ذلك عشر سنوات وثلثمائة سنة ، ولكن يعاصر أبا الفداء رجل آخــر ، هو مؤرخ الاســلام الحافظ الذهبى (٦٧٣ ـ ٧٤٨) اطلع على كتــاب القفطى (كمــا ذكر ذلك فى ترجمة شيخ المعرة) ، فنراه يذكر هذا الخبر ، مختصرا له ، ومغيرا لبعض الفــاظه ، واذن فذكر الذهبى له لا يعضد القفطى ، لأنه نقل عنه ، وهذا واضح بالطبع ، لكل مبتدىء جامعى ، ناهيك بأستاذ جامعى ! فنبقى اذن حيث كنا ، انه خبر انفرد به القفطى على تطاول ثلاثة قرون وعشر سنوات ٠ وهذا واضح أيضا لمن ذكرنا ! ولو كنت أخاطب غير أستاذ جامعى لقلت : حسبى ، وأبطلت الخبر من هذا الوجه ، ولكن لا بد مما ليس منه بد ٠

واذن فلا بد من أن أعود القهقــــرى (أى ، الى خلف) وان كنت لا أحــب ذلك ، فالقفطى المصرى (٥٦٨ ـ ٦٤٦) ، له معاصر لا يقل عنه قدرة وحرصا ومعــرفة ، هو ياقوت الحموى الشــامى (٥٧٤ ـ ٦٢٦) ، وهو سنينه (أى مقارب له فى السن) ، فمما يعلمه الأساتذة الجامعيون للمبتدئين الجامعيين، فيما أعلم ، ألا يغفلوا عن مقارنة أقوال المتعاصرين ، ومصادر أخبــارهم ، لأنه أساس تهدى اليه بديهة العقــل ، ولكن كثيرا ما يغفــل المرء عن البــدائه ! فالقفطى مصرى لم يطل مقــامه بالشـــام ، وياقوت شامى مقيم بديار شيخ المعرة ٠ فهو اذن أعلم بأخبار الشام ، وان لم يكن هذا ضرورة ملزمة ، ولكن كل الدلائل تدل على ذلك من مدارسة كتب الرجلين ٠ هذه واحدة ٠

ثم أخرى ، ففى ترجمة ياقوت لشيخ المعرة بعض اخبــار تدل على أن الرجلين كانا يتنازعــان أطراف الحديث فى أخبــار شيخ المعــرة ، وفوق ذلك ، فان ياقوتا روى عن القفطى أخبــارا كثيرة فى كتبــه ، وترجم لــه فى « معجــم الأدباء » ترجمة ضــافية ، والقفطى حى بعد ، وذكر فيها كتاب أخبار النحويين للقفطى (وهو انبــاه الرواة) ، وأثنى على الرجل ثناء كبيرا ، وبلغ به حبه أن ألف له كتابه « معجم البلدان » ، وقال فى مقدمته : « وأهديت هذه النسخة بخطى الى خزانة مولانا الصــاحب الكبير ، العــالم الخطير ٠٠ القاضى جمال الدين الأكرم ، أبى الحسن على بن يوسف بن ابراهيم بن عبد الواحد الشيبانى ٠٠ اذ كان أدام الله علوه علم العلم فى زماننا ، وعين أعيان أهل عصرنا وأواننا ، وأعدت اليه ما استفدته منه ، وروى عنى ما رويته عنه ، فأحسن الله جزاءه، وأدام عزه وعلاءه ، بمحمد وآله الكرام » ٠ فصرح بروايته عنه ٠ فيسأل السائل نفسه : الم يسمع ياقوت هذا الخبر من القفطى ، مع مراجعته ومذاكرته له فى شأن شيخ المعرة ؟ الم يقرأه فى كتاب « انباه الرواة » ، وقد ذكره فى ترجمة القفطى ؟ فاذا كان قد سمعه أو قرأه ، فلم أغفله ولم يذكره ؟ ألأنه أراد أن يدفع عن شيخ المعرة معرة هذا الخبر (أى عاره وشناره وقبحه) ؟ أم لأنه سأل القفطى عن مخرج الخبر ، فاستســقطه وعده قمامة تقممها من ســقاط الناس (أى ، أرذالهم وحمقاهم ، والقمامة ، الكناسة) فطرحه لخبث مخرجه ، ثم أنف أن يذكره فى كتابه ويرد عليه ، اجلالا للقفطى ؟ هذه أسئلة يجب على الجامعى المبتــدىء أن يحضرها بين يديه ، ناهيــك بأستاذ جامعى ، زعموا ٠

ولكى يجد الجواب عنها ، ينبغى أن يعــرف من ياقوت هذا الذى ترجم لشيخ المعــرة ، فأغفل هذا الخبر ؟ ولا يشك قارىء شاد عرف كتب الرجل ، أنه كان جماعا للأخبار ، حريصا عليها ، متتبعا لها بالحاح لا يمل ، من الكتب ، والصــحف ، والأوراق وأفواه الرجال ، وكان مع ذلك نقادا بصــيرا ٠ وسأضرب لك مثلا من ترجمة شيخ المعرة نفسه ، فانه أخبرنا أنه قرأ خبرا فى كتاب « فلك المعانى » لابن الهبارية (٠٠٠ ـ ٥٠٩) فيه بيتان تنسبهمــا لشيخ المعرة ، ووصفه بعدهما بأنه متحذلق عريض الدعوة طويلها ، وأنهما من كلام مجنون معتوه ، ثم

زعم ابن الهبارية أن الله سلط على شيخ المعرة أبا نصر هبة الله بن موسى بن أبي عمران داعي الدعاة الفاطمي ، فجرت بين الرجلين مكاتبات ، ثم امر داعي الدعاة باحضار الشيخ الى حلب ، « فلما علم أبو العلاء انه يحمل للقتل أو الاسلام ، سم نفسه ومات » . قال ياقوت بعد ذلك : « فلما وقفت على هذه القصة ، اشتهيت أن أقف على صورة ما دار بينهما على وجهه ، حتى ظفرت بمجلد لطيف ، وفيه عدة رسائل من أبي نصر الى المعري ، انقطع الخطاب بينهما الى المساكتة ، ولم يذكر فيها ما يدل على ما ذهب اليه ابن الهبارية من سم المعري نفسه . ونقلها على الوجه يطول ، فلخصت منها الغرض ، دون تفاصح المعري وتشدقه » ، ثم ذكر قدرا كبيرا من هذه الرسائل ، موجودة في معجم الأدباء (وهو مطبوع بالطبع) . ويستطيع أي مبتدىء أن يقدر حرص ياقوت على تتبع كل شيء ، ولا سيما ما خص شيخ المعرة ، ثم يقدر مقدار ما عنده من «الشهوة» الى المعرفة ، ثم يقدر أنه لا يتلقى الأخبار بالتسليم المجرد بل ينقدها ويمحصها ، ثم يقدر مع ذلك اي تحامل يكنه ويبديه على شيخ المعرة . ومن عنى نفسه (أى أتعبها) في قراءة ترجمة ياقوت لشيخ المعرة ، واجد وجدانا ظاهرا أن الرجل شديد الوطأة على الشيخ ، مؤثرا للوقيعة فيه وفي دينه ، يجمع الشوارد والأقاصي من أخبار الطعن فيه ، وهو في ذلك شديد الضراوة في عداوته ، لا يقف عند استثقال الرجل ، واستنكار تفاصحه وتشدقه ، بل يعلق على الأخبار والشعر بألفاظ مستشنعة ، حتى يقول في بعض تعليقه : « كان المعري حمار لا يفقه شيئا » ، ثم يزيد ما شئت .

فاذ قد عرفنا شره ياقوت الى مجرد العلم ، ثم ضراوته بأخبار شيخ المعرة ، ثم قرمه الى لحم الشيخ ينهشه (والقرم ، شدة شهوة اللحم) ، فأن يسمع من القفطي أو غيره خبر راهب دير الفاروس الذي ضلله عن دينه ثم يغفله فلا يذكره ، فذلك عجب ! وأن يريد باغفاله دفع المعرة عن شيخ المعرة ، فذلك فوق العجب ، وأن يسمعه من القفطي ، فيسأله عن مخرجه ، فيجده قمامة تقممها من سقاط الناس وأراذلهم ، فيطرحه لخبث مخرجه ، ثم يأنف أن يعيد ذكره في كتابه وينقده كما نقد خبر ابن الهبارية ، اجلالا لصاحبه القاضي الأكرم القفطي ، فذلك جائز وقريب ، ويكون معنى ذلك ان ياقوتا فوجىء بخبر لم يسمعه من قبل مع طول مقامه بالشام في ديار شيخ المعرة ، وهو نقاب متدسس (والنقاب ، العالم بالاشياء ، الكثير البحث عنها والتنقيب عليها) فسمعه من رجل غريب لم يطل بالشام مقامه ، وسمعه الغريب من مغمور تالف فاستطرفه فحازه وظن انه وقف على شاردة من الشوارد ، ثم حدث به شاميا عريقا هو اشد منه جمعا وتنقيبا، ليغايره بهذه العجيبة النفيسة النادرة كما تفعل الضرائر (والمغايرة استثارة الضرة غيرة ضرتها) ، وهذا أمر مألوف في بعض أهل العلم ، وفي كل زمان ومكان ، فاكراما للقفطي اغفل ياقوت الخبر ولم يذكره ، واستنكف أن يذكره فينتقده فيسوء صاحبه ويكشف عن عواره ، وخرج من الصمت من «لا» و «نعم» . هذا تفسير ما غمض !

فلم يبق اذن من تساؤل المتسائل ، الا أن يكون ياقوت حين ذكر كتاب « انباه الرواة » ، لم يطلع عليه ، بل سمع من القفطي أنه ألف كتابا في أخبار النحويين ، فأثبت ذلك في ترجمته ، وهذا ممكن وقريب . والا أن ياقوتا حين كان يذاكره في شأن شيخ المعرة ، لم يسمع منه هذا الخبر ، على غرابته وندرته ، وهذا جائز أيضا وقريب ، ولكن لعل الشيخ القفطي قد غلبه الحياء أن يحدث به شاميا خبيرا باخبار أهل الشام، لعلمه هو نفسه انه خبر تلقفه ليتباهى به في كتبه طلبا للاتيان بالغرائب ، على عادة بعض أهل العلم في كل زمان ومكان ، والدكتور لويس عوض جد عليم بذلك عن خبرة وتجربة . **فتكون العلة في ترك القفطي اسناد هذا الخبر النادر الغريب المنفرد ، الى كتاب وجده فيه ، أو الى رجل من شيوخه أو علماء عصره الذين لقيهم بالشام أو مصر ، وعلى غير عادته في تراجم من ترجم لهم ، هو أن مصدر الخبر كان عنده منكرا خبيثا ، فترك التصريح به** . والقفطي عالم خبير ، كانت له خزانة كتب كما ذكر ياقوت آنفا ، وهو لم يترجم لشيخ المعرة الا بعد اطلاع واسع على نوادر الكتب قبله ، وقد انقضت مائة وثمانون عاما بينه وبين أبي العلاء ، ألفت فيها كتب كثيرة ، وترجم للشيخ قبله عدة من العلماء ، فهو يعلم أن الخبر غير معروف عندهم ولا مشهور ، فكيف استجاز أن يغفل اسناده الى كتاب أو قائل؟ كان أول مايفعل أن يتباهى باسناده الى كتاب سبقه لم يقف عليه غيره ، أو الى شيخ

حدثه به ، هو عند الناس عليم حافظ كثير السماع من شيوخ قبله ، وهذه أشياء تهدى اليها بديهة العقل ، آثرت الدكتور لويس عوض باستخراجها له ، ليجد فيها متاع الاستاذ الجامعى بطرائف نقد الأخبار والاقوال !

وقبيح بالمبتدىء الجامعى عند هذا الموضع ، اذا كانت له شفافة من فطنة (أى قليل لا يكاد يذكر) أن ينسى همة ياقوت فى البحث والتنقيب ، وطول مدارسته للكتب ، وكثرة حشده للاخبار من الكتب والأوراق وأفواه الرجال ، كما ذكرت قبل من صفته ، فلا يعجب أن يكون ياقوت لم يقف على الخبر فى كتب الماضين ، ويقدر للقفطى وحده أن يقف عليه ، فهذا أعجب العجب عند أهل المعرفة بالرجلين، وبما كتبا .

واذن ، وأنت سيد العارفين ، فقد انفرد القفطى بهذا الخبر الغريب المنكر ، والذى جاء به بغير اسناد الى كتاب أو شيخ ، مع العلل المتضافرة على وجوب اسناده ، على امتداد ثلاثة قرون وعشر سنوات ! ولم ينفعه ذكره فى كتاب مؤرخ الاسلام الذهبى ، لانه عن القفطى نقل . ثم يتتابع بعد الذهبى ثمانية كبار من المؤرخين ، يذكرون الخبر أيضا منقولا عن الذهبى مختصرا بعد اختصار الذهبى ، وقد غيروا بعض الفاظه طلبا للاختصار ، حتى كان زماننا الذى كان فيه الدكتور لويس عوض ، وهو سنة ١٣٨٤ من الهجرة ، فلا يعضد خبر القفطى شىء من ذلك الغثاء كله ولا ينفعه ، لانهم جميعا لم يعرفوه الا عن طريق القفطى وحده ، فترددادهم للخبر ناقلين عنه لا يجدى ولا ينفع . وهذا أمر ، أظنه ، معلوم بالبديهة ! أليس كذلك ؟ واذا كان ذلك كذلك ، فالقفطى يقف وحده منذ كتبت أول ترجمة لشيخ المعرة ، فيما افترضنا آنفا ، سنة ٤٢٠ ، الى سنة ١٣٨٤ ، فهى بحساب المعلم وبالأرثماطيقا أيضا : تسعمائة سنة ، وخمس وستون سنة ! وقف الناس خلالها ، قبل القفطى وبعد القفطى على الآلاف المؤلفة من الكتب ، فلم يتفضل علينا متفضل بذكر هذا الخبر عن أحد رواه عن شيخ ، أو رآه فى كتاب ! أليس هذا عجيبا ؟ أظن ذلك ، ولكن هل يوافقنى الدكتور لويس عوض على هذا الظن ؟ هذا والله أحب شىء الى أن أعلمه .

وهذا حسبنا وحسبه فى دراسة مصدر الكوائن (وهى المصائب ، والدواهى ، والبوائق) التى أحاطت بهذا الخبر المفرد من قبل روايته . وكان لنا حسبا فى ابطال هذا الخبر واطراحه ، أن نبين خبث مخرجه من قبل انفراده ، ولكنى أخشى ألا يقنع الدكتور لويس عوض بذلك ، حتى استخرج له بقية الكوائن التى انطوت عليها الفاظه ، فالله المستعان ! وحسن هنا أن نعيد ألفاظه ، كما ذكرها القفطى ، لا ألفاظه بعد التغيير الذى فعله الذهبى ، ولا ألفاظه بعد التعديل الجديد الذى أدخله الدكتور لويس عوض ! فالقفطى يذكر رحلة الفتى الذى صار شيخ المعرة ، وقد كبر وبلغ سن الطلب، الى طرابلس الشام ، ثم يقول : « فاجتاز باللاذقية ، ونزل دير الفاروس ، وكان به راهب يشدو شيئا من علوم الاوائل (أى، تعلم منها قليلا، ولم يعرفها معرفة جيدة) ، فسمع منه أبو العلاء كلاما من أوائل كلام الفلاسفة (أى مبادىء كلام الفلاسفة) حصل له به شكوك لم يكن عنده مايدفعها به، فعلق بخاطره ماحصل به بعض الانحلال ، وضاق عطنه عن كتمان ماتحمله من ذلك ، حتى فاه به فى أول عمره ، وأودعه أشعارا له ، ثم ارعوى ورجع ، واستغفر واعتذر ، ووجه الاقوال وجوها يحتملها التأويل » .

وسأعامل هذا الخبر معاملة الدكتور لويس عوض

فأدع « الخلفية التاريخية » ، والعياذ بالله ، وهى صدر الخبر ، وآخذ القضية التى أفضى اليها ، صاحب هذا الخبر ، ولا ندرى أى الطبل هو ؟ (أى أى الناس هو ؟) يقرر أن أبا العلاء ضاق صدره بشكوك لم يطق كتمانها ، فأودعها أشعارا قالها فى أول عمره ، ثم ارعوى ، ووجهها وجوها يحتملها التأويل . فان تكن « الخلفية التاريخية » وبالله تستجير ، محتاجة الى براهين على فسادها يختلف الناس عليها ، وهذا بعيد وغير صادق ، فان هذه القضية ممكن عرضها على شىء حاضر بين أيدينا ، لا يمكن الاختلاف عليه . قال كليلة لدمنة: وكيف كان ذلك ؟ قال دمنة .

زعم القفطى فى ترجمة شيخ المعره ، أن بعض البغداديين بالبلاد الشامية أحضر له أوراقا تشتمل على ذكر تصانيف أبى العلاء وتقادير أكثرها.وزعم ياقوت الحريص على تتبع كل شىء أنه وقف على

فهرست كتب شيخ المعره ، نقله من خط احد مستملى الشيخ (أى كتابه) ، املاه أبو العلاء نفسه ، وانه قرأ نسخة أخرى منها ، فلم يقتنع بواحدة ! فمن طريق القفطى وياقوت وغيرهما نجد لشيخ المعرة خمسة كتب فى المنظوم (وهو الشعر) وهذه صفتها وتقاديرها ملخصة :

١ ــ « سقط الزند » ، يشتمل على شيء نظم قديما ، تزيد الأبيات المنظومة فيه على ثلاثة آلاف بيت (وهو مطبوع) ٠

٢ ــ « لزوم ما لايلزم » اربعة اجزاء ، مائة وعشرون كراسة ، فيه أحد عشر الف بيت (وهو مطبوع) ٠

٣ ــ « ملقى السبيل » ، وهو أربع كراريس ، (وهو مطبوع) ٠

٤ ــ « استغفر واستغفرى » ، يشتمل على نحو عشرة آلاف بيت (بلغنى أنه وجد ، وأنه سوف يطبع) ٠

٥ ــ « جامع الاوزان والبحور » ستون كراسة، تسعة آلاف بيت (لم يوجد بعد) ٠

ومعلوم عندأهل الشأن ، (ولا مؤاخذة ولا تثريب) أن الأربعة الأخيرة كتبها شيخ المعرة وهو رهن المحبسين ، اى بعد عزلته فى سنة ٤٠٠ ، وقد جاوز السابعة والثلاثين من عمره بكثير ، فهذه لا تدخل فى نص صاحب الخبر اذ قال « فاه به فى أول عمره » ٠ فلم نحصل مما ذكرنا الا على « سقط الزند » الذى نص شيخ المعرة فى فهرست كتبه على أنه « شيء نظم قديما » ونص الشيخ الامام أبو زكريا التبريزى (٤٢١ ــ ٥٠٢)على مثل ذلك اذ قال : « قرأت عليه كتبا كثيرة من كتب اللغة ، وشيئا من تصانيفه ، فرأيته يكره أن يقرأ عليه شعر صباه ، الملقب بسقط الزند ، وكان يغير الكلمة اذا قرئت عليه ، ويقول معتذرا من تأبيه وامتناعه من سماع هذا الديوان :مدحت نفسى فيه ؛ فانا اكره سماعه . وكان يحثنى على الاشتغال بغيره من كتبه كلزوم مالا يلزم وجامع الاوزان ٠٠٠ » ٠ ثم يجيء شيخ المعرة فى مقدمة « سقط الزند » ، فيذكر أن هذا كان منه اذ كان فى « ابان الحداثة (أى أوائل الشباب) مائلا فى صغو القريض (أى ناحية الشعر) » ، ثم يذكر أنه كره شعر صباه « لما فيه من غلو فى مدح الآدمى » ، بالفاظ ربما كان فيها صفات تحتملها صفات الله عز وجل ، فهو يبرأ منها ويجعلها مصروفة الى الله سبحانه ، ثم يستغفر مما فعل .

وشيء قليل من الاناة يتجمل به المبتدئ الجامعى ، يريه عيانا مائلا أن شيخ المعرة لم يعتذر مما زعمه التالف صاحب خبر القفطى ، بل اعتذر ، كما قال التبريزى ، من مدح نفسه فى شعر الصبا وحسبك برهانا على ذلك ما كنا نتعلمه من شعره ونحن أطفال ، مما فى سقط فى الزند :

وانى وان كنت الأخير زمانه
لآت بما لم تستطعه الأوائل

واعتذر أيضا من الغلو فى مدح الآدمى بصفات لا يستحقها ، وهذا كثير من أول شعر السقط الى أواخره ٠ فاذا علمنا أن الشيخ انما اعتذر من هذا وأشباهه ، ولم نجده اعتذر من شيء غيره كان فى «سقط الزند» فذلك وحده كاف فى الدلالة على جهل صاحب الخبربشأن المعرى وبشعره ٠ ونعم ، قد وجد الناس بعد أن ساءت القالة فى الشيخ ، كما سابين ، فى « سقط الزند » ، شعرا استخرجوه ليقدحوا به فى ديانته ،ولكن المبتدىء الجامعى الشادى يستطيع أن يعلم أنه محصور فى ضرب واحد،هو ما جاء فى بعض مراثيه من ذكر هول الموت واستبشاعه ،وأن الموتى يفضون الى غيب مجهول ، لا يأتينا عن احد منهم خبر ، وأشباه ذلك ولا أظن ، ولا أظن الدكتور لويس عوض يظن ، أن شيئا من ذلك كان ممكنا أن يجلب على الرجل الوقيعة فى دينه ، والى اساءة الظن فى اعتقاده ، لأنه لم يسر فيها الا على مدراج الشعراء قبله وبعده ، ممن لم يرمهم أحد بمثل هذه النقيصة٠ واذن فباطل أن يكون محتاجا الى الاعتذار منه ، وتوجيهه وجوها يحتملها التأويل ، كما قال الراوى ! وكل شاد جامعى مبتدىء يستطيع ، اذا عرف لغة العرب ، ان يقرأ « سقط الزند » كله ، فيجده خلوا (اى خاليا خلوا تاما) من شكوك يمكن أن يقال انها انقدحت فى صدر الفتى المعرى ، من جراء أقوال من

أوائل أقوال الفلاسفة ، سمعها من راهب » يشدو شيئا من علوم الأوائل » . فاذا صح هـذا ، وهو صحيح بلا شك ، فحسبه به تكذيبـا لقضية هذا الخبر ، وناهيك به دليلا على جهل قائله جهلا تاما محكما بشعر أبي العلاء في صباه ، ومع ذلك ، فأنا أحب أن أزيد هذا الشادي المبتدىء شيئا من المعرفة، أو أوفر عليه بعض الجهد ، أو أعطيه مفتاحا صغيرا لدراسة شيء من تاريخ شيخ المعرة ، بأن أدله على شيء حققته بنفسي متتبعا شعر « سقط الزند » ، وهو أن جل ما استخرجه الطاعنون في الشيخ من شعر « سقط الزند » ، مما نسبوه الى سوء اعتقاده بعد التأويل ، ليس البتة مما قاله في أول عمره وصباه ، بل مما قاله وهو في الثلاثين ومابعدها بقليل . وهذه فائدة لطيفة !

وصاحب هـذا الخبر ، بلا أدنى ريب بعد الذى قدمناه ، ليس معاصرا لأبي العلاء ، لأنه لو كان له معاصرا ، لسارع القفطي المنفرد بالخبر الى ذكر اسمه، كما توجب بداهة العقل (ومع الأسف أنا في شك من مسألة وجود بداهة العقل في أيامنا هذه) ! . فاذ ليس معاصرا (وهذا أمر ستعرف معناه بعـد قليل) ، فانما قال ما قال بعد أن ساءت القالة في عقيدة أبي العلاء بعد سنة ٤٠٠ ، أى بعد أن عاد من بغداد ، ولزم بيته ، وترك أكل اللحم ، وكتب ماكتب من شعره مثل « لزوم ما لايلزم » و « استغفر واستغفرى » ، وغيرهما مما كان سببا في التشنيع عليه والنقيصة من دينه . قال كليلة لدمنة : وكيف كان ذلك ؟ قال : دمنة :

زعموا أن أول من كتب لشيخ المعرة ترجمة من معاصريه هو الثعالبي ، في « تتمة يتيمة الدهر » (٣٥٠ ـ ٤٢٩) ، وتوفى قبل أبي العلاء بعشرين سنة ، وكتـابه مطبوع ، فمن الخير ، بل من أجل النعم التي يحتازها جامعي ، شاديا كان أو أستاذا كالدكتور لويس ، أن يعرف نص هذه الترجمة ، قال : « كان حدثني أبو الحسـن الدلفي المصيصي الشاعر(والمصيصة التي ينسب اليها ببلاد الشام) ، وهو ممن لقيته قديمـا وحديثـا في مدة ثلاثين سنة ، قال : لقيت بالمعرة عجبا من العجب ! رأيت أعمى شاعرا ، ظريفا ، يكنى أبا العلاء يلعب بالشطرنج والنرد ، ويدخل في كل فن من الجـد والهزل ، وسمعته يقول : أنا أحمـد الله على العمى ، كما يحمده غيرى على البصر ، فقد صنع لى وأحسن بي ، اذ كفاني رؤية الثقلاء البغضاء . قال : وحضرته يوما وهو يملي في جـواب كتـاب ورد عليه من بعض الرؤساء » ، ثم ذكر ثلاثة أبيات أملاها الشاعر الأعمى . ولم يزد على ذلك شيئا ، وهو خلو (أى خال خلوا تاما) من كل اشارة الى اتهام الرجل في دينه .

وبقليل من فطنة الجامعي (وأخيرا أعتذر لأساتذة جامعاتنا ، لأني لا أعنيهم بهذه النسبة) ، يستطيع الشادي أن يعلم علما يقينا أن في قول أبي الحسن المصيصي : « لقيت بالمعرة عجبا من العجب ، أعمى ، شاعرا ظريفا، يكنى أبا العلاء » دليلا ساطعا مستبينا على أنه لقيه قبل آخر سنة ٣٩٨ ، لأن شيخ المعرة فارق داره المعرة في هذه السنة ، ورحل الى بغـداد وأقام بها الى ست من شهر رمضان سنة ٤٠٠ ، ثم فارقها الى المعرة ، ولزم بيته ، وطبقت الآفاق من يومئذ شهرته ، وهو في تلك السـنة في السابعة والثلاثين من عمره . ومحال أن يكون كان ذلك بعد العزلة اذ لم يكن يجالس الناس يومئذ ، فضلا عن «أن يلعب بالشطرنج وبالنرد ، ويدخل في كل فن من الجد والهزل » كما قال أبو الحسن . هـذه واحدة ، وأخرى أن قول المصيصي في آخر الخبر : « وحضرته يوما وهو يملي في جواب كتاب ورد عليه من بعض الرؤسـاء » ، دليل آخر على شيء مهم جدا، ويزيل كثيرا من الغموض الذى زعم الدكتـور لويس عوض أنه يحيط بتاريخ أبي العلاء الى أن بلغ الخامسة والثلاثين من عمره ، والدكتور بالطبع قد درس كل شيء وأحاط بما لدينا علما ، وهذا شيء ينبغي الاقرار له به والصبر عليه (والله زمن! كما تقول العجائز) . وأيا ما كان الدكتور لويس عوض ، فان الرؤسـاء لا يكتبون الى فتى في أول عمره (كما يقول التالف صاحب الخبر) ، بل الى رجل قد استكمل رجولته وعرفه الناس وذكروه ، فراسله الرئيس بعد الرئيس وراسـلهم . وبداهة المنطق (ان كان بقي للمنطق بداهة ، بعد مقالات الدكتور لويس عوض عن شيخ المعرة ، والتي لا تزال تنشر الى يوم الناس هـذا : الجمعة ٢٣ رجب سنة ١٣٨٤) ، وبداهة المنطق ، والأمر لله ، توجب أن يكون أبو العلاء كان يومئذ في حدود الخامسة والعشرين من عمره على الأقل ، أى في نحو سنة ٣٨٨ من الهجرة على الأقل مـرة أخرى .

وثالثة ، ورابعة ، وخامسة ، وما شئت ، فنص كلام أبي الحسن المصيصي ، دال أوضح الدلالة على انه لقى أبا العلاء بالمعرة مرات ، اذ لا يتفق أن يرى منه كل هذه العجائب في مجلس واحد ، الا ان يكون الفتى المعرى قد لقنه راهب دير الفاروس أيضا فن التمثيل ، نقلا عن يونان الدكتور لويس عوض ، فوقف على مسرح يعرض أعاجيبه دفعة واحدة ، ليستخرج بها العجب من عيون الناس والفلوس من جيوبهم ! ودليل آخر على تكرار هذا اللقاء ، ان أبا الحسن يقول : « وحضرته يوما وهو يملى » فهذا يوم غير الأيام التي ذكرنا ، ويدل تنكيره « يوما » على تكرر ذلك في أيام متعددة (وهذا صعب على الدكتور ، فاعتذر) ٠ واذا كان ذلك استنباطا صحيحا ، وهو صحيح بلا شك ، وكان هذا الأعمى الشاعر ، الظريف ، الذى يلعب بالشطرنج وبالنرد ، ويدخل في كل فن من الجد والهزل (كأنه يعنى التراجيديا والكوميديا، وتلقاها أبوالعلاء عن الراهب بلاشك!)، وكان أبو الحسن يلقاه خلال اقامته بمعرة النعمان معاودا للقائه ، ويراه عجبا من العجب ، الم يكن من حق هذه الطريقة العجيبة على أبي الحسن أن يتقصى أخبارها ونشأتها ، وكيف بلغت هذا المبلغ ؟ واذا فعل ، وكان هذا الأعمى متهما في دينه ، لما استودع شعر صباه من الشكوك (اليونانية) ، حتى احتاج الى الاعتذار منها ، والتمس لها وجوها من التأويل ، الم يجد مدة مقامه بمعرة النعمان من يقول له كان وكان من خبر الفتى وانحلال دينه ؟ واذا كان قد علم ذلك ، فلم أخفاه ؟ ولم لم يضمه الى عجائب الفتى ليطرف بها صاحبه الثعالبي ؟ واجابة هذه الأسئلة بايجاز ، واستنادا الى ما سلف ، هو أن هذا شيء لم يكن قط ، وهذا بين ان شاء الله ٠ ومع كل ذلك فشيخ المعرة وهو في الخامسة والعشرين من عمره لم يكن مغمورا ولا مجهولا ، وقد تآزرت الأخبار على ذلك ، ويحدثنا شيخ المعرة بالمعهود من صدقه ، على انه كان يومئذ قد بلغ الغاية في تحصيل العلم ٠ فهو يقول في رسالته الى خاله أبي القاسم على بن سبيكة ، والتى أرسلها اليه عند طلوعه من العراق سنة ٤٠٠ ، وهو يومئذ في السابعة والثلاثين : « وقد فارقت العشرين من العمر ، ماحدثت نفسى باجتداء علم (أى طلبه) من عراقى أو شآم ، من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا » ٠

واذن ، فالى أن كانت سنة ٣٩٨ على الأقل ، لم يكن دين أبي العلاء موضع تهمة ، ولا كانت مقالة السوء قد سارت عنه في الناس ، وهو يومئذ في الخامسة والعشرين شابا ملء شبابه ورجولته ، وفي أول الطريق الأعظم الى الشهرة التى سوف تتردد في جنبات بلاد الاسلام ٠ وتحليل خبر الثعالبي المعاصر الأول له ، مستندا الى أبي الحسن الذى رآه بعينيه في معرة النعمان مرارا ، قد دل دلالة قاطعة على أن هذه المقالة لم تكن الا بعد عودته من العراق ، واعتزاله، وتاليفه ماكثرت عليه فيه المآخذ ، كلزوم مالا يلزم ، و « استغفر واستغفرى » بعد سنة ٤٠٠ من الهجرة ٠

ولو كان ذلك معروفا عنه في صباه ، ثم اعتذر منه ، لما قال الخطيب البغدادى المعاصر الثانى (٣٩٢ ــ ٤٦٣) ، بعد شهرة أبي العلاء ، ودخوله العراق ، والخطيب عند ذاك في الثامنة من عمره ، لم يعقل أمر أبي العلاء الا بعد ذلك بدهر : « وعارض سورا من القرآن » (يعنى في كتاب الفصول والغايات ، وهذا باطل بالطبع)، وحكى عنه حكايات مختلفة في اعتقاده ، حتى رماه بعض الناس بالالحاد » فهذا لا يقوله مثل الخطيب لشيء كان في الصبا الأول ، اعتذر منه صاحبه وتبرأ ، ووجهه وجوها يحتملها التأويل ٠ وأيضا لامتنع عقلا (ولا مؤاخذة) أن يقول المعاصر الثالث ، وهو الباخرزى (٠٠٠ـ٤٦٧) : « وقد طال في ظلال الاسلام آناؤه ، ولكن ربما رشح بالالحاد اناؤه » ، فهذا لايقال في شيء قد انقضى في زمن الغضارة والجهل ، على ان الباخرزى يأتي بقاصمة الظهر ، فيقول بعد ذلك في شعر صباه : « ورأيت ديوان شعره الذى سماه سقط الزند ، وهتف فيه كالحمام على فنن غض النبات من الرند »، فلا ينكر من هذا الشعر شيئا بل يثنى عليه ٠

فهؤلاء الثلاثة المتعاصرون ، يقطع حديثهم عن شيخ المعرة ، بان ما جاء في «خبر الراهب» باطل ، لايقوله الا جاهل بشعر أبي العلاء ، وبالزمن الذى ظهرت فيه تهمته في دينه ، ولا يقوله الا ظنين (أى متهم في نفسه أو عقله) ، يحسب أن الناس كلهم مثله جهال بلا عقول ، ولا يقوله الا مختلط العقل من سمادير الهوى والادمان ، (والسمادير ، ما يتراءى للمخمور اذا دارت رأسه من سكر الشراب) ، وكأنى به سمع ما يقول الناس عن دين شيخ المعرة فقال ، يتباهى بطرفة من الطرائف كأنها علم خفى على غيره ، وكأنه سمع قول أبي الأسود الدؤلى في طلب العيش :

وما طلب المعيشة بالتمني
ولكن الق دلوك فى الدلاء
تجئك بملئها يوما ويوما
تجئك بحمأة وقليل ماء

(والحمأة ، الطين الأسود المنتن) ، وليس هذا بمستغرب من مثله ، لأننا وجدنا فى زماننا آية ذلك ومصداقه !! فى كل فن من فنون القول ، شعرا ونثرا ، ورواية ، وترجمة للرجال ، وتحليلا لروائع الفن ، وتاريخا للعصور ، الى آخر هذه السلسلة المنظومة ! وكل ما أسلفت دال أوضح الدلالة على أن قائل الخبر الذى رواه القفطى ، ليس معاصرا لأبى العلاء ، لأنه لو كان معاصرا لقال كما قال معاصروه ، ولم تظهر فى قوله البينة على كذبه . واذا لم يكن معاصرا ، فلا يؤخذ منه شىء الا بالحجة ، وان كنا لا نقبل شيئا الا بالحجة التى يقبلها العقل السليم من الآفات من معاصر وغير معاصر .

واما «الخلفية التاريخية» ، وبالله نستدفع البلايا ، وهى صدر خبر الراهب ، فله حديث هو أحق به ان شاء الله . (والعرض مستمر) .

« محمود محمد شاكر »

الأصيص والورد

للشاعر : عامر محمد بحيري



أوردة فى الآنيه ... ام لوحة .. اماميه ؟
وانت ذكرى عبرت ... أم انت ذكرى باقيه ؟
وانت حب قد مضى ... أم هو .. عاد .. ثانيه ؟
يا حبيب أيام الهوى ... والذكريات الغاليه !
هذا اصيص ابيض اللـ ... ـون .. كثوب الغانيه
له شريط فيه الـ ... ـوان الحرير زاهيه
قد شد حول خصرها ... شدة حزم عاتيه
فارتفع الصدر له ... ومال كل ناحيه !
واجتمع الذيل على ... طياته .. الثمانيه
والورد فوق راسها ... قمة حسن عاليه
البعض يحكى خدها ... فى خجلة مباهيه
والبعض يحكى ثغرها ... فى قبلة .. مواتيه
كأنه يعلنها ... ثورة حب .. طاغيه !
هل حمرة الورد له ... يب .. أم دماء قانيه ؟

حول استخدام العامية في الكتابة

للدكتور : على عبد الواحد وافى

تبدو في جميع البلاد العربية ظاهرة الازدواج اللغوى ٠ فالناس فى هذه البلاد يستخدمون فى تعبيرهم وتفسيمهم وتسجيل افكارهم أداتين لغويتين :

احداهما العربية الفصحى التى تدون بها المؤلفات والصحف والمجلات وشئون القضاء والتشريع والادارة ويدون بها الانتاج الفكرى على العموم ، ويؤلف بها الشعر والنثر الفنى ، وتستخدم فى الخطابة والتدريس والمحاضرات وفى تقرير المسائل التى تمت بصلة الى الآداب والعلوم ، والأخرى اللغة العامية التى تستخدم فى الشئون العادية ويجرى بها الحديث اليومى ٠ وكلتا هاتين الأداتين تختلف عن الأخرى فى بعض مظاهر الأصوات والدلالة والقواعد والأساليب ٠

ويقترح بعض الناس لعلاج هذه الحال ان نهبط بلغة الكتابة والآداب الى لغة الحديث ، فتستخدم اللغة العامية فى الشئون التى تستخدم فيها الآن العربية الفصحى ، ونقضى بذلك على هذا التعدد فى أداة التفاهم ٠

***

ومن المنتصرين لهذا المذهب الكونت كولودى لندنبرج الاسوجى فى تقريره الذى تلاه فى مجمع اللغويين فى مدينة ليدن سنة ١٨٨٣ ، واللورد دوفرين السياسى الانجليزى فى تقريره الذى رفعه الى وزير خارجية انجلترا بشأن لهجة مصر العامية ٠ ومن هؤلاء كذلك ولهلم سبيتا (بك) الألمانى الذى كان أمينا لدار الكتب بالقاهرة (توفى سنة ١٨٨٣) ٠ وقد مهد لتحقيق هذا المشروع باستنباط حروف افرنجية تكتب بها لهجة مصر العامية وبتأليف كتاب الماني فى قواعد الصرف والاشتقاق التى تسير عليها هذه اللهجة ٠ ــ وقد كثر الداعون الى ذلك فى القرن العشرين فى كثير من البلاد العربية وبخاصة فى مصر ٠ واخذ بعض ادبائنا يجرب تطبيق هذه الطريقة بالفعل ، فكتب بعض رواياته الادبية باللغة العامية ، وارتضى هذه الطريقة منذ زمن غير بعيد ، جماعة من موظفى وزارة التربية والتعليم فى تعليم الأطفال الهجاء ٠ فابتدعوا طريقة سموها « طريقة شرشر » ، والفوا كتبها باللهجة العامية المستخدمة فى القاهرة وضواحيها٠بل لقد جنح الى هذا الاتجاه بعض قدامى الباحثين انفسهم ومنهم العلامة ابن خلدون ، كما يبدو مما كتبه فى مقدمته عن اللغة العامية للمجتمعات البدوية فى عهده اذ يقول : « اننا نجد هذه اللغة فى بيان المقاصد والوفاء بالدلالة على سنن اللسان المضرى (يقصد اللغة العربية الفصحى ، وهى لغة مضر) ، ولم يفقد منها الا دلالة الحركات على تعيين الفاعل من المفعول ، فاعتاضوا منها بالتقديم والتأخير وبقرائن تدل على خصوصيات المقاصد ٠ ومازالت هذه البلاغة والبيان ديدن العرب (يقصد البدو) ومذهبهم لهذا العهد ٠ ولا تلتفتن فى ذلك الى خرفشة النحاه أهل صناعة الأعراب القاصرة مداركهم عن التحقيق ، حيث يزعمون ان البلاغة لهذا العهد ذهبت وان اللسان العربى فسد اعتبارا بما وقع أواخر الكلم من فساد الاعراب الذى يتدارسون قوانينه ٠ وهى مقالة دسها التشيع فى طباعهم ، والقاها التصور فى أفئدتهم ٠ والا فنحن نجد اليوم الكثير من الفاظ العرب لم تزل فى موضوعاتها الأولى ، والتعبير عن المقاصد والتفاوت فيه بتفاوت الابانة موجودة فى كلامهم لهذا العهد ، وأساليب اللسان وفنونه من النظم والنثر موجودة فى مخاطباتهم ٠٠٠ ولم يفقد من أحوال اللسان المدون الا حركات الاعراب فى أواخر الكلم فقط

الذى لزم فى لسان مضر طريقة واحدة ومهيعا معروفا وهو الاعراب ، وهو بعض أحكام اللسان ... ولعلنا لو اعتنينا بهذا اللسان العربى لهذا العهد (يقصد اللهجات العامية المستخدمة لعهده فى المجتمعات البدوية فى التخاطب) واستقرينا أحكامه نعتاض عن الحركات الاعرابية فى دلالتها بامور أخرى موجودة فيه . فتكون لها قوانين تخصها .

ويحمل لواء هذا الاتجاه الآن ، ويدعو اليه بحرارة وحماس يبعثان على الريبة فى الدافع له الى دعوته ، كاتب محدث عهد اليه بالاشراف على البحوث الأدبية فى أكبر صحيفة يومية مصرية يملكها وينفق عليها الاتحاد الاشتراكى .

ويبدو لنا أن الداعين الى هذا الاتجاه لا يخرجون عن أحد فريقين : فهم اما شعوبيون مسيرون بالرغبة الآثمة فى القضاء على أهم دعامة من دعائم الوحدة العربية والقومية العربية والثقافة العربية ، واما غافلون عن الأضرار البليغة التى تنجم عن تحقيق ما يظنون أنه ضرب من ضروب التيسير .

***

فاللغة العامية التى يرى أصحاب هذا الاتجاه استخدامها فى الشئون التى تستخدم فيها العربية الفصحى لغة فقيرة كل الفقر فى مفرداتها ، فلا يشتمل متنها على أكثر من الكلمات الضرورية للحديث العادى . وهى الى ذلك مضطربة كل الاضطراب فى قواعدها وأساليبها ومعانى ألفاظها وتحديد وظائف الكلمات فى جملها ، وربط الالفاظ والجمل بعضها ببعض . وأداة هذا شأنها لا تقوى مطلقا على التعبير عن المعانى الدقيقة ، ولا عن حقائق الآداب والعلوم والانتاج الفكرى المنظم . ولا أدل على ذلك من أننا فى حديثنا العادى نفسه كثيرا ما نضطر الى استخدام العربية الفصحى حينما نكون بصدد التعبير عن حقائق منظمة وأفكار مسلسلة : لا نفعل ذلك للمباهاة أو اظهار القدرة على التعبير الفصيح ، وانما نفعله مضطرين اضطرارا لأننا نرى أن العامية لا تسعفنا فى مفرداتها ولا فى قواعدها بما يضبط تفكيرنا وينقله نقلا صحيحا الى الأذهان - فاذا لم نجد أمامنا الا اللغة العامية نستخدمها فى جميع شئون تفكيرنا وتعبيرنا لتقطعت بنا أسباب الثقافة ، ولنكصنا الى الوراء قرونا عديدة ، وقضى على نشاطنا الفكرى قضاء مبرما . لأن الفكر اذا لم تسعفه أداة مواتية فى التعبير ، خمدت جذوته ، وضعف شأنه ، وضاق نطاقه ، واقتصر نشاطه على توافه البحوث وسفساف التأملات . فاللغة هى القالب الذى يصب فيه التفكير : فكلما ضاق هذا القالب واضطربت أوضاعه ، ضاق نطاق التفكير واختل انتاجه .

***

هذا الى أن اصطناع العامية فى الآداب والعلوم من شأنه أن يحول ، عاجلا أو آجلا ، بين الأجيال القادمة والانتفاع بالتراث العربى المدون بالعربية الفصحى ، اذ تصبح هذه اللغة غير مفهومة الا لطائفة قليلة من خاصة الناس ، وهم الذين يتوفرون على دراستها ، كما يتوفر بعض علماء الفرنجة الآن على دراسة اللاتينية او اليونانية القديمة . ولسنا فى حاجة الى بيان مبلغ الكارثة التى تصيب الثقافة العربية بضياع هذا التراث وعدم استطاعة الانتفاع به لمعظم المتعلمين .

وبجانب هذه الأضرار الثقافية والفكرية ينطوى هذا الاتجاه على ضرر قومى وسياسى بليغ . فاللغة العربية الفصحى هى أهم دعامة تعتمد عليها القومية العربية ويشترك فيها أبناء العروبة . ففى القضاء عليها قضاء على أقوى رابط يربط شعوب أمتنا بعضها ببعض .

وفضلا عن هذا كله فان اللغة العامية فى بلد ما غير ثابتة على حال واحدة ، بل هى عرضة للتطور فى أصواتها ودلالاتها ومفرداتها وقواعدها . وتطورها هذا سريع جدا ، حتى اننا لنجد فى العصر الواحد فروقا غير يسيرة بين عامية الشبان وعامية الشيوخ . وتتسع هذه الفروق كلما تقادم العهد : فكثير من الكلمات والعبارات العامية التى استخدمها الجبرتى مثلا فى تاريخه والتى كانت متفقة مع لهجة القاهرة فى عهده قد أصبحت غريبة علينا فى العصر الحاضر . فاذا فرضنا أننا اصطنعنا فى الكتابة اللغة العامية التى نستخدمها الآن فاننا لا نلبث بعد وقت غير طويل أن نرى أنفسنا أمام المشكلة نفسها التى التجأنا فى حلها الى هذه الوسيلة . وذلك أن لغة الحديث سوف تتطور وسوف ينالها كثير من التغير فى أصواتها ودلالاتها وقواعدها وأساليبها ، ولن تزال كذلك حتى تبعد بعدا كبيرا عن لغة الكتابة ، فنصبح واذا بنا نكتب بلغة ونتخاطب بلغة أخرى . فاذا صبرنا على هذا الازدواج ذهب كل

ماعملناه فى هذه السبيل أدراج الرياح • واذا أخذنا على أنفسنا العمل على القضاء عليه كلما ظهر باستخدام الوسيلة التى استخدمناها فى المرة الأولى ، كان معنى ذلك أننا نضطر على رأس كل خمسين سنة أو كل قرن على أبعد تقدير الى تغيير لغة الكتابة بلغة أخرى • وهذا هو أقصى ما يمكن أن تصل اليه الفوضى فى شعب انسانى •

***

يضاف الى هذا كله أن اللغة العامية تختلف باختلاف الشعوب العربية ، وتختلف فى الشعب الواحد باختلاف مناطقه • فعامية العراق لايفهمها بسهولة المصريون ولا المغاربة ، وعامية المصريين لا يفهمها بسهولة المغاربة ولا العراقيون • وفى البلد الواحد تختلف اللهجات العامية باختلاف طوائف الناس وباختلاف المناطق • فعامية المنيا غير عامية سوهاج • بل ان المحافظة الواحدة لتشتمل على كثير من المناطق اللغوية التى تختلف فيما بينها اختلافا غير يسير • فالقضاء على الازدواج لا يكون اذن الا بأن تصطنع كل منطقة ، بل كل مدينة ، بل كل قرية ، لغة كتابة تتفق مع لهجة حديثها • وبذلك يصبح فى البلاد العربية آلاف من لغات الكتابة بمقدار مافيها من مناطق ومدن وقرى • ولا أظن عاقلا ينصح بمثل هذه الفوضى • واذا لجأنا الى جعل لغة الكتابة فى العالم العربى كله مماثلة للهجة واحدة من اللهجات العامية الحاضرة ، كلهجة القاهرة مثلا ، فاننا بذلك لا نكون قد قضينا على الازدواج الا فى منطقة واحدة من المناطق ، وهى المنطقة التى جعلنا لغة الكتابة متفقة مع لغة حديثها • أما ماعداها من المناطق فستظل مشكلة الازدواج قائمة فيها • وذلك انها ستكتب بلغة غير اللغة التى يجرى بها حديث أهلها • ولقد خيل ، منذ عهد قريب ، الى بعض موظفى وزارة التربية والتعليم أن تعليم الأطفال الهجاء باللغة العامية أيسر من تعليمهم اياه باللغة الفصحى • فابتدعوا الطريقة التى أشرنا اليها فى صدر مقالنا والتى سموها « طريقة شرشر » وألفوا كتبها باللهجة العامية السائدة فى منطقة القاهرة وضواحيها ، فجاءت مفرداتها وعباراتها غريبة على كثير من بلاد الصعيد والوجه البحرى ، وأشد غرابة على البلاد العربية الأخرى ، حتى ان الأطفال فى هذه البلاد كانوا لايفهمون عباراتها الا بعد أن تشرح لهم ويبين لهم مرادفها بلهجاتهم العامية • هذا الى أن هذه الكتب كانت معول هدم لأهم دعامة تعتمد عليها القومية العربية ويستمسك بعروتها الوثقى جميع أبناء العروبة وهى العربية الفصحى •

***

على أن اختلاف لغة الكتابة عن لغة الحديث لا ينطوى على شىء من الشذوذ حتى نتلمس علاجا له ، بل هو السنة الطبيعية فى اللغات • فاللاتينية مثلا كانت الى عهد قريب لغة الكتابة فى فرنسا وايطاليا واسبانيا والبرتغال ورومانيا وجزء من بلجيكا وسويسرا ، بينما كان سكان كل بلد من هذه البلاد يجرى حديثهم بلهجة عامية متشعبة من اللاتينية القديمة ، ولكنها تختلف عنها اختلافا كبيرا فى أصواتها ومفرداتها ودلالاتها وقواعدها • واختلافها عنها فى هذه النواحى قد بلغ فى العصور الحديثة مبلغا لا يذكر بجانبه اختلاف لغاتنا العامية عن العربية الفصحى ، حتى ان الفرنسى مثلا الذى لم يكن قد تعلم اللاتينية ما كان يستطيع أن يفهم شيئا يعتد به من اللغة التى كان يكتب بها الناس فى بلده ، وهى اللاتينية • وقد ظلت اللاتينية لغة كتابة لديهم حتى نضجت لهجات محادثتهم وكمل نموها ، فاستطاعت أن تنحى اللاتينية • عن وظيفتها وتحتل مكانها • فأصبحت الفرنسية والايطالية والاسبانية والبرتغالية والرومانية التى كانت لهجات عامية تستخدم فى المحادثة فحسب ، أصبحت لغات كتابة وآداب • وقد تم ذلك حوالى القرن السابع عشر الميلادى • ولكن ظاهرة الازدواج القديمة لم تلبث أن انبعثت مرة أخرى • وذلك ان لهجات الحديث فى هذه البلاد ، التى كانت فى المبدأ متفقة مع لغات الكتابة فيها ، قد أخذت تتطور شيئا فشيئا وتنحرف عن أصولها الأولى ، بينما ظلت لغة الكتابة فيها جامدة على حالتها القديمة أو مايقرب منها • وبذلك أصبحت لهجات الحديث فى هذه البلاد تختلف اختلافا غير يسير عن لغات الكتابة • صحيح ان الفرق بينهما لم يصل بعد الى مقدار الفرق بين لهجات حديثنا والعربية الفصحى ، ولكن الهوة بينهما سيزداد اتساعها شيئا فشيئا حتى تصل هذه الأمم الى حالة شبيهة بالحالة التى كانت عليها وقت أن كانت لغة الكتابة فيها هى اللاتينية •

* *

فاختلاف لغة الكتابة عن لغة التخاطب ليس اذن

أمرا شاذا حتى نتلمس علاجـا له ، بل هو السنة الطبيعية فى اللغات : ولن تجد لسنة الله تبديلا .

هذا ، وكثيرا ما يؤثر بعض زعمائنا السياسيين القاء كلماتهم العامة باللغة العامية ، حينما يكونون فى موقف شعبى لا يحسن فيه اصطناع الخطابة التقليدية ولا استخدام أدواتها الفصحى ، وحينما يريدون أن تكون كلماتهم أدنى الى الحديث العادى الذى يجرى به التخاطب بين النـــاس بعضهم مع بعض ، وان تكون خالية من جميع سمات الاعداد والتزويق ومحـــاولات التأثير فى الوجدان ببلاغة التراكيب ـ ولا تثريب عليهم فى مثل هذه الأحوال فى التحدث بالعامية ، بل لعل ذلك هو مايقتضيه المقام ويحسن به حينئذ ايصال الحقائق الى الأذهان .

***

غير أن بعض صحفنا تحرص على تدوين كلماتهم وجملهم بصورها العامية التى صدرت عنهم ، فتسىء بذلك اساءة كبيرة ، من حيث لا تشعر ، الى مقومات الكتابة والى جمهور القارئين من المصريين ، وتحدث بطريقتها هذه أمام الناطقين بالعربية فى بقية أرجاء الوطن العربى صعوبات كثـــيرة تحول دون فهمهم لكلام هؤلاء الزعماء فهما كاملا صحيحا .

وذلك أن أعيننا قد اعتادت صور الكلمات العربية الفصحى فى الكتابة ، ومن ثم لا نجد صعوبة فى قراءتها وفهمهـــا ولا نقضى فى ذلك وقتا طويلا . فلايلافنا هذه الصور نعرف الكلمة بل الجملة بمجرد وقوع ابصارنا على بعض اجزائها ، بدون حاجة الى استقراء جميع هذه الأجزاء . وفى ذلك اقتصاد كبير فى الوقت والمجهود . ولكننا غير معتادين النظر الى صورها مكتوبة باللغة العامية ، فنحتاج حينئذ الى قـــراءة جميع حروف الكلمة وجميع أجزاء الجملة حتى نقف على مدلولها . وفى ذلك اسراف كبير فى الوقت والمجهود .

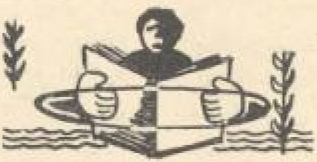
***

وهذا فيما يتعلق بالقـــارىء المصرى فى المنطقة التى يتكلم الزعيم بلغتها العامية . أما فى بقية بلاد الوطن العربى فان القارىء بعد أن يجهد نفسه فى قراءة هذه الكلمات قد يصعب عليه فهم مدلولهـــا ومدلول جملها ، لأنه لايستخدمها فى لهجته العامية . فالعراقى والمغربى مثلا حينما يقرآن جملة كهذه : « برضه مش هاتقـــدر نجيبلهم زى ماهم عاوزين » لا يفهمان منها شيئا ، لغرابة كلماتها عن عاميتهم . على حين أننا حينما نكتب بالعبارة السابقة فى هذه الصورة : « لا نستطيع كذلك أن نحقق لهم جميع مايريدونه » ، يفهم مدلولهـــا جميع أهل البـــلاد العربية ، ويقضى القارىء فى قراءتهـــا نحو نصف الوقت الذى يقضيه فى قراءة الجملة الأولى اذا كان مصريا ، وأقل من ربع هـــــذا الوقت اذا كان غير مصرى .

***

وفضـــــلا عن هذا كله فان الصحف باستخدامها العامية فى كتابة هذه الخطب الهامة تعمل من حيث لا تشعر على زحزحـــة العربيـــة الفصحى عن أهم مواطنها ، وتمكين العامية من ميادين الأدب والثقافة ، وتيسير الوســـائل لتحقيق تلك الاتجاهات الشعوبية الآثمة التى ترمى الى احلال العـــامية محل العربية الفصحى والتى أوضحنا فيما سبق ما تنطوى عليه من أضرار .

دكتور على عبد الواحد وافى



ما أزوجات الأدباء !

تكتبه

بقلم : أنيس منصور



لحسن حظ الرجال عمــــوما أنهم يموتون قبل زوجاتهم ٠ وبذلك تقع كل أعباء الحيــــاة والندم والعيال فوق رؤوس الزوجات ٠

ولكن لسوء حظ الأدباء ـ خصوصا ـ أن زوجاتهم يعشن بعدهم ٠

ومن الغريب أن زوجات الأدباء اطول عمرا من كل الزوجات الاخريات ٠

عاشت زوجة تولستوى بعده لسنوات وفضحته فى مئات الصفحات ، وعاشت زوجة د٠هـ٠لورانس بعده عشرين عاما لتكتب أتفه مافى حياة هذا الفنان العظيم ٠

وقبل ان يموت بيكاسو انفصلت عنه زوجتـــه الرابعة أو عشيقته الرابعة لتكتب تاريخ حيـــاته معها ، أو حياتها معه ٠٠

أما زوجــة سقراط فـلا هى كتبت حرفا واحدا ، ولا هو كتب حرفا واحدا ٠٠ ولكن شتائم سقراط وصلت عبر عشرات القرون ، ولعنات زوجته ظلت تتردد فى أذن التــاريخ وعلى اقلام المؤرخين لعنــة لعنة ٠٠

وسوء حظ الأدباء ، ليس سببه الأدباء أنفسهم ، وانما سببه صناعة الأدب نفسها ، او عملية الخلق الأدبى أو الفنى ٠

والاديب والفنان والمفكر ، اســـماء مختلفة لكائن واحد مسكين،وهو مسكين لأنه حساس،وهو حساس لانه مضطر الى تشغيل كل عواطفــه وغرائزه والى الاستجابة اليها ثم اطلاقها على الورق ٠ وهو لايطلق غرائزه فى داخل قوالب وقيود ٠ هـذه القوالب هى الاشكال المعروفة للعمل الادبى : المقال والقصـــة والمسرحية والقصيدة والرواية ٠

وعملية « تقليب الاحساسات ـ أى وضـــعها فى قوالب هى أيضا عمل مرهق وهذا الارهاق لايحدث فى ساعة ولا فى ساعتين ، وانما من الممكن ان يشغل الاديب أياما كاملة ـ ليلا ونهارا ـ وهــو يأكل وهو يشرب ، وهو نائم ، وهو فى الطريق ٠٠

***

والأديب طبيب من نوع غريب ، فهـــو يحمل العيادة والمرضى والدواء فى راسه ، ويفتح العيادة ، ويقفلها فى اى وقت ٠ وهو احيــانا يكون الطبيب واحيانا يكون المريض ، وفى معظم الأحيـــان هو العيادة التى تتلقى المرضى والدواء والطبيب فى كل لحظة ٠

ولذلك فالأديب على الرغــم من أنه يقضى معظم الوقت وحده يتلقى من الاحساسات مالاتراه العين ، الا أنه ليس وحده ، وانمـــا هو يعيش فى زحام من افكاره وهمومه ، وهو لذلك أيضا مشغول عن أقرب الناس اليه ٠٠

وقد يكون أقرب الناس اليه هو زوجته ٠٠ وهنا تكمن مشكلة الأديب ٠

***

فهذه الصورة المعقدة التى يعيش فيهــا الأديب هى التى لاتشعر بها الزوجة ٠ فالزوجة تجد نفسها عادة أمام انسان مأخوذ ، مسلوب ٠ مخطوف ، فى غيبوبة ٠ وهذه الغيبوبة هى الوعى الحقيقى للفنان ٠ فهى غيبوبة واعية ، أو هى وعى غائب ٠

وهذه الحالة التى يكون عليهــا الأديب الزوج ، هى المعطيات التاريخية للزوجة ٠ فالزوجة كمؤرخة

لحياة زوجها الأديب تستمد مادتها التـاريخية من هذا « الواقع » المؤلم للزوج .

فهى ترى الزوج من خلال متاعبها معه ، وليس من خلال متاعبه هو مع عمله الفنى ، أو متاعبه عموما . فهى ترى الزوج وكأنه ليس زوجا ، فلا حيـاة اجتماعية له ، ولا هو رفيق ، ولا هو زوج ولا هو أب ، وانما هو صورة « كربونية » للزوج ، أو هو شبح للرجل الذى كانت تعرفه قبل الزواج . أو فى الأيام الأولى للزواج .

وبعد ذلك ترى الزوجة أنها ليست السـيدة الأولى فى حياته ، فهو يهتم بالقراء أكثر من اهتمامه بالزوجة ، وهو يهتـم بالورق والحبر أكثر من اهتمامه بالابيض والاحمر على وجهها .

***

وتدرك الزوجة ان هناك أكذوبة فى حياتهـا .. هذه الأكذوبة هى أنها ليست أمام رجل تعرفه ، وانما هى أمام رجل لاتعرفه ، فقد خدعها زوجها أيام كانت تعرفه ، وظهر لها بصورة أخرى ، هـذه الصورة هى التى أحبتها ، وبعد ذلك عندما أصبح زوجا ، تقمص الزوج شخصية أخرى .. أصبح انسانا آخر . أصبح رجلا غير الزوج . فكأن الزوجة قد تزوجت رجلا تعرفه عن زوجها الأديب ..

ولكى تدرك هذا النوع من الكتابة ، فى استطاعتك أن تتخيل أشد الناس عداوة لك ، وهـو أن يكتب ذكرياته معك .. كيف كان يراك .. وكيف انخدع فيك .. كيف كان يحبك ، ثم كيف تحول حبه الى كراهية شديدة ـ لابد أن يتحدث عن صورتك الجميلة أول الأمر ، وبعد ذلك يتحدث عن عملية تشـويهك أنت بهذه الصورة .. وهو لن يتحدث عن تشـويهه هو لصورتك .. لأنه لابد أن يجعل المسئول الأول عن بشاعة صورتك ، فأنت الذى شوه الصـورة ، وأنت الذى استدرجته الى أن يراك قبيحا ..

***

مثل هذا المعنى ستجده فى كل ماكتبتـه زوجات الأدباء الكبار عن ازواجهن ، كل واحدة تحدثت عن الحياة الحلوة ، وعن الجو الجميل الذى نامت وقامت ثم عاشت مع رجل لاتعرفه ، فكأن الزوج قد خدعهـا .. قد كذب عليها بل كأنه سـمح لرجل آخر أن يخونها معه ، والزوج والخائن همـا : رجل واحد ، هو هذا الأديب !

وأكذوبة أخرى تقدم بها الزوجة نفسها ..

وهى أن تجد نفسها مضطرة الى أن تعامل الرجل الآخر ، أى الرجل الغريب فى حياتها هذا ، كما لو كان زوجها الذى تعرفه والذى أحبته والذى تزوجته، فهى مطالبة بالكذب على نفسـها .. فتتوهم طول الوقت أنها تحبه ، وتكذب على هذا الرجل أو على هذه الصورة الغريبة لانسان كانت تحبه ، تتوهمه بأنها تحبه كأنه زوجها الذى أحبته ..

وفى هـذا الجو المضطرب ، وفى هـذا الضبـاب العاطفى ، تستمد الزوجة تجاربها الأصلية فى الكتابة فيه .. وعن الجو الجميل الذى سحرها وجعلها ترتمى عند قدمى الأديب الكبير الذى أصبح زوجهـا بعد ذلك ..

***

اقرأ ما كتبته زوجة تولستوى وأنت تبـكى من أجلها .. واقرأ غيرها وغيرها من زوجات الأدباء وأنت تحس ببشاعة الجريمة التى ارتكبها الأديب نفسه من أجل « تبشـيع » صـورته فى عينى زوجته ..

ولكن عندما تعرف حيـاة هذا الاديب ، وكيف وضعها فى قالب فنى ، وكيف وضع زوجته ايضـا فى داخل هذا القالب ، دون أن يشير اليها صراحة ، تدرك انه لو كان نوعا من السمك يتقلب على النار ، وأن هذه النار هى عبارة عن سوء فهم الزوجة لمهمة زوجها ، أو حرص الزوجة على أن تبين لزوجهـا انه خدعها .. وأنه انسان آخر وانه تنكر لماضيه ، وأنه قام بعملية «ابدال» الزوج القديم .. وحرص الزوجة على أن تحدد اقامة الأديب فى قالب واحـد هو « الزوج » فالأديب لايعنيها بالمرة .. وانما الاديب يعنى الناس كلهم ، أما الزوج فهـو وحده الذى يعنيها ..

وهى طبعا لاتدرك انه لايوجد هذا الانفصال فى حياة أى أديب .. فيكون زوجا مرة وأديبا مرة أخرى

.. وانما الاديب والزوج موجودان معا في وقت الطبيب والمريض والعيادة كلها يحملها فوق كتفيه .

والذى يقرأ ما كتبته زوجة د.هـ . لورانس فى كتاب صدر هذا الاسبوع بعد وفاتها يتبين اى سيدة هذه - انها مشغولة دائما بان تكون زوجة اى بأن يكون زوجها زوجا فقط ، ولكنه هو مشغول طول الوقت عن وظيفة الزوجية بوظيفة أكثر حيوية وجوهرية له .. هى انه اديب وفنان طول الوقت ، وزوج فى اوقات الفراغ . وزوجته تريد أن يكون زوجا طول الوقت ، وأديبا فى أوقات الفراغ ..

وبقية صفحات كتاب أرملة د.هـ. لورانس تضم موضوعات وملاحظات عن أسخف وأتفه ما فى حياة زوجها ، وهذا الذى أراه تافها ، هو ما تراه الزوجة جوهريا ، وأنا أراه بعينى رجل وعينى أديب أيضا .. ولكن الذى أراه تافها تراه هى يستحق أن يودع فى ٣٠٠ صفحة .

***

وما كتبته عشيقة بيكاسو هذا الاسبوع بعد حياة ١٢ سنة معه لايضيف كثيرا الى الأدب ، ويضيف كثيرا الى « سوء فهم » زوجة الاديب لعمله وطبيعته ، والى تعاسة الادباء عموما من ان يعيشوا بلا زوجات ، ومن أن يعيشوا مع زوجات أو مع أسوأ أنواع المؤرخين .

فيا ويلك اذا ماتت زوجتك من بعدك .. ويا ويلك اذا قررت زوجتك أن تمشى على أسلوبك فى الحياة فتكتب هى الاخرى ، وتختار أقرب الموضوعات اليها . فتكتب عن حياتك شيئا لوعرفته من قبل ، لقررت الا تتزوجها ، ولقررت أن تعتزل الكتابة ..

***

ويا ويلك اذا ماتت زوجتك قبلك فستتزوج واحدة أخرى ، وهذه الاخرى لن يتسع وقتها للكتابة عنك ، فستكون مشغولة بالتفكير فى زواج آخر بعدك .. وبذلك يضيع أتفه ما فى حياتك ، وهو فى نفس الوقت أهم معالم أدب زوجات الادباء .

« أنيس منصور »

أغنية اللقاء اليتيم

للشاعر : محمد مهران السيد

كان يوما ليس كالأيام .. غنته القوافى ...
كان تغريدا .. وجرسا .. لؤلؤى الهمس صافى
كان طيبا .. بالغ الروعة .. قد ندى شغافى
كان نبعا عنبريا .. لم يطل منه اغترافى
آه .. ما أحلى تدانينا .. وما أقسى التجافى
رحلة للقلب .. غناها اشتياقى ، وولوعى
ولقاء دافىء رف .. كأنفاس الرضيع
وحديث قطر الأنداء .. فاخضرت ضلوعى
واستحال الجدب فى نفسى الى زهر ربيعى
واضاءت داخل الهموم .. آلاف الشموع
كفك البيضاء فى كفى ... أطيار سعيده
تتناغى ، وتغنى .. للقاءات الودوده ..
تطعم الحب ، وتسقى مثلنا .. خمرا فريدة
فاطيلى لحظة .. كانت ، كما كنا ... بعيده
وتعالى ، نطلق النجوى .. فراشات شروده

***

نقطى الساحر من عطر الهوى .. فى ذوب كأسى
واسقنيها .. تشرق الدنيا .. بأعماقى وحسى
وابسمى لى ، ينجلى الحزن .. وأنسى بؤس أمسى
بسمة .. تمحو التباريح التى حزت بنفسى
فلكم عانيت من شجوى ، وحرمانى ، ويأسى
رقص الوادى افتتانا ، وانتشى لما رآك
وصحا النوار ، لما ذاع فى الروض .. شذاك
والروابى أرهفت .. تصغى ، لموسيقى خطاك
وشدا الحور على الدرب ، وغنى ... لبهاك
كل شىء .. هزه ، فى ذلك اليوم .. صباك

***

... ومضى اليوم .. كما تمضى الثوانى ، والدقيقه
واذا بالحلم قد ولى ، وواجهنا الحقيقة !!
.. أى شىء لم يرع .. حتى الفراشات الرشيقه
اذ طوينا الموعد الحلو .. وغادرنا الحديقه
وعلى الدرب .. غرقنا ، فى أسانا .. يارفيقه .

رأى فى شاعر جديد

بقلم : رجاء النقاش

النظرة الأولى الى اى عمل فنى لها قيمتها وخطورتها ، انها بالتأكيد لا تتيح للانسان ان يعرف حقيقة العمل الفنى وأهميته ، ولكنها تعطينا ذلك الاحساس الأول الذى من خلاله نحب العمل الفنى أو نكرهه · وفى الغالب يكون حكم النظرة الأولى الى العمل الفنى لها صدقها اذا ما اختبرناها بعد ذلك ووضعناها فى موضع التجربة ·

وعلى ضوء هذه النظرة الأولى شعرت بأن ديوان «حبيبتى والمدينة الحزينة» للشاعر الشاب أنيس داود يحمل عبير موهبة جديدة تستحق التقدير · واذا حاولت أن أفسر هذه النظرة الاولى وما صدر عنها من حكم فنى فذلك يعود ولا شك الى عنصرين ظاهرين فى فن هذا الشاعر الجديد ، أما العنصر الاول فهو صفاء اللغة الشعرية فى ديوان « **حبيبتى والمدينة الحزينة** » ·

***

ان ألفاظ الشاعر وتعبيراته عموما رقيقة نقية منتقاة ، ولذلك فالديوان لا تفوح منه أبدا رائحة الركاكة التعبيرية الا فى حالات قليلة نادرة ·

وميزة اللغة الشعرية الصافية هى ميزة حقيقية لها قيمتها الكبيرة ، خاصة فى هذه المرحلة التى شاع فيها بين كثير من الشعراء الشبان أن المحافظة على اللغة والحرص على نقائها والاهتمام بأن تكون لغة صافية مشرقة ، كل هذه الأمور تبدو من خصائص البلاغة القديمة التى ينبغى أن نتجاوزها ونرفضها · وعلى أساس هذا الفهم الخاطىء شاعت عند الكثيرين من الشعراء الشبان غير المتمكنين من فنهم الشعرى أساليب ركيكة منفرة ··· وكانت النتيجة أن يخرج فنهم رديئا لا طعم له ، ولم تنفعهم حجتهم الواهية فى الخروج على البلاغة القديمة والتخلص من سلطانها ·

ولنقف لحظة أمام نموذج من شعر أنس داود يكشف لنا هذه الميزة التعبيرية الواضحة وهو يكشفها لنا كما قلت من النظرة الأولى بدون حاجة الى جهد كبير ·

فى قصيدة للشاعر بعنوان ترنيمة مهد يقول فى مقدمتها ، انها ضراعة أم فى غداة الليل عند مهد طفلتها الى زوجها الغائب أن يعود ··· من أجلها · من أجل طفلتهما البريئة الغافية ، ··· يقول الشاعر فى بداية هذه القصيدة :

هنا فوق المهاد فراشة حيرانة العمر
تظل بروحها هيمى تجوب البيت فى ذعر
وتسألنى متى يأتى أبى ؟ فأحار فى أمرى
وأمعن فى اختراع الوهم ، أذكر موعدا يغرى
الى أن ينسج النوم الرقيق غلالة السحر
فتغفو فى رؤى حيرى وتسرى فى سنى الطهر
تداعبها المنى فترف بسمتها على الثغر
وفى أنفاسها الوسنى أحس تأرج الزهر

هذا نموذج يكشف بوضوح ومن النظرة الأولى كيف أن الشاعر أنس داود يملك ناصية لغته الشعرية ، وكيف يصوغ شعره فى ألفاظ نقية حلوة يعنى باختيارها أشد العناية ·

وفى النموذج السابق نفسه يتضح لنا عنصر آخر فى فن هذا الشاعر الشاب · هذا العنصر هو جمال الموسيقى الشعرية عنده ··· ان موسيقاه أنيقة مطربة ، وليست موسيقى غائمة غامضة ·

ان جوا من الأنغام الواضحة يسود الديوان بأكمله من أوله الى آخره ، ولا تجد أى صعوبة فى الاحساس بهذا النغم منذ أن تقرأ البيت الأول فى الديوان حتى تنتهى من البيت الأخير · وعندما يعيش الانسان فى هذا الديوان بعض الوقت ثم يخرج منه يحس

احساسا واضحا انه كان يعيش فى عالم من الموسيقى · صحيح أنها موسيقى شرقية تقوم على التتابع لا على التنوع ، ولكنها على اى حال موسيقى لها قوتها وسيطرتها على الوجدان والأذن · وهذه الميزة الموسيقية تفتقدها أيضا عند كثير من الشعراء الشبان الذين يلتمسون العذر الواهى لأنفسهم فى أنهم يريدون تحطيم الموسيقى الكلاسيكيه للشعر العربى القديم والبلاغة العربية القديمة · وتكون النتيجه ، ان يخلقوا عالما من النثر العادى الذى يخلو تماما من لمسة الموسيقى الشعرية ·

هاتان الميزتان : ميزة التعبير الشعرى الصافى وميزة الموسيقى الجميلة الواضحة ، هما أثمن ما فى هذا الديوان الجديد من ميزات فنية ، وهما الميزتان القادرتان على أن تربطا الانسان من النظرة الأولى بهذا الفنان الجديد ·

ولكن الشاعر بعد ان نجتاز حكم النظرة العامة لا يستطيع أن يقنعنا بانه شاعر من الدرجة الأولى، بل على العكس فاننا كلما تعمقنا فى دراستنا للديوان أدركنا أن هذا الفنان ما زال – رغم كل ميزاته – من شعراء الدرجة الثانية فى بلادنا ·

ونستطيع أن نجد تفسيرا واضحا لمكانة الشاعر فى العيوب الأساسية التى يشكو منها الديوان · وسنبدأ بأبسط هذه العيوب وأقلها شأنا ثم نتحدث بعد ذلك عن العيوب الأساسية الأخرى ·

فنحن نصطدم فى بعض الأحيان بألفاظ ثقيلة لا مكان لها فى الشعر الجيد · انها ألفاظ سقطت فى هذا الديوان الجميل من عصور الصنعة والافتعال فى الشعر العربى · ومن أمثلة هذه الألفاظ قول الشاعر :

حبها عاد فعادت للدنى

غربة اللحن وتنواح الوتر

فلفظة « تنواح » ، هذه هى ولا شك لفظة ثقيلة غريبة ، تركيبها اللغوى شديد الافتعال رغم انها لفظة صحيحة من ناحية المعجم اللغوى · الا أنها بكل تاكيد نوع من النشاذ الذى لا يستريح اليه الذوق ·

ومن هذه الأمثلة أيضا قول الشاعر :

وانعطافات ثريات الجنى

فى انذهال اللمس أو لمح البصر

فلفظة « انذهال » هى أيضا لفظة ثقيلة ينفر منها الذوق ·

ونموذج ثالث يقول فيه الشاعر :

يا براعى

انت أقوى

انت أضوع

فكلمة « أضوع » هى الأخرى كلمة ثقيلة منفرة خالية من اى ظلال فنية · وبالطبع فان هذا العيب هو عيب يسير ولا يكفى بحال من الأحوال لتحديد مكانة الشاعر بين شعراء الدرجة الثانية · ولكنى مع ذلك حرصت على تسجيل هذا العيب فى البداية ، فاذا كانت الميزة الأساسية عند الشاعر هى نقاء لغته وصفاء تعبيره فان هذا العيب يبدو على هذا الاساس عيبا له أهميته ·

فما هى اذن العيوب الأساسية الجوهرية فى هذا الديوان ؟

اول عيب رئيسى يواجهنا فى الديوان هو أن الشاعر يلجأ الى « الكليشيهات » فى صوره الشعرية ، و « الكليشيهات » تفقد العمل الشعرى قدرته على التأثير النفسى ، لأنها تبدو مألوفة مستهلكة الى حد بعيد · ومن امثلة هذه الكليشيهات قول الشاعر :

فكروا أن هنا ··· خلف الزجاج

ألف ساق تتعرى

تحت عصف الريح والثلج وأهوال الشتاء

فلو كان الشاعر يستوحى صوره الفنية من تجاربه الحقيقية ولا يستعيرها من « الكليشيهات » المحفوظة لما قال فى هذه الأبيات « تحت عصف الريح والثلج » · فالشتاء فى بلادنا ليس فيه من الثلج قليل أو كثير ، وصورة الثلج ليست مألوفة عندنا الا فى ذلك النوع من الثلج الصناعى ، أما الثلوج الطبيعية التى يتحدث عنها الشاعر فلا وجود لها فى بيئتنا على الاطلاق · ولكنها الكليشيهات الفنية التى فرضت نفسها على الشاعر دون مبرر حقيقى ·

ومن هذه الكليشيهات أيضا قول الشاعر :

يعرف النهر الذى ضم خطانا

أننا كنا به غير البشر

فالشاعر يريد أن يقول : كنا كالملائكة ، فقادته هذه الصورة المتكررة العادية الى عبارة « غير البشر » فجاءت عبارة ركيكة ··· والسبب بلا شك هو التفكير عن طريق الكليشيهات التى تفرض على الشاعر أن يشبه الحبيبين بالملائكة ·

ويبدو تأثير « التفكير بالكليشيهات» أخطر وأعنف

عندما ندرك أن الشاعر ما زال يعيش فى عالم من الخيال الرومانسى الساذج . هنا تبرز الكليشيهات المعروفة فى تصوير العواطف لتسيطر على الشاعر وتسلبه قدرته على الاستقلال الفنى والشعورى . فالحب عنده يأس وحزن وشجن . وهو أيضا سهر على ضوء الشموع وما الى ذلك . ولست أدرى من أين جاء الشاعر - على سبيل المثال - بصورة الشموع هذه التى تنتشر فى شعره ، رغم أن بيئتنا لا تستخدم الشموع الا فى حالات نادرة قليلة . ولا تفسير لهذه الصورة ، أو غيرها ، الا فى سيطرة الخيال الرومانسى على فن هذا الشاعر . فالرومانسيون كثيرا ما يستخدمون هذه الصور ، فلماذا لا يستخدمها الشاعر اذن ؟

... يقول الشاعر فى وقفة من وقفاته الرومانسية الغريبة :

وتلاقينا : بكاء صامتا
لا الأسى باح ولا الدمع انهمر
يقظة الماضى على اهدابها
وجلال الحب فى كل الصور
يعرف النهر الذى ضم الخطا
اننا كنا به غير البشر
رجفة اللقيا وأشواق الهوى
وتناجينا كما الحب امر

هذه الصور كلها هى من الصور الرومانسية العاطفة ،وهى صور تخطاها شعرنا وتخطتها حياتنا الى حد بعيد . والحقيقة أن الذى انكره على هذه الصور ليس هو اللمسة الرومانسية فيها ... كلا ... فالرومانسية الحقيقية ستظل الى الأبد منبعا للفن والشعور الانسانى ... ولكن العيب هنا هو أن الرومانسية التى يجنح اليها الشاعر هى الرومانسية الساذجة ، الخالية من العمق والاستقلال والتجربة الخاصة . ويكفى الشاعر فى هذه الحالة أن يقول كلمة حب حتى نتوقع منه أن يقترن حبه بسيل الالفاظ والصور الرومانسية المألوفة مثل : السهر والضنى والبكاء والطهر والملائكة ، وما الى ذلك . ولا يخيب الشاعر ظننا فيستخدم هذه الالفاظ بالفعل . ولا يملك للاسف فى هذه الحالة الا أن يثير ابتسامة عطف على الشفاه ، اما أن يثير تعاطفا حقيقيا مع تجربته فهذا لن يكون . لاننا فى الغالب لا نصدق أنه يصف حبه الحقيقى الخاص ، ولكنه يصف الحب الذى سمع عنه او قرا عنه عند الآخرين ، وهذه هى الازمة الحقيقية التى يقع فيها الرومانسى الساذج على الدوام .

وهذا الاعتماد على الخيال دون الاعتماد على التجربة الانسانية الصادقة الحقيقية يقودنا الى عيب آخر خطير فى هذا الديوان ، وهو عيب ينبع من نفس السبب فى الاعتماد على التخيل دون التجربة الانسانية . هذا العيب هو كثرة حديث الشاعر عن العموميات . فهو يتحدث عن الأمومة ، والأبوة ، والخيانة الزوجية وما الى ذلك من المعانى العامة الى أقصى حدود العمومية . انه لا يحدثنا عن ام معينة، ولا عن اب معين ، ولا عن زوجة خاصة محددة . وهذه العموميات تقصم ظهر العمل الفنى ، لانها تؤدى بالشاعر - مهما كانت قدرته الفنية الى مجرد ناظم ينظم المعانى التى يرددها كل الناس ، بدلا من أن يقول لنا شيئا جديدا خاصا به ... وهذه الجدة ، وهذه الخصوصية هما أساس كل فن جيد اصيل .

ومثل هذه القصائد تصبح شبيهة بموضوعات الانشاء فهذا موضوع عن عيوب الأب الذى ترك اولاده ونسى عاطفة الابوة ، وهذا موضوع عن عاطفة الام وما الى ذلك . وفى قصيدة « الى افعوان » على سبيل المثال لانجد سوى هذه المعانى العامة ، فهناك زوج يترك زوجته ويريد ان يعتدى على خادمة فترده الخادمة ردا عنيفا وتذكره بواجباته كزوج واب . ان خادمة من هذا النوع لا تثير عواطفنا كثيرا . لان الذى يثير عواطفنا هو الانسان الذى يحتاج الى هذه العاطفة ، أما الانسان القوى القادر فربما اثار فينا شعور الاعجاب ... والإعجاب شعور محدود - من الناحية الفنية - فمن الصعب أن يجد الفنان فى الاعجاب شيئا يكتب عنه ، الا اذا تحول الاعجاب الى عاطفة حب او حنان أو ما الى ذلك .

ولذلك فالخادمة التى يكتب عنها انس داود والتى تملك كل هذه القوة ، والتى استطاعت ان تتغلب على انسحاقها الاقتصادى والنفسى وتصبح واعظة ومعلمة ومؤدبة للآخرين .. مثل هذه الخادمة ليس فيها ظلال فنية ابدا . واغلب الظن انها تنطق بلسان الشاعر نفسه ، وتردد آراءه التى تحبذ الفضائل وتكره الرذائل ، والفن لا يصل الى القضايا الاخلاقية عن هذا الطريق العام ، بل هو يصل اليه عن طريق انسانى يلمس القلب ، ولو صور لنا استسلام الخادمة وهوانها لكان هذا ادعى الى

بحبنا لها وتعاطفنا معها ، وكراهيتنا للزوج ...
اما وقد اخذت هي نفسها بثارها الخاص ، وثأر الفضيلة في نفس الوقت ، فهي بعد ذلك لاتستوقفنا ... لانها قوية بذاتها غنية عن عواطفنا المختلفة .

ان العموميات في العمل الفني خطأ كبير ، لانها تفرض على الشاعر ان ينظم افكارا جاهزة خالية من الصراع الانساني ، الذي هو ميدان الفن الاصيل على الدوام .

ولان الشاعر يعيش في عالم من العموميات والافكار الجاهزة النهائية ، فقد انتهى به الأمر الى نزعة خطابيه أضرت بشعره . فما دام يتحدث عن فكرة منتهية ، فان معنى هذا انه قد وصل الى مجموعة من الاحكام ، وعند ما يصل الى احكام ، فانه يحتاج عادة الى مخاطبة الآخرين بها ... ان الشاعر عندما يبدأ الحديث مثلا عن معنى عام مثل الخيانة الزوجية ، فانه بالطبع يريد أن يحدثنا على وجه الخصوص عن رفضه لهذه الخيانة وعدم احترامه لها . وهو بالتالي يريد أن يعلمنا ويعظنا . ومن هنا تنبع الخطابة . ولو انه بدلا من أن يبدأ عمله الفني من فكرة نهائية جاهزة ، بدأه من موقف انساني احس به ، او تجربة انسانية عاشها ، اذن لما كان هناك مكان للاحكام والخطابة على الاطلاق . ان الموقف الانساني سوف يستغرق الفنان فلا يدين الناس بسهولة ولا يكرمهم بسهولة ... وانما هي مواقف ونماذج انسانية تتحدث هي نفسها وتوحي بما لديها من الايحاءات المختلفة .

ولنعد الى الخطابية عند الشاعر لنجده في كثير من قصائده يخاطب شخصا آخر . ففي الاهداء يبدأ قصيدته بقوله « صديقي ... » . وفي قصيدة اعتذار يبدأ قصيدته بقوله « صديقتي بارقة العبير — بالمسة الحرير — باضحكة منغومة تثير » ... الخ هذه النداءات الكثيرة . وفي قصيدة « رسالة الى صديق » يبدأ الشاعر قصيدته بقوله « في حاجة اليك ياصديق » ، وفي قصيدة اليراع يقول « منذ ليال ياصديقي لم اقبل الورق » . وفي قصيدة الحرف والشتاء يقول « اصدقائي اصدقائي المتعبين » وفي قصيدة الطفل واليراع يقول : « يايراعي انت سيف ، وعلى بابي أزهار ترف » .

هذه النزعة الخطابية تجعل من الديوان عملا شعريا صاخبا ، انه يخلو من حديث النفس ، وصراع الذات . ان الخطابة في الفن تنتهي حتما الى التلفيق لانها تفترض دائما وجود الآخرين .

والانسان مع الآخرين لا يكشف حقيقته الداخليه العميقة وهمسه الروحي العريان من كل تزييف ، وهذه الحقيقة الداخلية ، وهذا الهمس الروحي هما اساس الفن المؤثر القريب الى القلب .

وكما قلت ... لقد قادت هذه النزعة الخطابية شاعرنا الى نزعة اخلاقية تعليمية من البديهي انها نزعة تتناقض مع الفن . واذا عدنا الى القصيدة التي اشرنا اليها ، قصيدة « الى افعوان » ، نجد ان خادمة « القصيدة » توجه كلامها الى رجل يريد اغتصابها فتقول :

عد ياجبان
الى بنيك وزوجك المتهدمة
ناموا هناك بلا غطاء
عرتهم ريح الشتاء
انسيت انهم بنوك
ونسيت انى بنت ريف !

ان هذه النزعة التعليمية المليئة بالانذارات والشتائم هي بنت شرعية للنزعة الخطابية وهي مثلها بعيدة عن الفن وعن التأثير الفني الصحيح .

ولا اود ان انتهى من هذا المقال دون ان الوم الشاعر لوما شديدا على قصيدته عن الجزائر . فلقد صور لنا حرب الجزائر على انها حرب صليبية . وليس ذلك بصحيح على الاطلاق . وهذا يؤكد ضرورة اهتمام الشاعر بثقافته وآرائه الفكريه . فالذين كانوا يحاربون الجزائر لم يكونوا مخلصين للمسيح ولا لأي نبي ، ولكنهم كانوا في الحقيقة تجار خمور ، وكانوا اصحاب مصلحة اقتصادية كبيرة ، وهم اذا حاربوا الاسلام ، فهم لا يحاربونه من اجل المسيح ، ولكن من اجل استمرار حركة البارات في فرنسا على اشدها حتى تتدفق الاموال الى الاقطاعي الفرنسي الاستعماري « بورجو » وامثاله . ولكن انس داود ينسى هذه الحقائق ويلخص الحرب الجزائرية كلها في الصراع بين المسيحية والاسلام ، وهذا خطأ ، وكل المظاهر التي تدل على هذا المعنى هي في الحقيقة مظاهر خادعة .

ولا اريد ان اترك القلم دون ان اعيد القول بأن النظرة الاولى وهي نظرة صادقة الى شعر انس داود في ديوانه الاول « حبيبتي والمدينة الحزينة » ، هذه النظرة كفيلة بأن تؤكد ان الشاعر يملك من الموهبة ما يمكنه لو واصل السير وتنبه الى عيوبه من ان يخرج من صفوف شعراء الدرجة الثانية الى الصفوف الاولى .

رجاء النقاش

الفلاح في الشعر العربي وتصوير شقائه

بقلم محمد عبد الغني حسن



— ٢ —

نستطيع أن نقول ان العقد الرابع من القرن العشرين كان المجتلى الحقيقي لحركة تصوير الشقاء الذي كان يكابده الفلاح العربي تصويرا شعريا قائما على الاحساس الحقيقي بمشكلته ، والشعور الأليم بشعوره ، ومحاولة رفع الصوت ـ نيابة عنه ـ لتنبيه ولاة الأمور الى اصلاح حاله ، ما دام هو اليد القوية التي تضرب الأرض ، وتقلبها ظهرا لبطن ، فتحول ثراها الى رزق وافر .

ولم تكن الانطلاقات الأولى ـ من مثل نشيد مصطفى صادق الرافعي الذي نظمه سنة ١٩٠٨ في لغة سهلة تكاد تكون دارجة ، وقصيدة «منجل الفلاح» للشاعر العراقي علي الشرقي التي نشرت سنة ١٩٢٥ ـ الا اشارة البدء لحركة شعرية متتابعة بعد ذلك ، تصور الفلاح على حقيقته ، وتعرضه في أقسى الصور التي تكشف عن أغرب المفارقات بين حياة الناس عامة ، وحياة ذلك الصابر الكادح » الذي يرتدي الشحوب والاسقام ، وقد جمدت في جفنه العبرات ، وكسا الطين والدم قدمه » ، كما سنراه عند شاعر ناشيء حديث في ديوانه الذي ظهر أخيرا بعنوان : «العملاق الأسمر» .

وعلى الرغم من ارتفاع الموجة الشعرية التي تصور شقاء الفلاح في العقد الخامس من القرن العشرين ، وهو العقد الذي جاء في أعقاب الحرب العالمية الثانية . فاننا مازلنا نجد بعض شعراء في ذلك العقد يصورون الريف صورا طبيعية ، قد تكون جميلة ، وقد تكون فاتنة بما فيها من مشاهد الجمال الريفي ، ولذة الناظر وسحر الكون ، وبهاء الطبيعة . الا اننا لا نسمع فيها للفلاح صوتا من شجن ، ولا نرى فيها تصويرا لبؤسه ، وكان قصارى هؤلاء الشعراء أن يغدوا الى قرية هادئة ، فيصوروا «بسطها» التي تظللها الغصون ، ونخيلها الذي تشبه غصونه الفيروزج المحمل بصافي العقيق ، والسواقي التي تئن وتطيل الأنين لغير صبابه ! والغيد اللائي يغمسن في الغدير جرارهن ، والجداول التي تبدو في الأصيل كأنها فضة أذيب فيها النضار ...

والحق أن مثل هذه الصور الريفية الجميلة كانت لوحات شعرية يحجب جمال مناظرها ما وراءها من آلام الكادحين ... حتى لقد أصبح الريف متنزها ينسى فيه شعراء المدن آلامهم ! وأصبحنا نجد صورا من هذا الطراز فى شعر محمد مفيد الشوباشى ، ومحمد طاهر الجبلاوى ، ومحمود غنيم وغيرهم . فلمفيد الشوباشى « ليلة ريفية » نظمها سنة ١٩٤٨ لم يسمعنا فيها – على جمال صياغتها وحسن صورها – أنة واحدة لصوت فلاح ألهبته سياط الاقطاعيين . وكان قصاراه من تلك الليلة أنها : –

غابت عن العين ألوان الحياة ، فلم
يبن خلال دجاها غير أشباح
وغير خفق السهى أو ضوء مصباح
يبدو على بعد من كوخ فلاح
وعمها الصمت الا ما تخلله
من نوح ساقية ، أو صدح صداح ...

وكذلك فعل الشاعر محمد طاهر الجبلاوى ، فقد كان الريف كله فى عينيه سحرا ، بما فيه من صياح الديك، وصدح العصافير ، وأصوات الأنعام :

وخوار ، وثغاء ، وبغام
تبعث البهجة فى كل مكان
هى موسيقى جلال وانسجام
تبعث الدنيا بها فى مهرجان
ونباح الكلب من خلف الغنم
فى انتباه ، ومراح ، واقتحام
راقه الصبح بضوء ونغم
فجرى فى نشوة بين الزحام ...

والشاعر محمود غنيم يغرق فى جمال الريف ، فيصوره فى لوحة شعرية جميلة ، ثم ينسى – وهو مغمور فى فتنته الطبيعية شقاء الفلاح ، فلا يذكره فى قصيدة تبلغ بضعة وثلاثين بيتا الا بيتين اثنين او ثلاثة ، عرج فيها على صبره الشبيه بصبر «أيوب» ورضاه بمادون الكفاف : –

اكبرت فى القروى حدة عزمه
وحسبته فى صبره أيوبا
فى الريف فتيان تسيل جباههم
عرقا ، فيصبح لؤلؤا مثقوبا
بذلوا لمصر فوق مافى وسعهم
ورضوا بمادون الكفاف نصيبا ..

ولعل هذه الصور الجميلة البعيدة عن وصف الفلاح الكادح والاحساس بشقائه ، تذكرنا بالصورة التى صور بها الشاعر العراقى محمد المهدى الجواهرى القرية العراقية سنة ١٩٣٢ ، وبعد بها عن تصوير الظلم الاجتماعى الذى ظل الفلاح واقعا تحت نيره مئات من السنين .

واذا كنا قد رأينا أن الشاعر الجواهرى قد كفر عن صمته فى تلك القصيدة بقصيدته القوية الثائرة التى نظمها سنة ١٩٣٩ ، والتى جعل عنوانها « الاقطاع » ، ومطلعها :

الا قوة تستطيع دفع المظالم ؟
وانعاش مخلوق على الذل نائم ؟

فاننا رأينا شاعرنا محمود غنيم فى مصر قد نسخ قصيدته البائية فى الريف ، بقصيدة بائية أخرى – من بحر آخر جعل عنوانها « راهب الحقل » صور فيها الفلاح على حقيقته ، حيث يكدح ، وثمرة كدحه لغيره ، وحيث يخرج من الارض عسجد القمح ، ولجين القطن ، ثم لايجد غير الصاب يلعقه : –

ما لهذا الملاك أمسى وأضحى
وهو نهب مقسم لعصابه !
صرفوا الراهب البتول عن الله
وصاروا من دونه اربابه
أمن العدل أن يعش أسير الحقل
من شاب بالدماء ترابه ؟
وهو من أخرج النضار من الأر
ض وصفى من التراب لبابه ؟
كم جنى القمح عسجدا ، وجنى
القطن لجينا ، وبات يلعق صابه
يطرق الخير كل باب اذا ما
أثمرت أرضه ، ويترك بابه

واذا كنا قد رأينا أن أنين السواقى الريفية عند شعراء الوصف الطبيعى هو أنين الصب المشوق ، فاننا نجد الشاعر كمال بسيونى يجعل أنين السواقى ودموعها وبكاءها لونا من الحزن على الحالة التعسة التى وصل اليها الفلاح . ففى قصيدة له بعنوان « الريف المصرى » نظمها سنة ١٩٤٨ نسمع صوته قائلا :

يا ريف : ما للسواقى فيك معولة
تبكى بطرف غزير الدمع هتان ؟

هزيلة الجسم قد بانت اضالعها
كانها من بقايا عمرى الفالى •
دعها تئن وتكبى : ان فيك فتى
سواه يحصد ، وهو الباذر العانى •
جوعان ، عريان يكسوهم ويطعمهم
ظمآن يسقيهم من دمعه القانى •

وقد اكتمل تصوير شقاء الفلاح شعرا عند الشاعر محمود حسن اسماعيل • ولعله الشاعر العربى الوحيد الذى وقف طويلا بجانب الفلاح ، معبرا عن ألمه الطويل ، وكدحه المرير ، فى أكثر من لوحة رائعة • وتحس وأنت تقرأ شعره فى الفلاح انه هو نفسه فلاح أصيل ، فليس شاعرا وافدا من الحضر ، أو زائرا عابرا من المدينة يقضى فى الريف الهادىء الوديع يوما أو بعض يوم ، أو حتى عطلة الصيف ••• ولكنه أخ صميم للفلاح الكادح ، يحس احساسه ، ويشعر شعوره ، ويقف معه بجانبه تحت وهج الشمس ولفحها ، وزمهرير الشتاء وقرسه •• فهو حين يصف لنا الزهر المعربد فى الريف حين نهل خمرة سلسلها الضياء ، وهو حين يصور لنا الفراش الوديع يسبح فى الأمل ، ويحتسى العبير من الزهرات ، وهو حين يصف لنا الهدهد المتولع فى الحقل يظل يفىء اليه بين النخلات، وكانه بنقراته المتتابعة فيلسوف اضاع الدهر حكمته ••• حين يصور لنا محمود حسن اسماعيل الريف فى احلى مباهجه ، فانه يعرج على ذلك الفلاح « المعذب فى حياته » ، والذى نمى تلك الجنة النضرة الحائل •• فيصفه بأنه :

ناسك فى الحقول ، هيمان بالأر
ض يجل بتربها دعواته
حملت فاسه من الغيب سرا
حيرا العقل كامن من صفاته
حطب يابس يمر على الصخ
ر ، فتزهو الورود فى جنباته
اتواسيه فى الضنى نبتته الحق
ل ، ويفضى الانسان عن حسراته ؟
تلك اعجوبة الوفاء فياويح لشعب
يهيم فى غفلاته •••

ثم يوازن بين الفلاح وبين الثور المقيد فى الساقية قائلا :

والسواقى مفجعات عليه
نائحات تريق من عبراته !
عندها الثور ، قيدته يد الظلم
وهذا حليفه فى سماته !
والشواديف كم ارنت باذنيه
وصاحت تئن فى مزرعاته
شهدت شملة عليه تحاكى
كفنا مزقت بوالى رفاته
صبغ الحظ لونها بسواد
من أسى نحسه ، ومن عثراته
نصف عريان : لو سرى نسم الفجر
عليها تطير من خفقاته ••

وقد جعل الشاعر محمود حسن اسماعيل الفلاح ناسكا « مرة » ، « ونبيا جائعا » مرة أخرى ، على حين سماه الشاعر محمود غنيم « راهب الحقل » • وهذا النبى الجائع كما يصوره محمود حسن اسماعيل هو :

نبى فى الضحى سار يولول فى الربى وحده
وتجلى للتراب حكاية اسرارها عنده •••
سالت عليه من ناحوا ، على خطواته الحيرى
فقالوا : من قديم الدهر لا ندرى له أمرا •
شقى ، جائع ، عار ذليل الوجه مصفر
ويضرب كفه فى الأرض من الم فتخضر •••

ولقد استطاع شاعر ناشىء هو محمد العفيفى أن يعرض لنا فى ملحمة قوية جوانب الثورة التحررية ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، فلم يفته أن يصور لنا فى القرية هؤلاء الفلاحين ، وقد ألهبت السياط ظهورهم ، على حين ينعم الاقطاعيون بثمرات عرقهم ، وجنى أيديهم :

ووراء النخيل قوم جلوس
رقصت حولهم قدود النخيل
ذوب الروض عطره وسقاهم
فى كئوس من النسيم العليل
كل فلاح طاهر النفس يبدو
بين عينيه عبء هم ثقيل
كتب البؤس فوق خديه سفرا
وكساه ثوب الأسى والنحول
ان رأى كسرة من الخبز ظن
الملح شيئا يسمو على آماله
يشرب الطين والجراثيم فيه
تشرب الصفو من دما أوصاله !
حوله من خطا الصغار سطور
أودعت صفحة الثرى سوء حاله

يســـكن الكوخ .. ياله كوخ قبر
يحجب الشـــمس يثبت الديدانا
يضرب الجوع فيـه اطنابه الســو
د يلف المكان والســكانا ...

واذا كان فى شعر هذا الشاعر الصاعد تجربة تمتاز بالصدق مع دقة التصوير ، فاننا نجد التجربة والتصوير وموسيقى الشعر قد اجتمعت فى شعر الريف الذى نظمه الشاعر فوزى العنتيل . فهو شعر نبت فى القرية ، واهداه الشاعر الى فلاحى القرية الذين يعبرون التاريخ بأذرع معروفة تحمل الفئوس فى صبر ...

ولا تحس وأنت تقرأ لوحات « عبيد الأرض » الريفية لفوزى العنتيل أنك تشم الطيب فى كل كلمة من كلماته وحسب ، بل تحس أنك مع هذا الشاعر الفلاح الصابر ، تحسان معا مناجل الظلم وهى تحصد أيام الشعب ، وتنتظران ساعة الخلاص التى لا بد أن تأتى مع الفجر الذى لا مفر من طلوعه بعد هذا الليل الطويل : —

فجرا عبرت عليــه الحيــاة أطوى الســنينا
فى مهرجان الضـحايا اشدو لشعبى اللحونا
وكان شعبى سجينا ، وكان شـعبى طعينــا
ايامه حصدتهــا مناجــل الحاصــدينا
فكم ! لاه صــغير ، همنــا به صاغرينا ..
شدنا له فى قرانا معــابدا وســجونا
ومن دماء الضــحايا ، وأدمع الباكينا
اخضوضرت فى ربانا افراحه ، وشــقينا ...

وهو على ما قد ترى فيه من ملامح الألم — ذلك الألم الذى بدت تجاعيده فى وجه الفلاح الكادح — تراه مملوءا بالايمان والتصــميم ، مزودا بالأقدام والعزم ، متطلعا الى غد أرغد وأسعد ، وأكثر وفقا بالفرحة :

ســأحمل عمرى المصلوب فى هيكل أيامى
وارفع معولى المقـدود من عزمى .. واقدامى
لأدفن جثــة الطاغى ، وأدفن أمسى الدامى
وأعزف لحنى المشبوب من صمتى .. وآلامى
نشيدا دافق الفرحة ، صداحا بأحلامى .. !

ثبت الله خطواته على الطريق ... ؟

محمد عبد الغنى حسن

ذكرى لقاء

للشاعرة : لورا الأسيوطى

يا حبيبى أينما سارت خطــايا
مذ تلاقينا هنــا أحسست نايا
ها هو الجدول فى حضن الغروب
وشعاع الشمس من خلف الغيوب
زورق يقفــو خطـــاه زورق
موكب يســـرى وقلبى يخفق
فوقنا السحب الرقيقات اللواتى
فهى تبدو بين نخــل باسقات
هــذه ألوان شمس الشــفق
ورنت عينى وراء الغســـق
يا حبيبى هذه الرؤيا البـديعه
يا حبيبى لم يكن حسن الطبيعــة

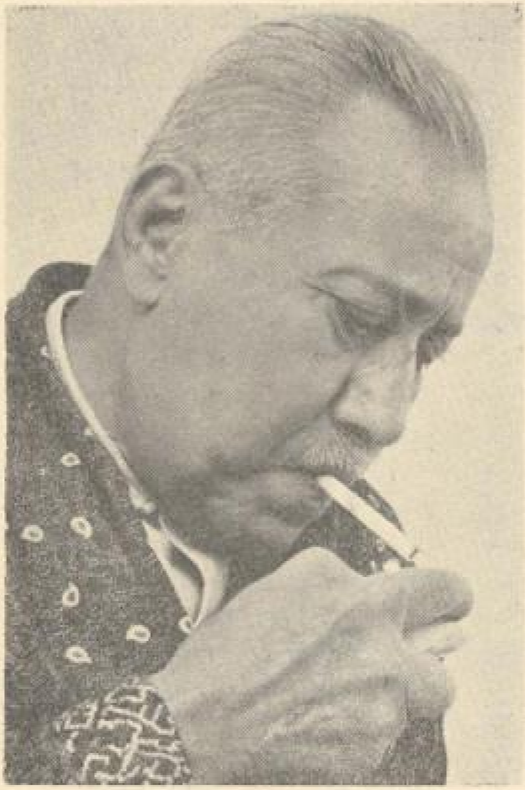
فى طريق كنت والذكرى معى
صب ألحان الهوى فى مسمعى
يتهادى مثــل أطيــاف المنى
يفرم الآفاق وجــدا ههنــا
سابحا بالحب فوق الجــدول
فى حنـــان للحبيب الأول
طرزت أطرافها نار الشــفق
كالشفاه اللعس فى عرض الأفق
تصبغ المــوج بلون ســاحر
فاراك البــدر يجلو خاطرى
هاجت الذكرى بقلبى الخافق
غير احســاسى وحبى الدافق



الفائز بجائزة الدولة في الآداب

بقلم : محمد نصر

محمد فريد أبو حديد



بعد ايام تكرمه الدولة لانه صنع ما ينفع ابناء وطنه .. والانسانية كلها .. !

بعد ايام يتقدم محمد فريد ابو حديد (٧٢ سنة) فى خطاه الوئيدة الى منصة مهرجان عيد العلم ليقلده رئيسنا **جمال عبد الناصر** وسام الفخار .. وجائزة الدولة التقديرية فى الآداب لسنة ١٩٦٤ .. ويشد على يده مهنئا باسم الدولة التى تكرم العباقرة من ابنائها فى حياتهم !

وكان اعضاء المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية قد اجتمعوا – فى العاشر من شهر نوفمبر الحالى – برياسة الدكتور عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء للثقافة والارشاد القومى ليختاروا اديب سنة ١٩٦٤ ؛ بعد ان تم وضع انتاج المرشحين لحمل هذا اللقب – من كبار الأدباء – فى كفة وفى الكفة الثانية الفان وخمسمائه جنيه وارفع الأوسمة مع ميدالية من الذهب الخالص ، يقدر ثمنها بستمائة جنيه ورجحت كفة اديبنا الكبير ابو حديد ، وفاز بالجائزة التى لا تمنح الا مرة واحدة فى العمر كله !

ومن حقك ان تعلم كل الاسرار التى تكمن وراء هذا الاختيار الموفق بعد ان صدرت احكام وحيثيات قضاة الأدب ، فى القضية الادبية الكبرى التى تتجدد كل عام ، والتى حكم فيها من قبل لصالح الأدباء الكبار .. طه حسين ، والمرحوم عباس العقاد ، وتوفيق الحكيم ، واحمد حسن الزيات ، ومحمود تيمور .

ان أول ما ينبغى أن تعلمه الآن .. ان الصراع حول جائزة الدولة التقديرية فى الآداب فى هذا العام كان مريرا .. كان لكل من المرشحين الثلاثة محمد عزيز اباظه ، ومحمد فريد ابو حديد ، ومراد كامل انصار ومؤيدون .. الاول كان مرشحا من قبل جامعة القاهرة ، ولجنة الشعر بمجلس الآداب والفنون ، ولجنة النثر ايضا ، واتحاد جمعيات

الأدباء فى القاهرة .. ولجنة الترجمة بمجلس الآداب والفنون ·

وكان وراء فريد ابو حديد يقف اعضاء المجمع اللغوى بكامل عددهم .. وامجادهم .. ومعهم لجنة الفنون الشعبية بمجلس الفنون والآداب ولجنة النثر ايضا ·

وكان الثالث قد عرضت اوراقه على مجلس الدولة وافتى بحقه فى دخول المعركة التى ساندة فيها اعضاء المجمع العلمى المصرى ، وذلك فى الوقت الذى كان فيه الدكتور طه حسين قد افتى — ومعه لجنة الترشيحات — بارسال اوراقه الى لجنة الترشيحات لجائزة العلوم الاجتماعية .. وعاش كل من المرشحين الثلاثة عاما كاملا يحلم بالجائزة وبالتقدير .. وفى النهاية اصبح حلم ثانيهما علما .. بعد ان أضاء تقريره قاعة المحكمة ... «وتنور» القضاة !

٤ مظاهر

وماذا عن التقرير ؟

والجواب — بكل بساطة — ان اللجنة الفرعية المنبثقة عن المجلس الكبير ، والمؤلفة من طه حسين وسهير القلماوى ، والمرحوم العقاد ومحمد خلف الله احمد ، ومحمود تيمور ، ومهدى علام ، واحمد حسن الزيات ، وعبد الرحمن الشرقاوى ، ويوسف السباعى ·

هذه اللجنة ضمنت تقريرها حقائق تؤكد ان « عريس الأدب » فى هذا العام من الرواد الاوائل ، يلتزم الدعوة القومية منذ اكثر من اربعين سنة ، لم يخرج عن نطاقها منذ عالج الادب ، اشتغل بالتأليف والترجمة فى القصة والبحوث الادبية ، وعالج الشعر على نمط خاص ، وكان فى كل ذلك معلما ورائدا وموجها الى المثل القومية الرفيعة فى فن أصيل خالص .

وان أدبه قد اتخذ أربعة مظاهر فى مجموعة تقارب ثلاثين كتابا ، كانت ولا تزال غذاء لعدد كبير من المثقفين والادباء فى البلاد العربية ·

المظهر الأول : بعث الامجاد العربية ، والتدليل بالخلق الادبى على اصالة الشعب العربى ، وابراز المثل العليا من خلال صفات الابطال الذين اختارهم موضوعا لرواياته التاريخية ، بحيث أصبحت القصة التاريخية العربية منذ كتبها — أبو حديد — تهجا حقيقة التاريخ وقدرة الابداع الفنى ، ومن أمثلة ذلك: الملك الضليل ، والمهلهل ، وزنوبيا ، وابو الفوارس

المظهر الثانى : القصة التاريخية المصرية التى هدف المؤلف فى كتابتها الى نشر صفحات القوة والحرية التى ملأت تاريخ مصر ، مستمدا من الروح الشعبية المصرية جذوته الحقيقية فى عمله الفنى · كما فعل فى قصة ابنة المملوك .

المظهر الثالث: هو القصة الاجتماعية الرمزية التى يصور فيها ما يلقاه المواطن من غربة فى وطنه فى العهود التى يشيع فيها الظلم ، ومن امثلة ذلك قصة « آلام جحا »

اما المظهر الرابع : فهو القصة الواقعية الحديثة التى تتناول مشكلات مصرية عصرية ، مثل كفاح الشعب ضد الاستبداد ، ونظام الطبقات ، ومن امثلة ذلك « أنا الشعب » ·

كل ذلك الى جانب ما بذله من جهود كبيرة وموفقة فى تحرير مجلة « الرسالة » كما كان من المؤسسين لمجلة الثقافة وظل يكتب فيها منذ صدورها حتى احتجاجها ، وبعد أن خرجت مرة ثانية الى النور ·

فى سطور

● الاديب الكبير شغل عدة مناصب هامة فى الدولة ، فقد مارس التعليم فى جميع مستوياته حتى انتهى الى منصب المستشار الفنى لوزارة التربية والتعليم ، كما كان مديرا عاما للثقافة ، وعميدا لمعهد التربية العالى وقد امتد نشاطه الثقافى والتربوى الى اجزاء اخرى من الوطن العربى ، فقد كان مستشارا فنيا لوزارة المعارف فى المملكة الليبية المتحدة ، كما ساهم فى النهضة التعليمية فى المملكة المغربية .

انجب ثمانية من البنين والبنات هم : الدكتور أحمد (٣١ سنة) وهو يشغل وظيفة نقيب صيدلى وضابط بالجيش ·والدكتورة ليلى ، المدرسة بجامعة الاسكندرية ، ونجوى الطالبة بكلية الآداب بالقاهرة، وأختها سلوى بكلية العلوم الاقتصادية · وأشرف بعلوم الاسكندرية ·

اما الثلاثة الصغار — الذين يجددون شبابه كلما التقى بهم — فهم « لبنى » التلميذه بالمدرسة الثانوية بالقبة ، و « أيمن » التلميذ بالمدرسة الاعدادية ، وأمجد أخوه بنفس المدرسة ·

● يحمل وسام الجمهورية لجليل خدماته للتعليم، ووسام الاستحقاق عندما أحيل الى المعاش ·



الزيات



العقاد



تيمور

فى سبيل القيم العليا

ومن خلال لقائنا فى هذا الاسبوع ، عندما ذهبت اليه لاهنئه بالجائزة ، استطيع ان اضيف الى معلوماتك شيئا جديدا لعلك لم تسمع به قبل الآن :

● انه يعيش فى فيلا بناها بحلمية الزيتون منذ بضع سنوات ، مع زوجته السيدة نفيسه ، وهى ابنة خالته .

وهو يعتبرها صاحبة الفضل الاول فى حصوله على الجائزة وتكريم الدولة .. كما قال لى :

وامثال « أبا الفوارس » وكيف كان ذلك ؟

واسمعه يجيب ـ وابتسامة عذبة تظلل وجهه وعينيه الذكيتين !

ـ لأنها توفر لى الراحة والوقت المناسبين للانتاج ، وأملى عليها أحيانا ، وأحيانا أخرى تقرأ لى ما اريد قراءته من الكتب اذا ما تعبت عيناى من القراءة والكتابة .

وبحماسة يمضى قائلا :

ـ نعم ، كان لها الفضل الأكبر فى انتاجى من بعد زواجها ، وفى أثناء الفترة الى تلت سنة ١٩٤٥ ـ تاريخ زواجنا ـ أصدرت أكبر جزء من انتاجى .

لقد حملت عنى مشاكل تربية الاولاد فى صبر ولباقة ..

ومن الحديث عرفت انها مثقفة ثقافة فرنسية على مستوى عال ، بعد تخرجها من مدارس « بون باستير » .. وحصولها على البكالوريا . وانهما ينويان ـ بعد صرف قيمة الجائزة بناء قطعة ارض اشترياها فى الاسكندرية قبل أربعة عشر عاما ..

وعندما ينتقل الحديث الى احدث مؤلفاته وانتاجه اسمعه يقول :

ـ ان القوة لم تعد تواتينى .. اننى اكتفى الآن بما اكتبه فى الثقافة .. كل عملى ان اكون جنديا محاربا فى سبيل القيم التى عشنا بها الى الآن ، والتى قد يريد البعض ان يتعرض لها بالهجوم .

وعن الذى يرشحه لجائزة الدولة التقديرية فى العام القادم قال :

ـ انا أرشح لها عزيز اباظه ، لأن مجهوده الذى قام به فى خدمة الادب العربى ممثلا فى الشعر يجعله خليفة لشوقى ، ولا أنسى آخر مرة سمعت فيها قصيدة له عندما قام برثاء العقاد ، فانها تدل على انه شاعر شاب فى تعبيره الجزل ، ومعانيه الغزيرة العميقة .

قلت :

ـ وما هى الصورة التى ينتظر ان يكون عليها مجتمعنا الجديد بعد خمس سنوات فى ظل الاشتراكية ؟ ويقول الاستاذ أبو حديد وهو يتطلع الى الازهار المتفتحة فى حديقة فيلته :

ـ اتصور أن مجتمعنا قد جاوز الفترة الحرجة .. فترة الانتقال من الحياة السابقة الى حياتنا الاشتراكية ، والعنصر الهام الذى يراد أن يكون العامل الحاسم ، هو تطور النفس الشعبية للشعب نفسه ، لبلوغ المستوى الذى يجعله يساير الحياة الديموقراطية ، مسايرة حرة مخلصة .

ماهيتى ٣ جنيهات

وعندما يعود بأحاديثه الى الوراء ، الى الايام التى اعقبت تخرجه فى المعلمين العليا يحكى قصة كفاح

ـ كم أرجو أن يسجلها فى كتاب لانها ترتبط بجزء كبير من تراثنا الادبى ـ ايامها الف جمعية من زملائه الخريجين ، وكان من بينهم الشاعر أحمد رامى ،



د . طه حسين



محمود الشرقاوى



يوسف السباعى

وكانت الجمعية تقوم بتعليم صغار التلاميذ فى سنة ١٩١٤ مقابل اجر معلوم ينفقون منه على مطالب الجمعية ، والتعليم .. وكان نصيبه فى كل شهر من الارباح لا يزيد على ثلاثة جنيهات هى كل ايراده فى ذلك الوقت . ان عام ١٩١٥ يسجل كيف التقى الاصدقاء الاحباء احمد حسن الزيات ، فريد ابو حديد ، عباس العقاد ، عبد الرحمن شكرى ، محمد عبد القادر المازنى ، كيف التقى هؤلاء جميعا فى مدرسة النيل الاعدادية الثانوية بشارع طورسينا بالظاهر . وكان ابو حديد يعلم التاريخ ، والعقاد يعلم الترجمة .. كان الناس يحسبونهم اغنياء من التعفف وهم فى حقيقة امرهم من المدرسين الفقراء !

ولكن قلوبهم كانت تعمر بحب الادب والتحصيل، والايمان بالمستقبل الباسم .. وقد تحقق لكل منهم امله المنشود فى الشهرة والخلود . !

انه ما يزال يذكر تلك الفترة العزيزة من تاريخه وتاريخ زملائه .. هاهو يستعيد بعض مغامراتهم الطريفة للحصول على الكتاب .. ولقمة العيش .. ومغامرات ناظر المدرسة الاعدادية التى اسسها الحزب الوطنى لتنمية العمل الوطنى السياسى ، واختار لادارتها المرحوم سيد فهمى وهو احد المؤمنين بمبادئه .

قلت له : وكم جمعت من ثروة بعد ذلك المشوار الطويل ..

اى بعد خمسين عاما انفقتها فى التعليم ؟

قال والابتسامة لم تفارق شفتيه :

تنورت المحكمة !

« الحمد لله .. لا بأس بها . لا اشتكى من فقر .. فانا أحب أن أيسر الضرورات لنفسى ولعائلتى، فموارد الحياة تكفى لهذا . ولكن الذى يطمع فى تحقيق ما يشبع رغباته لا يكفيه ما يزيد على هذا الايراد .

قلت : وكيف كان شعورك ساعة ان عرفت بفوزك بالتقدير ؟

قال : شعرت بان هذا الوقت هو اسعد اوقات حياتى ، لقد عوضنى عن كل ما فات فى سبيل سيرى فى حياتى الادبية .. لان البلاد تكرمنى على يد زعيمها ، وزعيم العروبة جمال عبد الناصر .

ورايت ان انهى حديثى بهذا السؤال :

— وكيف تصور السعادة ؟

وتحسس — بكفه — شعره الابيض وهو يقول:

— ان السعادة فى رايى هى السلام بين الانسان ونفسه .. الا يكون هناك صراع بينه وبينها وان يقوم بتادية واجبه كما يرى ..

هنئوه معى جميعا .. وادعوا الله أن يديم على ابن الثانية والسبعين نعمة الشباب !

محمد نصر

ربما..

للشاعر محمد علي أحمد



في ربى الورد وعند النهر
بين غادات الربيع الباكر
وعلى أفق النجوم الساحر
أنا أحيا .. كالفراش الحائر
أسعيدا كنت في الحب أنا ؟ ربما
أم شقيا في ضلالات المنى ؟ ربما

عاشق الأضواء لايخشى احتراقا
وأنا أعتنق الحب اعتناقا
أنا كالعصفور خفقا وانطلاقا
وهو عشي كلما ازددت اشتياقا
أترى في العش دفئي وغنائي ؟ ربما
أم حنيني . ودموعي . وبكائي ؟ ربما

ربما دقت يدي باب الهوى
فدعاني . من ببابي ؟ من غوى
وأنا قلت أنا أشكو الجوى
فحباني . وطواني . وانطوى
أترى عيناك للحب دعتني ؟ ربما
أم ظنوني والليالي خدعتني ؟ ربما

ربما جئتك في ركب السهارى
تائها أمشي على درب الحيارى
باحثا في الليل عن حلم توارى
وأنا صاح ولكن كالسكارى
هل أضاءت نشوة النور طريقي ؟ ربما
أم بأقدامي أسعى للحريق ؟ ربما

نشوة الأحلام تدعو أمسياتي
وعلى الأيام تبكي أغنياتي
أمن الحكمة كانت لهفاتي
أم هو الطيش الذي يطوي حياتي
قالت الحكمة لما جئتها ؟ ربما
وأجاب الطيش همسا قلتها ؟ ربما

إذا لم تدر قول الشعر فاسكت

" ودع لمجاله أهل المجال "

للشاعر كامل أمين

رماني الدهر بالأرزاء حتى … فؤادي في غشاء من نبال
فصرت اذا أصابتني سهام … تكسرت النصال على النصال
اذا هان التراث على ذويه … أضاعوا منهم أسس المعالي
عجيب أن أرى فئة تنادي … لوحدتنا بروح الانفصال
أليس الدين واللغة اتصال العـ … روبة منذ بدء الاتصال
فكيف نعيد لهجات لتنأى … بها لغة الجنوب عن الشمال
وما لغة العوام ؟ فتات غزو … من الأتراك والأمم الأوالي
اذا ضجت بها الجهال ردت … الى الأفواه عهد الاحتلال
يعز على أن ترعى بلادي … تنابلة وتبنى السد عالي
وتفسح صدرها للجهل حتى … يخوض في دم العرب الموالي
أكل جريدة فينا ابتلتنا … بأمي عدا كالرأسمالي
رمى لغتي وديني وهو يفتي … أهذا الاشتراكي المثالي
نبي الاشتراكيين منا … ومن قرآنه لغتي وآلي
يقول انا اشتراكي ويهذي … ويطعن في (ابن حنبل) والغزالي
اذا لم تدر قول الشعر فاسكت … ودع لمجاله أهل المجال
أكل فقاعة وجدت مكانا … تتيه به على الماء الزلال
أنا أدعو الى لغتي وأحمي … قواعدها بلحمي في نضالي
يكلمني بها في كل قطر … من العرب ابن عمي وابن خالي
وأنت تريد لهجات لتنأى … بأقليم فمن منا انعزالي
وهل لغة العروبة ملك فرد … لتقضي بالنكات والارتجال
فليس تراثنا من حق فرد … ولا هو ضيعة في حكم وال
فرنسا في الجزائر قاتلتنا … بقتل الضاد في خطط القتال
ولو لم يبق في الكتاب طفل … وقرآن يرتل في الليالي
لصارت مثل (اسبانيا) عليها … لنا الاطلال لا مهج الرجال
ويلقى (العبد لله) المرجى … (كسقراط) برأى في سؤال
لماذا النحو والفصحى ؟ لماذا … عمود الشعر صلب وهو بالي
تعلم أيها الأمي واعلم … لتصلح للكلام وللجدال
نسيت حروفنا ، فالبعض يدعو … لتكتب لليمين من الشمال
اذا كانت جهالتكم فنونا … فعودوا للكهوف وللجبال
ولا تتمسحوا في الشعب باسم الجـ … ديد وأنتم الدمن البوالي
وما شتم الفقير الدر الا … لأن الدر كان عليه غالي
ولو عرف القريض وكيف يبنى … لعز عليه كالدرر الغوالي
أأسمع أن في الابريق بغلا … وأسكت بعد توليد البغال
ومن ذا قال أن هناك حربا … وها أنذا أرى الميدان خالي

أين الدين من محنة الأخلاق

بقلم : محمد عبد الله السمان

نحن لا نشك مطلقا : فى أن محنة الأخلاق عامل اساسى أيضا فى الأزمة التموينية التى توشـك ان تتخطى مرحلة دقيقة من مراحل حياتنا ، ولكن من اليسير بالطبع أن تنقشع الى غير رجعة اذا نحن اوجدنا علاجا حاسما لمحنة الأخلاق أولا .

ونحن لا نشك ثانية : فى أن هذه المحنة الأخلاقية حلت بعلية الناس وعامتهم على السواء ، وكأنهـا الوباء الطارىء الذى لا يفرق بين كبير وصـغير ، وسـواء فيه كل عظيم وحقير ، والذين تتبعـوا ما نشرته ـ ولم تزل تنشره ـ الصحافة عن فضائح الجمعيات الاستهلاكية فى الآونة الأخيرة يتأكد لديه ما قلناه .

فالسادة الذين وكل اليهم شأن هـذه الجمعيات لم تضن عليهم الدولة بالمناصب الدقيقة الخطيرة فى مجال أقوات الناس ، كما لم تضن عليهم بالرواتب السخية الى جانب الاضافات الأكثر سخاء ، وخولت اليهم فى أعمالهم سـلطات مطلقة ، باعتبـار أن اختيارهم لهذه المناصب الدقيقة يؤهلهم لأن يكونوا فوق مستوى الشبهات ، اذن فما سر هذه الاختلاسات واللامبالاة بأموال الدولة وأقوات الشـعب الوديع المسالم ؟

انها ـ دون شك ـ محنـة الاخلاق .. الأخلاق التى افتقدت الدين والضمير معا . !!

ومحنة الأخلاق هـذه : كمـا حلت بالعلية من المسئولين ، حلت أيضا بعدد كبير من عامة الناس ، وهؤلاء لم يصابوا بلوثة الجشـع والنهم فى الحصول على ما يمكن الحصـول عليه من السلع التموينية وحسب ، بل لقـد امتد مدلول الجشـع والنهم لديهـم الى لون من التجـارة غير المشروعـة التى لا يرتضيها ضمير ولا يقرها خلق .

وانت اذا دققت النظـر فى الكتـل البشرية المتزاحمة على أبواب جمعية من الجمعيات الاستهلاكية منذ الصباح الباكر الى قبيل منتصف الليل دون قلق أو ملل ، هالك أن معظم الوجوه لا تتغير ولا تتبدل فى كل يوم ، وأكثرهـا من العامة الذين يروجون للسوق السوداء فى الاحياء الشعبية الى درجة تفوق حد الخيال ..

منذ سنوات حدثت أزمة طارئة ظلت أياما معدودة فى الكيروسـين ، ولم يكن عجيبا ما قرأناه فى الصحف ، من أن سيدة بأحد الأحياء الشـعبية ، عملت فى مسكنها حوضا مبطنا بالاسفلت واختزنت فيه مائة صـفيحة من هذا السائل وغطته وتركته ريثما تسنح الفرصة لبيعه بأفحش الأسعار ، ولكنها فوجئت بعد مدة قصـيرة بأن الأرض اسـتأثرت بالكيروسين جميعه فامتصته ، وكانت المفاجأة التى لم ترحم .

الى هذا الحد ينحدر خلقنا الاجتماعى ، ومئـات من مثل هذه القصص المخجلة لم تزل تعيش بيننا ، وتلتقط أنباءها من أفواه النـاس ، والعجيب أن وسائل الاعلام التى اعتادت أن تتولى توعية الرأى العام ، لا نكاد نلمس لها أى أثر يذكر فى مجـال هذه التوعية ، ولا سيما التليفزيون الذى أصبح فى متناول الناس جميعا سواء فى منازلهم وفى الأماكن العـامة ، عشرات التمثيليات والأحاديث فى كل أسـبوع ، وكأن محنتنا الأخلاقية هـذه يجب الا يكون لهـا مكان فى زحمة هـذه التمثيليات والأحاديث والبرامج التى لا حصر لها ، وعلى الأخص برنامج « نور على نـور » الذى اجتذب اليه عـددا كبيرا من المواطنين .

بقى هذا السؤال الذى يتوارد على الأذهان :

أين الدين من محنة الأخلاق ؟

ومحال بالطبع أن يكون الدين قاصرا فى أن يؤدى واجبه حيال هذه المحنة الاخلاقية التى تشكل خطرا على حياتنا ، فأية قيمة للدين اذا عجز عن تلبية حاجات المجتمع فى مشكلاته الطارئة ؟

يجب أولا : أن نذكر علماء الدين عندنا بقصة ربما كانوا أحفظ لها منى ، لقد كان العباسيون حريصين على فرض ولاية العهد على المسلمين فرضا ففى عهد الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور نفذت هذه الخطة ، وكان على المسلم وهو يبايع لولى العهد أن يقسم بالطلاق الا يعود فى بيعته ، وضج بالمجتمع المسلم فى مدينة الرسول ، وأحس الامام مالك بضائقة المجتمع فأفتى فى مسجد الرسول أنه ليس على مستكره يمين ، وأيد فتواه بحديث صحيح وارد عن النبى - صلوات الله عليه - وأدرك الخليفة أن فتوى الامام مالك من شأنها أن تقضى على خطته ، وحاول أن يثنيه عن هذا الاتجاه بالوسائل السلمية ثم بوسائل التنكيل ، ولكن ايمان مالك كان أقوى من الخليفة وسلطانه وجبروته .

هذه قصة قصيرة سردتها وفى تاريخ فقهاء المسلمين مئات بل آلاف منها ، ليتأكد لدى علماء الدين عندنا ، ان على الدين واجبا مقدسا حيال الأزمات والمشكلات التى تعترض حياة المجتمع .

ان لدينا بضعة آلاف من علماء الوعظ وأئمة المساجد ، ولكن يظهر أنهم يعيشون فى دنيا غير دنيا الناس ، وفى مجتمع بعيد كل البعد عن مجتمعنا ، **فالمتظاهرون بالتدين** منهم - فى عظاتهم وخطبهم - يدورون فى حلقة مفرغة لا يدركهم فيها سأم ولا ضجر ، وعقدتهم تكاد تتركز فى سفور المرأة وخروجها الى الشارع ، وتهتكها بما ترتديه من ثياب لا وقار فيها ولا احتشام ، وفى التليفزيون ومايعرضه أحيانا من الأغانى المبتذلة والتمثيليات المنحدرة . **أما المتظاهرون** منهم بأنهم ذوو آفاق واسعة ، فانهم اما أن يتجهوا الى السياسة الدولية والمشكلات العالمية ، واما أن يلتقطوا من الصحف ذلة كاتب أو هفوة قلم ، ليصولوا ويجولوا من فوق منابرهم .

قد يكون لهؤلاء وأولئك بعض الحق فيما يتجهون اليه ، وفى منهجهم الدينى الذى ارتضوه لأنفسهم ، ولكن أليس فى مجتمعنا من المشكلات ماهو أحق منهم بالعناية والاهتمام ؟ وهل هناك أخطر من مشكلة محنة الأخلاق التى تلعب دورا رئيسيا فى أزمة أقوات الناس ؟

ان فقهاء المسلمين منذ مئات السنين كانت مهمتهم الاولى أن يجعلوا الدين ملبيا حاجات المجتمع أولا ، والفقه الاسلامى نفسه لايمثل الجزء الخاص بالعبادات منه الا الربع أو أقل منه ، والباقى يتناول معاملات الناس ونظم حياتهم السياسية الاجتماعية ، **ولا يكاد** يوجد كتاب من كتب الفقه الاسلامى خلوا من مكان رحب لتنظيم معاملات الناس على أسس من الدين والخلق والضمير ، وكتب السلف فى الجانب الأخلاقى كانت أكثر عناية فى هذا الجانب الحساس ، وهذا الامام الغزالى الذى مضى على وفاته ٨٨٠ عاما يهتم اهتماما بالغا فى كتابه : « **احياء علوم الدين** » بالأخلاق فى البيع والشراء ، ويسلط أضواء على مسألة احتكار الطعام والتلاعب فى أسعار الأقوات بشتى وسائله ، مبرزا قيم العفة والقناعة والعدل ، ويذكر قول عمر : « **كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة أن نقع فى الحرام** » ويذكر ان عليا بن أبى طالب كان لايجد عقابا للتاجر المحتكر الا حرق سلعته ، ويقص علينا قصة التاجر الذى أرسل سفينة حنطة الى وكيله بالبصرة مشترطا عليه أن يبيعها يوم دخولها البصرة ولا يؤخرها الى غد ،ولكن الوكيل أجل البيع أسبوعا حتى ارتفع السعر وتضاعف الربح ثم أبلغ موكله بذلك . ولكن التاجر أرسل الى وكيله يقول له : يا هذا انا كنا قد قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا ، وما أحب أنك تربح أضعافه بشىء من الدين . وقد جنيت علينا جناية ، فاذا جاءك كتابى هذا فخذ المال كله فتصدق به على فقراء البصرة ، وليتنى أنجو من اثم الاحتكار كفافا لا على ولا لى .

لماذا لاتبرز هذه المعانى والقيم العليا : فى منهج رجال وعظنا وخطباء مساجدنا ،والمصلون يوم الجمعة تضيق بهم المساجد على كثرتها واتساعها ، وفى الاذاعة ، وفيها ادارة للشئون الدينية ، وفى التليفزيون وفيه برنامج دينى مشهور ؟

ان القيم الاخلاقية فى الاسلام لم تزل بخير ، ولكنها ستظل الى الأبد قابعة فى زوايا الكتب والعقول اذا لم نبعث فيها الحياة ، وندفعها الى علاج مشكلاتنا .. وفى مقدمتها المحنة الاخلاقية ، ثم لايبقى بعد ذلك لسائل ان يتساءل :

أين الدين من محنة الأخلاق ؟

محمد عبد الله السمان



ثم علت يد أخته

قصة بقلم : عاشور عليش

هذه الاقصوصة من الواقع الكبير الذى نعيش فيه ..

وقد كان فى الامكان ، ان نجعل منهـا قصة طويلة ..

وقد تكون ملهمة لعمل روائى كبير ..

ولكنى آثرت ، ان ارويها فقط .. بلا اى افتعال ..

ومن يدرى ؟ فقد تكون بساطتها ، هى « جواز المرور » الى كل قلب ..

فى زقاق ضيق ، لا تنفذ اليه اشعة الشمس ، من ازقة حى شبرا ، كان يجلس « سيف الدين » على صندوق خشبى يشرب كوبا من الشاى ، ويتابع حلقات الدخان التى تخرج من سيجارته التى يدخنها فى نهم وشغف ..

انه لا يملك ثمن الشاى الذى يشربه ، ولا ثمن السجائر التى يحرقها .. حياته كلها تسير « بالاجل » ، كل شىء مؤجل الى حين .. وهو لا يعرف متى يجىء هذا « الحين » الذى يدفع عنه ايجار البيت ، ومصروف الاولاد ، ولوازم الدكان ، وغيرها .. وغيرها ...

ورغم ذلك فهو مبتسم دائما ..

انه يثق فى انتصار حقه رغم كل العقبات التى تقف فى طريقه ، وتحول بينه وبين بلوغ اهدافه ..

لقد نشأ فى بيئة فقيرة ، وكافح ابوه من اجل تعليمه كفاحا جبارا حتى استطاع ان يتخرج فى مدرسة الصنائع على النظام القديم . ورفض كل الوظائف التى عرضت عليه واختار مهنته التى احبها . انها مهنة « الحدادة » . واستطاع بذكائه وشبابه وكفاحه ان يفتتح دكانا صغيرا فى زقاق من ازقة حى شبرا . وفى هذا الدكان ، وعلى مدار السنين والايام ، استطاع « سيف الدين » ان يفوز بعدة مناقصات لعمل حدايد ابواب ونوافذ بضع عمارات .. وسارت السفينة وتزوج وانجب ، ولم ينقطع لحظة واحدة عن بيئته التى نشأ فيها .

وكان يعمل بيديه ، وبين صبيانه ، حتى ان اهل الحى جميعا نسوا انه من خريجى مدرسة الصنايع ، واطلقوا عليه لقب « الأسطى سيف » .

ولم يثر هذا اللقب فى نفسه اى غضاضة او امتهان ، بل انه على النقيض من ذلك كان يجد فيه تكريما يتفق مع طموحه فى مهنته .

هكذا كان يبدو الجانب الظاهر من حياة « الأسطى سيف » .



اما الجانب الآخر الذى لا يعرفه احد ، فهو يكمن داخل سيف ، بينه وبين نفسه فقط . انه يرى فى نفسه استعدادا ونشاطا لابتكار مصنوعات جديدة ، انه يثق فى قدرته على القيام بها ..

ان قدميه تسيران به الى واجهات المتاجر التى تبيع المصنوعات المعدنية ، وانه ليقف امامها بالساعات الطوال ، يتاملها فى عمق، ويحفظ نسبها وابعادها .. ثم يخرج ورقة من جيبه ليرسمها ..

وفى دكانه الصغير وبعد ان ينصرف الجميع ياخذ سيف فى دراسة هذه الرسوم ، ويحاول ان يخرجها الى حيز الوجود ..

ونجح سيف فى صنع عدد من هذه المصنوعات ، واغراه هذا النجاح ، الى ان يقرا .. ويقرا ، ودفعته هذه القراءة الى اقتحام هذه المتاجر ، والتقليب فى هذه الادوات والمصنوعات ، وان يطلب فى الحاح ، الكاتالوجات ، الخاصة بها ..

وصدمته اللغات الاجنبية التى توضح البيانات على هـــذه الرسوم .. فلم ييأس .. وانما عقد العزم على ان يفهمها وان يقتحمها وان يملك ناصيتها .. كان يذهب الى عملائه الاجانب ويقوم باداء الخدمات لهم مقابل ان يترجموا له ما يعجز عنه ، ويتردد على بعض المدارس الاجنبية المســائية فترات متقطعة فى اوقات يسره .. ليتعلم باى شكل .. وباية وسيلة ..

وخلال هذا الكفاح كانت يده تعمل فى همة لا تعرف اليأس .. بدا بالاشياء الصغيرة ثم توصل الى صنع الاشياء الكبيرة .. فى دقة متناهية ..

واراد ان يعرف قيمة ما صنع ..

ذهب الى اصحاب المتاجر ، وعرض عليهم انتاجه ، وابدوا اعجابهم به .. وعندما طالبهم بثمن عرقه ، وجهده ، وكفاحه .. ابتسموا .. وعرضوا عليه ثمنا اشبه بثمن الاشياء المسروقة او المهربة .. فرفض فى اباء وشمم ، وفضل ان يحتفظ بها ..

ولكن هذا « الاحتفاظ » كلفه غاليا . لقد اضطره الى استئجار دكان اخر .. فضـــلا عن ثمن المواد الاولية التى يصنع منهـا ابتكاراته ..

وانتابته ثورة نفسية مدمرة .. ولكنه استطاع بايمانه وصبره ان ينجو منها ..

وتراكمت عليه الديون ولكنه لم ييأس ، واصر على مواجهة التحدى .. بكل مصريته وبكل شعبيته .

كان من بين المصنوعات التى قام بها « طاولة هندسية » مما يعمل عليها المهندسون ، وكانت هناك شركة امريكية وحيدة هى التى تورد هذه الأجهزة الى دور الحكومة والمؤسسات .

وذهب الى المتعهد الأجنبى لهذه الشركة وعرض عليه انتاجه ، واتفق معه على ان يقدم اليه عددا من هذه « الطاولات » مقابل ان يضع عليها المتعهد اسم الشركة الأجنبية ويقدمها الرجل الى عملائه على انها من انتاج هذه الشركة .

وفعلا تم وضع اسم الشركة على انتاج سيف الدين ، ولم يستطع احد ان يكتشف خللا واحدا او فارقا واحدا بين انتاج « شبرمان » و « سيفمان » .

وبعد ان تمت الصـــفقة وتسلم المندوبون انتاج الشركة ، اقتحم « الاسطى سيف » مكتب المدير العام ، وبكل ثورة صاحب الحق ، بكل كفاح الليالى ، صارحه بالحقيقة ..

وشك المدير العام فى الأمر وطالبه بالدليل ، فاذا بالاسطى سيف يفك امامه الأجهزة ، ويخرج من مكان غير ملحوظ منها بطاقة تحمل اسم « سيفمان » .

كانت قنبلة وتفجرت .

واراد المدير العام ان يطيب خاطره ، فدعاه للاشتراك فى المعرض الصناعى ، لعرض منتجاته .

وكان هذا اقصى ما يتمناه سيف .. ولكن كيف السبيل الى ذلك وهو لا يملك شيئا ؟ كيف يقف المال حائلا بينه وبين تحقيق اهدافه ؟

ان الأجهزة والمعدات التى ابتكرها توفر على بلده مئات الألوف من الجنيهات .. وتبعد يد الأجنبى عن استغلالها .. ولكن كيف السبيل الى المعرض ؟

وفى نوبة من نوبات حماسه لحقه ، ذهب الى مكتب الوزير.. ورفض الحجاب ادخاله اليه ، ولكنه لم ييأس .. انتظر حتى خرج الوزير ، وكلمه .. شرح له قضيته .. ولم يملك الوزير امام ايمان « الأوسطى سيف » الا ان يوفر له « المكان » فى المعرض مجانا .. بلا رسوم . !!

وعاد الأسطى سيف الى زقاقه يعمل ويعمل ، ليلا ونهارا .. لا يفكر فى شئ الا فى المعرض . انه يعيد طلاء مصنوعاته التى تراكم عليهـا الصـــدا ، ويجلوها من جديد ، فى ارادة وعزم وتصميم .

وعلى كتفه ، وعلى اكتـــاف اصدقائه نقل معروضـــاته الى المعرض ..

وبكل فنه وهندسته ، نسق الحيز الذى خصص له ...

وفى ليلة افتتاح المعرض ، فوجئ الأسطى « ســيف » بالرئيس جمال عبد الناصر يزور المعرض ، ويقف عند المعروضات المصرية وقفات طويلة ..

ودخل الرئيس على « الأسطى سيف » . وتامل معروضاته وابتسم ..

ونظر « سيف » الى وجه عبد الناصر ، والى عينيه النافذتين الباسمتين .. ونسى كل شئ ، قلبه وحده هو الذى تكلم .

وبعد ان انتهى من كلامه .. من احلامه .. ومن امنياته.. ساله الرئيس : وكم يلزمك يا سيف لانشاء هذا المصنع ؟

وذكر سيف رقما .. مائة الف جنيه ..

وخيم الصمت برهة .. قطعه صوت الرئيس وهو يطلب من وزير الصـــناعة تدبير هذا المال للاســطى سيف .. وبضمانته شخصيا ..

ان الذين يمرون الآن باطراف شبرا ، يرون مصنعا جميلا للادوات الهندسية والمصنوعات المعدنية .. تعلو مداخنه .. تعلن تحقيق حلم كبير لاسطى من اسطوات الشعب ، كان على ثقة من حقه ، ومن كفاحه ، ومن مصريته .. انه مصنع « ســيفمان » يديره عامل من أبناء الشعب ، باموال الشعب ، لخير الشعب

عاشور عليش .



مدير الفنون والآداب بفرنسا



● يزور الجمهورية العربية المتحدة الآن الاستاذ «جاتيان بيكون» مدير عام الآداب والفنون بوزارة الثقافة الفرنسية بدعوة من الدكتور محمد عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء للثقافة والارشاد القومى لالقاء محاضرات في الأدب والفن الفرنسيين عام ١٩٦٤ . وقد استقبله الدكتور حاتم يوم السبت الماضى . وفى المساء اقيم له حفل استقبال بفندق هيلتون دعا اليه الاستاذ يحيى ابو بكر وكيل وزارة الثقافة والارشاد القومى ، وحضره كثير من الادباء والفنانين .

وبعد ظهر الأحد عقد ندوة بمكتب الدكتور حاتم حيث التقى بالأدباء والفنانين ودارت مناقشات حول الاتجاهات الفكرية الحديثة .

وبعد ظهر الاثنين القى الاستاذ « جاتيان بيكون » محاضرة في الجامعة العربية عن الادب الفرنسى فى عام ١٩٦٤ .

وسيلقى اليوم فى منتصف الساعة السادسة مساء بالجامعة العربية محاضرة عن المسرح الفرنسى في عام ١٩٦٤ .

ويلقى المحاضرة الثالثة فى القاهرة بالجامعة الامريكية فى منتصف الساعة السادسة من مساء يوم الاربعاء القادم « ٩ ديسمبر ١٩٦٤ » وهى عن الفن التشكيل فى فرنسا .

وفى خلال مدة اقامته يسافر الى الاسكندرية لالقاء محاضرتين هناك .

● « نداء الحياة » الرواية التى ظهرت اخيرا للأستاذ جمال ربيع عن دار الاسناوى للطباعة والنشر والتوزيع .

● من كتب الرحلات التى صدرت حديثا كتاب « امس واليوم » بقلم المحامى فتح الله الصقال . طبع بحلب واهدته مجلة الكلمة لقرائها ونصرائها .

● صدرت طبعة ثانية معدلة ومزيدة من كتاب « أبو حيان التوحيدي » للدكتور أحمد محمد الحوفى أستاذ الأدب العربي بكلية دار العلوم جامعة القاهرة . تنشره مكتبة نهضة مصر .

● أصدرت الدار القومية للطباعة والنشر فى سلسلة « مذاهب وشخصيات » كتاب « شعراء الاسكندرية فى العصور الاسلامية » للأستاذ عبد العليم القبانى ، قدم له الدكتور محمد طه الحاجرى .

● حافة الأمل ديوان جديد للشاعر احمد لطفى يصدر عن دار الانجلو المصرية .

● صدر عن الدار القومية فى هذا الأسبوع كتاب « شاعرات عربيات » للشاعرة روحية القلينى .

● حبل الغسيل مسرحية جديدة للأستاذ على احمد باكثير يدور مضمونها حول الشعوبية المعاصرة .

● **يقيم نادى القصة وجمعية الأدباء ندوته الأسبوعية فى الساعة السابعة من مساء الاربعاء القادم وستكون عن « الاقصوصة » يشرف على المناقشة ويديرها الأديب عباس خضر .**

● « النقد الأدبى المعاصر فى الميزان » موضوع المناقشة التى يقدمها الشاعر صلاح عبد الصبور ويشترك فيها الأساتذة أمين الخولى وعبد الرحمن الشرقاوى ـ عبد الرحمن فهمى ـ أمين يوسف غراب ـ عبد الفتاح الديدى .

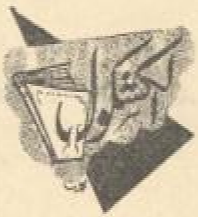
وتجرى المناقشة فى الثالثة من مساء يوم الأربعاء القادم فى دار الجمعية الأدبية المصرية .

● يصدر عن دار العروبة خلال الشهر القادم الديوان الخامس للشاعر محمود حسن اسماعيل .

● يحاضر الشاعر عبده بدوى فى هيئة خريجى الجامعات هذا الاسبوع فى موضوع بعنوان « شعراء الرفض فى الميزان » .

● **تصدر قريبا عن الدار القومية ترجمة شعرية للشاعر عامر محمد بحيرى لمسرحية « ماكبث » لشكسبير .**

● قررت المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر طبع ديوان أغانى الشباب للشاعر احمد أبو المجد عيسى وسينشر مع تقديم للدكتور محمد غنيمى هلال .



● وصلت دعاية المرشحين لعضوية مجمع اللغة العربية الى درجة غير لائقة بالخالدين .. أقترح على الأعضاء أن يمتنعوا عن انتخاب أى مرشح يطلب اليهم انتخابه ولو بطريق أحد الوسطاء ..

● **يؤسفنى أن أذكر أن الدكتور محمد مندور عضو فى لجنة مجلة «حوار» المؤلفة للتحكيم فى مسابقة أدبية . وقد سافر الى تونس حيث تجتمع اللجنة . وترك الدعاية له فى الانتخاب لعضوية مجمع اللغة العربية لزميله فى « حوار » الدكتور ابراهيم مدكور الذى رشحه لعضوية المجمع .**

لم أكن أعلم بهذه « الجوانيات » عندما عززت ترشيح مندور للمجمع .

● أثارت مذكرة لجنة الشعر بالمجلس الأعلى التى هاجمت فيها مجلة «الشعر» معركة حامية بين فريق التقليدى وفريق الجديد .

والملاحظات الآتية محايدة :

١ ـ مجلة الشعر تميل الى جانب الشعر الجديد اكثر من الشعر التقليدى ، اذ تنشر من الأول أكثر من الثانى . وكذلك الدراسات ترجح كفة الأول . واذا اعتذرت المجلة بأنها لا تجد من الشعر التقليدى نماذج جيدة فان ماتنشره من الشعر الجديد أو أكثره ليس فى مرتبة أعلى من الهبوط ..

٢ ـ لجنة الشعر تتكلم بلهجة رسمية لاينبغى أن تكون فى المجال الأدبى، وتستعدى السلطة على مخالفيها فى المذهب الأدبى ، ولا يمكن أن أتصور أن الدولة ـ برعايتها للادب بانشاء المجلات واللجان ـ تقصد أن تجرى مسائل الادب فى المجرى الرسمى الذى تريده لجنة الشعر ..

٣ ـ لا أدرى علاقة بين الشكل الأدبى وبين ما تذرعت به اللجنة من الاحتفاظ بالشخصية القومية وطابع الأمة المميز . انما يكون ذلك فى المضمون فقط ، بمعنى انه يمكن تضمين الشكل القديم . **ولو سلمنا بمنطق اللجنة لجاز أن يقاوم الشعر التقليدى نفسه كله اذا انحرف بعض شعرائه الى ما لا يتفق مع الروح القومية .**

عباس خضر

فتح بيت المقدس

المشهد السادس

منبسط من الأرض بقرب «مؤتة» حيث أناخ عمر وأصحابه .

بقلم : على أحمد باكثير

اسلم : (يصيح فجأة) يا أمير المؤمنين .. خيل مقبلة .

ابن عوف : (يتطلع) هذه خيل المسلمين يا أمير المؤمنين .. لعلهم جاؤوا لاستقبالك .

عمر : (يظهر) انى امرتهم بموافاتى الى الجابية ولم آمر احدا باستقبالى فى الطريق .

ابن عوف : لعلهم خافوا عليك ما خافه عليك راهب ايلة .

عمر : هذا خالد بن الوليد يا عبد الرحمن .. ذكرناه الساعة فحضر .

ابن عوف : عرفته من هذا البعد ؟

عمر : انى اعرف نزوته على الخيل . ويل لهم ما هذه الثياب التى عليهم ؟

ابن عوف : انها تلمع كبرق الحرير .

عمر : فاللهم الله أوقد اتبعوا سنن الروم ؟ ابغنى من هذه الحجارة يا اسلم .

ابن عوف : اصبت يا أمير المؤمنين هذا خالد . والله ماعرفته وهو بهذا الزى .

عمر : (يتناول حجارة فيقذف بها صوب اليمين) قاتلكم الله !

خالد : (صوته) السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : لا سلام عليكم (يمضى فى قذفهم بالحجارة) اياكم أن تدنوا منى قبل أن تخلعوا هذا الذى عليكم والا حصبتكم ورجمتكم . سرع ما لتتم عن رايكم . اياى تستقبلون فى هذا الزى ؟ وانما شبعتم منذ سنتين . سرع ما ندت بكم البطنة . تالله لو فعلتموها على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم .

ابن عوف : انها الدنيا يا أمير المؤمنين .

عمر : كلا والله يا ابن عوف .. أما وانا عليهم فلا .

ابن عوف : رويدك يا أمير المؤمنين .. انهم يخلعون ما عليهم .

(يدخل خالد ونفر من رجاله وبأيديهم البلامقة تبرق)

خالد : يا أمير المؤمنين واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها .

عمر : وهذه الثياب عليكم ؟

خالد : هذه يلامقة يلبسها الفرسان هنا على الحديد والسلاح لتكون أهول للعدو وأروع .

عمر : من سرق الحرير ؟

خالد : بل من الديباج يا أمير المؤمنين

عمر : (يتحسسها بيده) تلبسُونها دائما على الحديد والسلاح ؟

خالد : كما ترى .

عمر : (ينقلب من السخط الى الرضا جملة واحدة) وعليكم السلام ورحمة الله .. لا بأس اذن يا أبا سليمان .. دعني أعانقك . (يعانقه بحرارة وشوق) والله لقد كنت طول اليوم ببالي منذ قيل انكا قادمون على مؤته .

خالد : فهذه مؤته يا أمير المؤمنين .

عمر : أجل .. لقد ترحمت على الشهداء الثلاثة زيد وجعفر وابن رواحة وذكرت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ينعاهم على المنبر واحدا بعد واحد والدموع في عينيه الى أن قال : ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح له . فلا والله ما اشتقت الى أحد قط أن أضمه وأعانقه كما اشتقت اليك اليوم .

خالد : (يعود فيعانق عمر) بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين . والله انا لنظلمك كثيرا الا ننظر إليك كما ننظر الى غيرك من الرجال . انت طراز آخر . انت نسيج وحدك .

عمر : (كالكاره لذلك) مه يا خالد أرني كيف فعلت ذلك اليوم في هذا السهل .

خالد : أترى الى ذلك التل يا أمير المؤمنين لقد كان من خلفنا وقد أحاط الروم بنا احاطة السوار بالمعصم فأمرت رجالي فداروا حوله في كراديس فتوهم الروم أن امدادا جاءتنا تترى فتقهقروا عنا لتأثيروا قربا بينهم فاهتبلت الفرصة ونجوت بالمسلمين .

عمر : وكم كان عدد الروم يومذاك ؟

خالد : كم يا رومانوس ؟ انت كنت معهم .

رومانوس : مائة الف من الروم ، وخمسون الفا من العرب .

عمر : رومانوس ؟ حاكم بصرى الذي أسلم ؟

خالد : نعم يا أمير المؤمنين .

عمر : ويحك هلا عرفتني به من قبل . أهلا بك وسهلا يا ابا الروم .

قد سمعت انك حكيم والله تبارك وتعالى يقول : ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا .

رومانوس : مرحبا بك في أرض الشام يا أمير المؤمنين .

عمر : وانك لتحسن الكلام بالعربية ؟

رومانوس : من طول ما خالطت العرب . ألم تسمع يا أمير المؤمنين بسيرة بحيرا الراهب ؟

عمر : بل فهل لقيته يا أبا الروم ؟

رومانوس : بل لقيت بعض من لقوه يا أمير المؤمنين فحدثوني من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما حدثهم به .

أسلم : يا أمير المؤمنين تلك خيل أخرى .

خالد : (يلتفت وينظر) هذه خيل يزيد بن أبي سفيان الحمد لله الا سبقته اليك .

عمر : انطلقتما من بقعة واحدة ؟

خالد : لا يا أمير المؤمنين .. انا جئت من أقصى الشمال وقد مررت اليوم ضحى بدمشق فوجدته قد انطلق من الفجر فأقسمت على ربي لأسبقنه اليك وقد أبر الله قسمي ولله الحمد .

عمر : هذا الزهو فيكم يا آل المغيرة .

خالد : ما رأيت ابن أخت قوم أعق منك يا عمر .

يزيد : (صوته) السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : وعليكم السلام ورحمة الله .

(يدخل يزيد بن أبي سفيان وبعض رجاله) .

خالد : يا أمير المؤمنين مرهم يخلعوا ما عليهم مثلنا .

عمر : ويحك قد علمت انها البلاغة وان من تحتها الدروع والسلاح .

خالد : وان .. ينبغي أن نعدل بينهم وبين رجالي .

عمر : صدقت .. اخلعوا عنكم هذه البلاغة (يخلعونها) اما انك لحفي برجالك يا خالد .

خالد : هم اخوتي يا أمير المؤمنين وأنا بهم أصول وأنتصر .

عمر : فهل أحسب هؤلاء بالمجارة أيضا مثلكم ؟

خالد : لا يا أمير المؤمنين لا تفعل .. تلك آية سبقنا اليك .

عمر : اجلسوا اجلسوا (يجلس فيجلسون) كيف الحال في دمشق يا يزيد ؟

يزيد : على خير ما تحب يا أمير المؤمنين من الامن والعافية .

عمر : وماذا فعل أخوك معاوية ؟

يزيد : قد بعثته كما أمرت يا أمير المؤمنين ليحاصر قيسارية حتى لا يصل منها شيء الى ايلياء والرملة .

عمر : أتراه قد وفق أم تبعت مكانه من يخلفه ؟

يزيد : بل وفقت انت فى اختياره يا أمير المؤمنين . انه لكيس أريب .

عمر : اما انك لأحب الينا منه .. ليس فيك عرق الجبارين من آل عتبة بن ربيعة .

(يدخل أحد رجال يزيد فيضع بين يديه ربطة ثياب ثم يخرج)

عمر : ما هذا يا ابن أبي سفيان ؟

يزيد : ثياب أحضرتها يا أمير المؤمنين لتلبسها عند دخولك الشام .

عمر : أتراني عريان يا ابن أبي سفيان ؟

يزيد : هذه أصلح يا أمير المؤمنين وأعظم فى عيون الروم .

عمر : قبح الله رأيك . أأردت أن تعرضني دمية لعيون الروم ؟ أميطوها عني ! (يرميها يزيد الى أحد رجاله) ويلك لقد ظننت آنفا ان العلة فى عرق آل عتبة فاذا هي فى عرق آل حرب .

يزيد : يا أمير المؤمنين اجتهدت فأخطأت فهبها لي فوالله ما أردت الا الخير وما قصدت غير وجه الله .

عمر : (تدركه الرقة) يغفر الله لكم انكم تلبسون هذه البلامقة وتزعمون انها أهيب فى صدور الروم فلا جناح عليكم فما بالكم تريدون أن تفتنوني ولست مقيما عندكم وليس لي عذركم ؟

يزيد : سامحني يا أمير المؤمنين .

عمر : قد فعلت فلا تعودن الى مثلها .

(يلتفت الى خالد) وأين اخي أبو عبيدة يا خالد ؟

خالد : انه من خلفي يا أمير المؤمنين وسيوافيك بالجابية وقد أرسلني لاستقبالك مكانه .

عمر : أما انه ليحبك يا خالد .

خالد : واني لأحبه كذلك ووالله انه لخير لي منك .

عمر : (يبتسم) ما زلت واجدا علي يا خالد ؟

خالد : ذهب جله يا أمير المؤمنين وبقي رسيسه .

عمر : فطب بالا فاني قد عزمت على توليتك قنسرين

خالد : عجبا .. ترى ماذا غير رأيك في ؟

عمر : كلا ان رأيي فيك لم يتغير ولكني سأشترط عليك .

خالد : تشترط علي ماذا ؟

عمر : ألا تعطي أحدا من مال الله الا بأمري .

خالد : لا والله لا أقبل .. لقد أبيت مثل هذا من أبي بكر .. فكيف أقبله منك ؟ لا حاجة بي الى عملك . دعني هكذا مع أبي عبيدة فهو يعرف لي قدري وانا أعرف له قدره ووالله يا عمر لو كنا نعمل من أجلك ما عملنا شيئا ولكنا نعمل لله عز وجل .

عمر : يا خالد اني كنت قد عزمت على توليتك قنسرين فلا تجعلني أعدل عن ذلك اذا ما أبيت أن تخشى الله فى مال المسلمين .

خالد : يا ابن الخطاب أوتظن حقا انني لا أخشى الله فى مال المسلمين ؟

عمر : فاقبل اذن ما اشترطت عليك .

خالد : كلا لا أقبل شرط أحد ان الله ربي كما هو ربك واني لأخشاه كما تخشاه انت .. أم تظن يا عمر انك وحدك تخشاه ؟

عمر : معاذ الله يا أبا سليمان ولكني أريد منك ان تعينني على نفسك وان تظن بي خيرا مهما يسوءك مني من شيء

أسلم : (يصيح مرة ثالثة) يا أمير المؤمنين .. هذه خيل ثالثة !

خالد : (يلتفت وينظر) هذه خيل عمرو بن العاص من فلسطين .

عمرو : (صوته) السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : وعليكم السلام ورحمة الله .

(يدخل عمرو وجماعة من رجاله بغير بلامقة)

عمرو : الحمد لله يا أمير المؤمنين اذ سلمك الله .

عمر : وأين البلامقة ؟ ألا تلبسون بلامقة لتكون أرهب للعدو ؟

عمرو : (يبتسم) ما كنت أعلم انك تحبها يا أمير المؤمنين .

عمر : بل خلعتموها يا ابن العاص واخفيتموها عني .

عمرو : أجل يا أمير المؤمنين قد علمت انها ستثير غضبك الا ان تعرف حقيقتها .

عمر : فقد عرفت حقيقتها .

عمرو : من غيري يا أمير المؤمنين .. (ينظر الى خالد

فيبتسم خالد كأنه يقول له نعم انا الذى وقع على غضبه) .

خالد : يا أمير المؤمنين فاحصب عمروا ورجاله بالحجارة كما فعلت بنا .

عمر : (ضاحكا) هيهات يا ابا سليمان ... تلك آية سبقك وسبق رجالك .

(يلتفت الى عمرو) وماذا فعل أطربون الروم يا أطربون العرب ؟

عمرو : (يضحك ويضحك الآخرون) انظر يا أمير المؤمنين ماذا فعل ..

(يشير الى جهة اليمين)

عمر : ما هؤلاء ؟ ما بالهم مكتوفين ؟

عمرو : هؤلاء أسرناهم من كوكبة من الفرسان أرسلهم الأطربون لاغتيالك فى الطريق فأدركناهم عند بيت جبرين فقتلنا منهم وانهزم الباقون .

عمر : ويلهم هؤلاء عرب ؟

عمرو : أجل .. عبيد الروم يا أمير المؤمنين فهم شر من الروم .

خالد : فعلام أبقيت عليهم يا عمرو ؟

عمرو : حتى أرسلهم مع بعض رجال الى أيلة ليدلوهم على راهب هناك زعموا انه أعد لأمير المؤمنين شرابا مسموما ليسقيه اياه اذا ما نزل عنده .

فالحمد لله اذ نجا أمير المؤمنين من كيده .

عمر : وما اسم ذلك الراهب ؟

عمرو : (يلتفت الى رجاله) ائتونى بذلك الفتى العكى .

(يدخل عمارة العكى يسوقه أحد رجال عمرو)

عمرو : ما اسم الراهب الذى حدثتنى عنه ؟

عمارة : اسمه يعقوب .

عمر : واسمك عمارة ؟

عمارة : نعم .

عمر : لقد صدق راهب أيلة .. أبعدوا هذا أبعده الله فقد كذب على الرجل الصالح يعقوب !

ستار

حول الأدب

بقلم عبده بدوى

أهـــلا بك

أهلا بك في بلدك
وفي عالم الفكر الذى اسهمت في اقامته
وبك في حدقة العين
وبك في حبة القلب
وبك في سن القلم !

لقد عشت حياتك من أجل مواسم النور ، ولقـد كانت رحلتك الأخيرة الى أسبانيا من أجل فرحة هذه المواسم، فنحن لا نعرف أحدا قد أقام للنور «مزرعة» كما أقمت، ولابارك المنافرفى رحلة الغناء كما باركت ولا مسح على أهداب السنابل كما مسحت ، ولا غنى « للانتظار الموعود » كما غنيت !

ونحن لا نعرف أحـدا أخصب الحيـاة ، وزحزح الليل ، وطرز الفجر ، وانصف العرب ، وامتنع عن الذوبان كمـــا فعلت ـ مع قلة تعد على أصابع اليد الواحدة ـ فى هذا البلد الطيب .

ومن يشك في ذلك ، في كل من يحمل القـلم ، فليراجع ما يكتب ، فسيجدك في ماسـية الحرف ، وشفافية الـكلمة ،واخضرار الفـكرة ، وسيجدك لم تتحرك وحدك ، وانما حركت من حولك الكثيرين ، ولا شك أن هذا مما تكاد تنفرد به فى الحقل الأدبى . فقد كان بوسعك أن تعزف كلمتك وتمضى دون أن تصاحبها في رحلة العرق والعذاب ، ولكنك آثرت أن تقف في الوهج ، وأن تحمل مع الآخرين أقلامهم، وأن « تستنبت » جيلين بعد جيلك ، وأن تكون مع الجميع الحنان والحب وحركة الدفع !

ومن سيحاول ـ يا أستاذ أحمد حسن الزيات ـ أن يلخص دورك ، فسيجده بلا شك فى عملية البناء التى قمت بهـا فى المعمار العربى . فقـد رأيت من حولك النفوس المتداعية ، والعقول التى « ترمم » ثم تعود الى الظهار الشقوق ٠٠ ومن هنا قمت ـ واجيال الرسالة ـ باعطاء الثقة للمفكر العـــربى فى نفسه أولا ، ثم فى ماضيه وحاضره ثانيا، ثم فى الانسانية كلها فى نهاية الأمر !

هذا دورك أيها الأستاذ الجليل نذكره بعد غيبة ، وبعد انتصار ٠٠ هذا هو دورك أيها الأستاذ الجليل وما نحسبه سينتهى فى عصر من العصور لأن طبيعة الحيـاة تستلزمه ، ولأن قلمك سيظل يعطى دائمـا أشارة « النور الأخضر » لكل من يحـاول أن يبنى ، أو يضيف الى المعمار العظيم لبنة !

وأهلا بك عيدا للكلمة
وأهلا بك مهرجانا للفكر

وفى صدر الرسالة
أهلا بك ..
أهلا بك ..

المعارك المفتعلة :

اعتقد أن نفس الأديب من الرهافة بحيث يمكن أن تكسرها كلمة فيها مجافاة عن الحقيقة ، وانا أعتقد أن كلمة قيل فى العدد ١٠٨٨ من الرسالة ، وأن هذه الكلمة قد صدمت القصاص امين يوسف غراب ، فقد جاء فيها انه نقل ، نقل مسطرة ، قصته امرأة غير مفهومة من كتاب للدكتور مراد كامل بعنوان قصص سودانية .

والذى لا ينكره امين يوسف غراب هو ان هذه القصة مجملة سمعها من الدكتور مراد كامل فى حفل باحدى السفارات ، ثم كتبها ، قبل ان يتسلم كتاب « قصص سودانية » .

والذى لا ينكره القارىء ان امين يوسف غراب أعطاها للسودان باعتبارها حقا من حقوقه ، وجعل لها مدخلا ضروريا فى الزمان والمكان ، وفصل بين عالم هو وصديقه طرف ، والخالة فاروز التى كانت تعتقد فى السحر والسحرة طرف آخر ، وبهذا اعطى « للحكى » ضرورة فى مكان خلوى يشترك فى تطريزه العشب والقمر والنسيم ورائحة الليل .

ومن خلال هذا جعل القصة ضبطا فى نسيج تتحكم فيه العلاقات الانسانية من خوف وضعف وغيرة وحب واستطلاع ومغامرة ، ومن هنا أصبحت ذات أبعاد بعكس النص المسطح الذى جاء فى مجموعة « قصص سودانية » .

اما انه أطلق على « حليمة » اسم الزوجة فلانه جعل من الجدة فاروز صديقة الزوجة راوية ، ولانه جعل منها كذلك الشخصية الرئيسية ، وجعل كافة الخطوط تخرج من يدها ومن صوتها ومن ضرورة وجودها فى الليل وفى القصة .. ومن هنا يصبح التشبث بالاسم غير ضرورى ، وتصبح المقارنة بين « أجا ممنون » و« لن تقوم حرب طروادة » وبين هذه الحكاية غير ذات موضوع لأنه مقارنة بين موضوعين سخيين ، وبين موضوع عابر — كورقة جافة — لا يستطيع أن يتحمل فلسفة أو وجهة نظر عميقة !

أما أن الدكتورمراد كامل قد سمى القصة باسم « العراف » وامين يوسف غراب قد سماها باسم امراة غير مفهومة فلعله قد اطاع حاسته الفنية وهى ان المشكلة مشكلة المراة لا مشكلة العراف .. ولقد سمعت هذه القصة فى السودان باسم « السحار مرة ، وباسم « السحار والثلاث شعرات » مرة أخرى .

وقد نجح امين يوسف غراب فى القصة حين حولها الى قضية عامة هى قضية العلاقة الغامضة بين الرجال والنساء ، وما يعتريها من اهتزاز حين قال :

« انتى اضحك منك ايتها المراة غير المفهومة » منكن ايتها النساء المعجبات .. تقدرون على ان تروضن الاسود .. وتجئن الى لكى اروض لكن الرجال » .

بعكس الختام الذى جاء فى نهاية الحكاية التى قدمها الدكتور ، والذى جاء فيه :

« هل يعز على من راضت الاسد فذل لها وخضع وانتزعت منه هذه الشعرات ، ان تروض زوجا من بنى الانس قيلين لها ويستكين ؟ وانصرفت حليمة وكلها ثقة ان عليها واجبا نحو هذا الزوج الذى لا تشك فى اخلاصه ، ولكنها تشكو عنفه الذى لن يبلغ مبلغه فى السباع .

من هنا نرى أن امين يوسف غراب كاتب يعرف مسئوليات قلمه ، ونعرف انه بكتبه الثمان عشرة يعتبر ملمحا ذكيا من ملامح وجهنا الادبى ، وانه اخيرا كان «مفترى عليه» فى قضية استيحائه من الأدب الشعبى السودانى ، واذا كان اكثر العلماء فى قضية «الفولكلور» يعتبرون ان بصمة الشعب هى التى تميزه لا بصمة انسان واحد وانه كان حريصا على ان الشعب السودانى حقه من القصة .. اذا عرفنا هذا ، وعرفنا أن هذه الحكاية تروى بأسلوب غير الاسلوب الذى رواها به الدكتور مراد كامل ، وستظل تروى بأكثر من أسلوب مع المحافظة على الجوهر .. أدركنا أن هذه «الخناقة الادبية» كانت مفتعلة ، ولن تنقص شيئا من امين يوسف غراب أو تزيد شيئا من الدكتور مراد كامل .

هذا هو الجانب الحاسم فى المسألة ، وكان يمكن أن اقف عنده ، ولكن من الغريب أنى كنت أبحث فى موضوع تغلغل اللغة العربية فى افريقية ، وصلة هذه اللغة باللغتين السواحيلية والخوصة ، وكان أن وقع تحت يدى كتاب لتعليم اللغة العربية فى اثيوبيا وفقا لمناهج وزارة المعارف الاثيوبية لواضعه الدكتور مراد كامل ، والصادر عن مطبعة برهانتا سلام باديس ابابا فى عام ١٩٤٣ ولما كنا جميعا نعرف هذا النشيد الذى عليه من أصواتنا وآمالنا ومصرنا

الكثير ، والذى كان يقول :

مصر العزيزة لى وطن
وهى الحمى وهى السكن

وهى العزيزة فى الزمن
وجميع ما فيها حسن

لسمائها الصيت البعيد
ولأرضها الخصب المديد

ولنيلها الواقى السعيد
كل الايادى والمنن
... الخ

أقول ان هذا النشيد قد تحول الى النشيد الآتى فى ص ٣٦ :

اثيوبيا هى لى وطن
وهى الحمى وهى السكن
وهى الفريدة فى الزمن
وجميع ما فيها حسن

لسمائها الصيت البعيد
ولارضها الخصب المزيد

ولهيل سيلاسى السعيد
كل الايادى والمنن

فيما مضى رجحت على
كل الممالك فى العلا
شملت معارفها الملا
فى كل قطر او زمن

والآن نادت شعبها
فتيانها وفتاتها

هبوا اعملوا لرقيها
ولتحفظوها فى المحن

هبوا ارفعوا اعلامها
فى ظل (سيلاسى ـ منن)

يحيا الوطن يحيا الوطن
يحيا المليك مع والوطن

ونجد البيت العربى المشهور :

بيض صنائعنا ، خضر مرابضنا
سود وقائعنا حمر مواضينا

يتحول الى :

خضر مرابعنا ، صفر معادننا
حمر مواقعنا ، والله يحمينا

ونجد النشيد الذى كان يبدأ بالبيت :

بلادى بلادى
فداك دمى

نجده كما هو فى ص ٢٥

ونجد تحت صورة الامبراطور المحبوب هيلاسلاسى هذه الابيات للمتنبى، ولا شك أن صورة الامبراطور العظيم تكرمها ، ولكن اما كان من الممكن ان نشير الى صاحب الأبيات ، لأنه صاحب الحق فى التوقيع عليها فى أى بلد من بلدان العالم ، فهى تقول :

عدوك مذموم بكل لسان
ولو كان من اعدائك القمران

ولله سر فى علاك وانما
كلام العدا ضرب من الهذيان

اتلتمس الاعداء بعد الذى رات
قيام دليل أو وضوح بيان

رات كل من ينوى لك الغدر يبتلى
بغدر حياة او بغدر زمان

وليت الامر وقف عند هذا ، ولكنه يتعداه الى تفسير القرآن الكريم فقد قصر السيد الدكتور كلمة «واولى الامر منكم» على الملوك ، ففى توضيحه للآية الكريمة « يا ايها الذين آمنوا أطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم » قال « وبذلك أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نحبه ونطيعه ونطيع الرسول ونطيع ملوكنا الذين نصبهم الله تعالى لرعاية أمورنا والسعى الى ما فيه صالحنا ، فهم قادتنا الذين تعتز بهم ورؤسنا الذين تفخر بهم » ولا شك ان هذا التفسير يجافى روح الاسلام .

ومهما يكن من شىء فانى ارجو الا اكون قد وقعت فيما وقع فيه الاستاذ محمد نصر من افتعال المعارك فكل الذى جاء هنا كان استطرادا غير مقصود ذكرنى به وجود الدكتور مراد كامل طرفا فى القضية ، ولعله الرغبة فى ان يوضح الدكتور هذه القضية ، ويصب عليها اكثر من ضوء لنتعرف على الخطوط الرئيسية والفرعية التى تسير فيها اللغة العربية ، فللدكتور على اللغة العربية افضال لاتنكر وله دائما منا الحب والتقدير .

الدعوة السادسة :

ليس هناك من هو اسعد منى بهذا الصراع المرير الذى يدور الآن فى حقل الشعر ، فوراءه الخصب والنماء ، ووراءه ما يمكن ان يسمى بان هذا العام هو عام الشعر .. فالشعر يسرق «الكاميرا» الآن من المسرح ، والقصة ، والابحاث ، ويصبح هو الفارس الوحيد الذى ينهب الارض والقلب والعين!

وانا لا اريد ان انصف نفسى لانى اول من القى الضوء الثابت على الشعر والدين ، والشعر وتجربة الانسان الافريقى الذى لم يهتد الى دين كتابى بعد ، والشعر والرموز والمسيحية ، والشعر وغزاره الرموز فى الاسلام ، والشعر واستغلاله فى الحرب الباردة بين الاديان والثقافات .. الخ . وانا لا اريد ان انسى هنا فضل الدكتور محمد النويهى الذى ولع بالرد على كل فكرة قلتها .

اقول انى لااريد ان أنصف نفسى ، وانما اريد ان انصف مجلة الرسالة التى تقتحم الآن الافكار بجسارة ، ولا تعترف بوجود الجيوب التى لايمكن اقتحامها ، ولا تتعصب وانما تناقش ، ولا تهدم وانما تبنى .

اقول هذا بعد ان اشتد الوهج بين انصار الشعر المتجدد وشعر التفعيلة وشعر الثرثرة والشعر الشعبى ، وان كنت الاحظ ان هناك دعوة جديدة لم تنزل بعد الى ميدان المعركة ، وهى الدعوة التى كافة الاشكال الشعرية الى « تم حركة وسكون » دعا اليها احمد لطفى و محمد البخارى ، والتى ترد والى تكرار هذه الوحدة « تم تم » ، والى «تتم حركتان وسكون» .

وقد اهتديت الى شكل سادس تؤكده مجلة حوار وتسميه «سعر بنثر» وهو غير قصيدة الثرثرة ومن امثلته ما كتبه أسعد العاصى بعنوان آثار اقدام ، ومن امثلته :

« .. وحدك يا يسوع تستطيع ان تخفف عنى وطاة السؤال الملح

وماذا اذن ، بعد ان باع كل ما كان له واشترى اللؤلؤة الواحدة التى لا تقدر بثمن ، افاق ذات صبح حالك فالفى اللؤلؤة الواحدة قد اختفت !

وماذا اذا ، بعد ان باع كل ما كان له واشترى اللؤلؤة الواحدة التى تقدر بثمن ، افاق ذات صبح حالك فالفى اللؤلؤة الواحدة قد اختفت .

وحدك ، يا يسوع ، تستطيع ان تخفف عنى وطاة السؤال الملح .

كم رسالة كتبت (بضم التاء) لكم امراة

كم فلذة فى قصيدة انبعثت بعد ستين ، ولادة مسيخة

من معرفة لامراة

منارتى المنقدة صقلب مفرشخ

كلما ضحكت مرة ادركت انى ساصفع (!!) كلما انزاحت الكوابيس المعششة المستوطنة تهيات اذناى لدقات ناقوس (!!!) كلما انتهى عصر فحش ومجازر وانتهاك وكفر (!!)

وجثوت كجوثتين (الشاعر يتكلم عن نفسه) بربئة نقيةبعد الف الف اغتصاب (!!) وعفرتصدرى ووقفت فاتحا ذراعى رافعا رأسى للسماء ، انقضت من السماء صاعقة اغتصبتنى الاغتصاب الأخير (!!)

واعرف انها هناك ، أعرف ان «الهناك» ناء لكنه مثلها هناك»

.. هذا هو ما يسمى «شعر بنثر» . ولن تتوقف هذه المخترعات ، ما دام قد تصدع سد مأرب ، وما دامت عمليات النسف مستمرة من المنظمة العالمية لحرية الثقافة . ومن رضى الشعراء بالسير خلف النقاد بدل السير أمامهم . ومن تشكيك الانسان المعاصر فى كل قيمة . وأخيرا من الدكتور لويس عوض الذى يسلمنا فى صباح كل جمعة قتيلا او عددا وفيرا من القتلى . وليته يكتفى بقتل بعض الشعراء المعاصرين ، ولكنه يعود الى الماضى ليميت بعض الشعراء مرة اخرى ، ولن أنفى عنه صفة الاحياء فهو يحيى كل ما لا يحمل وجها عربيا : ودلونى على شاعر واحد لم يمته بالحب والموت والاهمال والعجز والتآمر .

عبده بدوى

مشكلات في السينما

بقلم : عبد الفتاح البارودي

بصراحة

لم يعجبني رأي نجيب محفوظ في النقد السينمائي !

ان من حقه كأديب وكسينمائي يمارس الآن فن السينما ان يعلن هذا الرأي الذي أعلنه في زميلتنا (مجلة الاذاعة) وهاجم فيه النقاد ،ولكن ليس من حقه ان يهاجم بدون أن يستند الى شواهد ومبررات فنية محددة وواضحة ... وانا لا أعارضه لأي اعتبار شخصي ، فلو انني دخلت الاعتبارات الشخصية فما أسهل ان أقول ان نجيب محفوظ أديب قصصي وليس خبيرا سينمائيا ... وانما أعارضه لأن السينما عندنا بدأت مرحلة منهجية ، وهذه المرحلة تقتضي أن نلتزم بالمقاييس العلمية في الآراء والأحكام والانتاج السينمائي ، وأن نكافح الارتجال ، وأن ندرك حقيقة واقعنا الفني بلا اسراف أو تقصير ، وأن نستفيد من أخطائنا ... فهل نفعل ذلك ؟ !

لاجدال في اننا بدأنا نحاول ذلك وخاصة في أفلام القطاع العام ... على الأقل استيقظنا ، ولمسنا عيوبنا ، وأصبحنا نستهدف مكافحة هذه العيوب ، ورفع مستوى الانتاج السينمائي ... فمثلا بدأت السينما تستعين بانتاج ومؤلفات الأدباء والمؤلفات التي تقرر لجان الفحص أنها ذات قيمة أدبية ... وطبعا هذه خطوة نحو رفع مستوى أفلامنا ، والتخلص من قصص الاثارة والجنس ، والفبركة ، وقصص النهايات السعيدة المفتعلة وقصص انصاف الجهلاء ... الخ

أيضا بدأت السينما تتهيأ لها الاستعدادات الفنية والأجهزة والمعامل ... كذلك بدأت تتغير النظرة الى الفيلم ووظائفه ومدى ارتباطه بالمجتمع وبالفن ، بعد أن كانت كل وظائفه وارتباطاته محصورة في شباك التذاكر .

وهناك تغييرات جوهرية أخرى ... فمثلا بدأنا نستفيد من الخبرات الفنية العالمية عن طريق الانتاج المشترك مع الدول المتقدمة سينمائيا ، وهذا سيتيح لنا الاحتكاك المباشر بهذه الخبرات ، وأيضا بدأنا نستفيد من المهرجانات السينمائية العالمية عن طريق مناقشة افلامها في ندوات عامة ، وهذا سيتيح لنا - بالدراسة والمقارنة الموضوعية - معرفة عوامل الامتياز في الأفلام العالمية ، واسباب الضعف في أفلامنا .

كل هذه التغييرات كفيلة بازالة أسباب تخلفنا السينمائي ، بشرط توافر الوعي بمكونات هذا التخلف ورواسبه ، والوعي بوسائل العلاج أيضا ، ولا يمكن أن يتحقق ذلك الا بالتخطيط المنهجي القائم على الدراسة العلمية ، ثم بالتنفيذ المدروس أيضا .

والتخطيط موجود .. ولكن المشكلة في التنفيذ

فمثلا قصص الأدباء ، بل قصص كبار الأدباء ، هل تصلح كلها للانتاج السينمائي ؟ بعبارة أخرى هل قبلت على ضوء المقاييس الفنية ؟! وهل انتجت أو ستنتج بالأساليب الفنية ؟ !!

مشكلة أخرى ... هل الاحتكاك بالخبرات العالمية يفيدنا ؟! سؤال يبدو ساذجا ، لأن هذا الاحتكاك مفيد بالبداهة ... ولكن في التطبيق يحتاج الأمر

الى مناقشة ... وامامنا مثال عملى ... منذ أيام عرض فليم تسجيلى اسمه (جمال بلدنا) ، وعندما قرات على الشاشة انه انتاج مشترك مع ايطاليا ، وان مخرجه ومصوره ومعظم الفنيين فيه فى مستوى عالمى ، توقعت أن أرى تحفة فنية ، او على الاقل فيلما ممتازا ، فماذا حدث ؟!

رأينا مقدمة زخرفية دارت الكاميرا فيها فى منطقة الهرم وبعض المناطق الأثرية ، وفجأة حدثت « شقلبة » .. ان أبو الهول يتشقلب والاهرامات وكل المعالم والكائنات ، ثم رأينا مشاهد فى مختلف الأماكن ومنها أماكن في الأحياء الشعبية أوضحت مظاهر الفقر والجهل فى المجتمع الماضى ، وشعرنا بأن الفيلم يستهدف المقارنة بين حالة بلادنا قبل وبعد الثورة ، وفعلا رأينا الكاميرا تسجل عبارة (٢٣ يوليو ١٩٥٢) ثم بدأت تسجل معالم حياتنا الجديدة ، وفوجئنا بأن أسلوبها في التسجيل لم يتغير ، فما تكاد الكاميرا تتركز فى اى مشهد حتى تصوره مقلوبا ومعتدلا ثم مقلوبا مرة اخرى ... واذن فان المصور لا يريد سوى ان يظهر براعته ، مع ان التصوير بهذا الشكل لا يحتاج الى براعة ... ان اى مصور يستطيع أن يستخدم الكاميرا على هذا النحو سواء فى شقلبة المناظر او تسجيلها بهذه السرعة ، ولكن العبرة بالقصد الفنى ... لم أعرف ماذا يقصده المخرج أو المصور ... كان المفروض أن تتغير السرعة وطريقة التصوير حسب ما يراد ابرازه من معان ، فمن غير المعقول أو المحتمل أن نرى فيلما كاملا تجرى مشاهده فى «رتم» واحد أو ايقاعات واحدة ... بل ان الأفلام التسجيلية أصبحت تستخدم الكاميرا للتعبير عن المعنويات من خلال تصوير الماديات ، وقد رأينا امثلة لذلك فى أفلام المهرجان السوفيتى التى عرضت فى نفس الفترة التى عرض فيها هذا الفيلم، فرأينا ــ مثلا ــ فى فيلم « جولة فى موسكو » كيف تحقق الأفلام التسجيلية اهدافها دون الالتجاء الى الاستعراضات المثيرة أو التصوير الزخرفى ... ان الكاميرا فى الفيلم السوفيتى سارت بكل تؤدة واتزان ، وعرضت معالم موسكو دون أن ندرك أنها قصدت ذلك ، بل رأينا قصة لشاب جاء الى هذه المدينة لتمضية يوم واحد ، ومن خلال تتبعنا لهذه القصة المرحة واحداثها الطريفة رأينا موسكو فى صورة حية .

لماذا لم يحدث هذا في فيلمنا ؟ ! لأن الفيلم السوفييتى استند الى قصة متكاملة رغم بساطتها وبساطة فكرتها ، واستند الى سيناريو مدروس ، ولم يحاول المخرج أو السيناريست أو المصور الاتجاه نحو المظهريات أو المثيرات ... والعكس فى فيلمنا ، فالى جانب شقلبة المشاهد بلا اى مبرر والاسراع فى عرضها بلا اى مبرر أيضا ، لم نشعر بأن الفيلم وضع له سيناريو .. ان وظيفة السيناريو هى تحقيق اللغة السينمائية ، والتعبير باللغة ــ اى لغة ــ يتم على أساس تكوين جمل مفيدة ، وكذلك السيناريو لابد من أن يعبر فى مجموعه عن معنى متكامل ، ويعبر فى تفاصيله عن تفاصيل هذا المعنى فى جمل مفيدة ، بينما سيناريو فيلمنا كان عبارة عن لقطات متناثرة «ومازوقة» بجوار بعضها ، وكانت لغته أشبه «بالتهتهة» ، فالمشاهد غير مرتبة ترتيبا فنيا ، والمعانى غير مترابطة .

وحتى اذا نظرنا الى هذا الفيلم على أساس انه تسجيل لمجرد التسجيل ، فاننا نلاحظ أنه سجل مشاهده على طريقة الفوتوغرافيا ، وليس على طريقة الكاميرا السينمائية ، فمثلا المفروض انه يسجل معالم نهضتنا بعد الثورة ، وفعلا قدم بعض هذه المعالم ، ولكنه قدمها بطريقة عابرة ، وقفز بينها قفزا خاطفا ، ولم يحاول ان يظهر اثر النهضة فى التفكير ، او فى الناس .. كان يمكن مثلا أن يقارن ــ بالصورة السينمائية ــ بين الناس الذين صورهم فى البداية ، وبين الناس فى مجتمعنا الجديد ..

والفيلم استبدل بالراوى موسيقى تصويرية ، ولكن لا يمكن أن نسميها تصويرية لانها فى غاية الصخب ، وكان واضحا انها لاتعبر عن بيئتنا .

واذن فمجرد الاحتكاك بالخبرات الأجنبية لايحقق نتائجه الا لو تم هذا الاحتكاك على اسس فنية .. كان من اللازم مراجعة عمليات هذا الفيلم بشىء من التدقيق ، ولكننا لم نراجعها لأننا لانزال فى حاجة الى الاقتناع باهمية المقاييس الفنية ، وتطبيقها على كل انتاجنا ، حتى لو اشترك فى افلامنا مخرج عالمى أو مصور عالمى .

***

مسألة اخرى : الى اى مدى نستفيد من

المهرجانات السينمائية .. ان مهرجان الفيلم السوفييتى هو أول مهرجان تقيم ندوة لمناقشته ، وهذا اتجاه فى غاية الافادة ، ولكن ما هى الفوائد التى عادت علينا من هذه الندوة ؟!

أولا استفدنا من اقبال الجمهور ، ورأينا كثيرين يطلبون المناقشة ، وكثيرين قدموا أسئلة واعية ، وهذا دليل على نمو الوعى الفنى ... لم يعد من حق أنصاف المثقفين أن يقدموا أفلاما ضعيفة بحجة ان «الجمهور عاوز كده» .. ان الجمهور أصبح من الوعى ونضوج الادراك الفنى بحيث أصبح يتلهف على الافلام الممتازة بدليل أنه استقبل الافلام السوفيتية الممتازة بحماسة .

وثانيا استفدنا من كلمات السينمائيين السوفييت الذين أكدوا لنا أن السينما علم .

وثالثا استفدنا من كلمات المسئولين عن السينما عندنا ... ان المهندس صلاح عامر ألقى كلمة أشار فيها الى اهمية العلم فى السينما ، والى ضرورة الثقافة لممارسة الفن السينمائى .. والمهندس عز الدين فؤاد تحدث فى كلمته عن اهمية التخطيط السينمائى ، وعن ضرورة بحث مشكلاتنا السينمائية على أسس علمية ... وصلاح أبوسيف تحدث فى كلمته عن خصائص السينما السوفيتية وضرورة الاستفادة منها كمدرسة للواقعية الاشتراكية فى السينما ... وأشار الى بعض الاسباب التى ادت الى ارتفاع مستوى الفيلم السوفيتى ، ومنها أن السينمائيين السوفييت مثقفون جميعا ، وكلهم تخرجوا من المعاهد الفنية ، وكلهم تدربوا فى الاستوديوهات تدريبا علميا وعمليا .

ان هذه هى آراء كبار المسئولين عن السينما عندنا . فلماذا لم تتحقق فى أفلامنا ؟ .

***

الحقيقة أن رواسب التخلف السينمائى لاتزال مترسبة فى استوديوهاتنا ... ولايزال يعمل فى هذه الاستوديوهات عدد كبير من الارتجاليين ، ومن ذوى العقول المتخلفة ، فكيف نصحح هذا الوضع ؟ ! بالمنهج العلمى أيضا .. ان المسئولين عن السينما وضعوا تخطيطات سليمة ،ولكن كيف يمكن تنفيذها اذا كانت الرواسب موجودة ؟!

اننا فى حاجة الى تغيير التفكير السينمائى .. ان التفكير الناضج فى السينما السوفيتية هو الذى خلق من طفل بطلا فى فيلم (اشتريت ابا) وهو الذى وجه أفلامهم الى القصص الانسانية ، وهو الذى صنع من الافكار البسيطة أفلاما ، وهو الذى مكنهم من ممارسة فن الأبرا على شاشة السينما ، وهو الذى سمح لهم بتقديم تفسيرات جديدة لروايات شيكسبير كما حدث فى فيلم « هاملت » .. اننا نخطىء اذا توهمنا ان الطفل الذى قام ببطولة فيلم (اشتريت ابا) هو طفل عادى ... وهو أيضا ليس معجزة أو أسطورة ... ان ارتفاع تفكير السينمائى السوفيتى هو الذى صنع منه بطلا ، ولهذا رأيناه فى بداية الفيلم يرتفع فوق شجرة ليرى الناس والحياة والأحداث رؤية واضحة .. والطفل يذكر هذا بأسلوب يخيل اليك انه تحول من طفل الى فيلسوف ، وهو فى خلال الفيلم يؤكد ذلك وان كانت تصرفاته تصرفات اطفال ... الحقيقة أن السينمائى السوفيتى هو الذى ارتفع تفكيره لدرجة أنه استطاع اقناعنا بتقديم فلسفة عميقة على لسان طفل ، بدون أى افتعال .

لنفس السبب ، أى ارتفاع التفكير ، استطاع أيضا أن يعطينا صورة جديدة لمسرحية هاملت ... لم يقصد تجديدها لمجرد التجديد ، بل لأنه نقلها من المسرح الى السينما ، فكان لابد من أن يقدمها باللغة السينمائية .

ان أهم ما نحتاج اليه هو تغيير التفكير ... هو نقل السينمائيين من مرحلة التفكير المتخلفة الى مرحلة التفكير المتقدم .. وعندئذ نواجه مشكلاتنا السينمائية بفهم وندرك ضرورة استخدام المقاييس العلمية .

لو استخدمنا هذه المقاييس لما تأخر تنفيذ التخطيط السينمائى عن التخطيط نفسه ، ولما سمعنا آراء ناضجة بدون تطبيق ، ولما سمعنا اديبا مثل نجيب محفوظ يتعرض لمشكلة النقد الفنى بهذا التسرع الذى لا نتيجة له غير تفتيت المشكلات وترك المشكلات الرئيسية التى تحتاج الى دراسات عميقة ، والاتجاه الى مشكلات فرعية تدخلنا فى جدل سوفسطائى .

عبد الفتاح البارودى

الكتب
نقد وتعريف

يقدمه : تحسين عبد الحى

الميثاق الوطنى
قضايا ومناقشات

مادمنا نعمل الآن على تجسيد حصيلة تجربتنا السياسية والاجتماعية – على المستوى الجماهيرى – بخلق وتدعيم التنظيمات الملائمة لكى تباشر عملها وتتحمل مسئولياتها فى نطاق الاتحاد الاشتراكى العربى .. وما دمنا نعمل على تدعيم مبدأ الحوار الداخلى والمناقشات المفيدة البناءة . فانه من المفيد حقا أن نحاول هنا طرح بعض القضايا التى نؤمن باهميتها وحيويتها فى الوقت الحاضر . ليس لأنها من الأمور الخافية عنا ولكننى أود التركيز عليها ..

ابتداء نحن نؤمن بضرورة بعث الحياة فى التنظيمات القائمة فى داخل الاتحاد الاشتراكى العربى – ولكى نوفر لهذه التنظيمات المناخ السياسى والفكرى المناسب – الذى يزيد من مقدرتها على العمل – يجب اولا ان ننقى هذا المناخ السياسى من كل الشوائب الفاسدة والمتعفنة .. واول هذه الشوائب فى رأيى هو تلك الواجهات التقليدية التى ما زالت تتحكم فى كل ما يتصل باى عمل سياسى فى بلادنا .

ان هذه الواجهات التقليدية تنتمى بحكم ثقافتها وتكوينها النفسى الى مقاييس يرفضها مجتمعنا بشدة – وطالما ان هذه الواجهات التقليدية تستمد وجودها اصلا من مقدرتها على الهتاف والتصفيق وباصوات عالية – فانها – اى هذه الفئة تريد أن تحول العمل الشعبى الى مجرد سرادقات ضخمة وهتافات حماسية – والأخطر من ذلك كله ان هذا السلوك الرجعى قد وجد هوى لدى بعض المتصدرين للعمل الشعبى – وخاصة فى الأقاليم – والذين يضعون أنفسهم فى مرتبة أعلى من مرتبة المؤاخذة والحساب .. لقد أتيح لى ان ارى بعض ما أكتب عنه فلم اجد ممن يتصدرون للكلام الا اجترارا مملا لمنجزات شعبنا فى مرحلة نضاله البطولى ضد الاستعمار ويعقب ذلك بالطبع تصفيق مشفوع بالرهبة ممن يتكلمون نتيجة لما يحيطون به أنفسهم من مظاهر الأبهة والعظمة والتعالى .. فكيف اذن تتم أية مناقشة فى هذا الجو المظهرى الفاسد ؟

ان هذه الواجهات فى حاجة الى ان تهز - اقول تهز لكى تؤمن الجماهير باننا لم نقض على طبقة الاقطاعيين والرأسماليين لنستبدل بها طبقة جديدة هى فى سلوكها وتمسحها بالافكار الثورية اخطر بكثير من الطبقة القديمة ..

واذا كانت هذه الأشياء التى ذكرتها موجودة ونستطيع اصلاحها وتتخذ الآن - بالفعل - الخطوات اللازمة للتقليل منها تمهيدا للقضاء عليها .. فاننا نرى أن المستقبل يحمل معه تساؤلا آخر يجب أن نواجهه بشجاعة ..

لقد قلت فى العدد الماضى من الرسالة .. انه قد أصبح ضروريا بل وهاما ان تؤمن القوى الاشتراكية العربية التى تضع نفسها فى أقصى اليسار باهمية انتمائها الى الحركة العربية الواحدة التى يمكن لهذه القوى أن تكون جزءا مكملا لها ...

اننا نؤمن بوحدة شعبنا من المحيط الى الخليج انطلاقا من قول الميثاق الوطنى « بأن مسئولية الجمهورية العربية المتحدة فى صنع التقدم وفى تدعيمه وحمايته تمتد لتشمل الامة العربية كلها .. » ويؤمن شعبنا بان كل تقدم على طول الجبهة الداخلية انما هو تدعيم لابد منه لجبهتنا القومية - فى طريقها الموصل الى الوحدة الشاملة ..

وكذلك يؤمن شعبنا بان الوجود اليهودى الغازى لارض فلسطين انما هو عمل من أعمال السلب الذى تم فى غفلة من الزمن - ويجب القضاء عليه وسحقه بلا هوادة ...

صحيح ان فكرنا القومى بشمول نظرته وعمقها يرى أن القضاء على الاستعمار هو بمثابة تقويض للوجود اليهودى الغازى .. ولكن يجب أن تتطهر هذه القوى التى أتحدث عنها من افكارها التقليدية التى كانت تنادى بتحالف اليهودية العالمية - وخاصة الفلاحين والعمال - فى داخل اسرائيل مع الحركة العالمية لمناهضة الاستعمار وخاصة بعد أن ثبت فشل هذه النظرة اذا ما اخذنا فى اعتبارنا أن الحزب الحاكم فى اسرائيل هو حزب الماباى (العمال) بما يقترفه من آثام واعتداءات دموية مستمرة ..

ولقد ذكرت هذا فقط على سبيل المثال لا الحصر لآراء ومعتقدات يجب التخلى عنها فورا .. اننا وحدويون وقوميون نرفض التجزئة ونرفض كذلك تنمية النزعات الاقليمية والشعوبية ولا تحمل دعوتنا الى الوحدة القومية اية عنصرية أو استعلاء وانما وحدتنا التى ندعو اليها - هى وحدة ذات مضمون تقدمى هادف وذات محتوى انسانى شامل - بقيمها ومعتقداتها الروحية والمادية .. وقد أطلت فى هذا العرض قليلا ولكننى بعد ذلك أود أن أقول : ان القوى الاشتراكية العربية التى تضع نفسها فى أقصى اليسار - ليست مطالبة بتقديم كثير من الصياح الأجوف لاثبات ولائها تمشيا مع ردود الفعل النفسية ... ولكنها مطالبة بالنظر الى نفسها من داخل النضال القومى الوحدوى بمحتواه التقدمى - وليس تسلقا لنضالنا القومى أو تحالفا - كتكتيك مرحلى - وانما ايمانا به - بغير حدود .. حتى لا يكون هناك مجال لأية نكسة فى المستقبل ..

***

وكتاب اليوم - الميثاق الوطنى قضايا ومناقشات - الذى ألفه المفكر الاشتراكى العربى لطفى الخولى .. هو كتاب يحمل وجهة نظر المؤلف فى كثير من القضايا الهامة .. ولطفى الخولى احد أولئك الذين تحملوا أمانة الدفاع عن وجهة نظرهم - وهو كذلك من المفكرين الذين واتتهم الشجاعة على تطوير معتقداتهم بالصورة التى تتفق وحركة مجتمعهم التقدمى المتطور .. ان الاخلاص للعرض والمناقشة - ثم تعدى ذلك الى تقديم الحلول ، هى صفات عندما تتوفر فى كاتب مفكر .. تفرض على الجميع - حتى أولئك الذين يختلفون معه فى بعض آرائه - نوعا من الاحترام .. الذى لا بد أن يكون قائما بين وجهات النظر المتباينة - وخاصة عندما يكون رائدها الأول - هو تحقيق المزيد من الاجتهادات الواعية لصالح الفكر العربى المعاصر ..

***

ويقارن المؤلف بين الأساس النظرى للفكر الامبريالى وبين شبيهه فى الفكر الشيوعى ثم بين الاثنين والميثاق الوطنى كدليل للثورة العربية فى مصر فيقول : -

« بالنسبة للثورة البرجوازية التى ولدت النموذج الرأسمالى كان الدليل هو « اعلان حقوق الانسان والمواطن » الذى تمخض عن الثورة الفرنسية البرجوازية فى ٢٦ أغسطس ١٧٨٩ . وهو الدليل الذى صار أساسا لبناء كل مجتمع رأسمالى يقدس حرية الملكية الخاصة « كحق مقدس من حقوق الانسان الطبيعية الثابتة ، غير قابل للنقض » .

اما بالنسبة للثورة الاشتراكية التى انبثق عنها النموذج الاشتراكى الشيوعى فقد كان الدليل هو للبيان الشيوعى الذى أصدره ماركس وانجلز فى يناير عام ١٨٤٧ بتفويض من « جمعية الشيوعيين الدولية » ، موضحا أن طريق الخلاص من دكتاتورية البرجوازية هو تنظيم البروليتاريا فى كيان موحد للقيام بالثورة ضد البرجوازية وتحطيمها واستيلاء البروليتاريا بعد ذلك على السلطة السياسية لتقيم مجتمعها الشيوعى ..

اما اذا نظرنا الى النموذج الثالث الجديد الذى نبع عن الثورة الوطنية الجديدة ، حيث يلتحم التحرر القومى مع التغيير الاجتماعى ، نجد أنه قد افتقر الى دليل نظرى للعمل يحدد السمات الرئيسية للبناء الاجتماعى والسياسى وأهدافه ودوره .

ولقد كان هذا الافتقار ناجما عن جدة التجربة وحداثتها ، وكان لا بد من مرور وقت تتبلور فيه الخطوط الجوهرية للنموذج وحساب الخطأ والصواب ومدى الاصالة والعمق والتجاوب مع الظروف التاريخية ـ قبل أن يتبلور عن هذا كله دليل عمل لهذه الثورة الوطنية الجديدة وهكذا مرت عشر سنوات قبل أن يبرز الى حيز الواقع ميثاق العمل الوطنى كدليل لهذه الثورة وذلك فى عام ١٩٦٢ .

واذا كان هذا الميثاق قد صدر عن واقع التجربة المصرية أصلا ، الا أنه فى الحقيقة يحمل السمات العامة المشتركة لجميع تجارب الثورات الوطنية الجديدة فى العالم ، ولم يكن صدوره فى مصر بالذات مجرد صدفة وانما كان هذا أمرا طبيعيا بحكم ان التجربة المصريةهى فى الواقع اقدمالتجارب المماثلة نسبيا وأكثرها عمقا وشمولا وأعظمها تأثيرا على منطقة الشرقين الأوسط والأدنى عموما والوطن العربى بصفة خاصة .

ويلخص الكتاب الخطوط الرئيسية للميثاق الوطنى فى نقاط منها : ـ

ان طبيعة الثورة الوطنية الجديدة طبيعة مزدوجة فهى تحررية قومية واجتماعية فى آن واحد . تحمى استقلالها وتدعمه ايجابيا باقتصاد وطنى متحرر وفى ذلك يقول الميثاق : ـ

« ان الشعب المصرى خاض معركة التحرير ضد الاستعمار ، ولم تخدعه المظاهر وحرص طول المعركة على أن يعزل من صفوفه كل الذين ترتبط مع الاستعمار مصالحهم فى مواصلة الاستغلال » .

وتختار الثورة الوطنية المزدوجة طريق الثورة لا الاصلاح وهو طريق تغيير أسس المجتمع القديم بأسس جديدة أكثر تقدمية وتحررا .

وهنا يقول الميثاق : ـ

« لقد اثبتت التجربة ، وهى ما زالت تؤكد كل يوم ، أن الثورة هى الطريق الوحيد الذى يستطيع النضال العربى أن يعبر عليه من الماضى الى المستقبل . »

وعندما يرفض الفكر الثورى طريق التنمية على الأسس الامبريالية يفسر ذلك ميثاقنا الوطنى عندما يقول : ـ

« ان رأس المال فى تطوره الطبيعى فى البلاد التى ارغمت على التخلف لم يعد قادرا على أن يقود الانطلاق الاقتصادى فى زمن نمت فيه الاحتكارات الراسمالية الكبرى فى البلدان المتقدمة اعتمادا على استغلال موارد الثورة فى المستعمرات » .

كما يقول الميثاق : ـ

« ان الجزء الأكبر من الخطة ـ خطة التنمية الاقتصادية ـ يجب أن يقع على القطاع العام الذى يملكه الشعب بمجموعه » .

وفى نطاق الوحدة الوطنية بعناصرها وطبيعة ممارستها للعمل يقول الميثاق : ـ

« ولا بد أن ينفسح المجال ديمقراطيا للتفاعل الديمقراطى بين قوى الشعب العاملة وهى الفلاحون والعمال والجنود والمثقفون والراسمالية الوطنية . ان تحالف هذه القوى الممثلة للشعب العامل هى البديل الشرعى لتحالف الاقطاع مع رأس المال المستغل وهو القادر على احلال الديمقراطية السليمة محل ديمقراطية الرجعية » .

وتنبع اهمية الميثاق من أنه يعطينا دليلا للعمل فى هذه المرحلة من تاريخنا .. ومن هنا ، يصبح الميثاق بين أيدينا ، بمثابة « بوصلة سياسية واجتماعية » تهدى خطوات مسيرنا علىالطريق متخطين ما يواجهنا من عقبات أو مقاومة نحو هدف هذه الثورة ، لنصل فى أسرع وقت وبأفضل ظروف وبأقل تضحيات ممكنة الى الهدف .

ويتحدث الكتاب عن وحدة الوطن العربي – كما يصفها المؤلف – بأنها الأساس الثالث للاستراتيجية البعيدة المدى فيقول : « من الواضح على ضوء التجربة المصرية السورية أن الميثاق قد حرص على أن يفسح لها الفرصة الكاملة كي تنضج نضجا طبيعيا خلال الدعوة السلمية بكل ما تضمنه من مفاهيم تقدمية • ولهذا نراه – أي الميثاق – قد أكد في حديثه عنها بالباب التاسع • « ان استعجال مراحل التطور نحو الوحدة يترك من خلفه – كما أثبتت التجارب – فجوات اقتصادية واجتماعية تستغلها العناصر العادية للوحدة كي تطعنها من الخلف » •

وقد طالب الميثاق القوى الوطنية التقدمية في مصر ، بأن تفتح مجال التعاون بين جميع الحركات الوطنية التقدمية في العالم العربي ، وبأن تتفاعل معها فكريا من أجل التجربة المشتركة • »

ويفسر المؤلف مضمون الاشتراكية العربية بقوله :

« اننا وان كنا نلتزم فكريا بمبادىء الفلسفة الاشتراكية العامة الا أن تطبيقنا لها في مجتمعنا يتخذ بالضرورة طريقا عربيا نبتكر فيه من خلال مواجهتنا لمشاكلنا الواقعية وبحكم ظروفنا المادية وتكويننا الاجتماعي والنفسي أشكالا ووسائل جديدة أو خاصة لتجسيد الاشتراكية • هذه الأشكال والوسائل العربية سوف تزيد من ثراء التراث الانساني العام للاشتراكية • وهو التراث العام المملوك لجميع الشعوب دون استثناء – من حق كل شعب أن يغترف منه وأن يضيف اليه •

فالاشتراكية ، بمفهوم التراث الانساني ثورة وعلم ، يمارسان بطرق وأساليب تتفق وتتفاعل والظروف الخاصة بكل عصر وشعب • وذلك كله من أجل تغيير المجتمع وتحريره من قبضة أقلية متحكمة مسيطرة ليغدو مجتمع كل العاملين •

والاشتراكية كذلك تعتبر نبتا حديثا أصيلا لنضال الانسان التاريخي في واقعه الاجتماعي من أجل السيطرة على الطبيعة ومواردها من جانب ، وعلى مصيره وعلاقاته مع الأشياء والناس من جانب آخر •

ويقول الكتاب : –

اننا نقع في خطأ شديد لو تصورنا الاشتراكية مذهبا يتجمد داخل قوالب وأوضاع محددة تنطبق انطباقا أعمى على كل مجتمع في كل زمان ومكان ، كما لو كانت المجتمعات الاشتراكية صورا بالكربون لنموذج أصلي ثابت في الذهن أو في ارشيف التاريخ •

ان الاشتراكية هي علم تغيير المجتمع الانساني وتطويره •• بيد أن العلم لا يمطر حلولا جاهزة للمشاكل في أي مجتمع • انه فقط مجرد وسيلة •• مجرد مفتاح تفتح به أبواب المشاكل المستعصية ذات الطبائع المختلفة ومن هنا تختلف الحلول من مجتمع لآخر نتيجة اختلاف نوعية وطبيعة المشاكل الرابضة وراء الابواب المغلقة • وهذا يستتبع بالضرورة اختلافا في التجارب والأنظمة • ومن هنا كانت عملية نقل نظام أو تجربة من مجتمع معين وفرضها أو الباسها لمجتمع آخر ، أمرا لا يمت للاشتراكية ، بصلة ، بل لعله ، دون أدنى مبالغة في التعبير ، خيانة للاشتراكية بفلسفتها وقوانينها العامة •

واذا كنا نريد أن نحقق ثورتنا الاشتراكية في الاقتصاد والسياسة والفن والادارة وغيرها •• فواجبنا الأساسي أن نعمل بوعي على احداث تغييرات كمية في كل مناحي حياتنا ، تطور باستمرار ظروفنا الثورية وتجعلها صالحة لبناء الاشتراكية •

والمنهج الاشتراكي لا يرى الثورة أو التطور في أي مجتمع الا نتاجا طبيعيا لصراع الاضداد والقوى الاجتماعية والسياسية المتناقضة داخل المجتمع نفسه أساسا • فلا يتصور بالتالي امكان احداث تطور أو ثورة في مجتمع ما عن طريق تأثيرات ظروف خارجية فحسب ، مهما كانت قوتها • فالثورة لا تصدر كالبضائع من مجتمع الى مجتمع وانما تزهر كالنبات من باطن ارض الواقع •

تحسين عبد الحي

رسالة العلم

الشمس كمصدر للطاقة

بقلم : عبد المنعم أبو السعود

الشمس دالة على قدرة الله وشاهدة أبدا على عظمة خلقه ، تسطع فى السماء وترسل أشعتها لتغمر الأرض وغيرها من الكواكب • وقد بهرتنا هذه الأشعة منذ بدء الخليقة كما أوحت الينا بما جعلها محل التقديس ، ولقد أدرك الانسان منذ القدم أنها تظهر نهارا فتكون مصدر الدفء والضوء فاذا ما اختفت ليلا ذهب الضوء والدفء معا من على الأرض • لكنها بارادة من الله ترسل ضوءها على سطح القمر ليقوم بعكسه على الأرض ليضيء لنا ظلمة الليل •

والانسان بعقله دائب التدبر فيما حواليه وقد ادرك من مشاهداته أن للشمس أثرها على الحيوان والطير والنبات • ويوم أن كان عقله قاصرا بهره سرها فعبدها من دون الله • وقد تحدث بذلك القرآن وكذلك يحكى لنا التاريخ أنها سحرت فراعنة مصر فاذا بأحدهم يغير اسمه ويضيف اليه اسم الشمس يمنا وبركة •

ورغم أن التوحيد محا وثنية الكثير طبقا للرسالات السماوية التى جاء بها الرسول فقد حرص الانسان على تسجيل ادراكه لأثر الشمس فاذا به يطلق على نبات اسم يعبر عن عقيدته القديمة فيسميه « عباد الشمس » ذلك لأن لهذا النبات خاصية اتجاه زهرته نحو قرص الشمس والدوران معها فاذا ما اختفت انطوت اهداب الزهرة بعد تفتح وتظل كذلك الى أن تعود الشمس للاشراق فى اليوم التالى فتعود الزهرة للتفتح ثانية •

ونحن لا نريد أن نسترسل فى آثار الشمس وانما سقنا هذه المقدمة تذكرة للقارىء بتسلسل التفكير فقط ولننتهى به الى ما سنقصه عليه من جهود الانسان لتسخير الطاقة الشمسية لخدمته أسوة بغيرها من هبات الطبيعة الأخرى وظواهرها •

لقد كشف الانسان المعادن واستغلها منذ القدم وكذلك استغل الفحم والبترول عقب كشفهما ثم عرف الكهرباء واستولدها من الآلة ومن منحدرات الماء وكل طاقات الوقود هذه هى التى تسير الآلة وتستخدم فى الصناعة وقد تقدمت الآلة والصناعة وكذلك تقدمت المدنية • لكن رغم هذا التقدم لم يغفل الانسان الشمس فقد حوى التاريخ أيضا محاولات ناجحة قام بها ، بدأها قدماء المصريين الذين استغلوا ضوءها فى انارة مقابرهم عن طريق استقبالها على سطح لامع يعكس الأشعة والضوء داخل المقبرة • وكذلك تلاهم ارشميدس الذى أحرق سفن أعداء بلاده فى معركة « سيراكيز » بأن قام بعكس الشمس بواسطة المرايا عليها • وقد كان عمله هذا وحيا من بعده أرشد « بوفون » عام ١٧٤٥ ليقوم بتجربة اشعال الخشب عن طريق المرايا وقد نجح فعلا فى اشعاله من مسافة ٦٠ مترا مستخدما فى ذلك ١٤٠ مرآة مسطحة • وفى نهاية القرن الثامن عشر نجد أن العالم الفرنسى «لافوازيه» ينجح فى تجربة اقامة فرن مزود بعدستين قطر الواحدة ١٫٣ متر وحصل عن طريقه على درجة حرارة عالية وصلت الى ١٥٠٠ درجة مئوية • وفى أوائل القرن التاسع عشر وبعد أن تقدمت علوم الانسان اتجه التفكير نحو تحويل الطاقة الشمسية الى حركة أى الى طاقة ميكانيكية • وقد جرت عدة تجارب من هذا

النوع من بينها ما قام به « شومان » بالقرب من القاهرة في ضاحية المعادى اذ اقام محطة امكنه أن يدير بها طلمبة قدرة مائة حصان ميكانيكي .

وقبل أن ننتقل الى ما يدور اليوم من أبحاث على الطاقة الشمسية لا بد من أن نعرف شيئا عن سبب الاتجاه نحو استغلال هذه الطاقة .

لقد كانت الحياة في الماضي سهلة ميسرة لاسعاد الناس جميعا ، ذلك لأن التعداد لم يكن بهذه الكثرة وكانت الأراضي الزراعية كافية لاثبات ما يحتاج اليه السكان وكانت الطاقات التي يمكن الحصول عليها من الفحم والبترول والكهرباء كافية وفوق الكافية لاحتياجات الناس جميعا ولكن مرور الزمن ادى الى انتقاص الخامات التي تمدنا بالطاقة فالفحم والبترول في تناقص رغم أن عدد السكان في تزايد مستمر وهذا يستدعي زيادة مطالبهم وكلما ازدادت المطالب ازداد طلب الطاقة التي تنتجها على ان نقص الطاقة لا يسير في نسبته وفق المعدل الذي كان يحتاج اليه الفرد قديما بل يزيد طبقا لتقدم المدنية فالرفاهية التي تطلبها الشعوب اليوم والتي أصبحت طابع العصر الحالي تتطلب قيام الصناعة وبالتالي تتطلب زيادة الطاقة المستهلكة ، وكل هذا يقطع بأن معينها سينضب .

من أجل ذلك كان لا بد ان يتجه تفكير الانسان نحو مصدر آخر من مصادر الطاقة . وفعلا اتجه نحو استخلاص الطاقة الذرية ، وقد سار في هذا الاتجاه نظرا لتقدم حصيلته العلمية . ولكنه رغم هذا أخذ أيضا يفكر في استغلال الطاقة الشمسية . ولعله من المفارقات التي تدعو للدهشة أن يفكر الانسان في استغلال الطاقة الشمسية أخيرا رغم أنها عاشرت جنسه منذ وجوده على الأرض وفي نفس الوقت الذي يقوده تفكيره وتقدمه العلمي لأن يستخلص الطاقة من الذرة .

على اني ارجح ان السبب في هذا راجع لسببين جوهريين أحدهما عدم حاجته قديما للبحث عن مصدر جديد للطاقة لكفاية ما كان لديه ولما كان يحوط الشمس لديه من قدسية ، وثانيا لانه اليوم يبحث عن الوسائل الاقتصادية التي تحقق له مطالبه باقل التكاليف . واستخدام الذرة مسألة تتطلب الوفير من المال ، وهو لا يتوافر لدى كثير من الشعوب خصوصا النامية منها ، فهذه قد تفضل اقامة المدرسة والمستشفى والمصنع على انشاء المفاعل الذرى ثم هي تولى الخدمات الكثير من عنايتها لتبعث في الشعب الثقة بنفسه ليقف على قدم المساواة مع غيره من الشعوب ، ولما كانت الشمس دائمة الظهور في سماء الدول النامية وهي مصدر مجاني للطاقة فان الابحاث التي تدور على الانتفاع بطاقتها تجد تشجيعا وتغرى الكثير من العلماء على القيام بها . فلا شك أن النجاح في هذا المضمار سيمكن تلك الدول من السير السريع نحو اللحاق بركب الحضارة ويحقق لشعوبها الرفاهية التي تنشدها دون أن يقف ضعف المورد حائلا دون هذه البغية . ولا شك انه يوم يتم التصنيع عن طريق محركات تدار بالطاقة الشمسية فان سعر التكلفة سيقل ، لأن تكاليف الوقود تنعدم وبذلك ينخفض سعر التكلفة الانتاجية .

والآن كيف نستعمل الطاقة الشمسية ؟

تظهر الشمس نهارا فقط ولذا فان استغلالها لن يكون الا نهارا . على أننا نلاحظ ان حالتها في النهار أيضا تختلف في يوم عنها في الآخر فاذا وجدت فرصة الظهور بأن كانت السماء صحوة فان أشعتها تصل الى الارض وأما اذا حجبتها السحب فانها تحول دون وصولها الى الأرض . وتبعا لهذه المشاهدة الواقعية فان أشعة الشمس يمكن أن نقسمها طبقا لذلك الى نوعين .

فعندما تكون السماء صحوة وتصل الأشعة الشمسية الى الأرض نسميها « الاشعاع المباشر » فاذا تلبدت السماء فان الاشعاع يسمى « الاشعاع غير المباشر » على أننا نستغل الشمس في الحالتين .

ففي حالة الاشعاع المباشر نحصل على الطاقة الشمسية بتوافر الآتي :

١ ــ مرآة عاكسة تعكس ضوء الشمس وتكون اما مسطحة أو دائرية او اسطوانية مقعرة ويمكن أن يحل محل المرآة بكافة صورها وبنفس هذه الصورة أي سطح لامع يؤدي وظيفتها من تجميع الاشعة وتركيز الضوء في مساحة محدودة .

٢ ــ سطح مستقبل يوجد في المساحة المحدودة المراد سقوط الأشعة عليها . وهذا السطح يجب أن تتوافر فيه خاصية الامتصاص حتى يخترق الاشعة ويبعث بها الى الجهاز المتحرك الذي يقوم بدوره بتحويلها الى طاقة من النوع المرغوب فيه ، أما في حالة الاشعاع غير المباشر فان العملية تتطلب منا ما يلي :

١ ــ سطح زجاجي يوضع مائلا على سطح الأرض وفي اتجاه متعامد مع الشمس ، وتحدد زاوية الميل

بالتجربة التى تكشف عن مقدار الزاوية التى يمكن بواسطتها الحصول على أكبر جهد ، ويشترط ان نطى السطح الزجاجى تغطية محكمة حتى لا تتسرب منه الأشعة • كما يشترط أن يكون الزجاج شفافا بحيث يسمح بنفاذ الأشعة الساقطة عليه كلها وعلى ذلك اذا استبدل الزجاج بمادة أخرى كرقائق البلاستيك فانه يشترط فيها أن تكون شفافة أيضا •

٢ ـ سطح مستقبل بنفس الشروط الخاصة بالمستقبل فى الاشعاع المباشر •

٣ ـ الجزء المتحرك الذى يقوم بتحويل الأشعة الى نوع الطاقة المطلوب •

ومن مراقبة هذين النوعين يستطيع الفاحص أن يدرك الفرق بينهما • فالنوع الأول وهو الذى يجمع الاشعة المباشرة يعطى درجات حرارة عالية ولذا فانه يستخدم فى صهر المعادن وتنقيتها من الشوائب وكذلك لتوليد البخار للأغراض الصناعية وكذلك فى كل العمليات التى تحتاج لدرجة الحرارة العالية •

على أن حساب درجة الحرارة نظريا بالنسبة للطاقة الشمسية جاء مختلفا عما أسفرت عنه التجربة ، فقد قالت الأرقام انه يمكن الحصول على درجة ٤٥٠٠ مئوية فى حين اعطت التجربة ٣٥٦٠ درجة مئوية فقط • أما سبب هذا الاختلاف فراجع أساسا الى جهلنا بالوسط الذى تمر فيه الأشعة من وقت خروجها من الشمس الى أن تصل الى الأرض • فان كل معلوماتنا عن هذا الوسط بدائية مبنية على الرصد من الارض وهو لا يصلح لأن يعطى فكرة صحيحة عن المسافة الشاسعة التى بين الارض والشمس ولهذا كانت معلوماتنا هذه لا ترقى الى صلاحية استنباط أحكام منها • لكن من حسن حظ البشرية أننا توصلنا الى صناعة الاقمار الصناعية وعن طريقها سنعرف الكثير عن تكوين الفضاء ويومئذ ستعطى النظريات النتائج الصحيحة التى تطابق التجارب كما توضح اسباب الاختلاف بينهما ان وجدت •

أما النوع الثانى وهو الاستفادة من الاشعاع غير المباشر • فانه صالح للأغراض التى لاتحتاج لدرجات الحرارة العالية ، بل لا بد لها من درجة حرارة منخفضة ، وهذا النوع هو المستعمل فى كافة الأغراض المنزلية وقد أمكن فى القاهرة الحصول على درجة حرارة منخفضة وصلت الى ١٨٠ درجة مئوية لهذه الأغراض •

والطاقة الشمسية يمكن الاستفادة منها بتحويلها الى : ١ ـ طاقة حرارية ـ ٢ ـ طاقة حركية •

فالطاقة الحرارية هى التى تتكفل لنا بالحصول على الحرارة من الأشعة الشمسية دون تحويلها الى أى طاقة أخرى • واظهر مجال لاستعمال هذه الطاقة هو الاعمال المنزلية كالطهى وتسخين المياه وما شاكلها •

أما الطاقة الحركية فهى التى تستعمل فى ادارة المحركات عن طريق الحصول على بخار ماء فى درجة الغليان ويقوم هذا البخار بدفع الآلة وادارتها •

وبعد ، فللطاقة الشمسية ميزات تميز بها غيرها من كافة انواع الوقود واليك أهمها :

● فهى ليس لها مخلفات من الكربون كما لاتنبعث منها غازات سامة كاول وثانى أكسيد الكربون •

● وليست لها قيمة استهلاكية ، اذ لا تكلف المستهلك نقودا كما هو الحال فى أنواع الوقود الاخرى كما انها معين لاينضب •

● لا خطر من استعمالها ولن تحدث حرائق بعكس غيرها من المواد المستعملة فى الوقود •

● لا يفقد الطعام الذى تنضجه لونه وكذلك لا تفقد المواد التى تجففها أى جزء من الفيتامينات التى بها •

● وامامنا الآن ابحاث طويلة تحتاج لصبر وجهد لكى نصل منها الى الطريقة التى تمكننا من الاعتماد على الطاقة الشمسية كمصدر من مصادر الطاقة • فالكمية التى تصل الى الأرض من أشعة الشمس وفيرة وفوق حاجة كافة المخلوقات التى لها بها صلة ومعنى هذا ان استخدام طاقتها لا يؤثر على حاجة المخلوقات من الشمس •

وامامنا ايضا عقبة هامة يجب أن نتخطاها أن أردنا ان نرتكن على الطاقة الشمسية ، وهى كيفية التغلب على ظواهر الطبيعة التى تحجب الأشعة عنا • وحتى الشمس الظاهرة التى ترسل اشعتها الينا نحن فى حاجة الى الوصول الى معرفة طريق يمكن بواسطته تخزين اشعتها بحيث تعطى الطاقة اللازمة لنا ليلا •

ويوم نعرف كيف نتغلب على السحب فلا تعوق حصولنا على الطاقة الشمسية ونعرف كذلك الطريقة الى تخزين الطاقة نهارا بحيث يمكن استخدامها ليلا، يوم نصل الى هذا وذاك تكون الشمس قد أصبحت وسيلة صالحة لانتاج الطاقة ويمكن الاعتماد عليها لتقوم بتقديم الخدمات التى نحتاج اليها على نطاق الاستعمال اليومى الكامل •

أما ما هى استعمالاتنا للطاقة الشمسية فى حياتنا اليومية فسأعود اليها ان شاء الله فى مقال آخر •

عبد المنعم أبو السعود

قراءات في المجلات العربية

يقدمه: محمد العوانى



● دليل اتهام جديد لمجلة « حوار » :

مجلة حوار التى تصدر فى بيروت عن المنظمة العالمية لحرية الثقافة لم يعد يخفى على أحد أنها تخدم الاستعمار والصهيونية ، فقد أعلن ذلك كثير من الكتاب فى الجمهورية العربية ولبنان على صفحات الجرائد والمجلات التى تنشر هنا وهناك ، لما تكشف لهم من اتجاهاتها المريبة وأهدافها اللاقومية ٠ وقد كان يكفى هذا دليلا لكبار كتابنا على منحى هذه المجلة فيحجمون عن التعاون معها مادامت الشبهات قد حامت حولها ، بدلا من ان يتصدوا للدفاع عنها

ونحن نضيف هنا الى سلسلة الدلائل التى أدانت هذه المجلة ودمغتها دليلا جديدا آخر يؤكد بجلاء سوء نيتها ويكشف عن مراميها ٠

ان الدكتور سهيل ادريس رئيس تحرير مجلة « الآداب » اللبنانية الذى زار الجمهورية العربية المتحدة بمناسبة أسبوع الكتاب العربى الثانى أدلى بحديث الى جريدة الجمهورية فى عددها الصادر بتاريخ ٢٦ نوفمبر ١٩٦٤ كشف فيه حقيقة هذه المجلة وحقيقة المنظمة التى تصدرها اذ قال بالحرف الواحد فى الصفحة العاشرة :

« ان حقيقة هذه المجلة أصبحت واضحة ٠٠ فالمنظمة التي تصدرها وتصدر غيرها من المجلات الاجنبية تتبنى اتجاهين معروفين :

الاول ـ محاربة كل ما هو ماركسى أو شيوعى ٠

الثاني ـ افساح المجال واسعا فى مجلاتها الاجنبية للدعاية الصهيونية والدفاع عن اسرائيل ٠

وان لنا موقفا واضحا من هذين الاتجاهين ، فبالرغم من أننا لا نتبنى الفكر الماركسى فليس من أهدافنا الرئيسية محاربته والوقوف فى وجهه ٠٠ ان موقفنا منه موقف موضوعى واضح ، لاموقف منحاز كما هو موقف « حوار » ومنظمتها ٠

وأما علاقة المنظمة بالصهيونية فتثبتها المقالات الكثيرة التى نشرت فى « انكونتر » و «بريف» وهى مجلات تصدرها المنظمة بالانجليزية والفرنسية ٠

ومن الممكن الا يجد القارئ فى « حوار » هذا الاتجاه،ولكنا على أى حال لايجد فيها دعما ولا تأييدا لأية قضية من قضايانا القومية الكبرى بل هو يجد فيها بعض الأبحاث التى تشتم منها رائحة تأييد مصالح الاستعمار ٠٠هذه المصالح التى غالبا ماتقف الصهيونية وراءها ، وقد لقى موقفها من مجلة « حوار » تعاطفا كبيرا من الأدباء العرب فامتنع أكثرهم عن التعاون مع المجلة » ٠

هـذا ماقاله الدكتور سـهيل لجريدة الجمهورية خاصا بهـذه المجـلة ، ولا أظن بعد أن تكشفت هذه الحقائق وأصبحت واضحة لكل ذى عينين ـ أن يأتى كاتب كبير كالدكتور ابراهيم مدكور أو غيره ليجعل من نفسه محاميا عنها ويقدم من المبررات الواهية ما يثبت عكس ماذهب اليه الكثيرون من ادانتهـــا واتهامها ، وما يقوله الدكتور ابراهيم مـــدكور فى دفاعه عنها من انها تعالج كثيرا من المسائل العربية والمواضيع الهامة ، فاننا نحيله الى العدد الثانى عشر ليقرأ فى مقال نشرته بعنوان « حياة موسى » هـذه العبارات :

« ان عزل المومسات فى مباغ خاصة يدل عـــلى عقلية تشبه عقلية القرون الوسطى ، فبالاضـــافة الى الجو المزعج الذى يسود مثل هـــذه البيـــوت العمومية وبشكل خاص الاحساس بالعبـــودية ، والوسائل المتبعة فى اصطياد الضحايا ، فان هـذا العزل قد ولد عند الناس عداء أصيلا تجاه المومس العمومية وتجاه مهنتها ، فالموقف السائد بين الناس تجاه المومس يتصف على العموم بالنفور والاشمئزاز الراسخ ، ووصمنا للمومسات بالعار واعتبـــارنا اياهن متبوذات يستثير فيهن مشاعر الامتعـــاض والعداء بكل سهولة » .

« ان مثل هذه المواقف والمشاعر لاتؤدى بنا بحد ذاتها الى معرفة حياة المومس المهنية والاقتصـــادية والاجتماعية معرفة وثيقة ، وبالتالى فان القليل الذى نعرفه مبنى على الاقاويل أو منقل بالتحيزات المسبقة والمغالطات الشائعة » .

« ان خدمات المومسات لاتستغل بشكل جيـــد فحسب ، بل انها على مايبدو مصـــدر وافر للرزق بالنسبة لكل من يقدمن هذه الخدمات .. ولما كانت هذه مربحة الى هذه الحد فانه يحق لنا أن نكرر قول « ديفز » : بأن السؤال « الطريف ليس لماذا يمارس البغاء هذا العدد الكبيرمن النساء ؟ بل لماذا لايمارسه الا هذا العدد القليل فقط » وعلى كل يادكتـــور فمهما تكن الاسباب التى تدعو الى نشر هذا المقال فانه لايصح أن يعالج بهـذه الصورة الشائنة ، على أن الابحاث الهامة التى تنشرها فى رأى من يدافعون عنها ان هى الا ذر للرماد فى العيون تحاول به أن تخفى حقيقتها وقناعا تتستر من ورائه الى ما ترمى اليه من خدمة للصهيونية والاستعمار فهل آن الاوان ياكتابنا أن نترك التعاون مع هذه المجلة حتى نضيق عليها وعلى من وراءها الخناق ؟ أم أن بريق نقودها اللامع مازال يغرى النفوس .

(توقيع)

● **المذهب العسكرى العربي :**

هز العرب التاريخ من أعماقه ونادوه فاستجاب لهم فقبل أن يمدوا الحضـــارة الانسانية بافكارهم وعبقريتهم ومبتـــكراتهم ، انطلقـوا من جزيرتهم يبلغون الرسالة الى مختلف الأجناس والأقوام ، ولم يـــكد ينقضى القرن الأول من الهجـرة حتى كانت راياتهم تخفق فوق البلاد الواقعة بين الهند والمحيط الأطلسى وبين القفقاس والخليج العربى وترتفع فوق هضاب الأندلس مشرفة على قلب أوربا .

وما أن فرغوا من هذه الفتوحات وانتهوا من بذل الجهد والدم فى الوقائع والمعارك الحربية حتى بدءوا يوجهون جهدهم وعرقهم الى العلوم والفنون والآداب فابدعوا فيها بسرعة واتقان بمثـل ما أبدعوا فى ضروب القتـال وفنون الحرب والتكتيك وانتهوا الى خلق حضارة جديدة متميزة عن الحضارات التى جاءت قبلهم بعد أن استعانوا فى ذلك بحضارة الاغريق والروم والفرس . (١)

ومن هنا نجد « غوستاف لوبون » يقول ملخصا كتابه « حضارة العرب » : « اننا لانذكر أمة كالعرب حققت من المبتكرات العظيمة فى وقت قصير مثـــل ماحققوا ، وأن العرب أقاموا دينا من أقوى الاديان التى سادت العالم لايزال تاثيره أشد حيوية ممـــا لأى دين آخر ، وانهم أنشأوا من الناحية السياسية دولة من أعظم الدول التى عرفها التـــاريخ ، وأنهم مدوا أوربا ثقافة وأخلاقا » .

واذا كان تاريخ العرب الحضارى قد نال اهتماما كبيرا من العلماء والادباء والمؤرخين وأمـــكنهم أن يتوصـــلوا الى الـكشف عن كنوز العرب وآثارهم ومخطوطاتهم فى الشعر والنثر والقصص وفى علوم

القرآن والفقه والتفسير والاصول والشريعة والرسم والحفر والعمارة والزخرفة والرقص والموسيقى وغير ذلك من الاداب والعلوم والفنون فان تاريخهم العسكري في رأى الاستاذ هيثم كيلاني « لايزال ضائعا في غيب الزمان» فقد نشرت له مجلة المعرفة السورية ، بحثا بعنوان « في البحث عن المذهب العسكري العربي » بين فيه أن الكشف عن المخطوطات والوثائق العربية العسكرية يعتبر ضروريا لدحض الافكار والنظريات التي لاتزال تشوب تاريخنا العسكري ويوجهها الينا بعض المؤرخين والعسكريين الاجانب .

ويدعو الباحث المفكرين والمؤرخين والعسكريين العرب الى تحقيق هذه الفكرة لما تدل عليه من ان الشخصية العسكرية العربية « انما تنتظم في سلسلة مترابطة الحلقات على مدى تاريخنا منذ نشوئه حتى هذا اليوم الذي نعيشه ، وتمتد فكرة ومبدءا وخلقا من ذلك الفتى الذي اطل على الدنيا من فوق كثبان الصحراء عزيزا قاهرا الى ذلك الجندي الذي لايزال متربصا في خندقه على حدود فلسطين صابرا متحرقا الى تحرير وطنه العربي وتوحيده ليعيش قومه أعزة مسهمين في بناء الحضارة الانسانية الحديثة » .

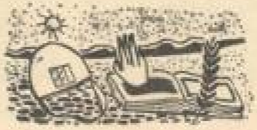
ومن جملة الكتب الكثيرة التي أعدها الباحث في المقال ـ خاصة بتاريخ العرب وبما اشتهروا به من الفنون العسكرية ـ كتاب « الفتوحات العربية الكبرى » ألفه الجنرال « جون باجوت غلوب » الذي يعتبر في نظر الغربيين خبيرا في الشئون العسكرية العربية وقد حاول غلوب في هذا الكتاب أن يشوه الوقائع « ليثير الشك في الشخصيات العربية وبخاصة القادة العسكريين منهم ، وقد استند في حملة التشويه هذه على تحليلات وتفسيرات اجتهد فيها أو وجد أثرا منها في بعض الكتب القديمة التي وضعها الشعوبيون في مختلف العصور » لذلك كان واجبنا أن نمحص تاريخنا من تلك الشوائب التي علقت بثناياه بفعل المغرضين من الاستعماريين واعوانهم حتى لانتيح الفرصة لاى مغرض كى يطعن في تاريخنا وحضارتنا .

ويضيف الباحث أن هذا العدد الكثير من الكتب التي تم طبعها في الشئون العسكرية العربية سواء أكانت لكتاب عرب أم أجانب ليست سوى روافد لنبع أصيل اذ ان المخطوطات غير المنشورة تعتبر هي النبع الذي لا يزال مجهولا لم تمتد اليه الأيدي لتخرجه الى النور كما أنها في حاجة الى من يكشف عنها ويدرسها دراسة علمية موضوعية وفق الطرائق والنظريات العلمية الحديثة في الاستراتيجية والتكتيك وغير ذلك من فنون الحرب الحديثة حتى لانترك هؤلاء الاجانب يقومون بهذه الدراسات دون أن يلتزموا بما يفرضه عليهم البحث العلمي من دقة وتجرد وجهد في التنقيب حينما يتعرضون الى بعض النواحي العسكرية أثناء سردهم أو دراساتهم للتاريخ العربي وأحداثه » .

وينتهي المقال بسرد كثير من هذه المخطوطات ويحدد الاماكن التي هي فيها .

اننا في حاجة الى أن نكشف هذه الكنوز الدفينة لندعم بذلك بناءنا العسكري الحديث ، ونضيف اليه تجارب من سبقنا من الامم اذ أن ماحدث في الماضي لابد أن يؤثر في حياة الاجيال القادمة وأمتنا العربية اليوم هي أحوج ما تكون الى دراسة هذا التراث التاريخي لتفتح به آفاقا جديدة في تاريخها المجيد .

محمد العواني





لا تمروا من هنا

د . محمد سعاد جلال

لا تمروا من هنا
فليس هنا همس العذارى
ولا رنين الكؤوس
ولا بريق الذهب
لا تمروا من هنا
فليس هنا لمعان الذات
ولا أبهة السلطان
ولا راحة الجسد
لاتمروا من هنا
فليس هنا حديقة مزهرة
ولا صرح ممرد
وليس هنا خبز وفير
لا تمروا من هنا
فهناك أشواك وسموم وأفاع تتلوى
وهنا سباع ووحوش وذئاب تعوى
تنتظر على الطريق
فريستها العابرة
لا تمروا من هنا
فهنا مقابر مهجورة
وجماجم مبعثرة
ودم غزير متجمد
وهول وجنون ورعب
وحقد اسود
لا تمروا من هنا
فهنا رماح مشرعة
ومشانق منصوبة
وجلادون
لا تمروا من هنا
فهنا أنبياء ، وقديسون ، وشهداء
صرعى وقتلى
وهنا أصدقاء الانسان
فى أيديهم المزامير
وعلى شفاههم الرسالات
مزق الوحش أجسادهم
وعاثت الذئاب فى دمائهم
لا تمروا من هنا
فهنا ألف « حلاج » مصلوب
تساقطت على الثرى أشلاؤهم
نشاوى وسكرى
يضحكون
لا تمروا من هنا
فهنا طريق معشوقى
نادانى فى الازل
وناجانى فى المهد
وسقانى خمرة اللهب
ودعانى للسرى
دمى زيت مصباحى
وروحى نجم ليلى
فلا تمروا من هنا يارفاق
ودعونى أمر وحدى

بريد الشعر مع :

الشاعر أنس داود

كان حصاد هذا الأسبوع :

على باب المحراب
سعد الدين عرفه

اللوحة
عبد الحليم ابراهيم مجاهد

ليس من الضرورى أن يكون العاشق « مدنفا » يقف على باب حبيبته كالزهرة الذابلة ، ومظلما كالليل ٠٠ الا حين يكون المنشىء سائرا على درب معهود يلتقط منه الكلمات المكررة والاكليشيهات البراقة ، لأنه ليس لديه « تجربة خاصة به » يستمد منها أسلوبه الفنى ٠٠ وانعدام التجربة الخاصة ودقة التعبير الشعرى ينطبق على قصيدة الصديق سعد ٠٠ أما القصائد الأخرى فقد شاركته فى فقدان « دقة التعبير » ٠٠ فما معنى أن يقول الصديق عبد الحليم :

ودخانها ينساب فى جنباتها حلو المزاج

وليس من التعبير الشعرى « جداول مستديمة » فاذا به يبقى كذلك »

كما أعتب على الصديق عبد الحليم هذا الخطأ العروضى :

لكنه لا يضرب العش ولا هو يستريح

حكاية قلب

للشاعر : عبد القادر حميده



كان لى قلب ودنيا من غرام ٠٠ وأمل
واغان ٠ ٠ لحنها الرقراق أنغام قبل
لا تسلنى أين قلبى ٠ ٠ وأغاريد المقل
فجراحى تنزف الآه ٠ ٠ ولما تندمل
لا تثرها ٠ ٠ لا تثر لى ذكرياتى ٠ لاتسل !
كان لى قلب ٠٠ ولى قلب ٠٠ ولكن اين قلبى ؟
أهو الخافق فى صدرى ٠٠ وفى أطواء جنبى ؟
أهو التائم فى حضن الهوى أيام حبى ؟
أم هو التائه فى الليل الذى يملأ دربى ؟
لا تسلنى ٠ ٠ وسل الايام عن ذكرى هوانا
كان حلما ضوأته بالأمانى ٠٠ مقلتنانا
واغان انشدتها لليالى ٠ ٠ شفتانا
وخطانا ٠ ٠ كان ضوء البدر يرنو لخطانا
ساهرا ٠ ٠ يحرس قلبينا ٠٠ حنانا وأمانا
وسل الليل الذى ضم لقاء العاشقين
عن نجاوى ٠٠ الهبتها جمرة فى المهجتين
وامانى ٠ ٠ رددتها غنوة فى الخافقين
وعناق ٠ ٠ طعمه لما يزل فى الشفتين
وحكايا ٠٠ ملؤها قلبى ٠ وقلبى اين أين ؟

العنكبوت

قصة بقلم : احمد محمد فريد



سقف الحجرة بالنسبة لها عالم بلا حدود ولا نهاية ... هى نقطة تملأ فراغا تافها فيه ... مهما تحركت ... مهما بسطت اجنحتها السوداء فلن تستطيع الا ان تكون نقطة ضئيلة ... تافهة ... لا يحس بوجودها احد ...

كنت اتمدد على المرتبة القذرة .. التى تهدل قماشها الضائع اللون من طول ماحملت جسدى ، فاصبح سطحها حافلا بارتفاعات وانخفاضات ، القطن زحف من هنا ليتكور هناك ... تاركا خلفه فراغا يبرزه القماش الضائع اللون ، وغير بعيد من راسى ... ترقد المخدة الصغيرة ، نصفها على المرتبة والنصف الاخر يرقد على البلاط ، وعموما .. كان كل ما فى الغرفة الضيقة ... المظلمة ... ينبىء عن شىء واحد من التجانس ... هو القذارة .

وانا لا احب ان انطق هذه الكلمة ، انتى اطلق معنى آخر على ما يسميه الناس قذارة ... هو الضياع ... فالضياع فى رايى اصل القذارة ... قذارة كل شىء ... المراتب ... والاطباق ... والجدران ... والافكار ايضا ، وعندما تتمدد مثلى ... ذلك تبدو كبيت العنكبوت ... جلبابك ينطوى عليك كانه كفن ... وخيالك يهرب الى عالم ما وراء الوراء ، تجتر تاملاتك حتى تمل الفشل ، عندئذ ... لا تتمالك نفسك من ان تلقى مئات من نظراتك السقيمة على الجدران والسقف ... والمنضدة ... والكراسى ، وكانك ترى عالمك الصغير لاول وهلة ، ويكون ما تراه قذارة فى قذارة ... لاسيما اذا كان خيال ام فتحى يطل عليك من وراء كل حاجز !!

وحدتى قاتلة !! وانا اريد ان اصنع شيئا احطم به هذا السكون المطبق على انفاسى وتبدا نظراتى تلعق كل شىء مرات بعد مرات، وللمرة الاولى ارى آثار فرشاة المبيض وكيف تفرق بعضها عن بعض.. كانها خيوط تجمدت ثم ماتت على الحائط بعد ان تحول لونها الى بياض مشرب بلون الطين .

لم اصعد بنظراتى الى فوق ... الى السقف ، وعندما تطالعنى هذه الطبقة الكثيفة كانها الهباب وقد اختارت لاقامتها الاربعة الاركان ، اتعجب .. وينطوى حاجباى ليلتقيا فوق انفى ... ويصنعان علامة استفهام كبيرة تزول بعد لحظة ، وقد بدات ابين اننى لم اكن المقيم الوحيد فى هذه الغرفة ، بل يشاركنى فيها ... او فى سقفها ... هذا العنكبوت المحتل للاركان الاربعة .

زحفت نظراتى على الجدران ، واستقرت عند الفخاخ شريكى المنصوبة فى الاركان ، ثم تعثرت فى هذه النقطة السوداء .. فى بياض السقف العريض ، وانطوى حاجباى ... وحدقت فى السقف بشدة فتبينت انها ذبابة ... ذبابة سوداء لا تتحرك ... سوى جناحيها تفردهما ثم تقبضهما ..

ظلت نظراتى مصوبة اليها بلا شعور معين سوى رغبتى فى ان ارى شيئا ما يمتص افكارى القذرة ، ويجعلنى انسى صراخ امعائى الذى لم يدخلها الطعام منذ يومين ... ، كان بين الذبابة وبين فخ العنكبوت مسافة ما، وادركت انها لو تحركت اماما فسوف تطبق عليها خيوطه ، وعند هذا الحد الفلحت فى شد اعصابى وافكارى اليها ، فقد ادركت اننى اشاهد صراعا بين الحياة والموت ، صراعا طبيعيا .. لا يشهده سواى .. ولن يصفق لنهايته سواى !!

حركت الذبابة جناحيها .. ثم تقدمت خطوة واذا بقلبى يوجف .. فقد اصبحت اقرب الى العنكبوت ، ولكن العنكبوت هز كتفيه ، ثم انتصب ظهره ، وذراعيه تمتدان فوق المكتب وصرخ ..

ـ يا عبد اللطيف افندى ... يؤسفنى ان اقول لك ان الادارة قررت خصم عشرة ايام من مرتبك ... جزاء لاهمالك فى العمل ... وضياع ملف من عهدتك .. اتفضل .. مع السلامة ..

وخرجت من بيت العنكبوت وكانت الدنيا تبدو لى اضيق من سقف الحجرة . لم اكن احس بشيء مما حولى .. فقد جمدت كلماته احساساتى ..

وزحفت على سقف الحجرة . فى العالم الضيق .. وعززت جناحى .. ولعقت الجدار وقلت لنفسى : اهمال فى العمل ؟!! لا ياسيادة المدير .. ليست الحكاية هكذا .. انا اعرف السبب . وهو انك تستثقل دمى . لماذا لا ادرى . لكننى لاحظت بعد أيام قليلة من وصولك الينا بالادارة . بعد ان توافد عليك الموظفون مهنئين بالمنصب . فمنهم من قبل يديك .. ومنهم من انحنى حتى كادت جبهته تمس سطح مكتبك . ومنهم من اضاف الى اسمك لقبا .. خادمك .. او محسوبك .. اما انا فلم افعل شيئا من ذلك .. شيئا ما منعنى رغم ان ماهيتى ستة جنيهات . فلم ازد عن ان قلت لك « . فقط « . وهامتى منتصبة بين السحاب « . » مبروك يا افندم .. ولهذا .. اصبحت انا ذبابة ... وانت عنكبوت يشتهى ابتلاعى !!

مددت ذراعاى الوح بهما فى فضاء الغرفة الصامت . وصحت : « هش .. هش » .. كنت أريد أن تسمعنى الذبابة وتطير . تبتعد بنفسها عن خيوط الموت . فقد احسست ان العنكبوت لو صادها فاننى سوف اختنق !!.

لكنها لم تسمع صيحتى . او لعلها سمعت ولم تفهم . ونشرت جناحيها لم قفزت قفزة واحدة .. فاقتربت اكثر من الخيط القاتل . ولم املك نفسى .. فصحت وكاننى أدافع عن حياتى : « هش .. هش .. » ولكن الوجه العنكبوتى اطل براسه من خلال الخيوط العنكبوتية وصرخ :

ـ وانت مالك يا عبد اللطيف افندى ... دا موش شغلك ..

وصرخت وانا اتوح بيدى .. والجدران .. والمرتبة . والعيون المرصوصة على خيوط الجدار الميتة تسمعنى :

ـ مال ازاى يا سيادة المدير .. ازاى امضى بالعلم على جزاء زى ده من غير تحقيق ؟!...

ـ الأوامر عبه الأوامر ... امضى يعنى امضى ...

وصرخت باعلى صوتى .. والجدران تردد صرختى :

ـ لا موش حامضى .. ابدا .. ابدا ...

واهتزت خيوط العنكبوت . لكننى اسرعت بالخروج من مكتبه . وكانت راسى .. راسى انا .. مرتفعة .. عالية بين السحاب .

وادركت ان هذا خطا .. خطا اعد لاجلى . وعندما اقع فسوف ينظر الى . وتخبرنى عيناه بين ان انطق اسمى مقرونا بلفظ خدامك .. او محسوبك .. او راجى الرضا ... وبين عشرة ايام من مرتبى .

ونظرت الى المرتبة القذرة الملقاة على الارض والى كم جلبابى المقطوع .. كان كل شيء يناديني ان اخفض راسى .. ان الذبابة لن تستطيع ان تكون نسرا ابدا .. لكننى قلت وجسدى يرتعد غضبا : ان كنت ذبابة حقا .. فلن اكونها الا داخل غرفتى فقط .. وهكذا انتقم من ام فتحى ، ومن كل ظل تلقيه على ام فتحى ! ..

لم استطع ان امنع نفسى . انتصبت جالسا .. عيناى مشدودتان الى اعلى . العنكبوت استيقظ وبدا يتحرك داخل مركز نسيجه اللعين .. ربما راى هذه المسكينة الزاحفة الى حتفها . ورايته ينظر الى مبتسما فى سخرية فقذفته بفردة القبقاب . لكننى اخطاته ... ارتفعت الفردة ثم عادت الى بعد ان تركت اثرا من ترابها على جدار السقف الابيض .. وحدقت فى هذا الاثر ببلاهة ..

ـ قوم يا ولد .. هل انت ذبابة حتى تقف على القرف .. اغسل وجهك يا ولد الذى يغطيه الذباب .. كان يجب ان تكون ذبابة تقف على القمامة ..

دائما ذبابة ... هكذا كان يحلو لام فتحى زوجة والدى ان تنادينى . وتسبغ عسل من حقدها الأسود هذا الاسم . حتى انحدر الى اعماقى . وتشربت به خيالاتى .. واصبحت اذا ما ضمتنى غرفتى اشعر كاننى اتحول حقا الى ذبابة . فاصعد الجدار .. وامشى مقلوبا على السقف ، واتقلب فى فوضى وضياع صنعتهما بنفسى . وكنت اظل هكذا حتى اخطو خارج غرفتى . فاعود كما كنت .. انسانا يتصرف كما يتصرف كل شخص . الا اننى لا احنى راسى ابدا . وكانت لدى القدرة دائما لان اقول لا .. حتى ولو اكلنى العنكبوت !!

كل هذه الخواطر مرت براسى وانا احدق فى سقف الحجرة الى تلك الذبابة المسكينة .

تحيرت ماذا افعل لاجعلها تطير وتتراجع كانت فى هذه اللحظة قد باتت قريبة من نسيج الموت وكانها مشدودة اليه بتاثير قوة غير مرئية . فلا صدمة القبقات الملحت فى ان تجعلها تغير طريقها ، ولا صرخاتى المحذرة جعلتها تتوقف .. احسست بقوة قاهرةجعلتنى انتصب وافكر فى سرعة .. كانت المسألة مسالة حياة او موت ..

لن ياكل العنكبوت الذبابة .. اعماقى تتماوج بهذا النداء .. وقد اصبحت كل نقطة سوداء ازحف على السقف بجوارها الى بيت العنكبوت القاتل .

ـ يا سيادة المدير .. ده موش عدل ... امضائى على قرار الخصم ده يعنى قبول لهذا القرار .. وانا ليه الحق فى التظلم ..

وينظر الى العنكبوت فى انتصار .. فقد خيل اليه اننى اقتربت كثيرا من خيوطه .. ويقول بصوته العنكبوتى :

ـ الواحد لازم يعرف مقامه .. يا .. عبد اللطيف افندى ...

وتنتفض الذبابة فى اعماقى .. وارفع راسى عاليا .. عاليا بقدر ما استطيع . واقول ، وراسى فوق السحاب .. فوق قمة جبل سفحه ام فتحى .. وهامته المدير :

ـ كلنا موظفين زى بعض ... يا .. سيادة المدير ..

ـ كده ؟!. طيب يا سيدى خلاص ! .. مبروك عليك العشرة ايام ..

واخرج وراسى مرفوعة كما دخلت . واعود الى غرفتى من جديد ، لأصبح ذبابة وحيدة ، تتسلق الجدران .. وتتمسح بالسقف .. وتلعق عالمها الداخلى البغيض ..

هل استطيع ان احطم بيت العنكبوت ؟! غامرنى شعور بالشماتة .. الفكرة ترياق مر لا اقوى على ابتلاعه . وقامتى قصيرة .. ويدى اقصر . والسقف يبدو بعيدا كارض وردية حالمة فيما وراء الوراء . ارض ملكى انا .. انا سيدها يا سيدى العنكبوت . لا اخاف خيوطك تمتد الى فتخنقنى .. انا اقوى من كل خيط .. عضلاتى تشده فتقطعه .. تجعله كفنك ... قامتى بين السحاب ... وعيناى تصفعك بنظراتها .. تشبه نظراتك حين قلت لى ... وكلماتك ثعبان يعضنى ... مبروك عليك العشرة ايام ..

اف لهذه الخواطر ! الموت يقترب من الذبابة المسكينة البلهاء . وفى نفس اللحظات تشدنى افكار لعينة الى البؤرة العميقة السوداء ... لا يجب ان استسلم .. يجب ان اقاوم ... ابتعدى ايتها البقعة السوداء .. ابتعدى عن الخيوط الجهنمية .. لا تتقدمى .. الا تسمعيننى ايتها اللعينة البكماء .. لا تتقدمى .. على الاقل ليس امامى .. لا تجعليه يفترسك امامى .. انا اخشى على نفسى فيك .. سيتحطم كل شيء فى عالمى .. انت لاتسمعين؟ وتتقدمين ؟!! الآن هو النداء .. اللحن المسموع الذى يجذبك فى صمت للبؤرة .. عالمك الداخلى اصبح موصدا امام صرخاتى .. والسقف .. السقف ارض وردية بعيدةيطويها الضباب .. ونسيج العنكبوت يطوينا معا ..

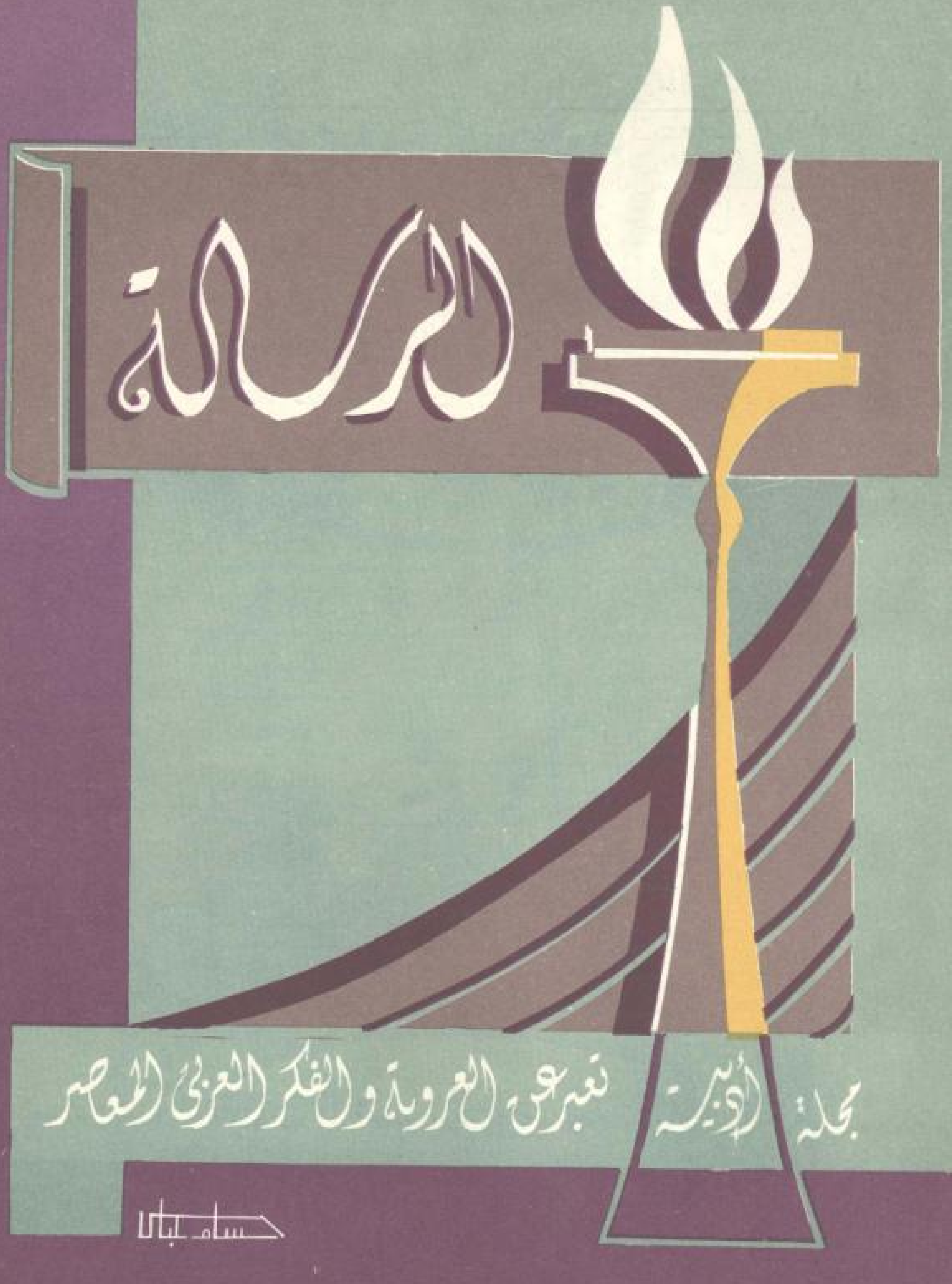
وفى الصباح كان المدير ينظر الى فى انتصار والكلمات تتعثر على لسانى المتلعثم :

ـ يا سعادة البيه .. ربنا يخليك .. انا محسوبك .. سماح النوبه دى !! ..

احمد احمد فريد



العدد ٧٢
الثمن ٣


الرسالة
مجلة أدبية تعبر عن العروبة والفكر العربي المعاصر

الرسالة

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

تليفون : ٤٢٧٩٤
٥٣٩٤٠

في هذا العدد

الصفحة

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من
خارج ج.ع.م.

الإدارة :
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد - القاهرة .

العدد ١٠٩١ - الخميس ٦ شعبان ١٣٨٤ هـ - ١٠ ديسمبر ١٩٦٤ م - السنة الثانية والعشرون

مصارعة طواحين الهواء

في جمعية الأدباء ..

بقلم : عباس خضر

جرد الدكتور لويس عوض حملة .. لا اقول : شعواء ، بل عشواء .. جمع لها الاسلحة من توقيعات خمسة وثلاثين أديبا من اعضاء جمعية الأدباء .

وكان توقيع القائد المغوار (لويس عوض) على راس «التجريدة» **وطالب بعقد «جمعية عامة غير عادية في اقرب وقت ممكن لمناقشة هذه المذكرة»** .

«وهذه المذكرة» هي مذكرة لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب ، التي اقامت الدنيا ولم تقعدها بعد ..

وانفرد القائد المغوار ــ بعيدا عن التجريدة ــ **بخطاب خاص موقع هكذا : «لويس عوض المستشار الثقافي لمؤسسة الاهرام وعضو جمعية الادباء الى السيد أمين عام اتحاد الادباء وجمعية الادباء »** يطلب فيه ــ بعد الاشارة الى الطلب الموقع عليه ٣٥ عضوا ــ أن تدرج في جدول الأعمال المسائل الآتية :

١ ــ حرية التعبير الادبي والفني شكلا ومضمونا في المجتمع الاشتراكي .

٢ ــ حق التجربة الادبية والفنية وولاية الدولة على اجهزة النشر والأداء العلني .

٣ ــ موقف الدولة متمثلة في أجهزتها الثقافية المختلفة من مدارس الادب والفن .

٤ ــ واجبات الأديب وحقوقه في المجتمع الاشتراكي .

٥ ــ واجبات جمعية الأدباء واتحاد الأدباء في المجتمع الاشتراكي .

ويربط «القائد المغوار» بين هذه «المخصصات» وبين طلب الخمسة والثلاثين عضوا الخاص بمذكرة لجنة الشعر فيختم خطابه قائلا :

«ويمكن من خلال مناقشة هذه المبادىء العامة دراسة مذكرة لجنة الشعر بالمجلس الاعلى في خصوصها» .

وتقرر عقد الاجتماع المطلوب ، وتلقيت ــ كما تلقى سائر اعضاء الجمعية ــ دعوة الى حضوره في مساء الأربعاء التاسع من ديسمبر الحالي ، مرفقة بطلب الخمسة والثلاثين عضوا (مايزيد على خمس الاعضاء حسب قانون الجمعية) وخطاب **«المستشار الثقافي لمؤسسة الاهرام ... الخ»**

وأول مايثير الانتباه ــ في الدعوة ومرفقاتها ــ هو انفراد الدكتور المستشار بطلبات خاصة في خطاب خاص ..

لماذا لم يتضمن الطلب العام تلك الطلبات الخاصة ويتواضع «القائد العام» مكتفيا بتوقيعه مع التوقيعات كأي متصدر للقيادة في مجتمع اشتراكي ديمقراطي يشرك القاعدة الشعبية معه في كل مايطلب ؟

هل خشي الا توافق القاعدة على طلبات لا لزوم لها لأنها غير منتقصة فأراد هو أن ينفرد بفروسية «كيشوتية» ملوحا بسيفه في وجه .. وجه من ؟ لست أدري ! كان يجب عليه أن يعرض هذه الطلبات



الدكتور محمد عبد القادر حاتم

على من جمع توقيعاتهم ليرى هل يوافقونه عليها او يسالونه عنها كما تريد أن نساله :

هل ترى حرية التعبير الأدبي والفني مهدرة في مجتمعنا الاشتراكي هذا حتى تطلب «عقد الجمعية العمومية» لمناقشتها ؟ الست تكتب ماتشاء و «تلبخ» كما تريد .. ؟ هل منعك احد حتى من الخوض في القيم العربية ممثلة في اعلامها كابن خلدون وابي العلاء المعري اللذين اردت ان تعزو ما ابدعاه الى الثقافة الغربية ؟ الأول كان يعرف اللغة اللاتينية «بالرغم منه ..» والثاني اتصل براهب في اللاذقية واخذ عنه الفلسفة اليونانية .. كل هذا تتلمسه وتحاول ان تجمع خيوطه الواهنة لتجرد الثقافة العربية من امكان امداد عباقرتها بما ساعدهم على الابداع .. **لا شيء عندك غير « الخواجة » يستطيع ان يأتي بشيء ..**

تقول ذلك في مجتمع عربي اشتراكي يفسح ويهيىء لك منبرا من اكبر منابره لتقول وتعلي صوتك في مالايجدي شيئا على المجتمع الاشتراكي ؟

ماذا تريد من الحرية أكثر من ذلك ؟ اتريد أن تنشر هنا ما تنشره انت وأمثالك في مجلة « حوار » الصهيونية من كاذب الادعاء وبذيء القول ؟ كاذب الادعاء الذي يتمثل في زعم الضغط على حرية الأديب في «ج.ع.م» وبذيء القول الذي تعبر به في شعرك المهاجر الى صندوق القمامة (مجلة حوار في بيروت ..

ثم قل لي .. هل ستعرض على « الجمعية العمومية » حجرك على حرية الشعر التقليدي بمنع نشره في الأهرام » وقصر النشر فيه على الشعر الجديد !

وبقية الطلبات التي تسميها «مبادىء» .. حق التجربة وولاية الدولة على أجهزة النشر وموقف الدولة من المدارس الادبية ... الى آخر هذه المترادفات التي تقحم « الدولة »في كل منها .. ماذا ترمي من وراء اثارتها .

ماذا فعلت الدولة ؟

الم تضعك في «المستشارية الثقافية» لمؤسسة الأهرام ؟ وان كنا نراك تسيء استخدام هذه « المستشارية » بما لايتفق مع أهداف المجتمع الاشتراكي وحرية التعبير فيه .

الم تفسح الدولة لكل الوان الادب والفن ومدارسهما كي يقول ويقدم كل ماعنده ؟ حتى ما ارتفعت الاصوات بالشكوى منه ـ قالت الدولة فيه انها تدع الكلمة للكلمة ، وليس من شأنها ان تتدخل فيما تختلف فيه وجهات النظر .

قل الحق .. الست قد شعرت أو خيل اليك ان كرسي «المستشارية الثقافية» يهتز من تحتك بما كشفته الأضواء الموجهة اليك .. فاردت ان تعبى «حملة تثير بها غبارا يغطي ماكشفته الاضواء؟»

لست أدري ماذا ستقول في « الجمعية العمومية » ـ فهذا يكتب قبل عقدها ـ واية جبهة ستصارعها؟

لندع «المبادىء» وما فيها من كلمات ـ مثل الحرية وحق التجربة ـ تردد عادة في مجلة «حوار» المعادية للأهداف العربية .

ولننظر في القضية الاصلية او في الحادثة التي اثارت طلباتك أو مبادئك الخمسة .. وهي «مذكرة لجنة الشعر» .

مجلة أرادت الدولة ان تهيئها لخدمة فن من فنون الادب وهو الشعر ، واسندت رئاسة تحريرها الى اديب معروف ، ولكنها بعدت عن الشعر الجيد بنوعيه : التقليدي والجديد .. وكان مقتضى حرية التعبير ، ومقتضى مايأخذ به مجتمعنا الجديد ، ومانص عليه الميثاق من حرية النقد ؛ ان من يرى فيما تصنعه المجلة انحرافا عن الهدف أن ينتقدها .

ورأى اعضاء لجنة الشعر بالمجلس الاعلى

ـ وكلهم من الشعراء التقليديين ـ ان مجلة الشعر ترجح كفة الشعر الجديد وتكاد تهمل التقليدى . فلم يسلكوا السلوك الطبيعى لذوى الاقلام وهو النقد ودفع الحجة بالحجة ، **بل لجأوا الى ماسموه حقهم فى الاشراف على اجهزة الدولة التى تنشر الشعر ..** وكان يمكن أن يقبل من اللجنة نقد « جماعى » بعد ان أحجم اعضاؤها أو تقاعسوا عن النقد الفردى الذى يكتبه كاتب ويناقشه فيه آخر. كنا نقبل منها مجرد بيان نقدى تضمنه وجهة نظرها فى نشر الشعر الجديد . ولكنها جعلت بيانها **مذكرة «رسمية» مرفوعة الى الدكتور محمد عبد القادر حاتم رئيس المجلس** ، وتكلمت فيه بلسان ارادت ان يكون «رسميا» واقحمت هى الاخرى كلمة «الدولة» فى الموضوع .. المجلة مجلة الدولة .. واللجنة لجنة الدولة .. وكل شىء دولة .. حتى اصبحت «الدولة» هى المشترك لكل عاجز عن الابانة أو متكاسل عن قرع الحجة بالحجة .

وختمت اللجنة مذكرتها بالمطالبة .. بنوع .. من الاشراف على ما يوسم بميسم الدولة من وسائل نشر الشعر .. **اى انها ارادت ان تكون «سلطة رسمية» تتولى الحكم فى دولة الشعر !!**

ان الدولة ـ يا هؤلاء التقليديون ويا أولئك المستشاريون ـ حينما انشأت المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، **انما انشأته « للرعاية » والتخطيط والتوجيه** ، وليس من شأنه ان يكون «سلطة» ذات شأن تنفيذى ملزم فى عالم الأدب والفن .

والدولة ـ ياهؤلاء ويا أولئك ـ حينما انشأت المجلات الادبية لم ترد بها أن تكون مجلات رسمية توسم بميسمها الرسمى وتنطق بلسان حالها كما كانت تنطق الصحف بلسان حال الأحزاب فيما مضى .. **انما نظرت فرأت وسائل نشر الفكر والثقافة تتعثر وتخفق لضعف امكانياتها ، والجميع يشكون من عدم وجود مجلات ادبية ، فرأت ان تهيىء لأهل الفكر والثقافة وسائل للتعبير بمختلف الوانه ومدارسه ، رامية بذلك الى ان ينشط الادب والفكر والثقافة وتزدهر وتؤدى رسالتها « الحرة » لا «الرسمية» .**

هل ترونني مثلا فى هذا المكان بمجلة من مجلات الدولة انطق باسم الدولة ..؟ كلا ، ان كنتم تتدبرون ..

وهذه هى الدولة .. رفعت اليها مذكرة لجنة الشعر ، ولو بدون طابع دمغة .. هل اقرتها ؟ هل اجابت طلب اللجنة ؟ طبعا لا .

هل منعت مجلة الشعر من نشر الشعر الجديد؟ طبعا لا .

هل صادرت الدولة الشعر العامى الذى غضبت عليه اللجنة هو الآخر ؟ طبعا لا .

هل اصدرت امرا بالموافقة على بقية ماتضمنته مذكرة اللجنة من مسائل تناولتها الاقلام بالنقد ؟ طبعا لا .

ثم .. ماذا فعلت الدولة متمثلة فى اجهزتها الثقافية المختلفة غير اتاحة الفرصة لحرية التعبير وحق التجربة الأدبية والفنية ؟

ماهو موقفها الذى تراد مناقشته فى «الجمعية العمومية» ؟

اكبر الظن انه الحملة الحرة الصادقة على « المستشارية الثقافية » وسوء سلوكها الأدبى .. اليس هذا من حرية التعبير التى تطالب بها المستشارية ؟ أم انها تريدها لنفسها فقط ؟ وليست مكفولة لها لا فى الحدود التى يمكن ان تقبل فى « الأهرام » فقط بل كذلك فى تصدير البذاءات الى «حوار» .. الى صندوق القمامة فى بيروت ..

لماذا اذن هذه الحملة العشواء التى تريد «المستشارية الثقافية» شنها فى «الجمعية العمومية » بجمعية الأدباء ؟

وضد من تتجه «التجريدة» التى تنظمها المستشارية اللويسية ؟

اذا كانت ضد لجنة الشعر فقد شبعت هذه اللجنة نقدا وتفنيدا بالطريقة القلمية والريشية المشروعة ..

اللهم الا أن تكون « طواحين دون كيشوت » هى جبهة الاعداء التى ستوجه اليها حملة المستشارية الحمقاء .

اذا كان الامر كذلك فابشرى بطول سلامة يا طواحين الهواء ...

عباس خضر

... بل قبيحا !

بقلم : محمود محمد شاكر

- ٣ -

وأيضا ، ليس حسنا ، بل قبيحا أن يتنفخ كاتب على قراء صحيفته أو مجلته (تنفخ ، على وزن تكلم بكلام ، وتحزم بحزام) ، فيشد الزق على خصره أو يلقيه على منكبه (والزق ، القربة) ، ويضع مزماره فى فمه ، ثم يمشى به مختالا ، يمط قامته ، ويصعر خده، ويشتق عنقه (أى يرميها الى الوراء مرفوعة) ، ويخرج صدره، ويخطو على بساط من الزهووالتعاظم نافخا شدقيه ، مرسلا هواء جوفه الى جوف قربته ، ليسمع النـاس ، شـاءوا أو أبوا ، موسيقى القرب (الاسكتلندية) العالية الضجيج ، المتشابهة النغم ، ويظل يفعل بهم ذلك اسبوعا بعد أسبوع الى ثمانية أسابيع ، لا بل منذ كتب . ولكن هكذا كان ، فان الدكتور لويس عوض ظل ينزل بنا تلك الأنغام بلا رحمة وبلا تحنن على البائسين الضارعين قراء صحيفة الأهرام صبيحة كل جمعة . ويوم الجمعة عندنا نحن مبارك الساعات : « فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم قائم يصلى يسأل الله خيرا الا أعطاه اياه » ، كما جاء فى الحديث الصحيح . بيد أننا قضينا زمنا طويلا نصبح يوم الجمعة ، لنجد فيه ساعة معكوسة الحظ منكوسة ، كالذى قال أبو عبادة البحترى فى ايوان كسرى :

عكسـت حظه الليـال ، وبات
المشترى فيه وهو كوكب نحس
فهو يبدى تجلدا ، وعليـه
كلـكل من كلاكل الدهـر مرسى

ونحن ، والله ، كذلك ، نبدى مع يوم الجمعة هذا التجلد ! و (بالمرة) ، ليس حسـنا ، أيضا ، بل قبيحا أن ينتفش بالتيه كاتب يواجه أعين الناس بما يكتب ، فيخرج عليهم كأنه بطل باذخ عليه أبهـة الظافر الميمون الطائر ، ليراه الناس فى كلامه راكبا حصانا أشهب (فيه بياض) ، وعليه لأمة المحارب (أى سلاحه) ، على رأسه الخوذة ، وعلى بدنه من فرق رأسه الى نصف ساقيه ، سابغة زغف (أى درع ضافية لينة) تتلالا ، وفى قدميه زربول (وهو الحذاء باليونانية) ، وفى يمناه قنطارية (وهى الرمح الثقيل باليونانية أيضا) ، وبيسراه الدرفس الأعظم (وهو الدرابو ، أى العلم) ، ثم يتبختر جيئـة وذهابا بالعجب والصلف ، ولا يقنع حتى يرى نفسه قد تولى امارة اليونان ، والروم ، ثم ما تولد عنهما منذالقرون الوسطى الى اليوم ، ويزداد مع هـذا الوهم شموخا ونخوة ، حتى لا يكاد يرى فى الكون منذ كان شيئا غير هذه الثلاثة ، منها المبدأ ، واليها المعاد !

انه لقبيح قبيح !! ورحم الله عبد الصمد بن المعذل اذ قال لصديق له قد تولى امارة النفاطات ، (وهى عيون النفط ، أى البترول) ، فأظهر تيها بنفسـه وعجبا

لعمرى ، لقد اظهرت تيها ! كأنما
توليت للفضـل بن مروان عكبرا
دع الكبر، واستبق التواضع ، انه
قبيـح بوالى النفط أن يتكبرا
لحفظ عيون النفط أحدثت نخوة !
فكيف به لو كان مسكا وعنبرا !!

وصدق والله ، « كيف به لو كان مسكا وعنبرا ؟ » ونسأل الله أن يجنبنا شر كل شرلتان كان أو هـو كائن (والشرلتان ، بفتح الشين وسـكون الراء ، معروف فى لغات العجم ، وله فى العربية سبعون اسما على الأقل ، أو كما قال شيخ المعرة) ، وان يصنع لنا ويحفظنا من كل تياه يونانى ، أو رومى ، أو قرونى !! (نسبة الى القرون الوسطى) ، وبالله وحده نستدفع البلاء .

وأعود الآن الى ما كنت فيه من حديث راهب دير الفاروس باللاذقية ، وما كان فى رواية الخبر من الكوائن ، والله المستعان . وأظننى ، والله أعلم ، قد فرغت ، اكراما للدكتور لويس عوض ، من اثبات انفراد القفطى بالخبر بلا اسناد الى أحد ، وانه خبر

مجهول لم يعلمه أحد ، ولم يسمع به سامع ، ولم يذكره ذاكر بلسان أو فى كتاب ، منذ كان شـيخ المعرة ، الى أن كتبه القفطى ، وذلك فى خلال مئـة وثمانين سنة على الاقل . وانه لم يقف عليه أحـد بعد ذلك ، الى ساعة قراءة الدكتور هذه الكلمة ، فى شهر شعبان سنة ١٣٨٤ من الهجرة ، فى كتاب كان قبل كتاب القفطى ، ولا فى كتاب جاء بعده نقل ذلك الخبر عن أحد غير القفطى . واذن فهو خبر مجهول المخرج دهورا متطاولة حسـبناها بحسـاب المعلم ، وبالارتماطيقا اليـونانية ، فاذا هى تسعمئة سـنة وخمس وستون سنة !! هذه كائنة الكوائن ، وكانت حسبنا وزيادة فى اسقاط الخبر واطراحه . ولكنى أحببت ، اكراما للدكتور لويس ، أن أكشف له عن كائنة أخرى بل كوائن ، فان الخبر مختوم بقضـية قابلة للعرض على وثائق ثابتة حاضرة عتيدة، لاينتطح فيها عنزان ، كما فى المثل !! وقضـية الخبر : أن شيخ المعرة حدثت له شكوك وانحلال !! أتته من قبل راهب دير الفاروس !! فلم يطق كتمانها ، فأودعها أشعارا قالها فى صباه ، ثم تاب وارعوى ، واعتـذر منها ، ووجهـهـا وجوها يحتملها التأويل ، فأثبت بالبرهان المعتمـد على الوثائق أولا ، وعلى العقـل ثانيا (ان كان للعقل هنا فائدة) : أن هـذا شىء لا حقيقـة له ، ومناقض للواقع ، وباطل يدل على بطلانه ما عندنا من شعر الرجل فى صباه ، ويدل على بطلانه أيضا ما تضمنته تراجم الثلاثة المعاصرين للشيخ ، وتبين أيضا أن الذى حدث القفطى بالخبر ليس معاصرا لأبى العلاء بالبداهة ، وانه لا يمكن أن يكون منقولا عن معاصر بالبداهة أيضا ، واحدة = وهو جاهل بشعر أبى العلاء ، وبالزمن الذى بدأت فيه تهمة الرجل فى دينه ، ثانية = وهو فوق ذلك ظنين فى عقله يحسب أن الناس كلهم جهال مثله بلا عقول ، ثالثة = ومختلط العقل من سمادير الهوى والادمان ، رابعة = وشرلتان قديم معرق فى الرعونة والطيش ، خامسـة = وكـذاب لا يحسن يكذب ، سادسة = وان شئت فزد ، ولا حرج . فهذا ماكان ونرجع الى ما سيكون !

فاكراما للدكتـور لويس عوض ، مرة ثالثـة ، نشرع فى مدارسة « الخلفية التاريخية لهذا الخبر العظيم !! » ، أكرمك الله وأجارك ، والتى هى عنـد أصحاب هذا اللسان تسمى « صـدر الخبر » . وللتذكير وحسن المدارسـة ، أثبت نص ذلك بلفظ القفطى ، بلا تعديل أدخله عليه مدخل ، وبلا تحريف لألفاظه حرفه ذو هوى . يقول القفطى، أو من حدثه:

« **ولما كبر ابو العلاء ووصل الى سن الطلب ... طمحت نفسه الى الاستكثار من ذلك ، فرحـل الى طرابلس الشام ... فاجتاز باللاذقية ، ونزل دير الفاروس ، وكان به راهب يشـدو شيئا من علوم الأوائل ، فسمع منه ابو العلاء كلاما من أوائل كلام الفلاسفة ، حصل به شكوك لم يكن عنده ما يدفعها به ، فعلق بخاطره ما حصل به بعض الانحلال** » .

فهذا نص مكتوب بالعربية (مع الاعتذار للدكتور) سندرسه على منهجنا نحن فى المدارسة ، وهوالبداهة والعقل ، لا على منهج الدكتور لويس عوض . فقد بان فيما كتبته ، ما فى منهجه هو من التسرع والخطف، وقلة الاحتفـال بدلالة الألفاظ فى اللغـات ، وطرح المبـالاة بتمحيص التـاريخ ، واغفال بعض الحقائق لحاجة فى النفس ، والاسـتهانة بالوثائق التى يطيق الشادى المبتدىء أن ينالها من قريب ، وعدم التمييز بين الزيف والصحيح ، ثم اعتمـاده بعـد ذلك كله على وسائل بعيدة عن دراسة الآداب ، وهى وسائل اخـراج الأفلام ، حيث يعمـد المخـرج الى الحقائق فيحرفها ويعدلها ، ثم ينقلهـا من مكانها ، الى مكان آخر ، ثم يحشـو ما بين ذلك بالأوهـام والأخيلة والسـمادير . وهذا منهج لا يزال يرتكبه الى آخر المقالة الثامنة ، لم يرعو عنه كما ارعوى شيخ المعرة فى صباه ! وسأكشف ماينطوى عليه منهجه هذا حين يحين وقته .

وقارىء مثل هذا الخبر ودارسه ، لا يجوز له أن يغفل عن أشياء ، بعضها يتعلق بأبى العلاء فى ذات نفسـه ، ثم بأسرته ، ثم بتـاريخ زمانه ، وبعضها يتعلق بمن ورد ذكره فى الخبر ، وبحاله وحال قومه، وبأمور كثيرة ستظهر عن قريب ان شاء الله .

فأول أمر أتقل به كاهل الدكتور لويس عوض أن أذكر له طرفا من شـأن أسرة أبى العلاء ، فهو أبو العلاء : « أحمد بن عبدالله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود بن المطهر » ينتهى نسبه الى « تنوخ » ، وهى قبيلة قديمة ذات شرف معرق منذ الجاهلية قبل الاسلام بدهور طوال، فلما جاءنا الله بالاسلام ، وفتحت الشام ، وأسلم من أسلم من تنوخ ، كان منهم أجداد أبى العلاء . فصار لهم أمر ظاهر فى الاسلام فى معرة النعمان ، حتى كان

أكثر قضاة المعرة وفقهائها وعلمائها وكتابها وشعرائها من هذا البيت، بيت «بني سليمان بن داود بن المطهر» جدهم الأعلى . وصار أمر قضاء المعرة اليهم ، فكان أول من ولى قضاءها جد جد الشيخ أبي العلاء « سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود » في سنة ٢٩٠ ، ثم ولده « محمد بن سليمان بن أحمد » بعد موت أبيه في حدود سنة ٣٠٠ ، ثم ولده « سليمان ابن محمد بن سليمان » سنة ٣٣١، بعد موت أبيه، ثم ولده « عبدالله بن سليمان بن محمد بن سليمان» والد أبي العلاء في سنة ٣٧٧ ، الى أن توفي بمعرة النعمان سنة ٣٩٥ ، وأبو العلاء يومئذ في الثانية والثلاثين من عمره .

وأمر ثان ، أن شيخ المعرة قد حدثنا عن نفسه حديث الصادق الذي لا يكذب ، وهي خليقة ثابتة له يعرفها كل من هيأ الله له أن يدارس ما كتب الشيخ، بلا شك في ذلك . فكان مما حدثنا به في رسالته الى خاله أبي القاسم علي بن سبيكة ، والتي مر ذكرها آنفا أنه قال : « وقد فارقت العشرين من العمر ، ما حدثت نفسي باجتداء علم (أي طلبه) من عراقي ولا شآم » . فهذا تحديد بلا كذب ، وبلا ادعاء ، وبلا توهم ، يقطع بأنه لم يقرأ على أحد من الشيوخ بعد هذه السن في بلده ولا في غير بلده . وقوله : « وقد فارقت العشرين من العمر » ، يدل على أن ذلك كان الى حدود الثانية والعشرين أو الثالثة والعشرين من عمره ، أي في نحو سنة ٣٨٥ ، ٣٨٦ تقريبا .

وأمر ثالث هو ما حصله أبو العلاء من العلوم في هذه الفترة (أي الى سنة ٣٨٦) منذ نشأته الى أن فارق العشرين . فقد حدثنا الحافظ أبو طاهر السلفي (٤٧٢ - ٥٧٦) ، وقد لقي كثيرا ممن أخذ عن شيخ المعرة ، فقال : « وقد قرأ القرآن بكثير من الروايات ، على شيوخ يسار اليهم في القراءات » . هذه واحدة .

وأخرى انه قرأ النحو واللغة بمعرة النعمان على والده القاضي أبي محمد عبد الله بن سليمان ، وهو من تلاميذ امام اللغة ابن خالويه (٠٠٠ - ٣٧٠) (١) وعلى أبي بكر محمد بن مسعود بن محمد النحوي (٢) ، وعلى راوية أبي الطيب المتنبي، محمد بن عبد الله بن سعد النحوي (٣) وعلى القاضي أبي عمرو عثمان ابن عبد الله الكرجي الطرسوسي قاضي معرة النعمان في سنة ٣٨٥ (٤) . ثم أخذ الحديث عن أبيه ، وعن جده سليمان بن محمد (٣٠٥ - ٣٧٧) (٥) وعن أخيه محمد بن عبد الله بن سليمان (٣٥٥ - ٤٣٠) ، وهو أسن من أبي العلاء بثمان سنوات (٦) وعن جدته أم سلمة بنت الحسن بن اسحق بن بلبل (٧) ، وعن أبي زكريا يحيى بن مسعر (٨) ، وعن أبي الفتح محمد بن الحسن بن روح (٩) ، وعن أبي الفرج عبد الصمد بن أحمد بن عبد الرحمن (١٠) وعن أبي بكر محمد بن عبد الرحمن الرحبي (١١) وعن أبي عبد الله محمد بن يوسف بن كراكر الرقي (١٢) .

(تحفة) : هذا ما أوقفنا عليه ابن العديم وغيره من شيوخه وقراءاته بمعرة النعمان بالنص عليه ؛ وهذا كله بلا شك كان الى أن فارق الشيخ العشرين من عمره . فأنا أحب أن تحدثني بأي وجه يستطيع عامي سوقي ، فضلا عن شاد مبتدىء ، فضلا عن أستاذ جامعي ، زعموا ، أن يقول ما قاله الدكتور لويس عوض في مقاله الخامس : « والحق أنه لايعرف شيء عن تعليمه الرسمي (يا سلام ، ما أفصحك!! الرسمي مرة واحدة) حتى سن العشرين ، وهي سن التكوين (خذ بالك من فضلك) الا أنه تعلم في حلب ثم في أنطاكية ، ثم في اللاذقية (بالطبع ، بالطبع) ، ثم في طرابلس . ومثل هذا الغموض الذي أحاط بتكوينه العقلي (يا أستاذ !) حتى سن العشرين ، يحيط أيضا بحياته كلها فيما بين العشرين والخامسة والثلاثين » ، (مهلا يا موسيقى القرب ، وحنانيك يا ريكاردوس قلب الأسد) !! (انتهت التحفة)

ونعود الى الجد مرة أخرى . فبعد قراءة القرآن على شيوخ القراءات ، وبعد اللغة ، والنحو ، والصرف ، تبقى علوم كثيرة لم ينصوا على شيوخه فيها ، وان كانت بداهة العقل (وبداهة العقل مسألة مشكلة عند بعضهم بالطبع !!) ، توجب أن يكون أخذها عن جماعة ممن ذكرنا من أهله، ومن شيوخ بلدته ، ومن عسى أن يكون نزل بها من العلماء في طريق رحلته . على أن المعرة نفسها كانت يومئذ معروفة بكثرة العلماء والشعراء من أهلها . فمن هذه العلوم : علم تفسير القرآن ، وعلم الفقه ، وعلم أصول الفقه ، وعلم التوحيد والكلام ، وعلم الفرق الاسلامية وغير الاسلامية ، وعلم التاريخ ، وعلم السير ، وعلم الفلك ، وعلوم الفلسفة ، ثم علوم الأدب ، كعلم البيان ، وعلم العروض والقوافي ، وعلم أخبار أهل الجاهلية والاسلام وأيامهم ، وفوق

ذلك كله علم الشعر جاهليه واسلاميه الى سنة ٢٨٦ من الهجرة رواية ودراية ٠ وانا لا أفترض ذكر هذه العلوم افتراضا ، بل يوجب الالمام بها الماما تاما مجرد دراسة شعر صباه الذى ضمنه الشيخ ديوان سقط الزند ، وما تبع هذا الديوان مباشرة من رسائله وكتبه ، ولا سيما لزوم مالا يلزم ، الذى ابتدأه بعد عزلته فى سنة ٤٠٠ من الهجرة ٠ويوجب الالمام بها على وجه اللزوم ، مانعرفه نحن بالنشاة والمدارسة (ومعذور من نشأ على غير ذلك اذا لم يعرفه) ، من ان ذلك كان شأن هذه الأمة فى دراستها منذ كان الاسلام فى كل حاضرة من حواضره ، فما ظنك بمن نشأ ببيت كبيت شيخ المعرة ، يحفه العلم من نواحيه نساء ورجالا ؟ (وقد مضى خبر تلقيه الحديث عن جدته) ٠

وامر رابع ، ان أبا العلاء أصابه الجدرى وهو فى الرابعة من عمره ، فعمى ، ومن قدر له أن يفيق من سكر الأوهام لحظة ، يعرف عرفانا لايخالطه شك مقدار مايتبعث فى قلب الأب من رحمة على ولده الذى عمى ، وما تنطوى عليه حينئذ جوانحه من الحدب عليه والاشفاق ، فكذلك كان ماوجد عبد الله ابن سليمان القاضى لولده أحمد الصغير الأعمى ، حتى وجد الصبى عنده القرار والسكون والاطمئنان. فلما دعى أبوه فاجاب ، وذلك فى سنة ٣٩٥ قال أخو الثانية والثلاثين من العمر ، أبو العلاء فى رثائه :

لقد مسخت قلبى وفاتك طائرا
فاقسم أن لايستقر على وكن
يقضى بقايا عيشه ، وجناحه
حثيث الدواعى فى الاقامة والظعن

ومن عرف معانى الشعر (لاأعنى شعر بلوتولاند، ولا شعر حوار ، فهذا شىء خارج عن طاقة ذوى العقول) ، ادرك ان هذا الضرير كان يعيش فى كنف أبيه واشفاقه وحدبه ساكن الطائر ، فلما فارقه ريع وقلق واضطرب ، وأراد فراق هذه المعرة ، حتى تم له ذلك فى سنة ٣٩٨ ٠ فهذا بدء عزمه على الرحلة، وبالطبع هذا شىء مختلف كل الاختلاف عن الاسباب التى أراد الدكتور لويس عوض، ان يلتمسها لرحلته الى بغداد ، من التخبط فى « فتنة لؤلؤ على ابى الفضائل سعيد الدولة الحمدانى لحساب الفاطميين»، وبقية الأخيلة التى نشأت له فى آخر مقاله

الخامس ، كما سنبين ان شاء الله ٠ وحسبنا الآن تحفة واحدة ، بلا اكثار ولا لجاجة ٠

واشد مما وجد أبوه لعماه ، وجدت أمه على ضريرها الصغير الضعيف العاجز القادر بغيره لا بنفسه ، القصير النحيل الرقيق العظام (وهذه صفة الشيخ الى آخر عمره) ، فكانت عليه أشد حدبا من أبيه ، وتولت أمره بنفسها تقوم بشأن هذا العاجز الشديد الحياء ، المفزع الحس ، الذى يصر على أن يأكل وحده حتى لايرى مؤاكله منه مايكرهه أو يسوءه او يضحكه ٠ وقد دل شعره فى رثائها بعد موتها فى سنة ٤٠٠ ، وهو فى السابعة والثلاثين من عمره على كل ذلك اذ يقول :

دعا الله أما ، ليت انى أمامها
دعيت ٠ ولو أن الهواجر آصال
مضت ، وكأنى مرضع وقد ارتقت
بى السن حتى شكل فودى أشكال

ويكرر هذا المعنى فى رثائها مرة أخرى فيقول :

مضت ، وقد اكتهلت فخلت انى
رضيع ما بلغت مدى الفطام

ويقول فيها أيضا :

كفانى ريها من كل رى
الى ان كدت احسب فى النعام

فهو يتمنى أولا أن يكون أجله كان سابقا أجلها، وان كان فى أهنأ عيش وأرغده ، ويرى أنه على ما بلغ من السن قد صار رضيعا عاجزا هلكت عنه حاضنته التي تكفله وترعاه ، فهو فى الضياع والى الضياع ٠ وكذلك يقول فى الميمية ، ويزيد انه كان فى حياتها غنيا عن كل أحد ، فهى التى تطعمه وتسقيه فى خلوة بعيدا عن اعين أقرب الناس اليه ، فلا يراه أحد شاربا أو آكلا ، كما لم ير أحد نعاما يرد ماء ، لأن النعام يجتزىء بالرطب عن الماء طول حياته (والرطب ، بضم الراء وسكون الطاء ، العشب الاخضر) ٠

فلما راعه ماراعه من موت أبيه ، ونفره بعد قرار مطمئن قد الفه ، آنسته نفرة القلق أمه وحدبها عليه ، ورأى نفسه قد استوى رجلا فى الخامسة والثلاثين من عمره (أى سنة ٣٩٨) ، فأخذه ما أخذه حتى عزم على الرحلة الى بغداد ، فركب

راسه ورحل مفارقا امه ، واقام في بغداد حتى سنة ٤٠٠ ، فعاد راجعا الى معرة النعمان ، والى امه ، فاذا هي قد دعيت فاجابت ، فيكتب الى خاله أخي امه أبي القاسم علي بن سبيكة رسالة ينضح صدرها فجيعة ، حتى يقول : « لو لم تكن الآجال زبرا (أي مكتوبة) ، لوجب أن أقتل صبرا (الصبر ، حبس الرجل على القتل حتى يقتل) ، على أني والله قد أعلمتها أني مرتحل ، وأن عزمي على ذلك جاد مزمع فاذنت فيه ، واحسبها ظنته مذقة الشارب (المذقة، الكذبة ، والشارب ، الكاذب) ووميض الخالب (برق السحاب بلا مطر) ، ولكن أجل كتاب ، وحزني لفقدها كنعيم أهل الجنة ، كلما نفد جدد »

فاي فجيعة يحسها العربي (وأين العربي !) ، وهو يقرأ هذه الأحرف الممزوجة بالدمع المنحدر على وجنتي الشيخ بلا نشيج أو صخب !! (وأستغفر الله كيف أفسر هــذا لأستاذ جامعي قدموس (أي قديم !!) وندع هـــذا لما نحن فيه • وذلك أن أبا العلاء وهو في الخامسة والثلاثين من عمره • لما عزم على الرحلة الى بغداد ، أعلم أمه أنه مرتحل عنها ، وانه قد جمع عزمه على ذلك جادا غير هــازل ، واستأذنها فاذنت له ، ولكنه لم يكن منها اذنا على الحقيقة ، بل كان صرفا له عن ايذائها بسماع مايقول من ذلك ويزعم ، واسكاتا لهذا المعاود لطلب الاذن بالحاح متتابع ، وظنت حين صرفته عنهـــا بالاذن له في الرحلة ، انه لن يفعل ما يقول ، لعلمها بعجزه عن أن يحفظ أمر نفســه ، في مطعمه ومشربه لأول مرة بين الغرباء ، وهو الذي بقي في حضانتها الى أن بلغ الكهولة وارتقت به السن ، هي تطعمه وتسقيه في خلوة وتقوم بكل شأن من شؤونه ، وتصرف عنه أعين الناس وما عسى أن تقع عليه مما يسوءهم أو يضحكهم منــه ، فحسبت الحاحه في الطلب واصراره «مذقة شارب ، ووميض خالب » ، وبقية ممــا ترك حزنه على أبيه في نفسه من القلق والنفور •

فهذه أمور أربعة أحببت أن أوفيها بعض حقها من البيان مختصرا غير مطيل ، وان كنت قد أثقلت على الدكتور لويس عوض وأطلت عليه الشقة، (والشقة، بضم الشين ، السفر الطويل) • ونعــود من هذا السفر البعيد الى خبر راهب دير الفاروس ! وقبل أن أتناول ألفاظ الخبر من الوجه الذي أريد ، أحب أن أذكر كذبة لطيفة جاءت في هذا الخبر ، دالة على أن محدث بالقفطي به وضاع كذاب ملفق، فانه يقول: « فرحل ، يعني أبا العلاء ، الى طرابلس الشــام ، وكانت بها خزائن كتب قد وقفها ذوو اليســـار من أهلها ، فاجتاز باللاذقية •• » ، وليس الأمر كذلك، فان هذا الوضاع الملفق (والناس متشابهون في كل زمان !!) قد ســمع أو قرأ خبرا آخر ، لا يقــول صاحبه : « وكانت بها خــزائن كتب قد وقفها ذوو اليسار من اهلها » بل يقول ، كما حدثنا ابن العديم (٥٨٨ ــ ٦٦٠) ، وهو معــاصر للقفطي (٥٦٨ ــ ٦٤٦) ، ولم يطلع على كتاب القفطي بلا أدنى ريب في ذلك ، وعلى الأقل لأنه لم يذكره البتة في كتابه ، يقول : « وقد ذكر بعض المصنفين أن أبا العلاء رحل الى دار العلم بطرابلس للنظر في كتبها » ، فقال : « دار العلم » ، ولم يقل «خـزائن كتب » • فانظر ماذا قال ابن العــديم في نقض لفظ هــذا الخبر ، فامسك بتلابيب « دار العلم » ، كما نفعل نحن الآن بالفاظ أخيه الآخر ، قال ابن العديم :

« اشتبه عليه ذلك بدار العلم في بغداد ، ولم يكن بطرابلس « دار علم » في أيام أبي العلاء ، وانما جدد « دار العلم » بها ، القاضي جلال الملك أبو الحسن علي ابن محمد بن أحمد بن عمار ، في سنة اثنتين وسبعين وأربعمئة (٤٧٢) ، وكان أبو العلاء قد مات قبل جلال الملك في سنة تسع واربعين واربعمئة (٤٤٩) وقف ابن عمار بها من تصانيف أبي العلاء : الصاهل والشاحج، والسجع السلطاني، والفصول والغايات، والسادن ، واقليد الغايات ، ورسالة الاغريض » • وهذه الدار هي التي ذكر ابن الاثير في حوادث سنة ٥٠٣ ان الصليبيين ، على رأسهم قمص ، حين أخذوا طرابلس : « نهبوا مافيها ، وأسروا الرجال ، وسبوا النساء والاطفال ، ونهبوا الأموال ، وغنموا من أهلها من الأموال والأمتعة وكتب دور العلم الموقوفة ، ما لا يحد ولا يحصى » • ويقال انه كان في « دار العلم » بطرابلس يومئذ : ثلاثة آلاف ألف كتاب ، أي ثلاثة ملايين • فانظر ما فعــل مناحيس الروم وأغتام الصليبيين يومئذ !! فهذه كذبة على الهامش ، ملفقة، اثبت بطلانها ابن العديم ، وبذلك بطلت رحلة أبي العلاء الى طرابلس من أساسها• ولابطال هذه الرحلة وجوه أخرى غير التي قالها ابن العديم، ولكنا لانعالج الأمر من هذا الوجه •

بل نسأل أولا : ماذا يريد صاحب الخبر بقوله : « لما كبر أبو العلاء وبلغ سن الطلب » ؟ عشرة أعوام احد عشر عاما ، اثنا عشر عاما . ونحن نقول انه لم يكن قبل الثانية عشرة لقول ابى زكريا التبريزى تلميذه ، فيما وجد بخطه على آخر سقط الزند : « وقال الشعر وهو ابن احدى عشرة سنة ، أو اثنتى عشرة سنة » ، ولا يمكن أيضا أن يكون بعد العشرين ، لقول أبي العلاء الصادق عن نفسه كما أسلفت : « وقد فارقت العشرين من العمر، ماحدثت نفسي باجتداء علم من عراقى أو شآم » ، فذلك اذن بين سنة ٣٧٥ وسنة ٣٨٥ . واذا كان قد بلغ بإنسان أن يقول ما قال أبو العلاء من انه فى الثانية والعشرين من عمره لم يحتج الى أن يتعلم من أحد من معاصريه ، وفيهم الأئمة فى كل فن وعلم ، ففى كم تظنه حصل ذلك ؟ فى سنة ؟ فى سنتين ؟ فى ثلاثة ؟ أظن لا ، ولا يليق بعاقل أن يفترض أن ذلك كان فى اقل من عشر سنوات او تسع سنوات أو ثمان سنوات ، ونرضى بالأدنى والأقل ، فهى ثمان سنوات اذن ، اى فى سنة ٣٧٧ ، واذن فهو فى الرابعة عشرة من عمره ، حين رحل الى طرابلس ، ودير الفاروس فرضا ، ويكون عندئذ قد قال الشعر منذ سنتين ، فيصبح اذن لخبر الراهب معنى غير متناقض، اذ قال فيه أنه قال شعرا ضمنه شكوكه فى صباه . أليس كذلك ؟

ونعود مرة أخرى فنسأل : هذا الذى يبلغ قمة العلم فى ثمان سنوات حتى لا يحتاج الى عراقى أو شآم من علماء أمته ، يكون بدء طلبه العلم فى أول هذه السنوات الثمان ؟ ولا أظن أحدا يقول : نعم ، وهو يعقل معنى ما يقول وما يقال له . اذن فلا بد من أن يكون قضى فى حفظ القرآن بقراءاته ، وفى حفظ أصول اللغة ، وأصول النحو والصرف ، وفى تعلم مبادىء الفقه ، وأصول الفقه ، ومبادىء علم التوحيد والكلام ، والسير ، وعلوم الأدب ، من بيان وعروض ، وألم بأخبار أهل الجاهلية والاسلام وأيامهم ، ثم الشعر جاهليه واسلاميه = لابد من أن يكون قضى فى ذلك كله حفظا ودراسة وتعلما وفهما خمس سنوات أو ست سنوات على الأقل ، فيكون جميع دراسته منذ عقل : ثمانى سنوات وخمس سنوات ، فتلك ثلاث عشرة سنة ، فنطرح هذا من سنة ٣٨٥ ، فيكون ذلك سنة ٣٧٢ ، وهو فى التاسعة من عمره ، لأنه ولد سنة ٣٦٣ . فاذا أضفنا أن نحدث فى هذا التاريخ فجوة تصلح لتصحيح تصور خبر الراهب ، افترضنا أنه بدأ حفظ القرآن ومبادىء العلوم ، وهو فى السادسة من عمره ، فنضيف اليها خمس سنوات ، فهو اذن فى الحادية عشرة من عمره سنة ٣٧٤ .

فمن هذين السؤالين نخرج بأنه لا بد أن يكون رحل الى طرابلس مابين سنة ٣٧٥ ، ٣٧٧، ولايمكن أن يكون غير ذلك كان ، ليتفق أيضا مع خبر حضرة الراهب فى أنه « سمع منه كلاما من أوائل كلام الفلاسفة، حصل له به شكوك لم يكن عنده مايدفعها به ، فعلق بخاطره ما حصل به بعض الانحلال » . أليس كذلك ؟ بلى ، لأنه لا يمكن هذا الراهب الشادى أن يضلل رجلا قد فارق الصبا : صبا العلم ، وأخذ فى محكمه الذى يبلغ به بعد ثمان سنوات أن لا يحتاج الى عراقى أو شآم .

فاذا أقررنا لصاحب هذا الخبر بهذا كله بلا مناقشة فى حقيقة ما يسمى عندنا « علما » ، ما هو ؟ وما هى مبادئه ؟ فلا مناص من أن نسأله سؤالا آخر : أخرج هذا الفتى الى طرابلس ، واجتاز باللاذقية ، ونزل دير الفاروس ، وهو أعمى ضرير قادر بغيره عاجز بنفسه ، خرج يطوى الأرض المخوفة التى يهددها « بطش الروم » ، كما يقول الدكتور لويس عوض ، وهو حجة فى مثل هذه الأمور !! = منفردا بلا قائد ولا دليل ولا رفيق ؟ فاذا قال : بلا رفيق ، فذلك خبل خابل (أى جنون مطبق). واذا قال : برفيق ودليل وقائد ، فنسأل : أهذا الرفيق من أهله أم من غير أهله ؟ فاذا قال : من أهله ، قلنا : أهو طفل مثله يرعاه ويحوط ضرارته وعجزه ، أم عاقل مدرك ؟ فان قال : طفل مثله ، فذلك ضرب آخر من الجنون . وان قال : عاقل مدرك . قلنا : أهو مسلم أم نصرانى ؟ فان قال : نصرانى ، فهو معتوه لا يخاطب . وان قال مسلم . قلنا : أفيعقل عاقل أن رجلا من أهل بيت بنى سليمان علماء المعرة وفقهائها وقضاتها ، وهو مع ذلك عاقل مدرك مسلم ، ينزل ديرا فيه راهب شاد، فيدع له غلاما يلقى عليه أقوالا من أوائل كلام الفلاسفة ، ليس عند الفتى الصغير ما يدفعها به ، وهو جالس الى جواره يدعم ذقنه براحته ، ينظر ويبتسم كأنه لا يبالى ؟ وأنا أشترط أن يجيبنى على هذا السؤال عاقل، لأنى قد سئمت اجابة من لايعقل

منذ عانيت ماعانيت من عشرة بعض الناس، وسماع أقوالهم ، وقراءة ما يكتبون وما ينشرون ٠

ومع ذلك فانا أسهل الأمر على من يريد أن يجيب، فانى لم أقض هــذه الساعات فى كتابة « **الامــور الاربعة** » لينساها من أساله ، فاضع له ملخصــا مفيدا لما فات يجعله على ذكر ٠ ففى الأمر الاول ذكرت وبينت من هم آباء أبى العـــلاء ومنزلتهم من العلم والفقه والديانة ، وفى الأمر الثــانى بينت أن شيخ المعرة ، قد فارق العشرين فلم يحدث نفسه باجتداء علم من عراقى او شآم ، من أمة علماؤها هم من هم (ومعذور الدكتور لويس عوض ، اذا لم يعرف عنهم شيئا) ، وهذا لا يناله أحــد فى مثل هــذه المــدة القصيرة ، وهو ملتــات العقل فى الثالثــة عشرة من عمره ، يستطيع راهب شاد أن يضلله عن دينــه وكتابه. وفى الأمر الثالث بينت أعداد شيوخه شيخا شيخا باسمائهم، وكلهم عالم فقيه، او لغوى نحوى، وانه نشأ فى بيت يحفه فيه العلم من رجال ونساء ، وفى الأمر الرابع بينت أن أبا العلاء عمى فى طفولته ، وأن ذلك ابتعث حدب أبيه الذى بقى يرعاه الى سنة ٣٩٥ ، كما بين هو فى شعره ، بأشد حياطة واشفاق، وكانت أمه أشد حدبا على ضرير عاجز بنفسه قادر بغيره ، فظلت تقوم على خاص شأنه حتى لا تراه عين من صميم أهله ، فتنكر من مطعمه او مشربه شيئــا فتستخف به أو تهزأ ، وأنه ظل فى كفالتها كانه رضيع ، حتى ركب رأسه بعد وفاة أبيه فجعل يلح عليها مستأذنا فى الرحيل الى بغداد ، ويبدى لهــا أنه عازم ، وهى تحسبه كاذبا فيما يقــول ، لعلمها بضعفه وحيائه وحبه أن يستر خاص أمره عن كل عين قريبة ، فما ظنك بالعين الغريبة ؟

فانا أسال مرة اخرى سؤالا جامعا : هل يمكن أن يكون أبو العلاء قد رحل منفردا الى راهب دير الفاروس أو مع رفيق ، فى حياة أبيه القاضى أو فى حياة أمه فى نحو سنة ٣٧٥ ـ ٣٧٧ ، وهذا كله حاضر فى ذهن من يريد أن يجيب بنعم أو لا ؟ وأتولى أنا الاجــابة ، فأقول : لا ، هذا أمر فــوق المقطوع باستحالته عند من يعقل ٠ فأبو العــلاء اذن ، لم يرحل قط الى طرابلس ، لا فى صباه ، ولا فى شبابه ولا فى كهولته ، ولم يجتز بدير الفاروس ولم ينزل به البتة ، ولم يلق « راهبا يشــدو شيئا من علوم الأوائل ، فيسمع منه أبو العلاء كلاما من أوائل كلام الفلاسفة » ٠ وقد أسلفت فى الكلمة الماضية انه لم يقل شعرا فى صباه يتضمن شــكوكا توجب عليــه الاعتذار منها والبراءة ٠

وتبقى طريفة من الطرائف فى هذا الخبر ، لا أكلف الدكتور لويس عوض عبء استنباطها ، فأستنبطها أنا له ، والأمر لله ٠ فانا أقرأ كــلام القفطى وغير القفطى ، وأنا أزعم أنى أعــرف هذه العــربية التى ارتضعناها من أثداء أمهاتنا منذ عهد أبينا اسماعيل عليه السلام ، فبقى فى دمائنا منهــا نبض لا يكاد يخطىء بعد الدربة والممارسة ٠ ففى هذا الخبر جملة تدل على واضع الخبر من أى الطبل هو ؟ (أى ، أى الناس هو ، مرة أخرى) ، فنحن نقرأ كتاب القفطى جميعه ، ولا نكاد تجد لها مثيلا فى الركاكة والسقم فى كتابه كله ٠ واذا كان القفطى لم يسند الخبر الى كتاب ، ولا نسبه الى رجل معــروف من أهــل العلم والرواية ، فانى أراه نكره كما أسلفت لخبث مخرجه عنده ، وأزعم أن ياقوتا سمعه منه فأنكر أيضا لفظه وخبث مخرجه ، فليت شعرى من يكون محدث القفطى بهذا الخبر ؟ ولا سيما بعد ما أثبت أنه كان يسمع ما وجده ابن العديم فى كتاب لأحد المصنفين ، زعم فيه أن أبا العلاء « رحل الى دار العلم بطرابلس للنظر فى كتبها » ، فأخذ هــذا الخبيث الوضــاع ، الخفيف الظل ، الذى أتعبنا معه ! ، هذه الكلمة ، فبنى عليها قصة من سمادير المدمنين (والســمادير ما يتراءى للمخمور) ركبها بجهله وخطفه كمايشتهى، وأحدث لها شخصا لا وجود له البتة فى هذا الزمن بعينه ، وغير « دار العــلم بطــرابلس » ، الى « خــزائن كتب ٠٠ » ، ثم حــدث القفطى به بعد أن ســمع وقيعته فى دين شيخ المعرة ، فأراد أن يطرفه بذلك لو يسليه ٠ فجاء القفطى فأثبته فى كتــابه ضغينة على الشيخ وطرفة ، ولم يظن أن الأمر سينتهى بها الى ما نحن فيه ٠

قال محدث القفطى فى حديثه عن الذى كان من أمر أبى العلاء بعد لقاء الراهب وسماعه كلامه الذى زعم : « وحصل له به شكوك لم يكن عنده مايدفعها به ، فعلق بخاطره ما حصل به بعض الانحلال » ، فقوله : « وحصل له به شكوك » ثم « وحصل له بعض الانحلال » ، كلام لا عربية له ، انما هو من لهجة علوج الشام ، وزواقيل الجزيرة ولا شىء غير ذلك ، (والعلوج : بقايا عجم الشام ، والزواقيل : بقايا عجم الجزيرة) ، لا يكتبه القفطى ولا من كان فى مثل علمه وفقهه ومنزلته ، واذن فلم يبق الا علاج هذا الخبر من ناحية أخرى أخــرى ، يوجب علينــا استخدام الدكتور لويس عوض اياه ، على أن نعالجه من هذه الناحية (والعرض مستمر) ٠

محمود محمد شاكر

«ممزير» الا ١٢

للدكتور : فؤاد حسنين على

اختلفت العبرية هـذا اللفظ منذ عشرين قرنا واختصت به المسـيح والمسيحيين معبرة به عن معنى « لقيط » فالبـابا « ممزير » واعضاء المجلس المسكونى « ممزيريم » ومن هنـا تعرض المسيح واتباعه لكثير من الالفاظ والافعال المهينة التى جاءتنا بعضها فى المصادر اليهودية مثل المدراش والتلمود أو فى المصـادر اليهودية المسيحية كالعهد الجديد سواء فى الأناجيل أو الرسائل · وقد انتقلت هذه العدوى من المصـادر اليهودية واليهودية المسيحية الى بعض المؤلفين اليونانيين امثال (يوستينوس ، وبيوميوس ، واوريجينيس) وفى اللاتينية نجـد امثال (امولو ، واجوبارد ، وترتليانوس) ·

وقد تعرضت المصـادر اليهودية لنواح مختلفـة من المسيحية حتى لفـظ « انجيل » لم ينج من السخرية والتعريض · فلفظ « انجيل » هو اليونانى « افنجليون » وقد جاء بخصوصه فى التلمود البابلى ان ربى ماير كان ينطقه «اون جليون» ولفظ «اون» فى العبرية يدل على الكذب والخداع كما ان «جليون» تفيد «الوثيقة» · وغير ربى «ماير» نجـد مثلا ربى يوحنان فقد كان ينطقه « عون جليون » ولفظ عون يرادف (اون) فمعنى لفظ «انجيل» حسب تخريج حكمـاء التلمود ليس بشـارة بل وثيقة الكذب والخداع ·

وقد حفظ لنا التلمود البابلى قصة طريفة جاءت فى ثنـاياها هذه السخرية بالانجيـل فيحكى ان السيدة (ايما) شالومو زوج ربى اليعازر واخت ربى جمليال توجهت برفقة أخيهـا الى جار لهما اشتهر بالعلم والحكمة ونقاء السيرة يستفتيانه فى ميراث تركه والدهما وانتهزت السيدة (ايما) هذه الفرصة واهدت الحكيم منارة من الذهب ومن ثم طلبت اليه رأيه فى هذا الميراث فافتى لها باحقيتها فيه فاعترض ربى جمليال وقال : لقد جاء فى سفر العدد حيث يوجد ابن لا ترث البنت : فأجابه الحكيم : هـل طردتما من أرضكما ؟ ان كنتما كذلك فشريعة موسى لا تطبق عليكما ويطبق الافونجليون وقد جاء فيه : الولد والبنت يرثان معا ·

وفى اليوم التالى عادت (ايما) واخوها الذى احضر معه حمارا ليبيا وقدمه هدية للحكيم وسأله رأيه ثانية فأجابهمـا « لقد واليت البحث فى (الافون جليون) فوجدت فيه (لا تظنوا انى جئت لانقض بل لاكمل) وانتهيت الى شريعة موسى التى تقرر « حيث يوجد ولد لا ترث البنت » · فقالت السيدة ايما : ان نورك يضىء مثل المنارة · فقال جمليال : ان الحمار جاء وداس المنارة ·

واذا تركنا لفظ انجيل الى جوهر المسيحية اعنى طهارة مريم التى هى احـدى الدعامتين القويتين التى تقوم عليهما المسيحية وجدنا اليهودية تهاجمها وتشكك فيهما فالمسيح روح من الله وكلمته فحمله ووضعه آيتان من آيات الله البينات · اما اليهودية فقالت عن البتول فى التلمود انهـا المرأة الساقطة مصففة شعور النسـاء والبغى المتجولة فى الازقة والاسـواق (التلمود البابلى باب كلا) فقـد جـاء ما معناه : ان اللقيط ـ المسيح ـ حسب رأى ربى اليعـازر هو ابن زناء وقد حملت به أمه سفاحا ووضعته كما تحمل المرأة وتضع ·

وجلس الحكماء مرة عند مدخل المدينة فمر بهم طفلان أحدهما حاسر الرأس فقال ربى اليعازر : ان هذا الطفل حاسر الرأس ابن زناء : فاعترض ربى يهوشع وقال : انه من امرأة حملت به ووضعته كما تحمل وتضع النساء (يعنى لا معجزة) · أما ربى عقيبة فقد خالفهما قائلا انه ابن زناء ووضعته أمه كغيرها من الامهـات فاعترض عليه الحكماء قائلين

كيف انتهيت الى هذا الرأى فاجابهم سابرهن لكم على صحة قولى وتوجه الى والدة الطفل وكانت فى السوق تبيع بقـــولا فخاطبها قائلا : يابنيتى اذا اجبتنى على سؤالى دعوت لك لتبلغى الحياة الاخرى. فاجابته مريم : احلف لى انك ستفى بوعدك: فاقسم لها ربى عقيبة بشفتيه واضمر خلاف ذلك فى قلبـه وسالها: ما قصة ابنك ، فاجابته لما كنت مخطوبة وتوجهت الى غرفتى عذراء بعيدة عن زوجى جاءنى رجل ونام معى وهكذا كان لى هذا الغـــلام الذى اعتبر ابن زناء وحملت به ووضعته كغــيرى من الامهات : فقال الحكماء : عظيم هو ربى عقيبة فقد افحم معلميه وقالوا مبـارك (يهوه) الذى كشف السر لربى عقيبة بن يوسف .

وفى التلمود وغيره من الاســفار اليهودية نجد صورة بشعة جدا للمسيح ، وأمه . والمســيحية وليس معنى هذا ان ما جاءنا فى المصادر اليهودية المسيحية أعنى اسفار العهد الجديد وبعض المراجع اليــونانية واللاتينية والسريانية احسن حالا ، اذا ما قورن بمـــوقف الوحى المحمـدى العربى اعنى القرآن الكريم . ولعل سبب اهتزاز هذه الصورة الخاصة بالمسيح والمسيحية ان اسفار العهد الجديد لم تكتب لتقدم لنــا حيـــاة المسيح وشبابه وذلك لان الباحث فى العهد الجـديد يجب أن يتصوره انســـانا لا غير . وقد حاول لوقا ذلك فى انجيله فارخ الحوادث التى لديه وادخـــل فيهـا شيئا من الحياة فحدثنا عن طفولة المســيح وشبابه فالمسيح والحالة هذه انسان عادى أرضى ، الانسان يسوع الناصرى الذى يقول فيه بولس فى رسالته الى اهالى فيلبى (ص ٢ الايات ٥ - ١١) فليكن فيكم هذا الفكر الذى فى المسيح يسوع أيضا الذى اذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله لكنه اخلى نفسه آخذا صورة عبد صائرا فى شبه الناس واذ وجد فى الهيئة كانســـان وضع نفسه واطاع حتى الموت موت الصليب ..

والمسيح هو الذى يقول فيه بطرس فى أعمـال الرسل (ص ٢ ى ٢٢) : أيها الرجال الاسرائيليون اسمعوا هذه الاقوال يسوع الناصرى رجل أيده الله بينكم بالآيات والمعجزات كما تعلمون ..

واذا تركنا يسوع الانســان واردنا ان نتصور مولده فاقدم مصدر من مصادر اعلان مجيئه لم يذكر تاريخه (راجع مرقس ص ١ وأعمال الرسل ص١٣) فالحديث عن المسيح هنا يظهر فقط عند الكلام عن يوحنـــا المعمدان (يحيى) ولا ينصرف الى ميـلاد المسيح وطفولته ، كما يلاحظ أيضا ان الاصحاحين الاول والثانى من انجيلى متى ولوقا مختلفان وان اتفقـا فى شيء فهو القليل النـــادر فالاصحاحان يعرضان لميلاد المسيح بواسطة الروح من العذراء مريم بينما مرقس لا يعرف شيئا عن هذه الولادة العجيبة وبالعكس فقد ورد فيه ما يتناقض مع ماجاء فى متى ولوقا ويوحنا . ويذكر مرقس فى الاصحاح الثالث الآية الواحدة والعشرين : ولما سمع اقرباؤه خرجوا ليمسكوه لانهم قالوا انه مختل : فمن هذه العبارة يفهم انه لم ينظر اليه كما لو انه ولد عن طريق معجزة أو انه كان مهـابا محترما . والشيء الثابت ان مرقس يذكر فى الاصحاح الاول آيات ١ - ١١ ما يفهم منه ان علاقة المسيح بالله جاءته عن طريق المعمودية ويتفق معه لوقا فى ذلك (راجع لوقا ص ٣ ى ٢٢) ويخالفهما فى هذا الراى (يوحنا ص ١ ى ٤٥ وص ٦ ى ٤٢) . اذ يذكر المسيح كابن ليوسف ومريم ومن الناصرة . كذلك جدول النسب الذى ذكره متى ص ١ ولوقا ص ٣ يظهر المسيح وقد انحدر من بيت داود الملكى وهو ابن ليوسف الذى ينتهى نسبه الى داود .

تلك هى الفكرة الاولى عن المسيح كمـا تصوره الاناجيل اعنى انه ابن ليوسف من نسل داود ومن ثم ظهرت الفكرة الجديدة القـــائلة ببكارة العذراء (راجع لوقا ص ١ ى ٣٤ ومتى ص ١ ى ١٨-٢٥) اما الفكرة الاولى فهى فى الواقع الفكرة المسيحية الاصلية وهى التى يتفق فيها أيضا متى ولوقا بالرغم من وجود بعض الخلاف فى جدول النسب الوارد فى متى ولوقا . ويذكر بولس فى رسالته الى أهل رومية ص ١ ى ٣ ما نصه عن ابنه الذى صار من نسل داود من جهـــة الجسد . وجاء فى انجيل مرقس ص ١٠ ى ٤٧ : يايسوع بن داود ارحمنى :

وفى العهد الجديد مسالة اخرى جديرة بالملاحظة وهى ان القصص الخاصة بميلاد المسيح تجمع أو تكاد على انه كان ببيت لحم لكن متى (ص ١) ولوقا (ص ٢) انفردا دون سائر المراجع المسيحية القديـ بسرد أخبار مختلفة متباينة فمتى يقول ان والدى المسيح كانا يسكنان بيت لحم ثم هاجرا الى مصر خوفا من (هيرودوس) ثم عادا الى فلسطين ثانية بعد وفاته الا ان خوفهما من ابنه (ارخيلاوس) اضطرهما الى الانتقال الى الناصرة فى الجليل ، هذا بينما يذكر لوقا ان سكنهما كان فى مدينة الناصرة ومن ثم

انتقــلا الى بيت لحم حيث ولد المسيح صدفة فى الوقت الذى كانت تجرى فيه عملية التعداد فى سوريا . لكن عملية التعداد هذه التى يذكرها لوقا ص ٢ غير صحيحة من الناحية التاريخية كما يحدثنا التاريخ الرومانى . والخلاف كائن أيضــا بين متى ولوقا حول زمن ميلاد المسيح فمتى يقرر فى ص ٢ انه ولد أيام هيرودوس بينما لوقا يخالفه ويذكر فى ص ٢ ى ٢ (كيرينيوس) والواقع ان هيرودوس توفى قبل الميلاد وخلفه ابنه (ارجيلاوس) . ولو افترضنا ان هيرودوس قد توفى بعد الميلاد فلم يجر فى عهده تعداد رومانى لاقليم يهوذا والتاريخ يحدثنا ان هذا التعداد حدث فقط فى عام ٦/٧ على يد (كيرانيوس) كما ذكر هذا المؤرخ اليهودى يوسيفوس فيلافيوس.

ولم تقتصر وجوه الخلاف حول حياة المسيح على هذه المصـــادر اليهودية أو اليهودية المسيحية بل نجدها عند بعض المؤرخين الرومان أمثال (سويتون، وتسيتوس) . كمـــا عرض له الكاتب السريانى (مارا بن سرابيون) فى خطاب له أرسله الى ابنه (سرابيون) وفيه يقولان اليهود اعدموا ملكهم الحكيم.

واذا تضـاربت هذه المصــــادر حول شخصية المسيح فهل اتفقت فى تاريخ مجيئه الى الدنيا ؟ حتى هنـا اختلفت مراجعنا الانجيلية وتضـــاربت فمن رواية متى ص ٢ يفهم انه ولد أيام حكم هيرودوس الا اننا نعلم من ناحية أخرى ان هيرودوس العظيم توفى عـــام ٧٥٠ بعـد تأسيس روما (اب أوربا كونديتا) اعنى فى العام الرابع ق.م. ويذكر لوقا فى ص ٣ ما ملخصه ان يوحنا المعمدان أخذ يعمد فى العــام الخامس عشر من حكم الملك طبريوس ويقول لوقا فى نفس الاصحاح أيضــا آية ٢٣ ان عمر المسيح فى ذلك الوقت قد قارب الثلاثين عاما وهذا لا يتفق ورواية مرقس ص ١ ى ١٤ التى تقرر ان المســيح ظهر بعد القبض على يوحنا المعمــدان وهذا يعنى ان المسيح كان معاصرا ليوحنا المعمدان.

والباحث فى هذه المصــــادر اليهودية المسيحية يصطدم بكثير من مسائل الخلاف ومن اهمها تاريخ وفاة المسيح ففى (ترتليان) يعينه بالعام التاسع والعشرين من حــكم (طيبريوس قيصر) اذ كان (بيلاطس البنطى) واليا . أما لوقا فيقول فى ص ٣ ى ١ العام الخامس عشر وذلك لانه من الراجح ان وفاة المسيح وقعت أيام بيلاطس (٢٦ – ٣٦) وبما ان بيلاطس هذا لم يكن فى العـــام السادس والثلاثين موظفا وان يوحنا المعمدان بدأ عمـــله عام ٢٨/٢٩ لذلك كان التاريخ الذى يهمنا هنا هو ذلك الواقع بين عامى ٢٩ و ٣٥ .

والخلاف حول الوفاة يسلمنــا الى يــوم الوفاة أيضا فنحن لا نعلم بالضبط مدة كرازة المسيح ولا يــوم وفاته فمتى ص ٢٧ ى ٦٢ وص ٢٨ ى ١ ، ومرقس ص ١٥ ى ٤٢ ، ولــوقا ص ٢٣ ى ٥٤ ، ويوحنا ص ١٩ ى ١٤ و ٣١ يجمعون على انه يوم جمعة تكن إيام الجمع فى الشــهر كثيرة . وتذكر الاناجيل الثلاثة الاولى متى ولوقا ومرقس ان المسيح قبض عليه فى ليــلة عيد الفصح وفى الصبح أمر بيلاطس بصلبه اعنى فى ١٥ نيسان . لكن يوحنا ويقره بطرس يقولان ان المسيح قبض عليه يــوم ١٤ نيسـان وصلب فى نفس اليوم (يوحنا ص ١٣ ى ١ و ٢٩ ، وص ١٨ ى ٢٨ . وص ١٩ ى ٣١) . واذا علمنا ان أول أيام عيد الفصح يبدأ من الساعة السادسة مساء من اليــوم الرابع عشر من شهر نيسان وينتهى فى تمام الساعة السادسة من مساء اليوم الخامس عشر وان حكم هذا اليــوم حكم يوم السبت (شبات) فهو مقدس لا يجوز ان تنظر فيه قضية أو يصدر فيهحكم أدركنا ضعف رأى الأناجيل الثلاثة الاولى بينما ما ذكره يوحنا أعنى ان القبض والصلب فى يوم ١٤ نيسان تاريخ معقول وان كان هناك مجال للطعن حول اثبات ان عاما من الاعوام كان اول أيام عيد الفصح يوم ١٤ أو ١٥ نيسان . هذا اعتراض ليس من السهل الاجابة عليه .

هذه صورة من صور الحياة العقائدية التى مر بهـا طرف من أطراف الجزيرة العربية وهى صورة ولا شـــك مهزوزة لا تتفق ومكانة السيد المسيح الدينية . ولا عجب فقد رسمتهـــا اليهودية أولا واليهـــودية المسيحية ثانيـا وقد ظلت تزين دور العبادات فى كثير من بلاد الشرق والغرب حتى خرج من صحراء قلب الجزيرة العربية ورمالها وحى آخر أكرم بالعروبة والعقيدة العربية من غيره فالانجيل ليس وثيقة كذب ونفاق بل هدى للناس والمسيح ليس لقيطا بل كما جاء فى سورة البقرة مثلا: ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس .. وفى سورة الانعــام نرى القرآن الكريم يشرك مع المسيح زكريا ويحيى (يوحنا المعمدان) والياس فنقرأ : وزكريا ويحيى وعيسى واليــاس كل من الصالحين :

اما مريم فليست البغى المتســكعة فى الازقة

والاسواق بل كما يصورها الوحى المحمدى العربى فى آل عمران مثلا : واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العـــالمين : وفى سورة النســـاء : وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما : وفى سورة التحريم : ومريم ابنت عمران التى احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنـــا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين :

اما فيمـــا يتصل بالتهمة الاخرى التى تحاول المصـــادر اليهودية واليهودية المسيحية الحـــاقها بالسيدة العذراء اعنى انها حملت بالمسيح ووضعته تفيرها من النساء فقد ذكر القرآن العربى فى سورة المؤمنين : وجعلنا ابن مريم وأمه آية ٠

والآن أتساءل الا يؤمن سماحة البابا والكنيسة المسيحية مهما اختلفت نحلهـــا ومذاهبها بالكتاب المقدس للمسيحية وهو كتاب قبل كل شيء يهودى مسيحى وبما جاء فيه من آيات بينات ؟ الم يرد فى متى ص ٢٦ آيات ٦٣ ـ ٦٧ ما نصه : وان يسوع الناصرى كان ساكتا فاجاب رئيس الكهنة وقال له استحلفك بالله الحى ان تقول لنا هل انت المسيح ابن الله ؟ قال له يسوع انت قلت وايضا اقول لكم من الآن تبصرون ابن الانسان جالسا عن يمين القوة وآتيا على ســـحاب السماء ، فمزق رئيس الكهنة حينئذ ثيابه قائلا : قد جدف : ما حاجتنا بعد الى شـــهودها قد سمعتم تجديفه ، ماذا ترون فاجابوا وقالوا : انه يســـتوجب الموت حينئذ بصقوا فى وجهه ولكموه وآخرون لطموه :

وفى الاصحاح ٢٧ : ولمـــا كان الصباح تشاور جميع رؤساء الكهنة وشيوخ الشـــعب على يسوع حتى يقتلوه فاوثقوه ومضوا به ودفعوه الى بيلاطس البنطى الوالى ٠٠٠ قال لهم بيلاطس فـــماذا أفعل بيســـوع الذى يدعى المســـيح ؟ قال له الجميع ليصلب : فقـــال الوالى : وأى شر عمل ؟ فكانوا يزدادون صراخا قائلين ليصلب ٠ فلما رأى بيلاطس انه لا ينفع شيء بل بالحرى يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الجمـــع قائلا انى برىء من دم هذا البار ابصروا انتم فاجاب جميع الشعب وقالوا دمه علينا وعلى أولادنا ٠٠٠

وجاء فى رســـالة بولس الى العبرانيين ص ١ آية ٦ : اذ هم يصلبون لانفســـهم ابن الله ثانية ويشهرونه :

والآن أتســـاءل كذلك ما هو موقف الكنيسة الكاثوليكية بصفة خاصة ؟ ان (الكاتشينسموس) الكاثوليكى اعنى كتاب تعليم الدين لابنـــاء الطائفة الكاثوليكية ينص صراحة على وجوب تلاوة ترنيمة خاصة فى قداس يـــوم الجمعة الحزينة ونص هذه الترنيمـــة : شـــعبى ماذا صنعت لك أو اقترفت ضدك ؟ اجبنى : لقد أخرجتك من أرض مصر الا انك اعـــددت لخلعك الصليب !! ثم الم تتـــخذ الكنيسة الكاثوليكية من لعنة اليهود مادة من مواد العبادة والتقرب الى الله : حيث يرتل المصلون مايلى:

« دعنا نصلى أيضـــا لليهود الخونة عسى الرب الهنا يقشع عن قلوبهم غشاوة الجهل لكى يعترفوا بيسوع المسيح الهنـــا ٠ الله القوى الابدى الذى يشمل برحمته حتى اليهـــود الخونة ليستجيب الى دعواتنا التى نتوجه بهـــا من أجل هذا الشـــعب الاعمى راجين أن يرســـل اليه نور الحقيقـــة أى المســـيح ليؤمن به ويتقشع عنه الظـــلام بواسطة سيدنا يسوع المسيح أمين :

يقينا ان الكنيسة الكاثوليكية ليست اليوم فى وضع تحسد عليه ففى العصور الوسطى كان تدخلها فى الاصول الدينية سببا من أسباب التذمر المكبوت فى نفوس بعض أبنائهـــا ثم هب نسيم صحراوى عليل من الجزيرة العربية فدفع أمثـــال فريدريش الثانى فحطم سلطان الكنيســـة وسخر من البابا حتى اهدى اليه عبـــاءة زخرفها الفن العربى الاســـلامى بشهادة « لا اله الا الله محمد رسول الله » ومع العباءة وسادة عليها : « تبت يدا ابى لهب وتب » ما اغنى عنـــه ماله وما كسب ، سيصلى نارا ذات لهـــب ، وامرأته حمالة الحطب ، فى جيدها حبل من مسد ، وتقبل البابا (اينوسنس الثالث) الهدية شاكرا تجلس على الوسادة وتزين بالعباءة عند كل قداس ٠

واستهتـــار الكنيسة بالعهد الجـــديد المقدس وتعاليمه هو الذى دفع أمثال (سيبستيان فرنك) ان يترنم قائلا :

لا اريد أن اكون باباويا
لا أريد أن أكون لوثريا
لا أريد أن أكون مسيحيا

من هذا العرض رأينا المسيحية فى اليهودية وفى اليهودية المسيحية وفى الاسلام دين الصحراء وتاج العقيدة العربية ومحرر العقول من خرافات القرون البـــائدة ومطلق العقول من عقالها وهذا من فضل العرب على الانسانية ٠

دكتور فؤاد حسنين على

الأدب والثورة الاشتراكية

للدكتور محمد مندور

منذ عامين تقريبا أثيرت قضية تحت شعار **أزمة المسرح** وعدم تجاوبهم التجاوب الكامل مع الثورة الاشتراكية التي قام بها شعبنا . وفي الأيام الأخيرة تجددت نفس القضية ولكن على نحو أكثر تحديدا هذه المرة اذ حصرت في دائرة الأدب . والى أى مدى تابع الادب تطورات حياتنا الأخيرة أو تخلف عن متابعتها . ولقد طالب الكاتب الأدباء بمزيد من الجرأة استنادا الى السياسة العامة التي أعلنتها الدولة في مجلس الامة من أنها تحترم حرية الأديب ولا تريد أن تفرض عليه رقابتها أو سلطانها تاركة الحكم للقانون والقضاء في نهاية الأمر . وصحيح أن اشتراكيتنا اشتراكية سمحة غير متزمتة في مجال الفكر والأدب والفن ، ولكن الأدباء ليسوا في نهاية الأمر الا مواطنين لا بد أن تنعكس الأوضاع الجديدة لحياتنا على اتجاههم الأدبي والفني نتيجة لتأثرهم ومشاركتهم في خلق هذه الأوضاع الجديدة . ولكننا هنا نقع في الحقيقة في دور ، فلسنا ندري هل الفكر هو الذي أحدث هذه التطورات أم أن التطورات قد سبقت الفكر استجابة لمطالب الحياة الحتمية وقوانين تطورها التي لا مفر منها . وهذا الدور يشكل قضية لا يزال المفكرون في العالم كله يتناقشون حولها . ولكننا على أية حال قد انتقلنا بحياتنا المادية من وضع الى آخر . واذا كان الفكر لم يمهد بالقدر الكافي لهذا الوضع الجديد فلا أقل من أن يلاحقه . وعندما نراجع الانتاج الأدبي والفني في عصر الثورة الذي قارب اليوم السنة الثالثة عشرة من عمره المديد ـ نرى أن الكتاب كانوا لا يزالون منصرفين الى تصوير مفاسد الماضي ومظالمه وكان الجمهور يتقبل برضا هذا الاتجاه لأنه يرى فيه تبريرا لثورته وشرعيتها بل حتميتها . ولا أذكر أنني سمعت لسنوات طويلة من المواطنين من يطالب بالانتقال الى تصوير مشاهد حياتنا الجديدة الا في الأيام الأخيرة جدا ، حيث رأيت بعض زملائي في اللجان الفنية يعترضون أحيانا على بعض المسرحيات لأنها تستمد مشاهدها من العهد البائد قائلين اننا قد انتهينا من ذلك العهد واستقرت ثورتنا نهائيا بحيث لم تعد في حاجة الى نبش الماضي تبريرا لحدوثها . وهذا صحيح . فمن المؤكد أن الرئيس جمال عبد الناصر قد عبر عن واقعنا الحاضر تعبيرا صادقا عندما قال ان الثورة قد انتهت من التحويل الاشتراكي لتبدأ مرحلة الانطلاق العظيم ، أى انتهت من مرحلة الهدم لتبدأ مرحلة البناء ، هدم الأوضاع القديمة الفاسدة وبناء الاوضاع الجديدة السليمة العادلة . ولكن هذا الاعلان لم يمض عليه بعد من الوقت ما يمكننا من القول باننا قد خطونا شوطا فعليا حاسما في هذه المرحلة الجديدة . وسواء أردنا ام لم نرد فمن المؤكد أن مرحلة التحول الاشتراكي كان لا بد أن تدفع الادب نحو مواصلة السير في طريق الواقعية



النقدية ، أى نقد الأوضاع التى كانت سائدة فى واقع ماقبل الثورة تعزيزا وتمكينا لاجراءات التحويل الاشتراكى حتى اذا تم هـذا التحويل وانتقلنا الى مرحلة البناء . والبناء لا يشمل ماديات الحياة الجديدة بل معنوياتها الجديدة أيضا ـ كان من واجب الأدب بل من طبيعته أن ينتقل هو الآخر من الواقعية النقدية الى الواقعية البناءة التى تبحث عن القيم الايجابية الجديدة التى لابد أن تنبع من التغيير الثورى الذى حدث فى حياتنا بدلا من البحث عن مفاسد ومظالم العهد البائد أو الرواسب التى تخلفت عنه .

ولكن السؤال الآن هو : هل الأدباء مقصرون حقا فى رصد القيم الاخلاقية والاجتماعية والروابط والعلاقات الجديدة ، أم أنهم معذورون لأن هذه القيم والروابط الجديدة لم تتبلور بعد الى الحد الذى يمكن الادباء من تصويرها وهم مطمئنون الى صدق ما يعملون ، وذلك بحكم أن عملية البناء المادى لحياتنا الجديدة لم تبلغ بعد من القوة بحيث يمكن القول بأنها قد اكتسحت تماما جميع رواسب الماضى وأحلت محلها قيما ورواسب اجتماعية جديدة سليمة غير مريضة ولا متهارة مجاراة لصلابة البناء الجديد الذى أقمناه لحياتنا الجديدة العادلة .

وهذه هى فى الواقع المشكلة . فالأدباء لاتنقصهم الجراة ولا الحماسة ، ولكنهم حريصون على الصدق والاخلاص وعدم الخلط بين الواقع والأمل والحلم والحقيقة ليأتى أدبهم أدبا متينا صادقا مرآة وفيه لواقع حياتنا .

وأنا بعد لا أنكر أن الأدب هو الذى يستطيع تنمية القيم الجديدة بابرازها وتجسيدها ولفت النظر اليها حتى ولو كانت لا تزال فى مرحلة الارهاص والتبلور . ولكن الى أى مدى يستطيع الأديب الحق أن يبشر بهذه القيم الجديدة والروابط الوليدة دون أن يعتبر مزورا أو مهرجا أو مغالطا أو منافقا . والخوف من كل هذه النقائص الكبرى وهو خوف مشروع وواجب هو الذى قد يظنه البعض نقصا فى الجراة أو تقاعسا عن مجاراة تطور حياتنا الواسع الذى نجاهد اليوم فى سبيله وبخاصة فى مرحلة البناء لأن البناء بلا ريب أكثر مشقة واطول مدى وأعز منالا من الهدم ، ولقد مرت مرحلة الهدم أى مرحلة التحول الاشتراكى فى سرعة وسلام وأما مرحلة الانطلاق أى مرحلة البناء ، فهى المرحلة الصعبة التى تتطلب من جميع المواطنين تكاتفا واخلاصا وحماسة يقظة مستمرة . ومن المؤكد أننا بعد أن نقطع شوطا حاسما فى هذه المرحلة الجديدة سوف يتحول الأدب تلقائيا وبدافع الصدق الأدبى والفنى ذاته الى الواقعية البناءة التى سوف تجسد وتبرز معنويات حياتنا الجديدة وهى مطمئنة الى صدق ما تصور .

وليس معنى كل هـذا أننى أريد أن أخلى الأدب والأدباء من كل مسئولية أو أن أرضى لهم بأن يسيروا فى ذيل الأحداث بدلا من أن يقودوها ، ولكننى فى الحقيقة لا أدرى على أى نحو يمكن أن تحقق القيادة على الوجه الاكثر نجاحا . فهل تتحقق عن طريق النقد ومتابعته أم عن طريق البناء ؟ وبمعنى أوضح هل تتحقق عن طريق ابراز كل اعوجاج أو اهمال أو فساد قد يتطرق الى بعضنا أم يكون عن طريق البحث عن مواضع الثقة والأمل والاستقامة عند بعضنا الآخر ، وأنا لسوء الحظ أعلم من تاريخ الآداب العالمية أن الأدب الناجح أو الأكثر نجاحا قد كان دائما الادب الصادر عن نقد الحياة . واما الادب الذى يتغنى بالحياة ويشيد بنواحيها الايجابية فلست أدرى لماذا تقل الاستجابة له . وأنا أذكر كلمة قرأتها باليونانية القديمة فى خطبة رائعة لزعيم آتينا الكبير بركليس قال فيها : « ان الناس لا يستسيغون من مدح للغير الا بقدر ما يعتقدون انهم قادرون على مثله فاذا تجاوز المدح هذا القدر ، ولد الحسد الانكار » ولست أدرى أصحيح هذا الرأى أم لا . ولكننى الاحظ دائما ان الناس ينصتون للنقد أكثر مما ينصتون للثناء . ولذلك تتطلب المؤلفات الأدبية البناءة قدرة فنية كبيرة لتحمل الناس على تقبلها ، كما تتطلب اسلوبا غير مباشر فى الاشادة بالروح والقيم الايجابية الفعالة ، وتلك قدرة فنية عزيزة المنال ولا بد لها من ثقافة أدبية وفنية ونفسية واجتماعية واسعة وعميقة ، وهـذا هو ما أرجو أن يحصن به أدباؤنا أنفسهم فى المرحلة التى لا بد أن ينتقلوا اليها بأدبهم وفنهم بمجرد أن تنجح فى مرحلة البناء الجديدة التى ابتدأناها ونصل فيها الى نتائج ايجابية قادرة على أن تكتسح جميع الرواسب القديمة لتحل محلها القيم والروابط الاجتماعية والأخلاقية المرجوة التى ستغذى مضامين اتجاهاتنا الأدبى والفنى وشيكا .

« **محمد مندور** »

مقومات القصة القصيرة

بقلم الدكتورة لطيفة الزيات

- ١ -

لعل مما يسهل علينا تحديد مقومات القصة القصيرة الرجوع الى منابعها ومحاولة تحديد ما جد على الحكاية بحيث أصبحت قصة قصيرة لها ذلك الشكل الفنى المنفرد بخصائصه المميزة . فالحكاية حكيت منذ كانت البشرية وما زالت تحكى ، وليس فيها من شبه بالقصة القصيرة الا الحجم . وتحديد المقومات التى جدت على الحكاية ونأت بها عن طابعها التقليدى الى طابع القصة القصيرة انما هو تحديد لمقومات القصة القصيرة .

يرجع ميلاد القصة القصيرة الى النصف الأول من القرن التاسع عشر . وقد أسهم فى أولى محاولات خلقها كاتبان ، احدهما روسى وهو جوجول ، والآخر أمريكى وهو « ادجار آلان بو » . ولد الكاتبان سنة ١٨٠٩ ، وتوفى الأول سنة ١٨٥٢ والثانى سنة ١٨٤٩ . ومن ثم شهدت نفس الحقبة التاريخية قصص الكاتب الروسى التى تتباين مع قصص الكاتب الأمريكى تمام التباين ، والتى لا تتلاقى معها سوى فى الجدة ، وفى أنها ارساء لدعائم ذلك الفن الجديد ، فن القصة القصيرة .

والاجابة على السؤال ، ماهو الجديد الذى أدخله «جوجول» و « بو » على الحكاية يقربنا من الهدف الذى نسعى اليه وهو تحديد مقومات القصة القصيرة .

تعتبر الاضافة التى اسهم بها « جوجول » فى خلق القصة القصيرة اضافة الى موضوع القصة أكثر منها اضافة الى شكلها الفنى ، ولكنها اضافة لم يكن من الممكن أن تقوم للقصة القصيرة بدونها قائمة . فالقصة القصيرة كما نعرفها اليوم تلتصق بحياة الناس اليومية ، وتعبر عن هذه الحياة أكثر مما يفعل أى فن آخر من فنون الأدب ، بل هى التى تنفرد دون كل فنون الأدب بالاحتفاء بتلك اللحظات العابرة فى حياتنا اليومية التى تسقطها ألوان الأدب الأخرى، وهى التى تمسك بها وتعمقها وتحيل ما يبدو لحظة تافهة الى لحظة شاعرية . واذا كان لاحد الفضل فى توجيه القصة القصيرة فى هذا الاتجاه ، واذا كان لأحد الفضل فى خلق هذه الصيغة فى القصة القصيرة التى أصبحت من أهم مقوماتها ، فالفضل يرجع بالتأكيد الى « جوجول » .

فمنذ بدأ « جوجول » يكتب بدأت الحكاية تتحول الى قصة قصيرة • أعلن «جوجول» الثورة على الاتجاه الرومانسي السائد في اللغة والموضوع في عصره ، واتجه الى الأرض ، الى الفلاح ، الى العادي • وحدد الموضوع شكل القصة واللغة التي تكتب بها القصة. واتسعت الفجوة بين القصة القصيرة والحكاية • الحكاية تحكى في لغة مزوقة منمقة حكاية الأمير وست الحسن والجمال ، والقصة تحكى في لغة بسيطة دارجة قصة الفلاح ، قصة الانسان العادي الذي يكدح طول النهار • الحكاية تسوى الهوائل وترسم البطولات الخرافية ، والقصة تحكى لحظة واقعية من لحظات حياة الانسان العادي ، لحظة تكتمل في القصة وتكتسب معنى بالقصة •

ولم يقتحم « جوجول » بالقصة القصيرة عالم الواقع فحسب ، بل خلق بهذا الاقتحام ذاته سلسلة أخرى من المقومات التي أصبحت من مقومات القصة القصيرة ، فاذا حكيت حكاية أمير فانت ولا بد واقع في سلسلة من المجردات ، من الصور البيانية المجردة التي لم تعايشها ولم تمارسها ، ولا بد لك وأن تفعل هذا لترتفع الى مستوى الخيال الذي يتطلبه مثل هذا الموضوع • أما اذا حكيت قصة انسان مثلك تحيا مثل حياته ، فانت تعرف كل ملابسات هذه الحياة وتمارسها ، وانت بالتالي تعتمد في الوصف على المجسم لا المجرد ، على الصورة الحسية المرئية الملموسة • وكانت هذه من بين المقومات الجديدة التي أضفاها جوجول على الحكاية ، واصبح الاعتماد على التجسيم لا التجريد من مقومات القصة القصيرة •

وكان لجوجول أيضا فضل اضافة أخرى الى مقومات القصة القصيرة ، نبعت بدورها من تمسكه بالواقعية ، ومن استخدامه للعادي كمادة للقصة القصيرة • فانت حين ترسم أميرا أو بطلا ترسم عادة نمطا لشخصية أمير أو بطل • ولكن حين ترسم انسانا بسيطا عاديا ترسم شخصية منفردة متميزة من تلك الشخصيات المنفردة المتميزة التي تغص بها الحياة • وجوجول حين اتجه الى الانسان العادي انحرف بالحكاية من مجرد حكاية لا يضر في شيء تغيير اسم بطلها أو بيئة هذا البطل الى قصة قصيرة ، الى حدث ينبع من شخصية معينة ، بفرديتها المعينة ، ببيئتها ، بدوافعها المعينة ، حدث لايمكن أن ينفصل عن هذه الشخصية •

ولقد ثبت « جوجول » أقدام القصة القصيرة كما تعرفها اليوم في الأرض حين نحى بها عن الرومانسية وعن اللغة المنمقة المزوقة ، عن الغريب ، وحين نزل بها الى الحياة اليومية بلحظاتها العابرة ، بشخصياتها المنفردة ، وبصراعها الدائب ، حين ربطها برباط لا ينفصم بواقع الحياة • وقد كان له من الحس الفني ومن الادراك ماجعله يخرج بالطفل الوليد الى الوجود متخففا من كل الاثقال التي تحول دون نموه وتعوق تقدمه • وكأنما أدرك أن القصة القصيرة بناء رهيف لا يتحمل أن نثقله بالفصاحة ، ولا بالدروس الفلسفية أو الاخلاقية ، فالتزم الموضوعية البحتة في كل ما كتب من قصص قصيرة بحيث يصور الحياة كما هي عليه بلا تزويق وبلا وعظ وارشاد • وبذلك سير جوجول القصة القصيرة في مجراها التي سارت فيه الى اليوم ، وبذلك تحاشى الطريق المسدود التي سارت فيه محاولات خلق القصة القصيرة في انجلترا الى نهاية القرن التاسع عشر تقريبا •

فبينما كانت القصة القصيرة تثبت أقدامها في الأرض خلال القرن التاسع عشر ، وتزدهر في روسيا على يد كتاب مثل جوجول وتيرجنيف وتولستوى وتشيكوف ، وفي فرنسا على يد كتاب مثل فلوبير وموباسان ، وفي أمريكا على يد كتاب مثل « ادجار الان بو » ، و « بريت هارت » و « بيرس » كانت تختنق في انجلترا تحت وطأة الاسلوب المزوق المنمق أولا ، وتحت وطأة الوعظ الأخلاقي ثانيا ، وتحت وطأة الاعتماد على الغريب والابتعاد عن واقع الحياة ثالثا • وفي العشر سنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر حين ظهر في انجلترا أخيرا كاتب قصة قصيرة، شابت قصصه نفس الشوائب التي خنقت مجرى القصة القصيرة في انجلترا طوال القرن • فقد جاءت قصص « رايدر كبلنج » مشوبة بشوائب البطولات الجوفاء البعيدة عن واقع الحياة ، وبالدروس والحكم ، لا الدروس الأخلاقية هذه المرة ، بل بالدروس الاستعمارية ، بالدعاية جنبا الى جنب مع نغمة التمييز العنصري • ولم يتأت للقصة الانجليزية القصيرة أن تستكمل مقوماتها الا بعد أن انحدر الاتجاه الرومانسي في القرن الحالي في اللغة والموضوع، وانحدرت مع الاتجاه الرومانسي كل محاولة للوعظ والارشاد والدعاية ، وتحميل القصة القصيرة ما لا تحتمل • وانضمت القصة الانجليزية الى تيار القصة العالمية بظهور كتاب مثل «كاترين مانسفيلد»

و « كوبارد » ، كتاب يلتزمون الموضوعية التامة ويصورون الحياة على ما هي عليه دون محاولة لتزييف هذه الحياة ودون محاولة لاثقال شكل فني رهيف بالوعظ والارشاد .

والمقومات التي اضفاها « جوجول » على القصة القصيرة مقومات تتصل بالموضوع أكثر مما تتصل بالشكل كما قلت من قبل ، فقد جعل « جوجول » من العادي موضوعا للقصة القصيرة ، وترتب على استخدامه للعادي سلسلة من المقومات تتصل بالطريقة التي يقترب بها الكاتب من مادته ، والطريقة التي يكتب بها الكاتب مادته . فالطريقة التي يقترب بها الكاتب من مادته تعتمد على الموضوعية البحتة وعلى اتخاذ موقف الحياد التام تجاه هذه المادة أو بالأحرى على التسجيل دون تعليق . والطريقة التي يكتب بها مادته تعتمد على تطوير الحدث من شخصية أو شخصيات ينبع عنها هذا الحدث المعين بالضرورة والحتمية ، وتقوم على التصوير بدلا من التقرير ، وعلى المجسم المرئي المحسوس لا المجرد اللامحسوس .

واذا كانت مساهمة « جوجول » في خلق القصة القصيرة تتصل بالموضوع أكثر مما تتصل بالشكل ، فان مساهمة « ادجار آلان بو » تتركز في الشكل لا في الموضوع . فاذا كان موضوع جوجول هو « العادي » فان موضوع « بو » هو الغريب ، هو قصص الرعب والخوف غير المحدد المعالم ، قصص الجريمة الغامضة والأشباح المحاطة بجو من الغموض ، القصص التي تتجاوز الواقع وتحلق في جو غريب من الخيال المريض في أغلب الأحيان . وبالرغم من أن موضوع « بو » قد استمر الى اليوم متمثلا في تيار محدد من كتاب الجريمة الغامضة ، الا أن تأثيره في خلق القصة القصيرة أوسع مدى من مجرد هذا التأثير ، وان كانت القصة القصيرة اليوم قد اسقطت في مجموعها موضوع « بو » ، فقد تمسكت بالقالب الذي اختطه لها وبمقومات الشكل الجديد الذي ابتدعه ، ونستطيع أن نقول ان « ادجار آلان بو » هو الذي خلق الشكل أو القالب الفني الذي تتميز به القصة القصيرة اليوم ، بكل مقومات هذا الشكل او القالب ، وأرجو أن تتاح لي قريبا فرصة الحديث عن مقومات هذا الشكل .

« د . لطيفة الزيات »

حنين

للشاعر : مختار النادي

تشعب دربنا لكن
يؤرقني صدى وتر
ويدعوني اليك هوى
يؤجج مشعل السهر
وما زالت حكايانا
ربيعا ضاحك الزهر
يغني في ضمائرنا
حنين الأرض للمطر
ركبت جواد أشواقي
الى بستانك القمري
وغنيت الهوى تاجا
يزين مفرق السحر
لنجم حائر النظرات
يسكن صفحة النهر
تطل بعشقه عيناه
فوق المقعد الحجري
ووحشة صمته شطآن
أحزان بلا شجر
ومد الخوف قبضته
كجندي من التتر
ليذبح في مرافئنا
رقاب أشعة القمر
عبرت قبور موتانا
بلا خوف ولا حذر
وحين تعرت الأحزان
في بحر من الفجر
همزت جواد أشواقي
ليسبق طائر السحر
الى شطآنك الغناء
يا أنشودة الوتر
وبي ظمأ الى عينين
تزدانان بالخفر
وعن شفتيك عرافي
يقول هما .. هما قدري !

المسرح العربي بالاسكندرية

بقلم : صديق شيبوب

عرفت الاسكندرية المسرح كما عرفته القاهرة عن طريق الجاليات الاوربية المقيمةفيها والفرق الاجنبية التى كانت ترد اليها . وقد ذكر بعض الرحالة ماشاهدوه من هذا القبيل. وكان افراد تلك الجاليات يؤلفون فرقا من الهواة تقوم بتمثيل بعض المسرحيات . وكانوا يضعون لظاما لتلك الفرق . كما فعلت الفرقة الايطالية التى تألفت بالاسكندرية سنة ١٨٧٤

وفي نحو هذا العهد او قبله بقليل - أى فى أواخر العقد السابع من القرن الماضى بنى مسرح «زيزينيا» نسبة الى أسرة زيزينيا التى كانت معروفة بالاسكندرية . وقد ظل هـــذا المسرح قائما حتى سنة ١٩١٦ . وان كان قد اغلقت أبوابه منذ سنة ١٩١٢ . وهذا المسرح الذى شهد امجاد الحياة المسرحية فى الاسكندرية مدى ثلاثين عاما او أكثر . حين كانت الفرق الاجنبية تأتى كل عام للتمثيل فيه . وحين كانت الفرق الواردة من سوريا توطد اقدامها فى مصر . ونذكر عابرين انه المسرح الذى طالما رددت جدرانه اصداء الخطب الوطنية الرنانة التى كان يلقيهـــا الزعيم الشـــاب مصطفى كامل بالاسكندرية وقد هدم هـــذا المسرح بعد الحرب العالمية الاولى وبنى مكـــانه مسرح محمد على (سيد درويش الآن)

واذا كانت القاهرة عرفت المسرح العربي من الفرقة التى الفها يعقوب صنوع ســـنة ١٨٧٠ والمسرحيات التى كانت تقدمها ، فقد انتظرت الاسكندرية وصول فرقة سليم النقاش اليها فى أواخر سنة ١٨٧٦ لتشهد اول تمثيل عربي . وكانت هذه الفرقة تتألف من اثنى عشر ممثلا واربع ممثلات . وافتتحت موســـم التمثيل يوم السبت ٢٣ من ديسمبر ســـنة ١٨٧٦ على مسرح زيزينيا بتقديم رواية « ابو الحسن المغفل او هرون الرشيد » من تأليف مارون النقاش . ثم قدمت مسرحيات أخـــرى منها « السليط الحسود » و « مى اوهوراس » و « الكذوب » و « الظلوم » .

وعندما استقر المقام بسليم النقاش وفرقته بالاسكندرية استدعى صديقه اديب اسحق ليعاونه فى التأليف والتمثيل وتدريب الفرقة. وكان اديب دون العشرين من عمره . وكان قد ترجم وهو ببيروت مسرحية « اندروماك » للشاعر الفرنسى راسين . فاعاد النظر فيهـــا ومثلهـــا بالاســـكندرية كما ترجـــم مسرحية « شارلمان » ومثلتها الفرقة كذلك .

ولكن هذه الفرقة لم تلق النجاح الذى كان يقدره لها سليم النقاش واديب اسحق فانصرفا عن المسرح الى العمل فى الصحافة بارشـــاد وتوجيه من السيد جمال الدين الافغاني الذى كان اديب اسحق من اقرب مريديه الى نفسه. فتخليا عن الفرقة الى اكبر الممثلين فيها ،وهو يوسف خياط . وكان معروفا بتمثيل الادوار النسائية . واستهلت الفرقة الجديدة عملهـــا على مسرح زيزينيا فى أواخر سبتمبر ســـنة ١٨٧٧ وقدمت المسرحيات التى كان الفهـــا او ترجمها مارون وسليم النقاش واديب اسحق، وكان يتخللها الغناء .

وانتقلت الفرقة بعد ذلك الى القاهرة سنة ١٨٧٨ ومثلت مسرحية « الظلوم » على مسرح الاوبرا بحضور الخديو اسماعيل فظن ان فيهـــا تعريضا بحكمه وامر باخراج الخياط وفرقته من مصر . على ان الدكتور محمد يوســـف نجم يناقض هذه الرواية ويقول انه عثر فى عدد صحيفة « التجارة » الصادر فى ٣١ مارس سنة ١٨٧٩ على اعلان عن تقديم فرقة خياط تمثيلية على مسرح زيزينيا . ولذلك يعتقد ان الفرقة لم تخرج من مصر وانما انزوت بالاسكندرية

على ان أخبار الفرقة انقطعت عامين ثم عادت الى الظهور فى اواخر سنة ١٨٨١ وظلت تعمل ناشطة حينا ومتعثرة أحيانا . وتقوم برحلات الى القاهرة والى بعض مدن الاقاليم .

والى يوسف خياط يرجع الفضل فى حمل الشيخ سلامه حجازى على العمل فى المسرح . وكان قبل ذلك يغنى على التخت وينشـــد القصائد مجددا فى تلحينها بحيث يلائم اللحن معانى القصيد . ولفت صوت الشيخ نظر يوسف خياط فاغراه على ترك التخت والظهور على خشبة المسرح . وهكذا قدمت الاسكندرية للمسرحالعربى رائدا من أكابر رواده ، وممثلا سيطرت شخصيته على المسارح العربية اكثر من ثلاثين عاما . وكان عاملا قويا ساعد على رقيها وتعويد الناس على ارتياد دورها .

ومع فرقة يوسف خياط ظهر اسم مسرح جديد بالاسكندرية غير مسرح زيزينيا وهـــو « بوليتياما » وكانت الفرقة تمثل عليـــه عندما تشغل الفرق الاجنبية مسرح زيزينيا .

وكان يعمل مع سليم النقاش ويوسف خياط ممثل قدير هو سليمان قرداحى الذى انشــق عن فرقة خياط والف فرقة من فلول فرقـــة النقاش واخذ يمثل فى الاسكندرية . وقد روى الصحفي توفيق حبيب أن القرداحى اذا لم يرتفع بالتمثيل من الوجهة الفنية فقد ادخل فيه عنصرين جديدين : اولهما الالحان الجـــديدة والاكثار من الاغانى . وكان اذا انفصل الشيخ سلامه حجازى عن فرقته ضـــم اليها مطربا اسكندريا آخر يسمىمراد رومانو . اما العنصر الثانى فكان هو ضرورة قيام النساء بتمثيل الادوار النسائية فدفع بزوجته الى التمثيل فى مسرحية فرسان العرب ونال تمثيلها نجاحـــا واعجابا فاخذ عقب ذلك يســـتبدل بالشبان الذين كانوا يقومون بتمثيل أدوار النســـاء النساء .

ولعل انضمام الشيخ سلامه الى هذه الفرقة لم يطل لاننا نجد فى اخباره انه الف فرقة خاصة به فى مارس سنة ١٨٨٨ ، ولكنهـــا لم تعش طويلا . وكانت تظهر وتختفى . وكان الشيخ ينتقل بين الفرق التمثيلية حتى انضـــم

الى فرقة اسكندر فرح سنة ١٨٩١ . ولم تشهد المسارح العربية فرقة تحمل اسم الشيخ سلامه الا بعد انفصاله عن اسكندر فرح سنة ١٩٠٤ .

ونلاحظ على أخبار فرقة سليمان قرداحي كثرة تنقلاتها بين الاسكندرية والقاهرة وعواصم المديريات ولكن مركزها ظل بالاسكندرية . وكانت تقدم غالبية مسرحياتها على مسرح «بوليتياما» وهنا ظهرت اسماء مسارح أخرى مثل مسرح «براديزو» و «قاعة كوفيلياتو» . ثم شاء القرداحي أن يبني مسرحا خاصا ، فمنحته البلدية قطعة أرض على البحر ، ولم يكن الميناء الشرقي قد بني على ماهو عليه الآن . وفي يناير سنة ١٨٩٥ افتتح القرداحي مسرحه الجديد بمسرحية « الصراف المنتقم » ، وهي مترجمة عن «تاجر البندقية» لشكسبير .

وبينما كانت فرقتا يوسف خياط وسليمان قرداحي تعملان بالاسكندرية وصل اليها الشيخ ابو خليل القباني وأعضاء فرقته قادمين من دمشق ، وابتدءوا التمثيل ثاني يوم وصولهم اي في أواخر يوليو سنة ١٨٨٤ في « قهوة الدانوب» التي أصبح مسرحها هو المسرح المختار للفرقة . وقد قدمت فرقة القباني عليه وعلى مسرح زيزينيا ٣٥ حفلة ثم انتقلت الى القاهرة وعادت بعد ذلك الى دمشق في ابريل سنة ١٨٨٥ ثم صارت تتنقل بين دمشق والاسكندرية .

ومما رواه الصحفي الراحل توفيق حبيب ان مما أدخله ابو خليل القباني على الحياة المسرحية جوقة طرب نسائية تشنف الآذان ، وكانت المغنيات يظهرن سافرات على غير عادة المغنيات المصريات .

ويلاحظ الى جانب هذا انه كثيرا ماكان يشترك معه في الحفلات المطرب الكبير عبده الحمولي وكان عبده قد عرف القباني عندما سافر الى دمشق لتبديل الهواء، وهو الذي نصح القباني بأن ينتقل بفرقته الى مصر بعد العنت الذي لقيه في دمشق . وقد غنى عبده في الحفلة التي اقامها القباني على مسرح زيزينيا في ٩ اغسطس سنة ١٨٨٤ وقدمت فرقته فيها مسرحية «عنترة العبسي» كما يلاحظ ان هذه الفرقة كثيرا ما كانت تقدم بعد نهاية المسرحية فصلا من التمثيل الصامت أو الايمائي (بانتوميم) .

وبين هذا وذاك الف الشيخ سليمان الحداد فرقة اسماها «الجوق الوطني المصري» وكان سليمان - وهو والد الاديبين الشاعرين نجيب وأمين الحداد - ممثلا كبيرا اشتغل بالمسرح العربي منذ نشأته وانضم الى الفرق القائمة ثم الف فرقته التي ابتدأت عملها في اغسطس سنة ١٨٨٧ على مسرح «بوليتياما» .

وقد عمل سليمان الحداد على تحسين لغة المسرحيات وتجديدها . ومثل مسرحية «المروءة والوفاء» للشيخ خليل اليازجي - وكان نسيبه - وكذلك نقل مسرحيات من الفرنسية ومثلتها فرقته نذكر منها (الفرسان) و (الفرسان الثلاثة) و (شجاع فنيسيا) .

كان العقد التاسع من القرن الماضي (١٨٨٠-١٨٩٠) هو العصر الذهبي للتمثيل العربي بالاسكندرية . ولعل سبب ذلك أن الفرق التي تأتي من سوريا ولبنان الى مصر كانت تجد في الاسكندرية عددا من السوريين واللبنانيين يرحبون بها ويسهلون لها سبل الاقامة والعمل ويقبلون على تشجيعها . والى الحركة المسرحية بالاسكندرية كانت نامية لوفرة الجاليات الاجنبية ووجود الاستئناف المختلط والبورصة . وكان يتصل بهاتين الهيئتين عدد كبير من الاثرياء المثقفين .

ولعل التشجيع الذي كانت تلقاه تلك الفرق لم يكن كافيا فشاءت أن تجتذب اليها الجماهير فادخلت العنصر الغنائي على المسرح . وساعد الشيخ سلامه بصوته الساحر وحنجرته المكتملة الاوتار على هذا الاجتذاب .

على انه لم يكد يبدأ العقد الاخير من القرن الماضي حتى اخذت أضواء العاصمة تجتذب اليها الفرق المسرحية وخاصة بعد أن انفصل اسكندر فرح عن فرقة ابي خليل القباني والف فرقة ضم اليها الشيخ سلامه حجازي، وانتقل الى القاهرة حيث شيد مسرحا لفرقته . وهكذا شهدت نهاية القرن الماضي زوال شهرة الاسكندرية في نطاقي المسرح والصحافة . فالفرق أخذت تهجرها الى العاصمة . كما انتقلت اليها صحيفة (الاهرام) التي أسست وعاشت بالاسكندرية أكثر من عشرين عاما .

ولكن ليس معنى هذا ان السكندريين لم يعنوا بالمسرح العربي بعد ذلك . فقد كانت الحياة الصاخبة التي تعيشها الجاليات الاوربية وعنايتهم باجتلاب الفرق الاجنبية التي كانت تضم في بعض الاحيان اشهر الممثلين والممثلات والمغنين والمغنيات ، كان ذلك حافزا للعناصر العربية على العناية بشئون المسرح حسب طاقة الممثلين المادية والادبية .

ونذكر من هذه الفرق «الجوق السكندري العربي» وقد أسس هذه الفرقة رشيد لطيف في أواخر سنة ١٨٩٥ وعمرت عاما واحدا .

ومنها فرقة «شركة التمثيل الادبي» التي انشأها الشقيقان سليم وأمين عطا الله سنة ١٨٩٦ . وقد عمرت هذه الفرقة طويلا وتقلبت على اشكال مختلفة ، واتخذت أسماء متنوعة ، ثم استقل بها أمين عطا الله بعد الحرب العالمية الاولى وانتقل بها الى لبنان .

ووصل الى الاسكندرية في ٧ ديسمبر سنة ١٨٩٥ فرقة نقولا المصابني ، وكانت تمثل مسرحيات ايمائية . كما وصل اليها في أواسط سنة ١٨٩٧ «الجوق السوري الجديد» برئاسة يوسف شكري ليقدم مسرحيات هزلية كان يقوم باهم ادوارها «كامل الاصلي» .. واسمه جورج دخول . واستمرت هذه الفرقة تعمل بين الاسكندرية والقاهرة حتى سنة ١٩٠٠ وقد تأثرت بها الفرق الاخرى واصبحت تقدم للجمهور بعد المسرحية الكبيرة رواية هزلية ذات فصل واحد .

الى جانب هذه الفرق الصغيرة نشأت فرق الهواة . والهواية تنشأ عادة وتقوى في المدن التي تنقصها فرق محترفة . بل انها تعد الخامات للاحتراف . وهذا ماجرى في الاسكندرية فقد كان جورج ابيض يرضي هوايته للتمثيل في فرقة نادي خريجي مدارس الفرير بالاسكندرية . وكان يعمل ناظرا لمحطة سيدي جابر . قبل ان يسافر الى باريس ليتلقى اصول الفن على كبار اساتذته فيها . وهكذا نشأت الاسكندرية رائدا آخر من كبار رواد المسرح العربي الحديث .

وكذلك تخرج من فرقة نادي موظفي الحكومة التي انشئت سنة ١٩٠٥ عدد من الممثلين ، نذكر منهم محمود رضا وعبد العزيز احمد وحسن حسني وكذلك كانت هذه الفرقة اول مجال لنشاط الفنانة ماري منيب، وسراج منير عندما كان موظفا بمصلحة الجمرك بالاسكندرية

ويقول جورجي زيدان ان اقدم الجمعيات التي تألفت «لترويج فن التمثيل» كانت بالاسكندرية نذكر منها جمعية الابتهاج الادبي» التي ألفها مستخدمو مصلحة البريد سنة ١٨٩٤ و «جمعية الترقي الادبي» (١٨٩٤) و «جمعية السراج المنير» (١٨٩٥) ، و «جمعية الاتفاق» (١٨٩٦) ، و «جمعية نزهة العائلات» (١٨٩٧) و «جمعية محبي التمثيل» (١٨٩٩) و «جمعية احياء التمثيل» (١٩٠٣) .

ويطول بنا الحديث لو شئنا تعداد جميع فرق الهواة بالاسكندرية بعد ان كثر عددها واصبح لكل ناد فرقة ، ونذكر ماوصل الى علمنا من الفرق القائمة وهي «فرقة الفراعنة للتمثيل» ، و «الفرقة المتحدة للتمثيل» ، وفرقة نادي الشبان المسلمين (المسرح الاسلامي) وجمعية الشبان المسيحية ، ونادي الشبيبة للروم الارثوذكس المصريين ، وفرقة شركة الحرير الصناعي ، وفرقة شركة النحاس .

ومن الطبيعي أن تعنى المدارس بالتمثيل لانه يربي ملكة الخطابة ويساعد على التثقيف والتهــذيب والفرق المدرسية كثيرة لا يكاد يحصيها عدد وانما تشير الى اشهر محاولة جرت في هــذا اللون من النشاط المسرحي بالاسكندرية ، وهي ماقام به عبـد الله نديم عندما كان يتولى ادارة المدرسة الخيرية الاسلامية قبل الثورة العرابية بقليل ، فقد الف فرقة مسرحية من طلبـة هذه المدرسـة ووضع مسرحيتي «الوطن» و «العرب» اللتين مثلتهما الفرقة على مسرح زيزينيا وشهدهما الخديو توفيق • ووصف جورجي زيدان المسرحيتين بانهما ترميان الى أغراض سياسية •

ويجب ان نذكر الى جانب ما تقـدم من اخبار الفرق الهامة عن المسارح بالاسكندرية •

وقد رأينا من قبل انه في العقد التاسع من القرن الماضي كانت توجد مسارح «زيزينيا» و «بوليتياما» و «براديزو» و «قاعة كونلياتو» و «قهوة الدانوب» • وفي سنة ١٨٩١ انشيء المسرح العباسي بالعمارة رقم ١٠ بميـدان التحرير (المنشية) ، وكانت تعرف باسـم «وكالة مونفيراتو» ، وجرى ليـلة ٥ ابريل سنة ١٩٠٥ ان كان يعمل في هـذا المسرح «سيرك جاتي» ، وفي الساعة الثانية صباحا ، اي بعد انتهـاء حفـلة السهرة وانصراف المشاهدين ، اندلعت النار في المسرح ولم تلبث ان شملته كله ، وكان مؤثرا منظر الخيـل تنطلق في ميدان المنشية الفسيح وهي تصهل صهيل الالم لاصابتها بحروق مختلفة ، ومنذ تلك الليلة اغلق المسرح وتحول الى مخازن ومستودعات ولم يبق من اثر له سوى اسم الزقاق الذي يلي العمـارة رقم ١٠ ، وهو بالعربية «شارع الرسيح العباسي» وبالفرنسية «شارع تياترو عباس» •

وبنى كونيلياتو مسرح الهمبرا عقب احتراق المسرح العباسي ، وكثرت المسارح ابان الحرب العالمية الاولى وما بعدها بقليل اذ تحول ملهى وملهى «بيل في» الى مسرح سينما ستراند اليوم وانشيء مسرح باسم «بوليتياما» حيث سينما ماجستيك الآن ، وفي هذا المسرح قدم نجيب الريحـاني لاول مرة بالاسـكندرية (الاسكيتشات فرانكو آراب) التي استهل بهـا كشكش بك اعمال فرقتــه ، ثم جاء مسرحا كونكورديا ، ومحمد علي وغيرهما، على أن جميع هذه المسارح تحولت الآن الى دور للسينما ، ولم يبق سوى مسرح محمدعلي الذي اصبح اسمه (مسرح سيد درويش) وانتقلت المسارح من المدينة الى ضاحية كامب سيزار لتمثل عليها فرق القاهرة صيفا وفرق الاسكندرية شتاء ، وانشات وزارة الثقافة والارشاد مسرح البالون في منطقة الميناء الشرقي •

ويوجد بالاسكندرية اليوم فرقتان للتمثيل هما «فرقة الاسكندرية المسرحية» و «فرقة عادل خيري» وهما جادتان في تأدية رسالتهما ونرجو ان تستعيد الاسكندرية على يديهمـا مجدها التليد ، ذلك المجد الذي تاسس على انها كانت دون القاهرة مجالا لنشاط الفرق المسرحية ، وانها قدمت للمسرح الشيخ سلامه حجازي وسيد درويش ونشات جورج ابيض كما ان مسارحنا العربية عاشت حقبـة من الزمن على المسرحيات التي كان يقدمها لها اديب اسكندري هو الشيخ نجيب الحداد •

صديق شيبوب

من فضائحهم!

منذ عدة أشهر نشرت مجلة شعر البيروتية مقالا باسمي وضع في المجلة بصورة توحي بأني مراسل لها في القاهرة • ولما كان الاستاذ غالي شكري هو الذي نبهني على هذا المقال فقد طلبت منه المجلة وبقراءة المقال تبين لي ما يأتي :

١ ـ الاسلوب أسلوبي والافكار أفكاري

٢ ـ لعله مقال سلمته لغالي شكري منذ سنوات لنشره في مجلة بلندن تصدر باللغة العربية ولم تنشره هذه المجلة ونسيت المقال عند غالي شكري •

٣ ـ لعله « مجموع » من عدة مقالات كتبتها أنا •

ولما كنت من غير المتعاملين مع هذه المجلة فقد أعلنت احتجاجي لغالي شكري على أساس أنه مراسلها بالقاهرة ليبلغه الى الاستاذ محيي الدين محمد احد المسئولين عن تحريرها بالقاهرة لاسيما أنه لايتفق مع الامانة العلمية وينافي موقفي الذي يتعارض مع سياسة هذه المجلة التي تثار حولها الريب والدليل على ذلك مهاجمتي لايديولوجية رئيس تحرير المجلة وهو السيد/يوسف الخال ونقضي لبنائه الشـعري ، وذلك في مقال سابق بمجلة الرسالة •

دكتور أحمد كمال زكي

وثيقة حقوق الانسان

أعلنها شعب مصر في القرن الـ ١٨

بقلم : محمود الشرقاوي

في اليوم العاشر من ديسمبر ، من كل عام ، تحتفل أمم العالم كلها بذكرى اعلان : « وثيقة حقوق الانسان » ، تلك الوثيقة التي أقرتها وأعلنتها الجمعية العامة للأمم المتحدة في مثل ذلك اليوم من سنة ١٩٤٨ وعرف العالم ذلك اليوم بأنه « يوم حقوق الانسان »

والحقوق التي كسبها « الانسان » واصبحت حقا لكل فرد من أفراده في جميع الأرض تتمثل في ثلاثين مادة جمعتها هذه الوثيقة ومنها ـ في المادة الأولى :

يولد البشر كلهم أحرارا ، متساوين في الكرامة وفي الحقوق . وقد وهبوا عقلا وضميرا ، وعليهم أن يعامل بعضهم بعضا بروح الاخاء .

وفي المادة الثالثة : (لكل انسان الحق في الحياة ، وفي الحرية ، وفي الأمنة على نفسه) .

وتضمن الوثيقة بعد ذلك لكل انسان : (دون ما أي تمييز ، لا سيما في العرق ، واللون ، والجنس ، واللغة ، والدين ، وفي الآراء السياسية أو غيرها من الآراء ، وفي الأصل القومي أو الاجتماعي ، وفي الثروة والنسب وما اليهما) تضمن لهؤلاء جميعا هذه الحقوق ، وحق التساوي أمام القانون ، والمحاكمة العادلة أمام القضاء وغير ذلك من حقوق العدل والحرية والكرامة .

وتمتاز هذه الوثيقة بأنها صدرت عن جميع الدول التي تتكون منها « هيئة الامم المتحدة » وباقرارها . ولكن هذه الحقوق ـ في جملتها ـ ليست وليدة هذا الماضي القريب . فقد أعلنت من قبل أكثر من مرة وان يكن اعلانها واقرارها كانا على نطاق ضيق . أعلنت هذه الحقوق من قبل قواد الثورة الفرنسية في سنة ١٧٨٩ وصاغتها هذه الثورة في سبع عشرة مادة وجعلت ديباجة لدستور سنة ١٧٩١ في الجمهورية الفرنسية .

ومن قبل ذلك أعلن الرئيس الأمريكي : « توماس جفرسون » في ٤ يوليو من سنة ١٧٧٦ وثيقة استقلال أمريكا فكان مما جاء فيها : (اننا نؤمن ببداهة هذه الحقائق وهي : ان الناس جميعا خلقوا سواسية ، وأن خالقهم وهبهم حقوقا معينة لا تقبل التحويل ، منها : الحياة والحرية والسعي لتحقيق السعادة . وانما تقوم الحكومات بين الناس لضمان هذه الحقوق ، وتستمد سلطانها العادل من رضى المحكومين .

ومن حق الشعب ـ اذا أضرت حكومة ما بهذه الأهداف أن يغيرها او يسقطها ويقيم بدلا منها حكومة يضع أساسها على هذه المبادىء ، وينظم سلطاتها على الوضع الذي يحقق لجميع الناس أمنهم وسعادتهم .

ولكن الحقيقة الكبرى التي يجب أن نقولها ونعلنها أن الاسلام سبق هؤلاء وهؤلاء في تقرير هذه الحقوق واعلانها والدفاع عنها وجعلها جزءا من العقيدة التي يجب أن يؤمن بها المسلم ويقيم حياته ويجرى تصرفاته على أساسها . لا فرق فيها بين أبيض وأسود وأصفر .

قرر الاسلام ذلك حقا لكل انسان ، رجلا وامرأة ، وكفل له ولها بذلك حق الحياة والحرية والأمن والمساواة والعدل . ولكن طبيعة العدوان والتسلط عند بعض الأجناس والأفراد كانت تحول دون الكثرة الكاثرة وهذه الحقوق في واقع الحياة ومجتمعات الناس ، فكان لهم ، وللأحرار منهم خاصة ، كفاح طويل لتحقيق هذه الحقوق واقرارها في الامر الواقع

وكان للناس في بلاد كثيرة وازمنة كثيرة كفاح طويل في ذلك ، وكان لشعب مصر ، في القرن الثامن عشر بخاصة ، في هذا الكفاح سبق وجهاد وشرف . وكان له في ذلك نجاح . والذي قام بالعبء الأكبر في هذا الكفاح الطويل المر ، كان علماء الأزهر .

ولهم في ذلك مواقف وبطولة يجب ان تسجل وتعلن .

كان الطغاة والبغاة من الملوك والحكام والظلمة في تلك الأزمنة ، في الشرق والغرب ، يطغون ويبغون ويظلمون ، ويعتقدون أن ذلك حق لهم : لهم الأمر وعلى الناس الطاعة ، يزعمون ان ذلك « حق الهي » لهم ، وأنهم « ظل الله على الأرض » يملكون الرقاب ويتحكمون في الأسباب . والى عهد قريب كان آباؤنا يسمون السلطان والحاكم : « ولى النعم »

ووجد الطغاة والبغاة والظلمة من رجال الكنيسة وبعض رجال المسجد من يعينهم ويمكن لهم ويزعم للناس أن هذا قضاء الله وقدره وأن : (اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) لم يقولوا لهم ، كما يجب أن تفسر الآية ، ان « أولى الأمر » هم أهل العلم والاخلاص والتوجيه والقيادة والنصح والعدل ، وليسوا هم الظلمة من الحكام .

وابتليت بلاد الشرق العربي بالاحتلال التركي اكثر من اربعة قرون ، ومن بينها مصر . والأتراك والعرب على دين واحد . فكان ذلك أدعى لأن يصبر الناس على الظلم فلا يرفعوا سيوفهم في وجه « أهل دينهم » ، كما كان ذريعة لأن يستغل الزائفون المزيفون من رجال الدين اسم الله واسم الدين في تطمين النفوس بالآخرة ، وتوطيدها على الظلم بالصبر والبعد عن « الفتنة » و « الخروج على الطاعة» الى غير ذلك من التلبيس والتدليس .

ومع هذا كله كان لأهل مصر ، وعلماء الأزهر منهم بخاصة ، في دفع الظلم والثورة على الجور ، كما قلنا ، مواقف يجب أن تسجل وتعلن . وهذه بعض امجادهم في ذلك :

في يوم من أيام الربيع الأول سنة ١٢٠٠ (يناير ١٧٨٦) قام حاكم غادر ظالم في القاهرة ومعه جنوده الى منطقة الحسينية فاقتحم دار رجل فيها كان شيخا على دراويش الشيخ البيومي ، ونهب الحاكم الظالم دار هذا الشيخ ، وفي الصباح ثار أهل الحسينية - وهم مشهورون بشجاعتهم وثوراتهم على نابليون خاصة - وخرجوا الى الأزهر فشكوا أمرهم الى الشيخ أحمد الدردير فغضب لهم وأيدهم في ثورتهم وقال لهم : أنا معكم . فقام الغاضبون الى أبواب الأزهر فغلقوها ، وصعدت طائفة منهم الى المآذن يصيحون ويدقون الطبول . وانتشر الناس في الأسواق والدروب وقد ظهر عليهم الغضب والتحفز، وأقفلت المتاجر . فلما رأى الشيخ الدردير ذلك قال لهم : (موعدنا غدا لنجمع الناس في المدينة كلها ، وبولاق ، ومصر القديمة ، فنسير جميعا ، وأنا معكم ، الى بيوت هؤلاء الأمراء الظلمة فننهبها كما ينهبون بيوتنا ، وسينصرنا الله عليهم أو نموت شهداء .

ولم تمض ساعات من النهار حتى أرسل ابراهيم (بك) شيخ البلد وحاكم مصر وكبير المماليك ، أميرا من أمرائه الى الشيخ السادات يترضاه ويرجوه في أن يرسل له قائمة بجميع ما نهب من بيت شيخ الدراويش .

لا طاعة للسلطان اذا خرج عن العدل :

في سنة ١١٤٨ هـ : « ١٧٣٥ م » كان بكير باشا واليا على مصر من قبل الدولة العثمانية ، ووردت عليه مراسيم من السلطان في « اسطنبول » ، فيها ابطال لحقوق كانت مقررة لبعض الناس في مصر ، فلما قرئت المراسيم في حضرة الوالي قال القاضي - وكان تركيا - : ان أمر السلطان لا يخالف ، وتجب طاعته ، فقال له شيخ شجاع من شيوخ الأزهر - هو الشيخ سليمان المنصوري - : ياشيخ الاسلام ، هذه حقوق تصرف أموالها على مساجد وأسبلة وخيرات ، وقد قررت منذ أزمان واعتادها الناس ورتبوا عليها أمور حياتهم ، وطاعة السلطان واجبة اذا لم يخالف الشرع والعدل . فسكت القاضي ، وقال الوالي : انه سيراجع أصحاب السلطة والسلطنة فيما قاله الشيخ المنصوري ، ولم يتعرض له بشر ولا أذى .

وهذه الكلمة : (طاعة السلطان واجبة اذا لم يخرج عن العدل) هي جماع « حقوق الانسان » كلها في الامن والعدل والرخاء . قالها الشيخ المنصوري قبل أن يعلنها قواد الثورة الفرنسية باكثر من نصف قرن ، وقبل أن تسجلها هيئة الأمم المتحدة باكثر من قرنين ، وقبل أن يقولها « جفرسون » بأربعين سنة .

وثيقة حقوق الانسان :

وبعد أن قال الشيخ المنصوري كلمته تلك بستين سنة استطاع شعب مصر ، بزعامة الشيوخ من العلماء ، أن ينتزع وثيقة بهذه الحقوق من حكامه الطغاة البغاة الظلمة :

ففي شهر ذي الحجة سنة ١٢٠٩ هـ (١٧٩٥ م) جاء الى الشيخ عبد الله الشرقاوي جماعة من فلاحي ارضه في « بلبيس » فشكوا اليه كبيرا من المماليك وانه يفرض عليهم من المال ما لا قدرة لهم عليه . فغضب الشيخ وقصد اخوانه في الأزهر يحرضهم ويستشيرهم ويثيرهم . واقفلوا جميعا أبواب الأزهر وامروا الناس بأن يتركوا متاجرهم وأسواقهم واعمالهم

وفي اليوم التالي ركب الشيوخ الى بيت كبيرهم الشيخ محمد السادات ، واجتمع اليهم جمهور من الشعب كبير ، وكان بيت ابراهيم بك ، شيخ البلد وحاكمها وكبير الأمراء ، يقع قريبا من بيت الشيخ السادات ، فلما رأى زحمة الناس وسمع العجيج والضجيج أرسل أميرا من أمرائه اليهم يسأل ويتقصى ويستفسر . « فوقف بين أيديهم » – على حد تعبير الجبرتي – يسألهم عن مرادهم ، فقالوا : (نريد العدل ورفع الظلم والجور واقامة الشرع وابطال الحوادث والمكوسات) ، أي الضرائب الزائدة .

وكان أن اجتمع الشيوخ والأمراء وطال الجدل بين الفريقين . وسمع الأمراء من الشيوخ كلاما شديدا وتخويفا وزجرا . ثم انتهى امرهم بأن اعلنوا أنهم تابوا ورجعوا والتزموا ما شرطه عليهم الشيوخ ، وأعلنوا أنهم سيبطلون المظالم والضرائب التي شكا منها الشعب ، ويأمرون امراءهم واتباعهم وجنودهم بأن يكفوا عن ظلم الناس وسلب اموالهم والاعتداء عليهم . وأنهم سيرسلون أوقاف الحرمين الشريفين والعوائد المقررة اليهما ، والتزموا أن يسيروا في الناس سيرة حسنة أساسها العدل والرفق .

وكان قاضي القضاة ، التركي ، حاضرا هذا المجلس ، فكتب بنفسه وثيقة على الأمراء بذلك أمضاها أمامه الوالي التركي ، وابراهيم بك ومراد بك شريكه في الحكم . وكان العلماء الذين حضروا هذه الجلسة التاريخية ممثلين للشعب ، وانتزعوا هذه الوثيقة من حكامه الطغاة البغاة هم : الشيخ محمد السادات ، والشيخ عبد الله الشرقاوي ، والسيد عمر مكرم ، والشيخ محمد الأمير ، والشيخ البكري .

وهكذا يسجل تاريخنا أن شعب مصر ، وعلماءه ، استخلصوا «وثيقة حقوق الانسان» في القرن الثامن عشر قبل أن يستتب الامر للثورة الكبرى التي ينسب لها اعلان هذه الحقوق : الثورة الفرنسية .. وقبل أن تعلنها أمريكا في وثيقة استقلالها .

« محمود الشرقاوي »

فوق المأساة

للشاعرة : عزيزه كاتو

حييت ياشعبي الأبي ، على الدنى ابدا تفاخر
حييت .. تهزأ بالرياح الهوج تهزأ بالمخاطر
وتروح تزأر بالفداء مزعزعا قلب الدياجر
حييت يوم كسرت قيدك في عمان وفي الجزائر
ووثبت تنتزع فجرك اللماح من كف المقادر
وذهبت .. اما النصر تملك شاطئيه او المقابر
ورجعت عاد شموخك العربي يهزج بالبشائر

***

نحن ابتعثنا النور يشرق للأوائل والأواخر
ان لم نغامر عبر أمواج الظلام ... فمن يغامر
لكنما .. لما يزل جرح بقلب العرب غائر
يافا التي ذهبت بها سود المعارك والمجازر
وذوي الربيع بأرضها وذوي الهتاف على الحناجر
وبكت زنابقها على الطير الربيعي المهاجر

***

الصبح مشنوق الضياء تلوكه سود الدياجر
والليل عربد مستثار الخطو ، وحشي الأظافر
يمضي يشد الفجر يمضغ مقلة الشهب الزواهر
يافا هناك وليلنا لما يزل يقظان ساهر
من اجل اغنية اليها .. كم اقام الليل شاعر
وسقى الشباب ربوعها بالعمر .. بالمقل النواضر
هو جيلنا المعطاء... دفاق الفداء.. جيل الكواسر

***

هو جيلنا جيل التفتح والسنا جيل البواهر
لو شاء يخلق فجره ... وكانه الهام ساحر
لو شاء ينتزع المنى من بين أنياب الدياجر
ياللاجئا في القدس ابشر لم يزل في الدرب ناصر
قلها تهز بها ضمير الكون في ايمان ثائر
ان لم يكن للوحدة الكبرى الفداء فمن يغامر ؟

اللحظة الطويلة

قصة بقلم : مجيد طوبيا

هناك بجانب المذياع جلست فوق الأريكة .. تسند رأسها فوق كفها .. شاردة بفكرها . ساهمة نظراتها الى الأرض .. لم تكن تنظر الى شيء معين .. بل كانت نظراتها تائهة .. قلقة .. تنظر الى كل شيء دون أن تعى أى شيء .. فكل شيء فقد معناه .

ومثل عينيها كان فكرها . لم تكن تفكر فى شيء معين .. بل كانت تفكر فى أشياء كثيرة عجيبة .. غير مترابطة .. تربطها صفة واحدة هى القلق والحزن .

فقد كانت تنظر الى السجادة ثم تقول لنفسها غدا ساجعل الخادمة تنفضها .. ثم تتحول أنظارها الى القطة النائمة فى استرخاء فى ركن الحجرة فيرتسم على وجهها مشروع ابتسامة راضية سرعان ما تختفى .. كانت غير راغبة فى الابتسام .. شعور غريب بالذنب جعلها تستكثر على نفسها أن تضحك أو أن تشعر بالسعادة .

تنهدت ملء رئتيها . ثم تمتمت .. « اللهم الحمد لك .. أنا راضية بحكمك .. وطالبة الصبر منك .. الصبر يا ربى الصبر » .

وتعود فتسهم بعينيها مرة أخرى الى ارض الحجرة .. ثم ترتفع بنظراتها الى الحائط تمسحه بنظرات ملساء مبهمة لا معنى لها .. لا تتوقف عند شيء .. بل تنزلق على الحائط دون أن تهتم بما عليه أو بما هو موجود بجانبه .

ولكن ما ان وصلت نظراتها الى تلك الصورة المعلقة على الحائط حتى تسمرت مكانها .. وكأن مغناطيسا جذبها .. فلم تعد هذه النظرات ملساء .. بل أصبحت لزجة .. لزجة جدا .. فالتصقت بهذه الصورة .. ولم تعد راغبة فى أن تبتعد عنها .. واضحت واعية غير مبهمة .. حانية .. حاوية كل عطف .. كل حنان .. وكل حب .

وصيفت « الست خديجة » من عينيها متمنية أن تجعل من نظراتها أيديا عطوفا تربت على هذه الصورة وتداعبها .

ثم تنهدت .. وسرح فكرها .. وشرد ذهنها .

هناك يا « خديجة » بين هذا الاطار .. وفى هذه الصورة جزء من حياتك .. ونسمة من ربيعك .. هناك يا خديجة حيث تقفين باسمة متفائلة .. سعيدة بملابسك البيضاء وطرحتك البيضاء المسترسلة الطويلة .. وبيدك منديل أبيض اللون هو الآخر . كل شيء فيك أبيض .. وكل جزء فيك يضحك .. مثل قلبك الذى كان يرقص طربا على ايقاع دقاته السريعة المتتابعة .

ثم هذه الوردة المثبتة فى عروة حلته .. أليست بيضاء هى الأخرى .. ؟ .. انه « حسين » زوجك وزميل العمر كله .. يقف بجوارك ترتسم على وجهه جدية مصطنعة لم تستطع أن تخفى فرحته الطاغية .. لقد كان يحب الورد الابيض .

ايه يا خديجة .. انها أيام حلوة .. لن تعود .. أيام جميلة تعيشين على ذكراها .. تجترين سعادتها كلما قسا عليك الزمن . كانت حياتكما معا حياة بسيطة غير معقدة .. مرت هادئة سهلة . طبعا لم تتزوجا عن حب .. ولكنه ـ الحب ـ جاء بمرور الوقت .. وبالعشرة .. و « حسن » والحق يقال رجل ولا كل الرجال يا خديجة .. الله يرحمه .. كان يخاف عليك .. وكان برغم ما يبدو عليه من تجهم ومن قسوة كثيرا ما يدللك ويناديك « خدوجة يا روح حسونة » .

انت أيضا كنت تحبينه . وكثيرا ما سهرت طوال الليل اذا تأخر خارج المنزل .. لا يهدأ لك بال .. ولا يغمض لك جفن حتى تسمعى صرير مفتاحه بباب المنزل .. عندئذ كنت تنهضين لتستقبليته بابتسامة حلوة طيبة تنسيه همومه .. وتلهيه عن متاعبه .

صحيح حدث بينكما بعض الخلاف الذى أدى الى شجار .. ولكنك ..... ولكن انتظرى ياخديجة .. انتظرى .. ان الصورة منحرفة بعض الشيء فى تعليقها .

ودققت « الست خديجة النظر » الى الصورة .. لتتأكد ان كانت منحرفة فى وضعها أم أن عينيها خدعتاها .. ولما تأكدت من صحة ماارات .. تحاملت على نفسها وقامت متجهة ناحية الحائط .. وكالعادة كلما سارت .. سارعت القطة لتتمسح فى قدميها .. وبعد أن أصلحت من وضع الصورة ومن تنظيفها من بعض الغبار العالق بها .. عادت الى مكانها بجانب المذياع .. الذى كان مازال يذيع الأغانى .

ولوحت « الست خديجة » بيدها دلالة على الملل .. أف .. ألا تنتهى هذه الأغانى ... ؟ .. ولماذا ويعتذر لك .. قائلا لك وهو يقبل رأسك .. « انت ست كاملة يا خدوجة .. حلوه .. وكاملة .. وعاقلة » .

مدت « الست خديجة » يدها بالمنديل لتمسح دموعها التى أهاجتها الذكريات .. وهى لم تكن تبكى زوجها فقط .. ولم تكن تبكى أيامها السعيدة فحسب .. شيء آخر هو الذى كان شغلها الشاغل .. فقد عادت تنظر الى زوجها فى الصورة .. بأسى .. وبألم .. وأخذت تحدثه .

عاقلة .. ؟ .. عاقلة .. ؟ .. لست عاقلة يا حسن .. ! .. لست كذلك .. من بعدك لم أعد عاقلة أبدا . هل تصدق ؟ . هل تصدق هذا ؟ ابنى يا حسن .. ابننا .. لقد تركته يسافر وهو غاضب منى .. ترك المنزل بعد أن جذب الباب وراءه بعنف .. تماما كما كنت تفعل أنت كلما



لا يذيعون أغنية « ياللى زرعتوا البرتقال » . لقد كان يحبها حسن .. الله يرحمه .. ويجعله من أهل اليمين .

اليمين .. اليمين يا خديجة .. لقد كان دائما يقول لك انك ذراعه اليمنى .. وانت الآن من بعده أصبحت فعلا ذراعه اليمنى .. ذراع بدون جسد .. هدك التعب .. وهزمك المرض .. وتعبت أعصابك .. ولم تكونى هكذا أبدا فى أى يوم .. ففى كل شجار نشب بين « حسن » وبينك كنت تصبرين عليه حتى يهدأ ثم تعاتبينه .. وسلاحك فى ذلك ابتسامتك اللطيفة ... فيتقهقر سريعا.. أثارك شيء... ولا أدرى كيف طاوعنى هذا الملعون ـ قلبى ـ فى أن أدعه ـ ولدى حبيبى ـ يسافر الى اليمن .. الى الحرب .. وهو غاضب منى .. وأنا لست متأكدة ان كان سيعود لى أم سأحرم الى الأبد من لقائه .. ؟

وهنا تنبهت « الست خديجة » الى صوت المذياع .. لقد كفت الأغانى .. المذيع يتكلم .. « هنا القاهرة .. نستمع الآن الى أغنية .... » فما كان من الست خديجة الا أن قالت غيظا .. تحدث نفسها .. « أغنية .. ينتهون من أغنية ليذيعوا أخرى » .

(البقية على صفحة ٣٤)

نحن نقص عليك نبأهم بالحق

بقلم : علي العماري

في العدد (١٠٨٩) من الرسالة كتب الاستاذ عبد الحميد ابراهيم محمد مقالا عنوانه : (مصادر القصص القرآني) .

وقد خلص الكاتب من حديثه الى أمرين :

الأول : ان التوراة والانجيل لم تكونا من مصادر القصص القرآني .

الثاني : ان القرآن استغل مافي وجدان العرب من ثقافة كونتها البيئة ، والحكايات ، والخرافات ، فصور قصصه تصويرا فنيا رائعا ، واتخذ من شخصيات اسطورية مشهورة شائعة بين العرب ومن عقائد خيالية في اذهانهم وسيلة لبث المبادىء والاهداف .

وتحقيقا لهذا (الكشف) العظيم انكر الكاتب أن يكون حديث سيدنا يعقوب مع بنيه حين حضره الموت حقيقة وقعت بحذافيرها ، وأنكر الحوار الذي وقع بين سيدنا عيسى والحواريين حين قالوا له انا مسلمون . كما انكر أن ابراهيم واسماعيل قد بنيا الكعبة ، وتفضل فانكر وجود الجن ، كما أنكر قصة الهدهد مع سيدنا سليمان .

ومع ان الفكرة التي صدر عنها الكاتب امتداد او تجديد لرأى قديم طلع به على الناس يوما ما طالب من طلاب الجامعة المصرية ، ومع أنه رأى مستورد من الخارج ، وقد لقى ما لقى من تصويب ورد الى الجادة منذ عهد غير بعيد ، مع كل هذا رأيت ألا يمر هذا الاجتراء على كتاب الله دون وقفة مع هذا الكاتب حتى يستبين الطريق ان كان يبحث عن الحق ، أو يخجل من نفسه ، ويحطم قلمه ان كان يقول بغير علم .

غفلة الكاتب الكبرى أنه اغتر بمعلوماته الضحلة في اللغة ، ولم يحمل نفسه أى عناء في الرجوع الى معجم من المعاجم ، أو الى كتاب من كتب التفسير ، ولو فعل لانهار الدليل الأول ، والاوحد الذي اعتمد عليه في انكار كل ما أنكر .

فسيدنا يعقوب لم يسال بنيه عند موته : ما تعبدون من بعدى ؟ وبنوه لم يجيبوه . نعبد الهك ، واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون . والكاتب يشك أن يكون هذا الموقف قد حدث بقضه وقضيضه . لماذا ؟ لان الاسلام لم يكن قد ظهر ايام ابراهيم وأبنائه حتى يوصى به الآباء الأبناء .

وعيسى بن مريم لم يسأل الحواريين : من انصارى الى الله ؟ والحواريون لم يجيبوه : نحن انصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون . وانما وجد القرآن أن هذا النبي قد دارت أحاديثه على السنة العرب ، وذكر أمية بن أبي الصلت قصته في شعره فلم لايلجأ القرآن الى وسيلة أدبية رائعة فيحمل عيسى هذا مبادىء الدعوة الاسلامية ؟ .

واذا سألت الكاتب لماذا كل هذا الخبط والخلط؟ أجابك بأن الاسلام لم يكن ظهر في عهد عيسى ، فلا معنى لأن يقول الحواريون : انا مسلمون على الحقيقة .

وهكذا فعل الكاتب في كل ما أنكر .

فلو أن الكاتب عرف عن كتب التفسير ، أو عن كتب اللغة ، أو حتى عن صغار الطلاب في الازهر أن الاسلام له معنى عام هو الانقياد والخضوع الى الله ، وله معنى خاص هو هذا الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم .

ولو أن الكاتب قرأ قوله تعالى : (أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض) مجرد قراءة .

ولو أنه عرف أن أصول الأديان كلها واحدة ، وأول هذه الاصول الخضوع لله ، واسلام الوجوه

له كما يدل عليه قوله تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه » .

ولو أنه قبل وبعد اهتدى الى هذه الآية من كتاب الله : (ماكان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما) .

لو عرف الكاتب ما المراد بكلمة الاسلام فى كل النصوص التى أوردها لاستحيا ان يخط حرفا واحدا من مقاله .

وقد خص الكاتب (الجن) بفيض من علمه الغزير .

فالعربى عاش فى صحراء رهيبة ، فاعتقد أن هناك (جنا) تملأ هذه الصحراء ، لأن الانسان – كما نقل عن المسعودى – اذا سار فى المهامة داخلته الظنون الكاذبة ، والأوهام الفاسدة ،ولذلك – كما قال – كان جزء من ثقافة العرب ادخل فى الأساطير ، ومن ذلك الهواتف و (الجن) . والقرآن – كما قال أيضا – قد **تحايل** مع وجدان العرب فكان اعجازا منه أن يحمل شخصية (جنية) بعض مبادىء الدعوة ، فتخيل نفرا من (الجن) وأجرى على ألسنتهم حديثا اسلاميا تضمنته سورة الجن .

والنظام من المعتزلة انكر وجود الجن ، ومحمد عبده يفسر الجن بالميكروبات الخفية ، ولكن بالرغم من كل ذلك لا يستطيع هؤلاء أن ينكروا أثر سورة الجن ، وقدرتها على جذب افئدة العرب . هذا كلامه .

ولا ينسى الكاتب أن يبرز دليله فى هذا الموضع ايضا فيذكر ماجاء على لسان الجن فى سورتهم (وأنا منا المسلمون) ويكتبها بطريقة توضحها وتميزها عن بقية الكلام حتى يلفت الانظار الى أنها السر – فى موقفه من هؤلاء الجن الذين ألغى وجودهم بجرة قلم !

وليقل النظام ماشاء ، وليفهم الكاتب فى كلام الشيخ عبده ما يوافق هواه ، فالجن خلق من خلق الله ، وأنوف الجاهلين والمعاندين راغمة .

واذا كان الكاتب لايحفظ القرآن الكريم . ولم يكلف نفسه الرجوع الى المصحف ، فانى أضع تحت عينيه – لا قلبه – بعض الآيات الواضحة الصريحة التى لاتحتمل تاويلا ، من ذلك قوله تعالى: (يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى ، وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا ، وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على انفسهم أنهم كانوا كافرين) . واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين ، قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى يهدى الى الحق والى طريق مستقيم . ياقومنا اجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم) . صدق الله العظيم .

وكل من يشدو شيئا من العربية يفهم من هذه الآيات وماماثلها أن الجن موجودون – ان كان يعتقد بان الله صادق فى حديثه – ومهما أغرب فى تطلب المجازات والاستعارات فلن يسعفه خياله لان يتوهم أن هذا مجرد **تحايل أدبى** .

وهل يناديهم القرآن ، ويوبخهم على كفرهم وهل يجيبون بما أجابوا به ، وهم مجردخيال ؟

وما وجه الامتنان على النبى بان الله أمال اليه نفرا من الجن ، واستمعوا قرآنه ، وآمنوا به اذا كان ذلك مجرد خيال ؟

واذا كان النظام انكر وجود الجن ، أو هكذا نسب اليه فان آلافا من كبار علماء المسلمين منذ انزل القرآن الى اليوم لايداخلهم أى ريب فى وجود الجن ، ولم يعرف فى القديم أن أحدا أنكر وجودهم غير الزنادقة .

وعلماء المسلمين الفاقهون لكتاب الله ، والعارفون بسنة نبيه لم يختلفوا فى وجودهم ، وانما وقع بينهم بعض الخلاف فى تكليفهم ، قال الامام الرازى فى تفسيرهوهو من اكثر المفسرين تحررا : (أطبق الكل على ان الجن مكلفون ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم أرسل اليهم والقول بتبعيتهم فى التكليف للانس لا دليل عليه) .

وهدهد سليمان له أيضا مع الكاتب قصة ، خلاصتها ان القرآن استغل معرفة العرب بالهدهد

وماحيك حوله من أساطير جاهليـــة تجعله ينطق بمبادىء اسلامية ، والدليل على ذلك ـ عنده ـ هو الدليل ، ذلك أن الكتاب الذى جاء به الهـــدهد استفتح ـ على حد تعبـــيره ـ ببسم الله الرحمن الرحيم ، وجاء فيه (ألا تعلوا على وأتونى مسلمين) وهذه البسملة استفتحت بها السور القرآنية التى نزلت بعد سليمان بقرون ٠

وهو ـ كعادته ـ قد جهل أو تجاهل ماجاء فى القرآن الكريم من فضل الله على سليمان وأنه وهبه ملكا لم يهبــه لأحد ، ومن ذلك انه ســخر له الشياطين ، وعلمه منطق الطير : (وورث سليمان داود وقال يأيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شىء ان هذا لهو الفضـــل المبين ، وحشر لسليمان جنـــوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون حتى اذا أتوا على وادى النمل قالت نملة يأيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى ان اشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى) ٠

والله سبحانه يقول فى شـــأن لقمان : (ولقد آتينا لقمان الحكمة أن أشـــكر لله) ولكن الكاتب يؤكد أن لقمان هذا لا وجود له ، بل هو شخصية أسطورية حاك العرب حولها الحكايات ، فاستغل القرآن ذلك وأنطقه بالوصايا والحكم ، فالله سبحانه قد أعطى الحكمة لشخص أســطورى ـ كما يزعم الكاتب ـ ٠

ولعل الخطب فى لقمـــان أهون من الخطب فى ابراهيم واسماعيل ، فالكاتب يرى أن الحنفاء من العرب أشاعوا فكرتهم عن بناء ابراهيم واسماعيل الكعبة ، فوجد القرآن فى هذا موقفا خصبا ـ هكذا موقفا خصــبا ـ فأخــذ تلك الفــكرة ، وكسب أنصارها الى صفه ثم أوحى اليهم بمبادىء دعوته ، فقـــال : (واذ يرفع ابراهيم القواعــد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ٠٠٠ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم) ٠

وليرجع بنا التاريخ الى أوائل هذا القرن حتى كتب كاتب أن للقرآن أن يحدثنا عن ابراهيم وعن اسماعيل ، ولكن التاريخ لايعترف بهما ـ أو كما قال ـ ٠

ياهذا ٠ ان آيات القرآن واضحات ، لا لبس فيها ولا غموض ، وانك وكثير من أمثالك ترهبون ان تقولوا كلمة واحدة فى أى كتاب آخر من الكتب التى أنزل الله أصولها ، فما خطب القرآن عندكم ، ياهؤلاء : شيئا من الحياء ٠

ولا أختم هذا الحديث دون أن أشير الى توبيخ وجهة الكاتب الى مشركى مكة حيث **اقتصروا** عـــلى وصف القرآن بأنه أساطير الاولين ، فقـــد كانوا قصـــيرى النظر حين **اقتصروا** على ذلك ٠ ولو انه كان فى مكة ابان الدعوة لأرشد صناديد قريش الى الا يقتصروا على هذا الوصف ، والى أن يتنبهوا ـ مع ذلك ـ الى تحايل القرآن ، واغتنـــامه المواقف الخصبة ، واستغلاله للشخصيات الاسطورية ، والى انه فى سورة الكهف فى قصة موسى والعبد الصالح (يدق) ـ وهذه كلمته ـ على نغمة خاصة ٠

ولكن من الانصاف للكاتب أنه فى كل وقفة من وقفاته لم يفته ان يعتبر صنيع القرآن هذا لونا من (الاعجاز) ، وكما يقول : الاعجاز الفنى الخالد ، الاعجاز الناشىء من العلاقة الوشـــيجة بين الكلمة والمتلقى ٠

ولا غرو ، أليس الله أديبـــا بارعا يبحث عن المواقف الخصبة ؟!

افادكم الله

وصدق الله العظيم (لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الالباب ماكان حديثا يفترى) ماكان حديثـا يفترى ٠

« **على العمارى** »

قصيدتان

للشاعر : كامل الشناوى

في الكافيتريا



مرت بنا كالطيف تسـألنا — ماذا نريد ؛ فلذت بالصمت
ودنت لتسـألني عل حدة — عمـا اريد فقلتهـا : انت
غضبت والقت نظرة نزعت — قلبي وشدته الى فمهـا
يا ليتـه يقوى يقبلهـا — يا ليته ينسـاب في دمها :
واردت ارضيهـا فقلت لهـا — هـل تعرفين ؟ ومن اكون انا
انا يا صبية شـاعر هرم — قد جاء يستوحى الشباب هنا

اريد الهـامة جـديدة
بقـدر ما انظم القصيـدة
فافتر ناظرهـا ومبسمهـا
وقصيدتي ما زلت انظمهـا
.. واظل طول العمر انظمهـا

ظمأ وجوع



أحببتهـا وظننت ان لقلبهـا
نبضـا كقلبي لا تقيده الضـلوع

احببتهـا : واذا بهـا قلب بلا
نبض .. سراب خادع .. ظما وجوع

فتركتهـا لكن قلبي لم يزل
طفلا يعـاوده الحنين الى الرجوع

واذا مررت وكم مررت ببيتهـا
تبـكي الخطـا منى .. وترتعد الدموع

اللاجئ

للشاعر: محمد طاهر الجبلاوى

يا نسيم الصباح فى أرض سينا قف تسمع دعاءه والحنينا
وترفق اذا مررت بواد أنبت السهد روضه والشجونا
صوح الزهر فى حناياه كرها وجرى الماء فيه دمعا سخينا
ومضى الليل فى خطاه وئيدا مثقلا بالأسى يروع الحزونا
خيم الصمت دونه غير صوت فى ضمير الدجى ابى ان يهونا

***

ظامىء للحياة يطلب ريا والحمى للدخيل خفض ورى
ما يراه الا كرؤيا لهيف يتصدى له خيال وفى
عزه أن يراه منه بعيدا وهو فى بعده القريب القصى
لم يغره سكنى خيام وفيه خير مأوى له وعيش رضى
أمل مشرق يطل عليه فهو فى بؤسه العزيز الأبى

***

ومضى اللاجىء القريب معنى يسأل الصبح عن شذى خلجاته
وضياء الايمان بين يديه يملأ الأرض من سنا ومضاته
يذكر الأمس وهو جد قريب يعمر القلب فى رضا لحظاته
ويناجى السماء عن وطن الاحر ار أمسى ممهدا لعداته
ولسان الأسى على مقلتيه والفؤاد الجريح فوق لهاته

***

محنة العصر أن يشرد شعب عن حمى اهله وعن أوطانه
ويعيش العزيز وهو ذليل عاصب قلبه على أحزانه
ويرى الواغل الدخيل سعيدا باجتناء الثمار من افنانه
داره داره على الرغم منه وتراث الأجداد رهن بنانه
منطق القوة الغشوم وعسف أرثت كفه لظى نيرانه

***

صيحة الحق أيقظت كل غاف وابانت نهج الهدى والنضال
وعلى الأرض من فلسطين ثار ليس يمحوه غير عزم الرجال
لا يرى ضائعا وهذى جموع العرب شدت رحالها للنزال
وحدوا الصف واستعدوا ليوم مستثار الخطا قريب المنال
ويعود الغريب فيه عزيزا رافع الراس رغم عسف الليالى

بقية المنشور على ص ٢٨

ثم تململت فى وضعها .. ومرة أخرى مسحت دموعها .. وبدأت تسترد انفاسها .. ونظرت الى الأرض فرأت القطة نائمة ..

ـ بس بس .

وأسرعت القطة تثب الى الأريكة لتنام فى حجر سيدتها .. فهو دافيء ولين .. والدنيا برد .. برد قارس .. جعل الست خديجة تفكر فى ولدها مرة أخرى .

ايه يا خديجة .. ترى ماذا يفعل ابنك الآن فى هذا الشتاء الشديد البرودة .. وفى العراء .. ؟ . ترى ماذا يفعل فى برد يناير ؟ هذا اذا كان مايزال ..... ولكن لا .. لا .. انه حى . باذن الله حى .. قلبى يقول لى ذلك .. يارب .. يارب .. انت عالم بالحال احفظه لى .. لم يعد لى فى الحياة الا أيام معدودة .. فدعنى اموت قريرة العين ..راضية بابنى .. فرحة به .. يارب .. يارب .

ثم تنهض من مكانها وتمد يدها الى سجادة الصلاة .. وبعد أن تنتهى من صلاتها تدعو لابنها بطول البقاء وبالسلامة .. وتعود الى مكانها بجوار المذياع .. انه ما زال يغنى .. يغنى .. يغنى .. ومدت يدها لتسكته .. ولكنها عادت فسحبتها ... ان هذا المطرب الذى يغنى يحبه ابنها .. وستسمعه من اجل خاطره .. ابنها سبب عذابها .. وسر الهنا.

لقد جاءها ابنها « سامى » قبل سفره يخبرها بانه طلب من قائده أن يدرج اسمه مع المتطوعين ليحارب فى اليمن .. ولم تحاول أن تناقشه فيما فعل .. فهى تعلم أنه مثل أبيه ان اقتنع بشىء يفعله مهما كانت العاقبة .. ومهما كانت المشاق . ثم أخبرها « سامى » بانه سيطلب يد « سعاد » بنت الجيران قبل أن يسافر .. حتى يضمنها عروسا له .. فهو يحبها . ولكن الست خديجة أعلنت رفضها لهذه الخطوبة .. وسخطها على هذا الحب . فهى انما ترجو لابنها بنت خالته زوجا له .. فبنت خالته هذه ـ بنت أختها ـ مخطوبة له وهو طفل .. مقسومة له من زمان .. فهكذا قدرت الست خديجة وهكذا اتفقت مع أختها .

وحاول سامى اقناعها بكل الطرق بانه هو الذى سيتزوج وليست هى ـ أمه ـ وانه عليه هو وحده ان يختار زوجته وشريكة حياته التى يحبها . ثم حاول ان يذكرها بأن الزواج فى عام ١٩٦٣ ليس كالزواج على ايامها هى يوم ان تمت خطوبتها وتزوجت ولم تر زوجها الا ليلة الزفاف ..

ولما لم تقتنع .. قال لها بانه صمم فعلا على ان يخطب سعاد . وهو انما أخبرها من باب الأدب وحتى تكون على علم بما سيحدث . فما كان من الست خديجة ـ بعد أن سمعت هذا الكلام ـ الا ان اقسمت برحمة زوجها ـ ابيه ـ وهددته بانه ان فعل هذا فلا هو ابنها ولا تعرفه .

وكانت هى الكلمة الفاصلة . فقد وقف « سامى » ماخوذا لحظة .. ثم خرج ولم يعد حتى هذه اللحظة ... حيث الست خديجة جالسة بجانب المذياع.. وحيدة الا من قطتها ومن شجونها وأحزانها .. تاركة نفسها للذكريات تعبث بها كما تشاء .. مستسلمة لتانيب الضمير يحطم أعصابها ويمزق راحتها . انها الآن تنتظر شيئا ما .. تتوقع ان تسمع شيئا معينا من المذياع .. شيئا فيه ومضة من الأمل .

الأغنية تنتهى الآن .. والمذيع يتكلم ... « هنا القاهرة .. أيها المواطنون .. اليكم الآن رسالة أبنائنا فى اليمن » .

أخيرا .. أخيرا يا خديجة .. هذا ما كنت تنتظرينه ..

وأصبحت كل حواسها آذانا مصغية .. والمذيع ما زال يتكلم .... « اليكم بعض رسائل جنودنا الأبطال الذين يحاربون مع اخوانهم اليمنيين ضد الرجعية .. وضد الطغاة » .. ثم بدأت الرسائل تتوالى .. كل جندى يقول كلمة بصوته تذاع له فى المذياع حتى يسمعه أهله فيطمئنوا عليه .. وهى ـ الست خديجة ـ تمنى نفسها بسماع صوت ابنها «سامى» اليوم .. كل ليلة تستمع الى هذا البرنامج .. وكل ليلة يتكلم كثير من الجنود فتنام أمهاتهم قريرات العيون .. الا هى .. فحتى هذه اللحظة لم تكن قد سمعت صوت ابنها ..

وتستمع الى الراديو. ان الجنود يتكلمون واحدا وراء الآخر .

« أنا نقيب .. محمد عمار .. من محافظة المنوفية .. أهدى سلامى الى .... »

ليس ابنك يا خديجة .. ليس ابنك .. لا بد انه التالى .

« أنا عريف فاروق صادق من محافظة المنيا .. سلامى الى والدى العزيز واخوتى و ... »

ولا هذا .. ليس هذه المرة أيضا يا خديجة . اصبرى . اصبرى . الصبر طيب فربما يكون هو الجندى التالى ..

« نقيب مهندس عبد السلام النقيب..الى زوجتى العزيزة أهدى ..... »

لم تحتمل الست خديجة . الانتظار يعذبها . بكت . بكت قائلة .. « أين انت يا سامى أين صوتك .. ؟ لماذا لا تتكلم .. ؟ . أريد ان اسمع صوتك .. لا اطلب أكثر من هذا .

وجاءها صوت المذياع .. ولم يكن الصوت هو صوت ولدها .. وتوالت الأصوات .. أسماء كثيرة .. لم يكن بينها اسم « سامى حسن » ابنها .. حتى كادت تيأس . فمدت قدمها تنوى القيام . ولكن ساقها تسمرت فى منتصف المسافة بين الأريكة والأرض . هذا الصوت تعرفه جيدا .. هذا الصوت الذى تهادى الى أذنها الآن خلال المذياع .. انه الموسيقى تعزف .. انه البلابل تغرد .. انه الملائكة تنشد ..

« انا سامى حسن .... »

حبيبى يا ولدى . وأخيرا . هل أنا فى حلم .. تكلم يا روحى .. انا أمك .. استمع اليك .. امك التى تحبك .. والتى تعيش من أجلك .. قل أى شيء .. فكل كلمة منك حلوه على أذنى .. منعشة لحواسى .. مريحة لقلبى .

ثم مدت أذنيها أكثر مقتربة ناحية المذياع تريد أن تعرف ماذا سيقول بعد ذلك وسمعت :

« .... جندى مؤهلات بفرقة الصاعقة . انا بخير والحمد لله ... »

ومن بين انفعالات متباينة .. من بين انفعالات القلق والترقب والرجاء والخوف .. ظهر انفعال واضح ارتسم على وجه الست خديجة .. انفعال الراحة والاطمئنان .

نعم يا حبيبى .. الحمد لله .. الحمد لله الف حمد .. والف شكر .. غدا ان شاء الله .. غدا ساوقد عشر شمعات لأم هاشم من أجلك يا ضنايا .. ولكن .. أليس عندك أى كلام لأمك ..

« **سلامى الى الأهل والأقرباء ....** »

هكذا يا ولدى . الأهل والأقرباء .. وتتناسى أمك . اذن فأنت لم تزل غاضبا على .. حقك على يا ولدى .. حقك على .. عند عودتك سأقبل راسك مستغفرة لتسامحنى ..

« ..... وارسل احر أشواقى الى ... »

الى من يا سامى ؟ .. الى من .. قل . لماذا تسكت .. قل الى من .. الى أنا امك .. أم الى الأخرى بنت الجيران .. قل ..

وحبست أنفاسها حتى لا تفوتها أى كلمة . وحتى تلاحظ النبرات .. وجاءها صوت ابنها وكان مخنوقا بالعبرات مستأنفا كلامه ان الى ... « .... امى الحبيبة » .

وتراخت اعصابها ـ خديجة ـ بعد طول توتر .. الحمد لله . الف سلام لك أنت يا روحى يا ضنايا .. يا عقلى .. ثم عادت تستمع ..

« ... وارجو يا أمى ان تسامحينى .. والا تكونى غاضبة منى ... »

وبكت ارتياحا .. وكأن كابوسا ثقيلا انزاح من فوق صدرها . بكت . واجهشت بالبكاء .. ولكنها تذكرت أن ولدها لم ينته بعد من حديثه . فعادت تحبس انفاسها قائلة .. مسامحاك ياحبيبى .. من كل قلبى .

« ... كما أهدى سلامى الى ... »

وهنا جمدت ملامحها .. اذن فلا فائدة..لا فائدة من كلامها معه .. لقد قال ابنها .

« .... الى خطيبتى سعاد .. واهدى . »

وصمتت برهة .. ثم بدأت تحدث نفسها مرة أخرى .. موجهة الكلام لصورة ابنها فى خيالها .. اذن فأنت مصمم يا سامى على خطوبتك لسعاد بنت الجيران .. مبروك .. مبروك يا حبيبى .

وفى لحظة . كانت الست خديجة شعلة من المرح والسعادة .. حتى أنها نسيت أمراضها .. ومالت على الأرض تلتقط قطتها وكانت قد القتها على الأرض من برهة .. ثم أخذت تمسح بيدها فى رفق وحنان فوق ظهر القطة..والقطة سعيدة بذلك. وبابتسامة عريضة على الشفتين .... وفرحة عارمة فى القلب كانت الست خديجة تحدث قطتها ...

ـ خلاص .. يا بس بس .. غدا .. باذن الله اذهب الى والد سعاد .. أخطب ابنته سعاد لابنى سامى .. وان شاء الله يعيشان فى تبات وتبات . ويخلفان « صبيان وبنات » .

ثم تذكرت بنت أختها .. فتنهدت قائلة :

ـ كل شيء قسمة ونصيب .. كبدى يا بنتى .

مجيد اسحق طوبيا

تهمة غير مفهومة !

بقلم : عبد المعطى المسيرى

من قضايا السرقات الأدبية ..
المرأة والأسد بين غراب ومراد .. وعبده بدوى !
البقرة واللص والمحامى .. والسباعى ..!
وقصص أخرى ...

فى نفس الأسبوع الذى يتقبل فيه الاستاذ امين يوسف غراب التهانى بمناسبة فوزه بجائزة الدولة التشجيعية فى القصة القصيرة يطلع علينا الاستاذ محمد نصر بمقاله الذى يتهم فيه «غراب» «بلطش» القصة السودانيه من « مراد » فيثير بذلك الكثير من علامات التعجب والاستفهام !! اين كان صاحب الاتهام وقصة « غراب » منشورة منذ عشرة شهور !؟ ولماذا اختار هذه الايام بالذات !!؟

ما علينا .. لنبدأ أولا باستعراض سريع لملابسات تتعلق بموضوع التهمة ... ومن هذه الملابسات ما لو طبقنا عليه أحكام صاحب المقال لجعلنا المسروق سارقا ! ! وكان ذلك بالحجة والبرهان .. واليك البيان :

قصة « المراة والاسد » ـ موضوع الاتهام ـ سمعناها تمثيلية اذاعية منذ عامين باذاعة ركن السودان للشاعر عبده بدوى وكان ذلك قبل نشر كتاب قصص سودانيه للدكتور مراد كامل بنحو عام على الاقل ومن المعروف أن الاستاذ عبده بدوى قضى وقتا طويلا فى السودان وسمع « الحدوته » هناك ، ثم عالج بعد ذلك الانتفاع بمضمونها فى التمثيلية ، ثم نشر بعد اذاعتها بوقت غير قصير كتاب الدكتور مراد وبه ذات « الحدوته » فاذا جاز الصاق تهمة « اللطش » بغراب فماذا يكون موقف مراد !!؟

ولمة وقفات سريعة قبل مناقشة التهمة غير المفهومة !!

روى الاستاذ يوسف السباعى نكتة طريفة عن ريفى ساذج أبله اتهم بسرقة بقرة ـ لا قصة !! ـ واثناء المحاكمة اوصاه المحامى بعدم الإجابة على اسئلة المحكمة لانه ـ اى المحامى ـ سيجيب نيابة عنه ... وعمل المتهم فعلا بمشورة محاميه ... سالته المحكمة عن اسمه ، فاشار الى المحامى الذى اجاب نيابة عنه ، وسألته عن بلده ، وسالته عن مهنته ... وفى كل مرة يشير الى المحامى فيجيب عنه ، غير أن القاضى عندما ساله عن سنه ورآه يشير الى المحامى غضب وصاح فيه قائلا :

ـ لما كل حاجه المحامى . المحامى امال انت ايه

فرد الرجل على الفور وفى هدوء لاحد له :

ـ انا يا افندم اللى سرقت البقرة !!

هذه الحكاية أو النكته الطريفة رواها الاستاذ السباعى ذات يوم للتفكهة فاوحت للاستاذ غراب بقصة هى ايضا ضمن مجموعة امراة غير مفهومة ... انتفع بها «غراب» فى قصته « فراغ » فصور لنا جو المحاكم وما يضطرب فيه من خليط متناقض

متنافر ، يربط بينه خيط غير متقارب ولامتجانس، خيط الظالم وخيط المظلوم ... هذا يبكى ، وذاك يضحك ، وهذه تزغرد ، وتلك تلطم وحدها ... حتى المحامين انفسهم كانوا يمثلون هذا التناقض العجيب ، فهذا المحامى يأخذ القضية على باب المحكمة واثناء انعقاد الجلسة ، ويترافع فيها على التو ، وهذا المحامى الآخر ، وقد احمرت عيناه من طول السهر ، ودراسة القضايا ، ومصائر اصحابها ... وغير ذلك من النماذج التى لا تتوفر لنا رؤيتها الا فى ساحات المحاكم ... صحيح ان اغلبها من اللصوص ، وقطاع الطرق ، والقتلة الا ان اكثرها نماذج ساذجة ، تبلغ سذاجتها احيانا حد البلاهة ... وعلى هذا النحو يمضى غراب فى التصوير والتحليل ... ويقدم قصة ممتعة تعمق رؤيا القارىء وتضيف الى تجاربه مزيدا من التعرف الى النفس البشرية ... فهل بعد ذلك يطالب غراب بان يعترف ويسجل أن القصة ماخوذة عن نكته رواها السباعى !!؟

لكن للاعتراف والتسجيل يجب ذكر الوضع والمكان المناسبين فمثلا عندما نشر غراب « قصة مكر » فى كتابه آثار على الشفاة ، سجل كتابة ان فكرة القصة مستوحاة من كتاب على هامش السيرة ، للدكتور طه حسين ... لم يجد غضاضة فى ذلك لانه شعر انه اعتمد اعتمادا كبيرا على ما كتبه الدكتور طه، ومن الحق ان يأخذ صاحب الحق حقه ... ولكن الامر مختلف تماما فى مسالة الحدوته السودانية — واقول « حدوته » لانها لا ترقى الى مستوى الاسطورة بالمعنى المفهوم ... مجرد حكاية ساذجة الا أن الفنان يستطيع ان يحيلها ويطورها الى ملحمة ، والى تمثيلية اذاعية كما فعل الشاعر عبده بدوى ، والى قصة لها خصائص ومميزات القصة الفنية ، كما فعل القاص امين غراب ، كذلك يمكن ان تحكى كما هى على طبيعتها وفوتوغرافيتها، ويبقى لحاكيها فضل تسجيلها ونشرها ، كما فعل الدكتور مراد

ولنبدا فنشرك معنا القارىء فى مناقشة التهمة وصيغة الاتهام :

يتساءل كاتب المقال ، وصاحب الاتهام فعلا « هل من حق اى كاتب أن يتناول شخصية عظيم من عظماء التاريخ بالكتابة بعد ان سبقه اليها مؤرخ او كاتب آخر ؟ »

بالذمة ياناس هل هذا سؤال !؟

نعم ياسيدى ، ونعم يامولانا من حق اى كاتب ، وكل كاتب ان يتناول شخصيات التاريخ بطريقته واسلوبه ، ومن الزوايا التى تروق له ، ولو سبقه اليها الف مؤرخ، والف فنان ، بشرط واحد ، سهل بسيط ، ذلك ان يعمد اليها فيعرضها على نحو جديد ، يضيف الى من سبقوه مفهوما جديدا ... ولماذا نتعب انفسنا ، اخطف رجلك ياصاحب الاتهام الى مكتبة عامة او خاصة ، أو اسأل أى كاتب أو أديب ، يقول لك ان شخصيات التاريخ تناول وتبادل كتابتها العشرات ، والمئات ، والالوف وستظل مغرية وصالحة للعشرات ، والمئات والألوف من الكتاب يعالجون عرضها ، والكتابة عنها ، الى يوم الدين !! ولماذا نذهب بعيدا ، اسأل الاستاذ محمد نصر فقد قال **« صحيح ان من حق اى كاتب أن يقتبس من الاساطير القديمة او يعيد تناولها بأسلوب معاصر ولكن يجب عليه ان يحرص على النص الادبى ، فلا يضيف اليه ما يزيده قوة وخلودا »**

عليك نور ... ارحتنا اراح الله بالك ... تعال اذن نتناقش .

تقول صيغة الاتهام « أن امين غراب نقل قصة سودانية « نقل مسطرة » من كتاب صدر منذ عام بعنوان قصص سودانية للدكتور مراد كامل عضو المجمع اللغوى . نقلها ونشرها —نقل مسطرة— فى مجلة القصة الصادرة فى فبراير — خذ بالك — فى فبراير — ونحن الآن فى أواخر نوفمبر ! تحت عنوان « المراة والاسد » ثم عاد ونشر القصة ذاتها بعنوان «امراة غير مفهومة » ضمن مجموعة قصص صدرت له أخيرا بهذا الاسم ».

نقلها « نقل مسطرة » كيف !؟ تقول صيغة الاتهام ان « حدوته » الدكتور مراد فى ثلاث صفحات من الحجم الصغير » وقصة امين غراب فى تسع صفحات من الحجم الكبير » والعجيب أن هذا التحديد جاء به الاتهام فأين «المسطرة » وكيف طالت واستطالت وتمطت فى القصة بعد أن كانت قصيرة منكمشة فى الحدوتة !!

ويقول الدكتور مراد — والعهدة على الراوى — **« لقد شعرت بالراحة عندما رأيت من اخذ بفكرتى واستفاد بها ، واقتبس منها وكان هذا هو غرضى**

الاولى ولكن كان على الكاتب ان يشير الى الاصل».

اى أصل !! السودان مثلا !! عظيم ؛ ذكرت قصة غراب انها حدثت فى السودان وقضى الاستاذ على احمد باكثير ان الكاتب بذلك « **يبقى طرفه خال** » ولكن هل يكفينا راى الاستاذ باكثير !؟ لقد صرح بانه لم يقرأ القصة بعد ، وبنى حكمه على مجرد أن الكاتب ذكر اسم السودان . ولكن الذين قرءوها لا يجدون الاسم فحسب وانما يعيشون فى نفس الجو السودانى سهوله وجباله ، نسمات الليل المضمخة بضوء القمر .... القمر الذى ينبثق فوق السهل فيحيله الى صرح من المرمر . « الخالة فاروز » وهى تحكى القصة والقمر ينشر بساطه السحرى عليه . « الخباء » « والمراعى » والثعابين والحيات والاسد المتربع على عرشه فى الجبل ... كل صور القصة تنقل القارىء نقلا الى الحياة السودانية بخصائصها وروائحها واعماقها وابعادها ، وعلى العكس اذا اعدنا الى كتاب قصص سودانية — ومعذرة للدكتور مراد — نرى « الحدوته » مجردة من كل وصف وتصوير ... « فالزوجة عاشت مع زوجها اعواما خمسة لم تذق فيها للراحة طعما ، ، خرجت هى فى ظل صديقتها الى كوخ غير بعيد » ...... وعلى هذا النحو ؛ حادثة ممكن أن تحدث فى اى مكان ثم تحكى « الحدوتة » — ، وخرج سبع من السباع يطوف باطراف الغابة المجاورة فاذا هو يجد فتاة لم تكد تراه حتى دفعت اليه حملا » ، والغابة المجاورة والسبع هما الحسنتان الوحيدتان فى الحدوته اذ يمكن ان يدلا على أنها حدثت فى السودان — وعلى فكره — فذكر السودان لم يعرض على اى نحو فى «الحدوته» اذا استثنينا جملة (قصة من كسلا) التى جاءت تحت العنوان فى كتاب الدكتور مراد .

يجوز ان تكون الزوجة قد عاشت اعوامها الخمسة لم تذق للراحه طعما مع زوجها ، ثم بعد ذلك تذهب الى العراف ليضع لها شيئا يجعل الزوج يحبها !!

ويجوز أن تسير الزوجة ومعها الحمل تبحث عن سبع !! فيخرج لها سبع من السباع !!

كل ذلك جائز او ربما يجوز فى « الحدوته »ولكن فى القصة ، يصف غراب حياة الزوجة مع زوجها والحب المتبادل بينهما الى أن تتعرض لحياتهما امراة اخرى يؤثرها الزوج ومن ثم تتالم الزوجة ، وتلح عليها الغيرة ، وتبحث عن حل للمشكلة ... ، ويخرج سبع من السباع — هكذا من الباب للطاق — فيجد امامه المراة التى تبحث عنه !! » يجوز .. او ربما يجوز فى « الحدوته » ولكن فى القصة : فالاسد يقطع طريق الجبل ويغلقه على نفسه وليس أسدا من الأسود وانما هو أسد بعينه يعرفه الناس وتعرفه الزوجة ... يزار ليلا ، فيخيف غيرها ، فاما هى فيذكرها زئيره بالحب والزوج .. والشعرات الثلاث التى يتوقف عليها مصير حبها وزوجها ... وهو فى « الحدوتة » لا يلبث ان تلتقى به المراة حتى تدفع اليه بالحمل ... ولكن فى القصة تحليل للنفس الانسانيه عندما تتعرض للخطر ، انها ميته ، ميته .. ميتة اذا لم تلق الاسد ، ولتنزع الشعرات لأنها ماتت فى نفس زوجها ، وميتة — ويحتمل لا — اذا تحايلت على لقاء الاسد ، فلماذا لا تجرب حظها !؟ » ثم لماذا يفترس الأسد الانسان ؟ لأنه كائن حى ، يريد ان ياكل ... ربما يفترسها لو كان جائعا او كان الطعام الذى ستقدمه له قلة لا يملأ جوفه وقد لا يفترسها ان شبع ... ولكن من يدرى قد ياكلها قبل أن ياكل ما تقدمه اليه ... وهكذا تلح عليها الحيرة ، ثم تاتى المبررات .. ربما لا يعقلها الاسد !! اياما كان فالحبيب الذى هجر ، والخل الذى غدر ... الماضى الحلو الجميل ؛ الحاضر المعذب الاليم ... وتلتقى بالأسد ...

فى « الحدوتة » لا باس !! ان تنتزع الشعرات انتزاعا من شارب الاسد !! فهو اسد الحواديت !!! ولكن فى القصة : انسان حقيقة وأسد حقيقى ، واذن فلا بد من الحيلة ، مقص صغير ثم تلاطفه كالعادة وهو يتناول الطعام .. وتقص الثلاث شعرات دون أن يشعر الاسد .

. فى أول لقاء الانسانة الحقيقية بالاسد ، يتملكها ما يتملك الانسان من ذعر وخوف ، تلقى اليه بالشاة وتركض فتسقط على الارض ... ولكن الاسد فى حاله يتناول طعامه ... وهكذا كل ليلة حتى ليستأنس الاسد ... « **لو اراد افتراسها لافترسها اول يوم او فى يوم اخر ... اذن فلتتقدم ... ولتمسح على راسه ... ثم لتفعل فعلتها وتنصرف وسعادة الوجود كله تسير فى ركابها هذه الليله**

ثم « العراف » فى الحدوته » ـ كلمة ونصف ـ شخص عادى لا أبعاد له ... ولكن فى القصة ساحر ينبض حياة ، أظافره السوداء المدببة الطويلة ، لحيته المسترسلة التى تهتز عند قدميه ، الثعابين التى تطوق عنقه ، وتسعى بين يديه ...

ونسيت أن اذكر أن عراف « الحدوتة » لا يطلب غير الشعرات الثلاث من الاسد ؛ اعنى من الجائز ان يقوم بهذا العمل اى شخص ـ أو أشخاص وعلى أى نحو ولكن فى القصة لابد أن تنتزع هى بيديها هاتين ، الشعرات الثلاث من الاسد الهصور وهو حى .....

فاين « نقل المسطرة » ياصاحب الاتهام ؟!! اننا لا ننقل على الدكتور مراد لأنه صرح « بان كل الذى استطاع ان يعمله انه دون هذه الاساطير فى صفحات وانه يود لو تناولها غراب باسلوبه كقصاص » وقرا غراب الكتاب واعجب بهذه الاسطورة بالذات وقال الدكتور مراد ساكتبها وكتبها فعلا وقراها الدكتور ، واشار فى الكتاب الى بعض اساطير اخرى راجيا غراب ان يكتبها بنفس الأسلوب فوعده خيرا ...

فماذا جرى بعد ذلك ؟! الجواب عند الدكتور مراد ... استغفر الله ... الجواب عند صاحب الاتهام وصاحب الاتهام يطلب رأى كتاب القصة فى بلدنا ... كما يطلب صدور قانون يحمى انتاج الآخرين من عبث قطاع طرق الادب

ولعلى أوافقه على مطلبه الاول ، وها أنذا قدحاولت ابداء رايى كما طلب ان لم يكن بوصفى كواحد من المهتمين بكتابة القصة ، فليكن باعتبارى أحد قرائها فاما المطلب الثانى فأخشى أن يتضمن القانون حماية الكتاب من عبث الذين ينصبون الموازين بغير حق ولا هدى ولا اساس ، لينالوا من أقدار الادباء بالباطل

عبد المعطى المسيرى

المرح

للشاعر : قاسم مظهر

تغنى على الغصن حيث يشاء
وشات له بارقات السرور
ورف باجنحة من بهاء
وحلق ما بين عطر ونور
وما زال يصعد عبر السماء
ويهبط منتشيا فى غرور
يبل صداه برجع الغناء
ويلقى الى الأفق لحن الحبور

***

ومال على جدول يبترد
وقد اوشك الغيم يطوى الصباح
فارهقه شاتك مستبد
وما زال قيد الضنا والكفاح
يحاول جهدا بان يسترد
طلاقة طير مهيض الجناح
فطورا على جهده متئد
وطورا يغالب طبع المراح

***

احست به قطة عابره
تخط على الأرض همس الجياع
فايقت باقدامها الخائره
الى الوهن تخطفها فى صراع
ولاحت لها فرصة نادره
لتظفر فيها باشهى متاع
ولما رات انها ظافره
بهذا الجمال وذاك الشعاع

***

تدانت من الطائر المستجير
تتحمى به شهوة تستعر
ولما أحس دنو المصير
وأن لا نجاة !! وان لا مفر !!
تغنى ليوهم سمع الضمير
ويبعد عنه ارتجاف الحذر
وماذا يفيد غناء الأسير
وغايته سخريات القدر !



● وجهت جمعية الأدباء الدعوة الى اعضائها لعقد جلسة غير عادية للجمعية العمومية يوم ٩ ديسمبر الحالى بناء على طلب خمسة وثلاثين عضوا من اعضائها لمناقشة مذكرة لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب ، التى رفعت الى الدكتور محمد عبد القادر حاتم رئيس المجلس بشأن نشر الشعر التقليدى والشعر الجديد .

● صدر عن المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والنشر كتاب « الرافعى ومى » للاستاذ عبد السلام هاشم حافظ ، وقد جاء فى مقدمته « الرافعى ومى كل منهما له نهج وحده فى الأسلوب الأدبى : هو فى دولة الأدباء ، وهى فى دوحة الأديبات ، وكلاهما مؤمن . سعى سعيه للحفاظ على بيئة الشرق العربى ومقدساته ولغته العربية الام . هو المسلم التقى الغيور وهى المسيحية القديسة الواعية » .

● صدر اول ديوان بعنوان « لا تكذبى » للشاعر كامل الشناوى .

● اقامت هيئة خريجى الجامعات ندوة شهرية للشعر فى مساء يوم السبت الموافق ٥ ديسمبر ، اشترك فى الندوة الشعراء : عزيز اباظه ، عبده بدوى ، احمد عمر هاشم ، الربيع الغزال ، انس داود ، عامر محمد بحيرى ، عبد الرحيم الزحاف ، قاسم مظهر ، محمد التهامى ، محمد الجيار ، محمود شاور ، محمود جبر .

● كتاب لماذا الاشتراكية العربية ؟ من تاليف لمعى المطيعى فاز فى اسبوع الكتاب العربى .

● دنيا الشباب ، مجموعة قصص قصيرة صدرت عن دار الأدباء بقلم عبد الرحمن نجيب .

● فى مكتبة الطفل : ظهر كتاب « مصيدة الفئران قصة » اسرائيل » للأستاذ رشاد كامل كيلانى .

● « انوار وعطور » ديوان جديد للشاعر قاسم مظهر يظهر قريبا .

● « صياد وجنية » عنوان ديوان جديد يصدر قريبا للشاعر سيد حجاب .

● « العدل الاجتماعى .. تحت ضوء الدين والفلسفة » .

عنوان كتاب صدر اخيرا للدكتور : ابراهيم عبد المجيد اللبان فى سلسلة مذاهب وشخصيات .

● يستعد الفنان ابراهيم الازهرى لاقامة معرض عن اعماله الفنية بدار الجمعية الاهلية للفنون الجميلة .. بمناسبة عيد النصر .. والفنان الازهرى تمتاز اعماله الفنية بالقوة فى استعمال اللون الاحمر والتعبير عن القضايا القومية .

● تقيم الجمعية الأدبية المصرية فى يوم ١٥ ديسمبر ندوة شعرية يقدمها الدكتور احمد كمال زكى ، يشترك فيها الدكاترة والأساتذة : محمود ابو الوفا ، روحية القلينى ، احمد عبد المعطى حجازى ، محمد ابراهيم ابو سنه ، محمد الجيار ، انس داود ، حسن توفيق ، فوزى العنتيل ، ويقوم بالتعقيب على الندوة الدكتور عبد القادر القط .

● اجرى مجمع اللغة العربية عملية انتخاب فى الاسبوع الماضى لشغل ثلاثة كراسى شاغرة به ، وقد اسفرت عملية الانتخاب عن فوز كل من الاستاذين احمد عبده الشرباصى ، ومحمد محيى الدين عبد الحميد ، الاول بدلا من المرحوم الاستاذ احمد لطفى السيد ، والثانى بدلا من المرحوم فضيلة الشيخ شلتوت ، ولم ينل احد من المرشحين لشغل الكرسى الثالث النصاب القانونى للانتخاب ، وقد تاجل شغل هذا المكان مع المكان الذى خلا بوفاة المرحوم الدكتور احمد البطراوى الى دورة مقبلة .



● فى الاسبوع الماضى شـــهدنا عدة محاضرات وندوات فى الوان مختلفة من الأدب والفن ووسائل الثقافة العامة ، أسهم فيهـا **الأستاذ يحيى أبو بكر** بمحاضرة وادارة ندوة والمناقشة فيها ، كانت المحاضرة عن « **الخدمة الفنية فى الدور الثقافية** » أما الندوة فقد تناولت موضوع « **تطور الكتاب العربى** » وكانت فى نادى الخريجين المصرى • وقد اشتجرت الآراء فى مدى اقبال القـــراء على الـكتاب ، وانتهت الى رأى ممحص ، **وهو انه حقا زاد الاقبال على الكتاب زيادة كبيرة وكان أسبوع الكتاب العربى من اســـباب الزيادة ، الا أننا مازلنا بحاجة الى اتساع رقعة القراءة** •

واتضح من النقاش أن هناك داء فى مجال القراءة ، هو «الردة» على حسب تعبير الأستاذ يحيى أبو بكر ، ويقصد به ارتداد متعلم القراءة والكتابة من الكبار الذين تمحى أميتهم عن مواصلة القراءة • والواقع أن هذه الردة تشمل المتعلمين فى المراحل المختلفة ، من التعليم الابتدائى الى الجامعى ، فالكثيرون منهـــم يجتازون الامتحانات ثم لا يقرأون •

وقد نبه أحد الحاضرين ـ بكلمة طيبة ـ الى ضرورة استخدام « **العامل الانسانى** » الذى يجب توافره فى المشرف على المكتبة المدرسية والذى يستطيع به أن يجب الطالب فى القراءة بوسائله الفنية ، ونرى أن هذا « العامل الانســـــانى » مهم كذلك فى وســـائل الإعلام كالتليفزيون والاذاعة والصحافة ، **فان هذه الوسائل تستطيع ـ بوجود هذا العامل فيها ـ أن تخدم الكتاب وتكون من عوامل رواجـــه ، بدلا مما ترمى به من أنها تشغل عنه وتمثل عدوا له** •

● فى ندوة الجمعية الأدبية المصرية التى نوقش فيها ديوان صلاح عبدالصبور **(أحلام الفارس القديم)** قال الدكتـــور لويس عوض أنه أعجب بشـعر هذا الديوان لأن الشـــاعر انتقل فيـه من الميتافيزيقيا التجريدية الى **الميتافيزيقيا الحسية والمادية** •• !

ولابد أن الدكتور كان غائبا فى عالم الميتافيزيقيا حينما قال ذلك •• ولو كان واعيا وعائشا فى عالم «الفيزيقيا» لما وصف الميتافيزيقيا بالحسية والمادية •

● وفى تلك الندوة تحدث أحد الزملاء (**الدكتور عبد القادر القط) عن كتاب «الرسالة»** بمثل ما تحدثت به « عزة » عن صاحبها « كثير » •• ونحن نقول ما قال « كثير » :

« **لعزة من أعراضنا ما استحلت** »

● فى برنامج « مع العـــائلة » بالتليفزيون كان **الشاعر صالح جودت** مستضـافا ليحل مشكلة •• سيدة ذات عدد كبير من الأطفال تطلب عملا تعاون به زوجها ، كما تطلب طريقة لتحديد النسل •

وكان الحل عند الشاعر منحصرا فى هذه العبارة « **ان هذه السيدة تقضى وقت فراغهـــا فى انجاب الأطفال !!** » •

ولا يسعنى الا أن أستعير من الأستاذ محمـــود شـــاكر قوله للدكتـــور لويس عوض : **ليس هــذا حسنا ، بل معيبا ، بل قبيحا • وان كنت أرى مافاه به صالح جودت أكثر من ذلك ••**

عبس خضر

على البعد

للشاعر : ابراهيم محمد نجا

على البعد مازلت احلى المنى ... وفى القرب كنت أحب الجنى
وحبك مازال ملء دمى ... لهيبا ، وملء حياتى سنا
وحتى الممات سيملأ قلبى ... حياة اذا الموت منى دنا
وبعد الممات سيسمو بروحى ... الى عالم كان لى موطنا
الست التى صاغ لى حبها ... من الفقر ما يفتن الأعينا ؟
الست التى قاسمتنى الشقاء ... فصار الشقاء نعيما لنا ؟
الست التى قاسمتنى النعيم ... فكان صباها هو الأحسنا ؟
الست الوجود الذى قد هدى ... وجودى ، فعاش به مؤمنا ؟
انا انت من قبل هذى الحياة ... وفى عالم النور انت انا
فلو مر فى مهجتى خاطر ... لأحسسته قبل أن يعلنا
ومن قبل أن تبدئى بالكلام ... أدركه واضحا بينا
وأنت الجمال الذى قد بدا ... لعينى أجمل ما فى الدنى
وحبك اثمن ما يشترى ... بعمرى ، واحسن ما يقتنى
وأنت الحنان الذى ضمنى ... وصاغ النعيم الذى ضمنا
فيا بسمتى فى ليالى الهوى ... ويادمعتى فى ليالى الضنى
رمانا الزمان بسهم النوى ... فبدد سهم النوى شملنا
فاصبحت تحيين فى غربة ... هناك ، واحيا غريبا هنا
تناديك روحى نداء الحنين ... وان كان هذا المدى بيننا
فتسمع صوتك عبر الفضاء ... يعود اليها صدى محزنا
وكم من ظلام تمنيته ... فما زال يسرع حتى دنا
وسرنا معا فى الطريق الطويل ... وسار الطريق بنا وحدنا
اقول له : ليتنا فى الطريق ... اليها ، فيهمس لى : ليتنا
وابكى فيزرف دمع الحنان ... فهل لك ان ترحمى دمعنا
وكم من ضياء رنا باسما ... فاخفيت دمعى لما رنا

***

فيامنية النفس لا تحزنى ... فما يشتهى الحب ان نحزنا
غدا نلتقى فى ليالى الربيع ... لنقطف من روضها زهرنا
وحتى أراك سيهتف قلبى ... بما قلته فى ليالى الضنى :
على البعد مازلت احلى المنى ... وفى القرب كنت احب الجنى

حول الأدب في الشرق

بقلم عبده بدوى

لقاء مع محمد فريد أبو حديد

حينما تنظر اليه .. فلابد أن تتخيل أنك ترى قطعة من قلب مصر .. قطعة خضراء تحدثك بالحكمة ، وتحاورك بالفصول ، وتستقبلك بالأحضان فاذا بك بين هذه الأحضان حتى ولو كنت عدوا .. نبضة داخل هذا القلب ، وورقة خضراء مزدهرة على شجرة كبيرة !

فهو لا يهب عليك بالأعاصير ، ولا يشدك من رموشك لتصغى ولا يقيدك بصوت يابس جهير ، وانما يدعك تحس — حتى ولو كنت فى بيتك — انك فى ضيافة هذا الرجل ، وانه يقدم لك فى كل لحظة فنجانا فى كلمة ، وقطعتين من السكر فى معنى ، وابتسامة مرحبة فى كل جملة .. وتنصت ثم تنصت .. واذا باحساس صغير ينمو بين نفسك .. يهتز .. يكبر .. لايسعه المكان .. لايسعه الزمان ، واذا بك لا تحدق فى سمرة وجه الرجل ، ولا تشرب من نور حديثه ، بل لاتحس انك فى حضرته وانما فى حضرة شىء كبير جدا ، خالد جدا ، عظيم جدا .. هو « مصر »

وقد تتمنى أن تكون مثالا لتعطى صورة « **لشخصية مصر** » فى نور قلبه ، وافترار كلماته ، ووهج احترامه للحياة ، وقد تتمنى ان تظل هكذا خيط نور فى عرش الشمس ، ولكنك تتذكر ان المطلوب منك ليس التغنى بمصر ، وانما « استجواب » مصر

ومادام هذا الاحساس يصاحبك فانك ستجد نفسك منصرفا عن أن تسأله عن ميلاده ، ووظائفه ، واسرته ، ثم انك ستجد الأستاذ محمد فريد ابو حديد « **الطبعة الحديثة لمصر** » سيعلق نظره بين الحين والحين بعصا هزيلة معلقة فوق دولاب ، أو يتحسس فى حنو جيبا بالصديرى يعيش فيه الزمن ومن هنا أرانى أجرى اليه بهذا السؤال :

« ما الدور الذى قام به جيلكم فى الثقافة واذا وازنا بينه وبين الجيل الثانى والثالث فماذا تكون الفروق المميزة بين هذه الأجيال الثلاثة ؟ »

ولا يبتسم محمد فريد ابو حديد وانما يشيع فى وجهه شىء من الرضى ، وبهذا الشىء من الرضى يقول :

الجيل الاول نشأ في ظل تحديات تتمثل في الاحتلال والملك والنظام الاقطاعي والراسمالي ، والدائرة لا تقف عند هؤلاء وانما تتسع وتتسع .. ومن هنا فقد كنا نحارب في جبهة عريضة ، وكنا نعرف أعداءنا ولا شك ان ادب هذه الفترة يعكس الصراع مع هؤلاء الأعداء .

اما الجيل الثاني – الذي يتصدره نجيب محفوظ – فاني أظلمه لو تحدثت عنه ، لأنه الوحيد الذي يستطيع أن يحدد ميادنه ، وان يضع اصابعه على الميادين التي تحدته ، وكيف كانت استجابته لهذا التحدي .

فاذا تركنا هذين الجيلين الى الثالث فاني لأرى امامه اعداء ، ومن هنا فميادينه هي نصرة المبادىء الجديدة ، والاقتحام في ميادين جديدة ، ذلك لانه مسئول مسئولية كافية عن نوع الابداع في حياة مواتية خالية من الأعداء .

وحين أذكر ما قيل من أنه جيل بلا أساتذة يطفو الغضب على الطيبة بصورة تذكرني بغضب الأساتذة على تلاميذهم ، ومن بين الطيبة والغضب يهتز صوته وهو يقول .

« جيل بلا أساتذة .. هذا انكار للحقائق ، واذا كانوا جيلا بلا أساتذة فانهم لا يستحقون أن يسموا جيلا ، فكل جيل له تركته ، فاذا كان هناك شيء من الانقطاع فانه لابد ان يكون في الشكل اما الموضوع الانساني فشيء غير قابل للانتهاء . ثم ان هناك « موروث ثابت » هو اللغة وتصوراتها وتعبيراتها ، وفي ضوء هذا تكون أسس الحياة هي المعنويات وهي خالدة ومتوارثة ومتطورة بحسب الظروف التاريخية ، وانسانية في الوقت نفسه ، فالموروث هنا هو اللغة ، أما المعنى الانساني فهو خالد ومستمر .. ومن هنا فلا جديد تحت الشمس » .

وحين أسأله عن المرتكز الفكري الذي تحرك به في كل ما كتب ، يكون الغضب قد تبدد وبقيت الطيبة ، وبها يقول :

« .. مرتكزي الفكري هو المثل العليا التي تحتويها آدابنا وفنوننا العربية الاسلامية ، فانا لا ارتكز على المسيحية لأني لم ارضعها مع لبن امي ، ولكني ابتداء من قطرات اللبن الأولى شربت مبادىء



الاستاذ محمد فريد ابو حديد

الدين الاسلامي والثقافة العربية والتأثرات التي تولدت بصفة خاصة من المجتمع المصري العربي . ولقد طوفت في عديد من البلاد العربية ، وفي كل واحد منها كنت أحس أني واحد من هذا المجتمع ، فاللغة مشتركة ، والقيم واحدة ، والمثل العليا هي هي ، فالسعيد والحزين والغني والفقير يتصرفون جميعا بطريقة لا تختلف عن الأخرى » .

وحين أسأله عن الأيديولوجية الماركسية يفضل تعبير :

– الايديولوجية المطلقة ويذكر انها تشارك عنده القيم والمثل الموروثة حين ترفض استغلال طبقة لأخرى ، ذلك لان هناك ركيزة أساسية هي العدالة ، ولكن الخلاف يظهر واسعا عند القول « بالصراع الطبقي » ذلك لأن العدالة مطلقة ، ولأن العوامل المقربة بين الطبقات اكثر من العوامل المباعدة ، ولان الذي يجب التركيز عليه هو ازالة الاسلحة

التى تستعملها طبقة ضد اخرى ، تماما كما أزيل ناب الاقطاع ، وسلاح راس المال ، ففى موازيتنا أن بعض الطبقات قد تطغى ومن هنا يجب أن نكون متيقظين لمبادرة نزع السلاح .

وحين أساله عن الذين يهاجمون الآن الحضارة العربية ، يعود الغضب فى هذه المرة الى صوته وهو يقول :

« الذين يهاجمون الحضارة العربية لا يفهمونها صحيح أن فيها بعض الانحراف ، ولكن هذه الانحرافات تقف عند التطبيقات ولا تمس الجوهر ، فاحترام الحضارة العربية — مثلا — المراة شىء لا يتنازع فيه، ولكن هذه القيمة اصيبت بالانتكاس عند التطبيق ، حينما وقف البعض عند حدود جسدها ، ثم ان هذه الحضارة ترفض فكرة الاماء ، وترفض فكرة الرق للانسان الضعيف أو المسروق .. فالمجتمع العربى يجعل المراة كالوردة ملكة فى البستان ، ولكن حينما تقدم — عند التطبيق — لتكون فداء للماشية فان جوهر هذه الحضارة يرفض فكرة الفداء هذه

ثم ان الحضارة العربية يمكن ان نتحرك منها الآن ونضيف اليها ولا نقتلعها ، فهى تعطينا العدالة، ووقف الاعتداء ، والحرية بمعناها الكبير، وضرورة ان يكون الانسان نافعا فى مجتمعه ، واهمية أن يكون الايمان جزءا من مقومات الحياة » .

ويظهر التعثر على صوته حين أساله عن دوره فى الفكر ، ولكنه مع ذلك يقول :

« حاولت أن أضيف تعزيزالمفهوم الحرية ، ولمفهوم العدالة الاجتماعية ، ولمفهوم النقاء فى الحب .. ولعلك تذكر بيت المتنبى الذى يقول :

وحب العاملين على التصافى

وحب الجاهلين على الوسام

فانا أكره من يدعو الى الحب على أساس الجمال الجسمانى ، وأبارك كل من يدعو الى الحب السامى بمعناه الكبير ، فمفهوم الحرية يمكن ان تجده فى « **عنترة** » ، ومفهوم العدالة الاجتماعية والمثل العليا فى « **جحا فى جانبولاد** » والحب ووظيفة المراة فى « **زنوبيا** » و « **الوعاء المرمرى** » .

وحين يخرج الساعة من جيب « الصديرى » أحس أنى أخذت من وقته الكثير ، واخشى على نصيب الشعر من المقابلة ، فاقول له بلهفة « والآن ما رأيك فى صراع المدارس الست — ان صح أنها مدارس فى الشعر الآن » ؟

ويبتسم .. ثم ينظر الى العصا التى بدت لى كريهة .. ثم يقول بصوت مجهد :

« فلنترك الجميع يتصارعون..**فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض** » ، وما أعتقد أن عصرا خلا من « الزبد » خذ مثلا جبران خليل جبران أين ذهبت مدرسته الشعرية التى كان يمثلها ؟ أين الموشح والمواليا والدوبيت ؟ لقد ذهب كل هذا وبقى الشعر سليما ، وعندى ان الجديد اذا توفر فيه المعنى السامى والأسلوب المشرق فلا يمكن أن يرفض ، وأن هذا يمكن أن يوجد فى شعر التفعيلة فى ميدانى المسرحية والملحمة ، صحيح أن هناك تصفيقا حول الجديد ، ولكن البقاء سيظل للأصلح دائما ، ويبقى فقط على المؤمنين بالعمود الشعرى أن يظهروا لنا انهذا الأسلوب جدير بالبقاء.

وقبل أن تتشبث عيناه بالعصا الهزيلة فوق الدولاب ، اراني ألاحقه بسؤال عن **الشعر المرسل** فيقول :

لقد وجدت الشعر المرسل أداة طبيعية للدراما والملحمة ، أما فى الشعر الغنائى فانه لم يخطر ولن يخطر لى على بال ، وعلى كل ففى عام ١٩١٧ اعجبتنى ملحمة للشاعر الانجليزى ماتيو ارنولد كان قد أخذها عن قصة فى الشاهنامة ، وحين أردت نقلها الى العربية فكرت فى صعوبة القافية ، وفى امكانيات البحور ، ولكنى اهتديت أخيرا الى بحرين يمكن أن يؤديا هذا الغرض وهما : الخفيف والرمل ، ثم تابعت بالشعر المرسل عددا آخر من المؤلفات ..

وهو لا ينسى ان يذكر — بعد أن سالته — أن عمله فى الشعر المرسل لا يمت بصلة الى تجارب عبد الرحمن شكرى ، والزهاوى فى هذا الميدان .

وبحماس — دون أن أنظر الى العصا — وجدتنى اساله عن النقد فاذا به يذكر أنه راض عن النقد الذى يقدم فى برنامج مع النقاد ، ولكنه يلاحظ ان النقد فى الصحف يقوم على المجاملة ، وعدم استيعاب العمل المنقود ، والتعسف فى استنباط الرموز وبحماس أكثر قلت : هل وصل أدبنا الى مرحلة عالمية ، فقال : ارجو الا يكون ادبنا عالميا لأننا نقلد الأدب العالمى ، ولكن لأننا نعبر عن أنفسنا .

وأصمت : فيبتسم .. ثم يتلمس مواد مجلة الثقافة فى حنو .. ثم يسير خطوة وخطوة وخطوة ، واذا به أمام العصا المعلقة فوق الدولاب ،واذا بها فى

يده ، واذابه يقرع بهـا الأرض والتاريخ ويفـد الى الاحساس الذى بهرنى فى أول جلوسى اليه ، واذا بى أحس انه قطعـة من قلب مصر ، وحـين يذوب الصدى يخيل الى أن هذه العصـا ــ **التى ضايقتنى أكثر من مرة** ــ قد اخضرت وأزهرت ، وأن مصر هى التى تستند عليها ٠٠ فينصت العالم وقلبى !!

الارهاب الأدبى

كانت المحاضرة التى ألقاها الاستاذ **يحيى ابو بكر** بدعوة من الجمعية عن الخدمة الفنية فى دور الثقـافة من المتعـة والعمق ، بحيث شغلتنى عن أن أمسك القلم وأسجل بعض النقط التى دارت بهـا ، فقد آثرت أن اضع وجهى وأذنى على صوت المحاضر ، ومع هذا فقد بقى منها فى نفسى الكثير فما زلت اذكر منها التفرقة بين وظيفة دور الثقـافة ووظيفة المعـاهد والجامعـات والنـوادى ، ذلك لانهـا تمثل ملتقى شعبيـا حرا هـدفه الثقـافة متميزة عن التعليم ومتفاعلة فى الوقت نفسـه مع الحيـاة ، ومن هنا تختلف صلة هذه الدور بروادها عن صلة الحكومة برعاياها ، والمعلم بتلاميذه ، ذلك لأن جذور التربية الفنية اذا كانت تغرس فى المدرسة ، الا أن عملية التفاعل مع الحياة والاقتراب من الحيـاة اليومية ، وصقل الموهبة فى جو من الحرية ٠٠ لن يكون الا فى دار الثقافة ٠

ثم ان هناك « عقدا اجتماعيا » منظورا فى خدمة المصالح الحقيقية للمجتمع ، وفى ضوء هذا لايكون الفنان شاذا أو منحرفا او عالة وانما تكون له وظيفة اجتماعية ، ولا يكون الفن حلية أو زينة وانما جزء مشع منبثق من الحياة كاعمق ما تكون عليه الحياة ، ولهذا كان من الطبيعى أن تضع الثورة على واجهة الحياة ذلك الشعار الذى يقول « الثقافة للشعب »

ومن الطبيعى أن « دار الثقافة » لاتمثل «قوامة» على التعبير الفنى وانما تقوم بعملية تنظيمية له ، كما أنها تحرص على الخلقيات والعلاقات الطيبة ، لأن قضايا التعبير فى جوهرها تستمد وجودها من الخلق ومن الجمال معا ،ومن هنا لن يكون «الانحلال» ثقافة او فنا لأن الانحلال هدم ، والثقافة والفن بناء !

ولتحقيق هذا لابد من وجود عنصر « الثورية » عند الفنان ، فنحن لسنا فى حاجة الى المثقف الراكد ، وانما فى حاجة الى المثقف الثورى الذى لاينظر الى معركة بورسعيد بعين ثورية فقط ، وانما ينظر الى كل شىء فى الحياة بهذه النظرة الجادة ٠

تلك هى بعض الأفكار التى مازالت حية فى نفسى ، والتى آثرت ألا أشغل عنها بالكتابة ، والتى سعدت لأنى اهتديت اليها فى نفسى ، فانا كثيرا ما أذكر عن نفسى أنى لا احتفظ بذاكرة ، وانما ناسية ٠

جمعية محبى الفنون الجميلة

اننا نظلم المسـئولين عن الثقافة حين نعتبرهم « سلطة تمسك بيدها سيفا » فاذا جاءتها مذكرة رفعت السيف ثم أسقطته بعنف على رقاب الآخرين ، فلاشك أن هؤلاء المسئولين ملتحمون تماما بالمثقفين ، ولا شك أنهم فى مثل هذه الأمور يستمعون الى وجهة النظر الأخرى بكل تقدير ، ذلك لأن وضعهم يحتم عليهم الوقوف ــ على حد تعبير بعض النقاد ــ على أرض محايدة ، وليس فى تاريخنا الثقافى مايستلزم هذا « الرعب المفتعل » فى اكثره من المشرفين على الثقافة ٠

ولاشك أن من حق الأفراد والجماعات أن يرسلوا بمذكراتهم الى المسـئولين وبخاصـة حين لايجدون فرصـا متكافئة للنشر ، ومن هنـا كان على الذين غضبوا على المذكرة ــ ومن حقهم أن يغضبوا ــ أن يرسـلوا بمذكرة أخرى تتضـمن وجهة نظرهم ، أو يطلبوا مقابلة المسئولين اذا كانوا لايثقون أنهم لن يقضوا دون الرجوع اليهم ، أو يقفوا فى حدود النشر عند تقليب وجوه القضية ، ولكن بعض الذى حدث كان تمزيقا لأعضاء اللجنة ، مما جعل الكثير يذكرون أن « السـلطة الحقيقية » الآن هى التى تناوش بالاقلام ، وتضفى على المعركة جوا من الرعب!

ولقـد كان الدكتور لويس عوض منطقيـا (مع منهجه !!) حين دعا الى عقـد جمعية الادباء ، والى جمع التوقيعات بمكتبه ، والى مقابلة سكرتير عام المجلس الأعلى للآداب والفنون والعلوم الاجتماعية ، والى ايداع مذكرة اضافية باسمه، ولكن لماذا لايستمر عقد جمعية الأدباء شهرا كاملا لمناقشة كافة الأخطار التى تتهدد الثقـافة ، ولمعـرفة الذين يستغلون أقلامهم ، والذين يحملون على رقابهم العـديد من الوجوه ، والذين يتعمدون الأخطاء والتخريب فى الحضارة العربية والذين يعتبرون «سـلطة » فى بعض الصحف والمجلات ، وللمحـاولات المستمرة للتوفيق بين الجبهات المتصـارعة لصـالح العصر والانسان ٠

انه اذا لم يتم شىء من هـذا ، فسيكون انعقاد الجمعية فكرة ذكية من الدكتور، وسيكون انفضاضها فكرة أذكى منه ، فهو يمثل الارهاب فى عالم الأدب الأجنبى ، والعربى ، والاسلامى ، والعربى الاسلامى!

إحسان هانم

تأليف: عيسى عبيد

بقلم: علاء الدين وحيد

سعد به القارىء سعادة حقيقية عندما قدمه اليه يحيى حقي في كتيبه الممتاز (فجر القصة المصرية) . وكان هذا بمثابة اكتشاف جديد بوجود قاص مصرى اصيل من الرواد مجهول اسمه .. عيسى عبيد .

وهكذا بدات الفجوات في تاريخ القصة المصرية في الامتلاء . هذه الفجوات التي بدت وقتا طويلا لا دلالة لها ، الا في تاكيد زعم فشل خطوتنا الأولى في مجال القصة ، في تاثرنا بالآداب الغربية الحديثة . لقد اخذت ملامح هذه الخطوات الأولى تتضح معالمها ، بعد ان كانت غائمة الى درجة توحي بانه ليس وراء هذا الضباب شيء . وبعد خطوة يحيى حقي هذه وان الجمود ثانية حول اسم عيسى عبيد ، وازداد الموقف غموضا ، لقد كان قاصا مجهولا فاصبح خيالا او بطلا في قصة اسطورية! فلا احد يعرف انتاجه ودور الكتب هي الأخرى لا تحتفظ بكتبه ، وزملاؤه انفسهم لا يقلون عن الآخرين عدم استيعاب له . وكان يمكن ان يستمر هذا الوضع الى ما شاء الله ، لولا ان التفتت (المكتبة العربية) الى هذا النقص، وعملت على بعث القاص القديم بطبع كتبه . وكانت مجموعة (احسان هانم) التي كتب مقدمتها دارسا لها الاستاذ عباس خضر .

ولا اظن الا ان نشر محاولات الجيل الاول من كتاب القصة سيغير الكثير من الأفكار السائدة والأحكام القاطعة حول هذه المحاولات، وتجعل لعبارة . خطواتنا الرائدة في فن القصة الحديث . مدلولا آخر لا يتصل كثيرا بالمعنى الذي يحدده لها فهم تقليدي ، من انها عنوان او تجسيد للبدائية والسذاجة والاضطراب والسطحية . هكذا تنشب الأجيال اللاحقة المغرورة اظافرها فيمن تقدم . فنصيب الجيل الاول من هذا الضعف ليس بهذه النسبة الضخمة التي نلصقها به ، اذ امكن ان نمثل بانتاج عيسى عبيد في (احسان هانم) لذلك الجيل . وشيء آخر ، فان تمهيد الرواد طريق فن القصة المصرى امام القارىء ليستسيغ هذا اللون الحديث من الادب ، هو في حد ذاته عمل بالغ الصعوبة ، ولعله اكثر جهدا من عملية التاليف ذاتها ـ او لنقل ان القاص في ذلك الوقت كان مضطرا الى مضاعفة عزمه لينهض انتاجه بفرضين معا بدلا من واحد ، التاليف الفنى وخلق قارىء القصة واعداده ـ فليس تكوين جمهور جديد لفن وليد بالخطوة اليسيرة . ويزيد من عوائقها شيوع القصص الرخيص من جانب والتعلق بالأدب الغربي من جانب آخر .

العامل الأول ، وجد جمهوره في الذين اخرجتهم الكتاتيب وعرفتهم كيف تكون الحروف الهجائية اللفظة . وايضا العوام الذين تطلعوا الى هذا الشكل العصرى من . الحواديت . التي لا ينضب معينها بعد ان نفد ما يملكونه من تراث قصصي ، ملاحم شعبية والف ليلة ـ وهذا الفريق الأخير بالطبع لا يقرأ وانما يستمع . اما جمهور اللون الثاني ، فقد كان من المثقفين الذين تخرجوا من المدارس الدنية والمعاهد العليا والجامعة . وعرفوا لغة اجنبية يقرءون بها في مظانها الاول .

واول الاشياء التي تسفر عنها هذه المجموعة ـ خمس قصص ـ بوضوح ، هي عظيم اهتمام عبيد بالمراة . فهي دائما الشخصية الأولى في القصة حتى لكأن الشخوص الاخرى تدور ـ فنيا ـ في فلكها . ولذلك حملت قصته في المقام الاول موقفا نسائيا ومشكلة هي في الصميم من اهتمامات حواء الشرقية . فحريتها في الحب وهواها المتنقل وفوات سن الزواج وسهولة الطلاق ، هي الواجهة التي تطالع قارىء (احسان هانم) .

واحدى حسنات هذه المجموعة وخاصة للقارىء الذي قدمت اليه الطبعة الجديدة هذه انها تعرض له في مرآة عاكسة ترجمة قصصية للأزمة الحادة التي عرفها بلدنا بشكل مرضى في اوائل هذا القرن . والتي لم تحل تماما بعد ، ولا زلنا نعاني من آثارها . وهي مشكلة الاختلاط .. الوليد الشرعي التمزق للحجاب والسفور معا .

ويهتم عيسى عبيد كثيرا بالاختلاط .. وجوده وعدمه . ولا يقف عند حد تسجيله وتحديد صوره وعرض اوجهه المختلفة ، بل يمضي في تحليل بواعثه ونفسية اصحابه باسلوب فني ناضج . وفي مجموعته كلها تناول موضوعه هذا من خلال لسان موحية نثرها هنا وهناك في قصصه ، غير مفرد لها عملا قائما بذاته . ففي (مذكرات حكمت هانم) مثلا ، يذكر كيف ان خروج البطلة وصاحباتها في مظاهرة وطنية نسائية ايام ثورة ١٩ لأول مرة ، قوبل بالتحبيذ والابتهاج لما بعثه الفعال نصف الأمة الآخر ، الذي يعد آية الكائنات الموات عند الكثيرين ! . بالأيام العظيمة التي ينبض بها وطننا . تقول حكمت: . والأمر المدهش ان هذا الخروج عن تقاليدنا لم يقابل بالاشمئزاز والاستهجان من جماعة المحافظين المعممين ، بل كثيرا ما كانوا يشجعوننا بالتصفيق والابتسام واحيانا كثيرة بالهتاف . (ص ٦٠) . لم تعقب تعقيبا دقيقا على ذلك ـ ويشترك معها المؤلف ، باسلوب يحتذى في هذا الوضوع ، لأنه لم

يسفر عن وجهه بل تحول هو وشخصيته القصصية الى كائن واحد ، بقولها : « ان ثورتنا هذه ستؤثر بلا شك تأثيرا قويا فى تقاليدنا وتؤدى بنا الى التطور السريع فى نظام حياتنا الاجتماعية » .

وفى قصة ثانية هى (مأساة قروية) يتناول عيسى عبيد الاختلاط فى أكثر من موضع . ففى (ص ٢٤) يذكر هذه العبارة الموحية « وامتلأت الغيطان فجأة بالفتيات القرويات الجميلات يشتغلن بجانب الشبان القرويين فى تنقية دودة القطن وهن مسرورات بهذا الاختلاط الجنسى الشريف الذى لا تتمتع به فتيات المدن » . وفى مكان آخر (ص ٣٨) يحلل كاتبنا مسئولية المجتمع فى تأزم علاقة فخرى بالمرأة . فقد نشأ الشاب رقيقا حالما خيرا ، وعندما تهيأ قلبه للخفقان اول مرة ، لم يجد امامه من الجنس الآخر غير امثال الست الظ الغانية . فقد اقام الحجاب أسواره الغلاظ حول الفتاة المصرية والاختلاط . واندفع فخرى فى غرامة الشبوب البرىء بكل ما يملك من عاطفة بكر واحلام مثالية ، واذا بهذا كله يتهاوى بعد قليل ، فقد سلمت المرأة اللعوب لعبة الشاب الساذج فتلقفته يوما فى قسوة الى حقيقة الأرض العارية الباردة التى يقفان عليها . وكانت صدمته .. « وخجل من نفسه وآلى الا يعود الى مثل غباوته الأولى مرة أخرى .. فكان كلما أحب امرأة احبها الحب الذى لقنته اياه الظ » وهكذا بعد ان كانت المرأة توحى لفخرى الشاعر الشعرية الجميلة اصبحت لا تهز فيه الا هزات الرغبة الحواسية المجنونة ... (ص ٣٩) .

عدم الاختلاط اذن هو المناخ الصحى للسعار الجنسى ، والعوالم المغلقة هى البيئة التى تزدهر فيها العلاقات المنحرفة والشاذة . وفاصنا فى تحليله لا يقف عند هذا القدر بل يحاول ان يرصد العوامل المشجعة التى تستغل جمود الأوضاع الاجتماعية ورجعيتها لتجهز على جانب آخر من المقاومة . ويجد عيسى عبيد بعض ذلك ممثلا فى الفن الهابط الذى راج سوقه رواجا عظيما ، وخاصة هذا اللون من التمثيل الذى اشتهر به نجيب الريحانى يوما والذى يسميه كاتبنا النوع الكشكشى ـ نسبة الى شخصية كشكش بك ـ « بنغماته الحواسية ومعانيه الخفية المنبهة للغريزة الآدمية الحيوانية وممثلاته النصف عاريات وخلاعتهن النسائية وصوتهن العذب الرقيق النفاذ وجمال تكوينهن الأنثوى الخلاب » . (ص ٣٩) .

وخشية قاصنا كبيرة على الفتاة المصرية من جهلها بالحياة خارج بيتها . انه يفزع وهو يراها ترسم ـ لعدم الاختلاط ـ صورة فاقعة الألوان للحياة . ولا يسوءه من هذه الصورة تفاؤلها ـ فهى ليست كذلك لأن السمات المشرقة لا تتصف بالغباء ـ بل بعدها عن الحقيقة . لذلك فغير قليل من قصصه يعزو ما يلحق ببناء الأسرة المصرية من اضطراب وتفكك الى هذا الباعث . ففى قصة (احسان هانم) مثلا ، تعترف البطلة المطلقة لصديقتها بأن سبب انهيار بيت الزوجية ، كان يكمن فيما اعتقدته وطالعته فى صباها من « روايات الكتاب الوجدانيين الخياليين الذين تناسوا حقائق الحياة المرة القاسية فجنحوا الى الخيال الساذج الجميل فحلق بهم فوق هذا العالم الشقى » (ص ١) .

وعيسى عبيد لا يفوته ان يأخذ موقفا واضحا من قضايا عصره واهتمامات مجتمعه وما يشغل بال الناس من موضوعات واحداث . وهكذا يعرض قاصنا للحجاب والسفور ، والتعصب الدينى .. الخ . ويلاحظ القارىء ان موقف الكاتب منها يتسم بالطابع المعتدل ، سواء تحدثت الشخصية عن رأى مؤيد او معارض . وهذه النظرة الوسط ساعدت على اعطاء المزيد من الموضوعية للموقف . فى قضية السفور مثلا نجد حكمت الفتاة التى ترفض التزام بيئتها فى اعتناق مفاهيم رجعية مريضة كالازار ، تندد بتجربة تحرر الفتاة القروية المسرف مشيرة الى « الطهارة » التى تستقطب فيمنا الشرقية الحقيقية ، بينما يقف الجانب المعارض الممثل فى صديقتها مارى الى جوار الاختلاط ، فهى ترى ان جهل الفتاة المحجبة كلية بعالم الرجل ، يجعلها لا تكاد تعرف شيئا عن الواقع والعيش خارج جدران منزلها ، مما يعرضها للانحراف ويسهل على الشبان خداعها كما تقول القصة . ولا عبرة بعبارة الفتاة نفسها بعد ذلك « ان الفتاة العصرية المطلق لها حرية الاختلاط هى التى تخدع الشاب قبل ان تتركه يخدعها لأنها تكون مالكة زمام عواطفها تقودها وتسيرها كما تشاء . ولا تخضع قط لسلطان تلك العواطف العمياء » . (ص ٥٤) ! فماهى الا رد فعل ازاء تحكم الرجعية المستبد القاسى بمقدرات المرأة !

ولا زال الجانب الوطنى فى اغلبية قصصنا حتى الساعة هو اضعف جوانبها على الاطلاق . وقد بلغ من عنف هذه الظاهرة ان كادت تتحول الى بديهية من البديهيات التى لا تناقش .

ولذلك فان الدهشة التى يصاب بها قارىء (احسان هانم) دهشة حقيقية ، لأن هذا القاص فى زمنه المتقدم وصل فى تناول هذا العنصر فى مجموعه الى مستوى فنى طيب بلا افتعال او سطحية . وهذه الصفحة التى يوجهها عيسى عبيد الى قصاصينا المحدثين تكشف الى اى مدى كان اديب زمان الحقيقى يرتبط باحداث وطنه فى عمق صادق غير منافق لحاكم او جمهور . ويخيل الى ان احد اسباب ذلك ، هو بلورة الاهتمامات الوطنية فى ذلك الحين فى شىء واحد ، هو كراهية الاحتلال . فقد كان هذا هو التخطيط السريع للآمال المصرية ، اما الاهتمام بعرض الجانب الاجتماعى او العقائدى او الفلسفى ، فقد كانت جوانب « مترفة » بالنسبة الى البلد المحتل الذى لا يختفى ظل الجيش البريطانى عن بقعة فى أرضه .

ومن اللمسات البارعة لأديبنا فى هذا المجال تصويره لانفعال الطبقات الفقيرة الجاهلة ازاء الانتفاضات الشعبية . لقد مست ثورة ١٩١٩ وترا حساسا فى نفوس الشعب المستسلم فهزته بعنف وكهربت كل افراده . تدهش حورية احدى صديقات بطلة (مذكرات حكمت هانم) وهى كصاحبتها من بنات المدارس ، من فطومة الخادم الصعيدية التى تبدو منغمسة فى مشاعر مظاهرات الثورة الوطنية ، وتهتف وهى ترقص مرددة .. « استجلنا يا بنات » وتشك حورية فى ان تكون فطومة قد ادركت أبعاد هذه الثورة ، فتسألها : « يعنى ايه استجلنا يا خالتى فطومة ؟

فأجابتها الأسيوطية بداهة وقد فهمت قصدها .. واه ! يعنى زعطنا الانجليز من مصر » ! (ص ٥٨) .

وتعقب الرواية صاحبة المذكرات : « حقيقة ان الوطنية متى تسربت الى العاملة واستقرت فى نفوس الطبقة الأمية والمنحطة الجاهلة لهى وطنية سامية خالدة لا تموت ولا تقهر » .

ورغبة عيسى عبيد فى تناول الفساد الكثير الذى تموج به حياتنا الاجتماعية وحماسه الشديد لهذا الاصلاح ، جعله فى بعض الاحيان ينسى فنه وانه يكتب قصة ، فينزلق الى أى شىء آخر غيرها ، كما فعل مثلا فى القصة التى أرادها باسم (احسان هانم) والتى حملت المجموعة اسمها فهى لعرض لاحد أسباب الطلاق ، وهو عدم تقدير الرجل الشرقى لزوجه غير الجنس أما الحب فهو عنده قرين العهد والرذيلة ..

فاحسان الفتاة التى تمثل الجيل الجديد فى ذلك العصر بكل طموحها الى التعبير وارساء قيم جديدة متحضرة تعترف بانسانية المرأة ، وبأنها النصف المكمل للرجل حقا ، تجد نفسها عندما تتزوج ، كالجارية صريعة افكار متبلدة وتقاليد جاهلة مستبدة ، فيقع النزاع بينهما ويطلقها الزوج ، ثم تقترن بآخر فاذا الطينة من العجينة كما يقولون ويتم الطلاق أيضا .

لقد كتبها أديبنا فى صورة خطاب من البطلة الى صديقتها ، ومن المؤسف حقا انها لا تلتفت حتى الى مقومات الرسالة ، بل كانت مقالا اجتماعيا تحليليا ، يمكن أن يفتقر الى الاسلوب القصصى أيضا .

وفى قصة (مأساة قروية) نجد فنانا يهتم فى شىء من جفاف التطبيق التكنيكى — وان كان قد تحرر داخل هذا الاطار — بأمرين هما عرض المواقف وتحليل الشخصيات وان بدت الشخوص أقرب الى الانماط ، فالحب بين القروية الصبية والشاب الارستقراطى الذى يعرف كيف يوجه القول الى المرأة — التى يسكرها اللفظ الرقيق مهما وصل مستواها ، أو كانت فلاحة أمية — فيستميلها ، والغيرة التى يزيدها الحفاظ على العرض ضراما والتى يستشعرها الحبيب القديم ابن العم ، والاب بين غضبه لشرف ابنه المنتهك ورحمته بهذه الابنة نفسها كلها مواقف تناولها القاص بدقة وعمق واضحين .

وكذلك بالنسبة الى شخصياتها ، وخاصة فخرى الشاب الثرى الذى أعجبته القروية الصغيرة فاستجابت له سعيدة ، لقد تناولها المؤلف بموضوعية بارعة جعلته لاينزلق الى ماتراه كثيرا حتى اليوم فى قصص المعاصرين — وربما خاصة فى قصصهم — من الاغراق فى رسم صورة صارخة صائحة للغنى الدنىء النذل يستضعف الفقيرة الضحية المظلومة ، بل عرض اديبنا لمسئولية الفتاة الترقة الطائشة كما فرق فى وضوح بين عاملين من الاستكراء يختلطان فى رؤيا كثير من القصاص فى مثل هذا الموقف ، أولهما شخصية والسيده كاقطاعى والثانى شخصيته كرجل ، وتهتز الصورة لغلبة العنصر الاول ، وكان هذا موقف الذى يختم بغلبة الثرى الذكر على الفقيرة الأنثى ليس الا عملية حتمية بحتة ، يسيطر عليها ويبدأ وينتهى بها الفارق الاجتماعى وحده ، ولكن عيسى عبيد استطاع أن ينقى هذه الرؤية من شوائبها ، وهو وان اختار جانب الجنس ، فلعله يفعل ذلك لا لأن هذا الجانب يكاد يحتل هذا الموقف تماما بل لان الغلبة التى يظنها — اى قاصنا يمكن أن تنبع من التكوين الاقطاعى تشبه الى حد كبير الغلبة حربية .

وتناول فناننا فى (مذكرات حكمت هانم) مأساة الفتاة العانس فى بيئة تكاد تحاسبها فيها على عنوستها ، وأول هؤلاء أمها بدمعها وحزنها البالغ عقب كل رافض من هؤلاء الخطاب مما يدفع بالفتاة آخر الامر الى الزواج من عجوز هربا من الجو المشحون بالأسى والتوتر الذى تخلقه والدتها ، ونجح القاص فى التعبير عن هذا كله كما وفق أيضا الى تصوير محاولات حكمت الابنة فى النجاة بنفسها من التمزق الذى يحيط بموقفها وانعكاس ذلك على اليوميات التى تكتبها والكتب التى تقراها والنشاط الاجتماعى الذى تحاول أن تقوم به .

واذا عمد قاصنا الى اضفاء الجانب الوطنى الذى يهيئه وجود ثورة ١٩١٩ كعنصر رئيسى يعكس انفعالات الشعب ، وكتحول لأزمة البطلة النفسية فى الوقت ذاته ، اذ تجد فى الغليان الشعبى تغيرا متساميا لميدان انفعالها ، ونجح فى ارساء هذا العنصر الا انه لم يتطور بالحدث حتى النهاية ، بل يبتر موقف حكمت بترا عندما وافقت على العريس العجوز وبها اختتمت القصة ، مما أدى الى عدم تطوير محاولتها فى العمل على تكوين تنظيم حزب نسائى وطنى يقوم بواجبه بجوار الرجل .. وبالتالى الى تجميد موقفها ازاءه ، وقد بلغ من افساد المؤلف لموقفه هذا ، أن بدا الجانب الوطنى — فى نهاية القصة — على متانة قاعدته وبداية أحداثه ، مستعارا من الخارج ، نعم ربما أراد قاصنا أن يقول ان مجرد قبول الفتاة المصرية للزواج يقيد حركاتها تماما ويشل كل نشاط لها خارج البيت ، ويؤكد هذه الكلمات التى جاءت فى يوميات البطلة (ص ٦٥) « وانا اليوم بعيدة الفكر عن الزواج لانه يعرقل مشروعنا الوطنى ، وقد تدفع زوجى حفوقه الموهومة الى التداخل فى أعمالى ، وهذا ما تأباه على وطنيتى » ولكن رغم هذا كله ، لم تصل لمسة مؤلفنا الى أن تكون اسلوبا قصصيا يلتمس بقاءه من التطور المقنع .

يمكن أن يعد عيسى عبيد من قصاصينا القلائل أصحاب الرؤيا الواضحة ، وهو شىء لايبدو بهذا الجلاء حتى فى انتاج الكثير من كتاب القصة المعاصرين ، فهو يستطيع فى أغلب الاحيان أن يحدد بدقة ما يتناول من مواقف وشخصيات ، فلا يختلط عليه الامر كما لا يختلط بالتالى على القارىء ، ولعل أقرب الأمثلة على ذلك (أنا لك) التى تحكى قصة فتاة اقتربت من سن العنوسة — نفس موقف بطلة (مذكرات حكمت هانم) — وكان العائق الاول فى سبيل زواجها انها بلا دوطة فأبوها موظف بسيط ، ولم يحم حول الفتاة الخجول من الشبان سوى فؤاد الشاب الطبيب غير الوسيم ، الذى يحبها ولكنه يقلل زياراته لأسرتها عندما يدرك أنها لاتحس بوجوده ولا تحبه ، ولكن الام الفزعة من بقاء الابنة بلا زواج ، تدفعها الى قبوله حتى توافق مارى مضطرة ، وترغم نفسها على تمثيل دور العاشقة الولهى أمامه حتى يخطبها ، وتبدو براعة قاصنا فى هذا الجزء الاخير ، حيث يعرض لمحاولة الفتاة ايهام عاشقها بحبها ورضاءها به ، ويرسم لهذه المحاولة أبعادها ، تعمل مارى على الاستغراق فى تمثيلها ساخرة بينها وبين نفسها من المحب الغبى الذى يظنها تعشقه مصدقا دورها الذى تقوم به ، وفى الوقت ذاته يفسر عيسى عبيد تمزقها وآلامها النفسية القاسية حيال ما تصنعه وادراكها الواعى الحاد أنها بذلك تئد بيدها أحلام صباها الحلوة — وما أمر ذلك — وتطعن قلبها برجل لا تميل اليه ولا تريده ، لحظة لاتخلط بين تأثيرين متقابلين متداخلين ، بين ما تصطنعه الفتاة من أساليب اغراء ماكرة توقع فى حبائلها عاشقها غير الوسيم وبين طيبة عنصرها واضطرارها الى ذلك بل وحقها فى هذا الاصطناع .

ولا شك ان لمسة القاص فى خاتمته القصيرة السريعة ، جاءت أيضا لتضيف أشياء وميلورة اللقطة السابقة فى بساطة وعمق ... « لم يعرف فؤاد العيداوى أن ينام هذه الليلة لشدة سعادته ولم تستطع مارى أن تنام لعظم شقائها » (ص ٣٦) .

ولعل أدق ما يشغله الفن فى وجدان الناس ، انه ينقد الحياة وعندما يعتنق القاص هذه الفلسفة ويتبعها ، يبدو لهذه الحياة معنى كان مختفيا فى روتينية العيش أو سراديب النفس البشرية ، ويصبح الاديب مكتشف عوالم جديدة داخل الانسان وخارجه ، وهذا ما يعطى للفن دوره الضخم فى اثراء العاطفة الانسانية وجعلها أوسع شمولا ، وهو نفس ما قام به عيسى عبيد فى (احسان هانم) ، وكاتبنا يملك بنسبة كبيرة هذه الحاسة النقدية التى تنفذ الى كل اضطراب يلحق بطبائع الاشياء ، سواء فى صورة مباشرة صريحة أو غير مباشرة ملتحمة تماما بنسيج القصة ، فهو يكشف سخافة الزار الذى تصبح به خادمة

بطلة (مذكرات حكمت هانم) سيدتهـا التي كادت ان تفوتها سن الزواج التقليدي في ذلك الوقت، فهو يتناول ايضا مأساة المرأة الشرقية في بلدنا كما في (مأساة قروية)

ومن سمات قصة عيسى عبيد الواضحة تفاؤل شخصياتها ، فهي تحاول ان تنظر الى الأمور وأن تختار مواقفها تجاه الأحداث من خـلال زاوية مشرقة رحبة لاسوداوية فيها ولا يأس، بل وتبعد أحيانا أكثر من ذلك ، اذ تفسر الأشكال والأوضاع التقليدية نفسها تفسيرا جديدا مضيئا . فمع مانعرف عن طبيعة المرأة الشرقية ، والرجل بالطبع ، الحزينة ـ لايزال قارىء (الأيام) يذكر بشجن حتى اللحظـة ما كتبه طه حسين عن والدته ، وكيف كانت حتى في ساعات الهناء لا تردد الا كلمـات باكيةمتفجعة تدخل الالم والأسى الممض في قلب صغيرها عندما يسمعها ـ فان بطلة (مذكرات حكمت هانم) مثلا تصف المرأة المصرية والشرقية عامة بالميـل الى البشر ! وترجع ذلك الى أن عقائدنا الدينية وأخلاقنا الموروثة قضت على روح اليأس والتشـاؤم المتمشية في نفوس الغربيين ، وجعلتنا نؤمل في الغد مستسلمين بعذوبة الى العناية الالهيـة . فكم من امرأة شرقية تعصفم مبتسمة وهي في أشد حالات الشقاء : ربنا كريم .. بكره تتعـدل ... الصبر طيب . أليست هذه كلمات تدل على تفاؤل جميل يمنحنا العزاء وقوة الامل والثقة بالمستقبل (ص ٥٢ـ٥٣) .

يتسم أدب القاص الأصيل بأنه يوفق في استقطار روح عصره واحتفاظ انتاجه بهـذه الروح مهما كرت المتون . فسنية في (عودة الروح) لتوفيق الحكيم التي تجسد بأبعادهـا فتاة الطبقة المتوسطة المصرية التي عاشت في بلدنا في عشرينات هـذا القرن ، لازالت تحتفظ بعبق الجو القديم بكل دقائقه . ولا شك ان لعنصر المعاصرة هنا أثره في اضفاء لمسات لايستطيعها سواء من حيث وقع الحياة المعاشة على مشاعر القاص نفسه . لذلك عندما يحاول قاص حديث مثل فتحي رضوان أن يتناول في قصته (ترابيس) ـ من مجموعته (شبافع ونافع) ـ هذه الأجواء القديمة، فانه لايستطيع أن يقتنصها مكتفيا بالاشارة اليها . ولهـذا كانت المعاصرة عاملا حيا في تكوين الصـورة الكلية لشخصيات عيسى عبيد . فحكمت في (مذكرات حكمت هانم) . تعكس بدقة بنت ذلك العصر ، الفتاة البورجوازية التي اخذت بحظ من التعليم وتتأثر بشكل ما بما يحاول أن يفرضه النشاط الثقافي المعاصر ، فتقرأ مثلا رواية (زينب) « تأليف الدكتور محمد بك هيكل » ! كما يعظم نصيبها من التأثر بالحركة الوطنية وثورة ١٩١٩ والاشادة بالزعيم سعد زغلول

ان قالوتا واحدا يحكم (حكمت) عيسى عبيد و (سنية) توفيق الحكيم . ومستوى هذا الجانب عند القاص الأول لا يقل عن نظيره في رائعة (عـودة الروح) التي تنـاولته الدراسات الكثيرة .

في بعض الاحيان تضعف قبضة المؤلف عن الامساك بخيوط القصة ، فيسفر عن وجهه كما يفعل عيسى عبيد في (النزعة النسائية) ، فينزلق من الموقف القصصي وفريد مسعود يفار من مزاحمـه في قلب هرمـين ، الى السرد التقريري الجاف عن الغيرة وانواعهـا ولون غيرة فريد منها : (ص ٤٠ ـ ٤٢) .

وفي بعض قصص مؤلفنا ، يصور ماهيـة الحب كشيء جامد في عملية ميكانيكية رتيبة ، فما الهوى الناجح عنده سوى قلب يجب ان يفرغ مما فيه ليملأ ثانية بارادة واعيـة من صاحبه ، وخاصة في أزمات العشق الفاشل ، وهذا ما جعل الحب يتحول من واحد الى آخر بسرعة مذهلة . فالقلب يتقاذف وكأننا في ملعب كرة .

وقد كتب عيسى عبيد مقدمة لمجموعته ، جعل عنوانها وكلمة عن الفن والادب الحديث في مصره تناول فيها الكثير من الاوضاع الفنية ، وتجىء اهمية المقدمة من انها كما قال عباس خضر وتتضمن قضايا قصصية مهمة ، لاتزال تثار في حياتنا الادبية حتى اليوم (ص ٤) . وقد عرض الاستاذ خضر لأهم هذه القضايا ، ولكن يبدو ان المقـدمة كانت في حاجة الى دراسة كاملة مستفيضة تقدم القاص من خلال آرائه كما تعكس أيضا روح العصر ، خاصة وأن عيسى عبيد كان من فناني الجيل الجديد الذين يريدون التعبير عن الشخصية المصرية من خلال أدب مصرى قح . ومما يزيد من مسئوليتنا اليوم ازاء هذه المقدمة ان صاحبها فنان جاد وغير مدع يكتب عن ثقافة عميقـة ونظر صائب مما جعل لثورته طابعا تقـدميا وموضوعيا كفل لها البقاء .

ولا شك أن الحديث عن هـذه المجموعة لايكتمل الا اذا عرضنا أيضا لتقديم عبـاس خضر لها ، فقد اتسمت كلمته بالتركيز الذكي والاستيعاب المتعمق والنظرات الناقدة الدقيقة وهي كما نعلم دقائق أسلوب صاحبنا ، وقد تناول المقدم حياة المؤلف وانتاج عيسى عبيـد بعامة و (احسان هانم) بوجه خاص .

ويلاحظ القارىء بالنسبة الى حياة المؤلف المجهولة ، ان الاستاذ خضر قد أجملهـا في سطور قليلة لم تزد عن اشارة خاطفـة ، ولست أدرى أيستطيع المتلقى أن يؤاخـذ عباس خضر على هذا الايجاز المخل ، فرغم أن ثلاثين عاما قد مرت على وفاة الشـاب عيسى عبيد ـ سنة ١٩٢٢ ـ الا أن هذا لا يجعلنا نتوقف أمام صعاب البحث التى لايمكن التهوين من شأنها اننا ننقب جادين عن شـخصيات عاشت منذ مئات السنين ، أفلا نفعل المثل بالنسبة الى عشرات قليلة من الاعوام ؟

وعلى الرغم من أن كلمة عباس خضر تعـد نقدا بارعا للمجموعة ، الا أن القارىء كان ينتظر ممن في مستواه الـكبير أشياء كثيرة افتقدها كلية أو كان وجودها باهتا على أحسن تقدير ، مثل التاريخ الادبى وفن القصـة بالذات لهذه الحقبة التى ظهر فيهـا عيسى عبيد ومقارنة انتاجه بأعمال كتاب القصة في ذلك الوقت ، والاتفاق أو الاختلاف بين صاحب (احسان هانم) وأعضاء « المدرسة الحديثة » وكذلك العامل الاول في ثورته على جمود أدب عصره ، وهل كان باعثها ذاتيا داخليا أم أن ثورة ١٩١٩ هى المسئولة عن هـذا التأثير البالغ ، وقبل هذا كله ، حقيقة المجتمع المصرى تياراته ونظمه وتقاليده المختلفة في ذلك الحين التى عكسها أدب « كتاب الناشئة الجديدة » ، كما يطلق عيسى عبيد على نفسه وزملائه .

ويخيل الى أنه كان من الضرورى لمقدمنا أن يذكر لنا شيئا عن هذه الطبعة الجديدة ، وهل هى نسخة طبق الاصل من سابقتها ، أم أن هناك بعض الحذف وربما الاضافة ايضا كما يظن غير واحد أن من حقه أن يفعل . ولست أدرى في النهاية ما هو العذر الذى ألتمسه عباس خضر لتقديمه هذا القصير نسبيا .. هل رأى أن التفصيـل النقدى له أصحابه ـ بالنسبة الى هذا الكتاب بالطبع ـ اما هو ككاتب مقدمة فيكفيه الخطوط العـامة التى عرضها ، أم انه لايريد أن يكرر نفسه .. وخاصة وانه يتناول هذا الموضوع بالذات في كتابه ـ تحت الطبع ـ (نشأة القصة المصرية القصيرة) ؟.

ولكن المتلقى لايمكن أن يطمئن الى مثل هذا القليل ، فالحديث عن القصة العربية والمصرية بالذات في كل عهودها أرض بكر تماما . لا تقترب القلة التى طرقته الا من أطرافه .. فالمجال اذن متسع والحديث فيه مهما كثر قليل .

علاء الدين وحيد



ياسين وبهية على مسرح الجيب

بقلم : على متولى صلاح

من أحب الأشياء الى نفوسنا أن نرى أساطيرنا الشعبية تعلو خشبة مسرح « الجيب » الذى هو مسرح الطليعة الرائد الذى اقترن اسمه فى اذهاننا باسم « برتولد بريخت » مؤلف (القاعدة والاستثناء) ، واسم « يوجين يونسكو » مؤلف (الكراسى) ، واسم « صموئيل بيكيت » مؤلف (لعبة النهاية) وغيرهم من المؤلفين الغربيين ذوى الشهرة والقدم الراسخة ..

ان أساطيرنا الشعبية ثروة كبيرة ما زالت بعيدة عن متناول فنوننا وان لنا فيها لمعينا لا ينضب اذا نحن أخذناها مأخذ الجد وأوليناها ما ينبغى لها من عناية ورعاية .. ولسنا ننكر أننا قد بدأنا فعلا فى الالتفات اليها وازالة الصدأ المتراكم عليها ، ونعلم انه يوشك أن يقام لها مسرح خاص تعرض فيه على جمهورنا المشغوف بها ... ولكننا نرجو المزيد من العناية بها .. نرجو مثلا أن تكون مادة دراسية فى مراحل التعليم المختلفة عندنا يكون لها الأساتذة المتخصصون ... ونرجو أن تزيد المؤلفات والكتب التى تزيدنا معرفة بها فان ما ظهر من ذلك جد قليل ... ونرجو أن تتضاعف البرامج الاذاعية والتليفزيونية التى تعرض هذه الأساطير ليرى الشعب أبطاله الشعبيين وفنونه الشعبية النابعة منه والتى عبرت منذ الأزمان السحيقة عن آلامه يوم لم يكن يملك من أدوات التعبير سواها ... وهكذا .

وقصة « ياسين وبهية » هى احدى هذه القصص الشعبية المتداولة عندنا، ولانظن أن أحدا قد استغلها استغلالا فنيا كما فعل بها اليوم الأستاذ « نجيب سرور » فان لم يكن له سوى فضل السبق الى ذلك لكفى !

وقد وقعت حوادثها فى قرية « بهوت » حيث كان الاقطاع على أشده وكان فرد واحد هو الذى يمتلك القرية وما فيها ومن عليها !.. يمتلك الارض والحيوان والانسان وكل من يدب على أرضها ويطلقون عليه كلمة « الباشا » غير مقرونة باسمه لأنه فرد علم يعرفه الناس جميعا فلا حاجة بهم الى ذكر اسمه !

وكان من اهل القرية شاب اسمه « ياسين » ، وكان لهذا الشاب ابنة عم اسمها « بهية » تصغره

ببضع سنوات ، انعقد بينهما هوى منذ كانا صغيرين وظل هذا الهوى ينمو في قلبيهما الصغيرين يوما بعد يوم حتى تمكن منهما وملك عليهما أمريهما واصبح كل منهما امنية الآخر ومنتهى سؤله ٠

ونشـأ « ياسين » يتيمـا فقد مات أبوه وهو في الرابعة من عمره حيث القى « الباشـا » القبض عليه لمناوأته له وثورته على ظلمه ، وأمر أن يقتلوه فنفذوا أمره ، وكفله عمه الفلاح البسيط الممتلىء هو الآخر بالثورة على هذا « الباشا » الجبار ٠

وشب الفتى وقلبه مملوء بالحقد والضغينة على من قتلوا أباه وهم الذين يراهم كل يوم يقتلون الأبرياء من حوله ، وكلما مرت الأيام ازداد حقده تأججا في صدره فهو كما تقول القصة :

لم يكن يكره شيئا مثل هاتيك القصور

مرت الأيام والأعوام وهو صبور كالجمل

ينقـل التبر تلالا ثم لا يظفر الا بالحطب

وهو كما تصفه القصة أيضا :

شارب من « بز » أمه !

وكان « ياسين » يلتقى كل يوم مع « بهية » في موعد مجدد هو موعد مرور قطار السـكة الحديد وكان التقاؤهمـا دائما في مكان واحد تحت ظـل نخلتين تعانق جذعاهما عناقا جعل منهما جذعا واحدا وكانت هناك ظاهرة تتكرر كل يوم وقت لقائهما وهي أن الغربان تنعق وهما مجتمعان ! فتخاف « بهية » من ذلك وتتطير منه تطيرا شديدا وتقول لياسين :

كلمـا ازددت غراما زدت خـوفا

وبمـا حتى يخـاف المرء ظـله

ان احب

فيهدىء « ياسين » من روعهـا ويطلب اليهـا الا تصدق هذه الخرافات التي يؤمن بها أهل القرية من التطير بنعيق الغربان ٠

وتمضي الأيام بينهما بعيدين كل في داره لا يرى أحدهما الآخر الا في الموعد المعهود وهما يأملان أن يجيء اليـوم المرتقب يوم اللقـاء الدائم بالزواج ويتحدثان في ذلك بكلام صريح لا خفاء فيه ٠

وترى « بهية » ذات يوم في نومها حلما يفزعها ٠٠ ترى أنها تركب مركبا شراعيا يمشي في بحر واسع لاترى له ساحلا ، وموجه هادىء لطيف ، وهي تمسك بالمقذاف ، وصـاحب هـذا المركب هو ابن عمهـا « ياسين » يلبس « شالا » أحمر اللون ، وقد جاءت حمامة وحطت فوق رأسه لا تتحرك ، وهي تصرخ : يا ابن عمي ٠٠ يا ابن عمي ! حتى تيقظت من نومها وهي في هذا الصراخ !

وتفزع « بهية » من هذا الحلم فزعا كبيرا وتقصه على أمها وتطلب اليها تأويله ، فتفسر لها الأم ذلك الذي رأته بأنه خير كبير سيتحقق لها في قريب من الزمن ، وأن هذا الخير سيكون بزواجها من ابن عمها ، ولكنها تعجز عن تفسير ما يدل عليه هذا « الشال » الأحمر !

ويرى « ياسين » أيضا ذات يوم في منامه حلما يضحك له كثـيرا ٠٠٠ يرى أنه يركب « حمـارا » وذلك الحمار هو «الباشا» وأنه يسوقه بالعصا وكلما ضربه بها سمع له نهيقا كنهيق الحمار !٠٠ ويقصه على « بهية » ، فتضحك ويضحك هو الآخر كثيرا !٠٠ ولا يهتم « ياسين » بتأويل ذلك الحلم لأنه لم يجد فيه شيئا يفزعه ٠

وتمضي الأيام وطغيان « الباشا » يشتد ويزيد ، وأهالي القـرية يكتمون في نفوسهم غيظا وحقـدا ويتمنون يوم الخلاص من هـذا الطاغية الجبار الذي يصفونه قائلين :

رغبة الباشا قدر ٠٠٠٠ كن يكون

وينال « ياسين » شيء من هذا الطغيـان فيسلبه الباشا داره التي ورثها عن أبيـه ، ثم هو يريد أن يسلبه نصف الفدان الذي ورثه عن أبيه أيضا فلا يبقى له شيء يعيش منه شأنه في ذلك شأن أهـل القرية جميعا !

ويهرب الناس من هذا الهم الذي يرزحون فيـه بتناول المخدرات فهم يسمرون كل ليلة على أحاديث ظلم الباشـا وتدور بينهم « الجـوزة » يتبادلونهـا جميعا !

وتشب حريق في القرية فلا يهتم أحد من الأهالي بالمشاركة في اطفائها لأنها لا تمسهم في شيء حيث لا يملكون شيئا !

ويغيب « ياسين » عن موعده المعهود ويتأخر عن العودة الى داره فتأخذهم الوساوس عليه ويتوجسون شرا عليه :

ربمـا سـافوه ·· مثلمـا سـاقوا اباه
لم يعـد يوما احـد ·· يا بهـوت
كـل من يسـقط فى الجـب يموت

ولكنه يعود مع عمه :

مثل ثورى سافيه ·· مجهدين صامتين

ويطلب « الباشـا » يوما أن تحضر « بهية » الى قصره لتخدم فيه جريا على سنته مع بنـات القرية حيث :

تذهب البنـت الى القصر خفيفـة
وتعود بعد أزمان··ثقيلة مثل قربه

فيهتاج « ياسين » ويابى ذلك اباء تاما ويحتـال للامر ويطلب من « بهية » أن يتركا « بهوت » حيث لم يعد لهما مقام فيها ، ويذمها ويصفها بأنها «عقرب» او « غولة » فتغضب بهيـة لهـذا العرض وتصف « ياسين » بأنه لا يحبها ! فيزين لها هـذه الهجرة بقوله :

النبى ساب مكة للكفار وهاجر
يعنى نهرب م الـكلاب

فتابى بهية ذلك وتجيبه قائلة :

يعنى من تمساح لحوت يا ياسين ؟

ويظل «ياسين» فى اهتياجه وثورته ويعلم الباشا بامره فيامر بالقبض عليه ويسوقه « الهجانة » الى حيث يلقى حتفه ··

هذا ملخص وجيز للاسطورة الشعبية المعروفة التى ما زال الشعب يتغنى بها فى الأغنيـة الشهيرة التى تقول فى بعض أجزائها :

يا بهيـة وخبرينى ·· عا اللى جتـل ياسـين
جتـلوه الـسـودانية من فوج ظهـر الهجين
وبهيـة فى المحـاكم ·· شدت واحد وكيـل
احـكم يا جاضى النيـابة جدامك مظـاليم
عوج الطربوش على ناحيه وحـكم باربع سنين
سنتين فى السجن العـالى واتنين فى الزنازين

وقد أطلق عليها مسرح الجيب اسم «ملحمة شعرية» ونحن نرى أن فى هـذه التسـمية تجوزا كبيرا لأن خصـائص الملحمة من حيث الشكل ومن حيث الموضوع غير متوفرة فيها وما كان ينبغى أن يطلق عليها هذا اللقب الكبير جزافا وبدون حساب هكذا !

كما أننا لا نرى أنهـا « مسرحية » لأن المسرحية حركة وأعمال تجرى على خشبة المسرح وليس بها من ذلك الا القليل جدا الذى لا يرتقى بها الى أن تكون مسرحية ·

والوصف الصحيح لها أنها قصة أوحكاية يحكيها راوية تصاحبه بعض مشاهد صغيرة تمثل ما يرويه وتجسمه ولكنها قليلة بحيث لو انقطع الراوى فانها لا تنهض وحدها بشيء ولا تؤدى أى معنى ·

ونلاحظ أن الشعر فيها كان ينتقل بين العربية والعامية بلا سبب معقول وكان الأولى أن يثبت على واحدة منهما ·

كما نلاحظ أن بها اسرافا لغويا شديدا جدا بحيث كانت بعض الأبيات تتكرر بنصها عدة مرات خلال عرضها مما جعـل البعض من النظارة يحفظ أجزاء منها !

ونلاحظ أن بعض الأبيات منظور فيها الى أبيات مشهورة نظرا واضحا! وذلك مثل قول المؤلف وهو يصف صدرها بأنه يعـلو ويهبط مثل الموجتين ·· فانه منظور الى البيت المشهور لبشارة الخورى الذى يصف فيه النهدين بقوله ··

اوهمـا ـ وليسلما ـ كالموجتين
أى صـب ما تمنى الغـرقا ؟

ولكن يمكن أن يقال ان فى الشعر عذوبة وسهولة وجمالا كبيرا ، وان المؤلف مشـكور على التفاته الى هـذه الأسطورة واحيائهـا والباسها هـذا الثوب القشيب ·

وقد أخرج هـذه القصـة كرم مطـاوع فعبر عن معانيها بدقة وحسن تصوير وأنفق فيها دون شك مجهودا طيبا واختار الممثلين الصالحين لأدوارهم الا القليل ، وكانت الملابس والمناظر والاضاءة مستوحاة من البيئة مما ساعد على قوة التأثير ، غير اننا لحظنا أن الضوء الذى سلط على شبح الميت كان أقوى من الضوء الذى سـلط على الأحيـاء ، والأولى أن يكون الأمر على عكسّ ذلك ·

كما لحظنـا أن صوت (القطار) لم يكن واضـحا تماما كـمـا لم يكن دقيقـا فى التعبير · كـمـا أن حركة «السير» الذى أداها أحد الممثلين كانت نابية جدا وبهلوانية أكثر منها جدية !

وقد قام « محمد الطوخى » بدور الراوية ، وكان العبء كله تقريبا ملقى على عاتقه لأن روايته للحوادث لم تنقطع لحظة واحدة ، ومع أن مهمته كانت الرواية فقط الا أنه كان يمثل المعانى المختلفة ويعطى الكلام

الوانا زاهية واضحة ، ولكننا كنا نسمع جيدا صوت الملقن وهو يتابعه في كل ما قال ، ولا ندرى لم يفعل الملقن ذلك وقد يكون الممثل في غير حاجة اليه ؟ اننا نريد أن يفهم الملقنون أن مهمتهم ليست متابعة الممثلين كلمة كلمة ولكنها انقاذهم عند العثرة وتجدتهم عند التوقف فقط ، ونلاحظ أنه نطق كلمة (القزم) بكسر القاف والصواب بفتحها ومثل محمد الطوخى يؤاخذ على ذلك .

وقامت « عليه الجزيرى » بدور « بهية » فكانت جيدة التعبير دقيقة منطلقة ولم يلاحظ عليها أى اضطراب أو توقف أو انحراف عن المعنى المقصود مما تستحق عليه الشكر الكثير .

وقام « عبد الرحمن أبو زهرة » بدور « ياسين » ويبدو أن هذا الدور لم يكن مناسبا له ، وهذا هو « القليل » الذى عنيناه فيما قدمنا من كلام بقولنا عن المخرج انه اختار الممثلين الصالحين لأدوارهم الا «القليل» ولهذا فقد انطفأ الدور انطفاء كبيرا وصارت الهوة بين « ياسين » ، « بهية » بعيدة ! وذلك لأن كل امرىء مهيأ لما خلق له !

وقامت « نجمة ابراهيم » بدور الأم فادته أداء حسنا ولو أنه قصير الزمن قليل الكلام .

وبعد : فاننا نرجو المزيد من العناية باساطيرنا فانها حبيبة الى قلوبنا لأنها بضعة منا وجزء من نفوسنا ، ولعلنا نرى فى مسرح « الجيب » عددا آخر منها فى الموسم الحالى ، فان فعل فانه لا يؤدى بذلك خدمة فنية فقط بل خدمة وطنية جليلة .

نظرات

● **فى برنامج « نجمك المفضل »** الذى شهدناه على شاشة التليفزيون يوم الأحد أول نوفمبر الحالى تكلمت السيدة فايزة أحمد عن قصة كفاح مرير ..

تكلمت عن الفقر الذى عانته فى طفولتها وشبابها ، وذكرت كيف لقيت هذه الحياة بدون اب يرعاها ويحمل متاعبها ، وكيف أنها كانت مسئولة عن حياتها وحياة أمها واخواتها ، وكيف واجهت عدم اقبال الناس عليها أول الأمر ورفض كل من اختبروها لها وتقريرهم عدم صلاحيتها للغناء !

وذكرت أنها رغم ذلك كله لم تفقد الأمل لحظة واحدة ولم تفقد ثقتها بالله ، ولم تفقد ثقتها بنفسها رغم كل هذه العواصف الهوج التى كانت تتعرض لها .

وذكرت أنها على الرغم من كل ذلك كانت تترفع عن المادة ولم تجعلها الغرض الأول فى حياتها — كما يفعل الكثيرون — بل كان الفن هو كل املها وكل غرضها حتى لانت لها الحياة وتحقق لها ما ارادت .. ليت الفنانين جميعا يجعلون حياة هذه المجاهدة مثلا يحتذى !

● **فى الصفحات التى كتبها الدكتور لويس عوض** وأطلق عليها عنوة واقتدارا اسم « مسرحية » ووصفها على الصدر منها بانها « دراما تاريخية » ... نقول فى هذه الصفحات أبى المؤلف الا أن يكون شاعرا أيضا وما هو من الشعر فى شىء ! كتب أنشودة (ص ١٢٥) تدل على أن بينه وبين الشعر ما يسميه علماء البلاغة « كمال الانقطاع » !

واليكم بعض ما ورد بهذه الأنشودة لتروا ما بها من جهل بعيد بأوزان الشعر بل بموسيقاه التى تحسها الآذان السليمة : —

مات الفادى مات الهادى
صلى يا آلهة الوادى
على من كان النجم الهادى (كذا) !
ملك الشعب عماد الوادى
سر الراهب ذى الأمجاد
من الآباء من الأجداد (كذا) !

ومن عجب أن قائل هذا الكلام يقف منتفخ الأوداج ويخلع امارة الشعر على صديق له كان هو صاحب الأمر الذى يمنح ويمنع ! ... شيئا من الحياء ومن التواضع يادكتور لويس !

● **نريد من المسئولين فى الاذاعة** أن يعطوا مجلة (الفن) التى تذاع من البرنامج الثانى يوم الأربعاء من كل أسبوع قدرها الحق من الاهتمام والرعاية نريد أن يعلموا المدى الواسع الذى تتحرك فيه هذه المجلة ، والآفاق العريضة التى تدور فيها والمسئولية الكبرى الملقاة عليها من حيث كونها موجهة للفنون جميعها فى البلاد .

نريد أن يكون المشرفون عليها من ذوى الثقافات الكبيرة ومن ذوى المشاركة فى الفنون التى تتناولها المجلة ومن ذوى التاريخ المجيد فيها ومن ذوى الآثار ذات القيمة فى موضوعات الفنون المختلفة .

نريد ألا يكونوا من هؤلاء الببغاوات التى قصاراها أن تلتقط أواخر الكلمات وترددها دون ان تدرى شيئا مما تقول !

على متولى صلاح



«مخطوط سر الأسرار»
لأبى بكر محمد بن زكريا الرازى

بقلم : احمد سعيد الدمرداش

تمهيـــد :

اجمع المؤرخون على الاشادة بالرازى الطبيب او الرازى الفيلسوف ، فقال ابن النديم : ان ابا بكر محمد بن زكريا الرازى كان « اوحد دهره ، وفريد عصره » وذكر ابن القفطى انه « طبيب المسلمين غير مدافع » وسماه ابن ابى اصيبعة « جالينوس العرب » .

ولقد اختلف المؤرخون حول تاريخ ميلاده ووفاته ، ويرجح البعض ومنهم البيرونى العالم الفلكى الرياضى الكبير بان مولد الرازى كان فى عام ٨٦٥ ميلادية بمدينة الرى ، التى منها اشتق اسمه ، وهى مدينة قديمة تقع بالقرب من طهران عاصمة ايران .

وروى الرازى انه كان فى شبابه حاذقا بالضرب على العود ، وموقعا بالغناء ، ولكنه لما التحى وجهه عندما كبر قال : « كل غناء يخرج بين شارب ولحية لا يستظرف » ثم اتجه بعد ذلك الى الفلسفة والادب وكتابة الشعر ، واخيرا ، يذكر مترجموه انه عكف وهو فى سن الثلاثين على دراسة الطب ومزاولته عمليا ، فنبغ فيه علما وفنا .

ومن الواضح ان الرازى وقف كذلك جزءا كبيرا من وقته على دراسة علم الكيميا وكان يسمى علم الصنعة ، فقد ذكر البيرونى واحدا وعشرين من مؤلفاته فى هذا العلم ، وقد طرق فيها بابا جديدا ، فكان اول من استخدم المستحضرات الكيميائية فى العلاجات الطبية ، وربما كانت الكيمياء ايضا احد موارد رزقه ، فهو يقول « انا لا اسمى فيلسوفا الا من كان قد علم صنعة الكيمياء ، لأنه قد استغنى عن التكسب من أوساخ الناس ، وتنزه عما فى ايديهم ولم يحتج اليهم » وربما قصد من قوله هذا ان الفيلسوف الذى لا يملك موردا للرزق ، له أن يحترف الصنعة حتى يعتمد فى كسب عيشه على نفسه ، فيحتفظ بحرية الرأى .

ويقول البيرونى عن الرازى انه كان « دائم الدرس شديدا لاتباعه ، يضع سراجه فى مشكاة على حائط يواجهه ، مسندا كتابه اليه كيما اذا غلبه النعاس سقط الكتاب من يده فايقظه ليعود الى ما هو عليه » .

ولم ينتقل الرازى كثيرا ، بل استقر فى بلدان الاسلام الشرقية ، وصار رئيس الأطباء فى بيمارستان المدينة التى ولد بها ، فى اول الأمر ، ثم لما استشاره الخليفة فى موضع بيمارستان بغداد العظيم ، وانشائه صار رئيسا للبيمارستان الجديد ، وبعد ان فقد بصره بسبب الغشاوة المائية (الكتاركتا) ، التى لم يرغب فى أن تعمل لازالتها جراحة ، توفى عام ٩٢٦م فى سن الستين تاركا ثروة علمية طائلة، فلقد بلغت مؤلفاته ما يقرب من المائتى كتاب فى شتى الفنون ، كالطب ، والطبيعيات ، والمنطق ، والرياضيات ، والفلسفة ، والكيمياء، وغيرها ، فكان عالما موسوعيا بحق ، وله راى مستقر فى ذلك اشار اليه فى مواضع عدة من ذلك قوله :

« هذه صناعة لا يمكن الانسان الواحد اذا لم يحتذ فيها على مثال من تقدمه ان يلحق فيها كثير شيء ، ولو افنى جميع عمره فيها ، لان مقدارها اطول من مقدار عمر الانسان بكثير ، وليست هذه الصناعة فقط ، بل جل الصناعات كذلك ، وانما ادرك من ادرك من هذه الصناعة الى هذه الغاية ، فى الوف من السنين ، الوف من الرجال ، فاذا اقتدى المقتدى الرهم صار كمن ادركهم كلهم فى زمان قصير ، وصار كمن قد عمر تلك السنين » .

ويقول ايضا : ان قليل المشاهدة المطلع على الكتب خير ممن لم يعرف الكتب ، على الا يكون عديم المشاهدة .

ويقول « من قرا كتب بقراط ولم يخدم ، افضل ممن خدم ولم يقرا كتب بقراط » . ويقول فى مخطوط محنة (امتحان) الطبيب :

« فاول ما تساله عن التشريح ، ومنافع الأعضاء ، وهل عنده علم بالقياس ، وحسن فهم ، ودراية فى معرفة كتب القدماء ، فان لم يكن عنده ذلك ، فليس بك حاجة الى امتحانه فى المرضى » .

فهو يطلب من الطبيب ان يكون متبحرا عالما فى فروع المعرفة ومنها علم القياس والاجتهاد .

لقد كان استاذا حقا : يتضح ذلك من كتابه المرشد او الفصول فى التشخيص الاكلينيكى :

وكان فيلسوفا من الطراز الاول فى الالهيات وفى مذهب الجوهر الفرد عند المتكلمين ، وله نمط فريد فى فلسفة المدة وهى الزمان ، وفى الخلاء والملاء وهما المكان .

وكان كيمائيا تجريبيا فىكتابه سر الاسرار الذى نحن بصدد تلخيصه ، فليس هناك أثر للتصوف أو الرمزية غير العلمية ، التى اتصفت بها كتب من سبقوه مثل اخوان الصفا فهو يصف كاستاذ معاصر المواد التى يستخدمها على ادق الوجوه الممكنة فى عصره ، ثم يستمر فى القسم الثانى من كتابه هذا فيصف الادوات التى يستعملها بعناية ، واخيرا ، وفى القسم الثالث والأخير ، وهو اطول الاقسام ، يعرض الطرق الموصلة الى اعداد العقاقير المطلوبة .

وفى القرن الرابع الهجرى ، كانت كتب بقراط وجالينوس دستورا يؤمن به الأطباء ، فكانت كلمة « قال بقراط » او « قال جالينوس » كافية لقبول القول دون البحث فيه ، او التشكك فى صحته ، ولما اكتشف علماء الغرب ما جاء فى مذكرات « الحاوى » من علوم مفيدة فى الطب ، اقبلوا على ترجمتها الى اللغة اللاتينية ، فترجمها فرج ابن سالم فى جزيرة صقلية عام ١٢٧٩ م بناء على طلب الملك شارل وانجو ، واستغرقت الترجمة جل حياة المترجم ، وطبع هذا الكتاب اكثر من مرة فمنها طبعة « بركسيا عام ١٤٨٦ » وطبعة البندقية عام ١٥٤٢ م .

اما كتاب «الجدرى والحصبة» فترجم الى اليونانية عام ١٥٤٨ م ثم طبع طبعات لاتينية عديدة (من سنة ١٤٩٨ الى سنة ١٧٨١ م) وظهرت له ترجمة فرنسية سنة ١٧٦٢، واخرى انجليزية سنة ١٨٤٨ ، وكتبه عن الحميات كانت تدخل فىصلب المنهاج فى جامعات اوربا فمثلا عميد كلية الطب بجامعة مونبلييه ، كان يحاضر فى سنة ١٥٥٨ من كتاب « المنصورى فى الطب » لابى بكر الرازى .

والآن لنقبض قبضة مما جاء فى كتابه سر الاسرار :

مخطوط سر الأسرار :

يقول الرازى « والذى دعانى الى تأليف هذا الكتاب ، مسألة شاب من تلاميذى ، من اهل بخارى ، يقال له محمد بن يونس البخارى ، عالم بالرياضيات والعلوم الطبيعية والمنطقية ، ممن كثرت خدمته لى وتخلفه عندى بعد فراغى من الكتب الاثنا عشر الصناعية والرد على الكندى محمد بن الليث الرسايل ومن صناعة الرسايل الملوكية ، ان اجمع اماما ، ومقتدى به ، ودستورا يرجع اليه فالفت له كتابى هذا واتحفه بما لم يتحف به احدا من الملوك والامراء ، وبينت فيه من علم الصنعة ما يستغنى به عن جميع ما فى هذا المعنى وساجبوه بكتاب واحد ، وسميته بكتاب سر الأسرار يرفع به الأجساد بما اودعه من التدبير درجة درجة على رأس الكور، فيبلغ به مراده فى أهون التدبير ، وينقضه ويرده الى حاله الأول متى شاء بعد ذلك التدبير ، والله الموفق لما نؤمله ، واليه الرغبة فى اتمام ما قصدناه انه المنان ، فحرام على كل من وقع اليه كتابنا هذا ان يعيره من ليس منا ، او يطلع العامة على ما فيه او فاسقا ادخله فى جملتنا او تزين بعملنا فقد شرحنا فيه ما ستره القدماء من الفلاسفة مثل غاديمون وهرمس وانطوس وبليوس وافلاطن وجالينوس وارسطوطاليس واسطانس وماريه واسطفن وريسموس واسطوس وديمقراط وفيثاغورس وابقراط وسرخس وهرقل ومرياتس وخالد بن يزيد واستاذنا جابر بن حيان رضى الله عنه . بل فيه ابواب لم تدون بعد غاديمون وهرمس وارسطوطاليس ولولا علمى بانصرام أيامى وقرب أجلى وتخافتى فوت ما امليه وارويه فيه لم اكن بالذى اجمع هذا كله فى كتاب واحد واستقصى هذا » .

ثم يقسم بعد ذلك مؤلفه الى الأبواب التالية :

١ ـ عمل الفضة احمرا داخلها وخارجها .
٢ ـ باب تحليل الزئبق وعقده .
٣ ـ باب تزين الذهب .
٤ ـ ابواب لطاف تعمل على رءوس الكور.
(ا) صبغ الشبه ذهبا .
(ب) باب يبلغ الذهب الدون والفضة المصبوغة درجة الابريز .
(جـ) باب صبغ على رأس الكور .
(د) باب اكسير قمر على رأس الكور .
(هـ) باب اكسير بياض .
(و) باب اكسير رصاص .
٥ ـ الأبواب الكبار على راس الكور .
(ا) باب تكليس الذهب على راس الكور فى ساعة واحدة .
(ب) باب تكليس الفضة على رأس الكور.
(جـ) باب تكليس النحاس والحديد على راس الكور .
(د) باب تكليس الآنك والأبار على راس الكور .
(هـ) باب تكليس الطلق والقشور والأصداف .
(و) باب تكليس الزجاج والملح .
٦ ـ باب التحليل .
٧ ـ باب التصعيد .
٨ ـ باب التشميع .
٩ ـ باب تحليل الزيبق حيا .

اما المواد التى يستخدمها فهو يقسمها كالآتى :

١ ـ الارواح وهى الزيبق والزرنيخ والنوشادر والكبريت لأنها تفر من النار .

٢ ـ الاجساد وهى الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص القلعى والأسرب والخارصينى .

٣ ـ الاحجار وهى المرقشيثا والمغنيسيا والدوص والتوتياء واللازورد والدهنج والفيروزج والشاذنج والشك والكحل والطلق والجبسين والزجاج .

٤ ـ الزاجات وهى القلقديس والشب والزاج السود والقلقند والقلقطار البورق وهى التطرون وبورق الخبز وبورق الصاغة والتنكار والبورق الزراوندى وبورق العرب .

٦ ـ الأملاح وهى الملح الطيب والملح المر والطبرزد والملح المر والدرانى والنفطى والهندى والصينى وملح القز وملح البول وملح النورة وملح الرماد .

ومن امثلة تزين الذهب ما يقول بنصه :

« اسحق الدينار بقراط زيبق ، ودخنه بالكبريت ، فانه يقوم الزيبق فيه ولا يبين اثره ، ويزيد فيه من ساعته » .

ومعنى هذا بلغة الكيميا الحديثة ان الزئبق سيتحد مع الذهب مكونا ملغما فيزداد وزن الدينار ثم يتحد الزيبق بعد ذلك ببخار الكبريت مكونا كبريتيد الزئبق وهو الزنجفر داخل جزيئات الذهب ، ولو اننا لا نؤيد ثبات الترابط بين الذهب وبين كبريتيد الزئبق .

ويلاحظ ان ابن سينا قد عارض بشدة نظرية تحويل الفلزات الخسيسة الى ذهب وتحويل طبائعها فهو يقول :

« نسلم بامكان صبغ النحاس بصبغ الفضة (اى عمل سبيكة من النحاس والفضة بلغة العصر الحاضر) ، والفضة بصبغ الذهب ، الا ان هذه الأمور المحسوسة يشبه الا تكون هى الفصول (اى الخواص) التى تصير بها هذه الأجساد انواعا بل هى أعراض ولوازم ، والفصول مجهولة ، واذا كان الشيء مجهولا فكيف يمكن ان يقصد قصد ايجاد او اخفاء ؟.

وقد ايده البيرونى فى كتابه الجماهير فى معرفة الجواهر .

وهذا مما يدحض الفرية التى اخترعها كتاب الغرب ، بأن علماء الكيمياء العرب كان كل همهم هو الحصول على الذهب من الفلزات الرخيصة ، ولم يكن لديهم علم للكيمياء بالمعنى المصطلح عليه فى الوقت الحاضر .

قراءات في المجلات العربية

يقدمه : محمد العواني



لويس عوض وابن خلدون المفترى عليه

تنوعت الدراسات حول ابن خلدون فى هـذه الأيام اذ أنه يعد فى نظر كثير من الباحثين مثلا حيا للعبقرية العربية والتفكير العلمى المستقل ، وقد نأى بنفسه عن تقليد الغير وصمم على استعمال تفكيره الخاص فى نقد ما رآه مستحقا للنقد ، واستطاع بعبقريته اليقظة وعقله الناضر وذكائه الوقاد أن يحتل مكانة مرموقة بين كبار المؤرخين .

ومن هذه الدراسات المتنوعة عن ابن خلدون كتاب أصدره أخيرا الدكتور لويس عوض بعنوان « مقالات في النقد والأدب » ، فقد افتتحه بأربعة أبحاث خصصها للحديث عن ابن خلدون محاولا أن ينسب اليه فيها كثيرا من الآراء الغريبة .

ونقدم هنا عرضا لما نشرته مجلة « الكاتب » حول هذا الموضوع فقد قدم لنا الأستاذ « عبد الجليل حسن » دراسة متعمقة لأبحاث لويس وناقشها مناقشة موضوعية وفند منها ما استحق التفنيد وكشف عن كثير من الجوانب الهامة التى حاول لويس ان ينسبها الى ابن خلدون مما « يثير قضية خطيرة على أشد ما تكون الخطورة من الناحية العلمية » .

ومجمل هذه القضية فى رأى الباحث ان الدكتور لويس أخذ يلف ويدور ويتلمس كثيرا من الأدلة ليثبت بها أن ابن خلدون كان يعرف لغات أجنبية ثم يرجح انه كان يعرف « اللاتينية » مستدلا على ذلك بأن ابن خلدون قام بالسفارة لبنى الأحمر لدى بيدرو باشبيلية وانه كان له بالأندلس روابط جعلته يسافر اليها مرتين ، « وان « اللاتينية » كانت شيئا شائعا بين المثقفين العرب بالأندلس » .

ثم ينتقل الدكتور من هذا الزعم المرجح الى تأكيد هذا الترجيح وذلك أن ابن خلدون حين تحدث فى المقدمة عن كيفية ضبط نطق بعض الفاظ لغة البربر التى وردت فى كتابه فهو اذن يعرف لغات أجنبية ، ثم يستنتج أنه قرأ أورسيوس بعمق شديد وتأثر بالتراث « اللاتينى » ، وبعد أن نسبه الى آبائه الروحيين من « اللاتين » جعله من مفكرى البورجوازية الثائرين الذين تصدوا للاقطاع فهدموه وأنه رسول من رسل القومية وابن شرعى لحركة « الرينسانس » التى ناصرت الفكرة القومية على حساب الثيوقراطية أو الحكومة الدينية .

وقد هذه الآراء الأستاذ عبد الجليل وقدم فى بعض الأحيان نصوصا من ابن خلدون نفسه تؤكد عكس ما ذهب اليه الدكتور لويس .

فاعتبار الدكتور أن ابن خلدون كان سفيرا لبلاده لدى بيدرو يستلزم معرفته للغة اللاتينية يرده ما ذكره ابن خلدون فى سيرته حين تحدث عن رحلته الدبلوماسية من قوله « ومررت فى طريقى اليه ببيت لحم ، وهو بناء عظيم على موضع ميلاد المسيح ، شيدت القياصرة عليه بناء بسماطين من العمد والصخور ... مرقوما على رءوسها صور ملوك القياصرة وتواريخ دولتهم ، ميسرة لمن يبتغى تحقيق نقلها من العارفين لأوضاعها » فالراجح من هذا التعبير أن هذه اللغة لم تكن ميسرة له بل هى ميسرة فقط للعارفين بأوضاعها ، ويرجع هذا ترجيحا مؤكدا أن هناك من كان يترجم له .

وقد تحدث ابن خلدون فى هذه الرحلة عن نفسه وعن الطبيب اليهودى « ابن زرزر » أكثر مما تحدث عن « بيدرو » مما يدل على أن الذى كان يقوم بالترجمة هو « ابن زرزر » الذى أثنى على ابن خلدون عند « بيدرو » وأن ما استنتجه لويس من أنه لم يكن فى حاجة الى من يترجم له لا يؤيده دليل ولا يقوم عليه برهان .

وينتقل الباحث كذلك الى دحض رأى لويس القائل بأن اللاتينية كانت شائعة فى الأندلس مبينا أن الاتجاه الغالب فيها حينذاك كان هو النقل من العرب الى اللاتين وليس العكس » اذ لم يكن المفكرون العرب فى حاجة الى تعلم اللاتينية حتى يزيدوا من ثقافتهم .

وهكذا فان الدكتور لويس لم يترك من الحجج الواهية أو الظنية الا حاول أن يتصيدها ليثبت القضية التى أثارها .

ويمضى الدكتور لويس فى طريقه الذى اختطه لنفسه وكان ما يقوله أصبح أمرا مقطوعا به لا نقض فيه ولا ابرام فهو يقول « لم يبق الا أن ندرس ماذا أخذ ابن خلدون من ثقافة اللاتين ثم ماذا أعطى ابن خلدون ثقافة اللاتين » (ص ٣٠) .

عند هذه النقطة يتحدث لويس عن أورسيوس ومعرفة العرب له وأن ابن خلدون قد قرأه بعمق شديد ، وهنا يتساءل الاستاذ عبد الجليل من هو أورسيوس هذا ومكانته بين المؤرخين ؟ انه مؤرخ ذو سمعة سيئة تنسب اليه لويس ما أسماه بنظريات أورسيوس الهامة ، فهو صاحب نظرية القصاص الالهى ونظرية الحق الالهى ونظرية الجامعة المسيحية .

وقد رد الأستاذ عبد الجليل حسن على ذلك بأن أحدا من المؤرخين لم يزعم ان ابن خلدون قد تأثر فى فلسفته للتاريخ بأورسيوس فتوينبى مثلا فى الجزء الثالث من دراسته للتاريخ عند حديثه عن ابن خلدون « لم يدرك تأثره بأورسيوس الذى طلع علينا به الدكتور لويس وأنه لم ير فى المقدمة تأثره بأحد من المفكرين قبله على أنه لو وجد أحد منهم فلن يكون أورسيوس بأية حال من الأحوال .

وبعد أن يمضى الأستاذ عبد الجليل داحضا كثيرا من مزاعم لويس كزعمه بأن ابن خلدون أخذ بنظرية الدورات التاريخية ومن أنه كان منتسبا لحركة الرينسانس وأن المجتمع العربى كان يأخذ بنظرية الحق الالهى فانه ينتهى من بحثه بملاحظة عامة هى أن الدكتور لويس « يلجأ الى تقرير أنصاف الحقائق ويستنبط منها نتائج كاملة وينحو فى معظم تعبيراته الى التعبير غير الدقيق والتعبيرات الموهمة فى معظم الأحيان ، وهذا النوع من التعبيرات غير المحددة يثير ضبابا ودخانا يستر الحقيقة » .

● تطور الشعر اليمنى

كان للشاعر على أحمد باكثير أثناء نشأته بحضرموت أثر كبير فى تطوير الشعر اليمنى فقد كان الشعر فى أوائل هذا القرن امتدادا للعصر الذى سبقه من حيث التمسك بالنسق العمودى الموروث والكلف بالبديع وكانت الصور الشعرية المخزونة فى ذهن الشاعر عربية قديمة .

وقد بين الشاعر « علال ناجى » فى مجلة الاداب أن الشعر اليمنى مدين فى تطوره لمسرحية « همام أو فى عاصمة الأحقاف » التى ألفها « باكثير » ١٩٣٤ فقد كانت أهمية هذه المسرحية أنها « جسدت للمرة الأولى الوحدة العضوية فى عمل شعرى متكامل » كما أن ظهور مجلة « الحكمة » اليمنية كان حافزا

لشعراء اليمن الشبان على ان يلتفوا حولها وان يخلصوا الشعر مما يعوقه من القيود اللفظية. ويرد الباحث على من يظنون ان الشعر المرسل المنطلق قد نشأ في العراق مبينا أنه قد ولد في اليمن واول من ابتكره هو الشاعر المجدد «باكثير» حين قام بتعريب رائعة شكسبير « روميو وجولييت » عام ١٩٣٧ ويستدل من ذلك على أن باكثير قد سبق كلا من السياب والسيدة نازك الملائكة بعشرة أعوام في كتابه أشعارهما المرسلة المنطلقة ويبين الباحث انه قبل ثورة سنة ١٩٤٨ كانت الموسيقى الشعرية تتسم «بوحدة الوزن والايقاع والقافية وبعد انتكاس هذه الثورة وجد شعراء يمنيون مثل لطفي جعفر أمان . ومحمد عبده غانم تأثروا بالشعر الغربي وتسلحوا بثقافة الغرب ، فظهرت معالم التجديد في أشعارهم ويضيف الأستاذ « ناجي » أن أغلب من كتبوا الشعر المرسل المنطلق مازالوا يمارسون التجارب العمودية مما يؤكد ان النوعين من الشعر في رأى هلال ناجي يمكن أن يتعايشا سلميا معا .

● ام كلثوم .. وجائزة نوبل :

ويتناول الدكتور يوسف ادريس في مجله الكاتب موضوع رفض سارتر لجائزة نوبل ، فيذكر أن هناك أسبابا شخصية وموضوعية دعت سارتر الى هذا الرفض . فقد رفض دائما جميع الامتيازات الرسمية لأنها في نظره تعرض قراءه لنوع من الضغط الذي لا يرضاه ، كما أنه في الوقت نفسه « لايحمل أي نقد ضد أولئك الذين أنعم عليهم بالجائزة من قبل » .

ومن الناحية الموضوعية فان عواطفه « تتجه بلا انكار الى الاشتراكية . والى ما يسمى بالكتلة الشرقية » . ولهذا فهو في وضع يسمح له بالتعاون مع كل الذين يريدون التقريب بين الثقافتين الشرقية والغربية .

ويقول الدكتور ادريس أنه مع سارتر في رأيه الاخير ، وان كان يرى أن هذا لايمنعه من قبول الجائزة ، اذ هي تؤكد للناس جميعا أنه وهو الحاصل على الجوائز الغربية يؤمن بكل قواه أن الاشتراكية هي المنتصرة .

ويبين الدكتور ادريس أن مشكلة الرفض سارترية وجودية ، مهما حاول سارتر أن يلتمس لموقفه الرافض الحجج والاعذار .

ويضيف الدكتور الى ذلك قائلا : « ومخطىء من يعتقد أن اى كاتب أو أى انسان بشكل عام ممكن ان يرفض سماع أو قراءة أى تقريظ له ولأعماله مهما بلغ من المكانة والشهرة » . ويضرب لذلك مثلا بأنه قابل السيدة أم كلثوم بعد حفلة من حفلاتها . وأثناء حديثه معها نقل لها احساسه الخاص بالطريقة التى ادت بها احدى أغنيات تلك الحفلة وأنه قال لها : ان معايشتها للأغنية وموسيقاها كانت كاملة ومرهفة الى الدرجة التى جعلته يحس بأنها كانت تغنى له وحده .

ثم يقول الدكتور « وفوجئت بها سعيدة بكلماتى سعادة واضحة وكأنها المرة الاولى التى تسمع فيها اعجابا بفنها وأدائها » .

ومهما يكن من أمر فانه لا داعى لان يربط الدكتور بين موضوع سارتر ورفض الجائزة وبين ثنائه على أم كلثوم وسرور أم كلثوم من هذا الثناء وان الانتقال الى أم كلثوم بهذه الطريقة ليس الا استطرادا « ويحبحة » في الكلام .

***

والمعروف ان سارتر لم يكن أول من رفض جائزة نوبل ، فقد سبقه الى ذلك الاديب الروسى « موريس بسترناك » الذى اعتذر عن قبولها ليدفع الضجة السياسية التى رافقت منحها .

ويشرح الاستاذ عمر الديراوى فى مجلة العلوم الاسباب التى من أجلها رفض بسترناك هذه الجائزة وهى ان كتابه « دكتور جيفاغو » الذى نال عليه الجائزة اعتبره كتاب روسيا انحرافا منه فى تأليفه وغمطا لواجب الشعب والارض الروسية عليه وتشويها للحقائق الراهنة التى لايمارى فيها أحد حتى الخصوم . على حين هلل له الكتاب فى الغرب حتى منحه مجلس جائزة « نوبل » فى السويد جائزة عن هذا الكتاب ولما كانت هذه الضجة أفقدت الجائزة قيمتها جعلته يعتذر عن قبولها حتى لايكون الادب مجالا للتشهير السياسى بين اصحاب هذا المذهب أو ذاك .

محمد العواني



فى الذكرى الأولى لوفاة الشيخ محمود شلتوت

عبد المنعم البحقيرى

فى ذكرى وفاته الأولى ٠٠ أتذكر أعماله الخالدة : أتذكر جهاده من أجل رفعة شأن الدين القويم : فهو الذى أدخل اللغات الأجنبية ضمن مناهج الدراسة كما أنشأ معهد الاعداد والتوجيه وأدخل فقه الشيعة فى مناهج الدراسة الى جانب فقه المذاهب الأربعة للتقريب بين جماعات المسلمين ٠

ولم ينقطع الرجل يوما عن تقديم جلائل الأعمال والمؤلفات مثل :

المسئولية المدنية والاجتماعية والجنائية ، منهج القرآن فى بناء المجتمع ، الاسلام عقيدة وشريعة ، الفتاوى ، من توجيهات الاسلام ، القتال فى الاسلام، تنظيم العلاقات الدولية فى الاسلام وغير ذلك من المؤلفات الاسلامية الهامة والمقالات التى شارك بتقديمها للصحف ٠

وهو هنا يناشد المسلمين فى جميع بلادهم كى يعملوا على جمع كلمتهم ليردوا كيد أعدائهم ٠

لقد يئس الاستعمار أن يبقى فى بلادكم فأشعل نار العداوة والكراهية بينكم وبث بذور التفرقة والبغضاء بين صفوفكم فلا توالوا عدو الله وعدوكم وتعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم وليكن بأسكم على أعدائكم ولا تمكنوهم من رقابكم واذكروا أن قوتكم فى توحدكم وأن عزتكم فى تجمعكم واذكروا تربص الأعداء بكم وتداعى الأمم عليكم ٠

وهو هنا يدعونا الى علاج الفرد أولا وبعلاج الفرد نضمن سلامة المجتمع فيقول :

هل يمكن بقاء مجتمع صالح دون اعداد اللبنات التى يبنى فيها هذا المجتمع ؟ فليتجه الاصلاح أولا الى الفرد فالفرد الصالح هو أساس المجتمع الصالح ٠٠ وسعادة الفرد سعادة للمجتمع وصلاح المجتمع من صلاح الفرد وشقاؤه من شقائه وفساده من فساده فهما متفاعلان ومن هنا كانت العناية بتربية الفرد تربية قويمة يقوم عليها المجتمع الفاضل على أساس من تعاليم الاسلام ٠

٠٠ فهل يأتى اليوم الذى تعيد فيه الدولة طبع مؤلفاته ؟

هذا رجاء نوجهه للدكتور عبد القادر حاتم ٠

شعراء الرفض

للشاعر : محمود شاور ربيع

علام الرفض للخلق الكريم
وللأديان ، والذكر الحكيم ؟!
تركتم شرعة لله تهدى
وسرتم خلف شيطان رجيم
وقارفتم من الآثام نكرا
وعشتم فى الضلالة والغيوم

تنكرتم لأجداد كرام
وللأمجاد ، والحسب القديم
فلا العرب الأماجد في عداد
من الأجداد والشرف المروم
ولا اللغة الفصيحة من لسان
كأن الضاد أعيت عن علوم
« اديتوس » وآلهة قدامى
وتمجيد لمقبر الرسوم
كأن الأرض ما طلعت علينا
بنور الحق والنصر العظيم
ولو كنتم على حق وهدى
لسرتم في الصراط المستقيم

دور الشعر في التمهيد للاشتراكية

عبد الخالق عبد الرحمن ـ بغداد

تحت هذا العنوان كتب الاستاذ اسماعيل الصيفي مقالة في العدد ١٠٨٣ من مجلة الرسالة الزاهرة وقد تطرق في حديثه عن شعر الأستاذ محمود حسن اسماعيل في ديوانه (أغاني الكوخ) .

ويقابل الأستاذ محمود حسن اسماعيل عندنا في العراق من ناحية التمهيد للاشتراكية الاستاذ الشاعر أنور خليل ، فقد ثبت في ديوانه (من أصداء المعترك) المطبوع في بغداد عام ١٩٥٢ ، وان لم يصل شاعرنا أنور الى مستوى شعر الاستاذ اسماعيل ، الا أنه قد أجاد اجادة بلغت درجة رفيعة من النضوج الشعري في قصيدته : (صرخة عميقة من أكواخ الجنوب)، ولعل السبب في اجادته يعزى الى احتكاك الشاعر خليل بالفلاحين لأنه قضى أكثر من ربع قرن في مدينة (العمارة) النائية القريبة من الأهوار وكان يرى الفلاحين وهم يعيشون في بؤسهم القاتل وذلهم المشين .

يقول في مطلع قصيدته هذه :

ليس لي دار تقيني
قسوة البرد واهوال الشتاء
غير كوخ مستكين
مبتني من قصب بئس البناء

ومن ثم يصف كوخ الفلاح المعتم الذي لا اثر للنور فيه بينما قصور الأغنياء من الموسرين الذين يمتصون دماء الشعب قد غرقت في ثريات الكهرباء المتلالئة فيقول :

ومن الزيت ضيائي
بل وكم قد بت من دون ضياء
وقصور الأغنياء
غرقت في فيض نور الكهرباء
هم يمصون دمائي
وطريدا ينبذوني في العراء
فاذا صحت بهم قالوا : أساء

ومن ثم يصف لنا الشاعر أنور كيف أن البرد قد الم بالفلاح وهيج اشجانه ، ويبدع في الوصف فيصور الفلاح الذي ترتعد فرائصه ويهتز من ألمه كالطير الذبيح، وهو يقطع ليل الشتاء الطويل ببرده القارس ينتظر الصباح عسى أن يجد في الشمس دفئا يريحه مما الم به من ألم ، وما اعتوره من برد، وما أصابه من شجن ، ومن ثم يلعن الدهر الذي حرمه ما يتيح للآخرين من دفء الذين يرفلون بالثياب الصوفية وتكون غرفهم عامرة بالزرابي المبثوثة ، بينما هو بأسماله البالية التي لا يمكنها ان تقيه لذع البرد الشديد فيقول :

نكا البرد جراحي
وأنا اهتز كالطير الذبيح
أين يا ليل صباحي
ربما في شمسه دفء يريح
آه من دهر وقاح
لم يزل يحرمني مما يتيح .
كيف اسمالي تقي البرد الكليح

وقد كان لثورة ٢٣ يوليو التي اججها الرئيس جمال عبد الناصر وصحبه من الضباط الأخيار الأحرار اثرها في العراق وان ديوان (من اصداء المعترك) طبع بعد ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢، ونرى الشاعر العراقي تأثر شعره باحداث هذه الثورة الكبرى فراح يتحدى الفئات الحاكمة وقتئذ قائلا :

نحن في عصر العدالة
أم عصور الظلمات الغاشمة
فالى كم في الضلالة
تتهادى كالسوام الهائمة

فلقــد اذكى نضــاله
كل شــعب يتحــدى ظالمــه
فالى كم روح شعبى نائمة ؟

هذه نظرة خاطفة فى ديوان الشــاعر أنور خليل الذى لعب دورا مهما فى شعره للتمهيد للاشتراكية وفى ديوانه قصــائد أخرى يضيق بنــا المجــال عن استعراضها فى مثل هذه العجالة .

ردود قصيرة :

● وصلت للمجلة ردود كثيرة خاصة بالمقال الذى كتبه عبد الحميد ابراهيم محمد عن القصص القرآنى فى مقدمتهــا أبحاث للأســاتذة اســماعيل كوكب ومحمد الصغير ابراهيم موسى ، وفــوزى عــرفه وعبد اللطيف عبد الصادق محمد ، وقد رأت المجلة الاكتفاء بنشر مقال الأستاذ على العمارى بهذا العدد، فقد أحاط بالموضوع احاطة تامة من كافة نواحيه .

● كما تلقت المجلة عديدا من الكلمات بمناسبة الاسراء والمعراج والمجــلة تهنىء المســلمين فى كافة اقطار العالم بهذه المناسبة المضيئة .

● وتلقت المجــلة عــددا من المقــالات بمناسبة الذكرى الأولى لوفاة الشيخ محمود شلتوت .

● الاستاذ حلمى محمــد القاعود .. الرســالة تشكرك على كلماتك الطيبة ، وتقدر الكلمات التى ترسلها اليها ، اما الشاعر الذى طلبت منه ديوانه فهو نفسه يطلب نسخة منه لنفاده ، وهو يعد بمجرد حصوله على نسخة أن يرسلها على عنوانك .

مع الشعراء :

تلقت المجلة عددا كبيرا من القصــائد تعتبر فى مقدمتها قصيدة شاعر مغترب للشاعر احمد ابو المجد عيسى .

وفى محراب الجمال ويهديها الشاعر عدنان اسعد الى الاستاذ الشاعر على الجندى ، ويارب للشــاعر معوض عوض ابراهيم ، ونداء للشاعر عبد الفتاح لبراوى .

الثلاثاء القادم .. وكل ثلاثاء

« اقرأ فى مجلة الثقافة »

● كيف يتصرف الوارث فى ميراثه	محمد فريد أبو حديد
● امارات الخليج العربى	د . سيد نوفل
● شعراء الرفض .	عبده بدوى
● شيكسبير والرومنطيقية فى أوربا فى القرن التاسع عشر	محمد اسماعيل محمد
● ملحمة الجلاء	عرض سعد الدين الجيزاوى
● ثورة كرامة « قصة أنطون تشيكوف »	ترجمة فتحى أبو رقيعة
● جان دارك	ترجمة عامر عبد الوهاب عامر
● مكتبة الثقافة	عامر محمد بحيرى
● فنون تشكيلية	سعد الخادم ـ د . محمود البسيونى
● المجلات العربية	مصطفى فوده مصطفى
● جولة الثقافة	فؤاد محمد نور
● بين الثقافة والقراء	حسن جلال

السراب

قصة بقلم : عبد المنعم شلبي

انحنى تحت الحنفية وهو يتثاءب ، ثم راح يصب الماء على راسه متلذذا بانثياله خلال شعره اللزج ، وانسرابه في نعومة رطبة الى اذنيه وصدغيه وجبهته وانفه وعينيه . وانثالت معه خواطر حالمة تتخلل تلافيف مخه فتنعشها وتوقظها من خدر النوم الثقيل . وتزيل عن بدنه خمول الراحة التى لا يذوق طعمها الا فى مثل هذا اليوم من كل اسبوع . هذا اليوم الذى يتوق اليه بكل اعصابه المرهقة . ليقضى نصف نهاره نائما ، يتقلب فى فراشه غير الوثير ويجتر ذكرياته التى لا تسر . والتى تترسب فى اعماقه عن الزبائن والبدل البقعة ، والقمصان المكرمشة ، ونرفزة الافندية والبهوات التى لا مبرر لها : يا اسطى حنفى البدلة عندك من اربعة ايام .. هل انت طرزى ؟ يا اسطى حنفى اياك ونقط الحبر .. فتح عينيك عليها تماما .. وهل انا الذى اسقطتها على بدلتك ؟ يا اسطى حنفى جهز البدلة بعد نصف ساعة ، انا عندى مشوار مهم . وعند دفع الأجر : ارجع مرة ثانية لا توجد فكة .. الصبى الملعون يذهب للزبون ويرجع بعد ساعتين .. امور تجنن .. المكوة حامية ، القميص اصفر ، اغسله واكوه مرة ثانية .. يا عالم ؟ هل انا عبد عندكم حتى نبيـــل زميل المدرســة ، نسى الزمالة والجلوس على تختة واحدة فى ، ثانية رابع ولم يعد يتذكر الا انه نبيل المهندس المعمارى، وانا الاسطى حنفى الكوجى ! يا اخى لو كان ابوك هو الذى مات وانت تلميذ ، هل كنت تصبح مهندسا ؟ .. والآن كل ما يتذكره من عهد الزمالة ، هو ان يأتى بدافع الشفقة وحدها ليقذف بالبدلة الملبثة بالتراب والعرق وذاذ الاسمنت ثم يأمر الاسطى حنفى ان ينظفها ويكويها حالا وفى اسرع وقت ! حاضر ياسى نبيل .. حاضر يا باشمهندس .. على عينى وراسى .

رفع راسه من تحت الحنفية وهو يشعر بان الماء البارد قد ازال عن ذهنه غبــار الافكار الثقيلة التى تتكاثف عليه كل يوم وكل ليلة، وبدات تحل محلها افكار اخرى اكثر جاذبيه واقرب ما تكون الى الحلم الجميل ، الذى يشعر بالسعادة والبهجة والاقبال على الحياة هل نبيل احسن منى ؟ هل خلق نبيل ليتالق باحسن بدلة ويجر فى يده بنتا حلوة ، بينما خلق حنفى ليكوى وينظف الملابس ويتحمــل سخافاته وسخافات امثاله ؟ من يصدق هذا ؟ حنفى ايضا يستطيع ان يحب وان يتعـلم حتى يصبح مهندسا وان يؤدى خير الادوار فى الحياة ، كما يستطيع ان يلبس احسن بدلة ويمشى مع اجمل بنت مثل المهندس نبيـل تماما . ثم اخذ يجفف شعره ووجهه سائرا الى حجرته بخطوات ثقيلة ، وتابع خواطره .. ليته يرانى اليوم ، بعد ساعة ساكون مع احلام ، بنت اجمل من الجمال . ما ابدع نظرتها ! كلها سحر ، وجهها .. لفتتها .. تسريحة شعرها .. صدرها .. قوامها .. كلها من فوق لتحت ، فتنة ماشية على الارض، وانا ماشى جنبها ، يدها فى يدى . سنلتقى اليوم فى احسن مكان . هناك على الكازينو ، مع البهوات والافندية ، تحت الشمسية ، على شاطىء النيل ، كل شىء يضحك لنا ، النسيم يهفهف علينا .. الجرسون ينحنى امامنا كما ينحنى للعظماء : طلباتك يا سعادة البيه ؟.. نعم يا مدموازيل ؟ حاضر يافندم . انصرف يا جرسون .. دعنى اتمتع باحلامى مثـل الباشمهندس نبيل ، مثل كل البهوات .. انا مخلوق ادمى مثلهم تماما ، من حقى ان اتمتع بالحياة وبالحب .

جر القميص من فوق السرير ، تامله قليلا: لا داعى للتامل ، ليكن ما يكون ، سوف يصبح عديم القيمة بعد ان اصل الى الدكان ، اليوم على الاقل ، اين البنطلون ؟ .. هناك ؟ .. لا باس ، بنطلون البيجاما يكفى ، كلهــا خطوات ثم يتوارى هناك .

امسك بالمشط لرجل شعره فسمع صوتا ضعيفا يناديه :

– حنــفى ! .. انت نازل ؟ نفسى فى بطيخة !

اوه .. نعم .. امى المريضة نفســها فى بطيخة ! هذا كل املها ، يا لك من مسكينة ! لماذا كتب عليك الشقاء ؟ لم كنت اما لمكوجى؟ ولم تكونى اما للباشمهندس نبيل ؟ ..

– ريقى ناشف يابنى !

اوه .. نعم ، امى ريقها ناشف ! .. وسيظل دائما كذلك ، ما دامت مريضة ! هل تكفى بطيخــة واحدة لتجعــل ريقها يجرى دائما ؟ ..

المرض هو سر الجفاف ! ولكى تروى ينبغى ان تشفى من مرضها ! هذا هو الامر .

– حاضر يا امى ..

جــرى الى الشــارع ثم عاد بالبطيخـة ، وتحسس جيوبه .. لا باس ، هناك ما يكفى لدفع الحساب ، ثم غادر البيت قبــل ان تنبت فى نفس المريضة رغبة اخرى ، فالرغبات هنا تنبت بطريقة شيطانية ، وعندئذ تصبح ضرورة حتمية لا يستطيع الفكاك منها ، تماما مثل رغبته فى لقاء احلام والجلوس معها على الكازينو مهما كان الثمن .

دفع باب الدكان بقدمه . انفتح عن خندق مستطيل تفوح منه رائحة البنزين والبطاس والعرق . على الحائط امتد طابور غير متجانس من الافندية والبهوات ، الوان واحجام مختلفة يستطيع ان يميز كل شخص بحجمه وذوقه ، وعمله كذلك ..

محمد افندى .. مدرس . طويل نحيل ، غبار الطباشير يتراكم دائما على كتفيه كعمال البياض . متواضع يكتفى بالصوف الرخيص . كئيب يختار اللون القاتم ، سترته بثلاثة زراير صفين . الدكتور وصفى .. شاب انيق جدا ، تفصيلته امريكانى ، تفوح منه رائحة الليزول والمايكروكروم . الاستاذ محمود ..

معام . جيب سترته منتفخ دائما ومتكسر ، لكثرة ما يحشوه بالأوراق . الكتف اليمنى هابطة الى اسفل اكثر من اليسرى ، طبعا لكثرة جلوسه على المكتب واستعماله اليد اليمنى في الكتابة . نبيل .. مهندس معمارى .. اه نعم يا باشمهندس نبيل ، يا زميل الدراسة ، يا من كنت اعلمك كيف تبرى القلم . بدلتك من الصوف الانجليزى الغالى ، كانت تفوح منها رائحة الاسمنت . والبقع طبعا كنت تشرف على خلط الاسمنت بالرمل التى كانت عليها لا شك انها من اثر المونة ، بالزلط . وكنت تصرخ فى العمال حتى لا يتهاونوا ، اراهن انهم تعمدوا اغراقك برذاذ المونة ، لكنها الآن صارت نظيفة كما تحب . هيا تفضل وخدها ؟ .. اياك والعصبية لا ترفع صوتك فى وجهى .

وقع بصره آخر الامر على بنطلون ملقى على كرسى بجوار تندة الشغل ، فرفعه باصبعه الى اعلا ثم تامله باشمئزاز وفى عصبية قذفه الى الارض وهمهم : هذا هو الاسطى حنفى.. النفاية الأخيرة . ومن جديد راح يتامل الطابور الممتد عبر الحائط ، ثم سائل نفسه : ترى من اكون اليوم ؟ مدرس ؟ دكتور ؟ معام ؟ .. ثم ضرب جبهته بكفه كمن تذكر شيئا : احلام تعرفنى باسم نبيل .. لم لا اكون نبيل اسما وشكلا ؟ .. بدلته تناسبنى تماما . تعال يا باشمهندس .. تعال نتبادل الملابس . الم نكن نتبادل الأقلام ؟ واوراق النشاف ؟ وقطع الألوان ؟ والحبر ايضا ؟ .. دعنى اذن البس بدلتك . ساعة واحدة . او ساعتين على الأكثر . وان شئت فالبس بنطلونى وقميصى . وان شئت ايضا فتفضل بالوقوف الى التندة والانشغال بالمكواة مثلى . سوف تحس بلسعها فى يديك ، ستصعد حرارتها الى وجهك وتحرق اهداب عينيك . وتجعل من جفنيك جزرة حمراء ، وسوف تصيب راسك بالدوار . تعال جرب .. ساقف على الباب واصرخ فيك : البدلة يا اسطى حنفى .. خد بالك منها . ابعتها حالا . بعد خمس دقائق .. عيه ؟ وسوف تقول لى بانكسار : حاضر ياسعادة البيه . بعد دقيقة واحدة . هل فى ذلك من غرابة يا باشمهندس ؟ كلا .. الامر اسهل مما تتصور . تخيل ان اباك انت هو الذى مات وانت تلميذ صغير ، ولم تجد من ينفق عليك وعلى امك المريضة ثم وجدت نفسك تقوم بنفس العمل الذى اقوم به الآن .. عندئذ تفهم كل شئ . وتجيد الصنعة تماما .. هيا تقدم يا باشمهندس ؟ .

ثم جذب نبيل من فوق الحائط . واخذ يرتدى القميص ثم البنطلون ثم الجاكت .. واطل فى زجاج النافذة فراى ان نبيل قد اكتمل تماما ولم يعد ينقصه الا ان يعدل رباط العنق وتسريحة الشعر . فاكمل هذا النقص بهمة فائقة . ثم خرج الى الشارع بعد ان ثبت القفل فى باب الدكان .

الشارع ضيق مترب ، ولكنه يضج بصراخ الاطفال الذين يلعبون الكرة ، وشئ غريب لفت نظر الاسطى : الأولاد يسمون انفسهم باسماء نجوم الكرة . ينادى بعضهم بعضا : باصى يا ابو حباجة . اجر يا شحته . انا هنا يا طه . هات يابو سريع .. همس ..

همس الأسطى لنفسه : انهم على حق .. اليس الكل يلعبون الكرة ؟ لماذا يكون الآخرون نجوما وحدهم ؟ ثم تابع سيره . ارتفعت الكرة فى الفضاء وطارت بعيدا حتى ارتطمت بظهره . فالتفت حانقا وحدج الأولاد بنظرة ساخطة . ضحك بعضهم بينما قال واحد منهم ـ وهو الذى قذف الكرة ـ اسف يا اسطى حنفى ! غصب عنى والله ! فاشتد الحنق بالاسطى واراد ان يضرب الولد ؟ ولكنه تراجع حفظا لكرامة نبيل ، وسار فى طريقه . توقف ثانية وخلع السترة ليزيل عنها اثار الكرة . وقال فى نفسه : ما زال الأولاد يدعوننى باسم الاسطى حنفى ! هل اعود اليهم وافهمهم ان الاسطى حنفى رالـد هناك فى الدكان ؟ وان الذى يسير امامهم الآن هو الباشمهندس نبيل ؟ هل اقول لهم : اذا كنتم لا تعترفون باننى نبيل فانا ايضا لا اعترف بانكم نجوم الكرة ؟ .. ولكنهم يلعبون الكرة فعلا مثل النجوم تماما .. وانا ؟ هل فى قدرتى ان اقوم بعمل المهندس؟ .. لا .. لا .. هذه مسالة اخرى .. هل فى مشيتى او فى هيئتى ما يوحى باننى مكوجى ؟ ولست مهندسا ؟

وبعد ان نفض السترة دخل فيها من جديد وشد قامته ، ورتب خطواته حتى يبدو مثل نبيل تماما .. ولكنه لايدرى لماذا تملكه احساس غريب بان البدلة اكبر منه ؟

وخيل اليه ان البنطلون يتراخى الى اسفل حتى يكاد يسقط من خاصرته . فشده الى وسطه وكور القميص فى جانبيه ونفخ بطنه ، ثم لوم نفسه لانه لم يستعمل الحزام ..

ثم عاد فاستدرك بان نبيل لايشد وسطه بحزام . وحين دخل الكازينو كان ما يزال فى نقاش مع نفسه حول ما اذا كان يبدو مثل نبيل تماما ؟ .. رفع ذيل السترة ثم ادخل يده اليمنى فى جيب البنطلون فاصطدمت بالقروش الباقية . فقطب حاجبيه مستاء : هل نبيل يحمل فى جيبه مثل هذا المبلغ الزهيد ؟ .. لعن الله البطيخ ! لو لم تكن ام حنفى مريضة ...لما جف ريقها . هل امك يانبيل مريضة مثل ام حنفى؟ وحتى لو مرضت ام نبيل هل كانت نقوده تتاثر بشراء بطيخه؟.

تحت الشمسية المعهودة كانت احلام تنتظره بشوق جارف ، ولكنه حين سلم عليها كان مايزال مقطب الجبين دون ان يدرى ، فتساءلت بضيق :

ـ مالك ياسى نبيل ؟

وافترت شفتاه عن ابتسامة خجل وفكر .. انت مخدوعة . ثم بنظرة فاحصة :

ـ فستانك جميل ..

ـ لبسته من اجلك ..

هى الأخرى تخدعنى ؟ .. لعل فستانها مستعار ! .. هل اسمها احلام حقيقة ؟

ـ لم اره فيه من قبل ؟

ـ بدلتك ايضا جديدة ؟ .. ورباط العنق فى غاية الروعة !

الماكرة ! . هل سمعت نجوم الكرة فى شارعنا وهم يتاسفون للاسطى حنفى ؟ . قال هامسا :

ـ فى عينيك نظرات غريبة !

كانت تنظر الى النيل متوثبة لنزهة ، فتوسلت :

ـ الا ترى النيل ؟ والمراكب الشراعية ؟ والمجاديف ؟

آه..تريد ان تنعم بالسعادة على حسابى : .. ولكنها لن تفوز بشئ .. ام حنفى مريضة فى البيت ، وملابس الزبائن تنتظر فى الدكان ، والجيب خاو الا من ثمن المشروب.

اردف بلهجة جادة :

ـ كلها اشياء زائفة !

نظرت فى وجهه مرتابة :

ـ هل انت شيخ فى مسجد ؟

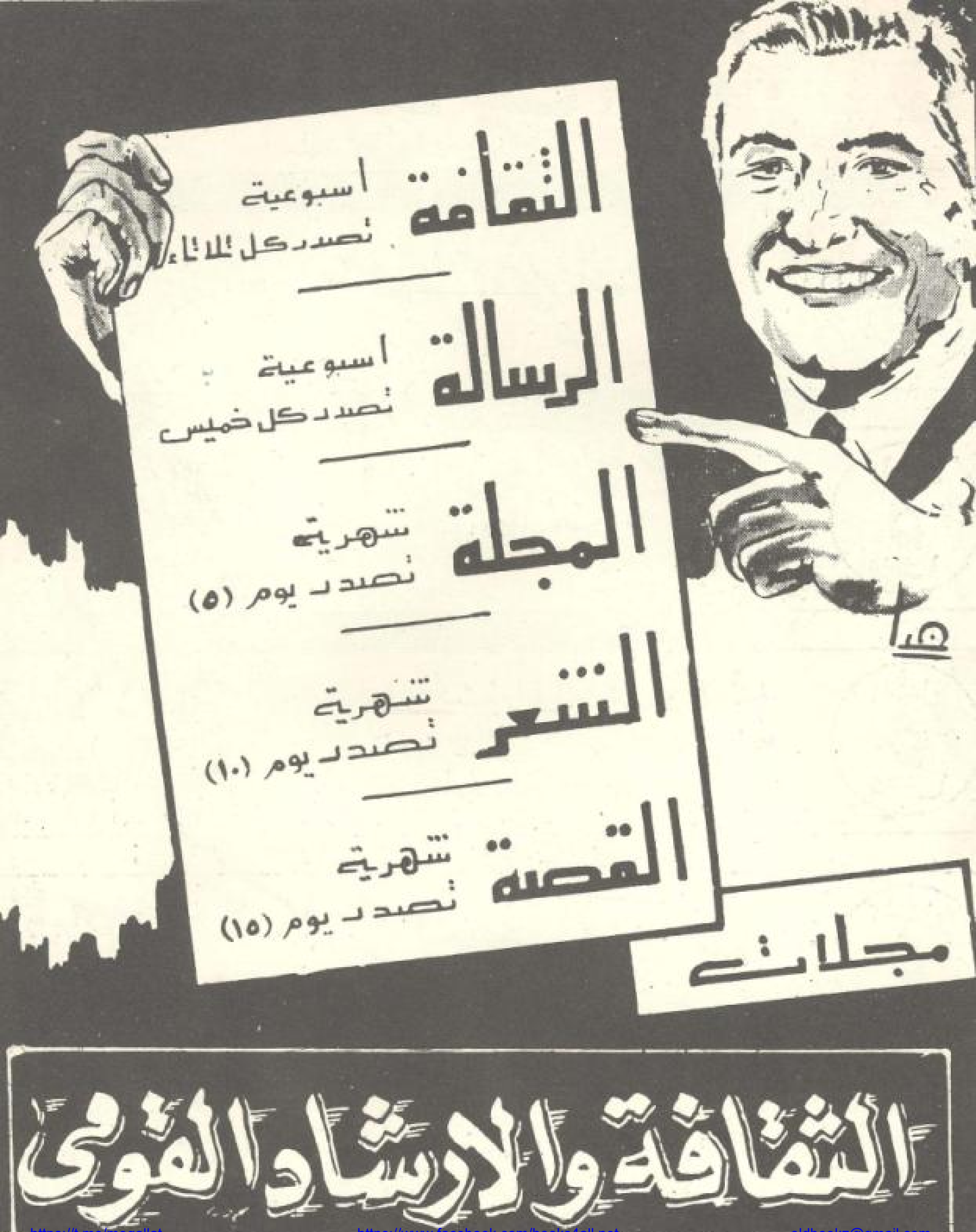
ـ انا متوعك ...

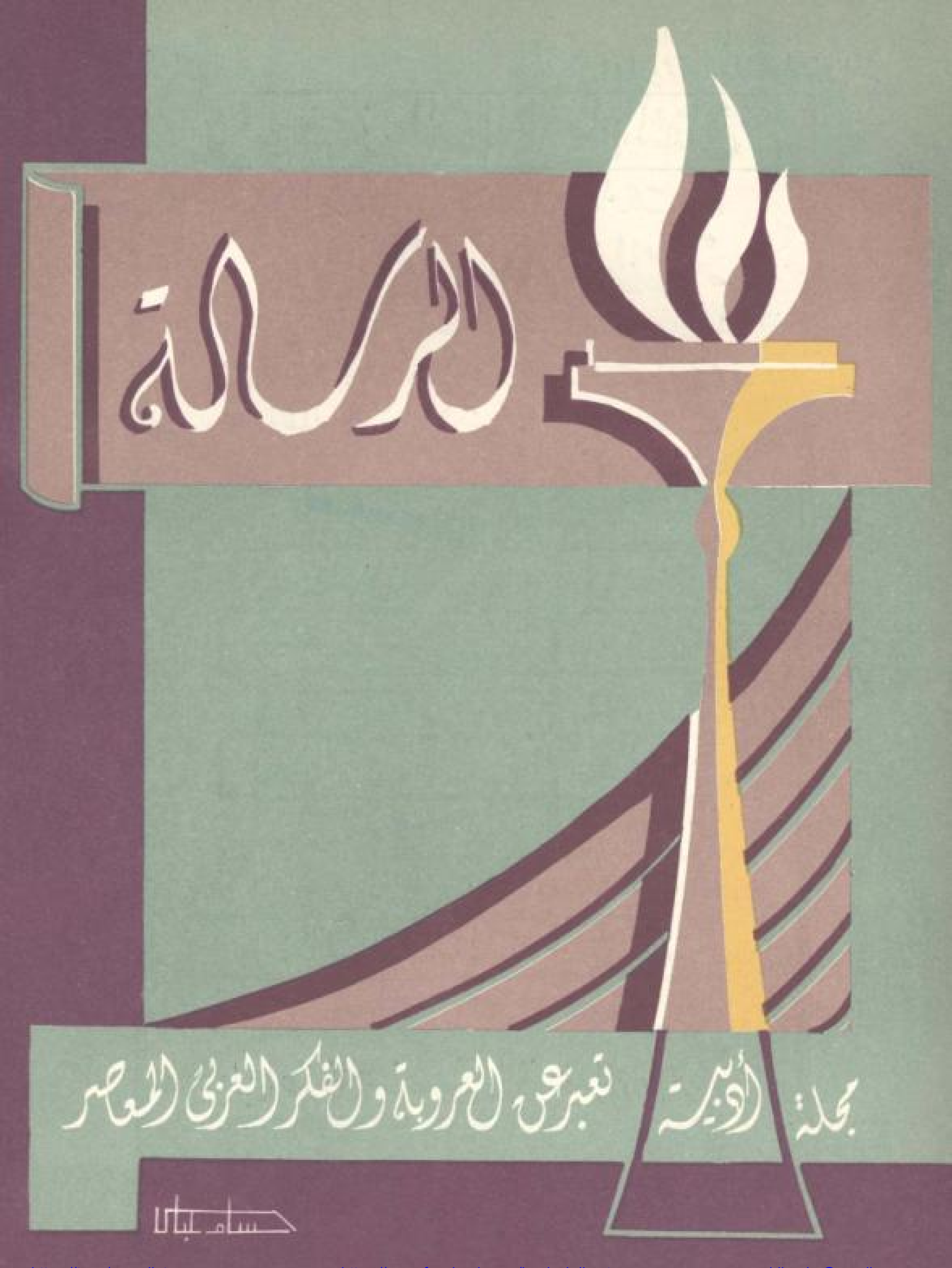
ـ انت غريب الأطوار !

ـ لم نات هنا للمشاجرة .

وانفلت خارجا من الكازينو ، غير ملتفت لنظراتها المذعورة .. نجوم الكرة ما زالوا يلعبون فى الشارع . تسلل بجوار الحائط حتى دخل الدكان فخلع نبيل وعلقه فى مكانه من الطابور ثم ارتدى بنطلون الاسطى حنفى.

عبد المنعم شلبى


الثقافة
اسبوعية
تصدر كل ثلاثاء
الرسالة
اسبوعية
تصدر كل خميس
المجلة
شهرية
تصدر يوم (٥)
الشعر
شهرية
تصدر يوم (١٠)
القصة
شهرية
تصدر يوم (١٥)
مجلاتى
الثقافة والارشاد القومى


الرسالة
مجلة أدبية تعبر عن العروبة والفكر العربي المعاصر

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

الرسالة

تليفون : ٤٣٧٩٤
٥٣٩٤٠

في هذا العدد

الصفحة

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من
خارج ج.ع.م.
الإدارة :
٢٧ ش عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد - القاهرة .

العدد ١٠٩٢ - الخميس ١٣ شعبان ١٣٨٤ هـ - ١٧ ديسمبر ١٩٦٤ م - السنة الثانية والعشرون

الفلاح في القصة

بقلم : عباس خضر

كان نصيب الفلاح وتصوير شقائه من فن القصة أكثر من نصيبه من الشعر فى حياتنا الأدبية الحديثة او فى الفترة الأولى منها على الأقل ، فبينما نراه لا يظفر من الشعراء فى تلك الفترة حتى سنة ١٩٣٠ الا بنزر يسير من الاهتمام حسب ما حدثنا الأستاذ محمد عبد الغنى حسن فى مقاله بالرسالة (العدد ٦٨) اذ نرى كتاب القصة يتناولونه بشكل أوسع وأعمق ، مع أن فن القصة عندنا كان لا يزال فى المهد صبيا ، وفن الشعر عريق فى أدبنا ومتطور فى الحديث **وهذا يرجع الى أن القصة أقدر من الشعر على تصوير الواقع وتناول مشكلاته ، على أن الشعر له مجالاته الجمالية والشعورية الأخرى التى يبز فيها القصة عند عشاقه ، فلا يغضب اخوتنا الشعراء ..**

***

ولنعد الى الموضوع ، يقول الأستاذ محمد عبدالغنى حسن :

« لعل تصوير شقاء الفلاح وكدحه وحرمانه من ثمرات ما يكدح فيه ، وتحكم ملاك الأرض فى رزقه ورزق أولاده ، ورضاه باليسير من الرزق ، والبلغة من العيش ، وصبره على الهوان الذى ضرب عليه وقدر له — هو من آثار الوعى الاجتماعى النابض فى أوائل القرن الذى نعيش فيه ، فما رأينا فى القرن التاسع عشر ولا القرون التى مضت قبله اهتمام الأدب والشعر بهذه الصورة الانسانية التى تستحق كل اشفاق » .

والواقع أنه كان هناك — فى القرن التاسع عشر — بعض اهتمام من جانب القصة أو من جانب النثر بتعبير أقرب الى الدقة ، فهذا الذى سنذكره كتب دون قصد الى احداث فن قصصى وان جاء فى شكل أقصوصة :

كان ذلك فى سنة ١٨٨١ بالتحديد ، كتبه « **عبدالله نديم** » فى صحيفته « **التنكيت والتبكيت** » . وهو يتمثل فى عدة أقاصيص ، منها أقصوصة « **عربى تفرنج** » تناول فيها فلاحا أرسل ولده الى أوربا لكى يتعلم فيها ، ثم جاء الولد متنكرا لأبيه ووطنه وقيمه ومترفعا على أهله ومواطنيه ، ولعل النديم أول من تناول هذا الموضوع ، ومن أقاصيصه تلك أقصوصة « **الفلاح والمرابى** » وهى تصور استغلال التاجر

المرابى « الخواجة » للفلاح المصرى وحاجته الى الضرورى من المال ، وهذه الأقصوصة تتفق فى موضوعها وهدفها مع القطعة الشعرية التى قال الاستاذ عبد الغنى حسن انها كانت « من الأصوات الشعرية الأولى فى تنبيه الفلاح وتحذيره من المستغلين والمرابين» وهى لمصطفى صادق الرافعى ، قالها سنة ١٩٠٨ ، منها قوله :

يا صاحب الغيط احذر العذابا
من الربا والفقر والخرابا
ان الربا ليس لنا مباحا
هيا الى غيطك سقها : حاحا ..
اياك أن تذكر لى الخواجا
فقد رأيت جارنا الحتاجا
راح اليه ماله وماجا
وباع حتى البط والدجاجا

فاذا جئنا الى أوائل كتابة القصص بطريقة فنية متكاملة ،وجدنا رواية بأكملها عن الفلاح المصرى تظهر سنة ١٩١٢ لمحمد حسين هيكل هى « **زينب** » وان لم يظهر اسمه عليها فى الطبعة الأولى مكتفيا بأنها لمصرى فلاح، وهى وان كانت قصة حب رومانسى بين فتى وفتاة من الريف الا أنها تصور شقاء الفلاح وحرمانه تصويرا واقعيا ، **نرى فى أول لوحة منها صورة أسرة « زينب » الكادحة وهى تستيقظ فى الفجر ، حين قامت زينب « فاوقدت نارا ولدنت فوقها رغيفا لكل منهم (من أهلها) ولم تنس أباها وامها ، دخل أبوها راجعا من الجامع وقد قرأ الورد وصلى الفجر ، وما كاد يتخطى عتبة الدار حتى نادى: يا محمد . وساله ان كان قد استيقظ بعد وان كان قد أعد عمله . جلست العائلة جميعا حول المشنة وأكل كل منهم رغيفه بحصوة ملح ، ثم قام الرجل وابنه الى عملهما » .**

واذا كانت حركة تصوير بؤس الفلاح فى الشعر الحديث لم تتميز الا بعد عام ١٩٣٠ كما أوضح الأستاذ عبد الغنى حسن معقبا بقوله : « فقد مرت السنوات بعد الحرب العالمية الاولى ولم يرتفع صوت بالشكوى من سوء حال الفلاح » .

اذا كان ذلك بالنسبة للشعر فان القصة، والقصة الواقعية بالذات ، كانت أول واحدة منها - عقب الحرب العالمية الأولى - عن الفلاح وهى قصة « فى القطار » لمحمد تيمور ، نشرت فى جريدة « السفور » سنة ١٩١٧ . **تناولت معاملة الاقطاعيين والحكام للفلاح ، التى كانت تقوم على أخذه بالكرباج وانه لا يصلح الا بهذا . والقصة تثور على ذلك وترى بطريقتها الفنية فساد تلك النظرة ، وتدعو الى تعليمه وترقيته .**

ثم تتسع الحركة، حركة تصوير الفلاح فى القصص، فنرى قصة قصيرة منشورة فى مجلة « لفتاة الشرق » للدكتور « منصور فهمى » بعنوان « ابن الحاج نصر » ترسم لنا شخصية من شخصيات الريف ، تبدأ القصة هكذا :

« **أنا ذا ابن الحاج نصر ، الله .. الله .. ما الذى حل فى الدنيا ؟ »**

وفى هذا البدء نجد مثالا رائعا للتعبير الفصيح القريب بل الممتزج بالواقع ، فهكذا يتكلم أهلنا فى الريف ..

وقد نشر الدكتور منصور فهمى قبل هذه القصة بثلاثة أشهر قصة أخرى فى المجلة نفسها . ولم نر له بعدهما قصصا أخرى ، فقد عدل عن كتابة القصص وانصرف الى نواح أخرى من النشاط الثقافى وأعمال الوظائف التى تولاها . **واليقين أن هذه الباكورة كانت - لولا ذلك - ستفضى الى ثمرات أنضج، وكنا كسبنا كاتبا من كتاب القصة البارزين .**

❋ ❋ ❋

ثم نرى فى مجموعة « احسان هانم » لعيسى عبيد التى نشرت طبعتها الأولى سنة ١٩٢١ (نشرتها « المكتبة العربية » فى هذا العام) - **نرى فيها قصة بعنوان « مأساة قروية » صور فيها الكاتب مظاهر الطبقية والنفوذ الاقطاعى فى الريف وجناية الاقطاعيين على الفلاحين الكادحين الى حد الاعتداء على العرض** ، اذ تدور على حادث فتاة من القرية

كانت تحب ابن عمها وهو يحبها ، ثم تعلقت بابن الباشا مالك الارض واحبته واعرضت عن ابن عمها، اذ جذبها في الفتى الارستقراطي رقة حديثه وتلطفه معها ، وظنت انه سينقذها من حياة الفقر التي تعيشها مع اهلها ، اما هو فلم يكن الا طامعا في جسدها .

ولعل عيسى عبيد أول من يستخدم الرمز عندنا في القصص لتصوير الحادث الذي يعالجه بطريقة واقعية وتعزيز التعبير عنه . **ذلك انه عندما كان ابن الباشا يفترس الفتاة هبطت حداة « بقوة على شجرة التوت التي تظللهما حاملة بين مخالبها كتكوتا يحتضر ، وكان يسمع له أنين ضعيف مخنوق »**

ويستمر في الصورة الرمزية فيشير الى ما كان من علم أهل الفتاة بالعلاقة الأثيمة بينها وبين ابن الباشا وقتلهم اياها دون أن يجرءوا على ابن الباشا ، فيقول عن الحداة :

« ولم تكد تستقر على أحد أغصانها حتى لحق بها غراب منقادا بحاسة الشم القوية الخاصة بالطيور الجارحة ، فتعلق على غصن يحاذيه . ولبث في مكانه يراقبها بخوف وجبن وهو ينعق بكل قواه، وكان الحداة كانت واثقة من قوتها وتفوقها على خصومها فلم تعره أدنى اهمية ، وواصلت ببطء التهام فريستها الصغيرة ، وعلى اثر النعيق جاءت عصبة غربان حاولت سلب الحداة فريستها ، فبسطت هذه جناحيها القويين اشارة التهديد ، وما انتهت من عملها حتى ألقت نظرة ازدراء باردة على أعدائها الجبناء الذين لم يجسروا على الانقضاض عليها ، ثم حلقت في الجو ، فتفرقت الغربان »

* * *

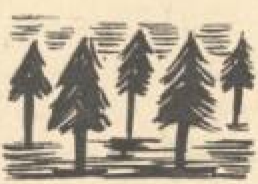
ونجد بعد ذلك ببضع سنين رمزا آخر بقصة اخرى عن الريف لمحمود طاهر لاشين ، هي قصة « حديث القرية » في مجموعة « يحكى أن » **وهي قصة جيدة تهدف الى تصوير حال القرية المصرية وما يعيش فيه أهلها من فقر وما هم عليه من جهل، والى ان الطريق الى تخلصهم مما هم فيه هو أن يتسلحوا بالارادة والعمل ، وأن يشعروا بوجودهم ويصروا على تحقيق هذا الوجود** . قدم لنا فيها شخصية « مأذون القرية » الذي يضلل القوم ويبث فيهم افكارا متخلفة لا تتفق مع حقائق الدين ، ويناقشه راوي القصة ، ويتحدث الى القوم فيصارحهم بشظف عيشهم ، ويبين لهم طريق الاصلاح . ولكن حين يتأهب المأذون للقيام «بدعوى أن حضرة العمدة وكثيرا من الأعيان في انتظاره » يقبل عليه — على المأذون — الفلاحون « بنفوس مطمئنة راضية يقبلون يده ويحمدون الله على نعمة الستر .. »

وتختتم القصة بهذا الختام الرمزي الذي يعبر عن الموقف كله ، اذ يقول الراوي :

« وآثرنا البقاء — صديقي وأنا — فتركوا لنا المصباح ، وقنعوا بان يتبعوا فقيههم في الظلام ... »

ويزداد اتساع الحركة القصصية ، ويتطور فن القصة بنوعيها : الطويلة والقصيرة . فنرى الريف مبسوطا — بشخصياته وصور حياته ومواجعه وتطلعاته — في قصص عبد الرحمن الشرقاوي وعبد الحليم عبد الله ومحمود البدوي ويوسف ادريس وامثالهم من الكتاب الفلاحين الذين يزدادون يوما بعد يوم والحمد لله .

عباس خضر



... بل شنيعاً !!!

بقلم : محمود محمد شاكر

— ٤ —

وإذن ، فليس حسنا ، بل شنيعا أن ينتصب امرؤ له بقية عقل ، فيقوم قائما ليخون جهرة وعلانية أمانة البيان وأمانة القلم ، لأنه عندئذ انما يخيس بأوثق عهد عهده الله الى بنى آدم ، حيث علمهم البيان وعلمهم بالقلم . وكل ناطق بلسان أو كاتب بقلم ، فانما هو معلم لمن يتلقى عنه . فاذا احتال ، وغش ، وخادع ، وكذب ، واجترأ على مالا يحسن ، وادعى مالم يكن ، وحرف الكلم عن مواضعه ، وبدل لفظا بلفظ ليزور باطلا ، فزوق وحسن ، وأخفى معالم القبح فيه بالتدليس ، وستر عواره ودمامته بالمخرقة والتمويه ، (والمخرقة ، احتيال الدجاجلة بالحيل الخفية) ، فقد خرج بفعل ذلك عن أن يكون مبينا وكاتبا ، الى أن يكون دجالا يجعل الصدق طلاء لما تعاف النفوس من كذبه . وخرج من أن يكون معلما لمن يتلقى عنه ، الى أن يكون نهازا لغفلات السامعين والقارئين ، يريد الغدر بهم وبعقولهم ليفسدها بآفة من آفاته ، وانما هو مخاتل يتخذ ثقة المتعلم بمن يظن أنه يعلمه ، شبكة وحبالة للايقاع به . هذا كله شنيع ، فاذا جاء وقد ناط الى اسمه لقبا يتدل كأنه وسام شاهد مصدق لظن المتعلم فيه ، فذلك من فعله أشنع . فاذا البس مكره بالقارىء قناعا يقال له « المنهج » ، يبتغى بذلك أن يأتيه من مأمنه ، فلا تخامره الهواجس والشكوك فيما يقال له ، فذلك أوغل فى الشناعة . فاذا صال على المتعلم صولة الشرلتان المدرب (والشرلتان ، معروف معناه فى كلام الأعاجم) فتذاءب عليه (أى فعل فعل الذئب فى المهاجمة) ، فأتاه من عن يمين وشمال ، فاستكثر بذكر أسماء العلماء والكتب ، ليتاح له أن يلقى اليه أقوالا مؤكدة القاء الحقائق المسلمة المفروغ من صدقها وصحتها ، فذلك أخبث الشناعة ، وهو بالقارىء المخدوع أضر من الوباء المتفشى ، ومن الطاعون المستعر . فاذا كان ، على ذلك كله ، ممن ائتمن على كرسى أستاذية ، أو على صحيفة سيارة فى الناس عالمهم ومتعلمهم وشاديهم ، فارتكب هذا الطريق علانية وجهرة وبلا حياء يحجزه أو يردعه ، أو يكف من غرب تحرقه على نشر ما يطوى من الخديعة (وغرب كل شىء ، حدته ومضاؤه) ، فقد جمع الخمسة المهلكة ، ليتجرعها آلاف آمنون غافلون ، نفت ثقتهم به ريبة قلوبهم بما يكتب ، لا بل زاد ، فأتى بسادسة الأثافى ، ولم تكن الأثافى قبله سوى ثلاثة ، وذلك بالقائه على من ائتمنه على الكرسى أو الصحيفة جريرة يده ، لأنه مكن له أن يفعل مافعل ، وأصحاب العقل يقولون :

ان العفيف اذا استعان بخائن
كان العفيف شريكه فى المأثم

ويقولون فى أمثالهم : « من استرعى الذئب ظلم »

فمن أجل هذا حملت القلم بعد طول التمادى فى هجرانه ثلاثة عشر عاما ، لأهتك أقنعة المخرقة على عقول الناس بالباطل المموه ، ولأكشف غاشية الوباء المنتشر بلا رقيب يدفع أو طبيب يعالج ، ولأزيل الغطاء ، ان شاء الله ، عن مسارب الهلاك الخفى الذى بدأ يتدسس الى أبناء أمتى ، وهم فى غفلاتهم آمنون ثم حملته ، بعد ، لأذود عن شيخ المعرة ، رحمه الله ! وارحمتاه للشيخ ! حاق به البلاء منذ كان ثابتا طريا فى الرابعة من عمره ، فاغتاله الجدرى فعاث فى وجهه وحفره ، وذهب بيسرى عينيه فغارت وانطفأت وضغط على اليمنى فنتأت (أى برزت) ، لابسة غشاوة بيضاء ، فصار مرآه للناس شنعة ، حتى يقول رائيه فى صفته : « وهو صبى دميم الخلقة ،

مجدور الوجه » . ولم يكد يسير ذكره في الناس ، حتى أخذته مقاذع الألسنة (وهى الكلام القبيح والفحش) ، فرمي بالالحاد وسوء الاعتقاد حسدا ونكاية ، الى أن توفى سنة ٤٤٩ . اثنتان وثمانون سنة ، لقي فيها الضر المفزع ، والبلاء المستبين . وكان الشيخ لم يكفه ما لقي من هذا كله وهو حي يحس ويتألم ، حتى يخرج عليه ، بعد دهور من مماته ، « تركبولى » محترق ، (والتركبولى ، هو رأس رماة الافرنج ، باليونانية) ، ليعيث هو أيضا فى رمة الشيخ ، وفى أدبه ، وفى علمه ، لا يردعه شيء عن الضرب المثخن بقنطاريته (وهو الرمح الثقيل، باليونانية وكل الالفاظ اليونانية التى استعملها كانت معروفة للمسلمين زمن الصليبية) ، ليشطب صورته ويزيدها تشويها ، (يشطبه ، يقطعه ويمزقه، وهو الذى يقال بعامية مصر : يشضبه) . ثم لا يقنع بهذا حتى يتناول العصر كله برجالاته : وأفكاره ، وأحداثه ، وأحواله بوجه عام ، كما يقول الدكتور ، فيشطبه تشطيبا ، ضربا وطعنا ، يمينا وشمالا ، بيد قاسية ، كأن فيها ضغينة ثلاثة عشر قرنا ، ظلت دفينة مستكنة ، ثم هاجت فجأة هياج المرة السوداء ، (والمرة السوداء ، بكسر الميم ، مزاج من امزجة البدن ، يسأل عنه الأطباء) .

ومع علمى بكل ذلك وصفته ، لم أحاول بعد أن آخذ الدكتور لويس عوض من هذا الجانب ، بل أخذته من الجانب الذى يريد هو أن يعرضه لأعين الناس ، من جانب العلم والأدب والكتابة والأستاذية الجامعية ، وسائر هذه المراقع التى يتكمكم فيها ، ليوهم أنها طيلسان أستاذ جامعى ، (يتكمكم ، يتلفف فيها ويختفى . والطيلسان، الروب الجامعى) . وتحت هذه المراقع البلاء الماحق لعقول الشباب المتطلعين الى العلم والمعرفة ، لأنها تستل من قلوبهم الشك والريبة فى حديث الرجل المتدثر بشارة العلم والثقافة . فكان من حيلته أن عرض للناس بذكر « المنهج » ، ليزداد الغافل اطمئنانا لأستاذيته . فمن أجل ذلك بينت معنى « المنهج » فى الكلمة الاولى ، وأنه شطران ، والشطر الاول يتناول مادة الدراسة ، وذلك بجمعها وتصنيفها وتمحيص مفرداتها وتحليل أجزائها بدقة وحذر ، ليتبين زيفها من صحيحها . فليت شعرى ماذافعل هذا الاستاذ الجامعى ، زعم ؟ وما مادة دراسته لشيخ المعرة ورسالة الغفران ؟

أثار الغبار القاتل منذ عهد هوميروس ، الى أن انتهى الى زمن الصليبية فى المقالة الرابعة من مقالاته التسع ، وهو فى خلال ذلك يعلو ويهبط ، ويجرى يمنة ثم يركض يسرة ، وينشر ثوبا أزرق ، ثم يطويه فينشر آخر أبيض وأحمر وأخضر ، ويوقد نورا ثم يطفئه ثم ينيره ، كأنه ساحر عبقرى ، حتى اذا انتهى الى آخر المقالة الرابعة تلاعب وصرخ وبعثر وأخفت ضوءا وأشعل آخر ، ليوهمك أنه عمد الى تاريخ شيخ المعرة ، صاحب رسالة الغفران ، فنفضه نفضا ، فلم يجد فى هذا التاريخ كله خبرا يهدى الى حقيقة « هذا الرجل العظيم » ، سوى خبر واحد ، هو حديث راهب دير الفاروس ! (أى دجل هذا ؟) . ثم ماذا ؟ ثم لم يكن هذا الخبر سوى خبر وقع اليه عرضا فى كتاب واحد ، ألفه الدكتور طه حسين منذ أكثر من خمسين سنة . ثم ماذا ؟ ثم تجد الدليل القاطع على انه لم يقرأ كتاب الدكتور كله ، واذا كان قرأه فانه لم يفهمه . ثم ماذا ؟ ثم تنفش حين نقل الخبر بذكر رجلين ، أقطع انا بانه لايعرف من هما ، ولا أين كانا ، ولا أى شيء كتبا ، وهما القفطى والذهبى ، فاسند اليهما الخبر كأنه منقول عن كتابيهما ، وهذا غش فاضح . ثم ماذا ؟ ثم لم يقتصر على هذا التنفخ الغث حتى خان الأمانة، فقرأ أربعة أسطر من كتاب الدكتور ، وأغفل ماجاء بعدها مباشرة من نقد لهذا الخبر . وهذا أشد شيء غثاثة . ثم كان ماذا ؟ ثم استخرج من هذه الأسطر الأربعة نتيجة ألقاها كأنها حقيقة واقعة ، اذ جمع بين أبى العلاء الذى توفى سنة ٤٤٩ ، وأسامة بن منقذ الذى ولد سنة ٤٨٨ ، فجعلهما صبيين يتعلمان معا بانطاكية ، ويختلفان الى مكتبتها ، فى عهد غلبة نصارى الروم على هذه المدينة ؟ ثم ماذا ؟ ثم زعم أن بانطاكية يومئذ « حضارة زاهرة ، حسب ماروى ياقوت الحموى » ، أو كما قال ! فقول ياقوتا ما لم يقل ، فدلس تدليسا قبيحا ظاهرا لم أتناوله فيما مضى ، وسيأتى بعد فى مكانه . ثم لم يكن أمينا ولا صادقا فحرف الكلم عن مواضعه ، لأن الدكتورطه يقول : « ولقى بهذا الدير راهبا قد درس الفلسفة وعلوم الاوائل ، فأخذ عنه ماشككه فى دينه وفى غيره من الديانات » ، فمسخ كلام الدكتور طه وحذف منه مافيه ذكر دين أبى العلاء وغيره من الديانات !! ليسوق الخبر فى غبار من ركاكة التعبير والتصور فيقول : « وقد تعلم المعرى فى اللاذقية ،

كما تعلم في أنطاكية ، ففيما روى القفطي والذهبي انه نزل بدير فيها : « ولقي بهذا الدير راهبا قد درس الفلسفة وعلوم الاوائل » ، بلغة طه حسين ، او باختصـــار ، أخذ عنه اليونانيـــات ، فما علوم الأوائل هذه التي كانت تقرأ في الأديرة تحت حكم الروم ، الا آداب اليـونان وفلسفتهم في لغتهـــا الأصلية » ، فوضع جزءا من كلام الدكتور طه بين ضبابتين من الغثاثة ، وزاد فجعل « لقاء الراهب والأخذ عنه » ، « تعلما في اللاذقية » بلا حيـاء ولا حرج . ثم ماذا ؟ ثم غش القارىء وخدعه وزور عليه، حين ساق هذا الغثاء كله مساق الحقائق المسلمة التي فرغ هو من دراستها وتمحيصها على « اسلم منهج » ، كما قال ! فصارت بديهية لاتحتمل المناقشة ليس الا التسليم . ثم ماذا ؟ ثم ختم هـذه البلايا بمرسوم حاسم اصدره البسكند (الفيكونت) الدكتـور لويس عوض هذا نصـه : « والحق انه لا يعرف شيء عن تعليمه الرسمي (يعني تعليم أبي العلاء الرسمي !! وهذا أجد شيء واطرفه واطرفه) حتى سن العشرين ، وهي سن التكوين ، الا انه تعلم في حلب ، ثم في أنطاكية ، ثم في اللاذقية ، ثم في طرابلس (بهذا الترتيب المدروس ، البديع، المدهش !!) . ومثـل هـذا الغموض الذي احاط بتكوينه العقلي حتى سن العشرين ، يحيط أيضـــا بحياته كلها ، فيما بين العشرين والخامسة والثلاثين» (التوقيع : البسكند ، الدكتور لويس عـــوض ، المستشار الثقافي لمؤسسة الاهرام ، وعضو جمعية الأدباء) . فأي جراة على صب الغثاثة على الورق ! (فائدة : البسكند ، هكذا عربه المســلمون أيام التحامهم بالصليبيين)

فهذا استاذ جامعي يتبجح بذكر « اسلم منهج ثم لا يكون من فعله الا ان يأخذ خبرا لقيطا وقع عليه عرضا بلا قراءة وبادعاء غث للقراءة ، في كتاب الفه صاحبه صغيرا منذ أكثر من خمسين سنة ، ثم لم يسلك في مدارسته مسلك مبتدىء جامعي، فضلا عن استاذ جامعي . ثم لم يسأل نفسه سؤالا واحـدا يدل على أدنى ذكاء ، فضلا عن اسـتاذية . ثم لم يبال ، ابراء للذمة ، أن يراجع المصـدرين اللذين انتفخ بذكرهما ايهاما وتصاولا بالاطلاع ، وتدليسا على القراء .

وهذا استاذ جامعي صاحب « منهج » ، لم يخطر بباله قط أن على المبتدىء في دراسـة الآداب ، أن يتتبع أي خبر وجـده ، لينظر من أين جاء ؟ ومتى جاء ؟ ومن قائله ؟ وفي أي زمان كان ؟ وعسى أن يجـد فائدة ، والا ابراء للذمة !! ، والا حيـاء أن يصبح فيجد الخبر عند الناس موجودا في عشرة كتب مطبوعة ، وبعشر صيغ مختلفات ! ليس منها الصيغة التي ذكرها الدكتور طه في كتابه ونسبها الى القفطي والذهبي ! وقليل من الحياء يصلح العقل !

وهذا استاذ جامعي بعد ذلك كله ، يعمد الى كلام الدكتور طه ، فيحرفه ويبدله ، ويستخرج منـه مالا يعقله انسان عاقل ، فضلا عن استاذ جامعي ، ثم يزيد فيترجمه الى لغة ركيكة سقيمة ، بلا حـذر ولا حيطة ولا تدبر . آه ، هذا استاذ جامعي مجترىء لم يتوهم قط أن الآداب والفلسـفات انمـا تقوم بالالفاظ ودراستها وتحليلها . وهذا فعله في الفاظ خبر ، فما ظنك به في الشعر مثلا !!

وهذا استاذ جامعي ، يأتي منتفخـا منتفشـا ، ليكتب عن اثر ادبي لرجل لا مغمور ولا مجهول ، له ترجمة في أكثر من ثلاثين كتابا ، وكتب النـاس عنه شرقا وغربا ، قديمـا وحديثـا ، والكتب بين عينيـه مطروحة على الأرصـفة وفي الطرقات ، ثم لايعني نفسه عناء في البحث ، ليعرف من شـيوخ أبي العلاء الذين تلقى عنهم حتى سن العشرين ، ولا ما كان من أمره وخبره حتى بلغ الخامسة والثلاثين ، ليكذب على الناس ويدعي ويزور ، فيقول انه لايعلم شيء عن تعليمه الرسمي (!!) حتى بلغ هذا العمر .

وهذا استاذ جامعي ينتهي ، بعد هذا الغثاء كله ، الى أنه لايصح شيء في العقول ولا في الكتب ، سوى أن أبا العلاء تعلم في أنطاكية ، التي كذب على القدماء فزعم أنهم قالوا : انه كانت بها حضارة زاهرة !! وذلك حين دخلت في حوزة الروم فاجلوا منهـا المسلمين من سنة ٣٥٣ قبل مولد أبي العلاء ، الى سنة ٤٧٧ بعد وفاته ، ثم في اللاذقية التي لم تكن أحسن حالا من أنطاكية ، حيث تعلم من راهب دير الفاروس ، يقـول ذلك غير عابىء بعقل ولا فـكر ولا نظر .

وهذا استاذ جامعي يدخل في الشطر الثاني من « أسلم منهج » ، فيحيط خبر الراهب ، قبـل أن يطلع القراء على هذه النفيسة العجيبة ، بصـورة ضخمة لغلبة أهل الصليب على أهل الاسلام ، لم نناقشها بعد ، ولكنها كاذبة ، ومن سمادير المدمنين لا أصل لها الا فيما يتراءى له من الأخيلة ، ويسميها

« الخلفية التاريخية لهذا الرجل العظيم ! » ، ثم يأتي بالفتى الضرير فيقحمه في ألوانها وظلالها ، وراهب دير الفاروس يقوده بيده أو بزمام مطروح في عنقه !!

وهذا أستاذ جامعي ، لا أدري من أي شيء سوى أديم وجهه ، يقول علانية انه جاء يعلم الناس « الانسانيات » ، يعني الآداب ، ثم يعزل صاحب آثار أدبية فريدة في تاريخ البشر ، عن أهله وعن منزلتهم في الناس ، وعن أهله وعواطفهم نحوه ، وعن أهل دينه وعاداتهم وأخلاقهم وآرائهم ومعتقداتهم، ثم عن أبيه وأمه اللذين كانا يحوطان ضرارته وعجزه، فيرعيانه ويكفلانه ويقومان بكل أمره ، حدبا عليه واشفاقا ، لما أصاب صغيرهما من الضر والعمى والبلاء ، فينتزعه من هذا كله بلا عقل ، وبلا تدبر، وبلا انسانية ، وبلا شعور ، ليعامله في مقاله معاملة المقاطيع واللقطاء من عميان السيد البدوي وسانت تريزا ، فيخرجه من بين هؤلاء جميعا فتى صغيرا أعمى عاجزا وهو في نحو الثانية عشرة من عمره ، ليدور به ويتسكع بين حلب ، وأنطاكية ، واللاذقية ، وطرابلس ، وحيدا منفردا بلا راع ولا رفيق ولا قائد ، ثم يطرحه في أيدي الرهبان يثقفونه باليونانيات من أدب وفلسفة ، ولا قيمة عند هذا الرجل لما يقال في كتب القدماء !! من أنه ولد لأبوين مسلمين ، وفي قرية مسلمة ، وان مآبه بعد التسكع بين الرهبان والأديرة مآب الى ديار أهل الاسلام !! كل هذا لاقيمة له ولا خطر عند أستاذ جامعي ، تبجح بأنه جاء يعلم الناس « الانسانيات» !

وهذا أستاذ جامعي بعد ذلك كله ، يأتي بلا حياء فيكتب تسع مقالات متتابعات عن شيخ المعرة ورسالة الغفران ، وهو لم يقرأ حرفا واحدا من شعر أبي العلاء ، وان كان قرأ منه شيئا أو قرىء عليه فانه لم يفهم منه حرفا على الوجه الذي يفهم به الشعر . وهو لم يقرأ « رسالة الغفران » التي يكتب عنها ، لاقراءة صحيحة ولا قراءة غير صحيحة ، بلا ريب عندي في ذلك ، كما سيتبين ذلك لكل ذي سمع وبصر ، أديبا كان أو غير أديب .

فانا أريد أن أسأل بعد هذا كله سؤالا واحدا : أهذا سلوك أستاذ جامعي يحمل لقبا يدلس به على صغار الناس وكبارهم ، ويغتال غفلاتهم عن عواره ، ثقة منهم بكرامة هذا اللقب ، وكرامة من يحمله ؟ .

وجواب كل ذي عقل أو حصاة من عقل: لا ولا كرامة. فاذ لم يكن هذا السلوك سلوك أستاذ جامعي ، ولا مبتدىء جامعي ، ولا طالب ثانوي ، ولا أحد من عرض الناس يشدو دراسة الآداب أيا كانت ، وفي أي لغة شئت ، فكيف أستحل بعد ذلك لنفسي أن الزق باسمه لفظ «الدكتور» ؟ لا ولا كرامة ، لن أستحل ذلك تنزيها لهذا اللقب عن الابتذال ، وحماية للنشء من التغرير ، واستنكافا أن أغمس مداد قلمي في كذب مفضوح يعين على تغفل القراء ، وكنت أظنه واجبا قديما على جامعاتنا أن تعيد النظر في هذه الاجازات التي تمنحها بعض جامعات الدول الكبرى اليوم ، لبعض من يثبت الاختبار أنهم دخلاء : ماهي هذه الاجازات ، وكيف منحت ؟ ولمن تمنح ؟ وعلى أي أساس ؟

وأنا لاأسأل الجامعات هذه الأسئلة ، ولا ألزمها بهذا الواجب ، مقتصرا على ما كتبه لويس عوض عن رسالة الغفران وشيخ المعرة ، ولا عن ابن خلدون من قبله ، ولا عن المؤثرات الاجنبية في الادب العربي ، ولا على مافي بلوتولند من شعر ونثر ، ولا على سائر ماكتب في الصحف والمجلات في شأن العربية وشعرها وآدابها ، وسيأتي بيان ذلك كله في حينه ـ لا بل أزيد أيضا ما يدلس بكتابته عن آداب الروم واليونان والانجليز، فان فعله في ذلك لا يقل مجانة عما يكتب في أدب العرب ، وهو تهويل كله بأسلوب فج غليظ أقطع بأنه لو ترجم الى أي لغة من اللغات ، لاستلقى القارئون على أقفيتهم من الدهشة والضحك ، وليس من همي أن أكشف هذا التدليس المغرر بالناس، لأني منذ رفضت أن أضع على وجهي ميسم العبودية لليونان والروم وما تولد عنهما من الاجيال الى هذا اليوم ، لافي أدب ولا في غير أدب ، فاني رفضت أيضا أن أغمس قلمي في مداد العبودية لهم . ودارسو آداب الامم ، وهم كثر متقنون ، عليهم أن يكشفوا بأقلامهم تزييف هذا الرجل فيما يكتب . وهذا واجب يلزمهم اياه الحفاظ على صحة عقول النشء منذ غضارة الصبا أن يصيبها من هذا الوباء المتفشي داء يعجزها عن الاستقلال بحريتها في هذا الزمن السريع المختلط المتضارب الأهواء والنوازع والمكايد الخفية . وتخلى من يطيق ذلك عن هذا الواجب لأي سبب من الاسباب ، عون على نشر المفسدة ، فضلا عن مناقضته للامانة التي يحملها كل أستاذ جامعي دارس .

والآن وقد فرغت من طرح عبء ثقيل جدا كنت

أحمله وانا أكتب قبل اسم لويس عوض لفظ «دكتور» ويزيده ثقلا ما كنت أجده من الغضاضة في ذلك ، لانى كنت أجدنى كأنى أخون الامانة أيضا بالمشاركة فى ترويج أوهام ضارة بالنشء ، وتثبيتهـــا بكثرة الاستعمال، مع صحة علمى بأن الشباب الغض سريع الى الوقوع فى شرك الالفاظ التى تحمـــل تراثا من المهابة والتبجيل ، ونبضا حيـــا من الامانة والدقة والصدق ، والبعد عن الهوى ، واخلاص النية فى حمل العلم ونشره بين الناس ٠ الآن ، وقد طرحت عنى هذا الثقـــل ، أعود الى لويس عوض مجردا عاريا من طيلسان الاستاذية المتخذ أداة للخداع ٠

«مثاتوس» (بالرومية) ، اى معاذ الله ، معاذ الله أن أظلم أحدا من الناس كائنا من كان ، من أجل ذلك عاملت لويس عوض فى المقالات الثلاث السالفة برفق وتؤدة وأناة ، فلم أقل له مثلا : «انك جاهل معتق الجهل» مخافة ان يحمله على معنى الجهل الذى هو نقيض العلم ، قبل أن أقدم البرهان على ذلك ، وكنت فى الحقيقة مريدا لها حريصا عليها ، لابهذا المعنى القريب المألوف ، بل بالمعنى الآخر الذى يقال فيه : «صبى جاهل» أى غرير ، طياش العقل ، سريع الى المتالف ، يجلب الشرور على نفسه من حيث يدرى ولا يدرى ، وكنت مريدا لها حريصا عليها ، لانها تؤدى ما أريد من صفته ، لانه استمرأ اللعب بآداب العرب وكلامهم منذ «بلوتولند» ، ولم يزل يزيد لعبا حتى أوقع نفسه فى المهالك المتلفة ، وكان غنيا عنها بيونانه ورومه وقرونه الوسطى والمتطرفة ، يتلعب بهم كما يحلو له وكما يشاء ، ولا حرج ٠

اما الآن وقداستجاب الله سبحانه دعاء الضارعين إليه فى يوم الجمعة المبارك الساعات فنشر لويس عوض مقاله التاسع ، وكتب فى ذيله ، «انتهى البحث» ثم يسر لى سبحانه ان أجمع الاســباب الداعية الى القاء العبء الثقيل عن كاهـــلى ، فقد جعلت مكافأة لويس عوض على مسارعته إلى اعفاء الناس من غثاثة ما يقول وما ينشر ، ان أدع له حـــديث راهب دير الفاروس جانبا ومؤقتا ، وان كانت له بقية تعد تحفة من التحف ، وآخذ فى طريق آخر ، هو أخف مؤونة على القراء ، واعون لهم على فهم حقيقة هذا الكاتب الذى كان يقال فى مثله قديما :

فعد عن الكتابة ، لست منهـا
ولو لطخت ثوبك بالمـــــداد

فأنا أعقل ، على صورة ما ، أن يكتب لويس عوض عن آداب اليونان والروم والقرون الوسطى وشعراء الانجليز وأشباه ذلك ، مدعيـــا أنه قد تولى الامارة عليهم وعلى لغاتهم ، فهذا ممكن هه ! ومعقول هه ! ولكنه شىء لايعنينى ولا أحاسبه عليه ٠ ولكن الشىء الذى لا أكاد أعقله ، ولا يكاد يعقلـــه عاقل صحيح العقل من الآفات ، هو أن يمد لويس عوض سلطان امارته على لغة العرب ، فيشرح الفاظها ويفسرهـــا ويستنبط منها ٠ ولماذا ؟ ستعرف ان شاء الله ٠ فقد كتب لويس عوض ترجمة لحياة لويس عوض !! وجعلها مقدمة لشىء ، استغفر الله لشعر سماه «بلوتولاند» وقصائد أخرى» ، وفى (التجربة رقم : ٦) من تجاربه الخالدة ،وهى تجربة «كسر رقبة البلاغة !» قال ،لازال سلطانه على اليونانية مبسوطا،وعلى الرومية محطوطا، يصف نفسه العزيزة :

« فاذا أضفنا الى ذلك أن احساسه باللغة ضعيف بالفطرة (غريبة !! هذا صحيح !) علمنا كيف تأتى له أن كسر رقبة البلاغة (وهل فى ذلك شك ،يازول)٠ وقد اعترف لى (يعنى أن لويس عوض، اعترف للويس عوض !!) بأنه لم يقرأ حرفا واحدا بالعربية بين سن العشرين والثانية والثلاثين (أى اثنتا عشرة سنة !) الا عناوين الاخبار فى الصـــحف السيارة ، وبعض المقالات الشاردة ، الزمته الضرورة الســـياسية بقراءتها ٠٠ فاحساسه باللغة أجنبى جـدا على كل حال » وبالطبع هذا كلام انسان عاقل جدا ، ومتمالك لجميع قواه العقلية ، فمن أجل ذلك نخاطبـــه ، والا كانت مخاطبته ضربا من العبث والجنون !!

فاذا كانت هذه صفتك لنفسك ، وانت فى الثانية والثلاثين من عمرك ، يالويس عوض ، فبأى عقـــل بعد ذلك تأتى فتلعب فى آثار شـــيخ المعرة ، وفى كوميديا دانتى أيضا ، ولا مؤاخذة ، ثم لاتقتصر على اللعب فيهما ، بل تلعب أيضا فيما تسميه « أحاديث المعراج » (وهذه لها ذيول طويلة لم يحن حينها بعد) ولا تقتصر على هذا ، فتمد سلطان بلاغتك المكسورة الرقبة على لغة الطليان والعرب فى آن واحد ، وفى قرن واحد ، أى جيل واحد ؟ وكيف كان ذلك ؟ تراك تقول ان دانتى يقول والله أعلم بترجمتك المكســورة رقبة بلاغتها : « قالت بياتريس : لم تدلهت فى عشق وجهى ، حتى الهاك العشق عن النظر الى الحديقـــة الفاتنة التى أينعت تحت ضياء المسيح ، هاهى ذى الوردة التى فيها أصبحت الكلمة الالهية جسدا » ثم

قلت : «وكانت الوردة هي مريم العذراء : روزا مسكيتا، كما يسمونها » • ودل كلامك بعد ذلك على أن الوردة هي الزهرة التي تشم بالأنف ، : (أي بالنوز ، بالانجليزية ؛ ليكون أوضح لك !) أليس هذا صحيحا يالويس عوض ؟ بالطبع نعم •

فالآن ننظر ماذا كانت عاقبة لعبك و (لغوصتك) في كلام العرب • يقول بعد الذكاء المفرط ، والشروح النفيسة ، والمقارنات الادبية الخارقة للعادة • • والفيلولوجيا المدهشة (أي فقه اللغة) مانصه أيها السادة ، واستعينوا بالله واحملوا معي رقبة بلاغته المكسورة ، وأمري وأمركم الى الله ، يقول :

«غير ان بعض التفاصيل الواردة في فردوس دانتي، توحي بأنه اقتبس أيضا من القرآن الكريم ، ومن رسالة الغفران ، وربما من غير ذلك من المصادر الاسلامية ، فتصويره للوردة السماوية (وهي مريم العذراء ، روزا مسكيتا) ، يوحي بأن له صلة بما جاء في سورة الرحمن : « فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان» • وقد اتخذ دانتي من وردة الفردوس رمزا لمريم العذراء • ووصف الوردة بأن أوراقها من الملائكة وقد كان للوردة أدب غزير في العصور الوسطى الاوربية ، مثل «قصة الوردة» الشهيرة ، وهو كله قصص ظاهره دنيوي ، وباطنه بحث بالخيال في الالهيات على طريقة دانتي ، ومنه ماهو سابق لدانتي وليس له في التراث الكلاسيكي الاوربي أصول معروفة • فليس يبعد أن تكون أوربا المسيحية في العصور الوسطى قد أخذته من العالم الاسلامي عن طريق اسبانيا وصقلية ، وترجمت رموزه بما يتمشى مع دياناتها ، والمعري نفسه ، ينسج على صورة الوردة في سقط الزند ، ويجعلها في الارض لا في السماء :

فاذا الارض وهي غبراء صارت
من دم الطعن وردة كالدهان

ولكن الوردة السماوية في القرآن الكريم وتفاسيرها هي المقابل الأصلي الذي خرجت منه كل هذه الاجتهادات في أدب الوردة » • بم ، بم ، انتهى •

وبالطبع هذا كلام انسان عاقل جدا ، عاقل من صنف مدهش جدا ، وسأتولى ترجمة كلامه لطول خبرتي بالترجمة : «دانتي ، اقتبس من القرآن ، من رسالة الغفران، ربما من غير ذلك من المصادر الاسلامية أنا لويس عوض أستاذ محنك جدا ، أنا مفرط الذكاء، «الوردة السماوية» مريم العذراء ، في سورة الرحمن «وردة كالدهان» ، انها روزا مسكيتا هنا ، علمي أنا وسع ، أنا لويس عوض ، أدب غزير في «الوردة» قصص اطلعت أنا لويس عوض عليها ، العصور الوسطى ، قصص له ظاهر وباطن ، بحث في الالهيات التراث الكلاسيكي ليس فيه وردة ، أوربا أخذته من العالم الاسلامي ، أنا ذكي ، نعم أنا لويس عوض ، ترجمات عن اسبانيا وصقلية ، لم لا ؟ رموز ، المعري عنده وردة أيضا ، في سقط الزند ، أنا قرأت شعر المعري، لكن وردة أرضية لاسماوية، الوردة السماوية في القرآن ، وجدتها أنا وحدي ، أنا لويس عوض ، لا أنا اطلعت على تفاسير القرآن ، أنا لويس عوض ، اجتهادات أدب الوردة، أعرفها كلها، أنا لويس عوض»

وحسبي حسبي ، فقد مللت هذا الشرلتان الدعى المجترىء ، اي خبل داخل جثمان هذا الرجل حتى استولى على جميع أعضائه ؟ ما الوردة السماوية (مريم العذراء، روزا مسكيتا) ، وما «وردة كالدهان» اي مجنون يطيق أن يتكلم بهذا في كتاب يقرؤه الملايين من البشر ، فيأتي هذا التالف فيلعب بألفاظ لغته ، كما يشتهي علانية ، بلا حياء ولا خجل ويدعى أنه قرأ تفاسير «وردة كالدهان» ؟ أي خيال من سمادير الادمان تخيل له أن السماء اذا انشقت وانتثرت نجومها يوم القيامة صارت كالوردة التي تشم بالانف في شكلها ؟ أهذا انسان مفيق ؟ أهذا خلق يتكلم في الآداب ، وفي الشعر ؟ أهذا تصور يليق بمن يحمل رأسا فيه ذرة من عقل ؟ هذا معتوه لايخاطب •

ولكني أخاطب الآن من صب الله عليهم هذا الوباء المحرق ، من شباب وصغار وعامة ، يخدعهم اللقب الذي يلصق باسمه ، ويخدعهم نشر خبائثه في أعظم صحيفة في بلاد العرب والاسلام ، فتحملهم المهابة لألقاب العلماء والثقة بصحيفة الاهرام ، على سرعة التسليم بأن لهذا الصديد المنبثق من كلماته معنى يفهم ، ومعنى ذلك بلا اطالة ، هو أن الله سبحانه وتعالى ينذر عباده ، ويخوفهم بما سيكون يوم القيامة من الهول والفزع الأكبر : «يوم تبدل الارض غير الارض والسموات » ، فتنكدر النجوم ، وتنتثر الكواكب ، وتنشق السماء وتنفطر ، ويتبدل لونها حمرة صافية مشرقة من شدة اللهب يومئذ ، فذلك قول الله سبحانه في صفة يوم القيامة ، «**فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان • فبأي آلاء ربكما تكذبان • فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان • فبأي آلاء ربكما تكذبان • يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام • فبأي آلاء ربكما تكذبان » •**

فمعنى «وردة» أى حمراء، وهى صفة ، أما«الوردة» التى تشم ، فهى اسم لا صفة . يقال للمذكر « اسد ورد» ، و «فرس ورد» اى احمر اللون ، وللانثى «فرس وردة» اى حمراء ، فلفظ «وردة» لفظ مشترك بين الاسم والصفة ، فما لهذا المأفون المتعالم يظن أنه كشف كشفا بذكر «الوردة» التى هى عند دانتى (روزا مسكيتا) ، فيسارع الى اقحامها فى آيات عذاب يوم القيامة لمجرد اشتراك فى اللفظ بين الاسم والصفة ، ويتعالم غث بذكر تفاسير الآية كأنه بحق قرأها وراجعها وعرف معناها ، ومرة أخرى ، من اى اديم شق وجه هذا الرجل ؟ .

وتبلغ به ثخانة وجهه ، أن يعود مرة أخرى الى قصيدة سقط الزند ، التى أخذ منها بيتا من خلال ابيات يذكر فيها شيخ المعرة الابل ، ويصف مالاقته نهارا فى البيداء من هجير وظمأ ، ومارعت ليلا من صليان (وهو نبت له جذور ضخمة فى الارض ، تجتثها الابل بافواهها فتأكلها من شدة حبها لها .. فاذا كانت رطبة ، أساغتها ، واذا كانت يابسة غصت بها اى شرقت) ، فلم ير هذا الذى خبل بما خبل به الا «الصلبان» جمع صليب ، «تغص بها حلب» فكتب البيت هكذا :

صليت جمرة الهجير نهارا

ثم باتت تغص بالصلبان

وكتب تحته : «سقط الزند ، فى وصف حلب » فلما نبهه بعض الناس لم يزد الا ثخانة وجه فيما كتب من تصحيح، فقال : ان صحته الصليان ، بالياء وهو نوع من الشوك ترعاه الابل ، وان البيت السابق له هو المتصل بحلب .. وانه قد رجع على الأصل «فلزم التنويه» ! . ونسى انه كتب تحته بيتا آخر وقال : «سقط الزند فى الحروب الصليبية » ، وان المقالة تحت البيتين كلها فى بيان غلبة نصارى الروم على أهل الاسلام ! فهذا أثخن شىء وجها ، حين عاد الى هذه القصيدة نفسها ليأخذ منها بيتا آخر هو :

فاذا الارض ، وهى غبراء ، صارت

من دم الطعن وردة كالدهان

وأبو العلاء يقول : ان الطعن والقتل استحر ، فسالت الدماء حتى غشت الارض ، فصارت أرض الميدان بالدماء حمراء كالأديم الأحمر المشرق ، فيأتى المكسورة رقبة بلاغته ، فيجعل الصفة هنا اسما ، وهو الوردة المشمومة ، ويزيد فيقول كلاما لا يفهم : «والمعرى نفسه ينسج على صورة الوردة فى سقط الزند ، ويجعلها فى الارض لافى السماء، يعنى كمافى سورة الرحمن ، وكما فى دانتى الذى أخذ عنهما « الوردة السماوية » (روزا مسكيتا) !! يامغيث ! يامغيث ! فقد فاضت الغثاثة ، و «بلغ السيل الزبى، وجاوز الحزام الطبيين» ، ومن يصدق ان هذا يمكن أن يقرأ شعرا أو يفهمه ، ولو كان بالعامية !! .

بقيت مسألة بعد هذا البرد كله هى أن لويس عوض فى ذاته ، لايهمنى البتة مهما فعل ومهما قال فانا أعرفه وأعرف ما كتبه ، ومن يكون ، منذ كان ونطق وصب على الناس ثلجه وغثاثته ، وساكشفه للناس من الوجوه التى لايملك معها حيلة أبدا ، وقد مارست أشباهه من المستغربين والمستشرقين جميعا بما تنطوى عليه قلوبهم من السخيمة الآكلة ، وعقولهم من الغباوة والجهل الفاضح .

لكن الذى يهمنى هو صحيفة الاهرام ، أتراها لاتعرف منزلتها فى كل بلد من بلاد العرب ، وهم مائة وعشرون مليونا ، ثم فى روافد بلاد العرب ،وهى بلاد الاسلام ، وهم ستمائة مليون أو يزيدون ، وكلهم عربيهم وعجميهم يرى القرآن كتابه ، ويرى أدب العرب أدبه ، ويرى صحيفة الاهرام صحيفته ،فكيف يقولون اذا رأوا أكبر منبر فيها قد أسلم الى رجل لايحسن يقرأ شيئا من العربية ، ولا يحسن يفهم شيئا فى أدبها ، ولا يحسن مدارسة شىء على منهج ، ولا يحسن يتكلم كلاما يربط بين جمله عقل ؟ ومع كل ذلك تطالعهم صحيفة الادب فيها صبيحة كل جمعة بأعمدة سود قد حشاها خلطا وخبطا وعبثا ، ولعبا بالتاريخ ، وجراءة على الآداب ، وتخليطا فى الجمل وبلاء لايحصى ، وآفات لاتعد . وبعد ذلك كله يتاح له أن يلعب بأحاديث المعراج ، ثم لايكف فيندلع غروره الملتهب فيلعب بأصابع عقله (!!) فى لغة العرب ، ثم لايكف ، فيأتى وقد أطبق جنونه الى آية من القرآن فيفسرها ، ثم لايكف فينسب هذا الى تفاسير القرآن .. كل ذلك أتاحته له صحيفة الاهرام أن يفعله ، بما أوتى من صفاقة وغش وكذب وادعاء وتحريف ، وبلا رادع من عقل أو حياء . كيف يكون هذا ؟ أليست صحيفة الاهرام مسئولة عن كرامتها ، عن منزلتها عند الناس ، عن أدب الكلمة العربية ، عن عقول الناشئة وما عسى يحيق بها من هذا الوباء ، مما ينشره هذا الكاتب وشيعته فى صحيفة الادب؟ واذا لم تكن مسئولة ، فمن المسئول اذن عن عربدة هذا الطليق الذى يفعل مايشاء ، ويقول مايشاء ، ويتعرى كما يشاء ؟ أنبلغ عنه شرطة النجدة ، حتى لا تصبح هذه الأمة فضيحة فى الأمم ، حيث أسلمت منبرها العالى الى طليق من القيود ، مفلت من الأسوار ، ولله الامر من قبل ومن بعد .

محمود محمد شاكر

تفريطنا في جنب العربية الفصحى

في غابر تاريخنا وحاضره

بقلم الدكتور : علي عبد الواحد وافي

كانت العربية الفصحى موضع اهمال كبير طوال الفترة التي كان الانجليز في أثنائها مشرفين على شئون مناهجنا الدراسية • فقد استقرت مناهجنا الدراسية في هذا العهد على نظم فاسدة تكفل توطيد النفوذ الأجنبي ، واضعاف قوميتنا العربية ـ الاسلامية ، وتوهين جميع القيم الانسانية السامية في نفوس المتعلمين ، وتخريج أشباه رجال لا يكادون يصلحون لشيء يعتد به في الحياة • وقد وضع هذه النظم الفاسدة قسيس انجليزي يدعى دنلوب كان يعمل حينئذ مستشارا في نظارة المعارف المصرية (كما كانوا يسمونها في هذا العهد) ، وكان مسيطرا على جميع شئون التعليم في مصر • ثم تولى هذه الشئون من بعده ومن بعد خلفائه من الانجليز ثلة من المصريين نشئت في هذه المدارس ،وتعهدها الانجليز ، وصنعوها على أعينهم ، وأعدوها لتكون حربا على الثقافة العربية ـ الاسلامية • وكانوا يزهون بأنهم يلوون ألسنتهم برطانة أسيادهم الانجليز • وخلف من بعد هذه الثلة خلف تربى على يديها ، وترسم خطاها • ونظر هؤلاء وأولئك الى السياسة الفاسدة التي وضعها دنلوب نظرة اجلال وتقديس ، ولم يحاولوا أن يغيروا شيئا من الأسس القائمة عليها ، ولا من الأغراض التي تستهدفها ، ولا من المناهج الجوهرية التي سنتها ، وانما داروا في فلكها ، وانصرفت جهودهم الى عبث من التغييرات السطحية التي لا تمس الجوهر في شيء •

وكانت العربية الفصحى أهم هدف سددت اليه سهام هذه السياسة الخبيثة • فلم يأل دنلوب وخلفاؤه من بعده جهدا في العمل على اضعاف هذه اللغة في المدارس المصرية ، والحط من شأنها ، وجعلها في المكان الثاني بالقياس الى بقية المواد • فقد كانت دروسها لا تكفي لالمام التلاميذ بأصولها ، وكانت أهميتها في الامتحانات العامة وامتحانات النقل والواجبات المدرسية أقل كثيرا من أهمية ما عداها • فكان يكتفى لنجاح الطالب في مادة اللغة العربية بما دون القليل ، بينما كان يحاسب حسابا عسيرا في اللغة الانجليزية ومواد الرياضة والعلوم • وكانت تدرس له اللغة الانجليزية من السنة الأولى أو الثانية الابتدائية فيتلقى مبادئها في الوقت نفسه الذي يتلقى فيه مبادىء اللغة العربية ، فتتزاحم مبادىء اللغتين ومعلوماتهما وتختلطان عليه،ويضطرب لسانه وذهنه اضطرابا كبيرا،ويحول ذلك بينه وبين اساغته للغة بلاده وتشربه لروحها •

وكانت السياسة المصرية العامة تنظر شزرا الى مدرسة عالية أنشئت قبل الاحتلال الانجليزي لرعاية اللغة الفصحى والنهوض بها واعداد مدرسيها ، وهي مدرسة دار العلوم • وقامت النظم المدرسية ونظم وزارة المعارف على الحط من شأن مدرسي اللغة العربية عامة ، حتى لقد كان الواحد منهم لا يمكن أن يتجاوز الدرجات الدنيا في مرتبه ، وحتى لقد كانوا مبعدين عن جميع الوظائف العالية • وظلت هذه الوظائف وقفا على صنائع الانجليز من غير مدرسي اللغة العربية أمدا طويلا ،حتى لقد كان من المستحيل

فى هذا العهد أن نجد من بين مدرسى اللغة العربية من يصل الى وظيفة ناظر مدرسة ثانوية أو ابتدائية، وكانت كلمة « خوجة عربى » (أى مدرس عربى) تعتبر قريبة من كلمات الشتائم والسباب ، حتى ان كثيرا من الأسرات الراقية فى مصر كانت لا تقبل تزويج بناتها من « خوجات العربى » . فكانوا من بين طبقات المواطنين بمنزلة المنبوذين من طبقات الهنود . وكان معظم الروايات الهزلية يدور حول السخرية بمدرس اللغة العربية وتزمته فى مراعاة قواعدها ـ وقد نجم عن ذلك كله أنه كان يندر أن نجد من بين المتخرجين فى مدارسنا من يجيد اللغة العربية فى حديثه وكتابته أو من ينظر اليها نظرة تقدير واجلال والمجيدون لهـــا كانوا لا يكادون يتجاوزون بعض المتخرجين فى دار العلوم والأزهر ومدرسة القضاء الشرعى ومن أشربوا حبها فى قلوبهم من غير هؤلاء فتوفروا من أنفسهم على دراستهـــا ومزاولة فن من فنونها .

وما كان ينتظر من دنلوب وخلفائه ، وهم يعلمون ان اللغة من أهم مقومات الشعوب ودعائم شخصيتها وخاصة اذا ارتبطت بالدين كما هو شأن اللغـــة العربية ، ما كان ينتظر منهم وهم يعلمون ذلك الا أن يكونوا حربا على اللغة العربية والقوامين عليها ؛ لأن ســـياستهم كانت تقوم على العمل على انحلال الشعب المصرى واضعاف قوميته وشخصيته .

ثم أخذنا بعد تحررنا من سيطرة الانجليز نوجه بعض العناية للعربية الفصـــحى فى المدرسة وفى الحياة العامة . فألغينا تدريس اللغة الانجليزية فى المرحلة الابتدائية ، وضممنا جميع ما كان مخصصا لها أو معظمه الى حصص اللغة العربية ، وجعلنـــا العربية الفصحى أهم مادة من مواد الدراســـة ، ورفعنا الحد الأقصى للنجاح فيها عن جميع مستويات المواد الأخرى ، وجعلنا الرسوب فيهـــا عائقا عن الانتقال الى السنة التالية وعن النجاح فى الشهادات العامة مهما كان مستوى الطالب عاليا فيما عداهـــا من المواد ، وعنينا بتجويدها فى المؤلفات ووسائل الاعلام ، وانشأنا لرعايتها المجامع والمجالس العليا .

بيد أننا ، مع هـــذا كله ، لا ننفك مفرطين فى جنبها تفريطا كبيرا ، ولا تزال أوضاعها فى ألسنتنا واقلامنا بعيدة كل البعد عما ينبغى أن تكون عليه .

ويبدو تفريطنا هذا فى مظاهر كثيرة يرجع أهمهـــا الى مظهرين اثنين وهما :

١ ـ اهمال العربية الفصـــحى فى أهم موطن من المواطن التى يجب استخدامها فيه ، وهو التدريس فيندر أن نجد من بين المدرسين فى مختلف مدارسنا وكلياتنا ومعاهدنا من يستخدم العربية الفصحى فى تدريسه ، بل انه ليندر أن نجد من بين مدرسى اللغة العربية نفسها من يستخدمهـــا فى شرح ما يريد توضيحه لتلاميذه من حقائق مادته . وانما يستخدم معظم المدرسين فى تدريسهم اللهجة العامية بقواعدها وأساليبها وأصواتهـا ومفرداتها ، مع تطعيمهـــا ببعض أصـــوات ومفردات وتراكيب من العربية الفصحى . فيستخدمون مثلا صوت القاف فى بعض الكلمات ، ويقتبسون بعض مفردات عربية للتعبير عن مدلولات لايجدون فى العامية ما يعبر عنها ، ويركبون الجملة أحيـــانا تركيبا يحـــاكى تراكيب العربية الفصحى أو يقرب منها . ولكنهم يهملون اهمالا تاما أهم مقومات هذه اللغة وهى قواعد « السنتكس » و « المورفولوجيا » و « الستيليستيك » أى قواعد النحو والصرف والاسلوب فيقفون على أواخر جميع الكلمات بالسكون ، فلا تظهر وظيفـة الـكلمة فى الجملة الا من الســـياق أو من ترتيب وضعها فى العبارة . وينطقون بالكلمات المشتقة وغيرها فى أوزان عامية تختلف عن أوزانها الصـحيحة . ويؤلفون عباراتهم فى أساليب لا تتسق مع أساليب العربية الفصحى . ولايلافهم هذه الأداة فى التعبير أصبحت ألسنتهم عاجزة عن التحدث بالعربية . واذا حاولوا التحدث بها أو حاولوا قراءتها من كتاب أو صحيفة ظهر فى كل جملة تخرج من أفواههم عدة أخطاء ـ ولا مفر أن يحاكيهم تلاميذهم فى لغتهم ، وينتقل اليهم ما هم عليه من عى وعجـــز ، بل لا مناص أن يصبح تلاميذهم أعجز منهم وأشد عيا ـ فانتهى بنا الأمر الى ماتراه الآن ، وهو أنه يندر أن نجد من بين المتخرجين فى مدارسنا المصرية من يجيد اللغة العربية فى حديثه وقراءته . صحيح أننا نجد كثيرين ممن يجيدونهـــا فى كتاباتهم ، ولـكنهم مع ذلك قد لا يكونون ، أو قد لا يكون معظمهم ، أحسن حالا من غيرهم فى القـــراءة والحديث ، ويكون سبب ظهورهم بمظهر الاجادة فى الكتابة راجعـــا الى أن الرسم العربى ، لتجرده من علامات دالة على شـــكل الحروف ، يتيح لكثير من الناس أن يكتبوا ويؤلفوا بدون أن يكونوا ملمين بأصول هـــذه اللغة ولا

مستطيعين هم أنفسهم قراءة ما يكتبونه قراءة صحيحة ، وبدون أن يظهر في كتاباتهم أي أثر لقصورهم هذا ·

ولا يخفى ما يترتب على ذلك من أضرار بليغة تلحق اللغة العربية نفسها وتلحق مكانتنا الحضارية والثقافية وزعامتنا للعالم العربي ·

وذلك ان عجز ألسنتنا عن التحدث بالعربية الفصحى وعن قراءة المدون بها قراءة صحيحة يوهن كثيرا من مقومات هذه اللغة ومن حيويتها ، ويضعف من مكانتها ، ويزحزحها شيئا فشيئا عن مواطنها ويتهددها بالزوال والانحدار الى أحداث اللغات الميتة ·

ولا نستطيع أن نزعم ـ وحالنا اللغوى على الوضع الذى وصفناه ـ أننا قضينا على الامية او أننا فى سبيل القضاء عليها · لأن معظم من تعدهم فى احصائياتنا الرسمية ممن يقرءون ويكتبون هم فى حقيقة أمرهم أميون أو أشباه أميين ، ومن هؤلاء كثير من الحاصلين على الشهادات المتوسطة بل العليا نفسها · وذلك أن اجادة القراءة والكتابة والخروج من حيز الأمية لا يكون الا باجادة الأداة المستخدمة فى القراءة والكتابة وهى العربية الفصحى · وقد رأينا الى أى مدى يبعد عن هذه المنزلة من نصفهم من أبنائنا بأنهم متعلمون ·

واستخدام العامية فى تدريس العلوم والآداب يؤدى لا محالة الى تخلف كبير فى الثقافة العلمية والأدبية نفسها · وذلك ان العامية ـ كما ذكرنا ذلك فى مقال سابق ـ لغة فقيرة كل الفقر فى مفرداتها ، ولا يشتمل متنها على أكثر من الكلمات الضرورية للحديث العادى ، وهى الى ذلك مضطربة كل الاضطراب فى قواعدها وأساليبها ،ومعانى ألفاظها ، وتحديد وظائف الكلمات فى جملها ، وربط الكلمات والجمل والعبارات بعضها ببعض · وأداة هذا شأنها لا تقوى مطلقا على التعبير عن المعانى الدقيقة ولا عن حقائق العلوم والآداب والانتاج الفكرى المنظم · فاستخدامها فى تدريس العلوم والآداب يؤدى اذن لا محالة الى تخلف كبير فى الثقافة العلمية والأدبية وفى التفكير العام نفسه · لأن الفكر اذا لم تسعفه أداة مواتية فى التعبير خمدت جذوته ، وضعف شأنه ، وضاق نطاقه ، واقتصر نشاطه على توافه الأمور وسفساف التأملات · فاللغة هى القالب الذى يصب فيه التفكير ؛ فكلما ضاق هذا القالب واضطربت أوضاعه ، ضاق نطاق الفكر واختل نظامه وهزل انتاجه ·

واذا امتدت بنا هذه الحال فاننا لا نلبث أن نفقد زعامتنا اللغوية نفسها على البلاد العربية · وليس من بين هذه البلاد ما هو مهيأ لأن يخلفنا فى هذه الزعامة · وفى ذلك الطامة الكبرى على الوطن العربى ·

٢ ـ **والمظهر الثانى** من مظاهر تفريطنا فى جنب العربية الفصحى يبدو فى جنوح كثير من كتابنا ـ وخاصة كتابنا الصحفيين ـ الى محاكاة الأساليب الأجنبية فى تسلسل أجزاء الجملة وربط عناصر العبارة بعضها ببعض ·

ونقول « فى تسلسل أجزاء الجملة وربط عناصر العبارة بعضها ببعض » ، لأن ما عدا ذلك من أنواع المحاكاة للأساليب الأجنبية لا ينطوى على ضرر ما للغتنا العربية ، بل قد يزيد من ثروتها وقدرتها على التعبير · فمن ذلك مثلا اقتباسنا من اللغات الأجنبية بعض تشبيهات ومجازات وكنايات لم تجر العادة باستخدامها فى عصور العربية الاولى · فقد تسرب الى أقلامنا كثير من هذه التشبيهات والمجازات والكنايات ، كقولنا « عاش ستة عشر ربيعا » و « لا يرى أبعد من أرنبة أنفه » و « يلعب بالنار » و « ذهب ضحية مبدئه » ، و « يصيد فى الماء العكر » و « فعل كذا بصفته حاكما » ، و « أعطاه صوته فى الانتخابات » ، و « يعرف هذا الأمر معرفة سطحية » و « لعب دورا » ، أو « مثل دورا هاما فى هذا الشأن» و « حرق بخور الثناء بين يديه » و « استخدمه مخلب قط » ، و « صب عليه جام غضبه » ، و « لا جديد تحت الشمس » و « ازدهرت التجارة والصناعة » و « ساد الجهل والفوضى » و « توترت العلائق بين الحكومتين » ، و « هذا حجر عثرة فى سبيل كذا » و « وجدنا أنفسنا أمام تحديات كثيرة » ، و « هذه معادلة صعبة ينبغى أن نعمل على حلها » و « مبدأ الحياد الايجابى أو السلبى » ... ـ فمثل هذه الأساليب ، وان لم ينطق بها العرب ، جارية على سنن كلامهم فى التشبيه والمجاز والكناية · فلا بأس

من اقتباسها عن اللغات الأجنبية متى تحققت العلاقات والشروط التى جرت عادة العــــرب أن يعتمدوا عليها ويراعوها فى تعبــيرهم المجازى والكنـــائى والتشبيهى ، ومتى كانت متلائمة مع الذوق العربى، ومســـتمدة عناصرها من أمور مألوفة فى البيئات العربية • بل ان اللغة العربية ، اذ تتمثل هــذه الأساليب وتهضمها ، تزداد بهــا ثروة وقدرة على التعبير •

ولكن الضير كل الضير فيما يسير عليه بعــض كتابنا فى العصر الحاضر ، وخاصـــة بعض كتابنا الصحفيين والمؤلفين فى العلوم ــ ومنهم من أصبح له اليوم شأن كبير فى عالم الصحافة ــ ، اذ تؤدى بهم محاكاتهم للأساليب الافرنجية الى الخروج عما يسير عليه الاســـلوب العربى فى ترتيب عناصر الجملة ، وربطها ، بعضها ببعض ، وتنســـيق أجزاء العبارة وتسلسلهــــا ••• وما الى ذلك • فيأتون بعبارات عربية المفردات والقواعد ، ولكنها أعجمية التركيب والنظم ، حتى لنكاد نقطع بأن أصحابها قد كتبوها فى مبدأ الأمر باللغة الأجنبية ثم ترجموها بأوضاعها الأجنبية الى اللغة العربية ، أو أنهم حينما كانوا يفكرون فى موضوعاتها كان تفكيرهم نفسه يسير فى مجرى لغـــوى أجنبى (لأنه من المســـتحيل ان يسير التفكير بدون قالب لغوى) ، ثم أخذوا يدونون أفكارهم هذه بلغة عربية محتذين بهـــا الأوضــــاع الأجنبية التى كانت اطارا لأفكارهم فى مبدأ الأمر •

ونحن ، لايلافنا قراءة هذه الاســـــاليب ، نفهم المقصود منها بدون عناء كبير • ولكننا لو فرضــنا ان عربيا من رجال القرون الهجرية الاولى قد نشر من قبره وسمع هذه العبارات ما فهم منها شيئا يعتد به، ولظنها رطانة أعجمية تؤدى بصوت عربى •

وهذا النوع من محاكاة الأساليب الأجنبية هو اقوى معول هدم فى بناء العربية الفصحى• فالأسلوب للغة بمنزلة الروح للجسد ، وما المفردات وقواعد النحو والصرف الا عناصرها المادية • فاذا فقــدت اللغة أسلوبها فقد فقدت روحها ، ولم يبق منهـــا الا صورة العظم واللحم والدم •

« د • على عبد الواحد وافى »

حيرة

للشاعرة : نجاة شاور ربيع

انا وحـــدى ارقب الليــــل وافكـــارى شريدة
أرقب الأيام والأيام تطوينى وحيـــدة
وانا مشـــدوهة من سر أيامى الجـــديدة
تهـــرب الأفكـــار منى يالافكارى العنيـــدة
ويراعى كان نايا وغنــــاء وقصـــيدة
ان همســت الآن فى سمعيه لحنا لن يعيده !!

❋ ❋

هـــاهى الأيام تمضى فى خطاهــا مسرعة
وانا حــيرى وقلبى تائه ما أضيعه
كان يشـــدو بالأمانى والأمانى طيعـــة
وبدنيـــاه أغــان نابضــات ممتعــة
صار لا يهتز بل أمسى هـــدوءا ودعة
ضـــاع قلبى فى خضــم الكــون والروح معـــه

❋ ❋

قد عشقت الشـــعر رفاقا ودنيـــاه النضيرة
فانا أســـتلهم الأفكار مذ كنت صـــغيرة
وارى الدنيـــا شعورا وانفعـــالات كثيرة
همت بالأسرار بالأحلام بالنفس الكبـــيرة
وتغنيت بآمالى بأحـــلامى بدنيـــاى المثيرة
أنا بالاحساس نشوى أنا للفن أســيرة

❋ ❋

قد بسطت اليوم كفى نحـــو أســـباب الحيـــاة
لأقول الشـــعر لحنـــا نابضــــا بالأغنيات
واعيـــد الـــكون دنيـــا ترتوى من نبـــع ذاتى
كاد يطوينى شراع الكون يطوى نبضاتى
غير أن الشـــعر نادانى بعـــذب الأمنيـــات
فانتشت روحى وغنت بعد أن طال سباتى

الانفعال في الفن المصري

بقلم الدكتور : ابراهيم اللبان

في خريف سنة ١٩٣٢ كنت في لندن فدعيت لأول مرة في حياتي لشهود مسرحية انجليزية كانت تمثل اذ ذاك في مسرح قريب من ميدان بيكادلي فلما اخذنا مجالسنا ورفع الستار وبدا التمثيل جعلت اتتبع مواقف الرواية المتتابعة بعين الناقد المتيقظ ، لا بروح المتذوق المستسلم ، ولكن مبادئ النقد التي كانت تعمل اذ ذاك في نفسي ، لم تكن المبادئ العلمية وانما كانت الأوضاع الفنية التي ألفتها في مصر وخيل الي لطول الألفة انها اصول علمية عالية وان كل ما يخالفها شاذ مستنكر . ولم يطل بي المقام حتى احسست بالفروق الكبيرة التي كانت تفصل بين الفن المعروض امامي في ذلك المساء وبين الفن كما عرفته وألفته في مصر .

كانت القصة تعرض علينا حادثة طريفة من حوادث الحياة الانسانية ـ كانا رجلا وامرأة التقيا في عصر الشباب فتحابا وصحت عزيمتهما على الزواج ثم فرق الدهر بينهما وطال عهد الفرقة حتى انقطعت اخبار كل منهما عن الآخر . ثم حدث ان جمعت بينهما الأيام فجأة وقد علت بهما السن ، وكان الرجل قد جمع ثروة طائلة ، اما هي فكانت قد بلغت الذروة في فن التمثيل واصبح اسمها يرن رنينا في عالم الفن في جميع البلاد. وقد تعارفا دون صعوبة وهنا تنبهت العاطفة القديمة في صدر هذا الثري الأعزب وخيل اليه انه قد يكون من الممكن ان يحقق اليوم ما فاته بالأمس فخاطبها واياها في حديث الماضي وذكرياته حتى ايقظ في نفسها الآمال والأحلام القديمة ، ثم عرض عليها الزواج بصوت عاطفي رقيق تنطق كل نبرة من نبراته بالاخلاص وتنم عن التأثر ، وهنا نظرت اليه نظرة هادئة رانية ثم طلبت اليه ان يمهلها الى الغد لتفكر . والتقيا في الغد فكان الأمر على غير ما توقع . فقد اخبرته ان الزمن قد فات . فانها قد وهبت نفسها للتمثيل منذ احترفته من حياتها حتى لم يبق لغيره متسع في عاطفتها او فكرها ، ثم اضافت الى ذلك انها قد قررت الآن ان تمضي في هذا الطريق الى نهايته لأنها لا تستطيع ان تعيش لغير الفن او تهتم بأمر سواه .

وهنا فاه الرجل بكلمات قليلة رقيقة عبر بها عن أله واسفه لخيبة امله ثم اسدل الستار وانصرف الجمهور .

❋❋❋

وما زلت الى اليوم اتذكر الآثار النفسية المختلفة التي احتشدت في نفسي في ذلك المساء في اثناء عرض المسرحية وبعد تمام العرض .

كان من بين الأمور التي اثارت دهشتي مكان الانفعال في المسرحية فقد كان مخالفا لما عرفته في مصر من وجوه متعددة . كنت أتوقع ان اسمع الأصوات العالية المتحمسة او الغاضبة أو الصارخة النادبة المعولة ، فلم ار لهذا أثرا فقد مرت المسرحية من بدايتها الى نهايتها دون صياح أو صراخ او بكاء واعوال . وكانت اصوات الممثلين في اثناء التمثيل عادية هادئة لا تكاد تختلف عن اصوات الشعب في حياته اليومية ، وهو شعب معروف بحرصه على ضبط انفعالاته واخفاء مظاهرها حتى لا تبدو في صوت او جارحة .

ولم يخل الجو من الانفعال ولكنه كان انفعالا هادئا عميقا لا هائجا ثائرا صاخبا . فالواقع ان مواقف المسرحية المتتابعة قد اثارت انفعالات متعددة ومتباينة . وكان اعمها واقواها هو الانفعال الذي احسست به حينما افضت اليه بما استقر عليه عزمها . فقد كان ثمة امل ، امل في شيء من السعادة لهذا الشيخ الثري التاعس . فجاء القرار مخيبا للآمال . قاضيا بان تخلو حياته الى الأبد من سعادة الحياة الزوجية التي كان يتطلع اليها ، فالحادثة بطبيعتها تثير الأسى للبطل وللنظارة ، ولكن كان هناك مصدر آخر لشعور الأسى ـ فقد كان رده يحمل في نبراته بعض ما انطوت عليه نفسه الحزينة من الام ، فزاد هذا بطبيعة الحال في الحزن الذي شعرت به في ذلك الحين .

واجمال القول انه كان هناك انفعال . وكان لهذا الانفعال مصدران وهما طبيعة الحادثة ثم صوت البطل الذي فاض منه الحزن الى الحضور بطريق العدوى الانفعالية .

والمسألة الهامة هي ان هذا الانفعال كان خاضعا لمبادئ خاصة، فلم يكن فيه شيء من الغلو والاسراف . كان في الواقع بالمقدار الذي يتطلبه الموقف ويصدر عن الرجل السوي في مثل هذه الأحوال ولم يكن فيه شيء من المبالغة المصنوعة بقصد التأثير في نفوس الحضور ورفع درجة انفعالهم ولوثتهم النفسية .

ومع ذلك فاني أذكر انني اذ ذاك احسست باني قد فقدت شيئا ألفته ، وتعودته فاحدثت غيبته فراغا في نفسي .

ولم تكن الظروف التي احاطت بالانفعال هي الأثر الوحيد الذي

تركته المسرحية فى نفسى ، فقد كان للموضوع ايضا اثر كبير جدا . فقد بعث فى نفسى طائفة من الافكار تختلف قوة وضعفا ووضوحا وغموضا . خيل الى انه كان من الخير ان ينتهى الموقف بالزواج وانه من القسوة ان تكون الخاتمة مخيبة لآمال هذا الشيخ التاعس مبددة لكل احلامه فى هذه الحقبة التى آذنت فيها شمس حياته بالمغيب .

ولكنى عند النظرة الثانية رايت من الانصاف ان اقرر ان المؤلف لم يعد الوضع الطبيعى فليس مما يخالف العادى والمألوف ان تعمد شيخة قضت حياتها الطويلة فى خدمة الفن حتى امتزج حبه بدمها ولحمها وبلغت فيه الذروة الى ايثار حياة زوجية قد اصبحت فاترة جوفاء ، وان تتخلى من اجل ذلك عن مجد فنى كبير قد احرزته بجهد شاق طويل . لا شك ان هذا الرفض وضع عادى مجار للنواميس الطبيعية .

وربما كان اروع ما كان فى المسرحية منهجها فقد كانت كغيرها من المسرحيات ـ تتكون من الحادثة ومن الانفعالات التى اثارتها مواقفها المتتالية ، وكان بينا ان المؤلف لم يتجه اتجاها مباشرا الى اثارة الانفعالات ولم يجعل من ذلك الهدف الاعلى لفنه ، بل عمد الى الموضوع فجعله هدفه الرئيسى وتوفر على تصويره وابراز معالمه والكشف عن مغزاه ، ولم يجاوز فى تصويره الأوضاع المعروفة المألوفة ، ولا تناسى القانون الطبيعى الذى تخضع له الطبيعة البشرية كغيرها من الظواهر الكونية . فكان امينا صادقا فى تصويره . لم يكن غرضه الأول التهييج والاثارة اثارة الغضب او البكاء او الضحك ، بل غرضه تيسير الفهم ، فهم الحياة الانسانية وما تنطوى عليه من نواميس وتخضع له من قوى ونزعات فترفق فى التصوير حتى جعلنا نشعر شعورا قويا بمدى حب الفنان لفنه واستعداده للتضحية من اجله فلم ينصرف الحضور وقد بلت مناديلهم الدموع ولكن انصرفوا بفهم جديد لناحية من نواحى الحياة الانسانية وهى افتتان الفنان بفنه وحبه الجارف له وفشل الحب الانسانى اذا جاء متاخرا لمنافسته .

وليس يعنى هذا ان المؤلف قد تجاهل الناحية الانفعالية . فقد عنى بها فى حدودها فترك لموضوع المسرحية ولصوت الممثل السبيل الى التاثير فى وجدان الجمهور .

ونحن اذا استعرضنا انتاجنا الفنى والادبى راينا امارات النهوض والتقدم واضحة بينة ، ولكننا لا نلبث ان نرى فيه ايضا انحرافات ظاهرة وان بعضها يكاد يكون من السمات العامة . وفى هذا ما يفتح باب النقد ويدعو الى اليقظة ويدفع الى النضال . وقد يكون من ابرزها الاتجاه الجامح الى الانفعال وحرص الفنان على رفع درجة الاثارة الى اعلى مستوى ممكن . ويكفى ان نشير الى بعض ما تقدمه الاذاعة من مسرحيات فان المسرحية لا تكاد تبدأ حتى تظهر الشدة والحدة ثم يرتفع صراخ الممثلين الى حد يصم الآذان . وذلك ان المسرحية فى العادة تنطوى على نوع من الصراع فالعقدة التى تعترض الطريق او تثير الخلاف عنصر من العناصر المسرحية الضرورية ، فاذا اثير الخلاف بدأت المناقشة واصطبغت فى الحال بالصبغة الانفعالية العالية ، ومن ثم تتعالى الاصوات ويشتد الصراخ حتى يصل الى حد الازعاج . والخلافات التى تحدث بين الزوج والزوجة او بين الأب وابنه او ابنته يكثر الآن عرضها فى الاذاعة فتنقلب فرصة لعرض مزعجات الحدة والشدة والصراخ والتشنج المصطنع الثقيل .

ويشتمل هذا الوضع على اغلاط فنية متعددة ، لعل اهمها ان الممثل والمؤلف قد اسلما قيادهما للناحية الانفعالية وخيل اليهما ان الكمال الفنى هو قوة الانفعال وشدته وحدته . وهذه فكرة خاطئة ، فليست مهمة الفن الاساسية هى اثارة الانفعال ولكن رسالته الحقيقية هى عرض التجارب الانسانية عرضا قويا مطابقا لسنن الكون من اجل الكشف عما تنطوى عليه من مبادئ واصول عامة لا لمجرد اثارة الانفعال والتهييج السخيف . واذا ما سيطرت فكرة الانفعال العنيف كانت النتيجة المحتومة ان يبادر المؤلف الى تقديم حوادث تافهة او مصنوعة ينكرها الواقع ويتبو عنها الذوق السليم ليصل بها الى ما يريد من اقصر الطرق وايسرها وانت اذا ما اصغيت الى هذه المسرحيات احسست فى الحال بسوء معالجة الموضوع فالحادثة عادية مألوفة ومكررة ليس فيها جدة او طرافة او عمق والمناقشة ضعيفة المنطق لا تلمح من ثناياها عبقرية ولا يطالعك من ناحيتها منطق قوى او حجة واضحة . وشر من هذا ان مجرى الحوادث فى المسرحية قد يكون مخالفا للقوانين الطبيعية فترى الوقائع يتلو بعضها بعضا دون علاقة طبيعية واضحة فتحس ان ناموس السببية مهمل او كالمهمل فى العلاقة بين المتقدم من الحوادث والتالى . والخطأ الاساسى هنا هو سوء التقدير واعتقاد المؤلف ان العنصر المهم فى الفن والأدب هو الانفعال لا الناحية الفكرية ، فاتخذ من فنه وسيلة للاثارة بدلا من ان يجعله وسيلة لشرح الحياة والكشف عن طبيعتنا ونواميسها الخالدة .

وقد ترتب على هذا امر اخر اشد سوءا واكثر ضررا . فالفن السليم يبسط سلطانه على الانفعال فيلزمه حدوده الطبيعية ولا يسمح له ان يتخطاها والحد الطبيعى هو الذى تفرضه طبيعة الحوادث ، فهى التى يجب ان تحدد المقدار العادل لانفعالات القصة والمسرحية . ولكن الفن الانفعالى لا يستطيع ان يخضع لهذا الأصل الفنى السليم . فانه لو نزل على حكم الوقائع لما سنحت له الفرصة للاثارة العالية المسرفة التى يعدها رسالة الفن الحقيقية ومن ثم يتعامى عن المقدار الذى تفرضه طبيعة الأمور ويأخذ فيما قصد له من اثارة وتهييج . فيسلمه ذلك الى اغلاط اخرى . منها الغلو والاسراف فى تصوير الحوادث واعطائها صورة مصطنعة لا تتفق وطبيعة الوجود .

وفى هذا الاتجاه الفاسد يعاونه الممثل . فالمؤلف انما يتحدث الى الناس فى المسرحية الممثلة بصوت الممثل ولسانه . وهنا نرى الممثل وقد تملكه الاعتقاد بان واجبه الأول هو ان يكون صوته محملا باكبر قسط من الانفعال الصاخب فيصرخ صراخا عاليا فى مواقف الغضب ويبكى ويعول فى مواطن الحزن ويبلغ فى ذلك حد الاسراف المرذول .

ان الفن الانفعالى يضع يده على مصادر التاثير الوجدانى فى المسرحية والقصة وهى طبيعة الحادثة وصوت الممثل لأنه يعرف ان الحوادث وصورها مثيرات طبيعية للانفعال وان الانفعالات معدية فيكفى ان تظهر امارات الانفعالات فى وجه الممثل وصوته حتى تسرى عدوى الانفعال الى الجمهور كله او بعضه . وهو عادة يستغل هذه النواميس الطبيعية اسوأ استغلال فيغلو فى تصوير

الحوادث العادية ويرسل من فم الممثل اصواتا عالية مدوية يستعين بهذه وتلك على رفع درجة الانفعال الى اعلا حد مستطاع .

ولهذا المنهج البدائى آثار شتى غير حميدة فهو فى ناحيته السلبية يؤدى الى اغفال العناية بالحوادث والأفكار فلا يعنى المؤلف باختيار الحادثة التى سيجعلها موضوع مسرحيته ولا ينال عرضها من الاهتمام ما يستحقه ، وهنا تظهر فى المسرحية اعراض الضعف الفنى فى صور شتى . وشر ما يظهر من ذلك خلو الحوار من المنطق الدقيق .

وسوء ترتيب الحوادث بعضها على بعض وهذا يضعف الاقناع العقلى ويحول بينها وبين النجاح فى تحقيق اغراضها الثقافية او الاصلاحية . وما كان لها ان تؤدى رسالتها وقد عجزت عن الاقناع .

الاهتمام بالانفعال الذى ينطوى فى كثير من الأحيان على التضحية بانبل الأهداف واسماها ويحدث ذلك حينما توجه الجهود التى كان يجب ان تبذل فى خدمة الموضوع الى التفنن فى اختيار وسائل الاثارة والدقة فى توجيهها الى وجدان الجمهور .

ويتفاقم الفساد حينما تقحم وقائع اجنبية عن الموضوع فى بنية المسرحية لمجرد الرغبة فى رفع درجة التهيج النفسى دون ان تكون لها رابطة ظاهرة بما يسبقها او يعقبها من تطورات . هذا المسلك بالاجمال يغفل الناحية الفكرية بل يشوهها تشويها فعليا لمصلحة الناحية الوجدانية . وليس بين كبار ائمة النقد من يوافق على ادخال الحيف على الناحية الفكرية بوجه من الوجوه كائنا ماكان السبب .

والواقع انه منذ ان قرر ارسطو فى كتاب الشعر ان صميم المسرحية هى المحاكاة ، محاكاة الطبيعة ، لم يستسغ احد من فلاسفة النقد تناسى الأوضاع الطبيعية فى التصوير الفنى وان رفض اكثرهم المحاكاة الفتوغرافية الدقيقة .

وربما كان اعجب الآثار التى تترتب على المسلك الانفعالى المتطرف هو اخفاقه فى تحقيق هدفه فان الجو المصنوع لاثارة الانفعال الجامح يبدو فى العادة مفتعلا سخيفا لا طبيعيا جميلا فيعجز لهذا السبب عن اثارة الانفعال المنشود . بل الواقع انه يثير فى كثير من الأحوال نوعا من الضجر والتقزز . وما كان لهذه الأصوات العالية المزعجة ولهذا الصخب والضجيج والتظاهر المكذوب بالدهشة او السرور ان يحدث غير ذلك . ان الاخلال بالقوانين الطبيعية تنتظره العقوبات الطبيعية فالانفعال الذى لا يتناسب وطبيعة الموقف الذى اثاره فى درجته وقوته يبدو مضحكا لا مثيرا ، او مملا مزعجا لا مؤثرا جميلا .

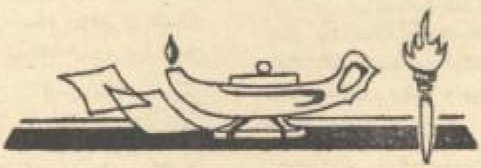
ولعل اخطر ما فى نزعة الانفعال اثرها التربوى . فقد كان من اسباب عداء افلاطون للفن انه يزيد من استعداد الفرد والشعب للانفعالات وهذا ضار بالحياة العقلية وهى الحياة الانسانية الصحيحة ويؤدى فى النهاية الى تكوين شعب انفعالى تحكمه انفعالاته لا عقوله .

وفى اعتقادى اننا احق الناس بتقدير هذه الفكرة الافلاطونية فالاستعداد للانفعالات ليس ضعيفا فى الأمم الشرقية ، ولا بد لنا من مقاومة هذا الاستعداد والا افسد علينا حياتنا . ومن ثم كان من واجبنا الا نسمح للفن ان يثابر على اثارة الانفعالات الجامحة فان هذا يزيد الاستعداد الانفعالى قوة ويجعله حالة عارمة وينتقل اثره الى الحياة اليومية فتتحكم فيها الانفعالات بدل الأفكار والمبادىء . وهذه شر ضروب الحياة .

والحق انه لا بد من الخضوع للمثل الأعلى الفنى وتوجيه الفن عندنا فى ضوئه وعلى هداه . وربما كان من اهم المبادىء التى يجب التذكير بها الآن هو الخضوع الكامل للمبدأ الذى يقضى بتوجيه الاهتمام الأكبر الى الموضوع ـ الى دقة انتقائه واحكام عرضه وسداد منطق المحاورة وسلامته .

يجب ان تكون وجهتنا المباشرة عقل الجمهور لا وجدانه . فنحاول ان نرى الناس من حقائق الحياة ما لا يرون وما اكثر ما تحجبه عنا شئون الحياة من حقائق ومبادىء . فلنتجه بالفن اذن الى الكشف عن هذه الحقائق وتقديمها الى الجمهور لتثقيفه وتوجيهه وهدايته الى قصد السبيل . وفى الحياة الانسانية مجال فسيح للفنان الذى يؤمن بان مهمته ثقافية قبل كل شىء . وما اكثر ما فى الحياة المصرية الحديثة من مشكلات تحتاج الى معالجة الفنان القدير واسلوبه الحكيم فى تحليلها والاقناع الى حلولها .

د . ابراهيم اللبان



حيرة مع الأشباح

للشاعر : محمود محمد سالم

خيم الصمت والظلام واغفى ... كل شىء وراح فى الأحلام

واستراحت على اكف الأمانى ... عبرات تفيض بالآلام

فتراءت لخاطرى اشباح ... راقصات الرؤى وراء الظلام

تبعث الروع والمخافة فى نفسى ... وتحيى ما مات من ايامى

فى دجى مطبق وصمت رهيب ... ذكرتنى الأشباح احلام امسى

امسى الذاهب الموشح احلا ... ما حسانا ملففا فى دمقس

كنت كالروض فى الربيع ضحوكا ... حالما اسكر السرور بكاسى

ثم جاء الخريف فاقتلع الرو ... ض والقى بالورد فى مخالب نحسى

لاتثيرى بالله أيتها الأشباح ... خيالى ولا تهيجى حنينى

اتركينى اسلو وانسى جراحا ... ت فؤاد معذب فى السنين

اتغنى كما اشاء وابكى ... حيثما شئت بالأسى المدفون

هاأنا فى الحياة طيف غريب ... يتلاشى فى زحمة الأحياء

تائه الخطو مثقل بقيود ... كبلته بها اكف القضاء

سخر الناس منه حين راوه ... فى ذهول يطل نحو السماء

ليتنى كنت يا الهى جمادا ... ليتنى لم آكن من الشعراء

انا احيا فى عالم من خيال ... عبقرى الرؤى بديع الجمال

انا اهفو مع النسيم واسرى ... فى اعالى الربى وفوق الجبال

وبروحى اعيش حرا طليقا ... اتخطى بالروح كل محال

فلماذا يارب احيا حزينا ؟ ... الأنى اعيش بين الخيال

انا يارب فى الوجود غريب ... قلق الروح عاثر الخطوات

هائم فى الظلام التمس النور ... بقلب محطم الأمنيات

ظامىء غره السراب فلما ... طلب الماء ضاع فى الفلوات

انا من مله الشقاء على الأرض ... وضاق الفضاء عن حسراتى

قد وهبت الحياة للفن والشعر ... وصوغ النشيد والألحان

اقطع الليل ساهرا اتملى ... فى جمال الوجود والأكوان

تتهادى امام روحى ظلال ... وطيوف تهيم فى وجدانى

ضل بين الخيال فكرى وتاهت ... نظراتى فى واقع الأيام

كم ليال ابيتها اتغنى ... وسنين قضيتها فى سقام

بين قوم لا يفقهون نشيدى ... لا ولا يعرفون معنى كلامى

هكذا عشت فى الحياة غريبا ... شاعرى الاحساس فى آلامى

اننى انشد الفضيلة والحق ... واهفو لكل شىء جميل

انشد العيش رحمة تسع النا ... س وعدلا فى قاتل وقتيل

سخر الناس من نشيدى وقالوا ... انه لحن شاعر مخبول

حسبى الله : اننى فى حمى ... الله اغنى فى شاطىء مجهول

وحدة الدم العربي في مصر

بقلم الدكتور : أحمد محمد الحوفي

تلك الدماء العربية التي سرت في العراق والشام منذ زمن بعيد قبل الاسلام ، ثم كانت أعظم سريانا بعد الاسلام ، طبعت الاقليمين بطابع العروبة الذي لاطابع لهما سواه .

فهل كان الحال كذلك في مصر ؟

نعم : واذا كان هذا الطابع الذي تميز به العراق والشام لم يظهر واضحا في مصر قبل الاسلام كما ظهر في العراق والشام ، فليس السبب انقطاع العلاقة بين جزيرة العرب ووادي النيل ، بل مرجعه الى بعد الوادي عن الجزيرة ، لان علاقة العرب بوادي النيل قديمة جدا ، اذ كانت موجات الهجرة تفد الى مصر عن طريق سيناء وبرزخ السويس ، وتفد الى السودان عن طريق باب المندب .

وقد كان بعض الهجرات الى مصر سلميا ، لايتم الا باذن حاكم مصر ورضاه ، حينما كان حكامها أقوياء ، وفي الكتابات القديمة اشارات الى هذه الهجرات وتلاحقها .

وكان بعضها ممثلا في جموع كثيرة مغيرة ، مثل الهكسوس ، وهم الذين سماهم المصريون (شاسو) أي البدو ، وكانوا يتنقلون في بادية مصر الشرقية بين النيل والبحر الاحمر ، كما يتنقل بدو العصر الحاضر ، وكانت لهم في سيناء وما يليها سيادة وحكومة من أقدم أزمنة التاريخ . ثم سنحت لهم فرصة وثبوا فيها على مصر وامتلكوها ، وعرفت دولتهم بدولة الشاسو أو البدو ، واليونان سموهم هكسوس، والعرب سموهم العمالقة أو العرب البائدة وهم الذين أخرجهم أحمس من مصر حوالي سنة ١٥٨٠ ق.م بعد أن حكموها نحو قرن ونصف قرن. وقيل انهم قدموا الى مصر في أوائل القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد ، وما زالوا بها الى أوائل القرن الثامن عشر ، فقضوا في مصر نحو خمسة قرون .

ولقد يقرب مسافة الخلاف أن الهكسوس لم يغزوا مصر دفعة واحدة ، بل كان غزوهم تدريجيا ، واكتسبوا قوته بمرور الزمن ، حتى حكموا مصر سنة ١٧٣٠ ق.م . ولما طردهم أحمس الاول لم يزل نفوذهم الثقافي من مصر ، بل استمرت ثقافتهم تطبع الحياة المصرية بطابعها الخاص الى مدة من عهد الاسرة الثامنة عشرة .

والراجح أنهم عرب ، كما قرر ذلك يوسيفوس المؤرخ الاسرائيلي المتوفى أواخر القرن الاول للميلاد نقلا عن مانيثون المؤرخ الاسكندري المتوفى في أواسط القرن الثالث قبل الميلاد .

ودليل آخر أن العرب يسمونهم في كتبهم العمالقة .

ثم ان لفظ هكسوس أصله (هيك شاسو) وكان يظن أن معناه ملوك الرعاة ، حتى تبين أن معناه ملوك البدو أو البادية ، وهم العرب .

وقد جاء في الآثار المصرية القديمة أن الهكسوس وفدوا من بلاد العرب قديما .

ولقد كانت علاقة مصر بالفينيقيين ــ وهم عرب كما سيجيء ــ قديمة جدا ، ترجع الى الاسرة الثالثة حوالي ثلاثين قرنا قبل الميلاد ــ اذ كانوا ينقلون الى مصر خشب الارز من جبال لبنان ، ويعودون الى بلادهم بحاصلات مصر ومصنوعاتها .

ثم فتح بلادهم تحتمس الثالث (١٤٧٩ ــ ١٤٤٧ ق.م) فصارت جزءا من الامبراطورية المصرية الى أن خرجت عليها مع سورية وفلسطين في عهد اخناتون (١٣٧٥ ــ ١٣٥٨ ق.م) .

ومع ذلك فان علاقة الفينيقيين بقيت موصولة بمصر ، وكثر وفودهم اليها ، واستقروا فى كثير من مدنها وقراها ، وبخاصة فى مدينة منف .

ويذكر هيرودوت وبلينيوس ان الاقسام الشرقية من مصر وخصوصا المتصلة بطور سيناء كانت ماهولة بقبائل عربية قبل زمنهما . ويذكر ديودور أن العرب كانوا يسكنون فى المنطقة التى بين سورية ومصر ، وفى الارض الشرقية من مصر المطلة على البحر الاحمر ، وانها كانت آهلة بهم فى أيامه ومن قبله . وقد أشار استرابون الى هذه الحقيقة .

وتفند الكتابات العربية المعينية التى عثر عليها ، واقوال المؤرخين القدماء أن صلات العرب بمصر لا ترجع الى الفتح الاسلامى ، بل ترجع الى ماقبله بزمن سحيق . على أن العرب كانوا يتجرون مع مصر ، وكان رعمسيس الثالث (١٢٠٠ ق.م) ورعمسيس الرابع قد سهلا طرق القوافل بين بلاد العرب ومصر

ولهذا كثر العرب فى قفط ، وذكر استرابون ان نصف سكانها كانوا فى زمنه (القرن الاول قبل الميلاد) من العرب ، لان مصر ضعفت بعد دولة الرعامسة ، وطمع فيها جيرانها ، وتوافد اليها العرب بانعامهم ، وسطوا على مدنها كما فعلوا من قبل ، ونزلوا قفط وملكوها قرونا .

ولم تكن قفط وحدها هى المعمورة بالعرب ، بل كانت مدن كثيرة فى صعيد مصر حافلة بهم منذ زمن استرابون الى القرن الاول بعد الميلاد .

ولم ينقطع هذا الاتصال ، حتى ان قبيلة حوتكة نزلت بمصر فى العصر الجاهلى بعد نزاع بينها وبين غيرها .

لذلك كله عثر الباحثون فى اللغة المصرية القديمة على ألوف من الكلمات العربية ، وألف المرحوم أحمد كمال معجما كبيرا فى ذلك ، مازال مخطوطا .

كذلك تبين من الآثار والنقوش التى عثر عليها حديثا أن الأنباط كانوا على صلات وثيقة بمصر .

ولما تم فتح الشام تفرق كثير من عرب غسان وعاملة وجذام ، وكانوا قد تنصروا ، ونزل بعضهم بشمالى سيناء بين مصر وفلسطين ، واقطعهم حاكم مصر الرومانى ولاية تنيس (صان الحجر) ، وهم الذين انضموا الى الروم والقبط فى مقاومة فتح دمياط .

وحينما افتتح المسلمون مصر أقام بها جنودهم ، وتكاثر الوافدون اليها من العرب،وتتابعت هجراتهم، واشتد اختلاطهم وامتزاجهم بمن أسلموا من أهل البلاد .

ويكفى ان نذكر من هذه الهجرات الجماعية ــ غير الجنود الذين اقاموا بمصر ، واستوطنوها ــ عدة نماذج :

١ ــ جموع الامويين وانصارهم الذين فروا الى مصر خوفا من تنكيل العباسيين بهم ، ومنهم دحية بن مصعب الأموى الذى ادعى الخلافة سنة ١٦٦ هـ ، وانضم اليه أكثر سكان الصعيد ، وهزموا جيش الحكومة .

٢ ــ عرب الحوف ، وهم جموع من قبيلة قيس ، كان سبب قدومهم الى مصر ، أن عبيد الله بن الحبحاب عامل هشام بن عبد الملك على خراج مصر ، كان من موالى قبيلة سلول القيسية ، فكتب الى الخليفة أن القيسية قلة بمصر ، مع أن الخليفة شرفهم ، ورفع من ذكرهم ، واستأذنه فى أن ينقل الى مصر جموعا منهم ، ليساعدوا على نشر الاسلام ، فأذن له الخليفة، فبعث الى نجد يستحث أفواجا منهم الى الهجرة ، فقدم أول الامر ثلاثة آلاف ما بين سنة ١٠٩ هـ و ١٠٤ هـ (٧٢٧ ــ ٧٣٢م)وأنزلهم عبيد الله بالحوف الشرقى ، ولهذا سموا عرب الحوف .

ولما علم اخوانهم بطيب مقامهم وتحسن حالهم وفدوا اليهم من البادية على دفعات ، حتى ان عددهم فى آخر عهد هشام بن عبد الملك ، بلغ الفا وخمس مئة ، وصار فى آخر العصر الاموى ثلاثة آلاف .

ثم قدم عليهم كثير من قومهم حتى بلغ عددهم فى سنة ١٥٣ هـ (٧٧٠ م) خمسة آلاف ومئتين .

وما زالوا يتكاثرون بالولادة وبالقدوم عليهم حتى صاروا خطرا على ولاة مصر .

وليس أدل على كثرة عددهم من أنهم ثاروا على الولاة مرات فيما بين سنة ١٧٨ و ٢١٧ هـ (٧٩٤ و ٨٣٢ م) ، ثم أخلدوا الى السكينة وانتشروا بالدلتا ، وامتزجوا بالأهلين امتزاجا تاما .

٣ ــ جموع من بنى هلال ومن بنى سليم ، استقدمهم الى مصر الخليفة الفاطمى العزيز بالله سنة ٣٦٥ ــ ٣٨٦ هـ (٩٧٥ ــ ٩٩٦ م) وأنزلهم بالصعيد شرقى النيل ، ثم استنفرهم الخليفة الفاطمى المستنصر سنة ١٠٣٦ ــ ١٠٩٤ م للحملة على المعز بن باديس ،

وبقى بعضهم فى مصر مثل بنى عقبة باسنا وأسوان، ثم عادت هجرات منهم الى مصر ، منها الهنادى والبراغيث الذين وفدوا على مصر فى القرن الثامن عشر .

وكذلك استقدم الفاطميون قبيلة سنبس ، وهم من طيىء ، كانوا ينزلون بفلسطين وكثروا هناك ، واشتدت وطأتهم على الولاة . فاستقدمهم اليازورى وزير الخليفة المستنصر ، فجاءوا الى مصر سنة ٤٤٢ هـ (١٠٥٠ م) ، واقطعهم البحيرة التى كانت بأيدى قبائل عربية أخرى ، وصار لهم شأن أيام الفاطميين بالجيزة حول سقارة، والامرة فيهم الآن (أ عصر القلقشندى ٧٥٦ - ٨٢١ هـ) للخزاعلة فى بنى سويف ، ومقرهم فى مدينة سخا بالغربية .

وقد اقامت هذه القبائل فى مصر واندمجت بالسكان فى الصعيد والدلتا ، واحترفت الزراعة والرعى والتجارة .

فلما قطع الخليفة العباسى المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧ هـ) مرتبات الجنود التى كانوا يتقاضونها من خزانة الدولة اضطر الجنود الذين كانوا بمصر أن يكسبوا أرزاقهم من الزراعة والتجارة ، فنشأ عن هذا تفرقهم فى أصقاع مصر ، وازدياد امتزاجهم بالاهلين ، كما امتزج القيسيون وغيرهم من قبلهم .

ولا تزال درارى هذه القبائل العربية منتشرة بمصر الى اليوم ، مثل أولاد على بمحافظة البحيرة ، والمعازة بالصحراء الشرقية ، والحرابى بمحافظة الفيوم ، والحويطات بالمطرية ، وجهينة بالصعيد ، والحوفية بمحافظة البحيرة ، وكثير من امثالها تحتفظ باصولها وانسابها العربية .

« د . احمد محمد الحوفى »

صغيراى

للشاعر : محمود جبر

بلبلا أيكتى وماء غديرى
وهزارى ومزهرى وعبيرى

ودعائى لدى الصلاة وحمدى
وابتسامى ونشوتى وحبورى

كل حين يساق فيه حديث
عن صغير اخال فيه صغيرى

انتما الروض والظلال وهمس
بين قلبين فى حنايا الصدور

ان تنوحا فكل كونى دموع
او تسرا فانه من سرور

فى الشتاء المطير يرقد طفل
فى ثنايا الطريق فى الزمهرير

فاناجى السماء .. طفل كطفلى
لفه الليل بالشقاء المرير

لست هذا الغنى يا رب فارحم
خالى الكف من عذاب الضمير

لا ترع بالعقاب مثلى فمثلى
جاد بالدمع والأسى والزفير

رب انى بعثت شعرى زكاة
وصلاة وقربة عن طيورى

من مسرح اللامعقول :

عريس لابنتي

مجهولة

ليوچين يونسكو

ترجمة : أنيس منصور

الشخصيات :

السيد ...

السيدة ...

الآنسة ...

وترتدى السيدة قبعة مزدانة بالزهور وفستانا طويلا وجاكتا ضيقة حمراء ومعها شنطة يد . والسيد يرتدى بدلة فراك وله ياقة عالية منشاة وكرافتة سوداء وله لحية بيضاء .

والاثنان يجلسان على مقعد فى احدى الحدائق العامة .

السيدة : دعنى أحدثك عن ابنتى . انها مجتهدة فى دروسها .

السيد : لم اكن اعرف . ولكنى لا أستبعد ذلك . لقد عرفت عنها انها فى غاية الذكاء .

السيدة : وليست عندى اية أسباب للشكوى مثل كثير من الأمهات . فنحن راضون عنها تمام الرضى .

السيد : الفضل كله يرجع لك . لقد ربيتها تربية ممتازة . والعثور على طفل نموذجى هذه الأيام شىء نادر .

السيدة : تمام .

السيد : لقد كان الاطفال على أيامى أكثر طاعة لآبائهم وأكثر التصاقا بهم . كما انهم كانوا يقدرون التضحيات التى يبذلها الآباء . ويفهمون مشاكلهم المادية ومتاعبهم عموما .. وان كان من الافضل فى بعض الاحيان الا يعرفوا شيئا من هذا .

السيدة : تمام . كما انهم كانوا أكثر .

السيد : كانوا أكثر عددا .

السيدة : تمام . ويبدو أن نسبة المواليد فى فرنسا آخذة فى الانخفاض .

السيد : هذه النسبة تعلو وتنخفض . ولكن يبدو انها آخذة فى الارتفاع هذه الايام . وان كانت هناك سنوات فى غاية الانخفاض .

السيدة : تمام . ما أصدقك . تصور .

السيد : فما الذى تتوقعه ؟ انه من الصعب الاتيان بأطفال فى الوقت الحاضر .

السيدة : اكيد انها مسألة صعبة . وانا أعرف ذلك جيدا . ان الاتيان بالاطفال يكلف الكثير وتربيتهم تكلف أكثر . الى جانب ما يحتاجون اليه من أشياء وأشياء ، فهم يحتاجون الى كل شىء !

السيد : والنتيجة ؟ اليوم أصبحت حياة الانسان هى أرخص شىء !

السيدة : أوه .. تمام . كلامك مضبوط جدا . انت على حق تماما .

السيد : ففى العالم زلازل وحوادث سيارات وآلات أخرى كثيرة كالطائرات والامراض الاجتماعية والانتحار والقنبلة الذرية .

السيدة : لا تحدثنى عن هذه الأشياء الكريهة ! .. انها هى التى غيرت الجو . لقد ارتبكت فصول السنة ، فلم نعد نعرف ان كنا فى الصيف أو فى الشتاء . وليت هذا فحسب ، بل هناك أشياء كثيرة أغرب من هذا . بل تعرف ماذا يقول الناس ؟

السيد : انهم يقولون الكثير .. فهل تصدقين كل ما يقال !

السيدة : طبعا لا .. طبعا لا .. والا فلا نهاية لما يقال .. ثم الصحف .. الصحف كلها أكاذيب فوق أكاذيب .

السيد : فى هذه الايام ياسيدتى اعمل مثل . لا تثق فى أحد . ولا تؤمن بشىء ولا تدعى احدا يفسد رأسك بالكلام الفارغ !

السيدة : انا أوافقك تماما . وانت أحسن لك أن تبعد عن الناس وانت عندك رأسك فوق كتفيك ضعه فى مكانه . واعمل ما يعجبك . ان كلامك مضبوط . تمام .

السيد : طبعا .. اننى أستخدم عقلى .

السيدة : تمام . ولكن ليس هذا حال كل الناس .

السيد : هذه الأيام يا سيدتى ، رغم كل هذه التسليات والمتع المختلفة من سينما وفونوغرافات ومكتبات وتليفونات وراديوهات ورحلات بالطائرات ومحلات كبيرة .

السيدة : نعم .. صحيح ..

السيد : .. والسجون والشوارع الكبيرة والضمان الاجتماعى ، وغيره .

السيدة : تمام ..

السيد : كل هذه الاشياء التى هى أجمل ما فى الحياة الحديثة ، قد غيرت النساء

والرجال لدرجة انه من الصعب أن تعرفهم أو تفرق بينهم ٠

السيدة : لم تغيرهم الى الأحسن ٠ بل الى الأسوأ ٠ كلام مضبوط ٠

السيد : ومع ذلك لا نستطيع ان ننكر التقدم والتطور ٠ فالدنيا تتقدم يوما بعد يوم ٠

السيدة : ما أصدقك ! تمام ٠

السيد : ٠٠٠ في التكنولوجيا وفي العلوم التطبيقية وفي الميكانيكا والادب والفن ٠

السيدة : طبعا ٠ ويجب أن يكون الانسان منصفا ٠ فليس من الذوق ألا يكون الانسان منصفا ٠

السيد : بل ان في استطاعتك أن تقول ان الحضارة الانسانية مطردة التقدم وفي الاتجاه السليم ، وذلك بفضل الجهود الموحدة لكل الشعوب ٠

السيدة : تمام ٠ كنت أقول هذا ٠

السيد : لقد قطعنا شوطا طويلا منذ أيام أجدادنا الذين كانوا يعيشون في الكهوف ويلتهم بعضهم البعض ويتغطون بجلود الحيوانات ٠٠ فما أطول هذا الطريق الذي سرنا فيه ٠٠

السيدة : فعلا ٠٠ ما أطول هذا الطريق٠٠ والتدفئة ؟ والتدفئة في البيوت يا سيدى ؟ هل كانت لديهم تدفئة داخلية ؟

السيد : عندما كنت طفلا صغيرا ياسيدتى٠

السيدة : أيام جميلة أيام الطفولة هذه ٠

السيد : كنت اعيش في الريف ٠ وكانت الشمس هي التي تبعث فينا الدفء صيفا وشتاء ٠ وكنا نضيء بيوتنا بمصابيح الزيت ٠ ولم يكن الزيت غاليا كهذه الايام ٠ واحيانا كنا نستخدم الشموع ٠

السيدة : وهذا يحدث اليوم ايضا عندما ينقطع التيار ٠

السيد : والآلات أيضا لم تعد دقيقة ٠ ان هذه الآلات قد اخترعها الانسان فاخذت منه كل عيوبه !

السيدة : لا تحدثني عن عيوب الانسان ! يا الهي٠٠ انني أعرف هذه العيوب والاخطاء٠ فالرجال ليسوا أحسن حالا من النساء ٠ انهم سواء ٠

السيد : طبعا ؛ ولماذا لا نتوقع من الانسان أن يعمل شيئا لا تقوى عليه الآلة ٠

السيدة : اعترف لك انني لم افكر في هذا قط ٠٠ ولكن اذا فكرت في الحقيقة ، فلم لا؟

السيد : يا سيدتي ان مستقبل الانسانية في المستقبل ! وهذا على عكس الحيوانات والنبات ٠٠ ولكن يجب ألا ننظر الى الآلة على انها اله ، وانها هي المسئولة عن التقدم دون ان نبذل نحن من جانبنا اى مجهود ! ٠ على العكس يا سيدتي ٠

السيدة : لم اقل اننا يجب ألا نبذل اى مجهود ٠

السيد ـ اقصد انه على العكس من هذا كله فالانسان هو احسن آلة بشرية ! انه الانسان الذي يتحكم في الآلة ، لأن لديه عقلا ٠

السيدة : تمام ٠ انت قلتها ٠



السيد : والآلة لا تزيد عن كونها آلة ٠٠ فيما عدا الآلة الحاسبة ، التي تحسب من تلقاء نفسها ٠٠

السيدة ـ صحيح فيما عدا هذه الآلة التي تحسب من تلقاء نفسها ، تمام ٠ ٠ كلامك مضبوط ٠

السيد ـ انها الاستثناء الذي يؤكد القاعدة نحن من لحظات كنا نتكلم عن الزيت وعن الشموع ٠ في ذلك الوقت كان ثمن البيضة مليما لا أكثر من مليم ٠

السيدة ـ مستحيل الا يزيد ثمنها عن مليم ٠

السيد ـ صدقي أو لاتصدقي !

السيدة ـ لا أشك في كلمة واحدة مما تقول !

السيد ـ وكان من الممكن أن يتناول الانسان عشاءه بعشرين مليما ، فلم يكن الطعام يكلف شيئا في ذلك الوقت ٠

السيدة ـ الدنيا تغيرت الآن !

السيد ـ وكان في استطاعتك أن تشترى زوجا من الاحذية ومن جلد ممتاز ، بثلاثين قرشا ٠٠ والشبان اليوم لايعرفون معنى هذه الاسعار في تلك الايام !

السيدة ـ الاغنياء فقط هم الذين لا يعرفون ! ان هذا الجيل الجديد في غاية العقوق ٠

السيد ـ اما هذه الايام فقد ارتفع سعر كل شيء ألوف المرات ، فكيف بعد هذا كله تقول ان الآلة هي اختراع سعيد ، وان التقدم هو أحسن شيء ؟

السيدة ـ طبعا لا ٠

السيد ـ ربما قلت ان التقدم حسن أو ردىء كاليهود والالمان والاقلام ٠

السيدة ـ لا ٠٠ انا لااقول شيئا من هذا ٠

السيد ـ ولم لا ؟ في استطاعتك أن تقول اذا شئت ، فهذا من حقك أليس كذلك ؟

السيدة ـ طبعا من حقي !

السيد ـ انني أحترم حق كل انسان في ان يكون له رأى ٠٠ ان افكارى عصرية جدا فقد كانت هناك ثورة فرنسية وحروب صليبية ومحاكم تفتيش، والامبراطور غليوم والبابوات والنهضة ولويس الرابع عشر ٠٠ كل هذا لم يكن من أجل لاشيء ! فقد دفعنا الثمن غاليا من أجل ان يكون للانسان الحق في أن يقول كل ما يجيء في رأسه دون أن يسخر منا الناس ٠

السيدة ـ فعلا دفعنا الثمن غاليا ، ان هذه الارض هي وطننا ، ولا نريد من أحد ان يجيء الينا ويقلب حياتنا ٠

السيد ـ وجان دارك ؟ هل خطر على بالك ما الذي كان يمكن أن تقوله جان دارك لو بعثت حية ورأت كل هذا الذي حدث ؟

السيدة ـ لقد سألت نفسى هذا السؤال كثيرا جدا .

السيد ـ الراديو ! وهى التى اعتادت أن تعيش فى كوخ ، من المستحيل أن تعرف كل هذه التغيرات الحديثة !

السيدة ـ من المستحيل أن تعرف هذه الأشياء لو قدر لها أن تبعث حية مرة أخرى !

السيد ـ ولكن ربما عرفت بعد ذلك !

السيدة ـ تمام .. ربما عرفت بعد ذلك .

السيد ـ عندما يفكر الانسان فى أن جان دارك اعدمها الانجليز الذين أصبحوا حلفاءنا بعد ذلك .

السيدة ـ ومن الذى ينسى هذا ؟

السيد ـ وان كان هناك بعض الانجليز الطيبين ...

السيدة ـ ولكن اغلبهم من الأشرار !

السيد ـ ولكنى لا اعتقد أن أهل كورسيكا أحسن حالا .

السيدة ـ لا اقصد هذا !

السيد ـ على الاقل انهم يؤدون عملا محددا امعظم موزعى البريد فى فرنسا من أبناء كورسيكا ، فمن الذى يأتى لنا برسائلنا اذا لم يكن هناك موزعون للبريد ؟

السيدة ـ انهم شر ضرورى .

السيد ـ الشر ليس ضروريا !

السيدة ـ ما أصدقك ! تمام .

السيد ـ لاتظنى أننى أحتقر مهنة موزع البريد .

السيدة ـ كل مهنة لها مزاياها .

السيد ـ (وقد نهض على قدميه) سيدتى ، هذه ملاحظة عميقة ، يجب أن تصبح حكمة ! اسمحى لى أن أهنئك (ويقبل يدها) وهذا هو نيشان الشرف (ويضعه على صدرها) .

السيدة (مضطربة) ـ سيدى ! اننى لست الا امرأة !

السيد ـ الصدق يخرج من اى عقل ..

(يجلس) سيدتى ، لقد وضعت أصبعك على الرذيلة الاساسية فى مجتمعنا هذا الذى أحتقره تماما ، وان كنت لا انفصل عنه .

السيدة ـ يجب الا تنفصل عنه .

السيد ـ مجتمعنا ياسيدتى لم يعد يحترم اية مهنة ، ويكفى ان تنظرى الى أبناء الريف وكيف يزحفون على المدن .

السيدة ـ تمام .

السيد ـ عندما لايكون هناك احترام لمهنة لايكون هناك احترام للطفل ، والطفل هو ابو الرجل ، وأرجو أن يكون كلامى واضحا .

السيدة ـ واضح تماما .

السيد ـ وربما يكون الطفل قد نسى هو ايضا كيف يكسب احترام الآخرين .

السيدة ـ ربما .

السيد ـ ومع ذلك يجب أن تحترم الطفل لانه اذا لم يكن هناك اطفال انقرضت الانسانية .

السيدة ـ هذا ما فكرت فيه .

السيد ـ وفقدان الاحترام لشىء يؤدى الى عدم احترام شىء آخر ، وفى النهاية لاتحترمين كلمتك ولا أى وعد تقطعينه على نفسك .

السيدة ـ هذا شىء رهيب .

السيد ـ ويصبح هذا الأمر بالغ الخطورة عندما يكون من رأيك أن الكلمة شىء مقدس تماما ككلمة الله ، وليس من حقنا أن نستخف بها !

السيدة ـ أوافقك تماما ، وهذا بالضبط ما أريد أن أتأكد منه ، فابنتى متعلمة ، وعندها مهنة محترمة وفى استطاعتها أن تقف على قدميها وتكسب قوتها بيدها وتحترم الآخرين بأن تبدأ باحترامها لنفسها .

السيد ـ لقد كنت فى غاية الحكمة ـ فما الذى تصنعه ابنتك .

السيدة ـ لقد قطعت مرحلة طويلة من تعليمها ، وكان من امنياتى أن اجعلها تعمل على الآلة الكاتبة ، وكان هذا أملها أيضا ، وحصلت على الشهادة ، وستلتحق بوظيفة فى احدى الشركات .

السيد ـ لابد انها سعيدة وفخورة بنفسها.

السيدة ـ انها ترقص طربا ليلا ونهارا ، لقد تعبت كثيرا هذه الابنة المسكينة .

السيد ـ ولكنها الآن لقيت خير الجزاء على عملها المرهق .

السيدة ـ ولم يبق امامى الآن الا أن أجد لها عريسا !

السيد ـ هذا سهل انها فتاة جميلة .

السيدة ـ (تتلفت حولها) وهذه هى ابنتى انها قادمة ، سأقدمها لك .

(وتدخل ابنة السيدة ، انها رجل فى الثلاثين من عمره ، قوى ، وفى غاية الرجولة وله شارب أشعث ويرتدى بدلة رمادية ؟ .

الآنسة : صباح الخير ياماما !

(صوتها نبرة عالية ، صوت رجل ، وتتقدم الآنسة الرجل وتقبل أمها)

السيد ـ الخالق الناطق انت .. انها صورة منك !

السيدة (لابنتها) ـ اذهبى وسلمى على السيد المحترم .

الآنسة (فى خجل) صباح الخير يا اونكل!

السيد ـ صباح الخير ياحبيبتى (وللسيدة) انها فى غاية الادب حقيقة ، كم سنها ؟

السيدة ـ ٩٣ سنة !

السيد ـ لقد تجاوزت أغلب عمرها .

السيدة ـ وهى مدينة لنا بثمانين عاما .. اذن عمرها فقط ١٣ عاما .

السيد ـ ستمر بسرعة ، كما مرت سنوات أخرى من قبل (وينظر الى الآنسة) أنت ما تزالين صغيرة .

الآنسة ـ (فى صوت قوى جدا) ولكن لاتنسى : كم صغيرا قلب كبيرا .

(وينهض السيد والسيدة فى حالة من الخوف ، وينظر كل منهما الى الآخر وقد تحجر فى مكانه) .

ستار

اليس منصور

تاريخ الشعر أولا ..

بقلم الدكتور احمد كمال زكى

- ١ -

المعركة التى نشبت منذ أيام بين لجنة الشعر بالمجلس الأعلى وشعراء الشباب ـ مهما تكن ضراوتها ـ تدل على وعينا التام بأسباب الفن المختلفة ولكنها بخروجها عن النطاق الفنى تعريضا كانت او تجريحا تحتاج الى أن يعاد فيها النظر تاريخيا قبل أن يفصل فيها ان كان الشعر يحتاج الى من يفصل فيه !

أجل .. فنحن لا يمكن أن نفهم طبيعة المعركة ولا احتمالاتها القادمة ولانتائجها قبل أن نحدد طبيعة هذا « الشىء » الذى يتعارك عليه ، قبل أن نتفهم جوهره ونتعقبه منذ شب ـ ان كان هذا فى الامكان ـ حتى استوى وتلون .

ولا يظنن أحد أن فى هذا سرفا أو اضافات او استطرادا أو ما يشبه ذلك ، فانما الدراسة العلمية تقتضى استقصاء حدود الظاهرة وتعمقها معا ، تقتضى أن توضع فى اطارها التاريخى الواقعى بلا محاولة للجاج أكبر الظن أنه لا ينتهى الا كما انتهت اليه كل المناقشات البيزنطية .

فلنعد اذن الى الوراء ، ولنقل ان دراسة المراحل الأولى للفولكلور لا يمكن الا أن تفترض لونا من التعبيرات ـ قد تكون ادبية ـ داخل أنماط ذات ايقاع ما ، وقد يسودها التكرار فى بعض أجزائها . ولعلها قبل أن تخضع للقالب الوزنى ـ الذى كان يلازم الحركة الجسمية عادة ـ عرفت ما نسميه اليوم بالأسجاع ، ولا يخفى علينا أن بعض الدارسين يرون أن « الرجز » العربى تولد من السجع مرتبطا بحداء الناقة .

وقد نميل هنا الى من يفسرون اللغة التفسير المادى فنبعد الشعر عن الأسطورة وما يجرى مجراها ونقرنه بالعمل ، على أساس أنه المجال الطبيعى الذى ينشط له الانسان أول ما ينشط . وتكون رحلة البدوى مثلا فى الجزيرة العربية من هنا هى مجال اتساق حركة الانسان بحركة الناقة ، وعند ذاك يحاول اللسان مزج ايقاع الحركتين عن طريق اللغة .

والمرحلة التالية فى تطور الشعر تمت مع أداء الطقوس الدينية (١) والرقص كان بعضها ، ومع الأغنية الجماعية التى كان المغنون يتبارون خلالها بارتجال المقطعات المنظومة (٢)

وفى الفولكلور المصرى نجد ظاهرة الغناء فى أثناء العمل ، بل لا تزال الى اليوم تردد فى مثل هذا الغناء كلمات دارت كثيرا فى نظم الأولين ، وهى نفسها تسهم فى تنظيم حركة الجسم مع طبيعة العمل .

كل هذا لا يهم القارىء كثيرا ، وان يكن دائما يحاول أن يسأل : هل الشعر بتلك الصورة القائمة كان أول ضروب التعبير الأدبى ؟

لقد أجمعت الآراء على أن الشعر ـ الذى يوضع فى مقابل النثر ـ كان أداة التعبير الفنى منذ طفولة الانسانية ، لأنه خيال والخيال أسبق ظهورا من العقل !

والوضع بهذا التكييف غريب حقا ، لأن الشعر ليس خيالا كله . بل لقد كان على ما بينا حقيقة لم تحتج فى ماديتها الى خيال قط ، وربما كانت الحكاية أكثر من الشعر حاجة الى الخيال . وكان الانسان الأول يميل دائما الى أن يسرد وقائع يومه ـ فى الغابة أو فى الصحراء أو امام النهر ـ فى تهويل عرفته الأساطير أو حكايات السحرة التى يعنى بها علماء الميثولوجيا .

ومع ذلك نرى من يقول ناقلا عن «لالو» ومتابعا طه حسين وكل الذين يجعلون الأدب اليونانى نقطة البدء لفهم الآداب العالمية « ومعلوم أن تصوير الانسان لما يراه مما هو من خلق خياله ، أسبق فى مراحل التطور من مراعاته الدقة فى تصويره لما حوله » (٣) ومن أجل ذلك تأخر ظهور الخطابة .

ان الخطابة ليست النثر كله ، وفي حدود ماوصل الينا من تراث العرب يجب أن تقدم الأمثال واسجاع الكهان الى جانب القصـة ، وكل هذه لا يمكن أن يسبقها الشعر الذى مر فى مراحل كشف عنها الشعراء المعروفون أنفسهم ووجود قصائد لا تخضع للميزان العروضى الذى وضعه الخليل بن أحمد فى القرن الثامن الميلادى (٤) ٠

واذا كان هذا هو واقع الشعر فمما يضيف اليه ابعادا جديدة ان نقرر ان « الشعر الغنائى » كان اول ما عرف من فنون الشعر ٠ بمعنى أن الشعر الملحمى مثـلا أو شعر الدراما لا يمكن أن يسبق الشعر الذى يتغنى فيه الفنان بالمشاعر الذاتية ، ونذكر أن التراجيديا كانت فى أصولها "غنائيات تنشد فى رحاب ديونيسوس فى حين كانت الملحمة « تنظم » حكايات الخوارق فى تشكيل معين ٠ ولقد كان عجيبا بعد ذلك أن يلحق أرسطو الشعر الغنائى بفن الموسيقى على اساس انه لحن وغنى به ، ويجعل ضروب الشعر ثلاثة هى : شعر الملاحم ، وشعر المأساة ، ثم شعر الملهاة ٠ ويلاحظ من كلامه عن هوميروس أن الأناشيد التى تنظم فى محاكاة الفعال (٥) مرحلة سبقت الملحمة والدراما ، وأن هوميروس الذى ألف باوزان بطولية فى الالياذة اصطنع الايامبو فى أناشيد الهجاء على ما تدل عليه قصيدته الهزلية مرغيتس (٦) ٠ ويعنى هذا أن الكوميديا نشأت عن الايامبو ، فى حين كانت أصول المأساة ممتدة الى الملاحم بصفة عامة ٠

والأمر على اى حال لا يؤكد الا شيئا واحدا هو أن جوهر الشعر عند أرسطو ينحصر فى المحاكاة أى تمثيل فعال الناس بكل وجوهها ، وقد لوحظ أن هذه المحاكاة هى التى تفرق بين الشعر والنثر ، فاذا نظم ناظم نظرية فى الطب أو الطبيعة يسمى عادة شاعرا » ورغم ذلك فلا وجه للمقارنة بين هوميروس وانبـاذوقليس الا فى الوزن ، ولهذا يخلق بنا أن نسمى أحدهما ـ هوميروس ـ شاعرا والآخر طبيعيا ادنى منه شاعرا » (٧) ٠

وقد يكون الكلام ـ عنده ـ بلا وزن ، ولكنه يدخل فى نطاق الشعر ما كان محاكيا ٠ ويقابل هـذا تماما أن ينظم الشاعر ، ومع ذلك لا نحس فى نظمه شعرا ، لأن الوزن لا يكفى وحده ليجعل من الانسان شاعرا ٠ وهذا الادراك للشعر يختلف أساسا عن ادراك العرب له ،فقد كان هؤلاء يصرون على ان يكون الوزن ـ مع القافية ـ الفيصل بين الشعر والنثر بلا ادنى معارضة ، بل ان بعض العرب اليوم يرفض كل شعر يحطم الاطار الذى رسمه الخليل بن أحمد ـ باستقراء الشعر القديم ـ لمجرد أن وحدات الوزن بوضعها الجديد لا توفر الانسجام ولا الايقاع على النحو التقليدى المعروف ٠

وليس يعنينا الآن مناقشة هـذه القضية فستطرح للمناقشة بعد هذا ، الا ان الشعر العربى الذى يشترط الوزن لا يزال الى اليوم مجهـول الأصول ٠

ولعل اقدم نصوص هذا الشعر العربى تقع فى القرن الخامس الميلادى ٠ هذا باسقاط كل ما روى منسوبا لآدم وتبع والاسكندر مما أشار الى بعضه ابن سلام فى مقدمة كتابه « طبقات فحول الشعراء » ومـمـا ورد فى « كتاب التيجان » وكتاب السيرة وغيرها ٠

ومثل هذه النصوص الصحيحة لا تجد فيه الا لغة موحدة ذابت فيهـا اللهجات العربيـة واتسق الأسلوب ، ولكننا قد نجد لبعض القبائل ملامح لغوية خاصة فى ديوانها ؛ ففى شعر هذيل ـ مثلا ـ كثير من السمات تخالف به العـرف ؛ وبعض اشعار اليمانيين يحفل باستعمالات معينة ؛ وهكذا ٠

وغنائية الشعر الجاهلى قد تبدو موحدة أو ذات نغم رتيب عند الشـعـراء الجاهليين ؛ فقـد تبدأ بالاستعبار على حبيبة ذاهبة وذكر اطلالها ، ثم تقفى برحلة خطرة فى الصـحراء وذكر الحيوان ؛ وحين ينتهى الشـاعر الى السيد أو الزعيم تثار قضية سياسية أو يطلب عطاء ؛ وهنا يتاح ذكر للمفاخر قبل ان يكون الختام بأبيات فى الحكمة ٠

ان هذا التخطيط قد لا يبدو واضحا فى الغالب، لاسيما اذا ذكرنا المقطعات الصغار وأشعار الصعاليك، غير أن الكثرة الغالبـة كانت لا تخرج عن هـذه الدائرة ، وقلما نجد مطولة كعينية ذؤيب الهذلى « أمن المنون وريبهـا تتوجع » لا تسير فى الطريق نفسه (٨) ٠

ولسنا نعتبر هذه المطولة اقدم الشعر الجاهلى بل ليست هى من أقدمه ، فان أبا ذؤيب مات حول سنة ٦٥٠ للميلاد (٩) ٠ ولكننا نراها مثلا لا يفى بجميع مقتضيات النقاد الشكليين ، وقد تكشف الدراسة

الدقيقة لشـــعر قبيلة عن اختلافات ضخمة في غنائياته . ومن هنا يمكن أن يقال ان في الامكان دراسة أشعار القبائل على أسس تبعد الفكرة الشائعة عن تجمد شعر الجاهليين في سياق متجانس ، فان تعـذر أمكن ان نجد فروقا أساسـية في شعر الشعراء . فأبو دؤاد الايادي وعدى بن زيد يشوب شعرهما تفكير حضري ، والأعشى صـناجة العرب يكشف عن حضارة ساسانية ، وامرؤ القيس وطرفة وعبيد بن الأبرص يضعهم بعضهم في مدرسة (١٠) كما وضع أوس بن حجر وزهير والحطيئة في مدرسة المحككين !

وعلى الرغم من أننا نرى أن عصر رسول الله كان نهاية مرحلة البناء العقلي للقصيدة العربية القديمة، فاننا نرى ثمة اضـافات أضـيفت بحيث يمكن أن نرفض الفكرة الشائعة الثانية على نحو ما ، وهي أن الشعر الاسلامي لم يبعد عن الاطار الجاهلي القديم .

لقد تطورت القصيدة في شكلها وفي محتواها ، وان يكن ذلك في حدود ضيقة وفي ضوء النقد الذي بدأ بتعقيل العملية الشعرية وانتهى بتجميدهـا الى الأبد .

- ٢ -

لقد بلغ اعتداد العربي بالوزن حدا اعتبر من كل ناظم شاعرا ، وان يكن النقـاد فيما بعد قسـموا الشعراء الى شاعر خنذيذ ، وشاعر مفلق ، وشاعر فقط وشعرور وهو لا شيء ، قال أحـدهم لآخر يهجوه :

يا رابع الشـعراء كيف هجـوتني
وزعمت اني مفحـم لا انطق

وقيل بل هم شاعر مفلق ، وشاعر مطلق وشويعر وشعرور . والشويعر كمحمد بن حمران سماه هكذا امرؤ القيس ، ولقى رجل آخر فقال له : ان الشعراء ثلاثة : شاعر وشويعر وماص ثدى أمه ، فأيهم أنت؟ فأجاب : أما أنا فشـويعر ، واختصم أنت وامرؤ القيس في الباقي (١١) .

ومن الطبيعي أن هـذه النظرة ليست عروضية فقط ، بل هي بحسب استاطيقيات البلاغة العربية تحدد منزلة الشاعر كفنان يلتزم أصولا بعينها ولهذا فان الوقوف عند الوزن باعتبـاره زاوية لمناقشة الشكل شيء جانبي الى حد ما ؛ لأنه مسلم به ولا يعقل أن يتخلى عنه شاعر .

على أن السـياق الذي حبذه النقـاد - وكانوا لغويين حتى نهـاية القرن الثامن الميلادي - جنح بالشاعر المحدث الى التمسك بالأصـول التقليدية ، ومن ثم كان الشعر حتى عصر هشام بن عبد الملك الأموي عربي الديباجة ، بل ربمـا كان محـاكاة مصقولة لنسيج الجاهليين . وظلت هذه المحاكاة في عنفوانها عند شـعراء عباسيين أشهرهم مروان بن أبي حفصة ومسلم بن الوليد وابو تمام والبحتري!

وكانت محاولات الخليل بن أحمد في تحديد قوالب الشعر بما يسمى بحورا قد جمدت الأوزان ، وحينما وقعت محاولة التخلص منها لم تصادف اى نجاح(١٢) وان يكن محدثو العصر العباسي قد مالوا الى الأوزان الخفيفة والقصيرة ميلهم الى الاكثار من مقطعات الشعر التي تتضمن فكرة سريعة أو صورة مختصرة ، كما استعملوا الرجز « المنهوك » ، وكان مكونا من تفعيلة واحدة في كل شطر .

ومن ناحيـة أخرى طوروه تطويرا بحيث راح يستوعب أغراض القصيد كلها ، كمـا اسـتغل كمزدوج في نظم العلم والقصص . وما محـاولات أبان اللاحقي الذي مات سنة ٢٠٠ (٨١٥ ميلادية) في نظم كليلة ودمنة وغيرها من موضـوعات فقهية كالصيام الا صدى لاستجابات الرجز لحاجات العصر. وقد تابعه في ذلك ابن المعتز العباسي المتوفى سنة ٢٩٦ .

وقد كان لانتقال الشـعر العربي الى الأندلس اثره في تطوير أوزانه فيما يعرف بالموشـحات ، وهـذه فيما يبدو أحدثت تغييرا كاملا من ناحية الايقاع والمبنى العام في شـعراء « الطرو بادور » وأشهرهم دي بواتيبه - الشاعر الكونت الجوال - ودي افرن ومكابرو اللذان ماتا بين سنتي ١١٨٠ ، ١١٨٥ وثبت علميا تأثرهما بشعر الاندلس(١٣) . ونسـتطيع من جانب آخر أن نقول ان قصـائد «البالاد» و « السوناتات » أو الأرانين تتألف من

أسماط متعددة الأوزان والقوافي كالموشحات وقد عرف بالنوع الأخير كل من شيكسبير وجون ميلتون واليزابيث باورنينج التي نظم زوجها روبرت براونينج مستخدما ايقاع البحر الطويل ٠

واولية الموشح نراها عند مقدم بن معافى القبري أحد شعراء الأمير عبد الله بن محمد المرواني ، وأخذها عنه أبو عمر أحمد بن عبد ربه صاحب « العقد الفريد » والمتوفى حول سنتي ٢٣٧ و ٢٣٨ ٠ وقد لحظ ابن خلدون ذلك ، وقرر أن بضاعتهما كسدت من بعدهما حتى جاء عبادة بن ماء السماء المتوفى سنة ٤٢٢ فاذا الموشح يلعب الدور الأساسي في الحياة العربية الاندلسية ، واذا النقود المختلفة توجه اليه كما توجه الى قصيدة الشعر المرسل اليوم ولعل ابن سناء الملك الشاعر المصري الذي مات سنة ٦٠٨ كان أول من حصر قواعد الموشحات وبين خصائصها في كتابه « دار الطراز » ليكون أول من نظم عملية نقل هذا الفن — علميا — الى الشرق ٠ وعنه انبثق « عروض البلد » الذي كان في أعاريض مزدوجة شهر بها ابن شجاع والكفيف (١٤) ، كما انبثق عن « البسيط » الموال المعروف ٠

واذا كان الموشح قد سمح لغنائيه بتطويع الأوزان وتشكيلها فقد هيأ لهم كل الفرص لاستخدام اللغة الدارجة ، تماما كما استخدمت في « المواليا » العباسية وفي بعض من أشعار القرن الثاني الهجري قبل أن يستفحل الأمر على مدى الزمن وتظهر الأزجال مكونة الفن الشعري للشعب ٠

« د . احمد كمال زكي »

هوامش ومراجع

(١) في القرآن الكريم « وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية » يريد صلاة الجاهليين ، والمكاء هو الصفير والغناء ، والتصدية التصفيق ٠

(٢) يقول بروكلمان في الكتاب السابق ١ : ٥٦ ان من المحتمل أن تكون القصائد الجاهلية قد قصد بها الى أن تغنى مقترنة بموسيقى بسيطة ، وفي صفحتي ١ ، ٩ من كتاب تاريخ الموسيقى العربية يقول فارمر ان جني الشاعر كان يستحضر بطريق الموسيقى ، ومن ثم كان الشاعر موسيقيا ، وقد يستصحب مغنيا يغني شعره (الطبعة الانجليزية) ٠

(٣) الدكتور محمد غنيمي هلال في كتابه « المدخل الى النقد الأدبي الحديث (ص ٣٣٧ ط ٠ الرسالة ٩٥٨) ٠

(٤) لخص الدكتور شوقي ضيف هذا في كتابه تاريخ الأدب العربي ١ : ١٨٣ وما بعدها (ط ٠ المعارف ١٩٦٠) وفي كتابه الآخر « الفن ومذاهبه في الشعر العربي » صفحة ٧ وما بعدها (ط ٠ لجنة التأليف والترجمة سنة ١٩١٥) ٠

(٥) يريد هنا فعال الفضلاء وهي المدائح وفعال الأدنياء وهي الأهاجي ٠

(٦) راجع فن الشعر ١٣ ، ١٤ وهذه القصيدة عبارة عن أوزان إيامبية سداسية وثلاثية ٠

(٧) فن الشعر ٠

(٨) في هذه المطولة ثلاثة مشاهد عبر فيها الشاعر عن حزنه لوفاة أبنائه في الطاعون ، والمشاهد تكشف عن تسلط القدر في مصرع لحمار وحشي وثور هائج وفارس مسلح !

(٩) امرؤ القيس مثلا مات سنة ٥٤٠ ، ومات طرفة بن العبد سنة ٥٦٨ ومات عدي بن زيد سنة ٥٨٥ ٠

(١٠) دراسات في الأدب العربي ١٤٠ لجرونباوم (ط ٠ بيروت) ٠

(١١) هذه التقسيمات أوردها ابن رشيق في العمدة ١ : ٧٧ ، ٧٤ (ط ٠ هندية سنة ١٩٢٥) والخنذيذ هو الذي يجمع الى جودة الشعر رواية الجيد من شعر غيره ، والمفلق هو الذي يأتي بالفلق أي العجب ٠

(١٢) من هذه المحاولات ما قدمه أبو العتاهية الذي نظم أغاني الملاحين في دجلة والذي خرج على قيود الخليل ، فلما عوتب قال : أنا أكبر من العروض !

(١٣) تحسن هنا مراجعة الدكتور نيكل Nykl (A . R) في كتابه المعروف Hispano-Arabicpcetry

وقد طبع في بلتيمور سنة ١٩٤٦ وكذلك كتاب

Choytor (H.J) شعراء التروبادور The Troubadours

وقد طبع في كيمبردج سنة ١٩١٢ ٠

(١٤) راجع مقدمة ابن خلدون ٤٩١ ، ٤٩٣ ، ٤٩٧ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ (ط ٠ التقدم) ٠

آفاق لم يرتدها الكتاب العربي

بقلم الدكتورة نعمات أحمد فؤاد

ارتاد الكتاب العربى آفاقا تذكر له وتطور بلاشك فى ارتياده ·· وتطوره هـذا كان حديث الأساتذة الاجلاء فى الندوات الثقافية وفى الندوات الأخرى التى عقدت فى أسبوعه ··· والآن بعد أن عرفنا كم قطعنا من الطريق الطويل . علينا أن نتبين فى صدق وشجاعة كم بقى منه ·· هناك آفاق لم يرتدها الكتاب العربى على الرغم من الالوف التى أخرجتها المطبعة فى السنوات العشر الأخيرة والتى يهدف الكثير منها الى التوعية الجماهيرية ،فروعى فيها البساطة فى الشكل والسهولة فى الموضوع وقلة التكاليف فى الاخراج لتكون فى متناول أكبر عدد ممكن وتؤدى رسالتها فى أوسع نطاق ·

وبين هذه الألوف يقل ، ولو بالقياس ، الكتب الممتازة تاليفا ونشرا · وفى هذا الغمر يقف مثلا كتاب ككتاب (الفن المعاصر فى مصر) وحده من حيث المستوى الرفيع فى فن الصورة واللون والاخراج والطباعة لأنه طبع فى يوغوسلافيا على نفقة وزارة الثقافة والارشاد ·

هناك مجالات لم يطرقها الكتاب العربى ، لناخذ مثلا عالم الاطفال · بدأنا أخيرا نهتم بدنياهم الصغيرة الكبيرة فكتبنا لهم القصص الملون ولكن أين الكتب التى تبسط لهم العلوم وأين دوائر معارف الأطفال ·

وفى عالم المرأة والبيت آية دوائر معارف الزهور والحدائق والمنزل وكل ما يهم المرأة العاملة الوقوف عليه تعميقا للوعى أو استزادة من المعرفة أو توفيرا للجهد أو الوقت أو المال ·

هناك جوانب عامة وطريفة معا فى حياتنا لم يعالجها الا أجانب فمنذ أن كتب (لين) فى أواخر القرن الماضى كتابه :

Mannrs and Costams of Modern Egypt.

لم يتناول أحد حياتنا اليومية فى كتاب ·

ان حياة الانسان تجربة كبيرة ليس كالكتاب معرضا لها وحافظا · فكم منا سجل مشاهداته وتجاربه· لقد عاش ويلككس Willcocks. مهندسا للرى فى مصر عشر سنوات فكتب عن النيل كتابه Egyptian irrigation كما كتب Hurst كتابه The nile.

وكان جارفس ضابطا فى البوليس فكتب الكثير من الكتب عن عاداتنا واخلاقنا وصور مجتمعنا ولو أنها بصورة ساخرة لاذعة وكتب آخرون عن حدائق مصر وعن موالد مصر وعن صحراء مصر كتابات خبيرة متخصصة وهى اهتمامات ما كان أولانا بها ·

ولا أحاج هنا بروائع معدودة نعتز بها تسجل تجارب اصحابها الأعلام ككتاب (عالم السدود والقيود) وكتاب (رجال عرفتهم) لأستاذنا العقاد وترجمة حياته الكتاب الذى صدر بعد أن غربت عنا حياته فى أسوان ·

وكتاب (الأيام) **للدكتور طه حسين**
وكتاب (حياتى) **للدكتور أحمد أمين**
وسندباديات **للدكتور حسين فوزى**

وذكريات ومشاهدات نجيب محفوظ الطبيب والأديب كليهما ·

ولكن هذه أمثلة فحسب ونحن نريد لها أن تصبح ظاهرة ·

هناك موضوعات تتصل بجوهر حياتنا واسباب وجودنا لم تحتشد لهاولم نكتب عنها كتابة علمية أصيلة متعددة متكاملة · لقد مررت أنا بتجربة حية عندما تقدمت للكتابة عن (النيل فى الأدب المصرى) لم أجد مادتى الا فى كتب أجنبية وخاصة منها ما يتعلق بالعصر الفرعونى ·

ومنذ شهرين صدر كتاب عن النيل فى الانجليزية هو معرض حافل من الصور التقطها صاحبها المصور العالمى اليوت اليزيفون فى خمسة عشر عاما عاشها عاكفا على النهر الخالد فى منابعه ومتحدراته وروافده وشعوبه وحضاراته · وقد أسهم فى أخراج هذا الكتاب خمس دول هى : انجلترا · امريكا ·

سويسرا . هولندا . ألمانيا . فجاء الكتاب مظهرا مشرفا لفن الانسان وصبره .. لفن الصورة الحساسة الذكية .

يكتب الألمان والانجليز والفرنسيون عن النيل ونحن الذين يجرى النيل فى عروقهم دما ويسرى فى قلوبهم هوى ويشكل بالنسبة اليهم تاريخا وحضارة ونبع حياة ، نحن قطرات النيل ليس بين انتاجنا الحديث ما فى المكتبة الامريكية عن المسيسبى من روائع مارك توين أو المكتبة الروسية عن الفولجا او المكتبة الفرنسية عن السين فى حين أن هذه الانهار جميعا لا يستثنى منها المسيسبى لا تبلغ شأو النيل فى تاريخ الحضارة ولا جدوى النيل على حياة الانسان .

واذا كانت هذه حالنا مع (النيل) فكيف بغيره من المعالم الأخرى أو الموضوعات الأخرى ! وهنا نستطيع أن تقدر وعورة الطريق التى يسير فيها الباحث العربى والطالب العربى .

فى انجلترا او امريكا مثلا نجد كتابا عن (الزهور فى انجلترا) وآخر عن (الحدائق فى انجلترا) بل الكلاب وكل ما يمكن أن يكون موضوع كتاب .

هناك مجالات لم يطرقها الكتاب العربى .. الفن مثلا .. عندنا مختار وصبرى وناجى ومحمود سعيد اين الكتاب الذى يضم كل أعمال مختار ويعرف القارىء بها ويحفظ جهوده فى هذا السبيل لأجيال مقبلة ! . لقد أصدرت انجلترا ولا أقول فرنسا كتابا عن بيكاسو يحوى كل أعماله الفنية بالوانها وسماتها وثمنه عشرة جنيهات ونصف جنيه . وأنا لا أذكر الثمن هنا الا للدلالة على فهم الناشر ووعى القارىء الأجنبى .

ليس عندنا كتاب أو كتاب المشكلات الفورية لأنه ليس عندنا الناشر الفنى الذى يرصد الأحداث ويلتقط الموضوعات ويكلف أهل الاختصاص بعالجتها . الناشر عندنا تاجر وصاحب رأس مال يقدر فقط عوامل الربح والخسارة وتسيطر عليه حساسية السوق فما يروج يقبل على طبعه ولو كان غثا فجا .. وما يخالف السائر الذائع يحجم عنه فى قشعريرة تسرى من جيبه الى رأسه لأننا بصفة عامة لا نقدر قدسية الكلمة حق قدرها .. قدسية الكلمة وحقها وحق قائلها فى أن تكون حرة مخلصة شجاعة فى غير هدم أو اسفاف .

وقد يقول قائل ان من الطبيعى ألا يقذف التاجر أمواله فى البحر ثم يجلس على الشاطىء ينتظر أن تقذف بها اليه الأمواج أو الغواصون ولكنى أقول ان النشر بمفهومه العميق ليس تجارة فحسب ولكنه رسالة وامانة لابد فيه من تضحيات واقدام بل انه حتى لو اقتصرنا على المفهوم التجارى ، لابد له من تحمل الجانبين الخسارة والربح فان الفشل تجربة تدفع صاحبها خطوة فى طريق النجاح .

وهنا ، استكمالا للحقيقة ، يجب أن نقول : ان واجب الدولة التى وقفت وراء الوان معينة من المعرفه كنشر التراث والترجمة والكتاب الأول للمؤلف الناشىء ، يجب أن تتولى هى نشر ما تقصر عنه طاقة الناشرين المادية والفنية .

ليس عندنا الناشر الايجابى صاحب الدور .

عندنا على المؤلف أن يسعى الى الناشر ويخطب وده ويتقبل شروطه ، ان تفضل وتنازل بالطبع ولكن دور الناشر فى الغرب أمر مختلف جدا .. عندهم المحرر Editor وهى طبقة فى النشر لم تعرف عندنا بعد .. وهى مهمة صعبة تحتاج الى دراية وسعة أفق وعمق اطلاع .. ان صاحبها لا بد أن يكون موسوعة بمعنى الكلمة فنجد فى انجلترا مثلا سير هامرتن Hammerton الذى اصدر تاريخ العالم كله وحشد له العلماء من كل بلد وكلف أهل الاختصاص فى جميع أنحاء العالم بالكتابة كلا فى موضوعه ثم تناول هو المادة النفيسة وجمع لها الصور وشكلها فى صورتها الأخيرة التى تعرفها باسم Universed History of the World فى ثمانية مجلدات كبيرة .

ولم تقتصر همة هامرتن على تاريخ البشرية وهو عمل جليل بل خاض التجربة نفسها أكثر من مرة فأخرج كتابه تاريخ الحرب فى ١٣ مجلدا ودائرة معارف عامة فى تسعة مجلدات ودائرة معارف المنزل فى ستة مجلدات وموسوعات أخرى عديدة المجلدات عن الناس فى كل الاقطار peoples of all nations وكذلك مدن العالم وعادات وتقاليد العالم الخ . وقد بلغت المجلدات التى حررها هامرتن اكثر من مائتى مجلد فى مختلف الفنون والعلوم والتاريخ .

ان عمل هامرتن يفتح عيوننا على نقص نستشرف الى استكماله فليس عندنا كما أسلفت المحرر بمعنى Editor محرر يجمع المادة العلمية ثم يتولى هو تنسيقها وتزويدها بالصور ووسائل التوضيح ثم يخرجها اخراجا شيقا جذابا ، وهى مرتبة فى عالم النشر يجب أن نطمح اليها ونحققها وننطلق منها الى آفاق يشرف بها الكتاب العربى .

د . نعمات أحمد فؤاد

بلقيس

من وحي رحلة إلى اليمن

للشاعر : صالح جودت



لمن العيون الحالمات المغريات بألف نظره ؟
لمن الشفاه الحالمات المسكرات بغير خمره ؟
لمن الجبين الألمعي يلوب اشراقا ونضره ؟
لمن القوام السمهري يزلزل الدنيا بخطره ؟
لمن الحرير الموصل على حرير أرق بشره ؟
لمن السرير تهابه الدنيا وتحسده الأسرة ؟
من ربة التاج الحبيب المزدهي باجل غره ؟
صلت رعيته عليه وسلمت لأعز دره
وكأنما عقدت لآلئه لها ملك المجره
وكأن نور الشمس من لفتاتها يلتاع غيره

❋

هذى المليكة من خطاها يبدأ التاريخ سيره
خلعت حضارتها عليه ووشحت بالنور فجره
بلقيس .. من وهبت حديث المجد رونقه وسحره
وتطاولت لذرى نفرتيتي وقمة كليوبتره

❋

من مثلها بين الاناث نهى ومنزلة وقدره ؟
سحرت سليمان الحكيم فباع حكمته بنظره
قالوا له جنية مرتاشة الساقين وعره
فجلا رخام طريقها واشفه لتمر عبره
فجلت له ساقين كالنوار اغراء ونضره
تتحديان شفيف مرمره وتقتحمان كبره
وتشعشعان فتزريان بألف جارية وضره
فصبا النبي ، وما عليه اذا صبا لأعز حره
من لا يسبح للجمال قضى عليه الله كفره

❋

بلقيس : اني قد سعيت الى حماك وخضت بحره
وحملت وعثاء الطريق الى مزارك غير مكره
اتنسم المأثور من ماضيك او استاف عطره
وبلغت شرفة « مأرب » استل من ذكراك عبره
واقول أين الجنتان وأين سدك والبحيره
والعرش .. والذهب المقنطر .. والوسائد والأسره
والمعبد المأثور يحوى ألف زاوية وحجره ؟

لم ألق في مغناك الا دمنة تشكو لصخره
وطلول اعمدة تنوح وتستنبح بالف عبره
ولقى تماثيل تدس وجوهها خجلا وحسره
والشعب من حول الطلول هو الطلول المكفهره
من كل وجه في التراب يذوب مترية وصفره
فاذا تلفت للسماء ولم يجد في الغيم قطره
واذا تمرغ في التراب ولم يجد في الأرض كسره
سكنت جوانحه واسلم للغد المجهول أمره
لم يقو من اعيائه ان يشتكي لله فقره

*

ما بال صناع السدود العاليات المشمخره
اقوت حضارتهم فهم لا يصنعون اليوم جره ؟
ما بال كتاب الخطوط بكل مسمار وابره
عادوا لجهل كان قبل الجاهلية الف مره ؟
ما بال زراع الجنان بكل فاكهة وبره
جفت منابعهم فليست في مزارعهم شجيره ؟
ما بال جواب البحار الطالعين لكل هجره
ناموا .. وما علموا بأن العصر صاروخ وذره ؟
ما بال رواد العقيدة منذ عهد أبي هريره
سجدوا لعرش غير عرش الله يمتثلون أمره ؟
وكأن هذا الشعب مات ولم يجد في الأرض حفره
وكأنه من عهد آدم ما تحرك قيد شعره

*

بلقيس .. عفوا ان حملت على الملوك بكل شره
لا الصولجان له البقاء ولا الأرائك مستقره
ان لم تكن لذوى العروش من التفاف الشعب سدره
ما اصدق التاريخ في حفظ العهود وما أبره
قومي اشهديه يرد سيرة مجده وبعيد سيره
قومي اشهدى الشعب الذى فرض الزمان عليه صبره
وعدا على اقداره واذله باذل أسره
واضله بالقات فهو عن الحقائق رهن سكره
واحله لهوى الأئمة يفرضون العيش سخره
قومي اشهدى كيف استفاق وبارك الرحمن دره
خطب الجهاد ، ومن يجاهد يؤته الرحمن أجره
وأبى الهوان وقام ينزع من يد الطغيان ثاره
ويطالع الدنيا باروع وثبة وابر ثوره
هتفت معاقله باسمة « يعرب » لتشد أزره
فهل استجاب لهن الا من أظل الله عصره
ورعى رسالته وايد عهده واطال عمره
وحمى حماه من المحيط الى الخليج وصان مصره
مصر التي تهب البنين لكل مكرمة ونصره
النيل يجرى في سمات شبابها نبلا وسمره
وطني ، ونجواه الزكية في دمي ، في كل قطره



اني رجعت الى ثراه اضمه واشم عطره
وهرعت للبحر الحبيب ورمله ، ولثمت ثغره

*

يا « سيدى بشر » الذى يضفى على الشطآن بشره
ويفادح الدنيا بالوان الملاحة والمسره
ويقرب المحبوب من محبوبه ويصون سره
عدنا اليك مع الخريف لتملأ الأيام خضره
ونرد انفاس الربيع الى الضفاف ككل مره
عدنا ، وعاد المهرجان يزف موكبه وشعره
الشعر ... لا الشعر الجديد المستبيح لكل عوره
لا ما يقول العابثون بكل قافية وشطره
من كل مغمور يهب بغير موهبة وخبره
أوكل ماجور يدب وفي يديه خضاب حمره
أوكل مغرور يدير الى عمود الشعر ظهره

*

الشعر ... ان الشعر الهام وانغام وفكره
الشعر ... ان الشعر ميزان وبنيان وقدره
الشعر ... ان الشعر ايمان وبرهان وعبره
الشعر ... لولا الشعر ما شبت على الطغيان ثوره

صالح جودت

قصة قصيرة

كبرياء

بقلم : صبحي الجيار

رغم انزوائه وعزوفه عن مخالطة زملائه الطلبة ، فقد كانت الطالبات يلتففن حوله في فناء الجامعة ، ويحاصرنه بالاسئلة والمناقشات العلمية ، فيجيبهن في حياء وارتباك دون أن يرفع عينيه كثيرا الى نظرات الاعجاب التي تلمع في عيونهن .

وبقدر ما كانت الطالبات يقدرن نبوغه ويثقن في تصرفاته المهذبة ، فقد كان زملاؤه الطلبة يحسدونه لتفوقه واستئثاره باهتمام بنات حواء من طالبات العلم في كلية الحقوق. وقد تنحرف بعض الأحقاد فتصيبه بشيء من التعليقات الساخرة ، فتثير أعصابه وتزيد من ارتباكه لكنه لا يلبث أن يتدفق بالمعلومات، وقد تناسى سخافاتهم في سماحة وشموخ .

ولم يكن تجنبه لزملائه من حياء فطرى فقط ، بل ان طبيعته الريفية ووحدته القاسية في القاهرة ، وظروفه المادية العسيرة التي انعكست بوضوح على ثيابه المتواضعة .. كل هذه العوامل تكاتفت على نفسه الحساسة فصبغتها بلون من الكآبة والانطوائية كما ان جيبه الخاوى لم يكن يسمح له بمجاراتهم في طلبات البوفيه او تذاكر السينما . وما كانت كبرياؤه تسمح له بالتطفل على كرمهم .

ومن بين زميلاته كانت «رجاء» تلاحظ تصرفاته القلقة ، وتحاول أن تستكشف دوافعها في اغوار نفسه ، فتنعكس شخصيته في اعماقها بمزيج من الاشفاق والاعجاب ، ورغم تناقض احاسيسها نحوه ، فقد كانت مشدودة اليه بخيط متين لاتستطيع ان تجزم بتسميته .

بدات تتقرب اليه غير عابئة بهمسات الطلبة وتعليقاتهم ، التي تعلو احيانا في تساؤل مندهش من أحدى صديقاتها التي كانت تعجب لهذه الصداقة غير المتكافئة ، خاصة من رجاء ذات السيارة الفارهة ، التي يحوم حولها الطلبة طامعين في توصيله مجانية او نظرة رضا ، فتحدجهم في ازدراء وهي امام عجلة القيادة ، فتشل صفاقتهم ، وتقتل الامل في صدورهم ، فلا يلبث الطامعون في غزو قلبها ان يتقهقروا وكل منهم يتحسس جرحا غائرا في كرامته .

والواقع أن رجاء لم تكن بالفتاة المتعالية او المتبلدة الشعور ، لكنها كانت تشمئز من الرجل المتهافت ، الذى يتمسح باطراف ثوبها في ذلة واستجداء . وقد جذبها الى صديقها الفقير انفة وكبرياء واضحان في كل تصرفاته . فلم يكن يسعى الى احد ، بل هم الذين يتقربون منه ، ويقتحمون عليه خلوته في ركنه المنعزل ، ويابى ان يقبل دعواتهم الملحة الى الكافيتريا . ولايقبل دعواتها المتكررة لتوصيله بسيارتها الى بيته لانه لا يقع في طريقها مما سيضطرها الى مجهود اضافي يثقل كاهله بجميل لايستطيع رده .

وكانت رجاء تعمد احيانا الى افتعال حاجتها لكراساته مدعية ان اجزاء فاتتها من محاضرة هامة ، فيسارع لتلبية طلبها في سعادة واضحة عارضا جهده ووقته ليشرح لها مافاتها . كانت تعمد الى هذه المناورات حتى تشعره باحتياجها اليه فترضى في نفسه غرور الرجل الذى يمنح في قوة ، ولا يستجدى في خنوع . وكانت هى تحترم عفة نفسه وتقدرها وتتحاشى ان تخدش كرامته او تحرجه باى عرض يحمل معنى العطاء او المساعدة .

لذلك كانت مهمتها صعبة فى ذلك اليوم، عندما ارادت ان تفاتحه في مشروع مادى يخص احدى صديقاتها . وانتهزت فرصة اختلائهما في فناء الجامعة ، وهمست له في ارتباك :

– انا عايزة منك خدمة ياكمال ..

فهتف في حماس صادق :

– انا تحت امرك ...

وعادت تقول في تردد :

– بس انا خايفة لتكسفني .. اصل دى خدمة لواحدة صاحبتي خالص .. ويهمني امرها ".

فقال بعتاب ، وقد لمس توسلها وترا في مروءته :

– هو انا اقدر اتاخر عنك يارجاء ..

وبعد ان نطق الجملة الاخيرة ادرك مافيها من شحنة عاطفية ، فخفض بصره في حياء وتمتم في كلمات متلعثمة :

– احنا زملاء .. ولازم نخدم بعض ..

وعاد يرفع بصره اليها بعد ان خلف من وقع الكلمات العاطفية ، فالتقى بوميض حالم في عينيها وهي تهمس في خجل :

– زملاء بس .. ؟ انا كنت فاهمة انى بالنسبة لك اكثر من زميلة عادية ...

فاسرع يقول بحماس :

– طبعا طبعا .. زملاء ". واخوات .. و .. واصدقاء ..

– اذن موافق ..

– موافق على ايه .. ؟

فقالت ضاحكة :

– آه صحيح .. دانا لسه ماكلمتش فى الموضوع ...

وراحت تحكى له موضوع صديقتها التي لم يساعدها مجموع درجاتها في الثانوية العامة في الالتحاق بكلية الحقوق

كطالبة منتظمة ولكنها صممت على الكفاح بطريق الانتساب * وبما انها متزوجة ، وظروفها العائلية لاتمكنها من الحصول على المحاضرات بصفة منتظمة ، فقد هداها تفكيرها الى مفاتحة صديقتها رجاء طالبة منها ان تساعدها في هذا الشأن . ولما كانت رجاء لا تجد في وقتها متسعا لتلبية رغبة صديقتها ، فقد رات ان تعرض الفكرة على صديقها كمال ، الذى بدا يتململ عندما وصلت بروايتها الى هذه النقطة ، وقال في حرج :

– انا مستعد اساعدها .. بس ..

– فقاطعته رجاء قائلة :

– لا ماتخافش .. انا مش حاخد منك الكشاكيل بتاعتك طبعا ، لان دى طريقة تعطلك عن المذاكرة ...

فتنهد في ارتياح وقد ادرك تقديرها لموقفه . وقال :

– امال ازاى حاقدر اساعده؟ *

– احنا فكرنا كتير في الموضوع ..ولقينا ان اسهل طريقة انك تستعمل ورق الكربون اثناء كتابة المحاضرات .. وبكده تلاقى معاك نسخة من كل كلمة تكتبها ..

فكر قليلا ، ثم ابتسم في رضا وسماحة وقال :

– فكرة معقولة .. ولو انها حتاخد منى مجهود لكن معلهش .. عشان خاطرك .. بس طبعا انتى اللى حتوصلى لها النسخ بتاعتها ..

– طبعا طبعا .. لانها ساكنة جنبى في مصر الجديدة ..

ثم ابتسمت وقالت :

– نيجى بقى للنقطة المهمة في الموضوع.

ولما قرات في عينيه علامات الاستفهام ، استطردت تقول :

– اقصد الناحية المادية .* لانك مش معقول تبذل المجهود الكبير ده طول السنة من غير مقابل .. خصوصا دى واحدة ماتعرفهاش .. ومافيش داعى تجاملها على حساب راحتك ..

فاجاب مبتسما :

– ماحنا اتفقنا انى حاقدم لها الخدمة دى عشان خاطرك ..

قالت في حزم :

– لا .. الخدمة لى انك تقبل المهمة .. لانك اذا ماكنتش قبلت كنت مش حالاقى طالب متفوق زيك يرضى يخدمنى .. لانك زى ماانت شايف مش باحب اختلط بالجماعة اياهم دول *. وكمان ماحبش حد منهم يحملنى جمايل يستغلها في فرض صداقته على ..

اسعده كثيرا انها اختارته دون زملائه جميعا لتعتمد عليه في هذه المهمة .. لكنه استكثر ان ينال عنها اجرا . فهز راسه حائرا ، فعاجلته بقولها :

– اظن بتسال نفسك ليه انا مافوتش بالخدمة دى لصديقتى ..

فاجاب كاذبا :

– ابدا .. ابدا .. انا مش متاخر ...

– لا ياكمال .* الحقيقة ان كراسات المحاضرات بتاعتك منظمة وكاملة .. وخطك جميل .. وبتواظب على المحاضرات .. ودى كلها ميزات كانت في ذهنى لما رشحتك انت للمهمة دى بالذات ...

تمتم محرجا :

– بس الناحية المادية ...

فقاطعت كلماته الخجل قائلة :

– ده مبلغ تافه بالنسبة لها .. وكمان حيوفر لها مجهود كبير ومصاريف مش بسيطة .. وتاكد ان هى الكسبانة في المشروع ده ...

وقبل ان يفيق من نشوته ، اخرجت من جيبها ورقة مالية كبيرة مطوية على نفسها طيات كثيرة حتى لاتكاد تظهر في كفها واسرعت تدسها في جيبه ، وهى تهمس :

– خمسة جنيه في الشهر كويس ؟

فقز مذعورا ، وهو يدفع يده في جيبه وهتف معترضا :

– لا لا .. ده كتير قوى ..

فحدقته بنظرة عاتبة وهمست في عشم :

– ارجوك ماتفرجش علينا الطلبة .. طلع ايدك من جيبك ...

– بس ده مبلغ كبير ...

– ماتنساش انك حتدفع تمن الورق الابيض والكربون ... وماتنساش انك حتتعب في نقل المحاضرات اللى فاتت من اول السنة ...

– طيب كفاية تلاتة .. تلاتة كويسين قوى ...

ولمحت مجموعة من الطلبة قادمين نحوهما فهمست تحذره :

– الطلبة جايين ناحيتنا .. اتكلم في حاجة تانية .. وبعدين نتفاهم ..

وبحجة التفاهم امكنها ان تغريه بالركوب معها في ذلك اليوم وراحت تقنعه بان هذا المبلغ يتضاءل بجانب الخدمة الجليلة التى سيؤديها لصديقتها ، ثم اردفت حديثها ضاحكة :

– ويمكن تعجبنى الفكرة وابقى اتفق معاك تعمل حسابى في نسخة تانية عشانى . بس تبقى تتساهل معايا في المقاولة ..

والتفتت اليه لترى ابتسامته ، لكنه كان عابسا . لان دعابتها لم تصادف هوى في نفسه ، وقال في صوت متهدج :

– وده معقول انى اخد منك اجر يارجاء ؟

فاستمرت تضحك حتى لايفلت الموقف من يدها وقالت مازحة :

– انت صدقت ياخى ؟ .. هو انايابنى اعرف اذاكر من اى كشكول غير اللى اكتبه انا بايدى .. واشخبط فيه على كيفى ؟.. ماانت عارفنى ..

واستطاعت في هذه الجولة ان تنتزع منه ضحكة عريضة وقال معقبا :

– الحقيقة انك ملكة الهرجلة يارجاء.. انا مش عارف انتى ازاى بتعرفى تقرى خطك *..

فهتفت وهى تلوح بيدها في مرح :

– ماهى دى البراعة يابنى ..

– طيب بعى قدامك اعملى معروف احسن براعتك في السواقة حاتودينا في داهية ... فقالت وهى تتفادى احدى العربات في رشاقة :

– ولايهمك .. يانعيش سوا يانموت سوا ...

وانطلقا يضحكان ، ولكن صدى الكلمات كان يتردد في قلبيهما بمعان اعمق مما يبدو ظاهرها المالوف .

ومضت الشهور ، والورقة المالية الكبيرة تتسلل مطوية الى جيبه كل اول شهر في صمت ، ثم تنتشر على مظهره كله بمزيد من الاناقة التدريجية . ومع هندامه المتطور كان يتاقلم مع البيئة الجامعية . وبدا ينطلق من كآبته متخليا عن جموده الريفى . لكنه لم يتنكر لقيمه الاخلاقية وكبريائه الابية ، وطموحه الذى كان يضعه دائما في مقدمة زملائه ، ووفائه الذى كان يضع رجاء في مقدمة اصدقائه .

شيء واحد لم يعرفه كمال حتى الآن ، هو ان تلك الطالبة الوهمية ، صديقة رجاء لم يكن لها وجود الا في حنايا القلب الكبير .. قلب رجاء *

صبحى الجبار

كفاح هادف ولكن..

ضد الوجود العربي

بقلم: محمد جلال كشك

- ٢ -

كتاب « البلاغة العصرية واللغة العربية » ليس مجرد تشهير باللغة العربية ودعوة الى نبذها ، وطعنة فى ظهور الداعين اليها ، والعاملين من اجل التعريب فى المغرب العربى .. بل هو ايضا هجوم على الحضارة العربية والتاريخ العربى كمجتمع وجنس ..

فاللغة العربية متخلفة كما يقول سلامه موسى لأن « يشارك العرب معظم الأمم البدائية فى اشتقاق الملاحة بمعنى الظرف والصباحة من الملح ، لأن الملح كان من الأشياء الثمينة التى لم يكن يحصل عليها غير المترفين » .

امة المتنبى والفارابى والبيرونى والمعرى ، امة بدائية !! .. وهل يصح ان نقول ان الانجليزى عندما يصف المحبوب بانه Sweet Heart . فان ذلك يعكس تخلف امة الانجليز التى كانت تستورد الحلوى ولا ينالها الا المترفون فسموا بها المعشوق ؟! سخف لا يستحق ان يناقش ..

والمجتمع العربى عند سلامه موسى « كان اوتوقراطيا ارستقراطيا » ولا يلاحظ سلامه موسى ان هذه الكلمات غير عربية الأصل — وهو الذى يورد احصاء بالكلمات العربية المستوردة من اللاتينية والاغريقية يدس فيها كلمات « الزكاة » « وسدرة المنتهى » — اما ارستقراطية فلا ينتبه الى ان فشلنا فى ترجمتها واضطررنا الى ادخالها فى لغتنا المكتوبة ، يعنى انها تعبر عن ظاهرة لم يعرفها المجتمع العربى .. فليس فى مجتمعنا العربى الأصيل ارستقراطية ، بل اننا حكمنا عشرة قرون فلم نخترع الألقاب على كثرة ما اخترعناه .. حتى « بك وباشا » وهى تركية ، كانت رتبا عسكرية ولا تورث .. فمن اين جاءتنا الارستقراطية والاتوقراطية ؟! كيف فاته ان يلاحظ عجمة هذه الألفاظ ، وهو الذى استدل من حبنا للملح على اننا امة بدائية ؟ وكيف يبيح لنفسه ان يتهم اللغويين العرب بالجهل لأنهم لم يكتشفوا ان الزكاة منقولة عن اللفظ اللاتينى Decat « وسدرة المنتهى » عن Sidera ultima ما اشبه ذلك بقولهم شكسبير هو الشيخ زبير .. والذى يتهم اللغويين العرب بالجهل يجهل ان الفعل « زكى » عربى .. وان « السدر » ورد فى القرآن بمعنى الشجر فى سورة لا تتحدث عن النجوم ..

« .. وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى اكل خمط واثل وشىء من سدر قليل » .

ولكن متى كان سلامه موسى يتحرى الدقة العلمية فى كفاحه الهادف ..

يقول : « كان المجتمع العربى القديم يعيش فى ظل حكومة استبدادية لم تعرف قط معنى البرلمان او مجلس الأمة » .

« كان ارستوقراطيا حزبيا عقائديا » .

وهل ولدت امة ومعها البرلمان ؟! .. بالعكس ان الشورى وحكم الجماعة وديكتاتورية الأغلبية قد مارسناها جميعا قبل ان تعرف اوروبا اذا كان دم سادتها النبلاء احمر اللون او ازرقه ؟!

بل ان سلامه موسى مع جنكيزخان ضد العرب !

لم تامل هذا الاستخراج او الافتراء السلامى .. « انظر الى ما ورثناه من المجتمع العربى القديم بشان المراة فقد الغى هذا المجتمع المراة من الحياة الاجتماعية الغاء يكاد يكون تاما .. وما زلنا نستعمل الكلمات القديمة .. فنقول « ام فلان او حرم فلان ولا نذكر الاسم ، مع ان الاسم جزء من الشخصية .. واهماله هو سبة للمراة ، واهمالنا لاسم المراة هو تراث لغوى يحمل الينا عقيدة اجتماعية يجب ان نكافحها » .

ولن نناقش حكاية مكانة المرأة في الحياة الاجتماعية بل يكفينا شاهدة من اهله .. الكاتبة الالمانية الشريفة الدكتورة ، سيجريد هونكه ، في كتابها شمس الله على الغرب ترجمة الدكتور فؤاد حسنين على تقول : « ان امرأة مستقلة تقف في الحياة العامة ومعتركها الا وهي الأرملة الغنية (خديجة) فقد رغب اليها النبي صلى الله عليه وسلم ان تتثقف وتتعلم مثلها مثل الرجل . وهناك علماء مشهورون يرشحون المرأة لوظيفة القضاء، كما زارت المسجد والقت المحاضرات العامة وشرعت .. ومن النساء من اصبحت مدعية واشتهرت بلقب نقيبة رجال الشرع فهي ، شيخة ، واستاذة وانها لفخر النساء . هكذا كانت تكرم العالمة ، شهدة ، فخر النساء بنت ابي نصر احمد . والواقع ان العربية لم تكن رهينة البيت طالما كانت الارستقراطية العربية هي المهيمنة على المجتمع العربي . وتقول : « فالحجاب والبعد عن الحياة الاجتماعية لم يقل بهما الاسلام » .

بل يكفي ان نكشف زيف الحجة التي يلفقها سلامه موسى ليستدل بها على عزل المرأة العربية من الحياة الاجتماعية .. انا نتحدى اي سلامي ان ياتي في مرجع اجنبي بعدد اسماء النساء المذكورة في كتاب الأغاني الذي هاجمه سلامه موسى لأنه كتاب رجعي يتحدث في مجالس الغناء في القصور ؟!

وام النبي اسمها آمنة .. وزوجاته كلهن ، معروفات الأسماء، ردد المسلمون اسماءهن عبر العصور وسجلوها في كتب التراث .. بينما لا سلامة موسى ولا تلاميذه يعرفون اسم ام شكسبير او حتى اسم ام جونسون الرئيس الأمريكي المعاصر او ام بريزنيف .. ومن يدري اسم زوجة لويس الذي اسرناه في المنصورة ، ولكن الكل يعرف اسم شجرة الدر ام خليل آسرة لويس .. ونحن نقول مسز جونسون ، وهي تعني حرم جونسون ، ولم يلفت نظرنا فقط ان ذلك يعني تحقيرا للمرأة او الغاء لوجودها في المجتمع الأمريكي ... بالعكس حرم فلان افضل اجتماعيا من مسز فلان .. لأن حرم هنا صفة تعادل قولنا زوج فلانة .. اما مسز فهي تعبير عن الوضع القانوني الذي يلحق المرأة بزوجها .. وهو محرم في الاسلام فان كان يجوز قولنا ،جاكلين كنيدي، فهو حرام في الاسلام ، فلا يقال : عائشة عبد الله .. بل عائشة بنت ابي بكر لأن نسبة المرأة لأبيها ادعى لاحترام انسانيتها حتى ولو كانت ستنتسب لمحمد رسول الله واشرف الخلق ..

واسم المرأة كان يستخدم في المجتمع العربي على اوسع نطاق .. اما ، ام فلان ، فالعرب كانوا يستخدمون الكنية للتعظيم لا للتحقير.. فهم كانوا ينادون النبي بابي القاسم لا استحياء من اسمه صلى الله عليه وسلم ، بل توقيرا له ..

ولكن في معركة سلامه موسى الهادفة كان يستباح التدليس والجهل .. اما وقد خسر السلامية معركتهم وانتصرت العروبة فلماذا نعيد نشر هذه الأشياء ؟

يقول سلامه موسى ، فاستقرار الدين أدى الى استقرار اللغة اى الى جمودها » .

وماذا عن المسيحيين العرب الذين استقروا على دينهم ، ولكنهم غيروا لغتهم الى العربية ؟ وماذا عن فارس التي لم تستقر على دينها واستقرت على لغتها ..

على اية حال ذلك يثبت ارتباط اللغة بالدين في عقل ونوايا سلامه موسى ..

وهو في هجومه على العربية لا يتورع عن الانحياز للانجليز لغة وحضارة ، وهو لايقارن الا بين تخلف اللغة العربية وتفوق الانجليزية .. بل حتى الشعراء !

« كان ابو تمام شاعرا عربيا .. وكان ملتون شاعرا انجليزيا (لاحظ الحرص على اعلان الجنسية) وقد قال الأول كلمته الكاذبة البشعة : « السيف اصدق انباء من الكتب » وقال الثاني : « من يقتل انسانا طيبا فانما يقتل مخلوقا عاقلا هو صورة الله ، ولكن من يهلك كتابا طيبا فانما يهلك العقل نفسه » .

وقد تكون عجمة سلامه موسى ، عذرا في عدم فهمه معنى الكتب في شطرة ابي تمام كما يسميها .. فقد حالت عجمته هذه دون فهم الشعر العربي وتذوقه ، هذا الشعر الذي يثبت يوما بعد يوم انه لا يعطى سره لجامعي اعقاب الثقافة الغربية والذين يقتحمون البيت او الشطرة لخدمة حربهم المقدسة ضد العربية والعرب ..

ولكن ما عذر ناشري الكتاب اليوم ، اذ جهلوا روعة قصيدة ابي تمام ؟ القصيدة التي تعكس تفوق العقل العربي العلمي على الجهل الرومي .. فقد قال المنجمون الروم ، ان عمورية لا تفتح الا عند نضج التين والعنب ، ففتحها المعتصم الذي يمثل حضارة ارقى لا تسأل النجوم عن المستقبل ، ولا تفتش في كتب الطوالع عن انتصاراتها .. ولكن كتب الطوالع هذه حولها سلامه موسى الى الكتب بمعنىالثقافة والكلمة المكتوبة وسود الصفحات في الهجوم على داعية السيف ضد الثقافة... الخ بل واستخدم هذا القلب للحقائق ، في ترجيح كفة الانجليزى على العربي .. لمصلحة من ؟ .. نهاجم عروبتنا ، ونمجد الانجليز.. وبحجج مزيفة ، وادلة على احسن الفروض تثبت جهل صاحبها ؟!

وحملة سلامه موسى على اللغة العربية ، يتوفر فيها ركن ، سبق الاصرار ، لأنه يعرف تماما ماذا يعني الغاء العربية .. وهو ماكان يستهدفه الفرنسيون بمحوها من الجزائر ، وما حاوله دنلوب في مصر لولا مقاومة الشعب المصري الباسلة بقيادة مثقفيه الأشراف ، قبل ان نرزأ بسلامه موسى واتباعه .. كل هؤلاء الذين هاجموا اللغة العربية، كانوا يستهدفون تذويب الأمة العربية ، يقول سلامه موسى : « هناك احافير لغوية كبيرة الضرر على مجتمعنا، ومن اسوأها في مصر ، هاتان الكلمتان « شرق وغرب » فان كلمة شرق توحي الينا اننا بشر ننتمي الى اسيا وافريقيا .. وكاننا على عداء مع اوروبا وامريكا .. » .

« كما ان كلمتي شرق وشرقيين تحدث بين بعضنا صدودا عن الحضارة العصرية كاننا في حرب مع الأوروبيين » .

« ثم يجب الا ننسى المعنى الانساني السامي في اتخاذ الحروف اللاتينية ، معنى الانضمام في الثقافة الى الف مليون انسان متمدين . تحيل الانفصال بيننا وبينهم الى اتصال ، والخلاف الى وفاق . وفي كل هذا سلم وحب وانسانية » .

« اتخاذ الخط اللاتيني .. خطوة نحو الاتحاد البشري .. » .

نحن نفخر بانتمائنا لآسيا وافريقيا .. ولا نسعىللتبرؤ منهما الى الحد ان نتخلى عن عروبتنا لكي يسمح لنا بالانتماء لأوروبا !! والقاهرة هي مركز التضامن الآسيوي - الافريقي .. فلا يعقل ان تنطلق منها هذه الآراء .. واي سخرية بالثورات التحررية والكفاح البطولي لشعبنا في سنوات ٤٥ ، ٥٣ ، ٥٨ ، ٦٤ (سنوات الطبعات الأربع) ان يقال لها هذا الكلام، وان يزعم كاتب يوصف ظلما بالتحرر، ان العداء مع اوروبا هو عداء لفظي سببه وجود كلمة شرق في اللغة العربية ، كانها لا توجد في اللغات الأوروبية المحترمة ! . او كاننا نحن الذين قلنا ، الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا » .

وبعد فما اكثر ما يقال في هذا الكتاب .. وما اكثر الأخطاء، والانحرافات التي لا تتسع لها صفحات المجلة .. ولكن مامن حجة واحدة تستطيع ان تبرر صدور هذا الكتاب اليوم .. وقد كان الواجب على كل من يعنيه وجودنا القومي ان يواري مثل هذا الكتاب .. او ان يخصف عليه من ورق النسيان كما فعل آدم وحواء .. فهو والحق يقال ، ... سوءة ثقافية ، مكروه النظر اليها ، فضلا عن العبث بها وعرضها في مباهاة ..

محمد جلال كشك

رسالة الأدب العربي المعاصر

بقلم : محمد عطا

يقول الفيلسوف الانجليزى هارولد لاسكى ان « **الأدب فى اى عصر من العصور ليس الا تعبيرا عن مشكلات ذلك العصر ، وعن قدرة الناس على العثور** على حل لهذه المشكلات أو الرغبة فى حلها » ، وهو قول سديد الى حد بعيد ؛ فالأدب ليس تسلية ولا ترفيها ، وليس حيلا أو تمويها ؛ وانما الأدب جزء من الحياة أو هو الحياة ، انه انعكاس لآمال القوم وأحلامهم ، وتصوير لآلام الناس وما يعانونه من شدائد ، وهو حافز لهم على النضال ، وصارف لهم عن اليأس والقنوط . والأدب على هذا الوضع ينبغى أن يوجه الى القاعدة العريضة ، الى القاعدة الجماهيرية بتبسيط الفكرة والمضمون ، وعدم التعالى بالشكل أو بالعبارة حتى يتفهمه ويتذوقه أكبر قدر ممكن من الناس ؛ فالقصة مثلا يجب ألا توضع فى رموز وألا ينحو بها الكاتب منحى التعمية والالغاز بل يضعها فى القالب الذى يحمل القارىء أو السامع على التفكير حين ينتهى من قراءتها أو سماعها ؛ القالب الذى يحمل القارىء على متابعة أحداثها من غير تعثر أو ضيق .

والأدب ينبغى أن يعيش مع الناس وللناس لا أن يقتصر على طبقة بعينها أو قطاع بعينه بل أن يكون للجميع ، وأن يتخذ المواقف الانسانية التى يشترك فيها الناس جميعا مادة لعمله الأدبى ، وأن يخوض مع الناس مشكلاتهم ، وأن يشارك فى حلها لا أن يكون بمعزل عن الأحداث التى تشغل الأذهان ، ولا عن الصراع القائم بين المثل القويمة والأهداف الرفيعة وبين المطامع الأشعبية والمصالح الفردية ؛ الصراع الأزلى بين الخير والشر ، الصراع الدائم بين الحق والباطل ، الصراع المستمر بين الأقوياء والضعفاء ، الصراع المحتوم بين الأغنياء والفقراء ، الصراع الخالد بين التخلف والتقدم .

وبهذا الفهم والتحديد ينبغى أن نعالج رسالة الأدب العربى المعاصر ، وهى رسالة ليست هينة ولا يسيرة ؛ لأن هذا الأدب ينهض فى أعقاب قرون سبعة تتسم بالضعف والتحلل من القرن الثالث عشر الى القرن العشرين ؛ قرون الانقسام فى الدولة الاسلامية ، وقرون الاستعمار الأوربى والعثمانى للوطن العربى ؛ ففى هذه القرون المتطاولة منى الوطن العربى اما بحكومات تجهل اللسان العربى والثقافة العربية كل الجهل أو بحكومات تعمل جاهدة على النيل من التراث العربى وتقويض دعائمه ؛ هذه القرون هى قرون الظلام للأدب العربى .

فما أن أهل القرن العشرون حتى بدأ الظلام ينقشع رويدا رويدا وفى تؤدة وتمهل ، وحدثت حركة بعث تراث الفكر الاسلامى فى أزهى عصوره ، وواكبت هذه الحركة حركة الترجمة والنقل من اللغات الأجنبية وخاصة الانجليزية والفرنسية ، وبدأ المثقفون يوزعون جهودهم بين الثقافتين ، الاسلامية العربية والغربية ثم قام صراع بين المثقفين ثقافة عربية والمثقفين ثقافة أجنبية وطال أمد هذا الصراع بسبب سياسة التعليم التى قامت على الازدواجية .

ثم حدثت أحداث فى الوطن العربى ؛ أحداث ثورية تحررية تناولت فيما تناولت نظم الحكم والاقتصاد وشكل المجتمع ، وأحداث نضالية بين الأمة العربية وبين الاستعمار والصهيونية ، واذا كان الأديب لايمكنه أن ينعزل عن الاحداث التى تجرى من حوله ، أو ينفصل عن الزمن الذى يعيش فيه ؛ فالأديب العربى عليه أن يخوض المعارك المحتدمة فى وطنه فى قوة واصرار ، عليه أن يخوض معركة الحرية والتنديد بالاستعمار فى كل لون من الوان الأدب ، فى القصة والمسرحية والشعر والمقال .

وأن يخوض معركة الخبز ، الخبز لكل فم ، والحياة الحرة الكريمة للانسان العربى ، فلا حرية لجائع ولا ديمقراطية لبائس أو مستعبد ، ولا ديمقراطية لجاهل ، ولا ديمقراطية حين تفتقد العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص .

الوطن العربي في مرحلة انتقالية تحولية ، هـذه المرحلة تحتاج الى أقلام ثائرة ونفوس قوية وضمائر حية،بل تحتاج الى ضحايا ، وقد وجدت هذه الأقلام أو الألسنة في عصورنا التاريخية المتباينة ، وهي التي استطاعت بايمانها حماية الشـعب من الطامعين في الداخل والخارج .

على أن الأدب العربي الحـاضر لا يمكن أن يعيش على أمجاد الماضي فحسب بل لا بد له من أن يتطور وأن يتحرك الى الأمـــام ، فلا يقتصر على العواطف الفردية بل يتجاوزها الى المشاعر الجماعية ، مشاعر السخط على الظلم الاجتماعي ، مشاعر الحب للمكافح المناضل ، مشاعر الحماســـة للجنود المدافعين عن وطنهم ، الذائدين عن أرضهم ، مشاعر البغض والحقد على هؤلاء الذين يغتصبون أرضـنا ويشردون أبناءنا واخوتنا وأخواتنا .

ومن رسالةالأدب العربي المعاصر اقتلاع الرواسب المتراكمة من عصور الضعف والانحلال السـابقة ، وتثبيت ايمان الطلائع ، وانارة السبيل أمام الضالين المتشككين ، ونزع اليأس من نفـوس اليائسـين ، وتقوية عزائم المناضلين .

لقد تغير الزمن وتطورت الحياة والنظم الاجتماعية، وتنوعت أجهزة الثقافة وانتشرت الصحافة واخترعت أجهـــزة الاذاعة والتلفزيون والسـينما الناطقة ، وتحسنت الطباعة وزادت طاقاتها ـ كل أولئك أحدث ثورة فكرية ، ووثق علاقة الكاتب بالقارئ ، وأصبح لزاما على الأديب أن يخرج من قوقعتـــه وأن يزايل برجه العاجي ، وأن يختلط بالجماهير ، ويقـدم لهـا الغذاء الروحي الذي يرفع معنوياتها ، ويخفف عنهـا وقع أعباء الحياة وما تعانيه من صراعات وتمزق اما من داخلها أو ما يقع عليها من ضغوط .

ان أدبنا العربي المعاصر لم يبـدأ عمله الحقيقي في حمـــل رســالته الجديدة في العـالم العربي المتغير الملامح والسمات ، اننا اذا استعرضـنا النتـاج الأدبي وجدنا أنه ما زال رجعيا الى حد بعيد فهــو لا يخدم مذهبنا الفكري بل هو نتاج ذاتي فردي يعبر عن الطبقة المنحلة ، ففي القصـة الطويلة مثلا نرى نتاجنا فيها الأعم الأغلب منه يصور النزعات الشـاذة أو النماذج المنحرفة أو يعبر عن سلوك الطبقة المنحلة ويقوم على المفاجئات والصـدف العمياء ، وهو عرض أكثر منه تحليل للنفس الانسـانية المتأثرة بالزمان والمكان ؛ فأين القصة التي تقوم على أســطورة من أساطيرنا ؟ وأين القصة التي تستعرض حالة الضياع التي يعيش فيها اخواننا الفلسطينيون ؟ وأين القصة التي تحلل التمزق الداخلي الذي يصيب ذوي المبادئ، والقيم في مجتمع متطور يتصدر بعض قطـــاعاته الانتهازيون والوصوليون ؟ وأين القصة التي تصور حيواتنا في عصورنا الماضية لنفيد من أخطائنا وأخطاء نظمنا السابقة ؟

قد تكون في بعــض قصصنا أمارات التفتح أو دلالات النضج ولكننا لم نصل بعد الى مرحلة التعمق . ومن العجيب أن ينصرف بعض كتابنا الى معــالجة « اللامعقول » في المسرح أو غيره ونحن أحوج ماتكون الى مسرحيات «معقولة» تعالج مشكلاتنا وما أكثرها !! اني أقدر توفيق الحكيم في «عودة الروح» و «يوميات نائب في الأرياف » أكثر مـــا أقدره في مسرحية « يا طالع الشجرة » .

هل معنى ما تقدم أنني أؤيد أدب « **الالتزام** » ؟ نعم اني أؤيده كل التأييد وخاصة في مرحلتنـــا الحاضرة ، مرحلة الكفاح والنضال ، مرحلة الصراع والحوار العميق ، معركة الحرية ، معركة الاشتراكية، معركة الوحـــدة . كما أنني أؤيد اعلان الحرب على الأدب الذي يسميه سارتر « أدب التنصل » أدب الهروب ، أدب السلبية ، أدب الانهزامية لأننا في حال تطور من مجتمع راكد الى مجتمع متحرك ، في حالة ضغط مستمر من أجل توفير حيــاة كريمة للانسان العربي .

لقد تقدمنا في ثورتنا السياسية أكثر مما تقدمنا في ثورتنا الثقافية ، وكانت ثورتنا السياســـية أسبق من ثورتنا الثقافية مع أن النقيض هو الذي حدث في كثير من البلدان ؛ ربما أرجع ذلك الى أننا في الشرق العربي عانينا من ضغطين ؛ ضغط داخلي وآخر خارجي ، وربما أرده الى أنه لم يوجد لدينـا الأدباء الأصلاء الذين يضحون بأرواحهم وحاضرهم من أجل ما يعتقدون أنه الحق الذي يخدم قضـية الوطن وبالتالي يخدم قضية الانسانية ، أو الى أن الأديب في وطننـــا لم تهيأ له المــكانة التي هيئت للأديب في البـــلاد المتقـــدمة ، والمــكانة التي أقصدها هي تمتعه بالنفوذ الواسع العريض بين الجماهير للأمية الكثيفة التي تغطي منطقة الشرق العربي ولم تنقشع عنه بعد ، ولأن أكثر متعلمينا منصرفون عن القراءة الجادة الى القراءات السهلة الرخيصة المتحللة، ولأن الأدباء أنفسهم لم ينزلوا الى الشـــعب ولم يمسوا جوهر مشكلاته ولم يحاولوا رفع الشعب المتعلم الى مستوى الجدية والعمق .

محمد عطا

حول جاهلية القرن ال ٢٠

بقلم : محمد عبد الله السمان

كان الاستاذ « محمد قطب » على حق ، وهو يقدم كتابه الجديد ويقول :

سيعجب الناس من العنوان ، وسيستنكره كثيرون .. القرن العشرون ؟ الحضارة والمدنية .. العلم والكشوف .. التنظيم والتنسيق .. سيطرة الانسان على الطبيعة .. الذرة والصاروخ ، كل ذلك جاهلية ؟

لقد بلغ الانسان أوجا من العظمة لم يبلغه فى تاريخه كله ، وبلغ من القوة والسيطرة والجبروت مدى لم يحلم به سكان الكوكب الأرضى قبل عشرات من السنين فقط ، فضلا عن عشرات من القرون ، فكيف تقول بعد ذلك: ان الانسان يعيش فى الجاهلية فى هذا القرن العشرين ؟ والقيم التى يعيش فى ظلها البشر اليوم : الحرية والتحرر ، الاخاء والمساواة ، الديمقراطية والعدالة الاجتماعية ، كيف بالله تقول : ان هذا العصر الذى نعيش فيه .. عصر جاهلية ؟ »

مصادفة ورجلان

هكذا وضع الاستاذ محمد قطب نفسه وكتابه « جاهلية القرن العشرين » فى اطار مستحكم من التساؤلات والاستفسارات وعلامات التعجب ، وهو يقدم على قضية شائكة ــ لا لأنها متشعبة الزوايا ومعقدة الأفكار ــ ولكن لأن حيثيات هذه القضية أعدها المؤلف على أساس تفسير جديد لمفهوم الجاهلية لم يتعوده كثير من المتصدين للدراسات الشائكة التى تتسم بالمقارنة والمقابلة القديمة والحديثة من ناحية والاسلامية وغير الاسلامية من ناحية أخرى .

يرى الكاتب أنه لا وجه للصواب فى حصر مظاهر الجاهلية فى الشرك الساذج ، والوثنية البدائية ، وأخذ الثأر ، والمفاسد الخلقية التى كانت سارية فى البيئة العربية ، ولا فى أن الجاهلية هى مقابل ما يسمى العلم ، أو الحضارة ، أو التقدم المادى ، أو القيم الفكرية والاجتماعية والسياسية والانسانية ، انما الجاهلية ــ كما عناها القرآن وحددها ــ هى حالة نفسية ترفض الاهتداء بهدى الله ، ووضع تنظيمى يرفض الحكم بما أنزل الله ، هى اذن مقابل معرفة الله ، والاهتداء بهديه ، وليست مقابل ما يسمى العلم والحضارة المادية ووفرة الانتاج .

وواضح من اتجاه المؤلف أن منهجه فى هذه القضية العجيبة الشائكة يحتم عليه أن يعرض صفحة من التاريخ ليبين للناس كيف نشأت الجاهلية الحديثة ، وصفحة من الحاضر ليبين لهم ملامح الجاهلية التى يعيشون فيها ، ثم يتتبع هذه الملامح فى حياتهم جميعا ، فى التصور والسلوك ، فى السياسة والاقتصاد ، والاجتماع وعلم النفس ، والأخلاق والفن ، وكل ما تشمله الحياة من نشاط ، وهذه صفحة ثالثة من الواقع ، وأخيرا صفحة من الاسلام هى الأمل فى المستقبل ، اذا أراد الناس أن ينفضوا عنهم الغبار كله ، ويستووا على الطريق النظيف الصاعد على هدى من الله ..

فى صفحة التاريخ : يقرر المؤلف أن تاريخ أوربا كله تاريخ جاهلية متصلة الحلقات ، منذ القدم كانت الجاهلية اليونانية والجاهلية الرومانية ، ثم كانت جاهلية العقيدة المحرفة فى العصور الوسطى ،وأخيرا كانت الجاهلية الحديثة التى هى ــ فى جانب منها ــ ارتداد الى الجاهلية اليونانية الرومانية ، وفى جانب آخر « تطور » فى الجاهلية استحدثته الداروينية واستغلته عبقرية التدمير من جانب اليهود ؟

وفي التعرض للجاهلية اليونانية والجاهلية الرومانية اللتين هما الأساس الحقيقي للحضارة الأوربية المعاصرة - على حد تعبير الكاتب - يعترف بأن الجاهلية اليونانية تحتوى فنونا وفلسفات ونظريات سياسية وتجريدات علمية نظرية ، وما من شك في أنه كان جهدا بشريا رائعا في تعدد جوانبه واتساع آفاقه ، ولكن هذا التراث لم يخل من الانحراف ، وأبرز مظاهره ، هو أن هذه الجاهلية هي التي أوحت ورسخت فكرة الصراع بين البشر وبين الله أو «الآلهة» عن طريق الأساطير ، وهي التي قدست العقل على حساب الروح أيضا ، وجعلت الأخلاق قضايا ذهنية أكثر مما هي واقع عملي حي . كما يعترف المؤلف بأن الجاهلية الرومانية - وهي جاهلية المادة وجاهلية الحواس - قد أبدعت أشياء كثيرة نافعة للبشرية، الا أن من مظاهر انحرافها ايمانها العنيف بالمادة ، والتضخيم الشديد لعالم الحس ، والعدل الروماني الشهير للرومان فقط .

أما في العصور الوسطى : فثمة جاهلية العقيدة المحرفة ، حيث تم الفصل بين العقيدة والشريعة أو بين الدين والحياة الواقعة ، وحيث امتزجت المسيحية والوثنية ، بتأثير المنافقين الذين تقلدوا وظائف خطيرة في الدولة الرومية كما يقول دريبر الأمريكي في كتابه « النزاع بين الدين والعلم » .

وأما الجاهلية الحديثة : فهي خلاصة هذه الجاهلية مجتمعة ، وعليها مزيد ، فهذه الجاهلية أولا ، لا تؤمن بالله الايمان الحق ، وهي الخصيصة الكبرى المشتركة بين كل جاهليات التاريخ ، بل هي الأساس الذي تنشأ عنه الجاهلية ، وتنبني عليه كل الانحرافات الأخرى في التصور والسلوك ، والسمات المشتركة للجاهلية بعد ذلك ومنها هذه الجاهلية الحديثة ، هي اتباع الأهواء ، ووجود طواغيت في الأرض تفرض على الناس عبادتهم ، ثم الانحراف في تيار الشهوات، أما السمات الخاصة بهذه الجاهلية الحديثة ، فيمكن حصرها في التقدم العلمي، وتبجح الانسان في مواجهة الخالق ، والنظريات العلمية التي توجه الناس الى الانحراف في كل مجال من الحياة ، والفتنة بالتطور ، ثم تحرير المرأة ، وبهذه السمات جميعا افسدت هذه الجاهلية كل تصورات الانسان وارتباطاته بالله والكون والحياة ، ثم تركت الفساد الى السياسة والاقتصاد والاجتماع والأخلاق وعلاقات الجنسين ، والفن ، وفي كل شيء على الاطلاق .

***

ويرى المؤلف في الفصول الأخيرة أنه لابد للناس من الاسلام ، لأن كل ما انحرفت به الجاهلية الحديثة يصححه الاسلام ، واذا كان الانحراف الاكبر الذي أنشأ الجاهلية كلها ، وترتب ما ترتب من فساد في التصور والسلوك ، هو انحرافهم في تصور حقيقة « الاله » ومن ثم انحرافهم عن عبادة الله المتمثلة في اتباع منهجه وحده في الحياة ، فان الاسلام يبدأ من هذه النقطة بالذات ، ولم يتفق القرآن ثلاثة عشر عاما في تقرير قضية واضحة أصيلة هي قضية الألوهية ، الا لأنها محور ارتكاز الحياة البشرية كلها ، والاسلام لذلك أعطى الناس قضية واضحة في شأن الالوهية والاعتقاد .

***

والاسلام قدم الانسان في أروع صورة وأبدعها بينما تخبطت الجاهلية الحديثة فجعلته تارة الها وحيوانا في وقت واحد ، ثم جعلته في النهاية عبدا سلبيا ، وفي شتى مجالات الحياة قدم الاسلام مناهج سليمة تقوم على الحق المجرد والعدل المطلق .

وبعد - فالقضية التي عرضها المؤلف في أكثر من ثلثمائة وخمسين صفحة جديرة بالتعمق ، الا أنه أسرف أيما اسراف في اعتبار الحضارتين اليونانية والرومانية جاهلية مطلقة ، على الرغم من أنهما أديا للانسان والبشرية خيرا كثيرا ، وان كان قد نجح في هتك ملامح الجاهليات القديمة وجاهلية القرن العشرين ، الا أنه لم يقدم مقابلا متكافئا من الاسلام وهو يهتك هذه الملامح ليربط ذهن القارىء بالمقارنة التي تؤيد منهجه ، وكنت أود **أولا** : ألا يحيل القارىء كثيرا الى آرائه في كتبه السابقة فيوحي بتكرار المفاهيم التي يطرقها ، **وثانيا** : أن يعنى عناية خاصة بما أصاب الاسلام عقيدة وشريعة من انحرافات أكثر من أن تحصى ، وما دمنا نعتبر الاسلام والاسلام وحده هو الحل الأخير ، فلا بد من تصفيته قبل كل شيء من أوضار الجاهلية الأولى التي أفسدت - الى حد ما - التصور والسلوك في حياة المسلمين المعاصرين .

محمد عبدالله السمان



جمعية الأدباء تقرر

١ ـ حرية التعبير الأدبي
٢ مذكرة لجنة الشعر لا تحجر على الشعراء.

في مساء الاربعاء ١٩٦٤/١٢/٩ اجتمعت الجمعية العامة لجمعية الأدباء في جلسة غير عادية بناء على طلب خمسة وثلاثين عضوا من اعضائها للنظر في مذكرة لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب ، والتي رفعت للسيد الدكتور محمد عبد القادر حاتم رئيس المجلس ، وللنظر كذلك في طلبات أدرجت بجدول الاعمال بناء على طلب د . لويس عوض .

وقد حضر الاجتماع نحو مائة وخمسين عضوا وتولى الاستاذ السباعي ادارة المناقشة وتكلم عدد كبير من الحاضرين في موضوع المذكرة والمقترحات الأخرى ، وبعد المناقشة اخذت الأصوات على القرارين الآتيين ، فوافقت عليهما الجمعية باغلبية كبيرة :

١ ـ الجمعية تؤيد حرية التعبير الأدبي والفني شكلا ومضمونا كما تؤيد حق التجربة الادبية والفنية ونشرها دون المساس بمبادىء الدولة الاشتراكية العربية وامنها وتقاليد المجتمع العربي التي ينص عليها الدستور والميثاق .

٢ ـ ترى الجمعية انه ليس بصحيح مايقال من ان لجنة الشعر تستعدى السلطات او تريد الحجر على حرية الشعراء .



الأستاذ يوسف السباعي

● يصدر قريبا كتاب « التوراة والانجيل » عرض وتحليل للدكتور فؤاد حسنين ، ويدور حول التعريف بالكتابين المقدسين وما تعرضا له من تطور على مر السنين .

● تقيم اسرة اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية مساء اليوم ندوة شعر .

● تقيم جمعية الأدباء في السابعة من مساء الاربعاء القادم ندوة شعرية يقدمها الشاعر عبده بدوي ويشترك فيها الشعراء عامر بحيري ، روحية القليني ، وفاء وجدي ، احمد لطفي ، د . عفيفي محمود ، محمد الجيار ، فتوح احمد ، محمد احمد العزب ، كامل امين ، اسماعيل الصيفي ، البيل عبد الحميد .

● ديوان « من بقايا الكاس » للشاعر طاهر الجبلاوى ، يصدر عن الدار المصرية للتاليف والترجمة .

لا تكذبى

يبدو لى ان «نقد الحبيب» نقدا صارما ومحاسبته الدقيقة .. **من علامات تقدم السن عند المحب ..** وان الشباب يدفع الى التغاضى واخذ الحبيب على علاته .. ولعل هذا يدعو الى عدم التفكير فى الزواج.

دار ذلك بخلدى وانا اقرأ الديوان الجميل - شكلا وموضوعا - الذى صدر اخيرا للاستاذ كامل الشناوى بعنوان اغنيته المشهورة « **لا تكذبى** » وهى احدى قصائد الديوان .

والواقع أن ذلك العنوان ينسحب مدلوله على كثير من شعر الديوان ، من حيث مواجهة الشاعر للحبيبة بالتهم التى يسوقها همساتا رقيقا برغم صرامة النقد .. حتى فى قوله لحبيبته :

يا حيتى الرقطاء ارشف سمها يوما
لأحلم بالمنون سنينا !!
قدست من دنياى كل شرورها
يا حيتى فهواك أصبح دينا !!

وخطر لى ايضا - بهذه المناسبة - مايغنيه عبد الوهاب أخيرا من مثل « لا ، مش أنا الى ابكى » وما تشدو به ام كلثوم من مثل « حب ايه اللى انت جاى تقول عليه »

واريد ان اقول بعد : **ان ذلك يدل على الصدق والصدق هو احدى سمات شعر كامل الشناوى ،** الى ما يتوافر له من خصوبة الشاعرية وجمال التعبير عن وجدان الانسان المعاصر وافكاره .

وبتلك السمات يترقرق ماء الفن فى الوطنيات التى اشتمل عليها الديوان الى جانب مبدعاته فى التعبير عن الوجدان الخاص .

● الدكتور عبد القادر القط يرى - فى حديث بالاذاعة - انه كان يجب علينا أن نتريث فى أمر مجلة « حوار » حتى يبحث هذا الأمر فى جمعية الادباء ...

لماذا اذن لم يتريث فى حديثه ذاك حتى تنظر فيه جمعية الادباء ؟!

ولماذا لم يتريث فى نشر الأشعار السخيفة والمقالات التى تشيد بشعراء « اللاقومية عربية » فى مجلة « الشعر » - حتى تعرض على جمعية الادباء ؟!

● **« ابن الوز عوام »**

خطر لى ذلك وانا اقرأ القصة التى ظهرت اخيرا فى مكتبة الاطفال للأستاذ رشاد كامل كيلانى بعنوان **« مصيدة الفيران - قصة اسرائيل »**

سرنى ان ارى « رشاد » يتلقى الراية من والده المرحوم **كامل كيلانى** الذى نشأ جيلا بمؤلفاته للاطفال وكاد يخلو بعده مجال التاليف للناشئة . وقد اعجبنى من رشاد اتجاهه الى الواقع الحاضر يتناوله - فى هذه القصة - القضية العربية الكبيرة فى فلسطين بأسلوب قصصى جذاب ولغة عربية فصيحة جميلة تذكرنا بلغة كامل كيلانى السلسة السهلة القوية المبينة .

● اعتقد ان السهرات (الصباحى) ليست من سمات المجتمع الاشتراكى الذى يحرص على التبكير والعمل والنشاط بعد اخذ القسط الكافى من النوم ليلا . **كانت تلك السهرات عادة « أبناء الحظ » من الذوات والمتعطلين بالوراثة وامثالهم** الذين يعربدون بالليل وينامون أكثر النهار ويتسكعون فى (العصارى) وينتظرون فى المقاهى موعد السهرة .

ويحسن مسرح الجيب اذ يجعل عرض مسرحياته يبدأ من منتصف الثامنة مساء وينتهى فى نحو العاشرة . ولا بأس بما يصنعه المسرح القومى اذ يحرص على رفع الستار فى التاسعة الا ربعا وتنتهى مسرحياته فى نحو الثانية عشرة .

ونود ان تأتسى بذلك المسارح التى لا تزال تتأخر فى مواعيدها . وكذلك تمثيليات السهرة والافلام بالتليفزيون .

عباس خضر

حول الأدب في شرق

بقلم عبده بدوى

الشعر والغضب

يمكن أن يقـال انه كانت فى جمعية الأدباء ثلاث قوى تتمثل فى لجنة الشعر ، وفى الموقعين على مذكرة لمناقشة وجهة النظر التى تقدمت بها اللجنة ، وفى الحيـاديين الذين كان عليهم أن يرجحوا واحـدا من الجانبين :

وسط هـذه الدائرة جلس **يوسف السباعى** لادارة هذه المعركة ، وقد أشفق البعض على الرجل ، فقد كانت هناك محاولات للاثارة ، وكان هناك غضب ظل ينمو حتى خيل للكثيرين أن هـؤلاء المجتمعين لا ينتمون الى أسرة واحـدة هى أسرة « الكلمة » بل لقد توهمت انى لو أشعلت عـود ثقـاب فى هـذا الجو لدوى المكان بالانفجار ، فقد كان كل شىء يغلى فى الصوت ، والحركة ، والوجه ، حتى لقد وصلت العدوى الى « الحياديين » فرأيناهم هم الآخرون فى هيئة من يدافعون عن أنفسهم فى ميدان قتال .

وقد كان من رأى لجنة الشعر ـ وممثلوها صالح جودت وعلى الجندى وعلى باكثير ـ أن من اللياقة عدم مناقشة مذكرة اللجنة ما دامت أمام نائب رئيس الوزراء للثقافة والارشاد القومى ، وقد أيد هـذا عباس خضر وذكر أن المذكرة تشبه القضية المنظورة أمام القضاء ، وأن علينا الا نصدر هنا قرارا بشأنها، وترد الدكتورة سهير القلماوى بأن القضية التى أمام القضاء تختلف عن القضية هنا ، وأن المذكرة مادامت قد نشرت فان من حقنا أن نناقشها ، ويرد عامر بحيرى بأنه هو شخصيا يتحمل تبعة نشرهـا ، وأن اللجنة لم تكلفه بهذا ، بل انها فوجئت بالنشر .

وترد الجبهة الثـانية ـ ويمثلهـا عبد الرحمن الشرقاوى وأحمد عبد المعطى حجازى وصـلاح عبد الصبور وملك عبد العزيز ـ بأن من الضرورى مناقشة المذكرة لأن فيها حجرا على الفن ، ولأن مراعاة اللياقة مسألة تخص لجنة الشعر ما دامت قد تقدمت بها ، ولأنه لا علاقة بيننا وبين نائب رئيس الوزراء للثقافة والارشـاد لأن العلاقة بيننا نحن ، ولأنه ما دامت فيها ظاهرة ادخال السلطة فلا بد من اصدار توصية بحرية التعبير .

وحين تنتهى هذه الجبهة من الادلاء برأيهـا ترجح كفة مناقشة المذكرة ، وتقرأ المذكرة ، ويحتج صوت على طريقـة القراءة ، ثم حين تنتهى القـراءة ، يذكر أنور أحمد أنه لم يكن قرأها من قبل ، وأنه لا يرى

فيها ظاهرة الاستعداء التى تكررت بين الحين والآخر ، وان ما كتب عنها فى الصحف والمجلات يعتبر مبالغة لا شك فيها .

ويقف عزيز أباظة ليقول ان ظاهرة الاستعداء ليس عنيها دليل فى المذكرة ، وانه يقرر انه لم يجل فى ذهن احد أن يقف أمام أى نوع من أنواع التجديد ، فكافة المحاولات تترك ليباشرها من يشاء ، فاذا ثبتت كان لا بد من اضافتها. أما ما قصدته اللجنة بمذكرتها فانه لا يخـرج عن كونه اعتراضــا على شىء من « الظلم » فى مجلة الشــعر ، حين رأتها تهمل محاولات ما يقرب من ألفى سنة فى عالم الشعر ، وتتبنى محاولات عمرها الزمنى ضئيل ، ومن هنـا فقد كان لنا طلب متواضـــع لا يخرج عن كونه المطالبة برفع « الحجر » عن الشـــعر القديم كما يسمونه ، والشعر الأصيل كما نسميه .

ثم انا لم نســتعد الدولة ، فلجنة الشعر تتبع المجلس الأعـلى ، والمجلس الأعـلى له رئيس ليس منفصلا عنا ، وقد رأينا ازاء هذا الظلم أن نقول له ما دامت لجنة الشــعر تصدر عن وزارته « اعمل معروف افسح مجالا للشعر الأصيل » أما الاشراف - كما ذكر - على كافة النواحى الخاصة بالنشر فشىء لا تتحمله المذكرة ولم يجل فى خواطرنا ، والاشراف الذى نقصـــده هو « الاشراف بالرأى » ، فلم هــذا الظلم ؟ ولم تدخل الضغينة بيننا الى هذا الحد ؟ يجب أن نتذكر قول شوقى :

اختلاف الرأى لا يفسد للود قضية !

ومن الملاحظ أن الحديث بعد هذا أخذ يتمو له وجه سياسى ، فقد ذكر **صلاح جاهين** أنه كان لا بد له من أن ينزل بعنف الى المعركة ، لأن هناك أشياء كثيرة غيرت أشياء جوهرية فى حياتنـا ، فنحن مسئولون عن الناس ، ومن الواجب أن نقول ماذا فعلت اللجنة لاطعام الناس روحيا ، ان ما فعلته لا يخرج عن كلمة « التجميد » ثم « التجميد » .

ثم يذكر **لطفى الخولى** ان المسألة فى جوهرها تيار جديد يقاوم من تيار قديم ، وأن من حق التيـار الجديد أن يطلب حق « التواجد » وحق الصراع مع التيار القديم ، ولا بد أن يتم هذا الصراع ، وانه ليس من حق أحد ابتداء من أكبر سلطة الى أدناها أن يوجه الحياة الفكرية بناء على توصيات وقرارات ، والقـول بأن نائب الوزير قاض يحكم فيما يتصـل بالابداع الفنى قول لا يمكن أن نأخذ به أو نقبله ، ومن هنا فنحن لا نطالب بأخذ قرارات وانما نطالب بسحب المذكرة .

وترتفع الأصوات هنا وهناك ، وتقرأ أبيات من الشعر فيها تعريض بمصر وبالوحدة ، وينهر أديب آخر ، وتتحول القاعة الى برج بابل ، ويظهر الغضب فى وجه وصوت يوسف السباعى وهو يقول : أقترح التصويت على قرارين ثم يقرأهما ، وترتفع أصوات بالمعارضة فيحتكم الى الرأى العـام بالقاعة ، وحين توافق الأغلبية يقرأ القرارين الآتيين :

١ - الجمعية تؤيد حـرية التعبير الأدبى والفنى شكلا ومضـــمونا ، كما تؤيد حق التجربة الأدبية ونشرها دون المساس بمبادىء الدولة الاشــتراكية العربية وأمنهـا وتقاليد المجتمع العربى ، التى نص عليها الدستور والميثاق .

٢ - ترى الجمعية انه ليس صحيحا ما يقال من ان لجنة الشعر تستعدى السـلطات او تريد الحجر على حرية الشعراء .

وتؤخذ الأصوات فاذا بموافقة شبه اجماعية على هذين القرارين ، وينصرف الجميع وهم يحملون فى وجوههم وأصواتهم توترا يصل الى حد الغضب ، وتحس أن الجميع وهم يسيرون لا يعرف بعضـــهم بعضا ، وانه لم تكن عند البعض رغبة فى التلاقى ، فقد كان هنـاك من يعمل على حل اللجنـــة ليجد له مكانا فيها ، وكان هناك من يعمل على نسف الشعر المتجدد ، ومن يعمل على نسف شعر التفعيلة ، ومن يعمل على نسف الشـكلين معا ، ومن يضع مفهوما ســياسيا يقول بالنســف لا التقريب بين وجهتى النظر .. ثم كانت هناك أيضا تلك القوة الكبيرة التى استطاعت أن ترجح ظهور القرارين الســـابقين ، والتى اعطت بحق درســا للمغـــالين فى كل من الجانبين ! أما أنا فقد التشبيت بحق من تأكيد حرية التعبير الأدبى والفنى شكلا ومضمونا .

* *

على هامش الغضب :

● كان المحور الذى جلســـت فيه مكونا من الدكتور لويس عوض وصالح جودت وعامر بحيرى، واذكر أنا لم نكف عن الحديث وعن الابتســـام فى الوقت نفسه . وقد نبه هذا البعض فمد أذنه نحونا، واذكر أنى تلقيت أكثر من ضربة فى كتـــفى ، وأن

كثيرين كانوا يرغبون في معرفة ماكنا نتحدث فيه ، ولقد أكد لنا الدكتور أكثر من مرة أنه ليس ضد الشعر العمودى ، وكان صالح جودت يردد فى كل مرة « واضح ٠٠ واضح جدا يا دكتور » ، وكان عامر بحيرى يقول له ، لقد أحسنت التوقيت فى الاساءة الى الاسراء والمعراج فى نفس ذكرى الاسراء والمعراج ، وكان الدكتور يرد بأنه أعد هذه الحلقات من فترة كبيرة ، وأن ما حال دون ظهورها مبكرا هو سقوط خروشوف ، ثم الانتخابات الأمريكية ، ويقول لى الدكتور لقد أساءت الظن بى ، واقول له وما الذى يعنيه وضع خمسة أعمال فى شهر واحد داخل دوائر مسيحية ، وهل يجرؤ الدكتور مندور مثلا على تفسير مثل هذا التفسير؟ وهل لو فعل نصف هذا ماكانت تناوشه مئات الأقلام بدلا من قلم واحد؟ ومع أنا كنا مختلفين الا أنا كنا نتحدث مثل أفراد أسرة واحدة ، ولكن الذى كنت ألاحظه أنا كنا نسرف فى كمية الابتسام بالرغم من التوتر الذى كان يسود المكان ٠

● حدثنى الدكتور **عفيفى محمود** انه أخذ على الدكتور لويس عوض قوله انه فى صف الجيد من الشعر ، وطرحه على المجتمعين سؤالا يقول « هل أرسل واحد منكم لى شيئا من شعره ؟ » ذلك لأنه طلب « دسيها » من الاستاذ ماهر فى جريدة الاهرام، ثم أخذ يقلبه أمام عدد من الحاضرين ، ثم قال : ان هذا الدوسيه يضم قصائد للشعراء عزيز اباظة ، ومحمود حسن اسماعيل ، وعلى الجندى ، ومحمود عماد ، ولكنه لن ينشرها ٠

ويعقب الدكتور عفيفى محمود بأنه كان واثقا بأن مجموعة الشعر التى كان يضمها الدوسيه ، كانت عاجزة عن « اثبات الحالة » التى أراد الدكتور لويس اثباتها :

● بعد أن قرأ **صالح جودت** أبياتا لعبد الوهاب البياتى يهاجم فيها الجمهورية العربية المتحدة ، والوحدة مع سوريا ، كان يتهيأ لهجوم آخر على محمد الفيتورى بقراءة بعض ما قاله فى الهجوم على مصر ، وسياستها فى الفترة الاخيرة ، قد تنبه لهذا الفيتورى وتململ فى مقعده ، ولكن المعركة أخذت اتجاها آخر ٠

● ذكر **عبد الرحمن الشرقاوى** أن لجنة القصة لها رأى كذلك فى الاشراف على مجلة القصة ٠

● كان **احمد عبد المعطى حجازى** حريصا على ان يؤكد أن الشكل الجديد لا يلغى الشكل القديم، وأن كلا منهما قادر على التعبير فى هذه الفترة ٠

● حين أخطأ لطفى الخولى فى ذكر احمد عبدالمعطى حجازى ، وسماه أحمد عبد العاطى ، مما جعل يوسف السباعى يسأل عن حقيقة الاسم ، سمعت تعليقا يقول « ومن يخطىء فى اسم الشاعر المشهور ، انه بلا شك الخطأ المقصود »

❋❋❋

انسى ومندس :

الى الزملاء الذين كتبوا الى فى أن الشاعر أنسى الحاج ، قد يكون مضطرا فى ترديد مقطع « جسدى امرأة » فى قصيدته ، الى هؤلاء أؤكد ان هذا النص الذى سبق أن ذكرته ماكان ليستلفتنى؛ لولا اقترانه بعملية « التنصيب الشعرى » له فى الجمهورية العربية المتحدة ، والتى قام بها هانى مندس حين قدم ديوانه « لن » ، والذى ذهب الى أننا من الف عام ونحن عبيد وجهلاء وسطحيون ، وأن الخلاص لن يكون الا فى العمل الثورى — على حد تعبيره — المسمى قصيدة النثر ، والتى تقوم هذه القصيدة فى جوهرها على «رفض كل المقدسات والبناءات المتعارف عليهاوفى مقدمتها الأخلاق فالأخلاق تحد من ممارسة الانسان لانسانيته وتمنعه من تفتح ذاته ونموها »

وانا أضع أمام الزملاء لونا من أعمال أنسى الحاج من أول فقرة تقع عليها العين ، ولعله من خلالها يظهر لنا سر اعجاب هانى مندس بها ؛ فهو يقول — مع ملاحظة عدم وجود أخطاء مطبعية ٠

• جئتك يا قطيعمن صخرة نحيلة رسول هاجس متسربا ٠

من الجدار خائنا ، ساشطف لك الارض ٠

انزلت بعائلتى عقاب الموت

الموت للزهرة الخالدة ٠

الموت للعمالة المضمدين بالنساء القاطنين علب الحشائش ٠

أخافهم وأبرأ منهم ؛ أرى قبضتى مائعتين خسرت كل دمائى ، من يسمع كلمات جافية ٠

أنا الشاعر ٠

شجرة الغيلان ، رحم الصحارى ٠

تقدموا ٠٠ تقدموا ، أنا صنم ٠

نحن جبال السم، ثعالب الضباب ، ينضب أطفالنا

الينابيع ، يولدون من التالول ، يسفسلون الفجر ٠

نساؤنا على الشرفات يصطدن الحلجات ويحصين الاجانب ٠

نحن جربكم وانتم اهل الصبر ٠

نخش فيكم (تفتحين يا امرأة فنعصرك وتفلقين فنهدمك) ٠

نخش فيكم ! لاخير فيكم ٠

تعروننا وتسجدون لنا نعريكم !! لا خير فيكم ٠

جسدى وحيد ومضحك !!

وما من منقار يخدش كفى !!

وما من ظامىء الى ٠

أنت يا آخر الضيوف تعال ، فى أحضانك المنهارة أترك نفسى ٠

انتزع نخاعى الملوث

ومسرعا ٠

افقد الكل ذاكرتى ٠

ويقول ــ زاده الله شعرا على شعر ــ فى قصيدة بعنوان الفيض ٠

وقصيدة بعنوان البقاء للموتى ٠

● لفظته شرنقة متفحمة ٠

ومن صدره تيار برفع السقف ٠

ذهب منه غراب ليحوم فوق المسك المضموغ والاجناس المطفأة ٠

أشعل الظلام المطل لفاقة الاستمناء الكبيرة ٠

● الموتى يقطع المواصلات ولا أحد يجده انه فى الحصن ، كل من معه سيول لفمه ، انه صحيح يدك الجثث بسماد البقر ٠

كنت ساقبض عليه لو لم أر بعينى هاتين الكاهن الذى عرفنى ينتحر ٠

وارجو العذر فى ذكر كل هذا ، فالشاعر من كبار الشعراء فى لبنان ، ولانى ربما كنت أقدم صورة من «شعر المستقبل» لانه ليست بيننا وبين هذه النماذج الا خطوة او خطوتان ، فقد انتهى الشعراء اليها حين لم يقفوا عند حد «التفعيلة الصحيحة» وانما تجاوزوا عنها الى التزحيف والاعلال ، واعتقد اننا الآن فى هذه المرحلة ، ثم كانت الخطوة التالية هى قصيدة الثرثرة ، ثم تجاوزوا هذه المرحلة الى المرحلة التى سموها «شعر بنثر» ٠

ترى هل سنصير الى هذه المراحل ، والى ما يجد بعد ذلك ، انا شخصيا أعتقد أننا نسير فى هذا الطريق ٠

***

مع افريقية :

لازلت أذكر نظرات الاستنكار التى كنت كثيرا ما اقابل بها حين كنت أطلب من كاتب مقالا عن أى جانب من الجوانب الافريقية لمجلة «نهضة أفريقية» ، وقد جاء اليوم الذى أصبحت افريقية فيه لا تقف عند حد الأخذ ، وانما تتعداه الى العطاء ، ففى القاهرة شاهدنا فرقة أوغندية للفنون الشعبية ، ومهما يقل عن قلة تدريبات الفرقة ، وعن سذاجة الديكور وصراخ الايقاع ، الا أن المشاهد كان يحس انه امام شىء جديد ظل محروما منه طوال عمره ، فقد كانت الفرقة حريصة على أن تقدم ببساطة الحياة التى يعيشها المواطن فى افريقية ، والتى يتحول فيها كل شىء الى فن ٠٠ فالقرية فى الليل ترقص ، والمحبون لايكفون عن الغناء ، فاذا أطلت الشمس الاستوائية على البشر ، رأتهم فى كافة أعمالهم يرقصون أويغنون على صوت الطبول ، حتى ليبدو كل شىء كأنه يأخذ مكانه فى أوركسترا كبير ، ثم يأخذ فى ممارسة الحياة ٠

رقصة رقصة ونغمة نغمة !

ونجاح هذه الفرقة الأوغندية يذكرنا بفرقة نيجيرية تلهب الأكف الآن فى لندن ، ولا تقتصر عروضها على المسارح ، وانما تقوم بتقديم هذه العروض أيضا فى الميادين العامة ٠

أما الفيلمان اللذان شوهدا أخيرا فى القاهرة فقد كانا : «انتصار افريقية ، ومقتل طائر برىء» ، واذا كان الاول يقدم صورة مزيفة لافريقية من خلال نكتة

عسكرية ، ونرى فى نهايته أحد الجنود يسير فى خطوة عسكرية متكبرة بعد أن تلقى أمرا بالطرد ..

اذا كان هذا الفيلم لايقدم لنا الافريقيين الا فى حالة «هياج» ، فان الفيلم الثانى يتعرض لمشكلة التفرقة العنصرية فى عمق حين تدعى فتاة بيضاء على أحد السود بأن حاول اغتصابها ، واذا بالمحامى (الذى يمثل ضمير الرجل الابيض) يثبت أن هذا الانسان الاسود يعجز عن اثبات حالة الاغتصاب التى روتها الفتاة ورواها والدها كذلك ، ذلك لان احدى يديه تعجز تماما عن القيام بالحركات التى روتها الفتاة أمام المحكمة ، واذا كانت المحاكمة ترمز الى ايجاد تبرير لاستمرار الظلم على كل انسان أسود لولا يقظة الضمير الممثلة فى المحامى ، فان خلق جو من الرعب الدائم ممثلا فى وجود شخص مجنون يحاول الاعتداء على الاطفال، ثم قيام والد هذا الطفل المجنون بقتله حين يراه يهم بقتل ابن المحامى ، كل هذا كان يعتبر خلفية موفقة فى الفيلم ، وكأنه كان يذكر دائما بأن على الذين انحدر من أصلابهم هذا الطفل المجنون الذى يمثل التفرقة العنصرية ، لابد لهم من قتله ، ثم يظهر بعد قتله ــ فى الفيلم ــ ان الحياة جميلة ، وجديرة بأن يعيش فيها الانسان .

ترى هل يتحقق لنا ان نسهم بشىء فى هذا المجال الجاد ، فى وسط هذا الزحام المتشابه والرتيب الذى يلون افلامنا .

مهما يكن من شىء فانا أرشح للمسئولين قصة «ابك يابلدى الحبيب» تأليف (آلان بيتون) .

كما أرشح قصة «تقوب فى السود الأسود» تأليف احسان عبد القدوس ، فهى من بعض جوانبها يمكن أن تعطينا النكهة الافريقية التى يمكن أن تحد من الملل والرتابة فى أفلامنا .

عبده بدوى

ذكريات

للشاعر : محمد مصطفى الماحى

ياحبيبى ذكريات الأمس فى قلبى اغانى
يا حبيبى ذكرها الخافق وضاح المعانى
قد تبدت صوب عينى وتراءت فى جنانى
وتمشت فى شعورى وعروقى وكيانى

يوم أن كنا سويا وبقلبينا سعير
نسبق الفجر ونمضى كلما حث المسير
قد طوينا الأرض مشيا واردنا أن نطير
موكب الدنيا يغنى والمنى لحن يسير

يوم أن كنا سويا تحت أغصان الشجر
نقطع الوقت كلاما وحديثا وسمر
ونرى الأمواج تشوى بين أحضان النهر
ليلنا المفتون عمر ليس يدريه القدر

يا حبيبى ذكريات الأمس اشراق الصباح
وهى فى نفسى أغاريد وشدو وصداح
وهى فى الروض شذاه وهى فى نور الأقاح
شدوها يملأ نفسى فى غدو ورواح

واقعية تيمور في «انتصار الحياة»

بقلم: فتحي الابياري

مازال تيمور يفاجئنا كل عام بعمل ادبي، تتمثل فيه روحه الخلاقة، وابتكاراته الطريفة. مرة يطالعنا بمجموعة اقاصيص نادرة الخلق الفني والصياغة والحبكة القصصية. ومرة اخرى يطالعنا بكتاب يضم رحلة قام بها مثل «شمس وليل» ورحلاته في ايطاليا. ثم في الشلال اخيرا، ومرة ثالثة بكتاب يضم عددا من تمثيلياته التي اطلق عليها اسم «خمسة وخميسة». ثم اخرجت لنا المطابع مجموعته القصصية الاخيرة «انتصار الحياة» التي تضم عشر اقاصيص. وليس انتصار الحياة مجرد عنوان لاحدى قصص تلك المجموعة، ولكنه هدف كان يلوح في كل قصصها وراء ما تعرض من احداث، وما ترسم من شخصيات، فهي تبرز ما في النفس الانسانية من قوى تكافح اليأس والتردد والجمود، وتدفع الى التفاؤل بالمستقبل، والانتصار في معركة الحياة.

وتمثلت في تلك المجموعة القصصية واقعية تيمور. التي تختلف اختلافا واضحا عن مفهوم تلك الكلمة كما حددها البعض في اطار خاص يهدف مذهبا معينا. فاحيانا قصد من الادب الواقعي، الادب الذي يقوم على ملاحظة الواقع وتسجيله، لا على صور الخيال وتهاويله. واحيانا اخرى فهمنا انه الادب الذي يستقى مادته وموضوعاته من حياة عامة الشعب ومشاكلها. وقصد بالادب الواقعي، انه الادب الذي يتناول مشاكل المجتمع ومظاهر البؤس والفاقة التي ترزح تحتها طبقات الشعب العاملة بسواعدها او بعقولها، وذلك لايقاظ وعي الجماهير، ودفعها الى حل تلك المشاكل بطريقة او باخرى.

ورأى آخرون ان الواقعية مذهب ينادي بتسجيل الملاحظات والمشاهدات في غير سلطان للمؤثرات الداخلية من عواطف الكاتب واحاسيسه، وفي رعاية تامة للموضوعية الخالصة، وترصد يقظ للتجربة الحية، واستيعاب دقيق لما في الحادثة او المشهد او الشخصية من معالم خاصة، وتفاصيل وافية، وفي التزام نزيه لموقف الحياد امام معترك الحياة والأحياء.

وتوخى هذا المذهب وصف المجتمع الانساني على حقيقته في امانة وصدق. فهو يقيم التحليل مقام التخيل، ويحل المنظور محل الموهوم، ويؤثر الواقع الحسي والطبيعة الظاهرة، على سبحات العاطفة، وهتفات الوجدان.

ولكن.. كيف كان موقف تيمور من هذه الواقعية التي انتقل اليها بعد انغماسه في الجو الرومانسي طويلا. ولكن اية واقعية تلك التي ملكت عليه فنه. انها ليست بالواقعية المذهبية التي يحدد النقاد ابعادها بالقياس، وانها كذلك ليست واقعية ابتدعها لنفسه. ولكن واقعية، كانت تتطور وتتشكل طوعا لما يطرأ عليه في مراحل عمره، من تطور وتلون وتشكل في العقل، والثقافة والنفسية. ومدى الاستجابة للتجارب الحيوية والتأثر بملابسات المجتمع الذي يحيا فيه.

ففي الاقصوصة «خرفان» صور فيها تيمور، نفسية كمال التواقة الى مباهج القاهرة ومسراته، ولكن واقعه العنيف يشده الى قريته بعد ان مات ابوه الشيخ «مامون الحفناوي»، تاركا له عرش التقاليد لكي يحافظ عليه. ومن اهم تلك التقاليد، ذبح الخروف، صباح يوم عيد الاضحى. تلك العملية التي كان كمال يقشعر لها بدنه. ولكن بعد ان انغمس في واقعه الجديد المتمصر استل سكينه، وهوى به على رقبة الخروف دون خوف.

ويرسم تيمور في الاقصوصة «عهد جديد» صراع الانسان ضد اليأس، وتمسكه بحب البقاء. فالايام تمر، وعجلتها تلف معها من يحيا فيها، خاضعا للظروف والملابسات من حوله، في رتوب وركود. ومن الناس من تكمن بين جنبيه — دون ان يدري — يقظة الحياة، ونزعة التطور، مرتقبة ساعة الانطلاق وفرصة التحرر، وان فات الأوان، وحان اليأس. وكم في الناس من مثل «معروس» يحدوه حب البقاء، وخشية الانزواء، الى النهوض بعمل مجيد، واستئناف عهد جديد.

و «معروس» هذا كان رئيسا لقلم الترجمة في وزارة المالية. وبرع تيمور في وصف حال هذا الرجل الذي جعل كل حياته تنحصر في عمله. ولكنه فوجىء باليوم الموعود.. يوم الاحالة على المعاش. فلم يأبه لهذا الأمر، الا كيف يتنازل عن رياسته لموظفيه، وان يتنازل عن مكتبه. فما كان منه الا ان واظب على الحضور مبكرا جدا الى الديوان ليجلس على كرسيه، بحجة انه يعد العهدة ليسلمها الى الرئيس الجديد الذي كان يعمل موظفا عنده. ثم وقعت احداث طريفة بين «معروس» والرئيس الجديد.. أدت في النهاية الى ان يعترف معروس بانه فعلا احيل الى المعاش، ولو انه في قرارة نفسه لا يعترف بهذا الحكم الخطأ. فما كان منه الا ان افتتح منتدى عصريا للاشربة الفاخرة. وبذلك خلق لنفسه وظيفة تتيح له ان يشبع نهمه الى الأبهة والعظمة والسلطان. وظيفة

لا رئيس فيها الا هو ، ولا معقب لقوله ولا مراجع .. وظيفة ثابتة على الزمن ، لا تخضع لقانون الاحالة الى المعاش .

وفي الصورة ، انا .. والعصفور ، والقصة انسانية شفافة ، تكاد تقترب من الواقعية المثالية ، اذ تمكن احد الشبان من التقاط ورقة مالية كانت قد سقطت من ، غني حرب ، كان يريد ان يشترى شيئا من احد التاجر . وقد عرض عليه التاجر عصفورا في القفص ، ولكن ، غني الحرب ، يرفض شراءه بخمسين قرشا لانه لا يساوي خمسين مليما .. وقال له : ، انه مضغة صغيرة ، لو القيت بين اسناني ، لما احسست لها من كيان .. واستطاع ذلك الشاب ان يلتقط الخمسين قرشا التي سقطت من جيب الغني ، الذي غادر المتجر . ثم تقدم من التاجر ، ودفع له الثمن وخرج بالعصفور الى الطريق وفتح له باب القفص .. فمرق منه مروق السهم . وعندئذ احس الشاب بانه ايضا قد انطلق من عقال ، واتاح لروحه ان تنعم بفيض من راحة الضمير .

اما صورة الصراع العنيف ، بين الانسان وبين نزعاته للبقاء والفناء ، فقد رسمها بلمسات بارعة في قصة ، انتصار الحياة ، . وتحكي قصة طبيب كان ينشر عدة مقالات في مجلة .. عن ، افضل الطرق للانتحار دون الم ، وكان في نهاية كل مقال يعد القراء بذكر الطريقة في المقالة التالية . ثم توقف عن الكتابة . وفوجيء ذات مساء بفتاة تقتحم عليه عيادته ، ويدور حديث رائع ، تظهر فيه براعة تيمور الفائقة .. وتسأل الفتاة الدكتور :

ـ اجبني ماذا عدل بك عن انفاذ فكرة الانتحار ؟

ـ غريزة حب البقاء .. انها غريزة قاهرة، طالما انبثقت فجاة ، في الساعة الحاسمة ، فانقذت المنتحر من الردى .

ـ ليست غريزة حب البقاء من الغرائز النبيلة .

ـ كيف ؟

ـ اجل ان غريزة الموت ، غريزة تدمير الذات ، يتمثل فيها النبل والرفعة ، والاستعلاء على صغائر الحياة ، ومذلة البقاء..

ـ هذه الفلسفة شعرية ، ليس فيها تفكير اجتماعي .

ـ عندما تنهار امامك القيم الفضلى ، والمثل العليا ، عندما تجد نفسك وقد ضاقت بك السبل ، وليس لك من حيلة الا ان تحني هامتك للاذلال ، تخف اليك هذه الغريزة الكريمة ، غريزة تدمير الذات ، فتاخذ بناصرك ، وتنجيك من الحطة والخسة والهوان .

ـ لا تنس ان غريزة حب البقاء ، هي غريزة التعمير والبناء ، وهي التي لها الغلبة والسلطان .

ويستمر الحوار في سلاسة عذبة ، معالجا ذلك الصراع الابدي بين الحياة والموت .. بين الفناء والبقاء . وتكشف لنا القصة ، ان الفتاة قد جاءت الى الدكتور صاحب المقالات عن ، افضل الطرق الى الانتحار ، لتعرف منه سر الدواء الذي اكتشفه لريح المنتحر من العذاب . ويصور تيمور مشهدا غراميا ملتهبا عنيفا بين الدكتور والفتاة ، حتى اذا شعرت الفتاة بان الدكتور على وشك ان يفقد وعيه ، طلبت منه ان يبوح لها بسر دواء الانتحار . وفي لذة وهدوء ، وبدون وعي باح لها بالسر الذي لم يكن في باله ان يعلنه قط . وعندئذ اخذت الفتاة ، نصل كليوباترا ـ وهو اسم الدواء ـ واختفت .

وبعد مرور عامين .. فوجيء الدكتور بكتاب يصله ، وبه رسالة قرأ فيها :

.. لم اكذب عليك عندما قلت لك في تلك الامسية المشهودة منذ اكثر من عامين .. عندما قلت لك اني ، جامعية ، بيد اني كنت جامعية عجزت الدراسة في سنتها الاخيرة ، وانسقت في غمار عاطفة هوجاء ، يسمونها الحب ، واسميها انا ، الخبل والضلال ولم اكذب عليك ، الكذب كله ، حين قلت لك : اني اعد بحثا عن ، الانتحار ، هو موضوع رسالتي لنيل اجازة الماجستير . لم يكن بحثي الذي شرعت اعده وقتئذ سوى ، حياتي ، اصولها واهيئها لبنة الغيرها بنفسي ، واقوم على تنفيذها بنفسي ، كان سجل حياتي في تلك الفترة العصيبة هو رسالتي الجامعية الكبرى ، وما امتحان الماجستير الا امتحان روحي ، ساعة مفارقتها لجسدي ، التافه المرذول !

ولم يكن لي من الانتحار بد ، فكرته تاصلت في اعماق نفسي ، وسرت مسرى الدم في عروقي . وكيف استطيع ان اواجه الحياة وقد ذهبت اماني الغوالي بددا ؟

انهارت امال تحت ثقل خيانة وغدر .

يا له من غادر غدور !

لم ابخل عليه بالثمن ما تحرص عليه الفتاة ، اسلمته نفسي ، ووثقت به كل الثقة، ولكنه لم يف بما وعد ، وادبر عني ، تاركا لي العبء وحدي ثم راح ينتحل لنفسه المعاذير.

ولكن مقالات الدكتور التي نشرها حين اختفت الفتاة . مبينا فيها حلاوة الدنيا وحب البقاء ، اعادت الثقة الى الفتاة . اذ كان يكتب المقالات بوحي من قلبه ، لانه شعر نحوها بحب غريب منذ عاش معها لحظة سعادة ، ارتشفا فيها رحيق الحب .

وقد عبرت كلمات رسالتها عن هذا قائلة :

... ما اروعك يا صديقي .. وانت تبعث الحياة في النفوس البالية ! بالامس كنت تدفع بي الى هاوية الموت والدمار ، فاذا انت اليوم تعبد لي طريق الحياة السوية في اسمى المراتب . لقد رددت الي ما فقدته من كرامة وعزة وثقة بالنفس .

عدت الى الجامعة ، وجزت الامتحان بنجاح ، ونلت اجازة ، الليسانس ، ثم شرعت اعد رسالة ، الماجستير ، . تخيرت لها عنوانا، استلهمته منك ، من احاديثي معك ، مما قرات لك ، ذلك هو ، انتصار الحياة ، وما اسرع ان انتهيت من اعدادها ، تمهيدا للتقدم بها .

وهكذا الصراع..صراع الفناء.. والبقاء.. صوره تيمور باسلوب طريف تحس بواقعيته، تلك الواقعية التيمورية التي لاتخضع لمقاييس النقاد ، بل انها خاضعة لتطور تيمور ، وخاضعة لتلون وتشكل فنه ، طوعا لما يطرا عليه في مراحل عمره ، من تطور وتلون وتشكل في العقل والثقافة والنفسية ، ومدى الاستجابة للتجارب الحيوية ، والتاثر بملابسات المجتمع الذي يحيا فيه .

وان اكبر هدف تصبو اليه نفس تيمور في تلك الاقاصيص ، هو ان يكون في قصصه تبصير بالطبع البشري ، وتجميل لوجه الحياة ، وتعزية لاخيه المسكين .. ذلك الانسان .

فتحي الابياري



مسرحية الخرتيت ليوجين يونسكو

بقلم : على متولى صلاح

عندما تقرأ شيئا **ليوجين يونسكو** فاقرأه على حذر وابحث عما وراء السطور دائما ! ولا تأخذ كلماته على ظاهرها بل انظر دائما الى أعماقها وقلب هذه الكلمات على كل الوجوه حتى تضع يدك على حقيقة ما يريد !

انه كاتب يحير قارئه ! تحسبه يضحكك فتجده فى النهاية يبكيك ! وتحسبه يجد فتلقاه يهزل ويسخر ! وتظنه يعنى بالكلمات مدلولاتها المعروفة المألوفة ولكنك تراه لا يرى هذه الكلمات شيئا غير جثث أو أحجار تتساقط من حوله ولا يبقى منها الا الجوهر والحقيقة التى تحملها هذه الكلمات ! وتحسبه من أصحاب مذهب «اللامعقول» الآخذين بطريقته ولكنك تجده « معقولا » الى قمم المعقولية والمنطق ، وتحسبه كاتبا مسرحيا فحسب ثم تجده فيلسوفا محلقا فى أجواز الميتافيزيقا محللا للاشياء وللامور تحليل الفيلسوف المدقق ..

انه مزيج من كل ذلك ولكنه قبل كل هذا ساخر من الطراز الأول وساخر من نوع غريب جديد ! يصور لك الأمور فى صور غاية فى السخرية الجريئة الشاذة التى قد تستنكرها أول الأمر ثم فى النهاية ترتاح اليها وتطمئن لها كالذى فعله فى مسرحيتنا هذه .

وربما كان افتتاح موسم مسرح الحكيم هذا العام بتلك المسرحية من أعظم الاعمال التى تذكرها لهذا المسرح ، وهى وان تكن قد لقيت فى أول عرضها من الاقبال أقل مما ينبغى لها الا أن الأذهان قد تفتحت لها رويدا رويدا حتى اشتدالاقبال عليها كثيرا ، وربما كان مأتى هذا أيضا الى ما تحتاج اليه هذه المسرحية فى فهمها جيدا من أناة وصبر واعمال فكر يتأتى للوهلة الأولى عند البعض من المشاهدين .

وهى مسرحية قليلة الأحداث جدا مما يقربها كثيرا من صفة (القصة) القصيرة ومما جعله هو نفسه يقرر انها « قصة » ويقول « ان حكاية مسرحية الخرتيت هى حكاية مسرحتها ! انها فى الواقع أقل فى الطابع المسرحى الخالص وأكثر قليلا فى الطابع الأدبى من مسرحياتى الأخرى ، انها « قصة » مع أن الذى يعنينى فى المسرح دائما هو الشكل المسرحى » .

وظاهرها يوحى اليك بأنها « كوميديا » كماذهب المسئولون عنها فى وصفها بأنها « كوميديا ساخرة » وهذا ما تراه واضحا فى أولها ولكنها تتكشف لك شيئا فشيئا عن « مأساة » عميقة تهز أعماقك هزا قويا وتنسى تماما ما كنت فيه من ضحك بل قد تدر من عينيك الدموع ! وهى تدور حول جماعة من الناس يمثلون نماذج مختلفة من البشر مجتمعين فى صعيد واحد من طبقة البورجوازيين الذى يحاربهم يونسكو بكل قوته .. ويصورهذه النماذج بلمسات

فنية دقيقة معبرة ، ومن هذه النماذج مثلا : رجل متفيهق متفاصح لايفتأ يدلى بآراء يحسبها علما ويحسبها فهما وما هى من العلم أو من الفهم فى شىء وانما هى شنشنة متفشية فى تلك الطبقة البورجوازية !

ومنها « المدير » الذى يتمثل فيه الاستغلال والزيف والبهتان ، ذلك المدير الذى يريد أن يصور نفسه لمرءوسيه بصورة الحزم والجد وهو فى حقيقته ليس على شىء من ذلك وانما هو رجل مهتز غير متماسك يسعى جاهدا لعقد صلاةمع احدى الآنسات اللاتى يعملن فى دائرة اشرافه ونفوذه !

ومنها ذلك « المثقف » الذى يتعالى ويتعالم ويدعى انه شىء « آخر » غير هؤلاء الذين من حوله وينظر الى هؤلاء الذين حوله نظرة استخفاف وسخرية .

ومنها ذلك : « الانسان » البسيط الخالى من تلك العقد كلها وهو نادر بين هؤلاء يكاد يكون فردا واحدا لاثانى له ..

يلتقى هؤلاء الناس جميعا على اختلافهم فى صعيد هذه المسرحية ويتساقطون جميعا واحدا اثر واحد لأنهم جميعا غير جديرين فى نظر المؤلف بصفة الانسانية ولهذا فقد تحولوا كلهم الى « خراتيت » وتجردوا . من الانسانية الا واحدا هو ذلك الرجل البسيط السهل الجميل النفس الطيب القلب بيرانجيه » فهو وحده الجدير بالبقاء فى حظيرة الانسانية وهو وحده الذى صمد ولم يجرفه وباء الخرتتة !

❋ ❋

وهذا دون شك دفاع مجيد عن الانسانية المتميزة وعدم انصهارها وفنائها فى تلك الآلية البغيضة التى تضيع معها معالم الانسان ولا يكاد يتميز فيها فرد عن فرد بشىء ويصبح الناس فيها بقرا متشابهة ! او هو دفاع عن الأخلاق الانسانية التى يجب أن تسود الحياة من التسامح الى البساطة الى المحبة الى غيرها وتحطيم تلك العقد المختلفة التى تركب حياة بعض الناس وذلك الشذوذ الذى يباعد بينهم وبين الانسان الحق .. أو هى صرخة ضد الاستغلال والنفاق الذى يمثله ذلك « المدير » الذى يمثل صورة من الناس يجب أن تتوارى وأن تتخلص منها الانسانية .

هذا الغرض الكبير الذى يهدف اليه المؤلف صوره وجسده فى صورة بارعة وان تكن غريبة وهى تحويل هؤلاء الشواذ جميعا الى خراتيت أى اقصاؤهم عن صفة الانسان وادخالهم فى حظيرة الحيوان الأحط .

وتذكرنا هذه المسرحية بأسطورة نهر الجنون تلك التى نحسبها قد صارت من الأساطير الخالدة وهى قصة ذلك النهر الذى وضع فيه سم يصير كل من يشرب جرعة منه مجنونا ! فلما شرب منه الناس تحولوا جميعا الى مجانين ولم يبق عاقلا الا الملك والملكة والوزراء .. ولم يصدق هؤلاء الوزراء تلك الخرافة وشربوا من النهر فصاروا هم الآخرون مجانين ! ولم يبق الا الملك والملكة . فصار تفاهمهما عسيرا وشاقا وغير مستطاع مع كل الناس ! وانتهى بهما الأمر الى أن اعتقدا أنهما هما المجنونان دون الناس ! فشربا من الماء كما شرب أهل البلد فصاروا مثلهم مجانين أو عقلاء !! المهم أنهم صاروا مثلهم تفكيرا وعقلا وأصبح التفاهم بينهم وبين الناس سهلا ميسورا .. تذكرنا هذه المسرحية بتلك الأسطورة مع فارق وهو صمود ذلك « الانسان » عند يوجين يونسكو وعدم صموده فى تلك الأسطورة .

❋❋❋

ولقد أخرج هذه المسرحية المخرج الشاب « حسين جمعة » وهى أول مسرحية يقوم باخراجها بعد عودته من الخارج ، وتبشر هذه الباكورة بآمال عراض نرجو أن تتحقق على يديه ، فهو قد أعطاها من العناية ما ليس بعده مزيد وهو قد جسدها لنا تجسيدا أوضح معالمها ايضاحا محا عنها كل خفاء ولم يقف فيها عند حد المخرج العادى ، وأعنى به المخرج فى مفهومه القديم ولكنه تجاوز هذا النطاق الى التعديل والتحوير الصادرين عن فهم دقيق لكل خالجة فى المسرحية مما يجعله بحق فى طليعة المخرجين الذين تعتز بهم ، ونرجو أن نجد منه الكثير بعد هذه المسرحية .

وكانت الحركة ـ على كثرة المتحركين ـ ذات نظام وايقاع حسن ، ولم يكن فيها أى اضطراب أو نشاز أو خروج على المألوف الطبيعى ، وقد دار الحديث فى عدة مستويات فى وقت واحد ومع هذا فقد كان الجميع يتكلمون وكل اثنين يتحدثان معا فقط ، ولم يقع خلال هذا كله أىفساد أو تداخل مما بهر الناس وكأن العدد الضخم من المتكلمين اثنان فقط !

وكانت الديكورات الفنية كما كانت الاضاءة والموسيقى والستائر فى مواضعها الصحيحة وساعدت كثيرا على جلاء المعانى ومضاعفة التأثير .

وقام «صلاح منصور» بدور البطل وأعنى به دور « بيرانجيه » فكانت بساطته فى الاداء وعدم مبالغته وافتعاله ، وكان أداؤه الطبيعى كذلك آية الآيات فى التمثيل ، وكان يتقلب بين الفكاهة والدراما ـ كما أرادا المؤلف ـ تقلبا لاتشعر معه بنبوة أو فجوة أو تبدل أو تغير فى الشخصية .

وقام « كمال يس » بدور « جان » صديق البطل فأعطى الدور حقه الكامل وقد أخذ عليه البعض أنه كان يسرف فى الصياح والهياج ولكنهم نسوا أن تلك هى طبيعة الدور وموجباته .

وقام « عبد العزيز أبو الليل » بدور « المدير » فكان مديرا حقا وصدقا كما أنه حقق ما أراده المؤلف لهذا المدير من اهتزاز ونشاز فى خلقه وقد أحسن المخرج فى اختياره لهذا الدور لأنه يمارس وظيفة المدير فى حياته اليومية مما جعل أداءه له طبيعيا خاليا من كل افتعال .

ولكن الملقن كان يحسب نفسه أحد الممثلين فكان يتابعهم متابعة متلاحقة وكان صوته أسبق الينا من أصواتهم وهذا خلط لا يجوز !

نظــرات

● لا ندرى ان كان المسئولون فى الاذاعة يعلمون ما يقدو به هذا « الطقم » من السادة الذين اصطلح على تسميتهم باسم « النقاد » قوة واقتدارا ويروحون ؟ أم ان السادة المسئولين فى الاذاعة لا يعلمون !

ولا ندرى هل يعلم اولئك المسئولون ان هذا الطقم «يحتكر» النقد فى كافة ميادين الأدب والفن دون استثناء : من القصة الى السينما الى المسرح الى الشعر الى غيرها من كل ما خلق الله من فنون مختلفة كأن الله قد جمع فيهم وحدهم العلم كله وخصهم وحدهم بالحكمة وفصل الخطاب !

وهل يرى المسئولون فى الاذاعة ان بلادنا قد عقمت فلم تنجب غير هؤلاء السادة الذين تسمعهم كل يوم بل تسمعهم فى اليوم الواحد اكثر من مرة وفى اكثر من ميدان ! حتى صار كلامهم معادا مكررا ! فما تسمعه منهم اليوم هو نفسه الذى ستسمعه منهم غدا ، وهو ما ستقرؤه فى الصحف ، ثم هو ايضا ما ستقرؤه فى كتبهم .. وما يقولونه هنا هو نفس ما سيقولونه هناك وهنالك !

وهل يعلم المسئولون فى الاذاعة فيم تخصص هؤلاء السادة وماذا درسوا ؟ وكم منهم تخصص فى (السينما) وكم منهم تخصص فى (القصة) وكم فى (النقد المسرحى) وكم فى نقد (الشعر) وفيما الى ذلك مما يخوضون فيه وحدهم كل يوم ويحرصون على الا تفوتهم منه شاردة أو واردة ؟

وهل درسوا كل هذه الفنون دراسة علمية أصيلة حتى صاروا الأعلام والقمم التى لا يدانيها احد وصار يصدق فيهم قول الشاعر :

ليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم فى واحد ؟

لا نريد ان نسميهم باسمائهم فان الاذاعة تعرفهم حق المعرفة ولكننا نرجو ان يلقى السيد نائب رئيس الوزراء للثقافة والارشاد نظرة من نظراته العبقرية الحاسمة الى هذا (الاحتكار) العجيب .

● على اى اساس استندت مراقبة التمثيليات فى الاذاعة عندما قررت الا تقبل من التمثيليات فى البرنامج العام الا ما كان مكتوبا باللغة العامية وان ترفض كل ما يقدم اليها مكتوبا باللغة العربية مهما كان موضوعه ومهما كانت درجته من الاجادة والاتقان ؟ ان كان ذلك فى رأيها ليكون الكلام قريبا من افهام سواد الشعب فما أبعدها عن الصواب فى ذلك الرأى !

الا ترى مراقبة التمثيليات ان هذا السواد يسمع الاذاعة التى تذاع عليه باللغة العربية ـ كالأخبار والأحاديث الدينية الصباحية مثلا ـ فيعيها ويفهمها وعيا وفهما كاملين يدل عليهما حرصه على سماعهما ؟

ثم الا ترى هذا السواد يقرأ الصحيفة اليومية المكتوبة باللغة العربية فلا يعيا بفهم شىء منها ؟

فما باله بفهم هذا وذاك ثم يعجز عن فهم التمثيلية التى بها وسائل اخرى تساعد على الافهام ليست فى الكلام العادى المذاع او فى الكلام العادى المكتوب فى الصحيفة اليومية ؟ من مؤثرات كالموسيقى وتصوير الحركات بالصوت الى ادنانات الى تلوين الممثلين لكلامهم فى القائهم مما يجعل فهمها اقرب منالا من الكلام الخالى منها ؟

لا ندرى السبب فى هذا الاتجاه ؟ ولكننا نطالب المسئولين فى الاذاعة ان يفيدونا ولهم من الله الأجر والثواب !

● هل يخلق النص المسرحى الجيد ممثلا ؟ او على الأقل هل يساعد على ابراز مواهب قد تكون كامنة فى الممثل لا تجد المجال للظهور والانطلاق ؟

سؤال نريد ان نتدارس الاجابة عنه مع السادة القراء ..

ونحن نجيب عنه بنعم ! لأن النص المسرحى ليس كلاما كسائر الكلام ولكنه كلام حى متحرك ذو لحم ودم .. فالكاتب المسرحى الحق ليس هو الذى يخلق كلاما يجريه على ألسنة بعض الأحياء ولكنه الذى يخلق الأحياء ثم ينطقهم بالكلام الطبيعى الذى تجرى به الحياة .. والنص المسرحى ليس مركبا لفظيا او معرضا لغويا ولكنه هو النص الذى تعبر فيه كل كلمة عن خالجة او عاطفة وعلى الممثل ان يؤديها مملوءة بكل اولئك .

عندنا فى هذا الصدد ظاهرتان تستحقان التسجيل : عندنا « عبد المنعم ابراهيم » الذى ابرزه دوره فى مسرحية « مسمار جحا » وعندنا « محمد عوض » الذى ابرزه دوره فى « جلفدان هانم » نتيجة لنصين بارعين . فما رأى القراء ؟

على متولى صلاح



الطاقة الشمسية

فى حياتنا اليومية

بقلم : عبد المنعم أبو السعود

يستعمل الانسان الطاقة الشمسية فى حياته اليومية فى صورتين :

١ ـ طاقة حرارية ـ ويحصل عليها من المنبع الحرارى مباشرة . وسبيله الى ذلك كافة انواع الوقود المعروفة من فحم وبترول وخشب .

٢ ـ طاقة كهربية ـ ويحصل عليها من المولد الكهربى بأية صورة يكون عليها .

ثم هو يستغل الطاقة فى أغراض مختلفة فهو يستغل الطاقة الحرارية فى الطهى والافران وماتتطلبه الاعمال المنزلية ، اما الطاقة الكهربية فيستعملها فى الانارة وفى التدفئة والأفران على أننا نراه يشرك الطاقتين فى الانتفاع بايهما فى ادارة الآلات الكثيرة التى يستخدمها فى تحقيق الرفاهية وقضاء مصالحه المختلفة التى بدونها لا يمكنه أن يستمتع بما وصل اليه من اختراعات تقوم أساسا على الآلة .

والطاقة أساسا تحتاج لوقود لانتاجها وللحصول على الوقود لا بد من البذل لشرائه . لكن الطاقة الشمسية يمكن استغلالها دون مقابل ، فلن تجد من يتقاضى منك ثمنها . فاذا ما تمكن الانسان من الحصول على ما يحتاجه من طاقات فى صورها المختلفة من الشمس فقد خفض سعر التكلفة من كافة الوجوه.

وقد وصل فعلا بحث الانسان الى ذلك ، وحتى أقنع القارىء بان الشمس كفيلة لأن تقدم للانسان ما يحتاج اليه من طاقات أقدم له ما وصل اليه الباحثون وما قاموا بعمله من أجهزة حتى يتبين أن المسالة لم تعد مجرد تفكير ولا نظريات بل أصبحت حقيقة واقعية ملموسة .

الطاقة الحرارية

أول ما يحس به الانسان من الشمس هو حرارتها ولا يشك انسان فى أنها مصدر الدفء له ولغيره من المخلوقات ولذا فهو يهرع اليها شتاء يطلبه فى اشعتها وبذا فهو يستغل طاقتها الحرارية استغلالا مباشرا بأن يعرض نفسه لها مباشرة دون الاستعانة باى جهاز يجمع الاشعة او يعكسها، وعن هذا الطريق ايضا ـ الطريق المباشر ـ يستغل حرارتها . غير ان الأمر يختلف بالنسبة لافادته منها فى غير الدفء . ذلك لان الامر يتطلب امورا اكثر تعقيدا من مجرد استقبال الاشعة على السطح . وحتى الاستقبال على السطح يتطلب منه اعدادا خاصا بالنسبة للمستقبل . وفيما يلى سيجد القارىء حديثى عن بعض الأجهزة التى نستعملها فى قضاء الاحتياجات اليومية بالمنزل .

فالفكرة الاساسية التي يقوم عليها تصميم اي جهاز يعمل بالطاقة الحرارية الشمسية هي ايصال الحرارة الى المادة المراد اكسابها الحرارة · فلتسخين الماء مثلا ولطهي الطعام نجد أن الجهازين مختلفان انما يقومان على اساس واحد ·

فالجهاز اللازم لتسخين الماء يتركب من صندوق ذي سطح زجاجي وبداخله ماسورة معزولة حتى لا تتسرب الحرارة التي تكتسبها الى اي جزء من الوسط الذي تمر فيه · ويلاحظ في وضع الماسورة أنها تسير متعرجة حتى يكبر طولها بحيث تبعد فتحة الدخول عن فتحة الخروج فكلما زاد طولها كلما زاد الوقت اللازم لعبور المياه الماسورة وبالتالي يزيد تعرضها لامتصاص الحرارة الشمسية · والاشعة الشمسية التي تنفذ من السطح الزجاجي ستقع على السطح المغلف للماسورة · وحتى تستفيد من اكبر قسط من الحرارة لابد أن يجهز هذا السطح بطريقة تجعله يستقبل الأشعة فيمتص اكبر كمية حرارية · واللون الاسود كما هو معروف اكثر الالوان امتصاصا للحرارة ، لذا وجب ان يكون المستقبل مدهونا بهذا اللون · كما يلاحظ ان يكون المستقبل من مادة جيدة التوصيل للحرارة لتستفيد الماسورة من الحرارة التي يمتصها · ويطلق على جهاز كهذا اسم « المجمع اللوحي » ·

ولا تظن ان درجة الحرارة التي تمتصها المياه تكون بسيطة فانها يمكن ان تصل الى درجة الغليان وذلك بتصميم مناسب تكبر فيه المسافة التي تقطعها المياه متعرضة لاشعة الشمس بين فتحتي الدخول والخروج ·

وللافادة من المياه الساخنة لا بد وان تجمع في خزان · ونحن نعلم أن فترة النهار هي التي يمكن الافادة خلالها من اشعة الشمس ولذا فان عمل الجهاز خلال النهار فقط · وحتى تحتفظ المياه الساخنة بدرجة حرارتها لاستعمالها عقب غروب الشمس يراعى أن يكون الخزان معزولا ايضا على نفس الطريقة التي نشاهدها في « الترمس » الذي يحمله الانسان وهو ملء بشراب ساخن أو بارد ليستعمله ، وقد احتفظ بحرارته ·

واذا احتاج الأمر منا الى درجة حرارة اكبر لهذا الجهاز أمكن ان تعكس الاشعة على السطح المستقبل عن طريق المرايا المستوية ·

وكما يقوم المجمع اللوحي بتسخين المياه يمكن أيضا أن يقوم بالتدفئة شتاء وتلطيف الجو صيفا ، وذلك بعد تحوير بسيط فيه · واعداد خاص بالمكان الذي يراد تكييف جوه ، ففي المنازل مثلا يمكن ان تمر في الفرن مواسير تتصل بالجهاز لكي تمر فيها مدة التكييف · وغالبا ما تستبدل مياه المجمع اللوحي بهواء مضغوط ترتفع درجة حرارته طبقا للحرارة التي يكتسبها من السطح المستقبل فاذا ما مر بالغرف ادفأ جوها ويعود مرة ثانية بعدئذ الى الجهاز ليكتسب حرارة ثم يعود الى المرور بالغرف وهكذا ·

فاذا أريد استعمال الجهاز لتلطيف الجو صيفا أدخل الجهاز ضمن دائرة تبريد تحوى محلولا مناسبا تحت ضغط معين ويتبع الجهاز بذلك نفس الطريقة التي يتبعها جهاز التبريد العادي اللهم الا في بعض نقط معينة ·

وطبيعي أن الاحتفاظ بالهواء الساخن لاستعماله ليلا يتطلب شروطا تجب مراعاتها عند الاعداد ليقوم الجهاز بعمله بشكل منتظم عند غياب مصدر الطاقة اى بعد غروب الشمس ·

ومن منن الله علينا ان شدة الحرارة تكون نهارا نتيجة لوجود الشمس · ووجود الشمس بالنسبة

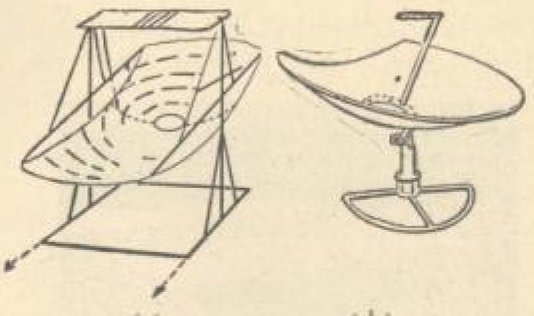


هذه صورة لمنزل اقيم في ولاية اريزونا الأمريكية

ترى فوق السطح المرايا المستوية التي تقوم بعكس الاشعة عن الاسطح التي تعلو الأنابيب المغطاة بالطبقة السوداء لاستقبال الأشعة وامتصاصها والجهاز معد للتكييف الكامل شتاء عن طريق تسخين الهواء ، ولتلطيف الجو صيفا عن طريق مرور هواء بارد على طريقة الكيف الآلي المعروف ·

لجهاز التبريد أمر ضروري ليعمل • ونحن في بلادنا نشكو من الجو صيفا فاذا مالجأنا الى تلطيفه بالشمس التى تسبب حرارته نكون قد حصلنا على فائدتين : الأولى جـو ملطف يمكننا من العمـل دون ارهـاق والثانية الحصول على التلطيف من نفس المصدر الذى يسبب حرارة الجو وهو الشمس وبدون مقابل •

ونحن فى حياتنا اليومية نحتاج للحرارة فى الطهى وقد تطورت استعمالات الموقد لتقدم العلوم فبعد ان كانت طريقة بدائية هى عبارة عن اشعال النار فيما يجمعه الانسان من الغـابة من فروع الشجر عدل موقده يوم ان استخرج الفحم ثم عاد وعـدله ثانية يوم كشف البترول ، وعدله ليستعمل الغاز المستغل كذلك وان اراد أن يـستغل الطاقة الشمسـية فهو لا بد لاجىء لتعـديله ايضـا ليناسب هذا الغرض • والفرن الشمسى الذى يستعمل فى الطهى يختلف عن المجمع السطحى • والجهاز عبارة عن مرآة مقعرة ذات بؤرة موحدة تجمع الاشـعة كلها فيها فيتكون لنـا بذلك مصدر حرارى كاف لانضاج الطعام الذى اما ان يوضع فى البؤرة مبـاشرة واما على مـداد يوصل الحرارة من البؤرة اليه •



الصورتان لنوعين من الافران لانضاج الطعام • الأولى (ا) ترى ان هناك عامودا من معدن ينتهى بقطعة اخرى يوضع عليها الاناء وفائدة العامود انه ينقل الحرارة من البؤرة الى القطعة المستوية منه والتى سيوضع عليها الاناء لتنتقل اليه الحرارة •

اما بالنسبة للشكل ب فنجد فى اعلا الشكل سطحا يحمل الآنية وينقل اليها الحرارة •

على انه من الممكن أن يكون جهاز الطهى مبسطا وعلى غرار المجمع اللوحى ، وذلك بان يكون صندوقا له سـطح زجاجى محكم وفى جوانبـه مرايا مسطحة تعكس الاشـعة وتوضع أوانى الطعـام على أرفف بتنظيم خاص يسـمح بسـقوط الاشعة عليها كلها ويوضع الطعـام داخل آنيـة يكون سطحها الخارجى مطليا باللون الاسود ليقوم بعمل المستقبل فيمتص الحرارة وبذلك ينضج الطعام •

وحتى فرن الخبز يمكن الحصول بدله على جهاز يعمل بالطاقة الشمسية ليحل محله فلو عمدنا الى جهـاز المجمع السطحى فاحللنا اناء معدنيا مطليـا باللون الاسود غير اللامع محل مواسير المياه وركب له باب فى منطقة بعيـدة عن منطقته الحـرارية فانه يمـكن استخدام هذا الاناء المسطح بصفة عامة لانضاج الخبز او لتجفيف الفاكهة والخضروات ايضا •

وما دمنا قد تحدثنا عن افران الطهى فسنتحدث عن فرن آخر ذى حرارة عالية •

وهذا الفرن لا يختلف عن الفرن العادى من حيث النظرية فكلاهما يقوم على استـعمال مرآة مقعرة • وما دمنـا نريد درجة حـرارة عالية فلا بد من أن تكون المـرآة اكبر من تلك المسـتعملة فى الافران العادية • لكن يصادف صناعة هذا الفرن صعوبتان: الاولى طريقة صب المرآة وهىصعوبة تتعلقبالصناعة فقط لكن الصعوبة الحقيقية وهى الثانية هىالوصول الى طريقة لايجاد حـامل يحمـل المرآة ليـدور مع الشمس بحيث تتعامد أشعتها دائما مع سطح المرآة حتى ينعكس الضوء الساقط عليها ويتجمع فى البؤرة فنحصل على أقصى درجة حرارة •

وكلما كانت المرآة مقعرة بشـكل منتظم كلمـا ساعد ذلك على تجميع الاشعة فى حجم صغير وهذا يساعد على ارتفاع درجة الحرارة •

وبعد • فالطاقة الشمسية تعطى كل هذا وغيره من الطاقات ، غير أن الطريقة التى تحصل بواسطتها على طاقة كافية تتوقف دائمـا على مسـاحة السطح الذى يستقبل الأشعة الشمسية ويقوم اما بالسماح لها بالنفوذ نحو السـطح المسـتقبل لتكون الكميـة الممتصة عالية واما باستقبالها وعكسها كما فى المرايا المسطحة أو تجميعها فى البؤرة كما فى المرايا المقعرة.

هذه لمحة سريعة عما يمكن أن تؤديه الشمس لنا من فوائد فى ميدان واحـد وليس هو كل ما يمكن أن تستغل فيه انما هنـاك غيره وهو ما سنفرد له بحثا آخر •

عبد المنعم ابو السعود

قراءات فى المجلات العربية

يقدمه : محمد العوانى



● يتابع الدكتور جمال حمدان حديثه فى مجلة « المجلة » عن شخصية مصر فيذكر انه من الممكن اعتبار « العصر العربى الاسلامى امتدادا لمرحلة تصدير الحضارة المصرية » ثم يبين ان النهضة الحضارية العربية التى حدثت من تفاعل العرب مع ابناء البلاد التى دخلوها هى انتاج مشترك اساسا ، والحضارة العربية الجديدة التى بدا تصديرها الى اوربا الجنوبية وغيرها كانت تشمل بالضرورة خيوطا مصرية كثيرة فى نسجها .

ثم يرى الدكتور حمدان أن « مصر القبطية تأثرت بالجديد الذى اتى به العرب من لغة وعقيدة لا لأن المغلوب مولع بتقليد الغالب ، ولا لأن الصراع اللغوى يحدده الصراع السياسى فحسب، وانما ايضا لأنها ادركت بسرعة أن العرب قد اتوا بجديد حقا ، ولكنها بعد ان اجادت ما اخذته ، لم تلبث أن جودته كعهدها دائما » .

ثم يضرب لذلك مثلا بأن « اللهجة المصرية كانت دائما اقرب لهجة عربية الى الاستقامة والاعتدال » . ثم ينتقل الدكتور موضحا ان عملية الاحتكاك مع الغرب مرت فى ثلاث مراحل واضحة :

المرحلة الأولى هى « الانبهار الحضارى والانبهار النفسى ، فقد فوجئنا بأننا اقزام امام عمالقة ، وكان رد الفعل « مركب نقص » حضاريا شديدا افقدنا كل ثقة فى تاريخنا وتراثنا وكياننا ، وجعلنا نتهافت على النقل والتقليد بلا تمييز ، فكانت صيحات التفرنج ومحاولات تحويل مصر الى « قطعة من اوربا » بل وصل الأمر الى اقتراح الحروف اللاتينية المعروف » .

والمرحلة الثانية فى رأى الباحث « كانت رد فعل عكسيا ، فبعد ان خبرنا ومارسنا دخائل الحضارة الجديدة زال الانبهار وعادت الينا بعض الثقة فى انفسنا ، وادركنا فضلنا غير المباشر فى اصول هذه الحضارة » .

ويستطرد الدكتور نتيجة لذلك مبينا ان البعض قد تطرف فطالب بالرجوع الى الماضى واشتدت الحركات « السلفية » وأن هذه كانت مرحلة الانتفاض السياسى ايضا وادى نجاحها بالبعض الى تطرف جديد وصل الى درجة الغفلة ، فقد انقلب مركب النقص الحضارى الى « مركب عظمة » كان حكم الباحث عليه بانه « مركب نقص مقلوب » .

ثم يتحدث عن المرحلة الثالثة وهى التى نعيشها بأنها مرحلة الاعتدال ويبين فيها « اننا وان كنا يجب أن نعتز بما قدمناه للحضارة والتاريخ الا اننا لا ينبغى ان نعتمد على ذلك اكثر مما ينبغى . فقد عشنا عالة على تاريخنا اكثر مما يجب . ولكننا من الناحية الاخرى اذا كنا سنستعير ففى تواضع لا فى ضعة . ثم يمضى الدكتور ليعلن اننا الآن « نجمع بين الاصيل والدخيل ، القديم والجديد ، بين التقاليد والتقليد ، فى نسب متفاوتة وفى اتزان وانتخاب رشيد ،

ولهذا كله فمن الصعب ان نوافق على هذا الحكم الذى يصدره مثلا كاتب اجنبى عن القاهرة حين يقول :

« ها هنا الشرق ، كاحسن ما يكون وكاسوا ما يمكن ، وها هنا الغرب أيضا ، كاحسن ما يكون ولكن فى الأعم الأغلب كاسوأ ما يمكن » .

ثم يضع الباحث قاعدة هى « ان مصر كلما زادت تغيرا وتطورا ، زادت شخصيتها وذاتيتها تأكيدا واستمرارا » حتى انها « فى الماضى البعيد كانت (تمصر) كل جديد ، تهضمه وتمثله وتفرزه كائنا مصريا صميما : الموجات الأجنبية ابتلعتها ومصرتها ، حتى الدين مصرته ، حين اخذت المسيحية واخرجت منها نسختها الخاصة القبطية اما اليوم فكما يقول فيدن :

« ان مصر لا تتجه وجهة فرنسية ولا لفانتية فى روحها ، فالجزء الاكبر يظل دون أن يمس ، ومصر عازفة عن أن تكون أى شىء سوى مصر » .

❋ ❋ ❋

ويتناول الاستاذ يوسف الشارونى فى نفس « المجلة » الاتجاهات التمهيدية لأدب اللامعقول فيذكر « ان البعض قد يظن ان هذه حركة جديدة تماما على تاريخنا الأدبى ، ولكن الواقع انه قد سبقتها حركات مماثلة منذ أكثر من عشرين عاما ، غير انها لم تلق من الاهتمام ما لقيته حركة اليوم »

ثم يوضح الشارونى انه قبل الحرب العالمية الأولى ظهر فى أدبنا العربى الحديث اتجاهان هما : الرومانتيكى ثم الرمزى . وأن الاتجاه الرومانتيكى قد وضح فى المهجر يتزعمه جبران خليل جبران وفىمصر ، فقد نشر المرحوم محمد حسين هيكل روايته « زينب » . أما الاتجاه الرمزى فقد ظهر ممتزجا بعبير الرومانتيكية .. ولعل رائده فى ادبنا المصرى توفيق الحكيم حين نشر مسرحيته « اهل الكهف » عام ١٩٣٣ ثم « شهرزاد » عام ١٩٣٤ . وبعد ان يذكر الباحث امثلة اخرى من هذا الاتجاه يرجع سببه الى أن اصحابه « كانوا على صلة وثيقة بالثقافة الفرنسية » وان المسرح هو الذى حمل لواء الرمزية فى أدبنا العربى

ويبقى بعد ذلك سؤال : هل تعد الرومانتيكية والرمزية من قبيل اللامعقول . أو ما يشبه اللامعقول ؟ لا نظن .

وفى باب المكتبة العربية قدم الأستاذ محمد قطب دراسة نقدية لكتاب « الاسلام فى التاريخ الحديث » الذى الفه المستشرق الكندى المعاصر « ولفرد كانتول سميث » . ويقول الناقد : ان « سميث » تحدث فى هذا الكتاب عن الاسلام فبين أنه نظام متفرد لأنه يصوغ المجتمع صياغة الهية ويحقق فى واقع المجتمع افكاره التى يستمدها من العقيدة ، وأنه بعيد عن الثنائية التى تعيش فيها النظم الغربية الحاضرة . وبعد هذا الكلام الجميل عن الاسلام يطالب المؤلف المسلمين بان يساوقوا حركة التطور ، والتطور فى فهمه هو أن يفصلوا بين الدين وسياسة امور المجتمع ، ثم يرتكز المستشرق على مغالطة مكشوفة هى ان أعظم مثال يحتذيه العالم الاسلامى كله هو تركيا الحديثة لأنها فى نظره قد أحدثت تطورا فى المفاهيم الاسلامية ذاتها فقد قرر أهلها ان الدين لا يجوز ان يحكم أمور المجتمع وانما يظل قابعا فى الضمير .

وتتضح هذه المغالطة حين يعلن « أن بعض الناس سيلاحظ أن هذا التطور فى فهم الاسلام هو تطور على الطريقة الغربية المسيحية التى تفصل بين الواقع والمثال وان تركيا الحديثة ـ ان كانت متدينة فهى متدينة على الطريقة المسيحية لا على طريقة الاسلام .

ثم ينسى المستشرق نفسه مرة اخرى بعد أن بين مزايا الاسلام ويقول حين تحدث فى فصل عن باكستان « انها فشلت فى أن تكون دولة مسلمة لأن ذلك غير ممكن فى القرن العشرين »

ويخرج الاستاذ قطب من هذه الدراسة بنتيجتين اولاهما : « هى الاحساس بمدى أهمية العالم الاسلامى فى التاريخ الحديث ، تلك الأهمية التى تثير اهتمام الغرب الى هذا الحد الواضح فى الكتاب . والأخرى » هى ادراك الجهد الضخم الذى ينبغى ان يبذله المسلمون فى انفسهم وفى افكارهم وسلوكهم ليجعلوا الاسلام ـ كما يقول المستشرق ـ عقيدة صالحة للعالم كله . عقيدة تشمل عالم المادة وعالم الروح فى نظام واحد ، وتريح العالم من الثنائية التى تمزق النفس والحياة » .

● وتحدث الأستاذ رفيق الخورى فى مجلة « العلوم اللبنانية » عن المسرح فى لبنان وقسم مستوياته الى ثلاثة : الاول « مستوى بعض هواة الكلمات الغامضة والأجواء الضبابية ومقلدى الأساليب الغربية ، وهواة هذا المستوى يحتقرون الشعب ومفاهيمه والمسرح فى رايهم ليس غير زينة او مهرجان للعطر والنساء البورجوازيات وانه

وسيلة لوصول العاملين فيه الى قلب الحياة الاجتماعية .

والمستوى الثاني هو مستوى نفر من السطحيين العديمي الثقافة ، مفاهيمهم عن المسرح تافهة ، وهم بحجة تلبية رغبات الشعب ينزلون الى الحضيض .

وبين هذين المستويين يوجد نفر صغير ممن آمن بالحركة المسرحية..المسرحية علما وخبرة ولكن ضاعت اصداء هذا النفر وسط ضجيج الدعاية التى يتبعها الفريقان الاولان .

● وعرض الأستاذ سامي الكيالي في مجلة « العربي » حياة واعمال « ابن العديم » احد ادباء القرن السادس الهجرى ومؤرخيه والذى عاش أيامه الأخيرة في مصر يكتب ويؤلف وقد احبته مصر وأكرمته ، ومازال فيها حتى وافاه القدر سنة ٦٦ هـ فدفن بسفح المقطم .

يقول الباحث : « ان ابن العديم هو الذى ثار على الجهلة من انصاف العلماء الذين اخذوا يكفرون شيخ المعرة ودافع عنه فى كتابه « الانصاف والتحرى ، فى دفع الظلم والتجرى » فمن كلماته قوله « انى قد وقفت على جملة من مصنفات عالم معرة النعمان ابى العلاء .. فوجدتها مشحونة بالفصاحة والبيان ، مودعة فنونا من الفوائد الحسان ، محتوية على أنواع الآداب ، مشتملة من علوم العرب على الخالص واللباب ، لا يجد الطامح فيها سقطة ولا يدرك الكاشح فيها غلطة .. ولما كانت مختصة بهذه الأوصاف ، مميزة على غيرها عند اهل الانصاف ، قصده جماعة لم يعوا وعيه ، وحسدوه اذ لم ينالوا سعيه . فتتبعوا كتبه على وجه الانتقاد ،ووجدوها خالية من الزيغ والفساد ، فحين علموا سلامتها من العيب والشين ، سلكوا فيها معه مسلك الكذب والمين ، ورموه بالالحاد والتعطيل ، والعدول عن سواء السبيل ، فمنهم من وضع على لسانه اقوال الملحدة ، ومنهم من حمل كلامه على غير المعنى الذى قصده ، فجعلوا محاسنه عيوبا ، وحسناته ذنوبا ، وعقله حمقا ، وزهده فسقا ، ورشقوه باليم السهام ، واخرجوه عن دين الاسلام ، وحرفوا كلامه عن مواضعه ، واوقعوه فى غير مواقعه »

فابن العديم بهذا القول برأ أبا العلاء مما اتهم به كما انه دافع عن عقيدته وكشف عن خصائص عبقريته

والدكتور حسين مؤنس فى نفس المجلة يتناول كثيرا من اعلامنا المفكرين الذين كان لهم فضل كبير على ثقافتنا وتراثنا ويوضح ان الاسلام وضع بين أيدى هؤلاء الأعلام تراث الماضين ليتمثلوه ويضيفوا خلاصته الى ثروة الفكر العربى الاسلام الناهض. فالطبرى وحده مثلا ، يعدل فى تاريخنا الفكرى كل مؤرخى القرن السادس الهجرى وان الجاحظ وابن قتيبة والدينورى وابن جعفر كان كل منهم دائرة معارف قائمة بذاتها كما ان السيوطى كان جامعة كاملة ودار تاليف ونشر وحده ، خلف تراثنا لا تقوم بمثله جماعات ، فقد ، اضطلع وحده بتاليف مجموعة من الكتب يعد كل منها دائرة معارف قائمة بذاتها : واحدة فى علوم الدين واخرى فى التاريخ ، وثالثة فى علوم اللغة .

● وفى مجلة «روز اليوسف» تحت عنوان«رأيت وسمعت وقلت » يتحدث الاستاذ يوسف السباعى قائلا :

● سمعت الدكتور لويس عوض يقول انه يرفض نشر الزجل فى صفحتى الأدب بالاهرام لأنه شعر — رغم موقفه الصديق من الشعر العامى — انه ملتزم امام الاهرام بمستوى معين ، ولأن امانته للاهرام تجعله يصر على الا يشوب صفحات الأدب به شيء من اللغة العامية

● قلت للدكتور (القول للاستاذ يوسف السباعى) اتخشى على صفحات الاهرام ان تحملها ما لا تطيقه قيمة الاهرام وتحظر نشر العامية بها ، وتدهش لأن لجنة فى أحد مجالس الدولة تريد ان تحافظ لمجلاتها على نفس المستوى الذى تريده لصفحات الأهرام .

● وسألت الدكتور (السؤال ايضا للاستاذ السباعى) لماذا لا تنشرون فى صحيفة الاهرام الأدبية شعرا موزونا مقفى ؟ فقال لى « انه ليس كل ما يرسل اليه يستحق النشر ، وان القصيدة التى رآها تستحق النشر للاستاذ الشاعر محمود حسن اسماعيل قصيدة طويلة اشترط الدكتور لويس على الشاعر أن ينشر جزء منها فقط ، لأن الصفحة لا تحتمل القصيدة كلها ..

وينتهى حديث الأستاذ السباعى مع الدكتور لويس قائلا له :

— أكثير على شاعر مثل محمود حسن اسماعيل أن تمنحه بضعة اعمدة فى الصفحة الأدبية فى الاهرام مرة كل عام » .

« محمد العوانى »



الشعر .. والناقد الدكتور احمد كمال زكى

فى بريد الرسالة براعم حلوة اخترت منها ثلاثة اطيبها فى نظرى قصيدة لعبد الحليم ابراهيم مجاهد بعنوان « العازف الحزين . وهو يبدو فيها رقيقا عاطفيا مكتمل الاداة ولكن تنقصه الرؤية المتكاملة ، ذلك ان صوره على حلاوتها لاتشكل وحدة يبحث عنها قراؤه من غير شك · فليس الشعر مجرد نفثات ملتاعة لا رابط لها ، وانما الشعر عطاء وخبرة ، الشعر تجربة يمكن ان تضيف الى خبراتنا بعدا مطلوبا .

هذا من ناحية ، واما الناحية الاخرى فهو ذلك النغم الحزين . لماذا ؟ قد يكون الاديب متشائما ، وقد نقبل نحن تشاؤمه بناء على فلسفة ظهرت فى انتاجه ، وهذا اذا كان كبيرا . اما من فى مستوى عبد الحليم ، وهو لاشك لايزال فى مقتبل حياته ومحدود التجربة . فان تشاؤمه ناجم عن تعلقه بآخرين

انطلق يا عبد الحليم ، فالطريق لاتزال طويلة !

والقصيدة الثانية لكريمة زكى مبارك بعنوان « هجر » ، وكنت ارجو أن تعنى كريمة بابياتها على اساس أن الشعر موهبة ودراسة ، طبع وتمرس . استعداد وقراءات طويلة متصلة . القصيدة عذبة من غير شك ، ولكن ينقصها الفكر والعمق ، ولست ادرى كيف تكون كريمة بنت الدكتور زكى مبارك ثم لا تنتفع بشاعريته الخصبة ؟

انى اتنبأ لكريمة بمستقبل مرموق ، فلتمض الى امام

والقصيدة الثالثة لبولس سلامه من الخرطوم بعنوان « دم الاحرار » فيها انتفاضة الثائر وقوة العربى الذى لا يسكت على الضيم كما ان فيها امتداد الرؤية الى خارج حدود وطنه العربى ، يقول :

فقل للثائرين بكل ارض
وللاحرار فى الكونغو وغينيا
وقل للرابضين على الروابى
وقل للهابطين الجب جونا
دم الثوار تعرفه بلادى
وتعرف لونه القانى سنينا

ويذكرنى البيت الاخير ببيت شوقى الذى يقول فيه « دم الثوار تعرفه فرنسا » ، وهو نقطة نقف عندها لنقول ان بولس لايزال فى حاجة الى ان يتحرر من العبارات المتداولة التى تبدو كما لو كانت كليشهات جامدة .

توضيح بقلم عبد الحميد ابراهيم محمد

نشرت فى مجلة الرسالة العدد ١٠٨٩ مقالا بعنوان « مصادر القصص القرآنى » . وكانت الفكرة الكلية التى أبغيها ، هى الكشف عن ناحية من نواحى الاعجاز القرآنى ، وهى ورود بعض شخصيات قصصه من بين الشخصيات التى كانت شائعة عند العرب ، يقصون حولها القصص ، وينسبون اليها الامثال ثم أضاف الى تلك الشخصيات مبادىء خلقية

تهذيبية ، تقلت العرب ـ حتى استقرت فى وجدانهم ـ من مرحلة البداوة والسذاجة الى مرحلة الحضارة والنضج . تماما .. كما يفعل الأب مع ابنه حين يتحايل معه ويخاطب وجدانه ، حتى ينقله من مرحلة السذاجة الى مرحلة النضج . أو كما يفعل الطبيب النفسى مع المريض اذ يطب له ويتعاطف معه حتى ينقله من مرحلة المرض الى مرحلة الشفاء .

وكان هذا الصنيع من القرآن الكريم فى غاية الاعجاز ، لأنه يتحدث عن بعض الشخصيات التى تصادف حاجة فى نفوس العرب ، والتى استقرت فى وجدانهم ، وتعايشت معهم ، واختلطت باعماقهم . مما جعلهم يصغون لما تهمس اليهم هذه الشخصيات من مبادىء وعظات ، ومما جعلهم يتعاطفون مع القصص القرآنى ، ويطلبون من النبى عليه السلام ان يقصه عليهم ، ومما جعل بعضهم يصف تاثير القرآن بانه سحر مبين .

ولا ضير على فى أن اذكر ان القرآن قد ذكر شخصيات شائعة بين العرب . اذا ان الاسلام لم يات هادما لكل ما سبقه . وليس هو فى حاجة الى مجد ننسبه اليه . ونقرا فى كتب التاريخ والفقه ان الاسلام قد ابقى على بعض عادات عربية راى انها صالحة .

ولا ضير على فى ان اذكر نواحى الاعجاز والبلاغة فى القرآن الكريم واثر كل ذلك على الادباء . فما اكثر الكتب التى الفت فى بلاغة القرآن او اعجازه أو وجوه تاثيره على الادباء . وما أكثر المفسرين الذين تحدثوا عن مواقف خيالية فى القرآن . فمثلا الزمخشرى يعلق على قول الملائكة « ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة .. الخ » بأن هذا تصوير للمسألة وفرض لها ، كما تقول فى تصوير المسائل زيد له اربعون شاة ، وعمرو له أربعون ، وما لزيد وعمرو سبد ولا لبد .

هذا ما اردته .. اما وجود ابراهيم او عيسى او الجن او لقمان ، فلم أتعرض له ، لان المقال خاص ببيان ناحية من نواحى الاعجاز القرآنى ، وهى حديثه عن شخصيات لها تأثير على العرب ، لأنها اشتهرت بينهم وحاكوا حولها القصص والأمثال .

ولكن قوما ـ غفر الله لهم ـ تركوا هذه الفكرة الكلية ، وراحوا يتعلقون بمعان جزئية او الفاظ فردية لا تفهم الا من خلال السياق العام ، ثم اذا بهم يكيلون لى التهم والظنون .

وقد آلمنى أشد الألم ان يطعن فى عرضى وأنا المسلم الغيور . ويعرف الكثيرون ان أول كتاب لى الفته ، كان فى ابراز ناحية من نواحى الاسلام المضيئة ، وهو « المرأة فى الاسلام » .

وكان خيرا من هذا كله أن يفعلوا كما فعل بعضهم وله شكرى وتقديرى ، فنتجادل بالتى هى أحسن كما امر القرآن . فان لى ـ على اسوأ الفروض ـ اجرا واحدا وهو أجر من اجتهد فاخطأ .

مرة أخرى غفر الله ما سببوه لى من الم ، راجيا اعتبار هذا البيان واضعا النقط على الحروف ومبينا غرضى من المقال الذى التبس على البعض . غير مقصر فى خدمة قضايا العروبة والاسلام فى حدود طاقتى وفهمى وسنى . والله الموفق .

عالمية الادب بقلم خميس سلمونة

عالمية الادب معناها خروجه من نطاق اللغة التى كتب بها الى ادب لغة او لغات اخرى . وهذه العالمية ظاهرة عامة بين الآداب فى عصور معينة ويتطلبها الادب المتأثر فى بعض العصور ، بسبب عوامل خاصة تدفعه الى الخروج من حدود قوميته نشدانا لما به فيغنى ويكمل ويساير ركب الادب العالمى .

ومن نتائج هذه العالمية : حدوث تغيير شامل فى عالم الفكر والادب .

وعالمية الأدب ليس معناها أن الآداب العالمية حين يتم تجاوبها بعضها مع بعض لن تلبث ان تشترك جميعا فى اجناسها الادبية واصولها الفنية وغايتها الانسانية بحيث لا تبقى من حدود سوى حدود اللغة وما يمكن ان توحى به البيئة او الاقليم .. لان هذا قائم على اساس فكرة الادب العالمى وهو مستحيل التحقيق .. اذ ان الادب استجابة للحاجات الفكرية والاجتماعية للوطن وللقومية وموضوعه تغذية هذه الحاجات وهى محلية موضوعية اولا قد تشف عن غايات انسانية عامة ولكن من وراء التعبير عن المسائل والآمال والآلام القومية وما يتبع ذلك من المواقف النفسية .

فالآداب وطنية قومية اولا .. وخلود الآثار لا يتأتى من جهة عالمية دلالتها وانما يأتى من جهة صدقها وتعمقها الانسانى فيما هو من خصائصها

واصالتها الفنية والواقعية فى صياغة آمالها والتعبير عن آلامها النفسية والاجتماعية المشتركة .

وعالمية الادب لها حدودها التى تقف عندها بطبيعتها واساسها اختيار الادب المتأثر من الآداب الاخرى على حسب حاجته ينشد فى هذا الاختيار دوافع نهضته وتقدمه .. ليكمل المأثور من تراثه القومى الفنى ويغنيه .

فيجب ان يكون الباعث الاول على هذا الاختيار هو الحرص على توفير عوامل النهوض للادب القومى لئلا يقف معزولا منطويا على نفسه متخلفا عن اداء رسالته ..

واصالة اللغة القومية وتقاليدها الموروثة وخصائصها الفنية فى التعبير والصياغة .. كل هذه تقف بمثابة حراس امناء وموانع حصينة حتى لا ينحرف الاختيار عن غايته فتمحى الحدود القومية والخصائص الاصيلة اللغوية للادب المتأثر وهى التى يراد اغناؤها واكمالها بهذا الاختيار .

ولابد لهذا الاختيار والاقتباس من امناء قد تعمقوا فى دراسة ادبهم وطوعوا لغتهم بالاطلاع الواعى والتحصيل الدائب .. وعلاقة الادب المتأثر بالادب الحاكى ليست علاقة التابع بالمتبوع ولا علاقة الخاضع المسود بسيده .. بل علاقة المهتدى بنماذج فنية او فكرية يطبعها بطابعه ويضفى عليها صبغة قومية وهذه هى الاصالة الحق .. وهى القدرة على الافادة من نطاق الافادة الخارجية عن نطاق الذات .. حتى يتسنى الارتقاء بالذات عن طريق تنمية امكانياتها .. ولا يستطيع امرؤ أن يصقل نفسه ولا أن يبلغ اقصى ما يتيسر له من كمال الا بجلاء ذهنه بأفكار الآخرين والاخذ بالمفيد من آرائهم ودعواتهم .. وليس أدعى الى ابراز نفسية الانسان وشخصيته من أن يتأثر بآراء الآخرين فما الليث الا عدة خراف مهضومة .

فلنتركها تحتضر

احمد عطية ابو مطر

اما وقد تكشفت حقيقة المنظمة العالمية لحرية الثقافة ، ووضحت ميولها الاستعمارية ومحاباتها للصهيونية ، ورفع القناع عن حقيقة مجلتها «حوار» التى تصدرها فى بيروت ، أصبح من الواجب على كل أديب عربى أن يقف منها ومن مجلتها الموقف الايجابى الذى من شأنه أن يتركها تحتضر وحدها .. على كل أديب عربى أن يمتنع عن الكتابة لها حتى تبقى معزولة وحدها وتحتضر بنفسها .

لم يعد هذا الاتهام يوجه الى هذه المنظمة ومجلتها «حوار» مجرد اتهام يراد به النيل من الأدباء الذين يكتبون لها ، بل ثبت بالأدلة المادية التى قدمها الاستاذين « عباس خضر » و « عبده بدوى » على صفحات مجلة « الرسالة » ، أدلة مادية من واقع ما تكتبه هذه المجلة .. ادلة مادية تلوكها هذه المجلة لتهدم القيم العربية وتشكك فى التراث العربى .

وليست هذه الأدلة المادية فقط بل ان الأدباء العرب السليمى النفوس الذين يضعون مصلحتهم العربية فوق كل مصلحة سحبوا أيديهم من هذه المجلة وهم كثيرون : الدكتورة سهير القلماوى والدكتور زكى نجيب محمود .. والأديبان صبرى حافظ وصلاح عيسى ..

والغريب كل الغرابة أن هذه الأدلة الواضحة التى قنع بها كل عربى غيور على قوميته ودينه لم يرض بها بعض الذين يتعاملون مع هذه المجلة وهذه الأدلة لا يرفضها الا كل جاحد لانسانيته وقوميته ومصلحة امته ، وقد أصبح من الضرورى أن نقف من هذه المنظمة ومجلاتها موقفا ايجابيا تمليه علينا قوميتنا وديننا وغيرتنا على مصلحة أمتنا .. هذا الموقف هو أن يكف الأدباء العرب الذين لازالوا يتعاملون معها عن الكتابة فيها وليس فى هذا « اهدار للفكر واغلاق للنوافذ » كما يزعم الدكتور « لويس عوض » .. والقراء العرب عليهم أيضا الامتناع عن قراءة وشراء هذه المجلة .. فبهذا نضمن لها الجمود .. ولا أسف عليها بعد أن وضحت خدمتها للاستعمار وميولها الصهيونية .

وتبقى كلمة أوجهها الى رئيس تحرير « حوار » السيد « توفيق صايغ » :

لا أدرى ما الذى غطى على بصرك حتى يشغلك الى هذا الحد العمل فى هذه المجلة .. ولو كان عملا عربيا سليما لا شائبة فيه لما لامك أحد .. وبينما أنت منشغل بهذه المجلة نسيت بل تناسيت مجالا كان لابد أن يوجه اليه قلم لاجىء مثلك .. مجال وطنك السليب .. كان لابد كما تحتمه عليك ظروفك أن تكتب عن وطنى ووطنك الضائع .. كان لابد أن تعبر عن شعبى وشعبك اللاجىء الذى لا يزال يذوق آلام النكبة والتشريد.. ولكن يظهر للآن انك لم تحس بهذه الآلام التى لازال شعبى وشعبك اللاجىء يئن من وطأتها .

حكاية نظافة

قصة بقلم : محمد الخضرى عبد الحميد

الكل سواسية امام .. اشعة الشمس !

وعندما تنجاب ظلمات فضلة الليل ، مفسحة الطريق لتباشير الفجر الوليد الوضىء لتبدا الشمس (الروم) ترسل اشعتها الى كل بثيها على وجه الارض .. تدب فى مناحى المدينة الصغيرة الهاجعة اول بوادر الحركة وبدايات النشاط المعتاد .. فتروح تسمع زقزقة العصافير ، وقلقلة فتية المخابز وهم يسرعون ، ركضا او سيرا بعرباتهم ودراجاتهم مرتعشى الاطراف متدارى الصدور اتقاء برودة الجو التى اعقبت بغتة — دون ما تمهيد — سخونة (الفرن) ! .. وتبدا اصوات كلاكسات السيارات تتخذ مكانها بين (مقامات) اللحن الجماعى ، فلا تلبث بعد قلتها ان تتكاثر وتتعالى حتى ليكاد زعيقها يغطى على بقية ما يضج فى الشارع من بقية الاصوات !

.. هنالك فى طرف من المدينة نا، ، يكون (عبد المجيد) قد وقف انذاك على عتبة بيته الضئيل المتفرد عن بقية البيوت والازقة والشوارع ، كانه منبوذ عن العمران عمدا وحكمة ما ! ، ويبدا عبد المجيد بما يرفل به فيه من اطمار عجيبة يتثاءب ويتمطى وهو يبربش ، عينيه ، ثم يتمتم ناظرا الى السماء بادعيات فطرية خاصة يستجلب بها (النهار النادى) ، و (الاستفتاح اللين) .. ثم لا يلبث ان ياتيه مساعداه ، ولا يكاد الثلاثة يتبادلون تحية الصباح المقتضبة حتى يبدا على الفور : العمل !

وعبد المجيد اذا ماظهر فى الطريق الزراعى بحاشيته وادواته فان هناك جمعا من الاطفال — وليس يدرى من اين ياتون ! — سيكون ، حتما ، فى ركابه ! .. لا يكاد يبدو بعربته وبراميله حتى ياخذ اولئك الشياطين الصغار فى الصياح واطلاق الضحكات والتعالى (زفة) صاخبة وراء (الركب) البائس ، لا يردعهم زجر ولا يجدى معهم تانيب ، ولا وعيد باقسى تاديب !

ويبدو ان الرجل قد راض نفسه ، من طول معاناة التجربة ، على الاستسلام لذلك الوضع .. فلم تعد تهاليلهم ولا سخرياتهم العابثة بقادرة على أن تنتزع منه دلالة على اقل احتفال ! .. فقط كان — الى وقت قريب — يكتفى ببضع نظرات جانبية اعتباطية يصليهم بها ، مقدرا فى ظنه انها ستخيفهم وتجمد الدماء فى عروقهم .. الا ان العكس دائما هو الذى — فى كل مرة — يكون ! .. فما ان يلمحوا مثل تلك النظرات ، الكوميدية ! ، حتى يرتفع ضحكهم ، وتشتد حميتهم للمعابثة والهذر واحداث مزيد من الضجيج .. فلم يجد المسكين فى آخر التجربات المتباينة الا أن يبطل هذا (الاجراء !) ايضا .. فلم يعد يزجر طفلا ، او يؤنب بنتا او ولدا .

وفى ذلك الصباح ، سار عبد المجيد بعربته (اليد) الصغيرة ، وعليها البراميل الثلاثة ، والمساعدان من ورائه .. ماضيا الى مزاولة عمله القريب .. منهمكا فيه بشكله الاكثر غرابة ... !

وعبد المجيد هيكل نحيل ، اعجف البدن معروق البشرة ، معتم السمرة ، ذو انف ضخم وشفاه اكثر ضخامة .. يرتدى سروالا فضفاضا خلقا ، وفوق الجلد مباشرة سترة صفراء حائلة من مخلفات الجيش .. وعلى رأسه (شىء !) طويل مفرطح احمر مبروم .. كان طربوشا منذ (قرن !) على التقدير الاقل ! .. فليس لطربوشه اى (زر) ولا زوايا ولا حدود ، ان هو الا لبدة صوفية حمراء (مكعبرة) كيفما اتفق ، تنتهى عند فروة الراس بسوار (صديدى !) من العرق والزيت والوحل .

اما عمله فتستطيع — بقليل من مساعدة الكلم الوفور — القول بانه : تطهير البيوت الشعبية من المخلفات البشرية ! ..

ولهذا فلا عجب ولا دهش اذا رايته مشمرا عن ساعديه وساقيه وقد تلطخ من الفرع الى القدم ، فى الأوحال والاوساخ ، وراح يدفع امامه عربة اليد ، ويعدل من وضع البراميل التى عليها والتى تمتلىء بما تقشعر لرائحته الأنوف ... !

ولعبد المجيد ، وكلاء ومراسلون ! ، فى شتى القرى والضواحى المجاورة ، يبعثون فى طلبه كلما شكا منزل لديهم من تغير (رائحة الجو !) فيه ! .. اما فى المدينة فله معاونان — حسانين وشحاتة — يرتديان الهلاهيل المعجونة فى الوحل المتعفن .. ومهمتهما ملء البراميل فى بدء (العملية) ، ثم رعايتها على عربة اليد التى يقودها هو امامهم بوصفه كبيرهم .. فاذا اشرف هذا الموكب على راس حقل للقصب او الذرة .. اخذوا يفرغون محتويات براميلهم فى جرادل صغيرة الى تلك المزروعات ! ..

وانك اذا رايته وهو يشرف على تسيير دفة عملية التفريغ تلك .. فانك توقن انها ليست بالعمل الهين .. بل اغلب الظن انه قد يخيل اليك ان فيها — مع ذلك — شيئا من الـ ... الفن ! !

— ، ياحسانين ابعد عن السكة العمومى ! .. يا شحاتة ادلق الجردل فى الناحية

القبلية ! .. راعوا تيار الهوا يا جماعة اعملوا معروف ! .. يا حسانين انت وشحاتة نتنظر لحظة ، واحد افندى فايت مع واحدة ست هانم الظاهر انها امراته ! .. لا لا .. البرميل الكبير بتوزع هناك فى ناحية البرور الشراقى هناك ! . .

وعلى نفس النسق الرتيب المعهود كان يجرى عمل عبد المجيد وشريكيه صبيحة ذلك اليوم .

وفجاة بهر القوم منظر مشرق فريد .

صبى صغير ، جميل الطلعة .. اقبل مهرولا ، وفى يده حقيبة كتب جلدية لعينة .. يرتدى ثيابا غاية فى الاناقة واللمعان والنظافة .. ما ان اقترب من البركة الشنيعة التى عسكرت على حوافيها العربة برجالها

وعتادها ، حتى صاح فى مرح لطيف وبلثغة طفلية جميلة عذبة الصدى :

– « بابا .. بابا .. ناولنى القرش » .

– « اه ... القرش ! » .

– « نعم ، القرش ! .. انت يابابا الظاهر نسيته » !

وهنا اشرقت على محيا (عبد المجيد ابتسامة حانية سعيدة ، وكادت لرقتها وطلاوتها تكسبه – على الرغم مما حوله من نتن اريجا عطرا !

وصاح بولده فى تهريج ابوى طريف وهو ينصب قامته ويدعك مرفقيه لازالة ما تراكم من القذارة :

– « يا مرحبا ، يا مرحبا ! .. اهلا بالاستاذ ! .. صباحنا فل ! .. نهارنا نادى باذن واحد احد ! .. لامؤاخذة يا حبيبى الاستاذ ، اصل طلعت بدرى .. اسمع .. « سد مناخيرك وخطوة للامام .. مارش » !

وقهقه بنشوة عاليا ...

ومن الطبيعى جدا أن يسد الصبى الرقيق النظيف أنفه ليتجنب اعصار الرائحة النتنة شديدة التعفن .. لكن .

لكنه لم يفعل هذا ..

انه تقدم فى بساطة وثبات ليتناول من جيب ابيه (القرش) الذى اعده له ، واشار اليه حيث ينتظره فى الجيب .. واخذ « الاستاذ » الصغير قرشه ، ثم رفع ذراعه البضة الصغيرة فوق راسه محييا اباه وزميليه فى الفة وود .. وانقلب يرتقى الجسر لينطلق عائدا فى عجلة لكى يلحق بمدرسته .

هنالك كانت عينا الأب قد تسمرتا هائمتين عبر الافق تودعان الصبى بنظرة طويلة ، جد طويلة ، حالمة ، تائهة ، حانية !

ثم تنبه الى نفسه على اثر القالة من شحاتة فاعتذر بذهول عن سرحته وعاد – اليا – الى ما كان فيه من مشاركة واصدار تعليمات واوامر ! :

وانتهت العملية .. وتاهبت القافلة للعودة

فاخذت العربة طريقها ببراميلها وجرادلها والشاة من خلفها وامامها الى طرف المدينة ، تحف بها الصيحات من اولئك الشياطين الصغار الذين تنشق عنهم الارض فجاة فلا يدرى واحد من الثلاثة من اين – بكل تلك الكثرة – ينبثقون ! ، وكل من يلمح الركب عن كثب يفر بعيدا .. او يضع على انفه منديلا .. او ينقلب يجرى بسرعة مرتدا من حيث جاء ليتفادى تلك الرائحة الكريهة النفاذة .. !

وفى مكان ما قصى من اطراف تلك المدينة الصغيرة .. اتجه (عبد المجيد) الى الحجرة الارضية الواحدة التى يسكنها مع زوجه وولده الوحيد ويسميها : بيتا ! .. وما هو الا ان دلف الى (البيت) حتى كانت – كالمعتاد – فى انتظاره (حلة) ماء ساخن ، اثنا يريقها على جسده ، ثم غير ملابسه بجلباب نظيف .. ثم – وعلى ذات النهج كما فى كل مرة – راح يثرثر قليلا مع امراته ! .. ومعظم ثرثراته مع زوجه ، او مع غيرها من الناس يكون محورها شىء واحد ثابت مركزى لا يتبدل .. انه (الاستاذ !) وحده موضوع كل حديث له مستفيض..و (الاستاذ) – كما يسميه – هو نجله الصغير .. الذى يحبوه باقوى عاطفة ابوية بارة متطرفة :

– « هه .. اليوم احب ان تجهزى لقمة مغذية للاستاذ ! .. تصدقى بالله ؟ .. انا لما اصطبحت فى الصبح بوجهه السمح كان فعلا نهارنا فل ! .. ربنا رزقنا وطلع الزبون (كريم ، وابن حلال) .. تصورى باولية ، بدلا من ان يعطينا (١٥ قرشا) او حتى (ريالا) ، اللى نفسى استحق : ربع جنيه ! .. خمسة وعشرين قرشا (صاحية) ! .. قومى ! .. قومى هاتى اربع بيضات ، واوقية سمن ، واقة عيش ، وبقرشين شاى وسكر» !

وقامت المراة لتلتف فى ملاءتها السوداء استعدادا للخروج .. فاذا به يستوقفها فجاة منقضا عليها كصاعقة داهمة ، ناشبا فيها – بجماع قبضته – اصابعه الخشنة الطويلة ، مشددا الضغط بكل قوته على ذراعيها وهو يهزها بشدة صارخا فيها ، حانقا غاضبا هائجا :

– ما ... هذا ؟! انظرى ! .. هكذا ؟ .. انظرى ماهذا الذى على مكتب الاستاذ !

« واشار فى سورة غضبه الراعد الى منضدة صغيرة بسيطة فى الركن مخصصة لابنه يذاكر ويكتب دروسه عليها » !

والجم لسان المراة .. وانفغر فوها ، ووقفت متخاذلة مرتعبة تنتفض ذعرا وجزعا وهى تنظر فى هلع الى حيث اشار ، حيث كان على المنضدة شىء من « مصاص القصب » ملقى على المنضدة وكراريسها التى فوقها وقد تجمع عليه بعض الذباب .. !

ولم تحر – من شدة ذعرها لما ينتظرها – جوابا ...

لكنه اخذ يلح فى لكز كتفيها بعنف وهو يهدر محمر العينين ثائرا فى حنق هائل ، صاخب ، عارم :

– هكذا ! .. حضرتك تريدين أن يعود الاستاذ ليلقى هذه القذارة فى انتظاره ؟! .. فى استقباله ؟ .. واين ؟ .. على مكتبه ؟! ما معناها هذه يا ايتها المراة ؟ .. « الست وساخة حريم » ؟! ... « الست » عفونة نساوين » ؟ ! .. طيب ! .. والله لازم « اخرشم » بوزك واكسر لك دماغك الناشفة هذه ما دمت لا تريدين ان تتعلمى النظافة !؛

محمد الخضرى عبد الحميد



الدار القومية للطباعة والنشر

العدد ٧٤

الثمن ٣

الرسالة

مجلة أدبية تعبر عن العروبة والفكر العربي المعاصر

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

الرسالة

تليفون ٤٢٧٩٤
٥٣٩٤٠

في هذا العدد

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من
خارج ج . ع . م .
الإدارة :
٢٧ ش عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد - القاهرة .

بورسعيد الفدائية

بقلم: أحمد حسن الزيات

ان ما وقع في بورسعيد أيام الغزوة الثلاثية الاستعمارية من الفدائية القاهرة والبطولة النادرة كان أمرا لا ينقضي العجب منه ولا ينقطع الحديث عنه ولا ينتهي الاعجاب به !! مائة وستون الف جندي كما أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية ، وأسطول من الطائرات والمدرعات والمدمرات والحاملات والناقلات والكاسحات كما روى مستر هامسون بلدوين المراسل الحربي لصحيفة نيويورك تايمز ، سيرتها انجلترا وفرنسا الى غزو مصر ، ثم لايستطيع هذا الجيش الكثيف وهذا الأسطول المخيف أن يحتلا بعد اللتيا والتي الا جزءا ساحليا صغيرا من بورسعيد !!

ذلك شيء كنا نقرأ مثله في كتب الأساطير وقصص الخوارق ، وكنا نرى تمثيله على المسرح والشاشة فنهتز له ونعجب به ونطمح اليه على اعتباره مثلا يضربه الخيال الخصيب لما يجب أن تكون عليه البطولة ، ولكننا رأيناه رأى العين وسمعناه سمع الأذن في بورسعيد • فما الذي كسر هذا العدوان وفل هذه القوة ؟

لا مراء في أن مصر كانت تملك العناصر الجوهرية للنصر ، وهي حسن الاستعداد وقوة الاعتماد وشدة الكراهية للعدو ، ولكنها كانت تملك أيضا عنصرا رابعا لا يتيسر امتلاكه لأي شعب الا اذا ارتفعت الوطنية في نفوس أفراده الى مقام العقيدة الدينية الصوفية فيتحد وجود الفرد بوجود الشعب ، ووجود الشعب بوجود الوطن •• وذلك العنصر هو الفدائية الشاملة التي تنتظم الفرد والأسرة والأمة والحكومة والدولة ، فيكون كل واحد من هؤلاء فداء ضروريا للآخر •

والفدائية في سبيل الوطن أو الدين أدل على خلوص القلب وصراحة الايمان من الاستشهاد في سبيلها بالجهاد ، لأن الفدائي يبذل ولا يطمع في العوض ، ويضحي ولا يفكر في الثواب ، كل سعادته أن يشعر وهو يسبل عينيه على آخر شعاعة من نور الدنيا أن نفسه مغتبطة لأداء واجبه ، مطمئنة الى لقاء ربه •

أما المجاهد فهو يبيع ماله ونفسه ليشتري من الله الجنة « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون » فالتضحية في ذهنه بيع وشراء وعمل وأجر • على أن الفدائي الذي يقتل في سبيل شعبه ، تكتب له شهادة المجاهد في سبيل ربه •

كانت مصر قد بلغت اذن درجة الفدائية العاملة ، وهي درجة ليس بعدها الا النصر المؤزر . والسلطان الدائم . كان الشعب على اختلاف طبقاته وحالاته قد اخلى باله من كل هم الا هم العدو ، فهو يسارع الى معسكرات التدريب ليستعد ، ويبادر الى ساحات القتال ليجاهد . فاذا غصت المعسكرات واقتضت الحال أن تقدم القيادة بعضا وتؤخر بعضا ثار المؤخرون ورابطوا حول الساحات قياما وقعودا وعلى جنوبهم يلحون أن يسيروا الى ملاقاة العدو !

لقد كنا نرى طلاب الجامعات والمدارس يشترون لباس الميدان بأموالهم،ويتركون بيوتهم المترفة ليبيتوا في العراء على جوانب الطرق انتظارا للساعة الرهيبة الحبيبة التي يقدمون فيها دماءهم قربانا للوطن المقدس .

وكان الجيش على اختلاف أسلحته وفرقه قد انقلب جيشا من الفدائيين ليقاتل جيوش ثلاث دول ولا يبالي ، ويستقبل طوائر ثلاث دول ولا يفزع ، ويصادم أساطيل ثلاث دول ولا ينكل ! وكيف يبالي أو يفزع أو ينكل وهو يطلب النصر أو الموت ؟

لقد أصاب العدو في البر والبحر والجو اصابات قاتلة أوهنت قوته وأحبطت خطته وأذلت كبرياءه .

***

وفي بورسعيد تجلت فدائية الجيش والشعب في أروع صورة من البطولة لم يقع في سماع التاريخ مثلها الا في استالينجراد وسيباستبول !

كان من الجائز أن يلوذ البورسعيديون بالداخل ليأمنوا هجوم الكومندوس وجنود المظلات وقذائف الأسطول ، ولكنهم استحبوا الموت على الحياة ، والمجد على النجاة فثبتوا في مساكنهم وأماكنهم ثبات الأسود الذائدة عن عرائنها ، ووقفوا سدا من البسالة والصبر والصدق والايمان والتضحية بين الغزاة ومصر ، يردونهم بالنار ، ويدفعونهم بالحقد . ولا يبالون بأربعمائة واثنين وسبعين غارة جوية في يوم واحد ، تتخللها موجات المظلات من قبرص ، وهجمات المدافع من السفن ، حتى هلك أكثر من نزل ، وانحصر طوال الأعمار منهم في رقعة من ساحل المدينة الباسلة لا يملكون أن يتقدموا منها ولا يستطيعون أن يثبتوا فيها .

ان التضحية التي بذلتها بورسعيد نساء ورجالا وشيوخا وأطفالا قد أنقذت مصر كما قال عبد الناصر ، وخدمت السلام كما قال نهرو ، وأفسدت الغزو كما قال كتل .

أما الدماء الغالية التي أريقت ، والديار العزيزة التي أصيبت ، فانها ضريبة المجد ووثيقة النصر وفدية الحرية . وما ضاعت خسارة حررت وطنا ، ولا أهدر دم أحيا أمة .

« أحمد حسن الزيات »

... لاتنقضي !!!

بقلم : محمود محمد شاكر

- ٥ -

الآن نطرحه جانبا ، اعني لويس عوض ، فانه لا خير فيه . لا ، لا ، فانا اكره الظلم ، ولا احب ان اظلم الرجل ، فان له فضيلة وفضلا . أما فضيلته، فانه مربح جدا لمن يحسن أن يستخدمه . ارأيت الى الدمية التى تدير مفتاحها لتملأها ، فاذا هى تحرك يديها ، وتمشى برجليها ، وتترنح أحيانا وتعتدل ، وتختال احيانا وتستقيم ، وتبتسم حينا ، وتوشك تبكى حينا آخر، وتفتح عينيها تارة، وتغمض جفنيها تارة اخرى ، ولولا قضاء الله على الجماد لنطقت ، ولولا قضاؤه لظلت تأتى من ذلك ما تأتى الى غير انقطاع ؟ ومحركها ، فى خلال ذلك ، ساكن قار لا يبالى ، ولا عليه ان لا يتدخل فى اعمالها، لأنها قلما تخطىء فى عمل . ان تكن هذه عجيبة ، فلويس عوض اعجب منها ، فقد ملأه مالئه منذ دهر ثم تركه، وضبطه الى اهداف بعينها ثم اطلقه ، فانطلق يجوس خلال الآداب عامة ، ثم الاداب العربية خاصة ، وهو لايكاد يرى الا ما ركب لأجله ، لايكاد يرى الااليونان، والروم ، والقرون الوسطى ، والمثقفين والحضارة الحديثة ، والحروب الصليبية ، والصلبان ، والخلاص، والفداء ، والخطيئة ، وكسر رقبة البلاغة ، وكسر عمود الشعر العربى ، واللغة العامية ، والفتح الانجليزى لمصر سنة ١٨٨٢ . وما شئت من امثال ذلك مما ضمنه كتبه ومقالاته قديما وحديثا . فهذا التركيب الموجه (!!) لا يكاد يرى ابن خلدون الا مقرونا باورسيوس ، ولا المعرى الا مقرونا براهب دير الفاروس وبالحروب الصليبية وبالصلبان التى غصت بها حلب (!) ، ولا « وردة كالدهان » ، وهى من آيات العذاب يوم القيامة ، الا مقرونة بروزا مسكيتا (مريم العذراء) ، ومعاذ الله ، وبرأها مما فى عقله من السمادير . ولا يكاد يرى عمر مكرم ، وعرابى ، وجمال عبد الناصر الا مقرونين بالمعلم يعقوب رئيس الخونة المظاهرين للفرنسيس الغزاة ايام نابليون ، ولا توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وصلاح عبد الصبور ، الا مقرونين بعقائد الخلاص والفداء والخطيئة . ثم تأتى الطامة الكبرى ، فلا يكاد يرى القرآن العظيم الا مقرونا بترجمته الى اللغة العامية ، كما ترجم الانجيل الى اللغات الحديثة، وهى عامية اللاتينية ، والا مقرونا بكسر رقبة البلاغة ، وكسر عمود الشعر العربى . وهنا وهناك، تراه طائشا ، زائغ العينين ، خفيف العقل ، سليط اللسان ، قد استرخت مفاصل عقله ، وانحلت تلافيفه . هذا ، والذى اطلقه واقف من بعيد ينظر وفى عينيه الدهشة ، ويحك ذقنه بيده ، ويفتر ثغره عن ابتسام ، اعجابا باختراعه المدهش الذى ركبه واطلقه ، ولم يكن يظن ظنا أنه قادر على ان يتحرك فى عمود واحد من احدى الصحف السرية !! فاذا به (يبرطع) فى ثمانية أعمدة ، فى أكبر صحيفة فى العالم العربى والاسلامى ، هى الاهرام = وعلى اشرف منصة فى معهد الدراسات العليا التابع للجامعة العربية ، ويأتى فى خلال برطعته (وهى : البلتعة بالفصحى) بالعجائب التى لاتنقضى ، وقد ارتدى طيلسان أستاذ جامعى ، بلاحسيب ولارقيب. وهذا نجاح مدهش ولا شك ، وحق لمالئه أن يميد به الغرور وتستخفه الخيلاء باختراعه هذا العجيب ! فهذه هى الفضيلة التى لاتنكر للاختراع المسجل (لويس عوض) !

واما فضل هذا الاختراع المذهل (لويس عوض)، فانه جمع فى كل ماكتب عامة ، وفى مقالاته التسع عن شيخ المعرة ورسالة الغفران خاصة ، ضروبا من الخطل ، والترهات ، والسمادير ، والالاعيب ، والنزق ، واللكاعة ، والهوج ، والخباط (بضم الخاء وهو التخبط بلا عقل) ، مايعجزك أن تجمعه من كلام المستشرقين والمستغربين برمتهم ، من اقصى الشمال الى أقصى الجنوب ، ففاق فى ذلك امثال لامنس (المعروف بالاب لامنس) ، ولويس شيخو (المعروف بالاب لويس شيخو) ، وان كانا فى

الحقيقة أخف منه ظلا على كل حال، وأعقل (ولا ادرى كيف يأتى أفعل التفضيل هنا من «العقل» ، ولكن هكذا كتبته ولاحرج) . فبهذا الحشد الهائل مما ذكرت آنفا ، أتاح لى لويس عوض أن أجعله محور المقالات التى أردت ان اكشف بها الغطاء عن ضروب من الهوس والمخرقة ، لم تزل منتشرة فى كلام من سبقه ولحقه من قديم الآباد . فهذا أيضا فضل له لا اجحده ، والا ظلمته ظلما مبينا ، وانا اكره الظلم ، ولا ارضاه، ولا اعين عليه .

أما وقد برئت من ظلم المطروح جانبا ، لويس عوض ، فانى اعود الى ما قطعنى عنه التهاوه مما سماه (بحثا) وهذه احدى الاعاجيب : لا أدرى كيف تطيق اللغات أحيانا ان تخادع عقول الناس فاللعب ربما سمى «اختراعا» ، والجنون ربما سمى «ذكاء» ، والفجور ربما سمى «جراة» والعبث ربما سمى «بحثا» ! هذا بعض ما يحيرنى فى أمر اللغات اليوم . نعم ، قد كان قديما شىء يقال له «العقل» ، يحول بين الناس واساءة استعمال اللغة ، اما وقد ذهب «العقل» ، فمن له باختراع جديد يحمى لغات البشر من اساءة استعمالها ؟ هذا مايحيرنى ! (ولزم التنويه ، كما قال لويس عوض) !

وبعد ، فأهلا وسهلا براهب دير الفاروس .

فحديثه كله تفاريح . ولكنى احب أن لا اغادر لمن يريد أن يدارس الآداب على وجه صحيح ، لا هذا الحديث حتى أستصفى مادته ، وأجعله مثلا لسوق اليه حماقة او تسرع ، فعلى ان خبر القفطى عن راهب دير الفاروس ، ليس سوى خبر لقيط سقط فى كتابه لغير رشدة (أى ، كالولد الذى ليس له أب ينتمى اليه)، مع تناقض اجزائه ، واضطراب سياقه ، ومباينته للمعلوم بالضرورة من حياة شيخ المعرة ، ومن شعره أيضا ، ومع تبين بطلانه من وجوه كثيرة ذكرتها آنفا ، فهو ايضا خبر عليه توقيع «ظاهر» لمخمور تالف من علوج الشام وزواقيل الجزيرة (وهم بقايا أغتام الروم بالشام بعد الاسلام) ، وذلك التوقيع هو مابقى ببعض عبارته من رطانة وطمطمانية غير عربية ، ومع كل ذلك ، فنص الخبر يحمل الدليل القاطع ، على أن هذا التالف أذكى عقلا ، واشد فطنة ، واحسن خلقا ، ممن جعله برهانا على تعلم شيخ المعرة من راهب دير الفاروس !

فهذا التالف يذكر ان أبا العلاء لما كبر وخرج من معرة النعمان قصد طرابلس : « فاجتاز باللاذقية ، ونزل دير الفاروس » . فهذه ألفاظ قليلة واضحة ، من أخذها بغير حقها غمضت عليه ، وأوقعته فى الدعاريس (وهى الدواهى) !!

فأنت تقول : « جزت الطريق » ، اذا سرت فى جوزه ، أى وسطه ، وسلكته نافذا الى غايتك . ثم تقول : « أجزت الموضع » ، اذا سرت فى جوزه ، وقطعته وخلفته وراءك . فزيادة الألف زادت فى معناه شيئا . فاذا زدت فى بناء الكلمة فقلت : « خرجت من دارى فاجتزت بدار فلان » ، فمعنى ذلك أنك مررت بها وخلفتها وراءك غير متوقف . ولا يكون معناها ابدا أنك نزلت داره وأقمت فيها ، لأنه مناقض لاشتقاق اللغة . فاذا جئت الى مسافر طويل الرحلة فقلت : « اجتاز بالبلدة » ، فأنت بالخيار فى استعمالها ، أن تريد : مر بها وتخطاها غير متوقف ، أو تريد : مر بها ثم توقف ساعة او ساعتين او ليلة أو ليلتين ، فتقول : « اجتاز بالبلدة فنزل دار فلان » ولكن لا بد من هذه الاضافة « فنزل دار فلان » . ولكن هذه الزيادة فى معنى « اجتاز » ، لا تأتى من أصل الاشتقاق ، ولكن من شىء خارج ، وهى أن المسافر الطويل الرحلة ، لابد له من وقعة ونزول عن راحلته ، ليستجم هو ، وليريح راحلته ، ويصلح رحله واداوته ، ويتزود لسفره بطعام وماء ، ثم ينطلق . فهذه فترة استجمام ، لا فترة اقامة ، وهى قليلة معدودة الساعات او الليالى ، لا تزيد عن ليلتين أو ثلاث . وهذا صريح استعمالها ، كالذى يجىء فى العهود بيننا وبين أهل الذمة ، ففى كتاب حبيب بن مسلمة الفهرى فى فتح أرمينية ، على عهد عثمان رضى الله عنه يقول : (الأموال : ٢٠٩ ، فتوح البلدان : ٢٠٩) .

« ولنا نصيحتكم وضلعكم (أى الميل والمعونة) على عدو الله ورسوله والذين آمنوا فيما استطعتم ، وقرى المسلم المجتاز ليلة بالمعروف ، من حلال طعام أهل الكتاب وحلال شرابهم » .

فالمجتاز ، فى هذا الخبر ، هو المسافر الذى يقطع طريقا طويلا الى غايته ، فيجتاز بمكان ، فيحتاج الى الراحة والزاد ، فينزل ساعة أو ساعات أو ليلة الى ثلاث ليال ، ثم يرحل عنه مخلفا وراءه ذلك المكان ،

فقول صاحب خبر الراهب حين قال : « فاجتاز باللاذقية » ، لم يعن سوى أنه مر بها وخلفها وراءه غير متوقف • وسنرى أنه لا يمكن أن يكون دخل اللاذقية أو أقام بها • هذه واحدة •

أما قوله : « ونزل بدير الفاروس » ، فمعنى «نزل بالمكان» هو أنه أقام به قليلا ثم رحل • فان أصل « النزول » في لغة العرب ، هو الهبوط والانحدار من علو الى سفل، تقول : «نزل الراكب عن دابته»، و « نزل المطر » ، و « نزل في بئر » ، وأمثال ذلك • ولما كان المسافر البعيد الشقة أكثر ما يكون راكبا ، قالوا له اذا مر بمكان ، فأراد أن يريح دابته ويتزود لرحيله ، فحط به ساعة أو ليلة أو ثلاث ليال على الأكثر : « نزل بالمكان » أى نزل به دابته ليريحها ، ثم يقيم للراحة قليلا ، ثم يرتحل • وذلك الموضع الذى نزل به هو « المنزل » • ومن أجل ذلك سموا الضيف الذى يمر بك ثم يرحل عنك غير مقيم « النزيل » ، وسموا ما تهيئه له من القرى : « النزل » (بضم النون ، وضم الزاى أو سكونها) ، لأنه يقدم لمن ينزل بهم • وأما الذى نسميه اليوم « المنزل » ، حيث نقيم نحن ، فانما هو فى العربية « البيت » و « الدار » • هذه ثانية •

فهذان اللفظان ، « اجتاز » و « نزل » مجتمعين فى جملة بالعطف ، أو منفردين ، لا يدلان البتة على اقامة طويلة بمكان ، الا كحسوة الطائر فى مسافة السفر ، فهى اقامة ساعة أو ساعات ، أو ليلة الى ثلاث ليال على الأكثر • هذا كل ما تستطيع أن تطيقه اللغة ، وما يؤديه أصل الاشتقاق • فمن فهم منهما غير ذلك فقد أساء ، وأهدر معانى الألفاظ ، وجهل حدود الكلام ، وخلط خصائص المفردات وجعلها مترادفات لا خير فيها ، ولا حد لها • فمن قرأ كلام القفطى والذهبى وقولهما : «فاجتاز باللاذقية ، ونزل دير الفاروس» فقال كما قال الدكتور طه حسين : « فمر فى طريقه باللاذقية ، فنزل بدير فيها ، ولقى بهذا الدير راهبا قد درس الفلسفة وعلوم الأوائل ، فأخذ عنه ما شككه فى دينه وفى غيره من الديانات » ، ثم قوله بعد ذلك : « فلا شك أنه درس هاتين الديانتين (يعنى اليهودية والنصرانية) فى أسفاره الأولى ، فاما أن يكون ذلك فى انطاكية ، واما أن يكون فى اللاذقية» • فهو قد جاوز الحد وأساء غاية الاساءة ، لأن صدر الكلام عن الرحلة يدل على اجتياز مسافر باللاذقية ونزوله بدير ، ولا يزيد ذلك عن ساعات أو أيام ثلاثة • وأيام ثلاثة ليست تعين على معرفة نبذ يسيرة ، فضلا عن دراسة • ومن قرأ ذلك فقال كما قال لويس عوض : « وقد تعلم المعرى فى اللاذقية » ، فقد بالغ فى الاساءة ، وخرج أيضا عن حد المعقول ، وكلا الرجلين أهدر معنى « اجتاز » و « نزل » • وأصح منهما ادراكا لحقائق الألفاظ وما توجبه من المعانى ، اختصار ابن كثير لخبر الراهب ، فانه تصرف فى لفظ القفطى كل التصرف ، ولكنه أصاب حقيقة المعنى فقال : « ويقال انه اجتمع براهب فى بعض الصوامع ، فى مجيئه من بعض السواحل ، آواه الليل عنده ، فشككه فى دين الاسلام » • فاستخرج من لفظ القفطى أنه نزل عند الراهب ليلة واحدة ! فهذا اختصار فاهم ومبين أيضا ، مع دقة فى الاستنباط • وفى حديث القفطى نفسه ما يدل دلالة قاطعة على أن الأمر لم يكن « دراسة » ولا « تعلما » ، لأنه قال : « فسمع منه أبو العلاء كلاما ، (أى من الراهب) من أوائل كلام الفلاسفة » ، و « السماع » لا يكون دراسة ولا تعلما ، بل هى كلمات قلائل سمعها لا غير • واذن فالاجتياز باللاذقية ثم النزول بالدير ، ثم سماع كلمات قلائل مشككة ، كلام متسق متناسب ، ومطابق لمفهوم اللغة ، ولا يعقل عاقل أن يجعل هذا المعنى الواضح : اقامة باللاذقية والدير ودرسا أو تعلما !! الا اذا فهمنا اللغة على أسلوب « وردة كالدهان » انها هى « روزا مسكيتا » ! وسائر العجائب التى لا تنقضى •

وفى هذه الجملة لفظ آخر هو « دير الفاروس » ، فلفظ « الدير » فى العربية يدل على بيت النصارى الذى يتعبد فيه رهبانهم ، قال ياقوت : « والدير لا يكاد يكون فى المصر (أى المدينة) ، انما هو فى الصحارى ورءوس الجبال ، فان كان فى المصر ، كانت كنيسة أو بيعة ، وربما فرق بينهما ، فجعلوا الكنيسة لليهود ، والبيعة للنصارى » (البيعة ، بكسر الباء) • واذن فدير الفاروس كما تدل عليه اللغة ، وكما هو معروف الى اليوم ، ليس فى مدينة اللاذقية نفسها ، بل هو بعيد عنها فى ظاهرها (ظاهر المدينة ، خارجها) • وهذا يطابق صفة هذا الدير ، فان ابن بطوطة (٧٠٣ — ٧٤٩) ، مر به فى رحلته فوصفه فقال : « وبخارج اللاذقية ، الدير المعروف بدير الفاروص ، وهو أعظم دير بالشام ومصر ، يسكنه الرهبان ، ويقصده النصارى من الآفاق ، وكل من نزل به من المسلمين ، فالنصارى يضيفونه » ومثل ذلك قال ابن فضل الله العمرى (٧٠٠ — ٧٤٩) : « دير الفاروس ، على جانب اللاذقية من شمالها ، فى أرض مستوية ، وبناؤه مربع ، وهو حسن البقعة » •

فاذ كان « دير الفاروس » بيقين خارج مدينة اللاذقية ، فمعنى قول صاحب الخبر : « فاجتاز باللاذقية ، ونزل « دير الفاروس » ، اي مر باللاذقية وخلفها وراءه ولم يدخلها ، حتى بلغ دير الفاروس خارج اللاذقية ، فنزل به ضيفا ، على ما جرى عليه امر اهل الذمة مع أهل الاسلام ، فأضافه رهبان الدير ، كما قال ابن بطوطة ، فمن زعم أن أبا العلاء درس اليهودية والنصرانية باللاذقية ، ومن زعم أنه تعلم باللاذقية ، استخراجا من هذا الخبر ، فهو مبطل اشد البطلان ، لأن الدرس والتعلم كلاهما يقتضى طول الاقامة باللاذقية ، والخبر بجميعه يدل كما أسلفت على أنه مر باللاذقيةوخلفها وراءه ولم يدخلها . وهذا ظاهر فيما أظن ! لأنه مطابق لمعنى اللغة ومقتضى اشتقاقها . أليس كذلك ؟ وعلى أى وجه قلبت كلماته ، فانه لا ينتهى الا الى ما قلت .

وهذا الذي كان يجرى بيننا وبين أهل ذمتنا من النصارى ، مبين فى الاحاديثوالأخبار . ففى حديث أبى الحويرث : أن النبى صلى الله عليه وسلم ضرب على نصارى ايلة ثلثمئة دينار كل سنة ، وأن يضيفوا من مر بهم من المسلمين ثلاثا ، وأن لايغشوا مسلما » (سنن البيهقى ٩ : ١٩٥) .

وفى كتاب عمر رضى الله عنه الى أمراء أهل الجزية: « أن لا يضعوا الجزية الا على من جرت عليه المواسى (أى من بلغ) .. ويضيفون من نزل بهم من أهل الاسلام ثلاثة أيام » (سنن البيهقى ٩:١٩٥) .

وكتب عمر أيضا الى أمراء الأجناد : « أيما رفقة من المهاجرين آواهم الليل الى قرية من قرى المعاهدين من مسافرين فلم يأتوهم بالقرى ، فقد برئت منهم الذمة » (سنن البيهقى ٩ : ١٩٨)

فالذى ذكره ابن بطوطة من اضافة نصارى دير الفاروس للمسلمين ، انما هو حق واجب بالعهد الذى بيننا وبينهم ، ظلوا يعملون به منذ جاء الاسلام . فالمسلمون فى أسفارهم يمرون بالأديرة ، فينزلون بها ، ويريحون أنفسهم ودوابهم ، ويقدم النصارى اليهم القرى ليلة أو ليلتين أو ثلاث ليال ، وليس عليهم بعد ذلك شىء ، ثم يرحلون عنهم . وفى الأخبار السالفة لفظ « مر بهم » ، و « نزل بهم » ، وهى بالمعنى الذى أسلفت شرحه . فابو العلاء ، ان كان قد نزل بدير الفاروس ، فانما نزل به على العادة الجارية بلا زيادة ، فى طريقه الى طرابلس ، كما زعم صاحب هذا الخبر ، وليس فيه ما يدل على اقامة، واذ لا اقامة فلا درس ، ولا تعلم !! أليس ذلك واضحا أيضا ؟

هكذا كان شأن الأديرة فيما سلف فى أول الاسلام، ولكن يبقى شىء لا بد من ذكره . فبعد العهد الأول، صار لهذه الأديرة شأن آخر ، فهى بطبيعة بنائها كانت خارج المدن ، فى بقاع حسنة ، وأماكن نزهة، وكان النصارى فى سلطان الاسلام متروكين على عاداتهم وأحوالهم ، لا يعترضهم أحد ، لهم خماراتهم على مقربة من أديرتهم ، ويقصدها النساء والرجال على جارى عاداتهم ، لأنهم خارج مدن الاسلام ، فصارت لها شهرة أخرى . ومن قرأ كتب الديارات (أى الأديرة) ، رأى عجبا ، ولن أثقل على أحد بنقل الأخبار عن دير دير منها ، ولكنك اذا أخذت كتاب الديارات للشابشتى (··· ـ ٣٨٨) ، وهو قريب العهد برحلة أبى العلاء التى زعمها صاحب الخبر ، رأيت منذ أول صفحة فيه :

« دير درمالس : عيده أحسن عيد ، يجتمع نصارى بغداد اليه ، ولا يبقى أحد ممن يحب اللهو والخلاعة الا تبعهم » ثم يذكر أشعارا وأخبارا فى هذا الدير وسكانه من الرهبان ، وقصاده من أهل اللهو والخلاعة .

ثم يليه : « دير سمالو : فيه منظر عجب ، لأنه لا يبقى نصرانى الا حضره وتقرب فيه (أى تناول القربان) ، ولا أحد من أهل التطرب واللهو من المسلمين الا قصده للتنزه فيه » ، ثم ذكر الاشعار فيه كذلك .

ثم يليه : « دير الثعالب : أعمر موضع وأنزهه ، لما فيه من البساتين والشجر والنخل والرياحين ، ولتوسطه البلد وقربه من كل أحد ، فليس يخلو من أهل البطالات ، ولا يخل به أهل التطرب واللذاذات ··· » ، ثم ذكر الاشعار فيه وفى رهبانه وقصاده .

وتظل تقرأ مثل هذه الاخبار حتى تنتهى من الكتاب وفيه أخبار شنيعة أعرض عنذكرها. وكذلك ما جاء فى كتاب مسالك الابصار فى ذكر الديارات والحانات ، لا يكاد ينقضى عجبك من كثرة ما قيل فيها وفى رهبانها وقسوسها من الشعر ، أكره أن أذكره لقبح ما فيه ، ولكنه يدل دارس العصر على أن أمر هذه الأديرة كان قد خرج عن الحد المستحسن ، لما شاع فيها من التبطل باللهو والخمور . أما دير الفاروس الذى يعنينا هنا ، فحسبك أن تقرأ ما قاله أبو على الحسن بن على القرى فيه وفى بعض رهبانه :

لم أنس فى الفاروس يوما أيضا
مثل الجبين يزينه فرع الدجى

ثم يقول :

ولدى من رهبانه متنمس
أضحى لفرط جماله متبرجا
أحوى أغن اذا تردد صوته
فى مسمع رد احتجاج ذوى الحجى
لا شئ ألطف من شمائله اذا
حث الشمول ، ولفظه قد لجلجا
فله ولليوم الذى قضيته
معه بكائى ، لا لربع قد شجا

فهذه حالة سيئة جدا ، كانت عليها الأديرة فى القرن الرابع الهجرى وما بعده ، لأنها كانت مأوى أهل البطالة والعبث والمجون والخمر، وكان لرهبانها أخبار لا يستحب ذكرها ، وعجائب من اللهو لا تنقضى .

وأما اللاذقية نفسها، وكانت تحت سلطان الروم، فكان أمرها أشنع . فان أحد معاصرى أبى العلاء ، وهو أبو الحسن بن بطلان ، الطبيب النصرانى المشهور ، (واسمه : المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون بن بطلان) ، كان خرج فى رحلته ، فكتب فى رسالة رحلته مانصه : « وخرجت من انطاكية ، الى اللاذقية ، وهى مدينة يونانية ، لها ميناء وملعب للخيل مدور ، وبها بيت كان للأصنام ، وهو اليوم كنيسة ، وكان فى أول الاسلام مسجدا . وهى راكبة البحر ، وفيها قاض للمسلمين ، وجامع يصلون فيه ، واذان فى أوقات الصلوات الخمس . وعادة الروم ، اذا سمعوا الأذان ، أن يضربوا الناقوس . وقاضى المسلمين الذى بها من قبل الروم، ومن عجائب هذا البلد : المحتسب ، يجمع القحاب والغرباء والمؤثرين للفساد من الروم فى حلقة ، وينادى على كل واحدة منهن ، وتتزايد الفسقة فيها لليلتها تلك ، ويؤخذن الى الفنادق التى هى سكن الغرباء ، بعد أن تأخذ كل واحدة منهن خاتما ، هو خاتم المطران ، حجة بيدها من تعقب الوالى لها ، فانه متى وجد خاطئا مع خاطئة بغير خاتم المطران ألزمه جباية » ، (أى غرامة) (تاريخ الحكماء للقفطى : ٢٩٦ ، وغيره) وهذا بالطبع قبيح جدا ، والعجب منه لاينقضى . ولا أحب أن أكثر من أمثال هذه الاخبار ، وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق !!

فاذا كانت هذه هى حال الأديرة على عهد أبى العلاء ، وان كنت قد استحييت أن أعطيك صورتها واضحة ، وكانت هذه هى حال اللاذقية على وجه الخصوص ، ولم يكن أبو العلاء من أهل ذلك الشأن، لا هو ولا أحد من أهله ، قضاة المعرة وشيوخها ، فهل تظنه كان معقولا أن يتركه أهله يخرج وحيدا، أو مع رفيق لايعقل ولا يحسن الرعاية ، فيمر به على اللاذقية ويقيم بها، أو بدير الفاروس ويقيم به، لكى يتعلم فى هذه أو ذاك ، وعلى هؤلاء الرهبان أيضا !! هذا عجب ، أن يبلغ أهل الفتى الأعمى ذلك المبلغ من الجهل بأحوال ثغورهم ، فيتركوا فتاهم فى أيدى هؤلاء يعلمونه ويثقفونه ؟ هذا سوء تصور للماضى أسوأ التصور . وأسوأ منه أن تظن أن هؤلاء كان لديهم من الفراغ مايتدارسون فيه آداب اليونان وفلسفتهم فى لغاتها الأصلية ، كما يقول لويس عوض ، فى عجائبه التى لاتنقضى

ثم نعود فننظر نظرة خاطفة فى أمر سأشرحه مفصلا يوما ما . أصحيح أن اضلال أبا العلاء ، الفتى الضرير ، عن دينه ، كان يحتاج الى « راهب يشدو شيئا من علوم الأوائل ، فيسمع منه كلاما من أوائل كلام الفلاسفة ، فتحصل له شكوك ليس عنده مايدفعها به ، ويحصل له بعض الانحلال » ؟ أصحيح هذا ؟ واذن فأين ما كان من ترجمة كتب الفلسفة من قبل عهد المأمون، الى أن كان أبو العلاء ؟ وهى مئات يكفى أيسر النظر فى مثل فهرس ابن النديم ، حتى تعرف كثرتها . لا بل أين ماكتبه مثل الكندى ، فيلسوف العرب وابن ملوكها (١٨٥ ـ ٢٥٢) قبل أن يولد أبو العلاء بأكثر من قرن كامل؟ وأين ماكتبه الفارابى « المعلم الثانى » ، ضريع أرسطو (٢٥٧ ـ ٣٣٩) ، وهو قريب العهد والدار من أبى العلاء ، وكان آخر أمره مقيما بحلب مع سيف الدولة وصاحبه المتنبى ؟ وأين ماكتبه اخوان الصفاء الذين اشتهر أمر رسائلهم قبل أن يولد أبو العلاء بزمان ؟ لا بل أين ماكتبه من هو أضل ضلالا من كل هؤلاء كابن الراوندى وأشباهه منذ قديم ؟ وأين الزنادقة القدماء من شعراء وكتاب ؟ أترى معرة النعمان لم يدخلها كتاب واحد من هذه الكتب ، ولا قراه قارىء ، ولا ضل به ضال ؟ الى أن ولد أبوالعلاء ثم « كبر ، ووصل الى سن الطلب ، وطمحت نفسه الى الاستكثار من ذلك » ؟ كما فى خبر الراهب . أتراه الى أن بلغ سن الطلب ، لم يسمع بخبر ولا شعر ، ولا قرىء له كتاب فى زندقة أو ضلالة ليس

عنده مايدفعها به ، حتى يحتاج الى رحلة فى صباه، الى اللاذقية ودير الفاروس ، فيجد هناك راهبا شاديا لشىء من علوم الأوائل فيضلله ؟ أهذا كلام يعقل ؟ ولو شئت أن أسوق مايذهل من دواعى الضلالات من فلسفة وغير فلسفة ، وما كان متفشيا فى المذاهب والنحل والأهواء فى الشام وغير الشام قبل أن يولد أبو العلاء بأزمنة طوال ، لبلغ منك العجب مبلغا . ولكنى اكتفيت بهذا التساؤل ، لأن أدنى معرفة أو بصيرة ، توجب على المرء أن يقطع ببطلان خبر هذا الراهب ، من هذا الوجه وحده ، دون سواه من الوجوه التى دارستها فيما سلف .

فمن أعجب العجب بعد ذلك أن يأتى انسان يظن فى نفسه أن له عقلا يفكر به ، فيصدق مثل هذا الخبر اللقيط المتداعى من نواحيه جميعا ! وأعجب من تصديقه أن يستخرج من سياقه أن لقاء مثل هذا الراهب المذكور فى الخبر ، وسماع كلمات منه ، كان تعلما ! وأعجب من هذا الاستخراج ، أن يستولد منه أن « علوم الأوائل » التى كانت تقرأ فى الأديرة تحت حكم الروم ، هى « آداب اليونان وفلسفتهم فى لغتها الأصلية » . وأعجب من هذا التوليد فى مقاله الخامس ، أن ينتهى لويس عوض هذا ، فى مقاله السابع الى تساؤل ذكى جدا ، بعد غثاء كثير جدا ، فيقول : « أليس من حقنا بعد هذا كله أن نفترض أن المعرى كان متقفا فى تراث اليونان القديمة ، شأنه فى ذلك شأن الكثيرين من أدباء عصره (أى وجه هذا ؟) ، وأنه قرأ هوميروس ، وأرسطوفانيس ولوسيان على أقل تقدير . (بالطبع مادمت أنت تريد ذلك) ، سواء فى ترجمات عربية ضاعت ، أو فى نصوصها الأصلية ؟ بل أليس من حقنا أن نشتبه فى أن المعرى كان عارفا بلغةاليونان يقرأ فيها أدب اليونان ، بعد كل مارأيناه من وصف البيئة المحيطة به ، ومن وصف نشأته وتعليمه الرسمى ؟ » . كيف لايكون من حق لويس عوض أن يقول ماشاء ، فمن الذى يحاسبه !!

أنا أحب أن أرى رجلا واحدا فى الناس جميعا ، يستطيع أن يشهد لهذا الانسان بأنه يحمل على كتفيه رأسا كرءوس الناس ! ظل يلج فى كلام لا يربط بينه رابط ، حتى انتهى الى أن شيخ المعرة قد أقام فى اللاذقية ودير الفاروس حتى تعلم اليونانية القديمة (وذلك فى سنة ٣٨٠ تقريبا ، باللعجب!) ، وقرأ فيها هوميروس، وأرسطوفانيس ولوسيان على أقل تقدير ! (ماأشد تواضعك !) فى ترجمات عربية ضاعت !! (ماهذه النبوءات !) أو فى نصوصها الأصلية . ثم يختم هذا بالمرسوم الموقع عليه باسمه الكريم ، ان هذا الذى كان فى اللاذقية هو « تعليمه الرسمى » !! أما تعليمه فى معرة النعمان فغير رسمى !! وأنا أدع للقارىء أن يفكر هو لنفسه فى صفة جديدة يصف بها هذا الانسان ، فقد أعوزتنى اللغة ، مقرا بعجزى عن ملاحقته بصفات توصف بها كتابته ، أو يوصف بها تفكيره !

واذا حب القارئ أن أعينه ، فأنا أعينه بفقرة منقولةبنصها من الكتاب النفيس : « بلوتولاند وقصائد أخرى » فى التجربة الأولى من تجاربه . يقول لويس عوض فى ترجمته للويس عوض : « وعقلية لويس عوض عقلية زمنية حقا !! فهو يفهم أن هذا الانقلاب اللغوى الأدبى ، لم يقوض أركان الدين فى أوربا ، وانما قوض أركان الكنيسة التى خشيت ان يقرأ الشعب الساذج كلام السماء بلغة يفهمها ، فتسقط عن بصره الغشاوة ، ويدرك أن رجال الدين انما يزيفون عليه من عندهم دينا ، ليسلس قياده ، ويبقى راكعا أمام الاشراف . وهو يفهم (أى لويس عوض يفهم) أن أبسط بنت تبيع الكرافتات فى شيكوريل ، تعرف عن المسيحية أكثر مما كان يعرف البابا الذى شن الحروب الصليبية (أى فى زمن أبى العلاء تقريبا ، وفى زمن راهب دير الفاروس) ، أو البابا الذى أعدم الأحرار على الخازوق ، أو البابا الذى كان يضاجع أخته ... » (ورجع على الاصل . فلزم التنويه ، كما قال لويس عوض) . وأدع للقارىء أن يجمع بين الكلامين بلا تدخل من قبلى ، وسينتهى أيضا الى عجائب لا تنقضى .

أما الآن ، فأحب أن أختم القول فى حديث راهب دير الفاروس ، ببيان لا بد منه لكل عاقل يدارس الآداب ، فى العربية وغير العربية . فمثل هذا الخبر اذا جاء ، وعرف بطلانه من وجوهه الصحيحة التى تقوم بها مناهج الدراسة ، وجب على الدارس أن يلتمس العلة التى من أجلها وضع الخبر واضعه . وقد كنت استنبطت من بعض ألفاظ الخبر أنه خبر زيفه علج من علوج الشام ، أو زاقول من زواقيل الجزيرة ، ثم ألقى به الى القفطى (٥٦٨ ـ ٦٤٦) بعد وفاة أبى العلاء بقرنين تقريبا ، ليطرفه به (على سبيل الفكاهة) لما رأى من حيف القفطى على شيخ المعرة ، وحرصه على مذمته ، فلفق له هذا الخبر مريدا لتحقير أبى العلاء ، ووصفه بالضلالة وسخف

العقل ، اذ تمكن من اضلاله ، وهو طالب علم صغير، راهب يشدو شيئا من علوم الأوائل . وكأنه اراد أن ينتقص به ما كان يقال ويذكر من ذكاء هذا الفتى الأعمى فى صغره ، مما رواه القفطى نفسه فى ترجمته لشيخ المعرة .

وليس هذا بعجيب . فالمتنبى ، وهو أيضا ممن كان يوصف بالذكاء صغيرا ، وقدح الناس فى عقيدته كما قدحوا فى عقيدة شيخ معرة . ابتلى أيضا مثل ابتلائه . فان أبا القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهانى ، ألف لبهاء الدولة البويهى كتابا فى المتنبى ، ليرضيه به ويشفى غليله فى أبى الطيب، فكتب فيه ما يلى ويعنى المتنبى ! « وهو فى الجملة خبيث الاعتقاد ، وكان فى صغره وقع الى واحد يكنى أبا الفضل بالكوفة من المتفلسفة ، فهوسه وأضله كما ضل » . فهذا شبيه بما قيل فى أبى العلاء حذوك النعل بالنعل ! وليس لهذا حقيقة ، كما بينت ذلك فى كتابى عن المتنبى ، وانما هو ارادة الاستخفاف لا غير .

أما مسألة « الراهب » فلها عندنا شبيه قديم ، ففى كتاب مذكور عندنا رآه البيرونى ونقل عنه ، وهى رسالة « عبد الله بن اسماعيل الهاشمى ، الى عبد المسيح بن اسحق الكندى ، ورده عليها » وهى مطبوعة بمصر طبعات ، وطبعت أيضا مرات (فى لندن المحروسة سنة ١٨٨٥ مسيحية) ، ذكر عبد المسيح أولية أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما زعم : « انه كان رجل من رهبان النصارى ، يعرف بسرجيوس ، أحدث حدثا أنكره عليه أصحابه ، فحرموه وأخرجوه ، وقطعوه عن الدخول الى الكنيسة وامتنعوا من كلامه ومخاطبته على ما جرت به العادة منهم فى مثل هذا الضرب . فندم على ما كان منه ، فأراد أن يفعل فعلا يكون له به تمحيص عن ذنبه ، وحجة عند أصحابه النصارى ، فصار الى بلد تهامة فجالها حتى أفضى الى تربة مكة . فنظر البلد غالبا فيه صنفان من الديانة ، فكان الأكثر دين اليهود ، والآخر عبادة الأصنام . فلم يزل يتلطف ويحتال بصاحبك (أى رسول الله بأبى هو وأمى) حتى استماله ، وتسمى عنده نسطوريوس ، وذلك أنه أراد بتغيير اسمه اثبات رأى نطوريوس الذى كان يعتقده ويتدين به . فلم يزل يخلو به ويكثر مجالسته ومحادثته ، ويلقى اليه الشىء بعد الشىء ، الى أن أزاله عن عبادة الأصنام ، ثم صيره داعيا وتلميذا له يدعو الى دين نسطوريوس ... » الى آخر هذه الشنشنة التى يطول نقلها ، (والشنشنة : الطبيعة والعادة) ، والمخرقة السخيفة التى لا تنقضى عجائبها !!

ومن قبل هذا ما قالت قريش بمكة ، وكان فيها نصرانى أعجمى اللسان ، ربما دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه وجالسه ، فكان المشركون يقولون : انما يعلمه هذا النصرانى ، فأنزل الله فى كتابه فى سورة النحل : « **ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين** » .

فهذه الشنشنة التى نعرفها من كفار قريش ، ومن عبد المسيح الكندى ، ومن الاصفهانى ، باتخاذ راهب من الرهبان أو متفلسف ضال محورا تحاك حوله قصة ، هى الشنشنة التى ورثها علج الشام أو زاقول الجزيرة ، حين أراد النيل من شيخ المعرة وثلبه فابتلى راهب دير الفاروس بما لا أظنه كان يحسن منه شيئا ، فضلا عن أن يشدو منه طرفا !! ثم لا أظن أن حاله مع أمثال أبى الحسن الغزى الشاعر العابث ، أو مع مطران اللاذقية ، كان يتيح له وقتا يتفرغ فيه لتلاوة هوميروس ، وارسطو فانيس ولوسيان ، فضلا عن تعليم فتى عربى مسلم أعمى لغة اليونان القديمة ، وتعلمها يحتاج الى دهر طويل ! وكل خسيس العقل مستطيع أن يكذب على الناس ويلفق عنهم الأخبار ، وقادر أيضا أن يقول ما شاء ، كما يشاء متى شاء ، بلا حسيب ولا رقيب! ومع ذلك فانى أجد هذا العلج ، أو ذاك الزاقول ، أخف الجميع دما وعقلا ، وان كان كذبه قد كلفنى المشقة فى تتبع أخبار شيخ المعرة ، مع تزاحم العمل وكثرة الشواغل .

والآن وقد فرغت من مدارسة حديث راهب دير الفاروس ، اطرحه هو أيضا جانبا ، لأنه حديث لا خير فيه ، ولأنه خبيث المخرج ، خبيث المعنى ، خبيث الموارد والمصادر ، ورحم الله شيخ المعرة ، كأنه كان يعنى هذا الذى نحن فيه اذ يقول :

يا كاذبا لا يجوز زائفه
وما عليه من فضة وضح
كشفت عما تقول مجتهدا
لعل حقا لطالب يضح
فكلما هذبتك تجربة
انشأت للباحثين تفتضح

وكفى بالفضيحة عارا لمن يعقل . (والعرض مستمر) ؟

« محمود محمد شاكر »

غلط عجيب ... !!

بقلم : عمر الدسوقى

قرأت فى عدد الرسالة الصادر فى ٢٦ من نوفمبر ١٩٦٤ مقالا تحت عنوان «مصادر القصص القرآنى» يدعى فيه صاحبه انه قد وقف على مالم يقف عليه الأولون من لدن نزل القرآن حتى اليوم ، وعرف من أين استقى القرآن قصصه ، ولا يكاد كلامه يخرج عما يردده بعض المستشرقين الذين ملأ الحقد على الاسلام قلوبهم ، ولم ينظروا الى القرآن على أنه كتاب سماوى مقدس نزل من لدن حكيم عليهم، وانما هو فى زعمهم كتاب صنعه محمد ، عليه السلام ، ليفتن به العرب عن دين آبائهم ويمكن لدعوته ، وانه أخذ كثيرا عن التوراة والانجيل . ولقد ابتلانى الله يوما من الايام باستاذ انجليزى فى جامعة لندن كنت أدرس عليه اللغة الحميرية، ويكاد يكون ماورد فى مقال الرسالة الذى نحن بصدده صورة مما كان يقوله هذا الاستاذ وهو « الدكتور ترتن » ، وكثيرا ما وقع بينى وبينه الجدل حول هذا الموضوع ، وما ان قرأته على صفحات الرسالة حتى عادت لذاكرتى تلك المجادلات مع هذا القسيس الانجليزى المستشرق ، وقد مضى عليها أكثر من ربع قرن .

ووقع كاتب المقال فى أخطاء شنيعة ، لا اقول انها نتيجة سوء النية فانا اعرفه شابا مسلما طيبا ، ولكنى ، والحق يقال ، فجعت فيه حين قرأت ما كتبه تحت عنوان « مصادر القصص القرآنى » . واغلب الظن ان هذه الاخطاء جاءت أثرا من آثار شهوة التعالم ، وادعاء الوقوف على مالم يصل اليه سواه ، ولو أدى ما يقول الى الكفر والعياذ بالله .

بسط فى أول مقاله ثقافة العرب فى الجاهلية ، وانهم عرفوا شيئا من قصص التوراة والانجيل ، وشاعت بينهم قصة بناء ابراهيم وابنه اسماعيل للبيت الحرام ، وكثرت لديهم الأوهام والخرافات عن الجن والغيلان والسعالى ، وانتشرت قصص الحيوان ، ويقول : « ان جزءا من تلك الثقافة أدخل فى باب الاساطير – كما تبين لنا من تعليق المسعودى على الهواتف والجان ، والظنون الكاذبة والاوهام الفاسدة ، فهل يلغيها القرآن – وهو تنزيل من حكيم عليم – بجرة قلم واذا فعل يستطيع أن يضمن لدعوته النجاح ، أو ان النتيجة ستكون ازورار القوم واعراضهم عن هذا الشيء الذى يصدم وجدانهم ويهزأ بلا وعيهم ، ان القرآن لم يصدم وجدانهم ، ولم يهزأ بلا وعيهم ، بل استطاع أن يتحايل على هذا الوجدان ، وأن يطب لهذا اللاوعى ... » .

فالقرآن فى رأيه حريص على ممالأة الوجدان العربى ، ولو فى الاوهام الفاسدة والظنون الكاذبة حتى يضمن لدعوته النجاح ، وانه « تحايل » مع هذا الوجدان ، ولو كان ذلك صحيحا – وهو ليس بصحيح البتة – ما سفه القرآن احلامهم واحتقر الهتهم ؛ ورماهم بكل نقيصة وجعلهم وقودا للنار ؛ وهددهم بعذاب اليم . ولم تكن تلك الخرافات عندهم أغلى من آلهتهم ، بل ان العقيدة الدينية تتغلغل فى صميم الوجدان .

ولقد نزل القرآن على النبى الكريم رسالة قدسية تخاطب العقل وتهديه سبيل الرشاد ، ولم يهادن القرآن العرب فى مسالة العقيدة أى نوع من المهادنة، ولم يكن يتحايل على الوجدان العربى ، وانما كان يصدم هذا الوجدان صدما شديدا حين يصف آلهتهم التى صنعوها بايديهم بأنها لاتعقل ولا تعى ولا تغنى عنهم شيئا من الله .

وساق الكاتب امثلة على هذا « التحايل » على الوجدان العربي وممالأة اللاوعى فقال : « ونظر القرآن فوجد شخصيات اسرائيلية مالوفة وشائعة بين العرب • فلم لايحملها مبادىء دعوته ، ويكسب سمعتها والفتها ، فيجعلها تهمس بمبادىء اسلامية « ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب ، يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون •ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ، اذ قال لبنيه : ماتعبدون من بعدى ؟ قالوا نعبد ـ الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون » اشك فى ان هذا الموقف قد حدث بقضه وقضيضه ، فلم يكن الاسلام قد ظهر ايام ابراهيم وابنائه حتى يوصى به الآباء الابناء »

فالسيد عبد الحميد يشك فى أن هذا الموقف قد وقع كما ذكره القرآن ، ولم يكن الاسلام قد ظهر أيام ابراهيم وابنائه حتى يوصى به الآباء الأبناء • وهنا الجهل المركب ، فليس الاسلام فى هذه الآية هو الدين الذى حاربه محمد عليه السلام ، وانما هو التسليم لله بالوحدانية والقدرة والألوهية ، وسياق الآية يدل على ذلك : «قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون » أى قد أسلمنا اليه وحده أمرنا وآمنا به الها واحدا لا شريك له • وهذا الجهل هو الذى جعله يشك فى القرآن ووقوع الحادثة كما رواها الكتاب الكريم الذى لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والذى لاينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى ، ذلك الكتاب الذى لاريب فيه هدى للمتقين •

وماذا عساى أن أقول فيمن يشك فى آى الذكر الحكيم ووقوع الحادثة كما رواها ؟ ، وعلى أى شىء بنى هذا الشك ، هل عنده ما يثبت خلاف ذلك ؟ لان قصص التوراة كانت معروفة لدى بعض العرب، ولدى قلة منهم ـ فمعظمهم كان وثنيا لايهتم بأمر التوراة والانجيل ـ بجعل القرآن يتحايل على الوجدان العربى ، ويأتى بقصة مشكوك فى وقوعها ليجذب هذا الوجدان اليه ؟؟ فأى خلط وأى زيغ عن جادة العقيدة الصحيحة وقع فيه هذا الشاب المسكين الذى اعمته شهوة التعالم وحب الشهرة فقال ما قال بغير وعى !!

لقد امرنا ان نؤمن بموسى وعيسى وابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب انبياء ورسلا ، واذا كان اليهود والنصارى قد حرفوا التوراة والانجيل، فليس معنى ذلك أن ما ورد ذكره من اسماء الانبياء غير صحيح ، فالتوراة كما نزلت على موسى والانجيل كما نزل على عيسى من كتب الله ، وذلك قبل التحريف • واذا روى القرآن شيئا مما ورد مثله فى التوراة والانجيل فهذه كلها كتب سماوية تصدر عن الله سبحانه وتعالى • ولم يشك فى موقف نبى من الانبياء يجمع بنيه من حوله حين وفاته ويوصيهم بعبادة الله وحده ، ليتأكد انهم سيحملون رسالته ؟؟ ، ويسرق القرآن الكريم هذه القصة ليبين ان دعوة محمد عليه السلام لعبادة اله واحد ليست بدعا من عنده ، ولكنها دعوة أجمع عليها الانبياء من قبل ، لأنها دعوة الحق •

***

ويقول صاحب المقال : « ويشيع الحنفاء فكرتهم عن بناء ابراهيم واسماعيل للكعبة ، وهنا موقف خصب للقرآن • فليأخذ تلك الفكرة ، وليكسب انصارها الى صفه ، ثم يوحى اليهم بمبادىء دعوته: « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ••• ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم »

فالامر لدى صاحب المقال لا يعدو التقاط القرآن للافكار الشائعة بين العرب يستغلها فى سبيل دعوته ، وليس رسالة سماوية محددة المعالم ، وقد اوقعه فى الخطأ هذه المرة ،كما وقع فى أختها من قبل كلمة « واجعلنا مسلمين لك » مع أن ما بعدها يفسرها ويبين المراد منها أى قوله تعالى : « ومن ذريتنا امة مسلمة لك » ، وكأنى بالقرآن الكريم يريد أن يوضح للعرب معنى الاسلام ، وانه تسليم النفس لله تعالى والايمان به الها واحدا لاشريك له• وليست المسألة استغلالا لفكرة شائعة بين العرب، ولكنها حقيقة يذكرها الله تعالى ، ولاشك أن ابراهيم واسماعيل قالا ما قالاه ، اذا كنا نؤمن بالقرآن الكريم كتابا من عند الله ، وما أوردها القرآن الا ليوضح أن الانبياء مجمعون على وحدانيته تعالى

واسلام أنفسهم له ، وأن ابراهيم واسماعيل بشرا بالامة الاسلامية من ذريتهما • وفي هذا حض للعرب على تقبل هذه الدعوة ، وانها ليست فرية افتراها محمد عليه السلام •

***

ويتعرض صاحب المقال بعد ذلك لمسألة الجن على طريقته في الخلط فيقول : « وشاعت بين العرب عقيدة الجن وآمنوا بها ايمانا عميقا ، أفلا يكون اعجازا أن يحمل القرآن شخصية جنية بعض مبادىء الدعوة ؟ وقد حدث اذ تخيل نفرا من الجن وأجرى على ألسنتهم حديثا اسلاميا تضمنته سورة الجن ومنه «وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا » ، ان النظام من المعتزلة ينكر وجود الجن والزمخشري يرى أن زعم من يدعي رؤيتهم زور وخرافة ، ومحمد عبده يفسر الجن بالميكروبات الخفية » •

فالجن في رأيه وهم من الاوهام وخرافة واعتقاد فاسد كما ذكر في أول المقال ، ولكن لأن العرب يعتقدون بوجودها فقد تخيل القرآن نفرا من الجن واجرى على ألسنتهم حديثا اسلاميا ، وادعى أنهم اسلموا ، استغلالا لهذه الفكرة الرائجة لدى العرب• فالقرآن يتخيل شيئا لا وجود له ، ويتحدث عن الجن حديثا لم يجر على ألسنتهم ، وهذا طعن واضح في القرآن الكريم •

***

والجن في رأيي نوعان : نوع ذكره القرآن الكريم ، وهؤلاء يجب علينا أن نؤمن بوجودهم وان لم نرهم ، فقد استأثر الله بعلمهم ، وهم قوى خفية شأنهم شأن الملائكة الذين أمرنا أن نؤمن بوجودهم وان لم نرهم ، والانسان بحواسه المحدودة ، وعقله المحدود لم يحط خبرا بكل أسرار العالم ، ولم يكشف عن كل أسرار الطبيعة ، ويقول سبنسر في كتابه المبادىء الاولى ، وهو من أشد الملاحدة : « ان العقل الانساني له طاقة محدودة لايستطيع ان يتجاوزها » •

ويقول صاحب روح المعاني ج ٢٨ ص ٨٢ : «ونفي الجن كفر صريح » ، ويقصد هذا النوع الذي ورد ذكره في القرآن •

ولم يزعم النبي عليه السلام انه رآهم وانما نص الآية هو : «قل أوحي الى انه استمع نفر من الجن»، فالله وحده هو الذي أخبره بهذا الخبر ، وعلم الله فوق علم البشر ، وقد صرح القرآن الكريم بان الله خلق الجن كما خلق الانس • « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » ، « وخلق الجان من مارج من نار » •

والنوع الثاني هو ما كان يتوهمه العربي وهو يضل في الصحراء ، فيستحضر في ذهنه وهو رابط الجأش معنيين : الهلاك والوحشة ، وكان من الهلاك عند العرب اسم « الغول » الذي يغتال النفوس ويهلكها ، وأما الوحشة فنشأ منها بينهم اسم « الجن » وهو « سراب النفس » الذي يتطلع اليه العربي وقد أجنته الطبيعة بعد ظهورها ووضوحها وكادت تستتر عنه وتخفي معالمها فتهلكه ، وهذا التصور أمر طبيعي • وان لم يتخيل العربي التائه في الفلوات الموحشة والاودية المنقطعة ما تخيله من الجن والغيلان لم يكن سليم العقل معافى الحواس ، بل معتوها لا يدرك كنه الخطر المحدق به ، ولذلك لم تظهر الجن للعرب الا في المتاهات حين يعمى عليهم الطريق ، وينفد منهم الزاد ، ويضربون في الارض على غير هدى ، ومن هذه المتاهات : وادي عبقر ، ووادي البقار ، وأبرق الحنان ، وغيرها •

وهذا السراب النفسي الذي يتوهم العربي رؤيته سرعان ما يدرك انه وهم وانه لم ير في الحقيقة شيئا ، وان تخيل برهة انه يخاطبه ، وانه يلهمه الشعر وانه يؤنسه في وحشته • ولست ممن يؤمن برؤية هذا النوع ، بل انه في الحقيقة لا وجود له، ولكن لأن العربي كان يسمع عن الجن فخيل اليه وهو في متاهته أن ما يتراءى له من أوهام نفسه الخائفة هم هؤلاء الجن الذين سمع عنهم ، مع انه لم ير شيئا الا سراب نفسه وأشباح أوهامه ، ولذلك قال الزمخشري : ان زعم من يدعي رؤيتهم زور وخرافة ، فهو لم ينف وجودهم وانما نفى رؤيتهم •

يستمر صاحب المقال في تشككه وسيىء تاويله فيذكر قصة موسى مع العبد الذى آتاه الله من لدنه علما، كما وردت في سورة الكهف، ويزعم ان موسى في نظره يمثل العربى في قلقه وتشوقه، وما ذلك العبد الا مثل يضربه القرآن للعرب ليأتوا البيوت من ابوابها ، ولست ادرى على اى شىء بنى هذا الزعم ؟ ولم لا تكون القصة في نظره كما هى في نظر كل مسلم صحيحة ؟ وما هذا التاويل الفاسد الذى جعل من شخص موسى النبى تمثيلا للعربى في قلقه .

ان الشك بدون أساس منهج فاسد في البحث، والشك لمجرد الشك طامة كبرى ، وآفة من آفات بعض الناس .

وقد بنى هذا الزعم على مقدمة خاطئة حيث يقول : ان العرب قبل انبلاج الاسلام كانوا يحاولون كشف الحجب وازالة السجف تارة بالاستعانة بالجن والشياطين ، واخرى باللجوء الى العرافين والكهان .

وهنا يبدو اعجاز القرآن فيدق على هذه النغمة، والمقدمة لا تقود الى هذه النتيجة التى وصل اليها، والكلف بكشف الحجب ، ومعرفة الغيب طبيعة في الانسان منذ وجد حتى يومنا هذا ؛ وليس وقفا على العرب وحدهم سواء أكانوا في جاهليتهم أم سواها .

***

واخيرا يتكلم عن قصص الحيوان ، وان العرب في جاهليتهم عرفوا بعض هذا القصص ، فيسير القرآن في هذا الاتجاه ويجعل بعض الحيوانات تنطق بمبادىء اسلامية ، فمثلا شخصية الهدهد حيكت حولها الاساطير ، فليختره القرآن وليجعله ينطق في ثقة المؤمن ، وحرارة صاحب العقيدة بقوله وهو يخاطب سليمان : « وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله » فيأمره سليمان بان يلقى اليهم كتابا مستفتحا بما استفتحت به السور القرآنية التى نزلت بعد سليمان بقرون ، ويامرهم فيه بترك العناد ، والاتيان له مسلمين وهذا نصه : بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا على وأتونى مسلمين » .

واريد أن اقول لكاتب المقال الذى يتعجب من أن كتاب سليمان ابتدأ بقوله : بسم الله الرحمن الرحيم ، ان النقوش اليمنية التى كتبت بلغة معين وسبا وحمير – تلك الدول التى بادت قبل الاسلام بقرون – والتى لم يكشف عن تاريخها الا في القرن العشرين ، قد وجد فيها هذا النص الذى يتعجب من وجوده في كتاب سليمان ، وذلك ابان العصر الذى تهودت فيه اليمن على زمن ذى نواس الحميرى، وجاء في بعض النصوص « تبارك اسم الرحمن ذو بالسماء »

وليراجع (كونت روسينى من ص ٤٤ الى ص ٧٠) فسيجد كثيرا من المصطلحات الدينية ، ولما ذكر لفظ «الرحمن» أمام قريش في قوله تعالى في سورة الفرقان : « واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن، قالوا وما الرحمن ؟ أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا » ، اذ لم يكونوا يعرفون هذا اللفظ ؛ وورود البسملة في القرآن من دلائل الاعجاز البينات ، فمحمد عليه السلام لم يعرف اللغة الحميرية ، ولم تكن تلك الآثار والنقوش قد عرفت بعد .

ثم ان انطاق الهدهد كان امام سليمان وحده ، وقد علمه الله سبحانه منطق الطير كما ذكر القرآن الكريم ، وليست المسالة اتخاذ الاساطير مطية للدعوة القرآنية ، ولكنها قصة يقصها الله سبحانه على سبيل العظة ، مؤيدا دعوة رسوله بان الانبياء جميعا يؤمنون بوحدانيته ويدعون لتلك الوحدة .

و « بعد » فانى أحسن الظن بصاحب المقال ، وارى أن قلمه قد جمح وتفكيره قد زاغ عن الصواب وانه ليس سيىء النية يريد أن يشكك في الدين والقرآن ، وما حدانى لكتابة ما كتبت الا رد الامور الى صوابها ، وارشاده الى جادة الدين ، هدانا وهداه الله .

بنغازى : عمر الدسوقى

لو يرى المسيح S.C.V.

للدكتور: فؤاد حسنين على

ملايين الملايين من الدولارات يستغلها الفاتيكان فى مصارف (مورجان) بنيويورك وأكداس السبائك الذهبية رصيد اغنى هيئة فى العالم تملأ خزائن (فورت كنوكس) بالولايات المتحدة . أما راعيها فهو راعيها الكاردينال الامريكى ، سبلمان ، صاحب الشهرة الذائعة فى حى المال بامريكا اعنى «وول ستريت» .

لو يرى المسيح رصيد الفاتيكان فى مصرف « كرديه سويس » فى جنيف و « همبروز » فى لندن و « بنكا كومرسيالم » و « بنكا دى روما » و « بنكالى سنتو سبيريتو = بنك روح القدس » فى ايطاليا ، هذا الى جانب الأسهم والسندات المستغلة فى مختلف المشروعات الحيوية فى ايطاليا كالماء والغاز والكهرباء ومختلف وسائل المواصلات بما فيها السكك الحديدية والتليفون والمبانى الشاهقة وشركات التامين والفنادق والمؤسسات السياحية « شيمث » وغيرها .

لو يرى المسيح متاحف الفاتيكان تضم اشهر واغلى كنوز العالم الفنية لأمثال روفائيل وميخائيل انجلو ، التى لا تقدر بأموال ، والقصور الشاهقة المنثورة لا فى روما فحسب ، بل فى مختلف انحاء

لو يرى المسيح ان الفاتيكان افتتح عام ١٩٤٢ مصرفا تحت ستار ادارة الاعمال الخيرية وهو فى العالم ، التى يعجز الانسان عن حصرها وتقدير قيمتها .

الواقع يقوم بكافة الاعمال المصرفية المعروفة فى عالم المال من ايداع أمانات الى فتح حسابات ومقاصة وتحويل نقود الى الخارج وهذا المصرف لا يخضع لقوانين او رقابة الحكومة الايطالية ويقوم بالعمل فيه موظفون كهنوتيون ، وان امتاز عن غيره من المصارف فى شىء ففى عملائه الذين هم عادة من اهالى مدينة الفاتيكان ورجال السلك الدبلوماسى المعتمدين لدى دولة الفاتيكان وكبار موظفى الفاتيكان حتى اولئك الذين يقطنون روما واعضاء المجلس الكهنوتى والمدارس والطوائف الدينية الكاثوليكية والمستشفيات والارساليات التبشيرية الكاثوليكية واولئك الذين تربطهم بدولة الفاتيكان اعمال ومصالح خاصة . ويتمتع عملاء هذا المصرف بعدم خضوعهم للقوانين المالية الايطالية فللعميل الحق فى تحويل اى مبلغ الى الخارج .

لو يرى المسيح فضيحة عام ١٩٤٨ اذ استغل بعض كبار موظفى الفاتيكان القوانين المالية الاستثنائية التى اصدرتها الحكومة الايطالية محذرة من اخراج العملة من البلاد واستولى المونسنيور (ادواردو ستيبنر شبيكو) على كثير من اموال الايطاليين الراغبين فى تهريبها موهما اصحابها انه سيحولها اليهم مقابل عمولة خاصة ووضع يده عليها . وبلغ جشع رجل الفاتيكان (ادواردو) وحبه للمال والحرص على ارضاء نزواته الخاصة انه بعثر الملايين من النقود فى سبيل انتاج فيلم يصور حياة القديس فرنسيسكو . ولما انكشفت حيلته شكاه

القوم الى البابا فلم يجد بدا من تقديمه لمحكمة الفاتيكان المعروفة باسم « الدائرة المقدسة » التى قضت بتجريده من الكهنوتية وزجت به فى سجن الفاتيكان المعروف باسم برج الرياح الاربع . لكن اللص استطاع بمساعدة بعض رجال الفاتيكان الهرب واختبأ فى روما عند ارملة كانت له بها صلة فاكتشف رجال الأمن مخبأه وقدموه الى المحكمة الايطالية التى قضت بسجنه . وبعد زمن قصير من تجريده من وظيفته الكهنوتيه عاد الى الكنيسة ثانية !!

لو يرى المسيح ان للبابا جيشا يحمل السلاح ويرتدى اجمل الملابس واغلاها الى جانب الحرس السويسرى وان هذا الجيش يتكون من ثلاثة فيالق : فيلق النبلاء ، وفيلق الشرف ، وفيلق الامن اما فيلق النبلاء فهو كما يدل عليه اسمه من النبلاء الارستوقراطيين فقط كما يشترط فى الفرد ان يكون منحدرا من اسرة نبيلة قديمة جدا قد مضى على نبلها زمن لا يقل عن قرن كما يجب ان يكون دخل الفرد يكفيه لأن يعيش فى روما عيشة هنيئة تتفق ومكانة الفاتيكان . وحتى عام ١٩٢٩ كان يختار نبلاء هذا الفيلق من اقاليم (لاتيوم) و (اومبرين) وغيرهما من الولايات التى كانت تتكون منها قديما دولة الفاتيكان .

أما قائد هذا الفليق فيختاره البابا من بين امراء روما كما ان جميع افراده من الضباط ولا يوجد بينهم جنود أو صف ضباط . ومن بين أفراد الفيلق الآن نجد كثيرين من اكبر الأسر الارستوقراطية الايطالية مثل أسرة (بربريني) و (دل دراجو) و (تيودولى) و (بتريسى) و .. وهذا الفيلق هو أرقى فيالق الجيش البابوى ولايقوم بالعرض الا وقت حضور البابا . وقد نشأ أصلا عن فيلقين قديمين : فيلق (جوارديا دى كافالا..، وجوارديا ديل لنسا..) وكان أفراد هذين الفيلقين من النبلاء يرافقون البابا فى المسيرة والاسفار حيث يركبون الجياد المطهمة . ولما استولى الفرنسيون عام ١٧٩٨ على روما سرحوا هذين الفيلقين واستمر الحال كذلك حتى تمكن البابا (بيوس) السابع عام ١٨٠١ من تشكيل فيلق النبلاء الحالى ثانية وعلمه ابيض وبه رنك البابا الحاكم ويقوم بالخدمة اسبوعا كل شهر ولا يتزوج الفرد فيه الا باذن من القائد .

اما فيلق الشرف فهو أكبر الفيالق البابوية وهو حارس القصر كما ان افراده من مختلف طبقات الشعب الايطالى اذ نجد الاستاذ الى جوار الاسكاف والجزار والعامل والفلاح . واثناء مسير البابا التى يحمل فيه على محفة فوقها كرسى يسير قائد هذا الفيلق على يسارها .

وفيلق الامن هو الذى يتولى حفظ النظام واحترام قوانين الفاتيكان وتنفيذها والتفتيش والقاء القبض والعمل على مراعاة نظام المرور .

واذا تركنا الفاتيكان فى ايطاليا وتجولنافى الخارج وجدنا مالا يقل عن خمسين منظمة كاثوليكية دولية تخضع لقيادة عامة مركزها فى الخارج لا فى الفاتيكان وهى تعنى قبل كل شىء باسترقاق شباب البلاد التى تعمل فيها وتنشئته تنشئة كاثوليكية عسكرية لا تدين بالولاء لبلاده بل للفاتيكان وهم يكونون اخطر قوة هدامة عرفها العالم فى تاريخه الطويل .

لو يرى المسيح ان المملكة السماوية التى جاء لاقامتها وتحمل فى سبيلها ما تحمل قد تحولت الى مملكة ارضية يحكمها حاكم مطلق ويقيم علاقات دبلوماسية كثيره من الحكام فيمثل الفاتيكان لدى بعض الدول ممثلين اما بدرجة (نونتيوس) اى سفير أو (انتر نونتيوس) اى وزير مفوض كما ان له مندوبين آخرين للاشراف على الكنائس والمنظمات فللفاتيكان سفراء فى :

ارجنتين . ارلندة . اسبانيا . اكوادور . المانيا : اروجواى . ايطاليا . بارجواى . برازيل . برتغال . بلجيكا . بنما . بوليفيا . بيرو . جواتيمالا . سان دوميجو . سلفادور . سويسرا .

شيلى . فرنســا . فنزويــلا . فيليبن . كوبا . كوستاريكا . كولومبيا . لبنان . لوكســمبرج . النمســا . نيكارجوا . هــايتى . هــولنــده . هوندوراس .

ويمثل الفاتيكان وزراء مفوضون (انترنونتيوس) فى البلاد الآتية :

اليوبيا . اندونيسيا . ايران . باكستان . سوريا . فورموزا . ليبريا . مصر . الهند . اليابان . وغير السفراء والوزراء المفوضين نجد ايضا القاصد الرسولى وهو لا يخضع لوزراء خارجية الفاتيكان بل للبابا ومجلس الكرادلة . وليست لهذا القاصد صفة دبلوماسية سواء فى الفاتيكان او فى الدولة المعين فيها ومهمة هذا القاصد تنحصر فى مراقبة الكنائس الشرقية عامة والتبشير بالكاثوليكية والاسهام فى توجيه المنظمات الكاثوليكية والقاصد الرســولى يمثل البابا لدى رؤســاء الكنائس الكاثوليكية فى البلد الذى يعمل فيه . ويرفع القاصد تقريره مباشرة الى البابا ونحن نجد اولئك المندوبين فى الدول الآتية :

انجلترا . الولايات المتحدة الامريكية . كندا . المكسيك .

اما مندوبو البابا فى اسرائيل . تركيا . العراق . اليونان . فيخضــعون لمجلس الكنيســة الشرقية الكاثوليكية بخلاف اولئك الذين نجدهم فى استراليا وزيلنده الجديدة وداكار وغيرها فى الشرق الأقصى ويهتمون بالتبشير .

فنحن نرى ان دولا كثيرة مسيحية لا تقوم بينها وبين الفاتيكان علاقات دبلوماسية وفى طليعة هــذه الدول الولايات المتحدة الامريكية لانها تدرك تماما مدى خطورة الكنيسة الكاثوليكية وحرصــها على القضاء على سائر العقائد الاخرى فهى لا تطيق ملة غيرها وفى سبيل تحقيق هذا الهدف تسلك مختلف الطرق والوسائل ، فالغاية تبرر الواسطة . وحدث ابان الحرب العالمية الثانية ان الرئيس روزفلت اراد ان يستفيد من الفاتيكان بالرغم من البغض الشديد الذى يكنه له الشعب الامريكى فارســل مندوبا خاصا له يدعى « ميرون تيلور » فتفاهم مع البــابا بيوس الثانى عشر على ان يستقل الفاتيــكان نفوذه لمعاونة الحلفاء لكسب الحرب مقابل ان تعلن دولة الفاتيكان مدينة مفتوحة وبذلك جنبها البابا ويلات الحرب كما اسهم اسهاما جبارا فى هزيمة المحور . والمؤرخ للحرب العالمية الثانية يعلم هذا جيدا .

ولمــا تم النصر للحلفاء أمل البابا ان تقوم علاقات دبلوماسية بين الفاتيكان والولايات المتحدة، لكن امله هذا ذهب ادراج الرياح فقد هب الشعب الامريكى فى وجه روزفلت ، وخشى خلفه ترومان وايزنهاور حتى التفكير فى هذا الموضوع وذهبت عداوة الشعب الامريكى للفاتيكان ودسائسه بعيدا فطالب وزارة الخارجية بسحب الجنســية الامريكية من جميع الكرادلة الامريكيين الذين اشــتركوا فى انتخابات البابا عام ١٩٥٨ اعنى البابا يوحنا الثالث والعشرين اذ أن دستور الولايات المتحدة ينص صراحة على حــرمان المواطنين من الاشــتراك فى الانتخابات الاجنبية .

واذا تركنا الولايات المتحدة الى انجلترا وجدنا وضــعا جديدا . فانجلترا لها وزيرها المفوض فى الفاتيكان ومعترف به . لكن القاصد الرســولى فى لندن لا صفة دبلوماسية له وذلك بحجة ان ملــكة انجلترا هى رئيســة الكنيســة الانجليكانية وبصفتها هذه لا تستطيع قبول اوراق اعتماد رئيس دينى منافس لكنيستها .

لو يرى المسيح ان نائبه على الارض هو آخر حاكم مطلق فى الوجود فهو رئيس دولة الفــاتيكان وله من الحقوق والامتيازات مالا يتمتع به رئيس دولة اخرى ، الى جانب انه الرئيس الدينى الأعلى (سوموس بونتيفكس) لنحو خمســمائة مليون كاثوليكى ينتشرون فى مختلف اجزاء المعمورة .

ونائب الســيد المسيح على الارض يأبى الا ان

يلقب باكثر من لقب في ذلك شأن سائر رؤساء الدول الاخرى فهو :

نائب يسوع المسيح . خليفة الرسل . الرئيس للدينى الاعلى للكنيسة العالمية . بطريرك الغرب . كبير اساقفة ايطاليا (بريماس ايطاليا) . كبير اساقفة عاصمة الاقليم الرومانى . اسقف روما رئيس دولة الفاتيكان .

ويلقب احيانا بلقب « والد الأمراء والملوك » ويطلق عليه سكان الفاتيكان وروما «البابا» ويخاطبه محدثه بعبارة « الأب المقدس » أو « قداستكم » .

وهو كحاكم مطلق يجمع فى يديه السلطات القضائية والتشريعية والادارية والمحافظة على التقاليد والاخلاق اعنى (ماجستيرو) .

وللبابا مرصدان : أحدهما فى الفاتيكان والآخر فى مصيفه المعروف باسم (كاستيل جندولفو) فضلا عن مطبعته العظيمة التى تصدر الى جانب الكتب والمطبوعات اربع صحف : اوسيرفاتوره رومانو واكتو ابوستليكيه سديس واوسير فاتوره دلا دومنيكا ، ثم مجلة : اكليزيا : اما المكتبة فغنية جدا باوراق البردى المصرى فضلا عن انها تحتوى على قرابة مليونى مجلد .

لو يرى المسيح راهبة فى روما ترتدى معطفا من الفراء الثمين وتجمل وجهها بمستحضرات (اليزابيث اردن) وتصفف شعرها وتزور معارض الازياء وترتدى لكل وقت ومناسبة ما يروق لها انها الراهبة (ماريا دومنيك راماكيوتى) لا تقيم كغيرها من الراهبات فى دير بل فى مدينة مدرسية للعذارى تقع فى (فيا تريونفال) خارج روما والراهبة الحسناء ماريا تعنى قبل كل شىء بتعليم الفتاة تعليما حرا بعيدا عن الحشمة والوقارفالفتاة يجب ان تكون الفتاة الارستوقراطية الحديثة لذلك فهى تتعلم الانجليزية والفرنسية والعزف على البيان والرسم واعداد الكوكتيل ومحادثة الزوار و ... ولكى تتمكن الراهبة من تأدية وظيفتها على الوجه الاكمل طلبت ان تكون المثل الاعلى للفتاة الحديثة فاباح لها البابا بيوس الثانى عشر ما ارادت وهى تتنقل معهن فى المسارح والمراقص وبعض الاوساط الأخرى وهى والعذارى فى ابهى الملابس والزينة .

لو يرى المسيح كل ذلك ما رضى به ولتبرا منه.

يا رئيس دولة الفاتيكان ، لا تقدرون أن تخدموا الله والمال لذلك اقول لكم لاتهتموا لحياتكم بما تاكلون وبما تشربون ولا لاجسادكم بما تلبسون اليست الحياة أفضل من الطعام والجسد افضل من اللباس » هكذا جاء فى انجيل متى ص ٦ فكيف توفقون بين مدلول هذه الآيات الكريمة وبين ثرائكم الفاحش .. ان احدا لا يجهل ان الفاتيكان اغنى هيئة فى العالم .

يا رئيس الكنيسة الكاثوليكية العالمية اقراوا معى متى ١٢ ى ٢٣ - ٢٤ « لأن من الثمر تعرف الشجرة يا اولاد الأفاعى كيف تقدرون ان تتكلموا بالصالحات وانتم اشرار فانه من فضلة القلب يتكلم الفم » .

يا خليفة الرسل لا يليق بك ان تقحم الكنيسة الكاثوليكية فى السياسة فتخلق فى كل بلد مسيحى حزبك الديمقراطى المسيحى ليصل الى الحكم فيصرف أمور الدولة كما تهوى وتشتهى ومن ثم تحاول تحت ستار توحيد المذاهب جمع الكنائس المختلفة تحت لوائك لتسخرها لخدمة الاستعمار والمستعمرين ليزداد الفاتيكان ثروة على ثرائه ولتعاود محاكم التفتيش سيرتها الوحشية البغيضة. استقبل تشومبىوامثاله وادفع المرتزقة من ابناء كنيستك فى جنوب وادى النيل الى الثورة والتمرد لتستطيع ان تبعث لك فى قلب افريقيا دولة كاثوليكية جديدة فهذا باطل الاباطيل .

« د. فؤاد حسنين على »

الفلاح في الشعر العربي

تحقيق

بقلم : محمد عبد الغني حسن

- ٣ -

قد يكون من الانصاف للحق أن لا يفوتنا ذكر الشاعر « محمد عبد المعطى الهمشرى » ونحن نلم الماعة قصيرة بالشعراء الذين صوروا الريف العربى المصرى ، سواء أكانت صـــورهم الشعرية مقرونة بتصوير شقاء الفلاح أم عارية عنه · واذا كنا أشرنا قبلا الى بعض شعراء صوروا الريف بمناظره والقرية بمجالى الطبيعة فيها على أثر زيارات عابرة لم يطيلوا فيها المقام ، ولم يمدوا فيهـــا الملازمة والملاحظة ، فان من الوفاء أن نشير الى الشاعر الهمشرى الذى جعل من تصوير الريف المصرى وابراز ملامح الجمال فيه رسالة له ، بل جعله جزءا هاما من عمله فى مجلة « التعاون » التى كانت تصدرها الحكومة لانشـــاء وعى تعـــاونى زراعى بين الفلاحين ، وكان يرأس تحريرها الدكتور الصحافى الأديب محمد أبو طايله

والحق أن الشاعر محمد عبد المعطى الهمشرى قد أحال وظيفة فى قسم التعاون وفى مجلة التعاون الى ندوة شعرية كان هو شاعرها الأول · فهو يصـــور الريف والفلاح تصويرا عن قرب ، بما أتيح له من زيارات دائمة متلاحقة للريف فى صعيد مصر وفى دلتاها · وهو يفتح عينيه وأذنيه وحواسه على كل نامة فى القرية ، حتى ليكاد يجد فى صرير الجنادب ونقيق الضفادع موسيقى تطرب الآذان · وهو يشم بأنف حساس شديد الحساسية رائحة الكلا والعشب الهشيم المذرو مع الرياح ، والثرى المضمخ بشذا ريفى لا تجده فى المدينة الصاخبة ، وهو هنا يذكرنا بالأديب الأمريكى « هنرى دافيد ثورو » الذى كان يميز بين الأزهار فى ظلمة الليل البهيم بروائحهـــا لا بأشكالها ···

لقد أحب الهمشرى كل شىء فى الريف ، وتعاطف معه وأنس به ، حتى « الجاموسة » التى يضرب بها الناس المثل فى ضـخامة الهيكل ، وبطء الحركة ، وسواد الجلد يتغزل فيهـــا الهمشرى غزلا رقيقا ، ويصوغ لها أغنية على لسان فلاح يخاطبها قائلا :

قد جبت كل بقـــاع القطر مغتربا
من ثغر دمياط حتى سفح أسوان
على أرى شبهـــا يحكيك فى دعـة
أو خفة أو جمـــال منك فتان !!

***

يا سـحر خطوك اذ تمشيـــن تابعة
فى الصبح أمك نحو الحقل فى مرح
تتلو عليك فتـــاة الريف غنوتهـــا
وتعبر القنوات الخضر فى فرح ···

وهكذا يمضى الهمشرى - رحمه الله - فى غزله بالجاموسة التى ما كانت - ولن تكون - موضعـــا لغزل ! ثم يناديها بهتافة الصبح ! فيجعل من نعيرها هتافا ، ومن بلادتهـــا خفة وفتنة ! ولعل هذا الحب والغزل العجيب كان أول الأمر مجانة عند الهمشرى ثم استحال آخر الأمر فصار شغلا شـاغلا ! وذلك بحكم الرسالة الريفية التى نصب الشاعر نفســـه لها ، وكلف بها ··

وقد يكون الهمشرى متأثرا فى صـــوره الريفية القروية بواحد أو أكثر من شعراء الانجليز والامريكان فاذا كان « ثورو » الأمريكى يصف الجرادة الصغيرة فى الحقل وهى تنط ، فلماذا لا يصـــور الهمشرى الفراش الأصفر وهو يحوم فى الحقول قائلا :

يا طـائرا لا يكف هل أنت نجم يرف ؟
أم أنت خطفة نـور أم أنت قلب يخف ؟

وعلى كثرة ما صاحب الشاعر الهمشرى الفلاحين فى الريف نراه انشغل بجمال الطبيعة من حولهم ومن فوقهم ومن تحت ارجلهم عن تصوير شقائهم او الاحساس بالمستوى الاجتماعى الهابط الذى وصلوا اليه . لقد أغمض عينيه عن مناظر بؤسهم ، وشغل باغانى الرعاة الذين ، يغنون الصبح فى بهج » . ولعل زميله فى تحرير مجلة التعاون ، الشاعر محمد مصطفى حمام كان أكثر منه احساسا بالمشكلة وأصدق تصويرا لها . فقد رأينا قصيدة حوارية بين مراب وفلاح منكوب ؛ فالمرابى لا يرق قلبه لحالة الفلاح الذى اغرقه الدين ، وأضناه الفقر ، وعراه العرى .. والفلاح يصرخ مستغيثا :

يا ولاة الأمر هل من رحمة
ارهفوا للمشتكين المسمعا
انهضوا الفلاح من كبوته
وانيلوه المكان الأرفعا
كيف ترضون لبانى مجدكم
عيشة ضنكا ، وفقرا مدقعا ؟
شكر الفلاح ما اسلفتمو
من جميل ، فعسى أن يتبعا !

***

ولعل البيت الاخير هنا يصور لنا حالة «التقية» التى كان يلجأ اليها الشاكون من بؤس الفلاح ، حتى لا يؤول موقفهم تأويلا ما كان ليروق فى عيون ولاة الأمور يومذاك ! ولعل هذا يفسر لنا صمت الشاعر الهمشرى عن الافصاح بسوء حالة الفلاح ، فقد كان بحكم وظيفته الرسمية فى التعاون أنأى من ان يصرح برأى ، أو يجهر بشعر فى هذا السبيل .

واذا كان بعض شعرائنا المحدثين والمعاصرين قد أحبوا الريف مجتلى للجمال ، ومسرحا للنواظر ، ومرتعا أنيقا للعين ، فان منهم من أحبوا الريف لتملك الأرض ، ولاستثمار الغلة ، ولاستدرار الرزق ... فهذا الشاعر الكاتب **عبد الله فكرى** - وزير المعارف فى الثورة العرابية - يتمنى أن تكون له أرض يزرعها ، ويصارح صديقه الأديب الشاعر الشيخ على الليثى بهذه الأمنية قائلا :

ارجو من الله لى طينا اعيش به
فى أرض مصر على حال السلاطين
ما زلت - ما عشت - لى فى الطين كل هوى
وانما خلق الانسان من طين !

وهذا شاعر النيل **محمد حافظ ابراهيم** يتحرق فى سنة ١٩٠٤ الى ان يكون له من الأرض نصف فدان فى ثرى البلاد . فيقول فى مصر :

جرى بها الخصب ، حتى أنبتت ذهبا
ياليت لى فى ثراها نصف فدان !

وهذه الأمنية لشاعر ضابط مثل حافظ ابراهيم تذكرنا بامنية اخرى تحققت بالفعل لشاعر ضابط من شعرائنا المحدثين هو الشاعر « **محمد توفيق على**» الذى انضم الى قافلة المنسيين من رجالنا ، مع ما كان له من مكانة فى الشعر جعلت الشاعر حافظ ابراهيم يخاطبه قائلا :

شعرك هذا كله طيب
فقل وزدنا يا أبا الطيب !
هذا هو الشعر فانعم به
من معجب جزل ومن مطرب ..

***

ومن عجائب الأقدار أن هذا الشاعر الضابط صاحب السيف والقلم ، قد هجر السيف والقلم فى أخرة من أيامه ، واتجه الى الأرض يزرعها ، والى المحراث يمسكه بيديه وعبر عن ذلك بقصيدة ميمية اشتهرت فى حينها ، يقول فيها :

وخير ما يقتنى المصرى مزرعة
يشقى بها الفاس والمحراث والنعم
لله بهجة حقل ما يماثلها
فى حسنها إلسيف مصقولا عليه دم !
ويا سطورا بمحراثى ادبجها
لا يستقل بها القرطاس والقلم
تفتح الزهر منها عن مباسمه
وراح يرتع فيها مقلة وفم ..
هذا هو الخير معسولا موارده
هذا هو العيش الا انه حلم !!

***

وعجيب جدا شان شعرائنا الذين احسنوا وصف الريف والقرية بما فيهما من صادح وباغم ، ومن ماء وثرى ، ومن حيوان وطير ، ومن كوخ يبص منه شعاع خافت من النور . ولكنهم لم يحسنوا وصف

ساكن هذا الكوخ ، ولا فالح هذا الثرى · بل لم يلتفت اليه بعضهم ـ اطلاقا ـ التفاتة تدل على المشاركة الوجدانية في سوء حاله · ولم يكن الهمشري هو الشاعر الوحيد الذى أطال فى وصف صور الريف والقرية ، ولكنه قصر فى وصف حال الفلاح ؛ فهناك شاعر عاصره معاصرة قريبة، ووصف الطبيعة الريفية كما وصفها الهمشري ، ولكنه « استغرق » فى تصوير الطبيعة فالهته عن تصوير الفلاح · وهذا الشاعر هو « **محمد السيد شحاته** » الذى كان يلقب بشاعر البرارى ، والذى نشرت صحيفة الأهرام أكثر مقطعاته فى الريف وبيئته على فترات متعاقبة امتدت الى ما بعد سنة ١٩٤٢ ·

ولقد قدم « انطون الجميل » ديوان هذا الشاعر الريفى الأصيل بمقدمة تحليلية جاء فيها : (كان الريف المصرى ينشد شاعرا مطبوعا يتغنى بجماله، ونعتقد أنه وجد « حسانه » فى شاعر البرارى) ·

وعلى حين يزدحم ديوان « بين أحضان الطبيعة» لشاعر البرارى بقصائد ومقطعات جميلة فى الغروب والشفق ، وزهور الريف ، والقرية ، والمحراث ، والساقية ، والقطن ، والصفصافة ، وسنبلة القمح وما اليها من مجالى الطبيعة فى الريف ـ فانك لا تجد بين هذا المزدحم من الصور الطبيعية الفاتنة الا مقطعة واحدة من أربعة أبيات بعنوان « الفلاح » يجعل فيها الشاعر نجوم الليل سهرانة فى الاعالى تسائلنا كيف نعامل الفلاح ، وقد شاركها السؤال الندى السائل فوق الازهار · وعلى الرغم مما منى به الفلاح من نسيان له فان بنانه لا يزال يجمل وجه الأرض ·· :

لقد سهرت من فوقنا انجم الدجى
لتنظر تحت الليل كيف نعامله
وسال الندى فوق الزهور مسائلا
متى ذلك العانى تسوى مسائله ؟
نسوه ·· ولكن لا يزال بنانه
يجمل وجه الارض ثم يجامله
ففى فاسه للريف مثل براعتى
فهذى تغذيه ، وهذى تغازله !!

وهذا « الاستغراق » فى الوصف الطبيعى للريف مسئول الى حد كبير عن ذلك الاغفال لسكان الريف وأهله من الفلاحين ، مع أن عدالة القسمة بين الاحساس بالارض والاحساس بمن على الارض كانت تقتضى وقفة ـ قصيرة أو طويلة ـ من امثال هؤلاء الشعراء الذين لم يمر « الفلاح » ببالهم ، على حين تجذب انتباههم فراشة حائمة ، أو شاة نائمة ·

ولا أدرى كيف ينفصل الاحساس بالمكان عن الاحساس بالسكان عند شعرائنا الذين نسوا الفلاح او ذكروه قليلا أو نادرا فى شعرهم ؟

وهل تستكمل اللوحة الشعرية الريفية كل مقوماتها اذا اشتملت على الساقية ، والقناة ، والشجرة ، والبقرة ، والمحراث ، والشادوف ، والكلب النابح والطير الصادح ، ولم يكن فيها للفلاح أثر ، ولا خبر ؟

ان لفتة واحدة من شاعر اتصل بالريف اتصالا عابرا أو دائما الى ذلك الفلاح الصابر الكادح ، قد يكون فيها من جميل المشاركة ما هو خليق بمثل ذلك الانسان المسكين ، واذا كان الجمال فى الريف يأسر وينبه ويجذب ، فان الألم والشقاء عند فلاح الريف كان حريا أن يكون أكثر اسرا وتنبيها · ولعل هذا الاغفال لشأن فلاحنا القانع الراضى كان أثرا من آثار النظرة التى كان ينظر بها « الاتراك » اليه · ولهذا كان جميلا من الشاعر **أحمد الكاشف** ـ وهو تركى الاصل ـ أن يتنبه فى سنة ١٩١٢ الى حالة الفلاح المصرى ، وأن ينبه اليه أذهان ولاة الأمور فى مصر فى ذلك الزمان ، وأن يدل قومه الاتراك على أن احتقار الفلاح هو عمل مجانب للصواب ، فيقول من قصيدة بعنوان « الفلاح المصرى » : ـ

اذا استبقيت فى الدنيا حبيبا
فخير أحبتى فلاح مصرا
كريم يملأ الوادى ثراء
ولا يلقى سوى الاجحاف أجرا
فقير ما أراه شكا افتقارا
ولو يجزى على تعب لاثرى
وكان بعيشة الاسرى قنوعا
فكيف وقد غدا فى الملك حرا ؟
فمحراث يشق الارض عندى
ويخرج من ثراها الخصب تبرا
كسيف فى يد الجندى لاقى
به جيشا وحصنا مشمخرا

فلو عرف الصواب الترك قومي
لما احتقروا له عملا وقدرا ..

***

ويمثل لنا الشاعر أحمد الكاشف ذلك التوازن بين حسن المكان وحسن السكان فيما يتصل بالريف وأهله ، فله في الريف بعض صور طبيعية جميلة ، ولكنها – في جملتها – لم تنسه واجبه – شاعرا حساسا – نحو أهله المساكين المظلومين . ومن صوره الريفية تصويره للفلاحة حاملة الجرة قائلا :

حاملة الجرة تمشي بهـــا
منيرة الطلعة وســط الزحام
كراية حمــــراء معقــودة
لقــائد صــار بجيش لهام
لولا اعتدال العنق من تحتها
وهزة العطف بها والقوام
ارقتهـــا من ثقلها مشـــفقا
ولو شكا أهلك حر الاوام ..

وهذه الصورة الغزلة تذكرنا بصــورة أخرى لشاعر البرارى يصور بها في ديوانه «نجوم ورجوم» ريفية حسناء صعدت على شجرة توت لتجنى بعض ثمراتها ، فيقول :

صــعدت ترى الأغصان غصن قوامها
ما أشبه القــامات بالأغصان !
وحنت على بعض الغصون فخلتها
نشوانة مالت على نشــوان !
مدت أناملها فقلت لصــاحبي :
أرأيت كيف تقــابل الثمران ؟
تـوت بعنــاب الانامل يجتنى
ما أرخص المجنى ، وأغـل الجاني !

***

وإذا كان الشاعر أحمد الكاشف قد لفتت نظره « حاملة الجرة » منذ أكثر من خمسين عاما ، فان الشاعر « **محمود حسن اسماعيل** » قد تنبه لهـــذه الصورة الريفية الفاتنة فجلاها لنا في قصـــيدته عروس النيل ، أو حاملة الجرة . وإذا كان محمود حسن اسماعيل قد استوحى صورته هذه من التمثال المشهور للفنان الراحل المثال محمود مختار فانه قد استكمل عناصر الصورة بما أفاض عليها من مرئياته الحية في الريف حين تسير الفلاحة الى الجدول الدافق كما يسير الكرى في مقلة العاشق ، وهي وئيــدة الخطوات تدب على الارض دبيب السارق الذى يطأ الثرى مترفقا ، وشتان بين الدبيبين .. فهى رفيقة الخطا من التيه ، والسارق مترفق الخطـــوات من التوجس والحذر :

ســـارت الى جدولها الدافق
سير الكرى في مقلة العاشق
وانية الخطو ... كأن الثرى
يحمل منها خطوة الســارق
شاهدتها والشمس في أفقها
تحكى فؤاد الثــائر الحانق
والشاطىء المسحور من روعة
يسبح في موكبـــه الفــارق

***

على أن الشاعر « **فوزى العنتيل** » لم يفتـــه أن يرسم لنا لوحة لحاملة الجرة ، وهى تتهادى على ضفة حفها طرى النبات وغض الشجر ، ومن حولهـــا الفاتنات الملاح على شفة النبع ، وكأنها نسمة رفرفت على صفحة الماء .. وقت السحر . وتراها عند فوزى العنتيل أكثر فتنة واغراء والتفاضـــا بالشــباب والحيوية مما هى عند أحمد الكاشف ومحمود حسن اسماعيل . وما ظنك بهذه الفلاحة التى تحمل الجرة:

وفي صدرهـــا فتنــة عربدت
كمـــا عصفت موجـــة تنحسر
ويهتز مرتعشـــا نهدهـــا
يدمدم في نشــوة منتصر !
وينفر محتدمـــا صـــارخا
من الظمأ الخـالد المســتعر !
فتحســـبه من لهيب الشــباب
وشوق الصـــبا موشكا أن يفر !

« **محمد عبد الغنى حسن** »

دم اليهود ... وقداسة الاناجيل

بقلم : عبد الجليل شلبي

ليت البابا لويس السادس واعضاء مؤتمر الفاتيكان يدركون مدى ماجنوا على المسيحية وحطوا من كرامة الأناجيل !!

لم يكن أحد يصدق ولا بشيء من الصعوبة ان الخديعة ستنال من هذا المؤتمر كل هذا المنال حتى يصدر هذا القرار الخطير ، قرار تبرئة اليهود من دم المسيح وان لا عداوة بينهم وبين المسيحيين . لقد بذل اليهود من قبل مجهودات عنيفة متكررة للحصول على ماهو دون هذا القرار . وكانوا يتمنون أن يظفروا ولو بكلمة عابرة أو تصريح مجمل من أحد البابوات السابقين . وقد باءت هذه المجهودات كلها بالفشل ولم يستمع اليهم أحد من رجال الدين المسيحي . فضلا عن البابا . لأن سلطان الدين وقداسة الأناجيل وأمانة المنصب كانت أقوى على نفوس هؤلاء من سلطان المادة واغراء المال .

***

برزت هذه الفكرة في ذهن اليهود الصهيونيين منذ نصف قرن تقريبا . برزت مع بروز المطامع ونضج الآمال في اتخاذ فلسطين وطنا قوميا لليهود. ورأى دعاة الصهيونية أنها تحقق لهم أكثر من غرض وتجنى فوائد متعددة مزدوجة . فهي اذ تفرق بين صفوف المسيحيين تفرق بين صفوف العرب وتقلل من أعداء اليهود في الشرق وتجلب لهم أنصارا أكثر من الغرب .

وأول ما يبدو في هذه المسألة أنها مهادنة للمسيحيين على حساب المسلمين ، واحراج للمسلمين بمسألة يتضارب فيها دينهم وسياستهم . فالاسلام لا يقر صلب المسيح أصلا — لا بيد اليهود ولا بيد الرومان . فالمسلمون فيما توقع الصهيونيون لابد أن يسكتوا أمام هذه المسألة — لانهم ان أقروا صلب المسيح فقد خالفوا دينهم وان نفوها فقد وافقوا اليهود .

لكن الامر لا يقف عند مجرد الصلب وتنفيذ الاعدام ، فهناك سلسلة من العداوة المستمرة والنضال العنيف دامت بين الفريقين منذ قيام المسيح — عليه السلام بدعوته — ولم تنته بانتهاء حياته على الارض — وهذا ما يتفق فيه المسلمون والمسيحيون وغيرهما ، لانها أحداث تاريخية أكبر من أن يجادل فيها انسان . ولقد كانت الاناجيل الاربعة التى أقرتها الكنائس بكل طوائفها تجعل صلب المسيح نهاية هذا الصراع المرير ، كما أن القرآن أيضا يثبت مظاهر هذا العداء في أكثر من سورة وأكثر من مكان .

ويدل القرآن والاناجيل جميعا على أن اليهود كانوا قد حرفوا التوراة وتحجرت العقيدة في نفوسهم من ناحية وهانت مكانة الدين وتعاليمه من ناحية أخرى ، فهم يحرمون التوافه الشكلية التى ليست بذات قيمة ويستحلون فيما بينهم ارتكاب الموبقات .

« ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه .. فاختلف الاحزاب من بينهم» (الزخرف : آيتا ٦٣ و ٦٤) « ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دامت عليه قائما .. ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل » (آل عمران الآية ٧١) « أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » (البقرة الآية ٧٥) « لقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا .. كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون » (المائدة الآية ٧٠) .

والقرآن يسجل عليهم الجهل والاتجار بالدين معا اذ يقول « ومنهم أميون لايعلمون الكتاب الا أماني وان هم الا يظنون • فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » (البقرة آيتا ٧٧ ، ٧٨) •

ولا تكاد تخلو سورة من مطولات القرآن من تعداد انحرافات الاسرائيليين وعدائهم للانبياء والمصلحين خصوصا تعاليم محمد والمسيح •

وتفصل الاناجيل بعض ما أجمل القرآن ، فهى تصور ان ما عمد اليه اليهود منذ قيام المسيح بدعوته انما هو الايقاع بينه وبين حكومة القيصر • وصرف الناس عنه كيلا يسمعوه •

وقف رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ مع الشعب الذى يستمع الى المسيح وهو يخطب فيهم فراعهم انصات الناس وأزعجهم ما يقوله •• فقالوا : « قل لنا بأى سلطان تفعل هذا ؟ أو من هو الذى أعطاك هذا السلطان ؟ » وكان الغرض صرفه عن درسه وصرف الناس عنه لانه ان قال ان الله أمرنى بهذا طالبوه بالمعجزة وفتحوا بابا طويلا للجدل وان قال هو من عندى أصبح لاقيمة له وهان فى نفوس الناس لكنه فى لباقته وشدة ذكائه كان يتخلص من احراجهم بسهولة ويوقعهم هم فى شديد الاحراج • لقد كفروا من قبل بمعجزاته وقالوا انها سحر فما جدواها فى هذا الموقف ؟

قال المسيح « وانا ايضا اسألكم كلمة واحدة فقولوا لى : أمعمودية يوحنا من السماء كانت ام من الناس ؟ فتآمروا فيما بينهم قائلين ان قلنا من السماء يقول فلماذا لم تؤمنوا به ، وان قلنا من الناس فجميع الشعب يرجموننا لأنهم واثقون أن يوحنا نبى •• الخ (انظر لوقا ٢٠/ ١ـ٧) فأوقعهم فى الحيرة واستمر فى خطبته •

« راقبوه وأرسلوا جواسيس يتراءون أنهم أبرار لكى يمسكوه بكلمة حتى يسلموه الى حكم الوالى وسلطانه فسألوه قائلين يامعلم انك بالاستقامة تتكلم •• أيجوز لنا أن نعطى جزية لقيصر أم لا ؟ فشعر بمكرهم فقال : لماذا تجربوننى • أرونى دينارا •• لمن الصورة والكتابة ؟ فأجابوا وقالوا : لقيصر ، فقال لهم : اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله •• فلم يقدروا أن يمسكوا بكلمة قدام الشعب وتعجبوا من جوابه •• وسكتوا (لوقا ٢٠ وما بعدها) •

وانظر الى قتلة الانبياء كيف يحاسبون على توافه الامور ؟ ••

« •• ذهب يسوع يوم السبت بين الزروع فجاع تلاميذه وابتدأوا يقطفون سنابل ويأكلون فالفريسيون لما نظروا قالوا هوذا تلاميذك يفعلون ما لايحل فى السبت •• ؟

فقال لهم : أما قرأتم مافعله داود حين جاع هو والذين معه • كيف دخل بيت الله وأكل خبز التقدمة (متى ١٢/ ١ـ٤)

حقا ان المسيح كما ذكر القرآن جاء ليحل لقومه بعض الذى حرم عليهم •

وانظر الى هذه المؤاخذة الاخرى ••

« •• جاء الى يسوع كتبة وفريسيون الذين من أورشليم قائلين : لماذا يتعدى تلاميذك تقليد الشيوخ •• فانهم لايغسلون أيديهم حين يأكلون خبزا ؟!! » •

أهذا مبلغ ما ارتكب الحواريون من جرم ؟ وما كان جواب المسيح عليه السلام ؟ •

اجاب وقال لهم : وأنتم أيضا لماذا تتعدون وصية الله بسبب تقليدكم ، فان الله أوصى قائلا : اكرم اباك وأمك •• وأما أنتم •• فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم •• يامراءون حسنا تنبأ عنكم أشعيا قائلا : يقترب الى هذا الشعب بفمه ويكرمنى بشفتيه واما قلبه فمبتعد عنى بعيدا ، باطلا يعبدوننى وهم يعلمون (بتشديد اللام المكسورة) تعاليم هى وصايا الناس » •

« ليس ما يدخل الفم ينجس الانسان بل مايخرج من الفم هذا ينجس الانسان » •

***

واكثر من مرة لجأوا الى قتله فيذكر متى أيضا انه « تشاور الفريسيون عليه لكى يهلكوه فعلم

وانصرف من هناك ، ويقول مرقس انهم ائتمروا به ووقفوا له في الطريق فنجا الى جانب البحر ، ثم كانت محاكمته واتهامه بانه يجعل نفسه ملك اليهود ويعارض ولاية الولاة وحكومة القيصر .

هذه التهمة وما تبعها من محاكمة تجمع عليهـــا الاناجيل الاربعة وأيضا انجيل برنابا .

استعانوا عليها بشهود زور قدمت لهم الرشوه كما دفعت الاموال أيضا لكل من بيلاطس وهيرود .

« تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة والجمع كله فاوثقوا يسوع ومضوا به واسلموه الى بيلاطس وساله بيلاطس أنت ملك اليهود ؟ فأجاب وقال : أنت تقول :

دعا بيلاطس رؤساء الكهنة والشعب وقال لهم قد قدمتم الى هذا الانسان كمن يفسد الشعب ـ وهاأنذا قد فحصت قدامكم ولم أجد فى هذا الانسان علة مما تشتكون به عليه (ل ١/١٥ ، ١٢/٢٣ ـ ١٥)

ناداهم .. وهو يريد أن يطلق يسوع فصرخوا قائلين أصلبه .. اصلبه فقال لهم ثالثة فاى شيء عمل هذا فانى لم أجد فيه علة للموت : فاخـــذوا يتصايحون بأصوات عظيمة طالبين أن يصلب فقويت أصواتهم وأصوات رؤساء الكهنة .

قال متى : فلما رأى بيلاطس أنه لاينفع شيئا بل بالحرى يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع قائلا: انى برىء من دم هذا البار (متى ٢٧/٢٣ـ٢٤)

وهكذا تتوافق الاناجيل على هذا الحادث العظيم ـ وعلى براءة الوالى الرومانى وتلويث اليهود وحدهم.

وليس هناك تعارض فى كل هذه المساءات بين الاناجيل وبين مايدين به المسلمون . بل ان الآيات التى ذكرنا من القرآن تسجل عليهم اكثر من هذا .

أما نهاية المسيح على الارض فيكفى ان القرآن اثبت له تجلة كبرى اذ جعله اكبر من أن ينال منه كيد اليهود « واذ كففت بنى اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا الا سحر مبين » « انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا .. »

وقد كنا نود لو استطعنا ان نسأل البابا : بابا الفـــاتيكان ومن معـــه من المؤتمرين الذين كان يسميهم المسيح أولاد الافاعى ، باى سبب جاءت هذه التسمية ؟ وباى شيء نادى قريتهم .. يا أورشليم .. يا أورشليم .. ياقاتلة الانبياء والمرسلين .

أجهل هؤلاء جميعا أنهم عرضـــوا كل نص من نصوص المسيحية للطعن وجعلوا مقدساتهم كلهـــا بمدرجة السخرية والازدراء .

لقد دلت الكنيسة الغربية على أنها لاتزال تعيش فى ظلمات العصر الوســـيط وتتخبط فى خرافات طرحتها المسيحية منذ عهد بعيد . وهل كانت ثورة البروتستانتيين الا غضبة من أجل الأناجيل ؟ لقد ارتفع ظل الله من فوق الارض بارتفاع الخرافات من الرءوس .. لم يبق للحكام ولا لرجال الدين ماكان لهم من قبل وانما بقيت قداســـة الدين واحترام النصوص ، ووظيفة رجال الدين ـ أى دين ـ هى فهم تعاليمه من تلك النصوص وحسن تطبيقها والمحافظة عليها .

ولو جاز لرجل من الناس ـ من البابوات ، أو غيرهم ـ أن يغير نصوص الانجيل لجاز لرجل ثان أن يغير ماأثبته الاول ولثالث أن يحور ماأثبته الثانى وهكذا يظل الدين مذبذبا بين تيارات السياســة واهواء الدول ومطامع البابوات .

فاى دين اذن يكون هذا الدين .. ؟

وماذا يفعل البابا وأعضاء مؤتمره فى هذا التاريخ الطويل الملىء بعداءات اليهود للمسيحيين والمسيحية؟ أيملك ظل الله على الارض أن يغير ايضا حقـــائق الماضى ويمحوها من التاريخ ؟ .

كثيرا ما تمثل الناس ببيت المتنبى :

ما مقامى بارض دجلة الا
كمقام المسيح بين اليهود

فلعله كان مقام تجلة وتكريم .

حقا ان للمال سلطانه على القلوب .

ولكن بحق أيضا ان البابا لم يبرىء اليهود ولكنه ذبح المسيحية نفسها وأعدم الاناجيل .

« **عبد الجليل شلبى** »

اللهم اغفر لأبي هريرة

للدكتور : جوده هلال

منذ فترة قصيرة ظهر فى سلسلة أعلام العرب كتاب بعنوان « أبو هريرة راوية الاسلام » للاستاذ **عجاج الخطيب** – وهذه السلسلة تصدرها وزارة الثقافة والارشاد القومى .

وهذا الكتاب على صغر حجمه جدير بالنظر والتأمل ، اذ أن موضوعه يتناول بالبحث – فيما يتناول – المعين الثانى للتشريع الاسلامى بصفة عامة ، ويكشف النقاب عن سيرة الصحابى الجليل « أبو هريرة » بخاصة .

ومما لا شك فيه أن مثل هذا الكتاب وغيره من الكتب التى تتناول سير الشخصيات المقدسة بالعرض والتحليل جديرة بأن تستلفت النظر لما لها فى نفوس البشر من تجلة واكبار .

لذلك رأينا فضيلة الشيخ محمد أبى زهرة (يقرظ) الكتاب فى مجلة الكتاب العربى (العدد الأول ١٠ يونيو سنة ١٩٦٤) ويهاجم فكرة الطعن والتشكيك فى أبى هريرة رضى الله عنه .

وفكرة التشكيك فى أبى هريرة ليست وليدة اليوم ولا بنت الساعة ولكن اذا رجعنا الى الوراء رأينا النظام شيخ المعتزلة ومن لف لفه من أمثال بشر المريسى وابو القاسم البلخى من المتقدمين ... ثم عبد الحسين شرف الدين ، وفضيلة الشيخ أبى رية صاحب كتاب « أضواء على السنة المحمدية» الذى لم تكد عيناه تقع على « تقريظ » فضيلة الشيخ « أبو زهرة » لكتاب الأستاذ الخطيب حتى راح ينشب اظافره فى أبى هريرة ويفرى منه اللحم والعظم ، ويقول فى عدد تال من مجلة الكتاب : وستظل نسم أبا هريرة بميسم الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .. الخ حتى لقد ظننت أن كاتب «التقريظ» هو ابو هريرة لافضيلة الشيخ « أبو زهرة » .

ووسم أبى هريرة بميسم الكذب على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ليس بجديد على أبى رية، فقد سبق له فى كتابه الذى أشرنا اليه آنفا فى بعض التعليقات الواردة فى ص ١٩٠ ما نصه : « ويدل هذا القول على أن كذب أبى هريرة على النبى قد اشتهر حتى عم الآفاق ، لأنه قال ذلك وهو بالعراق ، وان الناس جميعا كانوا يتحدثون عن هذا الكذب فى كل مكان » .

ومثار شبهة الطاعنين فى أبى هريرة عند المتقدمين والمتأخرين تتلخص فى أمرين الأمر الأول : يرجع الى أن هناك بعض الأحاديث معزوة الى أبى هريرة مثل حديث الأنهار ، وما جاء فى الدنيا من أنهار الجنة وهو الحديث رقم ٢١٨٣ من صحيح مسلم ومثل حديث « بدء الخلق وخلق آدم عليه السلام وهو الحديث رقم ٢٧٨٩ من صحيح مسلم ومثل أحاديث « فضائل موسى عليه السلام » وهى من ٢٣٧١ – ٢٣٧٥ من صحيح مسلم .

الأمر الثانى : هذه المجموعة الكبيرة من الأحاديث التى تبلغ (٥٣٧٤) رغم أنه قد تأخر فى اسلامه، ولم يصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الا مدة تبلغ الأربعة أعوام .

وللاجابة عن الشبهة الأولى يمكن أن يقال :

١ – انها أحاديث يمكن تأويلها وحملها على المجاز والأصل فى كلام العرب – كما قالوا – محمول على المجاز لا على الحقيقة .

٢ – لم لا يكون قد كذب على أبى هريرة كما كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٣ – اذا كان أبو هريرة قد وسم بالكذب ، أو اشتهر به – وحاشاه أن يكون – كما يقول الشيخ

ابو رية ، فما رأى فضيلته في الأئمة : أحمد ابن حنبل ، ومالك بن أنس ، والبخاري ، ومسلم ، وتقي بن مخلد وغيرهم ممن تزخر مسانيدهم ومعاجمهم ومصنفاتهم بمرويات أبي هريرة ؟

يا أبا رية : انى أناشدك برحم الاسلام التى تجمع بين المسلمين أن تقرأ قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سئل أى الناس خير ؟ فقال : « قرنى ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء قوم تبدر شهادة أحدهم يمينه وتبدر يمينه شهادته » ... وأن تتدبر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تسبوا أصحابى ، فان أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه » .

يا أبا رية : لقد جاء فى كتاب « التعريفات » للجرجانى أن الصحابى هو من رأى النبى صلى الله عليه وسلم ، وطالت صحبته معه وان لم يرو عنه . وجاء فى « كشاف اصطلاحات الفنون » للتهانوى أن الصحابى : « هو من لقى النبى صلى الله عليه وسلم من الثقلين مؤمنا به ، ومات على الاسلام ... وقيل: كل من روى عنه حديثا ، أو رآه رؤية فهو من الصحابة .

ان لأبى هريرة ــ يا أبا رية ــ شرف الصحبة ، وشرف الرواية ، وقد رأى الرسول رؤية مبصرة ، ومات ــ رحمه الله ــ على الاسلام ... الا أن يكون فى تقديرك أن أبا هريرة ليس من الثقلين ، أو مات على غير الاسلام ونعوذ بالله من البهت والافتراء على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

يا أبا رية : اذا استثنينا عصر الخليفة الأول أبى بكر رضى الله عنه وعصر أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب تجد أن العصور التى تلتهما كانت مرتعا خصبا للتيارات السياسية والخلافات المذهبية والعصبيات القبلية بالاضافة الى دخول العناصر اليهودية فى الاسلام ، ولم يكن اسلامهم كما يقول ابن خلدون فى مقدمته : أنهم تركوا تراثهم العقائدى والفكرى وراءهم ظهريا ، وأنهم تخلوا عن أحاديثهم الخرافية أو الاسرائيليات ... ، ولكن الذى حدث ان المسلمين تقبلوا منهم اسلامهم بقبول حسن ، وبالتالى ادخلو الكثير من موروثهم فىشرح النصوص الدينية كالتفسير والحديث ولم يفطن أحد من علماء الاسلام الى هذا الدخيل على الثقافة الاسلامية حتى قيض الله لهذا الأمر الامام الجليل عبد الحق ابن عطية الأندلسى ، فجرد تفسيره من لغو هذه الاسرائيليات وحوشيها .

ثم لماذا هذا التحامل على رجال الحديث يا أبا رية؟

ان نظرة سريعة فى كتب الادب تقفنا على ماتزخر به من الروايات والقصص والنوادر والخطب والقصائد ، وكلها روايات لا تكاد تتفق فى ألفاظها وشروحها ولا حتى فى نسبتها الى أصحابها وقائليها .

ثم ما قولك يا أبا رية فى أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ؟

وما هو قولك فى أبى على القالى البغدادى ؟

ان العلامة عبد الرحمن بن خلدون يقول فى شأنهما وشأن ابن قتيبة والمبرد هذه العبارة التى تحلى بها جيد الزمن : « سمعنا من شيوخنا فى مجالس التعليم ان أصول فن الأدب وأركانه أربعة دواوين ، وهى : كتاب الكامل للمبرد ، وأدب الكاتب لابن قتيبة ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب النوادر لأبى على القالى البغدادى ، وما سوى هذه الكتب الأربعة فتبع لها وفروع منها » .

ومع ذلك فان الجاحظ قد روى فى كتابه «البيان والتبيين » خطبة نسبها لقطرى بن الفجاءة على حين أنها منسوبة فى نهج البلاغة وشرحه لابن أبىالحديد للامام على كرم الله وجهه ــ وهذا على سبيل المثال .

وأما أبو على البغدادى صاحب كتاب « الأمالى » فان الامام اللغوى الجليل أبا عبيد الله بن عبد العزيز البكرى الأندلسى المتوفى بقرطبة سنة ١٠٩٤ م قد ألف كتابا مستقلا سماه « التنبيه » على أوهام أبى على فى أماليه وهذا الكتاب مطبوع بدار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٢٦ م .

ومع أن البكرى قد نبه فى كتابه على أن أبا على قد خانه التوفيق فى كثير من نسبة الشعر الى شعراء آخرين ، وأبيات متداخلة مع غيرها والبيت الواحد قد خلطه أبو على من عدة أبيات سابقة عليه أو تالية له ، هذا بالاضافة الى الشروح اللغوية والمناسبات المختلفة مع هذا فانه قال كلمة طيبة تناسب فضل أبى على ، انظر اليه وهو يقول : « هذا كتاب نبهت فيه على أوهام أبى على ــ رحمه الله ــ فى أماليه ، تنبيه المنصف لا المتعسف ...

الى أن يقول : « وأبو على من الحفظ وسعة العلم والنبل ، ومن الثقة فى الضبط والنقل بالمحل الذى لا يجهل ، وبحيث يقصر عنه من الثناء الأحفل ، ولكن البشر غير معصومين من الزلل ، ولا مبرئين من الوهم والخطل ، والعالم من عدت هفواته ، وأحصيت سقطاته .

و « كفى المرء نبلا أن تعد معايبه »

الله أكبر ، ان هذا لهو الخلق العظيم : يا أبا ريه إما الاجابة على الأمر الثانى فاسمعها من أبى هريرة نفسه حيث يسوقها الينا فى رواية شائقة ، ويحكى ما كان يتوقعه من القالة عليه بسبب روايته لتلك المجموعة الكبيرة من الأحاديث فيقول : « انكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - والله الموعد - ... كنت رجلا مسكينا ، أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على مل، بطنى ، وكان المهاجرون يشغلهم الصفق - أى التجارة - بالأسواق ، **وكانت** الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم ... فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « من يبسط ثوبه فلن ينسى شيئا سمعه منى ، فبسطت ثوبى حتى قضى حديثه ، ثم ضممته الى فما نسيت شيئا سمعته منه » ... وهذا الحديث - يا هؤلاء - رواه مسلم فى صحيحه تحت رقم ٢٤٩٢ فى باب فضائل الصحابة ... انها - اذن - نفحة النبوة وبركة الرسول ... فان كان كبر عليكم ما سمعتموه ، وساءكم ما قرأتموه ، فاسمعوا النبأ العظيم عن السيد المسيح : « كان يبرىء الأكمة والابرص باذن الله » « ويحيى الموتى باذن الله » .

ان أبا هريرة كان من الممكن الا يروى حرفا واحدا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا آيتان انزلهما الله فى كتابه كما يقول فى الحديث الذى رواه ابن المسيب ، والآيتان هما : «ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى ... الخ » وهما رقم ١٥٩ ، ١٦٠ من سورة البقرة .

هذا : ولم يقل أحد بأن التحصيل والحفظ **يقاسان** بطول الزمن وقصره ففى مناقب الامام السيوطى - رحمه الله - أنه حفظ القرآن وهو دون الثامنة ، وأن الامام الشافعى جلس للاقراء والدرس وهو دون الخامسة عشرة ، وأن زيد بن ثابت تعلم اللغة العبرية فى أيام معدودات ، وأن الامام الزعفرانى روى فقه الشافعى ببغداد فى مدة أقل من المدة التى لازم فيها أبو هريرة الرسول صلى الله عليه وسلم .

يا أبا رية : ان نسبة الكذب الى أى انسان تجرح كبرياءه فما بالك بمن تفانى فى خدمة النبى الأمين ولم يشغله عن دينه ما يشغل الناس - مثلى ومثلك - من زخرف الدنيا .

وانى لن أقص عليك ما حكاه الأئمة الأعلام من امثال الامام الشافعى ، والامام البخارى ، والحافظ الذهبى وابن الأثير وغيرهم فى حفظ أبى هريرة وضبطه واتقانه ... ولكنى اسمعك دعوة النبى صلى الله عليه وسلم له ولأمه فى حديث طويل ذكره مسلم فى صحيحه تحت رقم ٢٤٩١ يقول أبو هريرة : « كنت أدعو أمى الى الاسلام وهى مشركة ، فدعوتها يوما فاسمعتنى فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكره ، فأتيت رسول الله وأنا أبكى .. قلت يا رسول الله ! انى كنت أدعو أمى الى الاسلام فتأبى على . فدعوتها اليوم فأسمعتنى فيك ما أكره ، فادع الله أن يهدى أم أبى هريرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اهد أم أبى هريرة ، فخرجت مستبشرا بدعوة النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما جئت ، فصرت الى الباب ، فاذا هو مجاف ، فسمعت أمى حشف قدمى ، فقالت مكانك يا أبا هريرة ، وسمعت خضخضة الماء ، قال: فاغتسلت ، ولبست درعها ، وعجلت عن خمارها ، ففتحت الباب ثم قالت : يا أبا هريرة ، أشهد أن لا اله الا الله ، واشهد أن محمدا عبده ورسوله ، قال : فرجعت الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاتيته وأنا أبكى من الفرح . قال : قلت يا رسول الله ، أبشر .. قد استجاب الله دعوتك ، **وهدى** أم أبى هريرة ، فحمد الله واثنى عليه وقال خيرا .. قال : قلت يا رسول الله ، ادع الله أن يحببنى انا وامى الى عباده المؤمنين ويحببهم الينا . قال : فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « اللهم حبب عبيدك هذا - يعنى أبا هريرة وأمه - الى عبادك المؤمنين ، وحبب اليهم المؤمنين » - فما خلق مؤمن يسمع بى ولا يرانى الا أحبنى .

ان طريق الهدم - يا أبا رية - طريق سهل وجد يسير ، وطريق البناء طريق شاق وجد عسير .. وان هدم مدينة وتحويلها الى انقاض أو رماد لا يكلف الا أقل القليل .. وبناء كوخ - ولو كان

عيد النصر

للشاعر : عامر محمد بحيرى

جاءت على خفر .. تقـــــ ـدم .. في صباح العيد .. ورده !
حمراء ، فاتنة .. تفـــا هى .. من حبيب القلب .. خده
فيهـا الحياء مجسما فيهـا المعــزة ، والموده
وكأنها شفة .. عـلى كأس الغرام .. تنال شهده
ياليتنى .. قبلتهــا فى وصلة .. منها .. وصده
كل الطبيعة .. فى خشــو ع الحب .. كانت مستعدة !

***

وسألتها : ما العيد .. يمـ ـضى .. ثم يرجع .. بعد مده ؟
قالت : يذكرنا بمـــا ننساه .. من فرح ، وشده
وجريمة العدوان .. جا ء .. يصب نقمته ، وحقده
وكتيبة الايمان .. تسـ ـحق كل ذى كفــر ، ورده
وكأنها قدر .. يصـ ـد .. قوى الشرور ، المستبده
والفجر .. ينصل من غيا بات الدجى .. والشمس بعده !

***

وسألتها : ما الورد .. يهـ ـدى .. فى صباح العيد .. وحده
قالت : يذكرنا الشهيـ ـد وقد سعى للنصر .. جهده
بذل الدماء .. لكى تسـو د عروبة .. وتتم وحده ..
هـذا هو الحب .. الأبى .. من الخلود .. قطفت .. ورده ..
هو فى الدماء .. الصارخا ت .. بيوم الاقدام ، ونجده ..
لافى الدموع .. الساخنا ت .. السافحات .. على المخده !

كوخا صغيرا ـ يكلف الكثير من البذل والجهد ، والتضحية والعرق .

اننا فى حاجة الى أن يضع كل فرد فى هذه الأمة ، طوبة على طوبة ، وحجرا على حجر لنحافظ بذلك على تراثنا وماضينا وكياننا وأملنا ... واننا فى حاجة الى مزيد من التماسك البناء أمام قوى الهدم والالحاد والنزعات المغرضة والأفكار الخبيثة التى تطل وكأنها رأس الشيطان .

وهب ـ يا أبا رية ـ أن أبا هريرة رضى الله عنه قد أخطأ .. أفتدرى لماذا يجوز أن يخطئ « أبو هريرة » ؟

الجواب بسيط جدا ... لأنه من البشر ... من الأناسى .. من الذين لو لم يخطئوا لخرجوا عن طبيعتهم البشرية والانسانية ... ولو خرجوا عن طبيعتهم لاستبدل الله بهم خلقا آخر يخطئون فيستغفرون فيغفر الله لهم .

وانى لأعلم أن لأبى رية عقلا وخلقا يمنعانه من المضى فيما هو فيه ، وأن يقول كما قال الرسول الكريم : « اللهم حبب عبدك هذا ـ يعنى أبا هريرة ـ الى المؤمنين وحبب المؤمنين فى أبى هريرة » .

« د . جودة هلال »

من ملحمة عمر

فتح بيت المقدس

بقلم : علي أحمد باكثير

في بيت الشيخ صفرونيوس بطريق بيت المقدس وعنده أحد القس .

القس : (ينظر من الشباك) **هذا الاطربون ياسيدي البطريق قد اقبل ومعه رجال .**

صفرونيوس : **لا تخف يامبخاليل** .. قد نبهت الحرس على الباب الا يسمحوا بالدخول الا للاطربون وحده .
(تسمع جلبة وضوضاء من الخارج)

القس : هذا عراك بين الحرس وبين رجال الاطربون .

صفرونيوس : لا تخف .. ان الله معنا والشعب معنا .
(تهدأ الجلبة ثم يدخل الاطربون) .

الاطربون : أهكذا تعاملني يا سيدي البطريق ؟

صفرونيوس : (ينهض محييا) مرحبا بك يا سيدي الاطربون .. هدىء غضبك ، اجلس .

الاطربون : أدعوك الى دار الحكم فترفض الحضور بغير عذر ؟

صفرونيوس : أنا شيخ في السبعين وانت في عنفوان شبابك فماذا عليك اذا سعيت الي ؟

الاطربون : لكن دار الحكم هناك .

صفرونيوس : دار الحكم أصبحت هنا في هذا المكان .. الا تسمع؟

أصـــــوات (تهتف من الخارج) نحن معـك ياصفرونيوس .
لا نعترف بغير صفرونيوس .. اخرج من ايلياء يا أطربون ، اخرجوا من مدينتنا أيها الروم .

الاطربون : أنت الذي أوعزت الى هؤلاء الغوغاء .

صفرونيوس : فأوعز أنت اليهم بما تشاء ان استطعت .

الاطربون : وقد اهنتني اذ منعت رجالي من الدخول معي

صفرونيوس : ان كنت تريد أن تتباحث معي فماذا يصنع عندنا جنودك ؟ اني أحب الهدوء فلنتباحث وحدنا في هدوء .. اجلس .

الاطربون : (يجلس) أحقا تريد تسليم المدينة الى هؤلاء المسلمين بغير قتال ؟

صفرونيوس : نعم فقد تعب الناس من الحصار .

الاطربون : انت لا تملك هذا الحق .. انت بطريق ولست بحاكم .. أنا الحاكم .

صفرونيوس : أنت تحكم حيث يتكلم السيف وانا أحكم حيث يتكلم السلام .

الاطربون : من الذي خولك ذلك ؟

صفرونيوس : الشعب .

الاطربون : والقيصر هرقل أليس له سلطان عليك .

صفرونيوس : القيصر لم يعد له سلطان على ايلياء ولا على غيرها وليس ذلك ذنبي . الا ترى أن اغلب المدن قد سلمت لهؤلاء المسلمين واتفقت معهم ؟

الاطربون : لكن ايلياء مدينة مقدسة .

صفرونيوس : مقدسة عندنا وعندهم على السواء فأحرى أن يعاملوا أهلها معاملة أكرم .

الاطربون : ألا تعلم أن اليهود فرحون بدخول المسلمين ؟

صفرونيوس : لا حبا للمسلمين بل تشفيا من هرقل اذ اضطهدهم وقتل منهم ونفى .. ثم ما شأننا باليهود ؟ علينا ان ننظر الى مصلحتنا ومصلحة أهل المدينة .

الاطربون : سيعود اليهود الى المدينة بعد ما طهرت من رجسهم .

صفرونيوس : كلا .. سنشترط على المسلمين الا يسمح بدخولها لليهود .

الاطربون : المسلمون لن يقبلوا هذا الشرط .

صفرنيوس : عجبا لك ياأطربون .. أتجادلني في الصلح اليوم بعد ما حضر أميرهم عمر من عاصمته وعسكر من دوننا جنوده ، ويلك ألست أنت الذى اقترح على عمرو أن يستقدم عمر ليعطى الصلح بنفسه .

الاطربون : انما أردت بذلك أن أكسب الوقت ريثما يأتينا المدد من قيسارية .

صفرونيوس : فها هي ذى قد حوصرت فلا يأتينا منها شيء .

الاطربون : ان بها قسطنطين يدافع ويحشد الجيوش والمؤن والذخائر .

صفرونيوس : ان هرقل نفسه قد انتهى فماذا يستطيع ابنه يفعل ؟

الاطربون : كلا ما انتهى هرقل !

صفرونيوس : بل انتهى .. استشعر غضب الله عليه اذ تزوج ابنة أخته فأراد أن يكفر عن ذنبه ويتقرب الى الله بجمع المسيحيين على مذهب واحد فزاد الطين بلة وأثار الأحقاد والأضغان .

الاطـــربون : اليوم تعلن عداوتك للمذهب الموحد .. فهلا أعلنته من قبل أمام قيصر ؟

صفرونيوس : انه يعلم انى غير موافق على مذهبه الجديد وانما ولانى بطريقا لايلياء ليستميلنى اليه كما فعل مع قيرس والناسيوس . ولكنى لست مثل قيرس أو أثناسيوس . انى لا أترك مذهبى الذى أعتقد أنه هو الحق من أجل ملك أو امبراطور .

الاطربون : ستتركه غدا من أجل هذا الملك العربى وجنوده .

صفرونيوس : كلا انهم لا يتعرضون لدين أحد ولا لمذهبه ولو فعلوا لما استطاعوا أن يغزوا قلوب أهل الشام من انطاكية الى .. الى غزة .

الاطربون : لقد صبرنا لهم مدة طويلة ولا يزال عندنا المؤن والذخائر فلم نعجل بالتسليم ؟

صفرنيوس : المؤن والذخائر يوشك أن تنفد . والشعب يريد الصلح ويلح فى طلبه ولا سيما لما سمعوا بمجىء بطلهم خالد الذى لاتصده القلاع ولا تمنعه الحصون .

الاطربون : قد كان لى وسعك ياصاحب اللسان المعسول أن تقنعهم بالصبر والمقاومة .. اذن لرأوا أن خالدا هذا لن يقدر على مدينتهم المنيعة الحصينة ولن يكون نصيبه خيرا من نصيب الداهية عمرو !

صفرونيوس : لقد انتشر بين أهل المدينة أن خالدا استأذن عمر في فتحها عنوة ، فمنعه وقال له ان الله لايرضى لنا أن نستبيح بيت المقدس ، ما كان من ذلك بد ، فماذا يصنع لسانى المعسول فى اقناعهم ؟ اخرج أنت اليهم فأقنعهم ان استطعت .

الاطربون : انهم لا يستمعون الا الى نصحك .

صفرونيوس : فاستمع أنت ايضا الى نصحى . انى لااريد أن تقع فى أيديهم فلن يغفروا لك نكايتك بهم وعداوتك لهم فالحق بمصر وانج بنفسك وجنودك .

الاطربون : وهؤلاء الروم المقيمون بالمدينة ؟

صفرونيوس : لا تخف فسنشترط أن يكون لهم الخيار فى الرحيل والمقام .

الاطربون : هل لك اذن ياسيدى البطريق أن تعينني على هربى؟

صفرونيوس : نعم اقترح ما تشاء فانى حريص على سلامتك .

الاطربون : اشع فى النــــاس غــدا انى قد هربت الى مصر ، وسأختبىء أنا وابقى مختبئا حتى يتم الصلح فأخرج متنكرا مع الخارجين .

صفرونيوس : هذه خطة حسنة .

الاطـــربون : ولكنى سوف أثيرها عليهم حربا شعواء من مصر

صفرونيوس : لعل ياسيدى الاطربون .. هذا واجبك .

« ستار »

على احمد باكثير

وقفت أبارك أعيادها | وأتلو على الكون أمجادها
وامجاد مصر تهز الوجود | ويستعذب الدهر انشادها
وآثارها كعبة للفنون | تزار . ألم تر قصادها ؟؟
أساس الحضارة من خطه ؟ | ودنيا المعارف من شادها ؟
سل الأرض من بث فيها الحياة | وصاح فايقظ رقادها ؟
وأرسى على الأرض أهرامه | فاصفرت الأرض أوتادها ؟
الا قل لمن طاف حول الفضاء | ورام الكواكب فارتادها
سل النجم يخبرك انا قديما | بلغنا الشموس وآرادها

***

بعثت نشيدى فى عيد مصر | يشارك فى العزف أعوادها
وللنصر أنشودة لا تمل | ولا يسأم السمع تردادها
ترتلها السن مثلما | ترتل فى الليل أورادها
ألا اننا امة حطمت | بقبضة « شمشون » أصفادها
تعرض أجيادها للسيوف | ولا يلمس الطوق أجيادها
لأجل الحمى ترخص المهجات | وتصهر فى النار أجسادها
وتنسى اذا حاربت نفسها | وتذكر فى الغد أحفادها
وتعلم أن الهزيمة عار | يلاحق فى الترب أجدادها
حياض الردى أين ورادها | اذا نحن لم نك ورادها
نخوض الحروب اذا أوقدت | وان نك نكره ايقادها
وتعرفنا البيض عند اللقاء | كما تعرف الصفر نقادها

***

ويوم القناة دهى المعتدين | على حرمات الحمى ما دهى
سماوات ((التبن)) قد أرعدت | فما رهبت مصر ارعادها
وقوات باريس قد أوعدت | فما خشيت مصر ايعادها
وخلف ركاب الخميسين ساقت | عصابة صهيون أوغادها
سل الحلف حلف الشياطين كيف | رأى غاب مصر وآسادها
جيوش تدل بآلاتها | رأت فى الكنانة اندادها
همو حسبوا مصر صيدا سمينا | وقد تقنص الأسد صيادها
ومن رام لحم الكواسر زادا | له تك أشلاؤه زادها
ومصر ترد أذى من يغير | عليها وتجلد جلادها
لقد عبأت مصر يوم القناة | من الحق والحقد أجنادها
وغى ما استطاع العدو المغير | بغير الهزيمة اخمادها
أدار السواد رحاها فكانوا | جنود الحروب وقوادها
ترى الأم تزحف زحف البناة | اليها وتدفع أولادها

لقد حسبتها السموات «بدرا» فساقت الى مصر أمدادها
وكم حرست مصر عين السماء وكاد الاله لمن كادها
اذا ادرعت امة باليقين تولى المهيمن انجادها
ولم أنس ان العروبة كانت سواعد مصر وأعضادها
ولم أنس جلقها حين مدت يديها ولم أنس بغدادها
أراد المهاجم تشتيتها فوحد بالغزو آحادها
وساد العروبة روح الوئام وانعم به حينما سادها
ومصر ملاذ العروبة تحمى حماها وترعى لها ضادها
وتدفع عنها العوادى حين تنوب وتحمل ما آدها
وتدرى العروبة أن جمالا اذا جرحت كان ضمادها
وتعرف مصر له انه الى قمة المجد قد قادها
وتعرف أن جمالا أذل عداها وأرغم حسادها
تولى بمصر زمام الامور فقوم بالعدل منآدها
ويا رب وال أراد صلاح الأ مور فضاعف افسادها
ورب طبيب قليل المران اذا ما أسى علة زادها
عهود المظالم زالت فلا سقاها الغمام ولا جادها
ولم تتحد العروش ولكن هو الظلم زلزل أطوادها
أرى الملكية حمت وباتت من السقم توئس عوادها
وساد السواد البلاد وصار ولاة الممالك أفرادها
وعزت نفوس على الهون ربضت ومن ألف الذلة اعتادها
لقد كانت الأرض حربا على من سقاها ونضر أعوادها
تفيض على ناعمات الأكف نضارا وتحرم حصادها
فكم من عراة لهم سادة من الخز تنسج ابرادها
وحوش من الانس ليست بغير دم الشعب تنقع أكبادها
بأيد ملوثة لا تعف من السحت تجمع ايرادها
جمال جمال حقوق الضعيف اذا سلبت كنت ردادها
جمال جمال قيود الشعوب اذا أحكمت كنت حدادها
جمال جمال بنى الاحتلال اذا شيدت كنت هدادها
غزوت العروش وبعد العروش تنبهت بالغزو عبادها
بلوناك فى كل خطب فكنت ذكى القريحة وقادها
الام سكوتك عن عصبة تولى الشياطين ايجادها ؟
أيشهد مصرعها الغرب يوما كما شهد العرب ميلادها ؟
بربك هل حان ميعادها ؟ قد استبطأ العرب ميعادها
لقد سئم العرب طول الجمام وقـ[illegible]ـات البيض اغمادها

شعر اليوم في محنة

بقلم: مصطفى عبد اللطيف السحرتي

في مقالات سابقة دعونا الى ضرورة التعايش الادبي والفني بين انصار الشعر المقفى ، وانصار الشعر الحر ، خدمة لفن الشعر ، وامكان التجاوب تجاوبا سليما مع تجارب العصر ، وحقائق الحياة الجديدة .

واستهدافا لهذه الغاية النبيلة ، قمنا بعرض طائفة من النماذج المقفاة والمتحررة ، وقدرنا ما تنطوى عليه من ابداع وجدة ، آملين التقريب بين انصار الشكلين وبغية الالتقاء بين المتصارعين، عند بئر الفن الصافية

ولكن جماعة من ادبائنا بلجنة الشعر ، لم تقدر هذه الدعوة قدرها ، واشعلت المعركة بينها وبين انصار الشعر الحر في مذكرة رفعتها الى الجهة الرسمية ، تستعديها على الشكل الجديد ، وتزعم فيها أن اتخاذ هذا الشكل عامل من عوامل تقويض اللغة ، والتفريط في اللغة تفريط في قضية القومية

ولم تكن نظرة اللجنة الى هذا الشكل نظرة موضوعية شاملة ، بل كانت نظرة جانبية ضيقة ، اعتمدت فيها على كثير مما ينشر في مجلة «الشعر» من قصائد غثة ركيكة ، او غامضة تحجب الرؤية الواضحة

واذا كنا نوافقها على ان كثيرا مما ينشر تشوبه السطحية والركة والغموض ، الا أن من العنت الحكم على تيار ادبي جديد بما يعلوه من زبد ، بل الحكم المنصف يقوم دائما على ما يحمل هذا التيار من درر ومضت وتألقت في اعمال كثير من شعرائه في بلاد العربية ، من أمثال نازك الملائكة ، وبدر شاكر السيابي ، وعبد الوهاب البياتي ، وبلند الحيدري ، وكاظم جواد في العراق ، ولدى امثال احمد عبد المعطى حجازى ، وكامل ايوب ، وكمال نشات ، وملك عبد العزيز ، وصلاح عبد الصبور ، ونجيب سرور ، وعبده بدوى في مصر ، ولدى أمثال على أحمد سعيد ، ونزار قباني ، وخليل الخورى في سوريا ، وامثال خليل حاوى في لبنان ، وامثال محيى الدين فارس ، والفيتوري ، وجيلى عبد الرحمن، وكجراى في السودان، وامثال فدوى طوقان ، وعلى هاشم رشيد وسلمى خضراء الجيوسى ، ومعين بسيسو في فلسطين ، وامثال امين شنار ، وثريا ملحس في الاردن ، وامثال غازى القصيبي في البحرين ، وناجى غلوش في الكويت ، والرقيعي في ليبيا ، وناصر أبو صيمد في السعودية، وغيرهم من شعراء العربية الذين لا يمكن حصرهم في هذا المقال

فعلى روائع امثال هؤلاء النابهين يبنى الحكم على صلاحية هذا التيار الجديد ، اما الحكم عليه بقصائد طائفة من غير المتمرسين بالشكل الجديد ، فهو ضرب من التحكم البعيد عن الانصاف .

ولو كان بعض اعضاء هذه اللجنة ، بحث ونقب عن هذه الروائع ، كما فعل أحدهم وهو الدكتور زكي نجيب محمود في مغامراته مع قصائد ادونيس، واستشعاره المتعة بها ، لوجدوا في كثير من شعر من ذكرنا آنفا ، المضمون القومي والانساني الذى ينشدون ، فضلا عن المتعة بالشكل الجديد في بنائه السليم ، ونسيجه الحى الرفاف .

واذا كان كثير من اعضاء هذه اللجنة ، اخذته العزة بالشكل المقفى، دون محاولة المغامرة في روائع هذا التيار الجديد ، وهو ما تأباه أمانة الحكم ، فقد كان بودنا أن نضع تحت نظره طائفة من قصائد المتمرسين بالشكل الجديد ، رجاء اذابة الجليد القائم بين الشكلين ، واذ يعجز هذا المقال

عن حمل مانريد فلنكتف بقصيدة واحدة ، للشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي من ديوانه « اشعار في المنفى » بعنوان « المزيفون » يصور فيها القتيل وقاتله الخسيس الجبان ، في صورة كلية حية وايقاعات هارمونية ، ونسيج شفاف يقول :

– الريح والغربان تنقر في عيونك ، والدماء
صبغت حصى الوادي
وكفك للسماء
مرفوعة للنجم ، للأفق البعيد
وجناح نسر في الفضاء الازرق النائي يموت
يموت في عينيك
والغربان تنقره
يموت
وكلابهم تعوي وقاتلك الجبان
خزيان يمسح عن حصى الوادي الدماء
ويقبل النصل – الذي ارداك – في لؤم
ويجهش في البكاء
وكمن يقول ، كمن الى اللص : احترس
ولسيد البيت : الحذار
صلى عليك ، وسار لا يلوي على شيء
وامعن في الفرار
والريح والغربان تنقر في عيونك ، والفضاء
نعش بلا ورد
وتابوت يجر بلا غطاء
ووراءه تعوي الكلاب !

وبمثل هذه النفضات القلمية المصورة لهذا المشهد المؤثر ، نقع على شعر تتمثل فيه ميزات الشعر الحقيقي الفني ، المجرد من المباشرة ، والجهارة ، والرنين ، والجلجلة الخطابية ، التي تفسد اغلب شعرنا المقفى الحاضر .

نضع هذا النموذج الشعري الواحد مؤكدين ان التيار الجديد ، تسبح فيه درر متألقة كثيرة مماثلة له ، تستاهل كل اكبار ، ولكن اللجنة مع الأسف الشديد ،وقفت بالمرصاد للشكل الجديد ،وسكتت عما ينشر من شعر مقفى بالغ حد الهبوط،واجازت شعرا مقفى لا لون ، ولا طعم ولا نكهة له في المهرجانات الشعرية التي تعقد داخل القطر وخارجه كأنما كل شعر موزون مقفى يحمل لديها بطاقة المرور البيضاء .

ولو كانت اللجنة ، وقفت موقفا محايدا ،وابدت نفورها مما ينشر من كلا الشكلين ، لرحبنا بمذكرتها وايدناها في اعزاز هذا الفن الرفيع الذي تزاحم عليه الواغلون ، والادعياء ، اولئكم الذين كادوا ينفروننا من قراءة الشعر في اي شكل من اشكاله .

فنحن اذ نطلع على كثير من الشعر المقفى المعاصر يتولانا الشجى ، اذ نجد شعرا تقليديا عقلانيا ، يدور حول فكرة واضحة كل الوضوح ، يغنينا النثر عنها ، او شعرا رومانسيا سطحيا يدور حول عاطفة ساذجة عبر عنها تعبيرا عاديا

ومثل هذا الشعر او النظم لن يغني الوعي الوجداني ، او يثري الوجدان القومي ، ولن يهب اية لذة جمالية ، لانعدام عناصر الجدة والطرافة فيه

وسكوت اللجنة عنه ، سكوت غريب ، نخشى ان يكون رضا عنه ، وبهذا تكون قد تهاونت في واجبها الاول الذي يقضي برعاية هذا الفن الرفيع ، ومجاهدة ما يعكر صفوه . ولكنها غضت البصر عن الغثاء المقفى ، واتجهت الى مجاهدة التيار الجديد بما يحمل من درر او اصداف وهذا الموقف مثير للعجب والألم معا .

وقد كان بودنا أن نضع امامها نماذج كثيرة من هذا الشعر المقفى الفاتر السقيم الذي سكتت عنه اللجنة ، ولكن هذا المأرب تضيق عنه صفحات هذه المجلة .

ولن يمنعنا هذا من ذكر نموذج من هذا الشعر الذي نشر في هذا العام ، لنرى كيف هبط هذا الشعر هبوطا عميقا ، ولنستمع الى هذا الشاعر في قصيدته « صرخة ضائعة » حيث يقول :

حطمت المصابيح في عزلتي
وآثرت حب الظلام العميق
فلا من يراني ولا من اراه
ولا من عدو ولا من صديق
الا كم رفيق تعلقته
فلما دجا الليل ضاع الرفيق
انادي ، فلا من يجيب النداء
كأني وحدي انادي الطريق
ظلمتك ، يا قلب ، وا رحمتاه
حملت من الحب ما لا تطيق

فمثل هذا الهراء ، مرت عليه اللجنة مرور

الكرام ، ولم يثر وجدان بعض اعضائها الحساسين عليه ، كما ثاروا على النماذج الرديئة فى الشعر الحر .

ولم تتخير هذه القصيدة ، علم الحق ، بل ان هناك مثيلات لها فى الرداءة ، لشعراء مشهورين ، وغير مشهورين، يأبى القلم فىهذا المجال الموضوعى، ان تكشف عنهم .

ولكنا نقول فى اخلاص ، ان مثل هذه النظم الذى سكتت عنه اللجنة ، لا يخدم الغاية النبيلة التى نص قانون المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب عليها ، من تنشئة اجيال من اهل الآداب والفنون على التذوق الفنى ، وابراز الطابع القومى فى الانتاج . ذلك لأن مثل هذا النظم البارد السقيم لا يهب رهافة للحس ، ولا وقدة للذهن ، ولا يقوى روحا قومية ، او حضارية .

ورسالة اللجنة رسالة **فنية وحضارية** ، رسالة تحتضن الروائع الشعرية ، فى اى شكل من الأشكال وابراز وظيفة الشعر الحقيقية فى الكشف عن المجاهل البعيدة وراء مجال الشعور ، والفكرات المخبوءة التى يتعذر على المتلقى الافصاح عنهما ، والابانة عن مفاهيم الحياة ، وحقائقها التى يجد الشاعر الممتاز تفسيرا ذكيا لها فى ديباجة فنية صافية موحية .

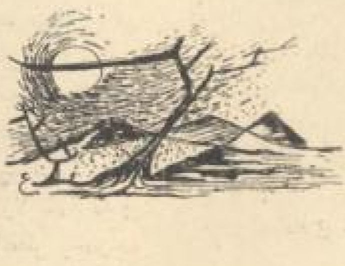
وليست رسالتها مقصورة على شكل واحد ، والدفاع عنه ، ومقاومة آخر فى صلابة فكرية ، ووقفة هتلرية ، لا تجوز بأى حال من الاحوال فى العهد الديموقراطى الثورى ، الذى يبيح لكل مفكر واديب وشاعر حريته الكاملة فى التعبير عن فكراته وتجاربه ، دون اى قيد ، الا قيدين اثنين هما الا تكون هذه الفكرات والتجارب مجافية للنظام العام، او منافية للأيديولوجية العربية الجديدة .

ومما لاخلاف عليه ، أن ولاية الدولة على التجارب الأدبية محددة بهذين القيدين ، وليس لها ولاية على صياغة التجارب الأدبية ، او المذاهب الادبية التى يعتنقها الأدباء ، فلهؤلاء كامل الحرية فى صياغاتهم ، ومذاهبهم المتوائمة مع ميولهم ونزعاتهم واتجاهاتهم الفكرية .

وليس شك فى أن استعداء الدولة على تيار ادبى ارتضاه الشعراء والنقاد وطلب المساهمة فى مقاومته ، مما يدعو الى الاسى والغرابة ، لأن الدولة تعرف اختصاصها ومدى ولايتها ، وهى لا تقر ابدا طلبا مخالفا مخالفة صريحة للحرية الفكرية والتعبيرية التى تؤمن بها ايمانا عميقا .

وهى ، على هذا ، لن تقبل بأية حال ، ان تعهد الى اللجنة الاشراف على مجلاتها الأدبية ، لأن هذا الاشراف هو نوع من التحكم الجديد فى حرية التعبير التى تؤمن بها الدولة .

« مصطفى عبد اللطيف السحرتى »



ثورة فى أول برلمان مصرى

بقلم : محمد رجب البيومى

اضطر الخديوى اسماعيل اضطرارا أن ينشىء مجلس شورى النواب سنة ١٨٦٦ ليظهر امام الغرب فى صورة الحاكم العصرى المسئول امام رعيته ، فيسهل عليه أن يقترض الاموال الطائلة وأن يسير بالامور فى مصر كما يشاء ، وقد حيكت حول هذا المجلس الناشىء أراجيف مغرضة تضائل من مكانة أعضائه ، وتهوى بهم الى وهدة التخبط والجهل والجمود ، **فمن زاعم** أن شريف باشا وزير الداخلية أراد أن يفهم الاعضاء ان مجالس أوربا النيابية تنقسم دائما الى حزبين : حزب يعضد الحكومة وآخر يقاومها فعلى حضراتهم أن يكونوا كذلك بحيث يجلس مؤيدو الحكومة على مقاعد اليمين ، وذوو المعارضة على مقاعد اليسار ! ولكن النواب تسابقوا جميعا الى مقاعد اليمين قائلين نحن عبيد أفندينا فكيف نعارض حكومته .

ومن زاعم ان بعض النواب قد قال اذا كان أحدنا لا يستطيع ان يرد على مدير الاقليم فى أمر ما مهما كان جائرا فكيف نجسر على مقاومة ارادة افندينا ، وهو يملك أعناقنا ويتحكم فى أعمارنا! ومن زاعم ان انتخاب هؤلاء الاعضاء كان جبرا محتوما عليهم ، اذ لجئوا الى الشفاعات الضارعة كى يخرجوا من تبعة هذا الأمر الخطير فما استطاعوا الافلات لحظهم البئيس ، وكانهم يساقون فيه الى مأساة تنذر بالشر الكارث .. الى آخر ما سطره مالك كون والليدى دف جوردون ومالورتى وغيرهم من المؤرخين ، وتقل الينا مترجما فى كتب مأجورة تسبح بحمد اسماعيل.
ويكفى للرد على هذه الاراجيف أن تقول ان اعضاء هذا المجلس كانوا شوكة دامية فى جنب الاستعمار وقذاة اليمة فى عين اسماعيل ، اذ اسقطوا الوزارة الجائرة ، وقهروا الحكومة المستبدة ، وادوا دورهم البطولى كما تؤديه ارقى برلمانات اوربا حين اوقعوا الهزيمة بالمتجبرين !! ولن يقال فى مجلس يفعل ذلك انه دمى تتحرك على المقاعد دون تفكير !.

اما كيف قام المجلس بعمله الحاسم فى اسقاط وزارة الامير توفيق فهذا ما نخصه ببعض التفصيل: حين الفت من الاجانب لجنة التحقيق العامة ، لم يكن من همها معالجة الأمور المالية على نحو يضمن تسديد الدين المصرى لأصحابه ، بل رات ان يمتد نشاطها الاستعمارى الى سياسة مصر وشئونها الخاصة ، وقد افترضت أن مجلس النواب شىء صورى لا تأثير له فى توجيه السياسة القومية ، ولكن مبادىء جمال الدين قد أفهمت أعضاء هذا المجلس رسالتهم الدستورية فى رقابة الحكومة وتقرير مسئوليتها امام البرلمان ، فأرسل المجلس الى السير ريفرز ولسن وزير المالية يدعوه ليناقشه فيما يبرمه من الأمور الاقتصادية ولكنه لم يعبأ قيد شعرة بما طلب منه بل هز راسه هزة العابث المستهزىء ، وانطلق النواب يزارون بالنقد اللاذع ، ويوجهون حملاتهم داخل البرلمان وخارجه على صفحات الجرائد وفى ندوة بيت البكرى ، حتى ضاقت الوزارة ذرعا بما يثخنها من تجريح ، وعزم اسماعيل أن يصدر أمره بحل المجلس ، واعد المرسوم فحمله ناظر الداخلية مصطفى رياض ليعلن به انفضاض البرلمان وانتهاء الأمر كما يتخيل من أيسر طريق.

ولو كان لدى الوزارة باعضائها الأجانب ورئيسها ولى العهد محمد توفيق ونظارها الغافلين بعض السعة فى التدبير لعلموا أن أعضاء البرلمان يضمون

قوة عاصفة ستقف في وجه الطغيان وتجادله الحجاج وبذلك يأخذون للموقف اهبته فلا يبوءون بخذلان فاضح يبدد آمالهم في الهواء، ويتركهم مذعورين على صيحات الأباة المجاهدين .

لقد حمل لواء المعارضة في هذا الموقف العاصف نائب باسل هو عبد السلام المويلحي ، احد تلاميذ جمال الدين ، وبعض من تثقفوا بالازهر فقرءوا علوم المنطق والبلاغة والتفسير ، ورزقوا مقدرة اصيلة على الصيال والحجاج! ومن العجيب ان عبد السلام المويلحي كان تاجرا كبيرا بالقاهرة يتفرغ الى ادارة بضائعه وتثمير امواله ، وقد تعرض لخسارة مالية لم ينقذه من اعبائها غير الخديوى اسماعيل حين امر له بمبلغ كبير من المال يجبر به ما قدحه من الافلاس ! ولكن البطل الأبى في مضمار المعارضة المخلصة لم يشأ ان يكون بين من يسكتهم المال عن الحق الصريح ، فاندفع في المعارضة اندفاعا لقى تأييد الزملاء ، وسخط الحاكمين .

❋❋❋

لقد تقدم مصطفى رياض ناظر الداخلية الى ساحة المجلس ليقول :

اقدم لحضراتكم شكر الحكومة على ما ابداه المجلس من النشاط في نظر المسائل التى عرضت عليه ، واتلو على اسماعكم الأمر العالى الصادر من مولاى ، ثم تلا مرسوما بحل المجلس نظرا لانتهاء مدته المقررة ، وظن أن الامر قد انتهى بهذه السهولة فهم بترك المنصة ، ولكنه فوجىء بعبد السلام المويلحي يصيح : لا ادرى معنى لشكر الحكومة فاننا لم نقم بعمل الى الآن يكون له شبه فائدة تعود على البلاد ؟ فما هى المآثر التى سنتركها وراءنا لتشكرنا الحكومة فيما لو فرضنا المستحيل وانفض المجلس!

جلجلت كلمة المستحيل في سمع رياض جلجلة الرعد ، فثار غيظه الساخط واندفع يقول مهددا :

ماذا تقول حضرتك ! مستحيل فض المجلس ! كيف يكون فض المجلس مستحيلا بعد امر خديوينا العظيم افاهم انت مسئولية ما تقول ؟

فاجاب المويلحي بكل ثقة : نعم انا فاهم ! وفاهم جيدا ما قلته : واقدر مسئوليته دون انكار ! فاخذ رياض بما حسبه جراة منكرة وصاح بالنواب هل توافقون على هذا الكلام ما أظن انكم توافقون ؟

ولكن الأصوات الجريئة ترتفع بالموافقة فقائل هذا راى الجميع ، وهاتف انا اوافق بقلبى قبل لسانى وصائح أوافق المويلحي بك على ما قاله وما سيقوله مقدما.

فغلى الغيظ في نفس رياض وقال منفجرا اذن انتم جميعا عصاة ، ولكن المويلحي يراجعه قائلا لا تغضب يا باشا ، لقد ظهر لك موافقة اخوانى لأقوالى وهم جميعا يعرفون مسئولية ما يقولون ، ثم يناقش امر اسماعيل بحل المجلس مناقشة دستورية فيعلن انه مبنى على غلطة جوهرية فاضحة ، لأن الحكومة تستند في حل المجلس الى مضى ثلاث سنوات من بدء انعقاده ، مع انه لم ينعقد الا بتاريخ ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٧٨ ، فلم يمض عليه غير عام وثلاثة اشهر فحسب ! فكيف اصبحت هذه المدة ثلاث سنوات!

لو ان رياضا كان يفكر بعقل معتدل لتراجع عن موقفه ، وبحث عن تبرير آخر لحل البرلمان ولكنه آثر اللجاج فصاح بالمويلحي : حساب غريب يا حضرة النائب ! ان مدة انعقاد المجلس هى بدء النطق الكريم الذى صدر من مولانا الخديوى المعظم في حفلة طنطا، واحسب حضرتك تجد أن المدة فاتت بكثير !

❋❋❋

رد متهافت كاذب ، يبعث على السخرية والتهكم! وقد قابله المويلحي بما يتطلبه من اشمئزاز واستهزاء فقال ساخرا : ما هذا الكلام ياعطوفة الباشا ما لنا وحفلة طنطا الآن وما مقدار رسميتها في تقدير القانون ! عزومة شرفها سمو الجناب العالى وتناول الطعام مع المدعوين هناك ، وقيل فيها خطب وكلام ولم يدون حرف مما قيل بطريقة رسمية او غير رسمية يفيد أن كلام سموه كان امرا عاليا له قيمة القانون، ويؤثر في قيمة انعقاد مجلس شورى النواب وتحديد تلك المدة الى هذا كلاما غريبا من عطوفتكم لا مثا كما تدعون !!

وتندر عضو ثان فصاح اتركوا عزومة طنطا وما حصل فيها ، وخلو زكايب الهم مقفولة كما يقول المثل العامى !!

احرج ناظر الداخلية ، وكبا به ضيق تفكيره فقال مغيظا « يعنى حضراتكم تقلدون نواب فرنسا الذين ثاروا على حكومتهم ! يعنى حضراتكم الآن بعمائمكم وجببكم مثل نواب امريكا واوربا !

* * *

وما كاد يتم عبارته حتى جابهه احمد العدبى وعبد الشهيد بطرس وأحمد الصوفاني بعبارات جارحة دمغته بالوقاحة والانحطاط ومهدت السبيل لعبد السلام المويلحى فالقى دفاعا كريما عن نفسه وعن زملائه ومواطنيه ثم صاح بالباشا :

ارايت عاقبة تسرعك فى الكلام وعدم ضبطك لعواطفك ! اعلم ان المسالة ليست مسالة زى وثياب بل المسالة مسالة عقول تفهم جيدا رغائب الأمةالتى انابتهم عنها ، وأعلم يا باشا ان اهل وطنك ليسوا باقل شعورا بما لهم من الحقوق وما عليهم من الواجبات من الأمم الأخرى التى هى فى الواقع اقل منا مالا ، وعمرانا اليس من العيب ان تجمع بالامس اصحاب الجرائد لتقول لهم عن نواب امتك انهم جهلاء وهمج ! اننا جميعا قرانا فى الأزهر الشريف وفى غيره المعقول جميعه من علوم البلاغة والجدل والفلسفة والأصول والمنطق وكذلك قرانا المنقول من التفسير والحديث والفقه والتوحيد فماذا قرأته وتعلمته أنت من كل ذلك !

فصاح الشيخ الصباحى أحد علماء الأزهر متهكما :

تعلم عاوفة الباشا فى أورطة المفروزة !

فخرج رياض منسحبا وهو يشتم ويسب صائحا انتم عصاة ! انتم ثوار ! ثم اعلن النواب اعتصامهم بالمجلس ، وجعلوا الجلسة منعقدة ليل نهار ! وهو قرار عجيب لا سابقة له فى التاريخ العالمى ! فكان ثلث الاعضاء يبقى بالتناوب ويمضى الآخرون لمزاولة اعمالهم ثم يعودون ! وكانت رجة هائلة اسقطت الوزارة مرغمة وتألفت وزارة وطنية برياسة الرجل الحازم شريف : وكان اول قرار اصدرته ان امرت باستبقاء المجلس حتى تنتهى مدته القانونية !! ولعل من اكبر مزايا هذه الوزارة انها تخلصت من الوزيرين الأجنبيين وقادت البلاد وجهة دستورية لائقة ، اذ اصرت على أن يكون مجلس الوزراء مسئولا مسئولية فعلية امام مجلس شورى النواب واستصدرت قرارا لا يقبل التاويل من اسماعيل بذلك ! بل ان شريفا قد رفض مبدأ قبول الوزارة قبل ان ينص اسماعيل على مسئولية وزارته امام البرلمان فى خطاب التكليف بالرياسة! وبذلك اصبح شريف ابا الدستور فى مصر وكان الأداة الاولى فى تنفيذ آراء جمال الدين

* * *

ويستطيع من يقرأ محاضر هذا المجلس الأبى ان يلمس اباء اعضائه واصرارهم الاكيد على التمسك بحقوقهم فى محاسبة الوزارة وتقرير مسئوليتها امام النواب ، كما يستطيع من يقرا صحف هذا العهد ان يطالع مقالات افذاذ منهم عن الحقوق المقررة ! فى دول العالم لنواب الأمم والسنة الشعوب ! واناس كهؤلاء لا يعقل ان يكونوا كما تصورهم الأراجيف يحاذرون أن يجلسوا في مقاعد اليسار كيلا يحسبوا من معارضى اسماعيل !! ومهما قيل عن اثر الحركة الباسلة التى قام بها جمال الدين فى شحذ الهمم وتنوير الأذهان فان الرجل العظيم قد وجد الأرض الخصبة الجيدة فغرس بها بذور الاصلاح والتوجيه فآتت اكلها ضعفين ، ولو كانت الارض كما اراد ان يتحدث عنها المرجفون سبخة لا تنبت ، ما تهيأ للنفوس ان تجتمع على ضرورة التخلص من الحكم الفردى فى الداخل مهما يسانده من حيل المستعمرين ومكائد الدائنين !! على ان حب الحرية مما يجرى فى النفوس الاصيلة مجرى الدم فى العروق فاذا نهض بمواجهة الاستبداد اناس كعبد السلام المويلحى وزملائه ممن فطروا على الكرامة ، ودرسوا فى الازهر تعاليم الاسلام فى المساواة والحرية والاخاء فذلك مما يتوقع حدوثه دون ان يكون فى حيز المحال كما شاءت اوهام المغرضين !

محمد رجب البيومى

لهيب وأمواج

ديوان شريفه فتحى

بقلم : العوضى الوكيل

يجتمع لشريفة فتحي في هذا الديوان مزيتان من مزايا الفنون هما مزية التعبير بالكلمة المنغومة ، ومزية التعبير بالصورة المرسومة، فاذا كانت المزيتان متعلقتين بشخصية واحدة فما احرى الديوان ـ اذن ـ ان يكون صورة ذات وجهين لشيء واحد هو جوهر الفن في نفس شريفة فتحي .

هذه ناحية ، وثمة ناحية أخرى يجدر الحديث عنها حين التعرض لهذا الديوان هي ناحية الصدق في التعبير عن الانوثة الكاملة ، فان شريفة فتحي قد جاست خلال نفسها الشاعرة ثم نقلت الينا روعا من مناظر الانوثة الشاعرة في ارقى صورها ، واكمل حالاتها .

وفي عدوة الطريق بين هاتين الناحيتين تقف شريفة فتحي بشاعريتها وشفافية نفسها ، وبصورها وأحلامها ، وخواطر دنياها .

وخطوط شريفة فتحي في رسومها خطوط واضحة لا ابهام فيها ، ولا تغلفها كما تغلف كثيرا من الصور الحديثة غيابات التجريد والرمز والتهويل والخيال .

أما قصائدها فلا تقل وضوحا واشراقا عن صورها فانها هي الاخرى لا ابهام فيها ولا تغلفها كما تغلف بعض الاشعار الحديثة غيابات من شطط الخيال أو شطط التعبير .

وكنت قد كتبت منذ حين في الرسالة عدة مقالات ذكرت فيها الشعر النسوى ومقامه في دنيا الشعر الحديث ، وقلت ان هذا اللون من الشعر قد اثبت بصورة قاطعة وحاسمة وجوده في مهرجان الشعر السادس الذى عقد بمدينة الاسكندرية .

وهاأنذا اليوم اعيد ماقلت وأؤكده ، لمناسبة ظهور هذا الديوان ، وديوان آخر للشاعرة روحية القليني ربما تحدثنا عنه في مقال تال .

تتناول الشاعرة في ديوانها كثيرا من المعاني الانسانية العامة التي لاخصوصية فيها ، مثل مقطوعات « انسان » و « تأمل » و « حبي » «ودموع مشرقة » ولكنها معذلك تتناولها بخصوصية الصياغة فتضفي عليها من ذات نفسها اذ تصوغها صياغة جديدة متألقة ، وذلك كما يقول الاستاذ عزيز اباظة في مقدمة الديوان صنع الطبع القادر الذى يضع اللون الى جانب لون آخر يوافقه ، ويرصف اللفظ الى خاصرة لفظ يصادقه ويسلك المعنى الى معنى آخر يطابقه ثم يلاحقه !

ولئن وجب التمثيل لما نقول فان اولى مقطوعات الديوان وقصائده شاهد عدل . استمع الى شريفة فتحي اذ تقول :

« لست الرجيم ولا الملاك وانما

بعضى على ارضى وبعضى فى السما

ويل لنور فى السماء اذا ارتمى

ارضا وطوبى للتراب اذا سما »

واستمع اليها تقول بعنوان من الايام :

« عاينت من شر الصداقة ماكفى
وشربت كاس الغدر من كاس الوفا
فاذا خشيت اذى عدوك مرة
فاحذر صديقك مرتين اذا صفا »

ومع ذلك فالمعاني ذات الخصوصية ، والافكار

الذاتية تكثر بين دفتي الديوان حتى تقيم من ذلك نهجا من الشعر النسائي جديدا ، ومن امثلة ذلك أنشودة الام الى طفلها الحبيب ، وقصيدة سراب ، وبلا خطيئة ، وعاطفة وعاصفة التي تقول فيها :

« ورأيت نفسي تشتهي
فدعوت ربي خائفه
ونهضت أكبح نزوتي
وأرد نفسي اللاهفه
قالوا انحني هيا انحني
حتى تمر العاصفه
قلت اتركوني انني
للنفس أصمد واقفه
فاذا انحنيت لعاصفه
فاصمد امام العاطفه »

ويملأ الشعر الوطني جوانب من ديوان شاعرتنا، ومن أمثلته « ثورتنا » و « أنشودة مجد » «ورسالة الى فلسطين » و « المارد الأسمر » و « صيحة عربية » وشريفة لا تفارقها طبيعتها النسوية في شعر الحماس والوطنية ، فهي امرأة قبل أن تكون شاعرة ، ومن ثم نرى في شعرها الوطني نوعا من الهدوء ، والزهو بالنصر ، والفخر بالرجال الاشـــداء مما يناسب ولا ريب الطبيعة الأنثوية ويدل أصرح الدلالة على مزية الصدق في تعبيرها .

وثمة لفتة في الديوان جديرة بتأمل الناقد تلك هي أن الشاعرة تفترض ان لها خصوما يتشككون ويشككون في موهبتها فتثور وتقتبس لهم آية من كتاب الله « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون » ثم تصرخ :

قولوا .. تجنوا واظلموني وافتروا
الحق أقوى من أباطيل الصغار
قالوا استعارت فنها ياويحهم
الفن ابن الروح كيف اذن يعار
أنا لن ادافع او ارد سهامكم
قسما بربي ان فني لن يضار !
ولتقذفوني من حجارة كيدكم
فانا سانظم لي بها اكليل غار
لاتقذف الاحجار يوما دوحة
الا التي قد اينعت اشهى الثمار

ولسنا مع الشاعرة في ثورتها فان فنها مفصل على قد نفسها تفصيلا يفطن اليه ذو البصر والفهم فالاستعارة هنا كلام لا ينهض عليه اي دليل .

« العوضي الوكيل »

لا شيء

للشاعر : يس الفيل

أي ربح بك الفت في دروبي ؟!
يا سهادا لفني ، ادمى شحوبي
انني عن أمسنا تبت ... فتوبي
واذا لم ....
.. .. فاقرئي قصة عمر
ضاع يوما .. واغفري لي .. يا ذنوبي ..

***

في ربى عينيك ..قلبي .. قد راى يوماطريقه
عبر واد ضاحك .. غنى .. بدنياك الوريقه
لم يعد يسال .. اني سرتما .. اين الحقيقه
اين امضي .. والام السير .. حتى ضل عني
تاركا لي نصف عمري ، تاركا حولي حريقه

***

يا دروب الشك ، يا الهام فني
لم ازل احيا ، واحيا ، واغني
حول صباري ، على اشلاء ظني
ضاع نصف العمر بحثا عن حطام
في توابيت الليالي تاه مني ..

***

ها هنا .. يا أمس .. يوما .. قد رأيت المهزله
في قلبي المجروح ، طعنات ، اصابت مقتله
يا كم بكى دمه البريء .. هنا .. بثغرالمقصله
لكن ربي .. انقذ المشنوق ، لف جراحه
ارايت اية صورة لك فيه ؟ ، اية منزله

***

لا شيء .. غير بقية تحيا معي
تغتال كل هوى يعطر أضلعي
هي قد تثور ، فلا تحرك ادمعي
ذكراك .. يا ذكرى سهادي انني
أحرقت في دربي غراما .. لا يعي

تعقيبات

بقلم : عباس خضر

حق يُرادُ به شيء آخر

هذه الزوبعة التي يثيرها **الدكتور لويس عوض المستشار الثقافي لمؤسسة الأهرام** ، ويخدع بعض الزملاء للمشاركة فيها ، ويحرج بعضهم بقضايا ومبادىء عامة مسلم بهـا كي يوقعوا على «عرائضها» ويوهم الجميع بان تلك المبادىء في خطر داهم كي يهبوا للدفاع عنها ..

تلك الزوبعة .. ما حقيقتها وما اهدافها ؟

تنظر ـ قبل أن نلقى الضوء على حقيقة الزوبعة واهدافها ـ في تلك القضايا والمبادىء التي يتذرع بها في الخداع والاحراج والايهام ..

الشعر الجديد ؟ هل هو يتحمس للشعر الجديد حقا من أجل كونه تجربة أدبية جديدة في ذاتها ؟

اليس هو شاعرا كما يزعم في مجلة « حوار » الصهيونية العالمية بنشره فيها القصائد والملاحم التي ينظمها على الأوزان « التقليدية » ؟ **لماذا اذن ـ ما دام متحمسا للشعر الجديد ـ لا ينظم على مقتضى الشعر الجديد ؟**

هل تتخذ مناصرة الشـعر الجديد بضـاعة للاستهلاك المحلي تستجلب الأنصار ، أما الشـعر أو النظم التقليدي فبضاعة أخرى تصدر الى صندوق القمامة في بيروت : مجلة حوار .. ؟

وأية قمامة أقذر من هـذا الذي يقوله لويس عوض في تلك المجلة على لسان « العذراء » :

فذاق طعم الحب من لغرى ومن جسـدى
واخصبنى بالتـه فذقت حلاوة الوتد !!

هل يؤمن من يقـول هـذا بالقيم المسـيحية نفسها .. ؟

ولنعد الى ايمانه بالشعر الجديد .. فنسـأل : أهو يتحمس حقا لسـواد عيونه أم لشيء آخر سنعرفه .. ؟

ماذا صنع لأصحاب هذا الشعر ؟ هل هو ينحصر في صلاح عبد الصبور ؟ انني اقـدر صـلاح عبد الصبور كشاعر عاني التجربة الشـعرية في الوزن التقليدي ثم انبعث منها الى الشكل الجديد ووفق في كليهما ، **ولكن هـل هـو كل شيء في الميدان** .. حتى تقتصر عليه الرعاية اللويسية .. ولا باس بلفتة بين وقت وآخر الى أحمد عبد المعطى حجازى مع تقديرى له كزميله عبد الصبور ؟!

ولويس عوض يقـول انه « يؤمن » بالشـعر العامى ولكنه يصون منه صـفحات الأهرام .. **فلماذا اذن ينشر منه لصلاح جاهين ؟ أهذا حلال** وذاك حرام ؟ أم لأن صلاح جاهين ـ مع تقـديرى له ايضا ـ ممن تشـملهم الرعاية المستشارية ذات الاهداف البعيدة ... عن الشعر الجديد والشـعر العامى وكل ما يمت الى الأدب لذات الأدب ؟

وبقية القضايا والمبادىء .. **هل يؤمن بهـا هى الأخرى ؟**

حرية التعبير وحق التجربة الفنيـة ونشرهـا وواجب الأديب في المجتمع الاشتراكى ... الخ ؟

ان كان يؤمن بهذه القضايا حقـا فاين صـدى ايمانه ؟ هل أفسح في الصـفحات الأدبية والفنية بالأهرام لأقلام حرة وتجارب جديدة ، هؤلاء مثـلا كتاب القصة القصيرة الذين يملئون حياتنا الادبية بانتاجهم والذين يحاولون تجارب جديدة .. هـل شملتهم « المسـتشارية » بنظرة ؟ **اليس في البلد غير نجيب محفوظ ـ مع تقديرى طبعا ـ يكتب قصة قصيرة حتى تقتصر جريدة الشعب الكبرى عليه في نشر القصة القصيرة ؟**

ان القضـايا والمبادىء التي تتحمس لهـا المستشارية ـ لشيء آخر سنعرفه فيما بعد ـ تتضمن موقف الدولة متمثلة في أجهزة النشر بها من حرية وحق التجربة ... الخ .

انني اسـتطيع أن أقول بان حرية التعبير وحق

التجربة مكفولان في كل مكان بالجمهورية العربية المتحدة ما عدا « دائرة المستشارية اللويسية » .

في كل جهاز من أجهزة النشر والعرض التي توفرها الدولة يقول من يشاء ما يشاء في الحدود الادبية والفنيـــة وفي الاطار القومي واللون الذي يختص به الجهاز ، وهذا أمر ملحوظ لا أظنه يحتاج الى بيان أو تدليل ـ فيما عدا « الدائرة المستشارية» التي يزاول السيد المستشار فيها سلطته كأي بيروقراطي عريق .. **ينـــادي في جمعيـــة الأدباء بواجب الأديب في المجتمع الاشـــتراكي ويهدر في « الدائرة المستشارية » قيم المجتمع الاشـــتراكي كالعدالة وتكافؤ الفرص والكفاية .. الا اذا اعتبرنا التسبيح بمسرحيات « بكت » و « أونسكو » وتحطيم التراث العربي وتشـــويه أبي العلاء المعري (على النحو الذي يبينه الاستاذ محمود شاكر) من الكفاية الانتاجية الثقافية التي تقدمها « الدائرة المستشارية» للمجتمع الاشتراكي .. ومن « الطعـام الفكري » الذي تهيئه « الدائرة » لمئات الآلاف من القراء طبقا لمبدأ الالتزام الاجتماعي !!**

لا ، عد عن ذلك كله .. عن الشعر الجديد وحرية التعبيـر وحق التـــجربة وحق الأديب وواجبه في المجتمع الاشتراكي ... الخ . فما هو من هم السيد المستشار ، وما السيد المستشار منه في شيء .

انه « جائع » الى « شيء »

مسكين يقرصه الجوع ..

النجدة .. النجدة ..

أيهـــا الأدباء ، هيــــا الى جمعية الأدباء ، حرية التعبير وبقية المبادىء في خطر .. كل من يستطيع شـــيئا يفعله .. الهجوم على الذين لا يتحركون لنجدة « الفارس الكيشـــوتي » ولا يريدون أن يحققوا له ذلك « **الشيء** » ، الهجـوم ولو بالتوقيع اذا لم تستطع الذهاب الى الميــــدان .. أنت أديب محايد تحرص على ارضاء الجميع ، وأنت رجل في حالك لا تريد أن تقحم نفســـك في « الهيئـــة المستشارية » ، لا بأس ، وقع فقط على طلب اجتماع الجمعية العمومية ، ألست تريد حرية التعبير ؟ ألست تغار على التجربة الجديدة ؟ ماذا حدث لهذه أو تلك ؟ (ومالوا ؟) زيادة الخير خيرين ..

ان المستشار جائع .. أدركوه ولو ببلغة تمسك رمقه ..

قولوا في الاجتماع : نريد اعادة تكوين المجلس الأعلى ولجانه بحيث يشمل ممثل الاتجاهات المختلفة في الأدب والفن .. وكذلك مجلس ادارة جمعيـــة الأدباء ، كيف تقوم هذه الهيئات ولا يكون فيهـــا لويس عوض .. ممثل الاتجاهات كلها وجامع المجد الأدبي من أطرافه .. غربا وشرقا .. مندوب أوربا في مصر ، ومندوب الاتحاد الاشتراكي (متمثلا في مؤسسة الاهـــرام) في أوربا حيث يحضر ميلاد شكسبير ، ثم يعود ليعيث فسادا في التراث العربي على حساب الاتحاد الاشتراكي أيضا .. وشـــاعر الوقاحة في مجلة حوار .. ؟

يا ناس .. أليس في قلوبكم رحمـــة ؟ انتخبوه عضوا بمجلس الادارة .. أعطوه مقعدا في المجلس الأعلى .. رشحوه لمجمع اللغة العربية . سدوا فمه الجـــائع لا بأي شيء .. بل بكل شيء .. اجعلوه امبراطورا على الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية .

وانتم يا رجـــال المستشارية ونساءهـــا .. **ان المستشارية تريد أن توسع رقعتها وتمد أطراف أخطبوطها** .. فهيا .. اخطبوا ، طالبوا برأس لجنة الشعر ، هاجموا القديم باسم الجديد وان لم تكونوا من الجديد في شيء .. احترســـوا .. قولوا انكم لا تنكرون التراث ولكنكم تريدون أن تتحركوا من التراث في اطار حضاري جديد .. **هه ! حلوة هذه ! وهي مضحكة أيضا ، فانتم لا تعرفون التراث حتى تتحركوا منه .. (تشقلبوا) في الهـواء .. نادوا بالخبز الفكري للملايين .. ليس مهما انكم لاتنتجون هذا الخبز .. نادوا والسلام !**

هه ! يا خســـارة .. انكشـــفنا .. الأغلبية الساحقة في الجمعية لم تنطل عليهـــا الاعيبنا .. مقترحاتنا رفضت .. هذان القراران اللذان قررتهما الجمعية ليســـا هما ما نريد .. حرية التعبير وحق التجربة ... الخ . وسائل فقط الى ما نريد .. ومذكرة لجنة الشعر لاتستعدى السلطات ولاتحجر على الشعر الجديد ، وماذا يعنينـــا من ذلك ؟ فلتستعد اللجنة ولتحجر .. هذه مسالة جزئية ، **اننا نريد كليات الامور ، المستشارية جائعة ، اسعفوها ببلغة تتبلغ بهـــا .. انهـــا تريد أن توسع رقعتها وتمد أخطبوطها ...**

لم تنفع الجمعية العموميـــة .. لا تيأســـوا ، اكتبوا ، ارسموا .. قولوا ان الاجتماع لا يزال مفتوحا .. السكرتير العام كان « موالسا » انه رجل قديم ! يوسف الســـباعي يمثـــل القديم المتحجر ويقف في وجه الجديد !!

قولوهـــا ولا تخجلوا .. قولوا ان الاجتماع كان غير قانوني وان اخذ الاصوات كان غير سليم لأن الحاضرين كانوا من المرءوسـين وذوي العـــلاقات الشخصية .. **نعم انتم اما موظفون في «المستشارية»**

واما ذوو علاقات اخرى بشخصى . ولكن «ابلوهم» واجعلوا ما فيكم فيهم .. وقولوا : كان هناك اشخاص غير اعضاء . وانتم فى هذه المرة صادقون فقد كان هؤلاء بيننا نحن .. كان هناك صلاح جاهين وملك عبد العزيز وليسا عضوين .

تقدموا أيها الجنود .. ازعموا أن الجديد (الذى هو أنتم وان لم تكونوه) يريد أن « **يتواجد** » مع القديم .. فى لجنة الشعر وفى المهرجانات .

لا تخجلوا من تفاهة المطلب .. ولا من المفارقة فى انكم تطلبونه وفى يدكم الصحف الكبرى ومنابرها .. فالمهم هو انني جائع .. اريد بلغة اتبلغ بها .

نعم . قولوا كل شىء ولا تخجلوا . ان احدا لا يدرى .. قولوا ان يوسف السباعى وعبد الحليم عبد الله وعلى باكثير ومحمود حسن اسماعيل ومحمود البدوى وغيرهم ممن يقفون حجر عثرة فى سبيل حصول على « **الشىء** » الذى أريده – لا يرتبطون بالشعب ولا يخدمون المجتمع الاشتراكى بادبهم .. كما اخدمه أنا .. **انا لويس عوض المستشار الثقافى لمؤسسة الأهرام وعضو جمعية الأدباء التى اقاطعها فى الصفحات الأدبية بالأهرام ولا أنشر حتى اخبار ندواتها .. عملا بالقول المأثور : « فيها ولا اخفيها » أو كما نقول : عملا بحرية « التواجد » !**

نسيت أن أقول لكم بماذا أخدم المجتمع الاشتراكى وباية وسيلة أرتبط بالشعب .. وعلى يخفى عليكم ذلك ؟ **ألست ترونني اقدم « الخبز الفكرى » للملايين من العمال والفلاحين على مائدة بيكت واونسكو و ت .س. اليوت ، وعلى جثة أبى العلاء المعرى وابن خلدون ، وفى صندوق القمامة ببيروت حيث اقدم شعرى فى العذراء والوتد ؟ !!**

هاأنتم أولاء ترونني لا أخجل .. أنا لويس عوض المستشار الثقافى لمؤسسة الأهرام وعضو جمعية الأدباء (حاليا) والطالب من الله (ولا يكثر على الله) ان أكون فى المستقبل القريب عضوا بمجلس ادارة جمعية الأدباء وعضوا بالمجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية .

حاشية سرية : أنا المذكور اعلاه (لويس عوض المستشار .. الخ) مستعد أن أكون شاعرا تقليديا جدا كما ترون شعرى التقليدى فى مجلة « حوار » وأن أكون مؤدبا اذا أخذتمونى عضوا فى لجنة الشعر .

عباس خضر

* أشكر الأديبة « بديعة محمد سمح الله » على تهنئتها بعودة أستاذنا الكبير **أحمد حسن الزيات** ، وعلى حسن رأيها فيما نكتبه . وذلك فى رسالتها الكريمة الرقيقة التى تسأل فيها : لماذا لم تزودنا « الرسالة » بأخبار أديبنا الزيات على صفحاتها كل أسبوع فى أثناء غيبته عن الوطن فى أسبانيا ؟ وتقول : « عندما يسافر فنان أو فنانة من غير الحقل الادبى يطبلون له ويزمرون ، ويملئون أعمدة من بعض الصحف والمجلات بالفارغ والهزيل من الأخبار التى لا نفع فيها على الاطلاق » .

واقول للأديبة الكريمة : **ليس ذلك من منهج الرسالة ، ولا هو مما يرغب فيه رئيس تحريرها . ولعل فى قولها الثانى – عن الطبل والزمر وعدم النفع – جواب سؤالها الأول ..**

* يلاحظ أن برنامج « **مع النقاد** » بالبرنامج الثانى للاذاعة يجارى نقاد الصحف الادباء فى زيادة الاهتمام بالنقد المسرحى وقلة الاهتمام بالكتاب . **وقد بلغ فى ذلك الى حد اذاعة تسجيل النقد المسرحى الواحد غير مرة..كما حدث فى الاسبوعين الاخيرين من اعادة اذاعة تسجيل الندوة التى نوقشت فيها مسرحية « الخرتيت » .**

أفلا يدرى برنامج « مع النقاد » بكل هذه الكتب التى تصدر والتى يقام لها «أسبوع الكتاب العربى»؟ **وهل تحول – بمجاراته لنقاد الصحف الى خرتيت!**

* **الاستاذ على أمين** صديقى ، وأنا من أصدقاء « **فكرته** » الكثيرين . ولهذا وذاك أشير عليه ألا يجمع بين « ضرتين » : فكرة الصباح فى الاخبار ، وهى القديمة الحلوة ، وفكرة المساء فى اذاعة الشرق الأوسط التى تتسكع آخر الليل منهوكة القوى ..

يا اخى ، طلق الثانية وحسبك واحدة ..

عباس خضر



● اسرة اللغة العربية بجامعة الاسكندرية تقيم ندوة القصة يوم ٣٠ ديسمبر بعنوان «الجنس ومفهوم الواقعية في القصة المصرية المعاصرة» . يشترك فيها فتحي الابياري . الدكتور محمد زكي العشماوي . الدكتور محمد هدارة . يدير الندوة عبد العزيز عبد ربه .

***

● «الارض العالية» مسرحية شعرية للشاعر عبده بدوي يقدمها مسرح الحكيم في شهر فبراير القادم .

***

● نادي القصة بالاسكندرية .. يعلن عن مسابقة قصصية بمناسبة عقد اول مهرجان قصصي يقيمه النادي في الشهر القادم المسابقة خاصة بالقصة القصيرة فقط . يمكن ارسال القصص الى المشرف الثقافي بدار الثقافة طريق الحرية رقم ١ بالاسكندرية .

***

● تقام في الساعة السابعة من مساء الاربعاء القادم بنادي القصة وجمعية الادباء ندوة لمناقشة ديوان الشاعر محمد الجيار . يشترك فيها الدكتور عبد القادر القط والدكتور محمد النويهي .

***

● يناقش في الجمعية الادبية مساء الثلاثاء ٢٩ ديسمبر ١٩٦٤ كتاب «قضايا الشعر الجديد» للدكتور محمد النويهي . يقدم الندوة الاستاذ عبد الفتاح الديدي ، ويشترك في المناقشة الدكاترة والاساتذة شوقي ضيف ـ يوسف خليفة ـ احمد كمال زكي ـ صلاح عبد الصبور .

● يعقد المكتب الثقافي الدائم بمحافظة الدقهلية ندوة لمناقشة مسرحية «هاروت وماروت» للاستاذ علي احمد باكثير وقد دعي الى الاشتراك في المناقشة الاستاذ عباس خضر ويحضرها المؤلف الاستاذ باكثير ، وذلك بمدرج مدرسة ابن لقمان بالمنصورة في الساعة السادسة من مساء يوم الاربعاء القادم ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٦٤ .

***

● « احاسيس وانطباعات » كتاب صدر للاديب اميل شوقي عن مؤسسة نشر سلسلة ادب الخواطر . قدمت هذا الكتاب الدكتورة سهير القلماوي .

***

● « الحوماني حياته وادبه » كتاب جديد بقلم ابنته الآنسة سلوى الحوماني يصدر في الذكرى الاول لوفاته .

حول الأدب في الشرق

بقلم عبده بدوى

معاً جنباً الى جنب

لا أظن أن أحدا كان يعتقد أن الثورة الأخيرة حول مذكرة الشعر ، كان المقصود منها هو الخوف من الوصاية على شعر التفعيلة ، أو توسيع الرقعة التى يتحرك عليها الشعر المتجدد فى مجلة الشعر ، او حصر المشكلة تماما فى قضية الشعر .. ذلك لأن مما لاشك فيه الآن **ــ والحديث على المستوى الأدبى لا السياسى ــ** وجود جبهة طويلة ضارية فى حقل الفكر ، وأن هذه الجبهة تتمدد ، وتحتل المواقع ، وتعمل على «التصفية» من كافة الاشكال التى لاتتفق معها ، وفى الوقت نفسه لا يستطيع أحد أن يغفل نشاط هذه الجبهة وحيويتها وتخطيطها ووضعها دائما قلما فى المعسكر المواجه ، واستعانتها بكافة الأسلحة من أجل الانتصار .

واذا كانت هذه الجبهة المتحركة تلم بين ذراعيها الحياة ، وتعتبر الوجود معركة لا تنتهى ، وتسير فى عزم المقاتل ، وجسارة الشجاع ، الا أن مما لا شك فيه أنها تترك فى فترات « الهدنة » الميدان الواسع الفسيح لطائفة من المناوشين اذا كانوا يتميزون بشىء ، فان هذا الشىء لابد أن يكون العديد من الرءوس على الأبدان ، والعديد من القلوب فى الصدور ، ذلك لأن اية دراسة لكل مايقدمونه توضح بغموض أنهم لا يقدمون شيئا ذا بال للجبهة المتحركة التى يستعدون اليها ، وتوضح بجلاء أنهم لا ينالون من الفريق الآخر الا مايخدم أشياء سحيقة فى نفوسهم !

والفريق الآخر هنا قد لا يمثل جبهة بقدر مايمثل قوة كبيرة ، نسمع بين الحين والآخر من يناوش واحدا منها ، أو من يضع عليه شارة تقول بالتخلف، أو البعد عن الناس ، أو الترفع ، أو من يطلق صيحة فى مواجهتهم تقول « من ليس معنا فهو علينا » .

ولقد يبدو شىء من هذا طبيعيا حين نعرف أن الفريقين قد عاشا فترة كبيرة فى شبه عزلة، ذلك لان الجبهة الأولى كانت مشغولة بالتخطيط ، والحركة ، والاقتحام ، بينما كان الفريق الآخر مشغولا بنفسه ، او بما يعكف عليه فى ميادين الفكر ، أو بما يعطى له من قضايا ، دون أن تكون عنده الصبوة والحماس لأن يعدو ثم يستخلص لنفسه شيئا فى عملية الزحام

على الحياة ، وفي فترة « العرض » للقوى الموجودة في ميدان الفكر .

واذا كان لا يمكن الحكم بصدق على كلتا القوتين لأن جوهر كل منهما مازال مكسوا بآثار الصراع التي يثيرها كل على الآخر ، ولأن كلا منهما مخلص للوطن وللواقع الذي يعيشه هذا الوطن من وجهتي نظر تفترقان في اول الأمر ، ولكنهما سرعان ما تلتقيان ، ولانه ربما تكون اقوى الاصوات التي تتردد من الجانبين هي الاصوات الزائفة .. اقول انه اذا كان لا يمكن الحكم بصدق على كلتا القوتين، فان مما لا شك فيه امكان الحكم على طائفة « المتطوعين المناوشين » الذين نراهم يستندون بظهورهم الى الجبهة الاولى ، ثم يحتلون المكان الفاصل بين الجبهتين ، ثم ياخذون في تسميم الآبار، واصدار الأحكام الجائرة ظنا منهم أن هذه الأحكام الغريبة ترضى الفريق الرابض ، وتغضب الفريق المشتت .

ولقد سمعنا من هؤلاء « المتطوعين » اشياء غريبة لايقصد منها الا وضع النار في دائرة الكلمة ، فقد راينا اعينهم لا تقع الا على اخطاء التطبيق في الحضارة العربية ، ورأينا اقلامهم لا تغمس الا فيما يكتبه المستشرقون ، ورأينا آذانهم لا تعدو الا وراء الأصوات الغريبة التي تعمل على تفريغ الشخصية العربية المعاصرة من كافة مقوماتها ، وهم وان اتفقوا فيما بينهم على هذا الا أنهم كانوا صادقين مع انفسهم بحيث تردد صوتهم مرة من اليمين ومرة من اليسار ، وهم لا يكفون عن نقل أفكارهم بين اليمين واليسار مادام الغرض الحقيقي لهم ـ وهو ضرب الحضارة العربية ـ يمكن تنفيذه في اليمين أو اليسار أو مابين اليمين واليسار !

واذا تركنا هؤلاء جانبا وحدقنا في الجبهتين الحقيقيتين في المعركة ، فانه لابد أن يثار عدد من الأسئلة التي تقول :

هل لابد من الصدام بين هاتين القوتين ؟

هل صحيح أن الحق كله مع جبهة والباطل كله مع الجبهة الأخرى ؟

هل صحيح تلك الكلمات التي يتهامس بها كل من الجانبين الأدبيين والتي تدور حول التصفية الدموية ، والعزل الفكري ، والنسف لكل مايحمل وجها عربيا ، والتبعية الفكرية ، ومصادرة المشاعر ، والاكتفاء بوردة واحدة في الزهرية بدل العديد من الورود ؟

وهل صحيح أن مايطبق في الصراعات السياسية لابد من تطبيقه في عالم الفكر ؟

أسئلة كثيرة تدور ويشغل بها الأدباء ، فاذا ما كتبوا رأينا أثر المرارة فيما يكتبون ، ورأينا شيئا كالشعر وليس له وهج الشعر ، وشيئا كالقصة وليس له معمار القصة ، وشيئا كالمقال وليس فيه عمق المقال .. حتى ليمكن القول بأن كل شيء يبدو الآن مجهدا وممتلئا بالفراغ .

فالشعراء الآن يتحولون الى نقاد ليزحزحوا السيف عن رءوسهم ، وكل كلمة لا يبدو فيها الآن الق الفجر بقدر مايبدو فيها خوف الظلمة ، وعلى المستوى الانساني اذا تلاقى اديبان هزت يد أخرى، وتناثر كلام بليد على صدى قبلتين زائفتين ، فاذا ما انصرف كل الى قلمه وجد أنه ينقر به حبة عين اخيه ، ووجد أنه يتعامل مع الغضب والترصد والخوف ، ووجد أنه في نهاية الأمر يثير من الغبار أكثر مما يثير من الابداع ، ويتعامل مع الحقد أكثر مما يتعامل مع الحب .

على أن مما لايشك فيه احد ـ **باستثناء المتطوعين المناوشين** ـ أن الأغلبية الساحقة في الجبهتين تنطوى على حب الوطن وترغب في ازهاره ، كما لا يشك أحد في ايمانهما بالتطور كضرورة حتمية ، وبأن هذا التطور لا يمكن لأحد أن يقف في طريقه .. ولكن الغلو من جبهة يصيب الجبهة الأخرى بالدوار ، والرغبة في المحافظة من فئة يجعل الأخرى تغوص في أعماق الثانية لتزلزلها ، وتشهر بها ، فاذا ماحاول أحد التوفيق بين الجبهتين صار « الرق الموالس » وأصبح من المعوقين لأنه يقف دون أن تغوص واحدة في دماء الأخرى !

ولقد كان اللقاء الذي تم أخيرا في جمعية الأدباء يضم رغبة أكيدة في اقرار السلام بين أبناء الأسرة الواحدة التي تضم ثلاثة اجيال ، الا ان ممثلى « لجنة الشعر » ، ما كادوا يقولون انهم ما كانوا يقصدون الا الى رفع الظلم عن تجارب مايقرب من الفي عام ، حتى سمعت أصوات ترفض كلمات التهدئة ، ثم علت النبرة فطالبت بسحب المذكرة ، ثم علت أكثر بالمطالبة بحل اللجنة ، ثم علت أكثر وأكثر حين ظهر أن قضية الشعر قضية ثانوية ، اما القضية الأولى

فهي حق الصراع بين الفريقين ، وظهر واضحا ان من يملك السيف لابد أن يضرب به ، وانه اذا كان لا يحــق لأحــد ان يطالب بمكان في الارض التي اكتسبت ، فان من حـــق المالكين لهــذه الأرض أن يطالبوا دائما بحدود جديدة ، وان مايكتسب منها يسور ، وترفع عليه راية تقول « ليس من حق أية كلمة أن تنافس كلمتنا مهما تكن هذه الكلمة » .

وقد يتساءل الكثيرون : ولماذا لا تذوب الخلافات بين هذه الأسرة ، مادامت قد أثبتت اخلاصها للدار الكبيرة في ظل الاستعمار والملك والاقطاع ، ومادام الخارج عن هــذه الأسرة كان سرعان ما يعــود فلا تنكره عين الجد ، أو يزجره فم الأب ، او تصكه قبضة الأخ .

ان التقـــاء المثقفين الآن على مســتوى الاخلاص لنظرية الدولة ، والحضارة التي تتنفس في أجوائها ستكون شيئا جديدا يزهر الحياة ، ويسمح لبعض القـامات ان ترتفع بعد أن عودت أعيننا في الفترة الأخيرة على رؤية الأقزام .

ان عملية الالتقـــاء « جنبا الى جنب » ، قد تبدو صعبة التنفيذ في الســياسة ، ولكنها على المستوى الفكري لا تبدو صعبة التنفيذ ، ذلك لأن من البديهي أن المفكر الأصيل لا يخون الانسانية ، ولا يسمح لنفسه أن يكون في منطقة « التحرش » بين جبهتين ، ولأن الاشتغال في عالم الفكر كما يحتاج الى الحماس يحتاج الى التعقل ، وكما يحتاج الى التوثب ، يحتاج الى الهدوء المتعقل ، ومن عملية الالتقاء هذه يمكن أن تولد « **الشخصية الجديدة** » لانسان العصر .

ان هــذه الشخصية قد تبــدو شخصــية غريبة لا ترتاح اليها العين ، او شخصية مملولة من كثرة التعود على رؤيتها ، ما لم تتم عملية الاخصاب هذه في أرض العصر ، وما لم يقترن الحماس والتعقل في ولادة هذه التجربة الجديدة ، التي يمكن بها ــ في ظل ظروفنا المواتية ــ أن يقال ان مصر قد عادت الى انجاب الحضارة لا من اجلها فقط ، ولكن من اجل الانسانية في كل مكان !

انى لست كبير الأمل الآن في عملية الالتقاء هذه، لا لعدم الثقة بين الجبهتين المتصارعتين ، ولكن لأني ارى الرقعة الفاصلة بين الجبهتين يصر البعض على أن تكون ميدان قتال ، ولأن هذه الرقعة الآن مليئة بالمحرضين والمشبوهين والراغبين في الخصـــام والتدمير والنسف ، ولأن هذا البعض لا يريد ان يعــرف أن الذين ارتفعوا عن الصراعات العقيمة ، والاقتحامات الحاقدة ، وبهلوانية المواقف هم الذين يثرون الحياة كاعمق مايكون الثراء ، فاذا أردت ان تتأمل صفهم الطويل ، فانك بلا شــك ستجد في مقدمته توفيق الحكيم ، نجيب محفوظ ، يحيى حقي، كامل الشناوي .

وليتنا نتمهل في اتهام بعضنا البعض لعل السنة بعض الشبان الآن كلمات تخطف خطفا مما يكتب وتدور حــول انه ، لابد من التخلص من الوضعية المنطقية ومن الذين يمثلونها ، ولابد من وأد الذين يعمقون الوجودية لانها تعرقل التطور ، هذا رجعي ، هذا تقدمي ، اللاقاعدة هي القاعدة ، فلان يمد يده الشرق ، وفلان يمد يده للغرب ، وآخر يمد يدا في الشرق ويدا في الغرب ، لابد من الحلول الدموية ، لا فائدة من الحضارة العربية ، الحضارة الحقيقية هي الحضارة المسيحية .. الخ تلك الطلقات السريعة التي تجهد عين الانســـان وهو يتتبعها واحدة اثر الأخرى لتستقر في قلب هذا او قلب ذاك ، وليتنا نتمهل مرتين قبل أن تحشو هذه البنادق التي تكاد تصيب الحياة الادبية بالدوار ان لم تكن اصابته بالفعل .

ومهما يكن من شيء فانه لابد ــ **بمرور الزمن** ــ ان يتلاقى الطرفان اللذان يمثــلان التحمس للحيــاة والتأمل للحياة ، وفي تصــورى ان عملية الالتحام بينهما لن تكون بالصعوبة التي يروجها المناوشون ، أصحاب الوجوه العديدة على الجسم الواحد ، ذلك انا في أشد الحاجة الى كل من الطرفين ، ولأننا على حد تعبير الشاعر الافريقي ليوبولد سيدار سنغور في حاجة الى العظام اليابسة والزيت الذي يجب ان يمر خلالها .

ويوم ان يتم هذا اللقاء سيجد الفريقان ان العزلة كان يمكن أن تقتل كلا منهما على حدة ، وأن الآباء والأبناء يمكن أن يسيروا معا في صف طويل لانتزاع الشمس قبل الشروق ، ولتكون الحيـــاة خضراء بالعمل والفكر والحب ، وليمكن أن تعود مصر من جديد صانعة للحضارة ومورّدة لها ، وليعلم العالم ان بلادنا لا تحل مشاكلها بالدم ولكن بالحب !

« **عبده بدوي** »

الدكتور خالد ...
التجربة الفنية والتاريخ

بقلم : عبد العزيز الدسوقي

فى أعماق الصمت والظلام والدنيا هاجعة يختار الاستاذ **أحمد حسين** أن يرسم الخطوط الاولى لروايته «الدكتور خالد» . ومن حق اى مؤلف ان يختار الزمان الذى تبدأ منه قصته والمكان الذى تنطلق منه ولكن مؤلف **الدكتور خالد** عودنا فى روايته السابقة ، ازهار ، على أن نقف عند كل لفتة ، وان نلتمس وراء عمله مزيجا غنيا من الرموز والايحاءات والظلال .. والاضواء ..

ففى هذا الظلام والصمت والكائنات غافية نلتقى بالشخصية الاولى فى الرواية « فوزى السيد على» رئيس حركة البعث المصرية ، يتقلب على فراشه فى الطرف القصى من شمال البلاد عند ملتقى النيل بالبحر حيث أقيم مصيف رشيد .

وهناك من بعيد فوق قمة قلعة الكبش بالقاهرة نلتقى بالوجه الآخر لهذه الرواية .. عطيات بنت قمر الحبشية ... وزوجها بيومى رمضان .. وهما يتأهبان لرحلة مجهولة .

هنا فى رشيد قبيل الفجر يستيقظ فوزى ثم ينظر الى عروسه النائمة فى حنان وينطلق ليصلى الفجر .. ثم يذهب الى شرفة العشة الخارجية ليستمع الى هدير البحر الذى يمتص انفعالاته ويبعث فى نفسه الهدوء والأمان ، وأمام منظر الامواج وهى ترتطم بالشاطىء وتتحول الى زبد ورذاذ ، ينسى فوزى ما كان يعتلج فى صدره من افكار ، ينسى سقوط الوزارة : ينسى الخاطر الذى ما فتىء يلح عليه فى الآونة الاخيرة ، وهو أن يتنازل عن زعامة الحركة الى خدمة الدكتور خالد .. تقوية الجيش .. ينسى حتى فكرة قرب اندلاع الحرب ..

وهناك فى قلعة الكبش ، عطيات بنت قمر الحبشية تنتفض وهى تسمع المؤذن يدعو للصلاة فى الفجر ـ لاليصلى ـ ولكن لأن هذا الاذان بشير بطلوع النهار .. وفى هذا النهار سيتحقق حلم حياتها .. ان سيدها الباشا «شاهين السلانكلى» سيبعث بسيارته لتأخذها وزوجها بيومى الى الاسكندرية ، حيث ينزلان ضيفين عند الباشا لمدة اسبوع .. ووقفت تتأمل زوجها بيومى رمضان .. وهو يغط فى نومه . وعلى الرغم من الظلام الذى كان يسود الحجرة فقد تمثلته بنحوله وسمرته وشاربه الخفيف المتهول .. ثم تساءل .. ترى ماذا يمكن أن يكون موقف بيومى من رحلة الاسكندرية .

فوزى السيد على يقطع شهر العسل ويقرر العودة الى القاهرة ليواجه الاحداث هناك فقد كانت كل النذر تومىء الى اشتعال الحرب .. الدراما الانسانية .

اما عطيات بنت قمر الحبشية المرأة اللعوب المتطلعة فتتأهب للقاء الباشا فى الاسكندرية ؟

ما أبعد البون بين الرحلتين .. وما ابعد الشقة بين الشخصيات .. ولكن المؤلف بحسه الروائى المرهف ، وبرشاقته الفنية ، ينسج روايته من هذه الخيوط المتنافرة .. فيحيلها الى نسج جميل منسجم الالوان .. لمسات هنا ولمسات هناك فيتشكل هيكل الرواية .. والدنيا فى الغبش ..

وكان المؤلف يوحى لنا ان الأحداث هى الاخرى فى ضمير الغيب ... مثل هذه الكائنات الغارقة فى احشاء الظلام .

وتتحرك الشخوص .. فوزى وعروسه وخادمه وطاهيته من مصيف رشيد الى القاهرة .

وعطيات وبيومى رمضان فى عربة شاهين السلانكلى الى الاسكندرية وعبر الرحلة تقع حادثة خطيرة لفوزى فتنقلب السيارة وهى منحدرة بسرعة من احد المرتفعات .. وكان لا بد ان يصاب من بداخلها بشر مستطير .

وللمؤلف قدرة خارقة على رسم الأجواء والاحداث فى عبارات قليلة تومض وتوحى وتنتفض .. فعندما اندفعت السيارة من المنحدر ، وراحت تنحدر الى الكارثة .. رسم المؤلف هذا المشهد الرهيب بلمسات سريعة متوترة « دوت فى نفس فوزى كلمة رهيبة .. حادثة .. حادثة .. حادثة .. وومض فى خاطره بآخر ما بقى لديه من احساس وشعور أتكون هذه هى النهاية .. هل انتهت روايتنا فصولا ، ومضت لحظات خيل لفوزى فيها ان كل شىء قد توقف : الزمان والمكان والحياة .. ولم يعد ثمة شىء سوى الظلام والعدم ويتركنا المؤلف مع فوزى ووفاء والخادم والطاهية والعربة المحطمة فى الطريق المقفر الجديب قرب الاسكندرية ولكننا نشعر بالسعادة الغامرة والرضا لأن الجميع سالمون .. لم يصب احد بسوء .. الكل يقف فى الطريق ينتظر عربة مارة تمد لهم يد العون ، وتعيدهم الى الاسكندرية .

وهنا تظهر براعة المؤلف الفنية .. حيث يجمع على هذا المسرح .. فى الطريق الى الاسكندية أبطاله فنشاهد الشاويش الذى يسوق عربة (شاهين السلانكلى) يتوقف عن المسير عند فوزى وينزل من العربة ويعاين الحادثة ويصاب بالدهشة البالغة .. ويردد والله ياسيدنا الأفندى .. انها لمعجزة الحمد لله الحمد لله .. هيا معنا .

وتمضى عربة شاهين السلانكلى الى الاسكندرية وهى تحمل عطيات بنت قمر الحبشية .. وزوجها بيومى رمضان والضيوف الجدد .. فوزى ووفاء والخادم والطاهية .. وفى الطريق يسأل الشاويش فوزى عن اسمه .. وعندما يعلم انه رئيس حركة البعث المصرية يصاب بذعر وارتباك ويخفف من سرعة السيارة ويقول لفوزى .

ـ اتعرف ياسيدنا الأفندى .. لا بد ان تكون من اولياء الله .. هذه كرامة اخرى لا تقل عن كرامة نجاتكم من الموت .. هذه سيارة القائمقام شاهين السلانكلى .. من هيئة اركان حرب .. الم تسمع عنه ، ويخبره فوزى انه لم يتشرف بمعرفته .. ويصيح الشاويش .. آمنت بالله .. تصور يا حضرة الأستاذ ان شاهين بك لاهم له الا ان يسبك ويلعنك كلما جاء اسمك امامه ويقسم ان لو امكنه الله منكم لقتلكم جميعا .. وهنا يطلب فوزى السيد على من الشاويش ان ينزل من العربة لئلا يسبب له المتاعب .. فيصرخ الشاويش قائلا والله يا حضرة الأستاذ « لو كان على رقبتى، يا سلام معقول اترككم فى الصحراء ، خليها على الله » . ثم ينطلق بالعربة الى الاسكندرية ويتعلق بيومى رمضان بشخصية فوزى وكأنه ايقظ فى نفسه شيئا هاجعا ..

.. ثم نعلم بعد ذلك ان فوزى قد عاد الى القاهرة وهناك يلتقى فى البيت الأخضر (مقر حركة البعث) بشباب البعث الشبابى الجديد ... الذى يرنو الى التغيير والى تحطيم الحياة القديمة .

وجو القاهره ملتهب مشحون بالتوتر لقرب اندلاع الحرب .. ويعلن فوزى انه يريد أن يتخلى عن زعامة الحركة لخالد امين .. وتندفع فتاة متحمسة هى الدكتوره فاطمة فى التصفيق ولكن الدكتور خالد امين يزجرها ويرفض هذه الفكرة ويصر الجميع على ان يظل فوزى قائدا للحركة .. وتندلع هتافات الشباب مؤيدة فوزى السيد على .. وفى هذا الجو نتعرف على خالد ومحى وصبرى وشكرى وغيرهم من الشباب الجديد .

اما عطيات بنت قمر الحبشية فتراها فى قصر شاهين السلانكلى فى (زيزنيا) هى وزوجها

وهنا يرسم المؤلف فى براعة ودقة صورة شاهين .. مع رجل انجليزى هو الكولونيل (سميث) رئيس مخابرات الجيش الانجليزى فى مصر ... لقد جاء الى قصره ليتعرف منه على اخبار عزيز باشا الذى رقاه رئيس الحكومة الجديد الى رتبة الفريق وعينه رئيسا لأركان حرب الجيش .. وبعد ان يتطوع شاهين بتزويد (سميث) بكل المعلومات التى طلبها منه يقول له :

ـ هذا الرجل مجنون وكان يجب ان تقطع كل

وسيلة بينه وبين الجيش .. تصور انه يريد اخراجي .. ولقد اهانني اليوم وسبني

واخرج (سميث) من جيبه مفكرة وقال لشاهين في اهتمام قل لي نص الجملة التي سبك بها امام الضباط ، فقال له شاهين ... لقد قال لي :«امش من قدامي يا جاسوس يا قذر احسن اكسر وشك» وسجل الرجل الانجليزى ما حدثه به شاهين السلانكلي .. ثم انصرف بعد ان اوحى لنا المؤلف في براعة ان شاهين يتقاضى اموالا من المخابرات الانجليزية ، لقاء ما يؤديه لها من خدمات ... وبعد ذلك ينزل شاهين الى حجرة نوم الضيوف ويلتقى بعطيات بعد أن يكون زوجها قد خرج مع الطاهى .. ويعب من الخطيئة ما شاء أن يعب !!

***

ولا يمكن ان امضى في تلخيص الرواية على هذا النحو ... فهذا أمر مستحيل .. لان الاعمال الفنية الكبيرة لايمكن أن تلخص ولكنني سجلت هذه اللمسات لأؤكد حقيقة هامة ... هي أن المؤلف يمتلك ناصية فنه في أستاذية وعمق .. ففى الصفحات الأربعين الاولى من الرواية التى جاوزت الستمائة صفحة استطاع في رهافة ورشاقة أن يرسم كل الخيوط التي تشكل نسج روايته كلها .. وأن يصور الأجواء والأحداث تصويرا عذبا ، يثير في النفس الانسانية أروع الانفعالات ... ولا استطيع أن أصف المتاع النفسى ، ولا أن أصور اللذة الفنية والغبطة الروحية التى صحبتني طوال الايام التى قضيتها مع هذه الملحمة الانسانية الجياشة بالفن والجمال والجلال ، اطالع لوحات فنية شفافة تعبق بعطور الفن .. وارى مشاهد عاتية مثيرة وأغوص الى اعماق النفس الانسانية وهي تتلوى أمام الهول والخراب والدمار .

ثم اعود لأتساءل ماذا جرى لشاهين السلانكلي وعطيات وبيومى رمضان ..؟ لقد رجت قصتهم نفسى رجا وهزتني وانتهت بمأساة مروعة عندما قتل بيومى شاهين ثم انتحر ..

وماذا جرى للدكتور خالد والدكتورة فاطمة لقد كانت قصة حبهما العذرى المحروم تفوق كل تصور

... ثم انتهت بموت الدكتور خالد أثناء غارة جوية على برلين .. مات غريبا وحيدا ..

ماذا جرى لفوزى وصبرى ومحيى .. صارعوا الأحداث وصارعتهم ، ثم قامت الحرب فحطمت كل شىء ؟؟؟

فهل هذه الخطوط كلها هى القصة ؟ هل يريد المؤلف ان يروى لنا قصة مسلية جرت بين شاهين السلانكلي وعطيات بنت قمر الجبشية .. وبين الدكتور خالد امين والدكتورة فاطمة .. ؟

اعتقد ان المؤلف لايقصد الى هذا ... وانما اراد ان يصور فترة من حياتنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية تصويرا فنيا ... وهناك فرق كبير بين أن يسجل الانسان تاريخ فترة من الحياة ويروى وقائعها ... وبين ان يصورها تصويرا فنيا موحيا خصبا ، على هذا النحو الذى صنعه استاذنا احمد حسين في روايته هذى ... هناك التاريخ بجفافه وقسوته وصرامته .. وهناك الفن بشفافيته ورهافته ونضارته ..

ففى « الدكتور خالد » رسم لنا المؤلف لوحات مترعة بالفن والجمال .

● عن قيام الحرب ..

● وعن موقف مصر من اعلان الحرب على المحور وعن الانذار البريطاني .

● وعن حادث ٤ فبراير .

● وعن مصرع الدكتور احمد ماهر في البرلمان .

● وعن الجمعيات الدينية والهيئات الشابة التى وقفت تصارع الجيل القديم .

● وصور في عمق قصة الانسانية وهي تتلوى في قبضة الموت والفناء وتتهاوى صروح حضارتها ومؤسساتها العمرانية والثقافية وتسارع في جنون نحو الهاوية السحيقة .

● ثم صور في دقة حياة مصر في غضون هذه المأساة الضروس .. مصر بكل شبابها واحزابها وهيئاتها صور الحياة الجادة الصارمة .. وصور الحياة الماجنة اللاهية .

● ثم سجل التغير الحتمي الذى اصاب كل شيء بعد الحرب .

● لقد سارع الملك بعد ٤ فبراير الى الانحدار والانحلال .

● وتغير رئيس حزب الاغلبية وتهاون في حقوق الشعب واستسلم لدفء الثراء والجاه والسلطان .

● وتغير الشباب وسرت اليه عدوى الشيوخ فبدا ينقسم على نفسه ويضل الطريق وتتشعب امامه السبل .

● وتغيرت النفوس وبدات تهفو الى الغنى والمال ، وتتنكر لحياة النضال . وتحيد عن القيم الانسانية الرفيعة .

● وصور الظلام والخراب وانطماس القيم واختل المعايير . وفساد الحياة ..

ولم يشأ المؤلف ان يتركنا نهب هذا الصراع العاتى الرهيب ، ولا ان يسلمنا لهذا الظلام الموحش الكئيب ... فرسم لنا شخصية الدكتور خالد امين ذلك القديس الذى يمثل اجمل ماق الحياة .. وارفع ما ق القيم .. ووقف بين الخرائب والأطلال ليرمز لانتصار الانسان .. انتصار الانسان على نفسه وعلى الشهوات والمغريات وليؤكد دائما ان الحياة أقوى من الموت .. وان السمو والقيم الانسانية باقية على رغم الظلام والفناء .

واستشهد خالد امين فى نهاية الحرب .. وكان الله قد ابقاه طوال الحرب لينضر الحياة ، ويذود عنها اعاصير الحرب وهولها .. فلما دقت اجراس السلام .. مضى خالد امين الى السماء .. وترك حبيبته فاطمة فى آخر الرواية تبكى وتبكى وتغمغم من حين لآخر : ماقساك على ياخالد .. ماقساك على حيا وميتا ...

فى الرواية كل هذه الأحداث والحقائق التاريخية والوقائع الشخصية .

بين الفن والتاريخ

ولكن هل يمكن ان نقول ان هذه الرواية تاريخ ..؟

والجواب بالتأكيد لا .. ليست هذه الرواية تاريخا على الرغم من انها تقوم على مجموعة من الحقائق التاريخية .. فكل مافيها تاريخ حقيقى صادق .

ولكن هذه المعلومات والوقائع التاريخية ، تحولت فى وجدان المؤلف الى تجربة فنية صافية ، سجلها على هذه الصورة النضرة الطازجة المشرقة . وهذا هو السر فى جاذبية الرواية ورشاقتها واستهوائها للقارىء على الرغم من احداثها السياسية والتاريخية .. لقد تحولت السياسة والتاريخ الى فن .. وذاب فى الرواية .. واختلط بها .. كما تذوب الخميرة فى العجين ويتحول الجميع الى خبز ، ومن المستحيل ان نفصل الخميرة عن العجين بعد ان يتخمر الجميع ويتحول الى أرغفة ناضجة .. وكما يتحول (الأصنص) الى عطر بعد ان يختلط (بالسبرتو) والماء المقطر ومن المستحيل ان تفصل (الأصنص) عن العطر .

ومن المستحيل ان تفصل السياسة والتاريخ عن الفن فى رواية «الدكتور خالد» ولذلك اقرر فى غير تردد ان الاستاذ احمد حسين بهذه الرواية .. وزميلتها أزهار يحدث فى حياتنا الأدبية شيئا جديدا .

ويمكن ان نطلق على هذا الشىء (التجربة التاريخية) او (التصوير الفنى للتاريخ) واعنى بذلك ان يتحول التاريخ بما فيه من احداث سياسية واجتماعية واقتصادية الى تجربة فنية تعيش فى وجدان المؤلف ويحتضنها فترة من الزمان .. ثم يصورها فى عمل فنى خلاق .. هنا يكون المؤلف قد انفعل بهذه التجربة وخلطها بوجدانه واضاف اليها من فنه ، عندئذ يخرج العمل مرهفا حارا عميقا ينبض بالصدق وينتفض بالانفعال .. وهذا هو الفرق بينها وبين التاريخ .. وهو ايضا الفرق بينها وبين الرواية التاريخية التى كان يكتبها « جورجى زيدان » فى مطلع هذا القرن .. لقد كان يسجل أحداث التاريخ كما هى ويفتعل لها قصة حب ويركب احداثها ويربط بين اجزائها .. ولذلك يمكن بسهولة ان نفصل التاريخ عن القصة .. لأنها اجزاء مجموعة ومرصوصة دون ان تفقد خصائصها .. اما التجربة التاريخية فعناصر متعددة تتحول فى وجدان الفنان وتتفاعل كما تتفاعل الغازات المختلفة وتصير شيئا واحدا .. جديدا له خصائص جديدة مختلفة عن عناصره قبل أن تتحول .. وهذا ما جلعنى اقرر ان رواية (الدكتور خالد) ليست تاريخا .. على الرغم من أن عناصرها من التاريخ .. وانما هى تجربة تاريخية ... وهى مختلفة عن الرواية التاريخية .. ومختلفة عن التاريخ السردى الجاف . ولهذا فما أجدر الاستاذ احمد حسين بالتهنئة على هذه الريادة الجادة فى حقلنا الفنى ..

وما أحوجنا الى ان نلتفت الى هذه التجربة الرائدة ونحييها ونعمقها بالدراسة والفهم ... فلا تزال بكرا فى حاجة الى مزيد من الكشف والاختبار .

عبد العزيز الدسوقى

المتحذلقات | الدرس

موليير | يوجين يونيسكو

بقلم : على شوقى صلاح

كوميديتان عالميتان قدمتهما معا وفى برنامج واحد فرقة « المسرح العالمى » التى انشأتها وزارة الثقافة والارشاد القومى لعرض الشوامخ الخالدة من المسرحيات العالمية .

والأولى – المتحذلقات – الفها موليير زعيم كتاب الفكاهة فى فرنسا تنديدا بظاهرة كانت قد تفشت بفرنسا فى النصف الأول من القرن السادس عشر أيام حكم لويس الثالث عشر ولويس الرابع عشر وهى ظاهرة الحذلقة والتكلف وادعاء الرقى والعلم والتأنق فى المظهر واصطناع الاحاديث الراقية والآداب العالية !

وموليير كان موكلا بالنقائص يتعقبها واحدة واحدة بالتعبير والتشهير ، وكانت وسيلته الى ذلك هى السخرية اللاذعة ، والتهكم باصحاب هذه النقائص تهكما يجعلهم مثلا بين الناس .

تعقب أصحاب النفاق فى روايته (طرطوف) التى تدور حوادثها حول هذا المنافق الدجال الذى تستر وراء الدين والدين منه براء وكاد يدمر أسرة برمتها بما حاك لها من مكايد ودسائس مدعيا الاخلاص لها والغيرة على مصالحها !

وتعقب البخلاء الذين يعبدون المال من دون الله ويجعلونه الغرض الأسمى من الحياة ويحرصون عليه حرصهم على هذه الحياة بل هم عليه اشد حرصا ! وذلك فى رواية (البخيل) – هارماجون – وجعل منه اضحوكة كبرى بين الناس !

وتعقب أصحاب الملق والزلفى الى ذوى الجاه والنفوذ فى روايته (عدو المجتمع) فسخر بهم سخرية قاسية شديدة .

وغير ذلك كثير مما لا يتسع مجالنا هنا لاستيعابه وهو فى مسرحيتنا هذه – المتحذلقات – قد سخر باولئك النساء اللائى اتخذن الوسيلة الى الرفعة والرقى الحذلقة والتعالى وادعاء الرقى ومط الكلام ووزن الخطوات وما الى هذا من كاذب المظاهر .

وتتلخص فى أنه كان لرجل اسمه (جور جيبس) ابنة من اولئك المتحذلقات المتفيهقات اسمها (ماديلون) وابنة أخ اسمها (كاتوس) قد ذهب بهما الغرور مذهبا بعيدا واخذن بما كانت تأخذ به جماعة المتحذلقات من صور زائفة .

هبط عليهما يوما عاشقان هما (لاجرانج) ، (دوكروازى) واوصاهما (جورجيبس) بأن تحسنا لقاءهما لأنهما سيدان كريمان ، لهما فى المجتمع شأن وقيمة ولأنهما قد يصيران عما قريب زوجين لهما .. وقد اظهر الرجلان لهما الحب وأبديا لهما رغبتهما فى الزواج منهما ، ولكن الفتاتين – فى غمرة الادعاء والحذلقة – لم تدركا ما للرجلين من شأن ملحوظ وقدر رفيع واستطردتا فيما هما فيه من ترفع كاذب ، ولقيتا الرجلين لقاء سيئا واعرضتا عنهما وابديتا لهما الصدود والضيق بهما مما جعلهما يغادران المنزل غاضبين مستاءين وقد اضمرا رغبة قوية فى الانتقام من هاتين الفتاتين المغرورتين !

وانتهى امر ذلك الى (جورجيبس) فجاء اليهما يستطلع الأمر فاخبرتاه انهما لم ترتاحا الى هذين الرجلين لانهما لم يظهرا بمظهر الرجلين الراقيين ! لانهما قد فاتحاهما فى موضوع الزواج مباشرة دون أن يقدما أو يمهدا لذلك بالغزل واظهار الوله والغرام بهما ودون أن يبادلاهما نظرات الحب ويرسلا الآهات والزفرات الحارة بين يديهما دون أن يلتقيا بهما فى معبد أو متنزه أو فى حفلة عامة ؛ ودون أن تقوم المغامرات والمنافسات وتدخل

الآباء واضطهادهم لبناتهم وفرار البنات مع من يحبون وما يعقب ذلك من حوادث جسام!.. والادهى من ذلك حضورهما وأرجلهما عطل من الزينة وقبعاهما مجردتان من الريش وسترتاهما خاليتان من الاشرطة والزينة وطوقاهما من اقدم طراز، وسراويلهما لا يزيد اتساع الواحد منهما على نصف قدم !!

فساء ذلك «جورجيبس» كثيرا، واعتقد ان الفتاتين مخبولتان وانذرهما انذارا نهائيا بانهما اذا لم يتزوجا في اول فرصة تسنح بعد اليوم فانه سيرسلهما الى الدير حتى تقضيان بقية حياتهما راهبتين .

وفي تلك الاثناء كان السيدان «لاجرنج» و «دوكروازى» قد انتهى تفكيرهما الى طريقة للانتقام منهما، فجهزا خادمين لهما بافخر الثياب واغلى الرياش واغرقوهما في ملابس وجواهر لا تدع مجالا للشك في انهما من اعلى الطبقات وارقاها وفي ان كلا منهما «فيكونت» عظيمة تنحنى له الرقاب .. وارسلاهما الى الفتاتين على انهما خطيبان جاءا يطلبان يديهما وعلماهما بعض كلمات الحب والغرام كي يسكباها في اذنى تلكما المغرورتين

فلما ذهبا الى الفتاتين بتلك الصورة الخلابة وبهذا المظهر الآسر ارتمت الفتاتان في احضانهما واقبلتا عليهما بدون تفكير جريا وراء مظهرهما الفخم الذى لا يدع مجالا للشك في انهما من علية القوم الذين يشار اليهم بالبنان ! وانهالت القبلات بين الفتاتين وبينهما دون تحشم او حياء .. واقاموا حفلا موسيقيا ابتهاجا بهذا اللقاء السعيد دار فيه الرقص بين الجميع !

وفيما كان الحفل قائما حضر السيدان «لاجرنج» و «دو كروازى» وكشفا عن أمر هذين العاشقين الجديدين ونزعا عنهما ملابسهما المستعارة فاستبانت حقيقتهما وعلم الحضور انهما خادمان خدعا الفتاتين المتحذلقتين اللتين تزعمان الفهم والمعرفة ! وتخجل الفتاتان من تلك المكيدة التى جعلتهما مثلا بين الناس ويستشاط «جورجيبس» غضبا ويامرهما بالتوارى من فورهما عن انظار الناس !

واما الثانية — واعنى بها مسرحية «الدرس» — فقد كتبها «يوجين يونيسكو» ذو المرامى البعيدة الذى يجب عليك وانت تقرأ له او تشاهد له ان تترك ظاهر اللفظ وتغوص فيما وراء الكلمات ولا تمر به مرا سريعا فانه لا يكتب للذين يمرون به كذلك، وانما هو يتطلب منك الاناة والمهل حتى تستطيع أن تدرك ما يريد ان يقول !

وهى مسرحية صغيرة او هى تمثيلية على الاصح تتلخص في أن رجلا يشتغل مدرسا يقوم بتدريس دروس خاصة في منزله، تحضر اليه فتاة تريد ان تاخذ منه دروسا تؤهلها لنيل «الدكتوراه» ويشرع هو في التدريس لها مبتدئا معها بتدريس الحساب! ومبتدئا من دروس الحساب بدرس الجمع ثم الطرح ! فتعجب انت لطالبة الدكتوراه كيف تدرس هذه التوافه، ثم يشتد عجبك عندما تراها تتعثر في عمليات الجمع والطرح!.. ولا يجد المدرس جدوى من تدريس الحساب لانها لا تفقه فيه شيئا فيتركه الى تدريس الجغرافيا ! فيزداد عجبك لتلك الطالبة عندما تراها اشد جهلا بالجغرافيا منها بالحساب! ويذهب بها ذلك المدرس كل مذهب ويسيح معها في اقطار الأرض وهى لا تدرك مما يقول شيئا وهو يصيح بها صيحات هستيرية حتى ليخيل اليك انه اصيب بالجنون، وتبدا معركة حامية بين المدرس والتلميذة تشتد وتشتد حتى تنتهى بأن يغمد السكين في ظهرها فيقتلها، كل ذلك وانت في دهشتك وتعجبك ... ولكن هذه الدهشة تزول عندما يتبين في النهاية ان هذا المدرس من رجال «النازية» التى كانت مولعة بسفك الدماء وانه رمز لهذا المذهب وان هذه الفتاة هى الاربعون ممن قتلهن وانه انتحل صفة المدرس لتكون وسيلة الى تنفيذ اهداف «النازية» في القتل وسفك الدماء .

ونلاحظ ان نهاية «المتحذلقات» كانت كنهايات «موليير» — في الأغلب الاعم من مسرحياته — ضعيفة مفككة مما جعل النقاد يأخذونها عليه، ونلاحظ انه وردت بها شتائم ليست في الاصل الذى كتبه «موليير» ولم يكن من اللائق ايرادها مثل سب احدى الفتيات بكلمة «يا بنت الكلب» مهما قيل في تبرير ذلك، وانه قصد اليها قصدا لبيان وضاعة المتكلم وانه لا يمكن ان يكون سيدا محترما، ونلاحظ انه جرت على لسان الممثلين كلمات هى — فوق انها لم ترد في الاصل أيضا — فانها جوفاء ولا محل لها في هذا المقام مثل قولهم «فقه اللغة يقود الى كارثة» فهذا ظرف ثقيل بغيض وغير ذى معنى !

وقد اخرج المسرحية الاولى «**محمد مرجان**» فاستطاع التعبير عن جوها وعن اهداف مؤلفها كما استطاع تصوير جوها تصويرا حسنا، الا ان السادة

الممثلين والممثلات قد اجمعوا على اهدار اللغة اهدارا شديدا جدا لا يمكن التسامح فيه ، بل يجب أن ننبه المسئولين في وزارة الثقافة والارشاد لياخذوهم بالشدة على هذا الاهمال الشائن .

وقام «عبد الفتاح السباعي» بدور «جورجيبس» فأحسنه ، وقامت «مديحة حمدي» و «نادية رشاد» بدوري «ماديلون» و «كاتوس» فبالغتا فيه مبالغة افسدته ولو اقتصدتا في الحركات الطائشة لكان خيرا لهما ، وقام «سعيد صالح» بدور «ماسكاريل» وقد قام به — وهو دور طويل — بقدرة لا بأس بها الا انه كان أميل الى اضحاك الناس كثيرا وكانت تغلب عليه هذه النزعة فافسدت الكثير من مواقفه!!

واخرج المسرحية الثانية «سمير العصفوري» فكانت طبيعية جدا ، الا أنه لم يعط للمدرس صفة الرجل النازي العادي فقط بل جعله «هتلر» نفسه! وقامت «انعام سالوسة» بدور التلميذة فكانت خير الممثلين والممثلات جميعا على ما في دورها من مشقة وجهد كبيرين ، وكانت طبيعية جدا جعلتنا لا نشعر اننا أمام تمثيل !

ولكنا الى ذلك نشكر لهؤلاء الشباب جهدهم وعرضهم الكبير ونتجاوز هذه المرة عما بدر منهم من هنات سنحسبها عليهم كبائر ان عادوا اليها !!

نظرات

◆ امتدت النهضة المسرحية القائمة في البلاد الآن الى عالم الاطفال فانشأت الدولة لهم «مسرح الاطفال» الذي بدأ العرض في الصيف الماضي بالاسكندرية على مسرح سيد درويش ، وانتقل الآن الى القاهرة على مسرح «الهوسابير».

وتلك يد جديدة تضاف الى ايادي وزارة الثقافة والارشاد القومي على المسرح عندنا ودفعه الى الامام في قوة وعناية ملحوظتين .

ولكنا نلاحظ على مسرح الاطفال هذا بعض اشياء نريد ان ننبه اليها :

نلاحظ اولا ان التمثيل جرى في الاسكندرية على مسرح كلاسيكي عتيق هو مسرح سيد درويش لا يمت الى عالم الاطفال بأية صلة . وليس في مظاهره المادية من مقاعد الى ستائر الى ديكورات الى اضاءة الى غير ذلك .. ليس فيها ما يتصل بعالم الاطفال ويشد اليه خيالهم . والامر كذلك تماما فيما يجرى الآن بالقاهرة على مسرح «هوسابير» .

ان مسرح الاطفال يجب الا تقع عين الطفل فيه الا على ما يعتقد انه مجعول له ومخلوق من اجله . فيشعر — للوهلة الاولى — ان هذه الدار داره وان كل ما فيها له : فالمقاعد صغيرة ، والصور مناسبة ، والديكورات مما يقع في خياله ، والاضاءة زاهية ملونة في الصالة وهكذا .. وليس عسيرا ان ينشأ مسرحان جديدان على هذا النمط في القاهرة والاسكندرية على أن تعمم فيما بعد في المحافظات .

ونلاحظ ثانيا ان الذين يقومون بالتمثيل في هذا المسرح هم من الاطفال انفسهم ؟ وهذا خلط لا يجوز ، فهذا المسرح ليس مدرسة لتخريج ممثلين من الاطفال فلهذا مكان آخر ، وانما هو ليشاهد فيه الاطفال تمثيلا جيدا وموضوعا جيدا متناسبا مع مداركهم . ولن يستطيع هؤلاء الاطفال الذين يقومون بالتمثيل ان يؤدوا الاداء الجيد الذي يشبع رغبات اخوانهم الشاهدين .. هاتوا الموضوع المناسب للاطفال ثم اجعلوا يوسف وهبي وحسين رياض وامينة رزق يقومون بتمثيله وسترون كيف يشد اليهم الاطفال بجميع جوارحهم .. اما قيام الاطفال انفسهم بالتمثيل فذلك مكانه المدرسة فقط .

ان ماعرضه مسرح الاطفال حتى الآن لم يزد على ما يشاهدونه في مدارسهم وليس هذا من وظيفته في شيء .

◆ امتلأت حياتنا الفنية والادبية بالمجلات المتخصصة في فروعها المختلفة . فانشأت وزارة الثقافة والارشاد القومي عددا من هذه المجلات . كمجلة القصة ومجلة المسرح ومجلة الشعر ومجلة الكتاب العربي وغيرها عدا السلسلات المختلفة التي تظهر بين الحين والحين .

وكانت قد تطايرت اشاعات بان هناك تفكيرا في اصدار مجلة للفنون الشعبية ولكننا لم نجد لذلك اثرا حتى الآن ، فما سبب ذلك ياترى ؟

ألكون الفنون الشعبية برمتها أقل اهمية من الشعر والقصة مثلا ؟

أليست هذه الفنون الشعبية كما هو معلوم وعاء تاريخنا وبطولاتنا وامجادنا وسجل الزعماء الشعبيين الذين تغنى الشعب بما عملوه وبما ادوه له من عظائم الامور وبما لاقوه من اجله من عذاب وموت ودمار .

أليست هي خيال الشعب فيما مارس ويمارس من اعمال مصورا او متغنى به في صور الغناء العديدة . الا ترى ابناء الشعب كيف تجذبهم هذه الفنون لانهم يرون فيها انفسهم كأنما ينظرون في مرآة .

عندنا والحمد لله المتخصصون في هذه الفنون الشعبية فماذا بقي لتظهر لنا هذه المجلة .

◆ من آفات المسرح عندنا «صوت الملقن» فان الملقن في مسارحنا جميعها تقريبا يكاد يكون الممثل «الدائم» فصوته اسبق الى آذاننا من اصوات الممثلين ، وهو يسمعنا كل ما سيقوله جميع الذين تقلهم خشبة المسرح مقدما .

ونحن نفهم ان الاصل في وجود «الملقن» هو «انقاذ» الممثلين عند النسيان خشية ان يتوقف التمثيل» ولكننا لا نفهم ان يقرأ صورة المسرحية التي بين يديه من الفها الى يائها دون توقف !

ولا ادري لم يحمل نفسه كل هذا العناء ؟ هل اوحى الله اليه ان جميع الممثلين لن يحفظوا ادوارهم وانهم في حاجة دائمة غير منقطعة اليه ؟ أم انه يقرأ لهم المسرحية كلها على سبيل الاحتياط .. ؟؟

« علي متولي صلاح »



القهوة والبن

بقلم : نبيلة عطيه الابراشي

ان الشراب الذى نشربه ونسميه قهوة يعمل من البن المطحون ويؤخذ البن عادة من البن الاخضر الذى يقل ، ثم يطحن ، ويقال ان القهوة اقدم من الشاى ، وقد كشفها احد الرعاة فى جنوب الحبشة .

والبن الاخضر حبوب تؤخذ من اشجار البن . ويبلغ ارتفاع شجرة البن من عشرين قدما الى ثلاثين ، واوراق شجرة البن خضراء تميل الى السواد ، براقة لامعة ، وتنمو ورقتين ، ورقتين . فعلى كل شجرة تجد كل ورقتين متقابلتين متلاصقتين ، فى فرع واحد من الشجرة ، وفى الجزء الذى تلتقى فيه الورقتان من فرع الشجرة ـ تظهر فى البدء ازهار صغيرة بيضاء هى أزهار البن او الثمار الصغيرة التى لم تنضج من البن ، فاذا نضجت هذه الازهار تكونت تحتها حبوب هى البن الاخضر .

وحبة البن مغطاة بقشرة خارجية حمراء ،وحول كل حبة قشرة لفية بيضاء من الداخل . وتنقسم كل حبة الى قسمين (فصين) متساويين . ويتكون البن الاخضر من الحبوب التى نزعت قشرتها الخارجية الحمراء ، وقشرتها الداخلية البيضاء .

ومنذ مئات السنين كانت أشجار البن لاتزرع ولا تغرس الا فى بلاد الحبشة فى افريقية .

وقد نقل التجار من العرب البن الاخضر من الحبشة الى البلاد العربية ، فجرب العرب استعمال البن الحبشى فى عمل القهوة ، فاحبوا شربها كثيرا ، ثم دعاهم ذلك الى تجربة زراعة البن فى بلادهم ، وغرس كثير من اشجاره فيها .

وقد نجحت زراعته فى اليمن نجاحا كبيرا ، حتى صار البن اليمنى معروفا بجودته وحسن طعمه ، وجمال رائحته .

وللعرب شهرة فى عمل القهوة ، واليهم ينسب اسم القهوة العربية ، ومازال البن يزرع ويغرس فى بلاد اليمن ، ويصدر الى البلاد العربية حتى وقتنا هذا ، وقد عرف العرب البن والقهوة قبل ان تعرفهما اوربة .

وفى القرن السادس عشر نقل التجار البن الى البلاد الاوربية وفتحت المقاهى فى بلاد اليونان خاصة ، واخذ الناس يجتمعون فيها للتحدث وشرب القهوة ، وقضاء بعض الوقت فى التكلم .

وكان البن غاليا وثمنه مرتفعا فى تلك الايام ، لكثرة ما كان يدفع عليه من الضرائب ، ولارتفاع ثمنه كان استعماله قليلا فى البيوت ، ولكن بعد ان خفضت الحكومات ضريبته صار ثمنه رخيصا وبدا كثير من الناس يشترونه ويستعملونه فى بيوتهم .

وانتشر شرب القهوة فى البيوت والمقاهى ، واحبها كثير من الناس ، واكثروا من شرائها وطلبها .

واكثر البلاد انتاجا للبن الآن هى البلاد الآتية مرتبة على حسب كثرة الانتاج وقلته .

١ ـ البرازيل .
٢ ـ كولومبيا .
٣ ـ امريكا الوسطى وجزر الهند الغربية .
٤ ـ افريقية الشرقية .
٥ ـ افريقية الغربية .
٦ ـ جزر الهند الشرقية

این تجود زراعة البن ؟

تجود زراعة البن فى البلاد الجبلية الحارة الكثيرة الامطار على سطوح التلال والجبال .

وبعد ان كان البن يزرع فى بلاد الحبشة وحدها ، انتقلت زراعته الى الاقطار الاخرى ، فى المناطق الحارة الرطبة ، وانشئت مزارع لزراعة البن فى افريقية الغربية ، وافريقية الشرقية ، وجزر الهند الغربية والشرقيـة ، وامريكا الوسطى ، وامريكا الجنوبية .

وصارت الحبشة واليمن وافريقية الغربية والشرقية وجزر

الهند ، وامريكا الوسطى والجنوبية تصدر البن الاخضر الى غيرها من الاقطار المحبة لشرب القهوة ٠

وفى القرون الثلاثة الماضيـــة انتشرت زراعة البن الاخضر فى الاقطار المختلفة ، وكثرت شركات البن التى تنتجه وتصـدره ، وشركات البن التى تستورده للاتجار فيه ٠

وحتى نهاية القرن الثامن عشر كان معظم البن فى العالم يصدر من اليمن ، وفى سـنة ١٨٣٠ كانت اكبر مزارع البن فى جزر الهند الغربية ٠ وفى سنة ١٨٦٠ كانت اعظم مزارع البن فى جزر الهند الشرقية ، وفى سنة ١٨٨٠ كانت البرازيل اعظم قطر فى العالم يهتم بزراعة البن وتصديره ٠

ومعظم البن الذى يستهلكه العالم لايزال ـ الى يومنا هذا ـ يستورد من البن الذى تزرعه البرازيل ٠

وفى سنة ١٩١٠ انتجت مزارع البن فى العالم ١٧٫٠٠٠٫٠٠٠ (جوال) كيس من البن الاخضر ، وكان نصيب اوربة من هـذا المقدار ٩٫٠٠٠٫٠٠٠ (جوال) ، ونصيب الولايات المتحدة الامريكية ٧٫٠٠٠٫٠٠٠ (جـوال) ، ونصيب الاقطار الاخرى من العـالم ١٫٠٠٠٫٠٠٠ (جوال) ٠

وفى سنة ١٩٥٠ كان محصول البن فى العالم ٣٠٫٠٠٠٫٠٠٠ (جوال) ، اخذت منه الولايات المتحدة الامريكية ٢١٫٠٠٠٫٠٠٠ (جوال) ، واخذت اوربة ٦٫٠٠٠٫٠٠٠ جوال ، واخذت الاقطار الاخرى من العالم ٣٫٠٠٠٫٠٠٠ جوال منه ٠

كيف يزرع البن ؟

ان بذور البن هى البن الاخضر الجاف الصالح للزراعة وقبل ان تبذر البذور تعد التربة فى صناديق خاصة ، او حدائق صغيرة (مشاتل) ٠ ثم توضع البذور فيها ، وتغطى بطبقة من الطمى ، وتروى بالماء حينما تجف التربة ، وتترك فى الظـل حتى يظهر النبات بعد عدة أسابيع ٠

ويحتاج نبات البن الى عنـــاية كبيرة ، وحفظه من الشمس والرياح ٠فاذا ظهر النبات فى الصناديق الخشبية او الحدائق الصغيرة ، ترك حتى ينمو ، ويظهر من الشجيرة اربع ورقات ٠ وهنا يبدأ الزراع فى نقل النباتات الصغيرة الى قدر (قصار) مصنوعة من الخيزران ، كى يستطيع العمال نقلها كل يوم فى الأمكنة الظليلة ، البعيدة عن الرياح ٠

وبعد ان تكبر النباتات فى (القصارى) تنقل منها الى حفر اعدت لى مزرعة البن اعدادا خاصا ، ويجعل بين كل حفرة واخرى اثنتا عشرة قدما (اربع ياردات) ، وترتب فى خطوط منتظمة ٠

ويزرع بين تلك الخطوط الواسعة نباتات من الانواع السريعة النمو لتكبر بسرعة ، وتظلل اشجار البن ٠

وحينما تنمو اشجار البن ، وتطول عيدانها ٠ويبلغ ارتفاعها خمس اقدام تقلم اطرافها العليا وتهذب ، كى تقوى ، ويتسع امتدادها ، ويزداد تفرعها ونموها فى الجوانب ٠

وتحتاج اشجار البن الى عناية كثيرة ، لحفظهـــا من الآفات الزراعية ، والحشرات الحفارة ، التى تثقب ثقوبا فى جذورالاشجار وعيدانها فتتلفها ، وتحفر حفرا فى الثمار والحبوب فتفسدها ، وتجعل طعم البن رديء المذاق ، وتسمى تلك الحشرة بالحفار ٠

ومنذ بضع سنوات انتشرت الآفات الزراعية فى مزارع البن بسيلان ، واتلف الحفار الاوراق من اشجار البن ، وثقب جذور الاشجار ، فمات كثير منها فى سيلان ٠ وليس بها الآن غير مزارع قليلة من مزارع البن ٠

وتمكث زراعة البن فى الارض خمس سنوات او ستا ، وهى مدة كافية لتضج الثمار من اشجار البن فى المزرعة ، ويستطيع الرجل النشيط ان يقطف ويجمع من البن ٤٠ رطلا مصريا فى اليوم ٠

نبيلة محمد عطية الابراشى

الثلاثاء القادم .. وكل ثلاثاء

اقرأ فى مجلة الثقافة

- تجديد وتجديد « فى معركة الشعر » — محمود الغنيم
- حكايات فى فندق القرية — عبد المنعم شميس
- النفـاق ونظرية تزييت تروس الآلة فى مجتمع الموظفين — عبد الرحمن أبو الخير
- من أعلام الادب الانجليزى جين أوستن — محمد عبد اللطيف حجازى
- دور الشعر فى معركة بورسعيد — عبد الرحمن البجاوى
- قتل ياسين ولكن الغابة تزحف — أمير اسكندر
- صحيفة « الموند » وقراؤها — د ٠ خليل صابات
- أحلام امرأة «قصـة» — د ٠ نجيب الكيلانى
- مكتبة الثقافة — عامر محمد بحيرى
- مع المجلات العربية — مصطفى فوده
- جولة الثقافة — فؤاد نور

قراءات في المجلات العربية

يقدمه : محمد العواني



مع عيد العلم :

كان حديث الصحافة فى الأسبوع الماضى عن « عيد العلم » فقد شهد الرئيس جمال عبد الناصر الاحتفال بتوزيع الجوائز على أكثر من خمسمائة متفوق ، ووقف أمام هؤلاء الفائزين ليتحدث عن دور العلم فى بناء حياتنا الجديدة ، تلك الحياة التى تجند من أجل بنائها كل الطاقات الكامنة فى مجتمعنا ، وقد وضع الرئيس فى خطابه نظرية جديدة هى « أن العلم ينبغى أن يكون ملتزما ازاء المجتمع » حتى يستطيع أن يقوم بضوء كاشف أمام حركاته .

ثم بين الرئيس « أن الأديان كلها كانت رسالة علم الهى تلقاها الانبياء بالالهام القدسى ، ولم يحتكر واحد منهم ما تلقاه ولا استفادة منه لنفسه ، وانما أشاعوا العلم رسالة فى الناس وجعلوا منه قوة تغيير اجتماعى صنعت المعجزات » .

فعيد العلم العربى اذن فوق أنه تكريم للمشتغلين بالعلم هو أيضا تكريم للاتجاه القومى ، وتحقيق لمجد الفكر العربى ، كما أنه يؤكد أن الثورة علم ، وأن الاشتراكية علم ، وأن تحقيق الأحلام العريضة للشعب العامل على أرض الواقع علم أيضا .

ويختم الرئيس خطابه مبينا « أن العلم هو مركب الامان نحو المستقبل والالتزام الاجتماعى دليله الذى لا يخطىء على الطريق » .

وقد ألقى الأستاذ محمد فريد أبو حديد كلمة فى الاحتفال نيابة عن الفائزين أعرب فيها باسم زملائه عن شكره للرئيس على تقدير العلماء وتكريمهم ، وبين أن الطريق مفتوح أمام كل من يتطلع الى التجديد والتفوق من أبناء الجيل الحاضر والأجيال المقبلة ، كى يقوموا ببناء حضارة عربية جديدة تضارع أو تفوق فى سموها وابداعها حضارتنا العربية السالفة .
ويضيف الأستاذ أبو حديد أن حضارتنا السالفة كانت حضارة ممتازة قامت على الايمان بالخير الانسانى والفضائل الانسانية ، وأن « حضارتنا الجديدة لتسير فى آثار الحضارة السابقة فى كل ما هو خير للوجود البشرى ، وان كان من المنتظر أن تكون أبعد مدى وأغزر مادة » .

والأستاذ أبو حديد ـ وهو أحد الفائزين بجائزة الدولة التقديرية فى الآداب ـ قام بترجمة أربعة كتب عن الانجليزية ، وله عدة مؤلفات مسرحية ، وأشهر مؤلفاته القصصية هى :

الملك الضليل ، وزنوبيا ملكة تدمر ، وعنترة ، والمهلهل ، والوعاء المرمرى ، وأزهار الشوك ، وأنا الشعب .

وممن فاز بجائزة الدولة التشجيعية عن فن « التراجم » الدكتور أحمد كمال زكى عن كتابه « الاصمعى » والأستاذ أنيس منصور عن كتابه « حول العالم فى ٢٠٠ يوم » والدكتور على سامى النشار عن كتابه «نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام» .

كما فاز الأستاذ أمين يوسف غراب أيضا بالجائزة التشجيعية عن مجموعته القصصية « أشياء لا

تشترى » والأشياء التى لا تشترى فى نظره هى السعادة ، لأن مفهومها قدرى لا يستطيع أن يشتريه الانسان ولو بحياته ، فالحب مثلا ٠٠ اذا كان نوعا من أنواع السعادة عند بعض الناس فعدم التوفيق فيه ليس من الممكن شراؤه ، والابناء اذا حرم منهم الشخص لا يمكن ان يشتريهم ، وعاطفة الامومة نفسها لا يمكن أن تشترى » وغير ذلك مما ناقشه الأستاذ أمين غراب فى القصص التى قدمها فى الكتاب ٠

الغزو الفكرى :

وقدمت مجلة « الكتاب العربى » عرضا لكتاب « الغزو الفكرى » الذى ألفه الاستاذ « محمد جلال كشك » ٠ ويبدأ العرض بمقدمة بين فيها الأستاذ عبد الصبور مرزوق « ان اى انحراف بالكلمة او بالفكر فى أيامنا هذه لا يقل خطرا عن التعاون مع جيش العدو الزاحف » وبعد أن أوجز مضمون الفصول التى احتواها هذا الكتاب بين أن المؤلف تناول أكثر من نموذج كان كل منها يمثل فى رأيه التبعية الفكرية ، ثم يرى أن أخطر هذه النماذج هو أحد الذين يتصدرون مكان القيادة الفكرية فى أكبر صحيفة عندنا والذى يريد أن « يجعل الولاء للغرب شيئا مقننا مبنيا على نظريات ومبادىء » ، ومما تناوله الكتاب مسرحية « الراهب » للدكتور لويس عوض تبين أن مضمونها السياسى يناقض مناقضة صريحة « الاتجاه العربى المعاصر نحو الوحدة العربية الشاملة بل انه ردة صريحة الى الاقليمية وتأكيد للانفصال » ، وغير ذلك من النماذج التى قدمها المؤلف ٠ وهذا الكتاب نفسه عرضه الأستاذ « عامر بحيرى » عرضا سريعا فى مجلة الثقافة بالعدد الذى قبل الفائت ومما قاله أن كتاب الغزو الفكرى ما يزال يلقى اهتماما متزايدا يوما بعد يوم فاذا تركناه ليخلف اثره السياسى والقومى كما قدر له فاننا نأخذ عليه فى المجال الثقافى ٠٠ « انه كتب كتابة سريعة يدفعها الحماس والغيرة ودقة الحكم » ٠

حول معركة الشعراء :

وفى مجلة « صباح الخير » ينقل الشاعر أحمد عبد المعطى حجازى وصفا لما دار فى اجتماع جمعية الأدباء أثناء مناقشة مذكرة لجنة الشعر ، ومع أننى لست مناصرا لفريق على آخر الا أننى وجدت فى كلام الشاعر حجازى تحاملا على الاستاذ يوسف السباعى واتهامه بالتحيز : من ذلك قوله، انالاستاذ السباعى، « ترأس الجلسة بغير حق وانه أعطى نفسه سلطات واسعة فى ادارتها» ٠ ثم يصف الجلسة بانه كان فيها من « يرفع صوته ليحجب صوت معارضه » وانه كان فيها من « يريد أن يغلق باب المناقشة بحجة انه لا يصح للأدباء مناقشة المذكرة ما دامت معروضة على الوزير» كما يذكر الاستاذ حجازى أن «البعض هدد باستعمال يده فى فض هذه المناقشة » ٠

ونستطيع أن نستشف من هذا الوصف أن الاستاذ السباعى ــ على الرغم مما يتهم به من البعض ــ فانه استطاع أن يدير الجلسة بحكمة وحنكة ومهارة وسط هذا الجو المشحون بالاثارات ٠ خاصة اذا علمنا أن رئيس الجمعية الدكتور طه حسين اعتذر عن الحضور وكذلك نائبه الاستاذ محمود تيمور ، وفوض الاستاذ يوسف السباعى أن يدير الاجتماع ، والاستاذ السباعى مع ذلك عضو مجلس ادارة الجمعية وسكرتيرها العام وله بهذه الصفة أن يتولى تنظيم الاجتماعات عند غياب الرئيس ٠

وعلى كل فالمشكلة لازالت قائمة والصراع محتدما بين انصار الشعر التقليدى وانصار الشعر الجديد ويتلخص هذا الصراع فى أن « أتباع القديم لا يستطيعون امالة هوى الشباب اليهم واتباع الجديد يضربون فى متاهات لغوية وعروضية وفكرية فلا يقوى على اللحاق بهم والفهم عنهم الا قلة قليلة » بل قد تسلل الى غبار المعركة كما يقول الاستاذ يحيى حقى « شعر مكتوب بالعامية يظن أنه سيرث الارض ومن عليها » ٠

والمسئول أولا وأخيرا عن حل هذه الأزمة هم النقاد المخلصون الذين لا ينحازون ولا يتسترون وراء أغراض معينة ، هؤلاء وحدهم ، هم الذين سيكشفون لنا حقيقة هذه الأوجه المتصارعة ويبينون منها ما هو أولى وأجدر بالبقاء ٠

الاتجاهات الأدبية المعاصرة :

وأدلى الاستاذ محمد فريد أبو حديد بحديث الى مجلة المصور عدد ١١ ديسمبر ١٩٦٤ تناول فيه اتجاهاتنا الادبية المعاصرة ٠٠ ويقول الاستاذ فريد انه يقر كل « حركة أدبية ترعى أصول الادب الفنى مع رعايتها لمواريثنا الحضارية وحضارتنا الجديدة المنشودة ، كما أنه لايقر أن يكون الاديب ببغاء يقلد ولا يفهم ، ولذلك فانه لا يعجبه « هذا الطراز الجديد الذى يسمونه الادب الحديث مثل اللامعقول أو أدب العبث فهذه كلها لايمكن أن تعد نوعا من الادب فهى

دخيلة واصحابها مقلدون لا يفهمون ما ينقلونه ٠٠ بل يتكلمون كالببغاء بحروف لا يدرى معناها » ٠

ويبين الاستاذ أبو حديد أن هذا ينطبق على الذين يسيرون وراء الشعر الحديث ، ففي رأيه ان هؤلاء « يتكلمون مثلا عن شعراء كبار مثل ت٠س٠ اليوت يحاولون تقليد افكاره واسلوبه ٠٠ مع أن اسلوبه بالنسبة للانجليز اسلوب كلاسيكي ٠٠ يسير على عمود الشعر الانجليزي ، على حين أنهم عندما حاولوا تقليده خرجوا عن أساليب الشعر المعروفة لدينا في شكلها ومضمونها » ثم يقول الاستاذ أبو حديد ان « الشاعر اليوت عميق الفكر مثالي النزعة في حين أن من يقلدونه في غاية الضحالة» ويمضي الاستاذ أبو حديد موضحا أن الشعر العامي ليس بشعر « ولكنه زجل ، قد يكون طريفا اذا استمعنا اليه ولكنه لا يغذي أرواحنا بشيء فهو نسمعه على سبيل الفكاهة » ٠

جون شتاينبك الكاتب الامريكي :

ونشر الاستاذ رفيق الخوري في مجلة « العلوم » اللبنانية حديثا أدلى به في موسكو الكاتب الامريكي « جون شتاينبك » وقد وضع شتاينبك أدب الشباب الامريكي في المقدمة نظرا لما يقتضيه الوضع الطبيعي ويحلل ذلك بانهم « أكثر قدرة على التجربة والاحساس بالمناخ الجديد في امريكا وعن البحث الدائم عن الغرابة والشذوذ في الادب والفن والموسيقى والحياة » ثم يتحدث عن بعد النظر الذي كان يتمتع به الاقدمون قائلا «لقد كان جدي يعرف ماذا سيحدث بعد مائة عام، أما نحن فاننا لانستطيع أن نعرف ما الذي سيحدث غدا ، وتلك هي مشكلة الادب الجديد ، انه يرفض الاشكال القديمة دون أن يخلق أشكالا جديدة » ثم ينصح الادباء الشبان مبينا لهم أن « الادب ليس مجرد وصف للاحاسيس والاشياء في مواجهة المشكلة ، بل هو الغوص في أعماق المشكلة » ٠

أبو حيان التوحيدي :

وعرض الاستاذ عبد الجليل حسن في مجلة « الكاتب » كتاب الدكتور زكريا ابراهيم « أبو حيان التوحيدي أديب الفلاسفة وفيلسوف الادباء » ٠

وقد ناقش الناقد القول بأن أبا حيان التوحيدي قد عمل « على النزول بالفلسفة الى مستوى الجمهور ونشر الوعي الفلسفي بين جمهرة العامة والخاصة سواء بسواء »٠

ويرد الناقد مبينا أن هذا القول « لا يبرره الواقع التاريخي المعروف فلم يكن هناك وعي فلسفي بين جمهرة العامة وما كان أبو حيان يستطيع أن يعمل على نشر الفلسفة اذ لم تكن هناك جماعة من الفلاسفة الادباء أحالت الفلسفة على حد تعبير الدكتور في صفحة (٢٩٧) الى ثقافة شعبية يفيد منها العامة من الناس وينهلون من معينها شتى ألوان المعرفة » ٠ والمعروف أن أبا حيان عاش في القرن الرابع الهجري وكان ثائرا على أخلاق مجتمعه وذم سير الناس الذين كان يحيا بينهم ، وتمرد على أحوال العصر الذي كان ينتسب اليه مما أدى الى انصراف الناس عنه واتهامهم اياه بالزندقة والخروج على الاسلام ٠

وفي مقدمة هذا الكتاب يلتمس المؤلف عذر القارىء عما قد يجده من تشويه أو تحريف ويقرر أن الصورة التي رسمها لشخصية أبي حيان لا تخلو من التحمس والتحيز ، ويدافع المؤلف عن وجهة نظره بانه اراد بذلك أن يبرز أبا حيان في صورة «مشوقة تثير اهتمام كل باحث عن الحقيقة » ٠

عصر المأمون :

وتحدث الدكتور محمد جمال الدين سرور في مجلة « العربي » عن « عصر المأمون » وما كان له من اثر على النهضة الفكرية العربية ، فقد تجلى في عهده ازدهار حركة النقل والترجمة من اللغات الاجنبية ، وخاصة من الفارسية واليونانية الى العربية ويوضح الباحث أن الخليفة المأمون لما هادن صاحب جزيرة قبرص بعث اليه يطلب بعض كتب اليونان ، فجمع ذوي الرأي عنده واستشارهم في ارسال هذه الكتب الى الخليفة فاشار عليه أغلبهم ألا يرسل اليه أي كتاب ، وقال له احد رجال الدين « الرأي أن تعجل بانفاذ الكتب الى الخليفة فما دخلت هذه العلوم العقلية على دولة شرعية الا افسدتها واوقعت بين علمائها » فأجاب صاحب جزيرة قبرص المأمون الى طلبه ٠

ويستخلص الدكتور أن عصر المأمون قد دونت ونظمت فيه كثير من العلوم سواء العقلية منها أو النقلية ، وأن العلماء كانوا يتسابقون في تدوين هذه العلوم ، كما ان بعض الشخصيات اخذت تتنافس الابتكار في سائر العلوم التي اشتغل بها المسلمون ، فضلا عما كان يتمتع به العلماء من حرية الرأي في هذا العصر ٠

« محمد العواني »



تعقيب

« ماهر البقري »

كان الأستاذ الأديب طاهر الجبلاوي قد عقب على كلمة لأحد السادة القراء في الرسالة العدد ١٠٨٣ بشأن اختلاف الرواية في موضوع زيارة مصطفى كامل لمدرسة أسوان وعرضه للبيت :

والمرء ان لم تفد نفعا اقامته
غيم حمى الشمس لم يمطر ولم يزل

واعتقد ان أصح الروايات ما يؤخذ من العقاد نفسه ، اذ هو بطل الرواية ؛ فهو يقول في ص ٦٤ من كتاب (حياة قلم) انه كان متطوعا او متبرعا بالتعليم في المدرسة الاسلامية وأملى مصطفى كامل بيت ابي العلاء لا الطغرائي :

والمرء ما لم تفد نفعا اقامته
غيم حمى الشمس لم يمطر ولم يسر

فلما اضطرب التلاميذ ولم يحسنوا الشرح أدركه قائلا « ان التلاميذ معذورون لأنهم يعلمون أن الغيم الذي يظلل الرءوس شيء نافع لا يضربون به المثل لقلة النفع ..)

ويعقب العقاد بقوله (كنت أقدر من خطيب مثله أن يتقبله بالاستحسان والارتياح ولكنه تجهم وزوى وجهه .) واحسب أن منطق العقاد كان يثير الارتياح والاعجاب معا لو كان صادرا منه وهو تلميذ أما وهو مدرس فانه يثير الاعجاب ، ولكنه لا يثير ارتياح الزعيم لما فيه من تسفيه الفكرة كما قال الأستاذ الجبلاوي في كلمته السالفة . وذلك ما يرجح عندي رواية العقاد على غيرها وان اتفقت جميعا على دلالة واحدة .

مرتزقة القلم

حسن سليمان ابو ستة

لقد انكشفت حقيقة عملاء المنظمة العالمية لحرية الثقافة .. وطفحت نفوسهم بما فيها من حقد أسود على تاريخ أمتنا المجيدة وتراثها المقدس . ناسين متناسين .. تاريخ هذه الأمة وحضارتها التي كانت تشع نورا وهدى للعالمين ... يؤمها طلاب المعرفة وعشاقها من انحاء العالم بينما كان أسيادهم يغطون في سبات عميق .. فيدبج هؤلاء العملاء المقالات المطولة في التهجم على تراثنا وقتل كل ما هو قيم مضيء في فكرنا ... في مجلتهم الاستعمارية « حوار » ثم يأتي بعد ذلك من يدافع عن هذه المجلة زاعما أنه لم يجد ثمة دليلا على عمالتها .. ومدعيا بأنها مجلة عربية تخدم العروبة فاية عروبة تخدم هذه المجلة الاستعمارية ؟ .. هل كتبت عن الذين مزقت ظهورهم سهام الغدر وشردوا من ديارهم ؟ وهل كتبت عن الرابضين في قمم الجبال يصارعون البغي والعدوان في الجنوب العربي ؟ وهل كتبت عن قضية الحرية وعن حمامات الدم في الكونغو ؟ هل كتبت عن هذه القضايا ـ يا من تدافعون عنها ؟ ـ بدلا من تسويد الصفحات الكبار في التهجم على فكر ومقدسات هذه الأمة المجيدة واحتضان الشعوبيين الحاقدين والكتاب اللا أخلاقيين ـ والذين عفروا جباههم على أعتاب السفارات ليقبضوا الثمن وليزيدوا من نشاطهم في

تنفيذ ذلك المخطط الذى وضعه لهم اسيادهم ، وهذا شأن المرتزقة دائما . فليس كافيا أن يتصدى لهم لكشف حقيقتهم الأديب الحر الأستاذ عباس خضر وبعض كتاب الرسالة الزاهرة .

بل أهيب بكل كتاب العروبة أن يتصدوا لهؤلاء ... مرتزقة القلم ليدحضوا افتراءاتهم ويعروهم امام الرأى العام العربى ... ليكتسحهم الطوفان ويغوصوا فى القاع .

نقطة الزيت ! ..

« عيسى متولى »

تذكرت ، وانا أقرأ تفاصيل حادث الاختلاس الكبير ، الذى طالعتنا به الصحف .. اقول تذكرت موقفا من مواقف عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، يوم ولى أمور المسلمين ، فكان واليا مثاليا ، يعطى مالله لله ، وما لقيصر لقيصر .. لا يظلم أحدا .. حتى قيل له ذات يوم : « حكمت فعدلت فأمنت فنمت » ! ...

اما الموقف الذى اريد أن أتحدث عنه ، فهو موقف عمر من أموال الدولة .. وحرصه عليها الا تنفق فى غير الوجوه المشروعة ، مهما بلغت من الضآلة ...

كان عمر ، رضوان الله عليه ، وهو يتولى مهام منصبه ليلا ، يضيىء حجرته بسراج صغير ، به بعض نقط الزيت ...

فاذا دخل اليه ذو حاجة ، بادر عمر بقوله :

ــ ان كنت جئتنى فى أمر يهم المسلمين ، تركت السراج مشتعلا ... وان كنت جئتنى فى أمر لى أطفأت السراج ! ..

والى هذا الحد بلغ تمسك عمر بالمثل العليا ، فلا يفرط فى شىء لا يملكه ، ولو كان نقطة زيت ! ..

سيقول بعض من الناس : وأين نحن من عمر ؟!

ولكن العبرة ليست بشخص عمر .. انما هى بمبادىء عمر .. وهى مبادىء الاسلام القويمة ، التى كانت فى مقدمة مقومات انتشار دعوته الحقة ، وانتصارها ! ...

سلام عليك يا عمر .. فقد وضعت للانسانية مبادىء العدالة ... والنزاهة ... والقيم الخلقية الفاضلة ! ...

اننى فوق السحاب !.

احمد عبد اللطيف بدر

أيها المخدوع بالقول الكذاب
لا تصدق . اننى فوق السحاب !
وارتياب «الحاقد» الباغى اسى
فى فؤاد ، لم يجد غير ارتياب
حقده المسموم فى مهجته
قد تفشى بين بغض واكتئاب
فى سواد الوجه رمز ماثل
عن ظلام القلب ، أو قصد الخراب!
شامخ الراس بعقل فارغ
غير أفكار تبدت من ضباب
يامل الدنيا على اوهامه
لكن الآمال تبدو كالسراب
خائب المسعى وفى خيبته
طبعه الوحشى من طبع الذئاب !
عائب « للفضل » يزرى فضله
كل ما يصدره ، رذل يعاب
ظن أن الكون فى قبضته
خيب القصد ولكن فيه خاب
صار يستجدى وجودا فارغا
بين ذل ، وامتهان ، واستلاب !!

* * *

ايها المخدوع حكم فطنتك
واحتكم للحق ، وابعث حكمتك
لا تكن طوع الهوى فى وهمه
عزة الرأى تلافى عزتك
انت ذو فكر وفى لمعته
آية تزهو ، وتعلى فكرتك
هل حكمت الحكم عن « بادرة » ؟
هل رأيت الفعل زكى نظرتك ؟
ليس حكم السمع الا خدعة
لا تدع غرا يوالى خدعتك !
سوف تلقى من تسامى سعيه
نحو مجد قد تمنى لقيتك !!

التضحية

قصة بقلم : الدكتور نجيب الكيلاني

كان القطار القادم من «اسوان» يطوى الارض فى سرعـــة مجنونة ، لكن لم يكن فى استطاعته ان يسبق تلك الآمـــال الرفرافة التى تنبعث من قلب المهندس «اسامة» ـ انه يحاول ان ينسى ـ الى حين ، ليالى العمل الشاق فى السد العالى .. ولم يعد يذكر سوى انه سيلتقى بامه بعد فراق دام اربعـــة شهور كاملة .. اجل .. اجل .. سوف يضغط على جرس الشقة ثلاث ضـغطات متتالية ، وستفهم امه على الفــور الرنين المميز فتجرى الى الباب وتختطف ابنها بين ذراعيها .. وتغـرق وجهه النضر بالقبلات الحانية .. ثم تعود لتتامل قسمات وجهه فى ابتهال وشغف ، وكانها تتعبد .. وسيرمقها هو الآخر بعين دامعة فيها تقدير وتقديس وعرفان بالجميل .. وهل يستطيع ان ينسى ؟ .. مستحيل .. ان امه قد صنعته .. قد جعلت منه رجلا .. سهرت الليالى الطويلة تخيط الملابس للزبائن ، وتجمع القرش على القرش ، وتقنع بنصف أكلة ، ولا تخجل من ثيابها التى رثت وحال لونها ، ولا تفكر فى نوبات ضغط الدم التى تنتابها من آن لآخر ، لم يكن يشغل ذهنها سوى اسامة ، لقد ركزت فيه كل امالها وامنياتها الحلوة بعد موت ابيه ، لم يقف الفقر عقبة فى اتمامه لتعليمه ، كانت الام تحشد كل طاقاتهـا من اجل الحصول على القرش ومن طريق شريف .. لابد ان تكون الوسيلة نظيفة طاهرة تتناسب مع الهدف الرائع الجليل الذى تسعى اليه. وهكذا اصبح اسامة مهندسـا..لم يكد يمر على تخرجه بضعة ايام حتى صدر اليه امر تكليف بالعمل فى السد العالى .. فى اقصى صعيد مصر .. فترك امه منذ شهور اربعة.. وهاهو يعود الى القاهرة واللهفة تسبقه .. والذكريات الشجية تمر فى وجدانه .. لقد عاش طوال هذه الفترة لا يفكر الا فى شئ واحد وهو رد الجميل .. لقد ضحت امه بحبات عيونها .. ولا بد ان يكون لهذه التضحية ثمن كبير .. ومهما كبر الثمن فلن ترتفع قامته الى القمة الشامخة التى بلغتها امه بتضحياتها انه يعود اليوم وفى حقيبته علاج ضغط الدم .. واقراط ذهبية وانواع فاخرة من الثياب .. وبعض التحف الجميلة .. وقدر من المال لاباس به استطاع ان يدخره .. ليس هذا وحده ، بل انه سوف يحمل امه معه الى اسوان .. حيث المسكن النظيف الأنيق الخاص به ، وحيث وسائل الراحة .. الثــلاجة .. والبوتاجاز .. والغسالة الكهربائية .. والخادم المطيع .. كل شئ سيكون مجندا لخدمة امه وراحتها .. لو طلبت منه افضل ما يملك لوهبه لها عن طيب خاطر ولظل يشعر بالتقصير حيالها ليس هذا مجرد حب .. انما هو شعور غريب اقرب ما يكون الى العبادة .

ـ ولم لا ؟ ..

يكفى انها صنعت منه انسانا عظيما باضعف الامكانيات وفى احرج الأوقات .. وبناء انسان اروع بكثير من بنـــاء عمارة شامخة او ناطحة سحاب .. لم يزل القطار ينهب الارض نهبا ، ولم تزل امنيات اسامة تسابق القطار ، فتسبقه .. والساعات التى يقطعها المسافر من اسوان الى القاهرة طويلة .. طويلة .. تثقل على قلب اسامة وتورثه الملل والضيق. انه يريد ان يغمض عينيه ويفتحها فيجد نفسه بين ذراعيها .. فى لحظات .. لكن اسامة يحاول ان يتغلب على الملل الذى يكاد يخنقه بالعبارة الخالدة التى كانت ترددهـــا امه ايام الكفاح المرير والازمات القاسية «الصبر طيب .. ومن صبر نال» .

واخيرا بعد ساعات من الشوق الخارق بلغ القاهرة .. وغاص فى شوارعهـــا الكبيرة التى تغص بانسان البشر .. ما اروع المدينة واحبها الى نفسه .. ان روحه تعانق كل شئ فيها .. مبانيها .. مقاعدها .. مسارحها .. نيلها .. الناس والجماد والحياة المتحركة الفائرة .. وخفق قلبه خفقات متلاحقة سريعة وهو يدلف الى عطفة «فواوير» بحى «السيدة» .. كانت الساعة قد قاربت منتصف الليل ، وعلى الرغم من برودة الجو كانت جبينه منداه بالعرق ، وانفاسه لاهثة حارة .. لم يعد يرى امامه سوى باب الشقة المتواضعة .. الباب الذى تقف من ورائه امراة تعبدها بوجهها الشاحب المستدير وعينيها اللتين تشعان بريق الأمل والايمان والحب والصبر .. وثوبها الأسود الذى يضفى عليها وقارا من نوع غريب .. وقارا يرغم الناظر اليه على الخشوع والسجود .. ومن خلال زجاج الباب لمع الضوء

الشاحب المحتقر ، لم يضع الوقت ، بل رفع يده المرتعشة وضغط على الجرس ثلاث مرات .. وانتظر .. ودق قلبه اكثر من ذى قبل وتناوشته الشكوك .. لكنه سمع وقع خطوات متباطئة وانفرج الباب .. عن وجه جدته لامه .. وابتسم .. ووقف جامدا بضع لحظات .. ثم اختطف يدها فى رفق وقبلها فى حرارة .. ورفعت الجدة عينين كليلتين وهتفت بصوت يخالطه الانفعال :

ـ اسامة ؟ ..

ـ اجل .. لكم تشوقت اليكم

ودار بنظراته فى ارجاء الشقة الشاحبة الضوء، وهتف :

ـ هل نامت امى ؟

وتنحنحت الجدة ثم سعلت ، وقبل ان تلوذ بالصمت قالت :

ـ حمدا لله على سلامتك .

وقال فى قلق :

ـ سوف ادخل لاوقظها .. ستكون مفاجاة سارة بالنسبة لها عندما ترانى واقفا الى جوار سريرها ؟ .. وعندما هم بالاندفاع نحو حجرتها ، امسكت الجدة بذراعه وتشبثت به فى وهن وهى تقول :

ـ انتظر .. انها ليست هنا .

ـ اين ؟ ..

ـ فى مكان امين ..

لم تحتمل شيخوختها الاعصار الذى هب ، الجمتها المفاجاة ، والليل قد مضى نصفه والكون ساكن بارد مشحون بالقلق والخوف واسامة يقف مذهولا حائرا ، وعاد يقول فى اصرار :

ـ قولى يا جدتى .. اين هى ؟

وغاضت دموعها ، وانطلقت الكلمات من فمها الضامر مختلطة مبتورة لاتكاد تفهم ، ثم ترنحت وارتمت على الارض الباردة الصخرية وهى تغمغم :

ـ الاعمار بيد الله ياولدى ، كانت سعيدة منشرحة .. وكانت تضحك ملء شدقيها وتستخرج خطاباتك وتلثمها بشفتيها فى حنان دافق .. لكن نوبة قلبية داهمتها .. نقلناها فورا الى القصر العينى .

فقاطعها قائلا :

ـ هى فى المستشفى الآن ؟

فاستطردت دون ان تلتفت الى ما قال :

ـ وفى نفس الليلة لفظت انفاسها .. وصرخ وهو يقذف بالحقيبة الى ركن قصى فى الصالة :

ـ ماتت ؟

ـ الله يرحمها ..

ـ مستحيل .. هذا ظلم ..

ـ انها ارادة الله ياولدى .. تقبضت يداه وارتسم الذهول على ملامحه لحظات قصارا .

وبدت الحياة امام عينيه تافهة حقيرة .. خاوية .. لا عدل فيها ولا جمال .. ثم القى بجسده ـ دون وعى ـ على (كنبه) مهترئة .. متهالكة وسط الصالة وانفجر باكيا .. كانت دموعه تتدفق صاخبة غزيرة ، وجسده كله ينتفض ، ونشيجه العالى يتردد عبر الصمت والبرودة ، والليل الحزين ..

وبعد فترة لا يدرى اطالت ام قصرت رفع عينيه المحتقنتين الى وجه جدته المتغضن وهمس فى صوت يكاد يخنقه البكاء :

ـ لقد عشت ايام كفاحى على امل ان ارد لها الجميل .. ان اعوضها عن شقائها وعذابها وسهرها الليل .. اجل .. كانت تضحيتها فوق التصور ..

وهمست الجدة فى نبرات راعشة :

ـ لو كان للتضحية ثمن لما سموها تضحية .

ـ كيف ؟ .

ـ كانت امك تفعل ما تفعل دون انتظار لشىء .. كان يكفيها ان تستشعر تلك السعادة الغامرة التى تترقرق بين جوانحها وهى تضحى كل شىء .. وعندما تكون التضحية بثمن فستتحول الى صفقة دنيئة .. لم تكن امك تفكر فى شىء اسمه التضحية ، كانت تقوم بدورها نحوك لانها يجب ان تفعل ذلك .. مجرد واجب مفروض تؤديه ولا شىء غير ذلك .

قال وهو يحاول تجفيف دموعه .. :

ـ لكنه واجب الشكر .

ـ بالنسبة للآخرين ربما يكلفك الكثير ، اما بالنسبة لامك فهو شىء آخر .. دمعة خالصة على قبرها .. او وفاء صادق لذكراها .. او دعوات صالحة .. اشياء فى القلب ، وليس مكانها الجيب ياصغيرى الحبيب .

وتنهد فى حرارة ، ورمق الحقيبة بعين دامعة ، ثم خطا نحوها فى الم ، واستخرج الهدايا ، واخذ يقلبها بين يديه وطوفان من المشاعر المتدفقة يغرق قلبه ، واقتربت الجدة منه وقالت :

ـ لا تحزن .. تستطيع ان تحتفظ بهذه الهدايا لزوجة المستقبل .. لا تتألم ولا تتهمنى بقلة الذوق وعدم احترام احزانك .. هذه هى الحقيقة .. واؤكد لك ان امك ستكون سعيدة فى قبرها .. وخاصة عندما ترى ابنها انسانا يعيش بقلب نبى .

وران عليها الصمت ، ووثبت افكاره الى بعيد .. الى حيث تثوى امه فى حفرتها المنعزلة ، ثم هب واقفا :

ـ الى اين ياحبيبى ؟ .

ـ اليها ..

ـ الآن .. ؟

ـ اجل .. لاذرف دمعة وفاء .. على قبرها .

ـ فى هذا الوقت من الليل ؟ .. لماذا لا تنتظر حتى الصباح ؟

واندفع خارجا وهو يقول :

ـ لا استطيع .. لا استطيع .

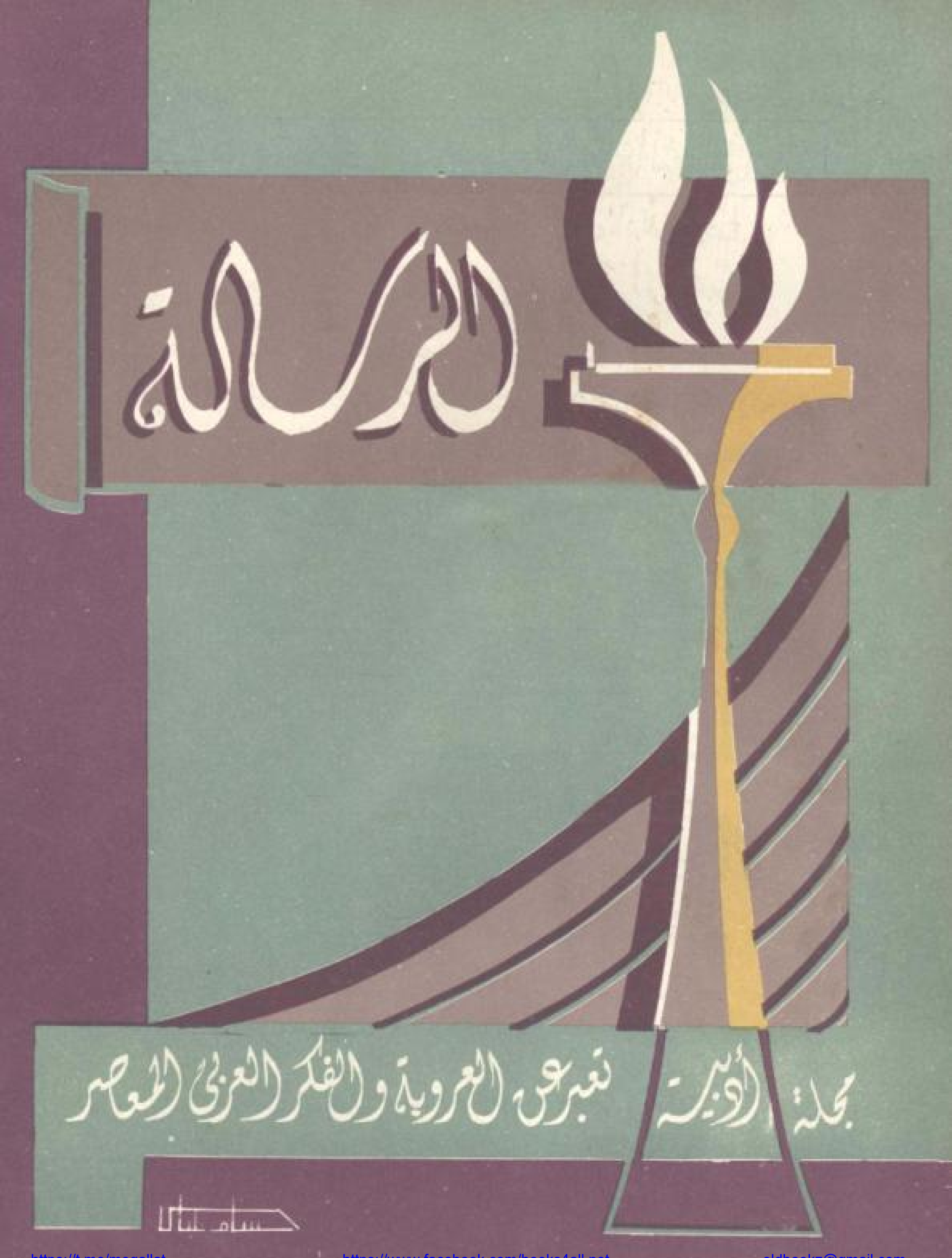
د . نجيب الكيلانى



الدار القومية للطباعة والنشر

العدد ٧٥

الثمن ٣


الرسالة
مجلة أدبية تعبر عن العروبة والفكر العربي المعاصر

الرسالة

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

تليفون ٤٢٧٩٤
٥٣٩٤٠

في هذا العدد

الاشتراكات :
١٥٠ قرشاً سنوياً
يضاف أجر البريد من خارج ج.ع.م.

الإدارة :
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد - القاهرة .

وحدة الدين في الوطن العربي

بقلم الدكتور: علي عبد الواحد وافي

يعتنق الدين الاسلامي زهاء خمسة وتسعين في المائة من سكان الوطن العربي ، فهؤلاء جميعا يعبدون الاهـا واحـدا ، ويسيرون على هدى رسول واحد ، ويولون وجوههم في صلاتهم شطر قبلة واحدة ، ويصومون شـهرا واحدا ، ويحجون الى بيت واحد ، ويتجه ولاؤهم الروحي الى مقدسات واحدة . ولا يخفى ما لوحدة الدين في هذا الوطن من أثر في دعم قـومية أهله وتوثيق الروابط التي تربط بعضهم ببعض . وذلك أن اتحادهم في الدين يجعلهم من الناحيـة الروحية ـ وهي أسمى نواحي الانسان وأهم خصائصه ـ اشبه شيء بصورة متكررة متشـابهة قد خرجت من قالب واحد : وهذا هو اقصى ما يمكن أن تحققه عوامل المزج والتقريب بين الجماعات .

ويرجع الفضل في انتشار الاسلام في هذه البلاد وقضائه على بعض الأديان التي كانت سائدة فيها من قبل الى ما تمتاز به عقائده وشرائعه من سمو ويسر، واتساق مع المنطق الانساني السليم ، ومجانبة لمظاهر العنت والحرج، وصلاحية لمختلف البيئات والعصور، وشمـول لجميـع شئون الحياة ، وديموقراطية في الحكم ، وحرص على احترام حقوق الانسان ، وتقرير لمبادىء الحرية والاخاء والمساواة على أكمل وجه . فكـان يكفي أن تمتزج الجاليات الاسـلامية بأهل بلد ما من البلاد التي افتتحها المسلمون ، وتدعو الى دينها بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويقف أهـل البلد على أصول هذا الدين الحنيف ، ويشاهدوا ماتضربه هذه الجاليات من مثل عليا في عباداتهـا وسلوكها ومعاملات أفرادهـا بعضهم مع بعض ومعامـلاتهم مع غيرهم ، مطبقين في ذلك تعاليم الاسلام ومبادئه ، حتى يدخل أهل هذا البلد في دين الله أفواجا عن طواعية واختيار . ولا يقص علينـا التاريخ حـالة ما قـد انتشر فيهـا الاسـلام بقـوة السـيف او عن طريق الضغط والاكراه . هذا الى أنه لا يعقل أن يستخدم الاكراه في شـئون العقيدة . فالعقيدة أمر نفسي لا يعرفه غير صاحبه ولا يستطيع أي ضغط خارجي أن يمحوه أو يستبدل به غيره . والاسلام ينهى أشد النهي عن محاولة الاكراه في الدين ، ويبين عدم جدواه ، ومنافاته لما ينبغي أن تكون عليه الدعوة السليمة . وفي هذا يقول الله تعالى : « لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » ؛ ويقول « ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟! » والاستفهام في هذه الآية استفهام انكاري أي انه لا ينبغي أن تفعل ذلك ولا يمكن أن ينتهي اكراهك الى ايمان صحيح.ويقول: « انما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر » ؛ ويقول: « قل يأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم ، فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ، وما أنا عليكم بوكيل » ويقول : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » .

* * *

هذا ، وقد كان المسلمون جميعا أمة واحدة وعلى مذهب واحد . وظلوا كذلك في عصر الرسـول عليه السلام وعصر أبي بكر وعمر وعثمان . ولكنهم بعد مقتل عثمان ونشوب الحروب الأهلية بين علي ومعاوية انقسموا الى طوائف يختلف بعضها عن بعض في أمور كثيرة يرجع أهمها الى أمرين رئيسيين :

أحدهما يتعلق بالشئون الدستورية ونظم الحكم والخلافة . فذهبت طائفة الى ان اختيار الخليفة موكول

الى المسلمين ، وأن الخلافة الصحيحة هي ما كانت نتيجة بيعة حرة ، سواء أكان المبايع من قريش أو من غيرهم ، من آل البيت أو من غيرهم . وذهبت طائفة أخرى الى أن الخلافة مقصورة على القرشيين وحدهم . وذهبت طائفة ثالثة الى أنها مقصورة على على بن أبي طالب وآل البيت وهم نسل فاطمة الزهراء . وذهبت طوائف أخرى في هذا الصدد الى غير ما ذهب اليه هؤلاء جميعا . ـ واهم ما ينتهى اليه هذا الخلاف هو الحكم على خلافة ابى بكر وعمر وعثمان ،وهل كانت خلافة صحيحة او غير صحيحة.

والآخر يتعلق بالشئون الفقهية التشريعية . فمع أن جميع هذه الطوائف تستمد فقهها وتشريعها من الكتاب والسنة ، فان بعضها يختلف عن بعض في مناهج اجتهادها وطرائق استنباطها الاحكام من هذين الأصلين ومما يتفرع عنهما كالاجماع والقياس.

ومن هذا يتبين أن الخلاف بين طوائف المسلمين أصبح في الوقت الحاضر خلافا تافها لا ينبغي أن يؤدي الى فرقة ولا قطيعة . فالخلاف الدستورى خلاف تاريخي يتعلق بالحكم على أوضاع سياسية قديمة قد مضت ومضى أهلها . والخلاف الفقهى خلاف اجتهادى يرحب به الاسلام ، بل يحث عليه ، ويقرر أن المجتهد مشكور ومثاب على اى حال ، مادام اعتماده على الكتاب والسنة ، وأن كل مذهب مبنى على اجتهاد سليم هو مذهب اسلامى صحيح .

غير أن المستعمرين وذوى الأغراض قد استغلوا هذه الخلافات التافهة فاستخدموها في ايقاد نار الفتنة واحداث القطيعة بين طوائف المسلمين ، حتى يتحقق لهم النفوذ والسيطرة على الوطن العربى ، عملا بالمبدأ الروماني القديم ، وهو مبدأ التفرقة بين المسودين لكى تتم السيادة عليهم .

وقد فطن أهل الوطن العربي فيالوقت الحاضر الى هذا الكيد ، وعملوا على احباطه ، فاخذوا يجمعون شملهم ، وتحترم كل طائفة منهم مذاهب الطوائف الأخرى ، بل تقتبس منها بعض احكامها ، وتدرسها في معاهدها ، كما فعلت مصر ، التى يسير المسلمون من سكانها على مذاهب أهل السنة ، اذ اقتبست بعض أحكام الأحوال الشخصية من مذاهب الشيعة وقررت دراسة هذه المذاهب فى أكبر جامعة اسلامية من جامعاتها وهى جامعة الأزهر ، وانشئت فيها جماعة للعمل على « التقريب بين المذاهب الاسلامية » .

هذا ، وترجع أهم الطوائف التى بقيت مذاهبها فى الوطن العربى الى أربع طوائف ، وهى : طائفة اهل السنة ، وطائفة الشيعة الجعفرية ، وطائفة الشيعة الزيدية ، وطائفة الاباضية .

١ ـ **أما طائفة أهل السنة** فهى أكثر الطوائف اعتدالا فى مذاهبها الدستورية والفقهية . ففيما يتعلق بالناحية الدستورية ترى أن الخلافة الصحيحة هى ما كانت نتيجة بيعة حرة من المسلمين ، سواء أكان المبايع من آل البيت أم من غيرهم على شرط أن يكون من قريش عند بعض فرق أهل السنة .وبذلك تكون خلافة أبى بكر وعمر وعثمان خلافة صحيحة فى نظر هذه الطائفة . وفيما يتعلق بالناحية الفقهية التشريعية تستمد هذه الطائفة مذاهبها من الكتاب والسنة . وهى اذ ترجع الى السنة يصح لديها الحديث متى توافرت فى رواته صفات العدالة والضبط الى آخر السند سواء أكانوا من آل البيت أو من غيرهم .

ومع اتفاق أهل السنة فى هذه الأصول العامة ، فانهم قد انقسموا من الناحية الفقهية التشريعية الى عدة مذاهب لكل مذهب منها وجهة نظره في استنباط احكامه وفي تفسيره لآيات الذكر الحكيم وترجيحه لبعض الأحاديث . وقد انقرض كثير من هذه المذاهب ولم يبق لها معتنقون فى الوطن العربى ، لأنه لم يتح لها أنصار أقوياء يعملون على نشرها وتسجيل أحكامها فى مؤلفات يتداولها الناس ، كمذهب سفيان الثورى ،ومذهب الأوزاعى، ومذهب ابن جرير الطبرى ، ومذهب الليث بن سعد ، ومذهب داود الأصفهاني وهو المعروف بالمذهب الظاهرى ، لأنه يأخذ بما يرشد اليه ظاهر نصوص الكتاب والسنة . ومع أن هذا المذهب الاخير قد انتصر له فيما بعد العلامة ابن حزم الأندلسى ، وسجل أحكامه فى كثير من مؤلفاته وخاصة فى كتابه « المحلى » (وقد أخذت مصر ببعض أحكامه وخاصة في الوصية الواجبة) ، فانه ليس له متبعون فى الوقت الحاضر فى الوطن العربى . ولم يبق من مذاهب اهل السنة فى البلاد العربية الا أربعة مذاهب ، وهى : مذهب الامام مالك ؛ ومذهب الامام الشافعى ؛ ومذهب الامام

أحمد بن حنبل ، ومذهب الامام أبى حنيفة النعمان ٠

ويسير على مذهب الامام مالك معظم سكان المغرب وموريتانيا والجزائر وتونس وليبيا وصعيد مصر والسودان الشمالى والحجاز ٠ ويسير على مذهب الامام الشافعى معظم أهل القاهرة والوجه البحرى فى مصر وعدن والمحميات (عدا مسقط وعمان وقطر) والكويت والأردن واكراد العراق ونحو نصف سكان اليمن وبعض جماعات فى سوريا ولبنان ٠ ويسير على مذهب الامام أحمد بن حنبل كثير من سكان نجد وما يتاخمها فى المملكة العربية السعودية واهل قطر ٠ ويسير على مذهب الامام أبى حنيفة نحو ثلث سكان العراق وبعض جماعات وأفراد فى سوريا ولبنان والأردن ومصر ٠

وتبلغ نسبة المتبعين لمذاهب أهل السنة فى الوطن العربى نحو تسعين فى المائة من مجموع سكانه ٠ فالأغلبية الساحقة من سكان هذا الوطن على دين واحد ومن طائفة واحدة ٠

٢ ــ وأما طائفة الشيعة الجعفرية أو الاثنى عشرية فانها تذهب فى الناحية الدستورية الى أن الخلافة الصحيحة هى خلافة اثنى عشر اماما ، وهم على ابن أبى طالب ، فالحسن ، فالحسين ، فعلى زين العابدين ، فمحمد الباقر ، فجعفر الصادق ، فموسى الكاظم ، فعلى الرضا ، فمحمد التقى ، فعلى الهادى ، فمحمد الحسن العسكرى ، فمحمد المهدى ٠ وكل امام من هؤلاء هوابن للامام السابق، ويستحق الخلافة بالوراثة الى أن يصلوا الى الامام الثالث وهو الحسين السبط ، وجميع هؤلاء خلفاء اعتباريون ، اى خلفاء فى نظر الشيعة الجعفرية ،ولم يتولوا الخلافة بالفعل ، ما عدا على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، فانه قد تولى الخلافة الفعلية بمبايعة معظم المسلمين له، واما خلافة أبى بكر وعمر وعثمان فهى فى نظرهم خلافة غير صحيحة ٠

وتستمد هذه الطائفة مذهبها فى الامور الفقهية التشريعية من آراء الامامين محمد الباقر وجعفر الصادق ، وخاصة آراء الامام جعفر الصادق ، وهو الامام السادس فى نظرهم ، ومن ثم يسمون الشيعة الجعفرية ، ومذهب الامام جعفر مذهب اسلامى صحيح مستمد من الكتاب والسنة ، وان كانت له اتجاهات فى تفسير بعض آيات الاحكام وترجيح بعض أحاديث الرسول تختلف عن اتجاهات أهل السنة ، وهو يجنح الى ترجيح الاحاديث التى يكون رواتها من آل البيت ٠

ويسير على مذهب الشيعة الجعفرية نحوثلث سكان العراق وخاصة فى الألوية الواقعة جنوبى بغداد وأهل الأحساء فى المملكة العربية السعودية ، وبعض جماعات فى سوريا ولبنان ٠

٣ ــ وأما طائفة الشيعة الزيدية فانهم ينسبون الى الامام زيد بن على زين العابدين بن الحسين السبط ،وقد اختلف زيد مع أخيه محمد الباقر فى الناحية الدستورية ، فكان الباقر يرى أن الخلافة تكون بالوراثة فى آل البيت يتلقاها الابن الاكبر عن ابيه ، اما زيد فقد ذهب الى أن الوراثة لا تكفى وان الخلافة الصحيحة هى مايتوافر فى صاحبها ثلاثة شروط : أن يكون من آل البيت من نسل فاطمة ، وان يخرج ويدعو لنفسه ، وان يبايعه المسلمون ٠

وتستمد هذه الفرقة مذهبها فى الامور الفقهية التشريعية من آراء الامام زيد نفسه ٠ ومذهب الامام زيد مذهب اسلامى صحيح مستمد من الكتاب والسنة ، ويقرب كثيرا من مذاهب أهل السنة ، وخاصة من مذهب الامام أبى حنيفة ٠

ويسير على المذهب الزيدى نحو نصف سكان اليمن ، وكان أئمة اليمن وأنصارهم يلقون فى روع هؤلاء أن الخلافة الاسلامية الصحيحة قد تسلسلت فى آل البيت حتى انتهت الى أسرة حميد الدين ٠

٤ ــ وأما طائفة الاباضية فهم اتباع عبد الله بن اباض المتوفى سنة ٨٠ هجرية فى عهد عبد الملك بن مروان ، وتذهب هذه الطائفة فيما يتعلق بالناحية الدستورية الى أن الحكم الشرعى لا بد أن يكون عن طريق الامامة ، وللامام عندهم السلطتان الدينية والدنيوية ، ولا يكون اماما الا اذا بايعه المسلمون ، ولا يشترط فى الامام لديهم أن يكون من آل البيت ولا أن يكون قرشيا ، وانما يشترط أن يكون ورعا عاملا بكتاب الله وسنة رسوله ، ويرون أن الامام الذى ينحرف ينبغى خلعه وتولية غيره ، والامامة

بالوصية والميراث باطلة فى مذهبهم ، فالامام لديهم أشبه برئيس الجمهورية فى نظمنا الحاضرة . ويجوز لديهم تعدد الامامة فى أكثر من مكان ، ويقررون أن عليا كان الامام الحق وان معاوية كان باغيا بخروجه عليه ، ويخطئون عليا فى قبوله التحكيم .

وفيما يتعلق بالناحية الفقهية التشريعية تستمد هذه الفرقة أحكامها من الكتاب والسنة كذلك ، وان كانت لهم طرائق فى الاستنباط تختلف عن طرائق غيرهم ، والمذهب الاباضى مذهب اسلامى صحيح ، ويدرس فى كلية الشريعة بجامعة الازهر ، ويرجع اليه فقهاؤنا فى كثير من الشئون، وهو أحدالمذاهب التى تتضمنها موسوعة الاحكام الشرعية التى يقوم باعدادها مجمع البحوث الاسلامية والمجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

ولا يسير على المذهب الاباضى فى الوقت الحاضر من سكان الوطن العربى الا أهل مسقط وعمان وبعض جماعات فى المملكة الليبية وصحراء الجزائر.

***

هذا ، وقد تخلف فى البلاد العربية بعض أقليات لاتزال تعتنق أديانا أخرى غير الاسلام .

ومن هذه الاقليات ثلاث جماعات كبيرة العدد ، وهى : جماعة الاقباط فى مصر ويبلغون زهاء عشرة فى المائة من مجموع السكان ، وهم مسيحيون يتبع معظمهم بطريركية الاسكندرية ، ويسيرون على المذهب الارثوذكسى ، ويتبع قليل منهم أحد المذهبين المسيحيين الآخرين وهما المذهب الكاثوليكى والمذهب البروتستانتى ، وسكان السودان الجنوبى ويبلغ تعدادهم نحو مليونين ونصف مليون ومعظمهم يدينون بديانات وثنية وبدائية ، وقليل منهم قد اعتنق المسيحية اعتناقا سطحيا عن طريق المبشرين (وأقل من القليل من دخل منهم فى الاسلام) ، .. ونحو نصف سكان لبنان ، وهم مسيحيون مارونيون يتبعون مذهب يوحنا مارون وهو مذهب لايختلف كثيرا عن المذهب الكاثوليكى .

ومن هذه الأقليات جماعات قليلة العدد مبعثرة هنا وهناك . ففى المغرب والجزائر وتونس وليبيا ومصر والأردن واليمن والعراق بعض جماعات يهودية . وكان عددها كبيرا فى بعض هذه البلاد وخاصة فى المغرب واليمن والعراق . ولكن تناقص عددها الآن لهجرة كثير من أفرادها الى اسرائيل .

وفى سوريا والعراق والأردن بعض جماعات مسيحية ، وفى العراق نحل أخرى غير الاسلام واليهودية والنصرانية تعتنقها جماعات قليلة العدد كنحلة الصابئين (عبدة الكواكب) ونحلة اليزيديين (عبدة الشيطان) .

غير أن وجود هذه الاقليات لاينتقص شيئا من القومية العربية ولا من وحدة الدين نفسها ، وذلك :

١ ـ لضآلة عدد هذه الاقليات اذا قيست بمجموع سكان الوطن العربى ، فاذا ضمت هذه الاقليات بعضها الى بعض فان عددها لايكاد يتجاوز ستة ملايين ، وهذا الرقم ليس شيئا مذكورا بجانب مجموع سكان البلاد العربية الذين يربون على مائة مليون ، فرقم ضئيل كهذا لايمكن أن يكون له أثر ما فى وحدة هذه المجموعة الكبيرة ولا فى وحدة دينها .

٢ ـ ان معظم هذه الاقليات قد تأثرت تأثرا كبيرا بالدين الاسلامى فى ثقافتها وآدابها وتفكيرها وكثير من نظم حياتها ، فعدم اتفاقها مع الاغلبية المسلمة فى العقيدة يعوضه تأثرها بالاسلام فى هذه النواحى الثقافية والاجتماعية الهامة .

٣ ـ أن هذه الاقليات تعيش فى سلام ووئام مع الاغلبية المسلمة ، متمتعة بالحقوق نفسها التى يتمتع بها المسلمون ، بل تنعم فى بعض البلاد العربية بامتيازات خاصة ، وتقضى مبادىء الاسلام بأن تحترم عقائدهم وشرائعهم ومعابدهم، وان تيسر لهم السبل لأداء شعائرهم وعباداتهم ، فهم فى كنف الاسلام وتسامحه لايشعرون بأنهم أقلية ولا يشعر المسلمون نحوهم الا بما يشعر به الأخ نحو أخيه .

دكتور على عبد الواحد وافى

هذه هي القضية

بقلم : محمود محمد شاكر

- ٦ -

كنت أتوقع أن تبادر صحيفة الاهرام الى البراءة مما نشر فى صفحاتها الادبية ، فى تسعة أسابيع متواليات ، بتوقيع لويس عوض ، وهو الشيء الذى سماه « بحثا » يتناول رسالة الغفران لشيخ المعرة · وأحب أن أجعل الأمر واضحا من جميع نواحيه ·

وقبل كل شيء ، فمنزلة صحيفة الأهرام فى حياة الأمة العربية ثم الأمة الاسلامية ، وهم جميعا نحو ثمانمئة مليون ، منزلة عظيمة جدا ، وعظيمة الأثر فى حياتنا منذ الطفولة ، الى أن نصير رجالا قادرين على النظر والادراك وسياسة الامم · وهذا الأثر يزداد اليوم اتساعا ، وسيزداد على مر السنين يوم تنهار الحواجز التى فرضت علينا فى القرون الأخيرة ، ففصلت بين شعوب العرب وشعوب الاسلام ، وحصرت لغة العرب فى دائرة ضيقة ، فى داخل الشعوب العربية بالجهل وضعف التعليم ، وفى داخل الشعوب الاسلامية بالجهل وضعف التعليم أيضا ، وبالنكبة الكبرى فى محاربة لسان العرب واحلاله فى المحل الثانى أو الثالث أو الرابع ، وكان هو اللسان الأول فيها ، مع احتفاظ كل أمة من هذه الأمم بلغتها الام فى بعض الأحيان · ولا شك أن ذلك كائن ان شاء الله كما كان ، وعلى العرب اليوم أن يحملوا العبء كله لاعادة ما كان كما كان ، والا لم يكن هناك معنى لدعوتنا الى توحيد العرب امة واحدة ، وليس لها لغة تسود أرضها ، وتسود الأرض التى تشاركها منذ قرون طوال فى العقيدة ، وكانت أيضا تشاركها اللسان ، وتعده لسانها الأول بلا ضغينة وبلا تململ وبلا انكار · لا بل تعد تاريخ العرب تاريخها قبل كل تاريخ لها ماض أو حاضر ، وتنافح عنه كل المنافحة الى هذا اليوم الذى نحن فيه ، مع ما لحق هذه الشعوب من فساد التكوين السياسى بفعل العدو الماكر المستولى على ثروات الأمم وعقولها وأهوائها بخداعه وغشه وسيطرته الباغية ، ثم باحلال لسانه محل اللسان العربى ، وجعله هو اللسان الأول فيها بوسائل خبيثة جدا ، ليس هذا مكان بيانها ·

وصحيفة الأهرام ، وغير صحيفة الأهرام ، تحمل هذا العبء ، لأنها هى الناطقة بلسان العرب اليوم ، والداعية الى توحيد أمة العرب أمة واحدة · وهذه تبعة يحتاج حاملها الى ترك التساهل فى الصغائر ، فما ظنك بالكبائر ؟ والى الدقة والحذر فى كل حرف ينشر فى الصحيفة ، لأن أثره بليغ ونافذ فى نفوس الآلاف المؤلفة ، فى هذه الرقعة من الأرض المتراحبة الأرجاء ، وهم بين صغير يتلقف ما يلقى اليه بتسليم المتعلم لأستاذه ، وكبير ينظر فيحسن النظر أحيانا ، ويسيء النظر أحيانا أخرى ، فيرضى وينكر ، فيكون لرضاه أثر حسن ينقله الى من يتلقى عنه ، ولسخطه أثر سيء يوحى به الى من يأخذ عنه · والآثار المترتبة على الرضى والسخط لا تقف عند حد ، لأنها تنتهى دائما الى تكوين رأى يتناول أدنى العلائق الانسانية فى حياتنا اليومية ، الى أعلى الروابط فى حياتنا السياسية · وهذا شيء مخوف العواقب مفزع ، لأننا لاندرى أين يقع الرضى وأين يقع السخط ، فى رقعة ممتدة من شمال بعيد الى جنوب قصى ، ومن شرق نازح الى غرب متباعد · ولا ندرى أيضا من الذى يحمل قلبه الرضى ، وما منزلته فى الناس وأثره فيهم ، ومن الذى يطوى جوانحه على سخط ، وما مكانه فى الناس وتأثيره فيهم ؟ ولا ندرى أيضا متى يكون الرضى سببا من أسباب توثيق علائق هذه الملايين بعضها ببعض ؟ ومتى يكون السخط عاملا فى فصم هذه العرى وتمزيق علائقها شيئا بعد شيء · فكل ما يؤدى الى هذه البلبلة المخوفة على هذا المستوى ، ينبغى أن يتوقاه كل حامل تبعة ، وكلنا اليوم حامل تبعة ، فى وقت تحتاج فيه هذه الامة الى اعادة تكوين وحدة شاملة كانت ، ثم مزقتها سياسة عدو شديد العداوة بالمكر والبطش فى القرنين الأخيرين ·

هذه هي النتيجة حيال كبير يحسن النظر أو يسيء . أما الصغير الناشيء ، فالأمر فيه أخطر ، وهو عليه أشد وبالا ، لانه يتعلق بتكوين نفسه وعقله وارادته وبالمرجو فيه اذا كبر واشتد وصار اهلا للنظر ، وقادرا على التاثير . والصحيفة والمعلم ، كلاهما عوض عن ثدي أمه ، فانه يرتضع منهما مادة بنائه العقلي والنفسي ، فاذا تلقى سوء النظر وفساد التفكير ، وخطل الرأي ، فانما يتلقى سموما لايكاد يبرأ من عقابيلها ماعاش . فاذا فوجيء في خلال ذلك التكوين ، وهذا شيء لا مفر منه ، بما يصادم ما تلقاه ، اندلعت في كيانه بلبلة أشد من زلازل الأرض،فلا يكاد ينجو من آثار التدمير الفظيع الذي يورثه اياه الزلزال الاكبر ، هذا مع فقدان القدرة على بناء ما تهدم في نفسه . ثم ينطلق على ذلك فيكبر ويصلب عوده ، ولكنه يبقى بناء متهدما في داخله ، لا يستقيم له راى ولا نظر ولا ادراك . فاذا تولى أمرا ، فانما يتولاه ليتلفه ويدمره من حيث يدري ولا يدري . وتدور الدائرة

وتسالني : أكل هذا تقوله من جراء تسع مقالات كتبها كاتب عن رسالة الغفران وشيخ المعرة ؟ فاقول: نعم ،بلا لجلجة ولا ارتياب . وأحب أن أجعل الأمر واضحا مرة أخرى ، وان كان يؤسفني أن يكون الأمر الواقع قد الجاني الى بيان هذه المبادىء التي تعد من أوائل ما ينبغي ان يعرفه عامة الناس فضلا عن خاصتهم . فالأهرام وغير الأهرام ، اذا ألحق بابا للأدب أو الفن أو الطب أو ما شئت ، فان بديهة العقل تقضي بأن يكون مرادها من ذلك : أن تيسر لأكبر جمهرة من الناس أسباب المشاركة في بعض ذلك ، فيقرؤها الدارس ليجد فيما يقرأ رأيا حسنا ، أو متاعا صالحا ، أو دراسة ربما نفعته ، أو ذكرته ، أو زادته قدرة على تبين وجوه اختلاف الرأي كيف تكون ، ومن أين تنشأ . ثم يقرؤها سائر الناس ليزدادوا معرفة وفهما وحسن ادراك ولتزداد نفوسهم وقلوبهم وعقولهم صقلا وقدرة على التذوق. لان كل حضارة بالغة تفقد دقة التذوق ، تفقد معها أسباب بقائها ، والتذوق ليس قواما للآداب والفنون وحدها ، بل هو أيضا قوام لكل علم وصناعة . على اختلاف بابات ذلك كله وتباين أنواعه وضروبه . وكل حضارة نامية تريد أن تفرض وجودها وتبلغ تمام تكوينها ، اذا لم تستقل بتذوق حساس حاد نافذ ، تختص به وتنفرد ، لم يكن لارادتها في فرض وجودها معنى يعقل ، بل نكاد نعد الارادة أن تكون ضربا من التوهم والاحلام لاخير فيه . فحسن التذوق ، يعني سلامة العقل والنفس والقلوب من الآفات ، فهو لب الحضارة وقوامها ، لأنه أيضا قوام الانسان العاقل المدرك الذي تقوم به الحضارة . وهذا شيء لايكاد يختلف عليه اثنان فيما اظن . فاذا اختل هذا الميزان في باب من أبواب الصحيفة ، بطلت الحجة التي من أجلها أنشيء ، وكان الغاؤه خيرا من بقائه وأنفع .

ولكي أزيد الأمر وضوحا وبيانا ، وهذا أمر مؤسف أيضا ، أفترض أن الصحيفة الملحقة بالأهرام مثلا ، صحيفة في طب الأبدان ، فمنزلة الأهرام وثقة الناس بها ، توجب أن تسند أمرها الى طبيب تتوهم أنه قادر على تحرير هذا الباب ، وهذا واضح بلا ريب ، وهذا الطبيب يكتسب من منزلة الاهرام وثقة الناس بها ، منزلة عند الناس وثقة ، فهم يتلقون ما ينشر عندئذ بالتسليم . فاذا جاء هذا الرجل فخلط في الطب تخليطا ينكره اصحاب العلم به ، وجاء الناس بمعلومات غير مستقيمة ولا صحيحة ، تضر بهم في حياطة البدن وعلاجه ، فقد أعانت الأهرام عندئذ على تدمير سلامة أبدان الناس . فاذا جاء من يبين بوجه ما ، فساد ما يأتي به هذا الرجل ، وسوء مغبته على سلامة جماعير الناس ، فواجب الصحيفة عندئذ أن تكف عن ايذاء الناس بما تنشره ، وأن تبرأ مما نشر فيها ، وأن تعلن للناس أن الذي قرأوه لا يعتمد عليه ولا يوثق به ، بلا غضاضة وبلا تحرج . فاذا فعلت علت منزلتها ، وزادت ثقة الناس بها . واذا لم تفعل ، فقد أهدرت الثقة بما تنشر ، وأهدرت منزلتها في الصحف ، وأهدرت أيضا حق القراء الذين وثقوا بها وبما فيها ، ولم تجعل لعقولهم وأبدانهم عندها حرمة . أليس ذلك كذلك ؟ هذه أمور كان من غير اللائق عندى أن أسوقها هذا السياق ، لولا الاضطرار !!

وادع ضرب الأمثلة ، لانه عندى غير لائق هنا لولا الضرورة ، وانصرف الى قضية لويس عوض وما كتبه عن رسالة الغفران وشيخ المعرة ، تاركا ذكر مقالاته الثلاث الاولى من المقالات التسع ، فانما هي لجاجة مضنية من حيث هي دراسة أدبية ،يعرف ذلك من يعرفه ، ويجهله من يجهله ! ولقد بينت في سياق المقالات الخمس السالفة في مجلة الرسالة ،

أن هذا الرجل أراد أن يوهم الناس بانه استاذ جامعي يدرس اثرا أدبيا . فباللقب الذى يحمله ، ولا أدرى كيف جاءه ؛ وبالثقة التى منحتها اياه صحيفة الأهرام ؛ وبالثقة التي يحملها القارىء لهذه الصحيفة ؛ استطاع أن يدخل هذه الدراسة وعليه طيلسان أستاذ جامعي ؛ وان كان هذا الطيلسان عندى فى الحقيقة ، كلباس الفرزدق حين جاء للقاء جرير فى الديباج والخز ، وجاء جرير فى لباس المحارب متقلدا سيفه وفى كفه الرمح ، فوصف ذلك جرير فقال

لبست سلاحي ، والفرزدق لعبة
عليه وشاحا كرج وجلاجله

(والكرج ، بضم الكاف وفتح الراء المشددة ، دمية يلهو بها الصبيان ، تزين بالوشى ، وتعلق عليها الجلاجل والأجراس) . ومع ذلك فقد رضيت كارها أن أعامله معاملة أستاذ جامعي ، لا لشيء الا لاثبت أنه غير مستحق لهذه الصفة بوجه من الوجوه ، فلم أتعلق فى بحثي بصغير أو كبير ليس له مدخل فى منهج الدراسة الادبية ، معرضا عن امور كثيرة حبست القلم عن اثارتها فى هذا الموضع . فمن اجل ذلك سلكت طريق البيان ، فبينت للناس ولصحيفة الاهرام أن هذا الرجل الذى طلع علينا فى طيلسان وجلاجل ، قد ادعى منهجا كمناهج الاساتذة الجامعيين ، سلكه فى دراسة رسالة الغفران وتاريخ شيخ المعرة ، فحاكمته الى أوائل ما يعرف الطلاب الصغار عن المنهج ، فاتضح انه يجهل منهج الدراسات الادبية جهلا تاما ، وكان هذا حسبى وحسب صحيفة الاهرام .

ولكنى لم اقنع بذلك حتى أبرىء ذمتى ،فكشفت عن أكبر خطيئة لاتغتفر لطالب صغير مبتدىء ، وهى العجلة فى قراءة النصوص ، فاثبت أنه نقل نصا من كتاب واحد هو كتاب الدكتور طه حسين . ولم يقراه قط فى غير هذا الكتاب . ومع ذلك فهو انما قرأ أسطرا كالملهوف وترك ما بعدها من الأسطر ، وهى التى فيها نقد الدكتور طه لهذا النص نفسه . وكان من الغثاثة والادعاء أنه استخرج من هذا النص الفاسد المستحيل المعنى ، احكاما القاها للناس كأنها حقيقة مفروغ منها . وهذا غش فاضح وعبث. وكان هذا حسبى وحسب صحيفة الأهرام.

ولكنى لم اقنع بذلك ، فابرات ذمتى أيضا ببرهان قاطع على أن هذا الرجل ، قد ادعى فى كلامه انه قرأ كتبا باعيانها ، وهو فى الحقيقة خطاف جريء، يتكىء على كتاب الدكتور طه وحده بلا بصر ولافهم. فمن اجل ذلك اخذته بادعائه ومخرقته ، حتى أكشف للناس أنه لم يقرأ شيئا قط مما ذكر من الكتب ، ولا رآها ، ولا عرف ما هى ، ولا من أصحابها . وصدقته فى ادعائه الكاذب ، ليكون ذلك أشنع له ، لأنه يكون عندئذ قد قرأ نصا لم يعرف معناه ، ولم يعرف كيف يدرسه دراسة طالب جامعي مبتدىء ضعيف . وكان هذا أيضا حسبى وحسب صحيفة الاهرام .

ولكنى لم أقنع بذلك ، فابرأت ذمتى مرة ثالثة ، بالدلالة الحاسمة على أن هذا الذى كتب ما كتب عن شيخ المعرة ، لم يقرا شيئا قط من آثار شيخ المعرة، وبخاصة شعر سقط الزند ، وهو الشعر الذى يتعلق بالحبر الذى ادعى متنفخا انه قراه ووقف على نصه فى غير كتاب الدكتور طه ، واذا سلمنا انه قراه ، فهو لم يفهم اذن منه حرفا واحدا على وجه يليق بمبتدىء جامعي . وكان هذا حسبى وحسب صحيفة الاهرام .

ولكنى لم اقنع بذلك حتى أبرأت ذمتى مرة رابعة ، وذلك حيث زعم بمخرقته انه جاء يعرف الناس بحقيقة شيخ المعرة وحقيقة تاريخه ، فذكر اكاذيب واوهاما لاأصل لها الا فى خيالاته وسماديره ، فكشفت بلاريبة عن أن هذا الدعى لم يقرأ قط كتابا واحدا فى ترجمة شيخ المعرة ، ومع ذلك فهو يأتى بلا خجل ولاحياء فيذكر كذبا صراحا مناقضا للمعقول من حياة الشيخ ،ومن حياة أسرته، ومن حياة أمته التى عاش فيها . وكان هذا حسبى وحسب صحيفة الاهرام .

ولكنى لم اقنع حتى أبرأت ذمتى مرة خامسة ، بدلائل قاطعة على أن هذا الرجل الذى يدارس نصا عربيا من أعظم النصوص ، لا يملك اى احساس أدبى ، باى نص يقرؤه ، ولو ظل يكتب فى الأدب عشرات المجلدات . وكان هذا حسبى وحسب صحيفة الاهرام .

ولكنى لم أقنع بذلك ، حتى أبرأت ذمتى مرة سادسة ، فبينت جهل هذا الرجل وادعاءه ببرهان فاصل من نص كلامه هو فى صفة نفسه ، اذ قال : « ان احساس لويس عوض باللغة ضعيف جدا ، واجنبى جدا » ، ومع ذلك فهو يعمد الى النصوص

ولكنى لم اقنع بذلك ، فابرات ذمتى أيضا

الادبية فى لغة العرب فيدرسها بمخرقة شنيعة ، وبلا حياء . ولا يقنع بهذا ، بل ينتهى به ما أطبق عليه من الهوس والجراة ، فيعمد الى آية من القرآن العظيم ، فيفسرها بغباوة وجهل راسخ ، ثم لايستحى فيدعى نسبة ذلك الى كتب المفسرين المسلمين ، موهما أنه قد قراها وأثبتها معرفة ، بلا ظل من حياء يردع ، أو عقل يكف . ولا يقنع بهذا فيأتى بكلام لايفهم ، ويزعم أن الرجل الذى يدرسه قد جاء فى شعره بالفاظ هذه الآية ، بالمعنى الذى فسره هو !!

ولتعلم صحيفة الاهرام أن هذا البلاء كله ، استخرجته من أقل من عمود واحد من اثنين وسبعين عمودا نشرها فى تسعة أعداد من صحيفتها الادبية، وانى التزمت فيه غاية الحذر حتى لاأخرج عن حد الدراسة الادبية ، أفليس هذا كافيا فى أن يحمل صحيفة الاهرام على البراءة من هذا العبث بالادب ، وعن هذه المخرقة باسم الدراسة الادبية ، وعن هذه (اللغوصة) فى اللغة والبيان ، وهما أشرف ما أوتى الانسان ؟ واذا لم تفعل ذلك احتراما لمنزلتها عند الناس ، الم يكن حقا عليها أن تفعله من أجل قرائها ، الذين خدعهم هذا الرجل باللقب الذى يحمله ، وبمعونة صحيفة الأهرام حين اختارته مستشارا ثقافيا لمؤسساتها ، ورفعته من مغمور مجهول لايبالى به أحد ، الى شهرة تسرى حيثسارت صحيفة الاهرام ؟ أليس من حق القراء عليها أن تحميهم من هذا التضليل المؤذى ؟

وليت أمر الرجل قد اقتصر على هذا الفساد فى الدراسة الادبية المجردة ، بل أبنت أيضا فى خلال كلامى أن الرجل مضطرب الذهن جدا ، اما خلقة وأما داء حادثا أو هما معا ، يدل على ذلك صريح كلامه الذى اختلط وتداخل وترنح ، بلا رباط من منطق سوى ، فهل كان من حق صحيفة الاهرام على الناس أن تنشر عليهم هذا السيل الضار من الوباء، بلا رحمة بالصغير الناشىء الذى يخدعه اللقب ، وتسرع فى اصابته بالعدوى ثقته باسم صحيفة الاهرام ومنزلتها فى كل بيت ، حيث تدخل عليه مع الافطار ، كأنها جزء من غذاء الناس ؟ أكل من حمل قلما بقرش صاغ ، وأوتى لسانا طويلا بلا عقل ، قادر أن يجعل صحيفة الادب موضعا لاذاعة آرائه بلا حسيب ولا رقيب ، ويصبح بذلك كاتبا مرموقا ، مادام موظفا بشكل ما ، فى صحيفة الأهرام ؟

واذا كانت سلامة عقول الناس لاقيمة لها ، أفتاريخ الامة ، وتاريخ رجالهالاقيمة له أيضا ، حتى يتمكن هذا الرجل من الدخول الى تاريخ الامة العربية المسلمة فى القرن الرابع ، فيلعب فيه لعب الاطفال العابثين غير المسئولين ، لكى يجعل للصليبية الغلبة على ديار أهل الاسلام ، ويجعل لعقائدها السيادة على عقائد أمة كاملة ، ويستعمل فى خلال ذلك الفاظا تنم عن الغطرسة وسوء الخلق ، ويحكم علينا منذ القرن الرابع باننا نعيش تحت بطش بيزنطة العسكرى وتحت الخوف منها والرعب، ويأتى فى خلال ذلك بأكاذيب مستشنعة ، لامصدر لها الا الحقد الكامن على حضارة العرب ، مما سأتولى بيانه فيما بعد ، وان كان ظاهرا لاشك فيه لكل قارىء مبتدىء ، فضلا عن عاقل بالغ ؟ أهو شىء هين، أن يأتى هذا الدعى فيزعم أن الاسلام ، هكذا بغير حرج ولا حياء ، قد ارتعدت فرائصه من «مانيفستو» الباسيل فوكاس الرومى ! فخرست الألسنة فى العالم الاسلامى ، الا لسان فقيه بطشقند يقال له « القفال » ؟ أفى الدنيا انسان يعقل هو أصلب من هذا الجرىء الجاهل وجها ؟ أبهذا التحقير الكامل لتاريخ أمة ، وبهذا التنكير البشع لأئمة الاسلام الأفذاذ ، كما فعل بالقفال ، وبالاشادة بمجهول مغمور لا يعرف عنه شىء كأبى الفرج الزهرجى ، اذ يجعله من قادة المثقفين وأعيانهم ، يتثقف الفتى العربى المسلم الناشىء ، وغير العربى وغير المسلم ، عن طريق صحيفة الادب فى الاهرام ؟ (وقد بين ذلك بعض الادباء فى مجلة الرسالة ، وسنستوفيه فيما بعد) .

واحب أن اعلم صحيفة الأهرام أن لويس عوض لاقيمة له عندى من حيث هو كاتب ، والقيمة كلها لها هى ، واذن فبأى حق تنشر صحيفة الاهرام عبث عابث لا يحسن شيئا ، يتناول بعبثه لغة العرب ، وكتاب الله ، وهو لايفهم منهما حرفا واحدا ، ثم يعمد الى آية من آيات الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ، وهى الاسراء والمعراج ، فينطلق يخبط خبطا شنيعا ، ويأتى بسخف لايدرى أحد من أين جاء به ، وهو فى خلال ذلك يرسل جملا مضطربة كأنها عربدة مخمور ، بلا رعاية لحق ثمانمئة مليون من البشر ، وبلا حذر من أن يهيج احدا الى مالاتحمد عقباه ؟ بأى حق تفعل ذلك صحيفة الأهرام ؟ بحق أن لويس عوض ، قد عين فيها مستشارا ثقافيا !! ان للويس عوض أن يلعب كما يشاء ، وان يقول

ما يشاء ، وأن يكتب ما يشاء ؛ وأن يعتقد ما يشاء؛ فنحن لانبالى به ؛ ولكن ليس له أن ينشر ذلك فى صحيفة الاهرام ، لأن الأمر يخرج عندئذ من حد حريته الخاصة ، الى العدوان المخوف العواقب على عقائد الناس وآدابهم ولغتهم ودينهم وتاريخهم ، وليس من حق صحيفة الاهرام أن تضمن له هـذا العدوان ، بحق اكتسبه عن طريق وظيفته فيها ، وليس من حقها أن تشوه معارف الناس وعلومهم وتاريخهم ، بفعل انسان مشوه القلم والعقـل ، وتطرح هذا الخبث على الناس باسم حرية الرأى ، لان حرية الرأى مكفولة لذوى العقول السليمة ، لا لكل من كسر القيد وأفلت من وراء الاسوار .

ولكى ازيد هذا الامر كله وضوحا ، وسأزيده من كل وجه وضوحا فى المقالات التالية ، أتتبع لهـا تاريخ لويس عوض ، لا من الاخبار التى أعرفهـا عنه ، بل من لسانه هو ، وأكشف لهـا أنه اتخذ صـحيفة الاهرام بهذا المنصب الذى اسند اليه ، وسيلة يبلغ بها مآربه بطرق غير قويمة ، واستغفر الله ، بل ليبلغ بها مآرب قوم قد استخدموه لغايات على جانب عظيم جدا من الخطر على مستقبل هـذه الأمم . ولكن ينبغى أن تعلـم قبـل كل شىء أن لويس عوض ظل مغمورا غير معروف الى أن دخـل صحيفة الاهرام ، وتولى الاشراف على الثقافة فيها ، وتولى تحرير صحيفة الادب والفن ، فمن الاهـرام وحدها جاءته الشهرة ، وذلك أنه منذ نال اجازة الليسانس من جامعة القـاهرة سـنة ١٩٣٧ ، متخصصا فى اللغة الانجليزية ، ثم أوفده أساتذته الانجليز يومئذ الى جامعة كمبردج وعاد بالماجستير سنة ١٩٤٠ ، بقى مدرسا بالجامعة الى سنة ١٩٥٤ ، لا يعرفه أحد سوى تلامذته الذين يروون عنه شيئا كثيرا لااريد أن أذكره . وفى خلال هـذه الفترة ، نكبت مصر بمجلة صدرت بأموال يهـودية ، خدع فيها كثير من الناس ، كان مرادها أن تستولى على مصدر الثقافة فى بلاد العرب ، وتكون أداة توجيه لأغراض بعينها قبل غزو فلسطين العربية فى سنة ١٩٤٨ ، وهذه المجلة هى التى يسميها لويس عوض بعد موتها بسنين (سنة ١٩٥٤) « المجلة الزهراء، الكاتب المصرى » ، وذلك بعد أن انكشـف أمرها للناس . ففى سنة ١٩٤٦ ، ١٩٤٧ جره الى هـذه المجلة أستاذه الروحى كما يسميه ، سلامة موسى ، فكتب خمس مقالات ، أو نحوها عن أدباء الانجليز كاسكار وايلد ، واليوت ، وشو ، وهى على ضعفها وعلى سقم الترجمة فيها ، وعلى ما فيهـا من الخطف الجرىء من الكتب ، كانت لاتعد شيئا يذكر .

ولكن يظهر أن سلامة موسى ، ظل ينفـخ فى تلميذه حتى انفجر فى سنة ١٩٤٧ عن كتاب طبعه سماه « بلوتولاند ، وقصائد أخرى ، من شـعر الخاصة » !! مع أنه يقول فى ترجمته التى كتبهـا لنفسه بقلمه : « فمن أجل هؤلاء ، قال لويس عوض الشعر ، وهو ليس بشاعر ، وهو يعد بأن لايكرر هذه الغلطة ، ولو نفى الى بلاد الخيال » ويقـول أيضا : « وما من شك فى أن شـعر لويس عوض شعر ركيك » . ومع ذلك ، فقد سماه « من شعر الخاصة » . وبالطبع هذا كلام انسان عاقل ، غاية فى العقل لاتلحق ! أليس كذلك . وما علينـا ! فالمهم أنه فى هذه الترجمة قد حدد اتجاهه تحديدا واضحا ، فمنذ الصفحة الاولى بدأ فقال : « حطموا عمود الشعر لقد مات الشـعر العربى ، مات عام ١٩٣٣ ، مات بموت احمد شـوقى . مات ميتة الأبد . مات » ، صرخات مفلت من الاسوار بلا شك، وفى قلبه حقد دفين أهوج ، ويظل يذم الشـعر العربى ، ويهزأ بلغة العرب ، ويعـرض بالقرآن كل بضعة أسطر ، فيسمى اللغة العربية : « اللغة القرشية » ، ويفضل على كل ما قاله الشعراء العرب المصريون (الذين سماهم « المستعربين ») : « منذ الفتح العربى عام ٦٤٠ ، الى الفتح الانجليزى عام ١٨٨٢ » قول من قال « ورمش عين الحبيب ، يفرش على فدان » (هل فى الدنيا أسخف من هذا العاقل؟ لا أظن) . ثم يظل يضرب يمينا وشمالا بلا وعى ، وبسوء خلق ، بالفاظ مهتاجة غير مترابطة ، كأنه محموم لم يفق من برسـام الحمى ، حتى يفضى الى شىء سماه تجارب لويس عوض ، وسأنقل هنـا التجربة الاولى بنصها ، مع اختصار قليل غير مخل ان شاء الله ، وان كان الكلام كله خلل !! ، وهى تجربته فى مسالة اللغة العامية :

« كان لويس عوض عام ١٩٣٧ يتعلم مبـادىء اللغة الايطالية (وقد وقف عند المبادىء) بين الحشائش السـحرية التى تمـلأ الفـلاة بين كامبريدج وجرانتشستر ، واسترعى انتباهه أن البعد بين اللغة اللاتينية المقدسة ، ولهجتها المنحطة الايطالية ، أقل من البعد بين اللغة العربية المقدسة ، ولهجتهـا المنحطة المصرية، من حيث المورفولوجيا والفونوطيقا والنحـو والصرف !! فعجب لاصرار المصريين على اللغة المقدسة ! وكان يحدث أصدقاءه بخلاصـة

تفكيره ، فوجد منهم اعراضا رقيقا مؤدبا فعجب ·· فلما عاد الى مصر عام ١٩٤٠ ، جاهر برأيه ، فلم يصادف اعراضا ، وانما صادف غلظة ··· فازداد عجبه ، ولكن سرعان ما أفهمه بعض أصدقائه أن المسألة حساسة لأنها تتصل بالدين رأسا (يعني ان لويس ظل ثلاث سنوات لم يخطر له هذا الامر ببال !! ما أكذبك أيها الفتى !) لأن استخدام اللغة المصرية كأداة للكتابة قد ينتهي بعد قرن أو قرنين بترجمة القرآن الى اللغة المصرية ، (بهذه البساطة) كما حدث للانجيل ان ترجم من اللغة اللاتينية الى اللغات الاوربية الحديثة · فزال عجبه ·· (شيء عجيب !!) » ·

وبمهارة أمثاله من الأذكياء ، كسلامة موسى مثلا ولويس عوض نسخة منقحة منه (كما سنرى) انتقل فجأة دون أن يفتينا فتوى صريحة في جواز ترجمة القرآن الى العامية المصرية !! فقال بعد ذلك مباشرة: « وعقلية لويس عوض عقلية زمنية حقا ، فهو يفهم أن هذا الانقلاب اللغوى لم يقوض أركان الدين فى أوربا ، وانما قوض أركان الكنيسة التى خشيت أن يقرأ الشعب الساذج كلام السماء بلغة يفهمها ، فتسقط عن بصره الغشاوة ، (وبالطبع نحن نقرأ القرآن بلغة لانفهمها !!) ، ويدرك أن رجال الدين انما يزيفون عليه من عندهم دينا (وكذلك أهل الاسلام بالطبع !) ، ليسلس قياده ويبقى راكعا أمام الاشراف ، وهو يفهم (أى لويس عوض يفهم!) ان أبسط بنت تبيع الكرافتات فى شيكوريل ، تعرف عن المسيحية أكثر مما كان يعرف البابا الذى شن الحروب الصليبية ، أو البابا الذى أعدم الاحرار على الخازوق ، أو البابا الذى كان يضاجع أخته ، أو البابا الذى أحرق جيوردانو برونو ، حيا ، لأنه قال ان الأرض فى ركن مهمل من الكون ، أو البابا الذى كان يبيع المؤمنين مرتقات وقصورا فى الجنة ، أو البابا الذى أهدر دم مارتن لوثر لأنه طالب بالغاء القسيس ، وازالة كل حاجز أو وسيط بين الله والناس » · وظاهر الى هنا أنه يريد أن يفتى فتوى على استحياء ، فضرب هذه الأمثلة كلها، لان أهل الاسلام كانوا كمثل من ذكر ، الى أن جاء لويس عوض ، فباخلاص وعظنا أن نسلك هذا المسلك ، فنترجم القرآن الى العامية ، لننجو بديننا من غش رجال الدين منذ عهد الأئمة الى اليوم !

وبمهارة الاذكياء ذوي العقول الراجحة ، يقول بعد ذلك مباشرة : « وهو يفهم كذلك (أى لويس عوض !) ، أن الاعتراف باللغة المصرية ، لايتبعه بالضرورة موت اللغة العربية ، اذا احتاط الناس لذلك (وأكبر احتياط هو وجود لويس عوض بالطبع !) ، فليس هناك ما يمنع من قيام الأدبين جنبا الى جنب · اللهم الا اذا شككنا فى جدارة اللغة العربية والأدب العربى وقدرتهما على الحياة (ياسلام، ما أعقلك !!) ولكن لويس عوض رغم كل ذلك (ما هو « كل ذلك » !) قد سكت مؤثرا أن يتولى الدفاع عن رأيه مسلم لامجال للطعن فى نزاهته » · يعني أن لويس عوض ، سيظل هو الداعية ، ويدع المسلمين يتكلمون بلسانه ، أليس كذلك ؟

ثم يختم هذه التجربة بتصريح غريب جدا ، أرجو أن يقرأه القارىء بدقة ، لأن وراءه معاني لا تخفى على من يعرف تاريخ الدعوة الى العامية ، فيقول بعد ذلك مباشرة : « واني لأعلم أنه قد عاهد الثلوج الغزيرة المنثورة على حديقة مدسمر ، فى خلوة مشهودة بين أشجار الدردار عند الشلال بكامبريدج، الا يخط كلمة واحدة الا باللغة المصرية (يعني العامية) ، وقد بر بعهده فى العام الاول بعدعودته، فكتب شيئا بالمصرية سماه « مذكرات طالب بعثة » ، ولكنه استسلم بعد ذلك وخان العهد · فلتغفر له الثلوج الطاهرة التى لم تدنسها حتى أقدام البشر » !! (انتهت التجربة) وتسأل نفسك : ما هذه « الخلوة المشهودة » التى عاد الى ذكرها ، بعد أن ذكر أنه عاد الى مصر ؟ وما الداعى كان يومئذ الى هذه الحرارة فى العهد ؟ أهى حرارة تعاهد بها ثلوج باردة ، أم شيء آخر كان فى « الخلوة المشهودة » ؟ وما هذا الاستغفار الضارع من ذنب موبق ؟؟ أكتابته بالعربية الركيكة التى وصفها هو نفسه ، تستدعى كل هذه الضراعة فى التوبة !!

من هو لويس عوض هذا ؟ ومن شهد خلوته تلك ؟ وأى متتبع لتاريخ الحركة الداعية الى استقلال كل بلد عربى بلغته العامية ، فى الوقت الذى كانت تحارب فيه اللغة العربية فى كل بلد مسلم غير عربى ، يعرف أن هذا الكاذب المخادع الذى ادعى أن تعلمه للايطالية ، (ولم يكن عرف منها غير المبادىء) ، قد استرعى انتباهه الىأن البعد بين اللاتينية المقدسة ، ولهجتها الايطالية المنحطة ، أقل من البعد بين العربية المقدسة (!!) ولهجتها المصرية المنحطة = انما يقص قصة مختلقة ، لانه قبل أن يولد هو على هذه الارض البائسة ، كان

الاهتمام بهذا الرأى ونشره قائما على قدم وساق فى جميع الامم الاوربية التى غزت بلاد العرب والمسلمين فى كل مكان ، وأقرب ذلك عهدا تقرير لنـدبرج الاسوجى فى مجمع اللغويين فى ليدن سنة ١٨٨٣، وتقرير دوفرين اللورد الانجليزى المحترق ، الذى رفعه الى وزارة الخارجية البريطانية فى شأن اللهجة العامية المصرية ، وامين دار الكتب الألمانى بمصر ، وويلمور القاضى الانجليزى بالمحكمـة المختلطـة ، ومترجم الانجيل الى العـامية لأقباط مصر ، وليم ولككس ، المهندس المبشر الذى كان مقيما بمصر ، والذى وصفه التالف القديم سـلامة موسى ، فى كتابه الذى ملأه بذاءة على العرب والمسلمين ، سماه « اليوم والغد » قال : « والهم الكبير الذى يشغل بال السيرولككس بل يقلقه ، هو هـذه اللغة التى نكتبها ولا نتكلمها ، فهـو يرغب فى أن نهجرها ونعود الى لغتنا العامية ، فنؤلف فيها ، وندون بها آدابنا وعلومنا » . فهذه الدعـوة كانت قائمة فى انجلترا فى الجامعات التى تدرس المشرقيات ، وفى مراكز التبشير ، قبل أن يولد هذا الداعية الجديد ، وهو بلا شك لم يفكر ، ولم ينتبه الا بمنبه شـديد فى جامعة كمبردج أو أحد مراكز التبشير هناك ، وأخذ العهد والميثاق على نفسه أن يكون داعية ، فى هذه الحرب الخالصة لوجه السيادة الاوربيـة على بلاد العرب والاسلام .

وكأنهم اختاروه ليـكون بديلا من ذلك المتسرع الجرىء السليط اللسان سـلامة موسى ، أيام كان شابا مندفعا يقول منذ ثمان وثلاثين سنة فى كتابه « اليوم والغـد » : « ينبغى أن لايغرس فى أذهان المصرى (كذا) أنه شرقى ، فانه لايلبث أن ينشأ على احترام الشرق وكراهة الغرب ، وينمـو فى كبرياء شرقى ، ويحس بكرامة لايطيق أن يجرحها أحد الغربيين بكلمة » ثم يقول بلا عقل : « الرابطة الشرقية سخافة ، والرابطة الدينيـة وقاحة ، والرابطة الحقيقية هى رابطتنـا بأوربا » ، وقائل هذا هو الاستاذ الروحى للويس عوض ، كما قال هو بلسانه ! وانا أدع للقارىء تأمل حقيقة هـذا الاستاذ الروحى للويس عوض ، وأى داعية هو الى الذل والمهانة والخضوع ، لأوربا المستعمرة المتعصبة الخالية من كل أدب فى معاملة أهل الشرق عـامة والعرب والمسلمين منهم خاصة ، الى هذا اليوم الذى نحن فيه .

فاذا عرفت هـذا ، بلا اطالة ، وعرفت لويس عوض الذى قال بنفسه فى تقديم نفسه سنة١٩٥٤ انه « عرف بدعوته للأدب العامى فى صدر حيـاته الأدبية » ، ورأيته منذ دخل صحيفة الأهرام يجمع حول نفسه ، وتجمع له بعض المراكز الثقافيـة القائمة فى مصر ، والتابعة مباشرة لمراكز التبشير العالمى من يصـلح لأن يكون معبرا عن رأى لويس عوض ، ويكون متسما بالنزاهة ولا مطعـن فى نزاهته من المصريين المسلمين الذى خدعوا بشـكل ما ، بما يسمى كسر عمـود الشـعر العربى ، وباستعمال اللغة العامية والدعوة الى احلالها محل الفصحى ، ثم من يجتمع حوله ممن يحقر شـأن العرب وتاريخهم وثقـافتهم ودينهم ، ويزدرى كل ذلك ازدراء ظاهرا ، ويعد الثقافات الاوربية كلهاهى المصدر الذى ينبغى أن نستقى منه مادة تكويننـا الحديث بلا تردد أو تمحيص = اذا عرفت هـذا عرفت لماذا لبس هذا المحترق طيلسان أستاذ جامعى، تاركا الأدب الانجليزى وراءه ، وعامدا الى التاريخ العـربى والأدب العربى ، ليقرن ابن خلـدون باورسيوس ويجعله منه أخذ ، والمعرى براهب دير الفاروس ويجعله على يديه تعلم ،والى القرآن ليجعله اسـتمد ما فيه من صفة الجنة والنـار من خطرفة اليونان ، والى زعماء الكفاح فى سبيل الحرية منذ غزو نابليون الى أن جاء جمال عبد الناصر ، ليجعلهم مقتدين بالمعلم يعقوب ، الذى ظاهر الفرنسيس على اذلال الشعب العربى فى مصر ، وادعى لويس عوض أنه معبر عن ارادتنا فى تحقيق استقلال البلاد ، وسائر المخرقات التى يكتبها عن تفسير آثار الأدباء المصريين وغيرهم ، كتوفيق الحـكيم ، ونجيب محفوظ ، وصلاح عبد الصبور .

واذا عرفت هذا ، عرفت لم امتلأت صـحيفة الأهرام ، منذ عين هذا الرجل مستشارا ثقافيا فى مؤسستها بالهجوم اللاذع فى أبواب كثيرة تخضع للمستشار الثقافى ، على اللغة العربية الفصحى التى كسر هو رقبتها ، وعلى الشعر العربى الذى كسر هو عموده ، وعلى كل تراثنا الذى نحن به عرب لنا ماض عشناه ، ولا نزال نعيشه ، وسوف نعيشه ، برغم هذا المحترق الذى اسـتخدم كل أداة فى هـذه الحرب ، من كلمة مكتوبة ، الى صورة مرسومة ، وبنفس الأسلوب الخفى الذى يعمل به أشـباهه وأمثاله فى سائر الميادين .

وإذا عرفت هذا ، عرفت لم جاءت هذه الحملات المختلفة الأشكال والأنواع ، ولم اتخذت صورا متباينة في أكبر صحيفة في العالم العربي والاسلامي ، بعد أن اتضح لهم أن جمال عبد الناصر قد استطاع أن ينقذ كرامة العرب بدعوته الى وحدة العرب ، ووقوفه في وجه كل ارهاب اوربي متغطرس بالغزو أحيانا ،وبالحصار الاقتصادي أحيانا أخرى ، وبغير هذه الوسائل الظاهرة البادية للعيان ، فلم يبق أمام هؤلاء الا ميدان واحد ، هو بلبلة العقل العربي وتشكيكه في نفسه ، والا تحطيم الرابطة الأولى والأخيرة في حياة العرب ، وهي اللغة بتمزيقها الى لغات ، والى تدمير الجسر الذي عاش اربعة عشر قرنا يجمع قلوب الامم الممتدة من الشمال البعيد الى الجنوب القصى ، ومن الشرق النازح الى الغرب المتباعد ، على كلمة واحدة ، وعاطفة واحدة ، ورأى عام واحد ، مع شدة بطش العدو الماكر الخبيث المدرب ، وعمله المتواصل في فصم هذه الرابطة على امتداد ثلاثة قرون أو أكثر . وهذا هو التوقيت الذي أعد له لويس عوض ، بأسلوب لاندرى كيف كان على وجه التحديد ، ليدخل اكبر مؤسسة انتزعت من أيديهم ، لتكون في ايد عربية مخلصة صادقة .

هذه هي القضية ، كتبتها بكل ما استطعت من الوضوح لتعرف صحيفة الاهرام أن براءتها مما كتب لويس عوض ، عن رسالة الغفران وشيخ المعرة ، ليس فيها غضاضة ، بل هو أمر توجب الأمانة ، ويوجب الاخلاص لأبناء البلاد العربية والاسلامية ، أن تفعله بلا تردد ، لأن المراد منه هو احداث تدمير شامل في وحدة الأمة العربية شيئا بعد شيء ، حتى يأتي يوم نقول : أيها العرب ، فلا نجد سميعا ولا مصيخا ، يستجيب للدعاء .

أما دراسة ما كتبه هذا الرجل عن رسالة الغفران وشيخ المعرة ، واظهار ما يخفى من خبائث التضليل والعبث ، فالعرض له مستمر ، ان شاء الله .

محمود محمد شاكر

النقد المستقل

بقلم الدكتور : رشاد رشدى

هذا حديث عن الكاتب الأمريكى « ادجار الن بو » الذى عاصر تشالز ديكنز والذى عرفه العالم بقصصه القصيرة : قصص الرعب والغرابة التى مازالت هوليوود تتفنن فى تصويرها للسينما . وعرفه العالم ايضا بشعره الذى كان غريبا فى عصره وظل غريبا الى يومنا هذا ، ولكنه مع هذا أثر فى الشعر الاوربى فى عصره فخلق المدرسة الرمزية الفرنسية ، وفيما بعد عصره ، فكان ذا أثر بعيد على الشعر الحديث ..

وادجار بو عرفه عصره ناقدا للقصة والشعر والمسرح يحترف النقد ويقسو فيه..صار ما لايعرف المجاملة ، جادا لا يقبل الا كل ما هو جيد .. وكانت وفرة انتاجه فى النقد تكاد تنسى الناس ان هذا الناقد المحترف الطويل اللسان هو فى نفس الوقت كاتب قصصى من طراز فريد جعل دوستيفسكى يكتب عنه ابحاثا طويلة فى المجلة التى يرأس تحريرها ويسعى الى ترجمة ونشر قصصه بالروسية . وانه أيضا شاعر قد جعل شعراء فرنسا أمثال بودلير وملارمى يتسارعون الى تقليده، وبول فاليرى يعلن نفسه تلميذا مخلصا له ولمبادئه . واذا كان مواطنو (بو) قد نسوا قيمته كشاعر وكاتب قصة فى أثناء حياته فقد بدأوا فى السنوات الاخيرة يكشفونه، لا فى اعماله فقط بل فى اعمال غيره من كبار الكتاب والشعراء امثال هنرى جيمس و « ت.س. اليوت » حتى اصبح يقال ان «بو» قد عاد الى امريكا عن طريق اوربا التى هاجر اليها وعاش فيها امثال جيمس واليوت .

وليس الحديث اليوم عن عودة « بو » أو عن قيمته كشاعر أو قصصى أو عن ممارسته للنقد ممارسة كانت جديدة على عصره .. فكل هذه امور خاض فيها الباحثون فى السنوات الاخيرة مما لم يعد يترك مجالا للبحث .. ولكن الحديث عن نقطة ذات بال لم يتعرض لها أحد للآن ، وهى مفهوم ادجار بو للنقد الادبى ، فقد كان هذا المفهوم مثل كل مفهومات «بو» ، الاخرى ، هو الآخر ظاهرة جديدة لم يسبق بها عصره فحسب بل عاصر بها عصرنا هذا وفى أعلى مستوياته النقدية .. وهى مدرسة النقد الحديث .. ولكن ليس هذا هو السبب الذى يدعونى لان أعرض لنظرية «بو» فى النقد . ولو هذا العرض المبتسر الذى يسمح به المجال .. فالسبب أن المفهوم الذى كان يدين به «بو» منذ مائة سنة أو أكثر لا يزال للآن بعيدا عنا الى حد كبير ، ولعل البساطة التى يصيغ بها نظريته تجعلها أقرب الى الاذهان ، فالمسألة فى الحقيقة ليست فيها نظرية او فلسفة وانما هى مبادىء عامة يمكن ان يتسع لها كل عصر وكل مكان ، لأنها لاتنتمى الى عصر معين او مكان معين أو عقل معين ..

فقد كان «بو» ينادى بما يسميه «النقد المستقل» وكان يقصد بهذا أن يكون النقد مستقلا عن كل الاعتبارات الخارجية ؛ كلا . فهو اولا واخيرا تعليق على الفن ، كما كان بو يسميه .. ولذلك فليس من المفروض ان يناقش الناقد الآراء التى يعبر عنها العمل الفنى الا بمدى علاقة هذه الآراء ببناء وتركيب العمل الفنى ، لان مهمة الناقد تنحصر فى اختيار العمل الفنى وتحليله كعمل فنى فقط ..

وفى مقال « بمجلة جراهام » فى عام ١٨٤٢ كتب (بو) يقول :

.. ان النقد الادبى كما أفهمه ليس قطعا اختبارا او فحصا للآراء التى يعبر عنها العمل الادبى ، فهذه الآراء قد تهم المؤرخ والفيلسوف أو عالم الاخلاق ..

ولكنها لاتهم الناقد فى ذاتها ولذاتها .. فاذا هو تعرض لها بالمناقشة فيجب ان يدرك ان هذه المناقشة لا تدخل فى نطاق عمله كناقد ، بل انها تبعده عن طريقه كل البعد »

وكان «بو» لذلك يرى أن الحياد التام صفة من الزم الصفات التى يجب ان تتوفر فى الناقد .. اذ يجب عليه الا يحكم على العمل وفقا لما يحب او يكره ، بل يحكم عليه وفقا للعمل نفسه ، اى من داخله حسب هدف الكاتب ، والوسائل التى اتبعها لتحقيق هذا الهدف فنراه يكتب عن هوثورن فيقول « ان الناقد الحقيقى هو الذى لا يتدخل فى الخطة التى يرسمها الكاتب لنفسه . بل يتطلب فقط تحقيق هذه الخطة وفحص الوسائل التى ادت الى تحقيقها أو فشلت فى هذا » ولكن لكى يستطيع الناقد ان يكون محايدا يجب ان يكون له منهج نقدى .. فاذا افتقر الناقد الى هذا المنهج .. كان نقده عديم الفائدة .. وكان «بو» يدرك ادراكا واضحا الاخطار التى يمكن أن يتعرض لها الادب من النقد غير الموضوعى ، وغير المنهجى .. فاذا افتقر الناقد الى منهج كان طبيعيا انه يتجه الى التعميم وبذلك يلغى كيان نفسه ، اذ ان كيان الناقد لا يقوم على التعميم بل على التخصيص .. ولأن التعميم ايضا يطمس الحقيقة فى حين ان وظيفة الناقد هى اولا وقبل كل شيء تمييز الحقيقة ..

والطريق الآخر الذى يسلكه الناقد اذا افتقر الى منهج أن يلجأ الى رأيه الشخصى يستمد منه المعيار الذى يحكم به على الاعمال الادبية .. وقد كتب (بو) عن أحد نقاد عصره من اساتذة الجامعات يقول :

« ان نقد بروفسور ويلسون هو نقد سطحى .. لانه يتكون من آرائه الشخصية التى هى فى الحقيقة اوامر ومطالب ذاتية .. وهو قد يقنعنا بها أحيانا .. وأحيانا اخرى قد يبهرنا ويضللنا .. ولكن مهما كان شأن هذه الآراء ، فهى لا تشرح لنا شيئا فى العمل الادبى الذى تناقشه . ولذلك لا يمكن فى رأى (بو) ان تكون نقدا ومجرد الذوق أو القدرة على التذوق لم يكن فى رأيى كافيا لكى يستطيع الناقد أن يميز أو يشرح العمل الفنى .فلابد للقدرة على التذوق أن تقترن بالمعرفة الواسعة الشاملة للفن التى تمكن الناقد من ادراك القوانين التى تحكم الادب ، وبذلك يستطيع ان يفهم وان يميز وأن يشرح العمل الادبى ..

ولذلك كان (بو) يرى مثل (اليوت) ان الاداة الرئيسية للنقد هى التحليل .. وان الاداة الثانية هى المقارنة .. فنراه يكتب عن البروفسور ويلسون فيقول « انه لم يكن محللا » ونراه فى موقف آخر يقول : ان احسن النقاد هو اقدرهم على التحليل .. وفى موقف ثالث يقول : ان الناقد يجب أن تتوفر فيه القدرة على التحليل والمعرفة اللازمة للمقارنة .

واذا كانت نظرة (بو) لادوات النقد هى نفس نظرة (اليوت) والمدرسة الحديثة ، فان تقديره لمهمة النقد لا تختلف كثيرا عن تقديرنا اليوم . فقد كان يرى أن مهمة النقد هى الايضاح لا التفسير .. هذا ما يتضمنه تعريفه لأداة النقد الرئيسية بأنها التحليل. .. على ان هذا ليس كل مافى الامر ، فقد كتب (بو) مرة يقول : ان العمل الفنى يجب أن يحتوى داخله كل مايلزم لفهمه ، واذا كان هذا يلغى بطبيعة الحال كل الاعتبارات الخارجية فى الحكم على العمل الادبى فانه أيضا يتضمن أن الحكم على العمل الادبى يتطلب أن تراه كما هوعلى الحقيقة..وهو الرأى الذى نادى به كاسيو أرنولد فى أواخر القرن الماضى،والذى هو الآن أساس النقد الحديث .

واذا كان (بو) قد اهتم بمحاربة الراى كاداة من أدوات النقد فهو قد اهتم أيضا بمحاربة التقدير التعسفى للاعمال الادبية السابقة .. وهو التقدير الذى تتوارثه الاجيال جيلا بعد جيل .. ويصبح فى حكم الامور المقطوع بها .. فقد كان يؤمن بأن مثل هذا التقدير التعسفى الذى لا ينبنى على شواهد حققناها بأنفسنا ، من شأنه ان يجعلنا نغلق أعيننا على نقائص الاعمال الفنية السالفة ونفتحها فقط على محاسنها .. ومثل هذا النقد ـ أو الافتقار الى النقد ـ من شأنه ان يحد من حرية الاديب، اذ يجعله يضع أمام عينيه امثلة يحاول أن يقلدها بدلا من ان يدرسها ويتفحصها ، وبهذا يستكشفها ويستكشف نفسه .. بنفس هذا الراى نادى النقد الحديث عند قيامه فى أواخر العشرينات من هذا القرن . بل لقد كان نقطة الانطلاق التى انطلق منها بالفعل .

د.رشاد رشدى

التجديد والتقاليد

بقلم : محمود الشرقاوى

كل الادب والفكر والفن ، بجميع ألوانها وأنماطها ومضامينها ،لا بد أن تسير وان تتجدد مسيرة الحياة ذاتها ، وما دامت الحياة تسير فلا بد لهذه الفنون ، التى هى ايحاءات الحياة وتصويرها وتقدها ونامها وتوجيهها ، من أن تسير .

هذه حقيقة تقررت وفرغ منها و **«التطلع»** و **«الشوق»** الى المعرفة حقيقة فى جبلة الانسان ، وفطرته صورتها الاديان فىقصة آدم الذىلم يستطع أن يقاوم هذا الشوق للمعرفة وهذا التطلع للادراك فأكل من الشجرة المحرمة ليعلم ويتعلم ويستطلع .

وقد روىأبو الريحان البيرونى : (فىالقرن الرابع ـالخامس ـ الهجرى ، العاشر الحادى عشر الميلادى) قصة قديمة تصور فى اجمل صورة وابرعها فطرة الانسان ونزوعه الى هذا التطلع : تقول القصة : ان معلما كان يسير مع أربعة من تلاميذه ، وطال بهم السير حتى دخل عليهم المساء ، وبينما هم يسيرون شاهدوا شبحا يحجبه الظلام فلم يعرفوا حقيقتـه وخافوه . وتلفت الاستاذ الى تلاميذه يسألهم عنه ، قال الاول : لا أدرى ماهو ، وقال الثانى : لا أدريه ولا قدرة لى على درايته ، وقال الثالث : لافائدة فى معرفته فان طلوع النهار يبديه ، فان كان مخيفـا انصرف بظهور الصباح ، وان كان غير مخيف بان لنا امره ، فقال الاستاذ : الثلاثة قاصرون عنالمعرفة مقصرون فى السعى لادراكها : (أولهم بالجهـل ، والثانى بالعجز ، والثالث بالتراخى والرضى بالجهل) وتقدم رابعهم فقصد الشبح: (وحين قاربه رأىيقطينا وهو عليه ملتف ، فعلم أن الانسان «الحى المختار» لا يبقى فى موضعه قائما الى أن يحصل عليه ذلك الالتفاف) فدنا من الشبح وركله برجله حتى سقط (وعاد الى أسـتاذه بالخبر اليقين وقد فاز من يديه بالمعرفة) .

هذه القصة الساذجة التى نقلهـا البيرونى من الثقافات القديمة ترمز الى ما أشرنا اليه من «التطلع» و « الشوق » والتوقان الفطرى الى المعـرفة وكشف المجهول ، وانه صفة الانسان المفكر ، وترمز الى أن الانسان «الحى المختار» لايبقى فى موضع واحد حتى يلتف عليـه النبـات فيشل حـركته ويقف سيره ويجعله نباتا مثله أو جمادا ، فذلك ليس من شان الانسان «الحى المختار» على ما أشارت اليه القصة ، وترمز أيضا الى أن الانسان قد يركبه الخوف من شىء مجهول ، فاذا كشف عن شجاعته وتطلعه وتقدم نحو ذلك المجهول فاقتحمه و «ركله برجله» فانه عند ذلك يجد خوفه وهو وهم وسراب ، ويجد ذلك الشبح الذى يخافه ، بسبب الجهل ، قد سقط .

ولكن هذه (الشجاعة) يجب الا تنقلب الى (تهور) وهذا التطلع والشوق يجب ألا ينتهيا الى (نزق) ، وكل خطوة يدفعنا اليها هذا التطلع والشوق .. وتسوقنا اليها الشجاعة يجب أن تكون مدروسـة مقدرة متلائمة مع سابقتها ليكون لنا سير الى أمام لاقفز الى فوق ، ثم نهبط فى المكان نفسه لا نتقدم .

❋ ❋ ❋

هناك قصة هندية قديمة تصور ذلك تصويرا بارعا قويا ، تصور (الوسطية) بين الجمود والحركة ، بين الحكمة والاستهتار ، بين التطلع والنزق .

تقول القصة : ان رجلا مات عن ثلاثة بنين ، وترك فى تركته «بطيخة» كان يعتز بها اعتزازا لم يدركوا له سببا ، ولكنهم اعتزوا بها بعد موت أبيهم تقديرا له ووفاء لذكراه ، ولانها كانت من ثمار غرسه .. حفظ الابناء هذه البطيخة فى مكان حريز من بيتهم ،

ولكن الزمن أفسدها وخرجت منها رائحة كريهة امتلأ بها البيت وابتلي بها من فيه ، وجلس الثلاثة الابناء يتشاورون فيما يصنعون :

قال واحد منهم : لابد أن نحفظ هذه البطيخة ، رغم كل شيء ، ولو تعرضنا بسببها الى الهلاك : (فان حكمة أبينا لم تكن فوقها حكمة ، وما نحن بقادرين على ان نأتي بخير منها ، بل انا لعاقون اذا لم نحاول من ذلك شيئا .

وقال ثانيهم : بل على العكس ، يجب علينا التخلص من هذا الشيء القذر وشراء بطيخة جديدة . فان من المخجل لنا أن نحتفظ بهذه البطيخة الفاسدة ، ولئن نفعل لنكونن مثلا في الناس ، فوق ما نتعرض له من التسمم بما تحوي من جراثيم الداء . وكل بطيخة هي مثل بطيختنا ، بل خير منها بعد ما انتابها من سوء .

وتطلع الاخوان الى ثالثهم يريدان رأيه فقال :

هيا نرمي البطيخة بعد أن نستخلص منها لبها فنبذره فيخرج لنا بطيخا جديدا تتصل الوشائج بينه وبين تراث أبينا . أما الاحتفاظ بالبطيخة الفاسدة حتى يأتي الدود عليها جميعا فمجلبة للسخرية والأمراض ، ومضيعة للبطيخة ذاتها . وأما رميها برمتها والاعتياض عنها بجديدة نبتاعها فتبديد لتراث أبينا وللنقود التي نؤديها في ثمن هذه وأثمان غيرها . هذا الى أن كل ما نشتريه لابد أن يجري عليه من الفساد مثل ما جرى على بطيختنا ان نحن احتفظنا به قدر احتفاظنا بها .

ان التجديد هو ملاك الحياة والتقدم ، بيد أن كل جديد ينبغي أن يتولد من بذور الماضي ، وأن تقوم بذوره في أرض الماضي ، ولو تغيرت الفروع لتتوائم مع مقتضيات الفصول ، وتناولها التطعيم لتجويد الثمار .

« القصة من مجموعة ـ حكايات من الهند ـ للكاتب الهندي : آ·س·ب· أيار والترجمة عن الانجليزية للأستاذ عبده حسن الزيات المحامي » .

***

« **التجديد » اذن ضرورة حتمية ، التجديد في الأدب وفي الدين وفي المجتمع ، وفي الحياة كلها .**

ولكن التجديد يجب أن يكون امتدادا وتقدما يجري على سنن ، وليس تمزيقا ولا هتكا ولا مجرد تغيير . هو ـ كما صوره الأستاذ العقاد ـ :

حركة متقدمة ذات اتجاه معروف يشبه اتجاه التيار بمجرى النهر المطرد في حركته الى غاية مجراه، وهي كذلك أشبه بحركة النمو في الجسم الحي تحتفظ بالبنية وتزيد عليها ، ولا تلغي شيئا من البنية الا اذا جاءت بعوض له في مكانه .

ولكن هناك حركات « تلبيس وتدليس » باسم التجديد والتقدم ، وهي في حقيقتها وجوهرها وغاياتها هدم وتمزيق وتغيير لمجرد التغيير أو ما هو أشد خطورة وأكثر شرا من التغيير ، لاتقوم على ركيزة من الماضي ، فهي بناء على غير أساس وهدم لا ينتهي الا الى فراغ بل الى ما هو شر من الفراغ هي ـ كما وصفها المرحوم الأستاذ العقاد ـ :

مجرد حب التغيير الذي ينبعث في الأدب وفي غيره من مجرد حب التغيير ، وقد يسميها بعضهم مذاهب ومدارس وهي ليست من المذاهب أو المدارس في شيء ، وانما الأحرى بها أن تسمى بالأزياء والجدائل العارضة « الموضات » التي تتغير مع الزمن ... ولا معنى فيها للتقدم والاطراد . وانما هي ـ بالنسبة الى حركة التيار في مجراه ـ أشبه بحركة الموج من الشاطيء الى الشاطيء ، تزحف كل موجة منه على ما بعدها فتلغيه وتزول هي بعده في موجة أخرى ، ولا تتقدم بالنهر خطوة واحدة في طريق مجراه .

لست في هذا الذي أقوله داعية للتوقف والجمود ، ولا الى الرجعية ، وتاريخي الفكري والسياسي ، مدى خمس وثلاثين سنة ، يؤكد ذلك . وقد لقيت في سبيله كثيرا جدا من العنت والشر . ولكني لا أريد أن أقف موقف التهاون أو الغفلة حيال آراء ومبادىء ودعوات دخيلة قائمة على « التدليس والتلبيس » باسم التقدم والتجديد والحرية و « الدفع الثوري » وهي تستخدم هذا كله في الترويج والخداع والتستر .

نحن الآن ، ومنذ اثنتي عشرة سنة ، في ثورة . ولكن الثورة ، في بعض الأفهام وعلى بعض

الألسنة ، قرينة الهدم والشطط والتخريب • قد لا نجد ذلك صراحة ومجاهرة ولكنه مستور فى الضمائر مخبوء فى النية والطوية. وقد يكون أصحاب هذه الألسنة والأفهام بلهاء مخدوعين وقد يكونون خبثاء مخادعين ، ولكن الشر منهم وبسببهم دافع على كل حال ، ويجب أن يصد ويقاوم •

والى هؤلاء « الثائرين » المخدوعين أو المخادعين باسم الثورة نسوق دليلا جديدا على أن الثورة الصادقة المخلصة ليست خصيمة « للماضى » ولا للتقاليد - على شرط أن يفهم بمقياس جديد ، وأن تمحص التقاليد وتغربل بغربال جديد - بل الثورة الصادقة المخلصة لا بد أن تبنى على الماضى ، وأن تكون امتدادا لحياة الأمة ، وأن التجديد فيها لا بد أن يرتبط بأقوى رباط مع تقاليدها •

وهذا الدليل الجديد يجيئنا ويجيئهم من دولة هى فى صميم الدول الاشتراكية الثائرة : المجر • وقد ساندها وأيدها فى ذلك غيرها من الدول ، اشتراكية وغير اشتراكية •

وقد وصف لنا الأستاذ مرسى سعد الدين فى الأخبار : « ١١ ديسمبر ١٩٦٤ » مؤتمر « نادى القلم» الذى عقد فى بودابست واشتركت فيه ثلاثون دولة ناقش ممثلوها مشكلة : « التقاليد والتجديد فى الأدب » •

ونعرف من هذا الوصف - وكان كاتبه مشتركا فى المؤتمر - أن نادى القلم المجرى بين للمؤتمرين مدى التقدم الأدبى والثقافى الذى حدث هناك : « وهو بالفعل تقدم مثير ، سواء فى مدلوله أو فى فتحة الأبواب لكل تأثير خارجى سواء من الشرق أو من الغرب - أى من العالم غير الشيوعى - وقد انعكس هذا الأثر فى البحوث التى ألقاها الكتاب والشعراء المجر ،والتى عكست مدى تأثرهم بالتيارات الأدبية فى أوربا عامة وفى فرنسا وانجلترا خاصة »•

ولكن « الدليل » الذى نريده ونعنيه ، أو « محل الشاهد » ، كما كان يقول الأقدمون ، هو **النتائج التى انتهى اليها المؤتمر وهى : « ان التجديد الحقيقى فى الأدب يجب أن يرتبط ارتباطا قويا مع التقاليد • بل ان هذا التجديد ليس فى الواقع الا امتدادا للتقاليد الأصيلة • واذا لم يحدث هذا فالتجديد لا يتعدى أن يكون « موضة » طارئة سرعان** ما تزول • » **وقد اشترك فى هذا المؤتمر وفى** اصدار هذه القرارات أدباء ومفكرون من انجلترا وفرنسا وامريكا والمجر وكثير من دول العالمين : الشرقى والغربى •

***

وقبل هذا المؤتمر وتوصياته أذكر كلمة حكيمة مخلصة رائعة قالها مفكر من عباقرة المفكرين فى عالمنا المعاصر ، وفى كل العصور ، وهى كلمة لا أفتأ أرددها كلما عرضت لحديث التجديد والتقاليد • كلمة أعتقد أنها **يجب أن تكون نبراسا يضىء طريقنا ويهدى حياتنا وتفكيرنا وسلوكنا ونحن نسير مع ثورتنا الى المستقبل ، تلك هى كلمة غاندى :**

لا أريد لبيتى أن يكون محاطا بالأسوار من كل جانب ، ولا أريد أن تكون نوافذه مغلقة • بل أريد أن تهب على بيتى ثقافات كل الأمم ، بكل ما يمكن من الحرية ، ولكنى أنكر على أية واحدة منها أن تقتلعنى من أقدامى •

« محمود الشرقاوى »



مفاهيمنا الإسلامية .. ثورية

بقلم : محمد جلال كشك

يروى عن أحد ادبائنا تصريح مشهور قال فيه ، انه شرع في القراءة بعد أن كتب .. !! وقد يشفع لكاتبنا أنه قصاص .. وقد يقال عن هذا الفن انه موهبة تنشأ عند صاحبها بالفطرة .. ثم لا يعقبه هذا من الدرس والصقل والمعاناة .. أما الذى لا شفاعة فيه ولا سبيل الى قبوله .. فهو نقد من لا يعلم .. فالنقد ليس موهبة ولا شطارة ، بل علم .. ولعله علم العلوم .. ولا أحسبنى أكلف الناس شططا ان اشترطت العلم بالشيء قبل التصدى لنقده ..

ولقد فرحت وجزعت بمقال الأخ الحسانى حسن عبد الله ، عن كتابى « الغزو الفكرى » فرحت .. لانه أتاح لى فرصة القتال فى جبهة من الضرورى أن تنتصر فيها المفاهيم الاسلامية حتى تؤمن حركة البعث الاسلامى مؤخرتها وهى تقاتل عدوها الأكبر .. الاستعمار الغربى .. اذ لابد ان تتطهر المؤخرة فى جيوب التخلف والتشنج ، ومحاولات اقحام مفاهيم رجعية على الدين السمح الثورى .. دين تغيير المنكر باليد ابتداء ... وتقويم الخليفة الصديق بالسيف ..

فحركة البعث الاسلامى .. لا تهدف الى الرجوع الى الوراء ، الى التخلف الفكرى والاجتماعى ، ولا الى الدردشة والفلسفة التبريرية التى كانت تفتى بشرعية الفسق والظلم باسم الدين زورا وبهتانا..

انما نحن نؤمن أن العلم والتاريخ معنا .. واننا الاقدر على بناء حضارة انسانية متفتحة لكل العلوم والأفكار المثمرة .. لا لشيء الا لاننا مسلمون .. ولأن ديننا هو دين التقدم والازدهار ، والتفاعل الفكرى الخلاق .. ما رفضنا حقيقة علمية واحدة مهما كان مصدرها .. بل أمرنا بطلب العلم ولو فى الصين .. والصين لم تكن ابعد مكانا فحسب ، بل كانت أبعد عقيدة وشريعة ..

ونحن نؤمن ان الله لا يحتاج منا الى تبرير افعاله بالحق فضلا عن تبريرها بالباطل .. وانما نحن الذين نحتاج الى فهم رسالة السماء فهى التى تهبنا القوة والحق فى الوجود ..

أقول فرحت بمقال الأخ الحسانى ، لانه يتيح الفرصة لنفى شبهة الرجعية عن مفاهيمنا الاسلامية .. وجزعت - أيضا - لأن كاتب المقال يمثل جانبا من التعليم فى بلادنا ... كنت وما زلت ، ويشاركنى الكثير فى تطلعى اليه ، ارجو أن يؤدى دورا حاسما فى معركة البعث الاسلامى ..

وليس من المعقول أن يبقى هذا اللون من التعليم معزولا عن الفكر العالمى ، فى عجز عن فهم المفردات والمصطلحات السياسية التى يدور حولها الجدل اليوم ..

وليس من المعقول أن ينطلق لتفنيد المذاهب دون معرفة بها .. فهو يرفض المادية التاريخية ، وهو ايضا يضبطنى متلبسا بتهريبها تحت ستار الاسلام .. وهو لا يعرف المادية التاريخية اذ يقول: « أصحاب المادية التاريخية الذين قسموا تاريخ الانسانية الى سبع مراحل شاع فى الرابعة والخامسة منها استخدام الرقيق ثم بدأ يتلاشى عند ظهور الراسمالية فى المرحلتين الأخيرتين .. »

جملة يشيع فيها عدم العلم ، فالمادية التاريخية كما يعرف كل مبتدىء تقسم تاريخ الانسانية الى هذه المراحل « المشاعية البدائية .. العبودية .. الاقطاع .. الراسمالية .. الاشتراكية .. ثم الشيوعية أى ست مراحل لا سبع .. خمس منها شاهدتها البشرية ، فى دعوى المادية التاريخية ، والسادسة لم يعرفها الناس الا أمانيا ..

ولكن الأخ الحسانى يضيف لهم مرحلة سابعة !
ثم ان المادية التاريخية لم تقل ان الرق وجد فى الرابعة والخامسة ، بل فى الثانية والثالثة .. اما حكاية ظهور الراسمالية فى المرحلتين الأخيرتين فكلام ليس له خبىء . .معناه ليس له علم .. لأن الراسمالية مرحلة واحدة .

وواضح أنه لا يعلم شيئا عن المادية التاريخية فلا سبيل الى ادعاء أنه يتقصى آثارها ويكشف بصماتها فى أفكار الرافضين لها .

فلننتقل الى فهمه للاسلام ..

قلنا فى « الغزو الفكرى » ان موقف الاسلام من قضية الرق أعظم واجل من أن تناله أحقاد الصليبيين . لأنه عالج الرق كضرورة اجتماعية وتاريخية ، لم تتوفر شروط الغائها الا بعد ١٣ قرنا من ظهور الاسلام .. ولكن الاسلام قد شرع ودعا وحض على كل مايخفف شرور هذه الضرورة ويصفى منابعها ويمهد لزوالها .. وقلنا ان الرق مارسه وثنيون ويهود ومسيحيون وملاحدة .. وأن سفن الكاثوليك نقلت ٣ ملايين عبد من أنجولا وحدها الى مزارع البروتستنت فى امريكا .. فلماذا تعمى العيون عن الرق على بعد قرن واحد ويتباكون عليه على بعد ١٣ قرنا .. ؟ !

وقلنا ان الرق فى الاسلام علاقة اجتماعية وحالة قانونية ولكنها لا تنقص أبدا من انسانية الرقيق الذى يمكنه أن يتزوج بنت عمة رسول الله وأن يطلقها ويتولى امارة الجيش على كبار الصحابة بل أن يكون سلطانا على المسلمين على أن تتم اجراءات عتقه ..

وعبر ألفاظ لا يعرفها النقد ولا النقاد .. قال الأخ الحسانى ان هذا تفسير مادى للتاريخ .. يؤمن بحكاية الضرورات المادية والتاريخية .. وأن ليس على الله سبحانه وتعالى ضرورات ... وقديما عندما قرر عمر عدم الدخول فى الأرض الموبوءة بالطاعون وساله أحدهم « أفرارا من قضاء الله ..!؟ لولا أن السائل هو أبو عبيدة بن الجراح لعلاه ـ رضى الله عنه ـ بالعصا ولكنه اكتفى بقولته الرائعة « نعم .. الى قضاء الله » ..

لأن قوانين التطور لم يخترعها ماركس ، بل هو على أحسن الفروض أحد مكتشفيها .. ولكنه لم يسنها .. هى من ارادة الله سبحانه وتعالى .. تماما كقانون الجاذبية لم يخترعه نيوتن بل اكتشفه .. واذا حاول الأخ الحسانى أن يقفز من نافذة الطائرة بغير مظلة متحديا قوانين نيوتن لأن قدرة الله فوق القوانين الطبيعية.. فسنضطر الى تقييده وتسليمه لأول مطار .. لأن ارادة الله لا تتعارض مع احترام القوانين الطبيعية والنظم الكونية التى رسمتها ارادة الله .. ولأن مخالفة هذه القوانين هى المعجزات التى يختص بها الله بعضا من عباده ..

هو يريد أن يقول أن الاسلام حرم الرق ، ويضع نفسه بذلك فى موقف لا يفيد الاسلام وأيضا لا يضيره . ولكنه يحس أن الواقع والنصوص ضده .. فيلجا الى الخلط بين الأسر والرق .. اى بين السبب والنتيجة ، فالأسر هو سبب الرق ، ولكنهما ليسا حالة واحدة .. كما نقول ان الفقر هو سبب الزنا ونحن نحرم الزنا ولكن لا يعقل تحريم الفقر بنص دينى .. وان حاربناه وكرهناه ..

فالأسر مستمر ما دامت هناك حروب .. ولكن التصرف فى الأسر يختلف .. كانوا يقتلون الأسرى .. ثم استرقوهم .. وقد يطلق سراحهم ، أو يفتدون .. أو يسخرون فى العمل لخدمة الدولة .

والرق كما ترى حالة قانونية ونظام اجتماعى زالت مبرراته وزال وجوده وانتهى تاريخيا ولا سبيل لعودته بحال من الأحوال. وقد شرحنا موقف الاسلام الرائع من هذه الضرورة التاريخية .. أما الدفاع الساذج بالقول بان الاسلام لم يحرم الرق بنص صريح لأن اللبيب تكفيه الاشارة ولأن « عقل المسلم ليس فى حاجة الى نص قاطع لأن الوصية تكفيه ولا لزوم لاصدار الأوامر حيث تغنى النصائح والوصايا .. »

كلام ...

الاسلام الذى أتى بالنص الصريح القاطع فى تحريم اتيان المرأة الحائض .. لم يكن ليترك قضية الرق اكتفاء بالنصح !

ولقد كان يسعدنى ان أكون مكتشف الرأى القائل بان الرق ظاهرة اجتماعية واقتصادية

لا سبيل الى الغائها بنص صريح الا بتوافر الظروف الاجتماعية والاقتصادية والدولية الكفيلة بالغائها .. وان الاسلام واجه الضرورة فرد للرقيق انسانيتهم ، فاصبحت علاقة قانونية ، كالتي بين العامل والرأسمالي علاقة تفوق أحد الطرفين .. ولكن لا خلاف على اكتمال انسانية كل منهما .. ثم حرص على أن يشرع كل ما يفضي الى تحرير الرقيق وتصفيته .. واعداد المسلمين لاستئصالها متى تمت ارادة الله بقيام الظروف الاجتماعية التي تسمح بذلك ..

أقول كان يسعدني أن أكون مكتشف هذا ولكني للأسف لست الا الأخير زمانه . ! وهذا كتاب «لا رق في القرآن» لابراهيم هاشم الفلالي يستعرض آراء عدد من المسلمين في الرق . أنقلها بنصها :

رشيد رضا : « وضع الاسلام الأحكام الممهدة لزوال الرق بالتدريج الممكن بغير ضرر ولا ضرار ، ولا بغي ولا استكبار اذ كان ابطاله دفعة واحدة متعذرا في نظام الاجتماع البشري من الناحيتين : ناحية مصالح السادة المسترقين وناحية معيشة الأرقاء المستعبدين » .

الشيخ محمد محمد المدني : « كان العالم كله معترفا بالرق ، وكان التعامل العام قائما على الاعتراف به ، فلم يكن من صالح المسلمين يومئذ أن يبطلوا هذا اللون من التعامل دفعة واحدة ، فقضت الحكمة الالهية بأن يتدرج في هذا الالغاء » .

سيد قطب : « جاء الاسلام فوجد الرق نظاما عالميا ، ووجد استرقاق الأسرى عرفا دوليا ، فلم يكن بد أن يتريث في علاج هذا الوضع الاجتماعي القائم ، والنظام الدولي الشامل ، وقد اختار أن يجفف منابع الرق وموارده حتى ينتهي هذا النظام كله مع الزمن الى الالغاء دون احداث هزة اجتماعية لا يمكن ضبطها ولا قيادتها » .

ومحمد قطب .. يشن حملة شعواء على من يزعمون بالضرورة التاريخية ، ثم يقول :

« الرق كان في كيان المجتمع ، ونفوس الأفراد لاشتماله على عوامل شخصية واجتماعية واقتصادية ولو كان يعلم أن ابطال الرق يكفل له مجرد اصدار « مرسوم » بالغائه لما كان هناك سبب لتأخر هذا المرسوم .. ولم يكن في وسع الاسلام أن يتخطى هذه الأجيال كلها ، ويصدر تشريعا يحتاج تنفيذه الى ألف سنة حتى يجيء الوقت المناسب للقضاء عليها نهائيا . اذن فقد كانت ضرورة لا نكال منها مادام العدو مصرا على استرقاق الأسرى ، والاسلام لا سلطان له عليه ، ضرورة تظل قائمة حتى يتفق العالم على مبدأ آخر وظل الاسلام مضطرا الى عدم الغاء الرق » .

د . علي عبد الواحد وافي : ان الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي كانت تكتنف العالم في العصر الذي ظهر فيه الاسلام ، كانت تحتم على كل شارع حكيم أن يقر الرق في صورة ما ... ظهر الاسلام في عصر كان الرق فيه دعامة ترتكز عليها جميع نواحي الحياة الاقتصادية ، وتعتمد عليها جميع فروع الانتاج .. فلم يكن من الاصلاح الاجتماعي في شيء أن يحاول مشرع تحريمه تحريما باتا لأول وهلة فانه بذلك يعرض الحياة الاجتماعية لهزة عنيفة لذلك أقر الاسلام الرق » .

امين الخولي : « سلك الاسلام نحو الرق مسلكه الثابت الواضح .. يعترف بالواقع المشهود الى حد ما ثم يمضي يلطف قسوته » .

ارايت كيف أننا في الرد على أعداء الاسلام العقلاء كنا في مجال اثبات فضل الاسلام على معارضيه في موقفه من الرق ، فاذا بصديق الاسلام الحساني يضعنا في مجال اثبات وجود الرق في الاسلام .. ولا حول ولا قوة الا بالله !

ليته لم يجهل ولم ينقد ..

ثم تنتقل الى اعتراضاته حول موقفنا من الاصلاحيين ودستور ٢٣ والثورة والصراع الطبقي .. وهو هنا كما يعكس الفهم الرجعي ، يعكس أيضا الفقر السياسي ولا يشفع له ان يقول قال العقاد ..

فهو لا يفهم معنى « الاصلاحية » .. ولا بأس من الشرح .. النظام القائم في بلد معين وزمن معين ، اما نظام صالح يحقق ارادة الأمة ويطلق امكانياتها نحو تحقيق أهدافها القومية .. ومن ثم فالخلافات في داخله هي حول التفصيليات أو أسلوب العمل أو التطبيق .. وهنا يصبح الحل .. الاصلاح .. الذي يكمل الصورة ويدفع عجلة النظام أكثر فأكثر ، ويرسي قواعده المرضى عنها على أسس أرسخ وأعمق ..

واما نظام مرفوض ضد ارادة الأمة ، معطل لامكانياتها مناقض لاهدافها ، حرب على وجودها ، وازدهارها .. والحل هو الثورة التى تقوضه فوق راس الحاكمين وتطلق يد الامة فى تخطيط مصيرها وفرض ارادتها ، والسبيل الى الثورة هو تعبئة الشعب ، الهاب الجماهير ، توعيتها ، تحريضها ضد الطبقات الحاكمة فضح النظام القائم امامها ، وتعريته ، وقطع كل امل فيه .. مادمنا قد سلمنا بفساده أصلا .. وعندما يحس أعداء الأمة بتجمع الثورة ويحاولون تفتيت وحدة الجماهير وبث الفرقة بينهم ، بتضليل جانب منهم ، وخداعهم ، وشغلهم بالجزئيات عن الكليات ، فيلقون لهم بعض الفتات يسمونها الاصلاحات ودعاتها بالاصلاحيين ..

فالثورى هنا يكشف زيف هذه الاصلاحات لا لأنه شرير يتلذذ بعذاب الجماهير .. بل لأنه يعرف أن الخلاص الحقيقى للجماهير هو فى الثورة وتقويض النظام الذى لا امل فيه ..

فمثلا .. فى ظل حكومة الرئيس بن بللا .. واستقلال الجزائر الاصلاحات هى السبيل لحل الخلافات وتطوير النظام الذى شادته الجماهير بثورتها .. والثوريون هنا اصلاحيون .. أما قبل سقوط النظام الفرنسى الاستعمارى ، فالاصلاحى خائن يعطى للنظام المعادى حقنة مقوية .. ولاسبيل للقول بأن الاسلام يتعارض مع الثورة .. فثورة الجزائر هى أعظم جهاد اسلامى معاصر .. والقول بان الاسلام لا يؤمن بالصراع الطبقى تطاول على الاسلام ممن لا يعلم . وقول لا يخدم المسلمين فى ظروف الثورة الاسلامية ضد طبقات مالكة غير مسلمة فى معظمها استعمارية ظالمة تعاونها أجزاء مسلمة خائنة .. الصراع الطبقى مستبعد فى داخل المجتمع الاسلامى .. حيث الحكم والحكام والمحكومون تظلهم راية الاسلام ... أما فى ظل الاحتلال الغربى للعالم الاسلامى فالثورة حق ، وتحريض الجماهير فريضة ، والصراع الطبقى مشروع ..

وقد كنا فى « الغزو الفكرى » نناقش موقف عبد الرحمن الشرقاوى من دستور ٢٣ الوفدى الرجعى الذى جاء بناء على توصية من لجنة ملنر ووضعه بكاوات وباشوات وعبث فيه الانجليز والسراى ، وسمى سعد لجنة الثلاثين التى وضعته بلجنة الاشقياء ، وقال انه يشتمل على كثير من المبادىء الرجعية ، ولم يكن أكثر من محاولة انجليزية لتفتيت الثورة المصرية وشغل جماهيرها ببعضها .. واذا كان جهل الناقد بالتاريخ يشفع له فى دفاعه عن دستور ٢٣ فهو لا يشفع له فى اتهام العارفين بالكذاب .. وقد والله أشفقت أن أضيع وقت القراء فى اثبات المواد التى حذفها الانجليز من دستور ٢٣ قبل اعلانه .. وتصريحات سعد ضده ، فهذه موجودة فى الكتب المدرسية ، ولا بد من افتراض حد أدنى من المعرفة عند القراء فضلا عن النقاد !

ولا أدرى سر فرحة الصديق الحسانى بالنص على ان « الأمة مصدر السلطات » فى الدستور الملغى .. وأول خليفة عندنا يطلب من الامة أن تقومه ان أخطا .. فيعده أحدهم بتقويمه بالسيف !

أما الاستشهاد بالعقاد .. فيجب أن نعرف أن للعقاد حياته الشخصية وسلوكه السياسى .. واجتهاداته الاسلامية .. العقاد دافع عن دستور ٢٣ لأنه كان وفديا .. لا بوصفه فيلسوف الاسلام .. ونحن ندعو له بالرحمة والخلود بقدر اجتهاداته فى الفكر الاسلامى .. التى نرجو من تلاميذه الا يفسدوها عليه باصرارهم على الزج به فى معاركهم ..

وأخيرا .. لقد كان دستور ٢٣ خدعة انجليزية لتدمير ثورة ١٩ .. وقبوله وقتها كان غلطة .. أما الدفاع عنه فى عشية ثورة ٥٢ وبعد الغائه فجريمة .

والزعم اليوم بانه كان نزولا على ارادة الأمة فهو جهل ... وأبشع منه حذف المناسبة التى تتحدث فيها والقول باننا ضد مبدأ الدساتير !! ثم اعلان أن الاسلام لا يقوم الا بالدستور وقد قام الاسلام قبل اشتقاق هذه الكلمة باثنى عشر قرنا .. وسيقوم الى أن يرث الله الارض ومن عليها ..

« محمد جلال كشك »

فلسفة العقاد

نظرية الوجود الارادى

بقلم عبد الفتاح الديدى

فلسفة

العقاد فلسفة أصيلة نابعة من صميم كيانه وتفكيره ، وهى ليست مجرد احتراف صناعى وانما هى ضرورة فى حياته التى تجاوزت نطاق الأوطان ، وأصبح نطاقها الكون كله فى كل زمان · ليست الفلسفة عارضا فى حياة العقاد وانما هى شىء صادر عن طبيعة حسه وعقله · وتعريفه لها بأنها العلم الكلى على حد تعبير الفارابى لا ينجم عن مجرد كونها بحثا فى علوم ما بعد الطبيعة أو فيما وراء المادة وما وراء الزمان والمكان · بل ينجم هذا التعريف عن كونها ضرورة · فهى ليست من البعد عن حياتنا الفردية أو حياتنا الاجتماعية بحيث تخرج من عالم الطبيعة الى ماوراءها· وان الانسان ما عاش وان يعيش بغير فلسفة حياة منذ بحث فى العلاقة بينه وبين العالم المنظور والعالم المحجوب · وهذه الصناعة التى تسمى بالفلسفة لا تغادر الطبيعة كل المغادرة ولا تنطلق منها الى ما وراءها بغير رجعة الينا فى حياة الغذاء والكساء ·

فهى ـ أى الفلسفة ـ علم كلى لشمولها مباحث الطبيعة ومباحث ما وراء الطبيعة فى وقت واحد · وهى علم كلى لتخطيها حدود الجزئيات والفرديات والتماسها الخصائص الشاملة فى جميع الموجودات·

واذا شئنا ان نستخدم منهج العقاد ذاته فى اكتشاف مفتاح شخصيته الذى ننفذ به الى جميع خطوط فكره وقفنا عند كلمة الارادة · الارادة عند العقاد هى المحور الذى تدور حوله كل فلسفته · وقد تأثر العقاد بشوبنهور وفلسفته تأثرا عميقا · واستفاد من النظر فى مؤلفاته فى اكتشاف الطابع الفلسفى الأصيل لحقيقة الارادة ·

قال فيثاغورس قبل خمسة وعشرين قرنا : ان العدد هو سر الوجود وان النسبة بين الأشياء هى نسبة بين أعداد · فكان فرضه هذا فى نظر العقاد أقرب الى الصدق من فروض علمية كثيرة فتن بها الناس الى سنوات · وقد قاله فيثاغورث حين رأى ان الأوصاف كلها قد تفارق الموجودات من لون أو لمس أو صلابة او ليونة أو وزن أو ماشابه هذه الأعراض الكثيرة الا العدد ·فانه ملازم لكل موجود فردا كان أو أكثر من فرد وكاملا كان أو غير كامل · وان الفروق بين الأشياء هى فروق بين تركيب وتركيب أو فروق بين نسب عددية وان الكون كله دور موسيقى هائل يدور على قياس منسجم كما يدير العازف الماهر ألحان الغناء ·

والعقاد يستمرىء هذا اللون من التفكير · ولكنه يعود فيتساءل : هل هذا التناسق النسبى بين الكائنات والموجودات هو مجرد اجتماع أو انشقاق بغير قصد أو دلالة ؟ أم ان ثمة وضعا سابقا على وجود النسب يدعو الى افتراض وجهتها فى التناسب أو التوزع وفى التقارب أو الانشقاق ؟ ما الذى يفرض على الماهيات النسقية للأشياء وجهتها فى التذبذب والتخلخل وفى التكاثف أو التحلل ؟ هاهنا وضع العقاد الارادة بوصفها سياقا أو أسلوبا هادفا داخل اطار الوجود القصدى للكائنات والأحياء والموجودات والأحداث ومظاهر الطبيعة وأكوان

ما بعد الطبيعة بل للأفراد والجماعات البشرية ذاتها ٠

والارادة تتمثل في الوجود بمجرد الوجود ٠ الارادة والوجود يظهران معا ٠ ويكفي أن نقول عن الوجود انه موجود لنقرر انعدام العدم ٠ وكذلك يكفي أن نقرر وجود الوجود لنكتشف مظهر الارادة٠ فالوجود ليس الارادة ٠ ولكن الوجود لا يكون الا بارادة ٠ ولهذا تعد الارادة بديهية لا تحتمل الصدق والكذب على نحو ما تقول ان الوجود موجود ٠ والكوجيتو الديكارتي يستمد حقيقته من الكيان الذاتي للانسان ٠ أما مصادرة العقاد في وجود الارادة فهي أولية على نحو أولية الحياة والوجود معا ٠ ان الكوجيتو الديكارتي يتخطى الوجود من أجل العودة لاثباته من جديد عن طريق وجود الذات اليقيني ٠ اما العقاد فيكتشف بديهية الوجود ٠٠ مجرد الوجود ٠٠ كمعنى من معاني الارادة الممتدة في الموجود ٠٠ اي موجود٠٠ الموجود الموضوعي كالمرئيات والمدركات او الموجود الذاتي كالجماعة والأفراد ٠

ومن الوجود بالمعنى الأعم الأشمل يستلهم العقاد معنى الارادة المنبثقة ٠ ومن الارادة ينتقل العقاد الى بطن الحقائق الذاتية والموضوعية على السواء ٠ ومن حقيقة الارادة الذاتية يكتشف النوع وفي اطار النوع يحدد اتجاه التاريخ وفي حدود التاريخ يلتمس بواعث الفرد وحرياته وتبعاته ٠

ومجرد الوجود يهدم القول بالعبث أو بالمصادفة ويثبت الارادة ويؤكدها ٠ وليس الوجود والارادة شيئين مختلفين أو ظاهرتين منفصلتين ترتبطان برابطة ما ٠ انهما شيء واحد يظهر لنا على نحوين مختلفين أحدهما مباشر والآخر غير مباشر ٠ الأول حسي موضوعي والثاني معنوي غائي ٠ يقول العقاد في مقدمة كتابه مطالعات في الكتب والحياة : « انني اعجب لفهم حقائق الأشياء على ذلك الوجه الذي يجعل العالم المادي مناقضا للعالم الروحي كأنهما عالمان منفصلان في فضاءين منعزلين ٠ فالصواب عندي أن العالم كله « قوى » من طبيعة الروح التي نتصورها ٠ وما الفرق بين الظاهر والباطن منهما الا في طريقة الادراك واستعداد الحواس » ٠

والعقاد هنا ينمي الطريقة الكلاسيكية في التفكير٠ انه يعارض شوبنهور من جملة وجوه ٠ فشوبنهور يبدأ بالفرد ليعود فيقضي عليه ٠ أما العقاد فيبدأ بالارادة الكونية ليعود فيبرز كيان الفرد ٠ وقد تعلم العقاد هنا من نيتشه شيئا ثمينا جعله يعرض هو الآخر عن شوبنهور على نحو ما فعل نيتشه حين انقض على أستاذه شوبنهور بعد أن تعبد بعبادته واخلص له الحب والولاء زمنا ليس بالقصير ٠

والعقاد بطبيعته ينفر من التشاؤم ولذلك أدرك معنى الارادة على نحو عارض به مذهب شوبنهور ٠ فشوبنهور يفهم الارادة على أنها حقيقة يلمسها الفرد في نفسه ثم يصبح الفرد نفسه عند شوبنهور ظاهرة من ظواهر الارادة ٠ أما العقاد فيلتفت الى الوجود الماهوي على أنه ارادة ويضع ارادة الوجود في مرتبة واحدة مع ظاهرة الوجود ويستخلص منها بديهية لا تحتاج الى دليل ٠ وشوبنهور يبدأ من الفرد ليعود فيلحقه بالوجود الظاهري الوهمي الخداع ٠ أما العقاد فيبدأ من ارادة الوجود ليكتشفها في حقيقة الفرد الحر بين ضرورات الوجود ٠

ويقول العقاد في نفس المرجع السابق (ص٢٢٠): « انما الذي يجمل بنا أن نفهمه ان قيود الضرورة هي مسبار ما في النفوس من جوهر الحرية الصحيحة كما أن القيود التي تثقل بها أعضاء البهلوان الماهر هي مسبار مهارته وقدرته الخطران والوثب واللعب » وسبق هذا أن أشار العقاد في مقدمة المراجعات الى حقيقة الارادة بقوله : « ان الكون كله والحياة (وهي أعم من الكون في نظري) والفن ومناظر الأرض والسماء ٠٠٠ كل أولئك مظهر للتآلف أو للتنازع بين الحرية والضرورة أو بين الجمال والمنفعة أو بين الروح والمادة أو بين أفراح الفن وأوزانه : قوى مطلقة وقوانين تحكم هذه القوى المطلقة ٠ وكلما ائتلفت القوى والقوانين اقتربت من السمة الفنية والنظام الجميل الذي يبين بالمادة صفاء الروح ويسبر بالقيود أغوار الحرية ٠٠» ولو أحببنا استكمال عبارة العقاد لقلنا « ويستشف بالوجود بديهية الارادة » ٠

ويمضي العقاد في توضيح فكرته قائلا : « وهكذا فلتكن الحياة وعلى هذا المعنى فلنفهم ضروراتها وقوانينها ٠ فما الضرورات والقوانين الا القالب الذي تحصر فيه الحياة عند صبها وصياغتها ليكون لها حيز محدود في هذا الوجود ولتسلم من العدم المطلق الذي تصير بها الفوضى اليه ٠ والا فتصور عالما لا موانع فيه ولا أثقال ثم انظر ماذا لعله يكون؟ انه لا يكون الا فضاء بغير فاصل أو هيولى بغير تكوين ٠٠ وسبيلنا بعد اذ عرفنا هذا أن نرزح بقيود الحياة ونخضع لها أو انْ نحملها معنا ونتعلم

الجرى بها كأنها لا تعوقنا عن مرامنا . فاما ان رزحنا بها وخضعنا لها فقد جعلنا القيد هو الغرض والغاية ونسينا بذلك غرض الحياة الأسمى وغايتها القصوى» .

فالوجود عند العقاد ـ مجرد الوجود ـ ارادة . لأنه وجود في ضرورات واحكام تبتعث تلقائيا الارادة . وما يسميه العقاد الحياة هو هو الارادة . والوجود هو الارادة والا لامتنع وجود الوجود نفسه. ان الوجود هو ارادة انتفاء العدم والقضاء عليه . ان الوجود ذاته يحمل في ذاته ارادة منع العدم . والوجود بغير الارادة لا تفهم معه الضرورات والقيود والأحكام .

« اننا نعطى الوجود الزم لوازمه اذا قلنا انه غير المعدوم . وحين نقول هذا الوجود قصدنا بذلك هذه الموجودات .

« ومن أعجب العجب قول بعض الناس ان الوجود يتوقف على احساس من يحسونه . فهل معنى ذلك أن الشيء لا يكون موجودا لذاته الا اذا وجد من يحس أنه موجود ؟ » (العقاد : ملاحظات وردود على تأملات ونقود ـ الرسالة العدد ٧٣٥ ١٩٤٧/٨/٤) .

ولهذا انصرف العقاد بكليته الى تثبيت نظريته في الوجود الارادى على اساس سابق على الوجود الذاتى. وهذا النزوع نحو اليقين الموضوعى في فلسفة العقاد معارض لكل فلسفة تأملية أولا ومعارض لكل فلسفة ذاتية مبنية على اليقين الذاتى عن طريق الكوجيتو ثانيا ومتأثر بفلسفة دارون في ارادة الحياة وبفلسفة نيتشه في ارادة القوة من ناحية ثالثة . وهو لذلك ينظر الى الكوجيتو الديكارتى نظرة ارتياب ويقول ان قيمة الكوجيتو الديكارتى مستمدة من حقيقة الزمن الذى ظهرت فيه واثرها في تقرير حق الفكر وحق البحث . اما الكوجيتو الديكارتى فسواء اخطأ صاحبه ام اصاب فليس من حقنا ان نوقف اليقين بالوجود على الفكر او ان ننظر في مشكلة الوجود ابتداء من نظرية المعرفة .

ان فلسفة الوجود الارادى تشترع منهجا جديدا يخرج على كل المواقف الفلسفية التى شاعت في العصر الحديث . انها ترفض الوجود الآلى المحض من جهة وتنكر اتخاذ الوجود الذاتى نقطة انطلاق الى مباحث مابعد الطبيعة . وكان « كانت » قد قسم الحقائق الى قسمين : حقائق الأشياء في ظواهرها وحقائق الأشياء في ذاتها (العقاد : المطالعات ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠) وكما قسم « كانت » الحقائق الى قسمين كذلك قسم الانسان الى قوتين: العقل والارادة أو الوجدان . فالعقل يدرك الأشياء في ظواهرها والارادة تحيط بالأشياء في ذواتها لأنها هي من عالم هذه الذوات . ومن هنا نفهم ان علم ماوراء الطبيعة مستحيل من طريق العقل في رأى «كانت» ولا سبيل اليه الا من طريق الارادة التى تحيط بكنه الأشياء .

فالعقاد يتخذ من موقف « كانت » نقطة تحليل معرفية يخلص منها الى أنه اذا كان لامندوحة عن اتخاذ سبيل الى المعرفة فلا بد من الارادة حتى تنفذ الى الأشياء في ذاتها لأنها تحيط بكنه الأشياء ولأنها هى نفسها من عالم هذه الذوات . ويخلص من ذلك الى قوله : « على أن كانت لم يفصل كل الفصل بين عالم العقل وعالم الارادة أو عالم الحقائق اللدنية . فاننا مع اعتمادنا على المحسوسات والمدركات في تحصيل معارف العقل لا نستغنى عن حقيقة أولية تبنى عليها هذه المعارف » .

اذن فالعقاد مع تعرضه للمعرفة الكانتية لم يحتج الى اتخاذ حقيقة أولية أو مبدأ أساسى لليقين من غير الوجود الموضوعى من حيث هو وجود .

ويتساءل بعض النقاد : أى معنى تفيده عبارة غير المعدوم زيادة على الموجود ؟ « أليست عبارة غير المعدوم مرادفة لكلمة الموجود لا مفسر لها ؟ بل أليست كلمة موجود أوضح من عبارة غير المعدوم »؟

ويجيب العقاد على ذلك : (العقاد : عود الى مسألة العقل بالرسالة العدد ٧٦١ في ٢ فبراير ١٩٤٨) بقوله : « اذا قلت لى ما هى مزية وصفك الموجود بغير المعدوم ؟ فهذه المزية هى أننا نخرج من هنا غير المحسوس وغير المفهوم وغير المدرك وغير المعلوم . فلا ننفى وجود شيء لأننا لا نحسه أو لا نفهمه او لا ندركه أو لا نعلمه . ويصبح الموجود بذلك أعم وأكبر من أن يلتبس بالمحسوسات والمدركات والمفهومات والمعلومات » .

فالبديهية الأولية التى يشتقها العقاد من طبيعة الوجود تشبه بدائه الرياضيات . ان الموجود غير المعدوم تعنى ان مجرد الوجود ينتفى معه العدم . ومجرد انتفاء العدم يحمل معنى الارادة . والوجود مجرد الوجود يقتضى رفض العدم اى ان الوجود من حيث هو وجود يكون مريدا . ان وصف الوجود بانه غير المعدوم يعطى صفة الايجابية لهذا الوجود . ومع

الايجـابية نلمح الارادة ولا نلمح القسر والقهـر . فالارادة هى الوجود من حيث هو وجود . وهى تلتحم بالوجود دون تصميم سابق او اعداد وتدبير . لأن مجرد التدبير والاعداد يجعلان الارادة فعلا معقدا أو فعلا مركبا . بينما لا يتفق هذا مع طبيعة الأوليات البسيطة المتناهية فى اليقين والبداهة . ومن ثم كان الوجـود . وكونه ـ مجـرد كونه ـ يحمـل معنى الارادة .

ولهذا لم يشأ العقاد إن يضيف أى وصف لهذه البديهية الأولية . ولم يتردد فى الاحتفاظ بعبارته ان الوجود موجود والعدم معدوم . لأن الموجود غير المعدوم. ولمجرد الوجود ينتفى العدم. وكل مايطلب من التعريف كما يقـول العقـاد انه ينفى الالتباس ويحصر الصفة . وتعريف الخط المستقيم مثلا هو أنه أقرب موصول بين نقطتين . فمـاذا نفهم من أقرب موصـول بين نقطتين الا أنه الخط المستقيم ؟ هل تطالبنى بافهامك ما هى النقطـة قبل أن تسـلم بالموصل بين النقطتين ؟ » (المرجع السابق) .

والوجود الارادى هـو الوجود الذى لا يحتاج الى حجة أو الى دليل . انه مجرد الوجود وما كان ليكون وجودا لو لم يكن ارادة بمعنى من المعـانى . وهو يتمثـل فى الموجودات بأنواعها الذاتيـة المدركة أو المادية الخرساء . واذا تلاحمت هذه الموجودات القائمة **على صورة احداث فى الزمان أو توزعت فمعنى هذا ان ثمة نظاما . وليست المصـــادفة أقرب الحلول ولا أضمن المـواقف . وأحـرى بنـا أمام العوارض التاريخيـة ان نفصـل القـول بالتدبير على القـول بالمصادفة العميـاء . وأحـرى بنا كذلك أن نحسب حساب النوع الانسانى الذى يتجه فعلا من التفرق الى التضامن كما يتجه الفرد من الهوان والضياع الى الكرامة والكفاية .**

فالنوع الانسانى ينتقل فى تاريخه المعـروف من التفرق فى الموقع والمصلحة الى التضـامن فى جوانب الأرض وفى مرافق المصلحة العالمية .

ينتقل من القبيلة الى الشعب الى الدولة الى الجامعة الدينية أو العنصرية الى التوازن بين مجموعة ومجموعة من الفئات الدولية . الى هذا الاشتباك المتلاحم فى سياسة العالم ومواصلاته وعلاقاته الى الوحدة التى أوشكت أن تكون وحدة للكرة الأرضية أمام غيرها من العوالم والافلاك .

وقد يكون دليل النكسات ادل على وجهة التاريخ هـذه من دليل الخطوات المطردة فى طريق التضامن والوحدة فاننا نكتفى بأن ننظر الى كل نكسة من هذه النكسات على حدة ثم ننظر الى حالة العالم الانسانى قبلها وبعدها فنرى على التحقيق ان العالم الانسانى كان بعد كل نكسة منهـا أقرب صـلة وأدنى الى التضامن مما كان قبلها بسنوات . (العقاد : القرن العشرون ص ٩٢ ـ ٩٩) .

ووجهة التاريخ بالنسبة الى الانسان الفرد أوضح فيما يرى العقاد من وجهة النوع كله كما تبينت من الانتقال المتتـابع من تضـامن القبيلة المنعزلة الى تضـامن العـالم الذى تمتنع فيه العزلة على من يريدها .

واهم ما نلاحظه فى هـذا المنحى من التفكير أن العقـاد يفترض الارادة مع الوجود ويرى الوجـود فلا يعرف له سوى دلالة ارادية تصحبه منذ مبدئه . فالوجود له معنى ومعناه لايكتشف فى وسط الطريق. اى ان المصادفة لا تتدافع حتى تستخرج من الوجود دلائله وحوافزه ومعانيه. ان الوجود الارادى يفرض معنى الوجود مع الوجـود ذاته . والمعـانى ليست اكتشافا يلتقطه الانسان مصادفة فى طريق وجوده. وليست المعانى شيئا اجتذبه الانسـان اجتذابا من العدم والخراب .

ونستطيع من ثم أن نقف على جانب من جوانب أصالة العقاد . فالعقاد الفيلسوف الذاتى هو أول فيلسوف عصرى يتحقق من الموضوعية فى الموضوعية ذاتها. ان اشارات الفلاسفة المعاصرين الى الموضوعية تستمد كل مقوماتها وحقائقهـا من الذات المدركة العارفة .أما العقاد فيبث الموضوعية فى الوجود المادى ذاته وفى مظاهـر الأشـياء والكائنات . انه يجعل الموضوعية موضوعية بذاتها ويضع ثقته ويقينه فى المادة الارادية . وهو يشبه موقف «جاستون باشلار» فى عقلانية المادة حين يفسر الوجود على أساس ارادية المادة . جعل باشـلار من العقل تجسيما ماديا على حين جعل العقاد من الارادة تمثلا فى المادة الموجودة. ان العقل صار تطبيقا ماديا عند باشلار فى حين أن الارادة هى التطبيق المـادى لدى العقـاد . ولذلك فجاستون باشـلار هو صاحب مذهب عقلانية المادة بينما العقـاد هو فيلسـوف ارادية المادة . وبهذا يمكن أن نعرج على مادية العقاد لنكتشف فى ثناياها الروح والذات والوعى الكونى ولنتعرف على مذهب جديد فى المادية الارادية .

عبد الفتاح الديدى

عادل زعيتر

بقلم : كامل السوافيري

يهتف بي الوفاء ان أذكر علما من أعلام الفكر العربي البارزين الذين طواهم الردى بعد أن اضاءوا آفاقنا ، وخلفوا لنا آثارا لاتطمسها يد الدهر ٠

يهتف بي الوفاء ان اذكر فقيد الترجمة البارع المرحوم عادم زعيتر الذى لبى نداء ربه في مثل هذه الأيام منذ سبع سنوات ، وأنوه به على صفحات الرسالة التي رحبت بمترجماته واحتفت بآثاره

وقد عرفت الفقيد في القاهرة بعد المأساة التي اضاعت وطنا وشردت شعبا اذ كان يقضى فصل الشتاء فيها من كل عام عاكفا على تصحيح كتبه لتكون مبرأة من كل عيب ٠

عرفته بعد أن هدت السنون من قوته ، واضعفت من نظره وأوهنت من عظمه ، وبعد أن هدته فاجعة قومه ، واستيلاء مقالة الدنيا على مجاد بلاده ٠

ولقيته احيانا في الفندق الذى كان ينزل فيه واحيانا أخرى في دار المعارف حيث يجلس في غرفة وينهمك في العمل ويستغرق فيه فلا يحس بما حوله كانه راهب يتعبد في صومعة ٠ ومن خلال هذه المقابلات والزيارات أتيح لى أن أسبر غور نفسه ، وأن اغوص في أعماقها ، وأن اقف على جوانب العبقرية والعظمة فيها فازداد اعجابا ٠

القيت عادل ــ مع سعة اطلاعه ــ جم التواضع لايتحدث عن نفسه ولا عن آثاره ، صريح الرأى لا يحب المداجاة والالتواء عف اللسان لم اسمع منه تهجما على كاتب ، ولا طعنا في مؤلف ولا ذما في اديب ٠

وعجبت من أمره حين وجدته يؤثر العزلة ، ويعشق الوحدة وينأى عن المجتمعات ، ويهجر الاندية والمحافل ، ويبغض أن تتسلط عليه الأضواء وحين استوضحته سر ذلك قال : أن عندى رسالة سامية حققت جزءا منها ، وفي انتظارى أجزاء ارجو ان يتحدى العمر لأحققها ٠ فكل ساعة من الزمن لها عندى منزلة ، وكل يوم من الايام له قيمته ٠

وان أسيت لشىء فلجحود الامة العربية فضل ادبائها وكتابها في حياتهم وبعد موتهم ، ومضيهم الى العالم الآخر كأنهم لم يحملوا لنا المشاعل ، ولم يبددوا الظلام ٠

لم ينل عادل زعيتر في حياته حقه من الوفاء والتقدير فلم يقم له حفل تكريم ، ولم تعقد له ندوة يتحدث فيها الأدباء عن آثاره ومؤلفاته ، ولم تهد اليه أوسمة ، ولم تقدم له جائزة مع أنه ترجم أعظم روائع الفكر العربي في الادب والتاريخ والفلسفة والتشريع والاجتماع ، وقدم للمكتبة العربية من هذه الروائع مايقرب من ٤٠ مؤلفا ٠

ولم يلق عادل بعد موته التكريم اللائق به واني أقترح على وزارة المعارف الاردنية أن تكرم أعلام الادب الفلسطيني من أمثال أسعاف النشاشيبي ، وخليل السكاكيني ، وعادل زعيتر وابراهيم طوقان وعبد الرحيم محمود وغيرهم ٠

وان تخلدهم بشتى الوسائل التي تراها ومن تلك الوسائل تقديم جائزة سنوية في موضوع من موضوعات الادب باسم كل علم منهم ٠

ولد عادل زعيتر في مدينة نابلس بفلسطين في أواخر القرن الماضي وفي مدارسها تلقى دراسته الابتدائية وانتقل منها الى بيروت حيث تلقى دراسته الثانوية وواصل دراسته العالية في تركيا وباريس ومن جامعات فرنسا نال أجازة الحقوق وتخرج سنة ١٩٢٥ وعاد الى فلسطين يجيد اللغتين التركية والفرنسية ، وملما بالانجليزية فزاول مهنة المحاماة وعمل استاذا في معهد الحقوق مدة سبع سنوات يدرس الاقتصاد السياسي والفقه الدستوري وقانون المرافعات الدستوري وقانون المرافعات الجنائية والمدنية ، وفي هذا المعهد تخرج

على يديه ابرع المحامين ، والمع رجال الحقوق فى فلسطين والاردن اليوم .

وفى خلال مزاولته للمحاماة كان يقف الى جانب الحق فلا يقبل قضية من القضايا الا اذا تأكد أن موكله فيها على حق .

واسهم الفقيد فى خلال هذه الفترة من حياته بجهود طيبة فى الميادين القومية والعربية اذ خاض غمار الثورة العربية وكان من أوائل الداعين لوحدة العرب وحريتهم ، والمحاربين الاقليمية والعنصرية والطائفية ، وله مواقف وطنية رائعة ضد الانتداب والصهيونية ، وقد مثل نابلس فى المؤتمر السورى الذى انعقد بدمشق بين عامى سنة ١٩١٩ وسنة ١٩٢٠ واعلن استقلال سوريا بحدودها الطبيعية ووضع أول دستور لها .

وبعد النكبة قدم للمسئولين فى الدول العربية المذكرات القانونية الصريحة الموضحة للسبل الكفيلة بانقاذ فلسطين وصيانة عروبتها .

وفى الشطر الثانى من حياته ترك كل الوظائف ، وهجر كل الاعمال وتفرغ لتحقيق رسالته فى ترجمة روائع الفكر، واتجه للترجمة دون التاليف، لانه كان يرى أن لغتنا العربية أشد حاجة اليها ، وان مقدمة ابن خلدون أعظم ما الف فى العربية ، وان الغرب قد سبقنا باشواط ولن نلحق بركبه ما لم نستوح اصول المعارف ومناهج الفكر واختار لترجماته أعلاما من ابرز كتاب الغرب ، ولم يقدم على ترجمة كتاب الا بعد اقتناعه بان فى ترجمته خدمة للامة العربية واللغة العربية والفكر العربى .

واختار الفرنسية للترجمة عنها لتمكنه منها ووقوفه على دقائقها وبصره باسرار لغته العربية واحاطته بمفرداتها .

ترجم من آثار جوستاف لوبون الآراء والمعتقدات وحضارة العرب وروح السياسة وروح الاشتراكية وروح الثورات والثورة الفرنسية وفلسفة التاريخ ومن آثار اميل لودفيج ابن الانسان والنيل والبحر الأبيض المتوسط ومن آثار روسو : العقد



المرحوم عادل زعيتر

الاجتماعى و « اميل » و اصل التفاوت بين الناس ، وعن فولتير كنديد والرسائل الفلسفية ، وعن اناتول فرانس حديقة أبيقور والالهة عطاش .

كما ترجم العديد من مؤلفات ارنست رينان ومونتسكيو ، وسينديو وغيرهم .

وله فى الترجمة طريقته الخاصة التى يتفرد بها ويختار فيها الالفاظ المعبرة عن المعنى اختيارا خاصا تتضح به الفكرة ، وتسمو العبارة . لقد كان فى وسع عادل ان يترجم الكتب التى تهدهد الغرائز ، وتثير الجانب الهابط فى النفس فيسعى اليه الثراء ، ويقبل عليه المال ولكن نفسه العالية ، وخلقه الكريم أبيا عليه ذلك .

ان هذا المجهود الضخم الذى نهض به فرد واحد تنوء به هيئات ومجامع ، ومؤسسات ، وان هذا الصبر على البحث والدرس ، والدأب على القراءة والترجمة ، يجعلنا ننحنى اجلالا للفقيد الذى خط بعمله العظيم أروع سطور فى سفر الخلود .

«كامل السوافيرى»

أفئدتهم هواء ... !

بقلم : محمد عبد الله السمان

إنّ النيل من الاسلام بحقد دفين ، لايمكن أن يستسيغه سوى كاتب لا يحترم عقله وقلمه ، ويؤمن بان الهذيان والهراء من المستحيل ان يكونا فى يوم من الايام ادبا او ثقافة ، او فكرا حرا ، ولاسيما اذا كان مجال نشرهما مجلات تصدر فى أرض عربية وبلسان عربى ، بغض النظر عن الريبة التى تأخذ بمجامع المؤسسات التى تمولها .

اجل كان من الممكن أن نمسك القلم عن هذا الهذيان ، الذى لم يزد على كونه مهاترة تتطاير فى الهواء دون أن يتردد لها صدى يذكر ، وخاصة اذا كان العبقرى الذى الهم هذا الهراء كاتبا صغيرا ، واذا كانت مجلة « أدب » البيروتية قد لفظت أنفاسها الأخيرة ، ولحقت بها شقيقتها مجلة « شعر » وهما المجلتان اللتان تسمحان لكل حاقد أن ينفث سمومه على العروبة والاسلام فوق صفحاتهما .

ولكن الذى يحملنا على أن نمسك القلم هو أن هذا الكاتب الذى يعيش فى القاهرة ، ويأتيه منها رزقه رغدا ، ويكتب مقالاته فى مجلات بيروت تحت عنوان: « رسالة من القاهرة » ليقول عن الجمهور العربى :

« **فالجمهور غير منصاع أولا ، لانه تقليدى الذهن والعواطف ، وثانيا لان الجريدة والمجلة والمذياع تعرف ذلك عنه ، فتنمى فيه التأخر والجمود ، وثالثا لانه جمهور فقير لا يكاد يملك ما يقيم أوده وأود عياله . والناشر تاجر لايعرف الا ارقام الكسب والخسارة ، وهو يفضل أن يصدر الكتب المضمونة اما لشهرة مؤلفيها ، أو لان هذه الكتب تمارس المعرفة الجنسية وهى البضاعة الناجحة فى بلاد متخلفة حضاريا كبلادنا** » .

فاذا أردنا أن نربط بين عناوين مقالاته فى مجلة أدب ، وبين ما يكتبه ، لوضح لنا المغزى الذى يهدف اليه ، وهو انه يغمز شعب الجمهورية العربية المتحدة هذا الشعب الطيب الذى آواه فى القاهرة عن رضا ، واغدق عليه عن سعة ، وبسط له فى الرزق ليكيل له السباب فى صحف بيروت . وصحف بيروت وحدها ، انهم يقولون : **ان حرية الرأى مكفولة بل مطلقة ولكنهم يتجاهلون ان هذه الحرية ليست مكفولة ، الا فى حدود التهجم على العروبة والاسلام ، ونحن نضيف الى هذا ان دور النشر فى بيروت ، ترحب بالنشاط المريب الذى تباشره المؤسسات الاستعمارية ، وقد حدثنى صديق اندونيسى ان الكتب والمنشورات التى تتآمر على العروبة والاسلام تفد من دور النشر ببيروت الى اندونيسيا عن طريق بعض السفارات الاجنبية .**

ان منهج الكاتب فى مقالاته التى يكتبها الى مجلة أدب ببيروت من القاهرة تتسم بطابعين ملحوظين : فهو يرفض بشدة أن يكون الاسلام صالحا للحياة مع اعتزازه بالمسيحية ، واليهودية ، ويرفض ثانيا أن يعترف للعرب بأى تراث حضارى ، ولذلك يجب عليهم أن يغضوا بالتواجد على كل ما هو غربى ، فهو يردد كثيرا :

« **الأدب الغربى** أدب له جذور مخالفة لتشكل حياتنا الحديثة ، لانه يعبر عن حضارة رعوية جافة ظلت لمدة طويلة طراز حياة الأمة الوحيدة التى كان لها كيان نفسى فى تلك الأيام ، والدين الاسلامى ذاته تعبير عن تلك الحضارة الرعوية وتأكيد لها ، **فلم يكن الاسلام دينا بين الفرد وربه ، بل كان تنظيما تشريعيا ، وضعت مواده أصلا لمدينة صغيرة فى الصحراء !**

« **وللتوراة فضل أخطر وأجل من ان ينكر فى خلق أجيال عديدة من الشعراء والروائيين وكتاب القصة الطويلة والقصيرة فى الغرب ، على حين كان القرآن تعليميا كله ، ولو افترضنا ان الاسلام ؛**

وليس المسيحية ـ هو الذى غزا اليونان ، لما امكن بشكله التشريعي أن يدوم طويلا .. ذلك لأن اليونان كانوا مشرعين وفلاسفة واخلاقيين من الطراز الأول، وجاءت المسيحية فسدت نقصا كان ملحوظا فى وجودهم ، وهو فراغهم النفسى من عبادة التوحيد ، اما فى شرقنا العربى فالفلسفة اولا متاخرة عن الدين » .

وهكذا بجرة قلم أحمق يلغى الكاتب اية قيمة للاسلام ، ولا يعترف له الا بتشريع جاف وضعت مواده أصلا لمدينة صغيرة فى الصحراء ، وينكر صمود الاسلام حيال الفلسفة اليونانية ، ويثبت للمسيحية قيامها بدور تكميلى لتلك الفلسفة ، وربما أعماه هواه عن أن الفلسفة اليونانية فى مراحل عظمتها أقرت العبودية والطبقية حتى فى جمهورية افلاطون المثالية ـ وجاءت المسيحية لتذعن لهذين المبدأين ، والاسلام الذى جاء بعد ذلك ، هو الذى الغاهما من الوجود ، كما أعماه هواه أيضا عن أن المسيحية لم تتجاوب مع الفلسفة اليونانية كما تجاوب الاسلام ، وها هى ذى الكاتبة الألمانية سيجريد هونكه ـ ومحيى الدين يعتز بكل فكر غربى ـ تقول :

« فالتفكير اليونانى قد بدا لدى المسيحين وكأنه جدير بكل لعنة، لذلك لم يكتف المسيحيون بالابتعاد عنه ، بل اخذوا على عاتقهم تخليص الانسانية منه بالقضاء عليه وابادته .. اما الآداب الشعبية فلم تستفد شيئا من هذا التراث » .

ولا يكتفى السيد الكاتب برمى الاسلام بالجمود والرجعية والتاخر ، وباعتباره عبئا ثقيلا على عاتق الأجيال الحاضرة ، بل يرمز اليه بالتقليدية التى تعنى أن ينحصر الجمهور فى دائرة المعارف الغريزية والذهنية السابقة ، وهى نتيجة أصلية من نتاج التدخل الدينى فى كل شيء ، حيث تسود الكتب الصفراء قوة تحكمية هائلة تنشب مخالبها حتى فى العلاقات الاجتماعية البسيطة بين الناس ، والتى لا تترك للفرد حرية التقرير ، وحرية اتخاذ الرأى».

ما شاء الله : هل هناك أمة متحضرة تعيش بدون تقاليد متطورة؟ وهل يزعجك أن يكون الاسلام قد وضع تقنينا لسلوك المجتمع وآدابه تتطور بتطوره ، وهل تجهل أن الآداب والسلوك منهج مدرسى مقرر فى سائر المعاهد فى الدول المتحضرة والمتخلفة على السواء ؟ هل تريدنا مجتمعا بوهيميا يسير وفق رغباته واهوائه على طريقة الميكافيلية ومذهب اللذة أو المنفعة ؟ ..

ولا يكتفى السيد الكاتب بأن يقرر بأن تأثير التوراة والانجيل فى القرآن مما لا شك فيه ، وكأن هذا من المسلمات التى لا يحتاج الى مناقشة ،ودون أن يكلف نفسه مشقة تقديم دليل واحد مستحق لمجرد النظر ، بل يذهب الى أبعد من هذا حين يجعل من نفسه حاكما عملاقا ، وطاغية مستبدا القت الأمور اليه زمامها ، فى أزمة خلا له الجو فيها ، فيطالب ـ بصلابة ـ بحرية التبشير الدينى ، وحق الانسان فى تغيير دينه ، وبالا ينص على أن يكون دين الدولة هو الاسلام ، ومعنى هذا أن السودان لم يكن له أدنى حق فى طرد المبشرين من جنوبى السودان حتى ولو كانت مهمتهم اثارة الفتن والقلاقل فى بلده ، وتنفيذ المخططات الاستعمارية المشئومة ، أما مطالبته بالا يكون الاسلام دين الدولة فعواء فى الهواء لا يستحق ردا .

ومادام الكاتب مصرا على أن الاسلام لا يقوم مقوما حضاريا ، وأن العرب لن تقوم لهم قائمة الا اذا تتلمذوا الى مستشرقى الغرب والحاقدين على العرب وأن الفكر الغربى مقبول عنده على العين والرأس ، فلا أقل من أن نشير الى آراء بعض المفكرين المعتدلين الذين يجب أن يدين لهم بالطاعة والولاء ، فى الاسلام .

يقول تولستوى : مما لاريب فيه أن محمدا من عظام الرجال المصلحين الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة ، ويكفيه فخرا أنه هدى أمة برمتها الى نور الحق ، وفتح لها طريق الرقى والمدنية ، وهو عمل عظيم لا يقوم به الا شخص أوتى قوة » .

ويقول برناردشو : « يجب أن يدعى محمد منقذ الانسانية ، وانى لأعتقد بأنه لو تولى رجل مثله سياسة العالم لنجح فى حل مشكلاته بطريقة تجلب الى العالم السلام والسعادة اللذين هو فى اشد الحاجة اليهما » .

ويقول جوستاف لوبون : « اذا ماقيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم ، كان محمد أعظم من عرفه التاريخ » .

ولا يجد هذا الكاتب أى وخز لضميره وهو يستبيح لنفسه التجنى على التاريخ ، فيتنكر على

العلماء العرب أمجادهم ، ولا يعتبرهم الا كسعاة بريد قاموا بمهمة ترجمة العلوم وايصالها الى أوربا. وحتى لو كان كل دورهم هو هذا ، فيجب أن نسجل لهم فخرا بمهمتهم . وها هو ذا سارطون العالم الامريكي يقول : لو لم تنقل الينا كنوز الحكمة اليونانية لتوقف سير المدنية بضعة قرون ٠٠ ولذلك فان العرب كانوا أعظم معلمين في العالم خلال القرون الثلاثة : الثامن والحادى عشر والثاني عشر » ٠

ولم يقو علماء الغرب على انكار فضل العرب كما تبجح هذا العبقرى ، وها هو ذا ماكس مايرهوف يقول : ان العرب أسدوا جليل الخدمات الى هذا العلم الذى تتجلى لنا فيه عظمة الابتكار الاسلامى »٠

ان القول بأن الاسلام أصاب المنطقة العربية بالعقم قول لا يجرؤ عليه الا متبجح لا يقيم وزنا للمقاييس العادلة ٠

فالاسلام فى بداية تشريعاته نقل الجزيرة العربية من جاهلية مغرقة فى الضلال والسفه الى امة متحضرة فتحت فارس والروم بعد أعوام معدودة من اسلامها. زاحت عن كاهل شعبيهما ما كان يرزح تحته من تشريعات جائرة ، لتحل محلها تشريعات أقرت لأول مرة فى التاريخ الاعتراف بحقوق الانسان ٠

وكيف يصيب الاسلام أية منطقة بالعقم ، وقد جاء بتشريع يقوم أساسا على المرونة والتطور ليحقق مصالح الناس ٠ ؟ اذ ليس من المجهول انه فى الوقت الذى قامت فى الحجاز مدرسة الحديث التى كانت تقف عند النصوص ، قامت فى العراق مدرسة اخرى هى مدرسة الرأى ، لتقيم بناء الاجتهاد المطلق على أساس من التفكير الحر لرعاية المصالح اولا ، وهذا مما لم يعرف فى شتى التشريعات السابقة على الاسلام ٠

ان الامام الشافعى كان له مذهب فى العراق ، ومذهب آخر فى مصر ، لاختلاف البيئتين ، ووجدت المذاهب الأربعة وغيرها ، وما ذلك الا لمرونة التشريع الاسلامى وقابليته للتطور ٠

ان من الأصول التشريعية قواعد الاستحسان ، والمصالح المرسلة ، والضرورات تبيح المحظورات ، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، وحيثما كانت المصلحة فثم شرع الله ، والمصالح العامة مقدمة على المصالح الخاصة ، ورعاية العرف على شروط خاصة، وهذه القواعد التى تميز بها تشريع الاسلام عن سائر التشريعات فى معظمها أوضح دليل على أن الاسلام دين متطور يواجه الحياة أيا كان لونها ومنهجها ٠

واذا كان ثمة تخلف فى بعض البلدان الاسلامية فى وقتنا الحاضر ، فليس الذنب فيه ذنب الاسلام، وانما ذنب العقليات الاسلامية **المتخلفة** التى أصابته بالركود ، وجعلت تشريعه فى حالة ركود ، بعد أن ظل زهاء أحد عشر قرنا يتعامل مع حياة الشعوب الاسلامية فى أوسع نطاق من السماحة والمرونة ٠

ان مؤلف كتاب « الحضارة الانسانية » حين قال : «ان القرآن لم يحسب حساب تطور الانسان» لم يكن لديه اثارة من علم بالقرآن ، القرآن الذى وضع القواعد الأساسية لبعض النظم ، وترك البعض الآخر حاسبا حساب تطور الانسان نفسه ، وفى مقدمة هذه النظم نظام الحكم مثلا ، الذى واجهه المسلمون عقب وفاة الرسول مباشرة ، فقد اكتفى القرآن بالقواعد العامة كالشورى والعدل ، تاركا منهج النظام نفسه للناس يكيفونه حسب بيئة الزمان والمكان ، لأنه كان يحسب بالطبع لتطور الحياة والانسان حسابه ٠

وبعد ٠٠

فالفكرة السائدة عنا ــ نحن العرب ــ وهى أننا قوم كرام مع ضيوفنا ، يجب أن تكون لها حد تقف عنده ، وخاصة مع كاتب يبعث بمقالاته الى مجلات بيروت بعنوان : « رسالة من القاهرة » ليقول عنا ، وهذا نص كلامه فى العدد الثامن من مجلة « أدب » :

« **ان التقليدية** عبء ضخم يركب فوق كتف الشباب ، أما الكتف الأخرى فيقبع فوقها الطغيان ، وهو أحد الآفات الفظيعة المخجلة والمجرمة التى تتردى فيها بعض بلدان الشرق العربى ، تسود فى البلد الواحد وجهة نظر فردة ولا ثانى لها ، حيث تسخر كل امكانيات شعب بأكمله : باذاعته وصحفه ومؤسساته الاعلامية ، وكتبه ومجلاته الأدبية بترديد الأفكار الحكومية وبثها ونشرها بكافة الطرق والوسائل ، أما وجهة النظر الفردية البسيطة لكاتب صغير ، فالدولة تهلل وتقلب الدنيا لمنع نشرها وصدورها وتحاربه بكل ما تملك من قوة للسحق والتدمير ٠٠ » .

مثل هذا الكاتب لا أقل من أن نقول له بأدب : يجب أن ترحل عنا لتتقايا احقادك على العروبة والاسلام والبلد الكريم الذى أواك وأكرم مثواك ، فى بيروت أو حتى فى بلاد واق الواق ٠٠ !

محمد عبد الله السمان

قصة الجلاء

للشاعرة: روحية القليني

أختاه فجري اليوم أشرق بعد ليلات ذليله
ولكم تجرعت الأسى بمرابع الوطن الظليله
الخير فى بلدى على الضيفات فى حضن الخميله
والنيل يجرى بين أسوان وقاهرتى الجميله
تتفرع القنوات منه فترتوى أرضى الأصيله
والطفل فى مرح الطفولة كم جرى يلقى زميله
ليقص ماضى جده الفلاح أحقابا جليله
قصص الكفاح مع الاباء وكل ما فيهم فضيلة
والأم كم سهرت وكم عانت لكى ترعى الطفوله
وسنابل القمح التى رقصت مناجية نخيله
والناى فى صمت الدجى يحكى ملاحمه الطويله
والجار يرعى جاره ويسير فى صدق سبيله
وعلى الوفاء تجمعوا فى ظل أنسام عليله
الدين هاديهم وفى أخلاقهم مثل نبيله
لا حقد طى قلوبهم فالحقد عندهمو رذيله
عاشوا على الحب الأصيل وما ارتضوا عنه بديله
حتى أتانا طامع فى أرضنا بخطا ثقيله
لم يرضه حلو الوئام فراح يبحث عن وسيله
فى أن يفرق شملنا بوسيلة تشفى غليله
والخير فى جشع يجمع من نبات الأرض غيله
لم يبق للفلاح ما يقتاته حتى قليله
لم يرحم الطفل الرضيع أجل ولا رحم الكهوله
ضاقت بنا الأرض الرحيبة كم تمنينا رحيله
أقسمت بعهد الله بالأرض العزيزة أن أزيله
فتجمع الشمل الكريم له يدبر كل حيله
فى ليلة قدسية قد أقسموا قسم الرجوله
أن يفتدوا الوطن العزيز بروحهم بدم البطوله
أن يرجعوا عش الهناء ويسكنوا فيه عويله
أن يبطشوا بعدوهم أن يخنقوا فيه فضوله
أن يحكم الشعب الحمى فنعيد للوادى أصوله
شهداؤنا الأحرار ضحوا بالأمانى الجميله
ليعيش واديهم عزيزا لن نرى وطنا مثيله
سننصب سوط الثار فوق عصابة البغى الهزيله
يوم الجلاء تمرد الباغى فحطمنا فلوله

مشاعر بلا نافذة

للشاعر : إسماعيل الصيفي

يا الهي ..

قد حملت المعبد السامي بقلبي ... ومشيت
ودعاني القوت في كل فلاة ، فسعيت
وغشيت السوق كالناس ، وباعوا واشتريت
ثم لما هدني الجهد .. الى ظل أويت
أسأل المنديل عن أي اللقيمات اقتنيت
واذا الآفاق ترتج بلحن .. فانتشيت
واذا صوت يناديني نداء ... فصغيت :
« أنت ياصيفي في الأرض نبي » فارتقيت
هزني فرحي ، فقهقهت جنونا ، وبكيت
وتجنبت لقاء الناس حينا ، وانطويت
بت أهذي : « كيف أهدي أمتي ؟ » حتى اهتديت :
هذه الريشة تدري من شعوري مادريت
فلأضمن لوحتي أسرار هدي قد حويت
ثم لما انتهت اللوحة ، أو قلت : انتهيت
وازدهاني أنني استرعيت سرا فرعيت
صعق الطاغوت لوحي ، فرماه وارتميت
ساماني أن يشتري مني فني ، فأبيت
أترى أسطع ؟ أم لم يبق في القنديل زيت ؟
أي هدي كدت أزجيه فغالته الدواهي ..
.. يا الهي ؟

يا الهي ..

ولقد أبصرني والروح شوق والتياع
يوم أن يدعونني للموت داع أي داع
فلقد تدمع روحي ... للبناء المتداع
حين تهدي كل عضو قبلة قبل الوداع
كان سجنا عرفت فيه ارتقاء واتضاع
وبه دنسها الاثم ... ورفت كالشعاع
ولقد تؤذن أن تدرك سرا لا يذاع
حينما يكشف للروح عن الله .. قناع
فيكون الشوق ملاحا الى تلك البقاع
ولقد تطمع روحي ، وهي في ذاك اليفاع
أن يرى الناس رؤاها عند اقلاع القلاع
فتنادي .. فاذا الصيحة في جسمي ضياع
ثقلت كفي ، فما تمتد كفي لليراع
ثم لم ينشط لسان كم دعته .. فاطاع
ثم تاهت نظرة .. ضاعت ، وتاه السر ... ضاع
ثم لم يبق على خدي سوى دمع الوداع
ثم ألقاك بسر لم ترده شفاهي
يا الهي

رسالة الوداع

قصة بقلم : حبيب الزحلاوي

هل انا مخطئة ؟ هل انا مذنبة ؟

سؤالان كنت ارددهما في ذهني طوال رحلتنا بالطائرة التي حملتني وعريس من مطار القاهرة الى بيت الزوجية باستردام .

اجل انا مخطئة نحوك يا امي العزيزة ، ومذنبة ايضا .. وبودي ان يكون اعترافي وسيلة للصفح عن ابنتك الوحيدة التي اخطأت بعمد واذنبت باصرار .

لم اقصد الاساءة الى امي الحبيبة حين اخطأت ، ولا العقوق باقدس مخلوق عندي هو انت ، ولكني رجحت كفة ميزان زواجي وهو مسألة تخصني وحدي ، وقد قدمت مصلحتي الذاتية على ما سواها من مصالحك انت .

لقد نظرت الى مصلحتي بعين المستقبل بعد ان بلغت الثلاثين من عمري في حين نظرت الى زواجي انت يا امي الحبيبة بالعين الواحدة الى مصلحتي انا وبالعين الثانية الى مصلحتك انت ، نظرة الخائف المرعوب ، نظرة من تحس انها تهرول في طريق الشيخوخة ، والفراق الطويل ، والبعد البعيد ، والوحدة والوحشة . ويؤسفني بل يحزنني ان اعترف لك باني آثرت البعاد عنك بدافع من حب الحياة وهو اقوى من حب الوالدة الحبيبة .

كان حبي للغريب الذي لقيته عفوا في حلبة الرقص حبا غريبا . وقد شعرت منذ النظرة الاولى بان جوارحي تفتحت له ، واحسست حين راقصته بان خلجات نفسي تراقصه بحنان وعطف واشتياق ، وقد ادركت ، ولا ادري كيف ايقنت من اعماقي بانه يبادلني الحنان والعطف والحب ، في حين اني لم اره سوى مرات قليلة قبل ان يطلب يدي .

عرفت من هذا الغريب انه من فرقة الأجناد المنتسبة الى هيئة الأمم المرابطة على الحدود التي تفصل بين مصر وفلسطين المحتلة وان المدة الباقية لاتمام خدمته العسكرية قليلة جدا ، وانه يشغل مركزا في مصنع ببلده ، وان والديه في حالة من اليسر وانه يكون من اسعد السعداء اذا قبلت ان اكون زوجة له ، وان امه واباه سيحبانني قدر ماهو يحبني .

نظرت طويلا يا امي الى هذا الغريب الطارىء ، الأزرق العينين والشعر الأشقر ، والبشرة البيضاء الزاهرة ، والى شفتيه تتحركان وكانهما تبتسمان وتتوسلان ففكرت ، اول ما فكرت ، هل من المستطاع ان البي عرض هذا الطالب واترك امي الحبيبة واطيق البعد عنها ؟

لقد الجمني هذا الفكر الطارىء عن الرد الصريح ، وكبحت بتعقل جماح نفسي عن الاسترسال في هذا التفكير الذي صد اندفاعات النفس وقد تراخت مستسلمة حين سماعها كلمة الحب والزواج ، وقلت له اني سأفكر في الامر واستشير امي وهي كل مالي في الوجود .

لا اذكرك بكل ما دار من حديث بينك وبيني يا امي الحبيبة حينما فاتحتك بامر هذا الزواج الذي رضيته نفسي وقد علقته على استشارتك اولا ، ثم على رضاك عنه ، ولا كيف ثارت ثائرتك على ذلك الغريب ينتزعني منك ، هذا الغريب الذي لاتعرف مبلغ صدقه فيما قال ولا حقيقة حاله فيما ادعى ، ولا كيف أعربت عن عدم رضاك عن البعد عني وتركي اياك وحيدة وقد هجرك ابي واصطحب ابنك البكر الوحيد الذي كنت تقدرين انه سيكون لك سندا ومعينا ، وقد استأنست بي وقنعت بالقسمة الاقل لاكون عونا لك في شيخوختك ، وكيف دعوتني الى ايجاد شاب يعيش معنا في هذا البلد الذي استوطناه كان القدر الذي تعبر عنه «بالقسمة والنصيب» يميز بين الغريب والقريب .. لا اريد ان اذكرك ياامي الحبيبة باحاديث كانت تدور بيننا هادئة يسودها العقل تارة وتارة اخرى تعصف عواصفها وتثور زوابعها ، لانصل في النهاية الى راي ولا نفصل في امر .

لا اذكرك يا امي بحديث طويل لك عن زواجك من ابي وكيف اقبل على البناء ، بلد وقد كنت مع المهاجرات والمهاجرين الذين حملتهم السفن الانجليزية من اليونان التي اغار عليها الألمان بجحافلهم بعد ان عجز الجيش الايطالي عن الانتصار على شعبكم الباسل ، ابان الحرب العالمية الثانية ، وكيف حطكم الانجليز في معسكرات لا تليق بكرامة الانسان الى اخر تلك الحكاية التي بدات بتعرفك على ذلك الضابط الوسيم وقد تزوجتما ورزقتما اخي البكر وانثى هي انا التي احبك ، وقد ازمعت على فراقك وكيف انتهى بعقدة نفسية كانت مثارا لخلاف دائم بينكما الى الحد الذي اضطر والدي الى حمل اخي وقد سافرا الى مكان مجهول وقطعا كل صلة لهما بك ، ولا احسب مطلقا يا امي الحبيبة ان والدي نسيني او محيت من ذاكرته .

لا اريد تذكيرك بمآسيك ومآسى والدى المسكين ، ولا الاسباب التى اجبرته على الهرب منك ، ويكفى ان اقول ان الاحداث على انواعها تنطبع على ذاكرة الطفل وتنمو وتتوضح وتبدو معالمها مع تقدم السن وبلوغ الادراك ، وقد لا اكون ظالمة لك لانى كنت اسمع شكاياتك من ابى منذ كنت فى السابعة من عمرى حتى بلغت الثلاثين ، وقد كنت اولا تلك الشكايات وامضغها وازدردها كما كنت استرجعها واجترها ، ولكنى ما هضمتها مرة ولن اهضمها لان الحق دائما كان فى جانب ابى وكان هو المفترى عليه .

انى استغفرك يا امى الحبيبة وارجو منك ان تسامحينى على جراتى وقد وقفت هذه المرة فقط الى جانب والدى الذى احبه وطالما ناجيته وتوجهت بروحى اليه . لقد وقفت بجانب حق ابى الذى رضيت انت بهليكونلك زوجا ينقذك من الحاجة والفقروما يلابسهما ايام الحروب ، وقد كنت فى ذات الوقت موتورة من قومه الانانيين ، معقدة النفس من اثرتهم وغطرستهم ، وزرايتهم بمن حملوهم من قومك وابعدوهم عن وطنهم والقوهم فى معسكرات مصر الجديدة للخدمة والسخرة والترفيه ، هذه الحال هى التى اثارت فيك نار حب الانتقام ولكنك ايتها الام المسكينة رميت بزوجك وهو فرد بين قومك وقد احبك وتزوجك ولكنك انتقمت منه كانه هو الكل فجنيت عليه وعلى نفسك بغير ماروية او تعقل ثم بالتالى على ولديك البريئين .

مسكين ابى ، لقد كنت اراه يبكى من قسوتك ، من عنادك ، من تصرفاتك وكانى اراها راى العين والعقل فاعذره فى خطف ولده الذى احبه كما اعذره فى تركه لى اقاسى معك ما قاسينا واعانى ما عانينا سويا ، مسكين اخى فهو يقاسى ولا شك مرارة حرمان حب الام وحنانه .

امى الحبيبة .. ان فى ذاكرتى نقطا كثيرة هى صور لاكثر الاحداث ، وفيلما سينمائيا ناطقا للخصومات التى شجرت بينك وبين ابى ، ان تلك النقط المتناهية فى الصغر الراسبة على لوحة ذهنى ، كنت اكبرها واعظمها كما يفعل المصور ، وكانت تتجلى لى واضحة من جميع جوانبها ، وما من جانب قط او زاوية من زوايا تلك الصور الذهنية تحمل والدى وزر خطف اخى والهرب به وتركه لك ولى .

لقد تجرات فقلت لك يا امى الحبيبة بعض ما اعرفه من ماساة حياتك ، ولهذا اطلب صفحك عنى على ما تجرات وقلته فى تصرفاتك فى حياتك الخاصة ، تلك الحياة التى فتحت عينى ونبهت ذهنى فصرت ارى الامور على حقيقتها واقدر ، وانا فى هذا السن ان لابد من تدارك الخطر وتقويم المعوج ، وقد فعلت لقد عقدت زواجى الدينى والمدنى واصبحت زوجة شرعية امام الله والناس ورفيقة حياة زوجى على الخير والشر ، لقد عجزت عن اقناع زوجى بالمعيشة معنا فى مصر والعمل فيها ، والكنه اسكتنى بتذكيره لى بوصية السيد المسيح بان تترك الفتاة امها واباها وتلحق بزوجها لان الذى ربطه الله لايحله انسان .

لقد طغى الحزن على نفسى يا امى حين رايت مكانك شاغرا وقتما وقفت عند هيكل الله ساعة عقد قرانى ، كذلك بكيت حينما وقفت امام مسجل العقود اوقع عقد زواجى بغير رضى امى.

لقد صممت يا امى على الا اقتدى بك فى حياتى الزوجية .. وعقدت النية على سلوك مسلك الفتاة التى هذبها الالم ، وعرفت الحياة ، وقاست التجارب ، لقد قررت مماشاة روح الفتاة العصرية التى تسابق الزمن وتتقدم طامحة فى كل مجالات الحياة .

لقد عزمت على ان اكون زوجة واما وصديقة لزوجى ، اراقب ميوله ، أراعى مزاجه ، أتجنب ما يزعجه ، اشاركه فيما يسمح لى بمشاركته ، اضحكه اذا عبس ، أسليه بنوادرى اذا صمت ، اضع وجهى فى وجهه اذا سرح ذهنه ، اذكره بمواعيد طعامه ورقاده ، هذا اذا كان عالما بحاثة او روائيا او مخترعا ، اما اذا كان من رجال القضاء والقانون او من كتاب المؤسساتوالبيوتات المالية او صانعا او تاجرا او عاملا فانى ساجاريه فى احاديثه ولا اتفلسف فى ابداء الراى او الاعتراض عليه ، واظهار الشخصية ، وان زوجى ولا شك ، سيعاملنى بالمثل ، وباكثر من المثل لان الرجل فى طبيعته كريم .

قد تضحكين ، ياامى الحبيبة من تفكيرى هذا وقد تقولين من اين لك هذه التعاليم وهى غير مالوفة فى قوم ابيك الانجليزى وامك اليونانية ؟ فاقول لك ان المدرسة المصرية علمتنى ، والهيئةالمصرية اقلمتنى ، والثورة المصرية هذبتنى ، ثم تعلمت من قراءة القصص ان المراة حمامة جناحها زوجها ، ولا حياة لها بغير جناح وان الزوجة حمامة ايضا وديعة طيارة ، مثبتة القوادم ، قوية القوادم ، يطيب لها التجول والتحليق ، والويل كل الويل للزوجة التى تنتف ريشة واحدة من جناح زوجها فيهيض ويعجز - الى حين - عن الانطلاق فى فضاء الحياة الزوجية المقدسة وداعا يا امى الحبيبة .

حبيب الزحلاوى

لا تكذبي ..

(ديوان كامل الشناوي)

بقلم : عبد الرحمن البجاوي

فى الشهر الماضى استقبلت المكتبة الأدبية العربية مولودا جديدا طال انتظاره فترة كبيرة ، هذا المولود السعيد الذى يستحق منا كل ثناء واكبار ، هو ديوان الشاعر الصحفى المبدع الأستاذ **كامل الشناوى** .. الذى طالما تمنى قراء العربية هنا وهناك أن يطلق سراح قصائده ، ويخرجها الى النور، بعد أن استمتعوا بقراءتها موزعةعلى صفحاتالصحف والمجلات ، وبعد سماعها على موجات الأثير فىفترات مختلفة ، بل ان الكثير منا ليحفظ قصائده الغنائية التى يشدو بها عبد الوهاب ، وام كلثوم ، وفريد ، وعبد الحليم .

وكامل الشناوي شاعر فنان من شعراء العربية المبدعين، الذين يعانون معاناة حقيقية لكل مايحسون به من تجارب انسانية .. شاعر يقدر مسئولية الحرف ، ويودع قصيده كل مشاعره وخفقاته ، وقد وصفه البعض بأنه من الشعراء الذين يقولون الشعر « بالقطارة » . ولا غرابة فى هذا اذا علمنا أنه لم يفكر فى جمع شعره الا فى هذا العام ، كما أخرج فى نفس العام كتابه الأول (لقاء معهم) الذى أودعه كل احساساته كفنان ،وضرب مثلا رائعا فى الترجمة الأدبية للشعراء والكتاب والفنانين .

وها نحن نستقبل ديوانه **لا تكذبى** الذى سماه باسم أولقصيدة أحدثت دويا هائلا فى البلاد العربية وأثارت تعليقات كثيرة من الصحفيين ، والنقاد ، ورجال الدين !!

ويحدثنا الشاعر فى الصفحة الاولى من ديوانه حديث الناقد الفنان الصادق الذى تأثر بمختلف المذاهب الأدبية ، ونهل من معينها الصافى حتى استطاع أن يعطينا صورة مستقلة لروحه الخفاق ، وقلبه النابض .. صورة لونها شعوره ووجدانه ، فلا يمكنك أن تحكم عليه بأنه رومانسي ، أو واقعي، أو طبيعي كما قال : « لا تحاول أن تنسب هذا الشعر الى مدرسة فنيةبذاتها كالواقعية ،والرومانسية والطبيعية ، فهو متأثر بهذه المذاهب جميعا ، ولكنه لا يتقيد بمذهب واحد منها .. ان فيه واقعية تعبر عن تجربة ما ، وفيه رومانسية تحلق فى الخيال ، وفيه طبيعية حرة لا تقف عند ما هو كائن ، ولكن تتحرق شوقا الى معرفة ما وراء الطبيعة !

والظاهرة الأولى التى نلمسها فى الديوان هى : حرص الشاعر على الدقة فى التعبير ، وانتقاء الألفاظ العذبة الموحية ، فحينما تقرأ قصيدة من قصائد الديوان تجد كل لفظ يخدم الفكرة ويطورها تطويرا تاميا ، ولا يمكنك أن تستبدل لفظا بآخر ، وهذه قدرة الشاعر الحق الذى يحس بجرس الكلمة وظلالها وشفافيتها وايحاءاتها والذى يقدر على أن ينقل تجربته بصراعها النفسى وانفعالها المؤثر الى العالم الخارجى ، ويكفى ان تقرأ احدى قصائد الديوان لترى صدق هذا بنفسك ، وان كان من الملاحظ عامة استخدام الألفاظ التى تدور حول معنى الحب ، كالفراق ،والهجر ، والغدر ، والجحود، واللقاء .. كما تجد الكلمات الصاخبة المؤثرة التى تنقل انفعال الشاعر سريعا كان أو هادئا رزينا .

الظاهرة الثانية هي : وضوح الجانب الموسيقي في الديوان ، ذلك الجانب الذي كثيرا ما اهتم به الشاعر وعبر عن هذا بنفسه في المقدمة اذ قال : « والشعر رقصة عاطفية وعقلية ، ولا بد للرقصة من موسيقى تصاحبها ، وتقودها ، والا صارت خطوات ملتوية ! وهذا يشبه ما قاله (ماليرب) الذي شبه النثر بالمشي ، والشعر بالرقص وهو تشبيه دقيق يظهر الفارق الكبير بين الفنين · ويلاحظ كذلك اهتمامه بالموسيقى الداخلية للأبيات وتناسبها ودقة ايقاعها مثل قوله :

ثم كانت صحوة كالنار ، كالتيار

·· كالقدر العنيد !!

ايقظته ، بعثته ، خلقته

من جديد ، من جديد

وفي مثل قصيدته (أنا الشعب) نجده يكثر من حركات المد التي تعتبر عنصرا من عناصر الايقاع اللفظي ، واقرأ معي هذين البيتين :

على باب مصر ، تدق الأكف ، ويعلو الضجيج

جبال تدور ، رياح تثور ، بحار تهيج

فلا شك أنك تحس بما ينساب فيهما من موسيقى دافقة ، وايقاع يتوالى في البيت الثاني خاصة · وفي غالب أناشيد الشاعر نجده يحرص على الايقاع والانسجام اللفظي والمعنوي للكلمات كما في (نشيد الحرية) مثلا :

ولكني وجدت في صفحة ٢٥ هذا البيت القائل :

لا تثر لي ذكرياتي ··

انها شيبتني ···

·· شيبت حتى صبايا !!

وأحس بنشاز واضح في قوله « انها شيبتني » ويخيل الى أنه « انها قد شيبتني » وهنا ينسجم البيت مع باقي القصيدة ·

الظاهرة الثالثة من جهة الصورة الشعرية ، فنجد الشاعر يعنى بالاطار العام للصورة ، وجزئياتها وترابطها ، ورسم الصورة متحركة أو ساكنة ، كلية أم جزئية كل هذا في براعة ودقة · ومن الصور الكلية التي رسمها الشاعر هذه الصورة التي تصور لنا (جميلة بوحيرد) وهي في السجن ، بعد أن صور الجو النفسي لهذه الصورة في مأساتها كانسانة وديعة عذراء وسط هذا الجو الرهيب ، فهو يقول :

الرأس محني على الصدر
والصدر منتفض بلا ذعر

وتكومت في الركن صاعقة
محمومة بالويل منقضة

كيد تلوت كفها غضبا
وتقوست ،فتحولت قبضة!!

وأما الصور الجزئية فتتمثل في الالوان البيانية وهي متناثرة يلحظها القارىء في قصائد الديوان ·

وأهم ما يميز الديوان الصدق الفني الذي يعتبر محور التجربة الشعرية ،فحين يصور الشاعر تجربة ما تجده يعبر عما يحس به وما يعتقده ، وينقل الينا انفعالاته في قالب قصير اذا كانت حادة متأزمة ، وفي قالب كبير اذا كانت عادلة عميقة ، ولنقرأ قوله في قصيدته « قلبي » :

أكيف يا قلب ترتضي
طعنة الغدر في خشوع ؟

وتداري جحودها
في رداء من الدموع ؟

لست قلبي وانما
خنجر أنت في الضلوع !!

فهو يصور مقدار ما يقاسي هذا القلب الذي لا يكف عن الحنين والتذكار ، والذي لم يزل نابضا بحب حبيبته ، رغم ما أصابه من غدر وجحود، ورغم أن كبرياءه تحطمت ···

أو تدري بما جرى ؟
أو تدري ؟ دمي جرى

جذبتني من الذرى
ورمت بي الى الثرى !!

أخذت يقظتي ولم
تعطني هداة الكرى !!

وتتغير حال الشاعر فتصبح « لا ظلام ولا سنا » كما يتغير هو نفسه ·· ونجده يصور ما يقاسي من هذا الحب الذى يصطلى بهجيره ·· وهو دائما يحتكم الى عقله الذى يشاركه فى كثير من المواقف العاطفية ولكن قلبه كان يسير فى طريق عكس ما يصور عقله ويعترف أخيرا فى قصيدته بقوله :

دمرتنى لاننـــى
كنت ـ يوما ـ أحبهـــا

والى الآن لم يزل
نابضــا فيك حبها !!

لســت قلبى أنا اذن
انمــا أنت قلبهـــا !!

ونجد الشاعر لا يجرح كبرياءه أمام امرأة ، بل انه دائما ليتعالى ويشمخ كبرا وسرعان ما يجـــد من يجذبه من عليائه ويشده الى الواقع المشهود ، كما نجده يقاسى آلام حبه ، ويدور فى صراع نفسى بين عقله وقلبه ·· عقله الذى لا يسمح لكبريائه أن يذل ويضعف ويهون ، وقلبه الذى لا يســــتجيب لمنطق العقل، بل ينطلق دونما شعور وارادة ·· وفى قصيدته « لست أشكو » نجده يصور هذا الصراع النفسى الذى ينتصر فيه القلب على العقل فيقول :

جــرأتى راحت ولا أعرف أين ؟
بســمتى ضــاعت ودمعى بين بين !

·· الهوى خجلان دامى الوجنتين !
وحنينى لك مكتوف اليدين !

أنا لا أشـــكو ففى الشــكوى انحناء
·· وأنا نبض عروقى وكبــرياء ··

وهذه الفكرة تقابلنا كذلك فى قصائده «لاتكذبى» لا وعينيك ، عيناك ، لست عبدا ·

ومن الحق أن نذكر أن شاعرنا ـ كما قال ـ متأثر بالرومانسية فى بعض قصائده مثل « آمنت» بدرى ، أحب الجمال » ويعتبر امتدادا لعلى محمود طه ، ناجى ، وبعض شعراء أبوللو الذين يحلقون فى ســـماوات الخيال ، ويجرون وراء العاطفة التى لا تقف عند حد ، ويعشقون مظاهر الطبيعـــة التى يرون فيها افتتانا يبعث على الهرب بهم من واقعهم المؤلم ·· وفى قصيدته «بدرى» نجده يناجى الكوكب السارى فى أعماق الليل ، ويسأل عن محبوبه الذى ينثر من أجله الدموع والأشعار فيقول :

بدر الســـماء هــل رأيت بدرى ؟
وكيف تلقاه وضىء الثغر ؟

وهـــــل تراه حافــــلا بأمرى ؟
مقدرا لأدمعى وشـــعرى ؟

ويسائل الروض كذلك عن طائره وإلفه الذى ولى ولم يعد ، ولا يلبث فى نهاية القصيدة أن يدعو الله ـ من حرقة قلبه ـ أن يعذب حبيبه الذى عذبه وآلمه ·· فيقول :

يارب عذب بالهيـــام قلبـه
وزد على مر الليـــال حبـه

ولا تفـرج بالبكـاء كربه
لعله يرحم من أحبـــه

فلا يذيب بالحنين جنبـــه
ويترك الولهان يقضى نحبـــه

وشتان بين قــــول (كامل الشناوى) فى هذا المقام ، وبين الشــــاعر القديم الذى دعا على حبيبته بالموت حتى يسلاها بعد يأس !!

ومن المشاهد الواقعية التى تواجهنا فى ديوان (لا تكذبى) هذه الصورة التى رسمها الشاعر لبعض الحوادث اليومية التى تعرض له ، وقد صورها فى بساطة وعمق وصدق ، تصوير شاعر أحس ببياض لمته ، فحـــاول أن يجدد شـــبابه فقال فى قصـــيدة عنوانها (فى الكافتيريا) :

مرت بنـــا كالطيف تســـألنا
مـــاذا تريد ، فقلت بالصمت

ودنت لتســـــألنى على حـــدة
عما أريد ·· فقلتهـــا : أنت !!

الى أن يقول :

أنا يا صـــبية شـــاعر هـــرم
قد جاء يستوحى الشباب هنا !!

. ويعترف بانه لم يكن مندفعا الا بدافع تجـــديد الالهام والوحى الذى أحس بانقطاعه فترة كبيرة ، فحاول أن يصـــل ما انقطع ، ويجدد ماالدثر ٠٠ ولننظر ماذا حدث ؟

فافتر ناظرهـــا ومبســـمها

وقصيدتى ما زلت أنظمهـا

٠٠ واظل طول العمر انظمهـا

وفى نهاية الديوان تجد للشاعر قصـــائد أربع فيها حدة وصراع نفسى عنيف بين انســـان تؤرقه الأشواق الحبيسة التى تتطلع الى المجهول ٠٠ الى ما وراء القبر ٠٠ الى العالم الآخر ٠٠ وليس الشاعر متشائما فى هذا كما يظن ، بل انه ليسأل سؤال المتحرق شـــوقا الى المعرفة الى النهـــاية ٠٠ وفى قصائده « الى أين ، ثم ماذا ؟ ، أنا ، يوم مولدى » نجد الاستفهامات المروعة تواجهنا بشدة ٠٠ وينساب الشاعر فى تفكير وهدوء عميق قائلا :

الى اين نمضى ايهـا الدهر ٠٠

بعد ما نصـــير هبـــاء ٠٠

٠٠ لا ضجيج ، ولا صـمت ؟!

وينسل منا الحب والخير والهدى
وينســـل منا الشر والغى والمقت

الى أن يقول :

وفى اى يـوم نلتقى بهمو ؟ اجب !!
فقد هدنا شـــوق ، وعذبنا كبت

وكان الشاعر أحس بأن البعض ســـيقول انه متشائم ، فدفع هذا الظن بقوله :

« لا تتهمنى بالتشاؤم لأن بعض الفاظى حزينة ، وبعض تعبيراتى مقطبة الجبين ٠٠ فمـــا دام الموت يتعقب حياتنا ، وما دمنا لا نعرف من نحن ؟ فان المجانين وحدهم ٠٠ هم الذين يضـحكون للحياة ، ويسمون ذلك تفاؤلا ٠٠٠ »

هذا عن النظرة الى ما وراء الطبيعة التى تظهر فى الديوان واظن أن قصـــيدة (أنا) نشرت بمجلة الرســـالة الجديدة تحت عنوان « الوهم الأبدى » وحذف الشاعر منها هذا البيت :

وهم يســاور ملحدا فيردعــه

ويخافــه من كان مثـــل مؤمنـا

وكان الأجدر به أن ينشر فى القصيدة التى كثر التساؤل فيها ٠٠ هل الشاعر غاية أم وسيلة ٠٠ ؟ أم أنه لا يعرف كنهه ؟!

بقى علينا أن نشير الى قدرة الشاعر فى صياغة الأناشيد الثورية ، وتحرره من الوزن التقليدى فى مثل « أغنية عربية » كما نلاحظ دقته وبراعته فى (أوبريت جميـلة) الذى ذكر منه بعض المقطوعات وكان بودنا لو ذكره جميعه فى الديوان حتى تكون الهدية كاملة ٠٠ والصورة واضحة ناضجة ٠٠

هذا هو ديوان (لا تكذبى) الذى يعتبر صــورة لقلب الشاعر الانسانى الكبير ، صورة لكل ما يعتمل فيه من اضـــطرابات وشكوك وظنـــون وأحاسيس متباينة ٠٠ صورة لعاطفته الحادة وكبريائه الأشم ٠٠ وآلامه التى تنغر جراحها فى جسده ٠

« **عبد الرحمن البجاوى** »



حديث عن ..

المدارس الأدبية والمذاهب الفنية

بقلم : محمد يوسف القعيد

خطأ **وقع فيه مؤرخو الأدب** .. وما زالوا حتى الآن يمارسونه رغم خطورته على تاريخ الأدب . وان كان بعض الذين يتصدون لتاريخ الادب ما زالوا يمارسون هذا الخطأ بسخاء فمن الواجب الا نغبن الذين تخلصوا من هذا الخطأ حقهم الطبيعي في انهم قد ساروا على الدرب الصحيح ..

هذا الخطأ هو (الميكانيكية) في تاريخ الأدب ووضعه على رفوف معينة ومعروفة فيأتي مؤرخ مثلا ليقول.. ان الفترة المعينة هذه كانت فترة رومانسية ثم تلتها فترة أخرى واقعية وهكذا .. وقد يكون في هذا التقسيم وضع لكل شيء في مكانه الطبيعي ولكن فيه الى جانب هذا نوعا من الاستنامة الى أيسر الحلول .. والسلوك الى ما ننشد من اهداف أقصر السبل وهو ثالثا : يقوم على أساس من الفهم الخاطيء لماهية الادب وجوهره .. وكذلك .. وظيفة هذا الأدب في المجتمع ..

الأدب - أيا كانت فنونه - تعبير عن الحياة، ومرآة تعكس الواقع .. صحيح ان هذه المرآة لا تعكس .. الواقع كما هو .. وصحيح ان هذا الواقع يعكس من خلال اديب معين له احساسات معينة وموقف خاص تجاه هذا الواقع .. هذا كله صحيح وصحيح ايضا ان جزئيات الواقع بنفسها لا تصلح لأن تكون عملا فنيا قائما بذاته ولكن رغم هذا فان نقطة الانطلاق لدى الاديب عندما يكتب تكون من واقعه. ومهما بدا بعيدا عن الواقع فيما بعد هذا .. فان نقطة انطلاقه تكون من هذا الواقع ..

والحياة - بكل ما فيها من متناقضات - لا يكفي مذهب ادبي واحد للتعبير عنها . كل أديب يعبر عن هذه الحياة كما يراها .. ومن هنا كان المذهب الفني لا تستوعبه كل جوانب الحياة . بينما - وهذا هو المهم - ان الحياة نفسها تستوعب كل المذاهب الادبية فهي بالنسبة اليها منظورات مختلفة تطل على منظر واحد . ليس هناك ما يسمى بالمدارس الأدبية كما هو معروف ، وهذه المدارس التي قيل لنا عنها انها شغلت عصورا معينة - اقول هذه المدارس لم تكن الا منظورات رصدت منها حركة الواقع وهذا معناه .. وجود اكثر من منظار لعصر واحد ... ان ما أقصد اليه هو ان العصر الحضاري الواحد يحتوي بالطبيعة على اكثر من اتجاه .. ادبي .. وهذه الاتجاهات قد تعيش في سلام مع بعضها البعض كما انه قد يموت القديم كي يحيا الاتجاه الجديد، لكن من المؤكد ان كل عصر من العصور قد احتوى على أكثر من مذهب ادبي واحد وكلها قد تضامنت وتعاونت لتقدم الصورة النهائية لهذا العصر ..

وعندما يقرر ناقد انه كان في مصر في الربع الاول من القرن العشرين ثورة رومانسية عارمة ، فهذا التقرير لا يحمل في طياته الحكم بالاعدام على كل

الاعمال الادبية غير الرومانسية . ومعنى هذا الحكم ببساطة ان اللون الغالب للانتاج الادبي في هذه الفترة هو اللون الرومانسي ومعناه ايضا انه كانت هناك بعض الاتجاهات الادبية الاخرى .. بجانب هذا الاتجاه الرومانسي ، كل الفارق ان الصوت الرومانسي كان صوتا جماعيا فاكتسب نوعا من التأكيد المذهبي .. اما الاتجاهات الاخرى ... غير الرومانسية فقد كانت اتجاهات فريدة مما نفى عنها اي وصف مدرسي .. او شبه مذهبي ..

وكما قلت من قبل اكرر ان المدارس الادبية لا تؤكدها الاصوات الفردية اطلاقا . ان العمل الفردي هنا ينفي القاعدة ولا يؤكدها . ولا بد أن تقوم هذه المذاهب على أساس من الاصداء الجماعية..

والذي أريد ان انتهى اليه من كل هذا هو ان العصر الحضاري الواحد يحتوي دائما ، وهذا طبيعي، بل أكاد اقول حتمي ـ يحتوي على اكثر من مذهب أدبي واحد .. ودائما يكون هناك مذهب معين له الجماعية في الاصوات فيكون هو الغالب ويسرع النقاد كي يسموا هذا العصر عصرا رومانسيا أو واقعيا أو طبيعيا، ولكن هذه التسميات لا تمنع اطلاقا من وجود اصداء أدبية أخرى .. خلال هذه الفترات.

كان لا بد من هذه المقدمة لحسم الخلاف الناشب بيني وبين الاستاذ عباس خضر حول مقالي (الاحياء الرومانسي في أدبنا المعاصر الذي نشرته (الرسالة في العدد ٦٨) فلقد اختلف معي في مقاله (ظاهرتان في دراسة أدبنا الحديث المنشور بالرسالة العدد ٧٢) اختلف معي حول هذه القضية: قررت أن الربع الاول من القرن العشرين قد شهد رومانسية عارمة في الأدب العربي ،بينما منتصف الربع الثاني قد شهد تيارات واقعية تهب على أدبنا أولا عن طريق الترجمة ثم ثانيا عن طريق التاليف واستشهدت بما استشهدت به من الأعمال الأدبية ، وذهب عباس خضر الى أن الربع الاول من القرن العشرين كان واقعيا صرفا.. ثم ان الاعمال التي استشهدت بها على الهبوب الواقعي على ادبنا ليست واقعية مما دفعه الى دعوة (امثالي) الى الكف عن الكتابة والمزيد من القراءة حتى لا تصدر هذه الاحكام العجيبة ..

لا شيء يثري الأدب ويغنيه والنقد على وجه الخصوص .. الا الحوار العقلي القائم على أساس متين من الاحترام المتبادل للآراء بعيدا عن التجريح الشخصي والقائم ـ وهذا مهم ـ على نية صادقة بعيدا عن أي هدف تهدف هذه النية الى البحث الصادق والجاد عن الحقيقة وانا بهذا لن أنفذ الوصية التي تفضل الاستاذ عباس خضر مشكورا باسدائها الى والى زملائي من الادباء الجدد بأن نكف عن الكتابة حتى يتم لنا النضج فرغم احترامي العميق لعباس خضر وآرائه أجدني ازاء هذه النصيحة رافضا لها من جذورها .. ذلك ان فيها طلبا غريبا ليس من حق طالب ان يطلبه .

واعود الى نقطتي الخلاف بيني وبين الاستاذ عباس خضر فاقرر ـ للمرة الثانية ـ ان الربع الأول من القرن العشرين قد شهد ثورة رومانسية في أدبنا . هذه الثورة امتدت من الترجمة الى التاليف وقدمت الى القارىء على أساس من الاصداء الجماعية وعلى أساس ايضا من الاتساع الكامل لفنون الأدب، وعلى أساس ثالث من ان المجتمع كانت له في هذه الفترة قيم استطيع ان اقول عنها بنوع من الحذر انها كانت رومانسية والعمل الادبي الصادق ـ كما قررت في بداية مقالي ـ مرآة صادقة وامينة لعصره. وأعود الى حديث استاذنا احمد حسن الزيات ـ اطال الله عمره ـ لأثبت ان المجتمع نفسه كانت له في هذه الفترة قيم رومانسية. لقد قال عندما سئل لماذا ترجم فرتر قال (تسألني لماذا ترجمت فرتر والجواب عن هذا السؤال حديث ، والحديث غدا سيكون قصة وليس يعنيك منها اليوم الا ما نجم عنها.. قال جيته يوما لصديقه اكرمان : كل امرىء يأتي عليه حين من دهره يظن فيه ان فرتر انما كتبت له خاصة » ويستطرد الاستاذ متحدثا عن نفسه فيقول .. (وأنا في سنة ١٩١٩ كنت اجتاز هذا الحين شبابا طريرا حصره الحياء والانقباض وغط التربية وطبيعة المجتمع في حس مشبوب يتوقد شعورا بالجمال .. وقلب رغيب يتحرق ظمأ الى الحب ونوازع طماحة ما تنفك تجيش وعواطف سياله ما تكاد تتماسك ، فالطبيعة في خيالي شعر ، وحركات الدهر نغم ، وقواعد الحياة فلسفة، وكان فهمي لكل شيء وحكمي على كل شخص يصدران عن منطق أفسد أقيسته الخيال ..) انظر وحي الرسالة ، المجلد الاول صفحة ٤٤ .

واعتقد انه اتضح لنا ان هذا شاب يعيش فى مجتمع له قيم رومانسية بالمعنى العريض لهذه الكلمة وان الصفات التى أوردها الاستاذ الزيات عن نفسه هى صفات الانسان الرومانسى بالدرجة الاولى ... والواقع الذى يرتكز اليه العمل الادبى ما دام هذا الواقع واقعا رومانسيا فليس مستغربا ان ينتج هذا الواقع لنا أدبا رومانسيا .فالعمل الرومانسى هو نتاج أديب رومانسى يعيش فى مجتمع لـه قيم وعادات رومانسية .. لم يكن غريبا اذن ان يترجم لنا احمد الزيات آلام فرتر لجيته ورفاييل للامرتين وان يترجم احمد زكى غادة الكاميليا لاسكندر ديماس ، وحافظ ابراهيم يترجم البؤساء لهيجو وعلى أدهم يترجم « رينيه » وحسن صادق يترجم أودلف وقدم لنا المنفلوطى بول وفرجينى باسم الفضيلة وماجدولين وفى سبيل التاج .. ولم يكن غريبا ايضا ان نجد اعداد مجلة « المقتطف » غاصة باشعار شيللى وبيرون وكولردج ..

وبعد هذا كتب المنفلوطى « العبرات » وكتب محمد حسين هيكل « زينب » وهى أعمال رومانسية مـا فى ذلك شك ، ووجدنا محمد عبد المعطى الهمشرى وعلى طه وابراهيم ناجى .. يكتبون اشعارهم الرومانسية . حتى هنا لا يختلف اثنان فى كون الأدب يعيش ثورة رومنسية تؤكدها الاصداء الجماعية ويقوم دليل على استيعابها لاكثر من فن واحد .

وليس معنى هذا أننى أنكر بداهة وجود اعمال واقعية صدرت خلال هذه الفترة ، الذى انكره بالضرورة كون هذه الاعمال الواقعية قد ارتفعت بالفعل الى مستوى المذهب الادبى .. لا أنكر ان محمد لطفى جمعه قد دعا الى الواقعية فى عام ١٩٠٦ ولا أنكر ايضا ان عيسى عبيد وشحاته عبيد ومحمد تيمور قد دعوا اليها فيما بين عامى ١٩٢٠ ، ١٩٢٥ ولكن هل ارتفعت هذه النداءات حتى وصلت الى مستوى المذهب الادبى الكامل ؟ هل وصلت هذه النداءات الفردية التى قامت على اساس من فن واحد هو فن القصة القصيرة والطويلة ، هل وصلت الى مستوى المذاهب الادبية ..؟ وأقول كلا .. لم تصل .. هى اعمال صدرت خلال الربع الاول من القرن .. ولكنها لم تصل الى مستوى المذهب الادبى ..

ومن نافلة القول ان اقرر أن كون هذه الفترة فترة رومانسية لا يمنع من وجود بعض المذاهب الادبية الاخرى .. التى لا يرتفع صوتها الى مستوى المذهب .. انا لم اسقط اذن مرحلة من تاريخنا الحديث .. ولكننى فقط نظرت الى هذه المرحلة على أساس استيعابها لاكثر من مذهب ادبى واحد وهذا بالطبع ليس جهلا منى بفترات وتسلسل تاريخنا الحديث ولكنه علم فنى .. بماهية المدارس الادبية والمذاهب الفنية ..

وأنتقل الى نقطة الخلاف الأخرى : فعودة الروح التى يقرر الاستاذ عباس خضر انها تسودها الروح الرومانسية وكذلك بعض اعمال عبد الحليم عبد الله ثم اختلافه معى حول كون اعمال نجيب محفوظ التاريخية ليست واقعية ، أجدنى هنا مضطرا الى تكرار ما سبق أن قلته فى مقال سابق لى : لا ينبغى لناقد أن يتصيد خاصية من خواص الرومانسية فى أى عمل أدبى ما .. ليقول ان هذا العمل عمل رومنسى ، ذلك ان الرومانسية كما يقرر الدكتور غنيمى هلال ـ روح عامة تحل بالعمل الأدبى ... وتسيطر عليه . قد تكون هناك الوان جزئية معينة من النواحى الرومانسية ولكنها لا تدفعنا الى القول بأن هذا العمل رومنسى ..

ولا أحد يختلف معى .. فى ان عودة الروح .. فتح فى الادب العربى الواقع .. انها عمل أدبى .. ارتكز على صورة خلفية من جزئيات واقعنا الحديث .. ووقف على ارض صلبة من هذا الواقع ... ولست أدرى الى أى الأسس استند الاستاذ خضر عندما قرر انها عمل رومنسى .

ومحمد عبدالحليم عبدالله .. من قال انه رومنسى؟ حكم أطلقه احد النقاد ذات مرة بكل سهولة ثم تبعته بعد ذلك كل العقول .. التى تنام الى الحلول التى وصل اليها الغير .. عبد الحليم عبد الله كاتب واقعى يختار شرائحه من مجتمعنا المعاصر .. بعمق وادراك وقوة .. ولا يوجد لديه من الرومانسية الا بعض خصائصها القليلة . التى لا تدفعنا الى وصفه بأنه كاتب رومنسى ..

ونجيب محفوظ .. انا لم أقرر ان اعماله التاريخية (كفاح طيبه ـ رادوبيس ـ عبد الأقدار) لم أقرر ان هذه الاعمال واقعية صرفة وانما الذى قررته انه ما لبث ان انصرف عنها واتجه الى واقعنا الحديث محاولا أن يستلهمه ابتداء من (القاهرة الجديدة) . فى اعمال نجيب محفوظ التاريخية لقاء بالواقع لكنه لقاء صنعه الحياد وحكمه التردد تجاه الواقع . ثم ياتى بعد هذا اللقاء المباشر فى (القاهرة الجديدة) .

وان كان الاستاذ عباس خضر ـ رغم قسوته على ـ لم يقتعنى بوجهة نظره فأملى كبير ـ مع احترامى له ـ املى كبير فى ان اقنعه بما أرى .. ومن ثم اضم صوته الى صوتى .

تعقيب

ليس بينى وبين الكاتب الفاضل قضية يحتاج حسمها الى ذلك كله .. انما هو خطأ وقع فيه خصوبته ، قال فى مقاله الاول : « وما أن أتى الربع الثانى من القرن العشرين حتى انحسر ذلك الموج الرومانسى بعض الشئ، وبدأت تيارات الواقعية تهب على أدبنا » فقلت له : « .. فهذا كلام غير دقيق لان الواقعية ـ كما رأينا ـ بدأت فى الربع الأول من القرن لا من الربع الثانى » ودللت على ذلك بوقائع من الانتاج والدعوة . وكنت اود ان ياتى بنصوص من كلامى ويناقشها مناقشة امينة ، ولكنه قولنى ما لم أقل ـ فى كل ما كتب فى هذا المقال ـ ورد على تقوله لا على ما كتبته ..

وكنت أود كذلك أن يعمل بما نصحته به، فيتدبر ما يقرأ ويعيه قبل أن يكتب ، ولكنه رفض النصيحة «من جذورها» .. فلست ادرى بعد ماذا أقول له ؟

« عباس خضر »

الوجه الذى ضاع

للشاعر : سعد دعيبس

يوما ستعرفنى ، يوما ستلقانى   وسوف تندم يوما حين تلقانى
برغم ان بوجهى الف عاطفة   هوجاء تخنق افراحى واحزانى
برغم ان براكين الاسى حفرت   دروبنا ذات يوم قبر انسان
برغم ان صحارى الياس قد حجبت   فى ذات امسية افراح نيسان

***

برغم ان ابى يوما هنا صلبت   اشواقه ، وهو يروى زهر بستان
وان خنجر غربى تكفنه   من فوقها رفعوا اكليل رهبان
وان عينيه فى صمت الدجى نزفت   اضواءها فى شموع الراهب الجانى
وان اضلاعه قامت على عمد   واصبحت دير سفاح وقرصان

***

ورفرفت فى الفضاء الرحب ادمعه   على صليب الاسى انجيل غفران
وذوبت فى صفاء الدير اجنحة   بيضاء تحنو على احزان قربان
تهيم فى الليل بحثا فى خرائبه   عن بحة الناى ، عن ايك وغدران
عن لحن مئذنة كانت ترتله   حمائم الأيك ، عن افراح نيسان
عن وشوشات غدير فى شواطئه   اغفت زهور الهوى نشوى بالحان
عن قلب راع ، رمال البيد قد سكبت   ايامه نبع اشواق وتحنان
قد كان يحيا لياليه بقرطبة   يهدهد الحب فى موال رعيان
يذوب الفجر افراحا لمن عصروا   ظلام اعينهم فى ليل شيطان
كانت لياليه قرطاسا ومحبرة   ووحى فكر واشعار وقرآن
وزوجة كان يهواها وطفلته   وبيته الحلو فى احضان بستان

***

وذات يوم هوت من فوق مئذنة   حمامة ذبحتها كف قرصان !
وغال قرطبة البيضاء عاصفة   سوداء ، وانفجرت احقاد بركان !
ونام قلب «هشام» تحت اقبية   للدير ، واختفت افراح انسان
لكن آهاته تسرى معذبة   فى الليل تبحث عن صحب وخلان
عن طفلة ذبحت فى حجر زوجته   عن بحة الناى ، عن موال رعيان
تصيح آ هاته فى الليل يا وطنى   يا ليل قرطبة ، يا نبع احزان
يا صرخة الحزن فى «الوركا» ويا جبلا   للصمت نام على شعرى والحانى
يوما .. ايا وطنى ،يوما ستعرفنى   برغم انى غريق دون شطآن
برغم انى ضياع لا يعانقه   الا ظلام الاسى من تحت جدران
وان عينى فى صمت الدجى نزفت   اضواءها فى شموع الراهب الجانى
وجهى الذى ضاع يوما سوف تعرفه   وعندها سوف تبكى يوم تلقانى
برغم ان بوجهى الف عاصفة   يوما ستعرفنى ، يوما ستلقانى

تعقيبات

بقلم : عباس خضر

ما الجديد .. وما القديم .. اللذان يتصارعان .. ؟

يحاول بعض الذين يخوضون المعركة الادبية القائمة ــ ان يجعلوا لها موضوعا عاما ، هو **الصراع بين الجديد والقديم ..**

وانت تعلم انها قامت أصلا على الشعر بين شكليه : المأثور والجديد ، وان ما اشعلها هو مذكرة لجنة الشعر بالمجلس الأعلى التى اختلف عليها الشراح والمؤولون . ودخل المعركة ، أو قل أثارها زملاء لاهم ولا غرض لهم فى الشعر « طوروها » ذلك التطوير ، اذ اعلنوا ورددوا ــ فى خطبهم باجتماع جمعية الادباء وفى كتاباتهم بالصحف والمجلات ــ **ان المعركة فى الحقيقة انما هى بين الجديد والقديم ..** واختلطت الأصوات بكلمات عن الاشتراكية والشعب والمنطلق الى الآفاق التى تتطلع اليها حياتنا الجديدة .. الخ .

ومعنى ذلك ان حاملى اللافتة المكتوب عليها **« جديد » ــ الذين نسميهم « مستشارين » نسبة الى زعيمهم لويس عوض المستشار الثقافى لمؤسسة الاهرام ــ** هم وحدهم الاشتراكيون المرتبطون بالشعب المنطلقون ... الخ ، وان الآخرين جامدون متخلفون عن الركب المنطلق .. **بل هم ــ كما قيل فى حديث نشر بجريدة الأخبار ــ فاسدون منحرفون يجرى بينهم أو يحدث منهم مثل ماجرى أو حدث فى المجمعات التعاونية الاستهلاكية!**

ولنغض الطرف عن ذلك الذى علت به النبرة فى لحظة ضعف عصبى « سابت فيها الفرامل » ــ **لنعود الى موضوع الجديد والقديم ، لنرى هل هو حقيقة موضوع المعركة .**

ولكى نتبين تلك الحقيقة ينبغى أن نتصور طرفى الخلاف : الجديد والقديم ــ اين ذاك ؟ واين هذا ؟

لابد ان يبرز لنا اولا وجه الشعر فى شكليه المتصارعين ، فوجود هذين الشكلين وان احدهما قديم والآخر جديد ــ حقيقة لا شك فيها ، وهنا لا يمكن انكار الصراع بين جديد وقديم .

وطرفا الصراع هنا مثل الارقام : احد الشكلين يتكون من عدة تفاعيل تكون بحورا معروفة ، والآخر يتكون من تكرار تفعيلة واحدة .

اذن فالصراع بين شكل فى الشعر وآخر واقع لا شك فيه . ولكن اذا تجاوزنا الشعر فماذا نرى؟ هل نجد حقا جديدا يصارع قديما ؟

اقرر اولا ان الصراع بين الجديد والقديم ازلى، فنحن لا ننفيه نفيا مطلقا ، فهو موجود فى كل عصر، ويستطيع الباحث أن يتبينه فى نواح مختلفة **ولكننا بصدد معركة معينة بين اشخاص معينين ،** بين فريقين يتخاصمان ، أحدهما وهو فريق « المستشارين » يثير حملة على الآخر لأنه يظن أنه يقف فى طريقه الى غايات معينة ، وعلى هذا يطالب **« بالتواجد معه »** كما يعبرون ، والآخر ينظر **ويعجب .. اذ يرى طالبى « التواجد » يحتلون منابر يجهرون منها بالقول ولا يستطيع هو ان يعتلى أحدها لأن محتليها من الفريق الأول يسدون الأبواب فى وجهه .** ان ظهر كتاب لأحد من الأول او عرضت مسرحية لآخر تداعى له باقى الفريق بالكتابة والطبل والزمر . وان ظهر انتاج لأحد من الفريق الثانى قوبل اما بالصمت واما بالتجريح، بل ان بعض هذا الفريق يعوق انتاجه ، ولا ارى هنا بدا من ذكر اسم « **على أحمد باكثير** » الذى تغلق دون مسرحياته أبواب المسارح . **والعجيب أن** الفريق الثانى قوبل اما بالصمت واما بالتجريح، بل **وفى اى شىء ؟ لا ادرى ..**

ونعود الى مسالة الصراع بين الجديد والقديم المزعومين فى الدائرة المعينة ، فنسال : **ما الجديد الذى احدثه الفريق الاول ولم يات بمثله الفريق الثانى ؟**

واراني هنا ايضا مضطرا الى ذكر الاسماء لاننا بصدد معركة بين اشخاص ، لا بين قديم وجديد كما اراها .

لناخذ مثلا اسماء الذين قابلوا **الدكتور حاتم** بصفتهم الفريق الاول او الممثلين له ، وقد نشرت هكذا بترتيب الحروف الهجائية :

احمد عباس صالح ـ احمد عبد المعطى حجازى ـ رجاء النقاش ـ رشاد رشدى ـ سعد الدين وهبة ـ صلاح جاهين ـ صلاح عبد الصبور ـ عبد الله الطوخى ـ لطفى الخولى ـ لويس عوض ـ محمد عودة ـ محمود امين العالم .

ونصرف النظر عن ان بعضهم من الزملاء الذين تغلب عليهم الصفة الصحفية وليس لهم انتاج ادبى يذكر ، نعود الى السؤال : **هل انتج احد منهم ادبا جديدا لم ينتج مثله احد من الفريق الثانى ؟**

ونسارع الى استبعاد اسمى صلاح عبد الصبور واحمد عبد المعطى حجازى ، نظرا الى انهما يمثلان فعلا طرفا فى معركة حقيقية هى معركة الشعر خاصة .

والباقون اما نقاد واما كتاب قصص ومسرحيات. **فاى منهم ينتج الجديد الذى لا ينتجه افراد الفريق الثانى او لم يات بمثله احد من قبله ؟**

وما المقصود بالجديد ؟ اهو ما يتحدث به او ما يتغنى به لويس عوض وامثاله من التعبير عن الانسان المتمزق او ازمة الانسان المعاصر ،كما يقولون ترديدا لكلام غريب عن بيئتنا لا يتفق مع تطلعاتنا ولا يعبر عن انساننا العربى المتفائل العامل فى بناء مجتمع جديد ؟ اهو تعبيد بعض ما يكتب عندنا من اشباه ذلك والطرب له والشطط فى تفسيره والانحراف بتوجيهه وتشجيعه على البعد من بيئتنا ومعاكسة قيمنا ومثلنا من تليد نعتز به وطريف نجد فى اكتسابه ؟

ام هو التعبير عن اشتراكيتنا الجديدة وثورتنا المتجددة واستهداف تعميقها وتقدمها ؟

اذا كان الاول كما يداب عليه فريق منهم فليذوبوه فى الماء او « الويسكى » وليهنئوا بشربه ، على ان يعفونا من الهذر والهذيان والعربدة التى تعقبه .

واذا كان الثانى ، كما يردده فريق آخر منهم وكما كتبوه فعلا فى هذه (الهيصة) فالجميع متفق عليه ، وليس لأحد من « المستشاريين » سبق فيه او ما يفضلون به على الآخرين فى مضماره ، بل اننا نستطيع القول بانهم متخلفون فيه عمن يزعمونهم « قدماء »

فما جديدهم الذى به يصارعون قديما موهوما او مزعوما ؟

هل هو فى المضمون ام فى الشكل ؟

من منهم ارتبط بالشعب ، كما يدعون ، وعبر عن الاشتراكية الجديدة والثورية المتجددة ؟

هذه منابرهم فى الجرائد والمجلات الكبرى .. جرائد الشعب ومجلاته .. التى تيسر لهم الترف والبعد عن الشعب .. **ماذا فى كتابتهم بها غير ما يدبر فى «المستشارية» من محاباة افراد «الشلل» وتجريح الآخرين او اهمالهم** ، وماذا فيها من جهد صادق فى تقييم الاعمال الادبية المتجددة التى ينتجها غيرهم ؟

باختصار .. ماذا فيها مما يدل على الارتباط بالشعب والتعبير عن كفاحه واهدافه غير الصراخ والادعاء الأجوف .. وغير الاشادة باللامنتمى والمتمزق والانسان المعاصر المتازم عند « بكت » وبقية « الخواجات » المتمزقين .. ؟

اذا كان عند المستشاريين جديد غير « **التفعيلة** » فليدلونى عليه .

او فليقولوا بصراحة انهم يتخذون « التفعيلة » مطية يقفزون من ظهرها الى دعاوى عريضة كالصراع بين الجديد والقديم .. او الى اغراض اخرى ليست من اهتمامات الشعب الذى يدفع اليهم مرتباتهم الكبيرة فى جرائده ومجلاته الكبيرة .

هل نصدقهم بعد فى ادعائهم ان المسالة ليست مسالة الشعر ومذكرة لجنة الشعر وشكل الشعر ومجلة الشعر ، وانما هى الصراع بين الجديد والقديم والارتباط بالشعب و ... و ...

ام نقول لهم كما يقول الشعب ؟

لا ، قديمة !

الكشكول

● صدر العدد الاول من الزميلة مجلة «الفنون الشعبية» فى الاسبوع الماضى ، حافلا بابحاث ودراسات قيمة فى المأثورات الشعبية ، ومقدما بافتتاحية مضيئة للدكتور محمد عبد القادر حاتم ، والمجلة على مستوى رفيع مضمونا وشكلا ، وهى أول مجلة فى حياتنا الثقافية تعنى بالادب والفن الشعبيين وتجعل لهما اعتبارا اكاديميا خاصا ، وفى حديث مع الزميل الدكتور عبد الحميد يونس رئيس تحريرها افضيت اليه بما أراه من وجوب نشر بعض المأثور من الادب الشعبى وما يكتبه المعاصرون متطورا ومستوحى منه ، فقال ان هذا فى اهتمامه وسيعنى به فى الاعداد القادمة .

● نشرت « اخبار اليوم » ان الدكتور لويس عوض والسيدة بنت الشاطئ **التقيا اخيرا بالدكتور طه حسين باعتباره رئيسا لجمعية الادباء** وقدما له مذكرة تتضمن آراءهم ومعها ثلاثة خطابات احدها من **الاستاذ احمد بهاء الدين** يتضمن استقالته من مجلس الادارة ويقول فيه : **اعتقد أن الوقت قد حان لاجراء انتخابات جديدة لاختيار مجلس ادارة جديد .**

وبهذه المناسبة أذكر ما حدث فى اجتماع الجمعية العامة فى العام الماضى من مطالبة لويس عوض باجراء انتخاب مجلس ادارة جديد ، ومناقشته فى ذلك مع بعض الأعضاء وقوله مبررا طلبه امام نحو مائة من الأعضاء الذين حضروا الاجتماع : مع تقديرى للأستاذ أحمد بهاء الدين كصحفى كبير فانى لا أراه أديبا حتى يكون عضوا فى مجلس ادارة جمعية الأدباء .

والآن .. هل تحقق ما أراده لويس عوض من خروج احمد بهاء الدين من زمرة الأدباء .. أم هى احدى الدواهى اللويسية العوضية ؟!

● ورفض الاستاذ نجيب محفوظ أن يوقع على مذكرة « المستشاريين » فصدرت تعليمات « المستشارية » نحو فيلم « الطريق » المعد من قصة نجيب محفوظ ، فهوجم بالرسم فى الاهرام وقوبل فى مختلف الصحف والمجلات التى تمتد فيها رقعة الامبراطورية المستشارية ، بالصمت التام على خلاف المعهود .. **والمصيبة أن هذه الرقعة لا تغيب عنها الشمس !! تماما مثل التى كانت .**

● ورفض التوقيع على تلك المذكرة كذلك الاستاذ احسان عبد القدوس وكتب فى العدد الماضى من « روز اليوسف » ينقد « الهيصة المستشارية » **فوضع اسمه فى القائمة السوداء ، وبدت طلائع الهجوم عليه من الجناح الأيسر .**

عباس خضر

أخبار أدبية وفنية

● استأذنت مؤسسة الشرق الادنى فى امريكا الاستاذ الكبير ساطع الحصرى فى ترجمة كتابه (يوم ميسلون) الى الانجليزية ، فاذن لها واوشكت ان تفرغ من الترجمة وقد طلبت من الاستاذ ان يضع للترجمة مقدمة تتناول الاحداث التى تعاقبت على سورية من يوم ميسلون الى يوم الجلاء ، فوضعها بالفرنسية ، والغالب ان تظهر هذه الترجمة فى الاشهر الاول من السنة المقبلة ١٩٦٥ .

جامعة بغداد تكرم الاستاذ الحصرى

● قررت جامعة بغداد تعيين الاستاذ ابو خلدون ساطع الحصرى استاذا باحثا فى كلية الآداب على الا يتقيد بمكان معين ، وهى الآن بصدد اتخاذ الاجراءات القانونية لهذا التعيين .

● فى تمام الساعة السابعة من مساء السبت الموافق ٢ يناير ١٩٦٥ يقيم المركز العام لجمعية الشبان المسلمين بالقاعة الكبرى ندوة أدبية موضوعها « ظواهر جديدة فى ادبنا الحديث » يتحدث فيها كل من الاساتذة : ثروت اباظه ، عامر بحيرى ، عباس خضر ، عبده بدوى ، محمد عبد الحليم عبد الله ، وسيلقى كلمة الشبان المسلمين الاستاذ على الجمبلاطى .

● يلقى الدكتور يوسف عز الدين الامين العام للمجمع العلمى العراقى محاضرة عن الشعر العراقى فى نادى القصة فى الساعة السابعة من مساء الاربعاء الموافق ٦ يناير ١٩٦٥ .

● هيئة خريجى الجامعات تقيم ندوتها الشعرية الشهرية فى الساعة السابعة من مساء السبت ٢ يناير ١٩٦٥ يشترك فيها من الشاعرات : روحية القلينى ، عفيفى الحصنى نجاة شاور ربيع ، ومن الشعراء عبده بدوى ، احمد عمر هاشم ، الربيع الغزال ، انس داود عامر بحيرى ، قاسم مظهر ، محمود جبر .

● « النيل فى الادب العربى » موضوع المحاضرة التى ستلقيها الدكتورة نعمات احمد فؤاد يوم الثلاثاء القادم فى رابطة الادب الحديث فى تمام الساعة الثامنة ، وسيعلق على المحاضرة الاستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتى .

● تقيم اسرة اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية محاضرة بعنوان « لماذا كانت القصة اكثر الفنون شيوعا وتأثيرا فى الجماهير » .

● تناقش الجمعية الادبية المصرية فى يوم ٥ يناير ١٩٦٥ تجربة المجلات الادبية . يقدم الندوة فاروق خورشيد ، ويشترك فى المناقشة الاساتذة والدكاترة : عباس خضر ، ثروت اباظه ، عبد القادر القط ، احمد حسين الصاوى وليم الميرى ، عبد الفتاح الديدى .

حول الأدب في الشرق

بقلم عبده بدوي

المجلات والبناء :

لا شك أن ظهور مجلات وزارة الثقافة ، كان خطوة لا بد منها فى حياتنا الثقافية ، وبالرغم من هذا وجدنا حملة ضارية توجه نحوها وقت اعلان ظهورها ، ولقد كان من الغريب أن يتصايح الكثيرون حول هذه المجلات قبل أن تظهر في أيدى القراء ، ثم كان من الأغرب أن تحتضن بعض المجلات فى لبنان هذه الحملة ، وأن تستنجد ببعض أصحاب الأقلام المتعاونين معها هنا ، الى حد ان أحدهم كتب فى **حوار** باسم زوجته وتعدى موضوعية الحديث الى التشفى فى عدد السنين التى بلغها الأستاذ أحمد حسن الزيات ، والأستاذ محمد فريد أبو حديد .

ثم حين بدأت هذه المجلات رسالتها على استحياء ، وحين استقرت فيها بعض الأقلام المشبوهة ، وحين كانت تحكمها جميعها قبضة واحدة لم يتحدث أحد عنها .. ولكن حين أعطى لكل رئيس تحرير اختصاصه ، وحين تحرك عدد من الأقلام فى مواجهة السموم التى تكمن فى الحقل الأدبى ، وحين لم تكتب كلمة الا ووراءها دليل قاطع ، وحين سمح لأكثر من رأى أن يتصارع .. وقف البعض ليتحدث عن المجلات بمرارة ، وذهب الذين كانوا يعتبرونها « **مزرعة** » من قبل الى مل‌ء ليل القاهرة بالهمس الحاقد ، والرغبات الشريرة .

ان البعض يقول : ان الحملة على المجلات يقصد منها خلق ستار من الدخان ليحجب الذين يتفننون فى تدمير البناء الثقافى لهذه الأمة ، ولتفريغ الشخصية العربية المعاصرة من كل مقوماتها ، للتلويح خلال ذلك بالقوميات البائدة ، أو للذوبان فى حضارات جديدة ، ولعل الانسان العربى هو الوحيد اليوم الذى يصك فى كل قيمة يحتضنها ! ولعل من المتناقضات أن نبنى كل شىء فى حياتنا ، ثم نأتى للانسان فندمره ثقافيا ، وحضاريا ، ونطالعه فى كل لحظة بانه تافه ، وعقيم ، ومنحط !

ولعل ما يعزى الكثيرين أن الذين يقولون بهذا ، سرعان ما يلتفت لهم القارىء ثم يكتشف أغراضهم المشبوهة ، ولعل أذكى دراسة يمكن أن تكتب فى هذا العصر هى دراسة هذه الشخصيات نفسيا واجتماعيا وفكريا .

اننا يجب أن نتخلص من كل ما هو عيب فينا ، ولكن علينا الا نتبع أصوات الذين يصرخون فى كل آونة بأن علينا أن نتخلص من كل شىء فينا ، وان علينا أن نقرأ كل كلمة ، ولكن علينا كذلك أن نتعرف على الدوافع التى تصدرها ، والا ننظر الى

الكلمة على أنها نوع من القداسة ، فهناك من الكلمات ما يقطر بالسم ، وما يحيل القارىء الى عدم بارد بليد !

وعلى كل فالمجلات التي تصدر عن وزارة الثقافة تسير في الغاية التي حددت لها ، ولن تصمت - **كما صمتت من قبل** - حتى لا يتعرض لها أحد بالهجوم ، ولن تتحول الى قبضة واحدة حتى لا يتعرض لها الذين كانت تجرى بين أيديهم ذهبا ، ولن تصبح امتدادا لهذا التيار الذى يصدر من بعض مجلات بيروت ، ولكنها ستظل تعمل دائما من أجل مزيد من بناء الانسان الجديد في هذا المجتمع الجديد !

الزميلة السادسة

سعد كل المثقفين وهم يتلقون العدد الاول من مجلة الفنون الشعبية برئاسة الدكتور عبد الحميد يونس ، الذى يعتبر أحد ملامحنا الفكرية المشرقة، والذى يثرى حياتنا الفكرية من زمن بعيد بعمق العالم ، وقلم الأديب ، وعظمة الانسان ، والمتتبع لتاريخ عبد الحميد يونس يحس انه أجهد نفسه وحياته وعينيه من أجل الثقافة الجادة المتصلة بشخصية الامة وأعمق اعماقها ، ولعله من القلائل الذين لاتحس بالتفاوت فيما يكتبون ، فهو في كل مقال وكل كتاب جاد الى حد الصرامة ، وواصل ثمار الفكرة بجذورها ، ومقدم شيئا جديدا للقارىء الذى يطرق عليه مؤلفاته .

وقد قدم مجلته بتعليق وسام على صدر الحضارة العربية ، بعد أن مللنا من سماع تلك النبرة المشبوهة التي تشكك في كل شيء عربي ، والتي عملت دائما على احداث الشقاق بين أدب الفصحى وأدب المأثورات الشعبية ، فهو يقول لابد لي ، وانا أقدم العدد الاول من مجلة الفنون الشعبية أن أسجل حقيقة على جانب كبير من الاهمية وهى : ادراك العرب الكامل لتراثهم الحضارى ، ولم يعد هذا التراث مقصورا على ما بقى من الكتب المطبوعة والمخطوطة ، ولم يعد مقصورا على الآثار المادية الشاخصة من النقوش والهياكل والجسور والبنى ، ولكنه يضم الى هذا كله ، ما يصدر عن المواطن العربى العادى من فن شعبى يتوسل بالكلمة والاشارة وتشكيل المادة، وهو فن يحمل من عناصر الثقافة والاصالة ما يجعله أمينا على القيم الانسانية والمثل الاخلاقية ، والخصائص القومية . وهذا الجانب من التراث العربى فيه من المرونة ما جعله - ولا يزال يجعله - قابلا للتطور والنمو ، مع تطور الحضارة العربية ونموها ، وهو في الوقت نفسه يرد على أولئك الذين انتقصوا من قدرة العقل العربى ، والارادة العربية تبريرا لاستعلاء عنصرى ، ولذلك كان العمل على احياء التراث الشعبى العربى تبعة قومية وانسانية وعلمية في وقت واحد .

وهكذا يثبت الدكتور عبد الحميد يونس انه الاستاذ الجامعى الجاد في كل ما يتناول من قضايا وفي كل ما ينمى من تيارات .. وفي مجلة الفنون الشعبية التى تعتبر كسبا حقيقيا للثقافة في بلدنا .

في عيد النصر

في الندوة التي قدمتها في جمعية الادباء بمناسبة عيد النصر ، خشيت على الشعرآن يتحول الى ضجيج ومفرقعات وصراخ ، ولكنه تحول الى أغاريدانسانية رقيقة بفضل الشعراء .. عامر بحيرى ، اسماعيل الصيفى ، طاهر الجبلاوى ، فتوح احمد ، روحيه القلينى ، محمد ابراهيم أبو سنه ، محمد الجيار ، د . عفيفى محمود ، عفيفة محمد الحصنى ، محمد العزب ، وفاء وجدى ، محمود الماحى ، البيلى عبد الحميد .

وقد تفضل الناقد مصطفى عبد اللطيف السحرتى بالتعليق على الندوة، وكان جميلا من الشاعر كيلانى حسن سند ، أن يقدم نسخة من ديوانه لكل الذين حضروا الندوة .

ومن وحى هذه الايام العظيمة التى عاشتها مصر قدمت هذه القصيدة بعنوان الوصية .

- ١ -

ابنى . . يا من لا تزال لريشة الله الجليله
سحبات خلق اسمر من فوق أهداب ثقيله
ويزيد عن عمر الورود البيض.. أعواما قليله
واحس ان زهاء أغنيتين مثمرتين .. طوله
أعلمت انى قد وهبت لهذه الارض النبيله
سنواتك السبع التى تهتز في ورق الطفوله
فاسبح على ماس الصباح الى جزائرها الخجوله
وارجع على ذهب الاصيل للهفة الكوخ الهزيله
فببابه وقفت تمد سنيها . . أم نحيله
ومتى رأتك تهللت ، وتراقصت منها الجديله
ويد تشدك نحوها ، ويد لخصلتك الملوله
ويد صمت اخضر من فوق قريتنا الجميله
فابذر حياتك تلقها قد اصبحت رؤيا ظليله

وصراخ عنقود . وجفنا فوق جفن فى خميله
وقصيدة ذهبيـة تنمو بسـنبلة طويـله
واحفظ سهولك والجبال
حتى اعود من القتـال !

ـ ٢ ـ

انا يابنى ٠٠ زرعت عمرى بين لفـات الربا
ويمنحنى الدرب الأصم جررت ظل متعبـا
فلقـد حملت اليتم فى فجرى فصرت محدبا
عـريان البس من جراح الذل ثوبا مرعبـا
ظمآن اجـذب فى الدموع الغائرات لأشربا
ارنو الى الاطفال فى سنى تمشـوا موكبـا
آنا بآنيـة السمـاء يقطرون الكوكبـا
وبمـرة تحت العرائس يذبحـون المغـربا
او يتبعون فراشـة حمـراء عزت مطلبـا
او يجلبون جناح عصـفور فيجرى مغضبـا
حتى تبتتنى الحقول فصارت امى والأبا
وكست باوراق الجمال الطفل منى المنكبا
ومشت بصمتى غنوة ! وتنوء ايامى صبـا
فاليوم احمى فجرها ، وغـديرهـا المعشوشبا
والقطن ، والصفصاف ، والقمح الذى قد ذهبا
فاحرص على مهد الظـلال
حتى أعود من القتـال !

ـ ٣ ـ

ابنى يا مرح العبير ، وبحة النـاى الشجيه
انا سائر قبل الندى ، انا طائر بالبندقيه
فاليك أشـجارا تدلت بالنجوم على يديه
واليك بيتا اخضر الأشواق يغمر مقلتيه
فى بابه نزل العبيـر ستارة خجلى ٠٠ حييه
وعلى نوافذه العجوزة تنحنى ذكر هنيه !
واذا دعيت الى العطاء فكن كريما ذا حميه
انا نضحى بالبنين اذا افتقرنا للضحيه !
وباختـك الصغرى ترفق فهى من حلم بقيه
وهى عنقود رضيع ليس يملأ راحتيـه
ومتى تحط بوردة تحمل طفولتها قويه !
وتطير شوقا كلما قد دق باب فى العشيه
لتعود فى بطء تجر جناح يائسة شـقيه
فاذا الدموع تساءلت عنى ٠٠ بنظرتها النديه
وانداح صمت ظل يغرق بين شـطيه الصبيه
وودت لو تنجو بها فغرقت فى اللجج العتيه
وبثغرها غرق السـؤال
واخذت تصرخ فى القتال

فالثـار عنـد الانجليز
الانجليز !

ـ ٤ ـ

ابنى ٠٠ يا من تستقر هنـا بجنبى الأيسر
انا قد فتحت على الدجى شباك عطر اخضر
ومن النجوم نسلت زنارا لثوب البيـدر !
اترى سيذكرنى اذا زق الحصـاد بمنقر ؟
وتجعـد « الموال » فى قلب الظلام الأشـقر
وانساب فى بحر الحصـاد الشاحب المتكسر
فتشابكت آيدى الظـلال على الطريق المرمرى
فى رقصـة معدية هزت جـلال الأعصر !
لكاننى تحت الرصاص بمدفعى المتـكبر
اصغى الى لون الغـلال على الطريق مثرثر
واحس نبض النور فى ورق السماء الأسمر
ونشيج عصفور رضيع بين عش دائرى !
ودبيب اقدام الزهور عـلى السياج المزهر
وصراخ اكواب النبيـذ بكرمة لم تعصر
واراك فى جفنى حلمـا الثغـا لم يكبر
انا فى طريقك لهفة تحسـو خطاك العبقرى
وهنا بميدان القتـال
حقـد يصوب فى القتال
حقـد يدك الانجليز
الانجليز !

ـ ٥ ـ

ابنى ٠ ٠ان فاضت دمائى فوق أرضى الغاليـه
فلقد احطت بكل أيامى جبين الحاميـه
بذراعى المقطوع من جسدى ! بعينى الباقيه
وقضيت واسمك لايزال معلقا بجراحيـه
فاذا جرفت لقريتى فوق الدماء العـاريه
فاحفر بازميـل الخلود على ضـلوع الداليـه
فى قبة الصمت المزقزق تحت هدب الساقيه
قبرا له طول الجراح وعمقها بحيـاتيه
واركز سـلاحى فوقه لأظل حربا غافيـه
فلسوف أبعث للكفاح على الذرا المتداعيه
حيث الربا المتربصات على الطريق القانيه
وعليه فلتترك صبايا الورد تجرى حافيـه
ستعيد ايامى هنـا شفة العبير الحانيه
واعيش عطرا فى الحقول ، وقصة فى الرابيه
تحكى لأحفادى الصغار ـ وهم عيون ساجيهـ
كيف انحدرت من التـلال
ورفعت قلبى فى القتال
علما على الارض الحبيبه

« عبده بدوى »



فيلم الطريق
قصة نجيب محفوظ

بقلم : علي شوقي صلاح

ليس طريقا ماديا كهذا الذى نغدو فيه ونروح وننتقل فيه من مكان الى مكان ومن بلد الى آخر ، ولكنه طريق معنوى ، طريق نفسى ، طريق حياة ، أو هو هذه الحياة نفسها .

فهو قصة شاب اسمه « **صابر سعيد سيد الرحيمى** » نشأ فى أحضان أمه ولم ير له أبا وأخبرته أمه هذه أن أباه قد مات قبل أن يولد ، وكانت أمه ـ واسمها «بسيمة عمران» ـ تعيش من تجارة محرمة يعاقب عليها القانون وانتهت بها الى السجن خمس سنوات ، فلما أتمت مدة العقوبة وخرجت من السجن لازمها المرض طويلا ، ولما أحست دنو أجلها كشفت لابنها عن سر أخفته عنه طول حياتها وهو أن أباه حى يرزق وانه هرب منها ، وطلبت اليه أن يبحث عن أبيه ، وأعطته صورة له ليهتدى بها فى بحثه ، وأوصته بالا يتوانى عن هذا البحث لأنه سيغنم من وراء أبيه ثروة طائلة ، وهو لابد واجده وزودته بمبلغ من المال يكفيه زمنا غير قصير يكون بعدم قد حصل على ثروة أبيه ، ثم تفيض روحها الى بارئها .

ويهيم (صابر) باحثا عن أبيه هنا وهناك ويحمل فى ذلك متاعب جمة دون أن يهتدى اليه ، ثم يشير عليه البعض بأن يبحث عن أبيه فى الاسكندرية ، فقد تسامعوا أنه كان قد سافر اليها لبعض أمره ، ولم يعد ، وعسى أن يكون قد اتخذها مقرا له .

ويمضى الى الاسكندرية وينزل فى لوكاندة اسمها « لوكاندة المحطة » يملكها شيخ فان اسمه « خليل أبو النجا» يقيم بها فى الطابق الأعلى هو وزوجته الشابة الجميلة (كريمة) التى لاتتجاوز العشرين من عمرها الا بقليل !

وكانت تلك الزوجة تعيش مع ذلك الشيخ عيشة (الممرضة) لا عيشة الزوجة حيث كان يفصل بينهما نصف قرن من السنين تجعل كلا منهما فى دنيا غير دنيا صاحبه ؛ فهى شابة فى نضارة العمر ورونق الصبا لها فى الحياة آمال عراض هيهات أن يحققها لها ذلك الفانى المتداعى الذى لم تبق الأيام منه باقية .

وما ان يقع نظر (صابر) على تلك الشابة حتى يبهره جمالها ويقع فى حبائل حبها ، وتدرك هى منه ذلك بغريزتها الأنثوية ويتلفت اليه قلبها

الطمأن ويقوم بينهما حب عارم ، ويلتقيان خفية كلما واتتهما الظروف ، ويتواعدان على الزواج بعد أن يتخلصا من ذلك الزوج ، ويقرران فيما بينهما أن يصبرا حتى يفارق الحياة بعد زمن لن يطول !

ولكن الزمن يطول وتمتد حياة الرجل، ولا يطيق قلباهما الملتهبان صبرا بعدما احتملا، ويقررالشاب (صابر) أن يقتل هذا الشيخ ويهوى عليه ليلة وهو نائم بقطعة من الحديد فيقضى عليه ، ويخفى آثار الجريمة : القطعة الحديد والقفاز الذى كان يلبسه حتى لا تعرف بصمات أصابعه - بالقائهما فى البحر ·

ويأخذ التحقيق مجراه ويشير الاتهام بادىء ذى بده الى عامل باللوكاندة فيأخذونه سجينا ·

ويكون (صابر) فى خلال ذلك قد اتصل بفتاة أخرى اسمها (الهام) تعمل موظفة فى احدى الصحف تعرف اليها عندما كان يتردد على تلك الصحيفة باحثا عن أبيه معلنا عن صفاته وسماته فى الصحيفة طالبا أن يهديه اليه من يعرف عنوانه، وتنموالعلاقة بينهما نموا سريعا جدا ويلتقيان بين الحين والآخر ، ويتوزع هو بينها وبين عشيقته الأخرى زوجة الشيخ القتيل ·

ويستمر التحقيق وتضيق حلقاته وهو يشير رويدا رويدا الى «صابر» وكلما ضاق الخناق عليه اعتقد أن هذه العشيقة - كريمة - هى سبب تلك الكارثة التى تكاد تودى به ، وفى لحظة من لحظات جنونه يهم بها فيقتلها هى الأخرى ، ويمضى بعد ذلك شاردا لا يعرف وجهة محددة ، ويرد ذكر عشيقته الأخرى فى التحقيق فتستدعيها النيابة ، وتطلب اليها أن تدلها على عنوانه فلا تجيبها بشىء وتمضى وراءه هنا وهناك فتجده هائما بين المقابر . وتذكر له أنها قد اهتدت الى عنوان أبيه فيهتاج لرؤيتها ويقرر انه صار فى غير حاجة الى هذا الاب وانه سيعتمد فى الحياة على نفسه دون غيرها ويمزق صورة أبيه فى هياج يشبه الجنون ·

ويمضى التحقيق فى طريقه حتى ينتهى بادانته واعدامه ·

هذا هو **(الطريق)** الذى جعلوه فيلما كاملا ··

موضوع فى غاية البساطة يكاد يكون لا موضوع ! أحداث لا تذكر ، خالية من العقدة ، أو هى على الأصح «تابلوهات» يلى بعضها بعضا دون تماسك او ترابط حتى ليمكن أن يعزل بين بعضها والبعض وان يخلع الواحد منها بعد الآخر دون أن تحس بنبوة أو تسمع صوت انكسار ·

ذلك لأن كاتب « السيناريو » لم يكتبه بلغة السينما العميقة المليئة بالحياة والمعنى المتحركة مع الحوادث ، ولم يجعل لها ذلك «المحور» الذى تلتف به الحوادث وتدور حوله من أول الفيلم الى آخره وهو ثابت صامد يشدك اليه باستمرار ، فلم نكن ونحن نشاهده نحس أننا نرى فيلما وانما كان احساسنا اننا نسمع (حدوته) صغيرة حشرت فيها بعض الحوادث حشرا لتعطيها جسما اكبر وتزيد من ضخامتها !

فمثلا الرقص الذى رقصته (كريمة) - شادية - ماذا أريد به سوى استثارة الغرائز ؟ ان كان قد أريد به ابراز معنى أن هذا الزوج الشيخ لم يكن اهلا لها وانها حتى برقصها هذا لم تستثره فتركها ترقص ونام ، ان كان هذا ما أريد به فان هذا المعنى كان بارزا جدا لا يحتاج الى زيادة فى الايضاح فوق أنه معنى غير كريم ومما لايجوز عرضه ·

ومثلا : ذلك اللقاء المتكرر الذى يتخذ شكلا واحدا وصورة واحدة بين العشيقتين ما معناه ؟ ان لقاء واحدا مع كل منهما أو اثنين كان كافيا للدلالة على المعنى المطلوب ، أما ان يتكرر دائما وباستمرار دون جديد فليس الا لملء الزمن ·

ومثلا : مشاهد بحث (صابر) عن أبيه ، فقد طالت وتكررت حتى صارت كالمترادفات اللغوية فى عصر بديع الزمان الهمذانى ·

وهكذا ·· وهكذا ·· هذا الى أن الضوء كان سيئا للغاية ، وكان لايعرف أين يتركز ؟ فكان يجافى مواضع التركيز ويذهب الى أماكن ليست بذات بال ·· والى ابراز صورة القتيل وهو يعوم فى بركة من الدماء وهذا مما لايجوز عرضه ، وهو أمر يعرفه المبتدئون فى السينما والمسرح ·· والى أن (صابر) - رشدى أباظه - لم ينفعل اطلاقا من

هول المفاجاة التي أخبرته بها أمه وهو أن أباه حي لم يمت وكأنه كان على علم بذلك من قبل : ٠٠ والى أن «خليل أبو النجا» حسن البارودي ـ كان مبالغا في أدائه مبالغة افسدت عليه أمره وكانت شهوته في شد الجمهور اليه بارزة جدا٠٠ والى أن الصوت كانت تتخلله اضطرابات واضحة تعطل السماع الجيد ٠٠ والى أن بعضه كان أكثر ارتفاعا وقوة مما يجب مثل « طرقعة » شادية وهي تمشي ، وبعضه كان خافتا ضعيفا أكثر مما يجب مثل أغلب كلام «الهام» ، سعاد حسني ٠

وعلى العموم فقد كان هذا الفيلم دون ما نتوقع ودون ما كان ينبغي أن ينال من عناية واهتمام ولا ندري سببا يغفر كل هذا الاهمال ٠

نظرات

● ارجو إن يؤمن رجال التليفزيون بوعي جمهورنا ودقة ملاحظته لما يعرضون عليه ، وانه ـ على اختـلاف حظوظه من الثقافة ـ يقع بصره على الخطأ ولا تفوته منه شاردة أو واردة ، وانه لا يمكن خداعه بحال من الاحوال ٠

اقول ذلك بمناسبة تمثيلية ذات خمس حلقات عرضت اخيرا باسم «الخائنة والقاتل» . تدور فكرتها حول امراة ارادت أن تتخلص من زوجها لتحصل على ماله فاتفقت مع قاتل على ان يقوم بقتله ، وجعلت وسيلتها في ذلك ان تقيم علاقة غرامية بينها وبين احد الشبان وتستدعيه الى غرفة نومها ثم تجعل القاتل يخبر زوجها بذلك فيفعل ويهاجم الزوج غرفة النوم فيجد الزوجة مع عشيقها الشاب فيهم بقتله وتدور بينهما معركة يطلق العشيق فيها رصاصتين على الزوج فتخطئانه ، ويكون القاتل قد حضر في تلك اللحظة فيطلق الرصاص على الزوج فيرديه قتيلا ٠

ويكون مفتش المباحث المنوط به بحث هذه القضية هو زوج اخت الشاب العشيق وهو ضابط وصفوه بانه «مثال» في اداء واجبه فيهم بالقبض على شقيق زوجته ولكنه يضعف وتخونه بداءة ثم يعود فيطلق زوجته لانها تحرضه على الاخلال بواجبه وعدم القبض على اخيها . ولكنه بعد ان يعلم الحقيقة ـ من الاعترافات التي اعترفت بها الزوجة الخائنة له في لحظة الاحتضار ـ وهي ان الرصاصات التي قتلت الزوج ليست رصاصات ذلك الشاب وانما هي رصاصات القاتل الحقيقي ـ يبكي ويندم على مجرد تفكيره في القبض على شقيق زوجته ، ويعيد تلك الزوجة الى عصمته ٠

تلك هي فكرة التمثيلية ونحن لانفهم كيف يفعـل ذلك الضابط المثال ذلك ؟ فهو ـ اولا ـ لايملك حق الادانة والتبرئة لان ذلك حق «النيابة» التي تولت فعلا تحقيق القضية وكان يجب ان ترفع هذه الاعترافات اليها لترى فيها رأيها ٠

وهو ـ ثانيا ـ وان لم تكن رصاصاته هي القاتلة الا ان ذلك لامر خارج عن ارادته فجريمته على الاقل هي جريمة « شروع في قتل » ٠٠

وان قيل ـ ثالثا ـ انه كان في حالة دفاع عن النفس ووافقناه على ذلك ، فكيف تنسى جريمته التي كان متلبسا بهـا وهي وجوده في حجرة نوم الزوجية وما وراء ذلك ؟ كيف ينسى ذلك الضابط «المثال» كل هذا ويبكي ندما لمجرد التفكير في القبض على رجل ضبطوه ـ على الاقل ـ بين احضان زوجة في حجرة نوم زوجيتها ٠

يارجال التليفزيون : ان الجمهور مفتـوح العينين وانه يقظ جدا فاحذروه ٠

● الاغاني الجيدة كالخمر الجيدة كلما عتقت حقبـة من الزمن ـ كما يقول ابو نواس ـ كانت اقوى وافعل في النفس ووضحت محاسنها وبرز جمالها ٠٠ ومن هذا النوع تلك الاغنية الجديدة التي افتتحت بها ام كلثوم موسمها الغنائي هذا العام واعني بها اغنية « سيرة الحب » التي تقول في مطلعها :

طول عمري بخاف م الحب: وسيرةالحب: وظلم الحب لكل اصحابه
واعرف حكايات مليانة آهات: ودموع وأنين: والعاشقين دابوا ماتابوا
طول عمري بقول لاانا قد الشوق: وليالي الشوق : ولا قلبي قد عذابه

تلك الاغنية تبدو حلاوتها كل يوم اكثر وابهى مما كانت في اليوم السابق له ، حلاوتها في التاليف وفي التلحين معا ، فان كلا من المؤلف والملحن قد بلغ الذروة فيها ، مما يجعلنا نرجو ان توليها الاذاعة وان يوليها التليفزيون عناية اكثر مما تحظى بها الآن ٠

ولعل المقطع الباهر البارع فيها هو ذلك الذي امتزج فيـه الغناء بوجد المتصوفين ، وتلك اعلى مراحل الهيام والشوق ٠٠ وهو ذلك الذي تقول فيه :

الله يا حبيبي على حبك ٠ ٠ ٠ وهنايا معاك
الله يا حبيبي الله ٠ ٠ ٠ الله الله
ولا دمعـة عين جرحت قلبي ولا قولة آه
ما بقولش في حبك غير الله ٠٠٠ الله الله

اننا باسم الجمهور نطلب مزيدا من اذاعة هذه الاغنية كمـا نطلب مزيدا من هذا النوع العفيف الكريم الذي يهز اعمـاق النفوس ٠

● قال الفتى لاستاذه : ما شر كلمة توصف بها مسرحية ؟

قال الاستاذ : هي ان يقال عنها انها للقراءة فقط وليست للتمثيل ٠

قال الفتى : مثل ماذا ؟

قال الاستاذ : مثل «الراهب» التي كتبها لويس عوض فانها لن ترى خشبة المسرح الا اذا استولى على الدنيا الجنون ٠

قال الفتى ضاحكا : وهل تلك مسرحية حتى تقول فيها ذلك يا استاذي ؟

قال الاستاذ : صدقت ٠٠ وانك لأبعد مني نظرا واصـح رايا !

علي متولي صلاح

نقد الكتب :

مي

أديبة الشرق والعروبة

بقلم : تحسين عبد الحي

يحتفل شعبنا في هذه الأيام بأعياد نصره على الغزاة .. ويعتبر انتصار شعبنا حصيلة تجارب ومعارك نضالية وبطولية رائعة ـ خاضتها جماهيرنا على كل المستويات وفي فترات متفاوتة من تاريخ نضالنا الحديث ..

ونود هنا أن نبرز دور المرأة العربية في تاريخ نضال شعبنا ايمانا منا بضرورة العمل المباشر والسريع على خلق جو افضل يستطيع فيه نصف مجتمعنا الذى يتمثل في المرأة .. أن يتحرك تحركا هادفا لصالح المجتمع ..

ان التقدم الاجتماعي لشعبنا لا يمكن أن يصل الى غايته المقصودة الا اذا تقدمت كل فتاته لتتحمل مسئولياتها التاريخية في خلق القدرات الجديدة وتدعيمها ..

ان التمرس بالأعمال النضالية ضد الاستعمار والتخلف على المستوى الاقليمي والقومي لم يقتصر على عنصر الرجال فقط وانما تعدى ذلك الى قيام المناضلات العربيات في كل مرحلة من مراحل تاريخنا الحديث بالعمل الثورى الشجاع الذى يقصر دائما تفكيرنا عن الاشادة به والعمل على تنميته ..

فمع الدعوة ضد الاحتلال الاجنبي خلال الحركة العرابية سنة ١٨٨٢ ـ تغنت عائشة التيمورية في أشعارها ١٨٩٦ بالمرأة العربية . وتعتبر هدى شعراوى من أول المؤسسات للحركة النسائية في مصر ـ فقد رفضت هذه السيدة الوطنية العظيمة المساهمة في جهود زوجة المعتمد البريطاني وانشات جمعية مصرية خالصة في مبرة محمد على التي بدأت نشاطها سنة ١٩٠٩ « بمستوصف عين الحياة » .

وعندما هب الشعب المصرى في ثورة ١٩١٩ قامت النساء مع الرجال في الريف بتقطيع الأسلاك التليفونية وخطوط السكك الحديدية في الهجمات التى نظمت على أماكن حجز المعتقلين في السجون وتقاسمت النساء مع الرجال آلام حملات الارهاب والابادة بالجملة التى مارستها قوات الاحتلال والتى شملت قرى كثيرة بضربها من الجو .

ولقد حصد رصاص الاستعمار في مارس سنة ١٩١٩ أرواح ـ شفيقة محمد ، وفهيمة رياض ، وعائشة عمر ، وحميدة خليل .. هذا عدا أخريات مجهولات ، كما ذكرت السيدة المناضلة هدى شعراوى . وتستمر المقاومة النسائية للاستعمار الى أن تتخذ أول مظهر سياسى لها . ففي ١٦ مارس سنة ١٩٢٣ عندما خرج الى الوجود أول تنظيم سياسى مستقل للدفاع عن مصالح المرأة تكون « الاتحاد النسائى المصرى » برياسة هدى شعراوى. .. ولا أود هنا أن أدخل في شرح وتقييم دور المرأة العربية في حركتها الرامية الى اثبات وجودها ولكننى فقط أود أن أربط ولو من قبيل التشبيه المحض بين البطولات الرائعة التى قدمها العنصر النسائى في حركة نضالنا القومى .

ان بطولة جميلة بوحريد الجزائرية واستشهاد رجاء أبو عماشة في الأردن برصاص الاستعمار البريطانى وكذلك دور المرأة العربية البطولى في مقاومة العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ انما يعتبر رصيدا ضخما من التضحية والفداء قدمته المرأة العربية بعظمة وجدارة فائقة لا بد أن نبرزها دائما ونؤكد عليها ..

واذا كان ميثاقنا الوطنى قد ذكر « **ان المرأة لا بد ان تتساوى بالرجل ولا بد ان تسقط بقايا الأغلال التى تعوق حركتها الحرة حتى تستطيع ان تشارك بعمق وايجابية فى صنع الحياة الجديدة** » فانه قد أصبح لزاما علينا ان نحاول بصدق أن نقدم لنصف مجتمعنا الآخر جوا نقيا صالحا يستطعن ان يتنفس فيه بحرية وجدارة ، متحللين نحن الرجال من عقد السيطرة والتملك التى تحكم معظم تصرفاتنا تجاههن .. ويجب كـذلك بالضرورة أن تحمى اهتمامات المرأة العربية من كل اتجاه يكون من شأنه ربطها فكريا ومعنويا بأساليب الحضارة الغربية الوافدة عبر مبتكرات الأزياء والتحلل الاخلاقى المدمر لكل مثاليات وقيم المرأة العربية الموروثة ..

ان الحركة النسائية، وقضية المرأةالعربية تحتاج لمزيد من الانتباه والجهود ، لأن ثورتنا تحتاج الى طاقات تلك الملايين التى تشكل نصف مجتمعنا، ولأن خطة التنمية الطموحة ، وجهود البعث الاجتماعى تتطلب مزيدا من الجهد الواعى بالنسبة لاثارة المرأة والاستفادة من قدراتها ..

وكتاب اليوم ـ مى ـ أديبة الشرقوالعروبة لمؤلفه الأديب العربى **محمـد عبد الغنى حسن** يقدم لنا الأديبة العربية من خلال الطبعة الثانية لكتابه فى صورة مشرقة وضـاءة مخلدا ذكراها طارحا أمام جيلنا الذى لم يرها صورة رائعة لأديبة رائدة فى فكرها المتفتح نحو الآفاق الجـديدة للعمل العربى الموحد ..

وعلى الرغم من أن المؤلف لم يتعرض لما يمكن تسميته بالصور الخلفية لحياة **مى** الا أنه استطاع أن يقدم لنا الشيء الكثير عنها : فى حياتها وصالونها الأدبى وافكارها وصلاتها بمفكرى عصرها وأدبائه..

ولنبدأ مع الأديبة مى منذ نشأتها .. فاذا عرفنا أنها ولدت فى الناصرة ـ وهى فى فلسطين المحتلة الآن ـ وتنتمى بأصلها الى لبنان وبنشأتها الى مصر ـ استطعنا أن نتمثل فيها نموذجا رائعا لوحدة شعبنا العربى .. فقد جمعت فى شخصيتها ثلاثة اجزاء غالية من وطننا الكبير وعلى الرغم من أنها كانت تتقن بضع لغات أوربية كتابة وقراءة ، متمكنة منها تمكنا ندر أن يجتمع الا للقليل من الناس فانها لم تتكلم غير العربية ، وكانت تفتخر بعروبتها وتؤكد عليها فى معظم تصرفاتها الذاتية المحضة فى وقت كانت الفرنجة فيه من الأمور المستحبة والمتداولة .

وحينما كانت **مى** تمجد روحانية الشرق وتسبح بمعنوياته لم ترده أن يكون وطنا للتبتل والزهد ، ودارا للرهبنة أو ملجأ للعجزة المتواكلين ، ولكنها تريده ألا ينسى نصيبه من الدنيا ، والا يعتزل فى ركن ركين سابحا فى أحلامه وأوهـامه ، ومتغنيا بأناشـيد مجده القديم ، ومكتفيا بما كان من غير أمل فيما سيكون . ولهـا فى ذلك عبارة جميلة تقول فيها :

« **لقد أعطى الشرق الغرب اديانا واخلاقا وفلسفة الهية وأنبياء والاها فتلقاها الغرب شاكرا وارتقى بها . افيخجلنا ان ننتفع باختباراته الدنيوية وعلمه، والدنيا دنيا الجميع كما ان الله خالق الجميع** » .

ودافعت **مى** عن اللغـة العـربية وأخذت ببلاغة القرآن وسحرتها فصاحته ، والقرآن هو أعلى مثال للســان العربى المبين . لذلك تجدها فى معرض الكلام عن اللغة العربية تبدى اعجابها بفصـاحة القرآن ، وتعزو اسـتقامة الفاظ المسلمين وجمـال منطوقهم وفخامة أسلوبهم الكتابى الى استظهارهم آى الكتاب صغارا واستشهادهم بها كبارا. وكان يعجبها من « باحثة البادية » ومن أقلية لبيبة من الكتـاب استعمال الآية القرآنية عند الحاجة فى أسـلوب خاص ، أو محاولة التسامى الى استعمال جمل ذات تفصيل قرآنى وموسيقى قرآنية .

وفى سنة١٩١٩ وفىفجر الحركة القومية والنهضة المصرية اعترضت أشعة هذا الفجر المضيء خيـوط من ظلام حاكها جماعة من الذين يرون أن اللغـة العربية صعبة التعلم ، وأن العامية أصـلح للتعبير واقدر على أداء مهمة التخاطب والكتابة من العربية. فعارضت مى ذلك التجنى على لغة قومها ، وقالت فى صوت قوى تلوح فى نبراته القوة والاعتزاز بالماضى : « الاصلاح ليس الهدم دواما بل هو فى الغالب تبديل وصقل وتكييف ، اذ ليس من صـالح الأمـة انكار الماضى الزاخر بالمجد الأدبى والحكمة » وقالت بعـد كلام : « أما نبذها ـ تعنى العربية ـ والاستعاضـة عنها باللغة العامية فاعتراف بالعجز والخذلان . لأن اللغة تنتعش بانتعاش الأمة وتجمد بجمودها . »

كانت **مى** ترى فى العـامية خطرا على الفصحى ، ولم تأذن للأولى أن تدخل حرم الثانية وهو مقدس . ولم تجر مع الجارين فى سـبيل مناصرة العامية ، ولم تحرم استعمال العامية فى الشوارع وغيرهـا مما يسهل معه التخاطب بها لكنها حرمت تسجيلها

فى اللغة الراقية خشية أن تفسد عليها جمالها وتهذيبها ·

ولشد ماكانت مى تتألم أشد الألم حين ترى المرأة العربية فى عصرها مهملة منسية ، لا يفكر فيها أحد ، ولا تظهر فى المجتمع كما يظهر الرجال · وكان يحز فى نفسها أن ترى الرجال يغلبون المرأة على أمرها ، فينبذونها من المجتمع نبذ النواة ، كأنها كم مهمل ، لا شأن لها ، ولا خطر ·

وكان كل صوت ترفعه مى فى سبيل تحرير اخوتها كأنه آت من الماضى السحيق يروى قصة الظلم الذى تألب على هذا المخلوق الضعيف ، ويردد صيحات التأبى على الضيم ، تلك الصيحات التى كان لها فى عشرات السنين التالية أثرها الشديد · وطالما أحست مى نفسها هذا الصوت فعبرت عنه أجمل تعبير فى خطاب لها فى النادى الشرقى سنة ١٩١٤ حيث تقول :

« أتكلم الآن بحرقة كأنى صوت المرأة الصامت منذ أجيال · وتستمعون الى باشفاق كأنكم نفس الرجل المشتتة منذ ابتداء الدهور · النفس الكبيرة المبعثرة تستجمع قواها للاصغاء ، والصوت الخافت الذى لم يتعود الا همس الطاعة وتمتمة التمرد المبهم يرتفع الآن آتيا من بعيد ، من بعيد ، من عمق أعماق الدهور السوداء ! من أقصى أقاصى الخليقة العجيبة ! آتيا من القبور ، من البحار ، من عناصر الحياة جميعا ، صارخا ! أيها الرجل ! لقد أذللتنى فكنت ذليلا ، فحررنى لتكن حرا ، حررنى لتحرز الانسانية» ونادت مى بتعليم المرأة ، ولم تكن فى نداتها الا صدى لتقدم زمانها ، لأن صيحات قاسم أمين ومن جاء بعده من المصلحين لم تذهب هباء ولم تضع سدى ، ومن قولها فى ذلك : « قالوا ان المعارف لم تخلق للمرأة وان العلم يذهب بجمالها وتواضعها ولطفها ، وانه يجعلها متكبرة جافة محتقرة للعائلة هازئة بالرجل ، وها نحن أولاء نراها اذا تعلمت زادت جمالا وحنانا أكيدا واحتراما للعائلة واجلالا للرجل » ·

ولم يقتصر اسهام مى فى الحياة الأدبية على ندوتها الأسبوعية أو اشتراكها المستمر فى المناسبات والمحافل الفكرية الأخرى ، بل استطاعت أن تقدم الى قراء العربية ثلاثة عشر كتابا أثرت بهم الفكر العربى بما فيها من جمال وخير ، وبحث ودرس ، وجدة وطرافة ولعل دراستها العميقة الممتعة ، المملوءة بكثير من التقصى والدقة عن وردة اليازجى ، وعائشة التيمورية، وباحثة البادية ، ملك حفنى ناصف ، لعل تلك الدراسات التى نشرت فى المقتطف وطبع بعضها مستقلا فى كتاب ، هى مظهر من مظاهر وفاء مى لبنات جنسها ، وحرصها على اظهار فضلهن أينما وجد ·

وكانت مى لا تألو جهدا فى الدفاع عن حقوق المرأة العربية فتقول فى خطاب لها عن النهضة النسائية :

« انها لنهضة عجيبة تبشر بخير عظيم ، وتنبىء بأن مدنية الأمس العرجاء التى لم تتكىء الا على جنس من الجنسين هى غير مدنية الغد الممتعة بتحقيق الأمانى · ليست مدنية الغد مدنية الرجل وحده ، بل هى مدنية الانسانية ·

وتعددت آراء مى ودراساتها فى مختلف الأمور التى تهم المجتمع فتقول مثلا عن الفقر كظاهرة اجتماعية :

« من المفكرين من يقول بامكان حذف الفقر وملاشاة الألم · لكن ذلك مستحيل وسيظل الفقر موجودا مادام أحد الناس أوسع ثروة من غيره ـ ثم تقول بعد ذلك :

« ولكنى أقول بامكان استئصال الفاقة ، فالفاقة مرض اجتماعى ، وكما تلاشى المرض من جسم الانسان يجب أن تتلاشى الفاقة من جسم المجتمع ·

وبعد أن قضت حياة حافلة ظلت مضيئة طوال خمسة واربعين عاما بدأت الوحدة والعزلة تتسرب الى الآنسة مى من ناحيتها هى · فقد أحست فراغا كبيرا فى الحياة والأحياء· وقد اعترفت مى سنة ١٩١١ قبل وفاتها بعشرين عاما بكآبتها · وأكدت حينذاك أن الكآبة هى خاتمة شعور الانسان ازاء الجمال والقباحة والخير والشر ، والعدل والظلم ·

وكان لا بد لهذا التفكير العميق الحزين من مى طوال حياتها أن يفضى الى نتيجة لا بد أن ينتهى اليها ، فهى فتاة مفكرة ، مهمومة ، حساسة ، مرهفة ، مطيلة التفكير فى مفارقات الحياة ، ومتناقضات الكون · وهى لم تؤت موهبة الاحتمال الشديد على مكاره الحياة ، وان ظلت تغالب وتصارع بدافع من كبريائها وشموخ أنفها ، وخاصة بعد أن فقدت والديها ·

وهكذا كانت بداية الحياة عند مى كآبة وحزنا ، وكانت خاتمتها كآبة وحزنا ، وعاشت فيما بين ذلك قصيدة حزينة مملوءة بنغمات الأسى وزفرات اللهيب ·

« تحسين عبد الحى »

قراءات في المجلات العربية



يقدمه: محمد العوانى

● **عيد النصر :**

مما لا شك فيه أن معركة بورسعيد من أهم المعارك التى حددت بداية الطريق الذى استطعنا أن نسلكه ، كما كشفت عن حقيقة القوى الخارجية التى ناصرتنا من الشعوب المحبة للسلام التى اعتنقت مبادىء « باندونج » وممن آمنت بمعنى وحدة معركة الحرية والسلام العالمى .

واللقاء الذى تم فى الأسبوع الماضى بمدينة البطولة بين القائد والأبطال من أهم ما أبرزته صحفنا ، ونوهت عنه مجلاتنا . فقد وقف أمام هؤلاء الأبطال الرئيس جمال يتحدث عن حقيقة النصر فى ذكرى عيد النصر ، حديثا واضحا يتسم بالقوة والصراحة ، معلنا أننا حين نحتفل بالنصر لانقف عند الانتصارات التى حققناها سنة ١٩٥٦ بل لا بد لنا من انتصارات رائعة فى ميدان الانتاج والخدمات على مختلف المستويات والمجالات .

وكشف الرئيس سياستنا الخارجية وهدفها معلنا أننا يجب أن نقابل الشعوب الحرة بمثل ما قابلتنا به أثناء حرب السويس ، وأننا حين نقدم العون لأى شعب ثائر على الاستعمار فنحن فى هذا الموقف انما نستطرد فيما عملناه وما عملته الشعوب الحرة معنا أثناء هذه الحرب .

ومما تناوله الرئيس فى خطابه التطور الكبير لمعنى الديمقراطية الذى أثمر كل هذه المناقشات المفتوحة التى تجرى فى كل مكان سواء فى مؤتمرات الاتحاد الاشتراكى أو فى الصحافة أو فى مجلس الأمة ، ويقول عن هذه المناقشات انها علامة صحة فى بنائنا الديمقراطى ، كما أكد الرئيس أننا حين نبنى بلدنا يجب ألا ننسى أهدافنا الأخرى .. فى تثبيت راية القومية العربية والوحدة العربية لأن الوحدة هى تحرير لجميع البلاد العربية من الاستعمار .

واذن فمعركة بورسعيد قد منحتنا من القوة والكرامة ما جعلنا نصنع مستقبلنا وفق ما نريد ، بل لم يعد هناك من يستطيع أن يفرض علينا سياسة تخالف ما تمليه علينا عقولنا أولا تنبع من داخلنا .

● **وحدة المثقفين :**

تحدث الاستاذ احسان عبد القدوس فى مجلة « روز اليوسف » عن وحدة المثقفين ، فنفى فى بدء مقاله ما يخيل الى البعض من أن المثقفين يكونون هيئة متماسكة .

وهو يسير فى مقاله مبينا أن مفهوم الثقافة ليس صفة مهنية ، بل يطلق على « من تؤهله ثقافته ليكون لنفسه وعيا خاصا يستطيع أن يحكم به على المسائل العامة » .

ومن هنا كان الخلاف بين المثقفين فى رأيه مظهرا طبيعيا تؤتيه الثقافة والظروف المحيطة بهم ، ومن هنا أيضا كان رأيه أن «المثقفين فى كل أنحاء الأرض يختلفون بعضهم مع بعض ، يحاربون بعضهم بعضا »

وأن الخلاف بينهم أمر طبيعي يتخذ مظهرا صريحا علنيا .

ولكن الامر يختلف تماما بالنسبة للمثقفين عندنا، اذ ان خلافهم غير طبيعي ، لانه ، يرفض أن يظهر على السطح ويرفض أن يحدد نفسه تحديدا صريحا ، انما يسرى فى تيارات كثيرة يصطدم بعضها مع بعض فى عنف .. وبسبب اصطدامها موجات تبدو على السطح.. موجات من البلبلة والحيرة السياسية .

وبعد أن يوضح الاستاذ احسان أن الخلافات التى يقصدها « ليست خلافات فى التطبيق ، ولكنها خلافات جذرية ايديولوجية ، يتساءل : هل نتيح لهذه الكتل أن تطفو على السطح ويؤلف كل منها حزبا أو هيئة حتى تواجه بعضها بعضا بصراحة ووضوح ؟

وهو يجيب على ذلك بالنفى قائلا ان « نظامنا يقوم على الوحدة الشعبية .. وحدة القوى العاملة ، ولا يتيح مجالا لهذه الانقسامات ، حتى لا يتسع نشاطها فتمزق الأمة كلها وتهدم كل ما بنيناه » .

ويضيف أن هذا الاحتمال الخطير قائم ، وأنه صار يخشاه « بعد المناقشة الحادة العنيفة التى قامت بين أنصار الشعر القديم والشعر الحديث ثم اتسعت حتى شملت الأدباء كلهم » وصار الأمر بدلا من أن تستمر المناقشة حتى تأخذ آخر مداها ويصفى الخلاف « أصبحت تكاد تنتهى باقتراح أن تؤلف كتلة الساخطين هيئة منفصلة تباشر نشاطا منفصلا» على انه مما يزيد من خطورة الأمر أن الخلاف ليس قائما بين أفراد هيئة أهلية وهى جمعية الأدباء ، بل انه « قائم ضد هيئة رسمية هى المجلس الأعلى للفنون والآداب » ويرى الأستاذ احسان أن هذا الخلاف اذا انتهى الى « انشاء هيئة مستقلة تضم الساخطين على المجلس الاعلى » فمعنى هذا أننا .. قررنا مبدءا خطيرا ، وأصبح من حق كل كتلة متنافرة مع أى هيئة رسمية أن تكون لنفسها كيانا منفصلا .

ويمضى بنا الأستاذ احسان فيصور لنا مبلغ الخطورة فى هذه الحلول السريعة بأن كل خلاف حول الآداب والفنون يمكن أنيتعمق بسهولة الى أن يصبح خلافا سياسيا عقائديا .

ثم يقترح حل هذه الخلافات بوساطة الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى بعد مناقشتها على هذا الأساس مناقشة صريحة ، وهى « ستنتهى حتما الى وحدة المثقفين، لان هناك احساسا أقوىوأشمل من الخلافات مهما احتدت ومهما تعمقت جذورها وهى الحرص على البناء الضخم الذى بناه لنا الرئيس جمال عبد الناصر » .

● رحلة الى تونس :

وفى نفس هذه المجلة يتحدث الدكتور محمد مندور ، عن رحلة قام بها الى القطر العربى الشقيق تونس ، وقد أوضح الدكتور أن الشعب التونسى على الرغم من محاولات فرنسته استطاعأن يحتفظ باللغة العربية السليمة احتفاظا قويا ، بل « ان المصطلحات العامية التى تبدو لأول وهلة غريبة عنا نحن المصريين لا نلبث أن نفهمها بمجرد ردها الى أصلها العربى الفصيح » . ويستدل الدكتور على قوله هذا بأنهم يصفون الشىء بقولهم « باهى ياسر » ولسرعتهم فى النطق ، لا ندرك أحيانا معنى هذا الاصطلاح مع انه عربى فصيح ، فهو يعنى « جميل جدا » لأن باهى من البهاء و «ياسر» من اليسر واليسار .. فالباهى ياسر هو الموفور أو السخى الجمال » .

وينتقل الدكتور ليوضح دور الشعب التونسى وحكومته ازاء مشكلة الازدواج اللغوى وطريقة العلاج التى تتبع من أجل هذه القضية ، فهم « يركزون جهدهم منذ استقلالهم على أن تكون لهم وحدة ثقافية » . فكل مواطن يجب أن يحصل على نصيب من الثقافة الوطنية القومية وعلى نصيب مماثل من الثقافة العالمية ، وبامتزاج هاتين الثقافتين وتفاعلهما فى نفسه « تنتج عن ذلك ثقافة جديدة أصيلة » .

وفى مجلة « المجلة » يتحدث الدكتور مندور عن نشأته وتطور مراحل حياته ، فيذكر من ذلك أنه حينما كان يدرس فى فرنسا حضر اليه الدكتور طه حسين وطلب منه ان يحقق امنية قديمة لمدير الجامعة **احمد لطفى السيد** وهى « أن يترجم أحد المصريين الذين درسوا الأدب الفرنسى وأتقنوا لغته ، قصيدة عويصة للشاعر « الفريد دى فينى » وهى قصيدة « بيت الراعى » التى تجمع بين عمق التفكير الفلسفى وشطحات الروح الرومانسية المجنحة » ويقول الدكتور انه ترجمها وأهدى الترجمة الى أحمد لطفى السيد فراقته وأرسلها الى مجلة « الرسالة » فنشرت فى عدديها الأول والثانى .

● **شخصية مصر**

وفي نفس العدد من « المجلة » يتحدث الدكتور جمال حمدان عن « شخصية مصر » في سلسلة أبحاث متواصلة ، وهو في بحثه الثالث يتناول نقطتين هامتين : أولاهما هي الموضع ، والأخرى هي الموقع، ومما يذكره في معرض الحديث عن النقطة الأولى أن « العلاقة بين النيل والانسان المصرى لم تكن علاقة ثابتة عبر التاريخ جامدة ، بل كانت أساسا علاقة نامية متطورة ، بدأت بالعنصر الطبيعي سيد الموقف، وانتهت أخيرا باليد العليا للعنصر الانساني ، فمن زراعة الحياض الى الرى الدائم الى رى السد العالى، رحلة طويلة شاقة تلخص علاقة الصراع المتغيرة بين البيئة والانسان » .

ويوضح الدكتور حمدان أن السد العالى جعل النيل هبة مصر ، وغير قول هيرودوت القديم القائل بأن «مصر هبة النيل»كما أن السد بالنسبة للسكان يعنى تأمينا ، كما أنه « يرقى بالنهر الى نوع من التأميم ، فلقد أمم الشعب أضخم مرافقه الطبيعية (النهر) وأخضعها لملكيته الكاملة » .

وينتقل الدكتور الى النقطة الأخرى ليقول : « ان قناة السويس أعادت لموقعنا اعتباره مضاعفا مؤكدا .. وأنها أصبحت أعظم شريان للتجارة الدولية فى العالم برمته، وأصبحت مصر أخطر موقع استراتيجي فى العالم القديم .. وتأكدت مرة أخرى علاقة الرخاء المتبادلة بين مصر وطريق السويس ، وان يكن مع « وقف التنفيذ » فى الحقيقة ، لأن مصر لم تكن تملك القناة ولكن منذ الاسترداد لم يعد شك فى خطورة دور الموقع فى البناء الاقتصادى المصرى ، فهى تصب الآن أكثر من ٧٠ مليون جنيه من العملات الصعبة توجه كلها وجهة بناءة هى السد » .

وينتهى الدكتور عند هاتين النقطتين الى أن هناك تطورات عالمية واقليمية فى عالم البترول ، ولكن مستقبل القناة البترولى وغير البترولى ليس حرجا فى أى معنى .. ثم يضيف : إنه« اذا كانت أمريكا تبحث من الآن عن موضع لقناة جديدة تضاف الى « بنما » لمواجهة الزيادة المنتظرة فى الحركة الدولية، فان قناة السويس بالتوسع أجدر، وموقعنا ليس أقل ضمانا أو رسوخا من موضعنا ، والاثنان معا يؤكدان سلامة الأساس الطبيعي لبنائنا البشرى، رغم كل الشبهات والشكوك ، وأن « كنانة الله » ، يمكنها أن تنطلق الى مستقبلها وأهدافها ، مطمئنة الى أنها سيدة نفسها ومالكة أمرها من يمين أو شمال بلا أدنى شك أو قلق ، لأن ما كان ابوه التاريخ وامه الجغرافيا فهو من صنع الله » .

ومهما يكن من امر فان الدكتور حمدان قدم من المعلومات الهامة فى هذه السلسلة من المقالات ماكشف لنا عن جوانب رائعة من تاريخنا وحضارتنا فى دراسة مستأنية امتازت بالعمق والدقة والشمول .

● **هيدجر وفلسفته فى الفن :**

تناول الدكتور زكريا ابراهيم فى مجلة «العربى» هيدجر » فيلسوف الوجودية الألمانية وبين أنه على الرغم من أن « هيدجر » قد أعلن سخطه مرارا على الوجودية الفرنسية التى عبر عنها جان بول سارتر فانهما كانا يريدان من وراء دراستهما للحقيقة البشرية أن يصلا الى « الحكم على الوجود بما هو موجود » ويناقش الدكتور تطبيق فلسفة هيدجر فى الفن فيبين أنه لم يتجه الى دراسة شخصية الفنان أو عملية الابداع الفنى ، بل انه قد مضى مباشرة الى العمل الفنى محاولا وصفه باعتباره«ظاهرة معاشة » وفى رأى هيدجر أن الفن لا يخرج عن كونه لفظا مفهوما مجردا نشير به الى مجموعة من الوقائع المشخصة الا وهى الاعمال الفنية والفنانون ، ولولا تلك الوقائع المشخصة التى نلتقى بها فى عالم الواقع حينما نشهد أعمالا فنية ونلتقى بأفراد من الفنانين لما كان فى وسعنا أن نتحدث عن الفن أصلا » .

وتحدث المقال عن صلة الفن بالحقيقة فبين الدكتور ان « هيدجر » قد وقف عند ذلك وقفة طويلة وخلص الى القول بأن « كل فن انما هو فى جوهره ضرب من الشعر » .. اذ الشعر عنده يرتد الى الأصل الاشتقاقى للكلمة اليونانية بمعنى « الانشاء » أو « الابداع » أو « الخلق » . وعلى هذا فان سائر الفنون من معمار وتصوير وموسيقى ونحت ترتد كلها الى الشعر .

وينتهى الدكتور بأن هذا المنهج الذى اصطنعه هيدجر كان يساير فيه الاتجاهات الحديثة فى علم الجمال ، وهى تلك الاتجاهات التى تركز كل اهتمامها فى العمل الفنى وحده .

محمد العوانى



بعد عودة الرائد ..

بقلم : حلمي محمد القاعود

ايام خوالد .. وليال خالدة .. تلك التي قضاها الرائد العربي للفكر العربي المعاصر الأستاذ احمد حسن الزيات ، قضاها بين جنبات ارض ذات تاريخ ومجد .. اضفت على هذه الأيام والليالي مسحة من الكفاح الذي بداه الرجل منذ زمن بعيد في ميدان الفكر العربي الانساني .. وحرى بنا ان نسجل فترة الاستشفاء هذه في الصفحات الناصعة البياض لكفاح الرجل وقدرته في عالم الانسانيات ..

لقد كان من نصر الله له ، ان يذهب طالبا العلاج ، ويعود وقد ازداد النور في عينيه توهجا وتألقا ، يشع على طريق الفكر العربي الاسلامي كما كان يشع من قبل وفي عصر كانت حلكته شديدة القتامة والسواد .

ان اخلاص الرجل للقضية العربية الاسلامية ، اراه وقد انعكس في كل طور من اطوار حياته ، وفي كل مرحلة يمر بها .. وفي نهايتها يكون النصر حليفه ومؤازره .

فبعد كفاح طويل ، في مجلة « الرسالة » كتب عليها ان تحتجب تحت الظلال القاتمة للضرائب ، والارهاق المالي ، ولكن يد الاصلاح لم يغلها البخل ، ولم يمسكها الكره ..

.. واعادت الثورة « الرسالة » لتواصل رسالتها في حمل الشعلة الملتهبة .. كفاحا من اجل العروبة والقومية والدين الاسلامي الحنيف ، وكل تراث العربية الخالد..وفتحت الرسالة صفحاتها لتدون فيها من هذه الروائع ما ينير العقل ويذكي النفس .. ويخدم القضية العربية .

عاد الرجل بعد ان قضى اياما خالدة ، وليال خالدات .. في ذلك الفردوس « المفقود » الذي كان محطا .. لكل من جاء يطلب العلم والمعرفة والحكمة والطب ... الخ ويتزود بها في ذلك الفردوس من آيات رائعة صممها اصحاب الحضارة العربية على نهج انساني .. فيه العالمية المثالية المتعاونة الى حياة افضل .. وعيش احسن وارغد .

وان املي لقريب التحقق .. وهو ان يكتب الاستاذ الرائد.. ولا بد ان تكون قد مسته تلك الروح العربية الاسلامية المدفونة التي لاتزال آثارها باقية بين اطلال قرطبة واشبيلية وغرناطة وسرقسطة .. وغيرها ... في ان يدون على صفحات « الرسالة » فصولا ممتعة .. عن ذلك الفردوس المفقود ، الذي فقده اهله بعد ان مزقتهم الفرقة والانحلال ، وانصرفوا الى توافه الأمور والأعمال .. وشغلوا عن ذلك الفردوس الذي افتقدوه شابا يافعا انتفع به قوم كانوا يكنون بين طياتهم الد الخصام ويتمنون لهم الهلاك والموت الزؤام .

عاد الرجل .. الرائد المفكر .. بعد غيبة كانت طويلة عن عالمنا نحن .. ولكن من اجل النور لم تكن طويلة ..

عاد الرجل .. ليعزف الحان الخلود للفكر العربي في مجلة « الرسالة » العربية المكافحة .

عاد ليقوم ، ويوجه .. كما قوم ووجه من قبل ، هو وجماعة من خير الصحاب والأدباء .. كانوا في مجموعهم ذخرا للعرب .. وتراثا يعتزون به .. فهم خدموه مخلصين متعاونين .. في المحافل والمنتديات ، وفي الصحافة بشتى اشكالها وصورها . ولم يحجموا مرة او يتقاعدوا عن الدفاع من اجل وطنهم وعروبتهم وقوميتهم ودينهم ، وكان الرجل واحدا منهم حمل العبء الأكبر ، ووضع حياته كلها في ميدان الكفاح الفكري .. فطارد العابث والماجن ، وحمل على العدو الدخيل على الأدب والفكر ، واسمعه يكتب عن الأدب الحرام فيقول وهو يشير الى ضرورة الأدب في تقويم الانسان « وهل يماري احد في ان البهيم الذي يساكن الانسان في جسده انما يروضه ويكبحه الأدب القائم على العقل والدين والعلم ، تارة بالفطام واللجام ، وتارة بالسياسة والملاينة ، فاذا فسدت طبيعة هذا الأدب فانقلب القيد سوطا يلهب ، والشكيمة مهمازا يحث ، افلت البهيم من ربقته فافترس الانسان الذي يعيش معه ، وحطم المجتمع الذي يضطرب فيه ، والأدب الذي اطلق هذا البهيم بتملق غرائزه ، وتحريض شهواته سينتهي امره لا محالة الى ان يصير آفة تفنى وجرثومة تحارب لأن في ابن آدم محكمة داخلية تسميها الضمير ، اذا تعطلت حينا ، فلن تتعطل ابد الدهر » .

ان الاستاذ الزيات رائد الادب والفكر قد عاد ليجد الجو الفكرى مشحونا بتلك الترهات والاكاذيب وحملة التشكيك التى ينشرها بعض الادباء والذين انطلقوا من مصر «ام العروبة، وقائدة النضال العربى - انطلقوا بافكارهم الى لبنان ليمارسوا باسم التقدم ، وتحت ستار التحرر انواعا وصنوفا من الادب ضمنوها .. ادبا حراما..وفكرا كاذبا اثيما ، وحملة مسعورة للتشكيك فى ابطال وطننا الذى يكد ويسعى فى غير خوف .. وبالامل الذى يحدوه ليصل الى مرتبة من الرفعة وتصبح « الولايات العربية المتحدة » هى الدولة العظمى فى العالم من حيث الانسانية والتقدم والرخاء .

انت عدت يا رائد الفكر وما زالت الطريق بحاجة ماسة الى ان تضمنها قبسا من فكرك وعقلك المستنير ، ولعل الشحنة الكاذبة فى الجو الادبى العربى تبدد تحت وقع كلماتك الصادقة النقية.. وقد قامت الرسالة فى غيبتك وما زالت - تحمل لواء الجهاد ضد الشعوبية العاصرة .. والاستاذان عبده بدوى وعباس خضر ، قد قاما بجهد مشكور فى هذا الميدان المحفوف بكل المكاره من جانب الآخرين .

ان الرسالة ما زالت صاحبة الفضل فى توجيه الفكر العربى الى تراثه وقيمه الغنية .. وانها لجديرة بالبحث والتحقيق .. من حيث انها حياة رائد .. ومعه رواد قاموا بمهمتهم الانسانية نحو وطنهم .. ولا ادرى لماذا لا يهتم الباحثون بالحقائق الحية ؟ بل ينقبون بعد الوفاة ويكدون فى البحث ؟ .. ان الرسالة ستحيا دائما وابدا الى ماشاء الله للفكر العربى من ازدهار وتهنئة لصاحبها على عودته وشفائه .

ومزيدا من طول العمر المديد السعيد .

حلمى محمد القاعود

العقاد والشعر الجديد

بقلم : محمد مصطفى

ظهر منذ بضعة ايام كتاب بعنوان العقاد فى ندواته ، وقد جمع نخبة مما قاله فقيد الادب العربى الاستاذ عباس محمود العقاد فى ندواته ، وقد جاء فى هذا الكتاب عن الشعر فى ندوات العقاد قوله :

« اذا خلا الشعر من العروض والقافية لم يصبح شعرا ...

اما فى اللغات الاوربية فيقوم الشعر على القدم الموسيقية وسواها من الاقيسة . فلا داعى لديهم للوزن والقافية ، والشعر الغنائى العربى لا نظير له .

ولا توجد عروض فى العالم سوى العروض العربية .

وليس فى العالم كله شعر بلغ حد الاتقان الذى بلغه الشعر العربى . ومحاولة وضع تفاعيل فى اية لغة اخرى امر غير ممكن ، لان الاشتقاق لا يوجد الا فى اللغة العربية .

والقواعد التى وضعها الخليل غير قابلة للتعديل وان كانت زيدت بتواشيح عليها » .

ويقول العقاد عن الشعر الجديد وفكرة التفعيلة الواحدة :

« التفعيلة ليست وزنا وانما هى تدخل فى البحر لتوزن . وقد يزيد عدد البحور حتى ليبلغ المائتين .

واساس الشعر البحر لا التفعيلة .

وقد انشا شاعر سورى الة موسيقية لحن عليها البحور وذكر انها تصل الى المائتين . كذلك السلم الموسيقى ، يخطىء من يحدده باثنى عشر ، لانه يمكن الارتفاع به الى الثلاثين .

المهم التناسق بين طبقات النغم » .

وسئل العقاد عن الشعر الجديد فقال :

الشعر الحديث لا يقوم على قواعد محددة فهو فى حقيقته نثر فى اسلوب شعرى ولا يستدعى الغاء الشعر الحالى .

وهل للشعر الحديث قصائد تحفظ ؟

وانى ليؤسفنى ان المح فى محاولتهم غرضا واضحا هو الهدم .

ويقول العقاد : «ان كل فن يسير على قاعدة حتى اللعب .. والشعر الجديد لا يسير على قاعدة فهو ليس بفن . والتفعيلة الواحدة كالكلمة الواحدة لا قيمة لها الا فى بناء العبارة . وليس فى بناء الشعر الجديد التناسق الذى يتطلبه الشعر » .

المسالة اذن ليست مسالة جديد وقديم كما يصورها بعض محررى الصحف ، فالتجديد يجب ان يقوم على اصول وقواعد لا ان يكون تشويها لشعرنا المأثور . ومن عجب ان يلتزم الزجل البحر والقافية ويسير على القاعدة ويخرج الشعر عن كل التزام !

وقد ساير الشعر العربى حركات التجديد فى تاريخ الامة العربية ، وعبر عنها فى مختلف العصور . ومن يقول خلاف ذلك يحكم على امتنا بالجمود والعقم فى تاريخها المديد .

وفى ثورتنا الكبرى شارك الشعر فى اطاره المأثور فى سائر المعارك بما لم يتفق للشعر الجديد . .

عبر عنا بالاناشيد الوطنية وليس فيهما نشيد واحد من الشعر الجديد ...

عبر عنا فى معركة الحرية والاستقلال ، عبر عنا فى معركة فلسطين ومعركة بورسعيد ، عبر عن اشتراكيتنا واحوالنا الاجتماعية وكان من اسلحتنا فى سائر المعارك .

فلا يتهم الشعر العربى بالتقصير ولا تحمل المسالة على انها معركة بين الجديد والقديم فالتجديد امر مسلم به على الا يكون هدما كما راى العقاد فى دعوة الشعر الجديد .

اما حرية الفكر فامر لا يقبل الجدل . ولكن هذه الحرية تنقلب الى نوع من الاسترقاق اذا كانت تتحكم فى القضايا الفنية بما تمليه الاهواء ، وتكون معولا للهدم لا للتجديد .

اما مسالة الرفض والرافضين التي يعلنها بضعة من حملة مشاعر الشعر الجديد فقد وفتها الرسالة حقها ، واصبح امرها لا يخفى على احد وهي جديرة منا ومن لجنة الشعر بالبعثة والاهتمام ، وقد تجاوز بعضهم الحد في الدفاع عن الشعر الجديد بدعوى الاشتراكية واذابة الفوارق الفكرية والفنية بين الافراد وهذا لا يجوز ان يكون على حساب الثقافة والفن الرفيع وما ابعد هذه النظرات عن اشتراكيتنا السمحاء .

ردود قصيرة :

تلقت المجلة عددا وفيرا من الدراسات والكلمات ، والرسالة اذ تشكر كل الذين تفضلوا بالكتابة اليها تخص بالذكر اصحاب الكلمات الآتية التي تحتوي على كثير من المجهود :

قصة يوم الميلاد .. بقلم محمود عوض عبد العال .

يتيم يناجي امه .. بقلم بدوي بدوي محمد .

شهر شعبان في التاريخ .. بقلم عبد المنعم البحقيري .

رسالة .. بقلم شعيب بن الحاج من المغرب .

صانع الالفاظ .. بقلم رمضان اللواني .

الحرص على اللغة .. بقلم محمد الصغير ابراهيم موسى .

قصة ساعة في الصباح .. بقلم عبد الله العرصار .

الزمان والحرية .. بقلم محمد عبد الواحد حجازى .

اوراق الخريف .. بقلم عبد الحميد قطتاني .

تاملات في فن الترجمة .. بقلم حسني سيد لبيب .

بين لقاءين .. بقلم احمد بن صالح رويس من تونس .

حول القول بصلب المسيح .. سامي سيد طه .

دور الاضرحة .. للعقيد مصطفى كامل نصار .

رجل وامراتان .. بقلم عيسى متول .

حول كتاب الدكتور ناصر .. بقلم الغزالي حرب .

منطقية العقاد .. بقلم محمد سليمان فتيح .

تشومبي والاستعمار .. بقلم عزيز الرافعي .

سر الشمس .. بقلم علي محمد خير القرني .

مقتطفات من الشعر العربي .. بقلم حسن محمود محمد .

احمد امين .. بقلم صفاء الجوهري .

والى لقاء آخر مع كل ما يصل الى الرسالة .

بين أشجار الكافور

للشاعر : محمود عماد

ماذا رايت عدا الطريق البلقعـا
فبسمت ثم وجمت في وقت معا

لا شيء يسترعى به من سالك
عينا ولا منه يراود مسمعا

ام ان جنا وسوست لك دون ان
تجلى على لقم الطريق وتسمعا

بل انها الذكرى جلت لك هاهنا
مرأى تجنبه الخلائق اجمعـا

مرأى به حفل الطريق عشيه
ثم انطوى خلف السنين واقلعا

ما كان اعجبه شريطا ممتعـا
ما لاح عند العرض حتى قطعا

لكنه ما زال يعرض خفيـة
فاذا مباهجـه تثير تفجعـا

ماذا على الذكرى المعيدة ماضى
لو ان تعيد به المتاع وترجعا ؟

يا نازع الايام من تقويمهـا
ماذا صنعت بما لديها اودعا ؟

انا خبانا الزهر في صفحاتها
ليعيش لم نقدر لها ان تنزعا

كم من طريق خلته خلوا يرى
فيه سواك تفرقا وتجمعـا !

تمشي على ذكر غلت وبودنا
لو ان تحسنا ثراها ركعا

ان الوفاء الى المكان وان خلا
بعض الوفاء لمن اقام وودعـا

قلنا لعا للعاثرين فليت آيا
ما مضت عثرت وما قلنا لعـا

لم يبق ممن عاشها معنا سوى
شجرات كافور تراخت افرعا

ظلت هنا كصوى الطريق تقاوم الا
نواء فيه والرياح الاربعـا

اترى تصفق اذ تصفق فرحة
بوفادتي او حسرة وتوجعا ؟

انى لاسمع اذ اجوس خلالها
همسا وعى من عهدنا ما قد وعى

في الغسق

قصة بقلم: محمود البدوي

كان يقف في قلب الميدان يبيع الصحف للمارة في حي تكثر فيه الحركة والعمل .. وسكانه على مستوى اجتماعي مرتفع وكثير منهم يتمرغ في النعيم ..

وكان « **عبد العظيم** » يبيع الصحف العربية والافرنجية وعملاؤه من المصريين والأجانب .. ومن النساء الأنيقات .. اللواتي يطلبن مجلات الأزياء المرتفعة الثمن ويدفعن بسخاء ورضى ..

وكان الجميع يعرفونه بصوته الجمهوري .. ويحبونه لامانته ونشاطه .. وحسن تصرفه وسرعة تلبيته لطلباتهم .. فما كان يخيب رجاء طالب لصحيفة او مجلة مهما بعد بها الزمن .

وكان في الأربعين من عمره طويلا ممتلىء الجسم قويا ابيض مشربا بحمرة .. وعيناه سوداوان حادتان وفيهما بريق الذكاء وصفاء الطيبة .

واعتاد أن يرتدي السترة والبنطلون قبل ان تخرج البدلة الشعبية الى الوجود ويدعى لها . لانه يعمل في حي افرنجي .. ولانه احس منذ حداثته بان الجلباب يعوقه عن الحركة وهو يريد ان يجرى وان يقفز كلما دعت الضرورة الى الجرى والقفز ليلحق بالترام والاوتوبيس في شبكة مواصلات رهيبة وفي مدينة كبيرة كلها صراع على الحياة ..

وعلى الرغم من انه يبيع الشيء المقروء من نتاج المطابع .. ولكنه كان اميا لا يقرا ولا يكتب .. ولا ذنب له فيما جناه عليه الفقر ..

وكان بذكائه وفراسته يميز بين المجلات بدقة مذهلة حتى المتشابه منها لا يفوت عليه فالأخبار غير الأهرام والجمهورية والرسالة غير الثقافة .. وآخر ساعة غير المصور .. والسنداى اكسبريس غير السنداى تلغراف .. ونيوز اوف ذى ورلد .. غير البيبل .. والتيمز غير الابزرفر والتمبتو غير الفيجارو ..

والصحيفة الاجنبية التي تبرز في صدرها صورة خروشوف وديجول وتشرشل وجونسون غير الصحيفة التي تبرز صورة كريستين كيلر .. وافا جاردنر .. واليزابيث تيلور وشيرلي ماكلين .

ومع أن عمله دائما في حي قصر النيل فانه يسكن في الامام .. ولانه يسكن بجوار المقابر تولدت لديه عاطفة شديدة نحو الموتى .. عاطفة مجنونة .. فكلما بصر بجنازة مارة في الطريق احس كانما سري في جسمه سيال كهربائي .. فتراه يهتز وينتفض ويدع ماق يديه وينطلق الى قلب الجنازة .. ثم يتسلل حتى يصل الى النعش .. وينحنى بسكون تحت الخشبة ليضعها على عاتقه ويسير مع الرجال .

وهنا يحس براحة كبرى تغمر نفسه وتفيض على قلبه وجسمه فتزداد قوته وتزداد صلابته .

وكان في اعماقه يشعر بانه سيجازى من الله على هذا الصنيع خير جزاء .

واذا كان الميت فقيرا معدما كان يحس بان له من الحسنة ضعف امثالها .. وانه سيجزى الجزاء الاوفى .

وكانما اراد الله ان تضاعف له الحسنات بوجوده في هذا المكان حيث تخرج معظم الجنائز من ميدان التحرير وتسير الى جامع الكخيا .

وعندما تطورت الحياة في المدينة الكبيرة واصبحت العربات تقف بجوار المسجد لتقل الموتى بعد الصلاة الى المقابر .. ابتأس عبد العظيم وشعر بغصة في حلقه .. كانه اخرج من الجنة فجاة ليلقى في النار .

ولكن الموتى الفقراء ظلت جنازتهم تسير الى المقابر . في شارع القلعة بكل ما فيه من طول .. **وعبد العظيم** على عاتقه النعش وفي قلبه الفرحة وعلى وجهه الخشوع .

انه سيحمل يوما على اكتاف الاخرين .. ومنهم من يطلب له الرحمة .. كما يفعل هو الآن .

وكانت الحياة باحساسه مجازا الى دنيا أخرى جميلة .. ولذلك كان قانعا مثلج القلب .. مبتهج المشاعر .

وبعد أن ينتهى من عمله اليومى يشترى العشاء لاسرته .. ويحمله على صدره حتى يبلغ به البيت ويجلس وسط طفله وزوجته يتعشى معهما ويضاحكهما ، وكان الطفل قد من الله عليه به منذ ثلاث سنوات فقط بعد أن يئس من الانجاب وتصور ان امرأته عاقر .

وهو يعنى ببيته عنايته بعمله . ويدرك أن الوقت الذى يضيعه فى حمل نعش سيعوضه الله عنه فى رزقه أضعافا مضاعفة .

وبرضى من النفس وراحة كان يعيش ويعمل فى العجلة الدوارة .

ولأن نصف عملائه من النساء المهذبات الأنيقات فقد تعلم منهن التهذيب والوداعة ...

وكن صبايا جميلات يلبسن أحدث الأزياء .. ويطلبن منه حاجتهن بصوت ناعم عذب كأنه تغريد البلابل

وكان يحمل للبعض منهن المجلات الى بيوتهن ويتلقى منهن الابتسامة المشرقة وكلمة الشكر الرقيقة التى تنفذ الى قلبه .

وكان يعرفهن جميعا بأسمائهن ويعرف أزواجهن وأولادهن من كثرة اختلاطه بهن وتعامله معهن .

ومن عشرات السنين كن جميعا أجنبيات ، فلما زحف المصريون الى هذا الحى وسكنوا فيه سر عبد العظيم لأنه يتعامل مع أناس يتكلمون لغته ويفهمون مشاعره وأحاسيسه ورأى فى النساء المصريات نفس الأناقة ونفس التهذيب الذى كان يجده فى الأجنبيات وزاده احساسه الوطنى اكراما لهن وتضحية .. فالتى تطلب المجلة ولا تجدها عنده كان يحملها الى بيتها بعد ساعة واحدة ولا يضنيه البحث عنها أو تسوقها من غيره دون ربح ما دام يرضى رغبة مشتعلة فى نفسه دائما هى أن يخدم « الزبون » على أحسن وجه .

وذات مساء جلس فى مقابر « **الخفير** » بعد أن اشترك مع ثلاثة من الرجال فى حمل نعش رجل فقير .. ولم يواره التراب سواهم .

وكان يحس بالرضى .. ولما كان متوضئا فقد رأى أن يجلس بين المقابر يسبح بحمد الله ويستغفر للموتى الى أن تغرب الشمس ليصلى المغرب حاضرا .

ولما غربت الشمس صلى واستغرق فى الصلاة الى أن لف الظلام المقابر وما يحيط بها فى شملته .

وكان السكون عميقا وجو الخريف يغرى بالتأمل فى السماء والأرض باستغراق ...

واستفاق من استغراقه على صوت سيارة تنسحب فى هدوء فى طريق ضيق بين المقابر وكانت على مدى أمتار منه .. فبصر بشبحين فى داخلها يتعانقان .. ثم توقفت السيارة وزادت حرارة العناق والقبل .. واستشاط عبد العظيم غيظا .. من مخلوقين يعبثان بحرمة الموتى وقداسة المكان .. وانتصب على قدميه وهو فى أشد حالات الثورة .. واندفع نحو السيارة وفى أثناء ذلك كانت السيارة تدور وتخرج من بين المقابر ولكن قبل أن تدور الى الطريق الرئيسى تمهلت فى سيرها قليلا .

وقد أتاحت هذه الحركة البطيئة الفرصة لعبد العظيم ليقترب ويشاهد من بداخلها فأحس بلسعة اذ اتضح له أنه يعرف المرأة التى تركب بجوار الشاب فهى سيدة متزوجة وتقيم فى الحى الذى يعمل فيه، وهو يعرف زوجها ، ويحمل اليها المجلات الى الدور الخامس فى شارع « بهلر » ، ويصعد السلالم الى بابها حتى اذا كان المصعد معطلا صعد وتلقى ابتسامتها ولامس بيده الخشنة أناملها الناعمة وهى تعطيه النقود . انها أجمل سيدة مصرية فى الحى .. لأنها تحمل وجه ملاك وعينين تفيضان عذوبة وطهرا .. وهى غنية وزوجها ليس مريضا ولا شيخا فلماذا تخونه وتأتى مع عشيقها الى المقابر ولا تراعى حرمة الموت ؟! . واحس بالدنيا تدور به وتظلم فى وجهه وبثورة تجتاحه وتقدم نحوها كالمجنون ..

ولكن فى هذه اللحظة كان الشاب قد انطلق بالسيارة فى سرعة مجنونة وظل عبد العظيم يتبعه ببصره بعد أن يئس من اللحاق به .

وهنا سمع صوت الفرامل يزعق ويمزق السكون وسمع صرخة حادة .. وتوقفت السيارة .. فجرى نحوها بأقصى سرعة .

وعرف أن سيارة الشاب صدمت صبيا وألقت به تحت العجلات وأمه هى التى تصرخ . وتجمع نفر من الناس اعترضوا طريق السيارة ..

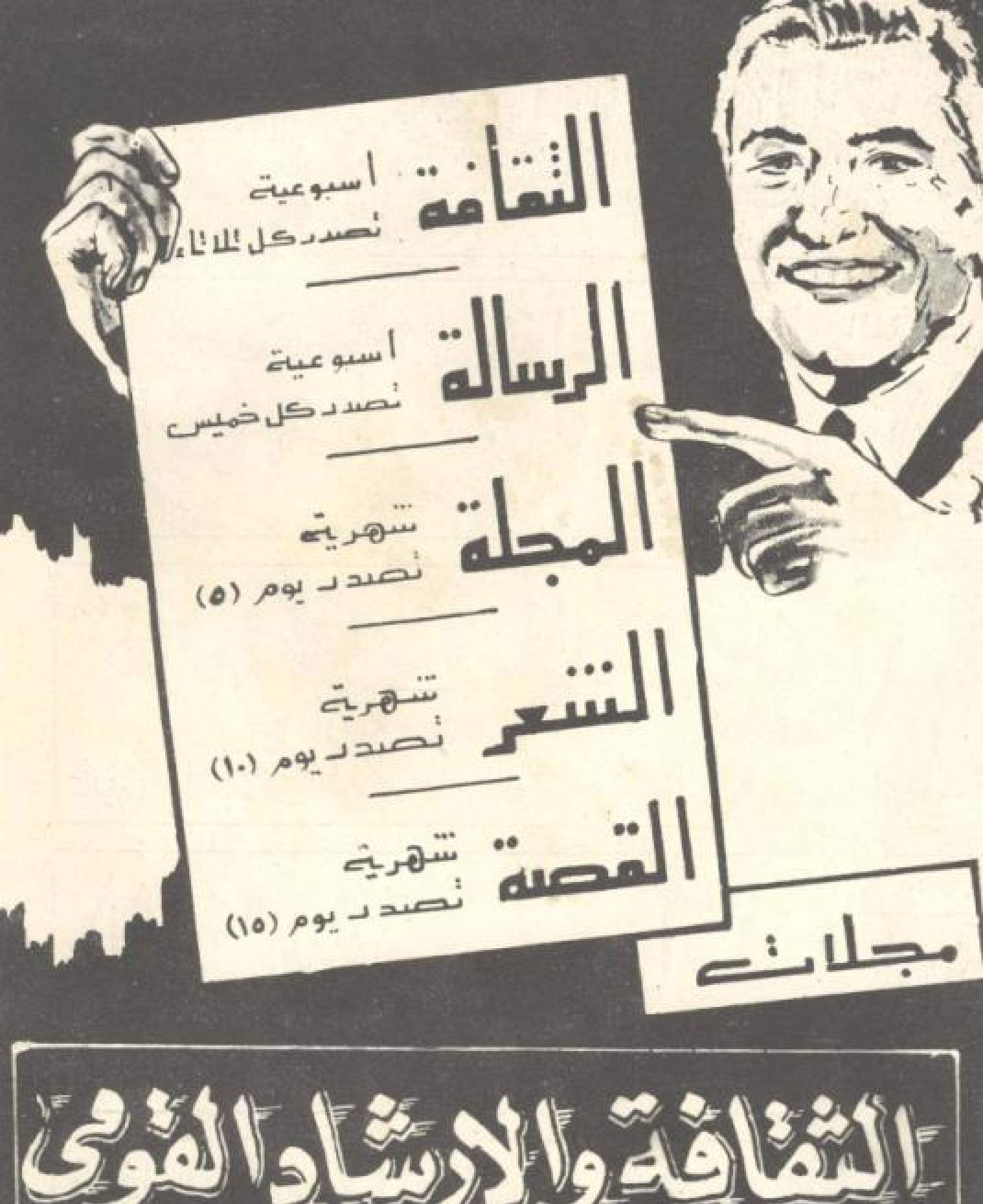
وفى صمت أمسك **عبد العظيم** بتلابيب الشاب الذى كان يقود السيارة والذى كان يجلس بجوار المرأة .. وسحبه الى الخارج .. وأخذ يمرغ به التراب .

ولما شعرت المرأة بالخطر ..خرجت من السيارة ونادت عبد العظيم باسمه لما عرفته .. واستغربت أنه بعد أن سمع صوتها ورآها عن قرب ازداد وحشية ولم يتوقف ...

وظلت فى مكانها مذهولة سادرة ...

ولما رأت الفاجعة تنقض . والشاب يلفظ آخر أنفاسه ... هوت متخاذلة على الأرض ...

محمود البدوى



العدد ٧٦
الثمن ٣ قروش
الدار القومية للطباعة والنشر